

العدد السابع - السنة السابعة - يوليو ١٩٧١

الطلعة

طريق الناشئين إلى الفكر الثوري المعاصر

الديمقراطية والمؤسسات الشعبية

حوار مع الفيلسوف المجري «لوكانش»
سيناء .. التاريخ والاستراتيجية

وشائق دستور ١٩٦٣



المجلة

العدد السابع - السنة السابعة - يوليو ١٩٧١

ص

■ نقاط سياسية لانتخابات الاتحاد الاشتراكي - الاصلاح - ٥

■ الديمقراطية والمؤسسات الثمينة - الدراسة - ١٥

- بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية - ابو سيف يوسف ١١
- بناء القنابات بالديمقراطية - عبد الميم الفزالي ٢٥
- عود الى الحديث عن مقابلة السحاب - د. محمد الحصري ٢٥
- النظام القسري وفلسفته - انجي رمسيس ٣٥
- الديمقراطية والفلسفة - غالي مسكري ٣٥

- سناء .. التاريخ والتاريخية - محمد عبد الحليم ٤٦
- القاهرة .. وموشها من الضال العربي - د. محمد علي الشهابي ٦١
- حوار مع المفكر المجرى لوكس - سمير كرم ٧١
- حركة التحرر العربي من اسرائيل وجنوب افريقيا - حسين سبلان ٧٨
- الاناس الاجمالي للعلم الخاص - ممدوح عبد الرحمن ٨١
- الفن الشكلي والتأليف - محسن العطاش ٨٧

■ ملحق « الطليعة » - ١٢

- بعض افكار اسامة النور الجدد - جمال العنفي ٩١
- الاتحاد الاشتراكي - هل يقن بالنسور - طارق البشري ٩٨
- النور والموقف الانساني - ١٠٤
- آراء وملاحظات حول النور - ١٠٦

■ تقارير الشهر والملاحظات : ١١٢

■ مكتبة الطليعة - من المجلات العالمية : ١٢٦

■ كتابات جديدة ومناقشات مفتوحة - ١٢٨

■ دستور ١٩٢٣ « السبعيني » - ١٣٢

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة ثورية

تصدر اول كل شهر

مستشار التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العنفي
د. رشدي سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة بليون ٦٦٦٢ - ٥٩٠١٥ -
٥٩٦٥

الاشتراكات :

السنة بالبريد ٥٠ ج.م.م. ونول
اتحاد البريد العربي ونول الدار
البياض ١٢٥ قوتنا .

أن « الطبيعة » ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفي اعتقادنا أن تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده
تكريه أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطبيعة »
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
— مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
« قد اختلف معك فى السراى ولكنى
على استعداد لأن أدفع حيايتى ثمنا
لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .



نقاط سياسية لانتخابات الاتحاد الاشتراكي

يقتل شهر يوليو ١٩٧١ ليجد الكتاب انفسهم امام اكثر من موضوع ، واكثر من قضية من هذه القضايا والموضوعات التي تتطلب ان تعالج او - على الاقل - ان يشار إليها ، لما لها من أهمية خاصة تضعها في مركز اهتمام الزائى العام .

— هناك مثلا انتخابات الاتحاد الاشتراكي التي بدأت منذ أيام في الوحدات الأساسية .

— وهناك الدستور الدائم الذي سيعرض مشروعه على المؤتمر القومي العام .

— وهناك في ٢٢ يوليو القادم تكون ثورة يوليو قد بلغت عليها التاسع عشر ، مع ما تطرحه أعياد الثورة من دلالات قومية واجتماعية .

— بجانب هذه الموضوعات لايزال شهر يوليو يحمل الإصدااء القوية لتوقيع معاهدة الصداقة العربية السوفيتية .

وهذه الموضوعات كلها تتطلب ان تطرح على ارضية نضال متعاطف يخوضه شعبنا وتخوضه الأمة العربية من اجل تحرير الارض من العدوان الصهيوني الامبريالي الذي يؤكد كل يوم - ويعتاد وصاف - طابعه القومى الخطير في الارض العربية ، ويدفع بالصراع القائم دفعا الى اشتباك مسلح محتوم لتحل امريكا وامرائيل وزره ، ويقتل شعبنا نيماته ولا يتأخر عنه ، دفاعا عن ترابه الوطنى المقدس ، وعن حق شعب فلسطين في تقرير مصيره .

ومن الواضح ، ان الموضوعات ، التي اشرنا اليها لتتربط وتتداخل ، وسوف يصعب علينا في هذا الحيز الضيق بطبيعة [الافتتاحية] ان نعالجها منفصلة او ان نعطي كل منها جتها من الدراسة .

هنا تسعنا انتخابات الاتحاد الاشتراكي بالحل الذي يمكننا من ان ننظر الى هذه القضايا نظرة متكاملة . وفي هذا الصدد سوف نرى ان البيان الهام الذى القاه الرئيس انور السادات في العاشر من يونيو ١٩٧١ قد طرح هذه المشاكل على الوجه

الذى يجعل من هذا البيان برنامجا للناخبين فى اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي ،
يمكنهم من ان يرفعوا به الانتخابات الى المستوى السياسى المطلوب ، كما يمكنهم من
ان يختاروا المرشحين وفقا لاسس موضوعية .

وكما نعلم لا ينقسم بيان الرئيس السادات الى قسمين : فى القسم الاول تحديد
وتوضيح للواقف الاساسية التى تتبناها القيادة السياسية ، وفى القسم الثانى
نقاط برنامجية لاعادة البناء السياسى والاقتصادى .

ثورة ٢٣ يوليو

ولعل خير حجة توجه الى ثورة يوليو فى عيدها التاسع عشر ان ترى بيسان
الرئيس فى ١٠ يونيو يبدأ بتقرير اتنا لا « نبدأ من فراغ » ، وأما نبدأ من تراث يوليو
الجيد . وهذا التراث لن يكون سوى مواقف النضال الجسور ضد قوى الامبريالية العالمية ،
ورفض الانحاء امام مختلف الضغوط الاستعمارية . ففى غيرة هذا النضال ، وعلى
امتداد تسعة عشر عاما « وضعت ثورة يوليو — كما اشار البيان — اسس العمل
الوطنى التى اصبحت جزءا من تراث الانسانية » تتسلح به بعض الشعوب فى نضالها
المعادل ضد الاستعمار والاستغلال » . هنا لابد وان يذكر كل من يتقدم الى مركز من
مراكز القيادة فى الاتحاد الاشتراكي انه ملتزم باهم منطلقات ثورة ٢٣ يوليو : —

١- النضال ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد .

٢- الدفاع عن الاستقلال السياسى والاقتصادى .

٣- الدفاع عن الوحدة العربية كضرورة مستقبل ومصر .

٤- التضامن مع قوى السلم والاشتراكية والتحرر الوطنى فى العالم كله .

٥- النضال ضد قوى الرجعية الداخلية من اجل تاييد المكتسبات الاجتماعية
والاقتصادية وتوسيعها .

٦- الدفاع عن سلطة تحالف الشعب العامل ودعم دور العمال والفلاحين فى
داخلها .

تمسكا بهذه المنطلقات ، يستطيع المرشحون والناخبون ان يجعلوا من انتخابات
الاتحاد الاشتراكي ليس احتفالا بعيد الثورة فحسب ، بل عملية سياسية ونفسالية
ضد قوى الرجعية والتخلف . هذه القوى التى تتحرك حركة مشبوهة فى محاولة لتركيب
موجة الشعارات الديموقراطية « بهدف ان ، ولتثبت — بدون جدوى — ان ١٥ مايو
نقيض لـ ٢٣ يوليو . لكن من الواضح ان بيان الرئيس قد بدد اوهامها عندما ذكر فى
بيان انه لا مكان فى التنظيم لاعداء الاشتراكية ولاعداء التحول الاشتراكي .

معركة التحرير

وتمسكا بهذه المنطلقات ايضا يتعين على المرشحين ان يؤكدوا ان انتخابات الاتحاد
الاشتراكي ليست ولا يمكن ان تكون بعيدة عن المعركة القائمة مع العدو ، بل هى
الحدخل بها . ومن ثم فان من يسمى الى التصدى للقيادة ، على أى مستوى فى
التنظيم ، لابد وان يكون قد دال بمواقفه ، وتاريخه وبالتدوة التى يعطيها ، وبنيته
السياسى على تمسكه واميانه .

اولاً : بالهدف المباشر. وهو باسترداد كل الأرض التي احتلت بعد ٤ يونيو. وتأكيد حق شعب فلسطين في تقرير مصيره .

وثانياً : بالوسيلة التي تكفل تحقيق الهدف ؟ وهي اعطاء الأولوية للمعركة ، مع كل ما يرضه هذا من تقبل التضحيات المطلوبة .

وثالثاً : بأنه إذا كانت قواتنا المسلحة تقوم بواجبها الاساسي ، وتنمي مقدراتها القتالية ، فان الشرط الاساسي لاحتراز النصر في المعركة هو قيام جبهة داخلية موحدة ومتناسكة الى اقصى حد . ان اهمية الحفاظ على الجبهة الداخلية تتضح عندما نعلم ان الاعداء انما يضربون - منذ مدة - ويضعون كل آمالهم ، ويبدلون كل جهد ، من اجل احداث انهيار في الجبهة الداخلية ، يمكنهم من كسب الحرب بدون قتال . وتزداد هذه الحقيقة وضوحاً عندما ندرك ان الاعداء ليس لديهم أمل في ان تقع هزيمة عسكرية كالتى حدثت في ٥ يونيو . ومن ثم يتجهون بكل ما في ترسانة الحرب النفسية الى تخريب الوحدة الوطنية . وفي مقدمة وسائلهم طمس الفروق بين الصديق وبين العدو ، والترويج لعزل قضية مصر عن حركة التحرر العربي ، والدعوة الى تقديم تنازلات للاستثمار الجديد ، وبالذات للولايات المتحدة الأمريكية . هنا يجد المرشحون انفسهم مطالبين بتحديد موقف صريح من الاستثمار الأمريكي ، وهذا الموقف قد صاغه الرئيس السادات صياغة لا تقبل التأويل ، ولا تسمح بأي نشاط لدعاة الهزيمة ؟ عندما أوضح في بيانه ان الولايات المتحدة الأمريكية بصارها على دعم اسرائيل وهي تحتل الأرض ، وعلى ان تكلل لها مركز التلوث على كل الدول العربية تكون قد حدثت موقفها كشريك لاسرائيل في العدوان والعداء للامة العربية كلها .

الصداقة العربية السوفيتية

جنباً الى جنب مع تحديد معسكر الاعداء ؟ حدد الرئيس من هم الاعداء . وفي هذا حين ثبتنا عالياً الصداقة العربية السوفيتية التي جاءت المعاهدة امتداداً طبيعياً ومنطقياً لها .

والواقع انه اذا كان تحديد معسكر الاعداء أمراً له اهمية قصوى بالنسبة لتماسك الجبهة الداخلية وحمايتها من نشاط القوى المضادة ؟ ومعارك الحرب النفسية ؟ فان تحديد معسكر الصداقة والدفاع عنهم هو مطلب رئيسي من متطلبات دعم هذه الجبهة ، ولا شك ان المرشحين الى مراكز المسئولية في التنظيم السياسي سيضعون في اعتبارهم كيف ان الرئيس قد قيم الصداقة العربية السوفيتية انطلاقاً من موقف وطني مستنير يقوم على الاسس الرئيسية التالية :

— انتماء كل من الاتحاد السوفيتي ومصر الى الجبهة العالمية المعادية للاستعمار ؟ وعملها المشترك ومواقفها المشتركة في مساندة وتأييد حركات التحرر الوطني والدفاع عن السلم العالي ؟ والتعاون الدولي من اجل تقدم البشرية .

— ان الصداقة العربية للسوفيتية امتحنت في التجربة ، وصمدت في السلم كما صمدت في لهيب المعارك التي خاضتها ولا تزال تخوضها بلادنا ضد الامبريالية والصهيونية .

— ان الصداقة العربية السوفيتية قد ارسى دعائمها ورمها الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، حين رأى بحسه الوطني والثوري ان هذه الصداقة هي صداقة مرحلة تاريخية باكلها ، وانها تكسب الى صف بلادنا اقوى الصداقات في معارك التحرير وفي معارك النساء الداخلي .

من هذا الموقف الوطني المستثير يستطيع المرشحون أن يوضحوا للناخبين أن معاهدة الصداقة العربية السوفيتية تكسب أهميتها التاريخية :

أولا : من كونها ثمرة تعاون مشترك طويل بين أكبر الدول الاشتراكية وهو الاتحاد السوفيتي ، وبين أكثر الدول استقلا وتقدمًا وتأثيرًا في الشرق الأوسط وفي العالم الثالث . وأنه لهذا تكسب مغزى خاصا وإيجابيا بالنسبة للنضال المعادي للإمبريالية والصهيونية في العالم كله .

ثانيا : ينسب أن هذه المعاهدة تعتبر إضافة لها فتلها الكبير في المعركة الدائرة بين الشعوب العربية وبين الصهيونية والإمبريالية ، من حيث أن الاتحاد السوفيتي يلتزم فيها بتقديم كل العون العسكري الذي يمكن بلادنا من أن نخوض معركة تحرير الأرض .

البناء السياسى والاجتماعى

فإذا انتهى بيان الرئيس السادات من تحديد المواقف الرئيسية في سياستها الداخلية والخارجية ينتقل في القسم الثاني من بيانه الى طرح النقاط البرنامجية التي تستند بالضرورة من مقدماتها العامة . وهذه النقاط توضح — في المجالين السياسى والاقتصادى — أهم الخطوات التي تؤمن مسيرة البلاد وعلى طريق الديمقراطية من ناحية ، والتقدم الاجتماعى من ناحية أخرى .

على طريق دمج الديمقراطية السياسية بشير بيان الرئيس الى تحديد المسؤوليات بحسم بين مختلف المؤسسات التنفيذية والشعبية . وإلى ضرورة سيادة القانون حيالة للشرعية الاشتراكية . وإلى تأكيد رقابة المجلس الشعبى على السلطة التنفيذية ، وإلى الدور الطليعى للطبقة العاملة داخل تحالف قوى الشعب العاملة وتأكيد سلطة هذا التحالف ، وإلى أن يتوهم العمل داخل الاتحاد الاشتراكى على اسباس مبدأ القيادة الجماعية ، ومبدأ النقد والنقد الذاتى . وإلى حق الجماهير فى سحب ثقتها من ممثليها المنتخبين ، إذا ما انحرفوا من مبادئ الثورة . غير أن البيان أكد أن هذه الحريات السياسية تظل ناقصة وشكلية بدون الحرية الاجتماعية ، أى من الشعب فى حياة لائقة وكريمة .

وعلى طريق التقدم الاجتماعى والاقتصادى يقدم البيان نقاطا عن تمكين الشباب والمرأة من القيام بدورهم كاملا فى المجتمع . ويؤكد على الدور القيادى للقطاع العام فى الاقتصاد القومى . ويدعو الى تطوير الملكية التعاونية الانتاجية لتلعب دورها فى عملية التنمية ، وفى خلق ملائمت اجتماعية جديدة . وفى الجانب اكد البيان على أهمية استكمال دور الصناعة الثقيلة ، واستكمال التحول فى الزراعة واستمساك الاراضى . وتطوير برامج التعليم .

أن هذه النقاط البرنامجية تكسب فى إعادة بناء الاتحاد الاشتراكى أهمية خاصة ؟

[1] لا تها تضى على انتخابات الاتحاد الاشتراكى كل ما يجب أن يتوهم لها من جدية ، بحيث لا تكون صراعيين أشخاص ، أو بين مصيبات ، بل هى التزام من جانب المرشح بواجب وطنى لا يستطيع انسان مسئول أن يتخلى عنه .

[2] وفى الوقت نفسه فإن هذه النقاط تشكل بالنسبة للناخبين دليل العمل الذى يهديهم إلى اختيار مرشحهم على لمس موضوعية .

[٣] وأخيرا فإن هذه النقاط التي وردت في بيان الرئيس تلقى على المؤتمر التومى واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي مهمة عاجلة لا تحتمل التأخير ، مهمة تسليح التنظيم السياسي ببرنامج وطني ديموقراطي يحدد بالتفصيل ووفقا لجدول زمني ، وبالاتحاد على مؤسسات ديموقراطية ومنظمات جماهيرية قوية خطوات البناء السياسي والاقتصادي والاحتياقي والثقافي ويضع الاسس اللازمة لمجتمع مصر ودولة حديثة ، برنامج يكون ملكا لجماهير الشعب تناقشه وقراقب وتشارك في تنفيذه .

الدستور الدائم

وعند الحديث عن دعم الديمقراطية السياسية ، وثأمين مسيطرة الثورة على طريق التقدم الاجتماعي ، تحل قضية الدستور مكانة خاصة ، لا اذل عليها من تلك المناقشات الواسعة التي تخصص لها . وكما تعلم فإن طائفة ضخمة من الآراء والمقترحات تقدم من جانب المواطنين لكي تضمن في الدستور الدائم . ولا شك ان هناك آراء ببناء كثيرة تعكس حماسا جارفا وشوقا حرا من جانب المواطنين الى حياة مستقرة تؤمنها سيادة القانون . غير ان هذا الحماس ينبغي الا يوتنمسا في محظورين :

المحظور الاول : ان يؤدي وضع الدستور الى تجميد الثورة . وليس هذا هو المطلوب بالطبع ، ولا الى هذا ترمى قيادة البلاد . ذلك ان هناك فرقا بين تجميد الثورة وبين تقنينها . هناك فرق بين ان يكون الدستور تمهيدا حديديا يهرقل تقدم الثورة وبين ان يكون اساسا لتوفير الاطر القانونية التي تستقر بفعلها المشروعية الاشتراكية .

من اجل هذا يجب ان نقادى في الدستور ان توضع تحديدات قد تؤدي الى عرقلة التطور الاجتماعي . وهنا بخضرتنا مثل دستور ٥٦ ، وفيه رفض جمال عبد الناصر ان ينص على رقم محدد من الحد الاعلى للملكية الارض ، واكتفى بالاشارة الى احكام الميثاق .

اما المحظور الثاني : فهو ان يفرق الدستور في ذكر تفاصيل كثيرة ليعين مكانتها هذه الوثيقة الهامة .

اما المحظور الاول فيؤدي الى ان يتعرض الدستور لتعديلات مستمرة . اما المحظور الثاني فيؤدي في التطبيق العملي الى مخالفة الاحكام التفصيلية . وكلا المحظورين لا يؤدي الى الاستقرار المنشود .

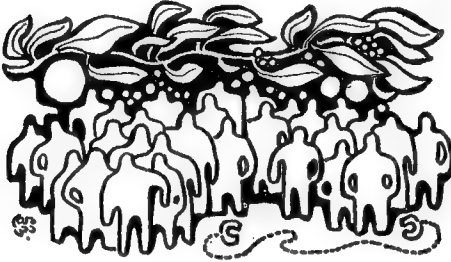
اما الاستقرار فلا يتنافى مع التقدم والتطور . وفي جميع الاحوال علينا ونحن نستقبل شهر يوليو . ان نفكر في مجموع هذه القضايا وتتحرك من اجل ان تعامل ونحل بالكلية التي تخدم مصلحة الوطن ومصلحة انتصاره في معركة التحرير .

وفي شهر يوليو سوف نذكر دائما ان الثورة المصرية قد نجحت ووطدت مكانتها في العالم لانها رفضت ان تستكين لاطر متحجرة ، وانها حققت افضل انتصاراتها لانها التزمت في حركتها بمبادئ رئيسيين :

- الفصل الذي لا يتوقف ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد .
- دعم ارتباطها بالجماهير الشعبية في معارك البناء الاقتصادي والاجتماعي وذلك تحت الشعار الذي رفعتة الثورة : حماية مكاسب العمال والفلاحين ، وخلق الظروف الملائمة بما يكفل توسيعها .

« الطائفة »

الديمقراطية والمؤسسات الشعبية



في كل مكان من بلادنا ، تجرى الآن انتخابات لاعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي - والتنظيم السياسي - والقبائل العمالية والمهنية .. ونحن نكتب هذه السطور ، في اوائل الاسبوع الاخير من يونيو ، ولم تتم الانتخابات الا في عدد قليل من القبائل المهنية .. ولابد من ان نتنظر بعض الوقت حتى نستطيع ان نقيم حصيلة التجربة ، سواء في الاتحاد الاشتراكي ، او في القبائل العمالية والمهنية .

وتجرى انتخابات المؤسسات الشعبية ، السياسية منها والقبائية ، تحت شعار التجديد بوسيلة الديمقراطية . واذا حكمنا على حماس الجماهير في القبائل العمالية والقبائل المهنية ، يمكن القول بان شعبنا يريد حقاً ان تكون له مؤسسات حرة وقوية ، تعبر عن ارادته ، وتدافع عن ايمانیه الوطنية ومصالحه الاقتصادية والاجتماعية .

واذا كان مجرد اجراء الانتخابات لثقابة من القبائل عمل تفرضه ضرورة التجديد ، والاستماع الى رأى القواعد :

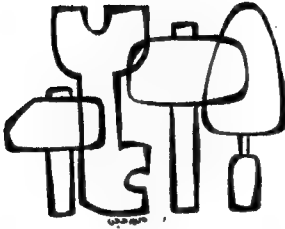
غير ان هذا جانب واحد من الضمانات المطلوبة لاعادة تكوين المنظمات الشعبية المختلفة بوسيلة الديمقراطية . اما الجانب الاخر فهو العمل السياسي ، الذي يجب ان يقترن بالانتخابات ، والذي يهدف الى ان تكون عملية الانتخاب جهدا واعيا للجماهير ، لا مجرد عملية شكلية . ان هذا العمل السياسي لا يتجه الى تقييم التجارب السابقة بكيفية بناءة فحسب ، وانما يضع الانتخابات الجارية في موضعها من مشكلات الوطن الرئيسية ، بل من المشكلة الرئيسية الاولى : تصعة آثار العدوان وتحرير الارض المحتلة .. عنئذ ، توضع الانتخابات الجارية في وضعها الصحيح ، باعتبارها وسيلة لدعم الوحدة الوطنية ، ولبناء نظميات تتجسد فيها هذه الوحدة في كافة المجالات ..

تنظيمات تكون أدوات تعبئة حقيقية لقوى الجماهير الشعبية .

من هذا المطلق الوطني ، وايضا من منطلق التمسك الحازم بنامين مسيره التقدم الاجتماعي ، تقدم الطليعة دراساتها الرئيسية ، وفيها الموضوعات التالية :

- بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية .
- بناء القبائل العمالية بالديمقراطية .
- تجربة بناء منظمة الشباب .
- التنظيم التسالي وتحرير المرأة .
- الثقافة والديمقراطية .

وتأمل الطليعة ان يجد هذا الجهد القواضع استجابة من القراء تفتح الباب لحوان مثير وبناء .



موجز

بناء

الاتحاد الاشتراكي

بالديمقراطية

أبوسيف يوسف

الاتحاد الاشتراكي " لكن هناك ، ايضا سببا آخر لا يقل أهمية يتمثل في حرص القوى الثورية على أن تتابع بلادنا بثبات وبسرعة متزايدة مسيرتها على خط التقدم الاجتماعي . هذا نجد ان قوى اليمين الرجعي قد حاولت ولا تزال أن تمل برأسها لتركب موجة المطالبة بالديمقراطية كما حاولت أن توهم للرأي العام بأن هناك تعارضا بين خط القيادة السياسية الذي عبر عنه الرئيس السادات وبين مسيرة ثورة ٢٣ يوليو مسيرة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي "

ولقد نشط الكتاب التقدميون في بلادنا الى طرح ومعالجة طائفة من القضايا الرئيسية التي تتعلق بإعادة بناء الاتحاد الاشتراكي بما يكفل تمثيله الحقيقي للقوى الاجتماعية المختلفة . ولربما تنوعت وتعددت أساليب معالجة هذه القضية كما تنوعت وتعددت الحلول والاقتراحات . لكن نقطة البدء بين جميع الكتاب والمفكرين التقدميين ثابتة

ليس

قريبا في الواقع أن تتابع القوى الثورية في بلادنا قضايا بناء وتطوير التنظيم السياسي وذلك طالما أن عملية البناء قد بدأت تحت شمار إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية ولا شك أن الإهتمام بمصير هذه التجربة يتضافر في ظروف العدوان الذي فرضه على بلادنا الحلف الاسرائيلي الأمريكي . ذلك ان القضية الرئيسية المطروحة لمواجهة هذا العدوان وصده كانت وستظل على الدوام ، قضية الوحدة الوطنية الصلبة ، قضية التهيئة للضميمة المطلوبة لمواجهة الموقف . والاتحاد الاشتراكي في هذا الموقف مدعو لأن يكون الصيغة أو الإطار الجسد لهذه الوحدة الوطنية بين الطبقات والقوى المادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد .

هكذا فان دواعي الوحدة الوطنية في الظرف الراهن هي التي تفرض الإهتمام بعملية إعادة بناء

للاتحاد الاشتراكي كما تظهر في بناء هيكله التنظيمي وفي أسلوب العمل الذي يحكم العلاقة بين مختلف مستوياته . لكن عوض النواقص فإن يكون كما أسلفنا هدفا في ذاته ومن شئنا يستطيع ونحن نقم تجربتين سابقتين في بناء الاتحاد الاشتراكي أن نذهب إلى أبرز هذه النواقص :

١ - هناك على سبيل المثال في القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي خلط واضح بين مفهوم الاتحاد الاشتراكي كحلف بين الطبقات وبين مفهوم التنظيم الطليعي . فمقدمة القانون الاساسي تعرف الاتحاد الاشتراكي بأنه « الطليعة التي تقود الجماهير وتمير عن ارادتها » وفي موضع آخر يوصف الاتحاد الاشتراكي بأنه « يشكل الاطار السياسي الشامل للعمل الوطني ، وتتسع تنظيماته لجميع قوى الشعب من فلاحين وعمال وجنود ورأسمالية وطنية » .

٢ - وهذا الخلط بين مفهوم الحزب الطليعي وبين مفهوم الحلف الذي يضم طبقات مختلفة يتمكن في القانون الاساسي - مرة أخرى - عند تحديد واجبات عضوا الاتحاد الاشتراكي حيث تدخل بعض هذه الواجبات في نطاق الواجبات المنوطة بأعضاء التنظيم الطليعي وليس بالأعضاء المنظمين في جبهات سياسية واسعة .

٣ - وبينما ينص القانون الاساسي (اللائحة) على مبدأ المركزية الديمقراطية فإن المركزية هي التي تغلب دائما على حساب الديمقراطية . والمثل الصارخ هنا هو أنه بينما تنص المادة السابعة من قانون الاتحاد على أن مؤتمر الوحدة السياسية يدير أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكي على مستوى الوحدة وأنه يتعقد دوريا مرة كل أربعة شهور ، أو في دورات غير عادية ، وبناء على طلب لجنة الاتحاد الاشتراكي للوحدة الاساسية ، نقول ان هذه المادة لم تطبق منذ عام ١٩٦٨ بل أهملت تماما وكانت القادة أمثال دعوة مؤتمرات الوحدات الاساسية ، وكان الاستثناء هو ان تدعى بعض الوحدات الاساسية الجماهيرية . ولكن حتى عند دعوة مؤتمر هذه الوحدات (قبل عقد المؤتمر القومي العام) كان الهدف هو إجراء مناقشة شكلية عن قرارات معدة وجائزة سلفا . وفي هذه المناقشات كانت القيادات تتكلم أكثر مما تستمع إلى رأي القاعدة . وهذا المثل يوضح مدى تمسك الديمقراطية داخل تنظيمات الاتحاد .

لكن هذا يفسر أيضا لماذا كانت اجتماعات لجان الاتحاد الاشتراكي على مستوى الوحدات الاساسية ولجان الاقسام ثماني من عدم انتظام الأعضاء في حضور الاجتماعات .

وهي أن الاتحاد الاشتراكي من الناحية النظرية - هو الصيغة الملائمة للوحدة الوطنية بين العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية وهذا المخطط له أهميته الخاصة في الواقع ، ولا يعبه ان الاتحاد الاشتراكي يهاد تشكيكه للمرة الثالثة في غضون تسع سنوات ، أو أنه تعرض لهزات شديدة وعبر تجارب قاسية . ومع ذلك فإن خبرات الشعوب في بناء أحزابها وتنظيماتها السياسية الشعبية لا تزال تقدم لنا هذا الدرس . وهو أن العمليات التي لا تتوقف من التنظيم وإعادة التنظيم إنما تكشف عن نقط خلل مؤلمة ، لابد من الالتفات إليها والعمل على استئصالها . وتوجب الظروف المحيطة بالوطن أن نواجه العيوب والنواقص التي لازمت نشأة الاتحاد الاشتراكي مواجهة صريحة وينقد بناء هدفه صيانة وبناء للوحدة الوطنية المقدسة بين قوى الشعب العاملة .

ومع ذلك فإن منهجنا في مواجهة السلبيات التي ظهرت في التنظيم السياسي سيظل على الدوام مناهضا للمهج إعطاء الثورة الذين يبدلون بنكر نواقص معينة صاحبيتها تهرية الاتحاد الاشتراكي ليصلوا في خاتمة المطاف إلى ادانة كاملة لكل مسيرة يولاي وما حققته من إنجازات . من هنا يتعين علينا أن نؤكد أنه أيا كانت السلبيات فإن تهرية الاتحاد الاشتراكي لم تكن تخلو من إيجابيات ولعلنا نذكر على سبيل المثال :

١ - ان الاتحاد الاشتراكي بمجرد وجوده وتحرك على الأقل في بعض المدن الكبرى قد حال دون أن يستغل فراغ سياسي تام ، لم تكن تقيد من وجوده سوى قوى اليمين الرجعي .

٢ - ان الاتحاد الاشتراكي قد برزت في داخله كرادس سياسية خاصة من الأجيال الشابة . وهذه الأجيال على قلة عددها قد اكتسبت خبرة صميقة بالعمل السياسي والجماهيري ، وبرهنت على اخلاص حقيقي بقضية التقدم والاشتراكية .

٣ - ان الاتحاد الاشتراكي خلق بشكل أو بآخر جيلين القيادة السياسية التي تناقل القضايا العامة للمجتمع (مشاكل الفميين ، الجامعات الخ)

٤ - ان الاتحاد الاشتراكي باحتضانه بعض المشروعات العامة (التسويق التساوتي - بعض تجارب التجميع الزراعي) قد قدم بعض المساعدات للفلاحين في مناطق الإصلاح الزراعي .

لماذا انتقلنا بعد ذلك إلى رصد النواقص والعيوب فإننا نستطيع أن نرد قائمة بأكملها من سلبيات صغيرة وكبيرة تظهر في القانون الاساسي

4 - وأصدار مبادئ الحياة الديمقراطية لدخل الاتحاد الاشتراكي ترجع إلى أكثر من مسبق مباشر ، في مقدمتها عدم معرفة الأعضاء بالسلطة الحقيقية التي تصدر القرار (التنظيم السياسي المصري) ، وفقدانهم حق مراقبتها ومناقشتها . كما أن هذا راجع إلى امتلاء المراكز القيادية للاقتصاد بمتفرغين منتبذين من الجهاز التنفيذي . فقد أدى هذا كله إلى سيادة الأسلوب الإداري ، أسلوب التسلط والأوامر العلوية ، وكان رد الفعل المباشر لهذه الظاهرة تفضي الظاهرة المقابلة وهي التسبب وعدم الاهتمام بنشاط الاتحاد الاشتراكي في صفوف الأعضاء مع ما يصاحب هذا كله من سيطرة الشلل والتكتلات في بعض مستويات التنظيم .

5 - من هذه العيوب التي صاحبت قيام الاتحاد الاشتراكي عدم وضوح الأمن السياسية والتنظيمية التي تحكم العلاقات بين لجان الاتحاد وبين اللجان النقابية وأعضاء مجلس الإدارة المنتخبين . ففي مرحلة من المراحل سادت في الوحدات الجماهيرية صراعات غير صحيحة بين لجنة الوحدة الأساسية في المؤسسات الجماهيرية وبين اللجنة النقابية . وفي مرحلة أخرى تحولت لجنة الاتحاد الاشتراكي لتقوم بوظائف اللجنة النقابية وتغلت عن مهمتها الأولى والأساسية وهي أنها تنظيم تقع عليه مهام القيادة والتوجيه السياسي . وقد أدى هذا كله إلى إضعاف كلاً من مؤسسات التنظيم السياسي والتنظيم النقابي مما فصلنا عن أن مثل هذا الوضع من شأنه أن يؤدي إلى اهدار مبدأ حيوي هو مبدأ استقلالية التنظيم النقابي عن التنظيم السياسي . وكان اهدار هذا المبدأ أوضح ما يكون في علاقة الاتحاد الاشتراكي بمنظمة الشباب الاشتراكي . فالصعوبات التي واجهتها قيادة الاتحاد الاشتراكي في منظمة الشباب حللتها هذه القيادة بإصدار فتلى للكيان المستقل لهذه المنظمة الجماهيرية الهامة .

6 - ولا يقل خطراً عن العيب السابق الأخطاء التي تسبب من عدم وضوح العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين أجهزة السلطة ومؤسسات الحكم . فقانون الاتحاد الاشتراكي ينص على أن الاتحاد الاشتراكي « هو السلطة الشعبية » يقوم بالعمل القيادي والتوجيهي ، وبالمراقبة التي

الحلقة الرئيسية

الحلقة الرئيسية ونقطة البدء في هذا كله وهو أن نعترف ما إذا كانت علاقات القوى بين الطبقات المتحالفة في الاتحاد الاشتراكي تؤمن للفلاحين والعمال الشروط الضرورية ليشاركوا مشاركة متزايدة في السلطة ، هذه المشاركة التي كانت هدف بيان ٣٠ مارس عندما تحدثت عن إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ومؤسسات السلطة بوسيلة الديمقراطية .

[١] راجع « القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي » مقال عادل غنيم - الطليعة - عدد ٥ مايو ١٩٦٨ .
[٢] لنظر مقال محمد علي ياسين وعادل سيف النصر : « جمال عبدالناصر وتشيال التنظيم السياسي - الطليعة - نوفمبر ١٩٦٧ » و « رفع مستوى العمل النقابي كتمهيد للصراع » - الطليعة - فبراير ١٩٧٥ .

قبل - في الخطاب الذي لقيه في مجلس الشعب في ٢٠ مايو الماضي *

وعلى الرغم من الأهمية الحاسمة لهذا المنطلق الفكري الذي تتصلك به قيادة البلاد، إلا أن الصعوبة الحقيقية كانت دائما فأما في وضع هذا المبدأ موضع التطبيق، أي بالكيفية التي تمكن العمال والفلاحين من أن يحتلوا في داخل الاتحاد الاشتراكي مكان القيادة المؤهلين له بحكم أنهم يمثلون الغالبية الساحقة من أبناء البلاد *

إن هذه الصعوبة قد انعكست كما نعلم في شكل حوار أو جدل حول تعريف العمال والفلاح كانت ساحته الرئيسية المؤتمر الوطني للقوى الشعبية، ثم في انتخابات الاتحاد الاشتراكي لعام ١٩٦٨. أما المؤتمر الوطني للقوى الشعبية فقد عرف العامل بأنه كل من تتوفر فيه شروط الانضمام للقطاعات العمالية * وعرف الفلاح بأنه كل من لا تزيد حيازته على ٢٥ فدان *

وترتب على هذا التعريف أن دخلت إلى الاتحاد الاشتراكي فئات اجتماعية لا تحت بصلة إلى العمال والفلاحين * ونحن نعلم أن عبد الناصر قد نقد بشدة هذا التعريف المأى بالثغرات عندما تحدث إلى جمال عبد النور في مايو ١٩٦٨، مشيرا إلى أن هذا التعريف كان اجتهادا من لجنة المائة *

وفي انتخابات ١٩٦٨ قدم عبد الناصر تعريفا جديدا للعمال والفلاح على أساس « أن الفلاحين هم من لا يوزعون أكثر من عشرة أفدنة، والذين عملهم الوحيد هو الزراعة ويقومون في الريف * وحدد العمال بأولئك الذين يعملون بنويا أو ذهنيا ويسحبون من نخل عملهم * ولا يحق لهم الانضمام إلى نقابة عمالية * » ومع أن هذا التعريف كان أفضل من سابقه إذ وسع - بعض الشيء - قاعدة التمثيل العمالي والفلاحي داخل الاتحاد الاشتراكي، إلا أن كثيرا من الرأسماليين الوطنيين والموظفين والاداريين في القطاع العام تقدموا إلى الاتحاد الاشتراكي وفازوا بالعضوية باعتبارهم عمالا وفلاحين أو مرشحين للعمال والفلاحين (٢) *

وإذا حاولنا بعد ذلك أن نبعث عن الأسباب التي حالت دون التوصل إلى تعريف علمي للعمال والفلاح فإن هذه الأسباب كامنة في حركة الطبقة المتوسطة، وهي الطبقة التي لها النفوذ الغالب داخل أجهزة الدولة ومؤسسات القطاع العام والاتحاد الاشتراكي، وفي داخل هذه الطبقة تجد الرأسمالية الوطنية في المدينة والريف ونجد فيها

ولكن عندما نتحدث عن حق الاغلبية (العمال والفلاحون) - وهذا هو جوهر الديمقراطية - في المشاركة في السلطة، وعن الشروط التي تضمن لهم هذا الحق، منجد أنفسنا مطالبين بأن تقدم تصورات واضحة ومحددة عن ثلاث قضايا رئيسية تتعلق ببناء الاتحاد الاشتراكي *

القضية الأولى : وهي ضرورة الاتفاق على تعريف علمي للعمال والفلاح *

القضية الثانية : من الصيغ والأشكال التي تضمن للفلاحين والعمال أن يعبروا عن مصالحهم من داخل الاتحاد الاشتراكي - كقبضات أو قوى اجتماعية * كالأفراد

القضية الثالثة : من التنظيم المرشح بحكم طبيعته وفكره وتكوينه وأهدافه لقيادة حلف الشعب العامل بالاتحاد الاشتراكي *

نحو تعريف علمي

في النقطة الأولى : ربما كان من اعظم المكتسبات الفكرية التي حققها القيادة السياسية لثورة يوليو * وأصبحت أساسا من أسس الفكر الثوري الأقرار بالنور الطليعي والقيادي للطبقة العاملة، هذا من ناحية * ومن ناحية أخرى بالوضع المتميز والخاص للعمال والفلاحين داخل الحلف * ويضيق بنا المقام لو حاولنا أن نعدد كل ما قاله جمال عبد الناصر في هذا المجال، وما هي الحيشات الثمينة التي أوردنا للتدليل على صحة هذه المنطلقات الفكرية * وإلى أي حد تمسك بها حتى لقد أعلن أمام المؤتمر الوطني للقوى الشعبية - وهو المؤتمر الذي أقر « الميثاق » أن النص الخاص بضممان نسبة ٥٠ في المائة في كافة مستويات الاتحاد الاشتراكي والتنظيمات الشعبية الأخرى، هو أهم ما تضمنه الميثاق *

وعندما تولي أنور السادات القيادة السياسية للبلاد، كان حاسما وقاطعا في مواجهة كل قوى الرجعية التي أملت أن تنتكس بالثورة، واهتم بكيفية خاصة (في بيان ١٠ يونيو ١٩٧١، بأن يوضح أن أحد الشروط التي تضمنت مواصلة السير في طريق التحول الاشتراكي وبناء المجتمع هو :

« تأكيد سلطة تحالف قوى الشعب العاملة، والدور الطليعي للعمال في هذا التحالف، وكان الرئيس أنور السادات قد أشار إلى هذا المعنى من

أيضا بعض قطاعات هامة من المهنيين ومن كبار موظفي القطاع العام

والحقيقة أنه قد أن الاوان لكى تصرح الهيئات القيادية العليا للاتحاد الاشتراكي عقب هذه الانتخابات في اعادة النظر في تعريف العامل والفلاح * وهذا العمل تملبه اقوال وبيانات عبد الناصر بنصها وروحها ، فقد اوضح بجلاء في خطابه في مجلس الأمة (اكتوبر ١٩٦٤) :

١ - « ان الانتقال من الرأسمالية المستقلة والإقطاع الى الاشتراكية لا يمكن أن يتم الا من طريق العمل السياسي للشعب العامل ، ونضال الفلاحين والعمال لاستخلاص السلطة من يد الرجعية ، ثم الاستفادة من السلطة بتغيير العلاقات الاجتماعية تغييرا كاملا » *

٢ - أما العمال والفلاحون عند عبد الناصر فهم يمثلون « الطبقات التي تكدر ويستغلها غيرها » هم القوى البشرية في الانتاج * * * وهم المحرومون الى أقصى حدود الحرمان (٤) ، ثم اوضح « انهم الطبقة التي غلظت على امرها في الماضي والتي قاست في الماضي والتي عبرها ما سفلت المجالس النيابية ، والتي هي يمثل ٩٥ ٪ من الشعب » (٥) ، وإذا كان العمال والفلاحون عند عبد الناصر هم الغالبية الساحقة من سكان البلاد فان البحث عن تعريف علمي للعامل والفلاح ينبغي ألا يخضع لاجتهادات مجردة ، ومصالح طبقية ضيقة تتعارض مع الواقع الاجتماعي في بلدنا *

ذلك أن وضع تعريف علمي من زاوية رؤية اشتراكية يجب أن يدخل في اعتباره الصفات الموضوعية التالية :

١ - وفقا للبيانات التي لصدها الجهاز المركزي للتنبئة والإحصاء « للكتاب المسمى يونيو ٦٧ » يبلغ عدد سكان الريف ١٧,٥ مليون نسمة ، وعدد من يمكن منهم أن ضمان رؤية تزيد من خمسة أضعاف ١,٧٨ لاف نسمة فقط * وإذا فرضنا أن عدد التجار وأصحاب المهن الحرة والموظفين المهنيين بالريف يمثل نصف هذا العدد

أو ضعفيه فاننا نجد أن بالريف أكثر من ١٧ مليون لا يمكن شيئا أو يمكن خمسة أضعاف أقل * أي أن الفلاحين الذين يعتمدون على العمل اليدوي يمثلون ودهم ٦٠ ٪ من مجموع سكان الجمهورية (٦) *

ولهذا فان التعريف الوحيد علميا هو أن نقول أن الفلاح هو من يطلع الأرض بيده ويدخل تحت هذا التعريف : ١ - الفلاح ، ٢ - الفلاح الذي يملك أو يستأجر * أفندة فأقل دون أن يستعين بعمل الغير بشكل منظم * ولا يدخل في هذا من يملكه أفندة فأقل ، ولكنه لا يطلعها بيده ، ولا يقيم بالقرية (٧) *

أما العامل الذي أشار اليه الميثاق وتحدث عن مواصفاته جمال عبد الناصر فهو ذلك المواطن الذي لا يملك سوى قوة عمله ، أنه باختصار العمال اليدوي * ولا سبيل لأن يدخل في هذا التعريف العامل بذهنه * فنحن لم نصل بعد الى مجتمع الاشتراكية الذي تم فيه تذويب الفوارق بين الطبقات (٨) *

على أن تصحيح تعريف العامل والفلاح خطوة أولى جوهرية في تطبيق الفكرة القائلة بالدرع الخاص للعمال والفلاحين داخل اطار التحالف الشعبي ، وبدون هذا يتحذر في الواقع أن تنتقل الى الخطوة الثانية - والجمهورية أيضا - والمتعلقة بتكثيف العمال والفلاحين كطبقات وكقوى اجتماعية متميزة داخل الاتحاد الاشتراكي من أن تمسح من نفسها *

ولقد كانت هذه القضية ، منذ مدة موحس اهتمام ودراسته همدح من الكتاب في مصر (٩) وقد ذهبت اتجاهات عدد من الباحثين الى أن :

١ - أن الضمان الوحيد لحرية التعبير والصراع السلمي بين قوى الشعب العاملة يتطلب أن تتاح لكل فئة اجتماعية أن تعبر عن نفسها -

[٤] و [٥] « عندهم هذه القضية » في جلسة المؤتمر الوطني للقرى الشعبية ١٩/٥/٦٧
[٦] انظر « حول تعريف العامل والفلاح » مقال الدكتور اسماعيل مبري عبد الله - الطليعة - مايو ٦٨
[٧] المرجع السابق
[٨] المرجع السابق من ٢٨

[٩] « انظر مقال ميشال بيشيل » كليل « ملاحظات حول منهج العمل الوطني في دعم الجبهة الداخلية » ومقال محمد علي ياسين ومحمد سيف النصر « ومع متناهي العمل الفتياني ككسلى لتيمة الجماهير » - الطليعة عدد ابريل ١٩٧١
وميشال احمد مبري - صالحي - « من الديمقراطية والاشراكية والاتحاد الاشتراكي » مطبوعا في مكتبتي ١٩٧١

مجري العمل الثوري - مصالحها عن مصالح
مجموع الشعب *

٢ - من هذه الزاوية الأخيرة يساعد البرنامج على أساليب النضال اليومي للجماهير على أن تجري عملية استقطاب مرمية وضرورية - فترى في جانب كل القوى صياغة المصلحة في الثورة وفي الجانب الآخر كل القوى المضادة * والواقع أن الوقت قد أزف لتشرع قيادة الاتحاد الاشتراكي في وضع تعريف دقيق للرأسمالية الوطنية التي تكون جزءاً من تحالف قوى الشعب ، بحيث لا يدخل في عداد هذه القوة الاجتماعية الوطنية كل فئات الرأسمالية الطليعية التي كانت ثرواتها من المضاربات والمعمرة وتطوير القطاع العام ، وكل فئات البيروقراطية التي تولد الفساد في المؤسسات السياسية والاقتصادية ، وتشكل خطراً اجتماعياً يهدد متجزات الثورة *

• ونحن نعلم ، بعد هذا ، أن عبد الناصر كان دائماً اليقظة ضد حركة البيروقراطية التي تريد أن تترث امتيازات الرأسمالية القديمة ، أو ضد حركة الطبقة الجديدة التي تريد أن تترث الثورة لصحتها • وكان ينادي بما يسمى بمقاومة « البيروقراطية الرأسمالية » ، ومن هنا فإن توضيح سمات الرأسمالية الوطنية التي تكون جزءاً من حلف الشعب ، سيترتب عليه بالضرورة بدء حلول تغييرات في موازين القوى داخل الاقتصاد الاشتراكي بين الطبقة المتوسطة وبين الفلاحين والعمال وذلك لمصلحة هؤلاء *

٤ - وأخيراً فإن من العوامل التي تضمن التطور الديمقراطي للاتحاد الاشتراكي تعدد صلة واضحة بينه وبين المنظمات الجماهيرية الأخرى : النقابات ، منظمة الشباب ، الخ •

● فمن ناحية لابد من إلغاء الشرط الذي يوجب على كل مواطن يتقدم إلى عضوية نقابته أن يكون بالضرورة عضواً في الاتحاد الاشتراكي • فهذا يتعارض مع أبسط المبادئ الديمقراطية • أن عضوية الاتحاد الاشتراكي يجب أن تكون اختيارية ، وكذلك عضوية النقابة • وأن حرمان مواطن من حق الترشيح في انتخابات نقابته لأنه ليس عضواً في الاتحاد الاشتراكي أمر لا ينطوي على أحداث تمييز صارخ بين المواطنين في أبسط الحقوق الديمقراطية ، ولكنه ينتهي باعذار استغلال التنظيمات الجماهيرية ، وإضعافها والحد من نشاطها ، وتحويلها إلى مكاتب تابعة للاتحاد الاشتراكي ، وهو أمر صارخاً بالمنظمة الجماهيرية كما هو صار بالاتحاد الاشتراكي •

● ولابد في الواقع من أن نبعث عن صيغة

فكرية وتنظيمية وبشكل شرعي - من خلال منابر داخل إطار الاتحاد الاشتراكي ، في نطاق الالتزام بالميثاق وبيان ٣٠ مارس •

٢ - أن الشكل التنظيمي لهذه المنابر يمكن أن يتجسد في الأمانات النوعية التي تتكون داخل اللجنة المركزية (أمانة للعمال - أمانة للفلاحين - أمانة للمتقنين ، أمانة للرأسمالية الوطنية) • أن هذه الأمانات يمكن أن تستقطب خيرة ممثلي كل طبقة وأقدرها على التعبير عن أيدولوجيتها •

ونعتقد أن مثل هذه الآراء تدخل في باب الإتهامات الإيجابية لتطوير صيغة التحالف التي يمثلها الاتحاد الاشتراكي ، هذه الصيغة التي رفض جمال عبد الناصر أن يجمدها ، أو كانت باستمرار موضع دراسته وأساساً لحوار لم ينقطع مع الجماهير ومع القيادات السياسية في الاتحاد الاشتراكي •

وإذا كان من المطلوب اليوم أن يواصل الناس التقدميون دراستهم لهذا الموضوع فإن نتائج هذه الدراسة يجب أن توضع في أيدي القيادة الجديدة للاتحاد الاشتراكي لتتفع إلى الإمام عملية تطوير الاتحاد •

وفي اعتقادنا أن تبير كل قوة اجتماعية من القوى الداخلة في الاتحاد الاشتراكي سيتبلور ويتجسد تحت تأثير عدد من العوامل في مقدمتها :

١ - تمكين كل قوة من القوى المتحالفة من أن تبصر عن نفسها في مصالحتها الحرة •

٢ - وجود برنامج سياسي للاتحاد الاشتراكي وهذا البرنامج إذ يؤسس على الميثاق وبيان ٣٠ مارس وبيان الرئيس السادات في ١٠ يونيو ١٩٧٠ يجب أن يجد لفظ الاستراتيجي والتكتيكي لانجاز مهام المرحلة التي اضطلع على تسميتها بمرحلة الانتقال ، وذلك في جميع المجالات الدولية والعربية والداخلية • أن هذا البرنامج سيحدد أيضاً ، انطلاقاً من دراسة علمية للواقع الوطني مهام ومصيب كل طبقة في تنفيذ الخطة القومية ، كما سيحدد حقوقها ومكاسبها • وسيكون هذا البرنامج أساس الصراع السلمي بين قوى التحالف ، وعلى أساسه يتحدد في الواقع العملي الدور والحجم الحقيقي لكل طبقة من الطبقات الداخلة في الاتحاد الاشتراكي • وعلى أساس النضال المتعدد من أجل تنفيذه يتم استبعاد الشرائح والفئات الاجتماعية التي تنفصل ، في

التنظيم القائل للحلف

في النقطة الثالثة : من التنظيم الرشح لقيادة حلف الشعب للعمل . وهذا التنظيم أو الجهاز الخاص الذي نص الميثاق على تكوينه في الاتحاد الاشتراكي كان يسميه عبد الناصر « الحزب الاشتراكي » . ولم تكن هذه التسمية اعترافية . فالواقع ان عبد الناصر رأى ان إقامة هذا التنظيم الخاص قضية موضوعية تفرضها ظروف المرحلة الجديدة التي بدأت بأجراء يوليو ٦١ مرحلة التحول الاجتماعي .

١ - كان الهدف قد تحدد نهائيا بالسياسي، وهي إقامة المجتمع الاشتراكي . وكان عبد الناصر يقول ان طريق الحل الاشتراكي هو طريق الصداق بقوى الامبريالية .

٢ - ان التناقض الذي واجه عبد الناصر عقب تحديد الهدف هو ان القيادة السياسية مطالبة بتطبيق الاشتراكية بدون اشتراكيين ، انا لا أستطيع ان أقول اننا نطبق الاشتراكية باشتراكيين ، (١٢) .

٣ - ان التناقض الثاني الذي واجهه عبد الناصر هو ان مرحلة التحول الاجتماعي هي مرحلة صراعات طبقية حادة ضد الحزب الرجعي في الداخل . لقد وصلنا في المرحلة التي نمر بها الان الى مرحلة التحدي بين القوى الاشتراكية والقوى المادية للاشتراكية . وله أسلوبا من العمل بات يفرح ولا نريد ان نعمل بطريق الوزارات والادارات .

٤ - وحتى الاتحاد الاشتراكي نفسه لم تكن قيادته في رأي عبد الناصر مسألة هينة لانه رأى الاتحاد الاشتراكي ينطوي بحكم تكوينه من طبقات معارضة بينها تناقضات وصراعات على نوع من المعادلة الصمية ، اذ بينما تدعو لمطالبات النضال ضد الامبريالية الى إقامة اوسع وحدة وطنية بين جميع الطبقات ، فان متطلبات التحول الاجتماعي تفرض اتخاذ اجراءات ضد بعض الطبقات الداخلة في الصف .

وفي محاولة من جانب عبد الناصر للجأ على القضايا المطروحة ، حدد بعض الملامح الصامية للجهاز السياسي المطلوب :

- هذا التنظيم السياسي « يعني على تجميع الاشتراكيين الحقيقيين ، تنظيمهم يجمع صفوة

ملائمة لقيام علاقات صحيحة بين الاقتصاد الاشتراكي وبين المنظمات الجماهيرية . ولذا كانت القيادة السياسية للبلاد تنبأ الى بناء تنظيم للشباب مستقل عن الاتحاد الاشتراكي وممثل في الوقت نفسه في لجنته المركزية - (وهو ما نرحب به) فان هذا يدعو الى ان ننظر في الفكرة التي نادى بها بعض الكتاب على صفحات الطلبة ، فكرة العضوية الجماعية للتنظيم الجماهيري في الاتحاد الاشتراكي (١٠) . ويمتضي هذه الفكرة هيون للمنظمات الجماهيرية التي تقلل سياسة الاتحاد الاشتراكي وتتبنى اهدافه ، وذلك ببناء على قرار تنصده أعلى هيئة فيها ان تقرير الانضمام الى الاتحاد الاشتراكي ، وللعضو الجماعي الحق في تقديم الاقتراحات ، وإبداء الآراء في نواحي النشاط المختلفة . وله ان يعطى بمساعدة الاتحاد الاشتراكي في حل مشكلات الجيل الذي ينشط فيه . الا انه لا بد ان يؤخذ في الاعتبار ان العضوية الجماعية هي عضوية للتنظيم الجماهيري باعتباره شخصا متوحد . على ان هذه العضوية لا تعطي عضو التنظيم الجماهيري الحق في ان يكون عضوا في الاقتصاد الاشتراكي الا اذا انضم اليه شخصيا (١١) .

ونعتقد ان فكرة العضوية الجماعية تضم قضية تدعيم وتطوير الاتحاد الاشتراكي كحلف عريض للشعب العامل ، ومن المتصور ان منظمات جماهيرية ، كاتحادات العمال والجمعيات التعاونية والاتحاد النسائي يمكن ان تصبح أعضاء في الاتحاد الاشتراكي وفقا لهذا المفهوم بما يخدم استقلال هذه المنظمات الجماهيرية عن التنظيم السياسي ، وبما يحقق تمثيلا شاميا وديمقراطيا لجميع لهذه المنظمات داخل الاتحاد الاشتراكي .

فإذا أردنا بعد هذا كله ان نخلص ما تقدم أمكن القول بان تكوين قوى الصف من التعبير عن نفسها في مساهمتها ، ويوجد برنامج سياسي للاتحاد الاشتراكي ، وعزل التأثير الضار للطبقة الجديدة والليبروقراطية وكافة فئات الرأسمالية الطفيلية ، وإقامة علاقات ديمقراطية بين الاتحاد الاشتراكي وبين التنظيمات الجماهيرية كل هذا يساعد على خلق المناخ العام الديمقراطي في البلاد ، هذا المناخ الذي يعكس سفره على هيكل الاتحاد الاشتراكي وأسلوب عمله وأفاق حركته بين جماهير الشعب .

[١٠] - مقال غنيم « القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي » الطلبة - مايو ١٩٦٨ .

[١١] - مقال غنيم - مقال السابق

[١٢] - حديث عبد الناصر في اللجنة التنفيذية العليا - الطلبة -

الاشتراكيين الذين يمكن أن يكونوا الدعاة الحقيقيين للاشتراكية ، والذين يتبنون بمثابة العمود الفقري للاشتراكية » (١٢) .

— وبينما نظر عبد الناصر الى الاقتصاد الاشتراكي « كنظيم عام يجمع كل الناس » لكد على أن الجهاز السياسي أو الحزب الاشتراكي يتكون من كوادر اشتراكية ، وأن في مقدمة ما تتصف به هذه الكوادر — النقاء الثوري والبعد عن التطلعات الطبقة .

— وفي الحديث عن مهام هذا الحزب يحدد عبد الناصر أنه « بدون هذا الجهاز الذي أسميه الحزب الاشتراكي لا نستطيع أن نقود الجماهير أو نتصدى للثورة المضادة » .

— وعندما دار في أحد اجتماعات الامانة العامة بحث طويل من الكوادر المؤهلة للقيادة وما هي مقاييس اختيار هذه القيادات لفت عبد الناصر نظر أعضاء الامانة الى « موضوع العمال » فاعتبر أنه من أهم هذه الموضوعات ، لأن العمال هم الركائز التي علينا .

والواقع أنه وفقا لتصورات عبد الناصر من نوعية أعضاء هذا الحزب ، ووفقا للمهام الملقاة على عاتق هذا التنظيم يفترض فيه أن يكون الحزب العلمي والقيادة السياسية والعمود الفقري للثورة . فإذا أضفنا الى ذلك المواقف الفكرية التي حددها عبد الناصر بالنسبة للطبقة العاملة ونورها الطبيعي ، والمركز القيادي المؤهلة له في بناء المجتمع الاشتراكي ، نقول اذا أضفنا هذا كله فسندجد انفسنا امام مجموعة من العناصر التي يمكن أن تكون على أساسها حزب اشتراكي مدعو الى قيادة عملية التحول الاجتماعي على الرغم من أن صيغته ليست هي صيغة الحزب البروليتاري التقليدي .

وكان من الممكن لحزب مؤسس حقا على المرافقات الأساسية التي توصل اليها عبد الناصر أن يكون قوة دافعة للثورة ، وحارسا على قيم الديمقراطية ، وذلك بفضل قيادته واعتماده على الطبقة العاملة والفلاحين ، على القوى الديمقراطية الحقيقية .

ولقد نشأ الجهاز السياسي بالفعل تحت اسم « الطليعة الاشتراكية » إلا أنه لم يحقق الاهداف التي سعى وناضل من أجلها عبد الناصر . ويرجع هذا الى عدة اسباب في مقدمتها :

١ — مولد التنظيم في نطاق السرية ، وهي سرية لم يكن هناك مبرر لاستمرارها ، لا سيما وأن قيادات هذا التنظيم في السلطة . ان استمرار السرية حرم التنظيم من أن يتكون وينمو تحت رقابة ديمقراطية من الجماهير . وفي غيبة الجماهير يمكن أن يصاب التنظيم بأشد أمراض الاجهزة الادارية فتكا .

٢ — ان مولد التنظيم ملتصقا من أعلى بكثير من قيادات الاجهزة التنفيذية حرم التنظيم من أن يجد أعضاءه وفقا للمبدأ الديمقراطي مبدأ الاختيار . وتحت تأثير الاعتقاد بأن الانضمام اليه يؤدي الى رضاء المسؤولين والتقرب منهم امتثل التنظيم بالعناصر الوصالية والنفعية التي غيرت جلدها ، ولجست ثياب الاشتراكية .

٣ — أن سيادة وتفضي الشلل ومراكز النفوذ فيه حرم التنظيم من أن تسوده حياة ديمقراطية حقا . ذلك ان منطق الشلة والتكتل هو منطق التمسب لا منطق الحوار المفتوح . وهو منطق الاجراءات الاستثنائية لا منطق الشرعية الحزبية . في ظل هذا تمتنع المناقشة الحرة ، وينظر الى الرأي المعارض بأخلاص نظرة الريبة والعداء . وفي ظل هذا يتسلط كثير من العناصر الخاملة ، ويستبعد كثير من العناصر الايجابية والنشطة .

٤ — ولقد كان متوقعا من تنظيم يتصدى للقيادة الاشتراكية أن يوحد في داخله كل القوى الاشتراكية أو يسهر على « تجميع الاشتراكيين الحقيقيين » على حد تعبير جمال عبد الناصر . لكن الذي حدث أن قيادات التنظيم أبدت تحفظا متزايدا ازاء الاشتراكيين الماركسيين ، ثم ما لبثت أن استبعدت الغالبية الساحقة ممن قبلوا في صفوف التنظيم ، ثم عاملتهم بعنصرية نشأت التنظيم كأعداء .

وفي اعتقادنا أنه يمكن أن يقوم في بلادنا تنظيم ثوري أو حزب اشتراكي لا يأخذ بالضرورة صيغة الحزب البروليتاري • إلا أن هذا يتطلب طاقة من الشروط الضرورية في مقدماتها :

— أن يجمع في داخله كل الطلائع الاشتراكية وبخض النظر عن اختلاف مدارسها الفكرية والفلسفية ، وأيا كانت أصولها الاجتماعية •
— أن يلتزم برنامجه السياسي بالأمن السياسي والاقتصادية للاشتراكية العلمية •

— أن يرتكز بالضرورة في حركته ونشاطه وبناء تنظيماته على الطبقات صاحبة المصلحة الحقيقية في الاشتراكية وفي مقدماتها الطبقة العاملة •

— أن يبنى بالديمقراطية أي تحت رقابة حقيقية من الرأي العام الديمقراطي في البلاد على أساس مبدأ المركزية للديمقراطية الذي يقضي بخضوع الأقلية للأغلبية ويؤمن حق الأقلية في أن تعبر بحرية تامة عن وجهة نظرها المخالفة •

فإذا أمكن أن يقوم التنظيم الاشتراكي على هذه الصورة ، فإننا نستطيع أن نقول أنه قد وجدت ضمانة حقيقية لكي يبنى ويطور الاتحاد الاشتراكي وجميع المؤسسات السياسية والشمعية على أسس حقيقية من الديمقراطية الشعبية ، وأنه قد فتح — بحق — الطريق نحو مزيد من التحولات الاجتماعية ، ونحو توسيع وتعميق المكتسبات الشعبية •

ولقد ترتب على هذا الموقف بعض النتائج السلبية :

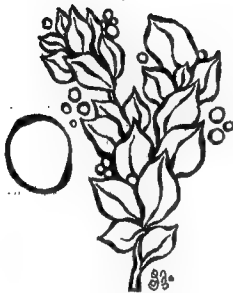
— فمن ناحية حرم التنظيم من خبرة اشتراكيين مجربين •

— ومن ناحية أخرى فاقم هذا من الاوضاع اللاديموقراطية في داخل التنظيم ، لأن استبعاد القوة الاشتراكية الأخرى يؤدي بالضرورة الى افتقاد الحوار البناء والديموقراطي •

هنا لابد وأن نؤكد أن هذا النقد الموضوعي وللطليعية الاشتراكية ، لا يغير من هذه الحقيقة وهي أنه وجد في داخلها كثير من المواطنين الشرفاء والمنساضطين من أجل الاشتراكية ، وأن هذا لا ينال من جهودهم ونضالهم • وغاية هذا النقد أن نبين أن التنظيم السري لم يتم كتنظيم ديموقراطي ، وأنه بوضعه لم يخدم قضية تطور الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكي ، والمنظمات الجماهيرية ، وبالتالي لم يخدم قضية اشاعة المناخ الديموقراطي اللازم لتقديم وانتصار الثورة الاشتراكية •

على أن هذه الانتقادات لا تذكر لمجرد تسجيل موقف ، وإنما تستهدف تحقيق شيء إيجابي طالما أن قضية الجهاز السياسي قد أعيد طرحها بمناخية إجراء انتخابات الاتحاد الاشتراكي •





بناء النقابات بالديمقراطية

عبد المنعم الغزالي

ورأس المال، أو تضالا من أجل بناء مجتمع
التحول إلى الاشتراكية .

والتنظيم النقابى العمالى المصرى المعاصر . هو
أكثر المؤسسات الديمقراطية الجماهيرية احتياجا
لأن تمسده يد التمييز القومى ، وكثيرا
احتياجا لقيادات اشتراكية . لا تعرف الوسط
وإنصاف الملول ولا الزلغى لسلطان الحكم أو المال
ولا التطلع لحياة الرفاهية والدعة والمظورة ،
خاصة وأن واقع الحركة يؤكد أن فئة مازلة حذر
منها ميثاق العمل الوطنى ، قد استولت على مراكز
القيادة طوال سبع سنوات ، وحالت دون تدفق
العمل وجمدت وصول نتائجها إلى الجماهير التى
تحتاج إليه . هذه الطبقة التى قال عنها الزعيم
الراحل جمال عبد الناصر : « ينبغي لنا مهما كان
الثمن ألا نسمح بظهور طبقة جديدة نظن أن
الامتيازات أولا لها بعد الطبقة التقنية ، ولعلنا أن
نقاوم مثل هذا الانحراف ونقومه ونثور عليه ، فإن
هذا السلاح سوف يتجه فى لحظة تواتبه الفرصة
إلى طعن تحالف قوى الشعب العاملة » .

ولقد تمكنت هذه القيادات التى رفضت مجرد
التفكير فى الرجوع إلى القاعدة من أن تحبس
الحركة الصحية للتنظيم النقابى ، هذه الحركة
التي أقرها ميثاق العمل الوطنى حتى يتمكن

متنقصة صام ١٩٦٤ ، وصلت

القيادات النقابية الحالية
إلى قيادة التنظيم النقابى فى مصر

الذى نصر على أن مدة الدورة النقابية عامين ، ظلت
هذه القيادات قائمة بتغيير ويلارجوع إلى قواعد
تعرض عليها ما قدمت يداها ولتستمتع إلى حكمها ،
أعمالا وتطبيقا للديمقراطية النقابية وتقاليدها التى
توجب على هذه القيادات أن تكون موضع حساب
ورقابة فى فترات دورية مقاربة ، بناء وتطويرا
للصالح وإبقاء عليه ، وهما للفاسد والفساد
والانتهازى وتقديما له أو لجهلها عليه . ولكن
القيادات النقابية الحالية ولقت موضوعا ضد كل
محاولة للتغيير والتجديد والتصحيح ، وضد كل دم
جديد متدفق فى شرايين التنظيم النقابى المصرى .

والتنظيم النقابى بطبيعته تنظيم ديمقراطى
مرض ، يقوم على تنظيم جماهير الطبقة العاملة
بكن غنائها ومستوياتها فى النضال من أجل حياة
أفضل للعمل . والأساس فيه ، أنه يستمد كيانه
ووجوده قوة وضغفا من الاشتراك العوامى
الاختياري للعمال إيماناً منهم بأن نقاباتهم ، إنما
تتحرك دفاعاً عن مصالحهم ، واستقلالاً
لحقوقهم ، ومقدمة خدمات متنوعة لهم ، وقائدة لهم
فى النضال العام للمجتمع ، سواء كان هذا
النضال تضالاً وطنياً ديمقراطياً ضد الاستعمار

التنظيم النقابي المصري وهي تشكيل مجالس مؤقتة بالتميين، لتحل محل المجالس المنتخبة التي حلت أو فقت وجودها القانوني بسبب الوفاة أو النقل من العمل. كما أن عددا من النقابات العامة مازال يعمل بمعد أقل من الحد القانوني، ولم يستكمل وفق القانون، لأن استكمالها إنما يعني دسحول عناصر جديدة قد لا ترضى عن النشاط السبلي أو ترفض المشاركة فيه. لقد أصبحت هذه القيادات تحكم التنظيم ولا مودعه، والفرق كبير بين القيادة وبين السيطرة. وبسيادة مبدأ التحكم والسيطرة هي التنظيم تمت التبلل، وقويت إحصيات، وكثر الدلائل والطرائير. ولقد تبه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر إلى هذا الخطر في مارس ١٩٦٧ في حوار مع رؤساء المؤسسات والشركات عندما قال: «لحنا عاوزين الناس اللي عولها شخصية وأقاس اللي عولها وهي وطني، وهي سياسي ومش عاوزين المشاغبين والمناكفين والتجار اللي ما زالوا الأفكار القديمة عالقة بيهم». وفي نفس الوقت من عاوزين التلايل ولا عاوزين سراطير، على هذا الأساس نستطيع أن ننجح دي الحقيقة ونيقوا اتنو معاونين معاونو للانحد الإشتراكي المصري»

هكذا، مضت هذه القيادات تعمل بكل الوسائل على تعطيل الانتخابات في نقابات العمال. وباسم الحفاظ على أمن النضال الوطني والمصلحة العامة والظروف المحيطة. التي عطلت الانتخابات العمالية لمدة سبع سنوات. في نفس الوقت الذي جرت فيه انتخابات وحدات الاتحاد الإشتراكي ومجلس الأمة والنقابات المهنية. وبذلك دامت هذه القيادات الحالية تيم الحرية التي دعا إليها الميثاق حين يقول:

«أن ممارسة الحرية بعد العملية الثورية الهائلة لإعادة توزيع الثروة الوطنية في يوليو ١٩٦١ لا تشكل خطرا على أمن النضال الوطني، بل إنها صمام الأمان له لأنها تخلق القوة الشعبية القادرة على الانتفاض على كل محاولة للتأمر والقيام بالثقاف لسلب الشعب شام نضاله،

أن استمرار هذه الأوضاع قد ترتب عليه:

أولا: لقد أثبتت التبادلات الضالعية للنقابات، والتي يحلو للممال أن يسموها أفندية (المكاتب) عجزها الكلي عن تبني جوامير الطبقة العاملة في ممارك البناء وفي ممركتنا الكبرى، معركة التحرير. وتحويل العمل من أجل مشاركة هذه الجماهير في هذه الممارك إلى مجرد شعارات ولافتات ترفع في المناسبات والواسم، وإلى مجرد فرائط علوية، وإعلانات صحفية وجمل ثورية تلوكها استنهم دون إيمان حقيقي بالطبقة العاملة نفسها ويقضية تحويل البلاد إلى الإشتراكية.

التنظيم النقابي من ممارسة دوره الطليعي في معركة البناء والتحرير. - حين يقول:

«أن ذلك الوضع الجديد لا ينهي دور التنظيم العمالي، وإنما هو يزيد أهمية دوره. به يد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرفا مقابل لطرف الإدارة في عملية الإنتاج إلى الحد الذي يجعل منها قاعده طليعية في عملية التطوير. أن النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسؤولياتها القيادية عن طريق الإسهام الجدي في رفع الكفاية الفكرية والفنية، ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال، كذلك فهي تستطيع ممارسة مسؤولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادي والثقافي.»

ومراجعة لحياة التنظيم النقابي في السنوات السبع الماضية، نجد أن هذه القيادات قد قصرت حتى في ممارسة مسؤولياتها لصيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادي والثقافي، وتحولت إلى قيادات بيروقراطية، وأنفقت كثيرا من أموال النقابات على ديكرات مكاتبتها وعلى مطاسر «الفخخة»: وتساير التفتيش على النقابات (والتي تقوم بها وزارة العمل) مليئة بالخالطات المالية التي بلغت أرقاما خيالية. ولم تطبق وزارة العمل - حتى هذه اللحظة - القانون دهاما من هذا المال العام، كما لم تسلم ما تحت يدها من وقائع تدين هذه القيادات إلى التنظيم النقابي. ووضعت هذه الوقائع في أيدي عناصر متسلطة تستعصمها في ابتزاز التأييد والمساندة من القيادات الفاسدة، وفي تكوين الشلل والنكتلات في الحياة النقابية والسياسية.

خلال هذه السنوات السبع قامت هذه القيادات «بكم» أنفاس أي قيادات قديمة لها كفاها ومأضياها المالي والنقابي. وكثير من ذلك أنها حاصرت القيادات الشابة التي تفتحت على قيم إجراءات يوليو ١٩٦١ والميثاق الوطني ١٩٦٢، والتي انجذبت إلى النضال الأعلى الإشتراكي. أن هذه القيادات الشابة حوريت من قبل القيادات التريمية على قمم النقابات العامة والاتحاد العام والمستفيدة من مراكزها. واشتقت العرب ضدها خاصة بعد بيان ٣٠ مارس الذي رفع شعار «إطلاق الطاقات الخلاقة في النقابات»، وقد تم هذا تحت ستار أن هذه العناصر الشابة تشكل خطرا على أمن النضال الوطني. وهكذا أصبحت عن أماكن عملها الأصلي ومنعت من الترقى وحوريت في رزقها وعزلت من مراكزها القيادية ولقد فقت عناصر كثيرة من أعضاء مجالس الإدارة المتخفين مراكزها وكذلك أعضاء اللجان النقابية وأعضاء وحدات الاتحاد الإشتراكي. وأصبحت هناك بدعة جديدة في

تحالف قوى الشعب العامل . - واعادة هذا البناء ديمقراطيا بعيدا عن القيادات التي عزلت نفسها عن قواعدها الجماهيرية ، وعن تطلعات هذه الجماهير وآمالها ، انها يتطلب مراعاة جملة من الامور :

١ - عزل نفوذ غالبية قيادات النقابات العامة الحالية حتى لا تمارس تأثيرها السابق في عملية الانتخابات او تستخدم ما حصلت عليه من مراكز وقوة مالية وشلل وعصبية ومحصنات في عملية الانتخابات . ان الانتخابات النقابية العمالية القائمة يجب ان تحقق تمثيلا حقيقيا صادقا للعمال وان تنهى عهد قيادة « الافندية » ، ولا معنى لذلك بالطبع انه ليست هناك عناصر صالحة في هذه القيادات كان لها مواقف في العمل للنقابي السليم وفي معارضة الانتهازية ومواجهتها .»

٢ - ابعاد الاجهزة الادارية نفوذا وسيطرة عن العملية الانتخابية . هذه الاجهزة التي شاركت بدور كبير في عملية انتخابات ١٩٦٤ في فرض قيادة « الافندية » والشخصيات « الارستقراطية » على الحركة العمالية . ومراجعة للتكوين الحالي للمراكز المؤثرة في الحركة العمالية مثل مؤسسة الثقافة العمالية والتي جاء تكوينها من الشغل والمحاسب لمرکز قوى معين في الحركة العمالية ، واطلاق الفرصة لطبقات الخلافة المبدعة في الحركة العمالية لتأخذ مكانها دون وصاية الا من ارادة جماهير العمال صاحبة التنظيم النقابي ، وصاحبة المصلحة الرئيسية . ويرتبط ذلك ضرورة العمل على معالجة تعصب العناصر غير العمالية واقعا ونكرا ونشاشا وسلوكا . ولناخذ مثالا على ذلك الوضع في نقابة العمال الزراعيين حيث يوجد بين صفوف قيادتها مغاولي انفراد ، وفي بعض النقابات العاملة التي يرأسها مديرون الامر الذي يتعارض مع نصوص القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ الخاص بالنقابات .»

٣ - ويقترب على ذلك ضرورة ان تقدم القيادات العمالية ككف حساب كابل من عملها خلال السنين السبع الماضية عن نشاطها في مجال العمل الوطني ، ومجال البناء الاجتماعي ، وزيادة الانتاج ، والتدريب الفني والتكوين الفكري ، وفي مجال الخدمات والدفاع عن حقوق ومكتسبات العاملين . وان ذلك الامر يستدعي ان تسلم وزارة العمل كل تقارير التفويض على النقابات الى الجمعيات العمومية حتى تتمكن جماهير العمال من

ثانيا : ان مجموع العاملين في مصر يبلغ حوالي سبعة ملايين ونصف يعملون في الصناعة والتجارة والخدمات والزراعة ، غير ان التنظيم منهم حوالي $\frac{5}{10}$ اي اكثر من مليون ونصف عامل ، وطيلة السنوات السبع الماضية ، ومنذ قيام التنظيم النقابي وفق القانون الجديد ٦٢ لسنة ١٩٦٤ لم تتمكن القيادة العمالية من كسب ثقة الجماهير العمالية البريضة ، الامر الذي يكشف عن افتقار هذه القيادات الى القدرة على الارتباط بالقواعد البريضة ، لا معنى لا تحيى مشاكل هذه القاعدة ، وهي عاجزة عن ايجاد الوسائل السليمة لحلها . وقد تبه الى ذلك القائد الراحل جمال عبد الناصر في حديثه التنظيمي في المؤتمر الاول لاجتماع المكاتب التنفيذية للمحافظات في يناير ١٩٦٦ ، عندما قال :

« اذا تجاهلنا الجماهير وتجاهلنا ربط القيادات بالجماهير ، يكون عملنا مقيش فائدة .» لذا ما كناش على وضوح ان اى ربط القيادة بالجماهير يبقى برضه مقيش فائدة وعشسان تربط القيادة بالجماهير لازم ننظم الجماهير وبعد ما نعرف مشاكل الجماهير اذا ما كناش هذه المشاكل تبقى مش مبروتين بالجماهير .»

ثالثا : لم يكن غريبا بعد هذا كله ان يتحول التنظيم النقابي في بلادنا الى تنظيم لائى ، وإلى نقابات دفترية ، وإلى نظم حسابية معقدة . وفي ظل هذا الوضع لم تعد للتنظيمات النقابية شيئا جوهريا في حياة الطبقة العاملة . فانقضاء الحياة الديمقراطية في داخل هذه التنظيمات قد حال بينها وبين ان تكون أدوات تثقيف وتربية وتوعية لجماهير العمال يحق لهم مواجهتهم .»

واجب ملح ومهمة مباشرة

ان اعادة البناء الديمقراطي للنقابات العمالية اصبح واجبا ملحا وعاجلا حتى تمارس دورها الطبيعي الجدير بها ، هذا الدور الذى اشار اليه الرئيس السادات في خطابه في ٢٠ مايو الماضى امام مجلس الشعب . بقوله : « ان يؤكد الدستور على اهمية الحركة النقابية العمالية في دفع التطور ، باعتبار دور العمال الطبيعي في

ويطوّلها أن تنتهز الفرصة لتتركب العملية للقرينة
للتصحيح الأوضاع الديمقراطية في الحركة النقابية
أن إعادة بناء الأجهزة القيادية لنقابات العمال
ديمقراطيا أصبح واجباً ملجأً ، وملجأً لسرعة
جامعية توافقة لأن يكون تنظيمها النقابي صرحاً
عاملاً من أجل حياة أفضل للعاملين وقوة فعال
ومشاركة في بناء الوطن وتحريره .

إجراء محاسبة دقيقة لقياداتها ، لتمنحها الثقة ، أو
تجيزها عنها أو تدفع بها إلى ساحة القضاء في
حالة ادانتها .

٤ - تأكيد دور القيادة السياسية - الاتحاد
الاشتراكي العربي - في هذه الانتخابات كموجه
لتحالف قوى الشعب العامل ، وحتى لا تتسرب
عناصر رجعية وغير مؤمنة بميثاق العمل الوطني -

مشروع لائحة عمل للاتحاد العام للعمال

قضية ممارسة الديمقراطية داخل التنظيم النقابي : هي قضية أسلوب عمل
هذه التنظيمات وطريقة حركتها للمشاركة في حل مشاكل المجتمع ، وفي حل
مشاكل الجماهير اليومية المتشابكة والمعقدة أحياناً .

ويتشكل أسلوب العمل الديمقراطي داخل هذه التنظيمات من مجموع
المدى الذي تتيح المجال لكل أعضاء المنظمة النقابية للمشاركة الفعالة في حياة
المنظمة ، وحتى يكون النقد الموجه إلى غياب الديمقراطية النقابية نقداً
إيجابياً وبناءً ، فإن المكتب يقدم في هذا المجال مشروعاً هو تصور لأسلوب
العمل الداخلي المقترح للاتحاد العام للعمال .

واعراض المجلس على هذه القرارات
يطلب مغفولاً . ويتمثل أعضاء المكتب
المستشارية النابية والادبية أمام المجلس
النقابي .

١ - تعرض مذكراتية المكتب
جدول أعمال اجتماع المجلس النقابي
ويعرض على جميع الأعضاء قبل الاجتماع
الدوري بأسرع .

ب - وفي حالة هذه جلسات غير عادية
للمجلس النقابي تشمل الدعوة للاجتماع
جدول أعمال الجلسة ، ولا يسمح بالتناقض
إلا في جدول الأعمال المقترح .

ج - كل القرارات والاتصالات يجب أن
تعرض أولاً بأول على المجلس النقابي .

د - كل الاتصالات الشخصية سواء
مطلوباً أو عالياً يجب أن تتم بعلم المجلس
النقابي وتحت إشرافه ، وتكتب لتقرير
بنتيجة كل اتصال وسببه ويعرض على
المجلس .

هـ - يتم تعيين موظفي الاتحاد العام
ومستشاريه بموافقة المجلس النقابي بعد
التأكد من صلاحيتهم للقيام بالوظائف
المقترحة تعيينهم فيها .

و - المجلس النقابي للاتحاد العام هو
الذي يقوم بدعوة رؤساء العمل للاجتماع به
في مقر الاتحاد مرة كل شهرين أو كلما
استدعت الظروف ذلك .

للاتحاد عبادة بكل الهيئات النقابية
وبكافة مجالات العمل ، وعلى أساس
التشاور المباشر بالمشاكل التي تعترض
الإنتاج والعاملين فيه ، وأن تكون
الديمقراطية والعمل المشترك والقيادة
الجماعية والنقد والقد الذاتي هي
الأساس في عمل المجلس النقابي -
ويتحقق ذلك بتطبيق المبادئ التالية :
أولاً : المجلس النقابي هو للقيادة
الركنية الوحيدة للحركة النقابية بين
أفرس اتحاد مؤتمر الاتحاد العام .
وهو لا يتلقى الهيئات والمستويات
النقابية تعليماتها إلا عنه ، وفي مرحلة
بنتيجة قراراته .

ثانياً : انتخاب مبدأ للقيادة العامة
في أسلوب عمل المجلس النقابي ويعمل
ذلك ألا يتأخر أي شخص مهما كانت
مستوياته ومركزه باتخاذ قرارات دون
عرضها على المجلس النقابي . ولا يلقى
ذلك وجود المشاورة الفردية ولكنها يجب
أن تكون في إطار المشاورة الجماعية .

ثالثاً : هيئة مكتب الاتحاد العام تتم
بتطبيق بنتيجة قرارات المجلس النقابي
بين ثلثي أجهته - ولذا اتخذت قرارات
عاجلة لم تكن الظروف تسمح بتأجيلها
يجب عرضها أولاً على أول اجتماع .

أن التنظيم الداخلي للاتحاد سيساعد
الاتحاد ليؤمّر بواجباته العديدة ،
ويساعده على الارتباط المباشر بكافة
مستويات التنظيم النقابي (النقابات
العامة - الاتحادات المهنية - اللجان
النقابية) ، وبالتالي على الارتباط بجماهير
العمال . ذلك أنه في ظروف حصول
معضلة من الرأسمالية إلى الاشتراكية
يتعين على الاتحاد العام القيام بدوره
بنشاط وفعالية لتعمية كل العاملين وقيادة
التنظيم النقابي للقيام بمهامه في عملية
التحول الثورية تلك ، ومحاربة أعداء
الاشتراكية من الرجعيين والبيروقراطيين
والانتهازيين والذين يطمحون للإنتاج
ويسعون إدارة المؤسسات .

ويقيم التنظيم النقابي بدوره في خطة
التيمة ، ولزيادة القدرة الاتحادية
وتوسيعها ورفع مستواها يربطها ارتباطاً
وثيقاً وعرضياً بعمله وتضامه من أجل رفع
مستوى معيشة العمال وزيادة أجورهم
وتقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية
المختلفة لهم .

وحتى يمكن الاتحاد العام للعمال من
القيام بواجباته وحتى تكون له فعالية ،
يتعين أن يقوم التنظيم الداخلي للاتحاد
على أساس ارتباط المجلس النقابي

خلفها : يفتح المجلس اجتماعات مشتركة مع أعضاء مجالس إدارات النقابات العامة والائتمادات المحلية على الأقل ثلاث مرات كل سنة ، وكلمة استندت الظروف لذلك .

سلكها : يقوم الاتحاد بتنظيم جمعيات عمومية تعد من جميع اللجان النقابية والهيئات النقابية للزراعة في المحافظات لانتخاب المجالس التنفيذية للائتمادات الاتحادية بالمحافظات - وتقوم هذه المجالس بوضع سياسة إقليمية للاتحاد الاقنوس بالمحافظة - وتعمل هذه المجالس تحت الاشراف الكاسل المجلس التنفيذي .

سأوها : يجب أن تصامم الشخصيات النقابية في المستويات الدنيا في أعمال المجالس التنفيذية ، بأشراكهم في اللجان والأعمال المختلفة للمجلس .

فعلها : كل المؤسسات التي تقدم خدمات مختلفة ترضع تحت اشراف الاتحاد العام (مثل مؤسسة الثقافة العمالية - المؤسسة الاجتماعية - المصافى العمالية ١٠ الخ)

تفصلا : يعطي الاتحاد العام والتنظيم النقابي المساعدة المتابعة تنفيذ قوانين التأمين والمعاشات .

عافها : كل المستشارين والخبراء الممارين من الجهات المختلفة مسئولون عن أعمالهم أمام المجلس التنفيذي وشاغله وحتى يقوم المجلس التنفيذي بشاغله بشكل مرضي ، يجب أن يفصل الإدارات النقابية ويختار مقرها من أعضاء المجلس التنفيذي - ويكون مسئولين عن معيها وسامعهم في العمل أعضاء من النقابات العامة :

١ - لجنة العضوية والتنظيم : وتقوم بدراسة تطور العضوية للنقابة في جميع المستويات وتقوم باقتراح الحلول العملية لزيادة العضوية وتنميتها ، ومراقبة عمل النقابات العامة لتنظيم العمال غير المنظمين ، وحل المشاكل التنظيمية التي تواجه النقابات العامة ، ومراقبة تنفيذ قرارات الاتحاد العام والأشرف على تشكيل شبكة من اللجان النقابيين .

٢ - لجنة الدعاية والتوعية والثقافة : وتقوم بالأشرف على برامج تعليم وترقية العمال بالمعيار الاشتراكي العلمي وبروح مثاليات العمل الوطني - وبمهام النقابات ومخالفاتها بالنسبة في مرحلة البناء الاشتراكي ، والتوعية والبرامج تحت الانتاج والأحداث السياسية المحلية والعالية ، ورفع المستوى الثقافي والفني ، وتقديم برنامج جهادي لمر الأمية ، وإنشاء الكليات الثقافية ونواحي العمال الثقافية .

٣ - لجنة الإنتاج والتخطيط القومي : والأشرف على مناقشة الخطط العامة للخطوة الخمسية ، ودور العمال في

تحقيق الخطط والانتاج - ومساعدة مناقشة الخطط التنفيذية في النقابات العامة واللجان النقابية - الأشرف على حركة المنافسة الاشتراكية في الإنتاج ، وحركة التحسين الفني وتعلم وإيجاد أساليب فنية جديدة وتعميم الخبرات التقنية وتقوم بوضع لائحة خاصة بجوائز الانتاجات والتحسين الفني والمقترحات الخاصة بترخيص العمل .

وتقوم هذه اللجنة بدراسة محددات الأجور ومستوياتها ، وتحسين العلاقة باستمرار بين زيادة القدرة الانتاجية والزيادة في الأجور ، على أساس أنه في مرحلة التنمية والبناء والتطوير تكون زيادة معدل القدرة الانتاجية للعمل أعلى من معدل الزيادة في الأجور ، والعمل على الاخذ بنظام الكفاية إلى جانب الأجور وتنظيم لجان الأجور ومراقبة ومتابعة نشاطها .

٥ - لجنة الشؤون القانونية : تقوم ببحث وبراسة القوانين العمالية وتطورها ، والشاغل القانونية المناجاة من تطبيق القوانين - واقتراح التعديلات التي تتفق والتطور الاقتصادي - وتقوم هذه اللجنة بمساعدة أعضاء مجلس الأمة ممثلي العمال في عمله التشريعي .

٦ - لجنة تبيين العمل ومهامه : الأشرف على تنفيذ إدارات المؤسسات العامة والشركات الخاصة لسلامة الخاصة بمعاية العمل وببحث وبراسة ظروف الأمن الصناعي في كل صناعة ومحنة وتشر الميزة الخاصة بالصحة الصناعية على نطاق جهادي ، والأشرف على عمل النقابات في هذا المجال ، واقتراح التشريعات الخاصة بذلك ، وتدريب عمال متخصصين في حماية العمل - وتكوين جهاز نقابي يقوم بمهمة التفتيش وتحقيق كافة الشاغل الخاصة بمعاية العمل ويتابع تنفيذ القوانين الخاصة بذلك .

اللجنة المالية : الأشرف على مالية الاتحاد وأوجه صرفها وتنمية المالية ومراقبة مالية النقابات والتفتيش عليها .

٨ - لجنة الإسكان والأهوال المعيشية : الاهتمام بسياسة إنشاء المجمعات السكنية للعمال - ووضع خطط للسكان المعالي وسكان في رفصها وتدريبها بالفنيين والخبراء وبراسة الأحوال المعيشية للأسر العمالية والعمل على رفع مستواها ، وربط الأسر العمالية بنشاط النقابات لمعالجة ذلك بزيادة القدرة الانتاجية للعمل .

٩ - لجنة علاقات العمل والصناعة : دراسة مشاكل الصناعة والطريق لحلها وكافة المشاكل المترتبة على التطور الصناعي .

١٠ - لجنة للمعاملات الاجتماعية : تشر هذه اللجنة على كل ما يتعلق بالتأمين في جميع أنحاء البلاد وتقوم بالأشرف على لجان مماثلة تنشأ في النقابات واللجان النقابية والتي يجب وأن

تقوم بكل أعمال التأمين ومراقبة تطبيق القوانين .

١١ - لجنة العلاقات العامة : تنظم العلاقة بين النقابات العامة وقرو الاتحاد والهيئات الثقافية والعلمية والفنية - وتنظيم العلاقات مع التكتلات والنقابات للمصنعية [الاتحاد الاشتراكي - المجالس الشعبية - المجالس البلدية والمحلية والقروية] .

١٢ - لجنة العلاقات الخارجية : تنظم العلاقة والاتصال بالائتمادات الدولية وبالحركة العمالية في مختلف البلدان ، ووضع سياسة مرفوعة على أساس دراسة تكون محورها السوابب التنشائي ضد الاستعمار والمصيرونية والاتصال والتنظمات والهيئات الدولية الرسمية والشعبية ، والمشاركة في المؤتمرات الدولية .

١٣ - لجنة العلاقات والإحداث : تدر هذه اللجنة بدراسة مشاكل العلاقات وظروف حياتهم وظروف عمل النقابات وحياتهم وتدريبهم وتنظيمهم والأشرف على تكوين لجان خاصة بالعلاقات والأحداث في كل مستوى نقابي .

١٤ - لجنة الرياضة والثقافة الفنية والنشاط الاجتماعي : الاهتمام بوضع خطة لتنظيم النشاط الرياضي بين جماهير العمال ورفع مستوى الثقافة الفنية وتحسين الميولات الفنية لدى العمال (المسرح - الفنون التشكيلية - الاب - الفن الشعبي) - ووضع خطة خاصة بكل مشاكل الفراغ وتنظيم الاستفادة من الاجازات .

١٥ - لجنة مدارس الفتيين : الأشرف على مدارس التدريب الفني - ورفع المستوى الفني للعامل ، وتكوين العمل الماهر ، وتدريب العامة للناشئين والمتخصصين في العمل النظمي والثقافي والسياسي .

١٦ - لجنة المصطفة : توجيه وإدارة المصطفة العمالية والأشرف عليها وتكوين مجلس تدرير لكل مصطفة عمالية تحت قيادة الاتحاد العام .

١٧ - لجنة الظفر : نشر الكتب والمؤلات والأبحاث العلمية والانتاج الأدبي والفني للعمال .

١٨ - لجنة العمال الزراعيين : دراسة مشاكل العمال الزراعيين وأنواع العمل الزراعي ومعدات ومستويات أجورهم - مشاكل تنظيمهم ونشر الوعي بينهم - ومساعدة توحيد العمال الزراعيين مع العمال الصناعيين في كافة المستويات .

١٩ - لجنة التأمين الصحي : تشر على تطبيق قوانين التأمين الصحي وتطويرها والعمل على توفير الرعاية الصحية للعاملين وأسرهم وخلق ملاقات اجتماعية سليمة بين الجهاز الطبي والجمهور .

عود الى الحديث عن منظمة الشباب



خسيرة الماضي في ضوء واقع ما بعد يونيو ١٩٦٧

د. محمد الخفيف

بالانتماء المر المباشر كما فعلنا مع الاتحاد الاشتراكي؟ وكيف نمجد ثقة الشباب في العمل السياسي؟ وقائمة الاسئلة طويلة ..
بادئ ذي بدء ، اود ان اذكر ان اهمية الموضوع ، بحكم انه موضوع مصري ، تهتم ان يظل دائما على راس قائمة المهام السياسية المطروحة في كل وقت من الاوقات حتى ولو لم تتخلها احداث كبار .. واقصد من قولي انسه موضوع مصري ان تنظيم الشباب في منظمة سياسية ، هو ضمان لاستمرار الثورة ، او هو

بدا امرأ غريبا ، او لدى البعض -
محبيا للباس ، ان نكتب مرة اخرى
من تصورنا للكيفية التي نقيم بها
منظمة للشباب ، وذلك بمقد
الانضمام . هو الى السبع سنوات . على اولى محاولتنا
في هذا الصدد التي بدأت في اواخر عام ١٩٦٤ .
والواقع انه لا بد للانسان ان يتعامل من مصير
هذه السنوات السبع ، هل ذهبت كلها سدى ؟ والى
اي مدى اثر في الشباب ؟ وهل يكفي ان نعيد
تشكيل . سنقوم . الخطة . من القاعدة الى القمة .

ربما

الحلقة الرئيسية فنى سلسلة الضمانات ،
ويمضرنى هنا قول الزعيم جمال :

« المهمة الأساسية التي يجب أن نضعها نصب
عيننا في المرحلة القادمة ، هي أن نمد الطريق
لجيل جديد يقود الثورة في جميع مجالاتها
السياسية والاقتصادية والفكرية ، ولنسنا نستطيع
القول بأن هذا الجيل قد لدى واجبه ، إلا إذا كنا
نستطيع - قبل كل المنجزات وبمعدا - أن نطمئن
إلى استمرار التقدم ، وألا فإن كل ما صنعناه
مهدد بأن يتحول - مهما كانت ووعته - إلى قوة
لمت ثم انطفأت ، إلى بداية تقدمت ثم توقفت . أن
العمل الحقيقي هو استمرار النضال ويتكاد الاستمرار
حتى يكون هناك - في كل وقت - جيل جديد على
أتم استعداد للقيادة والحمل الأمانة ، ولواصله
التقدم بها . نكثر ونحيا من جيل سبق . أكثر صلابة
من جيل سبق . أكثر طموحا من جيل سبق » (١) .

وأهمية هذا القول ترجع إلى أنه لا يزال وبشكل
الأساسي النظري السليم لضمان استمرار الثورة
وإنه لكي يتحقق هذا الأساس لابد وأن يتحول من
نصن نظري إلى واقع عملي . ولا مفر من الاعتراف
بأنه بالرغم من مخي أكثر من ست سنوات على هذا
النص ، وبالرغم مما بذل من محاولات للانتقال به
إلى حين التنفيذ إلا أنه لا يزال بعيدا عن مجال
التنفيذ الثوري الحقيقي .

أهم الأحداث

والنقطة الهامة الثانية هي أن والعملا قد جرت
عليه - لثاء فترة الصبح سنوات - أحداث
خطيرة ، وأول هذه الأحداث وأهمها هو ما
تمرضت له البلاد في يونيو ١٩٦٧ واست لظني
بمراجعة إلى المتحدث عن خطورة هذا الحدث بوجه
عام غير أنني أحب فقط أن لشد الانتباه إلى أثره
وخطورته بوجه خاص على الشباب إذ كان أول
تحد حقيقي يواجههم ويواجه منظمهم الوليدة
ويواجه نضال بالدمه وقيانته ولم يكونوا قد أعدوا
إى أعداد مسبق له ، بل ولم يكونوا يتصورون
وقوعه .

وكان الحدث الثاني هو الوفاة المفاجئة للقائد
والعلم وفي وقت لشد ما يكون دقة ، وهذا حيث له
أيضا وقعه الخاص على الشباب الذين شربوا
قابليتهم أن لم يكونوا جميعا على تصور ارتباط
استمرار الثورة بوجود القائد الذي فجرها لأول
مرة .

وثالث الأحداث الهامة ، وهو لا يقل خطورة عن
الحدثين السابقين ما كشفت عنه الأيام الأخيرة من

أمر مركز القوى التي ترى الشباب في رعايتها
وكانوا ينظرون إليها ككيادات ثورية حقيقية ، فإذا
الأيام تثبت أو تظهر أنهم لم يكن لهم هدف سوى
السلطة والاحتفاظ بها فصبأ . ولا عجب على
الاطلاق أن اهتزت ثقة الشباب في عدد من الفيم
التي لقنوها : الالتزام . الديمقراطية . القيادة
الجماعية . ولا عجب أن تملكهم الصورة فيما
يتصل بسيادة قوى الشعب ومساكن بنساء
الاشتراكية وغير ذلك من قضايا الثورة .

وقد صاحب هذا كله ما نعلم من اتجاهات
جديدة مختلفة جذبت إليها فئات الشباب في شتى
دول العالم وما يمر بالصالح كله من أحداث الحرب
والاستعمار والثورة العالمية ومن أفاق جديدة ،
نوعا وكما للمعلم والتكنولوجيا وأثر هذه الأحداث
على حاضر ومستقبل العلاقات الدولية ودور الدول
الاشتراكية في هذه العلاقات .

من هنا يكون أمرا طبيعيا وواجبا أن ندرس من
جديد أوضاع منظمة الشباب في ضوء هذه
الأحداث التي بدأت بصوان ه يونيو من أجل وضع
خطة سليمة لأعداد الشباب في ظل منظمة جديدة ،
خطة تصمم طابع الأرض والظروف التي تنبع منها
على أساس دراسة كاملة لخصائص هذه الظروف
وتحدد المهام والواجبات وأساليب العمل للحاضر
 والمستقبل ، بأدائه بالواقع لا بالأحلام ، واضعين
نصب أعيننا دائما تلك القاعدة الذهبية التي يبدو
أننا نسيناها أو تناسيناها ، لفترة ليست بالقصيرة
والتي تقول باستحالة تغيير الواقع من طريق
تخليه بأساليب مصطنعة ، وأن الطريق الوحيد
لتغيير الواقع هو البدء به ودراسته ووضع خطة
لتغييره ، خطة واضحة المعالم محددة الأهداف لها
استراتيجية البصيرة واستراتيجياتها للمرحلة ،
خطة تحدد القوى للمادى منها وغير المصادى
الأساسي والثانوي ، وقرصم الأساليب . أن تخطي
الواقع لا يغيره بل يزيده ثباتا ، ويصيب العمل
الوطني بالغبية واليأس . أن تخطي الواقع معامرة
أطفال وتغيير الواقع ثورة أبطال . والفرق بين
المغامرة والثورة هو الفرق بين الأطفال والأبطال .
إذا عدنا إلى النص النظري الذي ذكرناه خرجنا
بعدد من الأفكار المحددة :

● قضية استمرار النضال ضمانا لاستمرار
الثورة هي في الوقت نفسه قضية استمرار
 واتصال القيادة الثورية ، فليس هناك عمل بدون
قيادة ، ليست هناك ثورة بدون قيادة ثورية ومن
هنا كان استمرار الثورة رهنا باستمرار - أو
تجدد - قيادتها ، فالقيادة عمل أفراد منتظمين في

(١) خطاب الرئيس عبد الناصر في ٢٠ يناير ١٩٦٥ أمام مجلس الاستعدادية للترشيح لرئاسة الجمهورية .

جانب الوعي الوطني وعيا اشتراكيا وهو أعلى مراتب الوعي الإنساني ، وأكثر صلاية من جيل سبق لأن الحركة الحالية معركة مصير وهي أشد من المماركة التي خضناها وأكثر تعقيدا ، فبينما كانت في الأساس معركة إقتصادية إذ يبرز فجأة وبشكل قوئ وملح العامل الوطني من جديد .

والوعي والصلاية لا يأتيان جزاء ولا ينبتان شيطانيا بل لابد من اكتسابهما ولا سبيل إلى ذلك سوى الأعداد ثم التجربة والممارسة ، ولا سبيل إلى هذا كله إلا أن يتم داخل منظمة سياسية للشباب تجمع صفوفه وترعى قياداته وتقود نضاله .

بعض القضايا الأساسية

من خبرة الماضي

١ - أن السنوات السبع السابقة لم تذهب كلها سدى ، فما من شك في أنه على الرغم من نواحي النقص المتعددة والخطيرة إلا أن العمل بين الشباب قد جلب عددا غير قليل منهم إلى الفكر الاشتراكي . قد تكون عالقة به شوائب معينة ، وقد يكون غير واضح في بعض النواحي ، وقد يكون على خطأ في نواح أخرى ولكنه في مجمله يكون مناخا فكريا صالحا للعمل والتطوير والتصحيح . وما من شك أن هذه العناصر قد خربت ، على الأقل بتجربتها المرة ، كيف تميز الضييق من الطيب وكيف تفرق بين الانتهازية والثورية . وإنها مهمة عاجلة أن يبحث عن هذه العناصر . وأن تجمع من جديد ويجب أن لا يقتصر البحث عنها بين القيادات أن من يسمونهم بالموجهين فقد يكونوا أكثر تفرادا في القواعد .

٢ - أن السنوات السبع السابقة تملأه بالعبرة لمن شاء أن يمتدبر وهي كنز فريد - أن صبح التمييز - من الأخطاء التنظيمية والسياسية والفكرية إذا عدناها أصبحنا في مأمن إلى حد كبير من أن تقع مرة أخرى فيها .

٣ - أن عملية بناء المنظمة عملية هامة ومصيرية لا ينفع معها مجرد إعادة تشكيل جميع مستوياتها بالانتخاب ، ولا يجوز الاستخفاف بها أو الأسراع فيها وكفانا استخفافا وعجلة - أنها بناء للمستقبل والمستقبل مصير والمصير لا يقامر به .

٤ - لا تزال قضية أعداد القادة هي الأساس ولا تزال ، في رأيي ، هي الحلقة الرئيسية التي يجب أن يمسك بها جيدا قبل الانتقال إلى بقاى الحلقات . نعم ، هي مرة أخرى قضية الكم والكيف ، قضية الشكل والمضمون . هي قضية كيف ولكم لاتأها قضية قادة وجماعير . صحيح تماما أن منظمة الشباب تنظيم سياسي اجتماعي ديمقراطي لجماعير الشباب ولكن هذا يعنى أن

مجموعة متماسكة وإذا كان الأفراد غير خالدين إلا أن القيادة يجب أن لا تقضى ، لأنها عملية متصلة من خلال أفراد يعيشون عبر مراحل متعددة ومتميزة ولكنها متصلة بمعنى أن كل مرحلة جديدة تنمو من داخل المرحلة السابقة عليها وهذا يكون على قيادتها أن كانت حقا ثورية وأجب مقص هو رعاية البذور الجديدة حتى تثبت وتغرس أصوارها وتصلب بالقدر الكافي إلى الوقت المناسب .

● هذا الجيل الجديد ، مثل الحياة هشة ثورة يرايز ومع فجرها وضحاها وهذه نقطة هامة - لقد نشأ جيلنا وترى في المرحلة السابقة على الثورة ، وشارك في نضال هذه المرحلة وقيادتها ، وكانت المرحلة هي مرحلة الثورة الوطنية التي تعمل على طرد الاستعمار من ناحية وتحقيق قدر أكبر من الديمقراطية من ناحية أخرى ، أما الجيل الحالي فكان أول تتلاقى له للحياة بعد أن تم طرد الاستعمار وسقطت الملكية وانقضى نظام الأحزاب وهكذا عاش مسنوات في مرحلة مفاسيرة للمرحلة السابقة على ثورة يرايز ، مرحلة بناء قاعدة اقتصادية من أجل بناء مجتمع متقدم يكفل فرص العمل لجميع العاملين بكل ما تتضمنه هذه المرحلة من صراع بين الجديد والقديم وبين التقدم والتخلف وبكل ما يحيط بها من مشاومات استعمارية وصهيونية وتربص للقوى المخلوعة بالداخل ، غير أن العامل الجديد في الموقف هو أن الشباب بعد سنوات من الاستفراغ النسيبي فوجيء بأول احتلال لأرض بلاده وإن كان احتلالا جزئيا ، وهو الأمر الذي لم يضيره من قبل والذي وضع أمامهم على الترق مدفا ملحا قبل باقي الأهداف جميعا وهو هدف تحرير الأرض المحتلة .

وما من شك أن هذا العامل الجديد قد سبب لنا ونلقا شديدين بين جموع الشباب ، كما زاه المرحلة التي يعيشونها تعقيدا .

● في ضوء هذه الظروف الحالية التي تتميز بإزمة النظام الرأسمالي التي بلغت ذروتها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في الولايات المتحدة قمة هذا النظام ، بإزمة تحجر بعض القيادات في النظام الاشتراكي وعجز الثورة الحالية عن أن تطور النظرية بما يتماشى مع المرحلة الثورية الجديدة التي تقوم على الثورة العلمية التكنولوجية ، وبانهيار عدد من التجارب التقنية في دول العالم الثالث . وفي ظل الظروف الحالية التي نكربنا أهم خصائصها والتي جعلت من المرحلة الحالية أكثر تعقيدا ، لابد للجيل الجديد ، للشباب ، لكي يستطيع أن يلعب دوره بنجاح أن يكون أكثر وعيا من جيل سبق لأن المرحلة الحالية تستوجب إلى

مهمتها الوحيدة هي قيادة حركة هذه الجماهير للشباب نحو تحقيق أهداف معينة . فكيف تكون القيادة بلا قادة ؟؟

٥ - من السذاجة السياسية أن نفهم اعداد القيادة على أنه مجرد تهئية مكان تقضى فيه عشرات أو مئات الشبان بضمة أيام تستمر خلالها إلى عدد من المحاضرات يلقيها عليهم محاضرون هم خليط من الاتجاهات ثم نقول عتقنا كذا مائة قائد أو موجه .. كما أن من التمسك والتزمت أن تنفق من الجهد والوقت أكثر والطول مما ينبغي في سبيل الاعداد النظرى لمعبرات ، ونهمل أمر المسائل والالاف .

٦ - ولعل أول درس في هذا الصدد أن تزايد عدد الاعضاء بدرجة كبيرة لا تتناسب مع اطراد عملية اعداد العناصر القيادية قد أدى إلى اتساع القاعدة اتساعاً حيزت القيادات المحدودة العدد . من أن تقوم حركتها الأمر الذي يحد من فعالية المنظمة فاضطرت إلى التصرع في اعداد القيادات وإلى أن تلجأ إلى الاختيار دون أمس ودون اختيار ، فانهصر الاختيار أمامها في « الممارف » ولم على أمس شخصيته ، فلفظ إلى مناصب القيادة عناصر لا امتياز لها فمحزون من أن تفال ثقة القاعدة ولوشرت صدور من لم يختاروا وخاصة إذا كانوا أكثر كفاءة ، فلهجات إلى أسلوب فكيت والارهاب .

٧ - وكان طبيعياً في مثل هذه الحالة أن تسود المركزية المطلقة وأن يمتد العمل على القرارات والتوجهات والاجراءات الظهرية وأن يقاس ولاه المصير بمدى ثقيله للقرارات وتنفيذ التعليمات بدون مناقشة ، الأمر الذي حد من تنمية قدرات الاعضاء على التصرف وبكت النواحي الايجابية فيهم . وهذا التصب جو تزدهر فيه مراكز القوة .

٨ - ونتيجة طبيعية للمغالاة في المركزية وانحصار الديمقراطية أن تضيق صدور القيادات بالثقة والمناقشة ، وفي هذا الصدد امر استخدام مبدأ الالتزام وأصبح الالتزام مرادفاً للطاعة العمياء مع أنه لا التزام بدون حرية الرأي والتمييز .

٩ - وكان لابد أن يتكسب أسلوب العمل داخل المنظمة على أسلوب عملها بين جماهير الشباب خارجها بل وبين الجماهير بوجه عام ، إذ تميز بالتمسك وبالارهاب المسافر أحياناً والمفتح أحياناً فانقضت من حولها الجماهير ، بل وبدات تجارها بالعداء .

١٠ - أن الإهتمام بالشكل دون المضمون يؤدي إلى نتائج وخيمة . أن شكلاً بلا مضمون لابد وأن ينتهي ويوجه خاص مع الشباب إلى مضمون مضاد .. لابد وأن يؤدي إلى الولاء لفرد أو شلة بدلاً من الولاء للجماهير .. إلى الانتمال من الجماهير والتمسك عليها بدلاً من التوحد معها وخدمة قضاياها .. أن تلتظف شبابياً بلا مضمون ثوري لابد وأن يصبح في النهاية تلتظفياً فاشياً ..

بعض الخطوط العامة

حول إعادة البناء

أولاً : لابد وأن تشترك جماهير الشباب في دراسة القضية واستخلاص الدروس والتفكير في مهام المنظمة وتصوير خطها السياسي وطريقة تكوينها ، على أن يكون اشتراكاً فعلياً . وإننا نقع في خطأ كبير وخطير لو تصورنا أن جيلنا ، مهما كان له من خبرة ودراسة ، قادر وحده على أن يرسم ويخطط للشباب . أن دورنا لا يمكن أن يتعدى التوجيه إعطاء للنصح ونقل الخبرة .

ثانياً : لابد بالبدء بإعداد القادة لسبب بسيط هو أن قادة الشباب هم أكثر الناس على العمل مع الشباب فهم ملهمهم يحسون آلامهم ومشااكلهم ويعرفون قدراتهم ونواحي الضعف والقوة فيهم . وبعد اعداد عدد معقول من القادة يبدأ العمل الحقيقي مع جماهير الشباب (وهذا لا يعني إيقاف العمل معهم الآن) بهدف الإرتفاع بوعيهم وربطهم بالقضايا المجتمع وإيجاد مناخ فكري اشتراكي بينهم يساعد على اظهار عناصر قيادية جديدة بينهم . وفي هذا الصدد تلمس مراكز الشباب والمسكرات ، وخاصة في فصل الصيف ، دوراً هاماً من حيث لها أماكن نجاح من مختلف قوى الضعب العامل ويمكن من طريق العمل السياسي البسيط والمنظم إثارة النشاطات المعانية للشباب أن تتحول هذه المراكز والمسكرات إلى مراكز للفكر والعمل التطوعي ومحو الأمية وغرس القيم الجديدة ، وإلى بوتقات تلتظف فيها الفوارق بين شباب قوى الضعب العامل ، واعمالهم تساعد على ذلك ، فيتم التوحد مع الجماهير وخاصة إذا ذكرنا أن هذه المراكز تجمع الشباب من مختلف قوى الضعب العاملة .

ثالثاً : لابد أن يعتمد التثقيف على الواقع اعتماداً كاملاً ولا يهرب من مشاكله حتى لا يقع الشباب فيها وقوا فيه بالمضى من تناقض بين ما كان يدعس لهم وما كان يدير في الواقع الذي يعيشونه . إننا نعد قادة واعين على أساس من العلم بواقعهم من أجل تغييره وليس من أجل

القيادي لابد أن يكون لها الاشراف الفعلي على كل نواحي النشاط وخاصة فيما يتعلق بالأعداد الفكرى والتنظيمى والا تعددت القيادات وانقسم الشباب فرقتا وشيئا تلتف كل منها حول فرد أو شلة . إن ارتباط المنظمة بالاتحاد الاشتراكي من الناحية التنظيمية يجب أن لا يتعدى تمثيل المنظمة فى عضوية اللجنة المركزية^{١٠}.

مباضا : فى كل الحالات يجب أن يكون تشكيل المستويات القيادية من طريق الانتخاب الحصر المباشر ، ولقد أن الاوان حقا لان يسود مبدأ الانتخاب مع ضمان الحرية الكاملة كافة نواحي النشاط السياسى والنفائى^{١١}.

والامل كبير بعد أن فتح باب العضوية للاتحاد الاشتراكي أمام الشباب أن يسفر اشتراكهم فى الترشيح والانتخاب من عناصر جديدة حائزة لثقة جماهيرها وتستطيع أن تقوم بدور رئيسى فى عملية بناء للمنظمة فكريا وتنظيميا^{١٢}.

تبريره : و الفرق كبير بين تعريف الشباب بمنهج علمى يسترشدون به فى التوصل الى حلول للمشاكل وبين تلقينهم بعض الشعارات والنصوص بلجانين اليها كلما عجزوا وكثيرا ما كانوا يمجزون . اننا يجب أن لا يغيب عن بالنا أن المنظمة هى أيضا المدرسة السياسية والاجتماعية التى تمد الكادر السياسى للجهاز الطليعى للاتحاد الاشتراكي .

وايضا : يجب أن يكون البناء التنظيمى للمنظمة متفقا مع التركيب الاجتماعى لقوى الشعب ومعبرا عن طبيعة التحالف الشعبى ، وموقع الفئات والطبقات المختلفة فيه ، ومن هنا تبين حيوية الانتماء بشباب العمال والفلاحين بوصفهم محور هذا التحالف .

خامسا : يجب أن تكون المنظمة تنظيما مستقلا عن الاتحاد الاشتراكي وهى لكى تمارس دورها



وقضية تحرير المرأة

التنظيم النسائي

« المرأة نصف المجتمع ، والحركة النسائية تفتقر من
الطاقات قدرا كبيرا ونمينسا ، لا بد وأن يؤدي رسالته
كاملة في العمل الوطني »
« الرئيس أنور السادات »

إسحق رشدي

وأسباب فشلها لكي تكون أمامنا ملائمة على طريق
التكوين الجديد لتنظيم نسائي جماهيري ، ينجح
في ربط المرأة المصرية .. سواء كامرأة أو مواطنة
بالمجتمع الذي تعيش فيه ويخرجها من عزلتها .

ولقد كانت أول هذه المحاولات لتكوين جميع
نسائي ، وقت قيام الاتحاد القومي ، الذي أعلن أنه
تجمع جماهيري اجتماعي وثقافي ، ليس من
أنواره الربط السياسي والتوعية السياسية وذلك
لأنه كانت هناك في ذلك الوقت حساسية ضد قيام
أي تجمع سياسي يمكن أن يفسر على أنه نواة
حزب . ولقد مرت مرحلة التجمع النسائي في ظل
الاتحاد القومي بمرحلتين :

الأولى .. كانت برئاسة الدكتورة سبهر
القلمائي ، ولم تخرج عن مرحلة تكوين مكتب يضم
بعض العاملات في مجال النشاط النسائي . ولكن
كان لغياب أي فكر أو مضمون حتى في حدود
التحريك الاجتماعي ، أثره في أن هذه المحاولة لم
تخرج عن حدود جدران المكتب الازيعة .

هذا

بيان السيد رئيس الجمهورية
الخط الذي تلتزم به القيادة
السياسية من حيث أهمية وضرورة
قيام تنظيم نسائي ، وعدد أيضا ،
الخطوات التنفيذية التي ستسير عليها عملية
وضع الخطوط الرئيسية لشكل ومضمون هذا
التنظيم .

ولقد وضع هذا البيان - في تقديري - خاتمة
لفترة طويلة من التردد ، حول حاجة المجتمع المصري
إلى تنظيم يضم جماهير النساء ، ويربطها
بمجتمعها الذي ظلت تعيش بمعزل عنه في الغالب
الاعم ، من خلال تطور المجتمع في المرحلة الوطنية ،
ثم المرحلة الاشتراكية .

ولقد مرت فكرة التنظيم النسائي بين فترات
التردد في الايام الماضية ، بمحاولات عديدة ،
وتجارب لم يكتب لها النجاح ، لانه في الكثير من
الاحيان ، تم تجاهل التكوين الاجتماعي والتاريخي
للمجتمع المصري .

ولعله من المفيد أن نستعرض هذه المحاولات

جاء في قرار رئيس الجمهورية بأعادة نظميات الاتحاد الاشتراكي العربي

● مادة ٨ : يقوم تنظيم نسائي ، يعمل في
تواز وأرتباط مع الاتحاد الاشتراكي
العربي ، ويصدر رئيس الجمهورية
قراراً بتشكيل لجنة تأسيسية لهذا
التنظيم .

● مادة ٩ : يكون للتنظيم النسائي
والتنظيم النسائي ممثلوه في المؤتمر
القومي العام والاشتراكي العربي
ولجنته المركزية .

● مادة ١٠ : لا يهول قيام التنظيم
النسائي والتنظيم النسائي دون
اشتراك الشباب والمرأة على أوسع
نطاق في انتخابات منظمات الاتحاد
الاشتراكي العربي .

وطى امتحان خرجت المرأة المصرية في ذلك
الوقت لتتصر في إطار الخدمة الاجتماعية ،
والجمعيات الخيرية ، وقامت جمعية المرأة الجديدة
ومبرة محمد علي . . . ولكن الحصار الذي كان
مفروضاً على المرأة لم يمكنها من أن تذهب إلى
إبعد من هذه الحدود .

أرتباط الحركة النسائية

بالحركة الشعبية

ويمكن القول أن المرأة المصرية بدأت تتحرك فعلاً
على الطريق الصحيح في العشرينات ، وتم تكوين
الاتحاد النسائي المصري برئاسة هدى شعراوي ،
والذي كان مصلة وتناجيرة ١٩١٩ ، والتي لعبت
المرأة في داخلها دوراً أساسياً ، وشاكرت مشاركة
إيجابية وفعالة في هذه الثورة الشعبية .

وكان من نتيجة هذه المشاركة . . . أن نجحت
المرأة في التخلص من الحجاب ، وأصبح وجودها
في مجال العمل السياسي مقبول ، وكذلك بعد أن
تكونت لجنة الوفد المركزية للسيدات ، ولأول مرة
وجد تجمع للمرأة المصرية ، يحمل اسم الاتحاد
النسائي المصري له برنامج محدد ومطالب
واضحة ، كان في مقدمتها : المطالبة بتعليم الفتيات ،
إعطاء المرأة حقوقها السياسية ، رفع سن الزواج
للبنات والولد ، ثم ضرورة تعديل قانون الأحوال

وكانت المرحلة الثانية . . . وأيضاً في ظل الاتحاد
القومي ، برئاسة السيد فاطمة عنان ، وكانت وقتها
ناظرة مدرسة العباسية الثانوية النموذجية .

ولقد نجحت السيدة فاطمة عنان في أن
تعطي « مكتب النشاط النسائي » شكلاً تنظيمياً
نموذجياً ، يمتد من القرية الصغيرة في أقصى
الجمهورية إلى القاهرة ، حتى الهرم التنظيمي
الذي رسم بدقة وغاية .

ولكن هذه المحاولة أيضاً ، لم يكتب لها النجاح ،
ولم تخرج عن اللوحة التي رسم عليها الشكل
الهرمي الدقيق للتنظيم وذلك لأسباب عدة :

— أن هذا التنظيم استبعد من تكوينه القوة
الأساسية للمرأة وهي بالذات المرأة العاملة .

— أنه تعدد في داخل فئة معينة من المجتمع في
فئة المدرسات بطبيعة الأمور ، وعلى أساس أن
القيادات كانت تختار على أساس العلاقات
الشخصية ، وليست نتيجة ممارسة جماهيرية أو
انتخابات ديمقراطية .

— أن هذا التنظيم لم يراع ظروف المجتمع
المصري في ذلك الوقت ، ووضع المرأة المصرية
داخله .

مثلاً كانت محاولة فرض لجان نشاط نسائي
على المرأة في الريف من أعلى — أي — من المدينة
وليس نتيجة تحرك المرأة الريفية نفسه سبباً في
شلل هذه اللجان في الريف .

وليس من الصعب أيضاً أن نقدر أن المرأة في
الريف لم تكن قادرة على الحركة ، بسبب الأمية
المقننة في صفوفها ، وبسبب تيمنها المطلقة
للرجل ، على الرغم من مشاركتها الاقتصادية
والانتاجية في الريف .

وإذا كان « مكتب النشاط النسائي » قد تجاهل
واقع التركيب الاجتماعي المصري في تلك الوقت .
فإنه أيضاً تجاهل واقعاً تاريخياً لثور المرأة منذ
أوائل القرن العشرين ، والذي وجدت له مثقفاً من
خلال العمل الاجتماعي .

فقد كان المجتمع ينكر على المرأة حقها في
التعليم وفي العمل وبإختصار في المشاركة
الحقيقية في بناء المجتمع .

فلم يكن من مصلحة الطبقة الحاكمة في ذلك
الوقت وهي الضالمة مع الاستعمار والاجتلال
البريطاني في أواخر القرن العشرين إطلاق الطاقات
الخلاقة للمواطنين المصريين .

مضت لم تستطع أن تصبح قوة فعالة في بياض المجتمع .

فلم تزد نسبة المرأة العاملة للقوى العاملة عن ٨٪ ، وبعبارة أخرى لم تتعد نسبة قوى المرأة العاملة لمجموع السكان ٤٨٪ .

المرأة وثورة ٥٢

كانت هذه هي الصورة التي عليها المرأة المصرية يوم أن قامت ثورة ٢٢ يوليو بنهائنها المت ، وفي مقدمتها رفع مستوى معيشة الفرد ، ورفع مستوى الدخل القومي ، ولم يكن من السهل تحقيق هذا المبدأ ونصف المجتمع في حالة شلل وتبعية ، اللهم من بضعة آلاف لا يمكن أن يشكلن قفلا اقتصاديا أو اجتماعيا .

ولقد كانت نظرة القيادة السياسية في ذلك الوقت لهذا الوضع وقيام المرأة داخل الانتفاضة الوطنية العارمة سنة ٥٦ بعد تأميم قناة السويس والمدون الثلاثي على مصر من الجيوش الاساسية التي جعلت عبد الناصر يؤمن بأن المرأة لها دور في عملية البناء الاجتماعي ويجب أن تطلق قيودها من أي أغلال تشل حركتها .

ولهذا جاء دستور ٥٦ وقانون الانتخاب يعطى للمرأة حقوقها السياسية ولكن على أساس اختياري للمرأة حرة في أن تمارس هذا الحق أولا تمارسه .

وكان تجاوب المرأة مع هذا الاعتراف بدورها ضعيف الى درجة أنه لم يتقدم للقياد في جدول الانتخابات سنة ٥٦ سوى ٣١٨٩ نائبة من بين ما يزيد على خمسة ملايين امرأة في سن الانتخاب . وكانت نتيجة الانتخابات عضوية فقط من النساء في مجلس الأمة وفي تقديرى أن رد الفعل هذا كان أبلغ دليل على مدى حاجتنا الى تنظيم يجمع صفوف المرأة ويربطها بالمجتمع التي تعيش فيه عضوا عاما منتجا .

وجاءت تجربة الاتحاد القومي سنة ١٩٥٨ ، وكما سبق أن بينت جاءت معه تجربة « مكاتب النشاط النسائي » التي لم تستطع أن تدفع بالدماء الجديدة أو تثبت الحيوية في جموع المرأة .

وإذا كان هذا هو حدود دور المرأة خلال المرحلة الوطنية ثورة ٢٣ يوليو . . . إلا أن التحول الحقيقي والجزئى في مفهوم القيادة السياسية لدور المرأة جاء مع الاتجاه الى طريق للحلول الاشتراكي الذي بدأ سنة ١٩٦١ ، والذي تبلور فيما جاء في الميثاق عن دور المرأة في صنع الحياة ، وضرورة تحررها بالمجتمع كله ومعها الى غايات النضال الوطني .

الشخصية . ولقد فجرت هدى شعراوي بقيادتها لحركة المرأة المصرية طاقات ضخمة بين صفوفها ونجحت في تحقيق بعض المطالب ولم تنجح في تحقيق البعض الآخر . - وذلك لأن هذه الحركة لم تتكامل وتصل الى هدفها السياسي نتيجة لتجدد ثورة ١٩١٩ نفسها وتوقف حركتها .

وانفصلت بعد ذلك حركة المرأة نفسها عن المجتمع ، وأصبحت تدور وتلف حول نفسها .

وانقسمت حركة المرأة على نفسها وتصور البعض أن تحرير المرأة إنما يأتي من خلال الخدمة الاجتماعية . وأخذت أعداد الجمعيات الخيرية في التزايد .

ولكن في نفس الوقت كان مطلب هدى شعراوي سنة ١٩٢٢ بمساواة البنات في التعليم ، بالولد شرارة ألت شامرا بحفلة تـرجـيزة عندما انشئت سنة ١٩٢٤ أول مدرسة ثانوية للبنات بـشبرا . وبدأت عجلة التطور تسير ولكن ببطء ، وبشكل تلقائي عفوي . بلا تنظيم يجمع صفوفها وينظم حركتها .

وكان مطلب هدى شعراوي بضرورة اعطاء المرأة حقوقها السياسية من الاهداف التي التفت حولها المرأة الواحبة .

وإذا كان من نتائج ثورة ١٩ ظهور بوادر حركة نسائية ، فذلك لأن حركة المرأة ارتبطت دائما بالحركات الشعبية ، وكانت تعمل دائما من داخلها ، تسير معها وبلا انفصال عنها .

ولهذا فريم انتكست ثورة ١٩ تجملت معها حركة المرأة في إطار اهداف هي في النهاية أيضا تعبر عن مفهوم بورجوازي متحدر .

وكان أيضا من نتائج الانتفاضة الوطنية سنة ٤٦ والتي حمل لواءها العمال والطلبة ، ومشاركة المرأة في قلب هذه الانتفاضة ، ومشاركتها أيضا في لجنة العمال والطلبة أن تقدمت المرأة خطوة الى طريق الوعى السليم .

وقد صاحب هذه الخطوات على طريق تحرير المرأة أو محاولتها من أجل التحرير السياسي ، صلبة تحرر اقتصادي قاسرة الى جد مالا لها لم تكن بوليدة مضمون فكري متكامل ، وإنما كاس في أغلب الاحوال نتيجة لطروف اجتماعية ، دفعت بالمرأة الى ميدان العمل ، وبالذات خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، وأصبحت قوة اقتصادية منتجة ، ولكنها مع ذلك كانت وهي تعمل من أجل التحرير تتحرك بشكل فردي ، ولعل الاحصاءات قتل على أن المرأة على الرغم من المنين التي

وأهمية هذه المساواة ، فإن المرأة المصرية-ما زالت تنوء تحت حمل مئات الستين من التمييز والاستغلال ، وما زالت تعيش فى حالة من السلبية ظهرت نتائجها واضحة من خلال البرلمان الثالث فى الجمهورية ، والذى تناقص داخله عدد العضوات من ٨ الى عضوين اثنين فقط .

• • • • •

ولقد كان اصحاب الرأى المائتة بضرورة قيام تنظيم نسائى يجمع صفوف المرأة بحيث تصبح قوة ايجابية منتجة بدلون [رجالا ونساء] على حيوية هذه القضية وبالذات فى الفترة الاخيرة وغربوة تدعيم الجبهة الداخلية بكل ما هو ايجابى • • الى ان اعلن عبد الناصر فى آخر خطاب له فى ٢٣ يوليو على أهمية قيام تنظيم نسائى •

وجاء الرئيس الفوق السادات ليعلم فى أكثر من بهان وفى أكثر من خطاب ايمانه التام بضرورة قيام تنظيم نسائى ، بل وذهب الى أبعد من هذا فقد ضمن قراره الجمهورى بإعادة تشكيل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ٢ بنود من تنظم للشباب وآخر للمرأة ، وهو بذلك يؤكد الترابط الكامل بين حركة الجماهير وحركة المرأة •

ولقد نص القرار الجمهورى الخاص بإعادة تشكيل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى على أن رئيس الجمهورية سوف يصدر قرارا بتشكيل لجنة تأسيسية للتنظيم النسائى •

ومن الموم فى هذا المجال تحديد ٣ قضايا •

اولا : ممن يتكون أعضاء اللجنة التأسيسية •

ثانيا : الهدف من التنظيم النسائى وبمعنى آخر وضع برنامج محدد ذى أهداف وأولويات •

ثالثا : كيفية تحقيق هذا الهدف وبمعنى آخر الخطوات التنفيذية لهذه الأهداف •

لما عن اللجنة التأسيسية للتنظيم النسائى ، لمن الأفضل أن تتشكل من القيادات النسائية التى ستبرز من خلال انتخابات الاتحاد الاشتراكى نفسه ، والانتخابات النقابية ، بالإضافة الى عدد من لدى الخبرة والتجربة •

● ان هذه اللجنة عليها أن تلتطرق من هدف اساسى هو :

تعميق حركة المرأة وتأكيد جماهيريتها انطلاقا من واقعا اليوم ، وبالتالي فلا بد أن يقوم التنظيم على أساس واقع المرأة فى الوقت الحاضر وحيثوته ، وهى حدود ليست عريضة إذ أن حركة

ولم يكن من السهل أن معظم التناقض القائم فى أوضاع المرأة فى وقت كانت القيادة السياسية تؤيد أهمية تمثيل الحرية السياسية والحرية الاقتصادية للأفراد الشعب •

ومع اتساع القاعدة الجماهيرية للمرأة من خلال تزايد أعدادها فى المدارس والجامعات والمصانع والوظائف الحكومية ، بدأ احساس بين جماهير المصريين بأن هناك ما لا يقل عن ٦ مليون ربة بيت تعيش اما فى حالة امية أو تبعية كاملة • وكانت تجربة رائدة يوم أن القت بعض القيادات النسائية بنظرتها من أجل تحقيق هدف محدد وهو دعوة أكبر عدد ممكن من النساء لتقليد أسماؤهن فى جداول الانتخاب ، فقد استعلن أن يرتفن بعد الانتخابات من ٣١٨٩ نخبة الى حوالى ١/٤ مليون فى عام واحد •

وكانت هذه التجربة أول دليل على حتمية أن يكون هناك تنظيم يجمع بين النساء حول هدف واحد وهو السبل على ربط المرأة بالمجتمع وأخراجها من عزلتها وسلبيتها التى عاشت فى دورها مئات السنين •

ومع ذلك فإن هذه التجربة الرائدة لم تنجح فى التوصل على أهمية قيام تنظيم نسائى وانصر الرأى القائل بأن المرأة تستطيع أن تعمل من خلال الاتحاد الاشتراكى ومن خلال عضويتها فيه ، وذلك حتى تمزحل نفسها داخل المجتمع •

وفى هذه المرة أيضا تجاهل انسان هذا الرأى الواقع والتركيب الاجتماعى للمجتمع المصرى •

فالمرأة فيه أكثر تخلفا من الرجل

والمرأة فيه لا تزيد نسبة المتعلمات فيه عن ٢٠٪ والمرأة أيضا مازالت هناك قيود تضل حركتها وفى مقدمتها قانون الأحوال الشخصية •

وحتى المرأة العاملة والتى مفروض فيها أنها تحررت اقتصاديا ، لها من المشاكل المبرحة بطبيعتها كزوجة وأم ما يميزها عن الرجل وبالتالي ما يجعل طريقة تناول هذه المشاكل وحلولها تختلف •

وتجاهل اصحاب هذا الرأى أيضا أنه حتى فى الدول الأكثر تقدما وفى الدول الاشتراكية التى أعترفت بحتمية المساواة بين الرجل والمرأة ، تقوم تنظيمات نسائية تختلف مهامها ، باختلاف مدى تقدم المرأة الحقيقى فى باخل المجتمع •

وتجاهل اصحاب هذا الرأى أيضا أنه على الرغم من النص على مساواة المرأة بالرجل ،

التدريب الفنى واثاحة الفرصة المتساوية لها فى هذا الميدان •

وتحديد برنامج عمل يقتضى بالتالى تحديد مسار عمل التنظيم وحرته وهذا يقضى بأن ينص قانون تشكيل التنظيم على عدة نقاط تضمن جماهيريت وحرته وديمقراطيته •

● النص على ضرورة اجراء انتخابات دورية •

● تحديد مدة لعضوية القيادات والقواعد النسائية •

● ضمان ٥٠٪ من العاملات والفلاحات •

● اسقاط العضوية عن السليبيات وذلك حتى لا تتحول القيادة الى عملية احتكار •

● ان يمارس داخل التنظيم الديمقراطية وروحا وعملًا من طريق النقد والنقد الذاتى •

● أن يعقد مؤتمر عام كل سنة يناقش فيه ما تم انجازه والخطوات التى تم تنفيذها وما لم يتم تنفيذها •

ان وضع هذه الاسس والقواعد لضمان استقرار جماهيرية التنظيم النسائى وديمقراطيته ليست بالعملية الهينة ولهذا فامل الوقت يجب الا يكون تيدا على تشكيل التنظيم بقدر ما يجب ان يكون عاملا مساعدا •

للرأة ما زالت خفيفة لم تنطلق بمد الى اتقانها المطلوبة •

● ان هذا التنظيم يخاطب اليوم جماهير تختلف عن جماهير المرأة سنة ١٩ ، جماهير لها انتماء عربى تحررى ، وهى فى نفس الوقت جزء من حركة التحرر العربى والعلى •

وان جماهير المرأة اليوم مصلحتها هى من مصلحة الجماهير فى تحرير بلادها وانهاء استغلال الانسان للانسان •

● ان التنظيم يعمل مع المجتمع وفى داخله ، ومن اجل هذا يجب ان يراعى فيه تحالف قوى الشعب العامل بقيادة العمال والفلاحين ولهذا يجب أن تكون ٥٠٪ من القيادات النسائية فى اللجنة الاساسية بالذات من العاملات والفلاحات •

واذا كان هذا هو الهدف الاساسى للتنظيم النسائى ، فمن المهم بالتالى أن يكون هناك برنامج عمل محدد واضح المعالم والاهداف •

وفى مقدمتها :

● التأكيد العملى لروح قوانين المساواة وتكافؤ الفرص •

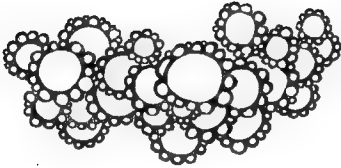
● العمل على محو الامية وبالذات فى الريف •

● العمل من أجل اطلاق حرية المرأة وتكسير القيود التى تكبلها وفى مقدمتها قانون الأحوال الشخصية وقوانين المعاشات •

● رفع مستوى الكفاءة للمرأة عن طريق



الديمقراطية والثقافة



غالى شكرى

اى ان الانسان ظل يرفع بوجوده هذا الشعار: الميتافيزيقي ، ليحقق بعقله وكيانه المادى خطوات واقعية بخصوصية ارتهن تحقيقها بجملة الظروف التاريخية المحيطة به .. فالحرية ظاهرة داخل الزمان والمكان ، وهى ايضا ظاهرة مرتبطة بغيرها من الظواهر ، وهى اخيرا الوعى بالضرورة حتى يمكن تجاوزها .

ولقد مر الوعى الانسانى بالضرورة على مختلف مستوياتها الطبقيّة والتقسيمية ، البيئية والوراثية ، السيكولوجية والمادية ، بكثير من المراحل التى ناضلت خلالها البشرية هذه الضرورات التاريخية نضالا اليها وباسلا ، ومن ثم تسكنت من احراز العديد من النقاط فى حلبة الصراع من اجل الحرية . وبالرغم من المفارقة المؤسفة فى عالم اليوم حيث تقدمت اجهزة استغلال الحريات تقدما مذهلا ، الا ان النظرة

بات من المصلحات ان « الحرية المطلقة » كانت وستظل حلما ابديا جميلا للانسان يرادوه فى البقطة والنم من اجل تحقيق خطوة او

خطوات على طريق الديمقراطية ، ولكن الوهم لم يصل بالانسان على مدى تاريخه الطويل الى الدرجة التى يتصور معها انه حقق حريته الكاملة ..

وانما كانت هذه الحرية — وستظل — فى عقله ووجدانه كالحقيقة المطلقة ، هذما بعيدا يناضل لبلوغه عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل ، يحفزه على النضال انه بمقدار ما يحقق من حرية يحقق فى نفس الوقت انسانيته ووجوده . وعلى ذلك تصبح الحرية المطلقة اقرب ما تكون الى الشعار الخيلى او الرؤية الاستراتيجية للكتل البشرية ، تدفعه بين الحين والاخر — من اجل التقدم نحو هذا الهدف النهائي البعيد — لان يخطو بالنضال هذه الخطوة او تلك فى الطريق اليها .

ربما

ترك مقرها الزمن وجهها القهري بصبات لاشك فيها على المضمون الديموقراطي للتجربة الاشتراكية . لذلك وقعت الأخطاء المبررة التي عانت منها الاشتراكية نفسها قبل القفلة والفكر والفن . ولست أميل إلى تنظير الأخطاء وتبريرها ، وإنما أتول أنها أخطاء حقيقية وجسيمة ، تلك التي مزقت أوصال الدورة الجدلية بين المركزية والديموقراطية ، فكانت النتيجة هذا الفقر اللقائي المدقع الذي شهدته التجربة الاشتراكية في إحدى مراحل تطورها ، وكانت النتيجة هي استغلال الغرب الرأسمالي لهذا

الفقر وتقديمه كنموذج للثقافة الاشتراكية وحرية الفكر في المجتمع الاشتراكي .. وكان من الطبيعي أن يعمم الغرب خطايا إحدى المراحل على كل المراحل ، فيصور الاشتراكية وغياب الديمقراطية على أنها وجهان لعملة واحدة .

بينما الأمر على النقيض من ذلك تماماً : أن غياب الديمقراطية هو في نفس الوقت غياب للاشتراكية . ولقد أكدت المسيرة التاريخية للفكر والعمل الاشتراكيين هذا المعنى ، سواء في ظل السلطة الاشتراكية أو في ظل الأحزاب الشيوعية بالعالم الغربي .. فبذو أواسط الخمسينات اتخذ النقد الذاتي في التجربة الاشتراكية مسارا إيجابيا ولم يتوقف عند الحدود السلبية وهي الحدود الشنوية والحريرية ، أي الحدود الاملائية التي تكرس الخطأ ولا تتجاوزها بالتصحيح . لقد نجحت التجربة الديموقراطية الاشتراكية إلى الدرجة التي يتخلى معها الرجل الأول في الاتحاد السوفيتي من السلطة بموجب تصويت شرعي ، في الوقت الذي تخلى فيه الرجل الأول بالولايات المتحدة عن السلطة ريثما بالرصاص ! فإذا ابتعدنا عن هذه الصورة المبشرة ألفينا أنفسنا أمام ظواهر جديدة في الأدب والفن والثقافة عموما قد انتحيت الوجدان الاشتراكي العالي ، لم يكن ليخطر ببال أحد أنها مضي أنه يمكن لهذه الظواهر أن تدور للعين المجردة بعيدا عن المطامع السرية أو دور الفشار الانجيلية . أن الموجات الجديدة في الفكر والفن ، بالاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ، سواء وافقت عليها السلطة أو لم توافق ، هي خير دليل على هذا المناخ الديموقراطي الحسن الذي يكتب الزمزم الشائع لدى أجهزة الدعاية الغربية بشأن الاشتراكية تعني غياب الحرية . وهذا لا يعني أن مشكلة الحرية قد حلت في ظل الاشتراكية ، فلا شك أن هناك من رواسب الأخـــضـــاء القديمة ومن الأخطاء الجديدة ما يجعل منها مشكلة حقيقية ضمن المشكلات الأخرى التي تتواجه الاشتراكية . ولكن الأمر يختلف بين تجربة الحرية في العالم الرأسمالي وقد آلت نهائيا إلى

الجميعة لتناقضات العصر الحديث تؤكد أنه في موازاة التقدم التكنولوجي الحديث يرتفع مستوى الوعي الإنساني بالضرورة التاريخية ، كما ترتفع القدرة الإنسانية على تجاوز هذه الضرورة بمختلف تشكيلاتها وخصايها . غير أن هذا لا يعني على الإطلاق أن تطور مشكلة الحرية بكافة ما يحيطها من ملامح — في الشرق والغرب والعالم الثالث — قد تطورت من صورتها « البسيطة » التي كانت عليها فيما مضى إلى درجة عالية من التعقيد الذي أصبحت عليه ديناميا المركبة غاية التركيب .

في العالم الرأسمالي لم يعد « المقعد الاجتماعي » ولا وثيقة « حقوق الإنسان » ولا شعار « الحرية والأخاء والمساواة » لم تعد هذه كلها بكائية لأن تخفى من العيون الأفلح الجهنمية — غير المرئية للعين المجردة — التي تقيد بها الاحتكارات الكبرى حركة الفكر الإنساني في ذلك أن هذه الاحتكارات الحاكمة في الغرب الرأسمالي قد استطاعت بآلياتها الواسعة أن تضطر الدورة المحلية للفكر المعارض إلى تمسك : تسمح بصنوبر المجلات والمصحف والكتب والمظاهرات وتضع الفعالية والتأثير والتحقيق ، فيظل القطب السالب محزولا من القطب الموجب ، ومن ثم يخل التوازن بين الفكر المنشور والعمل المنصور ، فلا يفتني الفكر بغيرات العمل ولا ينتقل العمل بغيرات الفكر ، والنتيجة الباهرة للاحتكارات المترعة على عرش الحكم أن هناك واجهة مضيق بالتيون صمي « العالم الحر » يجذب بريقها الميسون القصيرة النظر ، بينما هناك خلف الواجهة الأرهاب القملى لكل فكرة تشهد التكامل مع العمل ، تشدد التحقيق . هذا ما يحدث للمعارضة الفكرية في الغرب ، رغم الانتصارات التي تحزرها في وجه الأرهاب المتع . لما فكر الطبقات الحاكمة فتكامل دورته المحلية مع العمل تكاملا موازنا تكلمه الامكانيات المسئلة والحمية القتالية . ولا يخل بهذا التوازن سوى التناقضات الدخيلة الكامنة في جوهر الفكر البرجوازي من ناحية ، ثم التناقض بين وبين الواقع الموضوعي الأفضل من ناحية أخرى ، ثم نضج الأفكار التقدمية من ناحية ثالثة .

يختلف الوضع في الشرق الاشتراكي ، رغم حداثة النسبية للتجربة الاشتراكية في التاريخ الإنساني . أن الطبقات الجديدة التي استولت على السلطة في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي والصين وكوبا ، ظلت أبدا طويلا من ممرها تعاني الحرمان والفقر والعبودية . ولقد

استعد للجملة بما يسمى في لغة السياسيين «الاستعمار الجديد» .. وهو الشكل الذي لا يمتنع الاحتلال العسكري المباشر في الدرجة الأولى [هذا لا يمنع التهديد به والاعتماد عليه إذا لم الأمل] وأنها يعنيه أولاً وأخيراً الارتباط الاقتصادي بأغلال حريية لا تكاد ترى من طريق التحالف أو التحالف مع طبقات جديدة في المجتمع واردة لامتيازات الطبقات القسرية دون شكلها . وكثيراً منا التقى «النموذج الجديد» للسلطة السياسية في بلدان العالم الثالث مع أهداف «الاستعمار الجديد» ، وكثيراً ما كان هذا النموذج إنجازاً لهذا الاستعمار ، وكثيراً أيضاً ما تلقفت المصالح والأهداف ، والتكتيك والاستراتيجية ، تنافساً حاداً أو خافتاً أرغم النموذج على الإبتعاد خطوة أو خطوات من الاستعمار ، وأترب به خطوة أو خطوات من معسكر التقدم والاشتراكية .

كانت حركة ٢٣ يوليو تجسيدا حيا للنموذج الجديد على بلدان العالم الثالث . كان المد الديمقراطي قد بلغ ذروته في الحركة القذافيية على شفاف القتال وعلى طول الشوارع المصري المناضل من أسوان إلى الاسكندرية .. وأصبح المرش والطبقات الشاغرة والبرية عند نهاية الطريق المسدود وجهاً لوجه أمام المسير المحتوم . فسر أن حيز البورجوازية الديمقراطية كان هو الآخر قد شاخ وهرم ، وكانت التنظيمات الأخرى السرية والعنانية المبررة درجة أو درجات من غليان الشارع على قدر من التفات والتميز والتفتت لا يسمع لها بتسديد ضربة أخيرة للنظام الرجعي . كانت « الثورة في الهواء » كما يقال ، ولكن تنظيمها القادر على القيادة كان غائبا . كانت صورة بلا إطار .. وهكذا تيسر للتحالف الرجعي الاستعماري أن يسدد ضربه الهائلة للبد الديمقراطي في حريق القاهرة . وبقدراً ما تنكست الضربة بالسكانح الديمقراطية للطبقات الشعبية ، فانها كانت كسحبة شمشون « على وعلى أمدائي » تلك أن البناء الرجعي هو الآخر كان مهلكاً متهاوناً لا يتحمل ، فكان سقوطه بعد أقل من سبعة اشهر أمراً سهلاً لا يثير الدهشة .

غير أنه في ظل النظام الرجعي كانت الثقافة المصرية قد لنجرت مضماً من مهام الفكر الديمقراطي .. فالخلف البشع الذي كان يسيطر على المجتمع فتم ثورات حقيقية في البناء غير الديمقراطي للنظام لا وقد شارك في إتساع هذه الثورات الوجود العسكري البريطاني حيث كان رد الفعل الطبيعي هو استقطاب جبهة وطنية ديمقراطية عريضة ضد النظام .

إن الخلف الحضاري والتقاليد غيرة

طريق مسدود ، لا مسيل الى حلها الا بتغيير نوعي في بناء المجتمع الرأسمالي ، وبين تجربة الحرية في العالم الاشتراكي حيث تم هذا التغيير ، فالطريق لهاها مفتوح لإيجاد الصيغة القادرة على تحرير العقل والوجدان جنباً الى جنب مع تحرير الأبعاد .

أين نحن من العالم ؟

بالرغم من اننا في مصر - والوطن العربي عامة - ننتمي نظرياً الى الثالث الاخير من القرن العشرين ، الا اننا عملياً ننتمي الى ما يسمى بالعالم الثالث ، وهو العالم الذي يسبح أصحاب الأبال العريفية والإلتناظ المثقبة بالعالم الثاني بدلاً من وصفه بالخلف الحضاري المرمب وإندام التقاليد الديمقراطية في أسلوب الحكم . بالطبع هناك استثناءات جزئية نادرة ، ولكنها لا تؤثر على اتجاه هذه الصلة العامة التي فرضتها ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية على مجموعة البلدان المحطة آنذاك بخلف أشكال الاحتلال الغربي ، العسكرية والسياسية والاقتصادية . وقد احتدمت معارك الاستقلال الوطني غداة الحرب وفي موازاة تدهور الإمبراطوريات التي لا تتيب منها الشمس ويروغ نجم الوريث الجديد القوى القادم من القارة الجديدة ، جنباً الى جنب مع بزوغ نجم الاشتراكية كنظام عالمي .

كان التركيب الاجتماعي لمعظم أقطار العالم الثالث ، بكل ما يشتمل عليه من ثرات الرجعية المتخالفة مع الاستعمار ، هذا التراث المادي للاشتراكية والتقدم ، لم يكن ليسمح هذا التركيب بخلفة التيارات الثورية في قيادة الحركة الديمقراطية بجناحيها الوطني والاجتماعي . ولعل حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ هو النموذج الأظلل لتجسيد « نقطة النهاية » للبد الديمقراطي الشعبي ، ونقطة البداية في مسيرة معقدة غلب عليها الجزر الديمقراطي الفنيف . ذلك أن الوريث الجديد للإمبراطوريات القديمة .. وهو الاستعمار الأمريكي - كان في مستوى العصر الذي يعيش فيه ، فسلم بأن انهيار الإمبراطوريات القديمة ، قد انهارت معه أساليب الاستعمار القديم ، وفي مقدمتها الاحتلال العسكري المباشر ، وفي مقدمتها كذلك التحالف مع طبقات شائخة وهرة . وكان « النموذج » الجديد الذي بلورت مضاغته الظروف الداخلية والخارجية في العالم الثالث [تنتت القوى الوطنية وضعف القوى الثورية] هو استيلاء العسكريين على السلطة السياسية وانفراد التنظيم الجامع المتابع بالمثل السياسي الطغني ، وتركز السلطة في قبضة فرد واحد . وكان الاستعمار الأمريكي على الشاطئ الآخر قد

● استيعاب الإشكال الفنية الوافدة من الغرب استيعاباً لا يتجاهل الواقع المحلي ، وتطور هذا الاستيعاب من الرؤى الرومانسية المحلقة ، إلى الواقعية الاجتماعية بجساحيها ، النقدى والاشتراكى . . فقد جاء تقدم الأدب المصرى الحديث موازياً لتقدم الفكر الوطنى الديموقراطى التقدمى ، منذ « حديث عيسى بن هشام » للمولى الى « زينب » للدكتور هيكى الى أعمال توفيق الحكيم الرائدة فى الرواية والمسرح الى أعمال نجيب محفوظ الناقدة بعنف للبناء الاجتماعى ، وكذلك الامر فى الشعر ، وخصوصاً أعمال الراحل العظيم بيرم التونسي . ولم تقتصر الموسيقى على امتداد أكثر تقدماً من سيد درويش الذى كان صوتاً جديلاً للوطنية المصرية والمطبات الشعبية . ورغم مرلة الفنون التشكيلية فقد كان تطوراً من رومانسية محمود سعيد الحائلة الى تهرات كابل الطمسانى ورمسيس يونان ومواد كابل من آيات تلك الفصوية الفنية التى مررتها الثقافة المصرية وأفلت بها من فترات ذلك النظام .

ان هذه المنجزات لا تشكل بالطبع الا احدى القسبات التى ميزت النظام السابق على ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فلا شك ان التخلف الحضارى المربع والتقليد غير الديموقراطى فى أسلوب الحكم لم تسمح الا باقل من القليل مما كان يمكن للثقافة المصرية ان تحززه من نجاحات فى ظل ديموقراطية أعرض وأبقى . ولا شك ان هذا المناخ المتخلف والمعادى للديموقراطية قد أتاح الفرصة كاملة أمام الثقافات الرجعية المتعددة الاصول . . ولكن الحصيلة النهائية هى ان المناهج الديموقراطية الضيقة التى اطلت منها ثقافتنا كتلت للفكر الأكثر تقدماً ان يظهر ويتطور ، ان ينمو ويقوى . اكنت هذه الحصيلة ان الديموقراطية فى مصلحة التيار المتقدم ، وغياها فى مصلحة الرجعية والتخلف . وربما كان هذا هو الدرس الذى نحاب من رعى الكثرين وهم يولكون « النموذج » الجديد الذى وضعت اسمه حركة ٢٣ يوليو ، وهو ان اخطاء الديموقراطية يمكن علاجها — كما يقال — بالزيد من الديموقراطية .

تناقضات النموذج الجديد

بالرغم من ان لكل عمل ثقافى — ايا كانت قيمته الفكرية الخالصة — جانباً سلبياً وجانباً آخر ديمقراطياً ، الا ان اخطر ما يهدد الثقافة فى ظل ازمة الديموقراطية بالغرب الراسالى هو تحولها الكامل الى « سلطة » كما يقال — بالزيد من الثقافة فى ظل ازمة الديموقراطية بالشرق

الديموقراطية فى أسلوب الحكم ، فكنا الصفتين الرئوسيتين للمجتمع والنظام ، وبالرغم منهما فقد استطاعت الثقافة المصرية ان تستفيد من فترات الدستور والقانون وعلاقت التوى المتخيرة بين الفئات الحاكمة وبينها وبين العرش ، وبينها وبين الاستعمار . استطاعت الثقافة المصرية من خلال المسألة الحتمية بين الواجهة الديموقراطية المزيمة والنظام الرجعى ان تفلت ببعض المنجزات الايجابية الهامة . . ذلك ان النظام السابق على حركة ٢٣ يوليو كان مصفياً مع نفسه من احدى الزوايا ، كما كان مفكاً من زاوية اخرى . . فالفئات الحاكمة التى تنتسب طبقياً الى البرجوازية الكبيرة قدمنت المنجزات الدستورية والبرجوازية العالية كابلان والدستور وتعدد الأحزاب ، وهذا هو انصافها مع نفسها . ولكن هذا التبنى صاحبها بالضرورة تعدد المنابر الفكرية من احزاب وصحف وقوى نشرة . . فاذا اصفنا صفة التخلل التى كانت قسم الوضع الاجتماعى بأكمله ، ايضاً بان الوجه الآخر للانحياز والملازم له هو التفكك . . ذلك وبالرغم من التقاليد غير الديموقراطية فى أسلوب الحكم التى سادت زماً طويلاً عطلت الدستور وأغلقت الصحف وسجنت المناهضين ، تبكت الثقافة الوطنية الديموقراطية من ان تفلت ببعض المنجزات الايجابية اهمها :

● ازدهار التيار العلمانى الذى وضع بذوره الاولى راحة رابع الطحطاوى . . وقد شق هذا التيار مجراه فى معظم العلوم الانسانية . . وكان لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين والمعاد وهيكى ثم سلامة موسى واسماعيل مظهر — الى بائيل الحرب الثانية — من رواة الاوائل الذين خاضوا معارك شارية مع السلفيين . ولعل « فى الشعر الجاهلى » و « الديوان » و « ثورة الادب » من ابرز معالم تلك المرحلة الفنية .

● تطور الفكر الدينى المستقير ، هذا التطور الذى وضع بذوره الاوائل الشيخ الامام محمد عبيد ، ثم تقدم خطوات على ايدي علماء اجلاء من أمثال على عبد الرازق وأمين الخولى ولجند أمين ومحمد امجد خلف الله وخالد محمد خالد .

● ظهور الفكر الاشتراكى على استحياء فى جبال الامر ، وقبوه وتعددت متابعه وتطوره من الاشتراكية الفابية عند سلامة موسى الى نوع من الاشتراكية الديموقراطية عند محمد مندور ولويس عوض ، الى الفكر الماركسى عند قطاع عريض من مثقوى الاربعمينات . وكانت « المجلة الجديدة » و « الفجر » و « التطور » وغيرها من المطبوعات الدورية وغير الدورية فى مختلف مجالات التفكير الماركسى — ترجمة وتالياً — من الظواهر البارزة ، فى حياتنا الثقافية بعد الحرب .

للشعب المصري . ان الاجهاز القوي على المبدأ والفعل ، لم يصب في واقع الامر الرجعية بسوء ، لان احزاب الاثنية وصحبا وتياراتها الفكرية كانت في وضع الحصار الفعلي قبل ٢٣ يوليو ، وبالتالي ماتها - موضوعا - كانت تلفظ نفسها الأخيرة . . فالاجهاز عليها لم يحررها من اهل في قدرتها تحقيقه ، وانما كانت الخسارة الفادحة الثمن من نصيب الطبقات الوطنية والشمسية التي حرمت في الماضي من التعبير الحر ولم يكن ذلك انفرادا من جانب الطبقة المتوسطة بالحكم محسوب ، وانما كان تجسيدا قويا لارادة واحدة من بين ارادات هذه الطبقة . . هي الارادة المعبر عنها في مبتر واحد « يحتوي » بقية الارادات ، سواء كان هذا المبتر تطبيقيا « جبهة التحرير - الاقتصاد القومي - الاقتصاد الاشتراكي » ، او سياسيا وثقافيا « دور المصلح والفكر » .

ولقد كانت التناقضات بين النموذج الجديد والاستعمار الجديد احيانا وبينه وبين الثورة العالية احيانا أخرى ، هي السبب في التالف الجاهيل حول النجرات الايجابية وانفاسها . من الاجراءات السلبية التافاه عوليا وانفاسها ثقلها . . لان النجرات الايجابية كانت « تلتقي » مع آمال الجماهير وان لم تشارك في صنع قراراتها ، كما ان الاجراءات السلبية كانت « تتنافس » مع هذه الامل ، وان لم تسطع مواجهتها بصورة تطبيقية قادرة على التحدي . ومن ثم كان الفرح او الحزن وليس الفكر هو السبة الغالبة على وجدان الثقافي العام ، كان رد الفعل وليس الفعل ، السلب وليس الايجاب هو « النشاط » الثقافي الغالب . ولم يكن غريبا ان تفسر الثقافة المصرية امكانيات « المسلة » الراسمالية واهداف « الديمقراطية » الاشتراكية جميعا . ان النموذج الجديد الذي تبنته حركة ٢٣ يوليو لم يكن نموذجا بروجوايا متسكبا السبات فمسمح لدورة الفكر الجديد بنصف دورة هي حرية النشر دون حرية الطابع ، ولم يكن نموذجا اشتراكيا متكامل السبات تفرد في ظله الطبقات الشعبية بحرية الفكر والتعبير ، وانما هو الذي المكتسبة الليبرالية البرجوازية ، ولم يحل مكانها مكتسبات الديمقراطية الشعبية . ومن ثم أصبحت أصداه الصوت الواحد ، هي كل حصاد الفكر ، وتحول الكتاب المعتمدون الى شراح عظم يهايون في « الاجتهاد » دونهم والخلق والاكتشاف اسوار واسوار ، وبالرغم من اقتراب « شكل » النموذج الجديد من الفكر الشمولية ، الا ان مضمونه كان تعبيرا من دولة حديثة الاستقلال تتودها طبقة متوسطة وفكرا ضميما ومسلكا ومتفلا ، وابعد ما يسكون

الاشتراكي هو تحولها الى « الديمقراطية » . . لها في ظل النياب العام للديمقراطية - عند النازين والفاشست - فان الثقافة في ذاتها تصبح خطرا داهما ، عبر هذه جويلز - وزير الثقافة الاثني - بكتله الشهيرة « عندما أسمع كلمة ثقافة أضح يدي على مبدعي » .

غير ان الفرق الاشتراكي والغرب البرجوازي على السواء ، يتحسمان بمستوى حضاري بالغ الرقي في الثقافة شر التدهور المعنوي الى مهوى المقم والبوار . فذلك ان وسائل التقدم هنا وهناك تدمر بصورة او بأخرى الصراع الديمقراطي للثقافة الحرة . اما في بلدان العالم الثالث ، فان التخلل الحضاري اليشع يلعب دورا سلبيا هو مؤازرة التقاليد غير الديمقراطية في أسلوب الحكم . وهذا ما يفسر قلة المكتسبات الوطنية والديمقراطية في المستوى الثقافي للنظام السابق على ٢٣ يوليو . . قتلنا لا من ناحية الكم ، بل من ناحية الكيف وبسعة الانتشار وقوة النفوذ ، رغم الثغرات المحددة في البناء الدستوري والقانوني لذلك النظام .

ولقد ظل جوهر التخلل الحضاري قائما بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وان تواتر بعض مظاهره ، واخذت الى حد كبير الثغرات في الاثنية الدستورية والقانونية التي كانت تطل منها الثقافة بوجهها الديمقراطي في النظام القديم . . لدت حلت موضع التناقض بين الواجهة الديمقراطية الزمية والواقع الرجعي تناقضات أكثر تعقيدا . . كان « النموذج الجديد » اختلافا نوعيسا من النموذج القديم ، فبالرغم من انجازاته المتوالية في مختلف مجالات الحياة المحلية وفي مقدمتها استعاط التحالف الرجعي الاستعماري ، فسمان تمثيله الطبقي لاهدي شرائح البرجوازية لم يشق مع « الاجراءات غير الاستثنائية » لاصنافا دستوريا جديدا يحل بواقع الاتساق الدستوري القديم . وذلك هو التناقض الكبير الذي خيلته لشماء النموذج الجديد ، وقرعت عنه بقية التناقضات . . فالتنظيم الواحد والفرد القوي ليس تعبيرا طبيعيا عن مجتمع متعدد الطبقات والمصالح والاتجاهات ، ولا تعبيرا طبيعيا من طبقة متوسطة محتواها السلبات هو الديمقراطية الليبرالية ، ان سقوط النظام الرجعي - وقد كان آيلا للسقوط قبل ٢٣ يوليو - كان يؤدي بالضرورة الى سقوط منابره السوسية والفكرية . ولكن هذا السقوط لا يلقي - بجرة قلم - المبدأ في ذاته ، ميعا تصمد المناير ، وانما هو يسقط مضمونها الرجعي ، ويحتفظ بالشكل الدستوري الذي يجسد تضالا مريرا موصولا لخطف الطبقات الوطنية والثورية

عن «اتباق» الفلسفة النازية، والفكر الفاشي. كان النظام — على الصعيد الفكري — شبه غائب حتى صدور «الميثاق» و «بيان ٢٠ مارس» بصورة برنامجية تعتمد أساسا على رد الفعل الجريبي وفي صياغة تجريبية تعتمد أساسا على التوازن الانتقائي.

وقد انتهت الفترة السابقة على الميثاق، وفي ظل ما يشبه الغياب للنظام على الصعيد الفكري، أن تتسلل بعض الأفكار الديمقراطية كما انتهت الفترة التالية للميثاق، وفي ظل ارتفاع اللاتعاضد الاشتراكية أن تتسلل بعض الأفكار التقدمية. ولكن هذا الفصل أو ذاك كان في أضعف الحدود الملتزمة وفي غمرة اختلاط الحابل بالنابل، بحيث أن النموذج الفعلي لهذه الأفكار أو تلك كان أصلا من أن يترك أثرا إيجابيا على الثقافة المصرية، حتى الخطوات الإيجابية لحركة ٢٣ يوليو لم تفصب الفكر المصري المعاصر لها بدرجة كافية، وذلك لأنها لم تر في دورتها الطبيعية من أسفل إلى أعلى، وبالعكس، وإنما كانت في جوهرها قرارات علوية، تلتقي حقا مع مصالح الشعب، ولكن بطريق الإلهام لا عن طريق الحوار. وذلك هو السر الجليل لكافة الانتعاشات التي توجعها هزيمة ٦٧. رغم كل ما يمكن أن يقال من دور الاستعمار والصهيونية. وهي الانتعاشات التي أعقبتها النظام مذبذب مشهورين: الأولى في محابيات ١٩٦٧ والثانية في مايو ١٩٧١ وهي ليست أكثر من «هزيلة» لاتعاضدات تملن في الماضي، وانعاشات خالية من الحاضر والخصائص محتلة في المستقبل. أن أحداث ٦٧ و٦٨ لم تكن وليدة يومها وإنما كانت حسيلة مادية لسنوات العذاب السابقة عليها. وهي السنوات التي بلورت مجموعتين من الظواهر السلبية والإيجابية في حياتنا الثقافية على النحو التالي:

● كانت الظاهرة الإيجابية الأولى هي ازدهار النسب، لانتفاضة التعبير غير المباشرة كالآداب والفنون... وهو ازدهار نسبي للغاية إذا قيسناه بما كان يمكن أن يكون إليه أمورنا الثقافية في مناخ صحي، وإذا قيسناه بالانتاج الفعلي والذي لم ير النور. وهو ازدهار نسبي أيضا إذا قيسناه مع عددا وأنصافا — بالمعيار التاريخي فقد كان هذا ازدهار ثمرة ذاتية التطرف في الأريمنيات، انتهت لها تناقضات النموذج الجديد أن يؤرخ لازدهارها بعد ١٩٥٢. أن معركة النقد الجديد على سبيل المثال مع العقاد وطه حسين لم تكن في واقع الأمر معركة الحياة الجديد والموت القديم، ذلك أن الفكر الرئيسي للعقاد وطه حسين كان قد توقف قبل

نهاية الحرب الثانية، وكان الفكر الجديد قد ولد طيلة الأربعينات. أما معركة بنتور مع رشاد رشدي فقد آتت بعد الحركة الأولى بحوالي عشر سنوات، وبعد تطورات اجتماعية هامة على الصعيد الوطني، شاعت خلالها الأفكار المحورية للنظرية الواقعية في الأدب. وكان نجيب محفوظ قد استنفد أبعاد الرواية الاجتماعية الفارسية قبل ١٩٥٢، وبالرغم من أن الشرقاوي ويوسف أندريس قد نشر «الأرض» و «أرض ليالي» عام ١٩٥٤ إلا أن هذه الأعمال كانت قد اكتملت قبل هذا التاريخ. ولكن ذلك كله لا ينفي واقع الحال، وهو أن النموذج الجديد لحركة ٢٣ يوليو على طول مسيرتها قد افتتح ازدهارا نسبيا ومحدودا لانتفاضة التعبير غير المباشر وفي مقدمتها المسرح والشعر والفنون التشكيلية.

● كانت الظاهرة الإيجابية الثانية هي قيام المؤسسات الثقافية المتطورة كالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ووزارة الثقافة والمعاهد الفنية المختلفة والقطاع العام في النشر والمسرح والسينما. ولقد تعرضت هذه المؤسسات لوجات هائلة من الجزر الديوقراطية العنيف، حتى أن بعضها أصبح مجرد شكل بلا مضمون، والبعض الآخر أعقلت موقع السلطة منه قيادات رجعية وبيروقراطية... ولكن مجرد قيام هذه المؤسسات كان إنجازا بالغ الأهمية من جانب النظام الجديد.

● وكانت الظاهرة الإيجابية الثالثة هي أن الفكر الاشتراكي بتفسيراته المختلفة قد أصبح من المحاور الرئيسية للتفكير العام. وبالرغم من كافة أوجه التشويه المعدي والمقصود للفكرة الاشتراكية، وبالرغم من سنوت الكبت والحرمان التي ماتها: الاشتراكيون، وبالرغم من التراث الهائل والمعادي للاشتراكية، فإن مجرد القبول العام في المجتمع للفكر الاشتراكي وإمكانية تمايشه مع بقية أشكال الفكر، يعد واحدا من أهم المعالم الإيجابية لمسيرة الثقافة الديمقراطية في ظل النموذج الجديد.

● وكانت الظاهرة السلبية الأولى هي المونولوجية في التفكير، فحيث يسبق الحدث الفكر يتخذ الحدث صيغته في قرار علوي يصبح هو الفكر، ويتحول الكتاب — ولا أقول المفكرين — إلى فراح عظام. وعلى ذلك ينشأ الفكر كتجاوز عقل للحدس وكبادرة وإمية مسطرة من القرار وكتشايط خلاق وظفيفة أبعد ما تكون من إعادة صياغة الحشد القرار في أسلوب شائق جذاب يشرح ويبرر. بانتفاء الحوار ينتفي الفكر والفكر ويولد المونولوج الجمعي بقيادة أوركسترا تجيد مزج النوتة المكتوبة سلفا، وما عليها إلا الزمان والتدريب، فالإبازة والمهارة

الانتعشة « هي لعبة الدياجوجية الأولى ، فارتدى المعادون للديمقراطية انتعشة الديمقراطية ليضربوا الديمقراطية ، وارتدى المصادون للاشتراكية انتعشة الاشتراكية ليضربوا الاشتراكية . وأصبح غارس للعبة هو الأتمر على منع أكثر الانتعشة تضليلا ودمعا للخداع . وكانت « لعبة التوازن » هي لعبة الدياجوجية الثانية ، فالاستماعة بالتاريخ الأحمر أو الأخضر ، أو الأسود لهذا أو ذاك من المتفقين ، هنا أو هناك ، الآن أو بعد غد ، هو هصام الأمن « في مواجهة الذين يبدون بصارهم أبعد ممن انوفهم .. وتحولت أسطح المؤسسات الفكرية كرنفالا يوهنا يوما بأن ثقافتنا الاشتراكية ، ويتعفنا أياها بأنها ثقافة رجعية ، وفقا لكون من يأتي عليه الدور في لعبة الكراسي الموسيقية ، وكان مقفد رئيس مجلس الإدارة في مسدة المؤسسة أو تلك هو الذي يحدد اتجاه الثقافة في بلدنا . ان هذه التغييرات العلوية في مؤسسات الفكر والثقافة كانت تخضع من ناحية للعبة التوازن الدياجوجية ، ومن ناحية أخرى كانت تعتمد على ان البناء التنظيمي الشامل للمؤسسة — أي كان — على مجلس على عجلة القيادة — هو الذي يحدد الاتجاه الثقافي ، وليس العكس . وكانت النتيجة المباشرة لهذا التخطيط الدياجوجي هو ذلك الاتصال الحاد والمؤلم بين الثقافة والمجتمع ، والذي كانت صورته المسفرة هي تلك الأجابات المؤسدة في اختبارات معهد الإعلال ، أما الصورة المبكرة ففرد فيها الوجه الذي تطلت الوجهة الرسمية للثقافة المصرية ، وفي أبعاد المسافة بينها وبين الوجدان الثقافي العام . »

● وكانت الظاهرة السلبية الثالثة هي ان غياب الديمقراطية « وان صاحبته ضريبة مباشرة لبعض لجنة المين ، وان صاحبته كذلك بعض الاجزاء الوطنية والقدسية ، الا ان هذا الغياب للديمقراطية قد اثر انتعاشا للفكر الرجعي في أكثر أشكاله تخفلا وتخصيفا . وذلك لان تصدى النظم للبين المتطرف كان تصديا « اداريا » ولم يحدث ان كان تصديا فكريا . ولم يكن ليسمح في الأغلب الام ، لاية تيارات أخرى ، بهذا التصدي .. مما نتج عنه ان كرسات افكار وثقافات بالغة التخلف والضرر المباشر بيناتنا الاجتماعية ، كذلك الافكار المتفجرة انتشرا مدهلا من قضية المرأة وتحديث النسل ، وتحضير الارواح وقضية التعليم وغيرها من القضايا الجزئية التي تتخذ منها الرجعية الفكرية دخلا باهرا الى تصليم الديمقراطية والاشتراكية . » ويجب الاعتراف بأن كيبا

المكتسبة . تلك كانت حال الكتابات المصرية في ميدان الفكر السياسي طيلة الفترة الماضية باستثناءات نادرة . ولذلك انعدم أو كاد ينعدم الأبداع الفكري ، ولمست عبقرية الكاتب هي مقدرة على الف والف والنور ان اذا كان يقول شيئا ذا قيمة ، وان ينوع في ألوان المكياج وأشكال الانتعشة اذا كان يريد ما تقوله السلطة . بانتقاء العقل أيضا تنقذ الخيلة والمقدرة على الحلم ، كما تنقذ المسألة بين الكاتب وما يحيط به . ويتوحد بالاشتياء فيها يشبه الحلول .. وهذا ما تصدت به من قبل ان الكتاب تحول الى صدى ضمن اصداه لصوت واحد ، لا صوتا بين اصوات من بينها صاحب الصوت الأعلى . ويانتقاء الحلم من حياة البشر ، والمفكر في طلبهم ، تنعدم الفواقي بينه وبين بقية الثقافات غير المفكرة ، غير العاقلة غير الحالة ، ومن نتيجة ذلك العجب المساوي النقص ان استوطنت الشيزوفرينيا الغالبية المسافة من الكتاب ، وتزقت اوصال اللغة بينهم وبين ترانهم . لذلك خلقت هذه الفترة خلوا شعة تام من أي انجاز فكري ذي وزن في مجال الدراسات الانسانية .

● وكانت الظاهرة السلبية الثانية هي الديمقراطية التي صاحبت تحول الثقافة الى داعية لا تستند الى فلسفات متكاملة او افكار متمسكة ، وانما هي دعائية ذليلة للأحداث والقرارات مهما تضاربت وتناقضت .. وهو الأمر الذي حول تطاعا عريضا من المتفقين الى أجهزة إرسال آلية ، وهو أيضا الأمر الذي حول جماهير الثقافة الى أجهزة استقبال سلبية ، شامت في صفوف منها اللبيلة ، وفي صفوف أخرى اللبالة . واذا كانت القصة قد بدأت بان القرار العلوي كان يحتاج الى نظير ، فانها قد انتهت بأن الكاتب الملم هو الذي يقاسق مطوعا الى التبرير ، وأصبح شعارا براقا يقول « كتاب كلبست سماعات » شعرا يتجاهل الابتكارات المادية والفكرية للحقيقة للمجتمع وأصبح شعرا براقا يقول ان كل شيء « هنبق » من واقعنا ، شعرا ديماجوجيا يتجاهل مكتسبات الإنسانية على مدى العصور والايال . وأصبح شعرا براقا يقول ان تجربتنا « فريدة » من نوعها ، شعرا ديماجوجيا يتجاهل التحسينات الموضوعية التي تحيط بكل تجربة غير مسبوبة وتحول الى صك سحري لغفران الخطايا ، وأصبحت الاكاذيب ترتدي ثوب الحقائق ، والحقائق ترتدي ثوب الاكاذيب ، حتى ان صاحب برنامج « اكاذيب تكشفها الحقائق » هو الذي كان يقطع في الخامس من يونيو ١٩٦٧ اننا على جمعة سماعات من تل ابيب ، وقد كانت « لعبة

الدرس الآخر الذي لا يقل عنه أهمية هو أنه إذا صح أن قراراً فوقياً بالتحول الاشتراكي لا يصنع الاشتراكية ، فإنه يصح بنفس المقدار أن قراراً بالتحول الديمقراطي لا يصنع الديمقراطية ، ولأنك أنه من المفيد أن تتاح السلطة درجة أو درجات إلى جانب الاشتراكية والديمقراطية ، فإن هذا الأنحياز أيا كانت دوافعه الذاتية والطبقية والوطنية ، يحقق موضوعياً وبصورة تكاد تكون مستقلة عن الإرادة الشخصية ونواياها بعض المكاسب التقدمية للشعب ، ولكن انحياز السلطة وحده ، وبخاصة نسي أوضاع هذا « النموذج الجديد » الذي رسخته حركة ٢٣ يوليو ، لإنجاز المهام الخطيرة التي تتطلبها مرحلة التحول الاشتراكي الديمقراطي . لابد للحركة الجماهيرية النشطة ، أن تكون هي الأساس المتين لتحقيق الديمقراطية ، ذلك أن الديمقراطية هي خاتمة المطاف هي الصياغة السياسية لمطالبات القوى الطبقية في المجتمع . ولقد شهدت بنفس صورة رامة لهذا المعنى في الانتخابات الأخيرة لتقاية المصنفين . كانت السلطة قد أعلنت كالتحية الحريات النقابية ، ولكن جبهة المصنفين الواسعة هي التي استكملت العمل الديمقراطي استكمالاً لم تعرفه انتخابات نقابة المصنفين على مدى تاريخها . وعلى ذلك جاءت النتيجة — هي ظل الحرية التي لم يشهد لها أحد مثيلاً من قبل — صياغة حقيقية لمطالبات القوى الفكرية والاجتماعية بين المصنفين المصريين . وقد أكدت هذه النتيجة بما لا يدع مجالاً للشك أن الديمقراطية دائماً تخلق وتدعم التيار الأكثر تقدماً ، وأنه لا حياة للرجعية في حلبة الصراع الديمقراطي الحر ، لا خوف من الديمقراطية إلا على أمداء التقدم .

وأيا كانت الظروف التي أدت مؤخراً إلى هذه الموجة من التفكير الديمقراطي ، وأيا كان التقسيم للمقدمات ، فالعبرة هنا بالنتائج . والنتائج لا تكتفي بالقرارات العلوية والوثائق المكتوبة ، وأنها هي تتحقق أو لا تتحقق بمشاركة أو عدم مشاركة الجماهير في صنعها . لقد انجزت حركة ٢٣ يوليو رغم كل الأحوال نظاماً وطنياً يعانينا للاستعمار وأرست مجموعة من الأشكال التقدمية في مجالات الحياة المدنية . ولقد أصيب نضالنا — نتيجة الأحوال — بجراح تفرق من استقلالنا الوطني وأبغتنا الاجتماعية . ولذلك فالتنا على الصعيد الثقافي مدعوون إلى حماية المكتسبات الاجتماعية مهما اختلف رأينا بشأنها ، ويدعوون أيضاً إلى تعويض الخسائر السلبية التي ورثناها من التخلف الحضاري المرير إلى التقاليد غير الديمقراطية في أسلوب الحكم . وهذا يقتضي أن نشارك في وضع برنامج

مثل « معالم على الطريق » و « جاهلية القرن العشرين » كانت موجودة من قبل اكتشاف المؤامرة المسلحة عام ١٩٦٥ ، وأنها سارزالت موجودة رغم مصادرتها ادارياً .. لأنها أفكار ، ولا سبيل إلى تصليتها إلا بالحوار الديمقراطي الحر .

● وكانت الظاهرة السلبية الرابعة هي « شيوع التطل في القيم بين المثقفين » ، ففي ظل غياب التنظيمات الفكرية المستقلة ، تحل مكانها « الشلل » المصلحية الموقوتة .. وعندنا يظهر الالتزام يختنق الالتزام ، ومن ثم تسيطر النساء وشاويها المقنعة مبررين : الأولى هي « الإيمان الضمعي » فما أن يهرب الفكر من النافذة حتى يعتذر الخوف ويخرج من الباب .. والثانية هي المكلفات الموقوتة من الأذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما ، والمربيات اللامعة من المراكز الثقافية في مؤسسات الثقافة والإعلام ، وتذاكر السفر المريح إلى جميع أنحاء العالم ، وجوائز التفوق والتقدير والتشجيع ، وإماتيزات الاستقبال والإرسال وأوراق السفر إلى بزوغ الخط الأول من سوء النجر . وهكذا أصبح الحصول على منديل الإيمان . وشيكات البنك الأهلي فرع الحكومة ، القهتان الرئيسيتان الغالبتان على تكوين معظم متلقيها .. بحيث بات من المعين أن تسخر من انتاجهم نتيجة فكرية ذات بال ، لأن قيمة القيم في حياتهم قد اغفلت على مسر السنين ، تلك القبة التي كنا ندعوها فيما مضى بالشجاعة ، وكان أبوانا يسونونها الضمير . لقد حلت مكانها الرخاوة والطراوة والميوعة التي تطبع معظم انتاجنا الثقافي بالسطحية والهرولة والفراغ . وانتاجنا الثقافي — يمسدة بكرام — ليس هو رواية لتجيب محفوظ أو أقصوفة ليوسف أدريس أو مسرحية للافريد فرج أو كتاب للنيس عوض .. أن كبال هذه الأعمال هي حجبها الحقيقي ليست أكثر من قطرة في محيط عظيم يبدأ مع الدراسة الابتدائية وينتهي بالجريدة اليومية والراديو والتراكتور وشاشة التليفزيون وصالات السينما .

نحو برنامج لثقافة ديمقراطية

إذا كان الدرس الرئيسي المستفاد من الماضي هو أنه كلما نشطت الحركة الجماهيرية الواسعة خفت حدة لجهرة التهر البوليسية ، وأنه على العكس من ذلك كلما تجمعت القاعدة الجماهيرية المريرة نشطت المناورات الفوقية ، فإن

القضاء على الآلية بالقضاء على الأمراض الاجتماعية الأخرى الملائمة للجهل ، وما أكثرها في مجتمعنا النحس .

● ان لامية المتعلمين لا تقل خطرا من لامية الجهلة ، فربما استطاع الجاهل ان يمسوخ بالخبرة الحية المباشرة ما ينقصه من أدوات التعليم . ولكن لامية المتعلم هي المأساة الفاتحة الثمن ، لانها تصيب ذلك القطاع العريض من خريجي المدارس والجامعات الذين تربوا بعرق العليل والفلاح ودافع الضرائب . ولا ريب ان الاسباب البديهية التي تقال دوما في هذه المشكلة هي اسباب صحيحة ، كنهاج التعليم النحس تدهورت بالمستوى الثقافي للبرسة والجامعة ، ووسائل الاعلام التي اشاعت البلبلة والفثاعة والسلبية والجهل الموكب ، ونخلت البيت المصري في تربية حواس الطفل الثقافية . . هذه كلها اسباب صحيحة ، بل ببهيئات لا ينكر اهميتها احد . ولكن سبب الاسباب الكامن خلف هذه الظاهرة المرعبة — لامية المتعلمين — هي مزوف الشباب من الحياة العلمية ، وعن روافد الثقافة الجادة على وجه الخصوص ، لقد حلت آفات الطرب وكرة القلم محل الكتب والاسطوانة والفيلم والمسرحية ، وانقسم الشباب شيما ومذاهب حول هذا الطرب أو ذاك ، حول غذا الفرق أو ذاك . تعبيرا صالحا — وان يكن سلبيا — من حاجتهم الى الانتباه . وقد كانت مظاهرات الطلبة في فبراير ونوفمبر سنة ١٩٦٨ تعبيرا آخر وان يكن قوضوا من حاجتهم الى الانتباه . لذلك ادى التناقض بين الحاجة الى الانتباه والمجز الناجع من تحقيقه الى هذا الضياع . ان هذا الجيل من الشباب يحتاج الى « ثورة ثقافية » تتبناها منابر فكرية وتنظيمية مستقلة تتبارى فيما بينها بمنشاة خشرة ديموقراطية ، فتزوجهاتهم الثقافية تغييرا جديرا من تخوم اليأس وهاوية اللامبالاة الى حرارة الانتباه ودفء الالتزام . ثورة ثقافية لا تتبناها مؤسسات مزقت اوصال الثقة بينها وبين الشباب ، وانما مؤسسات من صنع اسديهم وعقولهم وشبابهم ، ثورة يضعون لها البرامج ويحددون لها الاهداف ويجتهدون لها الوسائل والإمكانيات . ثورة جيل يتحقق توتا الى الديمقراطية والاشتراكية ، انة يذوب شوقا الى تحرير الوطن بتحرير الإنسان .

● ان وزارتي الثقافة والاعلام مدعوتان — بعد وزارتي التربية والتعليم والتعليم العالي — الى اعادة النظر الجديرة في صيغة عملهما الثقافي على الصعيد القومي . ان مناهج التعليم في المدارس والجامعات قد وضعت بطريقة أو بأخرى بحيث حدثت الاناق لاهم طالب العلم

ديموقراطي ثقافتنا الوطنية التقدمية . . فيما يلي بعض المؤشرات الى هذا البرنالمج الذي يحتاج الى مؤتمر عام للمثقفين ، يشاركون في وضعه ، ويلتزمون بتنفيذه ، ويلزمون كافة الاطراف التي يتصل بها ان تفلذ ما يخصها من نصوصه . هذه المؤشرات نقول :

● ان مجتمعنا تزيد نسبة الامية بين ابناءه على السبعين في المائة لهو مجتمع يصعب طريق تحوله الى الاشتراكية اضعافا مضاعفة . . فهذه النسبة المروعة من الابين هي دليل موقف طبقي من قضية الثقافة طيلة المرحلة الماضية ، فالاميون ليسوا ابناء الطبقة المتوسطة بشرانحها المختلفة ، وانما هم ابناء العمال والفلاحين والجنود . وليس موقفا ثوريا ان نتركهم فريسة سهلة لوسائل الاعلام اليسورية ، أو لنقصور الثقافة المتورة أو لبرامج حو الامية الترفيفية . ان هذه الاسباب كلها وفي احسن حالاتها هي اساليب « اصلاحية » من شأنها دوما ان تجعل القضية معلقة . اننا نحن «قرر» نسبة لا تقل من الخمسين في المائة من العمال والفلاحين في كافة المجالس التشريعية والتفطيلات الشعبية ، يجب ان « نوفر » لجاهير هذه النسبة وعيا حقيقيا وموضوعيا بمسالكها لا وعيا براجمانيا وتجريبيا ، وعيا استراتيجيا لا وعيا موقوتا .

وان تتحقق هذه الرؤية العميقة للفلاحين والعمال وللتفئة الجادة العميقة . ولن تتوفر هذه الثقافة الابحو ثوري للامية لا من خلال النزعة والرجال . وحقيقى ان هناك برامج برجوازية لحو الامية هي في جوهرها — خصوصا في البلدان المستعمرة والحديثة الاستقلال — برامج اصلاحية . وحقيقى ايضا ان هناك برامج اشتراكية لحو الامية هي في جوهرها — خصوصا في البلدان المستقلة والتي اختصارت الاشتراكية طريقا لضموبها — برامج ثورية . ونحن محتاجون في هذه القضية الخطيرة بالذات ، ان نستعين بالخبرات الثورية للبلدان المستقلة الاشتراكية ، التي قضت على امية الملايين من عمالها وفلاحها بعمل سياسي منظم وفق جدول زمني محدد . . فليست هناك خطة خمسية في الزراعة والاقتصاد والتصنيع فقط ، وانما هناك خطط أخرى لا تقل اهمية للقضاء على الامية . وقد نجحت تجارب الدول الاشتراكية في هذا السدد جميعها وبغير استثناء . انهم هناك لا يعلبون الك يا وحدها ، وانما يعلون الى جانبها الك يا العلم والاقتصاد والزراعة من واقع البيئة التي يعيشها العليل والفلاح . . وهكذا يحصل بعد حين ، لا على معرفة اللغة كحورف وأصوات وبعمان فحسب ، بل على معرفة الواقع والزمن به والقدرة على تغييره . وهكذا يرتبط

تحميدا بالغ الشيق ، فأصبح همه الاول ان « ينجح » في الثانوية العلمية لتجالحا يتخذ به الى رحاب الجامعة ، ليا كانت الكلية التي يختاره لها القدر ، حتى ينجح من جديد في الحصول على « مؤهل عال » يضمن له « الوظيفة » المضمونة سلفا في كشف توزيع القوى العاملة . وهكذا يتحول خريج الجامعة - أعلى المستويات العلمية في بلادنا وبلاد العالم - الى موظف محترم ، كما أراد له فنلوب في ظل الاحتلال البريطاني منذ لمحمد ، وبالرغم من ان ديموقراطية التعليم واحدة من أهم المنجزات الإيجابية لحركة ٢٣ يوليو إلا أنها ظلت ديموقراطية ناقصة ، حققت الشكل دون المضمون . حتى ان كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » الذي كتبه طه حسين عام ١٩٣٩ مزال دستوراً ديموقراطياً أكثر تقدماً من تشريعنا التعليمية الراهنة . أما كتاب لويس هوش « الجامعة والمجتمع الجديد » ومقالاته الأخيرة في « الأهرام » فإنها ستظل حياً ثورياً يراود الضيال حتى تقحم ثورة التعليم المرجساة لمسار وزارتي التربية والتعليم العالي . ومن يدري ، فلربما كانت الاتحادات الطلابية هي القوة الثورية للتغيير المنشود ، فالطلاب أولاً وأخيراً ، هم القاعدة الجماهيرية القادرة على الواسي بالماض والحاضر والمستقبل .

غير انه يبقى لوزارة الاعلام والثقافة ان يعيدا النظر في صيغة العمل الثقافي بين جماهير الثقافة . ولا أتول جماهير المثقفين ، لأن جماهير الثقافة أشمل من هؤلاء ، أن جماهير الثقافة هي جميع مواطني مصر . ان تخطيطاً ديموقراطياً سليماً للثقافة المحرية لابد وأن ينبع من الاحتياج الفعلي لهذه الجماهير ، احتياجاتها العقلية والوجدانية الى الوعي بتحديات التخلّف والقهر والقدرة على تجاوزها . ولا يمكن أن يكون هذا التخطيط نتيجة الإلهام الذي يهبسط على رؤوس المؤسسات الثقافية والإعلامية ، ولا نتيجة التصور الشخصي للأمن ، ولا نتيجة الإمكانات المتاحة والصلاحيات المفروضة على كافة المستويات : البشرية والفنية والإدارية والأيزجة وعلاقات القوى . ان التخطيط لديموقراطية الثقافة لا يمكن أن يتم في غرفة معزولة عن المجتمع . وبالرغم من احترامنا لكل ما قيل من سياسة الكم والكيف ، وما قيل من سرعة تغيير رؤساء المؤسسات الثقافية ، وما قيل من بيروقراطية التقاعز العام في النشر ، وما قيل من ضيق الميزانية وتزايد العمالة ، وما قيل من فصل وتصف المسئولين وبالرغم من

احترامى للحجج « الوجيبة » التي يبديها المسؤولون في مواجهة هذه الإتاويل ، فاني أعتقد ان علة العمل في بيتنا الثقافي هي انه لا يخضع لتخطيط ديموقراطي يشارك المثقفون في وضعه من ناحية ويستسلم - بصورة مساعدة محسوسة - الاحتياجات الفعلية لجماهير الثقافة في بلادنا من ناحية أخرى . وفلسك ان يتأني الا دراسات ميدانية واسعة النطاق على مستوى الجمهورية ، دراسات صبورة وعلمية ، متأنية وموضوعية ، مهما كلفت من الجهد والمال والزمن . . . فان نتيجتها هي الحصول على استراتيجية التخطيط . ولن يتأتى ذلك ايضا الا بشارك المثقف في صنع القرار الثقافي ، بالتشريع والتنفيذ والرقابة الشعبية . ان هذا التخطيط الديموقراطي للثقافة سوف يضع أيدنا على خريطة دقيقة لإجاءات الصناعة الثقافية والصناعة الخفيفة في ميدان الفكر ، وسيفسح أيدنا على أنساب التصنيع ، انتاج واستهلاك ، سيوفونا ثقافتنا الى جدول الأولويات كما وكيفا ، سيعرفنا الريح الحقيقي والخسارة الحقيقية لاسوق العرض والطلب حيث تتحول الثقافة الى سلعة ولاقي أسواق البروباجندا حيث تتحول الثقافة الى ابواق للدمية ، وانما سنصرف الريح والخسارة في ميدان القيم دمرنا الوافي من شر الهزائم . حينذاك سوف تختفي التراتب والاهواء المعارضة ويختفي الارتجال والعشوائية والتخبط ، ويسبح العمل الثقافي ارهاقا وضئ لا مسرة زائفة . ويتجاوز في خاصة المطاف الإبداع الحر والالتزام الفوري . ان وزارتي الثقافة والاعلام تشكلان فيما بينهما القطاع العام في الثقافة ، لها انجاز بالغ القيمة في حياتنا الفكرية والفنية . ولكن مشرات البثور التي طلعت عليهما كان سببها الرئيسي انعدام الشكل الديموقراطي وغيب التخطيط الاستراتيجي ، بالرغم من أن هدف الاهداف للقطاع العام في الثقافة وغيرها هو هذه الجماهير المستوعبة التي طال حرماتها من شررات الوعي الإنساني . ان حديثا خلاصا بالنسح أو النشر أو السينميا . ان الاذاعة أو الصحافة أو التلفزيون ، هو تفصيل وتفرع لا قيمة له الا اذا اقترن بهذا التصور الشامل لقضية الثقافة في بلادنا . وهي ليست قضية معزولة في جزيرة معجورة أو برج فوق السحاب ، وانما هي قضية وثيقة الارتباط بالمجتمع ككل . ورغم أن هذه العبارة مسن البهيميات الموجهة ، إلا أنها كثيرا ما تواترت عن الانتظار كلما تصمينا لتقييم هذا الحدث الثقافي أو ذاك ، كخروج مدير ودخول آخر ، كسجود كتاب ، واحتجاب آخر ، كظهور فيلم وغيب آخر ، كالمساح لسريحة بالعرض ومنع الأضوري ،

سواء في تشكيل أجهزته الداخلية التي تتم
بالانتخاب الحر المباشر لجهايز الكتاب ، أو في
تكوين ضوابط الاتصال بينه وبين أجهزة المجتمع
الأخرى المرتبطة بدورها بخطة عامة تشمله ضمن
ما تشتمل عليه من التزامات نحو الشعب .

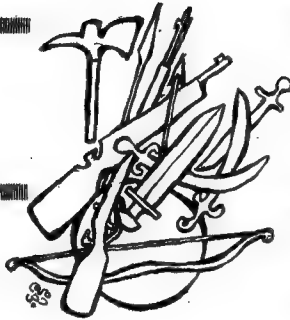
وإن المعروف أن لدينا ما يسمى بالمجلس
الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية ، وقد تم انشاؤه قبيل تأسيس وزارة
الثقافة ، ولقد تحول بعد قيام هذه الوزارة الى
مجلس للكفاء ، ذلك أن واجباته الاساسية تقوم
بها وزارة الثقافة فلم يعد له سوى منع الجوائز
السنية واختيار الوندود الى المؤتمرات الخارجية
واصدار بعض الطبعات السرية . وإن
المعروف أن لدينا نظام للفرع يقع وزارة الثقافة
يتبع الفرصة سنة أو سنوات للكتاب والفنان أن
ينجح ، ولكن ذلك المجلس وهذا النظام يدوران
في تلك اللوائح البيروقراطية التي من شأنها
تجميد الانطلاق الثقافي . ولا ضير من أن يكون
لدينا مجلس للكفاء ، ولا ضير من أن تعمل
وزارة الثقافة بسكين الألم عند الكتاب والفنانين
تسكيناً مؤقتاً .. ولكن البديل الشوري لهذه
الاشكال القاسرة من الرؤية الاسترراتيجية للثقافة
هو تأسيس الاتحادات المهنية للكتاب والفنانين %
حتى يكتب الكتاب ويبدع الفنان وهو من مأمن من
عوادي الزمن ، في مأمن من البيروقراطية
والدياجوجية والموتولوجية ، وبقية الظواهر
السلبية الناشئة من غياب الديمقراطية ، وهي
الظواهر التي من شأنها أن تحول الثقافة الى
سلمة أو الى دعاية لا الى تربية ثقافية حقيقية ،
تشارك مع بقية القيم في بناء صرح مجتمع تقديمي
ومتحضر .

نحو مؤتمر عام للمثقفين

إن هذه كلها ليست أكثر من مؤشرات الى
برنامج ديمقراطي لتفاننا الوطنية ، لا سبيل
الى وضعه الا بتفاعل كافة الآراء والامكانات
والانجاعات في مؤتمر عام للمثقفين ، يحدون له
بأنفسهم ويشعرون في اقلابهم بمسؤوليتهم
وواجباتهم ومقاولهم .. ولن ينجح أو يخفق الا
بارادتهم ، ولعلها فرصتهم الأخيرة ، لا في
تعويض ما فات لان خسائر المثل والقلب
والوجدان من المستحيل تعويضها ، وإنما هي
فرصتنا الأخيرة في التكبير من قلب شاركتنا في
صنعه ، في حق الاجيال القادمة ، وفي حق
شعبنا البائس ، فوق كل النظم وبعد كل
الازمات .

كتبيلنا في مؤتمرات العالم بهذه الوجوه دون
الأخرى ، كذهه التشكيلات شبه السرية التي
تضبط إيقاع حركتنا الثقافية حسب نوتة
هيريغلينية لا ينهها احد .. إن تقييم هذه
الظواهر كلها دون النوص الى الاعماق التي
أنتبتها — وهي البعد من الديمقراطية
والخطيوط — إن يترسوى الصراعات الجزئية
الموقوتة التي لا تترك أثرا على صفحات عقولنا
ووجداننا .

● إن اتحادات عامة ومهنية للكتاب والفنانين
لم يعد قيامها يحتمل التأجيل أو التصويق ، ذلك
أن اتحاد الكتاب — على سبيل المثال — هو
سهم الامن الديمقراطي لحرية الكاتب وإبداءه
الفكري . إنه الكيان التنظيمي الذي يستوجب
نشاط الكتاب استيعاباً موضوعياً أميناً ، هو
هزة الوصل الحقيقية بين الكاتب والمجتمع . فيه
تصب كافة القنوات ومنه تتلجر كل المياني ، إنه
التنظيم البديل للشلية المريضة وجميعيات الادباء
ونواذيرهم الهزلية . وهو لا يمنع الوجود الخاص
لكل جماعة أو جمعية أو رابطة أو ندوة أدبية ،
ولكنه في مختلف من هذه الجمعيات والجماعات
والروابط والائدية ، يخطف من كل منها
منفردة ، ويخطف عنها مجتمعة . لذلك ففكرته لا
تقترب من فكرة « اتحاد الجمعيات الأدبية » فهذا
الأخير هو حاصل جمع كسي ، إنه لاضلالة
شكلية ، وليس تقييماً كيقياً لحياة الكتاب
المصريين .. فاتحاد الكتاب هو أكثر من
فكرة « النقابة » وأبعد منها في نفس الوقت .
يقترب منها من حيث أنه صياغة « مهنية » تبنى
كافة الحقوق والواجبات التي شرعها القانون
للتقابات المهنية . ويبتعد منها من حيث أنه أكثر
شمولاً في أهدافه ووسائله . إنه المرآة الحقيقية
للكتاب على كافة المستويات ، ينظم له العلاقة
بينه وبين نفسه ، وبينه وبين فئة ، وبينه وبين
المجتمع . ذلك أن اتحاد الكتاب في صياغته
الديمقراطية بالبلدان الاشتراكية هو الذي يحدد
البذرة الفنية بالبنو ويوأكب حركتها الحية بدما
من الرهابة التصيلية للادباء الناشئين بتوفير
كافة الظروف الملائمة لانتاجهم من تحصيل
للمعرفة الى مراجعة وتحجس لم يكتبون الى
الانترام التصيلي بحياة الكتاب الناشئين ،
المادية والمعنوية ، من تيسير المنابر التي تستقبل
انتاجهم الى تسويق هذا الانتاج ، الى لائحة
الفرز الكامل له ، في ظل حياة مطمئنة من كافة
النواحي . واتحاد الكتاب على هذا النمط
هو « البيت » الحقيقي للكتاب ، يخضع من
مختلف الزوايا للتخطيط الديمقراطي العام ،



سيناء

التاريخ والاستراتيجية

محمد عزى

وحمايتها ، بل وفى تأكيد وحدة شعبها القومية
وتدعيم وجود سلطة دولته المركزية .

لقد كفلت الصحراء لها بمئات الاميال من
الرمال القاحلة التى لهاطفتها بها غربا وشرقا ،
فدرا نسبيا من الحماية الطبيعية فى مواجهة
احتمالات اكتماح الشعوب والقبائل المجاورة
لبراغم حضارتها فى المراحل الاولى من نشأتها ،
مما آتاح لبراغم الحضارة أن تنمو وتزدهر فى
مناخ آمن ومستقر نسبيا . كما اناهت هذه
الصحارى لمصر حماية أكثر ايجابية بعد ذلك ، حين
أدرك قادتها ضرورة استئثار ميزة العزق الخلقى
الاستراتيجى الذى تكسبه الصحراء للوادي والخلقا
شرقا أو غربا ، متى خرجت جيوش مصر للقاء
أعدائها متحدوها السياسية الاستراتيجية ، بل
فيما وراء هذه الحدود أيضا فى كثير من الأحوال

رغم سخافته فى الماء والطبى ، لم
يكن فى وسعه أن يهب صحارى
مصر كلها أوحتى معظمها الضرب
والحياة ، ولذلك لم ترد نسبة
مباحة لمصر المعصورة عن ٢٠٪ تقريبا من جملة مساحة
مصر ، ولذلك قيل أن مصر العمران ، أى مصر
الانتاج والحياة والسكان ، شبه واحة كبيرة يمد
صميدها ، أى واديهما الضيق الأخضر الذى حفره
النهر من أسوان حتى القاهرة ، مئات الاميال
كجذع لخلعة بامسقة مسترخية ومسط الصحراء
وتتوسط دلتاها ككأس زهرة لوتس متفتحة عند
نهاية هذا الجذع وحتى البحر حيث المصب ، ولأن
مصر العمران شبه واحة أوغل هى شرققة تظللها
الصحراء التى قسمها النيل الى شرقية وغربية ،
فقد كان طبيعيا أن لمبت هذه الصحراء دورا
هاما - رغم سلبيتها فى البداية - فى نشأتها

النيل

حيث أصبحت ميزة العمق الصحراوي الاستراتيجي في أفضل استغلال لها ، ويكامل الاتحاد الممكنة لها . هذا وقد لعبت الصحراء دورا ثانويا آخر في تأكيد وحدة مصر القومية وتدعيم قوة مركزية دولتها ، بحكم أنها رسمت خطا طبيعيا فاصلا بين الرقعة الصحراء المعمورة وبين المناطق القراء شبه الخالية ، بل الخالية تماما من الحياة في معظم الحالات تساعد النهر العظيم في مهته الجوهري المتمثلة في تجميع الجماعة البشرية التي تشكلت تاريخيا حوله حيث قام بينها اقتصادها المشترك ولغتها المشتركة وتراثها الحضاري المشترك فكانت مصر للشعب والدولة ، الشعب الموحد قويا ، والدولة المركزية تلك هي بعض افضال مصر الصحراء مصر باتساعها السياسي والاستراتيجي الكامل ، على مصر المصران والزراعة والحضارة القديمة .

ولان النيل جنح وهو يشق مجراه وسط صحراء مصر نحو الشرق بنسبة كبير من الغرب ، فقد أصبح من الطبيعي أن يكون الحاجز الصحراوي الشرقي بين مصر وجاراتها الاسيوية أقل عرضا من الحاجز للغربي الذي يفصلها عن جاراتها الاخرى في الشمال الافريقي ، ونتيجة لذلك لم يكن من المصادفة أن علاقات وارتباطات مصر بالشرق سواء كانت اقتصادية أو عسكرية أصبحت أكثر توتقا بدرجة كبيرة عن علاقاتها بالغرب ، خاصة وأن هذا الشرق قد حيطه الطبيعة وقرة في موارد الحياة وكثافة في السكان بدرجات أكبر بوضوح مما كان وما يزال عليه الحال في المغرب ولذلك أيضا لم يكن من المصادفة أن كانت الغزوات الرئيسية التي تعرضت لها مصر عبر التاريخ قد جاءت من الشرق ، فيما الغزوة الليبية في العصر الفرعوني والفاتمية في العصر الاسلامي (1) ، ولما كانت لهذا النيل مفقوة مكشوفة على الصحراء شرقا وغربا فقد اتصلت تربتها برمال شبه جزيرة سيناء في قطاعها الشمالي ، بل لقد تجاوزت رمال سيناء الشمالية في مراحل التاريخ القديمة ولغزرات طويلة بفرع النيل الذي كان يصرف بالفرع « الليبوس » والذي كان يسب في البحر المتوسط في موضع قريب من « بوسميد » الحالية تجاه الشرق ، وحيث كان يوجد حصن « سيل » الفرعوني وحديقة « القوما » القديمة . ولذلك لم يكن من المصادفة أن أصبحت « سيناء » خاصة في

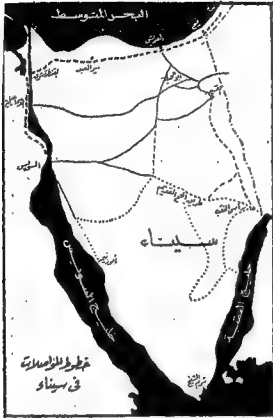
قطاعها الشمالي هذا الذي تفتقرن كثيانه الرعيه مياه الامطار وتتجدر فيه بالتالي الابار بسهولة ، هي المدخل البري الرئيسي لمصر عبر التاريخ ، لم يكن من المصادفة أن أصبحت « سيناء » هي بوابة مصر الشرقية ، وهكذا ارتبطت « سيناء » بملحة الصحراء المصرية ككل وشايرتها دورها في حياة وتطور مصر ، وشيئا فشيئا مع حركة تاريخ مصر الدولة وزيادة وعيها بدورها السياسية وكيانها الاستراتيجي ، ومتطلبات أمنها والدفاع عن حضارتها ، أصبحت « سيناء » تمثل الجزء الرئيسي من ملحة الصحراء المصرية وحركة الفعل ورد الفعل المتبادلة بينها وبين وادي النيل . وهي تلعب اليوم أيضا دورا رئيسيا للغاية في تراجيديا الصراع الوطني المصري والقومي العربي مع الامبريالية العالمية وكيونتها المحلية امراييل ، بحكم التاريخ وعبقريه الموقع الاستراتيجي الذي تملكه في حركة الصراع ضد الاستعمار ومن أجل الوحدة بين الشعوب العربية .

وعلى أسس هذا المنطق الفكري الذي يضع في اعتباره القسائم الاساسية المميزة لنشأة وتطور مصر ببعديها ، الممراني الزماني والسياسي الجغرافي الاستراتيجي ، مصر بنيلها وأرضها الخضراء ومصر بصحاريها وحضارتها الاستراتيجية ، سنسفي في بحثنا الموجز هذا عن « سيناء » ودورها عبر التاريخ من الناحية العسكرية والاستراتيجية ، بحلولين القاء أضواء على دور « سيناء » كموقع لعب دورا بارزا في استراتيجية مصر ترابط وثيق مع الدور الذي لعبته صحاري مصر بصفة عامة في مجرى وجودها وتطورها ، موقع شامت له طبيعته الجغرافية أن يكون همزة الوصل البرية بين الركن الشمالي الشرقي لافريقيا وبين غرب آسيا وشام له التاريخ في معظم مراحل أن يمثل مركزا محوريا بين عديد من مراكز الدقل الحضارية والاقتصادية والعسكرية في العالم القديم والحديث .

في البدكان «الفروز» والنحاس ؟

بيما كانت الجماعات البشرية الاولى التي عاشت حول النيل في مصر خلال العصر الحجري الحديث ، في الفترة ما بين 8000 - 4000 سنة

(1) بيما أن تكون في صدق تسمية «المتى ما أورد الدكتور ينسالكندران في كتابه القيم « اكتشاف مصر القديمة في القاهرة » - منشأة مكتبة الانجلو - ١٩٦٧ - صفحات ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩ « من كان مكتبة هبة - والتي ما أورد الدكتور تيلمان هزين في بحثه عن قوميات الحضارة المصرية في كتابه تاريخ الحضارة المصرية - العهد الأول - الذي أصدره وزارة الثقافة - والله يرضى - من «الزيتون والكتان» - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - صفحات 36 ، 35 .



كان استعمال النحاس قد انتشر في البلاد نتيجة استخدامه في صنع الإزاييل التي يجري تقطيع أحجار المعابد والمقابر بها ، كما اتسع استخدام الفيروز في الزينة واكسيد النحاس في الحصول على اللون الأزرق وصنع الكحل ، ولذلك اتجه فراعنة الأسرة الأولى والدولة القديمة عموماً منذ وقت مبكر من قيام دولتهم نحو « سيناء » للحصول على الفيروز والنحاس ، ويقول فيرستد « في هذا الصدد » وكما أمتاز عصر « الاتحاد الأول » بأنه قام بسبب التطور الذي حدث نتيجة لاستعمال المحراث في الزراعة وما ترتب على ذلك من توفير الحبوب فإن الاتحاد الثاني أمتاز بأنه قام بسبب التوسع في استغلال المناجم والحصول على كميات وفيرة من النحاس ، ولهذا يبدأ « عصر المعادن » بابتداء « الاتحاد الثاني » وكان الملوك الأوائل من ذلك العصر يفخرون بالمنتجات التي أرسلوها إلى شبه جزيرة سيناء .. وهي أقدم مناجم للنحاس في العالم» [٤] وتحدثنا الكتابات التي تركتها بمفصل

قبل الميلاد ، تعمل تدريجياً على الانتقال من مرحلة الصيد والرعى إلى مرحلة الزراعة ، كانت هناك جماعات بشرية أسبوية أخرى تعيش في شبه جزيرة سيناء سواء في شمالها أو جنوبها [٥] وتطرا لجذب الطبيعة هناك فقد كانت حياة هذه الجماعات حياة بدائية تعتمد على الصيد والرعى وأحياناً بعض الزراعة البسيطة حول ينابيع المياه المنتشرة وخاصة زراعة النخيل والتين والزيتون . ولذلك كان هؤلاء البدو يترددون على شرق الدلتا أو جنوب فلسطين لمعالجة منتجاتهم المحدودة من صوف الأغنام والعسل والضبغ والسمن عاجاجهم من الحبوب والمنسوجات ، ثم اكتشف أهل الجنوب منهم - وكان يسمون « المونيرو » قديماً - النحاس والفيروز في الجبال القريبة من خليج السويس عند وادي المضارة الذي يمكن الوصول إليه من ميناء أبو رئيس الحالي ، فأخذوا يحملونه معهم إلى أسواق الدلتا ضمن ما يحملون من صلب ، وكان ذلك في الألف الخامس قبل الميلاد تقريباً . ولكن ضعف قواهم المنتجة وتبشرهم السكاني في عشاروا قبال قليلة المعدنجد تطورهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، بينما أخذ سكان وادي النيل يطربون قواهم المنتجة وعلاقاتهم الاجتماعية والسياسية ، فقد زادت مساحة الأرض المزروعة نتيجة تقطيع الأدغال النباتية وتجهيف المستنقعات وبدء تنظيم الرى واستخدام المحراث بدلا من القاس في حراث الحقول ، وأصبحت هذه الزيادة الكبيرة في مساحة الأراضي المزروعة سببا في أهمية وجود الحكومة المركزية للبلاد أكثر مما كانت عليه من قبل لأن زيادة مساحة الأراضي طلبت زيادة كمية المياه لرى الحقول ، كما يقول « برستد » ، وهكذا توحد سكان وادي النيل شيامياً لأول مرة في حوالى عام ٤٣٠٠ قبل الميلاد [وهو للاتحاد الذى كونه ملك مجهول الاسم من الوجه البحرى] وشكلت زيادة الحبوب الناتجة من استعمال المحراث أساسا للفايض الاقتصادي الذى مكن من وجود قوة جهاز الدولة الأول هذا ، ولكن هذه الوحدة السياسية الأولى لسكان وادي النيل الذين أصبحوا يمثّلون أساس الشعب المصرى القديم الذى قامت على كتافه الحضارة الفرعونية بدأ ذلك ، أصيبت بالتفكك مرة أخرى لأسباب مجهولة حتى الآن ، ثم تكون الاتحاد الثانى على يد الملك « مينا » - لحد ملوك الوجه القبلى - في حوالى عام ٣٣٠٠ ق.م ، وبدأ عصر الأسرات الحاكمة ، عصر التاريخ المكتوب . وفى هذا الوقت

(٧) الدكتور أحمد فخري - تاريخ شبه جزيرة سيناء - القاهرة ١٩٦٠ - مكتبة سيناء للنحاس الاثري - صفحة ٨٨ .

(٨) نوح شاتي - تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها - القاهرة ١٩١٦ - مكتبة المعارف - صفحة ٤٣٦ .

(٩) برستد ، جيمس هنرى - انحصار الحضارة - ترجمة أحمد فخري - القاهرة ١٩٦٢ - الانجلو المصرية - صفحة ٧٣ .

التعدين. وحملات التآديب التي صاحبها في كثير من الأحيان في صفوف والديغرافة وسرايط الخام من تفاصيل عمليات التعدين هذه التي بدأت منذ عهد الأسرة الأولى حتى عهد الأسرة العشرين ، أي منذ الدولة القديمة حتى الدولة الحديثة ، وما صاحبها من حملات تآديب لبدو سيناء خاصة في المراحل الأولى من استغلال هذه المناجم ، وأن أسرى الحروب والمحكوم عليهم بأحكام جنائية شديدة من أهل مصر كانوا يؤلفون قوة العمل الأساسية فضلا عن بعض سكان المنطقة والعمال الأجانب من سوريا ، وأن هذه الجماعات التعدينية كانت تذهب من مصر كل سنة أو سنتين أو عدة سنين خلال فصل الشتاء وتعود في بداية الصيف لشدة الحر هناك ، وأنها كانت تستخدم النقل البحري من رأس خليج السويس وحتى موانئ ليوذمية أو أبورديس لنقل رجال الجماعات ودوابهم إلى هناك والعودة بهم بعد ذلك ومعهم ما استخرجوه من معادن [٥] ، هذا كما بدأ الفراعنة منذ عهد الدولة القديمة وطوال عهد الدولة الوسطى والحديثة أيضا في استخدام شمال سيناء كطريق بري للتجارة بين مصر وفلسطين ولبنان وسوريا ، فضلا عن طريق البحر [٦] ، وهكذا اتجهت مصر الفرعونية ، مصر الدولة القديمة ، في بديلة الأمر إلى سيناء كامتداد اقتصادي وتجاري لحضارتها الزراعية المتمدنة الثمانية في الوداد حول النيل ، وصاحب ذلك كضرورة لتأمين هذه العمليات حملات تآديب لبدو المنطقة فضلا عن بناء بعض الحصون عند أقصى حدود شرق الدلتا ، وحتى رأس خليج السويس لحماية البلاد من غارات البدو الخاطفة على المناطق الزراعية هناك .

ثم جاء الهكسوس

تعرضت مصر في نهاية عصر الدولة الوسطى خلال حكم الاسرتين ١٣ و ١٤ إلى حالة من التفتك السياسي والاجتماعي نتيجة لزيادة قوة ونفوذ أمراء الاقطاع المحليين بالنسبة لقوة الملوك أو السكوة المركزية وكان من نتيجة ذلك الضعف في قوة الدولة المركزية وما صاحب ذلك من تخلف لقوة جيشها وإساليب القتالية ، أن تعرضت البلاد لغزوة الهكسوس الذين هاجموا بحر صحراء سيناء وفتحوا الجيوش المصرية في الدلتا بفضل

مهارتهم للقتالية العالية واستقدامهم للزنايات الحربية والخيل في تشكيلاتهم العسكرية مما اكتسبهم خفة حركة وقدرة على المناورة وسرعة الهجوم أصابت قوات المشاة المصرية ، التي كان يتشكل منها جيش الفرانقة حتى تلك العهد ، بالشلل والاضطراب ، هذا فضلا عن استخدامهم للسيوف والخناجر المصنوعة من السبرونز والاقواس الكبيرة البسيطة الرمي وهي جميعا أسلحة جديدة لا قبل للمصريين وقتئذ بها (٧) وذلك بسبب تجمد قوى الانتاج والنظور الحضاري المصري في أخريات الدولة الوسطى بسبب العزوب الأهلية وتفكك الدولة المركزية وخمطها وسيادة أسلوب الاقطاع على الانتاج والحياة الاجتماعية وما يصاحبه من ركود وقلة ابتكار في وسائل الانتاج . وقد استقر الهكسوس في الدلتا ومصر الوسطى وأقاموا عاصمتهم في شرقها عند «سان الحجر» تاركين مصر العليا في أيدي أمراء طيبة المحليين الذين أصبحوا خاضعين لسلطة ملك الهكسوس المركزية . واستمر هذا الوضع قائما نحو ١٥٠ عاما طول عهد الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وجانبها من السابعة عشرة ، إلى أن ضعفت دولة الهكسوس واكتسب المصريون القدرة على استخدام الخيل والعربات الحربية في القتال ، فاستطاع أمراء طيبة «سكنز» «كاموسبا» «أهسس» غلبوا التواري أن يهزموا مرة أخرى من «أهسس» غلبوا الإجاب . وقد قام «أهسس» بعد استيلائه طي عاصمة الهكسوس «فواريس» - سان الحجر - بطارتهم حتى جنوب فلسطين عبر شمال سيناء حيث حاصر بقايا قواتهم الموجودة في مدينة «شاورين» لمدة ثلاث سنوات حتى استسلمت وقضى على الخطر الهكسوسي تماما . ومنذ ذلك الوقت أصبح مصر حاضيات دائمة في رفح وحرقة وأصبح وادي حرقة يمس نتيجة لذلك بـ «وادي مصر» ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت «سيناء» جزءا من مصر الدولة ، مصر الموقع الاستراتيجي «بل لقد كانت حدود مصر تشمل جنوب فلسطين ، أو الاقليم الذي يطلق عليه العبريون اسم النجب أي الجنوب ، وكان بمثابة إقليم الحدود ، الذي يقابل فيه جنود مرمون البدو المهاجرين ، أو المتسللين إلى مصر ، [٨] .

(٥) نعيم شقر - المرجع السابق صفحة ٦٢٠ .

(٦) الدكتور أحمد فخري - موسوعة سيناء - المرجع السابق - صفحة ٧٤ .

(٧) الدكتور محمد جمال الدين مكنار - لغة في تاريخ مصر القديمة والوسطى - طبع في القاهرة - ١٩٤٠ .

(٨) الدكتور محمد السيد غيسلبيد الجفالي الجفري - تاريخ مصر - طبع في القاهرة - ١٩٤٠ .

صفحة ٢٨ .

طريق «حورس» الحربي الكبير

غادر الهكسوس مصر حوالي عام ١٥٨٠ ق م وراح لحسن من فلسطين الى طيبة ليؤسس الاسرة الثامنة عشرة ، بداية الدولة الحديثة ، وبدأ عهد الامبراطورية المصرية القديمة الشهيرة التي شهدت لمجاد تحتمس الثالث ورمسيس الثاني المصرية . فلقد انشركت ان حدودها الطبيعية انما تبدأ خارجها في فلسطين وفي بركة ، بينما لا يقل نطاق الامان من حولها عن الشرق الاوسط تقريبا . ومن هنا توسعت الامبراطورية الى حدودها القصورى كلما أمكنها ذلك ، لا كاستعمار بالمعنى المفهوم ، وانما لنشر «السلام المصرى» بل اننا يمكن ان نزعج دون تردد ان الامبراطورية المصرية كانت في جوهرها وفي معنى ما «امبراطورية دفاعية» اساسا ، حيثها ظروف الصراع الاقليمى والاستراتيجية المعروفة في الشرق القديم » [٩] ، ووصلت الامبراطورية الى نهر الفرات وشمال سوريا وجزر شرق البحر المتوسط ، ودام مصرها نحو اربعة قرون كاملة الى ان تحطمت من الداخل مرة اخرى وحدة البلاد في اواخر عهد الاسرة العشرين . وهذه الحقبة من التاريخ المروعنى هي التي سجلت وجودها بمعظم الآثار المصرية العظيمة في طيبة أي الاقصر ، أي الكرنك والمبيلات ومقابر البر الغربي الشهيرة وهي التي شهدت أيضا ، في منتصفها تقريبا ، نشوء فكرة التوحيد الالهى في صورتها الازلية على أيدي «لفثالون» كضرورة دينية لتوحيد الامبراطورية تحت ظل اله واحد . وطوال هذه المرحلة الحيوية من تاريخ مصر كانت «سيناء» تلعب دورها كموقع استراتيجى حيوى ، وكجزء لا يتجزأ من حدود مصر السياسية الجهورية لامتيا ، مهما كانت نتائج حركة المد والجزر بين مصر وجاراتها الاميبوية الاخرى وفي العراق واسبيا الصغرى ولتفكانت «سيناء» خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن ، تمثل رأس الحربة المصرية ، التي قد تتدفق وتشمل جنوب فلسطين وفلسطين كلها ، وقد تنحصر حتى تقف عند حدود غزة » [٩] .

وقد اتخذت جميع الحملات الحربية المصرية والتعزيزات الرملة الى حاميات غزة وفلسطين عنوما طوال هذه الحقبة من التاريخ ، اتخذت طريقا برياً رئيسياً أسيرتها عبر سيناء يبدأ عند حصن «سيلا» ، على مقربة من بلدة القنطرة الحالية ، ثم يسير بعد ذلك مصاديا للشواطىء حتى

يصل الى العريش ومنها الى رفح ثم غزة . وذلك نظرا لان طبيعة الارض في هذه المنطقة - الكنبان الرملية - تسمح باختزان المياه الناتجة عن الامطار وبالتالي يمكن حفر عديد من الابار فيها . «لقد كان هذا الطريق ومازال من أهم الطرق الحربية في العالم» استخدمه المصريون القدماء عند غزوهم لاسيا ، كما استخدمه كل من اتى لهاجمتها على مر العصور . وكان يعرف باسم طريق «حورس» لان حورس كان النعت الذى يلقب به كل فرعون . وكثيرا ما صار عليه عشرات من الفراعنة وهم يقولون جيوشهم الى اسيا . وما من شك في ان الحصون المصرية قد قامت في كثير من اجزائه وبخاصة في المناطق الاستراتيجية الهامة ، لتكون مراكز لبعض الجنود المكلفين بحراسة الطريق ، ومخازن لما تحتاج اليه الجيوش ، وكانت تلك الحصون في المناطق التي يتيسر فيها وجود الماء [١٠] وخلاصة القول بالنسبة لدور «سيناء» خلال مرحلة التاريخ المصرى القديم ان «سيناء» قد تحلقت لها شخصيتها ومكانتها الفريدة في جغرافية وتاريخ وسياسة مصر ، نتيجة لظهور واكتمال نمو شخصية مصر كلها . ان «سيناء» نعت شخصيتها وتكاملت مع نمو وتكامل دور الصحراء المصرية في بناء وتدعيم مصر الدولة مصر الحضارة ، مصر القومية الموحدة القوية . ونظرا لان الصحراء قد لعبت دورا ايجابيا هائلا ومكمل لدور وادى النثل في خلق وتدعيم حضارة مصر ، بما وفرته لها من خامات المانن ومن حماية العمق الاستراتيجى الدفاعى بأبوابه المصرية والبيدة ، فقد كان طبيعيا ان تلعب سيناء دورها الجوى هذا من كلتا الناحيتين ، بل وخاصة واساسا من الناحية الاستراتيجية ، ذلك لان مناجم سيناء فقدت أهميتها ابتداء من عصر الاسرة العشرين نظرا لوجود مناجم اخرى في الصحراء الشرقية بعد ذلك اكثر انتاجية واقل نفقة ، ومن هنا اصبحت سيناء جزءا من القرب المصرى القومى باعتبار انها الدرع الشرقى لمصر وقاعدة انطلاق وتطبيق استراتيجيتها الدفاعية الهجومية لتأمين حدودها .

«سيناء» في عصر

استعمار مصر قديما

لئن كان النيل والقرية الفيضية والعمل البشرى المنظم من قبل السلطة المركزية قد أدت جميعا الى

(٩) الدكتور جمال حمدان - شخصية مصر - المرجع السابق - صفحة ٩٧ و٩٦ .

(١٠) الدكتور احمد فخري - تاريخ شبه جزيرة سيناء - موسوعة سيناء - المرجع السابق - صفحة ٧٥ .

والقيادة [١٢] وهكذا أحكمتم فتحهم للاحتلال الأجنبي الآشوري ، ثم الاحتلال الفارسي بعد ذلك في عام ٥٢٥ ق . م بعد فترة قصيرة وأخيرة من الاسفلال بداها الملك «سمباتيك» ثم للاحتلال الاغريقي اليطليسي عام ٣٣٢ ق . م عندما طرد الاسكندر الفرس منها ، ثم الاحتلال الروماني والبيزنطي الذي بدأ عام ٣٠ ق . م بعد هزيمة وانحلال كليوباترة . وطوال عصور مصر المستعمرة هذه لم تمتد لسيادة أمميتها الاستراتيجية السابقة كاتليم حدود نظرا لان مصر كلها أصبحت جزءا من امبراطوريات استعمارية لوسع شملتها وشملت جيرانها كلها بالاحتلال .

« سيناء » بعد الفتح العربي

حين قدم جيش عمرو بن العاص البالغ عدده أربعة آلاف مقاتل لقط ، أرض مصر لفتحها وضمها الى الامبراطورية الاسلامية العربية النامية ، كانت مصر ولاية بيزنطية من حيث التبعية السياسية مسيحية من حيث الدين ، منقسمة الى عاقبة ومالكين من حيث المذهب ، ومنقسمة الى خمس امارات او نوبيات محلية من حيث السلطة الادارية والممكزية ، تعاني من الاضطهاد الديني وفوضى الحكم والازمات الاقتصادية والمالية نتيجة نزح ثرواتها الى الخارج [١٣] الى « القسطنطينية » عاصمة الامبراطورية البيزنطية التي كانت ترسل اليها الاموال والغلال . وقد كانت كل دوقية من دوقياتها مستقلة عن الاخرى بحكمها وحاميتها وتجهل ما تقوم به الاخرى في سبيل الدفاع عن سلامة البلاد ككل حتى دخل العرب الاسكندرية ويدلوا بغاوشاتهم مع حكومتها [١٤] ، ولذلك لم يصانف العرب مقاومة جديّة فعالة حين زحفوا على مصر عام ٦٤٠ ميلادية ، لتأمين فتححاتهم لفلسطين وسوريا من الجنوب والحصول على ثرواتها الزراعية التي كانت لا تزال وفيرة نسبيا . رغم الخراب الاقتصادي والتفكك السياسي والفرس الذي كانت تعانيه بشدة . وسلك جيش عمرو ابن العاص طريق « حورس » التقليدي مستوليا على العريش دون مقاومة ثم وصل أبواب بحينة « القروا » او « بلوسيوم » كما كانت تعرف هند اليونان وكانت تقع الى الشرق من بورسعيد الحالية وعلى الضفة اليمنى لفرع النيل القديم

خلق قاعدة انتاجية زراعية قوية دعمتها معادن الصحراء ، وبالتالي اكسب مصر سبق الحضارة والمدنية بالنسبة للحضارات البشرية الاخرى المحيطة بها ، واعطى امبراطوريتها اساس قوتها الاقتصادية والبشرية ، فانه هو وبينة مصر السهلة بصفا عامة قد قدما مناخا اجتماعيا واقتصاديا ملائما لاستبداد حكامها وسيطرة كوتتها - وهم فئة طفيلية على الانتاج ، على مقدرات شعبها ، كما وفرأ فائضا اقتصاديا منتظما رتبيا - بفضل جهد كادحي شعب مصر الضامعين لسلطة المسوك والكهنة - اتاح الظروف الملائمة لتطور وسيادة اسلوب الاسترخاء الاقتصادي وما يصاحبه من جمود في تطور وسائل الانتاج ومصادره وتكنيكه او اسلوبه الفني الصناعي . وساعدت الثروات الاتية الى الغارقة والكهنة من جميع أرجاء الامبراطورية المبتدة من سوريا شمالا حتى النوبة جنوبا على تدهيم كل سبلبيات البيئة السهلة .

ونتيجة لذلك لم تستطع جيوش مصر ، خاصة بعد ان اتسع استخدام الاجانب فيها مع اتساع حالة الاسترخاء الاطاعي الكهنوتي في نهاية عصر الامبراطورية ، ان تهزم جيوش الحثيين الزاحفة على سوريا من آسيا الصغرى وتطرحهم منها بشكل حاسم ، بسبب مقدراتهم القتالية المرتفعة المستندة الى الأسلحة المصنوعة من الحديد ، بينما كانت اسلحة الجيوش المصرية مصنوعة من البرونز . فقد اكتشف الحثيون الحديد ومناجمه وطرق صنعته الى شمال شرق آسيا [١٥] ولم تهتم مصر بذلك المعلن وآثار صنعته رغم انها كانت تعرفه منذ عهد بناء اهرامات الجيزة . ثم انهارت الامبراطورية المصرية بعد ذلك نتيجة هجوم الليبيين من الغرب عام ٩٤٥ ق . م والاحباش من الجنوب عام ٧٢٢ ق . م ثم الآشوريين من الشمال عام ٦٧٤ ق . م الذين استخدموا الحديد وقتلت بكثرة في تسليم جيوشهم الى حد الباس جنودهم حلا حديدية مثل فرسان العصور الوسطى في اوريا بعد ذلك ، والذين استخدموا الفرسان لأول مرة في التاريخ العربي - كقوة فعالة الى جانب المركبات الحربية التقليدية واستخدموا ايضا آلات قوية للحصار وهدم الاسوار ، فضلا عن قيامهم بتنظيم فرقهم المقاتلة تنظيميا حديثا يتيح لها المرونة ومهولة الحركة

(١١) يرسك - لتحصن الحضارة - المرجع السابق - صفحة ١٤٤ .

(١٢) ديورانت ، ول - قصة الحضارة - ترجمة محمد بدوان - جزء من المجلد ١ - القاهرة ١٩٦١ - لجنة التدقيق - صفحة ٢٧٢ .

(١٣) صهي واحدة - في اصول المسئلة المصرية - القاهرة ١٩٥٠ - التجار المصرية - صفحة ٢٥ و ٣١ .

اعتراض ٧ الوصول بالتالى الى الدلتا المكتوفة الخضراء ، حيث يصعب بل يستحيل تقريبا صد أو هزيمة العدو ، لاتعتمد الموانع الطبيعية، واتساع جبهة المواجهة باتساع موارء المياه والطعام التى يمكن أن يحصل عليها المهاجم من أى مكان بشرق الدلتا . والتاريخ يسجل لجيوش مصر النجاح فى الدفاع عنها متى خرجت الى حدودها الاستراتيجية واستقلت من استنادها الى عمقا الصحراوي ، الذى يبعد ناز الحرب عن الودائى الاخضر المكشوف ، وخاصة فى ظل بعده الاسيوى للفلسطينى أو السوري ، وذلك كما تشهد معارك «مجدو» تحتفىس ، و « حطين » صلاح الدين و « عين جالوت » قتل ، وعلى العكس انتهت معظم المارك الدفاعية التى دارت عند مشارف الدلتا والودائى المباشرة بالهزيمة فى الغالبية الساحقة من الحالات، كما تشهد بذلك مثلا « واديانة » طوماى باى ضد السلطان سليم « اهرام الجيزة » ضد نابليون البخ . (١٤)

« سيناء » والحملة الفرنسية

كانت مصر فى عصر المماليك قد اكتسبت بحكم موقعها أهمية استراتيجية عالية بسبب احتكارها شبه المطلق لطريق مرور حركة التجارة العالمية الاخذة فى النصف والاذهار بين اوروبا والشرق الاقصى ، بعد أن امت موجات الغزو التتارى المتتالية على العراق الى قنل الطريق البرى الثانى ، الذى كان ينافس طريق مصر السيادة فى عصور قوة الدولة المباسية والذى كان ينتهى عند البصرة . الا انها فقدت أهمية بومتها هذائن تحول التجارة العالمية الى طريق زاس الرجاء الصالح ابتداء من اكتشاف البرتغاليين له عام ١٤٩٨ ، وكان من نتائج هذا التحول لحركة التجارة أن فقدت الدولة للملوكية مصدرا أساسيا من مصادر تمويلها ، مما مساعد على هزيمة جيوشها امام العثمانيين فى موقعة « مرج دابق » عام ١٥١٦ ، وكان أن دخلت مصر أثر ذلك فى عام ١٥١٧ عصر الاحتلال العثمانى المظلم الذى أغرقها فى ركود اقتصادى تام وعزلة زمنية من العالم استمرت نحو ثلاثة قرون كلبية . حدث هذا لمر ولنطقة الشرق الاوسط كلها فى عصر كانت البورجوازية الاوروبية قد بدأت فيه تبلى لبنات حضارتها التجارية ثمة الصناعية بسرعة وتحطم أسوار العزلة الاقطاعية سن بالذما . ولذا فكمما فاجأت مصر القديمة

المتسنى باسمها « البليوتى » حيث حاصرهما لمدة شهر حتى اقتصمها وواصل زحفه بعد ذلك الى « بليس » واستولى عليها بعد شهر آخر من القتال . ثم انتشر الجيش العربى فى القلطا والصعيد بعد ذلك قبل أن يحاصر حصن « نابليون » ويستولى عليه باتفاقية صلح مع « القوقس » سبقتها اتفاقية أخرى مع القبط الميافية فى الدلتا والصعيد وثلثها اتفاقية اخيرة مع بطريركة الاسكندرية المائكى . ولم تلعب سيناء لمصر البيزنطية أى دور فى الدفاع ضد الفتح العربى نظرا لقيميتها العامة لاسلامباطورية البيزنطية ولافتقادها للوحدة الداخلية وأصبحت « سيناء » بعد الفتح العربى مجرد طريق مرور لهجرة القبائل العربية النازحة من الحجاز الى مصر والمغرب بعد ذلك . كما استخدم طريقها الأرمط كمعبر لقوافل الحج من مصر الى الحجاز وهو الطريق الذى كان يبدأ من « القلزم » أى « السوسين » قديما ويمر بمصر مثلا ثم لخل ثم القند الى أن ينتهى عند العقبة عبر قلب متعبر هذه السلطان المملوكى « قلاوون » وقد بنيت على طول هذا الطريق بعض القلاع لحماية قوافل الحج أهمها قلعة « نخل » التى بناها السلطان المملوكى « قنصوه الفورى » ، ونتيجة لذلك كانت « النخل » لفترة طويلة هى عاصمة سيناء قبل « المريش » .

وقد استخدم طريق « سيناء » الشمالى خاصة كجبر برى لجيوش الطولونيين والإفخسيين والفاطميين الزاحقة على بلاد الشام اثباء صراعات هذه الاسر التى استقلت بمصر . مع الخلافة المباسية فى بغداد . كما استخدمتها جيوش الصليبيين التى غزت مصر فى نهاية الدولة الفاطمية بناء على استعماه الوزير شاور لهم ليدعموا سلطانه فى مواجهة نور الدين وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين الايوبى ، الذين كانوا يصلون الى مصر عبر الطريق الاوسط لسيناء فى نفس الوقت الذى كان الصليبيون يسيرون فيه نحو مصر عبر الطريق الساحلى الشمالى .

وطوال هذه المراحل لم تستخدم « سيناء » كمعق فهاى استراتيجية لمصر ، ولذلك كان يسهل دائما اختصار هذه الجيوش الأجنبية المختلفة فى معظم الاحوال على قوى الحكم عند القاهرة أو للدلتا ، بسبب عدم استقلالهم من ميزة الحاجز الصحراوى ومماحهم لاعدائهم بمبوره دون

الشرق القديم بحضارة زائفة متكلمة في حينها ، مستجد مصر الحديثة امامها فجأة حضارة مفقدة ارقى بكثير تطرق او تقتحم ابرابها عليها بلا استئذان ، حيث كانت الحملة الفرنسية كزيارة الكوسودور «بيري» لليابان ، وكل وضغ حدا لفترة عزلة «شيرة» (١٥) ولذلك كان من المنطقي لمراد بك الامير المملوكي ان يقول ان حضرة من احشال غزو الفرنسيين لمصر «دمهم يفلزون الى البحر ، فسوف نقتلهم تحت سنانك خير لنا» (١٦) ثم يامر حاكم الاسكندرية بنسب بوغاز رشيد بسلسلة غليظة «حتى لا تمتطع المراكب النصرانية لاجتياز باب البوغاز» (١٧)

كان من المنطقي ان يفكر مراد بك على هذا النحو بعد قرون من العزلة وراء أسوار الحكم التركي المختلف ومرامات السلطة الداخلية بين المالك والباشا والانكشارية «ان مراد بك لم يكن يدرك ان الاطالع التجمد يواجه الراسمالية الصناعية» (١٨) ويوصل الحملة الفرنسية الى مصر في يوليو ١٧٩٨ خرجت مصر من عزلتها الى مهب تيارات الصراع الاستعماري العالمي الحديث فجأة ، وعاد اليها موقعها الاستراتيجي وبإبعاد عالمية أكثر عمقا بكثير عن أية مرحلة سابقة من التاريخ «وعاد» الى «سيناء» بالتالي أيضا موقعها ودورها ، وهو يحل في طياته ابعادا عالية بذرتها فيه حركة الصراع الاستعماري الراسمالي الحديث «فأدت «سيناء» الى دور الجرح البشري التقليدي للقرعة المسيطرة على مصر والعمق الاستراتيجي الدفاعي وقاعدة الانطلاق نحو الشرق» وكان ذلك اعتما «ثابليون» بضنه الاستراتيجي العسكري المسلم ان الدفاع عن الوجود الفرنسي في مصر انما يبدأ من فلسطين وخنوبيا مستلذا الى حق سيناء الصحراوي ، ولذلك سان على رأس حملة قوامها ١٢ الف جندي تمتهنق تأمين حدود مصر الشرقية وحصرمان الإبنطول البريطاني من اقرب قواعد تموينه الا وحسن موافق ساحل الشام وأهمها «عكا» ، وقد سبق إرسال هذه الحملة عبر صحراء سيناء الى فلسطين ، إرسال قوة استطلاع استولت على بلدة «قطية» الواقعة على بعد ٢٦ ميلا من القنطرة وحولتها الى قاعدة أمامية لقوات الحملة ،

كما استطلعت الطريق الساحلي المؤدي الى «العريش» حيث كانت قوات تركية تصل قلمتها وممسك آخر بالقرب منها «وقد حاصرها «ثابليون» في الفترة من ٨ فبراير عام ١٧٩٩ حتى ٢٠ فبراير من نفس العام الى ان استسلمت الحامية التركية التي كان يبلغ عددها نحو ٣٠٠٠ جندي من الالبان والترك والمالكية والمغاربة والعرب بعد ان قتل منها نحو ١٢٠٠ رجل مقابل نحو ٤٠٠ جندي فرنسي تقدم ثابليون في القتال العنيف الذي دار يومي ١٩ و ٢٠. عدد أسوار القلعة العتيقة التي ترتفع أسوارها نحو ٣٠ قدما [١٧] .

ومن «العريش» زحف «ثابليون» نحو فلسطين تاركا فيها حامية صغيرة ، واستولى في طريقه بعد ذلك على غزة والرملة ويافا وحيفا ، ثم ردت أسوار «عكا» - وحيد الأطول الانجليزي والمطعون - من هدف حملته الرئيسي . فساد أدراجه الى مصر مرة اخرى مارا بالعريش يوم ٥ يونيو عام ١٧٩٩ حيث ترك حامية قوامها نحو ٢٥٠ جنديا في قلمتها .

وقد استعملت هذه الحامية بعد ذلك للاتراك في يناير عام ١٨٠٠ أثناء مفاوضات صلح كانت تجري بين الجنرال كليبر والبريطانيين حول الانسحاب من مصر ، وتعرض نحو ١٥٠ من رجالها للنذيع من جانب الجنود الاتراك قبل ان يستطيع الضابط البريطاني المرافق لهم وقف هذه الخيعة «وقد شهدت» «العريش» بعد ذلك لفرحوم ٢٤ يناير عام ١٨٠٠ توقيع اول معاهدة للصلح بين فرنسا وتركيا وبريطانيا ، وقضت شروطها بإخلاء الفرنسيين سيناء تماما بانسحابهم من «قطية» ، ثم من الصالحية ويليس بعد حشرة أيام من التصديق على المعاهدة .

ولم تشهد «سيناء» بعد ذلك أية معارك أخرى حتى جلاء الفرنسيين تماما من مصر في مبتدئ عام ١٨٠١ وإنما شهدت صحراء «عين تخمين» قرب القاهرة معركة كبرى يوم ٣٠ مارس عام ١٨٠٠ بين «كليب» و «الأتراك» ، الزاحلين عبر «سيناء» ، وذلك نتيجة لرجوع الانجليز عن قبولهم لشرط جلاء الفرنسيين بكامل سلاحهم ، وقد انتصر «كليب» في معركة «عير شمس» هذه وطرد

(١٥) الدكتور جمال حبيشان - شخصية مصر - المرجع السابق - صفحة ١٥١ .

(١٦) غوزي جرجس - دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي - القاهرة ١٩٥٨ - صفحة ٢٤ .

(١٧) كريستوفر هيرولد - بولنبرغ في مصر - ترجمة فؤاد أقبولوس - بالقاهرة - المكتب العربي - صفحات ٣٦٠ - ٣٧٠ .

الإيراني بعيداً عن مصر، المعمران، وتلك حالة نادرة في تاريخ مصر، العسكري يهزم فيها جيش مهاجم على أطراف الدلتا بعد نجاحه في عبور الحاجز الصحراوي الشرقي، وأعلنها ترجع إلى عنصر المفاجأة والسرعة والاختلاف الكيفي الواضح بين تسليح وتنظيم وقيادة الجيش البروجوازي الفرنسي وبين الجيش القطاعي التركي المتخلف، تكثر مما ترجع إلى ملامحة الموقع الاستراتيجي للمعركة من جهة.

«سيناء» في عصر محمد علي

وباستقلال مصر التولية - بغض النظر عن الأصل الاجنبي للنسرة الحاكمة واستبعادها للشعب - عاد لاقليم «سيناء» قلبه الاستراتيجي مرة أخرى كحدود سياسية شرقية وقاعدة وممر إلى الشرق. ولذلك قام إبراهيم باشا قبل زحفه إلى سوريا عام ١٨٣١ على طريق المريش باصلاح وترميم آبار المياه على طول «طريق حورس» القديم عند «قطية» و «العبد» و «الزار» و «العرشي» و «الشقي زويد» و «خان يونس» و «غزة»، كما نظم خطا للبريد بواسطة الهجانة على طول هذا الطريق، وأقام حرسا على الابار ومحطات البريد لمواجهة غارات البدو التي اضطر ان يجرد لها حملة تاديبية صغيرة بعد ذلك (١٨) وكانت «سيناء» في ذلك العهد تغطي اولى خطراتها الحديثة نحو إستعادة مركزها الاقتصادي القديم، وذلك عندما ارسل محمد علي مهندسا فرنسيا يدعى «لينان» إلى جبل الطور ليدرس على الطبيعة امكانيات التمددين هناك ضمن محاولاته المتعددة لاكتشاف المواد الخام اللازمة للصناعة الحربية التي انشأها لخدمة استراتيجيته العامة، وكان ذلك في عسّام ١٨٢٥ وقد قام «لينان» هذا برسم خريطة لسيناء لثناء جهته هذه (التي لم نعرف نتائجها العملية) وهي اول خريطة لسيناء في التاريخ الحديث (١٨). وبعد ان قشلت استراتيجية محمد علي العسكرية التوسعية في مواجهة تدخل أوروبا الرأسمالية، وخاصة إنجلترا، ومساندتها لتركيا أو «الرجل المريض»، وانفجرت عن مجرّد احتفاظه لآسره بحكم مصر ضمن تبعية شكلية لتركيا وبده تبعية فعلية غير مباشرة للاستعمار الأوروبي، تضمنت الفرمان الذي أصدره السلطان محمود الثاني ل محمد علي سنة ١٨٤١ اعتبار «سيناء» أرض مصرية تابعة لولاية مصر وتمتد حدودها من «رفع» شمالا حتى خليج العقبة بما فيها «الحقبة» نفسها وقلاعها التي كانت مصر قد بنتها وتشرف عليها منذ العصور الوسطى بقصد تأمين طريق الحج البري بينها وبين الصحان (١٨).

«سيناء» والاستعمار البريطاني

لقد كان «نابليون» يلح على حكومة الثورة الفرنسية بضرورة احتلال مصر لانه يعتبرها أهم موقع استراتيجي في العالم كله، ولذلك قيل من بعده «قل لي من يسيطر على مصر، أقل لك من يسيطر على العالم» (١٩). ولقد كان من أخطر

أسفر صراع السلطة الداخلي في مصر الذي تخله خروج الحملة الفرنسية عنها، وهو الصراع الذي دار بين أطراف ثلاثة: الممالك والعثمانيين والشعب المصري، عن استيلاء مغلغل عسكري عثماني على حكم مصر واستقلالها بها كدولة لها قلبها الاقتصادي والاستراتيجي لخصاله الخاص، وذلك لأسباب عدة لا محل لتكرها الآن، أهمها ثمانية البورجوازية المصرية - أو نواتها الأولى في الواقع - بجناحيها من تجار ومتقنين، معزلة في قائدها السياسي «مهر مكرم»، في الانفراد بالسلطة، وتلك طائفة غريبة تكرر حدوثها على طول تاريخ مصر كاستعمرة، ويشهد بها ويؤكدها عهد الدولة الطولونية والاضشيدية والفاطمية والابيرية والملوكية وعلى يده الكبير ثم أخيرا محمد علي. ولقد استفاد محمد علي من الضربة للقاصمة التي وجهتها الحملة الفرنسية للطبقة القطاعية القديمة - أي الممالك - عسكريا واقتصاديا واجتماعيا، في استكمال تصفية هذه الطبقة سياسيا وجنوديا، وتركيز السلطة تماما في يديه جعما أيأها باحتكاره ملكية الأرض، أي بتأميم القطاع، ثم بتأميم التجارة والصناعة أي تصفية البورجوازية المصرية الوليدة. ولدت إجراءات محمد علي هذه فضلا عن أسفاله نظام الرى الدائم في القلتا، إلى زيادة المساحة المحصولية للزراعة، وبالتالي زيادة الثروة الاقتصادية للبلاد، مما شكّل الأساس المادي الجديد لمصر الدولة الجديدة، التي انطلقت تنهزم امبراطورية قطاعية على حساب الامبراطورية التركية القطاعية الهرمة، وسط معترك الصراع الدولي القائم بين الدول الرأسمالية الاستعمارية حول تركة «الرجل المريض» كلها لتصفيتها لصالح تطلعاتها للتزديدة حول أسواق الشرق وموارد المواد الخام والنقط الاستراتيجية الموجودة على طول طرق المواصلات البحرية منها.

(١٨) نوح الطير - تاريخ سيناء - المرجع السابق - صفحة ٥٤٤ و ٥٤٥.
(١٩) الشكور جمال جدران - المرجع السابق - صفحة ١١٥ و ١١٧.

نتائج الحملة الفرنسية على مصر أنها لغت نظريته
بريطانيا بيشدة إلى أن مصر كرمق قد تطلعت الطريق
إلى الهند «جوهرة التاج البريطاني» ولذلك تسارعت
بريطانيا في تنفيذ سياستها الزامية إلى الاستيلاء
على المراكز الاستراتيجية المتكبة في طرق
الحملة البحرية بينها وبين الهند والشرق الأقصى
عامه (٢٠) فكان أن احتلت «مالطة» - وقيل ذلك
كانت قد احتلت «جبل طارق» - ثم مدن عام ١٨٢٠
وذلك البحرين والكويت ومحميات الخليج
الفارسي، وبقي أمدها أن تستولي على قلب هذا
الخليط الطويل من المواقع الاستراتيجية للبحرية إلا
«وهو مصر» - حتى إذا ما شلت «قناة السويس»
بنفوذ فرنسي في ستينات القرن التاسع عشر
أصبحت ضرورة السيطرة على مصر أشد إلحاحا
من جانب «بريطانيا» لأن القناة أصبحت في
نظرها «شريان الإمبراطورية» وخط الحياة
شيء، بل لقد أدى شق القناة، وبالتالي
ارتفاع قيمة مصر المرفق الاستراتيجي إلى ثرا لم
يلعبها قط من قبل، إلى ظهور فلسفة استثمارية
عالمية غريبة عبر عنها الفيلسوف الفرنسي «رينان»
بقوله لنديسيس: «إن بلادنا حارص مصر لها مثل هذه
الأهمية لباقي العالم لا يمكن أن تكون مستقلة تماما
من الوجهة السياسية».

وقد استمر صدق هذه الأفكار يتردد وكانت
سبلات يديه على الأقل بالنسبة للقناة نفسها
حتى التأميم عام ١٩٥٦ وما تبعه من تكوين جمعية
المستثمرين بالقناة في «لندن» - وما كانت «سيناء»
في المعنى الشرقي الاستراتيجي للقناة بحكم أنها
مضيقا الشرقية مباشرة، فقد تركز اقتناء بريطانيا
عليها وهي تحضر خطتها للاستيلاء على مصر
وقناتها، ولذلك أرسلت من خلال الهيئات
الجغرافية وغيرها من المؤسسات العلمية - المدنية
في الظاهر العسكرية والاستراتيجية في الواقع -
بعثات إلى «سيناء» في الفترة من ١٨٦٨ -
١٨٧٠ لاستكشافها ودراساتها وأعداد خرائط
مفصلة لها والاتصال بالهياكل التي تمكنتها، وكان
من بين أفراد هذه البعثات وكثرتهم أهمية أستاذ
اللغة العربية في جامعة «كمبريدج» يدعى «هنري
هالي» تسمى باسم «الشيخ عبد الله» ليشهد عرب
قبائل سيناء بأنه مسلم كما حصل «لورنس» من
يبدو.

وقد عاد هذا الجاموس البريطاني إلى

«سيناء» مرة أخرى أثناء الحملة البريطانية على
مصر أبان الثورة العربية ليقيم خفية وتطلع خط
التطراف بين مصر والمصريين ونهضة عرب
«سيناء» أثناء العمليات الحربية في منطقة القناة
ضد الجيش المصري حتى لا يحاولون تخريب
السفن الإنجليزية العابرة فيها بالتعاون مع قوات
عربى، وخرج «بالر» عن «السويس» يوم ٨
أغسطس عام ١٨٨٢ قاصدا بلدة «نخل» عن
طريق «واوي» «سدر» ومعه ضابط من البحرية
وأخر من الهندسين ومترجم مسرد وطباخ
اسرائيلي وثيق الصلة بعرب سيناء وعشرة من
الجمالة الهوى، متظاهرا بأنه يريد مجرد شراء
جمال للحملة البريطانية من قبائل سيناء - ولكن
رجال هذه القبائل المتماطين مع الثورة العربية
انقضوا على «بعثة بالر» العربية وقتلوا أفرادها
جميعا باستثناء اليوم يوم ١١ أغسطس رهبا
بالرصاص في وادي قرب عين «نوي رجوم» - وقد
قامت سلطات الاحتلال البريطاني بعد ذلك بالبحث
عن قتل «بالر» ورفاقه وقبضت عليهم وحاكمتهم
وأجبرت بعضهم وسجنت البعض الآخر (٢١).

وباحتلال مصر أصبحت «سيناء» موقعا
استراتيجيا بالغ الأهمية في تأمين القناة والدفاع
عنها بالنسبة لبريطانيا، بل إن مصر كلها أصبحت
ضرورية للمحافظة على شريان حياة
الإمبراطورية ولذلك كانت بريطانيا حريصة
رعا أكثر من الحكومة المصرية نفسها ولقد في
المحافظة على حدود «سيناء» وتوضيح مطالبها
التي تفصلها عن فلسطين الخاضعة للإمبراطورية
العثمانية.

تحسين حدود سيناء عام ١٩٠٦

قبل القرن العشرين لم تكن حدود مصر
الشرقية، أي حدود شبه جزيرة سيناء التي
تفصلها سياسيا عن فلسطين، أو عن سوريا كما
كانت تسمى قديما، لم تكن هذه الحدود معينة على
نحو دقيق كامل - ولكن كان من الثابت والمعروف
تاريخيا أن حدود مصر في سيناء تبدأ شمالا عند
«رفح» - حيث دارت معركة كبرى بين أحد فراعنة
الأسرة الخامسة والعشرين والأشوريين عام
٧٢٠ ق م تقريبا - حيث دارت معركة كبرى أخرى
بين بطليموس الرابع ملك مصر وأنطونيوس ملك

(٢٠) توكلي جرجس - المرجع السابق صفحة ٢٩.

(٢١) نعم شير - المرجع السابق - صفحة ٥٧ - ٥٨.

ملحوظة: لم نذكر في دراستنا هذه كلمة المعارك التي شجتها سيناء على موارثها لأن المجال لا يتسع لذلك وإنما
أكتفينا بالاستعارة الاستراتيجي السياسية سيناء المصرية ويمكن للقارئ أن يرجع في معرفة التفاصيل معارك سيناء
إلى كتاب «سيناء الرعي المعارك» لعليل عبد الرحمن زكي - القاهرة ١٩٥٧.

العريش إلى خليج العقبة^{١٢} وتستقر إدارتها بيد مصر . ولما القلعة الواقعة شرق الخط المتكون فتكون تابعة لولاية الحجاز^{١٣} (٢٢)

وهكذا تنازلت بريطانيا عن العقبة المصرية لتتركها مقابل تخلى الأخيرة عن مطالبها في « سيناء » ! ولم تنته مسألة الحدود عند هذا الحد ، ففي عام ١٩٠٥ شرعت الإدارة الإنجليزية في سيناء في بعض التنظيمات الإدارية هناك وبناء سد لياه النيل في وادي العريش فأجحت تركيا على ذلك لأنها خشيت إقامة بريطانيا لقواعده عسكرية هناك تهدد سوريا وفلسطين ، وفاجت من جانبها بإنشاء نقط عسكرية في القسيمة والكوتلا ، وهي أراض مصرية ، فردت بريطانيا بوضع نقطة حدود في تقب العقبة وادي « طابا » ، ولكن الحامية التركية في العقبة تصدت للقوة المصرية التي أرسلت هناك لمناصب تلك القوة إلى جزيرة « فروع » الواقعة عن بعدة ميلين من « طابا » وشأنية أعمال من العقبة ونحو ٢٥٠ مترا من ساحل سيناء وتعتبر جزءا منها ، وكان ذلك في يناير ١٩٠٦ . فأسست بريطانيا الطراد « ديانا » في ١٧ فبراير ١٩٠٦ إلى هذه الجزيرة وعلى ظهره مدفوع من الحكومة المصرية (وهو « نوع شقير » الموظف المصري السوري الأصل الذي كان يعمل بوزارة الحربية وفي المخابرات بالذات لفترة طويلة) ، وهو مؤلف كتاب تاريخ سيناء السابق الإشارة إليه في عديد من المواضع) للتفاوض على مشكلة الحدود هذه [٢٢] . ولكن المفاوضات وقتئذ لم تسر من نتيجة محددة . ثم قامت تركيا بنزع عمودى الحدود عند رفح وأقاموا ببلهم علامات حدود جديدة في ١٢ أبريل ١٩٠٦ داخل أرض مصر ، فأرسلت بريطانيا طرادا آخر إلى رفح وعلى ظهره نفس المندوب المصري السابق يوم ٢٨ أبريل إلى الشاطئ المواجه لرفح وأعطت لتركيا نيتها في استخدام القوة ما لم يمد عمودا الحدود إلى مكانهما السابق مع أخلاء وادي « طابا » عند العقبة من الجنود الاتراك . وقد كانت كل هذه التصريحات تشكل بدايات استخدام التناقضات الامبريالية بين بريطانيا وألمانيا وتركيا التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الأولى فيما بعد .

وقد حضرت فرنسا وروسيا القيصرية مؤقفا بريطانيا من مشكلة حدود سيناء ، ولأن ألمانيا لم تكن على استعداد لخوض غمار الحرب وقتئذ ، فقد اضطرت تركيا إلى التسليم بمطالب بريطانيا

سوريا هزم فيها **الأتراك** عام ١٩١٧ ق م . و سيناء أقدم منذ زمن قديم عمودان من الجرانيت المصري لتوضيح بداية حدود مصر ، وقد ورد ذكر هذين العمودين في أخبار فتح عمرو بن العاص لمصر وفي كتب عديد من المؤرخين العرب مثل اليعقوبي في كتابه « البلدان » وغيره . كما ورد ذكرهما في الكتابات التبشيرية لحملات نابليون على سوريا إذ قيل فيها « واستأنف الجيش السير في ٢٤ فبراير سنة ١٧٩٩ ، وفي الطريق حيا العمود المشيدة في الصحراء لتعيين الحد بين أفريقيا وآسيا حتى وصل خان يونس » وخان يونس هذه هي البلدة التي تلى رفح مباشرة داخل فلسطين كما هو معروف .

وكان الحد الجنوبي لهذه الحدود هو بلدة العقبة التي كانت تسمى قديما « إيلة » (واسم إيلة الحالي هو تعريب لذلك الاسم القديم) وقد استولى الصليبيون عليها ذات مرة ليعزلوا مصر بريا عن الشام ولكن صلاح الدين الأيوبي استردها منهم بسرعة عام ١٢٦٦ وترك بها حامية دائمة .

وظلت العقبة بعد ذلك جزءا من مصر ينتمي عندما طريق الحج المصري الذي كان يبدأ من السويس ويمر ببعل ، وقد بنى فيها السلطان المملوكي « قنصوه الغوري » قلعة لتأمين الطريق المذكور ضمن بقية القلاع الأخرى التي كانت بنية على امتداده . ولقد كانت كل فرمانات تعيين محمد علي وخلفائه تعتبر العقبة وسيناء كلها دائما جزءا من ولاية مصر ، إلى أن تولى الخديوي عباس حلمي الحاكم عام ١٨٩٢ ، وهو أول خديو يمين بعد الاحتلال البريطاني لمصر ، فانتدب السلطان عبد الحميد الفرصة ليمنع سيناء عن سيطرة بريطانيا والعقبة بالذات أيضا تحقيقا لسياسته الخاصة بحركة الهجامة الإسلامية وثامينا لسط السكة الحديد الذي كان ينوي مده إلى الحجاز عن طريق العقبة بمعية لألمانيا ، ولذلك أصدر للفرمان الخاص بمبايعة الثاني في ١٧ يناير ١٨٩٢ . وقد أخرجت منه سيناء والعقبة من ولاية مصر . ولكن الحكومة المصرية رفضت ذلك بتأييد قوى من بريطانيا ، فأرسلت تركيا برقية أخرى في ٨ أبريل ١٨٩٢ ، متعرف فيها بإدارة مصر لسيناء ، ثم أرسل اللورد « كرومر » مذكرة إلى السفارة البريطانية في الإستانة لإبلاغها إلى الحكومة التركية بوضع فيها شروط موافقة بريطانيا على أية تحويلات تدخل على الفرمانات المنظمة لعلاقة تركيا بمصر وإن سيناء هي « الأراضي المحيطة شرقا بخط يمتد جنوبا بشرق من نقطة تبعد مسافة قصيرة عن شرق

بريطانيا بفصل مصر نهائيا عن تركيا وحزمت الخديوي عباس حلمي الثاني وولت السلطان حسين كامل بدلا منه مظنة فرض الحماية البريطانية على مصر . وقد حاولت تركيا أن تستعيد مصر من أيدي بريطانيا بواسطة هجوم برى تشنه قواتها من فلسطين عبر سيناء لاحتلال منطقة القناة بينما تقوم قوات «السفوسى» من ليبيا بمعاونة بعض الضباط الأتراك والألمان بشن نوع من حرب العصابات على القوات البريطانية في الصحراء الغربية لتشتيت جهودها وعدم تركيزها في جبهة القناة وحدها .

وقد حشدت القيادة التركية - والتي كان يعمل معها بعض الضباط الألمان - في جنوب فلسطين حيث اتخذت من «بير سبع» قاعدة رئيسية للمميلات ، جيشا بقيادة جمال باشا مكونا من ٢ فرق مشاة والآل فرسان وبعض المدفعية ومن بينها مدافع هاوتزر جبال ٦ بوصة فضلا عن عدد كبير من المتطوعين العرب . وقد بلغ حجمه عند جنون الحملة التركية نحو ٣٠ ألف جندي مخصص منهم نحو ١٥ ألف جندي لمبور سيناء في المرحلة الأولى ، وقد راس هيئة أركان حرب هذه القوات الكولونيل الألماني «فون كرسنسشتاين» [٢٢]

كما صاحبت القوة التركية المهاجمة مريتان من المهندسين تحملان معها كيارى حائفة وقوارب لعبور القناة ، وفي منتصف نوفمبر تقريبا عام ١٩١٤ بدأت القوات التركية زحفها عبر سيناء خلال طرقها الرئيسية الثلاثة . فمن رفح تقدمت قوة تضم نحو ٣٠٠٠ جندي من بينهم وحدة فرسان وأخرى المدفعية تأسدة العريش ثم بئر العبد قطاطية فالقنطرة ، ومن العوجة تقدمت قوة تضم نحو ٧٠٠٠ جندي معهم المدفعية الثقيلة ووحدات الكبارى المانعة قاصدة منطقة الاسماعيلية مارة بابو عجيبة فيبر الحصة فيبر روض سالم فالجفافة . ومن بئر سبع تقدمت قوة ثالثة تضم نحو ٣٠٠٠ جندي ومعهم بطارية مدفعية جبلية قاصدة السويس عبر طريق نخل - مصر مثلا إلى طريق الحج القديم

وكان للهجوم الرئيسى هو الذى ستقوم به شعبة الوسط ، أما القيادة البريطانية فقد واجهت هذا الزحف بالاتصاف من سيناء إلى الضفة الغربية للقناة حيث تخففت قواتها البالغ عددها نحو ١٧ ألف جندي في استحكامات ميدانية جيدة الامدادا

وقامت قفلا بمسحب قواتها من رفح وقابا في ١٤ مايو ١٩٠٦ . ودخلت بعد ذلك في مفاوضات طويلة حول تحديد خط الحدود دارت معظمها في رفح ، وبعضها في «العقبة» مع وفد مصرى يرأسه اللواء ابراهيم فخفى وعضوية سدير الاخبارات الانجليزى ونحوم شقير ، تحدثت مهمته في التفاوض من اجل رسم خط للحدود يبدأ من رفح وينتهى في نقطة تبعد على الاقل ثلاثة أميال من العصب ويحوى خطا يقرب من المستقيم ، وفوضى الوعد في اجراء اية تغييرات طفيفة في هذا الخط بفصد تسهيل ادارة الحدود على الطرفين . وقد سبق هذه المفاوضات التفصيلية مفاوضات تمهيدية أخرى على مستوى عال في لندن والاستانة حاولت فيها تركيا ان ترسم حدود مصر بخط يبدأ من العريش الى السويس ومنها الى نيب العقبة ويهذا يضم وسط سيناء ورفح الى فلسطين . ولكن مصر وبريطانيا رفضتا هذا المشروع . فقدمت تركيا مشروعاً اخر بقسمة سيناء بخط مستقيم يبدأ من «العريش» شمالا الى «راس محمد» جنوبا الى غرب «شم الشيخ» ويصحب القسم الغربى تابعا لمصر والشرفى تابعا لفلسطين او سوريا كما كانوا يقولون قديما . ولكن مصر وبريطانيا تمسكتا بالحد التاريخى المعروف لسيناء .

وقد قامت لجنة المفاوضات المذكورة برسم خرائط للحدود بمعاونة مهندسين انجليزيين من مصلحة المساحة المصرية ، ثم وقعت اتفاقية الحدود في «رفح» يوم اول أكتوبر عام ١٩٠٦ ، وقعت اثر ذلك اقامة ٦٦ عمودا من الحجر قاعدة كل واحد متر مربع وارتفاعه متران ونصف ويصطب المسلة على طول هذه الحدود ويبحث يرى كل عمود من الذى يليه ، وأقيم اول عمود منها في رفح على تل الخراب وآخر عمود عند رأس طلبا [٢٢] .

«سيناء» والحرب العالمية الاولى

وصلت حدة الصراع الامبريالى المالى الى عنفوانها بين الدول الاستعمارية القديمة والحديثة من اجل اعادة تقسيم المالم الذى سبق تقسيمه اثناء القرن التاسع عشر والثامن عشر وفق علاقات القوى القديمة ، ففتيت الحرب العالمية الاولى في أغسطس عام ١٩١٤ . وانضمت تركيا الى جانب ألمانيا لمها تستطيع بذلك ان تدعم امبراطوريتها المنهارة وتمتخلص من أيدي بريطانيا ما سبق ان فقته من مستعمرات مثل «مصر» - فصارمت

(٢٢) المطبوعات عن معارك سيناء خلال الحرب العالمية متوفرة لدى مكتب التاريخ ٢ ميد القصرين رقم ٢ ب
 «سيناء أرض المعارك» - القاهرة ١٩٥٧ - صفحات ٢٠٤ - ٢١٤ .

الناحية العسكرية الى تغيير استراتيجية الدفاع عن مصر غربى القناة واستقبال العدو المرمق من المسير عبر صحراء سيناء القاحلة خلف الخندق المائى العظيم بديران دفاعات ثاقبة قوية، لانها أدت فى التطبيق - رغم قصر فترة القتال نسبيا - الى تعطيل الملاحة، وحركات الجيش البريطانى فى مصر من مهمته الاساسية وهى حماية القناة شريان حياة الامبراطورية الى الاحتماء بالقناة نفسها وبالتالى تحقيق الهدف الاستراتيجى الاساسى للهجوم على مصر ولولفترة قصيرة وكان يمكن ان يستمر متحققا لفترات أطول لو كان الجيش التركى أكثر عددا واحسن عتادا واضمن ثميننا وامدادا باحتياجات قتالة .

ولذلك قررت القيادة البريطانية تطهير «سيناء» من القوات التركية وأن يكون الدفاع عن مصر والقناة عند حدودها بضغط دفاعى يمتد من « المريش » الى « القصيمة » مسافة ٤٥ ميلا تحرسه قوات محتركة بدلا من تقييد نحو ١١ فرقة فى استحكامات الضفة الغربية لقناة السويس ، وذلك على اعتبار ان هذين الموقعين يشكلان مفتاحى صحراء سيناء فى الشمال والوسط خاصة وأن بهما آبار المياه الرئيسية هناك . ولذلك هبرت القوات البريطانية للقناة الى الضفة الشرقية فى بداية عام ١٩١٦ فى القطاع الشمالى وزحفن نحو قاطية ورمانة باندث بذلك سلسلة من العمليات الحربية التى تغلغلها هجوم تركى مضاد على هذا القطاع فى يوليو - اغسطس ١٩١٦ ، انتهت بمعركة كبرى عند رمانة انتصر فيها الانجليز ، ثم احتلال «العريش» بعد ذلك ومد خط للسكة الحديد من القنطرة اليها لتأمين القوات البريطانية خلال مماركها الاخرى فى تطهير بقية « سيناء » ثم لتأمينها بعد ذلك اثناء حملة « اللبى » الشهيرة فى فلسطين عام ١٩١٧ بعد مد الخط الى « رفح » وبذلك بلغ طول هذا الخط الحديدى نحو ٢١٠ كيلو مترات وظل مستخدما حتى يونيو ١٩٦٧ . وعموما فان الممارك الهجومية التى شنتها القوات البريطانية على القوات التركية فى سيناء خلال عامى ١٩١٦ و ١٩١٧ فى حاجة الى دراسة خاصة مفصلة باعتبار انها تمثل خبرة هامة فى تكتيكات الهجوم على عدو مرابط شرق القناة فى التاريخ العسكرى الحديث .

تمزعا المدفعية ، واحتياطى فى المؤخرة من الفرسان ، فضلا عن القطارات المدرعة المتحركة فى دوريات بين السويس وبورسعيد ، وبعض المعفن الحربية المربطة فى بحيرة التمساح وطاقرات الاستطلاع . ولتصير جبهة الدوريات فى القطاع الشمالى من القناة قامت القيادة البريطانية بفتح مدين مياه البحر على الارض المنخفضة بين بورسعيد وشمال القنطرة - فلقد كانت استراتيجية القيادة البريطانية وقتئذ فى الدفاع عن مصر تقوم على استخدام القناة كمنع مائى يحميه حاجز صحراوى هائل صعب الاجتياز خاصة على جيش لايسانده امطول من البحر المتوسط يسهل له نقل المؤن والعتاد الثقيل . ولكن الجيش التركى الصغير المدد نجح فى عبور صحراء سيناء رغم اعتماده على ٨٠٠٠ جمل لنقل المياه والمؤن فقط وعدم وجود ميكانيكية أو قطارات حديدية ، وشن سلسلة من الهجمات المتواصلة القوة على القنطرة والصويس فى ١٥ ، ٢٧ ، ٢٨ يناير عام ١٩١٥ . ثم قام بهجومه الرئيسى على منطقة الاسماعيلية فيما بين نقطتى المحنة ومرابيوم فى الفترة ما بين (١ - ٤ فبراير ، محاولا عبور القناة بقوارب الكبارى العائمة ليلة ٢ فبراير فيما بين « طوسون » و « مرابيوم » تحت حماية نيران المدفعية والرشاشات ، وتمكنت ثلاثة قوارب من الوصول الى الضفة الغربية ولكن تم قتل أو أسر جميع من كانوا فيها وهكذا فشل الهجوم التركى على القناة وانسحب المهاجمون اثر ذلك الى داخل سيناء ، وقد عبر لواء فرسان انجليزى القناة يوم ٤ فبراير عند المعينة لاستطلاع الموقف ولكنه لم يطارد الاتراك المتحسين ، وفى ٥ فبراير اكبت تقارير الاستطلاع الجوى انصحاب العدو على جميع الطرق واميدت الملاحة فى القناة نهارا ثم ليلا . ايضا بعد ذلك بأسبوع واحد . هذا وقد كانت القوات البريطانية للدفاع من غرب القناة موزعة على ٤ قطاعات على النحو التالى من الجنوب الى الشمال : **القطاع الاول** ويضم الشط والكويرى **بيجيفه** ، **القطاع الثانى** ويضم ديفرسوار **إسرابيوم** ، **القطاع الثالث** ويضم المعينة وفردان **والبلح** ، **القطاع الرابع** ويضم القنطرة وملاحات بورسعيد .

وقد أدى هذا الهجوم التركى الضعيف الاثر من

« سيناء » والإطماع

الصهيونية القديمة

كانت الحركة الصهيونية بزعامة « هرتزل » تبذل كل جهد لها منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين من أجل اقتناع سُلطان تركيا « عبد الحميد » بالسماح بالهجرة الجماعية لليهود إلى فلسطين واعطائهم نوعاً من الحكم الذاتي مقابل أن يقوم اليهود بتنظيم مالية تركيا المرتبكة وتقديم القروض لها . وقد حاول « هرتزل » أن يدفع المانيا بإعتبارها حليفة لتركيا إلى الضغط عليه كي تقبل هذا المطلب الصهيوني . ولكن السلطان رفض عرض « هرتزل » وهذا ولم تشأ المانيا من جانبها أن تمارس بمثل هذا الضغط خشية اغضب تركيا وأثارة الدول الأوروبية الأخرى المترتبة بامبراطورية الرجل المريض وهي بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية (٢٤) . ولذلك اتجه « هرتزل » إلى بريطانيا يطلب تبنيها للحركة الصهيونية ومطامعها في فلسطين وهو يعلم أنها متعاطفة تاريخياً مع هذه الفكرة بدليل أن رئيس وزرائها في عصر محمد علي وهو المستر « بايلستون » كان قد عرض على سلطان تركيا في عام ١٨٤٠ مشروع توطين اليهود في فلسطين لأنه على حد قوله في مذكرته بهذا الخصوص لسفير بريطانيا في تركيا المؤرخة ١١ أغسطس ١٨٤٠ ، إذا عاد الشعب اليهودي تمت حماية ومباركة السلطان فيسكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل (٢٥) ! وهكذا نشأت لدى بريطانيا ، أي الاستعمار الامبريالي الغربي مامة — فكرة الحاجز الاسرائيلي بين مصر وقلب الشرق النابض ، وبقية الشعوب العربية منذ أكثر من مائة عام !

وقد اتجه « هرتزل » أولاً وهو يناشد ويفاوض بريطانيا حول هذا الموضوع إلى الحصول على ما تصور أنه ممكن بالنسبة لها في ذلك الوقت ، وهو اعطائها اليهود سيناء أو جزءاً منها ليستوطنوا

فيه حالياً ويختفونه قاعدة لرحلتهم أو استيلائهم مستقبلاً على فلسطين . ولذلك نجد « هرتزل » يكتب رسالة إلى « شومبرلين » في ١٢ يوليو ١٩٠٢ . مقصدة تفصيل مشروعه بتوطين اليهود في « سيناء » يقول فيها « الرجاء أن تجد طلبة ملخصاً عاماً لمخطط تسكين اليهود المشردين في شبه جزيرة سيناء وفي فلسطين المصرية وفي قبرص .. أن توطين اليهود شرق البحر الأبيض المتوسط سيقرى إمكان الحصول على فلسطين » (٢٥) ، ثم نراه يكتب بعد ذلك مذكرة إلى « لانتسون » في ٢٤ أكتوبر ١٩٠٢ يقول فيها « تمتلك إنجلترا الآن في جنوبى شرقى البحر المتوسط مقاطعات خالية من السكان لا قيمة لها هي المنطقة الساحلية المؤلفة من العريش وشبه جزيرة سيناء . ان هذه المنطقة يمكن أن تصبح ملجأ ووطناً لليهود المضطهدين في جميع أنحاء العالم اذا سمحت إنجلترا لليهود باقامة مستعمرة هناك » . ولقد قضيت وقتاً .. اتفاوض مع الحكومة التركية باسم الحركة الصهيونية للتنازل عن قسم من فلسطين ، على أن المفاوضات التركية تأخذ وقتاً طويلاً ، وأنا أنوى السير في هذه المفاوضات مع السلطان .. لا بد أية شبهة في أن استيطاننا في العريش وغيره ، اذا أخذنا سيكون غير مسمى . أما من الناحية العملية فالاستيطان سيسير مبدئياً كما يلي : تمنحنا الحكومة البريطانية امتيازاً للمقاطعات المطلوبة .. وعلى أساس هذا الامتياز سنؤسس شركة استيطان « الشركة اليهودية الشرقية » بمبلغ خمسة ملايين جنيه ك رأس مال . وتقوم هذه الشركة بأعمال الاستيطان حسب التخطيط . فيذهب موظفون منيون وخبراء زراعة حالا إلى هناك لتهيئة الطرق والسكك الحديد والموانئ ولدراسة المساحات وتقسيمها » (٢٥) ! وقد توقفت المفاوضات حول « سيناء » بعد ذلك لأن إنجلترا وجدت معارضة مصرية لذلك اقترح ، كما أنها خشيت الأثرة مخاوف تركيا بالنسبة لاستعداداتها في سيناء ، وهي خشية اكتنفها أحداث الحدود عام ١٩٠٦ .

(٢٤) أحمد بهاء الدين — اسرائيليات — القاهرة ١٩٦٧ — سلسلة كتاب الهلال العدد ٢٠٠ — صفحات ١٨ و ١٩ .
(٢٥) وثائق القضية الفلسطينية — الجزء الأول — القاهرة — مركز دراسات الشرق الأوسط — وثيقة ١٢ — صفحة ٢١ وثيقة ٥١ صفحة ١٢٩ وثيقة رقم ٥٢ — صفحات ١٢١ و ١٢٢ .

«سيناء» الاسيرة

منذ يونيو ١٩٦٧ ترسفت «سيناء» في أغلال الاسر الاسرائيلي تجمع وترنو رمالها ، التي ارتوت بدماء آلاف الشهداء ، الى شعب مصر الذي يقف صامدا على الضفة الغربية للقناة ، حزين لانها حرمته أمنها وعمقها ، حرمته حماية نهره الشرقي الحصين ترنو وهي صابرة . على مضض ليوم خلاصها ، يوم تسير فوقها اقدام جنود مصر وترسم بناباتهم علامات جئنا ليرها فوق حباتها - ان سيناء . ليست مجرد صحراء جدياء ، وليست مجرد جبال صماء ، وليست أرض البترول والنحاس والفيروز فحسب ، انها تحتل موقع القلب من الصحراء المصرية العظيمة . حامية مصر العمران والسكان والحياة . ان سيناء جزء لا يقدر يمال من التراب المصري والوطن العربي ، ان سيناء تحتل في الوجدان المصري الوطني ما تحتله القاهرة والبلتا والصعيد ، فلقد نهضت مصر الشعب مصر الدولة المستقلة ويدات مسيرتها من

لجل أن تملأ بقوتها الاقتصادية والعسكرية والحضارية فراغ موقعها ، ولذلك لم يكن مصادفة ان يسمى الاستعمار الى سلبها «سيناء» ليطل من سقفها فوق الوادي الاخضر وهي تبني استقلالها ويصوب اليها ضربات خطيرة .

لم يكن من المصادفة أن تحتل اسرائيل سيناء وتتمسك بها سواء في صورة احتلال كامل او جزئي لها أو في صورة نزح سلاحها لتؤكد بقاءها ولتؤكد عزل مصر برها عن ارتباطها التاريخي بالشرق العربي ، وتلغي أحد الشروط الجوهرية للقومية العربية وهو شرط الأرض المشتركة (٢٦) شرط الاتصال البري بين المشرق والمغرب العربي .

ان النضال من أجل تحرير سيناء والأرض العربية المحتلة يعد من صميم المسألة الوطنية المصرية في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من تاريخ نضال الشعب المصري بقدر ما هو من صميم المسألة القومية العربية .



« لم تشرش في عقائنا هذا للجيالات الاسرائيلية العسكرية علم سيناء في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ والتسببوا بالاستفادة منها لان لك موضوع دراسة مستقلة . نأمل ان نتمتع بمستقبل نقول فيها الطبيعة الاسرائيلية لسيناء الان في الحرب الحديثة على تخطيطها واستعدادا للاستقاء التاريخي لوتهم الاسرائيلي العام المسمى قضاه في دراستنا هذه .

(٢٦) راجع في هذا المعنى القسار القيم للاستاذ محمد عبارة (سيناء والشرط الثالث للقومية العربية) المنشور بمجلة الهلال المصرية عدد يونيو ١٩٧١ صفحات ١٢ - ٢١ .



القاهرة .. وموقعها من النضال العربي

د. محمد علي الشهازي

التحرير الوطني الديمقراطي العربية ذات التوجيه الاشتراكي ؟

أن هناك من الأسباب ما يكفي لتبرير إعادة طرح مثل هذا التساؤل الذي تبدو اجابته بديهية ومفهومة سلفاً ، دون حاجة الى مساء أو بحث ، بل ومتقناً عليها ، وبغروفا منها ، ويمكن تتبع أبرز هذه الأسباب بالابتداء بأحداثها ، وأكثرها قرباً من الانمان .

موجة رومانسية

فلقد سادت بعض أوساط المقاومة الفلسطينية - وفي غمرة الصماس الجارف المحيط بها - موجة ثورية رومانسية ساخنة ، وتقييمات ذات فعالية ، اعتبرت بمقتضاها نفسها « طليعة الثورة العربية » ، وفرقتها الصدامية الأولى ، وراس الرمح فيها ، وذلك انطلاقاً من زاوية تصديها لدولة العدوان الصهيونية - منذ معركة الكرامة في الأردن التي كانت دون شك من أشرف وأروع الوقفات الشجاعة التي ساهمت في إعادة الاعتبار

حركة تاريخية أصيلة ؟ قادرة على التأثير الواسع والمسبق على مجريات الأحداث العالمية مركز ثقل تاريخي ، ماديا كان هذا المركز أو سياسيا ، أو حتى روحيا ؟ إن لم يكن كل ذلك .

كل

فكما مرقت لندن - على سبيل المثال فقط - بانها القلعة المتينة للاستعمار القديم ، وعرفت واشنطن بانها : القاعدة المتروبولية ، والزعيمية السياسية للاستعمار الجديد ، فإن الاتحاد السوفيتي أصبح ليس فقط الدولة الاشتراكية الأولى ، بل والاساس التاريخي والمبادئ ، العلمي والتكنولوجي للاشتراكية العالمية .

وفي إطار حركة التحرير الوطني الديمقراطية العالمية ذات المضي الاشتراكي اختلفت وما تزال تحتل كوبا - في أمريكا اللاتينية - مركزا قياديا في الثورة غير منازع ، تماما كما هو الحال بالنسبة لفرنسا في الشرق الاقصى التي تتمتع بنفس الموقع القيادي الثوري المبع والمهم .

فأين يقع - مرة أخرى - المركز القيادي لثورة

مختلفت المستويات ، وحشدتها للرأي العام العربي ضد المتآمرين عليها ، قد برهن مرة أخرى أين هي الخلفية العربية الرعينة ، القادرة على التآمر ، والتي يمكن الاعتماد عليها في دعم الثورة الفلسطينية ، وتمكينها من مواجهة المصاعب المحيطة بها ، ومساعدتها على الثبات والوقوف ضدها .

لعبة المحاور

وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ مباشرة بدأ أن يمشى القوى العربية قد وجدت أن الوقت ربما أصبح الآن أكثر مواتة لها ، لتسلم الدور القيادي من يد القاهرة إلى البعث في العراق الذي - ورسالة تقوم على بعث الماضي العربي دون تمييز بين إيجابياته وسلبياته - كانت تملأ رأسه حسوس وخيالات الصراع القديم بين عاصمة العباسيين في بغداد ، وعاصمة الفاطميين في القاهرة ، ويريد في النصف الثاني من القرن العشرين - تحت تأثير هذه النظرة الثورية الساذجة وكجزء من حركة الإحياء والبعث العربي - أن يصبح مسار التاريخ ، في المنطقة ، فيفسح حد لحركة التمرد

ولعملية « الإغتناب التاريخية » التي قامت بها القاهرة المزمع بالتزاعها زمام الخلافة والقيادة من مكانه الأصلي والأصيل في بغداد ، وينتهي سياسة التطاول على هذا « الحق الإلهي » التي طال مداها ، والذي كان قد سقط - بفعل طوبى غير المبرر لتحقيق رؤيته التاريخية الضيقة هذه ، ولتحقيق رسالته الخالدة المنيعة - في شرك لعبة الصراع الخطرة والمدمرة بين بغداد والقاهرة التي غزل ونسج حبالها الاستعمار البريطاني منذ أيام نوري السعيد ، تكريسا لسياسة « فرق تسد » الاستعمارية .

ولذلك فإن حزب البعث البعثي في العراق الذي كان قد غرق في لعبة ساء القوى التقدمية التي سقها في العراق « بعث » هجاء في ليل هزيمة حزيران البهيم باتغلب ١٧ يولية ١٩٦٨ بين زغرودة وتهلل دوائر معينة في شجرة نسط العراق ، ليكون

والكرامة للامة العربية التي كانت ما تزال حتى ذلك الوقت ترفع وتنزف دما من آثار طمعة يونية النجلاء الفائرة ، ومن حيث احتضان حركة الثورة العربية لها ، واعتراقها بمكانتها ، ومن ناحية طرحها الايديولوجي والسياسي المتصاعد الحدة لقضية النضال ضد الصهيونية ، والاستعمار ، والرجعية في وقت واحد ، ورغما لشعار القضاء على المصالح الامبريالية في المنطقة العربية دون ابطاء ، ومن واقع اشتباكها في سبتمبر ١٩٧٠ مع السلطة الاردنية في معركة غير متكافئة ، غاضتها باسم الامة العربية كلها ، وبغاما من ثورتها في مواجهة هجمة رجعية مفهورة ضارية ، اشتركت في التخطيط والاعداد لها قوى الاستعمار والصهيونية معا . بقصد كبح شبكة المقاومة ، وتطعيم نسلها المسدد الى خسر الحلف الموالي الثلاثي بوجرض تصفية القضية الفلسطينية من شاسعها ، واحباط قيام الجبهة الشرقية نهائيا ، وعزل الجبهة الغربية الصاعدة في امتيصال ، واضعاف حركة النضال العربي بمرمتها .

وبلغت هذه الثورية الرومانسية لدى المقاومة الفلسطينية وهذه النظرة غير الموضوعية بسدد تقييمها لحركتها حد أن تتصور أن أو أن تطمح الى أن ترى في نفسها المثل الثوري الفيتاني ، وحد أن « يذل دائما أن ثورة فيتنام سيساعدها وجود « هائي » . . وثورة فلسطين تحتاج بالذاتي الى « هائي عربية » ، وحسد أن تحلم « بأن تكون « عمان » بوضعها الخاص من فلسطين والفلسطينيين ، في إطار الظروف العربية المعروفة « هائي » من نوع ما » (المصدر ٩ - ٤ - ١٩٧١) ، إذا لم تكن عمان هائي ، فهل يلزم أن تكون سايجون ، أحمد بهاء الدين) .

إن المؤامرة التصوفية التي اخذت تتعرض لها المقاومة الفلسطينية منذ سبتمبر ١٩٧٠ على يد حكام عمان المتواطئين مع الصهيونية والاستعمار ، والذين الشهور الذي لمبه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر لإيقاف هذه المؤامرة الدموية ، ولحماية الثورة الفلسطينية ، واعطائها فرصة تنمية قواها ، وتصلب حودها ، لاستكمال بنائها نفسها ، وسقط وهو يؤيد بالمال ، وتصدى الجمهورية العربية المتحدة بجهدا عظيما للذود عن المقاومة ، وعلى

محاولة بعث العراق

الحلول محل ناصر

وعندما سقط القائد العربي المخالف جمالٌ فيه الفاسر في معترك النضال تخلصت قيادة البعث الليبيني في العراق الصمداء ، وخيل إليها أنه يذاهب ذمبت الريح العاتية التي كانت تصطف بتطلعاتها السياسية ، وتعرض طريق تحقيقها ، وخلت المساحة المويبة ليس من الزعامة التاريخية القوية المنافسة لها فحسب ، بل ومن أي منافس جديد على الإطلاق ، وإن طليها الآن أن تركب وتكثف جهودها - ويختلف الوسائل - من أجل انتزاع زمام القيادة ، والامساك بمعضا الريادة وتحقيق رسالتها: الخالدة التي لا يشاركها فيها أحد - حتى حرك البعث في سوريا - في صدق الإيمان بها ، ومعرفته أمرار كنهونها ، وفي العمل الجاد من أجل تحقيقها .

وعندما امتزجت مصر ، وامتزجت منها أمتها العربية كلها بأحداث ١٤ مايو ١٩٧١ - ، خربها واشلقتها على وحدة مصر الوطنية من أن تعرض للضرر ، وتعرض معها وحدة وحركة النضال العربي في مجموعها لضرر جليل لم يكن لأداة البعث الليبيني في بغداد من هم سوى إطلاق لسانها بما يمن لها من القول ، ويؤمن تلك أو حساب ، وصير لها أن قاهرة الناصر ستستقط هذه المرة تحت وطأة زيمتها الداخلية ، وستسقط معها الناصرية أيضا ، بعد سقوط ناصر نفسه ، وأنه لم يد بين « ميموت » المنايا الالهية الجديد ، ورائد حركة البعث والتجديد ، المقرر له قيادة الأمة العربية في العصر الحديث ، وبين استلام زمام هذه القيادة سوى قاب قوسين أو أبغى ؟

عبد ونور القاهرة القيادي

إن هذا الموقف النضالي لحزب البعث الليبيني في العراق لم يشاركه فيه أحد أو حكومة من حكومات الدول العربية الوطنية التي بدفها القلق على مستقبل مصر ، ومستقبل الأمة العربية معها إلى حد إرسال وفودها إلى القاهرة للامتنان على الإرضاع فيها ، بعد البزة التي تعرضت لها ، وإلى حد أن رئيس مجلس الرئاسة في جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية سالم ربيع علي يقول في رسالته إلى الرئيس أنور السادات التي حملها وزير داخلية - في معرض التأكيد على دور القاهرة القيادي ، والتاريخي ، وتأثير هذا الدور سلبا أو إيجابا على مسار الثورة العربية كلها ، وفي جميع أقطارها : « أننا نشعر بإسيادة الرئيس أن الجمهورية العربية المتحدة لم تعد أبحاثها أن مستقبلها وإنكاساتها ملكا لها ، بل هي معيار

المحاولة مرة أخرى » . محاولة تلويح التاريخ العربي الحديث لمشيئته الوجدانية المتعالية ، والزام حركة التطور الموضوعي والحمي بأن تسير حسبما تقتضيه رسالة البعث الخالدة التي تتجيم رسلها المبعوثة لتحقيقها ، وترابط تساعدها السياسية ، وعاصمتها الرجعية في بغداد التي ينبغي أن تعود كما كانت المقر الثابت ، والمركز الرسمي لدولة المرب - سواء تحت قيادة العباسيين ، أو خلفائهم ، البعثيين .

ورغم دعاواه الديهاجوجية التي اطلقتها تبريرا للقيام بحركته الانتقابية من تصير حكومة عبد الرحمن عارف في القاء ثقل العراق العسكري في مساحة المواجهة بالجهة الشرقية فإن ما فعله حزب البعث الليبيني لم يكن سوى العمل على اضعاف الجهة الغربية عسكريا ، ومحاصرة قيساتها سياسيا ، والتعرض بها اعلاميا ، بغية الوصول الى هدفه البعدي في إسقاط دور القاهرة التاريخي واستعادة زمام القيادة منها ، وهو ما اتضح جليا - بصورة خاصة - في مصاعله غير المباشرة على شرب المقاومة الفلسطينية على يد الرجعية الأردنية ، بتراجعه عن تنفيذ وعده ، والوفاء بعهوده التي قطعها على نفسه بأن يهب لمجابهتها من بطش السلطة في عمان ، في حالة نشوب أية معركة معها ، ثم في سبب لكتائب الجيش العراقي الماسلة من مواقمها الحساسة والهامية على خط النار ، وتركه الجهة الشرقية كلها عارية ، مفتوحة بياحة للعدو الصهيوني ، وأراحته - على هذا النحو المؤسف - من أي قلق أو هم يأتي من هذا الطريق ، فيتيح له تفريق وقته ، وتركيز جهده ، وصبر نيانه على جبهة واحدة فقط ، هي الجهة الغربية ، ول يساعد بذلك على حبك المؤامرات والدسائس ضد القاهرة ، مستغلة واقع أن القاهرة غدت وحدها في ميدان المواجهة الشاملة والضاربة ، بدون حليف عربي ، وغدت مكشوفة الظن ، ومعزولة ومحاصرة بموقف أمتها العربية السلبلي الذي يشكل مسلح العراق العملي العنصر الاساس فيه .

وهكذا وبدلا من ضم جهود كافة الدول العربية المتحررة من أجل تحقيق وحدة في العمل السياسي والعسكري لتضييق الخناق على العدو ، حاولت بعض القيادات السياسية هنا وهناك أن تستفيد من هزيمة مصر العسكرية لتحقيق أبلأ قديها لها في أن تصبح هي التنظيم القائد في المنطقة العربية . وهكذا شامت المساحة للعربية العديد من المزايدات التي مكنت في النهاية للقوى الرجعية في الأردن ، والمتحالفة تسلا مع الاستعمار والصهيونية ، المستندة اليها من أن توجع مشروبات موجهة لنضال الشعب الفلسطيني . (الطليعة أبريل ١٩٧١) انتقام من العربي شرط تحقيق النصر ، ص ٢٧ ، ص ٥٥ ، إير محمد الدين [ص .

الثورة العربية في الانسان العربي الجذبة أمداً له
الامبرياليين والصهيونيين .. وانا في جمهورية
اليمن الديمقراطية الشعبية تضع ايدينا على قلوبنا
عند كل هزة لتماسك الجبهة الداخلية في
الجمهورية العربية المتحدة ، لانا تمد هزة لجبهتنا
لداخية ايضا ، (الجمهورية في ٢٤/٥/١٩٧١)
مما دفع جريدة الاخبار القاهرية لان تعلق
في اليوم التالي مباشرة لتسليم الرسالة بقولها :
« في الرسالة التي بعث بها رئيس اليمين للشعبية
الى رئيس جمهوريتنا عبارة تلفت النظر ، لا لانها
جديدة غير معروفة ، ولكن لانها حقيقة تزيد من
مسئوليتنا » ، وتوجب علينا ان نكون من حسن ظن
الامة العربية بنا ، فقد قال رئيس جمهورية اليمن
الشعبية : انما يحدث في مصر لا يعني مصر وحدها
ولكنه يعني الامة العربية كلها ، ويؤثر في
مسيرتها ونهضتها ومستقبلها ، كما يؤثر في
صياغة الانسان العربي في مواجهة تحديات العصر
التي يواجهها ... ان هذه الحقيقة توجب علينا
المزيد من الحرص على ان تكون مسيرتنا مبادئة
وأمنية ، وان نلبي في نفوسنا كل المعاني الكريمة
ونقتل فيها كل النزعات التي تتباين مع مصلحة
للشعب ، فحين اذ نلغي لا يترك خطونا علينا
وحنا ، ولكنه يرتبه ايضا على ايماننا العربية ،
فلندرك ثقل مسئوليتنا ، ولكف انفسنا عن كل ميث
ولغو ، ولتكن مسيرتنا خالصة من اجل الوطن
وحريته وكرامته ، الاخبار في ٢/٥/١٩٧١

تشديد القوى التقدمية على

مركز القاهرة الاستراتيجي

وعلى عكس موقف حزب البعث البيني في
المراق فان القوى التقدمية والمنظمات الشعبية
العربية في الوقت الذي هربت فيه من قلقها
المشروع وجزعها المبرر من ان تؤدي احداث ١٣
مايو الى مضاعفات وتقيدات في مسار الثورة لم
تقف في زحام ودخان هذه الاحداث صفاء رؤيتها
السياسية ، وسلامة نهجها ، وعين وتسيبول
نظراتها الى العمق التاريخي الذي يسير غيرة
لجركة الثورة العربية ، وجهرها الصقيل الذي لا
يصدا ، مستندة في ذلك الى تحليل تاريخ هذه
الثورة النضالي ، وللي التحذيرات الكبيرة
المستترة للكبرياء الوطني والقومي التي تجابهها ،
والتي مستوى المرحلة التقدمية التي بلغتها في
تطورها ، والمضنونك - الموضوعية الداخلية
والخارجية المساعدة لها على الثبات والاستمرار
في خطها التحرري ، والى الذي البعيد والواسع
الذي وصلت اليه في علاقتها مع حركة التحرر
الوطني العالمية ، ومع القوى التقدمية والاشتراكية
في العالم ، وبصورة خاصة مع الاتحاد السوفيتي

الذي يشكل بالنسبة لها خلفية دوليت يمكن الاستناد
اليها في امان ، وحصنا منها يمكن ان تركز الى
نصرته في ثقة ، ومستخلصة من ذلك كله نتيجة
- حاسمة تقول بان الثورة المصرية - والعربية
معها - باقية في موقعها الامامي في جبهة النضال
ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، ومناضبة
في مسيرتها التاريخية من اجل انجاز مهام التحرر
الوطني والقومي ، واقتحام آفاق الثورة
الاشتراكية الديمقراطية .

واليس ذلك هو ، ما يمكن استشفاه - على سبيل
المثال - من تفليق جريدة الاخبار البيروتية لسان
حال الحزب الشيوعي اللبناني في عدد ٢٢/٥/١٩٧١
عندما كتبت : « اثار التغيرات التي جرت
على صعيد السلطة في مصر في الايام الاخيرة
حملة من التليقات والمراعات بانجازات متعددة ،
وهذا يتقدينا امر طبيعي ، فالانتماء بالذي يجرى
في مصر يعود بالبرجة الاولى للدور الذي تمارسه
الشقيقة الكبرى منذ سنوات عديدة في كل البلدان
العربية ، وللمكان الذي يحتله في العالم الاسوي
الاقي ، وفي الضياء الدولية ، ومنذ ٢٣ يولية
١٩٥٢ ، ولانها في المرحلة الاخيرة من تطور
الثورة المصرية بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد
الناصر ، (حيث صار للدور المصري في حياة
الجمهورية العربية بشكل خاص معنى يختلف عن
كل المعاني السابقة لهذا التاريخ ، فقد ارتبط دور
مصر بحياة الجماهير العربية في المراكز الكبيرة
ضد الاستعمار واسرائيل ، وفي التصولات
الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت فيها لهذه
الجماهير بالذات منجزات عديدة هامة ، ومن
هنا كان القلق الذي ابدناه ازاء ما جرى ، ومن
هنا ايضا كانت الثقة التي اعرينا عنها بالنسبة
للمستقبل »

القاهرة عاصمة العرب

السياسية والروحية

ولم يغفل بعث العراق البيني - وبذلك ازمته
الداخلية الخائفة ، وبالتالي مقصده المستحجة
والقاتلة - الى ان قانون التطور التاريخي الذي
يسير وفقا لحركة مادية موضوعية جدلية ، ويتكفل
مركز الثقل فيه طبقا لهذه الحركة المقفنة المتصاعدة
من مكان الى مكان ، يستحس اخضاعها لمشيئة
الافراد الذاتية ، واعوام الجماعات الكيفية ،
وامرجة الزعماء العنصرية ، وانه كما قضى في
بعض الحقب التاريخية بان تكون المدينة -
ومحطق ، ويفداد عواصم متتالية لدولة العرب
الاسلامية فان حركته الموضوعية الجدلية قد حثمت
- لمواكب تاريخية واجتماعية ، اقتصادية
وميدانية ، ثقافية وحضارية - ان تكون القاهرة

« منذ المزمز كثرين الله التفاضل » - « الناصر » صلاح الدين إلى جمال عبد الناصر ، وإلى ما اقتضت ذلك الضرورة القومية والاجتماعية الخاصة بامة العرب - هي عاصمة الدولة العربية الحديثة - الإخذه في النمو والتطور ، والتي لا تستقي مقوماتها من ما هي العرب المجهود فصب ، وإنما تنهض أسسها الاجتماعية ، وتتحدد ملامحها القومية في المصرية والتقدمية ، في الاصاله والجدية ، ويقوم نظامها على الاشتراكية والديمقراطية .

ولم يغلن حزب البعث اليميني في العراق ان الناصرية ليست ظاهرة فردية توتت بموت مجسدها ، وإنما هي علامة ثورية من علامات هذه المسيرة التاريخية للميهبة ، التي لا يملك لحد ان يردا ان يصدها .

يقتد برهنت كل التجارب الاتحادية والوحدية تحت الفاشلة منها - ابتداء من وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وانتهاء بالاتحاد الثلاثي بين مصر ، وسوريا ، ولبنان عام ١٩٧١ أن القاهرة كانت وستظل - سواء في حياة جمال عبد الناصر أو بعد مماته - مركز النقل وقطب الجذب ، وقاعدة التحرك العربي نحو تحقيق المهام التاريخية العظمى الملقاة على عاتق الأمة العربية في تحرير الأرض المحتلة والمغتصبة ، واستكمال السيادة والوحدة القومية ، وإنجاز التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإقامة الأساس العلمي والتكنولوجي لنهضتها الحضارية ، وتشديد صرح دولها الحديثة ، المتقدمة والتقدمية ، وتأسيس مجتمع الاشتراكية والديمقراطية ، وأنها - خصميتها تاريخية وسياسية - ستبقى عاصمة الحزب القومية سواء في فترات شانهم وتمزقهم أو بعد تحقيق اتحادهم ووحدهم ، وأنها فوق ذلك كله وبعد ذلك كله عاصمتهم العلمية والروحية .

الناصرية والدعم السوفيتي

ان بعث العراق اليميني الذي لم يعد له من شغل على السطاح الداخلي سوى كبت الحريات الديمقراطية ، وأهواب المواطنين ، واضطهاد المواطنين ، والمزج بالقوى التقدمية المنساقنة للاستعمار ، والتسلط في غياهب السجون ليهكن وحده الذي رويته الأحلام الطائشة بأنه بأحداث ١٣ مايو ١٩٧١ في القاهرة سيستطع الضط الناصري التحرري ، التقدمي في مصر والمنطقة العربية ، وإنما شاركت في ذلك نواثر الاستعمار القديم والجديد التي لم تستطع أن تدارى فرحها للأجوف ، وسعادتها الموهومة ، ولم تتراجع في بلاد وحياة - من تعطيل النفس بالمثي في نحو أجل الثورة المصرية والعربية ، وانتكاس - ككتها التقدمية ، وتبديد منجزاتها الوطنية ، وخضاع مكتسباتها الاجتماعية وانتهاء كل انتصاراتها

التاريخية ، وتقطع كل الجسور الدولية التي بنتها وخطت عليها نحو إقامة علاقات نسائية مع المسكر الاشتراكي ، وارتداد الأمة العربية بجميع أقطارها - خاصة خاصة مستقلة - إلى احضان الاستعمار ، وسقوطها تحت رحمة عميله الرجعية ، وتوقعها في نفس الوقت ضحية بفرنسة في يرائن وبين أصدقاء حليفه وأداته الهمجية الفاشية المملقة في الصهيونية الدولية الرأبضة بالفعل على قلب الأمة العربية ، والجاهنة على الصدر من أرضها ، والفاشية مخالبا في جسدها ، تمهيدا وتحفزا للفتك بها وأبنائها ، وتحويلها إلى أمة ذليلة مستعبدة دائمة في تلك الإمبراطورية الصهيونية الاستعمارية .

ولذلك فإن خيبة الاستعمار ، والصهيونية ، والرجعية ، وجميع خصوم الناصرية كانت قاطبة ومبررة عندما أعلن الرئيس أنور السادات في الحلقة التي أقامها تكريما لرئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيت الأعلى للاتحاد السوفيتي نيكولاي بونديزني مسماها ١٩٧١/٥/٢٦ مشيرا إلى هؤلاء جميعا بأنهم « لا يفهمون حتى الآن أن تصميما على مواصلة طريق عبد الناصر هو قدر تاريخي لأمة بأسرها تتطلع إلى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وعندما أشاد بالصدقة العربية السوفيتية ، وأهاب بالثوريين الإيجابي والخالق الذي يلهم التضامن الثوري بين حركة التحرير الوطني العربية ، وبين مواطني الاشتراكية الأول ونوه بالأثر الهامة التي حققتها هذه الزمالة التضامنية في الماضي ومستقبلها في الحاضر والمستقبل بقوله : « ولابد أن يشهد للاتحاد السوفيتي لله كان الطليعة في فهم مؤلفنا » وتأييده ، وتحميه ، وأكسابه الفاعلية العملية التي لا يمكن بغيرها أن تكون لقيمة في أوضاع عالمنا الحاضر . » وذلك كان وسوف يظل موضع التقدير من شعبنا ولعنا العربية - ثم - أن ذلك أضاف إضافة حقيقية إلى الصداقة العربية السوفيتية ، بما جعلها وسوف يجعلها عاملا ثابتا ودائما ومستقرا في حياة وتطور هذه المنطقة ، وعندما ركن بصورة خاصة على طبيعة المرحلة الدقيقة والمرجة التي تواجهها حركة الثورة العربية في صراعها الباسل مع قوى البغى والعدوان ، وشدد على أهمية التحالف بين حركة التحرير الوطني العربية وبين القوى التقدمية والاشتراكية في العالم كسبيل وحيد للتغلب على جميع مصائب الطريق ، وارتداد أفاق المستقبل على النحو التالي : « أننا نعيش مرحلة فاصلة من تاريخنا ، ويترك شعبنا انزاعا كاملا أن لهذه المرحلة تيماتها ومسئولياتها . » ويذكر شعبنا في نفس الوقت الأهمية العظمى لنور التعاون مع البلدان الاشتراكية ، ومع جميع القوى التقدمية في هذا العالم في سبيل اجتياز هذه المرحلة ، وفي

مضيفاً ما بقا هذه المرحلة على طريق البناء والرخاء . ان شمعنا كله يمتزج بالصدقة العربية السوفيتية ، بل ان امتنا كلها تعسبر ان هذه الصداقة واحد من أهم الامور في ميانستنا ، وفي خطنا ، وفي حركتنا القومية » (الامراء ٢٧/٥/١٩٧١)

أهمية معاهدة الصداقة والتعاون العربية السوفيتية

وبينا كانت الدول الاستعمارية تعنى نفسها بالاماني الباطلة وتراودها احلام اليقظة الساذجة بان تكون القاهرة قد اخذت « تميد النظر » في سياستها الداخلية والخارجية « تحت الوهم بان هرم الشيخوخة قد نب في مفاصل ثورة ٢٣ يوليو ، واثر على خطواتها العملية ، ونشاطها الاعتيادي ،

وبمثل الصراع بين ريفها الاول والثاني — فان ذلك من شأنه ان يتول الى سقوط القلعة النورية التي استعصت على الاعداء ١٩ عاما ، ولتفتح أبوابها لجيوش الغزو الماصرة لها ، وللميث بسيادة الامة العربية وكرامتها ، وإعادة حركة التاريخ العربي منقولات جديدة الى الوراء ، واذا بالقاهرة بلد الاعاجيب الغضائلي والمفاجات النورية ، والفريجات « الناصرية » بلد اعجوبة صفقة السلاح التشيكية — السوفيتية عام ١٩٥٥

التي لم يقدم على مظهر احد من قبل من نون التحرر الوطني حتى بلد مفاجاة تميم اقتداء عام ١٩٥٦ ، وبلد ضربة قوانين يسيونية الاجتماعية عام ١٩٦١ — تقاوى العالم كله هذه المرة — على عكس ما كان الاستعمار يحلم ويتشنى ويتوقع — بخطوة جديدة جبارة مبالغة اجتمعت فيها كل عناصر الموقف الدرامي ، اجتمعت فيها الاعجوبة ، والمفاجاة ، والضربة الناصرية ، خطوة

ابرار وعلان معاهدة الصداقة والتعاون العربية السوفيتية التي وقعها من حصن حركة التحرر الوطني العالمة — الجمهورية العربية المتحدة — الرئيس نور السادات ، وعن درج الثورة العالية — الاتحاد السوفيتي — الرئيس بوجورني ، وهي المعاهدة التي تعتبر الاولى من نوعها بين الاتحاد السوفيتي كدولة اشتراكية وبين الجمهورية العربية المتحدة ، وهي المعاهدة الاولى من هذا الطراز بين احدي دول المسكر الاشتراكي ، واحدي دول منطقة البحر الوطني ، والتي تعد لذلك سابقة ثورية ، ومبادرة تاريخية تقدم عليها رائدة الثورة العربية ، وطلية النضال العربي — مصر — معزة ومؤكدة بذلك دورها الريادي للمهم والطلبي ليس بالنسبة لحركة الثورة العربية فحسب ، وانما ايضا بالنسبة لحركة التحرير الوطني العالمة ، وضاربة

المثل والقوة على المدى الذي يمكن وينبغي ان تذهب اليه الدول الوطنية التحررية في علاقاتها مع المسكر الاشتراكي ، وشافة الطريق الى معانقة المثل ، ومعانمة التجربة ، ومعاشيتها حتى اعمالها بنفسها ، ومبصرة ومرشدة لجميع الحركات الثورية والتقدمية في العالم بانه لتحقيق النجاح في حد هجمات الامبريالية الصالية ، وتحطيم مخابها الرجعية والصهيونية ولخروج من عنق الزجاجة الضيق بسلام ، وتخطي مصاعب ومتاعب المرحلة الانتقالية ، مرحلة الانتقال من وحدة الخلف الميته ، والطبقية المشينة الى الحق الاشتراكية الرحب والرخاء لايد من التمسون الشامل — ودون تحفظ — والقلام الكامل — ودون تكل — والتحالف الثام — ودون ابطاء — مع المسكر الاحوي والصديق ، مسكر التقدم والاشتراكية ، ولايد ان يبلغ هذا التمسون ، والتلاحم ، والتحالف حد التنسيق السياسي ، والمسكري ، وحد التماهد الرسمي والملي ، حد عقد معاهدة صريحة تكل التمسون العملي — بمسؤولية ثورية تاريخية مؤقطة ، من اجل حماية المنجزات التقدمية التي تم انجازها في الماضي ، ودفع عجلة النمو الاقتصادي ، ولتطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري في الصاهي والمستقبل في كلا البلدين ، في اوقات السلم ، كما تضمن في نفس الوقت — وينفس القدر من المسؤولية التاريخية المؤقطة — الالتزام الدولي الملن — وقوف الدولتين في جبهة دفاع وهجوم واحد في مواجهة قوى العدوان والغدر في اوقات الحرب .

وذلك هو بالضبط ما هنه المادة الثانية من المعاهدة حين نصت على ان « الجمهورية العربية المتحدة التي جعلت هدفها التحول الاشتراكي للمجتمع ، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، بوصفه دولة اشتراكية سوف يتعاونان تعاوناً وثيقاً في توفير الظروف اللازمة لصيانة ومواصلة تطوير المكاسب الاجتماعية والاقتصادية لشعبيهما » . وما اكدته السادة السابعة بمنطوقها ، وادبهم الطرفان المتعاقدان الساميان اعتماماً عميقاً بتمامهم السلام ، وامن الشعوب ، ويميران أهمية كبيرة لتنسيق اعمالهما على الصعيد الدولي في النضال من اجل السلام ، وتحقيقا لهذا الهدف ، سيتشاور الطرفان على مختلف المستويات بانتظام حول جميع المسائل الهامة التي تخص كلتا الدولتين . وفي حالة نشوء اوضاع تشكل حسب راي كلا الطرفين تهديدا للسلام ، او خرقا للسلام فانهما سيتصلان ببعضهما على الفور ، بقصد تنسيق موقفيهما من اجل ازالة التهديد للناسخ ، او إعادة السلام ، وذلك هو ما تضمنه البيان المشترك عن المحادثات بين الجانبين العربي والسوفيتي ، والذي ابره فيه الوفد الصديق عن ابتهاج واعزاز الاتحاد السوفيتي — ذي التجربة الاشتراكية الاوسى والطلابية — لاتجاه الجمهورية العربية المتحدة في

سياستها وجهة تقدمية، وعزمها المكين على الاستمرار في العمل الوطني على ضوء الوثائق الديمقراطية التي أقرت شعبياً في حياة الرئيس جمال عبد الناصر وحسب تخطيطه وأصاده، وعلى البقاء والصمود في مواقع النضال ضد الاستعمار والإمبريالية، والمضي في دأب في طريق الانتقال إلى الاشتراكية حيث جاء فيه: «وقد عبر الجانب السوفيتي من تقديره الكبير لتصميم قادة وشعب الجمهورية العربية المتحدة على مواصلة السير على الطريق التقدمي والمهادي للاستعمار الذي مار عليه الرئيس جمال عبد الناصر ورسمه في ميادين العمل الوطني، وبين ٢٠ مارس، ومواصلة انتهاز الخط الذي يهدف إلى تأمين القسم الاجتماعي، والتوصل الاشتراكي للمجتمع». (الأهرام ١٩٧١/٥/٢٨).

حزام أمان سياسي

ودفاعي لا يفتقر

لقد كانت معاهدة الصداقة والتعاون العربية السوفيتية البرمة في ١٩٧١/٥/٢٧، والتي كان قد سبق بحث موضوعها في حياة الرئيس جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٦٧ بالذات - كما أوضح سفير ج.ع. في موسكو الدكتور مراد غالب - (الأخبار ١٩٧١/٥/٢٩ - عادل حسين) والتي إلى الزعيم النضالي يعود أمر التفكير فيها، حتى ظلت ترواه باستمرار - كما أكد ذلك وزير الخارجية محمود رياض - (الأخبار، الجمهورية ١٩٧١/٥/٢٨)، عملية تركيز ويلورة، وتوثيق لملاقات ثورية وأخوية نشأت بين الثورة العربية التقدمية، وللثورة السوفيتية الاشتراكية. خلال حوالي ١٩ عاماً، ولمرة وحسيلة نضال مشترك بينهما متعدد الجوانب والمساحات أبان هذه الفترة، وتتوجها سياسياً، وتقيرا كفيلاً لعملية تراكم ثورية، تاريخية طويلة، ونقطة تحول سياسية جديدة وعملية في مجرى الكفاح. ضد الإمبريالية والصهيونية، وفي حركة التلاحم النضالي بين ثورة التحرير العربية والثورة السوفيتية الاشتراكية، وإعلاناً عالمياً بالاتحاد المصري بين حركة التحرير الوطني العربية ذات النضى والتوجه الاشتراكي، وبين الثورة الاشتراكية للصالية، وحائطاً متيناً يرتفع في وجه الأعداء. في كل مكان لصد وامتصاص وأحياء كل مشاريعهم العدوانية وطمائلاتهم ومؤامراتهم الاستعمارية والإمبريالية، وحزام أمان سياسي ودفاعي لا يفتقر ولا يقل لتمكين قضية الحق والعمل والتحرير من أن تنتصر وتغلب، وأرادة العمل السلمي، والبناء الحضاري، والسير في اتجاه التطور الديمقراطي والتحول الاشتراكي من أن تكون لها الكلمة العليا والمساعدة.

وتلك هو تماماً ما هناك الرئيس بوجدور في لحظة التكوين التي أقالها تكريماً للرئيس السادات مساء ١٩٧١/٥/٢٧، يمد توقيع المساعدة مباشرة عنما قال: «من الآن ترتفع العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة إلى درجة أعلى، وتتدخل مرحلة جديدة... إن هذه المعاهدة تثبت وترسخ كل ما نضج وتكون أثناء السنوات الأخيرة في بوتقة نضال شعبنا المشترك ضد الإمبريالية والاستعمار الحديث من أجل التقدم الوطني والاجتماعي، على الأساس الضخم من أفكار الاشتراكية العظيمة، وذلك أيضاً ما أوما إليه الرئيس السادات في كلمته التوجيهية على الرئيس السوفيتي. عنما أكد على «أن هذه المعاهدة التي تمثل أول ما تمثل حزمًا شديداً وحسماً قاطعاً برفض العدوان يمشي وثقاً بعد تصنيفه - تمثل أيضاً أملاً كبيراً في إفاق البناء بعد تصفية العدوان حتى تصود نهائياً المبادئ والقيم والحقوق التي ترفع أعلامها» (الأهرام ١٩٧١/٥/٢٨).

وفي تفصيله للمعنى العام، والإبعاد الوطنية والدولية لهذه المعاهدة كتب مرسل جريدة البراءة في القاهرة - كما نقلت عنها الجمهورية - في ١٩٧١/٥/٢٠: «إن المعاهدة تتضمن تسبيق وتنفيذ الأعمال المشتركة على الصعيد الدولي، وتقليد المشروعات الاقتصادية المشتركة والتعاون في تدعيم القوة الدفاعية مصر، وتنمية الاتصالات السياسية بين البلدين وسيكون لهذا كله الأثر الأكبر في توسيع العلاقات المصرية السوفيتية في المستقبل، وودعها، وخاصةً لصالح الكفاح المشترك ضد الإمبريالية ودعم الصداقة السوفيتية المصرية التي ارتفعت الآن إلى مستوى جديد».

وفي تقييمه للارضية التاريخية التي ثبت عليها العلاقات الثورية بين القاهرة وموسكو والحرب عقد هذه المعاهدة وتأثير هذه العلاقات البعيد المدى على مجريات الأحداث وأمينها الدائمة والحية في الكفاح التحرري والتقدمي المشترك ضد الإمبريالية ومن أجل توطيد حتمات التطور المستقل والجرى والمزهر نكر بونامروف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في تقريره الذي قدمه إلى الحزب بعد زيارة كان قد قام بها إلى القاهرة في ديسمبر عام ١٩٧٠ إلى أن أقاله ملاقات الصداقة الوثيقة والتعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي من أهم الأحداث الدولية في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وإنما مكسب تاريخي لشعبنا، عقد ارتفع حاجز متين في طريق النضال الإمبريالية ضد حرية واستقلال الشعوب العربية، ولهذا السبب بالذات، فإن صدأقتنا تبث قلق الإمبرياليين وخمهم في العالم العربي (روز اليوسف ١٩٧١/٥/٢١).

تأهول الاستعمار

واهتزأ الصهيونية

وبعد عقد المعاهدة العربية السوفيتية استميتت قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية والانتهازية حركة اجتماعية قائمة في أرض الواقع العربي، أن المسيرة الناصرية كانت تمهيدا سياسيا عن وليست «سلوكا ناصريا» ينتهى بنهاية عبد الناصر الجسدية، وأن حركة الثورة العربية جزء أساسى من المسيرة التاريخية الطائفة «مسيبة الثورة العالمية نحو التحرر الوطنى» والخلاص القومى، والاشتراكية الديمقراطية وأن طلائع النيران التى تخرجها — منذ الآن — الامبريالية الامريكيت وحليفاتها وقاتلها الصهيونية ضد رأس الثورة العربية، وعند حاصمتها المتدنية القاهرة تنصيب فى نفس الوقت للعلم الذى فى جسد الثورة العالمية، وتصيب مومكن نفسها قلعة هذه الثورة الجبارة، وأن على هذه القوى أن تستمد من هذه اللحظة لتلقى الرد الحازم والمقاب الصارم الذى تستحقه.

والا كانت حاصمة الاستعمار القديم — لندن — لم تعد تملك الا أن تعترف بعد اعلان المعاهدة مباشرة بأن موارد الاتحاد السوفيتى العمركية والاقتصادية وطائفة السياسية ووزنه الدولى أصبح الآن تحت تصرف مصر، — كان حاصمة الاستعمار الجديد قد ألقى عليها من هول المفاجأة التى نزلت عليها نزول الصاعقة، وأصبحت بالوجوم والتحول والنقد لسانها، ودارت بها الغيبة، ولذلك فانها لم تستطع أن تتناك نفسها وتعلق على المعاهدة فور سماها بنصوصها رغم مطالبة لها إيمان وزير خارجية إسرائيل لها بأن تصرع الى ابداء رأيها فى أوضاع الشرق الاوسط بعد هذه التطورات الخطيرة، وأن كان وزير دفاعها ملطيف ليرد قد دعا — وهو فى حالة ذعر ظاهر — إلى اجتناع «نظم مثلى» ١٤ من الدول الاعضاء فى معاهدة حلف الأطلسى — حلفاء لمركبا الى تقديم مزيد من المون لاسلطون الأساس فى انقلاب مصادرة الصداقة المصرية — السوفيتية، ولأن حصول مصر — على حد قوله — «على اسلحة سوفيتية متقدمة جدا» يمرض توازن القوى فى المنطقة للخطر عكبا انه يخل بالتوازن القائم بين حلف الأطلسى والدول الاشتراكية 111 وهو ما حذر منه الرئيس نيكسون فيما بعد — فى قلق عميق -

وحتى تفيق واشنطن من صدمتها، وتمتعود نفسها، وتقدم على الكلام «المؤن والمرب» بعد دراسة المعاهدة دراسة دقيقة — كباشاروجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية — كان على ايجال الون نائب رئيس وزراء إسرائيل — أن

يباين الى واقع عقيدته بالتنبيه — وهو ملهقة مأخوذ بأن هذه المعاهدة تمير «انجازا من الدرجة الاولى» وأن هذه المعاهدة ستشجع الجيش المصرى على تصعيد الموقف وستجبل رجال القوات المسلحة المصرية يشجعون بأنهم أكثر قوة عن نى بل، وأن «المعاهدة تعتبر ضربة موجبة للولايات المتحدة التى اعتقدت انها يمكنها التأثير على العلاقات الوثيقة بين مصر والاتحاد السوفيتى» وهى نفس مشاعر الجزع التى اعربت عنها جولدا مائير بعد ذلك، ونفس المخاطر التى نيه اليها إسرائيل جاليلى وزير الدولة الاسرائيلى عندما أكد على القول بأن المعاهدة «قد خلقت مرحلة جديدة وخطيرة للغاية فى الموقف فى الشرق الاوسط» (الارام، ١٩٧١/٥/٢١، الجمهورية ١٩٧١/٥/٢١، الجمهورية ١٩٧١/٥/٢١، (الارام ١٩٧١/٦/٢، (الارام ١٩٧١/٦/٢).

لما للقاهرة نفسها الطرف الثانى فى المعاهدة ومساحة النضال الباسلة التى يرتبط بها اليوم مسير النضال العربى كله، بل ويتوقف — الى حد كبير — على انتصارها فى معركتها هذه انتصار حركة التحرير الوطنى والمالية، وانفتاح افاق رحبة للتطور التقدمى فى المنطقة العربية، منطلق من كل قيد ومؤثر ايجابى على مسار الاحداث فى «العالم الثالث» كله، والى تقديم نموذجا لها فى علاقتها النضالية مع الاتحاد السوفيتى والممكر الاشتراكى والتقدمى لكل الدول الوطنية حديثة الاستقلال — فان تعليق مصادرها المتوقفة — كما لوحت ربح اليوسف فى ١٩٧١/٥/٢١ بعد عقد المعاهدة كان على النحو التالى: «إن زيارة الرئيس نيكولاى بودجودين والوفد المرافق له، وما أسفرت عنه من نتائج مشترك آثارا بالغة الاهمية فى كل مجالات التعاون بين القاهرة وموسكو، وبالدرجة الاولى بالنسبة لشبكة الشرق الاوسط وجهية قناة السويس».

وفى شرحه لخواص واهداف عقد هذه المعاهدة قال الرئيس السادات فى خطابه أمام مجلس الشعب الذى انعقد فى هيئة لجنة مركزية يوم ١٩٧١/٦/٢ «بانه من أجل مستقبلنا ومستقبل أجيالنا كان الساحتنا على الاتحاد السوفيتى لمعد هذه المعاهدة» التى جاءت «ردا حاسما على محاولة التشكيك فى سميرتنا التى حاولها البعض هنا وانتقلت الى الصحافة وأجهزة الاعلام العربية، ولتقول للذين «حاولوا مع الإيماءات بحوث تغيير فى سياستنا أن يصوروا لانفسهم أن صدقتنا مع الاتحاد السوفيتى فى مرحلة وهى مجرد تكتيك ٠٠ أن الصداقة مع الذين يساعدوننا — ولا يساعدنا غيرهم — على القتال وعلى النصر ليست صداقة مرحلة وليست تكتيك» أن الصداقة مع الذين يساعدوننا ولا يساعدنا غيرهم على بناء اقتصادنا وبناء دولتنا المصرية الحديثة ليست صداقة مرحلة

تفجرت به الأرض العربية ، وأرتفعت تحت تأثيره عروش الرجعية ، وانفلخت من هول تناسجه فرائص الاستعمار ، وتحرك لصمائه حبال الانطلاق عائداً الى موسكو - قائد الثورة العربية - عبد الناصر ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي شلت عركتها الصلابة ، وجمدت طلائعها الهائلة تحت وطأة تسلط حكم البعث اليميني في العراق ، والتي تتحزق وتستجيب اليوم تواها الكائنة من جديد ، لتفجر مرة أخرى ، وتتطلق موجة هائلة طلي رأس تيار الثورة العربية التقدمية ، محملة مكانها البارز والقيادي فيه ، فيقداد التي تمثل ألجناح الشرقي الضارب لهذه الثورة ، وأهم ركن بين أركانها الأساسية ، والتي لاستتقيم ولاتكامل ، ولا ترتفع الى مستواها التاريخي في مسيرتها التحررية الشاملة ، القومية والاجتماعية بدونها ، وبدون انخراطها في ممتزجها ، وبدون استنهاضها المباشر والعمل في قيادة حركتها ، بغداد هذه لكي تتمكن من ملء مكانها التاريخي الشاغر الخاص بها ، والفصل على حجمها الكبير ، ولقائمتها الجديدة - لا بد لها - بمقد توجيه قواها الوطنية والتقدمية ، وتصبح مضار ثورة لا تقتصر المحيطة - ولاداء دورها العظيم المنتظر - من ان تمزق شرك سياسة « فرق تسد » التي لوقمها الاستعمار البريطني فيها منذ أيام نوري السعيد ، وأن تضع حداً للعبة محور « بغداد ضد القاهرة » التي جهد ونجح في خلفها ، والإبقاء عليها حتى بعد قيام ثورتها العظيمة ضده ، ومن أن تعترف بمكانة القاهرة القيادية في التاريخ العربي المعاصر ، وأن تسلم بها قاعدة للثورة العربية لا تنازع ، وطلعية لها معترف بها من قبل كل الجماعات بها ، والمفصل على حجمها الكبير ، الحديثة ، القومية الموحدة ، التحررية التقدمية ، الاشتراكية الديمقراطية .

القاهرة هانوى الشرق الاوسط

والقاهرة بذلك لا تستطيع - ككثير تاريخي ، وحديثة ثورية ، وقانون موضوعي - إلا أن تكون هانوى العرب ، هانوى الشرق الاوسط .

اوليست هي السبابة والمقدمة في كل مجال ، في شق مجرى النضال العربي ، وفي ارتباطات الثورة السياسية والاجتماعية ، وتقدم أول وثيقة تاريخية - على النطاق الرسمي العربي - تتبنى بها الاشتراكية العلمية كطريق لحل قضايا الشعوب الاجتماعية ، وليست هي التي حدثت - لأول مرة - بين كل العواصم العربية - خمسين في المائة على الأقل من نمية التمثيل في المؤسسات السياسية والدستورية خاصة بالعمال والفلاحين ، أو ليست

وليست تكتيكاً ، الصداقة مع الصين يساعودنا على النصر والبناء ليست صداقة مرحلة ، وانما هي صداقة كل المراحل وليست مجرد تكتيك ، وانما هي استراتيجية ثابتة » (الاطرام ١٩٧١/٢) وهو ما زاد وضوحاً في بيان ١٠ يونيو من « أن هذه المعاهدة تأتي تأكيداً للمبادئ النبيلة المشتركة ، بالاستمرار في العمل » في جبهة الثورة العالمية ضد الاستعمار ، ومساندة « حركات التحرير الوطني ، وهوما أكدته بقوة أيضاً الرئيس بوجورني ممثل الطرف الاخر في المعاهدة بقوله : « أن علاقة الاتحاد السوفيتي مع الجمهورية العربية المتحدة قد دخلت مرحلة جديدة اثر توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين » . ان هذه المعاهدة تمثل الاساس القانوني الصلب للعلاقات الاخوية القائمة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي ، كما أن مغزاهما يكمن في حقيقة أنها أول معاهدة من نوعها تعقد بين الاتحاد السوفيتي ودولة مستقلة نامية ، وفي أنها تعكس التقارب المتزايد بين العالم الاشتراكي ، وحركة التحرر الوطني » (الاطرام ١٩٧١/٦/١١) .

القاهرة صرح ثوري لا يطاق

وعلى ضوء ذلك كله يعاد طرح السؤال من جديد ، ترى أين هي هانوى الشرق الاوسط ، هنان ، لم دمشق ، لم الجزائر ، أم بغداد ، أم القاهرة ، وبالتحديد هل هي عاصمة احمد حسن البكر أم هي عاصمة ناصر العرب الذي تناسخ اليوم روحه الثورية في وجدانات كل المناضلين العرب الذين تملطهم بهم الساحة العربية حتى مدينة أبى جعفر المنصور ؟

ان الاجابة عن مثل هذا التساؤل غدت مجسدة في صرح ثوري يرتفع قائمه الشايخة ، ودروته الشامخة الى مدى مسبق في الافق البعيد ، ويمتد ظل الهائل متجاوزاً العالم العربي لينبسط على عالم القارات الملتهبة بثورة التحرير الوطني ، صرح ثوري وضعت لسانه ثورة ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ ، وظل يرتفع طبقة فوق طبقة من خلال جهود شاقّة خارقة ، وعبر ملاحم فضال بطولية تصدى لقياداتها المناضل الفذ عبد الناصر ، ضد الامبريالية العالمية والصهيونية الدولية بوالرجعية الداخلية والخارجية ، حتى رسخت أصمته ، واستوت « هذا صهيونية أخرى » تكون القاهرة في حملتها على طريق المناضلين الثوريين في كل مكان ، وغدت تقوى من حوله ، وفي جراسته قلاع ثورية تنتشر من الجزائر . السودان ، وليبيا في المنطقة العربية الافريقية ، وإلى اليمن وسوريا في الضفة العربية الاسيوية ، بل وحتى عاصمة الرشيد التي كانت ثورتها اعظم وأخطر حدث سياسي وتاريخي

تخضع قوى العدوان وتضطر تحت ضغط وخطة معاهدة التحالف العربية السوفيتية إلى الانسحاب سلماً - إلى مصر قتال ضار في مختلف الميادين العسكرية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وجعله « هذا صينية » أخرى تكون القاهرة في معظمها الشاملة هذه هي نفسها «هانوي الشرق الأوسط» التي تحدد مصير الامبريالية المالية والصهيونية الدولية في أخطر وأهم منطقة عالمية تتركز فيها المصالح الاستعمارية ، ويمكن بها القتل الحقيقي لنظام الاحتكارات الامبريالية ؟ أولا نتقدم القاهرة يخطي حثيث نحو النهوض بمبع تاريخي يقترب - ان لم يتصا ، وربما يتفوق في آخر الامر وعلى مدى تاريخي معين - في حيث نتأجه واساره البعيدة المدى على اعادة تشكيل الاوضاع الدولية - من ذلك العمى الجليل الذي تقوم به هانوي في الية الصينية التي ما تزال وستظل لفترة زمنية النموذج النوري الساطع الذي يحذى في النضال ، والمهمة الاستطورية التي تضرب بها الامثال ، والعزولة الدولية المحببة على كل لسانه ، والغذاء اليومي لكل مكاف ؟

واذا لم تكن القاهرة كذلك ، وإذا لم يكن ذلك هو وضعها اليوم ، ومسارها غدا ، ومالها في مستقبل الأيام ، فكيف نفسر تكالب الاستثمار العالمي والصهيونية الدولية ، والرجعية الدائليسية والخارجية ضدها ، وتحديدها لهذا الشكل الدولي العدواني الشرس طيلة حوالي عقدين من الزمن ، وكيف نفهم اقتحامهم لاسواق وعقبات التقسيم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، وكيف نؤول التفاف المسكر الاشتراكي من حولها ، واهتمامه الفائق بصيانة مسيرتها صيانة المرء لحديقة العين ، وعقد الاتحاد السوفيتي أول معاهدة صداقة وتعاون شاملة معها لم يقدمها مع دولة أخرى غيرها من قبل خارج المسكر الاشتراكي ، ثم كيف نفهم ما كتبه بونامايريف - وهو احد اعضاء وفد الميانشات السوفيتي في عقد هذه المعاهدة - في تقريره الانف الذكر (المصدر السابق) : « ان النهج للنظام المعادي للامبريالية الذي اختاره الجمهورية العربية المتحدة » وكذلك الاتجاه نحو الاشتراكية معجلا منها مركز جذب للقوى التقدمية في السالم العربي ، ومساعد على النهوض المعاصف للنضال التحرري للبلدان العربية الذي تشهده باتفسا لا وامن للجمهورية العربية المتحدة سيما دولية ممتازة ، وجعلها تشغل المواقف الطبيعية في الحركة التحررية الوطنية لشعوب العالم بأسره ، ثم ان الجمهورية العربية المتحدة في الوقت ذاته كسبت - ان صبح القول - عداوة مشرفة من جانب الامبرياليين الذين لم يرق لهم نهجها التقدمي المستقل»

هي التي اكد زعيمها ، الخالف جمال عبد الناصر في خطابه بالجلسة الافتتاحية لجلسة الامة يوم ١٢ نوفمبر ١٩٦٤ الدور السياسي الخاص الذي تلعبه الطبقة العاملة في مقدمة وقيادة قوى التحالف الوطني والشعب في مرحلة بناء الاشتراكية يقولته : « وهذه الطبقة العاملة تمثل في النظام الاشتراكي المركزي القيادي » (الطبعة مايو ١٩٦٥ ، أول مايو ص ١٦ - ميشيل كامل) ، كما أعلن من بعده الرئيس انور السادات في خطابه أمام مجلس الشعب في ٢٠/٥/١٩٧١ ضرورة « أن يؤكد المستور على أهمية الحركة النقابية المعالية في دفع التطور ، باعتبار دور العمال الطليعي في تحالف قوى الشعب العاملة » (الامرام ١٩٧١/٥/٢١) ، وأهمية - كما في بيان ١٠ يونيو ١٩٧١ - « تأكيد سلطة تحالف قوى الشعب العاملة والدور الطليعي للعمال في هذا التحالف » (الامرام ١٩٧١/٦/١)

ان ليست هي الدولة الاولى - بين الدول الحديثة الاستقلال - التي جرئت على القيام بعملية اختراق ثورية للمسود الامبريالي السميكة الذي كانت الامبراطوريات الاستعمارية قد اقامته بين الاتحاد السوفيتي وبين المستعمرات ، واكتسبت المستعمرات والمناطق التابعة والدول المستقلة استقلالاً شكلياً والتي مدت يد التعاون الخلفي والبناء مع المسكر الاشتراكي من اجل زحمة واقتلاع الوجود الاستعماري من المنطقة العربية ، واهيت دورا حاسما في تجهيز ونهم كل الثورات العربية ، وفي تعزيز ومساعدة حركات التحرر الوطني في كل مكان ، وفي انهاء الشكل القديم للاستعمار في حرب السويس ، والاشتياك مع الاستعمار الجديد في معركة متصلة حتى اليوم ، والنهوض بالسعيد الرئيس في مواجهة اسرائيل والصهيونية المالية ؟

ثم ليست هي السابقة الى عقد أول معاهدة من نوعها مع مسكر والتي لم يسبق أن أبرم مثلهما مع دولة أخرى خارج دول حلف وارسو ، وخارج المسكر الاشتراكي بشكل عام ، وهي المعاهدة التي قال عنها مبارك بيجلوف الملقب السياسي لوكالة نوفوستي : « ان هذه هي المرة الاولى التي يحصل فيها الاتحاد السوفيتي طرفا في مثل هذه المعاهدة مع إحدى الدول ذات النهج الاشتراكي » (الجمهورية ١٩٧١/١/١) ، أولا تعدد التسامرة بذلك أمام العالم كله النجبة التي تنتمى اليها تضالا ومالا ، وتخوض معها وبالتحالف النوري كفاحها ضد جبهة الامبريالية والصهيونية ، وألا تتأهب بالفعل - بالاستناد الى هذه الخلفية الدولية القوية والرصينة - لتحويل الشرق الاوسط به عالم

الفيلسوف الماركسي المجرى

جورج لوكاتش

في آخر حوار فكرى معه

ميركس

١٨٨٥ من أسرة مجرية ثرية وكان والده مديرا لأكبر البنوك التجارية في المجر ، وكانت تطلعات الابن محصورة في دفع ابنه الى السير في نفس هذا المضمار . - المال والتجارة والسيطرة الاقتصادية - ولكنه اختار لنفسه طريقا اخر تماما . واتضح ذلك مبكرا في عام ١٩٠٤ عندما كون جمعية للدراما باسم « الطليعة » .

جورج لوكاتش الفيلسوف الماركسي المجرى الذي يعد واحدا من أبرز مفكرى القرن العشرين على الاطلاق وأهم اعلام الفكر النظرى الماركسي المعاصر ، وأكثرهم إثارة للجدل - في الوقت نفسه - سواء في العالم الاشتراكي أو العالم الرأسمالي .

وقد ولد لوكاتش في بودابست في ١٢ أبريل عام

مات

تولى منصب وزير الثقافة في حكومة امرى تاجي الانقلابية في أكتوبر عام ١٩٥٦، وبعد القضاء عليها تم ترحيله الى رومانيا ولكن ذلك لم يدم أكثر من أربعة أشهر عاد بعدها الى بودابست ليستأنف نشاطه الثقافي . وقد تمتع طوال حياته باحترام عميق في وطنه .

وإذا كان المجال لا يسمح باستعراض تطور لحوادث الفكرى فأن الحوار السدى تنشره « الطليعة » وهو آخر حوار معه قبل فترة المرض التى استغرقت نحو عام قبل وفاته يوم ٤ يونيو الماضى - يعطى صورة واضحة عن الإيماء الفكرية لهذا الفيلسوف الذى أسهم بدور كبير فى تعميق الفكر النطرى الماركسى وفى نشر الثقافة الاشتراكية فى العالم الغربى ، الذى كان مدافعا قويا عن الاشتراكية ضد الانحراف نحو الفكر

أهم مؤلفاته :

- نظرية الرواية (١٩١٦)
- الرواية التاريخية (١٩١٧)
- التاريخ واللغوى الطبلى (١٩٢٢)
- لينين (١٩٢٤)
- نظرية اللغوى التاريخية (١٩٢٥)
- موسى هيس والجندل اللغوى (١٩٢٦)
- اللاب والديقراطية (١٩٤٧)
- وجودية لم ماركسية ؟ (١٩٤٨)
- دراسات فى الواقعية الاوربية (١٩٥٠)
- علم الجمال (١٩٦٢) • وهو اكبر مؤلفاته وأعظمها على الإطلاق إذ يعد لحوادث صاحب أول نظرية ماركسية متكاملة فى علم الجمال .

البيروجائى . وقد أجرى هذا الحوار مع لحوادث صحفى يوغسلافى ، وظهر بالانجليزية فى « مجلة اليسار الجديد » عدد أبريل ١٩٧٠ .



سؤال : كيفة ترى هيسالكه والعصر من التاريخ الذى مضى فيه ؟ انه قد شاركته فى خمسة عقود من العمل القورى والعلمى بكل ما فيها مما يشرفه وما يذل . لكلك قلنا نفهم ان هيسالكه كانت فى خطر بعد انقباض على بيلكون فى عام ١٩٣٧ . فلذا كانت الجمع كتابه ترجمة ذاتية او مذكرات شخصية ، ما هى الدروس القهالية التى ستخلصها منها ؟ ولذا كان هيسالكه كوكك بنقلها ماركسيا طوال خمسين عاما ؟

لحوادث : اذا اردت ان ابيح عليك بانفصال حين على ان اقول انه كان من حسن الحظ انى مضى حياة خفية ملينة بالاحداث وانى لاصير من الميزات الخاصة التى حظيت بها التى مضت السنوات من ١٩١٧ الى ١٩١٦ ذلك اننى احذر من اصل بيروجائى ، كان لنتى انحدر من اصل بيروجائى ، كان ورغم انى انتجتها من نزعة المعارضة للبرية فى مجلة « نيوچيه » ، [الغرب]

أيهما استطاع ان افقره وانما رابض الجاشى ، وفى تلك المرات امتقد انى كنت حضا فى بعض كراتى اللغوية انى آتيت فيها بعد انى كنت مخطئا فيها . وفى التحليل التبعلى يمكنى ان اقول بعموم اننى حاولت فى كل وقت ان اتسول ما ينبنى ان يتال على انشغل ما استطعت لبا عن مهمة العمل الذى اديته فى حياتى وشكله العلم ، فهذا ما لا استطع ان املنه به انه خير لا يعلينى . اننى من جاتين استطاع ان اكبر راضيا بالجهود التى بذلت ، واستطاع ان اقول فى هذا الصدد اننى راضى : وهذا لا يعنى طبعيا - اننى راضى بنتيجة هذه الجهود . ولست احاول خلال الوقت للتصير البلى لى فى الحياة ان ابلل كفى ما يوسى لى امير من انكثر محبة على نحو انكثر ذخوتسيتا وعلبية من اجل الماركسية .

سؤال : هل يمكن ان يتلصق الانسان بحقله ؟ وهل الال هذه الحائلة وجود على الاطلاق ؟

لوكتاش : لكي تكون حريصين ؟ أن الكتاب يمكن أن يغير هذه الحالة من وقت لآخر بينما هو يكتب ، إذ يحدث أن المسار الذي تجتهد في التعبير عما ارادت التعبير عنه ، كما يجب ويبدو لي ما عبرت عنه بعد ثلاثة أيام مثلا بهذه مسالة مختلة ، كل ما اولاه هو أن هذه الحالة توجد لملا .

مسؤال : لم تكن تفصيص شاهدا على تاريخ هذا القرن بل أنك أبشأ شريك نشط فيه ، فلماذا كان لك أن تقدم الآن كشف تفصيص عن تلك العليا وأعمالك الفنية ؟ تطور الاشتراكية من الجهورية السوفيتية العمرية خبزنا هذا — نعيدا يمكن أن يضم هذا الكشف ؟

لوكتاش : ينبغي أن يترك المرء هنا بين العنصر الأدبي والوضويفية من الناحية الذاتية يمكن أن أقول أنه كان قد أصبح في العشرينات - ودهك من اليوم — من تلك الأيام العفرا التي كانا نتاج بها الثورة الروسية من عام ١٩١٧ لما يمدد ليكن تتعلق في فوجبة الثورة العالية التي وضما فيها تتعنا لم تكن لتعني ، وحقيقة أن الثورة التي ظلت محدودة بالأبعاد السوفيتي ليست نتاج نظريات انسان واحد ، وإنما نتاج حقائق تاريخ العالم ، بهذا الشكل أن آمال الانسان الذاتية تبقى غير محسنة ومن ناحية أخرى فإن الانسان الذي يصد لنفسه بأنه ماركسي — والذي يستعبر نفسه بالحقلي طالب تاريخ — لا بد أن يعرف أنه لا يجري تحول إيجابي عظيم بين يوم وليلة ، فقد مرت آلاف السنين قبل أن تتحول الشخصية الأيدالية إلى موقع بطني ، أو — إذا أضفنا بخالا من الأريئة التاريخية — نستطيع الآن أن نتبع تاريخ تحول المجتمعات التي كانت قائمة على العبودية — ويمكن أن نستنتج أن هذه المجتمعات استقرت لمساهلة سنة أو ما يقرب من السنة من الأزمات لكي تتحول إلى الاتصاح ، ويتلقى عنه كليا كان الانسان الماركسي كليا حين عليه أن يعرف أن فخرنا حاسبا مثل الاتصاح من الرأسمالية إلى الاشتراكية لا يمكن أن يتم في غضون أسابيع أو أشهر أو حتى سنوات ، وأن الفترة التي نعيش فيها ليست سوى مجرد بداية الاتصاح ، ومن ينرى كم من طهراتنا السنين — روسيا أطول — سطر قبل أن يستطيع السلم دخول عصر الاشتراكية النقية ؟ أن أي شخص يريد أن يكون ماركسي لا بد أن يترع نواقصه الخاصة من تعميم الأحداث قد يكون من الطبيعي أن كل شخص يود من الناحية الذاتية — أن يرى عصر الاشتراكية النقية ولكن الانسان الماركسي — سولوا يعرف: من أجرة حياة الفلسفة أن مثل هذه التناقضات لا تتم بين يوم وأخرى .

مسؤال : ماهي مكانة الفلسفة الماركسية في الصورة الفلسفية العظيمة لمصرنا ؟ وما هو الجزء الذي يمكن قوله بها كجزء له قيمته أو كعناصر أريد من القصور ؟

لوكتاش : امدوني لذا لم اصلك أجابة مباشرة على هذا المسؤال . فليست أدى فكرة كبيرة من الفلسفة البورجوازية الحديثة . أنه من الأمور المضمومة أنه حينما يخطب لبل الناس في التحريكات السوفيتية للفلسفة ناعم يتجهون نحو الفلسفة الغربية ، كما يسيل أن تجد امرأة خدعها زوجا بين فرامى أعرجل كثر في تلك الليلة . ولأن أن امزجتهاته ليست لدى فكرة كبيرة من الفلسفة البورجوازية والتي احير هيجل آخر منك بورجوازي عظيم لذا كتلت للمصافة الأمريكية أو اللاتينية أو الفرنسية ثمان أن ويدا أو هيرا بكر عظيم ، وإذا كان الناس للذين خاب لهم في مستلحين يتخلون — نتيجة ذلك — أن يستطامعون أن يعالجوا الماركسية بالفسلفة الميتافيزيقية **Structaralism** وارجو ألا

تخضع من قول، هذا مراهقة — فتنتي اعتبر ذلك ربما ، أنني لا أوافق على القول بأن الماركسية الرسمية خلال الفترة السوفيتية كان ينبغي أن تتزل نسبي كاية من ليزر - التظلمات غير السوفيتية ، بل قد كان ذلك خطأ وكان أيضا غير ماركسي ، فقد كان ماركس والتعلق والذين يلبسون ثوبا للفلسفة الممارسة والتركز الملبي للمفسر بأعلى درجة من الالتقاء ولكن — فعند لفيف — بأعلى درجة من الالتقاء الفكري ، ولو أنك لاحظت حياة ماركس لرأيت تتكره لم يترك منصب بالخصائص البارز قبل داروين ومورجان فقد كان به على سبيل المثال — مجا إلى حد الكشف بجزائري البنيج في الكهياء الزوامية وبياضك داروين التاريخية وما إلى ذلك . ولكن ينبغي أن اعيد أن رأي ماركس في ممارسته العظيم — وأنا هنا أفكر في كوت وهوريت سيستر كان مليا بالرفض والاعتراض . ويمكن أن أقع من الناحية الفلسفية كبريتيحت ماركسي اليوم داليا من تأكيد في الغرب لاسلامهم ، ولكني اعيد هذا من الناحية الموضوعية خطأ ولما الأثر الذي اعتبره غروبوا هو أن تعيم الماركسية فيها جيدا ، وأن ترجع إلى منهجي الحثيثي وأن نحاول أن نفهم — باستخدام هذا المنهج — تاريخ عصر ما بعد وفاة ماركس بمازلنا بحاجلة للقيام بهذا العمل من وجهة نظر ماركسية نظرية . أن من أكبر خطايا الماركسية أنه لم يظهر تحليل اقتصادي حقيقي للرأسمالية منذ كسب لبنيهن من الإمبريالية — الذي كتب عام ١٩١٦ — وبائل فليس عسك تحليل تاريخي

واقتصادا . عبقلي لتلون الاشتراكية ومن لم فإن الجملة التي أرى أن على الماركسيين القيام بها هي أن يتبعوا طريقة نقدية بالاستطاع أن تلتهم من الكتب الغربية ، بما لا شك به أنهم قد حقروا في تجاللت عديدة من العلوم التي نتاج حائلة . يمكننا بالتأكد أن تعلم منها .

ثانيا : أن من رأي أن الكتابات في الفلسفة — بتمريها الحقيق وفي العلوم الاجتماعية ينبغي أن تهمربا ناديا . أن من الزعم أن تعليمه أننا لا نزال نستطيع أن نتعلم أي شيء من الفلسفة ومع ذلك على امزجتهاته — ناليف — نحاول فيها بعض الذين خاب لهم في الماركسية السوفيتية أن يتعلموا منه شيئا . ومع ذلك فإن أكثر ما يستطيع المرء أن يفرض به من نقطة هو درس من كيفية عدم التفلسف ودرس لها هو خبير وسير في الفلسفة ومن هنا يتبين على أن أوضح أن ماركس من مسالة ما يمكن أن تعلمه من الغربيين نددى بدرجة عالية ، اننا أحب الماركسيين تكثير وأن يحسكون على التجاسات الغربية أيضا باستخدام منهج ماركس الحثيثي .

مسؤال : لقد استلخيت مفهوم الماركسية الرسمية — كقضايا الاجتماعية الفلسفية البورجوازية — بينما قلت أيضا أن هناك كثيرا ليد أن يؤدي منذ نشر الماركسيات — فعلا — لتعليق الماركسية الرسمية ؟

لوكتاش : ما اعلمه بالماركسية الرسمية هو ذلك الماركسية التي ظهرت في الاتحاد السوفيتي بعد أن حقق ستالين انتصارا إيديولوجيا وسياسيا ونظريا على تروتسكي وبوشارين ولكن هناك شيئا واحدا مؤكدا : أن المرء يمكن أن يقول أنه كتبت هناك حتى يوم معين لبنانية ، وأن مستلحين أعدل السوفيتية في اليوم التالي ، وأنا الآخر أن ذلك لم خلاصا مستقره لكن من عشر سنوات لم يعد مستصير الماركسية لتعصب احتياجتنا الحكم السوفيتي ، ولقد كتبت من المبادئ الاساسية لهذه الحياة برات عديدة ، فلذا كان لي أن أكر نلسي فان هذه العملية قامت على بائلي : لقد استخرج ماركس بنظورا تاريخيا طبقا لاسلام من بنج نياكتيكي شامل ، وحاول أن يضع اسمه الاقتصادي والسياسية لنفس الطريق . وقد شكل هذا المنظور الثورة القائمة الثقافية لأوجه نشاط ماركس وهذه العملية الدافعة التي كانت من تحليل الواقع الاشتراكية في كل عصر وأن يدخل الاسباب التاريخية في كل موقف وفي إطار الموقف . الاشتراكي .

فما سنكتلن وطلب هذا كله على راسه
فبعد سنكتلن كان الموقف التكتيكي في أي
وقت معين هو المعيار السائد ومن أجل
هذا الموقف التكتيكي خلق امبراطورية
ونظريه عليه .

ولكن دعنا نقول - حتى ولو نر
المؤمن المشرق [للحزب الشيوعي
الروسيتي] قد استقرت مذبح سنكتلن
القتال بأن الصراع الطبقي يزداد حدة
بأسفاره في الاشتراكية - فلهذا قد
اختلف مع ذلك في أن يطن - وهذا
ليس هو الخط - أن المشكلة ليست في

سنكتلن قد استنتج ذلك ويانه على
هذه النتيجة قد عملت التطوير الكبرى
قد - جوارين والآخرين - انبا المشكلة
الآخرى أن سنكتلن قد أفسد أن لديه
حاجية تكتيكية لميلت التطوير هذه وقد
لنحنا - وبعد ذلك - توسع بها لنرى كيف
في أن الصراع الطبقي يزداد حدة في

ظل الاشتراكية - ويكتفي أن أصدرها
بشكل أكثر دالة كان فيه سنكتلن في
جانب الصواب فعلا من الناحية التكتيكية
اعلمنا وقع مصاحته مع خطر في عام
1939 كان يتخذ خطوة حاسمة تكتيكية .

وبعد ذلك جاءت مرحلة الحرب التي
ماريت فيها بريولنيا والولايات المتحدة
قد خطر في تحالف مشترك مع الاتحاد
السوفييتي نجح في دفع خطر النازية .

وفي اعتدائي أن السؤال الكبير هو ما
إذا كان ذلك يمكن أن يحدث دون خطوة

سنكتلن التكتيكية الجديدة - توفي مقابل ذلك
علما أن سنكتلن في عام 1939 أن
الحرب العالمية الثانية لا تختلف في
جوهرها عن الحرب العالمية الأولى وأن
مهمة الأحزاب الشيوعية بالتفكير في مهمة
التي ينفذها أي في مهمة محورية - في
الداخل - ومن ثم - وبعد ذلك - خطوة

تكتيكية حاسمة - اعملى بين الكومنتن
الفرنسي والبريطاني - التي امتدت في
النتائج الشفعية التي نشأت من الوسائل
الكسنتيكية تظهر في هذا المثال بوضوح
ثم . ولنفصل إلى هذا أنه لا يزال من
الضروري تصفية المفهوم المستقل في
تصفية تالية - وفيما كان كثيرا من خارجينا
في السياسة العالمية ناهض تكتيكية حديثة
يمكن أن ثبت قدم مستحيا بين يوم وآخر
وهي أيضا - ولكن أكبر مناهض بطريقه
بمجرد بعض الشيء - ما هي لا تكاد
تكون لها علاقة بالعمليات التكتيكية التي
تجرى - واقع المجتمع .

سؤال : ما رأيك في التكتيكية
التي تستند إلى بها والمفلسات في
يوسفوسلافيا ؟

لوكش : لا أريد أن أعمد ولكنني

لا أعتبر نفسي أملا للتعبير على مفككتات
التطور الإيديولوجي اليوسفوسلافي - وكل
ما أستطيع أن أقوله - بإيجاز - أنه
خلال الحرب العالمية الثانية ، كانت
يوسفوسلافيا حلفا جميعا - فقد كتبت
- بين البلاد الصغيرة - الأمة
الوحيدة التي شنت حرب بخلافة مستقلة
واسمة الطلاق ضد خطر . ومن هذه
الوجهة للنظر ، كان مصعب الحبيب
اليوسفوسلافي مثلا للاخريين جميعا ، بما
في ذلك المهجرين الذين كتبت ارادة
خلونهم ليحترق كل وحيا أو تصيبا أو
جسما يكرى من اليوسفوسلافيين .

نقيا إلتنا جميعا - ولنا اعلى مجموعة
المفكرين - كنسا لنظر التي تطور
المستقبلية بغير من الاستياء - وأي
شخص يقرأ مقالتي بها بين المشرىات
والكتابات يرى أنني حتى في ذلك
الوقت كنت على خلاف مع خطة سنكتلن
وردتوه - وعلى سبيل المثال كان

الكتاب الذي كتبه من هيجل وماركس
معرضا قطعيا مع تحليل زائدوني له .
وبعد ذلك - ورغم ذلك - فإن سياسة
الحزب كتبت تطور نحو الخط الشيوعي

من كل ، وعندما تصدى ليوتو لوسمالي
الشيوعية بالندد المصلي كان ذلك حداثا
علما بالنسبة لنا جميعا نحن الذين
كنا نادرين على أن نذكر كنسنا . وأن
يشي تاريخ الاشتراكية أبدا هذا العمل
المعظم ليوتو . وتجهيزها بذلك التكتيكية

المركية في يوسفوسلافيا أصبح أكثر
حرية من المركة الرسمية . ولقد
وجهت انتباهي لهذه التكتيكية ولكن هذا
يعني أيضا أنني كتبتها بشكل حاد في
بعض الأحيان - ولقد أن أكثر أن هذه
الانحرافات ليست مثل الخروج من الخط
ونكوب خطا - أكثر - أننا نحتاج إلى

مبارك إيديولوجية كبرى قبل أن تشكل
هذه النهاية قد بدأت تمسك نفس الرافق
اليوسفوسلافي . وأن يظل أحد هذا
أبدا - وبذلك عموه أمر يتطابق لامل
يوسفوسلافيا لمصعب بل على الحركة
كلها - فإن لقد التفكير المستعجلين
والصراع العالمي - بل تجديد المركة
بهم بكل الوسائل العظيمة المسلحة ،
كانش ما كثرين . وهكذا يفتي أن
وجهات نظر تصمم بوضوح تام واتجاهها
واحدة ساعدا لإزالة من الضرورى أن
يندمجا معا . وإلتي على لغة من أنك
أن صبه الظن إذا قلت أنني - ذاتي -

أبل أن يرى الاتجاه الذي أبلته ليكن
الاتجاه السائد وأن كنت أعرف أن كل
أرد يقل أن يعطى التاريخ وجهة نظره
الخاصة بواقته الذاتية . وعلى أية
حال فإن تزارا تاريخيا كذا ك بشأن
أي الطرق هو الصحيح ، لا يزال يتعين
أن يصدر بوضوحيا وأبدا فإن هناك
قاسيا في كل مكان في العالم - في
البلاد الاشتراكية والراسمالية - به

يكلمون من أجل تجديد المركة وكل
واحد منهم يحاول برنامجا الفاسدة ،
وكل بطريقته ينتقدون فيما بينهم على
أبل التوصل إلى اتجاه ما يمكن أن
يخرج بالمركية من الموقف التفسلي الذي
ثالث فيه بفضل نفوذ سنكتلن .

سؤال : يعتقد البعض أن
التصديق الذاتي العملي يبدد
يوسفوسلافية خاصة وليست تعميما
من التلبية الاشتراكية . فما هو
رأيك في هذا ؟

لوكش : من الصعب على أن أجب
عن سؤال بهذا الشكل - ويكتفي - بوجه
عام - أن أقول أن الإدارة الذاتية
المالية - واحدة من أهم مشكلات
الاشتراكية - ولي اعتسائي أنه من
الخطأ أن يفرض كيكون المستقلية
بديقراطية حاسمة - ويعتبر أدق
بديقراطية بورجوازية .

ولقد وصل ماركس البيان الأساسي
للديمقراطية البورجوازية في أربعين
القرن التاسع عشر ، فهي تقوم على
التفاني بين المواطن والمواطني
والدولة - وللتنجسية المصنوعة لتب
الراسمالية هي مصعده البورجوازية
الراسمالية إلى اللغة وتعمل المواطن
الذاتي في خضم . وعلى النقيض من
ذلك فإن جوهر للتنمية الاشتراكية - التي
بدأت في القرنين العشرينين تحول باسم
في الثورتين الروسيةين تحول باسم
« جوشي المال » - بل لا ميرا من
ذلك في المجال النظري أمكنا أن نقول
أنها ديمقراطية الحياة البشرية . أن
الإدارة الذاتية الديمقراطية تتكفل في
أكثر المستويات الأولية في الحياة
البشرية - وترفع على مسيل سيطرة
الحبيب ككل على جميع المسائل المالية
الهامة - واليوم نحن في بداية هذه
الحياة . ولكن لا يمكن أن يقوم فكر
في أن تلك الابتداءات التي تمت في
يوسفوسلافيا ومعه كبريا قد خضعت
لتنجسية مسيطرة - سوف قسم - في
الظروف الجديدة للخطر - في الاتجاه
النهائي لجلب المال في أن تصبح
مرة أخرى أبدا الأساسي لكل تدية
اشتراكية .

سؤال : لقد عبرت في إحدى
المرات عن المفكرة المسألة بأن
الإنسان التكتل هو إنسان الحياة
العامة . فهل تصعب بأن تزيينا في
هذا الظن ؟

لوكش : اعتد إلتنا معنيين حنا
بموضوع أساسي من موضوعات المركة
وهو موضوع معالجة ماركس في أبله
الأولي معلما كتب « الاقتصاد السياسي »

تتطلب أكثر ما نرى في فيزياءنا لا أقل من تناول فيزياءنا الأولية وقت حد حدود الطبيعة . لنرى علم الطبيعة المنفردة ، فتخرج إلى الوجود فعلا تمثل طبيعة ، ولكن هذه الفصل - كما مرهليها ، في أصله قد فيزياء - تمسك - صلبة . فالأصل ، الأصل الفيزيائي ، فيصلية الأصل ، ولكن الأصل الفيزيائي لا يفر شيئا من هذا عندنا يفرش الأصل أو عندما نجد صفه لنا فيصبح فصب حاجته البيولوجية ، وهو في الوقت نفسه يقدم لمصلحة ويطلب دون أن يكون على وفي ذلك . فعلا كان ماركس يميل عندما قل أن المجتمع الإنساني صلبة مصلية ؟ ذلك أن الإنسان هو بنفس الفرد وحدة من المصلحة الإنسانية من النوع البشري لأنفسه لمصلحة منه ، كما أن الفرد وحدة من النوع الحيواني لا يمكن لمصلحة منه ، وكما أن لغة الحبيب من التبعات - ومع ذلك - وعلى التفتيح من هذا - فلن الإنسان فحقن واع في حياته حتى على اننى المصروفات البدائية - هذه الحقيقة ذاتها ، حقيقة كونه حشوا في أكثر الفيل بدائية نرمله إلى ما وراء الصبب الذي هو صفه بيولوجية بحتة . وهنا نشأ بهذه الطريقة علاقة جدلية مفردة بين مطالب المصلحة ومطالب الفرد ، وبين إمكانيات الفرد وإمكانيات المصلحة ، والآن الجأنا لكل منهما على المصلحة والفرد على السواء . هذا ما نجد طور الإنسان إلى انسان - ولو أننا قلنا الخرج جيد لوجدنا أن هذا هو المصروف الحقيقي لتفسيح كله - ويظهر في تفصيل إلى هذا ما قلنا ماركس في وقت بعيد ، وهو أن التفصيل السدى لمركب - ويمكن أن نعرف مدى ضخامة هذا التطور إذا فكرت بين الناس المعمرين والقبائل السدوية - لا يزال يصل ما قبل تاريخ الكتابة - أن الانتماء مسبقا تاريخيا في الحقيقة ، فسلما يكون قد تفسى وراء كل حواليل المجتمع الطبيعى وبعبارة أخرى قلنا عندما نتم الإنسان المعاصر وعلاقته بالمصلحة ، يفتي أن تمى لنا لتاريخنا مرحلة ما قبل التاريخ . أما كيف نسر هذا فله من مرحلة ما قبل التاريخ يكون الانتماء للمصلحة متناقضا في جوهره ، بل هو الانتماء للفردية البحتة ، وقد كانت الاستعدادات في التاريخ أولئك الأفراد الذين منهم أتقن هذا الجانب أصلا كليا - وتلك من سبيل المثال البارزة - التفوق في تجهد كبرى

الانتماء للإنسانية في توتيليان (١) ومع ذلك فإن العلاقة الجدلية توجد حدة . وهذه العلاقة الجدلية هي التي تستمع المزيد والمزيد من النفس في مسيرة المجتمع الإنساني إلى التفكير في التحلل للفرد لا يكون ممكنا إلا إذا كانت الأوامر العليا للمصلحة ما قبله كواجب على الفرد - إن أكثر ما يفتنا في شخصيتك مثل سقراط أو أرسطو - دون أن يكون المرء بالضرورة وأما ذلك - هو أن تطور فردا كس - والتجارب الأوامر المصلحة - الذي يتم أرواحا - على هذه الدرجة من الانتماء وما أود أن أقول الآن هو أن الأعداء للمركبة في ظل الفسيوية ينبغي أن تفتح للإنسان - طويلا للتجديد - أن يفتح فيصير المصلحة كالمصلحة بما يتناسب مع حقيقة على أن يرى تحقيق فردية في الواجب للمصلحة في قبول مكانة كعضو في المصلحة .

سؤال : إن كان فكرت اسم لثين ماركس وثلاث شخص ، فعلا يفتح بالتعبية لك في حياته الخاصة ؟

لو كنتي : إذا كنت تضي إلى أي مدى كانت في به حالة شخصية على الإجابة أن هذه الفتي شغل هي أقصى حد - على كضائفنا تضي إلى أن لثين قد كتب بصرامة قوية في كضيفت أن على من كضيفت كان ماركس زينا وفيه ماركس ، ولثين أن أمثلة بأن هذا كان واحدا من الاختلافات التي حصلت بينه وبين كضيفت . ولثين - ولم يكن قد فكر ذلك في هذا المثال ولما في كضيفت « جري الشخصية الطفولي » الذي يتناول الموضوع نفسه - قد أكد على الاختلافات التي بين مؤسسة كضيفت في تطور تاريخي إلى الواسع مساهما من الطبيعة المصالية - فقد خلصت بين حنين في مقال : « وتحت هذا كضيفت من تأكيد لثين على هذا الاختلاف - وقد ذلك أصبحت في مركز يسبح إلى بأن أكثر على هذه الموضوعات على نحو أفضل - والطبيعة كضيفت هذا الحد انتهى لتسليق الشمس يثين - وهذا لك الحقيقة يثين في مؤثر الدولة الثالثة ، ولكن تضي لثين لم تكن في ذلك الوقت أكثر من عضو لجنة مركبة في حزب صغير غير شرعي ، وعندما قمنا لدعم إلى لثين في رحلت المؤتمرات لديه بخصائل أكثر الحما من المحول

في مخالفة مع عجز من الصلث الثاني وبالتالي كان مستحيلين في مؤثر الدولة الثالثة تركه في أثره هالكا . وساعت دراستي المؤامرات على تقنية هذا الانتماء ويذكر أكبر من التحديد فالتا نرى إلى لثين لثا جسديا هو جوسرو للثوري الأصل - ولست أملي بهذا أن أفضل من الثوريين التحدي - ولست يمكن القول أنه بعد تلك الحقبة (اللافتة) ظهرت بين الروائيين تجربة تهدف إلى تجديد الاختلافات المادية فخلق إمبراطورية جديدة قائمة على الصفاء على نحو أكثر حدا ، على التفتيح من الأعمال الخاطئة التي كان يكتبها الشعب . أن بقايا هذا الموقف ومثله من جسد في الثوريين السليح على واللثين مفرغين أنه من الممكن اكتشاف نوع معين من الأند وأخضا جدا ، وقد أثر هذا على فكره في رومينين مثلا لوجست هذا الزهد وأخضا جدا عود أثر إذا على عصرنا بالكل - ولو نظرنا إلى عصرنا كالثوري وإلى شخصيتك بآخرة مثل لثين في لثين في لثين (٢) ، أن لثين في لثين (٣) ، لا يمكنه ما كان ماركس يقول أن الشيوعيين كانوا دائما في لثين في لثين - وهذا في الحقيقة على درجة من الأند ، وعلى التفتيح لثين - ولثين في لثين - جوسرو الأصل - ويضع لمصلحة الثوري في أن مصلحتها الإنسانية الفردية لم تكن تلعب دورا في حياتها وله على حينا كما يتضح من قراءات ضد نيوليسما الثورية الخاصة لا - لم يكن ذلك يفتد سورزاجا - وعندما يقرأ أنه كضيفت جوريكي يثين - فمصلحة الفترات الجميلة التي تحدثها لثين من حكومة يثينون « المصلحة » - فله يرى بهلا ولثين في لثين - على التفتيح من لثين في لثين - يثين لثا جوسرو للثوري هو بنفس الفرد انسان بدون مصلحة ويضع الفرد انسان يضي بصره الشخصي إلى التفتيح من لثين ، ولكن دون أن تطوى هذه القضية بالذات على أي زهد - وفي امتداد أن نيوليسما سيبلي دورا محلا في التطورات (المصلحة)

سؤال : هل هناك علاقة

(١) تقول العمارة : أيا لا لثين في لثين الكلمة إلى الشيوعيين لنا لثين كضيفت معهم . وكان يفتد أن تقول لثين هو (٢) كان لثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (٣) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (٤) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (٥) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (٦) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (٧) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (٨) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (٩) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام (١٠) كان يثين في لثين ، وقد زينا من عدد أن يثين من بودايت بعد سقوط الكوميند وأمام

مباشرة بين الأورده ومرضى الفيسبارية الطوفاني ؟

لوكلشي : بالطبع ، بعد كان الثورين ، الثورين في ذلك الوقت من الخطم الزاهد في مجلبهم ، وكثيرين جدا منهم كانوا اوروبيين مستعبدتين ومكرسين بصورة غير عادية ، وهذا ما اعتقد ان لبنين كان يمرره حق المجرة ، ولم يكن يمكن ان يحدث ان ينكر لثلاثين ناديسر باينيكه رولان هولمست كانا ثورين اسلين وكانان مكان يستكره فيهمامو ترمطها الطليقية ، وعلى حين كان هذه المشكلة كانت «مقالة امام لبنين وغير شك كمشكلة مساهمة الا ان المشكلة الاختلافية بوجود في الخلفية ، فكان لبنين « يحكم كونه لوس مثلا بلرا » مصعب يل رجلا عاليا مثليا ، ايضا - ولم يجيدا ان هذه المشكلة الاختلافية فيه هي ان تلكا في السيل العام في مرحلة اولى من التطور ، وقد كانت وجهات نظرنا - في مختلفات النظرية - مع الطليقية حول المشكلات المحددة - مع الطليقية او همداء - في الترافت الى الترافات العلمية التي نلش لبنين من اجلها .

سؤال : ماذا تكون وجهاتنظر في الحركة العمالية الفيسبارية اليوم في فلسطين ؟ مرضى الفيسبارية الطوفاني ؟

لوكلشي : ان هذا سؤال المعقد للغاية لما لا شك فيه ان النظر الفيسباري يجب مرورا ما « ولكن علينا ان نكون حذرين جدا هنا في كيفية تطبيق الامتكام على المشكلات الخارجية كما مولوجت في المؤتمرات الكلاسيكية - في الوقت الحاضر - ان اتي شخص يعتقد ان مساهماته ان يطرق كتابا لانه لبنين في عام ١٩٢٠ على الفيسبار الاريقي هذا العام او تطبيق لبنين لرولان هولمست على مشكلة يطع في كلبا مروح . ومن ناحية اخرى ، فان هناك مشكلة حقيقية وهي مشكلة تصالح ان تعلم فيها من لبنين « واعلى لنا الآن في بدايات ازمة في الجمع الراسمالي ، فلما تمت بركي الى الوراء الى مسلم ١٩٢٠ ، واتصان على منظر كان كثيرين يعتقدون ان الراسمالية المباشرة الجديدة - الى الحياة على الطريقة ايركية - مستطام هذا تيجيدا في تطور الانتصان فكروا بولرون ان هذه لم تعد راسمالية ولما نوع من الجمع على درجة اولى من النظام ، وهذا ، وقد برزت اولى ٢٠ سنة منذ ذلك الحين ، واليوم يولاج مثل التنام في مجومه المراحل الاولى ان ركز على المراحل الاولى والاخرة . فالمرحل الاولى تعني ثورة الطليقية والثنتين ، ولكن هذه الثورة لا تزال فتاج ، الى خلق برلنج ذي انتماسي

علم به « والبرامج التي هجمت على الان برامج سلاجية الى التسجيد في مجموعها ولو تلك فكرت - على سبيل المثال - ان الضياع ينجون الى حد القول بان طريقة التغلب على الاستغلال يكون محمول العمل الى لعب اذن فان كل ما ينطوئه حقا هو انهم يريدون مخالفة التجوز السكن ثورين في بداية القرن التاسع عشر وهو ما سخر منه ماركس في اربعينات القرن الماضي ، اذن فمن سدد حركة غير نالسية الى حد كبير من الناحية الايدولوجية يمكننا انكتيها عيبا ايجليا لانها مخالفة مع تلك التقلبات التي تظهر حاليا في المجتمعات الراسمالية ، واعلى بهذا الحسرب اللقبالية والاركة المتعصبة في الولايات المتحدة ومجل ريبطليا من ايجاد دون لها فيما بعد عهد الاستعمار ، وازمات برتسا والمالها وابطليا ، ومعاراة اخرى قلنا اذا نظرنا الى فرنسا من خلال تطور ثورتي مالى - على عية ازمة عالمية - وبطبيعة الحال فان العبة يمكن ان تعلى خمسين مليا ويبنى ان تكون واضحين في هذا - والثيوم مالى ارى المسافر العملي الكبير الى فسادد المركسية في حقيقته انه لا يمكن ان تكون ثورة بلا ثوريتورية ، كما قال لبنين من حق في كتابه « ما العمل ؟ » ، ولندد الى ما قلته من قبل يبنين ان يكون ذلك تجدود للنموج المركسي في الغرب وفي لافانا ، كود من القيام بتعطيل اقتصادي وايتاماني لما تحقنا في ظل الراسمالية ، تحليل لم نعلم به نحن المركسيين فهوو تنص يقط على عجزنا من ان نزل الاختلات المحددة التي تتطلب حولا - واذل ان يتم ذلك ان تكون في مركز استنتاج منه ان تحدث من حركة ثورية عاجزة على اختلاف قراراتها عقيمة ، وهذا هو السبب في لتي اميرز تيجيد المركسية مسالة بهذه الدرجة من الامة ، ان هناك مشكلات في البلاد الاشتراكية ايضا ، لانه بدون التجديد القوي للثورية لا يمكن ان يكون هناك تيجيد في التطبيق ، ولكن الشخص الذي يعتقد بيسلطة انه يمكن اسطد الراسمالية بيجرد حوائث هو بالطبع شئس سلاج مدا .

مسؤال : ما هي المشكلات المحددة التي يطرحها تجديد النظرية المركسية بالنسبة للتطبيقات في البلاد الاشتراكية ؟ واي هذه المشكلات تخص بالترك ؟

لوكلشي : هناك مشكلات كثيرة في هذا الصدد ، فالثورة الروسية - كما مرر لبنين جيدة - لم تطلع في اكثر البلاد الراسمالية ثورا ، ولم تطلع في شكل ثورة عالمية وانها في بلد مختلف نسبيا ، وفي حلة ، وهذا يعني ان الاتحاد السوفييتي كان يوليه مهمة ثورية

مهمة ومعها الخط الذي ذهب ماركس الذي كان يتخيل ان الثورة الاشتراكية ستع في اكثر البلاد قديما وهي مشكلة تيجيمتوي الاثناج السوفييتي في سوتوي يجلل الاشتراكية الحقيقية ممكنة اقتصاديا واليوم ، فاني اشك في ان مثاليين قد علم مناصبه لمره انه كان الكتيبي البراح الوحيد بينهم بل ايضا لانه لول كل شيء كان يدافع بكل مصعب من هذه الاشتراكية في بلد واحد ومن العجاة للتغلب على التخلل الاقتصادي والاذل وان لم يكن بصورة كلية ، في التفسرة السوفيتية ، وفي بقل هذا فان الاترا الذي لم يحدث بعد هو ان وصعب الاثناج انتاليا عاليا ، والامم من كل هذا ان يكون نوع الاتراج هو الذي يهمل التخلل الى الاشتراكية يمكنا .

وفي هذا السبيل تشسا بمشكلة « بالعمل ؟ » في الاقتصاد السوفيتي وفي كل بلد اشتراكي اليوم ، ولا يمكن ان حل هذه المشكلة بالناجح التثابلية ولقد قلت - على احدى ارجى متى مصعب لصحة « لونيما » (مجلة الحسرب القومي الايطالي) في عام ١٩٦٦ - ان هذه المشكلة لا يمكن ان تحل الا باختلاف الفيسبارية الجديدة والانتاج بمشكلة التثابلية الاقتصادية الجديدة والانتاج من مثالي مثالي غير دقيقا في ايضاتية اشتراكية في مركب واحد من هذه مشكلات ، لا يمكن حل واحدة بها دون حل الاخرى ، ولكن طالما ان هذا الامر ليس حل محفرا به لان في معظم البلاد ان وصعب يتعرف به بعض انظم لنا لا تزال يديون من الحل ، ونحن ايضا وبمضى ما في موقف ازمة ، لانه من التغلب عليه على نحو ما في النظرية والتطبيق على السواء ، وهذا الامر احييه العائنية بالنسبة لنا ، لانه بوجه لا تصالح ان نصل الى الصعوبات العمالية في لافانا ، وبالفعل في هذا لنا هذا الطورون القميراني يمكن ان يطع نصا كبيرة لنا نتيجة للتسجيم التثابتي ، ولقد قلت اذن من مرة انه كان من الضعفاء الميزة بمرورة غيرا عادية انه في ربح لبنين - ورغم ان الاتحاد السوفييتي كان يواجبه ازمة مسكرية وسياسية واقتصادية ، علما كانت المباحة تصير الى الاتحاد السوفييتي اذن في اشركت في فيما في كثير من اجتماعات المايجرين حيث كنا جميع الثوريات لاولئك الذين يمدون يوما ، الاتحاد السوفييتي كانت اقلية المثقفين ، بل واكثر من هذا اقلية العمال ، فخر بان ما كان يجرى في الاتحاد السوفييتي اذن امرا مصعبا بالنسبة لانيتم ايضا ، لقد كان لنمو المثاليين تيجيد مرورا ماليا في ان هذا الشعور قد ك من ان يوجد في الحركة الاشتراكية الاوروبية وليس مسجدا ان الاشتراكي الفرنسي

أو الإنشائي يركز اشتراكيا على
أن يحمي أو يعطي المال إلى الاقتصاد
السوقية . أنه لا يريد أن يعيد فيه
الطريقة . أو ما يريده — إذا كان
اشتراكيا حقا — هو تحقيق حياة
اشتراكية ولكنه لا يغير فيه العمل
السوقية أو علاج الكولون جيسا
اشتراكية . هذا أن نوع من العلاقة
المباشرة بين هاتين التريخيتين ، وإلى أن
ستطيع أحياه النظرية الاشتراكية
المستعدة من الروسية ، وإلى أن
ستطيع أن تجعل منها واقعا كما في
البلاد الاشتراكية ، أن يتكنا بهت
القلة الجذابة غير العالمة للاشتراكية
التي دامت من عام ١٩١٧ إلى
حوالي وقت عمليات التطوير اللوري ،
والتعاملات القوي مع هذه الاشتراكية
في ما سبق كان يشكل الإصلاح
الكيريين مختلفان بمسورة بالجرة .
وأولئك الذين لا تتفاعل لا يمكن أن
تكون إعادة الحياة للنظرية الروسية.

بالمخبرين في حقيقة أننا قد اكتشفنا
الانتفاخ الاقتصادي دون أن نكون متفهمين
أولاً أسبابه أو أسسها الاقتصادية
وأنه دون أن نأخذ بأسبابها دون التمسك
بمؤدات أخرى بعيدة الشكلة بتجديدها
الفتح الماركسي - ويمكن أن يقال
الابتداء من ماركس ، لا يمكن أن يقال
أياً من تلك مجرد « الاقتصادي »
كما يبدو أن بعض الأسس في الجرح
الذي يورثه فيروبوليا ، بل التي التي
من حق أن لا أحد يدعو ماركس يكن
أولئك الذين أخذ عنه - وهذا دليل
- دون أن نتخيل أن هذه كلمة
بماركس آخر - ونحن علينا أن نعود
إلى منهج في جبروتنا وعماهنا
وإدراكنا

التحدث في الأموات في التلمذة
 المركبة قد يكون ظاهرة اجلية ،
 التي يتفق على حلها . اني اعلم
 من قبل الابلية ان هناك اناسا
 قد بدأ يقولون انهم سيصلون هذه
 المسألة اذا استحدثت بعد نظر اراء
 الشكلا . ولكن لا شك في ان هذه
 الابلية ، ومن تلحقها ان المركبة
 التي تبرز اليوم باركية متعددة
 الانواع ومتعددة الشكلا - وقد
 اقبلت بعض وسنها قبل ذات طبع
 يعتمد ، واسع في ان اجان خشى
 ان هذه المركبة قد شابتها اثار اقوام
 اخرى مترددة لخصائصها الخاصة بالانسان
 ، فالخبر ان هذا
 طريق مراع الطيف او انه لن يترك
 مسيح في ان يستطيع ان يهادي
 اطار كل هذه الاعراض في الطريقة
 التي حدثت بها هذا الصراع ، وهذا
 في مختلف طبلا . ولكن علينا ان نعرف
 انه ليس بالكلية مسالة في نفسهموسه
 ان تكون هناك انا صيغة واحدة . ولذا
 فالتساؤل في كل هذه الامور العظمى
 التي اشدت اشد في ارجاء العالم
 لتعصب ، بالتبصرالال انيولوجي للثقة
 واحدة . ان الاعمال قد تدمرناش
 نفس لعل الى الحقيقة . ولكني اقول
 ان ذلك مرة اخرى ان هناك حقيقة
 واحدة . والذين قد التحدث في الاموات
 اني اني اقول انهم في الحقيقة ، ولكن
 من غير الخوف به امكان ان نذكر
 فكرة بروجوالية فطلة ؟ وان نعرف
 بطلا انهم ميتا في التحدث وان نعرف
 نفسا للمركبة اني يمكن ان تكون
 مفعلة ان انا في سبيلها ان انا في
 ان اسماها ان نذكر هذا للرئاسة
 الخاتمة اني يستطيع ان يجد نظريتها
 الخاصة من المركبة .

مذہب: **الجمادات تخدم الهدى نفسه (۸)**

حركة التحرر

بين الدعوة الى « حوار افريقي » مع جنوب افريقيا و« الدعوة الى « حوار عربي » مع اسرائيل

حسين شحيلان

ودرتجات الظلال فيها «، فإنا نؤكد — بداية — وحدة هذه العناصر جميعها ووحدة عمليات الصراع على جانبيها .

وقد بلون هذا التحدي ثلاثة تحركات أساسية شهدت الأسابيع القليلة الأخيرة؛ نرصدها في ١٠
أولا : « الدعوة الى اقامة حوار مع جنوب افريقيا » . وقد بدأ هذه الدعوة — تاريخيا — هليستجيز باندا أو « الانجليزى الاسود » رئيس جمهورية بالواى فى اعقاب استقلال البلاد عام ١٩٦٤ . وقد بدأت هذه الدعوة تطرح بشكل جدى عندما دما فورستر رئيس وزراء النظام العنصرى فى جنوب افريقيا ، رؤساء دول القارة فى نوفمبر ١٩٧٠ ، الى اقامة حوار مع حكومته من اجل « التعاون فى مختلف المجالات » ، وفى مقدمتها التعاون الاقتصادى حيث تتوفر لجنوب افريقيا امكانيات كبيرة فى هذا الشأن . واقرن دعوته هذه اعلانا عن استمداده لاستقبال جميع القادة الافريقيين على قدم المساواة التالية . ويرغم كل ما يمكن أن يقال من جانب القوى الوطنية الافريقية حول وضع وطبيعة النظام العنصرى فى جنوب افريقيا وحقوق الافريقيين اهل البلاد الاصليين من الخ ، ويرغم ما أسفر

حركة التحرر الوطنى الافريقية فى هذه الفترة، تمحدا سافرا وعنيفا ، من قبل الاستعمار العالمى ولداواته من قوى « الرجيميات

الحالية » . ويبلغ عنف هذا التحدى ، مستوى بعيد الى الأذهان عنف تحديات « أزمة الكونجو » ، والاثار التى ترتبت على سلسلة « الانقلابات العسكرية » فى غرب ووسط القارة ثم شرقها ، « ومحاولات الانقسام » فى منظمة الوحدة الافريقية على يد دول منظمة « الأوكام » مرة وفى عام ١٩٦٦ مرة أخرى ، ومحاولات « غزو غينيا » و « جنوب السودان » . الخ .

وتكشف النظرة الفاحصة والثانية لجموعه النشاط الذى تشجع عناصر هذا التحدى ، من حقيقة أساسية جوهرها أن هذا التحدى ليس « تحديا افريقيا » فحسب ، ولكنه أيضا « تحديا له بعده العربى » ضد حركة التحرر الوطنى العربية بقيادة مصر . بل وتكشف كذلك من « طابعه العالمى » ضد حركة الثورة العالمية بجناحيها الوطنى والتقدمى .

وإذا كنا ندرج هذه التقييمات تحت عنوان « التجاوز من اجل تحديد تفاصيل المسيرة

ـ البانزة المصرية لفتح قناة السويس ٠٠ البغ ٠٠
والذى أدى بتشكيل ملحوظ الى عزل
اسرائيل عن كثير من قطاعات الراى العالم العالى
على المستويين الرسمى والشعبى ٠ او ادى على
الاقل الى وقوف هذه القطاعات ـ المترايدة ـ
موقفا محايدا واكثر تمهيا لوجهة النظر العربية ٠

وليس صدف ان ترتبط رحلة ايبان بارتفاع
نفمة ٠ اقامة الحوار مع جنوب افريقيا ٠ نهى
من جهة تخلف مناخا عاما لان تجد ادعاءات
اسرائيل بإمكانية ٠ بل وضرورة ٠ اقامة حوار
بين الدول العربية واسرائيل من اجل ايجاد حل
لمشكلة الشرق الاوسط ٠ ان تجد صدق بين دول
افريقيا يشكل ضنوها مباشرة أو غير مباشرة حين
يجتمع مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية
٠ ثم يتبعه مؤتمر القمة الافريقى ٠ فلا يتخذ
قرارا بادانة اسرائيل او مطالباتها بالانسحاب من
الاراضى العربية المحتلة ٠ كذلك القرارات التى
اتخذتها المنظمة فى اجتماعاتها السنوية السابقة
ومنذ العنوان فى يونيو ١٩٦٧ ٠ بل يذهب ايا
ايبان فى رحلته الى حد مطالبة الدول الافريقية
التي زارها بان تلعب دورا ايجابيا من اجل اقامة
« هذا الحوار » بين اسرائيل والدول العربية ٠

كذلك ليس مصادفة ان تاتى هذه الرحلة
باهدافها ٠ هدية الاستعداد لاجتماعات الدورة
الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة ٠ وحيث تمثل
الدول الافريقية فيها ٠ تكل أصوات ٠ هام داخل
المنظمة الدولية حيث احتمالات مناقشة أزمة
الشرق الاوسط مرة اخرى ٠

تلك هى « الاهداف الخاصة » او « المحددة »
لحوارى الهجوم السابليين ٠ اقامة ٠ حوار افريقى
مع جنوب افريقيا ٠ والاقامة ٠ حوار عربى ٠ مع
اسرائيل ٠ ويعنى التسليم باقامة هذا الحوار ٠
التسليم خسرنا ٠ بان النظام فى جنوب
افريقيا « كان طبيعى ٠ وانتمثل احدالنظم المستقلة
فى قارة افريقيا ٠ وامتداد هذا « الحوار » المجرد
اليوم ٠ هو اقامة حوار اقتصادى ٠ وهـوار
سياسى ٠ و « حوار عسكري » ٠ وبالسجلة
ـ آخر الامم ٠ تخطى فشل ربط الدول
الافريقية المستقلة بشكل مباشر بدول الاستعمار
القديم والجديد من أبوابها الى ربط تلك الدول
ـ بشكل غير جائز ٠ ـ من نافذة جنوب افريقيا
التي تقف الى نفس النتيجة ٠ وتطبق نفس هذه
المعاني على دعوة اقامة « حوار عربى ٠ مع
اسرائيل » ٠

على ان هذه الاهداف الخاصة تعتمد فى العمل
من اجل تحقيقها ٠ على منطبق ٠ يامر ٠ رؤساء

منه تعاون حكومة مالوى مع حكومة جنوب
افريقيا من تصدير مالوى لم ٢٨٠٠٠٠ رجل
من شباب البلاد للعمل ٠ فى ظل اقسى الظروف
والشروط ٠ فى مناجم جنوب افريقيا مقابل بعض
السلع الاستهلاكية من جانب جنوب افريقيا ٠
نقول انه برغم ذلك كله ٠ الا ان عددا من
حكومات ورؤساء دول افريقية ٠ على رأسهم
هوفيه بوتانيه رئيس جمهورية ساحل الماج ٠
تلقوا هذه الدعوة واراحوا يروجون لها بشكل
يصعب معه الاكتفاء عند تفسير نشاطهم فى هذا
الاتجاه على مجرد مقولة « الشجاعة » او
« الجراة » ٠ حيث ان التفسير الوحيد لذلك هو
عبل هذه القوى جميعا بشكل منسق معا ٠
ويشعل ٠ ويدفع هذه الدعوة اليوم رؤساء كل من
داهومي وجابون وتوجو وفولتا العليا والتيجر
وليوسوتو وحتى رجل كينيا المجوز جومكينيانا ٠

ثانيا ٠ رحلة ايبان وزير خارجية اسرائيل
الى سبع دول افريقية هى ٠ كينيا والسكونجو
[كينشاسا] والكابرون وغانا وساحل الماج
وليبيريا وسيراليون ٠ ويمكن فى هذه الرحلة وما
يمكن ان يترتب عليها من نتائج « البعد العربى »
فى هذا التحدى العام ٠ فقد سبقت رحلة ايبان
ايبان ان اعلنت اسرائيل من ان هدف الرحلة هو
« شرح وجهة نظر حكومة تل ابيب بشأن قضايا
السلام والامن ٠ بشكل عام ٠ والموقف على
الشرق الاوسط بشكل خاص » ٠ كما سبق
الرحلة ان قام رجال البئوك فى اسرائيل بتقديم
مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه استرليني تبرعا الى لجنة
التحرير التابعة للمنظمة الوحدة الافريقية ٠ التى
تضم ممثلين لحركات الكفاح المسلح الافريقى ٠
وذلك من خلال هيئة الامم المتحدة ٠

ويهدف هذا البغ ٠ سياسيا ٠ لان يقول ان
اسرائيل لا تقدم مساعداتها الاقتصادية والفنية
والمسكينة الى دول افريقيا المستقلة بحسب
يزعم ان اسرائيل احدى دول العالم الثالث
المستقل ٠ ولكنها تقدم مساعداتها ايضا الى
حركات الكفاح المسلح الافريقى لتحرير هذه
المناطق ٠ ومؤدى ذلك آخر الامر ان اسرائيل
تتبع سياسة معادية لسلاستعمار ٠ [كذلك]
ومساعدة لحركة التحرير الوطنى ٠ [كذلك]
وان خلافتها مع مصر والدول العربية ٠ خلافت
محلية ٠ لا صلة لها بقضايا التحرير والاستعمار ٠
[كذلك] ٠ وانما تتصل بقضية مطلب اسرائيل فى
الوجود والبقاء ٠

وطبيعى ان يقوم ايبان بهذه الرحلة فداة
النشاط الواسع الدبلوماسى والسياسى العربى

حكومات الدول الإفريقية الداعية الى هذا « الحوار ». هو المنطق القتال « بالواقعية » في مواجهة الامور وفي العمل والحركة السياسية . وهو — بلا شك — ويدون الدخول في تفاصيل منطلق مبالغ ومفروض من قبل القوى الوطنية والثورية . « الواقعية » عند القوى الثورية هي واقعية تحقيق المبدأ .. أي التحرك المبني على اساس معطيات الواقع وظروفه .

وليس صخفاً ان يجمع بين اصحاب هذا المنطق « الواقعي » ، طائر مهاجرة الاستعمار والتعاقس من تلبية متطلبات تطور بلادهم .

ثالثاً : اجتماعات الدورة الاخيرة لحلف الاطلنطي في لشبونة [عاصمة البرتغال] ، التي اولت كما جاء في برقيات وكالات الأنباء ، اهتماما كبيرا المناقشة القضايا الافريقية . وتكشف كتابات الصحف الغربية — والبريطانية بوجه خاص — عن اجراءات جديدة لتدعيم التحالف بين العنصريين والاستعماريين . لقد ذكرت صحيفة النيويورك تايمز البريطانية ان حديثا قد جرى بين رئيس وزراء بريطانيا وبين وزير خارجية البرتغال حول [مسألة اقامة علاقات بين بريطانيا ومستعمراتها « المتردة »] . وقد عبر رئيس وزراء بريطانيا عن اعتقاده « بان البرتغال تستطيع ان تلعب دورا ايجابيا في تسهيل هذه المهمة السياسية » . وارتبط ذلك باعلان حكومة جنوب افريقيا — في نفس الوقت — « بان وزير خارجية البرتغال » سوف يقوم خلال شهر بزيارة جنوب افريقيا « لاتجاز هذا الدور الايجابي » ! .

والواقع ان تحالف الاستعماريين — من خلال البرتغال — مع العنصريين يوطد على المستويين العسكري والسياسي ممرعة كبيرة تهدف الى اقامة قاعدة عسكرية فاشية في القسم الجنوبي من افريقيا لينطلقوا منها ضد استقلال وسيادة الدول الافريقية ولاعانتها الى سيطرة النفوذ الاستعماري من جديد . وقد انتقل هذا الحلف — منذ زمن — الى دائرة النشاط الفعلي . فقد انشئت في جنوب افريقيا — مثلا — فرقاً للتدخل

اعدت من وحدات مدنية تدريباً عسكرياً عاليا ومجهزة بأحدث انواع السلاح يمكن نقلها داخل وخارج حدود النظم العنصرية بسرعة . وهناك بالإضافة الى ذلك أكثر من ٢٠٠٠ جندي من جيش افريقيا الجنوبية يقاتلون ضد حركة الكفاح المسلح في روديسيا ومع الوحدات البرتغالية في أنغولا وموزمبيق .

.. هكذا تقدم جبهة « الرجعيات المحلية » مع « العنصريين » مع « الاستعماريين » التنادي والجدد لتشكل جميعها عناصر الجبهة المخادبة لشعوب افريقيا وحركة التحرير الوطني الافريقية . ولا تهدف هذه الجبهة عند حدود تدعيم تحالفها ، وانما تتحرك بشكل هجومي من خلال التنسيق بين قواها المختلفة ، واسلوها الأساسي في الهجوم : هو شق صفوف الدول الافريقية المستقلة من جانب وقوى حركة التحرير الوطني الافريقية من جانب آخر .

ان دعوة اقامة « حوار افريقي » مع جنوب افريقيا ، ودعوة اقامة « حوار عربي » مع اسرائيل ، انما هي نغبات متنوعة للحن واحد اختاره أولئك الذين يدفعون لعازي الحن .. وهم أنفسهم الذين يدفعون لقتل الوطنيين المناضلين سواء في فيتنام أو في كيبوديا أو في لاوس أو على أرض فلسطين والأردن أو في أنجولا أو موزمبيق أو غينيا « بيساو » أو روديسيا أو أرض جنوب افريقيا .. الخ .

ان الكفاح ضد الاستعمار بشكله القديم والجديد ، والكفاح ضد العنصرية الشوفينية ، يشكلان المحتوى الأساسي للحياة السياسية في افريقيا اليوم . والخطر الحقيقي على هذا الكفاح ، انما يتأتى من حقيقة وواقع تنفدت وحدة القوى الوطنية والديمقراطية والثورية . ومن ثم فان مهمة توحيدها وایجاد الاشكال والاطر التنظيمية لهذه الوحدة ، مهمة لا تحتل اية تأجيل . كما ان مساندة الدول التسببية والاستراتيجية لشعوب افريقيا ، لا تعزز مصعب نضال هذه الشعوب ووحدتها ، بل وتقيم الاساس الحيوي لخلق وحدة نضال متينة بين الحركة الثورية العالمية ككل .

الأساس للتعليم الخاص الاجتماعي



ممدوح عبد الرحمن

أولاً : أن الغالبية العظمى من المثقفين المصريين على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية يعتقدون أن المدارس الخاصة « المتبعة » يجب أن تظل موجودة لتوفر لابنائهم جواً ثقافياً واجتماعياً بعيداً عن أبناء الأوساط غير المثقفة الذين تهبط بهم المدارس الرسمية ، وهم يرون بالخاص ذاتي أن ذلك لا يتعارض مع مبدأ تكافؤ الفرص .

ثانياً : أن الكثيرين من المسؤولين من توجيه سياسة التعليم تربطهم بالتعليم الخاص روابط وثيقة قائمة أو مستهففة ، فكثير من وكلاء الوزارة الحاليين والسابقين أعضاء في مجلس إدارة الجمعية التعاونية لتجديد القومية ، والبعض الآخر يتطلع إلى هذه القضية كما أن كثيراً من

التعليم الخاص بدورهم في مجال التعليم المصمم ، ويتزايد هذا الدور نتيجة للنمو السريع لهذا القطاع في سنوات الثورة ، ولكن التعليم الخاص ظاهرة اجتماعية قبل أن تكون ظاهرة تربوية ، أي أن الدور الاجتماعي له لخطر وأكبر من الدور التعليمي ، وعلى الرغم من أهمية التعليم الخاص فإن مؤتمر التعليم في الدولة المصرية لم يتعرض بتوصية واحدة تهدف إلى بحث هذه الظاهرة أو تحديد موقف منها .

يقوم

وهناك لشهاب تكبر وراء عدم التعرض لهذا التعليم في هذا المؤتمر أو في كتابات كثير من المهنيين يشنون التعليم في بلادنا ، منها لا .

المديرين العاملين بالوزارة يقومون بإنشاء مدارس خاصة أو بالعمل بها بعد الحالة إلى المعاش % ولذلك فإن هناك مصلحة ذاتية لوجود ذلك القطاع ولعدم إثارة أية مناقشات حوله .

ثالثا : ارتباط المدرسة التربوية المصرية تاريخيا منذ نشأتها بسياسة الدفاع عن وجود تعليم خاص بمصرفوفات مرتفعة لإنشاء الخاصة ، وهذه المدرسة كانت تقف موقف الالتزام الطبقى بتوفير جوقلائى اجتماعى خاص بإنشاء الفئات العليا فى المجتمع ، فقد كان **القباى** يرى فى عام ١٩٢٥ وجود مدارس خاصة ذات. بمصرفوفات لإنشاء الخاصة ، ويعمد ذلك أصبح أحد أركان سيلسته التعليمية ضرورة توفير ذلك التعليم لن يريدون ويستطيعون دفع مصروفاته ، وعندما تقررت مجانية التعليم الابتدائى عام ١٩٤٤ طالب بضرورة تخصيص بعض المدارس الحكومية لإنشاء الخاصة على أن يدفعوا مصروفات تعليمهم ، متملا بالخوف على أبنائنا من الإجهاد الى المدارس الأجنبية « التى يرون أن الوسط فيها ملائم لحالتهم الاجتماعية » ، موضعا أن هناك « طبقات ترغب فى حالية أبنائها فى هذه السن المبكرة من تأثير الاختلاط بإنشاء أوساط غير مغلقة » .

ولازل هذا الالتزام قلبا حتى اليوم ، فلم تطالب هذه المدرسة التربوية فى أى وقت بإعادة النظر فى وجود المدارس الخاصة ، ولكنها فى أحسن أحوالها تطلب بنوع من الأشراف يحقق مزيدا من الخدمة التعليمية لإنشاء الطبقات والفئات القدرة على دفع المصروفات .

على أنه من الضرورى أن يكون موقفنا من أنواع المدارس الخاصة محددا على أسس الأدور الاجتماعى الذى تقوم به ، والذى قلبت به هذه المدارس . فلقد شهدت بلادنا بشكل عام نوعين من المدارس الخاصة : المدارس الأجنبية والمدارس الأهلية .

المدارس الأجنبية : وهى المدارس التى تنشأها الاستثمار لتتكون تواحدة ثقافية استثمارية تروج لانكاره وقيمه من طريق التعليم ، وقد خصص الاستثمار نوعين من المدارس الأجنبية : النوع الأول للفئات العليا من المجتمع لإنشاء الاتقاعيين والراسماليين ، وذلك بفرض مصروفات مدرسية عالية لا يتمكن من دفعها الا المتنبون الى تلك الفئات ، وتهدف هذه المدارس بجانب بث الفكر الرجمى ، تهدف الى توفير جو خاص بإنشاء هذه الفئات بعيدا عن إنباء الشعب ، وبذلك كانت تؤكد النوارق الاجتماعية فى المجتمع .»

وهذه المدارس كانت تقدم لتلاميذها تخسبة تعليمية ذات مستوى عال ، لأنها كانت تعتمد على المساعدات المالية الأجنبية التى ترد إليها من الحكومات الاستثمارية والهيئسل للدينسة والشركل الاستثمارية الكبرى % تلك المساعدات التى كانت تشكل فى بعض الأحيان أكثر من ٨٠ ٪ من إيرادات هذه المدارس .

لها القسم الآخر فهو مدارس تقدم خدمة تعليمية منخفضة المستوى بكفاءة معليةها مشكوك فيها ، وهذه المدارس مخصصة لإنشاء الشعب من الذين يستطيعون دفع مصروفات أقل من الفئات العليا المشار إليها آنفا .

وقد مثل هذا التقسيم جانبيا من جوانب توزيع النشاط بين الطبقات الاجتماعية المخططة مع وحدة الهدف وهو نشر الفكر الراسمالى .

المدارس الأهلية : وهى المدارس التى تنشأها هيئات أو جمعيات أو أفراد من أبناء البلاد ، على أنه يجب التمييز بين نوعين من هذه المدارس مختلفين كل الاختلاف ، ولا يربطهما سوى أنهما يشملان مدارس غير حكومية تنشأها المصريون ، النوع الأول هو مدارس الجمعيات والهيئسل الوطنية ، والنوع الثانى هو المدارس التى تنشأها الأفراد .

● **مدارس الجمعيات والهيئسل :** إزاء سيلة الاستثمار التعليمية التى كانت تتمثل فى تجديد التعليم الابتدائى والتعليم الثانوى من ناحية ، وعدم التوسع فى تعليم الكتاتيب بقدر الإمكان % اتجهت الأحزاب الوطنية الى إنشاء بعض المدارس الأهلية ، وقلبت جمعيات وطنية مثل الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية المسامى المشكورة وجمعية العمرة الوقتى ، بإنشاء مدارس أهلية مصرية لتوفير نوع من التعليم الوطنى فى مواجهة المدارس الأجنبية ويستطيع أبناء الفقراء الانتماء فيه وذلك بخفض المصروفات الى أقصى حد ، والتوسع فى منح المجانية ، فى مواجهة سيلة الحكوة فى ذلك الوقت التى كانت ترفع المصروفات المدرسية باستجران لحرمان أبناء الشعب ، وكثرت هذه المدارس تقدم الخدمات التعليمية بمستوى لائق مع أقل قدر من المصروفات ، وتشهد بذلك نتائج امتحانات الشهادات التى كانت تؤكد زيادة نسبة نجاح تلاميذها من نسبة نجاح تلاميذ مدارس الحكوة والمدارس الأخرى .

والذى يميز هذه المدارس أنها لم تنشأ من أجل الربح أو الارتزاق ، وإنما انشئت لأغراض وطنية ، واضحة فى ذهن مؤسسى هذه الجمعيات ، وأنها

كثفت. فواتر قنطرة جديدة من القنطرة الضخمية لإنشاء الشعب عامة ولا تخص بذلك طبقة معينة .

● المدارس الخاصة المملوكة للأفراد : لقد استغل بعض الأفراد رغبة الشعب المتزايدة في التعليم والتي تقف سياسة الاحتلال التعليمية دون تحقيقها ، وقاموا بفتح مدارس حرة ذات مصروفات بخفضة ليتمكن أبناء الشعب من الالتحاق بها ، ولكن هذه المدارس كانت تهدف إلى الربح حيث لم ينشئها أصحابها إلا لغرض الربح والارتزاق ، وقد كان ذلك هو الأساس لسلك المساعي التي صاحبت وجود هذا النوع من التعليم ، فهذه المدارس لجأت إلى استغلال المعلمين بأجور استغلال ، وقامت للتلاميذ أروا قوائم الخسبة التعليمية ، وتشهد بذلك نتائج الامتحانات العامة التي كانت كثيرا ما تبهر من مستوى الخسبة التعليمية بعبارة « لم ينجح أحد » ، وحاولت جمع أكبر قدر من المال من التلاميذ بمختلف الوسائل كما أن مبادئها في معظمها لم تكن تتواءم فيها الشروط الصحية وتتميز بكثير من أوجه النقص التي أثارت بها تقارير وزارة المعارف .

وقد وصف القبايلى هذا التعليم بأنه « تعليم يابى كل والد في مصر أن يرسل ابنه إليه . إلا إذا كان مضطرا لذلك » ويابى كل مفرس في مصر أن يعمل به « إذا وجد من ذلك مبيدا » هذه حقيقة نعرفها جميعا ، ولا يمكن أن نفر من نتائجها ..

وميرد . طه حسين من حلة هذا التعليم بأنه « كان ينادى بخصال قتل ما توصف به نفسها مصدر فساد للتفكير ، ومصدر فساد للخلق ، ومصدر فساد للسيرة العامة والخاصة .

وفي كتاب (التعليم والمتسلطون) يحدد المؤلف طبيعة هذه المدرسة بقوله أن « معظم دور غير صحيحة ، كما نجد التلاميذ يكسبون في المصروفات تكسبوا يقضى على المصلحة ويحل بنظام العمل » وذلك رجاء الحصول على أكبر قسط من الكسب المادى ... على أن النوع التابع للجمعيات لا يشترط في ذلك كما تفعل مدارس الأفراد ، لأن هذا النوع الأخير لم يخلق إلا لغرض واحد وهو الكسب المادى ، فهو لهذا لا يمت إلى خدمة التعليم بسبب مباشر .

وقد حاول بعض أصحاب المدارس الخاصة إخفاء مسلة الوطنية على دور هذه المدارس محاولين بذلك أن يفتنوا أنفسهم مع الجمعيات الوطنية في فكرة واحدة ، ولكن تاريخ هذه المدارس

لا يعرف أنه كان تلك المدارس في أى يوم من الأيام هدف سوى الربح والربح فقط .

التعليم الخاص قبل الثورة : لقد خطى التعليم الخاص بخطى أنواع المساعدات المالية والأجنبية مما أدى إلى زيادة عدد مدارسه واضاع دوره في المجتمع ، على أنه قد تمت في عام ١٩٤٤ ، عندما قررت مجلته التعليم الابتدائي ، إزالة الأسس التي كانت تقف عليه نسبة كبيرة من المدارس الخاصة ، ولكن المدارس الخاصة التي كانت تقدم التعليم للفئات العليا من المجتمع ظلت كما هي ، لأن الذين يلتحقون بهذه المدارس يرفقون في توفير وسط اجتماعي معين ، ولجأت وزارة المعارف بعد ذلك إلى محاولات أدت إلى تخصيص بعض المدارس الحكومية لإنشاء الفئات القادرة على دفع المصروفات ، وكان ذلك خطوة إلى الوراء ، على الناحية الاجتماعية حيث تقسم المدارس الحكومية إلى نوعين من المدارس : مدارس مجانية لإنشاء الشعب ومدارس بمصروفات لإنشاء القادرين ماليا ، ولكن ذلك كان منطوقا مع سياسة تعليمية تخدم الرجعية والاستعمار .

وفي عام ١٩٥٠ عندما تقررت مجانية جميع مراحل التعليم العام ورياض الأطفال ، لم يبق هناك مبرر لوجود كثير من المدارس التي كان يلجأ إليها أبناء الشعب مضطرين ، فقتل مسددا المدارس الخاصة إلى درجة كبيرة ، وقامت الوزارة حينئذ بحركة تحرير لمعظم المدارس « الحرة » وموظفيها من أبشع أنواع الاستغلال بأن جعلتهم جميعا « موظفي دولة » مسمولين في الحقوق مع زملائهم مفرسي المدارس الحكومية ، وكانت هذه الخطوة من أعظم الخطوات الثورية التي تمت في حياتنا التعليمية .

وقد رفضت وزارة المعارف أن تظلل كليات البنات التي أنشئت لإنشاء الطبقات « الراقية » ورياض الأطفال التي أنشئت من أجل أبناء الطبقات الراقية والمتوسطة ، ورفضت أن تبقى هذه المدارس بمصروفات رغم الضغوط الشديدة التي تعرضت لها الوزارة بين جانب كثير من القوى الاجتماعية .

التعليم الخاص بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ : عندما قامت ثورة يوليو لم يكن في البلاد سوى عدد قليل من المدارس الأهلية المصرية ، وعدد كبير نسبيا من المدارس الأجنبية التي كانت مخصصة أساسا لإنشاء الفئات العليا من المجتمع .

وبينما كانت سياسة الوزارة إزاء التعليم الخاص في عام ١٩٥٠ تتجه إلى ..

عدد تلاميذ المدارس الابتدائية الخاصة بين عام ١٩٥٦/١٩٥٧ ، وعام ١٩٦٧/١٩٦٨ . بمقدار ١١٨٠٪ وتضاعف عدد تلاميذ المرحلة الإعدادية في نفس الفترة بمقدار ٢٢٠٦٪ ، وعنده تلاميذ المدارس الثانوية بمقدار ٣٦٣٢٪ .

وقد حققت سياسة الوزارة إزاء التعليم الخاص بجانب هذا النجاح الكلي نجاحا كبيرا تمثل في إنشاء المؤسسة القومية للتربية والتعليم ، والتي تعرف الآن باسم الجمعية التعاونية التعليمية للمعاهد القومية .

الدور الاجتماعي لمؤسسة

المعاهد القومية

عندما قررت الدولة إنشاء مدارس حكومية ذات مصروفات لأبناء الراغبين في ذلك من القادرين ، تعرضت هذه السياسة للنقد من جانب الشعب ، لأن ذلك كان خطوة إلى الوراء ، تعرضت للنقد من جانب بعض الربين بعبءي النظر الذين رأوا في ذلك نقطة في البناء التعليمي لا يسيل الدناع عنها . فوجدت في فكرة إنشاء مؤسسة مصرية تدبر المدارس الأجنبية التي استولت عليها الدولة وعلى المدارس التجريبية ، وجدت في ذلك سترا بخفي مواطن الضعف في ذلك النظام التعليمي .

وقد قامت هذه الشركة بإدارة أنواع المدارس الآتية :

- ١ - المدارس الأجنبية التي وضعت الدولة يدها عليها عام ١٩٥٦ .
 - ٢ - بعض المدارس التجريبية والنوذجية الحكومية ذات المصروفات .
 - ٣ - بعض المدارس الجديدة التي بنتها الوزارة ولم تستعمل بعد .
 - ٤ - بعض المدارس التي وضعت تحت الحراسة وكلفت مملوكة للمصريين .
- ولجئ لهذه المؤسسة من أسباب القوة مايلد عليه تشكيل مجلس إدارتها أو مقد تأسيسها الذي يوضح مكانة مؤسستها ، فقد كان من بين مؤسستها وزير التربية ووكيل الوزارة وسكرتير هيئة التحرير .
- ويكمن تخفيس الدور الاجتماعي لهذه المؤسسة في النقاط الآتية :

١ - دعوة الهيئات والجمعيات لإنشاء المدارس والتبرع بها للدولة من أجل تعليم الشعب ، مع عدم محارضة أن يقوم الأفراد والهيئات بإنشاء المدارس الخاصة ذات المصروفات .

- ٢ - رفض فكرة تخصيص مدارس لبناء الخاصة من بين المدارس الحكومية رفضا باتا .
- ٣ - الترحيب بتحويل المدارس الخاصة ذات المصروفات إلى مدارس خاصة مجانية تتقاضى الامتلات من الدولة .

٤ - رفض عمليات الإبتزاز التي كانت تقوم بها الطبقات الأرستقراطية بالتهديد بالحاق ابتائهم بالمدارس الأجنبية إذا لم تخصص الوزارة لهم مدارس ذات مصروفات مرتفعة .

بينما كانت تلك هي سياسات سياسة التعليم عام ١٩٥٢ ، فإن سياسة التعليم بعد ١٩٥٢ قد احدثت للتعليم الخاص مكانا هليا وقررت أن يزداد دوره باستمرار في مجال التعليم ، وقد تجدد الموقف من التعليم الخاص بالأسس الآتية :

- ١ - « حرصت الوزارة على أمثلة الأفراد والمؤسسات على إنشاء المدارس النموذجية والخاصة لمواجهة رغبة بعض الآباء في تعليم أولادهم في جو خاص كانوا يؤثرون من أجله المدارس الأجنبية على مدارس البلاد » (١) .

٢ - « تشجيع الوزارة إلى أقصى حد المدارس الخاصة » .

٣ - « عمل مدارس تجريبية يفتح فيها بعض الناس قدرا معينا من المصروفات ، لكي تفسح بها للاندفاع الزائد الحد نحو المدارس الأجنبية ، تجعل تربيتنا مقصورة على المدارس المصرية ، حتى تحافظ على القومية المصرية والروح الوطنية لدى أبنائنا ، وتبين بعض القادرين أن يندموا مصروفات لإنشائهم في هذه المدارس التجريبية » (٢) .

وقد كان لهذا التشجيع للتعليم الخاص من جهة ، وإثني سياسة التجديد وعدم التوسع في بعض مراحل التعليم من جهة أخرى ، أثر كبير في النمو الرتيب لذلك القطاع ، حيث تضاعف

[١] خطاب وزير التربية في مجلس الأمة عام ١٩٥٧ .

[٢] مهاج الثورة في التعليم .

[٣] مهاج الثورة في التعليم .

١ - تحققت على الدور الذي كانت تقوم به المدارس الأجنبية ذات المصروفات المرتفعة من توفير بيئة اجتماعية وثقافية خالصة بعيدا عن أبناء الطبقات الشعبية ، ولم يقلل من هذا الدور تغيير اسم المدرسة من كلية نكورتيا الى مدرسة النصر ، لانه في الحالتين لم يتمكن من الالتحاق بها سوى القادرين .

٢ - انه وان كانت هذه المؤسسة تعكس الأوضاع الاجتماعية عند نشأتها ، إلا انها لازالت تطعن دورا في تعميق هذا التمايز بين الفئات الاجتماعية وتجيده .

٣ - ان هذه المؤسسة قد استولت على مجموعة من المدارس الحكومية التي كان من المفروض ان تخصص لتعليم أبناء الشعب بالجان ، فحرمتها منها وخصمتها لابناء القادرين ماليا .

٤ - ان هذه المؤسسة تشكل عبئا ماليا على الدولة ، حيث تتلقى هذه المؤسسة ثلث الالاف من الجنيهات كعانة لها على التهنؤس بمهيتها .

مكتبة المصاعف القومية : تلك الحكومة ١٨٠٠٠ جنية من رأس مال هذه المؤسسة التي يبلغ كل رأس مالها ١٩٩٠٠ جنية ، ونصيب الهيئة العلية للتأينيات والمعنشات ١٥٠٠٠ جنية ، ونسبة المساهمين التعليمية ٢٠٠٠٠ جنية ، لها الالاف المساهمون فلايلكون سوى ٣٤٥ جنية .

ومن ذلك يتضح ان هذه المؤسسة مؤسسة حكومية تدير بعض مدارس الدولة لتقديم التعليم مقابل مصروفات للفئات القادرة ماليا ، وتحرم أبناء الشعب من فرصة الحصول على خدمة تعليمية لانهم لا يستطيعون ان يدفعوا المصروفات المرتفعة لهذه المدارس ، وعلمنا ان نصال هل هناك تمارق بين مدرسة الاعيان .

ان لافئة الجمعية التعاونية للبعاهد القومية انما تخفى تحتها لافئة وزارة التربية والتعليم، ونظرا لانه لايجوز ان تخصص الدولة التي رفعت شعار قنوب الفوارق بين الطبقات مدارس ممتازة لابناء بعض الفئات ، فله يجب ان تزال اللافئة الزائفة من واجهة هذه المؤسسة وتفتح لابناء الشعب جهما بالجان ، لانه يصبح من الناقض ان يستطيع العمال والفلاحون ان يدخلوا مجلس الامة بنسبة ٥٠٪ من اعضائه على الاقل ، ولا يستطيع انناهم ان يدخلوا باب احدى المدارس القومية لانهم لا يستطيعون دفع المصروفات .

فصول الخدمات التعليمية إضافة جديدة للتعليم الخاص : ظهرت في السنوات الأخيرة ظاهرة في قطاع التعليم الخاص ، هي فصول الخدمات التعليمية او فصول الاتحاد الاشتراكي ، وهي فصول يديرها الاتحاد الاشتراكي تحت اسم جمعيات تعاونية تعليمية ، تعمل في مجال المدارس الحكومية في الفترات المسائية ويقوم بالتدريس فيها طلبة مدرسو المدارس الرسمية ، وفصول الخدمات قد اتشنت بهدف المعاونة في مجال التعليم العام ، ولكن هل يكون دور الاتحاد الاشتراكي في المعاونة هو ادارة ، بل هذه الفصول التي يؤخذ عليها الاتي :

١ - انها فصول مسائية ، ومن المعروف ان الدراسة في الفترة المسائية أقل كفاءة من الدراسة في الفترة الصباحية .

٢ - انها تستعين بالطلمين الذين يكونون قد ارهقوا في مدارسهم وفي المدارس الخاصة وبذلك تكون ناعلهم اقل .

٣ - لا تقوم بأى دور في التربية لان قصر فترتها يجعلها في احسن احوالها للتعليم دون التربية .

٤ - انها تقدم تعليميا خالصا مقابل مصروفات لا تقل عن مصروفات كثير من المدارس الخاصة التي تعمل بالفترة المسائية ، وان كانت فصول الاتحاد الاشتراكي تتوسع بعض الشيء في الاجتية ، ولكنها في جوهرها تعليم خاص ، وهذا التوسع في منح الحقبة لا يتناسب مع الاميازات التي تحقها هذه الفصول من استغلال المباني الحكومية ومعالها وأدواتها .

٥ - ان هذه الفصول يعملها في المدارس الحكومية انما تساعد على سرعة استهلاكها ومعداتها التي تعتبر المشكلة الكبرى التي لا تواجهها الوزارة مواجهة حاسمة .

دور الاتحاد الاشتراكي في توفير الخدمة التعليمية : ان دور التنظيم السياسي في مجال التعليم انما يتحدد في :

١ - رسم سياسة تعليمية ثورية تتفق مع اهداف المجتمع وقية ، وتساعد على تدعيم هذه القيم .

٢ - اثاره وهي وحاس الجاهير للمساهمة في توفير التعليم عن طريق انشاء المدارس

بوتائلة الجهود الذاتية ٢ ولتسليم هذه المدارس للدولة ممثلة في وزارة التربية والتعليم .

٣ - بحث المشكلات التي تواجه سياسة التعليم في التطبيق وإيجاد حلول لها .

ولكنه قد حدث فهم خاطيء لدور التنظيم السبسي في هذا المجال . فبدلا من أن يوقف نمو التعليم الخاص كظاهرة معادية للاشتراكية والديمقراطية ، أخذ يسيء الى المدارس الخاصة ذلك القطاع الجديد ، وبدلا من أن يقدم خدمة تعليمية جيدة ، فإن الخدمة التي يقدمها لا تزيد من الخدمات التي تقدمها المدارس الخاصة المنخفضة المستوى ، وبدلا من أن يقوم ببناء المدارس أخذ يستهلك مبالغ المدارس القليلة .

كما لم تقم المعاهدة القومية ببناء مدرسة واحدة ، فان نصول الخدمات ليشأ لم تقم بذلك ، ويمثل كل منهما عينا على الدولة ، الأولى عن طريق الامانات المستجرة ، والثانية عن طريق استهلاك المبالغ .

ولذلك فان الاتحاد الاشتراكي لم يقدم نصلا لشكل التعليم في بلادنا ولكنه حاول علاج بعض مظاهر أزمة التعليم بتقديم حل خاطيء .

الطريق الى العلاج : لقد ظهر من العرض السابق ان التعليم الخاص بعد ان كاد يختفي قبل الثورة ، فانه قد عاد لينمو نموا رهيبا ، وعادت معه مشاكل العاملين فيه التي لن تفلح القوانين في علاجها لتحاليل اصحاب المدارس عليها من ناحية ولتخلف بعض القرارات من ناحية اخرى (٢)، وإن المدارس الخاصة لا يتفق وجودها مع قيم المجتمع الجديد ولا مع المبادئ الديمقراطية ، لان هذه المدارس تبني الخدمة التعليمية ، ونفسد الفارق بين الطبقات .

ولذلك فان العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص يقضيان بوضع سياسة جديدة تهدف الى أن تقوم الدولة وحدها بإدارة جميع المدارس ومعاهد التعليم بالمجان حتى تنتهي — من الناحية النظرية على الأقل — الحواجز التي تحول بين الشعب وبين بعض المدارس .





الفن التشكيلي واللاموضوعية

مختار الطاهر

والترينالي كل ثلاثة سنوات، والكونغرسات الدولية كل أربعة
بالإضافة إلى الدوكومنتا الألفية الشهيرة... يمكن
هذه المعارض الدولية على هيئة مؤتمرات دولية
عظمى تقام فيها المسابقات وتصدر من حولها
مئات الإصدارات والرسائل المتخصصة... وقد
تصحبها مشاهدات ومظاهرات جماهيرية ذات
طابع سياسي كما حدثت في بينالي فينتنسيا
الإيطالي وبينالي الشبيل الفرنسي في العامين
الماضيين، مما يؤكد أهمية هذه المحافل التشكيلية
بالنسبة للدول التي تقبها باقتضام وتتفق بمن
أجلها الكثير، ونحن ندورنا في بينالي الإسكندرية
لندول بحوش البحر الأبيض... إلا أن العزلة التي
تشمل معارضنا الخاصة والعامة تمتد أيضاً
إلى هذا البينالي الجديد في الشرق الأوسط
وأفريقيا، ولا يلقى نفس الشعبية التي تتبع بها
البيناليات الأخرى في أوروبا... والجهود تبذل
الآن - ومنذ بضع سنوات - من أجل ترويج
الفنون التشكيلية ونشرها بين جماهيرنا المطلعة
إلى مستوى قتالي أفضل... من أجل هذا
يجوز لنا أن نراجع أسباب عزلة الفن التشكيلي

المسرح والسينما والرقص... فنون
جماهيرية في بلادنا... أما الفنون
الجبيلة والتطبيقية التي تسمى
الفنون التشكيلية... فتتسم بطابع

فنون

خاص من العزلة والنفرد... أية ذلك أن الحدائق
والبيادين والشوارع خالية من العائلات ذات
الموضوع... يستثنى تبال نهضة مصر... كما أن
المؤسسات العامة والمسكن عارية من اللوحات
التصويرية... سوى المستشفيات الرخيمة
المبجلة التي يعرضها بائعو البراويز والبلور انقال
من الرسوم الأوروبية القليلة... وبالرغم من أن
المعارض المحلية والخاصة تغمر القاهرة
والإسكندرية وعواصم بعض المحافظات بتشجيع
محمود من وزارة الثقافة... إلا أن رواد هذه
المعارض لا يخرجون من نطاق دائرة المخصصين
والمتنمين بشئون الفنون التشكيلية... ومع ذلك
فالعالم الحضري يمنح منية خاصة لهذا النوع من
الفنون... فتقام له المعارض الدولية على مستوى
أهمية الدورة الأولوية في مجال الأساليب
الرياضية... فيقتسم البينالي كل عامين... ٨٧

معينة الى مرحلة ثقافية اخرى. وهنا في بلادنا... لكي يتكرر مجتبعنا بالفن التشكيلي من حيث هو اداة ثقافية ، يجب أن يتحقق اللقاء الجماهيري بالاعمال الفنية . محرمات الجماهير من هذا اللقاء يحرمها من فعالية تلك الاداة الثقافية الهامة . وإذا أرننا اللغة ، فنعرض تلك الاداة في صف عوامل التخلف . .

استفتاء هيئة اليونسكو في كندا

نشرت مجلة «رسالة اليونسكو» في عدد ابريل من هذا العام استفتاء طريحا عن اسباب عدم اقبال جمهور مدينة تورونتو بكندا على بعض اللوحات التصويرية ، ومبت من أبحاث الاستفتاء «وجود صلة بين الاعمال الفنية التي يجيها الأشخاص وبين الاعمال التي شاهدها من قبل» . فاللغة تولد الصداقة والنفس يميلون الى نمط معين مألوف لديهم ، مما يدمو الى الاعتقاد انه اذا أراد فلان أن يخاطب الجمهور ، فيحسن أن يقدم له النمط الفني الذي يشمره باللفة . ومن هنا .. تحلل قضية التراث والتقاليد الفنية المحلية كلفة تشكيلية مشتركة بين الفنان والجمهور . وتعرض الاستفتاء أيضا الى هياكلتي باله «اصطاطيقا» أي القواعد والقيم الجمالية! وهل يوجد نوعان احدهما خالص بالجمهور والاخر يفتة المخصصين الذين همزهم بالاستفتاء بكلمة «الصقوة» . ويميل الباحث الى صحة وجود هذين النوعين من الاصطاطيقا : الشعبي والخاص . ونميل معه الى هذا الاعتقاد ونفسره بأنه توجد قيم جمالية مازالت في مجال البحث التجريبي يستخدمها الفنانون التشكيليون في حالة ابداع اعمال خاصة بالصقوة من النقاد والفنانين . كما توجد قيم أخرى يستخدمها الفنان في حالة مخاطبته للجماهير العامة .. هي بمثابة اللغة المشتركة بينه وبينهم . خاصة وأن الباحث يؤكد وجود غمض زمني قدره خمسون عاما بين الابتكارات الفنية الجديدة وبين قدرة الجمهور على رؤيتها وتذوقها . والحقيقة أن تاريخ الفن يدعم هذه الملاحظة حيث أن كثيرا من الفنانين لم تحصل اعمالهم على التقدير المناسب الا بعد ما يقرب من نصف قرن تريبا . ومن هنا .. يجدر بالفنان الذي يريد أن يكون ابداعه اداة ثقافية جماهيرية سهم في تعيين المجتمع « أن يقدم اعمالا مألوفة والا فان المجتمع سيتغير بالفعل خلال تلك المدة . وإذا كان هناك ثمة ابتكارات حقيقية » يفضل الباحث أن تصحبها رسوم تخطيطية وملاحظات تفسيرية تشرحها ، بدلا من التفاصيل الخاصة بحيات الفنان و « الرطانة » الفنية المستخدمة في مقدمات الكتابات . وأن

في بلادنا ؟ ثمة ثقلون بأن مرجع ذلك الى سيادة اتجاهات أسلوبية خاصة ، هي بمثابة « لغة » غير مشتركة بين الفنان والجمهور ، كالتسايلب التجريبية ، وأنه لا ضرورة الى تلقين المواطنين تلك « اللغة » لان الأصل في الوحدة الاجتماعية هو تواجد لغة مشتركة بين جميع افراد المجتمع ، نمت وازدهرت معهم عبر التاريخ الطويل ، وأنه من فضول القول أن نعمل على تلقين الجمهور لغة خاصة بفنان معين حتى يتمكن من الاستمتاع بلذاته الفنية . وثمة آخرون يعزرون تلك المزملة الى انتشار « اللاموضوعية » ، بمعنى خلو الاعمال الفنية من الموضوعات الواضحة التي تهم المشاعر والاحاسيس والوجدان العام بغض البصر عن المفاجآت الأسلوبية المخططة .

أهمية الفن التشكيلي

كأداة ثقافية

الا أن الفن التشكيلي في أي مجتمع هو أحد مقومات ثقافته ، « ثقافة أي شعب هي تراثه الاجتماعي ، وحاصل كل يقفسمين : المعرفة والعقيدة والفن والتأتون وأسايلب اعداد الطعام واستخدماته وأشكال الواصمات » كما قال سائرلند . أو هي « كل حضارة الانسان المدنية والروحية : كالآدرات والأسلحة والملابس والسكن والآلات .. والفنسة والأدب والفن والدين والمنويلات والقانون والحكومة » كما قال الودد . فالثقافة هي بظن حضارى اجتماعي .. والفن التشكيلي أحد مقوماتها . فهو جزء لا يتجزأ من التحولات الاقتصادية والسياسية في المجتمعات البشرية منذ العصر الحجري حتى الآن . ويؤكد ذلك « ظهور أنواع وأسايلب معينة من الفن التشكيلي تتضمن فلسفة خاصة في كل عصر من العصور التاريخية وكل شكل من الأشكال الاجتماعية . ففي القرن الخامس قبل الميلاد ارتبطت الفلسفة السفسطائية بظهور الدوجماطيقية ، وتحول الفن الكلاسيكى الى فن دينوى . وفي عصر النهضة انعكست اكتشافات كوبرنيكوس على أسلوب البروك في الفن التشكيلي وعلى مراجعة الإنسان لوقته الجايد خلال العصور الوسطى . معين تثير ثقافة المجتمع كتجيبة لجهوده وأبتكاراته يعود فيأثر بالشكل الثقافي الجديد ويغير بناءه على إيجابياته وسلبياته على السواء .. فيتطور ويكشف من عناصر ثقافية جديدة تحل محل القديمة .. وهكذا . وشتمز العلاقة الجدلية بين المجتمع وثقافته . ويقدر ما يتمتع به المجتمع من حيوية وخصوبة ، بقدر ما تسرع عملية التطور الانتقال من مرحلة ثقافية

مقابلة اللوحة بالمقطوعة الموسيقية . فكأن أن الموسيقى تقرا من النوتة . فاللوحة أيضا يمكن قرائتها من الخطوط والاشكال والالوان التي وضعها الفنان . وفي عام ١٩١٣ قدم لوحة « الصورة القاصصة » في محاولة كابتة لتجسيه نظريته . وحاول تصوير قصصول النسبة بنفس الاسلوب بدعى ان « اتسجام الاسوان يؤثر على الروح » . ونود ان نسوق في هذا المجال ملاحظة عن حياة كاتدينسكى . فقد هجر بلاده روسيا . بعد نجاح الثورة الاشتراكية وعاش في المانيا منذ عام ١٩٢٢ ثم في فرنسا منذ عام ١٩٢٣ حتى توفى قبل نهاية الحرب العالمية الثانية . ولم يكن الاصلحس القومى لديه قويا الى درجة التأثير بالتراث المطلق في أى مجتمع عاش فيه ، ولم يكن يشعر بالفخريه في أى مكان . ومن هنا . كان منه ذاتيا لا موضوعيا لا علاقة له بالمجتمع ومواضيع الحياة الواقعية . انفصل تماما من كل ما يربطه بالواقع المرئى للعالم الموضوعى . وكان بمثابة دعوة صريحة للانعزال والفرود . واعتبره الدافعون منه فنا « مطلقا » او « نقيًا » ان صبح التعبير من حيث ان استخدام اللون والخط والشكل اتبأ بغير متعة جمالية صريحة عند هؤلاء الذين يستحيون لها . وليس لتجوى والموقف والحجم اى وجود في الفن التجريدى . فهو مسطح او يكاد . ووصفه بعض النقاد بأنه فن الصدفة والزخرفة . لكننا نلاحظ ان بعض نماجه ذات معنى ليعلمى قد يسوق في تأثيره الاساليب المعتمدة على الايضاحية والروائية التشخيصية . وانه يثير خيالات عجيبة من الواقع المحسوس .

« الانتشاء الهندسى » او « الكلاسيكية الحديثة » ايضا من الاتجاهات اللاموضوعية التى ظهرت مع الهولندى موندريان قبيل منتصف القرن ٢٠ . ويدور الاهتمام فيها حول « الاتزان » و « المتناظرة » مع الاهمال المقصود لكل ما هو حدث . . . وعرض . . . وجو هام . فاللوحة عبارة من مساحات هندسية داخل خطوط خارجية . واضحة مؤكدة ومحددة . المساحات اللونية صريحة للغاية . لا تحمل اى معنى فنى على الاطلاق . لا قيمة لاي جانب جمالى آخر غير احكام التكوين الهندسى للصورة . وقد حقق هذا الاتجاه نجاحا وقتيسا دعمته جماعة « للتشكيلية الجديدة » التى اعتقدت افرادها ان الاصلحس الانسائلى في ارفع مستوياته . اتبأ تحكيمه امتكاسات رياضية قطرية لدى الانسان . الا ان النجاح العريض لهذا الفن الذى استمر قائما حتى الآن . كان في ميادين فنون العمارة والطباعة في انتحاء العالم . .

وفي فجر النصف الثاني من القرن ٢٠ ظهر ما يسمى « التجريدية » او « الفن

تكون هذه التعليقات واضحة محددة وفي متناول كافة المشاهدين ، ان خلو الاعمال الجديدة البتكة من الشرح والتعليق يشكل سببا اساسيا في عزلة تلك الابتكارات عن الجماهير ويخطئ بينها وبين الادعاءات . اما من ناحية تقنيى بعض لوحات الاستقانة على البعض الآخر فيرجع الى تفصيل الجمهور للنزعة الواقعية والمتطور ، والخطوط المحددة والالوان الهادئة ، مع استبعاد كل ما يفالى في السخرية او التجريد . ومن الطريف ان هذا الاستثناء قد اسقط مجموعة من كبار الفنانين من عروشهم التى احتلوها على صفحات القواميس ودوائر المعارف ومنهم : بولوك ودى كوتنج وموندريان ، مما يوهم بان هؤلاء الفنانين استخدموا في لوحاتهم « اصطلاحات الصفوة » . الا انه من المعروف ان هؤلاء الفنانين قد شرحوا اعمالهم واوضحوا آراءهم وهى تدخل في باب الابحاث الفنية الجديدة . ويقرر احد المشتريين في ابحاث هذا الاستثناء ان اللغة اللغزية قد حوت الجمهور قضائيا تقريرية مصوغة بوضوح ، ومن ثم فهم ينظرون من الفن التشكلى شيئا من هذا القبيل . فاذا قدم لهم فنان عملا لا يستطيعون ادراكه او الاحساس به فاتهم يرفضونه على الفور . انهم لم يفضلوا موضوعات على اخرى بقدر ما فضلوا ان تكون اللوحات ذات معنى ومخزى ومضمون . وكان الاتجاه حاسبا نحو رفض « اللاموضوعية » في جميع اللوحات التى جرى عليها الاستثناء .

أهم الاتجاهات اللاموضوعية

وأشهر الاتجاهات اللاموضوعية الشائعة بين الفنانين العرب هى : **التجريدية** . . **التعبيرية** **الانعشالية** . . **الانتشاء الهندسى** . . **الفن الحركى الانعشالى** ومدرسة نيويورك .

قال ميشيل سوفور : « الفن التجريدى هو كل فن يبتعد تماما عن الواقع ، مهما كان هذا الواقع هو نقطة البداية لدى الفنان » . وقد بدأ هذا الاتجاه سنة ١٩١٠ حين ابدع كاتدينسكى اول صورة تجريدية من قال « ان الخطوط والاشكال والظلال والاضواء حين توضع على مساحة ما ، يجب ان تعبر عن حاجة داخلية عند الفنان وليس من الشكل الخارجية في محيط البيئة » . . فالطبيعة عند كاتدينسكى نومان : جوانية وبرانوية . . اذا استعزنا بتعابير الصوفيين . ويقول **جروهيان** ، النقاد المعاصر لكاتدينسكى انه حاول ان يجعل من لوحاته مقطوعات موسيقية . ولقد ألف الفنان نفسه كتابا سنة ١٩١٢ حول فلسفة التجريد تحت عنوان « روحانيات الفن » كد فيه

الانحلال الفنية المتتمة بمثابة حبة الدواء المتكافئة بغشاش وقيق من السكر . فالقارئ يحس بطعم السكر بينما المقاتر نفسه هو الذي يقرر نتيجة ابتلاع الحبة .

إذا كان هذا يصدق على الكتابات الأدبية فلماذا لا ينطبق على الأعمال التشكيلية . محارب الفنون فعالة للغاية خاصة في أوقات الحرب الباردة . والفن التشكيلي — شأنه شأن أنواع الفنون الأخرى — يمكن للفنان أن يودعه المضمون الذي يريد . أو يجرده من المضمون تماما في حالة التشكيلات اللاموضوعية . ويكون ذلك دموعة إلى أعمال موضوعات الحياة والانصراف إلى الذات الفردية للفنان كما أوضحت تفسيرات الانحجاعات اللاموضوعية .

وقد أكد شهر فنانى العالم في العصر الحديث قيام الحرب بالفنون التشكيلية . قال بابلويكاسو في مؤتمن للتشكيليين سنة ١٩٣٧ « أنني اعتقد . . وسأظل اعتقد أن الفنانين — هؤلاء الذين يعملون بالقيم الروحية — لا يستطيعون أن يظلوا محليدين بالنسبة للصراع الدائر الآن . ذلك الصراع الذي يمرض أرفع القيم الحضارية والانسائية للفناء . أن التصوير لم يخلق لزخرفة المسكن » بل هو أداة حرب إيجابية ضد الأعداء . قال هذه الكلمات حين انهالت القنابل النازية على سوق قرية جينريكا في اسبانيا في أبريل من نفس العام . وكان الحادث يشبه في وحشيته وبربريته ما وقع في بلانكا من الطائرات الاسرائيلية حين ضربت مدرسة يحر البئر الابتدائية وصنم أبوزعبل ، ولاشك أن بيكاسو وأوجتة ألصخرية « جينريكا » شنيان من التعريف . لقد أجمع نقاد العالم على أن اللوحة تعتبر من الوجهة الفنية أروع تحفة ظهرت في القرن العشرين . والواقع أنها مثلال نموئجي لاكتيكت الصرب بالنفن التشكيلي . وتوجد نماذج كثيرة عبر التاريخ تجمع بين القدرة الفنية والموضوع الاجتماعي السياسي . . . مثل لوحة « ياوي للفنان الاسباني أيضا : جوياء صون فيها فريقا من جنود الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٠٨ . وهم يلقون الرسائل على التوار الاسبان المناضلين من أجل حريتهم . كما أن دولاروا رائد المدرسة الروماتسية في فن التصوير ، أبدع سنة ١٨٣٠ رائسته الشهيرة : « الحسرية تنود الشعب . أن هذه النماذج توضح بحق أن القيم الفنية الرفيعة . . أو « اصطلاحيا المسوة » على حد تعبير استغناء اليونسكو ، يمكنها أن تتواجد في الأعمال الفنية التي تؤدي دورا ثقافيا من شأنه التأثير على أيديولوجية الجماهير والاقتراب من أحاسيسهم وبعائهم على حد سواء . فالفن التشكيلي كأداة ثقافية يمكنه أن يكون في جانب الهدم أو في جانب البناء . .

المركزي الانفعالي « أن لا تقتصر تصويرك » وكان لهذا الانحجاء أثر واسع وشامل على أوروبا وأمريكا والشرق الأوسط خاصة الجمهورية العربية ولبنان وتونس . استشهد هذا الانحجاء بمنح التصوير قيمة اعظم من طريق الاندفاع الانفعالي لمحركت الفنان أثناء نهاية الإبداع . وتبناه بعض النقاد حتى اكاد هذا الفجاء . لكن . . بالرغم من النماذج المثيرة التي قدمها فنانون مثل : بولوك . . هوفمان . . دي كوننج كلابن . . لم يستمر الفجاء طويلا وانسحب الطريق إلى اتجاهات أخرى . اعتقد هذا النوع من التصوير على الإبداع الذي يتم مفرد اللحظة الانفعالية من خلال حركة جسد الفنان أثناء تعامله مع الألوان . والململ المشترك للمحوظ بين نماذج هذا الاتجاه هو احساس المشاهد « بالطاقة » و « بروز الأماليات فين الجسبة » في فراغ اللوحة وقيل : « أن هذا الاحساس أنه ضمن ما يشغل ذهن الإنسان في القرن العشرين . كما لوحظ أن جميع نماذج خيالية من الضيق والتجويد » . وأنها ذات مصلحت مبالغة ، كما لو كان الفنان لا يستطيع أن يحقق هذه الاحاسيس في مساهمات أكثر تواضعا . واختلطت آراء النقاد في هذا المجال . فالبعض يرى أنه ليس اتجاهها بحلي الإطلاق . . بمعنى « مخوسة » أو « أسلوب » كالنابيرية أو التكميكية وأنه غير مجانس . والبعض الأخرى العكس . ويرجع عدم تجانسه إلى أنه نوع من « التزجسية » والأفراق في أنشئ الذات لأنه على أي حال لا موضوعي » لا علاقة له بالناس سواء في المجتمع الذي يوجد فيه أو في المجتمعات الأخرى .

الفن أداة حرب

نوه في هذه الفترة ببويعات جريدة الأضواء في أول أبريل من هذا العام . كان عنوان اليومية في الحرب . « بالفن » جاء فيها أن الولايات المتحدة أنشأت خلال الحرب العالمية الثانية « مجلس لكتاب الحرب » يتألف من قرابة مشرين كتابا . أولكت الهم مهمة تأليف الأعمال الفنية المتتمة لتروج بين الجماهير أفكارا معينة . تعرض على هؤلاء الكتاب الشكليات والمواقف التي تتطلبها الحرب النفسية . فيختار كل كاتب الموضوع الذي يناسبه والأسلوب الذي يفضلته لتحقيق الهدف المطلوب فقد يؤلف منشورا أو كتابا أو كتابا على شكل قصة قصيرة أو رواية طويلة أو قصة بوليسية أو مثلا وهذا يدور هذه الفكرة قريبة بالنسبة لنا الآن هذا هو الأسلوب الأمريكي في التفكير والانتاج وكانت الروايات والمقصص شائع المنضبط والمجالات دون أن ينزى أصحابها للتفكير في الإجهان وكانت تلك

والمعاش هنا هو المخبون الذي يستقر عنه العمل
الفنى ومدى تأثيره على نفوس المشاهدين ..

التجربة اليوغوسلافية

وفى يوغوسلافيا أثناء الحرب العالمية الثانية
كان الشعب يقاوم ببطولة غزو القوات الهتلرية .
وانخذل فن التصوير فى هذه الفترة مظهرا فريدا
فى نومه ، لخطط فيه الموضوع بالأسلوب
بالسياسة بالاجتماع فى مزيج متفاعل أسفر فى
نهاية الامر عن سجل حافل من الأعمال الفنية
التي نادرا ما نجد لها مثيلا فى فحسين الشعوب .
كان المتبع عادة ان يرسم الفنانون قبل الحركة
او بعدها دون ان يشاركوا فى القتال فعلى ..
الا ان التجربة اليوغوسلافية تاهبا فنانون ساهموا
فعلا فى معارك التحرير فاستبعت لوحاتهم بالانفعال
الصحيح الفانى الذى يشمل المشاهد بآثره المباشر .
ولقد وقع الكثيرون من هؤلاء الفنانين ضحايا
احكام الأعدام النازية كما حكمت القنابل الكتي
من معارضهم وفننتها بعد ان تفرج عليها الناس
مرا فى ظلال الغابات وسفوح التلال . لم يكن
الفنانون مراسلى صحف او مصورى سينما ، بل
كثروا اعضاء عاملين فى فرق الاتصال «الدائن»
يقاظون ويرسمون فى نفس الوقت .. ويحشون
حياة من نوع جديد تقسم بالبطلية والنساة فى
اقصى اشكاليها . وكانت تلك المعنى تعكس على
لوحاتهم وتضيف اليها شيئا جديدا غير الألوان
والظلال .. كانت تضيق رنة الصدق التي تخلو
بنها لوحات الفنانين البعيدين من المعركة
الفعلية .

ومن الفنانين الذين استشهدوا فى تلك المعارك
بورا باروه .. ايلو نوغكوفيتش .. بوجدان
سبوت .. وآخرون . أما الفنان الداناي أيمان
راجين فاعماله كلها باز المتحفونة فى مكان ما فى
القيم كرواينا وكانت تبلغ ٢٠٠٠ من الرسوم ..

الحقيقة ان هؤلاء الفنانين لميوا دورا رائعا
فى مسلوب جيش التحرير باستخدامهم الفن
التشكيلى كسلاح للحرب واداة للتعبير الثقافى .
أما الآن .. بعد استقرار المجتمع .. نجد بعض
الفنانين اليوغوسلافيين يشاركون فى فنون
الرمائية والأبحاث الجبالية اللاوضوعية الى
جانب الأعمال الموضوعية التي تناسب المجتمع
اليوغوسلافى المعاصر ..

للاموضوعية والسياسة العالمية

القضية هنا أصبحت منطقية للغاية لا تحتاج
الى مزيد من الأساليب والتماذج .. فالأبحاث

الثنية تنضم الى تصنيفين رئيسيين الأول يتجه
الى البحث فى الجبالية او يسمي «اصطافينا»
وتدرج تحت هذا القسم أبحاث الفرنسي سيزان
حول الاشكال التي تتحكم فى التكوينات الطبيعية
رغم ان تصويره كان يتخذ الطبع التشخيصي
الواضح . لانه لم يقصد من لوحاته الا اثبات ان
اشكال الطبيعة تنحصر فى المضروب والكرة
والمكعب .. وإن الألوان تكسو كل جزء فيها
بمها كن حقيقيا ، كذلك أعمال موندرين والكلاسيكية
الحديثة التي تناولناها آنفا . أما القسم الثانى
فهو يتميز عن موضوع معين ويشغل بال الفنان
ومواظفه وانفعالاته ، عن طريق استخدام اصليهم
الإبداع الفنى حتى يرقى الى ارفع مستوى تعبيري
انستى . ومن أمثلة ذلك كل ما قدمه لنا التاريخ
عبر العصور من أعمال انسانية تركت بصماتها
على حياة الشعوب ، لا كالحج بيكاسو ودولاكرو
وجويا التي تحدثنا عنها . ولتفترض ان بيكاسو
لم يكثر بتميز قرية جيرنيكا .. وان جويلا لم
يهتم بطيفان الاستعمار الفرنسي فى بلاده ..
لكن عدم الاكتراث هذا بمثابة تأييد للفنانة فى حالة
بيكاسو .. والاستعمار فى حالة جويلا ، فالمسقط
فى الحالتين ميل إيجابى فعلى .. والاتشغال
بالأبحاث الجبالية مع تواجد حالة صراع وحرب
غير انسانية . والحرب — كما هو معروف —
هى السياسة بوسائل أخرى . وما دام كل عمل
فنى له مضامين .. بل كل سلوك انساني بوجه
عام ، فالفنون التشكيلية تتخلل ميدان السياسة
من باب المضمون .. والمقصود بالمضمون هنا هو
موضوع العمل الفنى .. والدائمون من
«اللاوضوعية» يحددون المضمون بأنه المضمون
التشكيل الفنى وترجمة هذه العبارة توازى معنى
شعار «الفن للفن» .. أى الإبداع الفنى بهدف
تحقيق المتعة الجبالية الخالصة . والواقع اننا
لو نظرنا الى كتابات الشارحين لهذه النظريات
فى أعمال بولوك وكينج وغيرهما من اصحاب
مدرسة نيويورك ، لرأينا انها تتعلق بذاتية الفنان
وفرديته ، أى بقصراته من المجتمع الذى يعيش
فيه . والأصل فى الحرب ان ينظم المجتمع فى
تشكيلات تصبح له بواجهة الخصم بالأسلوب
الذى يحقق له النجاح . والفنانون من نفسى
الانواع ، سواء كانوا تشكيليين او شعراء ان
ممثلين ، لهم دور فى هذا التنظيم الإيجابي ..
وابتصاهم من مواظهم انها هو تخلق من
مستوياتهم . وإذا اتجهوا الى البحث فى مجردا
الجبالية ، فهم يحنون فى فن الرمامية فى
الوقت الذى تهد فيه البشرية بالفناء وتعرض
اربع القيم الانسانية للتميز على حد تعبيري بيكاسو
.. ويسمحون بالتحولات الخطر ..

للمسالمين الاجتماعية والانسانية ، ولقد قدّمنا
كوبا نموذجا ممتازا لهذا الاسلوب فى بينالى
الشباب الاخير بعنوان « جيفرا » .

لما فى الاتحاد السوفيتى فتتجه الاعمال الفنية
الى الموضوعية حيث تظهر اعمال البناء والتشييد
وتمجيد العمل الانسانى والاحداث التاريخية
والتغنى بمشاهد الطبيعة والمواطف الانسانية .
ويتم التعبير عن هذه الموضوعات بأساليب تختلف
من فنان الى آخر ويصل بعضها إلى درجات عالية
من التبسيط والتجريد ، مع الاحتفاظ بطابع الفهم
المباين بين الفنان والواقعة . وهذا الطابع للفهم
السوفيتى يختلف عن الطابع الروائى الحساس
الذى يتبعه الفنانون الفيتناميون والصينيون فى
الوقت الحاضر والذى يمكن مقابله بالانشيد
الحسية والمرشاة العسكرية فى الموسيقى . .
والغلب السياسية فى ميدان الادب .

ولكى نزيد من ايضاح مدى تأثير الاعمال الفنية
على النفس الانسانية ، نرجع الى كلمات افلاطون
منذ خمسة وعشرين قرنا . لقد نصّح بتعليم
الموسيقى لانها تنعكس على نفوس الناس فلا
يصدر منهم الا كل سلوك جليل . . ولا ضرورة
للخول فى تفسيرات لمعنى هذا الجمال وتكفى
بما قاله هيربرت ريد حديثا من « ان الاكثر فائدة
هو الاكثر جمالا » . .

من هنا . . نرى ان الفن التشكيلى ليس بدعة
فى ذاته بين فنون الادب والمسرح والموسيقى
وغيرها ، انما هو مثلها جميعا من حيث موضوعيته
.. يتأثر بظروف المجتمع الذى يوجد فيه ويتحدد
باباعده التاريخية والاقتصادية والسياسية ، وهذه
الابعاد هى مصدر امالة الفنان . فالفنان الاصيل
هو الذى يستطيع ان يبين موقعه من المجتمع
ومن الزمن الذى يحيا فيه . لماذا تم له ذلك
استطاع ببساطة ان يسجل اسمه مضيقا فى
دوائر المعارف والقواميس الفنية كما فعل بيكاسو
الاسبانى والثلاثى المكسيكى الرائع : ريفيرا . .
اوروسكو . . سيكيروس . .

— ان تكنولوجيا السياسة الحديثة . . اى
السلوك التطبيقى . . تمتد بدقة الى ميدان الفنون
التشكيلية .

لا شك ان الابحاث الجمالية على درجة بالغة
من الاهمية وجديرة بان ينصرف اليها بعض
الفنانين حتى يضيفوا ابعادا جديدة للاساليب
التعبيرية ، كذلك الابحاث التى قلم بها موندريان
وكاندينسكى وسيزان . ولاشك ايضا ان التعبيرات
الموضوعية التى حقق بيكاسو وجويا نموذجين
رائعين لها من الامثلة الواضحة لتكامل الابحاث
الجمالية والمواضيع الاجتماعية . الا انه فى كل
من الجانبين تندس زمرة من الاعمال غير
الاصيلة . ففى الجانب الموضوعى توجد اعمال
ايضاحية روائية رخيصة بعيدة عن الابداع
الجمالية التى ترفع بها الفن بمستوى الابداع
الذى . . فلما كما تلجأ بعض الاعمال اللاموضوعية
الى مجرد العبث بالالوان والخطوط والاشكال
مع ابتعادها ايضا عن الابداع الجمالية ، فضلا
عن ابتعادها عن الموضوعات الاجتماعية . الا
ان الابحاث الحقيقية فى اى مجتمع لو انها زادت
وطغت ولم تستخدم فى ابداع اعمال موضوعية
تعمل بالى التغيير الثقافى للمجتمع ، لانبثقت قبيحة
واسيخت كالجواهر المذونة فى نجم بعيد .
مظها مثل ابحاث اينشتاين ومكنوسكى وبلاك فى
ميدان الرياضيات ، اذا لم يكن قد تم تطبيقها
واجخالها فى مجال الاستخدام الحضرى لامست
ولا قيمة لها . وقد تتجه قوى سيكسية معينة
الى حصر الابداع الفنى فى حدود الابحاث
الجمالية وتشجيع المذممين على الاندساس فى
زمرة الباحثين ، فيكون ذلك بمثابة حرمان الشعوب
من ادواتها الثقافية الفعالة فى عملية التغيير
الاجتماعى والتطور والنمو والتقدم .

ونعرب ملاما هنا بالفن التشكيلى فى اكثر
المجتمعات تقدما فى هذه الفترة التاريخية ونعنى
بها المجتمع الأمريكى والمجتمع السوفيتى . ففى
امريكا يتم تشجيع وتدعيم الابحاث التشكيلية
الجمالية بدون المساس بالموضوعات الاجتماعية
سواء فى الداخل او فى الخارج . . حتى فى
حالة توافر العناصر الشخصية كما هو معروف
فى اتجاه البوب آرت الذى يحتاج معظم فناني
اوربا الآن ، وهذا الموقف من شأنه ان يضع
مصانة على عيون الجماهير حتى لا يروا موضوعات
حياتهم فمع ان اسلوب البوب آرت بالذات
من بين الاساليب المستحدثة المصالحة للفلسفة

الدستور

في خطاب أول مايو ١٩٧١ أعلن الرئيس أنور السادات أنه قد بات من الضرورة بمكان وضع دستور دائم للبلاد .

وقد أخذت القيادة السياسية هذا القرار انطلاقاً من أنه في غيبة الديمقراطية تتهدد مسيرة الثورة انزلاقات وانحرافات ، فتهدر سيادة القانون ، وتتشكل أهم القرارات التي تمس مصالح الشعب والبلاد بعيداً عن رقابة الرأي العام، وتفقد المؤسسات الدستورية مبرر وجودها .

ولقد جرت في أماكن كثيرة من بلادنا مناقشات حول الدستور شاركت فيها غلات وطوائف كما شارك فيها أفراد عديدون بصفتهم الشخصية % استمعت إليهم اللجنة التحضيرية للدستور واللجان المختصة منها .

ولما كانت الطليعة في مناسبات مختلفة قد درجت على أن تساهم في القضايا القومية بالرأي والدراسة ، فقد اختارت أن تخصص هذا الملف لحوار بناء ومساهمات مخصصة بقدها لقراء الطليعة عدد من الكتاب والفكرين والمختصين في هذا الموضوع ، ليدلوا بأرائهم واجتهاداتهم الشخصية في بعض الفقرات الهامة التي ينبغي أن تضمن في الدستور الدائم .

واستكمالاً للقائدة تنشر الطليعة في نهاية الملف ملخصاً لأهم الآراء والمقترحات التي تردت في اللجنة التحضيرية للدستور التي تكونت عام ١٩٦٦ . عندما كان الرئيس أنور السادات رئيساً لمجلس الأمة .





بعض

أفكار

أساسية

للدستور الجديد

د. جمال العطيفي

عضو اللجنة التأسيسية للدستور
ومقرر لجمعية تنظيم الحكم

الجهادية مثل النقابات والتعاونيات . وبعد ان صدر اعلان دستوري في ٧ يناير ١٩٦٦ معدلا المادة ٩٤ من دستور ١٩٦٤ ، أصبح فقدان صفة العضو العائل سببا لاقتضاء عضوية عضو مجلس الامة .

وهذه العلاقة الدستورية تجعل تنظيم العضوية العائلية على جانب كبير من الاهمية ، اذ ان منح العضوية العائلية او منمها او اسقاطها يترتب عليه حرمان فعلى من ممارسة حق اساسي من حقوق المواطن السياسية وهو الترشيح لمجلس الامة او لجالس المنظمات الجهادية .

ولما كان الاتحاد الاشتراكي تنظيم سياسي مستقل يوضع قانونه ومنها شروط قبول الانضمام اليه ، فلا بد من ان ينص الدستور على ان الانضمام الى الاتحاد الاشتراكي حق دستوري للمواطن الذي ينتمي الى قوى الشعب المسالمة

في هذه المجلة ان اركز على بعض المفاهيم الاساسية التي يجب ان يتضمنها الدستور الجديد ، طارحاً فيها الاحكام التقليدية التي استقرت في معظم الدساتير بصرف النظر عن اختلاف مفاهيمها الفكرية . ويمنى آخر ، اود ان اوضح الجوانب التي يجب ان يستحدثها الدستور ، والتي يلمها واقع التجربة وطبيعة المرحلة واهدائها .

اود

الاتحاد الاشتراكي

ان العلاقة الدستورية القائمة وفقا لدستور مارس ١٩٦٤ بين الاتحاد الاشتراكي وبين سلطة الدولة ، تنحصر في ان العضوية العائلية للاتحاد الاشتراكي شرط للترشيح في مجلس الامة ، بل هي شرط للترشيح في مجالس المنظمات

الشعب أو عن طريق التمتع بأكبر أو بالثقتين مما .

وتنظيم سلطة الدولة يقتضى إلا نخل الملاءة بين هذه المحاور الثلاثة . وإذا كان الشعب هو صاحب السيادة أصلا ، وهو يمارسها عادة عن طريق ممثليه ، فإن التصور الديمقراطي السليم لنظام الحكم يقتضى التسليم بوجود أن يكون مجلس الشعب هو أعلى جهاز فى سلطة الدولة . وإن كان هذا الراى يقتضى ، أن تصبح أجهزة الدولة الأخرى منبثقة منه خاصة له — إلا أنه يحسن تدبير الاعتبار الواقعية فى دول العالم الثالث النامية التى تقتضى فى نفس الوقت تمكين الهيئة التنفيذية من أن يكون لها دور فعال ومن ناحية أخرى فإن علينا ونحن ننظم سلطة الدولة أن يكون فى اعتبارنا أن قيام تنظيم سياسى واحد فى تجربتنا ومعظم تجارب بلاد العالم الثالث التى تتحول إلى الاشتراكية ، لا يستلزم معه الأخذ بالنظم النيابية التقليدية مثل النظام الرئاسى أو الرئاسى ، التى تفرض قيام أحزاب متعددة تمثل مصالح طبقية مختلفة .

وإذا كان من الجذر استمارة بعض ملاحج النظام الرئاسى أو البرلمانى التى تتفق مع ظروفنا إلا أن ذلك يجب ألا يمل إلى حد الخطأ والمزج الذى يوقض إلى التناقض الذى وقع فيه دستور ١٩٥٦م .

ومن ثم فإن هناك جملة مبادئ يجب مراعاتها :

المبدأ الأول : توزيع الاختصاصات بين أجهزة الدولة وعدم تركيزها :

فبغير دخول فى جدل نظرى حول السلطات وتعددتها وانقسامها أو تعاونها ، فالمسلم به أنه يجب توزيع اختصاصات الحكم بين هيئات مختلفة سواء سميت سلطات أو سميت أجهزة للحكم . وهذا المبدأ هو العاصم ضد الانحراف وقد خلقت مراكز للقوى بنائى عن الرقابة .

ومؤدى هذا المبدأ تحديد فترة زمنية لتولى الوظائف السياسية الهامة ، ومنها منصب رئيس الجمهورية ، بحيث لا يجوز تجديد انتخابه مرتين متتاليتين وأن يقوم مجلس الشعب بترشيحه بإجراءات أشبه بالانتخاب داخل مجلس الشعب ثم يعرض على الشعب بمعدلك فى استفتاء عام .

المبدأ الثانى : تقوية مجلس الشعب :

مجلس الشعب هو الهيئة المنتخبة انتخبا ديمقراطيا بالاتراع العام المباشر ، وتمثل فيه القيادة الجبامية ويضم طليعة من العمال والفلاحين يمثلون نصف أعضائه على الأقل . وتقوية مجلس الشعب يقتضى أن تبدأ فى التنظيم منذ أول نقطة فى بداية تكوين المجلس . وهى الترشيع لعضوية مجلس الشعب . وهذه المسألة على جانب كبير من الأهمية فى بلد نام

وإن يحدد فى تصومنه الحالات التى يجوز فيها الحرمان من الحقوق السياسية وبالتالي من عضوية الاتحاد الاشتراكى . وهكذا تستقيم هذه الملاءة ، يظل الاتحاد الاشتراكى محتفظ بطبيعته كنظيم سياسى ، لسلطة دولة وفى نفس الوقت تنشأ الرابطة بينه باعتباره تصالفا جسيما واسما وبين سلطة الدولة عن طريق العضوية العاملة . أما إذا لم تصبح العضوية العاملة للاتحاد الاشتراكى شرطا للترشيح ، فلا تكون هناك حاجة إلى هذا النص الدستورى .

ومع أن الاتحاد الاشتراكى يستل — كنظيم سياسى بوضع قانونه ، إلا أن الدستور يجب أن ينص على وجوب أن يلتزم الاتحاد الاشتراكى فى تشكيلاته المبدأ الديمقراطي القائم على الانتخاب بالطريقة التى يحددها قانونه ، وأن ينص على ضمان خمسين فى المائة على الأقل للمعس والفلاحين فى تنظيماته ، دون الاكتفاء بالنص على ذلك بالنسبة لتشكيل مجلس الشعب .

أما الجهاز السياسى الذى أشار إليه الميثاق وبيان ٢٠ مارس فلا يتصور أن يخلق نص دستورى ولكنه يجب أن يكون منبثقا من الواقع الإجتماعى يشر دوره السياسى ثلاثية بين الجبابير وأعتادا عليها لأخيه من ورثاها وضد أراحتها . ومن ثم فانه يجب أن يرتبط بالتنظيم الجبابيرى الواسع وهو الاتحاد الاشتراكى ، فهو لأجل محله ولكنه يعد طليعة قيادية له ، لا لأنه تنظيم أرفع أو أعلى وإنما لأنه يضم من فئات قوى الشعب العاملة أكثرها وعيا وأصنفا تنظيميا ويجمعها تجانس طبقى وفكرى . وهذا الجهاز لايقود سياسيا اعتمادا على أعضائه وخدم بل أنه لا يستطيع أن يعترف على اتجاهات المواطنين ورغباتهم ومشكلاتهم إلا اعتمادا على المنظمات الجبابيرية ولى مقديتها الاختصاص الاشتراكى ، وليس له من ملاءة دستورية سلطة الدولة إلا من خلال الاتحاد الاشتراكى فى الحدود التى سبق الإشارة إليها .

ومع ذلك ودون إشارة إلى الجهاز السياسى فى صلب الدستور ، إلا أننا نرى أن يشير الدستور إلى الدور القيادى للعمال والفلاحين والمتقنين الثوريين لقوى التحالف نحو تحقيق هدف تدوين التوافق بين الطبقات .

تنظيم سلطة الدولة

هناك ثلاث محاور رئيسية فى تنظيم سلطة الدولة : الشعب نفسه وهو صاحب السيادة ، ومجلس الشعب المنتخب بالاتراع العام المباشر ، ورئيس الجمهورية الذى ينتخب عن طريق مجلس

لا يعرف الا التنظيم الشياشي الواحد ويحتاج الى وحدة كل تواء المعاملة للسير نحو هدف تنويع التفارق بين الطبقات .

ومن المعروف انه في دول الديوقراطيات الغربية التي يقوم نظامها السياسي على الأحزاب فإن هذه الأحزاب هي التي ترشح مدّة لعضوية البرلمان . كما انه في النظم التي نشأ بها حزب واحد ، فإن الحزب يرشح المنتخبين اليه ، دون حرمان غير المنتخبين اليه من حق الترشيح عن طريق المنظمات الجماهيرية . ولا يتصور في بلد يتحول إلى الاشتراكية ، أن يعتمد الترشيح على نفاذ المال ، أو أن يقتل المرشح بغير سند من تنظيم جماهيري يزيكه .

وعلى هذا فإن الطريق البديل لترشيح الحزب أو الاعتماد على النفاذ أو السيطرة الطبقيّة ، هو أن يتم الترشيح من طريق المنظمات الجماهيرية وهي النقابات والتعاونيات والاتحادات والجمعيات أو من طريق تركيبة مدد معين من الناخبين في الدائرة التي يتم الترشيح فيها . وإذا كان من المعروف أن مجلس الشعب اختصاصات هبة في وضع السياسة العامة للدولة في التشريع وفي الرقابة - فإن هناك بعض النقاط التي يجب ألا يغفل عنها الدستور الجديد .

يجب أن ينص صراحة على عرض الخطة الاقتصادية على مجلس الشعب وعلى أن تصدر بقانون ، فلا يستباح أن تصدر القرارات التي تعد تنفيذاً للخطة بقانون ، بينما تظل الخطة الاقتصادية مجرد تعليمات إدارية .

ويجب أن ينص صراحة في الدستور على وجوب عرض الحساب الختامي لوزارية الدولة على مجلس الشعب كما تعرض عليه تقارير أجهزة الرقابة وعلى الأخص الجهاز المركزي للحسابات .

وتتوية مجلس للشعب باعتباره أعلى جهاز لسلطة الدولة تقتضي ألا يكون من حق رئيس الجمهورية حله بغير الرجوع إلى الشعب في استفتاء عام .

المبدأ الثالث : ارتباط السلطة بالمسؤولية :

وتطبيق هذا المبدأ يقتضي أن يكون مجلس الشعب وهو أعلى جهاز في سلطة الدولة مسؤولاً أمام الشعب . ولا يكفي أن يحقق ذلك عند تجديد انتخاب المجلس بل يجب أن يكون للناخبين في كل وقت حق سحب الثقة من عضو مجلس الشعب بأغلبية معينة ، كما أن حل مجلس الشعب يرجع فيه إلى الناخبين أنفسهم من طريق الاستفتاء كما أسلفنا .

ورئيس الجمهورية بدوره مسؤول أمام الشعب فيقدر ما يمنحه الدستور من اختصاصات سياسية

يجب أن يكون مسؤولاً عنها بحيث يكون مجلس الشعب بأغلبية معينة أن يطرح سحب الثقة منه على الاستفتاء العام .

المبدأ الرابع : التوسع في الرجوع إلى الشعب :

فالشعب يجب ألا يتخلى عن ممارسة سلطة الحكم بمجرد انتخاب رئيس الجمهورية وانتخاب مجلس الشعب . بل إنه يجب تنظيم الرجوع إليه في الاستفتاء . وتنظيم ممارسته لحق اقتراح القوانين والاعتراض عليها ، وحق سحب الثقة من الأجهزة التي قامبتخابها على نحو أسلفنا . واعتقد أن العلاقات الاقتصادية في المجتمع المحاور الثلاثة في إدارة الحكم : الشعب نفسه ومجلس الشعب ورئيس الجمهورية ، ويبقى السلطة للشعب بإمراسها بنفسه في بعض الحالات ومن طريق ممثليه في الحالات الأخرى .

تنظيم العلاقات في المجتمع

وهذا هو التعبير الذي أفضله بدلاً من تعبير المصطلحات الأساسية للمجتمع . فإن الدستور ليس وثيقة لوصف صورة المجتمع ، ولكنه وثيقة لتنظيم العلاقات الاجتماعية . أن القوانين الأساسية للمجتمع تمثل المجتمع في حالة « سكوت » ، بينما العلاقات في المجتمع تمثل في حالة « حركة » ، والدستور باعتباره القانون الأعلى هو تنظيم لحركة المجتمع .

ولاشك أن هناك مبادئ منظمة للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية ذاتها . فالحرية لا تفك وحدها بمنزلة عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، بل أنها يجب أن تستند مفهومها الحقيقي من هذه العلاقات ومراحل تطورها . فحينما ينص الدستور على حرية الصحافة مثلاً ، فإن تنظيم هذه الحرية لا بد وأن يكون انعكاساً للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية . فحرية إصدار الصحف في مجتمع العلاقات الرأسمالية ، تعني حرية المواطن الذي يملك الوسائل المادية لإصدار الصحيفة . ولكن هذه الحرية في مجتمع العلاقات الاشتراكية ، تعني حرية جموع المواطنين الباطلة في نقاباتهم وسائر منطلقاتهم الجماهيرية .

واعتقد أن الأخذ بهذه المبادئ الأربعة يشترك يجب أن تتناول تسجيل المكاسب الاشتراكية ، ومنها ملكية القطاع العام ، ودعمها ، وإتاحة الطريق إلى توسيع نطاقها ، ومنها اشتراك العمال في مجالس إدارة المشروعات الاقتصادية وأرباحها . ومنها تحديد معنى واضح للملكية التعاونية ، يجعلها الصورة الأقرب إلى الملكية

العامة ؟ وفتح السبيل أمام الملكيات الخاصة لكي تتجسج وتفسهر فيها . وأن ينص على المساواة الأساسية الذي يجب أن يحكم العلاقات الاقتصادية في مجتمع يتحول إلى الاشتراكية ، وهو أن يكون العمل هو أساس التمتع بثمرات المجتمع ، وأن الدستور يهدف إلى أن يصيغ نطاق الملكية الخاصة محدودا بعدم استغلال جهد الآخرين .

أما العلاقات الاجتماعية ، فإن هناك جديدا فيها يجب العناية بتسجيله ، وهو أن ينظم القانون الزواج والطلاق وأثرهما ، بما يكفل دعم الأسرة ورعاية الأمومة والطفولة ، وبما يتفق مع أهداف المجتمع وقيمه . أن هذا يصلح أساسا تشريعا بعد ذلك لتنظيم الأسرة ، وتنظيم تعدد الزوجات ، وإباحة الطلاق .

وأن ينص أيضا على مساواة المرأة بالرجل في تقلد الوظائف العامة ، إذا توافرت فيها الشروط المطلوبة للوظيفة .

وأن يكفل القانون استقلال النقابات من السلطة الإدارية ، وعدم إخضاعها لموصليتها .

أما العلاقات السياسية ، فيجب أن تتناول أساسا النص على تحديد حالات الحرمان من الحقوق السياسية ، وأن ينص الدستور على التزام القانون الذي يصدر منظما لذلك ، بأن يكون الحرمان في الحالات التي يميزها الدستور لمدة معينة ، وأن ينص على كفاءة العظم منه .

أما انعكاس تنظيم العلاقات في المجتمع على موضوع الحرية ، فإنه يجب أن نلاحظ فيه ما أسفرت عنه التجربة ، من محاولة لإيجاد تناقض مصطنع بين الاشتراكية وبين الحرية . ومن ثم فإن ضمان الحرية الاشتراكية ، وهي أساس كل العلاقات في المجتمع والدولة ، يقتضي النص على جملة أمور في الدستور :

١ - أن ينص الدستور نفسه على تحديد مدة الحبس الاحتياطي أو الاعتقال ، ولو كان الغرض صادرا من النهاية العامة ، ذلك أننا نعرف ، بحكم تجربتنا ، أن قانون الإجراءات الجنائية يخلو النهاية العامة في حالات كثيرة سلطة بما يسمى الحبس المطلق ، أي بغير تحديد مدة . كما يجب أن ينص على وجوب أخطار أسرة المقبوض عليه ، وإتاحة العظم من القرار دائما . وأن ينص على وجوب أن يتم التصرف في التهمة خلال مدة معينة .

٢ - وأن ينص الدستور على حق من يتشبه عليه ، في ضمان سلامة يثمه ، بل وفي سلامة ذهنه . وأن يعاقب من ينتهك ذلك بمقبوضة الجنائية .

٣ - وأن ينص الدستور على حماية الحياة الخاصة للمواطن ، بما يتضمنه ذلك من حظر لربح رقابة على المحادثات التليفونية ، سواء

بوتسج لجهاز للاستماع أو للتسجيل ؟ إلا في الحالات التي تقتضيها حماية الأمن القومي ، أو لدواعي التحقيق ، وبإمر من القضاء . مع اعتبار الإخلال بذلك جريمة يعاقب عليها بمقبوضة الجنائية .

٤ - أن ينص الدستور على تبعية المسجون لوزارة العدل ، وأن يكون للقضاء سلطة الرقابة على مسائر الأياكل التي تنفذ فيها العقوبات أو الإجراءات المقيدة للحرية .

٥ - أن ينص الدستور أيضا على تنظيم سيطرة القضاء والاعتقال والتفتيش في حالة إعلان الطوارئ . بل أن تنظيم إعلان الطوارئ يجب أن يتضمنه الدستور ، ليحدد دائما مدة له لا تتجسس إلا بموافقة مجلس الشعب ، وليحدد السلطات الاستثنائية التي يخولها قانون الطوارئ .

٦ - ثم أن حماية الشرعية تقتضي أن ينص الدستور على أنه لا يجوز أن تقتصر الحماية القضائية لحقوق المواطنين على أنواع معينة من المنازعات ، كما أنه لا يجوز حرمان أي مواطن من حق التماسي ، أو حقه في أن يحاكم أمام قاضيه الطبيعي . وأنه لا يجوز ذلك تنفيذ أي حكم قضائي إلا في الحالات ، وبالإجراءات التي ينص عليها القانون .

كما أنه لا يجوز إنشاء محاكم استثنائية ، ولا يجوز في غير حالة الحرب أن يمدد اختصاص المحاكم العسكرية إلى المدنيين .

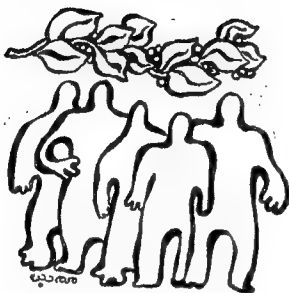
٧ - وأن تيسر الدولة للمواطنين غير القادرين الانجلاء إلى القضاء ، عن طريق إنشاء مكاتب للمساعدات القضائية من بين المحامين ، لتقديم مساعداتها إلى المواطنين بالمجان ، أو مقابل رسم محدود . فهذا هو المضمون الاجتماعي للنص على كفاءة حق الدفاع . والا أصبح هذا النص مجرد تسجيل شكلي لا يضمن الدستور ممارسته فعلا .

وبعد ، ففني ارد ان انه الى ان الدعوة الى اعداد دستور دائم ، يجب ألا تعني أنه دستور ابدى ، ولا يجب أن يكون الدستور قيذا على حركة الثورة المستمرة حتى يتم تحقيق التحول إلى الاشتراكية .

أنا نقول : تنصا في بداية مرحلة التحول إلى الاشتراكية ، والدستور يجب أن يمثل هذه المرحلة ويرسم الطريق إلى عبورها إلى مرحلة أخرى أكثر تقدما . . . مرحلة تدخول فيها الفوارق بين الطبقات .

وإذا كان هذا الدستور يوصف بأنه دائم ، فإننا نذكر بالمقابلة دستور مارس سنة ١٩٦٤ ، الذي يوصف بأنه مؤقت .

فقلل أن ان الدستور الجديد هو دستور دائم . . . ولكن لمرحلة التحول إلى الاشتراكية .



الاتحاد الاشتراكي



هل

يقنن

بالدستور

ط - ارق البشوى

الدستور القائم المقرر بأن يحدد مقومات المجتمع ويبنى مؤسسات الحكم فيه الى زمن لا يدرك البصر مداه * ويجب باعتبار هذا الدوام ان يكون الدستور اقرب الى المرونة وابعد عن الجمود واشمل لمناصير الاستقرار بحيث تستوعب مبادئ ومؤسسات حركة التطور والتغيير الاجتماعى والسياسى فى المستقبل * وينتهى هذا المقال الى ترجيح القول بالا يتضمن الدستور احكاما تتعلق بالاتحاد الاشتراكى لانه كتنظيم شعبى ينتهى الى نوع من المؤسسات لا يجب ان تختلط بمؤسسات الحكم التى تنظمها المسانير * وذلك على خلاف ما ورد بالدستور المؤقت لسنة ١٩٦٤ وما اينته اتجاهات سابقة كثيرة *

لقد بدأ تكوين الاتحاد الاشتراكى باعتباره التنظيم السياسى الشعبى الذى يمكن ان يضم قوى الشعب العاملة ويمثل تحالفها * وحدد الميثاق قوى الشعب العاملة بانها الفلاحون . والمعمال

ان من اهم النقاط المتعلقة بالدستور الدائم الذى يجرى اعداده الان ، مناقشة هل ينص على الاتحاد الاشتراكى فى صلب الدستور ام لا * واذا نص عليه فهل يكتفى فى ذلك بالاشارة الى وجوده والاطار العام لوظيفته ، ام تفرد له احكام تفصيلية تحدد وظيفته وطريقة تكوينه وعلاقاته بالمؤسسات والاجهزة الاخرى . ويستوجب هذا الامر مناقشة واسعة تتعلق مع الاهمية الحيوية له .

يبدو

وثمة نقطتان ينبغي الاشارة اليهما لرسم نطاق المناقشة فى هذه المسألة . اولاهما ان المناقشة لا تتعلق ولا تمس مبدأ وجود الاتحاد الاشتراكى كصيغة للنشاط السياسى الشعبى ، فهو بهذه المثابة صيغة لا يبدو حتى الان ان اتجاهات من الاتجاهات السياسية المؤثرة يطرحها للمراجعة الاساسية وفاتيتها ان الدستور الذى يجرى اعداده هو

ويكون له حق إسقاط الوزارة وإسقاط الوزراء .
ويكون للجنة المركزية مساعدة الوزارة وطرح الثقة بها - يكون له وحده الترشيح لعضوية مجلس الأمة ويشترط أن يكون أعضاء المجلس أعضاء عاملين فيه . ويكون لحق إسقاط عضوية عضو مجلس الأمة . ويعتبر مجلس الأمة جزءاً منه يمثل هيئة برلمانية له . ويكون له حق حل المجلس ، ومساملة المجلس وطرح الثقة به .

وقد عارض البعض وقتها هذا الاتجاه . وقيل في ذلك أن التصور السابق لطبيعة الاتحاد وسلطاته يعني تركيز السلطة ما يباه بهداً جماعية القيادة . وأن استقثار الاتحاد باختيار أعضاء مجلس الأمة لا يخلو من تمكك لأن البور السياسي الطبيعي للاتحاد يقع خارج نطاق أجهزة الحكم . وأن اتساع السلطات أمر لا يؤمن أثره الضار على الحرية .

والحاصل أن كان الاتجاه السياسي الغالب وقتها ، يصدر في بعض دوافعه من الإحساس القوي المتفائل في مستقبل التطور من خلال نشاط الاتحاد الاشتراكي ، ويثق في نجاح صيغة العمل السياسي التي طرحت . ونحن نكتفي من ذوي الرأي أن مستقبل الاشتراكية والتطور التقني والتنمية الاقتصادية وعدالة توزيع الدخل ، هذا المستقبل مرتبط أشد الارتباط بما يفتح للقيادات الثورية من إمكانيات طليقة وبما يعطي للاتحاد الاشتراكي من سلطات غير محدودة . ونظر إلى الاتحاد على أنه مؤسسة جديدة تبنيها القيادة السياسية لتخوض بها مساره التقدم والتجديد . لذلك لم تستطع الأصوات التي حذرت من انفراج السلطات أن تبصر عن نفسها في وضوح وثقة ولا أن تلتفت الانتباه بشكل فعال إلا في نطاق محدود .

ثم جاءت أحداث النكسة وانكشف بعدها ما اصطاح على تسميته بمرآكز القوى وحده ذلك من موجة التفاؤل التي كانت سائدة بشأن مدى صلاحية الآلية التنظيمية التي كانت قائمة لضمان التقدم للمجتمع أو الحرية لل فرد . ولعل أحداث فبراير ١٩٦٨ وبينان ٣٠ مارس كانا المظهر الشعبي والرسمي لدى الاستجابة لهذا الشعور . وكان المقرر أن تكون ضخامة الدرس المستفاد على قدر فداحة الشن المهرق . والمهم في نطاق التنظيم المستوري أن تستفاد الدلائلن الاتيتان :

أولاً : أن عدم الاعتراف بمبدأ توزيع السلطة ، والخذ بمبدأ تركيز السلطات وجمع أوجه النشاط العام وإسماج التشريع في التنفيذ في الرقابة ، قد أدى ذلك كله إلى نمو الوجود الذاتي للجهاز الذي يتولى الحكم واستيعابه الوظائف المختلفة للدولة وانغلاق هذا الجهاز على نفسه لتستبد به ذاتيته .

والرأسمالية الوطنية والمثقفون والجنود كما وصفت الميثاق الاتحاد الاشتراكي بأنه تحالف الشعب العامل كله ، وأنه السلطة الممثلة للشعب . وذكر أنه ليس حزباً لأن الحزب يمثل مصالح طبقية ضيقة وليس جبهة لأن الجبهة تحالف أحزاب . ثم جاء دستور ١٩٦٤ في مادته الثالثة ينص « أن الوحدة الوطنية التي يضمنها تحالف قوى الشعب الممثلة للشعب العامل » هي التي تقيم الاتحاد الاشتراكي العربي ليكون السلطة الممثلة للشعب »

والجدير بالذكر أنه في بدايات ١٩٦٧ أعلن من أعداد الدستور الدائم ، وشكلت لذلك لجنة في مجلس الأمة بدأت عملها بالاستماع لآراء المواطنين وأهل الرأي من كافة الاتجاهات ، واستوفت خلال الشهر الأول من العام استطلاع الرأي حول المقومات السياسية والاقتصادية ، ثم عاجلتها النكسة موقف عليها فيما وقت بسبب الحرب . وحفظت محاضر هذه الجلسات خلاصة معبرة عن وجهات النظر المختلفة وقتها بالنسبة لطبيعة الاتحاد الاشتراكي ووظيفته .

اتجه التيار الغالب وقتها إلى فكرة أن الاتحاد الاشتراكي ممثلة ، فقلل أنه سلطة الشعب ، أي السلطة الممثلة لمساعدة الشعب ، وقيل أنه السلطة العليا فوق السلطات الأخرى ، وقيل بل هو السلطة الوحيدة وليست السلطات الأخرى إلا جزءاً منه . وقيل في تفسير ذلك أنه الشعب ذاته ممثلاً في قواه العاملة ، أو هو المحنى السياسي للشعب ، وقيل أنه الشعب ممجداً في تنظيمات متصاعدة في بناء هرمي ، كما قيل أن تحالف قوى الشعب يساوي « الشعب سياسياً » وأن هذا التحالف لا يمكن أن يتصور إلا في إطار التنظيم العضوي الذي يصلح إرادته وهو الاتحاد الاشتراكي .

وأما كان المطلق النظري لهذا الاتجاه فسي تعينه الطبيعة الدستورية للاتحاد ، وهل هو تجسيد للشعب أو الشعب ممثلاً ، وهل هو سلطة وحيدة أم سلطة عليا ، وهل هو سلطة شعبية أم سلطة سيادة أم سلطة حكم وهل هو فوق الدستور أو في مستواه . وقد اتفق أنصار هذا الاتجاه على أن يكون للاتحاد الاشتراكي التوجيه والرقابة والإشراف على السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وذلك على أساس سلطات محددة تقتض - من خلال الأمثلة الكثيرة التي ذكرت - فيما يلي :

- يكون للاتحاد وحده اختيار رئيس الدولة وقائدها .

- يكون له وحده اختيار الوزراء وأعضاء الحكومة ويشترط أن يكونوا أعضاء عاملين فيه .

تتافسها أن تصارحها لمصلحتها وكل ذلك ناتج عن دمج السلطات وتركيزها .

من خلال هذين الاعتبارين ينبغي النظر إلى وضع الاتحاد الاشتراكي ك مؤسسة من مؤسسات الدستور ، وفي هذا الصدد ينبغي مراعاة الاعتبارات الآتية :

أولاً - المهمة الأساسية للدستور هي تنظيم سلطات الدولة ومؤسسات الحكم من حيث طريقة التكوين ونوع الوظائف ورسم العلاقات ، وبجوار هذه المهمة الأساسية تأتي الأحكام المتعلقة بالمبادئ العامة والمقومات الأساسية للمجتمع وحقوق الأفراد .

والإتداد الاشتراكي في الأساس تنظيم شعبي وظيفته الأساسية الوحيدة تستمد من كونه مؤسسة جماهيرية غير رسمية أي تنظيم شعبي مختلف تماماً عن مؤسسات السلطة ، وإذا لم يكن الاتحاد حزباً لأن الحزب يمرر عن مصالح طبقة واحدة ، وإذا لم يكن جبهة لأنها تمرر عن تحالف أحزاب ، فهو أياً كان وضعه وتصرّيه ينتمي إلى هذه الفصيلة من المؤسسات التي تنشط بين الجماهير لتتمسك خطاً سياسياً معيناً وتنفذ القيادات الصالحة وتقود الجماهير ، ولا يكون له صلة بمؤسسات الحكم إلا من خلال نشاطه الجماهيري ونفوذهم بينهم دون أن تكون له صلة مباشرة أو نفوذ إداري مباشر على مؤسسات الحكم .

ثانياً - إذا قيل إن الاتحاد الاشتراكي سلطة أعطى من السلطات الأخرى فهذا يعود بنا إلى تركّز السلطة في جهاز واحد يمارس نشاطه من خلال سيطرته المباشرة على مؤسسات الحكم لا من خلال الاحتكاك بالجماهير . وإذا قيل أنه سلطة من بين السلطات الأخرى ، ولكنه يجمع بين كونه سلطة وكونه مؤسسة شعبية ، فإن ذلك يعني بالحق هيئته المباشرة والوظيفية على كافة المؤسسات الأخرى ، ويعني استعماله لوظائف المؤسسات الأخرى بدعوى تجسيده للإرادة الشعبية ، وبوصفه سلطة يملك كل التقدير والتنفيذ من خلال الأجهزة الأخرى . وبهذا تختلط الوظائفان ويصعب علاقتها بالجماهير كعلاقة الحاكم بالمحكوم مادام يملك إزاعها من خلال مؤسسات الحكم ووسائل السلطة المادية . وإذا قيل أنه ليس من مؤسسات الحكم فالواجب أن يعترف به كتّظيم شعبي صرف يكون نشاطه وتنظيمه خارج نطاق التنظيم الدستوري لمؤسسات السلطة .

ثالثاً - من أهم ما يكسب التنظيم الشعبي حيويته أن يكون ابناً للشعب أو لبعض طبقاته يستمد منهم نفوذه لا أن يسبح على بعض أفرادهم

ولا شك أن مهام الدولة من الثقل والنجاسة بحيث لا يستطيع جهاز أو فرد أن يقوم بأعبائها على نحو رشيد . ولقد أدى ذلك إلى تقفّط العمل العام بين عدة أجهزة يملك كل منها إمكانيات الممارسة الكاملة للعمل العام ، إصدارا للقرارات وتنفيذا لها وانتمالا من مجالات الرقابة الفعلية ، أي انقسام الجهاز الحاكم إلى عدة أجهزة تتكون على صورته من حيث امتلاك كل منها القدرة الكاملة على ممارسة العمل العام بكافة نواحيه وبغير تخصص ولا توزيع ورغيد للمطلبة فصارَت أجهزة متنافسة يُطالب كل منها المزيد من السيطرة وتصدر في تنافسها عن المواقع الذاتية لها وتملك من سلطات العمل قدراً غير محدد ، وعلت العلاقات الشخصية والمواقف الفردية محل التكوينات الموضوعية في أي جهاز وأعتبر كل منها مركز قوة .

والحل للإبل لهذه المشكلة من الناحية التنظيمية هو توزيع السلطة بين مؤسسات الدولة والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بحيث لا تملك مؤسسة أو جهاز وحده صلاحية ممارسة العمل تشريعاً وتنفيذاً . ثالثاً : لا بد لأي نظام سياسي من أن تكون لديه القدرة على تصحيح أوضاعه ، سواء فيما يرسمه من سياسات أو فيما ينفذه من هذه السياسات . ويكون النظام أكثر في عمله وأقرب على الاستقرار بقدر ما يستطيع أن يبني توتراته التنظيمية بحيث يتمكن من تصحيح أوضاعه تبعاً على وجه يكفله الأساليب المادية الهادئة للأمر بغير أن يعاني من تقلصات البتر والهدم ، ويجب الاعتراف إلى أن هذا وجود المعارضة يكاد يصل إلى درجة العتميت السياسية في إدارة الشؤون العامة ، وليست المشكلة في وجود المعارضة أو عدم وجودها ، ولكن مشكلة أي نظام هي في نوع المعارضة التي تقوم إزاءه . ولا شك أن أي نظام يمنع بمابلهك من وسائل السلطة كلها أية معارضة تقصد هدمه أو تنجبه إلى دعاياته الأساسية ولكن أساليب المنع تختلف بين الرشد والانضباط والالتزام بالقواعد القانونية الضامنة للحريات العامة والفرديّة وبين العشوائية وهم الالتزام بهذه القواعد . على أن مما يقصده بالمعارضة في هذا السياق هو المعارضة التي تتمثل بتصحيح الأوضاع السياسية المنفذة في إطار النظام الاجتماعي القائم أو المستهدف . وهذه المعارضة تكون قادرة على التصحيح الهادئ للعمل بقدر ما يتبع النظام السياسي في الاعتراف بوجودها ، ورسم القنوات التي تخفّفها من الانسياق الهادئ والعمل في نفس الوقت ، أما إذا سدت في وجهها السبل فلم يكن في المجتمع إلا نوع واحد من المعارضة يأتي من خارج إطار النظام القائم . ومن جهة ثانية تستطيع مراكز القوى في

التنظيم الأيلى القديم * أو الخصبة الشعبى الحديث .

رأىها : أن اعتبار الاتحاد الاشتراكى من السلطات ، لا يعنى فقط سيطرته المنفردة على غيره من المؤسسات ، ولكنه يعنى أيضا الاعتراف بهذه السيطرة لمؤسسة لم تكن تقنيا كاملا بالمستور . وبين ذلك أنه توجد تقاليد وتجارب دستورية عديدة فى مصر وفى الخارج - يمكن من صياغة أى من السلطات التشريعية والتفيذية والقضائية على الوجه الذى يمكن من ضبط عملها على أكمل وجه مستطاع ، وعلى أقل تقدير يوجد من هذه التجارب ما يمكن من رسم أبنية السلطات على الوجه المطلوب فى حدود الأهداف المرسومة . وبهذا يستطيع اللقن أن يأمن فى عمله من مفاجات الموائيل غير المصوبة ويحيث يمكنه أحكام الابنية على النحو المطلوب .

أما الاتحاد الاشتراكى فانه كمؤسسة حكم مما يصعب احكام بنائه التنظيمى على الدستور على وجه يكال انضباط نشاطه كسلطة على نحو محدد غير غامض ، كما يصعب رسم علاقته بالمؤسسات الدستورية الأخرى بما يؤمن لها التميز المروج ، سيما السلطتين التشريعية والقضائية ، ولا شك أن أصحاب الفكر السياسى والقانونى ليعترفون - ان روعية الموضوعية - بأن هذا الأمر لم تتوافر له التجارب الكافية لضبطه اذالرايد الا بتفرد مؤسسة واحدة بالأمور دون غيرها . وفى عن البيان أنه اذا اُشيز فى المستور الى الاتحاد الاشتراكى واعتبر من سلطات الحكم دون ضبط لهذه السلطة بدقة كاملة وصراحة كافية ، فإن ذلك يعنى سيطرة مؤسسة غير محددة المعالم على غيرها فى شئون الحكم ، أو أن يترك تعديد ضوابط هذه السلطة لتانون اولاحة تصدر مستقبلا مايضلل الدستور فى الحقيقة خاضعا لقولتين فى دولته فى المستوى . وذلك كله مما يهدد البناء الدستورى ويؤدى الى سيطرة العامل غير المنسوب على مقدرات الدولة فى المستقبل .

ان الدستور المؤقت لسنة ١٩٦٤ قد حدد اطارا بالغ السمة والشمول للاتحاد الاشتراكى بحيث يتيح هيئة مؤسسة لم تحدد معالمها تحديدا كافيا ، ويحيث تميمت الاختصاصات والملاقات بين المؤسسات المختلفة ، وقد وجد من المحتشئين أمام لجنة الدستور السابقة من يقول إن الاتحاد الاشتراكى فوق الدستور ذاته فلا يستمد منه اختصاصاته ولا وظيفته ولا طريقة تشكيله ، وأنه فى نشاطه لا يلتزم بالمستور ، فصار الاتحاد

تقوذا يستقده من سلطات الحكم ، أو من كونه يملك وسائل هذه السلطات . ومن أهم الموائيل فى ذلك أن يكون للفرد الحرية الكاملة فى أن ينضم الىه أو لا ، فتكون علاقته بامضله ملالة تشبه وإيمان فقط بغير ضغط أو قهر ، ولا يكفل هذا الوضع الا أن تكون العضوية فيه غير مرتبطة من الناحية القانونية بحقوق الفرد فى شغل أية وظيفة أو الترشيح لمضوية أى مجلس مؤمن بخاصة أخرى ولا شك أن لاى تنظيم الأمرى فى قبول أو رفض انضمام أى فرد الىه طبقا للتوصيف السياسى الذى يضمه كضوابط لعضويته . وهذه الحرية بوجهها السابقين معنى تنمية كاملة من الناحية القانونية لفكرة أن يكون التنظيم « تجسيدا » للشعب أو ممثلا له بالعضوية والتعريف . وغاية ما يقال أنه يعبر عن أعضائه ويؤدها نفوذه بقدر الانضمام اليه ويقتدر نشاطه بين الجماهير وقيادته الفعلية لهم تمهيدا من مصالحهم . وهذا الفارق هام يميز بينه وبين مؤسسات الحكم خاصة المؤسسات التى تشكل بطريق الانتخاب . لان مؤسسات الحكم ملك للشعب كله بالتعريف التقليدى لهذا المفهوم ، وليست - قانونا - وتفاعلا تنظيم معين . وليس من المفيد للجماهير ولا للتنظيم الشعبى ولا لمؤسسات الحكم أن تطعن الفوارق بينها لتستوعب كلها فى كيان واحد يكون هو الشعب والسلطة والتنظيم . فان ذلك يهدم التوزيع الواجب والتخصص اللازم فى مؤسسات الحكم ، ويجهل الجماهير محكومة بالتنظيم لا مقودة به ، ويفتح أبواب التنظيم للمناصر غير الصالحة التى تهول الى بغية تحقيق النفع الذاتى أو الاحتفاء من سلطته .

وينبغى ألا يكون للتنظيم الشعبى نفوذ على سلطات الحكم الا من خلال الجماهير ، أى بوساطة نشاطه بينهم وتمحيكه لهم وقدرته على الحصول على ثقتهم بالنزوع الحر لهم وبالاقتناع وحده ، فيخلصونه هم الى مصاف السلطة . لما أن يكون للتنظيم الشعبى الحق فى سحب عضوية عضو المجلس الفيايى أو النقابية أو التعاونية أو شياغل الوظيفة لا فهذا لن يعنى الا الهيئة الإدارية . على مؤسسات الحكم ، ولن يعنى الا مصادرة ارادة الجماهير بالقدرة على اسقاط عضوية من يظنون بقتله . وتصبح عضوية التنظيم هنا بمثابة حقوق الجنسية للمواطن لا ولكنها تنفذ الضمانات التى تقررها القوانين لحقوق الجنسية .

ومأ دالم أن الاتحاد الاشتراكى تنظيم شعبى ، فلا ينبغى أن يكون لمامه فى أية حركة وأى نشاط ، الا أن يمن دائما ويغير توقف فى الطريق الطويل ، طريق الجماهير بالمعنى الملموس والمحموس للجماهير وبالمفهوم التقليدى لها ، وبصرف النظر عن أى مصعب صبرى له وعن أى مودا يماثل مودا

والحال الأول لذلك ألا يتقن الدستور أحكاما تتعلق به .

خامسا : إذا كانت صيغة الاتحاد الاشتراكي هي الصيغة الملائمة للتنظيم السياسي في مصر ، من حيث أنه تحالف لقوى الشعب العاملة المحددة على أنها الفلاحون والعمال والرأسمالية الوطنية والمتفانون والجنود - فإنه لا يزال أمام الجانب التنظيمي للاتحاد سؤال عريض ، يتعلق بكيفية تنظيم هذه القوى في أطرافه وعلاقتها ببعضها ببعض ، ومدى ما يمكن أن تتمتع به كل منها من تميز تنظيمي داخل أطرافه العام ، وإلى أي مدى يكون التنوع في أطرافه ، والمعروف أن لكل من الطبقات الداخلة في الاتحاد مصالحها المميزة ، وقد تتناقض هذه المصالح وتتصارع حول ما ي طرح من مشاكل التطور والتطبيق ، وإذا كان حسن الموثوق به أنه صيغة ملائمة لرحلة التطور السياسي والاجتماعي المعاصرة ، وأن وجود كل من هذه الطبقات ضروري ومفيد ، فإنه لا شك أن البلورة الأكثر جدية ووضوحا لمصالح كل منها لابد أن يفضي إلى الوثوق في ضرورة التعايش بين فئات التحالف وإلى إدراك خير الأساليب لحل الخلافات والتناقضات بينها ، والديمقراطية تستدعي التمييز الحر عن المواقف بالنسبة للإرادات والجماعات ، ولا شك أن ذلك يؤدي إلى بلورة الاتجاهات الاجتماعية والسياسية بها يفتي التحالف ويترجم بالنظر الواقعية والفهم الرشيد لمصالح الطبقات المتحالفة والمجتمع كله ، ويسمح إلى أقصى حد ممكن من القدرة على الحساب والتوقع ، ويضعف إلى أقصى حد مخاطر العشوائية ، وليست الديمقراطية مجرد حق يمنع لفرادى جماعة في التعبير عن رأيه أو موقفه اعتسافا ، ولكنها — وهذا هو الأهم — مناخ لازم لشيوع العقلانية والرشد والقدرة على امتلاك الزمام بالفهم الواقعي للظروف المحيطة ، وليس ككل لقيام التعايش من قدرة كل جماعة على بلورة فكرها ومواقفها بلورة واضحة ، ومن قدرتها على استطلاع الفكر والمواقف المبلورة لغيرها في إطار من الضياء يرى فيه كل فرد نفسه كما يرى غيره ، واللقوة وفيرة في أنه إذا أتبع لكل من فئات التحالف فرصة التروى والعزاسة والبلورة للاعتكاف والمصالح المتميزة ، وإذا عرفت كل منها المواقف الرشيدة والمدرسة لغيرها ، فصحت النتيجة هي تأكيد صيغة التحالف في المرحلة التاريخية القائمة ، ولدى حلول من الزمان لا تدرك المين مفتاه ، وهي التقارب لمواجهة مشاكل التحالف في حدود الامكانيات المتاحة ، وهي الوصول إلى كلمة سواء بغير توتر ولا انزعاج ، وسيرى الجميع أن التناقضات مجرد اختلافات في المصالح الملموسة يمكن إيجاد الطول لها ، لا أشباح مخيفة فير محددة المعالم توثر الفلق وتشيع الكراهية ولا

الاشتراكي بهذا المفهوم » **كواقع الكفالة** في تعيين الصيغة دلالة على الامتياز وعدم الخضوع لشريعة الله بالنسبة لبعض المياد ، وليس الأمر مجرد رفع الاتحاد الاشتراكي من الالتزام بأحكام الدستور ، ولكنه هو ذاته يملك السيطرة على غيره من مؤسسات الحكم ، وبهذا تفتح هذه السيطرة إمكانية خروج العمل العام كله عن نطاق الدستور .

ومن المعروف أن الاتحاد الاشتراكي — من حيث البناء التنظيمي — بقي في مجال التجربة والخطأ منذ تشكيله الأول ، وقد عرفت في البداية تجربة بنائه بطريق الانتخاب ، ثم عرفت تجربة بنائه الثاني بطريق التعيين ، ثم أعيد بناؤه بطريق الانتخاب في التجربة الثالثة سنة ١٩٦٨ ، وعرف تكوينه على أساس أماني نوعية ، ثم على أساس إماني محلية ثم شكلت له لجنة مركزية ولجنة تنفيذية عليا . كما نص الميثاق على ضرورة وجود جهاز سياسي بداخل الاتحاد الاشتراكي يشكل العمود الفقري له ، وأشار إلى ذلك في الكثير من الوثائق الأخرى ، ولكن نشأة هذا الجهاز وتحديد علاقته بالاتحاد الاشتراكي لم تظهر قط كصيغة محددة ، أي صيغة محددة واضحة . وكل ذلك يؤكد أن الاتحاد كان ولا يزال في إطار التجربة والخطأ من ناحية بنائه التنظيمي ، وأن مؤسسة سياسية لا تزال في هذا الدور ويحتاج بها القيام بوظيفة السلطة الأم وتأسيس أثرها الحبري على كافة أجهزة الدولة ومؤسساتها ، أن ذلك ينبغي أن يفسر فير المحسوب من العناصر ويفقد مؤسسات الدستور في عملها ما يجب من رشد وضبط ، وليست المشكلة أن الاتحاد خضع لتجارب عدة ، ولكن المشكلة تتعلق بوضع مؤسسة لا تزال في هذا الدور ، وضعها في موقع السيطرة على غيرها ، مما يجعل السيادة على الدولة لغير قانونها الأساسي (الدستور) ولغير المنضبط من القواعد والاصول .

وإذا قيل أنه يمكن أن يرصد في الدستور الدائم حشد من الأحكام التمييزية تحكم هذه الأمور كلها ، فالحاصل أن الاتحاد الاشتراكي لا يزال في الواقع يحتاج إلى مزيد من التجربة لاكتشاف الوجه الامثل لطريقة بنائه كتحالف لقوى الشعب ويحتاج إلى مزيد من التثقي لاصاليب التفاعل بداخله بين هذه القوى ، وهذا ما ينبغي أن يأخذ مجال التطبيق في الاختيار ، وأن استباق الزمن برصده مجموعة من الأحكام تحيد — قبل تخمر التجربة — قوالب لتنظيم الاتحاد قد يؤدي إلى تجديد تجربته في قالب شديد الوطأة يعوق التطور الحي له في المستقبل ، أو يوجد حاجة إلى تعديل الدستور الدائم في المستقبل مما يضمن تقاينه .

تخرج عن نطاق الشعور الوجداني الى نطاق الفكر
العملى المستنير بفهم الواقع المعوس .

وكل ذلك يحتاج الى المزيد من التجارب
والخبرات العملية لادراك امثل الانماط لصياغته
من الناحية التنظيمية . ولا شك ان ارادة احكام
تفصيلية فى الدستور تطلق ببناء الاتحاد قد يؤدى
الى تجميد التطور الطليق لهذه التجارب .

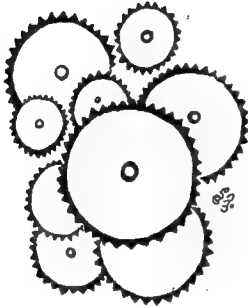
سائسا : مما يمكن قوله انه ما دام الاتحاد
الاشتراكى تنظيميا شعبيا جماهيريا فليس ما يثير
القلق حول انفراده بالسلطة من دون غيره ، وأن
انفراد مؤسسة شعبية جماهيرية بالسلطة لن يكون
مما يثير قلق من يؤمن بالديموقراطية وسيادة
الشعب . على أن الجدير بالملاحظة - تعليقاً على
هذا القول - ان الاتحاد مؤسسة ناشئة تتناوبها
اساليب التنظيم ولم تستقر بعد كمؤسسة شعبية
راسمية البنيان . وبهذا لن تكون هيمنتها على سائر
المؤسسات الا هيئة صورية ، فليس للاتحاد من
قواه التنظيمية الذاتية ما يمكنه من أن يكون
له وجود شعبى حقيقى يفرضه على غيره . انما
النتيجة أن يخضع من الناحية الاجتماعية لتنفيذ
أكبر الطبقات نفوذاً وإمالة فى المجتمع ، وأن
يخضع من الناحية التنظيمية لتنفيذ أكثر مؤسسات
الدولة وأجهزتها قوة واستتباً ، وهى بالتحديد
مؤسسات السلطة التنفيذية القابضة على الوسائل
المادية للامن والانتاج والمنفعة بيزة أجهزتها

وكرائرها * وبهذا تتطابق « سيطرة الكتليم
الشعبى » من سيطرة للسلطة الاقوى والطبقة
الاقوى ، باسمه ومن خلاله ، على غيرها من
السلطات فى الدولة ، ومن الطبقات فى المجتمع .

ولا يؤدى هذا الا الى الحكم بالضعف على
التنظيم السياسى واستلاب فاعليته . وتكون صفة
الاتحاد الاشتراكى كسلطة قد ضيعت صفته كتنظيم
شعبى . ان التنظيم الشعبى يبنى بين الجماهير
ويتخلق منها . وينمو بقدر ما لا يجد وسيلة للنمو
الا من خلال نشاطه بين الناس . والسلطة هى
بالنقطة ما يحوق نموه ، واساليب السلطة هى بالحقبة
ما يؤدى الى ترهله البيروقراطى وانعزاله عن
الشعب . ووقوعه تحت سيطرة المؤسسة الاقوى
فى الدولة يهدر مضمونه الشعبى . وكان هذا
مصدراً ما عانى منه من قبل ، فكان بوضعه القائم
كالمصنع المستحيلة من الناحيتين القسطنطينية
والسياسية . وليس المطلوب للمجتمع مؤسسه
جديدة من مؤسسات السلطة ، يكفيه ما به ، ويكفيه
علاجاً فى هذا الشأن ، احكام دور السلطتين
التشريعية والقضائية ، وهذا ما يقع فى نطاق
التقنين الدستورى ، لما للتنظيم الشعبى فهو
مؤسسة مختلفة نوعاً ووظيفة عن مؤسسات الحكم
التي يقتنها الدستور .

حفظ الله بعير والهمها الرشاد .





الدستور

والمقومات الاقتصادية

تقدم الطليعة نينا يلى تصورا عاما للمقومات الاقتصادية فى الدستور

١ - تعمل دولة قوى الشعب العاملة فى ثبات
واصرار على بناء مجتمع اشتراكى يخفى منه
استغلال الإنسان للإنسان وتغوب الفوارق
بين الطبقات ويرتفع فيه باطراد مستوى معيشة
المواطن المادى وتنمو وتزدهر طاقاته الثقافية
والروحية .

٢ - تصير الدولة الاقتصاد القومى بأسلوب
التخطيط المركزى الذى يمكن وحده المجتمع ممثلا
فى الدولة من السيطرة على كل الموارد المتاحة
وتقرير أوجه استخدامها المثلى ، التى تحقق اكبر
عائد فى اقصر وقت وتضمن استمرار زيادة الدخل
القومى .

ولزيادة فاعلية التخطيط المركزى تعمل الدولة
باستمرار على دعم أجهزته وتطوير أساليبه وتنظيم
ممارسته على كافة المستويات وحفز الجماهير على
المشاركة فى أعماله بالاقتراح والمناقشة وإبداء
الرأى فى مواقع الانتاج وفى التنظيمات الشعبية
وفى مجلس الشعب ولجانه .

١ - عمل دولة قوى الشعب العاملة فى ثبات
واصرار على بناء مجتمع اشتراكى يخفى منه
استغلال الإنسان للإنسان وتغوب الفوارق
بين الطبقات ويرتفع فيه باطراد مستوى معيشة
المواطن المادى وتنمو وتزدهر طاقاته الثقافية
والروحية .

وعليها فى سبيل ذلك أن تستكمل تصنيع البلاد ،
وبصفة خاصة بناء الصناعة الثقيلة باعتبارها
القاعدة الصلبة للصناعة الوطنية كلها ، وتطوير
الزراعة بهدف تحفيز الريف وتقليل الفوارق بين
القرية والمدينة . وعليها فى الوقت ذاته أن تبدأ
ثورة ثقافية تمحو سببة الامية من جبين الوطن
وتوفر للتشبيـه الصناعية الزراعية ما يلزمها من
عمالة فنية ، وتخلق المناخ المواتى لتقديم للبحث
العلمى والتكنولوجى الاصيل ، ويتيح للمواطن كنوز

٣ - يقرر القانون الحد الاعلى للملكية الزراعية
يما يضمن حماية الفلاح والعامال الزراعى من
الاستغلال ويؤكد على مستوى القرية سلطة تحالف
قوى الشعب العامل *

وتعتمد الدولة فى تطوير الزراعة على
التعاونيات القائمة على الانضمام الحر والادارة
الديموقراطية ، وتنظم عن طريقها توفير الائتمان
ومستلزمات الانتاج ، وتمويق الحاصلات
الرئيسية ، وتشجيعها على الاخذ بأساليب الزراعة
التعاونية والملكة التعاونية لوسائل الانتاج
المصرية . وتنظم الدولة الدورة الزراعية وتحدد
انواع البذور والاسمدة واساليب الرى بما يضمن
الارتفاع المستمر بالانتاج الزراعى . ويجب أن
يكون لمثلئى الفلاحين الذين لا يملكون أكثر من
خمس أفدنة ٨٠ فى المائة من مقاعد مجالس ادارة
التعاونيات الزراعية *

وتقيم الدولة فى الاراضى المستصلحة مزارع
كبيرة تحقق من المائد ما يكفل تغطية ما
استثمر فى اصلاحيها وتكون نموذجاً واثراً للزراعة
العصرية المرتبطة بالصنيع والتصدير تهتدى به
التعاونيات الزراعية *

٤ - تعمد الدولة فى تطوير الاقتصاد القومى
على القطاع العام وجوده القيادة ويجب أن يضم
القطاع العام البنوك وأعمال التأمين وما يتصل
بها ، والتجارة الخارجية ، وتجارة الجملة ،
والصناعة الثقيلة والقسم الاساسى من أعمال
التشييد والصناعات التحويلية الرئيسية . كذلك
يجب أن يكون له فى مجالات الصناعة الخفيفة
والزراعة وتجارة التجزئة النسبة التى تمكنه من
اداء دور فعال *

٥ - تشجع الدولة الصناعة المحلية ، وتساعد
المشتغلين بها على تكوين تعاونيات صناعية تمكنهم
من تطوير انتاجهم عموماً ونوعاً عن طريق الملكية
التعاونية لوسائل الانتاج المصرية . ويهيب أن
يكون لمثلئى صغار الحرفيين الذين لا يستفيدون
أكثر من عشرة عمال ٨٠٪ من مقاعد مجالس
ادارة التعاونيات الصناعية *

٦ - تهى الدولة الملكية الخاصة لوسائل
الانتاج فى الزراعة والصناعة الصغيرة وتجارة

التجزئة والإسكان والخدمات ما دامت تعمل على
زيادة الانتاج فى اطار الخطة القومية وتحترم
حقوق العاملين *

٧ - تحقيقاً لديموقراطية الانتاج ، وضماناً
لمشاركة الجماهير فى معركة التنمية ببناء
الاشتراكية تقوم ادارة وحدات القطاع العام على
أساس اشتراك العاملين فى الادارة وخصوصهم
على نسبة من الارباح ، يجب على وجه الخصوص
أن يكون للممثلين المنتخبين عن العاملين نصف مقاعد
مجلس الادارة ، كما يجب أن يكون لكل وحدة
جمعية مهومية للعاملين تجتمع مرة على الأقل كل
سنة لمناقشة الميزانية وتقرير مجلس الادارة
ومشروع الخطة *

٨ - يحدد القانون الحد الأدنى للأجور ، والحد
الاعلى بما يكفل لكل عامل مستوى من المعيشة
لا يجوز النزول دونه ويقل فى نفس الوقت الفرق
من الأدنى للأجور وأعلاما ، وينظم القانون الحوافز
المادية التى تكفل تحقيق مبدأ من كل بحسب قدراته
ولكل بحسب عمله .

٩ - تعمل الدولة على اعلاء شأن العمل
باعتباره أساسى فهم المجتمع الاشتراكى ،
تجعل منه القىاس الاساسى فى تقويم المواطن ،
وتنظم الحوافز الابدية التى من شأنها تحقيق ذلك .

١٠ - يجب أن تتسع قاعدة نظام التأمينات
الاجتماعية والصحية بحيث تغطى كل العاملين
وتؤمنهم ضد المرض والبطالة والمجز من العمل
والشيخوخة *

١١ - تعمد الدولة النظر فى نظم الضرائب
لتقديم تلمبا حريياً حيثما يتناسب مع الدول
الاشتراكية ويحدد من طريق شمول الضريبة لكل
مصادر الدخل وتسامح سعرها ، وتخضوع كل
المواطنين لها ، للتكافؤ فى النسخة والمدالة فى
تحمل أعباء تمويل التنمية *

١٢ - تشجع الدولة على الاسفار ، وتنظم
اشكال تعبئته لخدمة التنمية ، وتقاوم مظاهر
الاسراف فى الاتفاى العالم والشاخص .

آراء ومقترحات

من مناقشات اللجنة التضهيرية عام ١٩٦٧

في شهر مارس ١٩٦٧ عقدت عدة جلسات للجنة التضهيرية للدستور ، وأصبحت القرصة لعهد كبير من المواطنين أن يسهموا بأرائهم ويدخلوا بمقترحاتهم فيما يتعلق بالدستور . وفي الوقت الذي يناقش فيه حالياً مشروع الدستور الجديد ، رأت اللجنة أن تعرض لبعض الآراء التي ما لبحت نلقاها أساسية هي : نظام الحقولة السياسي والقرصنة الأساسية للبلدج والاسس الاقتصادية للبلدج .

١ - نظام الدولة السياسي

عادل محمود عبد الباقي [مستشار مساعد
مجلس الدولة] :

أن الموضوع الرئيس الذي أود أن أبحث عنه ، هو مفهومنا للديمقراطية السياسية التي نسميها بالديمقراطية الاشتراكية . وأول ما أكرمه به ونحن في مشعل موضوع مشروع الدستور الدائم ، ما أكدته الميثاق من أن النظام السياسي في أي بلد ، إنما هو الانعكاس المباشر للاوضاع الاقتصادية السائدة فيه ، والتعبير المباشر عن المصالح المتعددة في هذه الأوضاع الاقتصادية .

لهذا فإن نظامنا الديمقراطي الاشتراكي الذي يرمي دستورنا دمجها ، يجب أن يكون انعكاساً وتعبيراً عن مصالح قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة المتعددة في البلاد ، والتي حل تماثلها ، محل التماثل غير الأخرى بين القطاع ورأس المال المستغل .

.. ومن ثم ، يجب أن يكون لبلدج تلك قوى الشعب العاملة منوهة الفاص للديمقراطية التابع من واقعها ، الذي يخلق سياسته .. بحيث يكون الشعب - بلدج تلكه المعاملة المتكافئة - صاحب السيادة ومصدر السلطة . وهذا يقتضي استبعاد كل نظام يؤدي إلى سيطرة الأقلية ، أو إلى

سيطرة طبقة من الطبقات أيا كان وضعها الاجتماعي ، سواء في تلك طبقة الانهيار والراساليين والقطاعيين ، أو أية طبقة ممتازة أخرى ، من حيث الأصل أو المركز الاجتماعي . .. والحرية السياسية لا معنى لها ولا قيمة ، وتصبح مجرد كلمة جوفاء في ظل نظام يسمح ببقاء الموارز بين الطبقات . فلا تبة لحق الترشيح بالنسبة لرجل يسمى للحصول على قوته يوماً بيوم . ويموز المال القزم للتعليم ولا يراكه حقوقه . كما يحول المقر بينه وبين تحمل نفقات الترشيح والدعاية .

الآن يمكن تعريف الديمقراطية بأنها حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب ، وتوفير الظروف والوسائل والنظم التي تقفل استقرار نضال الشعب ، وتضمن وصوله إلى أهدافه وتكفله من قرض أرائته على الحياة .

.... من هنا ، فإن الدستور الجديد ، يجب أن يضمن للثلاحين والممال نصف مقاعد التنتخابات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها .. باعتبارهم الغلبة الشعب التي ظل حرماتها من حفا الأساس في صنع مستقبلها وتوجيهه ، كما أنها صاحبة مصلحة عميقة في الثورة والوءاء الذي يفتقر بالقيمة طاقات ثورة وقيمة بذل مقاتلتها للحرمان . وهناك ضوابط أخرى يجب الأخذ بها عند وضع مشروع

المنشور ٢ بأنها جماعية القيادة فهي ضمان هام كذا تركيز السلطات في أي دولة ، وقد اقترح على السلطات الذي يؤدي إلى شل القرارات العلمية في التطوير الوطني ، وقد تكسب مساهلات كبيرة في أي دولة وهو ما يؤدي بفشل السلطة الحقيقية إلى غير المستوفين منها بالفعل أيام الشعب .. ومن هنا نضع السلطة في أيدي تطهلت تسمية جماعية ، تكون أمانة وحارس على النظرية القوية وعلى العمل الثوري ، والتطبيق الاشتراكي ، يخلق ضمانا للاستمرار الدائم لاتحاد القارة .

ومن الضمانات الأخرى ، سيادة القانون ، أن التشريعية الاشتراكية لا تتفلى مع وجوب احترام القانون ، ومن الخطأ الاعتقاد بأن الثورة تفرض عدم قيد الإرادة القوية بإحكام القانون .

اسماعيل عبد الحميد الوكيل [فلاح] :

.... انني اطلب اليك يضمن الدستور مادة صريحة أيضا ، نص على أن المكتب الثوري الذي حصلت عليها الجماهير الكادحة منذ بداية سنة ١٩٦١ ، لا يمكن الرجوع فيها أو إلغاؤها ، باعتبارها أساسا شرعية الحياة لئلا يفسد ، كما نصت بذلك جميع الأديان السماوية ، وهبتها المملكات الاجتماعية .

الدكتور جمال العطفني [محام] :

انني أريد كل التأكيد ، أن نصي في الدستور على أن مصر جزء من الوطن الأفريقي ، وأن الدستور في هذا الشأن لا يكون إلا تعبيرا عن حقيقة اجتماعية وتاريخية وسياسية وحضارية ولذلك فالتى اقترحنا نصي في مشروع الدستور الدائم على أن الشعب المصري جزء من الأمة العربية ، وجزء من الوطن الأفريقي .

الدكتور عبد الحليم فراج الصدة [الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة القاهرة] :

.... أن الديمقراطية هي الحرية السياسية ، والحرية الاجتماعية أو الاقتصادية .

أما الحرية السياسية فهي نصي أن تكون السيادة للشعب ، وتعني أن يكون للشعب هو صاحب السلطة ومصالح الكلية في حكم نفسه ..

أما الحرية الاجتماعية أو الاقتصادية فلها نصي أن تلحظ للفرد فرصة الحصول على نصيب عادل من الثروة الوطنية في ظروف ينشئ على الاستقلال وتكافؤ فيها الفرص .

.... أن يتناول الدستور الجديد ضمان تعثيل الفلاحين والعاملين في المجالس الشعبية السياسية على نحو يتكفل لهم نصف المقاعد في هذه المجالس .

وأن يوزع الدستور مبراة على أن سلطة المجالس الشعبية التنفيذية ترقى سلطة أجهزة الدولة التنفيذية .

.... ومقتضى ذلك أن تكون للديمقراطية في الدستور الجديد تعبيراً حقيقياً عن سيادة الشعب ، وعن سلطته ومن نصه في سبيل تحقيق أهدافه ، والمصالح على مكتبه .

السيدة زينب حسن فهمي :

أن اقترحي يضمن أن يكون النص الوارد بالمادة الخامسة من الدستور المؤقت وهو الفصل بأن الإسلام دين الدولة ، في مكان الصدارة من الدستور الجديد ، أي تضمنته المادة الأولى به .

عبد الرؤوف جودة أحمد [عامل] :

... لقد أكت المثلث ضرورة ضمان قدر أدنى لتعثيل العمال والفلاحين ، وحدد ذلك بنصهم في المجالس الشعبية المختلطة على الأقل ، بما فيها مجلس الآلة وعلى المنظمات الشعبية .

ألا أنه لوحد أن يعنى من يتلون النمل والتلاحين ؟ ومن تطبق عليهم نسبة المـ . ٥٠ لا يتلون بل اصعد التاجيل هاتين المختلطين ، ويصنعي واحدا ممن يتشرفون بتعيل لغة النمل . ويحكم كوني ناعما أصلا وأساسا من القوة ، فقه بشرتي ويعنى أن اتحدث عن الفلاحين والعمال بصورة أساسية .

فلذا فالحقا اللغة الأولى وهي لغة الفلاحين ... فوجنا التعريف للنمل الفلاح هو من تكون حياته مسلكا أو أبقارا خمسة وعشرين غدا ، ويقيم في الريف ، فلذا ننظرنا إلى هذا الحد وهو خمسة وعشرون غدا ، نجد أن هذه الأرض — عمليا — لا يمكن أنزهرها شخص بنفسه ، فلذا أن يستلهم آخرين لعملية الزراعة ، ومن هنا يبدأ الفصل عن الأرض ، بل أن مستوى محبته من يخدم هذا الحد من الأرض الزراعية يتفصل الفصل — يكاد يكون ثلما — من مستوى محبته مواطنه ساكني الريف إلى وجه اليوم . ومن ثم يجب أن تكون عمليتين في تحديد معنى الفلاح في نطاق تحالف قوى الشعب العاملة .

واقترح أن بشرط في الفلاح ، أي من يملك الفلاحين في أي مجلس شعبي منتخب أو تنظيم شعبي ، أن يكون ساكنا في الريف ، ويعتبر أقلية دائمة في القوة ، وأن تكون الزراعة مصدر رزقه الوحيد ، ولا يخدم مجازة الفلاحية ملكا أو أبقارا على خمسة الفدنة فقط .

... وتعريف العامل — في رأيي — هو من يكون له حق الانتخاب والترشيح لمجالس القابلية العمالية ، ولا يكون عضوا في نقابة أخرى غير القابلية العمالية ، وكذلك العمريون الذين لا يستخدمون الغير ، بشرط أن يكون عليهم من مصدر رزقهم الوحيد . ومن ثم لا يعتبر عمالا المديرون المعنويين ، ورؤساء مجالس الإدارة ، والمهوسون لإدارة الشركات ومن في حكمهم ، ولقد لتحليلنا للبرغم على العمال في اختيار ممثلهم .

البيكولوجي سليمان إسماعيل :
... لقد طلب اليه بأن نصي على الوحدة العربية في الدستور ، وأنا اعلمهم في ذلك ، لأن الوحدة العربية لها وظيفة أخرى يجب أن تكون واضحة فالوحدة العربية استهدف إقامة دولة عربية ، ولي يقين ، ونحن اليوم بصدد وضع دستور دائم ، أنه أن يكون هناك دستور دائم إلى الوطن العربي قبل أن تجيء الوحدة العربية ... أن جميع مناصري القول العربية ، في وضعها الحالي ، تكون دستوري مؤقته إلى أن تتفلس نهائيا من الاستعمار وقائمه .

الدكتور عبد الملك عودة :

... في ملاحظة تتصل بالمادة الخامسة ، ورغم ما يحيط بها من حساسية إلا أنني اتسلل حل من الضروري أن نصي في الدستور على دين في الدولة ؟

تنقسم المناصريين في هذا الأمر إلى قسمين : قسم ينص على الإيمان ، ونص آخر لم ينص عليها ، وهي الغالب المناصريين ، ويعني القول ، مع أنها لغز في مناصريها ذكر الدين ، ألا أنها في الوقت نفسه تعمل كدين والدين . أنها قضية على درجة عالية من الحساسية ، وكل ما أود قوله هو أن الاتجاه الغالب في المناصريين يميل إلى عدم النص على الدين فيها .

د . ولیم سليمان (مجلس الدولة) :

... لا يمكن وضع الدستور بمعدل من القوة ، بل يجب أن تكون القوة محورة ، ونقطة البداية فيه . لهذا فلنا نستطيع أن نعرف المناصريين بأنه « تنظيم الثورة » بمعنى أنه يضع التواعد والنصايب التي على أساسها تظل سلطة الدولة في خدمة المصالح ، والقوى الاجتماعية التي قايت الثورة لاحتضانها وبهذا يمكن وصف الدولة بأنها دولة الثورة ، وبالتالي يمكن أيضا القول بأن الثورة مستمرة ، ولنا نص السورة .

٢ - المقومات الأساسية للمجتمع

نقضا قانونيا دستوريا إلا يكون التفصيل الإجتماعي أساسا
اتصاليا للإشتراكية العربية لأن فلسفتها القانونية تقوم على
أن القوى الاقتصادية تجعل في حدود الخير العام للمشعب،
وأنها موجهة حسب الخطة العامة للشعب ، وأنها تستخدم
مصلحة الجماعة ، وهي لا تكون كالحزب الاشتراكي الإجتماعي .

□ المقومات الأساسية للجمعية الاشتراكية العربية هي :
العمل أساس الاقتصاد ، الملكية العامة تقود التقدم في جميع
المجالات ، الملكية الخاصة بعيدة بالأ تكون مستغلة ، وأنها
لا تسيطر على الاقتصاد ، أن التخطيط أساسى للاقتصاد
بأكمله ، قيام السيطرة الشعبية على كل أدوات الإنتاج .

□ أن وضع المبادئ التوجيهية في توصي تقيدها وتحدد
مجال تطبيقها ، مثل طلب التفضل في العمل على الصناعات
والعمل والأجر أو طلب التفضل للفقير والضعيف
التشغيل التراجعي ، يفترض قدرتها على الحركة تحت عنوان
المساواة الحقيقية .

□ لم تصدر التشريعات الخيرية المنذرة للنس الدستوري
التي يقر أن الملكية وظيفة اجتماعية ، ولم تصدر الأحكام
القضائية على أساسها ، وذلك لأن أن نسب الدستور
مسائل أساسية تعتبر جوهر هذه النظرية وبصفة أخرى مختلفين
أساسا المسائل ، ترصلا لجعل الملكية فور مستغلة بالفعل
لا يجرى التص في عليها وتخصيصها لهذا الالتزام وللسيطرة
الشعبية مع اعلاء معنى الوظيفة الاجتماعية في الحقوق
عموما ، تمكينها نصرة الدستور من أن تعمل بذاتها وأن
لم يتسبها قانون .

□ لابد من أن ينص على المسائل التالية : اعتبار
كل من الاستقلال والاعتراف مبدأ يجب التصات القانونية
ويوسع لها تعريف في الدستور ، بطلان الفساد ما يتطاف
النظام العام والأداب العامة للجمعية الاشتراكية ، أن
الحقوق القانونية عموما تستخدم في خدمة مصالحها وفي خدمة
الجمعية الاشتراكية مما .

□ لابد من توضيح بمسكون الملكية التعاونية ، وأن ينص
على القرصة الكاملة للبراءة في العمل ، مثل ولاية المرأة
للقضاء .

□ أن القرصة الاجتماعية يمكن الاعتماد عليها في بسان
المقومات الاقتصادية للجمعية حيث أنها تنص على :

- ١ - الملكية وظيفة اجتماعية بعيدة موجهة لخدمة الجماعة
وفوى الأمر تحديثها بآلة الجمعية
- ٢ - لقرصة حقوق محددة عند الدولة وعند الملك يملكونها
من رأس المال ذاته وتحمل الدولة عليهم في أفعالها لحسابهم .
- ٣ - للدولة وللناس حقوق في أموال الأفراد .
- ٤ - الحقوق عموما بعيدة بتقوى الجماعة .
- ٥ - القروض الطبيعية تلك الدولة في مذهب ابن مالك .
- ٦ - الفقه الإسلامي يؤيد بالتخطيط والتوجيه والجماعة .
- ٧ - العمل أصل إسلامي أول .

الدكتور أحمد علي حسن | نقيب أطباء الأسنان
سابقا :

□ اقترح أن ينص على أن : الملكية الفردية وراثتها مقلوبة
ومصونة والملكية الفردية المكتسبة من طريق العمل والإنتاج
وراثتها تليدات خاصة خاصة .
ولا يحق لأحد الملك فيما يشر المصلحة الاجتماعية ولا يجوز

السيد عبد الحميد السراج | رئيس مجلس
إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأمين :

□ ضرورة النص في الدستور بمصرلة وحزم على فرض
رقابة فعالة فتح الإسراف والتفريط في القطار العام ، لأن
ذلك يؤثر مبلغ كبيرة تستطيع الدولة استخدامها للاستثمارات
جديدة .

□ لابد من النص على أن قضية الانتحال قضية قومية
وواجب قومي ، وأن ينظر إليها نظرة وطنية . فبعد انهيار
الطبقة الخبنة التي كانت مصدرا لتبويل المخدرات ، التي
العرب على مطالى قوى الشعب العاملة . أن أهم حل يستطيع
المواطن أن يسهم به هو أن يقطع جزءا من دخله الذي يحصل
عليه ويودعه في أي وعاء آخرى .

□ ضرورة النص في الدستور على حماية المخدرات
وضمان الدولة لهذه المخدرات ، لأن هناك كثرين يتخفون أو
يلغون أن الدولة قد تستولى على المخدرات .

□ الدكتور رفعت المحجوب | الأستاذ بكلية الحقوق
بجامعة القاهرة [حلفا عميد كلية الاقتصاد
والعلوم السياسية] :

□ أن الأسس التي تقوم عليها المجتمع الجديد هي : ضمان
رعاية الشعب وقوة الوطن بأن ينجم الإنتاج القومي إلى
تحقيق الحاجات العامة ، وسيطرة الجماعة على وسائل
الإنتاج ، ومنع استغلال الإنسان للإنسان ، وأن يكون لكل
حسب حخته ، وأن يكون الهدف الأساسي للاشتراكية هو
تلويب القوازين بين الطبقت .

□ ضرورة نصية الطبقات التي تحك ولا تعمل وتعيش
على دخل بلا عمل وهي طبقات الاقطاعيين والرأسماليين ،
بأن تنزل بالملك إلى الحد الذي يجبر أصحابها على العمل ،
وبأن يصبح للعمل أساسا لتلبية الاحتياجات للفرد ، وأن
يتم مبدأ تكافؤ القوي مبدأ لا قولا . ويتطلب ذلك أن ينص
الدستور الجديد على التعليم وحل العلاج .

□ أن تلويب القوازين بين الطبقات لا يعنى توحيد أذوارها ،
أو إلغاء القطاع الخاص تماما ، إذ يمكن السماح بوجود
رأسمالية وطنية على أن تكون صغيرة الحجم ، وغير خاضعة
لشكليات الرأسمالية العالمية وأن تعمد من الاستقلال .

□ لابد من تعديل الدولة المسؤولة الشعبية في خطة
التربية من طريق وضع خطة شاملة ، وإقامة قطاع علم
كبير وقادر على تحمل المسؤولية الرئيسية في خطة التربية .
□ على الدستور أن ينص على أن الدولة ملزمة بأن فرض
المقررات الخالقة وأن تصان على الحوائز الخدمية والمعلومة .
□ لابد أن ينص في الدستور الجديد على حق العمل
لجميع المواطنين ، وحق التعليم والرعاية الصحية والضمان
الإجتماعي .

□ لابد من أن توسع الدستور الجديد في الحديث عن
الحقول الاقتصادية ، وأن يضمن للقوى العاملة حرية التعبير
وحرية النقابة في تلك الوقت ، ولا يكون مجرد دستور
سياسي .

السيد المستشار عبد الحليم الجندي | رئيس
إدارة قضايا الحكومة :

□ لابد من ذكر الضمان الإجتماعي في باب المقومات
الاقتصادية لأنه يمثل أهم السبل الاشتراكية في الحياة
وهو ما نسميه المقومات الاجتماعية ، والوظيفة الاشتراكية
في الاقتصاد وهو ما نسميه المقومات الاقتصادية . ويعتبر

تحدد الملكية الثرية أو الزعامة إلا شيئاً للتقوى وكلمة الدولة ، أو القناعة الإجتماعية ، مقابل نموحي عقل .
وحل الأثر مذكور وفقاً للتشريع الإسلامي .

الدكتور عبد المنعم فرج الصدة [الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة القاهرة] :

□ إن الأسس التي يقوم عليها مجتمعنا الاشتراكي هي : منع الاستغلال ، تنظيم الإنتاج ، عدالة توزيع الدخل القومي . واقتضى أن يرد في الدستور نص خاص بالاستغلال أكثر بيتنا مما هو عليه الآن بأن نص على أن « الاستغلال محظور في جميع صورته ومجالاته سواء كان ذلك في استغلال الحق ، أو في استثماره أو في التعامل بوجه علم » .

□ لابد أن تظفر الملكية القانونية بالحماية والتشجيع والتأييد من قبل الدولة . أما الملكية الخاصة فلا بد أن يراعى في تنظيمها التوفيق بين المصلحة الفردية من ناحية وبصلحة المجتمع من ناحية أخرى ، والوظيفة الاجتماعية للملكية لا يجب أن تقصر على التزامات سلبية يفرضها القانون على الملك ، بل لابد أن تلحق طامياً إيجابياً يفرضها الملك أن يقوم بواجبات معينة . أما ملكية الدولة فيجب النص على أنها تشمل الأموال العامة والأموال المملوكة للدولة ملكية خاصة ويكون منها القطاع العام .

□ أرى أن ينص على أن « الملكية الخاصة بصورة ، وحل الأثر الشرعي فيها يكون ، ويجب أن تكون ممارستها على نحو يتفق مع وظئها الاجتماعية » .

□ لا يجب أن ينص الدستور على أحد الأنصى للملكية لأن هذه مسألة ترتبط بطرق المجتمع المظنورة .

الدكتور فؤاد مرسى [رئيس مجلس إدارة البنك الصناعي] :

□ لابد من تلكيد المفاهيم التالية : أن الاشتراكية هي مسطرة على استغلال الإنسان الإنسان ، أن وسيلتها هي سيطرة الشعب العام على كل وسائل الإنتاج الرئيسية ، أن بناء الاشتراكية يتم بنقل السلطة السياسية إلى تحالف قوى الشعب العاملة ، أن الوظيفة العامة في المجتمع الاشتراكي تمثل المركز القيادي ، أن التخطيط المشتمل للاقتصاد القومي هو الخيار الوحيد لتطوير اقتصادنا على أسس اشتراكية .

□ إن الانتقال إلى الاشتراكية يقتضى مرحلة انتقال يتحول فيها المجتمع من بقايا الإقطاع والرأسمالية إلى الاشتراكية . وطريقنا إلى الاشتراكية هو طريقنا لحكم الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية ، مواصلة الثورة الوطنية حتى نهايتها بالثورة ليس فقط بتحقيق الاستقلال السياسي وإنما أيضاً بتحقيق الاستقلال الاقتصادي .

□ إن الاشتراكية حقيقة تاريخية نرغمت نفسها ، لأن طريق الرأسمالية كان طريقاً مسدوداً .

□ إن القطاع العام هو قاعدة التحول الاشتراكي ، وهو قاعدة النضال ضد الاستعمار الاقتصادي القديم ، وللجديد ، وبالإستناد إلى سلطة الشعب العامل ، يظهر هذا القطاع في اتجاه خلق وتطوير علاقات إنتاج اجتماعية جديدة .

□ لابد من الألبى بعيداً لخطيط القطاع الخاص ، ووضعه تحت رقابة وسيطرة الشعب ، وفي إطار الخططة الشاملة .

الدكتور ثروت بدوى [أستاذ القانون العام بكلية الحقوق — جامعة القاهرة] :

□ يجب التفرقة بين الأسس العامة للاشتراكية من جانب وبين إجراءات التحول أو التطبيق الاشتراكي من جانب آخر ،

أن التفتور يجب أن يتبع من التفتور في إجراءات التطبيق المختلفة ، التي يمكن أن تتغير من مرحلة إلى مرحلة ، والتي تتطور مع تطور ظروف المجتمع ، ومقتضيات المرحلة التي يمر بها .

□ إن الأسس العامة التي تحدد المقومات الأساسية للمجتمع هي : تنظيم ملكية وسائل الإنتاج ، تنظيم وإدارة عملية الإنتاج وتوزيع ثرواته ، توزيع هائد الإنتاج .

□ لابد من النص على العدالة الاقتصادية ، وهي تحقق بأمور ثلاثة : الحد من قوة الأقوياء الاقتصادي ، تقوية مراكز الضعفاء اقتصادياً ، تحقيق التضامن والتضامن بين هؤلاء ولولئك . لذلك أرى أن يقضى الباب الثاني من القصوص ما يضمن تحقيق هذه الجادى الثلاثة . فلا يكفى تحديد الملكية الزراعية ، بل يلزم تحديد الملكية في كافة صورها .

□ أرى أن ينص صراحة في الدستور على أن تمثل الدولة تدريجياً على تقريب الفوارق بين الفوارق بحيث لا يماثل الفارق مستقبلاً ، بين أقل دخل وأعلى دخل نسبة معينة .

الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله [رئيس تحرير دار المعارف] :

□ إن المقومات التي يضمن على الدستور أن ينفذها ليست هي طومات المجتمع الحالي [مرحلة الانتقال] بما فيه من تناقضات وأنها هي طومات المجتمع الاشتراكي .

□ وإذا كان المميز بين اشتراكيها وغيرها من نظم الاشتراكية أمر محسوس ، فلابد من التمييز الجلياً بين الاشتراكية الزائفة والثورة بين الاشتراكية وبين ما يسمى التضامن الاجتماعي .

□ أن معنى الكفاية هو أن يزيد الإنتاج القومي وأن يزيد ملكنا باستمرار حتى نستطيع أن نرفع مستوى معيشة المواطنين كل المواطنين . ومعنى العدل أن ترتفع لبار العدل لدى طيله الشعب ، نرتفعاً حلاً ، أى أن يأخذ كل حامل بقدر ما قدم للمجتمع من عمل .

□ أن مشكلة أنواع الملكية أو اشتراكها ليست من المشاكل التي محل ابتداء من وقتها بذهبي مجرد ، وإنما يجب أن ترتبط بالواقع الاقتصادي .

□ لابد أن يوافر في رأس المال الخاص ثلاثة شروط : أنه يجب أن تسم هذه الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج في زيادة الإنتاج ، واحترام حقوق العاملين ، وعدم استغلالها في غرضي استثمار باعثة على المستهلكين .

السيدة عليه اسماعيل [مديرة إدارة بشركة المسكن] :

□ لابد من ائمة القرض الكفالة في العمل للبراة مل الرجل بحكم الدستور ، الذي يجب أن ينفذها من ممارسة هذه القرض المختلفة دون محب المناصب القيادية منها .

□ كذلك لابد أن يؤكد الدستور أن الطفولة صالحة المستحل ، ومن لم يجب رعاية أطفال العمالات ، وتسهيل ظروف الإهمات العمالات .

□ اقترح أن ينص على « عدم تشغيل المرأة في أى مجال من مجالات الإنتاج والخدمات ، إلا إذا مرت بمرحلة معينة من الدراسات الاشتراكية ، التي تجعلها عنديا تعمل تقوم برأبها على وجه أبل ، وعنديا تكون ربة بيت ، تكون كادراً على فهم مطلب المجتمع منها ، وما يجب علىها أن تؤديه له من واجبات . وعلى الدولة أن توفر لها هذه الدراسات » .

الدكتور جمال الخطفي [الحملي وعضو مجلس إدارة مؤسسة الأهرام] :

□ اقترح إنشاء قطاع علمي في الاستغلال الزراعي يتلخص في ملكية الآلات اللازمة للزراعة ، والوصول بالزراعة الى مرحلة جديدة تعتمد على التقدم التقني والعلمي .
□ اقترح أنه بدلاً من تحديد الملكية بأنها ملكية شعب او دولة ، وملكيتها تعاونية ، وملكيتها خاصة ، يحدد بأنها ملكية الاشتراكية (وتشمل ملكية الشعب والملكيتها التعاونية) ثم الملكية الخاصة .

□ يجب ان ينسحب من الدستور على الاشتراك الماييلين في ادارة الوحدات الانتاجية وعلى الحصول على نصيب من ارباحها .

□ لابد ان نقتن إجراءات الحراسة دستوريا ، وأن نوضح لها القواعد والإجراءات والسياسات التي تنبثق من الوثوق في وجه نمو العلاقات الرأسمالية ومحاربة الانحراف .
□ لابد ان نبرز في الدستور الجانب الديمقراطي في اعداد القطعة ، وأن يصدر هذا بتأويل .

السيد المهندس علي السيد | رئيس مجلس إدارة المؤسسة المصرية للمقاولات [حاليا وزير الاسكان والمرافق] :

□ اقترح ان ينسحب من القوانين الخسب التالية :

١ - أن النظام الاشتراكي هو الانسب الاقتصادي للدولة بما يحقق أهدافه ويمنع استغلال الانسان للانسان واقتضاء على تفاوت الدخل .

٢ - تكفل القرص في ثروات الوطن .

٣ - سيطرة الشعب على كل وسائل الإنتاج ورقبته على القطاع العام والخاص .

٤ - التخطيط الاشتراكي الكفء .

٥ - تطبيق التقنية الإنتاجية .

□ اقترح أن ينسحب على أن الهدف من إقامة المشروعات في قطاع التشييد ليس تحقيق الربح ، بل تحقيق خدمات وتنفيذ مشروعات طبقا للخطة الموضوعية .

السيد شمس الدين خفاجي | المستشار بوزارة قضايا الحكومة | :

□ اقترح ان ينسحب على أن الاشتراكية هي الاصل وأن التعاون هو الصورة التكميلية التي تعمل في إطار من الفكر الاشتراكي ، بحيث يحفظ من مبادئه وخطة وقواعد العمل فيه ، بما لا يتعارض مع مفهوم التطبيق والفكر الاشتراكي .

السيد مصطفى عمنس | فلاح] :

□ اقترح ان يسفك نص على صياغة رأس المال الخاص واشغله للبلد العام اذا تصرف في طرق استغلاله مع الفكر العام للشعب .

□ اقترح ان ينسحب على أن تشجع الدولة التعاون ، وتدعيه بكل الامكانيات وتدعيه ، وتزوي الخشتات التعاونية بخلاف صورها ، وأن يكون التعاون هو الجبل للقطاع الخاص في جميع الأنشطة ، التي يرى تحالف قوى الشعب العاملة ، مجتلا في الاتحاد الاشتراكي إنها تشكل استغلالا للشعب وخروجها على السلوك الاشتراكي ، أو أن التنظيم التعاوني هو الشكل الذي يحقق لهذه الأنشطة اسهاما أقوى وأفضل في بناء المجتمع الاشتراكي .

الدكتور عادل سيد فهم | النائب بمجلس الدولة [:

□ لابد أن يرد الدستور نصها كاملا للقطاع العام ويثن جميع التشريعات التي يجهلها الناصب في جميع مجالات القانون المادي للقوة ، وفي هذه التشريعات الاشتراكية أصبحت من البدهيات القانونية .

□ لابد أن يضع الدستور الجديد نصها شاملا للخطة الاقتصادية يجهل من الخصائص أعلى سلطة في الدولة مع امداد تلك الخطة بقوة دائمة تنبع من القانون الواسع بالنسبة لانشاء وجود وانقضاء العلاقات القانونية بين الوحدات المشتركة في المباديات القانونية .

٣ - الأسس الاقتصادية للمجتمع

الدكتور إبراهيم سعد الدين :

• أن قانون الثورة ، كما أعلن السيد الرئيس : « حصانة اكيدة للتطور المستوي السليم ، ليظل القانون دائما أكبر من مراكز القوة وأعلى من ارادات الافراد » على ان هذا القانون يجب أن يعبر من روح التطور ذاته ، فان الشرعية ليست هي مجرد الامر الواقع ، والا كان معنى أن الشرعية قد أصبحت مادة جامدة لتفرض ايها ، على احسن الأحوال ، أو استبدادا من طبق أو سلطة تتصور خطأ أنه يوسعها أن توقف الزمن نفسه .

• بهذه الكلمات من خطاب السيد الرئيس في المؤتمر التاسع للمحامين العرب استهل مناقشة الاسس الاقتصادية للمجتمع .
« لكي تتغير أن مواد الدستور الخاصة بالانس

الاقتصادية لمجتمعنا . يجب ألا تقتصر في التعبير عن الاساس الاقتصادي للمجتمع الذي تعيش فيه في الفترة الحالية ، وإنما يجب أن تعبر أساسا عن المجتمع الذي نحاول بنائه ونحاول اقلته ، وهو المجتمع الاشتراكي ، الذي يتميز بخصائص وسمات رئيسية ، يمكن تلخيصها فيمايلي :

- سيطرة كاملة للشعب على أدوات الإنتاج .
- إلغاء لكل استغلال من الانسان للانسان ، وتذويب الفوارق بين الطبقات .
- قيادة الاقتصاد القومي بوساطة الدولة خلال خطة خمالة للتطوير .
- حصول كل فرد من قوى الشعب العاملة على

تصويب من النشأ القومي بواسطة الدولة كمثل خطة الخمسة للتطوير .

● بناء قاعدة اقتصادية حديثة وقوية وقادرة على تولفها حاجيات الشعب ، ورفع مستوى المعاشي والثقافي والروحي .

هذه هي اعتقاد هي الاسس الرئيسية التي يجب ان تتولى في البلاد الخاصة والقرى والجماعات الاقتصادية للمجتمع ، والتي هي جزء من مواد البلب الثاني من المستور ، والتي وردت في المستور الثالث في تولد من المادة ٩ ، الى المادة ١٨ ، .

وقد حيرت مواد المستور الثالث بشكل حاسم وواضح من هذه الاهداف ، ولو ان هذا التعبير قد جاء في شكل تقريرى باختيار ان المجتمع فعلا ، او ان الاساس الفعلي لمجتمعنا في هذه الفترة الحالية ، هو المجتمع الاشتراكي .

وفي رأيي لنا مامنا في مرحلة التطور ، مرحلة التثوير، مرحلة الانتقال ، فان البلاد الخاصة والقرى والمستور في هذا الحان يجب ان تكون تعبيرا واضحيا عن حقيقة عامة ، هي اننا نسير بموجلة التثقل تسير بنا الى تحقيق هذه الاهداف الرئيسية ..

..... ان الوصول بالمجتمع الى اعدله في النور ، والى اعدله في تحقيق مستوى ارفع من المعيشة ، انقضت بالضرورة التحول اساسا ، بالنظام الاجتماعي ، من النظام الرأسمالي القائم على الملكية الفردية ، الى النظام الاشتراكي القائم على السيطرة الكاملة على أدوات الانتاج ، والسيطرة على أدوات الانتاج ليست هذا في ذاته ، بل هي ضرورة لامة نوع جديد من العلاقات الاقتصادية ، ونوع جديد من العلاقات الاجتماعية ، نوع جديد من العلاقات الاقتصادية يتجه بالذات بملكانية توحيد الفاض الاقتصادي الذي يمكن ان يتوفر في هذه الامة الى تطوير الانواع الاقتصادية في المجتمع ، الى تطوير الانتاج ، الى تحقيق كبر معدل للنسر ، الى تحقيق رفع مستوى المعيشة لشعبنا . ان السيطرة على أدوات الانتاج لاتهدف فقط لحدود تحقيق زيادة الانتاج او تحقيق الكفاءة ، وانما تهدف ايضا وفي نفس الوقت الى القضاء على الاستغلال ، واستقلال الانسان للانسان ، الى القضاء على الفوارق الاجتماعية الكبيرة الموجهة في مجتمعنا ، التي يندب اساسا على وجود طبقة مصنوعة من كبار الكليين ، وطبقة واسعة من المعوزين في هذا المجتمع .

اما من المادة التاسعة والتي لاتتجر فعلها بحيث تبرز اننا نقيم مجتمعنا لاشتراكي ونسيز بمتصلين معينة ، هي سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج ، وحظر استغلال الانسان للانسان بأي شكل من الاشكال ، وتدابير الفوارق بين الطبقات ، وتحقيق مبدأ مشاركة العاملين في عائد الانتاج وفقا لجهود كل منهم ، واتممة الاقتصاد القومي باعادة تكوينه وفق صيغ اشتراكية متطورة ، هي الزراعة والصناعة والحجارة ، بهدف رفع المستويات المعيشية والثقافية والروحية للشعب ، وذلك ترمي دعائمي النظام الاشتراكي الاساسيين ، وهذا الكفاية والعمل .

اما المادة العاشرة ، وهي التي تضمن على ان يكون توجيه الاقتصاد القومي بأكمله ، وفقا لخطة للتنمية التي تضعها الدولة ، فانني ان اتبع هذه الامة للمعاني الواردة في المبدأ من خطة ، بحيث ينس على ان يوجهه الدولة الاقتصاد القومي بأكمله وفقا لخطة التي تضعها ، وان تضمن هذه الخطة بقاءا وتكون البلة اللازمة لتنفيذها ، وان على ان يوجه في الاعمار تحقيق اوسع مشاركة ممكنة في الخطة العامة ، واتكون الخطة طوال مدة مرفوعةا اساسا لجميع اوجه النشاط التخطيطي لاجرة الدولة ، والوحدات الاقتصادية ، وتتخذ كل وحدة من وحدات الانتاج وكل جهاز من أجهزة الخدمات بتحقيق الاموال والواجبات

التي تطلبها الخطة على نتائجها . كما تضمن على خلق الظروف المالية والتطبيقية اللازمة لنشاطها على نفس يمكنها من تنفيذ مهامها المرسومة لها .

اما المادة لاجانية عشرة ، فانني ان تاتي كما هي فون تعديل ، وفيما يتعلق بالمادة الثانية عشرة ، وهي الخاصة بسيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج ، فانني ان صمغ نسما بحيث يكون ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج انما تكون من طريق تنمية القطاع العام ، وحصة ، حتى يصبح قادرا على سيطرة النشاط الاقتصادي في كافة مجالاته .

اما المادة السابعة عشرة ، وهي التي تضمن على ان الملكية الخاصة مصونة ، ويحظر القانون اداء وفيليتسا الاجتماعية ، ولاتتزع للامكية الا السلطة العامة ، ومقابل تعرض حامل ، وفقا للقانون ، لانتزح تعميلا بحيث تقتض مع المأمون والمعاني الواردة في البذل ، لاني ارى ان هذا النص لايتوافق بين الملكية الخاصة ، وبين الفروقات التي استغلها البذل ليهاد هذه الملكية ، وهي الضخيرة لاشراف للشعب ، والصير في إطار الخطة الشاملة فون استقلال ،

للكه فاني ارى ان يتضمن النص الجديد هذه المعاني ، وان يشير بوضوح الى ان الملكية الخاصة معينة باتساع هذه الفروقات ، ولذا لاتقد مجردة وجودها ان هي حالت منها .

ثم لنتك بعد ذلك الى المادة الثامنة عشرة ، وهي الخاصة بتضييع العولة للعاملين وريعاتها والمنشآت العمالية ، وبمختلف صورها ، فاني تعميلا بحيث تسمح لتسليم مايريد اتجاه الدولة الى توسيع قاعدة المعامير ، وجوب امتداده الى ثلثا جنيده الى التمويل والتطوير والانتاج ، الى كافة صوره ، الزراعي والصناعي والسري والبيروبي الى السواء ،

تكون محمد فتح الله الخطيب [امتداد بكية الاقتصاد] :

ان النظرة العامة الى المواد الواردة في المستور الثالث ، من الملة الخامسة الى المادة الخامسة عشرة ، توضح حقيقة عامة ، وهي ان المجتمع قد صار في طريق التتميد الاشتراكي .

ان الملة التاسعة تشير الى ان طبيعة المجتمع في المجتمع الاشتراكي ، وفي رأيي ان من الضروري التأكيد على اننا في مرحلة التحول ، ولاننا لم نبلغ بعد النظام الاشتراكي ، فهداة اامة لتعني على ان الاساس الاقتصادي للدولة هو النظام الاشتراكي ، ومن الاساس الذي يجب ان نحوي ولفقه ، الا اننا في واقع الامر ، لا نجتاز الان مرحلة التحول ، وهذا هو الصبر لكي نحمل في تحقيق النظام الاشتراكي بمفهومه وبطريقته التي نراها ، وبذلك ارى ان من الضروري توضيح هذه الحقيقة حتى لاتتسبب في الخلل قد يعتقده البعض انه فون الاشتراكي بمفهومه ومعانيها التي نراها .

ومن ناحية اخرى ، فان المادة الثالثة عشرة من المستور الثالث تشير الى الشكل للامكية ، وهي ملكية الدولة ، والامكية التعاونية ، والامكية الخاصة ، واري ان من الضروري ان نعمل للفترة ، من هذه الملة بحيث تشير الى ملكية للشعب ، وبلا من ملكية الدولة حتى لاتتأكد المعاني التي وردت في هذه الفقرة .

كذلك لان للملة السابعة عشرة نصت على ان يكون السد الاتسي للملكية الزراعية ، واري ان من الضروري ان يكون هذا التصديق علما بالنسبة لجميع انواع الملكية لا ان يكون قاصرا على الملكية الزراعية فقط ، ومامنا في جملتنا الملكية الخاصة شكلا من اشكال الملكية الاجتماعية في المجتمع ، فيجب ايضا ان توضح اذراع الملكية الخاصة باشكالها المنفصلة سواء كلكت زراعية ام غير ذلك ،

الضريبة : - اظفر : لأنه يجب : أن تملك التكلفة أحتكاً واستحقاقاً
الى رفاهية الشعب ورفع مستواه ، وإن يتأتى هذا إلا اذا شارك
الشعب في وضعها . وقد أشار الباب السادس من الميثاق
الى مركزية التخطيط والامركزية التنفيذ ، ومركزية التخطيط
لا تكون إلا عن طريق الأجهزة الشعبية ممثلة في الاتحاد
الاشتراكي .

ومن هنا فاننى اقترح أن تحل هذه المادة على الوجه
التالى : « يوجه ويرافق الاتحاد الاشتراكي خطة التنمية
التي يضعها بمقرراته » .

ورأى أن تصبح المادة الثانية عشرة على الوجه التالى لا

« الثروات الطبيعية في كل امكنها ، ومصادرها ملكه
لشعب ، وهو الذي يسيطر عليها » .

وإذا انتقلنا للمادة « ١٢ » ، التي أوضحت أشكال الملكية ،
وقسمتها الى ثلاثة أقسام ، نجد أن القسم الأول منها قد
نص على ملكية الدولة أى ملكية الشعب ، وفى هذا تناقض
لأن ملكية الدولة ليس معناها ملكية الشعب ، لأن ملكية
الدولة تؤدي الى رأسمالية الدولة ، وكان من الواجب أن
يطلق على هذا النوع من الملكية « الملكية العامة » أى ملكية
القطاع العام ، التي هى ملكية الشعب . لذلك يجب أن
تحل عبارة « ملكية الدولة » الواردة فى هذه المادة الى
الملكية العامة أى ملكية الشعب ، أما بقية الفقرة فترشح
كيفية ممارسة هذه الملكية .

ويجب أن تحذف هذه الملكية بأكملها ، ويكتفى بعبارة :
يكون الدستور واحداً فى شأن هذا المعنى .

« إما الملكية التعاونية فأرى وجوباً ان يوضح الدستور
للشعب العلمية للتعاون ، حتى لا يكون ذلك قسراً على
الملكية التعاونية التي تكفيها الدولة لإدارة التعاونيات : »
بل يجب أيضاً - كما أشار الدكتور إبراهيم سعد الدين -
أن تكون هناك ملكية تعاونية فى إطار الملكية الصغيرة ،
حيث أن الاقتصاد المصرى يعتمد أساساً على الملكية الصغيرة ،
مما أعادت فى الزراعة أم فى غيرها .

عبد الرؤوف جويّة احمد [عامل]

« إن الأساس التالى من لىس النظام الاشتراكي ،
هو أن توزيع ناتج العمليات الاقتصادية لأية سلطة عامه
إلا نتيجة حقبة للمعد البشرى ، لذلك كان من الحق والعمل ،
أن يكون توزيع ناتج القيمة الاقتصادية على المواطنين كل
حسب عمله » .

« أما الإنسان الثالث ، فهو أن يكون التخطيط فى هذا
الجنس تخطيطاً قائماً على الخط ، لتحقيق رغبات الجماهير
لأن وجه المشروع ليس لملك الأساس لتجابه بقدر ما يطقه
من اشباع ورغبات الجماهير » .

وإذا انتقلنا الى المادة العاشرة من هذا الباب وجبتناها
تنص على أن « يكون توجيه الاقتصاد القومى بأكمله ،
وفقاً لخطة للتنمية التي تضعها الدولة » ، وفي الحقيقة إن
الدولة - باعتبارها سلطة الحكم - تعتبر أداة من أدوات



■ الجمهورية العربية المتحدة ■

معاهدة الصداقة العربية السوفيتية
قاعدة طويلة الأمد للتعاون الساهل

•

آراء ومقترحات
حول الدستور الدائم

■ تشيكوسلوفاكيا ■

المؤتمر الأول
بعد هزيمة الثورة المضادة

■ فن تشيكى ■

معرض الانسان
واسلحة النار



تقارير الشهر



بين الاتحاد السوفيتي ومصر مثارا لتلميحات كثيرة في مختلف الدوائر المالية *

ولم تستطع الدوائر الاميركية ان تخفي خيبة املها فغالت النيوزويك : « ان المسئولين بوزارة الخارجية الاميركية لم يستطيعوا اخفاء خيبة املهم تجاه هذه المعاهدة » وقالت « النيويورك تايمز » ان المعاهدة المصرية السوفيتية تذهب الى بعيد نحو توثيق الروابط بين الدولتين *

وفي الاوساط العربية صرح السيد صائب سلام بان « المعاهدة تجسيد للواقع وتطوير صريح للملاقات القائمة بين مصر والاتحاد السوفيتي وتأكيد لما سرت عليه القاهرة في سياستها » .. وقال فاروق ابو عيسى وزير خارجية السودان « ان المعاهدة تؤكد من جديد التزام مصر للشايب بالنضال من أجل التحرر والتقدم الاشتراكية، كما تؤكد تمسكها بصدقة المسكر الاشتراكي والاتحاد السوفيتي الذي يقف الى جانب الامة العربية في نضالها الشريف » ..

وقال عبد السلام كوكلو القائم بالأعمال السوري في الخرطوم في تصريح لسوكالة الأنباء السودانية « ان هذه المعاهدة تعتبر خطوة حاسمة في معركة التحرير ضد الصهيونية والامبريالية المالية - وقال - ان الصداقة العربية السوفيتية تدخل بهذا الاتفاق مرحلة جديدة لصالح النضال العربي » *

اما صحيفة « لاوييس » التونسية فقد أعلنت « ان شيئاً أساسياً قد حدث في الشرق الاوسط بتوقيع هذه المعاهدة التي تمثل حادثاً هاماً » *

ولقد كان رد فعل هذه المعاهدة لدى اسرائيل حليفاً أيضاً فكثرت جريدة « دافار » « ان هذه المعاهدة سيكون لها تأثير كبير في الناحية العسكرية والسياسية وان النتائج المترتبة عليها ستظهر قيمتها في المستقبل القريب » - أما صحيفة « ينيوت حيشوت » الاسرائيلية فقد وصفت المعاهدة بأنها « خطر كبير » ، كما صرحت « جولدا مائير » : « بان مصر تحاول استخدام المعاهدة لارهاب اسرائيل ، وكوسيلة للضغط السياسي على الغرب » وقالت : « انه من المستحيل ان يغفل احد ، الخلل السياسي الشامل لهذه المعاهدة ، كما ان خطورتها لا يمكن ان تغيب عن بال »

وفي مصر كان لعقد المعاهدة رد فعل كبير ، فقد أصبحت الجماهير ان الصديق الوفي الذي ساندنا دوماً في وقت المحنة سوف يواصل مساندته لها .. وارتكبت فيزيوتها الواعبة ان توقيع المعاهدة - هو في ذاته - تأكيد للمسير في الطريق الصحيح الذي

معاهدة الصداقة العربية السوفيتية قاعدة طويلة الامد للتعاون الشامل

« يعلن الطرفان المتعاقدان ، ان صداقة راسخة لا تنقسم مراها ستقوم على الدوام بين كلا البلدين وشعبيهما ، وأنهما سيعملان في المستقبل أيضاً لتطوير وتوثيق علاقات الصداقة والتعاون الشامل القائمة بينهما في المجال السياسي والاقتصادي والعلمي والفني والثقافي والمجالات الأخرى » ..

بهذه الكلمات بدأت المادة الأولى من المعاهدة ، لتعبر عن واقع تاريخي امتدت خلاله صداقة وثيقة وعلاقات أخوية بين شعبي مصر والاتحاد السوفيتي .

والمعاهدة التي تكتنن وتجميع وتصوغ مبادئ ومعاني الصداقة الأخوية التي استمرت لفترة طويلة بين شعبينا .

والحقيقة ان مواد المعاهدة تتضمن نقاطاً هامة وأساسية تجسد مدى عمق الروابط التي تخلفها بين الشعبين - فالإرادة السياسية تنص على انه « اذ يهتم الطرفان المتعاقدان الصاميان اهتماماً عميقاً بتأمين السلام وأمن الشعوب ويعبران أهمية كبيرة لتنسيق أعمالهما على الصعيد الدولي في النضال من أجل السلام وتحقيقاً لهذا الهدف سيتشاور الطرفان على مختلف المستويات بانتظام حول جميع المسائل الهامة التي تخص مصالح كلتا الدولتين » .

وفي حالة نشوء أوضاع تشكل حسب رأي كلا الطرفين تهديداً للسلام أو خرقاً للسلام فإنهما سيتصلان ببعضهما على الفور بقصد تنسيق موقفيهما من أجل إزالة التهديد الناشئ أو إعادة السلام » ..

ولما كان العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية هو أحد المخاطر الأساسية التي تهدد السلام والأمن في منطقة الشرق الاوسط وفي العالم أجمع فقد نص في المادة الثامنة على تعهد الاتحاد السوفيتي بتكديف كافة المساعدات للجمهورية العربية المتحدة « من أجل تقوية قدرتها على مواجهة العدوان عموماً » *

وقد كان اعلان « المعاهدة » بما تضمنته من نصوص واضحة وقاطعة الدلالة في تعزيز العلاقات

حذو مبادئه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وهو طريق مادة الاستثمار والمدون والصرب والصدقة الاخوية مع كل القوى المناهضة للامبريالية والقوى التي تسعى الى التقدم الاجتماعي .

وقال الرئيس انور السادات ان معاهدة الصداقة والتعاون تأتي تأكيداً للمبادئ النبيلة التي تعمل لها معا ، ودعما للتعاون الوثيق الذي امتد بيننا ، وتمكيننا لنا على زيادة قدراتنا على تحرير الارض ، وتمهدا من الدولة التي تملك كل مقومات العلم والتكنولوجيا على الاسهام معنا في عملية بناء دولتنا المصرية .

وفي موسكو صرح يوجورني قائلا : « ان علاقة الاتحاد السوفيتي مع الجمهورية العربية المتحدة قد دخلت مرحلة جديدة ، اثر توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين » . واضاف يوجورني : « ان هذه المعاهدة تمثل الاساس القانوني الصلب للعلاقات الاخوية القائمة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي ، كما ان مغزاها يكمن في حقيقة انها اول معاهدة من نوعها تمتد بين الاتحاد السوفيتي ودولة مستقلة نامية ، وفي انها تكمس التقارب المتزايد بين العالم الاشتراكي وحركة التحرر الوطني » .

وقد علقت وكالة « نوفوستي » السوفيتية للانباء على المعاهدة بقالت : لقد ساعد الحظ النشط في معاهدة الامبريالية الذي تسير عليه الجمهورية العربية المتحدة وخطواتها الحازمة في طريق بناء حياة جديدة ، وزيادة دور جماهير الشعب المريضة في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الهامة ، ساعد كل ذلك على اقامة وتطوير علاقات شاملة بين الاتحاد السوفيتي ومصر . ان العلاقات بين البلدين مرتفع الى مستوى املى وستدخل مرحلة كفيفة جديدة » .

ومضت وكالة نوفوستي في تعليقها قائلة « ولا تؤدي المعاهدة الى تدهيم نتائج التطور المضر للعلاقات السوفيتية العربية فجميع بل هي تفتح امامها ايضا افاقا جديدة انها تخلق قاعدة طويلة الامل للتعاون الشامل بين البلدين ، ويوجد من الممكن زيادة جهودهما المشتركة الوجهة ضد المؤامرات الحوادية للامبرياليين وشركاتهم »

وقد مضت كلا الدولتين في اجراءات التصديق على المعاهدة ووضعها موضع التطبيق الفعلي بسرعة فائقة .

وفي القاهرة عرضت المعاهدة على « مجلس

الشعب » للتصديق عليها . وقد بحثت لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس نصوص المعاهدة ، ثم تقدمت الى المجلس بتقرير جاء فيه : « ان قائد ثورتنا ويطل ٢٢ يوليو جمال عبد الناصر هو الذي رسم جسور الصداقة العربية السوفيتية وراسها على اصلب الاسس واقرى الدعائم ، لانها تقوم على اساس وحدة الهدف في خوض النضال ضد الاستعمار والامبريالية ومن اجل الحرية والتقدم الاجتماعي » .

ومضى التقرير قائلا : « ان هذه المعاهدة تتوج فترة طويلة من تجربة الصداقة الشريفة المتناوبة ، وهي صورة لاوع صور العلاقات المتكافئة بين شعبين جهمتهما خلال الفترة الماضية وقفة واحدة في النضال ضد الاستعمار والامبريالية العالمية ومن اجل التحرر الوطني في كل اتحاء العالم » .

وقد وافق « مجلس الشعب » بالاجماع على المعاهدة .

وفي موسكو عرضت المعاهدة على اجتماع مشترك للجنة الشؤون الخارجية بمجلس السوفيت الاعلى ومجلس القوميات . وفي الاجتماع تحدث جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي فقال : « ان المعاهدة سوف تكون ذات تاثير ايجابي كبير على كفاح الشعب العربي من اجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي وتحقيق التقدم الاجتماعي » .

وقال جروميكو : « ان المعاهدة لا تميز فقط من الناحية القانونية مستوى العلاقات الذي يلفه البلدان ، ولكنها تفتح آفاقا جديدة لتعمية ودعم التعاون السوفيتي المصري في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والفنية وغيرها »

هذا وقد وافق الاجتماع المشترك بالاجماع على رفع توصية الى مجلس السوفيت الاعلى بالتصديق على المعاهدة .

آراء ومقترحات حول الدستور الدائم

قامت اللجان الدستورية المتفرعة من اللجنة التحضيرية للدستور بتجميع آراء ومقترحات المواطنين بشأن الدستور الدائم ، وهذه اللجان هي لجنة مقومات المجتمع الاساسية ، ولجنة تنظيم

على الوحدة الوطنية بينا عنصرى الأمة مسلمين وأقباطا ، والغناء خاتمة الديانة من البطاقات الشخصية والاكثاف بالجنسية المصرية ، ان مصر دولة اسلامية ديمقراطية اشتراكية عربية ، وان المجتمع المصرى مجتمع اشتراكى قوامه مصالح الشعب العامل ، ومقاماته الدين والوطن والحريه والعلم .

واكدت الفالبيية على ضرورة ان تكون الديمقراطية قاعدة أساسية للحكم واقامة المنظمات الدستورية ذات الفاعلية وضمان الحرية قانونا وممارسة وضمان الحقوق الاقتصادية وان تثير التنظيمات السياسية الجديدة للدسوق حوارا حرا وان تقيم الدولة الجديدة على اساس مبدأ سيادة القانون واحترام الحريات ، ويرى البعض ان يتضمن الدستور تحديد الحالة التى يباح فيها تعطيله وفرض الاحكام العسكرية وان يكون ذلك فقط فى حالة الحرب ، بالإضافة الى ضرورة تدعيم مجلس الأمة وتأمينه ضد الحل .

ومعاد اتجاه جعل الملكية للشعب ممثلة فى القطاع العام ، ومع جواز المساس بالودائع والمخدرات الخاصة بالافراد الا فى الاحوال التى ينظمها القانون مع تعميق الملكية القانونية وتحديد الملكية الزراعية بـ ١٠٠ فدان للأجرة و ٥٠ فداناً للفرد ، رفع النسبة المخصصة للعمال والفلاحين

الحكم ، ولجنة الادارة المحلية والقوانين الاساسية . وقد استقدمت للجان كافة الوسائل الممكنة لاتاحة الفرصة للمواطنين من الادلاء بآرائهم ومقترحاتهم فيما يجب ان يتضمنه الدستور الدائم للبلاد .

وبحول المقومات الاساسية الخلقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية برزت الآراء والمقترحات التالية :

ان يكون الميثاق وبيان ٣٠ مارس ومقترحات الرئيس السادات اساس كل تشريع ، وان الدولة المصرية « جمهورية ديمقراطية اشتراكية » دينها الاسلام ولقها العربية . وان الشعب المصرى جزء من شعوب الأمة العربية ، ويعمل لوحدة العربية للشاملة ، وان يراعى التمسك بين مشروع الدستور الدائم ودستور اتحاد الجمهوريات العربية ، وان يكون الاساس الاقتصادى والاجتماعى للدولة هو النظام الاشتراكى ، وحماية المكاسب الاشتراكية وتقدمها .

وتظهر اتجاه يدعو الى ان تكون الشريعة الاسلامية اساسا لكل تشريعات الدولة ، وان يكون القرآن والسنة هما مقومات الاطار الخلقى للمجتمع ، واستبدال القوانين المالية بقوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية ، وان يؤكده الدستور

تعليق

مناقشة حول التراث

« الفونس هوبس » فنان شاب [٣٦ سنة] من ألمانيا الغربية ، زار بلادنا منذ بضعة أسابيع . ويهذه المناسبة ، أعدت جماعة انبييه القاهرة لقاء بينه وبين نقباء من المعنيين بشئون الفن التشكيلى من القضاة والفنانين المصريين ، من بينهم : مصطفى الزنناوى ، وفؤاد كليل ، ورمزى مصطفى ، ومينر كلمان ، ونيل دوروى ، ويوسف شيه .

دارت المناقشة حول أهمية التراث الفنى وإبعاده الإيجابية فى العملية فى اطلاق حرية الفنان فى التعبير التشكيلى الخاص . وتطعت آراء « هوبس » فى ان الفنان يجب ان يبدأ بداية جديدة ، بدون التقليد بآية تقليد تراثية غبية محلية ، ولو أدى ذلك الى ان يخرق أماله بين الحين والحين . كما فعل هو . لذا لاحظ انها مثارة بتقليد يا . وان هذا هو الفسوان الوحيد لمعاصرة الإبداع الفنى ومسايرته حركات القرن الذى تكتب الماوازين الجمالية ونظمت اشكرات غير مسبوقة . وصرح بلا بأحد الفنانين من مواطنيه ، هجر المجتمع وذهب بعيدا الى منزلة كيلة حتى يتخلص من كل أثر للتقاليد والتراث ، ويوجد لنا خلاصة ذلك !

وتقول ان نقلا هذه الآراء الغربية بالتقليد . خاصة وقد اظفر معها بعض فنانينا . من الجانب ان تعرف على الاممال الفنية التى عرضها هوبس فى قاعة معهد ثقافتنا . انها مجموعة من لوحات الحفر والتصوير اللاتبع ، ذات تشكيلات تعريدية ، تتضمن الوحدات الهندسية وغير الهندسية ، يمسكها فيها

بلايس موشرة او موجودة أصلا فى الأوراق المستفيدة . كما استخدم الألوان المشتقة مع الأبيض والأسود ، واستعان فى تقسيم أوراقه بلونها عدة مرات ثم بسطها ليوم اثر الخليات بدور فى التشكيل الغامض . ولجأ أحيانا الى تعزيز أجزاء من أوراقه ثم تعديد الأماكن المبزقة بخطوط وألوان . من هذا العرض . . ومن تلك الآراء ، تشجع زاوية الاطلاق اوجهة نظر الفنان الزائر ، وهى :

- ١ - التفرع الفنى يمكن ان يبدأ من فراغ ، بصرف النظر عن أية خبرات إجتماعية سابقة .
- ٢ - الإبداع التشكيلى يمكن ان ينهمر فى مجرد التشكيل دون العلية بوجود دلالة ، سواء على المستوى الحلى أو المعالى .
- ٣ - الفن التشكيلى - فى مفهوم هوبس - هو المخرج أى شيء لم يسبق له مثيل ، وان تواتر أى محلى يتضمن الاطلاع بالمعملية الفنية كلها .
- ٤ - على أى فنان ان يقاسم تاريخه وتراثه وثقافته اذا أراد ان يدرج هنا أصيلا . ويده فكلت السيد هوبس نفسه .

بعد هذا الاستعراض لطاهر النقطة التى دارت فى انبييه القاهرة ، وبالرغم من أهمية البنية التراث كصيلة ثقافية تنبئ عليها مكتسباتنا الثقافية الجديدة . . فقد أصبح لزأما ملينا ان نعيد البث تلك الأهمية البنيوية ، حتى لا يدب الشك

عن رأيا قويا قيد أو حد • كفاءة الحريات بمقاماتها الاربعة يجب أن تتوفر في الدستور • مساواة المرأة بالرجل في جميع الحقوق والواجبات اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وفقا لميثاق الأمم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان • حتى تتمكن المرأة من المشاركة في صنع الحياة الجديدة للواء تعدد الزوجات • حق الإبناء في الجمع بين معاش الاب والام العاملين • أن تجمع المرأة العاملة بين مرتبتها ومعاش زوجها كاملا • رعاية الطفولة وتنظيم الطلاق • أن تكفل الدولة رعاية أبناء العاملات بتعميم دور المضانة في المصنع والصي والشارع ورعايتهم طبيا وتغذيتهم • منح المرأة إجازة حسب رغبتها لتربية أطفالها والسماح لها بالمودة الى العمل مرة أخرى • مشاركة الفتاة في الخدمة العامة أسوة بالفتى • حق الانتخاب الإجباري للمرأة •

وفيما يتعلق بنظام الحكم تجتمعت المقترحات التالية :

أن يكون التشريع لمنصب رئيس الجمهورية هو ونائبه معا • وأن يكون هناك أكثر من مرشح حتى تكون هناك فرصة للاختيار • ووضع نظام واضح لشغل منصب رئيس الجمهورية في حالة خلوه • مبدأ التشريع والانتخاب لمشوية مجلس الشعب

في المجالس والتنظيمات الشعبية الى ٧٥ في المائة • حتى يكون تمثيلهم واقيا مما يتناسب مع تعددهم بين المواطنين والا يزيد الحد الأقصى للجمهور في الدولة على ١٠ أضعاف الحد الأدنى

وانته البعض الى الدعوة لان يتضمن الدستور تحديدا دقيقا لطبيعة الاتحاد الاشتراكي كأساس لتعبئة قوى الشعب العاملة من أجل أهداف شعبية وممارسة رقابة الجماهير ليس كسلطة بل كتشريع شعبي • وتحديد علاقته بالسلطات المختلفة • وعدم تدخل الاتحاد في الأجهزة التشريعية والتنفيذية • ألا يحرم أحد من عضوية الاتحاد الاشتراكي أو يزل إلا بقرار مسبب يصدر من هيئة منتخبة • يند كفاءة حق الطلاق والنظام •

ومن أبرز النقاط الأخرى التي ظهرت أثناء المناقشات :

تأكيد حرية الكلمة والصحافة حتى تستطيع مراقبة أعمال جميع السلطات وضمان تسلافي الأخطاء • وعدم تكرار مأساة مراكز القوى • والا يماقب أي فرد بسبب أفكاره الحرة • تحديد واضح للحريات • أن يحدد الدستور حالات الحرمان من الحقوق السياسية • ملكية الشعب لوسائل الاعلام واتاحة الفرصة لكافة الاتجاهات البناءة في التعبير



القيم الجمالية التي هي مفاهيم اجتماعية تقليدية • وليس من القيد في شيء سطوها والعودة الى اكتشافها من جديد • أن يال هذه الدعوة • بل الدعوة الى التمسك لاكتشاف التراث والاستفهام من المحيطات الانسانية القوطية • أي التراث • التي تتكنا الآن من التفسير على سطح القبر والجلول بين الكواكب •

والآن • بعد أن تبلورت المجتمعات عبر السنين • توضع كل منها على مفاهيم جمالية تختلف باختلاف المجتمعات • وأصبح لكل منها مفاهيم جمالية • ولغة الخاصة التي تلتزم عن طريقها • الا أن للجمالية المحلية • أسس عالية بعيدة الجذور • كما فكرنا • والعمل الفني من حيث هو مفسن للقيم الجمالية • أنها يتضمن أيضا التمسك العالية والجمالية على السواء • فلا أنفصا فيه أحد الجانبين • كان ذلك صعدا ينتسج من تيمنه وقدره ودوره في الحياة • من هنا • أي من حيث البعد الجمالي المحلى • يدخل التراث والتقاليد المحلية كملاي • حليم في مدى إيجاز الإبداع التشكيلي • وظلالا أن المجتمع البشري يعتمد للثقافات • ويختلف الثقافات • يستحيل الفن التشكيلي ذا طابع محلي • سواء في الشكل أو المضمون • • وأي من آخر يتلقى من التراث المحلي مجها الى مفاهيم وقيم أخرى • أنها يتجه بالضرورة الى تقليد مجتبع آخر • وينتمي الى ثقافة أخرى غير ثقافته المحلية • وإذا كان السيد عربي • يدعو الى التخلي عن التراث • فهو يدعو ضمنا الى الانتماء الى ثقافته هو •

مختار العطار

في نفوس الفنانين الشبان الذين نزلوا عليهم في مواصلة العمل على التراث واستلهامه والاستفادة من إيجابياته • سواء على الصعيد المحلي أو العالمي •

أن الصلة الجمالية في مجموعة من المفاهيم • توضع عليها المجتمع خلال تربيته الطويل • يصفى هذه المفاهيم عالية وعالية استخلصها البشر منذ أن كان أفرادها جميعا يعيشون في إطار علاقات اجتماعية متشابهة • كما كان الحال لدى الإنسان البدائي منذ ٢٠٠٠٠ سنة ق.م • • أي مطلق الإنسان المبدأ منذ ١٠٠٠٠ سنة ق.م • • فطرا صور الكون في « التلوين » في أسبغيا أو « التشكك » في جنوب فرنسا • • أمكن اقتفاء أثره في مناطق بعيدة من العالم • هذه الأساليب الجمالية في المصنوعات الفنية • أمكن لمعها أن يتي حتى الآن • وأن يصبح تراثا يستعمل به الفنانون المعاصرون • ويمكن للشبان الذين أنفقوا ويبدون مطاه • مثال ذلك • • الأسلوب السريالي الذي ظهر في منتصف الأول من القرن العشرين • أنه في الحقيقة موجود منذ عشرات الآلاف من السنين • في الحرف ما يسمى بالـ « شيا أيزم » • حين كان مسطر الجماعة البشرية تتسله غيرة يليل يمسدها ليصور للجماعة كيد • يصلطون قطعيا من التلوين الوضعية • ويمكن إلهت أن الكثير من القيم الجمالية التي نلن أنها من ابتكارات اليوم • أنها ترجع الى أصول بعيدة • نستطيع اقتفاء أثرها على صفحات كتبه • الانسان البدائي وما قبل التاريخ • • إلهة في الغروني لوييل سنة ١٩٦٨ •

استمرارها وتطورها اهتماما كبيرا من جانب المواطنين خلال المناقشات التي جرت والتي تنعكس حرص المواطنين على ألا يسبب الثورة الجسود والكمسات التي تتعرض لها الثورات في العالم الثالث .

كما شغلت قضية الحريات أيضا اهتمام المواطنين وتطلع المواطنين الى حرية ذات مضمون ثوري ، وأن يحصل الدستور بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة على أساس علمي واضح ومحدد لقطع الطريق على تسلسل عناصر الثورة المضادة كما يحول دون الزج ببعض العناصر الثورية في زمرة الاعداء لمجرد الاختلاف في الرأي ، وأن يحدد الدستور مفهوما جديدا لسماية أمن الثورة في ظل الشرعية الاشتراكية بحيث لا يسمح باى انتهاك لهذه الشرعية ، بحجة حماية الثورة ، وأن الطريق الصحيح هو تمسيق وتوسيع حريات الشعب المامل .

■ ■

■ تشيكوسلوفاكيا ■

المؤتمر الاول بعد هزيمة الثورة المضادة

يتفق اغلب المراقبين السياسيين في الرأي ، حول الامة غير المادية التي اقسام بها المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي في تاريخ هذا الحزب الذي بلغ نصف القرن هذا العام . اذ جاء انعقاد هذا المؤتمر بعد السنوات الاخيرة التي تمت أصعب وأشد فترة واجهها الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي في تاريخه ، والتي شهد فيها الحزب والمجتمع التشيكوسلوفاكيين أزمة عميقة شملت كل مناحي الحياة التشيكوسلوفاكية .

وقد عقد المؤتمر بقصر المؤتمرات في براج ابتداء من ٢٥ مايو السابق وحضر المؤتمر ١١٩ مندوبا يمثلون مليونا و ٢٠٠ ألف من أعضاء الحزب ، وقدم الرفيق « جوسلاف هوساك » السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي في المؤتمر تقريرا عن نشاط الحزب وتطور المجتمع بعد المؤتمر الثالث عشر للحزب ومهامها في الفترة القادمة .

وقد أوضح الرفيق هوساك أن أحد الاسباب الرئيسية في وقوع كارثة التهديد المهادي للثورة

حق لكل المواطنين في ضوء القانون ، وألا تكون عضوية الاتحاد الاشتراكي شرطا لعضوية مجلس الشعب أو المنظمات الجماهيرية . - التأكيد على استقلال القضاء واعطاء المحاكم جميعها حق النظر في دستورية القوانين ومحاكمة المسؤولين والقيادات إذا أخلوا بمسئولياتهم ، الأخذ بنظام المحلفين في قضايا الأحوال الشخصية والمالية - أن تكون الأجهزة الشعبية المنتخبة فوق الأجهزة التنفيذية - تحديد طبيعة الاتحاد الاشتراكي كتنظيم سياسي جماهيري يقود الجماهير ويوجه العمل الوطني ، ويؤشر رقابة اجتماعية على سيطرة الدولة ولكنه لا يحل محلها ، وأن تكون اختصاصات الاتحاد سياسية وليست دستورية ، ولا يتدخل مباشرة في السلطة - انشاء أجهزة متخصصة لمراقبة تنفيذ الحريات الاساسية للأفراد وانشاء نيابة لحماية الأفراد من التعسف ، وحق القضاء في إلغاء أى قانون يمتدح على تأكيد الحريات - ايجاد نوع من الفصل النسبي بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وكفالة الضمانات للسلطات التشريعية والقضائية وتأكيد دور السلطة التشريعية في الرقابة على أجهزة السلطة التنفيذية ، كفالة الضمانة للسلطة القضائية اشتراك السلطات الثلاث في اختيار أعضاء المحكمة العليا ، وحق المحكمة العليا في الرقابة على دستورية القوانين بطريق الدعوى الأصلية ، وأن يكون الالتجاء اليها معنى من الرسم .

وقدما يقتضى بالامانة للمحلية والقوانين الاساسية ، اجتمعت اغلبيية الآراء أن يتضمن الدستور ما يلي :

تحديد مفهوم واضح للمعامل والفلاح والقات وتعدد مدة زمنية تنتهى فيها مرحلة التحول الاشتراكي أن يتفهم الدستور قوانين تساهل التطورات الاشتراكية التي بدأت منذ عام ١٩٦٢ ، تأكيد الحرية للقبائبة ، أن يكون الماش حق لكل مواطن ، شغل منصب المحافظ بالانتخاب ، أن تشكل المجالس الشعبية بالانتخاب الحر المباشر ، وتنظيم العلاقة بين مجلس الشعب والسلطة المركزية استقلال المجالس المحلية ووضع الاسس لهذا الاستقلال ، وتقرير الضمانات لأعضائها تطبيق النظام المركزي ، وأن تختص الوزارات بالتوجيه ورسم السياسة العامة ، وتكون المحافظات جميع أعمال التنفيذ ، حق الجماهير في سحب الثقة من عضو مجلس الامة إذا أخل بالتزامه ، أن يعمل المواطنون في محافظاتهم ، اجتياز الرشوة واستغلال المنعوق والاختلاس خيانة وطنية .

وقد اثار قضية حماية الثورة وضمان

وعبىة هوساك في تقريره نقداً حقيقياً إلى « انطونين نوفوتني » لأنه قلل من تقدير دور الصراع الطبقي في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والإيديولوجية ، ولعدم كفاية ضد الانتهازية اليمينية في الحزب ، وعدم استغافته من درس الثورة المضادة في المجر ، وعدم تصحيح الحزب ضد المناهج التي تشجع الانقسام الإيديولوجي الذي بدأ الإمبرياليون استخدامه حينذاك كسلاح رئيسي ضد الدول الاشتراكية . وقال هوساك « أن قيادة نوفوتني أسكرتها النتائج التي تمكنت ، وقوت تقديراً خاطئاً لرجسة تطور المجتمع وفطرت بطريقة مثالية خاطئة إلى مستوى ووجهة السياسية والمعنوية » . وأخى هوساك بالملوم على دورة يناير ١٩٦٨ للجنة المركزية التي لم تقدر تقديراً تزايد خطر القوي الانتهازية اليمينية والقوى المعارضة للاشتراكية . وأعلن أصراره على « أن يظل موقف المعارضة المنيفة للحزب المؤثرات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في مجال الثقافة والفن وقال عن الصحافة التشيكية سلوفاكية « أنه ينبغي رفع مستواها المهني حتى تصبح جذابة وملفتة للنظر ومتفقتة سياسياً » .

وأعلن في المؤتمر عن تعديلات في لائحة الحزب ، يعقد بقتضائها مؤتمر الحزب مرة كل خمس سنوات من الآن فصاعداً ، وليس كل أربع سنوات كما هو الحال الآن ، على أن تمتد المؤتمرات الإقليمية ومؤتمرات المحافظات مرة واحدة كل عامين أو ثلاثة أعوام ، وليس كل عام كما هو الحال الآن . وكبد هوساك أن عملية تغيير المسؤولية في الحزب اضطرت أكثر من خمس الأعضاء إلى الخروج من صفوفه ، وأشار إلى ضرورة الاستمرار في مكافحة الانتهازية اليمينية والمراجعة .

وفيما يتعلق بالمجال الاقتصادي ، تستهدف الخطة الخمسية الثامنة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٥ التي اقترحها المؤتمر برفع مستوى المعيشة وزيادة حجم الإنتاج وفاعليته ، وسوف تساعد هذه الخطة الخمسية عن طريق تمثيل البناء الصناعي للبلاد ، ومن طريق التخصيص على تحقيق التكامل الاقتصادي بين تشيكية سلوفاكية والدول الأخرى الأعضاء في الكوميكون . وقد أعلن لوبوبوي شترووجبال رئيس الحكومة الاتحادية التشيكية سلوفاكية « أن تحقيق الأهداف التي تحدها تشيكية سلوفاكية لنفسها أن يكون ممكناً بدون تكامل حقيقي مع الاقتصاد السوفيتي ، وبدون الموقف الأمي الذي اتخذته بالنسبة للشركات الاقتصادية الحيوية للدول الاشتراكية الأخرى » . وأشار شترووجبال إلى الفترة المشتومة في عامي

والاشتراكية هو التمثل القوي والمزايدي في أجهزة الحزب الهامة لعدد من الناس الذين خانوا مبادئ الماركسية اللينينية والأممية البروليتارية ، وانتهكوا قواعد حياة الحزب ومبادئ المركزية الديمقراطية ، وبدلوا في السيطرة تدريجياً على القيادة العليا في الحزب .

وإشأن هوساك إلى الدور الذي لعبه دوشيك وتشيريك وسمركوفسكي وكريجل وغيرهم الذين ركزوا في أيديهم حق حل مشاكل الحزب والدولة وشلوا الأجهزة الرئيسية لنظامنا السياسي الاشتراكي ونشأوا رئاسة اللجنة المركزية والجمعية الوطنية ، والحكومة ، وأجهزة سلطة الدولة ، والجبهة الوطنية .

وأوضح هوساك « أن نفس الشيء حدث في المجال الاقتصادي : إذ كفت قيادة الحزب عن توجيه الاقتصاد القومي واتاحت لمغامري اليمين من طراز أوقاسيك اتخاذ زمام المبادرة ، أولئك المغامرين الذين أقسموا الجبال للثلاثية البرجوازية الصغيرة ، ولمادة الملكية الهامة ، والإدارة المخططة للاقتصاد القومي ، كما أشار سكرتير الحزب الشيوعي التشيكية سلوفاكي إلى أن أحد أسباب النتائج المؤسفة التي حدثت في ١٩٦٨ هو عدم الاهتمام لسنوات طويلة في الحزب والمجتمع بالتأثير الماركسية اللينينية ، وأهمال مراعاة القانون والشريعة الاشتراكية » .

وقدم هوساك في تقريره أمام المؤتمر تقييماً لإخطاء سلفه الكسندر دوشيك ، بيده أنه أكد في نفس الوقت على تحميل « انطونين نوفوتني » المسؤولية . وأوضح أن « الكسندر دوشيك وأصراره ، الحقوا الضرر بالحزب والشعب ، ووجهوا للفكرة التبريرية حول « الاشتراكية الديمقراطية » المزعومة ، وتنافسوا بصورة فظة من القيام بواجباتهم تجاه الحزب والشعب ، كما كانوا يتراجعون باستمرار تحت ضغط الثورة المضادة ، وفتحوا الطريق أمام هذه الثورة المضادة في واقع الأمر » . وانتكروا بشكل فظ الواجبات المترتبة على تحالفنا وخطوا من خط مؤتمر حزينا الثالث عشر ، وانتهوا في ختام الأمر إلى مياومة تصفية تحولت إلى منبر مهاد . وقد تم انتهاز هذه الميامية في مؤتمر ميلوسوكاني المناهض للحزب الذي حاولوا إنشاء « آتامة قيادة الثورة المضادة تحمل اسم حزب شيوعي ، وتستهدف تدمير ارتباطاتنا وتحالفنا مع الاتحاد السوفيتي وحلفائنا الاشتراكيين وتصفية مكاسب الاشتراكية في بلادنا تدريجياً » .

وفكرى وإيديولوجى له قيمته الخاصة من ناحية اغتاء تجارب الحركة الثورية والاشتراكية العالمية فى مواجهة قوى التآمر والثورة المضادة . ومن هذه الناحية فإن الوثيقة التى صدرت فى ١٢ يناير ١٩٧١ فى تشيكوسلوفاكيا بعنوان « الدرس المستفاد من تطور الأزمة فى الحزب والمجتمع بعد المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا » تعد اضافة جديدة فى سلسله تجارب الحركة الثورية والاشتراكية العالمية فى مواجهة قوى الثورة المضادة وبخاصة بعد تجربة الشعب والحزب المجرى ضد الثورة المضادة فى المجر سنة ١٩٥٦ ، وتقدم هذه الوثيقة التشيكوسلوفاكية تطبيقا تفصيليا للتطورات السياسية التى تلت المؤتمر الثالث عشر فى يونيو ١٩٦٦ ولتين الأسباب التى أدت الى التغييرات السياسية فى تشيكوسلوفاكيا فى يناير ١٩٦٨ ، كما تتعالج بشكل خاص تطورات الأزمة فى المجتمع التشيكوسلوفاكى فى الفترة من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٦٩ .

والتقييم الاساسى للاحداث الذى تضمنته هذه الوثيقة هو أن الهجوم الداخلى للقوى البيمينة فى تشيكوسلوفاكيا ، يرتبط ارتباطا وثيقا بـ « مراكز الايديولوجية العنصرية للشيوعية فى العالم » . عنشاطاتها الطويلة المدى وساتها فى التخريب الايديولوجى ولى العمليات السيكلوجية

١٩٦٨ و ١٩٦٩ وأوضح أن قيادة الحزب فى تلك الفترة أعلنت النظر فى مفهوم تصحيح الإدارة المخططة دون أن تضع فى اعتبارها أنها قامت بالخطوة الأولى نحو « مراجعة شاملة للمفهوم الماركسى اللينينى كله ، المتعلق ببناء الاشتراكية » وأرب شرقىجال عن أرتياحه نظرا لأن توجيهات الخطة التى نشرت مؤخرا قد أمكن وضعها فى الوقت المناسب رغم المصاعب فى التنسيق مع الخطة الاقتصادية للاتحاد السوفيتى والدول الأخرى الاعضاء فى الكوميكون » .

وبصدد التطورات الأخيرة للوضع الداخلى فى تشيكوسلوفاكيا قال موسالان أن النتائج التى حققناها فى جميع المجالات خلال العاميين الماضيين ، تدعم ثقتنا فى أن مؤثرنا يمكن أن يوسع حدا لمرحلة الأزمة فى تاريخنا ، وأن يوجه البلاد والمجتمع نحو ازدهار الاشتراكية واللون . وأنه يمكن أن نقول بسلامة نهائية اليوم أن هجوم القوى المضادة للثورة قد أبطأ ، والنشاع عن النظام الاشتراكى قد تحقق » .

على أنه إذا كان المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى تلك الامة غير العانية فى تاريخ الحزب ، خاصة لاعتقاده بعد التجربة الميرة التى خاضها الشعب والحزب التشيكوسلوفاكى ضد قوى الثورة المضادة فى ١٩٦٨ فإن ما سبق هذا المؤتمر من أعداد سياسى

تعلق

حركة التحرر الوطنى العربية والتحديات الاستعمارية الجديدة

تحرر الوطنى العربية من كسب مواقع هامة على حساب القوى الامبريالية والرجعة فى اليمن الجنوبي والسودان وليبيا ، وتصاعد الكفاح المسلح ضد الوجود البريطانى فى الخليج العربى ، واقتدار ساعد القوى الوطنية والتقدمية ونمو وحى الجماهير العربية فى التوتن الصراع العنيف ضد قوى الاستعمار والرجعية .

ولقد تحققت كل هذه الخطوات الكبيرة بفضل عامير ٩ و ١٠ يونيو فى مصر والبلدان العربية الأخرى وصمودها الرام وتصميمها الحازم على مواصلة المسيرة التحررية الى نهايتها ، وكذلك بفضل المساعدات الثمينة من جانب الاتحاد السوفيتى وطليعة المعسكر الاشتراكى ، وتقدمه التأييد والدعم الحصرى والاقتصادى والسياسى للتمثال للعالم للشعب الصغير والمهمرة تحفقا بهذا الائمة الاشتراكية الانسانى ، فى تقريم المنون لى كل الشعوب التى تكافح الطليان الاستعماريون واصل تصفية كافة أشكال الخلف والاعستقلال . ومن هنا كانت معاهدة الصداقة والتعاون الأخيرة بين الشعب السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة بمثابة دعم جديد لحركة الشعب المصرى وانطلاق لتحرير ارض الحطة .

أن كل هذه التطورات قد أدت الى قلب مخططات القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية ، وفتحها فى تحطيم حركة التحرر الوطنى العربية والتكوسب بها الى الخلف . الأمر الذى يكسب طليعة سباسة الثورات المحدثى عرقلة ايجاد سباسة عمالة لشبكة الطرق الأوسط ، واستمرارها فى دم إسرائيل

توافق هذه الإلهام تكرى مرور أربع سنوات على كسة الخامس من يونيو ، والتى كان من نتائجها أن أفضت اعين العرب جميعا على واقع الخلف المادى والصفرارى الرهيب الذى يعيشونه ، وهو الأمر الذى كان من الطبعين أن تلهزه مرّة عنيفة فى مثل علف وحجم كسة » يونيو .

وفي هذه المناسبة يبدو من الطيف لحركة التحرر الوطنى العربية مراجعة حساباتها بدقة ، وما تبدو فيه الصورة بعد أربع سنوات ، وحتى تقيين مواقع الأدهام وهى تعضى الى الأمام على طريق التحرير .

لا شك أن السنوات الأربع الماضية قد شهدت تغيرات وتطورات هامة وإيجابية ، كانت أبرزها إعادة بناء القوات المسلحة المصرية من جديد سواء من حيث العدد أو للتجهيز على أحدث قلوب الحرب والتكنولوجيا المصرية ، وأحيانا كل محاولات اسقاط النظام وأرهاب الجماهير عن طريق هارات طائرات المقاتلة الامريكية فى لبنان وعدم المصانع والمدارس فوق رؤوس العمال والأطفال ، بفضل شبكة الصواريخ المضاعفة (سام ٢) على طول جهات القتال وحول المدن الرئيسية والمنشآت الحيوية فى الداخل فضلا عن تحقيق الصمود والبناء الاقتصادى .

وعلى صعيد جهات القتال الأخرى شهدت سوريا تغيرات ايجابية مماثلة ، كما شهدت هذه الفترة كذلك بروز حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية فى ساحة القتال على الجبهة الأردنية وداخل الأراضي المحتلة . ويظهر عام تمكنت حركة

أعضاء اللجنة المركزية طرق ويسأل نوفوتنى في العمل والإدارة • كما أوضحت أن هناك نوفوتنى في الدفاع عن مركزه الشخصي ، أدى إلى تركيز قوة اللجنة المركزية أساساً على حل مشكلة زعامة الحزب ، بحيث لم تكشف في الوقت المناسب خطة أولئك الأعضاء في اللجنة المركزية الذين انطلقوا أساساً خلال مناقشة وتقييم الأوضاع من مواقع مناهضة للحزب وإرتدادية مثل أوتاسيك وف • سلافيك وسمولونسكى وغيرهم • وعلى أية حال فلم يستطع نوفوتنى الحصول على تأييد أغلبية اللجنة المركزية ، وأطلى من منصبه • وانتخب دويشيك سكرتيراً أول بالإجماع • وتقول الوثيقة « إن هذا الانتخاب كان حلاً وسطاً فقد كان الكثيرون يعرفون فعلاً بعض أوجه القصور فيه ، ولكن اختياره تأثر بالعلاقات القائمة وتعد داخل القيادة ، وكذلك بسبب الجهد المبذول لاختيار مرشح يمكن عن طريقه تحقيق الوحدة » •

وأوضحت الوثيقة أنه في دورة يناير ١٩٦٨ تشكلت مجموعة من الرتدين اليمينيين ، كانت تجعل تحت ستار تصحيح الإخطاء على معاودة النظر في الخط العام للحزب وهدم المبادئ الأيديولوجية والتنظيمية لتزكيب الحزب وتدمير البناء السباني

المختلفة ، كانت مركزة من عدة على التقنيات للترويج لكافة القيم الأساسية للاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا وعلى دعم نفوذ اتجاه الارتداد في الجهاز الداخلي للحزب — وقد أساء تقدير خطر تطفل الانتهازية اليمينية والارتدادية • كما أن العمل الأيديولوجي انتم بتسامح وتردد لا يمكن قبولهما • ذلك أنه حتى معاهد الحزب النظرية مثل المعهد التاريخي للحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا ، وكلية الحزب ، ومعهد العلوم السياسية ، أصبحت قبل عام ١٩٦٨ بوقت طويل دعاية لمناهضة ارتدادية عديدة •

ومع أنه كانت هناك خلافات في الآراء في قيادة الحزب ، فإن المسلك السياسي كان يحدد أساساً بوقف • نوفوتنى الذي كان يرثى دون تمييز الأصوات الناقدة • ولم يكن يفرق بين النقد القائم على حسن النية وبين الهجمات اليمينية • وأوضحت الوثيقة « أن أخطاء نوفوتنى ترجع إلى بعض صفاته الشخصية وخرقه للقيادة الجماعية وغروره ، وبظرفه الذاتية للحدود وجفونه بالمطمة وشكره في الناس » •

وأوضحت الوثيقة أنه في دورة ديسمبر ١٩٦٧ للجنة المركزية للحزب ، انتقد الجزء الأكبر من

على البلدان العربية القديمة •
ثانياً — تطبيق القوى الرجعية الموالية للامبريالية في المخططة بدرجة كبيرة على نحو ما يحدث في الأردن لتصفية المقاومة الفلسطينية وتوقيع نفس السياسة في جنوب السودان واليمن الجنوبي وغيرها من البلدان العربية •
ثالثاً — القضاء على اتحاد العمل الوحدوي لتحرير الأراضي العربية المحتلة في قيام وتطوير اتحاد الجمهوريات العربية •
رابعاً — جعل العناصر البورجوازية اليمينية والعنصرية بالعمليات والاستثمارات والتجارة •
خامساً — تطويره علاقات الصداقة والتعاون بين الدول العربية والاتحاد السوفيتي ، ووضع الاستثمار الأمريكي والصهيونية في مستوى واحد مع الاتحاد السوفيتي •
والآن وبعد مرور أربع سنوات تيمم المصير أكثر وضوحاً وتخللاً بالرغم من تلك التلال البورجوازية اليمينية والتصفيات الاستعمارية والرجعية الجديدة •
إن هذه التحذيرات تضع حركة التحرر الوطني العربية أمام امتحن خطير ، وهي تستلزم الاستفادة من تجارب الماضي وتلافي أسباب الضعف والقصور الذاتي ، بالعمل على تدعيم وتعميق الوحدة الوطنية ومشاركة كافة القوى الوطنية الديمقراطية والاشتراكية في معركة التحرير وتبعية كافة المظاهرات والكتابات الثورية في خدمة الحركة وخلق وتفعيل القوى الرجعية الموالية للامبريالية والوافد إلى جانب الثورة الفلسطينية وحمايتها من هجمات القوى الاستعمارية والرجعية •

وديع أمين

بالسلاح والمال ومساندتها سياسياً وتضجيعها على إلقاء في الأراضي العربية المحتلة • وقد أعلنت الولايات المتحدة في الشهر الماضي أنها قررت تخصيص ٣٠٠ مليون دولار قيمة مساعدات عسكرية لإسرائيل في السنة المالية الجديدة ، مقابل مبلغ ٥٠٠ مليون دولار قيمة مساعدات في السنة المالية السابقة • هذا في نفس الوقت الذي تقوم فيه إسرائيل بنهوض الأراضي العربية المحتلة وبناء المستعمرات والمباني والمساكن فيها وطرد العرب منها •

وتلجأ الولايات المتحدة في الوقت الحالي تحت ضغط الرأي العام الدولي الذي يدعو لحل مشكلة الشرق الأوسط وإعادة الملاحة في قناة السويس لتجاء إلى استخدام أسلوب جديد يتمثل في إطلاق البوعود والتضريحات اللثوية وغير الواضحة أو الجديدة حول تحقيق السلام وضرورة التمسك بالمفاوضات لمواجهة ذلك بهدف التماور والتخدير الرأي العام الدولي وكسب الواف • وهو ما تكتسب عنه زيارة وليام روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة ومساعدته سيسكو لخطوة الفرق الأيسر في شهر مايو الماضي فقد اقترحت أمريكا فصل مسائل فتح قناة السويس عن قضية الجلاء للشباب من كل الأراضي العربية المحتلة •

وتعمل الولايات المتحدة في الوقت الحالي على تهديد الظروف لتحقيق أهدافها الاستراتيجي بأسلوب جديد ، كما يتضح من الأبحاث والمحاولات الأمريكية التالية :

أولاً — الاستفادة من الاحتلال الإسرائيلي لواصله الضغط

للمجتمع الاشتراكي لصلحة النقابية البورجوازية الصغيرة. ومن أجل إحداث تغيير في اتجاه السياسة الخارجية للجمهورية الاشتراكية التشيكوسلوفاكية.

وقد أظهرت دورة إبريل ١٩٦٨ للجنة المركزية للحزب بجلاء ضعف وتفرق زعامة ما يعد يناير، وكذلك تحول السلطة لصلحة الجناح اليميني. بيد أن الوثيقة أشارت مع ذلك إلى أن القوى الماركسية اللينينية في اللجنة المركزية للحزب أوضحت خلال المناقشات والتطور المبلبي الذي يحدث، كما أن هذه القوى نجحت في فرض رجل وطني عظيم لمنصب رئاسة الجمهورية هو لودفيك سوفيولا بطل الكفاح ضد الفاشية والممثل البارز للصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتي. بيد أنه عند تشكيل هيئة رئاسة وسكرتارية اللجنة المركزية والحكومة وغيرها من أجهزة الدولة، اقترح ليتولي رئاسة الحكومة ورئاسة الجبهة الوطنية ورئاسة الجمعية الوطنية أشخاص تبين أنهم يتصدون باسم اليمين، وقد واصل الجناح اليميني توسيع جبهة هجماته على أجهزة الحزب وعلى العناصر الهامة في جهاز الحزب والدولة، والمنظمات الاجتماعية والحياة الإيديولوجية وفي داخل الحزب تكون ما أطلق عليه «المركز الثاني» للمعارضة وهو اللجنة

الحزبية الحديثة براج. وقام مركز للمعارضة هذا بتنسيق وتوحيد نشاطات المجموعات المختلفة للمعارضة من حيث النواحي السياسية والإيديولوجية والتنظيمية.

وعلى الرغم من ذلك أشارت الوثيقة لتشيكوسلوفاكية إلى أنه تكونت في زعامة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سلوفاكيا وفي اللجان الإقليمية والمركزية للحزب الشيوعي في سلوفاكيا كذلك بين المثقفين، قوى شنت كفاحا مستمرا ضد نشاطات الكتلة اليمينية والمعادية للاشتراكية، ولم تستطع القوى اليمينية في سلوفاكيا حتى أغسطس ١٩٦٨ التمكن تماما من ضم صفوفها في شكل منظم شامل، ويرجع السبب في ذلك إلى نواة زعامة الحزب السلمية برئاسة الرقيق قاسيل يلاك الذي وقف بوصفه السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي في سلوفاكيا موقفا قائما على لمس من الماركسية اللينينية والدولية البرونيتارية

التي لا تتزعزع، وعارضت معارضة حريمية أهداف القوى اليمينية والمعادية للاشتراكية، ودافع عن مواقع الحزب، وعن روابط التحالف مع الاتحاد السوفيتي، وبالرغم من ذلك برز وخسح خطر تدريجيا في سلوفاكيا أيضا، اتسم هذا الوضع كما حدث في الأجزاء الأخرى من الجمهورية بنشاطات القوى اليمينية والمعادية للاشتراكية.

وأشارت الوثيقة إلى حقيقة ذات دلالة واضحة وهي أن عدد العمال بين المندوبين الذين تقرر إيفادهم إلى المؤتمر غير المادى الذى تقرر عقده فى اجتماع مايو ١٩٦٨، لم يزد عن ١٧ فى المائة من عدد المندوبين وهو أمر لم يسبق له مثيل فى تاريخ الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى، ذلك أنه على هذا النحو خلق للجناح اليميني الظروف للقبض على زمام السلطة فى المؤتمر، وصيغ أهدافه ومراميه بالصيغة القانونية.

كذلك فقد كان للقوى المطلقة من مواقع الصهيونية، وهي إحدى أدوات الامبريالية الدولية، ومعاداة الشيوعية تأثير ملحوظ فى الصراع ضد الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا، وكان أبرز ممثلى هذه القوى كريسيل، وبيكتان ولوسيتش، وجولدشتوكر وليهم، ولويل، وفلتر، وكثيرين غيرهم.

كما لعب الحزب الديمقراطي الاشتراكي دورا هاما فى العمل الميخاوجى المادى للشيوعية والذي يعتمد على ما يطلق عليه اسم «الاشتراكية الديمقراطية» واستهدفت النشاطات المعادية لحضن الدور القيايد الحزب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا وإعادة القاعدة البورجوازية الديمقراطية والكنيسة القسبية، أو اشترك فى هذه النشاطات أحزاب ذات صلة بالجبهة الوطنية والحزب الاشتراكي التشيكوسلوفاكى، وحزب الشعب التشيكوسلوفاكى، وحزب البعث السلوفاكى، وحزب الحرية، كذلك لعب المثقلون الرجعيون للكنيسة الكاثوليكية الذين كان المهاجرون الكاثوليك في الخارج يؤيدونهم تاييدا تاما - دورا هاما أيضا.

وأوضحت الوثيقة حقيقة بالغة الأهمية، وهي أن الحزب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا لم يعد - تدريجيا - فى عام ١٩٦٨ المركز القيايد للنظام الاجتماعى، فتحت ثقل الاتجاه إلى الارتداد فقد

الحزب ، كانت غير قادرة على تعبئة نفسها وابتاقت الهجوم الذي شنته الثورة المضادة . وبالتالي فإن دخول القوات الحليفة التي تشيخوسلوفاكية في ٢١ أغسطس ١٩٦٨ كان هو الحل الوحيد المطلوب والسليم . على أن القوى المضادة للثورة لم توقف نشاطها بعد ٢١ أغسطس وإنما صمدت جهودها عن طريق وسائل الاضلال الجماهيرية لتصبح عاصفة جامحة من الديماغوجيا التصببية بهدف منع المواطنين التشيخوسلوفاك من تمييز الخط الفاصل الصحيح للكفاح الطبقي .

الا أن عناصر الثورة المضادة لم يتح لها وقت طويل للتمتع ببعض النجاح الذي حققته هذه العناصر بعد أغسطس ١٩٦٨ . إذ كانت تقديراتهم وآلامهم بالواقعة على المعاهدة الخاصة بالإقامة المؤقتة للقوات السوفيتية في الجمهورية الاشتراكية التشيخوسلوفاكية التي وافقت عليها الجمعية الوطنية في ١٨ أكتوبر ١٩٦٨ . فقد كانت الموافقة على هذه المعاهدة عاملا سياسيا وميكولوجيا هاما أعاد للشيوخيين الحقيقيين والاتباع الشرفاء للاشتراكية الطمانينة ودفهم إلى الصراع لتطهير ودمم كافة القيم الاشتراكية . كذلك كان الامر بالنسبة للمعونة الفعالة الأخرى التي قدمها الاتحاد السوفيتي وكان لها طابع شامل وبخاصة التوريدات الغير عادية من الحبوب والبتترول والمعادن غير الحديدية الثمينة وغيرها من المواد الخام .

هذا وقد خلقت الجهود الهادفة للقوى الماركسية اللينينية داخل الحزب ، الشروط الضرورية للتغييرات الأساسية التي كان لابد من القيام بها في الزعامة ، وفي سياسة الحزب خلال الثورة العامة للجنة المركزية للحزب في ابريل ١٩٦٩ ، والتي استقبلت نتائجها بارضا والموافقة من غالبية الشيوخيين التشيخوسلوفاك .

وأوضحت الوثيقة أن عزل دوشيك من أعلى منصب في الحزب والتخشب هوسناك في منصب السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي فتح مرحلة جديدة حدثت فيها تغييرات ذات مستوى نوعي في علاقات القوى داخل الحزب .

والجدير بالذكر أن الرفيق لوتوك دوجيكيفيتس السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي ، أشاد في خطابه في المؤتمر بالحزب التشيخوسلوفاكي

الحزب طابعه الماركسي اللينيني الامر الذي جعل من المستحيل أن يوطد دوره القيادي في المجتمع ونتيجة للتخلي عن مبادئ المركزية الديمقراطية فإن الحزب جرد تدريجيا من القدرة على العمل ، وأباحت اللجنة المركزية للحزب ككل عن اتخاذ القرارات في الشئون الأساسية التي هي من اختصاصها وحدها وفقا للاتحاد الحزب .

كذلك أوضحت الوثيقة أنه كان من بين المراكز السياسية والإيديولوجية للجنساح اليميني ، الأكاديمية السياسية العسكرية التي أنشئت منها في ١٩٦٨ مذكرة رسمية . تطالب بأعادة تقييم مبادئ الحزب والدولة فيما يتعلق بالسياسة العسكرية ، وتطالب بتعديل النظرية العسكرية التشيخوسلوفاكية على أساس إعادة النظر في علاقة تشيخوسلوفاكيا بحلف وارسو .

وبالإضافة إلى كل ذلك فإن الحلقات الحاسمة في السيطرة اللقبسية والثورية في تشيخوسلوفاكيا ، كلفت تسرجيا عن تأييد رسائلها الطبقية في النظام السياسي للدولة الاشتراكية ، وحصلت القوى اليمينية الانتهازية والمعادية للاشتراكية على مركز أساسي فيها ، واستخدمت هذه المراكز لأحباط كل محاولة يقصد بها وقف وتغايير التطور الدمر . وبالمثل فإن أجهزة السلطة في جهاز امن الدولة والقضاء والجيش فشلت ولم تم تدويرها الأجهزة القيادية في الحزب والدولة ، وركزت القوى اليمينية جهودها بعد يناير ١٩٦٨ على تحويل الجبهة الوطنية التي تجمع سياسي يتكرر الدور القيادي للحزب الشيوعي في تشيخوسلوفاكيا . وعمل الجنساح اليميني على تجريد النقابات من محتواها ورسالتها الطبقية ، وتزييق وحدة الحركة النقابية . والدعوة إلى مبدأ « نقابات بلا شيوعيين » ، وإنكار المبادئ اللينينية بشأن تنظيم النقابات ونشاطها التمليسي في ظل الاشتراكية ، ونصيبها في المسؤولية من تطوير الاقتصاد الاشتراكي .

والنتيجة التي توصلت إليها الوثيقة في النهاية هي « أن التقييم الموضوعي والعلاقات المتداخلة للزامة العميقة التي وجد الحزب الشيوعي في تشيخوسلوفاكيا هو المجتمع التشيخوسلوفاكي بأسره أنفسهم فيها في عام ١٩٦٨ تقدم التحليل الذي لا يمحض على أن القوى الدخالية التي كانت قد شلت بسبب سياسة ممثلي اليمين في زعامة

الديناميكية التي سالت معارضه السابقة وأتى إلى التيسيط الزخرفي ومعالجات خيط المتكبرن التي تتداخل فيها الخلفيات والاماميات . كما عن الفنان بلصق الخيش وتلوينه بحثاً عن ملاس جديدة . الا ان استخدام الخيش والخشب والزجاج ، لم تكن له وظيفة تشكيلية تعاون على ابراز المضمون الذي عنى الفنان بالتعبير عنه .

وعرض حسن عبد الفتاح خمسة وعشرين لوحة زيتية من الاحجام المتوسطة على هيئة تشكيلات تجريدية مشتقة من الوحدات الاسلامية كزخارف الابواب والمقود ، بالاضافة الى مجموعة لوحات ورفية بسلوان الجواش تصور المباني اثرية الاسلامية . واعتمد الفنان على تشكيلاته الى التراكيب الهندسية من الخطوط غير المنتظمة والدوائر ومع انه لم يضع اسما للوحاته الا انها اسفرت عن روح شرقية شعبية تنبع للوانها من المصنوعات الشعبية ويعتبر هذا المعرض من انواع معارض البعث الجمالي التشكيلي البعيد عن التفسيرات الموضوعية .

اما احمد نوار فعرض تشكيلات من النحت والتصوير والحفر ، واستعمل ختالوجه بكلمة قال فيها : ان مضمون اعمالى يدور حول العرب وصراع الانسان ضد اسلحة الدمار . ومن الجدير بالذكر ان الفنان عائد من الجبهة بعد ان حصل على وسام بطل الجيش فى الاشتباكات التى خاضها فعلا وتأثر بها حتى استطاع التعبير عنها فى معرضه الاخير مستمينا بمهارته المعروفة منذ تخرجه بدرجة الامتياز فى كلية الفنون الجميلة واشتغاله بالتصوير بها . اما تماثيله فكانت من نوع التركيب والتجميع من مظلمات الطلقات والفتائل والشظايا ، تمييزاً عن تحول الانسان ذاته الى لداة حرب وعن تعرضه للدمار المحقق واهرارها على سبيل الحق . وتخل اعمال نوار جميعها فى اطار التمييزية 'نجرة' المفهومة التى تدعو الى السلام والتعايش المسمى واهرار الانسان على نصرة الحياة .

وفى قسم المسافر خاتة بالازهر . اقام **احمد مصطفى** معرضه الاول بعد عودته من اوروبا فى جولة استفوتك سبعة شهور انتصت اثرها على لوحاته الزيتية الخمسين ذات الاحجام الصغيرة . فقد ازدادت خطوطه حركة ودخلت عوامل تجريدية

ويقتاديه « جوستاف هوساك » ولودفيك سفويودا اللذين اثبتا خلال احد المواقف المعقدة وعذلتهما الحقيقية وايماهما بالاممية الاشتراكية » وقال بروجينيف : « ان الجميع يعلمون الان ان حزبكم قد انتصر على التجارب المصيبة التى خاضها فى السنوات الاخيرة » ، وأنه خرج يشرف من نصاله ضد « الهيسيتريا السادية للاشتراكية » ومن تعصب القومية البرجوازية المسعورة للذين تنشرهما القوى المماية للشوة فى الدافضل والخارج . كذلك أوضح اريك هونيك الذى تولى زعامة الحزب الاشتراكى الالمانى الموحد بعدد الزعيم السابق فالتر اولبريشت فى كلمته فى المؤتمر : « ان كل محاولة لاجاد دولة اشتراكية عن مجتمع الدول الاشتراكية مصيرها الفشل » .

اما الرفاق التشيكيون فلقد تحدثوا على لسان الرفيق سفويودا « عن المون الاخوى الدولى الذى قدمه الاتحاد السوفيتى وغيره من دول حلف وارسو والذى لقد تشيكيوسلافيا من الغرض وازافة النماء » ، ولشاد سفويودا « بالصادقة السوفيتية التشيكيوسلافياكية باعتبارها شمسنا لافن واستقلال تشيكيوسلافيا » ، وأوضح « ان حزبا لن يسمع بعد الان مطلقا بالانساء الى هذه الروابط » ، وان الحزب الشيوعى التشيكي سোধى أصبح من جديد كتية اساسية فى الحركة الشيوعية الدولية . وان المؤتمر الرابع عشر للحزب بعد مرحلة هامة فى حياته .» .

■ فن تشيكى ■

معرض الانسان واسلحة الدمار

فى قاعة اخناتون . عرض **وحدى** عيشى ٢٦ لوحة زيتية تجمع بين التشخيصية والتجريدية فى موضوعات تدور حول المرأة سوى لوحة واحدة تحت عنوان « شمس لا تغيب » بلور فيها مشاعره نحو رحيل الزعيم الخالد . . . ومن بين الاسماء التى تخيرها للوحاته الاخرى : ليلة الزفاف . آتم وحواء . . العنراء . . هذان . . وقد لوحظ ان الفنان تخلق فى معرضه الاخير فى تعبيراته

النهائية • أما في صور الوجوه ، فاستخدمت
مكنين المصور لضع ألوانها على هيئة جنية
صديقة مما منح الوجوه ملامح درامية التعبير •

أما الفنانة اليوغوسلافية نيسانكا ستانليش فقد
درست التصوير في أكاديمية بيولوجراد ومقيمة في
مصر منذ عام واحد ، درست خلاله الفن الفرعوي
ثم قدمت في قاعة ايتلييه القاهرة ٢٧ لوحة عبرت
فيها عن مشاعرها تجاه مصر • واختارت للوحاتها
أسماء رمزية مثل : صوم للوجود • • باب
الظلود • • نظرة على أناخي • • الروح الصابحة •
وجميعها بالألوان الزيتية وبأسلوب رمزي تعبيري
يمكن مقابلته بالقصائد الشعرية • ومن اليبين
قراءته وتفسيره حيث تمتد رمزية الفنانة الى كل
من العناصر التشخيصية والألوان • في تعبير عن
أحلام الانسان المعاصر وتطلعاته الى عالم أكثر
هدوءا وصفاء • وعبرت في بعض اللوحات عن
جزعها من المستقبل الذي يهدد البشرية كما يتضح
في لوحتي جبل الموتى واقتراب الخوف •

ومن تشيكوسلوفاكيا عرض الفنان الكيوس
فرانشك بيرويك ٢٤ لوحة زيتية في قاعة المركز
التشيكي بأسلوب تجريدي تعبيري متكامل مع مضم
التقيد بتوافق الخطوط والألوان • مما يستدركه
بالأسلوب الموسيقي المسمى «كونتريبوت» كما
انها تمنى بالجس العام الذي يوحي أحيانا بالانفعال
أو الصماسة أو الرغبة • في تعبير بليغ عن ذات
الفنان وذات الموضوع الذي يدور غالبا حول المرأة
ونفسيتها دون تعلق في وضع اللصمات • أن
للخطوط التي تعمل الى المعوية مع الاهتمام
بالتكوين أحيانا والتوكيز على اللونين أحيانا
أخرى •

أما جمهورية ألمانيا الديمقراطية فقد احتفلت
بمرور ٥٠٠ عام على مولد فنانها الكبير الميرشت
دورر بأن أقامت لأعماله معرضا ضخما في قاعة
الفنون الجميلة بالقاهرة • • ومن المعروف أن دورر
من أعظم الفنانين الانسانيين في العالم • إذ أنه
عبر عن كل الاتجاهات المتقدمة عن عصره وأدرك
مستقبلته في التقدم الاجتماعي • حتى أن أعماله
كانت وثيقة الصلة بالطبيعة الشعبية وساهمت في
تشكيل العصر الذي عاش فيه •

على تفتيشاته الشعبية المعروفة • لم يسجل
بدوره أسماء لموضوعاته لكنها جميعا كانت تدور
حول الحياة في الأحياء الشعبية القاهرية في
تراكيب واضحة المعنى تطرحها عناصر لونية جديدة
مضافة الى ألوان الأصفر والبني التي اعطاها الفنان
أن يبدع بها لوحاته السابقة ذات الأحجام الكبيرة
وقد أقام معرضه في مرمسه الخاص في قصر
المسافر خانة الأثرى الذي منحت وزارة الثقافة
لتخبة من الفنانين حتى تتيج لهم فرصة الإبداع
الفني في ظروف ملائمة من حيث العلاقة بالحياة
العامة والتراث المحلي •

أما صلاح طاهر فأقام معرضا لآخر إبداعه في
التصوير في قاعة مركز الضمية الاجتماعية
بجامعة الأمريكية • استخدم في لوحاته الـ ٦٦
مخفلا جديدا للتشكيل المؤسس على تكوين
المجموعات الانسانية في ترابط مع العناصر
الطبيعية • مع فارق هام يكمن في أن الطبيعة التي
يراهما الفنان بخياله تختلف عن تلك التي يراها
الشخص العادي من حوله • لم يمنح صلاح طاهر
أسماء للوحاته ولم يقدم كتالوجا • نكن أعماله
تميزت بالدرامية الواضحة حيث تحول التجريد
عنده الى موضوع لا يستهدف ذاته كما كان الحال
في ممارسه السابقة • كما أن بعض إبداعه قابل
للتنفيذ كتيكورات مسرحية للباليه أو منحوتات
خشبية وتراكيب من الحديد •

بالإضافة الى المعارض المصرية ، أقيمت في
القاهرة معارض لفنانين أجانب • بعضهم مقيم في
ج • ع • م • والبعض الآخر وافد في زيارة فنية
عابرة :

كريستينا شقور من التي درست فن التصوير في
ألمانيا الغربية ومقيمة في مصر منذ بضع سنوات •
أقامت معرضها الأخير بقاعة معهد جوته حيث
قدمت ٥٠ لوحة زيتية معظمها تصور
شخصية «يولثيه» والظليل منها تكوينات من
الطبيعة الصامتة والمناظر الطبيعية • ويستمر
تصويرها من المدرسة التعبيرية الألمانية المتجه
أحيانا الى التكبيبية • ففي تكوينات الطبيعة
الصامتة قامت الفنانة بالتصوير وتسجيل زوايا
متعددة للمنظور • والاعتماد على توافق الألوان

مدخل الى الاشتراكية نظريات الشخصية

مكتبة
الطلبة

مدخل الى الاشتراكية

الاشتراكية في أمريكا «بيع» يخيفون به الاطفال، أو هي كلمة جعلتها أجهزة الاعلام هناك «كلمة كريهة» بالفعل من جمهرة الأمريكيين، ومن ثم تصبح محاولة اثنين من الأمريكيين هما : ليوهيويرمان وبول سويزي، لشرح معنى هذه الكلمة لجمهور محاد لها مسبقا، محاولة تستحق التتبع والتحية.

وكما يقول غلاف الكتاب فريما كان هذان المؤلفان هما خير من يصلح لهذا العمل في الولايات المتحدة، إذ توليا طوال عقدين تحرير ونشر مجلة «مثلي ريفيو» الصحيفة الاشتراكية، مما جعلهما قادرين تماما على أن يتناولوا بلغة مباشرة وواضحة العناصر الأساسية للتفكير الاشتراكي، ويقسماها الى قارئ لا يدرى عن الموضوع شيئا.

وتكمن عبقرية هذين الكاتبين، كما تقول اللجنة الإيطالية لجائزة «تشيتا دي أومينيا» عندما منحتهما جائزتها (وسبق منحها لسارتر، وجونتر اندرس، وفرانز فانون) في «التزامهما بالانسانية الماركسية» وبالانضام الصافي ضد رأس المال والامبريالية. فليس هناك رأى أو حدث لم يجد له

■ تأليف :

ليوهيويرمان - بول سويزي

■ مع مقدمة :

لألبرت آينشتاين

■ عرض :

كمال السيد

■ الناشر :

مودرن ريدر - نيويورك
ولنسدن - ١٩٦٨

في أعمال هوبزمان ، وسوزي تصنيفاً ثنائياً رافياً ، • ولقد كان هوبزمان يشغل منصب رئيس قسم العلوم الاجتماعية في الكلية الجديدة في جامعة كولومبيا ، ومحرراً في عدد من المصحف . أما سوزي فكان عضواً في قسم الاقتصاد في جامعة هارفارد ، كما عمل في جامعات إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وأستاذاً زائراً في عدة جامعات أمريكية ، ومن ثم فهما من المتخصصين تماماً في الموضوع ، ولذلك جاء عملهما مقبلاً .

مقدمة أينشتاين

قليلون منا من يعرفون أن ألبرت أينشتاين صاحب نظرية النسبية اهتمامات أخرى غير الرياضيات ، خاصة في المجالات الاجتماعية والسياسية • ولكنه يوضح في مقدمته أن إبداء الرأي في مسألة الاشتراكية ليس حكراً على المتخصصين في المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، بل ويدعو كل الناس إلى إبداء رأيهم ، ويدين موقف السلبية واللامبالاة • ويرى كمثل ذلك نقاشاً أجراه مع أحد المثقفين ، أبدى فيه أينشتاين أسفاقه من نشوب حرب أخرى قد تقضي على الرجود الإنساني نفسه ، فتوجبه ببحثه يرد عليه ببرود وهو متصلاً عن سر انزعاج أينشتاين من القضاء على الجنس البشري •

ويرجع الكاتب سبب هذا الموقف الغريب إلى فشل الإنسان الحديث في تحقيق توازن داخلي وبأسه من ذلك • وأن هذا تعبير عن الوحدة المؤلمة والعزلة التي يعانيها الكثيرون في هذه الأيام بسبب هزج الفرد عن أن يوفق بين احتياجاته الفردية واحتياجاته ككائن اجتماعي • أن سر الأزمة يكمن عند أينشتاين في حالة الإنسان بالمجتمع ، فقد أصبح الإنسان ، أكثر ، منه في أي وقت مضى ، واعياً باعتماده على المجتمع ، ولكنه لا يحس أن هذا الاعتماد ، اعتماد إيجابي ورابطة عضوية وقوة حامية له ، بل على النقيض من ذلك يحس به تهديداً لحقوقه الطبيعية ، بل ووجوده الاقتصادي • ومن ثم تتلطم الدوافع الإنسانية ، وتضخم النوازع الاجتماعية عند الإنسان الحديث • وبسبب الفوضى الاقتصادية في المجتمع الرأسمالي ، الناجمة عن الملكية الخاصة لمسائل الإنتاج ، مصدر كل الشرور • إذ أن ملكه الانتاج في وضع يمكنه من شراء قوة للعمل ، بينما لا يتحدد وفق قيمة السلع التي تنتجها ، بل وفق الحد الأدنى من الاحتياجات اللازمة للحفاظ عليها • وفي حين يتم العمل جماعياً ، يتم تملك ثماره فردياً • ويتم الانتاج لا لتحقيق الحاجات الإنسانية ، بل لتحقيق الربح ، ومن ثم يحدث ما يلي :

• نشوء أوليغاركية رأس المال الثامن التي لا تجدى في مواجهتها ما يسمى بالديمقراطية السياسية ، فعناصر البرلمان تختارهم أحزاب يمولها ويسيطر عليها رأس المال •

• ليس هناك إمكانية في أن يحصل كل الراغبين في العمل والقادريين عليه على وظائف ، ويحيا العمال في خوف دائم من البطالة •

• انخفاض أجور العمال لا يخلق سوتاً مجزية لاستهلاك السلع المنتجة ومن ثم تنفجر الأزمات بكل شروها على النفس البشرية •

ويرى أينشتاين أن الطريق الوحيد إلى الخلاص هو « إقامة اقتصاد اشتراكي ، يحسبه نظاماً تعليمياً يتوجه إلى أهداف اجتماعية • وفي هذا الاقتصاد يملك المجتمع وسائل الإنتاج ويستخدمها بطريقة مخططة ، للموازنة بين الانتاج وبين حاجات المجتمع • وفي ختام المقدمة يقول الكاتب أن تحقيق الاشتراكية يتطلب حل بعض المسائل الاجتماعية والسياسية الصعبة مثل كيف يمكن في ظل المركزية المفرطة للسلطة السياسية والاقتصادية ، منع تسلط البيروقراطية ، وحماية حقوق الفرد •

الف باء الاشتراكية

تعتبر طريقة هوبزمان ، البسيطة والمنتجة ، ملائمة تماماً لطرح موضوع الاشتراكية على قراء يعتبرونها « أداة للشيطان » • وهو لا يطلب منهم أكثر من فهمها أولاً ، قبل ممارستها أو الدفاع عنها ، حبها أو كرهاها •

ويبدأ الكاتب مسيرته بمناقشة مشكلة الصراع الطبقي الناجمة عن انقسام المجتمع « إلى طبقة تعيش بالتملك ، وأخرى تعيش بالعمل » وأن الأولي تستخدم الثانية لتحقيق مصلحتها ، الأمر الذي يخلق تمارخاً لا شفاء له • فالملك « تحتل الملكية عديم العمل الأول وبعد ذلك تجرم الإنسانية ، في حين أن هذه الأخيرة تحتل منه لعمال العمل الأول ، الذي تأتي بعده الملكية » • ومن ثم فالصدام حتى وليس هناك مجال للحديث عن « التناسق والانسجام » بينهما •

• ويرى هوبزمان قصة الانفجار الذي حدث في ٢٥ مارس ١٩٤٧ في أحد مناجم شركة سنتراليا في ولاية أيلينو بأمريكا ، والذي راح ضحيته ١١١ عاملاً من الذين كانوا قد أرسلوا في ٩ مارس رسالة إلى دوايت جرين حاكم الولاية يقولون فيها « السيد الحاكم ، هذه شكواؤنا لنفعلها إليك ، نرجوك أن تنفذ حياتنا ، بأن تجعل مصلحة المنجم تنفذ القوانين على المنجم رقم ٥ في شركة سنتراليا للمح ، قيل أن يحدث انفجار في هذا المنجم كما

انتقال الاقتصاد بنسبة ٢٥٪ وتلكم خلال العام الاول من الممر .

ان السمة الاساسية للمجتمع الرأسمالى هي التفاوت الهائل فى توزيع الدخل . وفى هذا الصدد يورد هيوبرمان تقريراً نشره مكتب الاحصاء فى ١٩٦٦ جاء فيه : ان ٢٠٪ من الامر الواقعة فى أعلى سلم الدخل تحصل على ٤٠٪ من اجمالي الدخل ، فى حين ان ٦٠٪ من الاسر والواقعة عند أسفل السلم تحصل على ٣٥٪ من الدخل ، أى ان خمس عدد الاسر يزيد ما يحصل عليه من نصيب ثلاثة اضعاف عدد الاسر . نيناقتش الكاتب سخط الفكرة القائلة بان الضرائب تتكفل بتقريب التوارق بين الدخل ، بان يدفع الاغنياء ضرائب اكبر ويستفيد من ذلك ليعتقل للسناور جور من تينسي نشره فى نيويورك تايمز فى ابريل ١٩٦٥ بعنوان « كيف تكون غنيا ولا تدفع الضرائب » . فى ذلك الحال يقول الكاتب « ان دافع الضرائب النونجى الذى يصل سخط الى مليون دولار او يزيد ، يدفع من حظه نصيبه ثقل مما يدفعه العمال فى المصانع » .

ويرجع الكاتب السبب فى ازمان نهض الانتاج الى حقيقة ان دخل الجماهير قليل بدرجة لا تسمح باستهلاكه انتاج المصانة الموسعة ، ولا تجدد الثروات المراكمة لدى القلة فرصتها فى الاستثمار والانتاج لان السوق تصبح ضيقة ومحددة بسبب فقر الغالبية . لقد تمكنت الرأسمالية من حل مشكلة الانتاج الواسع ، ولكنها لم تحل مشكلة الاستهلاك الواسع . ان التناقض الذى واجهه الرأسمالية يتمثل فى انها لى تحصل على أقصى الارباح لا بد لها من تقليل الاجور ، ولكن تبسيع انتاجها عليها ان تزيد الاجور .

ويناقش هيوبرمان فى بساطة رائعة كيف ان الرأسمالية رقيق دائم الحروب والسيطرة الاستعمارية ، بحثاً عن اسواق لتصريف السلع المصنوعة بواسطة المواد الخام ، وتصدير رأس المال . ويستشهد بقول الرئيس الأمريكى ثافت « على سياستنا الخارجية ، ان تقوم بتدخل فعال ونشط لضممان فرص الاستثمار المربح للصلح والرأسماليين الأمريكين » ، ودور الدولة فى العدوان الخارجى وتمهيد الطريق لرأس المال ممتوفاً . أما دورها فى الداخل فهو « تمكين المالكين من ان يحيا بلا عمل ، ومن ان يحدوا ما اذا كان غير المالكين سيعملون وفى أية ظروف » . ان الدولة تقيم علاقة تشبه علاقة السيد والخادم » . وكما يقول آدم سميث فى كتابه ثروة الامم « طالما تم تشكيل الحكومة لخدمة الملكية ، فانها ستدافع عن الاغنياء ضد الفقراء » . بل ان

محدثاً فى كينكى وفى غرب لوجيكا » . ومنع ذلك لم يحرك احد ساكننا وحديث الانتفاخ وعندها فقط تم تشكيل لجنة تحقيق سالت اصحاب المنجم عن سبب عدم اتخاذ احتياطات الامن الصناعى ، فاجابوها ان ذلك كان للتوفير . ويستحب هيوبرمان على القصة بان « الدولار فى مواجهة الحياة ، والدولار هو الذى ينتص » .

ثم ينتقل هيوبرمان الى الحديث عن فائض القيمة ويقول ان قيمة قوة العمل تتحدد مثل اية سلعة اخرى بكمية العمل اللازم اجتماعياً لانتاجها ، وان مصدر ثراء الرأسمالى ليس فى تبادل السلعة ، بل فى انتاجها الذى يكفل له الحصول على فائض القيمة وهو الفرق بين الاجر المدفوع للمعامل وبين القيمة المضافة التى خلقها بهمل . وتراكم هذه الثروات وتنشأ الاحتكارات ، وتظهرها فى الولايات المتحدة قديم يرجع الى ١٨٧٥ ، وتبدأ فى فرض استبدادها . فالرئيس الأمريكى جروفر كليفلاند يحذر فى ١٨٨٨ من ان « رأس المال التكاملى يسمي تمتع عجلته الحديدية المواطنين ، لقد أصبحت الاحتكارات سيدا للمواطنين بدلا من ان تكون خادما لهم » . ويضرب هيوبرمان الامثال على السيطرة الاحتكارية ، فيقول ان ثلاثة شركات هى جنرال موتورز وكرايزلر وفورد تنتج ١/١٠ السيارات ، وان اربع شركات تضاف تنتج ٨٤٪ من الانتاج ، واربع شركات تسيطر على ٩٣٪ ، وثلاث شركات تسيطر على ٨١٪ ، وشركتين للزجاج تنتجان ٩٥٪ .

ويوضح هيوبرمان انه فى الوقت الذى كثر فيه الحديث عن « الشر المتنامى » للاحتكارات ، فان القليل قد تم عمله ، واستمر قائما ذلك « النظام الذى يجعل الفقير أشد فقرا ، والغنى أكثر غنى » . فالعامل يتم افقاره حيث ان الرأسمالى لا يدفع له ما يساوى انتاجه ، والمستهلك يتم افقاره لان الاحتكار يرفع الاسعار باستمرار ، والفلاح يتم افقاره لتدهور الاسعار المدفوعة ثمنا لانتاجه . أما حملة الاسهم والسندات فيتبرون بذلك الارباح الضخمة التى يحصلون عليها دون ما مبرر من جهد ، وعمل .

ويقسم الكاتب صورة ناطقة عن التفاوت المزرى فى توزيع الدخل فى « أمريكا القوية » صورة تبين « الحياة البائسة للاغلبية » . ويقتبس قول روزفلت عن ان ثلث الامم الأمريكية لا يجد سكتا او تعليما من غذاء لائقا . كما يورد ما جاء فى رسالة جونسون الى الكونجرس فى ١٩٦٧ من ان ٦٠٪ من اطفال الفقراء لم يروا طبيب الاسنان و ٦٠٪ من المرضى منهم لا يجدون العناية الطبية ، وان مجل وفاتهم أعلى من معدل وفيات

وقد ويلتزم الرئيس الأمريكي السابق للولايات المتحدة يملن في ١٩١٢ « إذا ذهبت إلى واشنطن للاتصال بالحكومة » فستكتشف أن الذين يصغون إليك في أقب ، هم كبار المصرفيين والصناعيين والتجار ، فسادة الحكومة في الولايات المتحدة هم الرأسماليين والصناعيون والتحولون » .

العجز والسفاهة والجور

في الفصل الثاني يناقش هيوبرمان بالوقائع والأرقام عجز وسفاهة وجور الرأسمالية « فزيادة قدرة الإنسان على الإنتاج لم تؤد كما كان مفروضا إلى القضاء على الفقر والحاجة في الولايات المتحدة أكبر وأغنى قوة محتجة في المسالم » للأسباب التالية :

• أنها لا تستغل كامل طاقتها الإنتاجية ، ففي سنوات الازدهار يظل خمس الطاقة عاطلا ، وترتفع النسبة إلى النصف إبان الأزمة .

• الاستخدام غير الرشيد للعمالة ، إذ لا يقدم للنظام الرأسمالي عمالا لكل راض فيه قادر عليه ، فضلا عن أنه يبدد طاقات كثير من العمال في أعمال طفيلية غير منتجة ، كالأعلان والممسرة والترويج والوساطة والوكالة . كما أنه يترك الأثام من القادرين عقليا وجسمانيا يعيشون بدون عمل اعتمادا على ملكيتهم .

• ينتج النظام الرأسمالي كثيرا من السلع الكمالية ، في حين أنه لا يوفى الضروريات حقها . بل أنه يفسد سمعة للربح ويرفع الأسعار ليطورع من اتلاف السلع والأحاصيل حتى لا تهبط أسعارها ، فقد تم سحب الكبروسمين على البطاطس ، وهرق ثلث انتاج البن ، وتركت الفواكه على الأشجار لتتعفن ، وسكب اللبن في الإنهار .

• الحروب الدورية التي تتكلف الكثير من الأموال والأعمار . فالحرب الأولى مثلا تكلفت ٢٠ مليون دولار ، وهذا مبلغ كان يكفي « لإعطاء ٢٠٠ دولار ، وقطعة أرض لكل أسرة في أمريكا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والمجر وبلجيكا والنمسا » أو يكفي لتشييد « كل مستشفيات أمريكا لمدة ٢٠ سنة ، ومدارسها لمدة ٨٠ عاما » . وحتى في الحروب ليس هنا ما يسمى بالذوايع الوطنية « للرأسمالية » ، بل أن اعتبارات الربح هي الأمان .

• لها الصورة المثلى لعدم الرشيد فهي عدم وجود خطة وشيوع فوضى الإنتاج والازمات الدورية .

• أما عن التأثير الاقتصادية للرأسمالية لتتسم المجتمع إلى طبقات متخاربة بدلا من جعله « وحدة واحدة » كما أنها يجعلها الربح الحافز الأول ، تهدر كل القيم الانسانية والأخلاقية .

• ويتبدى عدم العدالة في أن « المحتاجين ليسوا لأحرارا » كما يقول الرئيس روزفلت في رسالة إلى الكونجرس في ١٩٤٤ « نولي جعل طبقة طفيلية تعيش على حساب العاملين بحجة أنها «تخاطر برأسمالها في الإنتاج » في حين أن الواقع يبين أن العمال يخاطرون بحياتهم في الإنتاج ، ففي كل نصف ساعة يموت عامل بأصابة عمل ، وفي كل ١٧ ثانية يجرى آخر » .

وهكذا يفضي هيوبرمان من موضوع إلى آخر ، عارضا المقولات الرئيسية في الفكر الاشتراكي في ضوء الواقع الأمريكي ، في بساطة وصدق جديرين . فلما باقتناع كل من يقرأ هذا العمل بأن الرأسمالية التي زوال وأن المستقبل كله للاشتراكية .

برنامج اقتصادي لأمريكا

ساهم بول سوزي في هذا الكتاب بمقاليين أولهما بعنوان « الاشتراكية الماركسية عارض في باستراتيجية سهلة المكونات الأساسية لفكر ماركس مينا » أن الاشتراكية هي النظام الذي سيخلف الرأسمالية ، وأن الفرق الأساسي بينهما ، يتسق في إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج . أما الملكية الخاصة لسلع الاستهلاك فلا تلغى ، بل على النقيض من ذلك تعمل الاشتراكية على زيادتها . ويؤكد سوزي أنه ليس هناك جهود في شكل الملكية ، وإنما المسألة الأساسية هو أن تتبناها هيئة عامة : الحكومة المركزية ، أو الحكم المحلي أو بعض الهيئات العامة ، أو التعاونيات ، بل ويقول سوزي أنه في ظروف معينة يمكن السماح بالملكية الخاصة في الأعمال الصغيرة . والفكرة الجوهرية التي يؤكد الكاتب أن الملكية العامة وحدها لا تكفي ، وإنما لابد وأن يصحبها تخطيط اقتصادي ، يكفل تسويق نشاط وأعمال الهيئات العامة لأشباع الحاجات المتزايدة لكل الناس .

وفي المقال الثاني وهو بعنوان « برنامج اقتصادي لأمريكا » يعرض سوزي المشاكل التالية التي تواجه أمريكا وهي : ١ - كيف يتم إصلاح الاقتصاد حتى لا يعقد ازدهاره وتقدمه على الحرب والإعداد لها ؟ ٢ - كيف يمكن تحقيق توزيع أكثر عدلا وسلاسة للدخل القومي ؟ ٣ - كيف يمكن ضمان رفاهية وحياة المسنين والمعاقين والمرضى من لا يستطيعون أن يتولوا أمورهم بأنفسهم ؟ ٤ - كيف يمكن صيانة الثروات والموارد

الأخرى ، في حين أن تخطيط عملية تخصيص الموارد في الاشتراكية يتم مقدما لأشباع الحاجات الاجتماعية .

والواقع أن الكتاب بأسلوب عريضة ، والنقاط التي اختارها لمناقشتها ، يؤكد تماما أن الشهرة التي حظي بها هيوبيرمان وسوزي لها ما يبررها تماما ، وأن ميلها المذهب في مجال نشر الفكر الاشتراكي قد أكسبها خبرة جعلتها قادرين تمليا على مخاطبة أئمة الناس مدواة الفكر الاشتراكي ، بل واقفاه ما لم يكن من أصحاب الملايين .

الطبيعية ، والقضاء على التجديد في الإنتاج والتوزيع ؟ ... هـ - كيف يمكن القضاء على استغلال الاحتكارات للعامل والفلاح والمستهلك ؟ ويؤكد سوزي أن أي من هذه المشاكل لا يمكن حله في ظل الرأسمالية ، بل لابد لمواجهة من تشريك وسائل الإنتاج والاعتماد على التخطيط في استغلالها ، لإشباع الحاجات ، فالفرق الأساسي بين الرأسمالية والاشتراكية ، هو أن تخصيص الموارد يتم في ظل الأولى خاصة بتسليمها بين إنتاج وماتل الإنتاج ، وبين سلع الاستهلاك - نتيجة للابيين القرارات للرأسماليين الذين يعملون من أجل مصالحهم الخاصة ، وكل واحد منهم مستقل عن

نظريات الشخصية

لحسب أننا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن الشخصية هي الملمح الأول لكل الدراسات النفسية على اختلاف الزمان والمكان ، ابتداء من أبو قراط حكم الإغريق حتى يومنا هذا . ولا ريب في أن الشخصية هي أكثر موضوعات علم النفس إثارة وخصوبة وتعمدا في آن واحد . ولقد حظي موضوع الشخصية باهتمام بالغ أبان الحقبة الأخيرة من العصر الحديث التي تبدأ مع ختام القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين ، ولا تكاد العلوم الطبيعية والرياضية تحقق تقدما في منهجها ، وضبطا ودقة في نظرياتها حتى ينعكس ذلك في مجال الدراسات النفسية فدما لها وتطويرا وإثراء سواء من حيث ما تطرحه من قضايا ومشكلات أو حقائق ورؤيا للإنسان أو تحديدا لمنهج تناول الظاهرة . وأصبح المنهج العلمي ، ومن ثم الدقة والقياس والتجريب ، ومن بعدهم التقنين ، مناط الأمل وصولا إلى نظرية علمية لموضوعات الدراسات النفسية .

وان المكتبات العالية لتزخر بالعديد من الدراسات والبحوث ، النظرية منها والتجريبية ، التي تتناول موضوع الشخصية ، وكلها تحاول ، وإن تباينت مناهجها ، الوصول إلى تفسير نسقي للشخصية : مكوناتها وانبساط السلوك ومحدداته المعنوية واللاشعورية ، دائما كانت أم فرضا أم غريزة أم أفعالا متمكنة شرطية وغير شرطية . . الخ . ولكن المسكبة العربية لا تصلها بهذا البحر الزاخر غير روايد ضئيلة ، فقليل من هذه الأعمال وجد سبيلا إلى الغاريء العربي مترجما ، ناهيك عن الأعمال الأصلية التي قد لا تجد منها غير ما تدمه استأثنا الراحل الدكتور يوسف مراد كتراسة من الشخصية في ضوء منهجه التكامل ، ولا سبيل أمامنا أن نشفا للحاق بمن سبقونا في مضمار

■ تليف :

ك . هول - ج . لندزي

■ ترجمة :

د . فرج أحمد فرج

قدري حفني

لطفي فطيم

■ مراجعة :

د . لويس كامل عليكه

■ عرض وتحليل :

شوقي جلال

تجمع بينها رابطة واحدة من حيث المنطلق أو النظرة العامة أو منهج البحث .

ومن هنا فإن الكتاب أشبه بموسوعة تضم بين فئتيها عددا من أهم نظريات الشخصية ، وتكتفي لنا عن الجهود المبثولة أملا في الوصول إلى دراسة علمية للسلك ، وتقدم لنا أيضا لوحة مقارنة لطبيعة هذه الجهود ومنهجها ومدى ما أصابته ، وما ينتظر لها أن تصيبه من نجاح ، ومدى ارتباط الدراسة النفسية وتداخلها مع العلوم الأخرى .

يبد أن الكتاب على الرغم من كل ذلك أغفل نظريات وبحوثا أخرى لها مكانتها الرموقية ، ومناهجها المتميزة ، وأصلاتها العلمية ، فكم كنا نود أن نقرأ من هنري فالون عالم النفس الفرنسي وبحوثه الجادة من الأطفال ، وكم كنا نود أن يفسح الكتاب على شغافته ، مكانا لدراسة غير غريبة ، أعني بها مدرسة بافلوف ، والغريب أن بافلوف لم يرد اسمه في هذا الكتاب غير ثلاث مرآت ، وجاء ذكره عرضا ، الأولى منذ ذكر أسماء عدد من أعلام علم النفس التجريبي (ص ١٦) ، والثانية في مسطرة عرض نظرية المثير - الاستجابة [ص ٥٤٣] ، والثالثة في الفصل الختامي [ص ١٩١] حيث يدرجها ضمن أصحاب مفهوم الترابط ، وهذا إن بافلوف شيء وأصحاب مدرسة المثير - الاستجابة الأمريكيين شيء آخر وإن جمع بينهما بخطوط العمل المتكمية ، أن مدرسة بافلوف لها نظريتها في التكاملية من الشخصية ، ومنهجها العلمي في تناول موضوع الشخصية وتحديد أبعادها القياسي الكمي لمصطلحاتها ما يجعل البتين ، ومن ثم النظرية العلمية أملا قريبا ، إذ تتوفر لمنهج مدرسة بافلوف العناصر الأساسية للتكاملية منهج البحث العلمي لظواهر النشاط النفسي والتي نجد عناصر منها متاثرة هنا وهناك عند بعض أصحاب نظريات الشخصية التي تعرض لها الكتاب . وقد قدم بافلوف نظرية من الانهاط السلوكية كما قدم في السنوات الأخيرة من حياته دراسات كينيتية في الشخصية اقترحها لروضا علمية وحك تلاحقه من بعده على تطويرها وتأسيسها .

ولكن أن نجد غسابة في ذلك إذا ما تسرنا الفصل الأول من الكتاب . ولعل هذا الفصل أخطر ما في الكتاب كله ، ذلك لأنه يعكس لنا الخلفية الفلسفية التي حددت أسلوب الدراسة والنقد ، ثم قبل هذا انقضاء النظريات موضوع الكتاب . أن المؤلفين يكشفان في هذا الفصل عن خلفية فلسفية إجرائية ، ومعنى بها ذلك الاتجاه الفلسفي الأمريكي المعاصر الذي يجبر ما بين البرجماتية والوصفية المنطقية . الشيء نغلقه من ذواتنا ، والحقيقة أداة نالمة لبلوغ الهدف الذي

التقدم والحضارة إلا أن تجتاز الهوة الفاصلة بيننا وبينهم ، استيعابا لما قصوه ، ومشاركة ابتداعية في مجال الدراسة والبحث . وأحسب أن هذا هو ما يشغل بال كل المثقفين العلميين إلى أن يدفعوا ببلدنا خطوات على الطريق وصولا إلى هذا الهدف الرموق . وانطلاقا من هذا المفهوم كان العمل الكبير والجهد الذي صدر أخيرا من الهيئة العامة للتأليف والنشر ، وأعني به كتاب « نظريات الشخصية » الذي قلم بترجمته : الدكتور فرج أحمد درج والاستاذان قدرى محمود حنفي ولطفى محمد عظيم وراجعه الاستاذ الدكتور لويس كليل ملكية .

والكتاب مجلد ضخم يقع في سبعة وعشرين صفحة ، ألفه اثنان من كبار أساتذة علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية وهما : دكتور كاتلين سيرنجر هول ودكتور جارفنز لندي وكلاهما من المهتمين ببحوث الشخصية . والكتاب مرجع هام لبحوث الشخصية في العالم الغربي عامة والولايات المتحدة بخاصة . ويضم المجلد أربعة عشر فصلا : الأول من نظرية الشخصية وتاريخ علم النفس وتحديد معنى الشخصية ومفهوم المؤلفين للنظرية . والفصل الأخير عرض لوجية نظر المؤلفين من الشخصية ومناقشة لمواضع الاتفاق والاختلاف في نظريات الشخصية المعروضة في الكتاب وأثر ذلك على البحث النفسي لموضوع الشخصية . وبين هذا وذاك اثنا عشر فصلا يعرض فيها المؤلفان عددا من أبرز نظريات الشخصية : « التحليل النفسي بمدرسة المختلة ومناهجها المتباينة (فرويد -

يونج - أدلر - مازلو - هورني - سوليفان) وعلم الشخصية عند موراي ونظرية المجال عند لينين وسيكولوجية الفرد عند أولبورت ، والنظرية العضوية عند جولد شفين وأنجيل ومازلو وليكي ، والنظرية الجبلية عند شلدون ، ونظرية العايل عند أيزنك وكابل ، ونظرية المثير - الاستجابة - ونظرية الذات عند روجرز ، والنظرية الاجتماعية الحيوية عند مورلي . ويسير العرض بصورة نسقية يجمع بين التسلسل التاريخي وتكامل الموضوع الذي يعرض له في كل فصل على حدة . واستن المؤلفان خطة واحدة في كل فصل من فصول الكتاب إذ يقدمان للتارئ عرضا موجزا لحياة صاحب النظرية مع بيان العناصر الأساسية لنظريته والمؤثرات العلمية والفلسفية والاجتماعية التي لا يست طروف بعته ، ثم يمتحان على ذلك في ختام كل فصل عرضا لخلاصة الاتجاهات النقدية لهذه النظرية ، أو تلك تحت عنوان « المكانة الزاهة والتكوين » . وقد يقتصر الفصل على تقديم نظرية واحدة لوحد من أعلام علم النفس ، وقد يضم عددا من النظريات التي

أحد هذه القضايا: **١- والعمومية اصطلاح** تتواضع عليه ولا صلة له بالواقع الموضوعي ، والواقع هو الخبرة الذاتية التي هي تيار دافق من الحالات الشخصية تختار منها ما تشاء حسب منفعته وترفض ما لا يصل بنا إلى الفرض المنشود ، ومن ثم فلا يتبن ، والقانون العلمي ليس اكتشافا لعلاقات عليه وأهمية بل صياغة تفرضها الذات على الموضوع حيث تقوم الذات باختيار ما تريد من عناصر الخبرة وتضعها في نسق متكامل ، والنظرية تتميز عن هذه العلاقات التي تفرضها الذات على عناصر الخبرة المختارة .. الخ .

إنها فلسفة خيرة وليست فلسفة تجريب . ولهذا يذهب المؤلفان إلى صراحة ووضوح إلى قولهما : « أننا نعتقد أنه لا يوجد تعريف بالماهية للشخصية يمكن تطبيقه بدرجة من العمومية . ولعنى بهذا أن الطريقة التي يعرف بها فرد معين الشخصية سوف تعتمد كلية على تفضيله النظري الخاص » . فنحن نقرر بأن « الشخصية تعرف بواسطة المفاهيم التجريبية الجزئية [أو الخبرة empirical] وليست التجريبية [التي هي جزء من نظرية الشخصية التي يستخلصها الملاحظ .. ثم يستطردان : « إذا بدأ هذا التعريف غير مكتمل من القارئ فليكن عزاءه أنه سيكتفى بعدد من التعريفات الوهمية قد يصعب أي منها تعريفه هو . إذا اختار أن يتبنى هذه النظرية المعينة [ص ٢٣] » .

ويعترف المؤلفان صراحة بأثر الوصفية المنطقية : « وليس ثمة اتفاق كامل بصلال ، بخصوص جميع الموضوعات الحارة إلا أن وجهة النظر المروضة .. متأثرة أشد التأثير بتعاليم الوصفية المنطقية » . [ص ٢٤] ويعبر عن الفكرة بقولهما : « النظرية مجموعة من التواضعات خلفها صاحب النظرية » . إن النظرى عندما يختار اختياراً معيناً ليمثل الواقع التي يهتم بها ، يمارس اختياراً خلافاً جواً يختلف فقط ما يمارسه الفنان في أنواع الآلة التي يركز عليها ، والآنسة التي مسجكم بهما على قيمته وجوهاً » [ص ٢٤] .. ولستنا لا نستطيع أن نحدد كيف يجب بناء النظرية . فليس ثمة صيغة لبناء النظرية المثيرة أكثر من أن يكون هناك صيغة للأساس يمثل أدبي ياق » . « أن حقيقة أن النظرية اختياراً تتلوهي متواضع عليه وليست شيئاً لا مفر منه أي تمليه العلاقات التجريبية المبرومة يؤكد أن نسبة خصائص كالمصدق أو الخطأ إلى النظرية أمر غير مطلق » (ص ٢٥) .

أما النظرية نفسها فهي تفترض ويتحدد قبولها أو رفضها بمقدار نفعيتها وليس طبقاً لمصدقها أو خطئها . [ص ٢٧] . ولكن هدفنا فقط هو

أوضح أن الصياغة النظرية هي « مشروع حر » إذا كان هناك شيء بهذا الاسم على الإطلاق . فلا يملك أي من المنظرين على الإطلاق الحق في أن يحدد مهام زملائه من المنظرين ، فهو يملك تهاباً التعبير عن معتقداته الخاصة .. وربطها بأكبر قدر ممكن من الأدب التجريبي لنفعها .. فليقدم صاحب النظرية نظريته بأكبر الطرق التي في تناول يده قوة ، ولكن فليضع في اعتباره حقيقة أنه ليس هناك ما يسمى اليقين النظري . [ص ٧٠٥] .

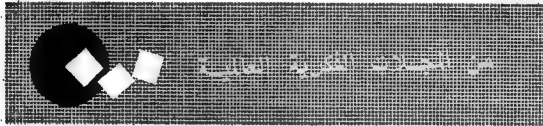
وإذا كانت الوصفية المنطقية ، والبرجماتية وسليلتها الإجرائية ، وما شابهها من فلسفات أمريكية محدثة ، تقود المرء إلى حيث يتردى في هذه الشك واللايقين وتصبح النظريات العلمية سراباً ولما في كذاب ، والبحوث العلمية نوعاً من « المراهنة المشوائية » على حدث معين ولهم جيسر ، فليس غريباً أن يقع اختيار المؤلفين على نظريات بذاتها دون غيرها . وليس غريباً أيضاً أن يعترف المؤلفان بالفقرات نظريات الشخصية إلى الوضوح وفقدان الاتجاه : النتيجة التي لا يفر منها للافتتان إلى الوضوح فيما يتعلق بطبيعة الافتراضات التي تقوم عليها النظرية هي وجود الخطأ الخطير في عملية اشتقاق التقريرات التجريبية من النظرية ، لذلك فإنه من المحتمل أن يصل أفراد مختلفون يستخدمون نفس النظرية إلى مستنتاجات متعارضة » [ص ٣١] ، وليس غريباً أن يشفق المؤلفان على القارئ من أن يستشعر أنه في مباحة ويحصد صدها بمثل الملهة : « أن الأحكام التي انتهوا إليها الآن فيما يتعلق بالمكانة الشكلية لنظريات الشخصية قد تبدو مثقلة للهمم إلى حد كبير مما قد يستوجب التخلي عن محاولات بناء مثل هذه النظريات في الوقت الراهن » [ص ٣١] . ترى ما هي الغاية التعليمية لأن نقدم للدارس وجهة نظر مثقلة واحدة للشخصية بدلاً من تلك الزكام المتلاطم من الأفكار المتناقضة التي رأيناها في هذا الكتاب ؟ [ص ٧٠٨] بيد أن المؤلفين يفكران عبارة « تشبه بالاعتراف بولان فيها : « أن النظرية إذا لم تفعل شيئاً سوى تنظيم الحقائق المعروفة فإنا سوف نظل بذلك على المستوى الوصفي مهملين مهملين » النظرية [ص ٧٠٢] ونحن نشتركها الرأي في ذلك ، وحقيقة الأمر أن هذه العبارة تكشف لنا كما يكشف لنا الكتاب كله من جوهر أزمة علم النفس ، ونعني بها أزمة المنهج ..

ولكن الكتاب من حيث هو مرض واضح ومركز لعدد من نظريات الشخصية بعد شيئاً هاماً وأساسياً لكل من شاء من قارئ العربية أن يجد نافذة يطل منها على جهود علماء النفس المحدثين والمعاصرين في الضرب في مجال دراسة الشخصية ، وهو هام وأساسى لكل باحث جاد

صبيته الى البحث العلمي الاصيل الملم واسع بكل القضايا والنظريات المطروحة في ميدان بذاته ليجد فيها زادا يعينه على البحث ، وأخافنا جديدة يتطلع اليها ، ومادة قد تخفيه عن الرجوع الى الاصول حيث أن المؤلفين يتحوان في عرضها للنظريات منحنى وثلاثيا ، أن يقدمان للقارئ في إضافة الكثير من التسموس لأصحاب النظريات موضوع الكتاب بما يعطى صور قوائية وموضوعية عن فكر كل منهم .

إن كل من يقرأ هذا المجلد الضخم لا يملك إلا أن يستشعر التقدير كل التقدير لجهود واجتهاد مترجميه في بحث واشتقاق وتطويع مصطلحات عربية توفر التعبير الصادق والحقيق ، وتتطلب على ما في النظريات من تباين وتنوع وان استخفيت اللغات واحدة . ولقد خرج الكتاب في ترجمة لا تفتقر لمل أفضلها فمسل نظريات العاجل ، وأن كان الفصل الأول قد شد في بعض صفحاته عن جملة الكتاب ، ويبدو أن المطبعة أسهمت بتقصير في ذلك .

ولقد كتبت وأنا اطالع مسطور الكتاب أسئلة نفسي لماذا لم يقدم المترجمون إضافة في شكل حاشية أو تعليق يكون هاديا ييسر القارئ بمواضع الخلاف بينهم وبين المؤلفين خاصة وأن المترجمين من المترجمين بالنهج العلمي ولهم جهودهم وإنتاجهم في مجال البحث العلمي ، وعملهم المتقنون والدارسون من خلال ما قدموه لنا من مقالات ودراسات في المجلات النظرية نذكر منها مقالات الأستاذ تدرى حفي عن نشأة علم النفس التي تتضمن نظرات جديدة وجادة تكشف عما يتحلى به من موضوعية في البحث وعبق في التفكير وجرة في معالجة القضايا وكلها صفات الباحث الجاد الاصيل التي تجعلنا بحق نتنظر منه العلماء الجواند . ولكن ربما كان السبب اشتباها منهم على القارئ لشخلة الكتاب ، وربما لأن الكتاب يكاد يكون عرضا وثائقي . لأصحاب النظريات ، ومن ثم ماى تعليق يعنى خروجا على سنة المؤلفين ، وربما لأن تمعد المترجمين يقتضى تمعد وجهات النظر حتى وأن جسمهم نهج واحد ، وربما لهذه الأسباب كلها مجتمعة .



● من المجلات العربية ●

مجلة « جيش الشعب » السورية العصبة العسكرية الصناعية في الولايات المتحدة

تحت هذا العنوان نشرت مجلة جيش الشعب السورية بحثا هاديا عن العصبة العسكرية الصناعية في الولايات المتحدة ، وفي البداية الراسالية المقدمة بالبريطانيا وفرنسا ، وكذلك العلاقة بين المجموعات العسكرية الصناعية في هذه البلدان المخططة ، سواء من حيث التطوير

المشترك لنظم الأسلحة ذات التفكير الحديث ، أو اجراء صفقات بيع الأسلحة فيها بينها ، أو بيع الأسلحة الى بلدان العالم الثالث .

ويذكر البحث انه في عام ١٩٦٢ تحول جيش أمريكا الشمالية لطلبه الكوري الأولى الى قطاع صنع الأسلحة ، لها بلان فرنسي وبريطانيا ككتا من أهم زبائن هذه الصناعة ، ولم تبدأ هذه الصناعة بالتطور تطورا متخفا إلا عندما دخلت الولايات المتحدة في الحرب بالخليفت أرزفت الميزانية العسكرية الأمريكية من ١٥٠ مليون دولار في عام ١٩٤٠ الى ٧٥٠٠ مليون دولار في عام ١٩٦٨ ، وكانت القوات الجوية للولايات المتحدة تلك ٤٤٠ طائرة في عام ١٩٤٠ ، ثم ١٠٠٠ طائرة في عام ١٩٦٣ ، ثم ١٧٠٠ طائرة في عام ١٩٤٠ .

ولكن للأسف لجلد القيصير لها نهاية لا تلتفت أوقف معمول الإنشقيات في شهر أغسطس عام ١٩٤٥ .

هليكوبتر بشن ٢٨ مليون دولار من طراز صوريه -
فرولون .

بالاضافة الى ذلك ، فان التناقضات داخل نطاق
الامبريالية تؤدي الى زيادة بيع الاسلحة من احد
« المقبول » . ومن المعروف انه في حال رغبة
الولايات المتحدة او بريطانيا او فرنسا في السيطرة
على المنطقة التي يسقطها احد هذه البلدان ، فان
كل بلد من هذه البلدان يريد ابقاء المنطقة التي
يسيطر عليها في اذنى مستوى من التسليح من
اجل تجنب خطر النزاع ، لان عدد واتساع
النزاعات مرتبط مباشرة بدرجة التسليح .

وأخيراً من اجل كشف الستار عن رياءه
الامبريالية ، نكتفى بذكر ما قاله كولس من ان بيع
الاسلحة الى الشرق الاوسط يساهم في اقامة
حالة من الاستقرار في هذه المنطقة . هذا ما قاله
كولس في عام ١٩٦٦ ويتخذ هذا القول كل قبيحه
اليوم ...

وان بيع الاسلحة الى بلدان العالم الثالث يمثل
بدون شك حجراً أساسياً في البنيان الامبريالي .
وقد فهم ذلك سلع الاسلحة الفرنسي جان انهارد
عندما قال : « ان بيع الاسلحة الى بلد غربي
يؤدي الى قيام علاقات وثيقة مع هذا البلد .
فمن خلال التسليح تنسحب الى هذا البلد التقنية
الفرنسية والعقيدة الفرنسية والخبراء
الفرنسيون » .

الاستعمار الجديد وبيع الاسلحة

نحننا يتحدث بتهاد من العلاقات الوثيقة
فهو لا يبحث في الكلام ، لا بل ان هذه العلاقات
هي سلاسل متينة .

ان سلطة الامبريالية الحديثة تنقسم للسيطرة
على « المصبة المسلحة » التي تقوم بتهيئة على
تسليم السلطة لطبقة البورجوازية المسيطرة
المتطعنة بمصالح الامبريالية . فمثلاً
استطاعت بريطانيا وضع مصالحها البترولية في
الشرق الاوسط بين يدي الفئة الأكثر رجعية
بين القادة العرب . ولما بالقضية لتحويل جهاز
سلاحه المستقلين (بكسر الفين) من طريق
المستقلين (بفتح الفين) فان الحيل كثيرة . مثلاً
باعت بريطانيا الى حكومة افريس الاقتصادية هذا
ليبيا بمبلغ ١٥٠ مليون جنيه جهازاً كليلاً للدفاع
الجوي بما فيه صواريخ أرض - جو لم يدرج
الجيش الليبي على استعمالها . فاستغل الجيش
البريطاني هذه الحالة : ١ - لنشر هذا الجهاز
حول مكامن البترول وحول قواعده الخاصة ،
٢ - وليكون وحده القدير على استعمال هذا
الجهاز . ولكن منذ الثورة الليبية اوقف معمول
هذه التغطية .

والزناكن ؟ ولكنهما تقوم ليشا بتوز ثاجر الاستلعة .
ويستخدم الادارة الفنية للتسليح القوات البحرية

DT وحدها (٢٥٠٠) شخص . وقد
بلغت عملياتها التجارية في عام ١٩٦٧ (٢١٥٠)
مليون فرنك .

وبالرغم من وجود منافسة لبيع الاسلحة بين
بريطانيا وفرنسا فان البلدان ينساقان عملياتهما
التجارية .

وعندما سئل ويلسون في مجلس العموم عن
ايماد نيجيريا بالاسلحة ، اجاب مغفلًا : لم يكن
حظر ارسال الاسلحة عن نيجيريا سوى وسيلة
لد الحرب ، لان يافرا كانت تستورد اسلحة .
وعندما سأل الصحفيون بعض المسؤولين
الفرنسيين عن سبب ابعاد بلاده لبيافرا بالاسلحة ،
اجاب بغيظ : ليس من الانصاف مساعدة يافرا
للدفاع عن محالولة القضاء على كل سكاتها ، في
الوقت الذي تستورد فيه نيجيريا الاسلحة ؟

المبادلات بين البلدان المتقدمة

ويوضح البحث بالارقام ان الولايات المتحدة
هي الدولة الوحيدة التي تبيع اسلحة الى الدول
المتقدمة الاخرى ، ففي عام ١٩٦٤ باعت الولايات
المتحدة ثلاث مدمرات الى ألمانيا الغربية بشن
(٦٠٠٠) مليون مارك ، على ان يتجزئ مبلغ
هذه المدمرات في عام ١٩٦٨ . ثم باعت الى
المانيا الغربية ايضا في عام ١٩٦٨ طائرات
هليكوبتر من طراز سيكورسكي DB بشن
(١٤٠٠) مليون مارك . و ألمانيا الغربية هي
أكبر زبائن الولايات المتحدة ، تأتي بعدها مباشرة
بريطانيا التي استطاعت اقتناع الولايات المتحدة
بان تعوض لها ما تكتفونه منها من طريق اجراء
الولايات المتحدة معها صفقات بيع مقابلية . ثم
طى ذلك فرنسا ، تبعتها بلدان حلف شمالي
الاطلسي ، واخيرا السويد والسويد (بالبنسبة
لشراء الاجهزة الحديثة مثل الرادارات والصواريخ
المضادة للطائرات الخ ...)

بيع الاسلحة الى بلدان العالم الثالث

ان حصول هذه البلدان على استقلالها قد ادى
الى توسيع سوق بيع الاسلحة .

مثلاً : ميزانية للدفاع في ايران لعام ١٩٦٦
تصل سواها تجارية يبلغ رأسمها ٢٥٠ مليون
دولار . فقد اشترت ايران في مدة سنتين : ٥٠
طائرة فانتوم - ٢ ، وطائرات هليكوبتر بلغ ثمنها
٥٠ مليون دولار ، ووحدات بحرية من بريطانيا .

وقد عرضت فرنسا من جهتها على ايران بيع

نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ميزانية إسرائيل العسكرية لا تتأثر بحالة السلم

في العدد الثاني من نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية .. أشارت النشرة إلى أن القطاع العسكري في إسرائيل حقق توسعا كبيرا منذ حرب حزيران ٦٧ ، وأصبح يلعب دورا فعالا في تحريك النشاط الاقتصادي. فقد ارتفعت موازنة الدفاع الإسرائيلية سنة ١٩٦٤ من نحو ٩٢٢ مليون ليرة إسرائيلية إلى ٢٧٠٠ مليون ليرة إسرائيلية من الموازنة العادية للدولة - إلى نحو ٥٠٠٠ مليون ليرة - أي ٤٥ ٪ - سنة ١٩٧٠ . وإذا ما أضيفت تكاليف بناء اللاجئين وإنشاء الطرق العسكرية ، والأموال التي تصرف لأهالي قرى الحدود ، فإن نسبة النفقات الدفاعية ترتفع إلى ٥٠ ٪ من الموازنة العامة . ويبلغ عدد الذين يعملون حاليا في مجال الأمن ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، نحو ٢٥ ٪ من القوة العاملة ، مقابل ١٠ ٪ سنة ١٩٦٥ . وبلغت قيمة الواردات العسكرية سنة ١٩٧٠ . نحو ٨٠٠ مليون دولار أمريكي مقابل ١٦٠ مليون دولار سنة ١٩٦٦ . وكانت هذه الواردات سببا لـ ٨٨ ٪ من ألمع في ميزان المدفوعات ، فضلا عن أن التوسع في الإنتاج العسكري المحلي أدى إلى تبني إنتاج السلع الاستهلاكية ، وبالتالي ، تخفيض حجم السلع المصدرة . (إسرائيل دايجست ٤ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٧٠) .

وقبل نشر مشروع الموازنة العامة للسنة المالية ١٩٧١/٧٢ ، أعلن يشعياهو لافي ، المدير العام لوزارة الدفاع ، ردا على ما ذكر حول إمكان تخفيض مخصصات الدفاع نتيجة وقف إطلاق النار ، فقال : ستطرا في المدى البعيد تغييرات في موازنة الدفاع ، إذا ما تبين أن وقف إطلاق النار سوف يتخذ ويستقر . ولكن هذه التغييرات لن تحدث في موازنة العام المالي الحالي ، التي ستزداد بمقدار ٣٢٠ مليون ليرة إسرائيلية فقط ، لتصبح ٥٢٠٠ مليون ليرة - من مجموع الموازنة البالغ ١٢٣٨٦ مليون ليرة (جيزورالم بوست ١٤/٣/١٩٧١) .

ومع ذلك يجري البلاد المعين ظلية يصبح مقيدا لأحد قسرين . وإذا أخذنا بعين الاعتبار دور الجيش في البلدان فإن إمداد وتجهيز القوات العسكرية في بلاد ما يتعد نمطا إلى السيطرة على سياسة هذا البلد .

إن لهذه العملية أثرها المباشر بفضل إقامة مدارس تدريبية في فرنسا خصصت قاعدتان جويتان لتدريب الأطقم الأجنبية لشركة داسو ، وبفضل نوع التدريب وأخيرا بفضل الرشوة التي تفسح المجال للسيطرة على أسواق متممة ومزجحة .

وإن الخطر الذي فرضته فرنسا على شحن الأسلحة إلى إسرائيل والخطر الذي فرضته بريطانيا والولايات المتحدة على شحن الأسلحة إلى أفريقيا الجنوبية ، كان لهما أسوأ الأثر على الجهاز العسكري في هذه البلدان . ولم تستطع هذه البلدان القويين من ضيقها إلا عتيا سمحت الولايات المتحدة بإعادة شحن الأسلحة إلى إسرائيل ، ومع ذلك سمحت فرنسا بإعادة شحن الأسلحة إلى أفريقيا الجنوبية ، وبالأخص لأن هذه البلدان متقلبة متاعيا وعاجزة أذن من إقامة صناعة وطنية لصنع الأسلحة . وإنه لن السهل في هذه الأحوال معرفة وضع البلدان التي لم تدخل في طور التصنيع . تشكل هذه المعطيات للمدى البعيد محاولة لزوج هذه البلدان في التنمية والفرح ، وهذا يتضح متعبا نعلم أن ثمن هذه الأسلحة لا يترك أمام هذه البلدان خيارا آخر غير اللجوء إلى البلد المصدر للأسلحة وطلب المساعدة المالية منه .

ملا تلقت المساعدة العسكرية التي تقدمتها الولايات المتحدة إلى إسرائيل ، ٥٠ مليون دولار . ويرافق هذا التزويد للأموال الموطنة في قطاع غير منتج بطبيعته ، نزيف حقيقي من الفئتين . لأن العناصر الموجهة التي كلف إمدادها البالغ الضخمة (قتال دورا من القطاع المدني إلى القطاع العسكري ، لصيانة المركبات والأسلحة وتجهيز الرادار الخ ..) وهذا ما يعني أن البلد المصدر للأسلحة يعمل في الوقت ذاته على شكل مناصر البلد المستورد للأسلحة والتي يستفيد منها نواة صناعة وطنية قادرة على المنافسة .

وعندما حاولت كل من البرازيل والإرجنتين برهن خلق صناعة وطنية للطائرات ، قدمت لهما الولايات المتحدة (بطف : كبيل من الطائرات المستعملة) من أجل استخدام أكثر الفئتين ، ومن أجل ألهمهم في عمليات صيانة .

هذا ؟ وكان بنحناش ضاكير ؟ وزير المسال ؟
قد أعلن في مقابلة مع مجلة الجيش الإسرائيلي
بماحتاتة (١٩٧١/١/١٩) « أن بماحتاتة مع
المسؤولين العسكريين أظهرت أن الموازنة
الدفاعية لن تخفّض ، حتى ولو استجر وقتداطلاق
النصار . أما إذا استؤنف القتال ، فيتوجب
إضافة مبالغ جيدة للموازنة المقررة » .

وأضاف : « لن تحدث تغييرات كبيرة في موازنة
الدفاع في السنوات المقبلة ، لأن استمرار
الحرب سيؤثر على إسرائيل زيادة بمخصصات
الدفاع ، وسيفرض تحقيق السلام علينا أن نكون
لوقتيا وأن نملك قوة كبيرة وحديثة » .

وتجدر الإشارة إلى أن موازنة الدفاع الجديدة
تطوى على انخفاض مقداره ٥٨ مليون دولار
في مخصصات النقد الأجنبي لشراء معدات
وسلاح من الخارج ، وقد خفضت هذه المخصصات
من ٧٢٨ مليون دولار إلى ٦٨٠ مليون دولار .
ومن المنتظر أن يؤدي ذلك إلى زيادة الطلب على
الإنتاج المحلي للصناعات الحربية ، وهذا أمر
حيوي بالنسبة لهذه الصناعات التي تعلق عليها
إسرائيل أمنية تصوى في سعيها نحو « الاستقلال
العسكري » (مزاريف ١٩٧١/٢/٢٢) .

ومجّت « النشرة » تتحدث عن الصناعات
العسكرية في إسرائيل وأشارت إلى ما أعلنه
اسحق ميروني ، مدير الصناعة العسكرية ، في
محاضرة ألقاها في تل أبيب من أن باستطاعة
إسرائيل الوصول إلى مرحلة استيراد الأسلحة
الثقيلة ، نتيجة القوة التكنولوجية التي تضاعفت
كل سنتين كمية الإنتاج الصناعي العسكري » .

وقال : « أن باستطاعة إسرائيل أن تنتج في
المستقبل كل ما تحتاج إلهما » .

وأضاف : « أن مضط الإقشاج والظبية في
الصناعة العسكرية للسنة المقبلة ، يشهرون إلى
ازدياد عام في الإنتاج بقيمة ٢٥ ٪ . ثمّة حرب
الأيام السنة ازداد الإنتاج أربعة أضعاف ،
وازدادت الطاقة البشرية ضعفين فقط . وفي
السنوات الثلاث الأخيرة ، أنتجت الصناعة
العسكرية الإسرائيلية أكثر مما أنتجت مثلاً
لأميسها . وتنتج هذه الصناعة اليوم ٦٠٠ نوع
من الأسلحة ، ومقاريل ازدياد الإنتاج ازداد
التصغير ويبلغ عشرات الملايين من الدولارات
سنتويا إلى ٥٠ دولة بينما مضى دول أوروبا
الغربية » .

وقال مدير الصناعة العسكرية : « أن الضخمين
يتم بالاتفاق مع الحكومة التي تملز أحيانا
مقد بعض الصناعات ، لأن المنتجات يجب أن
تذهب إلى الدول الصديقة فقط ، إما من الناحية
الاقتصادية ، فالمصناعات في هذا المجال تتم بشروط
ممتازة » . (عال هيشار ١٩٧١/٢/٢٨)
ثم أوردت : « النشرة » بعض المعلومات عن
الارتباط بين المؤسسة العسكرية في إسرائيل
وبين العسكرية الأمريكية نقلت :

« طلبت الولايات المتحدة شراء الخسيرة
الإسرائيلية لصنع جهاز اتصال صغير اخترعه
خبراء شركة تديران للمساعدة على النقا حياة
الطيارين ، بعد أن تبين أن هذا الجهاز أفسد
بكثير من ذلك الذي تستعمله قوات الولايات
المتحدة » .

وأعلن اسحق توليد أنو « سكرتير شركة
« تديران » في مؤتمر صحفي عقده في مصنع
الشركة في حولون : « أن جهاز الاتصال ، صنع
إسرائيل ، هو أفضل الأجهزة المستعملة حالياً
في العالم » .

وقال توليد أنو : « هميل في الشركة ٣٠٠٠ عامل
(٢٠٠ مهندس ، بينهم ١٥ نزحوا إلى الولايات
المتحدة وأملدهم الشركة و ١٠٠٠ عامل تقى .
وسيلغ حجم المبيعات للعام الحالي ٢٠٠ مليون
ليرة ، وسيل حجم الصادرات إلى أكثر من ٥٠
مليون ليرة لـ ٢٥ دولة متطورة تستورد منتجات
عسكرية من شركة تديران ، وخصوصاً أجهزة
اتصال عسكرية متكاملة لجميع وحدات أسلحة
الطاة » . (عال هيشار ١٩٧١/٢/٢٦)

ومن جهة أخرى ذكرت هارتس (١٩٧١/٢/٢٠)
« أن الإنكليز في الصناعة الجوية الأمريكية هو
لصالح إسرائيل التي تستفيد الآن من مئات خبراء
الطيران والمطوم الإلكترونية الذين وصلوا إليها
من الولايات المتحدة » .

وأضافت هارتس : « أن نسبة كبيرة من
المهندسين الأمريكيين هم من اليهود . وقد أصبح
هؤلاء بخيبة أمل نتيجة المشكلات الاجتماعية في
الولايات المتحدة ، ومير عدد كبير منهم من الهجرة
في الهجرة إلى إسرائيل » .

مناقشات مفتوحة

وكتابات جديدة

« هجرة العقول » : ما هو الحل ؟

يكتب هذا المقال الدكتور توفيق محمود بركات - «معيد كلية التربية بالقنا - الذي يعبر فيه عن وجهة نظره الفلمسة حول قضية « هجرة العقول » وأهمية إيجاد حل لهذه المشكلة الخطيرة التي لا تواجه بلادنا لمصعب بل تهدد كل بلاد العالم الثالث مستنزفة أحد العناصر الهامة لقوته القومية .

يلبى أن تتوفر له نضج الشخصية وإتمامها وأيمانه بقضايا مجتمعه وشعبه وآمالها في التقدم

يطلق كل وطن حقيقة موقف عدد من الكيوتيين والمتخصصين وميلهم - من واقع الإحصائيات - إلى الهجرة وترك الوطن .

● توفير الظروف الميشية الممكنة والمشجعة لهم بعد عودتهم .

وتمثل مشكلة الميموتيين - في رأيي - أهم مشكلة لأنها مفتاح بقية المشاكل في هذا الموضوع .

● وضع الرجل المناسب في المكان المناسب حتى ينتج بأقصى طاقة ممكنة . فقد أدى الخطأ في التخطيط إلى عدم الإخذ بهذه القاعدة الحيوية . ومن هنا يسعى المتخصص بعد عودته إلى الوطن إلى البحث عن جديد عن مكان له في الخارج يحقق التوازن بين عمله وتعليمه وتخصصه .

فالمتدرون منهم يمثلون مركز الامامة والقيادة في تجميع المتخصصين في بلادنا . ويسيطر على

الميموتيين بعد إيفادهم نزعان : الأولي : الانبهار بكل ما شاهدوه من تقدم في العلوم والصناعة .

ولابد أن نأخذ في الاعتبار هنا حقيقة أنهم يكونون في سن لم تتبلور فيه بعد شخصيتهم لتمكنهم من

الضمود أمام عوامل الاغراء المتعددة . والثانية : قهوان البعض منهم في التخصيل واستمرار البقاء

والعزوف عن العودة .

● البدء فوراً في إقامة مراكز للبحوث في كل تجمع صناعي بطول البلاد وعرضها وعدم الاكتفاء

بالمركز القومي للبحوث الموجودة في مدينة القاهرة . فتقدم هذه المراكز سوف يعطى الفرصة

لكل متخصص أن يعمل في مجال تخصصه . وأنه

لغريب حق أن نجد أن مدينة كالمحلة الكبرى التي تعتبر أما لصناعات الغزل والنسيج والصباغة . . .

تخلو من مركز للبحوث يهتم بهذه الصناعات ويطورها .

ومن خلال خبرتي - في هذا المجال - أخص الحلول الممكنة للمشكلة فيما يلي :

● ألا يكتفى في اختيار الميموت على تفوقه في درجة الليسانس أو البكالوريوس . . . فحسب . بل

المالاي الصناعي لتخزين نوع مختلف من المهندسين كان يكونوا متخصصين في نواحي تطبيقية معينة وهذا يحتاج الى تغيير برامج الدراسة وتدعيمها بالورش الكاملة ، وينطبق نفس هذا الكلام على المعاهد الزراعية وكلية الزراعة .

هذه جوانب اعتقد بأهميتها في مجال إيقاف عملية هجرة العقول ، و أود لو أخذ بها لي طرحت للمناقشة .

● توفير التظامات والاجهزة العلمية والدوريات والمجلات العلمية التي تساعد على استمرار البحوث وتطويرها ، وأخراج ذلك كله من دائرة الربوتين وتوفير العملة الصعبة اللازمة .

● انهاء حالة الانزواج في التسليم المالي ، فمثلا توجد معاهد عليا صناعية كما توجد كليات جامعية للهندسة ، وينبغي أن تخصص المعاهد

مناقشات مفتوحة

تعليق حول نظرة مصرية على تاريخنا الحضارى

كتب الدكتور منير شكرى ، من الاسكندرية ، معلقا على مقال « نظرة مصرية على تاريخنا الحضارى » للدكتور اسماعيل صبرى عبد الله في العدد الماضى من الطليعة ، يقول :

ولحد . . ويمتيز بعض المؤرخين أن ذلك كان بمثابة انفتاح المصريين على العالم الخارجى في ذلك الوقت . أما (الثانية) فقد تركزت في آخر ضفحة ٧٥ من مجلة الطليعة ، « فافلاطون مؤسس الافلاطونية الصديقية وأكبر فلاسفة ذلك العصر مصرى من أبناء أسبوط » ، واستمخروا لنى ان اصبح ليما هذا ، فالذى تصبفونه ليس افلاطون Platon ولكن افلوطين Plouton وقد أصدرته عنه أخيرا الدكتور نجيب بلدى استاذ الفلسفة سابقة بجامعة الاسكندرية والاستاذ حاليا بجامعة الرباط كتابا كتبت جريدة Le Monde الفرنسية عنه تقريرا في نصف صفحة .

حقا انه بين ما ينبغي أن يند من أمجاد حضارة مصر القديمة مركز المرأة في المجتمع ، حتى أنه عندما زار ميرويت مصر وطاف في منقها كان مما لفت نظره أن للمرأة المصرية من المقام في الأسرة ، والاحترام في المجتمع ، والحقوق في

حزنى على الكتابة إليكم اعلانكم بأنكم تطرحون بحكم هذا المناقشة ، وكان أول ما بدأت به في بحثكم لطريف دعوتكم الى نبد ذلك التقسيم الثلاثى السقيم الذى فرضه المؤرخون الاجانب ، وأردفها أيضا بالدعوة الى نبد هذا الكليشيه التقليدى (المصر اليونانى الرومانى) الذى يطلق على الفترة التى تمتد من دخول الاسكندر الأكبر عام ٣٢٢ ق . م الى وصول عمرو بن العاص الى مصر ، فقد فرضوا بهذه التسمية لقراض شعب مصر وحضارته المادية والفكرية ، وولادة شعب آخر حضارته المادية والفكرية يونانية ، وجردوا شعب مصر من أى تفكير مستقل . وهنا لى ملاحظتان (الأولى) أن اللغة المصرية يشكلها الأخير الذى كتبت به باستعارة الحروف اليونانية وإضافة صيغة حروف ديموطيقية ، لا شأن لها بالسيحية . إذ وجدت برديات ترجع الى القرن الثانى قبل الميلاد كتبت بهذا الشكل المعروف الآن باللغة القبطية ، أى بعد دخول الاسكندر بقرن

العاملات ، والحرية في تشييد الاسواق وفي البيع والشراء ، ما لا مثيل له في بلاده ، فكتب يقول ان الرجل في مصر يباشر شؤون البيت والزراعة يتأخر الشئون خارج البيت ، ولم يكن هيرودوت صادقا في هذا ولكنه رأى شيئا لم ياله فاطحا في فهمه وتفسيره .

كم كنت متصفا براسخ الاقل وتأظرا الى وضع الامور في تصابها عندما وضعت « العصر القبطي » مكان « امطورة العصر اليوناني الروماني » ثم ارفخته بمنشوان « الكنيسة المصرية » ، هذا العصر الذي اصبح يوجد له كرامى في بعض الجامعات الأوروبية والأمريكية ، لا تريد أن تعتبر به بلاننا مطلقا ، ويجتاز المصري جميع مراحل التعليم دون أن يدري أي وجود له . متى نبلغ من الوعي ومن الامانة العلمية حدا نعرف هبده ان تاريخ العصر القبطي وتاريخ الكنيسة المصرية ليس مسألة دينية أو طائفية ، بل هو فصل من اروع الفصول في تاريخنا المصري القومي العام ؟ بدليل الآثار التي خلفها على مجريات تاريخنا المصري الخاص من ناحية ، وتاريخ الحضارة العام من ناحية أخرى ، فلا يصح أن ننظر اليه كمن ينظر الى واد عميق ومظلم يفصل بين القمم المجيدة للتاريخ المصري والروسي الجميلة لعصر الاسلامية ، فنحن هذا الوادي على جنس علوي دون وقفة لائق نظرة عليه من حل ؟ فاعياء القومية المصرية في العصر القبطي يرجع الفضل فيه الى نشاط الكنيسة المصرية بالرغم من التبسيط البيزنطي الذي شرحته ، فضلا عن التماثيل الإنجيلية والدينية في توجيه الحضارة العامة . فالحاجة الشعور المصري والوطني في القرن الخامس لم يكن قاصرا على الاسكندرية ، بل ان اعلان الجهاد في سبيل تطبيق الفكرة الاستقلالية بين عامة الشعب كان أمرا طبيعيا . لما الاسباب فهي دينية وسياسية واقتصادية وثقافية ، ولكنها في مجملها تنبع من سبب جامع هو السبب النفسي ، أي اهانة الوعي القومي المصري ، الذي يتطور بشكل واضح في مركزين رئيسيين : الكنيسة المصرية في العاصمة ، والثاني في قلب الصعيد الاعلى حيث يتجهز المصريون حول شخصية من أعجب شخصيات القرن الرابع والخامس في منطقة سمرعاج : الاببا شوقية ، الذي وصفه احدث المؤرخين المحدثين في القبط وهو الاستاذ وليم وورل W. Wozniak . بأنه أعجب شخصية اخرجها القبط في أي عصر من عصورهم الطويلة . كان المصريون يفتخرون بكرامتهم القومية ويكرهونهم الذي تصد البيزنطيون أن يكرموا ، والبيزنطيون

ماضيون في استبدادهم ، وكانت الاختلافات المذهبية البوكة التي اضطرب بين جذرائها لبب القومية المصرية ، فلم يجد النقاش منحصر في الامور اللاهوتية ، وانما اختلط ببقطة الوعي القومي ، واصبحت المسألة الدينية هي القضية المصرية ، والقف المواطنون حول بطريركهم ضد البطريك المكاني الذي كان يمثل الحكم الاجنبي البيزنطي بين ظهرائهم ، كما أصبحت الكنيسة القبطية رمز الوطنية المصرية ، وفي حجرها ترعرت أول حركة قومية استقلالية في التاريخ المصري منذ انهيار الامبراطورية المصرية القديمة . وعن بين حظار هذا الصراع انه كلما اشتد الضغط الاجنبي على المصريين اشتد عنادهم وتمسكوا بأعذاب كنيستهم وبطريركهم ونشاطهم الاستقلالية . ولكن لم يصرفهم ذلك عن نزعاتهم الدينية والثقافية الاجتماعية في انبامهم في ١ - التشييد بالمسيحية فيما وراء الحدود المصرية ، وفي ذلك الوقت انضمت اثيوبيا الى المسيحية ٢ - قيام الرهبانية المصرية التي تعتبر من أبين شار الفكر المصري ومن أبلي آثارة في تاريخ الحضارة .

هذه لحة عن ذلك العصر الذي تطلعت فاعطيته وصفه الحقيقي ، الا ترى انه لم يعط ما يحق له من التقدير والاعتبار ؟ ليس تاريخ القبط صفحة من صفحات تاريخ هذا الوطن المعز على النفوس ؟ ليس تراث القبط جزءا من تراث مصر جميعا ؟ وانى لا لى وأجبنا نحو هذه الدراسات الاجزاء لا يتجزأ من وأجبنا القومي نحو الوطن ونحو العلم والتاريخ .

ليت صيحتكم « بأنه يجب أن نتغلى عن فكرة (العصر اليوناني الروماني) ونحل محلها (العصر القبطي) » . تجد أننا واعية في الاساط العلمية في بلادنا ، فنحن في تناقضنا عامة نهضة شاملة منذ الدراسة الابتدائية الى الدراسات الجامعية ، ونعطى لكل عصر حقه في الدراسة .

لقد ذكرتم في ختام بحثكم الملت أن «أهل مصر (سهموا أسهاما إيجابيا رائعا في بناء الحضارة المصرية» ، «الحضارة طبعا بكل مشتقاتها من أدب وفن وصناعة وعلم» كم أود أن تسامحكم الظروف يوما ما في اخراج كتاب بهذا العنوان للحقيقة والتاريخ .

حقا ما أصدق هذه الجملة التي ختمت بها تلك الدور « فندرة هذا الشعب الرائثة على الانفتاح على كل تطور حضارى هام دون أن يتغلى عن أرضه أو شخصيته » .

بيان من ممثلي القوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي

جاءنا البيان التالي من ممثلي القوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي : بمشاورته الى الرئيس العراقي أحمد حسن البكر ، حول ملاحقة القوى الوطنية والتقدمية في العراق :

السيد أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية :

يتقدم اليكم بهذه الرسالة مسدد من ممثلي القوى الوطنية والثورية والتقدمية في الوطن العربي الذين روعتكم تلك الاتباء التي تتوالى من العراق من أعمال التبع والازهاق المذهبة لايست حقوق الانسان والتقاليد العربية .

ان لقد ما يروونا - بياسادة الرئيس - هو ان يتحول العراق الى وطن لا يامن فيه الانسان على حريته ولا على حقه المشروع في تحقيق قانوني اذا ما تعرض للاعتقال ولا على معاملة انسانية اذا ما لوجحت السلطة الحاكمة بنبيل لادائته .

بل ان ما يتواتر اليانا من ابناء بوحي بان تمثيلا جنسديا ومعنويا بشما يسلط على وطنيين مظلومين وثوريين وهبوا هباتهم لغتية شعبيهم لاجرد انهم اصحاب معتقد ومواقف وطنية وثورية .

ان مشاعر انسانية دافعة تحفزنا الى ان نتوجه اليكم بياسادة الرئيس لكي تستخدموا سلطانكم الدستوري لاتقلا وجه العراق من صورة بشعة ترسمها له تصرفات رجسالات الامن المرافية والمتمولين من قصر النهاية .. في اذهان الرأي العام العالي ..

لكن المشاعر الانسانية وشهوة الاجرام لانسانية المواطنين ولحقوقهم الاجتماعية والسياسية والفكرية ليست كل ما يحفزنا لان نتوجه اليكم برسالتنا هذه وانما هناك ايضا - وقبل كل شيء - قضية الوطن العربي ومجابهته المخطومة مع الصهيونية والاستعمار ، تلك القضية التي تفرس على كل وطني شريفا ان يثقل كل جهده لتوحيد الصف العربي في وجه الظلم الصهيوني الامبريالي الداهم ، ولتسا معالجة الى ان تؤكد لكم بياسادة الرئيس ان الخطوة الاولى في هذه الوحدة هي وصناعة القوى الوطنية والديمقراطية والثورية في كل وطن عربي .

وهكذا فان أعمال التبع والانابسياتي التي يتعرض لها مواطنو العراق ليست مجرد تجهيلا للقانون ولايست المشاعر والمقوق الانسانية فحسب ، بل ايضا خطر داهم على تخليا العراق وقضايا الامة العربية جميعا .

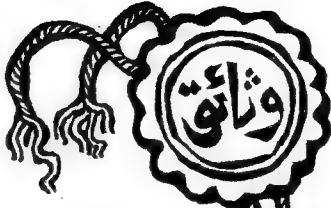
ونحننا - بياسادة الرئيس - نناشئكم ان تتركتم بتمياتنا واثنين من انصيتكم هذه ان تذهبوا ، وان خطوات حاسمة سوف تتخذ من ثلكم لاتخاذ ضحايا الازهاق ، واولا وقبل كل شيء لاتتخذ وجه العراق من صورة بشعة ترسم له في الاعيان العالم المتحضرة .

حسن محمد باكر البكر البكراني - قس
فرعي : هيئة السلام السودانية
محمود باكر جعفر - صهي : هيئة
السلام السودانية
صبري القفاص - بحر - بصام :
مجلس السلام العالي
فريد جبران - لبنان : نائب بيروت
الخير فركلت - لبنان : ابن حركة
السلام في لبنان - عضو مجلس السلام
العالي
الجنسدي للثورة عبر وصلي -
سوريا : استلا في كاية الهندسة -
جامعة حلب
عبد القادر عبد العظيم - بحم
مجلس هيئة السلام السودانية
القوى ثقلون : وصلي وعضو مجلس
السلام العالي
مكي منقذ عيسى العزير - الجبهة

غاد محيي الدين : سكرتير عام مجلس
السلام المصري وعضو مجلس الامة
الذكور هاشم الصبي : لبنان -
نائب لزامس : رئيس حركة السلام في
لبنان
كريم مروة - لبنان : سكرتير الحرب
الشبيبي اللبناني : ومفسر الكتب
الشبيبي
الحوي بصبراتي - لبنان : عضو
رئاسة مجلس السلام العالي
محمود سعد - لبنان : نائب صيدا
وليس بلديا
فوزي القوم - صام : هيئة السلام
السودانية
محمد صالح العواصم - البكر : رئيس
لجنة السلام في البكر الديمقراطية الشعبية
الجنسدي مراد قوتلي - سوريا
مجلس هيئة رئاسة مجلس السلام العالي

الشبيبة لثورة الخلق العربي الخلق
دكتور : رفعت السيد - صهي :
مجلس السلام العالي
مكي عبد العزيز - بحر : ابيية
علي عدي - سوريا : عضو مجلس
السلام السوري
فؤاد زهيل - بحر : بحر :
عبد الهادي عيلة - سوريا : عضو
مجلس الشعب
محمد احمد الشيخ القفاص - صهي :
سوداني : هيئة السلام السودانية
نقولا الكمام - لبنان : سكرتير الاجتماع
الوطني لتكليف العمال في لبنان
ابن كاسو - سوريا : عضو الاتحاد
العام في الفكر العربي السوري
فؤاد قنوي - سوريا : عضو مجلس
السلام العالي
فوزي حجازي - صام : بالانكليزية
وعضو مجلس القسائم العالي

دستور ١٩٢٣



أعداد وتعليق

طارق البشرى
د. رفعت السيد

انتشر « الطليعة » ، في هذا العدد ، وثائق من دستور سنة ١٩٢٣ ، والمناقشات التي جرت في لجنة الثلاثين ، وهي اللجنة التي قامت بأعداد هذا الدستور .
أن دستور سنة ١٩٢٣ ، كان يمثل — عند أعداده — تصورات الطبقات الملكية المصرية لأسلوب حكمها ، عندما تستولي على السلطة في مصر المستقلة .
وإذا كانت المناقشات قد انتهت بطابع ليبرالي واضح ، فإن التجربة العملية لسنوات — السلطة المفترضة — لهذه الطبقات ، قد أثبتت عدم احترامها لكثير من المبادئ التي نادى بها في مناقشات الدستور .
ومع هذا ، فإن هذه المناقشات « تمثل وثيقة سياسية وتاريخية هامة » لأنها :
أولاً : توضح المسار الفكري والسياسي الذي وضع فيه أول دستور مصري .
ثانياً : لأنها تكشف عن الاتجاهات السياسية والفكرية لكثير من السياسيين المصريين تجاه واحدة من أهم القضايا في تاريخنا الحديث .
ثالثاً : لأنها تعدد لنا الأساليب والاتجاهات التي سارت فيها إجراءات إعداد الدستور . . وتكشف عن الصراعات المستترة التي دارت حول عملية وضعه وموقع التطبيق .

تسلبت ثورة ١٩١٩ في مصر مقبب انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة . واجتهدت موجتها حتى شملت مصر كلها وبلغت أعماقها الأرياف . وظهر بها الشعب المصري ثائراً موحداً مصمماً على التحرر . وكان « الوفد المصري » هو الحزب الذي نشأ في فئسان هبته الثورة



والسودان . ثم كلف عبد الحافظ ثروت الذي ساهم مع اللقبى في وضع صحيفة التصريح المخنور ، بتأليف الوزارة في أول مارس ، وكان من أخص مهامها اعداد الدستور . ويتكون حزب الاحرار الدستوريين من المنسلفين عن الوفد . وقصد بذلك جميعه ان تمت تصفية المسألة الوطنية والديمقراطية في ذات الوقت الذي يضرب فيه الوفد ، وأن يتكون الدستور وتبنى مؤسساته في غيبة الوفد والجماهير . وأطردت موجات اعتقال قادة الوفد .



في ٣ أبريل ١٩٢٢ شكت لجنة الدستور بالتصميم من اثنين وثلاثين عضوا . اختيروا من الجمعية التشريعية التي نشأت في عهد الاحتلال سنة ١٩١٢ ، وذلك بوصفها الهيئة التي تمثل الامة تمثالا رسميا . ومن عدد من الاعيان من « ارضي اختيارهم اصحاب المصالح الواسعة في البلاد » كما يذكر الدكتور هيكل . فكانت اللجنة موزعة بين اتباع السراى والاحتلال وبين الاعيان . وقاطع الوفد اللجنة وقاطعها الحزب الوطنى . واسماها سعد زغلول « لجنة الاشقياء » ، كما اسمى تصريح ٢٨ فبراير نكبة وطنية كبرى . وتركز مطلب الوفد الاساسى في ان تضع الدستور جمعية وطنية تتكون بالانتخاب العام الحر وان ترفع الاحكام العرفية التي كانت مفروضة على البلاد منذ بداية الحرب العالمية . واستمرت لجنة الدستور في عملها منذ ١١ أبريل ١٩٢٢ حتى انتهت في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٢ .

كانت صناعة الدستور معركة سياسية بين الحركة الوطنية الديمقراطية وبين امدائها . وحدث أن تسلخ المعتدلين عن الوفد لم يضعفه بل شد من عضده اذ جعله خالصا للعناصر الثائرة . كما ان اجراءات العنف التي اتخذت ضد العناصر الوطنية زادت التشكك الجماهير حولهم وحصنت الجماهير ضد تصريح ٢٨ فبراير وسياسة عبد الحافظ ثروت . واستقطعت الحركة الوطنية رغم عدم اشرافها في لجنة الدستور ، ان تولى السكيت من مبادئها فيها على ما سترد الاشارة اليه .

وبالجملة فيمكن استعراض الخريطة السياسية لقوى المختلفة وقتها فيما يلي :
اولا : الانجليز : ويمثل وجودهم في جيش الاحتلال ، وفي القنص السامى الذي كان يمارس نفوذه السياسى الحاسم على مؤسسات الحكم المصرية . وقد بنى الانجليز سياستهم بعد ١٩١٩ ، على اساس تصريح ٢٨ فبراير . وادركوا خبرتهم في حكم مصر ان يابسون استدامة نفوذهم العمل على بقاء السلطة موزعة بين الملك والاحبار الدستوريين . فلا تسود بها قوة واحدة قد تنالسهم مستقبلا بصفتها الذاتية . وان تكون

والثقت حوله الجماهير الثائرة ، وهو الحزب الذى قاد حركة التحرر الديمقراطي فيما تلا ذلك من اعوام . وقد شمت قيادة الوفد في البداية جماعه من الممثلين السياسيين لسكار ملك الارض ، ثم ما لبث هؤلاء أن انسحقوا عن الوفد ، فخلصت قيادته للبرجوازية الثائرة ضد الاستثمار ممثلا في الاحتلال البريطانى ، وضد الاستبداد ممثلا في السلطان فؤاد ، وظفر بالقيادى الكاسع للجماهير الشعبية كلها في هذين الهذفين التاريخيين العظيمين . وليس هنا مجال التاريخ لقوة ١٩١٩ ، أما القصد هو تحديد الاطر التاريخى العام للظروف السياسية والاجتماعية التى وضع فيها دستور ١٩٢٢ . باعتباره انه يتمتع بالنظر لهذا الدستور في اطار النظرة العامة للقوة ، واعتباره اهم حصيلة لها . وانه يكتسب مضبونه التاريخى من سبقا .

والحاصل ان خاتمت محاسلات السياسة البريطانية تحطيم الثورة ، بالعرف واجراءات القمع الشديد ، فجلت الى الحيلة والمقاومة . واكتشفت لجنة ملر في تصحيحها لظروف الثورة ، ان الوفد يضم ثبارين يختلفان شدة واعتدالا في مطالبهما ، فعملت السياسة البريطانية على التأثير في الاحداث بما يعقل الخلاف بينهما . واكتشف هذا الخلاف سافرا عقب عودة الوفد الى مصرى من اوروى . بين المتشدين المتقنين حول سعد زغلول . ومن عرفوا بالمعتدلين المتقنين حول سعدى يكن . وعمل هؤلاء الاخيرين على كبح جماح الحركة الثورية وتحييدها . وفي مارس ١٩٢١ الف عدلى يكن الوزارة ثم سلفر الى لندن لمفاوضة كيرزن وزير الخارجية هناك . وكان الوفد والجماهير كلها معه تحت قيادة سسعد زغلول ضد عدلى وضد المتهاونين ، وقشفت مفاوضات عدلى وكيرزن رغم عدم اختلافهما في شأن الاتفاق ، فشلت بسبب مقاومة الوفد لها وادراك الانجليز الا أمل في ضمان تنفيذ اية معاهدة يابنى الوفد قويا ومعارضا . وكان لابد من تصفية الوفد والحركة الشعبية . وتتمثلت خطة التصفية في الاجراءات التى تلت ذلك مباشرة .

قبض القسودب السامى البريطانى في مصر على سعد زغلول وبعض قادة الوفد ونفاهم من مصر في اواخر ديسمبر ١٩٢١ ، وقدم عدلى يكن استقالته حتى لا يتحمل امام الجماهير وزير هذا العمل المتفق عليه . ثم صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ من جانب بريطانيا يعلن انتهاء العملية البريطانية على مصر . ويعترف بها دولة مستقلة ذات سيادة وان سلطان مصر قد صار ملكا عليها باسم الملك فؤاد الاول . ووضع التصريح اربعة تحفظات على هذا الاستقلال : هي الخفاق عن مصر في حالة الحرب وتلبين المواسلات الاميراطورية وحماية مصالح الاجانب والاقليات

تحفظات تصريح ٢٨ فبراير بهي الصيغة التمسيلية التي يتكلم من التدخل المباشر ان استدعى الامر . وان تكون قوات الاحتلال ركيزة ملابية لهذا التدخل عند الزوم .

• السراى : وهي مؤسسة سياسية يقوم على راسها الملك ، ومن قبله الخديو والوالى . وقد استقطبت نصفها كل بقايا ورواسب القرون الوسطى وبعهد الحكم المملوكى التركى . فكانت بمثابة قاعدة اجنبية على راس السلطة . ومنذ ثورة عرابى فهمت السراى ان لاضمان لبقائها الا بمعونة اجنبى محتال . وكان الخديو توفيق هو من طلب دخول الانجليز سنة ١٨٨٢ لاصباته من العربيين ، وهي ذاتها واقعة احتلال مصر . وكان فؤاد هو من تولى مرش مصر سنة ١٩١٧ تحت ظل الحماية البريطانية وباختيارها ، ثم صار ملكا بتصريح ٢٨ فبراير .

• الاحرار الدستوريون : المجلون السياسيون لىكار ملك الارض . وهي الطبقة التي دخلت معترك الحياة السياسية منذ تكون مجلس شورى النواب ١٨٦٦ . وشاركوا بقدر في بدايات ثورة عرابى ضد استبداد العناصر التركية والتركسية الاصل ، وسامعوا في المجالس الاستشارية النيابية في عهد الاحتلال . واستقر في ضميرهم - خاصة منذ اثنائها حزب الامة في بدايات القرن العشرين - انهم زخر الكفاية لصيرة الجدية بالمشاركة في الحكم الى جانب السلطة الشرعية - ممثلة في الخديو ، والسلطة الفعلية ممثلة في الاحتلال ، كما عبر لطفى السيد وقتها . وكان الاتجاه الفكرى المتبعهم غربى النزاع متفراغا بالفكر الحضارى التى انتقلت الى مصر من اوروىا . وكانوا شديدى الحساسية ازاء محاولات السراى ابقاء سيطرتها على الحكم من يومهم . وعند اعداد دستور ١٩٢٣ ، اتخذ مفكرهم باللجنة موقف التأييد والتوسعة الى حد ما من سلطات الامة ، فلما منهم ثم وارثوا الوفد القادرون على استرداد الامة « منه بعد اجراءات التبع التى اتفقت ضده » وتكبد لسلطتهم باعتبارهم الامة « في مواجهة سلطة الملك . وكان انصار الملك يروجون الى فكرة ان الدستور منحة من الملك ، وعارضى عبدالعزيز فهم وغيره من الاحرار هذه الفكرة قائلين ان الدستور عقد بين الملك وبين الامة - ممثلة في وزارته ، اى وزارة عبد الحالى ثروت . وان الانجليز لم يمتروا باستقلال مصر لمصلحة الملك وحده ، ولكن لمصلحة الامة ايضا .

• الجهاز الادارى : وقد اتسمت صياغته خلال الاربعين سنة الماضية على يد الاحتلال والسراى ، وكان الخدين ثم السلطان على راسه ممثلا للسلطة التشريعية يؤكد نفوذه من خلال من يعينهم في مراكزه الكبيرة من اقصره . وكان للانجليز « يهيئونهم عليه » من خلال موظفيهم الكبار

فى الجيش والبوليس ووزارات المالية والحقانية . وكان من كبار الملك المصريين عدد فى الجهاز الادارى من بينهم والبريطين بهم .

ثانيا : ثورة ١٩١٩ . القوة الوطنية الديمقراطية الجديدة ، ممثلة في الوفد المصرى . وهنا ينبغي ملاحظة امر هام . فانه اذا كانت لجنة الدستور لم تتسع هذه القوة ، وقد دارت جميع جلساتها في سرية ، فان هذه اللجنة ذاتها وضعت الدستور في مناخ سياسى . ض عليها ، هو المناخ الذى لوجته الثورة . ولم تكن لجنة الثلاثين قادرة على تجاهل صوت المظاهرات يتقدم عليها التوافد ، ولاخطب القادة وكتابات الصحف .

والحقيقة ان الوفد قاطع اللجنة وطلب بتكوين جمعية وطنية ، ولكنه لم يقف بعيدا عن الصراع الدائر حول اعداد الدستور . وكان يرأب لعمال اللجنة ، ويراقبها معه جمهور اصحاب الراى في المجتمع ، في كل مسألة تتعرض لها ، وكانت البيانات تصدر والمقالات تكتب والاجتماعات تعقد لاتخاذ المواقف المطلوبة فيما تكون اللجنة بصدد تقرير من احكام الدستور . وكان لهذا تأثيره المعترف به على اللجنة ورجالها . وقد ذكر الدكتور هيكل ان المعارضة [الوعديّة] خارج اللجنة كان لها نفعا في مساعدة راى بعض اعضاء اللجنة ، مشيرا الى مطالب هؤلاء في الحد من سلطات الملك ، كما ذكر اسماعيل صدقى ان دستور ١٩٢٣ ، علفت به « آثار الفتنة التى ولد في جوها » اى انه كان يحمل طابع ثورة ١٩١٩ .

وقد عرف عن لجنة الدستور ، انها رفتم سرية جلساتها فقد كانت تلجا الى نوع من الحوار غير المباشر مع الراى العام خارجها ، ويوعز خصين رشدى رئيسها الى بعض المصحف طرح موضوع ما يشغل اللجنة على الراى العام لتستطيع تحسس موازين القوى بشأن توجيه احد الحلول له . وبلغ الامر باللجنة احيانا ان اوصت بعض اعضاءها بالكتابة في الصحف بصفتهم الفردية لاستطلاع وجهات النظر وتيسر ردود الفعل ، فيما يدور باللجنة من مسائل - والمعروف ان الملك لا اراد تعطيل بعض نصوص مشروع الدستور لزيادة سلطاته ، وقد ضده الوفد فوئدت محاولته .

وكانت اللجنة في استطلاعها وجهات نظر الراى العام خارجها ، تصدر عن اعتبارين اساسين : اولا ايجاد قوة ممثلة في الراى العام تعيم ما يظهر داخلها من خلافات حول تعيين السلطات المختلفة وخاصة تحديد سلطة الملك وسلطة الامة . وثانيا التذك من انها لا تقوم فيما تقسره من احكام يعمل ينقطع الصلة بالاتجاهات العامة خارجها وانها لا تعمل في فراغ ، وكانت تدرك بوضوح وبوضيرة ان دستور

الوقت ، إذ نال ٩٠٪ من مقاعد مجلس النواب وشكلت أول وزارة برئاسة سعد زغلول في يناير ١٩٢٤ .

وإذا كان الأحرار الدستوريون قد ساهموا مساهمة كبيرة في وضع الدستور ، فقد كانوا من أوائل من انكسب عليه في ١٩٢٥ ، واسماه عبد العزيز فهمي ثوبا مضطضا ، ثم وقعت وزارة الأحرار العمل به في ١٩٢٨ ، وغاصوا المحارك ضده .

وإذا كان سعد زغلول هو من أسس لجنة الدستور لجنة الإنقاذ ، فقد قال في أول اجتماع لأول برلمان شكل طبقا له أنه وضع على الحسب المبادئ المصرية ، وقال بعدها « هذا الدستور هو نعمة من الله علينا » ، وكان هذا الدستور بعد ذلك ركيزة الوفد وهدف كفاحه طوال مدة بقائه . أما من أحكام الدستور فهذا ما سنستلمه الوثائق التالية -

لا يظفر بتأييد الرأي العام أو بعض اتجاهاته الأساسية ، أو بالأقل لا يتصل بهذه الاتجاهات بسبب دستور مقلع المصور أن يكون أكثر من قصاصة ورق . وكانت الكتلة الأساسية للرأي العام تلف حول الوفد .

والنتيجة أن دستور ١٩٢٣ الذي أريد له أن يصنع في غيبة الوفد . قد صنع في وجوده ، من خلال التأثير العلانية . ولكن بقي الوفد رافضا الاعتراف باللجنة والمشروع الذي أعدته ، طالما بقيت إجراءات القمع تمارس ضده وتعمل على تصفيته قبل تنفيذ الدستور . واستعمل كل وسائل الضغط الشعبي حتى عاد القادة المقيمين وأخرج عن المعتقلين ، وأعلن من الانتخابات في حضور القوة السياسية الكاملة للوفد وللشعوب الشعبية . فحصل الوفد الانتخابيات حسب الدستور ، فكان ذلك منه بمثابة قبول للدستور واستغناء له عليه . وكانت النتيجة فوزا سلهقا



أحمد كريمة ٢

رغم ١٢ مؤرخ أول مارس سنة ١٩٢٢ توجه إلى ميد الشاطئ ثروت باشا بتشكيل الوزارة . وكان يكنى للبلاد نظام مسجورى وحقق التعاون بين الأمة والحكومة ..

عزى عبد الشافي ثروت باشا ... أن القرار الذي أبلغنا إياه حفرة صاحب المقام الجليل القديس السياسي لدولة بريطانيا العظمى فيما يخصه مقننهها الصليبية البريطانية على مصر ، وبالإعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة ، يحق لها أن تطلب لنا ولشعبنا العزيز . وهو ثمرة الجهود التي تكثفها على القوام بالمشجوع والقيود . ولا ريب حسنا في أن استمساك الأمة بربط الولام والاتحاد والتزامها جانب الحكمة في هذا الدور الجديد حيثما التمساسة كليل بتحقيق كامل أمانيها .

ولفرا لما نعرفه حكم من الجهود المتكثورة في خدمة القضية المصرية ، ولما لنا من الثقة التامة بكم ، وما نعهد فيكم من الجدارة الكاملة للقيام بهذه الأمور . قد اقتضت أرائنا الديمقراطية ترجيح مسند رئيسه مجلس وزرائنا مع ولاية الرئيسة الحالية لمعكم . وقد أصدرنا بهذا هذا دولكم ثلاث في تليف وزارة جديدة يكون من بينها وزير للخارجية وعضو بشروطه لجائبا بصور مرسوما للمالي به .

ولا كان من أجل وثيقا أن يكون البلاد نظم مسجورى يحقق التعاون بين الأمة والحكومة لأنه يكون من أول ما تعني به الوزارة أعداد مشروع ذلك القلم .

ولما ضال الله على القديس أن يجهل التوفيق رائدا فيما يعيد على بلانما ورماعا بالخير والسعادة وهو المنحضان عزاد

صلى يسرى هابدين في ٢ رجب ١٣٤٠ [أول مارس ١٩٢٢] .

كانت إحدى المحاولات القوي الوطنية تجاه هذا الخطاب أن الملك فؤاد يصور الاستقلال على أنه منحاز الانجليز وليس تنويجا لخضال الأمة . وقد جهه في رد عبد الشافي ثروت على الملك فؤاد بفرقة خلسة بالدستور جاء فيها :

« على أن الوزارة ترى أنه لا يجوز جهود البلاد في صيقل تحقيق كامل أمانيها بحيث تولى جميع ثمرها يجب أن يؤول بين يدي الحكمة وبين عمل هيئة تيوب من الأمة ، وأن تسمى البرلمان ماسانلذان لا تراعى متحدة . ولذلك فإن الوزارة ، صلا ياولمر عتقكم ، سيستأخي الحال في أعداد دستور طبقا لمبادئ القانون العلم الحديث وسيقرر هذا الدستور بعدا المساواة والوزارية ، ويكون بذلك الهيئة القبلية حق الاتراخي على العمل الصليبي »

(أول مارس ١٩٢٢)
قرار مجلس الوزراء الصادر في ٣ أبريل ١٩٢٢ بتأليف لجنة تتولى وضع مشروع دستور وقانون الانتخاب

رئاسة مجلس الوزراء
صلى مجلس الوزراء في ٥ شعبان سنة ١٣٤٠ (٢ أبريل ١٩٢٢) على الذكر الآتي :

أشار الأمر الكريم الصادر في ١٢/١٢/٢١ هذه الوزارة إلى رغبة حفرة مسجورى الجلالة الملكة في تحقيق التصانين بين الأمة والحكومة بواسطة نظام مسجورى . وبعد إلى الوزارة بأعداد مشروع ذلك القلم . وقد كان جواب الوزارة على هذا الأمر الكريم أنها ستطلب في العمل في أعداد مشروع دستور طبقا لمبادئ القانون العلم الحديث ، وأن هذا الدستور سيقرر مبدأ المساواة الوزارية ، ويكون بذلك الهيئة القبلية حق الاتراخي على العمل السياسي المتكول .

وبما أن الوزارة ترى أن تعيين في القيام بهذه المهمة الطويلة بأفراد هيئة يكون مضاعفا من قوى الخبرة والسعة القبلية ، لذلك اقتصره بأن أربع هذه الذكر المجلس الوزراء وأرجبا الوافقة على تأليف لجنة تتولى وضع مشروع دستور والقانون الانتخاب ويكون أعضاها حفرة اصحاب الدولة والعلم والعصا والمعاداة والوزارة الآتية اسمائهم :

١ - صلي رشدي باشا (رئيس)
٢ - أحمد مسجورى باشا

على انها جميعا هي الدستور المطلوب منا اعداده . فباعتبار كل منا سوى الادلاء ابراهيم عند الدائلة وتقرير المبادئ التي يرى وضعها في القانون وعلى تم وضع المشروع وقرع على اللجنة المعنية للنقشة فيه كان لكل عضو من حضرات الاعضاء حق ابداء رايه واخذائه عنه ، اما الآن فكل هذه امور سابقة لانها .

حضرة توفيق دوس بك : هذه المبادئ كلها ستقرر امام اللجان المختصة وتكون موضع المناقشة والبحث فيها ، فلان واقع قرارها راي حضرة العضو كان بها ، والا فله ان يطرح الامر للجان المختصة جديدا امام اللجنة . ومما اثارنا فيه ان واجهنا ، نغرض مشروع دستور تمثل فيه سلطة الامة بالوسع معانيها طبقا لحسنة المبادئ الدستورية واحدة بديهي القانون العام .

حضرة الياس عيسى بك : المسائل التي عرضها المكتبى بك امور مسلم بها في كل دستور في العالم ، فلا محل لتقريرها ، وهي تعرض على اللجان .

حضرة الهادي بك : المصود لسا هو وضعه في القوانين ، والقانون النظامي كله مبدئي ، فلان اردنا تقرير المبادئ التي يريها المكتبى بك فلان هذا هو كل القانون ، والمناقشة الآن معناها ونفس القانون برهته .

دولة رشدي باشا : انا افهم ان عبارة سيادة الامة مسائل نظرية محضة ، وان المهم هو الزها في نصوص الدستور وتطبيقها صليها بالوسع ما يمكن ، كمسؤولية الوزراء ، وحق الامة في تعديل الدستور بواسطة مجلسها القبلية ، وكان ينس في الدستور على ان ينظم جلالة الملك بين المحاسبة عليه .

كذلك بعض الاقليات الاجنبية تيدي معاهلها من وضع الدستور على اساس انه سوف يؤدي الى الاضرار بحقوقها المكتسبة ، وخاصة حقوقها في التوظيف والامانة واملاك الاراضي الزراعية وغيرها .

ومن بين المجموعات التي ابدت قلقها بشكل منظم جمعيات السوريين والليثانيين المقيمين بمصر والذين كانوا يستمعون بالامتنان الى الاجنبية باعتبارهم رعية فرنسية .

الحكومة : هو ليس الزلمية بل هو راي مبدئية تقرير استرشده به في وضع الدستور .

نصيحة الشيخ محمد بحيث : هل نجد تصديق الحكومة على الدستور يجب عرضه على البرلمان حتى يكون نهائيا ام لا ؟ فلتني ارى وجوب عرضه على البرلمان قبل التصديق النهائي عليه .

دولة رشدي باشا : هذه بمسألة سلفية لاوانها ، ويجب ايجاد الرأى فيها عند الدائلة . اولنا ان تحضير قانونين احدهما للاتخاب والاني للدستور ، من رايي لتشكل لجنتين لتضيق كل من القانونين قاعدة ، وعند عدم اتفاق اعضاء اي لجنة يصرف الامر على اللجنة العامة . وارى ان من واجبا تحضير مشروع دستور للجنسية المصرية فان قانون الانتخاب يتوقف عليه .

حضرة عبد العزيز فهمي بك : ارى لتجيب بمسألة قانون الجنسية الآن ، لان من المسائل المحظرة بها ، ولانه محفل لمعلم الان ، فالحل من ان اعداده الان قبل التي في المسائل الاخرى تقيس نفسا سيرا عظيما ، وارى ان نسير الان على قانون الوطنية المصرية المعمول به الان فالحل من اننا غير مخصصين باعداد هذا القانون .

حضرة المكتبى بك : جاء في خطبي دولة رئيس الوزراء ان الدستور الذي نضم به الآن هو ملحة من جلالة الملك ، ولكنني اقر ان ما يلزم به الان من الدستور انما هو امرة من امر جهاد الامة ، وان كلمة السيادة التي يجب ان تكون بارزة في نصوص الدستور ، وعلى هذا الاساس نحن نشترك في العمل . وهناك جاذبه يجب ان نقرها قبل انتخاب اللجان والبدء في عملها ، منه ان سلطة الامة يجب ان الوزارة يجب ان تكون بارزة ، وان الدستور الذي نلحه الان يجب ان يكون قريبا للتمثيل امام مجلس القواب ومجلس الاعيان بالقابلية لاثلة ارباعها ، وأنه يجب ان يكون : الانتخاب بدرجة واحدة او مزدوجة ، وان تكون نيابة الامة في مجلس واحد او مجلسين .

دولة رشدي باشا : كل هذه المبادئ نضم بها دولة رئيس الوزراء .

- ١ - يوسف صلي باشا .
- ٢ - احمد طخت باشا .
- ٣ - محمد توفيق رفعت باشا .
- ٤ - عبد الفتاح يحيى باشا .
- ٥ - سميحة السيد عبد الصمد الكوري
- ٦ - نصيحة الشيخ محمد بحيث .
- ٧ - نيافة الامة يوسف .
- ٨ - قاتني فهمي باشا .
- ٩ - اسماعيل ابنته باشا .
- ١٠ - محمد ابو حنين باشا .
- ١١ - منصور يوسف باشا .
- ١٢ - يوسف صليان نظاري باشا .
- ١٣ - ابراهيم ابو رحاب باشا .
- ١٤ - علي الخازن بك .
- ١٥ - عبد العظيم المكتبى بك .
- ١٦ - محمد علي بك .
- ١٧ - زكريا نايك بك .
- ١٨ - ابراهيم الهادي بك .
- ١٩ - عبد العزيز فهمي بك .
- ٢٠ - محمود ابو القصر بك .
- ٢١ - الشيخ محمد خيرت راعي بك .
- ٢٢ - حسن عبد الرزاق باشا .
- ٢٣ - عبد القادر الجمال باشا .
- ٢٤ - صليح تيم باشا .
- ٢٥ - الياس عيسى بك .
- ٢٦ - علي ماهر بك .
- ٢٧ - توفيق دوس بك .
- ٢٨ - عبد الحميد مصطفى بك .
- ٢٩ - صليح حسن باشا .
- ٣٠ - عبد الصمد بدوي بك .
- ٣١ - رئيس مجلس الوزراء
- ٣٢ - شحات

● يلاحظ ان عدد اللجنة الثمان وثلاثون عضوا ، وليس كما هو مداول نقرات لسيادتها لجنة الثلاثين ، ويلاحظ ان اللجنة تضم (١٦) باشا و (١٢) بك ، وتضم ايضا ممثلين لرجال الدين المسلمين والمسيحيين كما تضم يهودا ولدا .

مقتطفات من الكلمات التي القيت في اولى جلسات لجنة الدستور

١ - مستند للجنة برئاسة الجمعية التشريعية في ١١ ابريل ١٩٢٢ :

سيادة منصور يوسف باشا : قلت الوزراء الذين استمعين لمجلة الثلاثين اعداد مشروع قانون للدستور واضر للاختلاف ، وقال دولة رئيس الوزراء اننا في هذا العمل سميحة البلاد لفرانيا في اعداد هذه القوانين استشاري او قضائي ، وانا اطلب استحضار قوانين الدستور المصرية وان تخرج الى العربية بمعرفتهم ومترجم .

سيادة قاتني فهمي باشا : مهمتنا هي اعداد مشروع القانون فقط ، وبعد اعداده يصرف على

أن الوزراء يتقنون مشورتهم من الوجهة السياسية من أعمال ولي الأمر، ويحكم مصالحهم معه، لم يكونوا خاضعين مسئولية بالبلدية أمام الجمعية التشريعية التي تلت مصالحة بمسابقة مجلس استشاري قاري.

ودان زعي الحزب، بعد عقد الفصل الأول من فصل القوانين، الجمعية التشريعية بوضع الأمر، فلم تجتمع في ذلك الحين. لأن عملها أجل في هذا اليوم، ولأن الأعمال التي تصل لتجديد انتخاب أعضائها وقتت، ومن الجهة الأخرى يسط الحكم العربي البريطاني في البلاد كلها من شهر نوفمبر ١٩١٤. ولم يبق حتى الآن، فقلنا من ذلك أن إدارة البلاد في داخل هذه الأمة الاستقلالية تمت أما براسم إسمهراي أو التي إلى مجلس الوزراء، أو بقرارات مجلس الوزراء، أو بأوامر وتنشورات من السلطة العسكرية - ولكن من غير معاونة الهيئات البلدية.

أما المستور الجديد، فيمنع وبالمصراع على أعضاء حكم بلدياتهم في البلاد.

والسلطة التشريعية ستكون في يد الملك ومجلس الشيوخ ومجلس النواب معا. فلا يجوز لأي فرد تشريعي له صيغة القانون إلا إذا سبق البرلمان فأجازها. وكانت السلطة التنفيذية على الآن - سواء كان يحكم القانون القاطن لمدة ١٨٨٢ أو قانون ١٩١٣ - تستعين دائما إما بما يرى مجلس شورى القوانين، أو الجمعية التشريعية، ولم تكن موافقة الجمعية العمومية أو الجمعية التشريعية بالضرورة في إجازة الأموال المقررة بالقرارة أو الشخصية.

ولكن مثلك ما هو أعلم من هذا. وهو أن الملك لا يكون بعد الآن على قدم المساواة مع التأمين التشريعيين، لأنه لم يفلح له بحق نقض قراراتها ولو على سبيل التوفيق البسيط، ولم يفتحن عليه أن يوافق على القوانين التي يبررها البرلمان. وكل السلطة المقررة بها الملك هي أن يطلب القراءات الثانية في البرلمان. فكل مشروع قانون يقر عليه مرة ثانية في فصل الجلسات الواحد بأكثريته للتي أعضاء له أو المجلس، أو لو كان في القترح على جواره بأكثريته ملزمة في فصل سابق. يجب أن يسن ويلف.

وقد جعل حق البرلمان في القراح طموحات القوانين مطلقا، إلا في مسألة فرض ضرائب جديدة، أو زيادة الضرائب الحالية. ولم يكن هذا الحق مقترنا به لجس شورى القوانين بقتل ١٨٨٢. وكل ما كان يستتبعه هو أن يصيب الحكومة لتقسيم الشروعات، ولكن الحكومة كانت حرة في تلبية هذا الطلب أو عدم تلبية.

أما قانون سنة ١٩١٣، فقد اكتسب الجمعية التشريعية شيئا من هذا الحق، ولكنه لم يشرع بمسيرة الحكومة، وكانت تستطيع أن تعرض على مناقشة كل

الجمع إلا كثيرا بل كان اجتماعها مرة كل سنتين عادة. ولم يكن لها من السلطة التشريعية الثلاثة سوى حق الاقتراح على الأموال المقررة، عقارية كانت أو شخصية. بخلافه، لجس شورى القوانين، شفع أن يعينه كانت استشارية فقط فانه كان في الحقيقة يشتره اشتراكا عظيم القدر في من القوانين.

وبإحكام قانون ١٨٨٢ كان مجلس شورى القوانين يلازم من ٣٠ عضوا، منهم ١٤ دافعين بينهم الرئيس ونائب الرئيس) ويعملون بأمر عال، و ١٦ عضوا ملتحيا، منهم ١٤ ينتخبون في الدرجة الثالثة بواسطة مجلس الشيوخ (ومجلس عضو مندوب من كل المجلس عمومية) وعضوين ينتخبان بالدرجة الثانية بواسطة مندوبي الأمن والمحافظات. أما الجمعية العمومية فكانت بمكمل ذلك القسوتن منه، مؤلفة، عالة على الوزراء من أعضاء شورى القوانين ومن ٤٠ وجهها ينتخبهم خارجيون مندوبون بالدرجة الثانية.

أما الجمعية التشريعية التي انشأت سنة ١٩١٣ بمؤلفة من الوزراء، وهم أعضاء فيها يحكم ماضيهم، ومن ١٦ عضوا ينتخبهم خارجيون مندوبون بالدرجة الثانية، ومن ١٧ عضوا محليا.

فالقانون القاطن الذي سن صفة ١٩١٣، كان قلما محصيا بالنسبة إلى القانون السابق له من جهة وجو:

١ - زيادة نسبة الأعضاء المنتخبين إلى الأعضاء المعينين، ووجود ٦٠ عضوا بنفصا لكل للبلاد تقريبا بمعدل كل ٢٠٠ ألف نسمة مثلا.

٢ - تحسين نظام الانتخاب تصصا مطلقا، بمعنى أن الانتخاب صار في جميع الأحوال بدعجتي. وأن عدد الناخبين المنويين زاد زيادة عظيمة. فقد صار لكل ٥٠٠ ناخبيا إنداكيا منتخب مندوب. أما قبل ذلك فله لم يكن لكل مدينة أو قرية أو قسم سوى نائب مندوب واحد مهما بلغ عدد السكان.

٣ - كمال لميل الاقتيات والمصالحاته بتنش على الحكومة أن تختار الأعضاء المعينين من بعض طبقات الأغنى أدام تكن الانتخابات قد منحت هذه الطبقات تمثيلها ولها.

٤ - وأخيرا حل الانتخاب بالأكثريه المطلقة في الأصوات محله الانتخاب بالأكثريه النسبية.

أما من جهة اختصاصات الجمعية التشريعية فقد زيد زيادة مسيرة بشمولها الحق في القراح بعض أنواع التشريعية والموافق في مناقشة الحكومة أمر مشروعات القوانين والأوامر المالية التي تعرض عليها، ولكن إذا استلظت مسألة الأموال الجديدة المقررة - البطارية أو الشخصية - فإن الحكومة ظلت حرة في أن تعمل أو لا تعمل برأي الجمعية، ومع

كان أحد الشروط التي اشتره بعض الأعضاء السابقين في الحزب الوطني على أساسها في لجنة الدستور في النص على أن الدستور شرة لجهاز الأمة وليس ملته من الملك وأن الأمة في مصر كل السلطات.

وكانت مهمته أن من - يفتح، يملأ - الاسترداد، وقد أكد الكتيبي أن هذا شرط لوجوده في اللجنة فقال - وعلى هذا الأساس نحن نضربه في العمل -.

أعضاء اللجنة الفرعية:

تشكلت اللجنة العامة وجلستها التي انعقدت في ١٣ أبريل سنة ١٩١٢ وعهدت للوزير لغيره على المائدة العامة التي يجب الأخذ بها في مشروع الدستور وقانون الانتخاب. شكلت اللجنة من عشرة صلب الدولة حسين رشدي باشا، وهضرات أصمحاب الحاشي والسعادة والفضيلة والزع: عبد العزيز فهمي بك، توفيق موسى بك، عبد الفتاح يحيى باشا، محمد علي بك، أحمد حليم باشا، علي ماهر بك، عبد الحميد مصطفى بك، أحمد طلعت باشا، محمد وفيق رفعت باشا، عبد الحميد بويق بك، عبد الحليم الكليبي بك، علي الخزالي بك، الأستاذ الشيخ محمد بخت، إبراهيم الهلالي بك، يوسف أصلان طراوي باشا، زكريا شوقي بك، محمود أبو النصر بك.

مذكرة وزير الحقلية عن المستور المصري:

(نص المكرة التفسيرية التي وضعها وزارة الحقلية لشرح الحال الجديدة التي خلقها الدستور، ولكن أسباب التمثيل الذي اضطر على مشروع لجنة الثلاثين.)

إذا أريد فهم عرسي التغيير الذي سيجري فلا منحه أن يورد بالإيجاز ما يختلف به نظام الحكم الجديد عن النظام السابق.

ومن وجهة النظر هذه يجب أن تكون القرارة بعدم النطق بأداة التي تلتجس العرب المصلي، أن البلاد منذ سنة ١٩١٦ كانت خاضعة للحكم استبدادي.

ففي أول يولييه سنة ١٩١٣ سن قانون نظام جديد حل محل القانون القاطن الذي سن في أول مايو ١٨٨٢، ويؤخذ من مباحث قانون ١٩١٣ أن الغرض الأكبر من التعميل الذي اضطر على القانون القاطن والقانون الانتخاب لسنة ١٨٨٢ هو إدخال مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية في مجلس واحد هو الجمعية التشريعية. وقد كان من أكبر البواعث على تسريع هذا الإدماع أن كثرة الهيئات التأسيسية في سنة ١٨٨٢ لتطبيق نظام المجلسين الضالع في مقام البلدان الأجنبية - فالجمعية العمومية - م تكن

مفهوم يصف من أعضاء الجمعية التشريعية

فازت هذه السلطات الخمسة المطلق في المواد التشريعية أصبح من المصواب الرجوع إلى نظام المجلسين ، فالمجلس الأعلى يكون عضواً معداً يهيئها تأليفه ، ولكن إذا كان للمجلسين بين السلطة من جهة الإقرار على القوانين - إلا في مسألة الميزانية التي يجب أن يوافق عليها وتكون بمجلس المجلس - فإن المجلس النواب مع ذلك كافة واضحة بسبب المبادئ التي وضعها الدستور فيما يخص مسؤولية الوزراء .

أي أن الوزراء مسئولون سياسياً أمام مجلس النواب وحده ، وليس أمام مجلس الشيوخ ، ومن الجهة الأخرى فإن من اختصاص مجلس النواب القرار على إلقاء الثقة أمام الحكومة الخاصة التي تتولى حكمته الوزراء هي التي النواب التي يرتكبوها في أداء مهامهم ، وقد على ذلك أن الوزير الذي تحكم عليه الحكومة المشورية لا يمكن أن يعفى عنه إلا بموافقة مجلس النواب .

وبحسب بيان توقيع في لخص مسألة مسؤولية الوزراء ، لا يميزها ، فإنه بموجب نظام المعمول به الآن يولي ملك الحكم مع مجلس وزراءه وبواسطة ذلك المجلس (الذي يتكونه للخبير إسماعيل بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨) ، ولكن مع وجود هذا المجلس على ولى الأمر في يده جميع السلطات التي لم يجب له سواء تبادلاً سريحا ، ومن ذلك أنه يحتفظ لنفسه ، بالحق التزم المصادق في سنة ١٨٧٨ ، حق الموافقة على قرارات مجلس الوزراء ، فإنه كان يخلو تحميلاً في استصدار المصلحة التشريعية راسماً لا بواسطة ملك .

أما الدستور الجديد فيخلص على نظام يختلف كل الاختلاف من ذلك ، فكل عمل يصعله الملك وتكون له دائرة مشيئة الدولة يجب للتحديد أن يوقع عليه رئيس الوزراء ، والوزراء ذوو الاختصاص ، وإلا أنه يستعمل سلطته بواسطة وزراءه ، والوزراء مسئولون سياسياً عن جميع أعمال الملك ، وبموجب التفسير الوارد ، في غير هذا المكان من أمور مشابهة تكون كل أعمال الملك - حتى الخلف السياسية التي يلقبها - فأخذه في مسؤولية الوزارة ، وإنما يصطنع من هذا المبدأ العام ، وهو أن كل قرار من الملك يجب أن يصادق به أحد الوزراء .

إن مسؤولية الوزراء السياسية تكون أمام مجلس النواب ، فهذا المجلس هو الذي يعرض على الحكومة السياسية التي يجب انتخابها ، والوزراء التي لا تقل قوة هذا المجلس يجب أن تستقيل .

ومن الطبيعي ألا تكون المسؤولية السياسية للوزارة مائة أمام مجلس الشيوخ هيئته ، لأن جانباً من أعماله يعينهم الملك - فمجلس النواب هو الذي يقرر أنه يمثل رأى البلاد أوفى ممثلين .

مفيدة هي التي يجب أن تكون من وجهة نظر السياسة العامة للحكومة

ولكن لا ينبغي من الدال أنه من وجهة النظر التشريعية يكون لمجلس الشيوخ نص والسلطة التي لمجلس النواب ، بحيث أنه من الوجهة النظرية تستطيع الأكثرية في مجلس الشيوخ نظراً أن توافق سير كل تغيير تقريسي ، حتى ولو أجازته أكثرية مجلس النواب . أما عملياً فإن مجلس الشيوخ يقلص على تعديل المشرعات التي تعرض عليه ، فإذا أهدت الخلاف على مسألة تشرعية لمسطح الملك أن يستألف الأمر إلى رأي الأمة يصل مجلس النواب ، فإذا جاءت الانتخابات العامة على الرجل المجلس مؤيداً للرأي العام الذي أعرب عنه المجلس السابق ، فالمفهوم أن مجلس الشيوخ يضعف للرائ الذي تراه البلاد كلها والتي على مصادرة .

والآن ، بعد ما لجمنا للقواعد الكبرى الجديدة التي لنظامها الدستور ، وبسبب لنا أن نتولى فحص بعض أهم النقاط : فالأمة الأولى ، وهي الوحيدة في الباب الأولى ، تضمن القاعدة الأساسية التي تلحق من الغاء المصادرة التركية وإلغاء الحماية البريطانية .

وهي أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وتبين في الوثائق حيث شكل حكومتها ، وتقول أنها حكومة ملكية متوارثة ذات أنظمة تمثيلية .

والباب الثاني يعطى مطلقاً من الخصوص الوضعية التي لوجه في معظم النوازل الحديثة ، أما التسميات الشخصية المكولة بهذه الخصوص ضلعها مكلول بالحق القدر العالي ، فحسبنا أن نلوه بالمبادئ الجديدة التي نلنا من أدخلت الخصوص الدستورية .

فالمادة الثالثة يعينا نصت على فلول تساوي المصريين أمام القانون ، نصت بالأعلى على أنه من التمييز بينهم بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ، سواء أكان ذلك في التصرف بالمعوق المدنية والدينية ، أم فيما يخص بالإعياء والواجبات العمومية ، ويتفرع من هذا المبدأ العام جميع امتيازات الخصوصية ، سواء أكانت في مسألة الضرائب ، أم للفنون السياسية ، أم فيما يتعلق بواجب الخدمة العسكرية .

وقصت المادة الثالثة أيضاً بالأعلى في الحقوق العمومية سوى المصريين ، وألغى الجانب في الاستقلال مناصب الألب حالات استثنائية يعينا القانون ، وهذا قانون جديد ، فقد كان تعيين الجانب جازاً في جميع مناصب الحكومة ما هذا وضعا لها ، فالخص بالمشيرين ، أو المصريين المسلمين ، أو أمة الفلكل أو بسبب صفة كل المناصب المدنية ، لم يكن استخدام الجانب مقيداً إلا بفلول خاص ، ويجب ، والحالة هذه أن تبين بنصوص صريحة الوظائف التي يمكن أن يتقلدها الجانب في الاستقلال ، علوة على الوظائف التي حقلت من الآن للجانب والمفاد في القانون المصرية .

وقد شملت حرية الصحافة بالمادة ١٥ من الدستور ، وهذه الحرية لا تأخذ فيما بعد مبدأها إلا بخصوص فلول الصحافة ، ولا يمكن إقامة الرقابة إلا على ما يصمتع للدور الصحف أو تعطيها أو للقائماً بواسطة الإدارة - مثل نظم فلول الطبوعات الذي سن في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ يجب أن يجعل مطبعا للمبادئ الجديدة .

ولكن يبقى ذلك استثناء واحد للأثر الصحف أو تعطيها أو الفلكل بالطرق الإدارية ، فإن بعضها من الصرية الدستورية لا يمكن تطبيقه على حالتها تصل إلى أساس الهيئة الاجتماعية ، كخمس الدعوة البلشفية أو وجود الأن ، فإنه يفضل جميع القيود التي اختللت تدوير قد تكون مناقضة للمبادئ المقررة بالصلح لأجل ضمان حرية أهل البلاد المسلمين والمواطنين للقانون ، فليس يمكن إلقاء التبرع مكافأة أمثال هذه الدعوة الضارة لمن في المادة ١٥ على أن الدار الصحف وتعطيها والمعاملة بطرق الإدارية قد يجوز في حالة ما تفسر الضرورة بالإلتزام إليه لحماية الفلكل الاجتماعي ، وأضيف تحفظ مماثل لهذا إلى المادة ٢٠ التي تكفل للمصريين حق الانتخاب وسبكية ، ومن دون صلاح ، والمادة ١٥٧ التي تقفل الذي لجرام سياسية .

أما ما يخص بالتعليم فقد وضع الدستور مبدأ التعليم الأولى الإلزامي ، وبموجب التعليم في الكتاب العصري ، وترك القانون خاص تنظيم التفاصيل في تحقيق هذا المبدأ وتعيين الإعصادات اللازمة له .

والباب الثالث أطول الأبواب وأهمها ، وهو يبحث في تنظيم السلطات ، وقد علقنا عليه تعليقات عمومية في حصر هذه المكرة .

فالمادة ٢٣ ، وهي أولى مواد هذا الباب ، تعين أن جميع السلطات نصت من الأمة ، وذلك إقرار سيادة الأمة ، ومبدأ من أهم المبادئ الجديدة في نظام الحكم الجديد ، فقد كانت جميع السلطات على الآن جمعة في يد رأس الأمر الذي شاء أن يغيره شعبه مع في حكم البلاد بواسطة أنظمة ثابتة ، ولكنه مع ذلك حفظ لنفسه المصادرة التامة .

فولي الأمر هو الذي يصدر القوانين الظلمية المالية المعمول به في البلاد ، وقد كانت له سلطة تعطيها أو الفلكل بحسب مفيدته ولكن في حصر الدستور الجديد فإن الحالة تتغير تغيراً تاماً ، إذ أن إصدار هذا الدستور والاعتراف بمبدأ كون الأمة هي مصدر جميع السلطات يجعلنا سبب الدستور بعد مفعله أمراً غير مستطاع .

أما للتصديلات التي فصلت على الدستور يجب أن تقر بموجب نظام تشريعي فيه فروع السلطة التشريعية الثلاثة .

قد تم تشاذه الآن اذن من جانب ولي الامر تنازلاً عن حقوق السيادة التي كانت له شخصياً ، وقد وضعت لأول مرة في تاريخ السلطنة الديمقراطية لشكل للحكومة الجديدة وبهذا الاعيان يصبح ان يقال ان ابداء القاضي بان الامة هي مصدر جميع السلطات لا يتفق اصل الحكومات الملكية المطلقة الاسلامية . لان هذه الملكيات كانت لا اجمال تعتمد في مصدرها على قبول مرجع او شخصي من الشعب الذي يمثله اعيناه ووجوهه .

اما نظام وراثة العرش فلا يقرر بالتشاور نفسه ، ولكن الدستور اشار له في مرسوم ٣ ابريل ١٩٢٢ يقسم هذا النظام هيئة دستورية حليفة ، وقد نص صراحة على ان النصوص الخاصة بنظام توارث العرش لا يمكن ان تكون عرضة لافراج اعادة النظر فيها . وعلى من يباين ان هذه المصلحة التجميعية ان يتكلم هذه النصوص اعظم ثبات مستطاع . فانه الذي جرد نفسه مختاراً من الجانب الايمن من سلطته يجب على الاقل ان يكون موثقاً ان قوانين ارض العرش لا تكون من المواضيع التي يتناظر فيها البرلمان ، ويجب ان يظل العرش فوق الاختصاصات السياسية .

ان الملك الذي كان قبله يملك في هذه السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية لم يحتفظ في اوان التتريعية الا السلطة لغائية ، وهي ان يصدر القوانين اللازمة لضمان تنفيذ القوانين ولكن من غير ان تكون له سلطة تنفيذها او تعطيلها او الاستثناء عن تنفيذها . وقد كانت هذه السلطة التنفيذية من اختصاص الوزراء الكثرين بنظم القوانين . ولكن هناك حالة يجوز فيها للملك ان يصدر مراسيم من غير موافقة البرلمان السابقة عليها ونحت مسؤولية الوزراء السياسية الذين يصفون المراسيم معه ، وذلك في التدابير العجلة التي لا يمكن معها انتظار عقد البرلمان . ولكن هذه المراسيم يجب ان تعرض على البرلمان في اولى جلساته . وحتى عرضت كذلك فلا رفضها احد المجلسين سلطان . اما فائدة هذه المراسيم عظيمة جدا ، لانه لا يستغني عن اتخاذ تدابير اضافية معجلة ، اذ قد يقضي كل ابطاء اني اؤخذ العواقب .

ولا خطر من الاعتراف للملك بهذه السلطة التشريعية غير العاجية ، لان سيطرة البرلمان عليها مضمونة في جميع الاموال .

وهناك سلطة غير عليه احتفظ بها الملك تحت مسؤولية الوزارة طبعاً . وهي اعلان الحكم العرفي الذي يجر في دولة اقاليم بعض المحافظات الدستورية ، ولكن يجب ان يوافق البرلمان على اعلان الحكم العرفي . لم ان اعلان هذا الحكم

يجب ان يكون بالقانون يعرض النصوص الدستورية التي قد توفقت . ان الحكم العرفي ضرورة في حالات الخطر الاستثنائية لسلامة الدولة من الداخل او الخارج .

ويفضل تنظيم الحكم العرفي بالقانون على ان تصرف السلطة التنفيذية التي اعطته مع عدم وجود نص تشرعي ما على كيفية . وزير الحفانية احمد ذو الفقار

● يحاول وزير الحفانية ان يره على النحط الذي قفمه الكميات ويمثلو الحزب الوطني . مؤكداً انه بالرغم من كون الدستور . ملحة من الملك فان . صعب الدستور بعد ملحة امر غير مستطاع .

وعلى اية حال فان الدستور قد صمم في عام ١٩٢٠ ليضع اسماعيل صفدي دستوراً آخر .

مادة ٣ : « المحررون لدى القنصل سواء » وهمشاورون في القمع بالحقائق الحديثة والسياسية وفيها عليهم ان الواجبات والتكاليف العامة ، لا تميز بينهم في ذلك بسبب الاصل او اللغة او الدين . ولهم وحدهم بعد بالتواضع العامة محبة كانت ام عنصرية ، ولا يولي الاجانب هذه الوظائف التي احسبوا استثنائية يعينها القانون .

لجنة وضع المبادئ العامة

دولة الرئيس (حسين رشدي باشا) طلب الانجليز قيامهم بحماية الاقليات ونريد نحن ان حماية الاقليات محققة يفتقري دستورنا ، وذلك بان نصنع في هذا الدستور نصص النصوص التي وضعوها هم في مشروع القورود كيرزون قاض عليهم طريق هذا الطلب .

ولم يثارة تلك النصوص وانما رأى الهيئة عليها . وهي :

مادة ١ : لجميع سكان مصر الصاية القانية الكلية لارواحهم وهرافهم من غير تمييز بسبب موطنهم او جنسهم الدولية او لغتهم او جنسيتهم او دينهم .

حفرة عبد العزيز تسمى بك . لها يتعلق بالادة الاولى اخشى انها توجب على الحكومة المصرية تعويض الاجانب في كل وقت من كل ما يحدث لهم من المصالح يارواحهم وهرافهم . ويكون هذا لضمان الامانيا وعلى كل الاحوال . دولة الرئيس : انقصود من هذه

الصفة الا تزيد على الاستثنائية التي كانت للتصيرية في حدود القانون .

موافقة بالاجماع .

دولة الرئيس : « مادة ٣ : جميع المازنين العرقية والصوريكيون متساويون امام القانون ، ويكون لكل منهم التمتع بما يلزم به الاخرين من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين . »

موافقة بالاجماع .

مادة ٤ : « اختلاف الدين والظاهر والمذهب لا يفرق على اي شخص حائز الرعية المصرية في المسائل الشخصية والتمتع بالحقوق المدنية والسياسية ، والمختلفة والموصول في القلب الشريف او منزلة الامن او الصناعات (١) . » موافقة بالاجماع . (اني : ٧ مايو سنة ١٩٢٢)

دولة الرئيس (حسين رشدي باشا) « مادة ٦ : الأشخاص المازنون للرعية المصرية القابضون للاقلية القومية او الدينية او اللغوية يكون لهم الحق في القنصل ، وفي الواقع في نفس المجاملة والمميزات التي يتلحق بها غيرهم . من المازنين للرعية المصرية ، وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحسن الاخرين في ان يشكروا او يديروا او يراقبوا ، على تنظيم ، ومساعد خيرية او دينية او اجتماعية ومدارس او غيرها من دور القرية ، ويكون لهم الحق ان يستصوبوا فيها لغتهم الخاصة . وان ياروا بدمعائ دينهم بحرية فيها . (٢)

حفرة الكلي بك : لا اوافق على ان يترك في دستورها وجود اقلية او اود او تلت الحقوق الواردة في هذه المواد بصفة حسنة لجميع المصريين المتبعين بالرعية المصرية ، فلا منج علينا في المستقبل بهذه الاقلية ، ونعطف ذلك لرعية الشغل الاجنبي في الجبلين .

دولة الرئيس : توطد الزاء .

تقررت اللجنة السياسية بملفها الزاء .

في ايراد المادة ٦ في الواقع « في الوزارة في الدولة السياسية المشار اليها ان ضمان الدولة للاقلية يقضي بتفويض ما هو مقرر للاقلية نظراً في القانون . »

لجنة وضع المبادئ العامة

حفرة عبد العزيز تسمى بك . بالاد

(١) نص هيئة الملتزم اقترح من دولة الرئيس .
(٢) نص هذه المادة اقترح من دولة الرئيس .

يزيد بغيره ؟ في الواقع « الواردة في هذه المادة بعد قوله « في القانون » لا هي الاخرى ان شئت هذه العبارة على وجه بعيد ان التامين لهذه الاقتباسات على الدولة المصرية ان حسن لهم في الواقع تنفيذ ما هو مقرر لهم ولغيرهم نظريا في القانون بمعنى انه اذا لم يحصل احد من افراد هذه الاقتيات خلا على ان ينتخب فمسئلا في مجلس من المجلسين تكون الدولة مضطرة الى ان تابر بالانتخاب بعضهم فيها لان الموجود في المجلسين يدخل تحت لفظة التسمية الواردة بالمادة ٢ فان كان هذا هو اراد فاني اطلب رفض المادة بمرها .

دولة الرئيس (حسين رشدي باشا) - اراد بعبارة « في الواقع » هو ان القانون لا يكون . جيزا على دول « اي لا يقال مثلا ان كل المصريين لهم ان ينتخبوا ويتعدوا لمنع الحكومة ترشيح احد من الاقليات للانتخاب ان شئت من التصويت في الانتخابات استبداد . اما ان يؤخذ من هذا انه علمت تسفر نتيجة الانتخابات من عدم انتخاب احد من الاقليات تكون الحكومة ملزمة بالافلا اجراءات اخرى لتخلي هذه الاقليات في مجالسها ، فهذا ما تلعبه العبارة المذكورة ، حتى ان الحكومة الانجليزية في اثناء المفاوضات الاخيرة لم تلطف من هذا القادوس المصريين شيئا من هذا القبيل .

حضره توفيق دوس بك - اخشى ان يؤول هذا التنصير الى انه بمثابة فصل في مسألة ما يطرح البحث فيها بعد ، وهي مسألة تمثيل الاقليات .

دولة الرئيس : الجواب على ذلك ان هذا لا يمنع ان يمر نفسها تقو تمثيل الاقليات .

(في ٧ مايو سنة ١٩٢٢) .
لم يرض اقتراح تمثيل الاقليات
الدينيية في البرلمان الى قبول

دولة الرئيس (حسين رشدي باشا) - وهنا نقطة ثانية : هل ارون ان تضع لنظام الاقليات ضمن تعليمها القيسي ام لا ؟

حضره عبد العزيز فهمي بك - اننا امارضى الى ذلك .
حضره عبد الحميد بدوي بك - ولنا لي هنا كلام .

حضره توفيق دوس بك - اتروح ان يوضع للاقليات نظام يضمن تمثيلها في مجلس النواب بنسبة تتفق مع عدد هذه الاقليات ، وذلك سيان : مسيحيين ، ومسيح قروني ، اما الاول فهو الذي نفتح بابا لانيي يدمي حق التدخل في مصر بلس حماية الاقليات . نريد ان تلتزم الاقليات بجميع الحقوق التي لغيرهم

بما فيها عن التمثيل . ولا يفرش على هذا بان الاقليات منسوخ ابلهم باب التمثيل كثيرهم ، لهم تأخير ويحق لهم ان ينتخبوا . كذلك لا يمتري من في وضع هذا الكلام تقررة بين المصريين بل اننا اري المكس ، وان اجمال هذا النظام يكون ملارا للفرقة ، لاني اخشى ان اهورت نتيجة الانتخابات ولم يظهر فيها منتخون من الاقليات نيقن جمهورا في هذه الحالة - ان خطا وان صوابا - ان حقها مفهوم . ولا يمكن مقلتها الحكم على اغليات الجمهور فقد تؤثر عليها المظاهر تكم مما يؤثر الواقع . هناك المفسرون بان لهم حق قد شاع ، خصوصا وان القانون الحالي الجسيمة القصرية لسي صراحة على حفظ مراكز مسوية للاقليات ، واني اؤخذ كثيرا من هذا الشعور الذي اتقنه يفتح بابا يميئا كثيرا ان يتي مثلا ، خصوصا وان القول من هذا الباب يطمس ويحذف الاقليات المعتبرة : لا يصح ان كانت مضمجة او كاذبة . واما السبب الثاني فلانه مع عدم تالفي مصالح مصريين للرئيسي الاخر ، الا انه قد يوجد في بعض الانظمة ما قد يرس على اعضاء المجلس من ضلطة اية ، ويظهر بمعنى الاقليات بشرا بقوقه ، مما لو تيه المجلس لثالي ذلك الضرر الذي لم يكن ليقصده ، واحرب لذلك هذا : للقانون الذي ضمه الحكومة الى مجلس السورى القوانين خاصا بقبول الطائفة في الكاتيب القمية لاجلاس المديرات ، حيث قيد بقوله فيها براء امتحن في القرآن الشريف ، وقد كان يفهم من هذا القصر ان افراد قبر كل من الكاتيب على الطائفة المسلمين ومنه من عدمه .

ولقد جالست بعض الانفس بالاعتراض على هذا القصر ، في حين لم اعتقد قط ان ذلك كان ملحوظا للمجلس عند تقرير هذا القصر .
وليس في تمثيل الاقليات دمة مطلقا فمن القوانين والمساكن ما على بوضع نصوص لتمثيل الاقليات ، كمشهور بليجا وانجاليا - ولو ان اساس الكاتيب كان غير انشاسها هذا ، وعلى فرض ان مثل هذا الضمان لم يحقق في اى قانون اخر نلن غير متدين بالكرام القوانين الاخرى بل نحن مطمون بما نراه مطلقا لسلمة بلنا . وارى ان هذا جوهرى جدا لعلنا وحدة الامة المصرية والافاع منها . والطريقة العملية التي تحقق لنا هذا الفرش تنحصر في نظري في احد امرين :

١ - اولا : يجرى الانتخاب العام بالطريقة التي قرناها . فلا اسفرت القصة من انتخابات عدد يتفق مع نسبة الاقليات انتهى الامر . اما اذا تمت هذه القصة او انتمت لمثلها الى احدى حالتين :

(الاولى) : عند الاقليات في كل مديرية (ومحافظة محصور ، فلو فرضنا مثلا مديرية كاسيوط فيها من السكان مليونيا بنهم ملنا الف من الاقليات كان لهم فورا نتم هذا الفرش عن عدد النواب . فيد ان يتم الانتخاب اذا لم يفرق في مجموع اقبال القصر العدد الكافي ، كما قلنا يحصل انتخاب عام في مديرية اسبوط باعتبارها دائرة واحدة من المسلمين والاقليات للانتخاب للعدد البالغ من الاقليات . ولهذا مزية وهي ان لفرار الاقليات وحدها بانتخاب ممثلها ، بل يفرق في انتخابها كل سكان القصر على السواء .

ثانيا : ان ينتخب مجلس النواب من بكل القصة العددية للاقليات من بين مرشحين . هذا فيما يتعلق بمجلس النواب . اما مجلس الفييوخ فلانه رايان ايضا : اما ان تكل الحكومة شئت الاعضاء الذين تعينهم التسمية العددية للاقليات ، او ان تتبع هذه الطريقة منها بين الاعضاء المنتخبين بلسة منهم .

حضره عبد الحميد بدوي بك - لست ابي هذا الكلام اشرافا وانكارا ، ولا زريد ان التني خلافا واما الامر كله فربة مخصصة للامام .

ليس ليئا من يكر على اية طائفة من طوائف الامة ان تكون كل كلمة وان تؤدى حاجاتها ومصلحتها اعلى لعصن حوالا . ولكن الصورة التي اصبحت اول مرة لتمثيل الاقليات التي في نفس ابناءه ، لذلك اريد ان التين وجه الحقيقة في - يتجلى بصفها كثير من الشكوك والخاوف اريد ان اعرضها على حضراتكم :

اوله حضره دوس بك ليريا للصورة التي جالسا عليها سيبين : ميباس ومولى . اما السبب الميباس فهو انه ليس من مصلحتنا ان نسمح لافري بالبدول في شؤنا باسم اقلليات ويدهوي حمايتهم وانه خير لنا لو تولينا ذلك بالانسا . ويمكنني ان انة توفيق بك ان انة لم يجر عرف شيم او حديث مطلقا بان التدخل لحماية الاقليات يقتضي اناحية بتعليمهم تمعيا خاصا ، بل هو مقصور على طلب حفظ الحقوق العامة للاقليات واتكر استنساكم منها .

وهذه الامثلة التي تعطينا اباها المعامرات التي عقبها بعد الحرب العظمى على الحكومات التي اقامت على افرها والتي كانت قائمة قبل اندلاع تلك الحرب والتي تمتاز بوجود اقيات جسيمة مهمة فيها : يونوليا ، ليتيكوسولواكيا ، يوجوسلافيا ، رومانيا ، الخ) ، فلها ان ارد على ان تقر للاقليات الحقوق العامة التي تتمتع بها الاكريات ولم تكن هذه الاقليات تتمتع بها دائما قبل ذلك . اما لتمثيل الاقليات في المجالس الانابية فلم يكن قط من حقوق الدول ولا من مطالبهم . والمثال النسي الذي نسمه

أينما في هذا الموضوع نفسه أن
 التفرجات الجفرا على ما ترى فيها من
 التباين على جوفها ليس فيها أقل أهمية
 إلى هذا القليل ، ويكفي أن تبين لك
 مراجعة للنص الذي وضع في مشروع
 كزبون عن هذا الموضوع .

اما السبب الحلي قبل توقيع به
 عنه ، أنه قد تم بإيعاض البرلمان عن
 سلامة تبة مسائل ربما فقت فيها مصلحة
 الألبان ، إذا خلا المجلس من ممثلهم

وليس يذهب عنه أن الأكثرية نفسها قد
 تقسم إلى طوائف وافرقت لكل منها
 مصلحة الخاصة ، كاللجن والاشارة
 وأرباب الأمن المختلفة ، ولا يمكن أن يقال
 أن عدم وجود ممثلين لكل من أولئك في
 المجلس يذهب بمصالحهم ، لأن
 الموضوع - وهو الواقع أيضا - أن
 هناك صلة حميدة بين المجلس وبين
 الرأي العام إلى الحد الذي يكفل ويؤمن
 وجود المصالح للمجلس وفوق الاقتراحات
 إليه ، ولا يقل بالجلس تخبطها أو
 الاقتباس عليها فمعدا للحدوث ، لأنه أن
 لكل تلك قوة الرأي العام وأصلحه خوف
 للجملة .

وقد ذكر لك توقيع به مثلا جرى في
 عهد مجلس شعوري الأولين كعاد
 المجلس يقر فيه مكدسا فيه حيف كعاد
 الأقباط (استنارت حلق القرائن في
 التكاثير) ولكنه لم يفعل . وكان هذا
 ردا كافي على توقيع به ، فإنه لم يكن في
 المجلس الشورى تمثيل للأقباط ، ولكن
 الحيف مع ذلك لم يقع بهم ، ثم أن لثبات
 الذي ذكره يمكن القول بأنه يضمن شيئا من
 من المصالح المبررة ، وعلاجه لشك
 مضمون بالمستور نفسه ، ويكفي أن يبين
 المجلس ، ولو أن استخرج ، إلى أن معنه
 اعتماد على حقوق الأقباط ، فامر كهذا
 يكون مضمونا بالمستور نفسه وبالاتصال
 الدائم بين المجلس والرأي العام لا يصح
 أن يكون أساسا لاثلاث خبير في انتقضا
 الأهلية .

هذا فيما يتعلق بالاسباب التي ذكرها
 توقيع به ، فاست مغلليا أن قلت انها
 غير مقنعة ، ومن جهة أخرى يمكن أن
 القولان هذه أسامة اثار شعورا ، فويا
 بأنه يراه منا أن نخرج من تقاليدنا
 وتقاليد العالم ، ولقد عاشت الأقباط بيننا
 منذ وجد النظام اللبناني ولم يكر في
 تمثيل الأقباط .

نعم انبث مثل هذا الرأي في عهد
 اقتضا الجمعية التشريعية ، على أنه لم
 يتم طويلا . ولعله كان فكرة كريمة لم
 تلحق بأثرها الاجتماعي المبررة ولا يصح
 على أي حال أن نتخذ به أي عملنا الذي
 فعالية اليوم .

قلت أنه مخالف أيضا لتقاليد العالم ،
 فإنه أن تجد في دسترات العالم شيئا من
 هذا مع أن البلاد الأوروبية لا تخلو من
 الأقباط البنية . ولقد استشهدت بضرورة
 موسى مع نظام بلجيا ، وبشرب ذلك إلى
 التمثيل النمسي ، وهو نظام التناخي . قد
 يوجد بيننا يوما ما ، وليس من بدركه -
 ذلك نظام قائم على معنى الأحزاب
 السياسية ووجوب تمثيلها أمثالا يتكافأ

ويتناسب مع قوة التصارها ، وافرقت بين
 هذا وبين تمثيل القيات دينية ، فإن
 المجلس اللبناني ليس مجلسا دينيا وإنما
 هو مجلس سياسي ، فالجمع فيه بين
 المنازح السياسية بحسب قوتها
 المصحة طبعي ومفهوم ، ولكن الأقلية
 الدينية من حيث هي مضمون مفترقه في
 دين الأكثرية لا يمكن القول بأنها مذهب
 سياسي ، قائم بذاته بل هذا هو الذي يجب
 تجنبه .

في البلاد الأوروبية يقسمون إلى
 طوائف سياسية لكل منها وجهة نظر في
 إدارة الأعمال العامة ، فكلها تسحق
 الأكثرية هذه الأقليات كان ذلك النظام
 الانتخابي الذي يضمن لكل وجهة من
 وجهات النظر في السياسة صوتا من
 مجلس النواب يرفع في مصلحة القضية
 العامة لا في مصلحة طائفة خاصة
 وللممثل السياسي غاية ترابط وتكون
 الأكثرية التي تؤيد الحكومة وجعلها ثابتة
 تركازها على الأحزاب أكثر مما تركاز
 على الأشخاص ، فسمانة للتمثيل النمسي
 ليست حجة في موضوعنا هذا .

إن الواقع من جهة أخرى أن النظرية
 التي يقوم عليها المثل اللبناني لتناهي كل
 المخالفة لتمثيل الأقليات على الوجه الذي
 يقره حشرة توقيع به دوس لأن التלב
 يمثل الأمة كلها .

القاعدة أن يترك لجميع الناس اختيار
 مندوبي الأمة بقدر ما تفهمه الميول
 السياسية ما يحفظ في النائب أنه لا يمثل
 جهة خاصة ولا طائفة معينة ، وكذلك
 يتحدث النائب عن الأمة كلها إذا استوى
 إلى كرسه في البرلمان ، هذه القاعدة لا
 يصحها إلا تقسيم البلاد إلى مناطق أو
 دوائر انتخاب ، إلى أن يطلب من
 الأمة جميعها انتخاب ممثلين جميعهم .

أما انتخاب التלב بوصف خاص وعن
 طائفة بعينها فلا يمكن أن يلقى مع ذلك
 المعنى اللبناني ولو اشتد في انتخابه
 الناس من جميع النحل والأديان . المسألة
 التي تشغلني كثيرا والتي أجهل توقيع به
 الكلام فيها هي خوف الشرائع ، وقد قال
 به أنه إذا لم يقر نظام كاذب يقره
 يضمن تمثيل الأقليات فمعت هذه
 الأقليات بأن الأكثرية تتعمد اضماع
 حقوقها الخاصة . ولقد أعلم أن في
 انتقضا الخاصة التي ورثناها عن الماضي
 القديم أكثر أهمية من النظام
 العيسري ، وهو الذي كان يعيش
 فيه الناس في ظل سلطة إلهي ، والذي
 كان أسامة الصلف والرهام ، فلما جاء
 العهد الجديد تمديد الحقوق قام التفرع
 عليها وبخل الشرائع في العائلات ، كذلك
 عدنا إلى الآن في لتقنات العامة يعرف
 من التفاهم والتسامح بين الكثرية
 والأقليات ، نعم قل من قضا آخر أنواع
 من الخلاف ، ولكن كان ماثرا حوادث
 استثنائية ، وكان النظام والتناطع هو
 الأصل على كل حال . ولأن كانت الأقليات
 تذكر الميول ويمكن يقع عليها من
 المخالفة والمفرق قد كانت الأكثرية والأقلية
 تعيقان جميعا في ظل حكومة استبدادية
 تنظم فيها الأكثرية كما تنظم الأقلية وأستاذ

تريد أن تلحق في التبعات المصنوع أن الحضي
 لآخر التاريخ القديم .

إن التاريخ اللبناني أخذ يضعفتمت علنا
 وإن يقول عليه الزمن حتى يفضي إلى
 علاننا الاجتماعية ونطلي تماما جميع
 آثاره ، لمحاولة إبقاء هذا التاريخ محاولة
 لاستدامة هذا النطلي والتكاثر للامتزاج
 الحاصل من نفسه بفعل الزمن ، والذي
 يجب أن تسجبه وتتعجل خفاه لا أن
 تستبقى لبيع هذا الخلاف مصحوبا مثلا
 للعيان ، فإذا وجد تمثيل خاص للأقليات
 المستقبلي ، وإذا وجد تمثيل خاص للحوادث
 الحرس عليها ، وانتشرت الشرائع
 والمواصل بينها وبين الوجهات الأخرى
 تظهر وتنمو بحكم التنازع وبحكم انصراح
 الجالية له ، ومن العلة بعد ذلك أن تروح
 زوال هذه التفرقات فإن ذلك يكون مخالفا
 للجمعية ، إذ الجمعية كأي أن يقال له
 الشان في مجال خاص لم حاول أن يمس
 عليها الطريق ، بل مع ذلك فبقبولها لثبات
 شعور بأن لهم حق في المطالبة بالتتمثيل ،
 في ذلك أرجو أن تظهر الهيئة إلى الحقيقة
 التي ذكرها ، فإذا كانت تدعوها إلى أمانة
 هذه التفرقات يجب أن تغطي هذا الشون
 المثلث لثنا لا ينبغي لنا فخر أرماء شعور
 وتنتي سالك ، وإنما تريد تحري الصلحة
 الجالية له ، وبهذا العلة الفائدة
 الشعور الوطني ، فيفي أن توازن هذا
 حتى إذا هدأت طول تمثيلا وفحريا إلى
 أن هذا الضعور لا يقوم على أساس
 صحيح ، فالحق علينا أن لا نتردد في
 تضمنه في سبيل مصلحة خاصة لأمة
 ضمت أسامة أخفى منها كثيرا ، في من
 قلت فيه مظاهر التفرقة بين الأصم
 العامل الذي يربط بين الناس في حياتهم
 الاجتماعية عامل الصلحة المشتركة
 بغير نظر إلى مذهب ولا دين ، وإلى
 لتماثل أن أرى اليوم الذي يجمع كل
 أصناف وراثنا حتى في الزواج والطلاق
 وما إلى ذلك من أمهات الشخصية تحت
 واحد ، بحيث يجمع في ظل
 حياة مدية محكمة متكاملة .

لقد عبث التاريخ الدولي بالجماعة
 الاجتماعية في ديين دعرا ، ولجبرت
 اللات إلى الفصل من توجيه الحياة
 العامة إلى مقفلي الزمات الدينية
 والميول المذهبية يهودية ومسيحية وبين
 كاثوليكية وبروتستانتية .

محي هذا الميول وعت على آثاره وقامت
 مصالح الناس على أسس أخرى أرجو أن
 تصبح أساما لاجتماعا نحن أيضا .

فإذا نحن وضعت بايننا الانسان
 الثالث لهذا الخلاف فنن أرجو أن يزول
 يومها مهما نظروا على الزمان .

إن تقسيم التمثيل على هذه الصورة
 التي تبين بين القية وأكثرية وحتى فكرة
 التناهي التي تروح كلها أن تعمى
 نهائيا .

لريد سياسة قومية خالصة لا تتلفظ
 طريقا للنيل إلى الأديان والمذاهب ولكنها
 تنجح دائما إلى مصلحة الوطن - أفعوا
 التلعب حرا يلفظ الناس وتقدم من
 إذا أصاب الكفهم شمة لتلبية كل حين

[illegible]

**لجنة وضع المبادئ العامة
للدستور:**

دولة الرئيس (حسين والسدي
باشا) - ورد لي لتفاريق من الامتلاذ
وبيع حليب الحامى بالصورة اوى
قلاونه :

تلى .. وهذا نصه :
 « الإطبات قبل المسلمين يعارضون في
 تخصيص مراكز برلمانية للإطبات لأنهم لا
 يقبلون ضمانات خاصة لصالحهم بخلاف
 الضمانات البرلمانية العامة لكل الشعب
 المصري . وكل تخصيص من هذا النوع
 هدم للتوحيدي المصرية التي حافظت عليها
 الأمة بغير دماءها ، ولن يخرج أبسط على
 الأمة بتقسيمه للإلتخابات العملي
 الإقطة .

الرئيس بان ادافع - ولو متأخراً - بعدم اختصاص اللجنة بتقرير تعديل الاقليات .

الفث اللجة توضع للمسلمين
أحدث ما يدور القانون العام ، وجرى
الكلام كثيرا في هذه اللجة ، فإنا قد
وأما تلك اللجة للفقهاء ، فمن
البدلت ، التي ضاها بين ولما وتكون في
صورة تلك الحال أليال وجهاها
الواقع من النظام اللجة ليس من
الإوضاع الشرعية ، وهو نظام اللجة
الواجبة التاريخية في أوروبا ، ويكفي في
وجهها أصبح اصطلاحا أما في ماله أوروبا
فأذا قلنا تلك اللجة هو عليا أن تلك
والفقه الجاهلي اعتمد بها ذلك ، وأما
أثر في بنوده أحكاما متساوية معناه
وتعرف مقاصده ، وتساو مقاصد
الالتفات للجنة أو المقصود لا يلقى بها
أحد فهي بدعة في النظام اللجائي ، في
حدث أساسي ، وألّا في شأنه ، يتعلق
باللجنة أن يتولى البحث في شأنه ، وأن
تتقدم بقرائه ، وأن كل لمة
الحرية على في ملوك قضائي لها وأما
يعلم للجنة في أجد أصحاص ، وأن
باللجنة على ، وهو ، إذا الأحصا ،
الذي يلي في اللجة - إذا وجد -
الجدى التي يجب وضعها في المسلمون .

قانون الجمعية التشريعية - رقم ٢٤٤
يبحث في هذه المسألة من وجهة النظر
الاجتماعية وقد كانت الحكومة قد وضعت
ذلك القانون لتضمين قصصها على وها
من هوى من كان يملك السلطة المطلق
الذي " ولا اقلها قدرت كل ما يتربط على
عملها " او لطفا فتمه وتمه تيسر
بالتالي " اما نحن فنضع سمورا بفرس
فيه ايد من غير من ريفات الناس ، ونزل
لحكومة مصر من الاعاصير والامم والناس
امنا الى جيل اعزائمه مالا لئلا
الاجناس العام " ولا اقل قدرت كل ما
يضر الفرد وهي تكتسب اليد التي
نضربون " السباط ومسكون يلبس الي
ايد الابوين متسعين " وهذا يعني اجل
واحد من ان تضرره الى اللجنة مهما
كانت مهلتا عليه " .

فالمسألة الآن بدعة لم يقل بها أحد في
أرض مسلمة، في مصر لم يقل بها أحد
قبل الآن، وإذا قلنا أن الظروف
الحاضرة ظروف استثنائية في حياتنا
التي يجب أن نلحق، والحرص على
تجنب الخلاف حرصاً شديداً، لم نلزم
في ترك هذه المسألة حتى تصبح مصر في
ظروف عامة تصحح لها المقلب الراي في
مسائلها الاجتماعية والمسيحية الداخلية
وتكون علامة لتكوين تيار آخر عام
تلتزم فيه الإكثارية والاعتقية أما التفتيش
أو برفضه.

ويجدرني الآن سردة كلما فكرت فيها
ملتني نكاتها الاجتماعية ، يطلب لها
الآن تقرير جدا لتجارب القضاة -
والهواة في الطلب من الاطباء - فلما
علمنا بهذا أيها الصديقين اننا انما
كثيره حاضرة - مستقلة - أما
الحاضرة (السويديون واليهود والعرب
مثلا) فانها لا يأت من شأن الاطباء
وقول لتجارب القضاة فيبقى حاشا
بطلبها - ولما استقبلتني هنا في
سرايل للعلم الزموا والزمين - ذلك ان
وزن اهل الجناح يحفظون انهم ليس
وكالات وادامهم وعيشتهم هناك
العربيين وعيشتهم - وكانت معاملهم
الاقتصادية مستقلة عن مصالح
العربيين - الا ان ذلك يجري وتلت تسلط
عنه جنسياتها الى وجود قلدة في
التألق عنها ، ان ذلك سويدي في
روم وادام حازنون العرب - المصرية -
وعندما يقولوا المالكين ويقيمون
ان طلب تعليمها في العراق كيف يكون
حاشا والامر حاشا اننا في بلد يفتقر
النظام الى اقله للزود كروم وادام
ان ذلك للامانات الاجتماعية ؟ فيقول
ننا اننا ان تعرضني عن هذا التعلق ؟
ان تكون ممرنا خليطا ليس له طابع
اخرى نحن وصيحي مسمحا للفتنات
الدينية والجنسية ؟

أرجوكم ألا تعتبروا المسألة مسألة
نصوص في الدستور، وأن تنظروا إليها
من وجهة أنها حدث اجتماعي خطير
جدا، يتعلق حدود اختصاصنا، من
نابته أن يهدم وحدتنا ويغير من طبيعنا
الخاصة.

حضرة توفيق دوس بك - الدقم بصرم

الإختصاص يلجأ فيه دائماً إلى قانون يحدد الاختصاص ويرجع إليه في تقرير عدم الاختصاص - وقد يصحح أن تكون الاعتبارات التي ذكرها بنوي به مدعاة لرفض الاقتراح ولكنني لا أقهر على أي أساس يقول بعدم اختصاص اللجنة - إنك إن هذا الاقتراح مضى ويشترط البلد شامون فنجيب راضيه

نحن لنفرض دستوراً من أساس علمنا
فيه مصلحة البلد ، لكل الاقتراح جلتز ،
وما نراه في المصلحة لقبه ، وما يكون
شد المصلحة نرفضه دون أن نقبله
بالاشكال والاجراءات •

علما بحثنا في قواعد فخر الكبيران
للميزانية اقترح بحثنا انه اذا
الجلوس بجمعة ما بحث (اسباب
الخلافا سمعنا قائلا يقول : ان هذا
مخالف للسياق الاوروبية ، ولكن لم يدفع
احد منهم الاختصاص .

حضرة بدوي بك - المقياس غير
مصحح

لم (أعرض مسألة الاختصاص باعتبارها مسألة إجراءات، ولم أقصد أن أسيب الابل عرضتها لثقة باعتبارها اسيا موضوعية. ولما هربت مني عدم اختصاص جدي. - أما القياس الذي أجراه لفرع بك بين مسائلتي ومسألة الاختصاص فلا وجه له. وإنما في قوله نقلني أني أريد لم أخرج من الباب المسمى للمستور. وأقول عند قيام خلاف بين القسمين محل الخلاف فيقال للمدعي على وجهه لكن في السنتين الماضيتين الأولى تكون في الخلافات بجمع الجسدين. وإذا لم يكن أحد المدعيين في الخصومة، فإنه

مستور من غلاتها نتيجة الجفاف
النسب إلى البلاد الأوروبية وهذه
التجارية بل نقل شانا عن الأكم
الاستوراء إلى في أولى ان
بها وعلى أي حال فإن مسألة الجرامة
مستورة لا تقاس بمسألة اليوم في
خزونها. مسألة اليوم أن مع
لقد انما تقاس موضوع المستور
نفسه. إنها مارة من مستور
وإن يطلب من غلاتها فإن وضع
في جانب المستور العام مستور
للأليات. وكما يقول ان المستور
كلها لضمان مستور هذه الجرامة
كذلك مستور، مستور من غلاته الجرامة

حضرة توفيق دوس به - بولون آن
تمثيل الاقليات بدعة او ايجاد دستور
خاص بجانب الدستور العام . وعن ذلك
اجيب بان تمثيل الاقليات موجود في
دستور بلجيكا وفي دستور اسبانيا والفرنسا
ان الامس هناك سياسي وهذا ديني . فلا
بدعة ولا افعال دستور في دستور .
امسالة ليست مسألة الشكل ولا اقتصاد
لأننا نحن معادين الا بوضع دستور طبقا
للبلد . للجمعية وللصالح البلد .

لما خطورة الموضوع فأوافق عليها
بشئىء به، وسألتكم عنها عند البحث في
الموضوع. * والآن أقول أن هذه الخطورة
هي التي نبحث في تقديم القرائن. * ولا

القول الى اذقته يصلي تليها من الاقتيات ، بل فتمته بصلو حريا اخذ ان يلح خطر عليهم اذا لم يتقرر مبدأ لتعديل الاقتيات .

حضره عبد العزيز فهمي به - اولق بدوي به في دفعه بعدم الاختصاص .

لا يلاس عدم الاختصاص في المسائل الدستورية بعدم الاختصاص في القوانين العادية . يقول بدوي به بعدم اختصاص هذه اللجنة بالنظر في تعديل الاقتيات وقد استعمل في صدر ذلك تعبيراً ربما كان له شأن في رد دوس به ان قال : انما في الواقع نضيم دستورين : دستوراً لعامة البلد وآخر للاقتيات . وكأنه يقول اننا لسنا في صدد وضع دستور عام اهم قاعدة من قواعد اسلم بها في كل المسائل ان الوطنيين متساوون امام القانون لا امتياز لاحد منهم على الآخر . بل الواقع انه يراد من اللجنة اعطاء الاقتيات امتيازاً خاصاً على مجموع افراد . بل تمكك اللجنة ذلك ك القاعدة العامة التي متشعبة ان الكل سواء ، ولكل حقوق واحدة وواجبات واحدة . مشتركة فان ارادت اللجنة ان تقر تعديل الاقتيات فقلنا قول ان الوطني ملهم ان بل يصيبه الحظ في التمكن لعلم انه غير متوقع عند الاكثريه ما يلتمح به غيره سياسيا و يجب ان يكون نهذه الاقتيات امتيازاً على الاكثريه وهو التتمثيل الخاص . هذا الامتياز لا أساس له .

وهذا ما اراده بدوي به بقوله انه يراد منا وضع دستور خاص للاقتيات يجالط الموضوعات . وهل تمكك ذلك ؟ لا تمكك اللجنة ذلك ، لانها لم تتكلم بامتها امتياز اجل ان ميتها مقصورة على وضع دستور مؤسس على احداث الجديده . ومن اجل هذا يقول بدوي به ونقول معه بعدم اختصاص اللجنة .

اذا اعطي هذا الامتياز للاقتيات تنقسم البلد الآن وفي المستقبل انقساماً مستمرا : مع ان المراد هو احياء الروح الديمقراطية - وهذا لا يكون الا بمزاولة الوازير او جعلها عيمة الاثر في الحقوق السياسية .

لهذا اولق بدوي به والقول ان الكلام عن عدم الاختصاص قد يتعارض بالموضوع ، ولكن لا يضرنا التعرض للموضوع اذا ليس الغرض منه الهرب احتماء وراء الاشكال .

معلي طمعت بالما - البلق بعدم الاختصاص يقضي بوجود جهة اخرى مختصة عنه لا وجود لها ، ونريد اليه في المسألة نهائيا .

حضره عبد الرحمن فهمي به - اجاب عن ذلك بدوي به بقوله :

ليس من شأننا ان نتحكم في الاحساس العلم بل يجب علينا ان نتكلم به . ومن انمكن بعد انقضاء البرلمان ، اذا تبين وجه الحاجة لتعديل الاقتيات فظهرت الاضرار التي تنجم عن عدم التتمثيل والنصح ان

اشراراً حقيقيه ، فلابد ملقوح ويمكن عتلة تعديل الدستور .

لا محل للتحكم من الآن . بل يجب قره الصالة الى ان يقوم للفصل للامام مطالبنا بتعديل الدستور . اما الآن فالبعض يطلب تمثيل الاقتيات ولكن بعض رجال الهيئة الذين يدعون انهم عمد السياسة يكونون بعدم جواز التعديل .

حضره محمود ابو النصر به - لا اهم كيف لا يكون تمثيل الاقتيات بدعة كبرى على النحو الذي يقول به دوس به . ان تمثيل الاقتيات بدعة لا تتفق مع أي مبدأ من مبادئ الدستور ، بل ولهم قواعد التشريع . بالاس فرتم قاعدة عامة ، قاعدة كلية ، ان النائب لا يمثل لخاصه دون غيرهم . بل يمثل مجموع الأمة وينطق بلسانها ويعمل لمجموع افرادها .

روح الدستور للشي ذلك ، ووحدة الوطن تحتمه . كيف لئلم هذا الاساس الوطني ، ولستطيع لائنسا ان يحضر بين اولئك النواب الذين يمثلون الأمة في مجموعها افراد يقولون نحن شواب الاقتيات لنطق بلسان افراد متضادين هذا بخلاف روح التشريع واصول الدستور . والقول بانه بدعة وخطر داهم وجريمة نفوس لتتفرق بين الاخ واخيه ، بل رجوع الى الورد - قول يجب ان يحل منا محل الاعتراف . اسمعوا صوت رجل من افاضل المثافة المصرية ولا تقول القبطية الاستلا هزين ميرم المتكوري في القانون والذي يمارس السياسة ويكتب فيها . اسمعوا صوته في مقال ضاف نشره في الجرنك تحت عنوان : حماية الاقتيات ، جاء فيه :

هذه هي الروح التي يجب ان تلحق محل الاعتراف وتنتين خطر فتح باب لتعديل الاقتيات ، لانه اذا فتح لا يكون ذلك لتطرفة دون اخرى . واذا سمحنا لكل الطوائف بالتتمثيل النيابي قلنا نلغ في فوهي وتفرق قائل لروح الوطنية . لذلك يجب اطلاق الباب .

تجودنا بالجمعية التشريعية ، فهل تقدم ليشي للالتخاب ورفض ؟

حضره لباس عوض به - تقدمت في عابدين ولم انتخاب .

حضره ابو النصر به - كما تقدم كثير من المسلمين مثلي ومثل المرجوم احمد عبد الكريم به وغيره ولم يتنخبوا .

حضره دوس به - سمعت الان ردين من زميلي عبد العزيز به ، واوب النصر به . اما ارد الذي فخلص بالموضوع واستمكك عنه هذه الهيئة في الموضوع . اما ارد الاول فمتعلق بعدم الاختصاص لان اللجنة ليس من شأنها ان تقر امتيازاً خاصاً لفئة خاصة . ليمسح لي ان تكرر القول بان مسانك كل اليك التي تمك الاقتيات تعمل ذلك . ومشي لتتمثيل الاقتيات ان القانون يفرض انتخاب اشخاص ولو لم اقرش الاكثريه من انتخبهم .

مودة الرئيس - هذه المسائل وضعها على هذه الصورة اهل البلاد انفسهم ولم

لتضعها لجنة . حضره دوس به - نحن الان نضع الدستور فيجب ان يكون لنا كل اختصاص الهيئة التي تضع الدستور كائنه ما كانت .

وقد قيل ان تمثيل الاقتيات يجعل للفرقة مائلة الى اليمين - وانما تمثل الزائكة كل الفوارق لتكون ديموقراطيين متساوون في جميع الحقوق والواجبات . ولنا كصيري أص بهذا . ولكن مع ان اسلف ماتمتهله فيه والواقع فيه اخر . لقد صدر بالاس الامر الملكي الخاص بوراة العرش ومع ان الاوصياء محاضرون بصباحين : اولهما انتخاب الملك ، والثاني تأييد البرلمان . لقد جاء في الامر المذكور ان الوصي يجب ان يكون مصرياً مسلماً .

مودة الرئيس - لان الدولة اسلامية .

حضره دوس به - لا نزاع في ذلك .

مودة الرئيس - يمكنه هذا غير متين فالتكلم في غيره .

حضره عبد العزيز فهمي به - اري ضم البلق بعدم الاختصاص الى الموضوع

حضره بدوي به - لا اوافق على ذلك ، واطلب اخذ الرأي على البلق بعدم الاختصاص اولا .

حضره دوس به في يثاني الماضي كان انتخاب اعضاء المجلس اعلى ليشي اسبق وقد جرت العادة من عهده بعد ان اعضاء المجلس الاربعة يكون ثلاثة منهم مسلمين والاربعة قبطيا . وقد كتبت الى اخي القور الذي عضو في ولكني كترة مقالتي والقبلي في القاهره لم ارفع ناسي في الانتخاب الاخير . وقد كانت النتيجة انتخاب اربعة من المسلمين .

اخذ الاقتيات يتشرون من قلمه . هذا الانتخاب الذي يقضي به اذا استقال - لب (و توفي وحل محله من نال اكثر الاصوات بعد الاربعة المتفشين - وقد كان قبطيا - فرجوا محمود بسيوني به . احد النواب الاربعة ، ان يستقال ويثراه مكانه للشرح الخامس ، فاستقال وحل محله عضو قبلي .

هذا مثال لا يمكن ان يلبس به الاقتيات - خطا كان او سويا - ان الزمان مفعوفوا الحق اذا لم يروا في الزمان نوبا القباط - والواقع انني رايت في المجلس المحلي قولا لا يمكن الوصول اليه في البرلمان .

مودة الرئيس - ولم لم يعان الاقتيات اراهم في هذا الموضوع اهام ؟

حضره دوس به - لم يات وقت الاحتجاج . واذا صدر قرار بعدم الموافقة على تعديل الاقتيات وارجوا الا يصدر . سترون الاحتجاجات التي ليها .

حضره بدوي به - لا اريد ان تلوحج الى البحث في الموضوع كما فعل حضره دوس به واريد ان اظهر الكلام الان على عدم الاختصاص . لذلك لا اريد ان

أقرضت تجميعاً لثقل اللزوم لكثرة نوس
به والذي هو جليله لا له ، إن الأمر في
مجلس محلي لسيوط لم يكن راجعاً لنص
وأما كان راجعاً للحرف ، وهو ما
أصله ، وإن المستوي للعلم آخر لا يحل
بالقياس على حالة خاصة بمجلس محلي
أسيوط ، وإنما يريد أن تعرض
لنقطة : الأولى قول توقيع له أنه
يكون تلقياً معنا ولكنه موثق أن يلحق
الواقع ، وهذا الواقع أن لدى الأحياء
شعوراً ، أنه يكون خطأ ، يوجب
تعديله ، فإن ذلك يلهم أن المستوي لا
يجوز أن يبني على إصلاحه لا أن لنساق
وراءه ، إذ الطبيعي أن الخطأ يقوم لا
يلتص

أما النقطة الثانية فهي أن التعديل
الضمني في بلديكا - وهو الذي يستند
إليه توقيع له في أن تعديل الاقتيات ليس
بعدم - ليس تعديل اقتيات بل هي التي
أريد ، أنه نظام ديمقراطي مبني وشرح
لتعديل الاقتيات السياسية بتسمية بعضها
وهذه التسمية لا تفي إلا مع الانتخاب
والاقتيات السياسية اقتيات متعولة قد
تكون التسمية والصحيح في الانتخاب
للأغلبية أكثرية ، فكيف الاقتيات الجسمية
أو السياسية هي غالبية معدة معلما
لمحاولة تشبيه الزوائد بالآخر تكلف
والكان التشبيه السليم ولكنه أصعب على
عدم اختصاص اللجنة ، والقرع أكد
الأصوات عليه .

حضره الياس عوض بك - نحن لغير
بعضير الاقتيات ، فلذا حلت المسألة لغير
مصلحتهم نتج من ذلك امتناع كبير .

حضره بنوي بك - نحن تكلم
باعتبارنا صريحين ، لا لعلنا إلا المصلحة
الامة . وقد تكلم بعضير الاقتيات ولم
تفكرنا في أي أساس الاقتيات أو
تكون له أن صنع أن تمثل الاقتيات قائما
يكون ذلك إذا وضعت الاقتيات من هذا
النمط ، أم نتفقون أن الاقتيات تحمل
على قبول التمثيل بمجرد التحدث في
استعمال حصول امتناع في الاقتيات ، لا
تكون أن الاقتيات بإمكانها في يمكن أن
تصير الاقتيات التي تقرر ما لا تريد إذا
رأت الاقتيات أن هذه المسألة تهدد
استقلال البلاد ، أم إذن نحن المتعلقين ؟
وما هي مصلحته ؟ لقد طلبت التفسير بعدم
اختصاص اللجنة لأن هذا اسم الدول
الآن ، فالتك تقابلون له إذا قرعتم عدم
للضبط المصمت الاقتيات ، وأقول أنه
إذا قرر التعديل خشيان أن تمضي
الاقتيات لما توقعه من خط هذا الرأي ،
خشيان في دورنا الملمني على وحملنا
وتعدينا .

ليس الحكم لجلب الامتاع من هذا
أي ذاته وفيه المسألة محل في الاقتيات
العلمية ، نحن لا يشغلنا مسائل اجنبي من
الموقفة العلمية ، أو حين يكون هناك
أصل في حلها على الصورة التي ترضي
الفرع .

مودة الرئيس - هذه مسألة لها أهمية
عظيمة ويجب طول التروي قبل الفصل
فيها . لذلك اقرع تركها لمجموع لجنة

المستور . وأن تدون في تقريرنا جميع
البيانات التي دارت في الموضوع . وفي
الآن ، وما تكلم أرباب الشأن أو أنلوا
بأرائهم في الصحف فتقرر بها أكثر من
الآن .

حضره بنوي بك - است أرى أن هذه
المسألة من اختصاص اللجنة العامة
أيضا .

مودة الرئيس - المسألة غير مصلحة
للمحكم الآن ، والأولى لتجليها للجنة
العامة .

(موافقة بالاغلبية)

حضره الكليتي بك - لطلب أن
يسمى مودة الرئيس الأفراد من كبار
الانقلابية التي يجب أن يكون لهم
رأي معقول ليسلطان أرائهم في تعديل
الاقتيات أو عدم تعديلها ، حتى يمكن أن
يبني على ذلك مسمى الوحدة التوافقية أو
عدم مصلحتها .

لقد بالاغلبية رفض هذا الاقتراح .

(في ١١ مايو سنة ١٩٢٢)
لجنة الدستور : تم تليث المادة ١٣ ،
وهذا نصها :

(ليس لوطني مصري أن يمتنع
بإحكام منه للتخلص من أداء الواجبات
المفروضة عليه كوطني وجدي)

حضره عبد العزيز فهمي بك - حصل
في التفتت أن بعض الأشخاص أنلوا
التخلص من الخدمة العسكرية برفع أن
عقيلتهم البنية تحرم القتل ، ونحن نريد
لغاي ذلك .

تقرر الموافقة عليها بالإجماع .
(في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)
تم تليث المادة ٢٢ وهذا نصها :

لكل مصري أصاب حادثة شر من
تصرف موظفي الحكومة وعملها في
استعمال سلطتهم أن يداعبهم إلى القضاء
بدون احتياج للتصريح سابق ، وهذا الحق
لا يجوز تشييده إلا فيما يتعلق بالوزراء
والجند الذين تحت السلاح .

حضره توقيع دوس بك - اقرع حذف
استثناء من قول المادة ، ألا فيما
يتعلق ... ، لا .

معالي الرئيس - تؤكد الزراء على
ذلك .

تقرر بإغلبية الزراء حذف هذا
الاستثناء مع بقاء باقي المادة .

(في أغسطس سنة ١٩٢٢)
تم تليث المادة ٢٠ وهذا نصها :

للاشخاص الصائرون للخدمة
الامرية التبعون للاقتيات القومية أو
البيانية أو التوقية لهم الحق في القانون
وفي الواقع في نفس الامتاع والامتاع
والتي اقتنع بها غيرهم من الصائرين
للخدمة لخدمة - وعلى الخصوص يكون
لهم حق مساو لحق الآخرين في أن يشعروا
أو يدعوا أو يرفعوا على لظهور معاد
خيرية أو اجتماعية ومدارس أو غيرهم من
دور التربية ، ويكون لهم الحق في أن
يستعملوا فيها لظهور الخاصة وأن يقوموا

بشغلهم بطلب حرية فيها .
تقررنا الموافقة الفرعية . فتقرر
الموافقة عليها بالإجماع .
(في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)
تم تليث المادة ١٢ وهذا نصها :

اختلاف الدين والمعتقد والمذهب
لا يؤثر على أي شخص حال الفرعية
الامرية في المسائل الخاصة بالمتعلق
بالحقوق المدنية والسياسية ، مثل الحقوق
في الخدمات العمومية والنشوق
والحصول على التلق الفرف ومزاولة
الهن والصناعات .

تقررنا الموافقة عليها بالإجماع .
(في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)

تم تليث المادة الثالثة ، وهذا نصها :
ليس في القوة الامرية أي تمييز
بين القليات بل جميع المصريين متساوون
أمام القانون يشع كل منهم ما يتعلق به
الآخرين من الحقوق المدنية والسياسية
من غير تمييز بينهم بسبب الأصل أو اللغة
أو الدين . وهم موزعون كافة بإدارة
الزراء وغيرهم من التتسليف
العمومية ، وهم وحدهم الذين يجب عليهم
إدارة الشؤون العمومية ملكية كانت أو
عسكرية ، أما الائتلاف فلا يقابلون في
هذه الاقوال إلا أحوال استثنائية
تعنيها القوانين تعيينا خاصا .

حضره عبد العزيز فهمي بك - هذه
المادة تدفع فيها نص من الضموم التي
سبق أن أقرها اللجنة الفرعية ، وهو
نص المادة ١٠١ .

هذا النص لا يجعل امتياز لادم على
أحد ، فليس في السيد الشراف
ومعاليه ، ولا فضل لغيره على
أعزى . نحن إنما نريد التسوية بين
جميع المصريين في الحقوق والواجبات
العامة ، وذلك حكم الديمقراطية الذي
تلتزم إليه البلاد . وإنما أريد العرب
ينزع خاص فلا يبني لهم امتياز على سائر
أهل البلاد ، ولا يبني من حكم الإعدام
من الخدمة العسكرية .

مساعدة صالح الموم باشا - اطلب أن
تترك هذه المسألة للزراء ، فهو وحده
صاحب القول الفصل فيها .

حضره إبراهيم اليازجي بك - نحن
الآن نضع قانون البرلمان نصه . هذه
فصلنا فيما هو أعظم من هذه المسألة
وأخطر فلماذا تخرج من الفصل فيها
أيضا ؟

مساعدة صالح الموم باشا - للعرب
قوانين خاصة تفرط بهذه البداية ولم
حقوق متكتبة من قديم الزمان . ولا زات
على رأي في وجوب تأجيل النظر في هذه
المسألة حتى يرضي أهل البرلمان .

حضره علي الخازن بك - في كلام
مساعدة صالح الموم باشا في من الراجحة
فإن العرب امتياز يتمتعون به يرجع إلى
عدم انزعهم سعيد باشا . فليس لنا أن
تتقدم إلى إلغاء هذا الحق من الآن بل
نعمل بما أن نقتطع لغير البرلمان في هذا
الامر الخطير ، فهو أضر جمال وأشد
على الحكم في بقاء هذا الامتياز أو
إلغائه .

حضره محمود أبو النصر بك - أماس السطور هو الصواعق بين أهل البلاد ، وأن سبة أن يبقى مثل هذا الامتياز لمصلحة من اعلم على سائر المطالبات * فضيلة الشيخ بخت - ما يقوله صالح باشا ليس خالصا بالبربر فإن هناك طوائف أخرى ، كطائفة العلماء العليا الدينية ، يعانون من الخدمة العسكرية * فإذا أريد أن يزداد على هذه المادة استثناء الطوائف التي لها امتيازات فذلك اليكم *

(أصوات كثيرة : لا) *

حضره توفيق دوس بك - القساعة تقضى بجواز تجنيد جميع المصريين * وهذا لا يمنع استثناء الولد لوالديه مثلا ، ومن غير البذل للتأدي والطالب للدينى وغير أولئك *

حضره عبد الطبيب الكتاني بك - هذا استثناء لا امتياز *

حضره زكريا نافع بك - مساوى المتطلبات كما للسطور ضرورى جدا * وأن مستوفى يقوم على تعيين طليقات الأمة بعضها على بعض منه الأولى *

حقيقة قد اكتسب العرب حقوقا وتلكا امتيازات لكن كان ذلك لاصوب * وقد اعلموا من القرمه العسكرية أنهم كانوا يجرسون اطراف البلاد ويقومون بمد الأتربة عليا * ولأن ذلك وضع منهم هذا العهد ، كما أنهم أصبحوا يشاركون للأخمين في جميع امراق الخدمة ويساموهم في كل الحقوق العامة ، فهم يزرعون الأرض ويحشون في الانتخابات ويتولون النيابة في المجالس على اختلاف انواعها فيمثل امتياز بعض الطوائف هم لقواعد الدستور من أماسها *

حضره محمد على بك - وافق على المادة كما هي لأنها كتلتا وضع دستور طوما للأمة الحديثة ومعنى ذلك تحقيق الديمقراطية الحديثة بأعلى معانيها وأول مظاهرها عدم الفوارق التي تقوم بين الطبقات ولقد حدثني كثير من أعيان العرب وقالوا لى أن ينام هذا الامتياز مسية لهم وعار عليهم لأنه لا يصح وقت الحقنة أن يلقى المصريين كافة للخدمة وظهور والودع من شرف أمتهم ويبنى العرب وحدهم جالسين على عرش دورهم * قالوا لى ليس هذا امتياز ، إنما هو عار لظلمة من أكرم سواؤك المصريين *

ليس اعلاء من يعانون من الخدمة العسكرية بحكم القانون امتيازات ولكنه اعطاء من مقابل منعمة لاوطن * لأن حامل الشهادة العالية إنما يعلى لاحتياج الوطن الى علمه وقضاة * ثم أن لى الأمر من جهة أخرى تحريضها على طلب العلم وقبول مدابرتها * على أنه حين يستع علينا نطاق التعليم وتتبدل العرفان يزال هذا الاعفاء أيضا أسوة بفرنسا * مثل *

مساعدة مصالح علوم بلقا - لا أمك التصرف لى امتياز العرب لأن هذا حكم لا حق *

حضره محمد على بك - إنما يطلب منك رأيك أنت * معالى الرئيس - يؤخذ الإزعاع على المادة *

تقررت الموافقة عليها بأغلبية الإراء * (فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢) تلى الجدا الثالث عشر وهذا نصه : * لا فرق بين الوزراء وبين الأفراد فيما يتعلق بدعائهم الخاصة التي لا علاقة لها بوظائفهم ، بل هذه الدعوى تكون من اختصاص الحاكم * *

فقرروا بقوله بالإجماع

(فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٢) ليس لوطلى أن يحتج بإحكام دينه للتمسك من وأجابه كوطلى أو جدى معالى الرئيس - ورد علينا خطاب من فضيلة شيخ الجامع الأزهر يبلغنا فيه ملاحظة من بعض حضرات العلماء على اللجنة لأنها ألزمت فى المادة ١٣ من باب حقوق الأفراد أنه ليس لوطلى أن يحتج بإحكام دينه للتمسك من وأجابه كوطلى أو جدى * وقال أن فى هذا النص على الجملة مساسا بالدين الإسلامى الذى هو الدين الإسلامى للمجموعة وطلب تعديل المادة بما يزيل للشبهة * *

وأمر مكتبه فأتى نص الخطاب ، وهذه صورته : * حضره صاحب المعالى نائب رئيس لجنة السطور :

للتشرف بأن تخبير معاليكم بأنجماع من العلماء حضروا حديثا وقالوا أن المادة ١٣ من مشروع الدستور تقول : ليس لوطلى أن يحتج بإحكام دينه للتمسك من وأجابه المفروضة عليه كوطلى أو الواجبات * وقالوا أن هذه المادة فيها على جدى * وقالوا أن هذه المادة فيها على الجملة مساس بالدين مع أن دين الحكومة المصرية الإسلام *

والآن ، يامعالى الباشا ، أنه لو عدل هذا النص لتحيدل يدفع عنه تورم عدم الاعتداد بالدين لكن حسنا ، ولعلكم ترى الأذى الإعلى والله سبحانه وتعالى يوفق معاليكم الى السداد والسلام عليكم ورحمة الله *

٢٨ فى الثلاثة سنة ١٩٢٠ (أغسطس ١٩٢٢)

شيخ الجامع الأزهر

محمد أبو الفضل

لم قال مكتبه أن اللجنة يسلمع لم تمس الدين الإسلامى ولا غيره من الأديان * ولما كان الفرش من تقرير المادة أن يكون المصريين سواء فى أداء الواجبات المفروضة عليهم ، فلا يباح لأحد أن يفر من أداء هذه الواجبات شرعا بإحكام الدين * وقد سبق أن ذكر لنا حضره عبد العزيز فهمى * * ضد الملاحظة فى المادة مثلا من الأتملة التي احتارن عنها بهذه المادة ، وهو أنه علم أعلن الحرب الكبرى حاول التخلف عن الحرب شيعة من الإنجليز يزعم أن مشيتهم تحرم سلك العلماء *

مساعدة حافظ حسن باشا - قباينى فضيلة شيخ الجامع محطة لأحمل وإللى لى

أن ظاهر المادة يلحق أنه : تتألف من أحكام الدين عن الواجبات الوطنية * وأنه عند التفتيش تفصل الواجبات الوطنية * ويجب أن تصاح المادة على صورة لا يلم منها وجه ذلك للتفتيش * ذكرت لى اجتهاد ما يراه أن يحتجز عن هذه المادة ، للحارس الذى يقره المحسن معتبرا بأنه يريد أن يؤدى خدمة الجماعة ، وسائق الطائر الذى يشره الحمار ليؤدى صلاة العصر فى بيوتها ، أو الوطني أن الواجب لى هذه الأحوال مضم على أداء الفريضة *

حضره عبد العزيز فهمى بك - لو أن بلندا لاصر على المسلمين سط ولم يكن فيه سوى الدين الإسلامى لحكمنا الدين الإسلامى لى كل أوروبا الوطنية ، ولكن بلندا يقدم المسلم والمسيحى واليهودى وقد يدخل فى الحصرية أيضا اليهودى والبرهمى والى - وكلهم فى نفس القانون سواء لنا فى حربنا حرية الأديان * وسنسط نحن أيضا * فلا جدال هنا على أن يكون مطابقة بشرى الامكان للدين الرسمى بين التعارض بين هذه الأتملة وأحكام الدين الأخرى * فهل يصح أن يبين بحد هذه الأديان الأخرى أن يحتج بان نظام من هذه الأتملة يتعارض مع أحكام دينه ؟ وإذا احتج بمثل ذلك فهل نقبل لمعالجة ؟ *

يبدأ رجل هو كثر علماء المسلمين فى الوقت الحاضر ، وهو فضيلة الأستاذ الشيخ خديج ، وفى إسماعيلته أن يرى لى اللجنة ما ألهموا به من الخروج من الدين *

فضيلة الشيخ بخت - العبارة كلها أن العلماء لم يفعلوا من هذه المادة ، فإذا رأى معالى الرئيس أن أرى عليهم لمعت *

حضره الشيخ خيرت راضى بك - المسألة فى غاية البساطة * وقد سعادة حافظ الوجهة التي لجة اليها وهم شيخ الجامع الأزهر وبعض العلماء * وقد بين حضره عبد العزيز بن أن المادة لم توضع للتدخل فى مسائل الاعتقادات الشخصية ولكنها حكم عام يتعلق بالواجبات الوطنية العامة * وكل ما يريده شيخ الأزهر أن يقول هو أن الواجبات الوطنية العامة لا تتناهى مع أحكام الدين الإسلامى فجهاه كلها مفروضة على المسلم بحكم الدين * ولكنه يشترى أن يفرض على المسلم وأجابه أخرى تتناهى مع دينه * وليس هذا ما قبلنا واقعه عند وضع المادة * وعلى كل حال فإنه اقترح بلقا لكل شيعة أن يضاف الى نص المادة كلمة « العلماء » ، بعد عبارة « الواجبات الوطنية » *

حضره على ماضى بك - لى بالمعالم على كلام حضره خيرت بك خالوا : الخضوع للدين البالد من الواجبات الوطنية العامة * وقد يكون فى الواجبات الوطنية ما يتعارض مع بعض الأديان * فالتطرق لى أراد أن يختصنا منها لا جدى ، ولأننا : أن ما يالقه مثل شيخ

الجامع الأخر لا يزال موجوداً لكن النص الذي يترجمه خيرت بك لا يزال يوم ما توهمه وهو احتمال الخسب بالدين *

ثم إن لي اعتراضين على أصل المادة أولهما : أن حكماً لا يعمل من محتجبة فسدسية دينية ، ولذا ينبغي أن لا تكون في المقتول أن يكون حسناً بل يجب فوق هذا أن يكون مثيلاً عند من يدين عليهم ، فهذا الاقتراح أن يعمل النص على الصورة التالية : وهي أن ليس لوطي أن يحتج بآية حجة ما للفتن من الواجبات الوطنية الخ ، وكذلك نسخ هذا الوهم من جهة ، وإعاد في حكم المادة حتى تتناول من يفترون عقيدة فلسفية أو غير ذلك *

فصلية الشيخ بحيث - اقتراح أن يرد على فضيلة الشيخ الجامع من يأتي ، وأن هذه المادة لا تمس الدين الإسلامي بغيره ، وذلك لأن لوطي في المادة لا يختص باسمه وبغيره بل هو ما ولكه أحكام الدين لا تختص بدين الإسلام ، والواجبات الفرعية على الوطني كوطي أو جندي في الواجبات العامة فلا تتكافى مع الأحكام الخاصة بغيره كالتكافى مع الخصوصية ، ومع ذلك فلا خلاف أن ليس قد زيد على كلمة ، والواجبات ، في المادة كلمة ، العامة *

والواقعة التي بالإضافة على هذا الرد وأن يكتب في هي فضيلة الشيخ الجامع الأخر أن تضاف كلمة العامة على المادة ١٣ من باب حقوق الأفراد - ثم قام بمسألة السيد عبد الحميد البكري وقال - اقتراح أن يدخل نص المادة ١٣ على الآية التالية : وليس لوطي أن يحتج بآية حجة ما للفتن من الواجبات الوطنية الخ ، وذلك كما قال حضرة ماهر بك ، أنه يفتن لوطي لا يفتن دينيين ما بل يفتن فلسفية ولا يوجد في النص ما يمنعهم من الاحتجاج بهذه الطريقة *

فضيلة الشيخ بحيث - ليس المراد بالدين ، والدين السماوي فقط بل كل ما يدين به كل الشبان *

حضرة علي ماهر بك - كنا مقتنعون بأن النص الأصلي في موضوعه لا غير عليه ولكن نريد أن نلغيه من كل معهود ، والتي أريد مسامحة السيد البكري *

معاني الرئيس - تأخذ الزام - فتقرر بالإيجابية وأهمل الاقتراح حضرتي ماهر بك والسيد البكري - (في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٢) عدم الموافقة على تعديل الاقتليات الدينية *

معاني الرئيس - لتأخذ الآن في بحث جديد تعديل الاقتليات المحدد لتقرر جلسة اليوم *

حضرة لوفيق نوس بك - طرحت على اللجنة الفرعية مسألة وجوب النص على تعديل الاقتليات في الدستور ، وبعد مناقشة طويلة قررت إبقاء الفصل فيها إلى اللجنة العامة *

ولقد كانت هذه المسألة سبباً للحظ في

جميع فروعها ، مسألة الحظ في كيفية طرحها ، مسألة الظاهر فيما لاقته بعد ذلك مما سارعنكم عليكم بمنتهى الصراحة أن لا يجوز مطلقاً أن تحصل محاملة في مصلحة البلد *

أما سوء حظها في كيفية طرحها فهي التي أثار الذي طرحها وأنا أحد أفراد تلك الاقتليات - كان من الطبيعي أن تباين إلى الذين أثلى طرحها لمصلحة الاقتليات خاصة وكان مظهر ذلك أن حصلت مظنة أن الاقتليات يطالبون بها من المسلمين يفترون أن يصيبنهم خسر إذا لم يحصلوا على خاصية امتياز بغير مصلحتها الحقيقية أو التي أريدوا لها *

ولقد كانت أي ذلك العهد كل مناقشات اللجنة لا تتعدى دائرة جاسمينا - ولكن رأى دولة الرئيس المحترم رضى باشا أن يأخذ في هذه المسألة رأى الاقتليات فطلب حضرة استاذنا الهادي بك أن يقرر باسم اللجنة الراي أن القائل أحدهما بوجوب التمثيل والثاني بالعكس ليؤخذ رأى الاقتليات فأمره بغيره في الأمر رأى دولة الرئيس توفيقاً للرأيين أن يقرر كل رأي من نفسه لا باسم اللجنة *

ولكن المسألة كانت مسألة الحظ أيضاً في هذا ، فقبل أن نشر البيان من هذا ظهرت رسالة في الأهرام لحضرة صفيق المحترم إبراهيم نسوي (أ) فطلبه يقول أن مسألة تمثيل الاقتليات طرحت على اللجنة ، وأنه يؤكد ذلك ، والذي طرحها هو توفيق نوس ووضع عبارته بما يستند طبعاً لأن هذه من هذا أن الاقتليات يطالبون بها من المسلمين لعدم امتيازهم لهم في النظام الجديد للبلد *

كان من نتيجة هذا - وهي نتيجة طريفة - أن قرر نوس من الاقتليات بغيره دون فترة التمثيل ويوافقون بوجوب عدم النص ، ويدوات حملة في الجرائد ، غالبها من الاقتليات ضد القائل بوجوب التمثيل *

وأيت بياناً لما من أن أغلب من دولة الرئيس رضى باشا أن يقرر لصالحها للجمهور يظهر لهم حقيقة الغرض الذي لوجه تيمت اللجنة في الأمر ، وأنه قاصر على البلاغ من مصلحة البلد بمحاولة منع نفس الدولة الأجنبية صاحبة القوة الطبيعية في بلدنا في حماية الاقتليات ، وأن الفريقين لا غرض لهما إلا هذا فالفرق القائل بالتمثيل يرى أن ضمن طريقة عدم داخل الاقتليات في الأمر أن يقرر على تمثيل الاقتليات في الدستور فلا يصبح هناك محل لصحية دولة أجنبية لهم وقد حمهم الدستور والفريق أفعال بالعكس يرى أن عدم النص على وجود الاقتليات يؤدي إلى عدم الاعتراف بوجوبها ولا يفي بمحل لصحية تلك الدولة الأجنبية ، وأن غرض الفريقين مصلحة البلد كافة دون غيرها من المصالح الخاصة *

وافق دولة رضى باشا على هذا البلاغ وكلف حضرة صفيق أحمد أمين بك نشره في الجرائد - فقد أن لاصح أمين بك أن نشر البلاغ لم - فقرر المهلة القلح يان

أمر دولة الرئيس كالف لوجوب اللحن * وفي ذلك اليوم سألوا ما نأخذ معكم - أمين بك ونحن في القطار ينشر البلاغ في ذلك اليوم حتى لا يفتن الرأي العام الباعث على طرح المسألة ، ولكنني علمت منه لسوء الحظ أنه لن يفتن في الاستدريه ويحضره معه إلى مصر ، ولكن الاستاذ هينك كانلاً مؤلفاً ذلك يان وعد أن يقرر بلاغاً آخر بعدئذ وبغيره - على أن بلاغاً هذا الحق لم يقرر وتظهر أن هينك بك ساء عليه ذلك *

كانت النتيجة الطبيعية لهذا أن يلى رأى العام في مسألة : الاقتليات يعتقدون أنهم في طلبهم هذا يفتنوا المسلمين ، وهم يرون من مصلحتهم طبعاً إلا بفهمهم فظفروا بأنهم لا يريدون التمثيل ، والمسلمون يعتقدون أن في هذا تفرقة للبلد وعدم الاقتليات لا يفتنوا في عدم تمثيلهم ، بل يفتنوا بفساد عدم التمثيل *

كان من الطبيعي عندئذ أن نشر في للناس - ولم كنت فيه أكثر صراحة ، مما كنت أمثل اللجنة الفرعية - رد على حضرة عبد الحميد بك رين ، أولهما - مسعود باصملى ، والثاني باسمه مسعود - وليس معي نسي حضرة - أمين المحترم أن أعطى عليه عبد الصديق علي الصديق أن عاب نشر الأمر في الجرائد ، وتساءل لماذا نشر هذه المسألة بثلثات - كأنه لم يكن معاف وقت قرار رضى باشا وإقرار اللجنة الفرعية بوجوب نشر الأمر - كان من نتيجة هذا أن اعتقد الجمهور أن نشر الأمر في الجرائد بغير أن اللجنة وكشفاً لقرارها ، لأننى في هذه المسألة بالذات ما أراه في غيرها ، وهذا لا يكون إلا إذا كان رأى فيها البحث وراء مصلحة شخصية لي أو مصلحة للاقتليات فقط دون مصلحة البلد *

هذا ما كان من الانوار السبيلة التي مررت فيها المسألة ، طرحتها لتقرر ما حركتم أن الجواب الذي طرحت فيه لم يكن جواباً تقياً كما كان يجب أن يكون *

وأقبل البحث في الموضوع أريد أن يكتب بالعلم بالحق الذي لا أغلب هذا المسألة الاقتليات - لتقرر بسهولة جدا وهي التالية :

استبقت الجائز للخص في نص ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ حق حماية الاقتليات - وهذا حق خسر جدا ، وهو في نظري مضيق لكل ما كتله من الاستقلال ، إذ تحت ستار هذا الحق يكون الجائز حق التداخل في كل شؤون المصريين ، مساهموا وكبيرها ، الدخول منها والخارجي - فمعهم كل وطني يريد خدمة مصر أن يحد هذا الطلب بكل ما في وسعه ، وفي نظري أن من أقوى التمسك بأخاربه هو مواجعة الجائز في المواضيات الكلية بأن الاقتليات يحميها الدستور فلا محل لصحتها لها *

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أخشى كثيراً إذا لم تعقل الاقتليات فعلا في مجلس النواب الخيل أن يمتنع بعضهم ويترسوا

من وراء ستار غيتكافروا بالوطنية الحادة ، وانهم لا يريدون ان يفسدوا في حين انهم يطبقون الشريعة في التمسك بها .
 هذه مذبذبة كبرى ، وما كان ينبغي وانما احد افراد تلك الاقليات ان يلتزمها عليهم الاقليات في شعورها الوطني .
 ولكن امام تفرع مصلحة البلد ، وانما اعلم كما تعلمون ان الغالبية الساحقة من المسلمين ، ويتساوى كثير من الخسوف لتأسيس ملة الزعماء يتجرون بها وراء اغراضهم . تتساوى في ذلك الاقليات والاكثارية . امام هذا يجب ان نقول الحقيقة المؤلمة : اخشى هذا الباب واريد اقله . واعتقد ان خير وسيلة تساعد على اقله هي النص على تعليمهم في المستور .

هذه تقريري . اما القول بان الاقليات يريدون بهذا حلا لتأسيسهم بمشاكلهم في مستخدمين خطا محض ، اولاً لان الاقليات ممنوعين في حال جلالته الله لواء ، كما كانوا مسلمين في ظل هذه وحده ، وبكثرة ما يمنع به باقي المسلمين ، ولم يشعروا بانهم مظلومين مطلقاً ، ولعلنا : ان البرهان لا يشعرونهم خاسراً لقله دون فلة او طائفة دون اخرى ، بل يفرحوا وانهم عامة يستويهم فيها الاقليات والاكثارية . على ذلك لو فرضنا جدلاً وارادت الاكثارية ان تنظم الاقلية في قانوني على يد هذا الظلم وجوده عند من افراد تلك الاقلية في البرهان لا يمكنها ان تمنع قرار تلك الغالبية .

لهذا قلت واكرر الذي لا احبط هذا لصحة الاقليات . وارجوكم على بحث اسألة ان اقصوا لاعتباركم الاقليات مصلحة البلد ، فاذا اعتقدتم ان مصلحة البلد لا تتعرض لخطر اذا لم تشمل الاقليات لاعتباركم على وجوب تعليمها ولو طالب ذلك حكم الاقليات جميعاً بلسان واحد . واذا رايتم الضرر وان البلد لا تتعرض لخطر تدخل اجنبي اذا لم ينص على وجوب تعليم الاقليات تقروا النص على ذلك ولو فرضنا فيه الاقليات ، واسلمون جميعاً .

لهذا ايضا كان من الخطا لخذ رأي الاقليات في الموضوع . ليس الامر متعلقاً بالاعتقاد بل هو متعلق بالثبات ، واذا قال الاقليات انهم لا يمتثلون وانما رايهم لانه رايهم فقط ويظهر فيه ذلك شعاع هذا الرأي ان يفسد المسلمين في الاقليات لعلهم انهم جواهر نتيجة عدم مراعاتهم او نتيجة خضامهم بل يفسد الفكر كل البلد على السواء .

على انه اذا اردتم ان تستخلص نتيجة من اراء القاضيه ان الذي يمكن تلخيصه اليه :
 قامت شعبة كبرى من قبل تلك الجماعة التي تسمى لفساد الوالد المصري ينادي بعدم التمثيل ، قاله ان القائل به لا يريد ان يسموا قاضيه ، فانيتمها في ذلك من يتبعها في كل قرار تصدره او ايتمها جلوسها للقائون بانهم جلوسها - مستقلة كلت او مسببة -

للمسألة انك لا تغير هذه الاول في هذه الحصة لذلك اهمية الكبرى ، وهذه

الجماعة والذات على التي ثابت باعلى صوتها انه ما كان يجوز للجنس ان يقرر عمل للمستور فان في هذا اقتيافا على حقوق الامة ، وغنينا تعليمنا لمصلحتها ، الى آخر ما تعلمون مما رموا به اعضاء اللجنة الكرام ؟ كل هذا لم يتروا اي الفئات ، ومضينا في معكم من الضمان الوافي باله يحصل مصلحة البلد ، ولم تقووا بل نأخذ برأي غالبية الامة ، ويظهر ان الغالبية هي اولئك الافراد الذين يتكلمون في الجرائد ، وترغضوا للمصل في اللجنة .

ظهرت طليعت الاقليات على لسان معظم رجالهم الذين لا يجرون ، وعلى لسان مجالسهم المحلية .

وفي السكرتارية رسالت من المجلس التي القبطي الانجيلي لعام . ومن مجلس علي انبيا . ومن طرفان اسما والشيخ المصري ، ولعلنا وغيرهم كثيرين يقولون بالتمثيل وعلى راسهم شعبة سينما البيروت الذي كلف حضرة زميلنا العيس عوض به ان يقول برأيه هذا في لجنة السناتور واخذت الجرائد تطالب بتصميم هذا المحدث من هنا ومن هناك حتى لم يصدر جريدة البورس وهو في فرنسا واخذ من فيخته تأييد هذا الحديث ويقر في الجرائد كما تعلمون .

اما من كتبوا في الجرائد استكم تعلمون ، كما اعلم لنا ، ان كانوا جانيين ام هزائين اعلم اننا ان فرقا من اهلنا رايهم في اسبوع ياتند حيازة مملكة ضد التمثيل قلوا علنا في قاعة المصلحين في اسبوع لهم يرون وجوب النص على التمثيل ، ولكن ما دامت الاقلية تترس به فمصلحتهم ان يتناوبوا بكسر ذلك ان الاقلية في كل بلد لا يمكنها ان تكتفي الا بالحلقة والامالة والتناقض ، يعلم هذا المصالح على ما اعتقد حضرة زميلنا المحترم محمد علي به حيث لا يد سمع من اخيه احمد علي به الذي كان حاضرا لهذا كله لنا اخاف واخاف جدا .

يالي بحث اسألة تقريري .
 يقول القاضيه لهذا الرأي :
 ١ - لنا كلفا يعمل بمسائل على احدث القلم ، ولا يوجد مسؤل ولهم ينص على وجوب تمثيل الاقليات الدينية وان كان هناك مسائل عدة تنص على وجوب تمثيل الاقليات المسيحية - فلننص ان يدفع .

٢ - وان في هذا للنص مذبذبة خاصة للاقليات ، بمعنى ان الفرد في الاقلية لا يمكن ان يقال كرميا في مجلس النواب الا اذا جاء ذلك منه حين من مواليته ، في حين ان الفرد من الاقلية لا يقال كرميا في المجلس ولو لم يجر تلك المذقة - ينص للقانون . وما كان لنا ان نعلمي مذبذبة .

٣ - وان هذا للنص يجرنا الى ما لا نريد ان نتمثل الاقليات التي لا يعلم عندها الا الله مما نزل بلكنا من الاجاب غير نوى الامتيازات او ياتلها في المسائل .

٤ - وان النص على تمثيل الاقليات فيه تخليد ولما روح التفرقة وتلقية للنفاس الديني الذي تريد منه والذين

يريدون ولا يهتمون بالثيرة في التفرقة والتمسك وقد احرقت البلد ان الحق القبطي في ايه وانين في آخر .
 (هذا لاصرف فضيلة الاستاذ الشيخ محمد فخيت الخادم القائم عبارة حضرة توفيق دوس به واساعة ١١ ونصت)
 حضرة شيخ ابراهيم الهلباوي به - اساتذ ان الاعتراف تاني مضطرب لخصوص جلسة خاصة ضد ظهر اليوم بوزارة الاوقاف .

حضرة عبد العزيز فهمي به - يهنا معرفة راي حضرة هلباوي في كل تمثيل الاقليات -
 حضرة عبد العزيز فهمي به - يهنا اسف جدا لاضطراري للمع ان اذيع ذلك افرأى الذي اذا وقع به هو عدم تمثيل الاقليات .

(اصرف حضرة الهلباوي به في الساعة ١١:١٥ دقيقة)

حضرة توفيق دوس به - وقبل الرد على كل هذا القول كلمة واحدة اجابية : لا اريد المناقشة طويلا في مسمة هذه النقطة وصمها بل يكون كل هذا صديحا وقد تكون نظرية تمثيل الاقليات مخالفة لكل النظريات الصحيحة ، ولم يقل به المستور ، هل اذا اعتقدنا ان في عدم تمثيلهم شررا بالبدن فخصي بالبدن يتقوى النظريات للقانونية سليمة ؟ او بالكل لا يمتنع . نقول كسر الجمل ولا كسر للنص . - يجب علينا ان نوافق ما يمكننا التوصل الى ان مصلحة البلد وبين النظريات الصحيحة او ان نقفوا النظريات واصرف مصلحة البلد .

حضرة عبد العزيز فهمي به - هذا حق لا ريب فيه .

حضرة توفيق دوس به - لهذا ، وقبل للنص في الرد على هذه البدوع ، اقول احضركم اني اقترح مصلحة ابد وجنبا دون غيرها . على اني لا اري ان هذه البدوع وجبة لاصحاب الاقلية .

حقيقة لا يوجد مسؤل واحد من على تمثيل الاقليات الدينية ، وكثير من المسلمين نص على تمثيل الاقليات المسيحية . ولكن يجب ان نكس لنا في الفرق لا نتميم كما يجب بين السياسة والدين . وما هذا في جميع احوالنا الشخصية نراكم على القواعد والاسس الدينية فسيهي مثلها مخالفة السياسة صديحا بوجه ما يطابق الدين .

هذا من النقطة الاولى ، اما من النقطة الثانية على خطا وان كان ظاهرها هذا على عكس ذلك ، الاكثارية لها طبيعة ايها الاكثارية مذبذبة . اذا فرضنا ان في القديم من القائلين معلنين اعضاء من الاكثارية وطهران من الاقلية ، تلم طرفة مرشحين للانتخاب كان لفرق الاكثارية معلنية حافظون من عشرة في الف نجاح . وكان لفرق الاقلية معلنين - هذا مع ان يندد ولا ينص .

حضرة عبد الحميد بدوي به - هذا اذا كان اساس الانتخاب الدين .

حضرة عبد العزيز فهمي به - يظهر ان حضرة دوس به لا يجتر ان الكفا في

الانتخابات بين آراء سياسية وإحزاب
مختلفة بل يعتبر أنه ككاس بين يديين
حزرة توفيق بوس بك - أرجو أن
يصرح المقرر بذكره بشأن النسخة بين
٢ و ٨ ، وأقول بجديتي فأقول : أضيف إلى
ذلك أنه إذا قمتم مرشحين للانتخاب
مساويين في جميع الجوانب والكمالات
كأن ترشح الأكرية بحكم الطبيعة وصلة
الجامعة الدينية مئة خاصة أموا للأكثيين
لا توجد عند غيره تلك البيزة الطبيعية
تعانها الأكرية التي تطلب أن تلعب النص
عليها في القانون .

هذا ويجب أن يلاحظ أن مبدأ للتعين
على هذا النمط موجود في الدستور
الحديث التي تنص على وجوب تمثيل
الاقليات السياسية ، فإن هذا النص معناه
أن أفراد تلك الاقلية السياسية قد لا
يحوزون نسبة العدد المطلوب من
مواظهم . لكن يجب أن تحفظ لهم
مراكز بين الناخبين . وهذه مئة أخرى
القانون اعتمدها لم حتى يكون المجلس
النيابي صورة مصغرة من مجموع الأمة
يعض آراء جميع طبقاتها وأفرادها
لكن هذه مئة تمنحها الاقلية للأقلية
لمصلحة البلد ، التي هذه مئة ٩٠

أما النقطة الثالثة فإذا اعترض كل
الانراض على أن يقول بوجوب تمثيل
الاقليات السياسية تلك الاقلية أما أن
تعتبر نفسها مصرية . فتتخمس مع
الصريين ، لتصلهم مع المسلم المصري ،
والمسيحي مع المسيحي المصري ، أو تعتبر
نفسها هي مصرية فلا شأن لها بمجلس
الغالب ويعلق المصريون . وقد أجبني
الحديث الذي جاء به يفرقه الآراء من
ذلك الصند حيث ذكر لي يرى وجوب
تمثيل الاقلية ، ولكنه لم يطلب للأمر
تمثيلاً خاصاً ، بل باعتبارهم مسيحيين
يرى أن يلتصقوا في الاقلية

بليت النقطة الأخيرة وهي أن وجود
هذا النص قد يؤدي إلى تمثيل الاقلية
بمجة حماية الاقلية ، وأنه يخلد تخلفاً
تلك الفروقات الدينية التي تفرق العمل على
موجها من الدستور .

أما من القسم الأول من الاعتراض
فاسمعوا لي الذي لا أفيهم . وجوب
الاقليات وعدمه لا يتوقف على للنص وجود
في الدستور . فإذا كانت الاقلية
موجودة فعلا فهي موجودة ويتم الاقلية
بوجودها ولو اشكنا تكرها في الدستور
بل ولو لمصلها على عدم وجودها في
الدستور . وإذا كانت الاقلية لا جود
فلا فعلا لا يمكن أن يفتد أحد بوجودها
ولو لمصلها على ذلك فهو الوجود في
الدستور .

ولا شك مطلقاً أن الانتخابات
موجودة فعلا ، بل ولا شك أن الاقلية
يعلمون بوجودها وقد نصوا على ما
أمره حقوقها لها في تصريح يمسس سنة
١٩٢٦ . كما يقول بمراسلة طويلة لي
قد صاحب الدولة عدلي باشا في لندرة
يقول في الاقلية . كل هذا رغم أن
مصرياً واحداً لم يوجد في ذلك الحين

يذكر اسم الاقلية - بل أن دستورنا
على ذكر الاقلية صراحة في المادة ١٠٤
مما قرره اللجنة الرعوية وإيستفسوه
حضراتهم بالأس . تلك المسألة التي
اخترنا جميعاً ، على مفضن ، أن لكل
نص المادة ١٠٤ هي التي تستلزمي الآن
على مفضن أن اطلب وجوب النص على
تمثيل الاقلية

أما من القسم الثاني من الاعتراض
فلا يكون في ظاهره صحيحاً ، ولكنه غير
متج ، لأن هذا الفرق الديني باقي ومبني
معلمنا ليركن على الدين في كل معاملتنا
ال شخصية . نعم مادام الديني يتزوج
بأختهم ويقضي مصلحته الشخصية في
أجناس أباي ، والمسلم يتزوج لدى المالكون
ويرفع منزلة أهله الشخصية إلى المحكمة
الشريعة - مادام هذا واقعاً فيصلي الفرق
قائماً - تأملوا الفرق بين هذا وبين فرنسا
مثلاً ، تجسوا البروسنتلي والتكاليونيكس
والذين لا دين لهم ، كلهم يتزوجون
ويعطون ويرفعون منزلاتهم الشخصية
إمام جهة واحدة وهي للجهة المدنية التي
يلتجها الجميع

إذا أمكن وصولنا لهذا المهمت الفوارق
الدينية ، أما إذا لم يمكن ، ومن الأسف
أن هذا غير ممكن ، فمن العيب أن نعلم
أن نصل إلى ذلك المركز الفخالي للمجمل
الذي نلوق أنه .

تلك مبلغ ما وصل إليه يعني في مسألة
تمثيل الاقلية - ولا أذكر عليكم أن
أصالة دقيقة جداً وفيها من كل وجهة ما
يقال على وجهها - شارحوا أن
تجسوها بتلك اللغة التي سيرت بها مئة
المستور لأن ، وأرجو أن ننسوا مادام
أن رافع هذه المسألة لي . بل تذكروا
دالماً أنه يرفعها بصفتها مصرية -
وأرجوكم ألا تجعلوا لمصلحة الاقلية
خاصة أو الاقلية عامة أي أصيب من
أصابعكم . بل كل ما أرجوه هو مصلحة
البلد ، فإن رأيتم أن مصلحة البلد
تستدعي هذا النص فليروا بشجاعة
وإن وجدتم غير ذلك فارشوه بشجاعة
وأنا أول من يوافيكم على ما ترى الأغلبية
خلافاً لحزرة زعملي قللي باشا الذي كان
في أحد المراتين بالأس فالتكبي إلى
الطرف الآخر اليوم

معادة يوسف الطولي باشا - أوافق
حزرة بوس بك على كل ما قلته

حزرة محمد أبو النصر بك -
الاستاذ دوس بك جعل أساس دفاعه لمصده
الانجليز بحق حماية الاقلية - وقد
سمعت أنه عند المفاوضات الرسمية في
العام الماضي وجه بعضهم أتمد المفاوضات
البريطانيين السؤال الذي : هل يراد
بحماية الاقلية أن يكون لها امتياز على
الأكثية ؟ كان الجواب : أبداً ،
أما أريد المساواة بين الاكرية
والاقلية -
أريد أن أقرر هذا ليعلم لنا جميعاً أن
الجنرال لا أريد أن تدخل للحداد
عن امتيازات حقوق الاقلية وإنما تتصلح
إذا لحق بالاقليات غيباً . وكل ما تريده
والأكثية -
ولم فعلنا ذلك بما نص عليه في
دستورنا

حزرة توفيق بوس بك - نعم لقد
تحدثت المادة ١٠٤ على أن للاقلية الحق
في القانون وفي الواقع في نفس المعاملة
والتمتع التي تلتحق بها الاكرية
وهي مساوية ، وفي الواقع ، بأنه لا
يجوز بغير حرجان القية من حق على
لها في القانون ، ولكن لا يكون تفسيرنا
هذا حقاً على الاقلية ؟

حزرة عبد الحميد بوي بك - المسألة
معروفة للبحث في المساواة لا في النسبة
والتتمتع

معادة عبد الحميد مصطفى باشا -
أساس الاقتراح حزرة بوس بك هو تقرير
حكم حول دون لتصل الحكومة الإنجليزية
لمسألة الاقلية

ومبدأ حماية الاقلية لنا في أوروبا
عند وضع معاهدات الصلح التي أوجبت
دولاً حديثة تكون من شعوب مختلفة عبيد
لأزواج قديم وجزايات وأقاليم من جديد
بغير ، ويعضها يريد أن يضم لنول
أخرى - فالتعالج الذي أقرر ذلك هو
المساواة بين الجميع في الحقوق
وواجبات

لو رجينا لمعادات الصلح ماريانا
مطلقاً أن الدول الكبر اعطت الاقلية
امتيازاً ما ، ولكنها سبرت معاولها
بالأكثية ، وأما الذي نصت على ذلك
في تلك المعاهدات هي المادة التي ذكرت
بجرحها في مشروع دستورنا والتي نصت
على أن للاقلية الحق في القانون ، وفي
الواقع في نفس المعاملة والتمتع التي
تتمتع بها الاكرية

لذلك لا محل لتوهم الخط الذي يقله
زعمنا حزرة توفيق بك بوس ، مادام
مستورنا مئة بك نفس المبدأ بصرفها
التي وضعت لهذا الغرض حيث في
المعاهدات الأوروبية ، أما إذا أريد أرفعها
على قبول حماية الاقلية من دولة أجنبية
فلا يكتفي بلح ذلك أي نص يوضع

بإشارة الاتنا يؤانس - كنت أظن أن
طلب تمثيل الاقلية في البرلمان يجب بلا
جدال خصوصاً بين الاقباط والمسلمين
لأنهم أخوان في السمراء والأغراء متمتعون
خصوصاً من يد المصرة الأخيرة فهم في
واحدة ورأي واحدة ، ولا عجب
فصلامهم واحدة ومواقفهم واحدة -
لذلك أرجو حفظنا لهذا الاعتد ،
لنروا تمثيلهم السياسي على نسبة
عظيم

حزرة علي المازلاوي بك - معهم
حزرتكم حزرة زميلنا بوس بك وهو
يقول في خطابه أنه مصري من الاقلية
السياسة فاسمعوا حزرتكم مصري من
الأكثية أن يسأل الذين يعرفون في
تقرير مبدأ تمثيل الاقلية عن الخطر
الدهام الذي يرهق في ذلك ، وعن الضرر
الذي يتوقعونه من تقريره لاني اعلم أن
تمثيل الاقلية لا جبر فيه بل فيه نفع
عظيم

إذا تقرر هذا المبدأ كان الاكرية تقول
لناحية : أما وعندهم معطى في البلاد
والذي لا يمكن في الانتخابات بسبب
ذلك مع أن في حاجة للصراحة بربك
والانتخاب يلقى المواقف السياسية

من إيمانك ، فلنا أضمن لك مراكز معصودة في البرلمان بنسبة عديده *
هذا ما يجب عمله خلفا لاجتماعنا الجليل الذي لولاه لوجه الانجليز لناضمتنا سبيلا *

هذا ما يجب علي الاكثرية ان تقره حرصا على مصلحة وطننا العزيز وعلى لايجاد الاجابي مكثف للتدخل في امور حماية للاقلية ، اما القول بان مثل هذا الحكم لا يوجد في النماذج الاخرى فارجو لا تثيروها اهتماما لكه لا شيء يطمنا من ذكر نص في دستورنا لا يوجد مثله عند غيرنا مادام وجوده نافعا لنا *

حضره عبد اللطيف الكيلاني بك - ما قاله حضرة دوس بك وجيه ولكن ما اجاب به معاذة عبد الحميد باشا مصطفى بشأن ما تقرر في معاهدات الصلح الاربعة كان للرد عليه خصوصا بعد ان أصبح القاري الديني امرا شخصيا مدحا لا يدي الاحاديث او الواجبات الوطنية قللتا فيها سواء *

ولكن مراعاة لشعور الاقلية وحفظا للرابطة بيننا وبين اخواننا الضحايا اوافق علي تعديل الاقلية احتفاظا بالوحدة العائلية وتمثيل للاختصاص - الاثرون القوة للذين من اب واحد وامهاتهم متفرقة اذا عين عليهم وهي من فريق منهم لا يقابل بارتياح من الفريق الاخر حتى يبين منهم من يعرف من القومى في العمل ؟ *

حضره علي ماهر بك - مع احترامي لآراء ابيك وليتدبر وتقرير للتصديق الذي يلي عليه هذا الطبق الخلف القائلين بتمثيل الاقلية وعلى الاصح في ان تقرره هذه اللجنة *

لا نه ان تمثيل الاقلية والنص عليه في دستورها يستلزم الانضمام وحسم الاتحاد في جانتنا السياسية ويبيى هناك قبلي ومسلم كل من يدعو لزالة هذه الفوارق ويصل على حضرة في امور العائلة ومعال العبادات نص عليه الا يوافق علي توبنها في الدستور *

بسمعت حضراتكم ان لا خطر من تقرير تمثيل الاقلية - فاجيب على ذلك باننا لا نضمن في دستورها نص كل ما لا خطر فيه بل نقرر ما فيه مصلحة ومساعدة الجميع - يقول حضرة دوس بك ان هذا الترتيب استثنائي لاننا في في النماذج الاخرى ولكن ان السديا يلجأ الى تشريع استثنائي لا يبرر له ولا خضبر مطبق من عدم الاخذ به - الماضي القريب دل على ان الجمهور المصري لا يوافق بين القبطي والمسلم - والخامسة لا تعرف هذا التفرق من زمن بعيد - وكما رأينا للثقة تترن من اسلام لتمثيل للقبلي *

كيف تظن كل هذه الالة ونعمل على عكسها كانها في كوكب ونحن نعيش في كوكب آخر ؟ *

سعادة اللجنة لا تتصلب ابدا ولا يمكن ان تتصلب عن معاذة الاقلية في بلد واحد *

يقال ان مؤيدي تمثيل الاقلية يخشون ان ينتخب في البرلمان ثواب من الاقلية

واظن ان الواقع يتقلف ذلك ، لاننا نراهم ممثلين في الجامع السياسية بنسبة تزيد عن نسبة عديدهم زيادة كثيرة * وعند الانتخاب اذا تقم الراغب لانتخابات بقرهه غير مؤيد من حزب سياسي فمصاهبه على نفسه * لما اذا كان مرشحا من حزب معين ، سواء اكان قبطيا او مسلما فانصار حزبه يؤيدونه جميعا * الاقبا والمسلمون في ذلك سواء - ولا ينازعهم في الانتخاب ملازح ملهم *

معالي احمد طخت باشا - اضيف الي هذا ان الجامين للتخوف في ثلاث سنوات متوالية تقيا لهم قبطيا وهذا لم يحصل لغيره *

حضره علي ماهر بك - فللمعاذة العامة الا ليما الي تفرع ما ، وعلى الاصح الي تفرع استثنائي ، الا اذا قامت الالة على الحاجة اليه * ونحن في الاث لا نرى حاجة مطلقا الي النص على تمثيل الاقلية ، لاننا نعتقد ان الاقلية متمثل بدون ذلك النص للتدخل الانتخابيات لثري ما يقع ، فلذا وجدنا ان الاقلية لم تمثل بذاتي في الامر *

لا يكن ان اتصوا دستورنا على اى صورة من الصور ، بل يجب ان نكمل الالة دستورنا قويا حسنا * وقد معتمد ما قيل في كل مكان عن تمثيل الاقلية في الدستور *

حضره محمود ابو النصر بك - من الالة على ان تمثيل الاقلية في المجالس التشريعية من القوى اساس الانضمام ما قرره حكومة فرنسا في الدستور السوري ، قد جعلت المسلمين ممثلين فيه بحسب ارقامهم - فلهي ممثل للستين وآخر للثبعين وخالث للدرج - وهكذا - مع ان الجميع مسلمون * وهكذا فصل باسبعين فمجلسهم ممثلين بحسب ارقامهم * والغرض من هذا بلر بلور التفارقة بين الجميع حتى لا يقع الاتحاد بينهم مطلقا *

سعادة حافظ حسن باشا - عدم تمثيل الاقلية في مجلس النواب يمكن معالجته بتعيين ثواب من الاقلية في مجلس الشيوخ وبذلك يكمل النقص الذي وقع في انتخاب مجلس النواب * ولكن النقطة المهمة في الموضوع هي ان حماية الاقلية محظوظ بها للمفاوضات - فهل كنص على تمثيل الاقلية لا يضيف جنتنا هذه المفاوضات اقلية ؟ لري ان عدم النص يجعل حجة المفاوضات المصري اقوى لان النص دليلا كبيرا على وجوه الفوارق بيننا *

الحك اري الا ينص على اية في هذه المسألة الاث وننتظر نتيجة الانتخابات المقبلة وعندئذ يستعيج البرلمان ان يقرر ما يرى فيه المعالجة *

سعادة عبد الحميد مصطفى باشا - دار وجدنا بشأن الاصح على تمثيل الاقلية على اساس ان المفاوضات المقبلة ستعطي في امر حماية الاقلية - ولكن حضرة الكيلاني بك الذي لم يوافق على بحث الموضوع - يناء على هذا

الانسان ، بل لان الله يوافق على التحليل الاقلية جماعة لهم وحرمنا على دولم الاتحاد *

ولكن حضرة دوس بك لم يعرض اصالة لتحل جماعة بل طلب ان نعمل طبقا لمصلحة الالة سواء في ذلك نص على تمثيل الاقلية او لم ينص ، لان كل ما يبرهن ان يمنع خضر تدخل الاقلية بحجة حماية الاقلية ، يجب ان لا نبحث اصالة على غير هذا اساس *

انجلترا تريد حماية الاقلية ، ولكنها لا تريد لهم مطلقا امتيازات يزيد عما للاكثرية من الحقوق لا تريد لهم الا المساواة مع الاكثرية في الحقوق والواجبات * لكن حضرة دوس بك جسم الاسئلة وخرج بها عما تريد انجلترا وعما قرره المطالب الاقلية في جميع المعاهدات *

النص الخاص بحماية الاقلية واحد في جميع المعاهدات الدولية التي اعطيت الحرب ، وقد وضعتا هذا النص بحجوله في دستورنا فوجب الا تعسدي هذا ولا نتميق لاجلنا في اقرارها ونقرر للاقلية حقوقا تتجاوز ما للاكثرية مع انه لا يجب الا المساواة وهي مضمونة بخصوص الدستور *

معاذة قبلي فهم باشا - اوافق سعادة عبد الحميد باشا مصطفى وحضره علي ماهر بك على كل ما قاله في هذا الموضوع واؤدم صوتي الي موافقتهما لان فترة تمثيل الاقلية هامة للوحدة القومية ، ووجوبه للتفريق بين المصريين وهذا ما لا نود وقومه *

معالي الرئيس - نؤخذ الاصوات على تمثيل الاقلية او عدم تمثيلها *

تقرر بالاغلبية عدم تمثيل الاقلية : (في ٢٥ اوتسبوس سنة ١٩٢٢) ليس لوطي مصري ان يفتح بحكام يده للتخلص من الواجبات العامة المفروضة عليه كيطني او جندي *

لجنة المختصون :

معالي الرئيس - ورد على اللجنة خطاب من فضيلة شيخ الجامع الزاهر وستنوله السكرتارية على حضراتكم - فلي الخطاب وهذه صورته :

٢٦٩٠ يثاني كتاب ملككم المحرن في ٢٤ ادي الحجة سنة ١٣٤٠ (٢٢ اوتسبوس سنة ١٩٢٢) وقد جاء فيه :

ان الملة ١٢ من مشروع الدستور لا تعس الدين الاسلامي يلم ، لان لفظ الوطني - الواردة في الملة ١٢ يقتض بالاسلمين ولا يفرهم بل هو عام وكذا عبارة - احكام الدين - تختص بدين الاسلام *

والواجبات المفروضة على الوطني كوطني او جندي هي الواجبات العامة فلا تتناهي مع الاحكام الخاصة بمطاكه الدين خصوصية *

ومع ذلك فلان الالة ليس قد قررت للجنة ان تحيدف حطس نص المادة لفظا - بعد كلمة الواجبات لمصير نعمها كما ياتي *

يولي غيرهم هذه الوظائف إلا في احوال استثنائية يعينها القانون .

فوافقت الهيئة عليها بالإجماع .
(في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢)

أيدى الصيغة الأصلية لهذه المادة مقالة أكثر مما يجب ، فالتوكيد بأن لكل مصري من الحقوق السياسية ما لديه من الحرية من المصريين ليس صحيحا إذا أخذنا للظن بعظمة الحرية ، إذ أن الدستور نفسه وقانون الانتخاب قد أوجدا بالضرورة فوارق من حيث الامتياز بالحقوق السياسية ومن جهة أخرى فإنه يظهر أن أية وأضعف الدستور كانت متعصبة إلى وضع مبدأ عدم التمييز بين المصريين في الحقوق المدنية بسبب الأصل أو اللغة أو الدين . وهي فلول من الصيغة الأصلية - وهي مقتبسة من الدستور الإيطالي - أقرب إلى الفرض المصمود .

في مقالة ما حسمته لجنة الدستور : هو أخذها بمبدأ عدم تمثيل الأقليات تمثيلا نسبيا في البرلمان . وقد اتخذت هذا الموقف بعد المنازعة الكاسحة من الرأي العام بخلافه فالثمة لهذا المبدأ . وكان لجماعه القبط في ذلك دور كبير عرسته الصحافة والاجتماعات العديدة التي كانت تعقد وقتها ، وهاجم غالبيتهم تولى دوس وموقله وكان للوفد دور كبير في ذلك .

والمهم أن رفض هذا المبدأ لم يصدر عن فكرة الإخاء البنيوي لمصعب بين المسلمين وغيرهم . ولكنه صدر في الأساس عن تبني الجماعة المصرية في هذا الوقت للمفهوم العلماني للدولة ، ومن وقوف جماهير ثورة ١٩١٩ وراء فكرة الجماعة المصرية كجماعة سياسية ووحيدة تربط المصريين كلهم بغض النظر عن الدين . واضعيا بذلك فكرة الخلافة الإسلامية والاعتبار بالعامل الديني فيما يتعلق بمجالات الحياة السياسية . وكان هذا خير تطبيق لشعار ثورة ١٩١٩ ، الدين لله والوطن للجميع .

التي تنظر فيها وقت مراجعة المادة وتقرر ما تراه .

تقرر إحالة المكاتبة على لجنة تحرير الدستور . في ٧ سبتمبر سنة ١٩٢٢ . فضيلة الشيخ محمد بخيت - قرنا أبدا ١٣ الذي يبلغ أي مصري من الاحتجاج بغيره للثقل من الواجبات العامة المروضة عليه بعد إذ رأيت أنه لا يمس الأديان ، ولا زالت أقر أن ليس في هذا الجدا ما يمس مبدأ من الأديان ولا يخرج عبادة من الطقوس ، وإله لم يثنين لي من اعتراض حضرات الطعام وجه هذا الأساس المزعوم . على أن من يتصلح هذا النص وخصوصا المبدأ الذي يسوى بين المصريين جميعا في الواجبات والتكاليف العامة . فهذا الاقتراح على اللجنة حذف الجدا ١٣ لأن في بطله تكرارا لا مبرر له .

حضره عبد العزيز فهمي بك - كثرت الاقوال بشأن هذا الجدا . ولا يزال رأي فضيلة الشيخ بخيت أن ليس فيه أساس بلدين ولكنه يقترح حذفه متعا للكرار ولوجود ما يفي عنه ، وقد بحثت لجنة التحرير في هذا الأمر ورات أن لا مانع من الحذف .

حضره عبد الطيف الكتاني بك - يحسن ألا يبت في أمر الحذف حتى تقدم لجنة التحرير مشروعا الذي تحضره المادة وتقرر ما تراه فيها .

فوافقت الهيئة على ذلك .
(١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٢)

ثم تليت المادة الثانية ونصها :

« المصريون لدى القانون سواء ، لكل منهم ما لغيره من الحقوق المدنية والسياسية وعليه ما على غيرهم من الواجبات والتكاليف العامة » لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين . وإلهم وحهم عهد بالوظائف العامة : مدنية كانت أو عسكرية ، ولا

« ليس لوطني مصري أن يتعجب بأحكام دينه لتخلص من الواجبات العامة أو المروضة عليه كونه أو جندي » .

وأنا فلكم لعالمكم وللجنة الدستور المعنية بهذه المسألة وأرجو أن تسمحوا لنا أن نقول :

« ان حضرات الطعام الذين اعتراضوا على هذه المادة بأن فيها على الجملة معاسا وبلدين لا أطعوا ، على التعديل السالف الذكر كالآتي » :

« نحن نعلم أن الغلاء الوطني » عام لا يقتصر بالمسلمين ولا بغيرهم ونعلم أن عبادة أحكام الدين عامة كذلك بحسب الوضع المعروف الآن وقد جاء في خطاب معالي الباشا أن الواجبات العامة لا تتناهى مع أحكام الدين فإذا كانت لا تتناهى معها فلا معنى لأن يقال ليس لوطني مصري أن يتعجب بأحكام دينه لتخلص من الواجبات العامة »

فلا يزال اللبس والاعتراض باقيين بعد زيادة كلمة « العامة » التي أقرت اللجنة أضافتها أخيرا إلى « الخاصة » ولا يزال الأساس البليغ عنوانها من هذه المادة .

بلغ الله إلى معاليكم للتفحصوا بالاعتراض فيه .

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير والسداد والسلام عليكم ورحمة الله .

شيخ الجامع الأزهر
علم

٩٠ الحرم سنة ١٣٤١ - ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٢ .

معالي الرئيس - ما رأي حضراتكم في حرة تولى دوس بك - أرى أن يتولى

فضيلة الشيخ محمد بخيت إيداع رأيه في هذه المادة في لجنة التحرير .

فضيلة الشيخ بخيت - أرى الآن لم بين الطعام وجه الخاص بالدين والمادة لا في فيها أصلا .

حضره على ماهر بك - أرى إحالة المكاتبة على لجنة تحرير الدستور وهي



شركة القاهرة للأدوية



الاهداف التي حققها القطاع الدوائى:

اولا : التنمية الالية :

- تتمتع المؤسسة المصرية العامة للأدوية بسياسة تركّز بحفلة استثنائية على :
 - التخطيط للإنتاج ، حسب احتياجات البلاد من المجموعات الدوائية المختلفة وحسب أولويات التاجها .
 - تنمية الإنتاج راسيا وأفقيا ، بزيادة الكمية المنتجة من كل صنف ، وزيادة عدد المستحضرات ، حتى تغطى احتياجات الحقل الدوائى كما ونوعا .
 - احكام الرقابة ، وتنشيط الأبحاث ، ومطابقة الدواء المنتج للمواصفات المطلوبة .
 - الإنتاج تحت أنسب الظروف الاقتصادية لخفض تكاليف الإنتاج .
 - توفير كل ما يلزم للصناعة المحلية من امكانيات مادية وفنية ومعدات لتجكيها من تحقيق التوسع فى حجم الإنتاج ونوعه .

ورغم أن البداية فى صناعة الدواء كانت شديدة التعقيد ، وكثت الآلات المتاحة حينئذ قليلة ومتخلفة ، وقدرتها الإنتاجية ضئيلة ، إلا أن المؤسسة عملت على تدهيم صناعة الدواء بأحدث الآلات وأقدرها على الإنتاج الضخم . . . واستطعن بذلك أن تضاعفه الإنتاج ، وأن تتوسع فى انتاج مزيد من الأشكال الصيدلانية المختلفة ؟ ولما لاحت الأساليب والنظم .

وواجهت المؤسسة بهذا التطور الآلى ، بما يناسبه من تطوير المصانع ذاتها ؟ بالتوسع فى الاتسام والمصانع القائمة ، وبانشاء مصانع جديدة ضخمة على أحدث ما عرفته صناعة الدواء العالمية من نظم ونمط وشخلة .

كذلك كان لتدهيم صناعة الدواء المحلية بالمصانع اللازم لإنتاج الامبولات الفارغة وزجاجات القطرات والأشربة والمحاليل وعلب البلاستيك للأنواع والأشكال المعدنية للمراهم وأغطية الزجاجات المعدنية والورق والطباعة عليها ، أكبر الأثر فى توفير ما تحتاجه الصناعة الدوائية المحلية من مواد الدبلة والتغليف .

مؤسسة انرجوماش اكسپورت السوفيتية

توفر الطاقة الكهربائية بتصديرها
المولدة اللازمة لتشغيل المصانع بأقل تكلفة ممكنة

ELECTRIC POWER SAVED,
OPERATION OF SUPPLY MAINS & INSTALLATIONS OPTIMIZED

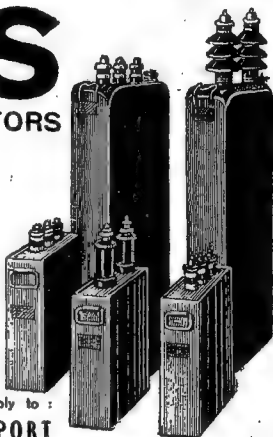
with the

KS

Soviet-made CAPACITORS

ensuring radical improvement
of the power factor of your
plant or apparatus

Voltages : 220 V; 380 V;
400 V; 500 V; 6,600 V;
11,000 V



For detailed information please apply to :

V/O ENERGOMACHEXPORT



35, Mosfilmovskaya,
Moscow V-330
USSR

المكتب في ج. ٣٠

٣٧ شارع طلعت حرب - القاهرة

شركة النصر للتصدير والاستيراد

152/17/224/102

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيمياء
للجودة
والانطلاق

بإنتاجها الجديد

أعلى نسبة في الآزوت تضاعف
خصبات أرضنا الطبية وترفع
مستوى الإنتاج الزراعي

نتر وكيمياء ٣١٪ آزوت

أول شركة
العامة للصناعات الكيماوية

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيمياء»

بنك مصر



أول بنك وطني بالبلاد

قراض جديدة

لنقل المقتنيات الثمينة

ودائع مضاعفة

بفائدة ٣٪

ودائع ثابتة وبأجل

بفائدة ٤٪

فتح حسابات

بالعملة الأجنبية
وبقوائد التجزية

دفاتر توفير

ذات الجوائز
وبفائدة ٣٪

الانفراد بالتسليف

بضمان ذهب
ومجوهرات

تقاليد وخبرة العمل المصرفي على ارفع مستوى

طريق للناسيلان إلى المكالشوري للعاصير

العدد الثامن - السنة السادسة - أغسطس ١٩٧١

العلاقات مع دولة الشعب

● موقف البورجوازية الوسطى من الثورة الوطنية

● انتخابات البطريرك والزوات الديمقراطية المصري

● كوريا .. البلد الذي يعيش ساعة الصفر

الفهرس

المعد الثاني - السنة السابعة - أغسطس ١٩٧١

١٥

■ الفساح مع العمل القذالي ومفطذ الاستعمار الجديد « الانتقامية »

١٥ ■ الرواية مرآة الشعب

١٢ ■ صورة التلاح في الرواية المصرية

٢٢ ■ الرواية المصرية والقائمة الوطنية

٣٠ ■ الوجه الجديد في الرواية المصرية

٤١ ■ الرواية المصرية تتحدى حزيران

٥٨ ■ الديمقراطية والاشتراكية

٦٧ ■ الديمقراطية الليبرالية والوراثة الديمقراطية
المصرية

٧٦ ■ المعلم والتربية الاشتراكية

٨٥ ■ موقف النهج الواسطة الوسطى الليبرالية
من الثورة الوطنية الديمقراطية

٩٧ ■ كوريا .. البلد الذي يعيش ساعة العصر

١٠٨ ■ الإحلف الاستعماري الجديد في أفريقيا

١١٥ ■ تقارير الشهر: وتعليقات

١٣٩ ■ مكتبة الطليعة

١٥١ ■ مناقشات مفتوحة

١٥٥ ■ وثائق ديسمبر ١٩٧٣

الطليعة

طريق المناضلين إلى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

مستشار التحرير :

د. إبراهيم سمعد الدين

أبو سيف يوسف

د. أسما عيل صيرى عبدالله

د. جمال العطينى

د. رشدى سمعد

د. عبد الرزاق حسن

د. لطيفة الزيت

د. محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كليل

عنوان المراسلات :

جنى مؤسسة الاحرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون ٢٦٤١٤ - ٥٩٠١٥ - ٥٩٥٦٥

الاشتراكات :

اتصل بقرينة المالى ج.ع.م. وحواف
اتصل البريد المصري وحواف الدار
التيهيه ١٢٥ قراف

أن « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى
حراً ، وفي اعتقادنا أن تفاعل الآراء
الحرّة على اختلافها هو وهذه الذي
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة
عكسية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة »
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
... مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذي
انطلق فولتير في القرن الثامن عشر
« قد اختلف معك في الرأى ولكنى
على استعداد لأن أنفع حيائى ثمناً
لحظك فى الدفاع عن رأيك » ؟ .

التضامن مع العمل الفدائي ومخطط الاستعمار الجديد

وبما أصبح من أشق الأمور على النفس أن يكتب الإنسان عن المخطط الذي يجري تنفيذه لتصفية منظمات الكفاح المسلح الفلسطيني، هذا المخطط الذي بدأ بكيفية منظمة ومنهجية منذ فبراير ١٩٦٨ * وتتضاعف هذه الصعوبة عندما نرى أن هذا المخطط الملكي - الأمريكي - الإسرائيلي قد قطع شوطاً بعيد المدى منذ ذلك التاريخ * وعندهذا المحقق يبدو للكاتب - لاي كاتب - أن الكتابة تخرج عن أن تقدم حلاً عملياً يصون دماء المقاتلين الأبطال في الأردن، أو يفضّل المخطط الإمبريالي الخبيث * وهيئات بعد ذلك أن تكون الكتابة بهدف البحث عن راحة من عومة المضمير *

ولعل كل الجهد - وهو جهد المقال - الذي تبذله الأقلام - فقاماً عن الفدائيين - أن ينصرف إلى التنبيه إلى إبعاد المؤامرة التي تحيق بالكفاح الفلسطيني المسلح ، فربما ينفع الوعي الكامل بإبعادها وأهدافها إلى أن تبادر القوى الوطنية المخلصية إلى الاتفاق على خطوة أو خطوات عملية - مهما كانت متواضعة - تقدم العون الحقيقي إلى الفدائيين ، وتقضي - بعض الشيء - عن التآمرات وعن بعض الشعارات العامة التي تبذل في باب تطبيب خاطر أو المواساة *

وعند الحديث عن المؤامرة نجد أنفسنا أمام حقيقتين متلازمتين يلغيان الضوء على طبيعتها واتجاهاتها * أولاً حقيقة طاماً انثجت ، في وقت من الأوقات ، مصدر الشعوب العربية وملأتها ثقة بالنفس ، وهذه الحقيقة تقول أن نشاط الفدائيين ، رغم كل عوامل الانقسام والقصور كان يشكل في يوم من الأيام مصدر إزعاج رئيسي للعن على الجبهة الشرقية، هذه الجبهة التي لم تقم أبداً في يوم من الأيام *

وأما الحقيقة الثانية فهي قيام « اتفاق موضوعي » بين الرجعية الأردنية وبين العدو الإسرائيلي حول تصفية العمل الفدائي ، بما في ذلك التصفية البدنية للفدائيين *

وعندما نتحدث عن اتفاق « موضوعي » قائم بالفعل ، بين السلطة الأردنية وبين

المدو الإسرائيلي ليس الهدف أن نستبعد إمكانية وجود اتفاقيات مكتوبة ، أو غير مكتوبة ، وليس الهدف أيضا أن نستهل إمكانية اللقاء أو الالتقاء بين أعداد الشبب القبطيين . فكل هذا ممكن ووارد ، ومنذ حشرب ١٩٤٨ ، تسلسل حكاهم الإارتن على « قدرة » لا تكرر على « اختراق » حدود إسرائيل ، وترتيب لقاءات شخصية مع جولدا مائير ، ومع غيرها من قادة إسرائيل . وإنما نكتفى ، هنا ، بأثبات ما لا يحتاج إلى أثبات :

● فمن ناحية الولايات المتحدة الأمريكية - وهي المايسترو الذي يوجه الشركاء الصغار في الأردن وإسرائيل - فإن المسئولين فيها لا يكفون - خصوصا بعد أحداث سبتمبر ١٩٧٠ - عن التعبير عن ابتهاجهم وأرتياحهم للأعمال التي تقوم بها السلطة الأردنية ضد الفدائيين .

● ومن ناحية السلطة الأردنية فقد « قطعت جبهة قول كل خطيب » عندما قطع وحسن التل الشك باليقين إذا كان هناك من لا يزال يتشكك ، عندما أعلن عدم التزام الأردن باتفاقية القاهرة .

● ولغيا يتعلق بإسرائيل فلسوف نقف قليلا أمام حديث جرى بين موسى ديان وبين مراسل جريدة محاريف الإسرائيلية . وهذا الحديث الذي نشر منذ مدة ، وعلى وجه الدقة في ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ يضع إيلينا على الحقيقتين اللتين أشرنا إليهما :

فلقد سأل المراسل موسى ديان عن تفسيره لظاهرة أندياد الخسائر - في ذلك الوقت - في صفوف الإسرائيليين ، لا على جبهة قتال السويس وحدها ولكن على أيدي الفدائيين أيضا .

قال المراسل : « أن هناك توازنا ، معهما عند محاربة عدد المصابين في أغسطس وسبتمبر (١٩٦٩) » ، وفي أغسطس نشر أن عدد القتلى كان ٢١ قتيلا طوال الشهر ، و ١٢٩ جريحا ، وفي سبتمبر ونحن في اليوم السابع منه ، تكبدنا حتى الآن ما بين ٢٠ ، و ٢١ قتيلا ؟

أدلى ديان بإجابة مطولة ، وعلى الرغم من أنه حاول أن يزعم أن إسرائيل لا تزال تملك برنامجا للبادرة على جميع الجبهات ، إلا أنه قرر أن شدة من رأس الجبهة المصرية لا تنفي حقيقة أن نشاط الفدائيين في الجبهة الشرقية يزل بالإسرائيليين خسائر تدعو إلى الانزعاج . وكان مصدر « الانزعاج » عند ديان - كما قال - هو أن « حجم الخسائر لا يتناسب مع فعالية هذه الجبهة » ، وإضافا في مكان آخر من الحديث أن الفدائيين « لا يكتفون بالوقوف قرب الحدود بل يتغلغلون في داخل البلاد بأعمالهم الإرهابية » . وأنا لا أنكر هذا ، ولا أحاول أن أتجاهله . وهذه المشكلة تتطلب منا أن نقل كل ما نستطيع بفرض محاربة الإرهاب وبإعادة الإرهابيين عن آخرهم » . (لاحظ أن ديان يطلق لفظ إرهابيين على الفدائيين) .

وعندما سأل المراسل ديان عن الحلول التي يعدها قيادة إسرائيل لمواجهة خطر الفدائيين أشار ديان - في الأساس - إلى حل مزدوج ، أحد جانبيه هو « الجيوش المفوحة » والجانِب الثاني مواجهة العمل الفدائي بما يحقق إبادة الفدائيين وإغنائهم .

ولابد وأن يقين أنره عندما يعود إلى مؤنصرته اليهودية الإسرائيلية ، أن طوعية الجسور المفتوحة تندرج تحتها - في نظر قيادة إسرائيل - فتح حوار مباشر مع المسئولين في الأردن . ولقد قال ديان بالفعل - وهو يمتب على السلطة في الأردن - أن تتأقم دور الفدائيين راجع إلى أن الملك حسين لم ينفذ وعده « بالسيطرة على فتح وعلى الإرهابيين » . فإذا ما اتضحت بشاعة المؤامرة التي تنفذ ضد المقاومة الفلسطينية ،

وبإصرار عنيد لا يتزعزع ، فإن الشعوب العربية ستواجه - في حالة النجاح النهائي للمخطط - نتائج قد تتركه أن تتصور وقوعها - إلا أن هذا لن يغير عندهم الواقع الكريه في شيء :

● **نتيجة أولى :** هي أن إسرائيل - متواصل بثبات توسعها الإقليمي وينسأ المستوطنات والمستعمرات ، وستتقوّل للمهاجرين الجدد من اليهود الذين زعمت المقاومة المسلحة ثقتهم بقدرة حكومتهم على حماية أمنهم ، أن في مقدورهم أن يطمئنون وأن يبدوا إصرارهم إلى ما وراء حدود إسرائيل ، إلى إسرائيل أكبر وأكثر أمناً .

● **نتيجة ثانية :** هي أن الاحتكارات الأمريكية والمصالح الإمبريالية الأخرى في الشرق الأدنى تكون قد تخلّصت من بؤرة ثورية ، هي الكفاح المسلح الفلسطيني ، ومن المثل الذي يلمّ به للبلاد التي تنهبها هذه الاحتكارات .

● **نتيجة ثالثة :** هي أن استمرار أعمال التصفية العنصرية ضد الفلسطينيين يهدد الشعوب العربية بضمارة فادحة إلى أقصى حد تتمثل في فقد أفواج متزايدة من هذا الجيل من الشباب الذي يقاتل منذ سنوات بكل وعي وبكل تكرار حقيقي للذات ، والذي يمثل رافداً عميقاً وجديداً من روافد الثورة العربية .

● **نتيجة رابعة :** هي أن استمرار السلطة الإسرائيلية في قتل الفلسطينيين يخلق هدفاً طامحاً سمحت إسرائيل إلى تحليفه منذ عدوان يونيو ولم تلجج بعد في الوصول إليه . وهذا الهدف يتمثل في أنه إذا استحال على جيش إسرائيل الآن ولاكثر من سبب أن يحقق انتصارات كبيرة عن طريق الاشتباك العسكري ، فإن على إسرائيل أن تحقق أهدافها من خلال أحداث انهيارات داخلية في هذا البلد العربي أو ذلك . أن مثل هذه الانهيارات - لو حدثت - تكفي إسرائيل لخطر العمليات المسلحة المباشرة والواسعة ، وتحقيق داخل الصف العربي آثاراً نفسية بعيدة المدى ، وتعمق - بالتالي - بغير حرب ما تريد إسرائيل أو بعض ما تريد . وهذا أمر ما يمكن أن يصيب الشعوب العربية في معركة الحياة والموت : أن تنزل بهم الهزائم قبل أن يلتقوا بحدودهم .

ونستطيع أن نستمر ، بدون توقف في تعداد النتائج الخطرة التي يمكن أن تترتب على نجاح المؤامرة الموجهة ضد العمل الفلسطيني المسلح . ولكن ربما يصح أن نركز الانتظار بقوة على المصدر الرئيسي للخطر حتى نتيبن الواجبات الملغاة على القوى الشعبية وعلى الحكومات الوطنية في المنطقة بإزاء التضامن مع الكفاح المسلح الفلسطيني .

هذا يثير السؤال : أن المصلحة في الأردن منذ حرب فلسطين في عام ١٩٤٨ ظلت على المرام تمثل القنبلة الزمنية التي تنفجر في وجه الكفاح الوطني التحرري وذلك في كل مرة يدخل فيها هذا الكفاح منعطفاً حاسماً . فهل يكون مصدر الخطر على حركة التحرير أن في الأردن مجموعات من عملاء الاستعمار وشركائه يسيطرون على مقدرات هذا البلد الحقيقي ، ويوجهون سياسته لئلا يطبع أن هذا وارد بالفعل . لكن أهم من ذلك كله وقبل ذلك كله ينبغي الإشارة إلى أن العملاء في الأردن هم مجرد خدم وشركاء صفار في بلاط المستعمرين الجدد .

وعند هذه الظاهرة ، ظاهرة الإستعمار الجديد ، وفي إطار النضال ضدها يتعين أن نتفهم حقيقة وإبعاد الخطر المحيط بالكفاح المسلح الفلسطيني .

فمن المعروف أن انهيار نظام الاستعمار التقليدي بزعماء بريطانها وفرنسا ليهبط على النظام الإمبريالي الذي تزعمته الولايات المتحدة الأمريكية ، التي سمحت إلى أن تترث المنطقة العربية من المستعمرين التقليديين ، وفضلت أن تضع البلاد العربية داخل منطقة

نفوذها في مقابل أن يكتفي هذا البلد العربي أو ذلك بمظاهر الاستقلال الشكلية . أما البلاد العربية التي قاومت المستعمرين الجدد - ومصر هي النموذج الواضح - فقد تعرضت ولا تزال لكل ألوان الضغوط الاقتصادية والسياسية ولكل صنف المؤامرات الداخلية . فإذا فضلت هذه المؤامرات والضغوط حصول خطط الامبريالية الى تنظيم اعتداءات مسلحة سافرة عن طريق اسرائيل . لما البلاد العربية التي وقعت تماما في شرك الاستثمار الجديد ، وابتلعت طعمه ، فإن الاردن في هذا الصدد يشكل المثل النموذجي .

فمنذ عام ٥٧ خضع الاردن لمبدأ الإفكاح وتمكن الاستثمار الجديد من أن يقبض قبضة جديدة على مصائر هذا البلد العربي ، ويسيطر عليه إقتصاديا وعسكريا . وثقافيا . وأصبح الاردن يعتمد من ناحية المعونات المالية على المستعمرين الجدد ، وأصبح جيشه يسلم من قبل الامبرياليين بهدف أن يكون فرقة صدام ضد الحركة الوطنية الاردنية ، وخد نضال شعب فلسطين . وتحت نفوذ المستعمرين الجدد ، أصبح هذا البلد العربي الشقيق منطقة نفوذ للسياسة الأمريكية ، ومحطة يهدف بالنزول فيها بمساركه كلما همت الحركة الثورية أن تحقق انتصارات حاسمة ، وتحت تأثير الاستثمار الجديد ونشاط عملائه ، عملت السلطات الاردنية على تعزيز الروابط الطبيعية بين الشعب الاردني وبين الشعب الفلسطيني في دولة الاردن .

ومنذ حرب يونيو ، ومنذ نهوض حركة الكفاح المسلح مضت السلطات الاردنية تبعد أبناء شعب فلسطين عن الوظائف الكبرى والمهمة . بل ان هذا الإبعاد يوشك أن يصبح أو هو قد أصبح عملية تطهير تجري في مختلف مستويات السلم الوطني في جميع الوزارات والمؤسسات وبوجه خاص داخل القوات المسلحة الاردنية .

ومن هذه الزاوية الرئيسية بالذات زاوية امداف ونشاط الاستثمار الجديد ، وانطلاقا من ضرورة تركيز الانتباه على حركة المستعمرين الجدد ، ينبغي أن نتطرق لنحدد مهام القوى الثورية تجاه الكفاح الفلسطيني المسلح . ومن خلال المعرفة العلمية بأن امريكا زعيمة الاستثمار الجديد تقوم منذ مدة بهجوم متعدد الاتجاه في الشرق العربي بهدف اجبار الشعوب العربية على أن تقبل حلا امريكيا لمشكلة النزاع العربي الاسرائيلي ، نقول من خلال هذا كله يجب أن نحدد العمل أو الاعمال للموسسة لدعم الكفاح الفلسطيني المسلح . على أن يتخذ خطة تكتيكية وأي حلول جزئية في هذا الاتجاه إنما تفرض أن يكون الموقف التكتيكي متوافقا ومنسجما الى أقصى حد مع استراتيجية الثورة العربية ، ثورة التحرر الوطني والاجتماعي العربية ، بإزاء خطر الاستثمار الجديد ، وبإزاء هجومه المتزايد الحدة .

ان استراتيجية الاستثمار الجديد في العالم العربي تهدف أساسا الى وقف عملية تحول الثورة الوطنية المبادئ للامبريالية والاقطاع الى ثورة اجتماعية ترمى الركائز الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تصون الاستقلال السياسي وتخدم قضية النظم في البلد المعين . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يستخدم المستعمرين الجدد وسائل متعددة في مقاصدها :

- تخريب وتقسيم صفوف القوى الوطنية والتقدمية
- ضرب كل اتجاه تبجيه الشعوب العربية في معاركها الوطنية والاجتماعية لضعف القنارب والوحدة .

- تخريب علاقات التضامن والصداقة بين البلاد العربية وبين امرة البلدان الاشتراكية .

- دعم النظم المعيلة والمالية بأجهزة ومؤسسات للقمع رهبة تنظيمها وتعاون في ترويجها اقلام المخابرات الاجنبية الاستعمارية .

ومن هذا الواقع لا يمكن ان ننسور استراتيجية عربية تصد خطر الاستثمار الجديد وتصفيه ، الا اذا أخذت في الاعتبار حقيقة أن مزمنة مخططات الاستثمار الجديد

في المنطقة العربية إنما تتطلب مواجهة الوسائل الإمبريالية بوسائل ثورية كاملة • فإذا كانت الحلقة الرئيسية في هزيمة المستعمرين الجدد هي القمع ، ومواصله السير على خط التطور الاقتصادي المستقل ، وتمييز مجرى التحولات الاجتماعية لصالح الطبقات الشعبية وفي مقومتها العمال والفلاحون ، فإن هذا يتحقق بفضل وسيلة رئيسية هي تكوين الجماهير من ممارسة حقوقها الديمقراطية الأساسية لتنظيم نفسها ، وتعبير عن آمالها • عنقذ تصبح الوحدة الوطنية حقيقة قائمة ، وهذه الوحدة هي الشرط المسبق والحيوي لكل تعبئة جادة تضمن انزال الهزيمة بمخططات الاعداء ، وعزل القوى الاجتماعية التي تعرقل التطور الاجتماعي •

من هذا المنطلق ، منطلق الديمقراطية والوحدة الصلبة بين كل القوى المعادية للإمبريالية والاستعمار الجديد ، والرجعية والصهيونية لا تتحدد الواجبات المباشرة لمساندة الكفاح المسلح الفلسطيني فحسب بل • تشكل أيضا • القاعدة المادية التي تفتح الطريق أمام فصائل العمل المسلح لكي تدعم وحدتها أكثر فأكثر • وفي هذا فإن العمل الثوري المطلوب في هذا الاتجاه يمكن أن يتحقق على أكثر من مستوى :

● على مستوى الحكومات الوطنية فقد ان الاوان لكي تتحرك هذه الحكومات بحسب في اتجاه عزل عملاء الاستعمار الجديد واعداء العمل الفدائي في الارض ، وانهاء عهد المصالحة معهم •

● على مستوى الجماهير الشعبية فإن واجبات القوى الوطنية والتقدمية هي التضامن مع الكفاح الفلسطيني المسلح أكثر بما لا يقاس واشد ثقلا • ولا يعفى القوى الوطنية والتقدمية من ثيمات هذا اللولج حالة التمزق التي تغشى الآن بين صفوفها • وربما كان لخطر ما يواجه هذه القوى أن تستسلم لوجه مؤداه أن قوى الرجعية والردة في الوطن العربي هي التي تفرض سياستها وتوجه مجرى الأحداث • وإنما يمين على هذه القوى الوطنية والتقدمية المنظمة ، في منظماتها السياسية والجماهيرية • وفي احزابها أن تقوم بمبادرات حقيقية ، تهددها وفقا لامكانياتها وهي امكانيات لا تنضب أشكال الكفاح وأشكال التنظيم اللائمة لتقديم اسناد عملي وفوري ومعتدل للثورة الفلسطينية والمصالحات المسلحة كل ذلك جالطبع - وفقا لحجم المونات المادية والمعنوية التي تنفع المقاومة • وإذا كان العمل المتواضع والباشر هو المطلوب لاسناد العمل الفدائي على مستوى كل بلد عربي وعلى مستوى كل جماعة وكل تنظيم ، فإن مجموع هذه الاعمال المتواضعة المحدودة ، هو الذي يستطيع في النهاية أن يحقق نجاحات تفضل في باب الميزات •

« الطليعة »



الى قراء الطليعة :

في أول سبتمبر القادم ، وعندما يكون العدد الجديد من « الطليعة » قد أصبح بين يدي قرائها ، سوف تكون افتتاحية العدد بقلم لطفى الخولى رئيس تحرير « الطليعة » •

ان أسرة التحرير التي ترحب بأن يواصل لطفى الخولى عمله ، والتي تتمتع بكل جهد بذله في الطليعة طوال السنوات الماضية ، تثق ثقة تامة بأن القراء الاعزاء سوف يشاركون أسرة التحرير في استئقبال كتابات لطفى الخولى بنفس الترحيب والاعزاز •

« أسرة تحرير الطليعة »

الرواية

مرآة الشعب

لا تزال صحيحة عبارة ستندال التي قال فيها ان الرواية هي مرآة تجوب الشوارع . وقد كان هذا التصور للفن الروائي موازيا للتطور الاجتماعي الخطير في أوروبا ، بحيث كانت النشأة الاولى للرواية الأوروبية تجسيدا ثوريا لاهلام وطموحات الطبقة الجديدة الوارثة للقطاعيين والتبلاء .. فالرواية هي فن البرجوازية بحق ، فن اليقظة القومية الجديدة .

ولا تكاد الرواية العربية تختلف في نشأتها عن قوانين تطور الفن الروائي في أوروبا، الا من حيث أننا استوردنا قالبها الفني من تراث غيونا في اواخر القرن الماضي وبدايات القرن الحالي . ولكن هذا الاستيراد نفسه كان تعبيرا موضوعيا امينا عن حاجة ملحة في بناتنا الحضاري ، تلك هي حاجة « عصر النهضة » الى اساليب جديدة في صياغة وجدان القوى الاجتماعية البازغة .

غير ان التفاعل الايجابي الخلاق بين القالب الروائي المأخوذ عن الغرب وتجربتنا المحلية ، قد اثمر ثمارا روائية اصيلا في كافة أرجاء الوطن العربي ، تعددت رواعده ، ولكنها اتخذت مجرى رئيسيا واحدا هو الشعور العربي العام بكافة نبضاته السالبة والموجبة ، الصاعدة والمقتنسة .

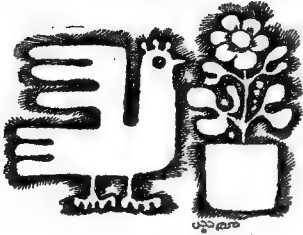
وحين تقدم « الطليعة » اليوم دراستها الرئيسية حول الرواية العربية ، فانها لا تهدف الى نطفية



اكتيحية شاملة للحيز الذى يشغله هذا الفن الجماهيرى الرفيع من ضمير الانسان العربى المعاصر . . وانما تسمى الطليعة الى تركيز الضوء على بعض القضايا والهجوم التى تشغل بال الروائى العربى فى وقتنا الحاضر . لذلك جاء تقسيمنا للدراسة الى قسمين : الاول يتناول موقف الروائيين المصريين من ثلاثة محاور واضحة على مسار الرواية المصرية : محور الفلاح المصرى الذى احتل على طول تاريخنا الروائى مكانا بارزا . ومحور المقاومة الوطنية التى كانت هى الاخرى من الملامح الاساسية فى تكوين الرواية المصرية . واخيرا محور التجديد الفكرى والفنى الذى تقوم به الاجيال الجديدة .

والقسم الثانى : يعالج موقف روائيينا من الهزيمة التى منيت بها امنا فى حرب حزيران ١٩٦٧ وهو الموقف الذى يجتمع حوله الروائيون العرب من مختلف الاقطار العربية ، وان كان اجتماعهم حوله لايعنى بالضرورة اتفالههم فى الاسلوب وزاوية النظر .

و « الطليعة » وهى تقدم هذا المجهود المتواضع ، انما تتطلع الى فتح حوار موضوعى حول ما جاء فى هذه الدراسة من آراء وفكر .



صورة الفلاح

في الرواية
المصرية

فنواد دوائر

وليات عمله .. انه هو نفسه مصر الاميلة
الصاعدة على الزمن ..

ومع ذلك فما أقل ما حفل به المؤرخون
والانبياء .. يقول محمد عبد القنى حسن في
كتابه « الفلاح في الادب العربي » :

ولقد لفت نظري وأنا أقلب صفحات التاريخ
العربي الاسلامي في امهات كتبه وقديم مصادره
ان « الفلاح » مهمل الذكر ، مغفل الاشارة اليه ،
متروك الحديث عنه . وكيف نتوقع من المؤرخين ان
يذكروا « الشعب » بكلمة ، او يخصوا الفلاح
بحديث ، وهم وقفوا اقلامهم على التاريخ للملوك
والامراء والحروب ؟ فلم تدخل طبقة الشعب ولا
اهل الريف لهم في حساب .

ويشير الباحث نفسه الى انه لم يثر في الشعر
العربي الحديث على قصيدة تتحدث عن الفلاح قبل
نشيد « الفلاحة المصرية » لمصطفى صادق الرافعي
سنة ١٩٠٨ ، اما اسبق من عالج شؤون الفلاح نثرا
فقد كان عبد الله النديم في بعض مقالاته الحوارية
حوالي سنة ١٨٨١ .

صبح ان « مصر هبة النيل » ، كما
أكد هيرودوت من قديم ، فلما صبح
أن الفلاح المصري هو الذي حول هذه
الهبّة الى وطن وحضارة ، ومنع
ذلك فلم يكن جزاءه عبر القرون الطويلة غير
المسك والمظالم من كل نوع ، وهامو صنوه منذ
حوالي خمسة آلاف سنة ما زال يدوي في آذاننا
الى اليوم .

إذا

« .. أنت ريلنها ، سفينة البلاد ، وقد طفق كيل
عذابي ، وفاض بحر الامي ، وما هو ذا يتفق من
همي انينا وشكوى .. لا تضع اصابعك في اذنك
حتى لا تسمع من يتهم رجلك الذين اقمتم لانصاف
الناس ، فكأنوا عوناً لمن لا خلاق لهم .. ايه يا
سيدي الرئيس ! ارفع عقيرتي بالشكوى فلا
تسمع ! لم يبق لي الا ان استجير منك بالنبويس في
العالم الاخر .. »

وتعشى القرون ، وتتوالى الدول على مصر ،
ويتغير حكامها ، ودينها ولغتها ، وكل شيء فيها ..
الا فلاحها الذي يكون حوالي ثلاثة ارباع سكانها ،
يظل كما هو ، محافظا على مجمل عاداته وتقاليده

في مقدمات روايته، وفي هذا المجال يقدم لنا وصفاً لمدينة القمم، ويصف مركز البوليس في المدينة مقر عمله، ويذكر نبذة عن انتشار مرض الكوليرا في القمم أثناء عمله بها. فإذا انتهى من المقدمات خلع ثوب الواعظ والمعلم، وليس ثوب آخر هو ثوب القصص الشعبي كاملاً، وهو ثوب قد يمارس صوته في مقدماته، وفي ثوبه الجديد يقدم لنا «قصة طلبة الحوادث لا يعلمها القارئ الكريم»، ترمض النموذج المعادي لرواية الفلسفة القائم على الصراع بين الخير المطلق والشر المطلق، بين الملائكة والشياطين في عالم الفوارق والمجرات.

وفي سنة ١٩٠٦، عقب حادث دنشواي مباشرة، بدأت جريدة «المنبر» - لصاحبها محمد مسعود وحافظ عوض - تنشر رواية مسلسلة بعنوان «عذراء دنشواي» تأليف محمود طاهر حقي، يقول عنها ابن شقيقه يحيى حقي:

«... أن «عذراء دنشواي» هي أول رواية مصرية تتحدث عن الفلاحين، تصف حياتهم ومشاكلهم وتنقل لنا لغتهم كما ينطقونها بلهجتهم وأصولهم وعمايتهم فيدل كل هذا عليهم - والاطار هو مناظر الطبيعة في الريف - سائرًا وأشجاره - ليك ونهاره، وحوله وأجرانه، زرايته وأبراج حمامه، إنها أول رواية تدخل الفلاح في نطاق الكرامة الإنسانية... بل تنظر إليه نظرة تسميه، ارتفع مجلس الفلاحين للسمر ونظير الشكوى في «عذراء دنشواي» إلى مقام أعرق نأدى المتقنين في المدن الراقية، بكل معانيه، إذ أعضاؤه من طبقة واحدة وفكر واحد، ويشغلون بمهنة واحدة، والمقرويين حرية في الفكر والمناقشة فلا يحد أن يحاج أباه ولا يخاف أن يناقش أخاه والمرأة حظ الاجتماع والمناقشة كالرجل سواء...»

فإذا أضفنا إلى ذلك الهدف الوطني الواضح في الرواية، وأمانتها في تسجيل مهزلة المحاكاة التي أخرجتها السلطات البريطانية، وروحيتها في تنفيذ أحكام الجسد والأدمل في ساحة القرية أمام أهلها، أجبنا إلى أي حد خسر تاريخ الرواية المصرية باغتيال هذا العمل الهام المبكر.

«زينب» و«العمدة»

وفي العام التالي (١٩٠٧) ظهرت «حبيب عيسى بن هشام» لمحمد الموبلي التي اعتبرها الدكتور علي الراعي - في كتابه «درامات في الرواية المصرية» - «البداية الأولى للرواية المصرية»، بالرغم من الصراع الواضح فيها بين

وإذا كان هذا هو موقف الأدب المعاصر من الفلاح، فلا شك أن الأدب الشعبي الشفاهي قد عوض هذا النقص خلال صوره الفنية المختلفة، كاللحمة والموال وخيال الظل والتشخيص. فادوار لين يشير في كتابه «المصريون المحدثون: عاداتهم وعاداتهم» إلى مشهد تمثيلي رأيت في بعض شوارع القاهرة في أوائل القرن التاسع عشر، ويصور حول فلاح فقير اشتد عليه الموظفون الاتراك في جباية الضرائب والغرامات حتى عجز عن الدفع، فجلبوه وسجنوه، واضطرت زوجته إلى رضوتهم بالأموال والأطعمة والسكوت على مغازلتهم القاسية، حتى يفرجوا عنه...

إنه مسورت «الفلاح الفصيح» مازال يتردى على أفواه أولئك الفنانين الشعبيين الذين شهدهم «لين» و«لسوف» يتربد كثيرا على أقلام كثيرة من الروائيين الذين عونا بتصوير حياة الفلاح، وتبينوا قضيتهم على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ودرجات وعيهم السياسي والاجتماعي، ومدى نضجهم الفني.

ورغم قلة هذه الروايات، قد وجدت أن خير منهج لمناقشتها هو تبنيها تاريخيا والإشارة إلى أهم خصائص كل منها.

ولابد من الإشارة هنا إلى محاولتين جادتين - بالإضافة إلى كتاب الأستاذ محمد عبد الفتى حسن الذي سبق الإشارة إليه - فرصنا هذا الموضوع بمنهجين مختلفين، وهما: «قضية الفلاح في القصة المصرية» لمحسن محسب، و«الروائي والأرض» للمفكر عبد المحسن طه بدر، وكان من الطبيعي أن يبدأ الإهداء لهذا المقال بالرجوع إلى هذه الكتب الثلاثة، وإن يلتقي معها أو مع أحدها في بعض النقاط، وإن يختلف في أخرى، قبل أن يتخذ لنفسه مساراً مستقلاً، والوضوح في الحق أشمل وأصدق من أن تستوحيبه هذه الدراسات الثلاث، فما بالك بهذا المقال؟

فلنل أن أنه تنويع جديدة على نفس المسار تحاول أن تعيد عدة نغمات جديدة، وميثل للحن الأساسي بعد ذلك قابلاً للمزيد من التوحيات والدراسات.

«عذراء دنشواي»

فما بين سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٥ ألف كاتب يدعى محمود خيرت روايتين اسمهما «الفتى الريفي» و«الفتاة الريفية» يقول عنهما د. عبد المحسن يس: «ثوب المعلم والواعظ يرتديه محمود خيرت

يقول يحيى حقي في كتابه «هجر القصة المصرية» عن «زينب» :

«ما أخصها براعة لمن يمتشق القلم لتقليد هذه الحكاية، الباب مفتوح أمامه على مصرعيه ليقول ما يشاء في غلوه في الرومانسية وحلولها المخلطة وانتقالاتها بغير تمهيد، وتمييع عواطف البطلين، وتكرار الوصف والتأثر بظلمات مسيحية لا نعرفها، ومجبتها بصور لا يخالفا أدبنا أو قصصنا...»

وهكذا أتى على أهم عيوبها وهو يدافع عنها، ويبقى عيب جوهرى آخر تنبه إليه الدكتور الراسى وهو يطل موقف بطلها : «أن حامد تأثر ثورة لا طائل تحتها - ثورة لا تستهدف حتى مجرد التغيير، بل ترمى إلى التمجيد وحسب - تمجيد للوضع الراهن بكل ما فيه من محاسن ومساوئ» فإذا استطاعت أسرة كاملة أن تعيش على شيء من الخبز وحبيرة ملح فليس في هذا ما يؤمس، بل هو جزء من جمال الريف وبركته - وإذا وضع العمال الزراعيين طمامهم متجاوزا واشتركوا جميعا في أكله فذلك أكمل معنى الاشتراكية، وأن كانت مهنة العامل الزراعى هي في حقيقة أمرها سخرة مقننة تحت لهيب الحر وفي قلب الأوجال، وبين برائن الرقابة اليومية المميتة، فلا بأس... أن هذا مصير الملايين... والمصيبة أن ثم تهن... وهكذا»

يخيل لى أن حرص الكاتب على أن يثير أحداث روايته في الريف المصرى لم يكن مصدره حنينه إلى الوطن فحسب، بل كان في الوقت نفسه استجابة لتلك الدعوة لتأكيد معالم الشخصية المصرية في مختلف المجالات التي تزعمها، وقد أخذ استاذاه أحمد لطفي السيد في مجال السياسة، وكان ميكل نفسه من أبرز دعاة في مجال الفن والأدب، وهل أقدر من الفلاح على إبراز الشخصية المصرية وتأكيد معالمها؟! ولكن الدعوة في شيء... والنجاح في النفاذ إلى طيبة الفلاح المصرى وتصوير ظروف حياته بصدق وموضوعية... شيء آخر...

«الإيام» و «أبراهيم الكاتب»

ويختلف الفلاح من الرواية المصرية - بعدا «زينب» - سنوات عديدة، لظهور - بصرى مختلفة، ومن زوايا متباينة، في قصص قصيرة لمحمد تيمور وعيسى عبيد ومحمود طاهر لأشبين ومحمود تيمور... وغيرهم من أمثال «المرسة الحديثة» التي تكونت قبيل ثورة ١٩١٩، ونضجت مواهبها على أثنائها... وإذا كانت دراسة

فنى المقامة والرواية، وفيها نموذج لعمدة القزوة الذى يبط إلى المأصرة ليلهم ويستمتع، وهو نفس النموذج الذى يجيب اليرباني فيما يمد في شخصية كشكش بك، عمدة كفر اليلاص، في الحديد من مسرحياته الاستعراضية الهازلة التي ما لبثت أن تطورت إلى مله لم تخل من نقد اجتماعى لإذع.

من أهم ما يقوله العمدة في حديث «عيسى بن هشام» تلك المقارنة التي يعقها بين أهل المدينة وأهل القرية، وشكواه من اضطرابهم رشوة الحكام... وفنهم في اضطراب دأبهم إلى استرضائهم، والمبلغ المناسب الذى نقول عنه لا يكتفى وحده في قضاء الحاجة، بل يلزم الانتفاق عليهم في كل زمان ومكان»

أنها إحدى الصور الثابتة في حياة الفلاح المصرى منذ شكايات الملاح الفرعوني الفصيح، ومنطلق بها كثيرا وبوضوح أكبر في الكثير من القصص والمسرحيات، ويصنف خاصة «يوميات نائيب في الأرياف» لتوفيق الحكيم، و «المحرسة» لسعد الدين وهبة.

وتتم سبع سنوات قبل أن تولد الرواية المصرية ولادة شرعية يعترف بها الجميع على يدى الدكتور محمد حسين هيكل. لقد بدأ يكتب روايته الشهيرة «زينب» - كما ذكر في تقديمه لها - «بباريس في أبريل سنة ١٩١٠»، وقرغت منها في مارس سنة ١٩١١، وكان حظ قسم منها أن كتب بلندن، كما كتب قسم آخر بجنيف أثناء عطلة الجامعة في أشهر الصيف...، وأن لم تنشر طبعها الأولى إلا سنة ١٩١٤.

والرواية - على ما ينكر المؤلف في تقديمه أيضا - وليدة حنينه إلى وطنه من ناحية... «ولولا هذا الحنين لما خط قلمي فيها حرفا ولا رأت هي نور الوجود...»، والولع بالكتب الفرنسى من ناحية أخرى... «أخبطت في نفسى ولمى بهذا الأدب الجديد عندي يحنينى العظيم إلى وطنى، وكان من ذلك أن هممت بتصوير ما في النفس من ذكريات لا مآكن وحوادث مصرية...»

وأيا كان الرأى في هذه الرواية وفي ريادةها للرواية المصرية، وفي صدق تصويرها لحياة الفلاح المصرى، فالذى لا شك فيه أن بطلها الحقيقي هو «حامد»، النقف الحائر وليس «زينب» ولا «أبراهيم»، وأن أزمة حامد للنسبة هي الموضوع الرئيس للرواية، وهي تمكس ملامح كثيرة من نفسية المؤلف وشخصيته.

ونظم «عودة الروح» كثيرا إذا اعتبرناها تسجيلاً لثورة سنة ١٩١٩ أو حتى تصويراً فنيا لها. فحدثت الثورة فيها لا يستغرق أكثر من ست عشرة صفحة من أكثر من خمسمائة وأربعين، وإنما الاقرب للصواب أن نطرح اليها باعتبارها عملاً فنياً تأثر بهذه الثورة واستلهم روحها، وطق دعوتها الكبرى إلى تأكيد معالم الشخصية المصرية، التي سبق اليها كما اثبتنا من قبل نطلي المسود وهيكلي وغيرهما من كبار مفكرى تلك المرحلة.

ومن هنا جاء تمجيد «عودة الروح» للعلاخ المصرى باعتبارها خير ممثل للشخصية المصرية، ففى أعماقه يمكن تراث قرون كاملة من الحضارة المصرية العريقة، ونومه فى حجرة واحدة مع بهائمه ليس مظهراً للقفازة والتخلف كما يظن المسطحون، ولكنه دليل على إيمانه بسوعدة الوجود والأصل المشترك لكافة المخلفات. ألم يبعد لإعداد القنباء الحيوانات ؟!

وتجسد هذا الإحساس بالوحدة والتضامن فى نظام حياة الأسرة ذات الأصل الريفي فى القاهرة. كل ما يتنصع شعب مصر لكي ينهض ويتقدم هو المعبود أو الزعيم الذى يوحد شمله ويكشف من قوته الكامنة فى أعماقه، وحين وجد هذا الزعيم فى شخص سعد زغلول عادت الروح إلى شعب مصر كما عادت من قبل إلى «أوزيريس»، وهبت مصر كلها هبة رجل واحد فى ثورة ١٩١٩.

ويتمشى مع ذلك نفور «محسن» - بطلس الرواية - من واللحة التركية لأنها تنمى معاملة الفلاحين وتزجرهم بما فيهم أبوه، وارتباط الفنى بالحالم بالفلاحين وأحساسه بالقرب منهم والتكافؤ معهم.

إن للصورة التى تقدمها «عودة الروح» للفلاخ المصرى صورة فكرية نظرية أراد الكاتب من طريقها أن يؤكد إيمانه بظلمة شعبه واستثبات روحه للتراث الحضارى الضخم الذى صنعته الأجداد على نفس هذه الأرض، ولم يقصد إلى تصوير الواقع ونقد أو العمل على إصلاحه. والدليل على ذلك أنه رسم فى أعماله التالية صورة مناقضة تماماً للقرية المصرية استلهمها من الواقع لا من أحلامه وآماله وأملاته الفكرية. وهو قابع خلف نافذة، وبسيوفته، بباريس.

لقد عمل توفيق الحكيم فيما بين سنتى ١٩٢٩ و ١٩٣٤ وكلياً للنائب العام بطنطا ودمشق ودمشوق وكوم حمادة وغيرها من مدن وفقرى مدينتى البحيرة والغربية، فأتيت له أن يعرف ريف مصر

اتجاهات هذه القصص لا تدخل فى نطاق مقالنا. فلا بأس من ملاحظة أن اهتمام القصة القصيرة بالفلاخ منذ ذلك الوقت المبكر وحتى يومنا هذا قد يفوق اهتمام الرواية.

وإذا كانت «زينب» لهيكل قد اعتبرت فتحة جديدة فى مجال الرواية العربية، فقد كان الجزء الأول من «الإيام» (١٩٢٩) فتحة آخر أسهم به الدكتور طه حسين فى مجال السيرة الذاتية، وأن غلب الأسلوب الروائى على علاجه لها، ومن هنا تصبح دراستها باعتبارها رواية ذاتية.

ترسم «الإيام» صورة عريضة، دقيقة التفاصيل مع ذلك، للحياة فى إحدى أحدى أسمى الصعيد، وتقدم بنجاح عدداً كبيراً من الشخصيات التقليدية فى معظم قرى مصر، «كسيدنا» - معلم الكتاب - وعريفه، وإمام المسجد، والقاضى الشرعى، وشيخ الطريقة الصوفية. وتعرض صوراً حية عديدة للحياة اليومية للأمرى الريفية وعاداتها وتقاليدها والخرافات الشائعة فى القرية. فكانت بذلك من أسبق الروايات التى صورت القرية المصرية من الداخل بخبرة وفهم كبيرين.

وتكون القرية خلفية ساحرة للجانب الأكبر من أحداث «إبراهيم الكاتب» (١٩٣١) لإبراهيم عبيد القادر المازنى، وتلقى فيها بعدة نماذج طريفة للفلاحين العاملين فى خدمة ضيعة لقرياء إبراهيم بطلس الرواية، كأحمد اليت الفلاخ المسكين، وذلك الشيخ المجون الذى لم ير القاهرة أبداً، ويسقط عليها مع ذلك أنها تنمى شباب القرية وتصرّفهم عن العيش فيها. ثم «الشيخ على» زوج خالة «شوشو»، ذلك الريفى الثرى الذى احتفظ بتكثير من صراخه الفلاحين وشبهاتهم وسلامة طويّنتهم ومحاولتهم للتخايب، وهجرهم مع ذلك عن الدائرة والخداخ. أنه لحد النماذج الانسانية الرائعة فى فننا الروائى. ولكن يظل الموضوع الرئيسى للرواية هو قصة حب إبراهيم لشوشو أولاً ثم ليلى من بعدها. ويظل الطابع الغالب عليها هو التحليل النفسى والتأمل الفكرى لا التحليل الاجتماعى والتصوير البيئى.

فلاح «توفيق الحكيم»

ويعد الترحيب الكبير الذى استقبل به النقاد مسرحية «أهل الكهف» لتوفيق الحكيم نسخة ١٩٢٣، تشجع ونشر فى العام نفسه روليتيه «عودة الروح»، وكان قد كتبها فى باريس سنة ١٩٢٧، كنوع من التطوع القوسى والفنى - على حد تعبير - يبعد أن اتجه إلى المبحر بجهوده الرئيسية.

واحاطة ، اذ كانت نتيجة زيارة سريعة عابرة ،
فى حين ان اليوميات كانت ثمرة مياشة ومماناة
كاملتين .

« دعاء الكروان » و « سيد العزبة »

ولفتنى سنة ١٩٤١ مرة اخرى بالكتور طه
حسين فى أنضح رواياته وهى « دعاء الكروان »
التي تصالج قضية الثار فى احدى قرى الصعيد
القريبة من القيوم ، وقد أخذ طهيا الدكتور محمد
منذور فى كتابه « فى الميزان الجديد » يمدما عن
الواقع فى كثير من اجزائها : « لا يقف عدم
مشاكلة الواقع عند أسلوب المؤلف أو طفيان
شخصيته بل يمتد الى بعض وقائع القصة والى
الطريقة الفنية التي اختارها الكاتب لقصته » .

ففى الوقائع منذ البدء نلاحظ شيئا غير طبيعى ،
وهو طرد الام وبنتها محوا للار يد قتل عائلتين
فى مغامرة اخلاقية ، أى هار ؟ ذلك ما لا نعلمه
والار لا يلحق فى هذه الببثات غير النساء ، وما
نظن بنو الريف يطردن نساءهن ، وعرفهم أن يقتلن
المنذبات منهن ، وهؤلاء لم يرتكبن اثما . ولهذا كنا
نفضل أن يحمل المؤلف الام وبنتها على الهجرة
سميا وراء الرزق أو ضيقا بالحياة ، وإما أن
يطردهن أهلهم و « يخرجوهن اخراجا » فذلك ما لا
عهد لنا به .

و « كمنة هى التي تحلل شعورها نحو
المهندس وتتبع مراحلها وهى من وضوح الرؤية
والجراة على الحق النفسى بحيث لانظن حسود
مثل هذا التحليل عن فتاة فى ثقافتها وطبيعتها
النفسية بل لانظن أن كثيرا من الفلاسفة انفسهم
يستطيعون أن يجابهوا حقائقهم النفسية فى هذه
الصراحة والفوة » .

على أن ذلك لا يقلل من صدق الصورة العامة
التي تقدمها الرواية للحياة فى القرية ، وان كان
الطابع الغالب على الرواية هو التحليل النفسى لا
النقد الاجتماعى ، وأهم عناصر قوتها تتمثل فى
براعة المؤلف فى تتبع مشاعر اليقظ والريضة فى
الانتقام فى نفس « أمنة » بطلة الرواية وهى تتحول
الى ميلوب للمهندس الذى غدر بشقيقتها « هنادى »
فكان السبب فى مصرعها حفاظا على الشرف
والعرض .

وللدكتورة بنحاشاوى اهتمام واضح بالفلاح
المصرى تمثل فى العديد من مقالاتها ، وفى
كسابين : الريف المصرى (١٩٣٦) ، قضية

كنا لم يصره من قبل ، وغاص حتى الاثنين فى
واقع مصر المختلف ، وسجل مشاهداته وتجاربه
خلال تلك السنوات فى روايته « يوميات فائق فى
الرباط » التي نشرت مسلسللة سنة ١٩٣٧ فى
مجلة « الرواية » ، ثم جمعت فى كتاب فى العام
نفسه ، فكانت بداية النظرة الواقعية النقدية للقرية
المصرية ، فحتى للشاعر الغربية التي عبرت عنها
كانت مشاعر وكيل النيابة الرمق يعملها الشاق
المترو على القوانين الجامدة السماء التي يطبقها
مضطرا على قوم لا يفهمون منها شيئا ، ولم تتوفر
لهم أبسط مقومات الحياة الضرورية ، فليس من
الحق يمد ذلك أن نفترض فيهم القدرة على فهم
مواد القانون المستورد من فرنسا وسويسرا .
والحرص على تنفيذ أوامره والابتعاد عن
مخزواته ؟ !

ان الفلاح فى « اليوميات » مختلف كل الاختلاف
عنه فى « عودة الروح » ، فلم يمد ذلك الصابر
المسيد الذي يبتظر « الميود » لينفض الغبار عن
أصالته الحضارية المريقة . بل استحال ، يمد
أن هرقه الحكيم عن قرب وعاشره ، فلاحا آخر
جاهلا مريضاً مضروباً يعمل نل أجيال من
الاقطاعيين المستبدين . . . وشتان ما بين الفلاحين
رغم أن الكاتب واحد . . .

غير أن توفيق الحكيم لا يصنف لنا
فى « اليوميات » سوء حال الفلاح المصرى وصفا
تقريبيا مباشرا ، بل يقسه من خلال مواقف حية
متحركة ، ضاحكة فى كثير من الأحيان ، تغسل
بالنفوس أكثر مما يغسل التقريز . . . ومن خلال
حبكة بوليسية مشوقة تشد انتباه القارئ
وتنشطه . . . ومن هنا احتلت هذه الرواية مكانتها
الخاصة الغربية فى ادبنا الروائى . . .

فإذا أضفنا الى ذلك أنها لم تكلف بتصوير سوء
أحوال الفلاح ، بل قسمت فى الوقت نفسه السئول
الحقيقى عن ذلك ميثلا فى مندوبيه من رجال
الادارة ابتداء من الصغير المعينة حتى المأمور ،
فكلهم فاسد ، وكلهم يتنافس فى اضطهاد الفلاح
واستغلاله ، وصرخت كذلك بتدخل الادارة فى
تزييف ارادة الناخبين على أوسع نطاق . . .
استسلمنا أن نؤزم دون تخرج أن « يوميات فائق فى
الارباب » هى النموذج الذى استوحاه عبدالرحمن
الشرقاوى وطوره فى روايته الهامة « الارض » . . .

ولا تختلف الصورة التي قدمها توفيق الحكيم
للفلاح المصرى والقرية فى روايته « دعاء
الحكيم » (١٩٤٠) ، كثيرا عن تلك التي قدمها
فى « اليوميات » ، وان كانت أقل منها عمقا

بقي أن نذكر أن جميع الأشخاص والاماكن والاشانيد الواردة نذكرها في هذه الرواية لها أصل محفوظ في ذاكرة المؤلف ، وقد حرص على أن يحافظ على جوهرها الأصلي وعلى القالب والاسلوب اللغوي الذي صبت فيه - فهو لم يبدل شيئا من طبيعة الحوادث وإنما الذي عمد إلى تغييره هو أسماء الأشخاص، والاماكن محافظة منه على روعة الفكرى »

وتتورد أحداث الرواية في قرية « الصالة » بأعماق الصعيد وتعرض بأسلوب سلس وصبين كثيرا من جوانب الحياة في قرى الصعيد وعاداتها وتقاليدها ونماذج من مشكلاتها ، وإن كان موضوعها الرئيس هو إيمان القرويين بالخرافات التي يمثلها الشيخ « مبروك » الحجال المحتال الذي خدعهم بأساليب ثكثرتا بسلفه الحثيد « الشيخ متلوف » ، ويغرد مبروك ببرايوة الجميلة بعد أن يصلها من حبيبها « الكومنى » الرامى الفطير ، حين يقتضغ أمرها يقتلها أبوها الشيخ « غراب » فعلا للعار ، ولكن خداع « مبروك » ما يلبث أن يتكشف فيقتله أهل القرية ويقتلوا معه الخرافة والمذبل والهدف الاجتماعي التعليمى في الرواية أوضع من أن يحتاج إلى تعليق .

وفي العام التالى (١٩٤٩) تفوز بجائزة وزارة التربية والتعليم رواية « بعد الغروب » للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله الذي قال في حديث له بمجلة « آخر ساعة » سنة ١٩٦٨ أنها أول عمله تناول فيه القرية ولامها وحبيب : « .. وهي قد تناولت آم الفلاحين بصورتين ، صورة ابن الفلاح الذي يريد أن يهزم الطبيعة المحكمة فيه بملكية الأرض - يهزمها بصلاح العلم والاختصاص والعمل - وهذه القصة لم تتناول مشاكل الفلاح بالصورة التي تصرخ في وجه القارئ ، بل بصورة رقيقة تحمل كل الشايع الانسانية » على أن هذه الصورة قد اختلفت في قصة « الجنة المشرقة » وفي هذا الفلاح فيها مشهورا مظلوما .. وفي قصة « لؤلؤ من يقي » التي لم تنتشر بعد ، بدت صورة الفلاح القديم وصورة المتكلمين بالأرض وفي الأرض ، بدت بشكل أكثر وضوحا وتأثيرا ..

والحق أن القرية والفلاح في رواية « بعد الغروب » ليسا أكثر من خلفية شاحبة لقصة حب رومانسى مشبوب بين ناظر العزبة المتألب وابنة صاحبها الثرى ، بحيث يمكن أن نعتبرها امتدادا لرواية « زينب » ، بل لعل القرية والفلاح أن يكونا أوضح وأقوى فاعلية في هذه الأخيرة منهجها في « بعد الغروب » .

الفلاح (١٩٣٩) ، ثم في روايتها الوحيدة صيد العزبة التي كتبتها سنة ١٩٤٢ وصدرت سنة ١٩٤٤ ، وجاءت لى إحدائها : « إلى مصر المصلحة .. لئلا تعارب هذه الأوضاع اللثيمة التي جعلت من فتاة ريفية غريبة امرأة خائنة »

وتقرأ الرواية ، فإذا بهذه الفتاة الريفية الغريبة خائنة بالفطرة ، ثفار وهي لا تزال طفلة من الخامسة التي اختارها سيد العزبة محظية له ، وتحرص على محاكاتها ، وتحفل بكل وسيلة للاقتراب من السيد ولت نظره ، حتى إذا كبرت ونجحت في مسماما أخيرا ، استسلمت لأول إشارة تنبهر منه بولم تفكر مجرد تفكير في مقاومتها والمحافظة على شرفها .. وما هكذا تكون الفتيات الريفيات الغريبات !!

بل أن صيرة « الغريبة » تضحى في أشها مع السيد حتى تجلب منه أرملة أطفال ، ولولا أنه زهد فيها ، وزوجها من راح جويز ، لكانت على أم استعداد للمضى في علاقتها الاثمة به .. والواقع أنها كانت تنتهز الفرص للخلوة به كلما استطاعت بالرغم من زواجها وزواجها !!

في الرواية صور قليلة من حياة القرية ، ولكن الجانب الأكبر منها يدور في قصر السيد ، وفي جناح الخدم بصفة أخص .. والفطرة الوحيدة التي يمكن أن تحمل نعمة احتياج أو رفض هي قول الخاطبة قومي تختتم قصة حياتها : « على أنى ما زلت حتى اليوم أصلهم مسا الذي أنكروا منى .. كنا جميعا ملكا للسيد ، يمر فينا من يشاء ويئل من يشاء ، ورثنا مع الماشية والقصر والأرض من أبية ، ثم باعنا جميعا إلى سيد جديد ، لم يسأله أحد عما فعل ، فآين الفرق بيننا وبين الأماء والمبيد ؟ »

« رواية » والشيخ متلوف

وفي سنة ١٩٤٨ تفوز رواية بمنوان « وحيل المعجرات » بجائزة وزارة التربية والتعليم ، وينشرها مؤلفها المرحوم محمد أمين حسونة بنفزان « رواية » ويقول في مقدمتها : « ... وقد يعيب بعض النقدة على الكاتب أنه عمد إلى مجموعة من الخرافات الشائعة عن الهن والمعلقة بالتساوييد والسحر والرقى ، فأبرزها في هذه الصورة - ولكن شفيعه في ذلك أن ذفرا من فحول الروائيين سبقوه إلى تصوير هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة وفي مقدمتهم مؤلف فارست »

« الأرض » والواقعية الاشتراكية

ويظهر « الأرض » لمحمد الرحمن الشراوى سنة ١٩٥٤ يحصل الفلاح المصرى على نصف صورة واشملها فى ادينا الروائى . فقد افاد المؤلف من كل التجارب التى سبقته ، وبصفة خاصة من « يوميات نائب فى الأرياف » و « الأيام » وافاد أيضا من قراءاته لقصص الأرض لدى الادباء الاجنبية المتقدمة « ايجنازيو سيلوى » بيرو ملكه شولوخوف وغيرهم . . . ولكنه افاد أكثر من خبرته المباشرة بحياة الفلاح ومشكلاته ، حين كان الاقطاع فى طفولته يتفنن فى قهر الفلاح وامتصاص دمائه ، ويضرب بكل عنف ، أى رأس يرتفع للمقاومة أو المطالبة بأبسط حقوقه الإنسانية ، يسانده فى وحشيته احتلال جاثم على صدر البلاد ، ومراعى جشمة فاجرة ، وحكومات رجعية معظم أعضائها من كبار الاقطاعيين والرأسماليين ومن يدور فى لكهم . . . وقتذاك كان الشراوى طفلا صغيرا يستوب بكل كيانه ما يجرى فى قريته ، حتى اذا أرسل للمدرسة ليتعلم ظل ارتباطه بالقريّة وثيقا يحكم تردده الكثير عليها ، وتمضيته كل أجازاته فيها ، ومشاركته أهلها فى كل ما يقع لهم من مظالم وآلام ، وما يمرض لهم من أفسراح وإتراح ، وظلت هذه الصور والمشاعر مطبوعة فى وجدانه حتى نضج وجهه الفنى والسياسى ، فاستطاع أن يقدمها لنا فى تلك الصورة الناضجة للقرية .

وجع ذلك فلم تغل الأرض من مأخذ . يقول الدكتور عبد المحسن طه بدر مثلا :

« تبدأ رواية الأرض بدايتها الحقيقية حين يركز الشراوى على الصراع بين الفلاحين وبين السلطة ، أما بداية الرواية حين يترك الشراوى المجال للرأى ، أو حين يحاول جر القرية للدفاع عن الدستور ، وحزب الوفد ، أو مقاومة الاستعمار ، فأنه يورطنا ويورط روايته فى كثير من الأخطاء الفنية ، فكثيرا ما نراه يقع أسيرا لأعمال الكتائب السابقيين عليه ، أو يتحدث عن قضايا تمرل رؤيته وقد تناقضها ، ويتعرض تطور الأحداث للسرقة ، وفرض أحداث الرواية ، أو جرتا إلى أحداث لا ضرورة لها ، أو المبالغة فى تصويرها ، ويفرض علينا المؤلف شخصيات لا دور لها سوى شرح وجهة نظره ، وتنطق الشخصيات بما يتجاوز مستوىها العلى ، ويتكلم المؤلف على لسانها اذا هجرت فى عن الكلام ، ويفرض عليها المؤلف أن تتبنى قضايا غير قضاياها » .

ولن يتسع المجال لمناقشة كل هذه المأخذ ، لذلك سنسلم بصحتها أو صحة معظمها ، ثم لننسى لها

المعز فيمّا. تنادى به الواقعية الاشتراكية من ضرورة تطلع الكاتب الى المستقبل من خلال علاجه القديم للماضى ، وعمله على بث روح المقاومة والنضال فى الشعب بتصويره البطولى للمقاومة والصمود . . . وقد حقق الشراوى فى « الأرض » نجاحا كبيرا من هذه الاهداف من خلال شخصيات قوية موحية ، ومواقف تفيض بالمشاعر والحركة والحياة ، وبأسلوب شاعرى مؤثر ، فاستحققت روايته مكانتها الفريدة بين انتاجنا الروائى .

الحرب فى القرية

وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ أراد يحيى حقى أن يصور التطور الكبير الذى أحدثته فى حياتنا حين أن يثور فى أسلوب التقرير المباشر الذى يفر منه الفن الاصيل ، فاختار قرية من قرى مصر ليدبر فيها الأحداث روايته « صبح النوم » (١٩٥٥) التى تنقسم الى قسمين : الاول يصور حياة القرية بالأمس ، وما كان يسودها من انحلال ومفاسد وضياح ، والآخر يصورها بعد أن حاد إليها « الأستاذ » ، واستولى على مقاليد الحكم فيها ، وأنشأ مجلسا قرويا وبدأ يعمل بجد فى اصلاح لعمالهاتنظيم شؤونها . . . وواضح أن القرية ليست سوى مصر قبل الثورة وبعدما ، وأن « الأستاذ » هو زعيم الثورة وقائدها . . . وقد نجح الكاتب فى اقتطاع شرائح بشرية حية من أبناء القرية ، عرض علينا مآسهم فى الجزء الاول ، ثم ما طرأ عليهم من تغير وتحسن فى الجزء الثانى . . . ولكنه لم يصور فلاحا بالمعنى الدقيق للكلمة فى الرواية كلها ، إذ أثر أن تكون نماذج من الشخصيات الهامشية فى القرية ، المؤثرة فى حياتها مع ذلك كالعوزى وصاحب الحانة والجزار . . . وهكذا . . . ومن ثم لا نستطيع أن نعتبر « صبح النوم » من الروايات البارزة لدى تصوير حياة الفلاح المصرى ، وأن كان ليحيى حقى أن يمتاز بتصويره الرائع لقرى الصعيد وأبنائها فى الكثير من قصصه القصيرة ، وبصفة خاصة فى مجموعة « نساء طين » ثم فى كتاب ذكرياته « خلفها على الله » فاستطاعتنا أن نزعج أن معرفة المصرى ببلاده تغل ناقصة لو لم يقرأ هذين الكتائين المتأخرين .

وفى سنة ١٩٥٨ تلتقى بصاحب « الأرض » فى روايته « قلوب خالية » فإذا بنا فى نفس الجو والظروف التى عشنا معه فيها فى « الأرض » مع اختلاف الزمن ، وتقدم العمر بالروائى ، ثم اختلاف الأحداث والمشكلات نتيجة طبيعية لذلك ، ونجد فى شخصية « غانم » فى « قلوب خالية » سمات عبد الهادى فى « الأرض » وفى « رضوان أفسدى » صلاح محمد أفسدى المحرس الإلزامى

الكاتب في تحقير بطله وإهانته وكان بينهما عدا
شخصيا مستحكما .

وإذا كنا نرفض أسلوب عصابة «كمال» في
مorceau الإغنياء لأطباء الفقراء ، فإنا لا نملك في
الوقت نفسه إلا رفض مطلق الكاتب الذي يرى أن
الإغنياء ينبغي أن يظلوا أغنياء ليستطيعوا
استخدام الفقراء والتوسعة عليهم . فليست هذه
سنة الله على الأرض كما يتصور ، وإنما سنة أن
من يعمل يؤجر على عمله ، ومن لا يعمل فلا ينبغي
أن يؤجر من كدح العاملين .

والخلاصة أن الرواية حافلة بالأحداث المثيرة
والمغامرات المشوقة ، ومن ثم كان نجاحها في
حلقات التليفزيون والسينما . ولكن وراء هذه
الأحداث والمغامرات هدف كظيم لا يبين . وهو
ليس هدفا تقنيا على كل حال !

أما «الجيل» فتصور تجربة الكاتب حين كان
يعمل مفتشا للتحقيقات بوزارة المعارف (التربية
والتعليم الآن) ، إذ انتقل إلى قرية « الجيزة »
المواجهة للصحراء على الشاطئ الغربي للنيل ،
للتحقيق في شكوى أماليها من القائلين على تفنيذ
القرية النموذجية لانهم يحاولون إجبارهم على
الانتقال إليها بالقوة ومجر مساكنهم الأصلية في
الجيل . والرواية تصور الصراع الدامي العنيف
بين أهل القرية المستمسكين بمنازلهم وقبورهم وبين
القيم الغربية التي يمثلها المهندس أو الثقافة
الغربية وأعدائه . ومن خلفهم السلطة الحاكمة .

ويتعاطف الكاتب مع أهل القرية بدرجة توحى
بممارضته لمشروع القرية النموذجية . لقد
انصرفت لإرادة الأمالي في النهاية ومازالت القرية
النموذجية خاوية حتى اليوم . تؤكد ضرورة
دراسة احتياجات الناس ومطالبهم قبل محاولة
فرض الحلول الجاهزة عليهم .

ويبقى أن هذه الأزمة أمدت أدينا الروائي عملا
فنيا ممتازا يصمد للمقارنة برائحة توفيق
الحكيم «يوميات نائب في الأرياف» لأشراكما
في الإطار العام ، وأن كانت «الجيل» محصورة
في قرية واحدة وموضوع واحد وفتره زمنية
أقصر ، مما أتاح لبيتائها المزيد من التماسك
والتتركيز الدرامي .

الموروث الشعبي والتاريخي . . .

ولم اعد بعد هذه الروايات الثلاث إلى رواية
أخرى تصور الفلاح لا بعد نحو خمس سنوات
حينما صدرت «أحزان نوح» لشوقي عبد الحكيم،
وهي تجمع بين تقيذين فيما يشبه المغامرة الفنية
المثيرة . تجمع بين استيحاء التراث الشعبي

في «الأرض» ، وكذلك الحال بين كل من الشيخ
حسونة في الأخيرة وفتح الله أفندي في «قلوب
خالية» . إلى غير ذلك من المشابهات بين
شخصيات الروائيين التي تكاد تجعل للرواية
الأخيرة امتدادا للارلى .

وإذا كانت «قلوب خالية» لا ترتفع إلى
مستوى «الأرض» فقد نجحت مع ذلك في تصوير
الشور والخراب الذي جلبته الحرب العالمية
الثانية على حياة الريفيين الأمنين ، من خلال
الأحداث والمواقف والانفعالات والشخصيات الحية
المتصلة بطين القرية المصرية .

عمال الترحيل

ويشهد عام ١٩٥٩ ظهور ثلاث روايات عن
الفلاح متباينة الاتجاهات والامداف ،
وهي «الحرام» ، ليوسف ادريس ، «والجيل»
لنقيس شام ، و «هارب من الأيام» لثروت
إبازة .

«الحرام» ليست «قصة خاطئة مصرية» كما
سجل المؤلف على صلبه العنوان بقدر ما هي قصة
عمال «الترحيل» والمجتمع الغريب الذي يكونونه
بالقرب من القرية التي يعملون بها . ونجاح
الكاتب في تصوير هذا المجتمع البائس والعلاقات
التي تربط بين أفراد من ناحية ، وبينهم
وبين مجتمع القرية المستقر من ناحية أخرى يكسب
الرواية أبعادا إنسانية واجتماعية عميقة تتفرد بها
بين الروايات التي صورت الفلاح المصري .

صحيح أن «الحرام» الذي ارتكبه «عزيزة»
— بطله الرواية — يمثل مسارا رئيسيا في الرواية،
وفي تشكيل أحداثها والعلاقات بين شخصياتها .
ولكن الرواية تكتسب أهميتها من الصورة
المرئية التي تقدمها للمجتمع الريفي الذي أضطرت
فيه «عزيزة» ولاستجابته لهذه الضغوط
وشتان ما بين هذه الفلاحة الخائفة وبين
مزيلتها «الغريبة» التي التقينا بها من قبل
في «سيد العزبة» !

وترسم «هارب من الأيام» في نصفها الأول
صورة عريضة للحياة في قرية «السلام» —
واضح أن اختيار الاسم يحاول أن يضيء على
الرواية معنى أشمل من أحداثها الواقعية — الممدة
المصري التقليدي بكل ردائهم . والمأمور
المرشحي . والمعلم اللازمي . والمناوين
الخبيل . إلى آخر هذه الانماط . وتبرز في
النصف الثاني من الرواية عصابة الأشرار
بقيادة «كمال» الطبال السابق . ولغد ما أعرف

عابرة لها بقصد التعرف على مشكلاتها لتصويرها في عمل أدبي .. وهذا الفرق الكبير هو الذي يفرض القصور الشائع في أجزاء كثيرة من « الفلاح » والخطب السياسية المباشرة ، والطابع الإخباري للكثير من مواقفها ..

إنك تلتقي كثيرا على صفحاتها بالشرقاوي الضحفي والكاتب السياسي المسرحي بل والشاعر أيضا ، ولكن ما أقل ما تلتقي بالشرقاوي الروائي المحنك الذي عرفته في « الأرض » .

تري هل يفقر لها هذه العيوب ما تحصل من أهداف سياسية سامية ، وما تميزت به من جرأة في عرض مشكلات الفلاح المصري المعاصر ؟

على كل حال إنها الرواية الوحيدة التي صورت فلاح ما بعد الثورة فيما أعلم .. وليست هذه بالميزة القليلة ..

وتؤذن « قيام الإنسان السعيد » (١٩٦٩) بمولد رواي شاب على قدر كبير من النضج والشاعرية أسمه **عبد الحكيم قاسم** ، خبير الحياة في القريظة وحميما وشابا ، والراوي في « أيام الإنسان السعيد » كلما تقدم به العمر واللملم ازداد انصلافاً من عالم القرية وقل تقديره له ، عالم الأب وأخوان الطريق ، ودرأوش السيد البدوي ..

إنه عالم خاص وضيق ذلك الذي يصوره الكتاب لا يمكن أن يكفي للتصرف على القرية المصرية أو عالم الفلاح المتميز .. ولكن حشد التفاصيل الإنسانية الدقيقة وعرضها بمدق واقعية مع لمسات شاعرية مؤثرة ، منح الرواية شخصيتها المتميزة ، بالإضافة إلى إطارها الجديد المتطور المفضل في سبع لوحات منفصلة زمنياً ، ومكانياً أحياناً ، ولكنها متكاملة ومتداخلة في الوقت نفسه .

إن الراوي في « أيام الإنسان السعيد » لا يتدخل في الأحداث كثيراً ويصفه خاصة في اللوحات الأولى ، ولا يفرض آراءه وتصويراته ، ولكنه يكتفي بالرصد والربط والتسجيل الفني المؤثر ، ثم تزداد مشاركته في الأحداث وتتضح معالم شخصيته شيئاً فشيئاً مع تقدم الزمن وزيادة وعيه بما يدور حوله .

لو ارتفعت لغة الكاتب في عمله القادم إلى مستوى احساسه ووعيه الفني ، وخلصت من البهتان والاضطراب الكثيرة لكان من المؤكد أن يحقق نجاحاً كبيراً بكثير ..

الشفاهي بمصطلحاته الغريبة والجنسية واللغوية وبين مستحذات الرواية الغريبة من المناجيات الذاتية الطويلة واستخدام الرموز والانتقالات السريعة من الواقع الجارى إلى أعماق اللاشعور وتذكرات الماضي البعيد وتطلعات المستقبل .. مع رتابة في الإيقاع اللغوي ، ومحاولة للتنظيم في الحوار والمناجيات .. والنتيجة محاولة تجريبية جيدة تستحق من صاحبها المزيد من الجهد والمتابعة في محاولات توظيف الموروث الشعبي في أعمال روائية أخرى تحاول أن تستحدث شكلاً شعبياً يلانم المضمون ..

« **الساخرون لياما** » (١٩٦٥) **أسعد مكاوي** تستوحى تاريخ مصر أيام حكم المماليك ، بل تخرج في كثير من سنتي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ميلادية ، وتعرض بالتفصيل للمؤامرات والسياسات التي أحاطت بكل معلوك تولى المرشح في تلك الفترة ، ومعاناة الشعب المصري وخضاله في تلك المرحلة المظلمة من تاريخه .

وهي لذلك لا تكتفي بتصوير جو الدمامتس والتفسيخ في قصور المماليك ، بل تخرج في كثير من فصولها إلى حواري القاهرة ومقاهيها وحلقات أوكارها ، وأوكار مجونها ، وصوامع متصوفها ومجانبيها ، كما تنتقل إلى قرية « ميت جهينة » بقصر ملتزمها ، ويصوت فلحيها وطاحونتها رحقوها ، ولتقدم صورة حية لنضال الفلاح المصري وصموده وما تعرض له من مظالم وتكديل خلال تلك السنوات المعجاة المضطربة ..

فلاح ما بعد الثورة

وتعنى للسئون بعد الرحمن الشرقاوي وتتخذ اهتماماته وكتاباته يد أن استقر بالمدينة ، وتكثر سفراته إلى الخارج ، وتكثر لذلك علاقته بقرية حتى تكاد تنقطع ، في الوقت الذي تتعرض فيه مع بقية قرى مصر لتغيرات كثيرة ، فتتزعج الأرض على الفلاحين ، وتنشأ فيها جمعية تعاونية زراعية ومدرة واحدة لاتحاد اشتراكي .. وتواجه الفلاح نتيجة لهذه التغيرات مشكلات أخرى غير التي كانت تواجهه أيام الاقطاع والاحتلال وحكم الرجعية .

ويستشعر الشرقاوي تأنيب الضمير لإقامته عن قريته ومشكلاتها فيقوم بزيارة مفاجئة لها ، يعود منها بروايته الأخيرة « **الفلاح** » (١٩٦٩) وحقق كبير بين أن تعيش حياة القرية كاملة ثم تصورها في عمل أدبي كمل حدث في « الأرض » وبين زيارة

النوبة والمنصورية

وتفرد «الشمندورة» (١٩٦٨) للمرحوم محمد خليل قاسم بتصوير منطقة مجهولة تماماً لأبنائها وهي «النوبة» بها وبها الخاص وتقليديهما المتميزة، وأن اشتركت مع بقية ريفنا في كثير من الخصائص والسمات.

و «الشمندورة» رواية تقليدية تحمل كل سمات الرواية الاجتماعية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، فتركز على الوصف الدقيق الفصل للطبيعة والحياة والناس، والعلاقات الشخصية الحميمة، وتحثى بمواقف الصراع الدرامي.

أما من حيث المضمون فهي أقرب ما تكون للواقعية النقدية في تصويرها لقاسية أبناء القرية وردما إلى عواملها السياسية والاقتصادية. وفيها بعد ذلك ملامح من السيرة الذاتية حين تتبين ملامح المؤلف في شخصية «حامد» راوى الجزء الأكبر من أحداث الرواية.

والى جوار الأحداث والشخصيات تبرز عناصر أخرى هامة في مقدماتها الخليل بجزيرة ومديره وخواتمه ثم الجوع المتمركزة في أفراسها وأحزانها وقصصاتها وأماها. وتكتبها بتلميذ خزان أسوان الثانية سنة ١٩٢٤، وما ترتب عليها من غرق القرى وفقد الأرض والبيوت.

وتذكرنا «الشمندورة» «بالأرض» للشرقائى في مشكلاتها الرئيسية ونضج وعيها السياسي، و «أيام» طه حسين في وصفها لكتاب القرية وشيخه وعريفه. ولكنها تظل مع ذلك عملاً فنياً متميزاً يمثل أحد المعالم الرئيسية في الرواية المصرية.

ومن شمال النوبة، قبل أسوان بقليل تأتي رواية «سلمى الأسوانية» لعبد الوهاب الأسوانى التي صدرت في كتاب سنة ١٩٧٠، وأن كانت قد فازت بالجائزة الأولى لنادى القصة سنة ١٩٦٦، فتصور جوانب ثرة عديدة من الحياة في قرية «المنصورية» أو الجزيرة كما يسمونها أحياناً.

ورغم دقة التصوير وجمالها فإنها لا يكون بعد الكاتب الطويل من قريته واقتنائه بالاسكندرية وأهلها قد اكتسب نظرتهم لقريته وعاداتها طابعاً سياحياً، أو تسجيلياً، حيث لا يتفاعل هذا الوصف مع الأحداث ولا يقدم من خلال تأزمها واحداً.

ورغم أن الرواية تقوم على صراع داخلي في نفس البطل بين حبه لقاتله «ناتية» الاسكندرية وولائه لأبنة عمه «سلمى» الأسوانية التي تحمل الرواية اسمها، فقد أتاح الكاتب للأولى أن تتحرك بحرية كاملة على صفحات الرواية وتشغل حيزاً كبيراً فيها بالقياس إلى السطور القليلة التي سمح بها لسلمى.

وفي الرواية بعد ذلك سمات كثيرة من السيرة الذاتية لكاتبها شأن غائبة الروايات التي صورت القرية والفلاح. وبخاصة إذا كانت الرواية الأولى لكاتبها. وهي في الوقت نفسه إحدى الوثائق الفنية الجيدة عن فلاح أقصى جنوب الصعيد وصورة مصادفة لحياته وعاداته وتقاليده. وفق الكاتب في عرضها بأمانة واقتدار وحجية.

الفلاح في عالم نجيب محفوظ

ونجيب محفوظ أكبر كتاب الرواية المصرية. ليس للفلاح مكان في رواياته التسع عشرة؟

ظل هذا السؤال يلح على طوال كتابة المقال، وحين امتدحت إلى الإجابة أثرت أن أرجئها للخاتمة لما تحويه من مفاجأة دالة.

إذا تركنا جانباً روايات نجيب التاريخية الثلاث الأولى لم نكد نجد أثراً للفلاح في بقية رواياته المصاهرة التي انحصرت في تصوير الطبقة المتوسطة في أحياء القاهرة الشعبية التي خربها نجيب جيداً. باستثناء روايتين حديثتين.

ففي «ميرامان» - آخر رواياته - وقد ظهرت قبل هزيمة ١٩٦٧ مباشرة، وأرجمت بها وحشرت منها، تسيطر بالبطولة فلاحاً شاباً قوية أصيلة الملامح، أراد جدها أن يزوجه من هجوز متقدم، فهربت إلى الاسكندرية لتتصل قسماً بتمهين «ميرامان» حيث أصبحت مطبخ كل من فيه وموضع عشقهم وشهواتهم. الوزير السابق الاقطاعي والارستقراطي الثرى المتفسخ، والشيوخ الرئذ، والانتهازي الصاعد، وهو الوحيد الذي نجح في خداعها بعض الوقت، قبل المصحى الوطني بالمعاش فلم يملك لها سوى المظف والصيصة.

وتنتهى الرواية وقد اكتشفت فسادهم جميعاً أو خيانتهم أو عجزهم. وبدأت تبحث من جديد عن ابن الحلال الجدير بها.

رجل فى الخمسين ، شبه عار ، كسر فى المقار
والساقين وعظام الرأس ، دهمته سيارة وهرب
الجناة ، لم تعرف هويته كما لم يعرف له أهل * .

ويعلق واحد منهم على الخبر بقوله :

— رجل مسكين لعله من مهاجرى الريف
مجهول بلا أهل ، ولا سبيل أمامنا لاصلاح الخطا
هل من سبيل ؟ ..

وهكذا يلهم مثقفو المدينة وفنانوها ويستنهتزون
ويدمنون ويتفلسفون .. ويدفع الثمن — فى عالم
نجيب محفوظ — فلاح فقير مجهول شبه عار !! ..

والقرا شكوى الفلاح الفصيح فى مستهل
المقال .

مثل هذه الشخصية الثرية الموحية كان لابد أن
تكون فلاحا لكى تكتسب صفة الشمول الرامز الذى
اراده الكاتب لها .

اما الفلاح الاخر الذى عثرت عليه فى روايات
نجيب محفوظ فلم يظهر الا فى سطور قليلة
فى « ثرثرة فوق النيل » (١٩٦٥) حينما خرجت
جماعة السكائرى المنحلين المتفلسفين المساطيل
المستهترين بكل القيم .. الساخرين من كل شيء
حتى وجودهم نفسه .. حين خرجوا فى نزهة
مجنونة بالسيارة فى طريق سفارة .. فاذا بهم
يصدمون شيئا امود يطير فى الهواء ..
ويسارعون بالفرار دون أن يهتموا حتى بمعرفة
مضيره ..

ويقراون بعد ذلك فى جريدة المساء عن « جثة

[٢]



الرواية
المصرية

والمقاومة الوطنية

أحمد محمد عطية

المتوسطة ، وحتى فى أوج اشتداد الحركة العمالية
والتنظيمات الثورية كانت ' القيادة للمثقفين وإبناء
الطبقة الوسطى ' ومن إبناء هذه الطبقة أيضا برز
المثقفون والروائيون والمثقفون ، لأن سائر الطبقات
الشعبية كالعاملين والفلاحين ظلت حتى قيام ثورة
٢٣ يوليو ١٩٥٢ محرومة من فرص التلميم
والثقافة . وحتى بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو وتأكيد
الاتجاه الى الاشتراكية وبروز العمال والفلاحين .

أن الرواية عموما فن بورجوازي
النشأة ، وهى أيضا فن مرتبط
بظهور الطبقة الوسطى ، وفى
خصوص روايتنا المصرية وحركة

المقاومة الوطنية تبرز الطبقة المتوسطة كقائدة لحركة
المقاومة الوطنية ، وككاتبة ، ومتلقية للرواية المصرية
معا . ومن المعروف تاريخيا أن قيادات حركة
المقاومة الوطنية فى مصر تنتمى الى البورجوازية

وقد أجاد احسان عبد القدوس تجسيد هذا الاتجاه القدائى من اتجاهات المقاومة الوطنية وفى تشريحه - لقد تطور « ابراهيم حمدي » بسطل رواية « فى بيتنا رجل » من رفض أسلوب المظاهرات والشعارات الكلاسيكية الى بذائية طريق العمل المسلح ، تطور من المقاومة الكلامية الى المقاومة المسلحة . ويطلق احسان عبد القدوس من خلال السرد المباشر على هذا التطور صراحة - فقد رفض ابراهيم حمدي السياسة والفكر السياسى والاحزاب السياسية وكان يفكر فى مصر على نحو رومانسى عاطفى ، فكل افكاره عاطفية ، فهو يكره ويحب ، يكره الانجليز ، والرجيمية المصرية ، ومعامدة ١٩٢٦ ويحب مصر وشعبها . وتشكلت شخصيته الغدائية الانتقارية من رفضه القيام بدور الزعيم والقائد ، الى التسمية والفداء دون حب للظهور . ونتيجة لافكاره للوعى السياسى والفكر السياسى اضطر للاستعانة بسايرويات البوليسية المصنوعة بحوادث استخدام المسنصات والمتفجرات . ومن خلال عدة حوادث مصفوفة لتصرفات جنود انجليز مع أبناء الشعب ، عرف طريقه ، جمعية سرية لاغتيال الجنود وعملاتهم ، وسجد أن بطل الرواية أين لموظف حكومى من الدرجة الرابعة ، أى ابن للبرجوازية المتوسطة وهو قائد الجمعية السرية التى تضم أبناء البرجوازية أيضا مثل « فتحي المليجى » ، الذى يمارس النشاط القدائى مع الجماعة من فيلته ويسيارته الفاخرة . ويفجر حادث اغتيال أحد كبار العملاء الوزير المصرى عبد الرحيم باشا شكرى سلسلة من الاحداث التى تهن حياة أسرة مصرية متوسطة أيضا ، التى ظلت انها بمنأى عن أحداث الصراع بين المقاومة الوطنية ، وقوى الاستعمار والمالة المحلية ، فيسجد اثنان من أبناء الأسرة التى لم تهتم بالسياسة قط ، ويستيقظ وعى الاب على نكبات ثورة ١٩١٩ وتروع الأسرة الامنة بصورة القاهرة الجديدة الملتبئة الحائلة بحركة الصراع بين قوى المقاومة الوطنية وقوى الارهاب البوليسية العميلة للمستعمر ، وبالعجلة يقود ابراهيم حمدي بطل المقاومة الغدائية الأسرة المصرية والمجتمع المصرى الى الانضراط فى الصراع السياسى للدائى بشكل ان باهر . أما ابراهيم حمدي البطل القدائى الانتقارى فلم يجد سوى طريق الانتحار للخلاص من ورطة العمل العاطفى المفقود للفكر السياسى ، فقرر أن يموت لتحيا مصر ، وهكذا مات فى عملية انتحارية ضد الانجليز وممن الغريب أن موته جاء على ايدي البوليس المصرى ؟ وهكذا يصور احسان عبد القدوس هذا النموذج للمقاومة الغدائية ، فهو ليس أكثر من طلبة فى الحركة ضد الاستعمار ، ولكنها طلبة تصيب صاحبها أكثر مما تصيب مدغها .

كقوتين رئيسيتين من قوى الشعب المتحالفة ، لم يظهر فى مصر أدب عمال أو أدب فلاحين ، فمزال الأدب يكتب بايدي أبناء الطبقة الوسطى والمثقفين ولهم .

وقد اتخذت المقاومة الوطنية المصرية عدة اتجاهات فى نضالها ضد قوى الاستعمار والاحتلال ، ومن أجل التصحر الوطنى - فبالاضافة الى مقاومة الشعب التلقائية برزت هذه الاتجاهات المنظمة : الاتجاه الحزبى الذى اتبعتة احزاب البرجوازية الوطنية - والاتجاه الاشتراكية واللعان المثبقة عنها - والاتجاه الارهابى الذى مثلته الجماعات الفاشستية كالاخوان المسلمين ومصر الفتاة (الحزب الاشتراكى فيما بعد) . واخيرا الاتجاه القدائى المستقل الموجه الى جنود الاستعمار وعملاته ، وهذا الاتجاه الاخير - رغم افكاره للفكر السياسى النظرى والايديولوجيات - الا انه من القوى الاتجاهات تجسيدا لحركة المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الاجنبى لانه اتخذ طريق العمل والفعل وابتعد عن الشعارات والقتال بالكلمات .

وتلهم هذه الدراسة بانتقاء بعض النماذج الروائية الدالة على ارتباط الرواية المصرية بحركة المقاومة الوطنية وانتقارات المتباعدة بينهما - اذ لا يتسع المجال لدراسة كل الروايات المتعلقة بموضوعنا هذا من الروايات المصرية وحركة المقاومة الوطنية . كما أن هناك بعض الروايات الثورية الهامة ولكنها تخرج من حدود المقاومة الوطنية الى النضال الثورى وتاليف المجتمع وحضه على الاحتجاج والرفض والثورة .

فى بيتنا رجل

نموذج المقاومة الغدائية

فى رواية « فى بيتنا رجل » التقط احسان عبد القدوس هذا الاتجاه الاخير من اتجاهات المقاومة الوطنية المصرية ، الاتجاه القدائى والمسل الانتقارى ضد جنود الاستعمار وممن أجل حرية مصر واستقلالها الوطنى . وهو اتجاه مثله « ابراهيم حمدي » بطل الرواية . وقد استعان احسان عبد القدوس بالحادث المعروف الذى قتل فيه امين عثمان الوزير المصرى والمعميل الانجليزى ، ومن خلال هذا الحادث حرك بطله القدائى ورسم صورة مصر للهائنة وكيف أدت تداعيات الحادث الى كشف السطح الهادئ لنظير جشور المقاومة الوطنية وتوتيماتها فى الأسرة المصرية التى تمثل مصر كلها .

المظاهرات والمقاومة بالكلمات من التوصل الى نوع من التخطيط لهذا النموذج من المقاومة لم يستطع اللحاق بهم ووقف كالتنوير العاجز عن المشاركة الفعلية في خطط المظاهرات والمشروعات .

فشكرى عبد المال ضابط وطنى فقد ابنه ووظيفته في مظاهرات عام ١٩٢٥ ، وفقد وظيفته للمرة الثانية في مظاهرات ١٩٢٥ نموذج حقيقى للمكر وسلوك أحد أبناء الطبقة المتوسطة فهو ياتف من أن يؤجر شقة بيته لعمال ، ولكنه « كتمضيقه ونفوره » عندما علم بأن هذا العامل أحد قادة مظاهرات ١٩٢٥ ، وهو رغم حرمانه من الوظيفة وإحلاله المبكرة الى المعاش لا يكف من مداعبة أحلامه بأمنيات الرتبة الكبيرة والياشوية . وعندما أعيد الى الخدمة العسكرية كان أول ما فكر فيه هو طبع كارت يحمل اسم « الأمير لى شكرى بك عبد المال » .

لما قصته مع المظاهرات فتبدأ مع ثورة ١٩١٩ . عندما كان برتبة الصاغ ورفض تنفيذ الأوامر بضرب المظاهرات خفضت رتبته الى اليوزباشى ونقل منفىا الى السودان . وتكرر رفضه لأوامر ضرب المظاهرات . رفض شجاع ولكنه مجرد رفض سلبى . وفي مظاهرات ١٩٢٥ استشهد ابنه فى مظاهرات طلبة المدارس الخديوية ولم يكن ابنه قد تخطى سن الرابعة عشرة .

وعندما جاءت الامور الجديدة بضرب المظاهرات رفضها رفضا صنيفا أخرجه من وظيفته الى المعاش ، ومع أنه وطنى ومقاوم للانجليز وأنابهم الا أن هذا لم يمنعه من مصافحة سكرتيرين عام الوزراء الذى يعلم بأنه وصل الى منصبه بمعمونة الانجليز ، بل وقبل مسماها للسوداء الى الوزارة وتمويض مافاته من رتب فى سنوات الاستبداد . غير أنه لم يلبث أن اصطبغ بواقع المظاهرات فقام إدراجها الى المعاش .

لما ثورة الطلبة ، ومعروف جيدا الدور الكبير الذى لعبه الطلبة فى تغذية حركة المقاومة الوطنية وقيادتها واستمرارها ، شجيرة الطلبة فى رواية « الشوارع الخلفية » تتراوح بين عقد الجمعيات المدرسية ومعاودة المدرسين الانجليز والناظر المصرى المميل للانجليز ، وبين المظاهرات والهتافات والشعارات من أجل الدستور والاستقلال . غير أن صلب الرواية كغيرها من روايات عبد الرحمن الشرقاوى يدور حول قضايا جزئية مثل إعادة جميع التمثيل أو العمل من أجل اتحاد لطلاب المدارس الثانوية أو الحلم بدستور يعطى الحقوق للشعب رغم أنف الحكم المكي الاوتوقراطى والامراء ، أو القاء الخطاب وترتيب المظاهرات لمواجهة مواقف بسيطة كمعاودة المدرس

فالمعلم الانتحارى ينتهى بالانتحار ، والعمل الوطنى المقاوم الصحيح لا يتخطى عن الفكر السياسى والتخطيط النظرى . فقد احتوت اتجاهات المقاومة الوطنية المصرية اتجاهين متضادين ، الأول فكرى نظرى يقاتل بالكلمات والشعارات دون عمل وقيل ، والثانى فكرى عملى وقيل مل الشعارات والغضب والكلمات ورفضها تماما ومارس المقاومة بلا فكر . وقد صورت رواية احسان عبد القدوس « فى بيتنا رجل » الاتجاه الثانى . وسنرى رؤية عبد الرحمن الشرقاوى للاتجاه الاول فى روايته الطويلة « الشوارع الخلفية » .

الشوارع الخلفية

نموذج المقاومة بالكلمات

المقاومة والكفاح فى روايات عبد الرحمن الشرقاوى مقاومة بالكلمات ويسايرها رفضا وبالشعارات وبالنشورات والمظاهرات والهتافات والغضب . (راجع دراستنا فى المحتوى الثورى لادب الشرقاوى - مجلة يوليو ١٩٧٠) .

وهو نموذج المقاومة البورجوازية الوطنية وإنحازها ولجانها ، وتجسد رواية « الشوارع الخلفية » هذا النموذج من خلال أبناء البورجوازية المتوسطة أيضا . فمخاضات هذه الرواية من الطلبة والمثقفين أبناء العمدة والبطال الرئيسى ضابط وطنى من أبناء الطبقة الوسطى . وربما تتميز هذه الرواية بوجود عامل مناضل ضمن شخصياتها المثقفة والطلابية والمتحملة للثورة الوسطى ، ولكننا نشعر بأنه مقمق اقصاء متدنيا لاستيفاء هذا الشكل من أشكال المقاومة الوطنية فى الرواية .

رواية « الشوارع الخلفية » رواية كبيرة من روايات « المقاومة الوطنية » ، المقاومة بالكلمات والشعارات والمظاهرات وهى النموذج الغالب على المقاومة الوطنية المصرية بعد ثورة ١٩١٩ ، وليست المقاومة المسلحة والكفاح المسلح ، التى مثلتها جزئيا المقاومة الفدائية ومقاومة المنظمات الاشتراكية العربية .

فأبطال رواية عبد الرحمن الشرقاوى « للشوارع الخلفية » يقاومون الانجليز وعلماءهم من واقعهم الطبقي والفكرية ، مقاومة كلامية . وأقصى عطف لوصول اليه شكرى عبد المال - بطل الرواية فى مقاومة قائده الانجليزى هو قيامه بضربه بالكوكس عندما أمره بالتصدي لمظاهرات المقاومة الوطنية . وشكرى عبد المال بطل من أبطال المقاومة بالمظاهرات ، بطل سلبى تتوقف مقاومته منذ حد الرفض ولا تتخطاه الى العمل الايجابى ضد المستعمر ، وحتى عندما تمكن القادة الجدد لحركة

اجتماعية او سياسية للمجتمع المستقل الذي يسعى اليه بمقاومة الاستعمار ، بل فتلل بأنه لم يكن على ثقة من أن اعماله الفدائية قاصرة على طرد المستعمر وبناء الدولة الجديدة المستقلة ، وكان موقفه من أن عمله مجرد رصاصة من الرصاصات الأولى التي يمكن أن تشمل الثورة ، لأنه لم يكن يسعى إلى أكثر من لفت انتباه الناس إلى عمله الفدائي ضد الانجليز فهو لم يفكر ولم يخطط ولم ينظر إلا نظرة محدودة إلى هدفه المباشر وعدوه الوحيد الاستعمار الانجليزى . ولم يكن يهتم بالفكر والسياسة ، بينما نجد « حمزة » بطليوسف ادريس في رواية « قصة حب » مثقفاً وأعباً يتابع حركات انصار السلام والتحرر الوطني في العالم ويقرأ كثيراً ، وحين يطالع الصحف فانه يقرأها مرة ومرتين بلهماً لوفهم منها ما يريد ، وهو ينظر إلى كل شيء من خلال رؤياه السياسية فيذهب إلى متحف الفن الحديث ليستمع إلى مئطسويات يتهرفن وموزار وبرودين ، ولكنه يفضل سماع « مارش الميبد » لتشايكوفسكى لأنه يرى فيها « اثنين البشرية كلها تحت أسمحات المصف ، ويحثها المرفح من الصبر » . وهو في نظريته للمقاومة والوطنية والصراع ضد الانجليز لا يحرص نفسه في هذه الزاوية المحدودة ولكنه يتطلع منها إلى بناء المجتمع الجديد في المائة سنة القادمة ، مجتمع العدالة الاجتماعية وتكاثر الفرس . ومع أن البطليين مطاردان ، إلا أن سلوكهما يختلف فابراهيم حمدى بطل « في بيتنا رجل » يفكر في الهروب إلى خارج مصر في الانتصار بالمقاومة الفردية ، بينما يتمسك بطل « قصة حب » بمصر وشعب مصر من يقين وثقة بتقارر عناصر المقاومة الوطنية التي لا تنتظر سوى التنظيم ، وهو عندما يهرب من أيدي السلطة لا يفعل ذلك خوفاً من العقاب بل حرصاً على استمرار المقاومة الوطنية المسلحة التي لاتلين . . . فحمزة عضو في « اللجنة العامة للكفاح المسلح » عضو في لجنة وليس بطلاً اسطورياً ، بل أنه يكرر هذا لحبيبتة المناضلة « فوزية » أنه انسان عادي من لحم ودم يحب ويعيش حياة عادية ، يحب مصر ويقاوم مستعمرها وحلفاءهم وعملاءهم . وهو مثقف وأبن لامل كادح بسيط ، ونجد هذا أبناء الطبقة العاملة من المثقفين وليس من العمال .

بطل « قصة حب » أحد أعضاء لجان الكفاح المسلح المنبثقة عن التنظيمات الاشتراكية التي جريت خلال مءارك القناة عام ١٩٥١ الجمع بين الفكر والتطبيق . فهو يشارك في إنشاء معسكرات التدريب وتكوين اللجان وشراء الأسلحة ، وهو واقس يخطط لمأركه حسب قراءته الحقيقية ويبدأ بقتل عشرة من جنود الإعداء وليس مائة كما حلم غيره ، وهو يذهب إلى الانجليز في مقر دارهم على

الانجليزى والكيد لناظر المدرسة الذى تزوج من انجليزية ، وما إلى ذلك . أما الكفاح الحقيقي ضد الانجليز فليس له نصيب كبير في رواية عبد الرحمن الشرقاوى « الشوارع الخلفية » .

هذان نموذجان للمقاومة الوطنية في الرواية المصرية ، المقاومة الفدائية الخالية من أى مضمون فكرى وسياسى ، والمقاومة النظرية بالكلمات والمظاهرات المقترحة إلى العمل والفعل . وثمة نموذج ثالث حاول الجمع بين هذين الاتجاهين للمقاومة الوطنية نموذج المقاومة الاشتراكية التي نظمها التنظيمات الاشتراكية السرية ضد قوات

الاستعمار البريطانى في مصر ، والتي تجمع بين الفكر والعمل وبين المقاومة بالكلمات والمقاومة بالسلاح . وسنرى كيف نقلت الرواية المصرية هذا النموذج إلى يد يوسف ادريس في روايته « قصة حب » و « البيضاء » .

المقاومة الوطنية من

« قصة حب » إلى « البيضاء »

كانت بداية الطريق التي صنعت ابراهيم حمدى ، بطل رواية احسان عبد القوس « فى بيتنا رجل » - فى مشاهدته لوقائع قتل مصريين بايدي جنود الاستعمار البريطانى ، ومن رؤية المصريين البسطاء فى موقف ضعيف . استمد رؤياه الجديدة باستخدام القوة المسلحة لمقاومة المستعمر .

ومع أن « حمزة » بطل رواية يوسف ادريس « قصة حب » بدأ من نفس الموقف وانتهى إلى ذات الرؤيا الخاصة بطريق المقاومة المسلحة ، إلا أنه بدأ من موقف قوة الناس البسطاء عندما رأم يصمدون للمدون الانجليزى المسلح ويتصرفون عليه بالأسلحة البدائية البسيطة .

وهذا الاختلاف كان له الدور الاساسى فى اختلاف الطريق أمام بطل احسان عبد القوس ويوسف ادريس ، فالاول اختار طريق البطولة الفردية الانتصار الفردى اليائس من قدرة الشعب ، والاخر ظل على ايمانته بالناس والمقاومة الشعبية الثقلانية القابلة للتنظيم . هذه ناحية من نواحي الاختلاف الكثيرة بين بطل احسان عبد القوس ويوسف ادريس ، وناحية أخرى هي الفكر والوعى والثقافة . فابراهيم حمدى نموذج لبطل المقاومة الفدائية المقترحة إلى الثقافة والفهم السياسى ، كان يتكفى بقراءة الروايات البوليسية او مطالعة الاخبار فى الصحف العامة ، ولم تكن له نظرة

لأدب يوسف إدريس الجديد (راجع دراساتي عنه بحسبى «الصحرة» و «الآداب» اللبانتين) يوسف إدريس من الالتزام إلى الحيات والتشائم» و «يوسف إدريس إلى أين؟» الحرية أول أغسطس ١٩٦٦ والأدب ماير ١٩٧١) إذ تمثل رواية «البيضاء» انموذجاً كاملاً للمراجع الشامل في أدب يوسف إدريس - ورواية البيضاء ليست بمقدمة عن موضوعها فهي تتحدث عن «عمل جاد وخطير» تقوم به جماعة اشتراكية مرية من أجل معركة الاستقلال، أما هذا العمل الجاد والخطير المخطط والذي يصل صداه إلى حركات التحرر الوطني في المنطقة من قبرص إلى السودان، فهو إصدار مجلة ثورية تقاثل بالكلمات والشارات والمناشآت، ويطلق «البيضاء» «يحيى مصطفى طه» طبيب مثقف ابن لأسرة قلاحيية كادحة، تتوزع حياته ثلاثة اتجاهات عمله كطبيب للعمل في إحدى الورش الأميرية وحب من طرفه لمناضلة يونانية «سانتى» أو البيضاء التى أعطت اسمها للرواية، ونضاله في معركة الاستقلال كعضو في جماعة اشتراكية سرية تصدر مجلة أسبوعية ويشاركه فيها بتحرير باب «بريد القراء» ويبدأ أول انحراف ليحيى طه بطل البيضاء بمحاولاته الراهقة لأجبار المناضلة اليونانية سانتي على مشاركته الحب وعيها تعاون بطة الرواية بتكرره بالنضال والمقاومة وأنها زوجة لرجل مناضل تحبه وتشاركه نضاله، إلا أن كل هذا لا يثنى بطل البيضاء عن الخفى في طريق الحب بالأكراه بالخطابات وبالعنف المسملي أيضا - ولأنه أن قصة الحب هذه تتحرر بالبطل عن كل طريق للمقاومة الوطنية وتجعله ينتكر لمجلته ولأسرته الكادحة ويكاد أن تتوقف صلته بهما على استخدامهما لصالح مغامرة الحب الياشنة التى يغوضها - وكطبيب للعمل اكتشف في سكرتير النكابة رجلاً فاسداً مأجوراً وأصبح العمال في الورشة مصدر أزهاج له ويوصل الأمر به إلى حد أن مثق العمال يسوقونه وينزل من هذه التجربة أن قيادة الجماهير «خدمة» أما تجربة المقاومة السرية فقد أخذ يتحلى منها ويبحث عن المبررات، فالاشتراكية أوربية والعمل السرى لا يشعر به أحد ولم يعد يرى فيه سوى اجتماعات وشرارات وأوراق وخيانات، وهكذا أخذ كل شيء يتهاوى أمام بطل رواية البيضاء ولم يعد أمامه سوى الضياع - في «قصة حب» كان الشعب مصدر الهام وإيمان بطل الرواية «حمزة» - أما فى «البيضاء» فالناس هم مصدر أزهاج بطلها «يحيى» حتى يفر منه إلى الزمالة حتى البرجوازية المصرية - في «قصة حب» كان الحب وسيلة امتزاج البطل برجوان الشعب وانتماؤه للمجتمع، وبجمله كان الحب شملة جديدة

شامطة القنزة، ودائماً يثق في قدرة الشعب على المقاومة يرى ويشعر بأنه حل عطف الناس ويساعدتهم - وهذه تتنرج ضمن ملاحظة عامة على موقف الشعب من رجال المقاومة الوطنية فالرواية المصرية عموماً تمسك عطف الناس المايين، والأمير المصرية البسيطة، على رجال المقاومة الوطنية وتطويعهم لمساعدتهم وتحدى السلطة - ففى كل رواية من هذه الروايات سنجد الناس الماديين يقدمون ضمايتهم ومعوناتهم بتضحية وبساطة ودون تخطيط أو فكر أو جزاء، أنهم يتصفون بروح الشعب المصرى الحقيقية روح للمقاومة الصاعدة -

ورأى حمزة بطل «قصة حب» المناضل السياسى العريق الذى لمضى حياته متنقلاً بين السجون والمعتلات وأعمال المقاومة والكفاح السياسى المسلح - رأى حمزة كيف احترقت القاهرة، رأى بفكره الواضى الحارق الحقيقى الملك والاستعمار ورأى برويته السياسية الثاقبة الصلة بين تحريب الرأسمالية المصرية بحكومة على ماهر التى جاءت بعد حريق القاهرة لتعوض الرأسمالية المصرية بتبرعات مجزية عن خسائر العريق، وبتنهدى الكفاح المسلح (راجع كتابنا - حريق القاهرة أو نذر المأساة - كتب قومية ١٩٦٦) وزعم احتراق القاهرة وأرهاب السلطة وحظر التجول صور يوسف إدريس بطله وهو يعمل بثقة من أجل محاولة الكفاح المسلح والتنظيم، بمعاونة أبناء الشعب المصرى الأوفياء لوطنهم - وقد ساعدت قصة الحب بين المناضلين حمزة وفوزية على الاقتراب من روح الشعب المصرى المقاومة، وقد هجر يوسف إدريس بمسقط على لسان بطله «حمزة» عن مدى التوصل فى الموقف السياسى لحمزة من جزاء قصة الحب والزواج من المناضلة فوزية، وبهذا حقق يوسف إدريس لحظة فنية هامة بامتزاج الهموم الفردية بالهموم العامة بحيث أصبحت الملامح الفردية لبطل الرواية جزءاً أصيلاً من الملامح العامة لمتجمعهما وعصرهما، وهكذا عبرت رواية يوسف إدريس «قصة حب» عن المقاومة الاشتراكية التى ظهرت في خلال مماره الكفاح المسلح ضد الإنجليز بمنطقه قناة السويس العامة في تاريخ المقاومة الوطنية المصرية -

سنجد لبطل المقاومة الوطنية فى رواية يوسف إدريس «البيضاء» وقد طرحوا أسلوب المقاومة المسلحة وعادوا إلى المقاومة بالكلمات والشارات - سنجد كل ما حظت به رواية «قصة حب» من إيمان بالشعب والكادحين والمقاومة المسلحة سنجد كل هذا ينتشر إلى هاية سحيقة - وقد لاحظت أن هذا التحول يكاد أن يكون عاماً فى

عبر آلاف السنين • وحتى عندما شاركت الاسرة (الشعب) مشاركة فعالة في أحداث ثورة ١٩١٩ باختزان المنشورات الوطنية وتوزيعها أوضح لنا توفيق الحكيم شكه في أن يكون هذا العمل جزءاً من نشاط جمعية سرية منظمة ، أنها رواية المقاومة بالشعب •

الرؤيا التاريخية للمقاومة

من « بين القصرين »

الى « العودة الى المثنى »

في « بين القصرين » يؤرخ نجيب محفوظ - ابن الطبقة المتوسطة وناقداً - لحركة المقاومة الشعبية التي مثلتها أحداث ثورة ١٩١٩ • وترسم روايه « بين القصرين » لوحة رائعة لمقاومة الشعب بكل الأسلحة والخناجر والكلمات للاستعمار البريطاني • ان نجيب محفوظ يسجل أحداث الثورة يوماً بيوم ، فمن نصوص البيانات والمخطبات والمنشورات الى حوادث القتال اليومي ضد جنود الاستعمار • كل ذلك يرد من خلال حياة أسرة مصرية متوسطة عكست الرواية على بيان رخود الفعل لدى كل فرد من أفرادها ازاء أحداث الثورة العنيفة ، ثورة التلقائية المسلحة • كما تتضمن الرواية عدة تحليلات واعية لجذور المقاومة الوطنية في التاريخ المصري الحديث ابتداء من ثورة عرابي الى خطب مصطفى كامل ومقالاته الحماسية الى أحداث ثورة ١٩١٩ • وصورت الرواية أيضاً السبب الحقيقي في ثورة الشعب ومقاومته العنيفة لنفى سعد زغلول ورفاقه ، فقد ربط نجيب محفوظ بحق بين نفى أحمد عرابي الذي كان ايذاناً بانتهاء الثورة لعرايية ونفى سعد زغلول الذي جاء بمثابة الفارس وأمل الشعب في يقظته ومقاومته للاحتلال ، لقد خشي الشعب من تكرار النفي وتكرار الصورة أن يكون نفى سعد ايذاناً باغلاق باب الامل الذي زخرت به نفوس الشعب المصري والذي هب فجأة يقاوم كل محاولة لزييمه واد ثورته وتحطيم امله الجديد في الاستقلال والحرية • كما أن الرواية تقدم احتجاجاً ضميمياً على لسان أحد شخصياتها (الشيخ متولى) ضد أساليب الكفاح البورجوازية التي تتبعها قادة الوفد المصري ، كفاح المكاتب والمرائض والصالونات ، وضد اسلوب الكفاح في الخناجر الذي استهلكته القضية الوطنية ، بدلا من الكفاح بالداخل ضد العدو ، فيقرر « الشيخ متولى » أن الانجليز لن يخرجوا الا بالسيف والقتال وليس بالوفود المسافرة الى

الفضال والمقاومة ، أما في « البيضاء » فالحب من وسيلة هروب من التزامات الفضال ، والحب نفس لا تعترف به البطلة ويحاربه الناس والتنظيم ومن ثم يصيب وسيلة لتحطيم البطال وصرفه من الفضال ، وفي « قصة حب » كان الارهاب حافزاً لاشتداد الفضال والعمل على التنظيم وازدياد الثقة بالناس ، أما في « البيضاء » فقد أسفرت أول ضربة للمقاومة عن انهيار البطال وشكته في كل شيء فراح يلقي الاتهامات بالخيانة والمعملة جزافاً حتى انهيار تيماء ولم يعد له سوى الضياع •

وهكذا تطور هذا النموذج للمقاومة الاشتراكية في أدب يوسف افريس من « قصة حب » الى « البيضاء »

عودة الروح

المقاومة بالشعب

خلال اشتداد الحرب الاهلية الامريكية وفي عام ١٨٦٢ التقى الرئيس الامريكي ابراهام لنكولن بالروائية الامريكية « هاريت بيتشر ستو » مؤلفة الرواية الشهيرة « كوخ ألم توم » وحياها قائلاً :

« سيدتي ، اني سعيد بأن ارحب بك بوصفك مؤلفة تلك الرواية التي أحدثت هذه للحرية العظيمة ! ولعل هذه كانت أول إشارة الى أهمية الرواية في الفضال الوطني من أجل الحرية والاستقلال • ولا يماثل هذه الرواية في الاهمية سوى رواية « عودة الروح » لفناننا الكبير توفيق الحكيم • فإذا كانت رواية « كوخ ألم توم » قد أشعلت حرباً وطنية في الولايات المتحدة الامريكية فإن رواية « عودة الروح » قد أسهمت في تشكيل فكر وروح جمال عبد الناصر قائد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • وتأتي أهمية « عودة الروح » من أنها تمد عن اقدم وأعظم الروايات المصرية تأثيراً في دفع حركة المقاومة المصرية ونشر روح الوحدة الوطنية بيندائها للشعب « الكل في واحد » أن هذه الرواية تتحدث عن أسرار مصرية متوسطة وتسددها « الشعب » وتضرب الرواية في جذور التاريخ المصري والوجدان المصري بحثاً عن روح الوحدة الوطنية والمقاومة الوطنية ، فيمبارات قوية شدت الرواية جماهير الشعب الى التراث الوطني الهائل للشعب المصري الذي يصير كثيرًا وينفجر فجأة في وجه أعدائه بقوة نفسية وحكمة مخزونة طوال آلاف السنين • قاهم ما يميز رواية عودة الروح هو الايمان العظيم بقدرته الشعب المصري الثقافي على المقاومة والصمود • وقد صورت الرواية كيف نشبت أحداث ثورة ١٩١٩ تلقائياً بقوة الشعب المصري المتوارثة والراسخة في الوجدان المصري

لدى قراءة الرواية هذا الحشد الهائل من المعلومات والتفراغات والرسائل المتبادلة والخطب والمقالات والبيانات السياسية والحربية التي تنشر لأول مرة في أخطر وثيقة فنية عن الثورة المصرية، الثورة الأم التي لم تزل القدر الكافي من اهتمام الروائيين المصريين قبل صدور رواية أبو المعاطي أبو النجا « العودة إلى الخفي » .

في رواية « بين القصرين » احتلت الرؤيا التاريخية للمقاومة الوطنية الثلث الأخير من الرواية ، أما في رواية « العودة إلى الخفي » فالرواية كلها تنصب فاضحا الفنية والموضوعية للرؤيا التاريخية لمصر المقاومة والثورة ، عصر الثورة المصرية . وقد اتخذت الرواية من بطل المقاومة الشعبية عبد الله النديم لسان جال للثورة العربية مصورا تفرغته لأحداث الثورة العربية مقدمتها ومجرياتها . فقبل أن تطلق مسدافه الأسطول البريطاني طلقاتها على الإسكندرية في يوم ١١ أغسطس ١٨٨٢ كانت مصر كلها قد سقطت بالفعل في قبضة الاستعمار وأصبحت ملكا للأجانب ، فالديون تستحكم في رقاب البلاد ووزيران أجنيان يديران دفة الحكم ، ومراكز المال والتجارة كلها في أيدي الأجانب ، وبالجمله كانت مصر مستعمرة من الداخل - كما أوضحت رواية أبو المعاطي أبو النجا - قبل أن تطلق مدافع الاستعمار طلقة واحدة في طريق احتلالها من الخارج .

إن عبد الله النديم كما صورته رواية « العودة إلى الخفي » بطل فذ يرسم بنشاطه الوطني بانوراما هائلة لشعب مصر في عصر الثورة المصرية ، وإيجابية هذا البطل التي أتاحت لنا رؤية هذا العصر المجيد ، عصر الثورة المصرية ، وقد نجحت الرواية ببراعة في استثمار هذا النموذج البطولي لبطل المقاومة في الرواية المصرية حتى أن فشل القضية لم يسقط البطل بل استمرت قضية المقاومة الوطنية ، وليس أدل على ذلك من تلك الخطوط الرقيقة التي شنتها الروايات التي تلت بين عبد الله النديم لسان حال الثورة المصرية وداعيتها الأول وبين كل من أحمد عرابي قائد الثورة ومصطفى كامل بطل المقاومة الجديد . لقد كشفت الرواية عن صفحة مجيدة من تاريخ مصر ، وتاريخ أعظم ثورة مصرية شارك فيها المقاتل المصري رجل الشارع والحقل والعمل والفرق والدم من أجل مصر الطاهرة من أعدائها الاستعمار والرجعية المحلية . فقد رأينا مصر في هذه الرواية تستيقظ وتتمتع وتقاوم ، ورأينا النموذج الإيجابي لبطل المقاومة المصري الكادح ، عبد الله من صلب رجل كادح (خبز) من عامة الشعب وظل منصفنا بعامة الناس ينض مصر الحقيقي ، نموذجنا لكفاح

الخارج . « راجع كتابنا « مع نجيب محفوظ » نشر وزارة الثقافة السورية ١٩٧١) أما لثار ثورة ١٩١٩ التي عكستها الرواية على فكر وسلوك أبناء الأسرة المتوسطة ، أسرة السيد أحمد عبد الجواد فقد تراوحت بين المقاومة للدائنية للذين فهمى الذي عاش أحداث الثورة وشارك فيها بكل قواه كفرد ضمن فريق ، وظل يزاود جيده وخوفه من الصدرة والزعامة حتى اذا تشجع ونقاد إحدى المظاهرات السلمية ابتهاجا بالافراج عن سعد زغلول ، لقي مضربه في الحال . وتراوحت كثار الثورة بين أفراد الأسرة الواحدة - غالب للتاجر البورجوازي اكتفى بالمشاركة بالمال دون المشاركة الفعلية وحين تعرض له الانجليز طرح المقاومة من حسابه وعندما اشتدت المظاهرات خاف الثورة . أما الأم والبنات فظللن وينظرن إلى الامر بسذاجة ولم يتغير نمط حياتهن المنزلية المحدودة .

إن رواية بين القصرين وثيقة تاريخية اجتماعية هامة تدلنا على صدق الرؤيا التاريخية للمقاومة الوطنية .

في كتابه الهام « دراسات في الواقعية » يؤكد جورج لوكاشيف وظيفية الرواية التاريخية في تقديم نموذج البطل الإيجابي قائلا « أن الرواية التاريخية تضع نصب عينها أن خلق نموذج بطل إيجابي » (ترجمة د . نايف بلوز - نشر وزارة الثقافة السورية) وقد وجد لوكاشيف بطله الإيجابي في روايات هنريش مان التاريخية ، أما هذه الدراسة فقد وجدت نموذج البطل الإيجابي في الرواية التاريخية المصرية « العودة إلى الخفي » كواضح وأصطب ما يكون البطل الشعبي التاريخي في شخصية عبد الله النديم كما أجاد تصويرها ببراعة الروائي المصري أبو المعاطي أبو النجا ، إن أبو المعاطي لم ينجح فحسب في اختيار بطله الإيجابي المقاوم بل نجح أيضا في النفاذ برؤية فنية وسياسية من خلال بطله عبد الله النديم إلى رؤيا شاملة لمصر كامل عصر الثورة المصرية . إن رواية « العودة إلى الخفي » هي أول عمل روائي يورث للثورة العربية ويكشف الستار عن أحداث المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الاقتصادي والسيطرة الأجنبية والهجوم الاستعماري ، إننا نطالع في هذه الرواية لأول مرة في الرواية المصرية صورة مصر للحاربة وصورة البطل المصري المقاتل بالوعي بالكلمات وبالعمل . إن « العودة إلى الخفي » ليست وثيقة تاريخية اجتماعية فحسب ولكنها أيضا بحث على دقيق في الازدواج المحتجبة ، ووثائق الثورة العربية واستقرؤها . لقد تضمنت هذه الرواية من الناحية التاريخية وقائع المقاومة الباسلة لأولى خطوات الامبريالية العالمية ضد بلادنا ، ومستطاع

الحلى والعالي، هذه السنوات الحافلة بضروب شتى من المقاومة للاستعمار والرجعية والتي شارك فيها المقاتل المصرى مشاركة فعالة وشهدت حروب الفناء المتكررة قبل توقيع اتفاقية الجلاء والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وحرب الجزائر وحرب اليمن وحرب الكونغو حتى عدوان يونيو ١٩٦٧ - عن الغريب ان هذه الفترة الخصبة من حياة مصر لم تغرز روايات ترتفع الى مستواها (مثل رواية «أطول يوم فى تاريخ مصر» - وهى تحقيق صحفى يستخدم أسلوب السرد والوصف الصحفى التقريرى لتصوير حال أسرة من السويس وأثار حرب يونيو على أحوال الأسرة وأفرادها) وحتى لا نطمح الروايات والروائيين علينا أن نعتزف بوجود عشرات الروايات المحرومة من النشر، والمختزنة فى قلوب أصحابها وصيغاتهم تقرا كسقطرات يعد أن حجبها عن الخروج للناس دروب النشر الموصومة باستكسية والبيروقراطية والنظرة الرقابية للأعمال الفنية * وأعتقد أنه قد جاء الوقت المناسب لتظهر روايات المقاومة المسلحة المكتوبة بأقلام المقاتلين أنفسهم، وليس من المقبول أن تحارب مصر كل هذه الحروب التحريرية دون أن تترك روايات المقاومة المسلحة المعبرة عن خصائص العنيد ضد قوى الامبريالية والرجعية الدولية *

رجل فقير كادح، وهو نموذج غير مألوف فى الرواية المصرية التى لفت مضاطبة وجدان الطبقة المتوسطة باختيار أبطالها من صفوفها * ان عبد الله القديم كما صوره أبو المعاطى أبو النجا فى روايته «العودة الى المنفى» نموذج حقيقى نبض مغاير صلب عنيد لم يمسقط ولم يكف عن المقاومة ولم يضعف ايمانه بالناس لذلك استحق جهنم وتماعفهم، فهو بطل لأنه منهم ولأنه لسانهم المعبر عنهم والذى يجمد مقاومتهم البطولية لأعداء مصر *

المقاومة حديثاً

هذه بعض النماذج الدالة على ارتباط الرواية المصرية بحركة المقاومة الوطنية، وليست هذه هى كل الروايات المصرية المعبرة عن مقاومة الشعب، فثمة روايات أخرى بضيق المجال باستيعابها، روايات ليوسف السباعى وعبد الحميد جودة السحار ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوى وغيرهم * وتندرج هذه الروايات جميعها تحت إطار رواية المقاومة الوطنية حتى أوائل الخمسينات، أما السنوات التالية لها، سنوات الثورة الحافلة بحركة الصراع بين قوى المقاومة الوطنية وقوى الاستعمار والرجعية على المستويين

[٣]



الموجة الجديدة فى الرواية المصرية

— صبرى حافظ —

حتى لو قدمت - انسانها المنفرد وحده ولكنها تقسمه وهو يعيش حياة مجتمع، وتتفجر إيماء هذا المجتمع وعالمه وقضاياها من جذبات هذه الحياة * وإذا كانت القصة القصيرة من حيث هى تجربة انسانية حادة الوعى بالنفرد الاتمانى أقرب

كانت القصة القصيرة - كما يقول فرانك أوكوتر - صوت انسان منفرد، تتكف فى موم لحدى للجماعات الهامشية المغفورة * فإن الرواية هى صوت مجتمع وصورة حياة (١) وهى لا تقدم -

إذا

[١] راجع فرانك أوكوتر [الصوت المنفرد] ترجمة د. محمود الريس، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٦.

ما تكون الى القصيدة الغنائية واللغة المكثفة ، فان الرواية ، من هذا المطلق نفسه ، لوحة مريضة لحياة لها قدر كبير من الاستمرار والحضور في الزمان والمكان . انها ملحمة الحياة في حركاتها وحيويتها وتأييدها على الجمود ، وهي الملحمة الوحيدة التي تتلائم مع الحضارة في المصور الحديثة ، أو حسب تعبير فستنت هي الملحمة الديموقراطية ، ومن هنا فأنها — كشكل فني — تتمتع الروائي قدرا كبيرا من الحرية التي تفرضها المساحة الزمانية والمكانية الكبيرة التي يتاح له أن يتحرك فيها . وعلى قدر هذه الحرية تكون مسئوليته الفادحة ازاء القارئ والعمل الفني الذي يقدمه على حد سواء . فالرواية تتبع له أن يستخدم كل الحيل والأساليب التي اكتشفها أو استخسنتها كافة الفنون التعبيرية الأخرى . وتتيح لمكثلك الاستفادة من الكثير من امكانيات الفنون غير التعبيرية ، فهي كشكل فني ، فمضاهاة الى أقصى حد ومحكمة الى أقصى حد . . . فالفن الروائي — كما يقول جوزيف كورتاد — فن بسيط ، لكنه في نفس الوقت أكثر الفنون الخلاقة كلها صعوبة في التمكن منه ، وأكثرها تمسكاً للفوضى نتيجة لخاوف من نثروا أنفسهم له . فهو الفن الذي قدر له أكثر من غيره أن يبعث القلق في قلب الفنان وعقله . فمن الواضح أن خلق عالم ليس بالعمل الهين إلا ربما أن اوتوا للموهبة . والخلقية أن على كل روائي أن يبدأ بخلق عالم خاص به . عالم كبير أو صغير ففردى وغامض بضم الفراء . . ومع ذلك فلا بد أن يشبه شيئاً مألوفاً للقراء ، يعرفونه عن طريق تجاربهم وفكرهم وأحاسيسهم . (٢)

الرواية إذن مسئولية فادحة . . وهي عند بعض الكتاب أعظم النشاطات التعبيرية فادحة . . يقول هـ هـ لويس : « لنا روايتي ولكني روايتي » اعتبر نفسي ارفع من القديس والعالم والفيلسوف والشاعر . من هم جميعاً أبحاثاً كبار في اجزاء مختلفة من الانسان الحي . ولكنهم لا يعرفون الانسان كله قط . (٣) » فالرواية في نظره هي القادرة وحدها على الاضالة بهذا الكائن الانساني الحي كله . . ومن هنا فأنها تستلزم قدرا كبيرا من الشهادة بالحياة ، ومن البصيرة الفنية القادرة على هتك النصب من مظاهرها . واستشفاف الجوهرى خلف كل ما هو عرضي فيها . ومن الفهم العميق

لاغوار النفس البشرية وصبواتها ، والقسرة الرجبة على استيعاب نزعاتها المتعارضة . . وهي تتطلب فوق كل هذا مقدرة فنية على السيطرة على مادتها . التي هي مادة الحياة ببساطتها وتعقيدها . وعلى اضافة قدر من الوحدة على هذا التمدد الهائل ، ولقد من التصالح أو بالأحرى الانسجام بين عشرات الصفات الكيفية المتعارضة . فالرواية — كما يقول لورانس — هي كتاب الحياة الوحيد المشرق . . . وهي الوسيلة المثالية للكشف عن قوس قزح المتغير لملاقتنا الحية . وتستطيع الرواية أن تساعداً لنحيا ، كما لا يستطيع ذلك أي شيء آخر . » فالرواية تستطيع أن تربي غريزة للحياة بدلا من مجرد نظرية عن الصواب والخطأ . (٤) . انها ترفه احسانا بالحياة وتعمق خبرتنا بها . ولا يمكن أن يعمق خبرتنا بالحياة من ضلعت خبرته بها . ولا يمكن أن يرفه احسانا بالحياة من غش احسانه بها .

فقارئ الرواية ينتظر من العمل الروائي — الجيد — أكثر بكثير مما ينتظره من أي شكل فني آخر . ليس فقط لأنه يمنح الرواية من وقته وجهده في عملية التلقى بالعين — أكثر بكثير من أي عمل فني آخر ويتمنى أن يتوافق الحصاد مع العطاء . ولكن أيضا لأن الرواية صورة حياة ونحن ننتظر من الحياة ، مهما كان جفافها ، أكثر بكثير مما ننتظر من أي شيء آخر . . ومن هنا كان من اليسير علينا أن نقتصر لكاتب القصص وديئة أو قصيدة ضيقة ، بينما يصعب أن نغفر لهذا الكاتب رواية رديئة . لآنا نفتقر بداءة أن من يجد في نفسه الجراءة على تقديم عمل روايتي ، أي على صياغة ملحمة من ملاحم عصرنا الحديث ، لابد وأن يكون قادرا على مخاطبة شيء عميق فنيا . . فالروائي — كالفكر والعالم — يستهدف البحث عن الحقيقة ولكنه على خلافهما لا يخاطب ادراكنا أو نكائنا . بل يخاطب شيئاً أعمق . . انه — كما يقول كورتاد — يخاطب قدرتنا على الفرح والدمعة والاحساس بالفوضى الذي يكتنف حياتنا ، يخاطب احسانا بالشفقة والجمال والالم . يخاطب الاحساس الكامن فينا بالزمانة مع كل الخليقة ، والاتناح الفضي الذي لا يهرج بالتضامن الذي يؤلف بين قلوب عديدة تشرع بالوحدة ، التضامن في الاحلام ، هي الفرح وفي

[٢] راجع جوزيف كورتاد : نظرية الرواية في الاكاديمية الحديث (مجموعة دراسات ترجمة دم الجليل يترجم ترجمان ، القاهرة ١٩٧١ ص ١٥٥)

[٣] راجع هـ هـ لورنس : المرجع السابق [ص ٢٠٥ .

[٤] هـ هـ لورانس : المرجع السابق ، ص ٢١٨ و ٢١٩ .

كما قلت قد اقترب من الاريمنين أو تخطاهما ولكنهما ما زال رغم ذلك شديد الاقتراب من روح اللحظة الجديدة والادب الجديد . وهذا ما سيتأكد عندما نتحدث عن رؤاهم . ويقد معظم هؤلاء الكتاب الجدد الى واقع الرواية المصرية وفي يده رواية واحدة أو على الأكثر روايتان . وهي لا تكفي بآية حال من الاحوال للحكم على رؤاى ولا تشكل عالما روائيا يمكن الحديث عما به من توازن أو اختزان . فإذا حكمنا على نجيب محفوظ مثلا (بمبدأ الاقدار) أو (رادوييس) لقلنا انهما تقدمان وعدا شاحيا بروائى لا يشر بمستقبل كبير، لكن نجيبا استطاع أن يتجاوز هذه البدايات الضعيفة، وأن يقدم عالما روائيا كبيرا . ومن هنا فإن ما نقيمه روايات الكتاب الجدد القرب الى الوجود منها الى الانجازات الكاملة . . . والوجود اما قوية مخصصة أو شاحية وأمنة . وفي نهاية هذه الايضاحات احب أن تشير الى أن هناك من مجايل هؤلاء الكتاب الجدد بعض من قدم عددا وفيرا من الروايات مثل محمد جلال ونجيب الكيلاني ، ولكنى لم استطع دراسة أعمالهم هنا لكثرةها ، فلأخير أكثر من شهرين رواية ، وللال سبيع ، وكل منهما يحتاج الى ثريث طويل عنده .

ومن الوجهة الاولى سيدعشنا هذا الكم الكبير من الروايات الجديدة . فكمنا اقتمت على الاعداد لهذه الدراسة لم أكن اتصور أن هناك هذا العدد الوفير من المحاولات الروائية الجديدة . . . كنت اتصور - ومعى كثيرون - أن السنوات الماضية كانت سنوات القصة القصيرة الجديدة التى ازدهرت مع النصف الاخير من الستينات ، ولكنى تبينت انها كانت بنفس قدر سنوات الرواية . فإذا تحدثنا عن الروايات التى نشرت فقط وتجاوزت ناعن الروايات التى تمتعت فى الظهور نجد أن هناك « احزان روح » لشوقي عبد الحكيم ١٩٦٤ و « دم يمين يعقوب » له ايضا ١٩٦٧ و « زقاق السيوف » لطلحي ١٩٦٣ ، والكتاب ١٩٦٦ المصالح مرسى ، و « الطريق للساحية » ١٩٦٩ و « حمام المظلي » ١٩٧٠ لسماعيل والى الدين و « الوهوم » ١٩٦١ و « المغيرة » ١٩٦٧ ليويس الخضراوى ، و « ثمار الضلوك » ١٩٦٦ ، و « الجوار » ٣٥ و ١٩٦٨ و « المزارير » ١٩٧٠ لقصي سلامة و « الى شىء » ١٩٦٤ و « الخياش والحلاء » ١٩٦٧ لمعطف نصار هؤلاء هم الكتاب الجدد الذين ظهروا فى الستينات وقدموا أكثر من رواية ، اما أكثر من ذلك لم تظهر لهم سوى رواية واحدة فهم أكثر من ذلك بكثير . . . هناك ابو المعاطي ابو النجا ، والعودة الى المنفى ، وعبد الحكيم قاسم « أيام الانسان السبعة » ١٩٦٩

الحزن ، فى الامانى وفى الالهام ، فى الامل وفى الخوف ، وفى الاشياء التى تربط للبشر كلا الى الاخر . وترتبط الإنسانية كلها معا - الميت بالحى . . . والذى بمن لم يولد بعد - (هـ) والكاتب الذى يفترض فى نفسه القدرة على مخالطة هذا الجانب الدفين فى نفوسنا ، لا يستطيع أن يطلب منا أن نترافق به إذا ما فشل أو خيب أملنا فى المثور فى أشكال هذا العالم وفى الوانه . فى أضوائه وفى ظلاله ، فى مظاهر المادة وفى حقائق الحياة . على كل ما هو باق وجوهرى فى كل منها . على حقيقة وجودها بالذات .

الرؤى . . . والوعود

وتستهدف هذه الدراسة ، فى ضوء هذا التصور النقدي للرواية كفن أدبي كبير ، التعرف على طبيعة الرؤى التى تطرحها روايات الكتاب الجدد فى مصر ، وعلى طبيعة تصورهم للحياة وعلى نوعية القضايا التى تلح على حالهم الروائى . كما تطرح بجانب هذا الى التعرف على صلابة الوعود التى تقي بها هذه الأعمال ، ومدى تمييزها بروائى كبير قادر على أن يأسر فى قبضة عالمه الروائى تقاصيل قائلنا . بهمسوها وعطاسها . وفى البداية احب أن أقدم بعض الايضاحات لتبسيط حول هذه الكلمة الغامضة الغمضاة . الكتاب الجديد ، هذه الكلمة هنا لا تتطوى على أى تحديد نقدي لجدة التصور الروائى لدى الكاتب وحدائته فى مقابل مفهوم آخر للروائى التقليدى أو القديم ، فبعضهم يمين فى التقليدية بينما يمين البعض الآخر فى التجديد . . . ولكنى أثرت عدم استعمالها بدلا من الروائيين الشبان عندما جاءت بعضا اقتراب كتابها أو تجاوز الاريمنين من العمر . . . والكاتب الجديد بالنسبة لهذا الجنس الفنى قد يكون تبعا بالنسبة لجنس آخر كما هى الحال مع محمد ابو المعاطي ابو النجا الذى جاءت بروايته الاولى (المودقالى المنلى) (٦) بعد تمرس طويل بقن القصة القصيرة دام أكثر من عشر سنوات قدم خلالها ثلاث مجعما قصصية . او مع محمود نجيب وشوقي عبد الحكيم اللذين تمرسا طويلا بكتابة المسرحية . . . حين أن هذا التعبير لا يخلو مع ذلك من دلالة على الجدة فى الرؤية أو فى الممارسة . فالكتاب الذين تناولتهم هذه الدراسة يشكلون فى اعتقائى الموجة الجديدة من كتاب الرواية ولعلنا الوافدين الى حقلها . . . بعضهم

وأمين الميوطي « الصمت والصدى » ١٩٧٠ ،
ومحمود نياض « الظلال في الجانب الآخر » ١٩٦٢ ،
وصنع الله إبراهيم « الحب والصدى » ١٩٦٦ ،
وعنايات الزيات « الحب والصدى » ١٩٦٧ ، وعبد
الوهاب الأسواني « سلسل الأسوانية » ١٩٧٠ ،
ومحمد يوسف القعيد « الحداد » ١٩٦٩ ، ووزق
إهمار « الحب والجدان الأسود » ١٩٦٧ ، وعلى
شكلى « ثمن الحرية » ١٩٦٢ ، وهبة غبريال
« الهزيمة » ١٩٧٠ ، وزينب صادق « يوم بعد يوم »
١٩٦٩ ، وسيم ندا « الشفق » ١٩٦٨ ، ومكرم
أفندي « مدير » ١٩٦٧ ، وهدي جواد « للوشم
الأخضر » ١٩٦٦ ، ومحمود عوض عبدالمال « سكر
من » ١٩٧٠ ، وعزت الإمبر « رغبة سرية » ١٩٧٠

ولا ينبغي أن يخذلنا هذا العدد الكبير الذي
يقرب من الثلاثين رواية ، وهناك أيضا روايات
أخرى غيرها لمصطفى هودة مصطفى وما شابه
ذلك ، لأن بعض هذه الروايات بالغ الرداءة ولأن
بعضها الآخر مليء بالمعيب التي ترتوي أغلبها من
ضخالة الخبرة بالفن والحياة ، وضخالة الخبرة
بالفن والحياة هي القاسم المشترك الأعظم في أغلب
هذه الروايات ، لا تنجو منها تماما غير مجموعة
قليلة من هذه الروايات ، في مقدمتها « أحزان
نوح » و « أيام الإنسان السبعة » و « الصمت
والصدى » و « العودة إلى النفس » و « تلك
الرائحة » ، أما بقية الروايات فتصنف بأنسية
مقاومة في صياغة هذه السمة وفي تأكيد
ملاحمتها ، حيث تحسن في بعضها بتمكن فني
خادع لا تفلح ثيابه الفضفاضة في إخفاء شبح
الواقع وأسلوبهم الفني في التعبير عن تلك
الرؤية ، وسنحاول الآن أن نتعرف على ملاحم هذه
الرؤية كما تقدمها معظم هذه الروايات الجديدة ،
سنحاول أن نتعرف عليها من المنطلق النقدي الذي
يرى أن الرواية صورة مجتمع وتاريخ حياة
تتمايز فيها وتفتني أغلب الأشكال الحية في
زماننا ، بصورة تجعلنا نرى الفني والتعبير الذي
تقدمه للرواية لزماننا (١١) ، فهذه الروايات تقدم
لنا - برسم كل الملاحظات والتحفظات - « شهادة »
حاسمة للحظة الحضارية المتغيرة ، لا تقدمها
كل رواية باكتمال ووضوح ، ولكن تشارك كل
واحدة منها في صياغة تفصيلاتها ، وفي تعميق

وفي مدير (١٠) التي فلت نفس الشيء بالنسبة للموقف
النرامي الذي قسمته ، موقف المواجهة السرية
الحضارية بين مرعى - والغربة من ورائه -
والراغبين في هدم مصنع السكر في قرية الشيخ
فضل ، فشفعية رجاء في الرواية الأولى
بظروفها الرمزية وشفعيةها المزبوجة شخصية
على جانب كبير من الشراء ، كانت تستطيع أن تقدم
لنا شخصية روائية قادرة على امتصاص الكثير
والإفشاء بالكثير ، والموقف الانساني في الرواية
الثانية وهو يتطور بسرعة ويكاد يخلق له قانونه
الخاص - قانون العنف - مستقلا عن ارادة
المشاركين فيه ملتهما التردادات الصغيرة والخاف
الكبيرة ، موقف قادر لو عالج بشكل فني ناضج
على الإيحاء بالكثير والبوح بالكثير ، لكن
ضخالة الخبرة الفنية اخمدت قدرة الموقف
والشخصية على البوح والمضاء ، وجعلتهما على
أحسن الفروض كاريكاتيرات شائبة لموقف أو
لشخصية ، وهناك إلى جانب هذين النوعين عدد
قليل من الروايات البالغة الرداءة ، وقد اغفلت
أغلبها في معرض حصري للروايات الجديدة حيث
لا نعتز فيها على أي قدر من الموهبة الفنية أو
المقدرة الروائية ولا على فهم أو خبرة عميقة
بموقف أو بشخصية تفكر إلى القدرة على
للتجسيد الدال الموحى ، ومن هذه الروايات على
سبيل المثال « أي شيء » لعاطف نصار .

وعلى ذلك فإن أغلب الروايات التي نذكرها
والتي تتفاوت تضجعا وموهبة إلى حد كبير تساهم
يصورة أو بأخرى في صياغة ملاحم رؤية الكتاب
الجديد للواقع وأسلوبهم الفني في التعبير عن تلك
الرؤية ، وسنحاول الآن أن نتعرف على ملاحم هذه
الرؤية كما تقدمها معظم هذه الروايات الجديدة ،
سنحاول أن نتعرف عليها من المنطلق النقدي الذي
يرى أن الرواية صورة مجتمع وتاريخ حياة
تتمايز فيها وتفتني أغلب الأشكال الحية في
زماننا ، بصورة تجعلنا نرى الفني والتعبير الذي
تقدمه للرواية لزماننا (١١) ، فهذه الروايات تقدم
لنا - برسم كل الملاحظات والتحفظات - « شهادة »
حاسمة للحظة الحضارية المتغيرة ، لا تقدمها
كل رواية باكتمال ووضوح ، ولكن تشارك كل
واحدة منها في صياغة تفصيلاتها ، وفي تعميق

[٧] محزون ضمن سلسلة [١] كتابات مصر ١٩٧٠ .

[٨] صدرت عن دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

[٩] صدرت عن المؤسسة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

[١٠] صدرت عن دار الكتب العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

[١١] راجع - د. م. م. البيروني ، [تاريخ الرواية الحديثة] ترجمة جورج ستام ، بيروت ١٩٦٧ .

يعود به من جديد إلى نقطة البداية بعد أن يعيش دائرة مكتملة، ككثرة الموت والميلاد في البيولوجيا القديمة - وتبدأ «الحداد» (١٤) من لحظة فنس الأب بكل ما يتطور عليه فنل الأب في تفسير فريدي من معنى حيث تنقلص بتقلص قبضته عن عالم الرواية، قبضة الفهم والأمن والرعاية - لتنتقل شخصياتها بعد فقدانه كل في طريق - وتقدم لنا (حمام الملاطيلي) (١٥) بطلها في لحظة شبيهة بلحظة الميلاد، لحظة وفوده وحده إلى المدينة الكبيرة (القاهرة) يبحث عن كينونته فيها وعن عمله بعمى تدهم - وهو فعل له دلالة - بيته القديم ومدينته القديمة وتصدت بمدمعا أمرته وعلقت عليه الأمل ليقيم عندها الأيلة للسقوط - أما «الصبي والصمت» (١٦) فتبدأ أيضا من لحظة موت هشام شعيل البطة وسقوط قسم بأكمله من حياتها معه لتفتتح نجلاء بميون داهضة على الواقع من جديد وترى كل شيء في ضوء مفاهيم وفهم مختلف - وتستمر الرواية بعد ذلك في تقديم تفاصيل قصة هذه الولادة الجديدة بما يصاحبها من الأم الخاض

وإذا كانت بداية الرواية من لحظة شبيهة بلحظة الميلاد هي وسيلة بارزة من وسائل أطراح الميراث التاريخي في كتابات الروائيين الجدد فانها ليست الوسيلة الوحيدة - فرواية (أيام الإنسان السبعة) (١٧) تقدم مثيتنا المدهشة لانهايار العالم القديم يمين بينما تضع عينها الأخرى على العالم الجديد وهو يتخلق تحت جلد هذا العالم القديم وضده - مثلا في بطلها عبد العزيز ابن هذا العالم القديم وبنة العالم الجديد في داخله ومن هنا لا يجد عبد العزيز في نهاية الرواية مناصبا غير الانقراض في عالم المهوى الذي نما على هامش ثلة الرفاق وضد عالمهم - بينما تقدم رواية «الظلال في الجانب الآخر» (١٨) في بطلها جميل نروة الرقص الأرضي لكل أجيال الميراث التاريخي ومحاوله المثور في مزيجها الغربي من للفوضوية والعدمية على يدجل متوج - كما قصمت هذه الرواية في شخصية روز ككل تعبير عن الشخصية المتحررة من الموارث التاريخية - حيث لا أب ولا أم ولا دين ولا ارتباط من أي نوع يقيم أي

ملاحمها، ولهذا فسأحاول أن أرصد هذه الرؤية، وهي تتبدى في اكتشافها المبهج من خلال هذا الإبداع الجماعي - الذي تستجيب كل ذات فيه إلى حساسية اللحظة التي تحبدر عنها بصورة متغيرة عن الأخرى ولكنها تظل تجعل البصمات المشتركة لهذه اللحظة والتي تؤكد لنا - أعمق من تأكيد المطابع والتواريخ - بأن هذه الروايات صدرت في مصر وفي هذه المرحلة من تاريخها بالذات - هذه السمات العميقة المشتركة التي تصوغ تفاصيل الرؤية وملاحمها -

اسقاط الميراث التاريخي

وأول ملامح هذه الرؤية هي الرغبة القوية في اسقاط الميراث التاريخي والتحرر من قبضة التواريخ القديمة والرؤى القديمة والقيم القديمة - ومن هنا يتخلل أغلب الروايات حين عارم إلى بداية جديدة، تخلص من الوشائج القديمة وتنطلق بعدما في محاولة ضارية لتأكيد الحاضر المشكوك في صفيته - ويطلق هذا الحنين فسي بعض الروايات إلى سطح الأحداث بالصورة التي يصبح فيها هو موضوع الرواية الرئيسي، بينما يسقط في بعضها إلى قاع الزمن والموضوع ولكنه يترك بصماته وأمة تارة واضحة أخرى على كل الأحداث - ويصنع ذلك على البناء الروائي في بداية الرواية من لحظة تضيئه لحظة الميلاد - وتتبع للكتابات والشخصية للتصل من ثقل الماضي والانطلاق في الحاضر والتشوف إلى المستقبل - فتبدأ رواية (تلك للرائحة) (١٢) من لحظة ميلاد حقيقية لبطلها اللامعسي، لحظة خروجه من رحم المسجن المظلم وأطراح القيود واستقبال الحياة، لحظة التسمية والتعرف - بعد الميلاد الفعلي - على الهوية - وتبدأ (الصمت والصدى) (١٣) هي الأخرى من لحظة انفلات بطلها طاهر من قبضة رضى الأب وتمط حياته وأسلوب تفكيره - ويعلم هذا الانفلات عنوان فصلها الأول «هنا نفترق يا أبي» ثم يؤكد الفصل الثاني «الفردج من القوقعة» حيث يضلخ الليل بصمعه من جلد حياته القديمة ويطرح عنه الكثير من بقاياها - لينتهي بعد ذلك في حربه للخاض الذي لا يلبث أن

- [١٢] صدرت عن مكتبة يوليوس، ١٩٩٦.
- [١٣] صدرت عن الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠.
- [١٤] صدرت عن دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ وهو أحد الشهورات القرنية.
- [١٥] صدرت ضمن سلسلة [كتابات معاصرة]، ١٩٩٠.
- [١٦] صدرت عن دار الكتب العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٧.
- [١٧] صدرت عن دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٩٩.
- [١٨] صدرت عن دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦.

علاقات • بصورة تبدو معها روع وكأنها البشرية
البحر قبل أن تدركها موارات الحياة والتلوث •

له ومهادنته الظاهرية كما هي حال بطل (تلك
الرائحة) أو رافضا للمجتمع ومرفوضا منه في
الآن نفسه ، ويقتسمه « احران نوح » (١٩) تكثيفا
رائعا لهذه الشخصية الثرية المقددة ، أو لامتتيا
مفرطيا في السذاجة ، كسا هي حال بطل
« الموهوم » (٢٠) غير أنه يظل في جميع الاحوال
غير راخ عن نفسه - فيظل الرواية الجديدة بطل
مضاد ان جاز التعبير ، سلبى ، متردد ، لا يحقق ،
ان حقق ، غير الانتصارات الصغيرة • يشد من
هذه القاعدة غير الثائر الايدي الذي جسده
باقتدار وخضوع - المودة الى المنفى • من خلال
شخصية عبد الله النديم • وان كان في هذا الثائر
الايدي الكثير من صفات بطل الرواية الجديدة أو
بالاحرى الكثير من طموحات هذا البطل • فهو
الرافض الايدي لكل نوازع الياس والمهادنة
والتردد • وهو الامل الكبير لآلاف المطحونين الذين
يفقدون المعبر عن رؤاهم ، وهو المضمون الدائم
بنزعة عدم الرضى عن الواقع وعن النفس • وفيه
ايضا من صفات البطل الجديد ، أو البطل المضاد
تلك الصفة الهامة وهي الوعى الحاد بالذات
بامكانياتها وقدراتها والرفض الدائم لنزعات هذه
الذات ومطامعها الخفية •

وينعكس هذا الوعى الحاد بالذات على أبطال
هذه الروايات الجديدة من خلال مراكهم الدائم مع
نواظهم •• مراكهم مع الذات لا مع الواقع الخارجى
بالدرجة الاولى وأن شمل هذا المراكهم تفاصيل
الواقع الخارجى باعتباره مشاركا في تكوين
الذات • إذ تتمسك موم للعالم الخارجى في
موم الذات لا في نشاط خارجى لها • فقد كتبت
أغلب هذه الاعمال أو هي بالاحرى بنت جيل
الصمت والاستخفاف وأحبة القمع والمطاردة • بنت
المعكوف الدائم على الذات والخوف الذى تسلم من
الخارج حتى استوطن في الداخل واستقر ••
وينبع المراكهم مع الذات من الوعى الحاد بامكانيات
الذات وتشوئها الحاد الى التحقق واقتراح هذا
الوعى والتشوق بالمعجز والخوف وفقدان الامان •
وتجسد لنا « تلك الرائحة » من خلال رسمها
الهائى الذى يبدو للوهلة الاولى بجمله الخبرية
البائرة وكأنه رصد محايد • ولكنه في الواقع ليس
كذلك ، تجسد لنا وطأة هذه الحالة على انسانها
الذى قذف به فيضاه في عالم غريب ، لا شيء فيه •
برغم صلاية الجمل الخبرية ، يبدو حقيقيا • من
خلال بطلها الواقع دوما في قبضة عسكري الراقبة
الذى تبدأ به الرواية وتنتهى بانتظاره • كما تقدم

ولا تلوح هذه الرغبة الحادة في اسقاط الميراث
التاريخى في الروايات الجديدة ترقا فنيا أو رفضا
وجوديا لا يعنى شرط الحضارى • ولكنها في
حقيقتها ضيق راع بكل مطالب العالم القديم
وسخافاته • فولادة بطل « تلك الرائحة » الجديدة
طرحته وراء ظهرها سنوات السجن والاعتقال
ومصادرة حرية البطل في الرأى وفي التفكير •
ورغبة طاهر في (الصمت والصدى) في الانفلات
من اسار العالم القديم هي ضيق تلك الازدواجية
الرهيبه التي ما ليثت أن ولجته في الواقع من
جديد متمثلة في شخصية الزاوى رئيس تحرير
المجلة التي يعمل بها •• وهذا الازدواج الذى جنى
على حياة جيلنا وتكوينه هو الذى دفع جميل في
(الخلال في الجانب الاخر) الى الهروب منه
وفقدان الطريق تحت وقع سباطه الدائمة • وهو
يهرب من أبيه الذى نجد أنه صبرة مصفرة
- لتناصب المدينة الصغيرة - من زواوى (الصمت
والصدى) الذى يلائم الطموحات الكبيرة والمدينة
الماسمة • أما ولادة الجديدة في (حمام
المنحلبات) و (الحب والصمت) و (العداد) فانها
بنت الترقى العارم الى التحقق في عالم تتنامى فيه
أساليب السيولة بين الانسان والتحقق • وتنتشر
فطاطته الاحابيل في طريق أى واحد جديد •• انها
تصير من فوق الوافدين الجدد الى المتور على
مكان وأسلوب وحياة •

الوعى الحاد بالذات والعراك معها

بعد اسقاط الميراث التاريخى ومن خلال التوق
للمارم الى التحقق في عالم فظ تطل السمة الثانية
لرؤى هذه الروايات الجديدة •• وهي تقنينها
للمجموعة من التتويجات الخصبة على شخصية
اللافتى بدءا من المفترى حتى الصمى مروراً
بالضائع والمنازف من الحياة والرهوب وماقد
الامان • وليس غريبا أن تبدو هذه السمة وكأنها
المقابل المضاد لتركيز أغلب روايات الجيل الماضى
على شخصية اللتمى بتتويجاتها المتعددة بدءا من
الصمامى المتنى لذاته - بطل أغلب روايات جيل
الحلم عبد الله - حتى الضروى المتزيم بقضايا
مجتمعه • ويبدو بطل الروايات الجديدة رافضا
للمجتمع كلية كما هي حال جميل في « الخلال في
الجانب الاخر » ولا مباليا برفض المجتمع الباطنى

المغتربين، تؤثر الهم على الواقع .. تؤثر مصطفى على صلاح .. ورشدي عن بطل « الحب والجدار الأسود » (٢٢) صورة أخرى من أميرة بمواجهته دون كيشوته لجدار الموت الأسود، ويتضح للفرية يحيه على منج هذا الموت الرهيب .. والمتنازع بين الموت والحب في « الرواية ليس الا تعارضا بين الموت والحياة » ودره الموت لا يحقق انتصارا للحياة ولكنه يترك البطل لحياة أقرب الى الموت .. حيث لا حب ولا تحقق .. بل دوران اعمى في ساقية لا تُعرف الهودة .. وهذه أيضا هي حال سامي بطل (المغرورة) في عجزه عن مواجهة تعقد الحياة وتناقضها في صورة رجاء .

ويتحول المعجز عن مواجهة الحياة في بعض الروايات إلى هزيمة مريرة كما هي الحال في « دم ابن يعقوب » (٢٤) و « الشفق » و « سلمى الاسوانية » (٢٥) هزيمة للبطل لتصوراته ورواه .. وكذلك في (الظلال في الجانب الآخر) و (سكر دم) و (رغبة سرية) .. وتربو هزيمة البطل في الروايات الجديدة من أكثر من رافد .. من اغترابه وعراكه الدائم مع ذاته بالبيع .. ومن صلاية وجهامة الواقع الذي ينازله .. مصطفى بطل « سلمى الاسوانية » بطل ملهى يمانى من التمتع بين عاملين وحضارتين، ومعجز من المشاركة في الدفاع عن شرف سلمى التي تهب للقبيلة كلها للذود عنه، ومعجز أيضا عن الدفاع عن قناعاته الخاصة وعن الأسلوب الذي يبتغيه لحياته .. وكان لابد مثل هذا البطل السليبي أن ينهزم أمام صلاية القيم التي يرفضها وأن يمتص لها صاغراً .. الا تخفف محاولة الكاتب التوفيقية في نهاية الرواية من وقع الهزيمة على نفسه أو علينا ؟ وهذا البطل المهزوم أيضا هو ما تحاول (دم بن يعقوب) أن تجسده من جديد وهي تصور مأساة ابن يعقوب في صورة عصرية .. تستعير من الميثولوجيا الدينية اسم البطل ويمسك بروح المأساة الدينية المثقلة بالذنوب والمذاب، وأرض الواقعة في منطقة الغمر يسبحوها وتراتها .. ثم تنطلق بعد ذلك لتنسج تفاصيل مأساتها الخاصة بمادة تكتظ بالمأثورات الشعبية لتقدم لنا من جديد الشخصية الأثرية في عالم شوقي عبد الحكيم الفنى .. شخصية البريء المدان الذى لا يتقن أبدا من دينوته ولا من براسته .. ولكنه يظل يكتوى بنيران

« رغبة سرية » (٢١) من خلال لامبالاة بطلها اللامسمى تنويما آخر على تلك الشخصية التي أحس راويها أنها مآنت قيل أن تقدم على الانتحار بكثير .. وهذا أيضا ما تجسده شخصية نوح في (أحزان نوح) حيث نحس بالعراك مع الذات في إحد معانيه وقد استحال الى نوع من فقدان الذكرة .. حيث يخص الرجل بأنه لم يصب فى انسانيته فحسب ، بل أصيب أيضا فى سيطرته القضيية على أنثاه .. أصابة تفقده للسيطرة على نفسه وعلى العالم من حوله .. وهذا أيضا هو ما يفسر لنا ذلك المعجز الجنس غير المضوى الذى يمانى منه بطل « رغبة سرية » اللامسمى .. الفائد الاسم والهوية وللتحقق .. وبالتالي للسيطرة الذكورية على أنثاه .. ومن هنا فإن الانثى تحاول فى بعض الروايات أن تضطلع بدور الرجل بعدما معجز الرجل عن مباشرة مسؤولياته .. وهذا ما يدفع ماثمة بطله « الحداد » الى أن تكون أكثر تشددا من أخها حامد .. صحيح أنها تلوح فى حبابا المرم لابيها وحرصها على الانتقام له وكأنها للتجسيد الحى لايتكرا الطامحة الى الثار لايبها .. خاضة وأنها تنهم مها بقتله .. لكن اورست يبدو فى الرواية مثيرا للراء الى أقصى حد .. ليس لانه لحد المتأركين الدائمين مع نواتهم .. لحد الذين تعذبهم الاسئلة الهللمتية وتسلل من أصماقهم نضارة الفعل والمبادرة فحسب .. ولكن أيضا لانه كلاً منهم لايعرف أين تكمن الحقيقة ولا أين يختفى الخطأ .

لكن الاضطلاع بدور الرجل لا يحقق للمرأة ذاتها، بل يسهم بالأحرى فى انحرافها عن جوهرها فتتلف خلال هذا الانحراف التحقق .. وفقدان التحقق سمة من السمات الأساسية لبطل الرواية الجديدة سواء كان رجلا أو امرأة .. فأميرة بطله يوم بعد يوم (٢٢) تقدم لنا الصورة الانثوية من اللامنتهى فى فقدانها للتحقق، وفى لامبالاتها التى وصلت الى درجة أصبحت معها شبه نموذجة مخنطاميسيا .. تعيش حياتها يوما بعد يوم بصورة روتينية لا ارامية .. تحكمها الاستجابات الغريزية وحدها .. حتى تنفلت سعادتها من بين ايديها برغم أنها كانت بين أصابعها طوال الوقت .. ليس فقط لأنها تعيش حياتها فى لامبالاة مطلقة، ولا لأنها تحاول أن تضطلع بدور رجل .. ولكن لأنها ظلت ككل

[٢١] صدرت عن مطبع دار الهنا القاهرة ١٩٦١ .

[٢٢] روايات الهلال ، ١٩٦٦ .

[٢٣] دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .

[٢٤] دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .

[٢٥] دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

الأعراف المرمقة في شخصيتي سرحان ويوسف •
غير أن مأساة أي منهما لا تبلغ في شراوتها أو
شمولها مأساة نوح الذي أخضا فهوى في لحظة ما
بين النوم واليقظة ، وظل طوال الرواية يعاني من
عذابات الداخل ونظرات الخارج الغامضة المتفحصة
وهي تصل في تضاعفها الأداتية •

وطأة الصمت • • والرعب

وعنما يمس الكاتب الجديد بشداحة الهزيمة
وفقدان التحقق فإنه يلجأ في بعض الأحيان إلى
الماضي •• إلى التاريخ •• وأبرز الروايات
الجديدة التي لجأت إليه هي (الصولة إلى المنفى)
لاقتدم لنا لمصيه ، كما تفصل للروايات التاريخية
صورة للوجود في الماضي ، ولكنها تحاول أيضا أن
تقدم هذا الوجود في الماضي وهو يلقي بظلاله على
ميوه الوجود في الحاضر •• حيث الاختراب -
واللاتحقق •• ومن هنا فأنها تختار نموذجا رائعا
للقدرة على تجاوز الاختراب •• واللاتحقق •• ليس
لأنه سياسي ثائر - والثائر في رأي أريك فروم أحد
الثنين قادرين على تجاوز الاختراب •• ولكن أيضا
لأنه نموذج حي لفكرة الثورة الدائمة والتمرد
الدائم على كل القيود ، الانتصار الدائم حتى في
الهزيمة •• وهناك إلى جانب هذه الرواية (ثمن
الحيوة) (٢٦) التي استمرت عنوانها من عنوان
الترجمة المصرية لمصيه - مسمانويل
رويس - مونسيرا ، والتي حاولت أن تنقل لنا
صورة لبطولة الشعب الجماعية في معركة
المنصورة •

تبقى بعد ذلك من السمات الخاصة بالشخصية
الروائية ما يمكن تسميته بالشخصية الناقصة ••
وهي الشخصية الناقصة للتكوين ، الناقصة
الخبرة ، الناقصة الوحي بالمالم •• وهي شيء غير
الشخصية الضميمة •• لأن الشخصية الضميمة
تمسك مؤلفا من المالم أزا شخصية متكاملة •
أما الشخصية الناقصة فإنها هي التي تدفع يونس
الخضراوي إلى اختيار شخصية على درجة كبيرة
من السذاجة في (المغرورة) ومن ضحالة الخبرة
بالحيوة في (الزهوم) ، وهي التي تدفع محمود
عوض عبد المال إلى اختيار شخصية نصف بلهاء
في (سكرم) ولاتمسك هذه الشخصيات ألبهام
موقفا من المالم حيث تجسد لنا الدهشة الدائمة
لبكارة الحياة الإنسانية وهي تواجه كل لحظة
بتفديدات لا عقلانية في جوهرها كما هي الحال في
شخصية روز في (الظلال في الجانب الآخر) أو

في شخصية أسما في « هدير » ولكنها تشي بأن
شخصية البطل الروائي الجديد يرسم كل الملامح
التي تعرفنا عليها مازالت في طور التكوين ويرتبط
بهذا الملمح سمة أخرى وهي الهروب من تقديم
المهمم الباطنية المحقة للشخصية •• فأغلب
الشخصيات ذات اعماق ضحلة ، أحادية ، لا تنوع
فيها ولا تعميق •• وإذا ما قدمت أعماق الشخصية
الروائية في بعض الروايات الناضجة فإنها لا تقدم
بنفس الصورة التقليدية التي عرفناها في المدرسة
التحليلية والواقعية ولكن بصورة مغايرة • تعتمد
على الخارج وترصد أعماق الشخصية من خلال
الصورة الخارجية لأفعالها • هذا الرصد الذي
يبدو للمؤلة الأولى محايذا لكنه ما يلبث أن يشف
عن عمق وعن مؤلف • والرواية المصرية الجديدة
تواكب في هذه السمة الرواية العالمية الحديثة ••
والهروب من تصوير الشخصية الباطنية للشخصية
نتيجة حتمية لرغبة الكاتب في إنقاذ شخصياته
الدائمة المراك مع ذاتها من وهدة اليودرما
والزعيق الانفعالي • هكذا يبدو في الروايات
الجيدة أما في الروايات الريدنغفانتيرت على ما
دعوتها بالشخصية الناقصة •

ننتقل بعد هذا إلى سمة جديدة من سمات
الرواية التي تطرحها هذه الروايات الجديدة وهي
وقوع الموقف الروائي مهما اختلفت مآلاته وتنوع
تسيج أحداثه تحت وطأة الصمت والرعب
والمهانة • وكل للتشوهات النفسية التي تعاني منها
شخصيات هذه الروايات الجديدة هي بنت هذا
المناخ ويبت تكوينها في ظل - لا تسلم من هذا
رواية واحدة من تلك الروايات الجديدة ، وتبلغ هذه
السمة ذروتها في « تلك الرائحة » و « أحزان
نوح » و « الصمت والصدى » حيث زحف القهر
الخارجي حتى استقر في داخل الشخصية ونقص
عليها حياتها •• فكل تصرفات بطل (تلك
الرائحة) ملققة بين عارفين سبحة عسكري
المراقبة ، تنزلق من فوق وجهه دون أن يمشها
فصورة العسكري تحول دائما بينه وبين التحقق
في أية لحظة •• ومن هنا فإن ديمقته الدائمة إزاء
الموجودات تنطوي على انتقاد حاد للالفة مع
الواقع •• وعلى حنين عارم للفهم والمشاركة • لكن
الرعب من المراقبة والمراقبة والاحساس بالمهانة
إزاء الملقط الصغير الذي يوقع فيه ، وحضوره
اللفظ حتى في لحظات غيبته ، تشكل سبل الحيلولة بينه
والانتماء في المالم وبالتالي بينه وبين التحقق •
ويظل يحيا طوال الرواية تلك الحياة العادية التي
تبدو وكأنها كايوس لا يطاق ولا يحتمل • وهذه
الحياة غير الإنسانية المرمية التي تنزلق من فوق

تحاول - وهذه من سماتها الهامة - أن تجسّد أرضاً جديدة وأن تترادف ألقافاً بكراً .. وارتداد الألقاف الجديدة من ملاحم المالم الذي تقسمه هذه الروايات الجديدة ومن سمات ترميدها على المالم المألوف والمناطق القديمة التي قتلها الروايات السابقة ذرعاً .. ويمتدح هذا الارتداد البكر للألقاف الجديدة بنوع من الصنعة إلى الارتداد للأرض وإلى اللجوء القديمة والرؤى الأصلية .. فبرقعة الجوس في القياح الجديدة نجد العودة إلى القرية والارتباط بالأرض .. والحقيقة أن بعض الروايات الجديدة تفتح حيون القراء لأول مرة على بقاع مجهولة وعلى مناطق جديدة للخيبة والمعرفة، فرواية «علمي الإصطناع» تقدم منطقة جديدة من الأرض والبشر وتؤكد من خلالها أن الرواية الواقعية مازال أمامها الكثير من المخاطر البكر التي تحتاج إلى تقديم .. وإن علينا أن نتريث قليلاً قبل اللجوء وراء الأشكال الروائية المستحدثة .. و«حمام الملاطيلي» تجسّد بقا منطقة جديدة وهي ما ترحب القاهرة التي حسنا أننا قتلناها بمحا .. و«زقاق السيد البلطي» (٧٧) تنلف إلى عالم الرواية ومهما مجموعة جديدة من البشر لم يسمع لهم صوت في الرواية المصرية من قبل .. و«الظلال في الجانب الآخر» تفتح عيننا على عالم جديد بكل ما فيه من ألوان وظلال .. و«المغزوة» تذهب ببطلها إلى الواحات وإن عجّز من الالتفات إلى آراء الرقعة التي فطنت ببطلها إليها .. و«هدير» تحاول أن تقتنص لنا تفاصيل الصورة في منطقة صناعية صفراء وهي تراجع تهديداً بالعودة إلى حضن الزراعة وحده من جديد ..

لما «أيام الإنسان المسببة» فانها تقدم لنا أكمل رؤية واقعية تاضعة للقرية المصرية .. بعد أن فشلت القرية المصرية في العثور على نفسها من قبل على الورق .. لا في قرية هيكل الرومانسية ولا في قرية عبد الرحمن الشراوى التي أوقست الواقع في برائن رؤاها المسبقة عنه .. وهذه العودة الحقيقية إلى الأرض وإلى القرية قرينة الرغبة في جرس للبقاء البكر .. لأن القرية برغم كثرة ظهورها في الرواية المصرية مازالت لم تظهر فيها على حقيقتها بعد .. وقد قدمت الرواية الجديدة القرية المصرية للحقة لأول مرة وكانت «أيام الإنسان المسببة» مع «أحزان نوح» أنضج المحاولات الروائية المصرية لتقديم القرية .. وقد قدمت روايات جديدة لخرى القرية وارتدت إلى الأرض .. فهناك أيضاً «الحداد» و«الصمت والصدى» و«دم بين يعقوب» و«هدير» و«الحب والجدار الأسود»

قشرة الوحى هي ما يكتوى بها ليل نهار نوح يطل (أحزان نوح) حيث يتأرجح على الحافة الفاصلة بين البراءة والدينونة .. وقدمه تنزلق في رحال الشك الخاصة رويداً رويداً فتهدى به من عليها مكافته الاجتماعية وصلابته ورجولته إلى خبضين شذائ الألقاف ومعنى المخدرات .. وتلتصق مأساته بمأساة الأزواج المخدومين، وهو يجد عند الشحات وفي حديثه شيئاً يضرب على الجرح مفع .. أما في «الصمت والصدى» فأثنا نتعرف على مجموعة من الأصدا المتنوعة للصمت للرايح وهو يخيم مع الرعب والمهانة على افق الرواية .. فنشده وهو يشوه الحياة في أصايق طاهر ويستبطل منه القدرة على الباربة .. بينما يمتكس على عثمان حقاً ضارياً يجهز به على مرارة الاحساس الدامى بالدينونة وتحقير الذات .. أما حازم فأث مذهبته الجامدة تصامم مع وطاة الصمت الزائفة في إحالته إلى يون كيشوت تارة وإلى انسان فاقد للبور أخرى .. وتقدم لنا «الحداد» تنويماً آخر على هذه المسمة من خلال المناخ الذي يسيطر على الأحداث فيها والذي أفسدته تلك المسمة البوليسية الضاربة .. حيث تتصوّر محاولة الضمير للتلصّب على رصعها من أبس الليل إلى أنشيطوة رصعها يفزع شبعها الجميع .. أما «الحب والصمت» فانها تعتمد إلى اصطلياد الاثر المباشر لضمارة القهر السياسى وهو يجهز على جذوة الحياة في أصايق بطلها احمد .. وتحاول أن تخلص هذه الأحداث الضارية من ميلودراميتها الواقعية بتدعيمها هذا القهر وهو يعكس على مرآة تجلاء ابنة الطبقة المرفهة التي يمارس هذا القهر لصناعتها .. أما «حمام الملاطيلي» فانها تقدم من خلال الأحداث العارية النابضة بالحياة في حمام الملاطيلي هذا المناخ الخائق وهو يلقي بتشوّهاته في نفوس الجميع فيقلع بعضهم - كمال - إلى العنف البموى بعدما تردى في حماة الشطوة .. ويدفع الآخر - احمد - إلى خيانة وإلى نتمته والتقلّى عن القلب الوحيد الذي نبض يحبه في الميعة الضارية عندما يترك نعمة للموت دون أن مصرعها .. وقد تبلّج حسبه - يادى مشواية عن مصرعها .. وإلى بقية الروايات تحسن دائماً بشيح عسكري خافت في بعضها حتى لا يكاد يرى .. زاعق في بعضها الآخر حتى يكاد يستحوذ على كل شيء ولكنه موجود أبداً .. يفرض ظله الكئيّب على كل شيء ..

وفي انفلتت الرواية الجديدة من هذا المراقب الخفيف بعبته اليلادة ومسحتته الهيمية

وقد قُسمت كل واحدة من هذه الروايات شيئاً حقيقياً في القرية المصرية، وبلورت ملمحاً بارزاً من ملامحها أو شخصية هامة من شخصياتها الأثرية .

ويرافق هذا الجوس في البقاع الجديدة والارتداد الى القرية . ظاهرة أخرى هي تقلص الرقعة التي تدور فيها الرواية . ويتجاوز التقلص نطاق المكان حتى يشمل الزمان كذلك . فالزمان الروائي مختصر الى أقصى حد ، ولحد هذه الروايات وهي « مسكر » تبدأ في الثامنة والنصف صباحاً ويطلبها يشرب كوب شايها الصباحي فما أن ينتهي من رشفه على مهل في العائنة من نفس الصباح حتى تكون الرواية قد اكتملت فصلاً . فالشخصية الانسانية لم تعد في حاجة الى رحلة في الزمان حتى تكشف لنا من ذاتها وعن تطورها . فقد منحت الاساليب البنائية الجديدة للكاتب إمكانية الانتقال السريع بين الأزمنة بصورة تتيج له أن يهتك الحجب من مناطق دنيئة في أغوار الشخصية ثم يواصل بها المسير . وحتى إذا ما اتبع للكاتب الأسلوب التقليدي أو تقيده بالوقائع التاريخية كما في رواية « العودة الى المنى » فإن للكاتب يستطيع أن يستلهم من إمكانيات النص الروائي في تقديم مادته . وهذا ما فعله أبو النعاس أبو النجا عندما بدأ روايته بأحداث عام ١٨٧٧ ثم ارتد بعد ذلك الى أحداث تسبقها بما يقرب من مئتين عاماً . ويتم هذا التقلص في الزمان والمكان لصباب العمق والتركيز في أغلب الروايات الناجمة . بينما يضاف في الروايات الحديثة عن ضمالة الخبرة الانسانية وعن عجز الكاتب عن الحركة خارج رقعة خبرته الضيقة .

تبقى بعد ذلك مجموعة من السمات التي تساهم في تصديد بعض الروايات الجزئية للرؤية التي تقدمها هذه الروايات . وهي تساهم في تحديد بعض الزوايا الجزئية لأنها لا تظهر إلا في حدود محدودة من الروايات . مثل محاولة التأكيد على أن الواقع لا يحتمل المزيد من الضغوط وعلى أنه يرمص بالانفجار . وتذهب الرواية عند طرحها لهذه الفكرة الى العودة للسنوات السابقة على عام ١٩٥٢ بقليل . لتعيد أحداثها في مصر الحالية بالثورة كما حدث في (هدير) و (الحب والجدار الأسود) ، الى التركيز على السنوات السابقة ليونيو عام ١٩٦٧ لتشير الأحداث خلال الشهور السابقة للثورة ، كما فعلت (الصمت والصدى)

وهي تضع إيماناً على جماعات المنتقمين الجدد ، الذين لا يقلون ضراوة عن جمعية المنتقمين التي وقفت خلف العدوان على مصر عام ١٩٥٦ ، وهم يتآمرون على روج مصر عام ١٩٦٦ ويمهين السبيل لهزيمتها . وإلى جانب هذه السمة نجد سمة أخرى هي غياب الوعي الطبقي لدى عدد كبير من الكتاب الجدد . هذا الوعي الكامن في لى وعلى أية شخصية وأن لم يظهر على سطح وعيها والذي يشارك في صياغة الكثير من تصرفاتها الصغيرة الدالة وتكراراتها ورؤاها . والذي يؤدي غيابه الى سقوط الكثير من الجزئيات المتناهية الصغر وأغفلها برغم دورها الفعلي في أضواء الحس والحياة على الموقف أو الشخصية . وتجد هذه الظاهرة في بعض الأحيان وكأنها إحدى النتائج السعيدة لتدوير الفوارق بين الطبقات ، وهناك أيضاً الرغبة في الاستفادة من كل إنجازات الشكل الروائي الحديث . ويضرب هذه الرغبة في بعض الأحيان عجز عن السيطرة على هذه الأدوات الفنية الجديدة ، أو من توظيفها توظيفاً فنياً محكماً يضيف الى العمل الفني ولا يقل كماله . وهناك أيضاً تلك الاحالات الشعرية الكثيرة التي الميتولوجيا الدينية والانسانية والتي توسع الى العمل الروائي ، وتثريه بالإيحاءات (دم ابن يعقوب) تشير الى الميتولوجيا الدينية في قصة يوسف . وتستخدم الكثير من المأثورات الشعبية ، والمشاهد التمثيلية المرتجلة في تعميق أبعاد الحدث والشخصية فيها - وتشير « الصمت والصدى » الى أرم ذات الصناد وهي تصورهما قريباً لحبيبتنا المصادرة في المنى والصماء . بينما تستخدم « الشفق » كمية هائلة من الاحالات الى الميتولوجيا اليونانية بأسلوب نجيب محفوظ في الاحالة الى التاريخ ، وإلى الاسطورة في أماله الروائية الأخيرة . وهناك أخيراً مجموعة من الاخطاء اللغوية والنحوية الكبيرة في معظم هذه الروايات ، لا استثنى منها غير ثلاث أو أربع . . . وبعد ذلك يمكننا الانتقال الى التعرف على الوجود التي تطرحها هذه الروايات من خلال كتابها .

بماذا تعد هذه الروايات الجديدة ؟

يقول جوزيف كونراد : « أن كل عمل يتعلق ، بأية درجة من التواضع ، الى الوصول الى مرتبة الفن » يجب أن يحصل ما يسر تلك في كل مسطر من سطوره » (٢٨) ، « وأنا لا أريد أن أكون في طهرانية كونراد ولا في تشيخده ، وأن كنت أميل الى تأييدها . . . فلا أطلب أن تعمل الرواية ما يبرر

لواقفها وإن حرص على إسقاط هذا التصور وذلك التفسير دائماً إلى قاع الزمن . وفي « السبت والصدى » تنصرف على مزايا الصمت والكبت والأفواه المكتمة حيث ينتزع العنف الذي بلغ ذروته في ليلة الهزيمة بقتل عشاق للزواجر ، بتحقيق الذات وهو يسرى في كل أحداث الرواية التي تتمر شخصياتها نفسها بوعي وجدونها وهي ، بفقدان الثقة في المستقبل والخوف من خداحة الوزن الذي لا يطيقون له احتمالاً ، بالتشوف العارم إلى التحقير والانفلات من أسار هذا الواقع الرابع . ويلور الكاتب لنا هذا التسبيح المتشابك المعقد من خلال تصميمه لمجموعة من المشاهد والملاحظات المتوجهة والدالة وهي تجهد في الانقراض على الموت وممانعته . ومن خلال نغمة مهادنة متوجهة بالحياة في آن . تكين لصحن محمود في روايته الرائسة (الجدة الصغيرة) بالكتير .

لما « أيام الإنسان السبعة » فقد عمدت إلى أسلوب بذائي جديد ، تايض بالحياة والتركيز . يتصيد تفاصيل الحياة اليومية في نساقها ويجمعها حتى تستحيل هذه التفاصيل المتناهية الصغر تحت يدعيه الفنانين إلى طقوس لها قداستها ودلالاتها . ثم يفاجئنا بعد ذلك ويفس الرنة الهادئة المتكتمة بكل هذه الأشياء اللابئة ثبات اللوئيس فاستطاع . وهي تتبدل ويذهب في أوصالها الزمن . فاستطاع بذلك أن يقدم لنا لأول مرة ، باكتمال مظهر روح القرية المصرية وأن يفتح عيوننا على أغوارها السحيقة ، حيث تجبو المظاهر خادمة إلى أقصى حد . كل هذا من خلال لغة شفيفة ندية موحية .

أما (لحزان نوح) فقد عمدت مباشرة ، وكاتبها درلمي قبل أن يكون رواثيا ، إلى تمزية عصب الحياة في داخل إنسان روفي مهزوم استطاع أن يحتوي ، برغم إيغاله في الخصوصية ، هزيمة جيل بأسره . فقد بالخوف سلاحه وكرامته ورجولته في آن ، وظل في حراك طويل مع الذات ينشد البراءة لها ولكنه يميل إلى ادانتها . لا يدري أن كان الجاني لم الضحية . فمع الهزيمة ووسط كثافة الخوف المائلة وبفقدان التحقير تتساوى كل الأشياء . وظلت هذه المرحلة التي تحتوي كما قلت حياة جيل بأسره ، تلقى بظلالها على حياة نوح حتى بعد ما قضي له أن يسترد سلاحه . فهي التي دلت ضرباته إلى ممانعة الفشل ، وهي التي وقعت بضوائه في بيت المحو . وبرغم أن الرواية أثرت أن تقدم كل تفاصيل هذه المسألة العامة من خلال نموذج شديد الخصوصية ، فإنها حرصت طوال الوقت على عدم التخصيص بالصدق الفني أو الموضوعي ، من خلال لغتها الضمنية الباطنية والصيغة فكر الشخصية وتصورتها . ومن خلال اعتمادها على نوع من المنولوج الحواري لأن

تخلصها إلى بلوغ مرتبة الفن في كل سطر من سطورها . . . لاتي أعرف أننا نتاج مجتمع مختلف ولهواء ظروف قاسية ، وأن الكاتب عندنا يحتاج إلى فترة طويلة من التمرس والرائ حتى تتضج إنواته وتتبلور موهبته الفنية . ومن هنا فإن ما أطلبه مفرط في التواضع إذا ما قيس بتشدد كثراد ، وهو أن تتطوى الرواية في بعض أجزائها على تلك اللمسات السمرية التي تلمس شفاف القلب والتي ندعوها بالوهبة الفنية ونفضل في تعريفها تعريفا دقيقا ، لأنها تتمرد دائما على كل الأطر . وعلى قدر غنى هذه اللمسات وتأكيدا يكون نضج الرواية وقدرتها على الاستحواد . فهذه اللمسات تنطوي على البصيرة الفنية القادرة على استشفاف ما في أعماق السواقف والشخصيات . وهي القادرة وحدها مع الثقافة والوعي والخبرة بالحياة على خلق الروايش الجيد . . . وتوحى بعض هذه الروايات الجديدة ، بأن وراءها رواثي جيد بالفعل . . . كاتب مقدر قادر على السيطرة على قله ومادته . يعد بالكثير ويستطيع أن يحقق بالممارسة الكثير . . . بينما يوحى بعضها بكاتب غرض العود تسرع في كتابة روايته الأولى ، وكأنه لا يجد به أن « يردد » عليها فترة أخرى من الوقت حتى تنضج تجربته وحتى يشتد عوده . . . بينما يوحى قسم ثالث منها بأن كاتبها منزل واقعا تحت سيطرة كاتب شهير ، هو نجيب محفوظ خالها ويعد الرحمن الشراوي لحيانا . . . وسأحاول أن أتحدث عن هذه الأقسام الثلاثة بشيء من التفصيل :

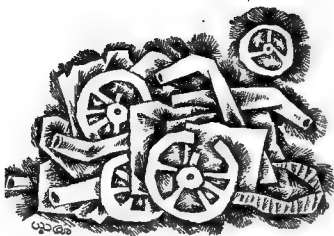
ويضم القسم الأول ما يمكن أن ندعوه بالإنجازات الحقيقية للرواية الشابة . . . وهي إنجازات قليلة إذا ما قيست بعدد الروايات الذي يربو على الثلاثين . . . حيث لا تتجاوز الخمس وهي « العودة إلى المنفى » و « السبت والصدى » و « أيام الإنسان السبعة » و « لحزان نوح » وثاني بعضها تلك الرواية القصيرة (تلك الرائسة) فهي هذه الروايات الخمس تستطيع بالفعل أن نضع إيدينا على موهبة فنية أصيلة ، تجربت الموضوع الذي تناوله ثم أحكمت السيطرة على بناؤه فشبقت هن بصيرة مرهفة بالواقس والإنسان . . . ففي « العودة إلى المنفى » نحمس بقرة الكاتب البارعة على التفاد إلى جوهر موضوعه والسيطرة على السيل الوافر من المادة التاريخية المحيطة به . وتمكس هذه الوفرة النصية للمادة التاريخية حرصا وإضما على الخبرة بشئ جزئيات الموقف الروائي المتناهية الصغر . كما تنطوي في أسلوب تناولها وعرضها على وعي الكاتب بمآ وراء الظواهر العرفية من جوهر ثابت . فهو لا يفل عن تصويره الإنساني للشخصيات ولا عن تفسيره

هرويه من مواجهة هذه الذروة بشكل كامل • أما «الحداد» فقد وقعت في نفس عيوب «الظلال في الجانب الآخر» وأن كانت لغتها أكثر شاعرية • لكنها لم تتمكن من رغبة شاعرية اللغة وأخطائها مما من تقديم الأبعاد الاجتماعية والطبقية للصراع وظلت واقعة في الجانب البوليسي منه • ولم تول الخلفية التي تتحرك فوقها الشخصيات وتطور الأحداث العناية اللازمة • بينما تطرح «حمام الملائلي» قضية المثور على رقعة روائية تصب فيها صبوات المدينة وعذاباتها عندما يقترن بالفشل في جعل هذه الرقعة البؤرية تقدم لنا روح المدينة وعذابها • وإن كان هذا لا ينفى رفاة حس الكاتب بالمكان وبمه المجرد به • بينما تثير «رغبة سرية» من خلال بطنها الذي يرى أنه شبيه وروايتان • قضية عجن البطل الروائي عن العنقر حسي القايب الفني الذي يكشف غموض حياته باقتدار ووضوح • وهذه اسعيب نفسها تتخرب بدرجات متفاوتة في بنية ادرويت، ومن هنا ساسمى بها حتى انعدمت في النهاية عن ملاحظة أخيرة •

وهذه الملاحظة هي وقوع بعض الروايات تحت تأثير - أعتى تقليد - رواية معينة أو كاتب معين • فهناك التأثير بنجيب محفوظ في درجة تقليده في بعض الروايات • فبعد أن «زقاق السيد البلملي» واقعة تماما تحت تأثير رواياته الاجتماعية وخاصة «زقاق المدق» و«خان الخليلى» ونجد «الشفق» واقعة بنفس الدرجة تحت تأثير رواياته الأخيرة وخاصة «الشعاذ» و«اللسن والكلاب» • أما «هدير» فواقعة بنفس الدرجة أيضا تحت تأثير عبد الرحمن الشرقاوى وخاصة في روايته «الأرض» و«قلوب خالية» • وهناك روايات لا يصل فيها التأثير إلى هذه الدرجة • بل يقل عنها كثيرا إذ تستمير لغة الكاتب أو أسلوبه في الترابط والانسداد كما تفعل «الحداد» وهي تتأثر بلغة روايات نجيب الأخيرة هي وبعض أجزاء من «حمام الملائلي» و«سكر من» • وقد دفع الجري وراء السحر الخارجى للغة نجيب محفوظ بعض هؤلاء الكتاب إلى التضييق بكثير من مقومات العمل الروائى • وفاتهم أن لغة الكاتب شيء لا ينفصل عن رؤيته أو تصوره أو موقفه من الفن والحياة • فاستحالت اللغة لدى بعضهم إلى نثار من المرقع الشعرية • ومجتزئات من رؤى تفترق على الخط الدرامى • والبؤرة التي تصب فيها • بينما ظلت لدى البعض الآخر عينا على الموقف الروائى لأنها ليست نابعة منه ولا وليدة لضروراته •

طبيعة الشخصية ومكوناتها وثقافتها لم تكن تتحيز لها القدرة على استطرادات المتولوج الغنائى • تبقى بعد ذلك «تلك الرائحة» وهي عمل متميز الرؤي والبناء • يحاول • خلال غلبة الاكسال الماضية والجمال الخيرية على لغة السرد فيه أن يقدم لنا الأحداث المألوفة للغاية • وهي تبدو في متابعتها ورتابتها وكأنها كابوس ثقيل لابد أن نعمل على تجاوزها ونقتضي • وأن يقدم لنا قصة الانسان وقد قذف به فجأة في عالم غريب لا مفهوم، حيث يبدو وجود الاشياء أكثر صلابة وحقيقية من وجود الانسان •

ننتقل بعد ذلك إلى المجموعة الثانية من هذه الروايات • • وهي الروايات التي يلوح خلفها كاتب موهوب ولكنه تمجّل النثر • ولم يمكن على تجويد عمله وانضاج رؤاه بصورة كافية قبل أن يطرحها على القارئ • • وتميل بعض روايات هذا القسم إلى جانب النضج والجودة بينما يميل بعضها الآخر إلى القلقب المضاد • • ومن الروايات الأولى «الظلال في الجانب الآخر» و«دم بن يعقوب» و«يوم بعد يوم» و«الحب والجدار الأسود» و«الحداد» و«حمام الملائلي» و«رغبة سرية» و«العب والصمت» و«سلى الاسوانية» ومن الروايات الأخيرة «هدير» و«سكر من» و«زقاق السيد البلملي» و«الموهوم» و«المغفرة» و«الشفق» • وحتى أستطيع أن أقدم مبررات هذا التقسيم بزماني مساحة تبلغ حجم ما مضى من هذه الدراسة • فمن اليسير أن نطل على جودة عمل فني في سطور قليلة أما الحديث عن مثاليه فإنها تستلزم تفصيلا أكبر • ومع هذا فسأحاول في أيجاز سريع أن المس أهم الميوس التي قدمت بهذه الروايات عن بلوغ النضج والجودة • فالظلال في الجانب الآخر لم تتمكن من الاستفادة الكاملة من أسلوب وجهات النظر المختلفة في الحدث الواحد • ولم تشر لكل شخصية على لغتها الخاصة وإن عثرت لها على موقفها ولم تثلث من برائن الشخصية الجاهزة أو الاحادية • بينما عجزت «دم بن يعقوب» عن الارتقاء إلى مستوى رواية الكاتب الأولى «إحزان نوح» بما فيها من شعر ونقاد • أما «يوم بعد يوم» فقد أوقمها اغراقها في الوصف الخارجى ورصد الباطن من خلال الظاهر في وهاد التسطيع فن كثير من الاحيان • ولم يمكن بطلتها من الانصاف عن اصافها في أغلب المواقف المثقلة بالمعنى • ومشكلة «الحب والجدار الأسود» تكمن في وصولها إلى نبرة شديدة التراء والتوهج ثم



الرواية العربية

تتحدى

حزيران

غسان شكري

بالرغم

من أن الشعر كان أكثر الاصداام الفنية لهزيمة ٦٧ ضجيجاً ، إلا أن الرواية كانت أكثر الفنون استيعاباً لإبعاد الهزيمة واقدراها على تمثل الهزيمة ، عند حدود الرؤية الخارجية للأحداث ، سواء جاءت أعمالهم ندباً ولطمأ على ما كان أو حماساً ومثاقفا لما سيكون . أما الرواية فقد استطاعت أن تدجو إلى حد كبير من المآزق التقليدي الذي يحاصر الكاتب ضالبا وهو يكتب « مناسبة » أو « حدث سياسي » .

وربما كان من الاسباب الهامة لنجاة الرواية العربية من هذا المآزق هو أنها ظلت طيلة الستينات ، تحاول برفقة القصة القصيرة أن تتور على المفاهيم التقليدية للفن الروائي . فلما أقيمت هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ لم تكن في انكساراتها الوجدانية والعقلية أكثر من امتداد علني لما كانت تكتوى به الصدور في السنين قبل هذا التاريخ بزمان طويل . أقامت الهزيمة الديكور الخارجي المنظور ، للشاهد الداخلي الذي تمددت رؤيته قبل ذلك الا على اصحاب البصائر للنفاذة إلى أعماق المجهول ، وهم قليلون .

كانت رؤيا الهزيمة هي المناخ الذي السائد على أبناء الاجيال الجديدة ، من قبل أن تقع الهزيمة هي « حزيران » . هذه الرؤيا التي لونت أعمالهم الشباب طيلة الستينات بالقتامة والسواد . هذه الرؤيا المشبعة بالسعيب والقيوم حتى أصبحت مرادفا للشباب والغموض . هذه الرؤيا التي اكتشفت خير تجسيدات لها في الرمز الثقيل بالمعاني ، والتجريد الذي يشف عنها . هذه الرؤيا - أخيرا - كانت عماد التجريب والتجديد الذي مرلته القصة القصيرة والرواية في أجناس الحديث طيلة الستينات . ولقد استطاعت القصة القصيرة أن تسابق رياح التغير اللينيف وأن تميز من الأهداف أكثر مما حققته الرواية . ولكن الرواية بدورها لم تكف - وخاصة بعد ٦٧ - عن محاولة اللحاق بركب الثورة الفنية الشبابية ، بل هي تمكنت من استغلال ديكور الهزيمة - سواء لتجاوزها أو لتكريسها - إلى أقصى الحدود .

وظلت الرواية العربية الجديدة بعد ٦٧ تتأذى حزيران بين الحين والآخر ، تقتش بين الانقراض عن حقائق الماضي ، وتتوقف طويلا على أرضي الحاضر الخراب ، تستعير أحيانا عيني زرقاء للبهامة تكتشف بهما آفاق المستقبل . وهي تجد نفسها في ذلك كله مضطرة لأن تخرج من نطاق



أميل حبيبي وغسان كنفاني وأديب نحوي وممدوح عدوان والصيد الشوريجي* وربما كانت نقطة اللقاء السلبية بين هذين هذين التيارين هي المطلق الذي يترجمهما بين اليأس والرجاء، رغم أنهما على طرفي نقيض* إن هذا الإطلاق هو الذي لكسب أصالهم جميعا - وإن يكن بدرجات متفاوتة - قدرا من السكونية في تمثل إبعاد الهزيمة بحيث جاءت الرؤيا اليائسة بأرض خراب لا يعرفها وأقمنا على وجه القمام، كما جاءت الرؤيا المتفائلة بيوتوبيا الفردوس الأرضي الذي لم يعرفه وأقمنا - بعد - على وجه القمام* وبين الكابوس المروع والحلم السعيد، سقطت أعمال روائيينا في هوة الإطلاق والتعميم والتجريد، وهي السمات الفكرية الغالبة على التكوين الفني لهذه الأعمال* فحيث تغيب «النسبية» من تصور الفنان للإنسان والكون والمجتمع، تخضع خطواته على القدر لإيقاع هنسي مجرد يشبه المادلات الرياضية* وهو الإيقاع الذي يورث المسافة بين الواقع والوهم، بين الصدق والزيف، المسافة التي ندعوها غالبا بالافتعال*.

المحقق «أو الإله المعزول»

تلتقى الروايات الثلاث «أنت منذ اليوم» لتيسير سيول، و«الكابوس» لأمين شحار، و«عودة الطائر إلى البصر» لحليم بركات في

الجاذبية للرواية التقليدية، فتجرب من أدوات التفكير ورؤى الفكر ما يتوأم مع الأحاسيس والدركات الجديدة التي تطارد وجدانات الكتاب وعقولهم بلا هوادة، وهم يخلقون في أجواء محفوفة بكل مخاطر المجهول*.

ومن الطبيعي أن تختلف انجازات الرواية الجديدة من كاتب إلى آخر لاختلاف التجربة والنقشاة والفطرة، ولكنهم - أولئك الروائيين - يعيدون فيلتقون في أن حزيان كان ينبع رؤاهم، من قبل أن يقع وبعد أن وقع* ثم يعيدون فيلتقون في أن حس الهزيمة المشترك بينهم قد شاركت بصيب فعال في صبر الوعي القومي للرواية العربية* فربما كانت هذه المجموعة من الأعمال التي اتخذت من مأساة ٦٧ محورا لها هي أكثر الأعمال الروائية التي رسمت كيانا «عربيا» للغة الروائي، لا بمعنى الانفصال عن مؤثرات الغرب الفنية، ولا بمعنى البحث عن أصول تاريخية لهذا الفن في كهوف القرائ القديم* ولكن بمعنى وحدة العقل والوجدان بين الكاتب المصري والكاتب السوري والكاتب اللبني والكاتب الأردني، والكاتب اللبناني* تجتمع غالبية أولئك الروائيين أيضا - مهما اختلفت أصابعهم وتوارثهم الفنية، حول ناصية التجديد في بنية الرواية العربية تجديدا ثوريا من شأنه أن يتجاوز بهذا الفن الجمادي الرفيع أعقاب المرحلة التقليدية*.

وأعود إلى القول بأن نجاح روائيينا لم يكن بالقطع متساويا، باختلاف الوهمة والخبرة والوعي* على أنه مع هذا يمكن أن نقسم مجموعة الروائيين العرب الذين تناولوا رؤيا الهزيمة بالتعبير الفني إلى تيارين رئيسيين:

● أولهما يوصلته التجربة إلى تخوم اليأس المطلق نتيجة قصور في تصور الحركة التاريخية، والنتيجة انتماء فكري متعال على الصركة الاجتماعية، ونتيجة تكوين طبقي بالغ القلق والتراجع والذنبية* وإلى هذا التيار تنتمي - بشكل عام يقبل التفصيل ومن ثم التعمد والتباين - روايات حليم بركات وتيسير سيول وأمين شحار*.

● أما التيار الثاني فقد وصلت به التجربة إلى حدود الأمل المطلق نتيجة استبصار واح بالحركة التاريخية، ونتيجة انتماء فكري مرتبط بالحركة الاجتماعية، ونتيجة تكوين طبقي مرتبط بالاتجاه القومي يمدغم في الجري الرئيسي للوجودان الانساني* وإلى هذا التيار تنتمي - بشكل عام يقبل التفصيل ومن ثم التعمد والتباين - روايات

موقف القاضى والجنى عليه فى وقت واحد * وبالرغم من تضليله تفاصيل التكتيكات فى الروايتين ، الا ان حليم يركب كفتى بمواكبة احداث الخامس من حزيران على مدى اسبوعين ، بينما تتسع خلية الصورة عند تيسير سيول حتى لتمتد الى سنوات سابقة على العاشر من حزيران ، وهو اليوم الذى يختم به الكاتب روايته « انت منذ اليوم » .

ويعتمد بناء هذه الرواية منجزات فن السيناريو فى الصيما المعاصرة * * ويقطع الكاتب جزئيات من حياة البطل الخارجية لبطل منها المتفرج على حياته الداخلية * * أنها جزئيات مقطعة بذكاء حتى لتبدو وكأنها هوامش حياتها اليومية ، بينما هى مركز وجوده ووجوده كونه * تبدو هذه الجزئيات أيضا وكأنها القمم عوا ودون قصد ، يوضح ذلك من انعدام الصلة المباشرة بينها فى الترتيب ، ولكن النظرة المتمثلة تضع أيدينا على خيط دقيق فى غاية الصلابة يربط بينها جميعا * وبالرغم من غياب الترابط الظاهرى ، فإن هذا لا يدرج الرواية ضمن انبجيات تيار الوعى * * ذلك ان هذه الجزئيات ليست تدفقا انفعاليا ولا اضطرابا نفسيا ، ليست أتوبية اختبار الذات ، غلبانها وبرودها ، ليست اضطرابات احلام ولا كوابيس * وإنما تكاد تكون هذه المقطعات صورة فوتوغرافية لعدد من الاشياء المختلفة فيما بينها ، نسفها صاحبها تنسيقا مفاير لاى تذكير خارجى ، مفاير لاية مقابيس شكلية أو مفاير منطقية * نسفها وفقا لرؤية خاصة به ، للصالح من حوله * هذه الصور الفوتوغرافية للمنشورة على صوى الكاتب والتي التقطها من زاوية خاصة به . لم تكن صورة للداخل ، وإنما كانت صورة للخارج * ومع هذا فهى لا تندرج فى باب الرواية « الشيفية » التى تحصى عناصر السالم الخارجى احصاء ميكروسكوبيا يزل الانسان عن الكون ، ومن ثم يشمر الكائن البشرى باغترابه الاساسى - اصالة الضبطية الاولى - عن هذا الوجود * ان كاتينا لا ينهج هذا النهج ولا يعرفه ، لان بطله - الانسان كما يراه - هو مركز الكون ، وغريته ليد ما تكون من الاحساس الفلسفى بالميت واللا جدوى ، كما هو الحال عند الوجوديين وكاتب اللا معقول ، وابد ما تكون من الاحساس بوحدة الانسان وعزلة كما هو الحال عند كتاب الرواية المضادة * .

يستخدّم تيسير سيول ضمير المتكلم حينما وضمير الغائب أحيانا ، لشخصية واحدة اختار لها اسما دالا هو « عيسى » الذى تبدأ به الرواية وتنتهى * تبدأ بمنذ رأى احدهم يصارع قطة حتى صرعا « ونفخ انفها مزيدا من الدم ، ثم سككت * * عيناها ظلتا مفتوحتين » وتنتهى به فى

الرؤيا الماثمة لهزيمة حزيران حيث يتبادر « المنقف » قمة المشهد الروائى ، ينظر الى كل ما يحور على الارض من مصام الالهة المزعولة من عروشها فهى غاضبية ساخطة - منقززة ولكنها لا تمنطق ان تصنع شيئا * توجز الامور ايجازا مخلا بحركة التاريخ حين تراه مقصورا على وجه واحد من وجوه الحياة هو وجه الليل للظلم الابدى الكئيب حيث لا مجال للصراع بين الحق والباطل ففانون الغاب هو شريعة المتعاقبين * والكاتب منهم - صاحب هذه الرؤيا السوداوية المجرده - يدخل عالمه الفنى مزودا بنظرية مسبقة هى « اللقاء للقوى » * والقوة والضعف ليسا من الظواهر النسبية القابلة للهمم والتغيير ، وإنما هما اقرب الى الظواهر الميتافيزيقية الغلابية على لاردة البشر * لذلك فزدياهم للضعيف قاصرة على مظاهر الضعف الخارجية كالجهل والتخلف ، مديدة كل الهمم عن تلمس جوهر الضعف الكامن فى تاريخهم الاجتماعى وتاريخ اعدائهم * انهم يثبتون لحظة الحاضر ويكبرونها حتى لا يرونها فى سياق الماضى والمستقبل ، بل هم يثبتون النظر الى اللزوجة الخارجية للحظة الحاضرة دون الفوص فى اعماقها الخافية * انها - فى اعينهم - لحظة ساكنة من ناحية ، ولحظة خارجية من الناحية الاخرى ، وموقعهم * تبا لذلك هو الرغز المشلول قبول الامر الواقع واقارره وتكريسه * وهم على الصعيد الجمالى يبدلون غاية الجهد فى مله الخواء الفكرى بايات من الفن الحديث ، يوظفونها باقتدار الذى يتحول بوعى منهم أو غير وعى الى أنالايات الفنية الحديثة اذا انفصلت عن سياقها الاصيل بدت شاحبة هزيلة من فرط ما اختلفت مصاربتها فى اوردة جافة وشرايين متصلة ، وبالتالي يبطل مفعولها الى حد كبير * .

وبالرغم من أن الروايات الثلاث تتلقى فى هذا الاطار النظرى الشامل ، الا ان اللقاء الذى يكاد يصل الى حدود المطابقة هو ذلك التشابه بين روايتى تيسير سيول وحليم يركب ، وهما من حيث يلتقيان على هذا النحو يفتقران عن رواية أمين شنان على نحو آخر .

فى « عودة الطائر الى الجحر » و « انت منذ اليوم » يتربع المنقف على عرشه الذمى المثل على الاحداث من مصام الاخيلة الفكرية والشعرية الزوقة بسلامل الجنس والمثل * واذا كان بطل تيسير سيول مجرد طالب فقير فى الجامعة ، بينما بطل حليم يركب استاذ جامعى ميسور ، الا انهما ما يصوغان هذا « النموذج » الذى يمانى مالا يمانيه بقية الناس من حوله ، ومع ذلك يتخذ منهم

منها هي الأخرى - اقترن صوت اللوميين العرب في أنفيه بصوت الانقلابات العسكرية الثورية - صوت واحد وشمارات واحدة ومهف واحد هو صوت المنيعين ظل باقيا - الظروف الاستثنائية هي السلطة ، لم يتغير الصوت في حزيران علم تتغير الشعارات والهدف أيضا فكانت الهزيمة ، ولكن صوت المنيعين ظل باقيا - الظروف الاستثنائية هي الظروف الطبيعية في حياة شعبنا الذي استمرأ لسية التصفيق لكل - بيان رقم واحد - الطلبة والشرطة عدوان ، بينما زعماء المارضة وسلاطين المحكم أصدقاء - تلك هي قواعد اللعبة - منذ زمن بعيد واللعبة لا تتغير ، لا تختلف في ذلك شواهد الشعر القديم أو الحديث - الخلاص الوحيد بالخمر والنساء ، فهما زاد الأيام الماضية والأيام القادمة على السواء - عصور الظلمة في التاريخ الأوروبي تضي أن منسك نورا قبلها ونورا بعدها - عصور الظلمة السربية هي تاريخنا الوحيد -

لا يختلف منهج حلم بركات في «هودة الطلائع إلى البحر» من هذا المنهج في التفكير والتعبير - رمزي صغدى لا يختلف كثيرا عن عربي، وهو يقدم لنا نفسه في البرولوج الروائي (العقدة: ١١-٢٠ حزيران ١٩٦٧) وقد انتصبت الهزيمة في وجهه تمثالا من الفحم المحرق على نفس الجسر المظلم الذي انتهت عنده كل الاعلم في رواية سبول - يقدم رمزي صغدى نفسه في هذا الحوان :

« - أنت مسلم !
- لا - لنا رافض ومرغوش - لست مؤمنا »
لكني لست لمحددا
- أنت شيوعي ؟
- لا ، ولكني لست رأسماليا .
- أنت يميني ؟
- لا .
- أنت يساري
- لا .
- ماذا أنت ، أنت ؟
- لست جزءا من أي شيء - الذي أعرفه عن نفسي أنني رافض ومرغوش »

هذا التقديم هو وصف دقيق - من داخل الرواية - لبطلها الذي يدين كل ما تراه هباء في جميع دلائتي ، وخراب أرض اليرت وبحار الهولندي الطائر .. وهو لا يرى ذلك كله بيمينئنا على خريطة أوروبا ، وإنما هو يرى عصور الظلمة كلها وقد اجتمعت فوق خريطة وطنه العربي - وهو يدين بقسوة وعنفوته منا للوهلة الأولى أنه خسر شيئا

عرش الطريق حين رأى قطرة مدمومة - الدم على أنفها وجانب من وجهها وهي تتحرك في دائرة لا يزيد قطرها عن متر ، وعيناها في نفس الوضع وتظل تدور - لم ندر ما إذا كانت ترى وماذا كانت تريد - وما بين البداية والنهاية يكاد أن يكون أجابة عن سؤال التي يقترب الخاتمة ، يقول شعب نحن لم نحسب قش يتدرب عليها هواة الملاكمة منذ هولاكو حتى هذا الجنرال الأخير - دماء القطرة المصروبة أو المدمومة ترسم أجابة السؤال في كل نقطة دم علقت بخياله المكبود ، وانمكست على مرمى النظر في كل نقطة ضعف توسعت حنايا شعبه المذبح - وهو يختار للوطن العربي عاصمة رامة لكل المواقف هي « هجير » المترامية - دوما - على اطراف الصحراء ، كل ما فيها من بشر وأحداث وأشياء ، محكوم عليها كثرات الرمال كلما هبت عليها الرياح من أي اتجاه كان -

على نسق السيناريوي في أفلام الموجة الجديدة ، يقتلع تيسير سبول في « أنت منذ اليوم » بضيع مشاهد من حياة « عربي » اليومية ، تتوازي ضيع وتقاطع أحيانا ، ولكنها لا تتسلسل تسلسلا رياضيا من مشهد إلى آخر - انه يكتشف في كل من وحدة الزمان ووحدة المكان خلقة داخلية ، لا تخضع المشاهد لنوع من التتابع التاريخي - الذي ندعوه بالتطور - وإنما هي تخضع لتسوتر الشخصية في محادثة ما يمر بها من حوادث وأحوال - كذلك فإن هذه الشخصية لا تخضع لنوع من الاطار الجغرافي - الذي ندعوه بالبيئة - وإنما هي تخضع لتكوينها الذاتي الذي يوجز ما يحيط بها من مواقف وأوضاع - وهذا التصور للزمان والمكان لا يلقي وحدة أي منهما - داخل البناء الروائي - وإنما هو يكتشف معنى جديدا لهما - هو بمثابة الانعكاس « الشخصي » لصورتها الخارجية ، هذا الانعكاس الذي يتجس في ادعوه بالخلفة الداخلية والتكوين الذاتي -

تصاحبنا هذه الخلفة في الزمن الروائي منذ انطلق صوت المدفق في رمضان و « رافض » عربي ان يتناول طعامه إلى أن كان الوقت صيفا وعاد أخوه من الحرب القديمة لأن شخيرته قد نفتت و « رافض » عربي أن يحب أخاه ، ولتنسب إلى الحرب الثوري المادي للشيوعية ثم « رافض » الاستقرار في لعبة السياسة ، واعترف على أحد زملائه أمام الشرطة - حلم يوما بأنه يجرى وراء شعب ميت يركب الآتوبيس ، وكانت أمه هي هذا الشبح - وحلم يوما آخر بأنه يضاجع امرأة ميتة - بعيدا عن الأحلام ، كان يضاجع خاتمة ذات جسد جميل ووجه قبيح ، أشعث منها فاتحه إلى فتاة نظيفة كالوردة ، ولكنها لم تكن تحب المضاجعة ، امتطيلها بأخرى كانت تحب ذلك وما لبث أن ضجر

المسؤولية يقع على عاتق السلطات السياسية الرجعية وانظمتها المتفككة التي رأت في الاستثمار والتخلف قوى حلفائها • وكانت الضحية الحقيقية هي • الإنسان • الخلق نخلع عليه الانصافات الجناة والمجرمين • حتى ونحن نراه ميتا نشيع جنازته بالملفات •

لا يختلف حليم بركات كثيرا كما قلنا عن تيسير سيول • وبخاصة في رسمه طريق الخلاص بالجنس • ولكن • عودة الطائر الى البحر • تتميز عن • أنت منذ اليوم • بشاعريتها الدافقة التي تحمينا من زلل التهافت والهيامشية • فالخلاص بالجنس عند حليم بركات يشق لنفسه طريقا واضحا من السطر الأول الى السطر الاخير • هكذا لجأ رمزي سندی الى احضان الامريكية الشقراء باميلا التي يصل معها الى أعلى الذرى كلما توترت خلايا جهازه العصبي من صسوت الدمار ونثر الموت • وبدلا من الضمير الرديئة التي خان يجرعها عربي في رواية سيول • يفضل رمزي وباميلا كئوس الويسكي • وبدلا من غمز تاريخنا الحاضر بالشعر القديم ليثبت كاتب • أنت منذ اليوم • إن ماخينا وحاضرا في شيء واحد • يلجأ كاتب • عودة الطائر الى البحر • الى التشنج الاوروبي القديم والحديث ليثبت الجانب الآخر من وجهة النظر • أننا شيء وهم شيء آخر • ولكن يظل التضمين بالشعر وتسلسل المشاهد بطريقة سيناريوهات السينما الجيدة • والبطل الذي يرفض العالم الحديث به رفضا يؤذي به الى نقيض الرفض • اعنى الاستسلام الكامل • • نخل هذه كلها بمثابة القاسم المشترك الاعظم بين الكاتبين •

ومن هنا يختلف عنهما - في الشكل التعبيري للرواية - امين شنان في روايته «الكابوس» • ذلك انه قد اختار طريقا شبيها بالطريق الذي اختطه نجيب محفوظ في روايته «اولاد حارتنا» • وهو التشابه الذي يصل الى حدود المطابقة فيما يختص بالشخصية الرمزية الرئيسية في الرواية وما يحيطها من ملاسبات • • فالشيخ الكبير في «الكابوس» يكاد يكون «الجبل» في «اولاد حارتنا» • والبيت الكبير هنا وهناك بيت واحد • ايمد ما يكون من الحارة واقرب ما يكون الى اهلها في قصة نجيب محفوظ • وايمد ما يكون عن القرية الصغيرة واقرب ما يكون الى اهلها في قصة امين شنان • هو جد الجميع • والمعجز الذي لا يموت • في وجوده القريب الجيد يمانى اهل الحارة احوال الفتوات • ويمانى اهل القرية الصغيرة احوال الخواجات • ولكنهم - اهل القرية واهل الحارة جميعا - لا يستطيعون الحياة بغيره • في كلتا الروايتين نجد ذلك البطل الذي يحمل آلام الفقراء واحلامهم في المدينة

ضمن من جبروا الملوك ولم يهضموا أنفسهم • ولكننا نقاها بأن ادانته ميتافيزيقية لانها ادانتنا من خارج اموال المشاركة والمماناة • ان صاحب الديونة في الكتب الدينية هو الخالق لكثير • • وصاحبنا ليهنق شيئا ولم يخلق لشيء • فهو ليس طرفا في المشكلة ومع هذا يصيب الذين خلقوها ويلعن الذين لم يخلقوها • جنسية العربية لا تمطيه الحق في هذا السب واللعن • لانه هو نفسه يصيب هذه الجنسية بقوله • جلبت جسدي من شاطئ عربي • اما روحه فقد جلبت من شاطئ آخر • تفصح عنه احداث الرواية ومواقف شخصياتها •

الجامعة الاجنبية والشوارع البيروتية هي الساحة التي شاهد فيها رمزي سندی المسرحية القريبة من الميلودراما • يفكر رمزي في ان بلاده سفينة تبحر منذ زمن بعيد بلا منف فوق يصل الضوف والربع والجهل ويستحيل عليها الوصول الى شاطئ ما • هكذا كان حكم الالهة على الهولندي الطائر وحكمها على الوطن العربي • ويصدق حليم بركات اكثر كثيرا من زميله تيسير سيول في شرح هذه العبارة • من ابواق الاذاعة وبقيّة وسائل الاعلام والحوادث السياسية • ويتوقف كذلك اكثر كثيرا من زميله عند • الحدث الجلل • بكل نتائجه السوداء كالوجوه التي لحرقتها النابالم والبيوت التي تحولت الى رماد • والعيون التي أصبحت حفرا مظلمة • وتلك هي الساحة المسئلة التي اجاد الكاتب صياغتها في قالب من الاسلوب الشعري الخلاب • الجهل والربع هما السبب في الهزيمة للروعة • والمعالجة فيها اتخذت من الخارج صعيدة تماما • غير انه حتى يصيب الجهل والربع قدرا من الطبيعة • يهدش المرء قليلا الا تكون البراكين والزلازل والوبئة والمجاعات وانما تكون الصهيونية والاستعمار هي الاستجابة السساوية لهذا القدر • • لماذا تردنا وقلنا ان اسرائيل وامريكا ليستا من الكوارث الطبيعية • وانما هما نتاج تاريخي وهنأسي اجتماعي اضطررنا ان نمود من جديد الى المقعدة «القدريّة» لنحمل فيها قليلا ونفكر • ليست هناك كروموزات تدمي الربع والجهل تتشكل بها لجنة البشر • فهما ليسا من العناصر الثابتة في تكوين الانسان • وانما هما نتاج تاريخي لملاقات اجتماعية • ولما كان الاستثمار والصهيونية من «العلاقات» الرئيسية التي اسهمت في تشكيل الوضع التاريخي الحديث للامة العربية • فانا حينئذ قد نستطيع القول بأن قدرا كبيرا من مسئولية الجهل والربع والتخلف يقع على عاتق الاستثمار الغربي • سواء ببرامجه الاقتصادية او السياسية او الثقافية التي كرسها في وطننا حتى نهم له مناخا مناسبيا لاستقراره في نهب اراضينا وعقولنا • وان القدر الاخر من

للأحداث - ولا يتجزئها من ملامح وانفعالات اللحم والدم - بالنسبة للشخصيات - وهذا النوع من التجريد الفني حق مشروع للفنان - وكذلك فإن هذه الرؤية الخارجية لا علاقه لها بالمدى الذاتية في الالبي الحديث حيث يجرى التركيز على «خارج الأشياء» عناصر من عناصر اغتراب الإنسان عن الكون المحيط به وعزلته المفروضة عليه من خارجه - وإنما الرؤية الخارجية لسلاشياء في «إت منذ اليوم» و «عودة الطائر إلى البحر» و «الكابوس» هي التركيز على مظهر الأحداث دون التعرف على جوهرها الأعماق، على فروعها دون جذورها، وكان هذه الأحداث معلقة في الفضاء، تحركها يد عليا لا إرادة فيها للإنسان.

● **الرؤية السمكوتية للوجود**، وهي الرؤية التي تفصل الظواهر عن بعضها البعض من ناحية ولا تراها في سياق تاريخي من ناحية أخرى - وهذا يصبح «السمكوت» هو العمل الوحيد الغالب الذي يشل حركة التاريخ بإيقاف التفاعل بين نقائضه - ومن ثم تصبح الحركة الروائية - خارج الزمان والمكان - حركة آلية ميكانيكية.

● **الرؤية الإحائية الجانبية**، وهي الرؤية التي تتجنب تعميم كافة أوجه الظاهرة الواحدة، وتكتفي بالتفصيل فخصيصا ميكروسكوبيا - فهي رؤية الوجه الواحد، فتباين من ثم في فهمه واغوائه بأنه فارس العملية الوحيد، وتتصر له - وهما - انقسامات من شأنها دائما أن تكون جزئية وموقوفة - هكذا كان اللون الأسود هو سيد ألوان الروائي، بالرغم من أن الطبيعة والمجتمع على السواء يعلمان عدا مذهلا من الألوان التي تتدرج من الأبيض إلى الأسود - لذلك كانت الهزيمة رؤيا الكتاب الثلاثة - وليست موضوعا فحسب - لأنهم لم يستشفوا نقضها: المقاومة، مهما بدت ضئيلة متعثرة، فهي النقيض النامي حتما.

● **الرؤية الفردية**، ولا أعني بها الفرد والخصوصية التي تميز كاتبها عن آخر، وإنما أعني بها عملية إسقاط الذات على الموضوع - ولو كان يكون موضوعا شخصيا داخل الذات المفردة، كان يكون موضوعا شخصيا داخل الذات المفردة، لا يمكن تقييم الرؤية الفردية على ضوء جديد هي «الحالة الفردية» التي يصوغها الفنان - وكذلك فأنى لا أعني بالرؤية الفردية أن تكون البطولة الروائية معقولة لفرد من الأفراد، فهذا حق مشروع للفن - كل زمان ومكان - وتباين العالمين الفنية للفرد من مذهب جمالي إلى مذهب جمالي آخر - ولكن الرؤية الفردية في هذه الروايات

الفاضلة، ولكن عليه أن يمر بالجسيم والمطهر حتى يصل إلى الفردوس - والجميع في الروايتين هو الصالحة الموقفة مع العدو سواء كان ناظر الوقف أو شيخ الخفر - وفي الروايتين أيضا يحاول البطل أن يخلق عذاب بحر المستحيل ليلتقي بالرمز الأكبر - الجبل أو الشيخ الكبير - ويخرج من المحاولة وقد ارتكب جريمة قتل، لا يدري من يكون القاتل، الرمز الأكبر لم خافه - تختلف الروايتان بمعدن حول طبيعة الصراع للدائر - فهو صراع اجتماعي في «أولاد حارتنا» وهو صراع وطني في «الكابوس» ثم يختلفان أخيرا - وربما أولا - في تصور نتيجة هذا الصراع، فنجيب محفوظ يحلم بأن يكون العلم والاشتراكية هما طريق الخلاص من الظلم، بينما يرى أمين شنار رؤى العين جاحل العدو وقد انتصرت على بني الوطن الجاهل المروع المتخلف، انتصارا ساحقا لا سبيل إلى دحره إلا بالعودة إلى الدين «وتحرك» وحل الخلفاء، وتبعه، وفي قلبي تولد أغنية حزينة.

وبالرغم من القالب التجريدي في كلتا الروايتين إلا أن بصيرة نجيب محفوظ لم تكن تعمل في خبثها أشمة صورة مسبقة - لذلك فقد أحاط - بالرمز - كانه جوانب الصورة الواقعية التي انتهت به إلى تبيان «مشرق الحجر والعاجيب» - بينما اقتضت رؤية أمين شنار على جانب واحد لم ير الصورة غيره، لأنه رغم التجريد لم يكن يرى الصورة الواقعية الجردة إذ حجبها عنده الصورة المسبقة في حدة عينه، وهو بذلك يلتقي جوهريا مع زميليه تيسير سيول وحليم بركات، وإن كان أصدق منهما في الاستسلام للواقع أقصى درجات الاستسلام بالارتواء في أحضان الدين - ولكنه بغير شك كان أكثرهما اقتدارا على امتلاك ناصية الفن الروائي، بل هو رغم تأثره الهائل برواية نجيب محفوظ، يتجاوزها تكنيكيا بخطوات كبيرة - فقد استطاع أن يوائم بين التجريد والتركيز بغير ثثرة في السرد - أو استطراد في الحوار، وافقنا لفته الكثيفة بما يتناسب مع طبيعة الرمز للكامن في الشخصيات - وهو بذلك وإن يكن تقيضا لفكر نجيب محفوظ، إلا أنه كان أكثر عمقا واستشاقا لإيجاد رؤيته الخاصة.

غير أن تيسير سيول وحليم بركات وأمين شنار، رغم التباين في مذاهب التعبير، فإنهم يلتقون حول مجموعة من الخصائص الفكرية والفنية أممها:

● **الرؤية الخارجية للأشياء**، لا يتجزئها الفني من ملاحظات الحياة اليومية - بالنسبة

وبخاصة ضد النكتل الذي يقوم بدور الرواية - بسياحة العمل الروائي مما يهدد هذا الضمير بالتضميق وغواية الذات التي من شأنها أن تعجب الحقيقة بالإسقاط .

ولقد تسبب هذان العاملان في أن يكتشف هذا التيار رؤيا « المقاومة » النقيض المقابل للهزيمة . ذلك أن تعدد الأصوات وتعدد الأزمنة من أهم أدوات التعبير البني لرؤية نقائص الوجود وحركة التاريخ واللوعة الجبلية للموت والحياة . ولحل هذه الرؤيا وحدها هي التي تدعوا إلى القبول بالانتاج الروائي لهذا التيار كان لابد له وأن يظهر بعد هزيمة حزيران لا قبلها ، أو - بلهجة أكاديمية أكثر تحفظاً - أن يظهر بعد الهزيمة كان محتملاً ومبرراً . أما التيار الآخر المناقضية فقد كان قائماً قبل الهزيمة وسيظل قائماً بعدها ، ذلك أن رؤياه اليائسة لاحتياج إلى « هزيمة » لتبررها ، ولا تحتاج إلى « مقاومة » لتارضها . إنها رؤيا سابقة على العمل الفني ومنزلة عن خامسة الإنسانية ، ورافضة لدينامية الحركة التاريخية .

وتأتي رواية « سداسية الأيام الستة » (١) للكاتب الفلسطيني أميل حبيبي في مقدمة أعماله رؤيا المقاومة . غير أن المكان البشري والفريد الذي يحتله هذه الرواية لا يعود إلى أهمية الموضوع الذي تعالجه ، ولا لأن كاتبها يقيم في الأرض المحتلة ، وإنما تمثل « سداسية الأيام الستة » مكانتها الممتازة لخصامة الموهبة الفنية التي يتمتع بها أميل حبيبي . وهي موهبة ضخمة من الناحيتين التكنيكية والفكرية ، فمقبرة الكبيرة على استحداث صياغة روائية جديدة لا تنفصل عن سمة الافق والفكر المفتوح الذي رأى من خلاله كافة درجات اللون ومختلف زوايا الشكل وجملة عناصر السباق التاريخي . . . وذلك كله من خلال رؤية شاعرية خلابة ، يؤازرها الاختيار الحسي العميق الدلالة لجزيئات منثورة هنا وهناك ، جمعها الفنان وأعاد تركيبها ولها لاسراكه الجمالي البالغ الحساسية والتركيز .

ولست أود أن أدخل في نقاش حقيق حول « روائية » هذه الرواية التي صدمت بحركاتها الست المستقلة - في الظاهر - عن بعضها البعض ، المفهوم التقليدي للفن الروائي باشتغالها على ست لوحات ينتظمها إيقاع رواية عربية جديدة بكل ما يعنيه لفظ التجديد من

الثلاث تتناقض تناقضا رئيسيا مع المادة الروائية وهي « حدث سياسي » أبعادها الاجتماعية لكثير شعولا من أن تعدد رؤية فردية ، أيا كانت هيقرية الكاتب . . . فالتعامل مع حقائق المجتمع والتاريخ والحضارة يستلزم الاقتراب ما لمكن من العناصر الموضوعية الصانعة لهذه الظواهر ، والابتعاد ما لمكن عن العناصر الذاتية التي تعجب الحقيقة بمجرد إسقاطها على الواقع الموضوعي .

هذه العمليات الرئيسية كان من شأنها أن تسبب الأعمال الروائية بخاطر الاطلاق والتميم ، وهو الخطر الذي أتى ثماره في « الرؤيا اليائسة » غاية اليأس من الخلاص ، فكانت المرأة والدين طريق كتابها المسدود في وجوههم ووجوهنا . ذلك أن السؤال الخطير الذي كان لابد من مواجهته انفسهم به مواجهة شجاعة هو « وماذا بعد ؟ » فإذا كان الامر هكذا ، فلماذا تجشعوا عناء الكتابة ، ليس هناك بصيص خسوف يلمحونه للانسان العربي ، وإنما هم يسدلون على عينيهم مزيدا من الغمامات المظلمة . وربما كان ذلك ما يدعوهم - للصفح - إلى تجشع عناء الكتابة . غير أن هذا الحصاد السلبي لتيار « الرؤيا اليائسة » في الرواية العربية الجديدة ، وهي تنادي حزيران ، لا ينسبنا على الاطلاق ما أسهم به هذا التيار في تجديد الرواية العربية المعاصرة ، وهو تجديد وظفه أصحابه في خدمة رؤى لا نراها ، ولكنها ستجد طريقها بالضرورة إلى خدمة رؤى نراها ويراهم غيرها وقد يراها هؤلاء الكتاب انفسهم . . . غدا أو بعد غد .

رؤيا « المقاومة » رؤيا « الحياة »

يلقب التيار الثاني « للثقائل » على وجدان الروائيين العرب ، وهو تيار يتراوح - فنيا - بين التقليد والتجديد وأعماله تنمذج من الشباب إلى الكهولة ، ولكن أنضج آثار هذا التيار تمثل في جعلتها نحو التجديد في الفكر والفن مما .

والملاحظة الفنية الاولى على هذا التيار أنه متعدد الاموات ، بحيث تفتح الفرصة واسعة لامكانيات الروائي الجيد أن يخلق مختلف وجهات النظر ويختار من بينها أكثرها صدقا مع الواقع الموضوعي . والملاحظة الثانية على هذا التيار أنه متعدد الأزمنة بحيث لا ينفرد ضمير واحد -

[٢١] نشرت هذه الرواية لأول مرة في مجلة « التجديد » ثم نقلها « الطريق اللبنانية » وأعيد نشرها في سلسلة « روايات - إقبال » « القاهرة » .

ثورة فنية تصادف - موضوعيا - ثورتها الفكرية -
لذلك كان صلاهما الرئيسي - في تقديرى - هو تلك
الإضافة الغدة إلى تاريخ الرواية العربية *

والرواية - كما قلت - تتكون من ست حركات ،
وأحب أن أضيف كلمة « ورائية » ، أى أن الحركة
الأولى تفضى إلى الحركة الثانية فيما يشبه الحتمية
الفنية بالرغم من أنه ليست هناك شخصية مكررة
أو حدث معاد ، إلا أن شيئا ما يغير مرمى للعين
المجردة هو الذى يؤدى بكل حركة إلى الأخرى فى
انتظام روائى اخاذ * هكذا نبدأ رحلتنا بالحركة
الأولى « حين سجد مسعود يابن عمه » برفقة
الابيات المختارة من أغنية فيروز * لماذا نحن
يا بنت - لماذا نحن أغراب ؟ ليس لنا بهذا الكون
أصحاب وأحباب ؟ * أن الماضى الحاضر هما

الضلعان اللامستان اللتان يطل منها الكاتب على
المستقبل ، فلقد فحقت حرب حزيران الحدود ،
ولكنها - وهنا المفارقة المؤسسية - لم تكن حدود
فلسطين ، بل حدود « إسرائيل » ، لذلك فهى حدود
مفتوحة حقا ، تمنح العرب المسجونين فى الأرض
المحتلة والعرب المنفيين خارجها ، لأول مرة منذ
عشرين عاما ، فرصة اللقاء ولكن فى خاتمة
المطاف ، لقاء الهزيمة وليس لقاء العودة ، فالحدود
مفتوحة بصورة عكسية تماما * والحركة الأولى
فى رواية أميل حبيشى هى بداية هذه المفارقة
المؤسسية ، أنها لقاء « مسعود » الذى يناديه
الجميع « فلة » ، يابن عمه سماح الذى جاء مع
والده من الضفة الغربية - ولم يكن
النصيب « فلة » ولا أولاد الحارة يعلمون أن له
أقارب فى هذه الدنيا ، ومن هنا - فيما يبدو -
ضاع اسمه الحقيقي ، وبقي اسمه الدال على النذل

والهوان * ولقد تغير الأمر بمجرد وصول ابن
عمه ، عابله اسمه الحقيقي ، وعابله لسانه
الحقيقى ، وعابله أصدقائه الحقيقيين ، يجلونه
ويعتبرونه * عادت له كرامته ، ولكن عين الفنان
المبصرة لا تغفل هذا الصبى - فهذه العودة -
التي كان ابن العم رمزاً لها - هى عودة موهومة ،
لأنها ليست عودة حقيقية ، تصادف فيها بينه وبين
نفسه « هل حين يسحبون ساعدك كما كنت ..
يدون ابن عم ؟ » فأنصحب إسرائيل من الأرض
التي اغتلبتها - فى حزيران يبيب عن السؤال
بأن « نعم » ، تنقش غمامة العودة الوهومة وتطل من
جديد سحابة العودة الحقيقية * متى تمطر؟ فى
الحركة الثانية « وأخيرا .. نور اللوز » ، ورفقة
الأغنية الفيروزية « بلارى .. أعدنى إليها ولو
زهرة يا ربيع » ، يقوم الاستاذ م . ، بعد حرب
حزيران بزيارة أصدقائه فى الضفة الغربية ، يصل

ما انقطع من علاقات الصبا والشباب الذى احتجب
من عشرين عاما * وهو اليوم يقوم بزيارة الراوى
الذى كان يتحاشاه فيها مضى ضمن من يتحاشاهم
اتقاء لعين بنى إسرائيل ، فى الضفة الأخرى
فوجيء بأنهم « يعرفون ذلك ويربونه بشدة » ،
ويربونه على غير ما أرى نفسي * لقد رفعوا من
قنرى فارتفعت وشالوني فطالتقامتى فاصبى راسى
قوق الضربات « و م » لم يبق بزيارة صديق لهذا
السبب ، وإنما ليسأله سؤالاً القاه على كل من
صادفه من أصدقائه القدامى « كيف تسرفت على
زوجتك ، لانه يود أن يتذكر من الأعماق قصة حب
جميلة ، بين عاشقين أهدى كل منهما للآخر غسنا
من شجرة لوز منور » ، وعاهدا على أن يحتفظا كل
بفرقه ، وأن يلتقيا فى الربيع القادم ، حين ينور
اللون ، فيأتى بأمله ويخطبها من أهلها * فكيف
كانت نهاية قصتهما الجميلة * ، لقد استطاع م .
بارادة بألنية غريبة أن ينسى أنه هو نفسه صاحب
قصة الحب الجميلة * وبالطبع فإن الراوى لم يذكر
له الحقيقة ، تركه يبحث عنها فى ماضيه ، إذا كانت
قامته حقا قد طالت ، فإنه يستطيع أن يعيد
الروابط بماضيه ، فينشغل نفسه من حاضرها * *
ذلك أن الحاضر هو الوهم المعلق بين قوسين من
الماضى والمستقبل ، فهل يتذكر ؟ وإن نستطيع أن
نتجاوز الحاضر إلى المستقبل إلا إذا أمسكنا بتلابيب
الماضى ، فهل يتذكر ؟ وهكذا يتجدد سؤال الحركة
الأولى ، لافى صيغة جديدة ، فالرواية ليست عدة
تنويعات على شئمة واحدة ، وإنما يتجدد السؤال
تجددا شاملا : العودة الراحنة هى عودة موهومة ،
نعم ، وكذلك الحاضر كله هو حاضره وهمى يفقد
فيه الإنسان « محسوره » ، وعيه بماضيه واستشرافه
لمستقبله - فى الحركة الثالثة « لم الروبانيكيا وبرفقة
فيروز » ، يائيمان راجعون - للوطن راجعون -
راجعون راجعون راجعون ، يثور السؤال من
جديد على نحو أكثر تعقيدا ، فالسؤال فى كل مرة
يصيبه التغير ، نتيجة التراكمات الجزئية التي
يلتقطها الكاتب بعين شاعرية بالغة الحساسية
والنفاذ إلى « جوهر » هنا « أم الروبانيكيا » التي
لم تشأ النزوح مع زوجها وأحد أولادها فى سفر
الخروج الأول ، ولم تقاطع معرض المنهويات بشأن
العرب واليهود بل اشترت حاجيات كثيرة كانت
تبيها وتلقى مع النقود القليلة السباب الكثير
والغمز الاليم ، ولكنها من بين المنهويات المنجذبة التي
اشترتها احتفظت بجزء من رسائل الحب التي كان
يتبادلها الشبان والفتيات منذ عشرين عاما وأكثر ،
تخفيها فى مكان أمين وتهشف دامعة
من القلب « كنوزى كنوزى » ، وبعد حزيران الاسيف

واحد ألف عام ، اصططمت المصيرة بالشرطة ، دهمتهم السيارات الوحشية من كل جانب ، صرخت لم « ولدي » جرحوها ، أمطرت السطوح القديمة حجارة على رؤوس الشرطة ، أخيراً دخلوا المقبرة ووضعوا الزهور ● كيف أعاد شاعر هسي شعره ، وحده قرأته ، والشاعر هو كل شاعر عربي متاضل ، وهو أيضاً عبد الرحيم محمود ، شعره منقوش على شاهد أحد المقابر ، لشهيد لا يذكر أحد اسمه ، قتل الشاعر عام ١٩٤٨ ودفن في الناصرة ، والشهيد ضريحه في القدس . التمام الضم ● « العودة » الشاب من هنا والفكاة من القدس . بعد حزينان يستطعمان الزواج . ولكنه معتقل ، وهي مطرودة لأشتر أكها في مسيرة الأرياء الحدود مفتوحة نعم ، ولكن بشرط ألا يتم الزواج . فله أن الحدود مفتوحة من الناحية الأخرى ، بحيث يصبح الاعتقال والاستشهاد - وليس الزواج - هو الطريق إلى فتح الحدود من ناحية مغابرة هي للنساحة الصحيحة . وليس الحركة الخامسة « الخربة الزقاء وعودة جيبته » بزواج الفنان بين حبه وبين عشيقته تعود فيها جيبته إلى أمها بعد غيبة طويلة عن أهلها ، فتنظر العين بلاء وكانت قد جفت منذ مضت جيبته ، وبين قصة جيبته الجديدة التي حانت ولا أحد يدري ما إذا كانت العينة ستبقى بالأم لا ؟ ذلك أن الحدوتة الشعبية تقول أن جيبته سترهن لأمها المحزون على حقيقتها بخربة زرقاء كانت تعلقها في عقدها منذ القديم « أما جيبته الجديدة فلم تكن هي التي احتفظت بالخربة الزقاء » على أية حال فقد ناولتها أمها الخربة ، وقالت لها « بولك ، الله يرحمه كان دائماً يقول أنه لو احتفظت بهذه الخربة لما حدث ما حدث » اليسها ولا تخلمها أبداً ، هكذا يعود الارتباط بالأم كزناً لا ينبغي التفريط فيه حتى يصبح المستقبل ممكن التحقيق ، حتى تطير الماء من الذبح . وفي الحركة السادسة والأخيرة « الحب في قلبي » يلقن الكاتب إلى لننجراد ، متحف البطريرك الحية ، هناك قرأوا في فكرة الطفلة الشبيبة ثانياً ميا فتيفيا :

« اليوم ماتت جيتي »

« في الصباح لم يستيقظ أخى الصغير »

« اليوم حملوا صديقي الصغيرة على زحافة »

« علمت اليوم أن جارتنا ماتت »

« اليوم ذهبوا يامى الثامنة ولم تعد »

وكان آخر سطر ، في آخر صفحة في المفكرة :

« اليوم بقيت وحدي »

تألفت عيناها بأمل أن يعود أصحاب الكنوز ليأخذوها . لقد اكتشفت - مثلاً - أن ابنها معتقل في القدس متهماً بتوزيع المنشورات وهما هي أصبحت تزوره وتكلف محامياً بالنفاء عنه . انها تقابل الوجوه القادمة من الضفة ومن عمان ومن الكويت ومن لبنان وهم يتنلمون إلى البيوت لمل كلاً منهم يتذكر بيته « بعضهم يقابله سكان البيت بابتسامة شفقة ، وبعضهم يقابله سكان البيت بابتسامة شقاء ، وبعضهم يدخلونه البيت ، وبعضهم لا يقبلون البيت في وجهه » . ولكنهم جميعاً لم يسمعو بكنوزها ، رسائل الحب الأول ، قصائد وأساور وغريشات وأقراط وتلويح ذهبية وروميات وتساولات ماذا يريد مني ؟ وعن إيمان مظفلة : يا وطن ! وما هي ذى تحلى الراوى مجرعة رسائلها عكبتها ولم تبث بها إلى المرسل إليه ، في هذه الرسائل سر بقائها وهى تقول « لاني الآن فقط أستطيع أن أكون معكم جميعاً » إنهم أولادى فلا تتركوني ثانية » ، ويذكر الراوى أنه حين كان طفلاً كانت له جدة تروى له الحكايات حتى ينام ، وفي التسعين من عمرها بدأت الأمور تقتل عليها فتبدأ حكاية الشاطر حسن من مصطها « وأخذ الشاطر حسن عصاه السحرية وضرب بها المار » ، فإذا سئلت « أية عصا سحرية أجديني » تستمر في الحكاية حتى ينام الأطفال فلا يعرفون للقصة بداية ولا نهاية . وما أشبه « لم الروبانيكا » بهذه الجودة للمحزون التي اختلطت عليها الأمور أو الحدود ، ربما كان الجديد في حكايتها هو الشاطر حسن نفسه ، الذي ما يزال معتقلاً في أحد سجون القدس القديمة . وفي الحركة الرابعة « العودة » يزداد السؤال القديم الجديد كثافة وتعقيداً ، فالقدس هي المكان الذي يخطئ بنا الفنان داخله خطوات خمسا كونت فيما بينها علامة الاستفهام الكبيرة للسؤال المتعدد الأوجه ● كيف تظهر في شهور السنة شهر جديد هو حزيران الثاني ؟ ، انتظمت المسيرة التقليدية في الجمعة الحزينة وراء صليب خشبي كبير إلى الجلجلة على طريق الآلام ، اللون الشباب والشابات يضمون بأقلام الزهور على قبور الشهداء ، وأما الصليب الخشبي فقد حملناه على أكتافنا ، من ساحة المسجد الأقصى إلى مقبرة اليوسيفية ● « ما هو السر العجيب في اسم الخزان » لكالي الورد يتقدمها رجلان يحملان مصفاً وأنجلاً ، تنقلت الجماهير من حوش الخزان ، نفس الاسم الذي تحمله قرية قرب الناصرة ، وفيها أرض باسم « مراح الخزان صودرت وهضمت بيوتها ● كيف أصبح لشباب

التي حدثت بعد حرب حزيران ، انما تلقى المودة الحقيقية ، لأن الحدود فُتحت من الناحية الأخرى .. من الناحية العكسية .

اللقاء المستحيل في العودة المراهنة

ربما كان الاصل الفلسطيني المشترك بين اميل حبيبي وغسان كنفاني هو السبب في لوجه الشبه بين «سداسية الايام الستة» و«عائد الى حيفا» (٣) وربما كان وجود الاول في الارض المحتلة ووجود الاخر خارجها هو السبب في لوجه الخلاف بينهما .

يكاد يكون «الماضي» و«الحاضر» أيضا ، هما الضلعان الواسعتان للثان يطل منهما غسان كنفاني على المستقبل . وهو في ذلك يتفق مع اميل حبيبي في أن العودة المؤقتة التي حدثت بفتح الحدود من الناحية الأخرى هي عودة موهوبة ، وأن اللقاء الذي تم في اطارها هو لقاء مستحيل . ذلك أن اللقاء الحقيقي سوف يتم بالعودة الحقيقية الشاملة التي تتم بفتح الحدود من الناحية المقابلة ، الناحية الصحيحة . ولكن بينما يصوغ اميل حبيبي المشكلة في اطار الارتباط بالماضي والتساؤل حول المستقبل ، يميل غسان كنفاني نحو الطرف النقيض فيصوغ المشكلة في اطار الارتباط بالمستقبل والتساؤل حول الماضي . بل هو في سؤاله عن الماضي يكاد يعينه ويرفضه .

وهو في ذلك يسلك طريقا مغايرا للطرق الفنية التي سبق له أن سلكها في أعماله الأخرى ، انه لا يتوجه الى الرمز الشفاف الذي عرفناه في «رجال في الشمس» ولا يتوجه الى التركيب المعقد الذي عرفناه في «ما تبقى لكم» . وانما هو ينصب في «عائد الى حيفا» منحى موهبلا في البساطة التي تقترب به من تخوم الرواية التقليدية . لقد وقمت كارتة حزيران ، وما هو ذا «سعيد» سي ، يرافق زوجته في رحلة الالم من رام الله الى حيفا مارا بالقدس ، انه يرغب في الكثيرين - منفذت الحدود - في زيارة مسقط رأسه ، طيلة الطريق المؤلم يجند الفنان كافة اسباب العذاب الذي يعانيه

ما اعظم الروابط بين هذه الطفلة الروحية والفتاة الفلسطينية المعتقلة في سجين الزلعة تكتب بين الحين والآخر رسائل الى امها ، عن حياتها في السجون ، عن خطيبها المتقل ، عن شجاعة زميلاتها المعتقلات معها ، لشواتين وحرانين واحلامين ، وخصوصا عن هذه الشرطة اليهودية التي طردوها من وظيفتها لانها هي التي كانت تهرب الرسائل من الفتاة الى الام . اما الفتاة الحيفاوية المتهمة بالاشتراك معها في تكوين خلية سرية داخل اسرائيل ، فان علاقتها ليصت أكثر من «صدائقة» يربطها بين فتاتين من شعب واحد ، اجتمعتا ، بعد فراق طويل ، تحت سقف واحد ، سقف القاوش ، وبهذه العبارة البريئة تكون قد وصلنا الى خاتمة هذا العمل الفني الكبير .

ولمنا قد لاحظنا أن الرواية سواء كان ضميرا للفرش أو المتكلم أو المخاطب ، فان «الأخر» وليس «الانا» هو البطل الروائي ، بالرغم من أن تفاعليا جديلا حارا بين الذات والموضوع هو عماد لعمل الفني . والبطل في هذه الرواية ليس شخصية من الشخصيات ، وانما هو التحدي الكامن في المفارقة المؤسسية القائمة على انفتاح الحاضر على الماضي . والفتان يعمد الى اذاتين رئيسيتين من اصوات الرؤية الشعرية : أولاها التقاط الظواهر البريئة المألوفة فنى الحياة اليومية التقاطا «بسيطاً» يصل في بساطته الى حد مخاطبة الاطفال . ويكاد «الحب» في صورته البدائية أن يكون هو الرمز الشامل للحركات الست في «سداسية الايام الستة» . والاداة الثانية هي امتزاج الخيال الاسطوري بالواقع الضام امتزاجا لا تستطيع معه أن تفرق من أين يبدأ الخيال ومن أين يبدأ الواقع . تجمدت الاصوات في الرواية فتجمدت الاوجه موضع النظر ، وتجمدت الازمنة فتجمدت الاحتمالات موضع الترجيح . ومن ثم جاءت الرواية سؤالاً كبيراً مقحمته هي الماضي (المشربين عاماً الماضية) وخاتمته هي الحاضر (المعتقلات والمقابر والمطاردة) . والسؤال مقترح على كافة جوانب التحدي القائمة ، فهو ليس سؤالاً مغلقاً بحتية الجواب - هزيمة كان اول انتصارا - وانما هو سؤال يؤمن بنسبية الجواب المطروح ، يؤمن بالمد والجزر ، بالسلب والايجاب ، فتلك هي حركة التاريخ وتلك هي ديناميته . اتجاه المسهم يشير الى أن «المقاومة» هي رؤيا الحياة للشعب الفلسطيني ، ولكن الموت هو الجسر المؤقت الى هذه الحياة . كذلك العودة المفاجئة والموقوتة

الشقاء التي تجانب أطراف الحديث المتوتر مع السيدة البولندية اليهودية ، حتى أطلقته من عقاله دفعة واحدة وقالت فجأة إنها حين جاءت إلى هذا البيت مع زوجها كانت تعرف أن بالبيت طفلان رضيعا يحتاجان إلى رعاية لا يتجاوز عمره خمسة شهور ، هو «دوف» الذي يأتي بعد قليل ، دوف 15 تقصد «خلون» ويا لنساء جهنم التي ينبغي أن تصعق الوجود بأكملها هذه اللحظة . كانت هناك بعض اللوحات الملطخة ، وبعض حاجيات المنزل ، من مخلفات اثاثها القديم الذي تركاه ، وهي الحاجيات التي اشترتها لبعض الوقت باللفة والمرارة ، ولكن ما أن ظهر «دوف» بعد قليل حتى تلاشت الذكريات المادية الملطخة وجسدت الماضي كله مشنوقا بحبال صنعتها أيدي كثيرة . كان دوف - ويا للهرول العظيم - مرتديا الزي العسكري لضابط من قوات الاحتياط بجيش الدفاع الإسرائيلي . ولم يكن يعرف كلمة عربية واحدة . كان واضحا أن خلفون قد مات ، موتا أبشع من الموت الذي كانا يفشيانه عليه منه . كان قد مات ، وهو بعد حي . كان تمسيدا مرعبا لحقيقة الماضي الذي لم يعد خط مجرد ذكريات رومانسية منتشية أو متوقفة . ذلك كان النقاش بين الابن الميت ووالده ناضبا عقيما بلا جوى . من المسؤول ؟ مسؤول ؟ لن يجيب عنه سوى الله ولا الشيطان . وقد يتورد امرء لأول وهلة ويحسب الامر أنه تزيد ميلودرامى من الكاتب . أن يجعل من الابن الفلسطيني ضابطا إسرائيليا . ولكن الحق أن الكاتب يراد أن يفهم معنى الماضي افضاء مشمة قد تصدم النظر ، ولكنها نفيق من هولها على الحقيقة . وهي أن الدم وحده لا يصلح عنوانا للابوة والبنوة ، ولا للسق والباطل ، وأن الذكريات المسورة على الحائط والمقاعد وأغصان الأشجار ليست أكثر من خيال الظل . وإنما «الإنسان هو انفضية» كما قال دوف ورافقه سعيد على ذلك ، ولكن - كفتح المصود تماما - من الناحية الأخرى . أنها مشكلة لا تحلها سوى الحرب ، أنها ليست فصص مشكلة خلون الذي تحول خلال عشرين عاما إلى دوف ، وإنما هي مشكلة فلسطين التي تحولت خلال نفس الفترة إلى إسرائيل ، لذت يحلم سعيد بأن يكون ابنه خالدا قد خرج على طاعته وانخرط في صفوف الفدائيين . سبق له أن نهره عن ذلك ، وما هو ذا أمام دوف ، ينم على ذلك . سوف يأتي يوم يقف فيه دوف باليمن على طرف من الجبهة ، بينما يقف خالد على الطرف المقابل . ليكن . أنها إحدى مقارقات التاريخ . وعندما تقول له المرأة البولندية وهو يقف مع زوجته مودعا «لم تتحدث كفاية عن الموضوع » يجيبها - ونحن معها والعالم كله - «ليس قمة ما يقال . بالنسبة لك ربما كان الامر كله حدثا حيي الحظ ، ولكن التاريخ

الزوجان » من أهوال اللحظة القادمة . لحظة لن يجوبا شوارع حيفا وأرقتها بحثا عن بيتهما القديم ، بل في واقع الامر بحثا عن شيء آخر لم تتلفظ به الشفاء ، وإن اقتصرت به «قلب طيلة العشرين عاما الماضية » ان الطريق من رام الله إلى القدس إلى حيفا هو طريق الذكريات الحلوة والمررة . والزيجان كلاهما يطرحان بالصمت حينا والكلام حينا آخر قضية القضايا في حياة الانسان الفلسطيني ، ولكن من زاوية الخط والصواب فيما حدث من زاوية تقييم الماضي ، من زاوية الارتباط بهذا الماضي . ويختار الكاتب أسلوب « الفلاش باك » ليعود بهما - دينا - إلى هذا الماضي ، وفي لقطات سريعة بأربعة يضع أمامنا الفنان بانوراما هائلة لأمساء ١٩٤٨ تدعو إلى امعان النظر والتقدير قبل اطلاق الحكم على الذين بقوا والذين مضوا . أن المأساة في الحقيقة أشمل من أن تدوين هذا أو ذلك ، وإنما تضع إيدينا على أعدي أعدائنا ، على رأس العمل .

وينكا الكاتب جراح الزوجين - وجراحنا - حين يصل بنا ويهم إلى نروة المأساة ، إلى اللحظة التي تركا فيها طفلهما الرضيع ولم يكن قد بلغ الشهور الخمسة تركاه في غمرة المطاردة الجهنمية بيتهما لا يديران أي مصير شرير لقيه حينذاك . وماهما بغير مشقة يصلان إلى قس أقداس الذكرى ، بعد مشربين عاما ، يصلان إلى عتبة البيت القديم . ويخلع الفنان جلد شخصياته ويتبع بمهارة مذهلة أدق خلجات أعصابهما وهما يتحدثان إلى تلك المرأة البولندية التي جاءت هي الأخرى حوالي ذلك التاريخ من إيطاليا مع زوجها الذي زينوا له ماله في الوكالة اليهودية - الطريق إلى الهجرة . وبالرغم من تركيز الكاتب على الجزئيات الحسية في هذا اللقاء المشحون ، جزئيات الطبيعة الصامتة ، والطبيعة الحية على التي تتطور من جراء هذا التركيز . إلا إنه لا السواء ، وبالرغم من عناصر الخرد والتفصيل يتخلل عن الوجه النمطي لشخصياته وأحداثه ومواقفه ، أنه يستخلص بفترة تكنيكية صالبة السمات العامة الراقدة في حنايا كل لغة وكيفية وكل حركة وكل نكسر ، بحيث أعطانا في خاتمة المطاف قضية مجردة ولكنها مليئة باللحم والدم والعظم ، أعطانا الشخص الفرد والنموذج للنمط ، أعطانا الحياة الدافقة بالتفاصيل الصغيرة ، وأعطانا الفكر النظري الكامن في احشاء هذه الحياة .

وكما كان «العمر» الدفين وراء هذه الرحلة ، سرا خافيا على الشفاء فقط ، ولكنه ليس سرا على اللقيين الجريحين ، كذلك ظل الامر سرا على

ليس كذلك، ونحن حين جئنا هذا كنا نعاكسه ، وكذلك اعترف لك ، حين تركنا حيفا ، الا أن ذلك كله كان شيئاً مؤقتاً - اتعرفين شيئاً ياسيدي؟ يبدو لي أن كل فلسطيني سيدفع ثمناً ، أعرف الكثيرين دعوا إبنائهم ، وأعرف الآن أنني أنا الآخر فعلت ابناً بصورة غريبة ، ولكنني دفعته ثمناً .. ذلك كان حصتي الأولى ، وهذا شيء سيصعب شرحه .. وظل صامناً في طريق العودة صمناً عميقاً وتقبلاً لم يقطعه الا حين وصل الى مشارف رام الله ، حينذاك حفظ نظر الى زوجته وقال « أرجو أن يكون خالد قد ذهب » .. القاء غيائناً ..

والحق أن الجزء الاخير من الرواية يكاد يكون اضافة نظرية الى العمل الفني ، وليس امتداداً طبيعياً يحسنه التسليم الروائي .. هذا التسليم الذي ينتهي فعلاً بخلدون وقد أصبح الضابط الاسرائيلي دوف - لقد أراد الكاتب أن « يقول » أن المقاومة المسلحة هي الطريق الوحيد لاستعادة الوجود الحقيقي أو « الوطن » بمعناه المفاين للذكريات . ولكن اطلاق القول من شأنه أن يتجاهل نسبة العمل التي اكتملها الكاتب في البداية .. أن مشكلة خلدون - دوف تواجهها على الطرف المقابل مشكلة الاب - خالد . هذه المواجهة كان تجسيدها الفني من المونولوج الداخلي المصطب ، وليس الصوت التقريرى المباشر . ولكن الكاتب أصر النهاية المتفائلة الميسورة على الانطباع التراجيدي الصاد . هذا بالرغم من أن هذا الانطباع في مقدوره أن يتحول لا ارضاء عند المطلق الى طاعة مقاومة هادئة تعادل في عنفها التحول المأساوي لخلدون - الى دوف ربما ، ولكن الى خالد على وجه اليقين . وهكذا كان المزلق الفني الوحيد في هذه الرواية الجيدة ، أن المواقف « المطلق » استدرج كاتبها الى جواب مطلق . هذا لا ينفى صحة الجواب ، ولكن حسنته تظل في دائرة « الايمان » مما يتحول بالرواية في نهايتها الى يتوتبيا .. بينما لم جاء الجواب نسبياً ، كانت صمته في دائرة « الفشل » مما يجعل من الرواية سلاماً انسانيًا باقياً على الزمان .

على غير هذا النحو يصور الكاتب السوري أديب نحوي في روايته «المنازة » عرس فلسطيني (٤) ذلك اللقاء المستحيل بين الماضي والحاضر ، مقتربا بذلك من فكرة أميل حبيبي عن « الاعتقال والشهادة » كبديل للزواج في الحركة

السامية من روايته « الحب في قلبى » . في « عرس فلسطيني » أيضا يجيء الموت جسراً - بديلاً للزواج - الى اللقاء الحقيقي ، اللقاء الممكن الوحيد .. فالليلة عرس فهد البصاري ، عائلته من جبل البصة في شمال فلسطين على طريق عكا الشريفة - الليلة عرسه على فاطمة بنت ضيمته ، والمادة أن البيت ستعانى والدها من الزواج . ولكن عرس فهد هو عرس فلسطيني ، من نوع خاص ، عليه أن يقبل القاعدة ويذهب هو الى والد العروس ليستأنن . والرواية يكاملها « انتظار » العريس الذي ذهب ليحصل على الاذن نيابة عن العروس . ولا بأس من أن يتحول هذا الانتظار الى فلاش باك متقطع ، فهو انتظار مليء ، لا بأهات المطرب الحزين والزغاريد التي تشبه الولولات ، وانما هو انتظار مليء بحياة الفلسطيني ، طولها وعرضها . والفنان يقتزل هذه الحياة في رموز قليلة تكثف مأساة الانتظار وتمسحها في وجداننا . انتظار العروس لعريسها ، انتظار أمل الخيم لغارس ليلتهم ، هو انتظار فلسطين الفاجع لمخلصها الوحيد ، لرجل المقاومة . والانتظار - روايتها - هو التوتر والقلق المشعور بكافة الاحتمالات ، وفاطمة العروس ، قرأها فاتحتها على فهد منذ كانا طفلين . ولكن الاستئذان واجب لا عناصر منه ، على فهد أن يقوم به حتى يحقق وعد السين . عليه أن يأتي بملامة لتقليل الشك ، كما قالت عمه العروس ، علامة الموافقة من هند أبيها . وإذا كانت الرواية كلها « انتظاراً » تناهض مع العروس وأهل العريس والضيق القاسمين من الجبل ، انتظارا نفسه وتنشيمه وتلمسه وتنسمه وننوقه وقرأه ، الا أن الرواية - على الوجه الآخر - هي رحلة يقوم بها فهد الى حماء ويعود ، رحلة لا تمسك بها حواسنا الخمس ، ولكنها تظل محلقة على رؤوسنا كالمطير حتى تقع الواقعة ويمود العريس ، ومعه علامة الموافقة . عندما تصل - هكذا قالت له صمة فاطمة - فانظر هل الله ما زال يطعمهم ببارودته المتعلبة ؟ وفشكها ، يا حسرتي ، في العصرة المفتوحة أمامه قليل ومضطرب . تطوق واحدة من بين عشق فطصيب ، « هان لم يكن بقي ، في الصرة » ، يا فهد شيء من الفشك ، فهات لي يا فهد يا ابن النمر ، ان كنت تقدر علامة . غير أننا جميعاً نعلم أن والد العروس قد مات . مات وهو يطعم . هذا لا يمنع فهد من الاستئذان ، بل هو يحتم عليه ذلك ، وهذا لا يمنعه من استحضار الملامة ، بل يقتضيه عليه ذلك . وقد برهن فهد منذ الطفولة على أنه عريس

وروحا - وكأنه أبوها على باب الضيعة هكذا قال الجمهور العاشد - وقالت فاطمة وهي تتلصق الرصاصاة الأولى - هذه لأول سنة من عمر فهد وهو يعلم المشي في ظل أشجار الزيتون في كروم الضيعة » ولطافة اللذائفة لفهد وهو يتسلل الكلام بالعربية « لا لأجنيبة ولا مخفية » ، والثالثة لفهد وهو ينزح من الجبل ، ويتعلم لغة جديدة لغة اللجوء والخيام - ثم تبدأ السنوات المشرونة سنوات القهر والذل ، والطلفة الأخيرة في يوم ميلاد فهد ، لقد ولد اليوم ، ولتبدأ الرصاصاة الرابعة والمشرونة في رحلتها إلى صدور الطائنين « فليسمعوا وليعدوا كم من الرصاصات لعلهم عليهم » - وكما أن فهد هو الإنسان الفلسطيني الجديد ، الإنسان المقيم ، لا لأجنيبة ، فغان ، فاطمة هي الأخرى ، فلسطين الجديدة ، ليست الذكرى أو الحلم أو الأمنية « يا زهرة في الجبل ، فواحة بالبحر » يا منارا على الشاطئ للمضامين هي لغة البحر - ومعنونة للتخفيف الكرام ، فقد اكتمل بحضورهم السرور « لا تؤاخذونا ، فنعن نقرح منكم ، مثل باقي البشر ، عندما نزوج بناتنا لأولادنا ، فلا تؤاخذونا ، ان كانت طريقتنا في الفرح تختلف » ، ورددت الأرض من حول المخيم زغاريد عرس الدم ، وهبط الصوت من قمة الجبل « نعم ، نطقنا أخيرا ، رغم عشرين عاما - حسن الصمت يا لأجنيبة بقلبك الخرساء » - حقا - لقد طال الطريق إلى البصرة ، في القديم كان على مسافة يوم واحد من المشي من عكا الشريفة لا أكثر ، لما الآن فقد طال عشرين عاما - لا يهم - فقد تغفو قليلا ، فيفان الناس إننا مبلوثون - لكن متى توفرت الأخيرة يا ولد وكانت البواريد طيبة - آه - غلايد لن نبهض حتى الذين ماتوا منا - ربما كان الصوت لأبي فاطمة أو لأمها أو لفهد أو لتغيرهم من شهداء الأرض الأسيرة ، ولكن ما لا شك فيه هو ان مائسراء ليس جنازة ، وإنما هو عشرين فلسطيني

والرواية على هذا النسق الشعري المفتح - تتلقى مع رواية خسان كفافني - فضلا عن لثابتها مع الحركة السادسة من رواية أميل حبيبي - في اللقاء المستحيل ، وإن الدم وحده هو الجسر الوحيد بين سفر الفروج الأول وسفر العودة - ولكن أدبيبة نحوي يختلف مع صاحب « مائد إلى حيفا » في إيمانه العميق بنسبية الحركة الفاعلة في الصراع ، لذلك فهو - فنيا - لا يجد المقاومة من أهم ملائساتها هو الموت - سوف تفقد الكثير حتى نجد الكثير ، سوف نزيح العالم كله ولو خسرنا أنفسنا - وخاتمة « عرس فلسطيني » تكاد توهمه هي الأخرى في اختيار كاتبها لليلة زفاف بطلها سوعدا مصرعة - تماما كاختيار خسان

فاطمة بلا مخازع ، منذ كان يقود في العباب الصبا الفريق المروى ويخجل في صراع عنيف مع الفريق الذي يمثل إسرائيل - فاذا اتيت الفرصة للفريق الصبويين أن يأمر فاطمة فان فهد وحده هو الذي يستطيع استردادها - من هذه الصورة الرمزية البسيطة ، يستطرد الفنان في إضافة صورة أكثر تركيبا ، فقد أقفح السيل مخيم اللاجئين ذات ليلة أكثر سوادا من ليلهم السود - وأبتلع الوحش الرابض في جوف الماء أطفال اللاجئين بالجملة - وكانت فاطمة من بين الأطفال الذين جرفهم السيل ، ولكن أمها هذه المرأة الأسطورة ألقت بنفسها في غياهب المهول ، وأمسكت أخيرا بفاطمة - كان الرجال قد توافدوا يبحثون عن الجثث والأحياء على السواحل حين يرى فيها مرقع النائم أو المنهون « شيئا ما » يتراجع في الفضاء ، ما أن اقتربوا منه حتى صرخوا صرخة رجل واحد - إنها فاطمة -

وارتق أحدهم الجدار الاملس للصخرة المائتة فاذا بأمها شبه مينة وقد تهجدت أصابعها على ثوب فاطمة الدلالة من أعلى الهضبة ، لو ألفت لسلطت في الوداد السميح - وريح الرجال الأم وابنتها معا ، ولكن الأم لم تترك ذيل الثوب ، حتى لفظت النفس الأخير ، ولم يطلع الرجال المشرقة أن يفكوا أصابعها من ثوب الطلعة ، فمزقوه ، وبقيت قطعة الثوب راية مرفوعة على قبر الأم الأسطورة - لذلك لم تدهش النسوة ليلة المرس حين تركتهن فاطمة وجرت من بيتهن إلى قبر أمها ، وعادت - كذلك عاد فهد من عند أبيها ، ولكن لا كما يعود الماشون ، وإنما كما يعود الفلسطينيون هذه الأيام ومهم علامتهم ، فمرسنا عرس فلسطيني قح ، واحتفالنا يختلف عن كل ما يعرفه العالم من احتفالات - عاد فهد محمولا على اكتاف رفيقه في السلاح ، فقد تالت رصاصات من الحدو وهو يغطي بالتييران وفاقه أثناء عودتهم من المهمة التي كلفوا بها هذه الليلة ، وأنوما بنجاح ، وإن كان فهد قد استشهد - وعاد إلى فاطمة بأروع علامة ، وألق أبوها لأن لن تزف إلى فهد - وما هو الرفاق يحملون هديته إلى مرسه ، بنحنية ! لم تكن المفاجأة - في عمق أعناق فاطمة - مفاجأة - وإنما بدت وكأنها على موعد مع هذا الزفاف المسمى - كان اللاجئين قد أعدوا في ليلهم البهيم ثلاثا وعشرين ليلة كهرياء تحو السنوات التي مضت من عمر فهد ، تتوسطها ليلة كبيرة لفلسطين - أخذت فاطمة حذية والمرس ، وقالت بل اليوم فقط ولد فهد ، والمرس تطلق الرصاصات للآخرى بمهارة - ليست وليدة اليوم إطلاقا - على اللميات الصغيرة ، وكلما انطفأت أصداءها ازدادت اللبة الكبيرة توهجا - حتى إذا انتهت من إطفاء اللميات الثلاثة والعشرين ، بدت اللبة الكبيرة كالشمس ، حرارة

من ناحية ، والعدو الفاصم للانسان والارض من ناحية أخرى . ذلك انه رفض منذ البداية أن تكون « الأنا » هي سيدة الموقف الفني ، ظاهرة أو متخفية ، فاحتسب بين جنران فن يمارسه للمرة الاولى فيما أعلم . ولكنها ممارسة جدية بالاحترام والتقدير من جانبها ، وبالقدرة والتطوير من جانب هذا الكاتب الاصيل والموهوب .

يركز الفنان الضوء الباهر على فلاح سورى عجوز رفض أن يتأخر قريته مع المئات الذين تركوها ، الواحد بعد الآخر تحت تهديد السلاح ، حتى أخلص أصغياته تركه أخيراً تحت وطأة اليأس من عودة الذين ذهبوا . ولكن الفلاح المجزأ لا يمتأ بكل ما يحيطه من مغريات الهجرة أو تهديداتها ، وإنما هو يرى في البقرة والارض والساقية والبيوت والاكوخ التي تركها أهلها وجوده الحقيقي الذي لا يبدل له سوى الموت . ويتخذ هذا الإيمان بالوجود شكله النرامى في الانتظار الطويل المر « لقد تأخروا قليلاً ، ولكن لا يأس ، انقضى توقعهم اليوم أو غدا » مكذا أجاب كل من سألوه وضائقوه وهددوه وأغروه . ويضع الكاتب بطله المنتظر ليوم سيطول ، أمام ثلاث تجارب رئيسية : أولاً حين أرسل الحاكم العسكري الاسرائيلى فى طلبه . وفى الطريق كان قبر الجندي المجهول هو كل ما استرعى انتباهه ، بعكس الذين أثارتهم الدهشة حين علموا أن الحاكم عرض عليه أن يشتري منه البقرة والارض ويرحل فرفض . ثم ، رفض المجزأ أى تمن ، رغم علمه بأن الحاكم يستطيع أن يأخذ ما يريد بالقوة ، ويستطيع حتى أن يقتله . ولكنه رفض . والموقف الثانى حين اقتحم وحدته ذات ليلة شباب عربى فوجيء به أنه يقاثل ، وأنه ليس عسكرياً وإنما هو طالب بالجامعة ، وأنه ليس وحده يقاثل ، بل هناك مثله كثيرون ودار بينهم هذا الحوار :

« - كان علينا أن نقاثل منذ زمن طويل ، لقد تأخروا كثيراً . ولكن لم يفت الأوان بعد
- هل أنتم كثيرون

كتفاني للآخرين الفلسطينيين أن يكون ضابطاً اسرائيلياً - بأنها خاتمة ميلودرامية . لولا أن فكرة « عرس النجم » التي توعد البناء الروائى بأكمله بدءاً من « الانتظار » المرئى والملموس وانتهاء بالرحلة النفسية عن الانقصار ، هي الثيمة الروائية الاساسية . وهي ثيمة تزواج بين الشعر والاسطورة تزواجا حاراً عميق الدلالة باقى الاثر . وهو الاثر القريب من الحس التراجيديدى والبيد كل اليمس عن الافئدة المسرف للمواطن المريعة الزوال .

بطولة الفرد بين الواقع والرمز

تنسحب فكرة الماضى الى الخلف فى رواية « الأبر » (٥) للكاتب السوري ممدوح عدوان ، لتبرز فكرة البقاء فى الارض ، وهي الفكرة التي داعيت الكاتب المصرى السيد الشوربجي فى الرواية المصرية الوحيدة التي تصدرت لواقعا بعد الهزيمة ، رواية « طول يوم فى تاريخ مصر » (٦) . ولكن ممدوح عدوان منذ المصطل الأول حتى الكلمة الاخيرة فى « الأبر » قبل الرمز الشعرى على الواقع الخام . ومن ثم جاء العمل الفني اقرب ما يكون الى التكمال بين الشكل والمضمون ، بينما أراد السيد الشوربجي أن يراجع بين الواقع والرمز ، فخلعت رؤية الواقع وتاء الرمز . لماذا لأن ممدوح عدوان - وهو شاعر أولاً - قد صاغ روايته على هوى القصيدة المحترقة فى ضلوعه وتآبى أن تخرج من القلب إلا فى هذا القلب البشرى المركز والركب من السرد والحوار . ان القصيدة تبرز لصاحبها دائماً كافة المغريات لتتجسم الذات أو لتعذيبها على حد سواء ، انها تؤهل الشاعر لأن يتصور أنه مركز الكون فى قوته وضعفه مما ، أما الرواية فانها اذا لم تكن قد وقعت فى نطاق جاذبية المونولوج الداخلى ، أو ضمير المتكلم عبرها فانها كالمسرح تتيج لكاتبها فرصة الجدل بين الذات والموضوع ، فرصة الحوار بين الأنا والآخر . والقصيدة الحديثة لم تعد أسلوب الحوار بأن يلجأ الشاعر الى تعدد الأصوات ، ولكن صوته يخال مع هذا هو الصوت الاعلى . والشاعر ممدوح عدوان قد أحس بحوار النقائض داخله ، فاختار القلب الروائى للتركز أسلوباً حياً لتجسيد هذا الصراع المؤسى بين الانسان والارض

[٥] الطبيعة الاولى - عام ١٩٧٠ - دمشق [لا يوجد اسم الناشر]
[٦] الطبيعة الاولى - ١٩٧١ - مطبعة دار التأليف بالقاهرة .

عن صدره حين دوت بالقرب منه وصاحبة ارتجفت لها. قليلا ، والتفت الى الجنود باعيام . ولكن الطلقة الثانية رمت على خاصرته وأطلقت منه - أخيرا - حبل البقرة ، وشهق متذكرا ذلك الشاب « الفدائي » الذي لن يراه ، وهو يمس بالقرية « هل سيد نفوقلي » واختلط دمه بالتراب .

- لا بأس

- متى ؟

- بالليل

- عظيم

- لا يجب أن يقال الآخرون كلهم .

- والآخرون ماذا يفعلون ؟

- لا شيء ، يكرهون أنفسهم ، ويموتون لأننا نموت ،

إن بطولة الفرد في «الابتر» هي بطولترامزة الى خوف من الاحتمال . وإذا لم نقرأ على ضوء هذا الاعتبار لبدلتنا غايته في التسفسف الانتحال فامتدح هذا الجوز في أرضه حتى الموت ، وتصوير سلوكه مع الجنود والضباط والفدائي على نحو بالغ المغفوة التي تصل أحيانا الى درجة البلاء ، هذه كلها صياغة رمزية للنبي المجنون . والكاتب كان واعيا الى غير حد ، بأن « البقاء في الأرض ليس شامارا ميتافيزيقيا » فهذا البقاء لن يحصل دون حرق الأرض ، ونهب البيوت وقتل المحزونين . ولكن البقاء في الأرض ملق بهذا الامل المتحرك في جسد الفدائي ، الذي أقبل على المحزون ذات مساء كانما - في ضاهتهما الأخير - يصلم أحدهما الإمانة للأخر ، والأخر يقدم العهد على أن يكون الموت هو الجسر الى الحياة ، وليس نهاية للحياة .

وفي إحدى اللحظات المترعة بالحب والامل ، بدت من عيني المحزون نظرة وجهه مشبعة بالخوف على مصير هذا البرعم المقاتل ، فقال له الشاب في ثقة « الموت في كل مكان ، لكنني بعد عنا كلما اقتربنا منه » . وبعد أن اكلا مما ما تيسر من الطعام الجاف والشراب المر ، حانت لحظة الوداع ، وبقي المحزون من جديد وحيدا . وراح يشرب بفأسه في الأرض فازداد شعوره بالوحدة حين اصطدمت الفأس بصخرة لا تهازن من مكانها . ولكن سرعان ما قلبت مزيته في رغبها بقوله « هذه الصخرة ضريت شروشها في الأرض ، لأنها تركت هناك منذ زمن طويل جاءت من مكان ما . سقطت ربما من الجبل ، ثم ساعدنا إيماننا لها على أن تصبح قسما من الأرض ، وعلى أن تمثلني نهارا كاملا » . وهي كلمات تحمل رمزا مزدوج المعنى : فهو يمزى نفسه من ناحية على أنه كذبة الصخرة لا سبيل الى رغبها من مكانها ، أو أنه يستطبل مرارة الماضي في جرعة واحدة هي أن إيماننا لتواجد الحق في أرضنا لتأست له هذا الوجود . والموقف الثالث حين أقبل جنود العدو ذات يوم يقتحمون البيوت والاوكار ويأخذون ما بها ، يحرقون محمول القمح في تمام نهبه ، يقيمون عليه ويضجكون . وعبتا راحت قوسلته أن يتركوا حاليين لهم ، وإن يتذروا القمح من الحريق ، قال له الضابط أن يترك كل شيء . كالكابيين الذين لن يعودوا - ويرحل ، ولكنه تعامل على نفسه وذهب الى جوار بقرته والساقية خوفا على الأرض من أن يسرقونها بما عليها ويذمبون . ولم يكن القلق والحزن قد انزاحا

أما السيد الشوريحي فقد اختار لروايته « أطول يوم في تاريخ مصر » فكرة ذهبية كانت جديدة بأن يأخذها الكاتب مأخذ الجذ ، وبخاصة وأنها للرواية المصرية الوحيدة التي تصدت لاؤفساعنا بعد الهزيمة ؛ ولكن الكاتب تجمل في صياغتها على نحو قريب من صياغة الافلام المصرية متأثرا في ذلك - كما يبدو لي - بعمله المتواصل في الاداعة والتلفزيون .

والرواية على هذا النحو هي امتداد للشكل التقليدي ، ولكن في صورة ممعة في التبسيط والهامشية من ناحية ، والتفكك من ناحية أخرى . بانتهاء حرب الأيام الستة ، يبدأ أطول يوم في تاريخ مصر ، اليوم الذي مازلنا نعيشه من ذلك الوقت ، والمدينة التي اختارها الكاتب مسرحا لاهم

المفاجآت حتى تحولت الرواية الى ميلودراما حقيقية تستدر الموع استدرارا * ولكن الكاتب يرفض هذه النهاية القاتمة ، ففترض آمال - بناء على طلبه - أن تخضع للخطبة المفروضة عليها * وفي الوقت نفسه يرفض حمدي - أحد شباب العائلة - حياها الصلبة والتشرد ، وينضم الى صفوف الفدائيين في الاردن *

والرواية تطيل النظر الى « الخارج » ونادرا ما تقتحم العالم الداخلي للشخصيات والاحداث والمواقف * ولولا أن مجرد النظر الى الخارج من شأنه أن يصطاد الكثير من ملامح الفترة المضنية التي تعيشها لخت الرواية من أي معنى يستوجب كتابتها * لقد جاءت ريبرتاجا واسما لاطول يوم - فعلا - في تاريخ مصر * وبالطبع فإن صور الريبرتاج مسطحة وجزئية ، ولكنها في النهاية صور حقيقية لبعض أحوال مصر * وبالطبع ، فإن صور الريبرتاج مأخوذة بين اليسر وجوازي الصغير القصيرة النظر ، ولكنها في النهاية صور حقيقية لجزء من المرارة العالقة بحلق شبنم *

وبعد ، فإن الرواية العربية الجذيدة وقد نادت حزيان في تسجيها الفنى وبنائها الفكري ، انما كانت تقوم بدور هام في مياعة الوجدان العربي بعد الهزيمة ، بعضها صاغه سلبا ، وبعضها صاغه ايجابيا ، وبعضها صاغه بين بين * ولكنها في جميع الاحوال ، وبرغم انقسامها الى تيارين احدهما يضمن « الانا » والثاني يضمن « الآخر » ، فانها استطاعت أن تنجز مهام « الوثيقة الفنية الاولى » عن اخطر مراحل تاريخنا ، وأن تنجز في الوقت نفسه ، خطوة باهرة على طريق تطور فن عظيم بين فنونا ، هو فن الرواية * تقول هذه الوثيقة وهذه الخطوة أنه :

● اذا جاز لنا أن ندعو التيار الاول في الرواية الحزيرية تيارا مونتولوجيا ، فانه يجوز لنا ان ندعو التيار الآخر تيارا ديالوجيا * على أنه بينما لا يحزن ضمير النكتم في الاتجاه الاول كسبا موضوعيا للمتناقض الجزئي بين أداة « الانا » والمادة الروائية المختارة - وهي حدث سياسي في المقام الاول - فان ضمير الغائب في غالبية الاتجاه الثاني يحزن كسبا محققا للتوافق الفنى بين أداة « الآخر » والمادة الروائية نفسها ١٩

الاحداث هي السويس ، والحدث الرئيسي هو الهجرة التي دفعت اليها ظروف الحرب ، من مدن القتال الى بقية محافظات الجمهورية * ومن الطبيعي أن يركز الكاتب الضوء على شرحة البرجوازية الصغيرة في المدينة ، لان مشكلاتها هي الأكثر تميزا والاكثر تمييزا عن رؤية الكاتب للهزيمة والمقاومة على الصواء *

كمعظم الروايات التقليدية « الاجتماعية » تصبح « العائلة » هي بؤرة الاحداث الروائية ، من الجد الى الحفيد ، ومن الاصهار والانشياء والاقارب ، يختار الكاتب شخصياته « النمطية » الى الدرجة التي تتحول معها الى « قنعة » * فالكتاب لم يستمد كثيرا من تراث الرواية التقليدية في ثوبها الرقعى حيث تمتلئ الشخصيات بالنجم والسم ، وتبلغ حيويتها مبلغ الابهام الكامل * والجند المجوز الذي يعمل بقالا في احد شوارع السويس ، هو الشخصية التي تشبه من حيث المظهر الفلاح السوري المجوز في رواية « الابتر » يرفض أن يهاجر حتى اذا ذهب الجميع الى القاهرة والاسكندرية ووطنها * حتى زوجة ذهبت هي الاخرى مع بنتاتها واحفادها * لم يبق معه سوى « آمال » حفيطة من لبته الكبير المتوفى ، وهي التي أثرت البقاء مع جدّها ، خصوصا بعد هذه العلاقة البريئة التي تمت في ضلوعها ، بينها وبين هذا الجندي الذي جاء يوما يطلب عليه سجناء ، فالتصمت للميون في نظرة رطبت بينهما ربما عميقا * تتوالى الفارات على السويس ، وتتوالى المصائب على الاسرة التي هاجرت ، بالمواغة والافلاس والتشرد والسجون * ولكن « آمال » وحدها هي التي صمدت في جها ، رقم كل الاموال التي صاقتها *

* والكتاب يهوى المفاجآت التي تزخر بها السينما المصرية * ففي اليوم الذي قرّن فيه « حمى » أن يأتي ليخطبها ، يصاب بشظية ويقال الى مستشفى الحمادي * وفي اليوم الذي ذهب اليه يخرج هو من المستشفى الى قريته التي لا تتركها * وفي اليوم الذي تتم فيه خطبتها الى لجد ، إصمقاء العائلة ، يعود عزمى من القرية لتصطدم عيناً ببدلة الخطوبة اللامعة في اصبعها * وهكذا المفاجآت تل

البطولة ، ولكنها حين تصنع ذلك فأنها تتحدث عن بطولة الإنسان للمادى والمالوف ، الشخصية فى الرواية الحزيرية كالرمز الشفاف ، فطيلة حيناً وفردية أحياناً ، ولكنها وأمة الى ما هو بعد منها فى جميع الأحيان »

● الحدث فى أغلب هذه الروايات - من كلا التيارين - ليس هو الواقعة المتطورة علوياً مع الزمن التاريخى ، وإنما هو الموقف المتجرع عمقا والمتفرع ارتقاعاً . فالنسيج الروائى هنا يشبه الشجرة ، ولا يشبه القطار أو النهر . ذلك أن الإطار العام للحدث - على خلاف الرواية التقليدية - معروف مقدماً ، أنه الفاسم من حزينان ، وليس هناك جديد فى حدود هذا الإطار . وإنما الجديد حقاً ، ينبع من الموقف فى مده وجزره ، بين تهمده وقوده . لذلك كان اختزال التقاصيل من آيات حركة الحدث فى الرواية الجديدة ، ومن هنا جاء تركيزها البالغ الحدة والعمق والبرودة أيضاً . ولكن هذا التركيز الذى يصل ببعض الأعمال الى ستين صفحة من القطع المتوسط ، لاينى بحال لنا بإزاء قصة قصيرة مملوطة ، وهى الشكل الذى يغنى النقاد بالانزلاق الى تعميم الحكم بأن هذه الأعمال ليست لنا روائياً . أنها روايات قصيرة نهم ، ولكنها ليست قصصاً قصيرة مطولة على الإطلاق . تمتد من أساليب القصة القصيرة والقصيدة الشعرية والمسرح ، الجديد ، ولكنها فى خاتمة المطاف أعمال روائية .

● رؤية الناقد فى الرؤية الغالبية على هذا الانتاج الحزيراني ، وهى فى الاغلب رؤى البورجوازي الصغير البائع القلق والتسرد والاطلاق والتعميم . ولكن جانباً من هذا الانتاج - هو التيار الاول - لا يتحرك من اسان الحركة السلبية للبورجوازي الصغير ، وجانباً آخر - هو التيار الثانى - يبتدل من الجهد والماناة ما يتحرك به ايجابياً الى فكرة الثورة . ولكن الامن فى جميع الاحوال لا يتجاوز رؤية الناقد البورجوازي الصغير منواه كان لها معزولاً وظل من عيائه على دنيا البشر ، أو مناضلاً ثورياً يحصل على كتيبه رؤية المقاومة قولاً أو فعلاً .

فحين اننا فى النهاية أمام ظاهرة روائية جديدة ، تلازمت داخلها عناصر التجديد فى الفكر بمقتضى التجديد فى الفن ، هذا التلازم الذى يؤدى فى خط سيره للملام ، الى قيام رواية « عربية » جديدة

● ان ضمير المتكلم فى الاتجاه الاول لم يرتفع الى مستوى قياس الضمير ، فلم تمر الاحداث للخارجية من خلال انبوية الذات ، بحيث يصبح « الداخل » انكاساً شخصياً للخارج . وإنما ادى التعارض بين أداة التعبير وموضوع التعبير الى خلل فى البناء الروائى ، تسطحت بواسطة المرتبات المباشرة ، لأنها جاءت اسقاطاً عالياً لموقف مسبق من الواقع - هذا ، بينما كان الرواية فى الاتجاه الثانى همزة وصل موضوعية بين النظر والاشياء موضع النظر ، مما وفر لمعلم أعمال هذا الاتجاه درجة عالية من التماسك الروائى .

● كان من الطبعى ألا تتخذ أعمال الاتجاه الاول الى نقىض الظاهرة ، الى المقاومة ، ولكن أعمال الاتجاه الثانى تورطت أحياناً - بدافع رد الفعل - الى تظليل النقىض النامى على النقىض السائد ، تظليل المقاومة على الهزيمة . فيما عدا رواية « سداسية الايام المنة » التى اكتفت بصياغة السؤال - على الصيد الجمالى - بصمرة نظرح كافة الاحتمالات ، على الصيد الفكرى .

● يشترك التياران كلاهما - فيما هذا رواية غسان كنفانى الجديدة ورواية السيد الشوريى الجديدة - فى تعميم الاصول التقليدية للرواية العربية والاسهام فى تامين رواية عربية جديدة ، مستفيدة من تراثنا القليل نسبياً ، ولكنها تتجاوزهم بالقطع - الى آفاق غير مطروقة .

● من أهم ملامح التجديد فى كلا التيارين الكثرة الشعرية التى تتكون من الاختيار الحساس لجزئيات تبت من الواقع ولكنها ترتفع الى مستوى الرمز ، سواء كانت هذه الجزئيات شفوفاً أو حواش أو مواقف ، تتكون هذه الكثافة الشعرية كذلك من تبطين الخامة الواقعية بالحواش والخرافات والاساطير ، وأيضاً باستخدام « التضمين » الشعرى بين مواقف وآخر ، على لسان شخصية أو أخرى ، شعراً عربياً أو أوروبياً ، قديماً أو جديداً ، لشاعر معروف أو لشاعر مجهول .

● تختلف من أهم أعمال الاتجاهين الشخصية ذات الابعاد التقليدية ، الجسمانية والنفسية ، كما تختلف الشخصية الخارقة للمادى والمالوف ، رغم أن بعض الأعمال تتحدث عن



الديمقراطية والاشتراكية

في هذا المقال يتناول مصطفى طيبة من وجهة
نظره الخاصة قضية العلاقة بين الديمقراطية
وبين الاشتراكية .

مصطفى طيبة

فماذا احتوي هذا الميثاق التاريخي للثورة
الفرنسية من مبادئ تعتبر بحق الاسس العامة
للمدنيوقراطية البورجوازية ؟

لعل المادة الثانية من هذا الميثاق ؟ والمادة
الاخيرة ، يميزان بعمق من مفهوم الحقوق
الاساسية للانسان والواطن كما اطلقتها اعظم
الثورات البورجوازية قوة وحسبا ، وهي الثورة
الفرنسية عام ١٧٨٩ .

فالمادة الثانية تقول « كل الروابط السياسية
هدفها الاحتفاظ بحقوق الانسان الطبيعية ، تلك
التي لا يمكن ان تنتزع ابدا ، وهذه الحقوق هي
الحرية ، والملكية ، والامن ، ومقاومة الظلم ! »

اما المادة الـ ١٧ والاخيرة من هذا الميثاق
نقول « بما ان الملكية حق مقدس لانتهاك حرمته
فلا يجوز ان يحرم أحد مما يملك الخ .. »

أعلنت الثورة البورجوازية
الفرنسية ميثاق حقوق الانسان —
١٧٨٩ — اهتز العالم بأسره لهذا
الاعلان .

عندما

فالمبادئ التي تضمنها هذا الميثاق ، مبرت
بعمق شامل من اقصى ملكان يحلم به المفكرون
خلال هذه المرحلة . فلتد جاء هذا الميثاق تنويجا
لنضال طويل، قادته اكثر طبقات المجتمع الاتعاضى
تقسما ، وهي البورجوازية .

كما ان هذا الميثاق ، استكمل صياغة جميع
المواثيق التي حاولت الثورات البورجوازية من
قبل اعلانها ، خصوصا ميثاق الثورة الوطنية
الديموقراطية الامريكية عام ١٧٧٦ ، ومن قبلها
الثورة البورجوازية الانجليزية عام ١٦٨٨ ، فضلا
من ميثاق « المجانكرا » — اى العهد الاكبر —
عام ١٢١٦ .

ولا شك ان اعتراف الملكية حق طبيعي يقتضي
لا يتركها ، لنبا يجر من الجوهر الطبقي لثبات
الثورة الفرنسية .

ولكن هذا الميثاق ، بكل ماضيه من الامس
التي تحقق حرية الفرد ، وانه ، وحقه في اعتناق
ما شاء من آراء ، كان خطوة ثورية كبرى في
طريق التقدم الانساني ، رغم المحتوى الاجتماعي
البورجوازي للثورة الفرنسية . لان الاعتراف
بهذه الحقوق السياسية - رغم طابعها الطبقي
- يمثل ثورة بالقياس لعصر كان يحرق العلماء
لانهم يمثلون ان الارض تدور حول الشمس !!

نموذج جديد

لجوه حقوق الانسان

وفي يناير - ١٩١٨ - اي بعد ١٢٩ عاماً من
الثورة الفرنسية ، خرج الى العالم ميثاق لحقوق
الانسان ، صاغته اول ثورة اشتراكية منتصرة
في التاريخ - ثورة اكتوبر الروسية عام ١٩١٧ -
ليقدم للعالم نموذجاً جديداً لجوه حقوق
الانسان يتجاوز الحدود التي وقفت منها الثورة
البورجوازية .

هذه الاسس الجديدة تطلق من حقيقة
اساسية ، هي : الحقوق الاساسية للانسان
تبدأ من التحرر الاقتصادي والاجتماعي ، اي
الغاء استغلال الانسان لاجه الانسان ...
وتكون هذه الحقوق الاساسية من جنيين يستحيل
الفصل بينهما : الاول هو تأكيد الحقوق الاجتماعية
للانسان وفي قمتها حق العمل ، والتعليم ، والملاج
والتأمين ضد المرض والشيخوخة ... مع تحقيق
المساواة الحقيقية في الفرص لجميع المواطنين ،
بحيث تنطلق قدراتهم ، وتتأصل أكتيكتهم في
الخلق والابداع .

والوجه الثاني : هو تحويل الحقوق السياسية ،
والمدنية ، والقانونية الى التزامات يتعين على
الدولة تويرها .

فلم تعد حرية الصحافة ، وحرية الرأي ،
والفكر ، مجرد صياغات جميلة يستلزمها اصحاب
الامتيازات في الصحف والمجلات ... انما ظهرت
نصوص جديدة تؤكد التزام الدولة بالعمل على
توفير وسائل هذه الحرية لجماع الشعب .

نوعان من الديمقراطية

وشكلان متناقضان للدولة

هكذا برز الى الوجود نوعان من الديموقراطية

وشكلان متناقضان للدولة :
الديموقراطية
البورجوازية ودولتها المعبرة عن مصالح هذه
البورجوازية في تمة تصولها الى احتكارات
طائفية ... والديموقراطية الاشتراكية بدولتها
المعبرة عن دكتاتورية الطبقة العاملة .

الاولى تحمل راية الحريات السياسية : مثل
حرية الصحافة ، والفكر ، والضمير ، وحرية
تكوين الاحزاب ، وضمان اشراف القانون على
الدولة نفسها ، وضمان حق الملكية ، الخ ...

والثانية : تنطبق شعاراتها من واقع التحرر
الاجتماعي للانسان اولاً ، ثم ضمان حقوقه
السياسية ثانياً .

ومع نمو وتصارع هذين النموذجين شاع
في الأذهان وهم خطير ... توامه ان الاشتراكية
تتجاهل - او تنكر - الحقوق السياسية
للانسان ... وتكتفي بتحقيق حقوقه الاجتماعية ...
لمجرد انها طالبت بضمين الامن الاجتماعي للثلاثين
من شبح البطالة والشيخوخة ... وبعد توفير هذه
الضمانات الاولى يمكن للانسان ان يبحث ويحدث
عن حرية الرأي ، والصحافة ، والفكر ، وغيرها
من الحريات ! ... فقبل توفير رغبت الخبز
للجميع ، وضمان هذا الرغيف في المستقبل ،
يستحيل ان نطالب بالانفاق عن حرية الرأي ،
والفكر ، والانتخاب ، الخ ... !!

فهل حقاً تتصف الديموقراطية الاشتراكية ؟
بتجاهل او انكار - الحقوق السياسية -
والقانونية ، للانسان وتكتفي بضمان حقوقه
الاجتماعية فحسب ؟

بعض المبادئ الاساسية

لعل من المفيد قبل مناقشة هذه القضية
البدا باعادة تأكيد بعض المبادئ الاساسية فيما
يتعلق بالاشكال المختلفة للديموقراطية ...
والخلافاً للمبينة بمسند هذه القضية :

اولاً : ان كل شكل ، او نمط ، للديموقراطية
لا ينبع من قيم مجردة معزولة او منفصلة عن
الظروف التاريخية ، والاجتماعية ، التي تبرز
في اعماقها ... انما يتحدد تسجيح هذا النمط
او ذاك من الديموقراطية ، في علاقته الوثيقة
بالواقع الذي يتبع منه ، والطبقة الاجتماعية
المسيطر على هذه الدولة الديمقراطية او تلك
في شتى اجزائها التنفيذية .

ثانياً : ان كل شكل للديموقراطية ، مهما

استعنت وأذهنته بذائلة أثيل الحقوق الإنسانية هو في الوقت ذاته نوع من الدكتاتورية ... ينطبق هذا على الديمقراطية البورجوازية ، والديمقراطية الاشتراكية على السواء ١١

في الغرب الرأسمالي ١٢ تشيطن الاحتكارات الرأسمالية والاحتكارية ١٣ على شتى الميادين الاقتصادية ، والسياسية ١٤ والمعمارية ... ويستند نفوذها ليشمل السيطرة الكاملة على جميع أجهزة ، وأدوات « الديمقراطية » ... سواء في صورة أجهزة تشريعية ١٥ أو قضائية ١٦ أو اعلامية ١٧

ونفس الأمر ينطبق على الديمقراطية الاشتراكية بالمعنى « الماركسي » ... مخلف هذه الديمقراطية تميزت بكتاتورية البروليتاريا ، كمرحلة انتقالية ضرورية لحماية الاشتراكية من خصومها في الداخل والخارج ١٨

ثالثاً : ان الخلافات الجذرية بين هذين النظامين ، الرأسمالي ١٩ والاشتراكي ، حول مفهوم الديمقراطية وحقوق الإنسان ، يندد الى جميع الميادين ... في صورة صراع لا ينتهي حول جميع القيم المستمدة من هذا الشكل أو ذاك للديمقراطية ٢٠

على الميدان القانوني - مثلاً - يتخذ هذا الصراع أطواره الرئيسي حول معنى سيادة القانون .

فالشرعية بالمعنى الاشتراكي مرتبطة بنظام اجتماعي معين ... لا يمكن أن تفصل عنه ... القانون والشرعية ٢١ ظاهرتان نبعثتان من النظام الاجتماعي وليس العكس ... بمعنى أنهما لا يتخلقان هذا النظام أو يوجدان بمسئله هن أهداف القوى الطبقية المسيطرة عليه .

بينما يحاول فلاسفة القانون الكاشفون للمعنى البورجوازي للديمقراطية ٢٢ تقديم فكرة الشرعية باعتبارها مبدأ فلسفي ٢٣ قانونياً ٢٤ يستند الى أهم المثل العليا للحولة التي يحكمها القانون ٢٥ ويفرض هيئته عليها كضمان وحيد لكرامة الإنسان والنفاع من حرياته .

٤ ويقول مفكرو القانون الاشتراكي ٢٦ ان السمة المميزة للشرعية - أو سيادة القانون - من وجهة النظر البورجوازية ، تعتمد على أسطورة تتناقض مع التاريخ ٢٧ والواقع ... فهي إذ تضع هذه الشرعية فوق الدولة ٢٨ والتاريخ ، والطبقات ٢٩ إنما تؤكد في نفس الوقت طبيعتها الحقيقية ٣٠

ولان جهاز الشرعية البورجوازية يمثل في طبيعتها الطبقيية .. ومن هذه الطبقة تتحدد رسالتها ... المحافظة على النظام الاجتماعي في أعلى مراحله ، الاحتكارية والاستعمارية ، والنفاع عن حق هذا النظام المطلق في قمع قوى الطبقات الكائنة : وحقه - المشروع ٣١ - في استخدام تكنولوجيا الدمار الشامل ضد التسعوب الأخرى المتاخسة من أجل حريته ٣٢

ولعل نموذج الحرب في فيتنام يعبر بعمق عن جوهر هذه الشرعية عندما تصطدم بتناقضها الدائم بين التسعرات المجردة ، والواقع المعمل المتمثل في صراعها ضد أرادة شعب عظيم قرر انتزاع « شرعية » حقوقه في الاستقلال والحرية ٣٣

من هنا كان التناقض بين تأكيدها لوحدة التعاون وسيادته على الجميع ، وصراعها المحتوم للدفاع من نطايها الاستغلالي ، داخل حدودها ، وخارج هذه الحدود ... مستخدمة أعلى أصوات القهر السياسي ، والفكري ، والتدبيرى حينما تلوح في الأفق ملامح الخطر على هذه « الشرعية » المقدسة ٣٤

القانون نتاج تطور بشرى

ونحن نؤمن بوجوب احترام السحولة لحرية المواطن ... ونؤمن بأن الاشتراكية أفضل نظام يكفل هذه الحماية ... ولكن يجب مراعاة الحقائق التالية ٣٥

ان فكرة قيام حق مثالي مطلق ، يتجاوز حدود الزمان والمكان ، ويسمو على الصراعات الاجتماعية ، باسم القانون أو الحرية ، أنها هو وهم كبير ... لان القانون هو نتاج تطور بشرى انه شرة اجتماعية تسمى بضمان الحقوق المشروعة للقوى المهيمنة على هذا النظام الاجتماعي أو ذاك ... والذين يصورون ان سيادة القانون معنى مستقراً ، ثابتاً ، أزلياً ، يرتفع فوق التاريخ ، والمجتمعات ، والصراعات ، يقعون في خطأ جسيم ... لان القانون ظاهرة متغيرة .. وستظل دائماً القدير طالما استمرت الحياة ... بل ان أحد عمالقة الفكر القانونى الغربى - ديجي - قال بوضوح كامل « ان حكم القانون قد تغير وسوف يتغير بتغير اشكال النظم الاجتماعية .. وبالتالي فان سيادة القانون ليست مثلاً على بنى الاقتراب منها ... ولكنها في الحقيقة قاعدة متغيرة ، متطورة ... يجب على رجل القانون الذكى ، تحديد مدى ملائمة قواعدها مع الواقع الاجتماعى الدائم المتجدد والتغير ٣٦ »

لتبدأ بالكتاب **الظلم** و **الفسق** ٥- لهذه القضية :

ان جوهر المفهوم الاشتراكي العلمى ينطلق من المبادئ التالية :

أولا : ان الحرية الحقيقية الكاملة للانسان ، أمل عظيم ويمعّد يستحيل الحديث عنه بمنزلة من التطور التاريخى للطبقات الاجتماعية ... وهى لن تتحقق بصورتها المثالية الا بزوال الفوارق الطبقة ، واسيباب الاكراه ، واستغلال الانسان لآخره الانسان ... ومثل هذا الهدف الكبير يمكن الوصول اليه بعد انتهاء الصراعات الداخلية ، والمالية ، بحيث يتضائل تدريجيا الدور القمى لجهاز الدولة ... بل وتنبهية الظروف لتتلاقى هذا الجهاز مع زوال الاسباب التى خلقتها .

ثانيا : ان الانتقال من الرأسمالية الى مجتمع الرخاء والحرية الكاملة ، يحتاج الى تشديدية جهاز الدولة ، كاداة لكتاتورية البروليتاريا والفلاحين ، كضرورة تاريخية لتصفية المقاسمة الداخلية والخارجية لاعداء هذا التحول .

ثالثا : ان الحريات خلال هذه الفترة الانتقالية تكتسب تفسونا جديدا ... يخطف جديرا من المسجون الرأسمالى ... فهى تبدأ من ضرورة تحرير الانسان اقتصاديا ، واجتماعيا ... كمدخل اولى لكاملة الحريات الأخرى ... فالانسان قبل ان يمارس حقوقه السياسية ، والقانونية ، يجب ان يأكل ، ويشرب ، ويلبس ، ويجسد المسكن المناسب ... فالحرية الحقيقية تبدأ عندما تجتث جذور الاستغلال ، والتفرقة الطبقة ، حينئذ يبدأ عصر الاحلام العظيم للفلاسفة والمفكرين .

رابعا : ان الديمقراطية الاشتراكية — حتى فى مرحلة الانتقال — تحقق ارتقى مستويات الحريات السياسية ... لانها لا تكفى بتسجيل هذه الحقوق فى وثائق ، انها توفر لجهازم الشعب أدوات لتنفيذها ... فحرية الاجتماعات ترتبط بقيام الدولة بإشياء الاباكن النسبسية لهذه الاجتماعات ... وحرية الصحافة ، والراى تنتقل لمستوى الممارسة الفعلية للملايين من طريق تعهد الدولة الاشتراكية بتوفير الصحف للملايين

ومع توفير هذه الحقوق ، وفى احضان هذه الحرية المطلقة من التفرق الاجتماعى ، تنبو وتزدهر الواهب الشخصية ... لتسهم بدورها الخلاق فى النشاط المتعدد ... لاته مع الوصول لوضع فكرة **العقل الاجتماعى** فى مكانها الصحيح — عن طريق الاشتراكية — تتحول الحرية الى قوة خلق وابداع للملايين العاملين .

ولا يفت الصراع بين **تسنتين** **الديموقراطيين** والراسمالية والاشتراكية — عند هذه الحدود ... ولكن يمتد لملايين كثيرة . وفى الامم المتحدة يتخذ هذا الصراع شكلا جديرا بالملاحظة والتسجيل ..

فنعنبا بدلت مناقشة ميثاق حقوق الانسان داخل هذه ، المنظمة الدولية ، ثار جدل طويل بين ممثلى النظامين الماليين — الاشتراكي والراسمالي — حول الجوهر الحقيقى لهذه الحقوق .

وشهدت لجنة اعداد الميثاق عام ١٩٤٧ مناقشات بالغة الاهمية لهذه المسئلة ... عبر عنها شارل مالك مقرر لجنة صياغة حقوق الانسان بقوله « ان الخلاف بين النظامين انحصر حول الاهمية النسبية لكل نوع من الحقوق ... وجوب اعطاء الاولوية لاحدهما على الآخر ... ولقد رأت الدول الاشتراكية بوجه عام فى مسئلة حقوق الانسان انها قبل كل شئ حقوق اقتصادية واجتماعية لجماعير الشعب ، وواجب الدولة توفيرها ... بينما ركزت الكتلة الأخرى على الحريات الفردية التقديرية »

وبعد اقرار هذا الميثاق العظيم لحقوق الانسان من جانب هيئة الامم المتحدة — ١٩٤٨ — لم تهدأ حدة الخلافات ..

فهناك من نادى بضرورة الازام القانونى لهذا الميثاق ... بمعنى وجوب التزام دول العالم بتطبيقه ... مهما اخطت النظم الاجتماعية بداخلها .

فى حين وقف غالبية رجال القانون فى جانب آخر ... قوامه ائبلت القبة الادبية ، والمعنوية ، والتاريخية ، لهذا الميثاق العالى ، بلا اوام تحاول فرضه كقانون فوق كل قوانين دول العالم المختلفة اجتماعيا وسياسيا !

المفهوم الاشتراكي

العلمى للديمقراطية

ونعود الى السؤال الذى طرحناه من قبل : هل تسهم الديمقراطية الاشتراكية ، بتجاهل ، او انكار الحقوق السياسية والخدمية للانسان ، مكتفية بضمان الحقوق الاجتماعية ؟

وهل تعتبر الاخطاء التى شلت لبعض الأنظمة الاشتراكية — الماركسية — بصدد الشرعية ، تابعة من ظروف خاصة ، أم انها جزء لا يتصل من الفكر الاشتراكي الماركسي ومنطلعه الاعميل ؟

مبادئ الديمقراطية

الاشتراكية فى التطبيق

من هذه المنطلقات الفكرية الاساسية ، بدأت اولى التجارب الاشتراكية فى العالم ، بعد انتصار ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فى روسيا القيصرية . . . فكيف انتقلت هذه القواعد العلية الى مجال التطبيق ؟ . . .

ان اداء هذه التجربة جاءها طويلا لايتأتى ما اسماه بالارهاب الذى صاحب انتصار الثورة . .

ولقد تكلموا طويلا عن الغاء الاحزاب ، وانعدام الرقابة الذاتية ، وفقدان حرية الرأى ، الخ . . .

فهل بدأت التجربة الاشتراكية ايلها الاولى بشهر سيف الارهاب والكبت ضد المختلين معها فكريا ، وسياسيا ؟

لعل استعراض بعض الحقائق المتعلقة بظروف انتصار اول ثورة اشتراكية يظهر الكثير من الزوايا التى يتعمد الممانون لها انكارها .

اولى هذه الحقائق ان الاحزاب السياسية المعارضة للسلطة الجديدة بقيادة لينين ، ظلت تمارس نشاطها بحرية كاملة بعد الثورة . . . من بين هذه الاحزاب ، « الكاديت » ، وهو حزب البورجوازية الروسية - والاشتراكيين الثوريين - حزب البورجوازية الصغيرة - والمشفيك - الجناح اليميني للحزب الاشتراكي الروسى - وغيرها من الاحزاب والمنظمات .

وثانى هذه الحقائق التاريخية ان السلطة الاشتراكية المنتصرة التزمت ببرنامجهما قبل الثورة . . . وهو اجراء انتخابات علىالجمعية التأسيسية، لتكون الاداة التشريعية لمرحلة الثورة . .

ومع ان نتيجة هذه الانتخابات ، جعلت من حزب البلاشفة - الحزب الحاكم بقيادة لينين - اقلية داخل الجمعية التأسيسية ، فان لينين لم يتخذ فى البداية اى اجراء معاد . . . ولم يصخر قرار حل هذه الجمعية الا بعد رفضها القرار ميثاق حقوق الشعب الذى يضمن توفير الحقوق الاساسية التى املها البلاشفة قبل الثورة . .

والحقيقة الثالثة ان السلطة المنتصرة تعرضت الى اكتساب شريعنها بعد هذه الانتخابات بكسب غالبية حزب الاشتراكيين الثوريين الى جانبها . . . واشترك بعض قياداته فى الحكومة الجديدة .

والحقيقة الرابعة ان حرية الصحافة كانت فى ازور مظاهرها - حتى بالمفهوم البورجوازى - ولم تلجأ السلطة الجديدة لاي اجراء قسود سحب المعارضة ، رغم حملتها المسورة ضد الثورة .

بل ان ثقة هذه الثورة بنفسها ، واهميتها بالحرية ، وصلى الى حد اطلاق سراح جميع المعتقلين ، حتى اعضاء الحكومة البورجوازية التى لطاحت بها الثورة الاشتراكية فى اكتوبر ١٩١٧ .

فكيف تطورت الامور بعد هذا ، لتصل حد الغاء هذه الاحزاب ، وصحتها ، وبيدتها ما اطلق عليه اسم : **الارهاب القوي** ؟

الواقع ان هذا التصول لم يبدأ من جانب السلطة الاشتراكية الوليدة . . . انما بدأ الارهاب اولاً من جانب المعارضة . . . فى صورة اغتيالات لقادة الثورة ، وبعض سفراء الدول الاجنبية ، ليصل قمته قرب نهاية عام ١٩١٨ ، فى صورة اطلاق الرصاص على قائد الثورة نفسه - لينين - وهى المحاولة التى كان لها اثرها على موته عام ١٩٢٣ .

هكذا بدأ الارهاب من جانب احزاب المعارضة . . . وانتقلت خصوصتهم للسلطة الجديدة ، لتجاوز كل دستور أو قانون .

ثم ارتبط هذا الارهاب ببداية المقاومة المسلحة المنظمة من القوى المعادية ، فاقحة بذلك مرحلة الحرب الاهلية ، التى امتدت بعد ذلك بحروب التدخل لضرب الثورة من جانب الدول الرأسمالية . . . وتتخذ . .

وامام هذه الموجة من الارهاب ، والتحالف مع القوى المعادية المسلحة ، الداخلية والخارجية ، بدأت مرحلة جديدة من حياة هذه الثورة ، مرحلة **مواجهة الارهاب الرجعى المسلح ، بالارهاب القوي المسلح** .

ودخلت السلطة الجديدة صراع الحياة والموت ضد هذه القوى ، وانتهى هذا الصراع بانتصارها بعد تصفية جميع الاحزاب والمجموعات المعادية .

فكان الموقف من الاحزاب والحريات التقليدية لم ينبع من منطق الثورة نفسها . . . انما فرضته عليها ظروف الحرب الاهلية ، وحرب التدخل ، ومواجهة التخريب والارهاب ، والاغتيالات ، بالاسلوب الوحيد الذى تقرر اكثر الديمقراطيات الغربية تشنقا للحريات والقانون ؟

انحراف بعض التجارب الاشتراكية

ان التاريخ الحقيقي لأول تجربة اشتراكية ، يظهر بوضوح من الذي بدأ الإرهاب ، ومن الذي أُرغم على استخدام الحق الإنستقلى المشروع لمواجهة هذا الإرهاب .

الديمقراطية الإنستقراطية إذن لا تفترض بالضرورة الغناء الأحزاب ، أو بمصادرة حريات المختلفين مع سياسة الثورة .

والدليل الأكبر هو اختلاف بعض التصارب الاشتراكية في أوروبا ، وآسيا ، عن النموذج السوفيتي . . واستناد هذه التجارب لشكل جديد من السلطة ، يعترف بوجود الأحزاب ، ويختلف معها .

ولعل أبرز نموذجين معبرين عن هذه الحقيقة ؟ هما تجربة الاشتراكية في ألمانيا الديمقراطية ، وتجربة الثورة الصينية .

ثم يأتي هذا السؤال : « لماذا انحرف بعض التجارب الاشتراكية ، عن خط الشريعة الاشتراكية — أى سيادة القانون — وتضخم الأجهزة البوليسية وكتبتا للحريات العامة ؟ »

ما هي الظروف الحقيقية التى تنتج « ما سى » بمرحلة الستالينية في الاتحاد السوفيتي ، ومرحلة الإرهاب والبيروقراطية على يد راكوش في الجبر ؟

هنا ينبغي التمييز بين أمرين :

الأول : حداثة التجارب الاشتراكية ، وغوشت بعض المفاهيم المتعلقة بالثورة بين الديمقراطية البورجوازية ، والديمقراطية الاشتراكية وأن هذا العامل في بروز الظواهر المسلبية ، سواء في صورة عبادة الفرد ، أو إهدان مبدأ الشريعة .

فصلا من التخلت الاقتصادي - والاجتماعي في عدد من البلاد الاشتراكية في بداية التطلاق ، والحصار والخريب من جانب الرأسمالية العالمية ، بكل ما تحدثت هذه المواقف وتكثف مسؤولية الوحدة القهرية ، بدلا من تحقيق هذه الوحدة من خلال الحوان ، والخلافة ، والتوقع .

والامن الثاني : أن هذه الظواهر السلبية عارضة وليست أصيلة منيها عوامل تاريخية واجتماعية بعيدة عن جوهر المفهوم الاشتراكي للديمقراطية وكل شخصية لاتحمل الاشتراكية كسبب أصل لعدم الحريات السياسية ، تتفقنا لإسما الحقائق الموضوعية .

وليس معنى هذا التسليم بأن الإشكال الحالية للديمقراطية في المعسكر الاشتراكي ، بلغته مرحلة العلاج الجفري لأبراش المراجعة الأولى أو أن هذه الإشكال بلغت حيد التطابق بين الديمقراطية الاشتراكية وأساليب تطبيقها .

ففى اعتسدى أن التطور الاقتصادي والاجتماعي ، لقوى الاشتراكية العالمية ، مازال ينتقد خطوات جبرية في مجال تطويع الديمقراطية خطوات تحترف بأهمية القيم الإنسانية المكتبة في بعض عناصر الديمقراطية الغربية ، بدلا من ادانة هذا المسكلك بأكمله ، باعتباره أداة مسالحة لكتاتورية البورجوازية فخصب .

ان الإيمان بحرية الرأى ، وتصريه الإبداع الفكرى ، والأدبى ، والفنى ، والفتة الكلية في قدرة الأجهزة السياسية ، والإعلامية ، والتنظيمية للاشتراكية على الدفاع عن قيمها من خلال الاقتاع الحر المباشر ، ضرورة تفرضها التطورات المعاصرة لثورة العلوم والتكنولوجيا ، ففصلا عن ضرورتها في معركة المناقسة الاقتصادية ، والعلمية ، والديمقراطية ، مع الرأسمالية .

الديمقراطية الجديدة

في البلاد الحديثة الإستقلال

وإذا كان التناقس بين الرأسمالية والاشتراكية في ميدان تنعيم النموذج الأمثل لحريات الإنسان وكرامته ، قد شابهت مغالطات أمداء الاشتراكية وأخطأ تصورها ، فإن تجربة البلاذ الحديثة الإستقلال ، والزاغية في تجنيد الطريق الرأسمالي ، في البحث بين ديموقراطية جديدة تلتزم فلسفتها الاجتماعية ، وتحقيق طموح شعوبها ، في الحرية والتطور والعدالة الاجتماعية ، جديرة بالنقد والتأمل .

ونستطيع تقسيم هذه الدول ، إلى ثلاث مجموعات لكل منها سماتها الواضحة ولها تجاربها الغنية في الميدان الاقتصادي ، والاجتماعي ، والسياسي .

المجموعة الأولى : تضم بعض الدول التى لم تستطع اكتساب حريتها الكلية من الاستعمار وليقت إلى الكثر من الروابط الاقتصادية والصكرية بمة ، وقطرت ضاوتها للتطور في الميدان الاقتصادي ، والسياسي ، نتيجة لهذه الروابط ولا شك أن في مالنا المصري ، وفى أفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ، لمؤثر كثيرة معينة عن هذه المجموعة .

والمجموعة الثانية : وتقسّم بعض الدول التي قدّمت شوطاً كبيراً في ميدان تحررها الاقتصادي، والسياسي، وتسمى لاقامة نوع من النظام الاجتماعي، يتخطى آلام الرأسمالية، بلا نظرية اشتراكية متكاملة، وبالإعتماد على النمط البورجوازي للديمقراطية، وتقديس كل القيم النابعة من هذا النمط... ولعل الهند، وسيلان، وتشيلي في أبرز هذه النماذج... مع تفاوت ملحوظ في درجة الحسم الثوري أو الالتزام بفكر مجسد.

أما المجموعة الثالثة : فتتألف برغم الطريق الرأسمالي، ورفض التشكل الديمقراطي التقليدي، واتخاذ خطوات جزئية في معركة التحول الاجتماعي... وأبرز نموذج لهذه الدول هي مصر الثورية.

والواقع أن المناقشة، والمفاضلة بين طريق الديمقراطية التقليدية لتجاوز الرأسمالية، وطريق الديمقراطية الجديدة في مصر، المختلفة عن الديمقراطية في المصكرين، الرأسمالي، والاشتراكي، تستدعي التركيز الآن...

لغنى الهند محاولة للبحث عن طريق جديد للتطور الاجتماعي، يحقق آمال الجماهير وطموحها المشروع، في الحرية والتقدم، والرخاء... والاشتراكية متخذة من الديمقراطية التقليدية الكلاسيكية وسيلتها الأساسية...

ولكن هذه التجربة في التطور السلمي للدرجى الديمقراطية، من أجل الاشتراكية، يفترضها بشكل كبير.

فالرأسمالية الهندية بلغت درجة عالية من التطور... وتتملك من القوة الاقتصادية، والسياسية، والأهلية، ما يجعل المساس بمصالحها الأساسية قضية صعبة من خلال الأسلوب الديمقراطي.

ومع أن اليسار الهندي، استطاع إصراراً انتصارات كبيرة داخل حزب المؤتمر الهندي الحاكم، خصوصاً خلال الانتخابات الأخيرة التي دارت على أرضية واضحة من الصراع بين اليمين واليسار، فإن المعركة في جنبها الاجتماعي ما زالت غامضة.

بقايا الإقطاع في الهند، والقوة الاقتصادية الواضحة للرأسمالية هناك، يشكلان عناصر ضغط تجعل من خطوات التحول الاجتماعي الجزئي للطريق غير الرأسمالي، عملية بالغة التعقيد.

ولكن الظاهرة الجذرية بالأعجاب، والتقدير، في هذا البلد الصديق العظيم، هي قدرة القوى الديمقراطية، واليسارية، على عزل اليمين الهندي عن مواقع السلطة، من خلال الشكل الديمقراطي البورجوازي التي طالما تشدق هذا الجناح بتقديسها!

ومن السابق لأوانه إصدار حكم شامل على تجربة الهند الاجتماعية، والسياسية بمدى الاستقلال... فالمعركة بين التمسك الرأسمالية والمعادين لها، لم تحسم بشكل نهائي.

كما أن قدرة هذا الشكل من الديمقراطية التقليدية على تهيئة الظروف للتحول الحقيقي نحو الاشتراكية، المستند إلى اتحاد الأحزاب والحريات الكاملة للمعارضة بقضى اتجاهاتها... مسألة تحتاج إلى جهودا خارقة.

أما التجربة المصرية « الثورية »، فثابتا تخطت عن طريق الهند من أجل التقدم.

ففي مصر، اللزوة استطاعت القيادة أن تشعل مقاومة الرأسمالية الكبيرة من خلال إجراءات يوليو التاريخية.

وامتد الآن هذه الثورة الاجتماعية المثبتة في هذه الإجراءات ليشمل تغييراً شاملاً للبنية السياسية، والفكرية، والتنظيمية، للبلاد.

فلقد حدث الميثاق الوطني، بشكل أعطى وثيقة فكرية للاندماج الحر، ينشد تحقيق العدالة الاجتماعية للجماهير، جاملاً من الاشتراكية الطريق الوحيد لهذه العدالة.

ولا يبالغ إذا قلنا أن التجربة المصرية - منوهاً من حيث لتشكّلها الديمقراطية - أو حتى إجراءاتها الاقتصادية والاجتماعية - تشكلت مخرسة جديدة في الفكر السياسي، والاشتراكي، أحدثت تأثيراً كبيراً في بعض بلاد « العالم الثالث »، فضلاً عن تأثيرها المباشر في تحديد معالم التطور الثوري في عالمنا العربي.

والفكر الديمقراطي، والاشتراكي، في أهم وثيقة نظرية للثورة المصرية - الميثاق - يمتاز بالأصالة، والانفتاح، والحسم...

في الجانب الديمقراطي : ترفض التجربة المصرية، الديمقراطية البورجوازية التقليدية، المرتكزة إلى قيم تمجيد حقوق الملكية للطبقات « المثقفة »، وتحول من الحقوق السياسية والمادية

لنقد تأييده النهائية... معالجة الجسور
الاجتماعي لهذه الحرية .

في هذه النقطة بالتحديد ، تقرب أفكار الميثاق
من الديمقراطية ، من المفهوم الاشتراكي العلمي
لهذه القضية... رغم السمات الخاصة المستمدة
من التجربة المصرية .

ولعل النص الواضح على ضرورة تحرير
المواطن اجتماعيا ، كخدمة ضرورية لحياته
السياسية ، تبين هذا الاقتراب مع المفهوم العلمي
للإشتراكية .

كما ان النص على ضرورة تبني الشمال
والفلاحين ، بنسبة ٥٠٪ على الأقل ، لجميع
الهيئات السياسية ، والشرعية ، يعبر بعمق
من اتجاه هذه الديمقراطية نحو اوسع الجماهير
باعتبارها صاحبة المصلحة الاساسية في التطور
الاجتماعي .

وفي الجانب الاشتراكي ، صاغ الميثاق
مجموعة من المبادئ الرئيسية .. تضمن سيطرة
الحسب على وسائل الانتاج الرئيسية ، وارتفاعه
عليها ، مع وضوح الحدود العنصرية فيها يتعلق
بدور القطاعين العام والخاص في المجتمع ،
والتأكيد على سيطرة القطاع العام كضمان للتحويل
الاجتماعي نحو الاشتراكية... فكيف انتقلت
هذه المبادئ الى مجال التطبيق ؟

التناقض بين النظرية والتطبيق

كما ان التناقض بين النظرية والتطبيق قضية
واقعية قائمة في كافة النظم الاجتماعية ، سواء
في ظل الرأسمالية ، او الاشتراكية ، فان التجربة
المصرية لم تخل من هذا التناقض .. بل انه اتضح
في بعض المراحل اشكالا حادة ، خصوصا فيما
يتعلق بالديمقراطية .

فبينما احتوت دستور الميثاق ، والدستور
المؤقت ، وبين ٣٠ مارس ، على تلب التسييم
الانسانية لحقوق الانسان السياسية ، والقانونية ،
من سمويات المسيرة الثورية ، وصراعا الدائم
ضد المؤامرات الاستعمارية ، والرجعية ،
لاهماسها .. جعل هذا التناقض يتخذ صورة
حادة .

ان السروح العامة لوثائق الثورة المصرية
الاساسية ، تحرص على تأكيد المطلق فاعلمية

الثابت ، وتقدير تلكات الثلاثة ؟
سيطرته السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ،
من خلال الديمقراطية .

ونفس هذه السروح تبدو واضحة المضمون ،
عندما تحدد خطوات انتقال السلطة للجماهير ،
في كافة المستويات ، من طريق المجلس
الشعبية ، والتنظيم السياسي ، والسلطة
التشريعية ، بل والاشراف على أجهزة الدولة .

بيد ان هذه الروح العظمى انتقدت نفسها
عندما انتقلت من ميدان النصوص ، لواقع التطبيق
ومشاكله .. لماذا ؟

من الصعب تحديد عنصر واحد يفسر هذا
التناقض ... انها هنالك عوامل عديدة قادت
في النهاية لتنتيجة بدت غريبة من روح هذه
الوثائق التاريخية .

هناك أولا عنصر الصراع المستتر ضد
المؤامرات الاستعمارية ... واثر هذا الصراع
في تضخم الأجهزة البوليسية ، والبيروقراطية .

وهناك ثانيا مراكز القوى العنصرية .. بكل
ما تسيطر عليه من سلطان بوليسي ، واداري
وسياسي ، واجتماعي ... جعلها تشبه
بمحيط يوجب من الثورة تنفق طلائع جماهيرها ،
ويحد من ابداعها ، ويحكم عليها بالسلبية .

وهناك ثالثا هذه الطبقة الجديدة المسيطرة على
كافة الأجهزة الحيوية في البلاد... بتطلعاتها
واحلامها التناقضية مع آمال الجماهير...
وتضالها من أجل ابعاد جهوع الشعب من
المشاركة الحقيقية في تقرير مصائر البلاد...
ثم هناك الفشل الدائم لخلق التنظيم السياسي
الجماهيري ، القادر على مد القيادة الثورية
بحرارة الجماهير ، وخلق الاتصال العضوي
الضروري باستمران .

هذه العوامل وغيرها ، استبدلت العنصر
البيروقراطي ، والبوليسي ، بل والارهابي ،
لحملة الثورة ، بدلا من السياج الديمقراطي
الحقيقي لهذه الحياة ، من طريق الجماهير .

مرحلة جديدة .. ومبادئ جديدة

وعندما وقف الرئيس ثورة السادات ، بعد
أحداث مايو التاريخية ، يكتشف بقوة هذه الأساليب
البوليسية المعادية للديمقراطية ، فانه بذلك
افتتح مرحلة جديدة في حياة ثورة ٢٣ يوليو الجديدة

عكس هذا الوجه... والبيئة استحقاق حماية الثورة ، بلا جماهير ثورية إيجابية تحمي بنشاطها الواعي جميع انتصاراتها الماضية ... ولا طريق لهذا سوى تأكيد حريات هذه الجماهير وحمايتها بسياسات متين من القانون .

ويبقى هذا السؤال الأخير : أين تقف التجربة الجديدة للديمقراطية في مصر ؟ ... هل تنتهي إلى الديمقراطية الاشتراكية — من وجهة النظر الماركسية — أم أنها جزء من الديمقراطية التقليدية في الغرب الرأسمالي ؟

أعتقد أن التجربة الثورية المصرية هي شكل جديد ... فرضته الظروف التاريخية ، والقومية ، والاجتماعية الخاصة بها ... إنها ديمقراطية القوى الوطنية الساعية لإعادة بناء مصر العربية ، جاعلة من الاشتراكية هدفا في جميع وثائقها الرسمية .

وهذا النوع الجديد من الديمقراطية ، يشكل قوة ثورية تقدمية في النضال العالي ضد الاستعمار ، والرأسمالية الاحتكارية .

وليس صفة أن يكون جميع أصدقاء ، وحلفاء ، هذه التجربة ، على النطاق العالمي ، من القوى الديمقراطية ، والثورية ، والاشتراكية ... وليس صفة أيضا أن يحظى هذا النموذج الفريد ، بوسع اهتمام من جانب أعظم مفكرى مصرنا ، باعتباره علامة بارزة على صفة الافتراض النظري القديم ، وهو أن مصالح الثورات الوطنية ، مع الثورات الاشتراكية ، ومعسكرها الكبير ، ضرورة تاريخية تسهم في تصفية الاستعمار ، والعنوان ، والعنصرية ، من وجه كوكبنا بأسره .

... فمن يتعمق فهمها النقدية ، والإنسانية ، وتسمى لإعادة الروح الديمقراطية ، والشمسية ، لثورتنا التي انطلقت لسببا من أجل هذه الجهادي .

وهكذا دخلت التجربة المصرية ، الثورية ، هذه المرحلة الجديدة ... فاتحة معها بانتخابات شاملة لجميع الأجزاء السياسية ، والنقابية ، والاجتماعية ... وتتويج هذا التحول بإعلان الدستور الدائم للبلاد .

هل يمكن على ضوء هذه التحولات ، ضمان تحقيق الامة بين النظرية والتطبيق — خصوصا فيما يتعلق بالديمقراطية — بلا أخطاء تمزق الجماهير من المشاركة الإيجابية فيها ، مع اليقظة الدائمة لحالات القوى الرجعية للاستفادة من هذه الظروف الجديدة ؟

في اعتقادي أن التمسك الحاسم ببيدات هذه المرحلة ، الاحترام الكامل لمبادئ الدستور ، والقانون ، هو المنطلق الأول لاتتصار الاتجاه الديمقراطي .

فالتحول نحو الاشتراكية ، في الظروف العالمية ، والمحلية ، الجديدة ، لابد أن يرتبط بأوسع ديمقراطية لكافة القوى الوطنية ، والاشتراكية ، المناهضة من أجل التحرر الوطني ، والقوى الشامل ، والحفاظ على جميع المنجزات الاجتماعية الهادفة لتسحق طريق جديد نحو الاشتراكية .

ومن الخطأ ، والخطر ، تصور الإشكال الديمقراطي ، — حتى أكثرها ليبرالية — خطرا على التحول الاجتماعي ... أو تهديدا لكسب الجماهير ... فتجربة المرحلة الماضية لكنت





انتخابات البطريك

والسكرا

الديمقراطى

المصرى

د. ونسيم سليمان

يكون .. فيما بعد لا كميده - بل (فضل) من مبداء
أخا محبوبا .. كائنسان وكيميحي .. (١) -

وحين أراد الرمح إقامة الشماعمة ، أى الخدام
المماوتين لم يفرضوا رأيهم ، بل دعوا « جمهور »
المسيحيين وقالوا لهم : « انتخبوا أيها الاخوة
سيمة رجال منكم مشهود لهم .. فحسن هذا القول
لما كل الجمهور .. فاجابوا » .. السبيمة ،
واحضروهم لمام الرمح (٢) -

ولقد صاحبت المسيحية نظرتها للانسان فى
عقائدها وتقاليدها .. وحفظت الكنيسة المصرية هذه
الصياغة أصيلة وبأمانة ، ورثت عليها نتائجها
الحتمية .. وكان من اعظم الانتجازات المصرية فى
هذا المجال أن شخصية الانسان ، الفرد ، لم
تبتلها الجماعة المسيحية - الكنيسة .. أو بتعبير
أكثر دقة ، لم يصادر كيان الانسان العادى داخل

الدعوة المسيحية فى مصر - حين
نادى بها لأول مرة القديس مرقس
الرسول - نظرة الانسان التقليديّة
الى ذاته - فعلى الرغم من أن

اللاغلبية العظمى من المؤمنين بالمسيح لم يكونوا
اغنياء أو نوبى حسب مرقى أو مناصب كبيرة - إلا
أن المسيحية أكتت لهم كرامة الانسان بصفته
انسانا .. حدث أن مهدا اسمه النصيبيس آمن
بالمسيح على يد بولس الرسول .. ولكنه لبق بعد
ذلك ، وأراد ترك سيده المسيحي والبقاء مع
بولس .. فكتب هذا الى فليمون السيد مالك العبد
رسالة حفظها لنا العهد الجديد يقول فيها :

« اطلب اليك لاجل ابني لنسيبوس .. الذى كان
قبلا غير نافع لك .. ولكنه الآن نافع لك ولى .. ايمت
به اليك .. وأن اصنع هذا فانتما ايمت بقطعة من
نفسى .. لانه ربما .. افترق عنه الى ساحة لكى

فليمون

(١) الرسالة الى فليمون ، العهد الجديد .
(٢) أعمال الرسل ، الفصل السادس .

على أشخاصهم ، واشترطوا ألا يشترط في سلك المالك الحرية إلا من يستوردونه من جديد . فابتداء المالك الذين أنجبهم هؤلاء في مصر - مهما عظم شأنهم كانوا يقصرونهم على الأعمال الكتابية والإدارية ولا يسمحون لهم بالدخول في الجيش . وكانت المنازل فيما بين المالك وبعضهم البعض لا يفصل فيها القضاة طبقاً للحرية الإسلامية ، ولكن قضاة المسكر - أصحاب - هم الذين كانوا يقومون بهذا العمل ، طبقاً للتقاليد المغولية التي اتوا بها معهم من ديارهم الأصلية . ومهما كانت امتيازات - رجال الدين فلم يرض المالك أن تشاركهم فئة من السكان في ركوب الخيل - واشترطوا على السلاطين حرمان التعميم من ركوبها . وكان التمييز الاقتصادي الحاسم من الانفصال بين الحاكم والمحكومين متمثلاً في نظام الاقطاع - فالأرض ، وهي وسيلة الانتاج الرئيسية كانت من نصيب رجال الجيش . يقول القلقشندي : « تجري الاقطاعات في الدولة المملوكية على الأمرء والجند ، وعامة اقطاعاتهم بلاد وأراض يستقلها مقطعيها ، ويتصرف فيها كيف يشاء . وكانت الإدارة الاقطاعية يديرها عليها ديوان الجيش ، وعسى الاصطلاح ديوان الجيش باسم ديوان الاقطاع كذلك » (٥) .

ماذا كان موقف المصريين إزاء عزلهم عن الحياة السياسية للأندلس ؟

لقد انصرفوا إلى حياة شعبية ولسعة ، متنوعة ، خصبة ، في إطارها مارسوا العمل السياسي . بمعنى نسبي . كانت لهم مؤسساتهم الشعبية التي يتولون إدارتها . ويمارسون في داخلها ملامد ديمقراطية جديدا ، وهكذا تكونت داخل الطوائف الحرفية ، والطرق الصوفية ، وفي الأزهر ، وفي الكنيسة القبطية نظم وتقاليد تقوم جميعاً على احترام الرأي ، وحماية ارامة الأشخاص أعضاء الجماعة . وكانت محافظة الجماهير الشعبية على هذه النظم والتقاليد ، وحفاظهم عنها نفاذاً كان يؤدي في كثير من الأحيان إلى أنواع من الصراع والتشعب بالرائى سنوات

تتطلب كهوتى مطلق ، يصنع تفرقة حاسمة داخل الكنيسة بين أقلية لها السلطان الكامل وأغلبية عليها الخضوع . وأصبح من الممكن أن يصدق هذا ما قيل بشأن الكنيسة في التقليد الأرثوذكسى من أنها الجماعة التي لا يظهر فيها الترتيب بين المصالح الفردية ومصالح الجماعة مسألة لا حل لها . ففي داخل هذه الجماعة التي لا تستهدف إلا غيات روحية غير زمنية تتفق تطلعات كل فرد مع الهدف النهائي للجماعة كلها ، وهذا الهدف الأخير لا يمكن تحقيقه على حساب أى فرد (٦) .

لقد « حافظت الكنيسة القبطية على احترام الشخصية الانسانية - تراث المسيحية الإصيل - فلم تتحول الحياة الكنيسة فيها إلى حلقة كهوتية مغلقة يكون فيها رجال الكليروس أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة ، ويمهد رأى جمهور الشعب لأن السلطان الكنى محصور في رجال الكهوت » على العكس من ذلك تماماً - يثبت التراث القبطي كله في القانون الكنى ، وفي التطبيق المتواتر ، بل وفي طقوس الكنيسة نفسها - أن للجمهور سلطاناً أصيلاً لا يمكن تجاوزه أو إهماله » (٧) .

الانفصال بين الحاكم والمحكومين

في مساعدت ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر على تأكيد هذا التراث - ففي مصر نجد - على مدى تماق نظم الحكم فيها الصورة النقية لانفصال الحاكم من المحكومين - والانفصال هنا ليس أساسه طبقياً وحسب ولكنه نشأ من ذلك . فالحكام منذ ما قبل الألف سنة كانوا من غير المصريين - غزاة مستعمرون - حدث هذا أيام اليونان والرومان والملوك والعثمانيين .

ولقد عاش المالك أثناء حكمهم أحمر كطائفة منعزلة تماماً عما حولها ولم يختلطوا بأى عنصر من عناصر السكان المصريين سواء في ذلك الإقطاع أو السلمين . ولم يتزوجوا من أهل البلاد ، بل اختاروا زوجاتهم وجوارهم من بنات جنسهم اللاتى جلبهن التجار . وقصروا أعمال التجندية .

(٢) Vladimir Lossky, The Mystical Theology of the Eastern Church, London, (٢) 1957, p 175, 176.

(٣) ولعم سليمان قلادة ، تيارات الفكر الميحي في الواقع المصري ، الطليعة ديسمبر ١٩٦٦ ، ص ٨٩ - الكنيسة المصرية تواجبه الاستعمار والصهيونية ، ص ٣٢ .

(٥) على إبراهيم حسن ، دراسات في تاريخ الممالك المصرية وفي عصر القصر بوجه خاص ، ص ٤٤ وما بعدها صبحي وحيد ، في أصول المسألة المصرية .

إبراهيم طرخان ، مصر في مصر دولة المالك الجراكسة : ص ٢١٧ بوليك ، الاقطاع في مصر وسوريا ولبنان .

ولعم سليمان ، القاهرة في مصر المملوكية ، الطليعة ، فبراير ١٩٦٦ ، ص ٤٨ .

لما الطائفة والإساقفة جميعاً قرأهم من
البطريكة أى رئيس الإباء .

ثالثاً : تؤكد القوانين للكنيسة أن إدارة شؤون
الكنيسة لا تتم برأى مفرد ، بل أن السلطة العليا فى
الكنيسة جماعية . ويقوم بها الجمع الإكليريكي
وطبقاً لتقاليد الكنيسة وانطلاقاً من مفهومها
الأصيل باعتبارها كياناً عضوياً يضم أعضاء
كثيرة - فإن هذا الجمع ينبغي أن تمثل فيه كل
فئات الكنيسة ، فيحضره جميع الطائفة والإساقفة
والمعتزون من الكهنة والقيادات الجهادية غير
الكنوتية اللذين يوثق فى علمهم ودينهم على حد
تعبير القوانين الكنسية . ويشهد التاريخ أن
الصفى بن العسال ولم يكن راهباً أو كاهناً حضر
للمجمع الذى عقده فى القرن الثالث عشر
الابا كيرلس بن لقلق البابا الخامس والسبعون ،
« وهذا المجمع العظيم الذى دل على
حيوية الإساقفة وبقوة الشعب فى ذلك الزمان -
حيث لجبروا البطريكة على الخضوع لرئيسهم
القوانين ، إذ هبوا فى وجهوا رغبته على عكس جميع
أكليركى حضره رجال الدين والمعلمانيون ، فاذعن
لشورتهم وحقق المجمع فى ١٢ سبتمبر ١٢٢٨ م
وكان من بين القوانين التى أصدرها هذا المجمع
العظيم ألا يقام أسقف إلا من رغبه فيه » (٨) .

هذه المبادئ الأساسية فى القوانين والتقاليد
الكنسية توضح أن الدرجات الكنوتية ، والتدرج
الرئاسى فيها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالارتباط بخصمة
للجمهور ، فالطائران قبل أن يكون رئيساً لإساقفة
إبائشيتية هو راع للجمهور للمدينة التى فيها يقيم .
وينطبق المبدأ نفسه على البطريكة ، ولهذا يقول
الفقيه الكنسى إين العسال أن « لكن ماورد للأسقف
يلزم البطريكة ، لأنه يسمى فى القوانين الأسقف
الكبير والأول ورئيس الإساقفة » كما أن هذا الفقيه
ختم الباب الذى خصصه لإحكام البطريكة
بأن « تتم الكلا فى البطريكة من شروط إقامته
وتحقيقه ورد فى القوانين باسم الأسقف لانه
أسقف مدينة كرميه » ولذلك لا يحمل بطركه
الاسكندرية (أسقف الاسكندرية) (٩) .

لكنه لا يجوز معارضة - كان هذا كله تمييزاً عن حيوية
الشعب ، وتمويضا عما يمانيه من حرمان بسبب
إيمانه عن المشاركة فى الحياة السياسية لبلاده .
وهكذا تكون فى مصر تراثاً للديمقراطية يتعين على
الدارسين أن يهتموا به وأن يجدوا مآله .

والحديث هنا عن هذا التراث كما حفظته كنيسة
بلادنا المصرية . ولهذا الحديث أهمية خاصة نظراً
لأن عملية اختيار بابا الكنيسة القبطية المصابه هشر
بعد الملة تتم إجراءاتها الآن .

والبلد العام المستقر منذ بدء النظام الكنسى هو
أن إقامة جميع رجال الكهنوت بكل درجاتهم تتم
بالانتخاب الشعبى الذى يقوم به جميع أعضاء
الكنيسة - جمهور المسيحيين - فهؤلاء أعضاء فى
كل من عضوية - جسود واحد لا يمكن تجاهل وجودهم
بدون انهيار الجماعة نفسها (١٠) .

كيف حدث تطبيق مبدأ الانتخاب الشعبى فى
العمل ؟

أولاً : الوظيفة الكنوتية بكل درجاتها ومراتبها
مرتبطة ارتباطاً عضوياً بجماعة معينة من البشر
تخدم حاجاتهم الروحية . فكما أن رأس الجسم
الإنسانى أو عينه أو يده لا يمكن تصور أى منها
منفصلة عن الجسم ككيان عضو - هكذا
الكنيسة - ولذلك فانه لا يمكن تصور الدرجة أو
الوظيفة منفصلة عن مجموعة البشر الذين تخضعهم
فليس للدرجة الكنوتية وجود مستقل فى ذاته . أن
الأسقف أو القس بدون إبيارشية هو استحالة
قانونية (١١) .

ثانياً : جرى العمل منذ أقدم العصور المسيحية
على تقسيم الكنيسة الى أجزاء جغرافية تسمى كل
منها « إبيارشية » . وهو كتقسيم البلاد الى
مافظات ، فكل إبيارشية تتكون من مجموعة من
البشر ينتمون رجال الكهنوت على مختلف
درجاتهم . ففى عاصمة الإبيارشية يكون للطائران
وفى كل مدينة هناك الأسقف أى الراعى .

(٦) أن التعبير الذى يستفح به العهد الجديد عن الكنيسة هو « الجسد » فكذلك يمكن الأفراد أى عضو أو مجموعة
لها بنية خاصة مستقلة من حياة الجسدنى مجموعته . وإن أى نشاط يصدر عن هذا الكيان المفرد أنها تشترك فيها
أعضاؤه جميعاً . الرسالة الى رومس ١ : ٢٢ و ٢٣ : ٤ و ١٢ : ٥ . والرسالة الى كورس ١ : ١٨ و ٢٤ : ٢ و ١٩ :
[٧] . إنى فى وقت ما . وما يزال يثار موضوع ما يسمى بالإساقفة العلم التى ليست له مجموعة من البشر انتخبته
وسان راعياً وراثتها لها . وقد تكرر بين السريان بنبطية هذا الموضوع وتفنيدته تباه فى الملة الخامسة من
سلسلة تاريخ البابوات بطريركة الكرسي الاسكندري جمع كتاب صلح نغلة ، بجمعة دير السريان ، ١٩٥٤ ، ص
١٧٧ ، وميكها .

(٨) وهب عطبا الله (١) - الإبيارفيغوريوس أسقف القرواصات الطيفافاليا (٢) ، قال : وظيفة الأسقف
مجلة مدارس الأحد ، السنة الثانية ، العدد التاسع .

ومهما يكن في هذا القول من مبالغة - فإنه يدل على أن الأصل هو الرأي الشعبي الذي يضمن احترامه قبل أي شيء آخر .

الممارسة الجماهيرية الفعلية

ولم يقتصر احترام البداة الديمقراطية في الكنيسة القبطية على أن يسجل في نصوص القوانين والتعاليم الكنسية، بل كان ممارسة فعلية قامت بها الجماهير الشعبية على مدى القرون الماضية . وكثيراً ما نقرأ في سير البطاركة السابقين أن إقامة كل منهم كانت بعد اجتماع الشعب الأرثوذكسي والتشاور فيها بينهم واتفاق رأيهم . على أن البداة كثيراً ما كان يتمتع امتعانا عسيرا سواء بمحاولة فرض شخص بذاته بوساطة سلطات خارجية مثل الإمبراطور البيزنطي الذي تؤيده مجامع أساقفة الكنائس الأخرى ، أو بسببه عدم اتفاق رأي الجماهير على شخص معين .

وفي بعض الأحيان كان الصراع الشعبي يأخذ مداه ولو أدى إلى حمامات دم لفرض البديل كما حدث في أيام البابا أنطاسيوس البطريرك المشرين (٢٢٨ - ٢٧٢ م) أو إلى بقاء الكرسي خاليا سنوات طويلة لعدم اتفاق رأي الجماهير على الشخص المناسب ، أو إلى رفض الاعتراف بشرعية رسامة شخص معين لأنه أقيم على خلاف إرادة الشعب وحكم القانون .

إن مقابلة هذا التاريخ الديمقراطي للشعب المصري المسيحي لتقدم صورة نابضة لأصالة مبدأ احترام رأي الشعب على أرضنا . هذه الصورة الحية تقسم تنويعات خصبة لبدا واحد مستقر ومستمر ، يطبق في كل عصر بالصورة التي تناسب ظروفه . ونحن ندرس تاريخ الديمقراطية في مصر دراسة شاملة متعمقة فإن انتخابات بطريرك الاسكندرية ستكون فصلا هاما في هذا التاريخ .

في إطار هذا التنظيم العملي تكون عملية الانتخاب إجراء شعبيا جديا . فأهالي المنية الذين يعيشون معا ، ويجمعون باستمرار سويا في الكنيسة وفي الحياة اليومية يستطيعون التقاطع عن قرب ويمكنهم الحكم على الأشخاص واختيار الأصلح .

وطبقا لما جاء في قوانين الرسل لا يرسم أسقف - والتعبير هنا عام يشمل الأسقف والمطران والبطريرك - ألا إذا تم اختياره بوساطة الشعب كله (١٠) «وقول تعاليم الرسل» ، فليقم الأسقف باختيار الشعب كله ، و « يقام في يوم الأحد وكل الناس متفقون على إقامته وكل الشعب والكنة يشهدون له » (١١)

وقد أوردت بعض كتب الكنيسة القبطية تفصيلات عملية للتأكد من رضا الشعب بالشخص الذي يقام . يقول الفقيه الكني يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع بأنه في صباح الأحد يقف المرشح الجديد في إحدى زوايا الكنيسة وشعمة متقدة أمامه . « ويمر في الكنيسة كلها من ابتداء الزاوية التي كان واقفا بها » وحتى ينظره كل شعب الكنيسة ليرفه . « وإن كان لخدمه يعرف بأن عليه شيئا رديئا أو عليه قضية تمنعه من تجميع الرسامة فيصعد إذن بأن يرضها في الصال . وحتى ظهر عدم وجود شيء عليه (يقام) ، فإن تعرض له أحد وشكر أنه لا يصلح . فليؤخر أمره ثلاثة أشهر ويكتشف عنه بمحض من خصمه أو في قبيته . « فإن ثبت عليه سبب يمنعه تقسمته منع ولا فليقدم » (١٢)

بل لقد وصل الأمر في تأكيد الطابع الشعبي على عملية الاختيار إلى حد أن الفقيه الكني أبو البركات بن كبر قسيس كنيسة المعلقة في القرن الثالث عشر يقول إنه ليس للأساقفة إلا التكريز ، وأما التعيين فإنه لأهل الإقليم . « ويقول أن الأسقف يقام بعد اختيار الناس » دون الأساقفة والمطارنة الذين ليس لهم رأي ولا حديث في ذلك بل لهم تقديمه ووضع اليد عليه » (١٣) .

(٩) المجموع الصلوى طبعة جرجس فيلوتوس ، الباب الرابع رقم ١ ص ١٩ ورقم ٢٢ ص ٢٩ - (١٠)

Les 127 Canons des Apôtres, Patr., Or., VIII, F, ٤, p 69/
Hippolite de Rome, La tradition Apostolique, Sour ces Chrétiennes, p 26

(١١) المسولية ، طبعة حافة داود ، ١٩٤ ، الباب ٣٦ ص ١٩١ و ١٩٤
(١٢) للجوهر القسية في معلوم الكنيسة ، الباب القانون ، طبع بطنية من شهر سنة ١٦٨ .
وميب عنا الله (البابا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا) ، وقبيلة الأسقف ، مجلة بدارس الأحد ، السنة الثانية ، العدد التاسع ، ص ١٧
(١٣) مصباح الطلبة وإيضاح الضمة بخطوط ١٧٤ لاهوت بالتحف القبطي ص ١٢٧ ، نظرية بكنية القارول ، ١٩٥١ ، ص ٣٧٧ ومبعدها .

التناجج القانوني

احترام الإرادة الشعبية

ولقد صاغ القانون الكنسي لبدا احترام ارادة الشعب بذا متكاملا، واستخلص منه نتائج المنطقية التي حددت معالم المبدأ وجملت له كيانا واضحا مكتلا .

فالوا : يرتبط الاسقف بالجمهور الذي اختاره ارتباطا لا فكاه فيه ، وهو لا يستطيع أن يمارس سلطانه خارج ابيارشيته ، وجرى التقليد على أنه لا يجوز للأسقف أن يحصل عصا الرماية رمز الوظيفة - خارج حدود ابيارشيته ، وذلك كله احتراماً لإرادة الجماعة التي انتخبت الاسقف ، ولأخرى التي لم تشترك في انتخابه .

ثانيا : ترتب على ذلك ميذا مستقر منذ بدء المسيحية - هو عدم جواز نقل اسقف من رعاية ابيارشية ليكون اسقفا لابيارشية أخرى ، ونظرا لأن البطريرك أساسا اسقفا كما سبق القول ، إذ هو اسقف ميسبة كرمسيه (١٤) على حسب تعبير ابن العسالم ، نظرا لذلك فقد تم صلب القانون الكنسي أن يصبح أي من الاساقفة بطريركا ، لأن هذا التحول ليس في حقيقة الامر الا انتقالا من ابيارشية التي اختاره جمهورها الى ابيارشية كرسى البطريرك . ويطول الحديث لو حاولنا سرد قوانين الرسل ، والمجامع المالية والصربية والوقال بطاركة الكنيسة المصرية وعلمائها والسوابق التاريخية والاتفاق المبرم بين الكنيستين المصرية والاموية والدراسات القديمة والحديثة التي تؤكد هذا المبدأ (١٥) يكفي أن نقول ان ميذا تحريم اختيار البابا من الاساقفة طبق في مصر بانتظام واضطراد على مدى تاريخ الكنيسة . ولم يكرس الا في الربع الثاني من القرن العشرين . ولم يستمر الاعتراف الا أقل من خمسين عاما اقيم خلالها ثلاثة بطاركة ، وعاد احترام المبدأ من جديد مع رسامة البابا للراحل الانبا كيرلس السادس .

وترتبيا على ميذا عدم جواز انتقال الاسقف من ابيارشيته ، وبالتالي عدم جواز اختيار البطريرك من

بين الاساقفة لم يوضع أي قيد على حرية التمسب في اختيار البطريرك من أية فئة . وجرى العمل في القرن الاول على اختيار البابا من مديري مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وعلمائها . ولما اظلمت هذه المدرسة للمظمية جرى التقليد على اختيار البابا من الرهبان الذين لم يرسوا اساقفة قبل ذلك قط (١٦) ويعرف تاريخ الكنيسة المصرية ببطاركة اختيروا من العلمانيين أي من افراد الشعب المادين والتجار والموظفين .

ثالثا : لم يحدث في تاريخ الكنيسة المصرية أن وجدت درجة الاسقفية معنوعة لشخص بدون ابيارشية ، أي بدون مجموعة من البشر ينتخبون الاسقف الذي يقوم بدسمتهم ورعايتهم ، أن اختيار شخص اسقفا بدون سند شمسي هو ايفال في الطابع الكهنوتي لا تصرف كنيسة مصر ، لأنه يكون بمثابة تصور وجود رأس بدون جسم تحيا به ومعه . أن الدرجة الكهنوتية في هذه الحالة تعتبر كما قلنا استحالة قانونية وتسقط في فراغ .

ونصل الى العصر الحديث . . .

حيث المخالفة الاولى لنظام الكنيسة القبطية وتقليدها المستقرة عام ١٩٢٨ . فما هي الظروف التي حيث فيها هذه المخالفة ؟

مع بدء ظهور الدولة الحديثة في مصر لم يمد ممكنا أن يستمر هذا الانفصال الدقيق بين الحاكم والحكم ، وبدأت الجماهير تقترب من السياسة . ولم يمد مصالفة اقامة شيخ للزهر أو بطريرك للقباط أو شيخ لمشايخ الطرق الصوفية مسألة دينية خالصة ، بل تدخلت الاعتبارات السياسية في هذه المجالات . وحاولت كل قوة سياسية في مصر أن تكسب لنفسها شيئا من وراء هذه النشاطات الدينية المتتومة ، ومع بزوغ القومية المصرية في مواجهة الإثراك والبراكسة ، ومع انطلاق الثورة الوطنية ضد الاستعمار الانجليزي واشترك الشعب كله فيها تزايدت المشاركة الشعبية في العمل السياسي على مختلف مستوياته . وفي نفس الوقت حاولت القوى الاستعمارية في مصر استخدام كل سلاح من أجل ضرب الحركة

(١٤) القاهرة والاسكندرية

(١٥) تنكفي بأن لورد بعض الدراسات الحديثة التالية : ارجوح الاسقف يسعبد المسيح ، أمين مكتبة المتحف القبطي سابقا والعالم المشهور في الدراسات القبطية ، مقال في مجلة مدارس الاتحادات القبطية يونيو ويوليو ١٩٥٢ بعنوان عدم قانونية اختيار البطريرك من بين الاساقفة قدم له نظير جيد (الانبا شنودة اسقف المعاد الدينية حاليا) ولهذه الاخير مقالات ودراسات عديدة من تنكفي ايذا من بينها ما نشره في مجلة مدارس الاتحاد السلة السليمة سبتمبر ١٩٥٢ ، والسنه الثامنة ابريل ١٩٥٤ . وقد وضع الاسقف ايفرت برسوم سكريري المجلس الى بالاسكندرية اخيرا دراسة بالغة الاهمية اوضح فيها الاساس القنوني والقانوني لهذا المبدأ .

(١٦) الذين لا يتجاوزون درجاتهم القسيس . انظر مقالات الانبا شنودة الخسر اليها .

الوطنية • وكان التي الانجليز التجربة الهندية التي نجحوا من خلالها في توجيه ضربات مؤثرة للحركة الوطنية هناك من خلال أحداث حوامل الفرقة بين فئات الشعب • وكان العامل الديني سلاحا فعالا • ويفصل مؤرخو الارماليات الاسلوب الذي استخدمته البعثات الدينية الانجليزية للنفاذ الى داخل الكنيسة الهندية القديمة ، وكيف تأثرت هذه الكنيسة وضعت بسبب الانقسام الذي حدث بين ابنائها نتيجة هذا التدخل الخارجي •

ولم يخسر الانجليز أي جهد من أجل تكرار التجربة في مصر ، وقد فصلنا في مقال سابق (١٧) كيف أن الكنيسة المصرية شعبا واكليروسا لم تعط لهذه الاساليب فرصة للنفاذ الى داخلها ، ولكن الانجليز واصلوا الجهد •

وكانت وفاة البابا كيرلس الخامس عام ١٩٢٧ فرصة جديدة اتاحت لهم ، ووسط ظروف طائفية بالغة الحرج ومرسومة بعناية وشاركت فيها الصف ، بدأت المحاولات لاقامة خليفة له • ولم يكن للنقاش في هذا الموضوع دينيا خالصا • بل ظهر على المسرح قوى اجتماعية وسياسية عديدة • وجنى هذا الوات لم تكن لصياغة قانونية حديثة لشروط المرشح للبطريركية ولجمعية الناخبين ولاجراءات الانتخاب • يقول الاستاذ حبيب المصري في محاضرة له (١٨) روى فيها بعض ما حدث عام ١٩٢٨ أنه بعد اعداد الشروعات التي تضمنت هذه الصياغة • كان المشروع (١٩) على وشك الصدور لولا أن طرأت ظروف خاصة • • كان من شأنها أن وضع نظام مؤقت • وهو النظام الذي لنتخب بموجبه الانبا يؤنس - وطوى المشروع الاصلي مؤقتا والى أن يريد الله • •

كان على المسرح وقتئذ :

الاقباط : المجمع المقدس والمجلس • الى • والجمامير التي تريد نهضة الكنيسة واستقلالها الكامل عن كل قوة دينية أو سياسية خارجية ويتمسكون الى أقصى حد بالوحدة الوطنية •

الملك فؤاد - ورغبته في أن يسيطر على كل القوى المؤثرة في المجتمع •

اللورد لويد والاصطف الانجليزى جوينوريس الارمالية الانجليزى بمارنر • وهؤلاء يريدون بآية وسيلة النفاذ الى مصر • وفي المجال الذي تتحدث عنه هنا يريدون أن يحدثوا شرخا حاسما داخل الكنيسة القبطية ، كما حققوا ذلك في كنيسة الهند القديمة •

ويرى المعاصرون لهذه الفترة انه بعد أن اقيم الانبا يؤنس بطريركا على خلاف القانون الكنسي والتقاليد المستقرة بدأ الانجليز - رجال سياسة ودين - يحاولون استغلال حالة السخط بين الاقباط لجذب فريق هام منهم الى التمرد على الكنيسة وأحداث انقسام فيها يضمها وبالتالي يضمف أحد المقومات الهامة للوحدة الوطنية التي تواجهم في مصر •

ولكن أبناء مصر لم يحققوا للانجليز امانهم • ورغم كل الاعتراضات التي كان الاقباط يوجهونها للنظام الذي انتخب على أساسه الانبا يؤنس (٢٠) ولشخصه نفسه - فانهم حصروا ممارستهم داخل الكنيسة والوطن • ولم يسمحوا قط لقوة خارجية بأن تستغل الموقف وتحقق منه أية فائدة •

ولكن النقد الرئيس الذي يمكن ان يوجه للقوة الوطنية وقتئذ ، هو أنها لم تستطع أن توفق الى صيغة قانونية تربط بين التقاليد الشعبية الديمقراطية في الكنيسة وهي التقاليد التي تكون نظاما متكاملًا على النحو السالف الذكر - وبين التطلعات الدينية والسياسية لاجتمع يكافح من أجل استكمال استقلاله والدفاع عن وحدته العميقة الجذور • وفي نفس الوقت لم تتمكن هذه القوى الوطنية من أن تبرز شخصا تتوافر فيه الشروط القانونية للترشيح للبطريركية ، ويكون في نفس الوقت ممثلا للنضال المصري من أجل الاستقلال والتقدم في جميع المجالات الدينية والوطنية ويكون وجهًا مشرفًا لمصر كنيسة وشعبا ووحدة ونضالا •

لائحة ١٩٤٢

بعد انتقال الانبا يؤنس وضمت لائحة ترشيح وانتخاب بطريرك الاقباط الارثوذكس وصدرت بالامر الملكي رقم ٢٧ لسنة ١٩٤٢ في ٧ ديسمبر ١٩٤٢ ، وانتخب على أساسها بطريركان : الانبا

(١٧) انظر تيارات الفكر المسيحي في الواقع المصري ، المجلد السابق الإشارة اليه •
(١٨) انظر : نص الخطاب الذي لقيه حشرة الاستاذ حبيب المصري حين كان وكلا المجلس الى العام في ٩ أغسطس ١٩٤٢ بخصوص التنصيب للبطريرك •
(١٩) طبقا لما جاء في الفطسب السليم وضع كل من المجلس الى العام والمجمع المقدس بشروط تنظيم انتخابات البطريرك ، عرض المشروع على قسم قضايا الحكومة الذي استنيط عليها بشروطا جيدا كان على وشك الصدور • ولم يتضمن مشروع القسم شروطا دينية ، بل ترك تحديدها لسلطات الدينية •
(٢٠) صدر بهذا القرار أمر ملكي من الملك فؤاد حدد أسماء القاضين ، كما اقبل لأول مرة ترشيح المطارنة •
فكان النظام مغالطة مزدوجة سواء في نطاق شروط المرشح او انتخاب •

مكاربيوس البابا ١١٤ والانتخاب يوساب البابا ١١٥ -
ويعد انتقال هذا البابا الأخير في ١٣ نوفمبر
١٩٥٦ بدأت الإجراءات طبقاً لللائحة لانتخاب البابا
١١٦ .

هذه اللائحة على الرغم من كل الانتقادات التي
وجهت إليها تحترم في توصيفها للمبشرين
الأساسيين في هذا المجال .

أولاً : بالنسبة للمرشح للبطريركية تشترط فيه
أن يكون من طغمة الرهبنة وهذا الشرط كما سبق
ورأينا هو النتيجة القانونية التي تترتب على
احترام سيادة الرأي الشعبي في اختيار الأسقف
وعدم جواز إهداء هذا الرأي بالسماح للأسقف
المنتخب من جمهور أيبارشية معينة بترك الشعب
الذي اختاره إلى أيبارشية أخرى .

ثانياً : بالنسبة للناخبين كانت اللائحة تعينهم
بصفاتهم فلا تسمح لاية سلطة أن تصدومهم
باسمائهم . فبالإضافة على رجال الأكليريوس بمختلف
درجاتهم كانت اللائحة تغطي حق الانتخاب لجميع
موظفي الحكومة أو موظفي مجالس المديرية أو
المجالس البلدية الذين تبلغ مرتباتهم ٤٠٠ جنيه
سنوياً على الأقل سواء كانوا في الخدمة العامة أو
خارجها وموظفو الشركات والهيئات الخاصة من
تبلغ مرتباتهم ٦٠٠ جنيه سنوياً على الأقل . كذلك
تغطي اللائحة هذا الحق للمحامين والأطباء
والمهندسين وأساتذة المدارس وغيرهم من أصحاب
المؤهلات العلمية التي يحددها القانون المصري من
الشهادات العالية . ويشترط أن يكونوا قد بلغوا
خمساً وثلاثين سنة ميلادية كاملة على الأقل .
وكذلك كل شخص من غير الفئات المتقدمة يؤدي
للحكومة ضريبة أو ضرائب مباشرة لا يقل
مجموعها عن مائة جنيه سنوياً بشرط أن يكون
ممسكاً للقرادة والكتابة . وأصحاب الصحف
القطيعة والمحروون الأقباط بالصحف اليومية .

بدأ تطبيق هذه الإجراءات وظهر من خلال
النشاط الانتخابي أن ثمة قوى جديدة ظهرت بقل
غير معهود أو متوقع من خارج جبهات الصراع
الثقافية التي عرفتها الكنيسة منذ أواخر القرن
التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ففي مواجهة
المجلس الملي العام وما يمثله من قوى اجتماعية
والجمع المقدس الذي يضم السلطات الدينية
العليا - ظهرت قوى الشباب القبطي - ناخبين
ومرشحين - وكان من الواضح تماماً أن البطريرك
القادم سيكون من هذه الجبهة لا منازع .

وهنا لابد من ملاحظة ٠٠ أن هذه القوة الجديدة
في أغلبيتها العظمى كانت تمثل الفكر الليني

الصيحي الخالص . لم يستطع هؤلاء الشباب
وقياداتهم أن يستشفوا أفاق العصر المتغيرة في
جميع المجالات . ولم تكن لديهم الخبرة الكتابية
والوعي الذي يضمن لهم وضوح الرؤية في الطريق
الوعر الذي تسلكه الكنيسة والوطن . كانت
المشاكل الرئيسية أن لم تكن الوحيدة أمامهم هي
الاضطاع الكنسية الداخلية ، الأمر الذي جعلهم
يصطدمون بالقوى الثقلية الراسخة في الكنيسة
وأدى بهم إلى المزلة وإلى أن يقول نشاطهم
تأويلات شتى . فكان أن لاققت إجراءات
الانتخابات . وبدأ العمل لوضع لائحة جديدة هي
التي طبقت عند اختيار البابا كيرلس السادس
الراحل والتي يجري تطبيقها حالياً .

فما هو النظام الجديد الذي جاءت به اللائحة التي
صدرت في نوفمبر ١٩٥٧ ؟

كان من الواضح بادئ ذي بدء أن الهدف الرئيسي
من إصدار اللائحة هو استبعاد قوى الشباب
الجديدة سواء من الترشيح أو من الانتخاب .
ولذلك نص على ضرورة أن يكون المرشح
للبطريركية قد بلغ من العمر أربعين سنة ميلادية
على الأقل عند خلو الكرسي البطريركي وأن يكون
قد قضى في الرهبنة مدة الترتيب المذكور مدة لا تقل
من خمس عشرة سنة . وهي شروط لا تتوافر في
المرشحين الشباب جميعاً .

ومن ناحية المرشحين فإنها اختزلت عددهم
اختزالاً شديداً . ولم يعد العمل في تحديد الناخبين
توافر صفات معينة في كل منهم ، بل أن الشخص
يصبح ناخباً إذا هيئته بالاسم جهة معينة . هي
القائمقام البطريركي أو مطران الأيبارشية أو
أسقفها أو لجنة ترشيح البطريرك . ويمكن أن
تتضمن الصورة الحقيقية لجميع الناخبين طبقاً
لهذه اللائحة بالنظر إلى عدد ناخبين البطريرك
القادم وتصنيف قضايتهم . فقد بلغ عدد الناخبين
٦٦٢ بعد أن كانوا عدة آلاف في ظل اللائحة
السابقة من هؤلاء الناخبين ٢٢٢ رجل دين
والباقون من المدنيين تقسمهم المجموعات الآتية :
١٠ أوزيرا قبطيا حالياً أو سابقاً - ١٠ أعضاء بمجلس
الشمام - ٤٧ شخص سابق بالمجلس الملي العام -
٧٢ شخصاً من القاهرة - ٢٤ شخصاً من
الاسكندرية - ١٢ من كل محافظة - ٢٢ صحفياً .

هذا وما تجدر ملاحظته أن اللائحة أعطت
للمطارنة والأساقفة حق ترشيح أنفسهم على خلاف
القوانين الكنسية المستقرة ، ومع ذلك أعطت لهم
حق تعيين الناخبين سواء بمصروفاتهم في لجنة
الترشيح أو في أيباشياتهم . أي أن المرشحين أو
أصحاب الحق في الترشيح هم الذين يمينون

تأليفهم أن جزءاً لا يستهان به من هؤلاء النخبين .

ثم تضمنت اللائحة بعد ذلك كله نظاماً يطبق بالبلدية الباقية من الطابع الشمسي البشري في عملية الانتخاب . فليس يكفي أن يفوز مرشح بالأغلبية من بين أصوات الناخبين . ولو كانت أغلبية ساحقة . بل يتعين أن تجرى بين الثلاثة الفائزين الأول قرعة ، فتكتب اسماءهم في ثلاث ورقات يختار واحدة منهما صبي صغير . وصاحب الاسم الذي جاء في الورقة المصعوبة يكون هو البطريك

هذه هي الاجراءات القانونية فماذا كان مسار الحركة الشعبية ؟

أولا : تمركزت جهات عديدة للمطالبة بالرجوع الى التقليد الكنسي الاصيل ومنح الاساقفة والطائفة من اصدار الرأي الشعبي الذي على أساسه قامت الرابطة بينهم وايارشيتهم . وقد عبر عن هذه الحركات في نهاية الامر نيافة القائم مقام البطريكى الذى بعد أن كان أحد المرشحين للبطريركية أصدر في ٢٥ أبريل ١٩٧١ بياناً بالتقضى ضمنه تأكيداً للتقليد المستقر وأصراراً على عدم فسخ الرابطة التي تربطه بايارشيتة ، قال بعد أن سرد رغبة البعض في ترشيحه للبطريركية :

« ولا أبيع سرا . إذا قلت أنه من اللحظة التي علمت فيها بذلك الترشيح لم تكني شعور شديد من عدم الارتياح ، عبرت عنه مراراً للكثيرين من أحبائي وأخوتي وإبنائي وبالأخص أعضاء المجمع المقدس وأعضاء لجنة الترشيح » . وأعلنتها صريحة بانئى أضع بارتياح تام لو قصرنا الترشيح على الرهبان فقط . »

ثم استطرد نيافته مؤكداً اعتزازه برابطته مع ايارشيتة :

« وأعلن في الوقت نفسه عن حبي العميق وتمسكى وأعزائى الكامل بابوشيتى الغالية كرسى سوحاج والمنشأة رعاة ورعية وبلداً ومواطنين اعزاء لا حرمنى الله منهم ولا من محبتهم » .

ثانياً : تحركت الاسكندرية وعبر عن هذا التحرك الشعبي المجلس الملى الفرعى لتلك المدينة . إذ عقد جلسة خاصة في ٢٠ أبريل ١٩٧١ ، واستعرض الموضوع ودرسه على ضوء القوانين والتقاليد والدراسات ، والاتفاقية المبرمة بين الكنيسة في مصر واثيوبيا عام ١٩٥٩ - واقتصر نص هذه الاتفاقية في القرار الذى أصدره - بأنه « وفقاً

لقوانين وتقاليد كرسى القديس مرقس بالاسكندرية ، فإن البابا البطريك يختار من بين الرهبان الذين لا تعلق رتبته عن درجة القمص وهو المبدأ المعمول به فى سائر الكرازة المرقسية » .

كما وضع سكرتير المجلس الملى الفرعى بالاسكندرية ، الاسناد البرت برسوم سلامة عضو لجنة المائت للارشاد على انتخابات الاتحاد الاشتراكي دراسة قيمة عن عدم جواز انتقال الاسقف من ايارشيتة . ولهذا التحرك أهمية حين يصدر من مدينة الاسكندرية بالذات باعتبارها - وكما أشار الى ذلك نص قرار المجلس الملى الفرعى - ايارشيتة البابا . إذ أن اصدار القانون الكنسي فى هذا الصدد يعنى أن يصبح أسقف مرتبط بايارشيتة أخرى (سقفاً لمدينة كرسى الباور) وهى الاسكندرية ، الامر الذى يؤدى فى النهاية الى اصدار الإرادة الشعبية فى ايارشيتين .

ويعد . فتبقى بعض ملاحظات يمكن أن نوردتها فيما يلى :

١ - ليس من شك فى أن خلو مثل هذا المركز السامى يؤثر تطلعات جهات كثيرة ، أفراداً ومؤسسات . كما أن مخططات عديدة داخلية وخارجية تجد فى الوصول الى هذا الكرسى فرصة سانحة لتقريب الوصول الى أهدافها . ومن هنا كان لابد من اليقظة الشديدة كي لا يصل الى هذا المركز الا الجدير به ، القادر على تمثيل هذه الكنيسة المرفقة ، المقدر لاسنويته تجاهها وتجاه وطنه ، أن البطريك لم يعد رئيساً دينياً وحسب ولكنه شخص له وزنه فى الحياة المصرية وعلى الصعيد العالمى . ويلاحظ فى هذا الصدد أنه لم يصدر عن أى واحد من المرشحين برنامج من أى نوع - بل أن المفاضلة بينهم تجرى على مستوى شخصى ، دون مقارنة بين برامج يقيمها المرشحون يوضحون فيها مواقفهم من المشاكل المدنية التي تحتاج الى الدراسة والوصول الى آراء محددة فيها .

ب - ونقطة البداية فى كل نظام لاختيار الشخص المناسب هى الحرص على مبادئ القانون الكنسي التي يحترما أبناء الكنيسة ، وهى المبادئ التي تصدر فى حقيقة الامر عن احترام الإرادة الشعبية ، وأقامت من أجل حماية هذه الإرادة البناء القانونى الذى أوضحنا مآله فيما سبق . أن البابا الذى يأتى من خلال النظام السليم المستقر يكون أقدر على كسب احترام الجماهير والتأثير فيها .

ونحن نعتقد أنه من الممكن التوفيق بين مختلف الاعتبارات إذا أخذنا التمديلات الآتية على النظم القائم :

١ - يحترم مبدأ ارتباط الاسقف بإيبارشيته فلا يسمح بترشيح من تملو درجته على درجة قصص دون تفرقة بين نوع من الاساقفة وآخر ، مع إلغاء قيد مدة الرهبنة الذي لا تفرقه القوانين للكنسية .

٢ - يزداد عدد الناخبين من الاسكندرية والقاهرة - مدينتى كبرى البابا - بحيث يشمل القادرين على ابداء رأيهم ، ويكون تصديقهم بصفتهم لا بالتمتعين بأسمائهم . هؤلاء الناخبون هم جماهير إيبارشية البابا الاصلية . وفى نفس الوقت هم يمثلون صفوة الجماهير الشعبية فى البلاد . أما باقى الإيبارشيات فإن النظم القائم يمكن أن يكون مقبولاً لتمثيلهم ضمن جمعية ناخبى بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية .

٣ - يقتصر تطبيق الفرعة على حالة تساوى عدد الاصوات التى حصل عليها جميع المرشحين (٢١)

جـ - يجب أن يستبعد من المرشحين أى شخص له ارتباط بنظام معينة ذات وزن فى توجيه النشاط الدينى أو السياسى ، وخصوصاً اذا كانت هذه المنظمة عالمية ويمثل المرشح فيها مركزاً فى أعلى مستوياتها القيادية . الأفضل هنا -والحقى- أن يكون رئيس الكنيسة فى مركز الرقابة والتوجيه بحيث لا يجلس داخل أجهزة المنظمة كعضو مثل باقى الاعضاء ، ويخضع رأيه لما يراه هؤلاء ، وهم يأتون من كل أنحاء العالم . فليس من شك فى أن الوضع الليم يقتضى أن تيمث الكنيسة الى هذه المنظمات العالمية ينتخب منها يتفاوض ويتباحث وينشط ثم يقدم تقريره الى

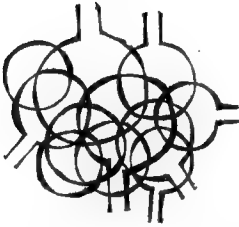
السلطات الكنسية العليا لترى فى شأن ما تم الراى المناسب دون ارتباط سابق أو المشاركة مقدماً فى اتخاذ تلك القرارات المروضة . ولهذا يتعين أن يكون المرشح للبطريركية يمتدع أن يكون جزءاً من أجهزة القيادات لهذه المنظمات العالمية ، بل يكون تعبيراً صادقاً عن أصالة كنيسة مصر واستقلالها .

د - ولتأخذ فى أن دراسة التراث الديمقراطى - بل والفكر الاجتماعى - فى الكنيسة القبطية ، واحترامه وتطويره - هذا كله يساهم مساهمة فعالة فى تقدم الحياة الديمقراطية على مستوى الوطن . لقد كان الانسان المصرى يجد ذاته ويشعر بمشاركة فى حياة بلاده من خلال نشاطه داخل هذه المؤسسات الشعبية ، وفى وقت حرم فيه من المشاركة فى حكم بلاده ، وأبعد عن الحياة السياسية العامة . أن تطوير هذا التراث الذى ظهر وعاش على مستوى الوطن انما هو ترقية لاعمق ما فى الانسان المصرى ، واعداده له للهمة العظمى التى عليه أن ينهض بها ازاء بلاده . وفى نفس الوقت فإن الخبرة التى تكتسبها الجماهير من ممارستها الديمقراطية داخل المؤسسات الشعبية والسياسية والمستودية والدينية هى خبرة متكاملة ، خصوصاً فى وقت أصبح فيه كل انسان فى مصر مطالباً ومطالب بأن يكون له رأى محترم فى كل ما يمس الحياة على هذه الأرض ، وحين تتعمق فى نفس المصرى المفاهيم السليمة لسان الحياة السياسية والاجتماعية فى بلاده ، ويفقد ما تتأصل مبادئ الوحدة الوطنية التى لا تفرق بين المصريين بسبب الميادين أو الدين ويحس بها كل فرد فى حياته اليومية - بقدر ما يكون العمل الجماهيرى فى جميع المجالات مستنداً الى الرضى والخبرة ، ووضوح الرؤية - فليس على أن يفتقر قيادات كل المؤسسات اختيارات سليمة ، يؤدى الى مزيد من التقدم والفاعلية .

[٢١] كتبنا فى عام ١٩٦٦ نقول : « ان الامة الاخيرة التى وضعت لتفكير بطريك لتتلاق مع التراث القبطى الصحيح وهي تحول بين الشعب وابدانهم فى انتخاب راعيها لتأمر جميع القساوسة على محد محدود جداً من الأشخاص يمين جزءاً كبيراً منهم بالطفرات والاساقفة » هذا فضلاً عن تركيزها على الصفوة إذ تحصل القصة الاخيرة فى ذلك للفرقة . [٢] »
مقال : تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى ، الطقسية ، ديسمبر ١٩٦٦ ، هـ ، ج ٦ ، ص ٩٠ . كتابات
الكنيسة المصرية تواجه المسيحية والصهيونية ، ص ٤٥ .

المعلم

والترربية الاشتراكية



د • عزيز حنا داود

واحتكاراته على اقتصاديات البلاد ، او حتى لفظ تفافقه • بل ان الثورة في تلك البلاد باتت تسمى بعمليات التغيير الاجتماعي ، بمعنى تغيير العلاقات الاجتماعية التي هي بدورها تعبير عن التغيير في علاقات الإنتاج وامكاس لها . من هنا أصبحت الاشتراكية العلمية هي الطريق ، الوحيد والحتى ، الذى فرضته الظروف التي نجتاح العالم في النصف الثاني من القرن العشرين •

وفي مرحلة الثورة الاجتماعية التي نعى ببناء الاشتراكية تقوم الحكومات الثورية التقدمية باجراءات تعديل في البناء التقنى للمجتمع ، كتأميم الشركات والبنوك ، واعادة توزيع الملكية او الغائها ، بحيث تلم اظافر البورجوازية السبيرة والاقطاع والراسمالية المستقلة المسالكة لادوات الانتاج من مصانع والآت وارض ومؤسسات • كما تعدل اللوائح والقوانين وتسن التشريعات التي تهدف اصلا لخدمة الجماهير - المريضة صاحبة المصلحة الحقيقية في هذا التغيير الاجتماعي ، فيصبح التعليم بالجان والعلاج ايضا ، كما تتوافر للضمانات للعمال والفلاح والكادحين • الخ • من اجراءات تقدمية • كذلك تضع الحكومات الثورية التقدمية برامج عمل قومها للتصنيع

في حاجة الى تأكيد ان النصف
الساكنى من القرن العشرين قد
شاهد المسحيد من السمورات
التحررية في دول العالم الثالث

لسنا

في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية • وقد تلاحقت تلك الثورات في اصرار وعزم تملن من شجيتها للاستعمار في صورتيه التقليدية والجديدة ، وقد عت الشعوب في بلدان العالم الثالث من تجارب الشعوب التي سبقتها دروسا بالغة الاهمية بحيث باتت تكشف الابعيد الاستعمار وتضليله ومحاولاته التخريبية للسكر والثقافة ، وللعمل الاقتصادى والسياسى في تلك البلاد عن طريق الانقلابات العسكرية تارة ، وعن طريق العملاء والرجعيين تارة أخرى ، وعن طريق عمليات المهادنة بهدف الاحتواء والدخول في متاهات التحالف والمهادنات وما شكل ذلك قارات أخرى •

كما اننا لسنا في حاجة الى تأكيد ان هناك التحاما عضويا فرضته الظروف الموضوعية بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية في بلدان العالم الثالث ، بمعنى ان الثورة في تلك البلدان لم تعد تقتصر على الجانب الوطنى الخاص بطرد المستعمر بجيوشه ومؤسسته او ضرب سيطرته

عنصر غير اشتراكية تشكل رصيدها للشورى المضادة حين تهب رياح معاكسة ينفذها الاستعمار وأجهزته وعملاؤه . ولعل ما حدث فى اندونيسيا وغانا ومالى ينكر بالبيض تلك النكسات التى تصيب النظم الثورية التقدمية بسبب عدم وجود بناء قوى وإيديولوجى تلزم به القيادات فى مواقع العمل التنفيذى وترجعها الى سلوك .

الثورة الثقافية والتغير الاجتماعى

وعليه تصبح الثورة الثقافية ضرورة حتمية فى دول العالم الثالث التى تتبنى التغير الاجتماعى ، والمقصود بالثورة الثقافية إعادة البناء الفوقى للمجتمع بحيث تتحدد الإيديولوجية ويماد النظر جديرا فى طرق اعداد وتربية الناشئة فى التعليم النظامى ، بكل ملحقاته من كتب ومقررات ومناهج وانشطة .. كذلك يصاد النظر جديرا فى برامج الجامعات وفلسفتها ، فالجامعات ليست أبراجا عاجية تلوك برامج ومقررات تقليدية ومتخلفة يميزها المعيار واقع التغير الاجتماعى فى تلك الدول . مما يؤدى بها الى العزلة عن واقع المجتمع وربما تفرح فيها عناصر مضادة للثورة ما دامت غير ملتزمة بأوضاع عملية التغير فى الوقت الذى ينبغى فيه على رجال الجامعة ان يلعبوا دورا فى التنظير للثورة الاشتراكية ، كما يقع عليهم العيب فى التصدى للواقع بتحديثاته وتسخر الجامعة ببرامجها ومقرراتها لخدمة الواقع الجديد وإيجاد الأطار النظرى والفلسفى له ، كما يقتضى البحث العلمى لمواجهة مشكلات المجتمع وإيجاد الحلول لها . كذلك تصمم الثورة الثقافية فى غريزة التراث فى هذا البلد أو ذاك وتحاول تصفيته وتنقيته مما يسمى ويشين ، كما وإن الثورة الثقافية تدخل لتعيد صياغة وسائل الاعلام بأجهزتها المختلفة تحت إشراف كوارم واعية ومتخلفة بحيث تطرح على الجماهير — من خلال الصحف والأذاعة والتليفزيون والسينما والنشر الخ .. ما يعدل من مفاهيمهم عن التغير الجديد ، وما يربط فيهم أهداف يجتهدهم وفلسفته وعاداته الجديدة التى ينبغى ان تكتسب بمفاهيم جديدة واتجاهات وقيم متطورة .

وفى عبارة واحدة تكون الثورة الثقافية مسئولة عن إعادة تربية الجماهير وفق التيار الفكرى المساعد ومحاربة جميع الفكرية الهابطة والمتخلفة فى كافة الأجهزة المسئولة عن الثقافة والتعليم الرسمى منها وغير الرسمى ، النظامى وغير النظامى .

خصوصا التصنيع الثقيل ، كذلك ميكنة الزراعة وتكثيفها ، ونظر التعليم على أوسع مدى وتقديم الخدمات الوقائية والعلاجية .. وذلك من خلال خطط التنمية طويلة المدى أو قصيرة المدى وفق الظروف الموضوعية المتاحة وفق الأولويات التى يراها المختصون وتمايها مرحلة التخلف الموضوعية . وقد أثبت التجارب العملية أن الدول الاشتراكية المتقدمة كالاتحاد السوفيتى والصين وأوروبا الشرقية هى التى تقف بجانب الدول النامية فى العالم الثالث وتساعد فى عمليات التحرر الوطنى والبناء الاجتماعى بالدعم الميماى والمسكرى والاقتصادى والثقافى دون تقديم عائد يتمثل فى ارتباط مصيرى أو دخول فى شروط تصفية سواء كانت على المستويين الاقتصادى السياسى أو الإيديولوجى ، وذلك خلافا لما هو جار بالنسبة للحلف الغربى ، أو المونة من طريق الأحلاف أو المعاهدات الجحفة والارتباط بمجلة الامبريالية العالمية ، ناهيك عن المائد المادى والتحكم مما ستحيل معه العلاقة مع تلك الدول (الراسيائية الامبريالية) الى عمالة صريحة أو تباعة ليلية على المستويين السياسى والاقتصادى .

الا ان هذا التعديل فى البناء التحتية للمجتمع الذى يبنى الاشتراكية لا يكفى بمفرده فى خلق المجتمع الاشتراكي ، فلا زالت للذهنية المسيطرة فى قطاعات كبيرة من الناس ذهنية متخلفة ، ولا زالت المفاهيم والاتجاهات والقيم والمعادن السلوكية متأخرة بشكل كبير بالمجتمع السابق وبمعية كل البعد من المجتمع الجديد كلفسفته وأعدائه — من هنا تظهر التناقضات للصراحة كما تظهر للتطلمات الطبقة لدى بعض الناس — خصوصا المثقفين غير الثوريين — كما تظهر ايضا الفئات الوصولية والانتهازية . وبمعضها قد يتبوا مراكز هامة فى التنظيم الجديد ويتصرف بطريفة متخلفة وذهنية ورجمية . كما تتصارع فئات أخرى على مواقع جديدة منشاء فتحيلها بذهنيتها المتخلفة الى اعياء على الثورة وعلى الاشتراكية ، فنلاحظ البيروقراطية بأثارها السلبية ، كما قد تتلوث الفزاة بعناصر متسولة ترتضى وتبىء الى البناء الاشتراكي .

والواقع ان كل ذلك يقوم عادة فى دول العالم الثالث التى اختارت الاشتراكية طريقا لها ، ولم تتم الثورة فى تلك البلدان بناء على نظرية ثورية متكاملة يتبنها حزب طليعى له كوادره المحددة والحربة ويكنه حينذاك وضع هذه الكوادر فى المراكز الادارية ومواقع العمل الهامة ، كما تقوم الاحزاب بتربية كوادر أخرى ، وهكذا مما يقلل من عملية المحاربة والخطا وتقويم الاتصرف والانتكاسات أحيانا فى ضوء وجود تيار قوى من

التربية وفلسفة الثورة الثقافية

فيه وقرا في بعض الكوادر العليا - كذلك تلحظ نقصا خطيرا في الصالح المهرة ونصف المهرة وفائضا كبيرا في العمال غير المهرة - وعلى سبيل المثال يوجد في إيران عشرة أطباء لسر ممراضة (١٠٠) بينما ينبغي أن تصبح النسبة الطبيعية هي عشرة ممرضات لسر طبيب . وواضح بطبيعة الحال أن الظروف الاجتماعية أساسا هي المسئولة عن هذا الخلل تلك الظروف الطبقي التي تنحدر إلى التعليم المتوسط نظرة ازدياء ، كما تنظر إلى العمل الجوى على أنه أقل مرتبة من العمل الذمى ، هذا رغبا من الالتحاق الموضوعى بينهما في المرحلة الحالية من التطور - وكل ذلك نتيجة لترسب فكريات خاطئة عن التربية ووظيفتها ودورها وليس من شك في أن المعاناة التي تواجه الدول النامية حاليا إنما ترجع أصلا إلى ترسبات في المفاهيم والاتجاهات والقيم التي لا زالت تؤثر على سلوك الجماهير المريضة ، والتي هي نتاج ومحصلة لمجهود طويلة من التربية الاستعمارية المقصودة في تلك الدول ، من هنا كان التحدى الذى ينتهى على التربية أن تواجهه .

أين يقف المعلم ؟

إن بجانب الواقع كبيرا إذا ما قلنا أن المعلم - في أي دولة - إنما وجد كضرورة اجتماعية ليمد الأجيال الصاعدة للحياة وليقلل لهم التثرثر المضارى بكل مقوماته ، وذلك بعد أن ظلت عملية الأعداد للحياة ، كذلك نقل التراث المضارى من وظيفة الإبقاء حقبة طويلة من الزمان . ولكن مع تعقد الحضارة وتعدد المجتمع ، أصبح الأمر في حاجة إلى متخصصين لتعميق تلك الوظائف ، من هنا نشأ أعداد المعلم كما نشأت المدرسة كمؤسسة اجتماعية تهدف إلى أعداد الناشئة للحياة .

كما أننا لن نجانب الواقع كثيرا إذا ما قلنا أن المعلم - في أي دولة - يعتبر حجر الزاوية بالنسبة للمعملية التعليمية . وقد أثبتت دراسات كثيرة أن نجاح المعملية التعليمية في كل أبعادها يقع ٦٠٪ منه على المعلم بفرده ، بينما تشمل الأبعاد الأخرى كلها مجتمعة كالآلة ، المناهج ، الكتب المناشط ، ظروف التعميد العائلية ، أماكنات المدرسة ككل . . كل هذا يتضمن الس ٤٠٪ الباقية لنجاح معملية التعليم .

وقد عت هذه الحقيقة البلدان الاشتراكية المتقدمة فقام جيش المعلمين في الاتحاد السوفيتى وفى الصين وفى بلدان أوروبا الشرقية بدور قيادى وفعل فى البناء الاشتراكي . فالمعلم بحكم طبيعة عمله ويحكم تأثيره على الناشئة يستطيع أن يبنى وأن يصصح وأن يعدل من أفكار واتجاهات وقيم معتقدات سائدة فى القطاعات المريضة التى

لعله من نافلة القول أن نذكر أن الثورة الثقافية تنبثق فلسفتها من فلسفة المجتمع الذى يبنى الاشتراكية . وعليه فهو طرح المفاهيم والافكار والنقطة من واقع المجتمع الاشتراكي ، ونكتشف وتحارب المفاهيم والافكار والقيم المترسبة من المجتمع القديم والمبررة عن المجتمع المبدؤى أو الإقطاعى أو الرأسمالى الذى انخرط منه مجتمع ما قبل الثورة الاشتراكية . وعليه تنبثق الفلسفة النربوية من فلسفة الثورة الثقافية ، والتربية هي الوعاء النظامى الذى تتم عن طريقه تربية الناشئة وتصميمهم اجتماعيا وأعدادهم للحياة الاشتراكية فى مجتمعهم الجديد ، كما أنها تعنى بتعليم النجار ومحو الأمية وتمهم فى طرح فكرياتها وتضع بصماتها على جميع الأجهزة الثقافية والإعلامية والترفيهية .

والتربية الاشتراكية تعالير عملية انتاجية ، فهي ليسها حديم عامة تقسمها الدولة لئلا يفسر ليهيا فى المجتمع الرأسمالى أو الإقطاعى . ولذا فإن الأموال التى تنفق عليها لا تدخل فى باب الاستهلاك ولكنها تدخل فى باب الاستثمار طويل الأجل تماما كما يبحث فى عمليات التصنيع الثقيل . ففى مصرف على التربية يلتفت منه عائد أو مبدؤ يوقع فى أحوال كثيرة العائد أو المردود من الصناعات التحويلية وبعض الصناعات الثقيلة . وقد لثبت الاقتصادى الكبير « كيروف » أن العائد من تعميم التعليم الابتدائى فى الإتحاد السوفيتى قد قدر بما يساوى ٤٣ ضعف ما صرف على تعميم هذا النوع من التعليم وهذا استثمار رائع يؤكد أن التربية عملية انتاجية .

والتربية فى المجتمع الاشتراكي تخضع للتخطيط داخل خطة التنمية العامة للدولة بحيث أن التربية عملية انتاجية فهي تعتبر بمثابة مشروع كبير لأعداد القوى العاملة المدة والمهنية وفق التخصصات المتباينة وبالأعداد المطلوبة . ومن المفروض أن يكون مخزون التربية هم المعاملة فى المجتمع الاشتراكي بحيث يكون فى مقدور التربية إنتاج الكوادر العليا الادارية والباحثين والمعلماء ، كذلك الفنيين بنوعياتهم المختلفة ومستوياتهم المتباينة ، كذلك العمال المهرة . من هنا تجد مشروعات خطط التنمية الكوادر الصالحة لها بالأعداد المطلوبة والتخصصات المناسبة . إلا أننا نلاحظ أن بلدان العالم الثالث - مع التباين الجزئى فيما بينها - تعاني من خلل واضح فى كل من هرمى التربية (مخزونها) والمعملة ، فنحن نجد فى هذه الدول نقصا خطيرا فى الفنيين بمستوياتهم المختلفة ونوعياتهم المتباينة ، فى الوقت الذى نجد

من التكنوقراط قد يكونون على درجة من الكفاءة في العمل الإداري أو الفني أو العلمي ، ولكنهم منتمون عن التيارات التي تحدث في مجتمعاتهم بمعنى أنهم غير ملتزمين وغير متحمسين . . . والواقع أن هذا النمط من الموظفين والفنيين والباحثين والعلماء هم نتاج للفكر الغربي الرأسمالي ، ذلك الفكر الذي يعزل دائما بين العمل باعتباره سلعة وبين الإيديولوجيا . ومن ثم فنحن نلاحظ العديد من الكفاءات في دول العالم الثالث والعبيدة كل البعد عن العمل السياسي التقدمي ، وهي تتفكر في وضوح الرؤية الإيديولوجية . من هنا يكون العلم سيئا وفاشلا إذا أجاد مادة تخصصه وعزلها عن تيار مجتمعه وأهدافاته وإمانيته .

ومن نفس هذا المنطلق ينبغي على المعلم حينذاك أن يكون محركا لقضية بلاده ، وأعبا بها ومتفلا ، قادرا على تطويع مادة تخصصه بحيث تستخدم قضية البناء الاشتراكي ، وفي عبارة واحدة ينبغي أن يعمل بالسياسة ويكون داعيا للاشتراكية .

الدور الثاني : « المعلم كعضو

في المهنة التي ينتمي إليها »

ينخرط المعلمون - وكذا الصال في المهنة الأخرى - في نقابات يرتبطون بها عضويا ويفسرون بالانتماء إليها . . . وقد كان دور نقابة المعلمين أو أي نقابة أخرى قبل أحداث التغيير الاجتماعي نحو بناء الاشتراكية مكان هذا الدور ينحصر في إعطاء حلول جزئية لمشكلات فرعية لأعضاء هذه النقابة أو تلك في ضوء الاشتراك السنوي الذي يقسمه العضو . . . وكان النقيب وأعضاء مجلس الإدارة هم فئة من المحترفين غالبا يسمون لتلك المراكز بتكتيكات متقنة وبشكل ذات طابع حزبي أو طائفي غالبا ، وحيث أن غالبية المعلمين غير مهتمين أصلا بدور النقابة وعضويتهم فيها شكلية بحتة فلم يكن هناك اهتمام جاد نحو انتقاء العناصر ذات الميالية بول التي لها برنامج صل يفيد فئة المعلمين - من هنا اقتصر دور النقابة على إعطاء المعاشات وتشجيع الهجانات ، عمل رحلة هنا أو هناك ، أقتلة ناد أو تهوية فيصبح فيه بعض المعلمين للخدمة وأحب الطاوله .

إلا أن دور النقابة في المجتمع الاشتراكي يختلف كليا ، فهي مؤسسة تهدف إلى الارتقاء بمهنة التعليم وتطويرها وربطها بالتغيرات الحادثة في المجتمع . وسمتور النقابة مدرسة للمحترفين في عضويتها ، تتنافس فيها القضايا السياسية وتتخذ فيها مواقف مملنة ، كما تتنافس فيها القضايا التعليمية والتربوية وتلقى القضايا العامة والتي ينعكس تأثيرها على أكبر قطاع من المعلمين المقام الأول في الاهتمام كمشكلات الإسكان والاغتراب

يتعامل معها من التلاميذ ، كما أن له وزن آخر في التأثير على الجماهير في الريف حيث تكون للمعلم مكانة مرموقة بين أهل القرية . . . هذا مع الافتراض مسبقا بأن هذا المعلم يكون قد اهدى لمواجهة مسؤولياته الكبيرة بوعي بمسئليته ان يكون كادرا للنهضة الاشتراكية ، وبدون هذا النوع من المعلمين تحتاج عملية التربية البليدة والتخبط والتناقضات التي تنعكس بدورها على الناشئة .

من هنا ينبغي أن نحدد ما هي مسؤوليات المعلم في المجتمع الذي ينبغي الاشتراكية وبمعنى آخر ما هو الدور أو الأدوار التي ينبغي على المعلم القيام بها ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ينبغي طرح بعض التمهيدات :

أولا : حين نتكلم عن المعلم نحن نعني جميع القيادات التي تتعامل مع الأطفال والمراهقين والشباب في المدرسة الابتدائية أو الثانوية أو الجامعة أو النادي أو المؤسسات الدينية والمؤسسات الاعلامية والترفيهية .

ثانيا : حين نتكلم عن المعلم فلاننا نرسم له الصورة التي ينبغي أن يكون عليها في دولة من دول العالم الثالث في طريقتها إلى نسياء الاشتراكية ، أي أننا نقدم تصورا عن المعلم المطلوب في هذه المرحلة من مراحل التطوير والنسبة للمجتمعات النامية التي اختارت الاشتراكية طريقا لها .

ثالثا : أننا لا نترقب بين المعلم والمعلمة ، أي بين الرجل والمرأة في المجتمع الاشتراكي ، نكلاهما خلية منتجة في جسم هذا المجتمع ، وعلمه فإن ما نذكره عن المعلم ينسحب بالضرورة على المعلمة .

رابعا : أن المسؤوليات التي سوف نطرحها كادوار للمعلم ليست منفصلة ، ولكنها متصلة ومتفاعلة كما أننا لن نحدد أولوية دور على دور وإنما سنترصد ذلك لظروف المرحلة موضوعية ، كذلك لظروف المعلم وتقديره الشخصي ووجهه .

الدور الأول : « المعلم كموطن في

مجتمع يبنى الاشتراكية في بلدنام

لقد أصبح موضوعنا الآن في المجتمعات النامية والتي تبني الاشتراكية تلك المفهوم الخاص « بالتكنوقراط » بمعنى الاحتراف للوظيفي دون الالتزام بالمجتمع وسياسته مما يجعل قطاعات كبيرة من العمل بمستوياتها المختلفة يقوم بها افراد

وشعونة ٠٠ وبذا يتعكس هذا كله على تلاميذه فيشبهون علميين أشتراكيين وأهبن بغير المواد التعليمية وأنواع المعارف والمهارات التي تلقونها داخل وخارج حجرات الدراسة ، ومعروف أن هذه المعارف التي توصل إليها الطلاب والموجودة في مقرراتهم ليست ثابتة بل هي متغيرة بالضرورة ، وعليه يكون من الأهمية بمكان بالنسبة للمعلم الواعي أن يدرك أن المادة الدراسية أو المقرر الدراسي ما هو الا وسيلة لتدريب الطلاب على طريقة التفكير السليم والبحث عن الحقائق وتأويل الظواهر علميا ٠٠ ومعنى آخر يهمن المنهج الذي من طريقه نصل الى التفسير أو التأويل ٠

الدور الرابع: «المعلم كناقل للثقافة»

لكل مجتمع ثقافته التي تنقل عبر الاجيال مع عمليات التنقية والغزلة والاضافة فحيث أن الثقافة يصنعها المجتمع اذن يمكن له أن يعمل بعض مظاهرها تلك الابداع التي لا تتوافق مع مرحلة تطور لاحقة ٠٠ الا أن هناك عبر الاجيال ملابح عامة للثقافة لاي مجتمع يحافظ عليها المجتمع قد تكون في الزي أو في اللباني أو في بعض العادات أو التقاليد والممارم ، بحيث يمكن للفرد أن يقوم آخر في ضوء الثقافة التي يتخسرط فيها ٠

والثقافة التي كانت سائدة في معظم دول العالم الثالث قبل الثورات التحريرية والثورات الاجتماعية كانت ثقافات مغلقة ، فهي خليط من ثقافات مختلفة معظمها مستورد من المستعمر الأجنبي ، ولذا للمستعمر أن يضع بصمات ثقافية في الدول التي احتلها أو التي ارتبطت به سياسيا واقتصاديا وفكريا ٠٠ وقد أدى هذا الوضع الخطير الى وجود بصمات للثقافة الاجنبية ، ثقافة المستعمر بالتحديد في ثقافات تلك البلاد التي لمست معالم الكثير منها ٠٠ ويتشرب هذه الثقافة الغربية افراد من المجتمع خصوصا الافراد والجماعات التي ارتبطت بالمستعمر ثقافيا وتعليميا وهي فئة المثقفين على وجه التحديد ٠٠ ثم حين تتجه الدول النامية بعد تحررها في طريقها لبناء الاشتراكية تجد أمامها الكثير من معالم ثقافة المستعمر في كل زاوية من زوايا الدولة ، وفي كل حركة أو أرماسة من سلوك الافراد ، في العادات السلوكية ، في طرق الماكل والمشرى ، في اللباني ، في طريقة الحياة ، في طريقة التفكير والسلوك ، في المفاهيم والاتجاهات والقيم ٠٠ وقد يؤدي هذا الوضع بالبعض ضديفي الوطنية والثورية ، قد يؤدي بهم هذا الكركتيل الثقافي الى العمالة والتمايلي على فئات الشعب الكاسية التي لا تتوصل لثقافة المستعمر فكيرا ، وعادة ما يرتكن على أمثال تلك الفئات المستعمر

والترتيبات والترقيات والمناهج والكتب وبرامج النشاط السياسي والتربوي ، وبهذا يتبدد عن للمشكلات الجزئية ذات الطابع الفردي ، ويكون للنقابة رأى واضح ومعلن في القضايا المصرية ، كقضايا الحرب والسلام وقضايا السلم التعليمي والتدريب والفلسفة التربوية التي ينبغي أن تسود المدرسة - الخ - ويشكل مجلس ادارة هذه النقابة من أكثر العناصر وحياء وعلاا وفعالية ، وتبند القيادات في هذه الحالة بالضرورة عن التجهيزات الصغيرة ، ومن ممارسة البيروقراطية وعن الاهتمام بالشكل دون الجوهر ٠

وبذلك يتكون مناخ فكري ثوري وعلمي يلتزم به المعلمون ، وتكون لهم لفهم الوحدة ومنهجهم الفكري المتسق مع أهداف مجتمعهم في مرحلة بناء الاشتراكية ، وليس من شك أن ذلك سينعكس بالضرورة على مهنة التعليم ، باعتبارها ركيزة هامة في البناء الفكري والايديولوجي في المجتمع النامي ٠

الدور الثالث: «المعلم كعضو

في مدرسته أو معهده أو كليته»

المدرسة مؤسسة اجتماعية ، ومن الطبيعي أن يتضمن دورها نقالا فصوليا مع المجتمع الكبير بكل مؤسساته ٠ وبمعنى آخر مرفوض رفضا باتا أن تنزول المدرسة أو الكلية عن المجتمع بمشكلاته ومطالبه وتناقضاته ٠

وعليه لا يقتصر دوره على تدريس مادة تخصصه - ويتملمنهم ٠٠ فالعلاقة متصلة ومتفاعلة ينبغي أن يطوع مادة تخصصه ويوظفها لخدمة أهداف مجتمع حاجات تلاميذه ٠ عليه أن يبذل جهدا خارج فصول الدراسة النظامية ، جهدا متبعا لعمله داخل الفصل في اللقاءات الحية مع تلاميذه ، وفي تعامله الحي مع المعلمين الآخرين ومع الادارة في المدرسة ٠٠ وعليه أن يبنى علاقات بناءة مع المعلمين الآخرين - خارج نطاق تخصصه - ويتملمنهم ٠٠ فالعلاقة متصلة ومتفاعلة وإنما نحن نخصص ونجزئ بهدف التقليل للدراسة فقط ، وما لا شك فيه أن هذا سوف يكسبه النظرة الشاملة للكون بمثيراته ، وتجعله تلك النظرة ديناميكيا لا يفرق بين العمل الذهني والعمل اليدوي ، ولا يقسم المعرفة الى علمي وأدبي ولكنه يكون له منهاجا علميا يتناول به القضايا التاريخية والطبيعية والبيولوجية والانسانية على السواء ٠٠

وهذا المنهج العلمي قوامه الجدل أو الديالكتيك مبتدئا من الأفكار الخيبية وما يتصل بها من معر

حين يغادر البلاد .. ثقافته لازالت قائمة ، هناك
حما لها من داخل نفس البلد .

ومن ثم فإن المعلم الواعي ، والذي يسهم في بناء
الاشتراكية في بلده ، عليه أن يقل ثقافة بلده
وينقيها من ثقافة المستعمر ، وعليه أن يبرز أسباب
دخول هذه العناصر من ثقافة المحتل ومدى
محاولاتها لإجهاض الثقافة الخاصة للبلد الذي
ينتمي اليه هو وتلاميذه * ولكن لا يعني هذا رفض
كل ما هو غريب عنا بدعوى اشارته الى المحتل أو
رمزه له ، والا فأننا سوف نهزم تراثا له وژنه
الإنساني بحماقات نرتكبها دون وعي أو بصير *
ولكن ما نريده هو تبصير المعلم تلاميذه بثقافته
الاصيلة ، واستخلاص ما يتناسب وثقافتنا مما
يكون له وزن انساني أو طمى أو فنى ، ونرفض
ونخيل ما يشين ثقافتنا من عناصر غريبة ضارة
وليست نافعة فجعنا نلذ ونحاكي غيرنا فيما لا
طائل نفعه أو فائدة .

والمعلم الواعي والبصير يستطيع أن يدرك هذا
وأن يتبله وأن يشرحه لتلاميذه فيسهم في إعادة
التربية للأجيال المساعدة والمكابر ، وفي تربية
مشاعر الولاء والاحساس بالانتماء للثقافة السائدة
مما يسهم في توحيد المنهج والفكر في المجتمع
ويؤدى الى تماسكه وقوته .

الدور الخامس : « المعلم

كموجة لعملية التعلم

إذا اعتبرنا أن التعليم هو توجيه لعملية التعلم ،
فإن هذا التوجيه يمارس عادة بأسلوبين :
أولهما ، ذلك الأسلوب التقليدي الذى
يهتم فيه المعلم بتلقين المادة التعليمية
الموجودة أمامه فى المقرر الدراسى أو
الموجودة فى الكتاب الدراسى المقرر ، ويكاد ينحصر
دور المعلم التقليدى فى عملية النقل المذكورة من
المقرر أو الكتاب الى كراسة التلميذ واحدة ما يتبع
ذلك المعلم الفاضل غير الواعى الذى تنقصه
النظرة الشمولية والذى يقتصر الى الفهم التبرى
والوعى السياسى ، كما أنه يمانى غالبا من نقص
فى الادراك بالتعبئة لاهداف المنهج وفلسفته ، يفخ
هفته التعليم وسيلة للارتزاق * وقد يتاجر فيها
بالدروس الخاصة وغيرها من وسائل الانحراف
ويهتم المعلم هنا باستظهار المادة المقررة ولو دون
فهم ، كما يهتم فى تقويمه لتلاميذه فى نهاية العام
بالتكنية التى استطاع التلميذ استظهارها وتقويمها
فى أوراق الاجابة .

وثانيهما ذلك الأسلوب المبني على الاستيعاب
والذى يهتم فيه المعلم بفلسفة المقرر واهدافه ،
والذى يطوعه للمعلم لتحقيق تلك الاهداف ، كما انه

يحاول توليف تلك المادة المقررة ويظهرها بحياء
التلاميذ والطلاب .. وهنا يعتمد المعلم كلية من
التلقين ولكنه يصبح مقوره فى صورة قضايا
ومشكلات ويشجع ذاتية الطلاب ويناقشهم بهدف
تنمية حاستهم النقدية والجدلية ، ويحرب تفكيرهم
على الاسلوب العلمى فى تناول تلك المشكلات
والبحث عن زواياها المتناقضة ، والهدف وراء ذلك
أن يمسى التلاميذ أبعاد القضايا المطروحة أمامهم
ووجهات النظر المختلفة فى تناولها ، والخطوات
التي اتخفت من جانب من سبقونا فى الوصول الى
بعض هذه المفاهيم والأفكار والحقائق والقوانين
والنظريات .. الخ .

والمهم فى كل ذلك هو تدريب الطالب على
الخطوات التى فى ضوءها تصل الى الحقائق
العلمى أو الى تأويل ظاهرة من الظواهر .

من هنا يدخل ضمن اختصاص المعلم الاشتراكي
اثناء توجيهه لعملية التعليم ، بناء الاتجاه العلمى
لدى تلاميذه ، فلك الاتجاه المكتسب الذى يجعل
الفرد لا يمانى أو لا يتعصب لفكرة أو قضية أو
شخص أو نظام إلا بعد أن يتفحص الامور ويحللها
ويرى موضوعية جوانب الموضوع ، كل ذلك قبل أن
يقرر شيئا ازاه * وإذا استطاع المعلم أن يكسب
تلاميذه أو طلابه هذا الاتجاه العلمى ، فإنه يكون
قد أسهم مساهمة جبارة فى القضاء على العرفات
والمفاهيم القبلية والغبية ، وأن تقع بتلاميذه عن
مستوى التميزات والخصائص للدين أو للجنس أو
للون أو للاقضية والعنصرية .. الخ * من
صياغات يرفضها الفكر العلمى وترفضها
الانسانية .

الدور السادس : « المعلم

كموجة لتلاميذه

يواجه الفرد طوال مراحل حياته مشكلات
وازمات والوان من الصراع ، ويتطلب الموقف نوعا
من التوجيه أو الارشاد أو على الأقل التفهم من
جانب المحيطين بالفرد ، تلك المشكلات والازمات
والوان الصراع مع الاطفال والمراهقين والشباب
فى المدارس والجامعات وخارجها ، ويتطلب الامر
مساعدة هؤلاء على مواجهة تلك الصعاب
خصوصا وأن للتلميذ أو الطالب لا يجد مساعدة
- فى الغالب - من والديه لأن بعض ما يمانيه قد
يرتبط بقضايا أو موضوعات يجهل منها والى الطالب
ولا يريد مكاتفة والده بها ، كما أن اصدقاءه قد لا
يستطيعون مساعدته لفلة خبراتهم فى هذا المجال
.. ويبقى المعلم ومن المفترض أنه ملم بما يمثل فى

نفس تلاميذه ، ولديه تصور من مشكلاتهم
الشخصية والاجتماعية ، من ثم تقرضه الظروف
الموضوعية كمستول أساسى من هذا الدور .

التدريس •• الخ • بجانب السواد الأكاديمية كالعلوم والرياضيات أو العلوم الاجتماعية أو اللغات •• الخ • وغالباً تكون الدراسة خلال أربعة أعوام يحصل بعدها الطالب على إجازة التدريس • والنظام الآخر (التقاسمي) يلتحق فيه خريجو الجامعة (كليات العلوم والآداب) لمدة عام واحد غالباً لدراسة المواد المهنية كالترجمة وعلم النفس وطرق التدريس باعتبار أنهم كانوا قد درسوا فعلاً المواد الأكاديمية التي سيتخصصون في تدريسها •• وعليه تكون المدة التي قضوها في الأعداد خمس سنوات عند مقارنتهم بأقرانهم الذين تم إعدادهم في أربعة سنوات بالطريقة التكاملية ••

وقد شامتت بلاد كثيرة صراعات بين النوعين من الخريجين فيما يتعلق بالكفاءة العلمية والمزج والتفقيات •• الخ • وإن نخوض في هذا الموضوع حالياً ، كما أننا لن نظهر ميزات وعيوب كل من النظامين •• ولكننا سوف نشير فقط إلى بعض المسلمات الهامة من ناحية شكل الإعداد قبل أن نتطرق إلى محتوى الأعداد وهو ما يهنا هنا في المقام الأول •

١ - ينبغي أن يتوحد مصدر أعداد المعلمين للقضاء على التفرقات والصراعات والمهاترات الناجمة عن تعدد مصادر الأعداد ، كذلك يساعد توجيه المصدر على إيجاد أرضية فكرية مشتركة بين المعلمين •

٢ - ينبغي أن يتم الأعداد داخل الجامعة • فالثقافة الجامعية من حيث الشمول ومن حيث المناخ أفضل في فعاليتها على الفكر من وجود كليات أو معاهد مفصلة تتبع مؤسسات أو وزارات مما يؤدي بها إلى العزلة الفكرية عن تيار الفكر الجامعي ••

٣ - الأعداد المتكامل أفضل من المتتابع من حيث معرفة الطالب منذ البداية أنه سيلتحق بالعمل كعالم •• فالميل والتفريق للعمل بمهنة التدريس أساسان هامين ، كما وإن المقررات - كما سنتناولها بعد قليل - تد على أساس المهنة ، بمعنى أن الكيمياء التي يدرسها الطالب الذي سيتخرج كعالم المادة الكيميائية من المفروض أن تختلف شكلاً ونوعاً عن الكيمياء التي يستعد للكيمياء في العمل •• هذا طبعا بعد دراسة أساسيات الكيمياء في كلا الحالتين •

ومعلم اللغة يختلف في أعداده عن أعداد الإديب أو الترجمة •• وعليه فإن المتخرجين عادة من كليات الآداب والعلوم قد لا يلتحقون بمهنة التدريس إلا تحت ظروف اضطرارية ولكن من يلتحق بكلية تد المعلم فإنه قطعاً يرغب في ممارسة هذه المهنة بعد تخرجه هذا مع الافتراض المسبق

وعادة ما ينظر المعلم - في أي نوع من التعليم وفي أي مرحلة تعليمية - إلى المعلم نظرة مشوبة بالتقدير والاعجاب والبطولة لأنه يصرف أكثر ، وبالنسبة للمصنف يعتبر بطلاً للعب ، وبالنسبة للمراقبين قد يعتبر " البطل " وبالنسبة للشباب يعتبر الصديق والخبير والقادر على المساعدة ورغم أن صلاحيات المعلم لأداء هذا الدور الذي تؤوله له ظروفه ووضع المهنة ، فإن ممارسة المعلم لهذا الدور تقسم بالضرورة أدواره الأخرى • فعلاقة الثقة والمودة التي تنشأ ما بين المعلم وتلاميذه أثناء ممارسته لمهام التوجيه الشخصي والاجتماعي تساعده على أن يحقق أكبر كفاءة ممكنة في ممارسته الأخرى مع تلاميذه في الفصل وخارجه في التعليم النظامي أو في التعليم المصاحب •

كما أن ممارسة المعلم لهذا الدور تتيح له فرصة التعرف على أسرة التلميذ أو الطالب مما يوسع من دائرة اتصال المعلم وفوقه ، من ثم تنتقل الفكرة واتجاهاته إلى أسرة الطالب ، خصوصاً الأسرة التي تنتشر بينها الأمية بدرجة كبيرة ، وهي سمات دول العالم الثالث - حيث تتراوح الأمية فيها بين ٦٠ و ٨٥ في المائة - وهذا يكسب المعلم أرضية للعمل الجماهيري وسط بيئة للتلاميذ الاجتماعية حين يطرح فكره ويلعب دوره في التوعية السياسية كرجل اشتراكي •

ولسنا في حاجة إلى الإشارة بأن خلو التعليم أو الطالب من المشكلات الشخصية والاجتماعية ، أو قدرته - عن طريق التوجيه - على مواجهتها بنجاح تقترب به خطرات نحو السوء •

والآن وقد ترمضنا بليجاز الأدوار التي على المعلم أن يؤديها حتى يسهم مع المؤسسات الأخرى في إعادة بناء وترقية وصيانة الناشئة يبقى سؤال يتطلب الإجابة وهو كيف تعد هذا المعلم ؟

أعداد المعلم

للإجابة على هذا السؤال هناك شقين :

أولهما : شكل الأعداد ، وثانيهما : جوه (محتوى) الأعداد •

أولاً : شكل الأعداد :

يوجد شكلان أو نظامان في معظم أنحاء العالم أحدهما يسمى النظام التكامل والآخر يسمى النظام التقاسمي • ويلتحق بالنظام الأول (التكامل) الطلاب الحاصلين على الشهادة الثانوية وتسمية هذا النظام بالتكامل لأن الطلاب يدرسون في هذا النظام وفق شعب تخصصهم ويدرسون المواد المهنية كالترجمة وعلم النفس وطرق

يانه دنفلاً هذه الكلية بكامل رغبته وليس نتيجة لصفوط من أي نوع .

٤ - ينبغي أن يحظى التعليم الابتدائي بنفس المستوى الثقافي والأكاديمي الذي يحظى به التعليم الثانوي ، فالمعلمون في هذا التعليم الابتدائي ينبغي أيضاً أن يخرجوا من الجامعة وبالنظام الكامل . إلا أن نوعية برامجهم قد تختلف عن أقرانهم في التعليم الثانوي وقد تقل عدد منى الأعداد إلى ثلاثة بدلاً من أربعة مثلاً . ولكن الأساس هو التخرج من الجامعة . ويؤمننا أن تشير إلى أن هناك اتجاهًا سائدًا في دول العالم الثالث يقتضي أن التعليم الابتدائي لا يحتاج إلى كفاءات وعليه فإن كل من هب وبه يستطيع أن يعلم فيه وهذا اتجاه خاطيء وخثير . فالتعليم الابتدائي هو الأساس في بناء الطالب، وإذا لم يكن المعلم على درجة كبيرة من الوعي والثقافة فأننا نصم إلى الناشئة أكبر اساءة . ونضع ميزانيات كبيرة في هذا النوع من التعليم دون عائد أو مردود ، فالملاحظ كثرة التسرب في هذا النوع من التعليم ، وكثرة الارتداد إلى الأمية بعد أن يتركه التلميذ ولا يستمر في دراسته في المرحلة التالية ، كما أنه بصورة الحالية لا يعد للحياة وهي مستقبل ما لا يقل عن ٧٥٪ من المتخرجين من هذه المرحلة في حين يلتحق بالمرحلة التالية من التعليم حوالي ٢٥٪ في معظم دول العالم الثالث .

ثانيا : محتوى الأعداد :

في تصورنا أن أعداد المعلم لأي مرحلة تعليمية ينبغي له أن يتضمن أربعة جوانب متصلة ومتفاعلة وسوف نعرض بإيجاز شديد لكل جانب من هذه الجوانب الأربعة .

الجانب الأول : « الأعداد الثقافية العام »

لا بد للمعلم من أرضية ثقافية عامة تجعل منه مواطنا مستقيرا وواعيا ، فلا بد من أن يعرف شيئا كثيرا عن مجتمعه ماضيه وحاضره ومستقبله والتناقضات القائمة فيه وتاريخه وثقافته والخلافات الشائعة والفلكلور الشعبي ، كذلك ارتباطه بالعالم المحلي والوطني والعالمي ، والتهارات السياسية التي تفتاحه والقضايا الملحة كفضية فلسطين والكيان الإسرائيلي . ويمكن أن يشمل ذلك مقر يسمي « المجتمع في حركته وتطوره » .

كما لا بد وأن يدرس مقروا عن حركة التاريخ حتى يصل إلى فهم عميق بحتمية الاشتراكية العلمية في دول العالم الثالث، ويمكن أن يشمل ذلك تحت مقرر يسمي « ضرورة الثورة الاشتراكية » .

وكذلك لا بد للمعلم من أن يكون له منهج في الفكر ، من هنا يجب إعطاء مقرر في « مناهج البحث » يتسور في نهايته بسانتوچ الجلسي (الفيلسوف) مع دراسة نقدية للمنهج الصوري ، كما وخسمة أرسطو ، والمنهج الفرانسي (البرجماتي) أو الوسيلى كما أشار إليه ديوى .

كذلك يحتاج المعلم لدراسة منهج علمي (زيارات وتقديم) يهتم أساسا بزيارات مضطلة لمشروعات التنمية في الخطط التي تتبناها الدولة ، وفي كل مشروع تدرس اقتصادياته وأهداف منه والمبادئ المتوقعة ، كما تدرس العمالة ومعدلاتها ، ونظام الحوافز والأولويات في خطة التنمية . ويمكن أن يطلق على هذا المقرر اسم « التنمية في المجتمع » .

كذلك ينبغي أن يدرس المعلم مقروا من « تاريخ العلم » ، ومنه يتعرف الطالب المعلم على ماهية العلم ودوره كقوة متاريخه واستخدماته والتكنولوجيا والثرها في العالم الماصر ، والمقول الالكترونية وسببها . ومن المفروض أن يعدل هذا المنهج من رواسب تكون قد تطلعت بذهن الطلاب قوامها الفيزيائية ، وتقسيم المواد إلى (طلي وأدبي) وهي ثنائية غير قائمة إذا ما فهم أن العلم ما هو الا « المنهج » في تناول الظواهر والوصول منها إلى القوانين ، وعليه فالتاريخ علم بنفس القدر الذي تعتبر فيه الكيمياء علم والانسانيات علوم بنفس القدر الذي تعتبر فيه البيولوجيا علوما ، إذ يتوقف المصطلح نفسه على المنهج الذي يتناول الوقائع والتفسيرات ، ويدرك الروابط بينها لاكتشاف القوانين التي تحكم تلك الظواهر والاحداث .

كذلك يحتاج الطالب المعلم أثناء اعداداته الثقافية العام إلى مقرر في « اللغة القومية » فاللغة القومية هي الوعاء الذي تنصهر فيه حياة المجتمع وثقافته ولابد من احياها والتعامل بها ، واللغة القومية لأي فرد هي اللغة الوحيدة التي تستطيع أن تربطه بوطنه وقومه وتمتعه من الاحساس بالضياع والبحث عن الذات ، كما أنها تجعله يتقن ثقافة مجتمعه ، فيسهل في تماسك مجتمعه ، وتحديد منهجه وفكره ، وكلها أساسيات للوحدة الوطنية وللبناء الاجتماعي .

الجانب الثاني : « الأعداد العلمي أو الأكاديمي »

يحتاج المعلم أثناء اعداداته بطبيعة الحال إلى أعداد أكاديمية يرتبط أصلا بالمادة التي سيتخصص فيها . ومن المهم أن نشير إلى ثلاث نقاط :

١ - في كل فرع من فروع المعرفة لا بد من معرفة الاساسيات لأنها تتسم بالشمول وبالتوحد في كافة أنحاء العالم .

٢ - لا ينبغي التعلّم أن يتفحص تخصصا
تقنيا لأنه لن يعمل كباحث في مادة تخصصه بل
عليه أن يعرف على الأقل مادتين يستطيع أن
يتناولهما بعمق في المرحّل والتحليل مع
تلاميذه .

وعلى سبيل المثال (الطبيعة والكيمياء معا
الكيمياء والبيولوجيا معا) التاريخ والجغرافيا
معا ، علم الاجتماع وعلم النفس معا وهكذا
بالنسبة للرياضيات البحتة والتطبيقية ... الخ) .

٣ - لا بد من أن يقر في ذهن الطالب أثناء
اعداده الأكاديمي أن ما يتقره الآن مسوف
يصبح متحققا بعد مدة معينة (يحددنا مرمّة
التطور والمزيد من البحث والاستقصاء) من هنا
يكون من الأنفة بكتاب تزويد الطالب المعلم
بالمهارات والإجاهات التي تمكنه من متابعة
الجديد المتبحث في مواد تخصصه بعد تخرجه
وعمله كعلم . أما مجهود شخصي أو حلقات
تدريبية وتنشيطية تخطها الجهات لاهدان
خريجيه بالاستجبات والمستعد في مجال المعرفة
المتروقة .

الجانب الثالث : « الإعداد المهني »

لمنه التعليم اصولها وقواعدها وفلسفتها ، كما
أن لها تكتيكها الخاص بها ، ومعروف بطبيعة
الحال أن معرفة التدرّس في حد ذاته ليس دليلا على
امكانية نقله الى الآخر بنسوخ ... من هنا فان
الإعداد المهني يعني أساسا بقدرة المعلم على
التوافق مع منهج التدريس في ضوء الأدوات التي
سبق طرحها . وهنا تأتي العلوم السلوكية لتساعد
المعلم في فهم وتشرب وامتصاص الطرق والوسائل
التي عن طريقها يستطيع التعامل - من خلال مواد
تدريسه - مع تلاميذه كما وأنها تساعد أيضا على
فهم « الإنسان » وهو أهم عنصر في صلية التعليم
بمعنى أنه يستطيع تفهم تلاميذه ونوافهمهم
ومشكلاتهم وأمكانياتهم العقلية ونموهم في مراحل
المختلفة ... وكل ذلك ينبغي عليه المزيد من النبرة
على التفاعل المستمر معهم .

كما أنه أثناء الإعداد المهني أيضا يلم المعلم
بالسلسلة التربوية التي ينبغي عليه تبنيها وأهداف
كل مرحلة تعليمية ، وكذا أهداف كل مقرر دراسي
يقوم بها وكيفية تقويم ذلك كله ...

وعليه يقوم الإعداد المهني على بعض المقررات
في مواد التربية وعلم النفس التربوي وكذلك طرق
التدريس والصحة المدرسية والممارسة العملية
كترية تجريبية .

ويمكن التخصيص بإيجاز لاهم المقررات المناسبة
في مجال الإعداد المهني ، مقرر في أصول التربية
وأساسياتها ، مقرر آخر في فلسفة التربية

خصوصا الفلسفة الاشتراكية ، مقرر ثالث في
تاريخ التربية وتطور الفكر التربوي ، مقرر رابع
في المناهج وطرق التدريس .

كذلك مقرر خاص في علم نفس الطفولة
والمراهقة وآخر في التعلم ، وثالث في الشخصية
ورابع في طرق القياس والتقويم ، هذا بالإضافة
الى مقرر في الصحة المدرسية .

ويكترب الطالب أيضا أثناء اعداد علمي
ممارسة التدريس تحت اشراف وتوجيه أساتذته في
شؤون ممارسته ويسمى هذا بالتربية التجريبية أو
العملية .

الجانب الرابع : « الإعداد التربوي »

التربوي معلم هام من معالم اعداد المعلمين
ولا بد في برنامج اعداد المعلمين من أن يتضمن
ممارسات تربوية ، كما تتمثل في حلقات السمر
والرحلات والمصبرات والانفراط في فرق
موسيقى وإنشيد ، وتمثيل وإنشطة رياضية
مختلفة ككرة القدم والسباحة والتنس والينج
بنج ... الخ . ولا تغد من عرض هذه الأنشطة
مجرد اعتبارها أنها نشاط خارج المنهج من ثم
يتم بمهمة الاختيار ، ولكنها ترى ضرورة أن يقوم
الطالب المعلم فيها ، لأنه يحكم طبيعة عمله في
المدرسة سوف يمارسها أو يشرف على ممارستها
مع طلابه . لأنه مرفوض طبيعا أن لا يعرف المعلم
كيف يخطط لرحلة لزيارة معالم بلده مع تلاميذه ،
كما أنه مرفوض أيضا عدم مشاركة المعلم لتلاميذه
لمبهم وحفلاتهم ومعسكراتهم .

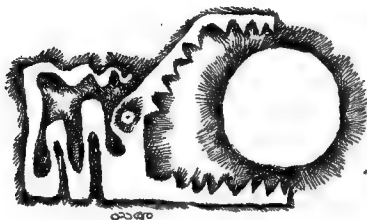
والهدف من هذا أن التربوي كاساس يؤدي الى
السلامة النفسية في احوال كثيرة ، فهو يعتبر
بمثابة التفتيش عن الكظوم . كما وأنه يقرب
التلاميذ من معلمهم بحيث لا يجدون هناك حاجزا
يمنعهم من التعامل معه وتفنن مشاعرهم وطرح
مشكلاتهم في هذا الجو عين الرسمي أو الشكلي .

كما أن التربوي الجماعي يساعد على تماسك
الجماعة ويساهم في أحاسنها بالانتماء ويوحد
فكرها ، ويؤدي الى الانقسام ، وينمي روح
الجماعية بدلا من الروح الفردية الانانية التي تنتشر
بين طعاعات كثيرة من شبابنا في دول العالم
الثالث .

وأخيرا لقد حاولنا مع الإيجاز الشديد أن نعطى
صورة لما يجب أن يكون عليه المعلم في ممارسته
وفي اعداداته ، في ضوء الظروف الموضوعية التي
تحتاج دول العالم الثالث في تلك الدول التي تشق
طريقها لبناء الاشتراكية باعتبارها الحل الحتمي
والوحيد لتوحيدها .

موقف البورجوازية الوسطى اليمينية

من الثورة الوطنية الديمقراطية



د. محمد علي الشهازي

والعوامل الذاتية - كالحساس الثوري ، واليقظة الوطنية ، وإرادة التغيير - ليست الا مظهرا من مظاهر وهي القوى النامية بوجودها الاجتماعي ، ومصالحها المشروعة ، وإدراكها لضرورة التحرر لآزاحة القوى الموقرة التي تعترض عليها سبيل استكمال نمو هذه المصالح ، ومن أجل التمكن من تغليب مطالبها ، وإرضاء مشيئتها السياسية عليها .

ثورات البورجوازية في الغرب

وقبل ان تشتمل الثورات البورجوازية تحت الانتطاع كانت هناك طبقة بورجوازية سائرة في طريق الصعود والانطلاق ، وكان هناك أسلوب انتاج بورجوازي قائم بالعمل وأخذ في النمو والاكتمال ، في حوض أسلوب الانتاج الانساني السائد نفسه ، وكانت هناك قوى انتاجية رأسمالية متحركة ، وعلاقات انتاج رأسمالية مطابقة لها نامية .

الوطنية - على عكس ما هي ثنائيات في المفاهيم التالية - ليست مجرد تعبير عن الحقيق النفسي بالاضاح السياسية القائمة ، وليست مجرد دلالة على « الهوية » الوطنية ، وعلى « الخبرة » على الشعب ، وعلى من أعمال الشهامة ، والتضحية ، والفداء تقوم بها جماعة من الجماعات ويقتضونها من الأفراد .

الثورات

الثورات الوطنية تضخم في قيامها لعوامل تاريخية ، واجتماعية ، ولشروط اقتصادية ، وسياسية ، وتأتي تعبيرا عن نزوح ظروف موضوعية ، وعن نمو قوى اجتماعية جديدة ضاقت بها ، وبمصالحها الاقتصادية ، وتطلعاتها الطبقيية ، ومطالبها السياسية اطار المجتمع القديم ، وغدت امكانية وضرورة تغييره هو السبيل الوحيد والناجح لتحقيق مآربها الاجتماعية ، وإطلاق مجلة التطور التاريخي من قائلها ، لتأخذ مداها الطبيعي والحتمي في التقدم والانتفاع نحو غاياتها .

صراع البرجوازية والاقطاع

فى الثورة اليمنية

ولا تخرج الثورة اليمنية فى الشمال والجنوب عن هذا الاطار التاريخى للثورة العربية ذات النهج التحررى الوطنى الديمقراطى .

فالبرجوازية المتوسطة والصغيرة هى التى قادت حركة الثورة فى شطرى اليمن ضد الحكم الاقطاعى الامامى ، وضد الاستعمار البريطانى .

ومن نافلة القول التأكيد مجددا بانها - لطروف تتعلق بنشأتها المتأخرة وأماكنها المحدودة - لم تستطع ذلك الا لانها ركبت الى هدفها هذا موج الثورة العربية الهائج المارم الذى كان فى أوج انطلاقه الهادر صاحب قد اكتسب شواطئه الجزيرة العربية ، واجتاح بطون شعبها ، وبلغ الذرى من جبالها .

غير أن الطبقة الوسطى اليمنية رغم التطور السريع الذى حققت فى ظل الثورة ، وفى ظل المساعدة والدمع العربى ، ورسم الفرض والتسهيلات التى قمتها لها السلطة ، والتركز الرأسمالى الموحى ، والتوسع الملموس فى شتى المشاريع المقارية ، والتجارية ، وفى مجالات وسائل النقل والخدمات والزراعة ، وغير ذلك من مجالات ومشايخ الاستثمار الخفيفة والمتوسطة ، الا انها بقيت طبقة ناقصة النمو ، ضعيفة التكوين ، هشةמוד ، وبالتالى قابلة للانكسار ، بالمقارنة الى طبقة الاقطاع المريقة والعديدة ، الطبقة التى حكمت اليمن ، واختلفت واختصت على حكمها عبر التاريخ اليمنى كله ، وعند القرن السادس الميلادى على اقل تقدير ، والتى من أجل بسط سلطانتها الكامل على عقائده الحكم تهرمت على « الملك » منذ عشرينيات هذا القرن ، وظل القطاع للواسع منها فى حالة مناورة سياسية له ، سواء اتخذت هذه المناورة شكل تمرد قبلى ، او انقلاب سياسى ، او اتصال بقوى خارجية ، وسواء اتخذت طابعا ايديا او حتى طابعا سلبيا ، والتى من جناحها المهادى للامام تشكل المود الفقري لمحركة المعارضة اليمنية التى عرفت باسم حركة وحزب « الاحرار اليمنيين » ، والتى لم تكن بعيدة تماما عن الاسهام ، بحدود محدود فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ من خلال مشاركة بعض ابناء المشايخ وبعض القضاة من رجال الدين ، كما لم تكن بعيدة عن الاشتراك المباشر والقوى فى السلطة منذ الشهر الاو لقيام للثورة الى سبتمبر ١٩٦٦ حيث اخرجت واول مرة نهائيا من الحكم بعد تشكيل حكومة السلال الوطنية على اثر الصدام السياسى والعسكرى الذى كان وشيك الوقوع فى

ولأن أسلوب الانتاج الاقطاعى للجماد ، وعلاقات الانتاج الاقطاعية المختلفة ، وطبيعة الحكم الاقطاعى المتحجرة المبررة عن ذلك كانت تقف سدودا تاريخية منيعه ، وحواجز طبقة عديدة امام سيادة أسلوب الانتاج الرأسمالى وعلاقات الانتاج الرأسمالية ، وامام انطلاق قوى الانتاج الرأسمالية يكامل طاقاتها وبكل عنفوانها ، والى الاساد الاجتماعية والتاريخية المقدره لها ، كان لابد أن تهبط الطبقة البرجوازية الناضجة لهم السدود العائقة والقائمة ، وتحطم الحواجز الطبقيّة الاقطاعية السائدة والحاكمة ، من أجل وضع يدها على السلطة الميماسية ، وتسخيرها فى اتجاه تنمية وتطوير مصالحها الاقتصادية .

وينطبق هذا التحليل اساسا على الثورات البرجوازية التى قامت فى الغرب ، حيث كان للطبقة الوسطى وجود اقتصادى وحى وفصال ، وحيث ارتبطت حركة التطور التاريخى والاجتماعى بانتصار هذه الطبقة على قوى الاقطاع والتخلف .

ثورات التصحر الوطنى

اما بالنسبة للبلدان المستعمرة ، وشبه المستعمرة ، والتابعة فقد قامت البرجوازية الوطنية التى تمارضت مصالحها الاقتصادية الذاتية والمتصادمة مع مصالح الاحتكارات الامبريالية المهيمنة على السوق المحلية ثورات تحرير وطنية ، بغية ازالة العيقبات من امامها ، حتى تتمكن من السيطرة على السوق الداخلى وتنمية راسمالها الخاص دون عوائق ، وانتزاع حقوق السيادة القومية من الاجنبى ، وتحقيق الاستقلال الوطنى ، وممارسة حكم البلاد .

وينسحب هذا الوصف على الثورات العربية المنتمية الى ثورات التحرير الوطنى المالمية ، حيث قطعت هذه الثورات العربية خطوات حاسمة فى طريق تميق وتطوير الثورة الوطنية ، واكسابها محتوى ديمقراطيا متناميا من خلال القضاء على الطبقة الاقطاعية ، ومن وتطبيق قوانين الاصلاح الزراعى ، وتطوير وتجدير هذه القوانين باستمرار ، وبوساطة اجراءات التأميم للمصالح الاحتكارية الاجنبية ، والمصالح البرجوازية المحلية ذات الحجم الكبير والارتباط الوثيق بالاحتكارات الامتعمارية ، ومن طريق التحولات الاجتماعية ، والتغييرات السياسية ، وغير ذلك من الاجراءات المستندة لاعادة صياغة الكيان الوطنى والاجتماعى ، واقامة نظم حكم متحررة ، وطنية ديمقراطية ، وذات تطلعات اشتراكية .

أغسطس ١٩٦٦ بين التيار الاقطاعي - القبلي المدموم من الفئة الكومبرادورية ، و تيار البورجوازية المتوسطة والصغيرة ، وهو الصدام الذي حسم بقوة وسرعة وحسم قبل أن يتسع نطاقها ، وانتهى بانتصار التيار الأخير ، وذلك بفضل المؤازرة الايجابية الفعالة ، والتدخل المباشر للقاطع من الجانب للمري .

قوة الطبقة الاقطاعية

على أن الدعم العربي مهما بلغت قوته ومداه لم يكن في حوزته ولا مقرهته - بحكم طبائع الأشياء - أن يخلق طبقة اجتماعية جديدة خلقا جديداً مكملاً حيث إن الطبقات الاجتماعية توجد لها ظروف تاريخية وموضوعية داخلية في الأساس .

ولذلك بقيت الطبقة الوسطى الليبية التي لا تستند على خلفية اقتصادية متينة ، ولا تحتفظ بقوة بشرية ملتزمة ازماءها ، وجاهزة للنضال مباحات الشدة والمصم ، بقيت - حتى وهي في ذمت السلطة وتمسك بمقاليدها - مزعومة الوضع متمثلة الخطى - مرتسفة الاقدام ، ولم تستند من وحدات الجيش الحديث المنحدرة أساساً من أبناء الفلاحين وبعض سكان المدن ، والتي بذلت الجمهورية العربية المتحدة جهداً خاصاً في تدريبها وتشكيلها ، والمنايا بها لتكون درع الجمهورية الوليدة ، وصمام الأمان لثورتها ، وظلت دوائر البورجوازية المتوسطة والصغيرة ، العسكرية منها والجندي في حالة انفصال تام أو شبه تام عن هذه الوحدات التي كانت تمثل الرمز الحي والتجسيد القوي ، والتعبير المنظم والمسلح والقوي الجديد .

وعلمنا بقيت القيادات الوطنية البورجوازية بعيدة عن وحدات الجيش الحديث وقياداتها انشابة المهية بفضل منشئها الاجتماعي لتقبل الفكر الثوري ، والتجاوب مع النهج السياسي الوطني ، والالتزام بالمواقف النضالية المرسومة والحددة فقد بقيت هذه الوحدات وقياداتها بعيدة عن العمل السياسي اليومي ، وعن القيادات السياسية الحاكمة ، ولم يبق أمامها الا التفاعل ، بل والانتظام في التيارات التنظيمية ذات المصحة الوطنية والقومية التي اتحدت لسوار الوحدات .

على العكس من ذلك كان وضع الطبقة الاقطاعية التي كانت - حتى وهي خارج السلطة تصرف بشفقة ، وتعارض بالقدار ، والتي بفضل اعتمادها على رابطة المصيبة القبلية ، والمركز الاوتوقراطي للشيخ لدى أفراد قبيلته كانت قادرة على تحريك قوى قبلية مسلحة في أي وقت تشاء ، والضغط بها للحصول على نصيب أكبر في السلطة ، أو حتى من أجل انتزاعها كلها ، والانفراد بها نهائياً ، وهو ما أوضحته

بجلاء مؤتمرات استعراض القوة - القبلية - الاقطاعية في عمران عام ١٩٦٢ ، و « خمر » و « الجند » عام ١٩٦٥ ، وما لكده بصسورة خاصة « زحف » الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد بقوى قبلية هائلة على صنعاء بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وذلك بقصد اظهار مدى سيطرة طبقة الاقطاعية وجبروتها ، ولتأكيد مدى سهولة حصولها على السلطة متى شاءتها ، انطلاقاً من قلعته الاقطاعية الحصينة « خمر » الواقعة شمال صنعاء ، والتي كانت في الواقع المقر الرسمي ، لاركان حرب الطبقة ، وممثلي الاستقراطية القبلية ، والقرب ما تكون الى « حكومة الظل » لهذه الطبقة وهذه القوى طيلة الفترات التي كانت تتلصق فيها مشاركتها السياسية في حكومة صنعاء .

لقد كان الحجم الكبير والسميك والمؤثر لهذه الطبقة ، وأصدها الاستقراطية القبلية ، ولرويتها السياسية والتاريخية السلفية والحافظية يتسلط الذي كان يبلغ حد السمار للاستحواد على السلطة بعد حرمان طويل ، واتخاذها العرب - سواء كانت قواها على الجانب الجمهوري أو الملكي من الحركة - محور وسيلة للثراء ، وأصرارها على عدم حسم الصراع حتى تشرب الكأس الى ثنائتها ، وتبرز لقوى حد ، وتحصل على أكبر قدر من الاموال باسم التجديد لصالح هذا الفريق أو ذاك ، وأداؤها على هذا النحو « دور ماقول الانكار » ، وخرجوها من هذه الحرب بمغانم هائلة ، كل ذلك قد حول رجالات الاقطاع والاستقراطية القبلية في هذه الطبقة الى « أغنياء حرب » بالفعل ، مما كان من شأنه أن يمهّد مسيرة الثورة اليمنية ، ويشل حركة الطبقة الوسطى ، بل وأن يصيب خطى القيادة العربية نفسها بالارتباك والاضطراب .

ولذلك فإن هذه القيادة رغم وضوح الهدف الثوري والقومي العظيم الذي جاءت من أجله ، ورغم نجاح الجيش العربي تحت ادارتها في ترسيخ دعائم الجمهورية في مواجهة حرب تدخل امبريالية ضارية ، الا أنها لم تستطع الفكاه من ضرورات الواقع القبلي ، والافلات من أسر الطبقة الاقطاعية ، ووجدت نفسها تقع في بعض الاحيان تحت تأثير التركيب القبلي - الاقطاعي المتشابك والمعد .

ظهور مراكز القوى في اليمن

فيما احتفظ مكتب الرئيس لقوى السادات برؤيته صافية. ازماء مهمة ج . ع . م للتاريخية في اليمن ، ولم يمنع دعمه السياسي لغير القوى الجديدة المنتهية - بطبيعة الاوضاع - الى الغلبة الوسطى بمختلف مراتبها الاجتماعية ، غرق

اذاعة تليفزيون الجمهورية العربية المتحدة مساء ٢٢، ٢٣ يونيه ١٩٧١ عندما تحدث عن أن أول مركز للقوى نشأ في اليمن بالذات حيث تجمع المال في يد القيادة هناك، وكان يحول إلى ذهب، ويتقاسم بين مركز القوى في القيادة، وبين زعماء القبائل اليمنية الذين كانوا يفترون بالمال، بغية الحصول على ولايتهم، ونظرا لأن شراء القبيلة كان أسهل دائما من تحريك لواء ضدها * وذلك ما كان قد أوضحه بجلاء في التحقيقات الصحفية التي أجرتها معه مجلة الصياد البيروتية في ٢ يونيه ١٩٧١ حيث قال: «أن مركز القوة الأول قد تكون في اليمن حين أرسل عبد الناصر الجيش المصري ليتولى حماية ثورتها هناك، ولأول مرة * وبسبب من طبيعة العلاقات العشائرية السائدة * ولأن اللواء يشترى ولا ييمنح * بدأ الضباط يتعاملون مع الناس بالكلوس * وكانت هذه تجربة جديدة لم يصمد فيها مع الأسف الا قلة من أقوياء النفوس * وهكذا تحولت قيادة الجيش الى مركز قوة بسبب ما في يدها من صلاحيات وأمكانات هائلة * خصوصا اذا ما تذكرنا أننا لم تكن وحدنا من يشتري الولادات * ونشأت على هامش المهمة الثورية النبلية بثرة فساد وأفساد شمل شرها الكثير من القيادات الشابة، والعناصر التي كانت مثالية في طهارتها * وهو ما تقيبه اليه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وقتها * حيث أمر - وقد رأى إيماده ومراميه السياسية أساسا - بوضع حد له * بمد عملية تحقيق شملت مكتب المشير عامر نفسه * بما في ذلك «على شفيق الذي كان مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر * وأحيل الى التقاعد على اثر تحقيقات جرت عن بعض التصرفات * كما كتب الإهمام في ٤ - ٩ - ١٩٧١».

ضعف وهراعات

مراتب البرجوازية

ونتيجة ضعف الطبقة الوسطى اليمنية الحاكمة * وعدم قدرتها على تنظيم نفسها * أو تبني وتنظيم الشعب وراها * وهم تمكينها أو سماحها للقوى والتجمعات الوطنية والديمقراطية بالعمل التنظيمي المبرح لملء الفراغ السياسي والتنظيمي في البلاد وسد الفجوة القائمة ما بينها وبين الجماهير التي ظلت تعيش بعيدة وبعمدة عن المشاركة في توجيه حركة الثورة * وتحت هزيمة يونيه ١٩٦٧ التي كانت تصيب قلب الثورة العربية نفسه بالتوقف عن النضج * والتي لحق أثرها البالغ بأضعف الحلقات والواقع الثورية فيها مثلة في الجمهورية اليمنية * وترجمة تلك الصلات الحية والقوية التي كانت قد نشأت وتطورت - ولا سيما بعد نكسة يونيه - بين مركز القوى العربي في صنعاء وبين محور القوى الإقطاعي القبلي

المكتب العمكري الى اذنيه في التعامل الواسع مع القوى القديمة المثقاة في رؤساء العشائر * ومشائخ الاقطاع * ولم يقف الامر عند حد التعاطف السياسي مع هذا المحور ضد الآخر * وعند حد الاعتماد على «مقاولي الانفار» من المشائخ في التجنيد باسم مواجهة الخصم الملكي * وإنما بلغ حد تقاسم الاموال معه * حتى بدا واضحا للقوى الوطنية في اليمن أن «المجموعة العسكرية» التي نشأت في ظل القيادة العربية * وصارت في هذا الطريق الخاطيء اما انها غير مدركة - بما فيه الكفاية - لطبيعة الواجب الجليل الذي كلفت به * أو انها غير قادرة على معرفة الاسلوب الصحيح لتحقيقه * أو انها تدير في خط مغاير لخط عبد الناصر الثوري * والقومي * والتقدمي *

ولم يتضح الا فيما بعد أن هذا السلوك لم يكن مستغربا * ليس فقط لانتماء المكتب العمكري الطبقي * واحتفاظه - حتى بعد ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ - بعلاقات ما مع بعض بقايا المشايخ والعمد في الزيف المصري * وإنما أيضا لان المجموعة العسكرية البيروقراطية اليمنية في القيادة العربية بصما كانت - تحت تأثير ما وجدته تحت تصرفها من اموال طائلة * وبحكم تطلعاتها السياسية الجديدة نحو السلطة في القاهرة - قد أصبحت تشكل مركز قوة يعمل في اتجاه غير اتجاه عبد الناصر * ويمسح في أجل أحباط غايته الثورية والنبلية في اليمن * بما يترتب على ذلك من اصداء ونتائج سلبية داخل الجمهورية العربية المتحدة نفسها * على أن يكون ذلك خلوة تمهيدية لتطويقه والانتفاض عليه في ظروف معينة ملائمة * وذلك هو بالضبط ما أظهرته واكدته بوضوح حرب يونيه ١٩٦٧ وما تلاها من محاولات استهدفت الاستيلاء على قلم الثورة العربية من أساسها * والامساك بقيادة الامور فيها وتوجيهها * وتوجيه أحداث الوطن العربي معها في مسار آخر مختلف تماما * بل ومماكس جملة وتفصيلا للمسار الناصري *

وهذا بدلا من اطلاق قوى الثورة الاجتماعية * وتنمية المبادرات الجماهيرية * والاعتماد على القاعدة الشعبية * والمساعدة في تنظيم القوى الوطنية * والاسهام معها في وضع برنامج تضالي * وطني ديمقراطي * تمسير عليه وتجنيد الشعب من حوله - كما حدث بالضبط للجنوب اليمني - بدلا من ذلك كله أثر مركز القوى العربي في اليمن - تعبيرا عن نفسه السياسي * ويوحى مخططه الخاص - التعامل في وضوح مع «القمع» الإقطاعية العالية «والرموس» الارستقراطية البارزة * ومع الممثلين الاثنيولوجيين والتقليديين الاقوياء لهذه الطبقة العريقة والمتيدة * باعتبار ذلك اقرب طريق «لتهدئة الحال» في اليمن *

وذلك هو محسوس ما أشار اليه الاستاذ محمد حصفين هيكل في برنامج «حوار مفتوح» الذي

في « خمرة » بـمقدار ذلك كله كان لا بد ولا بد لتسحب البورجوازية اليمنية من الحكم ، وتتركه للطبقة العتيدة والقوية في البلاد ، طبقة رؤساء المشائخ ومشائخ القبائل ورجالات الاقطاع ، وممثلها وحلفائها .

ويدون وضع هذه الحقائق السياسية في الاعتبار فانه يصعب فهم أى حدث من الأحداث التي مرت بها الثورة اليمنية ، وتقييمه التقييم الصحيح والوضوح . ولذلك فانه غلط في ضوء التعقيدات السياسية الالفة الذكر ، ويوضع صفوط المؤامرات الاستعمارية الواسعة التي استهدفت استنزاف قوى قاعدة وطليعة الثورة العربية المتقدمة في اليمن في الاعتبار يمكن وينبغي فهم اضطراب الجمهورية العربية المتحدة الى عقد اتفاقية الاسكندرية في سبتمبر ١٩٦٤ بين القاهرة والرياض ، وعقد مؤتمر أركويت للتحرير في السودان على أساسها في أكتوبر من نفس العام بين ممثلي الجانب الجمهوري والمكي ، وإبرام اتفاقية جدة بين ج ٢٠ م والملكة العربية السعودية في ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ ، وانعقاد مؤتمر حرض ، تلبية لها بين الطرفين اليمنيين في ٢٢ نوفمبر من نفس السنة ، وتوقيع اتفاقية الخرطوم في أغسطس ١٩٦٧ بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل ، هذه الاتفاقيات والمؤتمرات التي حرمت القيادة الثورية من القاهرة فيها كلها على عدم التفریط في النظام الجمهوري ، وعلى العمل - خلال فترات السلم المتقطعة هذه - بكل الوسائل الدبلوماسية - ومنها يكن الثمن أو التنازل الذي تقتضى الظروف وتقدمه - على الإبقاء على هذا النظام باعتباره المكسب الرئيسي والاماسي والهام لثورة ٢٦ سبتمبر حتى لو استدعى الحفاظ عليه ومن أجل الحفاظ عليه أن تكون على رأسه ولادارته اية قوة سياسية تفرضها صيغة التصالح التي يمكن أن تصغر عنها مؤتمرات « الاطراف اليمنية » .

ولقد كان مما سهّل للطبقة الاقطاعية مهمتها أكثر ذلك الصراع الذي كان قد احتدم منذ حين بين مراتب الطبقة الوسطى نفسها ، وبناذات بين البورجوازية التجارية المتوسطة وممثلها ، وبين بورجوازية المدينة الصغيرة وقياداتها ، وهو الصراع الذي دفع بالاولى الى تقاسي خلافاتها السياسية مع المحور الاقطاعي - القبلي ، وأظهر عليها واستمدادها - سواء بمواقف ايجابية أو سلبية - للتعاون معه - حتى ولو بشكل غير مباشر - من أجل تسوية « خمرية » تادييبية للبورجوازية الصغيرة المهيمنة على قمة السلطة ، والتي كانت - وهي ترى نفسها وحيدة في الصراع ، وتواجه لذلك مصيرا مجهولا - تميز حالة من الاضطراب السياسي العنيف والفلسق النفس العميق ، وتنتابها حالات شديدة من التذبذب البورجوازي الحاد ، حتى كانت مواقفها السياسية تتأرجح من النقيض الى النقيض ، وعدت

كرواقص السحابة تماما من شدة التذبذب والارتباك . وحيث كانت تذهب في مواقفها المتمازجة المتناقضة وفي لحظات متتالية ذات اليمين وذات الشمال ، فبينما كانت ترتفع ثورتها الى اقصى درجات الحساس والتشدد بل والتطرف في بعض الأحيان - املا في الحفاظ على مواقفها السياسية ، ودفاعا عن خط الثورة الوطني - وإذا بهذه الثورة تصاب فجأة بحالة من التردد والتفكك وتهبط بقوة الى درجة الصفر ، الى الحد الاستخذاء والاسترخاء ، واللامبالاة ، والمليحة والتسليم ، وهي طورا تؤثر الانضمام الى موقف الجباهير الصلب وتؤثر طورا آخر التكون والهرب من مواجهة المواقف الحرجة والحقيقة ، وهي تارة تجد الرغبة في نفسها الى خوض غمار المجاهدة على اساس لحيثان وقيادة لاد الشعبي الذي فجّره اللحظات المصرية الرهيبة والمهيبة التي مرت بها البلاد ووجدت الثورة اليمنية نفسها ازامها بعد نكبة يونيو ، وتارة اخرى تميل الى الانتماء من حلبة الصراع واثير العافية والسلامة ، وتجنب الفخول في معركة غير متكافئة الاطراف ، تشير كل الدلائل الداخلية والخارجية الى انها مستغسرها حياء ، وهو الموقف الذي لانت به آخر الامر ، حيث انسحبت من ميدان الصراع ، ولقت سلاح الانتقام ، وتكرت الطريق مفتوحا لعبور وانتقال الجانب الاخر الى السلطة ، دون ملقة رصاص ، وهرب سقوط قطرة دم واحدة .

انقلاب ٥ نوفمبر وانقسام

الطبقة الوسطى ازاءه

تلك هي الظروف التي مهدت وصاحبت ما يسمى فيما بعد بانقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ البارد الذي لقي التماثل - في أول الامر - وقبل أن تضيق بالكامن هويته الطبقي ومناه السياسي - من قبل جميع التيارات السياسية المتمازجة سواء من الكارفين للوجود العربي في اليمن ، أو العاطلين عليه ، من فرع حزب البعث فيها الذي كان أحد الاطراف القيدانية فيه ، أو من فرع حركة القوميين العرب فيها ، الذي أزره بقوة ، من القوى العسكرية ذات الانتماء المشائخي ، أو من الوحدات الحديثة ذات الانتماء الفلاحي البورجوازي ، بل ولقى الترحيب من قبل الدول العربية التقدمية منها أو التقليدية ، وحيث لم يلق في مواجهته - سياسيا - حدا المناصر الديمقراطية التي في الوقت الذي كانت تدرك فيه الظروف المعقدة والمواتية التي ساعدت على قيام ونجاح هذه الحركة - الا أنها - وهي التي كانت تنهيه منذ البداية الى مرعها السياسي ، وأثرا على مسيرة الثورة - كان عليها أن تتخذ منها موقفا مضادا ، وقد غدت صاحبة السيادة والسلطة في البلاد .

ولقد التزم جزء من الطبقة الوسطى جانب السلطة بعد قيام هذا الانقلاب رغم بعض المضايقات التي تعرض لها ، بينما خرج جزء آخر من هذه الطبقة الى الصف الجارح لها .

والسؤال المطروح هو : هل يملك هذا الفريق من البرجوازية المتوسطة - بالتعاون مع بعض قيادات البرجوازية الصغيرة القصاصة من رفعة السلطة - تقديم أى برنامج نصالى يفتح به افقا سياسيا جديدا أمام جماهير الشعب ، وينزل به شعارات وطنية وديمقراطية يتخطى بها شعارات السلطة ، لم أن اوضحاه الطبقة المتواضعة عدد بعض النقط ، والمتشابهة فى بعض السجوه ، والمتجانسة فى بعض الحالات مع الاوضاع الطبقيّة للتحالف الاقطاعى ، الكومبرادورى مستكون قيادا طبقيا يعد من رقيته السياسية ، ويشهد خطواته السلمية ، ويلزمه بالتوقف والتجمد عند موقعه السياسى المعروف والمحدود النظرة والسطوح ؟

البرجوازية الوسطى والتناقض

الرئيسى فى المجتمع اليمنى

ان الاجابة عن هذا السؤال مزعومة بمعركة موقف الطبقة الوسطى اليمنية من التناقض الرئيسى القائم اليوم فى المجتمع والمعد على نطاق اليمن كلها ، والمتمثل فى قطبي النظامين اليمينيين ، وهو التناقض الذى شهد اليوساستقطاب من حوله كل القوى السياسية الموجودة على خارطة البلاد ، حيث ادى هذا الاستقطاب الى الغاء كل امكانية او احتمال او حتى مجرد فرض سياسى بعت لايجاد نظام وسط بينهما ، لا هو وطنى ديمقراطى ولا هو اقطاعى كومبرادورى ، او يحمل خصائص النظامين المتنافيين فى وقت واحد ، مما حتم بالتالى على الفئة المارخية من الطبقة الوسطى تحديد موقفها بوضوح وحسم ، اما التعاون مع القوى الوطنية الديمقراطية ، مما يعنى فى نفس الوقت التعاون مع النظام الوطنى ، الديمقراطية فى عدن ، بكل ما يترتب على ذلك من ضرورة تطوير مفاهيمها واستمرار حركة الثورة اليمنية فى شمولها ، تقبل محطياتها وانجازاتها المتحققة بالفعل ، والتكيف مع شروطها ومتطلباتها التى يتطلبها المستقبل ، واما الانحياز الى جانب القوى الاقطاعية والكومبرادورية ، شأنها فى الضمان للفئة الاخرى من البرجوازية المتوسطة التى - لنسجما مع مصالحها الطبقيّة - وتلبية لتطلعاتها الاقتصادية نحو مزيد من التراكم الرأسمالى - اختارت هذا الجانب بالذات ، ووقفت معه فى وضوح .

وقبل الحصول على اجابة سياسية محدثة عن قبل القطاع البرجوازي المارخى بل للحصول على هذه الاجابة يجب التعرف على الموقف الطبقي الاقتصادى ، والسياسى والايدىولوجى ، والنفسى الذى تتخذه هذه البرجوازية الوسطى ككل ، وبجميع فئاتها من الاجراءات الثورية التى اتخذتها الحكومة الثورية فى عدن ضد الشركات والبنوك ، والوكالات التجارية الاجنبية وخسد الطبقة الاقطاعية فى الجنوب ، بما ترتب على ذلك من آثار مستت بعض افراد هذه الطبقة .

افزعاج الطبقة الوسطى

من اجراءات التاميم

فبوقفة تحليلية كهذه يمكن - على وجه اليقين - معرفة موقف الطبقة المتوسطة من التناقض الرئيسى الذى يشهد المجتمع اليمنى من انشاء الى اقضاء ، من المعروف أن عدن بالذات كانت المكان المثالى فى طول الوبن وهرضها الذى وجدت فيه البرجوازية التجارية اليمنية امكانية الحياة والنمو حيث كانت مستعمرة للتاج البريطانى بالنسبة لها « ارض الاطم » التى يهفو اليها أفراد كل بورجوازي طامح فى تنمية رأسماله ولو فى اضيق نطاق - نظرا لاصدام فرص مماثلة فى ظل الاستبداد الامامى الذى كان يطبق على شمال البلاد ابا ن حكم بيت حميد الدين .

ومن المعروف ايضا أن البرجوازية الكومبرادورية كانت هى التى تضررت اساسا من انسحاب الاستثمار البريطانى من عدن ، ومن اجراءات التاميم التى اتخذتها حكومة اليمن الديمقراطية بعد جلائه ، و « جلاء » الفريق اليمنى الذى امتنم منه السلطة مباشرة ، ومع ذلك فان البرجوازية المتوسطة لم تستقبل هذا الاجراء بارتياح ، نظرا لاضول الدولة الوطنية كمرآح لها - الى ميدان السوق التجارى الخارى والدخل ، وشموها بانسداد طريق الامام امامها فى التطور الى برجوازية كومبرادورية ، ولصادرة الدولة لامكانية تحولها الى برجوازية كبيرة ، ونظرا للروابط التى كانت قائمة بينها وبين البرجوازية الكومبرادورية المأمنة مصالحها ، حيث أن « مثل هذه الطبقة فى اليمن الجنوبي (الطبقة الوسطى) وجدت ، ولكن توجد لم يكن امامها الا أن تفتقل بالتجارة والبناء ، وارتبطت من ثم برأس المال الاجنبى ، والوكالات التجارية الاجنبية ، وكانت تحتفظ برأسمالها فى البنوك ، الاجنبية التى كانت تحتفظ بقد كبير من ودائعها فى الخارج ، او كانت تستثمره فى التجارة مع الصومال والحيشة واليمن الشمالى ، والصنوعية ، وقبل الاستقلال مباشرة استغنت جزءا من مدخراتها فى اقامة مساكن حديثة فى

عدن « وبعث الاستقلال » ، ونتيجة لتسليم الاقتصاد المتبادلة حدثت مجرة واسعة لرأس المال المطى الى البلاد المجاورة (١) .

موقف الرأسمال الوطني

من التنمية الاقتصادية

ان فجول البورجوازية الوسطى عن المشاركة فى عملية التنمية ، وتهريب رؤوس اموالها من جنوب اليمن الى شمالها ، وإلى البلدان الأخرى المجاورة يهود الى حوامل كثير وأوضح وأقن من العامل الذى ذكره الدكتور فؤاد مرسى بقوله : « والسبب فى هذا فى تقديرنا هو الموقف الفكرى من البورجوازية الوطنية ، هذا الموقف الذى يعتبرها من القوى الطبقية الخارجة عن التحالف ، وهى من مشروعية التصنيف » (٢) . ذلك ان السلطة السياسية لم تطرح شعار تصفية البورجوازية المتوسطة كتلة اجتماعية ، وكفوة اقتصادية ، وإنما استبدتها ، بل واقتصمت على الحكم على مراحل متتابعة ، حتى تم اقتلاع آخر ممثليها البارزين منه بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ ، وذلك - فى الواقع - هو لحد الأسباب الهامة التى جعلت البورجوازية الوسطى تلتف موقفاً حذراً ومربطاً من الحكومة الوطنية فى عدن ، ومن الأسهم فى أى مشروع تنمية اقتصادى .

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور فؤاد مرسى لم يعترض على أى إجراء يتخذ لازاحة هذه الفئة الاجتماعية من « مركز السيادة والقيادة » ضماناً للسير بنجاح فى طريق التحرر الوطنى ، والتطور الديمقراطى ، وقيادة عملية التحويل الاقتصادية والاجتماعية فى الاتجاه اللارأسمالى بما لم ينكر ثورية مثل هذا الاجراء ، فهو يقول على نفس الصفحة : « والمبررة عنقذ بالسلطة السياسية فى الدولة ، فما دامت هذه الرأسمالية معقدة عن السيطرة على مقاليد السلطة ، ناهيك عن الافراد أو الاستئثار بها فلا خوف منها على الثورة » . وبالفعل فإن احداً لم يخف أو يرتعب من هذه الفئة الاجتماعية ذات الفشرة الطبقية الرقيقة التى كما تمكنت البورجوازية الصغيرة والجماعية الضعيفة فى اليمن الديمقراطية من كسرها سياسياً ، فقد تمكنت أيضاً القوى الاجتماعية المتحالفة مع الكومباردورية من كسر عودها فى اليمن

الرأسمالية ، واستشاراً زاراً الى الحديث مؤلفها من التناقض الملم على نطاق اليمن كلها .

لقد أكد الدكتور مرسى ان « التمييز بين رأسمالية وطنية ورأسمالية غير وطنية لا يمكن ان يكون ضريماً بالتنجيم ولا رجماً بالغيب » ، وحيث اشار الى « أنه عملية موضوعية ، معيارها الجوهرى معيار عملى ، هو الموقف من التنمية الاقتصادية ، هل تشارك فيها أم لا تشارك ؟ » .

كما أكد الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله فى مرض الحديث عن « الضمانات التى تمنع القطاع الخاص من ممارسة أهداف الخطة ، والعمل على عزلتها ، وتكفل امتناع نشاطاته مع الاهداف التى حددها المجتمع » . بقوله : « فى الواقع ان نقطة البدء فى هذا هى ان يوجه القطاع الخاص نشاطه الى القطاعات الانتاجية من زراعة ، وصناعة ، وتجارة تجزئة ، الخ بعيداً عن الانشطة الطفيلية التى تتمثل فى أعمال التخزين ، والمضاربة ، وما يتبعها من تلاعب فى الاسعار ، وأعمال الوساطة ، وما الى ذلك ، والشروط الثلاثى هو احترام توجيهات الخطة القومية التى يجب ان تنقل اليه فى وضوح ، وتناقل معه ، والشروط الثالث هو الاحترام الكامل لقوانين العمل ، وحقوق العمال » (٣) .

فما هو موقف البورجوازية الوسطى اليمنية فى ضوء هذا التحديد الطبسى والعملى لدورها ودور امتدائها فى التنمية الوطنية ؟

ان كل الدلائل تشير حتى الآن الى انها تصر على الاستمرار فى المسير فى الطريق الماكس ، طريق الاقتصاد الطبلى المستمد على الصفقات التجارية المربحة من أى مبيع ، ومع أى كان ، طريق ابقاء السوق المحلية فى حالة تيمية دائمة للسوق الرأسمالية ، والبيضات الاحتكارية ، دون المساعدة بنصيب جاد من أجل خلق اقتصاد وطنى ، منتج ، متحرر ، مزدهر .

ولذلك فإن ما نص عليه دستور اليمن الديمقراطية ، وما سنته حكومتها من قوانين لتشجيع الرأسمال المطى ، وما اتخذته من إجراءات ، وما وجهته من نداءات - وبإسراع صوت - الى القطاع الخاص بالاشتراك فى الاعمال النافعة لاقتصاد البلاد الوطنى ، كل ذلك لم يلق اذناً صاغية .

وباستثناء اسهام الرأسمال اليمنى المتفرق بـ ٨٠ فى المائة فى مشروع مصنع الكبريت البالغة تكاليفه ١٢٠ ألف دينار يمنى - بناء على اتفاق تم فى مايو ١٩٧٠ ، والذى بدأ انتاجه فى ١٩٧٠ - ١٩٧١ .

[١] مجلة الطليعة الثائرة يناير ١٩٧١ ، ملاحظات على الوضع الاقتصادى فى اليمن الجنوبي ، د. فؤاد مرسى .

ص ٧٠ - ٧١

[٢] المصدر السابق ص ٧١

[٣] الامام فى ١٩/١٩/١٩٧١ .

أسعار الكهرياء ، والماء ، والطبوق ، إضافة إلى توفير « الحماية الجمركية للإنتاج المحلي برفض الضرائب الكبيرة على أى إنتاج خارجى ، يعتقد أنه سيكون منافسا للإنتاج المحلى » (٤) .

وكان رئيس الهيئة التنفيذية العليا ، وعضو اللجنة التنفيذية للمجبة القومية قد نكر التجار فى مطلع حديثه بأن « الاستعمار . لم يفتح أية فرصة لل رأسمال الوطنى فى أن يبدأ فى استغلال أمواله استغلالا جيدا حتى فى مجال الخدمات ، حيث كان يسيطر على كل مجالات الخدمات عناصر من الرأسمال الأجنبى ، سواء كانت على شكل شركات بريطانية ، أو فرنسية أو غيرها من الشركات الأجنبية ، وكان كثير من التجار الوطنيين والمحليين مجرد وكلاء لهذه الشركات التى تحكم فى البلد وأسواقه ، بحيث أن الاستعمار نفسه فتح البلاد ، وجعلها كلها سوقا حرة لتتوجهات حتى تنافس المنتجات المحلية التى كان من الممكن أن تنمو فى اقتصاد البلد الإناجى » . وذلك كما أكد رجل للدولة اليمنى فى محاضراته القبية هو العامل الذى دفع كثيرا من التجار ، بدلا من استثمار رموس أموالهم « فى المشاريع الإناجية والتجارية » إلى استثمارها فى مجال الخدمات السريع للربح . وعلى هذا النحو وقع التجار « فى الفخ الذى نصبه الاستثمار للرأسمال الوطنى » (٥) .

وبمناسبة افتتاح المصنع الأنف الذكر فى ٢٠-١-١٩٧١ - ، والذي مازال فى حكم فترات الطيبة - قال رئيس مجلس الرئاسة وعفسو اللجنة التنفيذية العليا سالم ربيع على - مخاطبا أصحاب الرأسمال الوطنى - وهو يريهم بأصبع اليد أفاق التعاون الواسعة التى يمكن أن تجمع ما بين القطاعين العام والخاص وتتسع لهما معا - أنه بهذه « المانصة المارة التى نحتفل فيها بافتتاح أول مصنع إنتاجى فى جمهوريتنا بسعدنى أن أبدي ارتياحا لهذه المبادرة الطيبة التى أقدم عليها للرسمال الوطنى ، وأن حكومة الثورة ستظل هذه مسئولياتها فى الدفاع عن الاستثمارات الوطنية الإناجية ، وأن هذه التجربة المتواضعة التى أقدم عليها الرأسمال الوطنى فى هذا المصنع « مصنع الكبريت » تلزما جميعا الدولة من جهة والرأسمال الوطنى من جهة أخرى بالعمل على إيجاد الثقة المتبادلة ليتم الكثير من هذه المشاريع الظهيرة الى حين الوجود، ولتتمكن بمسئولية وطنية تاريخية من بناء وطننا هذا معتمدين على أنفسنا . أن حكومة الثورة تعمل على إيجاد نصبة

١٩٧١ ، وتقدر طاقته الإنتاجية سنويا بثلاثة ملايين حلبة كبريت سنويا قابلة للزيادة ، وأسهم به ٤٩ فى المائة فى مشروع مصنع السجائر فإن صيحات ومناشدات السلطة فى عدن للتجار بامتثال رموس أموالهم فى المشاريع الإناجية ، وتأكيداتها لهم باستعدادها لتقديم كل التسهيلات اللازمة ، وكل التشجيع الضرورى قد ذهبت جميعها لدرج الرياح .

تشجيع الدولة للقطاع الخاص

فى شرح موقف الحكومة من القطاع الخاص ، وفيه إقناعه بضرورة الأسهم فى عملية التنمية الاقتصادية ، وتبصيره بأفاق المستقبل المنظور أمامه - إذا قرين بإمكانات المالى المحدودة التى كان يقيدده الاستثمار فى إطارها - واستعدادها لحل جميع مشاكله ، وتقديم المساعدة اللازمة له قال رئيس وزراء اليمن الديمقراطية محمد على هيثم - وهو مخاطب أعضاء الغرفة التجارية والصناعية بحدن فى ١١ - ٢ - ١٩٧١ : « أن هدف اللقاء هو التعرف على الصعوبات التى تواجه التجار ، ومناقشة قضايا التجارة والاقتصاد بصراحة تامة » بغية التوصل إلى ما يكفل للتجارة نشاطها ، وللوطن تنمية ، وللتجار أفاقا جديدة لتنمية أعمالهم ، والاستفادة من المكانة الهامة التى تحتلها المنطقة تجاريا . أن عهد الاستقلال قد فتح للتجار كثيرهم من قطاعات الشعب أفاقا جديدة ، طالما ظل العهد الاستثمارى يحرهم منها ، محاولا الاحتفاظ بها لصالح الشركات الأجنبية ، أو جعل مجال التجارة والاقتصاد محصورا على اقتصاد الخدمات . أن الحكومة قد وضعت خططاً عديدة تؤكد فيها إيمانها بدور الرأسمال الوطنى - ، وأوضح أهمية استثمار التجار لرموس أموالهم « فى إقامة الصناعات الخفيفة ، والتوجه نحو تطوير اقتصاد البلد من اقتصاد خدمات إلى اقتصاد إنتاج » ، وشدد هيثم على ضرورة « أدراكه الرأسمال الوطنى لواجباته فى هذه المرحلة ، وتحاوله مع التسهيلات التى ترميها الحكومة لتشجيعه على استثمار أمواله فى مشاريع إنتاجية » ، كان منها « قران الحكومة بتشجيع الرأسمال الوطنى ، وتقديم كافة التسهيلات لتشجيع الاتجاه للصناعة » ومنها إقامة منطقة صناعية تسمى الأرض فيها مبانى لإقامة المصانع ، وإعفاء الرأسمال الوطنى الذى سيتجه لإقامة المشاريع للصناعة من الضرائب ، وتخفيض

مشتركة بينها وبين الرأسمال الوطني ، ولأننا جميعا لا نرغب أن نزع بال رأسمال في مشاريع خاسرة .

وفي بلورة المحتوى الثوري لهذه الصيغة التي بها وحدها تتكسب البورجوازية الوعظي اليمنية الصيغة الوطنية، وبالأخذ بها يتقدم من مزالق البورجوازية الكومبرادورية قال سالم ربيع علي - ذو الشعبية الواسعة والرأي المسوع : «أننا عندما نقول بوجود صيغة مشتركة بين الرأسمال الوطني والدولة نقصد بذلك الرأسمال الوطني المقتنع بأن انتصار شعبنا على الاستعمار والرجعية وحريه ضد الامبرياليق الرجعية اليوم حق مشروع، وأن العمل على التخلص من أنظمة الرجعية والاستعمار قضية مشروعة أيضا » (٦) .

ولتشجيع ودفع وتطمين الرأسمال المحلي أكثر أصدرت الدولة « قانون الاستثمار الصناعي الذي يحدد مجالات استثمار الرأسمال الخاص ، والضمانات الخاصة على كافة المستويات » ، ولزيد من تطمينه نفى عضو اللجنة التنفيذية للجبهة القومية ونائب رئيس الوزراء للشؤون المالية والاقتصادية محمود عبد الله عيش « كل الإشاعات المرفضة التي تدعى أن الدولة تنوى الاستيلاء على كل المواقع الانتاجية » ، وأوضح أن القوى الرجعية تحاول أن تعيق مساهمة المغتربين اليمنيين أو الرأسمال الوطني في مشاريع التنمية وبناء الاقتصاد في اليمن الديمقراطية » (٧) .

كما نفى بقوة عضو اللجنة التنفيذية ووزير الثقافة والإرشاد عبد الله الخامري « إشاعة تقول بأن الدولة ستقدم على تأميم البناكين ، والمطاعم ، والمخابز ، والأفران ، والعقارات والمقاهي » ، حتى صالونات الحلاقة ، وإشاعة « أن الحكومة ستقدم على مصادرة الاغنام والإبقار » (٨) .

هجرة الرأسمال اليمني

من عدن إلى الشمال

ورغم هذا التشجيع ، والدفع ، والتطمين - والتجسير الواضح والمكرر - والذي بلغ حد الألحاح - والمصاع في عبارات لا ليس فيها ولا التواء ، والمصادر من الجهات المسئولة ، والمختصة في البلاد فإن بعضه القلق والخوف من المصير لم تبارح البورجوازية التجارية قط ، ورغم أعانته

مراراً وتكراراً من لكن مسئول وفي أكثر من مناسبة ، وفي أكثر من وثيقة من وثائق الدولة الحزبية والرسومية وأذاعته ونشره بمختلف وسائل الاعلام فإن الطبقة الوعظي اليمنية لم تلق بالا إلى شيء من ذلك لأنها كانت قد أصيبت - ولا سيما بعد سقوط آخر ممثليها من قمة السلطة بحركة ٢٢ يونية التصحيحية - بانسداد في التنفس ، وتصلب في الشرايين ، وغدت مخاضاتها أشبه ما تكون بالحوار مع الصم ، ولم تمتد تطبيق الحياة أو حتى المقام في عدن ، وقدرت الرجل إلى مدن الشمال « العامرة والمفتوحة » ، حيث المصرية الاقتصادية المطلقة ، « وحيث يملك التجار إمكانية الاتجار مع من شاءوا وفيما شاءوا ومع أية الأسواق في العالم » ، ودون حبيب أو رقيب ، بل وحيث يملكون حق وإمكانية الارتباط مع أي وسط تجاري أجنبي ، وحق وإمكانية احتكار تسويق وتصدير هذه السلعة الرأسمالية أو تلك ، والعمل كوكلاء لاية شركة أجنبية ، كما يملكون فرص التطور إلى بورجوازية كومبرادورية وكبيرة ، وفوق ذلك يملكون - كما يبدو لهم - فرص المستقبل كله ، وهو مالم يعد قائماً على الإطلاق في عدن التي تحولت إلى ، جحيم لإطاق ، منذ صدور قوانين ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ للتأميم التي شجعت مجال حركة البورجوازية التجارية ، وبالتالي حدث من إمكانية نموها وصعودها إلى مرتبة أعلى ، وقطعت عليها خط السير - دون أمل في التراجع - في اتجاه احتكاري أو كومبرادوري واتخاذ الإجراءات التي قيدت مدى نشاطها في السوق الداخلية والتربيتات التي جعلت معظم التجارة الخارجية ، وركزت استيراد أهم حاجيات البلاد الأساسية في يد المؤسسة الاقتصادية ، والزمّت القطاع العام السير على « شريط ضيق » حيث نصت قوانين التأميم على أن تبقى الأعمال التجارية قطاعاً مختلطاً يتمايز فيه القطاع العام والخاص في جميع المجالات هذا ما يلي :

(أ) يحصر بهيئة التجارة والشركات والمنشآت التابعة لها (قطاع عام) استيراد المواد التالية : -
الذقيق ، القمح ، الأرز ، السمن ، والزيتون ، البناتية السكر ، الشاي ، السجائر ، السيارات .

(ب) يحصر بهيئة التجارة والشركات والمنشآت التابعة لها استيراد طلبات الحكومة ،

[٦] صحيفة ١٤ أكتوبر ١٩٧١/٢٢

[٧] صحيفة ١٤ أكتوبر السعيدة ١٩٧١/٧

[٨] صحيفة القوي السعيدة ١٥/١٠/١٩٧١

وحاجات مستشفياتها للدوية والعقاقير الطبية

قطر ١٠ (٩) *

وحيث أن المادة ٢١ من دستور جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الصادر في ١٧-١-١٩٧٠ ص ٢١-٢٢ تنص على أن «توجه الدولة التجارة الخارجية، وتشرّف عليها، وتكيفها كما توجه القطاع العام للتجارة الداخلية، وتعمل على تطويره كجزء لا يتجزأ من الاقتصاد الوطني، ومن واجب الدولة أن تقيم علاقات اقتصادية مباشرة مع البلدان الأخرى» وحيث تستطرد المادة في شرح حدود، ومدى، وشروط التعاون مع التجار في السوق المحلي بقولها : «ويجوز لها (الدولة) أن توجد للتجارة الداخلية إما بمفردها أو بالتعاون مع القطاع الخاص بطريقة تضمن توزيعها عادلا لمصلحة الشعب» *

وحسبما جاء في الدستور فإن دعم الراسمال الوطني مشروط باتجاهه وجهة انتاجية حيث منطوق المادة ٢٠ ص ٢١ : «تدعم الدولة القطاع الوطني الخاص الانتاجي لكي تطور الاقتصاد الوطني» * وفي ٤ مايو ١٩٧١ صدر تشريع جديد لتنظيم «التجارة الخارجية» خاصة في مجال التصدير، يؤكد على ضرورة جعل قطاع التجارة الخارجية في خدمة مختلف القطاعات الاقتصادية في اليمن الديمقراطية، بعد أن كان دوره مقتصرًا بالدرجة الأولى على قطاع الخدمات، * ويمتد «عمليات الاستيراد والائصال والتصدير التسهيلات الكافية التي تتيح ممارستها على الوجه الأفضل في نطاق التجارة الدولية» (١٠)

الراسمالية المتوسطة

وطريق التطور للاراسمالي

وإذاً ليس بسبب «عقش» أو «مراقة» بعض العناصر المتطرفة في يساريتها، أو لعدم تصرفاتها لثقت تفر الطبقة الوسطى من «جميع» عدن، التي كانت بالاسس القريب تمثل بالنسبة لها «جنة الخلد» و«دار الهجرة» و«مدينة السلام والاحلام» وأصبحت تولى وجهها شطر «ع» ع. وتري في صفها قبلتها الجديدة، وتؤثر حكمها حتى مع سماته القبلية المتخلفة على الحكم الوطني المنظم والمتقدم في عدن *

إ وليس مجرد رفع اللاتفات الصاخبة وطرح

الشعارات الزاعقة هو السبب كما تراءى للأستاذ محرم محمد أحمد الذي كتب في الامرام في ١٢/١٢/١٩٧٠ : «والراسمالية الوطنية التي أنفلقتها الشعارات الحادة، والكلمات الطنانة تشد رحالها إلى اليمن الشمالية بالمشات، لتسارس نشاطها هناك، بعد أن فتح لها الطريق احتكارات البس الكبرى التي هاجرت من عدن إلى الحديدة * * وهكذا تتجمع في الشمال اليمنى مؤسسات التجارة الكبرى التي كانت تعمل في عدن، وبسطات الجيش المرحون، وتجار عدن القادرون» *

وانما يعود السبب الحقيقي والعريق في موقف البورجوازية الوسطى - إلى جانب ما أسلفناه من اسباب - إلى ما يلي :

١ - أن هذه الطبقة أو الفئة ترى أن الحكم الوطني الديمقراطي في عدن الذي أشهر سيف التأميم ضد الشركات والمؤسسات الاجنبية لن يتراجع عن أن يفرضه على رقبته الشركات والمؤسسات الوطنية في أي يوم من الأيام، وكأنها لا تصنع بالاسهام في مشاريع التنمية أكثر من تسمين السجل له حتى يحين موعد ذبحه بشفرة التأميم المفعدة اليوم، والمتحفزة للانقضاض على «فريستها» غذا *

٢ - أن البورجوازية الوسطى ترى وتدرك جيدا أن اليمن الديمقراطية وقد هيمنت على القسم المسيطرة في اقتصاد البلاد، والمتغلة في البنوك، وشركات التأمين، ووسائل الواسلات والتجارة الخارجية سائرة لا محالة في طريق التطور الراسمالي، وهو ما يدعو بالنسبة لها إلى القلق العميق * وحتى ولو انطوى هذا الطريق على مكان لرأسمالها الخاص إلا أنه مكان محدود ومحاصر ومراقب بكل أجهزة الدولة، وهيون التنظيم، وفوق ذلك فهو ملزم بالسير حسب توجيهات، خطط التنمية الوطنية، التي استهلكت الدولة عهدهما بالفمل بوضع مشروع «الخطة الثلاثية» التي قدر لتمويلها ٤١ مليون دينار يمني، ألفرد فيها مجال المساهمة للراسمال الوطني بمبلغ مليونين وستمائة ألف دينار، على أن يوظف في المشاريع الانتاجية * ومثل هذه التوجيهات والقيد المفروضة على حركة الراسمال المحلي الذي لا يرضى بغير النشاط الحر، والانطلاق في أي اتجاه ليس من المهل قبوله لها من ذات نفسه، كما أنه ليس من المهل اقتناعه بها من الخارج * طالما كانت هناك منافذ أخرى امامه حرة، وعلنية، ومجتمع مفتوح ومباح له يسرح ويمرح فيه كما

[٩١] للا اجرامات التليم ، وقانون [٢٧] الاقتصادي ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وزارة الاقتصاد والارشاد : ص ٢١
[١٠] الشراء ١٩٧١/٥/١

يشاء ، متمثل في « الوطن الأم » في الجمهورية العربية اليمنية حيث الكثافة السكانية ، والقوة الشرائية المتنامية ، والأموال المتكدسة منذ فترة الحرب ، وحيث يتنمى حتى الانقطاع الذي أغتني حتى الشيع بل والثغمة من هذه الحرب لاستثمار وتوظيف أمواله في شراء أراضي ولقطاعات جديدة ، وإقامة الحصون والعمارات ، والاشتراك في المشاريع الأخرى المختلفة ذات الصبغة الرأسمالية .

وأن فما لزوم البقاء في ذلك الشطر الجنوبي من اليمن الأقل مالا وسكانا ، وقوة شرايئة ، والمتجه فوق ذلك في الطريق «الخطر» طريق التطور الرأسمالي ، بما يمتد ذلك من ضياع أحلام البورجوازية المتوسطة في توسيع رأسمالها ، وبما يدل عليه حتى في الاسم وحده من إقفال أبواب المستقبل في وجهها مما يجعلها ترى من البداية النهاية التي تنتظرها رأى اليمن ، ولا سيما وهي تعلم سلفا أن هذه المرحلة من التطور لا تعدو أن تكون مرحلة انتقالية ليس إلا ، وعتية نحو الخروج إلى « جهنم » كل رأسمالي طامع ، إلى المجتمع الاشتراكي .

٢- أن الرأسمالية التجارية - شأنها شأن أي بورجوازية مختلفة - أميل ما تكون إلى الممارات السريعة والخفيفة - وإلى الصفقات التي تدر ربحا مجزيا وسريعا ، ولا يهيمها مع أي مصدر تصدق مثل هذه الصفقات المربحة ، سواء مع الاستثمار أو حتى مع الشيطان نفسه .

٣- أنها باعتبارها بورجوازية طغلية غير منتجة ، وغير طامعة إلى الاتجاه - بشكل جاد - إلى المشاريع الصناعية ، وغير قادرة - بالتالي - على خلق أسلوب إنتاج رأسمالي ، وعلاقات إنتاج رأسمالية بالمعنى المعروف والأصيل لهذه العبارة فأنها لا تشع بوجود تناقض رئيسي اقتصادي وسياسي يحتم التضاد الطبقي بينها وبين الطبقة الاقطاعية كما لا تملك القدرة على ذلك .

أن خير ما يمح من مدى قرب أي صنف البورجوازية الوسطى من الطبقة الاقطاعية من جهة ، والجماعات الضمنية من جهة أخرى هو رجع الصدى الذي صدر من هذه الفئة البورجوازية إزاء إجراءات الإصلاح الزراعي التي اتخذتها جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

فملى عكس مواقف البورجوازيات العربية المتطورة نسبيا التي ثارت على الطبقة الاقطاعية ، وحدث من ملكيتها منذ الحظطات المبكرة من قيام الثورة قبل أن تتطور إلى ثورة وطنية ديمقراطية ، فإن البورجوازية التجارية المتوسطة في اليمن لم تتطرق إلى إجراءات الحد من الملكية الاقطاعية في

جنوب البلاد بمين الرضاء ، بل قابلتها بتوجس واكتئاب باعتبارها إجراءات تمس « حقا مقصدا » و « تخدش مبدعا طبيعيا » هو حق ومبدأ الملكية الخاصة « أيا كانت نوعيتها ، زراعية أو تجارية ، أو حتى صناعية !

وتعبيرا عن وضعها الاجتماعي الخاص التكوين والمنهات كان أفضل أسلوب لديها لحل تناقضاتها الثنائية مع الطبقة الاقطاعية هو رجاء « عطفها » والاستجارة بها في العيش في كنفها ، بطلب الحماية والرعاية منها ، وبالتالي جمعها عنه مختلف المواقف ، والمستناع أسلوب المساومة للتغلب على أية مشكلة تعترض طريق تعاونها الشريك ، وإياها والتذرع حتى بالقوى الطبقية والصندوق للطرفين مسا والموجودة خارج البلاد لاستخدام نفوذها من أجل اقتناح الجانب الاقطاعي بعطشاء البورجوازية فرصة أكبر في توجيه دفعة السلطة ، بقطع النظر عن حجمها الطبقي !

لذلك يقسو انضمام البورجوازية المتوسطة بجميع فئاتها إلى جبهة الانقطاع والبورجوازية الكومبراسورية وتكوين تحالف طبقي معها هو أكثر الفروض السياسية احتمالا ، وأكثرها تشديدا ، وفرض النمو لأشباع شتى التطلعات الطبقة المختلفة القوى ذات الملكية الخاصة تطبيقا لنص الدستور اليمني الشمالي الذي نص على صيانتها وحظر المساس بها باعتبار أن الانضواء في ظل الطبقة الاقطاعية القوية ، وفي حماية علاقات الإنتاج الاقطاعية الإخذة في التطور التبرجي - حتى ولو كان بطيئا - في الاتجاه الرأسمالي لا يتعارض على المدى المتوسط والبعيد ، بل يفهم المجال ربحا - في ظروف مرحلة التطور التي تد بها الجزيرة العربية - لأن تتقدم الفئة البورجوازية في سلم التطور الرأسمالي درجات متتامة ، ولأن يزداد خلال ذلك مركزها الاجتماعي بروزا ، وتلخذ في النمو والطرد ، والصمود المضارع . وبيرج : نجمها السياسي ، وتفقد ظاهرة طبقية أكيدة وحقيقية ورأسمالية مثالية للبيان بفضل التعاون المطلق والممتزج مع السوق الرأسمالية ، وبالإستقامة بأصابعها المنقوية ، وعلى أساس تراكم رأسمالها الداخلي ، وبفضل الأرباح العالية والمربحة التي تحققها باستمرار !

البورجوازية المتوسطة وبرنامج

التطور الوطني الديمقراطي

ومن جديد يمد طرح السؤال الآتف الذكر : وهو : هل تملك العناصر المثلة للجماعة المعارضة من البورجوازية الوسطى للاستمرار في المعارضة

للتيار الانقلابي - الكومبراندوني الحاكم في شمال اليمن ، وعلى أي أساس متينى معارضتها هذه المرة ، حيث أن المعارضة التي لا تملك أسبابا حقيقية وعيقة ، واضحة وميلورة لا يمدد بها كعارضة جادة ، وحيث أن المعارضة غير المؤهلة اجتماعيا ، وغير المهيبة اقتصاديا وغير المحددة طبيا ، وغير ذات البرنامج السياسي المعروف لا ينظر إليها على أنها معارضة محسوبة ، وحيث أن معارضة بدون فكر ثوري يبررها ويخطط لها ، ويقدر على اجتذاب الشعب إليها ، ويقنعه بجدواها تفقد غير ذات أهمية وغير ذات موضوع ، ذلك أن الجماهير الواسعة لم يعد في الامكان اكتسابها بمجرد الدعاية النيماجوجية الفارغة من المحتوى الوطني والاجتماعي وليس في الامكان أن تتشوى تحت لواء أي فريق بغير أن تكون له هوية واضحة ، ووجه سياسي محدد ، وبدون أن تكون في يده وثيقة عمل وطنية مغلقة ، ومطروحة للجماهير نفسها ، ومستوعبة مصالحها ومطامعها وتطلعاتها ، وأشواقها وقادرة على تحريكها وتحميسها وشدها إلى جانبها ، ودفعها إلى التجاوب معها ، والمسير خلف قيادتها أو معها .

أن ذلك يتطلب بالضبط برنامج عمل وطني ديمقراطي تضعه هذه الفئة المعارضة من البورجوازية بالتعاون مع كافة القوى الثورية على مساحة اليمن ، فهل يتسع أفق مصدر ومصالح وطموحات هذه العناصر السياسية من البورجوازية المتوسطة والصغيرة لتمثيل وتقمه ، ووضع مثل هذا البرنامج ؟

مستقبل البورجوازية في الشمال

أغلب الأمر أن عناصر من البورجوازية الوسطى بسبب الاتجاه للارسمالي في اليمن الديمقراطية وتحت ضغط مصالحها البورجوازية المتناقضة في بعض المواقف مع مصالح القوى الطبقة الأخرى ، وسأما من الاستمرار في معارضة تكاليفها باهظة ، وشروطها ثقيلة ، ومردودها غير مباشر بالنسبة لها ، ستؤثر الانشقاق - آخر الأمر - بفئات البورجوازية المتكيفة والمتلائمة مع الوضع القائم في شمال البلاد ، حيث تجد البورجوازية المتوسطة كل التسهيلات التي يطمح بها كل بورجوازي على الإطلاق - وكل صاحب رأسمال مهما كانت درجة رأسماله - وحيث أصدرت الحكومة قانون التنمية الصناعية الذي أعطت بمقتضاه جميع المعدات

والأجهزة والتشات المستوردة وتقيها من الأدوات من الرسوم الجمركية بفرض تشجيع الاستثمار بالنسبة للارسمال الخاص ، وحيث غدت ج . ع . ي - من زاوية مطامح البورجوازية المتوسطة المتخلقة بالمستقبل ، ومن ناحية مصالحها البريعة المباشرة ، ومن حيث تطلعاتها الطبقة من أساسها - الرثة الوحيدة والبالغة للتفتس بهد أن سدت الرثة الأخرى التي كانت تنفث منها في عين لحقية كاملة ، ونظرا لأن الراسمال حتى الوطني منه يختار عند تجاهه المتناقضات الطبقة والاجتماعية الجانب الذي تسود فيه علاقات تقديس الملكية الخاصة ، وينحاز - إزاء الضغط القائم ، والمساعد من قبل الجماهير للشعبية في اتجاه تصفية مواقفه الراسمالية ، ولو في فترة لاحقة ، أو حتى تقليص رقعة هذه المواقف - إلى الجانب الآخر الذي يجد فيه نفسه ، ويضمن له استمرار مصالحه الراسمالية ونموها ، وتطورها ، ومضاغفة حجمها ، وفي ذلك يتدرج بموقفه السياسي ، ومصالحه الاقتصادية ، ومن الناحية الموضوعية والعملية البحتة ، بل ومن الناحية البيولوجية والذاتية - ولأسميا في البلدان المتخلفة النمو - في ظل علاقات ونظام الملكية القطاعية - الراسمالية المحلية والعالمية ذلك أنه ليس من شك أن للارسمال يتحكم على طول العالم الراسمالي ، وليس من شك أيضا فيما يتعلق بالبلدان النامية في أن النظام المشاعي ، البدائي ، والقبلي ، والعشائري ، وفي أن التراكم الراسمالي التجاري بالريوى هو البدائي . وفي الزراعة الفلاحية الصغيرة على الأرض المملوكة أو المستأجرة ليس من شك في أن كل ذلك تابع في التحليل النهائي للارسمال المالي للقوى الامبريالية ، ووثيق الصلة بالارسمال الوطني (١)

ومن ناحية أخرى فإن عناصر من الطبقة الوسطى ستتساقط ، أو تتجمد على الطريق لاستمالة أن تجد مبيلا إلى هذا الجانب أو ذاك من القوى التضادة ، كما ستقف عناصر من البورجوازية الصغيرة إلى جانب القوى الوطنية والديمقراطية التي تكافح من أجل إيجاد جبهة وطنية ديمقراطية ، وبرنامج عمل وطني ديمقراطي - وفي تعاون كامل ووثيق مع النظام التقسيمي في اليمن الديمقراطية - من أجل خلق وبناء جمهورية يمنية موحدة ، مستقلة ، متحررة ، وطنية ديمقراطية .

دعت اللجنة المركزية لاتحاد الشباب الممثل
الاشتراكي في كوريا الزميل خيرى عزيز
لحضور المؤتمر السادس لاتحاد الشباب الممثل
الاشتراكي في كوريا ، وزيارة جمهورية كوريا
الديموقراطية الشعبية ، وقد قس هناك
ثلاثة اسابيع زار خلالها ميدان من المدن ،
والقرى ، والمصانع ، والمزارع ، والاراضى
الغالبية ، والتعليمية ، والفنية ، والانتاجية ،
وهو يقدم هنا موجزا لتعليقاته الشخصية
من هذا البلد الاشتراكي الصديق .



كيم ايل سونغ

كوريا الشمالية : البلد الذى يعيش في ساعة الصفر

خيرى عزيز

أن

إذا ما استمرنا التعبير العربى الملائم ، ورياء
الكوريين صورا لبينج يانج بعد تدميرها ، فلا
تجد أثرا لبلد قائم ، ويقولون لك انه لم يمسلم من
الدمار في بينج يانج كلها سوى مئتين فمسمب .
وهكذا استلم الرفيق كيم ايل سونغ بقيادة حزب
العمل الكورى البلاد ، « خرابة » سنة ١٩٥٧ بعد
المعاناة الامريكى ، ولذا فستعجب لحد المصعب إذا
اشرت أن كل معالم الحضارة المادية والغنية
المزدهرة في هذا البلد عمرها ١٧ عاما فقط ، فضلا
عن المنشآت الصناعية والانتاجية العملاقة في
كانجسون ووفسان وخوانجهي وغيرها الخ . ولا
يكون بوسعك أن تصدق للوهلة الأولى ، عندما
يقولون لك أن كل المعمار الجميلة التي اقيمت على
جانبي شارع « تشولما » - وهو شارع جديد في
بينج يانج - قد اقيمت في العام الماضي ، وذلك
لضخامة عدد وحجم هذه الممارات وجسماتها
الشكلية وتعدد ألوانها ونسقها وطريقتها .

ويحرص الرفيق كيم ايل سونغ دائما قس
توجيهاته على أن يراعى المهلدسون المعمارين

أول ما يسترعى انتباهك والطائرة
تهبط بك في مطار بينج يانج عاصمة
جمهورية كوريا الديمقراطية
الشعبية ، أن بلاط مرصا ليهبوط يتكون
من مضلعات سداسية ذات طابع زخرفى تختلف
عن المرميات العادية المعروفة في سائر مطارات
العالم . ويبدو من أول لحظة أن هنا نصنعا يحاول
دائما تأكيد طابعه الخاص على كل شيء . ومن قرأ
عن ميدان « جوتشي » ، مبدأ الاعتماد على النفس ،
وتأكيد الطابع الوطنى المستقل في التسمية
الكورية ، يلاحظ في هذه الجزئية الهائلة
البساطة ، الاصرار على تأكيد ذلك الطابع في كل
صغيرة وكبيرة في حياة الشعب المادية والمعنوية
والايدولوجية .

أول ما يستلفت النظر عامة في جمهورية كوريا
الديموقراطية الشعبية أن البلد جديد تماما ، مدنه
وقراه ، لقد دمر الامريكيون مدن كوريا الشمالية
وقراها تدميرا تاما وأصبح كل مركز لتجميع
المساكن في كوريا « خرابا بلقا أو قاعا مصلفا »

تسابق: أو تراحم قريبا - وبكل مصطنعة - مساهمة راديو تنصع الاناشيد الثورية ، وبرامج اذاعة بيونج يانج ، فلا وقت ينبغي أن يضع دون أن تلقى الجماهير جرعات من التوعية والتثقيف والتعليم الثوري ، وجرعات من الفن الثوري اللهم أيضا . والبرامج الانشائية والتليفزيونية في اذاعة وتليفزيون بيونج يانج ثورية حماسية مثقبة دائما ، كان المركبة قائمة بالفعل اليوم . وفي بيونج يانج وفي كوريا كلها تحس بان شعلة الثورة لا تزال سالخنة متاجعة كان الثورة قد انبلمت بالامس فحسب .

ومدينة بيونج يانج والمدن الكورية عامة ، عامرة بالسكان ، لكلك لا تحس قط ان المدن مكتظة ان . ان هناك أى اختلال في تركيز السكان في مناطق معينة . ان كثافة السكان في العاصمة والمدن تعملى لك الانطباع بان كل شيء قد نظم تنظيما دقيقا ، وخطط تخطيطا دقيقا ، والا مكان هناك للفوضى ، ولنوازع التكنولوجيا وللبيروقراطيين ، الانانية الرخيصة التي تركز كل نشاط اقتصادي في العاصمة ، في المواقع الجغرافية القريب من مصادر الثمة على حساب مصالح المجتمع الاقتصادية وعلى حساب ظروف توزيعه الانسانية . وقد وضع الرفيق كيم ايل سونج منذ اللحظة الاولى لانتهاه القتال مع الامريكيين سنة ١٩٥٣ للخطة لبناء صناعة مركزية مع بناء صناعة اقليمية في الوقت نفسه ، وفي غضون فترة قليلة ، بنى الشعب الكورى في اقاليم البلاد اكثر من ألف مصنع ومعمل يكاد يعامل انتاجها انتاج الصناعة المركزية ، وقد ضمن ذلك تقليل الفوارق الحضارية بين العاصمة والاقاليم من ناحية والمدن والقرى من ناحية اخرى .

وفي كافة انحاء العاصمة الكورية ، تلتقى دوما بطوابير الفتيان والفتيات ، تصدح بانشادى الثورية وهى في طريقها الى المدارس ، وتجمل المدينة خلية نحل للجيل الجديد الذى يعمونه بالحماسة والقوة والامل . واجمل شيء يمكن أن تحبه في بيونج يانج ، « الرواد والرائدات » الصغيرات ببلوزاتهن البيضاء واربطة اعناقهن الحمراء « جيبياتهن » الكحلية « الهلوسيه » .

والبناء الجمال التثقيفي ، وثقافة اللزق ، وهما المبادئ الرئيسية القائمة في مجتمع اشتراكي لا فوارق طبقية فيه ، لم تمد قط نسخا من علم كبريت معمارية متكررة تنفق الى الجمال ، وتضفى على المشاهد طابع الامثال والجمالة ، وانما لصبحت صورة للحياة السكنية الانسانية المزدهرة في مجتمع اشتراكي سعيدا ، يعيش في سلام مع ضميره ، لانه يسير - كما لسننا - بوحى العدل الاجتماعى قولا وعملا . والشارح الرئيسى في بيونج يانج هو « ستالين اغنيو » ، الا انهم يضعون في ميدان « كيم ايل سونج » ، وهو لحد الميادين الرئيسية التي تستخدم في الاحتفالات والمناسبات العامة ، صورتين كبيرتين « ماركس » و « لينين » فقط ، بالإضافة الى صورة الرفيق كيم ايل سونج . ولا اثر في بيونج يانج أى فى أية مدينة كورية زيتها ، للزقة والنوازل والقدارة وأحياء أكواخ السيفيح المكتظة الصغيرة التي كانت هامة على رؤس المدن والقرى الاسيرية وتماسها التي لا حد لها ، في ظل سيطرة الاقطاع والرأسمالية المحلية والاجنبية .

والرجال والنساء والأطفال في الشوارع بملابس نظيفة جيدة « القمصان و « البلوزات » البيضاء دائما نظيفة ناعمة ، الامر الذى يدل دون شك على وفرة اللبس لدى المواطن المادى . ولا تلمس في العاصمة ، أو في المدن أو القرى التي زرتها أى مظهر لفتيان اجتماعى ظالم ، يمكن أن يعكس وجود طبقة مستغلة جديدة ، أو بيروقراطية أيأ كانت ، تعيش على حساب رؤس الكادحين وظلمهم وحرمانهم . ان ذلك امر له دلالة ، لانه لا توجد قوة على الارض تستطيع أن تخفى عن الامين الفاحصة الثاقبة معالم الظلم الاجتماعى والاضطهاد والاستغلال ، أيأ كانت درجة خفائها وتوحيدها ، وانما مظاهر العدالة الحقيقية هي التي تشع دوما هناك برؤاها ، وتؤكد دوما وجودها بالمظاهر البيئة الدالة عليها .

ولا توجد في كوريا مييزات خاصة ، وانما كل السيارات ملك للدولة ، ومن أجل مهام وتشبهلات الدولة . ووسيلة المواصلات الرئيسية هى الاتوبيسات والدرجات في المدن ، والقطارات بين مختلف انحاء البلاد . والانتظار منظم على محطات الاتوبيس في العاصمة والمدن . ولكل يأخذ دوره في طابور الانتظار ، ويلتزم الجميع باحترام عميق للطابور والنظام . فلا تدافع أو

وهؤلاء لا يمكن أن يقاتلوا، وعلى أن يمكن «خوض الحروب» ودورهم في حيتهم العسكرية الخاصة، سواء كنت في يوتنغ يانج أو في أي بلد جبال كوريا وقراها، أو على الطرق الزراعية أو للكراري أو في المزارع والمصانع، أنهم وروء يوتنغ يانج الصغيرة الذين لا تكف «عصائرتهم الشيطانية» والخفيفة، عن التحرك النشط للدائب في شوارع العاصمة وبرافاتها. وقد استلقت نظري بشكل خاص أن الرائدات الصغيرات، أكثر حماسا والتزاما وتدفق من أقرانهن. كما تبدو المرأة الكورية بوجه عام، أكثر حيوية وتدفقا وحماسا لتأكيد ذاتها، وربما يكون ذلك رد فعل طبيعي لتحررها من عبودية المظالم السابقة، ومصادقا في الوقت نفسه للحقيقة القائلة بأن الأمم المظلم يتخضع عنه في المادة تدفق عظيم في الطاقة.

ولاحظت في يوتنغ يانج أن جميع العاملين في الصالونات الحلاقة من الفتيات، وسالت الرفاق الكوريين عن سر الظاهرة فأوضحوا لي أن حلاقة الشعر عمل خفيف يمكن للمرأة أن تقوم به، ولا داعي لتضييع جهود الرجال فيه، وأنسا ينبغي توفير جهودهم لما هو أشق وأصعب، وتخص في كل شيء أنهم لا يريدون تضييع أية طاقة بشرية هدر، وأنسا يريدون تحقيق أقصى استخدام لكل الطاقات البشرية. أن ذلك وغيره من المظاهر يعني بوضوح أنه لا توجد طاقات بشرية منطلة، وإنما يحتاج هذا البلد الآسيوي - الذي يزداد سكانيا بمعدلات الزيادة المعروفة تاريخيا وثقافيا عن البلدان الآسيوية - إلى المزيد من الطاقات البشرية التي تتطلبها خطط التنمية المرحمة الملموحة، التي خططت لكل طاقة مقما، لأقبل استخدام لها.

ولا تجد في يوتنغ يانج أثرا لطيفة مشحلة ذات لميزات خاصة، ويمكن أن تشكل مجالا للمظاهر المعبلة، وذاعية للفكر الفخاني الذي يظلم بيع المواطن أن يدفع من المستعمرين ثمنا أكبر، وأنسا تجد الضمب الكوري كله متقلبا موحدا حول المفهوم والتطبيق المخلص الصليم لهدا المعدل الاجتماعي، الذي تجده واضحا ملموحا بجلاء في حياة الشعب اليومية.

التكتم والسرية

وفي مانجيو نجدائ، ويوتنغ هواري، وفي كل للاتلاف الثورية، يقيم لك الكوريون كل المعلومات الضرورية عن تاريخهم، وكشاح زعامتهم ضد الامبريالية اليابانية والمعدوان الأمريكي. وفي المصانع والمزارع والمعامل والمؤسسات الثقافية والتعليمية يقسمون لك أيضا كل المعلومات الضرورية عن معلم ونشاط شميم، لكنهم شديد

التكتم والصلابة عن السياسة القوية، فكلما أن تستطيع أن تعرف الهوية الحزبية مثلا لأقرب العاملين معك من الكوريين، برغم الود والمحبة الحقيقية الممبلة التي يظهرونها لحدوك، بيد أن من يزود متحف سينشون عن جرائم الحرب الأمريكية مثلا، يستطيع أن يفهم الكثير عن سر تلك التكتم الشديد، إذا أدركنا أن الجزء الأكبر من أعمال التعذيب البشعة كان من نصيب كواند حزب العمل الكوري وكادراته النشائية، الذين أظهروا بسالة وشجاعة وإخلاصا منقطعي النظير، أمام وحشية التعذيب الأمريكي. أن أسهل شيء في الحرب أن تقتل بالرصاص في لحظات سريعة، لكن هذا أمر مختلف تماما عن التعذيب الوحشي البطيء من أجل الحصول على المعلومات عن الحزب ونشاطه والضمب ومنظباطه. لقد كان السمل، ومسل الميون، وقطع الأطراف، والدفن أحياء، وفق المسامير في الأجساد البشرية، والتعذيب عن طريق استخدام العريجات التي تشير في اتجاهات متضادة، الضريبة الباطلة التي دفعا الآلاف من أفضل أبناء وحزب العمل الكوري ثمنا لخدمتهم للامة الكورية ومحبتهم للشعب، ومادام الجيش الأمريكي، في الجنوب، والمسكرية اليابانية تماود الظهور في الشرق «فسيظل الخطر محققا بضمينا وإفعل كواندنا»، أن الثورة الكورية تعيش في ظروف السرية والتكتم ويمتلك البقلة والحشر، حتى في ظل سلطتها هي، وهذا هو قهرها في ظروف الضل الماحق من الجنوب والشرق، أن الرفاق الكوريين يؤكثون لك دوما، أن الحزب قد تدفع، بسبب مسعودانية الامبرياليين الأمريكيين في أية لحظة، وهم يعيشون دوما في ساعة الصفر، على أتم استعداد لكافة المخاجات، ويحتفظون لك ما ينبغي أن يكون سرا، بكتكته وخفائه وغموضه.

لكن لن تجد منزلا وأثما أو قصرا منيفا في يوتنغ يانج، يشير إليه الرفاق الكوريون ويقولون، كمثلا: هذا هو منزل الرفيق كيم ايل سونغ، لأن أهدا لا يعرف أين يقيم زعيم الثورة الكورية وقائد الشعب، وكل ما شيدناه كانت منازل مباحة له، لا تمنع بضع حشرات من الطابع الآسيوي الباذغ البساطة والتواضع الثلاث، إذا كان يمكن أن تسمى الأدوات التي يتطلبها الحد الأدنى من ضروريات الاستعمال البشري، أثما. أما المنزل الذي ولد فيه الرفيق كيم ايل سونغ في مانجيو نجدائ، فهو منزل رفيق آسيوي بالغ التواضع، بنيانه من جنود الأشجار ومسقف من قش الأرز. وتمجب كيف يمكن للطفل الذي ولد في هذا الحش الآسيوي الفقير أن يصارع، بعد تحرره للامبريالية اليابانية، أكبر الامبراطوريات العدوانية المعاصرة وأن يهزمها بكل تعقيدات وتكنيكات وإبتكارات حضارتها الصناعية الهبارة، ويكل الخبرات والمعارف التي توفرت لاستراتيجيتها العسكرية.

الرواد واللاسلكي والسلاح

وفي مجال اعداد الجيل الجديد، تعدد معسكرات «الرواد» التي تضم الاطفال والفتيات والفتيات من من الثامنة الى السادسة عشرة، من ابرز وأهم مجالات الاعداد. ففي كل اقليم منطقة وناحية، تجد معسكرات الرواد في الاقليم والمنطقة والناحية، حيث يقضى الاطفال فترة اعداد وتدريب منتها لسبوعان، وتستهدف هذه المعسكرات اعداد الاطفال فوراً وعسكرياً وإخلاقياً، وتعد الفترة التي يقضونها فيها بمثابة فترة اعداد ابيولوجي للعمل المحل في التنظيمات الثورية الاعلى في البلاد. ويبلغ عدد «الرواد» مليونين ويتألف من بينهم «حرس التشجير» و«حرس الصحة العامة» من الفتيات والفتيات اللاتي يعمن بزراعة الاشجار على جانبي الطرق، والزمور في الحدائق، وتنظيف الشوارع والقرى والمدارس. ومعسكرات الرواد في الحقيقة هي المدرسة الاولى في كوريا الشمالية للحياة والعمل داخل تنظيم. وخلال العام يشترك كل الاطفال الكوريين تقريباً في معسكرات الرواد. وقد زرت معسكر الرواد المركزي بويوسان الذي يعمل من أبريل الى أكتوبر، وأول شيء يدرس فيه التاريخ الثوري للزعيم والجناب، وتوجد بهذا المعسكر وبكل معسكرات الرواد في العادة قاعات لدراسة التاريخ الثوري للزعيم، وأفكار وتعاليم الرفيق كيم ايل سونغ. والحياة في المعسكرات جماعية، يتدرب الاطفال فيها على الطابع المنظم الدقيق للصارم للحياة، كما هو الحال في الجيش. ويقوم الاطفال في المعسكر بالتدريب العسكري وتعلمك الاسلحة وتزكيها واستخدامها، وعندما تشاهد طوابيرهم، لا يمكنك الاعتقاد بانك بازاء اطفال صغار، وإنما جيوش حقيقية «صغيرة» تتحرك بالاطباء. المعسكر للفتيات الكوريات ليس بآية حال من الاحوال من قبيل البهرج الاستعراضى أو الترف الرياضى النسائى المسم بالطراوة، وإنما هو عسكري حقيقي تله الأرض بجدية وصراحتهم، ويتدرب «الرواد» كذلك على تسلق الجبال، واقتلاع الاعشاب، وعديد من الاعمال الاخرى، ويقومون باعداد الطعام بأنفسهم، ويمتنون بالجرى، ويصمون بالبرقيات اللاسلكية، ويمرّون على كافة الاعمال الضرورية في حالة الحرب. ومعظم نشاط الرواد في المعسكر المركزي بويوسان على شاطئ البحر، حيث يربى الاطفال بقلية عدم الخوف من البحر، ويعلمونهم السباحة والغوص، وقيادة اللشعات واعطاء الاشارات البحرية. وتقدم للاطفال في المعسكرات العروض السينمائية العديدة بالإضافة الى النشاط الفنى والثقافى والمناشط والمناظرات بين مجموعات الرواد المختلفة حول الاعمال الفنية والثقافية كالمقاتلات والقصص والاشعار. وتتمى

ان ذلك يذكرنا على القرن بالمثل الذى تضمن به المؤرخون الاوروبيون الصراع فى المصدر الوسطى بين المسيح والامبراطور الوثنى: انتصار الحظيرة على العرض.

لقد تنقلت فى انحاء كوريا الديمقراطية شمالاً وجنوباً، طولا وعرضا بالسيارة والقطار، لكننى لم اجد قط اشرا لفضة سلاح ثقيل، لحياية أو لدفع مضاد للطائرات ارادار، أو لحنجرة، ولما وجدت فحسب دائماً، الجبال الكورية الخضراء بمنظرها الساحرة حيث كل شيء عظيم التموه والاختفاء. وإذا كنت قد تناولت هذه النقطة فالامر المؤكد أن الكوريين يعتقدون أن التكم والسرية الشديدة أحد اسرار هونهم الكبرى. على ان ذلك لا يحول بينك وبين ان ترى فى شوارع بيونغ يانغ طوابير الشباب الكورى تحصل رشاشات الكلاشينكوف وغيره من الاسلحة الخفيفة الاخرى.

انطلق انكورى والحجم الفنى

وإذا استمتعت فى مجال الثقافة والفنون، بالمعرض المرححة الممتازة التى يقدمها المسرح الكبير، ومعرج الهواء الطلق، وغيرهما من المسارح التى تقدم فى الاساس والجوهر موضوعات ثورية من نضال الشعب والزعيم، والذى تستخدم فرق اوركسترا لفرق كورال تصل اعدادها الى المئات من المازفين والمشميين والممثلين والمزودة بتجهيزات تقنية متقدمة جدا، ويوجدوها هناك مفاجاة لك من تقديم فى مجال التكنيك المسرحى الحديث، فأنما يترك انطباعاً أقوى فى ذاكرتك دائماً، هو قصر الرواد فى بيونغ يانغ، ومعرج الاطفال فيه، وهو من احدث واجمل المباني ومجهز تجهيزاً متقدماً كذلك. فى هذا المسرح مثلاً، نجد اوركسترا من الاطفال يبلغ عية مئات من المازفين، يقوده طلل كورى «مايسترو» صغير، يقدم لك مستوى من الاداء لا تفرقه قط عن أية فرقة اوركسترا لفرقة محترفة كبيرة. والامصال الفنية التى يقدمها مسرح الاطفال فى بيونغ يانغ لكشف لك اليرامة الفنية الرائعة للاطفال هناك، وتلمحك الانطباع بان الطفل الكورى يشكل أيضاً فى اطار عائلة الاسيوى الصاعد تحدياً للطفل الغربى والامريكى على مستوى الفن والحضارة والتقدم. وعلى وجه الموم، فإن أقوى انطباع تتركه فى نفسك مشاهدة الفرق المسرحية والفنائية والفنية الكورية بضمخامة حجمها ودة تنظيمها واعدادها، هو أن الحجم الفنى لهذه الفرق أكبر بكثير من الحجم البدائى لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ولماكانها العامة، الامر الذى يعكس دون شك اهتماماً كبيراً بالفنون من أجل الحزب والثورة والشعب.

المستكملة في الأطفال الشخصية القوية والانطلاق:
ودرج الجراحة الاجتماعية، ومتجدد في هذه المستكملة مثلاً، الفتاة الصغيرة التي تستطيع ان تتجول امامها خطايا سياسيا لمدة نصف ساعة دون اضطراب أو تلعثم ، بل وبحماس ووقوة وتدفق . الا انهم قيل كل ذلك ويده ، يملعون أطفالهم ، الا ينسوا اطفال كوريا الجنوبية الذين يمشون في يقين وتعامه وجرمان ، ويتسولون المكتسبون منهم في شوارع مدن الجنوب وقراء ، ويملعونهم كذلك الاستعداد دائما للعمل من اجلهم .

وايضا اتجهت في كوريا ، بين العمال لو الاطفال بين النساء والامهات تجدهم يقولون لك دائما : « اننا لانسى عمال كوريا الجنوبية واطفالها ونساءها وامهاتها » . والكوري الشمالي شديد العاطفة عموما فيما يتعلق بالجنوب . وانت لا يمكنك ان تزور كوريا الشمالية وتغادرها دون ان ان تطيع في قلبك سموع تشعب الشمال الجنوب حيث افترق الزوج عن زوجته ، والام عن ولدا ، والخطيبة عن خطيبها ، وحيث ينفرد الامل والايام صومهم في صمت ، في مأساة من اقصى ماضي التمييز العالمية .

المدرسة الكورية

والرعاية الشخصية

وفي المدارس والمؤسسات التعليمية والثقافية وغيرها ، تجد الحديث يدور دائما عن الرعاية الشخصية للرفيق كيم ايل سونغ بايثانه وبناته و افراد شعية ، الذي يذكره بالمصطف العظيم للملايين ايليش وحديه على الشعب الروسي ، والذين في ذكريات ثورة أكتوبر العظيمة . ولا توجد مؤسسة صناعية أو تعليمية أو زراعية هامة في البلاد ، لم يزرها الرفيق كيم ايل سونغ مرات عديدة ، ليعرف بنفسه على الطبيعة كيف تطبق نظم البلاد ، وأهداف الثورة وسياسة الحزب . وفي مدرسة وونسان لإنهاء وبنات الشهداء والجرحى وعطوفى الحرب التي زرتها قالوا لي عندما جاء الي هنا تلقى كل شيء ومال عن كل شيء يتعلق بطرف مميضة الطلبة ، وظروف حياتهم وسكنهم وأحوالهم العائلية ، وعن كل تفصيلة ، ومثلا عما اذا كان السمك متفردا بشكل كاف لهم في الوجبات ، وعن ضرورة ترفيه الخ . وتقول لك الطالبة : « لانه عندما يكون كيم ايل سونغ هو والذئب ، فتحت الاكثر سعادة في المالم ، وتقول « ان الرئيس يملأنا الموامة بين النظرية والتطبيق (في قاعة البيولوجيا يدرسون ما مجموعه من أعشاب وحشرات أثناء العطلة) ، ومتوسط الوهم السياسي للفتاة الصغيرة ، التي تحدثت معنا والقضايا النظرية التي طرحها في حديثها عن العمل المألي واليدوي الخ اعلى بالتأكيد في

اعتقاد من المتوسط المثالي يوما ليلة فتاة لثوية ويلاحظ في كافة المدارس التي زرتها سواء بالعاصمة أو الاقاليم ، ان النظافة شديدة والاثاث الخشبي رائع ومتوسط عدد الطلبة والطالبات في فصول المدارس الكورية عام لا يتجاوز ٢٥ طالبا وطلبة . والحالة الصحية للطلاب جيدة تنضج بها وجوههم ، وإلى هذه المدرسة التي نالت جائزة تشولما مرتين والتي يبلغ عدد طلبتها ٢٠٠ طالبا ، ارسل الرفيق كيم ايل سونغ ١٠٠ آلة موسيقية ، وبالمدرسة قاعات للطبيعة ، والكيمياء ، والبيولوجيا ، ولتنظيم الرواد ، والموسيقى ، ومركز للخدمات الطبية . في أحد الفصول وجدت الفتات الصغيرات يتدربن على الارسل اللاسلكي ، فمن توجهات الرفيق كيم ايل سونغ ، ان يخرج المدرسة الثانوية ينبغي ان يعرف ارسل البرقيات اللاسلكية . وفي المدرسة كذلك قاعة للاسلكي مجهزة بأجهزة الارسل وغيرها ، وفي قاعة الطبيعة لاحظت أنهم يحاولون ان يصنعوا بعض الأشياء التي تلموها نظريا خلال الدراسة .

وذرت كذلك كلية الزراعة بوونسان التي اسست في ١٩٤٨ لتكوين كواثر زراعية وطنية حيث كان التعليم المالي أيام الاستعمار الياباني ، محظورا على الكوريين ، وقد جاء كيم ايل سونغ الى هذه الكلية شخصيا عند تأسيسها ليشرف بنفسه على مختلف الممارات وشارك في تحديد محتوى وشكل الدراسة والطرق التي ينبغي اتباعها ، وفي كل مرحلة من مراحل تطور الثورة والتنمية ، يأتي الى الكلية ليعدد مهام المرحلة المقبلة . ويوجد بالكلية ٨ اقسام لمختلف الدراسات الزراعية وبها ٢٣ برنامجا دراسيا لتكوين العناصر العاملة في الابحاث الزراعية ، ويتبع الكلية معهد لرسائل الدكتوراه ، ويدرس بالكلية التي يمكن اعتبارها جامعة زراعية وليست كلية بالمعنى الضيق المعروف للكلمة . ١٩٠٠ طالب منتظم و ٢٠٠٠ بالمراسلة . وتصرف للطلبة الملابس والانبوات الدراسية ، اما ابناء ضحايا الحرب فتتكال الدولة بكل نفقات حياتهم وتعليمهم . وبالكلية طلبة اجانب ايضا (من فيتنام واليمن الجنوبية) وتخرج منها حتى الآن ٨٠٠٠ مهندس زراعي . اما الاتجاه الرئيسي للتعليم والدراسة فيقوم على تعليم طلبةنا بأفكار كيم ايل سونغ الثورية ، وفكرة جوتشيبة لتكوين ثوريين شيوعيين ثاقبين في البناء الاشتراكي ، والشيعي . اما فيما يتعلق بتطوير التعليم فيقوم على الجمع بين النظرية والتطبيق ، والعمل والانتاج ، كما يقوم الطلبة كذلك بالابحاث العلمية ويركزون جهودهم حاليا على المشاكل المتعلقة بالثورة التكنيكية . ومنذ ١٩٦١ طالب الرفيق كيم ايل سونغ بإيجاد الوسائل الكفيلة بمكنة بعض الاعمال الشاقة في زراعة الارز مثل استبدال شتل الارز ببثه . وتستخدم السلموم الطبيعية والكيميائية لبذر حبوب الارز مباشرة

نور الحضانة ورياض الأطفال

لما دور الحضانة التي شهدها سواء كانت بداخل المصانع لإنشاء وبنات العمال أو في مباني مستقلة ، فقد كانت مثالا للنظافة والعناية وجودة الاثاث وجمالها . وقد دخلت دار حضانة كوميونيه « سو هونج تون » ، ببوينج يانج ، وهي تضم اقل من مائة عائلة ، وتضم ١٥٠ طفلا أبناء عمال وعاملات وموظفين حتى سن الخامسة . وكل نفقات دار الحضانة على حساب الدولة ، وبها عيادة مسئولة عن صحة الأطفال وقسم خاص بالمؤن والتغذية السليمة . وبين الوجبات الرئيسية الثلاث في اليوم ، يقدم للأطفال اللبن والسواد الغذائية الاخرى . وفي كل مقاطعة وناحية توجد دائما مؤسسات لاعداد مربيات الحضانة ، وهناك نظام لتبادل الخبرة بين مختلف دور الحضانة . فلك أن عمل المربيات في نظر الرفاق الكوريين « ليس مجرد العناية بأبناء الآخرين ، وإنما تكوين جيل يواصل الاستمرار بالثورة في المستقبل ، إنه عمل ثوري يتصل بالقضية الثورية في بلدنا » . وتقول لي مديرة دار حضانة كوميونيه « سو هونج تون » : « أننا نربي الأطفال منذ الصغر على الروح الجماعية وحُب الوطن . وكلما كان أطفالنا أكثر سعادة ، كلما تذكرنا أطفال كوريا الجنوبية الذين يعيشون حياة بؤس وفقر . كيف يمكن أن ننسى أن الأطفال وأمهاتهم في كوريا الجنوبية يسقطون برصاص الامريكيين . وكيف يمكن أن ننسى ظروفهم الجديرة بالطف والشفقة . أننا لا نحس بهذا الشعور نحو أطفال كوريا الجنوبية فحسب ، ولما نحن كل الأطفال اليأساء في مختلف مناطق العالم ، ونحن نعملنا نشارك بشكل ما في النضال الثوري » . ويمكن لنا أن نلتحق طفلها بدار الحضانة بعد انتهاء اجازة الوضع مباشرة وتبلغ هناك ٧٧ يوما قبل وبعد الوضع . ويظل الطفل بدار الحضانة من الثامنة والنصف صباحا حتى السادسة مساء ، وكل أم هي التي تحضر طفلها الى الحضانة . وكل كوميونيه لها دار حضانة خاصة بها ، والكوميونيه عادة اقل من ١٠٠ عائلة ، والمدينة مقسمة الى احياء ، والاحياء الى كوميونات ، وبالإضافة الى المربيات ومسؤولي الحضانة الذين يقومون بإدارتها ، توجد بالدار طبيبة واحدة على الاقل ، ومكتيرة للحزب تهتم بعمل الحزب والعمل الايديولوجي ، وبالحضانة حجرة للموسيقى يتعلم فيها الأطفال الاكثر من ٢ سنوات الاغاني والاناشيد بمصاحبة أرغن صغير . والحضانة مقسمة الى اقسام مختلفة حسب اعمار الأطفال ما بين سنتين ونصف، وبسنة ونصف ، وسنة اشهر الخ . كما يوجد بالحضانة تنظيم نمائى تابع لاتحاد النضال .

كما تتميز (الصحة) عناية خاصة مهمة للحصول على انتاجية عالية في الحبوب والماشية والمصناعات عدة أساليب منها أسلوب المناقشة الفردية وأسلوب كتابة الأبحاث . كذلك توجد بالجامعة الزراعية ، قاعة لدراسة السياسة الزراعية للحزب ، تدرس فيها السياسة العامة للحزب في الزراعة ، وتبدأ بالسياسة الزراعية التي طبقها الحزب في قواعد حرب المصائب ضد اليابان ، ثم سياسة الحزب الزراعية ، أثناء الثورة المصادية للاقطاع والراسمالية في مرحلتى الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية . وتدرس فيها كذلك الطرق الصناعية في الانتاج الزراعى ، والاستخدام الرشيد للمنشآت وترغيد استخدام الاراضي . هذا ويوجد بكل مقاطعة كورية ، جامعة زراعية كذلك .

٨٠ زيارة للجامعة

والتعليم الإلزامى المجانى في كوريا مسندته تسع سنوات ، تتلوه دراسة لمدة سنتين في مدرسة متوسطة ، يصبح بعدها الطالب مؤهلا للاندماج بالجامعة . وقد أنشئت اول جامعة في كوريا ، وهي جامعة الرفيق كيم ايل سونج سنة ١٩٤٦ لإنشاء كادر وطني ، وقد وضع الرفيق كيم ايل سونج بمساعدة الخبراء خطة طموحة لتحويل هذه الجامعة الى جامعة عالمية مرموقة وقد تم الى حد كبير تنفيذ اجزاء هامة من هذا المشروع الكبير . وتضم الجامعة حاليا كليات للطبيعة والرياضيات والكيمياء والجيولوجيا والجغرافيا ، والتاريخ ، والاقتصاد ، والفلسفة ، والقانون ، واللغة ، واللغة الاجنبية ، وبالجامعة ١٠٠٠٠ طالب منتظم و ٥٠٠٠ يدرسون دراسات مسائية وبالمراسلة ، ومدة الدراسة خمس سنوات ، بالإضافة الى معهد للدكتوراه لمدة سنتين ، و ١٤ معهدا للدراسات العليا العلمية ، و ٥٠ قاعة للأبحاث المتخصصة ، ومكتبة بها ٢ مليون كتاب ، وللجامعة مطبعة خاصة ، ودار نشر خاصة بها ، وبالنسبة الطبية والطباليات من أبناء الشهداء في الحرب ضد اليابان أو الامريكيين أو الابناء الذين لا عائل لهم ، فنصرف لهم الاحذية والملابس وكل ما يلزمهم للدراسة بالإضافة الى منحهم الدراسية . وقد زار الرفيق كيم ايل سونج الجامعة ٨٠ مرة منذ تأسيسها للترقى على سير العمل بها ، وتقديم المناسخ والتوجيهات اللازمة . وحصد الطلبة الاجانب بها ٣٠٠ طالب ، ومن بين كل عشرة طلاب تعد نسبة دارسي العلوم الطبيعية الى دارسي العلوم الإنسانية ٦ الى ٤ ، ويبلغ عدد الطلبة والطالبات في كوريا الشمالية في جميع مراحل التعليم ٤ ملايين طالب وعطالية ، يبلغ عدد المتحقين منهم بالتحصيل الإلزامى المجانى ٣٢٠٠٠٠٠ طالب ، أما عدد المعاهد العليا فيبلغ ١٤٩ معهدا عاليا .

وفي كوريا ، لا يترك أي شيء نهبا للغزو أن
الغربية أو الصديقة ، فأعضاء الاتحاد النسائي في
الكومينية يقمن بتوعية الأمهات في الكومينية فيما
يتعلق بنظافة منازلهن ونظافة أطفالهن وتذقيتهن ،
ويسلمن مع الأمهات اللاتي يقين في المنازل في كل
كومينية كي يمكن تربيتهن ثوريا . لذلك أن الاتحاد
النسائي يعمل من أجل « تطوير المسائل » طبقا
لتعاليم الحزب بشأن دور المرأة في عملية البناء
الاشتراكي والشيوعي . ويكافح أعضاء الاتحاد
النسائي بين الأمهات ضد الأفكار البالية التي لا
تزال مورثة منذ عهد الاستعمار الياباني مثل
الانانية الفردية، والبث من المساعدة فرديا ، بغض
النظر من الآخرين ، والمادة السنية المتمثلة في
هم حب العمل الخ . وكل شيء هناك خاضع لمنابة
الحزب وتوجيهه وتنظيمه . ففي أكتوبر سنة ١٩٦٦
عقد « المؤتمر الوطني للأمهات » حدد فيه الرئيس
عبيدا من التعاليم وبرنامجا للأمهات في كوريا
كلها . وفي ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦٦ عقد « المؤتمر
الوطني لرياضات الحضانه ومدرسات رياض
الأطفال » قسم اليهن فيه برنامجا للمارشال كيم ايل
سونج المتعلق بهن . وقد أشار فيه المارشال إلى أن
مربيات الحضانه ومدرسات رياض الأطفال
« ينبغي أن يكن شيوعيات حقيقيات قبل أن يتمهدين
الأطفال » فبدون ذلك ، لا يمكن تحقيق أي شيء » .

ويلتحق الأطفال الكوريون برياض الأطفال من
سنة الرابعة إلى السادسة ، ووجدنا في روضة
تسولنج سونج ببيونج يانج ، أن هناك ٨ مدرسات
لـ ١٩٠ طفلا ، ومتوسط عدد الأطفال بالفصل ٢٤
طفلا ، والوسائل التعليمية ووسائل الإيضاح
عديدة ، وبأحدى الحجرات وجدنا مائلا من
الالعاب وأدوات الموسيقى ووسائل الإيضاح
المتوفرة بكثرة . وبالروضة قاعة لدراسة طفولة
الرفيق كيم ايل سونج ، وبها فصل لدراسة
الموسيقى به أربع ، ولكل طالب فيه كراسية
موسيقى . وكل فصل بروضة الأطفال به بيانو
وبالروضة قاعة للرقص مزودة ببيانو كبير
وتليفزيون وخشبة مسرح ، وهناك فرقة موسيقية
من أطفال الروضة مزودة بالآلات موسيقية شعبة ،
قدموا لنا عليها بعض المقطوعات الموسيقية
الشعبية .

فروق الأجور بين

العمال والمهندسين

وكانت إطلاقتنا على الصناعة الكورية من خلال
زيارة مصنع « يونجو للمقارط بوسان » كان
هذا المصنع في البداية ورشة للتصنيع فقط أثناء
الاستعمار الياباني . وفي سنة ١٩٤٧ طالب
المرشال كيم ايل سونج بانتاج المقارط في

الليل • وإثناء الصبح تم الامريكويته المصنع
كله ، والقرار عليه ٣٠٠٠ قبيلة ، ولكن المصنع أعيد
بناؤه وأصبح انتاجه يعادل ٨ مرات الانتاج
السابق • وقد زار المرشال كيم ايل سونج المصنع
عدة مرات ، وفي كل مرة يقدم توجيهات ويصدر
نقاطا برنامجية . وهو ينتج ٢٠ نوعا من العصابات
والمدات • ويكمل العمال دراستهم في المدرسة
الملياء التابعة للمصنع وعدد كبير منهم يدرس في
نطاق تخصصه المهني • وعدد عمال المصنع ٤٠٠٠
عامل منهم ١٠٠٠ فني معظمهم مهندسون و ٣٠٠
مجموعة عمل ، والمجموعة من ١٠ إلى ٢٥ عاملا
والمصنع لاتجز المقر من الخطة في العام الماضي
قبل الموعد بشهر ونصف ويعمل العمال على
لنجاز خلتهم للسنتين القانيتين قبل ١٥ ابريل
سنة ١٩٧٢ • ولماضت أن ادارة المصنع في مبنى
بسيط للتجهيز والاثاث يرغم أهمية انتاج المصنع •
وتصنع ورشة المصنع بهذا المصنع ٤٨٠٠٠
عجلة تقار في العام تكفي الاستهلاك ويصدر منها
لكوريا وغيرها من الدول • ودان العضانة بالمصنع
وأسرة الأطفال والرفع شديدة النظافة والعناية
الصحية ملحوظة ولعب الأطفال من (طائرات
- دراجات - أرجيح - زحافات الخ) متوفرة
بشكل ملحوظ والمقسماتة طفل بالحضانة ١٢٠
مربية • وقاما يتعلق بالأجور ، يتألف عمال المصنع
من الدولة خدمات مجانية تزيد بكثير عن الأجور مثل
الخدمات الصحية والتعليم المجاني للأطفال
وملايس الأطفال التي تصرف بانتظام ، وملايس
العمل المجانية للعمال ، والجوبو المجانية
والإجازات مدفوعة الأجر الخ • ويبلغ الحد الأدنى
للأجر الذي يتألف العامل في هذا المصنع ٧٠ ون في
الشهر ، والحد الأقصى الذي يتألف الفنى والمهندسين
١٢٠ ون في الشهر •

أما مصنع الصلب تشولميكا بكانجسون ، فبفتح
حاليا في أسبوع ما كان ينتجه في عام قبل التحرير
سنة ١٩٤٥ وعدد عماله ١٠٠٠٠٠ عامل • وينتج
كل أنواع الصلب الدرفل للملم للاقتصاد والبناء
الوطني • قبل التحرير لم يكن في المصنع فنى
كورى ، أما الآن فيوجد فنى أو مهندس بين كل ستة
عمال • وفي كل مرحلة من مراحل تطور الثورة
يأتى الرفيق كيم ايل سونج لبحث أهداف ومهام
المرحلة الجديدة • وقد زار هذا المصنع ٢٩ مرة
حتى الآن • الأمريكويين سمروا المصنع كلية على
أساس أنه لن يكون باستطاعة الكوريين إعادة
بناؤه الا بعد طشرات الاموال ، ولكن الصلب بدأ
يسبل ثانية بعد ٤٠ يوما • وفي خلال عام ١٩٧٠
تضاعف إنتاج الصلب عن العام سيقه • وهي
نسبة زيادة لم تحدث في التاريخ • ولذا يقول كيم
ايل سونج « إن كانجسون هي مسقط رأس
تشولميكا » (وتشولميكا هو الحصان المجتهد رمز
السرعة للثورة في الانجاز) • وتستهدف الخطة

المهندسين يمثل نسبة ٢٠ في المائة من عدد العمال ، والمهندسون تخرجوا من المدرسة البوليتكنيكية للمصنع . وعدد ساعات العمل عموماً ٨ ساعات ، ولعمال الحرارة ست ساعات فقط . والانتاج السنوي مليون طن . ويمكن العمال مجاناً ، والضمان رياض الأطفال مجاناً ، والتعليم لابنائهم مجاناً ، ولذا ينفقون الاجور حسب على الطعام وشراء التليفزيونات والراديوات وماكينات الخياطة الخ . ثمن كيلو جرام الارز ٨ تشون والون الواحد يساوي ١٠٠ تشون .

مزارع الدولة ، والمكنة

ونظام الفرق

وفيما يتعلق بمزارع الدولة ، زرت مزرعة الدولة للفواكه الخاصة بمدينة بيونج يانج ، وهي تابعة لمكتب الدولة العام للفواكه . وهي مزرعة تفاح وكريز وعنب و ٧٠ نوعاً آخر من الفواكه ، ومحاسنها الكلية ١٠٠٠ هكتار ، وقد أنشئت على أرض قاحلة كانت تسمى « بولونج تشون » أي المنطقة التي يستحيل العيش فيها . والمزرعة تسير فيها السيارة كيلو مترات عديدة دون أن تبلغ مداها . وقد جاء الريق كيم ايل سونغ الى هذه المنطقة في سنة ١٩٥١ أياضاً اشتداد حدة القتال بين الامريكيين ، وبعد تفقد للجبهة ، واختار هذه المنطقة لإقامة لمزرعة للفواكه عليها . ومنذ تأسيس المزرعة وهو يقوم بزيارتها لتفقد تطورها وتقديم التوجيهات اللازمة لتقديم العمل بها . وكل انتاج هذه المزرعة مخصص لمواطني بيونج يانج فقط ، ومحصولها السنوي ١٠٠٠٠ طن من الفواكه . وقد أرسل جنوداً مسيحين وعمالاً للعمل في هذه المزرعة . ويعمل فيها حالياً ١٠٠٠ عامل مع عائلاتهم ومجموع السكان بالمزرعة ٥٧٠٠ نسمة (يوجد عدد كبير من الأطفال والمجانز) . وتوجد بالمزرعة ٣٧ فرقة العمل لكل فرقة حوالي ٤٠ هكتار . ويطبق هنا نظام مسئولية الفرقة عن متابعة الحصول والعناية به وجميعه ، فإذا ولت الفرقة بمقتضى الدولة تصبح الكمية الزائدة مكافأة خاصة لها ، وكل فرقة لها مستودع خاص لحفظ محصولها . ويوجد بالمزرعة قسم خاص بالتنمية ، وآخر خاص بالخدمات الاجتماعية للعمالين . ويبدأ العمل في الساعة السابعة والنصف صباحاً بتنظيف مكان العمل من الأعشاب الضارة . ثم تحدث مناقشة عن خطة العمل في نفس اليوم . وفي الساعة الثامنة يبدأ العمل حتى الثانية عشرة ظهراً ، يسبق ذلك فترة راحة حتى الثانية بعد الظهر ، ثم فترة عمل من الثانية الى السادسة مساءً في الشتاء ، وإلى السابعة مساءً في الصيف . وبعد العمل يتجه العمال الى النوادي ، أو المركز الثقافي للمزرعة أو السينما أو

السينما الخاصة بالأطفال زيادة الانتاج بمقدار مرتين ونصف مما كان عليه في آخر سنة من للفترة السبعة الماضية . العمال يذهبون لبيوت الراحة مجاناً والمعلمة التي لديها ثلاثة أطفال أو أكثر لا تعمل أكثر من ست ساعات في اليوم . وهناك مدرسة تابعة للمصنع بها ٦٠٠ طالب ، وكلية شيعوية ومدرسة فنية عليا من حق العمال أن يدرسوا بها بعد انتهاء فترة عملهم . قبل التحرير كان عمال المصنع يعيشون في مساكن بائسة والأطفال يتسولون في الشوارع ولا ينتمون الى المدارس . أما الآن فيعيشون في مساكن نظيفة وممارات ، والأطفال في دور الحضانه والمدارس . لاحظت أن مدير هذا المصنع الضخم يرتدي ملابس لا تختلف من ملابس أي عامل في وقت الراحة .

أعلى الاجور لمن يتعب أكثر

أما مصنع خوانجهي للحديد والصلب والكوك فيبلغ عدد عماله ١٠٠٠٠٠ عامل . وقد زاره الرفيق كيم ايل سونغ ٢٥ مرة حتى الآن ، وأعطى تعليمات مباشرة بالتفريق بشأن أكثر من مائة مره وهو أحد الدعائم القوية للصناعة في البلاد ، ويتكون من ٧٠ ورشة . وله مزرعة تنتج ٩٠٠٠٠ بيضة يومياً ، وبها ٢٥٠ ثوراً ، و ٨٠٠٠ خنزير ، وتقدم كل الوجبات من هذه الأصناف مجاناً للعمال . وتبلغ مساحة مزرعة الخضروات ٢٠٠ هكتار تروى بالمطر الصناعي ، وهناك معهد تابع للمصنع ، ومدرسة تكنولوجية لرؤساء الفرق ، وأخرى إسماعدي رؤساء الفرق . وبالمصنع قصر ثقافي به دار سينما ، وعشرة أجهزة عرض سينمائية متحركة بين الورش ، والمصنع ٣ بيوت راحة ومصحة للاستشفاء وقاعة لدراسة التاريخ الثوري ، وكل فرقة قاعة خاصة بها لهذا الغرض ، وبمسبب شدة الحرارة تقدم للعمال مشروبات الباردة والسيكر مجاناً ، وبالمصنع دار حضانه وورشة أطباء . أثناء الحرب الكورية دمر هذا المصنع والقي الامريكيون عليه بمعدل ٢ طن قنابل لكل متر مربع ، ٩٥ في المائة من ورش المصنع دمرت ومساكن العمال دمرت تماماً . وعندما جاء الرفيق كيم ايل سونغ الى هنا لبحث إعادة بنائه لم يكن ينتظره سوى الأعشاب والحشائش والدمار ، ولكن كانت هناك الإرادة الانسانية ايضاً . وتبلغ نسبة العمال في المصنع ٢٥ في المائة من عدد العمال . والحد الأدنى لاجر العامل الساعدي ١٠٠ ون شهرياً ، والحد الأقصى ١٢٠ ون ، ولجور العمال الذين يعملون في الحرارة تتراوح ما بين ٢٠٠ ون كحد أدنى و ٣٠٠ ون كحد أقصى ، وتبلغ نسبة عمال الحرارة ٣٥ في المائة من اجمالي عمال المصنع . والمدير ونائب المدير وعلماء اداريين مكتبين ينالون اجوراً أقل تبلغ ١٥٠ ون شهرياً . وعدد

يتابع زراعة ٥ هكتارات والزراعة تزداد كل وحدة قاعدية فيها بوسائل الزراعة وأدواتها ، كذلك أشار الرفيق كيم ايل سونغ الى ضرورة استخدام الكيمياء بشكل اكبر في المجال الزراعى . وبالمقارنة مع ما كان عليه الانتاج منذ عشر سنوات ، زاد انتاج المزرعة من الحبوب بمقدار مائتين ونصف ، واللحم بمقدار عشرين مرات ، والفواكه تسع مرات ، وازداد توزيع النخل بالحبوب مائتين ونصف مرة ، وقوزيعة بالبقود خمس مرات . وعندما جاء الرفيق كيم ايل سونغ لأول مرة هنا طالب بهدم المساكن القديمة وبناء مساكن جديدة متحضرة ، وبنت الدولة مجالا تقريبا ٧٠٠ مسكن للفلاحين . ويوجد بالمزرعة ١٥٠ مهندسا زراعيا ومساعد مهندس ، والرعاية الطبية مجانية ، ويوجد بالمزرعة عدد كبير من العيادات ، وللعامل المزرعة ١٤ يوما اجازة مدفوعة الاجر ، وللزراعة ٧٧ يوما قبل وبعد الوضع ، وبالمزرعة ثمة به ٣ اجهزة عرض سينمائية ، و ٣٠ في المائة من عائلات العاملين بالمزرعة لديها تليفزيونات . وقد اشار الرفيق كيم ايل سونغ الى ان الخسار لسرقة العمل الى انه ينبغي للفرقة البلدة ، ولكل فرقة عمل قاعة لدراسات مؤلفات القائد والخطبات الثورية . وتستهدف الخطة الدرامية الحالية زيادة انتاج الحبوب بمقدار مائتين ، واللحم بمقدار ثلاث مرات والفواكه بمقدار خمس مرات ، والفرقة في هذه المزرعة تتكون من ٧٠ عاملا ، والمزرعة كلها تتكون من ٧٠٠ عائلة فلاحية ، وكانت منذ عشر سنوات ٧٥٠ عائلة ولكن العاملة . وتساعد الدولة المزرعة في بناء المنشآت يمكن بفضل المكننة تخفيض الحد وارسال الفائض الى المناطق الصناعية التي تحتاج الى اليد العاملة بالانتاج والقنوات ومحطات الضخ ، ومراكز تصليح الآلات الزراعية ومخازن البذور وكلها على نفقة الدولة بالإضافة الى بناء بيوت الثقافة ، ومساعدة المزرعة في المحافظة على الارض اذ يوجد بها ٢٠ آلة لحفر التغيرات والثرن التي تحتاجها المزرعة ، الا ان المزرعة تدفع ثمن البترول الذي تستهلكه جراراتها للدولة .

ويقول الرفاق الكوريون في النهاية ان مزرعة الدولة هي الشكل الذي نريده في النهاية . لاننا نريد تطوير المزارع التعاونية بحيث تصبح في النهاية مزارع دولة .

٥٠٠ خزان مياه

وليس ثمة شك ان أحد الأمثلة الاخرى على صلاحية الارادة الانسانية لهذا الشعب ، وهذه البلاد ، نظم الري فيها . ذلك ان كوريا الشمالية ليست بأية حال من الأحوال منطقة سهلية منبسطة ، وانما هي متوالية جغرافية من جبال خضراء وهضاب مرتفعة ، ولذا فقد أنشئت في

الجزل والشيليزيون ، وقد بنيت مكتبة لينينجول في مجال قتل الاعشاب الضارة وغيرها بنسبة ١٠٠ في المائة وتستخدم الجرارات في خدمات متعددة ، وبخاصة الجرارات المنخفضة للعمل بين اشجار الفواكه ، وتروى المزرعة بالمواسير التي تخلف في مياهها المواد السامة ، القاتلة للاعشاب كما تستخدم الطائرات لرش المزرعة لوقايتها ، وبالمزرعة كذلك مصنع لتعليب الفواكه وتبلغ النسبة التي يتم حفظها في العلب ١٥ في المائة من المحصول . كذلك هناك شعرا موحدا للفواكه على المناطق القومية . ويوجد بالمزرعة ١٠٠ مهندس زراعي ومساعد مهندس ، وتكاد لا توجد فروق في الاجور ، ويستمتع عمال المزرعة بخدمات من الدولة ربما تفوق اجرهم النقدي . والفرق بين العمل في مزارع الدولة والمزارع التعاونية ، يكمن في المكننة ، لان مزارع الدولة اكثر مكننة من المزارع التعاونية ، وبخلاف ذلك لا يوجد فرق سوى ان المزرعة التعاونية ملكيتها جماعية ، اما مزرعة الدولة ، فملكيتها للدولة ، والجدير بالذكر ان الساحة المزروعة فواكه في كوريا الشمالية تزيد من ٢٠٠.٠٠٠ هكتار .

المزارع التعاونية

ومساعدات الدولة

وفيما يتعلق بالمزارع التعاونية زرت مزرعة شونجسان ري التعاونية التي جاء الرفيق كيم ايل سونغ لادارتها بنفسه ، وحك فيها ١٥ يوما وضع اثنائها ، الخطوط الاساسية لطريقة شونجسان ري ، التي تقوم على اساس مساعدة الاجهزة العليا للاجهزة الدنيا ، ونزول أعضاء اللجان العليا الى اللجان الدنيا لمساعدة القواعد واعطاء الاممية الاولى للعمل السياسي والتعليم الشيوعي . وانشاء اقامته تصدت الرفيق كيم ايل سونغ مع عدد كبير من الفلاحين واخذ رايهم في كل صغيرة وكبيرة ، كما اجري احاديث مع العناصر الحزبية النشطة ، ومع الرفيق الذي كان يدير المزرعة . وقد زار الرفيق كيم ايل سونغ هذه المزرعة اكثر من ٦٠ مرة ويفضل توجيهاته مسارات المزرعة خطوات كبيرة الى الامام ، وحققت عبة نتائج هامة في موضوع الثورة التكنيكية وبالذات في الري ، اذ يوجد الان نظام كامل للري من ٢٠ محطة ضخ و ٢٠٠ خط لقنوات الري يبلغ طولها ١٠٠ كم ، وبفضل استخدام التورترات أصبح في الامكان القيام بالاممال الثقيلة . وكل منازل الفلاحين في هذه المزرعة وفي كل كوريا مضادة بالكهرباء وقد طبقت المكننة هنا بنجاح واصبح لكل ١٠٠ هكتار ١٥ جارا قرة كل منها ١٥ حصانا . ويتم انخال المكننة الكاملة في باقي الممتلكات الزراعية ، وبفضل ذلك أصبح بإمكان الفلاح ان

يحرص بالوعي الثوري للثقل العالمي، ويتبنى الحرس باستمرار على أن تكون لدى الشباب معرفة عميقة بالطبيعة العدوانية للامبريالية، وبخاصة الامبريالية الامريكية والعسكرية اليابانية، وبالطبيعة الاستغلالية لملوك العاقرين والراسماليين، وينبغي الحرس باستمرار على أن يكره الشباب العدو، ويكافح بحزم حتى النهاية ضد الامبريالية والنظام الاستغلالي، *

واضاف الرفيق كيم ايل سونج أنه «ينبغي على الشباب كي يكون الطليعة في الثورة التكنيكية إن اكتسب المعارف العلمية والتكنيكية الحديثة - ان عصرنا عصر يتطور فيه العلم والتكنيك بمعدل سريع، وقد تم ادخال العلم والتكنيك الحديثين على نطاق واسع في الانتاج والبناء وهما يلعبان دورا متقاطعا * ومن الان فصاعدا، بدون معرفة العلم والتكنيك، لا يمكن تحقيق تقدم اقتصادنا الوطني، ولا يمكن للشباب ان يلعب دوره الطليعي من اجل بناء الاشتراكية» - و«اضاف «انه لا ينبغي على الشباب ان يقع قط اسير المضاعف المسألة - ويجب عليه بخاصة أن يحذر بشدة من تسلل التيار الانجيلولوجي المراجع الذي يفضي الحرب، الى صفوفنا» *

واشار « التقرير عن عمل اللجنة المركزية » والذي قدم الى المؤتمر الى أن مليوناً وخمسمائة ألف من الشباب ذوي الحساسة العالية متسابقوا في السنوات الماضية على الذهاب الى مناجم الفحم والحديد وفروع قطع الاشجار وصيد الاسماك والى أماكن بناء محطات الطاقة الكهربائية وفروع صناعة الحديد والصلب والفولاذ والمعين عاليا شحار الحزب « ليتحمل الشباب جميعا العمل الصعب و « الشباب الى البحر والى مناجم الفحم والى الغابات » ، وأشار كذلك الى أنه تم تنظيم أكثر من ٧٠٠.٠٠٠ فرقة طليعية تضم مليونين و ٦٠٠.٠٠٠ شاب وشابة في العاصمة وكل محافظة وكل مدينة وكل ناحية وفي المصانع والمؤسسات والارياض ، لبناء العاصمة والمحطات الكهربائية، والسكك الحديدية الكهربائية وجزيرة الحديد ، وبناء مشاريع الري وغيرها من المشاريع الهامة في البلاد التي كانت الخطة السبعية تتطلب سرعة انجازها *

ومن الناحية السياسية والعسكرية اشار التقرير الى أن الوضع التوتر المائت في بلادنا بسبب المناورات المتزايدة التي تقوم بها الامبريالية الامريكية وعملهاوا لشن الحرب، هذا الوضع يتطلب منا أن نعد جميع الشباب حتى يتمكنوا من مواجهة الحرب بصورة قوية أكثر فأكثر - وان واحدا من أهم النجاحات التي حققناها في النضال

جميع الصناعات الثقيلة والتاييب للريج تتفرج من محطات لضخ ترقيع مياه الاتهار باسمائها بالمضخات الى ارتفاعات كبيرة لرى المناطق المرتفعة - وقد زنت الرحلة الثانية من محطة مياه نهو تادونج كافج ، وبها ١٠ مضخات ترفع ٢٢ مترا مكعبا في الثانية الى ارتفاع ٤٧ مترا (هي مناطق أخرى يبلغ الارتفاع ٦٠ مترا) ثم تجمع المياه في خزان كبير (خزان تيسونج) - ويبلغ طول الانابيب هنا ١٦٠٠ كم لت الى التمكن من رى ٢٠٠.٠٠٠ هكتار - ويوجد بالبلاد ٢٠٠ مركز للضخ، امكن بفضلها رى حقول مرتفعة جدا لم يكن من الممكن تصور رويها في الماضي - وقد حدد الرفيق كيم ايل سونج أربع مهام اساسية للثورة التكنيكية اولها الرى ثم المكنته ، والكهرية ، واستخدام الكمبيوتر - وقد زار الرفيق كيم ايل سونج المحطة المذكورة ست مرات حتى الآن - ولم تكن انتاجية الهكتار في البداية تتعدى طنا أو ذرا طن من القمح أو الليرة، لما بعد اتمام هذه الشبكة ، أصبح المحصول الاول هو الارز وأصبح محصول الهكتار أكثر من ٦ اطنان أرز - وبعد أن كانت كوريا مضطرة لاستيراد الحبوب، تمكنت من تحقيق الاكتفاء الذاتي في الحبوب بفضل نظام الري المذكور - ويوجد بكوريا الشمالية ٥٠.٠٠٠ خزان مياه للرى ، وهي صناعية وليست طبيعية - ومن ناحية أخرى ، تمتد شبكة الكهرباء فوق الارتفاعات في جميع انحاء البلاد ، وقد تمت كهرية كوريا الشمالية ، والريف الكورى كله مضاء بالكهرباء ، ويقول لك الرفاق الكوريون : « انه حتى القرى الصغيرة في جبل بيليج (هي اقصى حدود البلاد مضاء كذلك بالكهرباء » *

الشباب والكفاح ضد

أسلوب الحياة الغربي

وقد حضرت المؤتمر السادس لاتحاد الشباب العامل الاشتراكي في كوريا في الفترة من ٢٦ الى ٢٩ يونيو الماضي في بيونج يانج ، وقد اشتركت فيه ١٥٥٠ ممثلا لاتحاد الشباب العامل الاشتراكي الكورى، وبعد كبير من ممثلى حركات ومنظمات الشباب من جميع قارات العالم ، وعديد من الشخصيات الديمقراطية والاجتماعية والصحفية - والى الرفيق كيم ايل سونج خطابا هاما في المؤتمر اشار فيه الى أنه « اذا كانت التريبة الثورية ضرورية بالنسبة للجميع، الا انها أكثر ضرورة والحاها بالنسبة للجيل الجديد الذى لم يعرف تجارب الكفاح الثورى » - وقال : « انه كلما شعر الشباب بالسعادة أكثر ، كلما كان عليه أن يحذر بشكل أكبر من نسيان الماضي ، حيث كان شعبنا مستقلا مقهورا ، وينبغي عليه أن يتسلح

من أجل تطبيق النظم العسكرية للحزب ، هي اتمام تسليح الشباب كله » .

وأشار التقرير كذلك إلى الخط الاساسى لنضال اتحاد الشباب العامل الاشتراكى فى كوريا ، وحزب العمل الكورى من أجل حماية الشباب الكورى ودفعة إلى الاسام على طريق الثورة والبناء ، وبهذا الصدد أبرز التقرير عدة حقائق هامة وهى : « أن التجارب التاريخية تبين أنه اذا لم نتفك الشباب ثوريا بحجة اقامة النظام الاشتراكى وارتفاع مستوى المعيشة ، يزداد تأثير الفكر البورجوازى بينهم ، ويكرهون الثورة ، ويتحولون إلى أفراد مفرقين فى الترف والفجور والدمارة مما يشل وعيهم الثورى ، وفى نهاية الامر ، لا يصبح فى امكان الشباب أن يثروا القضية الثورية ، ليس ذلك فحسب ، بل أنهم ليعرضون حتى مكاسب الثورة التى اكتسبناها ، للأضرار والاكثر من ذلك ، فإن الاوضاع الداخلية والخارجية المعقدة التى تواجهنا اليوم ، ومهمات الثورة الشاقة الهائلة التى تبرز أمامنا ، تتطلب منا تعزيز أعمال التنشيط السياسى والايديولوجى بين الشباب أكثر من أى وقت مضى » .

وأبرز التقرير بصفة خاصة تعاليم الرقيق كيم ايل سونج التى جاء فيها : « علينا أن نوجه سهما رئيسيا فى الثورة الثقافية قبل كل شئ » ، ضد التغفل الثقافى من جانب الامبرياليين ، ويجب أن نحذر بحزم شتى ألوان الثقافة البورجوازية ونمط الحياة البورجوازية اللذين ينشرهما الامبرياليون ، واللذين يحاولون تسريبهما إلى صولفنا ، كما لا يجب أن نتسامح قط مع أئسنى عنصر بورجوازى فى مجال البناء الثقافى » .

وأضاف التقرير : « إلى أن الامبرياليين بزعامة الامبريالية الامريكية يدعمون اليوم التغفل الايديولوجى الثقافى أكثر من أى وقت مضى ، بجانب العدوان العسكرية على البلدان الاشتراكية والبلدان التقدمية من أجل تصفية قضية الثورة والشعب . ويقوم الامبرياليون بتحركات مأكرة من أجل طمس الثقافة القومية للبلدان الاخرى ، وتخدير الوعى بالسيادة الوطنية والروح الثورية للشعوب ، وجمل الشعب قفوس فى حماة من الانحلال والفساد والاسفاف ، وذلك عن طريق التغفل الايديولوجى الثقافى » . وأن الشباب الذين

تنقسمهم التجارب الثورية ، يعتبرون حقاً رئيسية للتغفل الايديولوجى الثقافى الذى يقوم به الامبرياليون ، وفى هذه الظروف ، اذا لم نحم بالنضال القوى ضد التغفل الثقافى الامبريالى بين الشباب ، بلاننا لا يمكننا أن نضمن التطور السليم للثقافة القومية الاشتراكية ، ولا أن نربي الشباب كثوريين حقيقيين . وتبين التجارب التاريخية بوضوح أنه اذا لم نمنع التغفل الثقافى الامبريالى بين الشباب بشكل أكثر دقة ، يمكن تخدير وعى الشباب الثورى تدريجياً ، وأغلقه فى السهم للرأسمالى ، ودفعه حتى إلى خيانة الثورة والنظام الاشتراكى بلا تردد » .

ولكذ التقرير فى النهاية على أنه « يجب على منظمات اتحاد الشباب العامل الاشتراكى أن تشن كفاحاً قويا ضد الثقافة الرجعية الرأسمالية ، والافكار الرجعية البورجوازية بين الشباب ، وعليها أن تربي الشباب كجنود مثابرين يقفون على الجبهة الامامية ضد التغفل الثقافى الامبريالى ، وتكثريين صلبين لا يتأثرون بسموم الثقافة الامبريالية ، ولا يتطرقون للفساد الذى نفوسهم ، وكدافسين حقيقيين عن الثقافة الاشتراكية » .

وبعد ، فإن أحد الانطباعات التى تخرج بها من هذه الزيارة ، هى أن كوريا الشمالية أصغر بكثير من الطاقة العظيمة للمارشال كيم ايل سونج ، وأنه يعمل لكوريا الشمالية بطاقة الحب والعمل المضاعفة التى كان سيمنحها للجنوب فيما لو كان الوطن محرراً وموحداً . أن جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية حصن هام من حصون الثورة العالمية ، ومركز هام من مراكز القوى العميق فى العالم بمواجهة النضال ضد الامبريالية وعلى رأسها الامبريالية الامريكية فى المرحلة التاريخية الحالية ، وباشكال هذا للنضال .

لننا نحظى احتراماً وتقديراً للنضال العظيم لحزب العمل الكورى البطال ، ولتضحيات الشعب الكورى وبطولاته وأمجادته ، وللانجازات العظيمة التى حققها قيادته .

الزحف الاستعماري



محمد الشحات

تعيش

القارة الإفريقية الآن مرحلة حاسمة من تاريخها ، بسبب المحاولات المستمرة للقوى الاستعمارية والعنصرية والاحتكارات العالمية ، لاجهاض الثورة الإفريقية ، واحتلال مراكز انطلاق جديدة تعيد لها سيطرتها السابقة .

وقد دخلت هذه المحاولات مرحلة التأخر العنيف منذ اسقاط حكم قوامي نكروما في غانا سنة ١٩٦٥ ، وهو الامر الذي اعتبرته هذه القوى المتأخرة ، علامة هامة على طريق تحركها في القارة الإفريقية ، ودليلا على إمكانية أحداث شروخ في الثورة الإفريقية على كل مستوى القارة ، وهذا ما يفسر التحركات المهادية التي تشهدها أفريقيا الآن في أكثر من مكان ، في جنوب السودان وتنزانيا وزامبيا وغينيا وسيراليون وغيرها ، هذه التحركات التي تستهدف استنفاد طاقات قوى الثورة الإفريقية وهزئها من بعضها ، حتى تحول بينها وبين تنسيق قواها ، او حتى موافقتها ، حتى لا تشكل بوحدتها عقبة في وجه التحرك الاستعماري العنصري .

وثمة ظواهر هامة ومعددة تميز هذا التحرك المهادي في مرحلته الراهنة ، اولها أن هذه القوى

تخوض المعركة ضد قوى الثورة الإفريقية بوحدة الصفوف ، متنسقة الاهداف ، برغم اختلاف مصالحها وتطلعاتها في افريقيا . لما الظاهرة الثانية ، هي أن هذه القوى المهادية في تحركها ، تتخذ من جنوب القارة ، مركزا أساسيا لها ، بحكم الوجود العنصري والاستعماري في جنوب افريقيا وروديسيا ومستعمراتي انجولا وموزمبيق . ولعل الظاهرة الثالثة ، والأهم ، هي أن هذا المد الاستعماري الجديد بلغ ثروته منذ وصول حزب المحافظين البريطاني الى الحكم في يونيو سنة ١٩٧٠ . فبرغم محاولات بريطانيا المحافظين الظهور على المسرح الدولي بوجه أكثر نبولا واشراقا ، إلا أنها على المسرح الإفريقي تبدو أكثر شراسة وعنفًا .

وقد يكون لهذا الاتجاه لحزب المحافظين أكثر من مبرر ، كما يرى بعض المحللين السياسيين ، اولها أن افريقيا ما تزال أهم مصادر الخامات الطبيعية ، بالأفضلة الى أنها تشكل سوقا مستهلكا هامة ومؤثرة ، تستطيع أن توفره للاقتصاد البريطاني الضعيف فرصة لتقويم المعجز الدائم في ميزان المدفوعات ، كما أن السيطرة على هذه السوق الإفريقية ، مما يجعل لبريطانيا القدرة على التصدي للسيطرة الفرنسية المتعاطفة داخل أوروبا وافريقيا على السواء . أما ثاني المبررات

وتخمس قطع بحرية أخرى * يفتت قطعها بالقرب
من سواحل جنوب أفريقيا] .

٥ - توثيق العلاقات العسكرية مع البرتغال ،
ومعد اتفاقيات جديدة معها ، تولى لبريطانيا
إمكانية استخدام قاعدة بيررا (بمستعمرة
موزمبيق) ، ولوبيتو (بمستعمرة أنجولا) ، وذلك
لدعم النظم العنصرية والاستعمارية ، وتشجيعها
على التحرك العنيد .

٦ - دراسة إمكانية عقد اتفاق عسكري ،
يضم جنوب أفريقيا والبرتغال وبريطانيا والبرازيل
والارجنتين ، لدمج الوجود الغربي في جنوب
المحيط الاطلنطي [١] وطريق رأس الرجاء
الصالح ، وللحصول دون وصول الوجود
الموغي إلى هذه المنطقة .

وفي أعقاب تولي المحافظين الحكم في يونيو
المضى ، شرعوا في تنفيذ هذه الاستراتيجية ،
التي عرفت باسم استراتيجية حزام بيررا - لوبيتو .
تكان إبعاد جنوب أفريقيا بالسلطة الهجومة من
بحرية وجوية ، وتنسيق العمل مع البرتغال ،
التي أعلنت في يناير سنة ١٩٧١ ، أنها تنزع كل
إمكاناتها وقواصدها في مستعمراتها الأفريقية في
خدمة الوجود الغربي والمصالح الأتجارية .

وترجع أهمية قاعدة بيررا - لوبيتو ، إلى
أنها ، بحكم وقومها المتقدم على ساحلي أفريقيا
الشرقي والغربي إلى الشمال من جنوب أفريقيا ،
يشكلان معا حزاما استعماريًا يفصل جنوب القارة
تبعيا من شمالها ، كذلك فإن هذا الحزام يمكن
استخدامه كراس حرية استعمارية يمكن الزحف
منها إلى الشمال الشرقي ، وإلى الوسط وإلى
الشمال الغربي ، ولما كانت زامبيا ، بحكم موقعها
الجغرافي ، كعازل لفصل بين مستعمرتي أنجولا
وموزمبيق ، ويحكم مجاورتها لروديسيا * تشكل
العقبة الرئيسية أمام تحرك هذه الاستراتيجية *
فقد تقرر العمل على إسقاط الحكم فيها إذا لم
يمكن إيجاد مصالحة مع هذا الحكم ، فجعله يدخل
في نطاق استراتيجية حزام بيررا - لوبيتو ، وهو
الامر الذي يعني تجريد قوى الثورة في أنجولا
وموزمبيق وروديسيا من قواعد عملها وانتلاتها ،
كما أنه يعني توفير المناخ المصالح لشرب الحكم
التقدمي في تنزانيا في مرحلة تالية ، ومن ثم لن
ما تعاقبه زامبيا الآن من مشاكل وتهديدات من
التحالف العنصري الاستعماري ، بالإضافة إلى
ما تعاقبه تنزانيا والسودان من الحكم الانقلابي في
أوغندا ، يمكن أن يعطينا تقديرا وأخضا لكل هذه
الاضطرابات في ضوء هذه الاستراتيجية
الاستعمارية [٢] .

فهو أن لحزب المحافظين أولويات خاصة وعملية
بالنظم العنصرية البيضاء في أفريقيا ، هذا
بالإضافة إلى أن أفريقيا ما تزال تثير مشاعر
العنصرية الاستعمارية في بعض قيادات المحافظين
المتزمتة ، والتي ترى في الجيوب الاستعمارية
البيضاء في أفريقيا نكرا لإيجاد الامبراطورية
الغربية ، وهذا ما يجعل المحافظين أكثر حرصا
على إبقاء السيطرة البريطانية في أفريقيا إلى
أطول مدة ممكنة .

ولو استعرضنا الدراسات الاستراتيجية التي
خرج بها حزب المحافظين ، قبل توليه الحكم ، من
الانقليات الأوربية في أفريقيا ، ووضع
المستعمرات البرتغالية في أفريقيا ، وما قد تفره
من دعم للوجود الاستعماري في أفريقيا ، نجد
تفسيرا لما سبق ، فقد خرجت لجنتان للحزب قبل
توليه السلطة في يونيو الماضي ، باستراتيجية
مربضة ، تستهدف تكريس الوجود العنصري
والاستعماري في قارة أفريقيا ، وقد قامت هذه
الاستراتيجية على عدة أسس ، هي :

١ - دمج حكومة جنوب أفريقيا ، وتوغير
الحالية لها ، من خلال أمدادها بالأسلحة وزيادة
حجم التبادل التجاري معها ، ومحاولة كسر أطوار
العزلة التي تعاني منها .

٢ - الدخول في مفاوضات جديدة مع نظام
الحكم العنصري في روديسيا ، لأعطائه صفة
الشرعية ، وتكثفه من الانتماء على العالم ،
والحصول على اعتراف عالمي به .

٣ - وحتى يمكن تحقيق البندين السابقين ،
فإنه يجب تشجيع الاتجاهات التي ينادي بها بعض
الحكام الأنريقيين المرتبطين بالاستعمار في مالاوي
وساحل العاج وغيرها ، وتستهدف الدخول في
حوار مع الحكم العنصري في جنوب أفريقيا ،
والاعتراف به ، بزعم أن هذا الأسلوب * وليس
أسلوب الثورة المسلحة * هو الذي سيهد من
سياسته في التفرقة العنصرية .

٤ - الدخول مع حكومة جنوب أفريقيا في
معاهدة عسكرية ، تسمح لبريطانيا باستغلال
قاعدة ساليوموتزونون * بزعم مواجهة التهديد
الموغيين المتزايد في المحيط الهندي ، وأن كان
الهدف الأساسي من ذلك هو حماية جنوب أفريقيا
وأفغانستان مريكتا جديدا فسن مريكتات
استراتيجية شرقى الموسم [فقد نص الكتاب
الدفاي البريطاني ، الصادر في ١٧ من فبراير
سنة ١٩٧١ ، على ربط الوجود البريطاني البحري
في الخليج العربي [قاعدة محسيدا العمانية] *
بقاعدة ساليوموتزونون ، من خلال قواعد ذرية ،

بداية حملة الدعوة

للاعتراف بجنوب أفريقيا

وهكذا ، وبرغم اختلاف مصالح القوى الاستعمارية والاحتكارية في أفريقيا ، إلا أنها ، كما قلنا ، كتبت تطلعا في تحركها من مخطط مرسوم قبيد رفض الرئيس الأمريكي مقابلة الرئيس الزامبي كينيث كاوندرا في أكتوبر الماضي ، بحجة انشغاله ، وهو الأمر الذي اعتبر اهانة لأفريقيا كلها ، وخاصة القوى الثورية ، باعتبار كاوندرا من أطلالها ، بعد هذا الموقف الأمريكي الشاذ ، ووليام فلاتل وجه مسير اليك دوجلاس هوبوم وزير خارجية بريطانيا تصديرا للقوى الأفريقية المنحرفة ، بسبب موقفها المعادي لجنوب أفريقيا ، وزعم هوبوم أن موقف الرئيس الأمريكي للحكم العنصري في جنوب أفريقيا هو المسئول عن أطالة أمد التفرقة العنصرية في كل جنسوب القارة ، وأن على القوى الأفريقية الراضة لهذا الحكم أن تدخل في حوار مع جنوب أفريقيا ، والا فلعلمها أن تحصل مسئوليها ما قد تتطور إليه الأحداث [١] .

وفي أعقاب هذا التحذير البريطاني ، خرجت الصحافة الغربية في حملة منسقة للترويج لاجراء حوار أفريقي مع جنوب أفريقيا وغيرها من النظم العنصرية ، يزعم أن الثورة الأفريقية والدول التي تدعها أن تستطيع تقويض حكم الأقلية البيضاء لهذا لعدة أسباب ، أهمها حرص الدول الأوروبية على حماية هذه الأقلية ، بحكم الانتماء والمصالح الاستراتيجية المتبادلة ، وثانيا لوجود دعم مستمر لهذه الأقلية من الاحتكارات والصهيوية العالمية بالاضافة إلى تنويعها التكنولوجي والاقتصادي [٢] وقد كتبت هذه الحملة بمثابة مقدمة للفتيلة التي نجراها هواميه بواننيه رئيس دولة ساحل العاج ، في نوفمبر سنة ١٩٧٠ ، بدعوته الدول الأفريقية لعقد مؤتمر قمة للاتفاق على اتباع أسلوب جديد مع حكومة جنوب أفريقيا ، يستهدف الاعتراف بها وتبني أسلوب التصدي وفرض الحصار والعزلة عليها ، لا يزعم أن هذا الأسلوب — أسلوب التصدي — لن يقدر له النجاح .

وفي أعقاب دعوة بواننيه هذه ، بدأت الحملة الصحفية الغربية تأخذ أبعادا جديدة ، فزعمت أن هذه الدعوة موضوعية وعادلة ، كما اعتبرتها

وبالاضافة إلى هذا التحالف العنصري الاستعماري الإمبريالي ، تحرك قوى أخرى معادية في أماكن أخرى من القارة الأفريقية ، أبرزها قوى الاحتكارات الأمريكية والألمانية الغربية ، لبيانسبة لأمريكا واحتكاراتها ، فلها تطلق في تحركها ما يسمى بالمفهوم المتزايد بهدف تقوية ودعم كل النظم الأفريقية المعيلة ، والتآمر ضد النظم الثورية والتقدمية [٣] لتوفير المناخ الملائم للاحتكارات الأمريكية للقيام بعمليات اعتراف للثروات الأفريقية على أوسع مستوى ، وأبرز مجال على ذلك هيمنة الاحتكارات الأمريكية على ثروات الكونغو كينشاسا وفانواتو ، ومحاولاتها للسيطرة على الثروات البترولية في شمال القارة .

لما الاحتكارات الألمانية الغربية ، فلها تدخل القارة الأفريقية ، وهي في حملة من لمرها في كل شيء ، فهي تحاول استعادة السيطرة الألمانية السابقة ، وتحقيق كل ما فشلت فيه ألمانيا سابقا ، ولهذا نراها تتحرك في أكثر من مكان ، فهي مساهمة في المشاريع والاحتكارات في جنوب أفريقيا ، كما أنها تتحمل أكبر قدر في تكاليف بناء سسد كابوراباسا في موزمبيق ، وهو مشروع استعماري خطير ، كما أن دورها في حوانك غينيا الأخيرة لا يخفى على أحد ، بعد أن كتشفت المحابكت التي أجريت هناك دور هذه الاحتكارات ، بالتعاون مع البريتاني ، في محاولة إسقاط حكم سيكوتوري .

كذلك فإن فرنسا واحتكاراتها ، تحاول أن تفرض سيطرتها على أكبر قدر ممكن من أسواق أفريقيا ، بالاضافة إلى هدف فرنسا الثالث ، وهو جعل الزعماء الأفريتين الناطقين بالفرنسية يلبون دورا بارزا في إدارة شؤون القارة ، بمعنى إقامة عملية أفريقية — فرنسية بعيدة عن الزعامة المسيطرة حاليا ، والتي يمثلها كاوندرا ونيريري ، وهما ناطقان باللغة الإنجليزية [٤] ، ولعل هذا يفسر لنا أن الدعوة إلى قيام حوار مع جنوب أفريقيا ينتهي بالاعتراف بها ، صهرت من الرئيس هواميه بواننيه ، رئيس دولة ساحل العاج ، كما أن هذا يفسر لنا صفتات السلاح والاتفاقات التجارية بين جنوب أفريقيا وفرنسا [٥] .

[١] انظر البعث القصور حول هذا الموضوع في الجيرالد تريبون الدولية عدد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٧٠

[٢] The Observer, April 25, 1971.

[٣] Daily Mail, Oct. 29, 1970.

[٤] [٦] لم يشأ إلى دور إسرائيل في هذه المحاولات المعادية ، لأن هذا الدور يصطنع دراسة وإسماة بمجلة [٦]

نظرا لخطورته [٧] [٧] Le Libre Belgique, Nov. 11, 1970.

توى التّصال الإفريقى : حيثما ارتفعت الأصوات عالية ، بتددة ومحذرة من مخبة هذا الانجها لتسليح جنوب إفريقيا ، وكان أقوى هذه الأصوات ينمى من زامبيا وتنزانيا وأوغندا [قبيل اسقاط ميلتون أوبوتى] ، والسودان وغينيا ، وهى الدول الهدف فى المخطط الإمبريالى . ولبلام هذه الثورة الإفريقية ، تحركت القوى المهادنة بسرعة ٢ فاستقطعت ميلتون أوبوتى فى أوغندا ، وأقالت حكما انقلابيا عميلا ، ويرجع السبب فى هذا التحرك السريع ، وخلاصة فى أوغندا ، الى ان أوغندا ، بحكم موقعها الجغرافى ، يمكن اتخاذها قاعدة متقدمة لتبديد طاقات تنزانيا والسودان ٢ وهو الامر الذى يعنى عزل زامبيا ، تهيدا لضربها فى مرحلة تالية .

الحملة ضد تنزانيا

والسودان [شرق إفريقيا]

ويلاحظ ان اسقاط ميلتون أوبوتى جاء فى اعتساب مؤتمر الكومنولث ، الذى انعقد فى سنغافورة ، فى الفترة من ١٤ الى ٢٢ يناير سنة ١٩٧١ ، والذي كان بمثابة محاكمة لبريطانيا ٢ بسبب تسليمها لجنوب إفريقيا ٢ وكان أمناف المهاجرين فى هذا المؤتمر هما كينيث كاوندا وميلتون أوبوتى ، اللذين نددا ببريطانيا ، وهندا بالانسحاب من الكومنولث ، وهو الامر الذى كان يعنى ارتفاع موجة المد الثورى فى إفريقيا ٢ وبالتالي تنسف كل محاولات بريطانيا تقوية وجودها فى إفريقيا ٢ كجزء من استراتيجيتها شرقى السويس ، واستراتيجيتها العالمة ، ومن ثم فقد كن من الضرورى اسقاط أوبوتى ، وتم بالفعل اسقاطه ، لان هذا مما يعطى لقوى التآمر فى شرق إفريقيا قفزة على ممارسة دورها المرسوم ٢ وقد وضع ذلك منذ البداية ، لمهدد ساعات من الانقلاب ، زعم الانقلابيون ان وضعهم فى أوغندا مهدد من قبل تنزانيا ٢ ثم زعموا بعد ذلك ان التعهد أصبح مخصصا فى السودان وليس تنزانيا ، ومؤخرا أعلنوا ان التعهد أصبح مشتركا من تنزانيا والسودان معا ، والهدف من هذه الاتهامات واضح ومعروف ، وهو تشكيل قيود على حركة هاتين الدولتين واستنفاد طاقاتهم وتبديدها ٢ تيكينا للمؤامرة من النجاش ، فبان الترويج لهذه الاتهامات المزمومة ضد السودان وتنزانيا ، تعرضت الدولتان لمزيد من المؤامرات ٢

يعنى الصلحة دلالة على تصدع جبهة الممارضة الإفريقية لجنوب إفريقيا ، وانتصارا لمسياسة الانتفاخ الإفريقى على النظم العنصرية ، ولم تقم صحيفة التليجر البريطانية ان تشير ابان هذه الحملة ٢ الى ان قوى المحافظين للحكم فى بريطانيا هو السبب فى كل هذه التحولات الخطيرة فى إفريقيا ، كما أعلنت الصحف ان أكثر من اثنتى عشرة دولة إفريقية بمسدد تبذل التثليل الدبلوماسى مع جنوب إفريقيا ، وأن معظمها من الدول الناطقة بالفرنسية فى غرب القارة [٨] ، كما أعلنت صحف أخرى ان جنوب إفريقيا بمسدد الدخول فى علاقات دبلوماسية مع دول أخرى خارج القارة الإفريقية لتأمين مواردها البترولية والاقتصادية [٩] ، ودمم الاقتصاد الوطنى لبعض الدول الإفريقية المرتبطة بهما كيدفشترا ، وماالوى [١٠] ، وقد صورت صحيفة الأوبزغر البريطانية هذه الدول المتعاونة مع جنوب إفريقيا على انها حماة إفريقية مقللة ، تدرك ان استمرار التحدى والعداء يتسبب فى النظم العنصرية على بناء ثورة مسيكية قاترة على ضرب إفريقيا السوداء [١١] .

وبعد ذلك دخلت الصحافة الغربية ، وخاصة البريطانية ، مرحلة أخرى فى حملتها للدفاع من جنوب إفريقيا وضرورة الاعتراف بها ، يزعم ان لديها من الأكابيات والقدرات ما يمكنها من دهم وتنمية الاقتصاد الإفريقى ، وكان أبرز الأمثلة فى هذه الحملة ، الحديث من سد كابور أبلسا ، الذى مستقيم فى مستعمرة موزمبيق بأموال جنوب إفريقيا ، وبالأشتراك مع مديد من الاحتكارات الدولية ، أهمها الاحتكارات الألمانية الغربية ٢ فتصدت الدليل لجراف وغيرها من الصحف البريطانية من امكانيات هذا المسد فى مجالات الزراعة وتوليد الكهرباء والتصنيع ، فقاتلت ان طاقة الكهرباء التى سيولدها تفوق طاقة المسد العالى ، وأنه سيوفر فرص عمل لحوالى مليون ونصف مليون إفريقى .

وثمة حقيقة يجب ان نؤكددها ، وهى ان هذه الحملة ، بجانب ترويجها لضرورة الاعتراف بجنوب إفريقيا ٢ كانت تستهدف أمرين ٢

أولهما ٢ أحداث شخ بين الدول الإفريقية حول هذه الدومة .

وثانيهما ٢ تحويل انتظام إفريقيا والرأى العام العالمى ، من بدء بيع الأسلحة الهجومية لجنوب إفريقيا .

وبرغم ذلك ٢ فان هذه الحقائق لم تثت على

The Guardian, Nov. 9, 1970.	[٨]
Daily Telegraph, Nov. 9, 1970.	[٩]
Le Monde, Nov. 21, 1970.	[١٠]
The Observer, Nov. 15, 1970.	[١١]

مكان في القارة ؟ كما أنه يعنى الرضا بجزء
بيرا - لوبيتو الى مواقع متقدمة ، بالإضافة الى
أن اسقاط حكم كاوندا يعنى - كما سبقنا الإشارة -
القضاء نهائيا على حركة المقاومة الافريقية في
جنوب افريقيا وروديسيا ومستعمرتي موزمبيق
وانجولا .

ولهذا ومنذ أكثر من ثلاثة اموال زامبيا تتعرض
لضغوط متوالية بلا كل ، ومع دخول زامبيا
مرحلة الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي لتخفيف
الفوارق بين المدن والريف ، وهي الفوارق التي
برزت بوضوح في أعقاب مقاطعة روديسيا ، وقد
استغل الاستعمار هذه الفوارق لتحريك الأوضاع
السياسية في صالحه ، إلا أن كاوندا تحرك
بسرعة من خلال خطة اصلاح خيسية انتهت عام
١٩٧٠ ، وبرغم أنها لم تحقق الآمال المرجوة إلا
أنها رفعت نوعا من مستوى الدخل والانتاج ،
وساعد على عدم نجاحها نجاحا كبيرا اضطراب
الأوضاع في الريف بسبب حدوث هجرة محبومة
منه الى المدن (١٣) .

ومع نهاية سنة ١٩٧٠ واتضح أبعاد الخطة
الخصسية الثقية التي تستهدف كذلك الوصول
الى تقريب كبير للفوارق بين الريف والمدن ،
وتفادى كل العقبات والسياسات السابقة ، تحركت
القوى المعادية لاستنفاد طاقات وإمكانات زامبيا
وتجديدها حتى لا تقدم أى دعم لحركات المقاومة
التي فشلت كل محاولات ضربها في روديسيا أو
موزامبيق وانجولا برغم عمليات الاختراق التي
تأملت بها أجهزة المخابرات البرتغالية والجنوبية
الافريقية داخل صفوف حركات المقاومة (١٤) ،
كذلك اشتركت المخابرات والاحتكارات الأمريكية
في التآمر ضد زامبيا لأن سقوط حكم كاوندا
بفرنسية لها كان يعنى إمكانية التوسع في إنتاج
خام الحديد من أنجولا ، هذا الانتاج الذى بلغ
سنة ١٩٦٥ حوالى اربعة ملايين طن (١٥) والذى
ينتظر القفز به خلال هذا العام الى الخمس ،
ونفس الوضع في موزمبيق حيث تشترك
الاحتكارات الألمانية الغربية في بناء سد كابورا بأما
وحق تضمن نجاح المشروع فإنه لابد من اسقاط
كاوندا حتى لا يشكل النوار تهديدا لبناني المشروع
ومخاطره ، بالإضافة الى أن اكتمال بناء هذا
السد مما يمكن هذه الاحتكارات مجتمعة من
استنزاف الثروات الطبيعية في جنوب افريقيا
وماوى وروديسيا وبوتسوانا وليسوتو وأوغندا
ونزانيا وكينيا والكونغو وزامبيا .

ففي نزاريا عكست محاولة انقلابية لفشل زنجبار
وفي السودان تصاعد نشاط حركة انثيا
الانتمائية ، في نفس الوقت الذى بذلت فيه
محاولات مستتية لتزيم العلاقات بين السودان
واثيوبيا ، بإثارة مشكلة اثيوبيا ، والزمع بأن
الثورة التي تفور فيها تكف وأمامها دول عربية ،
منها السودان ، وقد وصل الامر بإذاعة لندن ، الى
حشد التهديد بأن اثيوبيا يمكن أن تكون امتدادا
لجبهة السويس (١٦) ، بمعنى أن السودان
سيستعرض لمعلية عدوانية اسرائيلية ، لأن
اسرائيل ترى في اثيوبيا عقبا استراتيجيا لها ،
يمكنها من ضرب العمق الاستراتيجي الذى أعطته
الثورة السودانية للجبهة المصرية .

وكذلك أخذت الحملة ضد نزاريا أبعادا جديدة
بعد اسقاط أوبوتي ، فقد مسورت الصحافة
الغربية نزاريا ، على أنها بؤرة ثورية تستغفها
الصين لإد نفوذها وتقويتها في القارة الافريقية ،
بحكم تواجدها لإنشاء الخط الحديدى الذى يربط
زامبيا بنزاريا ، والذى يحدر البلدين وغيرهما من
الدول الافريقية من القيود الاقتصادية التي
تعرضها البرتغال على واردات ومصادرات هذه
الدول . وبالإضافة الى ذلك ، نوهت الصحافة
الغربية بأن الأوضاع في شرق افريقيا يجب ترتيبها
من جديد ، وبما يخدم المصالح الغربية العسكرية
والاحتكارية ، لأن هذا مما يفتح الطريق الى قلب
القارة الافريقية ، بحكم أن الحكم القائم في
الكونغو كينشاسا لا يشكل مقبة في وجه المصالح
الغربية ، بل المقبة الوحيدة هي في زامبيا
ونزاريا والسودان ، التي تقيم حركة الاتصال
الأرضي بين جنوب القارة وشمالها الشرقي
والشمالي ، حيث الكتلة الافريقية للتسلطة
بالفرنسية ، والتي تتبنى حاليها الدموه للاعتراف
بجنوب افريقيا ، وأنه في حالة اقلية اتصال
أرضي من هذه الكتلة الافريقية في غرب القارة
فإن حكم سيكوتوري يصبح امرا منتهيا لأنه هو
الأخر يشكل مقبة في وجه المصالح الاستعمارية
والعنصرية .

التحرك ضد زامبيا

وبرغم كل هذه التحركات فإن أخطرها هو
ما تتعرض له زامبيا ، لأنه المخطط الاستعماري
الضمرى يربط كل الأوضاع في كل القارة بهدف
اسقاط حكم كاوندا في زامبيا لأن ذلك يفتح ثغرة
استراتيجية خطيرة في جدار السود الافريقي
ويمكن للزحف الاستعماري من التوغل في أى

(١٣) استطلاع اذاعة لندن ، يوم ٢٩ / ١٢ / ١٩٧٠ .
(١٤) The Guardian, April 28, 1971.
(١٥) Daily Telegraph, March 16, 1971.
(١٦) Jeune Afrique, Feb. 23, 1971.

وفي البداية حاول هذا النكل الاحتكاري العنصري الاستعماري أن يركز على إضعاف زامبيا الداخلية بهدف إكساب تحويل الغلال التي ظهرت في بعض أجزائها إلى ثورة ، فقد أوصت الصحافة الغربية بأن زامبيا تعيش مرحلة حرجية لابد وأن تهدد وحدتها، وتبيلرأفاته انعقاد مؤتمر الكومنولث الأخير ازدادت الحملة الصحفية ضد زامبيا ، فقللت صحيفة الديلي تلجراف إن زامبيا معرضة لانتفاخ قريب بسبب مأسسة بتقسام حكومتها على نفسها وارتفاع موجة النقد ضد كاوندا [١٦] وتأكيدا لهذه المزاعم حاولت الصحافة الغربية أن تركز على الأوضاع القبلية في زامبيا، وأن تختلج صراعات لم يكن لحظها أساس من الصحة [١٧] ، ويعد إسقاط حكم ميلتون أوبوتي في أوغندا ، وسقوط كاوندا تسببت الصحافة الغربية من تاريخ سقوط كاوندا ومتى يحدث ، بينما حاولت بعض الصحف أن تسدي إليه النصح حتى لا يلقي نفس مسير أوبوتي ، وكان هذا النصح يتمثل في الابتعاد عن السير في الطريق الاشتراكي بالتعليم التدريجي للاحتكارات والبنوك الأوربية [١٨] ، وأن يبتعد كذلك من التعاون مع الصين الشيوعية أو السكطة الشرقية ككل ، وكان المقصود بذلك حفر زامبيا على تخريب مشروع الخط الحديدى الذى يربطها بقرانيا .

وكانت هذه الحملة تستهدف كبرحلة أولى استخدام الضغوط من العمل العنيف لإجبار زامبيا على ترك سياسة التحدى والتعاضد في إطار الشرعية الإستعمارية ، ولما تأكد أن هذه الضغوط لم تزد زامبيا إلا عتفا ودمها لقوى النضال الأفريقى ، بحيث استطاع الثوار أن يتقنوا بعمليات ناجحة في روديسيا وموزمبيق ، كما بذلت محاولات مخلصه لأرب الصدع في اتحاد ريمبابوى، وهو إطار الغامضة في روديسيا، عقد اجتماع لرؤساء أجهزة المضاربات لجنوب أفريقيا وروديسيا والبرتغال في مساليزرى في بداية شهر فبراير الماضى وقد تم في هذا الاجتماع وضع أسس التحرك الجديد ضد زامبيا بزم أن تقديراتهم تتفق مع التقديرات البريطانية في أن سقوط أوبوتي قد مهد المسرح في شرق ووسط أفريقيا للعمل للقضاء على أية معارضة لسيطرة الإحتلات البيضاء [١٩] . وكانت أول خطوة في التحرك الجديد فرض حصار على واردات زامبيا وصادراتها ، ولم تحم البرتغال وسيلة تبرر بها إغلاق موانئ موزمبيق في وجه زامبيا ، فزعمت في البداية أن خمسة من مواطنيها قد اختطفوا

من موزمبيق وقتلوا في زامبيا ٢٢ ثم أعلنت أن مسئولوا في حكومة زامبيا في طريقه إلى مالاوى للتفاوض مع البرتغال على هذه المشكلة ومشكلة الحدود عموميا ، وصورت هذا الأمر على أنه اعتراف من زامبيا بشرعية وجود البرتغال في موزمبيق ، فأعلنت زامبيا أن هذا الموضوع كله ليس له أساس من الصحة ، وفيما يبدو كانت البرتغال في انتظار هذا الرد الزامبي ، إذ على الفور أصدرت تعليماتها بإغلاق موانئ موزمبيق في وجه صادرات واردات زامبيا بحيث أصبحت زامبيا تحت حصار اقتصادى عنيف ، وهو الأمر الذى استغلته الانجلوبرتغالية لتتوهم الأوضاع في زامبيا للثورة مع التهديد بالمكاثرة حدوث غزو برتغالى لردع محاولات الاعتداء المستمرة ضد البرتغال من قواعد في زامبيا ، ولم يكن إلم زامبيا إلا التحرك الدعائى وبشكل مكثف لأن الأوضاع حولها لم تكن تؤول لها إيجابية الحصول على أى دعم ، فتهديدات التحكم الانتقالبى في أوغندا لتتزايا بالإضافة إلى المحاولات الانفصالية تجعل تنزانيا في حالة توتر مستمر لمواجهة أية تحركات داخلية ، ورغم ذلك فقد نجحت تحركات زامبيا الإعلامية ومساعد على نجاحها إن صدى تأمر البرتغال ضد فينيا كان مازال يائلا في الأذهان [٢٠] .

وبإمام هذا الفصل الذى أصاب المخططات المعادية لزامبيا دخل التأمير مرحلة جديدة تستهدف تشويه سمعة كاوندا بحكم كونه رئيس منظمة الوحدة الأفريقية لهذا العلم قبيل انعقاد مؤتمر القمة الأفريقى خلال الشهر الحالى ، بمعنى أن تشويه سمعة كاوندا سيكون بمثابة قبلة تهزق منظمة الوحدة الأفريقية ، وتمضى تفسلا للدول المنادية بالحوار مع جنوب أفريقيا للظهور على مسرح الأحداث دونما خشية توقع أى هجوم أفريقى ، مادام أكبر المعارضين لهذا الحوار قد شوهت سمعته .

ولهذا وفى ٢٢ إبريل الماضى أعلن فورستر رئيس وزراء جنوب أفريقيا أنه قد تمتينيه وبين الرئيس كاوندا مراسلات سرية منذ ثلاث سنوات وأنها كانت ما تزال مستمرة حتى تاريخ إعلانه لهذا السر ، وقال فورستر أنه اضطر إلى كشف هذه الاتصالات بسبب سياسة بازواجية سياسة كاوندا ، كما أعلن أنه برغم ذلك فإنه مازال مستعدا للدخول في مفاوضات مباشرة مع كاوندا [٢١] ، وقد ردت حكومة زامبيا على ذلك

Daily Telegraph, Jan. 28, 1971. (١٦)

The Times, Jan. 28, 1971. (١٧)

Financial Times, Feb. 19, 1971. (١٨)

The Guardian, April 23, 1971. (١٩)

[٢٠] تقرير وكالة أنباء المسابا الغربية من لوزاكا في ١٩٧١/٢/٢٢ ، استمع لقن يوم ١٩٧١/٢/٢٢

Financial Times, April 28, 1971.

ينظر كل الزعماء المتنافسة التي كان البكدي فيها فورستر ، وقد وضعهم المراسلات المنشورة أن فورستر كان يحاول بالحاح أن يجتبح بكاوندا لاستغلال هذا الاجتماع على أنه اعتراف من أبرز المعارضين بحكمه العنصري .

ولكن مثل هذا الحادث الذي أحدث أصداء متباينة على مستوى القارة الأفريقية ، وقيل أسابيع معدودة من اجتماع مؤتمر القبة الأفريقي كان يستهدف تحقيق عدة أهداف هي :

١ - إسقاط كاوندا لإحلال خليفة له يكون أكثر تعاوناً مع النظم العنصرية ، أو على الأقل من القلة في كاوندا على المستوى الأفريقي والدولي ، وهو الأمر الذي يعني زيادة عزلة تنزانيا ، ومن ثم يسهل ضربها هي وزامبيا في مرحلة تالية .

٢ - تقوية مركز فورستر الداخلي الذي ظهر ضعفه على ضوء نتائج الانتخابات الأخيرة [٢٢]

٣ - إحداث انقسام بين الدول الأفريقية قبل اجتماع مؤتمر القبة الأفريقي بحيث تكون اجتماعات هذا المؤتمر هي مجرد سراع بين كتلتين أحدهما تنادي بالحوار مع جنوب أفريقيا والأخرى تنادي باستمرار التصدي لها وعزلها [٢٣] . ولعل تعقيب صحيفة سكوتسمان على هذه الحالة هو نقطة الضوء الوحيدة في المساهلة الغربية ، فقد قالت الصحيفة ، أن حيلة الاساءة إلى كاوندا سببها رفضه الدخول في حوار مع جنوب أفريقيا ينهي بالاعتراف بها ، وأن هذه الحيلة تأتي كستار لأخفاء تشدد جنوب أفريقيا العنصري الذي برز من جديد على المسطح الداخلي [٢٤] .

ولمة ملاحظة يجب أن نضيفها هنا وهي أن أسلوب الشوشرة على مؤتمرات القبة الأفريقية ظاهرة دائمة مستمرة بحكم كونها هذا استعماري للحيلولة بين دول المنظمة الأفريقية واتخاذ مواقف موحدة عند الوجود العنصري والاستعماري ، وعادة يلتصق أسلوب الشوشرة دعاوى زعومة كثيرة أبرزها الترويج بخطورة الوجود الشيوعي في أفريقيا إما ملكات صورة هذا الوجود ، لأن الغرب يرى في أية علاقات مع الكتلة الشرقية تهديداً مباشراً للأمن الأبيض ، وفي المرحلة الراهنة يتخذ الحديث عن هذا الموضوع صورا مختلفة ، حتى لقد زعمت الصحف الغربية أن

الوجود الشيوعي هو القوة الكائنة وراء مطالبات بعض الدول الأفريقية بممارسة مزيد من الضغوط العسكرية ، بجانب الضغوط السياسية ضد البرتغال وجنوب أفريقيا وروديسيا [٢٥] .

ولعل أكثر المزامم مدعاة للسخرية في هذا المجال ملجاء في صحيفة المساجيرو الإيطالية [عدد ٧١٣/١٨] من أن اهتمام الاتحاد السوفيتي بأفريقيا مرده العمل على ضمان مصادر بترولية في أفريقيا بسبب قرب ثغوب احتياطيه البترولي .

وبخلاصة القول إن هذه الهجة الاستعمارية العنصرية الجديدة تفرض على الثورة الأفريقية التسليح بمزيد من وشوش الرؤية ، وتنسيق الأهداف والمواقف والصوف ، واليعد من الصراعات إما ملكات وإيا ملكات أسبابها ، وأن عليها أن تدرك كذلك أنه ليس أمامها سوى حل واحد لإبدل له وهو خوض المعركة مهما كانت قوتها وضراوتها ، وألا تستخدم شعارات الحكم الذاتي والمشاركة في الحكم في إطار الشرعية القائمة [الشرعية الاستعمارية] ، لأن هدفها شعارات تستهدف استقطاب بعض القبائل الثورية كما هو حادث في أنجولا وموزمبيق ، ونفس الأمر صحيح بالنسبة للزعماء القتالة بالكتلة اسهم النظم العنصرية والاستعماري في دعم التطور والنمو في أفريقيا ، لأن هذه حقيقة لا تستغنى في ضوء حلقات التآمر المستمرة والمتعاقبة ، بل هي في الواقع محاولات تحذير للثورة الأفريقية بهدف تطويقها ثم ضربها ، أن القوى العنصرية الاستعمارية ، مدعومة بالكتابات الاحتكارات ، تستهدف ضرب التقدم والثورة في أفريقيا ، وهي أن تتنازل عن مخططاتها هذا تحت أي ظرف لأن تتنازلها يعني هزيمتها وانحسارها ، ومن ثم فإنها تستمر في معركة التحدي ، وعلى قوى الثورة الأفريقية أن تدرك ذلك تسلياً ، وعليها أن تتخذ من هذه المواقف المعادية منطلقاً لتكليف نشاطها ودم صوموعها وتوحيد نفسها لمواجهة الاستراتيجية الاستعمارية العنصرية ، باستراتيجية ثورية منظمة تتحرك على كل مستوى القارة ، وترتكز على حصر التآمر في جنوب القارة تهيئاً للقضاء عليه ، وهذا يعني توفير كل الدعم الممكن لزامبيا ، لأن سقوطها يعني إمكانية اجتياح القوى العنصرية لوسط وشرق القارة ، ومن ثم ترتيب الأوضاع فيها بما يخدم مخططاتها على المدى الطويل .

(٢١) (٢٢) Financial Times, April 22, 1971

(٢٣) The Observer, April 26, 1971.

(٢٤) Scotsman, April 27, 1971.

[٢٥] انظر على سبيل المثال القاهر عدد ١٩٧٠/١٢/١١ والصدايق الجراف عدد ١٩٧١/٢/٧ والديلي الجراف عدد ١٩٧١/٢/١٥

■ الجمهورية العربية المتحدة ■

المؤتمر القومي الثاني
للإتحاد الاشتراكي العربي

بناء الاتحاد الاشتراكي
من القاعدة الى القمة

■ الاردن ■

استكمال مؤامرة تبطين

■ الصين الشعبية ■

تيكسون « يذهب الى
حيث يجيب الا يذهب »

■ شيلي ■

الاختبارات قاسية
لتجربة جديدة

■ بريطانيا ■

ماذا يعني الانضمام
الى السوق المشتركة ؟

تقارير
الشهر



ثلاث دعامات أساسية ، حركة عمالية قوية ، حركة شبابية وطلابية قوية ، حركة نسائية قوية .

وعن مسئولية الحكم قال انها هي ادارة وتقنية الموارد الاقتصادية والبشرية للدولة .

وأعلن الرئيس ان اقامة النظام الديمقراطي الذي يكفل تجديد القيادات يتطلب ان يثوب جيل الطلائع من ثورة ٢٣ يوليو داخل تنظيم الاتحاد الاشتراكي ، بحيث لا يكون لفرد ، او لفئة حق الوصاية على الشعب . وفي هذا أكد الرئيس على أهمية أن يطلع التنظيم السياسي بمهام القيادة فعلاً « لا شكلاً » .

وعند الحديث عن الوضع العربي أشار الرئيس الى مظاهر التفكير البادية . وفي الوقت نفسه أشار الى أن دول اتحاد الجمهوريات العربية تتناضل لكي يقوم الاتحاد على أسس واقعية تحفظ لكل دولة كيانه ، وتتأخذ في الاعتبار كل دروس الوحدة المصرية السورية .

وأبرز الرئيس في خطابه موقف بلادنا من أحداث الأردن الفاجعة ، وحمل قادة النظام في الأردن مسئولية المخطط الاجرامي الذي ينفذ منذ مدة لتصفية العمل الغدائي .

وعند معرض الحديث عن الاستسقاء والاعداء أكد الرئيس على أن لتصاح جبهة الرأي العام العالي المؤيدة للحق العربي وإبرز دور الاتحاد السوفيتي وما يقدمه من عون مادي وعسكري غير مشروط ، كما أبرز حقيقة التعاون البناء بين مصر وبين الاتحاد السوفيتي في مجال تصنيع البلاد .

وإذا كنا قد اكتفينا في هذا المقام بالإشارة في إيجاز شديد الى بعض معالم خطاب الرئيس عند افتتاح المؤتمر فإن هذا الخطاب يكمله برنامج العمل الوطني الذي قدمه الرئيس في اليوم الثاني من انعقاد المؤتمر ليكون أساساً للعمل السياسي في الاتحاد الاشتراكي .

وهذا البرنامج الذي تقدمه الرئيس يستهدف تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية : أولاً : تحقيق النصر وثانياً : اقامة دولة حديثة ، دولة الإنسان الحر ، وثالثاً : تحديد دور واضح للتنظيمات السياسية للاتحاد الاشتراكي والنقابات ويستهدف برنامج العمل الوطني ، مضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات على أن تمد الوزارة خطة تفصيلية لمرحلة السنوات الخمس الأولى خلال ستة شهور ، إعادة بناء قرى للجمهورية خلال عشرين عاماً بتكلفة

المؤتمر القومي الثاني للاتحاد الاشتراكي العربي

شهدت قاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة اجتماع المؤتمر القومي الثاني للاتحاد الاشتراكي العربي مساء الجمعة ٢٣ يوليو . وقد شهد المؤتمر حوالي ١٦٣٥ عضواً منهم ١٤٧٥ منتخبون و ١٦٠ ممينون بالإضافة الى أعضاء الاتحاد العام للعمال ورؤساء النقابات المهنية وممثلي محافظات سيناء والاسماعيلية والسويس وبورسعيد .

وافتح المؤتمر بانتخاب الرئيس الثور السادات رئيساً للمؤتمر . وألقى الرئيس خطاباً خافياً في المؤتمر استهله بقوله « أننا إذا كنا نواجه هذا اليوم وليس بيننا بطل ٢٣ يوليو فإن جمال عبد الناصر معنا دائماً بمبادئه ولكل الاجيال مثلاً أعلى للمناخيل الشريفة يحمل علمه على كتفه » ويعمل قلبه على كفه ويواجه ويصارع ويعلم وينجز » .

وحدد الرئيس السادات في خطابه مهام المرحلة القادمة في المجال الداخلي والخارجي . وعن المعركة قال الرئيس السادات « ان قرار الحرب والسلام لازم نأخذه بمنتهى الحكمة ونأخذه واحداً فاهمين مسئوليتنا تمام » وأعلن « لن نسمح أن تمر سنة ٧١ دون حسم قضية العدوان سنياسيا او عسكريا ، ولكد ان قواتنا المسلحة مستعدة ، تقدر مسئوليتها ، وأنه في خلال زيارته لها فإن احداً من افرادها لم يقدم اليه شكوى خاصة او ملتمسا وإنما كان الطلب الوحيد هو اصدار الامر بالموءر . واننا لن نقبل الوضع القائم وضع لا حرب أو لا سلام مهما كانت التضحيات التي ستتحملها . وأعلن أن مصر مازالت قابلة لقرار مجلس الامن واتسحاب الورد فيه من كل الاراضي وانها مازالت تؤيد مهمة يارنج ، كما أن لبادرة التي تقدم بها الرئيس مازالت قائمة .

وعن الاتحاد الاشتراكي العربي ومهمة التنظيم السياسي في المرحلة القادمة وحتى لا يقع في الخطأ الذي وقع فيه التنظيم السابق حدد الرئيس بعض المبادئ الخاصة بالتنظيم السياسي : أن الاتحاد الاشتراكي يخدم ولا يحكم ، وأنه يستمد سلطته من الجماهير وليس من السلطة ، وأنه يجب وأن يكون له برنامج عمل محدد يلتزم به أمام الجماهير . وأنه يجب وأن يكون الى جانب الاتحاد الاشتراكي

دعنا متمسكين بمبادئنا ومواقفنا ، لان الحل السياسي هو الذي نراه نحن وليس ما تراه لمریکا أو غيرها . وكذا وزير العربية على اصرار القوات المسلحة واستمرارها لخوض المعركة الضارية وانها توافقة لاداء مهمتها لتحرير الارض . وكما استمع المؤتمر الى خطاب من الصديق الاتحاد السوفيتي القائم الفريق بوريس بونانوفيفسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس الوفد السوفيتي في احتفالات الذكرى التاسعة عشرة لثورة ٢٣ يوليو . وقد حيا في كلمته ثورة ٢٣ يوليو واشاد بقيادة القائد الخالد جمال عبد الناصر لثورة ٢٣ يوليو التي مهدت لشعب مصر طريق التحرير الوطني والاجتماعي ، ولوضع في خطابه ان ثورة ٢٣ يوليو لم تقف عند حد مرحلة التحرير الوطني ، ولكنها بفضل الشعب المصري وابنه البار جمال عبد الناصر انتقلت الى الثورة الاجتماعية واستطاعت ان تحقق التنمية الاقتصادية بمعدلات سريعة رغم الاتفاق الهائل على متطلبات الحرب . وقال : ان المتعين الاسرائيليين يجب ان يطردوا وسيطردون من جميع الاراضي العربية المحتلة ، وان الاتحاد السوفيتي يتقدم تماما موقف مصر فيما يتعلق بتسوية الازمة بما في ذلك الانسحاب الاسرائيلي الكامل وضمان الحقوق المضمونة للشعب فلسطين .

بناء الاتحاد الاشتراكي من القاعدة الى القمة

انتهت عملية انتخابات الاتحاد الاشتراكي ابتداء من الوحدات الاساسية حتى اللجنة المركزية . وقد تميزت الانتخابات الاخيرة عن الانتخابات السابقة في عام ١٩٦٨ ، بعدة ظواهر جديدة ، مثل دخول اقسام واستمر الشباب من الجيوش الذين تتراوح اعمارهم بين ١٩ و ٢١ سنة ، والفصح الجليل امام المرأة للاشتراك في العمل السياسي . وذلك بهدف لائحة الفرحة امام الاجيال المساعدة من الشباب للاشتراك في الحياة السياسية للبلاد ، ومنهم العضوية المساعدة للاتحاد الاشتراكي . وايضا بالنسبة لاهتمام منظمة الشباب وطلاب الجامعات والمعاهد العليا الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٢٥ سنة ، واهتمامه من الشباب وعضوون من النساء للاعضاء العشرة للوحدة السكنية ، والسماح للاعضاء المتخلفين من سداد اشتراكاتهم عن عضويتهم في الاتحاد الاشتراكي بفتحول الانتخابات .

قديما لفت مليون جني ، تطوير التجمعات الصناعية الاساسية ، تشغيل ثلاثة ملايين مواطن يصلون من العمل خلال السنوات العشر القادمة ، اعادة النظر في اوضاع العاملين الذين جمعت اجورهم ووضع نطاع جديد للحوافز والتشريعات وازالة الفوارق بين العاملين باجهزة الدولة والعاملين بالقطاع العام ووضع لائحة جديدة للعاملين ، ان تصل الصناعة بالتلجنا خلال هذه المرحلة الى ٤٦٦٢ مليون جنيه بدلا من ٢١٢٢ مليون جنيه ، وزيادة الانتاج الزراعي من ١٠٧٥ مليون جنيه الى ١٦٠٠ مليون جنيه ، اعادة تنظيم الادارة الحكومية وتمديد المسئوليات ، بحيث لا تتضارب ، ومنع المواطنين الحق في ان يلجأوا الى الدعي العام عندما يرون انحرافا عن القانون او سوء استخدام السلطة ، والاشراك العاملين في صوامع القطاع العام في مناقشة خطة وحدتهم ، وتوفير الضمانات اللازمة للقطاع الخاص ليقوم بدوره المحدد في خطة التنمية ، وتحت المراقبة الشعبية .

وحدد برنامج العمل الوطني مجموعة من المهام الرئيسية للاتحاد الاشتراكي ركزت في محور الامة بحيث يكون تقييم نشاطه القومي على اساس الجهد الذي يبذله من اجل محور الامة ، وان أي وحدة انتاجية يبق في أي واحد بعد سنة يجب ان تصل لاحتياجها الاساسية ، وفي تنظيم الاسرة باعتبارها قضية سياسية واجتماعية ، والتوعية بخصائص المرحلة الحالية وبفضايا التنمية والمشاركة في بناء الانسان الجديد . والعمل على لقامة البناء الداخلي للتنظيم بحيث يخدم الخط السياسي ويضمن الوحدة التنظيمية ، وسيادة مبدأ الديمقراطية في الحياة الداخلية للتنظيم ، ووضع نظام ثوري للرقابة والحماية ، ووضع خطة لتثقيف الاعضاء وتربيتهم سياسيا وتنظيميا وفكريا وخلفيا ، وقيام تنظيم طليعي كما نص الميثاق داخل الاتحاد الاشتراكي بجميع المناصر القيادية التي ظهرت اثناء العمل بين الجماهير ، وان يكون جهازا طليعا لان الاشتراكية لا تبقى سرا والحريه لا تتحقق من وراء ستار .

وحدد البرنامج واجبات لبناء التنظيم الشبابي والنسائي والتغلب على المعايير والمهنية ولجان المواطنين من اجل المعركة لتربيت بشكل اعمق وفعل بفضايا التحرير والبناء .

وفي الجلسة الخلفه للمؤتمر تحدث محمود رياض والفريق الاول محمد صادق عن السياسة الخارجية وما حققته القوات المسلحة ، وقد أوضح وزير الخارجية ان اسرائيل تتصور انها تستطيع البقاء في سيناء بشكل مؤقت لتوقيع اتفاقية هدنة وهذا ما نرفضه . وقال ان الولايات المتحدة الامريكيتطرف في العدوان ولا نخاف مناقشتها ما

للمحافظات وأعضاء لجنة الاشراف على الانتخابات والمحافظون، على ان ينضم هؤلاء الاعضاء الى مؤتمرات المحافظات التي ينتمون اليها .

وقد قام اعضاء المؤتمر بانتخاب نصف عدد الاعضاء المنتخبين من مؤتمرات المحافظات لعضوية اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وذلك حسب النسب المقررة لتمثيل كل محافظة ٠٠ وهكذا تم تشكيل اللجنة المركزية من ٢٢٠ عضوا منهم ٢٠٠ من بين المنتخبين (١٥٥ عضوا اصليا و ٤٥ احتياطيا) و ٣٠ عضوا مميئا (٢٥ اصليا و ٥ احتياطيين) .

وقد اعطى المؤتمر القومي تفويضا كاملا للرئيس السادات لاتخاذ القرارات اللازمة التي تمكن من مواجهة الازمة بكل احتمالاتها .

واعلن في الجلسة الاخيرة المغلفة عن انتخابات جديدة لمجلس الشعب ، على اساس انه الجهاز الوحيد الذي لم تتم اعادة تشكيله بالانتخاب الحر المباشر ، كما حدث بالنسبة للمؤسسات السياسية في الدولة .

وقد قدم الرئيس السادات برنامج للعمل الداخلي والصمكري والسياسي للمؤتمر ، قام المؤتمر بدراسة في لجان متخصصة واصدر قراراته في ضوء هذا البرنامج .

شروع الدستور الدائم

خلال الشهر الماضي اتصل العمل في اعداد مسمودة الدستور الدائم . كان الشهر الاسبق (يولية) يتسم العمل فيه بطابع استطلاع رأى الجمهور في المدن والقرى فيما يقترحه الافراد من احكام وضمانات في الدستور ، حتى بلغ عدد الاقتراحات التي قدمها الافراد في هذا الشأن ٤٥ ألف اقتراح في امد الاقوال ، ٩٢ ألفا في قول آخر . وتراوحت الاقتراحات بين المطالب السياسية والاقتصادية المتعلقة بنظام الحكم وضمانات الافراد فيه والنظام الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع ، وبين المطالب الثورية التي تمكن آمالا ومطامح عامة او فردية ، علمية او وجدانية .

اما في الشهر الماضي (يولية) فقد كان غالب النشاط في اعداد الدستور داخل اللجان المنفردة من اللجنة التحضيرية ، لتحديد اطار نظام الدولة

وكانت اللجنة المؤقتة قد قررت عدم تغيير الصفة من فئات الى عامل او فلاح . وعدم منح المنتخب العضوية العاملة في هذه المرحلة الانتخابية الا بقرار من اللجنة التنفيذية ، ومنع المشاركة في الانتخابات لكن من اشرك باى شكل من الاشكال مع « المتأخرين » ، كما منعت لجنة المائة للدعاية السياسية وخصيت تمويلها الى مهاترات « .

وبلغ عدد المرشحين ١٦٠ ألف مرشح في ٥٧٢٠ وحدة أساسية ، واجريت الانتخابات في ٥٢٩٨ وحدة واهل نجاح المرشحين بالتركية في باقى الوحدات ، وبلغ عدد الذين ادلوا بأصواتهم في الانتخابات ٣٠٤٩٢٤٩ من بين ٣٠٤٩٢٤٩ رءم الاعضاء العاملين بالاتحاد الاشتراكي .

والجدير بالذكر ان عدد المرشحين للانتخابات الاتحاد الاشتراكي في انتخابات عام ١٩٦٨ كان حوالي ٨٠ ألف مرشح في ٧٥٨٠ وحدة أساسية ، وقد تم تصفية ١٨٦٠ وحدة أساسية وهي الوحدات التي يقل عدد اعضائها عن ٢٠٠ بعد الغاء الوحدات الجماهيرية التي يقل عدد اعضائها عن ٢٠٠ . وفي نقل العضوية الى الوحدات التي يرغبون الانضمام اليها . وينطبق هذا على جميع وحدات الاتحاد الاشتراكي باندرا من وقتئذ بنحو ٦٠٠ وحدة قد ألغيت لنقص عدد اعضائها عن ٢٠٠ عضو .

وقد نجح في لجان الوحدات الاساسية ٥٨٣٤٨ عضوا ، منهم ٢٨٣٢٦ ينطبق عليهم تعريف العمال والفلاحين و ٢٨٢٩ من الشباب ، و ١٢١٠ من النساء والباقي من الفئات .

وبلغ عدد المنتخبين في المؤتمر القومي العام ١٥٤١ من اعضاء مؤتمرات المحافظات من بينهم ٦٧٥ فئات و ٤٩٦ عمالا و ٢٢٨ فلاحا و ٥ شبان و ١٦ سيدة و ١٩ من اعضاء هيئات التدرييس بالجامعات و ٢٠ من المبدعين و ١٩ طالبا و ١٩ من العاملين بالجامعات والمعاهد العليا .

والمعروف انه لم تتم انتخابات ممثلي محافظات السويس وسيناء وبن سينيد والاسماعيلية الذين تمسكوا برئيس الجمهورية بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكي قرارا بتعيينهم بسبب تملز اجراء الانتخابات نتيجة لطروفه العلوان .

كما اصدر رئيس الجمهورية قرارا يضم ١٦٠ عضوا جديدا الى المؤتمر القومي العام ، هم نائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الشعب ونواب رئيس الوزراء ونوابهم ، واعضاء لجنة الامانة العامة المؤقتة والامناء السابقين

القانون الانتخابي

ويجعل المشروع - في صورته الحالية - من اختصاص رئيس الجمهورية السهر على احترام الدستور والقانون وحماية الوحدة الوطنية وتأكيد سيادة الدولة ورعاية الحدود بين السلطات وأن يتولى السلطة التنفيذية، ويعين رئيس الوزراء والوزراء ويشجع معهم سياسة الدولة ويشرف مهمهم على تنفيذها * ويكون له حق إصدار قرارات لها قوة القانون حتى نعرض على مجلس الشعب ويكون هو القائد الأعلى للقوات المسلحة .

وبالنسبة للسلطة التشريعية فقد رأيت للجنة الإبقاء على النظام الحالي من حيث انتخاب عضوين عن كل دائرة انتخابية يكون أحدهما من العمال أو الفلاحين ، ولكن على أن يترك النص على نسبة العمال والفلاحين في المجالس الانتخابية للعانون دون أن يرد بالمستور حتى يمكن عند الضرورة تمثيل هذه النسبة إذا وجد ما يدعو لذلك * ورأت اللجنة الإبقاء على الوضع الحالي بالنسبة لعضوات مجلس الشعب وتنظيم المجلس وفقدان العضوية * وأن يكون المشاركة في رسم السياسة العامة للدولة ووضع الخطط ومراجعتها والتوسع في أعمال الرقابة * ورأيت أن يقوم أزام مجلس الشعب بتنظيم شعبي آخر يمثل في الأخذ بمبدأ الاستفتاء الشعبي والانتسراج الشعبي وحل مجلس الشعب بواسطة الاستفتاء على ذلك .

وقد أثار جدل حى لدخل لجنة نظام الحكم حول موضوع وجود المعارضة داخل مجلس الشعب ، وأيد البعض وجوب الاعتراف بوجود المعارضة داخل المجلس ، وأن بعض النواب في مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ طالبوا باعتبارهم مجموعة معارضة وأن يمتدح رسمياً لهم بهذه الصفة ، وأن مجلس الأمة الإخير قد أصبحت فيه المعارضة ، وذم اتجاه آخر إلى أنه مادام أعضاء مجلس الشعب ينتمون إلى تنظيم واحد ، فيجب أن تكون المعارضة في إطار تحالف قوى الشعب العامل * كما أثار جدل حول مبدأ التعيين في مجلس الشعب ، فأيد البعض مبدأ التعيين لاعتبارات تتعلق باختيار الكفاءات ، ورفض البعض مبدأ التعيين في المجلس الشعبي لأن المجلس لا تتوافر له صفة النيابية إلا بالانتخاب الحر المباشر للمرى .

وقد اقترح د * إبراهيم درويش أن يكون رائد الدستور * إيجاد سلطة تشريعية قوية تستطيع أن تمارس دورها التقليدي إزام السلطة التنفيذية ،

والتجمع وعضوات الأفراد ، وتحديد العلاقات بين السلطات المختلفة ومؤسسات الحكم - ويظهر من المتابعة الظاهرية لأعمال اللجان من خلال ما تقدمه الصحف اليومية ، أن المناقشات اتخذت طابع الجدل الحى بين الاتجاهات الفكرية السياسية المختلفة * واستعرض في اللجان كثير من الدراسات التي تتعرض لمشاكل الحكم وكيفية معالجتها في ضوء الهدف الأساسي وهو كلفة الحريات للمجتمع وللواطنين في ضوء خبرة السنين الماضية . ثم وجهت اللجان نشاطها إلى صياغة ما استقر عليه الرأى فيها من أحكام توضع بمشروع الدستور .

ومما ساقته الأخبار أن اللجنة الفرعية للحريات العامة قد قررت وجوب النص في الدستور على المساواة بين المواطنين مع تهيئة امكانيات تكافؤ الفرص بينهم وكفالة الحريات الشخصية ومجازاة أى موظف على اعتدائه على الحريات واستقلال القضاء وعدم جواز حله * وغير ذلك مما استقر لتزوم وروده في جميع المسساتير الدستورية واقتربت اللجنة النص على أنه يحظر القبض على أى شخص أو تفتيشه أو حبسه أو اعتقاله أو تقييد حريته بأي طريق ، إلا بموجب أمر قضائى مسبب يبلغ للمقبوض عليه أو المعتقل خلال يومين على الأكثر من القبض عليه ، مع تحديد حداقضى لحد الحبس الاحتياطى الذى ينهى إلا يتم إلا بأمر المحكمة أو النيابة ، ومع جواز الطعن أمام رئيس محكمة الجنايات في قرارات الاعتقال ليتم الفصل في شرعية هذا الاجراء * كما قررت لجنة الحريات وجوب النص على حظر تكوين الجمعيات السرية أو الجماعات ذات الطابع المسترعى أو المادية للنظام الديمقراطية الاشتراكى . ورأت أنه لا يجوز اسقاط الجنسية المصرية عن مصرى إلا إذا كان بالخارج وثبت يحكم قضائى أنه تسبب عمدا في الاضرار بالمصالح القومية للبلاد ، ثم عدلت الصيغة إلى جواز اسقاط الجنسية أو الحرمان من مزاياها طبقاً لأحكام القانون في حالة ما إذا ارتكب مصرى فعلاً يتنافى مع الولاء للوطن - كما رأت اللجنة أن التأميم لا يكون إلا بقانون وتراعى فيه اعتبارات المصالح العام وأن يكون تخليص توصيوس هائل .

وبالنسبة لمؤسسات الحكم ، فيظهر أن لجنة نظام الحكم قد فضلت ألا تضع اقتراحاتها جميعاً في صورة اختيار حاسم بين البدائل المختلفة ، إنما تضع صيغة متعددة ليتم الاختيار منها واللجنة التشريعية .

خص [فتح] بمئة ٣٣ مقعداً لكل من [الجبهة الشعبية] و [الصاعقة] ١٢ مقعداً ، وللديمقراطية ٨ ، ووزعت بقية المقاعد على المستقلين والنظمت الصغيرة والتنظيمات الشعبية وجيش التحرير .

وقد تميزت هذه الدورة عن سابقتها ب بروز اتجاهات جديدة عقلانية ، واقعية ، تقسمية وجريئة .

ففاق وراة ممثل الإنصار ، والذي اعتبرته اللجنة التنفيذية لمظلة التحرير ضمن الأعضاء المستقلين يدعو أن للإنصار تحفظات على بعض بنود الميثاق القومي الفلسطيني . يقول فاق وراة أنه لا بد من عدم رفض قرار مجلس الأمن الخاص بتصفية يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، كما طالب بتكوين لجنة لاستطلاع رأي التجمعات الفلسطينية المختلفة بخصوص تصورها ومطالبها ، على أن تعود هذه اللجنة لتعرض نتائج استطلاعاتها على الدورة القادمة للمجلس الوطني . وقد اعترض الدكتور فايز صايغ (مستقل) على هذا الاقتراح ، وطالب بتحويله إلى الجامعة العربية . ومن المعروف أن الدكتور فايز صايغ هو مدير مكاتب الجامعة العربية في الولايات المتحدة ، ومنذوب الكويت في الأمم المتحدة في نفس الوقت .

وقال سعيد حزامي (فتح) أن رفض المقاومة لقرار مجلس الأمن يضمنها في مواجهة الحركة

وإيجاد سلطة تنفيذية قادرة فعالة ، وذلك بالآخذ بنظام المجالس المتخصصة ، وضمان عملها في إطار سيادة القانون ، وإيجاد وسيلة للتعاون بين هاتين السلطتين تكفل الموازنة بينهما ، وأن تكون مدة الرئاسة مستساغة غير قابلة للتجديد ، وأن يكون الاقتصاد الاشتراكي مؤسسة سياسية لا علاقة لها بالسلطة ولا تتدخل في سلطة الدولة . كما اقترح د . سليمان الطماوي تقوية مجلس الشعب بأن ينص على عدم حله لأي سبب ولا حتى بالاستفتاء الشعبي . وأبدى الكثيرون تخوفهم من إطلاق يد السلطة التنفيذية في شؤونها ، وجهدوا في اقتراح الضوابط الدستورية التي تكفل تجسيد هذا الخوف .

اتجاهات جديدة في المجلس الوطني الفلسطيني

سبعة أيام إستغرقتها الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني ، فيما بين ١٢-٧ يونيو (تموز) ، والتي عقدت جلساتها في مبنى الأمانة العامة للجامعة العربية بالقاهرة ، وقد ضم المجلس الوطني الحالي ١٥٦ عضواً

تعليق

الانتخابات النقابية والدرس المستفاد

« له » وجدت الحركة البقراطية للتنظيم النقابي ولجماهيرها وأهملت إياها إلى حركة إدارية بيروقراطية ، مفرغة من مسؤولية التنظيم النقابية ، الإسهام الجدي في رفع الكفافية الفكرية والانتاجية للعمال وعن العمل لصيانة حقوق العمالين ومصالحهم ورفع مسؤولياتهم المادية والنقابة .

وقد جاءت نتيجة العملية الانتخابية لإعادة تشكيل البناء النقابي بصورة من أنصار جماهير العمالين في أغلب المراكز لخصائص اشتراكية وديمقراطية ، لذلك بذلك إصرار العمال المصريين على اختيار العناصر القادرة فعلاً على التحرر بخلص من أجل قضايا القوة ولحل مشاكل الجماهير . ورغم وجود كثير من السلبات خلال إعادة بناء التنظيم النقابي ، فإن جماهير العمالين عبرت عن إرادتها في كثير من المواقع وأكثت خلال العملية الانتخابية أنه ليس بالقرار الإداري لعل العناصر الفاسدة والتهاروية والرجعية ولكن بتكوين الإرادة البقراطية للعمالين أن تتخذ هذا القرار . والامثلة عديدة على ذلك - فحينما تركت بعض هذه العناصر لإرادة جماهير العمالين كان القرار حاسماً بإبطلها جماهيرياً وهناك عشرات الأمثلة على ذلك جدير

في الشهر الماضي لم اعادة تشكيل الأجهزة النقابية كقوة مسؤولة التنظيم النقابي - الجانب النقابية - النقابات العمالية - الاتحاد العام للعمال - وقد عبر العمالون في مختلف المستويات عن إرادتهم لتفتوا من تغيير هياكلية القيادات النقابية التي تمكنت من التحكم في التنظيم النقابي سبع سنوات منذ منتصف عام ١٩٦٤ مختلفة بذلك لقانون ١٢ لسنة ١٩٦٤ وكل فزائد للبيروقراطية النقابية التي توجب الرجوع إلى قاعدة مسؤولية التنظيم النقابي كل فترة زمنية ، حيث يقدم الحسب للمسئولية النقابية بما تحدثت إيديها ورفضت إرادة وجودها لفترة قادمة من إرادة العمالين أنفسهم .

والأخيراً أن جماهير العمالين اختلعت في النقابات العمالية قد حجت لتها باسم في كثير من المراكز من عند كبير من القيادات النقابية السالطة ، وتلقن دم جديد في شرايين التنظيم النقابي ؟ وتحدثت قيادات شابة الصوف لعل في كافة المستويات النقابية أخذت القيادة من قيادة السنوات السبع الماضية ومن العناصر النقابية الهزلة ، والتي لم تغير من إرادة القاعدة أو تفهم بها ، والتي اتفقت النقابات العمالية إلى مجموعة من السجلات والنوسيبات ونقار « منه »

وأصبحت * نحو جيش شعبي موحد * ، وقد نجح أنيب عبد ربه ، ممثل الديمقراطية في المجلس ، في تكتيف ما جاء فيهما ، حين طالب بانجاز الوحدة الوطنية ، وبناء جيش موحد في إطار منظمة التحرير ، مع احتفاظ كل تنظيم باستقلاله الأيديولوجي والسياسي والتنظيمي ، مع التزام الجميع ببرنامج سياسي مشترك .

أما أحمد جبريل (الجبهة الشعبية - القيادة العامة) فقد شن هجوما قاسيا على بعض منظمات المقاومة ، فصره البعض بأنه دفاع من التنظيم الصغير في مواجهة مطالبة الآخرين له بالانضمام الى فتح ، على غرار ما اقنعت عليه (منظمة فلسطين العربية) و (الهيئة العامة لتحرير فلسطين) و (جبهة النضال الشعبي) .

أما كمال عدوان (فتح) فقد بدا ساخطا ضجرا طوال فترة انعقاد المجلس ، وقد عبر عن سخطه حين أخذ فرصته في الكلام ، فاشار الى أن المشكلة تكمن في كون المجلس ينصق قرائنه السابقة ، وتعامل من معنى اصرار بعض المنظمات على ضرورة الخروج ببرنامج سياسي جديد تقوم على اساسه الوحدة الوطنية . ولكد عدوان أن تجربة المجلس الوطني الحالية تكون قد سقطت ، ان هي لم تلجح في انجاز الوحدة الوطنية .

وقد هددت (فتح) . بالانسحاب من المجلس ، عندما بدا أن الوصول الى اتفاق بين المنظمات

الاشتراكية المالية وحركة التحرير العربية . وتأتي أهمية هذا الكلام من كون ياسر عرفات لا يمارض اتجاه حماسي .

أما عبد الله حوراني (مستقل) فقد اشار الى أن حركة المقاومة الفلسطينية ليست الا جزءا من حركة التحرير العربية ، وأن قيادة حركة التحرير العربية هذه هي ، موضوعيا بيد الانظمة للتقسيم العربية .

أما العقيد محمد الشاع (مستقل) فقد ندد بمحاولات تسريع بعض العناصر الثورية من جيش التحرير ، كما طالب بضرورة تفعيل وحدات جيش التحرير الفلسطيني في العمليات القتالية .

وبالرغم من التباين البسيط بين وراء والشاع وحامس وحوراني ، الا أنه يمكن القول أنهم يحدون نواة اتجاه عقلائي داخل المجلس ، سيوسع ويؤخر بمرور الأيام .

وقد وزعت [الجبهة الشعبية] على اعضاء المجلس اربع نشرات * * الأولى بعنوان (البيان السياسي) والاخرى مشاريع برامج عمل عسكري موحد ، ومالي ، وخطة اعلامية موحدة * . وقد طالب احمد الهاماني ، ممثل فريق الجبهة الشعبية لدى المجلس ، بتشكيل قيادة عسكرية مركزية تمثل فيها كافة منظمات المقاومة .

وتقدمت (الجبهة الشعبية الديمقراطية) بكراسين حول (الهام الرأهنة لحركة المقاومة الفلسطينية) ، و (نحو وحدة وطنية فلسطينية

في التنظيم القلبي - وانه لكي يصبح هذا التغيير والما ماديا ملموسا في حياة العاملين وحركتهم وليس مجرد حركة انتدابية فان التنظيم القلبي الى وضعه الجديد يواجه مهام وواجبات عديدة عليه ان يبل على العمل لتجاوزها بكفاءة واصرار .

انه يبل خطوة هامة واساسية في تحويل التنظيم القلبي الى حركة جماهيرية منظمة ، ديمقراطية ، وواسعة . . وذلك يكون بحق المدرسة التي تتعلم فيها الطبقة العاملة ممارسة الديمقراطية ، وللمى ذاتها كطبقة طليعية في بناء المجتمع . ان القابات الجديدة يجب ان تعمل من أجل تحلية الجماهير العاملين ليكتفوا بموقعهم الطليعي في معركة التحرير وفي معركة البناء . ان هذه القابات الجديدة قد بلغت الجماهير ثقها لاتها فتتفر منها هياكل كبرى ونفعا من الطوق . وللمى هذه القابات الجديدة درس السنوات السبع المعقدة للشعب في حياة التنظيم القلبي . هذا الدرس هو انه بدون انضوكة الديمقراطية للجماهير وبدون مشاركتها الفعلية واليومية في العمل يستحيل اطلاق طاقات الجماهير الفاعلة ويضيع علينا تعبئة الجماهير للنضال من أجل اهداف الثورة والبناء . عبد القيس الغزالي .

بنا ان نجعلها موقعا لدراسة نستخلص منها دروسا هاما فانه بالترادة المعركة للجماهير لتبنى الديمقراطية الحقيقية وليس بالقرارات الادارية ، فقد شلت هذه القرارات عناصر صالحة وكفؤة وجديرة ببلق الجماهير وتصل بمسؤولية العمل الوطني في المرحلة القبلية فاستبدلتها .

ولقد جاء التشكيل الثوري للاتحاد الصام للعمل بحيرا من ادم الجديد المتخلف في شرايين التنظيم القلبي من القادة الى القبة ، بين الـ ٢١ عضوا اعضاء المجلس التنفيذي للاتحاد عضوان اشتركوا في دورة الانداد الماضية وسبعة اعضاء لوى خبرة في العمل القلبي او مارسوه في المستويات الدنيا من قبل واثنا عشر عضوا يمارسون العمل القلبي لأول مرة . ورغم تخلف هذا ادم الجديد فانه من ناحية التدبير الاجتماعي من تكوين الطبقة العميلة فانه لم يهر من التطور الصناعي في بلدنا تجاه تركيب المجلس التنفيذي على النحو التالي : عشرة اعضاء مؤهلين جامعا ومن القابات الادارية واطعوا في ثقيلت مهنية من ابناء الطبقة الوسطى وعضو واحد حصل على الزمائل الجملي خلال العمل وعضو واحد من مؤهل متوسط وعضو اعضاء مبال صناعة وخدمات ان الفاعرة الانجابية الهامة هو ان تغييرا هاما حدثت

أصبح مستحيلا ، وقد عادت فتح وضمت تهديدا بعد توصل المنظمات الى اتفاق فيما بينها .

وعندما عرض على الجبهة الشعبية الاشتراكية في اللجنة التنفيذية ، مسافر صلاح صلاح الى بيروت لاستشارة جورج حبش ، زعيم الجبهة ، وبعد عودة صلاح من بيروت طالب وفد الجبهة بمقربين للجبهة ، في حين عارضت (الصاعقة) هذا الطلب ، وتمكن ياسر عرفات ، أخيرا ، من الوصول الى تسوية ، بحيث حصلت الشعبية على مقعدين ، أحدهما بشكل مباشر والثاني ضمن التنظيمات الشعبية ، وقد شغل الأول تيسير قبة ، في حين شغل المقعد الثاني صلاح صلاح .

وقد رفع المجلس توصيات لجسائه الخمس (للسياسة والأعلامية ، للوحدة الوطنية ، للوطن المحتل ، المالية ، العسكرية ، الى اللجنة التنفيذية ، قبل إقرارها . وربما كان هذا يعطي للجنة التنفيذية المزيد من حرية الحركة في مواجهة التبدلات السريعة المتطلبة . في المواقف السياسية والعسكرية .

وفي مساء اليوم الاول لابتداء الدورة التاسعة

لمجلس ، أمضت مستمرة بفتح تكاف ، بضواحي تل أبيب ، بانبجارات مروعة ، نتيجة قذفها بخمسة صواريخ كاتيوشا ، وقدرت وفتر الإصابات بأكثر من ٣٠ وانتقل جرحى وإرأف الى المنطقة ، وحلفت الطائرات والبلوكيت في المنطقة للاحقة للفدائين الذين نلقوا العملية ، وشنت السلطات الاسرائيلية حملة اعتقالات واسعة بين عرب الأرض المحتلة .

وبعدما بثلاثة أيام دوت الانفجارات في الهي اليهودي بالقدس ، وهي العملية الاولى بعد مرور سبعة أشهر من الهدوء في القدس . وكانت آخر عملية قد تمت في ديسمبر (كانون الاول) الماضي في (راهافيا) الضاحية التي يقم بها عدد كبير من المسجونين الاسرائيليين .

وفي فجر اليوم الاخير للمجلس الوطني السابع ، بدأت السلطات الاربعة الرجعية في تنفيذ مذبحتها البشعة ضد الفدائين الفلسطينيين في الاغوار وشمال الاردن . وتأتي هذه المذبحة في اطار ما هو مطروح من تصويات بين السلطة الاربعية وبين اسرائيل ، وكثمن لهذه التسوية .

تعليق

حول التطورات الجارية في الخليج العربي

القوى الرجعية في المنطقة ويران اساسا مسؤولة الفاع عن الخليج تحت اشراف الولايات المتحدة . ولقد أظهرت تجربة السنوات الثلاث الماضية تملز الامارات التسع في الخليج بسبب التناقضات بين الامارات الفنية المتجهة للثبوت وبين الامارات الفقيرة التي يعتمد حكمها على المساعدات البريطانية مقابل وجود القواعد العسكرية ، وكذلك الخلافات حول توزيع الخاضع في دولة الاتحاد ، ثم اتجه كل من امارتي البحرين وقطر اخيرا الى تعزيز العلاقات مع ايران والسعودية والاستعداد لاعلان استقلالهما ، وعند ذلك لم يعد اطم الاطراف الاخرى (ابو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، والفجيرة ، وجمان ، وأم القيوين) سوى اعلان قيام اتحاد سداسي جديد ، ومن الواضح ان الاتحاد سيكون تحت زعامة [ابو ظبي] اغنى امارات الخليج كما وان حكومة المحلفين في بريطانيا مارلت نظرا باهتمام من عرض [ابو ظبي] السابق بتقديم مبلغ ٢٥ مليون جنيه استرليني قيمة تكاليف الوجود العسكري البريطاني في الخليج .

وربما كان في ذلك مايلقي الضوء على موقف ايران بعد ذلك . وان ما يشاع من الخلاف بين ايران وبريطانيا ، هو محل شك بين جميع المراقبين ، وانته ليس سوى مناورات الهدف منها التأثير والضغط على الامارات الصغيرة والاستفادة من الظروف الصعبة التي تمر بها الدول العربية الصغيرة وانتشعها بمشكلة الاحتلال الاسرائيلي ، وعدم رغبتها في فتح جبهة نزاع اخرى . وكل ذلك من اجل « الوصول الى تسوية او تفاه حول الجزر الثلاث » على حد قول وزير خارجية ايران - يحيى بيك - قبل جلاء بريطانيا في نهاية

القرن الثامن عشر في منطقة الخليج العربي اعوام الارابيين والرأى امام العرب ، فهناك فشل لتصاد الامارات العربية التسع واعلان تأسيس اتحاد سداسي جديد باستثناء امارات البحرين وقطر ورأى الفجيرة ، وكذلك التهديد الايراني بالاستيلاء على الجزر العربية الثلاث (ظيب الكبرى ، وظهر الصغرى ، وابو موسى) ضد مسبق هرب في دخل الخليج ، وعدم اعتراف ايران بأى اتحاد قبل ان تمل مشكلة الجزر الثلاث التي دعي ملكوها ، ورغى ان يحاللت مع العرب بشأن هذه الجزر باعتبار ان الشكك في امتلاكها التي كانت تحتل الخليج ، ومعارضة ايران لبقاء بريطانيا في المنطقة بعد عام ١٩٧١ وانها تعتبر نفسها المسؤولة وحدها من الفاع عن الخليج ، ثم التزم بريطانيا بجلاء قواتها العسكرية عن المنطقة في نهاية العام الحالي ، واستبدال معاهداتها القديمة مع امارات الخليج بغير جديدة تنص على تقديم الموانئ العسكرية لها والبقاء على معنى القوات البريطانية بها لقيام بهم الاتصال والتدوير . كل هذه المشاكل التي تبدو غامضة ومعقدة ومليئة بالتزاع في نفس الوقت .

والواقع انه لا يمكن التفر الى هذه التطورات بعيدا عن التبعات التي تقوم بها كل من بريطانيا والولايات المتحدة لفشل التزاع . بعد انسحاب بريطانيا في نهاية العام الحالي وذلك وفق كل من الخطط البريطانية التي يتفق بتجميع الامارات الصغيرة في وحدة سياسية اكبر تكون نظيلافانغيا بعيدا عن الوجود العسكري البريطاني بجهة توفير الاستقرار والاطمئنان في المنطقة ، والخطط الكبرى التي يتفق بان تكون

والثلاثين * وتلك بهدف التصفية الكاملة للثورة الفلسطينية وجماهيرها *

والواقع أن الممارك التي يشنها الجيش الاردني ضد رجال المقاومة لم تتوقف منذ مجازر سبتمبر الماضي ، وكانت تهدأ حيناً وفقاً لتكتيكات الحكومة الاردنية لتفادي غضب الرأي العام العربي وتدخل الوساطات العربية الرسمية ، لتتضيق من جديد كامنفا ما تكون *

وقد أخذت السلطات الاردنية تهدد للهجمة الشرسية الاخيرة ضد اللوار الفلسطينيين عقب زيارة وليام روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة للاردن واسرائيل في بداية شهر مايو الماضي ، وذلك بالعمل على ازالة المعسكرات الفلسطينية في عمان وشمال الاردن ، ووقف تحويل مرتبات الموظفين في الضفة الغربية ووقف الاعانات المخصصة لاهالي الضفة الغربية ، وشغل حركة الفدائيين واعماله نشاطهم ضد العدو الاسرائيلي ، وعرقلة وصول التموين والسلاح اليهم ، وتقييد حركتهم في أماكن خالية من طرق المواصلات أو مصائد المياه ، كما أخذت قوات الجيش الاردني تقصف مواقع

وفي الثامن عشر من يوليو (تموز) الماضي ، أعلنت السلطة الاردنية انسحابها من اتفاقيتي عمان والقاهرة ، اللتين تنظمان العلاقة بين السلطة الاردنية والمقاومة ، معتبرة أن الظروف التي عقدت فيها هاتان الاتفاقيتان قد انتهت * وقد كان هذا الانسحاب تحصيل حاصل ، بعد أن ظلت السلطة الاردنية تدوس على هاتين الاتفاقيتين منذ توثيمهما .



■ الاردن

استكمال مؤامرة سبتمبر

دخلت مؤامرة تصفية الثورة الفلسطينية على أيدي حكام عمان مرحلتها الفاصلة، عندما أقدمت السلطات الاردنية في الثالث عشر من لشهر الماضي على شن هجوم واسع النطاق على قوات المقاومة الفلسطينية في شمال الاردن ، واشتركت فيه أسلحة الجيش المختلفة من المدفعية والذبابات



واكتتية القنب عليها في هذه القنول كما يتصور بعض العرب ، ثلثا بعد شربا من الوهم وخداع النفس ، إذ أنهم يتجاهلون طبيعة الصلات بين هذه الدول ، وأن الكفنى الأساسى على من وجهة نظر هذه الدول هو بينها وبين حركة التحرر الوطني العربية ، وأنها تشترك جميعا في الملف المركزى ، ومسواء تبت إدارة ثملون الملف بالتسلوب البريطانى أو الأمريكى أو بالتسويين مما وهذا هو الأرجح فلن ذلك لن يغير من واقع الواقع ، فالتناقض بين بريطانيا والولايات المتحدة في الحفاظ على الملف كجزء أساسى لهم ، استراتيجية شرقى السويين لحرب حركة التحرر الوطنى واستمرار نهج بتول الامارات العربية بملفهم .

ولقد كتلت نتيجة التهديدات الإيرانية أن بدأت ترفع أثيرا لصوت عربية نظرت من إخطار الهجرة الإيرانية الكثيفة إلى الإمارات الخليجية ، ومن وجود جاذبات إيرانية كبيرة في جميع الإمارات العربية بالنسبة لعدد السكان العرب المقيمين ، ومن سيطرة الإيرانيين على أجهزة الإدارة والأمن والعصاة التجارية في الإمارات ، وأنه ليس من الغريب أن تكون بريطانيا هي التي دعت لهذا النزاع الإيراني خلال مدعومتها للإمارات العربية ، الأمر الذى يثير قلق وخوف الرأي العام العربي من تكرار مأساة فلسطين في الخليج ، إلى جانب مسألة اقليم دربستان وإواء الاستكبرية في المأساة القريب ، فضلا عن الاحتلال الإسرائيلي لأجزاء هامة من أراضي الدول العربية .

وتبع أين

العام الحالى ، وهناك بين المراقبين من يرى أن إيران تطالب لمن يتبعها للعرب في جلاء اسرائيل من الاراضى العربية التي استولت عليها نتيجة حرب يونيو عام ١٩٦٧ . وتمد هذه الجزر العربية ذات قيمة اقتصادية وعسكرية هامة ، إذ تقع في جلاء الجرف القارى الغربى بالبحر ، كما أن الذى يسيطر على هذه الجزر يستطيع أن يتحكم في مدخل الخليج العربى .

أن تصارب نصريحات المسئولين البريطانيين حول ملكية العرب للجزر الثلاث تسره رغبة بريطانيا في إرضاء مشرقتها الولايات المتحدة في تدعيم نفوذ إيران اقتصاديا والعسكري في الخليج ، ولقد حصلت إيران أخيرا على امتيازات اقتصادية في البحرين من بينها إنشاء فرع بنك ملى ، وذلك مقابل تراجعها من المطالبة بجزر البحرين .

ومن هنا نفهم ما جاء في تصريح ريتشاردسون وكيل وزارة الخارجية الامريكى عقب اجتماعاته المتتالية في شهر أبريل ١٩٧٠ بالسفراء الامريكين في المنطقة ، واجتماع الحلف المركزى في طبران ، والاجتماع مع شاه إيران في طهران وتوله : « أن إيران تقوم بدور هام في منطقة الشرق الأوسط ، وأن الولايات المتحدة مرتبطة لهذا الدور ، وأنه بحث مع القضاء المصالح الامريكى الإيرانية المشتركة والوضع في الخليج ، ودور إيران في الدفاع عن المنطقة ، وأن الولايات المتحدة ستقدم المساعدات الاقتصادية والمعدات الحربية لدول المنطقة » .

وحتى الآن لا يمكن التكن بما يستشر منه الاعيب المصلحة البريطانية في الخليج عند نهاية العام الحالى .. وإن تصور وجود تناقضات أساسية بين بريطانيا وإيران والولايات المتحدة

الظروف الحرجة التي تجتازها الأمة العربية، هذا في الوقت الذي يعلن فيه وصفي المقل رئيس وزراء الأردن: «أن الجيش الأردني لن يتوقف حتى ينتهي من تصفية المقاومة الفلسطينية نهائياً» . وتثير مذابح الأردن رجود فعل عنيفة في كافة الأوساط العربية وفي الصحافة العربية، والتي تطالب جميعاً بضرورة التصدي لهذه المؤامرة الرجعية بحزم لمنع النظام الأردني من تنفيذ المخطط الاستعماري الصهيوني، كما تدعو الحكام العرب إلى التدخل السريع وبكل الوسائل لوقف حرب الاستنزاف التي يقوم بها الأردن لصالح الامبريالية الامريكية والصهيونية .

المغرب

اسباب محلية للسخط

قبل محاولة الانقلاب في المغرب بأيام، انلى الملك الحسن الثاني بحديث الى صحيفة « الفجارو » الفرنسية: يتفجر ثمة وايانا باستقرار نظامه وحكمه، انكر فيه تماماً وجود أي تلبر بين صفوف الجيش، وتحدي السائلين أن يجيبوه باسم ضابط واحد غير راض أو سابط .

وبالطبع تناسى الملك تماماً أنه في ١٤ يونيو الماضي بدأت محاكمة ٢٠٠ مواطن بتهمة الساس بأمن الدولة، وأن في السجون حوالي ٢٠٠ معتقل آخرين، وأن الاضرابات والمظاهرات ومن ثم الاعتقالات والمحاكمات والسجن والاختطافات نظام



الفدائيين لاجبارهم على الرحيل من مواقعهم التي يتحصنون فيها . وقد ظهر اثر هذه الهجمات على الفدائيين فكان انشغالهم بالدفاع عن انفسهم واخذوا في اخضاع عملياتهم ضد العدو الاسرائيلي، الامر الذي عبر عنه الجنرال ثروكوكون مدير التخطيط العسكري للفرق الاسط بوزارة الدفاع الامريكية في ٥/٢٧ بقوله: ان تضائل قوة المقاومة العسكرية والسياسية بعد هجوم الجيش الأردني يعد دليلة على مدى نجاح المساعدات العسكرية الامريكية للأردن!!

هذا في نفس الوقت الذي كان فيه اللواء زيد بن شاكس نائب رئيس اركان الجيش الأردني يجري محادثات مع المسؤولين الامريكيين لثناء زيارته للولايات المتحدة في النصف الثاني من شهر مايو لتسليح الجيش الأردني بأسلحة امريكية، ومن الحفاظ الملفت للنظر أن التوقيع على اتفاق المونة الامريكية للأردن وقدرها ٥٠ مليون دولار في عمان تم في نفس اليوم (٧/١٢) الذي بدأت فيه للعمليات العسكرية الأردنية ضد مجال المقاومة الفلسطينية .

وتواصل قوات الخفصية والنبابات الأردنية محاصرة وقصف اماكن الفدائيين، بينما تواصل الطائرات ضرب الفدائيين بالصواريخ وقنابل النابالم والقنابل المسفورة، وقد استهدفت خطة الجيش الأردني وضع رجال المقاومة داخل كمامشة ومحاصرهم بين الخيران الكثيفة وبين الوقوع في أسر القوات الاسرائيلية، وتقول القوات الأردنية حطادة وتقب حثات الفدائيين الذين نجوا من الموت وخفهم في اتجاه الاراضي المحتلة مما أدى الى وقوع عشرات الفدائيين في أسر القوات الاسرائيلية، التي كانت تتولى مساعدة الخفصية الأردنية وتسهيل مهمتها عن طريق تسليم كشافات قوية أثناء الليل للرشاد عن اماكن الفدائيين، مما يشير الى وجود تنسيق وتعاون بين الطرفين .

وتفيد الاتهام الواردة من مسرح المارك الى ان الفدائيين يقومون ببسالة حملة الابادة الوحشية للقوات الأردنية التي يقدر عددها بنحو ٢٢ الفاً، في ظروف بالغة القسوة والارهاق نتيجة المارك المستمرة طوال الليل والنهار، والمقتار الكثير منهم الى الطعام والماء والنظيرة، ويقدر عدد القتلى والجرحى الفلسطينيين بالمئات بالإضافة الى ٢٢٠٠ فدائي اعتقلوا في معسكرات الجيش الأردني منذ بدأ الحملة المسعورة .

وقد رفضت الحكومة الأردنية الاستجابة للمساوى المصرية والسعودية والسورية لسوقاً للمذابح التي تقدم بها حقناً للدماء العربية في هذه

وولدت اتفاقيات الجلاء، وعقدت مؤتمر الدار البيضاء.

وبعد الاطاحة بهذه الحكومة بدأ البنك الدولي للانشاء والتعمير على القوانين ويضع برامج التنمية التي تعتمد على تنمية السياحة فحسب بالضرائب التي تقطع من قوت الصغار - وتم التراجع عن فكرة اصلاح الزراعي، بل وساعدت الحكومة الملك المغربي على زيادة ملكياتهم بالحلول محل الملك الاجانب، وآخر الاحداث في هذا الصدد، هو الصدام الذي تم بين ٥٠٠ من الفلاحين (المعدين والبوليس) وقتل فيه خمسة من الفلاحين الذين كانوا قد جمعوا نقودا فيما بينهم لمفوضا للشركة الاجنبية لشراء ارضهم، ولكن لوفير التي فقدت اعلى الارض لكار الملك ومنهم احمد النجاشي وزير الفلاحة السابق ورئيس اتحاد الفلاحة ورئيس جمعية منتجي الحفصيات، مما دفع الفلاحين للتصدي لهم دفاعا عن ارضهم، وجاء لوفير بقواته ليقوم بمهمة المصوبة.

وفي المغرب حاليا يوجد ما يزيد عن ٢ مليون عاطل (من ١٤ مليون) سيمضون الى ٤ ملايين ومحتوى المعيشة انخفاض باعتراف الرسمىين بنسبة ٢٠ في المائة - ولتصاعد المغرب منقسم تماما الى قسمين ليس هناك ما يربطهما، بل ان لاحدما وهو القسم القديم علاقات بالخارج اقوى بكثير من علاقته بالقسم الاخر التقليدي. ويضم هذا القسم صغار الفلاحين والتجار والحرفيين، وصغار الموظفين ويشمل ١.٤ مليون مغربي من مجموع السكان البالغ ١.٥ مليون، ويساهم بنسبة الثلث في الانتاج.

لما القطاع الحديث ويضم الزراعة الحديثة والصناعة التمدنية والتحويلية، والنقل والاشغال العامة والتجارة الخارجية والادارة والخدمات والمهن الحرة والبنوك، فيمثل به ١٠ في المائة من السكان، ويضم ثلثي الانتاج القومي.

وفي حين يزداد انتاج القطاع الحديث ويتقدم، يهبط ويتدهور انتاج القطاع التقليدي، مما يؤدي الى انخفاض انتاج الفرد في المغرب كله. وبما في من المشكلة تزايد عدد السكان، ومعظمهم في القطاع التقليدي بنسبة مرتفعة ٣٠ في المائة سنويا، مما يؤدي الى انخفاض في مستوى معيشة واستهلاك الغالبية العظمى من السكان، وسيبب انخفاض دخلها الناجم من عدم التوزيع المناسب للدخل، اذ يحصل ١٠ مليون من الفلاحين ومكان الريف على ٢٠ في المائة من الدخل، في حين يحصل بضعة آلاف من الملك على ٥٠ في المائة من الدخل.

وحتى العاملين في القطاع الحديث، يشترى التقاوت بينهم بصورة مائلة، ففي القطاع الخاص

يومي في المغرب، ولكن الملك الحصن نظمه أصبح يتحدث كثيرا بعد الاحداث الدلمية عن استعداده للنقد الذاتي، وان كان لا يفوته ان يعلن في الوقت نفسه ان اسس وجوهر النظام باقية لن تفسد، وانه اما « الاشتراكية المستيدة واما الملكية ».

والواقع ان الاختيار الذي يرضه الملك، مطروح فعلا في المغرب، بحيث ان اطلاق يد لوفير كما تقول « لومانتية » الفرنسية ليس هو الحل على الاطلاق لمشكلة النظام في المغرب، بل انه يطرح كما قال بعض الصحفيين الغربيين سؤالا منطقيا عن طبيعة العلاقة بين الملك ولوفير فيما بعد ومن ستكون له الكلمة العليا.

ومع ان الصحف والمؤلفين المغربي اعتادوا في كل انتفاضة ان يلصقوا الي « الامياز الاجنبى من الشرق » في محاولة لاضفاء الاسباب الحقيقية للفساد، ولتبرير اية مواقف مدائية من الدول العربية، الا ان العنف الذي تجرت به أزمة النظام في محاولة الاخيرة، لن يجدى منه اخفاء حقيقتين اساسيتين تحسمان حركة الاحداث في المغرب وتحددان مسيرتهما وهما :

● ان لفساد اسبابا محلية تماما - ففساد عدد السكان لا يملك الحد الانسى الضروري لاستمرار الحياة، والغالبية لا تجد مجال للعمل فالواقع ان الأزمة الاقتصادية بدأت تتفاقم في المغرب بعد ١٩٦٠، بعد ان اتضح تماما تصميم الحكومة على ابتلاع كل الوعود التي بذلت لايان النضال من اجل الاستقلال وفي اعقابها، باجراء اصلاح زراعي جزئي واصلاح جهاز الدولة.

فقد تمت الاطاحة بحكومة عبد الله بن ابراهيم في ١٩٦٠ التي كانت تحاول فعلا القيام بعملية تحويل ديمقراطي، سياسي واجتماعي، واصلاح زراعي وتصنيع حقيقي، وتحرير خراجي. وبالفعل اجرت هذه الحكومة انتخابات المجالس البلدية كاجهزة ضمنية، ونظمت بعض المفاوضات، ووضعت خطة خمسية من ١٩٥٩ الى ١٩٦٤، وفي عهدنا لم تتم اية محاسكات ولم تغلق اية جريدة. وانشأت الدولة مع القطاع الخاص بعض الصناعات التي ساهم فيها مكتب الدراسات الاقتصادية، وقامت باضفاء ملك للتجارة الخارجية وتوكلت وطني للتنمية، وقامت ايضا بتأميم بنك المغرب، وقصل العملة المغربية عن الفرنسية. واهتمت بالتعليم فزاد عدد الاطفال في الابتدائي بنسبة ٥٠ في المائة، وانشأت مجلدا اعلى للتعليم وكلية الطب والهندسة، وقررت نظام الضمان الاجتماعي، ووضعت سلما متحركا للاجور،

في ١٩٦٦ مثلا ، حصل ٨٣ في المائة من العاملين فيه من الاجراء على حوالي ٥٠ في المائة من الاجور المنقوعة فيه ، وحصل ٥ في المائة من العاملين فيه على ٢٥ في المائة من الاجور . ويقاوم من هذه المشاكل ارتفاع اسعار السلع الضرورية كالمسكر مثلا ، واتباع سياسة تجميد الاجور ، وانخفاض مستوى المعيشة ، ففي ١٩٦٦ كان ٤٢ في المائة من السكان يحصل على ١٦٠٠ سمرا حراريا في حين ان الحد الأدنى اللازم ٢٢١٠ سمرا . وقد أدت كل هذه الأوضاع الى تلك الحالة «الجهنمية المظلمة»

فبسبب ضعف الحقول ينخفض معدل الانتاج ومن ثم الاستثمار وبالتالي يقل الانتاج وتنخفض الحقول ، ولم نجد في هذا شيئا المعونة الأمريكية التي حلت المغرب كما يقول منشور «للشباب العربي في المغرب» الى «مقرون نرى وخشعر في ظهر العرب» .

ومع ان تكوين المغرب السكاني الذي تغلب عليه نسبة الشباب (٧٢ في المائة من السكان اقل من ٣٠ سنة) ، (٤٦ في المائة اقل من ١٥ سنة ، في حين ان النسبة المماثلة ٤٣ في المائة في مصر ، ٣١ في المائة في أمريكا) يقتضي اجراءات محددة لتوفير فرص التعليم والاعداد والعمل ، الا ان هذه الفرص محدودة تماما .

فالتعليم الابتدائي يضم ٣٠ في المائة فحسب من هم في سن الزام ، والتعليم الثانوي يضم ١٤ في المائة ممن هم في سن الدراسة الثانوية ، والتعليم العالي يضم اقل من ١ في المائة ممن هم في سن التعليم العالي ، فهايك من قلة عدد الفرص امام الغدات .

وبالنسبة للعمل فان السكان الذين في سن العمل يبلغون ٧ مليون نسمة ، في حين ان الوظائف التي يقيصها الاقتصاد القومي ، بما فيه الزراعة للمختلفة والتي تحتاج الى اليد العاملة كثيرة نسبيا حوالي أربعة ملايين فرصة . أي ان ٦٠ في المائة فقط ممن هم في سن العمل ، أو ٣٠ في المائة من مجموع السكان ، ملأهم فرصة للعمل . وبالنسبة للشباب بين ١٥ و ١٩ سنة يجد ٤٢ في المائة فقط فرصة العمل ، وبين ٢٠ و ٢٤ سنة يجد ٤٢ في المائة منهم فرصة العمل ، وبين ٢٥ الى ٢٩ سنة يجد ٢١ في المائة منهم فرصة العمل ، أي ان أكثر من نصف الشباب بين سن ٢٠ و ٣٠ سنة لا يجد عملا .

وتوقع الاعمال ، طبقا لدراسة على عينة من ٢٢ في المائة عمال يهوديين ، ١٦ في المائة تمار صغار ، ٨ في المائة حرفيون ، ٤ في المائة في الادارة ، ١٣ في المائة حمالون وعمال حدائق ومقاه هذا في المدن أما في الريف فالبطالة تزيد من ٥٥ في المائة من مجموع سكانه .

● أما السبب الاخر لازمة الحكماء محاولة تجاهل القومية العربية فرغم كل محاولات طمس الطابع القومي والقضاء على البعد القومي للمغرب الذي بذل الاستعماريون الكثير في سبيله ورغم محاولات الملل التي اتبعتها الحكام الصاليون من بعدهم والذين ورثوا اساليبهم ، فان الصفة القومية ظلت متجاذبة في الاعماق تتحين الفرصة للانطلاق والانفجار . وما اتساع نطاق وشمول حركة المطالبة بتعريب التعليم والالتفات للجياش بأحداث الوطن العربي (خاصة لحداث ٥ يونيو ١٩٦٧) الا مظهر لها . كذلك فان تعليقات صحف اسرائيل تمسك مدى رعبها من استعادة المغرب لوجهها العربي ، وفرحها ببقاء الاوضاع فيه على ما هي عليه ، وفي حين ان حركات الشباب في اوربا تهدف الى تدمير القيم والافكار الموروثة ، فان حركة الشباب في المغرب ترمى الى بئس التراث العربي وازالة التشويه الذي اصابه لخدمة طبقات يمينها ، واستخدامه سلاحا ضد للسلط الاجنبي والاستبداد الداخلي .

وفي بلد يمثل فيه الشباب ٧٢ في المائة من السكان ، وترتبط مصالحهم المباشرة بمصالح آبائهم وأخوانهم من العمال العاطلين والفلاحين الذين يضطرون لقتارهم ، كان لا بد وان يكون الشباب هو الذي يتصدى لمهمة التغيير . ومن ثم فان شباب المغرب لم يترك رفضه للوضع القائم ملجأ انتهى اليه رفض شباب مجتمعات الاستهلاك تلك الرفض السلمي الرخيص ، لان المشكلة في المغرب هي نقص الاستهلاك أصلا . ان الشباب هناك متصلون للمشاركة في البناء ويسمى بكل قواه للتحرر من القيود الاقتصادية والاجتماعية التي تكبله وحركته ترتبط تماما بالازمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الناجمة عن تركيز الثروات في ايدي قلة محدودة .

ان الاستمرار في اصدار احكام الاعداد بلا محاسنات والسجون والتلفي والفصل من العمل كـ لمن تنجح تكرار الانفجارات التلقائية المشجرة [مسدحت خسائر اضرابات وانفجارات ١٩٦٥ يبلغ ١٠٠ مليون دولار] فحركة الشباب التي تمثل الجيد كما يقول الفريد سوني الكاتب الفرنسي وان تسمح لنا باخذها ، فاذا اسرنا على هذا ، وظلنا على مناهجنا واكتارنا القديمة ، فان الشباب سيطلع بالنظام كله ، وفق قانون الحياة . انظروا الى تلك النبتة الصغيرة التي تنبؤ في منزل مهجور ، تضغط عليها الحوائط الصماء ، قد يبدو لكم انها مضى عليها بالوت ، ولكن هودا اليها يد بضع سنوات ، فسترون انها تمكنت من الاتساع بالاحجار الصماء ، وذلك لان المادة الحية تنصهر على المادة الميتة وكل ذلك يؤكد ان الجولات ستستمر ويصعد أسرى .

نيكسون «يذهب الى حيث يجب الا يذهب»



تجمع الاغلبية الساحقة للمراقبين السياسيين في العالم ، على اعتبار اعلان نيا زيارة الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون للصين الشعبية من أهم الأحداث السياسية العالمية فى ربع القرن الاخير . والحقيقة أن هذا الحدث لا يكتسب أهميته من ناحية النتائج المحددة المترتبة على الزيارة فى حد ذاتها ، وإنما من ناحية مغزاها التاريخي العام .

والمغنى التاريخي الذى ينطوى عليها هذا الحدث هو أنه تمثيل مكثف وأخضع من فشل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الصين ، تلك

مراحل تقرب أمريكا من الصين منذ بداية حكم نيكسون

كافة القيود الخاصة بحركات الامريكين الى الصين .
— وفى ٦ ابريل ١٩٧١ توجهت الى فريق تشى خاوية امريكى كان يزور اليابان دعوة رسمية لزيارة الصين .
— وفى ١٠ ابريل ١٩٧١ وصل فريق تشى الطويلة الامريكى الى الصين واستقبله شواين لاي رئيس الوزراء الصينى .
— وفى ١٤ ابريل ١٩٧١ أعلنت الولايات المتحدة رفع الحظر جزئيا على التجارة مع الصين الشعبية . وهو الحظر الذى كان مفروضا منذ واحد وعشرين عاما .
— وفى ١٦ ابريل ١٩٧١ ، أعلن نيكسون فى مؤتمر صحفى « أننا على استعداد للذهاب الى ابيد من تلك ، ولكن على الصينيين أن يقوموا بالخطوة التالية » .
— وفى ١٠ يونيو ١٩٧١ نشرت الحكومة الامريكية قائمة بسبعة واربعين من انواع المنتجات بين الاسرائيلية التى يسمح بتصديرها الى الصين بدون رخصة .
— وضعت الواردات الصينية فى نفس مرتبة واردات الدول الشيوعية الاخرى .
— وفى ١٥ يوليو ١٩٧١ ، أعلن فى واشنطن ويكين نيا زيارة نيكسون للصين قبل مايو ١٩٧٢ .

الثالث وكان مقدرا له ٢٠ مايو سنة ١٩٧٠ .
— وفى ٧ ابريل ١٩٧٠ سمحت الولايات المتحدة باستخدام أفراد الولاية المسجلة فى الولايات المتحدة فى إنتاج المنتجات غير الاسرائيلية التى يتم تصديرها الى الصين .
— وفى ٢٦ اغسطس ١٩٧٠ سمح للشركات الفيزوفية الامريكية بأن تسرد بالقوود ، السفن الاجنبية التى تنقل منتجات غير اسرائيلية الى الصين .
— وفى ١٠ ديسمبر ١٩٧٠ أعلن الرئيس نيكسون خلال أحد مؤتمراته الصحفية ، أن جميع الجهود التى بذلها لم تجد بعد استجابة من بكين ، وأنه سيمضى فى هذه الجهود على الرغم من ذلك .
— وفى اواخر ديسمبر ١٩٧٠ بدأت الحكومة الامريكية التنازل فى سياساتها ازاء الصين بما فى ذلك مشكلة انضمام الصين لمفوضية الأمم المتحدة .
— وفى ٢٥ فبراير ١٩٧١ تحدث نيكسون لأول مرة فى رسالة حول دعالة العالم من « جمهورية الصين الشعبية » وليس من « الصين الشيوعية » .
— وفى ١٥ مارس ١٩٧١ أعلن نيكسون

— فى مارس ١٩٦٩ أعلن ولیم ووچرل امام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ أن حكومته ستبذل قصارى جهدها من أجل إقامة علاقة بناءة مع بكين .
— وفى ٢١ يوليئ ١٩٦٩ ، سده فى انهاء الاجراءات الأولية لتخفيف القيود على المبادلات التجارية ، وتقرن السماح لاي امريكى له مصلحة عمل معقولة بالسفر الى الصين ، كما سمح للسماح الامريكين بأن يملأوا معهم هدايا من الصين الشعبية فى حدود مائة دولار .
— وفى ١٩ ديسمبر ١٩٦٩ انضمت اجراءات جديدة لتخفيف القيود على التبادل بين البلدين ، فقد سمح لقروء الشركات الامريكية فى الخارج بتصدير بعض السلع غير الاسرائيلية للصين ، كما ألغى الحد الأقصى ١٠٠ دولار بالمقابلة للهدايا المسموح للسماح الامريكين بحملها معهم من بكين .
— وفى ٢٠ يناير ١٩٧٠ عقد سفيرا الصين والولايات المتحدة فى وارسو أول اجتماع بعد انقطاع استمر ادة عشرين .
— وفى ٢٠ فبراير سنة ١٩٧٠ عقد فى اجتماع للسفرين الامريكى والصينى فى وارسو وقد لقي الصينيون الاجتماع

على إقامة علاقات تطبيقية معها ، بعد أن ظل هدفها لمرحلة طويلة هو العنوان العسكري المباشر على جمهورية الصين الشعبية من طريق اجتياح الباب الشمالي للصين للتدخل في جمهورية كوريا الديمقراطية ، الشعبية ، واجتياح بابها الجنوبي المختل في جمهورية فيتنام الديمقراطية .

وليس ثمة شك في أن الإعلان عن زيارة نيكسون للصين ، يرتبط أيضا ارتباطا بمسكة انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة ، ذلك أن نيكسون يريد أن يكسب إلى صفه القوى الداعية إلى اتباع سياسة واقعية تجاه الصين الشعبية وهي قوى متزايدة النظم والاتساع في الولايات المتحدة سواء في الدوائر السياسية والكونجرس أو في دوائر رجال الأعمال وبين الرأي العام الأمريكي عامة في الوقت الذي أصبحت فيه جماعات الضغط الأمريكية التي تدافع عن نظام كاي شيك ظلا لتفسيها على أنه ينهض إلى الأبدان إلى الذهن أن التقرب الأمريكي إلى الصين قد جاء دفعة واحدة ، ذلك أنه سار في خط مضطرب: الأمر منذ أن أعلن وليام روجرز في مارس ١٩٦٩ أمام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ أن حكومته مستقبل قصارى جهدها من أجل إقامة علاقة بناءة مع بكين ، وأن مراحل هذا التقرب حتى الإعلان عن زيارة نيكسون لم تكن أنما تكشف لنا حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي مست مضطرة إلى الحقيقة الصينية وليس العكس بآية حال من الأحوال .

ويرى عديد من المراقبين أن دعوة نيكسون لزيارة الصين بعد أن علم شوايبي لاي برغبته في زيارتها ، يعد فرحة طيبة بالنسبة للصين الشعبية من ناحية أن المرحلة الانتخابية القادمة في الولايات المتحدة يمكن أن تتبع للصين إمكانية الحصول بشكل أسرع على ما كان يمكن أن تحصل عليه من أي رئيس أمريكي جديديكون أمامه فسمه من الوقت تبلغ أربع السنوات بقرار فيها على مهل السياسة التي سبقتها إزاء الصين ، على أن ما تشير إليه مصادر البيت الأبيض في حد ذاتها تلقى الضوء على حجم التغيرات الحقيقية التي يمكن أن تطرأ على العلاقات الأمريكية للصينية في الفترة القريبة القادمة إذ أعلنت هذه المصادر في ١٦ يوليو الماضي « أن الولايات المتحدة لا تتوقع إقامة علاقات دبلوماسية مع الصين الشعبية قبل سفر الرئيس الأمريكي نيكسون ، وليس من المرجح الوصول إلى مثل هذه النتيجة حتى بعد سفره ، ولكن وزارة الخارجية الأمريكية ستعلن قريبا جدل

السياسة التي استهدفت منذ نجاح الثورة الصينية سنة ١٩٤٩ ، خلق الصين وعزلها وحصارها ومحاولة القضاء على ثورتها ، ولعل أهم المعالم الأخيرة لهذا الفصل ، هو سلسلة الاتهامات السريعة في الجبهة المعادية للصين والتي تبنت بوضوح في الاعتراف التالي بها من عديد من دول العالم ، الغربية منها ، والتي تنبؤ في ذلك الغرب ، وقله الولايات المتحدة الأمريكية .

ويؤكد هذا الحدث - في نظر عديد من المراقبين الثوريين - حقيقة هامة وهي أن المستعمرين والمستعمرين الأمريكيين بوجه خاص لا يرضخون ويرتدعون إلا بمنطق القوة ، ومن الواضح أن نيكسون وغيره من زعماء العالم الغربي الاستعماري ، لم يكونوا ليميلوا بالصين للشعبية لو أنها لم تكن تملك أسباب القوة المادية الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، فمما لا شك فيه أن عاملا هاما من عوامل هذا المنحى الجديد للمستعمرين الأمريكيين تجاه الصين ، يرجع إلى حقيقة هامة وهي أن كل منهم الأمريكية سوف لا تصبح بمثابة في العالم أو للعالمين القاسمين - من مدى الصواريخ النووية الصينية . بالإضافة إلى ذلك وجد عديد من كبار رجال الصناعة الأمريكيين ، أن سياسة تجاهل الصين من قبل الولايات المتحدة ، لم تؤد من الناحية الاقتصادية وفي الفترة الأخيرة بخاصة ، سوى إلى خسائر للصناعة الأمريكية ، لأنها اكتسبت منافسي الاقتصاد الأمريكي (وبخاصة رجال الصناعة في اليابان وأوروبا الغربية) ميزات اقتصادية كبيرة عليهم ، فابنة من الافاق التي تفتحت أمام الأولين نتيجة التعامل مع السوق الصينية للضخمة ، وهي ميزة حرم منها تماما رجال الصناعة الأمريكي بسبب السياسة الخارجية غير الواقعية للولايات المتحدة الأمريكية ، وفي ظروف يعاني فيها الاقتصاد الأمريكي أزمة متفاقمة .

وثمة عامل آخر من عوامل زيارة نيكسون للصين ، والتقرب الأمريكي السام من الصين الشعبية ، هو احساس أمريكا بالهزيمة في فيتنام والاتجاه لسحب القوات الأمريكية منها - ويعتقد الساسة الأمريكيون أن تقربهم من الصين ذات الثقل الكبير في القارة الآسيوية يمكن أن يساعدهم على سحب قواتهم من فيتنام مع حفظ ماء وجههم ، وليس ثمة شك في أن فشل أمريكا في الحرب الكورية من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٥٣ ، والحرب الفيتنامية كان عاملا هاما من عوامل التحول في السياسة الأمريكية نحو التقرب بين الصين والعمل

والولايات المتحدة لأنها كما تعتقد دوائر كراتشي — ترى أن هذا للتقارب سيغير إلى حد كبير الموقف في جنوب القارة الهندية، ويميّز موقف الباكستان في مواجهة الهند * .

وثمة نتيجة أخرى لهذا التقارب اشارت إليها الصحف الأمريكية هي أنه قد يكون بمثابة الضوء الأخضر لمعد مؤتمر للزرع السلاح بين الدول النووية الخمس * أما بالنسبة لليابان فقد كان الاعلان عن نية زيارة نيكسون ضربة قوية لرجال الاعمال اليابانيين الذين يمارسون تأثيرا قويا على سياسة حكومة لينداو ساتو ، واتضح ذلك من تصريحات رئيس الاتحاد الياباني للهيئات الاقتصادية ومدير بنك فوجي باليابان ، وفيما يتعلق بإسرائيل أوضحت للصحف الإسرائيلية أن النجاح الذي سيحرزه نيكسون من رحلته إلى الصين « سيقلل إلى حد ما، كما أوضحت «بيبيوتس أهرنوت» الإسرائيلية « من ضرورة إحراز انتصار دبلوماسي أمريكي عاجل في الشرق الأوسط ، وقد ينجم عن ذلك تقليل حدة الضغط على إسرائيل » لكن هذا ليس إلا وجها واحدا للمسألة لأنه إذا كانت الولايات المتحدة تضع صمباها لوجهات نظر الاتحاد السوفيتي في القضايا الدولية ، فإن لدول الصين إلى مصرح السياسة المالية كقطب جديد تتعامل معه الولايات المتحدة يمكن أن يشكل عنصرا مناصرا لقضايا التحرر العربي بالنظر إلى مواقف الصين التي تؤيد وتتضامن مع النضال العربي ، الأمر الذي سيفتح الولايات المتحدة إلى أن تضع في اعتبار توازنات سياستها الدولية لا وجهة نظر الاتحاد السوفيتي فحسب وإنما وجهة نظر الحزب الجديد على مسرح القوى الكبرى في العالم * .

أما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي ، والاتفاق للتزاييد التي تتاح للصين بالنسبة لدخول الأمم المتحدة ، فقد أوضح في الخطاب الذي بثت به وزير خارجيته أنطوني جومريكو إلى يوشيتا سكرتير عام الأمم المتحدة بعهد الإعلان عن زيارة نيكسون بقضية : « إن رد الحقوق الشرعية لجمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة » ، سيساعد على جعل الأمم المتحدة عالمية حقا ، أما فيما يتعلق بمستقبل العلاقات السوفيتية — الصينية ، فقد أوضح الفريق بريجنيف حقيقة لها مغزأا في خطابه في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي وهي « أن إعادة توليد علاقات حسن الجوار بين الاتحاد السوفيتي

من تعديل في السياسة الأمريكية بشأن قبول الصين الشعبية في الأمم المتحدة * .

كذلك فليس من السهل بحال الوصول إلى اتفاق بشأن المشاكل الاستراتيجية في العلاقات الأمريكية الصينية مثل الوجود الأمريكي في فورموزا ، وفكرة وجود دولتين صينيتين ، وإعادة تسليح اليابان والوجود الأمريكي في كوريا الجنوبية، لأن الصين ليست لها سوى استراتيجية واحدة في كل هذه القضايا هي الإصرار على تصفية الوجود الأمريكي الاستعماري من القارة الآسيوية ، وهو اتجاه لا يعتقد أن الولايات المتحدة سوف تستسلم أمامه سريريا وإنما ستستमित في مواجهته بحفاظة على أوضاعها الاستعمارية في المنطقة ، كذلك فقد أعلن نيكسون أن زيارته للصين لا تمنى بحال التخلي عن اصدااء الولايات المتحدة في الشرق الأقصى ، والحقيقة أن الحجم الدماغي الذي يحيط بزيارة نيكسون للصين ، إنما يرتبط بهيود الرئاسة الأمريكية الحالية للعداوية من أجل انجاح نيكسون في الانتخابات القادمة أكثر مما يرتبط بحجم الظاهج المباهرة التي يمكن أن تسفر عن ذلك بالنسبة للقضايا الاستراتيجية موضع الصراع بين الصين والولايات المتحدة * .

ذلك أن بكين أعلنت على لسان شواين لاي في ٢٠ يوليو الماضي أنها تعارض أية سياسة حول وجود « دولتين صينيتين » أو أية صيغة مشابهة وقال انه « إذا ما وافقت الأمم المتحدة على موقفين هذا النوع ، فلن ندخلها ، وأن موقفنا لن يتغير » ، مما يلقى الضوء على حجم التقدم الحقيقي الذي يمكن أن يحرز وصلابة وإصرار الصين في الدفاع عن مواقفها المبدئية * .

على أن عددا من المراقبين يرون من ناحية أخرى أن هذا التقارب الأمريكي الصيني قد يدفع إلى العمل على إيجاد قطب سياسي دولي رابع قد يكون اليابان أو أوروبا كوسيلة لإعادة التوازن العالمي . كما قد يدفع الأوروبيين شرقا وغربا إلى محاولة تنقية الموقف في أوروبا عن طريق مؤتمر الأمن الأوروبي بالتخفيض المتوازن للقوات بين الكتلتين هناك . ويجمع للعد الأكبر من المراقبين على أن رومانيا وبالكستان هما الدولتان اللتان لميتا الدور الأساس في تسهيل سيل الحوار الأمريكي الصيني السابق على الاعلان عن هذه الزيارة ، وذلك منذ زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون لبوخارست في أغسطس ١٩٦٩ * ومن ناحية أخرى فإن حكومة باكستان التي تحتفظ مع كل من الولايات المتحدة والصين بعلاقات طيبة ترحب بالتقارب بين الصين

والصين سوف يتحقق... ٥٥. دون ذلك ضروري
سبب الجهود التي تقوم بها الاميرالية » .

رئيس وزراء الصين الشعبية في ٢٠ يوليو
الماضي « بان اعادة العلاقات الطبيعية بين الصين
وامريكا لن يؤثر على تضامن الصين مع النضال
الذي تخوضه شعوب الهند الصينية » ، وقاله ان
اهمية الاسحاب الكامل للقوات الاميركية من
فيتنام وكذلك قوات الدول الاخرى التي حدثت حتى
الولايات المتحدة في تدخلها في الهند الصينية ،
تفوق بكثير اعادة العلاقات بين الشعبين الصيني
والامريكي ، كما أكد شواين لاي مساندة الصين
الكاملة للمشروع ذي النقاط السبع الذي قدمته
وزيرة خارجية الحكومة الثورية المؤقتة في اول
يوليو الماضي في مؤتمر باريس من اجل حل المشكلة
الفيتنامية .

وعلى اعقاب ذلك كتبت صحيفة « لوماتيه »
الفرنسية تعليقاً له مغازة الكامل بصدد هذه
الزيارة المرتقبة وهو « ان المتدين على الهند
الصينية ، ومحرضي الارهاب في اندونيسيا ،
والذين اجتاحتها كوريا ولايزالون يحتفلون في
جنوب البلاد بمدد كبير من قوات الاحتلال ،
والذين اعادوا تسليم اليايان ، والذين وضعا
مبدأ « جوام » الذي يقضي باستخدام الاسويين
ضد الاسويين لم يستعملوا فجأة الى حجاج سلام ،
لهم لايزالون يتطلعون الى نفس الاهداف حتى لو
كانوا مضطرين الى اللجوء الى وسائل جديدة » .

تعليق

الفنون التشكيلية بين تغيير القيم وتغيير اللجان

التي تشراف عليها ، وبهذا الوضع المألم ، أصبح الفن نوعاً
من الهواية ، يشغل الفنان بها وقت فراغه ، دون ان
يستطيع دوام التمتع فيه .

ولكن ظهر في الآونة الأخيرة « مشروع الفخر » وهو
مشروع خطير جليل ، لتغطية هذه المسألة ، ألا ان لوائح
هذا المشروع المتعددة تعبر عن حققتها بل للفكرة الأساسية
التي تقف خلفها الفخر التي تريد ان تعترف بان خلال الفن
بواطن ترفع من حيث هو فان لايسع ان يشغل بغير منه
طوال حياته ، ولا ان يقول المصنع الاشتراكي المصنع
موجهته من القو والاتفاق ، كما ان هذه اللوائح ليستطعن
ان تصيد أمام بعض الفنانين الذين تروها ان هنالك
في هذا المشروع ، لم تنبئ بهم التبر الى التبريل منه الى
حيث المركز الشروع مخفياً ، وهذا أصبح وليس « مشروع
الفخر » بالرغم من كل ملحقة من بطولات - وكانت قائمة
الدراسية المؤقتة .

وان لهذا العواصف الدورية باصدار القوانين وتنظيم
القوانين ، بل بالعمل على رفع المستوى الثقافي العام ،
وارساع القيم وتدعيم التقاليد المرموقة ، ولكن استطاع وضع
التقييم كلها - قضية الفن التشكيلي في مصر - على الطريق
السليم ارى ضرورة التمسك بمجموعة من المبادئ ، فيها
- كما اعتقد - بداية تحقيق آمال الفنان التشكيلي واهدائه :
أولا - لا ينبغي ان يقتصر الامر على لجنة واحدة للفن

لأنه في هذه الأيام ، وبمناخية المعرض العام السوي
أكثر للفنون التشكيلية مواصف من جهات متعددة حول
تكوين لجنة الفنون الأساسية من تنظيم هذا المعرض ، وكذلك
حول اختصاصاتها المختلفة ، واسلوب تصرفها في باقي
نواحي الحياة التشكيلية ، والتدخل التي تدرى فيها .
والكثير التاريخ الحركة التي تشكيلة في مصر ، يجد
ان هذه المواصف ليست حديثة العهد ، بل انها بدأت منذ
ذلك التاريخ الذي بدأت الوضع فيها الميزانيات الفاصلة
الاممال الفنية التشكيلية ، فظهرت الحلقة في الحلقة من
الصراعات المختلفة بين الفنانين وبين دعوى الفن والمثربين
عليه ..

والد اريد ان يعرف المرء في تلك الصراعات المختلفة ،
فيكون ان يقف السيد وزير الثقافة من ادارات وزارته
المختصة اصنام شللاً - منذ ان انشأت وزارة الثقافة
ملاً - يصير فيه كيف كانت هذه الميزانيات تصرف في دخل
لغات محبة دون اخرى من اوجه الفن التشكيلي .

هذا بينما لم يوجد للفنان التشكيلي ، الوجداني ،
المر ، الذي استطاع ان يعب كل جهده وحياته للفن ولكن
وحده ، فهو مضطرب دائماً الى والد موجهته بالجهود الى عمل
أكثر من حيث عليه ، سواء في ميدان التعليم او في ميدان
المسابقة او في ميدان الفنون التجارية .. وكل هذه الميادين
لها وظائفها ودرجاتها المنظمة ، بل ولها تقاليد المهنية



القيدي

والنواب وافق الكونجرس الوطني بالإجماع على مشروع قانون بتعديل الدستور تمس على أن جميع الموارد الطبيعية ملك للبلاد . ويعد أيام قامت حكومة الليندي بتأميم بعض مناجم النحاس الرئيسية التابعة لشركات النحاس الأمريكية . وفي الوقت نفسه اشترت الاتباء الى اضرابات تام بها عمال المناجم في بعض أنحاء البلاد .

اختبارات قاسية لتجربة جديدة

التجربة التي بدأها الرئيس الليندي في شيلى والتي تستهدف التمهيد — على المدى الطويل — للاشتراك من طريق اقامة حكومة جبهة شعبية تعتمد على المؤسسات الدستورية التقليدية ، هذه التجربة ، تواجه اختبارات قاسية ، كما يلاحظ عدد من المعلقين والمراقبين .

وهذه الاختبارات يمكن أن تثبت طبيعتها بالإشارة الى بعض التطورات والاحداث الهامة التي وقعت في شيلى خاصة في غضون شهرى يونيو ويوليو الماضيين .

فى ٩ يونيو اغتيل امونديو بيريز نائب رئيس جمهورية شيلى السابق . واتهمت الحكومة المخبرات المركزية الايركية باغتياله ، وعقب هذا الحادث اعلنت الاحكام العرفية في البلاد .

ثم كان يوم ١١ يوليو هو اليوم الذى اطلق عليه الشعب في شيلى اسم « يوم الكرامة الوطنية » لانه في اجتماع مشترك لمجلس الشيوخ

على القاتلين ، وعليهم تقع مسئولية البحث المختبر عن « صولة الاعمال الفنية » التي سيلتقون بها حتما بين العين والعين ، سواء في المعارض الفنية او الجمالية او عن طريق زيارة براسم القاتلين الفاسدة . وهذا البحث المستمر هذه اقتداء صولة الاعمال الفنية قبل ان تنسحب الى الخارج عن طريق المعارض الخارجية او شراء الاجانب القاتلين في مصر او الزائرين لها .

سابقا — الفصل الثامن بين المعارض الصام السنوى ، بل وبين أى معرض آخر جبانى أو فردى وبين الاقتداء . واتخذ هنا الاقتداء للتلطف المالية ، معقولة على صوة الاعمال الفنية باعتبارها ذخيرة الوطن الوجدانية .

لها — مدام العمل الفني يرقى مستوى الاقتداء للتلطف ، الذى يجب ان يقوم على اساس الكيف لا الكم ، والقيمة لا العدد او الحجم ، فظنوا لظروف الظفرة ينطبق ان يكون الاقتداء بآثار تتراوح بين الماضي حينه والحضرة للعلم الفني الواحد . ولا اريد ، ولا احد غيرى يريد لوزارة الثقافة حذبا لهذا صحتها في التقريب المعامل لتبدأ في تنظيم مخطتها ان تجد في مخطتها الاعمال الفنية التشكيلية التي ترقى الى الدرجة القليلة على أكثر تقدير .

تسما — الفصل الثامن بين الاقتداء والتشجيع ، تشجيع المواطنين وطلب الفن وهوائه على الانتاج الفني وعرضه له خططه المرحوة وأساليبه الفنية .. ولا يصح أبدا ان يخلط بين الاقتداء والتشجيع ، فضلا عن ان التشجيع ينطبق ان تكون له ميزانيته الخاصة .

عزاد كاهل

في جميع موضوعات القنون التشكيلية ، بل يجب ان تعدد اللجان ، وكل لجنة تفحص بدراسة احد الموضوعات واتخذ القرارات اللازمة ، فمثلا لجنة للاقتدار ، وأخرى للمعارض الخارجية ، وثالثة للتشجيع ، ورابعة للتصوير ، وخامسة للذرات الخاصة بالمعارض .. وهكذا .

ثانيا — لايزيد عدد اعضاء أية لجنة عن سبعة اعضاء ، وذلك لعدم تشعبت الجهود والتركيز في الدراسة واتخذت القرارات .

ثالثا — يختار عضو اللجنة ممن عزموا بالثقافة الصلبة الواسعة ، فضلا على الثقافة الفنية المتخصصة ، وكذلك ممن اكلوا تفرغهم على العمل الموضوعي ، وعلى الفنية في تشجيع مختلف الباطن الفن وبذاته المخططة ، وللتكشيان عدم السقوط في مآوى التعصب لنمط او اتجاه يمينه فيكون لجنة القدرة على استيعاب كافة الاتجاهات والفلسفات التي لاغنى من تعددها لآثار الحياة الفنية ، والآراء الوجدان الصرى المعاصر .

رابعا — تستمر عضوية اللجنة مستثنى متوالين على الأكثر ، ولا تبرز بعدها العضوية من جديد الا بعد سنتين أخريين على الأقل ، وذلك لتضام الطريق لتجليل أخرى وآراء جديدة .

خامسا — الواجب على عضو اللجنة ان يتبنى ولايسدر في عضويته في حالة ما اذا كان نقسدا ويبريد الاشتراك بميله في أى نشاط فني .

سادسا — على اعضاء لجنة الاقتداء التعرف المختبر

ويقول المراسلون الذين زاروهم في توابعهم أنهم يعلقون ببور جيفارا . وهناك حديث صحفي أجرى مع طالب في جامعة فالديفيا يتزعم مجموعة من « منظمة الطلبة الشيوعية » قامت بالاستيلاء على عدد من المزارع ويسمى نفسه القومندان بيبى .

وقال هذا « القومندان » أنني باركسي لينيني . كنت ألتحق للحزب الشيوعي غير أنني انسحبت لوجود تناقضات بين تكتيكات الحزب وبين مبادئه .

غير أن أعوان القومندان لم يبقوا عند هذا وانتقلوا إلى القيام بأعمال أموان الاغتيالات . وبعد اغتيال ثلاثة من رجال الأمن وقت الليندى أيام جموع محتشدة لمطالب الشعب كله أن يعلن الحداد ثلاثة أيام كاملة [١٦ - ١٧ - ١٨ يونيو] على ضحايا الأرهاب . وكانت المشاركة الكاسحة لجماهير الشعب في حداد الأيام الثلاثة تعبيراً جديداً من مساندة الجماهير للحكم الجديد .

ولم أمان الجماهير تحدث الليندى بصراحة من مشكلات شيلي . وقال إن ضغوطاً اقتصادية قاسية تدوجهت ضد شيلي في محاولة لاثباتها عن السير في الطريق الذي اختارته لكن شيلي واجهت هذه الصعاب وانتصرت عليها . وهذا لم يعد أيام الإمبرياليين إلا البحث عن مسيل جديد للتأمر .

وقال الليندى أنهم يشنون الأرهاب ويخربون القوانين بهدف إجبار الحكومة على اتخاذ إجراءات تمسكية في مواجهة الأرهاب . لكن الليندى أكد تمسك حكومته بوقفها « الدستوري » .

وتال « برغم الأعمال المنافية للقانون وبرغم الأرهاب فإن الديمقراطية هي الطريق » ولا يوجد الآن أى معتقلين ، والحرية بكسولة تبلى لكل الصحف حتى لصحف الديمقراطيين المسيحيين التي ترفع صفحتهم شعار « الوحدة القومية » ضد الحكومة الشيوعية » .

وقال إن هذا الشعار يفضح الجهل والغباء لقيادة الحزب الديمقراطي المسيحي فانه ليس هناك أى بلد يطبق « النظام الشيوعي » حتى الآن . والاتحاد السوفيتي حتى بعد أكثر من خمسين عاماً من النظام الاشتراكي لا يزال يعيش مرحلة البناء الاشتراكي » .

وقال الليندى « إن تمسكنا بالديمقراطية

غير أن هذه الأضرابات لم تكن المشكلة الوحيدة التي ظهرت على السطح . بل ربما كانت من أبسط المشكلات التي واجهها النظام الجديد الذي يتعرض هذه الأيام لتحديث رهيبة من جانب اتصم اليسار المخامر ولتصم اليمين الذي يحتفظ بقوة ضخمة في البرلمان .

هكذا ، بدأت بعض عناصر « اليسار » في شيلي تعرب عن عدم رضاها عن « مسواسة الهدوء والملائمة » التي تتبعها حكومة الليندى . وهذه الجماعات ترفع شعارات « لمنظمة وبراقة » مثل :

● إذ أن الجماهير تريد وعيها أن تريد معها ، يجب ألا نتخلف عن أرادة الجماهير » . والفلاحون يريدون الأرض ، والعمال يريدون جموعهم لأطرد الاقطاعيين والاستيلاء الفوري على أراضيهم » .

وهذه الشعارات ترفعها جماعة تكونت أخيراً تحت اسم « منظمة الطلبة الشعبية » . وهذه المنظمة تتهم الليندى بأنه مجرد « إصلاحى » غير قادر على حل مشكلات شيلي حلاً جذرياً . وتقول هذه المنظمة عهليات استيلاء الفلاحين على الأراضي .

ومنذ قامت حكومة الليندى استولت جموع الفلاحين على ٣٠٠ مزرعة بصورة غير مشروعة . وفى الأسابيع الأخيرة اتصحت من جديد عهليات الاستيلاء على المزارع . وفى بعض الحالات اعتدى الفلاحون على الملاك القدامى وسجنوهم .

وواجهت حكومة الليندى هذه الحركة « بشبط النفس » فاصدرت تعليمات بمسدة للبوليس والجيش ألا يتدخل « خشية الاستطاد بالفلانين وهنا تفقد حكومة الليندى جزءاً كبيراً من شعبيتها كحكومة اشتراكية » .

لكن « شبط النفس » لا يمكن أن يستمر إلى الأبد فقد أعلن الملاك أنه إذا لم تكن الحكومة قادرة على حمايتهم فانهم سوف يحمون أنفسهم بأنفسهم .

وهكذا يتحول الأمر - كما يلاحظ المراقبون - إلى تهديد خطير للأسلوب « الدستوري » من ناحية أقصى اليسار وأقصى اليمين .

إن قادة الحركة الجديدة يملئون لهم يساريون

تلاويث الشؤون

«دستوريا» كما وعد الليندي نفسه — يجب أن يتم في إطار مقبول من الحزب الديمقراطي المسيحي أو بعض اجنته على الأقل .

والحقيقة أن الحزب الديمقراطي المسيحي المعارض قد اضطر الى بنى برنامج يطالب أيضا باصلاح زراعى ويتاميم البنوك وصناعة النحاس الخ .

وليس معنى ذلك أنه يوافق على كل برنامج الليندي، فمخلافات كبيرة جدا في التكتيك وأسلوب التنفيذ وفي المدى الذي يصل برنامج التبعيات . بالإضافة الى أن الليندي يقترح تغييرات أساسية في تكوين المؤسسات الدستورية والتشريعية وفي أنظمة القضاء حيث يطالب بإنشاء محاكم شعبية ذات صبغة ثورية ..

ومثل هذه المطالب لا يمكن أن تكون مقبولة من الجمعية الوطنية بتركيبها الحالي ، والفستور يعطى الليندي حق الاستفتاء .

لكن الامر قد يبدو وكأنه مجازفة خطيرة ، اذا ما وضعنا في الاعتبار نتائج الانتخابات البلدية والأغلبية الضئيلة التي حصلت عليها حكومة الائتلاف .

كذلك فإن الطابع المنزى للساسة الشيليين هموما وللرئيس ألييندى أو كما يسمنه « الرقيق الرئيس » يلعب دورا في رسم ابعاد الموقف . ولى دراسة عميقة نشرها البروفيسور **هيوتوماس** في التايز البريطانية عن الطابع المنزى لشيلى يقول :

« أعتقد أنه من الواضح أن الليندى وهو ابن أسرة راديكالية برجوازية وبالرغم من أنه ماركسى مخلص لا يرغب في أن يكون فيدل كاسترو رقم ٢ ، لكنه مصمم على أن يكون الليندى رقم ١ » .

ومع التأكيد من اغلاص الليندى كماركسى لماثا يجب أن نترك بالضغط معنى « الماركسية » هذه . ومن المؤكد أنها تعنى تأميم البنوك ومناجم النحاس ولكن هل تمنى نهضة المزارعين الصغار والتجار الصغار ؟ هذا غير محتمل أبدا »

ويبقى البروفيسور هيوتوماس قائلا « ويدرك الليندى والمحيطون به تماما « الاخطاء » التي وقعت في دولة اشتراكية مثل كوبا . فقد عمل كثير من الاقتصاديين اليساريين الشيليين في

والدستورية لا يعنى أننا ضماكت فإن الشعب الشيلى لديه من الشجاعة ما يكفى لسحق كل من يجرؤ على الوقوف في وجهه » .

واخيرا فإن الليندى قد هاجم « منظمة الطلبة الشعبية » وكشف من ملاقاتها الرمية بالمجموعة الفاشية وبيعض الدوائر الرجعية المشبوهة .

وأورد « الليندى » عددا من الشواهد التي تعزز وجهة نظره هذه فإن واحدا من أعضاء هذه المنظمة قد قتل خلال عملية اغتيال اثنين من رجال الأمن . وبينتيش منزله عثر على كمية من النقود التي سرقتها المجموعة الفاشية في حديث سطو « سياسي » على أحد البنوك . وعثر في منزله أيضا على جهاز إرسال لاسلكى كانت الجماعة الفاشية قد سرقتة أيضا في حادث » .

وقال الليندى أن التحقيقات قد أثبتت أن لحدى المجموعات الفاشية في الجامعة الكاثوليكية بزعامة شخص يدعى « أرامورو » على علاقات وثيقة مع هذه المنظمة التي تدمى لنفسها موقفا يساريا متطرفا » .

والحقيقتان مايفس على الصراع داخلى شيلى حدة غير طبيعية أن حكومة الوحدة الشعبية الائتلافية قد وصلت الى السلطة بأغلبية ضئيلة جدا . ويبدو أن هذه الأغلبية لم تزد كثيرا في انتخابات البلدية التي جرت أخيرا فقد حصلت الجبهة الحكومية على ٤٩.٧٢ ٪ من الاصوات بينما حصلت المعارضة على ٤٨.٥ ٪ .

والغريب أن كلا المعسكرين قد اعلن أنه حقق انتصارا بأهرا في انتخابات البلدية التي جرت مؤخرا ، وربما كان لكل طرف بعض الحق في ادعائه هذا . فأحزاب التحالف الحكومى حصلت على نسبة تتوق كثيرا عما حصلت عليه من أصوات في انتخابات الرئاسة .

ينها — من الناحية الأخرى — كان الحزب الديمقراطي المسيحي المعارض قد حصل على أكبر نسبة من الاصوات بين الاحزاب التي شاركت في الانتخابات .

كذلك فإن التعميد الآخر في الموقف يأتى من أن الليندى وتحالفه لا يهتمان بالأغلبية في الجمعية الوطنية .. ومن هنا فإن كل تصرف « دستورى »

ومثل تصرف في شيلى يجب أن يكون



يوم متوف

وقد وقع بورج اتفاقاً «دفاعياً» مع بريطانيا
مخلفه عشر سنوات، وحصل على مصونات
اقتصادية منها .

وعندما بدأ الاستعداد للانتخابات البرلمانية نزل
حزب العمال ببرنامج مناهض للبريطانيين وأعلن
رفضه لفكرة تحويل مملكة الى قاعدة لاعداد
لأساطيل حلف الاطلنطي .

وقد شعرت «ديلي تلجراف» الليبريانية
الحافظة بالخطر من احتمال فوز العمال في
الانتخابات فذهبت الى «تصعيد» مسالطة الى
مرتبة «الشريعة» بدلا من مكان «المسيح»
وطالبت «بالبدء» فوراً في مباحثات جادة لضم
مملكة كمعضو عامل الى حلف الاطلنطي .
وقالت «الديلي تلجراف» «إن الاتحاد السوفيتي
يمكن أن يكون مرشحا للمصون على قواعد
عسكرية في مملكة اذا فاز حزب العمال في
الانتخابات» .

أما يوم متوف زعيم حزب العمال فقد تسلم
قبل دخوله للحركة الانتخابية بإضافة الى
شعاراته الوطنية «بتحييد» الكنيسة الكاثوليكية
ذات النفوذ القوي والتي رقت في انتخابات عام
١٩٦٦ صراحة ضد حزب العمال وقد أعلن انه «لا
يريد السوفيت لكنه أيضا لا يريد الأميركيين ولا
الانجليز» وأعلن أن مملكة يحكم وضعها
الاستراتيجي «يجب أن تقف على الحياء» .

إن شعب مملكة الذي يعاني من انتشار البطالة
بصورة متزايدة اعطى صوته لمتوف مؤملاً أن
تخرج مملكة من حصار حلف الاطلنطي وأن تفتح

كوبا . بما فهم جاك شونشول وزير الزراعة
الحالي .
كذلك يلاحظ البروفيسور توماس هدية
ملاحظات عامة تؤثر في الطابع العام للشعبي
فالجيش بعيد عن السياسة . وكذلك فإن العنف
السياسي ممساة غريبة على مناخ شعبي ،
فإن أحدا من الشيوعيين أو الاشتراكيين لم يقض
زهرة ميرة في السجن كما فعل معظم شيوعيين
أوروبا الشرقية ، كما أن أحدا منهم لم يقض سنوات
الكفاح وسط الجبال كما فعل كاميترو .
ويوجه توماس النظرا أيضا الى بعض المصاعب
الاقتصادية ، فالاجور قد ارتفعت في عهد الليندي
لكن الانتاج العام قد انخفض . . والاستثمارات
تقل ، فالاجانب يجهون عن استثمار أموالهم
وكذلك البرجوازية «المحطية» لها البرجوازية
الوسطى فأنها تتفق كل مخزاتها فيما تتخيل انه
آخر فرصة للاستمتاع بمباهج الحياة قبل التشف
الاشتراكي . . ويؤدى هذا الى حالة من التضخم
الشديد .

وإذا كان الدستور الشيلي ينص على رئيس
للجمهورية من أن يرشح نفسه مرة أخرى فإن
شركاء الليندي يطالبون من الآن الى انتخابات
الراسسة في عام ١٩٧٦ ويحتفظ كل منهم في
شعاراته ومواقفه استعداداً لهذه الانتخابات .
ويرى المرابون أن الصعوبات التي تواجهه
حكم الليندي لا يمكن إلا أن تضعف المناورات
والمحاولات المشبوهة التي تضطلعها الامبريالية
الامريكية ضد النظام التقدمي في شيلي . ومن
الواضح أن قوى الامبريالية تسارب بشدة
على حركة اتعمى اليمين وهركة اليسار المخامر
في أن واحد .



■ مملكة ■

رياح جديدة تهب على الموانئ الخمس

بأغلبية صوت واحد استطاع حزب العمال أن
يصل الى السلطة في مملكة ، الجزيرة ذات الموانئ
الخمس .
وطوال السنوات السبع للاستقلال ظلت مملكة
تحت حكم الحزب الوطني برئاسة يورج ، وهو حزب
لا يخفى أن تصويره لمستقبل مملكة هو أن تظل
حوضاً جامئاً ومرقاً لسفن الاسبريكي
الساسد وأماطيل حلف الاطلنطي .

وقال منتوف «إن على بريطانيا إذا أرادت أن تتفقد تسهيلاتها العسكرية في مالطة أن تمقد اتفاقات أخرى تكفل للجزيرة اجرا ملائما ، والا فان من يريد الانتفاع بهذه التسهيلات سيتعين عليه أن يتفاوض مع حكومة مالطة ولا يحصل عليها من الانجليز مباشرة »

ولم يضع منتوف كثيرا من الوقت فعلى الفور طلب الى سير موريس دورمان الحاكم البريطاني للجزيرة أن يستقبل وعين بدلا منه كبير القضاة كاول حاكم وطني .

ثم اسرع ايضا باتخاذ سلسلة من الاجراءات لتصفية محاربي سياسته من مناصب السلطة فاقال قائد البوليس ، وطرد عددا من كبار المسؤولين والسفراء الوالدين للغرب .

ثم توجه بنفسه الى عمال لحواض البناء الذين استمروا مضربين عن العمل لبيعة لشهر كاملة وبعد مناقشات شخصية مهم أعلن العمال انتهاء الاضراب .

وفي ٢٥ يونيو قرر منتوف طرد قائد قوات حلف الاطلنطي في جنوب اوريا من الجزيرة .

وفي ٢٧ يونيو اضطرت حكومة مالطة للولايات المتحدة ولكنها لا ترحب في استقبال زيارات من السفن الحربية الأمريكية في الوقت الحاضر حتى تتم اعادة النظر في الترتيبات العامة .

وانفجرت مظاهرات شغب مالطة تاييدا للسياسة الجديدة ، ومارست مظاهرات ضخمة تؤيد منتوف الذي وقف ليردد مع المتظاهرين شعارات العداء لبريطانيا وحلف الاطلنطي .

وتشجع منتوف مستندا الى تأييد شعبي جارف وأعلن إلغاء الاتفاقية العسكرية مع بريطانيا وأعلن البيان الذي أصدرته حكومة مالطة في هذا الصدد أن « وجود حلف الاطلنطي في الجزيرة ، لم يكن قائما على اتفاق تصادى » وأنه في الوقت الراهن فان زيارات الاسطول السادس الأمريكي لمالطة تتعارض مع المصالح القومية المالطة .

ورفضت بريطانيا أن تترف بالفاء الماهدة وصرح متحدث بريطاني قائلا « اننا نأمل أملا كبيرا في أن تتم تسوية مسألة القوات البريطانية في مالطة بصورة ودية بين البلدين باعتبارهما عضوين في الكومنولث » ثم ما لبث وزير الاعلام في حكومة مالطة أن أعلن « أن حكومته ترحب في أن تتخلص نهائيا من وجود قيادة حلف الاطلنطي

موانئها أمام جميع الامماتل بما في ذلك الاسطول السوفيتي .

ويبدو ان هذه هي « عقدة » الخوف الامماتية عند الغرب من حكم منتوف . وقد مير من هذا الخوف المطلق الأمريكي المعروف سالزبرجر في مقال له « بالنيويورك تايمز » فقال « ان الاسطول السوفيتي في البحر الابيض والذي يتراوح عدده بين ٤٢ و ٢٣ قطعة يمانى اساما وحتى الان من نقص حاد في حاملات الطائرات » ثم يعرض سالزبرجر قائلا في تلميح واضح « وعلى أية حال فان مالطة قد لعبت طوال الحرب العالمية الثانية دور حاملة طائرات لا يمكن اغراقها »

ويرى سالزبرجر في مقاله فقرة من تقرير أعدته مجموعة من خبراء الامن في دول غرب اوريا تقول : ان مالطة موقعا هاما جدا في هذه المنطقة . وهكذا فان اقتراح ضم مالطة الى حلف الاطلنطي ليس مجرد طلب تقدم به عضوان في الحلف وإنما هو طلب يتمتع بتأييد أكثرية الاعضاء .

ويضي التقرير قائلا « ان حكومة مالطة تريد ان تتخلص من الاساس » بالهزلة » وتريد أن تتجاهبه دعوة حزب العمال الى « الحياد »

ولم يكن الضغط على الفاضلين في مالطة مركزا فقط على سلسلة من المقالات أو المطالبات « بمنح » مالطة عضوية حلف الاطلنطي ، وإنما كانت هناك المناورات التي قام بها الاسطول الفرنسي تحت اشراف شخص من بومبيدو . وكانت هذه المناورات كمشا نشرت مسجلة « كوميكا » الفرنسية اعلنا عن أهمية المصالح الفرنسية في البحر الابيض ، وقد ربطت « كوميكا » بوضوح تام بين هذه المناورات وبين الانتخابات في مالطة قائلة « ان هذه الانتخابات ذات أهمية تاريخية لانها ستقرر ما اذا كانت هذه المستعمرة البريطانية ستواصل طريقها في الامار الذي حددته لها العالم الغربي لم انها متفخار الطريق الاشتراكي . ومثل هذا الاختيار قد يفضيها الى انتهاج سياسة حيادية لن تستفيد منها سوى البلاد والنفوس المصادية لكثلة الدول الرأسمالية والامبريالية »

ونجح منتوف وصحيح أنه نجح باغلبية مقعد واحد لكنه نجح على أية حال ، وتولى السلطة في مالطة ليلين في اليوم الأول ، أنه لا يزال على عهده الذي فطمه على نفسه في الانتخابات بفالفام الانتخابيات الديمقراطية المحلية مع بريطانيا

تقارير الشؤون

أذاعت مقالاً هاماً ختمته بقولها « إن شعب مالطة يطالب بوقف سياسة التهديد المشينة التي يتبناها حلف الأطلسي وأن جميع المناضلين المخلصين من أجل السلام والأمن ليقفون إلى جانب شعب مالطة في نصاله العادل ».

والقواعد البريطانية كما ترغب في تحقيق موقف الحبيد وتنمية العلاقات القائمة على أساس المساواة مع كل دول العالم ».

لقد أعلن متتوف برنامجاً انتخابياً من أربع نقاط أساسية :

● عمل لكل عامل في ظل اشتراكية تنبع من واقع الجزيرة .

● إلغاء المعاهدة البريطانية .

● الحياد بين الشرق والغرب .

● علاقات قوى مع الدول العربية ودول الشمال الأفريقي .

بريطانيا

ماذا يعني الانضمام للسوق المشتركة ؟

أصبح دخول بريطانيا إلى السوق الأوروبية أمراً وشيك الوقوع ، وقد حددت الحكومة البريطانية موعداً لذلك في شهر يناير (١٩٧٢) . وفي صفحات الكتاب الأبيض الذي أصدرته الحكومة خلال الأيام الماضية تضمنت صفحات هذا الكتاب وجهات النظر المؤيدة للدخول . بعد أن أصبحت « السوق الأوروبية » بمثابة التكتل الاقتصادي الذي لا يمكن إغفاله في مجال التجارة المالية . فبينما ارتفع « الإنتاج القومي » للولايات المتحدة الأمريكية بنسبة ٣٠ في المئة زاد إنتاج دول السوق ٦٠ في المائة .

ومن ناحية أخرى ، ترى الحكومة البريطانية أن خصم بريطانيا قد انحصر خلال السنوات الأخيرة في نطاق الصناعات العالمية وقد أدى ذلك إلى تزايد المعز في الميزان التجاري . ومن ثم فإن مجد بريطانيا الذي انحصر بالفعل في إغارات الأخرى . لابد وأن يلعب داخل القارة الأوروبية دوراً هاماً . ومن خلال صفحات هذا الكتاب ظهرت أبرز النقاط التي سيرتقب عليها دخول بريطانيا إلى السوق في ذلك الموعد :

● سيؤدي انضمام بريطانيا إلى إزالة الحواجز الجمركية الصناعية بينها وبين دول السوق ، وسوف يتم إزالة هذه الحواجز تدريجياً . وفي كل عام بنسبة ٢٠ في المائة حتى تنتهي تماماً . أما الحواجز الجمركية المفروضة

وهكذا فإن جانباً هاماً من جوانب سياسة الحكومة الجديدة هو تعزيز العلاقات مع العرب .

والحقيقة أن هذا الموقف يمثل خطوة بالغة الأهمية بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي الذي لعبت فيه مالطة وقوى الاستقلال السادس وحلف الأطلسي دوراً مباشراً وأساسياً .

ويرى المراقبون أن تقارب مالطة مع البلاد العربية وانتهاجها سياسة محايدة ربما يمثل كسباً هاماً في توازنات القوى فوق أمواج البحر الأبيض ، تلك الأمواج التي تتلاطم دوماً على ضفاف المنطقة المتهبة في الشرق الأوسط .

وكانت ليبيا هي أكثر الدول العربية تتجاوبا مع الاتجاه الجديد واهتماماً به ، وفي ٧ يوليو أعلنت حكومة ليبيا الإفراج عن الأموال الماطلية المجمدة في المصارف الليبية ، وأعلنت أن الرئيس القذافي قد استقبل مبعوثاً خاصاً للتوف ، وتباحث معه حول تعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين .

والقرب لا يخفى قلقه المتزايد من تعزيز العلاقة بين مالطة والعرب حتى أن « كوما » الفرنسية تقول : « إن متتوف بعيد كل البعد عن أن يكون ماركسيا راديكاليا ، بل هو في الواقع رجل مأكرو ووافي ويرغب في أن يساير جميع الأطراف . ولكنه أن يستطيع الصمود طويلاً أمام الضغط الذي يتعرض له من جانب نوابه الذين سيدفعونه إلى التقرب من الدول العربية . وبعد ذلك إلى التقرب من المعسكر الاشتراكي » .

وفي وجه التهديدات المتزايدة من جانب حلف الأطلسي فإن نشرة آخر الأنباء السوفيتية قد

الواد الغذائية • بيد أن هذا من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع أسعار هذه السلع وارتفاع تكاليف المعيشة ، لكن هذا سوف يولج بخفض الأسعار للسلع المصدرة من جانب بريطانيا نتيجة لخفض الحواجز الجمركية • ومن ثم يحدد الكتاب الأبيض الآثار التي سوف يجنى ثمارها « المصنر » البريطاني إذا ما تم خفض هذه « الحواجز » على صادراته • فاما أن يبقى هذا المصدر على ارضان « صادراته ويزيد من أرباحه المحقة أو يعمل على « خفض » هذه الأرباح لكي يوسع من نطاق « مبيعاته » • هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى سيؤدي انضمام بريطانيا إلى السوق إلى خلق سوق واحدة قوامها ٢٢٦ مليون نسمة • وفوق ذلك كانت هناك اعتبارات بالغة الأهمية • من وجهة نظر الكتاب الأبيض • فقد أثبتت التجربة أن دول السوق حقلت نموا صناعيا أسرع مما حقت بريطانيا • ففي خلال المرحلة ما بين ١٩٥٩ ، ١٩٦٩ كانت كل دولة من دول السوق ترحب ما يقرب من ٢٢ في المائة من « الناتج القومي الإجمالي » إلى أغراض الاستثمار ، بينما بلغت النسبة في بريطانيا ١٧ في المائة • وقد استطاعت دول السوق أن تحقق الفائض في ميزان المدفوعات بما يقرب من ٢٥٠٠ مليون دولار ، بينما عانت بريطانيا من العجز في ميزان المدفوعات خلال هذه المرحلة ••

ورغم كل ذلك ، فهناك طوائف المعارضين وطني رأسهم حزب العمال البريطاني ، والاتجاهات الشعبية الموالية له ، حيث يرى حزب العمال أن انضمام بريطانيا إلى السوق سوف يؤدي إلى عملية نزوح كبيرة لرموس الأموال البريطانية ، يمر المائش إلى أوروبا • أما رجال الصناعة فهم يؤيدون بالطبع هذا الدخول • وكان خلقهم في هذه المرحلة أن النتائج المشرية لدخول بريطانيا السوق لن تظهر بطريقة « أوتماتيكية » ولكنها ستظهر على المدى الطويل ومن ثم يجب اقتناص الفرصة المتاحة للدخول إلى السوق ، ومن هنا نرى أن الآراء تتضارب بخصوص هذا الأمر وسوف تعمل الأيام القادمة المزيد من الاتجاهات المؤيدة والمعارضة لدخول بريطانيا السوق المشتركة •

على الدول غير المشتركة في السوق فإنها موقفة تردد من جانب دول السوق •

● سوف تساهم بريطانيا في ميزانية السوق في العام الأول بمبلغ ١٠٠ مليون جنيه استرليني ، ثم ترتفع هذه المساهمة في العام التالي إلى ٢٠٠ مليون استرليني •

● سيترتب على دخول بريطانيا السوق ارتفاع واضح في أسعار المنتجات للمزارع البريطانية بزيادة قدرها ٨ في المائة تقريبا •

● من المتوقع أن ترتفع أسعار المواد الغذائية خلال مرحلة الدخول بنسبة ١٥ في المائة وهذا من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع في تكاليف المعيشة بنسبة ٥٠ في المائة في كل عام على الأقل •

● وقد رفضت الحكومة البريطانية في هذا الصدد أن تحدد بشكل كمي نسبة الخصائر المتوقعة من فقدان « المزايا الجمركية » التي تتمتع بها بريطانيا في دول الكومنولث ، وأن كانت قد بررت تلك الخصائر بما جاء في الكتاب الأبيض بأن نصيب بريطانيا في نطاق التجارة مع دول الكومنولث تضائل بشكل واضح خلال السنوات الأخيرة • هذا ، بالإضافة إلى عامل آخر لا يقل خطورة من العامل السابق وهو أن حصول دول الكومنولث على استقلالها السياسي قد غير علاقاتها الاقتصادية بالطبع مع بريطانيا وما زالت هذه العلاقات تتغير منذ ذلك التاريخ •

• ومضى الكتاب يفسر أسباب الدخول وكان أبرز ما جاء في مسجلته الطويلة أنه إما أن تدخل بريطانيا السوق وتبني مجد أوروبا القوي ، في تنسخر جانبنا لتحقيق اعتماداتنا من أسيق الأبواب وعضت الحكومة تقول : - أن دخول بريطانيا إلى السوق سوف يؤدي حتما إلى عمليات انماش واسعة للاقتصاد البريطاني ، وأنه يمكن الحكومة من مواجهة مشاكلها الاقتصادية كما أن مبدأ القبول التفريري للسياسة الزراعية المشتركة سوف يؤدي حتما إلى انماش منتجات المزارع البريطانية ، وإن يفتح بالفعل أسواق دول السوق للمصادرات البريطانية وعلى الأخص المصادرات من

■ الياباني

اتفاقية عودة أوكتاوا وخيبة أمل الشعب الياباني

التي نظمها الاتحادات المختلفة مائفة بسقوط الاتفاقية ، ومنقضة على المسكرات الأمريكية بقنابل مولوتوف وقد عارضت أحزاب الجزيرة الإتفاق باعتباره « يتجاهل مشاعر أهالي أوكتاوا من أجل مصالح أمريكا » أما موقف « مجلس أوكتاوا للمودة إلى الوطن » كما هو معروف فيتمثل في « المطالبة بالعودة الفورية الكاملة غير المشروطة لأوكتاوا ، وإجاساوارا عن طريق إلغاء المادة ٢ من معاهدة الصلح والغاء معاهدة الأمن اليابانية الأمريكية ومعارضة صيغة إعادة الجزر المشروطة بالسماح للولايات المتحدة بالاحتفاظ بقاعدتها النووية تلك الصيغة الزائفة التي تطرحها الدوائر اليابانية والأمريكية الحاكمة » .

ومن ثم يرى المراقبون أن قضية الشعب الياباني ترجع إلى بنود الاتفاقية التي تربط اليابان بالاستراتيجية الأمريكية أكثر من قبل ، وتقوى من معاهدة الأمن التي يعارضها، وحيث تخلو الاتفاقية من النص على دفع تعويضات من خسائر الإهالي وعلى إخلاتها من الأسلحة النووية وبمسماحها باستمرار الطابع العسكري للجزيرة ، ويقاء ٨٨ قاعدة [حيث ستعاد إلى المثلثين مساحة القواعد فقط] وحق أمريكا في العودة للقاعدة عند الضرورة واتخاذ أي إجراء عسكري يفهم أمناها ضد أي دولة . وتخشى قطاعات الشعب الياباني أن يدفع هذا الوضع للياباني إلى القود في حرب لا تريدها ، على اعتبار أن الاتفاقية لا تكفل العودة صورية للجزيرة .

ويتوقع المراقبون أن تستغل الحكومة الاتفاق في انتخابات مجلس الشيوخ المقبلة ، كما حدث عام ١٩٦٩ حين استغلت صدور البيان الياباني الأمريكي في انتخابات مجلس النواب . ولكن يتبقى أمر يقلق المسؤولين ، فعندما يأتي إبريل القادم ، ستعرض الاتفاقية على البرلمان الياباني والأمريكي للتصديق عليها - بعد هذه المعارضة للشعب الياباني المعارض للأسلحة النووية وللوجود الأمريكي خاصة وأنه يتصادف في نفس الشهر أيضا يوم أوكتاوا السنوي للمطالبة بالعودة للوطن والذي يسقط فيه عادة الكثير من القنلى والجرحى كل عام .

في فبراير ١٩٦٩ صرح رئيس مجلس مشكلات أوكتاوا : « أن أوكتاوا قد أصبحت وربما خبيثا في العلاقات الأمريكية اليابانية » ورغم توقيع اتفاقية لإزالة هذا الورم في يونيو ١٩٧١ إلا أن اليابان اشتملت بمظاهرات سقط فيها القتلى واعتقل المئات - احتجاجا على المودة المشروطة لأوكتاوا إلى اليابان من تحت السيطرة العسكرية لاحتلال الأمريكي الذي حدث في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، والذي استمر ، حتى وقعت معاهدة الصلح مع اليابان في ١٩٥١ ، فاعتلت للولايات المتحدة السيادة المطلقة على الجزيرة ، وظلت السلطات العسكرية الأمريكية تحكمها من الناحية الفعلية بواسطة منوب سام ، وأقامت فيها أضخم معبوضمة من القواعد العسكرية للنووية وغير النووية (١٤٨ قاعدة) شنت منها الهجمات على الشمين الكوري والفيتنامي والحملات الموجهة لأهالي الشعوب .

ولا شك أن الأهمية الاستراتيجية لأوكتاوا - وهي إحدى أربع جزر تضمها جزر ريوكيو - هي التي جعلت منها مقعلا استراتيجيا للخفاف من المصالح الأمريكية في آسيا كلها ولفيتنام خاصة ، « فيدون أوكتاوا لا نستطيع الاستمرار في حرب فيتنام » . إذ تقع الجزيرة في المحيط الهادئ في مركز قوس طويل من القواعد العسكرية يمتد من كوريا الجنوبية واليابان إلى منطقة جنوب شرق آسيا مارا بفورموزا ، بحيث أصبحت تمثل قلب الذرع النووي الأمريكي بما تضمه من المعدات الهجومية والأسلحة الكيماوية والنوية التكتيكية ومنها منصات المصواريخ وطائرات للتجسس .

والاتفاقية الجديدة التي تقضى بعودة أوكتاوا قبل يوليو ١٩٧٢ تتماشى مع مضمون البيان الأمريكي الياباني الصادر في ١٩٦٩ والذي يدعو لإعادة أوكتاوا دون إضرار بالمصالح الأمريكية في الشرق الأقصى - وهذا ما خيب آمال الشعب الياباني بأحزابه وقطاعاته المختلفة وخاصة الاشتراكيين والشيوعيين ، فاندفعت المظاهرات

مدخل السياسة الأمريكية للعالم العربي
شيلي ... الوحدة الوطنية

مكتبة
الطلعة

مدخل السياسة الأمريكية للعالم العربي

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه جون بادو استاذ الدراسات العربية ، ومفكر معهد الشرق الاوسط بجامعة كولومبيا ، صاحب خبرة بالسياسة الأمريكية تجاه الشرق الاوسط ، وعلى علم بأهداف تلك السياسة ومراميها من خلال عمله كسفير أمريكي بالقاهرة ، ورغم النص على أن ما جاء في الكتاب يعبر عن وجهة النظر الشخصية للمؤلف ، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يجد جون بادو حين تأليفه للكتاب منطلقات من وجهة النظر الأمريكية الرسمية .

وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يبالغ تطور العلاقات العربية الأمريكية ، ورغم أنه تمرص كثيرا للأحداث السياسية في المنطقة العربية خلال السنوات القليلة الماضية في محاولة للتحرف على دور الولايات المتحدة ، إلا أنه يقر في تقديمه بالكتاب بأنه لم يكن يرمى إلى إعطاء القارئ تسجيلاً أخبارياً لتفاصيل السياسة الأمريكية تجاه كل من الدول العربية ، وإنما كان هدف جون بادو وضع إطار عام للعلاقات من وجهة نظره والموضوعات التي استخدمها كقاعدة للاحكام

■ تأليف ■

جون . س . بادو

■ عرض وتلخيص ■

محمد عبد الرؤوف سليم

■ الناشر ■

مجلس العلاقات الخارجية

السياسية التي ستكون أثناء قراءة صفحات الكتاب تقييما للصور الذي قدر للولايات المتحدة الأمريكية أن تلعبه على مسرح الشرق الأوسط، ولذلك فقد فضل أن يكون عنوان كتابه « الاقتراب الأمريكي من العالم العربي » وليس « السياسة الأمريكية تجاهه » على أساس أن الكتاب يعالج ماهية التجاهل الأمريكية في تعاملها مع دول المنطقة ».

ويمتدح المؤلف انه أولى قدرا كبيرا من الاهتمام بالشخصية المصرية في السياسة العربية عامة، ويرجع ذلك بمسبيين : اولها اقامته الطويلة بالقاهرة ، وثانيهما أن الجمهورية المتحدة تقوم بدور القيادة في الشرق العربي. ونالت قدرا كبيرا من اهتمام السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية .

ويرى السفير الأمريكي بأن السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط تمرير عن تطور جديد في العلاقات الدولية الأمريكية منذ انضمت الولايات المتحدة طريق الحيدة السياسية تطبيقا لوصية جوديت واشنطن وبدأ مفرد ، غير أن اكتشاف البترول في الشرق الأوسط أوجد مجالا للمصالح الأمريكية ، ورغم أن بريطانيا ظلت بصد انتهاء الحرب العالمية الثانية تقوم بدور القيادة السياسية والعسكرية في المنطقة ، إلا أن مركز بريطانيا تعرض لحوادث الضعف وصفة خاصة بعد أزمة السويس ، وفي نفس الوقت طرأت على المنطقة عوامل سياسية حالت التدخل الأمريكي بشكل أو بآخر حماية للمصالح الغربية ، منها انفجار الصراع العربي الإسرائيلي والحركات التقدمية والثورية ذات الصلة القومية العربية وتزايد النشاط السوفييتي في المنطقة ، وقد بدأ « الاشتراك الأمريكي » جزئيا في السياسة الغربية تجاه المنطقة منذ التصريح الثلاثي الملن في ١٩٥٠ والذي تضمنت فيه كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا الحدود الدولية في المنطقة العربية ، ثم تكوين منظمة الدول حشد حسن الشرق الأوسط (١٩٥١ - ١٩٥٢) وعقد ميثاق بغداد سنة ١٩٥٥ ، وبعد انهيار مركز بريطانيا كتنجبة لحرب السويس برزت فكرة أحلال النفوذ الأمريكي محل نظيره البريطاني في العالم العربي . ذلك أن فضل العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ لم يكشف فقط حقيقة أن بريطانيا فقدت القدرة على حماية مصالح الغرب في البلاد العربية ، وإنما كانت نتائج الفضل قد مهدت مركز الغرب في المنطقة بأمرها ، هذا على الرغم من أن الولايات المتحدة عارضت العدوان .

ويرى بعض المراقبين كما يذكر المؤلف - انه لو تمكن الموقف الأمريكي الى تأييد للعدوان

لتم تدويل القضية ، غير أن جسون بادو ينحو باللائمة على بريطانيا وفرنسا مؤكدا انه لو أن العمل البريطاني الفرنسي بدأ بعد تأميم القناة مباشرة لكان انصياع مصر لأم لا مفر منه ولواجه المجتمع الدولي الامر الواقع . على أي الأحوال فإن الدبلوماسية الأمريكية بقى بانه ليست هناك دلائل على إمكان وجود حكم بديل لحكم ناصر له شخصية تختلف جوهريا عن سالفه ، أو أن يكون تأييدا للغرب ، فلو أمكن الاطاحة بحكم ناصر لكانت النتائج تحتم ايقاف ما أسماء جون بادو بقومية مصريه أكثر راديكالية بولكان . من الممكن أن يتبدل العالم العربي ومعظم الدول الجديدة النامية عن المسكر الغربي ، والأكثر أهمية انه كان من المحتمل أن يكون مصير الأمم المتحدة نفس مصير عصبة الأمم حين عجزت عن أن تقف موقفا مؤثرا أثناء احتلال إيطاليا للحبشة . ولذلك فإن المؤلف يؤيد موقف بلاده من أزمة السويس ، وفي نفس الوقت يحاول تبرير تدخل الولايات المتحدة في شؤون الوطن العربي كوسيلة لتخفيف الاهداف الغربية المشتركة ، ومنها استمرار ضيق البترول واحتواء أي توسع سوفييتي في المنطقة .

ويحاول جون بادو أن يعرض سريحا للعلاقات العربية السوفييتية منذ اتجهت مصر الى المسكر الشرقي في محاولة ناجحة لكسر الاحتكار الغربي للصالح ، ثم استمرار « مساعدات السوفييتية للدول العربية الثورية في المجالات الاقتصادية والسياسية في نطاق الأمم المتحدة » ، وفي هذا السياق يؤكد الدبلوماسي الأمريكي حقيقة هامة تتمثل في أن شخصية الاتحاد السوفييتي المتعامدة مع الدول العربية لم تكن منطقة على منطق التهديد بالقوة ، وإنما من خلال التعرف على امان القومية العربية ، ومن هنا كان نجاح السوفييت في تقديم بديل عن الشخصية الغربية تختلف في المضمون والجوهر ، الامر الذي جعل الولايات المتحدة تواجهه كما يذكر المؤلف مناهضا قويا وخطيرا ، لم تواجهه بريطانيا أو فرنسا في المنطقة منذ الانتفاخ الألماني نحو الشرق .

ويحاول المؤلف في الفصل الثاني تحديد طبيعة المصالح الأمريكية في المنطقة ، فيذكر أن بعض تلك المصالح كانت غربية ودولية وليست أمريكية بالمعنى الضيق ، وفي نفس الوقت يحاول الربط بين المصالح الأجنبية وبين التأثير الطارئ على الحياة العربية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ويحدد المؤلف عاملين اثنين لتخصل الولايات المتحدة في شؤون الشرق الأوسط ، اولهما يتحقق باحتواء « التوسع السوفييتي » بجوانبه السياسية والاقتصادية والعسكرية والعقائدية ، ويمثل ثانيهما في المحافظة على الميال العالي ، ومن هذا المنطلق يعطى جون بادو تعريفا محددا للمصالح

الوهن حين يمزو ذلك التأييد إلى أن السياسيين الأمريكيين يجبون في يهود يلائهم مصالحه للصوات الانتخابية والنقود ، ومن هنا يسير تعرض الكونغرس الأمريكي والحكومة الفيدرالية لضغوط متصلة من أجل وضع اعتيان خاص لاسرائيل حتى وان كان ذلك على حساب المصالح الأمريكية .

ويرى المؤلف أن توجيه السياسة الخارجية للدول العربية من صميم المصلحة الأمريكية ، فبينما يظهر ارتباطه لوقوف دول الشرق الأوسط غير العربية (تركيا وإيران والباكستان) مع الغرب في المشكلات العالمية كاتمكاس لمصالحها مع الدول الغربية من خلال حلف الاطلسي والحلف المركزي ، يبدى المؤلف استياء من معارضة الدول العربية في الاشتراك في احلاف عسكرية مع الغرب وانتهاجها سياسة عدم الانحياز ، يس ان الدبلوماسية الأمريكية يعيب على بعض الدول العربية موقفها المتحيز المتعارض مع موقف الدول الغربية الاستعمارية في مراكز التوتر العالي ، ويضرب على ذلك مثلا في موقف الجمهورية العربية المتحدة من مشكلة الكونجو والنزاع البنياني التركي على الفرس .

وفي الفصل الثالث يناقش المؤلف التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ، أي مع الفترة التي شهدت انتقال السلطة إلى أيدي أبناء البلاد في نطاق استقلال وطني في أعقاب مرحلة تاريخية شهدت السيطرة العشائنية البعالة على معظم البلاد العربية ثم السيطرة الغربية التي حلت محلها ، وما يستتبع ذلك من موقف الدول العربية الحديثة الاستقلال من حركة الاستعمار المالي ، ويرى المؤلف أن سياسة عدم الانحياز التي اتبعتها الدول العربية جماعة وجدت مرتما خصبيا للحركة السياسي السوفياتي في الدول الأكثر راديكالية مثل الجمهورية العربية المتحدة وموريا بكنس الدول العربية التقليدية مثل السعودية والأردن والتي أما رفضت إقامة علاقات دبلوماسية مع الاقتصاد السوفياتي أو كانت صلاتها به مشوبة بالحدس حتى في الأمور التي لا تؤثر على علاقاتها بالغرب ، ومن هنا ينتهي إلى أن عدم الانحياز العربي ، إما يتجه نحو الشرق ، أو يتجه نحو الغرب ، رغم أنه يقر بأن عدم الانحياز العربي خلق نوعا من الأحجام عن مساندة السياسة الخارجية الغربية أو الشرقية ويسوق دليلا على ذلك معارضة الدول العربية لاستئناف الاتحاد السوفياتي للجحارب الغربية وإعادة تنظيم الأمم المتحدة ومعارضة دول عربية عديدة للسياسة الأمريكية في فيتنام .

وتشكل القومية العربية قوة جديدة في المنطقة

الأمريكية يتصل بالاعتبارات ذات الصلة بالأمم الأمريكي بصورة مباشرة سواء في أمريكا ذاتها أو فيما له علاقة بالعالم غير الشيوعي ، وعلى ذلك فالمصالح الأمريكية تنبثق أساسا من مركز العالم العربي الاستراتيجي ، فرغم أن الدول الشمالية في الشرق الأوسط (تركيا وإيران والباكستان) أكثر تماوتا مع الغرب في النواحي السياسية والعسكرية إلا أن موقعها الجغرافي يبعد عن الطريق الرئيسي للمواصلات العالمية بين الشرق والغرب والتي تقع داخل المنطقة العربية ، وبالإضافة إلى المركز الاستراتيجي تتمثل المصالح الأمريكية في الموارد البترولية واستثماراتها .

ويحاول المؤلف تبرير ما يشبه الوصاية الأمريكية على الدول العربية بالدعوة إلى الحفاظ على استقلال دول المنطقة بصرف النظر عن شكل حكوماتها أو شخصياتها العامة تطبيقية كانت أم ثورية تقليدية ، ومن وجهة نظر بادوفا أن استقلال أحد الدول أو وقوعها تحت سيطرة دولة أجنبية وبصفة خاصة لو كانت شيوعية يضر المصالح الأمريكية لأخطار جسيمة ، كذلك فإن هجوم دولة ما في الشرق الأوسط على دولة أخرى في المنطقة لا أمريكا مصالح مباشرة فيها مثل بترول السعودية أو أنفاة السويس - يشير الإهتمام الأمريكي ، وبالمثل فإن اقتصاد دولتين عربيتين لا يهدد المصالح الجوزمية الأمريكية إلا إذا ترتبت عليه نتائج من شأنها بإلحاق ضخ البترول أو قطع المواصلات ، وأكثر من هذا فإن النزاع داخل المنطقة العربية قد يدمر إلى تدخل خارجي (كما حدث في التهديد السوفييتي أثناء العدوان الثلاثي على مصر وموقف الاتحاد السوفياتي من المواجهة العربية الإسرائيلية سنة ١٩٦٧) ، الأمر الذي قد يجبر الولايات المتحدة على التدخل في مواجهة مباشرة مع الاتحاد السوفياتي .

وينتقد جون باتس هؤلاء الذين يؤيدون احتساب الحفاظ الأمريكي على الوجود الاسرائيلي مصلحة أمريكية ذاتية ، ذلك أن مؤيدي اسرائيل في الولايات المتحدة يرون أن نمو اسرائيل مصلحة أمريكية جوهرية ، زاعين أن اسرائيل تضمن جيباتها الخشيش الديمقراطية الوحيد في المنطقة ، كما أنها مثال للتقدم الذي تقفده الدول العربية ذاتها ، ولذلك فهم يؤكدون إمكان اعتبار اسرائيل حبر الزاوية والأداة في التعامل السياسي الأمريكي مع الدول العربية ، غير أن جون باتس يخالف هؤلاء في الرأي على أساس أن الوجود الاسرائيلي لا يشكل مصلحة أمريكية ذاتية تقارن بغيرها في المنطقة فيما عدا إذا كان الاستقلال الاسرائيلي ذاته معرضا للخطر ، أي أن الدبلوماسية الأمريكي يلف في صف المؤيدين للعدوان الاسرائيلي المستمر على الحق الفلسطيني العربي ، وحجته في ذلك يعتره على

المنطقة ، غير أن المؤلف يقر بأن الوجود العسكري الأمريكي الحالي في الشرق الأوسط لا يقي من هجوم نرى سوفيتي .

وقد حقق الدور القيادي الأمريكي في نشاط الأمم المتحدة غرائد كثيرة للسياسة الأمريكية ، ومن الممكن أن تجد الولايات المتحدة وسيلة للتدخل في شئون الشرق الأوسط من خلال نشاط الأمم المتحدة ، على أن المؤلف يؤمن بمسبب إمكان استخدام المعونة المقدمة للدول العربية سواء من الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي كسائل سياسي ضاغط . ذلك أن التهديد بقطع المعونة الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة لم يرغبها الولايات المتحدة ، وتعتقد الولايات المتحدة على تغيير سياستها ، مثل كلية روبرت في استامبول ، والجاسميين الأمريكيين بالفاسمة ويبروت ، غير أن النشاط الثقافي الأمريكي في العالم العربي أضفى من أن يحقق ذلك الهدف .

وينتقل المؤلف في الفصل الثاني إلى القول بأن السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة في العالم العربي است إلى « توريدها » في أكثر من موقف ، فعدم المشاركة في النزاعات المحلية جعل الولايات المتحدة تقدم مساعدات لدول تنتهج سياسة معادية لها منها مصر رغم علاقاتها الوثيقة بالسوفييت ، بالإضافة إلى النشاط المصري في إفريقيا والذي وصل إلى درجة إمداد المصريين في الكونغو بالسلح ومساعدة حركات الانفصال في أفريقيا والمناوأة بإزالة قاعدة هويلس مما عرض الولايات المتحدة لفتد شديد من قبل أصدقائها .

وقد خصص المؤلف الفصل الثامن لمقومات الصراع الدائر في الوطن العربي ، محدداً تلك المقومات في دوائر ثلاث تتمثل في الوجود السوفيتي ، والنزاع العربي الإسرائيلي والفرق العربي الأمريكي ، أن الوجود السوفيتي - في نظر المؤلف - ينافي تماماً نظيره الأمريكي ، من حيث أن المصالح الأمريكية تتطلب الهدوء والاستقرار والتقدم المنظم بينما نمت المصالح السوفيتية من خلال الفلالق والتوتر والتغيير الراديكالي في المنطقة !!

لما الفزع العربي الإسرائيلي فقد زاد في وهرة مسار الجولوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط ، وكان هبنا مستمراً على الاقتراب الأمريكي من الوطن العربي ، غير أن المؤلف يرى أنه رغم أن الوجود الإسرائيلي يشكل عاملاً هاماً في التوتر العربي الأمريكي إلا أنه ليس العامل الوحيد ، فالمصالح الأمريكية في المنطقة قد

العربية ، تغيرت شكلاً ومضموناً بعد الحزب العالمية الثانية بوقبل الحرب نادی بالفكرة القومية نخبية تقليدية من ملاك الأراضي والتجار وشيوخ القبائل ، مثال ذلك أن هياج المبرينات الذي حدث بمصر ضد البريطانيين كان بقيادة الطبقات العليا من النجيب المصري ، كما أن القادة القدامى في مصر كانوا بامة فكرياً نتاج الثقافة الغربية والحركات الإصلاحية الإسلامية ، حيث سار أغلب الزعماء في نطاق تعاليم الإمام محمد عبده ، وبعد الحرب حل الناصريون والمارفيون محل رجال النحاس باشا وقوى السعيد ، وتغير مفهوم القومية فاصبح - في رأي المؤلف - ثورة الطبقات الأدنى والوسطى على النخبية التقليدية التي تستأثر بالامتيازات ، كذلك حملت سنوات الصراع من أجل القومية أفكاراً تحريرية جديدة إلى ذهن الرجل العادي غيرت المفاهيم السياسية هذه الصامة بشكل رسيخ فكرة الوحدة العربية كهف قومي لسمى رغم الفشل الذي حثت به تجربة الوحدة المصرية السورية سنة ١٩٦١ والوحدة الثلاثية سنة ١٩٦٣ .

ويعتقد جون بانو أن الخلافات العربية الداخلية الناتجة عن الاختلاف بين أشكال الحكم والنظم السياسية والاقتصادية أجبر الولايات المتحدة على اتخاذ أنماط سياسية متباينة تجاه الدول العربية المختلفة كرد فعل للسياسة التي تتبعها كل دولة على حدة ، ويقسم المؤلف البلاد العربية من حيث الانماط السياسية إلى قسمين متضاريين هما المسكر القسدي الثوري ونقوده . الجمهورية العربية المتحدة ، والمسكر التقليدي المتمثل في الدول التقليدية المحافظة مثل السعودية والمغرب ، وينتهي إلى أن الشخصية العربية تأثرت بعد الحرب العالمية الثانية بانتقال السلطة إلى أيدي العرب ، وسياسة عدم الانحياز ، والصراعات المحلية وما يتبعها من حرب باردة محلية ، والمفاهيم القومية الجديدة ، وهي في نظر المؤلف عوامل لا يجب الاستغفاف بها أو التقليل من قيمتها أثناء التخطيط للسياسة الأمريكية تجاه الدول العربية .

وفي الفصل الرابع يترخص جون بانو لادوات السياسة الخارجية الأمريكية ، ويحجدها في القوة العسكرية ، وقبادة العمل السياسي في الأمم المتحدة ، والمصالح المشتركة بين الولايات المتحدة والدول العربية ، والمعونة الأمريكية المقدمة إلى الدول العربية ، والنقوذ الثقافي الأمريكي ، وفي عرضه للمقدرة العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط يشير إلى المنشآت العسكرية الأمريكية في اليونان وتركيا وحلف الأطلسي والحلف المركزي والاسطول السادس المتمركز في البحر الأبيض ، ويقارن ذلك بموجود قواعد عسكرية سوفيتية في

تتناقض مع المصالح الوطنية ، مثال ذلك أن احتواء التوسع السوفييتي كهدف أمريكي يتعارض مع المصالح الذاتية للدول العربية التي ترى الاعتماد على المساعدات الاقتصادية والعسكرية المقدمة من قبل دول غير لاربية .

الاجتمعات العربية التقليدية ، وبالإضافة إلى ذلك امزك أن المراكز الراديكالية في البلاد العربية سوف تلعب في المستقبل دورا أكبر مما كان لها في الماضي .

لذلك فإن المؤلف يعتقد في أن الحياض الأمريكي ازاء الفزاعات المحلية في المنطقة العربية أمر ضروري لى اقتراب أمريكي من العرب حتى ولو كان ذلك على حساب الفزاعات التسوسمية الاسرائيلية . صحيحا قاتمت السياسة الأمريكية في الوطن العربي ، كان ذلك بسبب تنفيذها تمهيدات لا ملاقة لها بالمصالح الأمريكية ، فأصبحت تتشابه في الوقت الذي كان يجب أن تكون فيه منصفة ، وغشلت في مساعدة دائرة أهدافها من خلال وضع أهمية للمراكز التسوسمية .

وفي الفصل التاسع والآخر يتعرض المؤلف لمستقبل العلاقات العربية الأمريكية ، ويعد حوب يونيو كان على الولايات المتحدة أن تعمل ليس فقط على استعادة مركزها القديم في العالم العربي وإنما تأسيس مركز جديد ، وهنا يجب امراك حقيقة هامة هي أنه رغم أن النفوذ المصري نمر يشدة في حرب يونيو فإنه سوف يستمر عاملا أساسيا في الشؤون العربية ، والنتيجة الوحيدة لهزيمة العرب هي تصعيد الشعور بالحاجة إلى تغييرات أكثر في



شيلي ... الوحدة الوطنية

عندما أملت نتيجة الانتخابات في شيلي ، علقت « التايم » الأمريكية على مجيء سلفاتورو ألندي قائلة : « أنه أخطر علينا من كاسترو » ، وقالت « بالتيمورسن » الأمريكية أيضا : « لقد دمرت مكانة الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية » . وإنهالت كل الصفات الأمريكية والتابعة في حملة مسموم على ألندي أو على « كاسترو » بلانفن ، كما أسمته .

والحق أن الأسلوب الذي اتبعته حركة الوحدة الشعبية في شيلي ، والمكونة من ستة لحزاب هي : الحزب الشيوعي ، والإشتراكي ، والراديكالي ، والإشتراكي الديمقراطي ، وحركة العمل الشعبي الموحد ، والعمل الشعبي المستقل ، جدير فعلا بأن يثير حق و رعب قادة الولايات المتحدة ، فهو درس في العمل السياسي الجماهيري ، الدعوي والذكي ، الذي استطاع أن يحبه جماهير المصممين والفقراء والاميين ، والعمال والفلاحين والمثقفين ، لهزيمة مخططات وخبراء الليتاجون والمخابرات المركزية ، والفروع والشركات المحلية لوكتلر وامثاله ، والإقطاعيين المحليين وأصحات المناجم والمصانع والمصارف والذين تولوا الحكم واحتكروه لمدة تزيد عن قرن ونصف قرن ، والعسكريين الانقلابيين ، والاصلاحيين ومفكرى البرجوازية المصغرة . هذا العمل يمثل نموذجا جديدا يهدد بالانقراض

■ المؤلف :

١ . اكوايفا ، ج فورتال

ب . جيلود ، ج . مارسيلان

■ عرض وتلخيص :

كمال السيد

■ النشر :

دار المنشورات الاجتماعية

ياريس ١٩٧١

والتوسع ، انه بالفعل نموذج « معدى » كما وصفه الأمريكيون .

والكتاب الذى اصدرته دار « الفطرسات الاجتماعية » من « شيلى الوحدة الشمسية » بقلم اريمة من المتخصصين يعطى صورة واضحة عن ذلك الانتصار الذى لم يبت شيطانيا ، بل انه انتصار تضرب جثوره فى « مجتمع متخلف اقتصاديا ومتطور سياسيا » . وجاء محصلة عمل وادع ومخطط . وهذه الصورة تبث تماما على ارضى والفاؤل بما يحدث هناك . ولول المسهين فى الكتاب هو **أنتوان كوايفيا** ، صحفي فى لومبى ، جاب معظم ابناء شيلى وشهد معركة الانتخابية وصول ايندى الى السلطة ، والثانى هو **جورج هورنيال** المتخصص فى المشاكل الامريكية وصاحب كتاب « أمريكا فقيرة » ام غنية » . اما الثالث **بيير جيلود** ، يلقى دروسا فى معهد العلوم السياسية وفى معهد الدراسات العليا لامريكا اللاتينية ، ورابعهم **جان هارسين** الذى عاش فى شيلى لمدة ١٢ عاما .

شيلى ذلك البلد النائي

قلت شيلى أو « الأرض الباردة » كما معنى اسمها . محاطة بنوع من القفوض أو حتى عدم الاهتمام ، حتى استطاعت أن تجذب إليها أنظار العالم كله ، بل وقصصها البعض كنموذج يحتذى للتغيير النورى ، ليس فى بلدان العالم الثالث فحسب ، بل وفى أوروبا نفسها ، فقد رشح البعض إيطاليا للأخذ بالنموذج الشيلى .

والواقع أن الحضارة قديمة فى شيلى فقد انتقل إليها الانسان الأول من آسيا عبر المضائق . وظل سكانها يعيشون فى امان حتى جاءتهم أوروبا . ومع أن ماجلان البرتغالى كان أول من رآها فى بحثه عن طريق لجزر الهند الشرقية أقصر من طريق رأس الرجاء الصالح ، إلا أن الاسبان هم الذين احتلوا فى أوائل القرن السادس عشر ، بعد استيلائهم على بيرو وتنصيب نائب للملك فيها ، وتوسع هذا الأخير فى شيلى المجاورة ، فسير إليها عدة حملات عسكرية ، حتى تمكن منها فى ١٥٤١ . ولأنها الاسبانيون سائقوا التسي أصبحت العاصمة فيما بعد .

ورغم امتلاك الاسبان للبارود وحشية جنودهم المرتقة والمغامرين ، فإن نضال السكان لم يمتد حتى ١٨٨٠ ، بقيادة أبطال قوميين مثل **لوتارو الهندى** الذى عاش الاسبان فى مخدعهم كسائيس فى اسبيل حتى أدرك كثيرون من نقط ضعفهم ، ثم غارهم لينظم ويقود المقاومة ضدهم .

وأول ما فعله الاسبان هو البحث عن الذهب والفضة والمعادن الثمينة ، ولكن كان عليهم أيضا

أن يعيشوا من فلاحه الأرض وتربية الماشية . ولدى الحالفين طردوا الاسالى من أراضيهم . واستمروهم لفصل على المناجم والمزارع . ووزعت الاراضى على الفراء . فى ملكيات وصن يصبها الى نصف مليون هكتار ، لزراعتها على مدار جيلين ، أى للفراى وابنه ، ولكنها أصبحت عملا محديا خاصه « وكانت ظروف اليهود ، سكان البلاد المحليين ، المستعمرين مماثله نظروف العبيد فى الحضارات القديمة أو الانان فى المصبور الوسطى ، يسحبون بلا اجر وبلا عباءة كات والسياسة تطلب ظهورهم » .

ونركزت السلطة العليا بيد الحاكم والعائد العام معفى الملك ، وكان له حق تعيين الاراضى بين الفراء وقيادة الجيش وتعيين الموظفين واسمهم . كما كانت الكنيسة ، بمكانتها الدينية وبمعديتها من الاراضى والعبيد ، تحتل مكانة تعادل مكانة الحاكم أو قومه ، ولما تم فى شيلى كما فعلت فى اسبانيا محاكم للتفتيش .

استعمار تجارى

ومعذ اليوم الاول اطلت اسبانيا احتكارها للتجارة مع شيلى ، وتحريم الاتجار مع أية دولة أخرى ، ومع سفن ومهاجرى البلدان الأخرى من الوفود الى شيلى . كما حرمت اسبانيا على شيلى إنتاج محاصيل مشابهة لتلك تزرع أو تنتج فى البلد الأم حتى لا تنافسها . ونتج عن احتكار التجارة غرض اسعار بحسب لمستجبات تشيلية ، والمبايعه فى بيع السلع إليها حتى وصل ثمن السلعة الى ١٠ أضعاف قيمته . وكان من جراء هذا أن سيطر تجارة التهريب . وبدأ سكان البلاد سواء من الاسبان المهاجرين من شبه القارة لقوى وطائف الحكم أو للامسواد على الامتيازات ، أو من المولودين فى شيلى وأن جرت فى عروهم مماء اسبانية ، أو المحليين الذين جاءوا نتيجة لتزاوج السكان المصطنع مع الاسبان أو مع المولدين ، بدأ كس هؤلاء ينسبون من الوفود على التجارة ، ومن جانب آخر بدأت الدول الأخرى حاصه امجنرا تضغط لتخفيف القيود التجارية . ومع تداعى مخائنة اسبانيا دوليا ، اضطرت الى تخفيف القيود . ومع احتكار الاسبان للوظائف القيومية والامتيازات ، فى حين أن القوة بين المولدين وتظلمهم للمناصب السياسية ، وعزوا نسابيون لاسبانيا وتوحيه جوزيف بوباريت ، أعلن « سحان شيلى استقلالهم » وأقيمت أول حكومة وطنية عسكرية فى ١٨ سبتمبر ١٨١٠ ، وبعد مؤتمر قومى ضم ٤٠٠ من الاعيان ، أعلن حرية التجارة ، والقضاء المبودية . ولكن نائب الملك فى بيرو لم يسلم . ويعت الى شيلى بعدة حملات حتى تمكن من استماعتها فى ١٨١٤ . ولكن حرب العضابات استؤنفت فى ١٨١٦ ، وتمكن سكان البلاد من

تخليصها ثباتها في ٥ ليون ١٨١٨ ، وأعلن
« الوطن الجديد » .

١٣٠ عاما من الحياة الجمهورية

لم تكن الجمهورية نتاجا لحركة ديمقراطية
وجماهيرية ، بل لقد انتهر أصحاب الاملاك فرصة
عدم وجود عرش لبباني ، وأعلنوا الاستقلال .

ورحتى ١٩٧٠ ظل هؤلاء يتقاسمون الحكم فيما
بينهم . وفور الحصول على الاستقلال نشب
الصراع ضاريا بين اصحاب المصالح ، والملاك
المقاربيين ، واصحاب المناجم ، والتجار ،
والصيريين ، واصحاب المصانع فيما بعد . وكانت
اساليبهم هي : الانقلابات العسكرية ، تزوير
الانتخابات وشراء الاصوات ، ارساب السكان
بالدوريات المسلحة من الانتصار ، الاغتصاب
السياسي ، رفع العمارات الاصلحية الجوفاء .
فأول رئيس لشيلي أوجيفر اغتال فوراً زعيم
الرايوكاليين لانه طالب بمجلس تأسيسي . وبين
١٨٢٦ ، و١٩٢٩ شهدت شيلي أربعة رؤساء .

وبعد الاستقلال استمرت عمليات ابقاء السكان
المحليين في الجنوب ، وجعلوها عملية مشروع
لصناعة ونوسيع الملكيات المقاربية الكبيرة للملاك
الذين يتجنبون للتصدير ، والذين استولوا على
السلطة السياسية وأقاموا نظاما « مصاصا »
استبعد كل معارضيهم بالقتل والارهاب ، خاصة من
الصياد ، وإنشاء حرسا رجعيا ، ووضع دستورا
في ١٨٢٢ استمر حتى ١٨٩١ يجعل كل السلطات
بيد رئيس للجمهورية .

وشيثا فشيئا بدأت التناقضات تتجتم بين ملاك
الارض والصيريين المرتبطين بالكنيسة ، وحزبهم
المحافظ وبين ملاك المناجم ، الذين تجمعوا حول
الحزب الليبرالي ، الذي ضم الى صفوفه التجار
ايضا ، والصناعيين وبعض كبار المزارعين . وفي
مواجهة هؤلاء ظهر تيار راديكالي كوث حزبي
سياسيا أكثر عصرية من الحزبين محتشرين
للسلطة السياسية . وكان الحزب الراديكالي هو
الحزب الوحيد المنظم على نطاق البلاد ، وضم
الليبراليين ، والجامعيين والملاك المتطورين
وكذلك اصحاب المناجم ، وكان حزبا علمانيا .

« وتحت تأثير الثورات الأوروبية في ١٨٤٨ ،
تجمع شباب سانتياغو حول بعض القادة
الاشتراكيين ، ونشروا الافكار الجديدة في
مجتمع المساواة » . وتمت ترجمة لويس بلان ،
وانتمت كتب ماركس باللغات الأجنبية . « وبدا
الفكر الاشتراكي في الانتشار بين صفوف عمال
المناجم والنقل وغيرها » وفي ١٨٩٧ تكون الحزب
الاشتراكي . ومع ازدياد الضغط على الاجانب ،

وتقامم اضرابات العمال ، تشكل الحزب
الديمقراطي ممثلا للبرجوازية الصغيرة في
محاولة لتجميع أصوات الفئات الشعبية ، وفي
١٩٠١ تشكل جناح يساري في الحزب
الديمقراطي .

ومع الاستقلال تقدم نفوذ رأس المال العالمي ،
ففي ١٨٨٤ أصبحت الاستثمارات الانجليزية ٢٤
في المائة من مجموع الاستثمارات ، والبلدان
الاروبية ٢٠ في المائة ، وبعد الحرب الاولى تقدم
نفوذ الولايات المتحدة وأصبحت تصفد ٤٢ في
المائة من صادرات شيلي وتصدر لها ٢٢ في المائة
من وارداتها . وظلت السلطة الاقتصادية بين ملاك
مناجم اللترات والنحاس الاجانب ، ووكلائهم
وشركائهم الصغار المحليين . وفي موازاة زيادة
الارتباط برأس المال الاجنبي ، تمت بعض الصناعات
الحلية في ١٩٠٠ كان هناك ١٠٠ مشروع هنائي
كبير يستخدم ٦٣٠٠ عامل ، معظمها في
الصناعات الاستهلاكية ، وكانت بتورها تخضع
لسيطرة الاجانب ، الذين كانوا يصحرون الى
بلاذهم في ١٩١٢ ، ثلاثة ملايين جنيه حصتهم في
الارباح .

وظل العمل السياسي حكرا على المالكيين ، فكان
ه في المائة فقط من السكان لهم حق التصويت ،
واستخدام الاعيان نفوذهم في شراء الاصوات .
وكان رؤساء الجمهورية ينتخبون من مجموعة
محدودة للغاية من الاسر من الملك والبرليين ،
فقد كانت الثروة شرطا للعمل السياسي . وكان
الحزب الوحيد الذي له برنامج هو الحزب
الراديكالي مثل : اللامركزية الادارية ، سيطرة
الدولة على التعليم ، حرية الاصحاح ، فصل
الكنيسة عن الدولة . وفي ١٩٠٦ وضع في
برنامج بعض المطالب الاجتماعية وذلك تحت
اشتداد ضغط الحركة العمالية ، وتقدم الحركة
النقابية ، فقد طالب بمقاومة التضخم ، والتممية
الصناعية ، وإنشاء وزارة للعمل . وقد نشطت
الحركة العمالية ، الاتحاد العام لعمال شيلي في
١٩٠٩ . وفي ١٩١٢ تم تأسيس حزب اشتراكي
عمالي في مدن المناجم . وبعد الحرب تقدم نفوذ
الجناح اليساري في الحزب الراديكالي وطالب
قائمه بالتخلص من سيطرة رأس المال الاجنبي ،
وتصوير يوم العمل ، وعند قيام ثورة اكتوبر حياها
الاتحاد العام للعمال ، ونظم مسيرات ضد الجوع ،
بالاشتراك مع الحزب الراديكالي ، والحزب
الاشتراكي العمالي ، والحزب الديمقراطي ،
 واتحاد الطلبة .

وفي ديسمبر ١٩٢٠ قرب الحزب الاشتراكي
العمالي الانضمام الى الدولة الثالثة وتحول في
يناير ١٩٢٢ الى الحزب الشيوعي ، وأصبح له
عضوان في البرلمان . وانضم اتحاد العمال الى
الاممية النقابية الحمراء . وابتدت أزمة ١٩٢٩

الاقتصادية إلى زيادة نفوذ الأحزاب اليسارية ، خاصة الحزب الشيوعي الذي زادت قوته كثيرا بين ١٩٢٧ و ١٩٣٦ . وتحول الحزب الراديكالي إلى حزب ينادي بسيطرة الشعب على وسائل الإنتاج عن طريق مصادرتها . وفي ٤ يونيو ١٩٣٢ قام صغار الضباط بثورة وأعلنوها جمهورية اشتراكية ولكنها لم تستمر سوى أسابيع وأقربها حكم فاشي . وكان الاشتراكيون ، والديمقراطيون ، والبروتستانت ، والراديكاليون الاشتراكيون كتلة يسارية .

وفي نهاية ١٩٣٥ عقد المؤتمر السابع للحلوية الشيوعية ، وعلى غرار ما فعل الحزب الشيوعي الفرنسي ، اقترح الحزب الشيوعي الشيلي ، تكوين جبهة شعبية معادية للفاشية . ووافق الحزب الراديكالي والحزب الاشتراكي ، وقدمت الجبهة مرشحا للرئاسة في انتخابات ١٩٣٨ ، ولكنه لم ينجح .

من الجبهة الشعبية

إلى الوحدة الشعبية

مع اقتراب ٤ سبتمبر ١٩٧٠ ، كانت الأوضاع الراقية في سانتياغو على ثقة تامة من سقوط مرشح الوحدة الشعبية ، ووافقت واشنطن على فوز المرشح رقم ٢ .

وكان المرشح رقم ١ هو انوميريو توميل ، وهو ديمقراطي مسيحي ، يمثل الاستمرار ، ويترشح برطانية ثورية ، وينادي بالطريق الثالث الذي لا يعرف احد الى أين يقضي . أما المرشح رقم ٢ فكان جورج ليندسي ، الذي رأس الجمهورية من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٤ ، وماضيته محل رضاه رجال الأعمال ، وهو من كبارهم إذ يدير أو يسيطر على ٥٠ من أكبر ١٥٠ شركة في البلاد . برنامجه يتفحص في الدفاع عن الملكية الخاصة ، ويرى ترك الحرية كاملة للحكومة تطبيق التأميم أو لا تطبقه ، ويعان أنه شخصيا ضد التأميم ، أما الإصلاح الزراعي فيقول أنه لا يعارضه من ناحية المبدأ ، وأن كان لا يوافق على المصادرة .

وصاحب رقم ٣ من المرشحين هو « الخامس أبدا » أو سلفادور أليندي الذي عزم في ١٩٥٨ وفي ١٩٦٤ وهو عضو بمجلس الشيوخ عن الحزب الاشتراكي ، ولم يكن له منذ في الأوساط المالية ، وأن رأى فيه المدممون و « الحديون » والاميون اقليم .

ومع ذلك فقد فاز أليندي ، رغم خطط الإنتاج والوكالة المركزية ورغم اعداد كميات كبيرة من الأموال على شراء الأصوات ، ورغم التخريب والارهاب الاقتصادي والسياسي ، فكيف حدث هذا ؟

الواقع أن انتصار الوحدة الشعبية لم ينبثق من العدم ، بل جاء نتيجة لحمل دموبي ودروس مريرة للطبقة العاملة وتنظيماتها السياسية والمهنية . ففي ١٩٣٠ ، استخدمت الطبقة المتوسطة العمال وقودا للمدافع ، في الحركة الانتخابية ضد الاليجاركية الزراعية للحصول على مكانة للطبقة المتوسطة . وفي ١٩٣٨ لعبت الطبقة العاملة كما يقول الكتاب دور « الكيان الثاني » في الجبهة يحكومة مثلت فيها الجبهة الشعبية ، وأسفاح اليساريون فيها أن يكسبوا جزءا من السلطة السياسية وأن ظلت السلطة الاقتصادية لليمين . وفي ١٩٤٢ ، و ١٩٤٦ ساهم اليسار في الاتين برفساء مرعان ما تذكروا له ، وكذلك حدث في ١٩٥٢ وفي ١٩٥٨ لم يفز اليسندري على مرشح اليسار الاثلاثين الفا من الأصوات .

ومع تدهور الأوضاع في ١٩٦٤ وفيما بعدها وزيادة عدد الاضرابات العمالية تكونت جبهة العمل الشعبي من الشيوعيين والاشتراكيين . واستمر تحالف الاشتراكيين والشيوعيين على أساس برنامج مشترك ، وكان قادة الاشتراكيين يعضون اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والعكس ، واعتبر الحزب الشيوعي جبريته « السيجل » لسبانا لصالح الحزب الاشتراكي . وفي المؤتمر ١٤ للحزب الشيوعي الذي عقد في نهاية ١٩٦٩ اتخذ قرار بان الوحدة الشعبية الدائمة هي الطريق للتغيير ، على أن تقوم على أساس من تحديد برنامج مشترك ، وحلف سياسي يحدد مفهوم السلطة وتود كل طرف في الفصل المشترك ، وأسلوب خوض « لمركبة الانتخابية » واختيار مرشح للرئاسة .

ووافقت على هذا أحزاب ستة ، ورضع كل منها رئيسا من بينهم ياباوتيرودا الشاعر الشيوعي الكبير عن الحزب الشيوعي (سفير شيلي في باريس حاليا) ولكن هذا أعلن « أن ترشحي يمكن أن يكون مركزا لوحدة ، ولكن يمكن أيضا سعيه من أجل الحفاظ على الوحدة » يجب القضاء على كابوس الانقسام . وإذا ازدهرت الوحدة الوطنية سيندبر الوطن كله . وسيميل الحزب محل الجفاف ، وتضلع الكروم بنبض الخريف . واتفق بالفضل على اختيار سلفادور أليندي مرشح الحزب الاشتراكي ، وطوال سبعة شهور تكونت ١٥٠٠٠ لجنة للدعاية له . وجاب هو كل أنحاء البلاد ومعه لويس كوفالان ، سكرتير الحزب الشيوعي . وأعلن أليندي « لا أريد أن أكون رئيسا كالآخرين ، بل أريد أن أصبح أول رئيس ثوري » . وتقول أليندي بين السلاطين الفقراء مثلنا لهم « أن حكومة شعبية تستطيع إعطاءكم الأرض . أن الوحدة الشعبية لن تشرى أصواتكم بالثقة كما يفعل الآخرون ، بل أن مؤلاء يجتقونكم بمثلهم هذا . أنهم كل ٦ سنوات

خصباً حول ضرورة احترام الشرعية مع الحزب الديمقراطي المسيحي ومع الضباط رؤساً مع اتحاد العمال في الضغط (٩٠٠ ألف عضو) • ولعب الجناح اليساري في الحزب الديمقراطي المسيحي دوره في الضغط أيضاً حتى قرر مؤتمر الحزب التصويت لصالح اليندي • وبالفضل حصل هذا على ١٥٢ صوتاً ضد ٢٥ صوتاً وغياب ٧ أصوات • وتكونت حكومة ضمت ٢ وزراء اشتراكيين و ٢ شيوعيين (للمالية) • والعمال • والاشغال العمومية • و ٣ راديكاليين • وممثل لجريدة العمل الشعبي • وممثلين للعمل الشعبي المستقل • وممثلين للحزب الاشتراكي الديمقراطي •

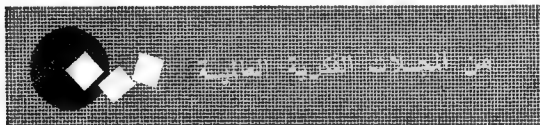
ولاول مرة يتولى العمال الوزارة • فقد كان وزراء العمل • والاسكان والتعليم • والمالية من العمال والنقابيين • ويهدف الحكم الجديد كما حدد في برنامجهم المشترك الى فتح طريق شوي الى الاشتراكية بتأميم مصادر الثروة الاسرسية كمناجم النحاس التي تم تأميمها بالفعل • وارجاء اصلاح زراعي • وهذا ايضا تم بمصادرة حوالي ٩٠ قطاعة من طريق مجاس • للبلديين • ووضعت خطة للاسكان • السريح • ونقص الاسعار • وتم انشاء القطاع العام • وضوعفت ميزانية التعليم • واقيمت العلاقات مع كوب • واعلنت شطلي • تضامنها مع بيرد واكوادور في النزاع مع رأس المال الامريكي •

وبما بعد يوم تلت تجربة شيلي ان عملاً سياسياً واعيناً ودعوية • فغضب على طائفتا ميخائلات الجماهير • قادر فعلاً على تطبيق الانتقال السلمي للسلطة • على الرغم من كل خطط الولايات المتحدة وركائزها في الداخل • والتجربة التي تقدمها شيلي ملينة فعلاً بالجنوس المرافعة والجسيرة بالتمام حقاً •

ينفتحونكم مبلغاً تألفها بصرفاً في اميوس • لايد لكم من ان ترفضوا نقود النار • واعلن اليندي موقفه من كوبا • في كوبا كان كل شيء لليانكي • وجاءت الثورة لتعطى الشعب كل شيء • لبنا وكتبنا للاطفال ولايس وعمالا للجميع • اتنا فؤيد كوبا تماماً • اننا ضد العنف • ولكننا سنقاتلكم من يريدون تكيل بلاندا • وكان اليندي يرد على اتهامه بالمسيح • لا قامة حكتاتورية حمراء • ان من يبقون عليكم في الميحية يزعمون الدفاع عن الديمقراطية • ان اربعين في المائة لا يستطيعون قراءة كلمة ديمقراطية لانهم اميون •

وانفتت الاحزاب المشتركة في الوحدة الشعبية على اقامة حكومة شعبية مشتركة • لا حكومة حزب واحد • وتكون لجنة سياسية مشتركة تدرس مع الرئيس المقبل المشاكل الرئيسية • وتكون حكومة قوية ليس من الناحية البوليسية وانما بتأييد الشعب ومساندته •

وفي ٤ سبتمبر ١٩٧٠ فاز اليندي على اليسندري بارمين ألف صوت • ووفق الدستور يتولى الرئيس الجديد الحكم بعد شهرين • واذا لم يحصل على الاغلبية المطلقة • يكون للبرلمان حق الاختيار بين الاول او الثاني • وفي الحالات السابقة • كان البرلمان يختار تلقائياً من يتفوق في عدد الاصوات (مثلاً فاز اليسندري على اليندي في الانتخابات السابقة في ١٩٥٨ بثلاثين ألف صوت وعلى الفور اختير اليسندري) • وكان اليسار في البرلمان ٨٠ صوتاً فقط من ٢٠٠ صوت • وبدأت عمليات الضغط والازهاق والتخريب ومحاولات تدبير انقلاب في الجيش • وشنت الوحدة الشعبية حملة تهيئة ضخمة وخاملة • وغل العمال والفلاحون الى الشوارع • واجرت الوحدة حواراً



مجلة « الطليعة » المغربية

لنسان حال الاتحاد الوطني
المغربي للشغل

عشر سنوات من الكفاح
والتضحيات من أجل التقدم
الاجتماعي والنهوض الوطني

عشر سنوات • أي طريق قطعها المغرب خلال
هذه السنوات الحيوية من حياة شعب العالم

يمثل الاتحاد الوطني المغربي للشغل
قوة اجتماعية وسياسية هامة في المغرب •
والحال الذي نلغمه اليوم نشر قبل
أحداث المغرب الأخيرة • ولعله يلقى
ضوءاً هلياً على خلفية هذه الأحداث
وأسبابها •

الثالث، هذه السنوات التي حققت فيها التكنولوجيا تقدماً عظيماً دفع بالدول الصناعية الكبرى الى ولوج عوالم جديدة لم تكن لتخطر ببال

هذه المؤسسات في البداية أن تكون هي المرحلة الاولى لاصلاح زراعي حقيقي باتاحة الفرصة لمنتخبي الشعب وان يسيروا جماعيا اراضي الدولة .

ويضاف الى هذه المسؤولية الحقيقية التي تعتبر شيئا جديدا ، ضمان الحريات العامة والحقوق الديمقراطية لساكني الولايتين . ويجب التذكير بأنه لم تتم خلال سنة ١٩٦٠ أية محاكمة صحفية ولم يقع حجز على أية جريدة ، بينما كانت حرية التعبير بجميع أشكالها مضمونة بشكل أكيد .

— في الميدان الاقتصادي : عرفت سنوات الستينيات مجهودا كبيرا للقيام بتغيير جذري ، وتضمن التصميم الخماسي ميذا اصلاح الزراعي ، لكن هذا التصميم قد توقف العمل به بعد ذلك ، بطبيعة الحال ، لان اختياراته لم تعد تتلائم ابدا مع التوجهات الجديدة للحكم . وحظيت الصناعة الجديدة بطريقة اصيلية في مساهمات الدولة مع الراسمال الخاص مما ادى الى خلق اهم المؤسسات التي لا زال التفاهش واقعا حتى الآن ، والذي لم يحن اجلها مكتب الدراسات والمساهمات الصناعية ، الذي انشأه لهذا الغرض ، دورا اساسيا . وعملت الدولة على توفير الوسائل لانجاح سياستها في الميدان المالي بانشاء مؤسسات جديدة كالبانك المغربي للتجارة الخارجية والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية ، وتأميم بنك المغرب . وفصل الفرع المغربي من الفرع الفرنسي ، وتقنين التحويلات لتأمين التراكم الداخلي للراسمال ، والتفطيط للاقتصاد والمبادلات ومراقبة ذلك .

— وعلى الصعيد الاجتماعي : حظيت السياسة التعليمية بميزة خاصة حيث تم ادخال ٥٠ في المائة من الاطفال الى المدارس ، وتمت دراسة تصميم لتدارك النقص الحاصل من أجل تعليم من لم يسبق لهم ان تعلموا وتوفير العمل لهم ، وانشاء المجلس الاعلى للتعليم الوطني بغاية ان يصبح برنامجا حقيقيا في هذا المجال . ووقع خلق كليات ومجاهد جديدة ككلية الطب ، والادرس العليا ، ومدرسة المهندسين مما عزز الجامعة المغربية التي لم يمر كثير من الوقت على انقراضها من التسمية الخارجية . وانطلقت سياسة التكوين المهني ، ومن جهة اخرى وقع اقرار نظام الضمان الاجتماعي وانشاء السلم المتحرك للاجور والاسمار لصالح الطبقات الكاسدة في نفس الوقت الذي وقع فيه الغاء خريبة الترتيب الذي تمتع به ٧٥ في المائة من الفلاحين ذوي الدخل القليل .

— وفي ميدان السياسة الخارجية : حصلت الحكومة المغربية ، بعد كبير غناء على جلاء القواعد العسكرية الاجنبية ومغادرة البلاد من

اي طريق قطعها المغرب في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؟ ان الجواب يفرض نفسه ، لانه منيب للامال : فالمغرب بكل أن يتطور في اتجاه ايجابي ، تفهق خلال هذه العشر سنوات ، ولم يمسجل هذا التفوق في ميدان واحد ، بل في جميع الميادين ، وما زال المغرب يسير في هذا المنحدر ، لتكون السياسة المثمرة تتنافس مصالح المغرب والمغاربة .

لندرس الواقع :

فمنذ عشرين سنوات اقبلت حكومة الاخ عبد الله ابراهيم ، وحيل بينها وبين مواصلة اصلاح والتحرير ومراجعة الهياكل القائمة . وقد كانت الاختيارات التي يقر عليها اتجاه هذه الحكومة وعملها تقتل فيما يلي :

— الديمقراطية الاجتماعية والسياسية ، وهي تمنى ارادة العمل على تحويل هيكل المجتمع ولجهزة الحكومة تحويلا ديموقراطيا ، بإعطاء سلطات حقيقية في تدبير الجماعات البلدية والقروية ، وتحقيق ديموقراطية الاجهزة العليا للحكم .

— تدبير الهياكل الاقتصادية على اساس اصلاح فلاحي حقيقي ، وتوسيع قطاع الصناعة واحداث وسائل التدخل الاقتصادي للدولة ، وخلق وسائل مالية لذلك ، تكفل نجاح هذه السياسة .

— تحرير سياستنا الخارجية عن طريق تحقيق جلاء جميع القوات الأجنبية ، وتأكيد عدم تبعية المغرب ازاء الكتل ، وانتهاج سياسة تقدمية في مساندة جميع حركات التحرر في العالم .

ولم تبق هذه الاختيارات حبرا على ورق ، بل وجدت تعبيرها الإيجابي في الواقع :

— فعلى الصعيد السياسي : جرت سنة ١٩٦٠ لأول مرة الانتخابات البلدية والقروية ، وحددت اختصاصات هذه المجالس بشكل يجنبها وصاة الحكومة ويمضي المنتخبين ومسائل العمل ، بتسيير الأراضي الجماعية ، واحداث تعاونيات وانشاء ممتلكات تدبير ذاتيا . ويقضى قرار انشاء المجالس البلدية والقروية (الذي جرى محصفا فيما بعد) باتخاذ الاجراءات المستعجلة لاتقرار مثل هذه المؤسسات التي تستهدف اعطاء سلطة ومسنوية حقيقيتين للهيئات المنتخبة ، كما ان هذا الملحق قد تضمنه ايضا التصميم الخماسي لسنوات ١٩٦٤-١٩٦٩ . وقد كان الغرض من اقامة مثل

أما الفلاحون والمحرومون من الأراضي فإن عددهم ينمو سنة بعد أخرى من جراء سياسة الإقلاق المستمرة .

- وفي ميدان الاقتصاد العام : فإن القرص العام بلغ حداً مزمعاً ويدعو إلى القلق ٦٠٠ مليار من الفرنكات أي ثلث الدخل القومي . وكل المؤسسات المالية الوطنية وقع المراهقة من محتواها وانصرف بها عن اتجاهها الأصلي ، ومهيمت الرشوة على كل القطاعات ، وأصبح الركود هو السمة العامة للحياة الاقتصادية .

- أما السياسة الاجتماعية ، فما هي سوى نتيجة لهذه الاختيارات الاقتصادية والمواقف تطبيقها . فالبطالة تزداد سنة بعد أخرى ويزيد النمو الديموغرافي من حدتها . وإذا استمر الوضع على ما هو عليه ، سيصبح عند العاطلين سنة ١٩٨٠ أربعة ملايين بدلاً من أكثر من مليون عاطل حالياً . وتيزن الأرقام الخاصة باستهلاك الزيت والسكر على انخفاض القوة الشرائية للجماهير الشعبية . كما أن تجميد الأجور يسير العمل به في نفس الوقت الذي ترتفع فيه الضرائب المباشرة وحتى غير المباشرة بأطراف . هذا الارتفاع الذي سيتقبل جماهير البائدين مع إعادة العمل بـ « الترتيب » بطريقة مقنعة . لقد انخفض مستوى المعيشة ، حسب التصريحات الرسمية ، بـ ٣٠ في المائة خلال عشر سنوات ، بالمقاييس التي الارتفاع الحاصل في الائتمان ، هذا الارتفاع الذي لم يعوض بالخصبة للنفقات الكادحة والمحرومة عن طريق ارتفاع الأجور ، أما وضعية التعليم فهي تسمى الكارثة ، فالرقم الرسمي لمجموع السكان المستعدين من التعليم يبلغ ٣٠ في المائة لدى الابتدائي ، و ٧ في المائة في الثانوي و ١ في المائة في العالي . فالنتيجه واضح أيضاً في هذا الميدان .

- وفي ميدان السياسة الخارجية ، أصبحت للقيمة تحتل مكان عدم التنمية ، وذلك بالرغم من تقنية الملامسات ، ونهج سياسة تصف بتناقضات مستمرة ، والتي تبرهن عن حيرة الحكم . وتعتبر الوقائع عن نفسها : فتوجد ، اليوم ، ثلاث مواعد أمريكية فوق ترابنا ، أعيد انشاؤها بعد الجلاء المتفاوض بشأنه سنة ١٩٦٠ ، حيث وقع اتفاق سرى مبنى على متطلبات جديدة تقنية وميسبة للولايات المتحدة الأمريكية . وحتى الآن ، فاز

طرف كل مؤلفي الجيوش الأجنبية (من الجيش والجمارك والشرطة) . وهكذا غادرت بلاندا القوات العسكرية الأجنبية سواء كانت فرنسية أو إسبانية أو أمريكية . وسلكت بلاندا سياسة الانفتاح على اقطار العالم الثالث ، وبالأخص على اقطار الوطن العربي والقارة الأفريقية حيث مارس المغرب تأثيراً مدفعشاً كلفه شاره وبقي يعيش على ثلوثه وكان من أهمه عقد مؤتمر الدار البيضاء . وساند المغرب سائر الشعوب والاطار التي تخوض غمار معارك التحرير ، وأيد كل حركاتها . وجعله سياسته هذه ديماميكيتها في وضعية البلد القائد عن جدارة واستحقاق .

هذا باختصار هو الوضع الذي كنا عليهم منذ عشر سنوات . لقد كنا على موعد مع سياسة للتغيير تعتمد التقدم والديمقراطية والتنمية ، وأن تكون مساهمة الجماهير أساساً لها .

فأين نحن من هذا كله بعد عشر سنوات ؟

بعدقالة حكومة عبد الله إبراهيم التي كانت تتمتع بمساندة الجماهير الشعبية وقع تسب الاختيارات رأساً على عقب . فتم الاستنجا بآلبنك الدولي للانشاء والتعمير ليملى على السلطات المغربية القوانين التي ينبغي أن يسيير عليها اقتصاد البلاد ، ويحضر برامج للتنمية . مما أدى إلى التخلي عن سياسة التحرير الاقتصادي والعودة إلى الهياكل الاقتصادية التي عانينا منها تحت الحماية .

- وفي الميدان الفلاحي : مثلاً ، وقع بطبيعة الحال التراجع عن كل اصلاح زراعي ، ولكن جميع المحاولات المبذولة في هذا الميدان لا تهدف سوى إلى منح كبار الملاك الذين لا علاقة لاغليبتهم بالبادية مزيداً من اللزاه . وقد استعملت كل الوسائل لبلوغ هذه الغاية حيث أن هذه الزمرة من المتمررين الجدد أخذت تحتل تدريجياً مكانة الأجانب وتحرم الفلاحين الصغار من أراضيهم . وما السبب إلا وسيلة لخدمة هذه السياسة للاستيلاء على أراض جديدة . وإذا كان الانتاج يرتفع في بعض القطاعات الفنية فإنه ينخفض في بقية القطاعات القروية الأخرى . فالمغرب الذي كان يصدر القمح سنة ١٩٦٠ تحول الآن إلى مستورد .

مكتمة « والأحياء السياسية متلاشية » . هذا هو الوضع الذي وصلنا اليه اليوم .

إن هذه حصيلة سلبية تماما بالنسبة للحكم الذي أصبح كل واحد على علم تام بالانهك الذي أصابه، والجيرة التي يعاني منها ، والتهقر الذي تسبب فيه ، بالرغم مما يحاوله لتغطية كل هذه المظاهر معتمدا على القمع والاضطهاد .

وبالنسبة للشعب المغربي ، فقد أحرز مكسبا ايجابيا . فقد تطور حماس الجماهير الى وعي متزايد واصرار متصاعد . ولم تراجع القوات الشعبية ومنظماتها بل انها على العكس من ذلك فقد اغتلت تجويلتها وازدادت رؤاها وضوحا . وهي ترفض تزكية السياسة القائمة او الرضوخ لها كما قل على ذلك الاضرابات المتوالية للثلاميذ ، والطلاب والعمال ، وقد تعبأت كل القوات الوطنية على اساس تقديمي .

وهكذا يستقبل الشعب المغربي السنوات العشر المقبلة باصرار متزايد وايمان كبير .

المرافق المسلحة (من يواليس وجيوش) لا زالت توجع بمناصر كثيرة من المسامدين الاجانب . وانما استئنتينا بعض المبادرات التي ظلت دون نتيجة ، تجد ان الدبلوماسية المغربية متمعة الوجود في الواقع ، وحينما تحاول الظهور فبوساطة اتباع سياسة التخلي .

— اما في ميدان السياسة الداخلية ، فان الجماهير الشعبية تحصل قما متزايدا يهدف الى تغطية سياسة مبيتة والجيلولة دون كل التظاهرات الاحتجاجية للجماهير . فمنذ الميثاق الملكي ، ومرورا بالحصون الاول ثم بالثاني ، تقلصت الحريات بشكل واضح . فاذا وقع تزوير الانتخابات في سنة ١٩٦٣ ، فان انتخابات ١٩٦٩ و ١٩٧٠ قد تعرضت لعملية لشع من التزوير . فقد شوهت سلطات للمثليين ، ولتقتصر منها تدريجيا حتى أصبحت مظهرية فقط . وتحولت الحريات العامة الى مصادمات ، وتدابير المنع ، واعتقالات ، وتحذيب ، واختلافات ، واختفاءات، اما الاجتماعات فهي ممنوعة عمليا ، والصحافة



مناقشات مفتوحة وكتابات جديدة

قضية التعليم الخاص والدستور

التعليم الخاص ، قضية من القضايا الهامة التى تتعلق بالتنمية الاجتماعية . وتحظى هذه القضية دائما باهتمام وأسعد لدى مختلف قطاعات شعبنا ، والمهتمين بقضايا التنمية .
وهذه وجهة نظر يعبر فيها كاتبها - فايز مراد ، وهو مدرس بالقاهرة - عن رأيه الخاص تجاه هذه القضية الهامة .

تلقى في أتها تمد من معوقات بناء مجتمعنا .
وأهم هذه النتائج :

١ - تعليم مبدأ تكافؤ الفرص ، فالمدرسة الأولى تقتدم من أوجه الرعاية والنشاط المدرسي مليم منه التلميذ في المدارس الرسمية .
والمدارس الثانية تقبل التلاميذ الذين لم يجدوا فرصة للالتحاق بالمدارس الرسمية لضعف مجموعهم والوسيلة في كلتا الحالتين الإكثبات المادية . ويغض النظر عن قدرات التلميذ وميوله واستعداداته .

٢ - تخريب تمالك قوى الشعب العاملة
نإذا كان في مقدمة أهداف التعليم التوخيذ الفكرى والثقفى بين أبناء الأمة ، فإن التعليم الخاص يؤدى في النوع الأول الى تمية اتجاه لدى التلاميذ بأنهم صنفه التلاميذ [اجتماعيا]
وهم فيما لذلك ينظرون باستعلاء نحو التلاميذ الآخرين الذين يمثلون أبناء الشعب المعدل .
كما يلاحظ في مدارس اللغات الضعف البالغ في اللغة القومية التى هي الاداة الثقافية

من لخطر الأمور أن نسلم ببعض القضايا التى لاتناسب تطورنا الاجتماعى ، باعتبارها أوضاعا طبيعية ، فلا بطرق التفكير الى تغييرها . . .

ومن هذه القضايا قضية التعليم الخاص في بلادنا . وبالرغم من أهمية هذه القضية وتمدد مناقشتها في الفترة الأخيرة ، إلا أنها لم تأخذ من الاهتمام مايناسب حجم المشكلة وأهميتها بل وخطورتها ، ومع مايناسب مع الكفاءة التى احتلتها في نضالنا الوطنى . مما دفنى الى تناول زاوية منها هي ديمقراطية التعليم .

والتعليم الخاص في بلادنا نوهان رئيسيان ٥
نوع باهظ التكاليف ، وتكون الدراسة في جزء كبير منه باللغات الأجنبية مما يعرف بمدارس اللغات . والنوع الآخر أقل تكلفة والغبنات التعليمية التى تقدم به - على وجه العموم - أقل بكثير من المستوى المتوسط .

وعلى الرغم من أن هذين النوعين يمدان على طرفى نقيض ، إلا أنهما يؤيدان الى نتائج واحدة

للتفاهم بين قوى الشعب والاحساس بالانتماء القومي .

لما تلائم النوع الثاني ؟ فهم ينظرون الى المجتمع من خلال مدارسهم ، فيكون اتجاههم نحو المجتمع باعتباره مجتمعا مستقلا تنتشر فيه كافة ألوان السلوك المتحرف والا اخلاقي ، وحيث يكاد ينعقد النشاط المدرسي الذي يعد جزءا رئيسيا من مناهج المدرسة .

٣ - تشترك المدارس الخاصة بحكم وجودها ونشاطها في تدعيم الاتجاه الخاطئ نحو التعليم الفني والمهني ، باعتباره تعليما لا يناسب أبناء الطبقة الوسطى والمتقنين موهبا - بل ويشرب هذا الاتجاه الى الطبقات الشعبية في بلادنا - دون النظر الى قدرات الطلاب واستعداداتهم وميولهم ، مما ينعكس في نتائج الامتحانات . ونتائج امتحانات التعليم الخاص من النوع الثاني على وجه الخصوص - وأمنى بالطبع الامتحانات العامة - تطرح سؤالا هائلا هو ببساطة : **ماهي ضرورة وجود هذه المدارس ؟ هل المشكلة هي ان يطمئن المواطنون الى ان ابنائهم بالمدراس ، وحيث يعمل مخرجون واداريون ومعال في ظروف سيئة للغاية بينما يرى اصحاب المدارس ثراء فاحشا وتفتك كل قيم المجتمع وكل اصول العميلة التربوية ، ثم ينتهي الامر الى تشريح عدد ضئيل من التلاميذ يواصل التعليم منهم عدد اقل ضالة ويميل الى التلايم - وهم غالبيتهم - مشكلة للدولة ولاسره ولاتنسهم !!**

٤ - لا يقوم التعليم الخاص بدوره في خطة التنمية ، حيث تتجه استثماراته الى المجال الأكثر ربحا . وخلال الخطة الخمسية الاولى لم يتم التعليم الخاص بدوره ازاء مراحل التعليم المختلفة . لما التعليم الفني - وعلى وجه الخصوص التعليم الصناعي - نصيبه ضئيل جدا في التعليم الخاص .

٥ - خلق التفرقة والطبقية بين أبناء المهنة الواحدة . وعلى سبيل المثال يمنع المدرسون بالمدارس الرسمية ملاقات مستوية في الوقت الذي تجيز فيه الالاحة التنفيذية لقانون التعليم الخاص ان تمنح الملاوة مرة كل ثلاث سنوات للمدرسين بالمدارس الخاصة وذلك في ضوء ميزانية المدرسة . . . وليس من الصعب ان تكون الميزات خاسرة فيحرم المدرسون من الملاوات والازدياد التي اقترت بتحتها هذه الالاحة .

هذا الى جانب الحرمان من الامتيازات التي تمنح للمدرسين في المدارس الرسمية كمسلاوة

المجستين والدكتوراه . ولا شك انه سيكون مثار دهشة الكثيرين ان اذكر ان الان بعض رجال المدارس الخاصة ما زالوا يعلمون معالجة ختم المتازل ، فلا يخشون للحد الأدنى للاجور ، ويبلغ اجر بعضهم ثلاثة جنيهات شهريا !

لما عن الفصل التعمسي ، فقد اثبتت التجربة عجز سلطات وزارة التربية والتعليم عن التدخل في هذه الحالات وحماية المدرس او العامل . وبسط مايقال ان العقد شريعة المتعاقدين ، وعلى المدرس او العامل ان يلجا للقضاء ، ولينظر شهرها طويلة بدون مورد ، والسلطات التعليمية عاجزة عن التدخل اداريا . وبالطبع فمن الغريب ان هذا المدرس المهد في زرفه وقوته الضروري ، مطالب بان يري ابنائنا ليخرجوا مواطنين مؤمنين بنظامنا الاجتماعي ، وليسهوا في بناء الدولة الحديثة . . .

هذا الى جانب سعي بعض اصحاب المدارس الخاصة الى محاولة شراء الجيم وانسداها باغراء المال .

ومن الغريب ان عددا من اصحاب المدارس لاملقة لهم بالتربية والتعليم ، وانما آلت هذه المدارس الى بعضهم بالوراثة واذا كان القانون قد عالج هذه النقطة ، الا انه لم يتصد للاوضاع الغريبة والشاذة القائمة قبل صدور القانون .

والان . . فاقني اري ضرورة ان ينص الدستور على عدم جواز الملكية الخاصة في مجال التعليم ، وانما يقتصر الامر على الملكية العامة والتعاونية او النبية للهيئات العامة والمؤسسات والجمعيات المصرية . . . ولست في حاجة ، بعد ان تعرضت للمشاكل الخطيرة التي تنشأ عن التعليم الخاص في بلادنا ، ان اشير الى ان الملكية الخاصة في مجال التربية والتعليم تختلف عن الملكية الخاصة في اي مجال من مجالات التجارة او الزراعة او الصناعة .

وفي مجال الاجراءات التنفيذية العاجلة فاقني اقترح :

● ان تكون الدراسة في جميع المدارس باللغة العربية ، وهذا لايعارض مع التوسع في دراسة اللغات الاجنبية ، والعمل على تطوير تدريسيها .

ضرورة أن يكون تاطر الملتزمة الخاصة ووكلاهما
معايير من الوزارة .

• يترتب على ذلك النساء إدارات التعليم
الخاص بالنطاق التعليمية، وتحويل اختصاصاتها
إلى إدارات المراحل التعليمية المختصة .

أن قطاع التعليم الخاص يجب أن ينضم تلقا
وقالبا ، إلى مجتمعنا الذي يهدف إلى بناء
الاشتراكية في وحدة مع هذا المجتمع ، وليس
في عزلة وانفصال واختلاف عنه .

• تقييم المدارس الخاصة التي يملكها الأفراد
واصدار اسهم بقيمتها ضمن جمعيات تعاونية
تنشأ لهذا الغرض على أن تتجه مجالات استثمار
هذه الجمعيات في تلتسق مع خطط التنمية .

• اعتبار جميع العاملين بالمدارس الخاصة
[وعلى وجه الخصوص المدرسين] ، معايير
من الوزارة إلى المدارس الخاصة ونسوية
حالاتهم على هذا الأساس ، وعدم جواز تعيين
المدرسين الجدد إلا عن طريق الامارة ، مع

مناقشات مفتوحة

الديمقراطية ... لمن ؟

كتب المواطن السوري مخمد بشير أحمد
- من القامشلي - يناقش مفهوم
الديمقراطية ، يقول :

منذ أن بدأت عبارة « هذا لي » انقسم المجتمع
إلى طبقت متصارعة وظهرت فيه مؤسسات
تسيطر عليها الأقلية المستثمرة لقمع الأقلية
المستثمرة التي أصبحت تتنافس من أجل
الديمقراطية .

والسؤال الذي تطرحه الحياة اليوم في وطننا
العربي وبلداته الطليعية هو : الديمقراطية لمن ؟

الديمقراطية للمنتجين الحقيقيين ، أنها تزيق
الإبداع والالهام والعمل ، فهي حق وهبته الطبيعة
لن يحولها والحياة لن يصنعها . أن شغيفتلقى
العمل والحقل والجهة هم أصحاب البلد ، ومن
المسلطات أن يكونوا أحرارا في بنائه بناء يستند
على تواجدهم الحي الفعلي في كافة مستويات
السلطة .

أن مجالس ومؤسسات الشهيبي المنتخبة

والتي يجب أن تتسلم السلطة التشريعية والأسهم
والشراكة بالسلطة التنفيذية من أصغر وحدة
انتاجية حتى أعلى المستويات ، هي التمييز
الحقيقي من هذا التواجد الذي يستحيل بدون
أطرافكية وتنظيمات طليعية . فمن خلال التجربة
التاريخية الحديثة والمعاصرة ، ترسخت النظرية
القائلة بالآ ثورة بدون نظرية ثورية ولا اشتراكية
بدون اشتراكيين كمتقنة وأقمة حثت ضرورة .

- النظرية التي تعبر عن مصالح أوسع
طبقات الشعب انتشارا وأكثرها فاعلية العمال
والفلاحين ، والتي تضع الطول الصلبة لكافة
تضايانا القومية والاجتماعية : نظرية الاشتراكية
الطليعية .

- التشكيل الطليعي كمثل جماهير للشعب
وهيئة أركان للتبصرة وممثل حقيقي للمعامل
والفلاحين والمنتجين الثوريين الترامسين على
أساس من وحدة المصالح الوطنية والاجتماعية .

- وحدة كل القوى المصاحبة للمستثمرين
والصهيونية وصاحبة المصلحة في التحرر الوطني
والتقدم الاجتماعي على أساس ميثاق عمل
لخدمة المصالح الوطنية المشروعة للطبقات
الثورية .

نداء من العراق الى المثقفين في كل مكان

« يمارس محققو الحرس الخاص ؟ التمييز من جهة الحرس القومي الذي تم تشكيله في انقلاب عام ١٩٦٣ ، سياسة حذر دم الانسان ، وتشديد الازماب مما يؤدي جنديا الى احكام حلقة الرعب التي تطوقهم . فهم يواجهون ضحاياهم دون اعتبار للقوانين المحلية والدولية ، ويتأيدون من اجهزة الدولة ليكون القدرة على تصفية ضحاياهم جسديا . والتعبير عن غضبهم بإبشع ما يمكن ، بصحوا بقم التحدي القبلي والجهل والسادية . في حين يندد المحتلون ، الضحايا لية حماية انسانية أو قانونية . »

ثم يقول النداء :

« وهكذا تضحى سياسة الانتاعبالفكر والحجة وتحل محلها سياسة السحق ، وكسرة العقلة والمواد السالفة ، وسلخ أجزاء من لحم اجساد المعتقلين ، واستسقاط تطرات ماء على حليات الضحايا ، والتعليق من تقاطع الزامين من الخلف . »

ويقول النداء :

« ... ومن هنا تكتسب الدعوة الى طمع تزيف دم القوى الديمقراطية والتوجيه في العراق ، جوهرها الانساني وتكتسب تقدميتها وحضارتها باستنكار اسلوب التصفية الجسدية لحيلة الانتكار . واستبداله بحوار مفتوح مع الاطراف السياسية للتدنية ، ونهتد الدعوة بومي الى بحث قيم الفكر القومي الانساني في بلادنا . كما تساهد على تجاوز الخلافات بروح التعاون والانفتاح على جوهر حضارة عصرنا ، الاشتراكية ، وتعزز جبهة النضال ضد اعداء شعبونا : الامبريالية والصهيونية والرجعية . »

« نكتب اليكم وفي داخلنا خوف ، اربغوا لصواتكم بلحمة الفكر والثقافة ، وطالبوا بإيقاف تزيف دم المعتقلين السياسيين في محتلات المراق ، طالبوا بإيقاف عمليات قتل الديمقراطية والقوميين والشيعيين ، الحزبيين وغير الحزبيين بموافقة المجرمين على جرائمهم . »

مجموعة من المثقفين العراقيين
يفسدوا

يجاءنا من لعراق « نداء الى رجال الفكر ولثقافتة في البلدان العربية والقومية العالم ، « موقع من « مجموعة من المثقفين العراقيين ، هذا نصه :

« اسبحوا لنا ان ناطلكم على وقع من بلادنا . »

« اغفلوا وقتل تمثيلا في بغداد والعراق خلال عامي ١٩٦٦ - ١٩٧٠ . »

احمد محمود الطائي ، متى هندو « هاشم الاوسي ، عزيز فعل ضمد ، شمسبان كريم ، كمال نايق ، صالح المسكري « عبيد الامين سعيد ، سنان خضين « مهدي الفخري « طفي صبري ، عزيز حميد ، ملحد المياجي « تلمز التكريتي ، كاظم الجاسم ، مشكور معزود . « « كما قتل آخرون . « وفي [قصص التهنية] ومراكل الحرس الخاص « التبرية « المنتشرة في عموم البلاد « يعانى آخرون صنوفه التعذيب الجسدي والتنسيق . »

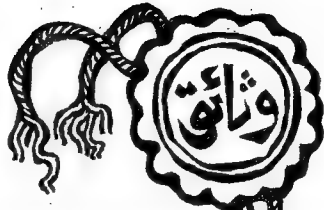
« وفي عيناك انتهاك أولى ضرورات الوجود المتحضر ، « حماية المواطن واهتمام انسانيته . » « ونحن نواجه بفتق طوق في وقت انتهاك حرية الفكر والانسان . « فلما لن ندفع من الظلم الى جهنم الاهالك والتشويه الجسدي والموت قتلا ، « وبما التطواء تم السمكة وأختزان الخوف في داخلنا . »

« نحن نزام لكم ؟ نضم في محكم ونضوت لكم وللكتابة مجد الديمقراطية . »

« بلادنا يسودها ازهم اسود « يهدد حياة القومى والديمقراطى والشيعوى واليهى المتن اما اغتيالنا اخطافا . وفيها بسد التشويه البارد لوجود الانسان « اغفل مخلوق ارضى يشى ويعمل ويكفر . وتهوالت القتل والتعذيب في المراق ضمن ملائكة شبه اقطاعية « قبلة في مضايبتها الاجتماعية والاختلافية « فتعرض والتابل « الثار وسلف مع جند « »

دستور

١٩٢٣



أعداد وتعليق

د . رفعت السعيد
طارق البشرى

تواصل « الطليعة » في هذا العدد نشر وثائق دستور ١٩٢٣ .

و « الطليعة » لا تقتفي بتقييم بصوى المسواد الهامة من الدستور ولا المناقشات التي دارت حولها في اللجنة التي اصنعت ، وانما تتبع « المادة » موضوع النقاش لتقديم ما تراء حولها من آراء خلال المراحل المختلفة لوضع هذه « المادة » موضع التطبيق .

وفي العدد الماضي كان التركيز منصبا حول موضوع هام هو « تفعيل الاقليات الدينية » وتبنت الوثائق التي قدمت الآراء والمواقف والاتجاهات المختلفة في هذا الصدد والصراعات التي دارت حتى انتهى الامر بسيادة فكرة علمانية الدولة تحت شعار « الدين لله والوطن للجميع » .

واليوم نقدم عددا من المواد الاخرى مركزين اساسا على المواد المتعلقة بالحريات العامة وحرية الصحافة والسرأى والعقيدة على وجه الخصوص .

ان « الطليعة » تستهدف من تقديمها لهذه الوثائق ليس مجرد تقديم مادة ذات قيمة تاريخية بالغة الاهمية ، وانما - وهذا هو المهم - تقديم صمورة لالتجاهات الفكرية التي سادت في هذه الفترة ، وان تبرز مدى اصلة فكرة الحرية في الوجدان المصري .

لجنة الدستور

مادة ٥ - « لا يجوز القبض على أي شخص أو إنسان ولا حمله إلا وفق أحكام القانون »
ثم تبنت المادة الرابعة « وهذا نص »

« لا يجوز القبض على أي شخص أو حمله أو احتجازه أو اعتقاله إلا وفق أحكام القانون »
حضره على حاضر يك - « أرى أن يضاف إلى هذه المادة أنه لا يجوز احتجازه بمجرد لزم محبة استثنائية إلا بمقتضى قانون صادر قبل ارتكابه تلك الجريمة »
حضره عبد العزيز فهمي بك - هذا مستفاد من قول المصادرة « لا وفق أحكام القانون »

حضره توفيق دوس بك - « يجب له ومقتضى حادثة رأى البرلمان أن تجري المحاكمة عليها على أسلوب خاص »
حضره على حاضر يك - « هذا الذي أطلب عليه »

حاجي الرئيس - « فليؤخذ الزام على أصل المادة أولاً »
فقدت الموافقة عليها بالإجماع
« يحال الرئيس » لأن فليؤخذ الزام على الأصلية التي يقتضيها حاضرة على حاضر يك

وبعد المناقشة في أن تلك المادة من نص المادة أو غير مستفاد لا تقرر على الزام أن المادة مقبول وأن ذلك المضي برأى هذه تحرير المخرج «
(في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)

تبنت المادة الرابعة « ونصها »
« لا يجوز القبض على أي إنسان ولا حمله إلا وفق أحكام القانون »

وافقت اللجنة عليها بالإجماع
(في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢)
« بأن أن الفصل الذي فيه على ملحق « الذي نص: على أنه « لا يجوز محاكمته بمصرى المحمية استثنائية »
« لا يقتضى قانون صادر قبل ارتكابه تلك الجريمة » هو حفظ بالغ الأهمية لأنه يشكل يد السلطة من مواجهة الأفراد بالمصادرات استثنائية لم تكن موجودة وقت وقوع الجريمة وقد لفتت اللجنة الصراخ فترت بالإجماع أن المادة مقبولة »

لجنة الدستور

مادة ٨ - « المتآمر جريمة - فسلا يجوز دخولها إلا في الأحوال المبينة في القانون »
« وبذلكية المصوص عليها فيه »

ثم تبنت المادة السابعة « وهذا نص »

« المتآمر جريمة وأجبة » فلا يجوز دخولها لتفويضها أو محيلتها إلا في الأحوال وبذلكية المصوص منها في القانون »

تقرر الموافقة عليها بالإجماع

في ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٢
ثم تبنت المادة السابعة « فسلا يجوز دخولها لتفويضها أو محيلتها إلا في الأحوال المبينة في القانون وبذلكية المصوص عليها فيه »

مصادرة عبد الحميد مصطفى بك - « التعميم أن المتآمر لا يجوز دخولها استثنائية » فليطلب حلف حيازة » لتفويضها أو محيلتها »

حضره توفيق دوس بك - « هذا الأمر في محله »
وافقت اللجنة بالإجماع على المادة بعد محصلتها عبارة « لتفويضها أو محيلتها »

(في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢)

هناك فرقاً لفظي بين نص المادة في كل من مشروع اللجنة الدستورية ولجنة المصوب باللغة الفرنسية

أما النص العربي فهو واحد ويقول اللجنة في ذلك لن التعميم الذي اختلته شكله محلي « وأنه أتبأ ببعض إلى زيادة اللغة والوضوح في التعبير عن الغرض المصود « (أنظر المصوب الهلجكي والإطالي) »

مادة ١٠ - « عقوبة المصادرة العامة للأموال محظورة »

تبنت المادة الخامسة « وهذا نصها »
« عقوبة مصادرة الأموال عامة ممنوعة »
تقرر الموافقة عليها بالإجماع
(في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)

ثم تبنت المادة السابعة « ونصها »
« عقوبة المصادرة السلبية للأموال محظورة »

حضره محمد على بك - « النص خاص بالمصادرة التي تقع على صوم المال »
فيل مصادرة ثلاثة أرباع المال جائزة ؟

حضره عبد الحميد بدوي بك - « هذه المسألة لها أصل تاريخي » فقد كانت المصادرة تقع على صوم الأملاك داليا ومن أجل هذا نص على منحصها في الدستور فإذا أراد الشارع أن يحيل على الدستور بأهمية مصادرة بعض صوم المال لم يكن ذلك جائزة على ما اعتد « ووجب بتمه يحكم المادة التي نحن بصددنا « ولا غنى لنا « على كل حال » من إبقاء كلمة « العامة » في النص « أن زعمنا يخرجنا من حرج صوموم إلى حرج حقوقي » وهو يتسع المصادرة أطلاقاً - وهذا غير مقبول لأن المصادرة جائزة في أموال كثيرة خاصة بمصادرة السلاح « والعشيش واللات التي استعملت في ارتكاب الجرائم « وغير ذلك ناك »

حضره الرئيس فسوس بك - « ليس الغرض هنا بيان حكم بمصادرة الأشياء الممنوعة « وإنما الغرض معرفة ما إذا كان يحال مصادرة جسمه من الملك المخرج »

مصادرة الشيء ليس بكاً - « فليطلب بتعم المصادرة أطلاقاً لأنها من أحكام الاستثنائية للجمعية التي لا يجوزها إلا في القرن العشرين « وأبداها على مطلب عقابية أو الحبس « وأن يستلزم بذلك حفظ العشيش والأشياء وبما تشبهها من الأموال الموصية « بشرط ألا تقتل المصادرة ما سوى ذلك من الأشياء التي قد يستعمل بها على التعريب « كأوراقك والجميل وفقرها « ليؤثر أن تكون هي كمثل ما يملك الشخص من قوة « عملاً صودرت جود الشخص من كل ما يملك من أسباب الرزق »

فبقية الشيخ يضيف - « المصادرة شرها هي أخذ المال بطريق غير مشروع وأبداً حيث في القيمة « وأبداً إعدام الضار فلا يمس مصادرة « ولهذا أجروا إعدام العشيش وأوراقك الغير وكبره دفناً « وغير ذلك ما لا يمتد في مخرج مصادرة « فلذلك اقتصر أن يكون نص المادة « مصادرة الأموال ممنوعة »

حضره محمد على بك - « أريد أن نلخص على ببسلكين : (الأولى) « فوجب شخص بمصادرة ثلاثة أرباع ماله أو خمسة أقطاره « قبل يجوز هذا أو لا يجوز ؟ و (الثانية) « شخص خشيلاً بمسبوس العشيش والمراكب التي كانت تحمله « وكنت في كل ما يملك المهرب « فيستلزم المصادرة هنا جائزة أو لا ؟

حضره عبد الحميد بدوي بك - « أما من المسألة الأولى فهذا النوع من المصادرة مبرور لأنه يحيل على المصادرة وأبداً من المسألة الثانية فالمصادرة جائزة لأنها واقعة على مبررات المال ولو استغرقت في التلبية كل ما يملك المهرب لأن الغرض لم يكن بمصادرة صوم ماله »

حضره توفيق دوس بك - « انصح أخذ الرأي على بقاء المادة على حالها مع الأخذ بالتفسيرين اللذين استفسر منها حضره محمد على بك ولجسب بها حضره بدوي بك »

« محال الرئيس - « فإذا رأى على ذلك »

تقرر بالإغلبية الموافقة على بقضاء النص على حاله مع الأخذ بالتفسيرين المذكورين

(في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢)
« كان الملك المصري على أن حذر شديد من أن يضمن الدستور أي نوع من تعيل شبهة تمكن الدولة من التخلي أي قرار رئيس جهاز إدارتهم ولهذا فقد ضمنت الدستور « السادة التي تقول بأن « عقوبة المصادرة العامة للأموال محظورة » لسكان محمد على بك يريد أن يطعن وأن يطعن كل الملك المصري فيقال : «

« هل صدارة لجنة لوائح المسائل
جائزة ؟ »

« ولكن اللجنة ان هذا مسجوع
لانه تحليل على «صوم» المسجوع

الصرخة ..
مادة ١١ - « لا يجوز انشاء اسرار
الطبايعات والتفرقات والرواسيات
التبويونية الا في الاموال الابنية في
القانون »
لجنة الدستور ؟

م. طيب المادة المعلقة .. وهذا
نصها :

اسرار الطبايعات والتفرقات التي
تؤخذ بكتب البريد والطرقات واجبة
الصون الا في حالة التفتيش الجنائية

حرة عبد العزيز فهمي بك - م
تناول المادة حكم مزاوية المسجوعات
التبويونية . فهل ترى البيضة التي
ايضا على حرة الخاوية بالتبويون لا
يجوز مراقبتها سواء بتكليف المصالح
او غيره باسترقاق السمع ؟

تفريت الهيئة الواجبة بالاجماع على
اصل المادة مع امسافة التي التي
الها :

وكذلك اسرار المواصلات التبويونية
(في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)
لثلاث اموال ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣
وتنص :

١٠ - لا يجوز انشاء اسرار
التبويونية والتفرقات التي تؤخذ
بكتب البريد والتفرقات ولا اسرار
المواصلات التبويونية الا في حالة
التفتيش الجنائية .

١١ - لا يجوز انشاء اسرار
المواصلات التبويونية الا في حالة
التفتيش الجنائية .

تقررت الموافقة عليها بالاجماع .
(في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٢)

اللجنة الاستشارية التشريعية :

ان بدا هم انشاء اسرار الطبايعات
والتفرقات والرواسيات التبويونية بدأ
في صيغة عامة ومستورية .

والواقع ان الاتحاد يجسود شيئا
فعليا على التي صممت خاصة على عدم
انشاء مصلحة البريد ومسببلة
التفرقات لمرادهم .

ولكن الصيغة الاولى كانت قديمة
لان قول تاوليا مقيدا - وقد كان
ليتناه على لواء المسائل بالذات
من جهة . ليس سبلا ان يصعد
في حصل ابداع الكتب او البرقيات
بكتب البريد او التفرقات وفي وجد
مردما :

ومن جهة اخرى « يجب الا يصر
الاستثناء من مبدأ تحريم انشاء الاسرار
على التفتيشات الجنائية حين غيرها .
ذلك لان هناك اموالا اخرى - مثل
حالة الكلاسي البسيط الى الكلاسي من
غير تدليس حيث لا تحقق جنسي -
يسمح فيها للمستدعي ان يتسلل على
الكتابات او البرقيات المرسلة الى
الانفس .

ولماذا بالتفصيل ان يكون المبدأ العام
هو تحريم انشاء اسرار الرسائل الا
في الاحوال المبينة في القانون .

في كانت لجنة الدستور حريصة
لقد احرص على التمسك على
صمان سرية الطبايعات والتفرقات
والمخابرات التبويونية .. وكسب
عبد العزيز فهمي بك انه لا يجوز
مزاوية التبويونية سواء بتكليف
المصالح او غيره باسترقاق السمع ..
وقد بلغ حرص لجنة الدستور
في تأكيد هذه الصيغة بان نصت
على ان انتهاك هذه الحرة سحر
جائز « الا في حالة التفتيشات
الجنائية » .

يعني انه لا يجوز أية جهة من
جهات الا ان تترك بذلك طاء ان
تحقيقا جنائيا لم يبدأ في واقعة
محددة .. نصحت بذلك اي افعال
الغلاب بجهة « الا ان » .

لكن اللجنة الاستشارية التشريعية
صممت ان هذه الصيغة قديمة لان
قول تاوليا مقيدا - وقد كان
هذا هو بالفعل هدف لجنة الدستور
- ومن ثم فقد اقترحت ان تعزل
المادة المعلقة « الا في الاحوال
المبينة في القانون » محل الميزة
القوية والمحددة « الا في حالة
التفتيشات الجنائية » .

مادة ١٢ - « حرية الاعتقاد مطلقة
تراجع التطبقات الواردة على المادة
الثالثة من الدستور عند عرض المادة
السابعة من اقتراح الرايس .
(جليلة ٧ مايو سنة ١٩٢٢)

لجنة وضع المبادئ العامة
للدستور :

حرية الاعتقاد التي مطلقة تلجيب
سكان مصر التي في ان يتقربوا بحرية
تامة ، عائلية او غير عائلية ، بشماير
ايه بله او دين او عقيدة ما دامت
هذه الشماير لا تتلف النظام العام او
الاداب العمومية .

تقررت الموافقة عليها بالاجماع .
(في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)
فعلية الدين بحيث - لطلحيص
المادة المعلقة من وفي حقوق افراد
لها ، ومحققتها المعلقة ، لا يفرضها
دين من الايمان ولكنها تؤدي الى الوضوح
والى الاختلال بالنظام . ولعل ان
يكون التي تفسر على الايمان المعتقد
بها سواء كانت مسيحية او مسيحية

مسوية ، فلا يتحيز بحدائق ديني جديد
كل يدمي شخص مثلا انه المسيحي
ويأتي بخرجه .

حرة الشيخ محمد خيرت راضي بك
- طلب فعلى التفرق الاولى من المادة
وجرد كلية الدين منها ، فيحصل ان
الاعتقاد مطلقة . وفيه هذا
يواجه لكل شخص ان يترك دينه
ويتقرب دينا آخر دون ان يعجز
سببانية من جزاء على وفيه مسخري
مع انه لا تقاع في له . وفيه على
تغير الدين تتألف خليفة . في الميراث
من يكمل النصحرية الاعتقاد
من هذا هو كل الفرقاء القصور من
المادة في ما اعتقد . وفيه هذا
من المادة فقد جعلت اقلية الشماير
المبينة بطلقة من كل حد وهذا كسب
يؤدي الى الاختلال بالنظام .
حرة ابراهيم الهادي بك - م
اعتقد في اهل يدخل فيه الاعتقاد
الديني او لا ؟

فعلى الشيخ يحيى - الاعتقاد فيه
والدين فيه آخر . فالمسلمون الذين
الى ثلاث ومبشرين بركة ، لكل فرقة
اعتقاد خاص - مع ان لهم دينا واحدا
حرة فريقي دوس بك - حلفاء
كلية الدين يوسع نطاق المادة ، فيحصل
حسيرة الاعتقاد شاملة ، المتعددة
الدينية وغير الدينية .

لجنة الاتيا رئيس - اقتراح الاعتقاد
بغيره ، ولنا عليه دليل قوي - فان
مسيحيين المعروف لمصراتم خرج من
الدين ، وشرع في استحداث دين جديد
وطلب من الحكومة الترخيص له بذلك
رغبت وهذا دليل على انه لا يمكن
الترخيص بغير الايمان المعتقد بها .
حرة عبد العزيز فهمي بك - اقامة
للمسحر المبينة ان تلتزم بالنظام العام
بمقتضى التي العالي مأميها ، وان
لم تلتزم فلا يبطل التمتع بها . والذات
لحق النجاة التي . ان هذا التمتع مقفول
بمهرين من مشروع البريد كدرون
وقد لفتنا على ان تلك هذه المسحور
في مسجوعنا على لا ابراهيم على وشيها
عند المفاصلة .

محلى الرايس - تلخ الآراء
تقرر بالاجماع بقاء المادة على حالها
(في ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٢)

فعلى الدين بحيث - م
للتزاح الذي قام بشأن المبدأ الخاص
بحرية الايمان فقرر ان تعزل كلمة
« الدين » في صدر المادة السابعة
من حقوق افراد . ليكون حرية الاعتقاد
مطلقة . ولا من حرية الاعتقاد الذي
بطلقة . واقتراح للمسبح لتفسيه
استبدال كلمة « دين » في المادة
التي صدر من حقوق افراد - م
« معتقد » . لتكون الميزة - ليس
لوطني بحري ان يخرج بانهايم معتقده
بموافقة عليه .

٢ في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢
١١ - حرية الاعتقاد مطلقه »

١٢ - « تعنى الدولة حرية التعليم بشعائر الدين والمعتقد طبقا للمبادئ المرموقة في الحيز المصري » على ألا يقل ذلك والقيام العام ولا ينفي الآداب »

لجنة وضع الآداب العالية :
دولة الرئيس (مصرين رضى بالها) مادة ٢ - « لجميع سكان مصر الحق في أن يتربوا ، بحرية تامة ، عائلية أو غير عائلية بشعائر أية ملة أو دين أو مذهب ما دامت هذه الشعائر لا تتنافى بالنظام العام أو الآداب السامية [١] »

مادة ١٤ « لا يجوز » (في ٧ مايو سنة ١٩٢٢)
تراجع المجلس الأعلى الواردة على المادة الثالثة من المصدقين عاد المشاكل على المادة السادسة من اقتراح الرئيس » (جلسة ٧ مايو سنة ١٩٢٢)

فصلية الشيخ بغيته « وفصلية اقتصر حصصها في حق الوارثة فمن « ليس حياة الكليسيات التي لها « لجميع سكان مصر المصدقين في أن يتربوا ، بحرية تامة ، عائلية أو غير عائلية » بشعائر أية ملة أو دين أو مذهب ما دامت هذه الشعائر لا تتنافى بالنظام العام أو الآداب السامية إلى الوزير في أي تقرير إلى محوها رئيس الاقتراح »

(في ١٦ مايو سنة ١٩٢٢)

لجنة الدستور :
١٢ - « تعنى الدولة حرية التعليم بشعائر الدين والمعتقد طبقا للتقاليد المرموقة في الدين المصري » على ألا يقل ذلك والآداب ولا ينفي النظام العام » (في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢)
اللجنة الاستشارية التشريعية :
أن لفظة « عادات » أدق في المعنى من لفظة « تقاليد » وفيها طابعها بدائيا القسرية وتحقق للفرش المقصود »

ورد في النص الفرنسي الاسمي لفظة « *Morale* » فليست اللجنة بها لفظي « *bonne moeurs* » « مضمرة إلى أن كلمة « *Morale* » تدبر ترجمة موقفة لللفظة « آداب » بل هي أوسع منها دلالة وأكثر مرونة فلا يصح نقلها في المادة الثالثة عشرة ولا في المادة السابعة عشرة :

« وردت هاتين المصنفين فمن ما استبرهوا « *المعالية* حقوق الآليات » وقد حاول الأجانب أن يحدوا آثارهم تلك الآليات القيدية وأن يصمم الحكم المبررين لا بد وأن يصاحبه تقديم ضمانات كافية .. »

لجنة الآليات الفنية كانت من
الوصى ومن التمسك بالمبادئ الوطنية بحيث أفسدت مخطط

ومن كان ينشأ من المقاضات أن شبح المأزور البريطانية كسان مثلا خلال جلسات مناقشة هذه المبادئ تولى عبدالعزيز فهمي يطلب بتحرير المادة كما هي « حتى لا نترك غير موضوعنا عند المناقشة » ومن الجدير بالذكر أن المادة ١٢ لم تكن بضمين « حرية التعليم بشعائر الدين والمعتقد » وإنما تمت بإسكند وجوبه على ضرورة قيام الدولة بمعالية هذا الحق »

مادة ١٤ - « حرية الرأي مذكورة ولكن النصارى الأجانب من فكره بالتقوى أو الكتلانية أو بالتصوير أو يظهر ذلك في حدود التقوى »

لجنة الدستور :
لم تلبث المادة الرابعة عشرة « وحذا نصها :
حرية الرأي مضمونة » فكل انصراف الحق في التعبير بحرية من فكره سواء بالكتابة أو بالكتابة أو بطريق الصلح أو بالتصوير بشرط أن يراعى حدود التقوى »

حرية عبد الطيب المكشاي بك - كلمة « بشرط أن يراعى حدود التقوى » تميز هذه المادة في حكم العلم ، وأصبح إبداءها بكلمة « بشرط أن يراعى حدود التقوى العالية » لأنها لو حدثت حرية الصحافة لقد حمينا بالدين كل ما حاولت تشويه من قواعد الحرية »

حرية علي ماحن بك « أرى التعديل النصي الآتي « بحيث تصاح له مساحة جديدة وهو : « حصرية الصحافة بخسونة » فلا يجوز وضعها تحت الرقابة ولا تقيدها بالتحقق والسلوية الخارجية على إساءة استعمال حسنة الحرية بحدود التقوى »

الحرية الصحفية في المظهر الأول لسائر أنواع الحريات الأخرى . ولما لم يرد في النص هذا النص أنه لا يمكن ولا ليرتلان « وضوحا في الأحوال العائلية » وضع الصحافة تحت إشراف « راجية » ولا أن يكون للسلطة الإدارية الحق في منع أحد من إصدار صحيفة أو أن يكون هذا الحق ثانيا محظوظا من كل قيد . فلما لم يرد له استعماله بأي نوع من أنواع الإساءة لغير التقوى للمعنى في وكالاته »

حرية عبد علي بك « أرى أنه لا يجوز لكل شخص أن يصدر صحيفة حرية على ماير بك - إذا ارتفع إشراف صلات خلفية في الصحافي

تقريباً ؟ كما يكون مذكوراً عليه بما ينال بالشر ، ونحن نذكر ، ولكن لا ننسوا لجيل الحكم الإداري »

والتي مع موافقتي على تعديل المادة المرحومة اقترح إضافة مادة جديدة بالنسبة التي ذكرت »

فصلية الشيخ محمد بغيته - اقترح أن ينشأ إلى حرية الصحافة حصرية التكاليف »

حرية محمود أبو النسر بك « هذه ينشأ في حرية التكاليف »
حرية عبد العزيز فهمي بك « لقد لجئت الفكر طويلا في هذه المسألة » وكان مما عرض لي وضع النص الآتي « ولا يجوز في أي حال أن يتيسر العلان دون الحق في ذاته » « وهذا النص وإن بدا عسير ليس حرة عبد الطيب المكشاي بك »

وكان عرض لي كذلك الجدا الآتي :
« لا حاجة إلى تصريح سابق بك أي سلطة كانت لاقتراح أي نشر من أي نوع يكون » ولا يجوز إقصاء أية نسبة من رؤى الصحافة أو غيرها أن يطلع عليها أو يطلعها « والمرابطة والتكادرات الإدارية للشرائح المبرومة مضمونة »

تردعت في تقرير هذين البديان بين رأيين مختلفين ، وهما : هل يجب أن تكون إصرارا في مساهلة حرية مطلقا لا يحميها أي أميل ، أم الواجب أن نأخذها بتقيد خلسة حسنا لحريةها في التمتع الطرقي وإتاحتها لصحة البلاد ؟ والسؤال هو : هل نضع في عهد البرلمان حق تقيد الصحافة بتقصير ونأخذها بشروط خاصة بحيث يستطيع بلع المصنفين ونهضة الأعراف مثلا من ملاحظة مهنة الصحافة ، وبمقتضى أن نسمح لكاتب بالأخلاق بالنظام أو مخالفة الآداب العالية ؟

لم أن نطلق الحرية الصحفية المطلقة تليا ، والحرية نفسها كلية ينظم نفسها وتطورها مع الزمن إلى الصالح الكلي ، فلا يتيسر السبب المقتضى من يميل على قرأته جريته « ليس بين أي مصنفين وبين أن يرتكب المذنب بقاء ؟ وأي الرقيب أجدي علينا التمتع في طريقنا ؟ وأي ليل الآن للرأي الثاني وحسب المثل المصري الصحفية »

ولقد عرضت على حضراتكم ما قد أرى من وجهة الرأي في هذه المسألة ولكن أن تقرروا ما تريد »

حرية عبد علي بك - أوافق على إبداء المادة الرابعة عشرة على أصلها والموضوع أنها ينص في التفتيش الآتية له

من يملك التبرك الذي في حصر
القوانين الثلاثة للمحاكمة تأييدا للنظام
ومونا للأمر أم لا ؟
حضره على ما هو بك - هذا نكل
به قانون المعاول - والذي لو يرد
بكن البرلمان - خصوصا - في الأحوال
العادية - الحق في تفسير القوانين
تبع القضية مراقبة الحق أو عدم
الترخيص باستدراها .

مصادرة تطاولي وكذا به لما تضمن
لكننا بالبرهان إلى هذا الحد - أن
البرلمان من جهة أخرى لا يصر عليه
أن يقرر إعلان الحكم للمراجعة -
وحيث يستطيع القيس على المسوة
المحاكمة وتحليل حريتها .

محلى الرئيس - يؤخذ الرأي أولا
على إبداء اللغة الرأبسية حرة أن
تعدليا كما اقترح حضره المحلى بك -
تقرر بأغلبية الآراء الموافقة طويلا
من غير تعديل .

محلى الرئيس - لأن يؤخذ الرأي
على اللغة الجديدة التي اقترح وفيها
حضره على ما هو .

حضره عبد اللطيف المسكين بك -
أن من أعظم الخطر على البلاد أن
يسمح لكل انسان بأن يصدق بالمصادرة
ويجس في مجلس الأركان العلم .

حضره توفيق ديس بك - نعم هذا
خطر شديد .

حضره على ما هو بك - فسكت لثه
لا يقع من تفيد هذا الحق كان يصر
على أنه لا يجوز نزاوله المصنعة
للاختصاص المحكوم عليهم بالحكم نكل
بشرفهم .

حضره عبد العزيز نسي بك - انص
السبي اقترحه على بك ما هو يفسن
المرن : أولها أن كل انسان له الحق
في ذواله بجهة المصلحة بدون تصريح
والثاني أنه لا يمكن إصدار قانون يميل
الجرائد تحت مراقبة أو حقيرة ادارية
فالتي الذي مرصه لا يجره بوزارة
مع النص الذي واظمت عليه - وعلى
ذلك ينبغي تحمله كما وكى (١) لا
حاجة إلى تصريح سابق من أي سلطة
كانت . الخ .

حضره على ما هو بك - ألي ليلنا
ذلك وأترك للجنة المختار أحد التفسير
محلى الرئيس - يؤخذ الآله
تقرر بالأغلبية رفض كلا الاقتراحين
(١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢)
لا يمنع المحلى من الاختصاص
والقضية إلا كمكمل للمعاليين أن

الجمعية العمومية أو مجلس تشايعهم
وحظر الاختصاص بالسياسة على الجمعية
العمومية ومجلس القضاة وهذا يقتضي
بوجه نفسه - سواء أن هذه الهيئات
المتكاملة يفتنى القانون إنما تشكل
لصالح طائفي واجتماعي فلا يصح
أن تكون أداة سياسية .

مشروع قانون المحاماة لدى المحاكم الأهلية :

مجلس النواب :

المقرر (٢)

مادة ١٥١ - اجتمعات الجمعية
العمومية للمعاليين لا يصر عليها
لحكم القانون الخاص والجمعية
العامة - ولكن اجتماعاتها في مراءى
بمصلحة المستأثريين أو دار التصابة
بالقاهرة .

وحظر على الجمعية العمومية
ومجلس القضاة أن يشغلا بالسياسة
كسبها وحظر عليها الاختصاص بالآراء
السياسة (٢)

حضره النائب المحترم الأستاذ الشيخ
محمد عبد اللطيف فزائ - اقترح أن
تضاف كلمة « الطوية » بعد كلمة
« بالسياسة » .

المقرر (٣) كلمة بالسياسة كلمة عامة
تفسر كل ما يتعلق بالسياسة كالحزبية
كانت أو غير حزبية .

حضره النائب المحترم الأستاذ محمد
عبد اللطيف فزائ - يرحبه نوع (٢)
السياسة العامة أرى أنه ينبغي أن
يشغل به جميع المصريين (٢) وعلى
مجلسهم المعاليين .

المقرر - لا شك أن كل من يصر
أن يشغل بالسياسة - ولكننا إذا
وجدنا حجة شلت فلتتنا نظر في
أمرنا لذلك نحيث فلا يمكن أن نقر
بها في إقرار الاختصاص بالسياسة .

وحظر الاختصاص بالسياسة بمصنوع
على الجمعية العمومية ومجلس القضاة
وأيضا بجهة الصلة إنما يحد
ولا يمنع من أن يشغل أي مصنام
بالسياسة ككلمة عامة .

حضره النائب المحترم الأستاذ الشيخ
محمد عبد اللطيف فزائ - أعلم أن
الاختصاص بالسياسة يباح لجميع الأفراد
ولكن قصد نوما معينا من السياسة
وأرى أنه يجب على كل فرد من أفراد
الآلة أو حجة من ميلاتها - في طرف
من الأطراف أن يتفكر به - وقد سبق

في كثر من التفرقة أن نكلها إلى
القضاء الاختصاص بجهة النوع من
السياسة للجمعية - ولا لهم كينا
يعزم على طبيعة مستقلة كالمعاليين
الاختصاص به .

حضره صليبي المسالي الأستاذ
أبراهيم حبيب الهادي (١) وزير الدولة
للشئون البرلمانية - بل هذه
التفصيلات في الهيئات الخاصة بمسود
بها هيئة اجتماعية لهذه الهيئات
ولها الهيئات باعتبار أن وجودها
وكيفها أهم لتكوين حكومة مدنية أو
تشقية في البلاد - أما التعليم السياسي
وتشكيل الهيئات للعمل السياسي - فقد
كانه المستور - فلو كان المجلس النيابية
وما قامت المجالس النيابية موجودة -
وما قام حكم الدستور فيها - لبيلا
حل بطلان أن فروع هذه الاختصاصات
السياسية لا يقتضي له محل من الأعمال
لأنه الهيئات الخاصة تكون تكوينها
عقليا - فلا يتم العزم العلوي أو
السياسي بلها لأصده أفرادها من أن
ينتج بها طوائف كيدة - كلها من
خلاصة الفلانة - لفرادها كرايمهم
وتسليمهم - فنصور إذا هم استبرأوا
يتعلمون مجموعة ويتفكرون مسوفا
ولكن لا يستطيعون أن تحكم الجماعة في
أفكار واحدة - إذ لا بد من أن يخلق
الناس - وقد افترضنا ذلك كقوله
أنهم لا يكرهون وأركانهم - فإن كنت سمحت
للسياسة أن تنقل في هذه الهيئات
بسمتها الحزبية أن تخلقها .

هذا شأن الله في الناس من يصر
أن يخلقوا - ولو شاء ربك لجعلنا
الناس أمة واحدة (٢) - بناء على هذا
تعد المشروع أن يكون كل خير من
هذه الهيئات يقتضا به كل واحد من
أهلها - فلا يحد في نفسه حرجا أن
يطلبه من لفهم بلير هذه الهيئة -
أما إذا مره التيارات الحزبية بين
هذه الهيئات فلا شك أن كل صاحب
أفكار إذا حققه لعمولة إلى الناس
بحرته من هذه الهيئات فإن كبرياءه
بسمته - وتعمل بجهة وبين أن ينتج
يقفه من يد الخير - ما دام يراء
خسبه - أما إذا ابتعت الهيئات
في التصاح من السياسة مسارت
النظرة نظرة واحدة ومصادرة وحيدة
وأفكره - لا يرى لهم معينا من أن
ينتج بكامل حقوقه من أية يد - لأنه
في هذا الوقت ليس هناك إلا مصام
وحمل - وصديق وصديق - وزيد
وليد .

من أجل هذا كان الزبير المسبح
الساكن في منع هذه الهيئات وذلها
من الاختصاص بالسياسة - والسياسة
بجانبها - ولها ميلاتها التي كلبها
المصنوع - فليشغل كل من شاء

بالعباسية ؟ لكن كآخج هذه الجماعات
المتقلبة حتى يمكنها أن تؤدي الفرض
الأساسي الذي تشكلت من أجله
(استفسار)

حضره النائب المحترم الأستاذ محمود
مطيلعي غنام - بعد أن حضره النائب
المحترم الأستاذ الشيخ محمد مبدل الطيف
فزار ما كان يرعى إلى تصفحه في
حلب هذه المادة وثما كان يفسد
ذلك الشعور العام الذي طغى على
البلاد في يوم من الأيام ، وهو توريد
أن يقيم مجلس انتخابي أو الجمعية
العمومية من إظهاره أو مشاركة الأمة
في إبدائه ، فكان تسامح البلاد في
الدفاع الوطني بالبال ، فغير مجلس
الانتخاب أو الجمعية العمومية من كسا
حدث إلى الماضي - المساهمة في مثل
هذا الشروع الوطني العام »

فإذا كان هذا - كما نرى - هو
الذي يقصده حشرة اللهاب المحترم
الذي أن يكتبه يقيته ذلك في صحيفة
الجلسة ، أما الاشتراك في السياسة
الحزبية فلا يوجد نفس يوافق على
رجع الجمعية الانتخابية أو الجمعية العمومية
فيها ، ولكن الصيغ العام للصيغة
قد يرضى على البلاد في يوم من الأيام
باعتدائه لا للمستشير ولا قانون
الحياة ويشتأن أعضاء مجلس انتخابي
أو الجمعية العمومية - سواء يصنعهم
الشخصية أو يصنعهم الرسمية العلمية
- من أن يشاركوا الأمة في إبداء
هذا الصيغ .

حضره النائب المحترم الأستاذ محمد
حامد حبش - أريد أن أستفسر عن
الجزء الذي يوقع في حالة الاشتغال
مجلس انتخابي أو الجمعية العمومية
بالعباسية ، حيث أن المادة العاشرة
يوجد المادة خلو من النص على ذلك »

القرر - لقد رأينا على هذا الشروع
في الدورة الماضية ، وإذا رجع حشرة
النائب المحترم إلى الأمان الانتخابية
في صلب القانون ، أوجد الجواب على
استفسار »

حضره النائب المحترم الأستاذ محمد
حامد حبش - الذي يبين من نص
الاداء المأثرة بعد اللغة أن اجتماعات
مجلس انتخابي أو الجمعية العمومية ، لا
يسرى عليها قانون الاجتماعات ، فإذا
اشتغلت الجمعية العمومية بالسياسة
فعل يطبق عليها قانون الاجتماعات
أو لا ؟

وحل تمييز القرارات التي تعرضها
مجلس أو تشريع من الاجتماع ؟ هذا
ما أردت الاستفسار عنه »

حضره النائب المحترم الدكتور طه
أبو العلا - لا لوائح تميز المحترمين
الأستاذ الشيخ محمد عبد الطيف دراز

والأستاذ محمود شهابي كلهم تهما
ينطبق بمقتضى الجمعية العمومية في
الاشتغال بالسياسة أو الشعور العام
كما وضحه الأستاذ غنام ، إذ الواقع
أنه قد أن الأوان لميلتنا التي تشكلت
بشؤون الوثائق والجماعات أن تكون
بعيدة كل البعد عن الاشتغال بالسياسة
سواء كانت عامة أو خاصة ، وحوية
أو غير حزبية . وأعتقد أن حشده
البهتات تستطيع أن تكتفل بالسياسة
كأفراد لا كجبهات ، بمعنى أنه إذا أراد
مجلس أن يبرح للدفاع الوطني على أن
يبرح كجانب واحد ، أما صدور قرار من
الجمعية العمومية بالاشتغال في السياسة
لهذا ما يجب أن ترفع عنه في التفرغ
المعروض علينا الآن ، لذلك أريد اللجنة
في بقاء المادة كما هي .

حضره النائب المحترم الأستاذ عزيز
بشرى - ولما يخص بالجزء الذي
يستلزم منه حشرة اللهاب المحترم
الأستاذ محمد حامد حبش أرى أن
محل تلك الثلاثة الداخلية التي
ستفهمها للجمعية العمومية ، والكر
أن بعض القوانين الأوروبية تفسر على
أن للنائب العام أن يرفع إلى محكمة
التنقيب كل قرار يصدر من الجمعية
العمومية مخالفا لقانون المحصلين ،
فتمسك محكمة التفتيش بها في ذلك ،
وطبيعة الحال سقراض الجمعية
العمومية عند وضع اللائحة الداخلية
النص على عقوبة في حالة مخالفة
حكم المادة المأثرة بعد اللغة .

حضره النائب المحترم الأستاذ محمد
عبد الطيف دراز - يظهر أن بعض
حشرات اللهاب المحترمين فهموا أنه
سيترتب على الأخذ بقائدهم تصليب
تفويض هذا القانون الذي يكلف في سبيل
إصداره جهود شاقة ، تلك الجهود
التي تحدث منها حشرة الغرور . وهذا
ما لا أتصده ، وإنما قصصت أنه لا
يبدى أن ينس القانون على أن تعمر
نقابة المحصلين من احتمال حق يملكه
المعروفين جهبا ، فورا حشرات أن
ظلمة يلقى على البلاد ، فعل البرلمان
والتي المستور ، وفي على الكثير
من حشواته ، ألا يجب علينا جهبا
أفرادا وجماعا ، وعلى ميكتلنا
الخطية طرأ ؟ أن تلقى في وجه هذا
الخطر ، لا فيك أن هذا النظام الذي
سيطبق علينا من يوم من الأيام أحلا
(شعبة) فيتمسك بهذا القانون
وأنى اكتفى بأن يصرح حشرة الغرور
بقه في هذا الظرف لا يمنع عيلة من
البهتات المأثرة من الاشتغال بالسياسة
(شعبة)

القرر - في مثل هذا الظرف لا يكون
أول من يشتغل بالسياسة »

حشرة صلب المجلس الأستاذ
أبراهيم عبد الهادي (وزير الدولة
للشؤون البرلمانية) - هذا من حشرة
النائب المحترم للأستاذ الشيخ دراز ،
وهو من تفتيش يفتش هذه الفروض
يعرف أن هذه المسائل حينما تفتش
لا ينتقل من يفتش هذه القرارات أن
يستند إلى تقرير ما ، إذ ما التفتد
من أعضاء مجلس انتخابي أو غيره هذه
الارضية في اليوم الذي تكون فيه أن
مجلس النواب غير موجود ؟ وما القيمة
أو الإهمية في التوقيع من شخص
ما بأنه عضو مجلس انتخابي ، ولماذا
المحترم أعمال الناس بأن هذه اعتبارات
لا وزن لها ، في مثل هذه الظروف التي
تتأذى كل أهل الوطن للدفاع من حق
من حقوقهم ؟ هذه مسألة لا تحتاج
إلى تصريح ، بل هو التهام وطني
وقدتر شخص ، أما أعطواكم ترخيصا
مثل هذا فلا قيمة له ، أعتنى أن
المحاصلين إذا اتفقوا على توقيع بلص
باعتبارهم محصلين ، لا باعتبارهم
جمعية عمومية ، فإذا تخلط عليهم
بصفتهم جمعية عمومية ؟

التي أرى أن هذه الفروض لا محل
لها مطلقا ، والنص على منع الاشتغال
بما يخص أحدنا من فرد إلا
كتمثل للمحاصلين أو لجمعية عمومية
ليعد أن يفتش اجتماع الجمعية العمومية
أو مجلس إدارة الكلية يكون المحصلين
أفرادا بها وملونه ، والحقبة
تصبح بشكل خاص للمحاصلين لا تفرس
أنها تحمل بهذا أداة سياسية تقوم
باصلاح طائفة واجتماعي .

(تصليب)

حضره النائب المحترم الأستاذ الشيخ
محمد عيسب الطيف دراز - اعتنت
وموافق ؟

الرئيس - والآن هل نوافرن
مشارككم على المادة المأثرة بعد
اللغة ؟

(موافقة عامة)

[٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٩]

* من المعروف أن حكومت الولايات
كانت تعالو الحد من القسود
السياسي لحزب الوادي في الانتخابات
الحزبية وفي نقابة المحاصلين لجهبا
كانت على وجه الخصوص لجهبا
مجلس الوادي فيه نقودا أسفيا .
وقد كان مشروع قانون المحاصلين
الذي تقدمت به الحكومة عام ١٩٢٩
أعزى فطقت هذه المحاولة وقد
نص فيه على أنه « يحظر على
الجمعية العمومية وعلى مجلس
الانتخاب أن يشتغل بالسياسة » .

مؤسسة ستانكوإمبورت السوفيتية

تنتج وتوزد العند الحاكّة الممتازة
SUPERIOR ABRASION TOOLS

التي تشمل :-

- ★ أقراص وأحجار التجليخ.
- ★ رؤوس وبروفيلات التجليخ بالأشكال والمقاسات المختلفة.
- ★ ورق وقماش السنفرة ، على هيئة بكرات والبرام من مختلف المقاسات.

تصنع المواد الحاكّة من الكورندم الكهربائي ، وكربيد
السيليكون ، وأفضل المواد الحاكّة الأخرى .
للتجليخ على الناشف والتجليخ مع سواثل تبريد .

Write for more information & catalogues to :

V/O STANKOIMPORT

32/34 Smolenskaya - Sennaya

Moscow G - 200

USSR

Telex : 227



الوكلاء في ج.ع.م

شركة النصر للتصدير والاستيراد

٣٧ شارع طلعت حرب - القاهرة



شركة القاهرة للصناعات الدوائية

الاهداف التي حققتها القطاع الدوائى:

التمتية البشرية :

عملت المؤسسة منذ انشائها على خلق جيل جديد من العلماء والعمال المهرة المتخصصين فى صناعة الدواء ، يساعد على ذلك البعثات الداخلية والخارجية والتدريب فى مصانع الادوية العالمية .

الصناعة :

فى عام ١٩٥٢ كان عدد العاملين فى مصنع الدواء ٤٥٠ عاملا غير مخبرين تازيهم اللغة والاصول الفنية لهذه الصناعة .

وفى عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ وصل عدد العاملين فى قطاع الدواء الى ١١٠٠ عامل ومن ناحية اخرى تطورت نسبة الفنيين والخبراء بشكل امضى القطاع الدوائى وقدرة المشاركة والمعاونة الفعالة فى خلق وتشيد الصناعات الدوائية فى كثير من الدول العربية والافريقية .

الاجور :

فى عام ١٩٥٢ :

كان متوسط اجر العامل ١١٠٠

فى عام ٦٠ - ١٩٦١

اصبح متوسط اجر العامل ١١٧٩

فى عام ٦٩ - ١٩٧٠

اصبح متوسط اجر العامل ٣٧٠

زيادة قدرها ١٠٧٪

بجانب الميزات المادية التى تقدمها المؤسسة وشركاتها مثل تقديم الواجبات الغذائية وتوفير الرعاية الصحية ووسائل

المواصلات والملابس الموحدة داخل المصانع كما تقوم بتشجيع الانشطة الرياضية والاجتماعية والترفيهية ، هذا علاوة على توفير الارياح والمكافآت التشجيعية والجوائز التقديرية .

انتاجية الفرد :

فى عام ١٩٥٢ كان متوسط انتاجية الفرد ٤٥٠ جنيه .

فى عام ٦٠ - ١٩٦١ اصبح متوسط انتاجية الفرد ١٠٠٠ جنيه .

وتقيم المؤسسة المصرية العالية للصناعة حدثت طفرة كبيرة فى متوسط انتاجية الفرد إذ بلغت عام ٦٩ - ١٩٧٠ ما قيمته ٢٩٠٠ جنيه .

اسباب زيادة

متوسط انتاجية الفرد

● الشعور بالتححرر من اثر راس المال الفردى ، وملكية الشعب لوسائل الانتاج .

● اشتراك العاملين فى مجالس ادارة الشركات .

● الاشتراك فى الحصول على نسبة من الارياح .

● تمسيق المؤسسة لجهود شركاتها فى حسن اداء الطاقة الالية والبشرية .

وقد تفرز الانتاج الحلى للدوية تقزات واسمة ، فبعد أن كان قيمة انتاجنا الحلى نصف مليون جنيه عام ١٩٥٢ الى ٤٣ مليون جنيه عام ٦٠ - ١٩٦١ ليصبح انتاجنا ٢٩ مليون جنيه عام ٦٩ - ١٩٧٠

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيمياء
للجودة
والانطلاق

بانتاجها الجديد

أعلى نسبة في الآزوت تضاعف
خبريات أساليب طرية وترفع
مستوى الإنتاج الزراعي

نتر وكيمياء ٣١٪ آزوت

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيميا» بإشراف
إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

مطابع الأنعام التجارية

الطليعة

عبر حشد إلى الحداثة والقدرة

٩

السنة السابعة - يناير ١٩٧١

◆ ليس بالألم وعده ، يعيش الإنسان العربي

◆ الثورة العراقية :

الفكر والصراعات الاجتماعية في الثورة الوطنية الأولى

◆ نيكسون يفتح أبواب سور الصين العظيم

◆ ٨٠ شهرا من حياة الطبيعة : المواقف والاتجاهات

عدد فاص

ليس بالألم وحده ... يعيش الإنسان العربي

• لطفى القسولى

٥١ • د. فؤاد مرس

٥٦

• عيد القاسم والفقرية السورية
• الثورة العربية : الفكر والصرامات
• الاقتصادية في الثورة الوطنية الأولى

٥٨ • م. صلاح هبسى

٥٩ • د. راجح السعيد

٥٥ • د. عبدالمعظم رمضان

٥٥ • محمد حمارة

٨٤ • لطفى عبد القناح

٥٧ • محمود عيسى

• ملاح من الخريطة الفكرية للثورة
العربية
• الواقع الطبقي للثورة العربية
• قيادة الثورة وعسكرة السلطة
• التيار الاصلاحى والثورة العربية
• الثورة العربية والامك المقاريون
• لنساء حول ماركس العرب العربية

• ٨٠ شهرا من حياة الطليعة :

المواقف والاتجاهات

٥٦

٥٧ • فتحي شحات

٥٧ • سمير رحيمى

• حركة الفكر الوطنى

• القضية العربية

• ملف الطليعة :

• قراءة والعمى لتصوص داهية
(المقاومة الفلسطينية والمسلحة العربية)

٥٢

٥٧

• تقارير الشهر والتعليقات :

٥٩ • جمال التميمى

٥٢ • سمير كرم

٥٩ • صلاح الدين حيلة

• تقرير خلس : المغرب لى والقرى

• تقرير خلس : لوكسون يفرق لوباب

• رسالة دمشق سوريا : وقضية الوحدة

• مكتبة الطليعة

٥٢

٥٥

• المشاكل الراهنة للثورة الوطنية في المغرب

• مناقشات مفتوحة :

٥٧

• وثائق « دستور ١٩٢٢ » :

الطليعة

طريق القاضين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطى الخولى

مستشارو التحرير :

• د. ابراهيم سعد الدين

• ابو سيف يوسف

• د. اسماعيل صبرى عبدالله

• د. جمال المظفى

• د. رشدى سعيد

• د. عبد الرازق حسن

• د. لطيفة الزيات

• د. محمد الخفيف

• محمد سيد احمد

• مدير التحرير :

• ميتيل كامل

• عنوان المراسلات :

• مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء

القاهرة نظيون : ٤٦٢١٤ - ٩٥١٠

٩٥٦٠

• الاشتراكات :

• لسنة بالبريد المالى ج. ٢٠٠ م. حول

الحساب البريد المصري وحول الدار

البيضاء ١٢٠ قرشا .

ورقة رأى

مع هذا المند « ورقة رأى » تتوجه
بها « الطليعة » الى اصدقائها • وذلك
من محاولة لايتكتشف آراء وانتقادات
الاصفاء • وهى على ثقة من ان
الاصفاء سوف يولون هذه الورقة ،
اهتمامهم ، فهذا الاهتمام ، فوق
انه رصيد الثقة الذى تمتز به
الطليعة ، يفوق - اليوم - ونحن
على اعقاب مرحلة جديدة ، ضروريا
لتوجيه المسار باستمرار نحو الطريق
الصحيح •
و « الطليعة » تقدم « ورقة للرأى »
الى الاصفاء ، « مستلهمة الحكمة
الحرية القائلة : « صديقك من صديقك
لا من صديقك » !

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى
هو ، وفى اعتقادنا ان تقابل الآراء
الحرية على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع ان يبلور ويستخلص وحده
نكبة أصيلة •

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة »
صفحاتها لكل رأى ادبى كلمة بقولها
- مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
« قد اختلف معك فى السراى ولكنى
على استعداد لان ادفع حيايتى فيما
لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ •

ليس بالألم وحدة .. يعيش الإنسان العربي

ليس بالألم وحدة، يعيش الإنسان العربي المعاصر، مأساه وحرماناته • ويتحدي
ألم، نقول: ليس بالألم وحدة، نواجه الأحداث الدامية الأخيرة، في الوطن
العربي •

فالألم الإنساني مهما بلغت حدته، يغدو - مع الزمن - ذكرى وعبرة •
والأحداث رغم قسوتها، لن يتخلف عنها سوى بعض البصمات، يحفظها التاريخ في
سجلاته، كاشفاً عن الدور الحقيقي لصاحب كل بصمة •

أما الوطن فيبقى دائماً حياً، متجدداً الحيوية، يعيش المستقبل في الحاضر بكل
ألمه، ويحضر إلى المستقبل بكل آماله، متفطناً لجميع الأحداث الصارخة
وشخصيات الأفراد، أيا كان وزنها •

بيد أن هذا كله، لا يعطينا - ونحن أبناء يومنا الذي تجرّت فيه هذه الأحداث - من
المسئولية • ويتميز آخرء نحن مطالبين بأن نواجه هذه الأحداث من خلال مسؤولياتنا
تجاه الثورة العربية: بناء ومساراً وأهدافاً •

فالأحداث التي استعذب فيها الأخ سفك دماء أخيه، كشفت ببشاعة، عن خلل خطين
في حركة الثورة العربية المعاصرة •

وتنبع خطورة الخلل من أنه يتصل مباشرة بمركز الثقل الاستراتيجي لحركة
الثورة، ونعني به وحدة القوى الوطنية والتفسيية •

وهذه الوحدة، بكل ما تحمله من طاقات وخبرات بشرية واجتماعية وسياسية
واتصافية، هي أمضى ما يملك وطننا - على المستوى الاقليمي والقومي - من سلاح

دفاعي مجوسى ضد العدوان الصهيونى الامبريالى ، وضد التخلف الاقتصادى والاجتماعى لشعبينا •

وافقتاندا لهذا السلاح ، او لجزء منفاعليته - وخاصة فى مرحلة الجذر - لا يضعف فحسب من جبهتنا ، وانما يمنح العدو ميزة استراتيجيه جديده •

واعتقد ، اننا لسنا فى حاجة الى مزيد من الحديث حول هذه القضية • ذلك ان درس التاريخ الانسانى بتجاربه للحليه والعاليه ابلغ من كل كلام يمكن ان يقال او يكتب •

ولقد قلنا - جميعا - وكتبنا ، شمسراوترا ، خطبيا منبريه ومقالات صارخة وهامسه ، حتى لافشى ان يكون ذلك قد اجهدنا عن فعل شيء • والواقع انه مالم نلزم انفسنا الزاما عمليا بالتعلم من تاريخنا فسنظل ندور فى حلقتنا المغرقة • نطرب لشمارات مصقولة الرنين ، نهمل لشغافها وتتهرب من احكامها العمليه • نبكى شهداء الذين هم ضحايانا قبل ان يكونوا ضحايا العدو ، فى محاوله لغسل ايدينا من جرائمهم • نشغل انفسنا بلمبه تبادل الاتهامات البيزنطيه ، ونقوم تارة بانها نقد ذئبى بوقاره بانها نقد قراح • ونظل نكوي من هزيمة الى اخرى ونحن نتفننى - بماسوشنيه غريبه - بالصمود ، وكأننا اصحاب هوايه جديده - هوايه تلقى الهزائم ورفض رايات السود فيها بين كل هزيمة وهزيمة •

ويقتا نتملأ بالقدردا حينما ، وبثوه العدو الاسطوريه حينما آخر • ونقبح داخل نواتنا او طيقنا فى اقليمنا فى لتظان ممجزة ، كما ينتظر ابطال مسرحيه « بيكت » المبيث • « فجدود » بوليس من ياس بين آفونه واخرى ان ينقض بمضنا على بعض ، يقتلوا اباده • تحت شعار تطهير الجبهه من الطابور الخامس استمداد للمعركه • ومع ذلك تظل الهزيمة جائحه على حياتنا يحاول كل منا ان يتخفف من ثقلها والقاء تبعتها على غيره وتبرئه نفسه من وزرها •

كلانا - جميعا - وبلا استثناء - خداه للنفس وللتاريخ • نحن - جميعا وبلا استثناء - المسئولون أولا واخيرا ، من الهزيمة بكل ابعادها الممكريه والاجتماعيه والسياسيه ونحن كذلك ، أولا واخيرا ، المسئولون امام انفسنا وامام التاريخ ، عن فطش الهزيمة نحو النصر •

والنصر هنا ، ليس انتهاء العدوان واستماده حقوق شعب فلسطين فحسب ، وانما هو فى الاساس عوده روح النضال الجاد والمسئول الى حركة الثورة العربيه بآلياتها التحرريه والاستشراكيه ، فينبون عوده الروح سنظل موتى ، مكفنين فى اجساد حيه • ولن تعود هذه الروح الا من خلال عوده الجماهير الشعبيه • عوده حقيقيه لا شكلية • عوده كميه وكيفيه فسى وقت واحد •

وعلى قدر ضيق واتساع وديمقراطيه هذه العوده الجماهيريه ، يتوقف مصير الهزيمة : الاستمرار بكل مضاعفاته ، او التصفيه بجميع آفاقها الرجعيه نحو التقدم •

ولن نستطيع تحقيق هذه العوده التاريخيه الى روح الثورة العربيه ، مالم نهادر فكريا وعملا ، الى علاج ذلك للخلل الخطير الذى كشفت عنه الاحداث الداميه الاخيره بوطننا العربى ، فى بناء وحده قوانا الوطنيه والتقسيمه •

وعلاج الخلل يستلزم اول ما يستلزم تشخيصه بدقة • والتشخيص الدقيق لا يفر من خلال انطباعات ذاتيه او نظره جزئيه ، وانما من خلال رؤيه علميه وشامله للحقائق الموضوعيه التى يطرحها واقع الحياه خارج نواتنا •

والرؤية العلمية الشاملة فكشفت لنا عن أربع حقائق موضوعية ، يمكن أن نجعلها هي :

أولا : عدم توافر القدرة لدى أية قوة اجتماعية بمفردها داخل كل بلد عربي ، لتمتيعه وبقيادة شعبها ومواردها للمعركة ضد التخلف وضد العدو ، دون تحالف مع بقية القوى الوطنية الأخرى ، التي تكون - في الظروف الخاصة لهذا البلد أو ذاك - جبهة التقدم والحركة في المجتمع .

ثانيا : عدم توافر قوة كافية وقادرة وحدها ، على إنزال الهزيمة بالعدوان الإسرائيلي في شكله « الامبريالي الأمريكي » في محقواه ، لدى أي قطر عربي بمفرده دون قوة أقطار أخرى ضرورية بحكم طاقاتها أو مواقفها الاستراتيجية .

ثالثا : المعركة ضد التخلف وضد العدوان ، وكلاهما وجهان لعملة واحدة تتطلب بالضرورة - ككل معركة في عصرنا متعددة الاحتياجات والإسناد ، حليفا قويا ، فعلا في مساندته المعنوية والمادية ، يقف معنا في مواجهة تحالف العدو مع مناصريه من الامبرياليين الأقوياء .

رابعا : الإنسان - في النهاية - هو القوة الأساسية في المعركة بوجهيها . ويحدث بعدهم الذراعى ، والمخلص إلى حد التضحية بالنفس ، لا أمل في شيء . ولو تجسدت لدينا كل موارد الأرض وأسلحة ترسانات العالم .

وفي ضوء هذه الحقائق الأربع للموقف الفعلى ، مجسدا في أربعة تناقضات رئيسية :

● التناقض الأول ، بين ما هو « معطى » من وحدة القوى الوطنية والتقسيمية في البلد العربي الواحد ، وبين ما هو « كائن فعلا » من تمزق ويمزعة وتفتت .

● والتناقض الثاني ، بين « التصريحات الرسمية » الصادرة من السلطات المختلفة في الدول العربية حول قومية الحركة ووحدة كل البلاد العربية في مواجهة الخطر الصهيوني - الامبريالي ، وبين « الأفعال » المحطة لكل وحدة عمل ضد العدو ، ولو في أدنى الدرجات .

● والتناقض الثالث ، بين « النوعى » بنسب الهزيمة الخاص بضرورة احترام إنسانية الإنسان العربى ، كى تكون مشاركته عميقة وخلاقة في المعركة وليست مشاركة المتفرج ، وبين « استعمار عمليات الانتهاك » للإنسان ومصادرة حقوقه وإرتخاص حياته .

● والتناقض الرابع ، بين « السعى » إلى جذب أكبر عدد من الحلفاء إلى صفوفنا وبين « قيام البعض بحملة معادية » ضد أقوى وأخلص الحلفاء جميعا وهو الاتحاد السوفيتى .

والواجب الملح لئلا - اليوم - هو المواجهة الصريحة لهذه التناقضات الأربعة وتكثيف الجهود لحلها في إطار أهداف ومصالح الثورة العربية بأفاقها التحررية والاشتراكية .

والحق أن التناقض الأول الخاص بوحدة القوى الوطنية والتقسيمية في البلد العربى الواحد وخاصة تلك البلاد التي اصطلح على وصفها - سياسيا - بالنظم التقسيمية ، هو أخطر التناقضات الأربعة التي تميز المرحلة المعاصرة . بل لعلنا لا نتباين إذا قلنا أن

المفتاح لحل بعية التناقضات . ذلك أن قيام مثل هذه الوحدة ، في نفسنا على حسب معنَى الواقع الاجتماعية والسياسية ، من شأنه أن يهيئ المناخ المصحي لإطلاق الطاقات الهائلة الكامنة في شعبنا . وهي طاقات لم تستخدم بعد ، استخداما كاملا وحقيقيا في الحركة .

ونقطة البدء الصحيحة لحل هذا التناقض ، هي الاعتراف بفشل كل تجارب بناء الوحدة بأسلوب شكلي وتمسقي مفروض على الواقع ، يفرغ الوحدة من القدرة والغالبية ، لتغدو مجرد تسمية معلقة على جبين هذا النظام أو ذاك . ونعني بهذا الأسلوب قيام القوة الوطنية التي تمكنت من السيطرة - في ظروف خاصة - على الحكم ، بمنع نفسها حق انتقاء القوى التي تدعيها للوحدة . وذلك وفقا لمعايير المصالح الضيقة لتنظيم أو حزب الطبقة المسيطرة لا المصالح الوطنية الشاملة في إطار أهداف الثورة العربية التقدمية . بل وأحيانا وفقا للرغبات الذاتية للشخصيات القيادية في الحزب أو التنظيم . وهذا الأسلوب الانتقائي (القوي - الذاتي) يستبعد عمليا من إطار الوحدة قوى وطنية وتقدمية أخرى لها وزنها الاجتماعي والسياسي في المجتمع . وهذه القوى المستبعدة تتفق في الخط العام للحركة السياسية للنظام ، ولكنها تختلف في أساليب ووسائل الحركة والمدى الذي يمكن الوصول إليه - مرحليا - على طريق التطور . وذلك نتيجة الاختلاف في المنابع الفكرية والاجتماعية لهذه القوى بعضها عن بعض .

وهكذا نجد أنفسنا أمام ظاهرة شاذة في المجتمع ..

شمارات عامة واحدة أو متقاربة يترفعها جميع القوى الوطنية والتقدمية ، غير أنها مع ذلك متناحرة فيما بين بعضها وبعض في السلوك العملي . الكل يدعو إلى الوحدة الوطنية . بيد أن الكل لا يحقق الوحدة . وغالبا ما ينتهي التناحر إلى التصادم ومزيد من التفرق تصاحبه الاتهامات بالثورة المضادة تارة وبالتناحر والوقوع في أحضان الرجعية تارة أخرى . ورغم افتقار معظم هذه الاتهامات لأساس موضوعي ترتكز عليه ، فإن دأثرها تستمد في الإساءة . وإذا بالتناقضات الثانوية والغير عدائية بين فصائل القوى الوطنية والتقدمية ، تنقلب إلى تناقضات رئيسية وعدائية . والنتيجة المنطقية لهذه الظاهرة الشاذة أن الامبريالية والرجميات المحلية تحقق من خلال ذلك مكاسب على حساب جميع القوى الوطنية والتقدمية بلا استثناء .

والبديل الصحيح والممكن للأسلوب الانتقائي (القوي - الذاتي) لبناء الوحدة ، هو أسلوب التحالف الموضوعي على أساس استيعاب كل قوى الواقع في إطار أهداف الثورة العربية بأفكارها التصورية والاشتراكية . وبتمثيل آخر الاعتراف بحق كل قوة وطنية وتقدمية - - بمعايير ظروف المرحلة - - أن تكون عضوا كاملا العضوية في الوحدة .

وهذا الأسلوب الموضوعي يأخذ في اعتباره أن الاشتراكية - بصفة عامة - والتي تشكل أحيانا في اصطلاحات سياسية من نوع « العدالة الاجتماعية » و « الطريق إلى الرأسمالية » و « الإصلاحات التقدمية » الخ قد غشت بانتصاراتها وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية موضع جدب شديد وتأثير متزايد على شرائح مختلفة من القوى الوطنية في بلاد التحرر الوطني المامية للاستعمار سياسيا واقتصاديا . بمعنى أن الاشتراكية - كإفكار عامة - قد امتد تأثيرها في المجتمع إلى أوسع من دائرة الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين في ظروف البلاد التي أصبحت تعرف باسم العالم الثالث .

ورغم أن التجربة - في هذا المجال - دلت على أن هذا التوسع لدائرة التأثير بالأفكار العامة للاشتراكية يمزج بين الأفكار البرجوازية والأفكار الثورية ، إلا أنه من ناحية أخرى يحقق - عمليا - أكبر وأقوى تجمع وطني تقدمي في تاريخ حركة التحرر الوطني .

ومن هنا ، فإنه على طريق الثورة العربية في مرحلتها المعاصرة ، نلتقي - موضوعيا - حول الاهداف العملية الاستراتيجية ، قوى وطنية وتقدمية متعددة ، تنبع عن اصول فكرية واجتماعية مختلفة .

وهذا الالتقاء الموضوعي ، هو الواقع الحي . واحترام حقيقة هذا الواقع والتفاعل معها ، هما جوهر القضية . وبدون استيعاب هذا كله في التجسيد العملي لبناء الوحدة الوطنية التقدمية ، تصبح من اولئك المخرمين بخداح أنفسهم والآخرين يفتون قصورا في الهواء أو على مقاسهم الذاتي لمصعب . أن الوحدة الحقيقية بناء على ارض الواقع ، وعلى مقاس وحجم كل القوى صاحبة المصلحة .

وما نمنا نسلم باختلاف المتابع الفكرية والاجتماعية لقوى الوحدة ، فإن التصايف الفكرى لا يجب أن يكون سببا في اغلاق الباب في وجه أية قوة وطنية أو تقدمية . أن الوحدة عمل سياسى يخيم اهداف مرحلة محددة . وبالتالي فإن الالتزام بالسخط السياسى العملى للنشاط الواحدى الوطنى التقدمى ، هو وحده معيار القبول أو عدم القبول .

والانخراط في عضوية الوحدة الوطنية ، لا يشل حق كل عضو في التعبير الصريح عن افكاره داخل الاطار العام . بل أن حرية التعبير هنا ضرورية لانها تخلق في الثورة الاتجاه العام وتصبح مساره باستمراره هو الاهداف الاستراتيجية .

بمعنى أن الوحدة الوطنية يتم وتزدجر من خلال العمل المشترك من ناحية ، والحوار اللغدى المتبادل من ناحية أخرى . فهى حركة «أحادية» في اهدافها ، و «جديدة» في بنائها وفكرها .

وبهذا الاسلوب الواقعى - الموضوعى ، تتمكّن القوى الوطنية والتقدمية من أن تهنه كل طاماتها من حول برنامج وطنى ، يخدم محور الالتزام المشترك .

والواقع أن التجارب العملية قد أكدت أن المسئولية الاساسية في اتباع الاسلوب الواقعى - الموضوعى لبناء الوحدة ، تقع بالدرجة الاولى - على عاتق القوة صانبة الاغلبية النسبية ، أو القوة التى تمكّنت من السيطرة على نظام الحكم . إذ أنها بحكم وزنها وتأثيرها تملك حرية وإمكانية المبادر الى بناء الوحدة الوطنية واختيار أسلوب التعامل مع القوى الأخرى . وينبى قيامها بدورها التاريخى المتمثل في قيام وحدة حقيقية منجزة وفعالة .

ولاشك أن الأحداث الدائمة الاخيرة في الوطن العربى ، قد طرحت للنقاش قضية ذات طابع مميز في خصوص بناء وحدة القوى الوطنية والتقدمية ، وهى الموقف من الماركسيين والاحزاب الشيوعية العربية .

لما اتجهات ، كانت قد تلاشت في الستينات ، برزت أخيرا مرة أخرى ، تدعى الى اقضاء الماركسيين والاحزاب الشيوعية من الوحدة الوطنية .

وتستجلب هذه الاتجاهات ، في صور جديدة ، الدعاوى القديمة المعروفة والتى تتركز أساسا في أن الماركسيين أو الاحزاب الشيوعية ، ليست بالقوى الوطنية وإنما هى عناصر عميلة لقوى أجنبية ، وتعمل لكفار مستوردة غريبة على واقعنا ومعاداة لقيمنا وخاصة قيمنا الروحية والدينية .

والواقع أنه ثبت من خلال التجارب الجديدة - بطلان كل هذه الدعاوى .

فليس هناك من حركة وطنية تحررية ، ابتداء من ثورة ١٩١٩ الوطنية في مصر ، حتى حركة المقاومة الفلسطينية اليوم ، لم يشارك فيها الماركسيون العرب ، سقط منهم — خلال المعارك — العديد من الشهداء الوطنيين جنباً الى جنب مع شهداء بقية فصائل القوى الوطنية الأخرى .

أما الاتهام بالفكر المستورد ، فإنه إن دل على شيء — في الثلث الأخير من القرن العشرين الذي وطأت فيه أقدام الإنسان أرض القبر — فأنها يدل على تخلف عقلي ، قبل أن يدل على رجعية في التفكير . فالاشتراكية نتاج إنساني . غدت ، اليوم ، علماً ، مثلاً مثل العلوم الإنسانية (الفلسفة — التاريخ — الخ) ، والعلوم الطبيعية (الطب — الهندسة الخ) . ولذلك فهي تدرس في كل جامعات العالم بما في ذلك جامعات البلدان الرأسمالية نفسها .

وبحكم أننا جزء من الإنسانية ، لا نملك ولا نستطيع أن ننفصل عن حركة تقدمها ، نتبادل معها التأثير والتأثير المنسحقين ، تصبح الاشتراكية العلمية جزءاً من تراثنا الإنساني جنباً الى جنب مع حصيلة تراثنا القومي المتميز .

والقول بأن الاشتراكية تتعارض مع القيم الروحية والدينية لمجتمعنا ، هو تصور ماركسي . فالاشتراكي العلمي — فكراً والاشتراكية — كنظام في التطبيق — لا يستطيعان أن يغفلا لحظة واحدة ، القيم والمعاذات والسلوك السائدة في المجتمع . ذلك أنها بجانب قوتها الفكرية تغزو واقعاً مادياً . وفي مجتمع أكثر من ٩٠ في المائة منهم تدينون يتحول الاشتراكي الى عضو فعلي للاشتراكية إذا لم يحترم القيم الروحية والدينية ويجند إشباعها للتقدمي لخدمة البناء الاشتراكي .

خلاصة القول ، أن المعايير الموضوعية الواقعية لبناء وحدة القوى الوطنية والتقدمية ، هي وحدها التي يجب أن يقياس بها قبول أو عدم قبول الماركسيين أو الأحزاب الشيوعية كقوى وطنية في الوحدة . وبالتالي فإن الحكم العملي هو الالتزام بالبرنامج الوطني لاهداف الثورة العربية المعاصرة بألفاظها التحريرية والاشتراكية ، وتبني الخط السياسي العام للمصيرية الوطنية .

ولا خيار أمامنا جميعاً — ونحن نواجه اثناس ممركة واعدها في تاريخنا الحديث — إلا أن نرتفع الى مستوى المسئولية ، ونخطى مشاعر الألم وجراح الدم ، كي نصبح — بعمق وعي — مصانراً وطنياً ، قبل أن يفت الأوان ، وإذا بنا في مواجهة هزيمة جديدة من صنع أيدينا ، ابتداء من ألفها حتى يائها .

وبعد ...

لقد استهلك الحديث من التناقض الأول ، المهجد للمخال الخطير الذي كشفت عنه الأحداث الدامية الأخيرة ، الصفحات المخصصة للافتتاحية في هذا العدد . وأرجو أن أشكّن من معالجة التناقضات الثلاثة الأخرى ، في افتتاحية العدد القادم .

الطريق الوطني

عبد الناصر



والنظرية الثورية

د. فؤاد مرسى

مراحل هامة يمكن التمييز بينها على الرغم من
تداخلها وتربطها واستمرارها (١).

مراحل تشكيل الفكر

في مرحلة اولى تبدأ بالاستيلاء على الحكم
وتنتهى بتأميم قناة السويس ومزينة الغزو
الثلاثى، كانت افكاره تدور حول حتمية تصفية

حسه الثورى الاصيل الذى تمثل
نفذ أحداثاً عمره فى العداء الثابت
لكبار ملاك الاراضى والذى اُكتمل
بعد ذلك بالصداء المرير للاحتلال
الاجنبى ولحكم المراءى تطورت المفاهيم الثورية عند
جمال عبد الناصر فى اتجاه صاعد وبخاصة منذ
يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠
ويمكن القول بأن هذا التطور قد انطوى على ثلاث

بفضل

(١) : سجل إن أوردت بعض أفكار هذا المقال فى مقال بمجلة الاداب البيروتية عن هذا الصادر فى فبراير من العام
الحالى. (١٩٧١) ج ٢

الاضطاح تمهيدا لكسب الاستقلال العنصرى من
بريطانيا العلمى عن طريق المفاوضات وبالتفاهم
مع الولايات المتحدة . وفى الداخل كان الأمل أن
تبدأ تنمية الإنتاج بالتصنيع عن طريق قيام الدولة
بمخصصى المشروعات التى يتولاهم الرأسماليون .
غير أن مساندة الولايات المتحدة لإسرائيل وحجب
السلاح عن مصر ، ثم سحب وعدها بقرض العمد
العالى كانت مواقف حاسمة لم تثبت أن وضعت
نهاية لمرحلة التردد فى صياغة مفاهيم القضية
الوطنية بوصفها ثورة معادية للإمبريالية العالمية .

وبإتداء من هذه النهاية بدأت مرحلة ثانية هى
مرحلة تثبيت الاستقلال ، كانت الثورة قد قطعت
شوطا بعيدا ضد مقاربات رأس المال الأجنبى فى
محاولة لولى للتصنيع . لكن من معركة السويس
انضمت ، كما يقول عبد الناصر ، لاحتلالات العمل
الثورى غير المحدود . من معركة بورسعيد تأكد
اتجاه الثورة أنها « ثورة قوى الشعب الصالحة التى
كانت تدافع عن أرض الوطن » . وصفة خاصة ،
فانه من قلب النار خرجت قرارات تصمير
الاقتصاد ، ثم خطة التصنيع الأولى ، والخطة
الشاملة لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات .
عندئذ طرح عبد الناصر مفهومه عن إعادة بناء
الاقتصاد الوطنى . وطالب « بإقامة اقتصاد وطنى
ثم العمل على تنمية هذا الاقتصاد ثم تطوير هذا
الاقتصاد ليواجه حاجات المجتمع والعمل على
إقامة عدالة اجتماعية » كان ما زال يتوجه الى
الرأسماليين من أجل التنمية . لم يكن يريد أن
يصفى ، أو يقضى على الرأسمالية ، فرأس المال
الوطنى ضرورة لازمة « فى هذا الوقت » من أجل
تطوير الاقتصاد القومى . وإنما كان يطالب بأن
تكون القيادة الاقتصادية للدولة ، فلقد عانى كثيرا
عن مزاوغات رأس المال الكبير فى مجالات التنمية
الاقتصادية المقترحة . لم يرفض ، بل طلب
صصامات رأس المال الأجنبى ورأس المال المحلى
الكبير . وطلب معونة البلدان الاشتراكية . كانت
اعتبارات التنمية الملحة تدعو لطرق كافة الابواب
الممكنة لتمويل هذه التنمية . فلقد توصل الى فهم
بليغ لمخوض التنمية بوصفها « الصيغة المحقة
للتقدم فى جميع نواحي » . وهكذا طرحت قضية
تثبيت الاستقلال ، بوصفها قضية كسب الاستقلال
الاقتصادى ، قضية بناء اقتصاد وطنى حديث ،
قضية التنمية الاقتصادية بوعدها ثلثتاما كافة
مساواته لجذب رأس المال الأجنبى ورأس المال
المحلى الكبير ، بحيث غدت التنمية فى خطر ، كانت
قرارات يوليو ١٩٦١ .

وبدأت مرحلة ثالثة وأخيرة فى فكر عبد الناصر
هى مرحلة التحول الاجتماعى . فمن واقع معركة
القضية الاقتصادية كان لابد أن تدخل الثورة فى

صراع لخير لتصفية مراكز رأس المال الأجنبى
ورأس المال المحلى الكبير . ومن واقع معركة
التنمية الاقتصادية كان لا بد أن تطرح قضية التوزيع
بمطرح قضية الإنتاج . يقول عبد الناصر نفسه لقد
ادركنا بوضوح أن التنمية لا بد أن تقتصر
بالتوزيع . هكذا طرحت القضية الاجتماعية
وهكذا اكتسبت الثورة مضمونا اجتماعيا
واضحاً . ومن ثم دخل دنيا التحولات الاجتماعية
القضية من باب التنمية الاقتصادية بوعده ذلك
الحين صارت التنمية الاقتصادية محور الحياة السياسية
نفسها . وتحدثت إبعاد العمل الثورى وسار فى
اتجاه فكرى موحد ، أخذ يزداد وضوحا منذ صياغة
ميثاق العمل الوطنى . وبعد أن كان العمل الثورى
يبدو وكأنه به فعل خارج عنه ، صار فعلا له مبعج
وأهداف وأصاليب عمل وصيغ تنظيمية .

لقد فرض الحل الاشتراكى نفسه بغير دليل
كطريق للتقدم الاقتصادى والاجتماعى . ولذا كان
عبد الناصر قد أخذ بالطريق الاشتراكى لبناء ،
فان « الاشتراكية لا يمكن أن تكون الا اشتراكية
علمية » . وهذه الاشتراكية العلمية هى اشتراكية
واحدة ، هى إلغاء استغلال الإنسان للإنسان ،
وإزالة المجتمع للتعدد الطبقات ، وتقريب الفوارق
بين الطبقات بالضغط على هذه الطبقات . ومن
ثم فلا بد من بناء مجتمع جديد هو مجتمع الكفاية
والعمل ، الذى يفترض مرحلة انتقال تقضى على
الطبقات ، وتصلى التفكير الطبقي بالاعتماد على
قوى الشعب العاملة وبخاصة الفلاحين والعمال
والتصميم بعبور الرأسمالية الوطنية . بعدها يتم
الانتقال الى الاشتراكية التى هى « طريق لا نهاية
له » لان « الاشتراكية هى مراحل » ولأنه
« باستمرار كل ما نحقق مرحلة سستتفرننا »
مرحلة أخرى .

هكذا تما فكر جمال عبد الناصر ونضج من
خلال نمو الثورة المصرية ونضجها . فالثورة
المصرية التى بدأت مجرد ثورة وطنية قد تحولت من
ثورة وطنية الى ثورة اجتماعية ، أى الى ثورة وطنية
ذات مضمون اجتماعى . ولذلك يضع عبد الناصر
هذه المشكلة التى تواجه البلدان الفتية عقب نجاحها
فى كسب استقلالها . فكل واحد واجه هذا القيد عين
كان يظن أن اصعب الأوقات قد مرت بالخلاص من
الأجنبى . وكل منا بغير جدال وقف أمام هذا
التفدى يسأل نفسه : « وإن ماذا أفعل ؟ » ومن ثم
اجاب عبد الناصر « أن شمعونا لا تصنع
بالاستقلال علما ونكيدا وصوتا فى عداد الاصوات
فى الأمم المتحدة فحسب . ولكنها تريد الى جانب
ذلك أن يكون الاستقلال مضمون اجتماعى » . وهذا
الاستمرار هو الذى ميز أيضا فكر وعمل جمال عبد
الناصر وصنع طول نفسه الثورى . ولهذا يقول

عبد الحامد : أن هذه الثورة المستمرة هي سبيلنا إلى بناء بلدنا ، وهي سبيلنا إلى أن نموض ما فاتنا ، ولم تعد الثورة المصرية تكتمل إلا بإعادة بناء مصر اجتماعيا ، وعلى الرغم من التضارب بين طبيعة كل من الثورة العيسامية والثورة الاجتماعية ، فلكل أصبحتا ثورة واحدة مستمرة تتجزأ أهدافها بالانفصاء على الظلم الاجتماعي والاستبداد الطبقي ، وهكذا بعد الاستيلاء على السلطة أصبح الاحتفاظ بها مطلوباً لإجراء تغيير أساسي لنظام المجتمع ، وهنا نلمس الانحساس المقيم بمامل الزمن ، أي بالتمتية التاريخية فالضرورة الموضوعية هي التي حكمت استمرار الثورة وتحولها من ثورة وطنية إلى ثورة اجتماعية .

تطور حركات التحرر الوطني

فلواقع أننا نشهد تحولات هائلة في البلدان التي كانت مستعمرة أو شبه مستعمرة فمعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، اطردت حركات التحرر الوطني لتصبح ظاهرة عالمية بارزة . ومن ثم انسمت الثورة الاشتراكية العالمية مع الثورة المالية لتشكلا تيارا ثوريا واحدا يرمي إلى التصفية الكاملة لنظام الاستعمار المالي ولنظام الرأسمالية العالي . ولقد ظهرت إلى الوجود مجموعة البلدان التي استقلت حديثا ، وبعد كسب الاستقلال السياسي ، تواجه هذه البلدان مهمة تثبيت الاستقلال الوليد وذلك بالسمي لكسب استقلالها الاقتصادي وبناء اقتصادها الوطني المستقل . ان هذه المهمة تتخذ عنفة صورة السمي لانجاز تنمية اقتصادية تقضي على التخلف الموروث الطويل الأمد ، عن طريق الإصلاح الزراعي ، وبدء عملية التصنيع ، وإزاحة الاحتكارات الأجنبية ، وإقامة قطاع للدولة ، والسمي لرفع مستوى المعيشة للطبقات الكادحة . ويكون أمام هذه البلدان الفتية طريقان لا ثالث لهما لأحداث تلك التنمية . فهناك طريق التطور الرأسمالي المألوف يكن ما يدفع به من مخاطر الألام ، مخاطر استمرار التفضية للاقتصاد الرأسمالي السامي ، وآلام الاستغلال المفروض على عائق الطبقات الكادحة . ولهذا يبدو طريق التطور الرأسمالي وكأنه طريق مسدود . وهناك طريق آخر هو طريق التطور غير الرأسمالي ، الذي يتخذ ما يلزم من إجراءات التنمية للاقتصاد الوطني في مواجهة الطبقات الاجتماعية الرجعية المتخلفة ومراكز السيطرة الاقتصادية الاستعمارية . ومن شأن الطريق غير الرأسمالي أن يسمى بالضرورة لتصميم مستوى معيشة الطبقات الكادحة حتى تشارك غيرها في التمتع بثمار الاستقلال ، وفي الوقت ذاته لتأمين مشاركة هذه الطبقات في اتخاذ القرارات الحاسمة بالنسبة لصنيع بلادها . ولهذا يتميز الطريق غير

الرأسمالي عن الطريق الرأسمالي ليس فقط بطبيعة الإجراءات الاقتصادية التي تتخذ تحت اسم التنمية ، وإنما كذلك وبصفة أهم بطبيعة السلطة السياسية في الدولة . ان السلطة في الطريق غير الرأسمالي يجب أن تستقر في أيدي تحالف الطبقات الثورية ذات المصلحة في استمرار الثورة ، وبخاصة العمال والفلاحين وممثليهم من المثقفين الثوريين . ولقد دلت التجربة في البلدان الفتية على أن السلطة الثورية تقع في العادة في أيدي تحالف من البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة . ونظرا لفشل التجارب التي قادت البرجوازية الوطنية ، ونظرا لغبلة البرجوازية الصغيرة في التركيب البشري للبلدان الفتية ، ونظرا للضعف الكمي والنوعي للطبقة العاملة ، فإن قيادة التحالف غالبا ما تقع في أيدي البرجوازية الصغيرة وممثليها من المثقفين الثوريين . ولهذا تكون السلطة في العادة هي سلطة للديمقراطية الثورية للبرجوازية الصغيرة . ولقد بحث « ليفين » بعد ثورة فبراير إمكانية قيام ديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبرجوازية الصغيرة في روسيا باستخدام سوفيات نواب العمال والجنود كوسيلة لتمكين الثورة البرجوازية الديمقراطية من التطور إلى ثورة اشتراكية في ظروف بلد فاسي متخلف ، وذلك عن طريق وقف عملية التطور المألوف للرأسمالية . ومع التسليم باختلاف ظروف روسيا عندئذ عن ظروفنا الحالية ، فإن البرجوازية الصغيرة لم تستطع هناك القيام بهذه المهمة موضوعيا . وعلى العكس من روسيا ، توجد حاليا الظروف التي تسمح بقيام هذه السلطة في البلدان الفتية ، وبخاصة حيث تتبنى العناصر المتقدمة من البرجوازية الصغيرة أفكار الاشتراكية وتطمح إلى صياغة اشتراكية للمجتمع .

وفي ظل السلطة الثورية للبرجوازية الصغيرة المهادية للاقطاع والاستعمار يكون موطن الضعف الرئيسي هو ثقة جماعات البرجوازية الصغيرة في الرأسماليين ، ويصعب من الضروري حسب الموقف من الرأسماليين ، على النحو الذي تم في الجمهورية العربية المتحدة بعد يوليو ١٩٦١ . ومع ذلك تظل أوهام البرجوازية الصغيرة قائمة حول إمكانية التوافق الطبقي والتعاون مع البرجوازية في حكم الدولة . ولا يمكن التغلب على هذه الأوهام إلا من خلال التجارب العملية وحدها . فهنا لا تجدي النظريات ولا الضمانات مهما يكن صدقها وأخلاصها . لكن الخطير في الأمر هو قدرة البرجوازية عندئذ على التستر خلف أوهام البرجوازية الصغيرة للسيطرة على الاقتصاد والسياسة في الدولة . ولهذا فإن مسئولية الطبقة العاملة وممثليها تتمثل بالضرورة في الوقوف موقف الحليف الثابت للبرجوازية الصغيرة - والسمي بصين وذاب للتغلب على أوهامها ومخاوفها من خلال التجربة العملية . وكل على

تكون في متناول أيتنا فرائين للحرية الاجتماعية والسياسية .

كذلك اعتمدت على منهج الانتخاب . ومع أن الميثاق يعتبر الحل الاشتراكي حتمية تساريخية ويرفض اعتباره اختيارا لنقائيا ، إلا أن جمال عبد الناصر كان حريصا على تمييز اشتراكيته التي يملن بحسم أنها اشتراكية علمية عن الاشتراكية الماركسية اللينينية ، وعلى الرغم من هذا التفريق بين الاشتراكيين ، فإن جمال عبد الناصر لا يتردد في اعلان حقيقة جوهرية هي وحدة الاشتراكية وعدم تعددها : « أنا في رأي أن الاشتراكية واحدة ولكن يختلف التطبيق فيها باختلاف المكان » .

غلبة الاتجاه الاجتماعي

لهذا يمكن القول بأنه على خلاف أغلب نظريات البرجوازية الصغيرة الثورية لتفسير تطورات حركة التحرر الوطني في البلدان الفتية ، تلك النظريات التي تنهج عادة لتثبيت التطور ومن ثم يكمن فيها خطر التجرد الذي يمكن أن يمدى الثورة الوطنية ذاتها ، كانت عبقرية عبد الناصر تكمن في استمراره ثوريا قائما على التطور مع تطور الثورة . ومن هنا استطاع أن يتغلب بوجهه الثوري على خطر التجرد ، وعبر أفكاره عن تجدد وارتقاء حكمتها عنده غلبة الاتجاه الاجتماعي نهائيا - أهني بذلك الحرس على المضمون الاجتماعي .

فمنذ بداية الثورة كشف عبد الناصر عن ادراكه حقيقي وأصيل للصراع الطبقي وانقسام المجتمع الى طبقات متعارضة في الأساس طبقة الملاك وطبقة الاجراء - وأن تطور مفهومه عن الملاك من الاقطاعيين في البداية الى كبار الرأسماليين بعد ذلك . ومن ثم كان ادراكه لم حقيقة أن طبقة الملاك هي التي تستولى على الحكم وتسخره لتحقيق أغراضها وحماية مصالحها « لاستغلال الاجراء ومنهم من المطالبة بحقهم » . ومن هنا يخلص الى هذه النتيجة وهي أن الحكم يتبع المجتمع ، فإن هناك علاقات وثيقة بين السياسة والاقتصاد ، ولذلك ينتهي مفهومه عن سلطة الدولة الى المطالبة بتحرير الانسان من الاستغلال « بكل معانيه » .

إن ادراك عبد الناصر لم حقيقة الصراع الطبقي وانقسام المجتمع الى طبقات متعارضة كان هو المستول على تطور كثير من أفكاره تجسدا وارتقاء . ويكفي هذا أن نذكر تصور لقضايا الوحدة الوطنية والوحدة العربية .

● فلقد تطور مفهوم عبد الناصر عن الوحدة الوطنية . وبعد هيئة التحرير التي كانت في رايه

رأس هذه الخرافة موقف اللغاة اللانج قد تتفذه من الطبقة العاملة ويمثلها وتطريتها . فمثل هذا العداء ذاتي لا موضوعي ليست له أرضية موضوعية من مصالح الطبقتين الثورتين بوصفها طبقتين غير مستقلتين . وإنما هو يبنى في الأساس على اعتبارات ذاتية ، ولذلك فهو عداء مغفل . ومع التسليم بأن هذا العداء قد يتحول من تناقض ثانوي الى تناقض رئيسي ، إلا أن الطبقة العاملة مطالبة ألا تقع هذا الموقع ، وأن تتخذ من المواقف ما يجرّد البرجوازية الصغيرة من مخاوفها الذاتية ، فإن الطبقة العاملة لا يمكنها أن تتجزأ الاشتراكية دون التحالف الوطيد مع جماهير البرجوازية الصغيرة وبخاصة الفلاحين .

في هذه الحدود وحدها يمكن الكلام عما يسمى بالناصرية . والناصرية ، إن صرح هذا التعبير ، هي مجموعة المفاهيم الثورية التي أعلنها جمال عبد الناصر تمهيدا من الثورة التي قادها أكثر من ثمانية عشر عاما . وإن جمع في شخصه بين المناضل والمفكر ، فإنه يمكن القول بأن الناصرية هي نظرية للبرجوازية الصغيرة من الثورة الوطنية الديمقراطية في عصر « تتقال على النطاق العالمي من الرأسمالية الى الاشتراكية » . إنها تقدم صيغة نظرية للثورة الوطنية المستمرة التي تكسب مضامينها اجتماعيا حريصا ، ومن ثم تقطع مراحل ثلاثا واضحة من حيث الجوهر هي مرحلة كسب الاستقلال ، ثم مرحلة التنمية الاقتصادية ، ثم مرحلة التحول الاجتماعي . هي إذن صيغة نظرية للثورة الوطنية والعداء السافر للاقطاع والاستعمار والرأسمالية الكبيرة للقضاء على التخلف والوروث من أجل التنمية الاقتصادية الشاملة ، للتحول الاجتماعي والطموح الى بناء الاشتراكية ، إنها صيغة نظرية للتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والوحدة القومية .

لكنها محاولة لم تتخلص بعد من أسسها البرجوازية الصغيرة ، ومن ثم تتطوى على تناقضاتها . ولعل أخطر هذه التناقضات جميعا هو قيامها منهجيا على التجريب والانتقاء .

لقد اعتمدت على برهان التجربة والخطأ ، على منطق التجربة والإسارسة . وتقدمت النظرية مستفادة من تجربتها ، مع ما انطوت عليه من خسائر فادحة لحيانا . وظل هذا المنهج سائدا حتى وضع الميثاق . ومن ثم استطاع جمال عبد الناصر أن يقول « لقد حققنا شيئا هاما كانت له كل الفائدة في الوصول بمرحلة التحول العظيم الى قرب نهائيا » . هذا الشيء الهام هو الوضوح الشامل ، لم تعد جزئيات المشاكل أمامنا ممارك متفرقة وأصبحت الكليات مرتبطة متماسكة تكاد

الاشتراكية والوحدة» * ولذلك فاننا «نقول» باستمرار اننا لن نتحد ابدا مع أي بلد عربي الا حين يطبق الاشتراكية ويعطن ساذا يعنى بالاشتراكية * وبذلك لا تتعرض الوحدة للخطر * فان الوحدة معناها الاشتراكية *

من هنا أعلن عبد الناصر مسئولية القوى الثورية العربية ودعائها للوحدة * وقال ان معركة وحدة هذه القوى الثورية معركة متشعبة متعددة الجبهات ، في أوطانها الصغيرة وعلى المستوى القومي ثم في الصراع مع العدو الاساسي للامة العربية وقوى التحالف معه (حيث يمثل الاستعمار في القلب والرجعية العربية على يمينه والتمصرية الاسرائيلية على شماله) * ولهذا رأى في النهاية ان وحدة القوى الثورية العربية « يمكن ان تكون في عدة أشكال وليس ضروريا ابدا ان نضع على الوحدة بصفتها المطلقة التي هي الوحدة التي هي الحمع والتوحيد الكامل » * لان « لنا في رأيي ان هذا الموضوع حبيب قوى الوصول اليه » وقد يكون من الاسهل نبذى بنوع من الجبهات او عمليات بهذا الشكل * فالجبهة هي التي يمكن تكون محط لكل الافكار التي يتجهول برؤوسنا لان عملية التوحيد بمعنى التوحيد قد تكون صسيرة وقد تكون عملية صصبة * بل قد تكون اذا قامت تلقائيا عملية مصطنعة * وطبعاً لن يمكن ان تكون هناك وحدة قوى ثورية في الوطن العربي الا اذا كانت هناك وحدة قوى في كل قطر من الاقطار العربية * * ومن هنا دعا الى الصال العرب كي يلعبوا دورهم في قيادة هذا العمل الودودي كله *

ومكذا صارت نظرة عبد الناصر الى جميع القضايا ، وبخاصة القضايا الوطنية الخاصة بالتمصال ضد الاستعمار ، نظرة يغلب عليها الاتجاه الاجتماعي الذي صان يعضها بالثاني تبصرا وصفا وصويا اكبر^(١)

صيغة للوحدة الامة بكافة طبقاتها بما فيها الاقطاعيون لمواجهة مهام التحرر من الاستعمار ، وبعد الاتحاد القومي الذي كان صيغة للوحدة الامة بكافة طبقاتها هذا الاقطاعيين وبما فيها كبار الراسماليين لمواجهة مهام التنمية وتثبيت الاستقلال ، ظهر الاتحاد الاشتراكي بوصفه صيغة للوحدة الامة بكافة طبقاتها هذا الاقطاعيين وكبار الراسماليين وبما فيها الراسمالية الوطنية لمواجهة مهام التحول الاجتماعي « يضم بداخله اكثر من الطبقات » * وفي ايمانه بالوحدة الوطنية كان يغلب وحدانية الوحدة الوطنية ، بمعنى تغليب جانب الوحدة على جانب الصراع * فقد كان يرى انه « في اطار الوحدة الوطنية الواسية يمكن ان يجرى تفاعل الطبقات » * ومع تسليمه فكريا بضرورة التنظيم الطليعي نوما من الحزب الطليعي ، لم يتوصل في الواقع الى صيغته التنظيمية *

● وقد تطور لايعد من ذلك تفكيره من الوحدة العربية * فانتلاقا من فكرة ان الثورة العربية هي الحركة التاريخية للامة العربية للتغلب على التخلف الى التقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، أعلن ان الوحدة ثورية تستهدف اقامة المجتمع الذي نريده ، فان « الشعب حينما كافح الاستعمار وتخلص منه فان الاستقلال في حد ذاته لم يكن غاية ، ولكنه كان الوسيلة لتحرير اراضه ليكون الشعب قادرا على ان يطور نفسه وعلى ان يضع الثورة السياسية والثورة الاجتماعية موضع التنفيذ » * ولذلك رأى ان لمل للوحدة لا يمكن ان يتحقق الا اذا « صيغته وثاكت قبله » آمال اخرى فتتح له الطريق ، وهو يعنى بذلك الحرية السياسية والحرية الاجتماعية * وانتهى عبد الناصر الى القول صراحة بان هناك « ترابطا كبيرا بين



الثورة العراقية

يوماً بعد يوم يتضح لنا أكثر فأكثر أن أحوج ما تحتاج إليه الأجيال الطالعة هو « الرؤية التاريخية » لمسيرتنا القومية والاجتماعية . . . أن عزلة إحدى المراحل عما سبقها من مراحل تضعف البصيرة الموضوعية وتؤدي إلى التارجح بها بين المبالغة سلباً والمبالغة إيجاباً .

لذلك كان « السياق التاريخي » للأحداث هو حجر الزاوية في تلمس أبعاد اللحظة الراهنة ، إذ لا سبيل إلى تحليلها وتقييمها إلا بتحديد موقعها من التاريخ . ولقد عرف التاريخ المصري الحديث ، العديد من الحركات والمراحل والتحولات الثورية قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبالرغم من أن الوثائق الرسمية لثورة يوليو قد أكدت على أهمية هذه الحركات والمراحل والتحولات الثورية السابقة عليها ، إلا أن هذا التأكيد لم يحل دون تجاهلها لأسباب لا يحصرها المدد ، وأبعد ما تكون من الموضوعية .

وقد آخزت « الطبيعة » دوماً ، بأن تكامل الوعي الثوري للجماهير من المهام الرئيسية التي ينبغي الاضطلاع بها في مثابرة وعمق . لهذا تبنيت في بعض أعدادها ملامح عزيزة من تراثنا القومي والسياسي ، وكانت « ثورة ١٩١٩ » موضوعاً لدراستها الرئيسية في ذكرى مرور خمسين عاماً على هذه الثورة المجيدة .

واليوم نقبذ « الطبيعة » في دراسيتها الرئيسية « الثورة العراقية » التي قادها الضابط



أحمد عرابي

الفكر والصراعات الاجتماعية في الثورة الوطنية الاولى

المصري الفلاح احمد عرابي منذ تسمين عام ١٠٠٠ ان هذه الثورة التي قلبت بتوجيها فكريا وسياسيا لرحلة النهضة في تاريخنا المصري ، ما زالت بحاجة الى « الاكتشاف » المستمر ، لما اشتملت عليه من قضايا ومشكلات تشغل بال الدارسين في مصر والخارج الى الآن . ولكن اهم ما يعنينا ونحن نقدم في هذه الدراسة بعض ملامح هذه الثورة الرائدة انها في انتصارها وانكسارها على السواء كانت المثارة الثورية الاولى لسيرتنا القومية والاجتماعية . ولا سبيل الى تلهم الكثير من تعرجات هذه المسيرة الا بالادراك الواعي العميق لخطف جوانب هذه الخطوة الاولى .

والثورة العربية التي تدخل التاريخ المصري والعربي الحديث كاول ثورة وطنية ، قد جمعت بين يفتنة الفئات البورجوازية الوطنية الناشئة وتبرعات الفلاحين القهريين وثقافة العسكريين المستعيرين .. بكل ما يوجد هذه القوى المتباينة من معاداة الترك والشراكسة ، والاقتراب من الروح العلمانية القائدة من أوروبا والاحساس بالذلل الاجتماعي . لذلك تجاور اليمد القومي واليمد الاجتماعي في محتوى الثورة ، ولذلك ايضا استقطبت ضدها - داخليا وخارجيا - قوى التخلف والقهر والعدوان .

ولكن « الثورة العربية » ولقدما ، تنظف في مجدها وهزيمتها معا درسنا بالغ الاثر ما اهوينا بعد تسمين عام ١٠٠٠ الى فهمه من جديد .

للثورة العراية

ملاح من الخريطة الفكرية

القرية العقلية الراديكالية

صلاح عيسى

على أن فكر الثورة ، لم يكن مجرد استغراق تقليدي للناس الذي مهد لها ، ففي مجرى الثورة نفسها حدثت طفرات في الفكر السياسي والاجتماعي نتيجة لحركة الثورة الصاخبة والسريمة وما واجهته من تحديات وتكتلات ومحاولات احباط . وبذلك يمكن اعتبار الثورة العراية من اهم العوامل التي ادت الى تطور الفكر المصري وتجاوزت به حركته الرتيبة وتطوره البطيء ونفخته الى افق ثورية شديدة الرخابة .

وبالتأكيد فإن أي محاولة لفهم الظواهر الثورية عموما - ومن بينها الظاهرة العراية - دون اعطاء الالتفات الكافي لتأثير العوامل الفكرية ، فهي محاولة ناقصة لا يمكن أن تؤدي الى فهم أو تقدير حقيقي للظاهرة محل الدراسة . والسبب في هذا ان الفكر يجانب انه جزء من البناء العلوي للظواهر الاقتصادية والاجتماعية ، فهو أيضا

تكن مجموعة الفكريات التي ظهرت خلال الثورة المصرية مولودا غربيا عن المجتمع المصري أو جنيدا عليه فمن الصحيح أن نقول أن الثورة

قد ولدت - بين عوامل متعددة - ذلك المناخ الفكري الذي استمر أكثر من ثمانية عقود من الغزو الفرنسي الى اللحظة التي ظهرت فيها بضائرها . وخلال هذه العقود الثمانية انتشرت الاسس العامة للفكر الليبرالي الاوروبي ، والاتجاهات الراديكالية التي جذت به الى اليسارية ، وانتشرت أيضا الافكار الإسلامية ، التي نبثت من قضايل الفكر الديني التقليدي الذي كان يكرس الشوقراطية العلمانية مع الاتجاهات الليبرالية والعلمانية ، وهو التفاعل الذي طرح فيما بعد فكر جمال الدين الافغانى ومدرسته .

لم



سان سيمون

ثم أتى بعد هذا الاحتكاك القصير احتكاك آخر، عندما رحل العقل المصري نفسه إلى أوروبا، فعاش طلاب البعثات الذين أرسلهم محمد علي إلى هناك مبهوتين بعملية تشكيل الإنسان الأوروبي في دول لم تكن قد خانت بعد - ولمعها لم تكن تستطيع أن تفعل ذلك - أجد شعيرات الرجوانية الثورية كما تمثلت في الليبرالية والديمقراطية السياسية.

لقد خضع المجتمع المصري في عصر محمد علي وظفائه لمجموعة من التأثيرات الأوروبية، فغلب على الرغم من أن محمد علي لم يذهب إلى أوروبا، وكذلك عباس وسعيد، إلا أن اسماعيل كان حضاراً في البيئة الثالثة التي عرفت بميزة الانحلال، والتي ضمت عدداً من أبناء الأسرة العلوية، وهذا نال اسماعيل في باريس خطأ من العلوم الهندسية والرياضية والطبيعية، وبعزى إلى إقامته الطويلة في باريس موله الفرنسية والأوروبية. على أن من لم يتج له هذا الاحتكاك الأوروبي من خلفاء محمد علي قد أتبع له هذا عن طريق الرعيلين الأوروبيين الذين كان محمد علي يمدد إليهم بقربية إبنائه. وهذه التأثيرات ليست مينة، ذلك أن خضوع ولي الأمر لتأثيرات فكرية معينة هو أهمية بالغة عندما تكون سلطته مطلقة وبشخصية.

على أن محمد علي - والمجتمع المصري ككل - قد خضع للتأثيرات التي أديت إلى الأوروبية كما تمثلت في استخدامهم لعدد من أتباع الفيلسوف الفرنسي سان سيمون، الذين رحلوا إلى مصر في أواسط عهده، فأعطاهم سلطة واسعة في الإشراف على المشروعات الانشائية والعمرائية والتنظيمية. وعلى الرغم من أن الشكل التنظيمي العام لدولة محمد علي يتضمن تأثراً باتجاهات السان سيمونيين إلا أنه بالقاطع لم يوافق على جوهر فكرهم، وهو ما دعاهم إلى العودة إلى بلادهم.

مظهر الوعي المجتمعي بضرورة الثورة، أو عدم ضرورتها. وهو حافظ شديد الأثر، قد تكون له - في بعض الظروف - قوة دافعة ذات حجم هائل. وبالنسبة للمظاهر العربية بالذات فهي تعتبر أول حركة ثورية مصرية تملك نصيباً لا بأس به من الوعي بذاتها ومن التوحيد لإهدافها، ومن القدرة على التنظيم لتحقيق هذه الأهداف، ولم يكن من الممكن أن تملك هذه الصفات كلها نولا أنها تبلورت في مناخ فكري عرف وتمثل التيارات الثورية وخضع للتأثيرات العقلانية، ولم تكن الخيرة المالية في مجال التنظيم السياسي والحشد الجماهيري بمידة من أدراكه.

مصادر التأثير الفكري ومراكزه

تعرضت مصر - منذ بدايات القرن السابع عشر - مع تلك الحكام الملوكي - لتأثيرات فكرية عاصفة أبست بنور الصراع الفكري الحاد في التربة المصرية. وكان لابد أن تتعرض مصر للغزو الفرنسي لتجد حياتها الرائدة وبقايا حضارتها المضيئة نفسها في مواجهة الحضارة الأوروبية التي كانت الليجوانية الأوروبية قد أبرمت دماستها الأساسية فتشكل بذلك عصر الصراع الفكري بين الفكر الشيرواقي، وبين الفكر الجديد بمقاييس ذلك العصر - الذي جاءت به الليجوانية المساعدة، والذي كان يؤكد فيما يؤكد فكرة الدولة العلمانية.

وحتى الآن فإن نقطة التقاس الأولى غير معروفة لنا بالضبط. فحين نقرا في تاريخ الجبرتي تراجم لناصر متعددة عرف بمضها فكر العالم الجديد من خلال رحلات إلى البلاد الأوروبية، فهاهموا بالعقلانية، وعرفوا مهاوى الشك وصراعاته المدمرة، وانصاعوا عن أنفسهم فاستحقوا لمنة مناصريهم، وجوزي ما تركوه من مؤلفات وكتب وأفكار بالحرق. ويرغم اتفاقنا لهذه الوثائق الهامة فإن تاريخ الجبرتي وثيقة تمكننا من رصد بنود الصراع بين العقل المصري والعقل الأوروبي خلال السنوات الثلاث التي كانت مصر إتمامها جزءاً من الجمهورية الفرنسية الأولى.

خلال تلك السنوات اتجاهات الحملة الفرنسية بتطبيقات الليبرالية وبعض مؤسساتها وعرضتها على العقل المصري وتمازجت معه بشتاتها، ورغم حالة الحصار التي كان يمانئها هذا العقل مما يؤمن به من ناحية، وما شابه العرض من ظروف الاحتلال والقهر من ناحية أخرى، رغم هذا فإن السنوات الثلاث كانت مصدراً هاماً وأساسياً من مصادر التأثير في الفكر المصري.

أصبح قائما ، ف بجانب التعليم الفني الذي كان الأزهر يقوم به ، أنشئ التعليم الفني الذي يعتمد على اكتساب خبرات حياتية وتنشئة ، والذي يلقي الطلاب فيه أسس العلوم الطبيعية والصحية .

ومن أهم الظواهر الفكرية ذات الدلالة ، أن المؤسسات التعليمية قد دعمها - ك مراكز تنوير إضافية - إنشاء مدارس مصرية رسمية لتعليم البنات ، وإنشاء مدارس عليا لنفس الغرض ، وذلك بالإضافة إلى إنشاء مدارس أوروبية تابعة للجانبات ، وتقدم بتقديم برامج تعليمية مشابهة لبرامج المدارس الأوروبية .

● ثم كان انتشار الصحافة ورسوخ أقدامها في مصر ، بإنشاء المؤسسة فكرية ذات تأثير حاد ، فيمد الوقائع المصرية التي صدرت في عام ١٨٤٢ ، بدأت الصحف تنال في حكم اسماعيل - أصدرت أول صحيفة سياسية غير حكومية وهي « وادي النيل » (١٨٦٧) . وقد بلغ عدد الصحف السياسية في آخر عهد اسماعيل ١٢ جريدة عربية . كذلك ظهرت مصر الصحف المتخصصة ، فصدرت مجلات طبية وصحفية وثقافية ، وألقت « روضة المدارس المصرية » ، أول دورية ثقافية مصرية (١٨٧٠ - ١٨٧٨) ، دورا هاما ، باعتبارها المنبر الذي اتخذه طلاب البعثات بقيادة زهارة الطحطاوي والذي أخذوا ينشرون من خلاله أفكارهم التنويرية . كذلك صدرت - مع تزايد أعداد الجانبات الأجنبية - صحف غير عربية ، وفتمت السوق المصرية للعديد من الصحف الأجنبية والعربية . ويلاحظ من يستقرى موضوعات هذه الصحف أن حوارا ذا جوانب متعددة كان يجري بين الصحف المصرية والعربية والأجنبية .

● واستقرت الجمعية ككائن ثابت في المجتمع المصري .

● وكذلك أنشئت دار الكتب لضمها كتب جامعة باريس كما يقول منشئها على مباركة .

● وانفرد هوج المصاحرات العامة هدف به « التنشئة » ، بسرار درج الجامعين وكانت تلقى فيه الدروس الصاعدة في الآداب والفن والعلوم الانسانية والطبيعية والهندسة والميكانيكا والفقه .

● وأنشئت أولى الجمعيات والمنظمات العلمية والثقافية ، فاعيد تدعيم الجمع الطلبي المصري ، وأنشئت العديد من الجمعيات العلمية والثقافية .

أن تباور حملات التنشئة في مؤسسات ثابتة في

وأسست ندرى هل حاولوا تحقيق مجتمعهم الطوباوي ، أم أنهم خفسوا - وهو الأرجح - لشروط محمد على وقيد احلامه هو ، على أنهم بالتاكيد قد تركوا أثرا ما في فكر المجتمع وتركوا تلامذة ومربين .

ثم تعرضت لكثير عناصر المجتمع المصري تأثيرا ونشاطا لعملية التفاعل مع الفكر الأوروبي ، منها أتبع محمد على سياسة البعثات ، فأرسل أعدادا كبيرة من المصريين إلى مختلف البلاد الأوروبية ، لدراسة العلوم والفنون ، ومنذ بداية حكم محمد على ، وإلى نهاية حكم اسماعيل ، بلغ عدد طلاب البعثات ٦١٨ طالبا كان أكثر من ثلثهم يثلثون تعليمهم في فرنسا وذهب سبعة منهم إلى إنجلترا . أما الباقى فقد توزع على عدد من البلاد الأوروبية الأخرى .

وفي العهد السابع من القرن وفد إلى مصر عدد كبير من المهجرين النشوان - وخاصة الوارثة - الذين تمسخوا لأذليح طائفية قامت بينهم وبين الدروز سنة ١٨٦٠ ، وأدت إلى هجرتهم إلى مصر بما حصلونه من أفكار تشريوا أكثرها من الدراسات التي كانوا يتلقونها على يد البعثات التنشئة الأوروبية والأمريكية وما أنشأه من مؤسسات تعليمية في لبنان والشام .

والا أهمية القصوى لمصادر التأثير تكمن في أنها استطاعت أن تخلق مراكز إشعاع مصرية ثابتة تعمل على نشر تفكيراتها واتجاهاتها ، وبهذا أصبحت يؤر التنوير بؤرا ثابتة تحدث تفاعلا مستمرا ويوميا في المجتمع المصري ، وتوسع آفاق تأثيرها بما تفرجه من أجيال جديدة تحصل فكر « التنوير » ، وتعمل على نشره - وعلى مشارف الثورة المرابية كانت مؤسسات التأثير الفكرى الثابتة في المجتمع المصري تتمثل في :

● مؤسسات تعتمد على فكر شخصيات رائدة في مجال التنوير ، وما يحيط بهذه الشخصيات من مراكز تنشأ بتوجيهاتها أو باشتراكها وما يحيط بها من تلاميذ ومربين . وفي هذا الصدد فإن الحبر الذي لمسه كل من والساعة الطحطاوي (١٨٠٦ - ١٨٧٢) ، وجمال الدين الأفغانى (١٨٢٩ - ١٨٩٧) ، هو دور المؤسسة الفكرية الكاملة الإلهام .

● ومن أهم مراكز التأثير الفكرى الثابتة ، ما أرسيت قواعده في عصر محمد على من الأسس الجديدة للتعليم المصري ، وما نتج عنها من تنظيمات في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية ، وأهم هذه الأسس والتنظيمات أن التعليم المصري



رغامة الطهطاوى

الى نشر تصورات تتحدى فكرة التحرر الوطنى والديمقراطية الليبرالية الى اضافة بعد اجتماعى الى القضية الوطنية ككل ، وعلى الرغم من ان هذا التيار كان اكثر الغارات ثورية ، فقد كان باطنى اخفها صوتا ، اذ نشأ فى مرحلة من اليمى الشاسع عن ارضيته الاجتماعية ، وبالطبع فان الفراق يوجدون فى كل مكان وزمان . ولكن يزوغ فكر يعبر عنهم وهين بقوة تنظيمهم وقوة تحركهم السياسى .

ولابد ان نلاحظ ان القوى المناوئة للفكر الثورى كانت سيئة وتتمثل فىمن يسميه الدكتور « لويس عروخ » بالسلفيين (١) ، وهم الذين رفضوا الفكر الليبرالى الملمانى ورفضوا ايضا حركة تلوين الفكر الاسلامى ، (كما ان كراهيتهم الشديدة للاتجاهات الراديكالية ليست فى حاجة الى تأكيد) ، ويضاف الى هذا انصار الاوتوقراطية الضخوية والممارزين اساسا للافكار الديمقراطية .

ومن الخطأ ان تصور ان حركة التنوير قد فرضت نفسها على الخريطة الفكرية للمجتمع المصرى ، اذ الحقيقة انها أصبحت عنصرا مؤثرا وواضحا فى حين ان الغلبة ظلت فى الاساس للافكار السلفية التى كانت قادرة على شل حركة التنوير والزأما موقف الدفاع . وان كان الفكر السلفى قد انقسم على نفسه أحيانا فاتجه جزء منه الى تشكيل للثورية الاسلامية وهى عملية دافع فى الاساس الزمه أياها هجوم الفكر الملمانى عليه مما أجبره على التحرك لكيلا يفقد كل اراضيه »

البيئة المصرية ، يعنى ان حركة التنوير المصرية قد اتبعت لها ان تمارس نشاطها لفترة طويلة بلغت حوالى نصف القرن . ولكن القيود التى أحاطت بهذا النشاط قد قلت من فعاليتها بشكل عام . فمن ناحية كانت السلطة الشخصية طاغية ترفض أى تحول جدى فى مسار الفكر المصرى يمكن ان يتحول الى حركة سياسية أو تنظيمية . ومن هنا تأخر تبلور المنظمات العلمية والفكرية ، وظلت بعيدة عن الديمومة ، وحدث كثير من الانقطاع فى نشاطها ، بل والتدمير لهذا النشاط ، وهو ما نلاحظه خلال حكم عباس الرجعى ، اذ ألغيت المؤسسات التعليمية والتربوية ونفى رفاعة الطهطاوى الى السودان . وفى أوائل حكم توفيق اذ نفى جمال الدين الافغانى فضلا عما كانت الصحافة تتمرض له من اضطهاد ومصادرة والغاء فى خلال حكم اسماعيل .

ان الجانب الآخر والهام للقيود التى حالت دون تحرك مراكز التنوير لاداء دورها القياى ، هو تاخر التبلور الطبقي فى مصر وخضعف البورجوازية المصرية وعدم قدرتها على التفاعل مع فكرها وقيادته والانتقاد له وفرضه على الخريطة الفكرية للمجتمع . بيد ان مصادير التأثير ومراكز التنوير قد لميت مع هذا دورا هاما فى التهديد لمركة البورجوازية المصرية ، ولقبول مطامحها الثورية . وينبى ان نلاحظ هنا ان حركة التنوير الاوروبية قد سبقت استيلاء البورجوازية على السلطة بسنوات طويلة ، وان ارماساتها بدأت مبكرة مع يزوغ البروتستانتية ، وتدمعت مع دور الانكليويين الرائد ، وخاضت صراعا حادا مع الكنيسة ومع المؤسسات الفكرية الرجعية ، ثم تطورت ونمت مع ظهور الحركات السياسية للبورجوازية .

الاتجاهات العامة للفكر الثورى

صب فى مسار الثورة المرابية قياران فكريان ، هما التيار الليبرالى والتيار الاسلامى المتحدر ، وبينما كان التيار الاول يميل على استحياء وفى كنف السلطة ، ويحرص على الانقياد عن السياسة مؤمنا بالاصلاح التدريجى ونشر التعليم كوسيلة وحيدة لا يملك غيرها ، كان التيار الثانى تيارا سياسيا بالدرجة الاولى ينطلق من تحليل للقوى السياسية الحالية ويدعو لوحدة الشعوب الاسلامية فى النضال ضد الغزو الاوروبى . واذا كان هذان التياران هما أبرز التيارات الثورية فان قيارا ثالثا يضاف اليهما ذلك هو التيار الراديكالى الذى يتجه

الفكرية أكثر صعوبة ، ويصبح احتمال الضأ في إدراك بعض ظواهره النوعية غير قليل .

والواقع أننا لا نمنى بتناقض أفكار المفكر الواحد ، تطوره الخاص ، فالفكر ككل الكائنات قابل للتطور والتغير في خط صاعد أو هابط ، ومن الطبيعي أنه في هذا التغير قد يتناقض مع نفسه سلباً أو إيجاباً ، ولكننا نمنى أن يجمع في المرحلة الواحدة بين الإيمان بأفكار عقلانية وغيبية في نفس الوقت ، ونشير كعامل مفسر لهذه الظاهرة إلى « موقف الدفاع » الذي أخذته أفكار متخلفة أو متقدمة لتواجه هجوم الأفكار المناقضة لها . وهو مظهر من مظاهر التناقض ، وعامل يفسره في نفس الوقت .

وهناك صعوبة أخرى تحول دون التصديق الصحيح للأفكار التي صبت في مجرى الثورة تلك هي افتقارنا للعديد من الوثائق الفكرية للثورة ، ورسم كل هذه الصعوبات فإننا نستطيع أن نرصد بعض قضايا الفكر الثوري التي صبت في مسار الثورة العربية ، وانتهاء بسنوات الثورة نفسها ، ومن خلالها نتضح لنا صورة الثورة العربية بأوضح ما يمكن .

وقد اخترنا أن نتناول ثلاثاً من قضايا الفكر الثوري . ومن البديهي أن الثوار التصري وتطبيقاته الدستورية ، كان واضحاً في مساندة الثورة ، بما يفهمنا إلى نتيجته جانب آخر هذه الدراسة لتيارات فكرية أخرى ، خاصة وأن دراسة الاتجاهات الثورية والستورية تحتاج إلى توسع لا تسمح به ظروف هذه الدراسة .

الفكرة القومية

يعتبر مصدر الفكرة القومية لخريطة الفكر الثوري في تلك المرحلة من أبرز ما نجحت الثورة العربية في إضفاءه على هذه الخريطة ، وهو ما لا يستطيع أحد أن يفلته عند مراجعة المصادر الفكرية التي خلفت الثورة بعدما ، سواء في ذلك الوثائق الفكرية الichte أو المواقف السياسية العملية وخاصة تلك المواقف التي ارتبطت بمقضية حماية الوطن القومي من الاستعمار بكل أشكاله . وعلى الرغم أن القوة القومية قد أخذت حجماً هائلاً من جهد الثوار فإن مناحبها قد غمضت على الكثيرين ، واختلف تقييمها أو أهمل حديث من دلالاتها الهامة .

إن الفكرة القومية كجزء من الفكر السياسي

واتجه قسم آخر من السلفيين إلى التحصن في مواقفه السلفية ورفض « اللثوية الإيمانية » فإن ذلك لم يمنعه من اتخاذ مواقف سياسية متقدمة وثورية ، فإن القسم الأخير قد اتخذ موقفاً وجعياً فكرياً واجتماعياً وسياسياً . وكانت تلك العناصر أكثر العناصر تمعناً وتخلفاً في المجتمع المصري .

وسنلاحظ أن الصراع بين مختلف الاتجاهات الفكرية قد خلق « بدود أفعال » و « مواقف دفاعية » لدى كل الأطراف ، وهو ما سيكون له أثره ليس في المواقف العملية للمتفنيين فحسب ، ولكن أيضاً في صعوبة تصنيفهم ووضع بطاقات بهويتهم الفكرية جامعة وشاملة .

إن طبيعة الصراع الفكري في المجتمع المصري ، لم تسمح بالتوصل إلى خريطة محددة المواقف تسديداً تاماً ، فالذين يبحثون عن مفكر ليرالي تقي ليقابله يمكن . محافظ ، أو براديكالي متكامل ، يبحثون عن وهم ، ذلك أن ازدواجية الرؤية قد شملت الكل . ومن الطبيعي أنه في الترجمة لا مفكرين ، فإن الاهتمام بتأويل أفكارهم وانسجامها يصبح مسألة أساسية لما في رسم تخطيط عام للخريطة الفكرية للمجتمع فإن الأساس هو التركيز على المفاهيم الفكرية وتصنيفها ، ويصبح التناقض بين فكريات كل مفكر على حدة ، جزء من التناقض الفكري العام في المجتمع ، ويصح في هذه الحالة أن نعرض هذا التناقض في محاولة تفسيرنا لأشكال التناقضات الفكرية في المجتمع .

وتفيد دراسة الخريطة الاجتماعية للثورة في تفسير هذه الظاهرة الصامة ، ذلك أن السمية الرئيسية للظواهر الاجتماعية المصرية ، هي نمو البورجوازية المصرية متخلفة فئتين أو أكثر عن البورجوازية الأوروبية ، ويعد تحول الأخيرة من قوة ثورية إلى قوة محافظة ، وهو ما أدى إلى أن البورجوازية المصرية بدأت محاولاتها لتحقيق قوتها ضد مسيرتها العالي وليس في حمايته . وبالتالي تأخر التطور الطبقي في مصر طويلاً . وأصبح غاؤها الإنتاج الزراعي هو وسيلة تجميع رأس المال - يعكس الحال في أوروبا عندما تكون هذا الفاخض من التجارة والصناعة الحرفية - وبهذا سادت الفكريات الزراعية . واقتضت الطبقات المصرية إلى تغيير إيديولوجي تقي ، لأنها في الأساس طبقات غير تقية سواء كان هذا في مجالات الفلسفة أو الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي وحتى الحركات السياسية ، ومن هنا فإن التوفيقية كتيار إيديولوجي سمة أساسية في كل هذه الاتجاهات مما يجعل معالجة الظواهر

وأن دوره كمفكر ودور كل المثقفين هو خدمة المجتمع بفكرهم وعلمهم ، (٧)

ومن المراكز الفكرية التي عملت على الاهتمام بالحضارة المصرية « مدرسة اللسان المصري القديم » التي انشئت في سنة ١٨٧٠ بهدف تعليم اللغة الهيروغليفية وآدابها ، وامتدادا لنشاط هذه المدرسة وتعميما لفائدة هذا النشاط فتحت مجلة « روضة المدارس المصرية » صفحاتها لطباعة هذه المدرسة ومدرسيها لنشر مباحثهم ، فنشرت في أحد ملاحظاتها دروساً في قواعد اللغة الهيروغليفية ، كما نشرت العديد من المقالات للمستتر هفري بوكوش ، ناظر المدرسة ، ولعدد من تلامذتها تضمنت ترجمة لعدد من النصوص الفرعونية في الآداب أو الوصايا .

ومن المقالات الهامة في الفكرة القومية محاولات وضع تعريفات للوطن ، منها محاولة مبكرة للشيخ محمد عبده نشر فيها مفهومه لـ « الوطن » ، فرأى أن « الوطن في اللغة محل الإنسان مطلقاً ، فهو السكن بمعنى واحد : استوطن القوم هذه الأرض وتوطنوها أي اتخذوها مسكناً ، وهو عند أهل السياسة مكانك الذي تنسب إليه ويطلق حقه فيه ، ويعلم حقه عليه ، وتأمين فيه على نفسك ولك ممالك » . ويحمل الأستاذ الأمام العلاقة بين الإنسان ووطنه في أنه « في الوطن ثمة موجبات للحب والحرص ، ثلاثشبه أن تكون حدوداً ، الأول أنه السكن الذي فيه الغذاء والوفاء والإهمل والولد ، والثاني أنه مكان الحقوق والواجبات التي هي مدار الحياة السياسية وهما حسيان ظاهران والثالث أنه موضع النسبة التي يعلو بها الإنسان ويمر أوبسفل » . ثم ربط بين المواطنة وكفالة الحقوق والواجبات السياسية ، فأعطى لفكرته القومية بعداً ليبرالياً وأضحى .

وسند في آثار عبد الله التميمي إشارات متعددة إلى الفكرة القومية ، تكشف أنه كان يضع هذا الموضوع بين أهداف نشاطه للعمل فهو يقول في حفل افتتاح أولى المدارس التي أسستها « الجمعية الخيرية الإسلامية » أن هذا الاحتفال « سيكون تاريخاً لعبت الأرواح العربية ونفسه الفيرة الشريفة ، وهذا يكون الميل الذاتي للناس بالرفع النوعي والمصلحة الوطنية ، فالأعضاء شبي والنسب واحدة ، والعروق عدة ، والدم واحد ، والافتخار وأن تنوع فمحورها لسان واحد » (٨)

للثورة تتضح إذا ما تابعنا ثلاث نقاط : أولها يجيب عن سؤال حول مدى انكسار الثوار لوجود خصائص قومية مشتركة بين المصريين تفصلهم عن غيرهم من الأجناس ، والدعوة لتلبية تلك الخصائص والمحافظة عليها ، وثانيها يرتبط بتصور الفكر الثوري لحق المواطنة ، والمساواة بين المواطنين على أساس انتمائهم للوطن ، وليس لدين معين ، ويرتبط بهذه النقطة النقطة الثالثة حول تصور الفكر الثوري لطبيعة العلاقة بين مصر وتركيا .

وبالرغم من أننا لن نجد فلسفة قومية متميزة لدى مفكري الثورة والذين مهدوا لها ، فإنه ليس من المسير أن نجد بعض المقولات الهامة حول الموضوع ، ومن هذه المقولات اهتمام رشاش الطهطاوي اهتماماً بالغاً بمراجعة التاريخ المصري القديم ، والخروج ببعض الانطباعات من حضارة مصر الفرعونية ، وقد خرج من هذه المراجعة بأن هناك إجماعاً من المؤرخين على « أن مصر دون غيرها من الممالك عظم تمدنها وبلغ أهلها درجة عالياً في الفنون والمخالفات العمومية ، كيف لا وآثار التمدن وعلاماته مكتبة مصر نحو ثلاثة وأربعين قرناً ، كما أنه أدرك فضل الحضارة المصرية على الحضارات المعاصرة لها » ولم يكن في الأرض ملك أعظم من ملك مصر ، وكان جميع الأرضيين تحتاج إلى مصر ، وهذا عين القمن ، إذ لا يمكن ذلك إلا بتقدم الصنائع والفنون » (٩)

وفي تحليل سبب ازدهار الحضارة المصرية يرجعها الطهطاوي إلى عاملين ، أولهما : تهذيب الأخلاق بالآداب الدينية والفضائل الإنسانية ، وثانيهما المنافع العمومية التي تعود بالثروة والفنى وتحسين الحال وتنعيم الحال على عموم الجمعية (أى المجتمع) وتبديدها عن الحسالة الأولية الطبيعية (يقصد البدائية وحياة الفطرة) (١٠) ويقر الطهطاوي في كتابه «مناهج الإلهاب المصرية في مناهج الآداب المصرية» بظواهر أصابع بالحضارة المصرية ، ويوصى إلى التربية الوطنية فهو « يعلمنا أن الوطنية هي قمة الفضائل ، وأن حب الوطن ركن من أركان الدين وأن دائل الوطنية هو الرغبة في تمييز الوطن والعمل على تجديده شبيهة بالعمران »

والطهطاوي الذي يصف نفسه بأنه « عاشق لجمال العمران » يقول إن غاية كل وطني هو بعث مجد مصر القديم بالأخذ بأسباب الحضارة الحديثة

[١٢] رفاعة الطهطاوي - مناهج الآداب المصرية بمناهج الآداب المصرية

[١٣] نفس المصدر

[١٤] د. علي الصديدي - عبد الله التميمي ، خطيب الوطنية ص ٨٧

والإفغاني والطهاوي وغيرهم من مفكرى المرحلة الدعوة الى احياء الصناعة المصرية والتجارة المصرية ، والهجوم على فكرة الاستقلال الزراعي، والدعوة الى حماية الثروة القومية من التبدد في الفراغ .

ويتعين يعقوب صنوع بالدعوة الى مؤلفين هامين : الأولى « للوحدة القومية » وذلك عن طريق « مكافحة الأباطيل التي تفرق بين المسلمين والمسيحيين بظواهر سمكة القرآن وحكمة الانجيل، وهكذا يتمنى في الملامعة بين قلوب الفريقين » (٨) و « محاربة التعصب الديني بسلح الإخاء » (٩) والثانية ابراز الخصائص المتحضرة للشعب المصري ردا على المزاعم الأوروبية التي كانت تطرح في حرمان مصر من حريتها يدعى تخلفها، وفي حوار له مع « ج. سودان » الكاتب الفرنسي ومحرر صحيفة « هزري الرابع » سأل عما اذا كان المصريون يستطيعون أن يكونوا شعبا حقا ، فرد عليه ناقدا سطحية العقل الأوروبية الذي يفشل في التمسق في طبيعة الشعب المصري ، فيزعم أنه شعب كسول متعصب وجاهل ، « أما انا فاقول لك ان الشعب المصري ليس متعصبا بل هو على عكس ذلك أكثر شعوب العالم تسامحا على شرط ألا يستغفر أكثر من اللازم والتاريخ على ذلك شهيد ، وأخيرا قول ان الشعب المصري ليس على درجة الجهل التي تخيلونها ، فهناك المدارس الحديثة والدينية التي أسسها الحكومة ، ومدارس القاهرة الحربية وخاصة مدرسة أركان الحرب ليست بدائية كما يظن الباريسيون الظرفاء » (١٠) ، ويبرز يعقوب مظاهر التقدم الحضاري والنظامي للشعب المصري، مؤكدا ان الشعب « لا ينقص سوى زعيم جدير به » (١١)

ان يعقوب - الذي تربي لإيوين يهودين ، وتعلم الإسلام واعتنقه - وأصبح - بتعبير إيرفين جينديزيه - متحدا باسم الفكر الليبرالي ، كان يبعث في حسه القومي روحا شديدة السباحة جعلته يفكر في بلورة نظرة متكاملة عن المساواة بين الإنليان ، لكي يرفض الى النهاية المنطقات التي تؤدي دائما الى تقويض الوحدة القومية . بل انه طمح يوما الى التقريب بين مصر وأوروبا ، ولعله كان يرى ان الحضارة الأوروبية تستحق أن تهدى مصر اليها بكل ثقلها الحضاري في وقت لم تكن حضارة أوروبا قد تخطيت بالدم تماما ، او

وستلاحظ ان التفرقة بين « العسوية » و « المصرية » كانت نادرة في هذه المرحلة ، اذ كان التقسيم يعتمد على اللغة كأساس للتمييز بين القوميات . وفي وثائق العصر الفكرية والمصر السابق له ، سنجده تعبير « أولاد العرب » كناية عن المصريين ، في مواجهة « أبناء الترك » و « الشوام » و « الأرمن » الخ .. وللنديم بالإضافة الى هذا محاولات متعددة للدفاع عن الشخصية القومية وذلك بالهجوم على الفرجة وتقليد الأجانب . في مقال له بعنوان « عربي قفرنج » صور شابا من أعماق الريف المصري اسمه « زعيط » سافر الى أوروبا وتعلم بها ، ثم عاد الى بلاده فتنكر لما يفعله « يوه » « عيط » ، فعين يقابله الاب على المحطة يلومه « لانه قبله وأحتضنه ، ويطلب منه ان يحييه برفع يده فقط ويقول له « بون أرييه » « ويضئ لفته ، حتى البصل لا يتذكره ويسميه « أوتيون » وتحاول امه « مبيطة » ان تفهم ما ينيه فلا تستطيع ويختتم النديم قصته بذكر الخزي منها ، وهو أن لا أمل في مثل هؤلاء « الا اذا حافظوا على لغة قومهم وصرفوا علومهم في تقدم بلادهم . » (٥) وركز في مقال آخر على ضرورة الحفاظ على اللغة القومية على أساس « ان من سلم في لفته سلم في وطنه ونفسه » ويخاطب المصريين طالبا ان يحافظوا على لغتهم باعتبارها مظهرا من مظاهر الشخصية القومية ، « اللغة هي ان كنت لا تدرى هي أنت وهي وطنك ان لم تعرف ما الوطن ، أما كونها وطنك فانه انما يعبر ويسمى وطننا برجال يتعاونون على احيائه واظهاره في الوجود محلا للسكنى ودارا للقامة ، وقد علمت أنك مفردك لا تهدي لشئ ولا تقوى على اى امر كان . ومن فقد المواطن فقد الوطن » (٦) .

والنديم يعتبر ان اللغة ليست مظهرا للوطنية فقط ولكنها أيضا مظهر للعقيدة الدينية ، « ومن أضاع وطنيته ومعتقداته وأفكاره فقد أضاع نفسه فاضاعة اللغة تسليمة للذات » (٧) .

وستلاحظ بالإضافة الى ما سبق ان فكرة الحفاظ على السوق القومية وعلى الثروة الوطنية من التبدد الى ايدي الأجانب ، وأيضا الاحتفاظ بالوظائف الادارية للمصريين ، كلها افكار متداولة وشائعة تخدم آمال الجين البورجوازي وتعتبر من مصالح أبعد من طاقته . وتكرر في كتابات النديم

[٥] نفس المصدر ص ١١٢

[٦] نفس المصدر ص ١٢٠

[٧] نفس المصدر ١٢١

[٨] د. إبراهيم عبيد - الصحفي القفر - ص ١٤

[٩] نفس المصدر ص ٢٩

[١٠] نفس المصدر ص ٥٨

[١١] نفس المصدر ٥٩

كشفت عن عدوانيتها ، أو حلت محلها حضارة جديدة أكثر انسانية (١٢) *

على أن الفكرة القومية لم تسلم من انعكاس الفكر السلبي والمحافظة عليها ، مما وضع العديد من الظلال على وضوح رؤيتها ، ومن أبرز هذه الظلال ما القته مدرسة التثوير الإسلامية وعلى رأسها جمال الدين الأفغاني من تميع على الفكر القومي ، وعلى الرغم من أن كثيرين من اصحاء الأفغاني ومن المختلفين معه قد حاولوا تفسير طبيعة موقفه من المسألة القومية ، فإنه يظل موقفا غير واضح للوضوح الكافي ، وخاصة أن الأفغاني نفسه كان يؤمن بمجموعة من المفكرات المتناقضة كما أنه أحدث تعديلات وإضافات كثيرة على أفكاره في فترات لاحقة ، ويقر بعض أنصار مدرسته من المعاصرين بأنه كان من دعاة فكرة « القومية الإسلامية » ، وعندهم أن « جمال الدين الأفغاني » لم يكن هو مقترح القومية الإسلامية ، بل أنها من صميم نظام الحكم الإسلامي ، فإلاد المسلمين هي دار الإسلام ، وكل من يسكنها يحمل خصيئتها مهما كانت يمالته (١٣) وهو لتفسير يتشبه القول بأن هناك من يسمى « بالجنسية الإسلامية » أي أن « المسلمين » جنس واحد ، والإسلام « جنسية » فسوق أنه دين * .

وبرغم أن كثيرين ممن درسوا فكرة الأفغاني ، لم يحاولوا أن يكتشفوا ما إذا كان هناك فرق بين « الوحدة الإسلامية » و « القومية الإسلامية » لديه ، فإن النظرة السالبة لفكره لا تكشف هذا بسهولة ، أن الوجه البارز لدعوة الأفغاني هو أن حركة الوحدة الإسلامية هي « العمل الأخير في مقاومة الاستعمار الغربي الذي امتد من الميلاد العربية حتى الهند » (١٤) ، ولكن ما شكل هذا الوحدة ؟ هل هي تضامن للضمان المشترك بين الشعوب الإسلامية ضد الاستعمار ؟ لم « وحدة سياسية » تقوم أساسا على توفر خصائص قومية مميزة في كل الشعوب الإسلامية ، وإذا فرض وتوفرت هذه الخصائص فما هي ؟ أن بعض

التشيعيين حتى الآن لفكرة الجامعة الإسلامية ، يرون أن الصراع الهندي كان مقهورا من مظاهر الصراع بين الدول الإسلامية وبين الاستعمار في الفترة التي تفجرت فيها دعوة الجامعة الإسلامية وعندهم أن « الدول الاستعمارية كانت تملك مخططا هدفه الأول هو تحطيم القيم الإسلامية ومحاوله إزاحة الإنسان بمبادئ الإسلام حتى يستطيع السيطرة على بلاد المسلمين » (١٥) وهذا التفسير يشفي على دعوة الجامعة الإسلامية طالما مختلفا ، إذ يضع من بين عناصر الصراع مع الاستعمار عنصرا دينيا ، رغم أنه - كتفسير لا يقيد الأفغاني - لا يهمل العناصر الأخرى للصراع إلا أنه على أي الأحوال يعالج القضية بشكل يتضمن مزلق خطيرة في الظروف الراهنة .

ومستند لدى الأفغاني معطيات فكرية كثيرة تؤكد أنه كان يخطئ - وخاصة في المرحلة الأولى من دعوته - بين « الجامعة الإسلامية » كتضامن مشروع للشعوب الإسلامية ضد الاستعمار وبين الخصائص القومية . فهو يرى أن « الوصول الدينية الحقبة الحرة عن محدثات البدع تنفيها للام قوة الاتحاد واقتلاف الشمل ، وتقدم الشعب الياباني الوثني ، قد تم ببعض تعاليم الدين مثل العلم والشورى » (١٦) . وفي مرحلة متقدمة عرض الأفغاني للعناصر المكونة للقومية فحدها بخمسة خواص « تميزت بها القبائل والشعوب التي خلقها الله من نفس واحدة ، وتقسيم المعمورة إلى ما يسمونه ممالك وأوطان ، لما الخواص فارع منها استمدت من طبيعة الإقليم ، والخاصة بغيرها فتأثر وهي الدين ، أما الخصائص الأربع الرئيسية فهي « اللسان والأخلاق والعوائد والإقليم وتأثيره على المجموع » . ويذكر الأفغاني أنه يتأثر هذه الخصائص « تحصل للأقوام ميزة وتناقل فيهم محبة البقاء على مألوفهم والنود عنه ، واعتبار أنه ليس بينهم هو غيرهم بمعنى الفسيرة المخطئة » ، فعلى أن تقوم من سكان الأرض أو لإبل الأقدم أو مصر تلك الجوامع أو الخواص الخمس المميزة ، وحصلت المساواة بين المعموم منهم وتأثروا بمؤثراتها ، أصبحت دعوى الكفاءة بينهم مبرورة * .

[١٢] النظمية القاهرة - ععد مايو ١٩٦٧ -

[١٣] عبد الحميد شبيب - الأفغاني - الجمهورية القاهرة في ١٩٦٧/١٢/٥ ، وراجع أيضا الحوار الذي بينه وبين الأستاذ أمير اسكندر في نفس الفترة على صفحات الجمهورية

[١٤] نفس المصدر

[١٥] نفس المصدر

[١٦] الأعمال الكاملة للأفغاني - نشر وتوزيع محمد مبرور - ص ١٩٩ - ٤٠٠

ولهم - التمييز أو تعيين الأفضلية غير ميسور » (١٧)

وقد يكون من الصحيح هذه النظر إلى هذه القضية أن نقر بأن التيار الجامعة الإسلامية لم يكن يدعى إلى « التعصب الديني » ولكن إلى « العصبية الدينية » وقد ظل له هذا الطابع القوي بفضل ما تميزت به حركة التقوير الإسلامية من أفق فكري واسع فضلا عن احتضانها لأبرز القولات الليبرالية الخاصة بحرية العقيدة ومعاداة الاضطهاد الديني . ولكن ذلك لم يمنع من أن يتضمن هذا التيار مزالق خطيرة ، وخاصة عندما ينحدر إلى مناصب لا يمكنها وعيها الذاتي من أدراك الفرق بين الموقلات المختلفة ، ومن تمييز الصحيح والخطأ منها .

ولا ينفي هذا كله ، أن التيار الإسلامي قد ساهم في حركة التحرر الوطني مساهمة فعالة ، وكان واقع المصير قد فرض بالفعل أن تكون لكثيرة الشعوب الإسلامية إما مستعمرات ، أو مهددة بأن تكون كذلك . ثم أن الإسلام كان مظهرا أساسيا من مظاهر الوحدة القومية آنذاك ، قبل أن تتضج الحركات القومية وتتسع برهوها ما حدث أكثره في القرن التاسع عشر . وقد حاولت قوى الاحتكارات الأوروبية أن تضلل الأقسام الريفية من جماهيرها بتشويه الحركات القومية في بلاد المستعمرات بإتباعها بالتعصب الديني ومعاداة المسيحية ، وهي تهمة غير صحيحة لأن هذه الحركات لم تكن تتجه إلى معارضة الدول المسيحية غير الاستعمارية ، ولكنها كانت تحارب أساسا قوى الاستعمار ، وكانت استعانة الحركات القومية بالشعور الديني مسألة طبيعية قبل نزوح الشعوب القومية ، خاصة وقد لعب هذا الشعور أدوارا عظيمة في الجزائر وتونس خلال المقاومة اليابسة التي خاضها شعبها ضد الغزو الفرنسي .

وأروع ما نجتحت الثورة المرابية في بلورته من اتجاهات فكرية هي حرصها على تأكيد الطابع القومي للفكر الثوري المصري ، وضربها المراكز المتخلفة التي كانت تحاول الخروج بفكرة الثورة عن مدارها الحقيقي إلى اتجاهات متعصبة ومعادية لفكرة الوحدة الوطنية والقومية . ومن المبدئية كان التيار الذي مثله « عرابي » يتميز من تيار الجامعة الإسلامية رغم أنه كان من الذين تأثروا بالافغانى كما أنه لم يكن ينتمى إلى التيار الليبرالي - من حيث نشأته الفكرية وتكوينه الخاص - ومظهر هذا

التبيز كما حدده بلنت هو « الدفاع عن حقوق القلائص » فبينما كانت حركة الإصلاح الأزهرية تشمل المسلمين ولا تميز بين الإنسان ، فإن حركة عرابي كانت قومية ولذلك كانت الوطنية فيها تظهر وأقبال الناس عليها أقوى وأكثر ، (١٨) ولم تكن قومية عرابي ممانعة له من أن يكون متدينا شديد الدين ، مسلما شديد النقاء في أسلمه ، بل أن هذا الدين كان شديد الأثر في اجتذابه للجماهير ، كما كان عاصما أخلاقيا منه طيلة فترة الثورة من أن يخضع لغريات الحياة التي تلوث الثوار الذين لا يمتصون بساقيم الأخلاقية نبئية كانت أو اجتماعية ، لقد كان عرابي بتميز بلنت من « الليبراليين المسلمين » (١٩) .

وسنلاحظ عند مراجعة لساليب الحشد الجماهيري التي استخدمتها القيادات الثورية اعتمادها كثيرا على استقطاب العاصم الوطني لدى الجماهير ، وهي ظاهرة تدل على مناحي التخلف الفكري ، وتتضمن مزالق خطيرة قد تحرف الجماهير عن قضاياها الرئيسية إلى منغصات غير صحيحة ، ولذلك نلاحظ انتمائها في البدايات الأولى ، وأيضا في لحظات اضطراب المواقف ، وعدم القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ . ويشير الشيخ محمد عبده في مذكراته التي أن عرابي في الفترة بين تمرد أول فبراير ١٨٨١ ونشوب الثورة في ٩ سبتمبر من نفس السنة كان يعتمد اعتمادا كبيرا على العنصر الديني في دعوته فقد كان يقابل عناصر مختلفة من طبقات الشعب ، ويصور لهم السلطة الأجنبية الحاضرة إذ ذاك كأنها نمر يحوم في جوها لإختيار خير الفرائس لينقض عليها ثم احراز من بينها الدين والموائد الموروثة عنه لينشب فيها محالبه ، وأنه لو دامت سياسة رياض باشا في منهجها لقضى على الدين وسفنه » (٢٠) . ويبدو أن عرابي قد التجأ إلى هذا تحت تأثير حامل أساس هو ثقافته هو نفسه وتأثره بمدرسة الإصلاح الأزهرية ، بالإضافة إلى أنه وضع هذا الشعار بين شعارات الحد الأدنى التي جمع على أساسها الجبهة الوطنية ، ليضم إليها قوى الشعب ومن بينهم طلبة الأزهر ومشايخه ، ويذكر الشيخ محمد عبده أنه بعد هذا العرض للخطر على الأديان « وجد من حضرات المشايخ إعفاء لقوله وتأنيدا لرأيه » (٢١)

على أنه ينبغي أن نزال نوعا ما من خشيئتنا من

[١٧] نفس المصدر ص ٤٢٨

[١٨] بلنت - التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا - ص ١٢٨

[١٩] نفس المصدر

[٢٠] مذكرات النام محمد عبده - طبعة الهلال - ص ١٤٢

[٢١] نفس المصدر والصحة

وموقف الثورة القومي ذلك ، لا يظل منه ولا يتعارض معه بتاتا اتجاهها سياسيا — بعد تجرؤ الموقف وبدء الغزو — إلى الاعتماد على الشعوب الإسلامية لكي تهبط بالمعونة لحصر الغزو وصده ، وتهديدها بأثارة حرب دينية ضد الاحتلال . فهي سياسة طبيعية في ضوء الوعي القومي المحدود لدى الجماهير ، ولأنه من الطبيعي أن تلقى الثورة إلى شعوب المستعمرات والشعوب غير المستعمرة لطلب معونتها كجبهة عالمية — وليس ذنب الثورة أن كل هذه الشعوب كانت إسلامية .

على أن فكرة الجامعة الإسلامية عند ميدغابا الأفغانى ، عادت فتلورت بعد ذلك إلى فكرة الجامعة الشرقية ، أى التى تضم شعوب الشرق ضد الغرب الأوروبى ، وهو تمييز أفضل قليلا ، وإن كانت المسألة ليست مسألة صراع أديان أو اتجاهات أصلية ، ولكنها أساسا صراع بين قوى التحرر الوطنى والقوى الاستعمارية .

ومن الجوانب التى ظهرت بواكيرها فى الفكر القومى لثناء تلك المرحلة ، فكرة القومية العربية . يذكر بلنت أنه قابل الشيخ محمد خليل من مشايخ الأزهر ، وأنه ذكر له أنه عضو فى جمعية المصلحين الإحرار ، ويذكر له أن مركزها هو مكة وأنها تهدف إلى معارضة السلطان عبد الحميد ، وتطلع إلى خلافة عربية (٢٢) ، ويذكر كرومر أنه بعد مخاضة سبتمبر ، زاد المهوس عن قيام حركة كبرى ترمى إلى انشاء دولة عربية من مصر وسوريا . فهو فرضنا لهذه الحركة النجاح فما ترى كان يصبح مصير أجزاء هذه الإمبراطورية العثمانية وولاياتها . بل مصير آل عثمان أنفسهم (٢٤) . ويقول محمود سامى البارودى لصابونجى : أن فكرة إعلان الجمهورية فى مصر كانت تتضمن « انضمام سوريا إليها كم الحجاز » (٢٥) . والملاحظ أنه فى حين كانت بعض المناسبات المثارة فى الأزهر تتجه إلى انشاء خلافة عربية — أى دولة ذات طابع دينى — فإن العناصر الثورية الأخرى كانت تطالب بجمهورية أو دولة عربية ، فى إطار الانفصال النهائى عن الخلافة سواء كانت عثمانية أو غير عثمانية .

أن يؤدى هذا التركيز على المظاهر الدينية إلى مهاوى التعصب . وما يتضمنه من انققاد الوطن لصفه الجامع لكل أبنائه والذى لا يضطهد أى فئة بسبب الدين أو العنصر ، وما يحملنا نظل من هذه الخشية أن من الجوانب الواضحة فى فكر الثورة . خلوها كحركة وقيادة من أى مظهر من مظاهر التعصب الدينى ، وهى حقيقة مؤكدة . أن اتهام العرابيين بالتعصب الدينى هو أشهر الإكاذيب عنهم وقد يكون من المقبول أن تطلق هذه الإكاذيب على حركة لا تلتفت كثيرا لهذه المسألة أو تأخذ منها موقفا حياديا . أما أن تطلق على حركة ذاتصفة قومية وشديدة المعاداة للتعصب الدينى فهذا ما يثير بالفعل .

أن مجلس النواب الذى انتخب بعد الثورة قد ضم أربعة من الأقباط من بين ٧٥ عضوا هم كل أعضاء المجلس انتخبوا انتخبا حرا . وضمت وزارة البارودى — وهى وزارة الثورة — وزيرا مسيحيا هو بطرس غالى ، ويقول بلنت « كانت العلاقات بين البطريك والوزارة ودية جدا ، وكان الأقباط على العموم فى جانب الوزارة ، كذلك كان اليهود يزعماء الرأى بطلين الحكم الدستورى » (٢٢)

والملاحظ أن محاولات ضرب الثورة بالفتاح حرب طائفية بين المصريين المسلمين والمصريين المسيحيين قد فشلت تماما . وقد دعت « الجمعية العمومية » — وهى مجلس طبقات الأمة — إلى الانشقاق فى ٢٢ يوليو ١٨٨٢ عقب خيانة الخديو وانضمامه للاسطول البريطانى ، فكان من بين أعضائها ٢٥ يمثلون الرؤساء الروحانيين من المسلمين — شيخ الأزهر وممثلى المذاهب والمفتى والقضاة والإشراف — ١١ يمثلون الرؤساء الروحانيين من الأديان الأخرى — منهم رؤساء الأرمن الكاثوليك والأقباط الكاثوليك وصالحام اليهود وبطريك الأقباط ، غير عدد آخر من المسيحيين الذين مثلوا طوائفهم المختلفة كوالطنيين . وتدرع عبد الله الخديم أثناء الغزو شعار دعوة المؤمنين من جميع الأديان للذود عن حقوق الوطن ، مستندا على فتوى كان البطريك المصرى قد أصدرها ضد الإنجليز يتهمهم فيها بخروجهم عن تعاليم المسيحية الحقبة .

[٢٢] بلنت — التاريخ المصرى

[٢٣] نفس المصدر

[٢٤] كرومر — مصر الحديثة حترجة عبد العزيز عرابى — ص ٧٠

[٢٥] بلنت — التاريخ المصرى ج٢ ص ٤٥٢

الامور في مصر ولو ان الخديو اسماعيل اراد ان يعلن الاستقلال القائم للفق التفضيد والتأييد من جميع طبقات الامة» (٢٧).

وسنلاحظ بالإضافة الى هذا تكرر كلمة المصري في وثائق العصر الفكرية وعلى السنة الخديوية وأعضاء مجلس النواب وخاصة سعيد الذي ينكر عرابي أنه خطب مرة فاستعرض ما تعرضت له مصر من غزاة وفاتحين ثم قال «وحيث أنني اعتبر نفسي مصرياً فوجب علي أن أربي لبذاء هذا الشعب واهديه تهنيئاً، حتى أجعله صالحاً لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة، ويستغنى بنفسه عن الأجانب، وقد وطئت نفسي على أبرار هذا الرأي من الفكر الذي العمل» (٢٨).

وقد سعى اسماعيل للحصول على امتيازات استقلالية جديدة لمصر من الباب المالي ودعم هذه الامتيازات. ووضع ذكاه كله في خدمة مطامحه للاستقلال بمصر، فمتحمدا قامت الحروب التركية الروسية اراد أن يقهر من الالتزامات التي تفرضها عليه الغرامات بوجوب مساعدة السلطان بالمال والرجال والمتاد فجمع مجلس النواب وعرض عليه المعجز المالي ليتبرع من مساعدة تركيا، ثم رأى في اشتباك تركيا في الحرب مع روسيا فرصة لتوسيع سلطانه وتأكيد استقلاله عن السلطان قاياح للمصاحفة في عهده فرصة الهجوم على الحكم العثماني، وبهذا نشأت عدة صنف «القبيل النادر منها وقف الى جانب السلطان، والكثير كان جرياً عواناً على مفاسدهم الإثراك» (٢٩).

وفي عهد اسماعيل أيضاً تطورت القوى الوطنية ولدرك النواب من خلال ممارستهم لعملهم مصلحة الوطن الخاصة، حتى أنهم في اجابة على خطاب المرش الاخير في حكمة أشاروا الى الخطاب الذي بحث فيها روح العصر الجديد واحيا آمال هذه الامة التي لا تزال راجية ان تفلح شرقها اللبدي الذي شهدت به التواريخ، وانبات به الآثار، بل ان الخديو توفيق نفسه لم يسلم وهو ولي العهد من الوقوع تحت تأثيرات قومية، رغم عدم تجددها، فقد شكك الكرويليل وبيشر - وكان معلماً فرنسياً له - من ان المعلمين العرب ملأوا رأس الصبي بأسوأ الاتهامات ضد الأوروبيين، ونتيجة لهذا، بدأ الصبي توفيق يجرى هنا وهناك ويتحدث عما سيفعله عندما يصبح

على أن أهم وأخطر ما طرحه الجيوش البرجوازي المصري، بخلاف مراكزه الطبقيّة والفكرية والسياسية في مرحلة الثورة المرابية، هو طرحه شعار «مصر للمصريين» - أن هذا الشعار لا يبلور فلسفة قومية مميزة، ولكنه شعار سياسي من أهم شعارات الثورة وأكثرها استقطاباً للجماهير الشعبية. وقد كان رفعة كلد شعارات الجيش في بواكير حركته ضد السيطرة الجركسية والتركبة أحد الأسباب التي أدت الى انشراح هذه الحركة والتفاف عديد من القوى الاجتماعية حولها بالإضافة الى أن مختلف شعارات الثورة وحركتها السياسية بعد ذلك قد نبتت من خلال محاولة وضع هذا الشعار موضع التطبيق العملي، ويبدو الاهتمام الذاتي به إذا ما لاحظنا أن الزعماء الثلاثة للحركة العسكرية - عرابي وعبد العال حلمي وعلى فهمي - كانوا يتهنون لسماعهم لقب «المصري» كنوع من التمييز بينهم وبين غيرهم من العناصر الأخرى.

والواقع أن جرهم هذا الشعار يطرح بالإضافة الى كل مظاهر الفكر القومي التي أشرنا إليها فيما سبق «قضية العلاقة بين مصر وتركيا باعتبار أن تبعية مصر لتركيا كانت التناقض من الاستقلال وتوحيها للشخصية القومية في كيان استعماري فكيف نظر الثوار الى هذه العلاقة؟»

سنلاحظ أنه منذ نهايات عصر اسماعيل تزايد العداء لتركيا بين صفوف العناصر المثقفة، وكذلك بين صفوف الجماهير، وقد وصف الفاضل الهولندي «هان يملين» هذا للشعور بقوله «يخطئ من يظن أن المصريين المثقفين لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة ومصالح عائلاتهم، فانهم على العكس يكرهون الحكم التركي، والحكم الأوروبي على السواء، ويريدون حكومة وطنية بكل معاني الكلمة وهم يحبون مصر الحديثة ومصر القاريخية، ويهتفون بمصير الشعب ويتالمون لمصائبه التي لا نهاية لها» (٣٠).

ويؤكد المستر ملك كون أن «الولاء السياسي نحو الباب العالي قد تلاشى بسبب احساس المصريين بفداحة الجزية التي تؤدى لتركيا دون مقابل، وأصبح شعار الامة المصرية «مصر للمصريين»، ولا يشك في ذلك أحد من عرفوا حقائق

[٣٠] فان يملين - مصر وأوروبا - ج ١ ص ٣٦ - نقل عن الراعي عصر اسماعيل - ص ١٢٢
[٣١] ملك كون - مصر كما هي - ص ٨٥ - نقل عن الراعي - عصر اسماعيل - ص ١٢٢
[٣٢] مذكرات عرابي - طبعة الهلال - ص ١٦ -
[٣٣] إبراهيم مبد - المصطفى الثاني - ص ٨، ٩.

حاکما مصر ، ويعلم لكل من يود أن يسمع أن المساهمات التكتيكية التي تقدمها الحضارة الغربية لمصر ، ليست إلا أضحوكة وأن كل شيء في العالم الغربي أتى من العرب في الحل الأول . وأنه مقتنع أن العلماء العرب وضعوا منذ زمن طويل الآلة الخنارية والسكة الحديدية وهو ماثار غرغ بيرش الشديد (٣٠)

وعقب نشوب الثورة أرسلت تركيا بمبعثها الأولى برئاسة علي نظامي باشا فاستطاعت أن تلمح أن عرابي هو مركز القوة الجديدة في مصر ، ومن هنا كان خطاب السلطان المسمى إلى عرابي الذي أعلن فيه احتضان الحركة الثورية الجديدة ، ورغبته في التحالف معها ضد الخديو توفيق والإجانب . ولم يكن الثوار من الغياض السياسية بحيث يهللون هذه المونة ، أو يغفلون عن الاستفادة من التناقض بين الباب العالي ودول الاستعمار والخديو ، كما لم يكونوا من البلاهة بحيث يضمنون اللطخ على أطلانه بالسلطان عبد الحميد ، الصورة المركزة للثورة القومية التركية ، لذلك فإن برنامج الحزب الوطني كان يعبر عن إدراك الثوار لهذه النقطة ، عندما نص على أن الثوار يريدون أن « المحافظة على الروابط بين مصر والباب العالي ركنًا يستند عليه الحزب الوطني في عمله ، ويعترف الحزب بالسلطان عبد الحميد كخليفة وخليفة وإمام للمسلمين ولا يريد تبديل هذه الصلة الوثيقة ما دامت الدولة العلية في الوجود » ثم يعترف باستحقاق الباب العالي بما يأخذه من الخراج يمتنقى الفرمانات وما يلزمه من المساعدات العسكرية ، إذا طرأت عليه حرب اجتنبية . كما يحافظ الحزب على حقوقه وأمنياته الوطنية بكل ما في وسعه ويقاوم كل من يحاول إخضاع مصر وجعلها ولاية عثمانية .

ومن الواضح أن التأكيد بالحفاظ على التبعية العثمانية هو تكتيك سياسي قبل كل شيء لم ينسحب إلى التنازل عن الاستقلال الذاتي الذي شالته مصر . كما أنه أيضا لم يتسحب على النضال من أجل تصدير السلطة السياسية والقضاء العناصر التركية والميلوكية عنها ، رغم أن هذه العناصر تابعة للسلطنة العثمانية . وقد عبر عرابي عن فهمه المقلية التركية في قوله لصابونجي « لقد علمنا الدهر واسماعيل كيف نفهم مكر الاتراك وكما تستعمل مدافع الترك وأسلحتهم وشأئهم كذلك نستعمل مكرهم عندما يعضروننا إلى ذلك » (٣١)

وعندما حاول السلطان بعد ذلك بشهر وفي

يونيو ١٨٨٢ أن يعيد استكشاف القوى المصرية بعد قيام الأزمة الكبيرة بين وزارة البارودي والخديو حول المؤامرة الشركسية فأرسل لهذا الغرض بعثة درويش التي فوجئت بأصرار الشعب على مقاومة التدخل الأوروبي ، ورفض محاولة التدخل العسكري التركي . ووصف صابونجي تأثير حضور بعثة درويش في خطة الثوار فيقول أنها قد أدت إلى كراهية الاتراك والسلطان نفسه ، وأنه قد سمع البارودي ومحمد عبده والتديم يلعنون السلطان والأمم التركية من عهد جنكيز خان وهو لاكو إلى عبد الحميد . وصرح التديم بأنه سيهدم عرش السلطان قبل أن يموت . وتآلف حزب كبير يستعد لإعلان الاستقلال عن تركيا إذا فشل الاتراك في مصر لتدخل حربيا . وقد عبرت جميع القوى الوطنية وعلى رأسها علماء الأثر عن رفضهم عن رفضها للتدخل التركي .

إن شعار « مصر للمصريين » هو أول صيغة قومية واضحة في تاريخ مصر الحديث ، ويتبنون موقف عرابي منه في تصريح مبكر قاله لبلنت عقب مظاهرة سبتية ، فأكذبه لا يضمها للاتراك الذين أساموا حكم مصر قرونا ، وأنه لا يقبل أي تدخل من جانب الأستانة في شؤون مصر الداخلية ، ولكنه فرق بين الحكومة العثمانية وبين السلطة الدينية للسلطان الذي قال عرابي أن طاعته واجبة عليه باعتباره أمير المؤمنين مصادم يحكم بالفعل والإنصاف . وضرب مثلا بتونس التي فصلتها فرنسا أولا عن الامبراطورية العثمانية ثم ضمتها إليها بعد ذلك . وقال عرابي « كلنا إنياء السلطان ، ويجب علينا أن نعيش ك أسرة واحدة في منزل ، وكما أن أعضاء الأسرة الواحدة يكون لكل منهم غرفة ينظمها حسب هواه ولا يحق لأحد المنزل أن يستبيح حرمتها فتكذلك لكل شعب من الشعوب الإسلامية بلاد يعيش فيها وينظمها حسب هواه » ثم قال « لقد كتبت مصر استقلالها بالفرمانات واستبدل كل جهدها في المحافظة على ذلك الاستقلال ، ولكننا نضفي إذا طلبنا أكثر من ذلك ولا يبعد أن نفقد حريتنا في مثل هذه المجازفة » (٣٢)

ويبدو أن قيادة الثورة كانت تعمل حسابا للمؤلفة الدينية للسلطان في نفوس الجماهير باعتباره خليفة المسلمين وهو الشموال الذي يصفه هناك كونه بقوله « إن الشموال البيني تحو الضلالة لم يقد شيئا من قوته ، بحيث إذا شمس المصريون يخطر يستهرف له الإسلام أو دولة الخلافة فانهم

[٣٠] لاند - بنوك وباشوات - ترجمة عبد العظيم انيس - من ١٩٠٦ و ١٩٠٤

[٣١] بلنت - التاريخ المصري

[٣٢] نفس المصدر

عليهم في ظل وهم بأن الخضوع للآخرين صفة ثابتة من صفات الشعب المصري .

وحتى هؤلاء الذين يمكن أن نسميهم مع التجاوز في استخدام المصطلح البوليتاريا الأوروبية العاملة في مصر ، قد كانوا لا يجدون حزاء لوضعهم الطحون سوى ممارسة التلقؤ المزعوم على السكان المحليين . وهو ما ينطبق أيضا على صمالك الاتراك والبراكسة . وكان لابد أن يكون رد فعل هذا الاضطهاد حالة عداء للجانبى عموما ، وإذا لخذ هذا العداء احسانا صورة « كراهية الكفار » فليس ذلك سوى عجز عن التوصل الى مصطلح صحيح للتعبير عن شعور قومى ، وهو عجز لدى فئة محدودة من الجماهير لا تقاس به الحركة القومية فى مجملها ولا الفكر القومى فى مجموعها ، ولا تؤاخذ عليه الا لدى باحث متحيز مثل كرومر ، أو يشوب انصافه بعض الغيوم مثل لاندى (٣٦)

وفى مجرى الحركة القومية سترى على السطح تفصيلات بسيطة لكن دلالتها لا تقل عن دلالة أكبر الصوائت والحركات ، وما يسميه « لاندى » « مرحلة المضايقة » ، هو جزء من الحركة الاجتماعية فى مضمونها القومى . وفى هذه المرحلة كان « اليسوليس المصرى الذى كان يستقره افتقاده للسلطة على الاوربيين ، يتنطبق بتطبيقات تعليمات وقوف المرات على عربات الاجانب ويترك سائقى المرات المصريين يملون ما يشاءون ، وموظفو الجمارك يستمرئون مضايقة رجال الاعمال الاجانب » (٣٧) .

وربما افقد اللسان المصرى - فى اسفل مستويات السلم الاجتماعى - القدرة اللغوية لى يقول انه « قومى » ، وانته يشعر بشخصيته المصرية » ، ويمادى القوى المتسلطة عليها ، وقد يستسهل كلمة « كفار » أو « نصارى » ولكن هذا لا يعنى فى الحقيقة أى شىء !

العقل فى موقف الدفاع

إذا كانت الفكرة القومية التى ركزت

يتعاونون مع التراك ومثلهم كذلك كمثل الارانبين فى شعورهم نحو البانيا » (٣٢) .

ان هذا الشعور الجارف - بجانب موقف السلطان المؤيد للثورة - هو الذى جعل القوار يكبدون الملاقاة مع تركيا بالشكل الذى عرضناه . ولكنها بالتأكيد كانت علاقة مؤقتة ، وكانوا يدركون ذلك . وقد اشار صابونجى فى رسالة مؤرخة فى ٢٤ يونيو ١٨٨٢ الى أن عقيدة الثوار الحقيقية انهم لا يهنون بمعد الحديد ، ولا يههم فى شىء . فهم يستخدمونه لصلحتهم ، ويعتمدون عليه حتى يروا الموت ملائما لاعلان الجمهورية المستقلة » (٣٤) . ولكن ما حال دون ذلك كما صرح البارودى لصابونجى « لنا وجننا العلماء - المشايخ - لم يستعدوا لهذه الدعوة لانهم كانوا متأخرين عن زمنهم » (٣٥) . وان كان فكرة الاستقلال القومى القائم عن أى وجود أوروبى أو تركى لم تكن بعيدة عن مضامح القيادة الثورية . وهو ما يؤكد الدور الرائد للانفاضة المصرية كحركة من أقدم الحركات القومية فى العالم العربى .

ومن المصير ان تنصور ان هذه الحركة كانت تنبيرا عن أفكار مجردة ، أو انها كانت تمسك بحسب قوا فى احتياج بعض طبقات المجتمع الى الاستقلال الكامل أو الجزئى بالسوق القومية . ذلك كله كان بعض دوافع هذه الحركة ، بل لعله كان أهم دوافعها . وهو أيضا خالق الشعور النفسى بالقومية ، وهو ما ساعد عليه ذلك العداء الذى أحس به المصريون تجاه الاجانب عموما - أوروبين وعثمانيين - لقد كان هذا الشعور طليما ، لأنه رد فعل مباشر لاساءات الاجانب . وقد عمق من هذا الشعور بالعداء ، الوضع

الاقتصادى لكل من المصرى والاجنبى . فقد كان معظم الاوربيين من أصحاب الاعمال أو من الرؤساء الإداريين . وكذلك كان الامر بالنسبة للترراك والبراكسة ، وكانوا جميعا يمارسون موقفهم ذلك بكل ما فى الاوربى من ضجر واحتقار . يستولب حياة الشعوب الاخرى ، التى يظن - لغروها اللاتئنى - انها أبطا وأقل دقة وأكثر غيما . وبكل ما فى شعوب آسيا الصغرى من انفعال وصنكية رأى ولهور ، فان الاتراك قد احتلوا المصريين ، ومارسوا احساس بالكريام القومى

[٣٢] ملك كون - جرحيا فى ص ٨٥

[٣٣] بقت فى ص ٥٧

[٣٤] نفس المصدر فى ص ٥٢

[٣٥] راجع كلفز فى ص ٨٤ ، ٨٥

[٣٦] لاندى فى ص ٢٠٢

أخرى ، بيد أن هذا كله لم يجد فرصة التمكين الكامل له نتيجة لبقاء أثره في حيز محدود نسبيا .

● أما العامل الثاني فهو أن العقلانية كانت تصارع مناهجا فكريا تراكم تخلفه ، فالعقل الديني التقليدي كان قد تكلس بفعل عوامل التحف المتراكمة - على معطيات ثابتة ، وأوصد شباب الاجتهاد بشكل نهائي ، وسنلاحظ دعائى التفكير لاروى الاسباب متكررة في أى معتمد تاريخى عن الحكم الفركى المملوكى - هذا بالإضافة الى مديبة الفكر الدينى الاسلامى نفسه الذى يجمع بين العقيدة والشريعة ، وبين العبادات وانسجم الاجتماعى ، وهو ما تحول بفعل العقول التى تراكم فيها التخلف الى سبل مسدودة امام أى اضافة أو تغيير فى التنظيم الاجتماعى .

● أما العامل الثالث فهو تخلف البرجوازية المصرية وتموها متأخرة عدة فرون عن نظيراتها الاوريبات ، وهو ما اشرنا اليه من قبل ، ولقد كان من نتيجة هذا التخلف اعتماد البرجوازية المصرية فى نموها على الفاظ الزراعى ، فزاجت صفة التاجر ومالك الارض ، والصناعى ومالك الارض ، وايضا المثقف الليبرالى المتشرب بقرات الفكر الاقطاعى وهو ما انتهى الى الزواجعية ثم التوفيقية ، وأدى فى النهاية الى أن الزراعية كتيار فكري القت بظلالها على الفكر المصرى لفترة طويلة اطول مما نظن .

وبرغم هذا فسنجد العديد من المعطيات العقلانية فى الفكر الذى مهد للثورة العربية ، ولكن سمة رئيسية سنلاحظها فى هذا الفكر ، تلك أنه كان يلتزم موقف الدفاع دائما - أنه لم يكن فكريا هجوميا ، وإنما كان يتسلل بيده وعلى استحياء ويحاول أن يجد لنفسه من الفكر السائد حماية ووقاء ، وهو ما قبله بعض المفكرين المحافظين ورفضه أغلبهم - على أنه رغم عدم طبيسته الهجومية قد تجبر بعض أجزاء من الفكر السلفى على اتخاذ موقف الدفاع أيضا ، ولم يكن هذا نتيجة لقوته الذاتية ، ولكنه كان نتيجة لضعف شديد فى السلفية التى جوبهت بتخلفها الشديد وعجزها عن الرد على التحدى ، فأتخذت موقفا دفاعيا ، وهذا للتبادل فى اتخاذ المواقف الدفاعية ظاهرة تؤشر الى أن الصراع وقتها كان يعملعله فى العقل المصرى وأن نتاجه فى الطريق

لقد عرف الفكر المصرى العلوم الطبيعية فى ظل حكم مصر الإسلامية ، بل وكان بعض الخلفاء الفاطميين يبرسونها (٢٨) ولكن ما أصاب العقل

على « المواطن » كحالة من الحقوق السياسية والديمقراطية من أبرز مقولات الفكر البرجوازى القوي فى فكر الظاهرة العربية فإن العقلانية هى أخطر مقولات هذا الفكر ، وهى التى تعطيه سمته البرجوازية الواضحة .

كانت العقلانية أخطر المعطيات التى توصل اليها الفكر البرجوازى فى أوروبا من خلال صراع مع الفكر الاقطاعى الذى غلبت اللاهوتيه عليه وظلت تفرض سيطرتها وتناجز من بقائها فى مناح لم تكن العلوم الطبيعية والحديثة قد عكرت ثباته أو قلبت له مسلماته الفكرية الساذجة ، فلما استطاع العقل الاوربي عبر عصر النهضة أن يستوعب العلوم الحديثة من كيمياء وطبيعة وهندسة وميكانيكا ، ثم انتقل الى استخدامها تكنولوجيا بتطبيق قواعد تلك العلوم على الصناعة ، فاشبع احتياجات الانسان ، اشباعا جديدة ومتقدمة ووضعت ككل مريضة من الجماهير امام تمدد العقلية الصناعية ، حيث يمكن أن تعرف مقدما النتائج المحسوبة لكل فعل ، اهتزت العقلية اللاهوتية الفاتكة على الفكر الزراعى ، حيث تلعب « الإرادة العليا أو الخالدة » دورا أساسيا ، ويترج من هذا الامتزاج ظهور معطيات فكرية جديدة فطحت فكرة « العمل من أجل الحياة الدنيا ، عمل العمل من أجل الدار الآخرة فقط » وسادت قيم اجتماعية جديدة ، شكلت أخلاقا جديدة ووضعت محكات جديدة لتقياس القيمة الاجتماعية للفرد ، فلم يعد للأصول والنسب نفس التقديس وأصبح المعصامى شخصية مقبولة بل ومثالا يستندى وأساس ذلك كله فكرة فتح الباب امام الانسان لكي يعمل فى سبيل منفعة الفردية ، التى كان هناك تصور أن ذلك بانها لابد أن تؤدي الى منفعة النوع الانسانى ككل .

على أن العقلانية المصرية قد ولدت مأزومة لخائها فى ذلك شأن كل معطيات الفكر الليبرالى فى مصر ، وقد شاركت عوامل ثلاثة فى تأزيم موقفها :

● وأول هذه العوامل أن ظهورها لم يواكب نقسا كبيرا فى مباحث العلوم الطبيعية والتجريبية ، كذلك لم يواكب ظهور صناعة مصرية - لقد احتكت هذه العلوم بالعقل المصرى من طريق مراكز التأثير ومصادره فاستطاعت بثه العلماء والفنانين المساجبة للحملة الفرنسية أن تعرض على العقل المصرى بعض مخبجات العلوم الطبيعية ثم شاهد اليموثون الى أوروبا منجزات

الإسلامي من جمود جعل الذين يقتنعون بضرورتها من علماء الأزهر يفتنون بأنها «فروض كفاية» أي يتخصص لها من يطلبها ولا تقرض على الذين يحضرون الدروس العامة • فوصل تخلفها إلى الخلط بينها وبين العلوم التي فاضلتها فاختلط الفكر بالتجسيم وانتقل من العلماء إلى المتألفين، واختلطت الكيمياء بتحضير الذهب وسحر المعادن وأصبح المنطق خليطاً من المسطرة اللغوية (٢٩) الخ (٣٩)

ومع تزايد تخلف العقل السلفي، كان من الطبيعي أن يشمر بالانحياز لدى اطلاعه على شارب العلوم الحديثة وتجاربها، وهو ما نلاحظه بكثرة لدى الجبرتي، الذي دهش لكثير من الآلات والمعدات التي أحضرته الحملة الفرنسية معها، حتى تلك الآلات البسيطة التي لا تتضمن فنوناً معقدة • ثم اضطر عند زيارته لقر البهجة العلمية وإطلاعه على تجربة كيميائية إلى الإقرار ببساطة «بأن دلهم فيه» - يقصد العلم - أمور وأحوال وتركيب غريبة ينتج منها نتائج لا تسعها عقول أئمتنا» (٤٠) •

وكان الشيخ حسن المطار، وهو من معاصري الجبرتي أكثر قدرة على الفائل الواعي بما شاهده من منجزات العلم الحديث، فقد أكد على فكرتين أساسيتين: الأولى، ضرورة الاهتمام بالعلم الطبيعي ونيراسته وراشاً في هذا الصدد إلى أنه أطلع على كتب «من بلاد الإفريقج ترجمت باللغة التركية والعربية وفيها أعمال كثيرة وأفعال دقيقة أطلعنا على بعضها، وقد تسحول تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية من اللوة إلى الفعل، ومزج مثلاً بالمصناعات الحربية المتقدمة ثم نصح الآخرين بالإطلاع على ذلك ومن سمع به مته إلى الإطلاع على خرائب المؤلفات وجعائب المصنفات انكشفت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم وتنزهت فطرته، أن كانت سليمة - في رياض الفهم، فالتفت إلى الإنسانية بالإطلاع على حقائق المعارف تتكلم - والفاضل الكامل بانواع العلوم يتنوع ويتفضل • أما الفترة الثانية فهي دعوته إلى فتح الباب للصراع الفكري والفلسفي حتى في أمور العقائد الدينية فسبها على أساس أن الأئمة الاعلام، كانوا مع رسوخ أقدامهم في العلوم الشرعية والإحكام الحديثة لهم إطلاع عظيم على غيرها من العلوم وإحاطة تامة بكيانها وجزئياتها

وحتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع • وذكر أمثلة من ذلك عند الأئمة المتقنين وانتقد علماء عصره لانهم بالنسبة إلى العلماء المتقنين كتسبة عامة زمانهم اليهم «أن قصارى أمرنا النقل عنهم يهون أن نختصر شيئاً من أنفسنا وإيقنا وصلنا إلى هذه المرتبة، بل اقتصرنا على النقل في كتب محصورة العهد المتأخرون المستمدون من كلامهم نكرها طول العهر، ولا نطعم أنفسنا إلى النظر في غيرها حتى كان العلم أنحصر في هذه الكتب» (٤١)

ثم جاء رفاعة الطهطاوي فكر دعوة استاذة حسن المطار، ودعا دعوة صريحة إلى إدخال العلوم المصرية في الأزهر • وانتقد محمد علي لأنه «لم يجنب طلابه إلى تكميل عقولهم بالعلوم التي كبر نفعا ليس ينكر • وأشار إلى أن الأزهريين عليهم أن يضيفوا إلى معارفهم «معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها دخل في تقدم الوطنية من كل ما يحدد على تعلمه وتعليمه علماء الأمة المحمدية»، «فلو تشيئت من الآن قصاعدا تجيأ أهل العلم الأزهرين بالعلوم المصرية لأزروا بدرجة الكمال» (٤٢) •

وبالإضافة إلى هذا فإن الطهطاوي قد عبر في كتابه الأول «تخليص الأبريز» عن إعجابه بالمنهج العقلى وما أرساه من قواعد لتنظيم المجتمع وخاصة التنظيم السياسي فقال «لنقل بأن أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية، وإنما هي مأخوذة من قوانين أخرى فسألها سياسي» (٤٣) «وأنقذ بأنها «مخالفة بالنسبة للشرائع وليست قارة للفروع • ولكنها رغم هذا كله تموز إعجابه فهو يدعو إلى التامل في هذه الأحكام ولتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والإنصاف من أساليب تعمير الممالك وراحة العباد • وكيف انتقلت الحكام والزعماء لذلك حتى عبرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غنائم وأرتاحت قلوبهم، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلماً ليدا» (٤٤) • أن تحين الطهطاوي العقلانية تحيز واضح • وما عمل على نشره من مباحث العلم الطبيعي بالترجمة وإنشاء المدارس أكثر من أن يحصى •

ومن المصادر التي عملت على اقتناع العقل المصري بالنظرة العلمية والصناعية، عدد من

- [٢٩] نفس المصدر ص ٨٤
[٤٠] الجبرتي - الجزء الثالث
[٤١] المقاد - ميثرى الإصلاح
[٤٢] المقاد - ميثرى الإصلاح ص ٩٤
[٤٣] رفاعة الطهطاوي - تخليص الأبريز -
[٤٤] نفس المصدر

الذاتية فيقول : « أرفع صوتي والصوت إلى أميري عظيمين : أولا : تحرير الفكر من خد القنيد ، ولهم الذين على طريقة سلف الإمة ، ظل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفة إلى بليغهم ايجلي واعتباره بن ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لئلا تزد من شططه وتقل من خلطه وخيطة لقم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وإنه على هذا الوجه يعد صدقاً للعلم. وإعنا على البحث في اسرار الكون ، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة مطالبا بالتعميل عليها في ادب النفس واصلاح العمل . كل هذا أعده لمرأ وإحدا . وقد خالفت في الدعوة اليه رأى الفكتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الإمة . طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في لحيلهم » (٤٦) .

وهذا الشخص الحقيق هو موجز لدعوة الافغانى ، الذى انطلق فى البداية من اعجاب بلير وستانثية باعتبارها حركة تصرد فى الحسية ، وموقف دفاعي التزمت به العناصر الثائرة والاكثر ذكاء من الكاثوليكين فى مواجهة هجوم العقيدة العلمية والصناعية على الفكر اللاهوتي ، وكان الافغانى وإعيا بالبور الذى يقوم به ، قاضيا أكثر من مرة إلى أنه يستهدف القيام باصلاح ديني شامل مشابه لما قام به لوثر . وقد حل الافغانى الحضارة الاوربية باعتبارها نتيجة للصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية . فسنده أن سبب انقلاب عالم أوروبا من الهمجية إلى الحديثة هو الحركة الحديثة التي قام بها « لوثر » وتمت على يديه ، فإن هذا الرجل الكبير لما رأى شعوب أوروبا زلت وفقدت شهامتها من طول ما خضعت لرؤساء الدين وللقائلا لا تمت بصله إلى عقل قام بقلع الحركة الدينية ، ودعت إليها أمم أوروبا بصير وعناد والحاج زائدين ، فاصلح بذلك أخلاقهم وقوم أعوجاجهم وطهر عقولهم وبهيم إلى أنهم ولدوا لحرارة عظاما لاستخدامهم المستعبدين » (٤٧) . ونكر بعد ذلك أن الحضارة الأوروبية « نتج من نشوء البروتستانتية في أوروبا والبراءة والسابقة بينها وبين عدوتها الكاثوليكية » . وهو تفسير فيه صحيح ولكنه يشجم مع رؤية الافغانى العامة التي ترى أن الصراع الديني - وليس الطبقى - هو محرك التاريخ . ودلالته الهامة تكمن في تركيز الافغانى على أهمية حركة التجدد الديني والرجوع إلى أصول الدين النقية وتفسيرها مغليا يخدع

الدوريات الثقافية التي بدأ مسودها في هذا الوقت ، ومنها « روضة المدارس المصرية » - وهي التي لصدرها رافعة الطهطاوى نفسه وراس تحريرها ابنه على خمس رافعة . ثم « الجبان » وهي بيروتية أصدرها العلامة بطرس البستاني في عام ١٨٧٠ م . و « النحلة » وهي بيروتية أيضا أصدرها اللس العلامة لويس صابونجي ، و « المقطف » التي صدرت في عام ١٨٧٥ . بيروت ، برئاسة تحرير يعقوب صروف وفارس ثم ونقلت بعد ذلك إلى مصر . وكانت هذه الدوريات تقدم الحد الأدنى من المعرفة العلمية الصالحة للقارئ العربي ، فلم تكن دوريات متخصصة في فرع واحد من فروع العلوم الإنسانية أو الطبيعية كتلك للمختصين في هذا الفرع أو ذلك ، ولكنها كانت دوريات معارف عامة تستهدف القارئ العادي تلجم له معارف شتى كانت كلها تقريبا جديدة إذ ذلك على العقل المصري ، فقدمت مباحث في الاجتماع واقتصاد والتاريخ والسياسة والجغرافيا فضلا عن مباحث أخرى في الفلك والطب والصيدولوجيا والطبيعة والكيمياء . الخ ، وعنت بتقديم أخبار عن أحداث المكتشفات والاختراعات العلمية ، ورصد الطبيعة المختلفة للعلم في الصناعة . وترجمت فضلا متعددة في هذه المجالات كلها . ومن هنا ساعدت هذه الدوريات جميعها في ترسيخ المفاهيم العلمية في ذهن المثقفين ككل ووضعت عقولهم العلمية بالمشاركة في مواجهة حادة مع المفاهيم الجديدة . ونستلاحظ أن كثيرا من مباحث هذه المجلات كان يبدأ بالرد على العلم المأزف الذي وقع في إيهام الناس والهجوم أيضا على الفرافات التقليدية التي كانت متشرة آنذاك » (٤٨)

وفي مواجهة هذا التحدي ، وتحديات عصرية أخرى ، بدأ جمال الدين الافغانى حركة الاحتجاج الإسلامية التي استهدفت تجديد الدين وفتح باب اوجبهات الإسلامى لمواجهة تحديات العصر العلمية والطبية . وهو موقف دفاعي اضطر العقل السلفى اليه وإن لم ينتبه اليه سوى أنكى العناصر السليقة التي خشيت أن تفقد من مواهبها إذا ظلت ملتزمة موقف الجمود والخلف .

وقد انتهت الحركة العقلانية الإسلامية تلك إلى أن أخذت موقفا وسطا بين السلفيين الهامين من تاحية والمعتلين التقدميين من ناحية أخرى . ويخلص الشيخ محمد عبده جوهرها في سيرته

(٤٥) - اصلاح عيسى - الدوريات الثقافية في مصر في القرن ١٩ - دراسة لم تشب -

(٤٦) - بحرات محمد عبده - ص ٢٧

(٤٧) - عبد القادر المغربي - جمال الدين الافغانى - (٢٠٠٠) ص ٥٥

الله ، وإنما الغناء يكون في خلق الله ، ومعنى الغناء فهم تعليمهم وتبنيهم إلى وسائل سعادتهم وما فيه خيرهم » (٥٠) وقد أحدث موقفه هذا تأثيرا في الكثيرين من المثقفين المصريين الذين كان اندراجهم في الفرق الصوفية يكاد يكون سنة (٥١) ، ومن أبرز من أثر فيهم هذا الاتجاه محمد عبده الذي انصرف من ممارسة الزهد وعن اعتزال الناس إلى تدقيق الحياة ودراسة العلوم المختلفة التي لم يدرسها في الأزهر .

وكان من الطبيعي أن يؤدي إزالة العديد من الخرافات والتزييدات عن جوهر الدعوة الدينية إلى إبراز طابعها العقلي ، فبدأ الإفغانى يشير بأن «الوحي هو مصلحة المسلمين» ، وبالتالي أعطى الأولوية للمصلحة على النص «لأن الله لا يفعل إلا ما فيه مصلحة العباد كما يقول المعتزلة في أصلهم الثاني» ، وكما أبرزه المالكىون في قولهم بالمصلحة المرسله ، ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » فالدين هو المصلحة «والدين فسى أصوله ما يتفق في الأمور الدينية» ، وعنده أن «من قال أن الدين يأمر بالمرء دون اليسر ، بالخال دون الخلق لجرد التقليد والمألوف فهو كذاب» (٥٢) .

وكان منهج الإفغانى في تفسير النصوص الدينية ، يقوم على الاعتماد الكلى على العقل المنسحب على أساسه أنه أدنى بالمصلحة الماصرة من المفسرين القدماء ، يقول عبد القادر المغربي أحد تلامذته أن الإفغانى علمهم أن يفهموا النص الدينى فهما صحيحا يراعون فيه قوانين اللغة وقواعد بلاغتها ويستوثقون من مطابقة النص للكتاب والسنة ثم الجرة على التصريح بما فهمناه فهما حرا مستندا إلى قواعد اللغة العربية ، وقوانين بلاغتها ، ثم الجرة في الدعوة إلى الصحيح المعقول من تلك النصوص والتعاليم ، وأطرح الباطل النخيل عليها ، والجهر بذلك من دون حجب في قول ، أو تقييد من نوى حول » (٥٣) .

وقد ذكر أحد المتحدثين في مجلسه قولاً للقاضى عياض ، تمسك به ، فقال الإفغانى : « سبحان الله ، أن القاضى عياض قال ما قال على قدر ما سمعه عقله ، وتناول فهمه ، وناسب زمانه ،

مصلحة المسلمين » . بالإضافة إلى أن جوهر فكرة الاتبعيات الدينية هذه ، الهجوم على فكرة الزهد في العلم وعدم الفاعلية فيه ، يدعو إلى هذا تحقيق لإرادة الله ، في حين أنه قضاء على النشاط الراسمالي الذي لا يمكن أن يتطابق إلا مع اليقين بفكرة النفع والعمل في الحياة .

لقد كانت البيروقراطية الأوروبية تتحصن بالبروتستانتية كونها «تناسب بشكل أفضل مصالح وأفكار البيروقراطية» ، ذلك أن الكاثوليكية قد قدمت خدمات عظيمة للاقتصاد «بتدخا جميعا المؤمنين» ، وتستند على التماس بالفقير سطحية ، وتطبيقا لتعاليم جان كلفن أبو البروتستانتية ، فإن مصير البشر قد سبق أن تقدر قبل أن يخلق الله العالم بزمن طويل ، ومن ثم فالمرء يستطيع أن يثبت أنه من الذين يختارهم الله فقط بواسطة النجاح الذى يحققه فى مشروعاته المادية . ويدين كلفن بأن الهدف الأساسى للتجار ، والرباية العمل بغنى إن يكون زيادة ثروتهم التى استثمروا عليها من قبل الله ، وبناء على ذلك فاستغلال المال الاجراء كان يعتبر فى رأى كلفن والتعاليم البروتستانتية التى جاءت بعد ذلك قضية هادية » (٤٨) .

وقد أشار الإفغانى إلى أن الهدف الأساسى من أهداف دعوته فقال «إن حركتنا الدينية هي كفاية عن الإهتمام بخلق ما ربح فى عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها مثل حملهم تصورات القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن لا يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من كل ومثل فهمهم بعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمن أو قرب انتهائه فهما يبتعد المهم عن السعى وراء الإصلاح والنجاح فى نظير ذلك مما لا عهد لمسلم الصالح به ، فلابد أن من يبعث القرآن ويتعامل به المصلحة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها الثالث من حيث يأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى» (٤٩) .

من هذا المنطلق كان عدم اقتناع الإفغانى بالتصوف وهو مظهر من مظاهر عدم الفاعلية مع المجتمع وعدم المساهمة فيه ، فكان إذا ذكر التصوف قال : « أنا لا أفهم معنى لقولهم الغناء فى

[٤٨] ٤ - كيرف - موجز تاريخ جماعات ما قبل الرأسمالية - ص ١٢٦ : ١٢٧ .
[٤٩] ١ - حسن حتى - الإفغانى - الفكر الماصر - العدد ٥١ .
[٥٠] ٢ - الخربى - ص ٢٤ .
[٥١] ٣ - محمد عبد الفتى حسن - ميدانته فكرى - ص ٤٤ .
[٥٢] ٤ - الإفغانى - الإيمان الكليلى ص ٩٩ .
[٥٣] ٥ - الخربى - ص ٤٧ .

فى نصوص تعالج موضوعات علمية بحثة وكذلك على هذا الموقف الدفاعى الذى التزمه العلم تشير الى نقاش هام دار حول موضوع من الموضوعات الصالحة للاشتباك بين العلم والدين حولها ، وهو مسألة « دوران الارض » . فقد نشرت « المقتطف » مقالا عن دوران الارض بقلم محررها الدكتور « يعقوب صروف » أشار فيه الى ان العلوم الحديثة أثبتت صحة الفرض القائل بدوران الارض حول الشمس خلافا لراى القدماء الذين كانوا يقولون بثباتها وعدد سبعة براهين على ذلك . وفى مقال بعنوان « العلوم الطبيعية » اشار يعقوب صروف الى خطأ الذين يقررون بمنافع العلوم الطبيعية ولكن يصوبونها مضرة بالدين ، كما ابان ضلال الذين يعتقدون صحة هذه العلوم ونفعها وينكرون الربحى لاجلها . وذكر ان الخطأ والضلال يتضحان بعد ما ظهر من التوفيق والاتفاق العظيم بين الربى والعلوم الطبيعية . والتى على الذين يوقفون بين صحة تلك العلوم وبين صديق الربى . ورغم هذا الموقف التهادنى فإن أحد رجال الدين المسيحي أرسل الى المجلة رسالة يؤكد فيها بالادلة التوراتية ثبوت الارض وعدم دورانها ويقر ان دوران الارض يناقش ما فى الكتب السماوية . وقد أثار هذا حوارا حادا بين القائلين بموافقة القول بدوران الارض لما هو وارد بالكتب السماوية ، والقائلين بمخالفته لها . وهو تحكيم لمسائل غير علمية فى مسائل علمية . او بمعنى آخر وضع محكات مثالية للعلم يقاس عليها العلم .

والغريب ان نصارى العلم والداعين له قد استندجوا اليها . ومن أهم البحوث التى نشرت فى هذا الموضوع بحث للمفكر المصرى عبد الله فكرى وكيل وزارة المعارف آنذاك ووزيرها فى عهد وزارة البارودى - نشر بعنوان « المقارنة بين الوارد فى نصوص الشرع والوارد فى الطبيعة » ، دافع فيه عن العلوم الطبيعية على أساس انها لا تناقض الدين ، واقتبس من أقوال الامام الغزالى ما يفيد أنه من بين أقوال الفلاسفة والعلماء ما لا يصطدم بأصل من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الانبياء والمرسلين منازعة العلماء فيه لان من ينازع فى مثل هذه المسائل من رجال الدين لا يفيد ما يعتقد بل يضره « فإن هذه الأمور تقوم عليها براهن هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبه فمن يطالع عليها ويحقق انلتها اذا قيل له : هذا

اقلا يحق لغيره أن يقول ما هو أقرب للحق وأوجبه وأصوب من قول القاضى عياض وغيره من الإثنية ؟ وإذا كان القاضى عياض وأمثاله سمحوا لأنفسهم أن يخالفوا من تقدمهم ، فاستنبطوا وقالوا ما يتفق وزمانهم ، فلم لا نستنبط ونقول ما يوافق زماننا ؟ - وما معنى أن باب الاجتهاد مسدود ، وبأن نص سد ؟ رأى امام قال لا يصح أن يعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ، وينتهى بهدى القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم المصرية وحاجات الزمان وأحكامه ؟ ان الفحول من الاثنية اجتهدوا وحسنوا ، ولكن لا يصح أن نملك انهم احاطوا بكل أسرار القرآن واجتهداهم فيما حواه القرآن ليس الاطرة من يحر ، (٥٤) .

ان هذا الاعلاء لشان العلم قد أثر فى محمد عبده ، الذى بدأ ينصر رأى السنين والإضاعة - وهم يمثلون حزب المحافظين فى الاسلام - فتحول بعد لقائه بجمال الدين ، الى مناصرة المقتطف والمعتلين وجميع المفكرين الأحرار والمتسامحين فى الفكر الاسلامى (٥٥) .

وقد كان هذا كله تمهيدا عن موقف دفاعى تحسن فيه الدين ، امام تقدم العلوم الطبيعية ومناهج البحث فيها ، ثم للبناء الفلسفى الذى أقيم على نتائج هذه البحوث ، ويبدو هذا الموقف للدفاعى كاتجاه ما يكون فى محاولة الدفاع استعارة العلم لتفسير النصوص الدينية به ، وهى قمة التكريم للعلم . ففسر الآية القرآنية « وإنى مرسله اليهم بهديه » بأنها تمنى اللاسلكى ، وأشار الى ان القرآن قال بكسروية الارض فى الآية « والارض بعد ذلك سمها » ، وبأن الارض جزء من الشمس « كانتا رقعا فتتناهما » . وهذه المحاولة تكشف عن احساس بالنقص والهيبة امام العلم (٥٦)

على ان العلم رغم هذا لم يتخلص من هيئته امام الدين ، ان ظل يشعر بهذه الهيبة ، ويلتزم موقف الدفاع - هو الآخر - ربما لتداعية عهده أو لطبيعة الفكر الدينى وسيطرته على العقول - وسنلاحظ هذا الموقف الدفاعى فى الكثير من المحاولات العقلانية ، ولدى العديد من المفكرين ، وهناك سمة عامة لأغلب وثائق العصر الفكرية ، تلك هى نثر العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الفقهاء

للمجتمع وليس بمقياس الولاية والشرف القديم .
ونلاحظ أن هذا قد أثر في النظرة التقليدية لقسمه
الفرد عند بعض الذين يؤمنون بتقيضها وإن بقيت
هناك بعض الظلال القديمة عديم . أن الشيخ
محمد عبده ينتقد مخالفة العرب في الاعتزاز بشرف
الإنساب على أساس أنهم كانوا لا يعدون من خلال
الخبر شيئا يساوي شرف النسب وهيئات أن يرتفع
نوب أبيه إلى رتبة الشريف جنسبه وأن كان خاملا
بنفسه غير ذي شيء في عمله ، والوجه المنتقد في
ذلك عند الأستاذ الامام انه يفسد للحق واستهانة
بالجهد الذاتي والشرف العصامي ، والكل في نيل
الحقما العالية بين الناس على ما فعل السابقون لا
ما يكتسبه المرء بجهده واجتهاده . على أنه رغم
هذا الانتقاد يعترف بغابضة البخر بالارومة والانساب
ويفسره تفسيراً جديداً « كان في الافتخار بالآباء
والاجداد ومعها ما أوتوا من جلل الاعمال وما كانوا
عليه من كريم الخصال حريشاً لاختلافهم على الاقتداء
بهم وحفظ ماورثوه من علورفعه . ولكن الكسل
الملازم لطبيعة الإنسان كان يظلب جانب الكمال
على جانب الاسوة فجاء الدين الإسلامي ينكسر
إبراط في القلوب في اعتبار الانساب » (٥٧) .

وكان من الطبيعي مع انتشار العقلانية أن يعاد
النظر في تقدم الوطن على أساس المنفعة ، وإن
يستخدم الداعون إلى نهضة الوطن من مطالب
البروجوازية الصاعدة والراقية في المنفعة
شعارات يطالبون بها . فيغضب الشباب مصطفى
افندي ماهر (باشا وزير المعارف فيما بعد)
في احتفال عقد في فبراير ١٨٨٢ يدعو إلى أن
تقوم النهضة على أساس العلوم والفنون ، ويحث
الإغنياء على إنشاء بنك أهلي » (٥٨) . ويطالب عبد
الله الزعيم في الحاح مستمر إلى تشجيع التجارة
الوطنية ومقاطعة المصنوعات الأجنبية وإلى
تشجيع التجارة الوطنية ويضرب المثل بالهند التي
نزحت بريطانيا ثرواتها الطبيعية لتصنعها وتمتدحها
اليها سلعا مصنعة ، فصيرت أهالي الهند كالة في
يدها لفتدها الصنعة بينهم واحتياجهم لها
يستترون به . وقد رجحت انجلترا الكسب
مضاعفا من المحصول عند شرائه بثمن يس
مرة . ومن المصنوع عند بيعه مرة أخرى بأعلى
الاسعار . أما الأفغاني فقد كانت دعوته إلى
التصنيع أكثر تكاملا . فقد على تحويل العلم
إلى قوة لتطوير المجتمع البدائي إلى مجتمع
مدني ، وتحويل العلم إلى صناعة أي إلى علم
تطبيقي . وأهم الصناعات صناعة الحديد

على خلاف الشرع ، لم يسترب في العلم وإنما
استرب في الشرع ، ورغم هذه المقسة الهجومية
فقد استمر عبد الله فكري يؤكد فكرته مستندا على
أن العلم لا يختلف مع الدين ، مؤكدا أن الاختلاف
إذا كان صريحا فالحق بالطبع في جانب الدين .
وتتمثل في كتب الطهطاوي وجيلهم مواقف دفاعية تؤكد
أن العلم كان عاجزا من الهجوم الساحق على
الفكر المحافظ ، وأنه كان عليه أن يتحسس مواقفه
بهدهو شديد .

على أن الاتجاه العقلي قد نجح في إرساء أسس
لا يأس بها ، فإرسى فكرة المنفعة ، ولم يعد يسعى
الإنسان للثروة شيء غير لائق . وأصبح الاهتمام
بالعلم وثقل الحياة صلا جليلا وليس وقت فراغ
لدى بعض هواة الأزعاج . وهو ما نشاهد في
الهجوم الحاد على قيم المجتمع الإقطاعي وعلى
الأسس التي يقيم عليها القيمة الفردية للإنسان .
وهو ما نلحظه في أرجال متعددة للنديم مخر فيها
من كراهية الفكر الإقطاعي لأعمال السقل « أرسا
تقوت دى الأربا هباب ، وتملى ماسك لك في كتاب
مؤكر امنيتهم للعمل اليدوى واحتقارهم للابتكار » وإن
كنت صانع متفغن ، قالوا اخينا دا اجنن ، وحتى
كراميتك للفن والأدب وامتياهم بالماله الحسية
المباشرة ، وإن كنت شاعر أو منشى . قالوا يا شيخ
فضك وامنى . دا احنا كلامنا في المشى ولا طيبخ
البدنجان . أما أن كنت نحوى أو صرافى والمعلم
فى ذمتك محروى قالوا اتانا بيوز علوى يقول لناصرو
وزيدان . أن هذه كلها مظاهر للجهالة يكرهها القديم
« شوف للجهالة يا سيدنا اللى جليناها يا بينديا حتى
صبح يوم هيدنا نسمع بلادنا تشندنا . » ثم يرم
حالى غلبان .

واتجهت قيمة الفرد للتصدد على أساس عمله
الفردى وقيمته الذاتية ، وليس على أصوله وأرومه ،
فأربنا عددا من الرجال الذين نشأوا من أصول
متواضعة يصعدون السلم الاجتماعى حتى قمته
بعلمهم واجتهادهم ، ومن هنا ظهر العصامي كنسب
اجتماعى ليحل محل « الشريف » تدريجيا . أن
رجالا عظاما مثل الطهطاوى وعلى مبارك وعبد الله
فكري ومحمود الطنكي ومحمود فهمى وطاية عصمت
الخ . قد نالوا لقب الباشا وتبوأوا كبر
المناصب بعلمهم وعملهم وليس لانهم نرى أصول
هريقة ، وهو ما أحدث مزة في نظرة المجتمع إلى
قيمة الفرد ، فاصبح يقيسها بمقاييس « نفع الفرد

بالاشتراكية الخيالية ، وظل الباتى منها بلا تصنيف عموماً . وإذا كانت الاشتراكية العلمية هي فكر الطبقة العاملة الصناعية بالأساس فإن المصطلح دون تحديد صفة يشير إلى مطامح الفئران والموزين والعاطلين عليهم عموماً . ومن هنا فمن الطبيعي أن تظهر هذه الفكرية في مرحلة الثورة العربية .

وعلى الرغم من أن بعض الذين أروها لفكر المرحلة استخدموا المصطلح بالصيغة السابقة - على تفاوت في فهم الدلول الصحيح له (٦٠) - فإننا نفضل أن نستخدم المصطلح الذي يولت الفرصة أن الفهم المخلوط من ناحية ويكون أكثر دلالة على طبيعة هذا التيار الفكري لهذا التيار تيار « راديكالي » بالأساس تعني به أنه انعطاف إلى اليسار الليبرالي ، أو إلى اليمين الاشتراكي ، وهو في كلا الحالين جزء من التراث الفكري للبورجوازية ، ولا ينتمي إلى الطبقة العاملة .

وأما عن مصادر هذا التيار ، فإنها في الأساس مصادر خارجية ، ويرجع إلى « لبنان سيموني » الفضل في أحداث تأثيرات في هذا الاتجاه . فمن المعروف أن لبنان سيموني قد اشرفوا على تعليم صعد من طلاب البعثات المصريين وأثروا فيهم تأثيراً اتخذ عند البعض صورة العلاقة بين الأستاذ والتلميذ ، كتب أوجست كوت (١٧٩٨ - ١٨٥٧) مؤسس علم الاجتماع ومصاحب الفلسفة الوضعية - وكان مكرتيراً لبنان سيمون ، ومن أبرز التلاميذ به - إلى صديقه الفيلسوف البريطاني جون ستوارت ميل بتاريخ ٢ فبراير ١٨٤٣ يقدم إليه الطالب المصري « محمد مظهر » بوصفه بأنه « تلميذ قديم من تلاميذ » وأعتبره « أجب الشبان المصريين وأذكاهم حافظة » وأنه « ظل مع شبان آخرين تحت توجيهي لأعلمهم الحساب من أول مراحل البسيطة إلى الافتراضات الرائعة لهذه المرحلة الوضعية » وهو بهذا يقر أن مظهر وزميله لم يكونا مجرد دارسين للمعلم الهندسي فقط ، ولكن نرسبنا كذلك الأصول الأولى للفلسفة الوضعية كما صاغها كوت ، الذي لم يكن بتقديهم مظهر إلى جون ستوارت ، بل طلب منه أن يشره « بجواركم الفلسفي الرفيع ، وإنى لوكد لكم أنه جدير تماماً بهذا الجوار على طريقته ووجهة نظره الخاصة ، وأتسر كوت أيضاً أن

والإسحة أي الصناعات الثقيلة . وقد أدرك الإنجليز أهمية التصنيع خاصة في المجتمعات الإسلامية التي يغلب عليها الطابع الرعوي أو الزراعي أو التجاري وما يخلق ذلك من عقليات . وتقوم الصناعة عنده على الاختصاص وتنظيم العمل . ويضع الإنجليز الأولويات في التصنيع من الأكثر نفعا لأكثر عدد من الناس للآلات نفعا للعدد القليل . فالصناعات الثقيلة لها الأولوية على صناعة الغرير ، وصناعة الإحذية في بلاد جاف له الأولوية على صناعة التجليل . (٥٩) .

إن هذه المعطيات العقلانية هي أخطر ما يثر في المناخ الفكري المصري إذ ذلك ، ذلك لأنها كانت شهاد الأرض للبورجوازية التي تخطو بقاها نحو بناء مصر الصناعية ، مصر المعلوم الحديثة . كما أن تسويدها كان يعني تحرير الفكر من قيود التخلف والرجعية ، وانطلاقاً لبناء مستقبل الإنسان .

الراديكالية والرومانتيكية الثورية

مع الترام الفكر الليبرالي لوقف الدواعي عموماً ، قد يبدو غريباً أن تظهر بشائر فكر اشتراكي ، ووجه الغريبة هنا أن الليبرالية وهي فكر البورجوازية في مرحلة مسودها ونموها ، لم تستطع أن تمكن نفسها لأسباب معقدة ، فكيف يستطيع فكر أكثر ثورية منها يمر عن طبقات الشعب في أن عناصرها الأكثر وعياً - وهي الطبقة العاملة الصناعية - أم تكن قد ولدت بعد ، كيف يستطيع مثل هذا الفكر أن يجد من الظروف ما يسمح له بالظهور ؟ ولكن الظاهرة إلهاماً لا نستطيع أن نتفكر لها ، ومن المفيد أن نحاول تفسيرها بدلاً من تجاهلها الذي لن يفيد .

ويبدو أن الخطأ الرئيسي في تناولنا للموضوع ككل يكمن في استخدام مصطلح « الاشتراكية » لوصف مجموعة الأفكار الداعية إلى الإصلاح والعمل الاجتماعي في تلك المرحلة . وقد يكون استخدامنا المصطلح صحيحاً ولكن دلالاته العقلية العامة تتصرف لدى الكثيرين ممن يتلقونه إلى « الاشتراكية العلمية » باعتبارها التيار الفكري السائد في عصرنا . في حين أن مصطلح الاشتراكية بشكل عام ينصرف إلى أشكال متعددة من أفكار المعدل الاجتماعي ، ميز بعض منها

[٥٩] د. حسن حنفي - المرجع السابق - وهذا أقوال يفضن إيدامافيقاً في تفسير فكر الإنجليز [٦٠] راجع على سبيل المثال هذا القول لدى الدكتور الصديدي في كتابه عبد الله القديم والأستاذ محمد عمارة في الإنفاني - ملف الظلمة - أبريل ١٩٦٦

افكارهم - وخاصة ان محب على كان قريبا من سان سيون الذى لم يكن يؤمن بالافكار التي تمجد حقوق الفرد او حريةه ، وانما كان يقس النظام باعتباره الشرط الضروري للتنظيم الاجتماعى العلمى .

بيد ان ما يهينا من افكارهم فى مجتعا هذا ، هو فكرة دعم رفاهية الطبقة الأكثر عددا والأكبر فقرا وتوزيع الناتج بحيث ينال كل حسب قدرته . كما تمير عنها خدماته الاجابية لقضية الرفاهية الاجتماعية ، والمطالبة بمجتمع مخطط جماعيا . هذه الافكار التي تنتمي لقولة العدل الاجتماعى هل انتشرت فى التربة المصرية ؟ وما بسدى انتشارها ؟ هذا ما لا نجد وثائق تثبته ، على انه من المؤكد ان العقل المصرى عرف هذه الافكار وتحاور معها ، وادينادليل على ذلكى حوار مظهر افندى مع اوجست كوت - ففى افكار اوان لم تكن غريبة على الاذن المصرية . (٦١) .

ولا شك ان اصدا من هذه الافكار قد صلت الى الطوطاوى وهو فى باريس ، حيث كان واعظا واماما للبعثة الاولى التي كان مظهر افندى من اعضائها . ولعله قد اطلع على اصول أخرى لفكر الاشتراكي وهو ما جعله - بتعبير الدكتور لويس غوش - يتجه الى الراييكالية فى فكره الاجتماعى والاقتصادى بالذات . ويتبل هذا الاتجاه فى اقرار الطوطاوى بان مصدر القيمة الاساسى هو العمل وليس رأس المال، فمعدنه ان العمل ليس عنصرا ثنائيا ، ولكن رأس المال هو التابع ، حتى الأرض وصفاتها الطبيعية ليست مسندا لاساسيا للقيمة « لو زرعنا أرضا خصبة وميزنا ما يمكن ان ينسب من إيرادها للعمل وما ينسب للخصوبة ، وفرزنا كل على حدة وجدنا محصول العمل أقوى من محصول الخصوبة » وعند تطبيق افكاره تلك على الواقع المصرى حل الطوطاوى توزيع فائض قيمة العمل ، ورأى ان « المجتعى لقواته هذه الاصلاحات الناتجة فى الغالب عن العمل واستعمال القوى الالية والمحتكر لمصولاتها الارابية انما هو طائفة الملاك فهم من دون اهل الحصة الزراعية يتعنون باعظم مزية » . اما باتماو قسوة العمل من الفلاحين والعمل الزراعيين ملاينسون حقهم ، فالملاك « لا يدفعون نظير العمل الجسيم الا المقدار اليسير الذى لا يكافئ العمل كما ان ما يصل الى العمال نظير عملهم فى المزارع او الى اصحاب الآلات فى نظير اصطناعهم لها هو شيء

مظهر « رجل ممتسان حقا » ، فقد جعلنى اشعر بالرضاء العذب لانه تثبت لى ان جهودى الدائبة لرنع روح هؤلاء الشباب كانت بالفعل جهودا مثمرة .

وبالطبع فان مظهر وزميلاه قد عادا الى مصر واشتغلا بالاعمال العامة - فكيف اثروا على الواقع الفكرى المصرى ؟ ذلك ما لا نجد له وثائق تفسره - ولكن السان سيونيين رغم هذا لم يكتلوا بالتأثير فحين التقوا بهم من المصريين فى فرنسا ، بل اتجهوا الى الهجرة أيضا اليها على يد زعيمهم « بروسبير لانفانتان » الذى دعا الى الذهاب الى مصر فى « حملة فكرية » تصحيحا للحيلة البواربية العسكرية ، وتسويدا للعلاء والادباء والفنانين والمفكرين بدلا من المعسكرين وتلك احدى مقولات السان سيونيين . وقد استطاع اللانفانتان ان يجمع فى اول رحلة ٥٥ مهندسا وطيبيا وفنانا وعاملا وصحفيا وامراة ، واتجه بهم الى مصر التي كانت يكتلهم المنفصل باعتبارها بلقى القارات والواقع الذى منه يمكن تحقيق ما نادى به سان سيون من توحيد العالم فكريا بديانة جديدة هى مذهبه ، وبوميلية مادية هى القلوات البحرية والواصلات الحديثة . وفى مصر كان السان سيونيين وراء العديد من الانشاءات الهندسية فانشاوا القناطر الخيرية ومدرسة الرسم فى الجزيرة والزراعة النووجية فى شبرا ، وسكنوا فى شارع الموسكى حيث كانوا فى اوقات فراغهم يديرين حوارا حول القضايا الفكرية والسياسية والفنية .

وليس بعيدا ان يكون نظام محب على متأثرا بفكرهم فى بعض نواحيه ، فقد ظهر السان سيونيين بعد وفاة زعيمهم وكانهم دعاء نظام تكنوقراطى شامل ، اذ اذندروا تماما بالديمقراطية البرلمانية وبعملية الانتخاب ، وكانوا يرون ان الزعيم الكفء حقيقة هو الرجل الذى يفهم عملية الانتاج ولديه القدرة على ادارتها : لا ينتظر حتى ينتخبه جبهة من الجهلاء ، انه يفخر نفسه بواسطة ظهور حقيقة قدرته المتكوفة ، فضلا عن انهم كانوا يشعرون برؤية عميقة فى حكم الفوفاء باعتبار انه يطوى على سيطرة الجهل على المعرفة .

مهل اثروا على محب على الذى بقى سلطته على هاتى تكنوقراطية ؟ انهم قد وجدوا فى نظام محب على صورة يمكن تطويرها لتطابق

سكاري وكلهم حيارى لا يمدون الهدى ولا يركبون الردى اعبيهم اذا رأى الخمر هام فلا يرد الا بالهيام واصلحهم نواصي المسبل واقتسمهم اشعبى الامل ، لا يركبون ولا يصنعون ويحللون ولا يصنعون ولا يرون عيبا فى محض فهم اغلط طيعا من وحش . اذا حثوك كذبوا وان انتبهتم خافوا وسرقوا ، وان مسبهتم خسبوا وبقوا » (٦٤) . وفى هذا الجو الذى هاشه النديم بقرا « سرير نوى الحديدى الخشن وسرتى الوحيدة القديمة » (٦٥) نمت الظلوات التى جعلته فى النهاية يعقوبيا مطرغا ، عندما تكون وعيه السياسى والاجتماعى .

ان مخالطة الفقراء — شرباء وغير شرباء — هى التى اشدت النديم ملابح فكره الرانيكالى ، فلم يجد طريقا لتبنيه الاغنياء الا بمصيبة من الفقراء » (٦٦) ودافع بالفعل عنهم واتجه اليهم خطيبا ، فى جولته بمدن القطر وقراء بين اول فبراير سنة ١٨٨١ و ٩ سبتمبر من نفس العام وحدث الفلاحين « عن حياة البذخ التى يهايمها الاغنياء والحكام يفلتون فى ثياب العز ويتمتعون باسباب الجنة وينعمون بالمرافق والمنايات والمغنيات وينفقون الاموال ذات اليمن والشمال وما فى فى الحقيقة الاموال للفلاحين النؤساء . فهم اساس النعمة واسبابها يجمعونها بعرقهم ودمائهم من فلاة الارض وتربية المشايبة ليأخذها الاغنياء ويعطونها . على ملأهم ومتمهم » .

بل انه يتجه مباشرة الى الاغنياء مضطبا ايدهم « تماثل ماثلن الى سلم وبعثك ومعدن حياك ونبع لروك » ، عليك — اسفخر الله — خادك الفلاح — انتظر الى توبه الجبل ولبيته التى لا تستر الا بالقوچه وزفيقه الذى لا تكسره توتك ومشه الذى تماثلن الظن الىه واربجه وهو يسلى الزرع والطين الى فخذيه والشمس تشرب وجهه وجسمه ، قطع يومه من مذهب وهمل وهو صاحب الفضل عليك « واكث لا تظنر الا بعين المتت ولا تملحه الا بيد الاحنة ولسان السب » (٦٧) .

ومن اهم المعطيات الرانيكالية التى تسدما النديم تنبيه الى خطورة مجلس القواب كمؤسسة وحرصه على الا يجرى مغفلا لمصلحة الطبقات الشعبية ومطالبته بان يشكل المجلس من خلف طبقي حقيقى . وهو بهذا اول من تنبه الى خطر

قابل بالنسبة للمقدار الجسيم المعاند للملك » . ثم حلل الطهطاوى منزوى تحول قوة العمل الى سلطة تخضع لقانون العرض والطلب فراى ان من يريد من الاحالى ان يتبعى من الخدمة « والتى هى العمل يصير مضطرا لان يخدم بالمقدار الذى يتيسر له اخذه من الملك بحسب وضائهم ولو كان هذا المقدار يسيرا جدا لا يساوى العمل ، لاسيما اذا وجد بالجهة كثير من الشغاليين فاتهم يتناقصون فى الاجر ويتنافسون فى ذلك لمصلحة صاحب الارض » . وينطبق هذا التحليل ايضا على الملبين فى مجالات الصناعة الفشيلة اذ ذاك « كما ان ارباب الاسك يحثرون جميع الصنائع لان الصنائع كلها تسمى وتنشئ فى الاشغال والمعليات التى تستدعيها حاجة الزراعة كالحدادة والتجارة وجميع صنائع اهل الحرف المتعلقة بامور الفلاحة » (٦٢) .

والطهطاوى بهذا قد دما — بتخصيص الدكتور لويس موزى — الى رفض الاساس الاقتصادى الكلاسيكى الذى يقوم عليه توزيع حاصل الزراعة فى النظام الاقطاعى ، وفى النظام للرسمالى الليبرالى وهو اعتبار ان الملكية او راس المال اساس الثروة فى الانتاج . ومطالب باعتماد العمل اساسا للثروة وتوزيع غلة الارض بناء على ذلك فهو « باختصار ينقض الزكائن الاساسية التى يقوم عليها الاقتصاد الراسمالى الليبرالى ويطلب بتدخل الدولة لحماية العمال من الملك او اصحاب رؤوس الاموال » (٦٣) . ثم يذهب فى النهاية الى التحذير من ثورة فلاحية .

وبالطبع فان زمن هذه الثورة كان بعيدا جدا ولكن الرانيكاليون المصريون كانوا يطمحون فيه . ولم تكن افكارهم كلها وليدة نوايسة وفهم منظمين ، او تامل فكرى ، بل انها عند بعضهم حالة من التردد الرومانتيكى ساهم فى توليدها ما مشوه من ظروف ذاتية غريبة . وفى مقبلة هؤلاء عبد الله النديم الذى عاش حياة عريضة اختلط خلالها بسواكف المجتمع وطبقاته الدنيا ، فاختلط بالفلاحين والشغل معهم بالزراعة فراى يؤسهم ورأى العناصر التى يطعننها القلق النفسى المدمر من مجتمع استغلاله يمحض الصنافية الانسان ، فى ترجمته يقول « عتدى من الاوباشى كل سكير بفساش ، حزب يلعب الدبنة وقرق يقرأ كيلة ودمنة لا وقوم يلعبون الردى وشفس يتزح كالقرود » . وخالف تماما « اغلبهم

[٦٢] الطهطاوى — ملابح الخراب — ص ٩٢ و ٩٤ — ولجج لويس موزى سلخيف الفكر الميرى
[٦٣] د. لويس موزى — ه — ص ١٨٤
[٦٤] الحديدى — المرجع السابق ص ٢٢
[٦٥] نفس المصدر ص ٢٢
[٦٦] عبد الله النديم — تريخ مصرى هذا العصر — ص ٥٢
[٦٧] التكتيك والتكتيك — ١٨٨١/٨/١٥

●● انه يعارض فى سيطرة طبقة الأغنياء على المجلس « بل تشكيلة من جميع الطبقات نبهاء ومتقنين واثراك واغنياء وعلباء وعمال واعيان » .

●● ان المجلس لابد ان يكون « مطلق الحرية فى افكاره لا يعارض فى المصلحة ولا يلزم بشئ لم يقر عليه » .

●● وهو يؤكد ان للفلاحين مصلحة مفضية لن يعبر عنها الاثرياء ، وان اصواتهم يجب ان تسبع من خلال «النبهاء والانكباء من اهل البلاد» ، او بمصطلح حديث من خلال طليعة شعبية واعية .

●● انه يفرق بين نوعين من الاغنياء الذين جمعوا ثروتهم بالنهب والسلب والظلم ، والذين جمعوها بالعمل والجهد والكفاح .

●● انه يرى ان الديمقراطية ممارسة وان الشعب لابد ان يدرب عليها « انشاء فى اوله لا يجرى على صورته الصنة فى سائر الجهات بل لابد من النقض والابرار والخطا والنصوب والتغيير والتبديل حتى تتقدم الافكار وتحسن الاعمال » ذلك ان اهل البلاد وان جهلوا « احسن فى اخلاقتهم ومبادئهم وحكم بلادهم من كثير من المتدبثين » (١٨)

ان عبد الله النديم يرسى هنا اوائل الانكار حول شكل جديد للديمقراطية ، هى الديمقراطية الراديكالية ، ويبدو نكاهه السياسى فى اقتراحه بضرورة بقاء الطبقات غير الشعبية فى المجلس طالما انها تسمى ثروتها بطرق مشروعة جنبا الى جنب مع الطبقات الشعبية . ومن هنا جاء دفاعه عن اقرار حق الانتخاب للصبغ وليس للبعاملين فقط .

بل ان فكرة التركيز حول الطابع الطبقي للديمقراطية تتسلل ايضا الى الشيخ محمد عبده الذى لا يمكن وصفه بمجمل نظريته العامة بالراديكالية بل كان اخفت الاصوات ثورية واكثرها اقترابا من اصلاح التدرجى ، فقال « المجهود فى سير الامم وسبب الانتعاج القيام على الحكومات الاستبدادية بتغيير سلطتها والزأها الشورى والمساواة بين الزمية انها يكون من الطبقة الوسطى واللتنا اذ نشأ بينهم التعليم الصحيح والزرية النافعة وصار لهم رأى عام ، وانه لم يبعد فى امم من امن الارض ان

التسليم الكامل بمعطيات الديمقراطية الليبرالية التى يمكن ان تتحول الى ديكتاتورية مقنعة . ففى تحليله لهذه المسألة، انطلق من اساس طبقي الى حد كبير ، فرأى « ان الوطن فيه النكبي وفيه الغنى - والفنى والفقر ، والامير والحقير غان كان حق الانتخاب قاصرا على الاغنياء دون الانكباء كان مجلس النواب وبلا على الشعب والوطن » . وهو يقسم هؤلاء الاغنياء الى تسعين ، مصريين واثراك ، فلما ابنا كبار الملاك المصريين فهم عنده « مولىسون بالاستبداد والاستبعاد ، يميلون الى استخدام الفقراء بلا تطيل وضرب الضعفاء من غير ان يعارضوا او يحاكبوا وهذا يمينه هو الاستبداد المضر بالشعب . على ان اباه ان كان من حكام البلاد فانه ادرك الثروة بنهب الفلاحين وظلمهم فان اغلب الحكام مصلطون على المحكومين تسليط الهواء على النار يخربون ويحبسون وينهبون ومن كانت هذه افعال ابية كان بعيدا عن الحق اجنبيا من الاتصاف لا يميل الى المساواة ولا يعترف للفقير بحق معه فى الوجود . فوجود مظه فى مجلس النواب على زيادة هلاك الشعب فيشرعون من القوانين ما يضمن لهم مصالحهم ليعضوا بذلك حدة افهام الفقراء ويحبسون الثروة لانفسهم» اما مناصر الديمقراطية التركية المملوكية « فلما تحكم عليهم الا بعد معرفة اسباب ثروتهم فان كانت بجدهم واجتهادهم كانوا احرم الناس على الهيئة الاجتماعية وان كانت بطريق الظلم والنهب والرشوة كانوا اشد ضررا لحبهم الظلم الذى يصيرهم فى هذه الثروة بعد ان كانوا لا يملكون قوت يومهم ، ومن هذا القسم من لم ير الريف ولا يعرفه كيف يكون ثانيا عنه » . اما الخبراء واهل الدراية فهم مطلوبون « ولكن حبهم لذاتهم يعطل كثيرا من المنفعة ويوجب الكثير من الضرر فان وجدوا فى مجلس النواب ، ولم يكن معهم احد من النبهاء الانكباء من اهل البلاد كان نواب هذا المجلس عبارة عن لمبة يديرونها كيف شاموا » .

ويطور النديم فى هذا المعرض افصح الافكار الديمقراطية فهو يرى :

●● ان المجلس تشكيل طبقي ، وان الديمقراطية بهذا المفهوم ديمقراطية طبقة ، وان سيطرة الملاك على المجلس سيحلهم يصعدون تشريعات تخدم مصالحهم وتضر بمصالح بقية الطبقات .

الفرنساويين الذين أحرقوا مدينة باريس في سنة ١٨٧١ وطردوا منها غان هؤلاء الاشتباة بعد أن ضاقت بهم الأرض لم يروا وسيلة لإجراء ما يريهم الألبانية إلا الحكومة العربية .

ونذكر الجوانب في عدد ٣ أكتوبر ١٨٨٢ نقلًا من صف الاسكندرية أنه قضى على جون نينيه من أهل سويسرا وغيره من الأورباويين الاشتراكيين الذين فروا من فرنسا واشتغلوا بأضلال عرابي في الحركات العسكرية والأفكار السياسية .

وناقشت جريدة « الوطن » وهي جريدة مصرية يصدرها ميخائيل عبد السيد - في عدد ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٨٢ نبأ القبطى على بعض الأوربيين وترطليم . وقالت أن المدافعين عنهم يقصون أن يجعلوا مصر مركزا للتلهيست ، وأن مصر ترى ما فعلته حكومة فرنسا بالكومون بعد أن فهرتهم واكتد أن الذين نفيها هما اللذان من المفسدين الأجانب لما رأت الحكومة أنها متلبسين بمبادئ الاشتراكيين وعند أهلها أن الحرية هي التمشق ببعض أوهام فاسدة أو السعي لغايات سياسية شخصية .

وبالطبع لانه من الممكن (ههنا) هذه الاتوال على أساس أنها استهدفت تشويه سمعة الثوار بما كان متواترا إذ ذاك من إكاذيب عن الحركة الاشتراكية وخاصة عن ثورة كومون باريس . وخاصة أن مسار الثورة نفسه لم يكن ينهى باحتمال وجود تيار اشتراكي على في داخلها ، رغم وجود عناصر يعقوبية ومتطرفة - ولكن دلالتها هنا هي وجود مناخ فكرى ثورى يدره بشكل جنينى بعض ملاح الفكر الثورى العالمى أن هذا المناخ قد ساهم في بلورة فكر مسيحي واجتماعي أن ليكن شديد النقاء فهو يتضمن أكثر عناصر للفكر القومي ثورية بقياس ذلك العصر .

وعلى المستوى الفكرى ، فإن هذه هي النقطة الخلائية الأساسية حول طبيعة التيار الراديكالي قبيتها يذهب بعض الباحثين ومنهم الأستاذ ووجيه جبارودى ، والكشور رفعت المسيد ، الى أن هذا التيار هو تيار اشتراكي ، يتخطى الآخرين ، ويرون أن هذا توسع في تطبيق « مصطلح الاشتراكية العلمية » يخرج به من جوهرة الحقيقة . ويرى الأستاذ جبارودى أن الطهاوى هو « المجد الحقيقي للاشتراكية القائمة على

الخواص والإغنياء ورجال الحكومة - يطلبون مساواة أنفسهم بسائر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالحياة والوظائف بمشاركة الطبقات الدنيا لهم في ذلك » (٦٦) ومحمد حيد يرى أن الديمقراطية مطحا من مطالب الطبقة الوسطى وحلفائها ، فيضفى على الفكرة الديمقراطية طابعها الحقيقي ، فلا تفسر الدعوة إليها على أسس أخلاقية أو صوفية .

وفوق هذا كله غان الفكر الأنقلابى لم يكن غربيا على الثوار . فتجاوز فكرهم المطالبة بالملكية المقيدة الى التمهيد لإعلان الجمهورية . يقول عرابي في تاريخه الذى كتبه ليبلت أنه لو قدر للنوى الثورية أن تخلع أسماويل بنفسها - وليس من طريق التدخل الأوربي - « كنا نخلصنا من مائلة محمد على بأجمعها وكنا أعلنها جمهورية » (٧٠) وفى رسالة معاصرة لحوانث الثورة كتبها لويس مابونجي ليبلت ذكر أنه سمع البارودي يتكلم عن فوائد الجمهورية لفسلاد مثل مصر ثم قال « كنا نرى منذ بداية حركتنا الى قلب مصر جمهورية مثل سويسرا » وعندئذ كانت تضم لنا سوريا وليها الحجاز وكفنا وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لأنهم كسألوا متأخرين عن زعيمهم ومع ذلك سنجهد في جعل مصر جمهورية قبل أن نوت » (٧١) وفى رسالة أخرى قال مابونجي أن الثوار ينتظرون الوقت الملائم لإعلان الجمهورية المستقلة « وقد كان هذا أساس عقيدتهم منذ البداية ولكنهم تصبروا في العواقب فرأوا أن يسيروا سيرا ونيدا في هذا الموضوع . وعيد الله التميم بوجه جهوده نحو هذه الغاية ببنر بثورها في إذهان الجيل الجديد » (٧٢)

وأخطر الحقائق التى تكشفنا قها حول التيار الراديكالي في صفوف الفكر الثورى ، أنه كان هناك تيارا يبدو عناصر من الاشتراكيين الأوربيين ساهبت في العمل الثورى ، ولكن حجم هذه العناصر ودورها بالضغط ما يزال يحتاج الى مجهود آخر ، نأمل أن نتوصل اليه أو يتوصل اليه غيرنا من الباحثين .

تالت « الجوانب » - وهي صحيفة عربية كان يصدرها بالعربية في الاستانة المنكر السوري احمد فارس الشدياق - في عدد ١٦ سبتمبر ١٨٨٢ - بعد هزيمة الثورة ، بتهم عرابي بأنه « نجس صفوف عساكره بالاشتراكيين

[٦٦] تاريخ الاستاذ العام - الشيخ محمد رضا - - د ٣ ص ٤٨

[٧٠] بلت - المصدر السابق - ص ١٢٤

[٧١] نفس المصدر ص ٤٥٢

[٧٢] نفس المصدر ص ٤٥٢

انه لم يكن اشتراكيا لا في فكره او سلوكه فهو من اصحاب الانقطاعيات ، وانه كان لابد من تقييده فهو اميل الى ان يكون ليبراليا وليس اشتراكيا ، كما يذهب جارودي (٧٤)

وبالطبع فان مناقشة هذه القضية يحتاج الى توسيع يخرج بنا من حدود هذه الملاح للخریطة الفكرية للنورة المراهية ، بيد اننا نلاحظ ان الاستاذ جارودي قد اعتمد على استنتاج خاطئ وهو تلذذ النديم على الطهطاوى ، ليربط بين اتجاهيهما الفكرى ، وقد اشرنا الى عناصر الاختلاف فى هذه المسألة، كذلك فان اعتبار ان الطهطاوى قد دعم دولة محمد على استنادا الى افكار مونتسكيو غير صحيح ، فذولة محمد على ، وسلطانها ، تختلف عما نادى به مونتسكيو واصبح ان من يفتتن بفكر مونتسكيو لا يلجأ الى تأييد سلطة محمد على .

ونحن نوافق الاستاذ ابو سيف يوسف على ان الطهطاوى وغيره من ماسروه او تلوه « كانوا اشتراكيين طوباويين » ، وانهم يمثلون « طلائع الجناح الراديكالى داخل صفوف الحركة الوطنية فى مجموعها ، وهو الجناح الذى سينمو ويجذب اليه باستمرار طلائع البرجوازية الصغيرة ومتفניה — بشكل عام — والذى سيحول الى الحركة الاجتماعية مفهوماته الخاصة عن الاشتراكية غير البروليتارية » (٧٥) ، ونضيف الى هذا تنكيذا بان هذا التيار فى مجموعه هو جزء من التراث الفكرى الليبرجوازية .

اساس خلقى دينى « وانه » انتقل من الوطنية الى الاشتراكية « كما يراه ، « وجد المبادئ الاساسية للماركسية عندما درس المشكلة الاقتصادية للقيمة » ، ويضرب الامثلة على ذلك من كتب مناهج الالباب معتمدا على نفس المقتطفات التى اعتمدنا عليها من الكتاب ، ويرى ان « نظريات الطهطاوى فى مناهج الالباب لعبت دورا كبيرا فى احوال الفكر الاشتراكى فى الحركة القومية استنادا الى تعاليم القرآن ، كما انه » عندما تم التلاحم بين الجماهير الشعبية والمثقفين الثوريين من عام ١٨٧٩ الى ١٨٩٢ قام النديم وهو احد تلاميذ الطهطاوى بدور حاسم فى تحقيق هذا التلاحم » (٧٦)

ويرى الاستاذ « محمود اسماعيل عيسى الرازق » ان منهج جارودي للتوفيق بين الاسلام والاشتراكية الماركسية ينطوى على تصف يرفضه العلم ، وترفضه الماركسية ولا يقبله الاسلام « وان هذا ينطبق على تقييده للطهطاوى الذى يراه الاستاذ محمود ليس « اشتراكيا فى قليل او كثير » وانه مجرد « عارض لما وقف عليه فى اوربا — وخاصة فرنسا من تيارات فكرية منتقدة امجب بها جميعا على اختلافها وتناقضاتها فهو يبدو ليبراليا احيانا حين يعرض للفكر الليبرالى ، وراдикаليا احيانا اخرى حين يعرض للفكر الراديكالى ، ويبدى اعجابه بالاشتراكية ويشيد بها حين يطالع الفكر الاشتراكى فهو يرى ان الطهطاوى قد دعم مطلة الدولة فى مسير استنادا الى فكر مونتسكيو ، كما

[٧٢] جارودي — الاسلام الاشتراكية — الطبعة يناير ١٩٧٠

[٧٤] محمود اسماعيل عيسى الرازق — جارودي والاسلام — الفكر المعاصر — فبراير ١٩٧٠

[٧٥] جارودي — المصدر السابق



ميد الله القديم

الواقع الطبقي

لثورة

العراية

د. رفعت السعيد

ويمضي بملت ليكمل الصورة « ان عرابي هو نموذج للقائد الفلاح .. طويل عريض المنكبين » بطيء للحركة نوعا ما لكنه يبدو قويا مقداما .. انه نموذج لمشايخ البلد الاقوياء ..

كانت عيناه ذات نظرة حادة لكنها حلة ولم يكن الانسان يكتشف طبيئته ونكاهه الا عندما يفتح فيه ليتكلم أو ليبتسم .. لقد لوحظ الضمير وجهه فصار اسير الامر الذي نفر منه الاتراك .. أما رياض فقد كرهه منذ أول نظرة ، وحتى رجال الإصلاح في الأزهر كانوا لا يعطونه تقديرا كافيا كميماي ، لكن أهم ما يميز عرابي هو أنه فلاح .. واحد من طبقة الفلاحين .. وأحد منهم وليس مجرد زعيم لهم .. قلعة منهم تتسم بنفس صفاتهم ، وكأنه يبشرهم بالسمر قطعة من طين نيل مصر » (١)

بلنت أن يقدم نراي لقرائه مكتب يقول : « وفي أسابيع قليلة قفز عرابي الى المقدمة ، فصيح واحدا من مراكز السلطة في البلد ، ولو

حاول

انها سلطه مفترضة ، وكما داهل مصر انهالت عليه المرائض من كل انسان مظلوم ، أو مهضوم حقه طالبا منه الانصاف والعدل ، اليس هو الرجل الذي استطاع أن يغير الوزارة وأن يطرد الوزير المستبد . وفي الحقيقة لقد أصبح عرابي في هذه الفترة الوجيزة بطلا وقائدا للفلاحين المضطهدين في نضالهم ضد طبقة الاتراك .. وقد منح هذا الموقف جماهيرية كبيرة خارج القاهرة فمتصل به كثيرون من الاعيان ومشايخ البلاد يطلبون مساعدته ، وفتح عرابي صدره للجماهير يساعدهم قدر استطاعته يبتسم في وجوههم جميعا تاركا في نفس كل منهم أثرا لا يمسي .

وقد ظلت محصيا عن ذلك مدة طويلة مقدرا للنتائج التي ستترتب على ذلك بعد مائة عام (٢) .

لكن الزمن يتغير سريعاً ومن تحت المسلاح يرتقى مئات من الضباط المصريين ليصبحوا ضباطاً . ويصرع بهم سعيد في سلم الترقى وكأنه يسابق الزمن غفراي مثلاً أو «الشيخ أحمد» كما كانوا ينادونه في ذلك الحين يدخل الجيش وعمره ١٤ عاماً نفراً عادياً .. ولا يمضي سوى ست سنوات فقط حتى يصبح قائمقاماً * وعندما يذهب سعيد ينتهي السيد الذهبي للضباط المصريين أو كما كانوا يسمونهم «الضباط الفلاحين» ويبقى غراي ١٩ عاماً بدون ترقية وكان لابد له ان ينتشر هو وزملاؤه *

وهكذا ووجهها لوجه تنف طبقتان لتتنازعا السلطة في الجيش : الاستقرارية .. وفقر الفلاحين والشرائح الصغرى منهم .

وتتميز الاحاسيس القومية والعزة الوطنية بالروح الطيبة ويبدا الصدام مبكراً قبل ان تستعد له أطرافه لكنه كان في البداية صراعاً بين ضباط وقيادتهم وكان يمكن وحتى بالرغبتين اطرافه القوي والطبقى ان يظل محصوراً في صفوف الجيش .

لكن الجماهير ادركت بغريزتها ان هذا الصراع بينهما وأنه تعبير عن نموذج كبير تعيشه مصر . وانطلقت الجموع تحيط بالضباط يوم ٩ سبتمبر وعندما حاول الخديوي ان يجادل غراي في مطالبه التقت غراي خلفه ليشير بيده الى الجماهير التي ملأت ميدان عابدين محلقاً أنه يمل الأمة كلها ..

ولم يكن هذا التطور غير دافع وبغير حلل مفكر .

واعتقد ان التذم كان صاحب الفكرة *

وعبد الله التذم مثقف كان أبوه عاملاً انتزع من الريف ليعمل في مصانع محمد علي، فلما انهارت صناعة محمد علي بقي بالديعة ليعمل فراثا *

ولقد شارك التذم في كثير من المركات السياسية وأسهم في تحرير المجلات وانضم الى جمعيات سرية وطنية وأدرك في النهاية انه « لن يجد طريقاً لتتبيح الجوه والامراء بغير عصبة يكونها من الفقراء .. »

وكم كان غريباً ان تسرى دعوة غراي في الريف المصري سريعاً مريماً اذهل الجميع وأدمشهم ، فالفلاحون المصريون وجدوا في «دعوة تحرير الفلاح» تلك الدعوة التي تولى غراي قيادتها ، شيئاً تتروق اليه نفوسهم ، وأخذ الناس في الاقاليم يتكبرونه بقبولهم «الوحيد» وقد استحق هذه التسمية حقاً فإنه كان في مدى عدة قرون الرجل الوحيد من صميم عنصر الفلاحين الخالص الذي استطاع ان يقاوم بنجاح طغيان رجال الطبقة الحاكمة من الاتراك والشراكسة (٣) .

هكذا كان غراي ...

لكنه لم يبدأ زعيماً للفلاحين وإنما مجرد زعيم لقطاع منهم ، لإنشائهم في الجهادية ، والحقيقة ان جيش مصر كان مكوناً في ذلك الحين بطريقة غاية في الغرابة ، أعلى فئات - الاستقرارية الاتراك والشراكسة والارناؤوط - تحت القيادة ثم بقية الجيش من أبناء الفلاحين الفقراء ، فقر طبقات الشعب *

فالطبقة الوسطى في المدن لم تكن قد ادركت حتى ذلك الحين أهمية ارسال ابناءها ضباطاً في الجيش ، فالامر لم يبدأ بهذه الصورة ، ولم يكن لأحد ان يتصور ان جيش مصر سوف تناح له في فترة وجيزة ان يقف الى مراتب القيادة الوسطى فيه مئات من الضباط المصريين . كانت الرتب الوسطى والكبيرة كلها من نصيب الاتراك والشراكسة وغيرهم أما المصريون فلم يكن امامهم سوى «الجندية» و«الجندية» في أحط صورها سرتب قدره ١٩ م قرشا في الشهر .. والاشتغال في أعمال السخرة وفي أحط الأعمال فترة طويلة من السنة ..

وهكذا أصبحت الجندية ولقا على ابناء الفلاحين الفقراء وقد ظلت لفترة طويلة نوعاً من السخرة الاجبارية أو الشبه اجبارية *

أما المناصب العليا في الجيش فقد كانوا محرومين منها وفقاً لمخطط تقدم منذ عهد محمد علي . فمحمد علي كان يدرك خطر ان يصل المصريون الى الرتب العليا للجيش ، وعندما طلب اليه ابراهيم ترقية بعض المصريين الى رتبة الكيويش رد عليه قائلاً « من المعلوم يا ولدي أنني اتجنب حتى الان ترقية العربى الى الرتب العليا »

(٢) محمود الخفيف - أحمد غراي الزعيم القنري عليه - الجزء الأول - طبعة تكليد الهلال - ص ٧٥

(٣) د. عبد العزيز نوار - مقال بجريدة الهلال سبتمبر ١٩٦٥

ورؤساء المائلات إلى القاهرة يحملون العرائض والشكاوى والالتماسات .

والجديد في هذه المرة هو أن عريضة عرابي كانت توحيدا لهذه المطالب المحلية والتماسات والمراض التي تشكو من ظلمها أو تمتت هناك * إلى المطالب قومية محددة .

● ● المقالة وزارة رياض ● ●

- ● منع بيع الأراضي الزراعية للأجانب ● ●
- ● تشكيل مجلس النواب ● ●

ومن يتأمل هذه المطالب يلح فيها الرغبة في خلق لوسع جبهة ممكنة خلف أولاد الأمة المنتظمين في سلك الجهادية * . وهكذا حصل النديم على إختام الجميع ما عدا شخصاً واحداً هو عميد الإقطاعيين المصريين سلطان باشا الذي أعلن أن هذه المطالبات لا تملق لها بالمسكينة وقد أنبا الخديوي بأمرها * .

وعلى أية حال فقد كانت استجابة الأمة لطلب توكيل عرابي منها أكثر من رائحة .

وعندما وصل هرويش باشا بمهرث السلطان ليحقق في الخلاف بين توفيق وعرابي كان في انتظاره عرائض تحمل أكثر من ٣٠ ألف توقيع تملن تأييدها لعرابي .

لقد كان الريف يوجع بالثورة ولم تكن حركة الضباط سوى المفجر الذي أتاح له الحركة وعندما تحركت جموع الفلاحين أصبحت سيده الموقف * .

وكانت عبقرية عرابي أنه استطاع أن يستجيب لها سريعاً ، وأن يتجاوب معها بإخلاص ، وكانت عبقرية النديم أنه أحس بقيمة الحركة وبوجودها وبفاعليتها قبل غيره وحث الضباط على الارتباط بها * . وهكذا تهايت الظروف لحركة طبقية من الطراز الأول .

● ● وثمة عوامل أخرى إيجابية ● ●

كان الأجانب يقدون إلى مصر بأعداد كبيرة . ويحاول دافيد لانغ أن يقدم صورة لهذه الجموع فيقول : « وبإستثناءات قليلة كان القاسمون جميعاً مجموعة انتهازية شديدة المراس خرجت لتبحث عن الثروة بصرف النظر عن كيفية جمعها * . إن جمهرة المهاجرين كانوا من حثالة البحر المتوسط جاءوا

وكانت لحة عبقرية أن يضم النديم جهودهم إلى حركة الضباط الفلاحين ، لكننا نخطئ لو تصورنا أن ثمة قراراً اتخذ بتحويل حركة الضباط المصرية من مجرد حركة تطالب بمطالب فئوية إلى حركة تدافع عن أماني الجماهير * .

فالجماهير نفسها هي التي فرضت ذلك ، فرضته على الأحداث وعلى الضباط وربما على عرابي نفسه .

وقبل حركة ٩ سبتمبر بقليل يكتب مراسل القائيم اللندنية يقول : « لست ميالاً لذا قلت أن في القاهرة الآن مئات من المشايخ ، كل منهم يمثل قريته جاءوا يمرأئهم التي تطالب بتخفيض الضرائب ، وقد كونوا جموعاً محتشدة أمام أبواب النظارات يعترضون النظر في شحوم ورواحهم * . وعرأئهم تملأ مكاتب الموظفين * .

وعندما أحس عرابي يتأمر الشراكسة عليه ، حاول أن يجد لنفسه سنداً في جموع الفلاحين وانطلق النديم إلى القرى يجمع التواقيع * على عريضة تفرض عرابي في المناداة بمطالب الأمة * . وتقول المريضة :

« الوزارة الوهابية قد ركبت من الشطط وعملت عن الصراط المستقيم ، ولم يكن مقصدها مؤيداً إلا إلى الضمحلل البلاد وتلاشيها فيما هو جدار من بيع أراض للأجانب ووجود كثير منهم في ادارات الحكومة ومصالحتها بالرواتب الفاحشة والسعي في رفع الاحجار الطبيعية الموجودة في بوشاش الاسكندرية ، وإن سكوتنا وأهراينا عن ذلك يعد من العجز والجبن ، والتفريط في وطننا ومقر نشأتنا ، فاعلموا يا معاشري الوطنيين ، ان اولائكم المنتظمين في سلك الجندية قد اتكلوا على الهاري سبحانه وتعالى وعزموا على منع كل ما من شأنه الإجحاف بشئونكم وذلك لا يتم إلا بسقوط وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس النواب لمحصل الوطن على الحرية المقتاة ، فالطوبى منكم ان تعوقوا على الكتابة المرسلة اليكم من ضمن هذه النشرة وهي الكتابة المقصود بها ان اكون ثانياً عنكم في كل ما يتعلق بأحوال البلاد » (٤) .

وحمل النديم العرائض وانطلق إلى الريف الذي كان يميز عن تدمره بإيقاد مشايخ القرى والعمد



إسماعيل باشا

محمد علي

على بعض الاوربيين وقامت بقرحيلهم ، وقالت ان المدافعين عن هؤلاء «يلصقون ان يعملوا مصر مركزا للنهيليست» وأن مصر تضع نصب عينها «ما قبلته حكومة فرنسا بكميون باريس بعد ان قهرتهم» (٨) .

بل أن مجلة الجوائب وهي لسان حال الباب العالي قد اتهمت عرابي بأنه قد «نفس صفوف عساكره بالاشتراكيين الفرنسيين الذين احرقوا مدينة باريس سنة ١٨٧١ وطردوا منها فان هؤلاء الاشقياء بعد ان ضاقت بهم السبل لم يروا وسيلة لاجراء مسأرتهم الا بلبسية الا الحكومية العربية» (٩) .

وتحت عنوان «بث هراطف» يورد سليم نقاش البرقية التالية التي ارسلها رئيس جمعية العمال الايطاليين لتهنئة محمود سامي البارودي عندما تولى رئاسة الوزارة بناء على طلب المصريين .

«الى حضرة صاحبي السادة محمود باشا سامي»

حدثت امس جمعيتنا حفلة عمومية قررت فيها ان نرفع لمقامكم السامي بيان ما تمتناه من نجاح الحزب الوطني المصري واسمائه الوطنية ، وما الفعلة «المصال» الاثاليان الا ابناء امة حاربت في نوال استقلالها فهم يمشون ان المقاصد التي ابنتها الامة المصرية وممت اليها بالتآني وحسن السيامة

الى مصسن ليلبوا احتياجات وملذات وشبهوات الرواج يهرون المجلات والمخائن في الحوراي والطاعم والمالح وكازينوهات القمار والفنادق وبيوت الدمار» (٥) .

لكن الصورة لم تكن كلها ظلالا سوداء .. فقد كان من الضروري ان تنعكس مع هذه العصور الواعدة من اوربا آثار حركة البروليتاريا الاوروبية والحركة الاشتراكية واليسارية هناك .. كان لابد ان يقد مع الرافدين اشتراكيون ويساريون وليبراليون .. والاسماء قليلة والمعلومات اقل لكنها مع ذلك ذات دلالة كبيرة .

كان هناك اشخاص مثل بلنت وجون ثيئه الذين وقفوا الى جانب الحركة الوطنية يساندونها بحزم . وكانت هناك أسماء اخرى «فوميو» وكان من انصار مجلة مصر الفتاة الساملين المتمسكين وهو يوناني الاصل كان يعمل ببنك الانجلو ايجيبيشان ، وكان ينشر مقالاته في المجلة بالفرنساوية فترجم الى العربية» (٦) .

بل ان الامر قد اضطر السلطات الى ان تشن حملاتها على بعض هؤلاء الاجانب ، فقد نشرت جريدة الجوائب انه قد قبض على «جون ثيئه من اهل سويسره وغيره من الاورپاويين الاشتراكيين الذين قروا من فرنسا واشتغلوا باضلال عرابي في الحركات العسكرية والاافكار السياسية» (٧) .

وتنشر جريدة «الوطن» ان السلطات قد قبضت

(٥) داتيد لانز «بنوك وبلشويات» ترجمة د . عبد العظيم اتيس ص ٨١

(٦) شبل شيل «مجموعة مقالات» ص ٣٢٨

(٧) اساييب التشل المصري . مقال بمجلة الطلبة ديسمبر ١٩٦٧

(٨) ، (٩) اساييب التشل المصري . مقال بمجلة الطلبة ديسمبر ١٩٦٧

الرأى على أن يعرضوا لرئيس الوزراء كترهم من إطلاق المادفع على حصون الاسكندرية وإعلان منحهم لكل داخل حربي في داخلية مصر حيث لا سبب يوجب هذا التسلل شرعا وإن يطلبوا إلى الحكومة استبعاد الاسطول سريعا وإيقاف القتل الذى عود متجاوزا لحدود المساواة بين الأسم بل قالوا انه ما من من فيه دعا اليه إلا مصلحة أرباب البنوك التى لا توازى ما يترتب عليه من الاخلال بغير الإنجليز وإياداة أمال الشعب المصرى الحديث .

وتكلم الخادم الجلسة سير لوزن بما بلان مشرب الجلسة فقال ان من رأى الكلمة تلتزم شرف إنجلترا على مصالح أرباب البنوك . . . وفي المجلس تشكيل لجنة للإبلاغ بقرارات الاجتماع والاستمرار في عقد المؤتمرات لتنفيذ هذا القرار . (١٢)

ويقف سير لوزن في مجلس التصوم ليعلن ان الحكومة قد خالفت قواعد الحرية فإن السعي في بث الرأى واعادة النظام لا يتأتى بإطلاق القنابل وأشهر الحرب وسفك الدماء الخ أمة ما من كثير أحكامها بنفسها ، (١٣)

ولم يقتصر التأييد على العمال الإنجليز وإنما شمل أوروبا كلها .

في ٣٠ يوليو ١٨٨١ أقيم في قاعة ريفايو بباريس اجتماع للثوار منهم قوم الكلمة وتليت فيه مقالات مهمة بشأن المسألة البريطانية فأجمع الخطباء على مقاومة أي تدخل كان على شكلى ترعة السويس وقبضوا أشهر إنجلترا للحرب وذهب أحدهم كوفيس جويس وهو من النواب انه عظماء المسائل الفرنسية استصحت جميع الأحزاب ومنهم الجمهوريون القاصد الحرية ماعدا حزبا واحدا هو حزب الكلمة فإنه قاوم تلك السياسة ويعد ان مصفد الكلمة للقرار أوجب للسلم أعلن أوسيو المان للقرار التالي :

ان الكلمة قد اقترحت على التأييد بالمعركة الفرنسية وبالحسين الياباي والسلاو وتعلن انه من التولجب على حزب الكلمة ليس مخالفة كل تدخل حربي فقط بل ومعارضة كل حيادية من جانب فرنسا ويكون من شأنها ان تبيع للإنجليز ليطبق بأمة ترى من فرنسا الحماة عنها وإرشادها إلى طريق حريتها .

كل هذه العوامل بالإضافة إلى الانتفاضة الفكرية التي كانت تموج بها مصر والتي تزعمها في تلك الحين مفكرين تقدميين أمثال شبلي شميل وغيره كانت كافية بأن تمنح الثورة العربية مزيدا من الاتجاهات الاجتماعية . . . لكن ثمة عوامل سلبية أثرت في الموقف :

أولها : ان قادة الثورة ربما كانوا على درجة كافية من النكاه والفهم وحس الجماهير وحس الوطن لكنهم لم يكونوا على قدر كاف من التعليم

تفوز بإدارة الوزارة الحالية فوزا يحل عظم الغاية المطلوبة وكبير شأنها .

رئيس الجمعية كاميني (١٠)

لكن الامر لم يقتصر على تأييد الأجانب المقيمين بمصر فإن برقيات أخرى كانت تصل إلى عرابي من مختلف الأحزاب العمالية والاشتراكية في أوروبا التي اتخذت في صراحة ووضوح موقفه المساندة والتأييد للثوار المصريين . .

ويورد سليم نقاش نص برقية وردت في ٤ فبراير ١٨٨٢ من المستر هاكوندال يولونهو إلى عرابي يقول فيها ما معناه : هيا للتقدم فليس هناك خوف ، وللمة الإنكليزية مزيد الدين والمودة القلبية للفلاح النيل ، خيب الله آمال الظالمين المستبدين للخصائس للأموال وحفظ الأمة المصرية ، (١١) .

والحقيقة ان الأحزاب العمالية والاشتراكية الديمقراطية في أوروبا قد اتخذت موقفا أمميا صحيحا فقد تصاممت بقوة مع الثوار العربيين وتعمدت أن يصل صوتها إلى مصر . . وكان لابد لهذا الصوت أن يترك آثاره وسط الأجانب المقيمين في مصر وإن يترك أثره وسط الثوار العربيين أنفسهم فيملهم حماسا وثقة .

ويروى بلفت وأمة ذات دلالة ، فقد شاهد بنفسه عرابي وهو يستقبل وفدا من الجالية الإيطالية فإذا بهم ينهلون على يديه تقبيلًا ويقول بلفت : لقد بدى عرابي لهم في صورة قبيس يدافع عن الحرية . . .

أما الثوار فقد اهتموا اهتماما بالغا بتأييد الحركة الاشتراكية الأوروبية لهم ، وكلفوا مصطفى فهمي باشا بترجمة كافة البرقيات التي كانت تتضمن تأييدا لهم . .

ولنستعرض بعضا من هذا التأييد الذي تردده صداه قويا في مصر فوجد سبيلا إلى الصحف ومنها إلى كتب التاريخ . ولنقلب مرة أخرى صفحات كتاب (مصر للهريرين) لسليم نقاش .

في ١٦ يوليو عقب في لندن جلسة حفرها وكلام من جمعيات الكلمة الإنجليز للثوار في مصر الحكومة في المسألة المصرية وحفرها بعض أعضاء البرلمان واستقر

(١٠) سليم النقاش . المرجع السابق ص ٢٢٥

(١١) المرجع السابق ص ٢٢٥

(١٢) المرجع السابق ص ٢٢٥ - ص ١٦١

(١٣) المرجع السابق ص ١٦١

بلا تر . ولا شك ان عرابي قد تأثر وهو يصوغ برنامجا بالفكر الاشتراكية التي تربعت كثيرا اما في كتابات شميل او في كتابات غيره . ولابد انه قد ائتمن التفكير في وقوف الاشتراكيين الانجليزيين والاشتراكيين الاجليز على وجه التحديد الى صنف مؤيدين ثورته . المهم ان ذلك كله قد انمكس في صورة لمحات متقدمة في فكر عرابي .

ومرة اخرى نلجا الى بلنت ليقدم لنا صورة صادقة لفكر واهداف وبرنامج عرابي .

في ٢٧ فبراير قررت العودة الى انجلترا بموعدت على وزارة الدفاع لاقابل عرابي مواعدا . وقد حدثت عن الاصلاحات المالية التي تتوي حكومة صامى باشا البارودي احداثها وهي :

- إلغاء نظام السخرة الذي يطره للباشوات الاتراك على الريف المصري .
- القضاء على اقطاع الماء واحتكار الباشوات لاتراك لمياه الفيضان .
- حماية الفلاحين من المرابين اليونانيين الذين ينشبون ظواهرهم في اجساد الفلاحين مستغلين المحاكم المظلمة .
- اصلاح القضاء فهو ملغى بالفساد .
- نشر التعليم بالنسبة للرجال والنساء على السواء .
- انتخابات حرة لبرلمان جديد .

● إلغاء نظام المبيد وتكلم عرابي بالتفصيل عن هذا الموضوع مشيرا الى تمجج الاجانب بان منح السلطة للمسلمين سوف يعنى مزيدا من الازدهار لتجارة المبيد . وقال عرابي ان الذين يملكون المبيد هم الضحى والامراء والباشوات الاغنياء وحدهم هؤلاء هم الاحياء الذين تتمنى حركة الفلاحين ان تتخلص من سطوتهم . ويمضى عرابي مؤكدا ان مبادئ الحرية والاصلاح تقضى بان الناس جميعا متساوون بغض النظر عن الجنس واللون والعقيدة وفي النهاية أكد عرابي ان الحكومة الوطنية لن تتخلى عن حنرها . وسوف تستمر في تدعيم الجيش حتى يتم اقامة نظام دستوري حقيقى . وحتى تستريح أوروبا بهذا النظام (١٥) .

وثمة رسائل وجهها عرابي الى بلنت لحدادها في ١٠ أبريل سنة ١٨٨٢ تقول :

فالضباط المصريون كانوا انصارا من تحت السلاح يملكون القراءة والكتابة ويمض الحساب . وكان ذلك القدر كافيا جدا بالنسبة لاي ضابط ولهذا فقد ايتسوا بانفسهم عن دائرة تأثير التفكير العلمى والتفكير الاشتراكي .

ويقدم بلنت صورة غريبة لمجلس الوزراء الذى شكله المرابيون برئاسة البارودي والذى تولى فيه عرابي وزارة الدفاع فيقول : « لم يكن هناك وزير واحد من الوطنيين يجيد لغة اجنبية ، ولما كانت اللغة الفرنسية ضرورية للتفاهم مع القناصل والدول الاجنبية فقد كان مصطفى فهمى باشا وزير الخارجية هو الوحيد القادر على القيام بهذه المهمة وكان يقوم ايضا بترجمة البرقيات والرسائل . وكان مصطفى فهمى هذا فى ممية الخديو اسماعيل ، واسمهم فى عملية اغتيال اسماعيل باشا المقتش لكن الجريمة ظلت تفرعه باستمرار الامر الذى قاده الى معسكر المطالبين بالمستور لكنه كان دستوريا من مدرسة شريف التي تتعالى على الفلاحين بل وتحقرهم وكان يترجم البرقيات بطريقة مغرضة ولم يدرك عرابي ذلك الا بعد قوات الزوان » (١٤) .

وثالثها : ان موجة الفكر التقدمى التي تزعجها شميل كانت تقدم في بعض الاحيان فى صورة علمية بحتة ، مثل نظرية النشوء والارتقاء او مناقشات فلسفية حول نشأة الكون ومايته وتتبلور فى دعاوى تطالب بنهذ العلوم الفقهية والتركيز على الطبيعة والكيمياء وغيرها . وكل هذه موضوعات كانت تبعد من ان تؤثر فى ضباط قوى ثقافة محدودة بل كانت بعيدة عن افهامهم ، كذلك فان تمسك شميل بشميل المزمع بافكاره المادية كفيلا بتنقيح هؤلاء الرجال قوى الثقافة الازهرية مما يدع اليه .

وثالثها : ذلك الهجوم الخطر الذى شنه الافغانى على الاشتراكية الغربية وعلى دعائيات فى رسائله « الرد على الصهيونيين » والتي اصدراها عام ١٨٨٠ الى فى اخرج فترات المد الثورى المصرى . واذا كان الافغانى قد صحح بعد ذلك موقفه من الاشتراكية فى كتاب خاطرات جمال الدين الا ان هجومه الاول ظل يؤثر فى جيل آمن به وتتلذذ على يدىه .

واذا كانت هناك عوامل عديدة قد اثرت بلا شك فى قدرة فكر شميل على الاثمار الخصب فى ذلك اللجو المشحون بالثورة فانه على اية حال لم يمض

(١٤) بلنت - المرجع السابق ص ٢٠١ .
(١٥) بلنت - المرجع السابق ص ٢١٠ .

تنهج طريق العدل ونحن نحب فيه ذلك لكن سيونا
قادرة على أن تقوم أي أعوجاج في سلوكه» (١٧)

هذا من عرايى .. فماذا عن النديم روح الثورة
المتاجرة والمدافع بإخلاص عن آماني الفقراء *

الحقيقة أن القارئ يستطيع أن يلمس على
الفور في كتابات النديم روحا تقدمية وعطفا عميقا
على الفقراء وسقطا على الأغنياء والأعيان ، وهو
الى جانب ذلك جريء غاية الجراءة يعرض أفكاره
في وضوح بل في مسخ وهو وإن كان لا يمكن
اعتباره اشتراكيا بالمعنى العلمي للملكة الا أننا لا
يمكن أن نتجاهل الاتجاهات الاجتماعية الواضحة
ذات الصبغة الطبقيّة الصارخة لدى عبدالله النديم *

ولنقرأ مما هذه الكلمات التي حشد بها النديم
هدف جريئة مصر فكتب في عددها الأول :

«سلكي أن اكشف حقائق الامور ملتزما جانبا
الضريح متجاهيا عن التمريض والتلميع ، وإن
أجلو ميادى الحرية وآراء ذوي النقد وإن أيقن ما
يظهره البحث عن عواقب الموالاة ومقاصد أهل
الحل والعقد .. وإن أوضح معايير النصوص
التي نسيهم اصطلاحا (أولى الأمر) ومثالي
الخونة الذين تدعوهم وهما (أمناء الأمة) ،
ومقاصد الظلمة الذين نعتهم جهلا (ولاة النظام) » *

ومقصودى أن أرفع الغشاوة عن أعين السامعين
وأحيى الخبرة في قلوب العارفين ليعلم قومي أن
لهم حقا مسئولييا ، فيلتبسوه ، وبما لا منهوييا
يطالبوه .. (١٨)

ويتحدث النديم عن مواجهته للاستبداد قائلا :
« اعلمت حب الصبر والتعويل عليهم وبأنيت
بانضمام الجنود اليهم وأوغلت في البلاد وشدت
بالاستبداد ، وتوسعت في الكلام ، وبنيت مثالب
الحكام الظلام ، لا أعرفهم الا بالجهالة الأسافل ولا
أبالي بهم وهم ملأ المحافل » (١٩) *

ويؤكد بلنت أن المرابين كانوا يعتمدون على
النديم في تحضير الإذمان للاستقلال من الخلافة

« أن أي إنجليزى حر لابد له وأن يؤيدهؤلاء الذين
يسعون لتحقيق الإستقلال لوطنهم ، ويسعون
لإصلاح وإقامة حكومة عاملة »

إن هدفنا الوحيد هو إنقاذ وطننا من كل
الموبدة والظلم والجهل وإن نرفع شعبنا الى
المستوى الذى يمكنه من مقاومة أية محاولة لإعادة
الى ظلمات الماضي ،

ورسالة أخرى بتاريخ ٦ أبريل ١٨٨٢ :

« لقد علمنا المزمع على أن نذل غاية الجهد
للتبؤا أمنا مكانها بين الأمم المتحضرة ، وذلك عن
طريق نشر المعارف في كل أنحاء البلاد والحفاظ
على الوحدة والنظام وكفالة العدل لكل انسان ،
ولأشء على وجه الأرض سوف يجبرنا على التراجع
خطوة واحدة عن تحقيق هذا الهدف (٢٠) »

وثمة رسالة من بلنت الى جلاستون يصف فيها
مقابلتها مع عرايى تقول :

« .. إن الأفكار التي عبر عنها عرايى لم تكن مجرد
ترديد للجميل التقليدي التي تتداول في أوروبا لكنها
أفكار نابذة من حرفة تحقيقية بالتاريخ ومن المواقف
المتحررة للفكر العربي ذات الصبغة الإسلامية ولا
شك في أن الجيش يدين له بالولاء لكنه متواضع
جدا .. وقد قال لي : أنني ممثل الجيش الا أن
الطرف هو التي دفعت الجيش لأن يثق بي ، لكن
الجيش ليس سوى ممثل للشعب وحام له وسيظل
كذلك حتى يستغنى الشعب من هذه الحماية ،
ولهذا فأننا الآن نمثل روح الحركة الوطنية التي
تحول بين الوطن وبين الحكام الاتراك من أن يمثلوا
به ويميدوه الى عهد التحكم ، لقد كسبتنا للشعب
حقه في أن يقول كلمته داخل مجلس الاعيان ونحن
نعتق بمواقفتنا لكن نحفظ له هذا الحق ونصونه
من أي عدوان أو انتقاص ، اننا لا نعمل من أجل
أنفسنا وإنما من أجل بلادنا ، ومن أجل هؤلاء الذين
محبونا نعتهم .. أن موقفنا اليوم هو نفس موقف
السرب الذين سألهم الخليفة عمر هل يرون أنه يسيير
في طريق العدل فأجابوه « اسمع يا بن الخطاب انك

(١٦) بلنت - المرجع السابق ص ٢٢٤

(١٧) المرجع السابق ص ١٧

(١٨) انور الجندي - الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها الى الحرب العالمية الثانية طبعة سنة ١٩٦٢ وقد نسب المؤلف
هذه الكلمات لأديب إسحق نقلها أيضا عن الاقتصادية الواردة بغير توقيع لكن النديم كان قد أكد في آخر أيامه أنه كاتب هذه
الاقتضات وغيرها مما نشر في جريدة مصر ونسب لأديب إسحق ..

(١٩) د بي على التحقيقات ص المرجع السابق ص ٣٢١

التركيبة و إعلان الجمهورية في مصر (٢٠) ، ويرى في
مذكراته : وفي أثناء هودتي من شبرا اكد لي القديم
أن أميته قبل أن يموت هي أن يهدم عرش اسلطان
لوق رأسه ، (٢١) .

ولقد دافع النديم عن حرية الجماهير مناخا في
عنف على جو الاثراب الذي فرضه الخديف على
مصر مملنا « أن لفظ الحرية محجور عليه لا يتلفظ
به الا في سرداب ولا يكتب الا في اوراق لا يعلم
ظاهر الوجود صورتها » ولا يكون اللفظ حرا الا اذا
دعي له في كل مكان ، وتلى على اعواء الخاير والسنة
المجاير .. فصارت الحرية الحقيقية عبارة عن
سر من اسرار الوجود يلقن في الخلوة على بعد من
الناس آخر الليل بصوت الهوس وبعد ايمان
الشرف وحلف القسامة (٢٢) .

والنديم ينظر الى فكرة الحرية نظرة طليقة
تطالب بأن تشترك الجماهير في صياغة القوانين
اشتركا شليا وليس الاغنياء وحدهم ، وأن قيل أن
المالك تعرض القانون على مجالسها قيل تدبيره
قلنا ان المجالس مقصورة على ارباب الثروة وأهل
الكلام وليس كل الامة (٢٣) .

والنديم هو لسان الثورة ومندوبها لدى
الجماهير ، هو الذي حمل الرخصة التي اهداها
عربي ليجمع عليها ترايع عمد واعيان الريف
يملنون فيها باسم الامة تفويض عربي في المطالبة
بمطالبها ، وعندما وصل درويش باشا ممثل الباب
العالي الى الاسكندرية ليحقق في النزاع بين توفيق
وعربي اعد له توفيق رشوة مقدارها ٥٠٠٠٠
جنيه نقدا وما قيمته ٢٥٠٠٠ جنيه من الجواهر ،
لما عربي فقد اوفد النديم الى الاسكندرية حيث
اُعد في انتظار درويش باشا وعلى طول الطريق من
الميناء الى القصر لوقا لا حصر لها من الرجال
والنساء والاطفال تهتف في حماس « للالاحة
للالاحة .. مرفوضة مرفوضة .. الله ينصره
ياعربي » .

لقد كانت للنديم قدرة فائقة على التأثير في
الجموع وعلى تحريكها وتهيجها ، ونبت هذه
القدرة من حبه الشديد للفقراء وارتباطه بهم

واحماسه بمطالبهم ، ومن كراميته للأغنياء الذين
شن عليهم هجوما شديدا متحدثا عن مملكة القراء
ميصفا بانها « مملكة البهيلة وهي على شاطئ
بحر الجنيهات تحد بالخور من جهة الغرب
والساعات من جهة الشرق وبالمضلين من جهة
الجنوب والمخرين من جهة الشمال » (٢٤) .

ويحاول النديم ان يجيب عن السؤال التالي : بأي
سبب ماتت صنائع الشرق وافقر أهلها وبأي
وسيلة تحيا وتمود ثروة أهلها ؟

فيحاول ان يقدم نموذجا مقطورا للجماعات
التعاونية التي تنظم الانتاج الحرفي فيقول :
« يلزمنا أن نسمى في عقد جمعية لكل طائفة
تحت رئاسة عقلائها فاذا طرا عليهم عمل من
الاعمال كان امره مفوضا لمجلس الرؤساء يسارم
من يشاء ويأخذ ما يشاء ثم يوزع فيه من المال بقدر
ما يحتمل وعندما يطرأ غيره يوزع فيه من لم يكن
في الاول وهكذا .. »

وهذا العمل يلزمه رأس مال يديره به فعلى
رؤساء الطائفة أن يقرضوا قريضة على كل صانع
بصفة سهام على قدر قوته واقتداره والمجموع
يكون في صندوق تدور به الاعمال وعندما توزع
الارباح يحجز المجلس من كل صانع جزءا يضيفه
لسهامه ..

والا فأننا لن نلبث أن نرى أهل الصناعة (وهم
السواد الاكظم) خدما للمتمولين (ولبتهم منا)
يصرفونهم كيف شاعوا ويستعملونهم فيما يريدون
ونفد رجالنا بلا حرب ولا ولاء وتعدم الهيئة
الاجتماعية قوتها فيتمتعز التحصيل من لغير لا يأخذ
من سيده الا القوت أو غنى اذا طولب لجا الى
الغير (٢٥) .

وهو يتحسر شعرا على هؤلاء الغرياء الذين
سادوا وتحكموا :

هل في القصور رجال غير من عظموا
بما لدينا وكانوا من موالينا
أو في الديار اناس غير من وفدا
من القفاز فصاروا من مبانينا

(٢٠) يقلت ص ٢٢٧

(٢١) يقلت ص ٢٤٥

(٢٢) سلافة النديم - الجزء الاول - الطبعة الاولى طبعة الجمعية عام ١٨٩٧ - ص ١٢٠

(٢٣) المرجع السابق ص ١١٩

(٢٤) سلافة النديم في منبخت السيد عبد الله النديم جمع شقيقه عبد القضاة النديم - الجزء الاول الطبعة الثانية

سنة ١٩١٤ ص ١١٦

(٢٥) سلافة النديم - المرجع السابق ص ١٠٦ ، ١٠٧

من الطليعة الى الاصدقاء

بعد سبع سنوات من صدور الطليعة ، تجد أسرة التحرير أن من حق اصدقائها عليها — أن يخلوا برأيهم فيها :
ماذا رأوا فيها من إيجابيات وما هي النواقص والسلبيات التي لفت أنظارهم .
و « الطليعة » التي صدرت تحت شعار « طريق القاصدين الى الفكر الثوري المعاصر » تؤمن بأن الاشتراك أكبر عدد من الاصدقاء في تقييم ونقد المادة التي تقدمتها خلال تلك الفترة ، من شأنه أن يثرى محتواها لانه يربطها برباط حتى وخلق بجمهور الاصدقاء .
لكل هذا تنق الطليعة بأن اصدقاءها سيبدون الى المشاركة في الاستفتاء المطروح منطلقين من باب الحرص على دعم هذا المنبر وتطويره ، بكل ما يتطلبه هذا من رأى صريح تتقبله أسرة التحرير بالتقدير والعرفان .

[٧] ما هي الابواب التي ننتدح خلفها والابواب التي ترى اسفلتها .. ولماذا ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[١] صدرت الطليعة تحت شعار « طريق القاصدين الى الفكر الثوري المعاصر » .. هل ترى ان الطليعة حققت هذا الشعار والى اى مدى ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[٩] ما هي الاعداد السابقة من الطليعة التي نالت منك اهتماما خاصا .. ولماذا ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[٢] هل ترى ان الطليعة تتابع — في دراساتها وابوابها — بقدر كاف القضايا الرئيسية التي تشغل اهتمام الراى العام . ولذا كان هناك نقص ففى اى مجال بالقله ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[٤] ما هي الموضوعات التي تحتاج — في رايك — الى مزيد من التعمق والتركيز في معالجتها في عام ١٩٧٢ ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[٥] ما هي — في رايك — اكثر ابواب الطليعة اهمية وتلدة ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[٦] اى الموضوعات والابواب التي تبدأ بقراءتها في الطليعة ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

تأمل أسرة « الطليعة » أن تتلقى رايكم في هذه الورقة وذلك على العنوان الآتي : مجلة الطليعة مبنى الاهرام — شارع الجلاء — القاهرة مع رجاء أن يكتب على هامش المظروف الأيسر عبارة « ورقة رأى »

الاسم :
المن :
البلدة :
الزمن :
العنوان :

الملاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في ريف ذلك العصر . وتوضح أيضا قصة الهجوم الذي شنه النديم على هؤلاء المراهبين الذين كانوا يشكلون قطاعا جديدا يدايم في الريف والذين كانوا في مجموعهم من الأجانب ..

ويصب النديم ثيران هجومه الضجاع على الأغنياء جميعا مهما أياهم بأنهم أشد قسوة من البهائم مؤكدا أن تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الإنسان قائلا: وأنت يا أيها الفرج بما ملكته ما لمزك لو تأملت الحشر يتضور جوعا والبائس ينتفض بردا والغريب لا مأوى له يستكن فيه واليتيم لا قيم له ترشده والمريض المعد لا مال له يطيّب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه في حفظ حياته أف لك والمالك قل أو كثر فلنتحجر على الإنسان قوته ومسكنه وملبسه بما تصنعه من اكتناز المال وما ظهرت الا لتخريب البلاد من حصر النقد عندك وعدم تمكن الأفراد مما يحتاجون به ما يلزم لعمان الديار، فتمسا لك ما حبيت وسحقا للبيد موتا .. ولا مرحبا بك إذا قدمت ولا سلامة تصحبك إذا ذهبت وبها أيها النصف بهذه الصفات النهمية الا يدلك البرهان على فساد أخلاقه واحتياجه الى مؤيّد يرفع بك عند حدوده ويملك ما تطهر به دنس الطباع وتنظف به قانونات الجهالة ويصرفك قدر لخوانك أبناء جنسك ، ألمت ترى نفسك من المتوحشين المقاتلين قطاع طريق النديم معلمي الحياة الساعين في خراب الاكوان ؟ (٢٨)

ويواصل النديم هجومه على الاغنياء فيحدث الجهم قائلا : و تعالى قانظر الى سلم رفعتك ومعدن حياتك ونبع ثروتك أخيك - استغفر الله - بل خاندك الفلاح انظر الى ثوبه المهلهل ولبيته التي لا تستر نافوخه ورفيقه الذي لا تكسره قوته ، ومشه الذي تماثل النظر اليه ، وأرقبه وهو يسقى الزرع والطين الى فخذه والشمس تشوي وجهه وجسمه يقطع يومه في عذاب وعمل .. وهو صاحب الفضل عليك وأنت لا تنظر اليه الا بعين المقت ولا تمايله الا بيد الإهانة ولسان السب ، مستتبعا صورة عنوت بفلاح (٢٩)

وهكذا يحدد النديم موقفا غاية في الثورية والمنف وبجماعات الاغنياء ملطنا في وضوح وقوفه ووقوف الثورة معه الى جانب الفقراء .

هذي معانسا تبكي وتتشهدنا
قول ابن زيدون لا قامت تعزينا
بنتهم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا (٣٠)

وهو يشد هجومه على التجار المراهبين مقدما صورة شعبة لما كان يحدث في ريف مصر في ذلك الحين . فيكتب تحت عنوان « محتاج جاهل في يد محتال طامع » احتاج احد الزراع لاستئذنة مائة جنيه فقصده بعض التجار وعطّب، مكه المبلغ فجرت بينهما هذه الحكاية بحضور بعض النباه ..

الزراع : عاوز ميت جنيه يالفرط (بالريا) ياسيدي
التاجر : فرط ايه عشرين كل سنة ؟
الزراع : اعمل اللي تعلمه ؟
التاجر : فيل عشرين من ايه بيالي كام ؟
الزراع : لو انا كاتب شوف بفصل كام ؟
التاجر : بيالي سبعين ..
الزراع : صوب كده ..
التاجر : دلوقت صافري ميت جنيه ، فم عليه عشرين واكتب الكمبيالة ..

الزراع : اكلي وخد الختم ..
والي وسط السنة فم له الزراع عشرة قناظر فغن وعشرة ارامب سمعهم وعشرين من الفصح وثلاثين من النول واربعين من المغير .. وجاء يجاسيه فكانت الحكاية هكذا :

الزراع : طلع لي ورقة الحساب يا سيدي ..
التاجر : بيالي اربعين جنيه فيلهم من ميه وعشرين ولسعين بشرة جنيه بيالي كام ؟
الزراع : ما قلت لك من ديك الموه ما يعرض الحساب ..

التاجر : بيالي اربعين جنيه فيلهم من ميه وعشرين يكون الباقي تسعين وفرطهم عليهم عشرين بيالي ميه وخمس عشر طالب انت كمان ثلاثين بيالي ميه وستين فم عليهم اربعين فرطه بيالي الكمبيالة بمائتين وعشرة ونصف ..

الزراع : هو ايه .. من العمل سبع عشرات وعشرين وجانهم لتنتين وثلاثين شنت منهم لمن انتبوعات اللي جنبته بيالي له دلوقت مائتين وعشرة بس .. امال النسخ جيتو ماني ..

التاجر : النسخ اجرة كتكتي ..

الزراع : اي دلوقت صحت الحسبة والسنة دي ابيع لك خمسين امان بشرة جنيه الواحد بيالي لك ايه بعد كده .. يا جيلبين يا ثلاثة خد لك فيهم خامسة وبيالي على راي الخلف فيلهم عن ده يستريحه من ده (٣٠)

ولقد تصمدت لن لورد الصورة الكاريكاتورية التي رسمها النديم كاملة فهي توضح حقيقة

(٣١) الرجوع السابق ص ١٢٠ .

(٣٢) د . عبد الطيف حسرة - ادبيات القصة الصحفية في مصر ج ٢ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ ص ١٣٧ ، نقلنا من العدد الاول مجلة التنكيت والتكيت

(٣٨) سلافة النديم - الجزء الاول ص ١١٥ الطبعة الاولى

(٣٩) د . علي الحديدي ، عهد الله النديم ص ١٣٦ نقلنا من التنكيت والتكيت

هو صاحب المصلحة الحقيقية في البلاد وهو يكون الأغلبية العظمى من سكانها ، وإن الفلاحين أدرى بشكلاهم من غيرهم .. (٢٠)

وهكذا اضطر محمد عبده الى أن يرتب اجتماعا لخر ليعتبر فيه عما قاله *

والحقيقة أننا اذا اكتفينا بوصف أفكار النديم بأنها دعوة عامة للخير والعدالة فأننا نكون قد جافينا الحقيقة الى حد كبير . فالنديم يقدم في بعض كتاباته فهما أصيلا للطبقات والصراع بينها والعلاقات الاجتماعية القائمة ، الامر الذي يبرهن من مناداته بمصالح الفقراء لم تكن مجرد موقف عاطفي .. ولنتكلم هذا الحوار .. لننتأمله في ضوء الحركة التي كانت دائرة بينه وبين محمد عبده والتي أشرنا إليها فيما سبق *

يبدأ النديم حواراً مع تلميذه بمقدمة قصيرة تقول : الشورى هي قرص الأفكار في أرض التبادل ، وسبقها بقاء الصرية ، وختمتها بيد الاعتدال لتثبت العدل وتزهر الحق وتضمن العمران .. ولا يقوم بها إلا عاقل عالم بأحوال الدول الأخرى واتجاهاتها ، خبير بأحوال أمته وحاجاتها .. حر في فكره لا يرى إلا منفعة وطنه بحيث لا يرغبه الظواهر ولا تخفيه الهيئات ..

ثم يبدأ الحوار *

التلميذ : وهل يوجد في وطننا من فيه أملية لذلك أو جامع لهذه الخصال شير الأغنياء والوزراء ؟

النديم : لا يخفاه أن ابن الفنى مولع بالاستعداد والغنى والنبه ، والغنى والفقر ، والأمير والحقين فإن كان الانتخاب قاصراً على الأغنياء من الانكباء كان مجلس النواب ويلاً على الشعب والوطن *

التلميذ : من أين يأتي الرجال وهم من أهل الوطن الحائزين للرشق المالية وهم أدرى بحال الوطن ومصالح المواطنين ..

النديم : لا يخفاه أن ابن الفنى مولع بالاستعداد والاستعداد ، فهو يميل الى استخدام الفقراء بلا مقابل ، وضرب الضعفاء من غير أن يمارس أو يحاكم .. وهذا بعينه هو الاستعداد الضئيل بالشعب *

على أن أبناء إذا كان من حكام البلاد فأنه أدرك

وشمة حادثة مهمة توضح موقف النديم من جماهير الفلاحين وهي عقيدة أيضاً في إيضاح موقف الجناح المعتدل من الثورة * ففي ١٢ فبراير ١٨٨٢ ، أقامت جمعية المقاصد الخيرية حفلاً كبيراً إبتهاجاً بتشكيل وزارة العربيين برئاسة سامي البارودي وفي هذا الحفل وقف محمد عبده ليروج لأفكاره المستقلة مهاجماً الأسلوب الثوري العنيف مطالباً بالاهتمام بنشر التعليم ويقتصر حق الانتخاب على المعلمين - لقد قصد أن يحرش الأغنياء وأن يث في قلوبهم الرعب من حركة الفلاحين المساعدة .. وقال : « أن المهود في سير الأمم وسنن الاجتماع أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتغيير سلطتها والزامها الشورى والمساواة بين الرعية إنما يكون من الطبقة الوسطى والدنيا إذا نشأ فيهم التعليم الصحيح والتربية النافذة ، وصار لهم رأى عام ، وإله لم يهد في أمة من أمم الأرض أن القواش والأغنياء ورجال الحكومة يظفون مساواة أنفسهم بسائر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف بمشاركة الطبقات الدنيا لهم في ذلك فكيف حصل في هذه المرة ومن أجل هذا المجتمع ؟

.. فهل تغيرت سنة الله في الخلق وانقلب سير العالم الإنساني ؟ أم بلغت فيكم الفضيلة حداً لم يبلغ إليه أحد من العالمين حتى رهيتم واخترتم عن روية وبصيرة أن تضاركو سائر أممكم في جاهكم ومجتمكم وتساووا بأصعاليك حياً بالعدالة والإنسانية ؟ أم تسبون الى حيث لا تسبون وتقولون ما لا تعلمون ، *

وكلمات محمد عبده هذه ذات مغزى هام فهي توضح كيف نجح العربيون في أن يسوقوا تحت ضغط الجماهير الشعبية وقوى الجيش التي التفت حولهم لجزءاً واسعة من الطبقة العليا والوسطى في المجتمع لتطالب منهم بمطالب الجماهير ، لتطالب بالعدالة والمساواة - ولقد كانت صيحة محمد عبده هذه نذيراً للفراس والأغنياء ورجال الحكومة « بأن هذه الثورة لا تتعلم ولا تستفيد تحقيق مصالحهم ، وإنما هي بالتمديد تستهدف تحقيق مصالح الطبقات الدنيا والصعاليك ولم يسكت النديم على هذا التحريض السافر والتحدي الصريح للثورة فوقف ليبرد على محمد عبده وليؤكد أن الحرية يجب أن تكفل لكل فرد ، وأن الحياة الدستورية وحق الانتخاب والترشيح يجب أن تكفل للمواطنين جميعاً على قدم المساواة .. وهاجم فكرة قصر الانتخابات على المعلمين قائلاً أن الفلاح

في طريق يزن على غيرهم الوصول إليها * ولكن بمصم تسلط الطبقة على المجلس بل تشكيله من جميع الطبقات : فهناك ومتفقين وأتراك وأغنياء وعلماء وصال وأعيان (٢١).

وهكذا فقد التذم كل دعاوى محمد عبده معلنا رأيه وأخضا وعلى أسس طبقية والغريب أنه قد استخدم هذا اللفظ بالذات معبرا باستخدامه له عن تمكنه من إدراك حقائق الصراع الذي يخوضه *

ولقد كان هذا الصراع محتوما داخل معسكر الثورة ذاته فقد كان هناك الاقطاعيون الذين يطالبون بالاستقرار تخلصا من نفوذ الضعيفين وتسلطه عليهم ، وهناك مثقفو الطبقة الوسطى الذين ياملون في الدستور سلاحا يمكنهم من نيل بعض فئات السلطة ويخلصهم من مزاحمة الأجانب لهم في تولى الوظائف العامة ، كان عدد المؤلفين الأجانب في مارس ١٨٨٢ - ١٢٥٥ مؤلفا تبلغ مرتباتهم ٣.٧٩.٥٠٠ جنيهها مصرية (٢٢) *

وكانت الفئتان السابقتان قصاصان معا لكنهما كانوا متفلقين على خشية الثورة وعلى احتقار الفلاحين ، أو كمسا أسماهم محمد عبده « الصغار » *

ويؤكد محمد عبده بتمسكه بلبنات « كان سليمان أباطه (٦٠٠٠ فدان) والشريسي (٤٠٠٠ فدان) يؤيدانني ضد الثورة لكننا كنا جميعا نطالب بالدستور » (٢٣) *

وإذا كانت هذه القوى قد انحرفت في تيار الثورة الصام فإنها قد ظلت باقية على تحفظها تجاه الجماهير واحتقارها للفلاحين *

وفي الناحية الأخرى كان هناك الضباط أبناء الفلاحين الفقراء * والتذم ومن على شاكلته من المثقفين الضعيفين *

والحقيقة أن كتابات التذم لا تنم عن مجرد حب للنقد أو موقف عاطفي تجاه قضية العدل الاجتماعي لكنها تعبر بشكل أو بآخر عن اتجاه متقدم يؤمن بالشعب والفلاحين على وجه الخصوص *

الثورة ينهب الفلاح وتظلمه فإن أغلبية الحكام متسلطون على الحكوميين تسليط الهواء على النار يضربون ويحبسون ويذبحون * ومن كانت هذه أصناف أبيه كان مميذا عن الحق * * لجنينا من الانصاف * * لا يميل المساواة ولا يمتدح الفقير بحق منه في الوجود * * فوجوده مثله في مجلس النواب علة لزيادة هلاك الشعب فيشرون من القوانين ما يضمن مصالحهم ليضعفوا بذلك حدة الأمان للفلاح ويحبسون الثورة لانفسهم *

التعليق : وإذا كان من أولاد الأتراك الذين تولوا مناصب الرياسات في الدولة *

التعليق : أعلم أن الحكم على الشيء فرع من تصوره * * ولا تحكم على الرؤساء الأتراك إلا بعد معرفة أسباب ثورتهم ، فإن كانت بجهلهم ولجنتهم كانوا أحسن الناس على حفظ الهيئة الاجتماعية ، وأن كانت بطريق الظلم والنهب والرشوة كانوا أشد ضررا لحبيهم العظم الذي صيرهم في هذه الثروة بعد أن كانوا لا يملكون قوت يومهم * * ومن هذا القسم من لم ير الجيف ولا يعرف فكيف يكون ثأثها عنه *

وقد يكون فيهم كثيرين من أهل النفرة والندرية * * ولكن حبيهم لذاتهم يعطل كثيرا من المنفعة ويهبط كثيرا من الضمير * * فإذا وجدوا في مجلس النواب ولم يكن معهم أحد من النباهة الانكسار من أهل البلاد كان نواب هذا المجلس عبارة عن لعبة يديرها كيف شاموا فإذا تضكل المجلس من هذين القسمين بهلكتكم الدولة رواية تياترية يشخصونها في المحافل ليضعفوا على أفعالها *

كل هذا إذا كان للمجلس مطلق الحرية في أفكاره لا يمارض في المصلحة ولا يلزم بشيء لم يقر عليه ، أما إذا كان مقيدا بما يصدر إليه من الأوامر فلا تسال عن أعضائه وأمله فإنهم صورة وهمية لا حقيقة لها ولا لئن *

التعليق : وهل يحتمل الشعب إطلاق حرية التفكير قبل أن يتدبروا على أعمال المجلس واستخدام هذه الحرية ؟

التعليق : نعم يعملونها ويحفظونها ويسببون بها

(٢٤) الكتب والوثائق ١٨٨٢/٩/١٨

Kuta of Egypt

١٢٧١ ثورور رولنشون

وقد ترجمه على شكري إلى العربية تحت عنوان « لفتح مصر قبل الاحتلال وبمده ١٢١ وما بعدها من الترجمة العربية

طبعة ١٩٢٧

(٢٥) يقتضيه ٤٩٢

في قاريخ مصر - أسلوب العنف الثوري لتحقيق
أهداف طبقية واضحة *

كان الريف يعاني من المربين ، وكان معظمهم من
الاجانب الذين امتدوا الى حماية السلطات
والتحكم الاجنبي في نهجهم البشع للفلاحين *

وانطلق الفلاحون يستردون الكيمالات عنوة *

ويقرع مستر كارتر ايت نائب القنصل الانجليزي
فيرمل من الاسكندرية في ٢٦ يونيو ١٨٨٢ ليخبر
وزير خارجيته ان الفلاحين يهاجمون الاجانب
وينتزعون منهم الكيمالات التي تثبت ما عليهم من
دين ويقول ان خبرا رسميا ورد من الحكومة
يقول ان هناك في ناحية بنها قتيلا يونانيا وان
الباحث على قتله تمسكه من اعطاء الفلاحين
سنداتهم التي له بمقتضاها دين عليهم واجيب
الاداء «٢٥» *

وشمة ولاية اخرى اكثر دلالة *

« طلب عرابي معونات من الشعب للجيش على
ان يخضع من الضرائب المستمقة عليهم وكان
المديرون يرفضون الاعانة المطلوبة على معدل قيمة
الغدان وقد عهدوا بذلك الى المشايخ فكانوا يظلمون
اصحاب الامانيات من الاتراك والشراسة ومن
ينتمي اليهم وكان بعض المشايخ يقولون للمفتنر او
طالب المهلة هل آتيت من تركيا بلادك باطيان ؟ انما
هذه اطيان القطر ونحن أبناء القطر لا يحق لغيرنا
ان ينتفع بها .. اتينمونا فقراء لا تملكون ارضا ولا
فلما لمصرتم الان اصحاب اراض واملاك تحرمونا
من خيرها .. » *

وكان بعضهم لا يكتفي بمثل هذا الكلام بل كانوا
يعمدون الى الارض ويسمونونها بالفعل قائلين هذه
القطعة لك وهذه لي .. بل ويقولون لصاحبها
اخرج من البلاد كجا جئتها فكان اصحاب الارض
يزدادون خوفا وحسبانا لبلاد اعظم فانقطع كثيرون
منهم عن التردد الى اراضيهم بلزموا منازلهم
واستمرت هذه الحالة جارية من ابتداء شهر
رمضان الى لتهاته وهي هذه قضايها بعض
اصحاب الاراضي في معاناة ، وتحصل الدل
والهوان .. «٢٦» *

وهكذا فان الريف كان قد أعلن - منتهزا فرصة
مساعدة الجيش لامانية - ثورة فلاحية بالفعل *

لكن المهمة امام النديم كانت صعبة للغاية فهو
يحدد افكاره الثورية في وضوح ، لكنه يريد ان
يحافظ على الطيف القومي الذي يضم هؤلاء
الاعداء الطبقيين ..

كان الموقف شائكا هؤلاء الاغنياء الذين
يهاجمهم النديم ويسميههم « حميم المال »
و « اللصوص » و « الظالمين » و « اعداء
الشعب » .. هؤلاء الاغنياء كانوا جزءا من الجبهة
السياسية التي التفت حول الثورة والتي كانت
يتحتم على قادة الثورة ان يكسبوها الي صفهم ..

فهل كان النديم يخفف من وقع كلماته عامدا ؟
هل كان يخفي لتجاهه نحو مزيد من القلم ؟

من الصعب الاجابة عن هذا السؤال بدون
دراسة اكثر مصفا لكتابات النديم التي خاض منها
الغالبية العظمى والتي لإزالة الباطني منها مبعثرا
ومبهدا ..

غير ان الصورة لم تكتمل بعد ..

فلقد رأينا كيف اقتضت سيول الفلاحين فكرة
الثورة لتحويلها الى ثورة فلاحية وتكسيبها
مضمونا اجتماعيا .. ثم إنطلقنا في الحديث فاذنا
بنا لا نتحدث الا عن المثقفين .. فماذا عن الفلاحين
أنفسهم ؟ ..

الحقيقة ان كتب التاريخ قد أمنت هذا الجانب
فلم يرد فيها غير القليل من المعلومات عن حركة
الفلاحين ..

ولست اعتقد انني بحاجة الى ان اصف حماس
الفلاحين للثورة فلننا يعلم ذلك .. ويعلم ان
كثيرين من الاهالي تبرعوا بنصف ما يمتلكون من
الغلال والنواش بل ان منهم من تبرع بكل ما يمتلك
اما هؤلاء الذين لا يمتلكون شيئا فقد قسموا
حياتهم .. بل ان كثيرين قد قنعوا لولا اسم
تمويضا عن عدم قدرتهم على القتال «٢٤» *

كل هذا مسروق وطبيعي .. لكن ما هو موقف
الفلاحين من الاغنياء ؟ ما موقفهم من قضاي
الاستغلال والارض ؟ وخاصة بعد ان افسدوا
بقوتهم وامتلكوا السلاح في ايديهم وانزاح عنهم
كايسوس المتقيان الخجوي الذي انزوى بعيدا في
الاسكندرية ..

لقد بدأ الفلاحون على الفور في تصفية حسابهم
مع اعدائهم التقليديين .. مستخدمين - ولاول مرة

(٢٤) عهد الرحمن الرافعي .. الثورة العرابية .. الطبعة الثانية سنة ١٩٤٩ ص ١١١

(٢٥) سليم تفتي ج ٥ ص ٤٩

(٢٦) سليم تفتي ج ٥ ص ١٤٩

قيادة الثورة

وفكرة السلطة

د. عبد العظيم رمضان

جين

يذكر اسم « قادة الثورة العربية » ينصرف الذهن فوراً إلى الحزب المسكرى الذى كان يرأسه عربى، ويضم على فهمى وعبد العال حلمى

وطلبة عصمت ويعقوب سامى ومحمود سامى البارودى وغيرهم . وهذا الكلام ليس صحيحاً إلا إذا كنا نتكلم عن « القادة العربيين » وليس عن « قادة الثورة العربية » . أما إذا كنا نتكلم عن قادة الثورة العربية » فإن هؤلاء القادة كانوا يمثلون تحالفاً من حزبين : الحزب الأول هو الحزب المسكرى الذى سلفت الإشارة إليه . والحزب الثانى هو حزب البورجوازية المصرية الكبيرة الذى كان يضم لمثال شريف باشا وساطان باشا وحسن الشريعى باشا وسليمان باشا وعمر لطفي باشا وإسماعيل رافع باشا وغيرهم من زعماء الحركة الدستورية التى ازدهرت فى أواخر عهد إسماعيل .

وهذه الدراما لا تعالج موضوع « القادة العربيين » وفكرة السلطة ، وإنما تعالج موضوع « قادة الثورة العربية » وفكرة السلطة ، لأن حصر الممالحة فى الموضوع الأول قد يجوز فقط إذا كانت الثورة ثورة عسكرية بحتة ، أو إذا كانت انقلاباً عسكرياً . ولنا وقد كانت الثورة ثورة بورجوازية وطنية وقيمية ، تقودها البورجوازية

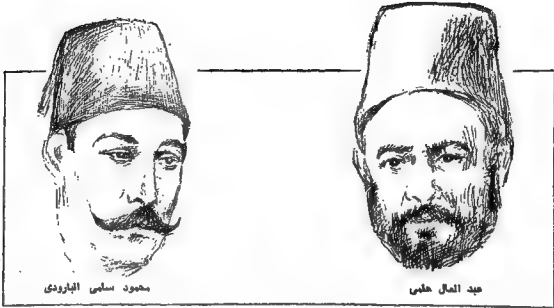
الوطنية وأداتها العسكرية ، فإن من الأفضل أن تعالج فكرة السلطة فى هذا الإطار .

ولعل وصفنا للثورة بأنها ثورة بورجوازية وطنية يثير اعتراض الكثيرين الذين يتحدثون عن عربى بوصفه « فلاحاً » ويستندون إلى ذلك فى وصف الثورة بأنها ثورة فلاحية . وفى الواقع أن عربى لم يكن فلاحاً ، وإنما كان عربى ابناً لأحد مشايخ البلاد . وقد وصفه هو بأنه كان « شيخاً جليلاً رئيساً على عشيرته عالياً ورعاً » (١) . وقد ورث عربى عنه ثمانية فدادين ونصف ، استطاع أن ينميها ليصل بها إلى ٧٠٧ فداناً ، هى التى صدرتها الحكومة وقت محكمته (٢) . فهو على هذا النحو بورجوازى قح ينتمى للبورجوازية الصغيرة ويقوده تطلماتها . أما لفظ « فلاح » الذى يستخدمه الكتلة المعاصرون مثل « بلنت » Benta وكرومر Cromer فى وصف عربى ، فإن هذا اللفظ يعتبر مرادفاً للفظ « مصرى » فى مواجهة طبقة الأتراك والشراكسة التى لم تكن تفتقر لصلاح الأرض .

لم تكن الثورة العربية إذن ثورة فلاحية ، وإنما هى - كما نذكرنا - ثورة بورجوازية وطنية بالدرجة الأولى . وهذا يلتقي هنا العرض لنشأة هذه

(١) مذكرات عربى ج ١ ص ١١ - كتاب الهلال فبراير ١٩٥٢

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٦ - ١٥٧ وهذا الرقم يستقى من ثلثة كتبها عربى بنفسه وقدمها لحاكميه المختار بروتلى



محمد سامي البارودي

عبد المال حلي

مواجهة الزحف الامبريالي . فعلى الرغم من ثرائها ، إلا أن نظام الحكم الاوتوقراطي الذي كانت تمارسه أسرة محمد علي ، كان يحرمها من المشاركة في حماية نفسها والدفاع عن مصالحها . ولكن الظروف لم تلبث أن أخذت تتهاى لها لتقوم بدورها التاريخي ، حين أخذت التناقضات بين مصالح الخديوية ومصالح الاحتكارات الرأسمالية تظهر وتهدد بصورة مباشرة مسند الخديوية نفسها . فحين أخذت سلطة الخديوية تضعف ، أخذ مساعد البورجوازية المصرية يشتد . وفي الوقت نفسه حين وقع الضرر على الخديوية واضطرت الى التدخل في صراع مباشر مع الوصاية النوبية ، لم تجد مفرًا من الانتهاء الى البورجوازية المصرية تستعين بها على مواصلة النضال . وكان الثمن هو مشاركتها في الحكم .

وقد تبدى اثر ذلك في مجلس شورى النواب الذي تأسس في نوفمبر ١٨٦٦ لئلا الرماح في عين أوروبا . فقد أخذ مساعد هذا المجلس يشتد تدريجيا حتى صار الاعضاء في دورة نوفمبر ١٨٧٦ وبجدة فبراير ١٨٧٧ يرون من اختصاص المجلس البحث في مسألة « تسوية الديون » (٤) . وحين سقط الحكم المطلق في أغسطس ١٨٧٨ بإنشاء اول « وزارة مسئولة » في تاريخ مصر ، كان ذلك إشارة للبورجوازية المصرية للتصالح لتتحرك لتجمل مسئولياتها في حكم بلدها .

وقد اتخذت حركة البورجوازية شكلين هامين : الاول ، اقتصادي ، والثاني سياسي . وفيما يتصل بالشكل الاقتصادي ، فقد اتخذ صورة المسمى « لانشاء » بنك وطني مصري » تكون مهمته « استرداد المصالح العزيزة » التي أصبحت في يد الاجانب . ففي أبريل ١٨٧٩ عقد اجتماع عام من التجار والاعيان في منزل راعي باشا ،

الطبقة التي قامت الثورة ، والتحديات التي واجهتها ، ودورها التاريخي في تلك الفترة ، حتى يمكننا تتبع فكرة السلطة عند زعمائها ، سواء كان هؤلاء الزعماء ينتمون للحزب العسكري أم للحزب الوطني .

وترجع نشأة هذه الطبقة الى اواخر عهد محمد علي ، والى عام ١٨٣٧ بالذات حين قرر ايجاد طبقة أرستقراطية جديدة الى جانبه و تحصر في نفسها نسب للفني المقاري » ، فامر بـ « ثور » والإعدادات ، التي كان قد أنتم بها على كبار رجال ادليته ورجال الجيش والاعيان والاعراب ، اولادهم واولاد اولادهم . وبعد خمسة أعوام أي في فبراير ١٨٤٢ أعطى أصحاب « الإعدادات والجفالك » ملكيتها المطلقة وكافة التصرفات الشرعية من بيع ووقف وهبة وما الى ذلك بدون قيد ولا شرط » (٥) .

وكان هذا الامر المالي هو الميلاد الحقيقي للبورجوازية المصرية الجديدة ، التي ورثت البورجوازية القديمة التي كانت مؤلفة حينذاك من كبار التجار وكبار مشايخ الازهر والمساداة الاشراف ، والتي قدر لها أن تواجه زحف البورجوازية الأوروبية التي كانت في ذلك الحين تنتقل من مرحلة « تصدير البضائع » حيث السيادة التامة للمزاحمة الحرة » الى مرحلة « تصدير رأس المال » حيث السيادة للاحتكارات ، والتي كانت قد أخذت تدفع بروعوس أموالها ، ومن روائها نفوذها السياسي الى مصر في الستينات والسبعينات من القرن ١٩ .

بنك وطني وحكم دستوري

وفي البداية لم يكن في وسع هذه الطبقة الجديدة أن تقوم بدور ايجابي ذي فاعلية في

(٣) ويقول آرتين : الاحتكام المربعي في شأن الأراضي المصرية ، تعريب سعيدمون ص ٤٤ نقور محمد كامل مرسى ٤
الكلية العقارية في بيروت دورها التاريخي من عهد الفراعنة الى الان ص ٨٤
(٤) نقور محمد فؤاد شكري : جبر والسودان ص ١٦٤ : دار المصنفين ١٩٥٧ .

الصحيح ، وذلك بأن تكون الوزارة مسئولة أمام مجلس شورى النواب وأليس أمام نفسه . وقد عبر الخديوي اسماعيل في حديثه مع القنصل الانجليزى « شفيان » من ذلك ، فوضح أنه إذا كان ما يفهمه من المبادئ الأولى للحكم الدستوري صحيحا ، فلا بد أن يوضع مبدأ المسئولية الوزارية في موضحه الصحيح ، وذلك بأن يكون لمجلس شورى النواب القول الفصل في المسألة التي اثيرت دعامة النجاة للنيابية منذ ظهورها ، لا ضرائب من غير تمثيل . ثم قال انه ان يوافق على فرض ضرائب جديدة بدون تحديد لإرادة الشعب (٧)

وبناء على ذلك ، فقد دعا الخديوي اسماعيل مجلس شورى النواب للائتمار في ٢ يناير ١٨٧٩ . وصرح في اجتماع سرى عقده قادة الراى في المجلس ، بأنه لن يغيره أن يقضى الجميع لمعارضة الادارة الاجنبية التي لرغم هو على قبولها (٨) .

وقد وقف هذا المجلس الذي كان يستند لتأييد الخديوي ومشاركته للمطالبة ، موقف التجسدى للوزارتين الاوروبيتين الأولى والثانية . فقد بدا نشاطه بالانتماء بالسلك المالية رغبة في اخراج الوزارة الاوربية الأولى والمطلوبة دون ضلالتة في تدعيم حقوق اللادتين على حساب البلاد ، واخذ على النظار عدم حضورهم جلسات المجلس وتقدير لهم من المشروعات اليه (٩) . وعندما سرحت هذه الوزارة في فبراير ١٨٧٩ ، حرالى ٢٥٠٠ ضابط من الجيش دون أن تدفع لهم مرتباتهم المتأخرة ، وقرر هؤلاء القيام بأول مظاهرة عسكرية في يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ ، اشتعلت مجلس شورى النواب في هذه المظاهرة بثلاثة من النواب اظهارا لسطط على الوزارة ، وقد أسفرت هذه المظاهرة عن سقوط الوزارة الاوربية الأولى (١٠) . وعندما عثرت الوزارة الاوربية الثانية التي تألفت برئاسة محمد توفيق على العهد على التخلص من مجلس شورى النواب عقابا له على موقفه ، واستصعدت الدكتور تير الخامس بفرض

رئيس مجلس الشورى السابق ، حيث « تزعت بهم غيرتهم الى تقرير امر يحاولون به تخليص الوطن من أسر الدين في ظرف ثمانية وعشرين عاما ، وهو انهم يفتتحون « بنكا وطنيا » يكون رأس ماله أربعة عشر مليوناً من الجنيهات تجمع من سائر افراد الأمة » . وفي نفس الوقت كان فريق آخر على رأسه محمد سلطان باشا وعمر لطفي باشا وغيرهما من كبار الملاك يفتنون عدة اجتماعات لدراسة هذه الفكرة من جميع زواياها . وأصدروا منشورا تاريخيا بعنوان « انماء المال » يشرحون فيه فكرتهم ويدافعون عنها (٥) .

ولقد دهمت أحداث الثورة العربية هذه الفكرة فاولتها مؤقتا ، ولكن وزارة « مصود بسلمى البابودي » لم تلبث أن تبنتها ، ففي حديث عرابي مع « بلنت » في أوائل مارس ١٨٨٢ اطلب في تفصيل مشروعات الإصلاح التي تنويعها الوزارة ولكن من بين هذه الإصلاحات « انشاء بنك زراعي تحت اشراف الحكومة » (٦) .

هذا فيما يتصل بالشكل الاقتصادي لحركة الهمجوازية المصرية . لما بالنسبة للشكل السياسي فقد اتخذ صورة النضال من أجل الحكم الدستوري ليكون أداة للحد من السيطرة الاجنبية من جهة ، والحكم المطلق من جهة أخرى . وكان الحكم المطلق قد سقط كما ذكرنا . بتأليف « الوزارة المسئولة » في أغسطس ١٨٧٨ . ولكن سقوط هذا الحكم لم يكن لحساب القوى الوطنية ، وانما لحساب القوى الاستعمارية . فلم تكن « الوزارة المسئولة » مسئولة أمام مجلس شورى النواب ، وانما كانت مسئولة أمام نفسها ، ويعني آخر كانت هذه الوزارة تمثل دكتاتورية مؤلفة من : نسويل ، وريفسز ، ولسون Rivers Wilson ، ودي بلنير de Bignières ، تمارس الحكم نيابة عن حملة السندات والماليين واصحاب المصارف الاوربيين .

وقد انحصر نضال الهمجوازية المصرية في ذلك الحين في المطالبة بوضع مبدأ المسئولية الوزارية الذي تطبقه « الوزارة المسئولة » خطأ ، في موضعه

- (٥) الدكتور عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية من ابرام معاهدة ١٩٣٦ الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، الفصل الاول « بحث للتكواء غير مطبوع »
(٦) Blunt, W.S.; Secret History of the English Occupation of Egypt p. 216 (London, 1907)
(٧) Cromer, The East of Modern Egypt p. 88 — 88 (London 1911)
(٨) الدكتور محمد غزاد شكري : الروع المذكور في ١٧٧ .
(٩) الدكتور عبد العزيز رفاعي : فجر الحياة النيلية في مصر الحديثة ١٨٦٦ — ١٨٨٢ ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
(١٠) المصرية لتأليف والنشر ١٩٦٢ .
(١١) الدكتور محمد غزاد شكري : الروع المذكور في ص ١٧٧ .

البكوات ، ٤٠ من الاعيان ، هذا عدد عظيم من رجال الجيش (١٥) .

وبهذا المسئنة الذي قبله الخديو ، دعا ممثلى الدول الاجنبية فى ٧ ابريل ليعلم اليهم عزمه على تأليف وزارة وطنية . واصدر امره الى شريف باشا الممزوف بقبوله الدستورية بتأليف وزارة جديدة « تكون مسئولة لدى مجلس الامة الذى سيجرى انتخاب اعضائه وتمييز مأموريته بوجه كاف للقيام بتأديها ما يلزم للصالح الداخلية ومرغوب الامة نفسها » (١٦) .

وعلى هذا النحو ، وبفضل الصراع الديكتاتيكى المتصعب ، بين الخديوية والوصاية الدولية اولا ، وبين البورجوازية المصرية والخديوية ثانيا ، وبينها وبين الرأسمالية الاحتكارية ثالثا - برزت مرحلة جديدة تقسيمية للبورجوازية المصرية احتلت فيها بين القوى المتصارعة على السلطة ، موقعا افضل من موقعها السابق قبل سقوط الحكم المطلق . فقد اتحد الوزيران الاوروبيان من الوزارة المصرية ، وتقرر مبدأ المسئولية الوزارية ، وجعل حل مسألة الدينون من عمل الوزارة ومجلس النواب وحدهما (١٧) . ومعنى ذلك انقسام النفوذ الاجنبى وتراجع نفوذ الخديو بعد ان اصبح نيابيا متحصسا ! .

وقد اقرت الوزارة الوطنية فى ١٠ ابريل ١٨٧٩ . استمرار مجلس شورى النواب على انعقاد جلساته ، لان مقتضيات الاحوال تستلزم بقاءه للمذاكرة والمفاوضة معه فى امور عامة ، والفت الحكريتو السابق صدوره بغض دور انعقاد ا ثم قدمت للمجلس فى ١٧ مايو ١٨٧٩ ما اعتبر اول مشروع لدستور نيابى برلمانى كامل (١٨) . فقد خول هذا الدستور ، اول اللائحة الاساسية لمجلس النواب سلطة البرلمان الحديثة فى اقرار القوانين (مادة ٢٧ ، ٢٨) وجعل الوزارة مسئولة امامه (مادة ٣٦) وجعل للنواب الاشراف على المصروفات وفرض الضرائب وتصيلها وتقرير الميزانية العامة (مادة ٤٥ و ٤٦) ، وبوجب على مجلس النظار المبادرة الى وضع قانون لمحاكمة النظار عند الاقتضاء (مادة ٣٦) ، واعتبر كل

دورته التى تنتهى بها مدة الهيئة النيابية الثالثة ، تحدى المجلس رغبة الوزارة . فستما توجه اليه رياض باشا وزير الداخلية بقرار الحل ، عارض للنواب ذلك « الا اذا نظر المجلس فى المسائل التى خمر عنها ، وفى الميزانية » ، والا اذا اعطى للمجلس حقوقيه واجيببت طلباته « (١١) . وفى هذه الجلسة التاريخية وجه عبدالسلام المولى لى الذى كان على صلة ودية بالخديو حيث انفضه الخديو من كيوته كاحد تجار القاهرة (١٢) نقدا شديدا لرياض باشا لانه وصف اهالى مصر « للجزانية » بانهم « هج » ، لا يوجد فيهم عشرة يفهمون ما يقال فى الجرائيل ، مع انه لا يصح نسبة جميع اهالى الوطن لهذه الصالة التى لاتليق » (١٣) .

الوكلاء عن « عموم الامة »

هم البورجوازيون وحدهم

ولقد دفع هذا الموقف من جانب شورى النواب بالموج الثورى للبورجوازية المصرية الى نراه . ففي ظل الشعور القومى الذى اصبح يمسود البلاد ، اخذت البورجوازية المصرية تنظم صفوفها للتخلص من الوزارة الاوروبية الثانية ونقل السلطة من يد الحكم الاجنبى الى يدها . فاختار اعضاء مجلس النواب والاعيان وضباط الجيش والموظفون والتجار يعتقدون عدة جلسات فى دار السيد البكرى نقيب الاشراف وفى دار اسماعيل راعى باشا رئيس مجلس شورى القوانين ، ثم وضعوا مشروع دلائمة وطنية ، رفعوها الى الخديو اسماعيل يوم ٢٠ ابريل ١٨٧٩ ، طالبوا فيها بمنح مجلس شورى النواب الحرية التامة وجميع الحقوق . وتقررون كافة الامور المالية والداخلية كما هو جاز فى بلاد اوروبا وتاليف وزارة مصرية مسئولة امام مجلس النواب عن جميع تصرفاتها ، وتكليف الوزارة « بتتقيق لائحة النواب الاساسية والنظامية ومعرضها على المجلس عند التمام » (١٤) . وقد بلغ عدد الذين وقعوا هذه اللائحة ، فى هذا « الحضر الاصلى » ٧٠ من العلماء ، ٦٥ من السياسات ، ٦٠ من

(١١) محمد خليل صبحى : تاريخ الحياة النيابية فى مصر ج ٤ ص ٢٦ - ٢٢ وكان تاريخ الجلسة ٢٧ مارس ١٨٧٩

(١٢) مكتوب عبد العزيز رفاهى : المرجع المذكور ص ١٠٢

(١٣) محمد خليل صبحى : المرجع المذكور

(١٤) نفس المصدر ص ٢٢ - ٢٣ ، بتكرات الأيام بعد عبده ص ٦١ « كتاب الهلال ابريل ١٩٦١ »

(١٥) توتوروف روشين : تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ - ١٩١٠ ترجمة عبدالصمد البناى ومحمد بدران ص ٨٥ و ٨٦ « القاهرة ١٩٢٢ » .

(١٦) نفس المصدر

(١٧) مكتوب محمد نواز شكري : المرجع المذكور ص ٦٦٩ .

(١٨) مكتوب نظمية الجيدة : مؤيد القانون الدستورى ص ١٨٨ ، مكتبة القاهرة الحديثة للطباعة .

عرضهما عليه شريف باشا في ٣٠ يولية • ثم لم يلبث حين وصل القريمان السلطاني بتمنيه ، أن أعلن أن الإصلاح بالصورة الواردة في اللائحتين المذكورتين سابقا لولائه • فقدم شريف باشا يوم ١٧ أغسطس ١٨٧٩ • ثم أصدر توفيق في اليوم التالي أمرا بالفاء مجلس النظار وأبطاله ، وألف وزارة بدون رئيس تولى هو رئاستها ، ومعنى ذلك الحكم المطلق (٢١) • على أنه لما كانت عودة الحكم المطلق على هذا النحو تجانب الصيغة الدستورية التي تم للتوصل إليها في أغسطس ١٨٧٨ في عهد اسماعيل ، وهي صيغة « الوزارة المستولة » ، فقد عاد توفيق • تحت أعراض القباصل ، التي هذه الصيغة مرة أخرى • وعهد إلي رياض باشا بتأليف الوزارة مستقطلا لنفسه حق حضور جلساتها ، وتولي رئاستها عند الاقتضاء •

وعلى هذا النحو عادت الأمور إلى ما كانت عليه تقريبا قبل المظاهرة العسكرية التي أسقطت وزارة نوفمبر ، مع غارقين هامين : الفارق الأول • هو أن أنفذ الاجنبي في عهد توفيق أصبح على أشده • لأن هذا التفوذ كان قد تمكن توا من خلع حاكم عن عرشه هو الخديو اسماعيل ، وكان متعطلبا ، لتوطيد أقدامه • أما الفارق الثاني • فهو أن القوى الوطنية التي كانت تحظى بمساندة الخديوية في أواخر عهد اسماعيل ، أصبحت تتعرض لضغط وقمع عنيفين في عهد توفيق •

وبالتسبب للتفوذ الاجنبي ، فإن شريف باشا كان قد اقترح ، في بداية عهد توفيق • على التفصيلين الانجليزى والفرنسي • ما كان قد سبق أن اقترحه الخديو اسماعيل بعد سقوط الوزارة الأوروبية الثانية ، من عودة منصبى المراقبين الماليين اللذين كانا قد ألغيا بعد تأليف للوزارة الأوروبية الأولى • وقد رفض عرض اسماعيل في ذلك الحين • ولكن اقترح شريف باشا قبل ، « لأن الظروف في مصر كانت في ذلك الحين لا تلائم إيجاد نظام حكم أوروبى مباشر - كما يقول كرومر • (٢٢) • على أن هذا القول اقترن بشرط • ألا يمكن لحزب عزل المراقبين إلا بموافقة حكومتهم وبهذا الشرط انقلبت المراقبة المالية إلى « مراقبة سياسية بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى » - كما يقول جلاستون (٢٣) •

نائب وكيل عن عموم الامة المصرية • لا من الجهة التي انتخبته فقط ، وله الحرية التامة في ابداء آرائه وقراراته ، ومتمتعاً بالحصانة البرلمانية (مادة ٨ و ٩ و ١٠) ، ثم عبر المستور عن طابعه اليورجوازى حين قصر عضوية مجلس النواب على المؤسرين فقط وحرم بها « انقراء المحتاجين والاشخاص الذين أعينوا على حالهم قبل الانتخاب بسنة (مادة ٣) وحصر عملية الانتخاب في مشايخ البلد فقط بحجة أنهم « معينون بسرعة الامالى » (١٩) •

تفاوت مبكر تعقبه نكسة

وعلى هذا النحو بدا كان القوى اليورجوازية قد انتصرت في صراعها مع القوى الاستعمارية ، وأن مصر قد تخلصت من التدخل الاجنبي في شئونها ولكن التدخل الفرنسى الانجليزى لم يلبث ان جاء ليقلب الموقف رأسا على عقب ، وذلك حين رأت فرنسا أن السبيل الوحيد لإبطال مسمى مصر في التحرر من التفوذ الاجنبي إنما يكون بالتصجيل بمنزل الخديو اسماعيل نفسه • ومع أن انجلترا لم تكن من هذا الراى ، إلا أنها لم تلبث أن اتفقت مع فرنسا والمانيا على أن تطلب الدول الثلاث من الباب المالى كأخر خطوات التدخل ، أن يبادر بمنزل الخديو اسماعيل • فتم ذلك في ٢٦-٢٧ يونيو ١٩٧٩ (٢٠) •

وبعزل اسماعيل يدخل نفسال اليورجوازية المصرية مرحلة جديدة • ذلك أن هذا العمل كان يمثل في الحقيقة نكسة كبيرة للحركة الوطنية ، وانفاضة حقيقية للتفوذ الاجنبي • فعين تسلم توفيق مقابلا السلطة طلب شريف باشا وكلفه بتأليف الوزارة على قاعدة الإصلاح الدستوري ، فألفها في ٢ يولية ١٨٧٩ • ولكن توفيق لم يلبث أن وجد نفسه بين قوتين متصارعتين : الأولى قوة زعماء الإصلاح الدستوري الذى كان على صلة وثيقة بهم في عهد والده ، وقوة القناصل التي منحه من أن ينزل عن شيء من السلطة التي كانوا يريدون أن يستعملوها باسمه • فأنهز لقوة القناصل ، وأمر « بتوقيف • اللائحة الاساسية وثلاثة الانتخاب اللتين أقرهما مجلس شورى النواب في أواخر عهد اسماعيل ، وللتين

(١٩) سليم خليل النقاش : مصر المصرية ج ٢ ص ١٥١ ، محمد خليل صبحي : المرجع المذكور ص ٢٤ - ٢٨ • دكتور

محمد نؤاد شكري : المرجع المذكور ص ١٧ - ١٧١

(٢٠) دكتور محمد نؤاد شكري : المرجع المذكور

(٢١) محمد خليل صبحي : المرجع المذكور ص ٢٧ - ٢٨ •

(٢٢) روشكين : المرجع المذكور ص ٨٨ •

(٢٣) Ibid P. 146

Bénot, op. cit. p. 127

Cromer, op. cit. p. 126.

لواخر عهد اسماعيل ، وكان من أغراضه السعي في عزل الخديو . وقد خدم هذا الحزب أغراض فرنسا في ضرب الحركة الدستورية بطريق غير مباشر حين توجه الافغانى في وفد من المصريين الى القنصل الفرنسى تريكو ليخبره بأن في مصر حزبا وطنيا يطلب تنازل الخديو . وأن الإصلاح لا يتم الا على يد ولي العهد توفيق باشا . كما سعى لدى شريف باشا لاقتناع الخديو بقبول التنازل عن العرش على أساس أن الناس في انصراف عنه ، وأنه اذا أراد المقاومة فإن الجيش سيخلفه في أول موقعة (٢٠) .

وعلى كل حال ، فقد سارع الحزب الوطنى الجديد الى اصدار منشور ضد رياض باشا في يوم ٤ نوفمبر ١٨٧٩ طبع منه مئتين ألف نسخة ، وتد فى الحكومة القائمة على أساس أنها « بشكلها الحالى ليست لها نشأة حقيقية فى البلاد ، فانها تقوم على أساس صناعى ، إذ أن الدول وحدها هي التى عاوت على تأليفها ، ولم يكن لكلمة رأى فى ذلك ، ثم بين أن برنامجها ينوى التهورش بالشعب عن طريق تقسيم التعليم الذى يناسب عاداته ومهن السكان ، ويرى أنه من الضروري أن يسرف الشعب حقوقه وواجباته » (٢١) . ولما اشتد رياض فى كبت حرية الرأى ، أرسل الحزب انجب اسحق الى باريس لإنشاء جريدة اسمها « القاهرة » لم يكن لها مهمة سوى رمى رياض بالاستبداد والظلم والرفعة فى بيع البلاد الى الاجانب حتى كانت تسمي « رياضسكون » (٢٢) .

وقد همد رياض تحت توجيه المراقبين المالىين وأعضاء صندوق الدين ، الى مقابلة كبار الملاك . فقرر فى ٦ يناير ١٨٨٠ إلغاء قانون المقابلة ، الذى كان تبويله قد قام على اكتاف هذه الطبقة بصفة خاصة ، فابتاع بذلك ما كان يقضى به هذا القانون من اقسائهم من نصف الرجوط على اطيافهم من الضرائب . وعندما نشر حصن موسى العقاد عن الملك مظلمة موجهة الى لجنة التصفية فسي جريدة « لايفورم » يصف فيها هذا المصل بأنه

على أنه لما كانت سلطة المراقبين تتوقف على نظام الحكم القائم ، فإذا كان مستوريا أصبحا خاضعين فى عملهما لنواب الأمة ، ولصبحت سلطاتهما بالتالى محدودة ، وأصبح منصبهما ثانويين وإذا كان الحكم اوتوقراطيا أصبحا سيدى مصر المتصرفين فى أمورها ، فقد كان لهذا السببان حددت حكومتا بريطانيا وفرنسا على توفيق لرفض الدستور (٢٤)

فى الوقت نفعمه لما كان رياض باشا قد أثبت أثناء توليه منصبه فى وزارة نوبار أنه آلة صماء فى أيدي الأوروبيين ، وكانت آراؤه فى الإصلاح الدستوري مسا يتشقق مع مصلحة النفوذ الاجنبى ، إذ كان يعتقد - كما يقول الشيخ محمد عبده - أن فى مجلس الشورى تمويجا عن عمل الإصلاح المطلوب (٢٥) . فلذلك رشحه القناصل لدى توفيق ليتولى رئاسة الوزارة المسئولة (٢٦) . وعلى هذا النحو خضعت مصر تماما للنفوذ الاجنبى وانتقلت السلطة من يد الخديو الى يد القناصل والمراقبين المالىين حتى لينكر كرومر أن رياض كان يوقع على بعض الاوراق التى يعرضها عليه دون أن يعنى بقرائنها (٢٧) .

الجيش يساند الحركة الدستورية

ولقد كان رد الفعل من جانب الجورجارية المصرية إزاء هذه الانتكاسة الكبيرة أن عصت الى تكتيل جهودها لمقاومة حكومة رياض ومقاومة السيطرة الاجنبية معها . فتألف فى نوفمبر ١٨٧٩ الحزب الوطنى برئاسة شريف باشا وعضوية شاهين باشا كليم وعمر لطفي باشا واسماعيل واغيب باشا وسليمان باشا وحسن شريف باشا ، وعبد من المظمار والكبراء والعلماء والنبهاء ، وجعل مركزه فى مدينة حلوان (٢٨)

وأما الحزب ليس هو الحزب الاول فى مصر كما يعتقد بعض الكتاب (٢٩) فقد سبقه الحزب الوطنى للحزب ، الذى ألفه جمال الدين الافغانى فى

(٢٠) روشين : المرجع المذكور ص ٩٩ - ١٠٠

(٢١) مذكرات الامام محمد عبده ص ١٠٧

(٢٢) Blunt, op. cit. p. 187

(٢٣) Cromer, op. cit. p. 184

(٢٤) مذكرات الامام محمد عبده ص ١٠٥ : عهد عباس : كشف السكان من سر الامراز ج ١ ص ١٤٨ - ٩

(٢٥) محمد عبده : قصة الحزب الاول : الكتاب عدد ٢٩ يونيو ١٩٦٤

(٢٦) مذكرات الامام محمد عبده ص ٦٢ - ٦٣ : السيد محمد رشيد رضا : تاريخ الاستعداد الامام

الشيخ محمد عبده ج ١ ص ٧٤ - ٧٥

(٢٧) يوسف خليل : الدكتور : تطور الحركة القومية فى مصر من ١٨٨٢ - ١٩١٩ ، ص ١٠٩ : هناك الدكتور عبد

نظير (١٩٥٧) ص ٢٩

(٢٨) مذكرات الامام محمد عبده ج ١ ص ١٤٨

(٢٩) مذكرات الامام محمد عبده ج ١ ص ١٤٨

الغالبية فيه . ففي خلال حكم عيسى وسعيد واسماعيل أخذ العنصر المصري بين الضباط يتزايد حتى أصبح يهدد البقية الباقية من نفوذ العناصر التركية والشركية (٢٨) وحتى لم يعد يزيد عدد الضباط من هذه العناصر على ٨١ ضابطا (٢٩)

ومنتذ عام ١٨٥٤ بدأت تدخل في سلك الضباط عناصر من البورجوازية الصغيرة وذلك حين أمر سعيد بانتظام أولاد العمد ومشايخها في سلك العسكرية . وكان ذلك بمثابة اللقاء بذور الثورة في أرض خصبة ، لأن هذه العناصر البورجوازية الصغيرة لم تلبث أن وجدت نفسها تنفخ في جو ثقيل من النفوذ التركي والشركي الذي كان يسيطر على الجيش . ولكن كان هذا المناخ أقل حدة في عهد سعيد ، إلا أنه لم يلبث أن اشتد في عهد اسماعيل على نحو راح يهدد للثورة .

ومن المحقق أن ظروف النضال المستوري الذي كانت تخوضه البورجوازية ضد الخديوية وظروف الصراع على السلطة بين الخديوية والوجبة الدولية كانت عاملا هاما آخر في اجتذاب الضباط الى العمل الوطني . فلم يكن في وسع الضباط وهم جزء من البورجوازية المصرية المناهضة أن يبقوا بمعزل عن مجتمعتهم في وقت كانت تضطرب جوارحه بالثورة . ففي ذلك الحين - كما يقول كرومر كانت عادة الطاعة التي ورثها المصريون عن آباؤهم الأولين قد امتزجت بعنف ، ولم يكن من الممكن تهذبة الغليان في نفوسهم في الحال وكانت النذر تشير الى وقوع مزيد من الانهيار في جهاز الحكم اشد من أي انهيار سابق . قيل أن يمكن الوصول الى المياه الدافئة لمهد من التقدم العلمي . وقد أورد كرومر عبارة قالها له سياسي معروف من حزب المحافظين : « أن الشرق في حاجة الى ثورة » (٤٠) .

وقد بدأت أولى مقدمات الثورة في الجيش حين أدركت الوزارة الأوروبية الأولى بشكاء مصصر الخطر على النفوذ الأجنبي الزاحف ، وهو الجيش الوطني ، فصعدت في غير نكاه الى الاستبداد به ومحاوله تصفيته بانقراض عدده وإحالة عدد كبير

استبداد إحالة رياض الى المحاكمة ثم نفاذ الى « فانونغلي » في السودان (٢٢) . وفي ١٨ يناير قرر رياض زيادة الضرائب على الأراضي العشوية بمقدار ١٥٠,٠٠٠ جنيه سنويا (٢٤) فكشف بذلك في جلاء عن هدفه في معاقبة كبار الملك ، لأن هذه الأراضي في الاصل هي الامكانيات التي انعم بها الولا السابقون على كبار رجال الادارة والجيش والاعيان ، وكانت في البداية معفاة من الضرائب لانها في معظمها أراض بور ، ثم فرض محمد سعيد باشا عليها العشر في ٢٠ سبتمبر ١٨٥٤ (٢٥) .

وفي الوقت نفسه اشتد رياض على اعضاء الحزب الوطني بالمراقبة والتهديد وبالسنج حتى ائتمنى بعضهم بالدول الاجنبية ومنهم حافظ باشا وولده محمد بك نشأت الذين دخلا في حماية النمسا ، وشاهين باشا كنج الذي دخل في حماية إيطاليا وقد أمر الخديو بتجريد من رتبة والقباه الرسمية لهذا السبب (٢٦) .

وعلى هذا النحو كانت حركة البورجوازية المصرية تمر بآزمة كبيرة وانتكاسة لعمدة حين ظهرت حركة الضباط العربيين ، فساكتشتف البورجوازية المصرية انها « ليست من الضعيف والعجز بحيث ظننت نفسها ، وأن لها في الجيش المصري قوة طبيعية متجمعة لا يستهان بها ، فإذا استطاعت أن تقسمه الى جانبها في قضية الإصلاح المستوري فإنه لا بد قباض على ما حاق بها من شدة وهوان » (٢٧) وهكذا التقى الرفادان : رافسد الحركة الدستورية ورافد حركة الجيش في مجرى الحركة الوطنية العريضة .

مقدمات الثورة العربية

المظاهر العسكرية الاولى

والجيش المصري في ذلك الحين كانت الانفراد تعدد للقيام بدوره التاريخي الذي قام به في المجالين القومي والوطني . فمهد قيام الثورة كان الجيش يمد المؤسسة للوحدة من بين مؤسسات الدولة التي لم يكن للعناصر التركية والشركية

(٢٢) انزالى ، عيد الرحمن : الزعيم اميد عرابي ص ٢٧ - ٢٨ « كلف الهلال مارس ١٩٥٢ »

Cromer, op. cit., p. 122

(٢٤)

(٢٥) دكتور عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور

(٢٦) اميد عرابي : كشف الستار .. الخ ص ١٢٩

(٢٧) روشين : المرجع المذكور ص ١٢٢

(٢٨) 1882 To 1885 p. 14 (London 1900), Royle, Chares; The Egyptian Campaigns

Cromer, op. cit., p. 127.

Blunt, op. cit., p. 252.

Cromer, op. cit., p. 118.

(٢٩)

(٤٠)

العراقية بعد ذلك . ثانياً ، أن التجاذب الذي لقيته هذه المظاهرة في قلب وزارة تلقي التأييد الإيجابي ، كان مثلاً يحتذى به ودرساً هاماً لتلقنه المظاهرات العراقية ، وكان له أثره في أحداث الثورة العراقية .

وفي الحقيقة أن الثورة العراقية تختلف عن كل الثورات الأخرى في أنها لم تقم أساساً فسد السلطة ، ولم تسع للاستيلاء عليها ، وإنما بدأت بتشجيع من السلطة وبإيعاز منها كما سوف نرى فلقد رأينا كيف أراد توفيق ، بعد استقالة شريف باشا ، أن يرتد إلى نظام الحكم المطلق السائد قبل تأليف « الوزارة المستقلة » في أغسطس ١٨٧٨ ، وأن يستجمع في يديه مقاليد السلطة ، فألف وزارة جديدة بدون رئيس وزارة ، وجعل نفسه رئيساً لها ، وكيف اعترض القنصل على ذلك ، فألف توفيق وزارة جديدة تحت رئاسة رياض باشا الذي رشحه القنصل ليحكم باسم المليونين الأوروبيين وأصحاب المصارف وحملة السندات . كذلك رأينا كيف انقلبت المراقبة المالية إلى مراقبة سياسية بحرمان مصر من حق عزل المراقبين الماليين دون موافقة حكومتها . ولقد كان مقبولاً أن الوقت قد مر تقريباً إلى ما كان عليه في عهد الوزارة الأوروبية الأولى ، فقد أصبح توفيق - كما يقول بلنت - « مسلوب السلطة ، وأصبح يعامل بن القنصل الذين اطاعهم ومن ورائه كآله دمية » (٤٤) .

ولما كان تجمع ظروف أو مقدمات معينة يؤدي غالباً إلى نتائج متشابهة ، فإن توفيق أصبح يعاني من كراهيته لرياض باشا ما كان يعانيه والده اسماعيل من كراهيته لنواير . وكما أن اسماعيل أصبح يسمى لطرد نواير ، فإن توفيق أصبح بدوره يسمى لطرد رياض باشا . ولما كان اسماعيل قد استعان بالجيش في تحقيق هذا الغرض ، فقد كان ذلك هو النموذج الذي اختاره توفيق للتخلص من رياض باشا .

وقد شرح الشيخ محمد عبده هذا الدور لتوفيق في تشجيع ضباط الجيش على التظاهر لنزع رياض باشا ، فقال إن الخديو توفيق « لم تكن له أمنية ألا عزل رياض باشا ، ولكنه كان يظن أن قنصل الدول ، خصوصاً قنصل فرنسا وأنجلترا يمارضان في عزله أو إزالته ، فاستأذ بتلصص الوسائل لفصله من وجه يحمل الدول على أرضه به بدون ممارسة » . فاستلهم بعض من حوله نظراً جنابه إلى الحادثة القريبة العهد التي كانت سبباً

من الضباط (٢٥٠٠) ضابط إلى الاستيلاء بحجة التوفير لإدام اقتطاع الديون . ثم دعت هؤلاء الضباط الذين لم يكونوا قد تسلموا مرتباتهم من عدة شهور لتسلم جزء من هذه المرتبات وتسليم أسلحتهم ، فحشدت بذلك في القاهرة نحو ٢٥٠٠ من الضباط المساحطين ، وكانت تلك هي الفرصة المناسبة للخديو اسماعيل لضرب الوزارة الأوروبية الأولى ضربة قاصمة . كما ذكرنا - ففحت تأثير الحركة اللياقية التي كان يخوضها ضد الوصاية الدولية ، لم يتردد في استخدام الجيش المصري على نحو ما كان يستخدم مجلس شورى النواب . فحين مرض عليه شاهين باشا كثر مقادير الضباط تصالح الخديو قائلاً : « ما الذي يبغى هؤلاء الضباط مساكنين ؟ » (٤٦) ولم يسكن الضباط فقد قاموا بمظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ وسقطت الوزارة الأوروبية الأولى .

ولقد تقيض على عرابي وزميليه محمد بك الهادي وعلى بك الرويحي في أعقاب هذه المظاهرة بتهمة التحريض عليها ، على أنه كان في الحقيقة بريئاً منها . ومع ذلك فعين أطلق سراحه ، دوماً زميليه إلى اجتماع المقترح فيه أن يشتركوا جميعاً في عمل الخلع الخديو اسماعيل . ولكن هذا الاقتراح لم يقدر له التنفيذ ، إذ لم يكن هناك في ذلك الحين من يتولى القيادة على حد قول عرابي . وقد علق على ذلك قائلاً : « ولو تم ذلك لكنا قد تخلصنا من أسرة محمد على بأسرها ولكننا أعلننا الجمهورية » (٤٧) .

ومن المضحك أن عرابي - فيما حدا هذه المحاولة المتواضعة - لم يشترك بأية صورة من الصور في النضال الدستوري في عهد اسماعيل . وقد أورد تشارلز رويل Charles Royle أنه التحق بجمعية سرية قبل حملة الحبشة ، ولما عاد منها استأنف اتصاله بها وأصبح رئيساً لها (٤٨) . على أن هذه الرواية لا دليل عليها في المصادر الأخرى ، كما لم يرد أي شيء عنها فيما كتبه عرابي .

على كل حال ، فإذا كان عرابي لم يشترك في مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ ، إلا أن هذه المظاهرة من جهة الواقع تعد أولى مقدمات الثورة العراقية لمسيبين : السبب الأول ، أن هذه المظاهرة قد وصلت إلى اضطراب في الجيش وهزت نظامه بصفه . وكان لذلك تأثيره المحقق فيما وقع من أحداث الثورة

Idid p. 82.

Bunt, op. cit. p. 492.

Royle, op. cit. p. 15.

Bunt, op. cit. p. 128.

(٤١)

(٤٢)

(٤٣)

(٤٤)

الى الرتب العليا (٤٩) * ولما كان هذا الاجراء يمس بصفة خاصة الضباط المصريين من أبناء العهد والمشايع الذين لم يخطوا الكلية الحربية ، وانما دخلوا العسكرية انفرادا ثم ترقوا من تحت السلاح ، فقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك اشتغال مرجل الغضب والاضطراب في نفوسهم جميعا *

ولسنا يسبيل الحكم على هذا الاجراء من جانب حكومة رياض باشا من حيث المصواب والخطا ، فان الدولة في مصرنا الحاضر تمنع ترقى غير الحاصلين على مؤهلات متوسطة من الموظفين الى الدرجة الثالثة حفاظا على مستوى الادارة العليا ، ولكن شعور الضباط المصريين بان الهدف من هذا السلم هو اعطاء الافضلية للضباط الشراكسة دون المصريين في جميع الترتيبات والترقيات ، وابقاء القيادة العليا للجيش في ايدي هؤلاء الضباط * وجعل لبناء الوطن انفرادا تحت تسلط الترك والجرىس - كل ذلك قد نفهم للمثل دافعا عن مصالحهم دون ابطاء *

وكانت اشارة البده ل هؤلاء الضباط بالعمل ، حين اصدر عثمان رفقى ناظر الجهادية الشرعى امره باحالة عبد المال بك حامى الى ديوان الجهادية ليكون مساونا فيه ، وكان عمره اذ ذلك اربعين سنة ، وعين خورشيد بك عثمان بدلا منه ، وهو ضابط شرعى يبلغ الشامخة والستين من عمره * كما اصدر امرا آخر برقت احمد بك عبد الغفار قائمقام الصواري ، وكان في الاربعين من عمره ايضا واقام مكانه ضابط آخر شرعيا *

ففى نفس الليلة التى صدر فيها هذا الامر توجه احمد عرابى الى بيته ليجد فى انتظاره كلا من الاميرالى عبد المال بك ، حامى ، واليكباشى خضر وعلى بك فهمى واليكباشى محمد عبيد واليكباشى الفى يوسف والقائمقام احمد بك عبد الغفار ، « وكانوا فى هياج عظيم » ، وفى هذا الاجتماع دار حوار لكى اذاره عرابى : فقد طلب الى الضباط أولا أن يفوضوا الى رؤسائهم النظر فى مصالحهم وهم يتفخون من بينهم رؤسا يتقنون به ويطمعون لمره ويحفظونه بمصالحهم اذا ارادت الحكومة شرا * وقد رد الضباط بانهم يتقنون ولا يريدون سواه * فقال ان الوقت صعب ولا يسمع الحكومة الا قتل من يتصدى له * فقالوا : « نحن ننفذ ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا »

فى هزل نوبار باشا من رئاسة الوزارة أيام الخديو اسماعيل ، فراها اتجع الوسائل * ثم قال الشيخ محمد عبيد ان الخديو توفيق * اخذ من ذلك العهد يقرب منه امير الايى الاول الذى كان يحرس السراى ، وهو على بك فهمى ، ويستدعيه الى مجالسه الخاصة ويمارجه ، ويظهر له لمانيه فى الاجسام عليه ، وعدم وجود السبيل الى ذلك ، حتى قال له مرة : « انى اردت الانعام عليك بالف جنيه ، ولم يمكن ذلك لمعارضة رياض باشا ومرة قال : « انى اردت الاحسان عليك برتبة اللواء فلم يقبل رياض باشا * وامثال ذلك ، حتى اعتقد على بك فهمى ان الخديو توفيق ساهط على رئيس نظاره ، وان رئيس نظاره هو منفعة ومنفعة اخوانه ، وعلى المألوف عندنا لم يخف شرم من ذلك عن بقية الضباط الكبار ، بل ولا على كثير من الخاصة ومن يحبون الوقوف على حقائق ما يجرى حولهم » (٤٥) *

ومن الحقائق الثابتة ان عرابى لم يكن معاديا للخديو توفيق عند صعوده الى الاريكة الخديوية ، بل لقد كان الامر على العكس ، فقد كان توفيق هو الذى رقاها الى رتبة امير الايى التى كان يصوب اليها طوال عهد اسماعيل ، وقد عينه ياورا خديويا ضمن ياورائه ، واميرا على الفتى الجديدة الرابع بالمباسية (٤٦) * ووفق ذلك فقد كان متزوجا من كريمة وصيفة الامير الهامى باشا ، وهى اخت حرم الخديو توفيق فى الرضاة (٤٧) * ومن اجل ذلك كان عرابى - كما يقول بلنت - يرى فى توفيق مركز نفوذ لصالحه (٤٨) *

التمام الحزب العسكري

بالحزب الوطنى

ولقد كانت الظروف فى التى اتاحت للخديو توفيق استخدام الضباط فى اسقاط رياض باشا كما اتاحت ذلك للخديو اسماعيل من قبل دون تدبير فى حادث مظاهرة ٨ فبراير ١٨٧٩ ، فقد اهتمت حكومة رياض فى اواخر عام ١٨٨٠ بتخفيض عدد الجيش وحصر ترقى الضباط فى خروجه الكلية الحربية دون غيرهم ، ومعنى ذلك تجميد الضباط المرقين من تحت السلاح وصحانهم من الوصول

(٤٥) مذكرات الامام محمد عبيد ١٠٩

(٤٦) مذكرات عرابى ج ١ ، ص ٩١

(٤٧) سليم خليل نقاش : الفرج المكدود ج ٤ ص ٢٢

Blunt, op. cit. p. 128.

(٤٨)

(٤٩) مذكرات الامام محمد عبيد ، ص ١١٧ ، مذكرات عرابى : الفرج المكدود

فطلب اليهم ان يقسموا له على المصحف والسيف ، فاقسموا ، وعاهدوه على ان يكون قائدا عموميا مطالبيا بحقوقهم وحقوق آبائهم ، وتقساموا بالايديان على حفظه من كل من يريد به سوء ما دام فيهم الحياة وانهم لا يصونون له امرا ولو كان فيه ازهاق ارواحهم (٥٠) .

القبض على الثلاثة فوز وجوبهم الى ديوان الجهادية بقصر النيل ، والقوا في السجن ، وب اليكياشي محمد عبيد بالمعسكر الذي تحت قيادته ، وقام بهجوم خاطف على الديوان ادخل به الريحب في قلوب الحكام والضباط الشراكسة ، وفتح معتقل الضباط عنوة واطلق سراحهم . ولم تجد الحكومة ازاء هذا العمل مفرأ من الانذمان ، فمزل ناظر الجهادية عثمان رفقي وعين مكانه محمود سامي البارودي (٥٢) .

وعلى هذا النحو تألف الحزب العسكري في يناير ١٨٨١ . وقد بدأ عمله بإرسال مريضة الى رياض باشا تضمنت مطالب ثلاثة هامة : الاول ، عزل عثمان رفقي باشا . والثاني ، اعادة النظر في قوانين الترقية بحيث تكفل العدل والمساواة بين جميع الضباط ، والثالث ، اجراء تحقيق للتبتمن اخلية من تمت ترقيتهم واستحقاقهم لها . وقد وقع المريضة احمد عرابي وعلى فهمي وعبد المال حلمي (٥١) .

كان هذا الحادث هو الثاني من نوعه في تاريخ الجيش المصري . وقد سار على وتيرة التمرد الذي سبقه ، فبدأ بترديد مظالمه قتل عنابة كافية ، ثم تدرج الى تمرد ، وانتهى الى انذمان كامل لإرادة المتمردين (٥٤) . ويلاحظ ان الجيش في هذا الحادث ، كما كان في الحادث الذي سبقه لم يكن يدافع عن مصالح عامة وانما عن مصالحه الخاصة . وهذه الحقيقة تختلف عما ذكره عرابي في مذكراته . فقد اورد ان المريضة التي قدمها وزميليه باسم الضباط قد اُعتوت على مطلبه

لكيف كان موقف توفيق من هذه المريضة ؟ يقول الشيخ محمد عبيد ، ان الاختيار لُغدت تأتي الى الضباط بان الخديوي لا يايى لاجابة طلبهم ، بل يحب ان يمكن لهم امنيته ، وان رياض باشا هو الذي لا يريد ذلك بينما كان الامر على العكس ، فقد اقترح الخديوي في مجلس الوزراء اعتقال الضباط ومحاكمتهم رغبة في ترويض رياض باشا في صدام مع الضباط ، بينما كان رياض المريص يرى اجابة طلب الضباط في تسليف المجلس العسكري . ولما زاي توفيق ان رياض يص على رايه اوجع اليه سرأ ان موقفه سوف يلقي ظلالا من الشك على ولائه ، فسمح باعتراضه (٥٢) .

وتأليف مجلس نواب من نيهام الامة (٥٥) . على ان أحدا من المعاصرين لم يوافق عرابي على ذلك ، وعنده محمد عبيد وصديقه بلنت . بل لقد ذهب محمد عبيد الى حد اكبر ، فقال ان عرابي « لم يكن ببالة ولا يهتف في منامه ان يطلب اصلاح حكومة أو تعيين رئيسها ، ففلك ممة كان يكره الى وهمه ان يتسالى اليه » (٥٦) . وهذا الاعتراض على ما أورده عرابي معقول ، لان الحادث انتهى — كما رأينا — سيمزل عثمان رفقي باشا فقط دون أي شيء آخر ، ولو ان مطلب تاليف مجلس النواب كان من بين المطالبات ، لظهر أثر ذلك في الأحداث التالية ولاخبرنا عرابي ممة آل اليه هذا الطلب سواء فيما يتصل بموقف الحكومة أو موقف الضباط منه ، ولكن من الواضح تماما ان عزل عثمان رفقي قد أزعج الضباط وان عودة التمرد في حادث عابدين انما يرجع لاسباب أخرى غير التي انتجت حادث قصر النيل .

وما حدث يومئذ لذلك معروف ، فقد تقرر القبض على اصحاب المريضة الثلاثة وسجنهم يوم ٣١ يناير ١٨٨١ . ولم يتخذ هذا القرار بقوة الحكومة ، ولكن بأسلوب الخيانة والخدر ، فقد دعى الضباط الثلاثة للمذاكرة في ترتيب حفل زفاف شقيقة الخديوي اول فبراير . ولما كان موضوع الدعوة لا يحتاج بطبيعة الحال الى مذاكرة ثلاثة من ابرام الالات ، فقد فطنوا للحيلة ، وقرروا مقاسمة المؤامرة بالقوة . وبناء على ذلك ، فنعلم ان

على كل حال ، فان هذه السجين من فكرة السلطنة

(٥٠) مذكرات عرابي ص ٥٧ — ٥٨ ، الهلال كمدخل في ١٩٧٩ ، مكتب عرابي الى رئيسه ، استخراج جمع ٢٥ سبتمبر ١٨٨٢

(٥١) مذكرات محمد عبيد ص ١٢٢ — ١٢٣ ، Elnad, op. cit. p. 120; Oromer, op. cit. pp. 128 — 129.

(٥٢) مذكرات محمد عبيد — ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، Oromer, op. cit. p. 140.

(٥٤) مذكرات عرابي ص ٥٨

(٥٦) مذكرات الامام محمد عبيد ص ١٥٩ ، Elnad, op. cit. p. 128; Oromer, op. cit. p. 128.

الشدة المالية حتى تسمح لهم طرق التكسب المخبية . ولتصل فرنسا ، البارون دى رنج ، يسمى فى الانتقام من رياض باشا ويجب أن يأتى خلف له يمكنه مجارته فى مطالبه . والجناح الخديو لا يكره أن يتخطى رياض باشا عن رئاسة النظار ، بل أن تلك أمنية من أمانيه (٦٠) . وعلى هذا النحو أخذت حركة الضباط تتجه برفدها الضيق ، رافد المصلحة الخاصة ، لتصب فى المجرى الرئيسى للحركة الوطنية .

وهناك خلاف حول من سعى الى الثاني: هل سعى القادة العربيون الى الزعماء الدستوريين والذين علم الدستور أم سعى الزعماء الدستوريين الى الضباط العربيين يستعينون بهم فى انصافهم من اجل الدستور ؟ *

اما الشيخ محمد عبده فيقول ان ما دخل قلب عرابى من سلطان الخوف من حادث قصر النيل وما أخذ يتحسّر له لمن سبّاس بعد الحادث ، كان المابلون فيها من خاصة الجناح العالى بعد دفعه الى التماس قوة تفوق قوته وقوة الحكومة مما قوة يكون من حقا مراقبة افعال الحكومة ومناقشتها المصمب . فرأى انه لو كانت فى البلاد قوة نهائية وكانت حكومتها حكومة شورية ، لكان مجلس الامة عاصما لحياته حافظا لحقوقه . لهذا أراد أن يستعمل ما بيده من السلطة على الجيش فى المطالبة بانشاء مجلس نواب يكون له من الحقوق ما لمجالس النيابات فى اوربوا . فاهذ يخاطب العلماء ويخاطب بعض الاعيان ومشايخ المعريان ، ويقرر لكل من لاقاه ان لا يسبل الى مقتضا الا بتأييده فى طلب مجلس النواب . واستحثه الحرص على ادراك المطلب الى اقتاع ضباط الجيش بالا سبيل الى الصعود الى أعلى مراتب الرقى والمناصب الا بمجلس النواب . ولم يكنه ذلك فكان يطلب الى بعض الضباط أن يكتبوا الصرائف يبينون بهسا جبرورة انقسام المجلس (٦١) .

اما « بلت » فيقول العكس ، وهو ان الزعماء الدستوريين هم الذين سموا الى الضباط . فعلى حد قوله ، لقد اعتزجت بالحركة مصمالم اخرى :

لكن تخضر دبال الضباط الثلاثة عند قيامهم بتكاليف حزيهم ، ولا عند ترتيبهم الهجوم على قصر النيل ، بل لهم لم يطلوا لتغيير رئيس الحكومة رغم عليهم بالحراف الخديو توفيق عنه . وفى الحقيقة أن خطة الضباط قبل تقديم المريضة كانت قائمة على حماية الخديو والسائلة الخديوية والوزراء لو حدث من الضباط الخراسكة حادث ، ولكنه فسد مجرم محمد عبده على قصر النيل وقتت الاورطة الاولى فى ساحة عابدين « فى هيئة طاير » ، وكان وقفها على هذا النحو . كما يقول عرابى : « لاجل حفظ الخديو مما عسى أن يطرأ من الامور » (٥٧) . اما بالنسبة للسلطة الفعلية التى كانت فى يد القناصل ، فلم يتحسّر لها الضباط ، بل لقد طلب الضباط وساطتها فى النزاع بينهم وبين الحكومة ، فكتب عرابى الى القنصل الفرنسى دى رنج de Rong بعد اطلاق سراحه وزميليه راجيا أن يخبر وكلاء الدول المتحاربة ومصمما قنصل جنرال دولة انجلترا بأنه قد حصل خلاف بيننا وبين حكومتنا ، واننا نؤمل منهم للتوسط فى اصلاح ذات البين (٥٨) .

على ان الحادث مع ذلك كانت له كثره اليميدة ، فاذا كان عرابى وزملاؤه لم يصعدوا الى السلطة فى هذا الحادث ، الا ان السلطة لم تلبث أن سمت اليهم . فكما يقول « بلت » لقد اكسب الحادث عرابى شهرة كبيرة يحصل اسمها عليه جميع الافواه كرجل استطاع أن يتحدى الحكومة بنجاح ويرسمها على تغيير الوزراء (٥٩) . ويصور الشيخ محمد عبده نتائج الحادث فى صورة بليغة فيقول : « هب عند ذلك جميع الرأغبين فى تغيير الحال من علماء واهيان ونواب وكلم ومقررين من الخديو ، واتحدت وجهتهم فى الغاية وأن اختلفت فى الدوامى والبواعث : فطلاب مجلس النواب يؤملون فى التغيير أن ينالوا تاليفه . والمتضجرون من استبداد بعض المأمورين ، والضاغفون من أن يؤخذوا بالشيء ، يرجون بالتبديل كثفا لكرتهم وأما على انفسهم ، والواجدون من السلطة الاجنبية يرجون شفاء شر من وجدهم . والدوات الكرام الكالمون فى رجوع سلطتهم على ايدان الرعية واموالها يطلمون فى ارضاء شرهم . والاجانب الريويون يطلمون الى انقلاب تزييد به

(٥٧) مذكرات عرابى فى الرجوع الى مصر من ٥٩ - ٦٧

(٥٨) نفس المصدر : ص ٦٧

(٥٩) Shm, op. cit. p. 280.

(٦٠) مذكرات الامام محمد عبده من ١٢٥٠ - ١٢٦١

(٦١) نفس المصدر : ص ١٤ - ١٤٤

ففي استشارة الإلهام في بعض مجالس خاصة بإيديريات والمحافظة ، ويكون ذلك تمهيدا لما يراه من تقييد الحكومة ، وقد أثار الشيخ محمد عبده قضية هامة هي مشروعية الدستور الذي يأتي عن طريق القوة العسكرية فقال : « لو فرض أن البلاد مستعدة بأن تشترك الحكومة في إدارة شئونها ، فطلب ذلك بالقوة العسكرية أمر غير مشروع » فلو تم للجنود ما يسعى إليه وثالث البلاد مجلس شورى لكان بناء على أساس غير شرعي فلا يثبت أن يذهب ويؤزل ، (٦٢) »

وعلى هذا النحو ، ففسى الوقت الذي كان الضباط والإعيان يرون الأسيول للحصول على أي مكسب دستوري إلا عن طريق القوة إلا عن طريق إجراء ثوري ، كان المفكرون ينادون بإحترام السلطة وتقديسها ويشعرون أي عمل عسكري حتى ولو تحققت به إرادة الأمة .

ولقد حدثت محاولة من سلطان باشا للعمل منفردا دون إشراك الجيش ، فقد اتصل بالإعيان في الوجه القبلي والبحري لتكليف وقد يطلب إلى رياض باشا ويبلغ عليه في الطلب أن يستصدر من الجناب الخديوي أمرا باستدعاء مجلس النواب ، وتخويله حق النظر في وضع دستور يوسع من سلطاته حتى يكون كمجالس النواب في أوروبا . ولكن هذه الاتصالات لم تسفر عن نتيجة حاسمة ، فقد انصاع البعض وعارض البعض الآخر ، وبذلك فشل تكليف الوفد ، وإزاء هذا الاقلاص من جانب البرجوازية المصرية ، لم يجد سلطان بدا من الانقلاب إلى عرابي ، فماله على أن يجمع له أعيان القسطنطين البحري والقبلي وعلماء على تمضيد طلبه متى استقال رياض باشا (٦٤) .

في ذلك الحين ، وبينما كان الاتفاق يدور بين البرجوازية المصرية والحزب العسكري لاستخدام الجيش في الحصول على دستور ، يتقل السلطة من يد الخديوي إلى يد الأمة ويعنى آخر إلى يد البرجوازية ، كان الخديوي توفيق يسعى من جانبه هو الآخر لاستخدام الجيش من حيز رياض باشا واسترجاع السلطة الفعلية التي كانت مركزة في يد القناصل والمراقبين المالبين . وقد أكد « بللت » على حقيقة دور الخديوي توفيق في مظاهرة عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ فقال : « من المؤكد تماما أن فكرة المظاهرة بأهدافها المحددة كان توفيق قد أخذ

هالي جانب الإعيان الذين سبوا إلى عرابي ، أخذ يسمى إليه أيضا الزعماء الدستوريون الذين أعيدوا حليفهم ، والذين كانت فكرتهم عن الدستور تنحصر في تخليص السلطة من يد الخديوي ووضعها في أيديهم . وكان رئيس هؤلاء الدستوريين شريف باشا الذي وجد نفسه خالدا الصفي (١٨٨١) على اتصال بعرابي عن طريق مراسلات وثيقة وإن كانت غير مباشرة من أجل الحصول على دستور يمهّد لشريف العودة إلى رئاسة الوزارة . ولما كان عرابي يهبط على الحركة الدستورية فسرعان ما استجاب للفكرة ، خصوصا وأن سلطان باشا الذي كان أقوى الإعيان ، وكان دستوريا كذلك ، كان واسطة الاتصال بينه وبين شريف باشا . وقد اتفقا فيما بينهم على أنه حتى حانت اللحظة المناسبة فإن عرابي يرمي بنقل نفوذ الجيش في كفة أي ضغط قد يكون مطلوباً لحمل الخديوي على الموافقة على الدستور (٦٢) »

وعلى كل حال ، فسواء أكان الساعون إلى الاتصاف هم القادة العرابيون أم القادة الدستوريون فقد أخذت الاجتماعات تتعد بين الفريقين لتقريب وجهات النظر والاتفاق على برنامج عمل . ويقول معاصريه ، هو الشيخ محمد عبده ، الذي كان معروفا في ذلك الحين - على حد قوله - « بمناورة الفتنة واستهجان ذلك الشغب العسكري وتمسوة رأي الطالبين لتكليف مجلس النواب على ذلك الوجه ، وبذلك الوسائل الحمقى » ، أنه كان يذهب لزيارة سلطان باشا أحيانا ، فيرى من لدن الباب عرابي وبعض رفقاءه جالسين فيه ورموسهم بأدية من التواضع ، فإذا استأنزلوا لدخول وسمعوا أسمى ، أسرعوا بالفرار من محل الاستقبال العام إلى محل آخر ليختلوا ثم ينصرفوا » ويقول أنه مرأ في إحدى المرات ببيت « طلبة عصمت » فسمع جلية ورأى بعضا من صفراء الضباط يجسولون من جانب إلى آخر من البيت ، فسأل للزيارة ، فوجد عرابي وجمعا من الضباط ، وأحد أصابته للبرمسة الحربية ، وكان حوار بين الشيخ محمد عبده من طرف وبين عرابي واستأذنه المرسلة الحربية من طرف آخر ، « هما يقولان : لن الوقت قد حان للتخلص من الاستبداد وتقرير حكومة شورية » والشيخ محمد عبده يقول بالترج : « علينا أن نذهب الآن بالثورية والتعليم بعض سنين ، وأن نحمل الحكومة على العمل بما تستطيع وإن تدا يترغيبها

(٦٢) Blunt, op. cit. pp. 166 - 5.

(٦٣) مذكرات الإمام محمد عبده ص ١٥٢ - ١٥٤ .

(٦٤) نفس المصدر ص ١٥٢ .

ضوء التفسيرات الجديدة السابقة الفكر . وفي الواقع أن توفيق كان مسؤول السلطة في عهد وزارة رياض « المبتولة » ويتبين ذلك بوضوح إذا عرفنا أنه في يوم عابدين كانت المفاوضات بين عرابي والخديو تتم عن طريق القناصل وليس عن طريق الوزراء . فقد استشار الخديو المير لوكند كلفن المراقب البريطاني العام قبل الحادث ، فاشار عليه بأن يسبق عرابي إلى العمل ويستدعي القوات المالية له ومعه ما يمكن جمعه من رجال البوليس الحربي ، ثم يقبض على عرابي فور حضوره . وقد أيد كلفن في ذلك ستون باشا الأرميني كما أيد أيضا المير تشارلز كوكسن القائم بعمل القنصل البريطاني ولكن توفيق خشي أن تطلق قوات عرابي النار عليه . وعندما وصل عرابي إلى ساحة عابدين على رأس قواته ، نصحه كلفن بأن يذهب نصحه به ، فاحجم الخديو أيضا . وعندما قدم عرابي إلى الخديو مطالبه الثلاثة : اسقاط وزارة رياض ، ودعوة البرلمان إلى الانسحاب ، وزيادة عدد الجيش إلى ١٨٠٠٠ جندي ، تحول توفيق إلى كلفن قائلا : « هل سمعت ما يقول ؟ » فنصحه بعدم مناقشة مثل هذه المسائل مع قائممقامات في جيشه ، وإن يترك له المناقشة تماما وهذا ما حدث ، إذ ادار « كلفن » و « كوكسن » المناقشات مع عرابي ، ولذا يترددان بينه وبين الخديو في العصر حتى انتهت المفاوضات بموافقة الخديو على اقالة الوزارة وتأجيل الطلبين الباقيين إلى ما بعد الرجوع بشأنهما إلى الباب العالي (٧٠) .

في الواقع ان هذه المظاهرة العسكرية وان لم تستهدف اسقاط حاكم ، إلا انها اسقطت نظام حكم . فقد اسقطت نظام الحكم المطلق ، واقامت مكانه نظام الحكم الدستوري . ولما كان هذا الحكم الدستوري ينقل السلطة من يد الحاكم إلى يد البورجوازية المصرية ، فإن هذه المظاهرة تكون قد استهدفت الاستيلاء على السلطة فعلا ، ولكن لصالح البورجوازية ، وهي تلك الصفة ولانها تبت بالقوة المسلحة فانها تكون ثورة بورجوازية . ولما كانت السلطة الفعلية في يد النفوذ الاجنبي ، وكان قادة الثورة يعرفون ذلك ، فإن هذه الثورة تكون ثورة ضد النفوذ الاجنبي ايضا ، فهي ثورة بورجوازية وطنية . فضلا عن ذلك ، فمن الخطأ اعتبار يوم ٩ سبتمبر وحده هو الثورة العربية ، لان الثورة هي

يقترحها من وقت لآخر على الضباط في خلال الصيف عن طريق علي فهمي بك (١٥) . وقد اعترف عرابي بذلك ايضا فقال : « لما نجما مختص بالمظاهرة الثانية في ٩ سبتمبر هاننا كنا نعرف ان الخديو كان معنا ، فقد كان يرغب في التخلص من رياض الذي لم يكن يكثر بسيلطه . ولقد رايته مرتين وتحديث معه في ذلك الصيف ، ولكننا لم نتحدث أبدا في السياسة ، لقد كانت اتصالاته بنا عن طريق علي فهمي الذي ابلغنا ان الخديو يقول ما معناه : « انتم ثلاثة جنود وأنا اربعكم » . ثم ذكر عرابي ان الخديو لم يكن مخلصا في ذلك ولكنه كان يرغب في التماس حجة لفصل رياض باشا . وعلى ذلك فقد طلبنا في المرة الثانية عزل رياض مع سائر الوزراء ونحن نعلم انه سوف يكون مسرورا (١٦) . وقد ايد الشيخ محمد عبده رواية عرابي هذه ووصفها بأنها ، مقازة ، وقال انها توضح الوضع الذي كان قائما بين الخديو والضباط (١٧) . بل لقد ذهب بيته Nmet وبعض الكتاب إلى ان مظاهرة عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ كانت « ترتيب مسبق تام » بين توفيق والقادة العسكريين في ذلك اليوم ، ابتغاء اسقاط رياض والتخلص من الوصاية القنصلية التي شاق بها الخديو (١٨) .

مع ذلك فيمكن القول ان الخديو توفيق انما كان يتظاهر فقط أمام الضباط بانحرافه عن رياض باشا وعجزه عن اقالته الا عن طريق مظاهرة عسكرية كتلك التي اسقطت لوبار ، ولكن ليس عن طريق مظاهرة كيمظاهرة عابدين ، فذلك مما لا يتصور حدوث « اتفاق مسبق وقام » عليه بين الخديو والضباط . كما يقول « بيته » بل انه من المشكوك تماما ان الخديو توفيق كان مخطما في اشاراته للضباط بخصوص المظاهرة وان كان ذلك لا قيمة له في الواقع ، لان المهم هو في حدوث الاشارات من الخديو للضباط ، وذلك ثابت باعتراف المعاصرين وياعتراف عرابي نفسه .

وأهل هذا يغيب الحقائق والمؤامرات التي اخذت تلاحق عرابي والضباط منذ حادث قصر النيل ، والتي أدت في النهاية إلى يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ . وان كانت مسئولية الخديو توفيق عن هذه المؤامرات والحساسات مشكوك فيها إلا أن في

(١٥) Elmh, op. cit. p. 145.
(١٦) Ibid p. 486.
(١٧) Ibid p. 491.
(١٨) Ibid p. 143.
Cromer, op. cit. pp. 143 — 5.
(١٩)

يوم ٩ سبتمبر وكل ما ترتب على هذا اليوم من أحداث .

الصراع على السلطة

على كل حال ، فإذا كان الجيش قد وضع نفسه في يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ موضع الآلة المنفذة لأهداف البورجوازية الوطنية ، إلا أن فكرة السلطة لم تثبت أن أغتت تدفع بنفسها في رموس قابله . وقد ساعد على ذلك ما أصبح يتمتع به عرابي وزملاؤه من الشهرة والتأييد في جميع أنحاء البلاد - كما ذكرنا - حتى أطلق عليه اسم « الوحيد » وهنا وقع التناقض بين ما يقتضيه نظام الحكم الدستوري من إبتعاد الجيش عن السياسة وأتقياده انقيادا تاما لسلطة الحكومة الدستورية وبين الوضع المتنازل الذي أصبح للجيش وعلى رأسه عرابي باشا وزملاؤه .

وقد وقع الصراع على السلطة بين الحزب الوطني والحزب العسكري منذ اليوم الأول لمظاهرة هابدين ، وهو صراع اظهرت فيه البورجوازية المصرية أنها ليست على استعداد لأن تستقبل باولوفاطية القس ككتاتورية الجيش - فقد اشترط شريف باشا لتوليها الوزارة أن تنسحب الآليات التي اشتركت في مظاهرة عابدين إلى الجهات التي تحدث لها . وأن ينسحب معها قادتها وعلى رأسهم عرابي وعبد المال حلمي (٧١) ولم يجد عرابي مفرأ من الازدحام لأن البديل هو أن يتولى بنفسه ومعه الحزب العسكري الحاكم ، أو يعود الحكم المطلق والنفوذ الأجنبي من جديد ، ولكنه اشترط إعادة محمود سامي البارودي إلى نظارة الجهادية وتعيين مصطفى فهمي باشا نائبا للخارجية . كما تهد في بيان مكتوب بانقياد الجيش للحكومة وعدم التدخل في السياسة . وفي يوم ١٤ سبتمبر أمئت البورجوازية المصرية على موقف شريف وشهد عرابي ، وذهب إلى حد تقديم تقرير لشريف باشا تضمن فيه تهدد عرابي والضيابط بعدم الاشتغال بالسياسة ، وقد ورد في هذه الوثيقة التاريخية : « نحن الواضعون اسماءنا أثناء علماء ومشايع وأعيان وعمد مصر واسكندرية والثور والرجهين البحرى والقبلى » لاعتقادنا التام بحسن صفات وغيره أعضاء مجلس

النظار الذين صار انتخابهم بمعرفة دولتهم بالحكومة المصرية ، واطهارا لصدائتنا التامة ولخلوص نية الجيش ، نحن ضامنون ومكتفلون بصندوق وصحة التتهديدات التي من مقتضاها تمام الانقياد لأوامر دولتو شريف باشا » .

وقد عاد شريف باشا فأكد على ضرورة إبتعاد الجيش عن السياسة في خطابه في وفد الضباط الذي قدم لتتته برئاسة الوزارة ووافقه عرابي على ذلك قائلا : « أننا نمترف باننا القوة المنفذة لما يصدر من الأوامر التي تكون أن شاء الله في خير البلاد وصلاح العباد (٧٢) »

على أن عرابي لم يستطع أن يلتزم بهذا التهدد ، فعندما صدر الأمر بنبلة على رأس الآلي الرابع إلى رأس الوادى ، لم يخرج يوسف امير الآلي على هيئة من الجيش ، بل سار في موكب كموكب الملوك في شوارع القاهرة التي ازدهمت بجماهير غفيرة واستقبلته بالحماس (٧٣) وكان قد سبقه إلى محطة المسكة الحديدية جميع ضباط الجيش المصرى ووفداؤه وكثير من القوات والتجناس وعامة الناس . وقد خطب في موقعه كزعيم سياسى فقال : « لقد قمنا بإبأ المصرية للشرق ليقبدي بنا من يطلبها من اخواننا الشرقيين ثم نحن اخوانه رجال الجيش نسطف وحدة الاتحاد .. فالبلاذ محتاجة للبنا وأماننا عقبات يجب أن نقتطعها بالجزء الثبات والناضات مبادتنا ووقمنا في شرك الاستبداد بمد التخلص منه » . وراح يمد ذلك يتجول في أنحاء محبرة الشرقية لمدة ثلاثة أشهر مصططبا معه عيد الله الكبير « ليث مبارك » والكرامى في نفوس عبدالبلاد ومشايخ العربان معافسا على وجوب مؤازرتي قس مشروعا على الوطنية » (٧٤)

وعلى هذا النصر فشلت خطة شريف باشا في إبعاد عرابي عن السياسة . وصدق استقر رايه بموافقة محمدي فرنسا وإنجلترا على أن « ينظم » عرابي حركة يقبول المسئولية للتربة على نفوذه السياسى المتترف به ، وذلك بأن يتكسب منصب وكيل وزارة الجهادية . وذلك يتوقى خطره ويكتسب نصف النظام (٧٥) .

على أن فكرة السلطة كانت قد تمكنت من أذهان العربيين - ففي يناير ١٨٨٢ اقترح محمود سامي

- (٧١) Ibid p. 146.
(٧٢) بحركات عرابي في ٨١ - ٨٢ في الترميز إلى الترميز أحمد عرابي في ٦٢.
(٧٣) Cromer, op. cit. p. 163.
(٧٤) بحركات عرابي في ٩٠ - ٩٨ ، بحركات الأيام بعد يومه في ٦٩.
(٧٥) Ibid op. cit. p. 169.

للمسير مالت في ٢١ سبتمبر ١٨٨١ بأنه يأمل أن يصبح مجلس النواب بالتدريج هو المبرر الشرعي عن مصالح البلاد الداخلية ، وبذلك يجرد الجيش من الصفة التي انتحلها لنفسه في الحركة الأخيرة .^{١٠} ويكون الاميان في هذه الحالة الهيئة المثقلة للثة التي يستطيع الخديو والحكومة الاعتماد على تأييدها ضد التسلط العسكري (٨٠) .

لذلك فصرعان ما أخذ الصراع على السلطة يقسم التحالف بين الحزب الوطني والحزب العسكري . وكان من المتوقع بعد اجتماع مجلس النواب خاصة أن يتراجع دور الجيش إلى مكانه الطبيعي ، لولا التدخل الفرنسي الإنجليزي بالذكورة المشتركة في ٦ يناير ١٨٨٢ التي قصد بها تشجيع الخديو على الوقوف في وجه القوى الوطنية المدنية والعسكرية . فقد كان الاثر المباشر لهذه الذكورة كما كتب مالت - أنها أدت إلى توثيق عرى الاتحاد بين الحزب الوطني والحزب العسكري ومجلس النواب وتوحيد هذه الجبهات الثلاث ضد الدولتين ، لاشعارهما بأن الرباط الذي يربط مصر بالدولة العثمانية هو خير ضمان يجب على المصريين التمسك به لحماية مصر من أي عدوان (٨١) ، وفي الحق لقد اشعرت هذه الذكورة المشتركة جميع المصريين بالخطر الذي يتهددهم إذا لمحتهم الفرقة ، فأنضم الشيخ محمد عيذه ومصالحو الأزهر ممن كانوا يقسمون سياسة الحذر ، إلى الحزب المتطرف بكل قوتهم (٨٢) . وعلى هذا النحو أصبح الجيش معقد آمال الأمة في حماية البلاد من التدخل الأجنبي ، وكتب مالت يوم ١٠ يناير إلى حكومته يقول : « أن الحزب العسكري الذي كان قد تراجع مركزه إلى الخلف بعد دسرة مجلس النواب للانقلاب ، أصبح اسمه الآن على كل

ونفذ ترتب على ذلك أنه بعد أن كان شريف باشا قد اتفق مع سلطان باشا ورئيس مجلس النواب على اتخاذ موقف متدلل في مسألة حق المجلس في اقرار الجزء غير المخصص للدين العام من الميزانية ، فإن الذكورة المشتركة جعلت النواب يميزين من المسألة ، وصرح سلطان باشا بأن

البارودي على عرابي المتأداة باسمه خديويا لصرا إذا رغب في ذلك . وكان قد قدم لاقتراحه ، أو عرضه ، بمقدمة أطلب فيها في الثناء على عرابي ، ونشره راية الحرية في مصر وملحقاتها من بعد مضي خمسة آلاف سنة على المصريين وهم يرسفون في قيود الاستبداد ، وأقصمائه مستبدان يضحي بحياته ويوجد باخر نقطة من دمه في تنفيذ رغبة عرابي ويجرد حسامه وينادي باسمه خديويا لصرا إذا رغب في ذلك . وقد رفض عرابي هذا العرض بحجة أنه لا يريد الا تحرير بلاده ولا يرى سبيلا لذلك الا بالحفاظة على الخديو (٧٦) . على أن الحقيقة أن عرابي كان قد انرك . بذكاء أن البارودي يطمع في العرش لنفسه . ففي ذلك الحين كان البارودي شديد الاهتمام بمعرفة نسيه وتلقبه إلى أصله ، وقد جند لذلك فريقا من العلماء ، واتفق ما يفر بنحو ثلاثة آلاف جنيه حتى خرج على الناس في عام ١٨٨١ بصحيفة لتسبه تبين أنه ينسب من جهة أمه إلى الملك الأشرف برسباي . كما يخلص نسيه أيضا بالسلطان نور الدين شاهنشاه أخ السلطان يوسف مصلاح الدين (٧٧) . ولذلك فحين رفض عرابي اقتراح البارودي لتسبيه خديويا لصرا لم ينس أن يظهر اسماءه أيضا على ، «سفال الأريكة الخديوية إلى عيذه أخرى . ما هي ذلك من الشر ، مع على بانك لتسب إلى الملك الأشرف برسباي » (٧٨) .

الواقعية بين الحزب

الوطني والحزب العسكري

وعلى هذا فحين انمقد مجلس النواب في يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ كان الحزب العسكري يمثل الجناح الأقوى في التحالف ، حتى ساد الاعتقاد - حتى في بريطانيا - كما يقول جلاستون - بأن هذا الحزب هو الذي يمثل الشعب ، وأنه هو الذي يناضل في سبيل حرياته (٧٩) . وكان من الطبيعي الا يرضى ذلك شريف باشا ، فقد كانت سياسته تقوم على أساس فصل الحزب الوطني عن الجيش ، وقد صرح

(٧٦) ملكرات عرابي في ١٠٠

(٧٧) تذكور على الميدي : محمود سليم البارودي في ١٧ « طيمة وزارة التربية والتعليم ١٩٦٩ »

(٧٨) ملكرات عرابي في ١٠٠ ، الرافعي : المرجع الجكور في ٩٤

(٧٩) Cromer, op. cit. p. 178.

(٨٠) Ibid p. 163.

(٨١) Ibid p. 178.

(٨٢) Elmt, op. cit. p. 190.

(٨٣) Cromer, op. cit. p. 178.

(٨٤) Elmt, op. cit. p. 194 — 5.

المصري والحزب الوطني الذي دعمته المذكور
المشتركة في ٦ يناير ١٨٨٢ •

وقد حانت الفرصة للخديو لتنفيذ الشق الأول
من سياسته عندما عرضت عليه الاحكام العسكرية
في قضية مؤامرة الضباط الشراكسة ، وهي
الاحكام التي قصد بها القادة العراقيون - عرب
الظن - تصفية النفوذ التركي في الجيش ، اذ
تضمنت نفي ٤٠ ضابطا (من ٨١ من الضباط
الشراكسة كل عديمهم في الجيش) لقباً مؤبدا (٨٨)
وهنا امتنحار الخديو ماليت الذي نصحه بعدم
التوقيع واعادة المحاكمة من جديد • ولا تدخل
الباب المالي بحجة ان عثمان رفقى الذي كان من
بين المحكوم عليهم كان حائزا لرتبة الفريق وهي
رتبة لا يصح لغير السلطان تجريده منها ، وافق
الخديو على رفع الاحكام اليه ضاربا عرض الحائط
بما قالته مصر من استقلال داخلي منذ عهد
اسماعيل ، وصرح ماليت قائلا انه لا رأى من
الافضل ان تقلد مصر بعض امتيازاتها على يد
الباب المالي ، وتستقر السلطة من جديد ، بدلا من
استمرار سوء الحكم المالي ، (٨٩) •

وكان من الطبيعي ان يثير هذا التصرف غضب
الحزب المصري ، فلقد قامت سياسة عرابي تجاه
الدولة العثمانية على ضرورة التمسك بالرابطة
التي تربط مصر بها ، ولكن في اطار استقلال مصر
الداخلي الذي يكسبه بالفرمانات • ومع انه كان
يعلم عن كراهيته للاتراك ، الا انه كان يرى ان
احتلال فرنسا لقوس قد أصبح يهدم على المصريين
التمسك بنبوة الخلافة (٨٩) • ولما كان تصرف
الخديو يتضمن انتقاما من حقوق مصر ، فقد كان
لذلك ان أعلن البارودي ماليت في يوم ٨ مايو انه
لذا أن يسلم السلطان امرا بابطال الحكم على
الضباط الشراكسة فان الامر لن يطاع • وأنه اذا
أرسل السلطان مندوبين ، فلن يسمح لهم بدخول
البلاد ، بل سيستبدون بالسفوة اذا لزم
الامر • (٩٠) • كما توجه البارودي الى الخديو
ولامه في عنف لنزوله على ارادة القناصل وإهماله
رأى الوزراء • ثم اجتمعت الوزارة يوم ١٠ مايو
اجتماعا انتهت فيه الى وجوب انعقاد مجلس

دستور شريف باشا انما هو « كاطيل الاجوف » •
وكانت تلك هي قرصة عرابي باشا والحزب
المصري لاسقاط شريف من الحكم على يد الاعيان
انفسهم الذين كان يامل في مساكنتهم له • وهذا ما
حدث تماما ، فقد تالفت لجنة من خمسة عشر
عضوا من النواب وطلبت الى الخديو انما قبول
المستور وفيه بند ايزانية كما قرره النواب ، ولما
تغيرت الوزارة • وازاء هذا الموقف قدم شريف باشا
استقالته في يوم ٧ فبراير ١٨٨٢ (٨٥) •

ويعد سقوط وزارة شريف باشا بحق • وكما
يقول الرافعي - انصاء تاما لسلطة الخديو ،
وانتصارا حاسما للحزب المصري وعلى رأسه
عرابي • لان الخديو لم يكن راعيا في استقالة
شريف باشا • وقد دأبت شهرة عرابي في اوروبا
عقب سقوط هذه الوزارة بعد ما تبين ان له النفوذ
الفعل في مجلس النواب ، اذ استطاع بواسطته
اسقاط الوزارة التي رغب في التخلص
منها (٨٦) • وفي يوم ١٢ نوفمبر ١٨٨٢
كتب « كلن » يقول : ان المجلس قد أصبح
خاضعا تماما لنفوذ جيش متقدم ظافر • (٨٧) •

على ان تناقضات الموقف من حيث سقوط
السلطة في يد الحزب المصري في نفس الوقت
الذي اعتزمت فرنسا والجنرال التشنل لتأييد مسئلة
القيصرية لم يلبث ان قلب الخديو لتوفيق مرة
اخرى في احضان النفوذ الاجنبي • والخديو
توفيق قد راينا انه كان يؤيد سرا • ان لم يكن
علنا • كل مظاهرة عسكرية تكون الغرض منها
سقوط وزارة رياضي باشا الخاضعة للفساد
الاجنبي ، وكيف انتهى الى ما انتهى اليه والده
اسماعيل من ان التقلب على السيطرة الاجنبية
والقوى الاستعمارية ليس في مقدور حاكم مطلق ،
وانما هو في مقدور حاكم دستوري • على ان
توفيق بطبيعة الحال لم يكن مستعدا بأية حال من
الاحوال لان يستبدل بحكم القناصل حكم الحزب
المصري • لذلك فقد قامت سياسته منذ ذلك الحين
على اساسين : الاساس الاول ، التخلص من
الحزب المصري ولو لدى الامر الى الاستماتة
بالدولة العثمانية أو بالقوى الدولية الكبرى •
والاساس الثاني ، غش التحالف بين المصري

- (٨٥) مذكرات عرابي ص ١٢١
(٨٦) الرافعي : المرجع المذكور ص ٩٠
(٨٧) Cromer, op. cit. p. 128.
(٨٨) مذكرات عرابي ص ١٢٧
(٨٩) Cromer, op. cit. p. 205.
(٩٠) Blunt, op. cit. p. 128.
Ibid (٩٠)

رفض مطالب الدولتين، ولكن الضمير أبلغ البارودي أنه «استحسن» قبولها. فلم يصعد البارودي مقرا من تقديم استقالته في يوم ٢٦ مايو ١٨٨٢ احتجاجا على ما أجازته للضمير للدول الأجنبية من التدخل في شأن مصر. تدخل مخلا بحقوق السلطان (٩٢). على أن الضمير لو تفريق تفصل من اتهام الوزارة له بقبول المستحقة المشتركة. ففي خطابها لثابت باشا في الإستانة يوم أول يونيو ١٨٨٢ نكر أن هذه المستحقة «حيث قدمت من طرف الدولتين إلى هيئة اللقار من غير أن يطلب منى جواب عنها، كان الجواب عنها رفضا أو قبولاً من شأن مجلس اللقار». فاستقالة هيئة اللقار بقيت المستحقة من غير جواب إلى الآن، فيكون ادعاء أنها قبلت من طرفنا مسخاً لقراء (٩٤).

تحديد المبدأ وفكرة الجمهورية

على كل حال، فإن انحصار الضمير لم يتكلمه لأن عرابي أظهر عزمه على اللقاء على المسرح السياسي. فمع أنه استقال باستقالة الوزارة إلا أنه لم يلبث أن أرمِل إلى التصار من الضباط خطباً بتاريخ ٢٧ مايو ١٨٨٢ أعلن فيه أنه مع استقالته من وزارة الحرية فإنه لم يستقل من رئاسة الحزب الوطني. وطلب اليهم أن يتأمروا بأوامره وأن يحافظوا على الأمن. وفي نفس اليوم جاء تلفزيون للضمير من ضباط الأليات اسكتيرية بأنهم لا يرضون الهيئة بخير عرابي نظراً للجهانية وأنه إذا لم يرجع إلى ضميره في خلال ١٢ ساعة فإنهم يكونون «خير مسئولين عما يحدث مسا. لا يستعجب وقوعه» (٩٥).

وفي نفس اليوم أيضاً اجتمع النواب في دار محمد سلطان باشا وحضر عرابي ومعه على فهمي وجيه المال على محمد عبيد وجميع من الضباط في شكل مظاهرة عسكرية. وطلوبون، خلق الضمير حلفاً ويتعهدون من يظهر له الولاء. وفي هذا الانبعاث الذي عرابي خطبة ملأها بلحا في الضمير وهي المائلة الضميرية ونادى بضمه، وانعقدت

للغواب للخط في هذا الخلاف. وقد كان لهذا القرار خطورته. لأن عرض الخلاف بين الضمير والوزارة على مجلس النواب مع أصرار الضمير على موقفه معناه التهديد بخله. فضلاً عن ذلك، فإن دعوة المجلس للانعقاد إنما يجب أن تصدر عن الضمير بحكم الدستور، وقد رفض الضمير دعوة المجلس، ولكن الوزارة دعت النواب إلى الاجتماع بواسطة الميدين، وكان معنى ذلك إعلان الثورة على الضمير (٩٠ مكرر). وقد اجتمع المجلس في بيت سلطان باشا وتقرر بأغلبية ٤٥ صوتاً ضد ٢٠ صوتاً أنه إذا استمر الضمير على سياسته مع القنصلين الفرنسي والإنجليز، لم يكن ثم مناص من محاكمته وخلعه (٩١).

على أن التحالف الجديد بين الضمير والقنصل لم يلبث أن أضر المظاهرة البحرية المشتركة التي أمنت تصل إلى مصر ابتداء من ١٦ مايو ١٨٨٢، لمساعدة الضمير على اقالة وزارة البارودي وتأييد وزارة أخرى برئاسة شريف، أو أي رئيس آخر يشتره. وفي يوم ٢٥ مايو قدمت الدولتان مظكرة مشتركة طلبتا فيها إخراج عرابي من مصر، وإقالة وزارة البارودي، وإصدار عبد المال على وعلى فهمي إلى الزيف (٩١ مكرر).

وقد استغل الضمير هذا التدخل لتفويض الضمير الثاني من سياسته وهو فصل الحزب الوطني عن الحزب العسكري ورفض التحالف بينهما. فحين أظهره ما لبث بأن الأسطولين الإنجليز والفرنسي قد صدر إليهما الأمر بالإبصار إلى الاسكتيرية، أرمِل في طلب مستسلطان باشا وعصرخ عليه الموقف وأغراء بالانحياز إليه لتخليص الحكم الدستوري من الحزب العسكري بدلاً من المفامرة بالحرب. وقد وعد ما لبث مستسلطان باشا بشرفه بأن حقوق البرلمان المصري سوف تترأى في هذه الحالة (٩٢). ولذلك حين اجتمع أعضاء المجلس النواب للمرة الثانية بصيغة خير رسمية أعلن سلطان باشا أنه في جانب الضمير، وأنه يمارض طيلة الوزراء (٩٣ مكرر). ثم بلغ انتصار الضمير فة حين قدمت المستحقة المشتركة يوم ٢٥ مايو بالقد اجتمع مجلس الوزراء يوم ورود المستحقة وقرروا

(٩٠) مكرر) الرأسي: المرجع المذكور ص ١٠٠ - ١٠٢.

(٩١) Hunt, op. cit. p. 288 - 3.

(٩٢) Omer, op. cit. p. 211 - 2.

(٩٣) Hunt, op. cit. p. 288.

(٩٤) رولستين: أترج المذكر ص ١٧٩، بحزب استقواب مصود سنان البارودي: المظاهرة

يونيو ١٩٦٦

(٩٥) الأمير محمد على: بعض وثائق تاريخية من فهمي سنان التين اسماعيل: بلحا وتونين بلحا

خديوي مصر: مطبعة عتلى ١٩٤٨

(٩٥) مذكرات عرابي ص ١٣٦ - ١٣٩.

حدث مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩، للاشتراك في عمل لخلع الخديو إسماعيل قال : « ولو تم ذلك ، لكننا قد تخلصنا من أسرة محمد علي بأسرها ، ولكننا أعلننا الجمهورية » * وقد روى عرابي ذلك لبلنت في مارس ١٩٠٢ - كما يقول بلنت (١٠١) * ومعنى ذلك أن الرغبة في إعلان الجمهورية نسبية دليقة في أذهان العرابيين ، وقد ظلت تقيهم حتى بعد فشل حركتهم .

على أن هناك من الجانب الآخر دلائل تشير إلى أنهم كانوا بسبيل تعيين حليم باشا مكان توفيق إذا ، وفقا لخلعه * فقد صرح « جلاستون » بعد اجتماع مجلس النواب السالف الذكر ، بأن « عرابي قد خلع من وجهه القناع ، وهذا الخديو بالمرل ووضع حليم مكانه على عرش مصر » (١٠٢) * وفي برقية مالت الواردة في الكتاب الأزرق (مصر رقم ١١ ، ١٨٨٢) أورد أن الخديو « أرسل في طلبه وطلب المستر سينكفيتش في هذا الصباح ، وأخبرنا بأنه وصل إلى علمه أن الحزب العسكري ينوي خلعه مساء اليوم وإعلان حليم باشا خديويا على مصر (١٠٣) * وقد أورد « بلنت » أنه وإن لم يكن عرابي منتما لحزب حليم في مصر ، إلا أنه على وجه التأكيد لم يكن ليعارض في توليته بعد أن أتمى توفيق في احضان الانجليز ضده * واستطرد قائلا : أن تولية حليم باشا كانت تقابل من عدد قليل من وجوه مصر بالترحيب ، لانهم كانوا يعرفون أنه كان أكثر نكاه وأكثر ليبرالية من توفيق (١٠٤) * وفي خطاب صابونجي يوم ١٤ يونيو سنة ١٨٨٢ لبنت أورد أنه هم عود عرابي بالنسبة لحليم « هو جدته يفضل حليما على توفيق » (١٠٥) *

فهل يفهم من هذا التناقض أن العرابيين كانوا مترددين بين إعلان الجمهورية أو إعلان حليم على العرش ، لم يفهم من ذلك أنهم كانوا يريدون أن يعلنوا الجمهورية ، ولكن الظروف السياسية الداخلية والخارجية كانت تمنعهم من تحقيق رغبتهم . * لذا نرجح الاحتمال الثاني خصوصا إذا علمنا أن النظام الجمهوري كان يعد نظاما

خطبته يقول : « من كان معنا فليقم » * فحدث ضجة كبيرة في المكان ووقف الضباط ، ولكن معظم النواب والمندوبين لم يقوموا ، فتهددهم الاميرالاي محمد بك عبيد بالسيف ، فظلوا جالسين * وازاء ما تبين من أن النواب لا يوافقون على الخلع ، رأى عرابي وطلبة عصمت ويعقوب سامي الاكتفاء بطلب بقاء عرابي ووزير للجهادية ، فتألف وفد من سلطان باشا وحسن الشريعي باشا وسليمان أياطة باشا للتوسط لدى الخديو ، والحصول على موافقته ، وعاد عرابي ناظرا لوزارة الجهادية والبحرية (٩٦) * على أن العلاقات كانت قد تأثرت بين عرابي وسلطان باشا - فكما يقول الشيخ محمد عبده ، فإن عرابي شهر سيفه في وجه سلطان في هذا الاجتماع كما شهره في وجه النواب عندما رأى منهم التفاضل (٩٧) *

وهنا يؤثر السؤال : من كان ينوي عرابي والحزب العسكري اقامته مكان الخديو توفيق في حالة عزله ؟ * لقد ذكر « كرومر » عند تعرضه لازمة الاحكام العسكرية ، وهي التي هدد الضباط فيها بخلع الخديو بأن « نية الحزب العسكري كانت ترمى الى عزل الخديو ونفى أسرة محمد علي وتعيين محمود سامي باشا حاكما عاما بإرادة الامة » (٩٩) * ومعنى ذلك إعلان الجمهورية * وقد زوى صابونجي ، محرر جريدة النضلة وسكرتير بلنت ، أنه كان في اجتماع بيت السيد حسن موسى العقاد يوم ١٨ يونيو ١٨٨٢ وحضره عرابي ومحمد عبده وعبد الله النديم والبارودي ، وقد جرى الحديث حول أشكال الحكومات . فكان الشكل الجمهوري هو المفضل في الحديث . وقد تكلم البارودي عن مزايأ الحكومة الجمهورية لبلاد مثل مصر ، وكان ما قاله : « منذ بداية حركتنا كنا نرعى الى تحويل مصر الى جمهورية صغيرة مثل سويسرا ، وحينئذ كانت تنضم إلينا سوريا والحجاز * ولكننا وجدنا بعض العلماء قسوس مستعدين لذلك ، لانهم كانوا متأخرين من زمانهم * ومع ذلك فسأول أن نجعل مصر جمهورية قبل أن نموت (١٠٠) * وفي تعليق عرابي على فشل الاقتراح الذي كان قد عرضه على زميله محمد بك نادى وعلى بك فهمي بعد اطلاق مرأعهم في

(٩٦) الرافعي : المرجع المذكور من ١٠٦-١٠٧

Blunt, op. cit. p. 497. (٩٧)

(٩٨)

Cromer, op. cit. p. 206. (٩٩)

Blunt, op. cit. p. 242 - 4. (١٠٠)

Ibid p. 297. (١٠١)

Ibid p. 262. (١٠٢)

Ibid (١٠٣)

(١٠٤)

Ibid (١٠٥)

تخديما جسدا في هذا العصر ، كما أن موافقة السلطان عليه تعد شبه مستحيلة .

على كل حال فإن مما يثير الدهشة أن الاشارات المسالفة التي جميعها لم تتضمن رغبة عرابي في تنصيب نفسه حاكما عاما أو خديويا ، فهل كان عرابي خائفا تماما من مطمح الوصول إلى عرش البلاد ؟ في الواقع أن السلطان كان في ذلك الحين يلح لعرابي بالمرش . ففي كتاب أحمد راتب يله ياور السلطان إلى عرابي يوم ٢٢ فبراير ١٨٨٢ ، أي بعد اعتقال وزارة الهارودي الحكم وسيطرة الحزب العسكري على الحزب الوطني ، كتب يقول : « أقسم لكم أن جلالتك سافس أسفا عبقيا لما سبق أن أصارته من اهتمام للبيانات المزيفة والكاذبة عنكم ، وحتى يبرهن على هذا الأسف ، فقد أمرني جلالتك بأن أكتب اليكم هذا الخطاب لأعبر لكم عما يلي :

« أن جلالتك لا يهيم من يكون شخص الخديو ، وإنما على حاكم مصر أن تكون أصله كلها موجهة نحو المحافظة على مستقبل مصر والتضيق بسيادة الخليفة . » فلذلك يجب عليكم أن تمنوا أي شيء يمكن أن يؤدي إلى التدخل الأجنبي ، ولا تصيدوا من جادة العدل والصواب . »

وفي خطاب الشيخ محمد قفاش الذي كتبه بناء على أمر السلطان الشخصي لمراسي باشا قال :

« أخبركم بصفة خاصة ومبررة بأن السلطان لا يثق في اسماعيل أو حليم أو توفيق . ولكن الشخص الذي يفكر في مستقبل مصر ، ويوثق الروابط بين مصر والخلافة والذي يطمح جلالتك ويراهي الفرمانات والذي يؤكد سلطته المستقلة في الاستانة وغيرها . » والذي يترك مؤامرات ودسائس أمهاتنا الأوروبيين ، ويحتاط لها ويحافظ على البلاد وعلى حقيقته - مثل هذا الرجل هو الذي يكون مقبولا عند مولانا السلطان » (١٠٦) .

فهل كانت هذه التلميحات والاشارات من السلطان إلى المرش في ذم عرابي وهو يضبط على النواب لخلق الخديو توفيق ؟ . لنا نعلم أنه في حوالي ذلك الوقت بالذات الذي حدثت فيه تلميحات السلطان المسالفة الذكر ، عرض البارودي على عرابي المائدة به خديويا على

مصر ، فقد كانت هذه التلميحات في شهر فبراير ، أما المرش فكان في شهر يناير - كما يقول عرابي - ولعله فبراير . وقد رفض عرابي هذا المرش كما ذكرنا ، لأنه كان يعلم أن البارودي يطمح في المرش . فهل كان هذا المرش تمت تأثير لاشارات السلطان ؟ وهل كان عرابي مخلصا في رفضه ، زاهدا في السلطة ؟

من الحق أن عرابي لم يكن زاهدا في السلطة ، بليل أنه لم يفتد ما تعهد به لشراف باتنا من عدم الاضغفال بالسياسة ، وأخذ يصرف كزعيم سياسي لا كقائد جيش ، يصوب البلاد معه عبد الله النديم ، ويخطب الناس « ويوت مبادئ وأفكاره في عمد البلاد ومشايخ العريان حاضيا على وجوب مؤازرته في مشروعاته » - حسب قوله - ثم أخذ يتدرج ليصبح حاكما فعليا للبلاد بغير الوزارات على الاستقالة وييسر سيطرته على النواب ويستخيم لغة التهديد في معاملتهم - وللك كلها مظاهر رغبة في السلطة وتشوق إليها ، وليست مظاهر زهد في السلطة وتجنب لها . وقد اعترف السلطان بالتركز المتقوى لعرابي ، كما يتضح من الخطابين السالفي الذكر اللذين أمر بكتابتهم إلى الله . وعندما بحث بمقتوبه درويش باشا إلى القاهرة ليستخرج عرابي إلى الاستانة ، خاطب درويش عرابي قائلا : « لك أنت وحده الأمر النهائي في مصر ، أنت مع كونك لست إلا ناظر الجهادية ، بيدك السلطة العليا » . وقد رد عرابي على هذا القول قائلا : « لست خريصا على السلطة التي تريد أن تنسبها إلي ، هي سلطة غير مقتضية ، الإمة هي التي أفضت إلى بها (١٠٧) . وفي هذا اعتراف من عرابي بالسلطة التي في يده ، وإن دافع بأنها سلطة غير مقتضية وإن الإمة هي التي أفضت بها إليه .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن تفسير أن عرابي لم ينصب نفسه خديويا أو حاكما على مصر على نحو ما يفعل قادة الانقلابات العسكرية والثورات في عصرنا المعاصر ؟ . هناك سببان لذلك : الأول ، أن مثل هذا الإجراء كان يهدد بتفشل الدول والسلطان ، وهو ما حدث فعلا عندما سقطت السلطة الفعلية في يد عرابي . ثانيا ، أن مثل هذا الإجراء كان يتطلب تأييد ومساندة الحزب الوطني ، حليف عرابي وشريكه في الثورة .

وكانت الدلائل تشير إلى أن هذا الحزب لن يمنع عرابي هذا الحق مطلقاً . لسبب بسيط ، هو أن الحزب لم يكن ليستبدل بإلوة قراطية القصر دستورية عسكرية مهما كانت الظروف .

ولعل ذلك ما كان يمنع النواب من الاستجابة لمطلب خلع توفيق ، حتى عندما انحاز هذا إلى الإهداء بمد ضرب الاسكندرية ، وعندما أصدر مشايخ الأزهر فتوى بمروقه من الدين - فقد اكتفى المؤتمر الذي عقد لهذا الغرض ، والذي ضم نحو خمسمائة من أكابر العلماء والرؤساء الروحانيين من الطوائف المختلفة وأمورى الحكومة المائزين على الرتبة الثانية مع هوقها وأمرام العائلة الخديوية وأكابر التوات المتقاعدين وأعيان التجار - وبعبارة أخرى ممثلى البرجوازية المصرية بجميع فرقها وطوائفها بأصدار قرار « بتوقيف أوامر الخنير وما يصدر من نظاره الموجهين معه فى الاسكندرية كيفما كانت ولاية جهة من الجهات وعدم تنفيذها حيث أن الخنير خرج من قواعد الشرع الشريف والقانون المثيف » (١٠٨) . ولكن لم يصدر المؤتمر قراراً بخلع الخنير .

وقد ذكر عرابي فى خطاب أرسله إلى صديقه يعقوب صنوع من سيلان بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٨٨٤ أنه قد ترتب فى مصر فى ذلك الحين مجلس ادارى للنظر فى ادارة البلاد بعبارة من جمهورية

مؤقتة ، إلى أن تنقش معجب المصائب المتكاثفة على مصر » (١٠٩) . على أن هذا الكلام لا وجود له أصلاً فيما بين إثنين من المصاير الأساسية ، ومن يتعرض له مذكرات عرابي بأية إشارة ، فضلاً عن أن عرابي كان فى ذلك الوقت فى معسكره بكنر الدوار ولم يكن حاضراً فى المؤتمر المذكور . ولعل إشارة عرابي فى خطابه إلى يعقوب صنوع تنصب على « المجلس العرفى » الذى ألفه يعقوب مسامى من وكلاء الوزارات وبعض كبار الضباط والموظفين واحد يمارس منطقة الحكم فى حصر أثناء الحرب (١١٠) . على أن هذا المجلس قد تألف قبل قرار المؤتمر الصالح الذكر بتوقيف أوامر الصديق ، بل قبل عقد المؤتمر الأول الذى كان قد اتحد قراراً باستمرار التجهيزات الحربية ودعوة الصديق إلى العاصمة . ومن ثم فأن حديث عرابي عن « جمهورية مؤقتة » أعلنت فى ذلك الحين هو من قبيل المجاز وليس من قبيل الحقيقة .

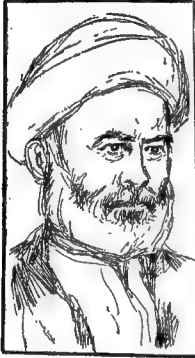
من ذلك يتبين أن البرجوازية المصرية لم تذهب فى ثورتها إلى الحد الذى ذهبته إليه البرجوازية القديمة فى أوائل القرن التاسع عشر التى عززت خورشيد باشا ونصبت محمد على مكانه . ولعل وجه الشبه بين محمد على وعرابي من حيث كون كل منهما عسكرياً ، وما نال البرجوازية القديمة على يد محمد على من تسمية ، كأننا نرى أحجام البرجوازية الجديدة عن تكرار التجربة القديمة .

(١٠٨) مذكرات عرابي من ١٩٢ - ١٩٦ ، الرافى : المرجع المذكور من ١٦٠ - ١٦٤
(١٠٩) الأهل مرس ١٩٧١ من ٧٧
(١١٠) الرافى : المرجع المذكور من ١٦١ - ١٦٢

النصارى الاصلاحي

والثورة

العربية



الشيخ محمد عبده

محمد عبادة

توفي جمال الدين الأفغاني من مصر في يوليو سنة ١٨٧٩م ببلورتنى صفوف تلاميذه و (الحزب الوطنى الحر) الذى كونه بمصر حينئذ

عندما

اتجاهات ثلاثة :

الأفغانيه ثمار العمل الثورى الذى ينهض بميله وتفسيحاته الفقراء . ولقد قاد هذا التيار واحد من ابر لبناء مصر بها ، واكثرهم التصاقا بشعبها وقرابها وقرائنها ، واجدرهم بان يكون تجسيدا مكثفا لشخصيتها ، وهو عبد الله القديم ، ومن خلفه كثيرون لم يحفل التاريخ الرسمى بتدوين اسمائهم ، ربما لانهم من « العلية والجواهر » لا وربما لانهم اكبر من صلحت هذا التاريخ !! .

• اما الاتجاه الثالث الذى يبق من تلامذة الافغاني ورجال حزيه الوطنى الحر فهو ذلك الذى تزعمه وعبر منه الشيخ محمد عبده ، والذى تبلورت آراؤه فى مقالات (الوقائع المصرية) التى كتبت تحت عنوان (قسم غير رسمى) حتى يكون معروفا انها لاتعبر عن رأى الحكومة ، بالرغم من نشرها

• الاتجاه الثورى الذى تمثل فى الضباط المصريين (الفلاحين) بالجيش المصرى الواقع تحت سيطرة الضباط الشركسة . . وهو اتجاه يؤمن بدور العسكريين فى العمل السياسى ، ويرى ضرورة الاستفادة من السلاح الذى يلجئهم ، ويضع لهذا السلاح اهمية كبرى فى جسم الممارك ضد اعداء البلاد من الاجانب والحليين . . ويلقد هذا الاتجاه : احمد عرابى ، وعبد العال حلمى ، وعلى فهمى ، وغيرهم من الضباط .

• الاتجاه الثورى الذى يؤمن بالثمنب وقواء ومطباته الكانحة الى ايض الحدود ، والذى ورث عن الافغاني خاصية الايمان بقدرات « العلية والجواهر » ، واضلغ الى فكر الافغاني اضافات جلائقة تمثلت فى الحذر واليقظة من ان يجنى

المهمة التجوهرية والهامة بفضل التحام تيسار
«التنظيم» بقرار «عربى» ، وتلك التوجيهات
والتوجيهات التي جعلها التنظيم من لقاء مصر
لعربى ، كوكيل من الأمة بتحديثها ، ويطلب
لها المطالب ، ويتصدى - وهى من خلفه - لكل
الأعداء ..

ومنذ هذا التاريخ ، وتلك التحركات الثورية ؛
تبرز تيسار الاتجاه «الإصلاحى» من الاتجاه
«الثورى» ، ودعا محمد عبده الى التدرج فى
الإصلاح بدلا من الحسم والطفرة بالثورة ، والى
سلوك طريق التربية البطيء بدلا من طريق
الثورة السريع ، والى الثقافة والاستشارة لتكوين
«الرأى العام» الذى يستحق الحياة السياسية
والحقوق السياسية قبل المطالبة
بالدمساقور ومجلس النواب ، وتقييم
الحكومة بهما ، وأخذ يهتم تيسار الثورى بأنه
يقلد أوربا وأمريكا ، وينقل عن الآخرين مزاياها
للفروق بين الشعب عندنا والشعوب المستتيرة
فى بلاد الأوربيين والأمريكيين ..

ولقد كان محمد عبده يستمر دماة الحياة
الدستورية النيبالية «مقالة» ، ولكنهم فى نظره
مقالة «مخطئون» ! «كتاب» فى إبريل سنة ١٨٨١
سلسلة من المقالات تحت عنوان «خطا الملاءة»
دافع فيها من وجهة النظر «الإصلاحية» وانتقد
الرأى الذى كان يدعو لها التيار «الثورى» فى
الحركة الوطنية المصرية فى ذلك الحين .. فهو
يعارض التفتيز الثورى لنمط حياة الأمة «ويطلب
» أن تعطف لها عوائدها المقررة فى عسول
أفرادها .. «لخط يطلب» بمعنى تحسينات فيها
لا تبعد عنها بالمرة ، فإذا اعتادوها طلب منهم
ما هو أرقى بالتدريج ، حتى لا يضى زمن طويل
إلا وقد انخلعوا عن عاداتهم وأفكارهم الخاطئة
الى ما هو أرقى وأعلى ، من حيث لا يشعرون ..
فهو هنا يحدد أن التيار الإصلاحى ليس فسد
التفتيز ، ولكنه ضد الثورة كطريق لهذا التغيير
ومع «التدرج» كسينيل بلوغ هذه الغايات ..

ثم يتحدث فى معرض التمثيل ، عن حسنات
النظام الجمهورى فى أمريكا ، ولكنه يقول أن
التفكير فى الاستفادة من حسنات هذا النظام فى
بلاد مثل «مفتشتان» مثلا هو غريب من الخطأ
لأن مثل هذه البلاد تحتاج الى مسلك طريق
التربية والتعليم ، أولا «ولا بد لها» من تروى
حتى ينشأ فيها ما يسنى بفرأى العمومى «فمنذ
ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا» .. وهو يعمم
هذه القاعدة لتشمل مصر وما يشبهها من البلاد
«التي تعودت أن يكون زبيلها بيد ملك أو أمير

الى مصحفتها الجنسية» ، ولم يكن هذا الاتجاه
«ثوريا» «بل كان «إصلاحيا» ، ولم يكن مؤمنا
«بالثورة» كطريق لتطبيق نهضة الشرق وتجديد
هياكله ، وإنما كان يرى فى «التربية والتعليم
والاستشارة الفكرية» السبيل لبلوغ هذه الغاية ..
لقد كان تيسار «وطنيا» يقف ضد النفوذ الأجنبى ،
وهو فى نفس الوقت لا يؤمن «بالجامهسير
والعلمية» ، وإنما يميل الى الإسماعلى على «الفئة
الثققة المستتيرة» ، ويراهن على الطبقة الوسطى
المنشظة الطوبى التى تريد كسب مواقع الأجنبى
فى البلاد لاستبدالها ، والتسلح بالعلم لخدمة
التقدم وتطوير البلاد .. وكان هذا الاتجاه فى
مجموعه «يعادى الطبقة الاجتماعية» لأن أغلبها
شراكسة أجانب من ضمير الأمة وحياتها ،
وأنهم عموما «حتى المصريين منهم» تسرى
للغفارة والتفاؤل البالية ، فرأى لكسول البطالة
والخمول ... كما كان هذا الاتجاه قليل الثقة
جدا فى «جامهسير الشعب وعاملته» ، بل يراهم
كما مهمل لا يبعد فى التقدم ولا يعمق هذا التقدم ..

ولقد قسم هذا الاتجاه الإصلاحى - غير الشيخ
محمد عبده - كثيرين «سلطان باشا» وسليمان
أبائقة «وحسن الشريعى» وحسن موسى المقات
وسعد زغلول «والشيخ عبد الكريم سليمان»
والشيخ سيد وفا «والشيخ محمد خليل .. الخ
وتطورت أفكار هذا الاتجاه فى كليات الشيخ
محمد عبده كاحسن ما يكون بالثورة ، وتجدت
فى أفكاره أفكار هذا الاتجاه فى الإصلاح .. ومن
ثم كانت دراسة فكره وموقفه من الثورة العرابية
دراسة للوقت للفرق والعملى الذى اتخذته
التيار «الإصلاحى» من «الثورة» فى ذلك
التاريخ ..

١٨٨١ ١٩٠١

ولقد كان التيار الثورى فى الجيش (الحزب
الجهادى) هو الذى بدأ فى اتخاذ المواقف العملية
التي قادت الى اندلاع الثورة وتجرها بظاهرة
عابدين فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م . وفى إبريل
من نفس العام كانت حركة هذا (الحزب الجهادى)
قد تعمقت نطاق الجيش ، ومطالب الضباط
الفلاحين (المصريين) ، وآمن قادة هذا الحزب
أن فى تحقيق مطلب الأمة وأهدافها فى الحكم
الدستورى النيابى والصدى للنفوذ الأجنبى ،
الضمان الأكيد والوحيد لاتصاير الضباط المصريين
على قياداتهم العسكرية المؤيدة من الضباط
قويق ، ومن ثم آمن هذا الحزب بأن وضع
الضباط المصريين فى الجيش لابد وأن يكون وضع
وكلاء الأمة المؤيدين منها لتحقيق مطالبها العادلة
بما فيها مطالب الجيش ، وأنهم بذلك بمنية القوة
الضاربة بيد الجماهير .. ولقد تحققت هذه



جمال الدين الأفغاني

ومعارضته لتولى الجيش زمام الأمور ؟ كان من بين العوامل التي جعلته يعارض بمعنى الضباط و (الحزب الجهادي) ، لأن طبيعة تكوين الرجل النظامية المقاتلة قد جعلته شديد النفور من سلوك هذا السبيل ، فهو يقول لمرابي في هذا اللقاء : « انه لو فرس أن البلاد مستعدة لأن تشارك الحكومة في إدارة شئونها ، فطلب ذلك بالقوة العسكرية غير مشروع ، فلو لم ألتجئ ما يسمى اليه ، ونالت البلاد مجلس شورى ، لكان بناءه على أساس غير شرعي ، فلا يثبت أن ينهضم ويوزل » (٤)

وهكذا ظل طوال تسعة أشهر من عمل الحركة الثورية ، والمخاض الثوري ، « إصلاحيا » ، يعبر عن التيار الإصلاحى ، ويعارض « الثورة » كسلوب للتغيير ، ويختلف مع الثوار حول أهلية مصر ، في ذلك التاريخ ، لأن تلك حكومة قاتلونية بقيادة الدستور ومجلس النواب .. وسامى في وقوفه هذا الموقف عجز تياره الفكرى والعلمى من أن يصر ما خلف الأفق الإصلاحى المحدود الذى عاش فيه ، والذى كان لا يرى سوى قضايا الإصلاح التريوى .. وأيضا منزلة من الحياة الثورية التي كتلت تحياها مصر يومئذ ، بما فيها من فناء الثورة وحرارة الحركة التي يصفها الثوار ..

أو وزير ؟ يخبر أمثالها بقوى أن يكون لها نكاح فى رؤية مصالحها « فلا » يمكن أن يطلب منها **الدخول فى أعمالها العامة والأصحت** ؟! .. ثم يلخص نظريته التي يدعو إليها عتبيا بقول : « من يريد خير البلاد فلا يسمى إلا فى اتقان التربية ، وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه .. » بدون اعتاب فكر ولا أجهاد نفس (١) .

وفى مقال آخر حمل عنوانه (اختلاف القوانين باختلاف أحوال الأمم) عاد ليحذر من أن « من عجل بشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه » ؟! وأن « عقلاء الناس يجتهدون أولا فى تغيير الملكات وتبديل الأخلاق عندما يريدون أن يضعوا للهيئة الاجتماعية نظاما يحكمها يقيمون التربية الحقيقية على ما سواها ، ليضمنى لهم أن يحصلوا على هذه الغاية . » (٢)

ويستمر هذا التيار الإصلاحى على موقفه هذا من « الثورة » ، ويتزايد نشاط الشيخ محمد عبده فى التعبير عن هذا الموقف الفكرى ، ويبلور الرجل أكثر فئاته نظريته لهذه القضية فى تلك المناقشة الحامية التي دارت بينه وبين مرابي ؟ عندما جمعتهما الصفحة فى منزل بطلبة بالسا ؟ لحد قادة الضباط العربيين ، قبل مظاهرة عابدين بشرة أيام ، فيقول محمد عبده لمرابي : أن البلاد لم تؤلم بعد لتبيل الدستور ومجلس النواب ، وأن الواجب أن نبدأ بالتربية والتعليم ، وأن نقيم مجالس المديرية والمحافظات كمرحلة يترب فيها الناس على ما ياتيه مستقبلنا من مؤسسات نيابية قومية .. يقول : « أن أول ما يبدأ به : التربية والتعليم ، لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعمية » وحمل الحكومة على العدل والإصلاح ، ومنه تعويدها الأهالى على البحث فى المصالح العامة ؟ واستشارتها إياهم فى الأمر بمجالس خاصة **تنشأ فى المديرية والمحافظات وليس من الحكمة أن تعطى الرمية مالم تستعد له ، فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف بماله قبل بلوغ سن الرشد** وكبال التربية المؤهلة والمعدة للتصرف المفيد .. أن المهود فى سير الأمم وسن الاجتماع أن التيقم على الحكومات الاستبدادية ، وتقيد سلطانها ، والزائم الشورى المساواة بين الرمية ، إنما يكون من الطبقات الواسطة والدنيا إذا فشا فيهم التسليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأى عام (٣)

وإنما للرجل وللحقيقة ، فإن نفوره من الأسلوب العسكري فى العمل السياسى ،

(١) الوقائع المصرية . عدد ١٠٧٩ ، مقال « خطا العقلاء » فى ٤ أبريل سنة ١٨٨١ م
(٢) الوقائع المصرية . عدد ١١٤٢ ، مقال « اختلاف القوانين باختلاف أحوال الأمم » فى ١٩ يونيو سنة ١٨٨١ م
(٣) محمود رشيد رشا ، تاريخ الاستقلال ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ م
(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحات .

الاتحاد الثوري

وعندما تجرت أحداث الثورة المرابية بمظاهرة عابدين في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م حدثت تحولات هامة في الوقت الفكري والعمل لهذا التيار الاصلاحي الذي يعبر عنه الشيخ محمد مبدع من السياسة و بالذات من الموقف ازاء طلب الدستور والحياة النيابية للبلاد ، بل وازاء دور الجيش المصري في العمل السياسي في ذلك التاريخ ..

● فلم يعد باستطاعته التحدث عن « خطا المقلام » في مجلس النواب ، لان هذه المظاهرة قد اجبرت القويو توقيف على التسليم لامة بمجلس نوابي ينهي بها تنهض به مجالس النواب في غير مصر من البلاد .

● ولم يعد مصطفى رياض باشا - وهو نموذج مصغر للمستبد المصلح عند محمد مبدع - هو الذي يحكم البلاد ، فالتد استجاب الخديو لطلب عرابي بالقلعه هو ومجلس نظره ، وخله شريف باشا ، صاحب الآراء الثورية وتسيير الحكم بالدستور .

● ولم يعد [الحزب الجهادي] مجرد حزب عسكري ، كما كانت حاله عند بدء تحركه في يناير سنة ١٨٨١م ، وانما استطاع بالتحايه ليه الزعيم الثوري ، وبالتوكيلات التي جمعها له النديم من الأمة أن يقد في سلحة عابدين في ٩ سبتمبر كمثل لامة المصرية كلها ، يطلق باسمها ويحمر عن اركانها ، ويسجل لحظة في تاريخها تشبه بارقة الامل وسط قرون من المذلة والعبودية والهوان ، كانت بها هذه الأمة أن تحول مجرى هذا التاريخ الذي ستمعه لها الكثيرون من الامعاء .

● ولم تعد الجماهير والامة ، كما مهمل لا يقيدون تقدم ولا يزيلون تألها ، بل وقفوا خلف أبنائهم الجنود والشباب في ساحة عابدين ، فهزوا ضهير ذلك المثلث والفكر : محمد مبدع ، من الامعاء ، واجتهديه وصميه نحو مسكرهم عدة خطوات ، واذابا بمرارة مواقفهم الثورية وفيهم وحاطهم اللقبة للكثير من جليل المقالنية التي جازى حصن سطحة ما مضى من الصلوات .

ونحن نعتقد أن هذا العامل الاخير كان حاسما في تغيير موقف محمد مبدع وتجاهه الاصلاحي

من « الثورة » و « الوان » ، لهذا التجت الفتي سمعته مصر بساحة عابدين في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م قد فتح عقل الرجل وقلبه على عالم من الحياة والنشاط الوطني الثوري كان معزولا عنه قبل ذلك التاريخ ، ولانه أن هذه الفترة المصمة بالنشاط السياسي ، الذي شمل جميع الطبقات ، قد غيرت رأيه ، أن على الرجل جعلت الصورة التي بدت للجماهير المصرية أمام عينيه مختلفة عن تلك التي كانت لها من قبل - والذين يعيشون فترات الثورة الحاسمة ، وتعرض عقولهم وقلوبهم لحرارة العمل الثوري ونضال الجماهير ، يعرفون جيدا كيف ترغم مثل هذه الأحداث حتى غير المخلصين على مجاراة المواقف ومصايرة الامور .. ولقد كان محمد مبدع - في تمبيره من التيار الاصلاحي - من النوع الاول : مفكرا « معتدلا اصليا » يرى أن شرط وجود « الرأي العام » لم يتحقق في مصر جلى تعطي جماهيرها مقاليها في أيديها .. مثل هذا الفكر يعايش العمل الثوري من قرب ، فيفهم لجماهير مصر بصورة أخرى في نظريه ، فيتقدم خطوات للقاء « التيار الثوري » العرابي في الحركة الوطنية المصرية ، ويسهم منذ ذلك التاريخ في العمل الثوري وفي صنع الأحداث الثورية التي شهدتها البلاد .

وعندما يكتب محمد مبدع ، في لحيات حياته ، عن هذا الحدث الذي تغير بعده موقف التيار الاصلاحي من الثورة المرابية ، يغير بشكل غير مباشر ، الى الاسباب التي جعلته يغير موقفه هذا فيقول : « لما عن مظاهرة عابدين في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م فاني قول : ان سبعة الاشهر التي كانت بين مسألة قصر النيل ومظاهرة سبتمبر كانت مصمة بالنشاط السياسي الذي شمل جميع الطبقات .. فقد صار عرابي محبوبا عند الأمة ، واقتل بالحزب الوطني ، وعرف سلطان باشا ، وسليمان باشا ، وحسن الشريفي ، ورفي انا أيضا .. » (٥) وقيل ذلك « لم تكن الثورة من رأيي .. » ولكن لما منح الدستور انضمامنا جميعا الى الثورة لكي نحصى الدستور .. » (٦)

ونحن ذلك التاريخ أخذ الرجل ، وتجاهه يخطو خطوات وثيدة ولكنها ثابتة ، نحو مواقع « الثورة » ومطلقات « الوان » ، ففي ديسمبر من نفس العام دافع عن دور الجيش ورجال العسكرية ، في الصل الوطني والسياسي ، وكتب في المادة الرابعه من برنامج (الحزب الوطني الحر) - الذي صياغه هو - هذا النص الهام الذي يقول : « ويرى هذا الحزب أن مجلس النواب ربما أكره على الصمت ،

(٥) التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر ايلقه « من ٦٧ طبعه القاهرة الثانية

(٦) المصدر السابق ص ٦٤٧

والطبقات، وانضم الشيخ محمد عبيد والازهرين
المعتدلون الى الحزب المتطرف بكل قوتهم، (٨)

وبذلك التجمت من جديد، امام هذا الخطر
الاجنبى، تلك الاجنحة الثلاثة التى خرجت من
تحت حياة جمال الدين الافغانى وحزبه الوطنى
للحر، جناح عربى، وجناح النديم، وجناح
محمد عبيد، وعاد الحزب الوطنى للحر من
جديد حزب «الثورة»، عندما تمت لصفوفه هذه
الوحدة، والتقى الجناح الاصلاحي بأولئك الذين
سلكوا طريق الثورة منذ بداية الطريق.

معتدلون فى صفوف الثورة

ورغم هذه الوحدة الوطنية التى تمت لصفوف
الثوار منذ مظاهرة عابدين، والتى زادت مرجعها
منذ برزت نوايا التدخل الاستعماري فى شئون
البلاد، الا أن التيار الاصلاحي الذى كان يقوده
الشيخ محمد عبيد، قد ظلت له بعض السمات
المميزة، حتى بعد انضمامه لصفوف الثورة
والثوار، فمنه نستطيع أن نميز فى هذه الفترة
مجموعتين من الظواهر والقوائم والاحداث
والآراء تكتزان خطين متوازيين فى حياة هذا
التيار، كما مرر عنها الشيخ محمد عبيد :

المجموعة الاولى : تتجلى فى المواقف والآراء
التي قبل على أن الرجل وإن اقرب من مواقع
الثورة والثوار، وسام في صنع احدثائها في تلك
الفترة، الا أنه ظل يمثل الاتجاه الاقرب
الى «الاصلاح» فى صفوف «الثوار» وأذا
جاء التعبير، قلنا : أنه يمثل الجناح «المعتدل»
فى صفوف الثورة العراقية.

١ - فعندما يجتمع مجلس شورى النواب فى
٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨٦ لمناقشة مواد الدستور
الجديد، تظهر فى صفوف النواب الاتجاومات
الثورية، وكان اصحابها قلة من حيث العدد،
بينما يظل فى الجانب «المعتدل» أكثر النواب،
ويتحدث «بلنت» عن هذه الاغلبية المستعدة
فيقول : «أن اغليبيتهم بسبت، كاصليتيه
الازهرين، ميالة للاعتدال» ويذكر أن الشيخ
محمد عبيد كان زعيما لهذا الاعتدال، وأنه قال
يومئذ : «لقد لبثنا عدة قرون في انتظار جريتنا،
فلا يرضى علينا أن نتظار الآن بضعة أشهر» (٩)

٢ - وعندما أصر الاتجاه الثوري فى الحركة
الوطنية على حل مجلس النواب فى مناقشة

كما حصل لمجلس الاستانة، فيتكرر صفو
الراحة، ويحرم الابناء من التعليم، ولهذا فوض
الامالى لمرمى الى امراء الجهادية، وطلبوا منهم
أن يصمموا على طلبهم، لعلمهم أن رجال
السكركية هم القوة الوحيدة فى البلاد، وهم
يدافعون عن حريتهم الإخذة فى النبو، وليس فى
عزمهم إبقاء الحال على ما هو عليه، بل متى
حصلت الأمة على حقوقها، عدلوا عن السياسة
الحاضرة، فان امراء الجهادية عازمون على ترك
التدخل فى السياسة بعد أن فتح المجلس فهم الآن
بصفة حراس على الأمة التى لا سلاح لها.

كما يكتب فى هذه المادة من هذا البرنامج ما
يليد تقديمه لمواصل «الحياة الشورية اللبنانية»
و «حرية المطبوعات» على عوامل «تعميم التعليم
وتنوع المعارف» فى عملية النهضة والتقدم
والاصلاح (٧) فهو الذى طالب على الحرية
السياسية والحياة اللبنانية والدستورية
على «التنظيم» وعموم المعارف والتعليم، يذكر
للمرة الاولى فى تاريخه الفكرى أن «التنظيم»
سيكون «بوساطة» مجلس شورى النواب وحرية
المطبوعات وليس العكس، فمن هنا ازاء تطور
فكرى على جانب كبير من الامامية فى نظرية هذا
التيار الذى قادته الاساذ الامام.

وفى شهر يناير سنة ١٨٨٢ م تطورت الاحداث
الوطنية والسياسية على نحو زاد من اقتراب
الشيخ محمد عبيد وقياره الاصلاحي من مواقع
الثورة والثوار، فلقد اتفقت حكومة «غاميتسا»
الفرنسية مع حكومة «غلابستون» الانجليزية على
أن حصول مصر على الحياة اللبنانية والدستورية
هو بمثابة امتناع لهذه البلاد من طوق التخلف،
ومن ثم ضعف الأمل فى ايقاعها فى قبضة
الاستعمار الاوربي للزاحف على بلاد الشرق، وأن
التدخل ضد النظام الثورى فى مصر هو امر لابد
منه، وأن باب حماية الحرش الخبيرى هو المنحل
الى هذا التدخل الاستعماري، وفى ٨ يناير سنة
١٨٨٢ م جاءت المحكمة الدستورية (الانجليزية -
الفرنسية) الى مصر تتحدث عن عزم الحكومتين
على حماية عرش الخبير توفيق ١٩ وهدت هذه
الذكرى بمثابة اعلان للحرب على الحركة الوطنية
المصرية، ووجد الشيخ محمد عبيد وقياره أن
وطنهم فى خطر، فاذاب هذا الخطر الجديد يعضا
من تحفظاتهم ازاء النظام الجديد، وكسا
يقول «بلنت» : «هنا وجه المصريون أنفسهم
محمدين لأول مرة، ليس فيما يتعلق بالحزب
الوطنى وحده، بل فيما يتعلق بجميع الاحزاب

(٧) المصدر السابق ص ٧٩٥ - ٧٩٧

(٨) المصدر السابق ص ٢٥٠

(٩) المصدر السابق ص ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢

ميزانية الدولة واقرارها ، وعارضت ذلك الدول
الاربية صاحبة الديون على مصر ، والمراقبون
الماليين الذين يمثلونها في القاهرة ، وقبب الاتجاه
المعتدل الى جانب استثناء الميزانية من المناقشة في
المجلس ، ونشط محمد عبيد على رأس هذا
الاتجاه ، فجمع أعيان البلاد الاعضاء بمجلس
شورى النواب في ١٧ يناير سنة ١٨٨٢ كي
يناقشهم في هذا الامر مع استعداداته « بلنت »
و « لويس صابونجي » ولقد نجحوا في اقناع
النواب بتعديل ثلاث أو أربع مواد كانت محل
معارضة المراقبين الماليين السياسيين .. ولكن
النواب اصرأ على ضرورة مناقشة المجلس لميزانية
البلاد (١٠)

٢ - وعندما يمدح الشيخ محمد عبيد وزارة
شريف باشا ، التي خلفت وزارة رياض باشا ،
وسبقت وزارة البارودي يصف رئيس النظام
وزملاءه بأنهم يعملون « في تهديد سيبلنا وازالة
المقبات منه » ، « ملوسلين الى ذلك » بالحكمة
والاعتدال آخذين بأسباب السؤدة ومراعاة
الاحوال » (١١) .

ثم يخطب في حفل اقامه النواب بمناسبة
التصديق على لاتمة مجلسهم ، فيحدث عن « ان
الفضيلة وأن ثمرات اصنافها الا انها ترجع الى امر
كلى وهو الاعتدال في السير الانساني » (١٢)

٤ - وهو عندما يقيم هذه المرحلة الجديدة التي
دخلتها مصر في تاريخها الحديث بيده الثورة
العربية ، يحدد ان البلاد لا تزال في اول مراحل
الطريق ، طريق السياسة والحرية ، والاعتدال
هذه هنا لا يعنى التوقف عند هذه المرحلة
الابتدائية ، بل بالعكس يعنى ضرورة التقدم ، ولكن
مع المرور بسائر الدرجات ، أى الاستمرارية في
التطور ، دون طفره قد يجدها « الثوار » فيكتب
في هذا المعنى مضابطا المواطن المصرى
فيقول : « فالت ايتها الوطنى في اول درجة من
مرقاء السياسة ، وفي اول مرحلة من طريق
الحرية ، فلن تبلغ الدرجة العليا الا اذا صعدت
سائر الدرج وإن تبرك الغاية القصوى ما لم تقطع
صائر المراحل ، فإن حاولت خير ذلك لم تأمن

الهبوط من الدرجة التي بلغت ، والرجوع من
المرحلة التي وصلت ، بل ربما صرت على مسافة
أعوام مما كنت ترجو انراكه بأيام » (١٣)

٥ - وعندما تشيع في صفوف الثورة والثوار
افكار عن اعلان الجمهورية في مصر ، كرد فعل
لاتحياز الخديو توفيق الى صفوف الاعضاء ،
ويسجل البارودي واقعة وجود هذه الافكار
بقوله « لقد كنا نرمى منذ بداية حركتنا الى قلب
مصر الى جمهورية ، مثل سويسرا » ، وعندما كانت
تنضم اليها سوريا وليبيا الحجاز .. ولكننا وجدنا
العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لانهم كانوا
متأخرين عن زمهم ، ومع ذلك سنجد في جعل
مصر جمهورية قبل أن نموت .. (١٤) عندما يبنى
التيار الثورى في الحركة الوطنية مثل هذه
الافكار ، يسترف الشيخ محمد عبيد بأنه قد وقف
ضد هذه الافكار ، لأن الجهل لم يكن يمكن البلاد
يومئذ من الرقى الى النظام الجمهورى (١٥)

٦ - وعندما تشدد أزمة الثورة بسبب التهديد
البريطانى بالسلح ، والتمثل في الاسطول الذى
دخل مياه الاسكندرية في يونيو سنة ١٨٨٢ م
يبحث الناس عن حل سلمى للأزمة ، وعن رسول
متمثل يذهب الى لندن لعرض القضية على
المسئولين هناك ، فتبل الاراء الى أن يكون هذا
الرسول هو الشيخ محمد عبيد ، ويكتب « بلنت »
كيف انه اجتمع في ١٩ يونيو سنة ١٨٨٢ م مع
محمد عبيد وتديم البارودي وتحدثوا في الوسائل
السلمية لمبور الأزمة « فقال عبيد انه اجمع رايه
على أن يجمع جميع الوثائق والمستندات التي لديه
او التي يستطيع حيازتها ويذهب بها الى إنجلترا ،
لكى يمرضا بنفسه على المستر قبلادستون
والبرلمان الاتليزى ، وسيأخذ معه أحد وجهاء
التجار وأحد الاحرار (أى أعضاء الحزب الوطنى
الحز) ممن يتفهمون عن الفلاحين فوافق محمود
سامى على هذا الرأى ، وقال : انه هو أيضا يود
أن يذهب الى أوروبا لهذه الغاية » (١٦) وبالطبع ما
كان لاحد أن يفكر في ارسال التديم أو هرابى أو
محمد عبيد ، مثلاً ، لثل هذه المهمة فإن اعتدال
الشيخ محمد عبيد كان أهم حامل يرشحه لثل هذه
المقارة الى لندن في ذلك التاريخ . بل
ان « بلنت » ارسل الى « لويس صابونجي » برقية

(١٠) المصدر السابق ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

(١١) الوقائع المصرية ، مقال « الحياة السياسية » في ٩ نوفمبر سنة ١٨٨١ م

(١٢) المصدر السابق ، مقال « بقالة الشكر بلاشكر » في ٢١ فبراير سنة ١٢٨٢ م

(١٣) المصدر السابق ، مقال « الحياة السياسية » في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨١ م

(١٤) التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر ص ٥٢

(١٥) المصدر السابق ص ١٣٧

(١٦) المصدر السابق ص ٥٢

من «لندن» في ٥ يوليو سنة ١٨٨٢ يقول له فيها « يجب ألا تأخسوا الاصول أرسلوا عبده الى غلاسغتون » (١٧)

ولقد كانت هذه الآراء والمواقف المختلفة التي اتخذها الشيخ محمد عبده ، وهو في موقع الثورة وبين الثوار ، امتدادا طبيعيا لفكره السابق ، ونهج التيار الفكري والسياسي الذي ارتبط به ومثله ، في الفترة التي سبقت الانضمام الى المرابيين كما كانت انضماما طبيعيا مع تكوينه العقلاني والنظري (التأملي) ومزاجه الميل الى الاعتدال ، وتمييزا عن مواقف القوى الاجتماعية التي وقتت من قضية التقسم والتحرر موقفا متميزا عن مواقف العامة والجماعير .

المجموعة الثانية : من الظواهر والوقائع والاحداث والآراء التي عايشت ظاهرة «الاعتدال» هذه في تلك الفترة التي انضم فيها تيار محمد عبده الى الثورة العربية ، وزاومت ظاهرا الاعتدال هذه ، وكانت معها تلك الانبجاعات التي ميزت موقف الرجل وتياره ، هي تلك التحولات الفكرية التي اقترنت به من مواقع الثوار الفكرية ومواقفهم العملية ، بعد أن كان يقف بعيدا عن هذه المواقع يتأمل ما لاصحابها من افكار * ونحن عندما نقرأ كتاباته السياسية في هذه الفترة من حياته نشعر بأنه يهاجم آراءه هو نفسه التي قالها قبل انضمامه للمرابيين ولملح كان يناقش يومئذ أولئك الذين ظلوا على موقفه الفكري القديم ، واحتفظوا بالزعم القائل أن مصر ليس لها رأي عام تستحق به أن تقال المستور والحياة النيابية والحكومة القانونية المفيدة بهذه القيود .

١ - فبعد أن كان ينكر أن في مصر «رأيا عاما» يجعلها أملا للحكم الدستوري النيابي عقل عن هذا الموقف ، وكتب يقول « إن أهالي بلادنا المصرية دبت فيهم روح الاتحاد واشرفت نفوسهم منه على مداولة الرأي العام » فهم بهذا الاستعداد العظيم أهل لأن يسلكوا طريق الشورى ، ومن قانون يراعى فيه ضبط المصالح على الوجه اللائق ، يتبادلون فيه الأفكار الحرة ، والآراء الصائبة ، فلهذا أجمعوا رأيهم على تأليف مجلس الشورى ، وصدرت الأوامر السامية بانتخابهم نوابا حسب ما قضت به نوايس الحرية ، وأنشرفت صدور الناس عامة بهذا الأمر ، واستبشروا بما يكون من عاقبة هذا المصير الجليل .. (١٨)

٢ - وعنكم تتعرضن «التجربة المصرية الميدانية» في الحكم الدستوري الشورى النيابي لهجمات الخصوم وانتقاداتهم ، ويطلقون ضدكم نفس الحجج التي أطلقها من قبل الشيخ محمد عبده قبل انضمامه للثورة يتصدى الشيخ محمد عبده لهؤلاء الخصوم ويسوق ضد حججهم نفس الأدلة التي قمتها العربيون منذ البداية فيقول : « إن بلادنا المصرية ، بلا ريب ، لا فرق بينها وبين بلاد أخرى تحققت فيها الشورى وثالثت منافعها وعادت عليها فوائدنا .. إن إيلساء قطننا المصري وقد انتقلت أفكارهم من مركز الرقعة الى مجال الجولان في المنافع والمضار ، ووجوب السعي لطبب الأولى من طرفها ، ولزوم الاجتهاد في دفع الثانية .. »

وبعد أن يتحدث عن « الشواص » الذين حصلوا طرفا من المعارف والعلوم .. يتقدم خطوة هامة جدا ليفعل لنا أن التطور الثوري قد شمل « العامة والجماعير » ولم يمد وقفا على الخاصة من المثقلين ، فيقول : « ولا نخص ذلك بالخواص ، فإن العامة ، وهم أهل الاعمال اليدوية المستغرقة لبياض النهار وسواد الليل قد انتقلوا عما كانوا فيه من قيل يكثير ، وإن كان الانتقال في كل من الفرغتين - (الشواص والعمال) على درجته اللائقة به ، المناسبة لما اكتسبه من المعارف أو التجربة أو تأثير الحواش أو غير ذلك من أسباب الانتقال من حال الى أهلا منه في الوجود ، » (١٩) .

وتنح لنحظ في هذه العبارة الأخيرة تطورا هاما في تفكير الرجل ، فلم تعد المعارف والعلوم هي السبيل الوحيد لانتقال الإنسان من حال الى حال أو لآمنه في الوجود ، وإنما هو قد اضاف الى هذا العامل عوامل أخرى منها « التجربة » و « تأثير الحوادث » وغيرهما .. وهي العوامل التي أثرت بها الثورة العربية ، فخلقت روحا جديدة في حياة الناس انتقل بهم الى طور جديد من أطوار الحياة ..

٣ - وفي مقالاته عن « الحياة السياسية » يحدد أن الذين يستحقون أن تكون لهم الحقوق في المجتمع بالحرية العامة : حرية الرأي وحرية القول ، وحرية الانتخاب ، هم الذين حصلوا القدرة على امتلاك « الادب السياسي » الذي لا يلد في تحصيله « من الطلب والاجتهاد ، وحسن الاقتداء ، وفقه النظر ، والتبصر في أحوال الناس من قبل

(١٧) المصدر السابق ص ٤٨٠
(١٨) الوثائق المصرية عدد ١٢٩٠ بقالة الشورى والقانون في ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨١ م
(١٩) المصدر السابق ، مقال « في الشورى » ١٢ ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

الا ان ثبت لنا وجودا وطنيا ، ورأيا عموميا ، ولو كره المبطون (٢٢)

٥ - ويتصدى لاولئك الخصوم الذين يحتجون بماضى هذا الشعب الذى عاش فيه اسير أنظمة الاستبداد والاسترقاق ، يحتجون بهذا الماضى على عدم اهليته للتحرر والديمقراطية ، فيقول : ان هناك « فئة لا يزالون يؤمنون اسماعا بما يكرون من مفاسد القول ، من مثل : اننا نمودنا احتمال الظلم والحيف ، والفتنا الخدمة والرق ، فلن يستقل لنا رأى ، ولن نهتدى سبيل الحرية - كانما هم لا يعلمون ان اهل الغرب اجمعين تمودوا مثل ذلك الحيف اعصارا ، وكانوا فى قديم الايام على ضروب من الرق وانخفاض الجناح ، وان العالم بأسره كان فريقين : احمرارا يظلمون ، وعبيدا يطيعون » ثم يشير الى فضل الثورة الفرنسية فى تحرير أوروبا ، وإلى الامال الملقة على ان تحرر الثورة العربية شعبنا من رقه ، فيقول : « ولئن كان من فضل هذه المائة (القرن التاسع عشر) ان يكتب فى صدر تاريخها تحرير ارقاء العصر السالف ، فلقد رجونا وحقق الله هذا الرجا - ان يهتم ذلك التاريخ بتحرير الذين كانوا ارقاء فى هذا العصر ، وحسن ذلك ابتداء وحسن ذلك ختاماً » (٢٣)

٦ - وبعد اجراء انتخابات مجلس شورى النواب اتخذ خصم الثورة من دخول بعض الجبهة وقليل الكفاءة الى المجلس حجة للطلعن فى هذه التجربة ، وقالوا : ان مصر ليست اهل لهذه المؤسسات وأن هذا المجلس يدع بين المجالس النيابية فى العالم ، فتصدى الشيخ محمد عبده لمناقشة هذه الآراء وتقنيدها ، وقال ان هذا هو حال كل المجالس النيابية فى كل البلاد لا يمكن ان تخلو من مثل هذه العناصر ، والعبرة بوجود العناصر التى يحقق وجودها الغاية من وراء قيام هذا النظام ، وعندها لا يخلو المنتخبون من ان يكون غالبيتهم من اهل الدراية والمعرفة وأرباب النظر والفكر ، الذين يعرفون ما هى الشورى ، وما هو المقصد منها وما هى المنفعة للبلاد ، وما هو الطريق الموصل اليها * وقد وقع الانتخاب على كثير منهم فى هذه المرة لجلس النواب ، ولا نشك فى ان هذا العدد فيه الكفاية التامة لتحقيق منفعة الشورى المقصودة منها فى بلادنا المصرية . فان أى قطر لا يكون المجموع فيه للشورى الا على هذا

وفى الحال (٢٠) ولكنه ينتهز هذه الفرصة ليزيل ما قد يتبادر الى الاذهان من ان هذا « الادب السياسي » هو وقف على « خاصة » الأمة ، وفئاتها المستتيرة فيقول : « على ان الادب السياسي وان لم يتيأس مومعه فى الأمة ، الا أنه قد يحصل لافراد كثيرة منهم ، على مقادير مختلفة ، فيمكن لمجموعهم ان يسيروا فى مسابله آمنين مهتدين اقتداء وتقليدا ، ويترجوا به فى مراتب الحياة السياسية حتى يتوالى التكرار ويطول الاستمرار فيصير فيهم من الملكات النوقية التى تعرف ولا تعرف كما كان العرب فى الجاهلية بالنظرالى اللغتينطقون بالكلام المركب بالوضع ولا يعرفون له من قاعدة غير الذوق ، (٢١) فهو هنا يثبت امكانية تحصيل « العامة » للادب السياسي ، ومن ثم استحقاقهم التمتع بحقوقهم فى حرية الرأى والقول والانتخاب .. وذلك دون ان يكونوا متقنين قد تحصلت لهم وتوفرت لديهم المعارف والمعلومات »

٤ - وهو يحدد لنا طبيعة المرحلة التى أوصلت الثورة الشعب اليها وقادته الى رحابها ، ويسميتها مرحلة « الوطنية » التى برزت فيها عاطفة التماق بالوطن ، وتظهر فيها ملامح القومية وقسماتها ، ويحدد العوامل المادية والمعنوية التى جعلت جامعة الوطن رباطا يجمع أبناءه بصرف النظر عن العقيدة والاصل العرقي والدين ، فيقول : « ان فى الوطن من موجبات الحب والحرص والغيرة ثلاثة ، تشبه ان تكون حدودا (أى تعريفات) :

الاول : انه السكن الذى فيه الغذاء ، والوفاء ، والاهل والولد .

والثاني : انه مكان الحقوق والواجبات التى هى مدار حياة السياسة (وهما حسيان) .

والثالث : انه موضع النسبة التى يسلو بها الانسان ويحز ، او يسفل ويذل (وهو معنوى محض) فإذا تقرر ذلك .. وجب على المصرى حب الوطن من كل الوجوه .

ثم يمضى ليشتت شجونهم على اولئك الذين يزعمون ان مصر لم تبلغ طور « الوطنية » ولم توجد بها هذه العاطفة بعد - وكانوا يريدون ارجاع تبصيرها للمثابنين - فيقول : « ولقد كان بعض الناس يحاولون خلق الشعار الوطنى عن قوى الحقوق والواجبات فى مصر ، والباسهم جميعا لباس الجاهلية والذل . ولكن أبت الحوادث

(٢٠) المصدر السابق - مقال « الحياة السياسية » فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨١ م

(٢١) المصدر السابق - مقال الحياة السياسية » فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ م

(٢٢) المصدر السابق - مقال « الحياة السياسية » فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٨١ م

التي - يخشأ أن يكون القليل ليسوا كالكثيرين في هذه الصفات ، كما لم يضر في أحد الممالك المتقدمة وجود مستشيرها على هذا الخوال ، بمعنى أن غالبهم كانوا غلبت عندنا ، والقليل منهم كالقليل منا ، ومع ذلك نالوا ثمرات الشورى ، فالقول أن من بينهم من يتألفونها ونحن نخدم منها ، مع تساوى الأمر بيننا وبينهم ، مما لا يصح في الإذعان ولا تقوم عليه حجة ولا يؤيده برهان » (٢٤) .

٧ - ولم يقف الشيخ محمد عبيد عند حد النفاق من هذه التجربة الثورية ، والتصديق للذين يجتهدون للليل منها والتصفيه لمؤسساتها ، وإنما اجتهد في الادلاء بأرائه البناءة التي تعكس المواقف الفكرية للتيار الذي قاده وعبر عنه في صفوف الثورة العربية ، ولهم هذه الآراء كى يتضمنها الدستور الذي كانت مواده موضوع مناقشة في مجلس شورى النواب . وفي احتمال إقامته جمعية (المقاصد) بمناسبة التصديق على لائحة مجلس النواب ، دعاه هيد الله التديم الى الخطابة ، فالتقى الرجل كلمة ضافية - في وجود الليابردى وعرابى وغيرهما من النظائر والضباط - حدد فيها المبادئ الاساسية التي يجب أن تتضمنها قانون البلاد الاساسى (الدستور) وذلك مثل :

- ١ - التأكيد من أن حكومة هذه البلاد هي حكومة قانونية ، أى مقيدة بالدستور والقوانين .
- ب - النص على دور مجلس شورى النواب في مصداق الحكومة في حكم البلاد .
- ج - النص على التسميم للمصارف والعلوم في البلاد ، وذلك لتربية الاعداد اللازمة لتولى مسئولية النيابة عن جماهير الناس .
- د - النص على وجوب تحسين التربية التي تكسب الفضيلة والشرف ، وذلك حتى تصير المصلحة العامة أهم من المصلحة الخاصة عند من يتصدون للمصلحة العامة ، وحتى لا يلتمس أحدهم منفعة إلا من طريق منفعة للموم .

هـ - النص على ضرورة وجوب اطلاق الحريات العامة « حرية المجمع » (الاجتماعات) ، والطابع ، والافكار ، والاصال ، والاوقال .. على شريطة أن يكون هذا الاطلاق تحت قانون عمل يرسم الحدود ، ويبين الواجبات على تفصيل يرفع الابهام وتبين يزيل الالتباس .

و - النص على ايجاد الحوافز « وتقرير أمر المكافأة لمن أتى بعمل غريب وهما يصنع ببيع ، حتى يكون سائقا للنفس على التفكير والتدبر في

الوصول الى ما يستحقون عليه المكافأة والامتنياز » .

ز - القيام بوضع القوانين الحديثة والملائمة والنظامات التي « تكون الحد الفاصل بين الحق والباطل ، والصحيح والفساد » ، في مختلف جوانب حياة المجتمع المصري الجديد (٢٥) الخ ..

وهكذا احتل الشيخ محمد عبيد ، والتيار الفكرى والسياسى الذى مثله وعبر عنه ، مكانة في الحركة الثورية العربية ، وتحول الى صوت يدافع عن ايجابياتها ، بعد أن كان صوتا يهاجم هذه الايجابيات ، والى مساهم في بناء الحياة الثورية الجديدة والتاريخ الجديد لوطنا الذى بدأ بمظاهرة عابدين في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، بعد أن كان ميذا من هذه الظاهرة الثورية ، ينتقد من موقع المثقف الذى عزل نفسه عن مجال التانيير الثورى والتأثر بالثورة والثوار .

ولقد شهد النصف الاول من سنة ١٨٨٢ تقدم الشيخ محمد عبيد ، رغم خصائصه المعتدلة ، في ميدان العمل داخل اطار الحركة الثورية العربية ، حتى لا يجد الباحث وسط أحداث الثورة بدا من وضعه بين القلة القليلة التي يمكن أن يطلق عليها وصف القيادة لهذه الثورة خلال تلك الشهور .. لقد كان واحدا من قادة هذه الثورة ، وإن يكن الممثل للتيار المعتدل بين هؤلاء القادة الثوار . فهو « اصلاحى » اعتقد أن « الثورة » قد حلت واستحق الآن ما عمل لتحقيقه بعد سنوات وستوات .. فارتبط بالثورة والثوار . وهو صاحب مزاج غير ثورى ساهم فيه الشورى وحرارة الثوار في اعطائه جرعة من الحماس جعلته يقدم خطوات بعيدا عن موقع « المصلح » ، وقريبا من موقع « الثورى » .. وهو ممثل تيار في الحركة الوطنية يومئذ . تحول الى مدرسة في الفكر المصرى واسلوب في العمل السياسى ، لعبت دورا خطيرا في حياتنا ولا زالت مؤثرة حتى هذه الايام .

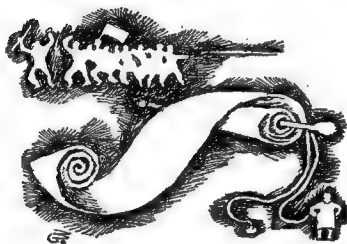
هكذا كان موقف هذا التيار الاصلاحى من فكر الثورة وأنجازاتها . وهكذا تعايشت في عقل الشيخ محمد عبيد كتاباته ومواقفه ظاهرتا : الاعتدال ، والدفاع عن الثورة ، والمساهمة في صنع أحداثها منذ انجذاب لحداتها في سبتمبر سنة ١٨٨١ م وحتى هزيعتها التي انتهت بدخوله السجن مع زعمائها الاحياء في سبتمبر سنة ١٨٨٢ م .

(٢٢) المصدر السابق . مقال « الحياة السياسية » في ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٨١ م .

(٢٣) المصدر السابق . مقال « فى الثورى » في ١٢ ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

(٢٤) المصدر السابق . مقال « لاحتفاء جمعية المقاصد بالتصديق على لائحة النواب » في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٢ م .

الثورة والملك العقاريون



فتح عبد القناح

الطريق • وهو نفس محمد سلطان الذي كان منذ ما لا يزيد عن ثلاث سنوات [١٨٧٩] قد اشترك مع عدد آخر من كبار الملاك منهم سليمان أباطة وحسن الشريمي ومحمد شريف وأسماعيل وأغلب في تكوين ما سمي بالحزب الوطني والذي طالب في أول برنامجه نشر له في ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٩ بأن تكون مصر للمصريين وبضرورة انقاذ مصر من الاستغلال الاجنبي الذي كان يتبادل في ذلك الوقت في صندوق الدين ووجود وزراء يمثلون نفوذا أوروبيا خالصا .

والواقع أن هذا الموقف من جانب مسلمان باشا كعبر من الطبقة الارستقراطية الترابية الحديثة النشأة ، سواء في التأييد الاولي للثورة العربية ثم بعد ذلك في معاداتها والتخالف مع قوى الاحتلال الاجنبي المتابع تمبيراً لخاصا من نشأة وتطور طبقة كبار الملاك المصريين في

يوم ٢٥ شبتمبر سنة ١٨٨٢ عاد الخديوي توفيق الى القاهرة في حراسة خمسة آلاف جندي بريطاني ١١١

في

وكان ثمة وجوه حزين يخيم على سواد القاهرة ويبيتها ملها هو في كل القرى وللمن بعد هزيمة أحمد عرابي والجيش المصري في التل الكبير ، ودخول قوات الاحتلال الى القاهرة ومعهم الأمير العالي الذي أصدره الخديوي بأن « قائد الجيوش البريطانية العلم قد أتى الى مصر لاعادة الأمن والنظام ومن ثم فقد سمحوا له باحتلال جميع الأملاك التي يرى في احتلالها ما يساعد على قمع العصيان » .

وكان على رأس قوات الاحتلال التي دخلت القاهرة « محمد سلطان باشا » يدلهم على

وكان أغلب « الملك الجيد » من المالكين والأتراك والجراسكة ، ربما فيها عدا العمد والمشتايخ الذين استقادوا من مسموح الماعط ، وهو الذى كان يمثل حوالي ٤ ٪ من زمام القرية تمنح لهم يستغلونها ، ويسخرون فيها أهل القرية لمصالحهم ..»

كما أن أغلبهم لم يكن يعمل بالزراعة ولا يهتم بها ، ويقوم بميدا في العاصمة أو المدن ، مع استثناء العمد ومشايخ البلد وأن كان تطورهم بعد محمد على قد مضى في نفس اتجاه الملك الآخرين ، وهو الاتجاه في المدينة والبعد عن العمل الزراعي ..

كذلك فمن الواضح أنهم حصلوا على الأراضي الواسعة التي منحت لهم من خلال شغلهم مناصب إدارية في أجهزة السلطة وليس لنور انتسابهم في مجال الزراعة ..

وبالرغم من أنه من الناحية القانونية لم تكن الأرض ملكا خالصا لهم ، إذ كان حق الرقبة في يد الحاكم ، إلا أنه من الناحية العملية كانوا يتمتعون بكل حقوق الملكية والنصرف ، وأكد هذا قرارات محمد على نفسه سنة ١٨٤٢ وما تلاها من قرارات سنة ١٨٤٨ ، والتي أعطت لهم حق الارت والبيع والرهن ..

ولقد سارت سياسة سعيد ومن بعده إسماعيل على نفس الخط العريض الذي رسمه محمد على وهو خلق ودعم طبقة كبار الملك لتكون مستندا اجتماعيا قويا لحكم الأسرة في الأساس وما يتطلبه ذلك من مزيد من منح الامتيازات والامتيازات مع التوسع في حقوق الملكية ..

ومن الملاحظ أن القوانين التي صدرت في اتجاه دعم الملكية الفردية للأرض في مصر في سنة ١٨٥٦ ثم سنة ١٨٥٨ وهي المرونة بالائحة السعيدية إلى قانون القابلة سنة ١٨٧١ كانت كلها تهدف في الأساس إلى تحقيق هذا الغرض إذ وأكبرها توسع كبير أيضا في منح الامتيازات والامتيازات حتى أنه يمكن القول أن كل القوانين المنظمة التي صدرت في تلك الفترة لتؤكد حق الملكية لم تكن في واقع الأمر سوى تحويل الأراضي الزراعية في مصر « من القطاعية حكومية إلى القطاعية خاصة تستغل المأبوية الإسمافة من الفلاحين » (١) ..

تلك الفترة ، فترة وضع أسس الملكية الفردية في مصر وخلق الاستقرارية الزراعية وهي نفس الفترة التي سبقت بتقليل الثورة العنصرية ثم ولكنها ..

طبقة بلاترات

والقول بأن مصر لم تشهد في تاريخها قبيل محمد على « نبالة زراعية » فيه كثير من الحقيقة ، إذ أن الحكام وكبار الموظفين والمسكرين الذين كانوا يستولون تاريخيا على ريع الأرض في مصر لارتباطهم بالحكم وأجهزته المركزية ، عاشوا يحتكرون العمل الزراعي ، يعيدون عنه يتجهون في المدن ويحكمون القرى بأجهزة الدولة المركزية التي هم جزء منها ، ولهذا كانت الصيغة الأولى للاستقرارية الزراعية في مصر أنها زراعية بيروقراطية تحصل على الربح الزراعي من خلال أجهزة الدولة وليس من خلال الملكية التي ظلت تاريخيا وحتى المرحلة الأخيرة من حكم محمد على في يد الحاكم وحده ..

وطوال فترة حكم المالك ثم الاحتلال العثماني الذي استمر أكثر من ٥٥٠ عاما نظرا لأن السلطة كانت تنقل من وال لآخر ومن حكم له اتساع معينون إلى حكام يتبعهم مجموعات أخرى فاته فيها عدا العائلات المملوكية والتركية وبعض العائلات العربية فاننا لا نجد عائلات مصرية لها ترافها في المشاركة في الحكم وبالتالي في الملكية الاقتصادية أو الاستقلال الاقتصادي ، ولئن كنا نعتبر في بعض الأحيان في تاريخ مصر أيام المالك والعثمانيين على بعض العائلات المصرية التي لها ثراث واستمرار في أجيال محدودة فهي بعض العائلات الثمينة في الخيرة من التجار أو من رجال الدين ..

ولقد قام محمد على بعد إلغاء نظام الالتزام بأعادة توزيع الأراضي وهو يستهدف مثليا أكد يعقوب أوتين باشا تكوين طبقة من كبار الملاك لتكون مستندا لحكمه ولما تلت من بعد ذلك ..

وعلى الرغم من احتفاظ محمد على بحق الرقبة إلا أنه قام بتوزيع الجزء الأكبر من الأراضي الزراعية على عدد محدود من أفراد أسرته وكبار الموظفين ومشايخ البلد والأعراب والمتمردون في شكل جنالك وإملايات ومسموح مشايخ ووسايا وأراضي هرب وأراضي مهدة ..

أسس توزيع الأراضي

وهناك حكيمات بشعة من الأساليب التي استخدمها اسماعيل مستعينا بوزيره الأول في تلك الفترة [اسماعيل باشا المفتش] في سلب الكثير من الأراضي مستخدما سلاح الرى الضيق الذى كان تقليديا لعية الحكام فى مصر ، فلم يكن يستطيع أى ملك سواء كان كبيرا أم صغير أن يرفض رغبات الخديوى فى ضم أرضه إلى المفتش الخديوى والإعلان الجفاف التام مقابلا له ولحاميله (٤) (٥)

كما أن القرب أو البعد عن رغبات الخديوى [الخاصة غالبا] كان لها أيضا هاما لنوع الاتطاعات ولسليل أخرى .

ولقد كان اسماعيل المفتش نفسه [الذى جمع للخديوى مساحات واسعة من الأراضي] أحد نشأيا هذه السياسة حين غدر به الخديوى وصانر أراضيه التى كانت تبلغ ٣٠ ألف فدان موزعة فى الجزيرة والغربية ومحافظات أخرى .

ولقد تمثل هذا الموقف من جانب اسماعيل فى عدم التفرد بين لواله وأموال الدولة ، فحين تراكمت عليه الديون ووضع الهلال على شفا الأيسر قام ببيع ٢٥٠٧٧٢٩ ألف فدان من أملاك أسرته إلى الدولة كضمان لديونه لينك يوشيك وحده والتى بلغت ٥٠ مليون جنيهه استرلينى (٦) (٧)

و حين (احتاج إلى المال للسفر إلى باريس للاشتراك فى معرض باريس سنة ١٨٦٧ للحصول على لقب خديوى عرض قرضا مع بنك أوبنهايم يبلغ ١٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه عليه ورهن فسيلا لذلك أراضى بحيرة الشريعة والثقيلة والجزيرة (٥)

مغامرون ومضاربون

وهكذا نرى أنه منذ الفترة التى بدأ فيها محمد على منح إقطاعيات إلى أن برزت وتكثرت الاستقرابية الزراعية الجديدة فى مستنات ومبهمات القرن التاسع عشر تحدثت هذه

ولقد رأينا أن هذه الاستقرابية الزراعية الجندة التى خلفها مصدا على تسيك فى الأسس من مائلات إيجية ، وهو أيضا خط ثابت استمر به كل من سعيد ١٨٥٤ ، - ١٨٦٣ ثم اسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٨٢]

ولقد تجل هذا سعيد بالكرم الواسع فى هذا المجال ، ولم يقتصر على منح الإقطاعيات لكبار الموظفين فقط بل وأيضا لكثير من الأجانب الذين بدأوا يمثلون جزءا هاما من حاشية سعيد بالإضافة إلى أنه جعل الإقطاعية مقابل استبدال بعض الموظفين والضباط من معاشاتهم (٨)

أما اسماعيل فقد كان أكثر كرا من سعيد وفى نفس الوقت أكثر جشعا وأكثر حرصا على تديم الاستقرابية الزراعية إلى واحدة تشكيها بما يتفق مع مزاجه الخاص (٩) (١٠)

والوثيقة التى نشر عليها فى مصر عابدين وتجوى أسبام من أتم ملهم الخديوى بالاتطاعات الواسعة بلغت ١٨٦٣: ٣٨٧٧٢٩ ألف فدان تمثل ثورتها حيا لخور اسماعيل فى خلق وتديم شريحة كبيرة من هذه الطبقة (١١) من ١٠٧ أسبام حولهم الوثيقة مستجد ٢٢٠ من الأسرة الملكة ثم أسماء أخرى تشيكل الضخم الخصوصيين والتماليين (١٢) رؤساء الضم [وتظار أراضى الخديو ومستشاريه فى الأمور الخاصة (١٣) ثم مددا من المظنات والجواري

ولقد كان اسماعيل نونجا للحاكم الذى لا يربط أية قوانين موضوعة سوى قوانينه الخاصة حتى ولو كان جزء من هذه القوانين وضعت فى هذه . . . ويشهد تاريخ اسماعيل أنه باسم الدولة صلب كثيرا من الأراضي بعضها كان فى حوزة الفلاحين المزارع ويعملها فى تجارة كبار الملاك وضم معظم هذه الأراضي إلى ملكيته أو وزعها على معاونيه .

[١] ويلفريد بلنت - التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر [الجزء الأول ص ١٢١] ترجمة الحولاء لك .
[٢] حسين خلاص - تطور السياسة المالية فى مصر [محاضرة مرفوعة من مكتب التجويد فى الاقتصاد المصرى - مطبوعات المعهد العلمى للدراسات الاشتراكية] .
[٣] أرنست إملاك اسماعيل فى تلك الفترة وهدرها ولتفرد بلنت أنها وصلت إلى ٩٠٠ ألف فدان أو أربعة ألسان ما كان يمكن قبل وصوله إلى الحكم [ويلفريد بلنت - التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر - الجزء الأول ص ٢٠ سلسلة آخرنا] .
[٤] مقرون محطرى عنلى . تاريخ مصر الاقتصادية والمالى (١٩٥٥) الطبعة الثانية (١٩٥٥) مكتبة الانجلو

ملكية الاكراه

هكذا كانت تستهلك وتطور الارضية الاقتصادية لكبار الملاك في مصر في سيمينات القرن التاسع عشر ، وفي نفس الوقت كانت تتطور ارضية اخرى بالنسبة للفلاحين ويتصد بهم سكان القرى الماملون في الزراعة بأنفسهم والذين كان مجبدا على قسده وزرع عليهم مخابي من الاراضي بمد الجفالك الشفالك والوسايا ومسموح للمسيحيين والمريين في ٢ الى خمسة افنة .

ويغنى النظر عما يحلو للبعض من اعتبار تنظيم مجيد على الزراعة على انه اصلاح زراعي فالتثبت ان اعدادا كبيرة من الفلاحين نتيجة ازدياد الضرائب والتصف في جميعها والاستغلال المكثف في احتكار المحاصيل والتوسع في اعمال البصرة والارحلب ، قد قضوا الحرب وترك الارض .

وفي عهد سعيد ثم اسماعيل لم تتوقف هجرة الفلاحين من الارض بل انها زادت بشكل ملحوظ وفي الفترة من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٨٠ أي الفترة التي كانت فيها قوانين الملكية المظلمة لا تتقدم وتتأكد ..

وقد أدت سياسة سعيد ومن بعده اسماعيل في الشرق وفي البسخ ومحاولة التطور المظلم في الشرق في اليونان ، ولم يكن امامهم من مصدر محلي يهبون منه الأموال اللازمة سوى الفلاح ، وفي سنة ١٨٥٦ زاد سعيد من الضرائب على الاراضي الخراجية [اثرية] فجعلها ٨/٢٠ الحصول بعد ان كانت الربع ايام مجيد على ١٠ وقد أدى ذلك الى ان تركا كثير من الفلاحين اراضيهم « هني ان كثيرا من الفلاحين تقدموا بالمسكست برجاه اغفلهم من الارض المنهضة لهم » (٧) .

وكان اسماعيل اكثر احتياجا للمال نتيجة لازدياد ديونه وبخفه فقام بزيادة اخرى للضريبة في ديسمبر سنة ١٨٦٤ ، وجعلها حوالي نصف الحصول بعد ان كانت الثلث ايام سعيد ..

وفي سنة ١٨٧٧ بلغت الضرائب من الارضي الخراجية [ارض الفلاحين] حوالي ٣ ملايين و١٢٢ ألف جنيه الجبليزي في حين كانت ضرائب الاراضي العشورية (اراضي كبار الملاك) ٢٢٣

الطبعة في مائات ولسر تدريج كلها تحت المواصفات التالية ..

١ - الاسرة الحاكمة

٢ - كبار الموظفين وغالبيتهم من اشر شيوخ مصرية .

٣ - شيوخ القبائل البدوية ، وظلوا محافظين على التراث البدوي في احتكار المصل الزراعي والفلاحين ..

٤ - العهد ومشايخ البلاد

٥ - كبار الملاك الاوربيين الذين بدلوا يدون الى مصر منذ ايام محمد علي لم ازداد دورهم ايام سعيد ولمعوا دورا كبيرا في عهد اسماعيل حين جذبتهم تجارة القطن وبخ اسماعيل وارتفاع سعر القطن .. وتفتت ذلك الباب واسماليبيوت المالية في اوربا ، وفي الفترة بين سنة ١٨٥٧ و ١٨٦١ كان يدخل البلاد حوالي ٣٠ لك اجنبي كل عام ، وبدأ كبا لو ان مصر قد حصلت الى كاليورنيا جديدة تجذب اليها الملبرين الباهتين من الذهب .. وانفتح الى مصر بيوت مالية وغرباء من القسطنطينية ولندن وباريس ومرسيليا والمليون الاقوياء واصحاب المشاريع الغفراء والمشاربون والمغامرون والزيغون » (٦) .

ونشرت شركة التجارة المصرية ، وهي شركة انجليزية ، تقريرها لها جاء فيه « انه من المؤكد ان الزراعيين في مصر يستطيعون ان يقرضوا بسمر ٤ ٪ في الشهر وان ميدان العمليات المالية ليس له حدود » ..

وخلال ذلك كانت ديون اسماعيل تتفخم من ٢٥٠ مليون ونصف سنة ١٨٥٦ الى ٩١٠ مليون سنة ١٨٧٧ وكان الطريق الوحيد هو بيع ورهن مساحات من الاراضي ليهيوت مالية وممولين كجانب ..

وقد أدى ذلك الى ان هؤلاء في شكل اكراد او شركات كانوا يملكون في اواخر القرن التاسع عشر جزءا كبيرا من اخصب الاراضي في مصر [١٠٠ ٪ من كل الاراضي المزروعة في ذلك الوقت] اي ما يوازي ٥٥ ألف فدان ..

[٦] بنك وبشوات .. ترجمة عبدالمعظم اليس ص ٦٦ : دار الكتب العربي ١ .
[٧] على مبارك - الخط القونيني .

يقترضون الفلاحين مستغلين. حلجتهم الشديدة ثم بعد ذلك يزرعون ملكيتهم .

الملك المصريون

ولقد كان من النتائج الأساسية لهذه الحالة اليانسة للفلاحين :

أولا : زاد كبار الملك من مساحة اراضيهم وخاصة العمد وبشليخ البلاد الذين كانت لهم سلطات ادارية واسمعة منها تحديد الاراضى المهجورة وامادة توزيعها ومنها أيضا جمع الفلاحين لاملال السخرة ، وقد شهدت هذه الفترة نموا كبيرا فى القطاع المصرى من كبار الملك بتحول عدد من اميان القرى الى ملكا كبار واصبح الاميان المصريون - كثرقة لهم من كبار الملك الآخرين الذين كان معظمهم من اصل تركى وجركسى يمثلون احد العمد الاساسية للطبقة الاقتصادية الجديدة، ولذلك كان من الطبيعي ان يتطلمو فى هذه المرحلة لانيوضع لهم الاعتبار الاول فى تصريف امور البلاد مثل المطالبين بجلوس نيابى ويان يكون لهم صوت مسوع فى التوائين التى تصدر .. وحين تشكل الحزب الاهلى او الوطنى فى اواخر السبعينيات كان كبار الملك المصريين هم عمدة الاساسية لذلك أطلقت عليه الارستقراطية الاخرى [الجراكسة والأتراك] اسم « حزب الفلاحين » .

ولعل هذا يفسر التحالف المؤقت الذى تم بين كبار الملك المصريين وقطاعات اخرى من العسكريين والمثنتين من اصحاب الفكر القومى المصرى [مدرسة رفاعة الطهطاوى] او اصحاب الفكر الاسلامى الليبرالى [جمال الافغانى] فى المرحلة الاولى من الثورة العربية ثم انصلاح كبار الملك المصريين وخيانتهم للثورة بعد ذلك بعد ان وعدت قوات الاحتلال باتاحة الفرصة لمامهم للمشاركة فى الحكم والحصول على مركز خاص ..

الغنائم الوسطى

ثانيا : ربما كان بروز الملكية المتوسطة فى هذه الفترة هى واحدة من سماتها الرئيسية، بل

الذ جنبية استرلبنى وكان متوسط خريبة الفدان على الارض الخراجية ١٦٢ ر ا جنيه فى حين متوسط خريبة الفدان من الاراضى العشورية ٨٠ ر . من الجنيه (٨) .

وزادت هجرة الفلاحين وتركهم للاراضى الباطية ، وزادت ايضا مطالبات الاعفاء من تلك الارض ، حتى انه صدر قرار بمنع اعفاء « اى ملك من زراعة ارضه » سنة ١٨٦٥ ، ومع ذلك استمرت الهجرة بشكل واسع ، اى ان كل الضجة التى يخلو للبعض ان يثيرها حول حقوق الملكية العظيمة والتوسع فيها فى تلك الفترة لم ينعج جماهير الفلاحين بان هناك تغييرا الى الاحسن ، على العكس كان اقتناعهم وبالتالى تصرفهم المعلى غير هذا .. والفلاح المصرى الذى تأسى كثيرا من الالتزام والملتزمين ومن السنابق الممالك لم يكن يمكن بشكل واسع فى الهجرة بل ان احدى سياساته طوال تاريخ مصر الطويل هى الارتباط بالارض ، ولكن فيها هو واضح فان ظروف الكيت والاستغلال بالنسبة له ابداء من « ثورة محمد على الزراعة ! » ثم اضافات سعيد واسماعيل جعلت الحياة غير محتملة ، فترك الارض وترك حقوق الملكية الاجبارية وهرب .

بل اتسا نجد منذ عهد محمد على وبالأذات ايام اسماعيل فرقا خاصة للبحث عن المهاجرين من الارض لاعانتهم بالقوة وهم كان حظه تمسا ذلك الهارب الذى يقع فى الاسر من جديد فالتلكة والكرياج وسجن الدوار القفر هو أبسط جزء له على رفضه نعمة الملكية ..

ولم تكن الضرائب وحدها وهى فى حد ذاتها مجرر كاتك للهرب ؟ بل كانت هناك عوامل اخرى مثل التوسع فى اعمال السخرة والتى لم تعد قاصرة على المنافع العامة فقط بل كانت فى أغلبها فى اراضى كبار الملك من اصحاب الجفالك والوسلا والابعينيات ..

ابا هؤلاء الفلاحون الذين لم يستطيعوا الهرب واميدوا ليتملكوا اراضيهم ، فلقد كانوا يعيشون ظروفنا غنية فى القصة وكان احد الطول التى لجأوا اليها فى محاولة للاستمرار فى الحياة المفروضة عليهم ان لجأوا الى اقتراض الاموال ممن تتوفر لديهم وكنوا دائما من الاميان [العمد والمشايع] او من المرابين الافراد والاجانب الذين جذبهم القطن وانتشروا فى القرية المصرية

الاقطاعات والأصمات ولم يحدث أن منح واحد منهم القضاة أقل من ١٠٠ فدان ، ومن ناحية أخرى كان الملاحون الذين وزع عليهم مجسد على الأرض للارتفاع يمكن بين ٣ و ٥ أكتة حسب تقسيم محدد على شكل فكتة تكونت أن هذه الطبقة الوسطى ٤

أن هناك عددا من الظروف التي ساعدت في تلك الفترة على ظهور هذه الطبقة وتعود في الأساس إلى ثبات الملكية الزراعية واتساع فرص البيع والشراء ٥٥

والذلك نلاحظ أن قطعا هاما من الملكية الزراعية المتوسطة تباطأ في استحواذ عدد من المولدين وسكنى المدن ، وخاصة التجار على الحدائق التي كانت منتشرة في أماكن متفرقة وبلغ مساحتها بين ١٠ و ٢٠ فدان ٥٦

كما جاء قطاع هام من هذه الملكية المتوسطة الزراعة من متوسطي المولدين والقبائل الذين استن سعيد لهم تشريعا بأصنامهم مساهمت من الأرض في مقابل معاشهم ٥٧ مثلما كان يحدث مع كبار المولدين والقادة المسكرين ، مع غارق بالطبع هو حجم الملكية المنهكة . وقد كانت منع سعيد لم استعاضة للضياع تتراوح بين ٥٠ و ١٥٠٠ فدان وذلك وفقا لرتبة الضياع ابتداء من صاغ وبباني فقتان وأميزال ٥٨

كذلك مثل العهد والقبائل قطعا هاما من هذه الطبقة وخاصة هؤلاء الذين كانوا أكثر ارتباطا بالقرى التي يعيشون فيها ولم تنح لهم الظروف أو رفضوا استغلال الظروف التي كانت تتيح بما لهم من سبلات الاستيلاء على مساحات واسعة من الأرض والانضمام إلى الفترات العليا من كبار الملاك ٥٩

وقد كان نحن أميل إلى الاعتقاد بأن من لعبوا دورا إيجابيا في الثورة العربية كانوا ينتمون بشكل أو بآخر لهذه الطبقة سواء أكانوا من الجناح المسكر أو الجناح المدني ٦٠

وعنكا ومن خلال تكوينهم الطبقي نستطيع أن نميز وسطهم جناح المولدين الذين استطاعوا من خلال التعليم المدني والبعث إلى أوروبا أن يهودوا متشبهين بالمسكر اللبرالي ٦١ هذا الفريق هو الذي رأينا في السبعينات من القرن

أنها قدمت في تاريخ الاستغلال الزراعي في مصر لم تكن معروفة طوال هذا التاريخ الطويل ٦٢

ولقد كانت هناك سمة هامة لشكل وعلاقات هذا الاستغلال قبل مجور الملكية الزراعية وبعدما وانصهرت دائما في وجود أرسنراطية حاكمة تحصل على الجزء الأكبر من ناتج الأرض ، وتطاع واسع من الفلاحين يطلع الأرض في ظروف قاسية ٦٣

ولهذا فإن كبار الملاك الذين ينتمون تولتين الملكية ، كانوا عنصرًا جديدًا من زاوية التثبيت والاستمرار فقط ، ولستهم بالثبات لم يكونوا عنصرًا جديدًا في توى الإنتاج ٦٤ فطوال التاريخ الزراعي لمس وأيا كان شكل استغلال الملكية ، كانت هناك دائما طبقة كبار الملتزمين بناتج الأرض ، بل ويمكن تصنيفهم في عهد الأتراك بكبار الإقطاعيين ٦٥ وتكون لدى هذه الأرسنراطية الزراعية ثراث وتقاليد رغم عدم ثبات شكلها وشخصيتها ، وبالطبع وراث كبار الملاك الجدد كل هذا التراث والتقاليد أبرزه الغياب عن القرية والبعد عن العمل الزراعي نفسه ولتقاروعدم الاهتمام بتطويره والاعتماد إلى الحد الأقصى بالحصول على الناتج الزراعي ليس من طريق الاهتمام بتطوير وسائل الزراعة وأساليبها بل باعتصار الفلاح نفسه مستخدمين كل أساليب الضغط والكبت والاكراه كذلك ، ومن ناحية أخرى فإن طبقة صغار الملاك والمعلمين وهي الطبقة التي تجددت في منتصف القرن التاسع عشر بعد ثبوت قوانين الملكية ليسوا هم الآخرون طبقة جديدة على المجتمع الزراعي المصري ، فقد ورثوا كل ثراث السكت والضباع والخوف والمهمة وأيضا الارتباط بالأرض طوال التاريخ الطويل لأجدادهم وبذلك في الفترة السوداء التي امتدت منذ الغزو العثماني والسيطرة المملوكية.

ولسنا نجد في الخريطة الطبقة الملاك الزراعيين في سبعينات القرن التاسع عشر طبقة متوسطة جديدة تهيأ لتسيطر على مساحة من الأراضي تبلغ نسبتها ٢٧٪ من الأراضي للزراعة في ذلك الوقت والتي كانت تبلغ ١٢٢٠٠٠٠ مليون فدان ٦٦

فإن أين جاءت هذه الملكية ٦٧ ؟
لقد رأينا سعاد على واستعاضة بمتنوع

الماضي يقوم بعملات ترجمة ويضرب في صحافة الحزب الوطني التي تالفت أسلما من جريدتي **جهر والتجارة** ..

كما تستطيع أن تميز مسطوهم مجموعة المسكرين المصريين الذين اعتوا من تعزيز اقدم الانزلة والجراسكة في مراكز الجيش وأجهزة الدولة ووقفوا سندا أمام التطور الطبيعي للمصريين والمتقنين المصريين .

وكان تأسيس جمعية « مصر الفتاة » السرية سنة ١٨٧٦ (١٠) من مؤلاء الضباط هو أول تحرك إيجابى من جانبهم فى اتجاه تغيير الأوضاع ..

شمن الضباط

وفى المراحل الأولى للثورة العربية نجد تحالفا بين طبقة كبار الملك المصريين .. وطبقة متوسطى الملك من الوطنيين والمتقنين والتجار وتكون هذا اللقاء فيما يسمى بال**مجلس الأهلى** فى أبريل سنة ١٨٧٩ حين عقد اجتماع حضره ٦٢ من رجال الدين من بينهم شيخ الأزهر ومطربرك الأتياض وحاجم اليهود وسيمه وثلاثون من ضباط الجيش وواحد وأربعون من كبار الملك والتجار .

وخرج الاجتماع بوثيقة طالبوا فيها بالحرية العامة وجميع الحقوق فى كافة الأمور المالية والداخلية كما هو جار فى أوربا وبإتلاف وزارة مصرية صرفة والبقاء على قانون المقابلة (١١) . ويلاحظ فى هذا البرنامج أنه تناول قضايا مهم فى الأسس الطبقتين الفشار لهما مع المصد السكبل والمطلق من المشاكل الحقيقية لإجهاير الفلاحين والشعب فى ذلك الوقت ..

ولذا كان من الطبيعي بعد تطور الأحداث وبرز قيادات ثورية أكثر وأكثر أن بدأت قطاعات كبار الملك المصريين تنفصل عن الثورة ثمهاديا فى صفوف ..

ونحن نرى بذون هذا الخلاف حتى قبل ذلك

حين اقترح هرايى مثلها جاء فى مخكراته ، أن يقوم الحزب الوطنى بخلق اسماعيل « ولكن لقتراحى لم ينفذ » وعزل اسماعيل بعد ذلك ولو فطنا ذلك بأنفسنا لكان أفضل إذ أننا كنا نتخلص من أسرة محمد على كلها ونقيم الجمهورية ..

ثم هناك أيضا تلك القضايا التى بدأت تثيرها تطامعت من الفئات الوسطى والمتقنين وخاصة حول بؤس الفلاح المصرى ومشاكله مثلما جاء فى مقالات وقصص يعقوب صنوع فى مجلة « أبو نظارة » (١٢) . ومثلما جاء أيضا فى كتابات النديم فى « التفتيت والتكتيت » ثم « الطائف » ..

ولذلك رأينا بوضوح أنه كلما زادت سيطرة « الفئات الوسطى » الثورة واتجهت أكثر وأكثر الى بعض القضايا الاجتماعية التى تهم جماهير الفلاحين .. كتكت طبقة كبار الملك المصريين ، وقد أرساها عزل اسماعيل واعتماد الخديوى توفيق عليهم بدرجة أكثر ، يتجهون الى معاداة الثورة وينضمون بوضوح الى الحلف المعادى ..

« نحن تطورت مطالب العربيين من عزل بين الضباط الى تغيير شكل الحكومة والى التمييز ضد الخديوى توفيق ، والى المفاداة بمزله لالتجائه الى الدول الأجنبية والى الدعوة للجهاد ضد المغيرين ، واتسمت الحركة من حركة محصورة فى الجند والضباط الى حركة وطنية شاملة (١٢) بدأت قيادات كبار الملك وعلى رأسها محمد سلطان نفسه يضربون الثورة من الخلف ويتآمرون مع الخديوى وقوى الاستعمار على ضربها ..

فشراف باشا — وكان من اقطاب الحزب الوطنى — يشترط لقبوله الوزارة إبعاد هرايى وعبد المال حلمى بفرقتما من القاهرة ، وحين يصى مجلس النواب على مناقشة الميزانية يستقيل ..

وسليمان باشا ومعه قيادات الحزب الوطنى القديم يرفضون طلب هرايى بعزل الخديوى حين

[١٠] كركها ظلى الروي بعد هروته من حملة الجيش القاشلة ثم انضم اليه بعد ذلك احمد هرايى وعسلى نيس [١١] محمد نيس — مطبوعات احمد المالى للدراسات الاشتراكية [مصرين الاطاع الى الراسالية . [١٢] كان هذا المؤتمر على الأرضين دنج منها الفرية عشر سنوات دفعة واحدة ملكة خاصة ، وكان المستبد من هذا كبار الملك ..

[١٣] كان أبو نظارة يتلى القبال المصرى فى قصصه « بؤس الفلاح » ويضع سياسة الاستغلال والتهب التى يتعرض لها الفلاح سواء من السلطة أو من كبار الملك او المربين الأجانب .. [١٤] رؤساء الإصلاح فى مصر الحديث .. احمد أمين ص ٤٤٤ ..

اماد تشكيل طاع هام من هذه الطبقة حين تام
بمنح آلاف الافنة للذين ساهموا بشكل ايجابي
في خيالة الثورة العربية والتمهيد للاحتلال
الاجنبى .

وكان من اولى القرارات التي اتخذها الخديوى
توفيق بعد فشل الثورة العربية هو مصادرة
لبنات القيادات العسكرية والمنية للثورة ومنهم
عرايى وعلى فهبى وسلى البارودى وعلى نفس
الوقت منح المكافآت السخية للخونة وكانت غالبية
هذه المكافآت فى شكل اقطاعات واسمعة .
وبالعودة الى القائمة الرسمية منجد اسماء
محمد سلطان ، وكان اصلا من كبار الملاك ،
وسيد القنى واحد عبد الغفار [احد الضباط
الذين تعاونوا مع الانجليز] وعلى يوسف خنفس
[احد الضباط الذين لعبوا دورا كبيرا فى هزيمة
الثل الكبير] وعددا كبيرا من الضباط والعهد
ومشايخ العريان الذين قرروا بعرايى وتعاونوا
مع الخديوى والانجليز .

وكانت هذه هى اول وابرز نتائج قوانين الملكية
الزراعية فى مصر التي هلك لها البعض واعتبرها
خطوة للامام !!

رفض التصديق على الاحكام التي صدرت ضد
الضباط الجراكسة الذين طالبوا بمؤامرة بموافقة
الخديوى للتخلص من عرايى وزملائه . ثم
يقومون بعد ذلك بتبديل المؤامرات والانساقات
السرية مع الخديوى وتوات الاحتلال والتي انتهت
بهزيمة الجيش المصرى (١٤ سبتمبر) فى القل
الكبير واحتلال القاهرة ودخول الخديوى للقاهرة
فى مركبته الذهبية وعلى يساره الدوق لون كنوت
وامله الجنرال ولسلى قائد حملة الاحتلال وبمه
محمد سلطان باشا ليبدأ عهد جديد من الاحتلال
الاجنبى معتمدا على قوتين اساسيتين هما النظام
الملكى من ناحية وطبقة كبار الملاك من ناحية
اخرى .

وهكذا حققت طبقة كبار الملاك التي لم يكن
قد مضى على انشائها ، ووضع اساس الملكية
الزراعية فى مصر مسوى بفسح عشرات من
السنين الفرض الذي استنهفه محمد على حين
فكر فى تكوينها ببناء على نصيحته مستشاريه
الفرنسيين لتكون سندا ودعم له فى الحكم
ولاسرته من بعده .

كما ان توفيق ، وبعد هزيمة الثورة العربية،

دراسة العدد القادم

تخصص الطلبة دراسة العدد القادم لتقييم

برنامج العمل الوطنى

وموقفه الفكرى والسياسى والاجتماعى
من حركة الثورة المصرية العربية

العراية

العرب

أضواء حول معارك



محمود عزمي

توازن القوى عشية

يوم ١١ يوليو ١٨٨٢

حين أرسل الاميرال «سيمور» قائد الاسطول البريطاني، الذي تواافت قطعه الحربية الى مياه الاسكندرية الإقليمية ابتداء من يوم ١٩ مايو عام ١٨٨٢ تمهيدا للقضاء على الثورة الوطنية الديمقراطية في مصر واحتلال البلاد نهائيا، إنذاره الوقح المشهور الى «طلبة باشا عصمت» قائد حامية الاسكندرية صبيحة يوم ١٠ يوليو، الذي طلب فيه من حكومة الثورة العرابية تسليم بطاريات المدفعية المصرية المنصوبة في طوابي شبه جزيرة «وأس القين» وشاطئ ميهاء الاسكندرية الجنوبي قبل شروق شمس اليوم التالي والا قام أسطوله بضربها بمدفاهه نظرا لانها تهدد سلامة وأمن أسطوله الرابط في المياه المصرية، كانت توجد تحت قيادته وقتئذ السفن الحربية التالية :

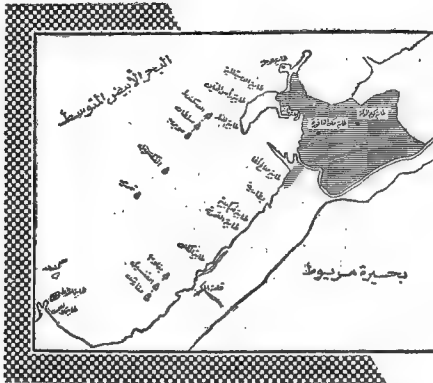
١- «البارجة» «انفلكسبيل» (Inflectible) وكانت من أقسى وأهم قطع الاسطول البريطاني وتبلغ حمولتها ١١٠٠ طن وكانت مجهزة بأربعة مدافع عيار ١٦ بوصة الذي يزن الواحد منها نحو ٨٠ طنا من الحديد ويطلق قنيفة وزنها ١٧٠٠ رطل تقريبا، ويقال طاقمها من ٢٤٩ رجلا، وقد كانت من أحدث البنادر البريطانية وقتئذ اذ تم إنتاجها عام ١٨٧٦.

شهدت

الفترة الواقعة بين يومي ١١ يوليو و ١٢ سبتمبر عام ١٨٨٢ مجموعة من المعارك والاشتباكات الحربية بين قوات الثورة العرابية

والمسلحة وقوات العدوان البريطاني الاستعماري انتهت كما كان محصيا لها أن تنتهي - رغم كل ما يمكن أن يقال عن أخطاء قيادة الثورة العرابية السياسية والعسكرية - وعن الدور الذي لعبته الخيانات المختلفة في التمهيد بالهزيمة - به أي حرب نظامية بين شعب شبه أعزل من السلاح الحديث ودولة شبه إقطاعية شبه مستعمرة تتبع امبراطورية إقطاعية شديدة التخلف مثل الامبراطورية العثمانية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، وبين دولة رأسمالية حديثة تخطو بسرعة مصرها الامبريالي ولديها أقوى صناعة في أوروبا وأغنى تجارة في العالم وأضخم مستعمرات في تاريخ الاستعمار كله وإحدى وكبر الاساطيل الحربية والجيوش البرية، أي دولة مثل بريطانيا العظمى في عصرها الفيكتوري الذهبي .

وتهدف هذه الدراسة الموجزة الىلقاء يمشي أضواء البحث العلمي أو التطبيقية الموضوعية حول أحداث هذه المرحلة البطولية الهامة من مراحل نضال الشعب المصري ضد الامبريالية العالمية، التي طالما شوهت معاملها وحقوق من مكانتها في التاريخ المصري الحديث أقلام الكتاب والمؤرخين الاستعماريين أو اللولين للرجعية المحلية والاستعمار .



خريطة توضح مواقع الحصون المصرية والنجار البرطانية يوم 11 يوليو 1882.

ومدفعين عيار ٩ بوصة ومدفع عيار ٧ بوصة*
ويتألف طاقمها من ١٥ رجلاً *

٧ - البارجة « بنلوب » (Penelope) وقد
صنعت عام ١٨٦٧ وتبلغ حمولتها ١٤٧٠ طن
وكانت مسلحة بثمانية مدافع عيار ٨ بوصة
ويقال طاقمها من ٢٢٢ رجلاً .

٨ - البارجة «سلطان» (Sultan) وكانت مسلحة بأربعة مدافع حيار ٩ بوصة وثمانية مدافع حيار ١٠ بوصات (لم تتوفر لنا أية بيانات أخرى عن هذه البارجة) *

٩ - سفينة المدمية « كواكبر » وتبلغ حمولتها ٨٠٥ طنان ، وكانت مسلحة بثلاثة مدافع أحدها عيار ٧ بوصة والاخران عيار ٦٤ ليبرة ، ويتألف طاقمها من ١٠٠ رجل .

١٠ - سفينة الحفصية «بيتون» وتبلغ حمولتها ٨٠٥ طنان، وكانت مسلحة بثلاثة مدافع أحدها عيار ٧ بوصة والاخران عيار ٤٠ ليبرة وثلاث طاقمها من ٨٠ رجلا .

١١ - سفينة المدفعية «بيكون» وتبلغ حمولتها ٤٣٠ طنا وكانت مسلحة بأربعة مدافع (لم تتوفر لنا بيانات مفصلة عن عياراتها) ويتألف طاقمها من ٧٥ رجلا .

١٢ - سفينة المدفعية «ديكوي» وتبلغ حمولتها ٤٥٥ طنا وكانت مسلحة بأربعة مدافع (لم تتوفر).

٢ - الإسكندرية: «الكميسندرا» (Alexandria) وهي بارجة حديثة أيضا فقد صنعت عام ١٨٧٥، وتبلغ طولها ٩٤٠ طنا وكانت مسلحة بمشمة مدافع عيار ١٠ بوصة ومدفوعين عيار ١٢ بوصة ويبلغ وزن المدفع الواحد من النوع الأول ١٨ طنا ومن النوع الثاني ٢٥ طنا، ويتألف طاقمها من ٦٧ رجلا.

٢ - البارحة «سوپر» (Superb) وهي سفينة حديثة أيضا تم صنعها عام ١٨٧٥ ، ويبلغ طولها ٩٠٠٠ طن وكانت مسجلة بسنة عشر مدفعا عيار ١٠ بوصة فضلا عن ٦ مدافع أخرى عيار ٦ بوصة ، ويكلف طليها من ١٢٠ رجا .

٤- الماراجة (تمير) (Temraire) وقد
 صنعت عام ١٨٧٦ ، وتبلغ حيولتها ٨٤٥٠ طنا ،
 وكانت مسلحة بأربعة مدافع عيار ١٠ بوصة
 وأربعة مدافع عيار ١٢ بوصة ، ويتألف طاقمها من
 ٥٣٤ رجلا .

٥ - البارجة «انفسييل» (Invincibles)
وقد صنعت عام ١٨٦٩ ، وتبلغ حمولتها ٦٠١٠
اطنان ، وكانت مسلحة بعشرة مدافع حيار ٩ بوصة ،
ويتألف طاقمها من ٤٥٠ رجلا .

٦ - البارجة «مونارك» (Monarch) .
 واند صنعت عام ١٩٦٨ ، وتبلغ حمولتها ٨٢٢٠
 طناً ، وكانت مسلحة بأربعة مدافع عيار ١٢ بوصة

لنا بيانات أميرتها » وبلغت طاقتها من ٥٩ ورجلا ٠

١٢ - سفينة الدفعية « سيجنت » (لم تتوفر لنا أية بيانات مفصلة عنها) .

١٤ - سفينة الدفعية « هليكون » (لم تتوفر لنا أية بيانات مفصلة عنها) .

وهكذا توفرت لسميرورة قوة بحرية كبيرة سمحت ٨ بوارج ضخمة (بمقاييس العصر) مبنية على هيكل حديدى ومصنعة بمرور حديدية خارجية تحميها من القذائف المائية فضلا عن حمايتها بشباك فولاذية مدلاة من أعلاها إلى أسفلها كى تستلم بها القذائف المضادة قبل أن تصل إلى جسم السفينة الأصلية فيخسف تأثيرها الأصلي كثيرا فى غالب الحالات . فضلا عن ٦ سفن صغيرة للدفعية كانت غير مجهزة بالبروج الحديدية القوية مثل البوارج . هذا وقد كانت البوارج المذكورة متصلة أيضا بمعدن المدافع الرشاشة المركبة فوق أبراجها وساراتها (١) .

ويلاحظ أن جميع البوارج البريطانية المدركة كانت حديثة الصنع نسبيا . إذ أنها مبنية فى الفترة ما بين عامي ١٨٦٧ و ١٨٧٦ . ول أن تصفها تم صنعه فى عامي ١٨٧٥ و ١٨٧٦ أى قبل ضرب الأسكتندرية بسبع أو ست سنوات فصعب وضعى مدة قصيرة للغاية من عمر السفن . وعموما فإنها جميعا تم صنعها بعد عام ١٨٥٩ الذى بنيت فيه أول سفينة حربية فى العالم . وكانت بريطانية أيضا وتدعى « وأير » - مكرسة بخرج حديدية مثبتة على هيكل حديدى بدلا من الهياكل الخشبية التى كانت تبنى بها السفن قديما وكانت تسير بالبخار أساسا (٢) . ولذلك كانت البوارج البريطانية كلها ذات محركات كبيرة ومسلحة بمدافع ثقيلة وتمتاز بسرعة الحركة ومسهلة المناورة نسبيا . وذلك بحكم بنائها من الحديد وتسييرها بالبخار . كما أن مدافعها جميعا كانت ذات مؤسبر مشحونة أى غير ملساء . الأمر الذى يكفل لها بعدا فى الرعى وقوة فى الإصابة وقوة فى صدمة القنفة .

وهكذا مكنت الصناعة للبريطانية المتطورة فى عصر البشان الاميرال « سميرور » من استخدام قوة فيران هائلة نسبيا مؤلفة من ٧٧ مدفعا فى البوارج الشمانية ٤ لها حيار ١٦ . بوصة ١٠ حيار ١٢

بوصة ٢٨ حيار ١٠ بوصات ١٦ حيار ٩ بوصة ٠
٨ حيار ٨ بوصة ١ حيار ٧ بوصة ٧٧ مدفعا موضوعة داخل ٨ قواعد محصنة متحركة تضمن سهولة وسرعة تركيز النيران بمرورة . وحين ردت الحكومة المصرية على أنذار سميرور مساء يوم ١٠ يوليو قائلة « نحن هنا فى وطننا وبيتنا ، فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا لكل عدو مهاجم . . مصر الحريصة على حقوقها الساحرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أى طابية فون أن تتركه على ذلك بحكم السلاح ٠٠ (٣) » . كان لنها فى مواجهة قوة الاسطول البريطانى مسافة الذكر الدفاعات والقوات التالية :

كان الدفاع الساحلى من مدينة وميناء الاسكتندرية يقوم أساسا على مجموعة من المصون أو الطوابى القديمة التى كانت المصلحة الفرنسية قد بدأت إقامة بعضها مثل حصن « كوم الحك » وحصن « كوم النظرة » و « طابية رأس القين » واستكملها محمد على بعد ذلك بواسطة مهندس فرانسى يدعى « جاليس بك » وقد بقيت هذه الطوابى على حالها باستثناء بعض الترميمات التى أجريت بها فى عهد الخديوى « إسماعيل » الذى زودها أيضا ببعض المدافع الحديثة الانجليزية الصنع من طراز « ارمسترونج » ذات الماسورة المشحونة بحبات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ بوصة بلغ عددها ٥٥ مدفعا وتمتد من الامام فضلا عن مدافع أخرى من نفس الطراز حيار ٤٠ وطلا وتمن من الخلف (كانت معظم مدافع البوارج تسير من الامام أيضا) . وقد بقيت فيها أيضا كافة المدافع والهاونات المساء الماسورة القنينة المصنوعة فى مصر « محمد على » وكان يبلغ صعدا ٢٢٩ مدفعا ٥٠ هاونا . ولكن جميع مدافع « الارمسترونج » الحديثة الموجودة بالطوابى كانت بدون أجهزة التلشين أى آلات تقدير المسافة ولم يكن يوجد سوى جهاز واحد فصعب فى معرفة الدفعية بالمائية استبحر ليلة الضرب وسلم لطابية « الفنار » (٤) .

وقد كانت هذه المصون تبدأ من خلف « السلسلة » شرقا وتنتهى عند « الجمى » غربا وقد وزعت فيها المدافع المختلفة الانواع والميادان على النحو المفضل الذى يوضحه الجدول الآتى :

(١) المخطوطات المصلا من الفتن البريطانية مستمدة من كتاب محمد فيصل عبد الحم « مصر تحت الاحتلال » القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة - ١٩٧١ - صفحات ٤١٨ - ٤٢١ .
(٢) برودى ، برنارد - الاستراتيجية البحرية - القاهرة : دار الفكر العربى - ١٩٦٤ - صفحة ٢٤ .
(٣) أنوالى : عبد الرحمن - الزعيم القرا عبد عربى - القاهرة : دار الكتب - ١٩٦٨ - صفحة ٤٤ .
(٤) محمد فيصل عبد الحم - مصر تحت الاحتلال - المرجع السابق - صفحات ٤١ ، ٤٢ .

وصلة الطوايس لاصرية يوم الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٧ (٥)

مدافع ارميتروج مششقة							اسم الطاوية		
الرجلة	ماترته	١٧٠٠ ١٧٠٠ ١٧٠٠	المجموع	نمبر من القلل					
					٩ بوصة	٩ بوصة		٨ بوصة	٧ بوصة
٥	١	٢	٢	—	—	١	١	—	طاوية السلسلة
٥٠	٤	٢٨	٨	٢	١	٢	٢	—	قلعة تايي
٤	—	—	—	—	—	—	—	—	طاوية الهالكية
٢٤	٥	١٤	٥	—	١	٢	١	—	طاوية الاطلة
١٧	٥	١٠	٢	—	—	—	—	٢	طاوية الاسكندرانية
٢٢	٥	٢١	٦	١	١	٢	٢	—	طاوية راس القين
٢٧	٢	٢٨	٦	—	١	٤	١	—	طاوية القنار
٢٢	١	٢١	—	—	—	—	—	—	طاوية صالح اها
٤	—	٤	—	—	—	—	—	—	برج رقم ١٥
٢١	٢	١٦	٢	—	—	٢	—	—	طاوية كم تيبية
٥	—	٥	—	—	—	—	—	—	طاوية القنيرة
٥٢	١٠	٦٦	٦	١	١	١	٢	—	طاوية الكس
٤	—	٤	—	—	—	—	—	—	طاوية الدفيلة
٩	—	٩	٩	—	٢	٥	—	١	طاوية المعجبى
٢٢	٢	٢٦	٢	—	—	٢	—	—	طاوية المرافط
٢١٨	٤٠	٢٢٩	٤٩	٤	٨	٢٤	١٢	٢	الرجلة

اما حامية مدينة الاسكندرية والتي كان قد تم تعزيزها بمد حليحة يوم ١١ يوليى المشهورة فقد كانت تتألف يوم ١١ يوليى من القوات التالية :

١ - الالاي الثاني مشاة بقيادة الاميرالاي « خليل بك كامل » ويتألف من ثلاث أروطة (كتائب) ومجموع قواته من المشايخ وصف المشايخ والجنود ١٨٨٥ فردا .

٢ - الالاي الرابع مشاة بقيادة الاميرالاي « هيثم بك احمد » ويتألف من ثلاث أروط ومجموع رجاله ١٨٨٥ ايضاً .

٣ - الالاي الخامس مشاة بقيادة الاميرالاي « مصطفى بك عبد الرحيم » ومجموع قوته ١٨٢٤ رجلاً .

٤ - الالاي السادس مشاة بقيادة الاميرالاي « سليمان بك سامي » ومجموع قوته ١٨٩١ رجلاً .

وبشكل بلغ هذه قوات المشاة في حامية الاسكندرية ٧٤٨٥ ضابطاً وجندياً يضاف اليهم

وقد كانت القوة الرسمية لحامية هذه الحصون من رجال النخبة المناطحية مؤلفة من ١٧٦٢ ضابطاً وجندياً تحت قيادة الاميرالاي « اسماعيل بك صبرى » ويقول « حواشى » في مذكراته ان الحد الفعلى يوم الضرب لم يزد عن سبعماية جندي ويؤكد « جون نيقيه » هذا الامر من واقع مشاهدته العملية لاحداث يوم ١١ يوليى حيث كان يمثل صيد الجالية السويسرية في مصر وقتئذ فيقول ان نصف « الطوبجية » المصريين كانوا متفهمين في قراهم بسعة الاقتصاد والتوفيز يوم الضرب (٦) - هذا وقد كانت جميع المدافع المصرية منصوبة فوق الطوايس دون سائر علوى لحمايتها ولذلك كان يمكن قتل طاقها نتيجة شطاي القذائل القريبة المضايقة ومصاص رشاشات السفن - كما ان السوان الامامية كانت مهيئة من الاجمان العادية التي لا قدرة لها على احتمال قوة سمعة القذائف الحديثة التي تطلقها مدافع البوارج الضخمة الميز - هذا فضلاً عن ان كل الحصون كان بها مبان عديدة تستخدم كمخازن للخزيرة وتكتنث وخلفه ترتفع عن الحوايط الخارجية الصائرة - الامر الذي كان يعملها هدفا سهلاً مباشرًا لكثيرا من مدافع الاسطول .

تمكنها قصر المسافة التي تقذف قذائفها منها من اختراق وتدمير الطوابي بسهولة كبيرة .

القسم الثاني : وقد سمى بالاسطول الداخلي وكان مؤلفا من البوراج الثلاث « انفسيل » ، و « مونارك » و « هتوب » . وكانت مهمته ان يقف في الجزء القريب من الميناء تحت قيادة « سيمور » نفسه ، الذي اتخذ من « انفسيل » سفينة للقيادة يمد ان كان في الكسندرا سابقا ، ويهاجم طوابي « صالح آغا » و « البرج رقم ١٥ » و « لم قبيبة » و « القسرية » و « المكس » و « الدخيلة » و « الحمى » و « المرايط » . لما سفن الخفية الصغيرة فقد كان عليها ان تبقى في الخارج بعيدة عن مرمى للدافع المصرية الى ان تجد الفرصة المناسبة للاشتراك في القتال فتهاجم « المكس » . وكان على بوراج هذا القسم ان تقف على مسافات تتراوح بين ١٠٠٠ و ٣٠٠٠ ياردة في الشمال الغربي من « المكس » . هذا وقد كان « سيمور » يتوقع استمرار المقاومة لمدة يومين أو ثلاثة ولذلك قال في أمر القتال الصادر منه يوم ١٠ يوليو « ويجب استعمال القذوفات بحرص ، وعلى كل حال من المرتقب قدم للباخرة « سمير » الى هنا يوم ١٢ يوليو وعليها مقدار كبير من الذخيرة . وإذا وصلت البارجة « اتشيلز » (Athill) في الوقت المناسب عليها ان تهاجم حصن « لساوس » (Caitebay) والوقوف في الموقف الذي يأمرها قائد الاسطول التجاري ان تتخذه » (٧) .

معركة ١١ يوليو ونتائجها

في محاولة أخيرة لتجنب الاشتباك المسلح بين مصر وبريطانيا أرسل « أسماعيل راجب باشا » رئيس الوزراء المصري ويقتد « بوقية مساء يوم ١٠ يوليو إلى الاسيرال « سيمور » يمرض عليه فيها انزال ٣ مدافع من البطاريات التي اضرار اليها « سيمور » في انذاره للبرينة على حسن النية ، ولكن « سيمور » رد على هذه البريقة قائلا « اني أسف ان أخبركم انه ليس في استطاعتني ان اقبل ما عرضتموه (٧) » . وفي الساعة من صباح يوم الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢ أصطى إشارة بدء القتال ، واطلقت « الكسندرا » القنينة الأولى على طابية « الاستيبالية » وتلتها بقية البوراج .

ايضا ٢٦٢ ضابطا وجنديا آخرين من جنود السوراي أي الفرسان (اورطقان بقيادة الليكباشي محمد منيب) (٧) وبهذا يمكن القول ان مجموع القوات المصرية في الاسكندرية يومئذ كان حوالي ٩٠٠٠ جندي . وقد وزع « عرابي باشا » بصفته وزير الحرية ، وكان مقبيا في ليلة ١١ يوليو في الترسانة ومعه طلبة باشا عصمت قائد حامية الاسكندرية ومحمود باشا فهمي كبير مهندسي الجيش المصري ، وزع قواته على النحو التالي :

١ - الالاي الخامس مشاة في مواقع متفرقة خلف حصون « قايتباي » و « الهلالية » و « الإطة » و « الاستيبالية » و « رأس التين » و « الفنار » . والالاي الرابع مشاة في منطقة باب شرقي كاحتياطي .

٢ - الالاي السادس مشاة في مواقع متفرقة خلف المنطقة المتعددة من طابية « صالح آغا » حتى طابية « الحمى » والالاي الثاني مشاة في منطقة القباري كاحتياطي .

٣ - اورطقان الخيالة تقومون بواجب الخسبة بصفة مراملة بين مختلف الحصون والمواقع (٧) .

أما الاميرال « سيمور » فقد قسم اسطوله الى قسمين وزع واجبات كل قسم منهما على النحو التالي :

القسم الاول : وقد سمى بالاسطول الخارجي وكان مؤلفا من خمس بوراج هي « الكسندرا » و « انفلكسيل » و « سلطان » و « وسويرب » و « تمرير » ويقودها جميعا الكابتن « هنت » قائد البارجة « سلطان » وكان على سفن هذا القسم ان تقف خارج الميناء في عرض البحر لمهاجمة حصون « قايتباي » و « الهلالية » و « الإطة » و « الاستيبالية » و « رأس التين » و « الفنار » وعلى ان تركز السفن نيرانها سويا على كل حصن سواء تم تثقل بعد تدميره أو استكات نيرانه المضادة الى الحصن الذي يليه وبذلك تحقق تفوقا كاملا في النيران ، كما كان على السفن ان تقوم بالضرب من مسافات قصيرة نسبيا تتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ ياردة محمية بمتانة دروعها وشباكها الفولاذية وهي تعرف مقبما مدى ضعف الحصون المصرية والذخيرة الموجودة بها ، وبذلك

ولذلك ونظرا لقوة دروع البوارج ومثانة المشيكة الغولانية المحيطة بها فقد كانت آثار ضرب المدفعية المصرية عليها ضئيلة للغاية، فرفع من «سلطان» أصيبت ٢٢ إصابة وكانت إصابات مدفعتها ومباريتها شديدة ألا خسائر ظاهريا بلغت قتيلا ٢ وجرحى فحسب، ورغم أن «الكسنبرا» أصيبت ٣٠ إصابة في جدرانها وألأها وب ٢٤ إصابة في أجزائها غير المدرعة إلا أن خسائرها كانت قتيلا وجرحين، كما أصيبت «الفلكسكيل» بقذيفة في جزئها الخلفي تحت لواء من مدفع عيار ١٠ بوصة Armstrong «وقد كانت أن تفرق نتيجة ذلك لولا إصلاحها بسرعة ولذلك توجهت بعد المعركة إلى ماطلة لإصلاحها» ويقول «ميموز» في تقريره الرسمي عن المعركة أن جملة خسائره في الرجال كانت ٥ قتلى و ٢٨ جرحا (٩) كما قال أيضا «ولقد قاتل المصريون قتال الإبطال باقدام ثابتة» وكانوا يجاورون النيران الضخمة التي تسبها على حصونهم مدافعنا الضخمة إلى أن قتل عدد كبير منهم (٩)».

وقد حلق أحد قادة المعركة البريطانيين على ما لحسه من بطولة جنود الطوابي فقال «أن جنود المدفعية المصريين جاوروا على نيران الاسطول الانجليزى الجهنمية مجاورة مدممة لم تكن متوقعة تماما» وأظهروا بمسالة جببية رغم التفات الجسيم من حيث أعداد المدافع وأبريتها (١٠) ولقد كانت البارجة «الفلكسكيل» عندما تطلق مدفوعاتها التي تزن الواحدة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الخنار وتصطدم بصائره الضخم تثير الاثربة والشتايا إلى ارتفاع القنار نفسه، ويخيل للمرء عندما يرى ذلك أنه ليس في استطاعة البشر أن يعيش تحت هذه النيران، ولكن بمجرد أن ينقشع الغراب والسخان يرى جنود المدفعية المصريين في مواقعهم يطلقون النار من مدافعهم على خصومهم الرهيب (٩)؟

هذا ولقد بلغت جملة القذائف المضخمة التي أطلقتها البوارج على الطوابي ومدينة الاسكندرية يوم ١١ يوليى المشوم نصر ١٨٤٩، قذيفة فضلا عن ٢٩٦ قذيفة أخرى أطلقتها سفن المدفعية، ومن ٢٦١ طلقة «شرايل» و ١٨ «صاروخ»، و ٢٦٩ طلقة مدافع المريد (الرشاشات) و ١٠١٦ طلقة بندقية «مارتينى هنرى» و ١٦٢٢٢ طلقة مدفع «نيوريلت» (٩)؛

وقد بدلت مدافع الحصون المصرية ترو على البوارج بعد القذيفة الضخمة وفقا لتعليمات «عراي» المسيفة التي أعطاهها يحم الرد الا بعد الطلقة الخامسة لتأكيد عسوانية الاسطول البريطاني وحصن نوايا مصر. وبعد ٦ ساعات تقريبا من الضرب المستمر استسلمت بوارج الاسطول الخارجى أن تسكت نيران طوابي رأس «التين» و «الفنار» و «الاستيالية»، ثم اتجهت جميعا بعد ذلك إلى حصن «الألة» حتى تمقره تماما في حوالى الثالثة مساء أثر انفجار مخزن ذخيرته، وتحولت قاذفة البوارج بعد ذلك إلى قلعة «فايتاي» وظلت تصبها حتى الخامسة مساء حيث أعطى «سيمور» إشارة إيقاف الضرب.

وفي المنطقة الجنوبية من الميناء قامت بوارج الاسطول الداخلى بقصف طوابي «المكس» و «الذخيلة» و «الغربة»، وقد أصابت قذيفة من البارجة «مولارك» مخزن الذخيرة الذي كان عقاما خلف حصن «الذخيلة» وعلى اثر ذلك انقربت البارجة بالقدر الذى يسمح به خاطسها من الحصن وأخذت تطلق نيران رشاشاتها لإبادة من تبقى من جنوده. كما قامت سفن المدفعية الصغيرة الاربعة «كنشور» و «بيترن» و «بيكون» و «ميكوى» بضمحصر «المرايط» القائم على جزيرة أمام المعجم حتى تمقره تماما، وفي الرابعة مساء استأنفت البوارج قصف حصنى «المكس» و «الغربة» مرة أخرى حتى استكتما تماما في حوالى السادسة مساء حيث توقف الضرب.

وطوال الساعات العشر التي استمر فيها القصف البحري الوحش كان رجال المدفعية المصرية يطلقون نيران مدافعهم بثبات وشجاعة حتى تضرر أو تنقشع الشظايا أو الاحجار المتناثرة من انفجارات قذائف الاسطول عند اصابتها لجدران الحصن المتينة، ولكن قذائف المدافع الثقيلة كانت تسقط في البحر دون أن تصل إلى أهدافها، أما قذائف مدافع «الارمسترونج» فكان مضطرا حين محكم الاصابة باستثناء ما كان يطلق منها من طابية «الفنار» حيث كانت توجد آلة ضبط للتشوين التي تحية مع قائد الطابية اليكياشى «سيف التصى بك» (والداهى محمد باشا) سيف التصى الذى كان يتنقل بها من مدفع إلى آخر ليحكم الاصابة أثناء القتال كما يقول «عراي» في مذكراته (٨)؛

ويقدر عند القتل من المصريين في هذا اليوم بعدد يتراوح بين ٧٠٠ و ٨٦٠ شخصا بينهم ٢٠٠ من المدنيين تقريباً، وذلك وفقاً لتقديرات «جون نيتيه» والجنرال «ستون» رئيس أركان حرب الخديوي توفيق (٩) *

«ويروى» «جون نيتيه» ضمن ما يروى عن مشاهداته في هذا اليوم في الاسكندرية فيقول «ما كان أروع منظر الزمالة المصريين الذين كانوا خلف مدافعهم المكشوفة، كأنما هم في استعراض حربي لا يخافون الموت الذي يحيط بهم، وكانت معظم الحصون بلا حواجز فيها ولا مقاريس، ومع هذا فقد كنا نلجح هؤلاء البواسل من أبناء النيل خلال النشاز الكثيف، كأنهم أبراج الأبطال الذين سقطوا في حومة الموت، قد يمتلأ ليأخذوا النصر». ولقد أدى الجميع واجبهم رجالاً ونساء كباراً وصغاراً، ولم تكن ثمة أوسمة أو مكافآت تستحق أولئك الفلاحين على أداء واجبهم، وإنما كانت تثني الحماس في نفوسهم عاطفة الوطنية والثورة، على ما استهجنوا له من فظائع، وهم في مواقفهم البواسل المجهولون الذين لم يفكر أحفادهم حملوا من الأم... وقد بدأ نزل جثث القتلى منذ الساعة العاشرة صباحاً، وظلت جثث النزل حتى هبط الليل تحمل الجثث من الحصون وتخترق المدينة إلى شوارع محطة الرمل حيث المستشفى العسكري، وهناك كانت تدفن بمد المأينة بغير احتفال في المقابر المجاورة للمستشفى... وكان مما يؤلم النفوس حقاً، منظر تلك العرياء، تقل الواحدة عشرين أو ثلاثين قتيلاً من الإماء أو الجند وقد ضلوا بالخيال على ألواح من الخشب فوق الممرات والنساء تقطرن من أجسامهم... (١٠) *

وقد ترتب على القصف حدوث حرائق في بعض مناطق المدينة نتيجة سقوط بعض قنابل الاسطول عليها وانفجست جموع السكان المدنيين من الطبقات الشعبية إلى الهجرة منها (إذ كان معظم أفراد الطبقات الثرية قد تركوا المدينة قبل الحرب وكذلك الأجنات تجمعوا في سفينة على مقربة من الاسطول) بينما اعتمد الخديوي ومعه مجموعة من الباشاوات في قصر الرمل انتظارا لاتضمامهم إلى قوات الاحتلال *

وفي العاشرة صباحاً من اليوم التالي استأنف «مسيون» ضرب طوابق «قايتباي» *

و «الاستبائية» التي قال عنها في تقرير له في ٢٠ - ٧ - ١٨٨٢ «لقد كانت حركات بطاريات حصن (الاستبائية) تدار بطريقة موفقة جداً من البداية إلى النهاية، ومع أن هذا الحصن سكت وقتاً ما على أثر ضربة بقذيفة من المدرعة (انفكسكيل) فكان جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم (١١)». ثم توقف الحرب بسرعة اثر طلب الحكومة المصرية التفاوض ليستأنف مرة أخرى في الرابعة مساء على طابية «المس» وعندئذ رفع علم طلب الهدنة مرة أخرى فتوقف الحرب وتوجه ضابط بريطاني على ظهر السفينة «هليكن» إلى يخت «المحروسة» التابع للخديوي لاستئناف المفاوضات من أجل تسليم الطوابق التي تتحكم في ممر بوزار المياه، الا أنه وجد اليخت خالياً والمدينة كلها تبدو كذلك والنار تشتعل في أنحاء عديدة منها «قد كانت الحامية تتسحب من المدينة وعلى رأسها «عرباي» الذي رأى علم الاشتباك الصلح البري مع القوات البريطانية التي ستنزل من السفن إلى المدينة نفسها وتحت مرمى مدافع الاسطول، بينما كان بعض البدو من اولاد علي ينهبون المحال التجارية وكذلك بعض الارام والمطالين، كما اشعل بعض جنود الايالي الأساس النار في بعض أبنائها بناء على أوامر «سليمان سامي داود» قائد الايالي الذي رأى أن يمرقل احتلال التجليين للمدينة بهذا الاسلوب *

الضوء في كفر النوار

انضمت القوات المصرية بقيادة طلبة باشا عصمت وأشراف هرابي باشا شخصياً إلى «كفر النوار» حيث بدأت فوراً في إقامة خط دفاعي قوي هناك تمهيداً لصد تقدم القوات البريطانية نحو القاهرة، بينما بقى الخديوي توفيق في الاسكندرية وانتقل إلى قصر «راس التين» حيث استقبل الاميرال «سيمور» بعد أن أرسل إليه برقية يوم ١٢ يوليو يخوله فيها حق احتلال المدينة لحفظ النظام! وهكذا أكد ممثل طبقة كبار الملاك الاقطاعيين المصريين موقفه من قضية الثورة الوطنية الديمقراطية بشكل واضح ثابت وهو الخط الذي استمر، كخيط أسود متصل عبر تاريخ مصر الحديث طوال مرحلة الاحتلال البريطاني، مميزاً لموقف الاقطاعيين وكبار الرأسماليين * وهكذا رسمت قتال الاسطول البريطاني حدوداً واضحة بصفة عامة بين معسكر الثورة ومعسكر

[١٠]: «ميجور» الفليب - أحمد هرابي الزعيم القوي عليه - المرجع السابق - صفحة ٢٢، ٢٣.

[١١]: «ميجور» الفليب - أحمد هرابي الزعيم القوي عليه - المرجع السابق - صفحة ٢٥.

معاد أن يقترب منه إلا على امتداد جسر السكة الحديد الضيق، وبهذا كان لا يمكن اختراقه عمليا من ناحية الإسكندرية، في حين أنه كان من ناحية الأرض تقع البُلُتَا بكملها مفتوحة للقوات الموجودة فيه، بإمداداتها التي لا تنفد ومواصلتها المفتوحة مع القاهرة (١٢) .

وساعد على مناعة الموقع من الناحية الطبيعية وجود المستنقعات الصناعية الناتجة عن سد القوات المصرية لجرى ترعة المحمودية عند «كنج عثمان» لمنع وصول مياهه العذبة إلى الإسكندرية المحتلة - هذا وقد أخذ سيمور، يعمل بصراحة منذ أن أنزل مشاة الأسطول بعد ظهر يوم ١٢ يوليو إلى «أبر عند» رأس التين، على تدعيم مواقعه في المدينة وحمايتها من مختلف الجهات، ثم وصل إليه مدد آخر من مشاة البحرية يوم ١٥ يوليو فاستكمل احتلال كافة النقاط الاستراتيجية في المدينة وحولها - وقامت البوارج «انفكسبيل» و«تميرير» و«أنشيل» بالوقوف في البحر أمام شاطئه منطقة الرجل للسيطرة بتييران مدافعها بعيدة المدى على طرق الاقتراب البرية المؤدية للإسكندرية من «كفر الدوار» و«أبو قبر» كما مدت القوات البريطانية التي احتلت دلساعات «القبارى» طريق الاقتراب من ناحية «المكس» وحفرت هذه القوات الخنادق حول المدينة عند منطقة «وابير المياه» ولتل المرتفع خلفه حيث يوجد فنتاس كبير وحيث أقيم مركز قيادة للأشراف على الدفاع، الذي تميز بخمس مدافع ميدان عيار ٤٠ رطلا ومدفعين عيار ١٢ رطلا ومدفعين عيار ٩ أرطال، كما احتلت قوة بريطانية أخرى قصر «انطونيانس» للسيطرة على طرق الاقتراب من ناحية جسر السكة الحديد وترعة «المحمودية» وإنذاك انشئت على التربة جسر مؤقتة، ولتأمين الجانب الأيمن لهذه القوات من ناحية بحيرة «مريوط» وضع للكابتن «فيشر» - قائد المبارزة «انفكسبيل» والمرفأ المؤقت على التورات البرية - قطارا مدرعا كان يتكون في بادئ الأمر من عربتين مصفيتين بالوواح من الحديد والكياس الرمل مصفحتين بمذفع «نيورفلت» ومصفحتين «جانتلج» ومذفع «أرطال» مجهز بوش يمكن به خفضه مباشرة، فضلا عن ٢٠٠ جندي مسلحين بالبنادق آخرين - على الخط الحديدى هناك ليمثل كقوة مدفعية متحركة، ومشاة راكبة للتصدي لأي تقدم من هذه الجهة .

الثورة المضادة الذي ينضوي أيضا تحت لوائه دائما عند المواقف الحاسمة كافة من يسمون «بمقلد الأمة» الذين يدهون إلى للتهنئة والمسالمة والاذن بسياسة الأمر الواقع مع الاستعمار والرجعية عين «عرايى» المهنس محمود باشا فهمى رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى عقب معركة الإسكندرية مباشرة - وقلم الأخير بوضع خطة عامة للدفاع عن البلاد تضمنت إنشاء مواقع دفاعية أساسية أى مناطق دفاعية لمواجهة احتمالات الهجوم البريطانى المختلفة لاحتلال البلاد، الأول فى «كفر الدوار» بقيادة «طلبة باشا عصمت» وأشراف «عرايى»، والثانى فى «رشيد» و«أبو قبر» بقيادة خورشيد باشا طاهر، والثالث بين «رشيد» وبحيرة «البرام» بقيادة «على باشا الروبى»، والرابع فى «ديياط» بقيادة عبد الجال باشا حلمى، والخامس فى «الصالحية» و«للت الكبير» بقيادة «راشد باشا حسنى» .

وقد أقيمت فى منطقة «كفر الدوار» ثلاثة خطوط دفاعية متوالية يفصل الواحد عن الآخر ٤ أو ٥ كيلو مترات، وحفر أمام كل خط خندق عمقه ١٥ قدما كائنا ما كانى كما أقيمت فوق المرتفعات والأكام مواقع للمدفعية ركبت فيها نحو ٥٠ مدفعا من مدافع الميدان طراز «كروپ» (ألمانى) وهى التى كان اسمها قبل قد استوردتها - وأخذت هذه الخطوط عمقا من «هزبة» و«خورشيد» حتى «كفر الدوار» و«عرضا» من ترعة المحمودية غربا حتى الملاحه «أى بحيرة مريوط» وشرقا حتى «أبو قبر» وساهم نحو ٥٠٠ رجل من المدنيين فى الغالين فى بناء هذه الاستحكامات تحت إشراف «محمود فهمى باشا» والأميرال «مصدق بك شكرى» أحد الضباط الأكفاء فى أركان حرب الجيش المصرى وقتئذ (١٢) . ويصف «بلنت» فى كتابه «التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر» موقع «كفر الدوار» فيقول «لقد كان الفضل فى اختيار هذا الموقع النبع للغاية الواقع على الخط الحديدى المؤدى إلى القاهرة والذي تقع على جانبيه بحيرة مريوط الضخمة ومجموعة من المستنقعات، إنما يرجع، فى اعتقادى، إلى مهارة محمود فهمى الهندسية، ولم يكن فى وسع عرايى أن يصنع خيرا أفضل من اختياره هذا المكان مستقرا لمعسكره الجديد - فلقد كان بعيدا بدرجة كافية عن مدافع «سيمور» - ولا يمكن لجيش

[١٢] محمود الفيل - المرجع السابق - صفحة ١٢٩

[١٣] Blunt, Wilfrid Swaine. «Secret History of the English occupation of Egypt», P. 206

حضره رؤساء مختلف أدارات الوزارة لبحث خطة الحملة البريطانية لاحتلال مصر وصق الثورة المربية التي تلخصت في الآتي :

١ - احتلال الاسكندرية وتحويلها الى قاعدة رئيسية للمعطيات ونقطة تجميع للمقات والمعدات والسفن والقيام من هناك بكل ما يمكن من المناورات الخداعية لخداع القيادة المربية عن اتجاه التقدم الحقيقي نحو القاهرة والذي سيتم عن طريق الاسماعيلية الذي يبلغ طوله ٧٥ ميلا فقط ويمر في مناطق صحراوية تقريبا بجوار ترعة المياه المطبة لا تتعرض زحف القوات فيها سواء المشاة أو الفرسان أو الدفعية الوانغ المائية الجديدة الموجودة في التلطا خاصة في فترة الفيضان التي تمتد من أغسطس حتى أكتوبر ، فيما لو سلكت القوات طريق كفر الدوار - القاهرة الذي يبلغ طوله نحو ١٢٠ ميلا ، هذا فضلا عن ما يوفره طريق الاقتراب من الاسماعيلية من امكانيات سهلة لزحف أو مطاردة الفرسان المصرية حتى القاهرة عقب هزيمة القوات المصرية قرب القناة ، لان احتلال القاهرة بسرعة عقب ذلك سيؤدي الى نهاية الحملة بحكم انه لن يغطي الفرصة في الوقت الكافي لاعادة تجمع القوات المصرية الاخرى الموزعة على المواقع والمناطق الاخرى (١٥) .

٢ - لتوفير ظروف النجاح للخطة سالفة الذكر كان من الضروري من الاستيلاء السريع على «بور سميد» و «الاسماعيلية» لتأمين القناة نفسها من أي تخريب وكذلك الترعة العلية للحيولة بين قطع المياه عن «بور سميد» و «الاسماعيلية» ، مع الاستيلاء على وصلة السكة الحديد « عند نفيسة » وأصلاح كل تخريب بها لتسيير القطارات الحملة بالمؤن وراء الجيش فضلا عن تسيير كل ما يمكن من القوارب في الترعة ، واستكمالا لعملية تأمين القناة كان من الضروري احتلال « البسويس » بقوات هندية تبهر من بومباي » .

٣ - بعد حل المشكلات الادارية اللازمة لزحف القوات وتكتيس المؤن والذخائر الكافية في موقع متقدم على طريق الاسماعيلية - التل الكبير تشبكت القوات البريطانية في معركة عامة مع الجيش المصري لتوجيه ضربة قاتلة ونهائية ان امكن يتلوها التقدم السريع نحو القاهرة لاحتلالها . وكان من المفروض ان تكون القوة البريطانية الضاربة المحتشدة في الاسماعيلية مؤلفة من فرقتين مشاة

وهكذا دعم الانجليز رأس الجسر البري الذي احتلوه في « الاسكندرية » التي انصرفوا الى تحويلها بسرعة الى قاعدة قوية لمعطيات البرية الكبرى الهادفة لاحتلال مصر كلها ، وهي المعطيات التي كان يجري التحضير لها منذ بداية عام ١٨٨٢ خاصة من حيث جنح المعلومات واستطلاع الارض واعداد الخطط العامة - وحول هذه المسألة يقول الكاتب البريطاني « م . ج . وليامز » في مقاله « عن الحملة المصرية عام ١٨٨٢ » المنشور ضمن كتاب « الحملات العسكرية في العصر الفيكتوري » الصادر في « لندن » عام ١٩٦٧ « ان امكانية للتدخل المسلح في مصر كانت « لمدة شهر ، محل الدراسة لدى وزارة الحرب » وفي بداية عام ١٨٨٢ قام الماجور « تولوش » (Major Tullouch) من ادارة المخابرات باستطلاع طريق التقدم الاسماعيلية - القاهرة - كما ان « ولسلي » نفسه (وهو قائد الحملة) كان قد امر باعداد مجموعتين الارواق «خاصة من الكابتن « مار » (Captain Hape) من ادارة المخابرات ، حول عيدين نواحي المشكلة . وفي ٢١ يونيو ١٨٨٢ صدرت الاوامر لادارات الخدمات الادارية بالتجهيز ل حملة عسكرية . وفي ٢٤ يونيو تم تجميع عالم جامعة « كمبريدج » الشهير في اللغة العربية « الأستاذ « ادوارد بسالمر » بواسطة مخابرات الجيش والبحرية (مقابل ٥٠٠ جنيه كدفعة أولى و وعد بمكافأة كبيرة في حالة نجاح مهمته كما يقول « بلنت » في كتابه السابق الاشارة اليه) للقيام بمهمة تأمين قناة السويس » بواسطة كسب صداقة قبائل البدو التي تعيش شرقها .. السخ « (١٦) . وهكذا كانت بريطانيا تعد لغزو مصر تحقيقا لطماعها الاستراتيجة في السيطرة على قناة السويس أساسا قبل مذبة الاسكندرية وقيل ان تقع ما يزعم به بعض المؤرخين « أخطاء » عربي « التي سببوا عنها كانت السبب في اقدام انجلترا على احتلال مصر » .

الخطة البريطانية العامة

الحملة المصرية

في ٣٠ يونيو ١٨٨٢ عقد في وزارة الحرب البريطانية اجتماع عسكري على مستوى عال برئاسة الجنرال « ولسلي » (Wolsey)

Bond, Brian, Edited by, « Victorian Military Campaigns », London, Hutchinson, 1967. [1٢] P. 350.

Bond, Brian, « Victorian Military Campaigns », Williams, M.J., « The Egyptian Campaign of 1882 », London, Hutchinson, 1967. P. 261, 62.

هذا وقد بلغت جملة قوات الحملة البريطانية في مصر نحو ٢٥ ألف جندي كما يقول الكاتب البريطاني «وايامز» سابق الذكر، ومما يرجح صحة الرقم الذي أورده أن «بلنت» يقول أن «الجيش البريطاني في مصر قد تعدى الثلاثين ألف جندي» (١٧) * ويريد ذلك مطلقاً ورغم أن هذه القوات لم تكن لها قيمة كبرى عند مقارنتها بأقوات أوربية، إلا أنها كانت كافية للتعامل مع القوات الضئيلة الموجودة تحت قيادة «عراي» * إذ لم ترد كل القوات التي كانت في «كنز الدوار» عن ٨٠٠٠ جندي نظمي ومهم ٨٠ مدفعا من طراز «كروب»، بل لم يزد عدد الجنود النظاميين في مصر كلها عن ١٢٠٠٠ جندي، في حين أن المجندين الجدد الذين تم جمعهم خلال شهر كانوا صالحين لأي خدمة عسكرية باستثناء العمل اليدوي في حفر الخنادق ولذالك فإن «ولسلي» كانت مهمته سهلة نسبياً، متى وجد نفسه قد نزل إلى البر وليس أمامه من عائق بينه وبين «القاهرة»، سوى خطوط الدفاع التي لم يكتمل إعدادها عند القتل الكبير» (١٧) *.

تقدير القيادة العرايية

للموقف العسكري

على أساس تصور أن القناة منطقة محايدة دولياً لا يجوز لاية دولة أن تمارس فيها إعماليات حربية قد يترتب عليها تعطيل الملاحة، وهو تصور ظل «المسيح دليبيس» يؤكد مراراً وتكراراً على أذان «عراي» خاصة في أواخر شهر يوليو ١٨٨٢، بنى «عراي» خطته العامة على أساس التزام موقف الدفاع الاستراتيجي في «كنز الدوار» أساساً، على أمل تحقيق أكبر قدر ممكن من الصمود لفترة طويلة يمكن خلالها للعوامل الدولية من ضغط الرأي العام الأوربي والميول الليبرالية في بريطانيا نفسها، داخل الوزارة ومجلس العموم، إلى استمرار انقضاء مؤتمرات الاستانة الخاص بمعالجة المسألة المصرية، إلى احتمالات تدخل تركيا والسلطان لنجدة مصر متى شمرت باستمرار وقولها بقبائح، يمكن لكل هذا أن يؤدي إلى توقف العدوان البريطاني وبخسول الحكومة البريطانية في مفاوضات مع مصر لحل المشكلة (١٧) * ونتيجة لذلك أعمل «عراي» تصنيف الجبهة في منطقة «واكتفي بوضع قوة

ولواء فرسان وحدات مدفعية ووسائل النقل والواصلات اللازمة» (١٥) * وكان على القوات المتقدمة أن تحمل معها إلى جانب تسليحها الخفيف مؤن يوم واحد فقط وتتبعها عربات نقل خفيفة تجرها الخيول تحمل مؤونة يومين آخرين بما في ذلك الوقود ثم تتبعها امدادات خمسة أيام أخرى بالمقطارات * ولذلك تقرر ارسال ١٠ قطارات حديدية ومعها مقطورات الماء والوقود، ١٠٠ عربة نقل بضائع، ٥ عربات اصلاح مزودة بكل ما يلزمها من أدوات وبما يوازي ١٠ اميال على الأقل من الخطوط الحديدية، ومع كل هذه المعدات أفراد الهندسين اللازمين * كما تمت الترتيبات لارسال الضياع والاشغاب من «قبرص»، وانضات مستشفيات في «مالطة» و «قبرص» * هذا وقد اعتمد الاميرالية في بريطانيا ٦٩ سفينة نقل من الضبوط التجارية لنقل القوات الرئيسية للحملة ومعداتنا من بريطانيا نفسها فضلاً عن تاجير ٥ سفن أخرى لنقل البغال من اثال إلى مصر، وعن استخدام البحرية لنسف نقل الجنود التسعة الخاصة بها والتي كان على خمس منها الموانة في نقل القوات الهندية إلى «السويس» ومعهما بعض القوات البريطانية الموجودة هناك *.

وقد بلغت جملة القوات الرئيسية للحملة، والتي بدأت تبحر من موانئ بريطانيا ابتداء من ٢٧ يوليو، ١٦٠٠٠ رجلاً، ٥٤٨٧ حصاناً، وكانت تشمل على أربع وحدات فرسان تتألف من ٢٢٩٧ رجلاً، ٢٠٤٧ حصاناً، ١٠ كتائب مشاة تتألف من ٨١٦٩ رجلاً، ٨ بطاريات مدفعية كاملة تضم ١٨٨١ رجلاً، ١٤٠٦ حصاناً، ٥٤ مدفعا * ثم وحدات مهندسين وجنود وسبائل نقل وتلغراف وسكة حديد وصيانة للمعدات الحربية ووحدات بوليس حربي وخدمة طبية يبلغ مجموعها جميعاً ٢٨٥١ رجلاً، ١٤٢٢ حصاناً (١٦) * وقد استكمل وصول هذه القوات كلها تقريباً في الاسكندرية في ٢٢ أغسطس *.

ومما فضلاً عن ارسال الحاميات للبريطانية الرابطة في «جبل طارق» و «مالطة» والبالغ عددها ٩ كتائب مشاة تضم ٧٥٩٢ رجلاً إلى الاسكندرية حيث أصبحت جزءاً من قوات «ولسلي» * كما تشكلت القوة البحرية من الهند في أغسطس من ٧ سفن نقل من كتيبتين مشاة بريطانيتين و ٣ وحدات من فرسان «البنغال» و ٣ كتائب مشاة هندية أخرى، وجنود الغام * وبلغت جملة هذه القوات ٦٩٣٠ جندياً (١٦) *.

ليست كبيرة في معسكر « الثقل الكبير » على بعد ٥٠ كيلو مترا من « الاسماعيلية » ، كما رفض اقتراح محمود باشا فهمي بترحل الترعة المنيية وكذلك بدم « قناة السويس » لمنع السفن الانجليزية من اختراقها .

وظل عرابي على اعتقاده هذا رغم دخول سفينة نقل جنود بريطانية القناة من ناحية بور سعيد في ٢٦ يوليو، والقائها مراسيها يوم ٢٧ منه في بحيرة « التمساح » على بعد ٨٠٠ متر من الاسماعينية ووصول ٤ سفن حربية أخرى بقيادة الاميرال « هويت » الى السويس واحتلاله للمدينة يوم ٢ أغسطس دون مقاومة من حاملي المدينة التي هرت منها (١٨) ٤ وقد اشترك الجاسوس « بالمر » في عملية احتلال السويس هذه ثم شاهدها اثر ذلك مباشرة الى صهرام سيناء ليقوم بقطع خطوط التلغراف بين مصر وفلسطين حيث قتل يوم ١١ أغسطس براسطة الجنود « عين رجوم » على مقربة من وادي « سدر » .

هذا وقد تم تجنيد نحو ٢٥ ألفا من الخفرام فضلا عن استمحاء جنود الاحتياطي الذي بدأت اجراءاته منذ مايو سنة ١٨٨٢ حتى بلغت اجمالي القوة الحديثة للجيش المصري يوم ١٢ سبتمبر ، أي قبل « الثقل الكبير » مباشرة ، ١٠٨٠٦٦١ جنديا (١٩) إلا أن القوة النظامية الحربية الفعالة لم تكن تزيد عن ٢٥ ألف جندي على احسن تقدير .

وقد كانت الحالة المالية للحكومة العرابية بعد ضرب الاسكندرية سيئة للغاية ، إذ كان المراقب المالي الانجليزي قد هرب أموال الخزينة العامة قبل الحرب بإيام إلى الاسطول في الاسكندرية ، وكذلك قام المستولون الاجانب عن صندوق الدين بنقل أموال الصندوق إلى السفن الحربية أيضا (١٨) . ولذلك اعتمدت حكومة الثورة على تبرعات الجماهير القلبية والعينية وعلى ما حوالت جبايته بصره من ضريبة قدرها عشرة قروش من الغدان الواحد ، في تمويل عمليات التمتبة العامة وتنظيم الدفاعات ١

استباكات « كفر الدوار »

ارسل «ولملى» قبيل وصوله الاسكندرية الى الاميرال « سمير » ولجنرال « اليسون » اللذين كان يتولى قيادة القوات البرية حتى ١٠ أغسطس

ياجراء الترتيبات اللازمة للاستيلاء على «بورسعيد» و « الاسماعيلية » و « نقيشة » حال وصول الاوامر بذلك ، والقيام بخلق حالة من التامب الدائم للقتال لدى القوات المصرية في « كفر الدوار » لجذب انتباه القياصة المصرية الاستراتيجية الى هذا الميدان فحصبه وتنفذا لذلك قام « اليسون » يوم ٥ أغسطس بهجوم من النوع السدى يسمى « استطلاع بالقوة » قوة مؤلفة من نحو ٢٠٠٠ جندي من المشاة العادية ومشاة الاسطول يعزهم ٤ مدافع عيار ٩ أرطال ويغطي تقدمهم القطار المصنع الذي ركب فيه مدفع جديد عيار ٤٠ رطلا . وقد تقدمت القوة في الساعة ٥ مساء على شكل طابورين بكل منهما ١٠٠٠ جندي ، زحف الايسر منها بمحاذاة ترعة الحمودية ، واليمين زحف مستترا بجسر السكة الحديد ليقطع خط الرجعة على القوات المصرية المشتبكة مع الطابور الايسر ، وقد نشب قتال عنيف ادة ثلاث ساعات تقريبا بيران المدافع والبنادق والسلاح الايضي ، كما قامت خلاله قوات الفرسان بقيادة « خورشيد باشا طاهر » بهجوم مضاد من منطقة أبو قير لتهديد الجناح الايسر البريطاني ، فكان ان انسحبت القوات البريطانية كلها الى مواقعها مستمرة بظلمة المساء . وقد فقد الانجليز في هذه المعركة حوالي ١٧ قتيلًا وعيدا من الجرحى ، أما خسائر القوات المصرية فيقول عرابي في مذكراته انها بلغت ٢١ قتيلًا بينهم ضابطان كما جرح اثنان آخران و ٦٥ جنديا .

وقد تكررت مثل هذه الهجمات تقريبا في أيام ٧ أغسطس ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من نفس الشهر وامتدت عن نتائج مماثلة ، مؤكدة صحة اختيار القيادة البريطانية لاتجاه الهجوم الاستراتيجي الرئيسي نحو القاهرة من ناحية الاسماعيلية وصعوبة طريق الدلتا التقليدي عبر عنق الزجاجة عند موقع « كفر الدوار » . ويعلق « ديلت » على ذلك قائلا « لقد أثبتت بضعة أيام قليلة أن تثبيت الجيش عند « كفر الدوار » كان اختيارا حكيما ، لان الانجليز ، تحت قيادة جنرال « اليسون » الذين تزاولوا الى البر في عدة آلاف ، قد أمكن صددهم دائما ، مع أنهم قد هاجموا الموقع مرارا ٠٠ لقد استطاع الجيش المصري أن يحتفظ هنا بموقعه بنجاح ضد الانجليز مدة تقرب من خمسة أسابيع ، ويصد جميع الهجمات ، بل ويزعج العدو بهجمات مضادة كانت تصل الى ابواب الاسكندرية تقريبا .

(١٨) محمود الشفيق - المرجع السابق - صفحة ١٦٦ ، والرافعي - المرجع السابق - صفحة ١٦٩ ، ١٧٢ ، (١٩) محمد فيصل عبد القهم - المرجع السابق - صفحة ٥٢٤

« بالمر » بفور فمال قبل مصرعه ، وهكذا تم تجنيده ضباط خونة مثل « على يوسف بك » قائد الايالى الثالث مشاة والاميراللى « عبد الرحمن حسن » قائد الايالى الثالث خيالة ، والاميراللى « حسن رافت » قائد الايالى الثانى مدفعية والاميراللى « أحمد عبد الغفار » قائد الايالى الاول خيالة ، وكل هؤلاء القادة كانوا ضمن قوات « اللال الكبير » بعد ذلك ! ولهذا لم يكن من المصادفة أن أطلق الشعب المصرى مثل القاتل « الولس كمر عربى » بعد الهزيمة .

● « ولسلى » يحلل قناة السويس : وصل « ولسلى » الى الاسكندرية ليلة ١٥ أغسطس للى كان يتوالى عليها وصول القوات الرئيسية للغزو ، حيث قابل الخبير وتفتد موقع « كفر الدوار » ، ثم غادر للجنة مبحرا مع القوات المتجهة الى الاسماعيلية عبر القناة يوم ١٦ أغسطس .

وكان الاسطول الذى اقلع ظهر ذلك اليوم من الاسكندرية مؤلفا من ٨ بوارج و ١٨ باخرة بقيادة « سيمور » . وقد اصيحت وجهة الحملة الحقيقية بنطاق كبير من السرية ، وعلم ان الغرض منها هو النزول فى « أبو قير » وفى فجر يوم ٢٠ أغسطس فاجأ مشاة الاسطول الذين هبطوا متسللين من قواربهم بقيادة أسعد ضباط المخابرات « تولوش » حامية مدينة بورسعيد وهم نيام داخل تكتاتهم وتم احتلال المدينة بلكه ، وتكرر نفس الاسلوب تقريبا من مشاة البحرية الذين كانوا على ظهر السفينة « أوريون » فى بحيرة التساح فاحتلت الاسماعيلية أيضا فى نفس اليوم وتمكن رجال التفراف المصريين فى المدينة من ابلأغ القاهرة بذلك اللأ ، وقد بادرت القوة الانجليزية

الى ارسال تلغراف آخر الى القاهرة عن طريق اجبار موظفى التفراف المصريين ، تفيد بآن مجموع القوة البريطانية هو ٥٠٠٠ جندى وأن اى محاولة لاستدامة المدينة لن تجدى ، وبذلك تجنبت هذه القوة احتمال قيام حامية نفيسة البالغ عددها ٢٠٠٠ جندى (٢١) بالرابطة على بعد ٢ كيلومترات من المدينة بأى هجوم مضاد سريع وقصا ، وفى الجنوب اقل الاميرال « هويت » مدخل القناة أمام حركة السفن التجارية ثم قام بالاستيلاء على بلدة « الضلوة » الواقعة على القناة بعد اشتباك قصير مع الحامية ، وهكذا تم تأمين القناة ورأس الجسر اللازم لانزال قوات « ولسلى » الرئيسية الذى وصل الى الاسماعيلية يوم ٢١ أغسطس بصحبة الاميرالين « سيمور » و « هوبكنس » ، وفى ٢٢ أغسطس وضعت قواته يدعا على السكة

ولر أنه لم تكن توجد بوابة أخرى لدخول مصر خلاف « كفر الدوار » لكنت المباراة الوطنية قد كسبت (٢٠) .

الحرب النفسية

وحرب المخابرات والخونة

ارسل « توفيق » ، خديوى مصر الخائن ، برقية من قصر « رأس التين » يوم ١٧ يوليو ، الى « عربى » فى « كفر الدوار » بإيعاز من « سيمور » يطلب منه فيها الحضور الى الاسكندرية ليلقى تعليماته بخصوص انتهاء الحرب مع الانجليز الذين وعدوا بتسليم المدينة الى جيش منظم ومؤتمر خاصة اذا كان هذا الجيش من تركيا - ويطبيعة الحال كان الغرض من هذه البرقية استدعاء عربى للقبض عليه وانهاء الثورة بدون حاجة الى جهد قتالى آخر من جانب بريطانيا . ولما رفض « عربى » هذا العرض باذر « توفيق » يوم ٢٠ يوليو باعلان عزل « عربى » من منصبه كوزير حربية وأصدر منشورا ناشد فيه الشعب بالانضمام اليه ومناصرة الجيش البريطانى الذى جاء ليؤدب العصاة ويميد الى البلاد الايمن والنظام !

كما أصدر سلطان تركيا بعد ذلك ويضغط من بريطانيا ، بيانا يوم ٦ سبتمبر يطن فيه عصيان « عربى » ويطلب من الشعب المصرى عدم اطاعته والامتنال لسلطة الخديوى توفيق وكيل الخليفة الاسلامى فى مصر !

وقد قام توفيق بتوزيع العديد من نسخ هذين المنشورين بواسطة عملائه أمثال محمد سلطان باشا و « عمر لطفى باشا » بين العمد ومشايخ البالدن والاعيان فى الريف والمدن الذين انضم الكثيرون منهم الى معسكر الثورة المضادة بصرعة اشر ذلك أمثال « السيد القلى » من المنشوفية و « أحمد عبد الغفار » عمدة تلا الخ .

والى جانب هذه الحرب النفسية المنظمة ، التى كان لها أثرها فى ظل ظروف المصرى والوجدان اللينى بفكرة الخلافة الاسلامية التى لسيغها سلاطين العثمانيين على انفسهم وشبه قديمة قرارات الخليفة ، الى جانب تلك نظمت المخابرات البريطانية عمليات شراء واسعة النطاق للصلاء والجواسيس بين رجال الجيش ويدو القبائل التى تعيش فى الشرقية ساهم فيها الجاسوسون البريطانى

لحدهم في هذا اليوم - إذ أن مدافع «كروب» المصرية لم تكن فعالة إلاثر في صدر القوات المهاجمة بسبب أن فتائل كبسولات قنابلها كانت تسقط في الرمال قبل أن تنفجر القذيفة . وقد غنمت القوات البريطانية في هذا اليوم ٧ مدافع «كروب» و ٧٥ عربة نقل بضائع سكة حديد فضلا عن كميات كبيرة من المؤن ساهمت في حل أو تخفيف حدة المشكلات الإدارية التموينية للقوات المتقدمة . وتابع الفرسان الانجليز تقدمهم في الساعة الثامنة مساء نفس اليوم للاستيلاء على «القصاصين» التي تبعد عن الحصنة بميلين ونصف ، وقد أمكنهم تحقيق ذلك فعلا يوم ٢٦ أغسطس دون مقاومة تذكر . هذا وقد بلغت جملة خسائر القوات البريطانية في يومي ٢٤ ، ٢٥ أغسطس « قتلى ، ٢٨ جرحا » وكانت أكبر خسارة لحقت بالجيش المصري في هذه المعركة أسر «محمود فهمي باشا» يوم ٢٥ أغسطس حيث كان يقوم باستطلاع يشغصه مفردا بملابس مدنية لواءى والطبلة ، ليلقى نظرة على الصعراء تجاه الاسماعيليه فأسرته جماعة من الفرسان الانجليز تصانف مرورها هناك في ذلك الوقت .

وباستيلاء «واسلى» على «القصاصين» أصبحت مقدمة قواته على مسافة ١٥ كيلو مترا فقط من «القل الكبير» - ولكنها كانت عاجزة عن مواصلة التقدم السريع فلما بسبب تفاقم مشكلات امدادها وضرورة حلها قبل أي زحف جديد - وقد اصبح «عرابي» اثر سقوط «القصاصين» الى «القل الكبير» من «كفر الدوار» وجلب الامدادات الكبيرة الى هناك ومنها الآلى المشاة الاول من القاهرة وأشر مسن «كفر الدوار» ووحدات فرسان من هناك أيضا وكتيبتين مشاة سودانييتين من نسيماط . وقد قرر «عرابي» القيام بهجوم عاجل لاسترداد «القصاصين» وتم هذا الهجوم بالفعل يوم ٢٨ أغسطس تحت قيادة «راشد باشا حسنى» بواسطة كتيبة مشاة وأربعة فرسان ومدفعين تتقدم في أقصى الجناح الايمن ، الآلى المشاة الاول ومدفعين الى اليسار وفي الوسط ٦ أفراس فرسان وأورطين . مشاة ومدفعين . وعلى أن تتقدم كل هذه القوات على هيئة نصف دائرة تحيط بموقع العدو من كل جهة . وقد استمر القتال طوال النهار الا أن تدخل لواء الفرسان الانجليز المرافق في المعركة والنزى شجرت طلأتهم ببدة الزحف المصرى أقصد الهجوم ، وانسحبت القوة المهاجمة قبيل الغروب نحو القل الكبير . وقد خسرت القوات البريطانية في هذه المعركة ١٦ قتيلًا و ٧٩ جرحًا ، أما المصريون فقد قتل منهم ٦٠ وجرح ٨٥ ما بين جندى وضابط .

الحديد المتجهة الى «السويس» وعلى التريعة المذبة بين المدينتين . وفي ٢٢ أغسطس هاجمت هذه القوات نفقشة بعد قصفها بمدافع الاسطول واحتلتها اثر انسحاب القوات المصرية منها ، وفي هذا اليوم كان عدد القوات البريطانية قد بلغ في الاسماعيليه نحو ٩٠٠٠ جندي ، وبذات وحدات المهندسين في اصلاح واعاد السكة الحديد للعمل في خدمة عمليات التموين (٢٦) . ولخدت القوات المصرية في اقامة سيد لقطع المياه العذبة لترعة الاسماعيليه عند بلدة «المجر» حيث كان يسهل اقامة هذا السد هناك نظرا لعدم ارتفاع ضفاف التربة كثيرا . على خلاف الحال فيما بعد ذلك . ولذلك دفع «واسلى» بقوة مؤلفة من بعض وحدات المشاة والفرسان ومدفعين عيار ١٢ رطلا فجر يوم ٢٤ أغسطس الى «المجر» استنطاعت أن تستولى على السد المتخوف بعد معركة شديدة مع القوة المصرية وكان «عرابي» قد أرسل في الاسابيع الاول من أغسطس «محمود فهمي باشا» رئيس الاركان ليجنى ما يمكن بناؤه من الاستحكامات عند «القل الكبير» و «الصالحية» ، ثم عفيوم ٢٠ أغسطس اجتماعا حربيًا في مقر قيادته في «كفر الدوار» - وكان في خيمة كبيرة فاخرة مملوكة اصلا لمسيد باشا اهدته اياما رملته كمنظر تاييد له - بقرقره ردم القناة على ضوء اجراء الاتياد الواردة بخوف الانجليز فيها وثبوت عجز «دلبسيس» عن منهم الدخول فيها واستعدادهم لها في عملياتهم الحربية ، وأرسلت برقية بهذا المعنى الى «راشد باشا حسنى» قائد الجبهة الشرقية الا ان الوقت كان قد أصبح متأخرا للغاية لادكان تنفيذ هذا القرار الاستراتيجى الحيوى . وقد قال الجنرال «واسلى» فيما بعد أثناء خطبة له «لو أن عرابي» سد القناة ، كما كان ينوى أن يفعل، فاننا كنا سنصبح حتى هذه اللحظة نفرخ الحصار البحرى على مصر . ولقد انقذنا تأخره عن ذلك يوما واحدا .» (٢٢) .

معركة القصاصين

هاجمت القوات البريطانية للقوات المصرية الموجودة عند «المنصورة» ، الذي كان بمثابة موقع مرتفع حاكم ، يوم ٢٥ أغسطس بواسطة هجوم تكتيكي بالمهاجمة وأخر تطويق من الجانب الايسر لقطع خط انسحاب القوات المصرية والاستيلاء على قطارات السكة الحديد . الموجودة عند «الحصنة» . وقد تم لها ذلك قبيل الغروب رغم شدة الحرارة التي أزعجت جنود المشاة وأصاب ٤١ منهم بضربة شمس . مات بسببها

٤ - وفي الوسط بين الفرقتين سترجف الدفعة بقيادة الجنرال «جود» وكانت مؤلفة من ٤٢ مدفعا من عيارات ١٢٠ ١٦٠ رطلا لتقديم الماونة بالنيران لكلا الفرقتين .

٥ - وعلى أقصى الجناح الايمن سينحرف لواء الفرسان بهدف تطويق ومطاردة العدو - وقد بلغت جملة القوات المشتركة في الهجوم ١٧٤٠١ جندي من بينهم ١٢١٢٤ مشاة ، ٢٧٨٥ فرسان ، ٢٤٩٢ مدافع لرجال المدفعية ، وجملة المدافع ٦٦ مدفعا و ٦ مدافع لشاة الاسطول طراز «جانتلنج» كما حمل كل جندي مائتا صاعق وموتورية بين كملين وقد بدأ التقدم الصامت في الوحدة والنصف بعد منتصف الليل بمعدل ميل في الساعة بمعاونة الادلاء من اليدى وقام الخونة من ضباط الجيش المصرى بدور كبير في عدم انذار المواقع المصرية المتقدمة بالزحف البريطانى وكان ان بدأ القتال فجأة في الرابية والنصف تقريبا ، ثم هاجمت الفرسان المواقع المصرية في الرابية والريمون دقيقة والتقت حول ميسرة القوات المصرية ، كما بدأت المدفعية فصلها في الخامسة وعشرين دقيقة وقد قاومت الكتائب الصردانية مقاومة عنيفة بقيادة «محمد عبيد» اجبرت القوات التي تهاجمهم على التراجع لاستئناف تنظيم صفوفها ومعاونة الهجوم . وفي الساعة صباحا انهار ليلق النفاضى المصرى ثامبا ، وعشت الفوضى بين الصمصوف واضطرب هرايى ، الى الفران بمحسبانه نحو «بليس» وفي الساعة صباحا كانت محطة التل الكبير والمسكر كله في ايدى القوات البريطانية ، وقد بلغت جملة خسائر القوات المصرية في هذه المعركة نحو ٢٠٠٠ قتيل ، ٤٠٠٠ جريح ، بينما فقدت القوات البريطانية ٧٠٠ قتيل ، ٢٨٢ جريحا ، ٢٠٠ مفقودا .

وهكذا انتهت آخر معارك الحرب العربية وقد دخل الجيش البريطانى للقاهرة في ١٥ سبتمبر

واستسلم هرايى ورفاقه لثقافته . وبعد ٥٠٠ لقد كانت الثورة العربية وصمودها المسلح ضد الغزو البريطانى رغم كل ما اشتهر من اخطاء مجهودا كفاحيا بطوليا واثما من الشعب المصرى على طريق ثورته الوطنية الديمقراطية الطويل الملى بالضحيات والجهود الضنية ، ويجب عند تقييم الجانب المسكرى للثورة العربية ان نتذكر دائما ان هذه المارك قد دارت منذ ٩٠ عاما ومن شعب شبه اهل لا يملك صناعة حربية او خبرة عسكرية حديثة وفي مواجهة اقوى دولة امبريالية وقتل « وفي عالم يسوده الاستعمار والراسمالية العالمية ويخلو من ايّة دولة اشتراكية »

واثر هذه المعركة عزز «ولسلى» مواقفه في « القصاصين » بحيث اكتمل هناك احتشاد الفرقة الاولى باكملها ، ووصلت ايضا وحدات هندية قوية يوم ٢ سبتمبر ، كما تم مد خط تيليغرى وتلغرافى بين الاسماعيلية و «القصاصين» ، كما تم حل المشكلة الادارية الرئيسية من حيث تشوين كميات كبيرة من المؤن والذخيرة نتيجة لتسيير القطارات والقوارب في ترعة الاسماعيلية وتوفير عربات النقل الخفيفة بالخيول وذلك امكن للقوات البريطانية ان تصد بسهولة محاولة «عرايى» الشسانية فى استرداد «القصاصين» يوم ٩ سبتمبر وهى المحاولة التي سبمت خطتها سلفا الى القيادة البريطانية بواسطة الخائن «على يوسف خنفس» كما تبين فيما بعد كما ترتب عليها جرح «راشد باشا حسنى» وعلى «باشا فهمى» .

معركة التل الكبير

كانت خطوط الدفاع في « التل الكبير » تمتد من السكة الحديد بطول ٦ كيلو مترات من الجنوب الى الشمال حيث يتركز جانبها الايسر على الصحراء الممتدة بين «الصالحية» و « التل الكبير » وقد انشأت هذه الخطوط بمق يتقوى عند المسكر الرئيسى حيث قيادة الجيش والمؤخرة وقد بلغت جملة القوات المصرية الموجودة هناك نحو ٢٠ ألف جندي لديهم ٧٠ مدفعا «كروب» من عيارات ٨٠٠ سم التي تمر من الخلف ، ولكن القوات النظامية المصرية كانت لا تزيد عن ٧٠٠٠ جندي ونحو ٢٠٠٠ آخرين من الخيالة (وفقا لتقدير بلنت) وكانوا مسلحين ببنادق «رمجنوتون» التي تمر من الخلف ، وقد وضع «ولسلى» خطته في الهجوم على موقع « التل الكبير » يوم ١٣ سبتمبر لتوجيه ضربة فاصلة ونهائية للجيش المصرى الذى أصبح موقفه هرجا بعد مراكى «القصاصين» وميقت نتيجة لفشل فيها روحه المعنوية على اساس القيام بزحف ليلى صامت نحو الموقع بالمقوات التالية : ١ - على اليسار شمال ترعة الاسماعيلية لواء مشاة بقيادة «هاملى» وخلفه لواء آخر مختلط التكوين .

٢ - وعلى اليمين لواء مشاة آخر بقيادة «جراهام» وخلفه لواء المصريين بقيادة «دوى أوف كنوت» .

٣ - وجنوب التل كان سينحرف لواء مشاة هندي ولواء مشاة اسطول ومعه قطار مدرع يحمل مدفا عيار ٤٠ رطلا على ان تتحرك هذه القوة بعد تحرك القوات الاخرى بمساعدة حتى لا تفتقر المواقع المصرية بصوت القطار وهو يتحرك .

٨٠ شُهرًا من حياة الطليعة المواقف والاتجاهات

المصدر نقلاً « الطليعة » على اعتاب « الشهر الثماني » من حياته ، التي بدأت في يناير ١٩٦٥ . عمر قصير زمنياً ، بيد أن شحنة الأحداث والصراعات التي تفجرت خلاله ، اجتماعياً وسياسياً .. محلياً وعربياً ودولياً ، قد أثرت بهضاه ، عمقا وعرضا .

بهذا

والإثراء هنا ، لا يقتصر على ما أمكن تحقيقه من إيجابيات ، ولكن أيضا على ما اكتشف من قصور وسلبات في حركة الثورة العربية . ولعل هزيمة ١٩٦٧ ما برحت - برواسبها واسبابها ومشكلاتها - أعظم تحدٍ لمسؤوليات قوى الثورة العربية ازاء حصيلة السلبات ، الموضوعية والذاتية .. على طريق النضال التاريخي لامتنا وللاتسانية .

والتاريخ حركة لاتهدأ . ونحن - كل في موقعه لاجتماعي والفكرى من الثورة - جزء من هذا التاريخ الهى المتحرك ، يعيش مؤثرا فيه ومتأثرا به . ومن هنا تتبع مسئوليتنا في صنع تاريخنا . وهذه المسؤولية تلقى على اكتافنا جميعا واجبا أساسيا ، هو امتلاك القدرة التفسالية والفكرية اللازمة لممارسة هذه المسؤولية . ويستدعى الامر - من آن لآخر - امتحان هذه القدرة مع الواقع بإيجابياته وسلباته . ووسائل مثل هذا الامتحان متعددة . من بينها محاسبة النفس ، ورؤية الصورة العامة لما فات ، بكل خيوطها ، تمهيدا للخطوات المقبلة ، والدخول مع رفاق الطريق في حوار جاد ومسئول من مدى صحة المواقف والاتجاهات ، والتسلح بالقصى قدر من الشجاعة الأدبية للاعتراف بالأخطاء والنواقص ، التي لا مفر منها إنسانيا ، بهدف تداركها في المستقبل ، وتصحيح اتجاه المسيرة على ضوء حصيلة التجارب .

ومن هنا نبع قرار « هيئة تحرير الطليعة » في أول اجتماع لها بعد عودة رئيس تحريرها لممارسة عمله ، لتقييم مرحلة الثمانين شهرا من حياة الطليعة — كطريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر — عرضا ، ونقدا ذاتيا ، وحوارا مع رفاق الطريق .

وابتداء من هذا العدد ، نقوم تباعا ، بنشر العرض العام لمواقف واتجاهات « الطليعة » في مختلف المجالات . . داعمين من ناحية ، كتاب الطليعة ، الى ممارسة نقد ذاتي ينعقد عن الشكليات وعن الاسلوب العربي التقليدي « المدح بما يشبه الذم » . وداعمين من ناحية أخرى ، وبالمراح نضالي ، رفاق الطريق الى ممارسة حقهم على الطليعة وواجبهم نحو الثورة العربية ، من خلال النقد والحوار ، دون ما عقيد او حساسيت . فكنا شركاء في المسئولية .



٨٠ شهرا من حياة الطليعة

المواقف والاتجاهات « العرض العام »

أولا : مرحلة التحرر الوطني

عرض : حسين شملان

■ احتلت قضية التحرر الوطني — كظاهرة عالمية — اهتمام ١٠ مقالات .

● احتلت قضية التحرر الوطني في آسيا اهتمام ٤ مقالات .

■ احتلت قضية التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية اهتمام مقالين .

■ احتلت قضية عدم الانحياز اهتمام ٣ مقالات .

■ احتلت قضية مشاكل الثورة التكنولوجية بالنسبة « للعظم الثالث » بشكل خاص اهتمام مقال واحد .

■ قدمت الطليعة . . بمسهمها — كراسة طرحها للمناقشة في أكتوبر ١٩٦٧ . بمنوان : « نظرات في

■ احتلت قضية التحرر الوطني في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية — اهتمام الطليعة في ٤٠ مقالا في داسات. ورئيسية مقالات منفردة واقتراحات ممتدة على امتداد ٨٠ عددا .

■ شغلت حركة التحرر الوطني الإفريقية حيزا ملحوظا من هذه المقالات ، احتلت امة ٢٠ مقالا .

وجدير بالذكر هنا أن نرصد أن الطليعة كانت قد نظمت بالاشتراك مع مجلة السلم والاشتراكية الدولية — في أكتوبر عام ١٩٦٦ ندوة « إفريقيا ثورة التحرر الوطني والاشتراكية » التي شهدت لقاء عريضا لما يقرب من ثلاثين حزبا وتنظيما ثوريا إفريقيا ، قدم فيها ٦٨ بحثا وكلمة تضمنت مختلف المسائل المتعلقة بقضية التحرر الوطني الإفريقية ، وقد نشرت الطليعة على صفحاتها ٦٠ إيحاءات من التي قدمت الى الندوة .

لحماية السلام العالمي وإفشال محاولات الإمبريالية إثارة حرب عالمية ثالثة (٢) وقد واد الكفاح الوطني التحريري في هذه الدول ، سياسة الحياد الإيجابي في مقابل سياسة الارتباط « بالعالم الحر » التي حاولتها الأوساط الإمبريالية .

وقد تميزت السنوات الثلاث الأخيرة « بمفهوم بها ٦٥-٦٧-١٩٦٧ » بهجوم مضاد نظمته وقادته على جبهة عريضة الولايات المتحدة الأمريكية ضد الدول الثورية والحركات الوطنية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وضد الدول الاشتراكية . وهذا الهجوم الإمبريالي يتميز هدفا وأسلوبا من مكان إلى آخر ، أي من بلدان العالم الثالث إلى البلدان الاشتراكية .

« وبالنسبة للهجوم المضاد على بلدان العالم الثالث والدول الثورية فيه يوجه خاص - فإذ على الرغم من أن التناقض الرئيس هو بين النظام الرأسمالي من ناحية والنظام الاشتراكي من ناحية أخرى ، إلا أن الإمبريالية الأمريكية قد ركزت - خلال السنوات الثلاث الأخيرة - نشاطاتها العدوانية السافرة ضد الجناح الآخر للحركة الثورية العالمية ؛ ونعني به جناح الدول المستقلة والثورية ، فمشعب هذه الدول التي استقلت حديثا جزء لا يتجزأ من الحركة الثورية العالمية . وقد تجاوزت ثورة التحرر الوطني في عدد من البلدان المتحررة إبعاد الثورة الوطنية الديمقراطية ومضت تشق طريق الثورة الاجتماعية محقة الانحياز بين المرحلتين » (٣)

ويمكن تقسيم دول التحرر الوطني إلى مجموعتين : « أ - مجموعة الدول التي تخلعت من الاستعمار القديم عند حد كسب الاستقلال السياسي » ب - مجموعة الدول الثورية التي أخذت تشق طريق التغييرات الاجتماعية العميقة » (٤)

وبالإضافة إلى عدوانية الإمبريالية وخرابتها هي هجومها على الدول الثورية ، لابد من الإشارة إلى أن هجوم الاستعمار عليها إنما يساعد عليه ويتغنيه حاليا عاملان أحدهما خارجي والاخر داخلي - أما العامل الخارجي : فيتمثل في الانقسام العميق الذي أصاب وحدة الحركة الشيوعية (أساسا بين الاتحاد السوفيتي والصين) ، وأما العامل الداخلي : فيتمثل في هذه الظاهرة وهي أن الدول الثورية قد أمكنها أن تحل بنجاح قضايا مرحلة التحول السياسي ولكنها عندما انتقلت إلى حل قضايا مرحلة التحرر الاجتماعي واجهتها صعوبات خطيرة ولم يكن مصدر هذه الصعوبات أن العالم

الوحيه الراهن » تضمن فصلا خصصته لرؤيتها - كعجلة - لحركة التحرر الوطني العالمية .

انفردت الطليعة بنشر حوار أقامته في إبريل ١٩٦٥ مع المفكر البارز والمناضل العالمي الشهيد ارنستو شي جيفارا تناول بعض قضايا التحرر الوطني ، بالإضافة إلى نشرها في يونيو ١٩٦٧ نص رسالة جيفارا إلى مؤتمر القارات الثلاث ، والتي نشرتها الطليعة بعنوان « فلنكن هناك أكثر من فينتام واحدة : هذا هو الشعار » .

نظمت الطليعة محاضرة عامة للمفكر السوفييتي البارز أوليا نوفوسكي حول قضايا التحرر الوطني ، نشرتها - مع الأسئلة التي وجهت إليه وإجاباته عليها - في يونيو ١٩٧٠ . ملحوظة : لم يدخل في حسابات هذا الرصد ما نشر في الطليعة حول قضية التحرر الوطني العربية حيث أنه يدخل في مجال تقارير أخرى تقدمها الطليعة في نطاق رصد خطواتها خلال ٨٠ شهرا من حياتها .

خطوط عامة « لرؤية الطليعة »

قوى الطليعة إنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تجري عملية تاريخية حاسمة هي إحدى علامات عصرنا المميز . ونقصد بها التصفية المستمرة وشبه الكاملة لنظام الحكم الاجنبي المباشر في المستعمرات والبلدان التابعة فاستقلت ٥٩ دولة ولم يبق تحت الحكم الاستعماري المباشر سوى ١ ونصف من الشعوب التي كانت تحت نير السيطرة الاستعمارية .

ولا تزال قوى الشعوب التي تحررت تهجم على طول جبهة عريضة لذلك صرح الامبراطوريات الاستعمارية القديمة وأوشكت أن تصفى الاستعمار القديم تصفية نهائية !! (١)

ونتيجة لقيام وتوطد النظام الاشتراكي - كنظام عالمي - واختراق محاولات الإمبريالية في ضرب الدول الاشتراكية بشكل مباشر ، برزت ظاهرة التحرر الوطني التي لم يكن ممكنا ، أن تفل دولها عند حد الحصول على الاستقلال الشكلي . وفي شعار المعارك الخارجية من أجل بناء الاقتصاد الوطني والمقضاء على التخلف ، توصل أكثر من بلد من دول التحرر الوطني إلى أن الاشتراكية هي الحل الحتمي الذي يضمن مواجهة مشاكله وسول على هذه الدول إمكانية قطع خطوات في هذا الطريق - طريق التنمية غير الرأسمالية وذات الألقاق الاشتراكية - جهود المعسكر الاشتراكي

والحلقة الرئيسية لصراعاتها ، سواء بالنسبة لحركة كفاح الشعوب التي لم تحصل على استقلالها الوطني بعد وتناضل من أجله ، أو بالنسبة للحركة المامة لنضال تلك الشعوب التي حصلت على استقلالها السياسي وتعمل على بث حياتها القومية على أسس جديدة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

وأزاء زحف حركات التحرر الوطني ، ذلت ظاهرة الاستعمار القديم وملت ظاهرة الاستعمار الجديد الذي تمثل الولايات المتحدة الأمريكية رأس الرمح فيه .

ويجمع كتاب المقالات على أن الامبريالية العالمية - بقيادة أمريكا - تشن عنف هجوم لها على حركة التحرر الوطني ، فإن مؤثره البارز هو الانقلاب ضد حكومة فكروها في غانا . وبينما نجد نظرة تقول بأن الامبريالية تشن الآن هجوما شاملا ضد حركة التحرر الوطني (٧) ، نجد نظرة أخرى تقول « .. القول بأن الامبريالية تقوم الآن بهجومها الشامل ، فهذا غير صحيح وتقييم خاطيء لحقيقة الموقف ، فحركة التاريخ تؤكد أن القوى الاشتراكية وكذلك قوى التحرر الوطني هي التي تقوم بالهجوم وأن الاستعمار هو الذي يأخذ موقف الدفاع ضد عامة » ومن هنا فإن القوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني هي التي تمثل العامل الحاسم لذلك يزداد عنف الاستعمار في مواجهة هذه القوى . ولكن هذا العنف الاستعماري يقع في بعض الأجزاء التي قد تسمح له بالكسب المؤقت » (٨) .

ويجمع الكتاب على أن الهدف الاساسي لهذا الهجوم الامبريالي العنيف هو ضرب مسيرة مواقع حركة التحرر الوطني التي سمعت نحو تنظيم اقتصاديات بلادها على أسس اشتراكية . وأن الامبريالية سوف تستخدم كل الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الهدف .

أما أسباب هذا العنف الاستعماري فيعود الى اشتداد التناقضات الاجتماعية بين الاستعمار وبين قوى التحرر الوطني من جهة وإلى وجود الخلافات والصراعات الداخلية التي يستغلها الاستعمار من جهة أخرى .

وبينما ترى وجهة نظر « أن المعركة في أفريقيا اليوم هي الميدان الرئيسي للتهب للصراع بين

ينقسم الى دول غنية ودول فقيرة ، لأن كثيرا من البلدان المتحررة تزخر بطاقات بشرية وثروات طائلة ولكن مصيرها هو أن هذه البلدان لم تتوصل حتى الآن الى الكشف عن أفضل الحلول للمشكلات التي طرحها التنمية . علينا أن نضيف أنها ايضا لم تكتشف أفضل الحلول لقضية الديمقراطية قضية تمكين الطبقات الثورية من السلطة وتحت تأثير هذه العوامل وغيرها كان التطور يتم ببطء شديد ، الامر الذي يفرض ضعف البناء الداخلي لهذه الدول ، ويجمعها هدفا مغريا لمؤامرات المستعمرين الجدد ونشاطاتهم العدوانية » (٩) .

ومن ثم يمكن استخلاص سمتين رئيسيتين متناقضتين :

● - السمة الاولى : هي انميزان القوى هو بالمع - على الصعيد العالمي - في مصلحة قوى السلام والاشتراكية والديمقراطية والتحرر الوطني . وأن هذه القوى في مجموعها وفي مسيرتها العامة ، توطد مراكزها وتنقل بشكل عام من موقع الى موقع أكثر تقدما .

● السمة الثانية : هي أن الامبريالية العالمية لم تزيد قوة ، ولكنها ازدادت عدوانية في السنوات الأخيرة .

ومن هاتين الظاهرتين نستنتج انه في إمكان قوى الشعوب أن تكبح جماح المتمدن وتمنع قيام حرب عالمية مدمرة ولكن بشرط : ١ - أن تميز الخطر في الوقت المناسب ٢ - أن تسارع الى صد كل محاولة للعدوان ، حتى لاتتحول المحاولة الى مغامرة أو الى حرب نووية ٣ - أن يكون النضال ضد الامبريالية عملا تقوم به الجماهير الشعبية : عملا للفلاحين من أجل الأرض والعمال والمثقفين من أجل حياة أفضل » (١٠) .

تلك خطوط عامة لرؤية الطليعة التي قدمتها باسمها ، ولا يخفى معها - بشكل عام - أي من المقالات التي نشرت حول قضايا التحرر الوطني .. باسماء كتابها .

١ - الكفاح ضد الامبريالية

النضال ضد الامبريالية - في مختلف صورها - هو السمة المميزة لحركة التحرر الوطني

[٧] « هبة وتدعيم النظم التقدمية افريقيا » - ميشيل كابل - يناير ١٩٧٧ .
[٨] « الموقف اللبناني من نفسها التحرر الوطني عملة .. والقضية العربية الخاصة » - اوليفر سكس - يونيو ١٩٧٠ .

القوى الثورية والقوى الامبريالية» (٩)، ترى وجهة نظر ثانية « ان بؤرة المتناقضات مركزية الان في اراضي الهند الصينية وفي البلاد المجاورة لها وهي تتسع باقصى درجات الحدة » (١٠)، وترى وجهة نظر ثالثة « ان الاستعمار حول العالم الثلاث كله الى ميدان رئيسي للصراع في معركته ضد الاشتراكية والتحرر الوطني » (١١) .

وأغفلنا ما في صقوفنا وواقفنا من عوامل سلبية ساعدت على نجاح الضربة الاستعمارية الرجعية » (١٢) .

وترصد الكتابات التي تناولت العوامل السلبية الداخلية التي ساعدت على ذلك في :

● الطبيعة المغامرة للرأسمالية المحلية ، فقد اعتمدت السلطة الجديدة في هذه الدول على « النخبة » التي اكتسبتا ظروف نشأتها صفات وخصائص الرأسمالية النامية ، فشكلا - حيث لهم الغلبة في الظروف الخاصة بمجتمعاتهم - نواة طبقة جديدة اُثرت عن طريق مواقفها (المرتبات الكبيرة والامتيازات وعمل كثير منهم بالنشاط التجاري والمضاربة والنشاط الزراعي ، فضلا عن أعمال السرقة والرشوة والاختلاسات) . لكن جمع هذه الطبقة للمال وحده لا يكفي ولابد من السلطة (بالانقلاب) لتقنين أعمالها ومصالحها وتحقيق امدائها » (١٤) .

● « الاتجاه الى المبالغة في تقدير قوة وعضامة القوى الاشرناكية والوطنية وفي نفس الوقت التهمين مسن قدرات العدو وامكانياته » (١٥) .

● الروابط القبلية القوي من الروابط الوطنية .

● « الاهتمام بالكلم لا بالسلك كقضية عامة » (١٦) .

● « ملووب تصفية القوى المادية ، حيث تم ضرب الرجعية بجهان الدولة لا من خلال مماركة سياسية وفكرية على مستوى الجماهير » فالتأنيب او حتى المصارنة اجراء سهل والمشكلة هي تصفية الجنود الاجتماعية والفكرية والسياسية التي تستند لها القوى الرجعية » (١٧) .

● نتيجة للدور الفردي البارز للمزعماء في هذه الدول « جمعدت مؤسسات السلطة والاجهزة

ويجمع الكتاب علسى ان اصوام ١٦٦٥-١٦٧-١٦٨ ، هي السنوات التي شهدت اعنف هجمات للامبريالية ضد حركة التحرر الوطني ابتداء من انقلاب اندونيشيا الى سلسلة الانقلابات في افريقيا والتي يميزها انقلاب غانا بشكل كفي . اما بعد ذلك في ١٦٦-١٦٧ فقد شهدت مبادرات جديدة لحركة التحرر الوطني ابرز ملامها ثورة المودان (مايو ١٦٦٩) ثم ثورة ١٦٦٩) وتصبح مسار الثورة في الكونجو برازافيل ، ثم حركة التلاميذ في زامبيا واونغندا وفنزويلا وشيلي . الخ .

ولكن تبقى وجهة نظر عنقودة تقول بان « ولد الاستعماري الجديد بلغ ثروته منذ وصول حزب المصافطين الليبريطاني الى الحكم في يونيو ١٦٧٠ » (١٢) .

اسباب نجاح الهجوم الاستعماري

ولا تختلف الكتابات التي تناولت هذا الموضوع في الطبيعة اي اختلاف حول هذه الاسباب ، بل انها تكمل بعضها بعضا . وهي - جميعها - لا تلقى بمسؤولية نجاح هذا الهجوم الاستعماري المضاد على شراسة الاستعمار وعدوانيته وتربصه بقوى التحرر الوطني . فحسب ، وانما تردا - كذلك - الى سبب آخر خارجي هو النزاع الصيني - السوفييتي الذي افقد حركة الثورة المالية كثيرا من عناصر مبادراتها ، وانعكس على مختلف سياسات حركة التحرر الوطني ، ووحدة القوى المادية للاستعمار في العالم . وبالإضافة الى هذين السببين ، فاننا نحدد انفسنا اول ما نحدد اذا نظرنا الى نجاح هذا الهجوم لا على ان مسبباته الرئيسية من صنع القوى الاستعمارية وحدها ،

- [٩] « التفكاح المصادي للامبرياليةافريقيا في المرحلة الراهنة » - لطفي القولي - ديسمبر ١٩٦٦
- [١٠] « ولكن هناك اكثر من فيلانوواحدة : هذا هو الشعار » - في جيفرا - يوليو ١٩٦٧
- [١١] « العالم الثلاث بين صيانةدم الاحتياق وتخليلت الواقع الجديد » حسين شعلان - نوفمبر ١٩٦٧
- [١٢] « الزحف الاستعماري في افريقيا » - محمد الشفيع - أغسطس ١٩٧١
- [١٣] « التفكاح المصادي للامبرياليةافريقيا في المرحلة الراهنة » - لطفي القولي - ديسمبر ١٩٦٦
- [١٤] « الانقلاب والطريق الى سدالثغرات في الجبهة الثوريةالتحررية » - ميشيل كابل - ابريل ١٩٦٦
- [١٥] نفس المقال السابق
- [١٦] نفس المصدر السابق
- [١٧] « قفلا .. ومواجهة الثورة المضادة في افريقيا » - حسين شعلان - ابريل ١٩٦٦

الديمقراطية مما تعنى ظاهرة الولاء الشخصى لا الولاء المبدئى » (١٨) .

● استتراج بعض قيادات هذه الدول الى سياسة « العداوة للشعبوية » ، التى أدت الى عزل القيادات الوطنية التقدمية عن القواعد الشعبية الواسعة والى اقصاء الثورى فى هذه البلدان ، مما سهل على الاستعمار « الاجهاز » عليها باستخدام قوى اليمين المحلى والدولى » (١٩) .

● « الاتجاه المايل الى عمل تنظيم واحد دون توحيد او تقارب بين اتجاهات القوى فيه ، فتختفى الصراعات المكشوفة الملتصقة ليحل محلها النزاع والصراع الخفى الذى يتميز بالتمتر على السلطة والانفراد بها باستخدام أية اساليب » (٢٠)

● « تنافس قيادات النظم والحزب على حماية نفوذها ومراكزها » (٢١) .

● « ان أهم موقعين فى جهاز الدولة هما تنظيميا القوات المسلحة وقوات البوليس » ويسعى الاستعمار من خلال ترويب كادرمها الى التأثير عليها » (٢٢) .

● الصمويات والمشاكل التى تترتب على عمليات التنمية الاقتصادية لبناء اقتصاد وطنى مستقل وحيث يؤدى ذلك - نتيجة لعدم توفر الوعي بسبب قصور أعمال التنظيمات السياسية والفكرية امكنية التنمية دون تضمينات أو تغشط هام - يؤدى كل ذلك الى مشاكل اقتصادية فى الحياة اليومية للجسائر تشكل ارضية عامة من عدم الرضا تستغلها القوى المادية للثورة وتركز عليها ويزيد من حدة هذه المشاكل ان الصراعات الاساسية لهذه الدول - وتشمل المواد الخام أساسا - مازالت خاضعة للسوق الرأسمالية العالمية التى تتحكم فى أسعارها وتتخذ من ذلك وسيلة للضغط على ثورات التحرر الوطنى .

● تمكن الاستعمار الجديد من أحداث تخريب داخلى « يعزل عدد من الدول الوطنية عن تيار حركة التحرر التقدمية من جهة - وتمكنه من جهة أخرى التسلل الى الكيان الاجتماعى لبعض الدول

الوطنية الحديثة ذات الطابع التقدمى وكسب فئات من البرجوازية الصغيرة فيها تشكل جيوبا رجمية متفاوتة الخطر تتراقل استمرار حركة التقدم بوتير باستمرار للشك في علاقات التعاون مع الدول الاشتراكية ، وتلجسا الى رفع شمعان تاكتيكى : « الطريق الثالث » أمام شمعان « اشتراكية واحدة وتطبيقات متعددة » (٢٣) .

طريق مواجهة الهجوم الاستعماري

حتى هذا الموضوع باهتمام وافر من الكتابات الذى تناولت حركة التحرر الوطنى وصراعها ضد الاستعمار ولا يكاد يكون هناك خلاف حول اساليب مواجهة الهجوم الاستعماري وانما تكمل وجهات النظر بعضها .. لكننا نستطيع ان نلاحظ وجود نقطتين متميزتين سيرد رصدهما بعد ذلك .

وتنقسم مهام هذه المواجهة الى قسمين :

● قسم يتعلق بالاضاع والسياسة الداخلية لنظم التحرر الوطنى ، ويرى ضرورة :

- تصفية جهاز الحكم القديم .

- وضع السلطة بيد العاملين .

- خلق التنظيمات السياسية الشعبية لمساندة الحكم .

- اشراك العاملين فى ادارة المؤسسات .

- الموقف المازم ضد الامتسان وحلفائهم الرجعيين فى الداخل » (٢٣)

.. « قيام الدول الوطنية المتحررة بانهاء سياسة المهادنة للشعبية وتصفية الطابور الخامس فيها المكون من الطبقات والفئات الاجتماعية ذات المصالح والفكرات المتقابلة مع القوى الامبريالية وبناء وحدة القوى الوطنية التقدمية وسلطتها على اساس تحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين

[١٨] نفس المصدر السابق و: «التفاح الحادى الامبريالية فى افريقيا فى المرحلة الرابعة» - لعلى الفولى - ديسمبر ١٩٦٦

[١٩] « انقلاب كينوييا .. وتكتيك المزل من المصار ثم حرب الوسط » - خيرى عزيز - يونيو ١٩٧٠

[٢٠] « الانقلابات والطريق الى سد الفجوات فى الجبهة الافريقية الثورية » - ميشيل كابل - ابريل ١٩٦٦

[٢١] « الثورة الافريقية بعد انقلابها » - دانييل ديورا - يونيو ١٩٦٦

[٢٢] « الانقلابات والافريق الى سد الفجوات فى الجبهة الافريقية الثورية » - ميشيل كابل - ابريل ١٩٦٦

[٢٣] « ملاحظت من حركة التحرر الوطنى فى ضوء افكار لينين » - لعلى الفولى - ابريل ١٩٧٠

والجنوة مع فئات البورجوازية الوطنية التي تقبل التحول السلمي إلى الاشتراكية » (٢٤)

« لا طريق آخر أمام الدول الوطنية المحايدة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية سوى طريق الوحدة النضالية بين القوى الوطنية التقدمية وقوى اليسار الثوري في البلدان » (٢٥)

« أن شعار « الأمة ككل » ثبت خطؤه ، ولابد من الاعتماد على طبقات محددة هي صاحبة المصلحة في الثورة والتغيير » (٢٦)

● ويتعلق القسم الثاني بملاحقة دول التحرر الوطني بعضها البعض وعلاقاتها بالمعسكر الاشتراكي ، ويرى ضرورة :

« وحدة القوى الوطنية والثورية على أساس :
١ - برنامج سياسي مشترك كأساس للوحدة ٢ -
تقوم على أساس من المصالح المشتركة ٣ - على أساس الالتزام بتنفيذ البرنامج ٤ - أن الوحدة ليست تعميقة وليست قضائية بل هي وليكتفى بها وليست عمل مسبق ٥ - وحدة العمل لتنفيذ سياسة طويلة المدى (٢٧) »

« أن تعمل دول التحرر الوطني وتساهم في وضع حد للنزاع الصيني السوفيتي (٢٨) »

« تقصير خطوط عملها بحيث تتحملها الامكانيات الفعلية للقوى الثورية ويبدأ وحدتها الضاربة على صورة نسق موحدتين (٢٩) »

« ممارسة سياسة التجايش السلمي على نحو واقعي وجدي ، يحول دول الحرب النووية إلى شاملة (٣٠) ، ولكنه « يقوم على الرد بالعنف الثوري المشروع ضد صف الثورة المضادة » (٣١)

« تركيز مساعدات المعسكر الاشتراكي

بجركات أقوى للنظم الثورية وحدما دون بشرتها بغير طائل » (٣٢)

« مع التسليم بأهمية التجمعات العامة بين الدول الوطنية والدول التقدمية في حركة التحرر الوطني ، لابد من وجود « نواة ثورية لنضامن القوى الثورية » (٣٣) مع « إيجاد صياغة لهذه التجمعات العامة في إطار اعتبارين : ١ - نشاط القوى الرجعية المتزايد داخلها ٢ - عدم العودة إلى الوضع الانتقاسي السابق على وجود هذه التجمعات وبمعنى آخر العمل على جبهتين : جبهة عامة للدول الوطنية والمستقلة ، وجبهة خاصة للدول الثورية » (٣٤)

ونأتي إلى ذكر النقطتين التميزتين :

● إذ ترى وجهة نظر أن التضامن الذي يميز العالم التقدمي لحركة التحرر الوطني في فيتنام « يثير في ذهننا السخرية الزرية التي كان يحس بها المتصارعون الرومان من تشجيع العامة من الشعب لهم » ليس الأمر أن تمنح فوز ضحية العدوان بل ينبغي مشاركته المصير والسير معه حتى الموت أو النصر » (٣٥)

وتلك وجهة نظر متكاملة تستلزم تفهوماً ليس من رد سليم وصحيح على ابتزاز الأمريكيين بنشوب الحرب سوى عدم الخوف منها على الشعوب أن تقيم تاحتيجها العام على أساس الهجوم في شدة كل موقع من مواقع السواحية (٣٦) « وترى « أن البورجوازية المحلية الأممية فقدت كل قدرة على مقاومة الامبريالية - على فرض أن كانت تلك القدرة يوماً من الأيام - وتكون تلك البورجوازية الآن المنفذ الخلفي للامبريالية - ليس هناك أية تغييرات يمكن إجراؤها وليس أمامنا سوى الثورة الاشتراكية أو مخرج من الثورة » (٣٧)

وتستمر وجهة النظر هذه لتقول « ينبغي تشتيت جهد الامبريالية بوجود أكثر من فيتنام ، أنها حرب قاسية ولنفسهم هذا جيد » (٣٨)

[٢٢] « واجب القوى الثورية في حماية وتدعيم النظم التقدمية في أفريقيا » - معاوية ابراهيم - ديسمبر ١٩٦٦

[٢٣] « ثورة أكتوبر ونورات التحرر الوطني في ضوء حرب الشرق الأوسط » - لطفي الخولي - نوفمبر ١٩٦٧

[٢٤] « انقلاب كيريجيا » - وتكتيك المزل من اليسار ثم حرب الوسط - سديري عزيز - يونيو ١٩٧٠

[٢٥] « وحدة القوى الوطنية في أفريقيا » - ميشيل كابل - يناير ١٩٦٧

[٢٦] « الوحدة الأفريقية » - حقيقة أم خيال ؟ - جبرائيل بيليسو - مايو ١٩٦٩

[٢٧] « ٢٩ - ٣٠ - ما العمل ؟ » - لطفي الخولي - أبريل ١٩٦٦

[٢٨] « عام القطار الإنساني والمبادرة بن جديد » - حسن شعلان - يناير ١٩٧٠

[٢٩] « ما العمل ؟ » - لطفي الخولي - أبريل ١٩٦٦

[٣٠] « وحدة القوى الوطنية في أفريقيا » - ميشيل كابل - يناير ١٩٦٧

[٣١] « عام القطار الإنساني والمبادرة بن جديد » - حسن شعلان - يناير ١٩٧٠

[٣٢] « فكلن هناك أكثر من فيتنام واحدة : هذا هو الشعار » - هي جيفارا - يونيو ١٩٦٧

[٣٣] « ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - نفس المصادر السابق »

وتقول وجهة النظر هذه بضرورة خلق « مجالس للتنسيق بين حركات الكفاح المسلح » (٣٩) وأن حركات الكفاح المسلح هذه « ستتخذ حتما سمات الثورة الاشتراكية » (٤٠) - وأن الهدف من هذه الحركات المسلحة « هو القضاء على الامبريالية قسما مبرما » ويمكن أن تختلف حول التاكثيك وعلينا أن نضع في الاعتبار تقديرات الآخرين « أما الهدف فيجب أن نكون صارمين بشأنه » (٤١) والوسيلة هي « الدعاية المسلحة وذلك بأن يسلح جوتونا بالحد ضد العدو » (٤٢) *

وتختم هذه النظرة رايها بالقول « ان صلنا يتركز في صرخة الحرب ضد الامبريالية الامريكية عدو الجنس البشري الاكبر » فليفاجئنا الموت على اية بقعة من الارض - مرعبا به طالما ان اذاننا صاغية تسمع صرخة الحرب وطالما تمتد يد أخرى لتقبض على اسلحتنا وطالما يقف رجال آخرون يتشدون الاناشيد الجنازية مصحوبة بفرقة المدافع ويأبسون أخرى من الجرب والصرع (٤٣) *

● وترى وجهة نظر أخرى أن « الامبريالية وفي مقدمتها الاستعمار الامريكي تلجأ لتاكثيك جديد في العدوان تمت اعلام دول صغيرة تابعة لها يستطيع جهازها الحربي أن يصنوع جهاز الحروب الامريكي بحيث أصبح الاثنان كلا واحدا لا يتجزأ » « فعلة فيتنام » - للتدخل الصافر - هي في ارجح الاحتمالات آخر حالة من نوعها في تاريخ هذا القرن ، أو بعبارة أكثر تحديدا في تاريخ الامبريالية ، ومن هنا تجد امريكا جهاز حربيها في خدمة جهاز حرب دولة صغيرة صيلة للعمل في مناطق ثلاث رئيسية مرشحة للعمل العدواني الامبريالي : هي افريقيا وملحق بها الشرق الاوسط ثم امريكا اللاتينية ثم دول أوروبا الاشتراكية . وقد انطلقتان الاوليان مناطق مفتوحة لصدام سامخن ، أما المنطقة الثالثة فهي منطقة صدام باردة (٤٤) *

وتلك ايضا وجهة نظر متكاملة تستلزم لتقول « على القوى الاشتراكية والقوى الوطنية التقدمية أن تتمع لمواجهة هذا التاكثيك الجديد بتاكثيك ثوري مضاد وفصال - ويستلزم هذا - في

راينا - وحدة في العمل ضد العدو المشترك - ويمكن أن تجسد وحدة العمل هذه في نقطتين :

- وضع وتنفيذ خطة متكاملة لتصنيع الاسلحة التقليدية وتطويرها محليا في البلدان الوطنية التقدمية بالاشتراك مع السعول الاشتراكية - (ويمكن أن تستفهم للتلتهجين الحدي والحري) *

- بناء مراكز دفاع ثورية مشتركة اختيارية في المواقع الاستراتيجية من البلدان الوطنية التقدمية تعمل فيها قوات مشتركة من البلدان الاشتراكية والوطنية التقدمية - وهي مراكز تختلف جغريا عن القواعد العسكرية بسبب العامل الاختياري في توكيها والمشاركة على اساس المساواة في بنائها وسيادة الدولة القائمة فيها عليها والحرية الكاملة لها في انتهائها - ومن شأنها أن تكون فرعا قوية ومسلحة بتكنولوجية حديثة لا تستطيع دولة وطنية صغيرة في حدود زمن قصير تسيبا أن تحصل عليها بمفردها (٤٥) *

أما في البلدان التي لم تحصل على استقلالها بعد ، فترى وجهة نظر حول هذه الدول في افريقيا « ان الوضع الفاضل القاسم على الضفة والهجينة والقمع الوحشي والامساك بالهياكلية للانسانية » أصبح وضعا عانيا في البلاد الافريقية التي تسيطر عليها النظم العسكرية - ومن هنا فلن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد لتحرير هذه البلاد » (٤٦) *

٢ - الحياد الايجابي وعدم الانحياز

نستطيع ان نرصد وجهتي نظر اساسيتين في هذا الموضوع :

● تقول الاولى « بان الاوضاع التي اعقبت الحرب العالمية الثانية تميزت بظاهرين اساسيتين : الاولى : قيام معسكرين دوليين كبيرين يملكان الاسلحة النووية ويتنافسان من أجل التفوق كل في مواجهة الآخر ، سواء عن طريق اختراع اسلحة أكثر تسميرا أو عن طريق محاولة

[٣٩] تنس المصدر السابق

[٤٤] « نحو مراكز دفاع ثورية ومشاركة » - لطفى القولي - اكتوبر ١٩٦٧

[٤٥] « نحو مراكز دفاع ثورية ومشاركة » - لطفى القولي - اكتوبر ١٩٦٧

[٤٦] « إلى أين توجه جنوب افريقيا » - ج.زوتديل بيبوس - ديسمبر ١٩٦٥

نظم الدول الصغيرة إلى أحلاف كل منهما • الثانية : انتشار حركات التحرر الوطني وظهور دول مستقلة جديدة تماشى من التخلف والفقر • (٤٧)

ثم تستطرد لتقول « أن سياسة عدم الانحياز لا تقوم على انشاء كتلة ثالثة لأنها قامت للقضاء على الآثار الضارة الناتجة عن قيام كتلتين متنافستين (٤٨) وتهدف سياسة عدم الانحياز إلى « تصفية الاستعمار بكل أشكاله وصوره وتأكيد حق كل الشعوب في الاستقلال التام والمساواة وفي اختيار نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق ذاتيتها القومية » والخلص من العلاقات غير المتكافئة في العلاقات الاقتصادية ومنع استخدام المهنات الاقتصادية بغرض النفوذ والسيطرة أو الضغط . وكذلك إزالة القواعد العسكرية الأجنبية ، وتأييد حق شعوب فلسطين وجنوب إفريقيا وروديسيا الجنوبية وأنجولا وموزمبيق التي مكن الاستعمار العنصرية منها ، في استعادة حريتها وتقرير مصيرها • لما السلام العالمي فلا يمكن إقراره إلا بتصفية التكتلات العسكرية ونزع السلاح نزعاً عاماً وشاملاً ، على أن يتبدل ذلك على مراحل وتحت رقابة دولية فعالة » (٤٩)

وترى وجهة النظر هذه « أن اتساع الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية خطر على السلام مادام العالم منقسماً إلى كتلتين : أحدهما غفيرة والأخرى فقيرة » (٥٠)

وتعتقد وجهة النظر هذه أن يوم الانتصار الأكبر لسياسة عدم الانحياز هو اليوم الذي تصبح فيه هذه السياسة غير ذات موضوع • (٥١)

● وترى وجهة النظر الأخرى « أن صياغة عدم الانحياز - التي تخطت صياغة الحياد الإيجابي بمرونة واضحة - كانت لنكاساً لمناخ مرياس عام ساد مواقع العالم الثالث الأساسية ، يؤمن بفكرية ترى إمكانية بقاء السلطة فوق الطبقات وصراعاتها ودون الانحياز إلى أي منها لتحقيق برنامج اجتماعي أصلاحي عام » (٥٢)

وبرغم ظروف « تعدد المراكز وانحصار خطر الحرب النووية إلا أن سياسة عدم الانحياز مازالت تقوم في إطار تقليدي يتفق ومتطلبات ظروف عصر الكتلتين » (٥٣)

وترى وجهة النظر هذه أن سياسة عدم الانحياز « قد اتخذت طابع الكم بالبحث من أكبر عدد ممكن لتجميع الدول المستقلة حديثاً وبغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية أو حتى اتجاهات سياستها الخارجية المختلفة ، بل والمناقضة في معظم الأحوال • وقد غلب على سياسة عدم الانحياز سيادة فكرة المساواة بين المسكرين بغض النظر عن طبيعة وأهداف كل منها » (٥٤)

وتستكمل وجهة النظر هذه رأيها بأن « الوضع قد تغير في اندونيسيا مما كان له أثره على ثقل حركتها في السياسة الدولية وأصبحت الهند بعد نهرو أقل قوة وتأثيراً • أما يوغوسلافيا فقد تحركت لحظة امتشعار الخطر (في أعقاب حرب الشرق الأوسط ١٩٦٧) كواحدة من الأمرة الاشتراكية المالية • وبقي أن نجد صياغة جديدة تبيهم فيها خطوط سياستنا التقدمية الداخلية مع سياستنا الخارجية » (٥٥) ومن ثم « فإن الواقع الدولي الراهن في أشد الحاجة إلى تكوين جبهة عالمية معادية للاستعمار تضم دول المسكر الاشتراكي جميعها إلى جانب المواقع الثورية والوطنية لدول العالم الثالث والتي يتم فيها تمازجها الوثيق في كل المجالات على أساس من الإحترام الكامل المتبادل ومعاملات الند للند في مواجهة مضطربات الاستعمار العالمي • ولنا في حاجة إلى التأكيد على أن مثل هذا التنسيق لا يقوم على أساس من التبعية أو حتى على أساس قاعدة : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » (٥٦)

٣- قضايا البناء الاجتماعي

يمكن تقسيم دول التحرر الوطني بعد الاستقلال إلى ثلاثة أقسام :

- (٤٧) - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ = النصر الحاسم لوقف عدم الانحياز .. يوم اغتفاء الحاجة إليه • - عيد الخمس القجار - مارس ١٩٦٥
(٥٢) « الأمم الثالث بين صياغة عدم الانحياز ومتطلبات الواقع الجديد » - حسين شعلان - نوفمبر ١٩٦٧
(٥٣) « صياغات ٦٥ واتفاق ٦٦ في عالم عدم الانحياز » - خيرى مؤيد - سينور ١٩٦٦
(٥٤) « ٥٥ - ٥٦ » : « العالم الثالث بين صياغة عدم الانحياز ومتطلبات الواقع الجديد » - حسين شعلان - نوفمبر ١٩٦٧

١٦ - مجموعة من الأفكار مبرزة نظما من شق طريق التطور الاقتصادي والاجتماعي ، وظلت في اطار الصورة القديمة .

٢ - مجموعة ثانية استطاعت قوى الرجعية الحاكمة - بسند من الاستثمار - ان تخضعها للتعبئة الاستعمارية بأشكال حديثة .

٣ - مجموعة من الدول الثورية التقدمية ، (٥٧) .

وقد شغلت المجموعة الثالثة (الدول الثورية التقدمية) الاهتمام الاعظم للمقاتلات التي نشأت بالطليعة .

« من أبرز ظواهر انتصارات الثورات الوطنية التي اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية ، واعتمدت في نجاحها على نضال العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، انه لم يكن من الممكن ان تقف عند حد الحصول على الاستقلال الشكلى ، ففي كثير من بلاد العالم الثالث طرحت الشعوب مسألة القضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي لكن هذه الشعوب اكتشفت ان طريق التقدم ، انما هو طريق تصفية النظم الاقطاعية وشبه الاقطاعية وتأميم المصالح الاستعمارية والكفاح ضد محاولات الاستعمار الجديد العودة بأصناف وأشكال متجددة . وفي غمار ماركز مبردة وضاربة من أجل بناء اقتصاد وطني ، توصل أكثر من بلد الى ان الاشتراكية هي الحل الحتمي الذي يضمن القضاء على التخلف . من هنا بدأ عدد من هذه البلدان يتخذ في مجال التنمية إجراءات معينة تحقق التقدم الاجتماعي وتمهد الأرض أمام بناء الاشتراكية » (٥٨)

وحققت هذه النظم - بذلك - الالتصام بين مهام وأهداف الثورة الوطنية التحريرية وبين الثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية (٥٩)

بنون قيادة بروليتارية - بل لقد لم أحيانا تحت قيادات ثورية تنتمي الى البورجوازية الصغيرة الثورية » (٦٠) .

فقد فجرت هذه المرحلة - منذ نهاية الستينات ، وفي عصر عاليا الاشتراكية والإنهيار المتزايد للقوى الامبريالية - « أقساما من البورجوازية الصغيرة تلقحها بدرجات متفاوتة الافكار والاتجاهات الاشتراكية التي تتراوح بين الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية » (٦١) .

فقد فجرت هذه المرحلة - منذ نهاية الستينات ، وفي عصر عاليا الاشتراكية ، والإنهيار المتزايد للقوى اجتماعية محددة ، وأثنا مثلت في حركتها العامة مصالح مجموع الأمة يومها - وحاولت مختلف الطبقات جذبها الى جانب مصالحها ، ولكن من خلال المماركة اليومية الخارجية والداخلية التي خاضتها هذه القيادات الوطنية الثورية المخلصة ، ارتبطت باخلاص بأمال الفلاحين والعمال والبورجوازية الصغيرة ، وأصبحت تتبل - في اتجاهها العام - حركة المثقفين الثوريين المخلصين لشعوبهم ، (٦٢)

وغالبا ما تتجه هذه النظم الثورية الى « تصفية طبقتي الإقطاع والبورجوازية الكبيرة وتطبيق لمصالح الفلاحين الفقراء والمثسطين أصلا زراعيا ، وتؤم عدد من الكيانات الاساسية أو الكبرى في الاقتصاد الوطني لتكون قطاعا عاما يصبح العمود الفقري والقيادة الموجهة للاقتصاد الوطني جنبها الى جنب مع القطاع الخاص (الذي تهيمن فيه البورجوازية الصغيرة على ملكياتها المحدودة لبعض وسائل الإنتاج) بالإضافة الى قطاع تعاوني يقوم على أغلبه على أساس الملكية ، وفي أقلية على أساس العمل ، (٦٣) .

قضية الحزب الواحد

تجمع الكتابات التي نشرت في الطليعة حول هذه القضية أن حكم المؤسسات تمثقد في هذه النظم الثورية من حركة التحور الوطني . وقد نهجت معظم هذه الدول « نظام الحزب الواحد » لممارسة الديمقراطية من خلاله . وتلتقى في هذا الحزب قوى ذات منافع اجتماعية وايدولوجية مختلفة .

قضية القيادة

فبر أن هذا الالتصام « لم يكن مع ذلك جديدا » فقد تحقق من قبل في كل الثورات الوطنية الديمقراطية التي قادتها بعض الأحزاب الشيوعية (من لينين الى ماو) - لكن الجديد هنا هو أن ظروف عالم اليوم جعلت هذا الالتصام ممكنا

- [٥٧] » واجب القوى الثورية في حماية وتدعيم النظم التقدمية في أفريقيا » - معاوية اليراهيم - ديسمبر ١٩٦٦
- [٥٨] » كراسة للطليعة : افكار للنقد : نظرات في الوضع الراهن . عالميا » - الطليعة - أكتوبر ١٩٦٧
- [٥٩] » الكفاح المادي للبروليتاريا في المرحلة الراهنة » - لطفى الفولى - ديسمبر ١٩٦٦
- [٦٠] » كراسة للطليعة : افكار للنقد : نظرات في الوضع الراهن . عالميا » - الطليعة - أكتوبر ١٩٦٧
- [٦١] » ملاحظات من حركة التحور الوطني في ضوء افكار لينين » - لطفى الفولى - أبريل ١٩٧٠
- [٦٢] » الصراع بين قوى التحور الوطني وقوى الاستثمار القديم والجديد » - حسين شعلان - مارس ١٩٦٥
- [٦٣] » ملاحظات من حركة التحور الوطني في ضوء افكار لينين » - لطفى الفولى - أبريل ١٩٧٠

ولكنها تتلقى على « الحل الاشتراكي » ومن هذه القوى ما هو بورجوازي صغير أو عمالي ومنها ما يسمى إلى التمييز من الاشتراكية العلمية بالاشتراكية وطنية ومنها ما يتخذ من الاشتراكية العلمية منهاجاً كاملاً أو يقترب منه دون عداء واقعي فيرفض الجانب القليبي منها ويقتل جانبيها السياسي والاقتصادي * وهي قوى الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين الثوريين والبرجوازية المتوسطة .

ومناك وجهتا نظر مختلفتان حول قضية الحزب :

● تقول الاولى - وهي الغالبية العظمى من الكتابات التي نشرت في الطلبة - بأن انقسام المجتمع في هذه الدول إلى طبقات متصارعة ظاهرة لابد من الاعتراف بها * ومن هنا فإنه يمكن إيجاد تنظيم أو تجمع عام يضم ممثلي قوى التحالف يشترط توفير المناخ الديمقراطي لتعبير كل طبقة - داخل التنظيم الواحد - عن وجهات نظرها ومصالحها في التزام عام يحفظ النظام الثوري الهادف إلى بناء الاشتراكية * ولكنه يستحيل ضمان استمرار العمل الوطني من أجل بناء الاشتراكية وحماية المكشورات التقدمية إلا بوجود حزب وطني - داخل التنظيم الذي يجمع قوى التحالف يضم فقط القوى الاشتراكية بمدارسها المختلفة والمبتنية لفكر العمال والفلاحين ومصالحهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية * على أن يكون هذا الحزب الوطني قائداً لتجمع التحالف وموجهاً لحركته .

وتقول وجهة النظر الثانية - وهي لثقل واحد - أن التمايز بين الفئات الاجتماعية في الدول المتحررة - وأفريقيا بشكل خاص - لم يبلغ ما وصل إليه في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر ، فالوجود الإيجابي قد خلف حدة هذا التناقض * ورسم أنه لم يوجد قبل النصف الثاني للقرن العشرين ، حزب جماهيري تولى اقامة الاشتراكية ، الا انه بعد النصف الثاني من القرن العشرين نشأ حدث جديد * إذ وجدت أحزاب نيماميرية ، واتجه البعض منها إلى بناء الاشتراكية كنتيجة مباشرة لتحرر الشعوب المستعمرة واختيار بعضها بناء الاشتراكية بقيادة حزب جماهيري (٦٤)

وهذا الحزب الجماهيري يتولى تحقيق اهداف تتسم بطابع الاشتراكية (طريق التنمية غير

الراسمالية) فهو يمهّد السبيل إلى طريق جديد أعلى هو طريق الاشتراكية الذي لا يمكن ان يشقه الا حزب وطني (٦٥) وشروط هذا الحزب الجماهيري هي : ١ - تحقيق الوحدة فيها على أساس من الرغبة الحرة ٢ - تعمل طبقاً لبدأ المركزية الديمقراطية ٣ - ترنو بوضوح إلى طريق اشتراكي في التنمية على أساس من الاشتراكية العلمية ٤ - نشاطها العملي ومنجزاتها عمل اشتراكي أصيل (٦٦) .

دور الجيش الوطني

وتجمع الكتابات على أن « الجيش الوطني » في الدول الثورية يلعب دوراً خاصاً * فمشة ظاهرة جديدة يكشف عنها عدد غير يسير من ثورات التحرير الوطني التقدمية الماصرة * وهي أن الجيش الوطني يقوم بديلاً - استثنائياً - عن الحزب الوطني الثوري الذي تتفقد معظم هذه البلاد * فيقوم الجيش الوطني بتغيير الثورة واسقاط النظام الرجعي المصاوم مع الاستعمار * بمعنى أن ثورة التحرير الوطني هنا تتخذ في البداية صورة انقلاب عسكري لا حركة جماهيرية (٦٧) .

وقد قامت « جيوش المستعمرات بمقاومة الغزو في طليعة شعوبها * أنها تليق مباشرة للجيش الاستعمارية * وقد رفعت هذه الجيوش راية قوميتها * لأنها بحكم الوضع العام للمجتمع الذي نشأت فيه ويحكم تربيته الاجتماعية ، تشكيلات وطنية معادية للاستعمار الاجنبي » (٦٨) * وقد نشأت جيوش جديدة على يد الثورة الوطنية نفسها وكدرج لها مثل جيش التحرير الجزائري وجيش التحرير الفيتنامي والجيوش الوطنية في أندولا وموزمبيق * الخ * وهي قوى ثورية خالصة (٦٩) * وتتفاوت الامكانيات الثورية لهذه الجيوش * عمقا واتساعا - من مستوى التحالف مع الحركة الوطنية إلى مستوى القيام بدور وطني في هذه الحركة * وفي هذه الظروف الاخيرة ، تجرى في حركة تطور القوات المسلحة ، نفس التحولات التي تجرى في فكر الثورة الوطنية وايدولوجيتها * وهي تزداد ممقا في اتجاه التحول إلى ثورة اشتراكية * (٧٠) .

الثورة العلمية والتقدم

اهتمت الكتابات التي نشرت بالطلبة - حول موضوع الثورة التكنولوجية ودور التحرير

[٦٤] - ٦٥ - ٦٦ « الحزب الجماهيري وحزب الطلبة في البلاد المتحررة » - ادريس دايبرا - يناير ١٩٦٧

[٦٧] « ملاحظات من حركة التحرير الوطني في ضوء أفكار لينين » - لطفي الخولي - أبريل ١٩٧٠

[٦٨] - ٦٩ - ٧٠ « حول الإنكسارات الثورية للجيوش في ثورات التحرير الوطني » - زكي مراد - نوفمبر ١٩٦٦

وربما تطلب هذا إعادة النظر في اتجاهات التصنيع الحالية على ضوء التطبيق بالتطورات العلمية المحتملة *

● العمل على قيام كتلتا اقتصادية دولية بين الدول الصغيرة *

● الحذر من الاتجاه الى استخدام المقول الالكتروني باعتبارها دليلا على التقدم دون استفادة حقيقية منها . ويتطلب هذا إعادة النظر في تنظيم الوحدات الإنتاجية ليصبح حجم العمل مما يستوجب استخدام هذه الوسائل المتقدمة *

● استخدام الكيمياء الحديثة كحل لمشكلة الدول الصغيرة التي لاتملك مواد خام (٧١).

الوطني ، ياثان هذه الثورة على التقدم الصناعي والاقتصادي في هذه الدول والمهام المطلوبة لانمائها لتبنيها . وترى هذه الكتابات ضرورة :

● إعادة تحديد الأولويات في عملية التنمية وذلك باعطاء العلم والبحث العلمي أهمية أكبر .
● تخطيط عمليات التشييد بصورة تؤدي الى التركيز في كل فترة معينة على عدد محدود من المشروعات المترابطة التي يمكن تنفيذها في أقل فترة ممكنة ، مع التركيز على بناء الصناعات التي لا تتعرض للتقادم السريع كنتيجة للمعدل السريع المرتفع للتطور التكنولوجي *

● التخصص في نشاط اقتصادي معين تتيبن فيه الدولة قدرات خاصة على تطويره وتقديمه *

ثانيا: القضية العربية

عربي : سعد رهمي

■ قدمت الطليعة باسمها « كراسة للطليعة » أفكارا للمناقشة ، نظرات في الوضع الراهن - تضمن جزءا خاصا بالوضع العربي ، في أكتوبر ١٩٦٧ *

■ قدمت الطليعة ملغا خاصا لثورة السودان « في أغسطس ١٩٦٩ بعنوان « السودان من داخل السودان » *

■ ساهمت الطليعة في « الملتقى الفكري العربي » الذي عقد بالخرطوم في مارس ١٩٧٠ حضره مائة من العرب يمثلون ١٢ بلدا عربيا وينتمون الى ٩ منظمات ثورية . وحضر عن الطليعة ٦ من أسرة تحريرها قدموا دراسات حول « قضايا الثورة العربية بعد يونيو ١٩٦٧ » . وقد نشرت الطليعة عربيا لكل دراسات « الملتقى الفكري العربي » في عددا مايو ١٩٧٠ *

■ قدمت الطليعة ملغا خاصا عن ثورة ١٩٣٦

■ اتمت الطليعة بالقضايا العربية اهتماما احسن ١٥٠ مقالا على امتداد ٨٠٠ صفحا *

■ قدمت الطليعة ملغا خاصا عن النضال العربي بعنوان « التخطيط لاستقبال النضال العربي » في مايو ١٩٦٥ *

■ ساهمت الطليعة في « ندوة الاشتراكيين العرب » التي عقدت بالجزائر في يونيو ١٩٦٧ ، وذلك بإرسابات نشر منها أربع في عدد يونيو ١٩٦٧ *

■ قدمت الطليعة دراسة - باسمها - بعنوان « من أجل السلام والتقدم : الصهيونية أم الحركة الوطنية العربية ؟ » بمناسبة زيارة « بعثة راسل للفكر الحقائق حول جرائم الحرب » . وذلك - بتعمير الطليعة - « لمواجهة الدعايات الاستعمارية المضللة التي تروجها الدواش الصهيونية » نشرت في أكتوبر ١٩٦٧ *

الفلسطينية ، نشر في عدة ابريل ١٩٧٧ بعنوان
« ثورة ٣٦ : الفجرية والخروس » .

خرجت « الطليعة » الى الحياة في مرحلة
حاسمة من تطور النضال الثوري العربي وتقدمه
نحو تمثيق المبادأة الوطنية او تثقيتها ، وتطلعه
الى بناء حياة جديدة على ارضه تعرضه من
التخلف الرعيب عن الركب الحضاري للماصر ،
والذي فرضته عهده طويلة من السيطرة
الاستعمارية والرجعية يشقى لوانها .

ولقد كان للطليعة من قضايا الوطن العربي
العامه مواقف محددة تميزت - على تعدد كتابها -
باطار عام تلعب فيه بوضوح رؤية علمية واعية
لحقائق الصراع المحتدم على الارض العربية في كل
مواقعها سواء ضد قوى الامبريالية المالية او ضد
قوى الرجعية المحلية ، ومن خلال هذه الرؤية ايضا
نضع ايدينا في يفتي على مواقف وحقائق مبدئية
رئيسية حكمت نظرة « الطليعة » لحاضر النضال
العربي ، وحكمت مواقفها بالنسبة لمستقبل هذا
النضال وافاق تقدمه .

نظرة شاملة للموضع العربي

تدنت الطليعة تخطوطا عامة لرويتها للموضع
العربي بعد شهور اربعة من عنوان يونيو ١٩٦٧ ،
صعدتها من خلال تخليها ثلاث [٣] :

١ - الموضع عشية العنوان : لقد اصبح ثابثا ان
الاستعمار المالي يذبح اسرائيل الى المدون في
كل مرحلة تحرر فيها : الحركة القومية العربية نفسها
ملحوظا .

● فلذا كانت الاوضاع تتجه نحو الاستقرار في
اليمن الجمهوري في حين تحرر ثورة التحرر
الوطني في الجنوب المحتل انتصارات في طريق
تصفية الواقع الاستعماري .

● تكاد الحقوق الاجتماعية المتقدم للقومية
العربية باعتبارها حركة تحرر وطني وتقدم
اجتماعي ووحدة قومية .

● ظهور مجموعة من الدول العربية التقدمية
والغارب المتزاين بينها .

● تطون أسلوب معالجة قضية الوحدة
بالتركيز على التحرر والاشتراكية كاساسين
للتوحيد .

● تماثل دور الجماهير الشعبية

ولكن تحريص « الطليعة » على رصد في هذا
الجانب الايجابي لا ينبغي ان تغفل معه الظواهر
السلبية . فهناك أولا : اتجاهات انفعالية ظهرت
في عدد من الدول العربية ، حتى في اكثرها
تقدما . ثانيا : دور الجورجانية الصغيرة الغالب
فكريا وقائديا وما يترتب عليه من اتجاهات غير
علمية وغير واقعية .

٢ - تتلخج العنوان : لم ينجح المدون في
تحقيق هدفه الاساسي وهو الاطاحة بالنظم التقدمية
العربية . بل يمكن رصد آثار ايجابية هامة :

● كشف حقيقة ان امريكا هي العدو . وان
اسرائيل قاعدة عوفانية امامية تمويلها امريكا
وتسلحها وتنفذها ضد الدول العربية . فتهددت
صورة ان النفوذ الصهيوني هو الذي يجعل امريكا
تتماثل لاسرائيل ضد العرب .

● تماثل الحركة الثورية للشعوب العربية

● بروز أهمية دور الجماهير العربية وبخاصة
المعال العرب .

وترى الطليعة ان النكسة العسكرية كان لا بد
وان تخلق بعض الظواهر السلبيه . . ابرزها :
أولا : محاولة الاستعمار والحوار الرجعية تحصيل
النظم التقدمية ، والدعوة الاشتراكية مسئولية
النكسة . ثانيا : انكشاف بعض نواحي الضعف
في البنيان الداخلي للدول التقدمية ومسمى
الاستعمار والرجعية لاستغلال ذلك بساؤلأمة
والانقلاب والضغط الخارجي .

وترى الطليعة ان تصفية المدون وآثاره هي
المشكلة الرئيسية للثورة العربية . ولابد من تحقيق
اوسع جبهة عربية حول « برنامج ادنى » لمواجهة
المدون ، و « برنامج اقصى » للتعاون بين الدول
التقدمية العربية .

٣ - قضية شعب فلسطين : دعت الطليعة الى
ضرورة تبني فكر واضح بشأن طبيعة اسرائيل
ودورها ، وبشان الشعب العربي الفلسطيني
وحقوقه ودوره .

بالنسبة لاسرائيل : ترى الطليعة انها « قاعدة
استعمارية عوفانية » ، فهي ليست امة وليست
قومية . . ويجب ان تميز بوضوح بين اليهود
والصهيونية والوجود المدواني الاسرائيلي .
فاسرائيل ظاهرة استيطان استعماري أدبي ،
وهي عتقا تتحدث عن « صلح » مع العرب ،

٤ - وحدة القوى العربية الثورية *

أولاً - الوحدة « ضرورية واقعية وتاريخية » :

ومضمون توري جديد :

١ - كانت قضية الوحدة العربية من كبرى القضايا التي أولتها كثير من الكتابات عنها ، ومنذ المبدأ الأول ، وعلى امتداد صفحاتها حتى اليوم :

وجمع هذه المقالات على أن الوحدة « ضرورية تاريخية وواقعية ومصير مشترك لجميع شعوب الوطن العربي مترقا ومغريا » (١) ثم تمضى بعضها في تحديد أدق لهذه الوحدة بأنها « إقامة مجتمع عربي شامل متحرر الإرادة من انقياسه الاستعماريه العميقه والجديدة على السواء تسوده العلاقات الاجتماعية الاشتراكية بين جميع أبنائه دون ما تمييز ، متطور اقتصاديا لصالح الماعدين ، على أحدث الأساليب والنظم العلمية المتكيفة مع الواقع وللثروات العربية ، والمفتحة أنسانيًا دون ما تعصب أو عنصرية » (٢) .

٢ - وفي تحديد طبيعة القوى التي يلقي عليها التاريخ مسئولية إنجاز مثل هذه الوحدة ، يقول مقال : « لما كانت هذه الأهداف بطبيعتها لا تنبثق إلا عن القوى الشعبية العاملة والصانعة للحياة ، فإن وحدة الوطن العربي لا بد وأن تكون إذن وبالتحديد وحدة هذه القوى الشعبية العاملة في تحالفها دون غيرها من طبقات الاقطاع والراسمالية الكبيرة والمتحالفة مع القوى الاستعمارية والاحتكارية » (٣) .

ومضى الكتابات التي نشرت في تعميق هذا المفهوم العلمي لطبيعة الوحدة وقواتها تقول : « أن الوحدة لم تعد تعبيراً عن مصالح البرجوازية التي توحد نفسها فن مواجهة الاقطاع ، وفي لم تعد أيضاً تعبيراً عن توحيد كل قوى الأمة أو اوجهة الاستعمار وخطه ومشاريعه ، وإنما أصبحت تعبيراً عن آمال الطبقات الشعبية المحظوظة الساعية إلى التغيير الاجتماعي . لقد ارتبطت حركة الوحدة العربية بحركة الثورة العربية ، وعلى هذا الأساس أصبح مواقف الطبقات الاجتماعية في الثورة هو نفس موقفها في الوحدة » (٤) .

٣ - وقد أولت هذه الكتابات اهتماماً كبيراً .

تسمى لأن تكون « كونيوار » تجارى وصناعى للراسمالية الغربية تنفذ منه إلى البلاد العربية وتبذل له العملة و « فومسيونى » لحسابه فى القارات الثلاث . ومن هنا فإن تصفية الوجود الاسرائيلى جزء من تصفية الوجود الاستعمارى . وانها بالنالى معركة طويلة .

أما بالنسبة للشعب العربى الفلسطينى : فتركز الطلوع على أن مشكلة فلسطين هى فى الأصل مشكلة تحرر وطنى بين عرب فلسطين المطرودين وبين النازحين الارببيين . وينبئ فى نظر الطليعة العمل على توحيد حركات المقاومة الفلسطينية فى جبهة للتحرر الوطنى ذات قيادة جادة تتمتع بثقة الأغلبية . ولابد من التركيز على مطالبة الأمم المتحدة بتنفيذ كالة قراراتها وبخاصة عسودة اللاجئين بل وقرار التصميم الاصلى ذاته « باعتباره خطوة أكثر تقدماً على الطريق فى اتجاه حل المشكلة فى المدى الاستراتيجى البعيد » . ثم تدعو إلى العمل على وجود دولة فلسطين العربية المستقلة لكن تجمد المقاومة الفلسطينية قاعدة لها متميزة عن الدول العربية المجاورة .

ثم تنتقل الطليعة إلى مناقشة قضية تحرير الاراضى المحتلة ، فترى ضرورة استفاد كل وسائل النضال السياسى والاقتصادى قبل الاحتكام لمسلح حيث « أن القتال فى الاجل القصير ، وقبل دعم الجبهات الداخلية إلى أبعد الحدود ليس افضل الظروف بالنسبة للحرب » . وأنه حتى من أجل نجاح الحلول السياسية « لا بد من الاستعداد للقتال » . وأن القتال ضد اسرائيل والامبريالية « لا يمكن أن يكون حرباً نظامية خالصة بل لابد من الاعتماد فيه على مختلف أشكال الحرب غير النظامية والتنسيق بين المقاومة داخل الاراضى المحتلة وبين اصال الغدائين وبين الاعمال العسكرية التقليدية ، كما أن احتمالات الموقف فى حالة تجدد القتال لا يمكن حصرها ، وبالتالي لا بد من الاستعداد الكامل للحرب الشعبية فى كل المناطق التي يمكن أن تصل إليها قوات صناعية » .

فإذا انتقلنا إلى المقالات التي نشرت فى الطليعة باسماء كتابها ، فيمكن أن نرصد اتجاهاتها وخطلوها من خلال قضايا أربع هى :

١ - الوحدة العربية .

٢ - الصراع العربى الاسرائيلى .

٣ - موقع الحركة الثورية العربية من النضال العالمى المعاصر .

[١] لطفى الخولى - المبدأ ٩/١٩٦٥ ص ٩

[٢] لطفى الخولى - المبدأ ٩/١٩٦٥ ص ١٠

[٣] لطفى الخولى - المبدأ ٩/١٩٦٥ ص ١٠

[٤] مصطفى طيبة - المبدأ ٣/١٩٦٥ ص ٨٤

وتحديد: الاطمان العام للحركة الثورية العربية المعاصرة محددة - كما سبق أن رأينا - الارتباط الذي لا ينقسم بين شعاراتها الوطنية وبين مواقفها الاجتماعية ومضمونها التقدمي الاشتراكي شأنها في ذلك شأن جميع حركات التحرير الثورية المعاصرة التي تواجه في نفس الوقت قضايا التحرر وكسب الاستقلال وقضايا بناء الحياة الجديدة وفق طريق التطور غير الرأسمالي كمبر طليحي نحو الاشتراكية ، ومن خلال هذه المعالجة لقضية التوحيد العربي ، تتصدى هذه الاراء لقوى الثورة العربية وتحدها بدقة ، ملقبة في نفس الوقت الاضواء على ممسك اعداء الثورة العربية ، واقدام الوحدة في نفس الوقت ، فتقول : « الثورة العربية منذ الخمسينات قد شرعت تتخذ مساراً جديداً وتلك ذلك بوضوح في الستينات ، ونعني بهذا المسار الجديد التزاوج العنصري الذي وقع بين اهداف التحرر الوطني واهداف الثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية (٥) » وتستمر في تحليلها فتقول : « وهكذا لم يمد الموقف العربي الذي يواجه الثورة العربية المعاصرة ذات الطابع المزوج ببساطة موقف الاسس حينما كانت الثورة تقليديا تقتصر على تحقيق التحرر الوطني من ناحية وسبينة الحدود الاقليمية لكل بلد عربي تقريبا من ناحية اخرى ، ومن هنا اصبح الامر يستلزم وضع استراتيجية وتكتيك جديدين » (٦) .

٤ - وفي تحديد قوى الثورة العربية بمفهومها المعاصر - وهي ايضا قوى الوحدة بمفهومها الثوري - نجد ان « القوى الاجتماعية للثورة اليوم تختلف اختلافا جوهريا عن القوى الاجتماعية للثورة التقليدية ذات اليمد الوطني الواحد بالاساس فمثل لم يمد ممكنا اعتبار الطبقة الرأسمالية بجميع فئاتها ككل احدى القوى الاجتماعية للثورة الجديدة ذات الاهداف الثلاثة ، كما كانت في الماضي ، بل اصبح الواقع يكشف عن هداه هذه الطبقة - وخاصة فئاتها الكبيرة - للثورة ، حتى بمفهوم البلاد الواحد التقليدي ، وذلك لان الاحداث التاريخية قد اكدت انه لم يمد ممكنا لشعوب المستعمرات أن تملك مصيرها بحرية حقيقية في العالم المعاصر ما لم تصنع مجتمعاتها الجديدة سياغة اشتراكية » (٧) .

ويمضي هذا الرأي في تعميق المفهوم والمضمون الجديد للثورة العربية وما تهدف اليه من توحيد ثوري ، وما يحمله معه هذا المفهوم والموقف البني

عليه بالضرورة من استقطابات حتمية في الخريطة الطبقة للمجتمع . تقول الطليحة : « ولكن هذا الموقف الجديد للثورة ذات الاهداف الثلاثة قد كشف ايضا عن ظاهرة جديدة ، وهي ان الاشتراكية قد عذب - بصفة عامة - موضع جذب شديد لفتات متوسط وصغيرة من الطبقة البرجوازية بالإضافة الى الطبقة العاملة ، ومن هنا أصبحت هذه الفئات جزءا موضوعيا من قوى الثورة في التحول نحو الاشتراكية ، ومن الخطورة بالتالي اعماله أو عزله والا كسبت القوى الرجعية المادية للثورة وأصبح حصيدا لها » (٨) .

٥ - وهكذا يمكننا أن نضع ايدينا على مبادئ رئيسية حكمت نظرة المقالات التي نشرت بالطليحة لقضية الوحدة العربية ومضمونها وقواتها ، هذه المبادئ يمكن اجمالها فيما يلي :

١ - الوحدة تتحقق من خلال نضال عربي شامل من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية القديمة والجديدة على السواء .

٢ - الوحدة تهدف الى اقامة مجتمع جديد تسوده العلاقات الاجتماعية الاشتراكية .

٣ - الوحدة يجب ان تكون طريقا لبناء مجتمع متطور اقتصاديا ومركز على أحدث الاساليب والنظم العلمية .

٤ - الوحدة تنطلق استنادا الى التراث العربي الاصيل وتلتحق في نفس الوقت انسانيا دون ما تمصّب أو عنصرية .

٥ - الوحدة هي بالتحديد وحدة القوى الشعبية الماملة في تحالفها دون غيرها من طبقات الاقطاع والرأسمالية الكبيرة المتصالفة مع القوى الاستعمارية والاحتكارية .

٦ - الوحدة اذ تكتسب مضمونا اشتراكيا في ظل اوضاع عالمنا المعاصر تصبح نضالا وطنيا واجتماعيا ، في نفس الوقت ، لا يمكن فصل أي من جانبيه عن الآخر والا انحرفت عن مسارها وبقيت في قبضة أعدائها .

وان كانت الوحدة ومفهومها ومضمونها وقواتها قد احتلت جانبا كبيرا من الاهتمام ، فقد لقي المسار الى الاسلوب الذي يمكن أن تتحقق به الوحدة عناية هامة بدورها .

« فالوحدة لا تتحقق بمجرد اصطلاح اشكال دستورية واعلان قوانين توحيدية ، وانما الوحدة

[٥] لطفى الخولي - العدد ٢ \ ١٩٧٧ ص ٧

[٦] لطفى الخولي - العدد ٢ \ ١٩٧٧ ص ٧

[٧] لطفى الخولي - العدد ٢ \ ١٩٧٧ ص ٧

[٨] لطفى الخولي - العدد ٢ \ ١٩٧٧ ص ٧

ترتبط أصابها بمدى التحولات الاجتماعية للبلد المطالب بالوحدة ، بمدى تحقيق الوحدة الوطنية له ، وبقدر بعده عن هذا أو ذاك ، بقدر ما يتقدم قضية الوحدة ، (٩) .

كما نجد وجهة نظر تركز على أن « أظهر أثر للاشتراكية في الوحدة أنها حددت نهائيا اسنوب تحقيق الوحدة وإنهاء التجزئة » ، إذ أصبح مفهوما أن الوحدة العربية التي ستتم ستكون أطوارا سياسيا للتحول الاشتراكي ، أو مزيد من بناء الاشتراكية وبهذا أصبحت مجرد الوحدة السياسية في ظل الاستعمار كما يحاولون في الجنوب العربي ، أو في ظل الرجعية كما يتمنى بعضهم ، مرفوضة . كما أصبحت الوحدة التي تكلم بين حكومات رجعية بقصد صنع حاجز رجعي ضد للد الاشتراكي مرفوضة أيضا ، لأن الوحدة والاشتراكية ملتصقان . ولما كانت الاشتراكية قضية الجماهير فقد أصبحت الوحدة أيضا قضية الجماهير وأصبحت الجماهير العاملة في الشعب العربي هي صاحبة المستقبل الوحدوي الاشتراكي وأداة تحقيقه . وكما أنه لم يعد مقبولا - نتيجة لهذا الالتصاق بين الوحدة والاشتراكية - أن يتستر البعض بالاشتراكية لتدعيم التجزئة ، لم يعد مقبولا أيضا أن يتستر البعض الآخر بالوحدة لمحاربة الاشتراكية ، (١٠) .

ثانيا - المزيد من الالتزام بالطريق الثوري .. طريق الخروج من النكسة :

١ - وأن كانت هذه الخطوط المبدئية المرضية قد حكمت نظرة الخلافات لجوهر القضايا العربية ، فقد كانت النكسة وما صاحبها من معاناة مدنية ووجد أنها عاشتها الطلائع الثورية في جميع أرجاء الوطن العربي برفقة انصهرت فيها هذه الخطوط المدنية وازدادت تعجدا .

لأن كانت هناك آراء تحدت قبيل النكسة أن « الجبراح على الأرض العربية قد دخل مرحلة لم يتيسر معها بدون العلاج الحاسم حلاللتناقض الذي يستلزم قوى الثورة في جبهة » ، ولما أها المضادة في جبهة أخرى (١١) ، فإن « القوى المضادة للثورة والتي زاد حجمها بعد فترات

ويلو كانت أكثر ادراكا لصلابة الأرض التي اختارتها الثورة العربية ميدانا لنضالها » (١٢) . وأن « قوى الثورة العربية صارت مطالبة بأن هي حقيقة أن التناقضات القائمة فيما بينها يجب ألا تؤدي إلى طمس التناقضات الأساسية القائمة في الوطن العربي بين معسكرين متعارضين ، ومن ثم فإن وحدة الهدف أساس لازم ونقطة بدء لا بد منها لتحقيق الوحدة المستورية بين البلدان العربية » . ويحوى أن وحدة الهدف إنما يتطلب تحقيقها بناء وحدة متناظرة بين القوى الثورية ، هذه القوى التي ألقت عليها التطورات الجديدة صبة قيادة النضال الوطني التحريري وتعميق الطريق السدي شقته الثورة العربية بمضمونها الجديد » (١٣) .

تقول أن كانت هذه الآراء تعدد هذا الفهم في مرحلة ما قبل النكسة ، فهي تواصله فيما بعدها ، مؤكدة أن العلاقة بين وحدة القوى الثورية والتحالف الوطني « تفرض طرح عدد من المسائل التي قد يبدو من الوهلة الأولى أنها من باب المسلمات :

أولا : أن تطور الثورة العربية وديناميكتها التي بلغت طلائعها مشارف التحول الاجتماعي نحو الاشتراكية لا تجعل في نضالها ضد الاستعمار - شأنها في ذلك شأن كل حركة ثورية - الانتكاس إلى منتصف الحلول : فإما السير قداما إلى الأمام - مع تصحيح العوامل التي انتقصت من فعاليتها ، ولما التمرض لفقدان مكاسبها والانتكاس بالوضع انتكاسا خطيرا .

ثانيا : أن أسباب النكسة لا يمكن البحث عنها في التهاج الثورة الوطنية طريق الاشتراكية وإنما في «نواقص التي شابت ممارسة هذا الطريق نحو الاشتراكية » والواقع أن مكاسب النضال العربي نحو الاشتراكية هي الثمن رأس مال أحرزته في المعركة المروية والوفيلة ضد الاستعمار ، وهي المكاسب التي يستهدف الاستعمار الآن صلبها بكل ما أوتي من قوة ، وهي الدعامة التي تكفل تبينة قوى الثورة العربية على اتساع العالم العربي كله ، واحتمالات العمل العربي الموحد رهن بتأكيد هذا الاتجاه لا يوضح العمل العربي الموحد كجديل له (١٤) .

[٩] مصطفى طيبة - العدد ١ / ١٩٦٦ ص ٤٧
[١٠] د. عصمت سيف الدولة - العدد ٢ / ١٩٦٦ ص ٦٧
[١١] م. طيبة - العدد ٣ / ١٩٦٧ ص ٢٢
[١٢] م. طيبة - العدد ٤ / ١٩٦٧ ص ٢٢
[١٣] م. طيبة - العدد ٥ / ١٩٦٧ ص ٢٢
[١٤] الاشتراكية العدد ٨ / ١٩٦٧ ص ٥٤

٢ - وتركز «الطليعة» على الجانب الاجتماعي للثورة العربية وأهمية دعم التضحية به في خضم التطلع إلى وحدة عربية موحدة في مواجهة النكسة وإثارتها فنقول : «في هذه الحركة الحاسمة يتوقف على تأكيد منجزات الثورة الاجتماعية وإكسابها أبعاداً شعبية أعمق وإزالة عوامل التشنج ومظاهر التماهي على الجماهير والابتعاد عنها - على هذه العناصر تتوقف التهيئة الشاملة للجماهير العربية، ويقتد لنجاحها بجرأة وإقدام تتحقق الشروط اللازمة لتوحيد العمل العربي على أوسع نطاق بما يكفل الانتصار الحاسم في نهاية المطاف » (١٥) .

ولعل من أدق ما انتهت إليه الطليعة من تحديد لواجبات القوى الثورية في مرحلة ما بعد النكسة - وهو في الواقع تأكيد موقف مبني سابق ومستمر - هو ما ذكرته من أنه «مهما يكن من أمر، فإن تصفية العدوان وآثاره قد أصبحت المشكلة الرئيسية للثورة العربية، لذلك لا بد من تحقيق أوسع جبهة عربية لمواجهة العدوان، ولكن هذه الجبهة لا تقيد حق الدول القومية في التعاون على برنامج أممي» (١٦) .

هكذا تناولت المقالات التي نشرت بالطليعة قضية العمل العربي بين الواقع والضرورة، وهكذا حاولت أن تضع يدها على ما قد يحمله الواقع العربي المتطور المشحون بالتيارات من امكانيات لجانب هذه القوة، أو تلك إلى موقف - مهما قصر مداه - لصالح القضية العامة لإزالة آثار العدوان دون أن تفقد الاتجاه أو الإدراك الواضح لمتطلبات التطور الثوري الشامل والجذري لحركة التحرر العربي في طورها الحديث تقول الطليعة : «وليس من شك أن كل العرب المعادين للامبريالية والصهيونية يرحبون بكل جهد يبذل في سبيل دعم وتنسيق العمل المشترك على الجبهة الشرقية بكل ما يكفل ردع إسرائيل والتجمل بهن صفها، وسوف تدعم قوى الثورة العربية كل خطوة في هذا الاتجاه» غير أننا سندع للجهد المبذولة على مستوى الدول العربية تخفى في طريقها المصير وسنلتفت - وتركيز أكبر - إلى قضية وحدة العمل بين فصائل الثورة العربية على المستوى الشعبي إيماناً منا بأن القضايا الكبرى إنما تحسم في نهاية الأمر بقدر ما تتحرك القوى الوطنية والشعبية من أجل حسمها،

ولإيماننا من ناحية أخرى بأن هذه القوى الشعبية والوطنية هي التي تستطيع أن تهيمه المناخ الصالح لكل حركة على مستوى الدول والحكومات العربية (١٧) .

٣ - وتطور «الطليعة» نظرتها للسواجبات الرئيسية المعلقة على عاتق قوى الثورة والوحدة في الظروف الخطيرة الراهنة على هذا النحو :

مهمة أولى : دعم الثقة بين القيادات الوطنية التقدمية في كل بلد عربي وبين الجماهير، فهذه الثقة هي التي تسهل على القيادة في كل بلد عربي حرية الحركة، وتمسدها في كل المواقف، وإن كانت من أن تتجاوز الالتزامات الحادة - وغنى عن الذكر أن هذه الثقة إنما تتطلب اتخاذ إجراءات اقتصادية واجتماعية تضمن توزيع اعباء الحرب على الطبقات المختلفة، وتضمن تطبيق شعار المساواة في التضحية .

مهمة ثانية : هي التلاحم والتقارب بين قوى الثورة العربية خصوصاً بين كل القوى التي ترفع شعارات الاشتراكية والتقدم الاجتماعي - إن هذه القوى مدعوة إلى عمل ثوري منسق ومتكامل يتجاوز المساسيات، ويدفع إلى الوراء التناقضات والخلافات الثانوية لمصلحة معركة التحرير، ويغلب عوامل الوحدة بين قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والجنود (١٨) .

كما تحدد أن «النصر النهائي يتطلب مزيداً من العمل لا في جبهة واحدة بل على جبهات متعددة . إن الدور التحريري للجيش النظامية لا بد وأن يمتد إلى جبهة وطنية متحدة في كل بلد عربي، وكفاح الشعب الفلسطيني لكي يحرز النصر لا بد أن يكون جزءاً من كفاح الأمة العربية كلها في مواجهة الاستعمار والصهيونية» وإذا كانت وحدة وتراس كل القوى الوطنية ووقوفها كتفا إلى كتف من السبيل الوحيد لصد وتحطيم أسلحة العدوان في مواجهة كل بلد عربي، فإن تحقيق وحدة القوى الوطنية على الصعيد العربي هي سبيلنا الوحيد لتحرير كل الأرض العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني (١٩) .

٤ - وهكذا تركن الطليعة في تناولها للقضايا العربية العامة بعد النكسة على أن الطريق الوحيد لإزالة آثار العدوان ولخوض معركة جادة وحقيقية

- (١٥) الانتفاضة العدد ٨ \ ١٩٦٧ ص ٥٥
(١٦) «كراسة الطليعة : انكسار النكسة» ١٩٦٧
(١٧) الانتفاضة - العدد ٧ \ ١٩٧٠
(١٨) الانتفاضة العدد ٨ \ ١٩٧٠ ص ١٠
(١٩) الانتفاضة العدد ٨ \ ١٩٧٧ ص ١١

قراءة واقعية لنصوص دامية

نصوص اتفاقيتي القاهرة وعمان

والذكرات الملتصقة بها

بشأن المقاومة الفلسطينية

تقدم « الطلبة » في هذا العدد نصوص اتفاقيتي القاهرة وعمان والذكرات الملحقة بها . وتشعر « الطلبة » أن لتسليم هذه النصوص أهمية خاصة ، تنفسح أكثر فأكثر بالنظر إلى الخطر الذي تتعرض له المقاومة في الأردن ، خطر التصفية والإبادة على يدي النظام الأردني الذي يقوده الملك حسين .

إن موضوع هذه الاتفاقيات والذكرات الملحقة يكثف ببساطة - بل وبكيفية لا يمكن فيها للبلبلات والتفاعلات - حقيقة العلاقة التي قامت على الأردن ، بين المقاومة الفلسطينية وبين النظام الأردني ، وبعبارة أخرى بين فصيلة مقاتلة من فصائل حركة التحرر الوطني العربية وبين نظام يسند ويوجه الاستعمار الجديد ، خاصة الامبريالية الأمريكية .

ولسنا نريد في هذه المقدمة أن نصادر على المطلوب أوائها نلزمنا قراءة هادئة . ففي ٢٧ سبتمبر ١٩٧١ وبعد قتال ضار يرض على المقاومة ، مات فيه وقتل الآلاف من المقاتلين الفلسطينيين وأينساء شعب فلسطين والأردن ، في ذلك التاريخ وقع الملك حسين على اتفاقية القاهرة جنباً إلى جنب مع ملوك ورؤساء العرب . وفي هذا الاتفاق تمهد الملك حسين :

« بدعم الثورة الفلسطينية والوقوف معها حتى تحقق أهدافها في التحرير الكامل ودمج العدوان الإسرائيلي الفاسد » ، وبما يتطلبه هذا من استمرار نشاط العمل الفدائي .

وبسبباً لتنفيذ هذه الاتفاقية اتفق الملوك والرؤساء العرب على تكوين « اللجنة العربية العليا للمقاومة » لتشرف على تنفيذ هذه الاتفاقية . وفي ١٣ أكتوبر ١٩٧٠ وضع الملك حسين توقيعاً مرة أخرى على « اتفاقية عمان » ، هذه الاتفاقية التي تقرأ فيها :

- « أن العدو يعد المخططات الرهيبة لتدمير الأردن كقاعدة للصمود والتحرير »
- و « أن الأردن هو القاعدة الأساسية للثورة الفلسطينية والتضامن من أجل تحرير فلسطين » .

• و « انه لابد وان تستقر الطاقات الشعبية والعسكرية في الاردن لهذفة تقصير فلسطين » .

• وان الوجود والتنمية والتنظيم الشعبي والقضالي وحرية العمل والتنظيم السياسي والعسكري والاعلامى والمالى من الامور الاساسية للثورة الفلسطينية وتمارسها بحرية » .

وفى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٠ باشرت اللجنة العسكرية العليا المتفرعة من « اللجنة العربية العليا للمتابعة » الى وضع بروتوكول ، ينظم تنظيميا دقيقا العلاقات بين السلطة الاردنية وبين المقاومة الفلسطينية . بل لقد اهتم هذا البروتوكول بتحديد تفصيلات كثيرة : تبدأ من تحديد اماكن وقواعد قوات الثورة الفلسطينية ولا تغفل في الوقت نفسه قضية ثانوية مثل قضية تحديد عدد افراد الحراسيات التي توضع على جميع قيسادات ومكاتب جيش التحرير الفلسطيني . بل ان البروتوكول لم يهمل تحديد نوع السلاح الذي يصرح لاعضاء اللجنة المركزية لمنظمة التحرير بان يحملوه (المسدس او البندقية الكلاشينكوف) !

وعلى الرغم من هذا فقد بدا واضحا ان النظام الاردنى يوقع على الاتفاقيات بيد ويضرب المقاومة باليد الاخرى ، يتظاهر بالالتزام بما تقتضيه به اللجنة العربية العليا للمتابعة ، ثم ينسف - وفقا لمخطط موضوع - كل نصوص الاتفاقيات والبروتوكولات . وهكذا فانه في ظل قيام اللجنة العربية العليا حدثت - على سبيل المثال - المخالفات الصارخة التالية :

① احتلت القوات المسلحة الاردنية مواقع كثيرة لم تكن قد سيطرت عليها ، او استطاعت الوصول اليها اثناء معارك سبتمبر ١٩٧٠ .

② قامت القوات الملكية بتوسيع الصدام مع الفدائيين وفي ذلك وقعت الجسازن الاخيرة : مجازر جرش والهبلان والبقة والمفرق واريد . اضطرت كثيرا من الفلسطينيين الى التوجه اسرى في ايدي الاسرائيليين

③ جمعت اسلحة الميشينا ، وبعد ان تم جمعها ، خطا النظام الاردنى خطوة اخرى فطلب سحب السلاح كلية من عمان . وكل هذا لاتتضمن الاتفاقيات والبروتوكولات ، وكل هذا مخالف لما كل المخالفة .

اما قيادة الثورة الفلسطينية فقد كان يحركها باستمرار مبدأ اساسيا ، هو تصادى الصدامات المسلحة الواسعة مع الجيش الاردنى . وفي سبيل هذا المبدأ قدمت من موقع الاصرار بالمسؤولية التاريخية تنازلات متتالية ، رغم مخالفتها لكل الاتفاقيات ، منها - على سبيل المثال - سكوتها عن دخول الجيش الاردنى عمان وقيامه بنقيشها شبرا شبرا وبيتا بيتا .

هنا نصل الى نتيجة صاعقة ، وهى انه بينما استهدفت الاتفاقيات والبروتوكولات - في الاساس - حماية العمل الفدائي وضمان استمراره على ارض الاردن ، وجد النظام الاردنى الفرصة مسالحة لطبق باعصاب باردة تكتيكا خبيثا ، متعدد الجوانب :

• جانب منه : تحفيز الراى العام العربى بالحديث عن مساعدة المقاومة والالتزام بالاتفاقيات .

• جانب ثان منه : تصعير العلاقات بين الفلسطينيين والاردنيين .

• جانب ثالث هو التسلل من طريق « الشعبية الخاصة » التى انشأها الملك الى صفوف المقاومة لتقوم بدورها في تفجير الخلافات بين المقاومة وبين الشعب الاردنى وبين منظمات المقاومة بعضها وبعض .

واذا كان قد قيل في الامثال « لا يدع المؤمن من جمر مرتين » ، ومعناه انه يجب الا يصبح الانسان لنفسه بان يخدع مرتان ، فان الثالث وفقا لى استقراء موشومى يهدى - انه منذ فبراير ١٩٦٨ وجندت خطة رجعية اردنية واستثمارية امريكية لتصفية المقاومة ، والاجهاز على الفئحل الفدائى ؟ .

وهذه الخطة « ابرع » ما فيها انها تعمل حسب الراى العام العربى فلا تمارسه بصراحة ، بل تلفت حوله وتحاول ان تستويمه بمخدة كافة المواقف التى توهم التسعوب العربية بانه لازال هناك اهل في ان ياخذ النظام الاردنى القائم مكانه في خط المواجهة ضد العدوان الصهيونى والاحتلال الاسرائيلى .

والسؤال بهذا هذا هل انكشفت خدمة النظام الأردني الى الإيداع ، لم انه لا تزال ثمة
آمال اشبه بالسراب ، بل هي السراب يمينه في أن يساعد الملك حسين العمل الفدائي ؟
ان الإجابة على هذا السؤال يجب الا تكون شكلية بحال من الأحوال ، وذلك اذا اردنا
ان نقف مع الثورة الفلسطينية ومع المقاومة .. وربما يحسن ان نستمع الى المقاومة وهي
تقول في مخزنتها الى الملوك والرؤساء العرب :
« **واليوم** ... نحن نشعر بصق وشرر اتساقف وحدا » .
ان هذه العبارة الدامية والمريرة تلخص كل المجازر القتالية والمستترة وكل المخطط
الموضوع لضرب العمل الفدائي .
ومن هنا تنبع بالذمة المسئولية المعالجة للشعوب العربية تجاه المقاومة .. بمسئولية
المشاركة الحقيقية والتواجد الفعلي في صف المقاومة »

« **الطبيعة** »



① نص اتفاقية القاهرة بتاريخ ١٩٧٠/٩/٢٨

ب - مكتب مدني يعنى
بالشئون المدنية التي تهم
العلاقات الاخرى غير العسكرية
بين الطرفين .

ج - مكتب الاغاثية والاسعافات
.. ويتسولى الاشراف على
توزيع المؤن .. والمساعدات التي
تصل اليه من طريق الدول
العربية وغيرها على الضحايا
والمصابين والمحتاجين

ثانيا - تقوم اللجنة العليا
للمتابفة باعداد وإبرام اتفاقية
ملزمة للطرفين تضمن استمرار
النشاط والعمل الفدائي واحترام
سيادة البلاد في حدود القانون
فيما عدا قانون الاستثناءات
اللزمية للعمل الفدائي
تاسعا - القرارات التي
تتخذها اللجنة العليا للمتابفة
تنفذها لهذه الاتفاقية تكون ملزمة
الزما نهائيا لكل من الطرفين

عاشرا - تمارس اللجنة العليا
للمتابفة مسئوليتها المشار اليها
على أن ترفع تقارير عنها الى
الملوك والرؤساء العرب حول ما
تقوم به من مهام وما تتخذ من
قرارات وعلى مدى سير هذه
الاتفاقية وتفيد الاطراف المعنية
بها .

حادي عشر - تتألف اللجنة
العليا برئاسة السيد الباهي
الأدوم رئيس وزراء جمهورية

ثالثا - فيما يتعلق بمدينة اريد
وغيرها من المدن تعود الأوضاع
العسكرية والمدنية الى ما كانت
عليه قبل الحوادث الاخيرة .

رابعا - تتحمل سلطات الامن
الداخلي حفظ الامن تحت اشراف
الادارة المدنية .

خامسا - اطلاق سراح جميع
المعتقلين لدى الجانبين فوراً .

سادسا - تكوين لجنة عليا
لمتابعة تطبيق هذه الاتفاقية
الاساسية مع ما قد ينبثق عنها
من اتفاقات فرعية مع ممارسة
تنسيق العمل والعلاقات بين كل
من السلطة الأردنية والمقاومة
الفلسطينية حتى يمتتب الامن
وترجع الامور الى حالتها
الطبيعية ، كما ان لهذه اللجنة
الحق ومسئولية الايصاء باتخاذ
ما تراه من تدابير عملية
واجرائية كافية بما يحقق عودة
الوفاق بين الاطراف المتنية
وعودة الحياة الى حالتها
الطبيعية .

سائبا - تكون للجنة المتابعة
العليا ثلاثة مكاتب فرعية تابعة
لها تاتمر بلمرها على النحو
التالى :

١ - مكتب عسكري يمارس
جميع الشؤون العسكرية لتنفيذ
هذه الاتفاقية .

وصولا الى حقن الدماء
العربية نتيجة لما حدث في المملكة
الأردنية الهاشمية خلال عشرة
الايام السابقة لهذا الاتفاق .
وصونا لامن وسلامة الامة
العربية لا تعرض له من مؤامرة
استعمارية وتحقيقا للاستقرار في
الأردن الشقيق الذي يتعرض
للمنزق والالام .

تم الاتفاق القائم هذا اليوم
السادس والعشرين من
رجل ١٩٧٠ هجرية والمرافق
للسابع والعشرين من شهر
أيلول ١٩٧٠ بين المجتمعين في
مؤتمر الملوك والرؤساء العرب
على ما يلي :

اولا - لنهاء حالة العمليات
العسكرية من جانب القوات
المسلحة الأردنية وقوات المقاومة
الفلسطينية مع انهاء كافة
التحركات العسكرية التي لا
تحمها مقتضيات النشاط المعتاد
وايقاف كافة الحملات الاعلامية
التي تتنافى مع أعراض هذا
الاتفاق .

ثانيا - المسحب السريع لكافة
القوات الأردنية من عمان
وارجاعها الى قواعدا الطبيعية
مع سحب جميع القوات الفدائية
من صمان ومركزتها في أماكن
تلائم العمل الفدائي .

توشع وعضوية آخرين أحدهما يمثل السلطة الأردنية يعينه الملك حسين والثاني يمثل المقاومة ويعينه السيد ياسر عرفات والجلية العليا أن تصمتين بمن تراهم *

ثاني عشر - تهئية الجو المناسب لتنفيذ هذه الاتفاقية بما يجعل الوصول الى ما رمت اليه من اهداف سامية ممكنا وشرعا يلزم الطرفان بموجبه بإنهاء كافة الاوضاع الاستثنائية والحكم العسكري *

ثالث عشر - في حالة اخلال أي من الطرفين الأردني والمقاومة الفلسطينية بأي بند من بنود هذه الاتفاقية أو عرقلة تنفيذ مستقوم كل الدول العربية الموقعة باتخاذ اجراءات موحدة وجهامية ضده *

رابع عشر - دعم الثورة الفلسطينية والوقوف معها حتى تحقق اهدافها في التحرير الكامل وحصر العدوان الاسرائيلي الفاصب *

القاهرة في ٢٨-٩-١٩٧٠

وقع الاتفاق كل من الملك فيصل والامير صباح السلام الصباح والرئيس جمال عبد الناصر والسيد ياسر عرفات والعقيد معصر القذافي واللواء جعفر تمري والملا حسين بن طلال والسيد الياهي الاسفم رئيس وزراء تونس والرئيس سليمان فرنجية والسيد احمد الشماشي عضو المجلس الجمهوري اليمني *

٢) نص اتفاقية عمان بتاريخ ١٣/١٠/١٩٧٠

* وأيقنا أننا بأن الشعب الأردني متمسك بوحدته مخلص لقضيته ، خائف من الشقاق والفرقة ومستلكر لأي مظهر من مظاهر الصدام المسلح بين القوات الأردنية المسلحة وقوات الثورة الفلسطينية *

وأجماها منا على هدف تحرير فلسطين الذي يجب أن تلتقى عنده كافة الجهود وجميع الاطراف المعنية في صف واحد يرفع بأهماره نص الوطن السليب من وراء النهر الخالد *

ويقينا أننا بأن احترام الاشقاء انما يفيد منه الصن الصهيوني والاميرياني الذي يعد المخططات الرهيبة لتدمير الأردن كتاعة للصود والتحرير ، وأن هناك من رجال هذا العدو وعلائه من يقتل الاصداق ويعمل على استمرار الفتنة العمياء *

واعتقادا منا بأن التصام القوات المسلحة وقوات الثورة الفلسطينية أمام العدو الصهيوني كليل وحده بتحقيق النصر كما حدث في الكرامة حيث استرحت بعض الكرامة من خلال لثوة السلاح واختلاط بهم الشهداء في المعركة *

وتعزيزا لاسباب الوحدة الوطنية ، * وتنفيذا للبادرة الصود وتضيد الجراح بروج من الصافي والمصالحة الوطنية * وتنفيذا للمادة الثامنة والثانية عشرة من اتفاقية القاهرة التي وقعتها الملوك والرؤساء المبرر في ٢٧-٩-١٩٧٠ ، والتي ما زالت سارية المفعول بالإضافة الى الاتفاقية المنقطة عنها المتلفة بالانصاف والمؤرخة بمان في ١٠-١-١٩٧٠ ، والرفقة مع هذه الاتفاقية والمعتبرة من ملحقاتها فقد تم الاتفاق على ما يلي :

أولا - قواعد عامة :

١- الأردن يصفقيه ارضا وشعبا وحدة واحدة لا تتجزأ ، وهي القاعدة الاساسية للثورة الفلسطينية وللنضال من أجل تحرير فلسطين *

٢- تأميمها على ما جاء في الفقرة (١) أعلاه ومن أجل تحقيق مضمونها تصغر الطاقات الشعبية والمصرية في الأردن لخدمة هدف تحرير فلسطين ولتقوم الحكومة الأردنية بمساعدة الثورة في المعركة من أجل التحرير وانتزاع الحق من يد العدو الفاصب واتخاذ كل ما

من شأنه تمكين التضامن بين الجيش العربي الأردني والثورة الفلسطينية ليصبغا قولا وفعل في خندق واحد ضد العدو الصهيوني ولتحقيق هدف التحرير *

٣ - الوجود والتمتية والتنظيم الشعبي والقتالي وحرية النسل والتنقل السياسي والعسكري والاعلامي والمالي من الامور الاساسية للثورة الفلسطينية وتأمينها بحرية *

٤ - الشعب الفلسطيني وحده متمثلا في الثورة الفلسطينية هو صاحب الحق في تقرير مصيره *

٥ - أن الثورة الفلسطينية هي قوة تضالوية وهي من المستزمات الاساسية للمعركة ضد العدوان التام في التحرير ولهذا ينبغي تعضيدها وتصميمها *

٦ - تصمد الحكومة بألا يقوم او يعمل أي جهاز او تنظيم أو أية جهة في الأردن ضد مصلحة الثورة الفلسطينية والوحدة الوطنية *

٧ - تعميق الوحدة الشعبية والوطنية بمعاملة المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين كل أبناء الشعب في كافة ميادين الحياة ومؤسسات الدولة

الدنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية بدون أى نوع من أنواع التمييز .

ثانياً - شؤون العمل الفدائي :

١ - تعتبر عمان المقر الرئيسي للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بجميع فروعها السياسية والعسكرية والإعلامية والاجتماعية وغيرها .

٢ - تنشئ اللجنة المركزية مكاتب فرعية لها في مدن وقرى المملكة حسب ما تراه ذلك مناسبا .

٣ - تؤمن اللجنة المركزية الحراسات اللازمة لمكاتبها في العاصمة والأماكن الأخرى كما تؤمن الأمن للقائمين .

٤ - تتكون قوات الثورة الفلسطينية من كتوات جيش التحرير الفلسطيني وقوات الفدائيين وتتولى القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية المعنية من قبل اللجنة المركزية مسئولية هذه القوات باجمعها .

٥ - اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية مسي السيطرة والمتلزمة والمسؤولة عن الثورة الفلسطينية سياسيا وعسكريا وفي كل الميادين الأخرى . ويجري الاتصال من قبل الحكومة الأردنية مع اللجنة المركزية في كل ما يتعلق بشؤون العمل الفدائي ونشاطه وحقوقه وواجباته .

٦ - ما تلتزم به اللجنة المركزية نحو الحكومة الأردنية يكون ملزما للثورة الفلسطينية بكافة قواتها ومؤسساتها وما تلتزم به الحكومة نحو اللجنة المركزية يكون ملزما لكافة أجهزة الدولة .

٧ - حرية وحماية العمل الفدائي وتأمين سلامته وحقوقه في التبعة الشعبية والوطنية تضمنه الحكومة الأردنية بما لا يمس سيادة البلاد في حدود القانون مع مراعاة الاستثناءات اللازمة للعمل الفدائي .

٨ - يجوز توجيه أجهزة التبعة الشعبية والإعلام لأخمة هدف التحرير المشترك .

٩ - تعتبر المؤسسات التالية مؤسسات ورئيسية للجنة المركزية وتمارس عملها بحرية تامة :
أ - مؤسسة الهلال الأحمر الفلسطيني .

ب - مؤسسة الميليشيا وتتولى القيادة العامة للثورة الفلسطينية المعنية من قبل اللجنة المركزية ومسئولية هذه المؤسسة وكل شؤون الضبط والربط الخاصة بها ويلتزم أفراد الميليشيا بأحكام البنود (أ) و (ب) و (جـ) من المادة ٢ - من الفصل الرابع لنهائ .

ج - مؤسسة القوة والاشبال وتتولى القيادة العامة للثورة الفلسطينية المعنية من قبل اللجنة المركزية مسئولية هذه المؤسسة وكل شؤون الضبط والربط بها . ويلتزم أفراد القوة والاشبال بأحكام البنود (ب) و (جـ) من المادة ٢ - من الفصل الرابع لنهائ .

د - مؤسسة رعاية امي المجاهدين والشهداء .
هـ - جريدة وإذاعة فتح .
و - الخدمات الطبية لقوات الثورة الفلسطينية .

٣ - المؤسسات الانتاجية الخاصة للثورة الفلسطينية .

ج - مؤسسة الدراسات والبحث العلمي .

ثالثا - مواقع وقواعد قوات الثورة الفلسطينية :

١ - القيادات :
أ - القيادة العامة وفروعها الرئيسية ومركزها عمان .
٢ - القيادات الفرعية وتتكون من :

١ - القطاع الشمالي ومركز قيادته للشؤون الادارية والعامة - اريد .

٢ - القطاع الاوسط ومركز قيادته للشؤون الادارية والعامة - السلط .

٣ - القطاع الجنوبي ومركز قيادته للشؤون الادارية والعامة - الكرك والطقة .

٤ - قطاع عجلون ومركز قيادته للشؤون الادارية والعامة - جرش .

٥ - قطاع الارض المحتلة ومركز قيادته في عمان ومراكز القيادات الفرعية .

٦ - انضباط الكفاح المسلح الفلسطيني في عمان وفروعها في كافة أماكن تواجد قوات الثورة الفلسطينية .

٢ - المواقع والقواعد الشعبية : وتتواجد المواقع والقواعد الشعبية في المناطق الواقعة قرب الخط المتحد من الحدود السورية شمالا الى الرمثا والطريق العام الرئيسي الموصل الى جرش - صويلح - السلط الى ماذيا فالتريق العام من ماذيا الى الكرك - الطفيلة - الشوبك وادي موسى على أن تكون الورك والقواعد بعيدة عن الخط مسافة لا تقل عن كيلو مترين .

٣ - القواعد التخريبية والتخريبية تتواجد في المنطقة قرب الخط الومسي ابتداء من الحدود السورية شمالا الى الحرق ثم الطريق العام - الحرق - الزرقا - عمان - مثلث الطريق الصمراوي - ماذيا - ثم الطريق الصمراوي وحتى عمان ويتم تحديد مواقع التدريب والتخزين فيما بعد ضمن هذه المنطقة بالاتفاق فيما بين القيادة العامة للثورة والمكتب العسكري العربي .

٤ - يراعى في اختيار أماكن القواعد التخريبية والادارية والتخريبية البعد عن المدن والقرى المأهولة .

٥ - التفتلات والحركات : تؤمن حرية التنقل والتحرك لقوات الثورة على كافة الطرق الرئيسية والفرعية الى كافة قيادات ومواقع وقواعد الثورة الفلسطينية بما في ذلك الطرق المؤدية الى داخل وخارج البلدة

ولا يجوز اقامة الحواجز والموانع من كلا الطرفين على مسدد الطرق .

● حرية التنقل ضمن القواعد من وإلى المناطق المحتلة .

● يسمح بمرور قوات الثورة الفلسطينية داخل المدن والقرى سواء كانت مسلحة أو غير مسلحة . على أن يكون لديها أمر مهمة موقع حسب الأصول من المرجع المختص لدى قيادة الثورة مع الالتزام بقواعد السير المقررة .

● يسمح للمجازين بارتداء اللباس العسكري أثناء تنقلهم على أن يتم القتل بدون سلاح ويستثنى من ذلك القيادة السياسيون والعسكريون إذ يجوز لهم حمل الأسلحة الفردية بانفسن خطى من القيادة العامة للثورة الفلسطينية .

٦ - العمليات والغريب :

● تقدم كافة التسهيلات والدعم العسكري من قبل القوات المسلحة الأردنية إلى قوات الثورة أثناء تحركها للقيام بعمليات في الأرض المحتلة أو حوثتها منها .

● تمنع الرماية من خط المواجهة في الضفة الشرقية لنهر الأردن إلا في حالة امتداد العمليات .

٧ - انضباط الكفاح المسلح الفلسطيني :

● انضباط الكفاح المسلح الفلسطيني هو المسئول من ملاحظة المخالفات المسبكية والانضباطية لقوات الثورة الفلسطينية .

● تتواجد مفارز من انضباط الكفاح المسلح حيث تتواجد مراكز تفتيش الشرطة العسكرية أو الأمن العام وتقتصر واجبات الكفاح المسلح في أفراد وقوات الثورة الفلسطينية .

وأيضا - تنظيم العلاقة بين العمل الفدائي والقوة :

١ - تلزم الحكومة الأردنية بمراعاة ما يلي :

أ - عدم التعرض لافراد قوات الثورة الفلسطينية أو التدخل في شؤونهم من قبل أية سلطة وتمت أي ظرف إلا عن طريق قيادتهم .

ب - اعتماد الاذن والوثائق الصادرة عن اللجنة المركزية والقيادات العسكرية واجهزتها .

ج - المخالفات العسكرية والانضباطية بيت فيها من قبل قيادة الثورة الفلسطينية ويخضع أفراد الفدائيين فيما عدا ذلك إلى المحاكم الأردنية المختصة .

د - تقوم مديرية الأمن العام بتبليغ قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني لدى توقيف أي فدائي من جراء ارتكاب جريمة من الجرائم الداخلة في اختصاص المحاكم المدنية والجزائية والنظامية .

هـ - في الجرائم التي لها مساس بالقوات المسلحة الأردنية يجري تحقيق مشترك من قبل الطرفين ويحال المتهم إلى المحكمة ذات الاختصاص .

و - يعامل أفراد قوات الثورة المعاملة للملثقة التي يعامل بها أفراد القوات المسلحة الأردنية ويكون لقوات الثورة الفلسطينية نفس الحقوق والتسهيلات المائدة للقوات المسلحة الأردنية .

٢ - تلزم اللجنة المركزية المنقبة للثورة الفلسطينية بمراعاة ما يلي :

أ - عدم التعرض للمواطنين وممتلكاتهم بأي شكل من الأشكال من قبل أي فرد ينتمي لقوات الثورة الفلسطينية .

ب - عدم التعرض لأي فرد من أفراد القوات المسلحة الأردنية من قبل أي فرد ينتمي إلى قوات الثورة الفلسطينية .

ج - التقيد بالقوانين والأنظمة المعمية مع مراعاة الاستثناءات اللازمة للممل الفدائي .

د - تمنع الجساية من قبل الافراد ويعتمد أسلوب الجساية

الوحدة القرن من اللجنة المركزية :

و - يعمل كل فدائي هوية تثبت شخصيته وتحمل صورته الشخصية على غرار الهوية المتعمدة في جيش التحرير الفلسطيني وفي حالة تحريره تعتبر هذه الهوية وثيقة سفر مقبولة على أن يحمل معه اجازة أو أمر مهمة من مرجعه المختص .

ز - يجري ترتيب كسافة السيارات التابعة لقوات الثورة الفلسطينية من الرجوع المختص في اللجنة المركزية أو القيادة العامة لقوات الثورة ويتربط على كل سائق أن يعمل شهادة قيادة سيارة أما مدنية صادرة عن دائرة السير أو عسكرية صادرة من قيادة الثورة على أن يراعى توحيد علامات السيارات وأماكن تثبيت العلامات على السيارات .

ح - عدم حمل السلاح من قبل كافة أفراد الثورة الفلسطينية في المدن إلا في الحالات الواردة في البند السابق .

ط - عدم القيام بأية تظاهرات عسكرية .

ي - عدم إطلاق الرصاص وإجراء المناورات والتدريب بالخيرة الحية داخل المدن والقرى والأماكن الأهلية بالسكان .

خامسا - أحكام عامة :

بما أن البند الخامس من اتفاقية القاهرة يقضي بإطلاق سراح المعتقلين فوراً فإنه لا يجوز مستقبلأ اعتقال أو توقيف أي فرد بسبب العواطف الأخيرة .

سادسا - اللجان المشتركة الدائمة :

انطلاقا من الرغبة المشتركة في تنفيذ اتفاقية القاهرة نسلد وروحا وهذه الاتفاقية ومن أجل معالجة أية قضية تنشأ تؤلف لجنة مشتركة دائمة تتكون من ممثل من حكومة المملكة الأردنية الهاشمية وممثل عن اللجنة

المركية - المنظمة للتحريرين الفلسطينية ويرأسها رئيس لجنة المتابعة العربية العليا المنتقاة من اجتماع اللوك والرؤساء العرب المنعقد في شهر أيلول سبتمبر ١٩٧٠ بالقاهرة أو ينتخبه وتفرع عنها نفس تركيب اللجنة المشتركة الدائمة .

١ - مكتب سياسي دائم الانعقاد يعنى بكل الشؤون غير العسكرية .

٢ - مكتب عسكري دائم الانعقاد يعنى بجميع الشؤون

العسكرية يتبع له جهاز تنفيذي مكون من عدد كاف من الضباط العرب .

٣ - مكتب اغاثة ويعنى بجميع شؤون اغاثة المواطنين ومساعدة النكبيين في الصوائد الاخيرة .

والله ولي التوفيق

تحريرا بمدينة صان يوم الثلاثاء ١٢ شعبان ١٣٩٠ هـ الموافق ١٢ تشرين الاول أكتوبر ١٩٧٠ .

توقيعات :
جلالة الملك حسين بن طلال - ملك المملكة الأردنية الهاشمية .
السيد ياسر عرفات - رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية .

السيد الهادي الادغم - الوزير الاول للجمهورية التونسية ورئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة .

٣) اللجنة العربية العليا للمتابعة - اللجنة العسكرية العليا

بروتوكول بشأن العمل الفدائي

أريد وبذاتية متنامية لتكون مكتبا في مدينة الزرقاء .

ب - تحديد أماكن المكاتب في المدن بمعرفة اللجنة العربية العليا .

ج - تحديد أماكن المكاتب في المخيمات بمعرفة اللجنة العربية العليا .

ثالثا - الحراصات :

تكون الحراصات على جميع القيادات والمكاتب والوحدات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية كالآتي :

أ - فصيلة من جيش التحرير قوامها ثلاثون فردا .

ب - عشر حفاظ من جيش التحرير تتكون كل حظيرة من ثمانية أفراد .

ويكون بذلك مجمل افراد الحراصات اللازمة مائة وعشرة أفراد .

الضليح :

ج - يكون التسليح لهذه الحراصات تسليحا شخصيا وهو إما المسدس أو البندقية الكلاشنكوف .

رابعا - حراصات القيادات :

تخصص الحراصات للقيادة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية كالآتي :

١ - القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية :

وحرسه الخاص حسب تقدير

السيد ابو صبري .
السيد ابو اياد من اللجنة المركزية

لمنظمة التحرير الفلسطينية .
واتفقوا على ما يلي :

اولا : ١ - ان يكون المقرر الرئيسي للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بجميع فروعها حسب الجدول الملحق بهذا البروتوكول .

ب - ان يكون عدد العمارات المخصصة لمنهج مكاتب وواحد منظمة التحرير الفلسطينية عشر عمارات بعد أعلى .

ج - تخصص عمارتان لجيش التحرير بجميع فروعهم ومكاتبه .

د - تخصص عمارة واحدة كمستشفى لجيش التحرير .

هـ - يختار مكان جديد لمبنى الكفاح المسلح وكذلك مكان جديد لجيش التحرير على ألا يعود لأي من هاتين الهيئتين أو أية هيئة أو مكاتب أو قوات من قبل الفدائيين إلى اعادة احتلال المبتئين القديمين .

ثانيا - مكاتب اللجنة المركزية :

يفتح في كافة مدن المملكة الأردنية الهاشمية مكاتب تابعة للجنة المركزية ، وكذلك في

المخيمات كالآتي :

أ - تخصص عمارة في مدينة

تنفيذا للبنود الثاني والثالث والرابع والسادس من اتفاقية عمان في ٢٢ - ١٠ - ١٩٧٠

تنفيذا للبنود الثاني والثالث والرابع والسادس من اتفاقية عمان وأصلا لتفويض لائحة تنظيم أعمال اللجنة العسكرية العليا وما يتفرع عنها من لجان فقد اجتمع في الساعة التاسعة من صباح يوم الأربعاء الموافق ٢١ - ١٠ - ١٩٧٠ التي اسماها :
العميد احمد عبد الحميد حلي
رئيس اللجنة العسكرية العليا .

اللواء الركن محمد خليل عبد الدائم رئيس هيئة الزركان ،
اللواء الركن زيد بن شاكر

مساعد رئيس هيئة الزركان .
اللواء الركن زهير عمر مطير

مدير الأمن العام .
الزعيم الركن مفدى عبد المصلح مدير العمليات الحربية .

المقدم احمد ميهيدات مساعد مدير الضابورات الصامعة من الحكومة الأردنية .

العميد الركن عبد الرزاق البجعي القائد العام لجيش التحرير .

المعيد الركن سمير الخطيب العقيد احمد عقانة .

العقيد جواد عبد الرحيم المظم نهاد نميرة

القائد العام من حيث عدد الافراد والتسليح

ب - القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني :

يحرسه حرسه الخاص حسب تقديره من حيث عدد الافراد والتسليح

ج - قادة القواط :

يخصص لكل قائد فردان للحراسة

خامسا - العيادات :

القيادة العامة ومقرها الرئيسي في مدينة عمان حسب ما ورد في التشكيل السابق الموضح في الجدول (١) الملحق بهذا

البروتوكول

القيادات الفرعية :

يشكل في كل قطاع من القطاعات العسكرية مركز للقيادة

ومركز تسيير ومستودعات للاعاشة يختار مكانا في اطراف

المدن ليكونا مقرا للورش ومشافى الميمنة ولا يجوز

اطلاقا ان يتواجد مسلحون في هذين المكانين

القواعد :

تحدد مراكز القواعد كما حددت باتفاقية عمان

مراكز القواعد للتدريبية تمتد بعد استطلاع الارض وما يناسب

وينسجم مع تواجد القواعد الفدائية على الا يتجاوز المناطق

الممنوص عنها في اتفاقية عمان

سادسا - الكفاح المسلح :

١ - توزيع الافراد :

يتم توزيع الافراد في الكفاح

السلاح كالآتي :

١ - في عمان :

١ - في قطف التفتيش على مداخل المدينة :

٢ - المدينة الرياضية خمسة افراد

٣ - مثلث صويلح خمسة افراد

٤ - ماركا خمسة افراد

٥ - ام الحيوان خمسة افراد

٦ - في داخل مدينة عمان :

يمدد عدد اربعين فردا للعمل كدوريات داخل المدينة للمحافظة

على الانضباط العمكري

٧ - في جرش :

١ - في داخل مدينة جرش عشرة افراد

٢ - في مخيم سوف خمسة افراد

٣ - في مخيم فزة خمسة افراد

٤ - في مخيم البقعة خمسة افراد

وبذلك يكون جملة الافراد في منطقة جرش خمسة وعشرين

فردا

٥ - في الصلطة :

١ - يتواجد ستة افراد

٢ - في في ؟؟

٣ - يتواجد ستة افراد

٤ - في الزرقاء :

١ - يتواجد في مدينة الرصيفة خمسة افراد

٢ - يتواجد في مخيم شتر خمسة افراد

٣ - يتواجد في مدينة الزرقاء عشرة افراد

وبذلك يكون جملة الافراد في منطقة الزرقاء عشرين فردا

٤ - يتواجد في مدينة اربد خمسة افراد

٥ - في مثلث الرمثا :

يتواجد في مثلث الزمنا خمسة افراد

٨ - في الرمثا :

يتواجد في مدينة الرمثا مبيعة افراد

ب - نظام العمل :

١ - لا يجوز لسيارات الكفاح المبلج ان يركب عليها اية رشاشات

٢ - افراد الكفاح المسلح في مدن جرش والزرقاء واربد والصلط والرصيفة والمخيمات يكونون عبارة عن دوريات

راجلة وليست تقفا ثابتة

سادسا - اللقفل والتحركات :

أ - يسمح لاجزاء اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولجميع ضباطها بحمل سلاحهم الفردي (المسدس)

على ان يكون مع كل منهم ترخيص من قيادة الثورة بحمل هذه

الاسلحة

ب - توزيع السيارات :

أ - تعدد ارقام السيارات العسكرية التابعة لجيش التحرير

من قبل قيادة جيش التحرير وتغطي ارقام خاصة وتعمل

جميع الوثائق الخاصة بملكية هذه السيارات لهذه القوات

وتتقيد بانتظمة السير المعمول بها في المملكة

ب - يحدد لون خاص لهذه السيارات

ج - تعدد ارقام سيارات قوات الثورة الفلسطينية وتغطي

ارقام محدودة وتعمل جميع الوثائق التي تثبت ملكية هذه

السيارات للثورة ، وتتقيد بانتظمة السير المعمول بها

د - تعدد ارقام سيارات قوات الثورة الفلسطينية وتغطي

ارقام محدودة وتعمل جميع الوثائق التي تثبت ملكية هذه

السيارات للثورة ، وتتقيد بانتظمة السير المعمول بها

٤ بيان هام بشأن تنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان في ١٤/١/١٩٧١

وعن اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية الممثلة بـ ابراهيم بكر وابراهيم البرغوثي وحامد ابو سقة وكمال عدوان والعقيد الركن مسير الخطيب والعقيد احمد

اللواء الركن محمد خليل عبد الدايم واللواء للركن الشريف زيد ابن شاكر مساعد ورئيس الاركان للمليات ومفجر الامن العام السيد عبد المجيد الشريدة ومفجر للخباياات العامة الزعيم للركن نجر رشيد

عقد اجتماع بدار السفارة التونسية في عمان بتاريخ ١٢ و ١٣ - ١٩٧١ . وحضر عن الحكومة الاردنية بولس رئيس الوزراء السيد وصفي القل وممثل الحكومة الاردنية السيد رياض المسلح ورئيس الاركان

صفحة (أبو العاصم) والمقدم

نهاد نسبية ..
وحضر الاجتماع السيد احمد
عبد الحميد حلمي رئيس هيئة
الرقابة العربية والسيد محمد
مياحو القاتم بأعمال السفارة
التونسية بعمان ..
وقد تقررا ما يلي :

١ - شكلت لجنة مشتركة
بغرض تحديد قواعد الفدائيين
وقد تم الاتفاق على اختيار هذه
القواعد وحديث وسوف يمسود
اليها الفدائيون فوراً ..
٢ - تصمم اسلحة المقاومة
الموجودة لدى الحكومة الى
المقاومة في ظرف اسبوع ..

٣ - توضع موضع التنفيذ
الغوري تعليمات القائد العام
لل قوات المسلحة ورئيس الاركان
بخصوص معاملة الفدائيين
ومسارقاتهم على نقاط التفقيش
بحيث يعامل الفدائيون كما يعامل
الجيش ويكلف رئيس الاركان ان
يسجد النظر جديداً في نقاط
التفقيش على ضوء الشكاوى
المفكرة من بعض هذه النقاط
وعدها بفيّة تأمين الحصرية
الكاملة لتحرّك العمل الفدائي
ولوائمه على أن يجري التيسير
في مدة اقصاها اسبوع من
تاريخه ، والقضاء ما لا يراه
ضرورياً .

٤ - تسليم مبنى الكفاح
المسلح في منطقة الرمثا فوراً ..
٥ - تعميم ضرب قواعد
الفدائيين ومراكز الجيش مهما
كانت الاسباب ، ومعاقبة المسئول
من أي ضرب لهذه القواعد
والمراكز .

٦ - تكفل حرية التنقل
للفدائيين ، ومسارقاتهم على كافة
الطرق بدون أية عوائق ..
٧ - اعتماد الاوراق الثبوتية
الصادرة من اللجنة المركزية
واحترام هذه الوثائق ..

٨ - استكمال فتح المكاتب
والقواعد المقررة للعمل الفدائي
البيئية في اتفاقية عمان في مدة
اقصاها شهر اعتباراً من اليوم
اعتماد الحكومة أن تسهل هذه
العملية وتضمنها ..

٩ - لراقبة وتسجيل كافة

الممارسات في البند أعلاه يشكل
مكتب ارتباط مؤلف من العقيد
الركن سمير الخطيب من اللجنة
المركزية والعقيد الركن محمد
بشير من القوات المسلحة والعقيد
احمد الروسان من الامن العام .

١٠ - لا يجوز اعتقال أي
فدائي في أي مكان الا في حالة
الجرم المشهود ويبلغ انضباط
الكفاح المسلح فوراً ..

١١ - اطلاق سراح جميع
المعتقلين والمتحجرين باستثناء
مرتكبي الجرائم المادية قبل نهاية
يوم ٢٠-١-١٩٧١

١٢ - وقف الحملات الاعلامية
فورا من كافة أجهزة الاعلام
الصحفية والإذاعية والتلفزيونية
والتصاريح والنشرات الصحفية
للحكومة الاردنية وجميع أجهزة
اعلام اللجنة المركزية حيثما
وجدت .

١٣ - بالنسبة لاسلحة الميليشيا
والمقاومة للشعبية فقد اتفق على
تنفيذ الآتي :

أ - تجمع اسلحة الميليشيا
في بيوت مستقلة مغاتيها من
المستولين الذين تسيتمهم للجنة
المركزية ويكون لها حراسات من
الميليشيا .

ب - تجمع اسلحة المقاومة
الشعبية في المخافر .

ج - تشكل لجنة رباعية
للتأكد من استكمال التجميع
والتقرير بذلك مكونة من ضابط
في هيئة الرقابة ، ضابط من
الفدائيين ، ضابط من الجيش
وضابط من الامن العام .

د - فوراً وخلال ثمان
أربعين ساعة من التقرير يقوم
الامن العام بإشراف اللجنة
الرباعية بالتأكد من خلو الجي
من السلاح غير القانوني .

هـ - مباشرة لانتفاء الثنائي
والأربعين ساعة من التقرير يمد
الامن العام المأمور الى الرلكر
بالاسلحة الغربية .

و - يتواءم مع هذه الخطوات
تخفيف المظاهر العسكرية عن
الحيطة والمخاطر بصورة صالحة
لخلق جو ملائم ..

١٤ - تصمم بيوت اسلحة
الميليشيا المجهزة بالحصانة ولا
يجوز للتعرض لها بأية صورة ولا
الصور الا بمصرقة اللجنة
المركزية .

ج - لا توزع اسلحة الميليشيا
لغرض الاستعمال الا بقرار من
اللجنة المركزية .

ط - يمين ضابط من المقاومة
الشعبية يكون مسئولاً عن ضبط
اسلحة المقاومة الشعبية المجهزة
بالمخفر وعدم توزيعها
واستعمال الا بأمر من القيادة
العامة للقوات المسلحة .

ي - يصعب سلاح الميليشيا
والجيش الشعبي من اريد
والسلط وجرش كافة المدن
والقرى في المملكة الاردنية بنفس
الطريقة وخلال المدة الزمنية
المقررة والتي تنتهي بتاريخ
٢٢-١-١٩٧١ . بموعدة لجنة
مشتركة من مندوب الجيش
ومندوب الامن العام ومندوب
حركة المقاومة ومندوب الرقابة
المسكينة في المنطقة ..

توقيع
عبد احمد عبد الحميد حلمي
رئيس هيئة الرقابة العربية

توقيع
أبراهيم بكر
ممثل اللجنة المركزية

للمقاومة التحرير الفلسطينية

توقيع
وصفي النل

رئيس وزراء المملكة الاردنية
وفيما يلي الجدول الزمني
لتنظيم وضبط اسلحة الميليشيا
والمقاومة الشعبية في الايام
البيضاء اذناه ..

١ - تخرج القواعد الفدائية
والاسلحة المتنوعة والفدائيون
من عمان وايرد وفيّة المدن وتبدأ
العملية ساعة صدور البيان
وتنتهي كليا في الساعة السادسة
من مساء يوم الجمعة
٢٢-١-١٩٧١ .

٢ - يبدأ تجميع اسلحة
الميليشيا في حي المساروة
والجبل الأخضر وحي نزال وجبل
الطيف ساعة صدور هذا البيان
وينتهي التجميع في الساعة

السادسة من مساء يوم السبت الموافق ١٦-١-١٩٧١ *

٣ - يبدأ جمع أسلحه الميليشيا في أحياء ماركا والمحطة والهاشمي الشمالي والهاشمي الجنوبي ساعة صدور هذا البيان وينتهي الجمع في الساعة السادسة مساء يوم الاثنين ١٨-١-١٩٧١ *

٤ - يبدأ بجمع أسلحه الميليشيا في أحياء جبل القلعة وجبل الحسين ومخيم الحسين وجبل اللويذة ساعة صدور هذا

البيان وتنتهى العملية في الساعة السادسة من مساء الأربعاء

٢٠ - ١ - ١٩٧١ *
٥ - يبدأ بجمع أسلحه الميليشيا في الوحدات والإشرافية والمصادر والتاج والجرفة والنصر ساعة صدور هذا البيان وحتى الساعة السادسة من مساء الجمعة ٢٢-١-١٩٧١ *

٦ - ينطبق جميع ما تقدم وبفرض الترتيب والتوقيت على كافة أسلحة المقاومة الشمية في

الأحياء المذكورة أعلاه *

عمان في ١٣-١-١٩٧١ *

توقيع
عميد أحمد عبد الحميد حملي
رئيس هيئة الرقابة العربية

توقيع
البراميك
ممثل اللجنة المركزية لمنظمة
التحرير الفلسطينية

توقيع
وصفي التل
رئيس الحكومة الأردنية
الهاشمية

٥) مذكرة اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى السفراء

العرب في عمان في ١٠/٥/١٩٧١

سلمت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية اليوم التاسع عشر من حزيران يونيو ١٩٧١ مذكرة هامة الى السفراء العرب في عمان .. وذلك لتوضيح حقائق الموقف وتعدت السلطة في الأردن الذي يخالف جميع الاتفاقيات *

وليسا على نص للمذكرة :
منظمة التحرير الفلسطينية

اللجنة المركزية
الأخوة السفراء العرب

تهديم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بحياتها وتود أن تلمكم بما يلي :

في أعقاب العمليات العسكرية التي تعرضت لها قواعد الفدائيين قبل اسبوعين تم اجتماع عسكري ضمن إطار نشاط مكتب الارتباط وبناء على طلب من قيادة الجيش وخلال هذا الاجتماع قال وفد المقاومة ان سبب العمليات التي تعرضت لها القواعد ناتج عن عدم التزام الحكومة لاتفاقيتي عمان والقاهرة وبروتوكول عمان .. وان الحكومة مطالبة بتنفيذ ما يلي أساسا لتعامل جديد يخلق الثقة بين الطرفين :

أولا - ضمان حرية الحركة والمزور ضمن المناطق التي تحديدها الاتفاقيات ..

ثانيا - حرية العمل ضد العدو الصهيوني *

ثالثا - حرية للتسوين والتسلح *

وبعد نقاش واسع لكافة الأوضاع العسكرية القائمة وما يرافقها من استنزافات وعمليات قصص وقطع طرق في وجه تحرك قواتنا التي أثارها وفد المقاومة ..

وافق على إحالتها الى لجنة مشتركة تقوم بوضع تفاصيل هذه النقاط *

وفي اللقاء الثاني اجتمعت اللجنة المنبثقة عن الاجتماع وناقشت النقاط الثلاث ..

واتفق على البدء في توزيع مناطق تواجد الفدائيين ابتداء من منطقة لم قيس شمالا وحتى البحر الميت جنوبا .. وتقرر قيام لجان مشتركة لتحديد أماكن هذه القواعد ضمن المنطقة واستطلاعها ولدى توجه ضباطنا للمشاركة في لجان الاستطلاع فوجئوا بأن ضباط الجيش يحملون تعليمات مخالفة لما اتفق عليه .. خصوصاً عدم استبعادهم لاستطلاع أي جزء من المنطقة الشمالية *

وفي اللقاء التالي لكتيب الارتباط فوجيء وفندا بسوء

الجيش يقدم خارطة عسكرية تمعد فيها قيادة الجيش الاماكن التي يحق حسب رأيهم للفدائيين ان يتواجدوا فيها وهي مخالفة بالاضافة للاتفاقيات - لما تم ترتيبه في الاجتماعات السابقة - وهذه الخارطة تمنع تواجد الفدائيين في المناطق التالية :
أولا - كامل المنطقة الشمالية من لم قيس الى مثلث اشتيفينا في عجلون *

ثانيا - منطقة دبين *
ثالثا - طريق جرش القديم *
رابعا - ساكب - الكفة - نجلة - رميمين - تل الاقرع - تل التينة *

خامسا - تقف هذه الخريطة بقواعدا الى مناطق جرداء لا توجد فيها مصادر مياه أو طرق مواصلات ..

على ضوء هذا الطلب أكد وفندا مخالفة هذه الخارطة للاتفاقيات .. وأكد عدم استعداد الثورة بتلبية مثل هذا الطلب الذي يهدف الى تضييق الخناق وتشديد الحصار على القواعد ..

وفي صباح الخميس السابق عشر من حزيران - يونيو ١٩٧١ استدعى رئيس مكتب الارتباط

لحداضماننا وبلفه ان الحكومة
تطلب تنفيذ ما يلي :
اولا - اخلاء كل التينة حتى
صباح السبت الموافق التاسع
عشرين حزيران - يونيو ١٩٧١ .
ثانيا - تصدير مميزات
عسكرية على طريق جرش القديم
بالرغم من حالة الحصار الشديد
والتوتر القائم في المنطقة اعتبارا
من صباح اليوم السبت التاسع
عشر من حزيران - يونيو ١٩٧١ .

وتلى توجيه هذا الاصدار
تحركات عسكرية حول قواعد
الفدائيين مع حماية وقصف
لقواعنا استمر ساعتين وعشر
دقائق .
لنا نوضح هذه الحقائق
امامكم ونرجو ان نلفت الانتباه
الى ان كافة طلبات الحكومة هذه
تخالف أبسط القواعد التي ودرت
في الاتفاقيات والتي تحدد حرية
اقامة القواعد على بعد ثلاثة كيلو
مترات غربي طريق الرمثا -
عمان - عمان .
راجين ان تبلغوا هذه الوقائع
حكوماتكم .
وقضائوا بقبول فائق
الاحترام .
عمان في التاسع عشر
من حزيران - يونيو ١٩٧١
التوقيع
اللجنة المركزية لمنظمة التحرير
الفلسطينية .

٦) مذكرة من منظمة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى الملوك والرؤساء العرب

السادة الملوك والرؤساء العرب المحترمين :

تبدى اللجنة التنفيذية لمنظمة
التحرير الفلسطينية تحيتها لكم
وتود في هذه الظروف القاسية
والصعبة التي تمر بها الثورة
الفلسطينية والشعب الفلسطيني
أن تضع بين ايديكم الحقائق
التالية فيما يتعلق بالملاقات بين
الثورة الفلسطينية والنظام
الاردني ، ومحاولة هذا النظام
ضرب وتصفية الثورة والاجهاز
على حق الشعب الفلسطيني في
الكفاح المسلح وحق تقرير
المصير .

اولا - قبل حزيران وعندما
انطلقت طلائع الفدائيين في مطلع
عام ١٩٦٥ كانت الاردن البلد
العربي الذي امتلأ بمقتلانه
ومعجونه باحرارنا وثوارنا بل
تسابت في اجراءاتها التمسفية
الى حد القتل لكل ثائر يهود من
الارض المحتلة .

ثانيا - بعد نكسة حزيران وما
رافقه من شعور بيلتاس
والهزيمة عند المواطن العربي
قامت الطلائع الفلسطينية مسرة
اخرى بمقاومة المحتلين
واسطحات من خلال عملياتها
الناجحة أن تعيد للانسان العربي
احساسه بكرامته ووجوده الا ان
النظام الاردني حاول ويشتي
الطرق الاجهاز على الثورة
الوليدة عبر هجمات شرسة

مريعة تمثلت في احداث مادية
على النحو التالي:

١ - منذ الخامس عشر من
حزيران ١٩٦٧ كانت كل دورية
تقع في يد الامن السام او
المخابرات او الجيش تلاتي
صنوف المذاب ثم يفرج عنها بعد
اخذ تعهد منها بعدم العمل من
الاراضي الاردنية ، هذا فضلا عن
تصريحات مشهورة ضد العمل
الفدائي بداهما الملك حسين حين
قال : مجرم كل من يحاول أن
يضرب في الارض المحتلة .
وتجسه يومها وزير
داخليته (الكايد) الذي هدد
بضرب الفدائيين وتصفيتهم .
ب - بعد تواجد الفدائيين في
قاعدتهم في « الكرامة » وفي يوم
٢ فبراير ١٩٦٨ قامت قوات من
الامن السام والجيش بمحاصرة
هذه القواعد وبدأت باطلاق النار
على الفدائيين ، ولولا تحرك
الجمامير للوقوف بين الفدائيين
والقوات المهاجمة لحدثت مجزرة
كبيرة .

ج - في ٤-١١-١٩٦٨ قام
الجيش باحتلال مدينة عمان
وتوايها ، ومحاصرة قواعد
الفدائيين في الاغوار في محاولة
لضرب الثورة ويومها لم يكن
العمل للفدائي ما يسمى بالاخطاء
او الجرائم التي يدعيها النظام
ولولا تدخل بعض الدول العربية

في اشارة جو نفسى ضد
الفدائيين بين المواطنين والقيام
بتصرفات من شأنها أن تساعد
على تثبيت هذا المناخ المادي
ضد الفدائيين .
- اشارة النعرات الاقليمية في
صنوف الشعب الواحد وفي
صنوف القوات المسلحة عن
طريق اقتمال الصراعات باسم
الفدائيين واركاب جرائم خلقية
باسم الفدائيين .

ب- تنص المناقشة الخسامة للشعبية في وسط الفدائيين للتخريب من الداخل والقبض باغتيالات داخل صفوف الثورة وخارجها .

وقد لعبت هذه الشعبه دورا كبيرا في أحداث ٧ يونيو ١٩٧٠ المشهورة ، ولأهمية هذه الشعبية فقد كان اتصالها بالملك شخصيا وبعضوية زيد الرفاعي رئيس الديوان الملكي مابقا والشريف ناصر بن جميل قائد الجيش وآخرين من المشابر والاضطرابات وضباط الجيش والامن العام .

هـ- في ٧-٦-١٩٧٠ كانت المحاولة الجادة والمصممة من قبل النظام الاردني لضرب الثورة ففدافعلت الشعبية الخاصهقوات الصاعقة الاردنية التابعة لهاعدة حوامداسندتها للفدائيين،وبدأت ممارك عنيفة ولكن حكومة الثورة تقلبت على هذه الازمةالتي انتهت بطردهالمؤيدين عنالاضطاجريمة وبما الشريفيان ، ناصر بن جميل وزيد بن شاكرا ٠٠ الا أن النظام الاردني بدأ بعد الاحداث والتي أشر على انتهائهما وتصفية نيوها مؤتمر طرابلس الذي أودع الى عمان أربعة ممثلين من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وليبيا والسودان ليضموا ندًا للمؤامرات ولقد توجهت جهودهم باتفاقية ١٧-٧-٧٠ والتي وضعت حدودا للسلطة وحدودا للعمل الفدائي .

السادة الملوك والرؤساء العرب: ما كانت الاتفاقية الاخيرة توضع موضع التنفيذ حتى بدأت المراقيل والسود تقف في طريقها وكانت الحكومة العراقية في واد وأداة وأجهزة الحكم الحقيقية في واد آخر وبدات لاول مرة في تاريخ المنطقة محاولات قتل جماعية لضحايا بالصف الخبيثات والامان الا امة بالسكان بالمذمعية ساعات طويلة مما اضطروا الى ان نطلب عقد جلسة عاجلة لمجلس جامعة الدول

العربية والذي كان من نتيجته ارسال لجنة عسكرية برئاسة السيد أمين شيلي الى عمان واستقبلنا اللجنة وحاولنا أن نقدم لها من جانبنا كل التسهيلات الممكنة ولكن اللجنة ولف الثورة وقد المكمرة الرفاعية آنذاك لاحظ ان الملك حسين لا يريد نقاشا مع المقاومة والثورة ولنه ينوى توجيه ضربة قاصمة للفدائيين في كل أماكن تواجدهم وفي يوم الثلاثاء ١٥-٩-١٩٧٠ عقد اجتماع مشترك ضم الحكومة واللجنة العربيةوالمقاومة وخرج الجميع باتفاق تام حول كافة القضايا المطروحة وأعلن من راديو عمان وفي تمام الساعة عشرة نصوب الاتفاق والبرنامج الزمني لتنفيذه . ألا أن الملك وأهوانه وبعض ضباط الجيش كانوا يعدون لضمنا مذمعة ببرية لم يعرف التاريخ مثيلا لها وتوالى الاحداث بعد اعلان الاتفاق كما يلي :

- يوم الخميس ١٩-٩-١٩٧٠ وفي تمام الساعة الخامسة بدأت حملة ليلول الاسود بكل شراسها المذمعية تطلق نيرانها على عمان وعلى كل ناحية بها لا تفرق بين قاعدة وبين منزل بين فدائي ومواطن وبدات الدبابات الاردنية بتفريق الشوارع والاحياء تضر بدمفيتها الثقيلة ذات اليمين وذات الشمال وتحركت افواج المشاة متمثل وتقتل وتذبح كل فلسطيني حسب مسواها وعصبيتها ، وتمثيلها الحادثة واستمرت الهزرة بكل تفاصيلها التي تعرفونها أكثر من اثني عشر يوما .

السادة الملوك والرؤساء العرب: وأخيرا وقف القتال وعطت اتفاقية القاهرة ولعقتنا جراحنا ومجدنا يدنا للقتال الذي نبع شعبنا وقلنا : لننس كل شيء وحرام أن يفرز مزيد من ادم العربي في غير موضعه وحضرت اللجنة العربية برئاسة السيد الباهي الادهم لتشرط على تنفيذ

الاتفاقية وفي ظل اللجنة تم التوقيع على اتفاقية عمان وعلقتنا ومند اللحظة الاولى لتوقيع اتفاقية عمان ، رفض الجانب الاردني الاعتراف بعبر وصالح اعلامه المتعددة ، ولن نتحدث عن الفترة ما بين توقيع الاتفاقية ومغادرة السيد الباهي الادهم لعمان لان السيد الباهي الرسمية رفعا لعضراتكم ولكن الذي نريد التأكيد عليه هو ما يلي :

أنه في ظل اللجنة العربية احتلت القوات الاردنية مواقع كثيرة لم تكن قد سيطرت عليها ، أو استطاعت الحصول اليها أثناء القتال .

أنه في ظل اللجنة العربية جرت مجازر جرش والمهلان والبلقة والغرق وأخيرا مجزة اربد .

أنه في ظل اللجنة العربية جمعت لأسلحة الميشيا والتي تنص عليها الاتفاقيات هذه الخطوة التي شجعت النظام الفدائي فيما بعد على طلب سحب السلاح كلية من عمان .

السادة الملوك والرؤساء العرب: تاجرت حكومة عمان بقضية الامن وسفرت كل لجهزتها الاعلامية لقضية الرأي العام في اتجاه قضية الامن وحتى تولت الثورة على النظام الاردني للقيام من المجزرة جديدة اتخذت سلسلة من الاجراءات العسكرية الذاتية في عمان رغم أن ذلك مخالف لكل الاتفاقيات وعلى غير ما اتفق عليه بذل الجيش الى عمان وقتضها شيئا وبيتا بيتا وصبرنا وسكتنا ، كل ذلك من أجل تجنب معركة بين الفدائيين والجيش تصل فيها المصام العربية الا ان كل هذه الضغوط النظام الا بزيه من الاصرار على التامر والسيد في المؤامرة الى نهايتها وكنا نطهر من خيانة النظام وعدم احترامه لشرف

توقيعاته وحسن التفاته لكل
نداءات ووساطات الملوك
والرؤساء ، بل تصدى هذه
النداءات بمزيد من الاجراءات
القمعية ضد الثورة ، كانت آخر
حركاتها مجزرة جرش وعجلون
الاخيرة .

اننا ان نصف ما جرى وما
حدث ولن نرد على اكاظيب الحكم
الاردني الرخيصة في تقرير
وتيسيط ما جرى ولكننا نقول لكم
اننا ضبرنا اكثر من ثلاثة
وعشرين عاما على هذا . . . الذي
استأجره الاستعمار علينا رعى
شعبنا وامتنا العربية لقتل روح
القتال والنضال في شعبنا واليوم
فنحن نشمر بصدق وشرف اننا
وجدنا في المعركة وأن النظام
الاردني بات عقبة حقيقية في وجه
استمرار طريق الكفاح المسلح
والثورة من هنا فنحن نطالبكم
باسم شعبنا الجريح الذي يعيش
اقصى مأساة حياته منذ التكب
ونطالبكم باسم الجماهير العربية
التي احتضنت طلائع وثور
فلسطين بما يلي :

اولا - بما ان النظام الاردني
يمثل عقبة في طريق التحرير وبما
أن النظام قد قطع بنفسه كل
علاقاته العربية عبر اتصاله من

اتفاق القاهرة واتفاقية عمان
فاننا نرى أن تقطع الدول العربية
كل علاقاتها السياسية والاقتصادية
بالنظام الاردني ، كما نرى أن
تطرد الملكة الاردنية الهاشمية
من عضوية جامعة الدول العربية .

ثانيا - الاقرار بوثيقة رسمية
بأن شعب فلسطين لا تمثله الا
الثورة الفلسطينية بقياداتها
التمثلة في اللجنة التنفيذية
لنظمة التحرير الفلسطينية
ومجلسها الوطني الفلسطيني
وابلاغ مضمون هذه الوثيقة الى
كافة الدول والمؤسسات العربية
والعالمية .

ثالثا - الاقرار بحق الثورة
الفلسطينية ومساندة الجماهير
العربية لها لتصميم وبناء وحدة
الضفتين على الاسس التالية :

١ - حق الشعب الفلسطيني
في الاستمرار في ثورته ومتابعة
كفاحه المسلح ضد العدو
الصهيوني على طريق تحرير
كامل التراب الوطني
الفلسطيني .

٢ - الحرية الكاملة لقوات
الثورة الفلسطينية في الحركة
ضد العدو الصهيوني .

٣ - حق الشعب الفلسطيني
الكامل في الاردن في حمل

السلاح لغاية العدو والدفاع عن
الثورة .

٤ - حق الجماهير في الاردن
في التنبكسة الجماهيرية
والتنظيمية حول الثورة .

٥ - حق الشعب الفلسطيني
في تقرير مصيره بنفسه وعلى
ارضه .

٦ - قيام حكم وطني
ديمقراطي لتوحيد وحدة الشعب
والضفتين ويضمن كل الحقوق
الوطنية للشعب الفلسطيني .

رابعا - مساهمة الوجود
الفلسطيني في الضفة الشرقية
والوقوف موقفا حازما وجادا في
وجه أية محاولة لمزيد من الذبح
والقتل والتبريد والاعتقال
لشعبنا .

السواة الملوك والرؤساء العرب ؛
هذه خطوط هريضة للمأساة
التي يعيشها شعبنا هذه الايام
والثورة الفلسطينية التي نشأت
من خلال اصعب الظروف قادرة
على شق طريقها والاستمرار في
خطها النضالي رغم كل المعبات
وهي ستعده موقفها من كل دولة
عربية على اساس موقفها من
الثورة والنظام الاردني .

ولكن تحياتنا وتحيات
شعبنا .



تقرير خاص

المغرب قتي

والمغربي قتي

تقرير خاص

نيكسون يطرق أبواب

« المسور العظيم »

■ ■

■ نيويورك ■

معاهدة الصداقة والتعاون

بين الهند والاتحاد السوفيتي

■ واشنطن ■

لجراعات نيكسون الاخيرة

ومحاولة انقاذ الدولار

تقارير
الشهر



■ اتحاد الجمهوريات العربية ■

«وحدة» المواجهة قد اقتربت من الحسم

تتوجه اليوم (أول سبتمبر) جماهير الناضحين في كل من جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية الليبية، الى صناديق « الاستفتاء » لتكلى برأيها في قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، على أساس المبادئ والاحكام التي تضمنها دستور الاتحاد . وتعد هذه الخطوة نتيجة الاستفتاء - « للقرار الاخير » الذي يكتسب بها الاتحاد شرعيته الشعبية .

وترى الدوائر الاسرائيلية أن الاتحاد - كما تقول صحيفة على موشمار الاسرائيلية - « محاولة لضرب حصار حول اسرائيل ومواصلة عزلها » ، وفي تصريح لصاييم ميرتزوج - كبير المعلقين العسكريين الاسرائيليين والمدير السابق للمخابرات الاسرائيلية - قال « أن اسرائيل محاطة الان باتحاد تتكون قوته في مجموعها من ٤٢ مليون نسمة ومساحة قدرها ٦ ملايين كيلو متر مربع ومليون رجل في حالة تهيئة ألف طائرة مقاتلة و ٢٥٠٠ دبابة » وقد اعاد هذا الى اذهان المراقبين وصف بن جوريين لقيام دولة الجمهورية العربية المتحدة - بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، بأن اسرائيل وقتها أصبحت « كالبنقة بين فكي الكمانشة » .

واتجهت معظم التعليقات في العواصم العربية الى أن الاتحاد « جاء ترسيخا لحقيقة أن الوحدة العربية ليست مجرد تعبير عن وحدة التاريخ العربي، وإنما هي استجابة لايمان عميق لدى الشعوب العربية بضرورة الوحدة تجسيدا لحقائق تفرضها ضرورات الظروف الراهنة وضرورات مصر » .

وكان الرؤساء الثلاثة : لنور السادات وحافظ الأسد ومعمر القذافي ، قد وقعوا دستور الاتحاد « وعلان دمشق » على ٢٠ أغسطس الماضي . وبعد « اعلان دمشق » كيان ختامي بنتائج اجتماعات ومحادثات الرؤساء التي جرت في العاصمة السورية وبرزكن « اعلان دمشق » على « الحركة وتحرير الارض المحتلة » باعتبارهما محور العمل الوطني العربي اليوم ، يقول البيان « أن المواجهة مع العدو الصهيوني الجاثم فوق ارضنا العربية قد اقتربت من الحسم ، وأن العدو استنصرنا منه بذلك قد زاد من ضراوته وشرارته وتقصيمه على تكريس احتلاله مستغنيا في ذلك ابيض وسائل القهر والغصب ضد المواطنين العرب في ابراض المحتلة الى جانب تصعيد قوى الاستعمار العالمي بكل اشكاله بقيادة الولايات المتحدة الاميركية

المأدى للامنة العربية والمستقبل العربي من مؤامراتها في محاولات محيومة لاضعاف جبهتنا - جبهة المواجهة للعدو - وتفتت وحدتها التضالدية وسلب قدراتها على حسم المعركة عسكريا مع العدو لصالح الحق العربي المشروع » .

ويرى « اعلان دمشق » بين ما يجري على الارض المحتلة وبين ما يجري في الاردن يقول « : وأن ما يجري الآن من تصفية المقاومة الفلسطينية لأجهاض حركتها جزء من المخطط الصهيوني الاستعماري الواسع الذي يهدف حماية الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية وثأميه ودعمه وتكريسه ضد الانتفاضة الكبرى التي يتأهب لها الشعب العربي على امتداد الوطن العربي كله » .

وجدير بالذكر أن ياسر عرفات - رئيس منظمة تحرير فلسطين قد شهد توقيع الدستور والاعلان « تميدا عن قومية الحركة وتأكيدا لنور المقاومة الفلسطينية فيها » .

ثم يستطرد « اعلان دمشق » فيؤكد على ان تحرير الارض العربية المحتلة « هو الهدف الذي ينبغي أن تسخر في سبيله كل الامكانيات والطاقت » ، على أساس أنه « لا صلح ولا تفاوض مع العدو الصهيوني ولا تنازل عن شبر من الارض العربية المحتلة وأنه لا تقرب في القضية الفلسطينية ولا مساومة عليها » .

وينص دستور الاتحاد بأن يكون لدولة الاتحاد علم واحد وشعار واحد ونشيد واحد وعاصمة واحدة ، وأن يتولى الاتحاد وضع أسس السياسة الخارجية « ومساائل السلم والحرب وتصديقها قرارات مجلس الرئاسة بالاجماع » ، والتتسيق بين الجمهوريات الاعضاء في مجال التمثيل الدبلوماسي والفصل مع الدول الاجنبية . ويتكون مجلس رئاسة الاتحاد من رؤساء جمهوريات الدول الاعضاء ويقوم بانتخاب رئيس له من بين اعضائه لمدة سنتين قابلة للتجديد ، ويعين مجلس رئاسة الاتحاد عددا من الوزراء يتكون منهم مجلس وزاري يعقد اجتماعات دورية وطارئة للنظر في الشؤون التنقيضية للاتحاد « ويكون للاتحاد برلمان يشكل من ٢٠ عضوا من كل بلد » كما يقيى الدستور بأنه اذا وقعت اضطرابات من الداخل أو الخارج في إحدى الجمهوريات تخطر حكومة هذه الجمهورية السلطات الاتحادية فوراً لكي تقوم الأخيرة باتخاذ الاجراءات الضرورية لحفظ النظام والامن . وفي حالة ما اذا كانت حكومة إحدى الجمهوريات الاعضاء في وضع لا يسمح لها بطلب العون فليسلطات الاتحادية المختصة أن تتدخل وبدون طلب لحفظ النظام وإعادة الامور الى نصابها .

جلود عضو مجلس الثورة في جمهورية ليبيا
ومن الجدير بالذكر أن الرؤساء الثلاثة كانوا قد
وقعوا في أبريل الماضي « إعلان اتحاد الجمهوريات
السريرية » في بنغازي بليبيا .

وقد شكل الرؤساء الثلاثة « لجنة التابعة لتنفيذ
دستور دولة الاتحاد » من : حسين الشافعي نائب
رئيس جمهورية مصر العربية ومحمود الأيوبي
نائب رئيس الجمهورية السورية والرائد عبدالصلام



المغرب غنى.. والمغربى فقير

تقرير خاص



الملك الحسن

● مساعدة وتأييد شعب فلسطين ، وتكامل
أراضي وشعوب المغرب العربي .

ويسود أن الملك جازال يعتد كثيرا على
« مكاتبة القينية » والمكاتبة الوطنية للباك ، أبان
الثورة ضد فرنسا عندما خلق محمد الخامس ،
وذلك اعتبر رمزا للاستقلال والسيادة . وقد
استغل الملك الحالي شعبية محمد الخامس ودوره
التاريخي ليثبت فكرة أن النظام الملكي مطهر من
مظاهر السيادة الوطنية ، مساعده على ذلك
التراجع المؤقت للتناقضات الطبقة الداخلية في
فترة النضال التحرري وغلبة الأهداف الوطنية
والاستقلالية . وما أن تم الحصول على الاستقلال
حتى أعلن الملك السابق تأجيل تكوين جمعية
تأسيسية تضع دستورا ، واكتفى بمجلس
استشاري . ومع اضطراها إلى تشكيل حكومة
من الجناح المعتدل من الحركة الوطنية ، برئاسة
عبد الله بن إبراهيم ، فقد كان الجناح اليميني

بإعلان الوزارة المغربية الجديدة ، يؤكد الملك
الحسن إصراره على المضي في الطريق الذي
اختطه لنفسه منذ أن جاء إلى الحكم ، طريق
الحكم الفردي وحماية مصالح كبار ملاك الأرض
والبرجوازية الكبيرة .

لقد توقع كثيرون من اصنقاء الملك ، أن يعدل
جزئيا عن سياسته ، بأن يتعاون مثلا مع ممثل
الطبقات الوسطى من السياسيين ، لتحديث
النفس على أثر حمام الدم الذي أغلقت بمسه
بالحظ وحده . ولكن الملك لم يسكن عند ظن
أصنقائه، وأكد مرة أخرى أيمانه بالفقير وبالأجهزة
ورغم العنف والدم الذي صاحب الأحداث الأخيرة
في المغرب ، فقد كان في مقدور الصاهل أن
يتدارك بعضا من عوالم الانفجار والتي لن تقلح
الأجهزة ، كما قالت « لوماتيقه » في الغضاء
عليها . لقد كان في مقدوره مثلا أن يوهن روابط
« الكتلة الوطنية » والتي تكونت من حزب
الاستقلال ، ومن الاتحاد الوطني لقوى الشعبية
والحزب الأول ، كما يعتد كثير من المراقبين ،
استعداداه دائم للتعاون مع النظام القائم ، بل
وهذه البعض إلى حد القول بأنه يستعد أيضا
للتنكر لشريكه في الكتلة ، بل ولانكار بعض من
المبادئ المعادى للرجعية والديمقراطية والذي أعلنه
معا في ٢٢ يوليو الفائت والذي يطالب بالآتي :

● تأميم القطاعات القلدة في الاقتصاد .
● التهيئة الذاتية للديمقراطية واتباع سياسة
للتصنيع في هذا الإطار .

● اصلاح زراعى على أساس مبدأ الأرض
لن يذلها .

● تحرير الأراضي التي مازالت تحت السيطرة
الاستعمارية .

مرحلة الاستقلال : فإن الصراع الاجتماعي سرعان ما تجر غنيا بعد الحصول على مائة واثمناح عزم السلطة على مبالاة ريس المال الخاص في الزراعة والتجارة والصناعة . فالوضع في الزراعة يسمير على النحو التالي : ٢٣٪ من سكان الريف لا يملكون ارضا ، ٢٧٪ منهم يملكون اقل من هكتار ، ١٢٪ يملكون اقل من هكتارين ، ٤٪ اقل من اربعة هكتارات ، ٢٪ من ١٠ الى ٢٠ هكتارا ، وهناك ١٠٪ من الملاك يملكون ما يزيد عن ٥٠٪ من الاراضي ، اما العائلة المالكة وحدها مثلا فملك ١٢٠ ألف هكتار ، والاجانب كانوا يملكون مليون هكتار [٦٠٠ ألف حاليا] ورغم هذا لم تن الحكومة بوعدها باجراء اصلاح زراعي . ورغم انخفاض دخل الفرد في الريف (يبلغ من ١٢ الى ١٦ دولارا سنويا في الدخل النقدي) ورغم ارتفاع اسعار ضروريات المعيشة كالسكر والحبوب بصورة مروعة ، ورغم الانخفاض الهائل في نسب التعليم (١٪ مثلا) فثيرون في التعليم الجامعي من هم في سنس الالتحاق به [، ورغم الظروف الصحية المتدهورة والظروف السكنية المشيئة ، فإن الحكومة لم تتخذ اجراءات جديرة لمواجهة هذه المشاكل .

ومع ان حزب الاستقلال ، والاتحاد الوطني للقوى الشعبية ، واتحاد العمال ، واتحاد الطلاب ، والحزب الشيوعي ، ترفع شعارات تأييد الملكية الأجنبية ، فإن الأوروبيين ما زالوا يملكون ٨٠٪ من الصناعة ، يرحدون منها سنويا ١٥٠ مليار فرنك فرنسي كإرباح ، فضلا عن سيطرتهم على التجارة الخارجية وعلى وسائل نقلها . والمخطط الخمسي الذي وضعته الحكومة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ ومن بعده المخطط الثلاثي من ٦٥ الى ١٩٦٧ لم يغير من هذا شيئا ، والسبب في ذلك اعتماده على الاموال الأجنبية التي تقدم كما جاء في بيان البنك الدولي للانشاء والتعمير بمناسبة منح المغرب قرضا قيمته ١٥ مليون دولار في ١٩٦٤ « لحفز وتوسيع القطاع الخاص والسيولة » ولعمد بناء صناعة جديدة . وتقتصر النضال الأجنبية فيما يتعلق بالنضال ، على اقامة « مصانع البلاستيك وحقيق السبك ، وزيت الزيتون ، والمشروبات » .

ولم يحل ذلك التخطيط الرأسمالي الذي اخذت به الدولة شيئا من المشاكل ، فلم يتم تلك اتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تدعي شروطا مقبدا له [بتحديد الملكيات الاقتصادية] وتأميم التميم المسيطرة في الاقتصاد [ولم يتم تطاع قائد تملكه الدولة ولم تلعب هذه دورا ينكر في تنظيم الحياة الاقتصادية ، وبينت قصورا من الواهم على مساعدات الاجانب ، ولم يوضع

برامه علل القاسي رئيس حزب الاستقلال : والجنح اليسرى في الحزب نفسه برامه المهدي بن بركة ، فإن الملك سرعان ما اطاح بهذه الحكومة وتولى بنفسه رئاسة الوزارة ، وفكر لكل ما بذل من ومود بلجراج اصلاح زراعي واصلاح للجنح الحكومي واساعة للديمقراطية . بل وأصدر الملك عفوا من ١٦٦ ممن اتهموا بالخيانة والتعاون مع الاستعمار الفرنسي ، وكون « هؤلاء » حزب الدفاع عن المؤسسات الدستورية « وكون القطاعيون وملاك الارض الكبير حزب « الحركة الشعبية » واسند لهؤلاء المثلين للبرجوازية الكبيرة ، ووكلاء الاجنبي ، والقطاعيين مناصب الحكم والوزارة واوازع منها معلى الطبقة الوسطى (من التجار والوظلين في المدن ، والملاك التوسطين في الريف) ، وطلب منهم المثلة في حزب الاستقلال [تكون في ١٩٤٤] ذلك الحزب ذو النزعة العربية الاسلامية الواضحة .

ولقد أدت النزعة التهادنية للقيادة الى انقسام الجنح اليسارى عنه ، في يناير ١٩٥٩ ، والذي تسمى **الاتحاد الوطني لحزب الاستقلال** ثم رأى ان يقطع كل صلة ولو في الاسم مع حزب الاستقلال فتسمى باسم « **الاتحاد الوطني للقوى الشعبية** » (ويضم مثلى العمال والبرجوازية الصغيرة والمتتئين في المدن ، وقد اعمل الارتباط بمجموعة قراء الفلاحيين) .

وأطلق **محمد الخامس والحسن** من بعده الحرية كاملة لرأس المال الاجنبي ، وكان يمكنها بالفعل منذ مؤتمر الجزيرة في ١٩٠٦ الذي قرر حرية كل الدول في الاستثمار في المغرب ، وزاد الاتجاه الى الولايات المتحدة واصبح لها قواعد جوية وأخرى بحرية في القنطرة .

[وحتى مع اعلان الجلاء من هذه القواعد ، فقد ابرمت معاهدة سرية اضطرت الحكومة الامريكية الى الاعتراف بها أخيرا] . وتوالت الفروض الامريكية ، خاصة من البنك الدولي للانشاء والتعمير ، واستحوذت امريكا وفرنسا على الجزء الاعظم من الصادرات والواردات . وباطبع جاءت سياسة المغرب الخارجية ، انعكاسا لهذه التنمية الاقتصادية ، ومازالتا جميعا تذكر موقف المغرب في الشروع على الإجماع العربي بمقاطعة اللقيا القريبة ، ولدى تأييدها للمسدوان الامريكي البلجيكي على الكنفو ، ومناوئتها المستنيرة للدول العربية المتحررة ، ككتفيل حوادث الحدود مع الجزائر في ١٩٦٣

وإذا كانت الاهداف الوطنية قد تغلبت في

و ٢٠ مليون في المدن [العمال] وصغار التجار والموظفين والحرثيين [على ٢٥٪ من الدخل ، في حين تستولي بضعة ألوف من الأثرياء على ٥٥٪ من الدخل . إن الحرية كاملة كما يقول على بعته ، سكرتير الحزب الشيوعي المغربي للاحتكارات الأجنبية وللأطباء في استغلال الثروات البشرية والطبيعية كما يشاؤون .

إن ظاهرة « المجاعة » ظاهرة صليبة في المجتمع المغربي وكثيرة هي الأرقام التي تبين انخفاض نصيب الغالبية العظمى من السكان عن الحد الأدنى الضروري لاستمرار الحياة . ويرتبط أيضا بظاهرة المجاعة ظاهرة نقص فرص العمل . ولما كان الشباب يكون ما يزيد عن ٧٠٪ من سكان المغرب ، والحكومة لا تتخذ إجراءات جديفة لاستيعابهم في المدارس وامدادهم بالحياة العملية وتوفر فرص العمل لهم ، فقد تصدحت ثورتهم واضطرابتهم . وفولي الشباب والطلاب من خلال التظاهرات السياسية والقوية ، رفع شعارات التغيير والاشتراكية .

وينادي اتحاد الطلاب ، رغم هيليت اعتقال وسجن ونفى تاجته ، بالاشتراكية واصلاح التعليم والتعريب .

ويرجع الاتحاد المغربي للشغل (٦٠ ألف عضو) شعارات الاشتراكية . وقد تكون هذا الاتحاد في ١٩٥٥ ، وكان قاعدته من أعضاء الاتحاد العام للعمال الفرنسي ، وارتبط بحزب الاستقلال . ثم اتفق ٧٥٪ من أعضائه على الاتحاد القديم ، وكونوا اتحادا مرتبطا بحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بعدد تشغله من حزب الاستقلال . ومع حدوث ثور في العلاقات بين قيادة هذا الحزب الأخير وقيادة اتحاد العمال ، إلا أن العاملين بينهما قلم ومتزايد .

كذلك فإن المهدي بن بركة ، قائد الانتصار الوطني للقوى الشعبية ، كان بالفعل رسول اليسار في المغرب ، وساعد على تبني الحزب لمواقف اشتراكية ملية .

أما الحزب الشيوعي المغربي ، وكان في الأصل جزءا من الحزب الفرنسي ، فيدمو للاشتراكية الملوية ، ويطالب بوحدة كل الاشتراكيين والتقدميين ، واقترح قاعدته حل تنظيمهم والتضام « لحزب التحرير الاشتراكي » وهو « الاتحاد الوطني للقوى الشعبية » . حتى حزب الاستقلال رفع أخيرا شعارات التأميم والمغربة والاصلاح الزراعي والاستقلال الاقتصادي . بل والاشتراكية الإسلامية .

وفيها يتعلق بالجيش فقد كان محل اهتمام

مخطط لتوجيه القطاع الخاص ، ولا تخطأ لإعادة التوازن الإقليمي وضمان المشاركة الشعبية .

يبقى القطاع الاقتصادي الذي يمكن تمييزته لتصنيع مبدعا في أيدي الملاك العقاريين والبرسما والجار والرايين ، وفي أيدي الشركات الأجنبية والبرجوازية . وظل ثلثا السكان جاثمين على تفلن الأرض المجردة ، يزرعونها باستخدام الجبال والبنغال وما أشبه ، ومع أن « الفلن الذي يمكن تعبئته يبلغ ٣٠٪ من الناتج . وأنه يمكن تمويل التصنيع بوساطة رأس المال الداخلي ، في نطاق الأجهزة التي تضمن إعادة استثمار الأرباح بشكل مستمر ، بما يؤدي إلى تنمية صناعية تتوالى تواليها هتفسيا » ، فقد قل الإنتاج بنسبة ١٠٪ في المخطط الأول وزاد السكان بنسبة ١٥٪ ، أي انخفض الدخل بنسبة ٢٥٪ ، وزاد العجز المالي ، وأصبح الموقف المالي كما اعترف تقرير البنك الدولي « يعكس التوتر في الاقتصاد بسبب الفشل في زيادة الإنتاج بطريقة تشبع احتياجات السكان الذين يترابون سريعا . ولم يزد الإنتاج إلا بنسبة ١٦٪ وهي نسبة تقل مرتين عن نسبة الزيادة في السكان » ويلطعن فلن التصحية التي يقدمها البنك الدولي بعد هذا الاعتراف هي أنه « ليس هنسك حسود الاستثمار في الزراعة والصناعة والمناجم ، أما الصناعة فيصبتون منها . والواقع أن الاستثمارات توزع بالفعل حسب نصيب البنك الدولي : ٢٦٪ للزراعة ، ٢٧٪ للسياحة ، ١٢٪ لفلن ، ٤٪ خصلت لاجتماعية . ولقد جهد الانتاج في المغرب من ١٩٦٠ ، وارتفعت الأسعار بنسب هائلة [السكر بنسبة ١٠٠٪] وزاد العجز المالي وطبع الأوراق المالية ومن ثم التضخم ، ووصلت نسبة التضفيل في الريف إلى ٨٠ يوما فحسب ، أما التضفيل الكامل فلا يشعل سوى ٣٣٪ من اليد العاملة ، أن البطالة تبلغ حوالي ١٥٪ في المدن ، ٥٠٪ في الريف .

وفي أحد أعداد مجلة المغرب ، يفخر الكاتب بان « للبلية في المغرب مظهران اقتصادي واجتماعي . الاقتصادي هي أنها توفر مبلغ التصدير . والاجتماعي يمثل في انتها تاي جوموا هائلة من الطبطين والزراعة والفحامين وغيرهم من العملة » . والواقع أن هذا القول يلخص بجلاء الوضع في المغرب ، فاسمة الأولى هي أنه باد مصدر لكثير من ثرواته ، في صورة خام ، تلك الثروات التي تجعله في المركز الأول بالنسبة لبعض السلع . والسبة الثانية هي وجود تلك الجروع من البؤساء . إذ يعيش ٩٠ مليون من سكان البوادي على ٢٠٪ من الدخل %

■ الأردن :

محاولة جديدة لشق صفوف المقاومة

استجذبت جملة اوضاع واحداث في مجال العمل الفلسطيني ، لمل اهمها تلك المحاولة الساذجة التي قامت بها السلطة الاردنية لشق صفوف حركة المقاومة الفلسطينية .

في اغسطس الماضي ، عمدت السلطات الاردنية الى ممارسة اسلوب جديد في محاربتها للعمل الفدائي الفلسطيني ... فقد عرضت على المقاومة — من خلال احد قادتها الذي كان محدد الاقامة في الاردن — التعامل مع منظمة فتح ، دون غيرها من المنظمات ، كمئة للشعب الفلسطيني . وقد كررت الحكومة الاردنية هذا العرض على مسامح الوسيط السعودي الشيخ عمر السقايف ، الممثل الشخصي للملك فيصل .

وتأتي هذه المحاولة من جانب الحكومة الاردنية ، ابتداءا لمحاولاتها المتكررة لتفتيت المقاومة ، والانفراد بمصاتها مصيلة طو الاخرى والفك بها على التوالي .. فطالما فتنت الحكومة الاردنية — قبل ذلك — بما اسمته [المقاومة التشريعية] ! وان كانت في بذابها لم تكن ترقى بين عدائي وآخر ، مما يدل على انها لاستخدم هذه الصيغة الا للوقية والتبويه .

وهي اليوم اذا تسمى فتح للتعامل معها ، فهي تهدف — بالإضافة الى شق صفوف المقاومة — الى ضرب شعبية فتح ، وتحريك بعض الانظمة العربية المشبوهة والمتخالفة للضغط على فتح لطامة راسها للنظام الاردني وقبول هذا العرض !

وقد حدث عنصما زار وصفه القتل [في ١٠ - ٨ - ١٩٧١] القوات السعودية المرافقة في الاردن ، ان خطاب اللواء محمد بن عابر ، قائد هذه القوات ، مرحبا برئيس الوزراء الاردنية مؤكدا « ان افراد هذه القوات ماهدا الله ، بتوجيه من الملك فيصل ، على الوقوف الى جانب القوات المسلحة الاردنية ، والى جانب الفدائيين الشرفاء [!] والى جانب الشعب الاردني ، لاستعادة مقدساتنا وارضينا المقدسة » . ورد القتل فاشند بماتات الود والاخوة القلبية بين الملك حسين والملك فيصل ، كما اشاد بجهود القوات السعودية ومربطتها على خطوط النار ، واغلن انه « واثق كل الثقة من تحقيق النصر والظفر بغضل قيادة وتوجيهات العاملين الاردني والسعودي » .

لما بمحاولات الوساطة ، التي تقوم بها الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، فقد بعدها النظام الاردني ، واشاع جهود القاتلين بها ك

تخص من القصر . اذ عين الضغن تائدا له حتى قبل تعيينه وليا للمهد . واعاد اليه الملك السابق ٢٤ ألف ضابط وجندي ممن عملوا في جيش الاحتلال [منهم اولغير الذي حارب مع الفرنسيين ضد ثوار الهند الصينية) ، واجتم فيه ايضا جزءا من اعضاء جيش التحرير . ومع تعيين الملك لانصاره واتباعه ، ورغبته في تحويله الى جيش المزيقوالابهة مطعم بفناصر من اعداء الشعب وافرار الضباط الفرنسيين ، وتحريم الاشتغال بالسياسة على الجيش ، فقد تكونت فيه طلائع وطنية وقومية ، من لبناء البرجوازية الصغيرة والمتوسطة الساعطين على الاوضاع هناك . كذلك فان الصراع فيه محتدم بين انصار فرنسا وانصار امريكا من كبار القباط والجنرالات .

ومع عدم الاخذ بنظام الحزب الواحد ، فان السلطات التي يخلوها دستور ١٩٦٢ ، الذي وضعه خيران فرنسيان وليس جمعية تاسيسية وانقلب عليه الحصن وعطله ، ودستور ١٩٧٠ [صدر باجاء ١٩٨٠] رغم مقاطعة حزب الاستقلال والائحاد الوطني لقوى الشعبية [هذان الدستوران يضعان السلطات كلها في يد الملك ويجهلان له احتكار العمل السياسي والحكومي المؤثر .

واذا كان المؤرخ الانجليزي يقول ان مصير شعوب الشرق يشكله شبابها ، فان هذا الوصف ينطبق بصفة خاصة على المغرب . مضيق فرص التعليم ، وقلة الوظائف ، وانكار الطابع القومي والذي اثبت انه كلب وراسخ في الاممق واسلوب الحكم الذي قال الملك انه لن يغيره في تصريح له الى الوكالة الفرنسية في اعقاب جزيرة القصر ، كل ذلك سيدفع الشباب الى مزيد من الحركة . فكما قالت جريدة المساجيرو الاطالبة ه فان فصائل تنفيذ الاعدام لن تستطيع ان تدعم السلطة لزمن طويل » .

ومع ذلك فان التغيير في المغرب لن يتم تلقائيا ، او بمساعدة ، واتيا عبر وحدة كل قوى المعارضة التقدمية ، وعلى اساس برنامج وطني وقومي واجتماعي ، كما كتبت لومتيه ، فان « سرعة الانتصارات الدوية التي حققها في بداية الامر ، بعض الضباط المبردين ، قد تثير الدهشة بنفس القدر الذي تثيره السهولة التي لمسكن بها بعد ذلك احباط محاولتهم . ذلك لان الشعب المغربي كان غلبا من هذه المحاولة التي تثبت ضعف نظام الحكم ، كما تثبت ضعف المؤسسات التي تبتعد عن الجماهير » .



الملك حسين

● وفي قطاع غزة ، نجح الاضراب العام الذي كتبت قد دعت إليه المنظمات الفدائية والتضامنية في القطاع ، يوم السبت ١٤ - ٨ - ١٩٧١ في احتجاجا على تهجير سكان القطاع الى صحراء سيناء والضفة الغربية .

● وفي السادس عشر من اغسطس المتصرم؟ وصل الى نيويورك - عاقدا من اسرائيل - يوسف تكواه - رئيس الوفد الاسرائيلي لدى الأمم المتحدة ، وصرح لدى وصوله الى نيويورك ، بأنه يحبل مبادرة اسرائيلية جديدة لحل مشكلة الشرق الاوسط ، وأنه « يجب على العرب ان يفهموا بان التصريحات العلنية لن تجدي شيئا ولا بد من اجراء محادثات مباشرة » .

وقد نشرت الصحف الامريكية، في مطلع الشهر الماضي ، خبرا مفاده ان الحكومة الاردنية قد شكلت ، من بعض الوزراء الاردنيين ، تحل اسم [لجنة شغلون الارض المحتلة] ، وترجع الصحف الامريكية ان تكون مهمة هذه اللجنة ، هي القيام باجراء اتصالات مباشرة ، بهدف التوصل الى تسوية منفردة مع اسرائيل .

وتجىء « مبادرة اسرائيل » هذه ، في اعتقاد الموقف الحازم لقيادة للجمهورية العربية المتحدة ، واعلانهم - اكثر من مرة - ان هذا العام هو عام حاسم . وان كان هذا الاعلان قد اقلق الخارجيين الامريكية ، فمع تصديقها الرسمي ، في مكالوسكي ، الى ان يعلن ، يوم ١٤ اغسطس ، انه لا يجب تحديد موعد نهائي لحل الازمة .

وكررت ثقلات الدكتور حسن صبري الخولي [محرر] وعمر السقايف [السموحية] بين الريش والقاهرة وعمان ودمشق والمقبة ويبروت ، دون جدوى . فقد عهد النظام الاردني الى توزيع الادوار بين منطلبه ، بما يقبله الملك حسين يرفضه رئيس وزرائه القتل ، في حين يقبل التل ما يرفضه الملك . كل ذلك من اجل افساح الوقت ، وفي الوقت الذي تقمعت فيه الجمهورية العربية المتحدة والسعودية بمقترحات للتسوية تقوم على اساس حرية الحركة للعمل الفدائي والسيادة الاردنية ، فان وصفي القتل قد رفض هذه المقترحات ، الا ان الملك حسين ، حين عرضت عليه في المقبة ، وافق عليها . وقد اشيع ان ياسر عرفات قد قبلها هو ، ايضا ، باعتبارها تضمن نفس محتوى اتفاقيتي عمان والقاهرة ، الموقعتين بين المقاومة والسلطة الاردنية في العام الماضي . وفي السادس عشر من اغسطس الماضي ، نفي المتحدث باسم الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين - ان يكون ياسر عرفات قد وافق على هذه الاتراجات ، ودل على ذلك بكون اللجنة الشعبية لنظمة التحرير الفلسطينية - والتي يرأسها عرفات نفسه - لم تجتمع بعد لمناقشة هذه المقترحات .

● ومن جهة اخرى تجرى اليوم ، في صفوف المقاومة ، حركة تنظيم شاملة للموقف بعد المذابح الرهيبة التي نظمها النظام الاردني ضد القوات الفدائية الفلسطينية في الاغوار وشمال الاردن ، في يوليو [تموز] الماضي . وقد اعلنت قيادة المقاومة ، في السادس عشر من اغسطس ، ان « آب » الماضي ، من استشهاد وليد احمد نمر ، والمحرور باسمه الحركي ابو علي اياد ، على ايدي القوات الاردنية اثناء الهجوم الذي شنته على قواعد الفدائيين الفلسطينيين في يوليو الماضي . وابو علي اياد هو قائد قوات المقاومة في منطقة عجلون ، وعضو اللجنة المركزية لفتح ، واحد ابرز قائديها العسكريين . وبعد اعلان قيادة الثورة لاستشهاده ، مباشرة وفي نفس اليوم ، اعلنت الحكومة الاردنية انها قد افرجت من صالحي راقبت [الجبهة الشعبية الديمقراطية] ومجموعة من الفدائيين . وكانت القوات الاردنية قد اسرته ضمن من اسرهم من الفدائيين الفلسطينيين عقب هجمة يوليو الماضي . وكانت الحكومة الاردنية قد اغلقت وحدات الهلال الاحمر الفلسطيني ، بدعوى انها تساعد المقاومة

● وفي الجزائر ، تحول مؤتمر الطلبة الفلسطينيين ، المتقدم فيما بين ٢٩ يوليو - ٨ اغسطس ، الى مظاهرة سياسية ، فتدد بكل المؤامرات المشبوهة التي دبرت ضد القوى الوطنية والتقدمية في المنطقة العربية .

التقارب الصيني - الأمريكي

تقرير خاص

نيكسون يفتح أبواب «السور العظيم»

كان لا بد ان يمر بعض الوقت على بيان الرئيس الأمريكي نيكسون المفاجيء في ١٤ يوليو الماضي عن زيارته القادمة للصين الشعبية ، قبل أن يصبح في الامكان القيام بمحاولة تقييم موضوع لهذه الخطوة ومعانيها وردود افعالها المختلفة بالنسبة للقرى العالمية المحيطة بالصين وأمريكا على السواء . وقبل الدخول في التفاصيل فان الوقت القصير الذي أعقب بيان نيكسون قد شهد انخفاضاً واضحاً في درجة الحماس الذي قوبلت به مجرد فكرة أن يقوم رئيس الولايات المتحدة بزيارة للصين الشعبية لإجراء محادثات مع رجل السياسة الأول فيها شواين لاي . وقد حدث ذلك لسببين :



نيكسون

● ان الصين الشعبية - وكان ذلك متوقفاً بدرجه كبيرة للمتابعين للشئون الصينية - لم تتوقع من لقد السياسة الإمبريالية الأمريكية ونقد سياستها حكومة نيكسون على وجه التحديد بعد إذاعة نيا دعوة نيكسون لزيارته بكيين .

● أن نيكسون نفسه - وقد خشي من احتمالات المستقبل - لم يضيع الوقت فياد إلى التحضير من الاقراط في التفاوض بهذه الزيارة ، ومن الاندفاع إلى توقع وفاق أمريكي صيني كامل وسريع .

ويمكننا أن نعتبر هذين السببين بمثابة رد الفعل الصيني ورد الفعل الأمريكي لهذا الاتفاق على ميام الرئيس الأمريكي بزيارة نيكين . وهناك بطبيعة الحال موجات متلاحقة من ردود الفعل من جميع الاتجاهات (الأمم المتحدة - الاتحاد السوفيتي - هانوى - هورموزا - اليابان - باقي حكومات آسيا - الشرق الأوسط - أوروبا) أسهمت كلها في اللقاء الضوء على احتمالات النتائج بالسلب والايجاب .

رد الفعل الصيني

لقد جاء اتفاق زيارة نيكسون لبكيين بمثابة مفجر جديد لكل المشكلات القائمة بين الصين والولايات المتحدة ... ولم يكن من المتصور أن محادثات الساعات العشرين التي أجراها هنري كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكي في بكيين قد قضت على تناقضات المبادئ والسياسة والمصالح بين الشعب الصيني والولايات المتحدة . ومن هنا لفست تتوالى من داخل الصين بيانات وتصريحات تحدد - قصداً في أغلب الظن - موقف بكيين من سياسة الولايات المتحدة إزاء المشكلات التي تضمها في موقف الصدام المباشر مع الشعب الصيني ، وأهمها مشكلة احتلال تايوان (هورموزا) ومشكلة

عضوية الصين في الأمم المتحدة . والمشكلات الأخرى التي تضع الولايات المتحدة في موقف الصدام غير المباشر مع الشعب الصيني ، وأهمها الحرب العدوانية الأمريكية المستمرة ضد الشعب الفيتنامي ، ومشكلة كوريا ، ومشكلة العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة واليابان ودور الولايات المتحدة في محاولات إحياء العسكرية اليابانية وخطرها على الصين وشعوب المنطقة .

وبالنسبة لمشكلة تايوان وهي لا تنفصل كثيراً عن مشكلة عضوية الأمم المتحدة فان الولايات المتحدة قامت بجهود دعائية ضخم للإيهام بأن زحزحة الصين الشعبية عن موقفها بالنسبة لتايوان امكانية قائمة . وذميت هذه الدعاية إلى حد الترويج لشائعات بأن هناك محادثات سرية بين بكيين وتايبيين ! وكان لا بد من عملية تحديد موقف

جديد من جانب بكين ٠٠ ولم تتركز بكين في القيام بهذه العملية بوضوح ويحسم ٠ وكان أوضح بيان هو ذلك الذي أصدرته وكالة لثبات الصين الجديدة يوم ٤ أغسطس الماضي وقد قرر أن محاولة الولايات المتحدة للترويج لفكرة وجود « صينيين » في مؤامرة تهدف لمواصلة الهيمنة في كافة الحقوق الشرعية لجمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة والأصرار على معاداة الشعب الصيني ٠

وكانت النتيجة التي انتهت بها البيان الصيني « أن الحيلة السجدة التي تتلاعب بها الإمبريالية الأمريكية حول وجود صينيين هي حيلة غير شرعية قلباً وقالباً ولا جدوى منها ٠ أن مقاطعة تايوان هي جزء لا يتجزأ من أراضي الصين ٠ ويمارس الشعب الصيني بحزم وعزم ادعاءات وجود صينيين أو صين واحدة وتايوان واحدة أو غيرها من الادعاءات السخيفة المائلة ، ونحن على ثقة تامة بأن الدول والشعوب المؤيدة للعادلة في العالم يأسره في الإصرار على أن تسمح أبداً لأي شخص بأن يواصل تحت شعار وجود صينيين احتلال تايوان أرض الصين وعرقلة استعادة المقعد الشرعي لجمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة » ٠

وعبر شواين لاي في مقسه عن وجهة نظر الصين الشعبية في محاولة الأمريكي الجديدة للاحتفاظ بتايوان داخل الأمم المتحدة (وداخل إطار النفوذ والاحتلال الأمريكي أيضاً) وذلك في الحديث الذي أجراه معه جيمس ريسلون نائب رئيس تحرير « نيويورك تايمز » ٠ حيث قال أن الموقف الأمريكي في مسألة انضمام الصين الشعبية للأمم المتحدة كما عرضه وليام وجوزيف وزير الخارجية الأمريكي « لا يمثل خطوة إلى الأمام ٠ أنها صيغة متناقضة وضعت تحت ضغط المخابرات التي دارت بين الحكومة اليابانية وممثل تشانج كاي شيك في هوكيو ٠ أن اليابان تريد السيطرة على تايوان ٠ ولتستبد هذه بإسالة البسيطة إذا لبيت اليابان قانوناً في الأمم المتحدة ٠ وقد أكد شواين لاي أن الصين لن تقبل الجلوس في الأمم المتحدة بآية حال من الأحوال إذا تم قبول فكرة وجود دولتين صينيتين إذا ما احتفظت تايوان بمقعد باعتبارها دولة مستقلة ٠

وفيما يتعلق بتحرير تايوان قال شواين لاي في الحديث نفسه أنها مسألة داخلية وتتطلب إجراء مفاوضات مع الولايات المتحدة ٠ وإذا كان المطلوب أن تعود تايوان إلى الوطن الأم فإن على الولايات المتحدة أن تسحب قواتها من هناك ٠ ولا تكفي يمكن أن تعود إلى الوطن الأم ٠٠٠ ويستوجب هذا بطلان معاهدة الدفاع المشترك المزعومة بين الولايات المتحدة وتشانج كاي تشيك.

وهي المساعدة التي كنا نقدرها على الدوام باطلة ٠

وفي نفس الاتجاه وينص القدر من التباين كان تصريح في هسبين ثين نائب رئيس وزراء الصين في كلمة في حفل تكريم لوفد اقتصادي من كوريا الديمقراطية « إن القيم تايوان جزء لا يتفصل من الأرض الصينية وتحريره مسألة داخلية صينية لا تتطلب أي تدخل خارجي » ٠

وقد كتب الصحفي الأمريكي جيمس ريسلون - الذي التحق له خلال زيارته الطويلة للصين في أغسطس الماضي أن يتلمس أكثر من غيره ملامح ردود الفعل الصينية إزاء زيارة نيكسون - « أن مواقف الصين وتبنيها تجاه الولايات المتحدة تتغير بشكل واضح ، ولكن استراتيجيتها ومبادئها تظل كما هي ٠ هذا هو الانفتاح الرئيسي على هناك (هي بكين) » ٠ وقال أن الدبلوماسيين الغربيين في بكين يمتدنون أن شواين لاي قد أبلغ كيسنجر خلال اجتماعهما في يوليو بأن اتفاقاً منه حيث المبدأ لابد أن يتم التوصل إليه أولاً بين واشنطن وبكين قبل أن يصبح في الامكان تسوية المسائل المحددة ٠ وهذه المسائل المحددة كما تراها الصين هي :

- لا توجد « صينيين » وإنما حكومة صينية واحدة على الأرض الصينية الأساسية وتايوان ٠ وهذه الحكومة هي القائمة في بكين ٠
- أن كل المفاوضات بين الصين والولايات المتحدة ربما هي تلك النزاع على تايوان - لابد أن تسعى عن طريق المفاوضات السلمية دون تهديد بالforce أو استخدام لها ٠

● أن علي واشنطن بالتالي أن توافق على سحب قواتها المسلحة من تايوان ومن مضائق تايوان ٠ أما عن وقت وكيفية إتمام هذا الانسحاب فهذه مسائل تسعى بمفاوضات لاحقة ٠

ويقول ريسلون أن الدبلوماسيين الغربيين في بكين يمتدنون أن كيسنجر قد أبلغ شواين لاي بأن نيكسون يوافق على هذه البداية ولولا ذلك لما وجه رئيس الوزراء الصيني الدعوة للرئيس الأمريكي لزيارة الصين ، خاصة وأن الشعور القوي للسادات - داخل أعلى القيادات في الجيش الصيني - أنه ينبغي عدم التدخل في مفاوضات مع واشنطن طالما بقيت القوات الأمريكية في تايوان ٠

وهنا نجد اتسفاً أمام موقف صيني معلن بوضوح في بيانات رسمية وتصريحات للممثلين فيما يتعلق بمشكلة تايوان ٠ وموقف أمريكي غير معلن إزاء هذه المشكلة ٠ وإنما تقارير ترد على لسان مراسل أمريكي نقلاً عن « مصادر دبلوماسية غربية » ٠ ولعل هذا ما يجعل المراقبين يشعرون أن

مشكلة تاوان لا تزال هي العقبة الرئيسية أمام تحقيق علاقات طبيعية واعتراف متبادل بين الصين وأمريكا *

رد الفعل الأمريكي

لا يمكن الحديث عن رد فعل أمريكي متجانس إزاء محاولة الوفاق بين أمريكا والصين ، لأنه بإزاء هذه القضية لا توجد أمريكا واحدة * فان الفترة التالية لإعلان بيان نيكسون عن زيارته القادمة ليكن سادت موجة حماس في بعض الدوائر الأمريكية ، وموجة غضب في دوائر أخرى * بينما لا تزال بعض الدوائر في حالة ذهول المفاجأة عاجزة عن تقدير الموقف * ولعل العنصر الوحيد المشترك في ردود الفعل الأمريكية كلها هو رغبة هذه الخطوة من نيكسون بمحاولته ليس فقط لكسب انتصايات الرئاسة القادمة بل لكساح خصومه في هذه الانتخابات تماما باعتبار أن الرأي العام الأمريكي يسوده - نتيجة لزيادة دعائى يومى يزود به - اعتقاد بأن مشكلة السلام في الشرق الأقصى كله تتوقف على التقارب مع الصين *

وبطبيعة الحال فإن العناصر الليبرالية في الحزبين الجمهورى والديمقراطى كانت أكثر العناصر الأمريكية ترحيبا بقيام الرئيس الأمريكى بزيارة للصين * في هذا الاتجاه كانت تصريحات السناتور وليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ والسناتور جورج ماكجوفير المرشح لخوض معركة الرئاسة القادمة عن الحزب الديمقراطى والسناتور الديمقراطى مايك مانسفيلد * والظاهرة الغريبة في رد الفعل بين زعماء الكونجرس أن الحماس للتقارب مع الصين كان على أشده بين الديمقراطيين الذين اعتبروا في التقديرات الداخلية للتأنيج المحتملة لزيارة نيكسون الجانب الخاسر انتصايب نتيجة لها * على حين أن أشد العناصر معارضة للرحلة العناصر اليمينية المحافظة داخل الحزب الجمهورى الذى ينتمى إليه نيكسون * واتخذ عدد من أعضاء نيكسون القداس في هذا الحزب موقف التردد الشديد لقراره بزيارة بكين ، واتخذت مجموعة المحافظين الجمهوريين (١٥ من زعماء الكونجرس) قرارا بعدم تأييد نيكسون فى انتخابات الرئاسة القادمة *

وقد اهتم نيكسون نفسه في أكثر من مناسبة بأن يحدد من توقع نتائج باهرة لرحلته القادمة ليكن * وقد قال أنه يتطلع الى تحقيق « بعض التقدم في تسوية الخلافات مع الصين » ولكنه لا يعتقد أنه سيحدث « وفاق قوى » نتيجة لمصاداته مع

الزعماء الصينيين * وعلى وجه التحديد فإن نيكسون قد رفض حتى الآن أن يعطى شيئا من ملامح تصويره للآثار المحتملة لمصاداته في بكين على مشكلة فيتنام * وقال في مؤتمر صحفي سريع عقده في ٤ أغسطس - أن كل ما يستطيع أن يقوله عن مصاداته في بكين أنها ستتأول مناقشة واسعة النطاق للمسائل التى تهم البلدين * * وأنه يعتقد ان الانجاز الهام لهذه المصادات هو « فتح باب الاتصالات » بين أمريكا والصين *

وقد وصف موقف المحافظين داخل الحزب الجمهورى من زيارة نيكسون للصين بأنه « قهقري يمينى » وهو اصطلاح من الغريب أن يستخدم على هذا النحو داخل الأوساط السياسية والحزبية في الولايات المتحدة * وقد بلغ هذا « التحور اليميني » ذروته في موقف مجلة « ناشيونال ريفيو » التى تصدر أصلا من جناح مؤيدى نيكسون في الحزب الجمهورى ، وهو نفس الجناح الذى يسيطر عليه هداء أسمى للشوعية ويبحث في كل ما ينشر - وخاصة في هذه المجلة - أفكارا بشعة من المجتمع الصينى ولبائنة السياسية والصنعية مثل قول وليام باكلى رئيس تحرير « ناشيونال ريفيو » أن ماوتسى تونج قد نجح في إقامة مجتمع المضللين تضليلا كاملا لأنه قتل كل المعارضين ! وقد حاولت هذه المجموعة من غلاة الرجعيين الأمريكين الذين يصد نيكسون أنفسهم وأحدا من كبار زعمائها (يصرف النظر عن قراره الفجائى بمحاولة إقامة علاقات طيبة مع الصين) أن تصور أن أساس معارضتها للتقارب مع الصين هو أساس أخلاقى ، وأن أمريكا زعيمة العالم الحر لا ينبغي أن تضع يدها في يد ماوتسى تونج * ولهذا وجد من بينهم من يصف الالتقاء مع الصين بأنه حدث لا نظير له منذ توقيع معاهدة عدم الاعتداء بين حكومة ستالين السوفيتية وحكومة هتلر في ألمانيا فبيل الحرب العالمية الثانية ، إلا أن الحقيقة التى تتضح وراء بيانات هذه المجموعة اليمينية المتطرفة تكشف أحاسيسهم بأن رحلة نيكسون تشكل هزيمة مباشرة لهم ولكل الولايات التى روجوا لها طوال السنوات الماضية ، وهو ما عبر عنه بيان مجلة « ناشيونال ريفيو » فى قوله أن محاولة الانفتاح على الصين تجرى في غياب أية تنازلات علنية من جانب الصين « الحمراء » للقضايا الأمريكية أو الغربية *

على أنه كان بين المعارضين والمؤيدين على السواء شعور بضرورة التحذير من التضحية بالعلاقات التى أقامتها الولايات المتحدة على طول السنوات العديدة الماضية مع الاتحاد السوفيتى لحساب المحاولة الجديدة لكسب ود الصين الشعبية * وكان هذا أعلى الاجراس التى نقت تحذيرا من آثار الزيارة المحتملة * ولهذا طرح عدد

تحفز وراء كل عبارة في بيان أو مقال أو تصريح بحثاً عن أداة لزيادة حدة الخلاف بين يكيين وموسكو .

والحقيقة أن رمود الفعل المباشرة الاثنية من موسكو - والتي تمثل بصفة خاصة في تعليقات صحيفة الحزب الشيوعي السوفيتي «برافدا» - انما تضع موقف الاتحاد السوفيتي بـإسناد ووضوح في إطار هذه القضية « أن الاتحاد السوفيتي يهتم فوق كل شيء ألا يؤدي التقارب الصيني الأمريكي إلى أي أضرار بمصالح الغير - سواء كان هذا الغير الاتحاد السوفيتي نفسه أو الدول الاشتراكية الأخرى أو حركة التحرر الوطني في العالم التي تتناضل ضد الإمبريالية الأمريكية » .

على أن هذا الإطار نفسه لا يخفى ولا يلقى قلق الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى من أضرار وعواقب هذا التقارب على قضايا الاشتراكية والمسلم والتحرر في العالم ، على أساس أنه ليس من المنصور أن تتطلى الولايات المتحدة برئاسة واحد من أكثر زعمائها عداءاً للشيوعية ولقضية السلم من أفعالها بين يوم وليلة ، وعلى أساس أن الائتلاف لابد وأن تكون وراءه أغراض تحققها هي قبل أية قوة أخرى .

ويمكننا أن نجد رد الفعل السوفيتي في أوضح صورة وأكثرها تحييراً من وجهة النظر الرسمية في مصدرين ماهين : أولهما بيان اجتماع القمة الذي عقده في القرم زعماء دول أوروبا الشرقية الذين كانوا يقضون أجازاتهم في الاتحاد السوفيتي (باستثناء رومانيا) يوم ٢ أغسطس وثانيهما التعليق الذي نشرته جريدة « برافدا » السوفيتية لجورجي أرباثوف مدير « معهد مشكلات الولايات المتحدة التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية » يوم ١٠ أغسطس .

اجتماع القرم : لقد كان مجرد عقد مؤتمر القمة السريع لنكول خلف وأرسى في القرم - لمدة يوم واحد - مؤشراً دالاً بذاته على المحبة التي تاذق بها هذه الدول وفي مقدمتها « الاتحاد السوفيتي التحول الفجائي من جانب الصين الشعبية والولايات المتحدة لتحقيق وفاء بينهما » رغم أن هذا الاجتماع يرتبط في الأساس بما اتفق عليه رؤساء حكومات هذه الدول في إطار مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل (الكوميكون) من برنامج لتحقيق للتكامل الاقتصادي بين دول المجلس . وقد لاحظ المراقبون أن البيان - وإن لم يذكر اسم الصين على وجه التحديد - قد ركز تركيزاً خاصاً على ضرورة الالتزام بالخط الذي رسمه مؤتمر الأحزاب الشيوعية والمعالية في موسكو عام ١٩٦٩ كأساس لا يتزعزع لسياسة الأحزاب

كبير من رجال الكونجرس اقتراحاً بقيام نيكسون بزيارة لموسكو قبل أو بعد زيارته للصين . وقد استبعد نيكسون نفسه فكرة قيامه بزيارة لموسكو قبل زيارته إلى بكين ، وقال أن مثل هذه الزيارة تتطلب أعداداً كبيراً ولابد أن يكون هناك شيء جوهري يمكن مناقشته مع الزعماء السوفيت . ولكنه في الوقت نفسه حرص في تصريحات متواليه له على أن يؤكد حرص حكومته على العلاقات مع الاتحاد السوفيتي .

على أنه لا يمكن اغفال للجناح الضخم من رجال الحزبين الأمريكيين الرئيسيين الذين رحبوا بهذه الزيادة ، وفي أذهانهم أنها يمكن أن تؤدي إلى فتح أبواب ٧٥٠ مليون مستهلك صيني أمام الاقتصاد الأمريكي فحل مشاكله واختناقاته ، ويقضي على التضخم المالي ويعالج العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي (أكثر من ٢٠ ألف مليون دولار) ، وتنتهي أزمة الدولار في أسواق العالم ، وللواقع أن الاقتصاديين الأمريكيين كانوا أسبق كثيراً من نيكسون في التفكير في ضرورة إقامة علاقات طيبة مع الصين الشعبية حتى تفتح أسواقها للولايات المتحدة .

ولكن ما إن بدأ يتضح أن هذا الأمل الذي لمس فجأة مع إعلان نية الزيارة لا يزال بعيد الاحتمال حتى بدأ يتطلب على رجال الأعمال الأمريكيين اتجاهمهم الطبيعي المعادي للمجتمعات الاشتراكية ولهذا أصدروا في ١٠ أغسطس بياناً أذاعه جورج مينلي رئيس اتحاد العمال ، وأصحاب الأعمال (وهو من أشد المخططات الأمريكية رجعية) هاجم فيه سياسة التقارب مع الصين ، ووصف زيارة نيكسون المزعمة بأنها عمل « حقير وغير أخلاقي » وقال إن على حكومة نيكسون ألا تغير موقفها من منع الصين الشعبية من الحصول على عضوية الأمم المتحدة .

رد الفعل السوفيتي

لم يكن العالم كله أكثر اهتماماً بواحد من رمود الفعل إزاء محاولة الائتلاف الأمريكي الصيني منه بصد الفعل السوفيتي . ولهذا وجدت فيه الدوائر الاستعمارية في الغرب - وفي الولايات المتحدة بوجه خاص برغم تردد نعمة الحرس على العلاقات الأمريكية السوفيتية - مجالاً خصصاً للدعاية المعادية للمسكك اشتراكي كله بهدف تعميق الخلاف بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية ، وبهدف الإحجام بوجود اشتباكات متعددة الجوانب متفرعة عن الخلاف السوفيتي الصيني . ولم تتناول الأجهزة الغربية موقف الاتحاد السوفيتي من زيارة نيكسون المزمعة للصين بأي قدر من الموضوعية وإنما حاولت بطبيعة الحال أن

الإعداد للقاء للاتحاد السوفيتي في الدول الأخرى - بما فيهم معقل الثورة المضادة المهاجرون من البلاد الاشتراكية والصهيونيون المظفرين - يؤيدون تقارب الولايات المتحدة إلى الصين حقيقة ينبغي الإتيان عن النظر » . وقال تعليق «برافدا» أيضا أن اعتقاد البورجوازية والبورجوازية الصغيرة في أمريكا أن الصين في الواقع لم تعد «ثورية» و «شيوعية» إلى هذا الحد المتطرف قد لثان الأمل في أن تتمكن الولايات المتحدة بمساعدة يمين من إنهاء الحرب في فيتنام بالشروط التي تتناسب البورجوازية الأمريكية تماما . كما قال التعليق «أن انخراط هذه اللحظة بالذات لتوجيه الدعوة (إلى نيكسون لزيارة الصين) لا يمكن أن يثير دهشة الكثيرين سواء في الولايات المتحدة أو في الخارج ، كخطوة تلحق الضرر الواضح بنفسال الوطنييين الفيتناميين» . وأضاف تعليق «برافدا» أيضا عنصر ثانير الزيارة على حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة . وأبرز ما يمكنه هذا التعليق لحيد معهد المشكلات الأمريكية بأكاديمية العلوم السوفيتية هو

المركسية اللينينية الشقيقة . وقد أكد البيان « أن الأخيرة تؤكد أهمية التاريخية للمؤتمر بالنسبة لزيادة قوة وحدة الحركة الشيوعية العالمية وحركة الطبقة العاملة على أساس الصراع الماركسي اللينيني ضد الانهزامية واليمين واليسارية ، ولتجميع كل القوى التقدمية وقوى التحرر الوطني في الفضل ضد الامبريالية » . وقد أعطى هذا الجزء من البيان أمعاء للمراقبين الغربيين - لم يتردوه في استغلاله بطليمة للحال - بأن اجتماع القرم لدول حلف وارسو إنما ناقش التطورات الأخيرة في العلاقات بين الولايات المتحدة والصين الشعبية ، للاتفاق على موقف موحد بينهما ، ووجد المراقبون الغربيين في غياب الزعيم الشيوعي الروماني نيكولاي شاومسكو من هذا الاجتماع مادة خصبة للدعاية على أساس ما تردد طوال الفترة الماضية من أن رومانيا قد لعبت دورا رئيسيا في التقارب الأمريكي الصيني وخاصة أثناء زيارة شاومسكو الأخيرة للصين .

تعليق يرافقه : قال أن الرأي العام العالمي يريد أن يعرف كيف ستؤثر التغيرات التي بدأت في العلاقات بين الولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية على الموقف الدولي . « أن حقيقة كون

مول لقاء الرئيس السادات مع قيادات النقابات العمالية

تتعلق

في لقاء الرئيس أنور السادات مع القيادات النقابية العمالية الجديدة في الشهر الماضي أثار الرئيس مجموعة من الجوانب والوقائع الهامة للعمل النقابي . من هذه الجوانب والوقائع أن تقوم النقابات ب «تخليص المسودة» بصفة مستمرة من الاتهامات والمخبرين ، على أن تتم النقابات نفسها بذلك الدور السام دون التجاهل إلى السلطة . وأن يكون «الأسلوب الديمقراطي المثلثي المتاح» في مواجهة جميع «بشكلنا» . ونظفنا على ذلك تؤكد على أمور ثلاثة ، أولا ، أن الدعوة إلى تطوير الصفوف إنما تجهز بعد خبرة سبع سنوات عمال في هيئة التنظيم النقابي المصري حيث تمكنت المناسبات التنهائية والمخبرة من السيطرة على التنظيم ولم تلق حتى هذه اللحظة جزاءها . وقد ارتكبت مناصر منها اعتلائها عليها القوانين السائدة ، وينطبق ذلك ضرورة وضع الأسس والقواعد الواضحة التي تسمح للعمال بفرغها بأسرها على التنظيم النقابي ، فالقوائم العمالية للنقابات والتي وضعت أولا لخدمة مصالحها فزاد وزير العمل هي لوائح تتناقض تماما مع كل مبادئ الديمقراطية النقابية ، وأن هذه اللوائح يجب أن تعدل وأن تصب لصالح مبرحها صيغ لائعية معينة من المبادئ أن تطبق حسب التلة من أعتقد على يدهم المليونون لثمة لم يأتى وأكبر منهم واتخذوا الفرصة ليرسي خططاته ويخبر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن حركة الجماهير الديمقراطية والرائقة والمشاركة يجب وأن تكون حركة منظمة وأن تتفتح من خلال قنوات تنظيمية حتى لا يكون الأمر فوضى ، وعلى أن تصبح لتجاهات شاملة أو معينة أن تعيد بالانتماء الديمقراطي للعمل . . . وللتنظيم أن يوضع الأسس التنظيمية التي تسمح بالإنجازات الوضعية لجلس إدارات المحميات المختلفة للتنظيم النقابي ، وأن يؤخذ بهذا عقد الجلسات الفعولة التي يحضرها مندوبون من القواعد العمالية ، وأن تكون هناك لوائح تنظيمية يظل منها العمال على قائلهم . صحافة عملية حقيقية وحررة - وممارسة للفن والقدرة الذاتية ، وأن تعرض ميزانية نصف سنوية على العمال وأن يوجد شكل نقابي يحق وصولها لكل عضو ومناقشته لها وأن يتم بسطها بطريقة سهلة بعيدا من تلاعب المحاسبين وأحبيهم . ثانيا : أن الدعوة إلى أن تقوم النقابات نفسها بذلك الدور دون التجاهل إلى السلطة ، إنما هي دعوة شاملة لاحتلال استقلال التنظيم النقابي . وفيه استقلال التنظيم النقابي هي قضية جديرة بأن يوليها القادة الجدد اهتمامهم الحقيقي وأن يشعروا الأسس والمبادئ لتطبيقها . فالنقابات العمالية هي أوسع التنظيمات الجماهيرية بحكمها منظمة ديمقراطية تتألف من المصالح اليومية المباشرة للعمال ، وهي ليست تنظيمات حزبية ، ولا حكومية أو شبه حكومية ، وأي تصور ينقص هذا الفهم لأثر الحركة النقابية وحدها في الحقيقة إنما يضر التنظيم السليمي نفسه لأنتميل التحرك الديمقراطي لقادة العمل اليوم إلى تحرك شبه حركة المراسل على مسرح المراسل ، وينت هذا الفهم - كما أبت من قبل - إلى قضية الإنتاج نفسها لأن إنشاء الاشتراكية أو الدول بجمعتنا من الرأسمالية إلى الاشتراكية إنما يكون النتيجة

التنبيه الى خطر احتمال التقات الوليات المتحدة - عن طريق التظاهر بالتقريب الى الصين - حول العالم الاشتراكي لضربه ولضرب الفضال التحرري الوطني في فيتنام الذي يشكل أكبر أزمة لسان الاميريالية . وقد أكد المعلق ارياتوف في الختام « ان مواقف الاتحاد السوفيتي ومواقف الاشتراكية المعانية من القوة بما يكفي لتمكينها من ان تواجه تبعه أي تحول ممكن للادداث » .

رد الفعل الفيتنامي

مندان اعلن نيا زيارة نيكسون ليكن ترددت مرات عديدة المباراة الفائلة بأنه من المؤكد ان ممسالة الحرب الفيتنامية ستكون على رأس الموضوعات التي سيناقشها نيكسون مع زعماء الصين . وليس هناك خلاف بين المراقبين على ذلك ، حتى ان بعضهم ورد في الأيام الأولى التي أعقبت نيا الزيارة ان نيكسون قد يسمى لزيارة هانوي ، ولكن شيئا من هذا لم يتأكد . ولكن ميل مصافة الغرب وأمريكا على وجه الخصوص لتجاهل وجود ووزن حركة التحرر الوطني بشكل عام ومعاملتها على انها مجرد « توابع » لبعض المواقف الكبرى مثل يكن . هذا الميل قد حكم أيضا معالجتها لرد

الفعل الفيتنامي - سواء لدى فيتنام الديمقراطية ان لدى ثوار فيتنام الجنوبية معقلين في حكومتهم المؤقتة - وحاولت الدعايات الغربية في هذه النقطة بالذات الإيهام بان الولايات المتحدة تستطيع ان تحل مشكلة فيتنام مع الصين من وراء ظهر الثوار وتحمت عن قلق في هانوي وعن خلاف بين فيتنام الديمقراطية وبين ما لم تستطيع ان تقدم له أي اساس موضوعي .

ولكن ردود الفعل الرسمية من جانب حكومة فيتنام الديمقراطية والحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية حرصت على وجه التحديد على ان تكون بمثابة رد على هذه الحملات . وكان اول تعقيب فيتنامي على بيان نيكسون يوم ١٤ يوليو الماضي عن زيارته القادمة للصين هو تصريحات السيدة فيونين لي بين وزيرة الخارجية في حكومة الثوار . وقد أكدت ان وقت الإنفاقات بين الدول الكثير لتقرير مصائر الدول الصغرى قد مضى وان فيتنام لن تلزم بأي اتفاق لا تكون هي طرفا فيه . وبعبارة اعلن لي بوه تو - عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي في فيتنام الديمقراطية والمسنشار الخاص لوفد هانوي في محادثات باريس - ان مصير فيتنام يقره الفيتناميون وحدهم .

ولمرة الجهد الواضح الذي بذله ملايين العاملين القميين في تقليبهم واتحاداتهم الديمقراطية . فليجهد الواضح لكون

التصحية وليس بقرارات العلوية ولا بالقرارات التي ترحمها بيانات . ان العناصر التي سمحت مراكز القوى والسلطة ان تحب باستقلالية الحركة القمبية في الفترة الماضية في عناصره في على الحركة المعنوية الصرية - لم تمش تاريخ هذه الحركة ونفسها وتصحياتها من اجل تنظيم نقابي مستقل نابع من ارادة جماهير العمال ومحرك بهذه الارادة ولا يستند قوته من ارادة غيرها . وكل الابتكار التي روج لها نقابيون في الفترة الماضية لالامال التنظيم القمبي بالتنظيم السياسي او السلطة هي افكار عناصر عاجزة في القيادة ووافدة في الطبقة العاملة من صفوف البيروقراطية الصغيرة والمتوسطة . وان العلاقة بين التنظيم السياسي والتنظيم القمبي يجب ان تكون تعبيراً عن الجهد والعمل الواضح الذي يقوم به الاشتراكيون داخل التنظيم القمبي ليتأكد وهم امضاءه في قيادته قيادة اختيارية واعية ديمقراطية ان تضع جماهير العاملين بصحة قراراتهم وشعاراتهم وخطة العمل . وان ذلك يتطلب

تحقيق ديمقراطية واسعة داخل التنظيم القمبي في كافة مستوياته ، ديمقراطية تصبغ اشراك اعرض الجماهير في اقتضاها القمبي ، وتفيد ذلك كتفويض وتوعية اشتراكية ، يكون محوراً نشر الفكر الاشتراكي الطلي ، ان الطبقة العاملة يجب ان تتسلح بنظرية ثورية تكون دليلها ومرشدها وهي التحمل اعباء المرحلة الثورية التي يمر بها بلدنا مرحلة التحرير وانجاز البناء للتنقل بالبلاد الى مرحلة القضاء الاشتراكي . وتحقيق الديمقراطية الحقيقية للتنظيم القمبي يوجب على القادات الحالية ان تلزم بخطة محددة وموثوقة - وليس بشعارات او تصريحات صهيبة او خطب مطبوعة - فليديمقراطية هذه الاشتراكية الطلية ديمقراطية ملتزمة بالاجتماع واحداً وطبقة ، وبالطبقات صلبة الديمقراطية الوسيطة في بناء المجتمع المنحصر من استقلال الانسان كائنات - ومن هنا على القادات ان تسود مفهوم من المجتمع الجديد ويجب ان تصوغ كما قال الرئيس تور السادات في لقاء مع قاداتا « بنفسها وبارادتها » . وعليها ان تواجه كل مشكلة بمحاور السلم والديمقراطية الكلية ، في ظل اطار تحالف قوى للشعب العاملة .

ان العمل القمبي عمل صعب ومعقد والجماهير تصاحب عليه كل يوم ومن هنا قلته يخفف عن العمل السياسي وعن كل عمل آخر العمل القانوني والقمي . وقادة العمل القمبي الجدد يواجهون بواجبهم صعب ، لانهم لم يصلوا الى مواقفهم

الى الصين بأنها «رحلة المهزوم لا رحلة المنتصر» - وهزيمة نيكسون هي بالتأكيد هزيمة في فيتنام قبل اي شيء آخر - ولعل هذا هو السبب الرئيسي وراء الانزعاج الشديد الذي يبدو على كل الحكومات الاسيوية المعتدلة على الوجود الامريكى العسكري أو السياسى فى شرق آسيا .. سواء فى ذلك تايلان (غورموزا) أو تايوان أو الفلبين - أن هذه الحكومات تشعر فعلا بأن انتقال نيكسون الى بكين فى محاولة للتقارب معها مظهر هزيمة وضعف وأنه سينتهى بخروج السند الاساسى لها فى المنطقة - فهذه الحكومات تنظر الى الموقف الامريكى الجديد من الصين على أنه بمثابة تقرير مصير لها .

وقد امتد هذا الانزعاج الى اليابان التى لا تزال تعاني من عقدة وصنها بأنها «عماقق اقتصادى وقزم عسكري» - فحكومة اليابان تشعر أن الولايات المتحدة قد تخلت عنها واستسلمت لاهداف بكين وهي تحييد اليابان فى شرق اسيا وإبعادها عن غورموزا ، وقطع الطريق عليهما للسيطرة على هذه المنطقة وهي الخطة التى كانت قد شرعت منذ سنوات فى تنفيذها بتأييد من الولايات المتحدة - بينما يشعر المنتصار الاعتراف بالصين الشعبية داخل اليابان بأن اقدام نيكسون على التقارب مع بكين يؤكد خطأ سياسة حكومة ايزاكر ساتو اليابانية التى تقف ضد الاعتراف بالصين وهو خطأ يكبدها - فى نظر هؤلاء - الكثير من الناحية الاقتصادية لانهم يمتثلون ان الولايات المتحدة قد سبقت الى اسواق الصين وتركت حليفها اليابان وراءها .

ان التكهات والتكهنات المضادة التى اثارها رحلة نيكسون القادمة للصين الشعبية خلال الفترة القصيرة الماضية تصل فى طياتها تاريخيا طويلا من التناقضات الحادة التى صنعتها السياسة الامريكى للمسكرية والسياسية والاقتصادية فى اسيا .. وإذا كان بيان نيكسون المفاجيء المكتسب من هذه الزيارة قد اثار اكبر طوفان من ردود الفعل والتكهنات على هذا النحو فإن شئنا منها لا يمكن التحقق منه الا عندما تتم الزيارة نفسها .. وعندها تعلن نتائجها .. بل عندما تعرف نتائجها عليها على النحو الذى سنتفحص به فى مواقف الولايات المتحدة والصين الشعبية ليس فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية بينهما ، وإنما فيما يتعلق بكل القضايا الهامة المثارة فى العالم فى الوقت الراهن ابتداء من مشكلة فيتنام الى مشكلة تايوان وأمدادها الى مشكلة الأمم المتحدة وهاعلنيتها والعلاقات الدولية وقضاياها الاساسية مثل نزع السلاح وتصنيفه الاستعماري والعنصري والمعايير السلم والمناخية بين النظام الإجماعية المختلفة .

وبطبيعة الحال ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن هذه التمرجات من قبيل الهجوم أو النقد من ثوار فيتنام - فى الشمال أو الجنوب - على الصين الشعبية وإنما هي فى الاساس تأكيد لاستقلالية حركة التحرير الوطنى الفيتنامية وحققا فى تقرير مصير قضيتها بنفسها وبطريقة ثورية .

والامر الذى يؤكد أن التسيق بين فيتنام الثورة والصين الشعبية قائم وقوى أن الصين نفسها لم ترددي فى أن تعلن أنه لا تقارب ولا وفاق ولا اتفاق مع الولايات المتحدة دون أن تنسحب القوات الامريكى المسلحة بالكامل من جنوب شرق اسيا والهند الصينية كلها - وقد أوضح شواين لى فى حديثه مع جيمس ريمستون فى بكين أن الصين الشعبية «ستستمر فى تقديم المساعدات لفيتنام حتى النهاية» حتى الانسحاب الكامل للقوات الامريكى . ان المشكلة الملحة جدا فى الوقت الحاضر هي مشكلة فيتنام .. ان موقفنا هو أن أول مسألة ينبغي أن تحل هي مسألة فيتنام والهند الصينية وليس مسألة تايوان أو المسائل الأخرى .

وقد اتخذت الصين الشعبية موقفا مطابقا أوقف فيتنام الثورة حينما أعلنت رفضها فكرة عقد مؤتمر جنيف من جديد لبحث مشكلة فيتنام . وأعلنت أن الولايات المتحدة هي نفسها التى دمرت اتفاقات جنيف ، وقرر شواين لى بوضوح أن حل مشكلات فيتنام لاوس وكيمبوديا مسألة تدخل فى اطار سيادة شعوب كل من هذه الدول الثلاث .

والامر المؤكد أن الولايات المتحدة تعتبر مشكلة فيتنام مشكلة اولوى ، وهي اذا كانت تريد تحقيق نتيجة عملية معينة من وراء زيارة نيكسون فهي التوصل الى مخرج من ورطتها وهزيمتها فى الحرب الفيتنامية . وبغير ذلك فإنه لا تقارب مع الصين أصلا ، ولا تهدئة لمشاعر القوم داخل المجتمع الامريكى نتيجة لحمة حرب فيتنام ، ولا نجاح لنيكسون فى التفتيات الرئاسية القادمة ، ولا اصلاح لصورة الولايات المتحدة التى تطل على العالم بملاحم بشعة منذ بداية حربيها العدوانية فى فيتنام . وباختصار فإن مرحلة نيكسون الى الصين اما أن تأتى بالسلم الذى يطلب به الشعب الامريكى وشعوب العالم كله ، وأما أن تفقد كل أهمية يمكن أن تكون القوى المختلفة فى العالم قد علمتها عليها . ومن هنا يمكن القول بأن نجاح نيكسون أو فشله ليس بيده ولا بيد بكين .. وإنما هو بيد الثورة الفيتنامية أساسا .

ولقد كان من أبرز التلميحات التى لقيت اهتماما داخل الصين الشعبية نفسها وهي فيتنام بوجه خاص التلميح الذى أذاعته وكالة الانباء المركزية فى كوريا الديمقراطية والذي وصف رحلة نيكسون



انصارى لى

يمكن أن تحل فقط من طريق التعاون وليس من طريق الصراع .

وتؤكد هذه المبادئ — التي تمكس في الواقع الاسس المسببة لسياسة الاتحاد السوفيتى وسياسة الهند الخارجية — حرص البلدين على تأكيد الطابع السلمى والأهداف التي ترى المعاهدة الى تحقيقها والوسائل التي تعتبرها موصلة اليها

وقد أثبتت في الغرب — وهذا أمر متوقع ومنهزم — مجادلات كثيرة حول بعض بنود المعاهدة X وخمس المادة الخمسة التي تنص على مايلي : « أن كلا من الطرفين المتعاقدين السالميين ينمهد بالامتناع من تقديم أى مساعدة لاي طرف ثالث يشترك في نزاع مسلح مع الطرف الآخر . وفي حالة تعرض أى من الطرفين لهجوم أو تهديد بهجوم فإن الطرفين المتعاقدين السالميين يشعلان فوراً في مشاورات متبادلة بهدف إزالة هذا التهديد واتخاذ الاجراءات الفعالة المناسبة لتأمين السلام والأمن لبلديهما » .

والحقيقة ان هذه المادة قد تكون من اهم بنود المعاهدة X ولكن الحقيقة ايضاً ان كل المجادلات حولها في الدوائر الغربية اثبتت قامت على اساس مزلة من باقي السياقات السلام للمعاهدة والمبادئ القتائية عليها . وبعد هذا فقد تضررت الراء الغربية في هذه المادة من المعاهدة ، فعلى حين اعتبرها البعض بمثابة تأكيد لما يشبه تحالفاً عسكرياً بين الاتحاد

معاهدة السلام والصداقة والتعاون بين الهند والاتحاد السوفيتى

منذ اللحظة التي اعلن فيها نياً توقيع معاهدة السلام والصداقة والتعاون بين الهند والاتحاد السوفيتى في ٩ أغسطس المضى في نيودلهي X انفضح اتجاهان متعارضان في النظر الى هذه المعاهدة ، او الى دلالة توقيعها .

الاول : ينظر اليها باعتبارها ذروة مشرئين علياً من العلاقات التي ازداد تولفاً بين البلدين .

والثاني : ينظر اليها باعتبارها عملاً مجانياً يرد به الاتحاد السوفيتى والهند على تحدى التقارب الفجائي بين الولايات المتحدة والصين وتحدى التوتر الحاد الذي خلقته مشكلة باكستان الشرقية على الحدود بين الهند وباكستان .

والواقع ان الحكم على احد الاتجاهين يتوقف على النظر X بموضومية الى نص المعاهدة X والى طبيعة وتطور العلاقات الثنائية بين الهند والاتحاد السوفيتى ، والى الدور الذي يقوم به كل منهما في الشمال من اجل السلام في جنوب آسيا .

ويلاحظ ان اول فترة تبدأ بها معاهدة السلام والصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتى والهند تنص على : « الاستعداد لتوسيع وتقوية علاقات الصداقة المخلصه » بين البلدين ، و « زيادة انما الصداقة والتعاون باعتبارها حقيقة لصالح ايجاد سلام دائم في آسيا وجنوب آسيا اقصاء العالم » ، و « التمسيم على الاسهام نحو تقوية السلام والأمن العالميين وبذل جهود لا تتكلى لتحقيق تخفيف التوتر النووي والافشاء النهائي لبقايا الاستعمار » ، و « تأكيد الإيمان الراسخ بمبادئ التعايش والتعاون السلميين بين الدول ذات الانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة » ، و « الإقناع بان المشكلات الدولية في عالم اليوم

موافقة المساعدة والتأييد بين الاتحاد السوفيتي والهند ، والعديد من المواقف المشتركة في صف السلام العالي . ابتداء من دور الدولتين في التوصل الى اتفاقات جنيف الخاصة بالهند الصينية عام ١٩٥٤ ، ثم موقفها ضد العدوان الثلاثي ضد مصر عام ١٩٥٦ ، وتأييد الاقتصاد السوفيتي لحركة تحرير الهند لمستعمرة « جوا » البرتغالية عام ١٩٦١ ، وموقف الاتحاد السوفيتي غير العادي للهند خلال الصدام العسكري بينها وبين الصين عام ١٩٦٢ .

وغسلا من كل هذا فإن الاتحاد السوفيتي قد قدم للهند طوال السنوات الخمس عشرة الماضية من المساعدات الاقتصادية والفنية بالسهم أكبر دور خارجي في مشروعات وإبراج التنمية في الهند طوال هذه السنوات . وتقدر قيمة القروض التي قدمها الاتحاد السوفيتي للهند حتى عام ١٩٦٩ بنحو ١٠ أرب. مليون روبية .

ولقد لعب الاتحاد السوفيتي طوال السنوات العشرين الماضية دورا هاما للحفاظ على السلام في آسيا ، وفيما يهم الهند بوجه خاص فإن دوره في توقيع « إعلان طشقند » بشكل نقطة تحول هامة في العلاقات الهندية السوفيتية من ناحية وفي العلاقات السائدة في المنطقة من ناحية أخرى .

وينبغي أن نضيف الى هذا أن معاهدة السلام والصداقة والتعاون بين الهند والاتحاد السوفيتي تقدم إضافة جديدة هامة للبناء الذي تكتونه في السياسة الخارجية السوفيتية بمجموعة معاهدات الصداقة والتعاون الموقعة بينه وبين عدد من الدول التي تلقى سياستها الخارجية مع أهداف السلام والتعايش السلمي وإزالة بقايا الاستعمار وأرساء التعاون السلمي بين الدول . وقد كانت آخر هذه المعاهدات — قبل المعاهدة مع الهند مباشرة — المعاهدة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . وهذه السلسلة من المعاهدات هي الرد الحاسم والطبيعي على محاولات الامبريالية — بزعمها الولايات المتحدة — تطويق حركة التحرر الوطني في العالم وضرب النظم المعادية للامبريالية بأساليب إثارة الحروب العدوانية أو الانقلابات والانقلابات المضادة ، وتطويق الاتحاد السوفيتي نفسه بالتواعد العسكرية والتحالفات العدوانية بامتياز أكبر القوى التي تقف في وجه مخططات الامبريالية الأمريكية^١ .

السوفيتي والهند ضد أي عدوان خارجي ؟ فإن البعض الآخر اعتبرها بنصها على مجرد التشاور في حالة التعرض للتهديد — بمثابة تأكيد للتأييد السياسي المتبادل بين البلدين — حسب .

ولكن الامر المؤكد ان الترحيب الحاسي الهائل الذي توفيل به توقيع هذه المعاهدة في جميع أنحاء الهند سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، وبين دوائر الأحزاب السياسية التقدمية في الهند قد أكد ان المعاهدة كانت عملا مطلوبيا من الجماهير الهندية وتباداتها السياسية كعامل يحقق استقرارا وسلاما في منطقة تغطي بالتور . وقد استقبلت المعاهدة على أنها « واحد من أهم أحداث السياسة الخارجية الهندية منذ الاستقلال » وقالت صحيفة « باتريوت » الهندية أنه « في تاريخ العلاقات الخارجية للهند بمسند الاستقلال لم يلق أي عمل في مجال السياسة الخارجية مثليته معاهدة السلام الهندية السوفيتية من موافقة إيجابية في هذا البلد » .

كذلك فإنه ينبغي النظر الى المعاهدة في ضوء ماكانته انشورا قائد رئيس وزراء الهند — بعد مساعدات قليلة من توقيع المعاهدة — من أن الهند لم تغير من سياستها اللانحازية بتوقيعها المعاهدة وأن المعاهدة إنما تدم الهند بقوة حقيقية للعلم من أجل السلام في المنطقة التي تعيش فيها .

ومن المعروف أن انعدام ثقة الهند بالولايات المتحدة ليس شيئا جديدا خاصة بالتقارب الأخير بينها وبين الصين ، وإنما هو حقيقة تراكمات كثيرة على طول تاريخ العلاقات بين البلدين ، وهي تراكمات أسهمت في وضع الهند في محسك القوى المناهضة للامبريالية بشكل حاسم . ولعل بداية عدم احتياج الولايات المتحدة لسياسة الهند التحررية المعادية للاستعمار ترجع الى وقت رفض الهند ربط نفسها بهذا المسكر خلال الحرب العدوانية التي شنتها الولايات المتحدة في كوريا في أوائل الخمسينات تحت علم الأمم المتحدة . وتأتي بمخلف كل مواقف الهند المناهضة للتحالف العسكرية التي خلفها الاستعمار الأمريكي حولها وخاصة حلف جنوب شرق آسيا والخط المركزي . ثم موقف الهند المؤيد لحركة التحرير الوطني وضد الحرب العدوانية الأمريكية في فيتنام ، والدور القيادي الذي قامت به في أرساء قواعد جبهة عدم الانحياز والدور الكبير الذي لعبته في هذه الجبهة ضد الامبريالية العالمية .

وفي مقابل هذا يوجد — تاريخيا — عديد من

مؤتمر القرم ومواجهة التطورات الجديدة



بوجدورنى

منطقة الشرق الاوسط ومن اجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلى *

وعرب المشتركين في المؤتمر من اراضيهم لواقعة مجلس الكومينكون على برنامج طويل الاجل «سيتم في رفع مستوى حميضة العمال وفي تدعيم الوحدة السياسية والاقتصادية بين البلاد الشقيقة» ، وسيقدم بوجورنى تاريخي في تحقيق انتصارات جديدة للاشتراكية والشيوعية تسهم في تدعيم السلام والامن ، « ولوضح اعضاء المؤتمر ان كل تطور في الموقف الدولي يؤكد صدق تقديرات ونتائج المؤتمر الدولي للحزب الشيوعية والعمالية في عام ١٩٦٩ والذي لا يزال يشكل القاعدة الثابتة لسياسة الاحزاب للامركسية اللينينية الشقيقة » ، واكدوا على « الاهمية التاريخية لهذا المؤتمر في تدعيم وحدة الحركة الشيوعية الدولية وفي النضال ضد الانتهازية النيمينية واليسارية ومن اجل تماسك كل القوى التقدمية وقوى التحرر الوطني في كفاحها ضد الامبريالية » ، وك اعراب المشتركين في المؤتمر كذلك واوضحت وكالسة تاس ان الاجتماع تم في جو ودى للغاية وماده التفاهم والاجماع الكامل في الآراء بصدد كافة المسائل التي تناولها البحث *

ويرى عديد من الرافقين السياسيين ان تحديث الموضوعات التي تناولها زعماء الاحزاب الشيوعية بالبحث في المؤتمر - كما اوضح ذلك البيان الرسمي الذي صدر عقب المؤتمر - يوحى بلان المؤتمر كان بالنسبة لهؤلاء الزعماء فرصة لاستعراض شامل للموقف ، ويبدو بالنسبة لعدد من المراقبين ان لاصالة الصيغة وخاصة ومن

استعرض زعماء سبعة احزاب شيوعية وعمالية من الدول الاشتراكية في اوربا الشرقية ومنغوليا المشكلات الدولية الرئيسية ، وذلك في الاجتماع الذي عقدوه في القرم ابتداء من ٢ اغسطس الماضي ، وقد اشترك في هذا الاجتماع ليونيد بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي ، ونيكولاي بوجدورنى رئيس الدولة السوفيتية ، ونيكولاي شيبليست سكرتير الحزب الشيوعي في أوكرانيا ، وقد عقدوا حصصا اوضحت وكالة تاس لقاء وديا مع لودور جيفكوف وياتوفين كادال ، واريك هوليك ، واوجساجين تسينينال والوارد جيرك ، وجوستاف هوسك زعماء الاحزاب الشيوعية والعمالية في بلغاريا والمجر ، والسانيا الديمقراطية ، ومنغوليا الخارجية ، وبولندا ، وتشيكوسلوفاكيا على الترتيب *

وقد اتضح من بيان وكالة « تاس » ان « نيكولاي شياوشيسكو » سكرتير عام الحزب الشيوعي الروماني هو الزعيم الوحيد الذي لم يحضر هذا الاجتماع من بين زعماء الاحزاب الشيوعية في الديمقراطيات الشعبية في اوربا الشرقية ، هذا اذا استثنينا بالطبع الهانجا ويروغوسلافيا *

وقد اوضح المشتركون في المؤتمر ان برنامج السلام الذي لخصه المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي تنتظره جهود اساسية حتى يمكن التوصل الى اتفاق دولي حقيقي يكفل السلام والامن للشعوب ، ويرى عديد من المراقبين ان المؤتمر وجه اهتماما كبيرا الى الموقف في اوربا وان اعضاء اعرابوا عن يقينهم بان المصالح الحيوية للشعوب الأوروبية تتطلب اساسا الجادة من جانب كل الدول الأوروبية من اجل تحقيق الوفاق * كما اعرابوا عن ان « اجتماع مؤتمر الامن الاوروبي والتصديق على الاتفاقيتين المبرمتين بين ألمانيا الغربية وبين كل من الاتحاد السوفيتي وبولندا وتسوية مشكلة برلين الغربية والاعتراف ببطلان اتفاقيات ميونيخ والحد من الاسلحة وتخفيض عدد القوات المسلحة ، يمكن وينبغي ان يكون ركائز هامة على طريق السلام للوطيق في اوربا » ، وقد تحقق اعضاء المؤتمر من « التطابق التام في وجهات نظرهم ازاء تأييد الكفاح العادل الذي تخوضه الشعوب العربية لآثار السلام في

الاعلان عن زيارة نيكسون القادمة للصين ، كانت إحدى النقاط الرئيسية التي توفقت خلال المؤتمر ، رغم أنه لم ترد إشارة لهذه المسألة في البيان الرسمي .

ويصل عدد كبير من المراقبين إلى الاعتقاد بأن الارتياح الذي أعرب عنه البيان بالنسبة للدورة الأخيرة للكونغرس في بوخارست (رومانيا) والمقال الافتتاحي الذي نشرته صحيفة برافدا في ٢ - ٨ الماضي حول نفس الموضوع ، يشير إلى أن عدم حضور نيكولاي شاورشيسكو السكرتير العام للحزب الشيوعي الروماني لمؤتمر القرم لا يرجع إلى وجود خلاف حول مشكلة التكامل الاقتصادي بين دول حلف وارسو ، وإنما يرجع في الأغلب إلى الموقف الخاص الذي تتخذه رومانيا - بالنسبة للعلاقات بين دول أوروبا الشرقية والصين الشعبية .

والذي يؤكد في نظر عديد من المراقبين اهتمام مؤتمر القرم بالمسكلات الأيديولوجية والسياسية الناشئة عن العلاقات مع بكين ، هو وجود أربعة خبراء سوفيت رئيسيين في شؤون وحدة الحركة الشيوعية العالمية هم : كوستانتين كاشوفسكي ، سكرتير اللجنة المركزية المسئول عن العلاقات مع الأحزاب الحاكمة ، وديريس بوتوماريوف المسئول عن العلاقات مع الأحزاب الأخرى ، وكوستانتين روساكوف المسئول عن الدعاية ، وجورج تسوكانوف وسبق أن اشترك جميع هؤلاء الأربعة ، وخاصة المسئولين الأخيرين في جميع المناقشات الهامة حول العلاقات بين بكين وبوخارست .



■ بلغاريا :

أول انفصال عن المحرفين وأول انتفاضة ضد الفاشية

احتل الحزب الشيوعي البلغاري في ٢ أغسطس الماضي بمرور ثمانين عاماً على تأسيسه . وكان ذلك الاحتفال فرصة لكل قوى التقدم والثورة في العالم لاستعراض تاريخ عمل وكفاح هذا الحزب من أجل الديمقراطية والاشتراكية وتاريخ كفله ضد الفاشية ، ومن أجل السلام في البلقان والعالم .

لغى ٢ أغسطس عام ١٨٩١ اجتمعت في جبال « ستارا بلاتينا » العناصر الاشتراكية الرائدة في بلغاريا ووضعت اسم الحزب الماركسي

الثوري للطبقة العاملة البلغارية ، ويعود الفضل التاريخي في تأسيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي البلغاري إلى ديميتر بلجوفيتش الذي وضع مع الماركسيين الثوريين البلغار ، اسم هذا الحزب بعد تحليل ظروف البلاد الاقتصادية والسياسية البائدة الخلف . وقد خاض الحزب البلغاري كفاحاً متصلاً من أجل المحافظة على سياسة الحزب الطبقيّة المبررة عن مصالح الطبقة العاملة والشعب . وتحت قيادته عام ١٩٠٤ تكون الاتحاد العام للتقايلت العمالية الذي تولى قيادته جيورجي ديميتروف الذي أصبح قائداً للحزب كله فيما بعد .

وقد حقق الحزب نجاحات انتخابية متواصلة منذ تأسيسه ، وبشكل خاص منذ نهاية القرن التاسع عشر إذ كان الحزب يرسل ممثليه إلى البرلمان البورجوازي ، وفي عامي ١٩١٠ و ١٩١٢ تكونت أول الكوميونات في بلغاريا وكافحت ببطولة ضد السياسة التوسعية ضد الشوفينية والقومية البورجوازية والأسر الملكية في البلقان ، وتبنت الطريق الديمقراطي لحل المشاكل القومية والاجتماعية ، ورفضت شعار السلم وشعار الجمهورية البلقانية الانتحائية .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ، وقف الحزب الاشتراكي الديمقراطي البلغاري ضد الحرب ، ورفض شعار السلم بين الشعوب ، والثورة البروليتارية وأدان بحزم الانتجاهاات الاشتراكية الشوفينية التي مبر منها قادة الاسمية الثانية ، وانضم إلى الاممية الثورية التي كان على راسها البولشفيك بقيادة ف . ل . لينين ، وكافح من أجل انشاء اساس اممي ثوري جديد .

وعندما قامت ثورة أكتوبر في روسيا سنة ١٩١٧ ، نشر الحزب أفكارها وبياناتها في بلغاريا ، وتولى تاجيج وقيادة حركة التشنير الجماهيري من استمرار حرب الاستنزاف المعادية للشعب حينذاك ، ووجه العمال إلى المثال الذي ضربه اخوتهم في روسيا . وكان تأثير الحزب في مؤخرة الجيش ضخماً . وكانت « الصحافة العمالية » وهي صحيفة الحزب تنسرب إلى كل حامية ومعسكر للجيش .

وبتأثير ثورة أكتوبر التي اوضحت بجلالة امكانية الاطاحة بالطبقات البورجوازية الفاشية ، وتأثير شعارات الحزب الثورية ، شبت في عام ١٩١٨ انتفاضة الجنود التي اعلنت قيام « جمهورية بلغاريا » ، ولكن سرعان ما اجهت الانتفاضة . وفي عام ١٩١٩ اتفقت المؤتمرات الثاني والعشرون للحزب الاشتراكي الديمقراطي العمالي البلغاري وغير اسم الحزب فاصبح « الحزب الشيوعي

«الفلخاري» ، وأصبح ذلك المؤتمر هو المؤتمر الأول له . وأمر ب **«جيميتري بلانجويسف»** رائد الاشتراكية في بلغاريا في المؤتمر ، من تصميم وعزم الشيوعيين البلغار على الكفاح من أجل انتصار الثورة الاشتراكية في بلغاريا .

وفي يونيو عام ١٩٢٣ وقع في بلغاريا « **انقلاب فاشي** » ، واستطاعت الحكومة الشرعية للحزب الفلخي ، « **اتحاد الفلاحين البلغار الشعبي** » بقيادة **الكساندر ستانبولسكي** وأصبحت البلاد على شفا الحرب الأهلية . ونهت قيادة الحزب الشيوعي البلغاري هب الشعب الكادح في انتفاضة مسلحة منظمة لاستطاعت الديكتاتورية الفاشية ، وإقامة حكومة مصالية - فلخية . وكانت انتفاضة سبتمبر عام ١٩٢٣ أول انتفاضة منظمة معادية للفاشية في العالم . وفي غمرة الكفاح الضاري رفرفت أعلام الحزب والاشتراكية على عديد من مدن بلغاريا وقراها .

وكان كفاح الحزب بعد هزيمة الانتفاضة شاملا ومسيريا ، فقد جعل لما يزيد عن مشرين عاما بشكل سرى . وتوالت الانتصارات والنكسات ، واستشهد عشرات من الشيوعيين البارزين والشعبية ، وزج في السجون الفاشية بآلاف أعداء الفاشية ، وأعضاء الحزب . وفي هذه الفترة لعبت مقررات المؤتمر السليغ للأمية الشيوعية الذي عقد في موسكو ١٩٢٥ دورا حاسما في دعم الحزب في الطريق اللينيني ، وأصبح التقرير الذي ألقاه السكرتير العام للحزب « **جورجي ديميتروف** » حول « **الجبهة الشعبية المتحدة** » سلاحا ثوريا جبارا للحزب لتجميع كل القوى المعادية للفاشية في الكفاح من أجل إسقاط الديكتاتورية الفاشية . فتشكلت لجان الجبهة الوطنية وتم الاتفاق بين عديد من القوى والأحزاب الديمقراطية وتحققت وحدة العمل في صفوف الشعبية المعادية للفاشية والقوى النقابية .

الا أن القوم « **بوريس** » والحكومة الفاشية أعلنوا في مارس ١٩٤١ رسما **«انضمام بلغاريا إلى المحسكر الفاشستي»** . وفي يونيو ١٩٤١ وبعد يومين من هجوم ألمانيا الهتلرية على الاتحاد السوفيتي ، أصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي البلغاري نداء يدعو الشعب إلى الكفاح المسلح ضد الغزاة الهتلريين وعيالتهم البلغار ، ولإسقاط الديكتاتورية الفاشية وإقامة السلطة الشعبية الديمقراطية . وبدأ الشعب المقاومة المسلحة وتشكلت فصائل الانتصار والجموعات الخائفة في المدن والقرى وكوّنت شبكة كبيرة من الاخوان قاموا بنشاط فعال

في صفوف الجيش القيصري . وتجمع الحزب في ١٩٤٢ في توحيد القوى المعادية للفاشية في جبهة وطنية ضمت ممثلي الحزب ، واتحاد الفلاحين ، والحزب الاشتراكي الديمقراطي ، وحزب « **الحلقة** » السليسي وتشخصيات سياسية مستقلة . وسادت البلاد أوضاعا ثورية مباشرة ، في نفس الوقت الذي كان يحقق فيه الجيش السوفيتي انتصاراته على الغزاة الهتلريين وفي ٢٦ أغسطس ١٩٤٤ أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري منشورها الشهير الذي أعلن أن ساعة الصفر المصرية قد حلت في بلغاريا . وأعلن عن بدء الاستعداد المباشر للانتفاضة المسلحة لإقامة السلطة الشعبية الديمقراطية .

وتغيرت الأوضاع في بلغاريا بسرعة وفي ٥ سبتمبر عام ١٩٤٤ ، أعلن الاتحاد السوفيتي الحرب على الحكومة الملكية الفاشستية ، وأدرك الشعب أن اللحظة الحاسمة قد حلت ، وقامت في العديد من المواقع ، الاضرابات والمظاهرات ، وتحول الانتصار إلى الهجوم المباشر . وتحت ضغط الجاهري أطلق سراح المسجونين السياسيين ، وتحقق النصر في الوقت الذي مير فيه الجيش السوفيتي الصعود البلغاري في ٨ سبتمبر . وفي ٩ سبتمبر انتقلت السلطة إلى أيدي الشعب وأقيمت حكومة الجبهة الوطنية .

وفي فترة وجيزة إزيلت الملكية الزاسالينية الكبيرة في المدينة والريف . وأصبح العمال هم سادة العمال والمصانع ، وبدأ الفلاحون بالانضمام إلى التعاونيات. وزراعة الأرض بشكل جماعي .

ومن الأحداث البالغة الأهمية في حياة الحزب البلغاري والشعب ، الإجماع الكامل للجنة المركزية للحزب عام ١٩٥٦ . الذي حلل النتائج المستخلصة والتجربة المكتسبة ، وأدان الإخطاء المركبة بسبب الروح الفردية في أساليب القيادة ، ووجه نشاط الحزب بما يتفق مع القوانين الموضوعية للتطور مع الحفاظ التام على المبادئ اللينينية في حياته الداخلية .

وفي الحقيقة فلقد فتح التاسع من سبتمبر سنة ١٩٤٤ السبيل لبناء الاشتراكية في البلاد وتحقق النصر بفضل التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين تحت قيادة الحزب الشيوعي البلغاري ، وبالمسونة المباشرة من الاتحاد السوفيتي . وتجمعت تلك في الإجماعات الاقتصادية التي حققها التجربة البلغارية والتي يمثل بعضها في أنه منذ عام ١٩٥٨ كانت ٩٢٪

من الأراضي الزراعية قد انحصرت في مزارع تعاونية ، في حين ازداد الانتاج الجماعي في ١٩٧١ بمقدار عشرة أضعاف عن انتاج سنة ١٩٣٩ . . . كما ازداد الدخل القومي بمقدار خمسة أضعاف عن ذلك العام ايضا .



انقاذ «الدولار المريض» بمساهم الآخرين

فاجأ الرئيس الأمريكي نيكسون الصالح بالقرارات والإجراءات التي أعلنها يوم ١٦ أغسطس الماضي في محاولة منه لانقاذ الدولار . وقد كان اعلان تلك القرارات والإجراءات محل اهتمام بالغ وأوسع النطاق في مختلف أنحاء العالم ، ليس فقط للوزن الكبير الذي للاقتصاد الأمريكي في الاقتصاد العالمي ولكن ايضا لان الدولار يعد القاعدة النقدية الرئيسية للنظام النقدي الدولي حيث يمثل الدولار نسبة هامة في احتياطات عدد كبير من دول العالم ، كما يستخدم على نطاق واسع بين مختلف تلك الدول في تسوية المعاملات التي تنشأ بينها .

وبعض تلك الإجراءات التي أعلنها للرئيس نيكسون لاجراءات خارجية والبيض الآخر لاجراءات داخلية ، ولهم الإجراءات الخارجية تتمثل في وقف تحويل الدولار مؤقتا الى ذهب لصالح الهيئات الأجنبية ، والبيد في مشاورات أولية لتغيير معدل التحويل بين الدولار والعملة الأخرى دون المساس بسعر الدولار بالنسبة للذهب وهو ٣٥ دولارا لأوقية الذهب ، وخفض جميع المساعدات الاقتصادية الخارجية الأمريكية بنسبة ١٠ في المائة ، وأخيرا فرض رسوم جمركية إضافية مؤقتة بنسبة ١٠ في المائة على جميع التوريدات الخاصة بالنقد للضريبة ، وأهم الإجراءات الداخلية تتمثل في تجميد جميع الاجور والامصار والإيجارات تجميدا تاما لمدة ٩٠ يوما يتم بعدها تثبيت الاسعار والاجور لفترة من الوقت قبل العودة الى الاوضاع الطبيعية ، خفض نفقات الحكومة الاتحادية في ميزانية السنة الحالية بما قيمته ٤٧٠٠ مليون دولار، ويرتبط على هذا الاجراء فصل ٥ في المائة من موظفي الحكومة وتجميد علاوات الموظفين ، وتقدير خصم ضريبي مقداره ١٠ في المائة على الاستثمارات في مجال الصناعة اعتبارا من ١٥ أغسطس ، ولعدة ماه كامل ، والغاء الضريبة على شراء السيارات البالغة نسبتها ٧ في المائة اعتبارا من ١٥ أغسطس .

ولقد احدثت تلك الإجراءات ردود فعل عنيفة سواء في داخل الولايات المتحدة أو في مختلف العواصم في الخارج . ففي داخل الولايات المتحدة وصفت بعض الصحف الأمريكية الإجراءات الجديدة بأنها تخفيض فعلي لقيمة الدولار بالرغم من تصريح وزير الخزانة الأمريكي بأن الدولار لم يخفض قيمته ، كما تحدث نقابات عمال صناعة السيارات وعمال الشحن البحري في الولايات المتحدة قرار نيكسون بتجميد الاجور لمدة ٩٠ يوما ، كذلك اعلن حاكم إحدى الولايات الأمريكية تعديه لقرار نيكسون الخاص بتجميد الاجور والعملات ، كذلك حذر رجال الاعمال الأمريكيين من عاقبة تلك الإجراءات واصلوا ان الولايات المتحدة ستواجه خطر تضخم في تاريخها عند انتهاء فترة تجميد الاجور التي حددت بتسعين يوما .

وبالنسبة لردود الافعال خارج الولايات المتحدة فانه على اثر اعلان تلك القرارات اخلقت أسواق الأوراق المالية بأوقف التبادل بالعملة الأجنبية في أسواق سويسرا وإيطاليا والاندلس والسويد والنرويج وبلجيكا وهولندا وبريطانيا ، وارتفعت في الوقت نفسه أسعار الذهب في الأسواق المختلفة واستمر انخفاض سعر الدولار وواجه السياح الأمريكيون صعوبات كبيرة في استبدال دولاراتهم بالعملة الأخرى .

ولقد شنت فرنسا هجوما شديدا على اجراءات نيكسون واتهمت الولايات المتحدة بانتهاكها الاتفاقات الدولية التي تحكم النظام النقدي العالمي وقواعد صندوق النقد الدولي . وطالبت فرنسا - في الاجتماع الطارئ الذي عقده وزراء مالية دول السوق الأوروبية المشتركة وبريطانيا يوم ١٩ أغسطس ليبحث وسائل إيجاد حل «أوروبي» - للزمة النقدية التي إشارتها اجراءات نيكسون - بإيجاد سوق مزدوجة للدولار في أوروبا . بحيث يكون هناك سعر ثابت للدولار بالنسبة للمعاملات التجارية وسعر عالم آخر .

وطالبت ألمانيا الغربية في الاجتماع المشار اليه بتعميم جميع العملات الأوروبية في سوق واحدة حرة وأن يترك القانون العرض والطلب لتحديد اسعار تحويل هذه العملات بالنسبة للدولار . أما بريطانيا فاعتلت عن رغبتها في الاحتفاظ بنظام ثابت للتحويل ، وعلى أن يتم رفع سعر اللين الياباني والمارك الألماني كنوع من المساومة لانتعاش نيكسون بالتخلي عن الضريبة الجديدة التي فرضها على الإيرادات بنسبة ١٠ في المائة . ويبدو أن وزراء المالية لدول السوق المشتركة وبريطانيا فشلوا في التوصل الى اتفاق حول موقف مشترك لمواجهة الازمة فقد أصدر وزراء

الامريكي على كيمونيا والمساعدات العسكرية الطائلة لعمالها كاسرائيل وكوريا الجنوبية ، الخ وما يصحب ذلك من نفقات عسكرية طائلة أثقلت كامل الاقتصاد الأمريكي ، كل هذا يهدد الصيب الرئيسى والعامل الحاسم فى تصاعد موجات الاسعار والتضخم واستمرار عجز ميزان المدفوعات . ان وضع حد للطبيعة العدوانية للاقتصاد الامريكى - وليس الاجراءات التى اعلنها نيكسون - هو الاسلوب الفعال لمواجهة مشاكل التضخم وعجز ميزان المدفوعات الامريكى .

ان الاجراءات الداخلية التى اعلنها نيكسون وخاصة التجديد التام للاجور والعلوات وفصل حوالى ٥ فى المائة من موظفى الحكومة ، اجراءات موجبة لاساسا على الشعب الامريكى العامل ، فالبطقة العاملة الامريكى هي دائما الضحية ، ففى فترات تصعيد العدوان الامريكى على الشعوب وما يصحبها من تصاعد موجات التضخم وارتفاع الاسعار تتحقق الارياح الطائلة لصناعات الحرب الامريكى والصناعات الاخرى التى تغنيها فتجنى الطبقة الرأسمالية الامريكى الثروات الطائلة ولا تجنى الطبقة العاملة الامريكى الا الانخفاض المستمر فى الاجور الحقيقية حتى لو ارتفعت الاجور النقدية . أى أنه سواء فى فترات التضخم او فترات مواجهة التضخم فان الغرم كله للطبقة الرأسمالية والغرم كله للطبقة العاملة .

كذلك فان فرض رسوم جمركية اضافية على الواردات الامريكى هو بمثابة وضع المزيد من القود لاشمال نيران الحرب الاقتصادية بين الولايات المتحدة والبلاد الاخرى وخاصة حلفائها الغربيين . ان هذا الاجراء من جانب نيكسون سيؤدي من حدة المتناقضات الاقتصادية داخل المعسكر الرأسمالى . هذا فضلا عن انه يشكك كثيرا فى جنوى هذا الاجراء من حيث اثره على تخفيف حدة المعجز فى ميزان المدفوعات الامريكى ، اذ ان هذا الاجراء لن يكون من جانب واحد فقط فلا شك فى ان الدول الاخرى التى ستتأثر سدادتها مثل اليابان وكندا وبعض دول اوربا الغربية ستبادر إلى اتخاذ اجراءات مماثلة مما قد يؤدي الى تفاقم حدة المعجز فى ميزان المدفوعات الامريكى وليس تخفيفه .

وخلاصة القول ان نيكسون لم يكن موقفا على الاطلاق فى اتخاذ تلك الاجراءات فهو لن تصاعد الاقتصاد الامريكى على الخروج من ازماته بل من المتوقع تزايد حدة تلك الازمات . هذا فضلا عن الآثار الضارة التى سوف تصيب الاقتصاد العالمى وخاصة النظام النقدي الدولى . ولا نشك ابدا فى ان تلك النتائج ليست بغائبة من أهداف المستثمرين الاقتصاديين الرئيس الامريكى ، ولكنها طبيعة

المالية بيانا اعلنوا فيه انهم قروا ان يتركوا الحرية لكل دولة لاتخاذ ما تراه مناسباً من الاجراءات .

وفى برقية بحث بها مدير صندوق النقد الدولى الى جميع محافظى الصندوق ذكر فيها ان القرار الامريكى بوقف قابلية الدولار للتحويل الى ذهب وفرض ١٠ فى المائة رسوما اضافية على واردات الولايات المتحدة سيخلق اضطرابا تجاريا عالميا وسيهدد النظام النقدي العالمى . وقد دعا مدير الصندوق الى عقد اجتماع عاجل لجميع دول الصندوق لاقامة نظام نقدي دولى افضل ومواجهة المشاكل التى تخلقها الاجراءات التى اعلنها نيكسون .

والبحر ان الاجراءات التى اعلنها نيكسون تهدف الى مواجهة مشكلتي التضخم وعجز ميزان المدفوعات الامريكى مع محاولة تجنب تخفيض سعر الدولار رسميا الى المستوى الذى يعكس قيمته الفعلية ، ويعد ان فشلت مصادمى الولايات المتحدة لاتفاق بعض حليفاتها وخاصة ألمانيا الغربية رفع قيمة عملاتها رسميا بالنسبة للدولار .

وليس فقط اضطراب الاوضاع الاقتصادية الداخلية للاقتصاد الامريكى او اضطراب الاحوال الاقتصادية العالمية وخاصة نظام النقد الدولى يعكس خطورة تلك الاجراءات ، وانما ترجع الخطورة الى عاملين : اولهما ، ان الطول والاجراءات التى اعلنها نيكسون هي فى الداخل على حساب الشعب العامل الامريكى ، وفى الخارج على حساب مصالح البلاد الاخرى وخاصة اسدقاء الولايات المتحدة . وثانيهما انه يشك كثيرا فى جدوى فعالية تلك الاجراءات .

وينظر بعض المراقبين الى قرار نيكسون الاخير « لمحاولة انقاذ الدولار المربى » من زاوية انه استمرار لنهج سياسة نيكسون التى اتبناها فى آسيا من قبل تحت شعار « فتنة العرب » والتى كانت تبنى تمثيل الاسيويين عبر الحرب . ويعنى ذلك القرار - من هذه الزاوية - تمثيل المجتمعات الرأسمالية الاخرى بالإضافة الى الطبقات الفقيرة داخل امريكا نفسها ، عبر الازمة الاقتصادية الامريكى « على صليب الدولار » .

ان الطبيعة العدوانية للاقتصاد الامريكى هي السبب الرئيسى فى كل ما يعانيه هذا الاقتصاد من مشاكل أصبحت الآن مزمنة ، وأساسا مشكلتي التضخم وعجز ميزان المدفوعات . ان استمرار السياسة العدوانية للرأسمالية الامريكى للشعوب المتطلعة فى استمرار حرب فيتنام والسدوان

التناقضات المتزايدة حدة في النظام الرأسمالي العالمي .



■ ثقافة ■

الشباب المتعمد يموت عن ٧٣ عاما

بات هيريت ماركيز الفكر الاتي الاصل والامريكي الجنسية عن ٧٣ عاما ، مات وقد خرج اسمه - رغبته - من الدائرة الاكاديمية الضيقة الى اوسع الدوائر انتشارا ، سواء في الجدل الفكري الحبيب والخلق حول كتاباته ، او في حركات الشباب المتبردة التي جعلت منه - وهو امجز الفلاسفة - اكثرهم شيئا .

وقد عاش ماركيز حياته الفكرية كلها بين جدران الجامعة ، سواء في تلك المرحلة التي كان فيها ماركسياليعني الملتزم [وهي الثلاثينات من هذا القرن] او ايان بقية المراحل التي تلتها ، والتي عاش فيها خلال عديد من المذاهب والاتجاهات والأيام .

ولقد كان « ماركيز » اول الذين توجهوا بالاضواء التي ركزت عليه منذ اواخر الستينات في مواجهة حركة الشباب الفاضب ، شرقا وغربا . ذلك انه قد بنى حياته العلمية على اساس الانزواء والصكوف على الدراسات الاكاديمية المتخصصة ، بحيث بات مثيرة شبه الوحيد هو « الكتاب » الفلسفي ، وجمهوره الضيق من الدرسات العليا .

وكان « ماركيز » قد ولد في ١٩ يوليو ١٨٩٨ ، في برلين حيث تلقى تعليمه في جامعتي برلين وفرانكفورت . ثم هاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٤ حيث عمل بمعهد البحوث الاجتماعية بجامعة كولومبيا حتى عام ١٩٤٠ . وحظي بالحق بالعمل في المعهد الروسي التابع لجامعتي كولومبيا وهارفارد . وبين عامي ١٩٥١ و ١٩٥٣ عمل استادا للعلوم السياسية والفلسفة بجامعة برانديز ، وانتقل لها بعد [١٩٥٤] استاذنا مخصصا في الفلسفة بجامعة كاليفورنيا يستنياجو وظل بها حتى عام ١٩٦٥ حيث نقل الى جامعة كاليفورنيا .

وخلال هذه الفترة الطويلة من البحث العلمي المتواصل ، كان ماركيز قد تاجز مؤلفاته الاساسية وهي « العقل والثورة » [١٩٤١] و « ايروس والحضارة » [١٩٥٤] و « الماركسية السوفيتية »

(١٩٥٨) و « الإنسان قبل العداوة » (١٩٦٥) و « مقال عن اخلاقيات الثورة » [١٩٦٦] و كتابه الاخير « السليبات » [١٩٦٨] وقد تمت ترجمة هذه الاعمال جميعها الى العربية ، غير ان بعض المترجمين قد تصرفوا في عناوينها ، فالكتاب الثاني اصبح عنوانه « الحب والحضارة » والكتاب الاخير ترجم بعنوان « التفتي » .

لم يعد ماركيز الى مواجهة الحياة العامة لمواجهة مباشرة ، كشأن القادة السياسيين او بعض رجال الفكر المعنيين بالسياسة كيوتراند راسل وجان بول سارتر وروجيه جارودي من فلاسفة جيله وعمره .. وانما ماحدث هو ان اجيال التفتي الاخير من الستينات من الطلبة والشباب علب « اكتشفوا » فيه مثلا قريبا من عقولهم ، وقلبا حميما الى قلوبهم . اكتشفوا ذلك من خلال كتاباته ، التي كان يتوفر عليها بمحفل « مادي » من حركة الحياة من حوله ، ولكن في ارتباط « روحى » وثيق بما يدور بين جنبات هذه الحياة .

لم يكن « ماركيز » في كتاباته الاكاديمية الفالصة يوجه الخطاب الى جهات معينة ، وانما كان يقيم حوارا بينه وبين العصر الذي يعيش فيه .. ولم يكن يتصور ان ياتي ذلك اليوم الذي تصل فيه اصداء هذا الحوار الصامت الى اذان الملايين من لا يعرفونه في مدرجات الجامعة معرفة شخصية ، وان يتحول هذا الحوار من الاذان الى شرايين الدم ، فيصبح اسمه جرة متقدة من الجبرات التي اضطلت فكر الشباب وتبرده خلال السنوات الاخيرة .

ولقد تعرض فكر « ماركيز » لنقد عنيف من اغلب الاتجاهات الفكرية اليسارية واليهودية على السواء . ذلك ان تصوره لتفائل دور الطبقة العاملة في الغرب الرأسمالي الى الدرجة التي باتت هذه الطبقة حين مؤهلة - من وجهة نظره - للقيام بالثورة .. كان هذا التصور هو السبب الرئيسي والمباشر لهجوم اليسار الماركسي عليه ، ومن جهة اخرى كانت تحفظاته العديدة على وضع الحريات الفردية بالعالم الاشتراكي سببا آخر - وان لم يكن رئيسيا - لهذا الهجوم . ولكن ماركيز في نفس الوقت كان ضروا كاشفا لحقيقة الحضارة الغربية المعاصرة في أوروبا وامريكا فكثرت اقوى حيلاته الفكرية ضد هذه الحضارة « الاستهلاكية » من ناحية و « القبيحة » من ناحية اخرى . ومن هنا تعرض ايضا لهجوم ضار من جانب اليمين اليميني الرجعي على كاتبة المستويات

والحال ان المجتمع ذا البعد الواحد قد احاط
الايديولوجيا بالازدراء والتحقير باسم عقائده
التكنولوجية، بل امتصها وبطل مفعولها . وهذا
لايمنى بالطبع انه لم تعد هناك ايديولوجيا : وكل
ما هنالك ان الخيثة التقنية أصبحت هي
الايديولوجيا » .

ويرى ماركيز ان البديل الثوري الوحيد الذي
يشكل املا غنيا هو تلك الذي لاتطوهم خالف
« التكنولوجيا - الايديولوجية » هم جماعة
« القنويين » من المجتمع ، هم الشباب ، وليسوا
الطبقة العاملة حقا . وذلك هي نقطة الضعف
الاساسية في تفكير ماركيز كما يراها نقاده
الماركسيون، ولكنها في نفس الوقت محور الجذب
الذي يلتف حوله الشباب الجديد في حركته
المترددة والرافعة للمجتمعات الرأسمالية .

والنقاد الماركسيون وهم يرون صحة العديد
من الظواهر التي قام ماركيز بتخصيصها في
المجتمع الأمريكي خاصة « والمفارقة الغربية
عالية ، فانهم يخطئون معه بشأن تشخيصه لدور
الطبقة العاملة في المجتمعات الصناعية المتقدمة
.. لقد انفصلت منها بالمثل بعض الاجزاء التي
تبرزت « ولكن هذه الاجزاء لا تشكل الا القشرة
العليا للطبقة ، وليست هي جوهر الطبقة العاملة
التي لازالت مصالها في تناقض رئيسي مع
انظمة الاحتكارات الرأسمالية لا حقيقة التناقض
حين وقد يحدث أحيانا « ولكن التناقض لم يلبس
والوهي به يزداد . « وأيا حركات الشباب فلهم
المنح الثوري الذي تسبب في منعه الا انها في
لحسن الأحوال ليست أكثر من تيارات كمية
غير قادرة على صنع التغيير الكيفي المنشود » .

الفكرية والسياسية في أوروبا الغربية والولايات
المتحدة . ذلك ان ماركيز أخذ يعرى الوجه
المضاري لأوروبا وأمريكا من انظمة « التقدم »
التكنولوجي ، فلم ير الا هذا الوجه القديم:
الاحتكارات الكبرى تخالف للطبقات المستغلة
احتياجها من طريق اجهزة الدعاية والاعلام
الرائية رقا مذلها ، ثم تعمل هذه الاحتكارات
على اشباع هذه الاحتياج التي سبق لها ان
خلقتها بأيديها .. ومن ثم تصبح الحرية عند
المواطن الأوروبي الغربي والأمريكي هي اشباع
هذه الحاجات الزيفة اصلا ، وبالتالي فحرية
- عليها - هي حرية موهومة وغير حقيقية ..
ذلك ان احتياجه الاميلة والحقيقية قد حبستها
من « وهي » أحدث منجزات التكنولوجيا التي
تقتضي على تاصيفها مجموعات الاحتكاريين
المتربة على مرش السلطة السياسية . ومن
هنا كان التقدم الطلي في الغرب تقعا زائفا ،
لانه التقسم الذي من شأنه احكام السيطرة
السيولة ، أي التكنولوجية . والتقدم المعادي
للحرية لا يمكن ان يكون تقعا ، لان التقدم
الحقيقي يلزم من منح الحرية لدى الإنسان ، ولا
يمكن ان يكون غير ذلك .

ويستخلص ماركيز من هذه المصادر المنطقية
برهانا على ان المجتمع الصناعي المتقدم لم يزيل
حاجات الإنسان المادية فحسب « بل زيف أيضا
حاجته الفكرية ، لان الفكر - تفكير - هو محو
لدور للمجتمع السيطرة ، فهو قوة المثل التقنية،
توة التجاوز والتخطي لا هو كائن ، « وهذه
القوة هي في هاتمة المطاف قوة ايديولوجية »



رسالة من دمشق

سوريا .. وقضية الوحدة الوطنية

والتقدمية للوصول الى صيغة الوحدة للجيبة
الوطنية .

واذا كانت سوريا - متبين كل القول العربية
- قد شهدت عبر فترات محاولات متعددة للتألف
الوطني واقامة جبهة وطنية ، الا ان الذي يجري
الآن فيها شيء مختلف ، لعل اظهر بلامحه الجدية
والاصرار ، خاصة بعد مراحل الصراع السياسي
العنيف التي شهدتها البلاد بعد الانفصال وحتى
نوفمبر ١٩٧٠ . فمنذ هذا التاريخ رفع الرئيس

في وسط الضباب الذي يخيم على العالم
العربي ، وفي معمة هذا التفتك بين القوى
الوطنية العربية ، ومحاولة تصفيتهما ، تجري
تجربة أخرى ، تحاول ان تعكس بريقة امل
مغنية رغم الضباب الكثيف الذي يلف الحركة
السياسية في الوطن العربي كله ، فهي سوريا
تجري الآن محاولة جادة للخروج بتسوى الثورة
والنقد من مازق الشنات العربي عالة والسوري
خاصة ، وذلك باجراء حوار بين القوى الوطنية

السيبيل للاتحاد الشعبي . وكصيفة للحكم الوطني ، هو الطريق لكسب المعركة ضد العدو ... والنجاح هنا كثيرة ، لكن يكفى الاستشهاد بتجربتي الجزائر في حرب الاستقلال ، وفيتنام التي تخوض منذ سنوات وإلى الآن أشجع معركة يحظها شعب فقير صغير ضد كبر قوة عالية هي الولايات المتحدة الأمريكية !

ولقد ترسيت دلائل هذين التوازنين في عقول قيادات القوى الوطنية السورية وهي تحاول الآن تجربة الجبهة الوطنية ، في ظل الصراع الحاد الدائر بين القوى القومية التقدمية العربية وبين الاستعمار والصهيونية من جهة ، وضد التخلّف والرجعية المحلية من جهة أخرى . ولقد انتهت هذا الصراع العنيف والمزيج أيماننا لدى هذه القيادات بضرورة أن تتميز الجبهة الوطنية السورية المتقدمة بطابعين أساسيين :

● الطابع الأول : أن تكون جبهة وطنية ، باعتبار أن القوى المكونة لها قوى معادية للاستعمار والصهيونية ، ولها أهداف وطنية مشتركة تتمثل في النضال ضد هذين العدوين ، وفي التعبئة القومية لتحرير الأرض المحتلة ، تحت قيادة تجمع وطني لقوى الشعب .

● الطابع الثاني : أن تكون جبهة تقدمية ، باعتبار أن قواها معادية للاستعمار والراسخالية الأجنبية والمحلية والقوى الرجعية المظلمة ، وأنها تؤمن بالاشتراكية طريقاً للتقدم والنمو ، وتؤمن بالاندماج الثورة الوطنية الديمقراطية مع الثورة الاجتماعية الاشتراكية .

ثم هي في النهاية جبهة ترفع في ظل هذين الطابعين شعاراً واحداً ورئيساً مشتركاً عليه بين جميع أطرافها وهو : الديمقراطية للجماهير — الاشتراكية — الوحدة العربية . وتؤمن بأن السبيل لتحقيق ذلك هو تعبئة القوى الاجتماعية الأساسية في الدولة وهي : العمال والفلاحون والمتقنون والديون ، والمسكرون ، والنزويين ، وصغار المنتجين ، تحت قيادة الجبهة ، في مواجهة الأعداء الرئيسيين وهم : الأنبريالية والصهيونية والرجعية العربية والاقطاع والبورجوازية الكبيرة .

وإذا ما طبقت أطراف الحوار — القائم الآن في دمشق والهدف إلى إقامة الجبهة — هذا المفهوم في مناقشتها النظرية وخطواتها العملية ، لتحققت لها الرؤية السياسية والاجتماعية الواضحة للتعبئة الوطنية ولقضية الثورة بمنطلقاتها السليمة والاجتماعية ، ولتوفرت لها القدرة التحليلية السليمة التي تساعدها — منذ تمام الجبهة — على العمل السياسي ، والنظرة السليمة .

السوري حافظ الأسد ، بعد نجاحه في الاستيلاء على السلطة ضد قيادة حزب البعث السابقة [بقيادة صلاح جدييد — نور الدين الأتاسي — يوسف زعين — إبراهيم ماحوس] — **الصائفة الوطنية** بين كل القوى الوطنية ، وضرورة التحامها في جبهة واحدة مؤهلة لقيادة البلاد ، في معركة المصير ضد العدو الصهيوني . ولقد ترجم هذا التمسك في عدة خطوات ملمة أهمها :

● اشراك ممثلي القوى التقدمية الاتحاد الاشتراكي — الحزب الشيوعي — الوجوديين الاشتراكيين — الاشتراكيين العرب مع حزب البعث في الحكومة القائمة برئاسة اللواء عبد الرحمن خليفاتي ، وفي مجلس الشعب ، بنسبة متفاوتة ، وإن كانت الأغلبية في الحكومة والجنس للبعث .

● تشكيل لجنة تحضيرية للجبهة الوطنية برئاسة السيد محمود الأيوبي نائب رئيس الجمهورية — ممثلاً للبعث ، وتضم في عضويتها قيادات القوى التقدمية الأربع الأخرى — ومهمة هذه اللجنة مناقشة صيغة قيام الجبهة ومهامها وأسس تشكيلها ... الخ ، والذي بلغت الانتهاء منها هو إيمان كل أطراف المناقشة بشيئين رئيسيين :

أولهما هو إدارة حوار صريح كطريق وحيد للتفاهم والالتقاء ، وأن نتائج هذا الحوار يجب أن تقتصر الآن على اللجنة التحضيرية حتى تفضج المناقشة ويتمقّد قدر من التفاهم ويكون الجليل قد بدأ يذوب بين هذه القوى التي طال الصراع بينها !

وثانيهما : هو ضرورة التآني في إخراج الجبهة الوطنية إلى الوجود حتى لا تولد ضعيفة أو تنبني على أسس هشة تنهار منذ أول هزة تواجهها ... الشعار المرفوع من أطراف الحوار هو المناقشة بنظرة متعاقبة بل باردة أحياناً !

ومن هذه المفكرة خرج دائماً كل الحجج من جانب قادة القوى المشتركة في الحوار لتفسير التأخير حتى اليوم في الخروج بنتيجة محددة واضحة ، وبخرج الرد على تساؤلات الجماهير التي تتحدث أحياناً بشيء من التسجل وعدم الثقة بنتائج هذا الحوار .

نماذج رائدة ..

وفي مواجهة تأني القيادات ، نلاحظ ظاهرة عمل التواعد حول إخراج الجبهة وإعلان تشكيلها ، نتيجة وميها بأنها في مواجهة معركة الحياة أو الموت التي تخوضها سوريا والشعوب العربية وفي أزماتها ومصراعتها ضد القوى المعادية ، يصعب اللجوء إلى الجبهة الوطنية

ويحكم التجربة المبررة التي تعرض لها المظردون من الحزب ، فاتهم يؤمنون بأن البعث منذ استيلائه على السلطة في عام ١٩٦٢ لم يستطع تحقيق المصالحة الوطنية ولم شتات الثورة وقوى التقدم ، وتحقيق الاستقرار السياسي ، كما أنه فشل في الحكم منفرداً ، وأنه استقطب الجماهير غير المنتجة حزبياً - وهي الأغلبية الصامتة في سوريا - والتي بدأ صوتها يطو الآن مطالباً بضرورة الوحدة الوطنية .

لكن هنا - كما يقول أيضاً مصطفى الحلّاج - يجب مساعدة الحزب على تخطي هذه العقبة ، وتغلب مؤيدي الجبهة الوطنية على معارضيها من القوى المحافظة في الحزب ، ويجب أيضاً على القوى الداخلية في حوار الجبهة الوطنية عدم خلق حساسية لدى البعث وإقناعه بأن الجبهة ليست أزعاجاً له من الحكم ، ولكنها تقديم للحكم الوطني التتبعي بملف أوسع التواءات الجماهيرية حوله .

موقع الجبهة في القيادة

■ **الاتحاد الاشتراكي العربي** : وهو برزنتي إيديولوجيا وسياسيا مع الاتحاد الاشتراكي المصري : وفكره كما يقول زعيمه الدكتور جمال الآتسي ، يهدف إلى أقلية الجبهة الوطنية لتضع وحدة وطنية حقيقية منظمة تقود المعركة لدم تنظيم الحكم التقدمي على أسس ديموقراطية وشعبية وتعبير الجماهير لمعركة التحرير ، وتسند قيام اتحاد الجمهوريات العربية ، وتهدف إلى تنظيم تحالف قوى الشعب العليمة كاملين للعمل السياسي دون صراع على السلطة بين القوى المشتركة في الجبهة حالياً .

لكن الاتحاد الاشتراكي يطرح أيضاً تساؤلاً هلبا : هو إلى مكان هذه الجبهة المقترحة من القيادة ؟ هل هي في قمة القيادة ، أم أنها ستكون مجرد شكل نظري ؟ هل سينوب الجميع في جبهة واحدة حقيقية ؟ أم سيطر البعث يتسود ، والباقى يشارك في التنفيذ ؟ وبمعنى أوضح هل البعث جاد فعلاً في فكرة الجبهة الوطنية كخطوة طويلة المدى أم أنه شعار تكتيكي ؟

ورغم كل هذه التحفظات فإن الاتحاد الاشتراكي يشارك بالقوى التقدمية والوطنية جدية المناقشة والحوار الدائر لانساج الجبهة .

مراسل تاريخية

■ **الحزب الشيوعي** : وقد سبق له أن طرح فكرة الجبهة منذ مقاومة الاحتلال الفرنسي ثم في الستينات وخضعة بعد مشاركته للبعث في الحكم منذ عام ١٩٦٦ . ولقد قدم الحزب - ورقة عمل للجبهة

القوى الجبهوية

وطالما أن فكرة الجبهة الوطنية تلخّ كل هذا الاهتمام وهو في الواقع اهتمام سوري وطني واهتمام عربي قومي فإن من المفيد تحليل القوى المشتركة فيها من ناحية ، والقوى الفارجة من نطلابها من ناحية أخرى ، لتبدو الصورة متكاملة .

١ - القوى الجبهوية : وهي كما سبق أن ذكرنا تضم البعث الحاكم - الاتحاد الاشتراكي - الحزب الشيوعي - الوحدويين الاشتراكيين - الاشتراكيين العرب .

■ ولذا ما اعتبرنا أن مجموعتي **الوحدويين الاشتراكيين** و**الاشتراكيين العرب** يمثلان **انقلابين تنظيميين** عن **هزب البعث** ، بعد انفصال دولة الوحدة بين مصر وسوريا في ١٩٦٢ ، لوجدنا أن منطلقاتها النظرية وانكارها السياسية تتفق وتطابق مع منطلقات الحزب الأم - البعث ، ويبنائي منها الآن - في ظل جو المصالحة القائم - **بتقاربان بشدة مع البعث** ، ويكاد الاندماج معه يكون وثيقاً . هما يشكلان مع البعث - كما قال لن السيد مصطفى الحلّاج زعيم الوحدويين الاشتراكيين ووزير الاقتصاد السوري - **أبنه** هم ٥٥ عائلة واحدة .

■ **البعث** (تأسس ١٩٤٦ - واستولى على السلطة في سوريا ١٩٦٣) يقوض منذ فترة معارك سياسية في الداخل والخارج ، ولذا ما طرحنا معاركه - كجزء من حركة التحرير العربية ضد الاستعمار والصهيونية - تراه يقوض معارك مذهبية ضد البعث العراقي وضد القيادات السابقة للبعث السوري نفسه ، ويذهب أحياناً إلى هيكله الداخلي إلى ضد الخلاف بين جناحيه العسكري والجنّي ، ثم بين قواه المحافظة وقواه الضالّة . لكنه على أي حال فهو يتغل الآن بين ثلاثة شخوط استغنية :

١ - **القوى التقدمية** السورية التي تضمت عليه لينهي فكرة انفراد الحكم ومجانبته للقوى الأخرى ، التي لها الحق بحكم منطلقاتها الإيديولوجية والسياسية وبحكم قواعدها الجماهيرية المتزايدة ، في المشاركة في القيادة السياسية والتنفيذية .

٢ - **القوى المحافظة** داخل الحزب : والتي تقاوم فكرة اشراك الآخرين مع البعث في الحكم تحت حجة أن في تحقيق ذلك إزعاجاً مالياً للحزب من السلطة وأذابته في القوى الأخرى .

٣ - **القوى الضالّة** في الحزب ، والمظردون الذين استردوا مضمونهم في البعث بعد استيلاء الفريق الأسد على السلطة في نوفمبر ١٩٧٠ ، هؤلاء يجيئون بالبلون بضرورة **افتتاح** الحزب على القوى التقدمية الأخرى بوجه القوى الضالّة داخل تنظيم الحزب لتحقيق فكرة **الجبهة الوطنية** .

الضغط لانتزاع الجبهة الوطنية على اسمها وإعادة التناغم بين القوى التي طال خلالها وتشتتها، وهذه الجماهير غير المنتمية تشكل قوى جبارة ترفض دفع البلاد مرة أخرى إلى موجات الصراع الدلوي الذي كرهته سوريا .

وفي رأيي فإن نجاح الأحزاب والقوى التقدمية في لاقبة الجبهة ، يتوقف على نجاحها في استقطاب تأييد هذه الجماهير غير المرتبطة بالأحزاب .

● **البورجوازية المتوسطة :** وهي تشكل في الحقيقة عصب الحياة السورية ، حيث تسير على التجارة التي تلعب الدور الأساسي في الحياة السورية . وقد خلا الجو لهذه الطبقة النسبية بعد نجاح دولة الوحدة ثم حكم البعث في حزب بقايا الاقطاع والبورجوازية الكبيرة .

ولقد استفادت البورجوازية المتوسطة استفادة كبيرة من القرارات الاقتصادية التي أصدرها الحكم الحالي ، نظرا لأن هذه القرارات ساعدت على فتح أسواق التعامل الخارجي وسهلت حركة التبادل التجاري ، ومن ثم وجدت البورجوازية الصغيرة في هذه التسهيلات فرصة تحاول من خلالها التو مرة أخرى ، وأخسراج رؤوس أموالها الحباة أو المهزبة لاستغلالها في السوق التجارية وفي المشروعات المتوسطة والصغيرة والتي تدربها أكثر هذه الأيام .

● **القوى اليمينية والرجعية :** ولعل أبرزها تنجليات هذه القوى غير الملتزمة هي : تنجليات **الأخوان المسلمين وحزب التحرير الإسلامي** . ومن الخطأ أن تصور اندثار هذين التنظيمين تماما من الحياة السياسية ، حقيقة ليس لهما نشاط واضح وملح ، لكن بعضا من جذورها مازال قائما بشكل أو بآخر ، يحاول بلبترار الاطلال براسة وانتهاز الفرصة لضرب حركة التقدم الاجتماعي .

ولا شك أن هذين التنظيمين سيحاولان استغلال البورجوازية المتوسطة وحركة الرواج التي تم بها ، للفتن إلى الحياة العامة ومحاولة السيطرة مرة أخرى . وهنا يمكن التحدي الحقيقي الذي تواجهه القوى التقدمية الخمس في سوريا . . . تحدي الحياة أو الموت ، وسط ضباب الصراعات غير المفهومة في بعض أجزاء الوطن العربي ، وفي ظل عدوان القوى الامبريالية والصهيونية ، وتزعيم القوى الرجعية ومخلفات الماضي . . . التي ستتهدد كل فرصة لضرب الحركة التقدمية الوطنية للجماهير اذا ما وجدت الى ذلك سبيلا .

صلاح الدين حافظ

التحتيرية للجبهة ، تتضمن لفكارة حول انشاء هذه الجبهة . وهي كما يوضحها السيد يوسف فيصل سكرتير اللجنة المركزية للحزب ووزير الدولة : ان سوريا تمر بمرحلة تاريخية هي مرحلة استكمال التحرير ومعالجة السير في طريق التقدم الاجتماعي نحو الاشتراكية ، ولذلك فإن الجبهة هي تعزيز الأرض المحطة ، وتوطيد التحولات الاقتصادية والاجتماعية وتوطيها أو بناء نظام حكم قائم على الديمقراطية الشعبية وبناء القاعدة المادية للاشتراكية ، وتحقيق خطوات وحدوية مع البلاد العربية التقدمية ، واحباط مؤامرات الاستعمار والصهيونية ، وتوطيد الصداقة مع المعسكر الاشتراكي .

والحزب الشيوعي يطرح معزاه على أسس أن تقوم الجبهة على أسس بناء التنظيم المهيمن **القطبي والتنظيم السياسي** ، وتنبئة قوى الجماهير الكادحة داخلها ، والجبهة التي يدعو لها هي ذات الطابع الوطني التقدمي التي تتعامل في إطارها الأحزاب التقدمية وتوجه للجماهير ببرنامج مشترك ويخطط موحدة وهي التي يمكن أن تكون القيادة السياسية المشتركة الطليعية لكل الشعب .

ويرد يوسف فيصل هنا : - على تساؤلات طرحها بعض القوى من مدى جدية الحزب الشيوعي في التعاون داخل إطار الجبهة . . . هل هو يطرح شعار الجبهة كشعار استراتيجي أم أنه شعار منطلي . . . هل هو جاد فعلا في فكرة الوحدة العربية ؟ أم أنه يرغبها إلا تلبقا لحواطن الجماهير العربية . . . يقول : ان حزينا يؤمن بأهمية الجبهة التي يفتأ بها مهام تاريخية عظيمة مثل التحرر والتنمية والانتفاع في الطريق للاراسالي ، وهذا يتطلب تعاون كل القوى التقدمية ويتطلب مراحل تاريخية طويلة المدى **ولذلك فإن الجبهة هي نظر حزينا شعارا استراتيجيا دائما** . لما من الوحدة العربية ؟ فنحن نرفع شعارها بليمان ، ونحن نريد أن يهب من سوريا روح التعاون العربي بين كل القوى التقدمية ويجري الى باقي البلاد العربية .

قوى خارج الجبهة

يبقى بعد ذلك القوى الخارجة عن الجبهة الوطنية وهي :

● **الجماهير غير الملتزمة وغير المنتمية حزيا :** وهي تشكل في الواقع الأغلبية التي كتبت صليحة طوال الفترة الماضية والتي سميت الصراعات الحزبية والتصفيات الدوية ، وفورها إلا هو

المشاكل الراهنة للثورة الديموقراطية الوطنية في المغرب

مكتبة
الطليعة

في كتاب « المشاكل الراهنة للثورة الديمقراطية الوطنية في المغرب » يكشف علي ياطا مسكرتير حزب التحرر والاشتراكية المغربي عن السبب الذي من أجله عرف المغرب ضمة عشر سنة من الركود الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بعد نضال ناجح ضد الاستعمار من أجل التحرر الوطني .

وطوال صفحات كتبه ، حرص علي ياطا على ضرورة وضع مفاهيم لطروف وموالم هذا الركود الذي يعاني منه المغرب حتى تستطيع القوى الوطنية في المغرب ان تحدد المرحلة التالية من النضال .

ويرى علي ياطا ان الحركة الوطنية في المغرب والطبقة العاملة المغربية قد نمتا في الفترة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٥٢ حين ولد مطلب جماهير المغرب في التحرر الوطني .

وكان رد فرنسا على ذلك تقوية ودمسم سيطرتها على المغرب والهبوط به الى حد جعله في وضع استعماري تلم . وحظر الاستعمار الفرنسي تسلط كل من الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال ، كما نفى الملك محمد الخامس . وقد

■ تاليف ■

علي ياطا

مسكرتير حزب التحرر
والاشتراكية المغربي

■ قرأ ■

ممدوح عبد الرحمن

تحدث ذلك رد فعل تخديعي من جانب القوى الوطنية المغربية لم يستطع الفرنسيون صدءه ، خاصة وانهم كانوا مسئولين بحرب عدوانية في الجزائر فاضطروا الى منح المغرب استقلاله عام ١٩٥٦ .

وفي فترة الاستقلال انشقت الجماعات الثورية على حزب الاستقلال السذكى كلفت تشرعهم البورجوازية وكونت تلك الجماعات الثورية الاتحاد الوطني للقوى الشعبية . وقد نتج من هذه الانتفاضة الشعبية محاولة قصيرة الابد من اجل محاولة اقامة حكومة شعبية . وكان هناك رد فعل مرة اخرى تمثل في اعادة حظر نشاط الحزب الشيوعي ومحاوله فرض دستور فين وطني . وقد اجاب الشعب على ذلك بحركات شعبية شعبية بالثبوت عام ١٩٦٥ مما دعا بالحكومة الى اعلان حالة الطوارئ .

وقد اتسم الموقف في المغرب في هذه الفترة بوجود عدة موانع مؤثرة في الحياة السياسية فقد قويت العناصر الاجتماعية وانتشر السخط في الريف - حيث كان اصلاح الزراعي ومايزال مطلباً رئيسياً - كما انتشر السخط ايضا بين اهل المدن . ومن ناحية اخرى عالت القوى التقدمية في المغرب من تكاسف شديدة . وبالرغم من ذلك كله فقد وجدت في المغرب ظروف ساعدت على قيام تغير كيمي يسير التفاعل العالمي ضد الامبريالية والاستعمار الجديد .

وتشمل المشكلات الخاصة التي تواجه المغرب في نظرنا على املنا - من الشكل الاقتصادي للدولة ومن آثار السيطرة الاستعمارية الفرنسية - فهو يرى ان التحكم في الاقتصاد المغربي ونموه هذا الآن في قبضة الاحتكارات الاجنبية . وان اصلاح الزراعي والبطالة والجوع والابسة ولسوى المعيشة المنخفضة كلها من المشكلات التي تبحث من حل . ويضيف اليها ايضا مشاكل حدود المغرب وفوضىة البلاد ومشاكل الحريات المدنية والدستور .

فالتحكم المغرب تسيطر عليه احتكارات الامبريالية الاجانب وويلغ الانوال التي يستطرحها البورجوازيون الفرنسيون جوال الفين مليار فرنك . وقد نتج من ذلك سلسلة من الظواهر الضارة . فالاحتكاريون الاجانب يسحبون كل عام رسامالا يبلغ مقداره من ٨٪ الى ١٠٪ من دخل المغرب القومي . وديون المغرب الداخلية والخارجية زادت في فترة الاستقلال الى ثلاثة اضعاف ما كانت عليه من قبل . وقد وصلت الديون الداخلية الى ثلاثة اضعاف ما كانت عليه من قبل فوصلت الى حوالي ٢٢٣ مليار فرنك . ووصلت الديون

الخارجية الى ٢٢٨ مليار فرنك ، كما ان هناك انخفاض دائم في الرصيد الاجنبي الذي هبط من ١٢٦ مليار فرنك سنة ١٩٦١ الى ١١٦ مليار فرنك سنة ١٩٧٠ . وقد بلغت النسبة السنوية للنمو الاقتصادي ١٫٦٪ فقط بالرغم من ان الخطة السنوية الاخيرة قد تم تخطيطها بحيث يصل معدل النمو السنوي الى ١٠٪ . وقد نقصت الصادرات في فترة ما بعد الاستقلال بمقدار ٤٠٪ في الحجم و ٢٠٪ في القيمة . وقد اظهرت خطة الثلاث سنوات الاخيرة مجزا في مجال الاستثمار وصل الى ٥١ مليار فرنك كل عام . كما ان تحصيل الدولة لرأسي المال يعتبر ضئيلا ، وهي بذلك تفوض كل امس ايجاد مورد قوي للتنمية الصناعية .

ويحلل على املنا القطاع الزراعي في المغرب يقول ان الزراعة في المغرب تتصف ببنيتها الاجتماعية الاقتصادية وهي بذلك لا تستطيع ان تحل مشكلات التخلف الفني والمشكلات الناتجة من الظروف الصعبة . وخلال فترة الاستقلال لم تحدث زيادة في انتاج الغلال وهي الحصول الرئيسي في المغرب . وفي الحقيقة فان جملة الانتاج الزراعي اخذت في التناقص في عام ١٩٣٩ ، تم انتاج ٣٧ مليون قنطار ، وفي سنة ١٩٦٥ هبط الحصول الى ٢٧ مليون قنطار وفي سنة ١٩٦٩ انحدر الحصول الى اكثر من ذلك فوصل الى ١٥ مليوناً .

وفي هذه الفترة زاد سكان المغرب بمعدل من ٣٥٠ الى ٤٠٠ الف نسمة سنويا ، مما ادى الى اعتماد متزايد على الواردات لمعجز اصحاب الاراضي البورجوازيين في المغرب وملوك الاراضي الاستعماريين الفرنسيين من الوفاء بمتطلبات الغذاء الرئيسية للواطين . وقد مكن ذلك الامبرياليين الامريكيين من استغلال المغرب كمستودع يفرغون فيه الفائض من المنتجات الزراعية .

ويحلل على املنا سياسة التعليم في المغرب فيقول انه بعد خمسة عشر سنة من الاستقلال لا يوجد في المدارس الابتدائية بالمغرب سوى ١٠٠ الف طفل من ٢٥٠ الف طفل بلغوا سن الدراسة . كما يوجد في التعليم الثانوي ١٧٤ الف طالب فقط مع ملاحظة ان هناك انخفاضا ملحوسا في مستوى التعليم .

ومن مشكلة الاسكان في المغرب يقول على املنا انه بالرغم من زيادة عدد السكان فقد قل استهلاك الاسمنت . وان حالة الاسكان في الريف سيئة كما ان المدن نفسها تشتمل على الازفة والاكوخ . والدار البيضاء نفسها بها مدينة

ذات اكوخ تحتوي على ٧٢ ألف مسكن مشيرة
تضم مايزيد على ٣٠٠ ألف نسمة . ويضيف
المؤلف انه بينما نجد اسرانا في التفلسق على
المساكن الفاخرة نجد الركود والفوضى يسودان
التخطيط الاسكاني لجماهير الشعب .

ويطلى على يالما ابعاد اخرى لمشاكل المغرب
الاقتصادية . فنتيجة للفقر الشائع يصل عبر
الفرد في مدن المغرب الى ٢٧ سنة بينما ينخفض
المتوسط في الريف الى ٤٢ سنة ! . ومعنى الأزمة
الاقتصادية المغربية وجود نسبة كبيرة من البطالة
ونزلة العمل المناسب . وهو ما ينعكس على
مستويات المعيشة الاذنة في الانخفاض الشديد .
وقد اصبح المغرب مستوردًا للملح يضم
الاحتكاريين الاجانب الذين يستوردون الايدي
العملية . وفي الوقت الذي اخفقت فيه الهجرة
من الريف الى المدينة في الازدياد نتيجة لسمي
العمل الزراعيين الموسمين للبحث عن اعمال
صناعية وقتية .

وبينما يوجد في المغرب اعتراضا بحق تكوين
نقابات او اتحادات عمالية بالإضافة الى بعض
الحريات المدنية . فإن المغرب لا يصرّف اية
ديمقراطية شعبية كما يقول المؤلف . فنظام الدولة
اقطاعي ومستور ١٩٦٢ مستورد من الخارج
وقد فرض على الشعب فرضا من طريق انتخابات
مزيفة ، كما ان كثيرا من الصحف قد صدرت ،
وانشرت الرقابة على نطاق واسع بحيث لم يعد
من الممكن عقد اجتماعات ديمقراطية حقيقية .

ويتهم على يالما في كتابه حكم المغرب
بانهم يذمون ان لهم سياسة فخرجية تقوم على عدم
الانحياز وعلى تأييد الشعوب المناهضة ضد
الاجبرالية وعلى الاعتراف ببدا التعاضد السلمي،
في نفس الوقت الذي يبيع هؤلاء الحكام يون
ووالشفون ويتقنون ضد الاشتراكية ويتخذون
موقفا سلبيا من الشعب المناضل في فيتلهم .

وفي تقدير على يالما ان الأزمة العملة التي يمر
بها المغرب كان لها اثرها على التنظيمات السياسية
المغربية . ويبدو ذلك واضحا في حالة حزب
الاستقلال والاتحاد الوطني للقوى الشعبية وهو
الحزب الذي يضم صفار البورجوازيين التقدميين
وشباب المثقفين . كما يبدو ايضا في اتحاد العمل
المغربي . وقد ادت الفوضى والاضطراب والانتقام
والانتقام الى التنظيم الى جانب الكتب الجعبد
الى ضوئية هذه التنظيمات في الفعاح من تلبها
حتى تكون قاصرة على ان تتقدم بالثورة .

ويخل المؤلف الظروف الدولية بعد الحرب
الحالية الثانية ويربط بينها وبين ظروف المغرب .

تبعذ الحرب المالية الثانية نعدت تهتقر للثانية
على المستوى العالي . وبالرغم من الصرب
الباردة ومن محاولة الاستعمار الامريكي السيطرة
على العالم الابريالي فلقد اصبح زحف القوى
التقدمية هو الذي يشكل المستقبل . ومع ذلك
فلا زالت هناك عدة مهام تنتظر الانجاز . فمن
الضروري تعبئة الجماهير ضد الاستعمار الجديد
وهي مهمة مشتركة لكل حركات التحرر الوطني .
والعمل من اجل الثورة في العالم الثالث يستلزم
تنظيم القوى الطليعية واتصالها بالجماهير وتكوين
جبهة عريضة للقوى التقدمية في القارات الثلاث
بالتعاون مع النظام الاشتراكي العالي وحركات
الطبقة العاملة . وبهذه الوسيلة وحدها يمكن
للضال الثوري من اجل السلام ان يكسب اهليته،
كما يمكن لسياسة التعاضد السلمي بين الدول
ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ان تصل الى
هدفها في تجنب قيام حرب عالمية ثالثة . ان الخلافات
الايدولوجية والسياسية التي حدثت في السنوات
الاخيرة قد منعت الحركة الشيوعية من القيام
بعمل حاسم . من اجل حل جزء من هذه المشكلة
يجب ان يكون هناك مساواة واستقلال وعدم
تدخل في الشؤون الداخلية لمختلف الاطراف . وتوقع
ذلك يجب ان يكون هناك تنفيذ اكثر جدية لاضرار
الاستعمار وطبيعته ولدى الحرب في فيتلهم .

وفي داخل هذا الاطار العام فان المهمة العاجلة
في المغرب ليست بناء الاشتراكية . لكنها تحقيق
الكليل للثورة الديمقراطية الوطنية . وفي ذلك
مرحلة تحقيق الثورة الاشتراكية . واتهام الثورة
الديمقراطية بتطلب تأميم البنوك والمنشآت
والجارة الخارجية والتأمين والمشروعات الصناعية
والاحتكارات الأخرى ويقول على يالما انه يجب
على المغاربة تأمين انفسهم ضد ابتزاز مواردهم
وبمسار زيجهم . ويجب وضع خطة تنمية جديدة
لكل من القطاعين الصناعي والريفي ، كما ان
تجميع رأس المال يجب ان يكون من موارد المغرب
الداخلية او من المساعدات الأجنبية غير المشروطة .
وزيادة على ذلك يجب بذل الجهود من اجل
انقاص الدين الداخلية وخلق سوق داخلية اكبر
وجوب ان يذهب حوالي ٢٠ ٪ من الدخل القومي
للاستثمار . كما يجب العمل من اجل زيادة المبيعات
وتجقيق العمالة الكلية وتخفيض الضرائب بالنسبة
للمصانع المحلية .

وفي المنطق الريفي يجب مصادر الأرض
واعادة توزيعها وتحويلها لممتلكات الشخصية .
كما يجب توزيع المزارع الجماعية على الفلاحين
الذين يقومون بزراعتها . كما يجب تسليم الممتلكات
الكبيرة للجان الادارة . ويجب ايضا حماية التربة
الزراعية والثروة الحيوانية وتبني مشروعات
الري ومد الفلاحين بالاسمدة والقروض لتحسين

التربية الزراعية . كما ان الإدارة الطبية والمهنية للمزارع لازمة من أجل تقدم الزراعة المغربية .

ويجب تعليم كل الأطفال الذين بلغوا سن الدراسة في اطر الثقافة والتراث الوطنيين . ويجب الغاء دراسة اللغات الأجنبية في التعليم الابتدائي واحلال اللغة التومية محلها . واكثر من ذلك يجب ان يكون هناك تعليم فنى جديد ومنح تعليمية وتدريب سليم للحدوسين . كما يجب ان يحصل مهائنا على تدريب صناعى فنى .

كما يؤكد على ياما على ضرورة العمل على وضع خطة للقضاء على الأمراض المختلفة مثل الدرن والإمراض التناسلية والربد الصبىسى . وكذلك يجب شن هجوم على سوء التغذية ، وان يتوفر الدواء فى المناطق الريفية ، وان يصمم التأمين الإجتماعى .

وهناك ٣٠ ٪ نسبة نقط يعيشون فى كل كيلو متر مربع فى المغرب لذا فليست هناك حاجة الى حملة لتعميد النسل وذلك ان نظرنا بجدية لقضية تهيئة الموارد ومسألة الانتعاش بها ، وبالنسبة للسكان يجب إزالة أكواخ المدن والقلة ومساكن صعبة جيدة مع تزويدها ببياء اكثر نقاء وجوار وشبكة كهرباء مع العرص على تخفيض ايجارات هذه المساكن ..

ان البطالة تزداد فى المغرب ويجب مواجهة ذلك وفى نفس الوقت تظهر الحاجة الى زيادة فى المرتبات بنسبة ٣٠ ٪ وكذلك الى زيادة العلاوات الاسرية والتأمين الاجتماعى ويجب ان يكون للتقنيات ان الاتحادات الحق الكليل فى ان تقرر احتياجات العمال فى مختلف المشروعات كما يجب اعادة استيعاب المتعلمين فى اعمال انتاجية مفيدة .

ويدعو على ياما الى الغاء حالة الطوارئ واختيار جمعية تشريعية وطنية عن طريق انتخابات عامة ، ووضع دستور جديد ورفع المظفر من نشاط الحزب الشيوعى ، والاعتراف بحق الاحزاب السياسية فى العمل الحر وانهاء السرققة على الصحافة ، ويشير الى ان حقون الانتخبلت على الحالى يزيد من تأثير العناصر الانطامية ويشجع الروح القبلية كما يسهل عملية الاحتيل . وان التمثيل النسبى يمكن لحد ما ان يساهم فى حل هذه المشكلات .

ان من الواجب تعبئة الجماهير ضد الاحتلال الاسبانى للأراضى المغربية . بل ويجب ارقام الامبريالية الاسبانية على ترك الاراضى المغربية عن طريق قطع العلاقات الدبلوماسية وغيرها .

وبالنسبة للسياسة الخارجية يرى على ياما الى نبذ فكرة التهذنة التى تشجع الاستثمار وان عليه ان يناضل ضد الامبريالية الامريكية وان يتخذ موقف الحياد الإيجابى .

يقول على ياما ان المغرب قد اعترف بمصاحبة حاكمه فى ساجيون ولم يعترف رسميا بجمهورية فينتام الديمقراطية ويطالب بتغيير هذه السياسة وبالاعتراف بجمهورية التحرير الوطنية باعتبارها الممثل الوحيد للشعب فينتام . كما يطلب بالتعاون مع البلاد الاشتراكية ويتوحد المغرب العربى [ليبيا وتونس والجزائر والمغرب] وذلك على مراحل تدريجية تبدأ باقامة علاقات اقتصادية وثقافية . وان يتحمل المغرب مسئوليته كدولة كدولة افريقية فى مساعدة حركات التحرير ويخاضة فى جنوب افريقيا وفى روديسيا .

ويرى على ياما ان قوانين التطور التاريخى تستلزم ثورة ديمقراطية وطنية على مرحلتين اولاهما التحرير من الحكم الاستعمارى المباشر وثانيها التحرر الوطنى الكليل لليبيا واقتصاديا . وخلال هذه المرحلة الثانية من الثورة الديمقراطية فان المسلحة الوطنية تبقى هى القوة الدافعة للتطور الاجتماعى القندسى ، بينما فى فترة التحول من الثورة الديمقراطية الوطنية الى الشيورة الاشتراكية يكون التطور من أجل مصالح الطبقة العاملة المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمصلحة الوطنية

ويؤكد الكاتب انه لا يوجد حزب سياسى فى المغرب يستطيع بغيره ان يعنى قضا فى مرحلة النضال ضد الامبريالية والاستعمار الجديد . وان السبيل الوحيد لفسيان انتصار الشيورة الديمقراطية الوطنية هو اتحاد القوى المناهضة للامبريالية والانتطاع .

وقد دعا محبوب بن صديق السكرتير العام لاتحاد العمل المغربى وعبد الله ابراهيم رئيس الاتحاد الى اقامة مثل هذا الاتحاد على اسس مبنية اذ يجب الوصول الى اتفاق بين كل الاحزاب السياسية على اسس برنائج محد مختصر لا ويطلب بان تجتمع الاحزاب السياسية على عمل مشترك عن طريق جهاز يتكون من ممثلين لكل المنظمات الشعبية وان ترفع هذه الاحزاب برنائجها للممثل من أجل اقامة حكومة ائتلافية وانتخاب جمعية تشريعية تأسيسية . ويمكن ان يكون هذا الاتحاد قويا اذا ضمن المشاركة الايجابية لصاحبه الشعبية من طريق المشاركة والحوار . وفى المرحلة الراهنة فان مثل هذا الاتحاد سوف يكون ثوريا . وهذا الائتلاف يجب ان يضم اتحاد العمل المغربى والاتحاد الوطنى للقوى الشعبية والحزب الشيوعى .

الاسلام . لقد ندد الاسلام بالظلم ، وعاجم القرآن الكريم المستغلين . ان المغرب يجب ان يجد طريقا مغربيا للاشتراكية كما يقول علي ياطا .

ان كتاب « المشاكل الراهنة للثورة الديمقراطية الوطنية في المغرب » لا يكتفى باعطاء صورة واضحة لدى ما يسميته المغرب بل يعطي ابعادا جديدة وواقعية لحل مشاكل المغرب .

بين الضوئيين ان يكون هذا التصانيف استراتيجيا طويل المدى ، ويجب ان يؤدي ذلك في المستقبل الى خلق حزب ثوري متحد قائم على الانس الايديولوجية للاشتراكية العلمية . ويرى علي ياطا ان الظروف ليست ملائمة بعد لخلق مثل هذا الحزب ، ولكن يمكن البدء في المناقشات من الان كما يؤكد الكاتب ان العدالة الاجتماعية والمساواة لا يتعارضان اطلاقا مع مبادئه



السيونية ودولة اسرائيل

٢ - معاداة القومية العربية ، والمنصرية المهادية للحرب في اسرائيل وفي الخارج . وتحاول اسرائيل بانارة ما يسمى « بالمشكلة اليهودية » في البلاد الاشتراكية ، ان تبرهن على عجز الاشتراكية من حل المشكلة . والواقع ان تهجير يهود البلدان الاشتراكية الى اسرائيل ليس هو المشكلة التي تعني قادة اسرائيل ، بل الرغبة في التشهير والهجوم على المسكن الاشتراكي ، فاليهود الذين يهاجرون من الاتحاد السوفيتي لا يفضلون اسرائيل ، بل لندن وغيرها ، فضلا عن ان المهاجر الواحد الى اسرائيل يتكلف ٣٠ الف دولار ، فلذا ما هاجر كل اليهود السوفيت اليها لتكفوا ٦٠ مليون دولار .

ان الامر الهام بالنسبة لحكومة اسرائيل ، ليس هو مصير يهود الاتحاد السوفيتي ، بل ان الهدف الاساسي هو اثره الصعاب الداخلية والخارجية لنام البلاد الاشتراكية . فالغريب ان كثيرا من اليهود المحدثين « بل وغير اليهود ، في اسرائيل وفي خارجها ، يشنون كثيرا من الحملات الهجومية والافتراءية دفاعا عن حقوق « ثلاثة الجيش » اليهودية « في حين ان هذه الثلاثة نفسها لا تجد فرصتها في اسرائيل كما تجدها في الاتحاد السوفيتي . ويقول الصهيونيون ان الطريقة التي يعامل بها بلد اشتراكي « يهوده » هي المعيار والمقياس لطابعه الاشتراكي ، وبالنظر لايطبق نفس المقياس بالنسبة للبلاد الرأسمالية .

ويقول الكاتب ان معاداة السوفيت والبلاد الاشتراكية لدى الصهيونية والدولة اسرائيل لا تنفصل عن الارتباط المضوي بالمال

مجلة « النقد الجديد »

— يونيو ١٩٧١ —

يطرح اندرويه جيسلبرشت في مقالته عن « الصهيونية ودولة اسرائيل » ، مددا من القضايا الفكرية التي قد تنفق معها أو تخفف ، ولكننا في كل الاحوال نعرف له بميق التنظرة وأصلها التحليل .

ودراسة جيسلبرشت التي نشرت في عددي مايو ويونيو ١٩٧١ من مجلة « النقد الجديد » جاءت في اعقاب زيارة قام بها الكاتب لاسرائيل للاستقصاء والتفتيش ، والاطلاع والدراسة الامر الذي جعل نظرته شاملة « ونيانورامية » عملا . ويرى جيسلبرشت ان صهيونية اليوم ، ليست هي تلك التي اوجدت اسرائيل ، فقد أصبحت الآن تقوم على :

١ - معاداة الشيوعية (اي البلاد الاشتراكية) والعداء للسوفيت

٢ - ايديولوجية العالم الحر . فاسرائيل « لا تدافع » عن مصالحها القوية ، ولكن من مصالح العالم الحر ، والولايات المتحدة في المحل الاول : تدافع عنها في الجولان وضفاف نهر الاردن ، وشرق النخيف ، تلمبا كما يتم الدفاع عنها في برلين وسايجون .

يقول الكاتب ان السكينة «التزايده» للاقتصاد الاسرائيلي قد اوجدت بعد ١٩٦٧ بداية للصناعة الثقيلة التي تتطلب استقدام يد عاملة متخصصة وتكتيكيين مؤهلين من الخارج ، ومرة اخرى جاء العمون من امريكا ، فقد تنفق اليها اللاتيون ، من ذوي التخصصات العالية ، بما فيهم العسكريون»

ومن رغبة الصهيونية في السيطرة والهيمنة ، يؤكد الكاتب انها لا تنفصل من العداء للعرب ولحركة التحرر العربي ، وعن الرغبة في التحكم في العرب والسيادة عليهم . فالاحزاب الاسرائيلية جميعا ، حتى تلك التي تدعى اسماء اشتراكية تريد فلسطين بدون عرب . وهذا يؤكد ان الفسائل المحققة بين «الصقور» و «الحيائم» في اسرائيل ، او بين «اليساريين» و «انصار مملكة اسرائيل» ليس خلافا جوهريا ، فالجميع توسميون .

ويوضح جيسلبرشت تحت عنوان فرعي في المجلد هو «داود صغير اشقر وجري» ان العقيدة التي روحت لها الصهيونية وتمكنت من فرضها فعلا بين الاسرائيليين ، وبين اليهود في العالم فيما يتعلق بالعرب هي عقيدة استعمارية متعالية عنصرية . فالعرب في كتب الاطفال اليهود : اغبياء ، وكسالى ، وجبناء ، وقساء ، ولصوص ، ويمدون داود ، الاشرار الجريء الشجاع الكريم . وقد نشرت القاموس الامريكاني استفتاء تم اجراؤه بين اليهود الامريكيين ، اعلن فيه ٧٧٪ منهم ان العرب اناس منحطون ، و ٧٥٪ اتهم قساة ، و ٨٠٪ اتهم اكل شجاعة من الاسرائيليين . ان الصهيونية تؤكد انهم مخلفون ، ومتعمسون دينيا ، ونظمهم تكتاتورية مستبدة ، وان تخلفهم لا يرجع الى الاستعمار وانما الى عجزهم الطبيعي والخلقي . ويتباهى المسؤولون الاسرائيليون بالتقسيم الذي جلبوه للعرب الذين وضعوهم تحت سيطرتهم ، ولكنهم يتناسون تلك الفترة الاقتصادية والسياسية التي يمارسونها ضد العرب في اسرائيل .

وتحاول اسرائيل واجهزة دعاتها الفترة بين الحكم والشعوب العربية ، فالشعوب العربية دائما متخلفة في نظرم . اما الحكم فقسما ٢٠ قسم بكروه في اسرائيل مثل عبد القاصر ، وقسم محبوب مثل هسكين وآخرين على شكلكتة . وللدائح التي ييكها حكام اسرائيل لحسين تنفى من اى بيان ، خاصة منذ تصفيته للبقاوية .

ويذكر جيسلبرشت ان يهود شمال إفريقيا هم «الزئوج» في اسرائيل . ويرى ان الصهيونية «فكرة لوريعة» وضمتها اوربيون لخدمة اوربيين ، ومن ثم فهي ترى في هؤلاء

الراسمالي ، «الحسن» ، والولايت المتخسدة لسانا .. فنداء حرب الايام الستة ، بدلت الدعاية الصهيونية تركيز على فكرة ان اسرائيل تدافع عن العلم الحر ، ضد الاتصال السوفيتي في البحر الابيض . وتحديث ديان كثيرا من ضرورة تحويل «القضية» الاسرائيلية الى قضية غربية . وفي كل هذه الاساليب ، لاتت الصهيونية بشيء جديد واميل ، بل تهرن علىها على انها مجرد امتداد للحملات الصليبية ، وللحرب الباردة ، وانها ادافوا لوجه وتخريب سياسة التعايش السلمى .. ولكن الصهيونية كما تتجسد في سياسة حكومة اسرائيل ، ليست اداة سلبيية للامبريالية ، بل ان المصالح المتغيرة لكل منهما تتوافق في هذه المنطقة . والواقع ان الاتجاه الموالى لامريكا من جانب حكومة اسرائيل نابع من هيكل الاقتصاد الاسرائيلي ، ومن خصائص التطور الراسمالي فيها ، والذي يميز باختلال واضح في القوازن ، والذي يندرج وجود صناعة ثقيلة ، وتنضم الطعاع الثقات والصناعات والبنوك وشركات التأمين ، وشركات الاستيراد والتصدير على حساب الانتاج الصناعي ، فالصناعة في اسرائيل اقل منها في بلد راسمالي كلاسيكي ، والزراعة فيها اقل من بلد متخلف تقليدي ، والاعتماد الاقتصادي على المعونات والقروض الاجنبية امر واضح مما يزيد الدين الخارجي [تضاعفت منذ يونيو ١٩٦٧ ، وهي اعلى معدل في العالم بالنسبة للدخل القومي] ومن جانب آخر هناك الزيادة المستمرة في عبء التسليح [٥٠٪ من الميزانية ، واعلى معدل في العالم بالنسبة للدخل الفردي] والتمعية الاقتصادية لاسرائيل هي النتيجة المنطقية تماما والطبيعية لتحقيق البرنامج السياسي التوسعي للصهيونية التي تدعمها الراسمالية العالمية . ففي ١٩٦٨ حصلت اسرائيل على ١٠٪ من مجموعة ما تقدمه البلدان الراسمالية لبلدان العالم الثالث . وفي ذلك يقول الدبلوماسي الامريكاني دافيد نيس ان المعونة الاقتصادية التي تقدمها امريكا الى اسرائيل تتجاوز كثيرا ما تقدمه لاي من حلفائها ، بريطانيا العظمى او جنوب افريقيا ، والرئيس الامريكاني حق تقديم الاسلحة الى اسرائيل دونما حدود . الامر الذي يعتبر «شكيا على يافض» فريدي في نوعه في العلاقات الامريكية ، وتنفق انواع الاسلحة المتقدمة لاسرائيل من مثيلها المقدمة لبلدان الاطمنطى ..

وفيما بين ١٩٦٩ و ١٩٦٧ حصلت اسرائيل على ٧.٧ مليار دولار من امريكا [ثلثا هذا المبلغ ليزيد] . وعلاوة على ذلك فقد أصبحت اسرائيل هي المكان المفضل للاستثمارات الاجنبية ولتصدير رأس المال ، خاصة الامريكى . للتسلل من ورائها الى اسواق بعض بلدان العالم الثالث .

الفرق بين البروليتاريين عائقا اجتماعيا وثقافيا ؟
تعتبرهم عبثا وعارا . وتبارس عليهم عدوانها .

ومنذ ان بدلت الصهيونية تفقد تعاطف الراى العام معها بعد احتلال لراضى العرب ورفض اجراء المفاوضات معها ، لجأت الى الارهاب الفكرى باتهام كل من يرفض اهداف التوسيع الصهيونية ، بمعاداة السامية ، بل ان كل من يزور القاهرة ، مثل وفد اتحاد العمال الفرنسى ، يعتبرونه معاديا للسامية .

والواقع ان الستار الدينى لاسرائيل لم يستطع ان يخفى ان « **التكتل الصهيونى الضعافى** » هو الذى يحكم ، وان معظم الصهيونيين ، بل وغالبية الاسرائيليين غير مؤمنين باى دين . وان الخطأ مقصود بين الدين ، والانتباه المزدوج ، بين الايمان والقسومية . وعلاوة على الطابع الثيوقراطى للدولة الاسرائيلية ، يضح الطابع السكبرى ، وطابع عدم المساواة الاجتماعية ، والطابع الاحتكارى للاقتصاد .

وتقدم الصهيونية والاستعمار لاسرائيل فى مواجهة البلاد العربية . كدكتاتوريات . ولكنها فى الواقع ديمقراطية مستوردة . فكل الاحزاب فيها نشأت فى الخارج ، واحتفظت بتقليدها الاجنبية ، خاصة الانجلو سكسونية . والسبب فى استقرارها حتى الآن هو : ان كل عمليات توطين المهاجرين ، تنظمها وتبذلها الاحزاب التى توجد مراكزها فى اوربا ، ثم ان هذه الاحزاب عبارة عن مشايخ اقتصادية تؤلف هؤلاء القادمين وبذا تضمن ان يكونوا من انصارها . مما يخفف من حدة التناقضات الطبقة نسبية ، هذا بالإضافة الى الاسطورة الاساسية للصهيونية عن السلام الاجتماعى « تجسود الاجور ، التبريمات المدفوعة للاضراب » اى التعاون بين الطبقات ، والذى يروج له تأسس الحزب الحاكم **والهستدروت** . والوجه المقابل لذلك هو السياسة الخارجية هو « **الاتحاد القمصى** » ومن ثم تصبح الحرب والعوان ضروريين لهذا التلاحم القومى . والهستدروت ممثل حقيقى للجوهر القومى المتمصّب للصهيونية فهو اتخذ نقابى وهو فى نفس الوقت كبير « رب عمل » . لقد اقيم : « **لغزو العمل** » و « **غزو الارض** » و « **غزو الاناث** » . . . لقد كان الهدف من افاته :

١ - تحقيق التراكم الرأسمالى ، الذى لم يكن فى مقدور رسالية تقليدية ان تحقّقه هناك .

٢ - التخلص من العمال العرب ؟ والاستيلاء على الارض وعلى المشروعات . وهذا التكوين الغريب لم يرق على اساس قليمى او طبقي بل قام على اساس عنصري .

وفى ختام المقال يؤكد الكاتب ان عقلية الفران [وهى فى حقيقتها عقلية النمر] التى ترى فى كل المفاوضات ، والمفاوضات نوعا من « **الفخ** » لم تختف ، بل وما زالت سائدة . ومع ذلك فان المعارضة تنمو وتزايد ، ولكن ليس هناك من بين حركات المعارضة من يفسح وجود اسرائيل محل نقاش ، وهذه التناقضات حتى مع غشها دليل على ان التناقضات الطبقة لا بد وان تتصير فى النهاية . فاسرائيل ليست استثناء بين الامم ان المصالح الطبقة تقسمها وفتتها وان الذى سيسود فى النهاية هو الصراع الطبقي . ولا يجب ان نعتقد ان كل الجاهل فى اسرائيل مستعبدة جسديا وروحيا للصهيونية . وهذه الايديولوجية ان يختلف مصيرها عن اى ايديولوجية برجوازية وابوريقية : انها ليست خالصة . ولكن اغتداء دولة اسرائيل ان يرتبط على اغتداء الايديولوجية الصهيونية ، بفعل الصراع الطبقي ، الذى سيخلفه الجلاء والسلام ، وزوال حجة « **التهديد الخارجى** » .

ويعترض المؤلف على محاولات بعض اصقاف العرب اعتبار اسرائيل « مجرد استمرار للوجود الابريالى فى فلسطين » ومن ثم فليس هناك مشكلة بين العرب واليهود ، بل هناك مشكلة بين الحركة الثورية العربية « والقسوى الابريالية جمعا » . ويقول الكاتب ان اسرائيل قد أصبحت لغة يمكن ان نتناقش ما اذا كانت قد تكونت بالفعل ، لو لمزالي تكون . واذا كانت بعض المواقف الهامة قد لخصت التكوين [الاختلافات الثقافية بين المهاجرين] فان عوامل قوية للتكامل مثل المدرسة والجيش والوعى المشترك ووسائل الاعلام ، تظل من اداة اللازمة لعملية التكوين . فالعناصر التأسيسية للوجود القومى متوافرة : اقتصاد مشترك ، ثقافة خاصة ، لغة اصطنعت ولكنها أصبحت مشتركة . والواقع ان هذا الجزء من المقال هو الذى يحتاج الى دراسة ويحث مستغنيين ، حول ما اذا كانت هناك قومية ام لا ، وحول دور العمل العربى الراعى والفكرى الدوب فى التأثير على التطور الداخلى فى اسرائيل بما يخدم قضية العمل والسلام .



الدرجة الحديدية عثرة

كتب المواطن مخمد بشير أحمد ، من العاشلي
بالجمهورية العربية السورية عن الديمقراطية
يقول :

« ان انتصار الديمقراطية لا تحدده التصورات
الذاتية والاعلام الوردية ، بل الواقع الاقتصادي
.. لقد أثبتت الحياة ان أي شكل سياسي إنما
يخدم الطبقة المسيطرة المائلة لوسائل الانتاج ..
ليس هناك مفهوم مجرد للديمقراطية يهوم
فوق المجتمع ..

« ان مجالس الشعب المنتخبة والتي يجب
ان تتسلم السلطة التشريعية والمشاركة بالسلطة
التنفيذية ، من أسفر وحدة انتخابية واجتماعية
حتى أعلى المستويات — هي التعبير الحقيقي
من تولد المنتخبين في كالة مستويات السلطة .
وهو تواحد مستحيل بدون أطر فكرية وتنظيمات
طليعية ونظرية تعبر عن مصالح أوسع طبقات
الشعب انتشارا وأكثرها فاعلية .

« والحزب الطليعي يعمل كممثل جماعي
للشعب وهيئة أركان للثورة ويمثل حقيقي للعمل
والفلاحين والمثقفين الترامسين على أساس من
وحدة المصالح الوطنية والطبقية .. »

وكتب المواطن عاطف جودة على — ديوان عام
محافظة مطروح مما عاصره في انتخابات مجلس
الامة السابقة :

« اني ادمو الله ان تكون قد استنفدنا من
الاخلاء السابقة حتى نسمع حقيقة ومملا
واقعا بالحرية والديمقراطية ، حتى لا ينسأ الي
تنظيم الاتحاد الاشتراكي الأم الذي يجبع تحالف
قوى الشعب المائلة — بالفرقة بين المفسر
القيادي المفروض فرضا وبين العضو الفاعل ،
حتى تكون هناك انتخابات نظيفة حرة دون تدخل

كتب أحد المواطنين من « الدرجة الحديدية
عثرة » أدنى مستوى في جدول الوظائف
والمرتبات — باستثناء الدرجة الثانية عشرة لانه
لا يعين في هذه سوى الصبية .

يقول المواطن ان الاسعار القرائية التي وضع
في ظلها جدول المرتبات الملحق بالقانون رقم ٤٦
لسنة ١٩٦٤ ارتفعت خلال السنوات الماضية
ارتفاعا كبيرا — ويقدم اقتراحين لضمان ان يصل
عملا الي المعين في هذه الدرجة اجر يواقع ١٥
قرشا في اليوم وهو الحد الأدنى للأجور — أو
ما جيلته سبعة جنيهات ونصف جنيه في الشهر .
أولا : أما رفع بداية مربوط الدرجة الحديدية
عثرة من سبعة جنيهات الي ثمانية جنيهات
ونصف جنيه مع التيسير عليهما في مجبوع
الضرائب والاستقطاعات الأخرى ، وكى لا يقل
الصافي من سبعة جنيهات ونصف جنيه .

ثانيا : أو رفع قيمة العلاوة الي ٧٥٠ مليا ،
بالإضافة الي وضع حد أقصى ست سنوات لدة
البقاء في الدرجة تكون الترقية بعده حتمية الي
الدرجة التي تليها .

والطليعة تقدم اقتراحا ثالثا : ان يؤخذ
بالاقتراحين مما .

عن الديمقراطية

يقدم مواطنان — احدهما من سوريا ،
والآخر من مصر وجهتي نظرهما عن
الديمقراطية ، الأول من زاوية نظرية ، والأخر
من واقع التجربة العملية .

عن الشباب

تستأثر قضية الشباب واعداؤه وواجباته في هذه المرحلة المصرية من تاريخ وطننا باهتمام العديد من قراء مجلة * ونحن ننشر هنا رسالتين ورننا الدنيا في هذا الخصوص : الأولى تتحدث عن القضية بصفة عامة وتقدم نقطة بداية لمعالجتها والثانية تدرس تجوية منظمة الشباب * في امجايباتها وسليباتها وضرورة اعادتها بنائها مع تقديم مقترحات عملية في هذا الصدد .



شبابنا وكيف يعيش ظروف المعركة ؟

كتب المواطن عبد العال الباقوري :
أن أعداد الشباب اعدادا فضاليا في المجال الفكرى والسياسى والخلفى مهمة عاجلة لا تعطل أى تحليل * أن كل البناء الذى اتبناه ، وكل التقدم الاجتماعى الذى أحرزناه ، سيظل عرضة للمحيط والانهدام ، طالما يقى شبابنا غارقا في حالة الضياع ، التى يعيشها منذ وقت طويل ، ولتى تضاعفت عوامل عديدة في خلقها ، واستمرارها * وهذا القول ليس جديدا ، فقد تحدث كثيرون - حتى قبل الثورة - عن ضرورة الاهتمام بالشباب ، الجيل الذى سيمثل الرسالة ، ويقى هذا القول مطلقا في الهواء ، بدون أقدام يستند بها ويقف فوقها على أرض الواقع .

وفي مثل هذه الظروف ، تكون النتيجة معروفة ولموسة ، وهى - كما نراها جميعا - أن شرائح هامة من شبابنا - الشباب المظم بالذات - تقف خارج دائرة الاهتمامات الوطنية والقومية ، وتعيش حالة غريبة من عدم الاكتراث بكل ما يجرى في بلادهم ، وبكل ما يؤثر على بلادهم ، وفي نفس الوقت الذى يطالب فيه أبناء الشعب المخلصون بفرض قيم جديدة ، هي قيم العمل والانتاج ، قيم الفضال والكفاح من أجل خوض المعركة وتحقيق النصر فيها ، فإن هؤلاء منجذبون بشكل غير عادى الى قيم المظيرة ، والرخسة ، والكسل ، والترافى ، والبعد عن كل ما هو جاد واصل ، والجري وراء كل زائف وسهل (فى تقديرى أن انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية ، وجرى التلاميذ وراء شراء الاسئلة لضمان النجاح ، مرتبط بنفس هذه القيم واستفحال خطرهما) .

والمشكلة في الحقيقة أعمق بكثير من جانبها الاخلاقى ، فهذا الجانب هو مظهر من مظاهرها

من الجهاز التنفيذى ؟ حتى نتقن عملا بأن الحرية والديمقراطية حق طبيعى مكفول لكل مواطن وليس شعرا لجوف يتردد على لساننا وعند التطبيق العملى لاتجد له أثرا ..

فماهى الحكمة فى أن كان يقف الجهاز التنفيذى بكل توته وسلطته وراء مرشحي قيادات الاتحاد - وأن تصدر القيادة السياسية العليا بيانا بالأذاعة والصحف بضرورة العمل على تأكيد هؤلاء المرشحين - وأن تنظم مسيرات تسميية لمرشحي الاتحاد يتقدمها المحافظ وكبار المسؤولين ضد المرشحين الآخرين الذين هم أيضا أعضاء عاملون بالاتحاد الاشتراكي ..



انتخابات البطريرك

وكتب الدكتور منير شكرى من الاسكندرية تعليقا على مقال د . ولهم سليمان قلادة في العدد الماضى من « انتخابات البطريرك والقرات الديقراطى المصرى » . يقول :

« ... كم كان سرورى بأن أجد في هذا المقال متفهما لما يضيق به صدرى .. فلأول مرة في تاريخ كنيسة الاسكندرية يطرح في منصب البطريركية ستة اساقفة [١] متجاهلين كل ما تأمر به التقاليد والقوانين الكنسية والمجامع المسكونية ...

« ان البطريرك هو أسقف المدينة العظمى الاسكندرية ، وجلسة على هذه الاسقفية خليفة للقدس مرقس الانجيلى يجعله بالضرورة رئيسا لكنيسة الاسكندرية . وان التقليد الذى اتبعته الكنيسة بمعد زوال مدرسة الاسكندرية بأن تختار من الرهبان وعند الضرورة من العلمانيين يحتوى على حكمة عميقة ومعلم سلبية كثيرة .

« ان الاقتراحات والآراء التى عرضها المقال يجب ان تشر على اوسع مدى .. ومن الغريب ان [الاساقفة العموميين] الذين قيل ان لا اياراتيات لهم يطالبون بأن تقدم عنهم قوائم في كل منها ١٢ اسما ، شأنهم في ذلك شأن باقى الاياراتيات . وقد ووفق على اقتراحهم وقدم كل منهم قائمة . فكانهم وهم المرشحون يعميرون ناخبهم - يرمي كل منهم ١٢ اسما مضمونا - فهل هذه انتخابات ؟ ليست نوعا من [استفحال] الشعب واللوائح والقوانين ومبدأ تكافؤ الفرص ؟ ... »

يدعوته رسوما لهذه الاندية والانتساب اليها حتى ولو في شهور الصيف ، مما يصرفهم جميعا الى التفتيش عن أنفسهم بالفروج الى الشوارع والتجمع على نواصيها .

وكل هذه أساليب ووسائل لا يمكن أن تربي شبابا لامة تعيش معركة ، شبابا سيميش مراحل مقبلة أكثر شراسة وضراوة من التي نعيشها ضد العدو المثلث : اسرائيل ، والصهيونية ، والإمبريالية . أن هذه الاشكال كافية لقتل كل روح مبدعة وخلاقة لدى شباب هذا الوطن ، لتجريد من كل ممنوياته ، لتركه نهبا لأمراض القلب ، والتشتت ، والضياح ، والاستسلام . من يتحمل مسؤولية ذلك ؟ هل نكتفي بالقول - كما هي عادتنا - أن الاستعمار يغزونا فكريا ويعمل لهدم شبابنا وتبديد قواه . وإذا كان هذا صحيحا فإماذا فعلنا لتجنب شبابنا هذه المصاة . أن معركة الاستعمار كانت دائما وستبقى موجهة الى شعب مصر ، الى عماله وفلاحيه . وكل قواه الشريفة والمناضلة ، وهو لم يتوقف يوما عن محاولة الفزح من الداخل ، ولكنه في هذه المرحلة يركز أكثر على هذه العملية ، وهو يركز الآن بالذات على رشيد شعب مصر . من شبابيه ، رجال مستقبله . ويبدو أننا نسهل أمام العدو تحقيق هذه المهمة .

هنا يرد سؤال ما العمل ؟

نقطة البدء الصحيحة في مواجهة الموقف كله هي «مسكرة الشعب» ، و«مسكرة الشباب جزء أساسي من هذه المهمة» و «المسكرة هنا لا تعني بأي حال أي مدلول «عاشي» في تربية الشباب، أن المسكرة الشعبية وبالنسبة للشباب بالذات يجب أن تتم بأساليب سياسية في المقام الأول ، أساليب التربية الفكرية والسياسية القائمة على تزويد الشباب بكل قيم الدفاع عن الوطن ، وأرضه ، وحمائمه ، وصد الفزح ، وتزويده بقيم إنسانية لا تعرف التصب القسوي الأعمى ، ولا احتقار أي جنس أو شعب ، وتربية الشباب على أساليب اختيار قياداته بديمقراطية ومحاسبتها على الخطأ ، وغرس مبدأ النقد والنقد الذاتي في عقولهم ، وفتح أبواب النقاش الحر حول كل قرار يتخذ وحول كل خطة تنفذ .

ولابد من التفرقة بين «المسكرة» كإسلوب تضالسي وسياسي في تربية الشباب وبين التزمت ، فلا يستطیع أحد أن يقف ضد حق الشباب في أن يفرح ويسعد ، في أن يلهو لهوا جادا ، ويمرح ويضحك ، والفرق بين «المسكرة» كعمل سياسي منظم ومطلوب ، وبين التزمت وتحريم كل أنشراح التمتع الشريف الذي يثرى النفس ، ويشحنها بقيم

العديدة . المسألة الأعمق من ذلك هي غياب أي خطة شاملة لأعداد الشباب ، لتربيته سياسيا وفكريا : لغرسه في تربة بلاده ، في كل مشاكلها ، ولا وناسيها ، ليزرع في حقول واديها ، ويرسله بانتاجها في المصانع والمعامل والحقول لمعايشته ظروف شعبيها عماله وفلاحيه وجنوده على خط النار .

وقد يؤخذ على هذه النظرة «تشاؤمها» ، بدعوى أن شبابنا بخير ، وأن هذه الفئات الخارجية على دائرة الاهتمامات الوطنية ضئيلة العدد ، ولا تستحق هذا الانزعاج ، ففي كل مجتمع يوجد من يهتمون بقضاياهم ومن لا يهتمون ، ولا يوجد المجتمع الذي يكون اهتمام كل شبابه بالقضايا العامة على درجة واحدة . وقد يقول البعض أن حالة «التمزق» التي يعيشها جزء من شبابنا هي صدق طبيعي لظروف الهزيمة ، ولما هو قائم من موقف «لا حرب ولا سلام» ، ويرتبون على ذلك القول بأن هذا ليس شباب مصر ، شبابها الحقيقي هو شباب الانتاج والعمل في الحقول والمصانع ، شباب بناء السد العالي ، واستصلاح الأراضي ، وإقامة مجمع الحديد والصلب ، ثم هو فوق ذلك كله شباب الجبهة ، خريجون الجامعات الذين يلقون «ديبانا» يلقا يهرس مصر ، ويعتمد لأن يظهر شرفها بدمه ، يقدمه طاء سخيا .

ولا أنكار لهذه الحقائق . ولكن الجزء الأكبر من شباب مصر لم يذهب بعد الى الجبهة ، ولم يلهم جيون عينييه قدم جندي معاد يتباهى بوقته على ميم من أرضنا المحتلة (حقيقة أنه يعرف بوجود أرض محتلة ، ولكنه لا يمر ما هو مطلوب منه لتحرير هذه الأرض) . ثم أن هذا الشباب لم يشعر بأثر واقعة الاحتلال على أسلوب حياته ، فهو لا يجد شيئا ناقصا ، فكل البضائع الاستهلاكية والترفيه متوافرة ، والبضائع الأجنبية التي كنا لا نراها من قبل ، أصبحت تملأ الأسواق ، وتنافس بها نكاكين خاصة ، وأرضه الشوارع ، والأفلام والمسلسلات الأجنبية على «مقا من يشول» في السينما والتلفزيون . والشباب الذي يحاول أن يقرأ يجد طوفانا من المجلات شبه الماربية ، صادرات بهرت ، ثم يجد سيلا من كتب قتل الوقت والتسلية ما بين الروايات البوليسية الرخيصة ، وكتب الكلمات النقاطة ، والألف نكتة ، ومسلسلات زعيم الهيبز وفنانة ساتي ، وغير ذلك كثير وكثير . ولا شيء غير ذلك يملأ فراغ هذا الشباب . وإذا كانت الطليقة الجديدة والمزدهقان الطليسا والمتوسطن من الطبقة البورجوازية الوسطى يستطيع أن تجعل من الفوائد سقار اللاداء مبدعة شغل أوقات شبابها ، فإن أبناء الطبقة البورجوازية الصغيرة ، الى جانب أبناء الطبقات الكادحة لا يمكنون ما

ضباطية جديدة في تحتائها كانت بمصادر الهجوم لها متعددة . ولعلنا نوفي في التغطية لو حدنا مصادر الهجوم في ثلاث مصادر رئيسية :

أولا : بقايا طبقة الإقطاع والرأسمالية التي أصابت قوانين يوليو الاشتراكية بتكوينها الاجتماعي والطبقي . أصابة «محددة» ولكنها غير محدودة» التأثير .

وانحصر دور هذه البقايا في التشكيك . والهجوم على منظمة الشباب الاشتراكي ، والتعرض لأعضائها بالتشهير والإرهاب ، الذي وصل إلى حد القتل في بعض الأحيان .

ولكن قوانين يوليو الاشتراكية صنعت بقوانين من القيادة السياسية العليا . وتلقها الجماهير بدون المشاركة في الصنع الاجتماعي والسياسي لهذه القرارات ، فقد انحصر دور الجماهير ، في هبالة هذه القوانين ، وتدعيم المكتسبات الاشتراكية ، وحياليتها ، والدفاع عنها . وكان الشباب في طليعة هؤلاء . وكان دور منظمة الشباب في ذلك الوقت وأفسحا في الشركات والمؤسسات الصناعية المهمة . أو في الريف ضد بقايا الإقطاع وتحويله التي لم تخد حتى الآن . والتي راح ضحيتها على سبيل المثال . شهيد كمشيش «صلاح حسين» ، وشهيد الإقطاع في قرية «بنى سلطان» بسوقى محمد على .

ثانيا : بعض القيادات السياسية والتنفيذية مستواه في التنظيم السياسي ، أو الأجهزة التنفيذية . . . وكان دافع بعض القيادات السياسية هو تاجر فكرها السياسي والاجتماعي . وتوقعه عند حدود معينة ، وتصورها أن جبل الشباب الواسع هو خطر داهم سوف يكتسح القيادات من مواقعها .

والقيادات التنفيذية كانت تبدأ بالهجوم عندما يتعرض لها الشباب بكثف اتهماتها الإدارية ، والمالية ... الخ .

ومن الملاحظ أن بعض القيادات في التنظيم السياسي أو الأجهزة التنفيذية لم تتوقف عند حد الهجوم بالكلمات أو التشهير ، بل تعدى ذلك وشمل أساليب الاعتقال ، والمزل السياسي ، واستطاد المضوية ، في التنظيم السياسي . . . وشمل النقل والتأخير في الترقية والتشيت الوطني في الجهاز التنفيذي .

ثالثا : قطاعات كبيرة من الشباب هاجت منظمة الشباب بوعي ، وبلا وهي . دونها تمييز من ناحية الأتثناء الطبقي لهذه الجماعات ، ولعلنا نستطيع تحديدهم في ثلاث قطاعات معينة :

فئطالية جديدة ، تؤكد التجربة وجهة التصديق الوطني في فيقنام الجنوبية * لا أحد يستطيع أن يخرج جبهة من هؤلاء الشباب الذين يلحقون الهزيمة بمائة مرة كل يوم بأكبر قوة عدوانية ظهرت حتى الآن . ولكن هذا الشباب يقنى ويرقص ، ويقف حفلات الممرد ، ويعرض المرحيات ، ويحضر خنادق خاصة لإقامة هذه اللقائد الفنية . والمقاتلون هم أنفسهم الذين يؤلفون الإغرائى ويلحنونها ويشدون بها ، وهم الذين يعزفون ويرقصون ويخطفون السرور والبهجة على رفاقهم وعلى مواطنيهم في الأراضي التي حرروها . وإذا كان هذا يحدث في صفوف جيش يقاتل أشرى المارك ، وأكثرها شراسة ، ألا يمكن أن يحدث مثله أو أكثر منه في صفوف شبابنا حين نربيه تربية سياسية ، وحين «نمسكره» ونوعيه بظروف المعركة التي نفتت الأبواب من أربع سنوات ، ووصل تأثيرها إلى كل أسرة ، وكل بيت .

علينا أن نطرح بسرعة سؤال : ماذا نريد من شبابنا ؟ وماذا نريده ؟ ولأن تختلف كثيرا حول الأهداف المطلوبة من شبابنا في هذه المرحلة : مرحلة خوض المعركة العتمية . وبعمد نبدأ في تطبيق كل ما يساعد على تحقيق هذه الأهداف بشكل سليم ، وسميع .

الآخيرة . إذا فلما ذلك ، نتجنب أن تكون الهزيمة مضاعفة ، وإذا لم نعمل فانتا نساعد العدو في تحقيق أهدافه . أن من يريد بناء مصر ، ومن يريد تحرير الجزء الغالى والعزيز المحتل من أرض مصر ، ومن يريد المزيد من التقدم الاجتماعي لمصر ، عليه أن يهتم بشباب مصر ، وأن يخرجهم من حالة السلبية التي وضوا فيها ، وليكن شعارنا : يا شباب مصر ، أن مصر في خطر .

منظمة الشباب بين الضروة والحسوية والمستقبل

كتب المواطن صلاح زكى سيد احمد - بكالوريوس علوم وتربية وعضو منظمة الشباب الاشتراكي بمحافظة الشرقية - الزايق :

لا اعتقد بجواهر الشباب المتناضل على اتساع أرضنا . أن هناك مؤسسة سياسية تعرضت للهجوم في مجملتها . بقدر ما تعرضت منظمة الشباب الاشتراكي ، وهي بوصفها ظاهرة

١ - أثناء الطبقات الاجتماعية المتساهلة من
اطماع ورأسمالية ، بحكم الانقضاء الطبقي ،
والكراهية لكل قرار ثوري لخل بها كقوا يملكونه
بغير حق .

٢ - ابناء الطبقة الاجتماعية الجديدة التي
نشأت بعد الثورة . والتي تحولت بفعل قوانين
الإرث الغير شرعي الى وريث بديل للطبقات
المنهارة ... فتحوّل الى اقطاع احتكاري جديد
في ظل نظام ثوري ! ! . ونشأ ابناء هذه الطبقة
في جو رافض للتغيير والفكر الثوري ! .

٣ - ابناء العمال والفلاحين الذين اتسموا
بعضهم وراء موجات التمسك الكروي الموهوس ،
أو الانشغال في الذات ، والسلبية تجاه ما يجري
على ارض الوطن نصرا أو هزيمة ، أو السلبية
السياسية والفراغ السياسي الفلحش ! !

المظاهر السلبية والإيجابية في حياة المنظمة

ولكي نكون واضحين في تحديدنا لحياة المنظمة
ضمن دراسة واعية ، علينا ان نحدد بعض
المظاهر السلبية والإيجابية في حياة المنظمة

وسوف نبدأ بالجوانب السلبية أولا - من
موقع الصديق المخلص - ونحدد في بعض
المظاهر التالية :

أولا : بدافع الحساسية والانتفاع الذي يميز
الشباب بصفة عامة . تحولت منظمة الشباب
وكثير من افرادها الى قوة ، احسبت بأنها الرقيب
على تصرفات الناس ، وانها اعلى من كل السلطات ،
تحاسب من نشاء وتعتوا على من نشاء .

ثانيا : بحكم تكوين منظمة الشباب بوصفها
الجناح الشبابي للتنظيم السياسي ، فلها نقلت
بعض «امراض» من المركزية والإدارة البيروقراطية
الى الشلية والعصبية لافراد كقوا امدة لراكر
الثقوى .

ثالثا : بعض الاساليب السرية التي تحولت كثيرا
من اعضاء منظمة الشباب الى « كتبة » للتقارير
السرية ، اعطت طابعا اقرب ما يكون الى
الاساليب الفاشية التي اضرت بالمنظمة اكثر مما
افادت .

رابعا : كان واضحا ان جرعت الفكر السياسي
والاشتراكي لجواهر الشباب في المنظمة ، ضمن
الدورات الدراسية في المعاهد المختلفة ، اكثر
من اللازم ، وافل وضوحا مما يجب ، حتى ان
هناك قويا اختلف مظهرها عن مضمونها ، فكلية
الانتماء تحولت سلوكيا الى الازلام ، ووضوح

الرؤية تحول الى غيبية فكرية ؟ والوطنية تحولت
الى شيء مضاد الى الاشتراكية : والفكر الفتوح
تحول الى ترديد مونولوجي . . ! !

وبالاضافة الى ما سبق نريد التوضيح بان في
موجة النقد الذاتي التي تتعرض لها المنظمة هناك
النقد الخبيث الساعي للهدم دون البناء ، نقد من
موقع العداء ، دون النقد من موقع الأصحاب .

مع كل ما سبق من عرض للجوانب السلبية
في حياة المنظمة ، لم نخل من مظاهر ايجابية كانت
اكثر أملا واشراقا مما سبق .

أولا : كانت منظمة الشباب اول تنظيم سياسي
للشباب في مجتمعا ، يجع الشباب ضمن فكرة
سياسية واحدة ، وداخل اطر تنظيمي محدد ،
وعمل سياسي جاد ومخلص .

ثانيا : على لا اناجز اذا قلت : ان بسنور
الفكر الاشتراكي والتقدمي جعلتها مناصر الشباب
الثوري المخلص وزرعها على التربة المصرية في
كل قرية ، وكل مصنع ، وداخل كل بيت ، وبين كل
جميع انساني .

ثالثا : ان مجرد الانتماء لمنظمة الشباب ، واعتناق
الصحيح من أفكارها . اعطى للشباب العزيمة
والحصانة من أي هزلة سياسية ، أو بعيدا من
أي انحراف سياسي أو اغتراب فكري ، أو استواء
خلفي .

رابعا : ان اساليب العمل السياسي من مشاريع
خدمة بيئة ، ومحو أمية ، ونظافة ، وعوخة الجبهة ،
كانت في جوهرها اساليب جديدة لم تشهد لها أي
تنظيمات سياسية سابقة ، كذلك في مجالات العمل
الثقافي طرحت قضايا فكرية لها الاهمية البالغة
في مجتمعا ، ولها قيمتها الفكرية العالية . حتى
انه طرحت بين اعضاء منظمة الشباب قضايا فكرية
نالت مستوى الرضا ، والاججاب كانت من قبل
حكرا على افراد معينين يخرجوا من نطاق أسوار
الجلبة .

كذلك فان اساليب العمل التنظيمي اضلته
للاعضاء القدرة على تناول القضايا السياسية
المختلفة على انبساط الطبع العلمي في التحليل ،
وبناء النتائج على مقدمات صحيحة . . .

خامسا : ان منظمة الشباب ابدت واعطت
التنظيم السياسي « الاتحاد الاشتراكي » افضل
عناصره ، واخلص قيادته ، وذلك حكم منطقي .
فالذي يبدأ الطريق من اوله غير ، الذي يعترضه
من منتصفه .

بالاضافة الى ما سبق . فان منظمة الشباب
بقطاع مخلص من اعضائها ساعد على رفع الكفاءة
الانتاجية في كثير من الوحدات الصناعية ،
والزراعية ، وقيل بقدر الايمان من حجم الفائدة
الاقتصادي في مشاريعنا المختلفة .

الضرورة لاعادة البناء

إذا تصورنا ان باعادة بناء الاتحاد الاشتراكي العربي من القاعدة الى القمة ، قد تم البناء السياسي لاجتماعنا فلاننا نكون مخطئين . فليس من المتصور ان يكون هناك تنظيم سياسي بدون منظمة شباب تهده بالناصر المخلصه وتكشف من قيادات جديدة ، وتضمن استمرار الثورة . ودوام البناء هنا ضرورية ، ومسئوق نتاولها على ثلاث مستويات ، وطنيا ، وعربيا ، وعالميا :

اولا : على المستوى الوطني

١ - والمدوما برح يحتل أرضنا تزداد أهمية وجود منظمة الشباب ، وذلك لمجموعة من الأسباب منها على سبيل المثال . ان الشباب يستطيع ان يقوم بدور كبير في الأجهزة المساواة للقوات المسلحة ، بالإضافة الى ذلك ، فالقوية السياسية والمعتقدية المخلصه والتقية لها الأهمية لكل مقاتل قبل التحاقه بصنوف القوات المسلحة .

٢ - ان حالة الفتن السياسية ، والملايعة السائدة بين جموع الشباب والتي تخلق جوا غير صحي للمركة القاعدية ، تقع مسؤولية اشغال الروح الثورية فيها على منظمة شباب تقوم على فكر واضح صحيح واع .

٣ - لعلى لا نتجاوز اذا قلنا انه لا مستقبل للتنظيم السياسي في مجتمعات بدون منظمة شباب تكون مهمتها بمثابة « المثل » الذي يعلو للتنظيم افضل العناصر لكي تقود وتعمل .

ومن هنا ايضا فانه لقيام الجهاز الطليعي ، او ما اسماه المناضل جمال عبد الناصر ، « الحزب الاشتراكي » لابد ان يكون في اعضائه من منظمة الشباب لتضمن مستقبل التنظيم السياسي في مجتمعاتنا .

ثانيا : على المستوى العربي

١ - من الملاحظ في اغلب التنظيمات الناصرية العربية عدم وجود تنظيمات سياسية مخصصة بالشباب ، وربما يرجع افتقاد العالم العربي لقيادات سياسية مسئولة الى غياب تنظيمات الشباب العربية .

ولذلك ضرورة قيام تنظيم سياسي عربي للشباب ضرورة ملحة .

٢ - مع التسليم بان المستقبل للشباب ، فلنا ان لم تحسن صنع الشباب سياسيا وفكريا

ومسلوكيا ، من اليوم ، فلا يحق لنا ان نتطلع لصوره الغد ، واذا لم يكن المستقبل عربيا فلا مستقبل لبلد عربي على حاسب بلد آخر .

٣ - ان هناك تيارات سياسية غربية تستغلر الآن على كثير من البلدان العربية ومن ضمنها « مصر » . ومؤداه « ان مؤلة مصر هي طريق السلاية ، وابتعادها عن الامة العربية بنسائها هو طريق النجاة » ومن الغريب ان هذه النزعات تستلر على كثير من مؤول شبابنا

كيف نلغي هذه الفهارات بدون تنظيم شيائون للشباب ؟

٤ - ان هناك عربيا الآن قضائيا تحتاج الى تعاملات ، ولهم ، وتاييد جموع الشباب العربي المنظم . وهي على سبيل المثال قضية « العمل الدائلي الفلسطيني » الآن وما يتعرض له الآن من اضرار التمنية والعزل عن الجاهين العربية ، وامتد لذلك ان تنظيمات الشباب العربية تستطيع ان تقوم بدور هام في تدعيم العمل الدائلي الفلسطيني ، باعتباره محسوزا للفضال بين كل المخلصين الشرفاء على أرضنا العربية .

٥ - انه من المعروف ان هناك تنظيمات شبابية سياسية على اتساع العالم العربي « اغلبها يملأ سريا » تمتلئ الفكر الاشتراكي الناصري الوجدوي ، وضرورة قيام تنظيم سياسي للشباب في مصر له أهمية ، ومسئولية القيادة والتوجيه والتعاون مع تلك التنظيمات الشبابية التقدمية .

ولذلك فان القول بان مستقبل الناصرية على الأرض العربية ، ورفع رايها يتوقف بالدرجة الأولى على وجود تنظيمات سياسية للشباب على اتساع الأرض العربية .

ثالثا : على المستوى العالمي

١ - بعد حالات التفسخ السياسي والاجتماعي التي تتعرض لها النظم الرأسمالية ، فان حركات التمرد والتحلل انتشرت في هذه المجتمعات ، والتي اعتنقت فلسفات خاصة « وغربية » ومن امثلة هذه الحركات ، حركات الهبزا ، والبيتنكس ، والبروفوس ، والبيطنز . وكلها في مجيوعها حركات انحلاية . لم يقتصر تأثيرها على المجتمع الرأسمالي وحده . بل انتشرت حتى شمل تطامات كبيرة من شباب العالم الثالث . تتلده بلا وعى وبلا فهم .

والسبيل الوحيد لمنع هذه الظاهرة . من الانتشار . هو التحليل العلمي لطبيعة المجتمع الرأسمالي ، واختلاله على النقيض من طبيعة المجتمع الاشتراكي او النابى .. والتنظيم المسئول

من ذلك هو منظمة شيوعية للشعب ذات فكر أصيل وواع .

٢ - ان بعض مظاهر التمرد في المعسكر الاشتراكي يفهمها كثير من شيابنا على أنها رفض للمجتمع الاشتراكي بقوانينه الأساسية ، ولذلك تصور غير صحيح بآراءه .

٣ - فالرفض هنا يختلف في مضمونه عن الرفض في المجتمع الرأسمالي . فالأول رفض لكل السياسات التي تتوخى اتمام البقاء الاشتراكي ، أما الثاني فهو رفض للمجتمع الرأسمالي ككل . بفلسفاته ونظمه ، وقوانينه ، وتكوينه الاجتماعي والطبقي ، وعلاقات القوى المسيطرة فيه .

ولغالب التنظيم السياسي للشباب لا يمكن ان تتوثر الرؤية السليمة لقطاعات كبيرة من شيابنا تجاه مثل هذه القضايا .

٤ - ان حركات التقدم والسلام التي تطفئ العالم . سواء الغربي منه أو الشرقي . يشكل فيها الشباب الجانب الأكبر من الفاعلية والعمل . باعتبار الشباب الوحيد الأساس لاستمرار النضال ضد قوى الإمبريالية والعنوان .

وسمع التبليغ بدورهم ومسئولياتهم في حركات السلام والتقدم العالمي . فإن دورها يزداد فاعلية ، بزيادة فاعلية شبابها العنقادي المنظم .

٥ - ان اهم ما يميز المجتمعات الاشتراكية هو انتشار الأمراض الادارية مثل البيروقراطية ، والكتاتورية بين أجهزتها العاملة . وتلك أخطار تهدد مستقبل التحول الاشتراكي في هذه البلدان . وتزداد الخطورة في دول تسمى الى اتمام التحول الاشتراكي بدون صراع طبقي ، وفي نفس الوقت تجابه عدوانا خارجيا ... وأفضل الأمثلة على ذلك هو ما يجري على أرضنا العربية . وفي مصر على وجه الخصوص .

ومسئولية تنظيم سياسي للشباب في مصر هو ان يسمى الى فرس المبادئ ، والقيم الاشتراكية ، ويتناضل بحزم ضد قوى التخلف والجمود .

مقترحات للمستقبل

نود في نهاية هذا الحديث ان نضع عدة مقترحات للعمل بالنسبة لتنظيم الشباب :

أولا : ان نتحدد علاقة صحيحة وسليمة نمنع أي حسابات يمكن أن تقع بين التنظيم السياسي « الاتحاد الاشتراكي » ومنظمة الشباب الاشتراكي بذاته ، ان يكون تنظيم الشباب تنظيما قائما بذاته ، له لجنته المركزية ، وله سبطوه في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي

ثانيا : ان تسبق مرحلة الانحلال بمعضوية

منظمة الشباب « منظمة للطلّاع » ، تعد من هم دون الخامسة عشرة اعدادا فكريا وسياسيا ونضاليا .

ثالثا : ان تلقى مسؤولية القيادة على اكثاف شباب لا يتجاوز عمره ٢٥ عاما . لانهم الأقدر على فهم الشباب ومعرفة احساسه ، وتحديد مجالات العمل التي تتناسب مع قدراتهم وامكانياتهم

رابعا : ان تكلف منظمة الشباب بمسئوليات نضالية على مستوى الوطن بأكمله ، مثل التصدي لقضية نحو الامية كما حدث في الاتحاد السوفيتي ، أو تكوين فرق للدفاع الذاتي كما في فيتنام ، أو لجان الدفاع عن الثورة كما في كوبا .

خامسا : ان تكون مسؤولية رفع راية الناصرية هي محور ثورة ثقافية عظيمة تشمل مجتمعاتنا بأكمله تجدد قيمه الطيبة ، وتكشف كل القيم الفاسدة في مجتمعاتنا ونسعى الى محورها .

واعتقد بان هذه المسؤولية الخطيرة لا تقع على أي تنظيم سياسي ، بقدر ما تقع مسؤوليتها على منظمة الشباب الاشتراكي

سادسا : ان تكون مهمة منظمة الشباب هي تربية طلائع « الحزب الطليعي » الاشتراكي داخل التنظيم السياسي الذي تقع عليه مسؤولية قيادة النضال الحزبي داخل التنظيم السياسي « الاتحاد الاشتراكي »

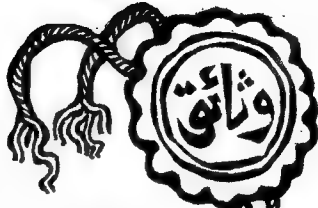
سابعاً : الا يكون الاهتمام بالكم على حساب الكيف ، ولا يهين على الإطلاق . ان تبدأ منظمة الشباب بأعداد هائلة غير فعالة . ولكن ما يهينا هو أن نهزم بأعداد محدودة لها تأثير فعال غير محدود ، وأقصى ما نتمناه أن نحول الكم المهمل الى كم فعال

ثامناً : ان تضع القيادة السياسية لتنظيم الشباب الخطوط العامة لأي عمل . وأن تترك للشباب في مواقع العمل حرية التصرف والمرونة في التنفيذ لكي تتاح فرصة خلق قيادات تصقلها التجربة والممارسة الفعلية للنضال .

عاشراً : ان يفتح تنظيم الشباب قلبه ومقله لكل التيارات الفكرية والسياسية يعطّلها ويمسحها غير رافض لها بالتعصب أو الكراهية ، باحثاً عن الشباب في كل مكان ، سامعياً لهم بالفكر المتوخّج داعياً لهم بغير قسر أو ارهاق .

وفي النهاية لعلنا نكون قد وضعنا بعض التصورات لضرورة قيام تنظيم سياسي للشباب في مجتمعاتنا ، حلماً بمسؤولياته واعياً لأبعادها ، متمسكاً بالمستقبل على الدوام - برغم مصابه وتضحياته - لأنه يتق في الضمير ثقته بنفسه وبوطنه .

دستور ١٩٢٣



اعداد وتعليق

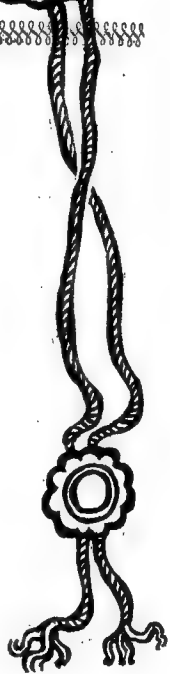
د. رفعت السعيد
طارق البشرى

تواصل الظليمة نشر الوثائق الخالصة بنيتوز ١٩٢٣ - وهي تقدم
في هذا الجهد حصيلة هامة وغنية من المناقشات والمواقف والاقتراحات التي
دارت حول « حرية الصحافة » و « حرية الصحفي » في ابناء رايه .

وتحاول هذه المجموعة من الوثائق تتبع الصراعات المختلفة التي دارت
حول هذه القضية عبر فترة هامة ومتكاملة من تاريخ مصر الحديث .

فهى تورد نصوص منلشبات لجنة الدستور ، ثم تصليق اللجنة
الاستشارية التشريعية ، ثم تقدم فوقذلك مجموعة هامة من المناقشات
البرلمانية التي جرت في دورات برلمانية متتالية حول القضايا المتعلقة
بحرية الصحافة سواء في مجلس النواب او مجلس الشيوخ .

ان استعراض هذه الوثائق بهذه الصورة يسلل تجميعا لعدد من الوثائق
ذات القيمة التاريخية الهامة حول موضوع بالغ الاهمية ، كما انه يسهم
في تقديم صورة ايجابية تعبر عن تراث نضالي مصرى من اجل اقرار
قواعد ديمقراطية لكسرة جبرية الصحافة والصحفيين .



إلا مادة ١٥ لا [الصلصة خرة في حدود القانون . والرقابة على الصحف محظورة . وإصدار الصحف أو نشرها أو نشرها بالطريق الإداري محظور كذلك إلا إذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي »

لجنة الدستور :

لم يثبت المادة الرابعة عشرة ونصها : الصحافة حرة في حدود القانون ، والرقابة على الصحف قبل نشرها محظورة .

حرة على ما هو به - لاحظ أن لجنة التحرير انتصت شيئا ما تعد في اللجنة العلمية وهو النص على أن لكل مصرى حق إصدار الصحف ، فلا أثر له ، حطب ذلك فالتحرر أن يكون النص حرة أو الصحافة بكثرة »

حرة عبد الحميد بنوي به - رأى أن بين المذاهب الثلاثة حرة والرأية للجنة بعض التنازل فالأولى فسريرت حرية المراسم من الرأي بكل الطرق ومنها الكتابة ، فلم يبق لحرية الصحافة معنى سوى إبداء الرأي على صورة مخصوصة وهي - إصدار - الصحف وهذا المعنى هو التمتع بغير المادة الرابعة عشرة ، فلكل مصرى أن لكل مصرى حق إصدار الصحف الخ بعد ذلك تكرار لا يمتنع »

فأولت الهيئة بالإجماع على هذا المادة على ما هنا .

[في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢]
بحالي الرئيس - من تسمعون
بعض الاقتراحات ؟

حرة على ما هو به - لقد طويت المبادئ الخاصة بحق الأفراد مرة واحدة فليكن أن تلي مرة ثانية ، فلهذا أريد أن أتكلم من حرية الصحافة المتعلقة بالمادة الرابعة عشرة من ذلك .

المبادئ وإتاكم في مسائل التعليم في المبادئ السياسية مفروضة حرة ، حرية الصحافة قانونا متفاهة حرة إصدار الصحف ، لأن حرية السراى والكلمة قد سبق لنا تقريرها وصدرت إصدار الصحف لا تكون إلا إذا لم توجد قود ومجلات في سبيلها ، وأهم التبدد أرتابة والرخس .

ليس معنى منع الرقابة إلا تحاكم الجرائد على ما يكتب ، كلا ، لكني يمكن في أنه يجوز للبرلمان في ظروف خاصة أن يزيد أن كنه في الجرائم المتعلقة لأشئ لا أرى الموضع أبدا . لكن هذا يقع بعد صدور الصحف - ألبا أتكلم الآن أنه حرية الصحف قبل صدورها ، وهذه هي الرقابة التي تربت المستعدين منها . ليس يمنع أن تعرض صحيفة قبل نشرها على هيئة إدارية للتصريح بنشر فيه ، وتحمي نشر في آخر فيها . هذا لا يجوز مطلقا في الأمانة العلمية . ولهذا نقرر مبدأ عدم

الرقابة على في ترويضاً للمعركة وحتى في تركيا . وكما أننا لا نريد التوفيق لا نريد الاستبداد ، فالجواب أن تقرروا أن الرقابة على الصحف قبل نشرها ممنوعة .

مسألة حفظ حسن يافا - الرقابة على الصحف غير موجودة حتى في قانون المطبوعات .

حرة على ما هو به - أتيا للطلب تقرير حرية موجودة الآن فلما الآن الرقابة على الصحف غير موجودة الآن بحكم القوانين المصرية .

حرة عبد اللطيف المكياتي به - حرة على ما هو به يريد منع الرقابة على الصحف قبل إصدارها ، ولكن للبرلمان أن يضع في قانون الصحف من الأحكام ما شاء فيه هذا .

حرة على ما هو به - أريد أن نشر الصحف بدون تقديم لرئيسها ، وهذا واقع اليوم بالكل .

حرة توفيق دوس به - وهذا مسلم به من الجميع .

حرة محمود أبو النصر به - لكن الرقابة موجودة في الأحكام العراقية حرة على ما هو به - في وقت الأحكام العراقية تحصل أحكام الدستور وتحمي البلاد من حركات كثيرة .

حرة توفيق دوس به - وبقينا منع الرقابة على الصحف قبل إصدارها أتيا لريد به أن يكون في الأوامر الصانبة لقررت الموافقة على ذلك .

حرة طه ماهر به - للتمثلة للثلاثين لكل فرد حق إصدار الصحف بلا حيلة إلى شخص خاص متى توفرت فيه المسائل التي يقررها القانون حتى لا تتحكم الإدارة في المطابع والمطبوع ولا يميز بين الأشخاص الذين يكتبون لها ما يدوروا حازمين للصحف التي استرطها القانون .

حرة توفيق دوس به - أرى ألا يتعد البرلمان فيما يخصه من القوانين للصحف فقد يجوز أن يحل للادارة هذا الحق .

حرة على ما هو به - أتيا لريد أن لعل دون استبداد الإدارة ، وحتى كان الطلب حازما للشروط المطلوبة فترتا وجه أن يرخص له بإصدار صحيفته .

حرة توفيق دوس به - يجوز أن يقرر البرلمان شروطا قصوى غير الشروط الحق .

حرة على ما هو به - نريد أن تمنع البرلمان من هذا .

حرة زكريا نلق به - البرلمان هو الذي يمنح الإدارة أن الاستبداد في إعطاء الرخص .

حرة محمد علي به - يرى زكريا به أن القانون إذا أعطى للحكومة هذا الحق فالبرلمان يراها في تنفيذها تنفيذاً

عادلا . ويرى حرة على ما هو به عدم ترك التصرف بإعطاء الرخص وعدم إعطائها للحكومة . وأتني أريد حرة ماهر به - فقد يكون طلب الرخصة من حزب الدولة يرفض الحكومة إعطاء الرخصة . والحكومة دائما من حزب الأكثرية ، محمد من حزبها مؤيدا لها في عملها ، وإذا ذلك صعد الأكثرية بالكلية استبداد . بينهما من أن تقر أكراما .

حرة على ما هو به - لعرب مثلا يوشعكري - اشترط للقبول في مؤسسة الحقوق أن يكون الطالب مائزا للكلوريا ، وأن تكون سنه كذا ، فلا يصح ملحه بعد ذلك من دراسة الحقوق - مثل هذا هو ما أطلبه للصحافة .

حرة عبد اللطيف المكياتي به - أن أول عهد الدستور يشغل الأمة خلال كثيرين يسبون يريده مصيرين يتبعون مصيرين المستعدين والأمة ، ومصيرين بالاسم يشغلون في الصحافة لفحص سياسة أجنبية ، فلا محل للشغل في البرلمان أن تجد الخع مثل هذا الأذى من البلاد .

حرة على ما هو به - أن هذه التفرقة بين مصرى ومصرى حرم لا سبق تقريره من أن المصريين مسؤولون في الحقوق والواجبات ، فإن كان الفرض بالمتابعة المحلية هو ما يخص أهلك طريقتي : طريق المتابعة في الأعمال المدنية ، وطريق إعلان الأحكام العراقية إذا استعمل القسط .

حرة على المتزاولي به - أرجو حرة على ما هو به أن يضع اقتراحه في صحيفة نس ويقره عليها .

حرة طه ماهر به - الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ، ولكل مصرى حق إصدار الصحف بحدام حازما للشروط التي يقررها القانون .

حرة محمود أبو النصر به - لأن لا خلاف بينك وبين حرة مكياتي به : حرة زكريا نلق به - هذا معلوم المادة الرابعة عشرة .

حرة على ما هو به - المادة الرابعة عشرة لم تتعرض مطلقا لحرية إصدار الصحف ، على أننا دائما نقول على أن أبدأ بمتفردة وتدع أبدأ للتحرير ، فإن كان هناك محل لهذا النص بمنعته كتب ، وأن اغتت القصص الأخرى منه لم تكن حاجة للأنباء .

حرة عبد اللطيف المكياتي به - أتيا بعلق مع حرة على ما هو به إذا هو استعمل عبارة « الشروط التي يقررها القانون » بعبارة « في الصحف التي يقررها القانون » .

حرة على ما هو به - هذا قد يسمح للبرلمان أن يضع قانونا بمنع الحكومة حق الترخيص بالصحف وعدم الترخيص بها . حرة محمد علي به - عبارة « الشروط

التي يقرها القانون « انما تنصت بها
 صلات لشخصية الحكم في وجودها
 هذه الصلة وتكون وجودها هو القانون.
 لا حيلة « في حدود القانون « بعد
 صريح بوضع قانون يحدد الصيغة
 اعطاه الصريح او عدم اعطاه .
 صراحة جازع صريحا - لقد تقررنا
 انه لا رغبة الا في وقت الاحكام
 الشرعية ، ولم يكن مستحدا خط رغبة
 بضم القانون « في مسألة الصريح
 باصدار الصفة عند توافر شروط خاصة
 على عليه اعراض ، ذلك ان الادارة
 كثيرا ما ترى انما تصور لهم جميع
 الصفات القانونية ولكنهم على جانب
 عظيم من الاتصال الخالي ، فالصفتان
 المنزلة الاخلاق وان توفرت فيه الصفات
 القانونية يغشى منه على الاخلاق
 العملية « وهذا هو عيبه تركه لتقديره
 لجهة من جهات المحكمة . « للصلوات
 العملية والقوانين بما في شروط « فلذا
 نرى ان حصل خلاف بين مساهم
 العمل والحكمة ترى الرجل غالبا ينتج
 العمل بدون رخصة « وفي هذه الحالة
 يكون الحكم للقاضي على كل من الطرفين
 اياه بوجه « وهو مسلوب القول
 الفصل في الموضوع « وما دام ذلك
 فاعتنا مشكلان « اوليه انظر الى البرلمان
 فيما اذا كان يملك حق الرخصة او لا «
 والثاني مناهية القضاء « وذلك غير
 ترك الا ان يوجب تعديل في الصيغة
 كل من اراد « ولذلك ارى ان يكون النص
 « كل مسمى حق اصدار صفة في حدود
 القانون »

مقالتي الرئيس - راي حرة على
 ماهر بك ان لكل مسمى حق اصدار
 الصفة « دام حاصلا على الشروط
 التي يقرها القانون اذلا حيلة « اني
 فريخ خاس « وراي صراحة جازع خاس
 ان تركه للبرلمان وضع شروط اصدار
 الصفة وقد يشترط القانون الذي يصممه
 البرلمان اذلا رخصة وقد لا يشترط .
 حرة فوريق فوريق بك - اما بغيره
 على ماهر بك فلا يرى بهلا من الأحوال
 اصدار رخصة «
 حرة على ماهر بك - النص الذي
 وضعه لا يجرى البرلمان في كل انواع
 المراتبة لتوليد الاذن وصحة الادراك
 للبرلمان ان يقرر ما يشاء في حدود
 النظام العام «

نصه في بلاد اخرى فسيستلزم
 للمحكمن « كاستعراض المحطين في
 معالهم حتى في الجرح « واما لم
 اتفق هذا على ذلك البرلمان ابرالتن فيه
 وفتح بحثا على كل المحطين « ولم اتفق
 انما حرة « ان المحامين ما يشاء
 سهل « فيكون النص في القانون الذي
 يصدره البرلمان على انه لا يشترط
 الصفة غير الاحكام « ويمكن تشديد
 الصفة عند المساس بالاداء الصلة ،
 وهذا الفصل في بيان التشريع والادارة

نقد رايه فحت حكم تكون الصلوات
 ان الجرائد التي تنصت على الاداب
 لم تنس بسوء « مع ان البرلمان له ان
 ينتج ذوي الاخلاق الفاسدة من احزاب
 الصفة .

حرة جازع ابو النصر بك - فحت
 الاراء على النصين «
 مقالتي الرئيس - نص حرة ماهر
 بك « في الصفة حرة « والرقبة
 بلوعة « ولكل مسمى حق اصدار
 الصفة باصدار حرة للشروط التي
 يقرها القانون « « ثلث ثلث الصلة
 به او ثلثا بالتمسك الثاني ؟
 حرة الاثنا بالتمسك الثاني وهو
 الصفة حرة « والرقبة بلوعة «
 ولكل مسمى حق اصدار الصفة في
 الحدود التي يقرها القانون « على
 ان تكون مادة « حرة «
 في « في « أغسطس ١٩٢٢ »

الصفة حرة في حدود القانون «
 والرقبة على الصفة محظورة « والاذان
 الصفة او وثقا او القلما بالفرق
 الاداري محظور تلك «
 حرة على ماهر بك - لرب ان
 الحكم من المادة الرابعة حرة من غير
 حقوق الامرين وواجبهم الخاصة
 بالصيغة « ولها هو « في الصفة
 حرة في حدود القانون « والرقبة على
 الصفة قبل نشرها محظورة «
 كلنا من هذه النص كثيرة « ودولة
 رخصتها بلونا انما في حالها
 على هذه المادة « ان يملأ لجهة «
 وفي التفتت لمطين على النص وثيقة
 فترة عليه «

في الاتصال الاول فوس زيادة كلمة
 « العام « بعد حرة في حدود القانون
 حتى لا تكون الصيغة العامة في غير
 الا القانون العام «
 الاتصال الثاني هو حرة صيغة
 « قبل نشرها لا يكون النص « والرقبة
 على الصفة محظورة « في الصفة
 حرة «

في التفتت الثاني فوس زيادة كلمة
 « ان الصفة لا يجوز ان تكون محظورة
 لمفويات اذلية «
 مقالتي للتفتت - الصيغة الاثنا
 لا يجرى في كمالها بصفة كلمة « العام «
 لان هذا النص يلع جهات الادارة من
 الصفتين للصيغة باق حرة كل «

حرة جازع اللطيف الكماي بك -
 اننا الان في مسألة التفتت « ولول واجب
 علينا من فورية التفتت للمسلم على
 المادى الصحيحة ونشر الآراء الصلة
 وحلها لكل التفتت « ولول « جاز
 الطريقة من الصفة « ومع الصفة
 اتز ان كثيرا من الصفة لا يصل
 للصيغة العملية بل يسير وراء آراء او
 لقراري خاصة « لذلك ارى ان تركه

البرلمان الحرة العامة لرفع
 التي يرى وشما للصيغة «

لقد مرت ايداليا بتجارب عديدة تشبه
 ما نرى وما ينتظر ان يمر به « وقد
 وضعت التفتت من قريب من المبرور
 وقد جاء في دستورنا الاخير نص حكم
 بخلق الصيغة لرجو ان تكتفه لبراسة
 لنا في وضع نص على في صورتها «
 وهذا هو نص المادة في الدستور الاخير
 « الصفة حرة ولكن للبرلمان ان يقرر
 التفتت فيها «

ارى الان الكاتب من صفتا لا يقع
 التفتت في التفتت « واذا ان يرد ذلك
 لرجو ان يترك البرلمان حرة ليهك وضع
 العلاج الذي يكون شرويا لعامة البلاد «
 وذلك بان تضع في دستورنا نصا
 فيها بان الدستور الاخير
 حرة اليك حرة بك - المادة
 بنصها الحالي فيها النص الثاني

حرة جازع الكماي بك - النص
 الثاني هو النص الذي الفصل على
 الصفتين الذي في سنة ١٩٠٩ ، اي
 ماهر بك في ذلك حال
 اعراض في التفتت في حرة الصيغة
 لقد كان في نص صفة قبل
 لوضع في كل هذا «

ولكي اعرض في زيادة كلمة « العام
 في اول المادة لانه لا يمكن ان يجرى على
 البرلمان وضع قانون خاص للصيغة
 حرة على ماهر بك « « الاداء هو
 حرة على صفة الادارة على الصفة بنية
 طريقة من التفتت فلا يقع للادارة اذان
 الصفة او كالملة «

حرة جازع الكماي بك - نحن
 بقانون على منع جهة الادارة من اصدار
 اذاراته الى الصفة او وثقا « ونحن
 حكم فقيها « وسأقول مع حرة على
 ماهر بك على وضع الصيغة الخاصة «
 بولاية عليه على ذلك « وان يقرر
 النص اذلا في قول اللجنة

في « في « أكتوبر سنة ١٩٢٢
 بغيره جازع الكماي بك - في
 في اللجنة الخاصة لمطين نص المادة
 الرابعة حرة من غير حقوق الامرين
 الخاصة بغير الصيغة بالفرق ملك
 النص الثاني «

في الصيغة حرة في حدود القانون «
 والرقبة على الصفة محظورة « والاذان
 الصفة او وثقا او القلما بالفرق
 الاداري محظور تلك «

في « في « أكتوبر سنة ١٩٢٢
 في « في « أكتوبر سنة ١٩٢٢

الصفة الاستثنائية
 التشريعية

ذلك يعني حرة دستور لا يمكن
 السماح بها في حالة الاعتماد على النص

الجزئية التامة الاجتماعية نه تقتل
الحماية الشخصية الخاصة في الوقت
الحاضر يعمل من واجب الحكومات ان
تعمل على حماية الدولة ولسان
ذلك الرجوع الى تدابير قد تكون مختلفة
القيادة، الخيرة في الدستور لمصلحة
حرية السكان والباقيين والمخلصين للبلاد،
فيكون من الحكمة ان يكون من وضع
التدبير القريب لانتخاب مثل هذه
كالمادة ١١٠، وذلك بتعيين ثلاثة
من حكماء الدستور تحتفظ به وهي الحكم
والحكم الخاصين بحق الاجتياح المادة ١٢٠
والحكم الخاص بمسند تسليم اللاجئين
السياسيين المادة ١٢٠ كناية ومادة
١٥٠ جديدة المادة ١١٠

**● مجلس الصنفين في اللجن ايام
مجلس النواب :**
مشروع قانون :

« بفناء القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠
الخاص بشأن دعوى اللجن التي تقع
بواسطة الصحف او غيرها من طرق النشر
والرسوم بتقنين الصادر في ١٩ أكتوبر
سنة ١٩٢٥ » بتعديل القانون رقم ٢٧
لسنة ١٩١٠ بشأن دعوى اللجن التي
تقع بواسطة الصحف او غيرها من طرق
النشر .

الرئيس : « ننتقل الى نظر مشروع
القانون الخاص بمجلس التي تقع بواسطة
الصحف لتتعلق انما الى القوانين بما
يقتضاه على المادة »
مجلس البرلمان الذي في القانون ٢٧
« فمن غرض الاول ان يجمع بين
تدوين مجلس الشيوخ ومجلس النواب
القانونين في تشريع واحد » ولا يصحح عليه
ولم يرد عليه »

مادة ١ - « ينشأ القانون رقم ٢٧ لسنة
١٩٢٥ الصادر بشأن دعوى اللجن التي
تقع بواسطة الصحف او غيرها من طرق
النشر » وكذا في الرسوم بتقنين الصادر
في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٥ بتعديل
القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ الصادر
بشأن دعوى اللجن التي تقع بواسطة
الصحف او غيرها من طرق النشر .

الاستاذ من خير - مع يوافق على
النشأ القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠
امرض على نص المادة الاولى على انشاء
الرسوم بتقنين الصادر في ١٩ أكتوبر
سنة ١٩٢٥ ايضا « وقرى ان يكتفى
بتقنين على النشأ القانون رقم ٢٧ لسنة
١٩١٠ لان الرسوم الصادر سنة ١٩٢٥
مصدر في نشأ المصلحة البرلمانية ويرى
عليه حكم المادة ٢١ من الدستور ،
ليكتفى بتبليغ عدم موافقة احد المجلسين
عليه لا فلا داعي ان ينشأ في المادة
الاولى على النشأ « لكن لكثير من
الاشواق الى انشاء حكم ان ينشأ مجلس
الشيوخ ولا يوافق على النشأ فتكون قد
امضاه برة القوانين المصححة »

**لجنة ترى ان يكون نص المادة الاولى
ما يلي :**

« ينشأ القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠
الخاص بشأن دعوى اللجن التي تقع
بواسطة الصحف او غيرها من طرق
النشر »

« هنا رئيس المجلس حاضرة مجلس
المرء الاستاذ حسين علي بك وكبيل
المجلس »

المقرر - « ان من حضراتكم تاونتونتي
على ان الطريقة التي يشتر بها حاضرة
الاستاذ مير علي يترتب عليها تكرار
وراءك في المجلس لا يجوز لها ان تكرر
حضرته ويترتب ان نلني اولاً القانون رقم
٢٧ لسنة ١٩١٠ « ثم نلني بعد ذلك
الرسوم بتقنين الصادر في ١٩ أكتوبر
سنة ١٩٢٥ » وفي هذا شياخ لوكتها
رغبا من كونه لا يلقى من الوجبة
المالية الى نتيجة اخرى »

ان حاضرة الاستاذ مير علي يترتب
للجنة على طريقة ارجاع المصلحة ، فيها
يخص بتعيين الصحف « التي ملكات عليه
تيل سنة ١٩١٠ » ان كانت المصلحة
الجزئية هي المختصة بنظر قضايا المصحف
لها « مصر قانون سنة ١٩١٠ » أصبحت
بمحكم الجنحيات هي المختصة بتقنينها
لما الرسوم بتقنين الصادر في ١٩
أكتوبر سنة ١٩٢٥ « تعفى بالتفصيل
الحكم الجزئية اذا كانت الجريمة
المصلحة ضد احد افراد والا تكون
بمحكم الجنحيات هي المختصة في الاحوال
الاخرى فلا تركا المادة الاولى
التي تنص على النشأ المرسوم بتقنين
الصادر في سنة ١٩٢٥ ولم يوافق المجلس
الشيوخ على ارجاع الحال الى ملكات
عليه قبل سنة ١٩١٠ « كانت النتيجة
ان تصبح بمحكم الجنحيات هي المختصة
وحدها بنظر قضايا المصحف « وهذا مالا
يترتب مع رغبة حضراتكم جميعا - لهذا
نصر اللجنة على بقاء المادة الاولى على
ماهي عليه »

محمد يوسف بك - « انني ارى ان
ملحظة حاضرة الاستاذ مير علي وجبة
لان مشروع القانون الذي نحن بصده
كان في الأصل اقتراحا بشروع قانون
لبناء لحد حفرات الامضاء لاجل القضاء
القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ « ولا يترتب
لجنة المحققة ذلك الاقتراح ويصحب
اربعينما قبل قانون سنة ١٩١٠ وبين
مرسوم سنة ١٩٢٥ « ولذلك اشدت
الى الاقتراح لسا بقائه الرسوم المذكور
بعد كان واجب اللجنة - بمذايت
تم احييه فكرها الى عدم اقرار مرسوم
سنة ١٩٢٥ - ان صرح بتدعيم ذلك
الرسوم الى المجلس وعلى اليه ابرياء
في عدم الموافقة عليه « فلا اقر المجلس
هذا الرأي زالت تلك المصلحة واصبح
الرسوم لا وجود له « وبعد ذلك كانت
تتم الاقتراح الخاص ببقاء القانون

**رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٠ وتكون على المجلس
رابعا فيه .**

« هذا هو الطريق الذي كان يسير
باللجنة في مسلكه »
اننا اذا بحثنا مشروع القانون الان
على الصورة التي هو عليها فكلنا نترتبنا
الرسوم الصادر في سنة ١٩٢٥ بتولية
القوانين ومقتضى محل نقد ورد بين
مجلس النواب والشيوخ « واذا بارأنا
في هذا المشروع كما هو اعطينا المرسوم
حق الموافقة على النشأ المجلس
اليه او عدم الموافقة »

لهذا ارى ان لا يوافق اليتم في
هذا المشروع حتى ينظر المجلس في
مرسوم سنة ١٩٢٥ « ان يقرر الامر
على النشأ قانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ »
واتي ارى من الوجهة العملية ان
يؤجل هذا المشروع لمدة اسبوع في ان
تتم لجنة المحققة رايها الى المجلس
في المرسوم الصادر في ١٩ أكتوبر سنة
١٩٢٥ على مدة « فلا ما وانما المجلس
على الغالب فلا ذلك فورا الكلام في
النشأ القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ »

المقرر - « اننا اذا بحثنا برأي حاضرة
الاستاذ محمد يوسف بك « والغالب
الرسوم لسنة ١٩٢٥ « أولا « نرى على
ذلك ان نلني جميع القضايا التي رمت
اسم الحكم الجزئية بتقنين مسند
الرسوم الى بمحكم الجنحيات « وكذلك
النشأ في الفترة بين النشأ هذا المرسوم
والنشأ قانون سنة ١٩١٠ « وهذا يقتضي
مع رغبة المجلس ورغبة اللجنة « على
ان لا تجد نافذة عليه من القول بان
مجلس الشيوخ ليس من اختصاصه عدم
الموافقة على مرسوم سنة ١٩٢٥ «
ان النشأ مجلس النواب الا لا من
بموافقة كلك على النشأ « ولا يترتب
للشيوخ من ان يترتب على السير على
حده النفاذ ان يرى « ان الاقتراح الا
حضر منها مطلقا »

محمد يوسف بك - ارى ان لا تعرض
الان ارسوم سنة ١٩٢٥ « فخصيص
المحكم في نيته الى ان ينشأ المجلس
في النظر في النشأ قانون سنة ١٩١٠ «
وبعد ذلك ارجو ان تمهل راي وزارة
المحققة في هذا الموضوع « انني اعتقد
ان مشروع القانون المرحوش علينا
بالقائه التي هو عليها الان يطمى مرسوم
سنة ١٩٢٥ برة القوانين المصححة «
وبعد ملاحظة خطيرة ارى ان تحتفظ
محمد يوسف بك - يمكن ان اوافق
على راي اللجنة بشرط ان يصيقل بكتابة
« وكذا « الواردة في المادة الاولى من
مشروع القانون كلمة « ويرى »
الرئيس - « ان الاقتراح حكمه حكم
الرئيس »

محمد يوسف بك - « نريد البقاء في ثابته
المجلس المصوب « ومع ذلك « قبل اقتراح
اللجنة على ان يثبت في نسخة الجلسة

لأنها تعدد الرأى بثلاثة وكذا :
كلوردة في القانون الأولى من مشروع
التقنين ؟

الخير - لا بد لدى اللجنة من ذلك
محدد يرمض بك - وهل يوافق
مخالى وزير العقليات على ذلك ؟

وزير العقليات - اننى فى الواقع ارى
انه كان من الممكن اختصار جميع المناقشة
التي دارت حول هذا الموضوع - ان
الغناء قانون سنة ١٩١٠ - الذي يترتب
على التنازع طبعا الغناء المادة الاولى منه
- يلقى الرسوم بطبيعة الحال - اذ ان
الغناء المادة المذكورة يجعل جميع الجنيح
التي تقع بواسطة المصنف من اختصاص
الحاكم الجزئية - وانما يصحح التصرف
الرسوم سنة ١٩٢٥ مطلقا -

الخير - ان دعوى الجنيح التي تقع
سنة ١٩١٠ تخص بان القانون الجنيح التي تقع
بواسطة المصنف ترفع جميعها باسم
محكمة الجنايات اما الرسوم فقد اثار
النزاع الى ان جنيح الجنيح التي تقع بواسطة
المصنف تحكم فيها بمحكم الجنايات
الا ما كان منها مفرقا بقرارات التماس
وبناء على ذلك اذا التنازع القانون رقم
٢٧ لسنة ١٩١٠ باقى الرسوم مبرولا
به بنصفه -

وزير العقليات - ارجو ثلاثة المادة
الأولى من القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠
الخير - حامو النص اقوله على
حضرناكم :

« المادة الاولى - الجنيح التي تقع
بواسطة المصنف او غيرها من طرق
النشر تحكم فيها بمحكم الجنايات ، ويكون
حكمها غير قابل للاستئناف »
والى ذلك على حضرناكم المادة الاولى
من مرسوم ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٥ ،
وتنصا :

« مادة ١ - تحل المادة الاولى من
القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ المسبق
كقوله على الوجه الآتى :
« الجنيح التي تقع بواسطة المصنف
او غيرها من طرق النشر - هذا الجنيح
الخمر بقرار التماس - تحكم فيها
بمحكم الجنايات ويكون حكمها قابلا
للاستئناف »

من هذا نرون حضرناكم اننا لاذ الفنيا
تقنون سنة ١٩١٠ حتى مرسوم سنة
١٩٢٥ مبرولا به بالتشديد الحونة فيه
اى ان كل قضايا الجنيح المذكورة تنظر
للمحكم الجنايات الا ما هو غرض
بالجنيح الخمر بقرار التماس ، وهذا لا
يقتل مع غرض المقتصر ولا مع غرض
« الجنيح »
حسن صبرى بك - لو الواقع ان المادة
الأولى من مشروع القانون بمعارضيتها
الا ان تضمنت حكمين بمعارضيتين ،
لان مرسوم سنة ١٩٢٥ يسمح بطلان
بمجرد قرارنا اللجنة المادة الاولى ، وبذلك
يصبح التقصيا لى ويحيطا بالمرسوم

من اختصاص المحكم الجزئية ؟
اختصاص محكم الجنايات ، اما قرارنا
بالغاء قانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ ،
يصبح نافذا الا بعد موافقة مجلس
الشيوخ لم موافقة جلالة الملك عليه .
امنى ان التناق الاول من المقتضيات
قرار المجلسين وموافقة جلالة الملك
اما الفصل الاخير فلا يستلزم الاتفاق
وسمى هذا اننا لاذ الفناء قلنا تلقى
حكمه من الآن ؟ وتكون النتيجة ان الجنيح
التي تنظر الآن ينام على هذه الرسوم
لم المحكم الجزئية يقع فيها - بمجرد
قرارنا - بعدم الاختصاص - وبهذا
تكون النتيجة غريبة لاننا نريد ان نميد
جنيح الصحافة الى اختصاص المحكم
الجزئية - وهى يصبح هذا المشروع
قانونا - وقد يعنى وقت حلول حل ان
يصبح كذلك ، اذ يجوز الا يتكمن مجلس
النواب من نظره على هذه الدورة كما
يجوز الا يقره مجلس الشيوخ - تكون
النتيجة اننا تقع على عكس ما ارفاه
اى ان الجنيح التي تنظر لم اختصاص
الجزئية تصبح من اختصاص محكمات
الجنايات - كذلك ارى ضمنا لهذا ان
تعلق الى آخر المادة فترة لصفا :
« ان يكون الغناء هذا الرسوم يتساقون
من تاريخ العمل بهذا القانون » وبذلك
يبنى جنيح الصحافة من اختصاصات
الجزئية -

مصدق صبرى ابو علم التندى - ان
بالخطة الاستاذ حسن صبرى بالتوجيه
ولذا لجأت اللجنة الى الطريقة التي
اثيرتها لغناء الرسوم - ولو ان اللجنة
تخص الى المجلس مشروع قانون بقاء
قانون سنة ١٩١٠ فقد لكان لاتراضى
حضره حسن صبرى بك محل ، ولكنها
رأت ان الوقت الذي تقدم فيه يطلب
الفناء ان تطلب الغناء الرسوم يتساقون
الصانين ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٥ لانها
بريطان احدها بالآخر - وكذلك ولت
اللجنة ان يكون التفسير الدستوري
لانها طريقا واحدا - وبإذ الطريقة
تتبعها من الوجهة العملية ، اذ يجب
ان يكون للتفاه مرجع واحد ووثيقة
واحدة لمرفة وجهة البرلمان فى مسألة
واحدة حتى يصل عليهم تكون فكرة
خلسة من رأى الخراج -

وسا ان قانون سنة ١٩١٠ - ومرسوم
سنة ١٩٢٥ كلاميا مبرولا بمشروع واحد
وكلاميا بمقتضى بمقتضى الجهة المختصة
بالتقرير فى جنيح الصحافة ، وكلاميا
معرض على المجلس ، والمجلس يرى
ان تكون جنيح الصحافة من اختصاص
محكم الجنيح ، وقانون سنة ١٩١٠
يعلمها من اختصاص محكم الجنايات
ومرسوم سنة ١٩٢٥ جعل الجنيح التي
تصل عد التراد من اختصاص محكم
الجنيح - لذلك رأت اللجنة ان تأخذ من
برسوم سنة ١٩٢٥ الفصل الخامس بجعل
الجنيح التي تقع ضد الافراد من اختصاص

محكم الجنيح ؟ اما الفقرة الاخرى
يؤيد فيه قانون سنة ١٩١٠ فلم تأخذ به
ولذلك ظلت الفقرة - وقد كان يمكن
للجنة الا يرضى الرسوم سنة ١٩٢٥
انه مؤيد ضمنا لقانون سنة ١٩١٠ الذى
ينظر للمجلس فى الغناء اليوم - وهذا
ان مما تعلق الى ان تصح مرسوم
سنة ١٩٢٥ الى المشروع الذي تضمنت
به احكامكم « وهذه الطريقة » مبسطة
وجه خدما من الامراض - لما فيها
من الوجهة العملية لا وهى مفيدة جدا
اذ لا يمكن زيا ان تتساقب الافراد بمعرفة
الاختصاص الذي يصوره مجلس النواب
ومجلس الشيوخ وتكتسب لجنيح الصحافة
لكل لا ارى أية فائدة على تسلك
مشروع القانون الذي تقدم به للجنة .

لمد يرمى بك - ان الطريقة التي
مرفها حضرة الاستاذ عمر عبد - والى
انضم اليه فيها حضرة الاستاذ حسن بك
صبرى الى على الطريقة المصممة - تقول
اللجنة ان الغناء الرسوم الصادر من سنة
١٩٢٥ من الاذن بقراره الفوائد العملية
المطلوبة والوجبة للفنية ، ولتكن السؤال
الذي وجهته هو : هل يملك المجلس ان
يصدر قانونا يخالف قاعدة من مبادئها
سابق ؟

لما صدر من مستنبر سنة ١٩٢٦ قانون
واقليمه المجلسان ، ووقته جلالة الملك
نصحه على ان عدم موافقة احد المجلسين
على المرسوم يوافق اننى صحت فى
كثارة مجلة البرلمان موجب لتعويضها
وهذه القاعدة يجب احترامها لأنها سهلت
على احد المجلسين الغناء الى مرسوم
وبعده له سلطة خاضعة تقابل السلطة
الخاصة فى التصديق - وانما قد تضمنها
تكون يجب احترامها والعمل بتسوية
ولا يجوز مطلقا اصدار قانون بقاء
الرسوم بقانون غير الرقوب فيه ، لان
هذا كما قلت لحضراكم ، ويتناقض مع
القاعدة التي نص عليها قانون سنة ١٩٢٦
وعى انه يكفى اسلوب اكرسهم يقتون الا
بولائق عليه احد المجلسين .

اى با بقوله حضرة الاستاذ حسن صبرى
بك من اضافة مبرولا - يعمل بهذا القانون
من تاريخ الغناء المرسوم - غير لا يرد
الاعتراض الذي وجهته لانه على كل حال
احلوا للرسوم بقانون الصادر من سنة
١٩٢٥ قوة ليست له -

الريس - ان يلاك الافغان من يملك
عدم الموافقة ؟

لمد يرمى بك - ان وضع سادة
خضعة لانه مرسوم سنة ١٩٢٥ يخضع
لها مع القانون الصادر من سنة ١٩٢٦
الذي نص على ان القوانين الصادرة من
السلطة البرلمانية تعتبر صحيحة الا اذا لم
يرافق عليها احد المجلسين -

الخير - لو انما لهذه الاراء المتشعبة
تقرر اللجنة ان يتكمن نص المادة ٥
على القانون رقم ٧ لسنة ١٩١٠
الصانين يعلق دعوى الجنيح التي تقع

- 145 -

- 182 -

التجارة القائمة الآن بين الحكومتين في زمن الحرب قد تنجح الى السلطة تم الى الديمقراطية والنفطيان ، ويخطط الامر على الحكم لايفوتون بين الحرس على سلطة البلاد والعرض على المراكز والامثلة السبعين »
 « ولما كتبت الدكتورية ليست اقل فظرا من التورية ، فلا يخفى من حجارة التئين واول سبل قطع الطريق على الدكتورية سوى حرية التعبير والصحافة ، ولايؤخر اخطر من الدكتورية في زمن الحرب ، فلابد من رفع الصوت والاحتفاظ بحق كل فرد في الانتخاب ، اي انتقاد الحكومة الحالية ويعلن ما تريكم من امور مخالفة للقانون ومن لظاهم قد نشر جميع الاتراحت المتخلطة بالاصلاح »
 وفي صفحة ٦٢٤ :

« في يومه يدعو لامتصاص حق الزيادة في زمن الحرب الا في حالة واحدة ، وهي ان يكون نشر الخبر من شأنه خدمة العدو او الاترار بدماع الومان » وفي صفحة ٦٥٩ : اوردت المجلة قول اللورد (بك باستر) وهو من استلمت اليهم الرقعة ومنها :
 « ان كنت للوزراء لا يجوز ان يكونوا في وقت السلم ، ولم يعمل فيه من ذلك الى الآن » .
 من الميث ان يقولوا : كذا الوافكم وكسروا الاتامك في زمن الحرب ، لا لثمة الا لان الوزراء في حيلة لان يظهروا بغير القوة ، ولا شك ان الظن يكون لشدة البلاد اهم في زمن الحرب اذا لم يطلع اراي العالم على حقيقة الادور .

حشرات الثواب المحترمين :
 هذا رأي ابد الفراح ، وبه تهيئون ان الحارسة لا تاتي الكلام لشهوة الحارسة مطلقا . ليسى مدة ودفع بصفة اود ان ايها لحضراتكم ، غير اني كتبت بان لكز ما طويلا فليس اوده الوافك . مثلا يواج لبعض الصحفيين الموالين للوزراء ان يفتلوا ويصوبوا ان تقصوم الصحفيين الذين يوصي على تكريم ان يردوا الى هذه الايلة المظلمة ، وهذه التي توجبه اليهم ، لا لثمة لان الوزراء يجهل ان تكون في زمن الحرب ماكن من التند ، واد كان هذا التند وجوبا ، واعتقد انكم توافرتني على انه ما لا يمكن قبوله الا تنجح لحضرتكم ان يدع عن نفسه التهم التي قد تكون شديدة خطيرة جدا .

حشرات الثواب المحترمين :
 اذكر لحضراتكم مثلا آخر هي ليرئيس هيلة سياسية كبرى ، هي التي تفكر بالتعبير من رايها ، ولتي يبقا برأيها مما يختص بتأييد او عدم تأييد هذه الوزارة ، واعتقد انه من ايسر الحقوق واوكدت اسس سيطرة الحريات ، ان ليرئيس هيلة ، ودعم حزب ، ان غير من رايه يهاج ويخص بالثقة بالوزارة .

ولكن التفرق حضراتكم نكالا حدث ؟ حدث ان منع نشر هذا البيان في الجريدة التي يملكها الحزب والتي يسخرها للتعبير من رايه ، ما اهور الحرية اذا كان يراد بالرقعة على الصحف ان يحصل بين الزعماء السبعين وبين حرية ابداء رايهم ، وهذا من ايسر حقوقهم !! لو كان هذا البيان يتحسن فذا ما الى ذلك كتبت القول انه ربما يكون للوزارة بعض الخبر يمنع نشره ، ولكنه لايجوز الا راي الحزب في الوزارة . فلتفكروا الى اي درك نزلنا بالحرية لو اذا كان لا يواج ليرئيس حزب ان ينشر بوجه مما فيه حرية الاتراد من ليسوا زعماء !!

حشرة الثواب المحترم الاستاذ علي ليرئيس - ليام حشرة الثواب القوم الان ليرئيس راي - الزعيم . حشرة الثواب المحترم مصطفى مراد . السلطان - هل يكتل ان ياتي زعيم يواج حتى يسلم بصفحة ٤ وهل يسع ان يواج زعيم الى الادعاء بأنه ليس لديه بياقت في تقنية اليك التجارى توصلا الى تأجيل نظرها ؟ وهل هذا يتفق وما تتنبهه صفات الزميلة ؟

الرئيس : اوجه نشر حشرة الثواب المحترم الى عدم المظلمة .

حشرة الثواب المحترم الاستاذ عبدالحبيب عبد الحق - لم يقتصر الامر على ذلك ، واصفرت الثواب المحترمين ، بل فها هو الذي يدعي خطرا . فلم يكتلوا بان يدمروا الموالين لهم يسبون زعماء الاحزاب ولي الوقت ذاته لا يواج ليرئيس الزعماء ارد خلوص ، بل فدموا الى ان يحرم توجيه التند اليهم يكتل لمستم التفر ، ككلوا يهللون ويهيجون قصيدة الزميلة ، وهم الآن لا يرون قصيدة زعيم واحد بل قصيدة اربعة عشر زعماء .

حشرة الثواب المحترم الدكتور احمد باهر بكسا - في هذه الحالة تصحيح القصيدة بوزمة [شك] .

حشرة الثواب المحترم الاستاذ عبد الحميد عبد الحق - اذكر لحضراتكم مثلا آخر لظلموا الى اتي حد يواج فسيحل العرية والتكسبر التظلم فترقب ويصت الى صحر . آخر سامة ؟ وهي مجلة كناية كما تملون - ليرئيس : لا لا . فترسم دولة عبد التناج وهي يكتا بريقة طوية . [شك وفصلنا ر]

حشرة الثواب المحترم الاستاذ مسعود ريرئيس - ليس دولة عبد التناج يحي بكسا حشا في هذه الوزارة . حشرة الثواب المحترم الاستاذ عبد الحميد عبد الحق - كتبت هذه المجلة العاشرة لتصحيح صفاته ، فذكر مقالتي الوزير المختص على هذا الطلب بالقرص ويوصل الموظف ل ل هجة ل ه .

وهذه زح لا اعتد بأكبر وجودها اذا كان الوزير يعمل في ظل الاحكام العادية وفي حالة ما اذا كتبت الجرائد حرة في التعبير عن الراي العام ، لانه في هذه الحالة لا يجوز الوزير ان يطره بوقفه لا لثمة له ، ويصل هذه السبولة وقد منح الرتب نشر هذا الخبر . .

حشرة الثواب المحترم الاستاذ علي ايوب - لم ينشر هذا الخبر في الجرائد حشرة الثواب المحترم الاستاذ عبد الحميد عبد الحق - لقد صرح حشرة صاحب القام الرابح على ماير بكسا في هذا المجلس ، يوم ان سكتاه من لسة الرقعة على الصحف ، ومن وجوب اخلايا حرة ، بأنه هو نفسه يرى انه قد اساء استعمال الرقعة وان حلتسا رايها محينا او بوقفها مينا اسماها استعمال هذه السبولة . فما قول حضراتكم في ان ذات كالي رلعت هذا الذي قيل هنا في هذا المجلس منع الرقيب نشره في بعض الصحف ؟ حشرات الثواب المحترمين :

ذلك بمسألة تفر ليرئيس اوجه نشر حضراتكم اليها ، لايها تصنع الحكمة ابلم الواقع والمعلق ، وهي التي تصنع الحكمة ان تكتل لنا ان سبوبة من الصحف على اختلاف المواليا او لاجبابها نشرتها بغير سبولة البلاد في القرون العافرة ، مثلا بين لحضراتكم ان مسيلة نشر خبره من جذا القيل ، فبتمه الرقيب ، فاني اقول بان حقوق المسئلة قد اسره استحيائها ، فانا اذا بين لحضراتكم ان الصحفيين هم ليس كل شيء مصرون ، وانهم يغيرون الى كرامة بالعدم كثيرة الوزراء لتسهم ، وان لديهم من الخبرة ومن التصبر ما ينعهم من نشر مثلا هذه الاخبار - اذا بين لحضراتكم هذا كله ويجزم ان هذه الرقعة لم تفرس في الواقع لحماية الاخبار العربية والدعاء ، انما ترصد لحماية الوزارة في سياسيتها الداخلية .

ليل : تفرقت ترابي الاممال العسكرية لعل ولا يرايب فيها من الانذار واراد على هذا بكته ان يفتلوا التي تنف معها صفا واحيدا للضعاف من المشرطانية صدر فكون الموالين ، وهو فكون يشبه في بعض تصوره فكون الحكم العسكرية ، انظروا حضراتكم لقد تصرفوا بيه تصرف الذين يعضون التفتون والعرياء بكل سبولة من تحقق منه فيرخس : القول بالمخافة على الاسرار العورية وكل الاخير المتخلطة بالضعاف ، والنتي الحافظة على العرياء ومنها حرية التند . ذلك ان المستر يلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية صرح في مجلس العموم بأنه عند اختيار الرقيب على الجرائد استخير رجال الصحافة في اسما هؤلاء راياه . فلتفكروا حضراتكم كيف يعضون الصحافة

والنقد ؟ لهم لا يستشيرون الوزراء
وانما يستشيرون رجال الصحافة الذين
- سيجري غلم الرقيب على سا يكتبونه
بالخلف ، وصرح اللورد كامروز في
مجلس اللوردات بأن وزارة الاسعلامات
قد جمعت رجال الصحافة واستشارتهم
في طريقة الرقابة على اعلاناتها .

وفي ٧ سبتمبر صرح السيد سمبول
هور ، وزير الداخلية ، في مجلس العموم
بأنه شكل مجلسا استشاريا مكونا من
بعضى المشكلة والإذاعة وتلفات العمالي
ومجلسي جميع الأحزاب السياسية ، ووزع
الوزير على الأعضاء قائمة بأسماء أعضاء
هذا المجلس الاستشاري .

ون هذا يبين لفضرائكم مقدار تقدير
الانجليز لحرية الصحافة ، واحترامهم
مدورهم اللندني ، واحترامهم لخصوصية
الساسة واعطائهم الفرصة لاتعصار
آرائهم بكل حرية

أشاروا أيضاً ضحكان، في الصفح المصحح الإنجليزي للجند البريطانيين، يتناولون من أجل فرنسا، وأنه قد وثق أن من هذا القتل، حيث وزارة الاستعلامات أذاعة هذا الخبر إلى الصحف، نقلت شجة شديدة إلى الصحف، وقد استجاب إلى مجلس العموم، وتم اتخاذه خبر يتناقض بين جيلين، ولم يكن خاصاً بذلك وزير، أو نقد محل داخلي، أو نشر الأضواء فوراً أن هذا الخبر، أو أنه يتصلق بين جيلين، إلا أن الصحف، ينسبونه من وراء أذاعتهم الشك في الزعم، بل في الحقيقة أن هذا البلاي في تلك، لا يعرف من هذا الخبر، أملاً شديداً، وإني أعتقد أنه أظن منها أيضاً، في حال التخليق.

عنسما انشئت وزارة الاستعمالات
نجاة في انجلترا ، وطلب اليها ان تؤدي
مهامها الخطيرة في العمل ، ووقت منها
اخطاء ، كان بعضها شديدا جدا بسبب
عدالة انشائها في ذلك التوقيت ورجال
المسألة ، فقام المسير للتحريران .
جلس العموم ومقره وقال : « اتي
أسف جد الأسف لما حدث » وانتبه
هذه الفرصة لأبيد الصممين على
منظرة متكاملة منا .

لماذا فكرتم حضراتكم ان مسجلينا لم
يكونوا اقل واثنية من زملائهم ، واتهم
لم يتعرضوا الى الاخبار العسكرية من
قضاء انفسهم ، وخصص لهم جديرون بان
تعلق عليهم تلك القواعد التي طبقت في
انجلترا مسائلة لحرية الرأي والنقد .
انظروا كيف جرى رديتهم هناك ..
خضعة مطلقة [

في ٢١ سبتمبر وجه المستر مالكوفاد سؤالاً إلى مجلس العموم عما إذا كانت الحكومة تستطيع أن تعلق بتلكودات فاعلة بأن وزارة الاستعمالات لن تستعمل سلطانها في منع الصحف من نقد سياساتها في أية ناحية. بن التواحي ، سواء أكانت حرية أم مالية أم تعليمية أم إدارية

بإمام التفت لا يتشترط بخلوصه حرية
استفيد منها العدو - فالحجب وكسب
وزارة الاستعلامات البرلاني اجلة رسمية
حدد فيها قواعد لرقابة الصحف ، فذكر
ان من قبل الوزارة هو اذاعة الاخبلي لا
منعها ، بينما نرى العكس هنا ، حتى
ان جميع الصحف قد أصبحت لدينا -
بإرادة الحكيم - على يد

كثافتها من سورة واحدة .
واذا راجع الحكيمه حنف خير كل
بعدا للتشريل بالمجست المجتد المتصاحب
الحكيمه ان يفتل من هذا الفصل
بموضوع آخر ، وقد بحث هذا قبل
بومد اعاد الجريدة للبعث ، مسا
يسطر معه الى السفله بموضوع قد
يسطر لها جدا ، وقرض الحكيمه .
فذلك هو الا بفتحته الرأي العام الى ان
هناك خبرا محطوا وانها فعلت شمس
الملكه العبد المذلل

والواقع أن الحكومة تمول بذلك على خفض المستوى القتالي للمسلحة ، ولا يمثل أن يطلب من مصفى — بعد أن قد تمسكت بالعلم — أن يصرح بقاتل ولا من ألقى شظيته بقلع الأحرار ، وما ذكره الوكيل البرلماني أن يؤكد أن وزارة الاستعمارات لن تستعمل سلطتها في تهديد حرية الرأي ، لو كان بى هذا الرأي نقد لمسيحية الحكومة ، إلا إذا كان النقد يشيل أسراراً عربية

لهذا أرى - وאתم المطالبون بصيغة
الحرية - ألا توافقوا على استوار
الاحتكام العربية وهي تلذ هذه الروح
التي تخالف العدالة ويهدده المستور
وكل رأي سواء في انتظار أو فرنسا
تلك البلاد التي تعنى سلبا للدفاع من
الديراطية ونحن نرحب منها في هذه
البلاد

ولذلك على أعيابكم ألا تواتوا على
اترار هذا التبعث بالخرافة .
[تصفية من اليسار]

حضرة صاحب السالى وزير السخولة
للشئون البرلمانية لمجلس النواب
والاسلام ابراهيم عبد العاللى ٠٠٤

او استعاض الخبز الحرام ان يظل
التمككة نوبت في فدان السردية
السميتوندي حيزها سميت لسمائلها
بما لم يصح به نصيحة غصونها
لكان له في ذلك حق كبر الخلق و لكن
شيئا من ذلك لم يتج ولم يجر
من الاحوال فكل الذي يقال هنا انما
يقصد به شيء واحد .. لا الاجل للصحة
في مصر اداة الى باب وقتها ويرى ان يلبس
معه انسان على كرايته و لا يفكر في
كرته ولا كرم على حرفته ... للصحة

حضرة الملائكة المحترمين الأستغاث معبود

تكري ابلقة...
...
لنا من حيث الصحافة فاشكر اولاً
حضرات الخضايا من الصحافة والزراء
حسن تعاونهم معنا ، ثم اؤكّد لغيرنا ان
ان الصحافة لا تفسر بليل ولا كثير
بل الحرية في جو هذه الاحكام العرفية
ولا يتوقف مراعاة الاحكام كالتسليم
بها ، المتحررين ولا يفتن من المتحررين
بله حسن ان الوزارة قد استصغنه من
الفرار ، فيضبط هذا الخبر شعبياً
ومعنى الليل

أتى اثنتى من على يوم الثلاثاء
فأذهب بنصلى الى انرتيه وأعرض عليه
... ووقه نطلب بها %١٠٠ {فشكل}
فأشعر الرقيب لى ياتنى ، فاستأنت
الانتاع مع رئيسه ، فإذا استع كان
بها ، وآلا رقيب لى أن أطلق الحبة
وعملها وأخترع كلاما جديدا وصطفه
بحق جفرة القلب المحرم الاستبدال
سيد الحيد عبد الحق حين قال انه كلام
سليم .

أرجو أن يشعر رغبة رئيس مجلس الوزراء بشيء من حزم هذا المبدأين تصرفت الرقابة ، وبعينا من سلطته في المسائل التي لا تمس لها بالنسبة للسياسة العامة أو الدفاع عن البلاد ، أو تحميون أن الذي قاله الأستاذ المقاد هنا وما حذفت له بقية الرقابة فلم تجزى صحيفة ولا مجلة أن تنشره ؟

فخبر يقول ان الفصائل سرود الى الجيش من انجلترا براه ثمره لنشر الطمانينة الى الجبابرة ، ولكن الواقعه يشبهه شيئا لانه يخشى ان رجال النواصط الاقلية يساوون المسوؤة تحت البحر ، فثقتهم جنودهم الى العراق الحسنة الاية بهذه الخفايا .

إثمه اعتقد أن زعماء مجلس الوزراء مجلى عليه أيضا ، لها هي جميع الأحزاب وكنت مع الوثيقة على

المصنف :
 رابعة سعيد محمود باشا شسكا ،
 من المصنفين : عبد الحسي شسكا باشا ،

فكلمة الجحش على الشكوى المرة من
الرباية : ولكلها لا أحد من هذه الصفوف
قال لا تبهت يكون التامع وهو يكون
من يلقى في جهنم : وأحقها التوراة
والتم يفيضون كل يوم على البطلان
بصورتهم عامة تامة : لا تظن
الصفوة منكم مبررة وثالثة وأربعون
الكلمة فيها ليعتصم من الله كنهها بل
من الله التلقم ليعتصم من الله الذي يجرى
بشيء : والخلف : ١٩

هذا لا يثبت ولا يمكن ان نقول الاستمرار
عليه ، ونخشى ما انشأه انه يملأ

أرادت جريدة الأحرار أن تكثر كثرة
يتضمن أن سمو الأمير مير طوسون دعا
حفرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد
في تناول الشاي ، فبعث الرقيب بغير
هذا الخبر . وأرادت جريدة الأحرار
أن تكثر خبر خديم الأمير تحت حذاء
يحتل من الخلع فيبلغ الرقيب نشر هذا
الخبر أيضا ، ولما احتج حشرة الشيخ
انطون الجليل بك رئيس تصوير جريدة
الأحرار على ذلك التمس سحب الرقيب ونشر
الخبر .

لكن أنه ليس من مصلحة أحد أن
تقع الصحف من الأثرة إلى دعوة
البرلمان إلى الاتحاد في دورة غير
مادية كما حمل ذلك أخيرا .

والى لتكثر هذه الفرصة ، وهي
مصلحة طيبة ، لئلا يملأ من مخالطة حشرة
صاحب الحظي وزير الصحة نائلا له
أنه يرمي كوكب الشتم قد منع هذا ،
فأنا لاحظت أن إحدى المجلات رست
ورقة عليها بالثأر والى جانب رست
زعماء آخرين في صورة إكرام . وهناك
أشياء أخرى من هذا القبيل مررت على
بعض الصحف والمجلات لا أريد الآن أن
أصرخ بها .

ومن الطريف ما يفتنى أن جريدة
الأحرار أرادت أن تكثر خبرا تتضمن
سفر سعادة وزير الخارجية الإيطالية
إلى بولينا ، فاعترض الرقيب على ذلك
وإن أن نشر الخبر على صورة أخرى
من محتاجها أن وزير الخارجية الإيطالية
" دمي للسفر إلى بولينا " .

وكذلك أرادت جريدة الأحرار أن تكثر
أن الأمير طاهر يتخربط المذنبين بالقتال
فاعترض الرقيب وأمر بأن يكتب الخبر
على أن الأمير طاهر أمر بغرب المذنبين -
[سلك]

ولم يلق رافينا عند هذا الحد بل
لكر للسياسة له بموجب كيد متسحب
الرقيب في انتظار نشر هذا الخبر في
الصفحة التتويجية ، ولدى مجموعة أخرى
من الأظلة من حين هذا القبيل وأنتى
بأن جريدة الولد المصري . . . وهناك
أخبار كثيرة يصنعها بعض الجرائد الوعدي
من تقرها لا يملك أي شيء نشرها في جرائد
أخرى كالأحرار والمعلم . وهذا يخشى
ألمه اللحية يكسرها في تنويرها إلى
وجود تمييز بين بعض الجرائد والبعض
الأخر .

بل لا يباح حرية النقد ؟
هل أزمات صرغلت الوزارة وأصبحت
مختصة لا تسمى . هل تراقب في الجرائد
من يوم إعلان الأحكام العرفية أي نقد
للوزارة ؟ من الجائز ؟ إما عرفت للتصويح
المحتجين ، أن هذه التصريحات على
التقوى التي إمرت إليه لم يحصل . على
بمصلحة راحة على ما نشر بشي . ولكن
مقاله من الذين صرغلتوا هذا التصريح .
ولقد ضم المصنفون مكتوب من هذه
النص ، من تلك استنسخت النماذج وأخيرا

رؤيتي استبداد الرقيب بغير حق
ويقال أن الحالة الآن أحسن مما كانت
عليه من قبل . ولكن هل أصبحت مع ذلك
حرية النقد ؟ كلا بضررات السجوح
المحتجين ، لا أعلم سببا لذلك اللهم
إلا أن يكون النقد وقعه شديدا على
التنوع . لقد لاحظت الآن أن راحة
على ما نشر بهذا الصنف أكثر من مرة
أثناء عرض بعض الصحف التي اشترت
الها ، وقد يجلنا هذا الصنف نعتد
أن راحته لا يجلل النقد . ومن هنا نفهم
سبب الشد الذي لاحظناه في بعض
النقد .

حسن أن تصف ، يا حشر البشع
المحتجين ، محلات الشتم والمجازاة ،
وإذا مع رئيس الحكومة في هذا ، ولقد
دعوت إلى ذلك المتع من فوق هذا
المتر حينما كنت وكيلاً برلمانيا لوزارة
الداخلية بعد أوقيت التقليل كثيرا من
نشر هذه المجلات في الصحف . ولكن
لدينا قانون طبع في غير حوزة ولكن
حد ، سواء إيان حكم راحة بمحدود
بالثأر أو راحة على ما نشر بالثأر . ولقد
عاقبت متعصب كثيرة في الذهاب إلى
الحكم للرافعة من صحفيين قدسوا
للمحاكمة بمسبب الشتم في تطبيق
القانون على الصحفيين ، ولكنني أتر
أن هناك طرفا كبيرا . . . وأوجه نظر
محلي ولدي لصحة لا أيلول . . . بين
وقد حيلة الشتم والمهاترات ، وبين
بمع نشر الأخبار والنقد ما يؤدي إلى
الافترار بالحكم والحكم على السواء .

أن الحكم بغير ، وهو غير مسموح من
الضحايا وكذا زاد سلطانه كان أكثر
استعدادا للخطا واشتدت خطورته .
فإن لم يصد صيغة بالأمور من تلكه
نفسه أو من تلكه وجهها في الرأي
الضام الذي صورته الصحافة . والمحاكمة
خيرة بالأمور ، خير من الرأي العلم
في مبادئ مخافة وصيغة بمدة حسن
الاذاع .
أؤكد لحضراتكم أن النقد على هذا
التحولات لتدعيم الحكم ، ولولا النقد
نظام الظلم والظفر . في الضأ . ولو
كان في حد مبرر ، في الظلم . من
هنا أن نلهم من مع حرية النقد ،
ومن هنا كونيتم . وليس لدينا ما نعتبر
به من ارتكبا إلا للصحف . نتخوف
نفسيا تجد أن الأحكام العرفية طبقت
بمجرد صرغلتا أمورا تطبيق . . .

مفرد - الشيخ . المحرر إبراهيم
الطويل يلقا . . .
.
ويصحب على ذلك حشرة الشيخ المحترم
الاستاذ يوسف الجندى بأن هذه عقيدة
راحة على ما نشر بالثأر في نفسه .
ولكن من يستطيع أن يتقل هذه العقيدة
ال . ثوسنا . 7 - والله يريد . إن متع ين
رئيس الوزارة أن يمدى . استعمله هذه

السلطات الواسعة بعد أن كان من كبر
الحجر على حرية النقد في الجرائد حتى
أصبحت مسورة واحدة ، ولقد يقسم
القلة الكبيرة منها أن الجرائد قد
نفت من شر خبر دعوة سمو الأمير
مير طوسون بالثأر لسمو الأمير محمد
على الثأر ، ما هو الضرر الذي حاق
بهذا البلد من عدم نشر هذا الخبر ؟
الواقع أن هذه بمدة لا يصح أن
سريها ، وإذا أراد أن يستشهد ببعض
الحوادث فليخبر لنا خلا له أميته
وخطورته .

ولقد يذكر أكلة أخرى منها أنه
لا يستطيع أن يقد أجابا مايا ، فهل
طلم من السلطات المفضة أجاب هذا
الطبيب فتم ؟

كما نكر أن وزارة الشؤون الاجتماعية
بتمت نشر خبر يخص بعض المسؤولين
في البلاد ، فما يجب هذا ، وباضرات
الشعوب المحتجين ، إذا كما تريد أن
نشر ميديا ونشر بغير الآلة الجديدة
التي تحصلت في مملكتنا السلبية ، ولا
لك أن خرائطكم تملكون أن في جميع
البلاد للثابتة لملامح لأشكال هذه اللثة ،
وأهم ممنوعون من التفكير في الشؤون ،
فهل إذا ما رأى وزير الشؤون الاجتماعية
أن أحد يتوهم أن في نشر هذا الخبر
خطا من قدر هذه الآلة وبعداد صابها بأمر
نمطها ، فهل يعتبر هذا من الأمور
التي تؤخذ على الدولة ؟ في الصحف ؟
أعتقد أننا نصد " وتصحة " .
[17 أكتوبر سنة 1939] .

هل يجوز أن تهتد بغير الرقيب أثناء
قيام الأحكام العرفية التي منع تصوي
المسئلة والاستجوابات في الصحف ،
بعد أن أدرجت في جدول الأعمال وقيل
عرضها على المجلس .

مجلس الاستجواب
الاستجواب الموجه في حشرة صاحب
المقام الرابع رئيس مجلس الوزراء ووزير
الداخلية من حضرة الشيخين المحترمين
الاستاذ محمود بسويوني والاستاذ يوسف
أحمد الجندى من الإجازات التي انتهت
بعد المصفاة . بتحقيق جلسة 11 مارس
القبل للينقلقة فيه .

حشرة صاحب المحامي محمد صلي
علوية بيلقا [وزير دولة للشؤون
البرلمانية] - لقد افتتحت مع حضرة
الشيخين المحترمين بعض الاستجوابات
على أن تكون الفتحة في بعد لرمسة
استيع .

حشرة الشيخ المحترم الاستاذ يوسف
أحمد الجندى - قبل أن نلهم في تحديد
يوم للينقلقة في هذا الاستجواب
أرأتى بضرارا أن اتقدم بشكري وهي
أن هذا الاستجواب تقدم من ششدين
من هذا المجلس وكان يجب على الرقيب
الاستقبال بجله أو تعديل إذا ما أرادت
الصف نشره . ولكن الذي حدث أن
الرقيب - مع نشر هذا الاستجواب في

الخاصة - وهو عدل لا يدين وتكون بغيره
هذا من ثلاثة ، ومن ناحية أخرى فإن
هذا العمل لا يتفق مع ما أعلن به من
قبل رغبة رئيس مجلس الوزراء بجلسة
٢ أكتوبر سنة ١٩٢٦ ، إذ طلبت وتنتد
من رغبته أن يعدنا بأن المناقشات
البرلمانية وما يحصل منا من أخذ ورد
لا يجوز أن تمت إليه بد الرقيب بأي حال ،
فإنجلبه رغبته بأنه يمرر لا تتناول بد
الرقيب هذه المناقشات البرلمانية ،
وأنها لن تكون موضعاً للرغبة بطبيعة
الحال .

وأنا أكرر الآن أنه بإمام هذا
الاستجواب تتقدم المجلس وانرج في
جدول أعماله فقد أصبح جزءاً من أعمالنا
البرلمانية فلا يجوز أن تمت إليه بد
الرقيب ، وإلى اعتراض كل الاعتراض
وأرجو محلي وزير الشؤون البرلمانية
كما أرجو الحكومة أن يسما لي بأن
أخرج باسمي لرئيسي ورئيسي وأهتد أن
احتج الشيوخ المحترمين وشركوتي
الاحتجاج على أن بد الرقيب أمتكت إلى
مدل من أعمالنا البرلمانية وكان الواجب
الا يتعرض للرقيب بطلاناً إلى بطل هذا
الاستجواب .

الرئيس - بليت هذا في محبلة
الجلسة .
حضره الشيخ المحترم الأستاذ يوسف
أحمد الجندي - مع التمكن أن يثبت هذا
في المحبلة بل أطلب أن تنلى الحكومة
أن يربها اسمها من هذه المحبلة
لتنص حيزاً دون حزب وأنا في مسألة
تتعلق بكرة الأعضاء جميعاً ، ولأخلى
على حركاتكم أن اسمنا البرلمانية
وجب أن تكون مبرورة عند الجمهور
والرأي العام ، ولا يحول دون نشرها
في الصحف يجب أن نعلم من الآن
إذا كانت هذه الأعمال يجوز أن تمتد
إليها بد الرقيب أو لا يجوز ، فإن جار
فلك وجب علينا أن نتفق .
[تصليق]

حضره صاحب المحلى محمد علي
علوية باشا [وزير دولة للشؤون
البرلمانية] - بد الذي أمره أن يمد
الرقيب لم تمتد إلى هذا الاستجواب ،
حضره الشيخ المحترم الأستاذ يوسف
أحمد الجندي - أرجو أن ترجأ هذه
المسألة إلى آخر الجلسة لأن محلي
استعداد لاستصدار المستد والدليل
الناظر في هذا الموضوع .

حضره الشيخ المحترم يوسف
أحمد الجندي - قد تكون محلي الوزير
وأنا على ما حصل لي هذا الموضوع
وأتقن أني تمت مستثنائي أنه لا
أرادت وبني الصحف نشر الاستجواب

ملع الرقيب هذا الشتر ؟ وزأي أن ينشر
إلى بمسونه فقط .
حضره صاحب المحلى محمد علي
علوية باشا [وزير دولة للشؤون
البرلمانية] - هل يسمح حضره الشيخ
المحترم بأن ينشر هذا الاعتراض إلى
موضوع الاستجواب وينتقل بما ؟
حضره الشيخ المحترم الأستاذ يوسف
أحمد الجندي - لا ، وأست أرى من
المصلحة أن تد هذه المسألة الآن ونزجا
أربعة أسبوع .

وأذا كل محلي الوزير يرى الآن أن
ما أقوله صحيح فليرج أن يصرح محلي
بأن المسألة لن تكرر .
حضره صاحب المحلى محمد علي
علوية باشا [وزير دولة للشؤون البرلمانية] -
بد ينشر في حضره - الشيخ المحترم
بد ينشر فيلما ، فليرج أن يربها للشر في هذه
المسألة إلى آخر الجلسة .
حضره الشيخ المحترم الدكتور محمد
صعين حيك باشا - هل محلي هذا
أن الحكومة تصرح بأنه لن يحصل في
المستقبل أن تمتد بد الرقيب إلى أي
مدل من أعمالنا ؟

حضره صاحب المحلى محمد علي
علوية باشا [وزير دولة للشؤون
البرلمانية] - مع الحكومة لم تتصلح بأن
بد الرقيب أمتكت إلى هذا الاستجواب
الرئيس - مع وثي تكون المناقشة في
هذا الاستجواب ؟

حضره صاحب المحلى محمد علي
علوية باشا - بنظرنا لنجلبه حضره صاحب
القلم الرئيس ليس الحكومة في السودان
أرجو تأويل المناقشة في هذا الاستجواب
أربعة أسبوع .

حضره الشيخ المحترم الأستاذ يوسف
أحمد الجندي - أعتقد أن ثلاثة أسبوع
كافية .

الرئيس - هل توافقون حركاتكم على
تصديق يوم ١١ مارس سنة ١٩٢٠
للمناقشة في هذا الاستجواب ؟

[موافقة] .
[في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٠]

هود إلى الاستجواب
الموجه إلى : حضره صاحب المحلى
الرئيس ورئيس مجلس الوزراء ووزير
الداخلية منا حضري الشخين المحترمين
الأستاذ محمود بسيوني والأستاذ يوسف
الجندي من الإجراءات التي أمتكت مع
المصلحة .

حضره الشيخ المحترم الأستاذ يوسف
أحمد الجندي - أرجو ، بل استنقل
المناقشة في الاستجواب أنوجه بني
إلى حضره صاحب المحلى وزير المالية ،
أن أوجه الناظر إلى أنه البرج في
جلسة الأسبوع مسألة الرقابة - صلي
الصحف ، وقد رأى المجلس لتجليل
الكلام فيها إلى آخر الجلسة ، ولكن
لم تحصل المناقشة - نظراً لضعف جيتكامل

المدد كاتولي ؟ وكان أن التفت
ساحة إلى الكلام بها .

حضره صاحب المحلى محمد علي
علوية باشا - أن الرقيب لا يمتد في
الحلف أو التعديل لجدول الأعمال
في البرلمان ، وقد نشرت الصحف معها
جدول أعمال جلسة الأسبوع بالمش الذي
أبلغته إياها مسكوية المجلس ، وأند
بعضها للند الخلفين بمسكويهم
الشخين المحترمين من الإجراءات
المتخذة مع الصحف مقلداً بلراً في إحدى
محلقاتها الرئيسية .

أما الأسئلة والاستجوابات فلا يمتد
الرقيب إلا لا يرد نشرها منها على حدة
قول أن يلى في نشرها ، ويكون
عرشه في إحدى حلقتين التتبع وعلى
أحد وجهين اثنين : الأسئلة والاستجوابات
التي لا تكون مبرجة بمعدل أعمال
المجلس ، فلا يمتد لها الرقيب ، بالتح
لذا قرار مجلس الشيوخ - المؤرخ
السنة بجلسة ١٤ يناير ١٩٢٠
والأسئلة والاستجوابات التي تكون
مقتضية إدراجاً لتتلي تعليمات الرقيب
العام بعدم إقامتها يمتد لها الرقيب
باعتبار أن إلى على في المجلس فتتضر
شأن ما يتردد فيه من أقال ، وذلك
نقول على تصريح رئيس الحكومة في
جلسة ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٦ .

وهذا الإجراء الأخير هو الذي أنفذه
الرقيب نحو استجواب حضري الشخين
المحترمين إذ أريد نشره بل أن يلى في
الجلسة ، وأذا فمتد لبرا متوامة
نشره بمقتضى تعليمات الرقيب
الصادرة بتاريخ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦
والجاءة حين صدورها لغيري الصحف
والنشرية جميعاً ، وهو « الأسترة
بفرق مجلر أو غير مجلر أي الإجراءات
الرقابة » ، فعرشه له الرقيب لا يخلطه
بدا يقول حضره الشيخ المحترم الأستاذ
يوسف أحمد الجندي بل يفتلغل إلى
يود يلى في الجلسة والاكتفاء الآن
بالنشر الوارد منه في جدول الأعمال
الجلج من مسكوية المجلس إلى الصفحة
المبررة بجلسة .

الرئيس - هل يرغب المجلس
الشؤون البرلمانية أن يتتلقى حضره
لإزالة المحترم الأستاذ يوسف الجندي
مع الوزارة في هذه المسألة لا أو أن
يتمرجا قلباً بذلكها ؟

حضره صاحب المحلى محمد علي
علوية باشا [وزير دولة للشؤون
البرلمانية] - قد تمت . هذه المسألة
مررها لتلك التعديل مبررة للمناقشة
الاستجوابات بالتمت ، بمسكويهم للشخين
المحترمين الاستجوابات - محمود بسيوني
والأستاذ يوسف الجندي وأهتد أنتم
جزء من موضوع الاستجواب الذي
يسمعي على المجلس للمناقشة لي
في الكلام لهذا ، فإذا تفصل
حضره الشيخ المحترم وإيل ما يود

• قوله اليوم الى يوم الثلاثاء
الاستحياء كان فلك اجدى •

حرة الشيخ الحرم الاسلامي يمين
 أحمد اليندي - في الملاحظة
 ايداعه ضمانة الزهني وكان جواب
 عملي وزين الخشتين البريانية عنها كما
 يستمونه حرماني لا محل لها مثلاً -
 شكرت لضررك ايس وقت ان
 الاستواب لاذي تقم من حرة الزميل
 المحترم الاستواب محود بعودي ايد
 الخاس بارهية الى العصف - تبد
 امتعت اليه بد الزيتيب بعد ان
 ادعى في سجدول الامسال - وقت
 لضرركم كما جرد الامسال - وقت
 انتمني ولا نفس حزيا بل نفس
 كزاجهم كما كما تهم نفس الجواب
 لعل على الوزير في جلسة الامس انه
 ليريد في بد الزيتيب قد امتعت الى
 الاستواب - بعلف

ولما كان المسند الدال على ذلك
لست بهذا فقد استمررت، وها هو
يروي : «والثقت بمالي الزبير عليه
السلام» و«زبير صبر من الجيرة بن جريرة
الأنصاري فبها الاستجواب» «يكنى
لقبته عليه زبير بن أبي» «يكنى
بنشر» هذا الأخير يكنى السيفه التي
نشرت بها جميع صمم الضام، أي
بالإشارة إلى تعذيب هذه النفس في
الاستجواب الموجه إلى رئيس مجلس
الزوراء من الإجراءات التي اتخذت مع
المسئولين (١)

لا تراعِ الكُنْ ، يا حضرات الشُّهْرَجِ
المُحْتَرِمِينَ لَا يَنْبَغُ أَنْ يَحْذَرَ الْإِسْتِجَارِ
أَلَمْ يَكُنْ تَشْرَعُ يَا نَوْعًا بِمَعْنَى الْوَزِيرِ
لِأَيِّمٍ تَطْلُبُ الْمَسْأَلَةَ نَوَاجِداً ، أَمْ أَتَوَلَّ
أَنْ كُنْ بِأَحْسَنِ مِنْ الرُّقِيبِ هُوَ أَنَّهُ
أَجَلٌ ، وَالْوَأَقِعُ مِنْهُ عِلْمُ الْفَتْرَةِ ، كُنْ
بِالْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَسْجَعُ تَرْجِعُ عَلَى حَضَرَاتِهِمْ
عِيَالٌ ، مَسْجَعٌ تَشْرَبُ بِأَقْدَمِ مَنَا
اِسْتِجَارَةٍ أَوْ مَسْأَلَةٍ أَوْ اِسْتِجَارَةٍ
أَوْ شُرُودَةٍ وَتَوَلَّيْنِ إِلَى الْعَصْفِ أَوْ
كَبِيرِ مَسْجَعٍ ؟

يا حضراته الشيوخ المحترمين : قبل
سماعة ورئيس مجلس الشيوخ في إحدى
الجلسات أن التقاعد البرلمانية في أوروبا
لا تصبح تفرغ مثلا هذه المسائل بل إدراجها
في جدول الأعمال ، فبعد النقاشة التي
وسنها سماعة ورئيس المجلس وأقرها
المجلس بسكوته يجب أن تكون في
الجداعة التامة ، بحيث أنه لا يصح تفرغ
الاستجواب بل إدراجها في جدول
الأعمال .

حشرة الفئيق المسمى محمد مبطوي
الجزائر بك - لا انهم معني الجسم تخر
الاسئلة والامجوابات في السعف هن
انرجعنا في جدول الإعمال : اننا لانتر
ذلك ملعا .

الحكومة تريد ما هو أفضل وأبهر من
بيان معالي وزير الشؤون البرلمانية

قُولُواْ لِّعِبَادِكُمْ بِصِرَاحٍ الْعِبَادَةُ إِنِّ
الرَّهْبَ مِنْ هَٰذَا ۖ وَإِنَّا إِلَىَّ رَاغِبُونَ
وَالْإِسْتِجَابَاتِ ، وَإِنَّا إِلَىَّ رَاغِبُونَ
الْإِحْتِمَاءُ بِالْعَذَابِ أَوْ التَّعْذِيلِ أَوْ التَّأْخِيلِ
مَادَامَتْ لَمْ تَعْرِضْ عَلَىَّ الْجُلُوسِ وَلَمْ
تَحْدِثِ التَّالُفَةَ لِيَهِيَ .

لذا يحرم على الإغناء بعد أن أدرجت
استلهمهم وانقراحتهم واستجواباتهم في
جدول الأعمال أن تشر في الصحف قبل
مرحبها على المجلس ؟ اننا هنا لاتعمل
لحساب أنفسنا ولصالحه خاصة بنا
انما نحن بكون من الشعب ومماثلون
لأراي العام ، ولا يصح بحال ان يؤجل
تشر أعمالنا حتى تطرح على المجلس
للمناقشة فيها .

فحضراتكم تملكون أن هذه الأعمال
تحال إلى اللجان المختصة لتقدم تقاريرها
منها ليستفنى عليها. هذه هي ٤ فهل
يرضيكم أن يكون الرأي العلم بهي
ما يقدم من حضرات الأعضاء ولا يبلغ
عليه إلا بعد المناقشة فيه ؟ أم يجب
كله ؟ هل يمكن أن تقدم يد الترحيب إلى
الافتراح أو الاستجواب بالخطب بعد
أن تحصل المناقشة فيه ؟ أم لا أهم
منه لهذا .

يرى معنى هذه الشؤون البرلمانية
أن يكون بعد السؤال أو الإقرار أو
الاستجواب بعد المناقشة في جميع
المسائل التي يرفعها الرأي العام المختلج
تحتها حتى يتناولها بهذا الشكل أو للتعريف
ويجب أن طرح أسئلة المناقشة على
الرأي العام دائما لاجل كونه فيها
أن تلك المناقشة التي صرح به رفعة
رئيس الوزراء أي قول الكونغرس
مجلس طلبت إلى رفعة الاستفسار
ضدنا للحلف - ووافق رفعة على
الطلب - كان تصرفا جيدا

لا يمكن أن أفهم أن العقيدة التي صدر
عنها مثل هذا القول تمتع بشر الاستجواب
بإثر المناقشة فيه من هذا ابن فليس معقول،
ولا يفهمي إلا أن المرح على حضراتكم
المسألة لتجودوا زانكم فيها ، فهي خضرت
بالعقيدة والزيك وتخلص بحزب
دون حزب ، واني لا اولفق ولا افر
للتصريح الذي ادى به معالي وزير
الشئون البرلمانية لانه يشهد حرية في

وقد فاض أن المكر لحذرناكم أنه
طرح يوسف الاستجواب لمن بنت
الرفقة نثره
حسرة الفصح المحرم أنظرون الجميل
بك - أرجو أن تقرأ حصة الزميل
المحترم من الاستجواب

الرئيس : لقد طلب مني المجلس
الكلمة قبل ذلك.

خزيرة صاحب المبنى محمد علي
علوية : يا ربنا ، ان وقع دولة للشيشون

النهائية (٢) = مقتران الخمسين :
المحترمين :

أرجو أن نتناش في هدوء حتى نصل
إلى الحقيقة.

أني غير متشع بالخلافة التي أباها
حضرة الشيخ المحترم الاستاذ يوسف
أحمد الجندي في جلسة أمس . ولكي
يطعن حضرة الشيخ المحترم أقول أنه
ذكر في جلسة ٢ أكتوبر سنة ١٩٦٦
سلطة الريب على الصحافة مسجلة
واسعة لأحد لها ، وأن من حق مجلس
الشيخ أن يروج ألا يكون لهذه السلطة
أثر في الأموال التي تتروك في هذا
الحس .

والفت نظر حشرناكم بنوع خاص الى
الميلة التي تلقى بها فكرة الشيخ
الحكيم « وعلى اية ابدية السلطة
في الاتوال التي تتوحد في هذا
الجلس « وقد اجابه رفعة شيخكم بطرس
الزوراد بان فلسفته انه سعيد ان يعلن
انه يشاكس الحضر الشيخ الحكيم الذي
في ان ما يلقى في هذا المجلس
الوزن ان يكون حلا للرجلة « ان حصل انقل
في بصر الشيخ الحكيم. وبين انفسه
ربيس رئيس الوزراء على ان سلطة
الرجلة لاتعد في يديهم بل في المجلس «
وقد نفدت السلطة هذا الودع « فلما
اتوا بمسائل ثلاث ارجوز ان تلفت انهاء
الامور « جويل الاجاب « وفي من مهم
جبل رؤساء المجلس « وقد اتفق على
ان توافق سلطة الرجلة على ان تقرر
الامام الذي يرسل من المجلس

الرئيس — إذا أتيتمنى جدول الأعمال
نص الأسئلة والاستجوابات، فما الذي
يعمل من جانب الرقابة ؟

جنرة صاحب المحلى محمد على
علوية باشا [وزير دولة للشؤون
البرلانية] به الرقعة مسترة على
ختمها في أن جدول الأعمال الذي يشمل
بعض الموضوعات التي تدرج على
المجلس بنشر برئته .

المسألة الثانية : هي أن كل مبتدئ
في هذا المجلس قد أطلق على أن ينشر
برئته . فإذا كانت المسألة أو استجوابات
يبيع المجلس تدوينها في مضابطه ، فحده
بأن الرقيب ينشرها .

أب السلسلة التلقية : وهي
الاستجابات وأمن نشرها : فلم تكن
محلا للتحقق بين رفعة رئيس الوزراء
أو عبارة أخرى بين الحاكم العسكري
وبين الشيخ المقيم المستجوب
لم يفتق على نشرها ؟ الاستجابات
التي لم تفتش بمدى الجلسي
تدعيث : ما حشرات الشيخ
الضيق : أن تكون هناك استجابات
البيوع الجلسي ينشرها وقد تكون هناك
استجابات أخرى ورفعت. أي جدول
الأصل ولكنها لم تفتش : وقد
تفتق نشرها لم تكن داخلية ضمن
الاستجابات

وعلى أن الرأي العام لا يمتنع أن يطلع على احوال جهة واحدة دون أن يطلع على احوال الجهة الأخرى ، وفي أن ينشر كل ذلك وتنتشر في منصف الجلس .

هذا من درجت عليه الرتبة ، فإذا كان حصة الرتبة الحضرية يريد أن تنشر الرتبة على غير ما اتفق عليه في جلسة ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٦ أو على أكثر منه . لعل ذلك ضرر جسيم من التناظر مودة ورفة رئيس مجلس الوزراء — بمسألة كونه الحاكم العسكري — للاطلاع به على شيء يخالف أو على أزيد ما اتفق عليه من قبل .

هذا رأي أصحبه على حضرتكم ، وهو يدل على أنني كنت بحثا في طلبة في جلسة أمس أن تعجل بمناقشة الاستجواب لئلا ينحصر رغبة رئيس مجلس الوزراء

حضره الشيخ المحترم حسن سبري باشا ، هو لو طبع اللامعة الداخلية كما يجب أن تعلق لا كما في حلية لهذا الجدل ، فإن المادة ٤٤ من اللامعة الداخلية تنص على ما يأتي :

« على العضو الذي يريد أن يستجوب واحد أو أكثر من الوزراء أو يتم إلى الرئيس ويكلم بكتوبا يوقعها أحد الاستجواب ، فيلزم الرئيس بتلاوة هذا البيان في الجلسة ويحدد المجلس يوم المناقشة في موضوع الاستجواب بعد ثمانية أيام على الأقل ، إلا إذا رأى المجلس الاستجواب ووافقه الوزير : »

عرض هذا الاستجواب بالأسس ولم يزل ، وليس هناك من حل لا نحن فيه إلا أن ينشأ هذا الاستجواب الآن ، ويبحث في حقيقة الجلسة وينشر في الصحف ، ويتبنى الأمر ، ولا داعي أن نحدد للناس أو نؤجل للمستقبل ، ويوافق هذا أو يجره ذلك .

المسألة في غاية البساطة لتكلمنا لما حصل بالأسس من أن الاستجواب لم يزل ، وقد حدثت جلسة ٢٠ ليل اليوم الاستجواب ، ولا كان علينا أن نعلمه بالأسس قبله لأن ما قلص من مساهمة رئيس المجلس أن يقرأ بتلاوة الاستجواب حضرة الشيخ المحترم الدكتور محمد حسين كحل باشا ، من حضرتكم إلى أعضاء المجلس ، هذه المسألة العروضة كما حضرتكم يوم قيام الجدل على أساس أن اتفاقا وقع بين هذا المجلس بناء على طلب حضرتكم المحترم الأستاذ يوسف أحمد الجدي وبين رغبة رئيس مجلس الوزراء — سواء أكانت حقيقة كونه رئيسا لمجلس الوزراء أو حكما مسكرا سوانا — قد سميت الآن حضرة صاحب المجلس الأعلى وزير الدولة للشؤون البرلانية قول : « لهذا يجب أن تنظر مودة ورفعة الحاكم العسكري للناظر في هذا الاتفاق على نقل على مدى توصيه أو تقييده وليسحو إلى حضرتكم أن الأول أن هذا

الاتفاق ليعتد بما يجوز أن يتناوله بصفة رئيس مجلس الوزراء أو للمصالحات العسكرية ، لأن انتشار الملائكة حتى يطلق لهذا المجلس قرره المصالحات ولا يجوز بأي حال من الأحوال بلسم الحاكم العرفية أو بأية صفة من الصفات أن يحدد أو اسم الحرب أو يتخذ هذا الحق حتى يكون هناك موضوع لتوصيته أو تقييده أو للحد من دهاءه . [حضرة صاحب المجلس بصورته غالب باشا وزير المواصلات :]

فلقد نص الدستور في المادة ١٥٥ على ما يأتي :

« لا يجوز لأي حال تطبيق حكم من أحكام هذا الدستور إلا أن يكون ذلك وفقا في زمن الحرب أو أثناء قيام الحاكم العرفية وعلى الوجه المبين في القانون .

وعلى أي حال لا يجوز تطبيق أحكامه البرلاني في فترات من استنفاد الشروط المؤثرة بهذا الدستور . »

فلا يجوز إذن تطبيق أثناء البرلاني ، والدستور صريح في أن أحكام البرلاني على ألا إذا استوجب الأمر السرعة فقررها أحد المجلسين ، وإذا فسر اجتمع على به وبخاصة إذا كان هو اجتماع الهيئة التشريعية ، أي مجلس النواب أو مجلس الشيوخ — فوجب أن تطبق للملائكة كل أحكامها في أوسع مدى يمكن .

فخلافا لما تقتضي على أن يجسده القانون إلى التشريعات ليسمى بما يجوز في أحد المجلسين من مناقشة ، فهذه التشريعات معدودة المسألة تطبيقها ، والوظائف تصرفها لا يكون معاد ما يصح لهم المكان ، ولو أن لنا أو الذين أو أكثر أرادوا التصور لهذا حتى لهم يقتضي حكم الدستور وإذا كان الواقع

يعني بأن تكون الملائكة المكتبة معدودة بطور حجية فإن الملقح اتفق عليه ، وينوع خلس في دور القضاء وأدبر البرلاني ، أن نص الملائكة حتى تتعلم هذه القيود المادية بكل الوسائل ، فهذه الجدران إذا كان من الممكن استسماها يجب أن يمل ذلك لتوفر أسباب الملائكة المؤثرة يقتضي أحكام الدستور . لهذا يقع في بعض التفهيمات كما يقع عند اتفاق خطب الحرب ، ألا يقتضي في الملائكة بالشرع بل دفاع الدامة فتكون ابتلاء من أعضائها إلى أعضائها كما تقول الفراج إيشا .

وبما أن الدستور قد نص على أن أعمال البرلاني يجب أن يكون مستترا يجب أن يقر على هذا كل أثر له ، ومن ذلك أن كل ما يقع في المجلس أن يكون علنيا ، لهذا لا نلجس بلحاذا للمجلس ولا يصح بتأنيده لك الجرمين كافة ، وكل كلمة نعال هنا لا تنولها إلا ليسمحوا الناس جميعا فيحكموا لنا أو

عليا ، ويتناوله على قرارات المجلس وأعمال الحكومة فيتلوا بأمرهم بها أن كتبت لها أو عليها .

لما أن تقيده بوجود اتفاق مع رغبة الحاكم العسكري وتقتضيه سلطة من الرتبة إلا كان ثوبا فاستند أن في هذا أعدها ولما على في الدستور ، وأخذت أيضا أن كل تحديد يمكن أن تتناوله الرتبة لأعمال هذا المجلس بل للجلسات أو بعد الجلسة أو في كل حين أو في كل ما أبلغت اللامعة الداخلية لشراء قبل المناقشة أن تأتيها : « لا تمتد إلى ما يجوز بحال من الأحوال ، والدستور تنص في المادة ٩٨ تنص صراحة على أن جلسات المجلس علنية ، أي أن نشر ما يجر فيها واجبيته أثناء قيام الحاكم العرفية ، وذلك على أن أولئك أنه يجب ألا تخضع لرغبة أي كان نوعها وسلطتها . أو عصايت عساك .

الرئيس : — ولك على نص المادة ٢٩ من اللامعة الداخلية على طريقي الاستجواب حضرة الشيخ المحترم الأستاذ لويس الفرج مونس ، فقد ظلت الكلية ، أن حضر حضرة صاحب مجلس الأستاذ إبراهيم عبد الهادي وزير دولة للشؤون البرلانية : »

الرئيس : — فليقتل حضرة الزميل المحترم .

حضرة الشيخ المحترم الأستاذ لويس الفرج مونس ، حضرتكم الاستجواب المحترمين له مسألة الاستجواب في أهم وأخطر المسائل في الدستور ، لتأمينا مسألة الاستجواب تطبق سلطة البرلاني على الوزراء ، وقد ورد على ألسان بعض من سبوتني من حضرتكم أن الزميل المحترم ما به منهم به أنه قد توجد هناك سلطة تحول دون عرض الاستجوابات على المجلس .

أناضركم حضرة صاحب المجلس المحترم : « فمضى التفرغينكا وزير المعارف الصومية : »

وقد أثير إلى أن عرض الرتبة أو لا عرض الرتبة في فترات من استنفاد الشروط ، أو لا يفسر هذا الكلام في الحقيقة ويكون به سبابة خطيرة ظلت الكلية وبين أنه ليس لأية سلطة الحق في منع إدراج على استجواب في جدول الأعمال إلا سلطة المجلس وحده ، وأن من الاستجواب حتى وأعلى لمعنى في زمن مجلس البرلاني ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الجديولة دون فتح حضرتكم الأعضاء بهذا الحق .

انتقل الآن إلى مسألة النشر فقلت أننا لنزال فنذكر الروح الطيبة التي بدت من رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكري عند نشر برسوم أحكام العرفية . فقلت أودع بكل إيلا أنه يريد أن يستعمل تلك السلطة الواسعة التي حولها له القانون تحت رغبة البرلاني ويتعاون مع مجلسه ، وكان من آثار ذلك تصريحه

الذي جاء فيه انه لا يمكن الرقابة ان
تعد باى حال الى مناقشات البرلمان
او تدن من حوية نشرها ، فإذا كان
هناك خطأ فهو من الرقابة في تعهم متى
هذا التصريح الذي ادلى به رغبة رئيس
مجلس الوزراء والمجلس المصري ،
فكانت الرقابة ان تضيف هذا التصريح
وارادته ان تحضره هيما على لفظ في
المجلس ، وهذا التصريح تضمن في تعهم
لروح التصریح وبمناه ،
وكان اجدر بالرغبة ان يجمع عنه ،
وان تسمى في مجلسها طيفا الروح التي
جرى عليها صلح الممان الرابع ورئيس
مجلس الوزراء والمجلس المصري في جميع
مصادره الخاصة بالمحكمة الدستورية وتضمنة
انه كان يلجأ الى الاستشارة بأمره لجنتي
الاحكام العربية في مجلس البرلمان ،
فكان يجب ان يوافق ان تتجلى على
هذا الخيال ، مسندة حسن هذا
الضمون ومن الروح الطيبة التي يمت
في كلام رغبة رئيس مجلس الوزراء ،
اما المسألة الخاصة بتدقيق الاستجواب
وامثال البرلمان فهي حق من حقوق
الامة كما هي حق من حقوق البرلمان ،
ان الامة هي الرقيب الاملى على أعمال
البرلمان الا يجب ان يمكن للمستعملة
ويسوئله من الوثائق على ما جرى من
الامالى من البرلمان لا ويضمن الترح
الذى يعمل بها من وكلا الهيئتين
في المجلسين حتى يمكن لهم ان يلمح
عند الجوع اليه في رأى من الاشارة
لذلك ارى انه يجب ان تكون هيئة دائمة
مكونة من اربعين امثالا للبرلمان
(مسبقا)
الرئيس - الآن يطرح الاستجواب
على الاستجواب لا وهذا لانه
ان اريد استجوابه وتتميم بصفته
رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للدخالية
بما اتفقته الرقابة من اجراءات متعلقة
في حق مصرية الشخصية والرائى في
مصر لا سيما بما كان اجدر مجلس
الشيوخ وبما جاء رأى املاكه في رغبته
المصرية المصرية في ان تكون الرقابة
على الشخصية بتصوره على التشريعات
المصرية والا فتكون للشيوخ الدخالية
للابد
ولكننا يجب ان نرجع الى اننا لا
يبنى على اجتناب هذه الطريقة المستندة من
مبنى الامة من الافكار التي يجب ان
الاستجواب
اولا لا يمكن الرقابة ، بل يمكن

ويكون شكلا ، كل نقد لامبال الرقابة
سواء اكان بدعلا بالوسائل السياسية
والصورية ، ام بالوسائل الاقتصادية
ورغم منسليا بالرفاق الجوية للبلاد
وتضمن انها جميعا يجب ما تكون من
الغرب وشؤونها
ثانيا : بلغ الأمر بالرغبة ان يمت
تشرائيت الرقابة والحكم الشعبية ،
ولو انه تفعل تصمم بنشرها في صفحة
خاصة بالادب ، فلما لقد امره منع
نشرها بتاتا ، وكذلك تمت جريدة الوند
المصري من نشر الايات التركية والحكم
ثالثا : وبما يثير الاسف ان الرقابة
في اجملها بصرية الرأى لم تكن كافية
حتى في توزيع هذا الاجمالي على
الصفحة ، فتمت للصفحة الحكومية
بالمرة ضد ضومها السياسيين ، في
حين انها لم تصح لصفحة المعارضة
بالمرة عليها الا في حدود الدفاع ولا في
حدود التلذذ البركة
وتضمن في استجوابنا بملج عديدة
من الملاحظات والتفريات التي بلغ نشرها
ما يدل دالة طلمة على ان بلغ النشر
قد ارضا به في جميع الاحوال اعضاء
الرقابة المصرية وسيلة لحماية الوزارة
نفسها من التلذذ الموجه الى تصرفاتها
ولكن لفظة الاعراض العربية او التعصية
الدستورية التي تؤديها جميعا
واله ليمزنا ان نقرر ان البلاد تملك
اليوم الكثير من دعاية الرقابة الجارية
ونرجع ان مصر مازالت بعيدة من ولايات
العربية فهي تكاد من هابيز الغنط على
حرية الرأى بل لم نجد له نظيرا في البلاد
التي أصبحت ارضاها مبادئ للتقال او
التي اشركت في المبرمامل كملتها
نزيقات القبطى وفروما من البلاد
التي تطلق
بصورة يسيرة ، يوسف احمد الجندى
1914
حشرة الشيوخ المحرم الانتخاب يوتف
احمد الجندى - المسألة التي انما
لا تنهى بتلاوة الاستجواب ، والى
اذا حشرة الشيوخ المقيم الدكتور محمد
صديق بىكلى بانها في جميع ما قاله
واقترع اليه ان التمكن الذى تم بين
المصرية والى مجلس في احدى جلساته
يقترع هذا الفن
اما ما يطرحه حشرة صاحب المسألة
محمد على : حطوية بياضا ، ولين للشئون
البرلمانية من اجراء هذا الموضوع حتى
يعود رغبة رئيس مجلس الوزراء من

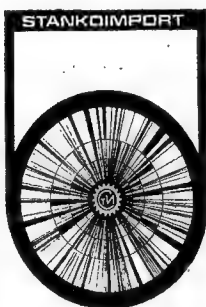
حزبه لا تلائم التفتيح ان قوله الآن
اننى لا اريد ان اطرح على المجلس هذه
المسألة لانها رايه فيها ، واتا اريد
ان كنت النظر الى ان اراء الجميع
تجده الى الا بعد الرقابة الى اصل
البرلمان ، وكل ما اريد من الحكومة
ان فصل على تحقيق ذلك ، ولا
يبلغ عدد من ان تفعل ذلك المسألة
من جديد عند مودة رغبة رئيس مجلس
الوزراء
الرئيس - نحن ان هذه المسألة يمكن
ان قسم الى الاستجواب الفلسى به
والحددة له جلسة 11 مارس المقبل
واعقد انكم توافقون على ذلك
(موافقة)
[٢٠] ٢٠ ابريل سنة ١٩١٤
[٣] مدى الرقابة على الصحافة
الثان قيام الاحكام العربية
[٤] الامور التي ملج الرقيب
العام نشر شيء منها القصاص
قيادها
[٥] الامران بصفته مصر مع
حقاقتها او مع الدول الاجنبية
[٦] ابعاد اسباب التفتيح بين
صفوف القوات المصرية او
قوات الحلفاء او القتل في
نقلهم او في شئون الصحة
والتنوير الخاصة بهم او
التعرض لتأدية واجباتهم
وكذلك ابعاد هذه الاسباب
بين صفوف القائلين بالعددية
العامة او حركتهم من اداه
واجباتهم او تحريضهم على
القبور على القيام بواجباتهم
الحضى على كرامة الحكومة
الثالثة والهيئات العامة في
مصر او اجراءها او اثاره
الغواير عليها
[٧] يت روح الكراهية العدا بين
مختلف الطبقات في مصر او
بين مصر وحلفائها
[٨] اثاره بخلاف وزعم الجيوش
او طائفة معينة منه
[٩] تفويضي دعائم الثقة العامة
في السلطة التشريعية والادبية
لمصر وحلفائها ، وكذلك منع
انتشار معلومات عن حركتها
الصالح او عدم كفاية الأمن
او اى معلومات اخرى يكون
من شأنها اثناء الحرب المعوية
في الحد

مؤسسة ستانكوامبورت السوفيتية

تورّد إلى مختلف أنحاء العالم ..
عدد القطع والتشطيب الماسية

- * أعظم كفاءة لتشغيل المواد الصلبة والقصفة: السبائك
الصلبة ، الجرانيت ، الرغام ، أمشابه الموصلة ،
الزجاج ، الخزف .
- * تشطيب متقن ، دقة متناهية ، عمر تشغيلي طويل
للعدة ، إنتاج ممتاز .

مجموعة كاملة من العدد الماسية عالية الجودة



- * أقراص التبايع الماسية .
- * أقراص القطع الماسية .
- * أقراص مشكلة "بروفيلر" ماسية .
- * أقراص تفويض ماسية .
- * أقراص تخمين ماسية .
- * معاجين ماسية .

All enquiries are welcome at:

V/O "STANKOIMPORT"

Moscow G-200, USSR

الوكلاء في ج.م.ع.م

شركة النصر للتصدير والاستيراد ٣٧ شارع طلعت حرب القاهرة

164/170/324/1126

ال
أ
المصر

شهادات استثمار

بمجموعاتها الثلاث "أ" و"ب" و"ج"

فيها الحل الأكيد لجميع مشاكلك في الحاضر والمستقبل

أ

اشتر
شهادات

المجموعة

لنضاعف أموالك
وتؤمن مستقبل
ومستقبل أولادك

ب
المجموعة

اشتر
شهادات

لنزيد دخلك
وتجابه أعباءك
في الحاضر

ج
المجموعة

اشتر
شهادات

لتغير موى حياتك
إلى الأفضل
بالتميز الوفير

يمكنك شراءها بمجموعاتها الثلاث من أي فرع من فروع
البنك الأهلي المصري وتوكيداً لجميع أنحاء الجمهورية

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيمياء
للجودة
والانطلاق

بانتاجها الجديد

أعلى نسبة في الآزوت وتضاعف
خيرات الأغذية الطبية وترفع
مستوى الإنتاج الزراعي

نتروكيما ٣١٪ آزوت

إحدى شركات المؤسسة المصرية
للغذاء والصناعات الكيماوية

شركة الصناعات الكيماوية المصرية كيما

مطالع الأسماء العجمية

الأممية



السنة السابعة - أكتوبر ١٩٧١

◆ برنامج العمل الوطني
الوثيقة الثالثة لثورة يوليو

الفهرس

العدد العاشر - السنة السابعة - أكتوبر ١٩٧١

■ **توعية المصركة فى التطبيق « الإفتاحية »**
لطفى الضوى ■

■ **برنامج العمل الوطنى - الوثيقة الثالثة لقورة يوليو** ١٥

□ **الموقع الفكرى والاجتماعى
والسياسى للبرنامج** □

١٦

- البرنامج : ضميمته وثائق الفصل من أجل تنفيذه

١٧ أبو مصطفى يوسف

- موقع البرنامج من وثائق القورة

٢٤

- الأهداف المبرومة : الوسائل ، الضمائم

٢٩

- الصلة العربية الوطنية : ملامح مشتركة للفصل ضد الإمبريالية والصندوق

٢٢ عبد الكريم حنى

□ **التنظيم السياسى والمنظمات
الجهادية فى البرنامج** □

٢٨

- التنظيم الطبى ضرورة بعد بناء الاتحاد الإثنائى

٢٩ مصطفى طيحه

- الحركة القومية المصرية وتضام الوقت

٤٦

- السؤال الذى يطرحه البرنامج على النقابات المهنية

٥٠ د. جمال العطينى

- مهامهم أصلية للحكم المحلى

٥٧ د. ولهم سليمان

□ **بمضى الأمسية للثقة التى
يطرحها البرنامج** □

٦٤

- رؤية شاملة للفصل التخطيط القومى

٦٥ أحمد حسن إبراهيم

- القطاع العلم ودينامية الإنتاج

٧٢ د. اسماعيل صبرى
ميد الله

- دور الآلية : مهمة لا تحل التحفيز

٧٩ ممدوح عبد الرحمن

- مشكلة التعليم وتقسيم التقدم الاجتماعى

٨٢ أديب ديمارى

- البحث العلمى : الواقع .. المشاكل .. الملامح

٨٨ د. محمد عجلان

- الدراسات الاجتماعية وتطوير المجتمع

٩٥ السيد يسى

- حرية الإبداع : جوهر الفن والفن

١٠٠ لطفى شمسى

- أهدافنا القوية : معركة سياسية اجتماعية

١٠٧ همنى حسين

- بناء المستقبل فى برنامج العمل الوطنى

١١٢ عبد القاب يوسف

□ **حول مفهوم «الثقة» فى البرنامج** □

١١٨

- بناء الإنسان الجديد

١١٩ لطفى فطيم

- أرض بخربة للقيم الوعية والإثنائية

١٢٥ محمد ممدارة

- القيم المجدية وتقسيم الإثنائية

١٣٠ لطفى جبرجى حنى

■ **٨٠ شهرا من حياة الطفلة**

١٣٢

- التقسيمية القومية

١٣٤ د. رلفت السعيد

- لسمك ديمسك ولدى دين

١٤٤ د. بطرس بطرس غالى

- قرايم حنا لطفى لطفى

١٤٦ د. كرايمى مقصود

■ **تفسير الشهر**

١٤٨

■ **وثائق :**

١٦٥

لطفى الكليل لطفى العمل الوطنى

الطليعة

طريق التفصيلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهريه

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعيد الدين

أبو سيف يوسف

د. اسماعيل صبرى عبدالله

د. جمال العطينى

د. رشيدى مسعود

د. عبد الرزاق حسن

د. لطيفه الزيات

د. محمد الخليف

محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كابل

■

عنوان المراسلات :

بنى مؤسسة الاحرام شارع الجلاء

القاهرة تليفون : ٩٦٩٤ - ٩٥٠١٥

٩٥٦٠ -

الإثرائات :

لمنى باليريد لطفى ج.ع.م. دول

احمد البريد المصرى ودول القار

الفيضان ١٢٠ قرايم

ورقة رأى

مع هذا العدد « ورقة رأى » تتوجه بها « الطليعة » الى اصنفائها • وذلك نى محاولة لاستكشاف آراء وانتقادات الاصنفاء • وهى على ثقة من ان الاصنفاء سوف يولون هذه الورقة • اهتمامهم • فهذا الاهتمام • فوق انه رصيد للفتة الذى تمتز به الطليعة • بفردى - اليوم - ونحن على اعتاب مرحلة جديدة • ضروريا لتوجيه المسار باستمرار نحو الطريق الصحيح •

و « الطليعة » تقدم « ورقة الرأى » الى الاصنفاء • مستلهمة الحكمة العربية القائلة : صديقك من صديقك لا من صديقك !

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر • وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلى ويستخلص وحدة فكرية أصيلة •

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لنيه كلمة بقولها - مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر - قد اختلف معك فى السراى ولكنى على استعداد لان اضع جيساتى لهما لحقك فى الدفاع عن رأيك • !

ليس بالآلم وحده .. يعيش الإنسان العربي [٢]

تحت عنوان «ليس بالآلم وحده ، يعيش الإنسان العربي» تعرضت «الافتتاحية» العدد الماضي ، الى مناقشة الخلل الخطير الذي كشفت عنه الاحداث الدامية الاخيرة في الوطن العربي ، بالنسبة لاسرار حركة التحرر العربية . ورويت «الافتتاحية» هذا الخلل الى أربعة تلتفتسات رئيسية ، هي :

● **التناقض بين ما هو «معان» من وحدة القوى الوطنية والتقدمية في البلد العربي الواحد ؟ وبين ما هو «كائن فعلا» من تهزق ويعثرة وتفتت .**

● **التناقض بين «القصصيات الرسمية» المصائرة عن السلطات المخططة في الدول العربية حول قومية المعركة ووحدة كل البلاد العربية في مواجهة الخطر الصهيوني = الامبريالي ، وبين «الأفعال» المحطبة لكل وحدة عمل ضد العدو ؟ ولو في ادنى الدرجات .**

● **التناقض بين «الوعي» بدرس الهزيمة الخاص بضرورة احترام انسانية الإنسان العربي ، كي تكون مشاركته حبيقة وخلاقة في المعركة ، وليست مشاركة المنفجر ، وبين «استمرار عمليات الانتهاك» للإنسان ومصادرة حقوقه وارتخاس حياته .**

● **التناقض بين «السمعي» الى جنب اكبر عدد من الأطفال الى صفوفنا وبين «قيام البعض بهمة معادية» ضد أقوى وأخلص الحلفاء جميعا ، وهو الاتحاد السوفيتي .**

وتناولت «الافتتاحية» بالعرض والتحليل ، التناقض الأول ، بكيفية مواجهته وعلاجه موضوعيا .

وتواصل افتتاحية هذا العدد ، مناقشة التناقضات الثلاثة الأخرى .

قومية المعرفة .. في التطبيق

لعل احدا من جيلنا - على طول الوطن العربي وعرضه - لم يعلم من «صناعة البراءة المدوية» ، لذلك السؤال الذي ما انفكت السنة اطفالنا ترمينا به ، منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ :
كيف أمكن لليونانيين ونصف المليون من البشر ، أن يهزموا مائة مليون في أقل من اسبوع ؟

وما زلتنا ، بعد مرور أكثر من أربع سنوات على يونيو الدامي ، نقف تحت وهج عيون
الطفالنا عرايا من كل شيء ، إلا بصمات الهزيمة - ومهما قللت أجهالنا التبيرية ،
بالصدق أو بالزيف ، فهي لا تقنع أصغر طفل من شعبنا .

فمين الطفل الصافية ، تلمح بوضوح متطهر من مسطحاتنا ، ذلك التناقض
الصارخ بين ما « قلناه » له ، وما « فعلناه » بأيدنا .

قلنا له - معلمين - الكثرة تغلب الشجاعة .

وفي الفعل ، شاهد كثرتنا تتبزيق وتتبعثر أمام نوع خاص من شجاعة عليبة منظمة ،
وغم بدائيتها المصرية .

قلنا له - مربين - الاتحاد قوة ، وحكيئالة قصة ذلك الرجل من الزمن القديم ، الذي
جمع أولاده وهو على فراش الموت ، وأعطى لكل ولد عصا فكمزها بسهولة ويسر . فلما
ربط العصي في حزمة واحدة ، لم يقدر أى منهم على كسرها .

وفي الفعل ، رأنا نقدم لأولاد « الرجل المريض » في مصرنا ومنطقتنا ، عصيا
مفردة ، تنكسر الواحدة بعد الأخرى .

وما زال أطفالنا حتي اليوم ، يسمعون قلنا صرخ في كل ركن من أرجاء وطننا العربي
بشعار « قومية المعركة » ، ولكنهم لا يلمسون - في الفعل - غير التناحر
والتطاحن فيما بيننا إلى درجة مسك الدماء . وذلك على مدى رقعة هائلة من
الأرض تفتش أكثر من عشرة ملايين كيلو متر مربع من أفريقيا وآسيا ، تمتد من المحيط
الاطلسي إلى الخليج العربي ، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى حدود السودان
الجنوبية .

وهنا - بالذقة - حيث يرى أطفالنا في بساطة حدة التناقض بين القول والفعل ،
يكن سبب جوهرى من أسباب هزيمتنا في ١٩٦٧ ، واستمرارها حتى اعتصاب مام
١٩٧٢ الذي أوشك أن يهل .

ربما يكون من المحال أن نطلب لميولنا صفاء عيون أطفالنا - فواقع الكبار أكثر
تعقيدا - كما ونوعا - من واقع الصغار - ولكن هل يستحيل علينا - على الأقل - أن
نعانى ، فكريا وعملا ، أزمة هذا التناقض - على المستوى القومى - بنفس العمق الذى
يحمى وجدان أطفال السبعينيات في وطننا ؟

لتحديد ، منذ البداية ، وجهة موضوعية المطلوب من هذا السؤال .

المطلوب - في اعتقادي - هو وحدة عمل لكل قوى الوطن العربى في مرحلة النضال
للانتماء على هزيمة ١٩٦٧ ، وهدم قوى العدوان المتمثلة أساسا في اسرائيل
الصهيونية التي تساندنها الاجبريالية الامريكية بالذات .

وتنصدد بكل قوى الوطن العربى - في هذه المرحلة - جميع طاقات البلاد العربية على
اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية .

وتنصدد ، بالمرحلة ، تلك الفترة الزمنية من التاريخ التي يستلزمها النضال العربى ،
السياسى والعسكرى ، لإجلاء الاحتلال من الأرض التي اغتصبت عام ١٩٦٧ ،
وشل « العدو » من القدرة على القيام بأعمال عدوانية جديدة ، وتمكين الشعب
ال فلسطينى - بنفس طویل - من مواصلة كفاحه التحررى المشروع .
وتنصدد بالعدو ، هنا ، المؤسسة العسكرية وبنياتها المصرى الاسرائيلى ،
والصهيونية المالية ، وقدره الاجبريالية الامريكية على التحرك بالمساندة العسكرية
والاقتصادية .

ويجب أن نعتزف أن هناك صماما جمة في هذا المجال - بيد أن مواجهتنا لهذه الصعاب
وتخطيها ، هو جوهر مسئوليتنا القومية بصفة عامة - ومسئولية القوى الثورية
العربية ، الأكثر قدرة على استيعاب حركة التاريخ ، بصفة خاصة .

ولعل في مقدمة هذه الصعاب ، ذلك التمايز الاجتماعي والسياسي بين النظم العربية . ويتجبرر آخر ذلك الصراع الاجتماعي الذي يشمل الوطن العربي كله منذ اتحاد حركة التحرر الوطني العربية بحركة الثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية عند فجر الستينيات .

وليس من شك في ان هذا الصراع الاجتماعي ، بشبوهه القوي ، لا يفسد فقط بين النظم العربية بعضها وبعض - كنول - بل وبين القوى الاجتماعية في جميع الدول العربية - كقطاعات .

ومن هنا يصبح من الضروري البحث في الواقع المصاصر عن مصلحة قومية موضوعية ، تفوق في وزنها ومجداها ، المصالح الاجتماعية التي يدور من حولها الصراع الاجتماعي الشاسل في هذه المرحلة . بحيث يمكن ان تكون هذه المصلحة الموضوعية بقلها القومي المشترك ، لـتوجنب نحو التجميع ، تقليب - مرحليا - على قوة الطرد التي تلعب عن الصراع الاجتماعي الدائلي .

ونستطيع ، في مرحلتنا هذه ، ان نثمر - ولقيا ومياميا - على هذه المصلحة القومية ، ذات القدرة على تجميع الاطراف المتصارعة ، في ذلك الخطر التوسمي الصهيوني - الامبريالي القائم فصلا والمحتمل في المستقبل ، اذا ما استتب الوضخ الانتهزامي للامة العربية على ما هو عليه الان .

فقد بات يلبسا - بحكم التجارب التاريخية - منذ الهجرة الصهيونية الاولى الى فلسطين حتى حرب الايام الستة في يونيو ١٩٦٧ ، ان للهدف الاستراتيجي هو بناء اسرائيل الكبرى ، فوق رقعة واسمة من الارض العربية ، تضم كل فلسطين والاردين واجزاء من لبنان وسوريا والعراق ومصر والسعودية . وذلك على مراحل عدوانية متتالية .

ومعنى ذلك ان سيادة كل بلد من هذه البلدان العربية - على الرغم من اختلاف نظرها الاجتماعية والسياسية - مهددة تهديدا فعليا ، في الحال وفي المستقبل .

ومعناه ايضا ، انه اذا تبكت الحركة الصهيونية - الامبريالية - من بناء اسرائيل الكبرى على هذه الرقعة الواسمة في قلب الوطن العربي ، فان كل الدول العربية - وحتى تلك التي لن تضم ارضا - سوف تصبح في ميزان القوى بالمنطقة - وقتئذ - مجرد دويلات صغيرة منهكة ، مستغلة ومقهورة ، تدور في فلك اسرائيل المثلثة للمصالح المصرية والامبريالية ، تدن لها بالولاء ، عسكريا وسياسيا واقتصاديا - بل ان بقاء العربي - كعربي - يغدو موضع شك . سواء اكان ملكا متوجا ام فلاحا محصيا ، وسواء اكان برجوازيا كبيرا ، ام عاملا لجيرا .

واجلاء الحقيقة الموضوعية لهذه المصلحة القومية في مواجهة الخطر الصهيوني - الامبريالي ، واستزراعها بوعي في وجدان الانسان العربي ايا كانت انتماءاته الاجتماعية ، من شأنه ان يحرك - بدرجات متفاوتة - كل الطبقات رغم صراعاتها الاجتماعية داخل كل بلد عربي ، وذلك في اتجاه الضغط على حكوماتها من اجل الالتزام بعد ادنى من وحدة العمل ضد الخطر القومي العام .

تعم . فالواقعية السياسية المحلية ، لا تتطلب - على المستوى القومي العام - اكثر من حد ادنى من وحدة العمل العربي ضد الخطر المشترك . ويمكن ان يقتتل ذلك في اربع نقاط محددة :

● **انتهاج خط سياسي موحد ، دبلوماسي - دعائي ، في مواجهة المجتمع الدولي بصفة عامة ، وفي مواجهة اسرائيل والولايات المتحدة بصفة خاصة .**

● **رصد نسبة ، تحوية محددة من الميزانية السنوية لكل دولة عربية ، تخصص للمجهود الحربي الخاص بجيوش البلاد التي تتحمل مسئولية المواجهة المباشرة ضد العسكرية الاسرائيلية - الامريكية . وذلك وفقا لحجم ومسئولية كل جيش فعلي .**

● لجراء نوع من التقسيم الموحد - ولو في اطار عمليات استراتيجية محدودة - لحركة النيجريين العربية المواجهة بصفة مباشرة للعدوان الاسرائيلي - الامريكى - وتوقيع عقاب جماعى ضد أى نظام عربى لا يلتزم بعملية التقسيم يصل الى حد القسامة والحصار الكاملين .

● المساندة المادية والسياسية لحركة التحرير الفلسطينية المسلحة ، باعتبارها الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى - واقرار حقها القومى فى استخدام الارض العربية من حول الارض المحتلة .

ومن هنا فنحن لا نطلب الحد الاقصى من وحدة العمل العربى القومى - بمعنى تجنيد شامل لطاقت كل بلد عربى ، يشريا ، وجيشا وامكانيات مادية فى المعركة - ولا نطالب بتضحيات كاملة ومتساوية فى الوزن والقيمة - فسيبيا - من جميع النظم العربية - وذلك كما حدث مثلا بين دول الحلفاء ضد الخطر النازى العام فى الحرب العالمية الثانية .

لا .. نحن - مع الاسف - أكثر تواضعا .

كان «الحلفاء» وقتها ، مجموعة من النظم المتصارعة اجتماعيا وسياسيا فيما بينها .. الولايات المتحدة الامريكية فى أقصى اليمين ، والاتحاد السوفيتى فى أقصى اليسار .. بيد أنها - بوعى مسئول تاريخيا - نمت فيما بينها وحدة عمل ، بأقصى درجة ممكنة من الشمول والتكامل ضد الخطر النازى المشترك حيث استهدف التحالف الوصول الى استسلام النازية الكامل دون قيد أو شرط ..

وإذا كان التاريخ قد أثبت إمكانية قيام وحدة عمل - بعد أقصى - بين دول الحلفاء فى مواجهة الخطر النازى فى اوروبا .. فإن بناء وحدة عمل - بعد أدنى ، ولا نقول بعد أقصى - بين الدول العربية فى مواجهة الخطر الصهيونى - الامبريالى فى السبعينيات ، يصبح إمكانية متاحة بدرجة أكبر .

لماذا نصر - تمت تأثير مخدر الجمل الثورية الفارغة المضمون - على اعداد درس التاريخ ، وتحديد معطيات واقمنا ، ودفع مسيرتنا الى حافة الانتحار ؟! ان ما بين البلاد العربية - فى ناحية - من اواصر قومية ، تقوم على أساس وحدة اللغة والارض ، والمصالح الاقتصادية والقرائى والتكوين النفسى والروحى المشترك .. حتى ليمهر من شعوبها أمة واحدة ، أعق بكثير مما كان بين دول الحلفاء ذات القوميات المتعددة المتميزة .

فخلا عن ان الخطر الصهيونى الامبريالى - فى ناحية أخرى - يهدد مستقبل وطبيعة البلدان العربية ، بما لا يقاس مع خطر النازية ازاء دول الحلفاء وتذاك .

وما يرح التاريخ بملئنا المرة بعد المرة ، دون ملل من التكرار ، انه فى حالة تبلور مصلحة قومية عامة ازاء خطر عدوان داهم من الخارج ، فان الصراع الاجتماعى - مع استمراره - لا يحول دون وحدة جميع القوى المتصارعة ضد هذا الخطر .. بل ان بناء الوحدة القومية ضد هذا الخطر ، هو الذى يحكم ويحدد اطار ووسائل الصراع الاجتماعى ويضبط إيماده ومناه بحيث لا يؤدى الى تحطيم الوحدة القومية .

ففى شتات اليوم ، جبهة قومية موحدة ضد العدوان الامريكى تضم جميع القوى الحامية للاستعمار والامبريالية ، ابتداء من رجال الدين البونيين والبورجوازيين حتى الشيوعيين .

وبالامس فى فرنسا ، خلال الاحتلال النازى فى الاربينات ، تشكلت جبهة قومية لمقاومة العدو ، شملت كل القوى والأحزاب - على الرغم من صراعاتها الاجتماعية والسياسية - ابتداء من رجال الدين الكاثوليك والديجوليين والاشتراكيين الديمقراطيين حتى الشيوعيين .

ما أريد أن أؤكد عليه من وراء ذلك كله ، أن تجارب التاريخ الإنساني تكشف عن أن الصراع الطبقي - سواء في حدود مجتمع كبير أو صغير - لا يمنع من وحدة كل القوى الاجتماعية المتصارعة في وحدة عمل لمواجهة خطر داهم خارجي ، لا تستطيع قوة واحدة بمفردها التصدي له . ويكون هناك في نفس الوقت مصلحة مشتركة للجميع في دحر هذا الخطر باعتباره أولوية تسبق كل مآعداها من أهداف اجتماعية أو سياسية بالنسبة لاستراتيجية كل قوة على حدة .

وقف على أكثر القوى تقدما - فكريا واجتماعيا - مسئولية الدفع في هذا الاتجاه الوجدوى إزاء الخطر العام الداهم ، وذلك بحكم مبدأ وعمق وشمول نظرتها الاستراتيجية . الخفة في الاعتبار دوما أن بناء وحدة العمل - سواء بعدها الأدنى أو الأقصى - هي في النهاية عمل سياسي من صنع قوى مختلفة ، تتبع عن زوايا ومصالح مختلفة ، وكل قوة - بالضرورة - تحاول أن تكسب من هذا العمل السياسي إلى أقصى درجة وتنزل بخصائرها وتنازلاتها إلى أدنى درجة . بيد أنه في النهاية لا مفر من حساب الأرباح والخسائر بالنسبة لكل قوة .

ومن هنا فإن التحدي الذي يواجه أكثر القوى تقدما في وطننا العربي ، وهي تواجه مسئولية المبادرة لبناء وحدة العمل العربي ، أن تبتكر من المبادرات الممكنة والمقبولة ما يدمج من المواجهة القومية للخطر العام من ناحية ، ويحافظ دائما - من ناحية أخرى - على ضمان استمرار حركة التقدم التاريخية ويجنبها الانتكاسات وأن تباطأ - بالضرورة - معدل سرعة الحركة ذاتها .

والابتكار الثوري ، ليس خلتنا من العدم - أو تسجنا تجريديا لإردية تضخامة أو ضيقة . وإنما هو استلزام علمي للواقع العملي وظروفه الخاصة . وذلك طبقا للمبدأ القائل بأن السياسة هي فن الممكن واقعا بهدف التحرك نحو تغيير هذا الواقع .

وفي واقعا الزمان ، تتواجد مجموعتان أساسيتان من الدول العربية .

أولاهما : مجموعة الدول التي اصطلح على تسميتها بالنظم التقدمية .

وثانيتهما : مجموعة الدول التي اصطلح على تسميتها بالنظم المحافظة أو الرجعية .

ولذلك على تفاوت في درجات التطور والتخلف بالنسبة لبلاد كل مجموعة .

ولكي لا نفلت نلذغ من نفس الجحر مائة مرة ، يجب أن نستبعد النظام الأدنيستي الزمان تباعا من حساب المجموعتين ، وبالتالي من حساب وحدة العمل العربي واجتسابه - استراتيجيا - نسي صف العنق . ذلك أن حركة الأحداث الدامية في الوطن العربي قد اثبتت بمشاركة هذا النظام لإسرائيل وللولايات المتحدة الأمريكية في خطة موحدة معادية للمصلحة القومية العربية حتى في أبسط مهورها الوطنية . وبذل على ذلك حملات الإبادة المتكررة ضد المقاومة الفلسطينية والاتصالات المبرية مع قادة الصهيونية والعدوان في إسرائيل ، فضلا عن تغلق الإسلحة الأمريكية إلى الأردن بكميات هائلة دون ما أن يتحرك جفن عين واحدة في إسرائيل بالاعتراض . في حين أن طائرة بهيج واحدة ، تصل لمصر أو لسوريا تصيب الجسد الإسرائيلي العسكري كله بالهستيريا .

وتمة ظاهرة خاصة تتصل بالواقع العربي الزمان ، وهو أن الهجوم الصهيوني - الإمبريالي ضد الوطن العربي يتأرجح منذ الخمسينيات بين استخدام وسائل الاستعمار القديم بمعنىها المزدوج ، وبين استخدام وسائل الاستعمار الجديد لاحتواء السياسات والاقتصاديين كلها ليكن ذلك . ومنذ عام ١٩٦٧ فإن الإمبريالية قد عادت إلى استخدام وسائل الاستعمار القديم ، والاستعمار الجديد في آن واحد . ورغم أن هذا الأسلوب المزدوج قد تميز بالمراسلة والخدمة معا ، وحققت بذلك بعض النجاحات الهامة نسبيا . إلا أنه في نفس الوقت قد فتح عين قوى اجتماعية متميزة على الخطر الاستعماري . وهو خطر ، كانت هذه الطبقات تعتبره تدرجاً ، وتداولاً انتعاش أو إيهام الجماهير الشعبية المناضلة أنها تكافح عدواً وهمياً لم يعد له

وجود . ويتسولد من ذلك ، في المرحلة الراهنة ، لرضية شعبية تنسج باستمرار
لوجهة هذه الظاهرة الخاصة ، تتبلور عنها قوة ضغط متزايدة على حكومات البلدان
الحافظة والرجعية .

وهناك بعد ذلك ظاهرة النضوخ الثوري ، القومي الجديد للشعب الفلسطيني في حركة
مقاومة مسلحة ذات فصائل متعددة . دفنعا الكبت والتجزؤ زينا طويلا من ناحية ، وعقب
هزيمة ١٩٦٧ من ناحية أخرى ، الى تصور امكانية تخطي المراحل الاستراتيجية
القصيرة المدى ودمجها - نظريا وعمليا - في مرحلة استراتيجية واحدة تنتهي بتحرير
فلسطين في ضربة واحدة ، الامر الذي عرضها - مع تريض القوى الرجعية
والاستعمارية - الى صدمات عنيفة ودامية . ولكنها - ورغم كل ما يبدو على
السطح - لمسكت بتوازنها وأسرعته التي حماتها كادرها ومراجعة خططها
الاستراتيجية على ضوء التجربة والواقع . ومن هنا تلاحمت حركة التحرير الفلسطينية
بحركة التحرر الوطني العربية بصورة أعمق ، متخطية العديد من التناقضات
الفرعية التي كانت قائمة ، والتي سببت ارتباكات في الحركة العامة للقوى التقدمية
العربية .

والسؤال الآن : كيف يمكن في إطار هذا الواقع الراهن للوطن العربي بظروفه
وظواهره الخاصة أن يثني وحدة العمل العربي . . . ويقعير آخر ماهي الصياغة
الملائمة ؟

في اعتقادي ، أن الصياغة الملائمة والممكنة ، هي بناء وحدة عمل بين كل النظم
العربية على اختلاف اتجاهاتها باستثناء النظام الأردني . وذلك من حول برنامج
النقاط الأربع التي سبق عرضها . ولكن نوفر لهذه الوحدة عمودا فكريا ، وسمانا
موضوعيا لاستمرارها في الاتجاه الصحيح ، فإن الامر يتطلب أن تقوم القوى
الوطنية التقدمية في البلاد العربية ببناء جبهتها والتعامل كطرف واحد متماسك مع
بقية القوى الاخرى على المستوى القومي .

وإذا كانت وحدة العمل العربي ، على أساس المصلحة القومية المشتركة إزاء
الخطر الصهيوني - الامبريالي الداهم ، تضم بالضرورة البرجوازية الكبيرة ، كبار
ملاك الأراضي كطبقات حاكمة ومسيطرة في بلادها . وهذا هو حكم الواقع . . . فسان
تعامل القوى الوطنية التقدمية من خلال جبهتها كطرف واحد متماسك مع وحدة
العمل العربي القومي سيقدم ضماما موضوعيا لعدم تسلط البرجوازية الكبيرة
وكبار الملاك على مسيرة الحركة العربية . ذلك أن جبهة القوى الوطنية للتقدمية لا تضم
بطبيعتها سوى العمال والفلاحين والمتقنين الوطنيين والثوريين والشرائح التقدمية
من البرجوازية الصغيرة . أي كل القوى المؤهلة تاريخيا لمنع حركة التقدم الاجتماعي
والاقتصادي في واقعنا العربي .

ولعل مثل هذه الصياغة لوحدة العمل القومي من شأنها أن تجنبنا الوقوع ، مرة
أخرى لسرى الدائرة المفرغة لمؤتمرات القمة . ذلك أن صياغة مؤتمرات القمة
اقتطعت دوما وجود عمود فكري تقسيمي متماسك .

خلاصة القول أن « قومية المعركة » في التطبيق تستلزم العمل المكثف على صعيدين
في وقت واحد ويتفاعل مضمون :

● هدف اثنى من وحدة العمل القومي بين كل النظم والقوى العربية على اختلاف
اتجاهاتها .

● وحد اثنى من وحدة العمل الثوري بين كل القوى الوطنية التقدمية من خلال جبهة
متماسكة ذات خطة استراتيجية مرحلية واحدة .

ومن هنا فإن وحدة القوى الوطنية التقدمية - ابتداء من الشرائح التقدمية
للبرجوازية الصغيرة حتى الماركسيين - ليست ضرورة تحتمها حركة الثورة العربية
بأنفائها الاشتراكية فحسب ، وانما هي أيضا شرط جوهري لبناء وحدة عمل منتجة
ومعالة لكل القوى القومية ضد الخطر الصهيوني - الامبريالي .

وفي اعتقادي : أنه يمثل هذا الأسلوب الجبلي في العمل ، يمكننا أن نصالح موضوعيا ذلك التناقض القائم بين شعارقومية الحركة وبين الأعمال المضحمة لكل وحدة عمل ضد العدو .

نمو منظمة عربية لمقاومة الإنسان

لعل أول درس تلقيناه عن هزيمة ١٩٦٧ ، هو أن الإنسان العربي - فردا وشعبا - لم يتح له أن يوظف قواه وطاقاته في خدمة الحركة . باختصار كان غائبا .

ولغايه أسباب كثيرة . . تتعلق بطبيعة النظم السياسية والمناخ الديموقراطي والعلاقات بين الشعب والجيش الخ . . بيد أن ما يهمني التركيز عليه هنا هو ذلك السبب الذي دمر انسانية الإنسان العربي ودفع به إلى التغرب عن ذات وطنه ، وألم بالتألي قضااته للخلافة عند مواجهة العدو .

ويكمن هذا السبب ، أولا وأخيرا ، في تلك الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان وحرية في التعبير عن رأيه ، وقيام السلطة بإضفاء الشرعية على هذه الانتهاكات . بحيث أصبح الانتهاك هو القاعدة العامة ، وممارسة الحق الانساني في الحياة هو الاستثناء .

وفي عديد من بلدان العربية تكلست عند السلطة مجموعات من مراكز القوى البيروقراطية ، نشرت دكتاتوريتها البيروقراطية بارادية شورية وشعارات اشتراكية . وراحت - يوعى وبغير وعى - تصادر حقوق الإنسان في الشعب ، ولجيم حرية التعبير والنقد وخاصة تلك التي تنطلق من أرضية تحررية واشتراكية ، وتضمن السجون والمعتلات بكل مواطن يحاول أن يمارس حقوقه وحرياته الانسانية ، وتستخدم أسلوب عصايت شيكاغو والماني في الإبتزاز السياسي والاجتماعي ، وتهتر الأمن الشخصي للمواطنين فتستبيح اسرارهم الشخصية والعائلية ، وتبثر آذان التصنت والفصلي في البيوت والمكاتب والمحلات العامة . وتتحكم دون مسوغ قانوني أو مهني أو اقتصادي أو اجتماعي في لقمة عيش الإنسان بالمنع والمنع . وتطالب الإنسان - تحت شعار الالتزام بالولاء الفردي لها بدلا من الولاء الموضوعي ، الوطني والاجتماعي . ومن هنا أصبح قبول الإنسان للمبودية ، فكرا وأسلوبا وعلاقة ، هو شرط ثمته يحقق المواطن المادية كميوان بشرى .

وانعكس هذا التدمير لانسانية الإنسان في المجتمع على الجيش فتجمعت عند القمة مجموعة صغيرة من البيروقراطية العسكرية أفرغت الجندى والضابط من طاقاته ومشاعره الانسانية ، وغربته عن وطنه وجيشه مما .

ومن خلال هذا كله تكونت - في المجتمعات العربية - تلك الشرائع الصندة اجتماعيا وسياسيا التي عزلت إلى حد كبير القيادات الثورية ، عن الجماهير الشعبية .

وحينما انفجرت حرب الايام الستة ، كانت الحركة في حقيقتها هي معركة هذه الشرائع الصندة اجتماعيا وسياسيا التي تكونت مراكز القوى البيروقراطية في قمة السلطة السياسية والقيادة العسكرية . وكان طبيعيا أن تهزم في غياب الجماهير الشعبية التي استلبت منها حقوقها الانسانية وقدرتها على الحركة الجماعية للخلافة . لكن للجماهير ، ما أن لمست عمق الهزيمة ، وتحطمت مراكز القوى البيروقراطية إلى قلب الوطن ومسيرة حركته التحررية ذات الافاق الاشتراكية ، حتى حطمت قيودا واستمادت روحها الثورية الانسانية وانطلقت ، بقوتها الخلافة ، في وجه العدوان فاقفت تقدمه واقامت من نفسها جدار الصمود العظيم .

وعبرت الصحة الانسانية للجماهير العربية في وجه العدوان ومراكز القوى البيروقراطية عن ارادتها في :

- احترام حقوق المواطن وحرياته .

● سيادة القانون *

- دفع حركة التقدم الاجتماعي على أساس المشاركة المصنولة للجماهير *
- استبدال الولاء الفردي ، بالولاء الموضوعي لاهداف حركة التحرر العربي بأفانها الاشتراكية *
- وقف كل انتهاك لانسانية الانسان واطلاق ملكاته الخلاقة فى كل مجال *

وتتخلل تلك الصلوة فى كثر من شكل ، وتحدث بالتالى طرق نضالها . وخلال حركة الله والبعزء ، أمكن تحقيق بعض المكاسب . غير أن المراكز البيروقراطية استطاعت - بمعدل مرعة لكث - أن تستعيد قدرتها على الحركة والتسلط . ولكنها ووجهت ، هذه المرة ، بويحكم جو المعركة الوطنية ، بمقاومة جماهيرية متزايدة أمكن معها محاصرتها ومزملها . ولكنها فى مواقع أخرى تسلمت بالعنف الدبوى الذى استرخص حياة الانسان بدرجة لم يسبق لها مثيل . وذلك بامسحماية النظام او الوطن او الثورة الخ . * تلك الشعارات ذات الكلمات التى انتهك شرفها وغالت فى بهرجة وجوها *

وهكذا تواجه من جديد ، ونحن على اعقاب مواجهة فاصلة مع العدو ، ذلك التناقض بين الوعى بدرس الهزيمة الخاص بضرورة احترام انسانية الانسان العربي وبين استمرار عمليات الانتهاك للانسان ومصادرة حقوقه وارتخاض حياته *

إن المعركة - سواء مع الخطر الصهيونى - الامبريالى أو مع التخلف أو مع الاستغلال - هى أولا وأخيرا معركة الانسان . فالانسان اثن راسمال واتوى سلاح .

وجود قوة الانسان ، هو انسانيته

ومادام الابريمتعلق بالوطن العربي ككل ، وبالانسان العربي أيا كان موقعه أو فكره أو وضعه الاجتماعى ، فإن عملا منظما على المستوى القومى يجب أن يبذل - بصرعة وحسم - لوقف ذلك الانتهاك للقوة الخلاقة فى الانسان العربي وتوفير مظلة حماية قانعة وفاعلة باستمرار *

ومن هذا فنحن نطالب بتكوين « منظمة عربية لحقوق الانسان » ذات ميثاق محدد الاهداف والوسائل ، على أن تستند هذه المنظمة فاعليتها من القوى الشعبية بمختلف منطلقاتها السياسية والتقابلية والجماهيرية . وتتصدى لمحاربة أى انتهاك لانسانية الانسان فى أى مكان من الوطن العربى . وذلك باعتبار أن هذا الانتهاك يشكل جريمة فى حق السلامة الوطنية وفى حق مسيرة حركة التقدم الاجتماعى والسياسى فى وقت واحد . ويحيث فتمنع والى الأبد ، تكرار تلك الأحداث الدامية الاخيرة فى الوطن العربى ، التى تناولت انتزاعنا - حضاريا - من القرن العشرين وردنا الى عصور محاكم التفتيش المسيحية وجاهلية ما قبل الاسلام *

والحق أن ممارسة الوعى بدرس الهزيمة الجوهري ، يتحدد فى أن يكون الانسان العربى ، بكل جلاله وقوته وملكاته ، حاضر احضورا حقيقيا فى كل مواجهة ضد العدو أو ضد التخلف على حد سواء *

العداء للمؤفيت .. عداا لمركة التحرر العربى

يكشف الصراع العربى - الاسرائيلى ، وما يستقطبه على جانبيه من قوى ، أن حركة التحرر الوطنى العربية تواجه من خلف القوة الضاربة للمنتصرية الاسرائيلية ، الامبريالية المالية ، وبالذات الامبريالية الامريكية ، وهذا طبيعى ، بحكم اتفاق

للمصالح الاستراتيجية والتكتيكية بين الحركة الصهيونية وبين سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة .

ومن الطبيعي أيضا - في المقابل - أن يجمع عند الطرف العربي من الصراع كل القوى المعادية للعدوان والصهيونية والإمبريالية .

ومن هنا، توجد الاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية - مابدا ومعنوا - في جانب حركة التحرر الوطني العربية . وهو تواجد يحكمه ويمليه الخط الاساسي للاستراتيجية الاشتراكية في المجتمع الدولي منذ قيام الاتحاد السوفيتي بعد انتصار ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ ، ونمى به خط التحالف بين القوى الاشتراكية وقوى حركة التحرر الوطني في العالم ، ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية .

وطالما أن الطابع الغالب على الحركة في المجتمع الدولي - اليوم - هو الصراع بين النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي . فان التحالف بين السوفيت وبلاد التحرر الوطني هو قضية مبدأ ومصلحة مشتركة في نفس الوقت .

فالنظام الاشتراكي يعني فيما يعنى تصفية القوى الاستعمارية والإمبريالية وفتح الطريق وأماما أمام التقدم الانساني .

والنظام الرأسمالي يعني فيما يعنى السيطرة الاستعمارية بجميع صورها السياسية والاقتصادية والعسكرية وتصفية حركة التحرر الوطني العالمية .

وتقطع التجارب التاريخية المصنوعة ، بصوق وحبوة ، قيام الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية في ممارسة مسئولية هذا التحالف وتحمل العديد من التضحيات دون أي نظرة نفعية أو استغلالية . وذلك ابتداء من تسليح الحركة الوطنية بمختلف الأسلحة الحديثة ، الى المعونات الاقتصادية والفنية ، الى المواقف السياسية الحاسمة في المجال الدولي .

ونتيجة لهذا التحالف فان عدوان ١٩٦٧ لم يتسكن من تحقيق أهم أهدافه ، وهو ضرب حركة التحرر الوطني العربية وشل حركتها الاجتماعية والسياسية في المنطقة .

وبسبب هذا التحالف أيضا لم تنجح - حتى الآن - محاولات فرض الحلول الأمريكية - الاسرائيلية على الأمة العربية وهم استمرار الاحتلال الصهيوني .

ولعل في مقسمة أهداف الخطة الاستراتيجية الأمريكية - الاسرائيلية اليوم هو اضعاف روابط التحالف السوفيتي العربي ، أن لم يكن قصمها تماما . وذلك حتى يمكن للإمبريالية الأمريكية أن تحتوى حركة التحرر الوطني العربي لصالحها ولصالح إسرائيل ، أداتها البوليمية في المنطقة .

ومن هنا يغدو من أهم الاهداف الاستراتيجية لحركة التحرر العربية - هو على العكس - دعم وتوطيد التحالف السوفيتي العربي وزيادة فاعليته . وذلك في إطار الاحترام المتبادل وعلى أساس قاعدة عدم التدخل في الشؤون الداخلية لى من الجانبين . وهي قاعدة أكد الاتحاد السوفيتي دائما تبسكها في علاقاته الدولية

وانطلاقا من هذا الفهم ، لواقع وطبيعة المعركة واستقطاباتها الدولية فان انتهاز سياسة معادية للسوفيت والبلدان الاشتراكية في الوطن العربي ، هو ضربة موجبة في الأساس لحركة التحرر الوطني العربية قبل أن تكون موجبة للتصوي الاشتراكية .

إن القوى الاشتراكية - في العالم - تستطيع أن تستمر في مواجهة الإمبريالية العالمية ومقاومتها بدون حركة للتصوير الوطني . ولكن حركة التحرر الوطني لا تستطيع بدون دعم ومساندة القوى الاشتراكية أن تستمر في مواجهة الإمبريالية

العالية ومقاومتها متواصلة وعفالة . وأبسط حساب لموازن القوى العالية الماصرة يكشف عن هذه الحقيقة .

ولهذا فإن حركة التحرر الوطني العربية تخون نفسها وأهدافها أول ما تخون ، عندما تسمح بممارسة سياسة معاداة الموحدين والبلدان الاشتراكية في صفوفها .

وإذا كانت حركة التحرر الوطني العربية في صراعها مع الصهيونية والامبريالية تسعى اليوم ، بكل قوة الى جذب أكبر عدمن الحلفاء الى صفوفها بل وتحيد عدد من القوى الدولية في العالم الغربي كلما أمكن ذلك ، بهدف عزل التحالف الاسرائيلي - الامريكي سياسيا في المجال الدولي . فانهم يبدو تصرفا سياسيا سلفيا الى اقصى حد ، ان تنف مكتوفي الايدي امام قيام البعض بعملية ضد اقوى وأخلص الحلفاء جميعا وهو الاتحاد السوفيتي .

ان جهدا مكثفا وواعيا ، على كل المستويات الواعية بمسئولياتها في المعركة ، رسميا وشعبيا ، يجب ان يبذل لتعريف حقيقة العداء للسوفيت من حيث أنه ، في جوهره عداء للقدرة الحركية الوطنية العربية على استمرار مسيرتها التوسعية . والدعوة الى معالجة ما يثور خلال ملاقات التحالف من خلافات في الرأي والمواقف - وهذا بطبيع - بمنطق الاندقاء الذين تجمعهم جبهة تاريخية واحدة .

ويعد . . .

ان الالم الهزيمة التي اوقعها العدو بنا ، والهزائم التي مابرحنا نوقعها نحن بانفسنا ، لا يجب ان تنص مائيتنا ونهيننا - بالياس الذاتي - عن التحرك الجماعي لمواجهة تناقضات واقعا الراهن ، مواجهة علمية المنهج ، ثورية الطاقة . ويقتد انتصارنا على هذه التناقضات يكون انتصارنا في المعركة .

الجمهورية

برنامج العمل الوطني الوثيقة الثالثة ثورة يوليو

« برنامج العمل الوطني » الوثيقة
الثالثة ثورة ٢٣ يوليو ، والتي
قدمها الرئيس أنور السادات إلى
المؤتمر القومي العام للاتحاد
الاشتراكي العربي وأقرها المؤتمر
في ٢٣ يوليو الماضي ، هي موضوع
الدراسة الرئيسية للطلبة .

أن الاهتمام الذي توليه الطلبة
لدراسة هذه الوثائق لا يرجع لحسب ،
إلى أن الطلبة طالما تابعت بالدراسة
والنقاش أهم قضايا الداخلية
والقومية ، بل لأن « البرنامج »
— في المحل الأول — هو الوثيقة
المرشحة لأن تحكم مجموع النشاط
السياسي والاقتصادي والاجتماعي
والثقافي لعشر سنوات مقبلة .

وإذا كنا لا نزع أن كتاب الطلبة
قد قالوا كل شيء في كل قضية
طرحها البرنامج ، إلا أن الأمر المؤكد
هو أن الطلبة حاولت أن تناقش
معظم القضايا التي تعرض لها .
وتتقسم الدراسة إلى أربعة أقسام
يجب كل منها على سؤال محدد :

- ١ — ما هو الموقع الفكري
والاجتماعي والسياسي للبرنامج ؟
- ٢ — التطلعات السياسية
والمنظمات الجماهيرية التي التي
البرنامج عليها مسئولية الفضل من
أجل تنفيذ الأهداف المطروحة .
- ٣ — بعض الأسئلة التي يطرحها
البرنامج . هنا نبحت عن الدراسة
عن الحلقة الرئيسية في كل قضية
من القضايا المطروحة .

٤ — وإذا كان البرنامج قد ركز
على أهمية بناء الإنسان الجديد فإن
القسم الرابع والأخير يجب على
سؤال حول مفهوم القيم فيه



الموقع الفكرى والاجتماعى والسياسى للبرنامج

- ☐ الجديد الذى يطرحه البرنامج
- ☐ موقع البرنامج من وسائل نورة ٥٢
- ☐ الاهداف المطروحة . . ووسائل التحقيق
- ☐ الصداقة العربية السوفيتية : سلاح مشترك
- ☐ للفضال ضد الامبريالية والمعدوان

وتأبيتها إسرائيلاً • وفي مواجهة هذا العدوان
تحديد مطلب الشعب في تحرير كل الأرض المحتلة ،
دون تقييد ، ولدون تنازلات تمس الاستقلال الوطني
أو تمس خط البناء الاقتصادي والاجتماعي المستقل
الذي سلكته مصر خصوصاً منذ عام ١٩٦١ •

● والبرنامج يصدر بعد مرور عشر سنوات
على صدور قوانين يوليو ٦١ التشريعية وما نصت
عليه ، وما تلاها من اجراءات جزئية في مجال
الاقتصاد ، واجراءات هامة اجتماعية ترتب عليها
اعطاء مضمون جديد لقضية الوحدة الوطنية ،
وانوع الحلف الوطني الشعبي المدعو للتصدي لها
مرحلة جديدة من مراحل ثورة يوليو • وهذه
الرحلة الجديدة كانت في مركز الاهتمام في
وثيقتين من وثائق ثورة يوليو هما « الميثاق »
وبرنامج ٢٠ مارس •

● والبرنامج يصدر مباشرة في أعقاب فترة
شهد فيها الوضع الداخلي تأزماً وتعقيدات بالغة •
وتناقضات وصلت الى ذروتها في الايام التي
سبقت ١٥ مايو • وفي هذه الايام - كما نذكر -
تمرضت الوحدة الوطنية الداخلية لتصدعات •
رتفتت البلبلة الفكرية الى حد الخطر •

● والبرنامج يصدر في بداية فترة ركن فيها
النظام القائم على اعادة بناء المؤسسات السياسية
والجماهيرية ، واعادة تنظيم جهاز الدولة • في
هذه الفترة جرت انتخابات الاتحاد الاشتراكي
والنقابات العمالية والمهنية ، وصدر التصديق
الدائم الذي اثار الى ضرورته بيان ٣٠ مارس •
وبحسب تعلم انه في الظروف التي اعيد فيها تشكيل
بعض المؤسسات عبرت حركة الجماهير تمييزاً
صرحاً عن اتجاهات قوية لا سبيل الى تأويلها أو
التحويل من حيثها : حرية التنظيم والتعبير ،
والاصرار على المضي قدماً في سبيل حماية وتوسيع
المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية • لا يغير من
هذه الحقيقة المحاولات المحمومة التي بذلتها قوى
الرجعية واليمين المحافظ ، تحت شعاراتها الخاصة
« بالحرية » و « الديمقراطية » للانقضاض على
الشعارات الاساسية الوطنية والتقدمية لشورة
يوليو •

هذه الظروف والملايسات السياسية
والاجتماعية التي احاطت وتحيط بصدور « برنامج
العمل الوطني » تطرح علينا بالضرورة سؤالاً عن
اللامح والقسمات الجديدة للبرنامج - كوثيقة -
مقارنة بوثائق ثورة يوليو : الميثاق وبرنامج ٢٠
مارس •



البرنامج :

قسماته • وآفاق النضال
من أجل تنفيذه

أبو مسيف يوسف

على قسمات « برنامج العمل
الوطني » الذي قدمه الرئيس أنور
السادات الى المؤتمر القومي العام
للاتحاد الاشتراكي ، وأقر في ٢٣

التعرف

يوليو الماضي ، يتطلب منا - ونحن نقرا البرنامج -
ان نضعه في موضعه من الاحداث والمناسبات الهامة
في واقعنا الذي نحياء وفي تاريخنا القومي •

- ١ -

● فالبرنامج يصدر في ظل معركة مسلحة
لرؤسها علينا الاميرالية الامريكية وشريكها

نقین: أن الإجابة عن هذا السؤال تفرض مقبما
أن نعرف ماذا يريد البرنامج أن يقول .

٣٠ مارس ، ومن بيان الرئيس أئور السادات فی
١٠ يونيو ١٩٧١ .

ولقد یقال هنا أن « برنامج العمل الوطنى » هو
فى الأساس برنامج سیاسى ، لذا ما قور بالبنائى
الذى یرکز على القضايا الإیدولوجیة القلقة
بتصوره للأشتراکیة ، وبالمجتمع الأشتراکى ،
وبالمشکلات الخاصة بالمرحلة التى سمیت « بمرحلة
الانتقال » تلك المرحلة التى بدأت بعد صدور قوانین
یولیو ٦١ • لكن - مع ذلك - یظل لارتباط برنامج
العمل الوطنى بالبنائى و بیان ٣٠ مارس أهمية
حیویة من حیث أن هذا الارتباط يؤكد فى ذهن
القارئ التزام البرنامج ، واستمراره على خط
النضال المهادى لسلامیرالیة والصوبیة
والرجمیة ، خط التحولات الاقتصادیة والاجتماعیة
لثورة یولیو ١٩٥٢ .

ومع ذلك فإن برنامج العمل الوطنى لیس مجرد
صیغة جدیدة لما فی البنائى و بیان ٣٠ مارس • بل
أن له قسامته الخاصة كوثیقة سیاسیة • وعلى
سبیل المثال :

١ - تقییم البرنامج لخبرة السنوات المشر
الماضیة ، وفى هذا التقییم یطرح الإیجابیات
والمسلبیات . جنبا الى جنب • وهو هنا ینقد
المسلبیات من زاویة موضوعیة ، ویرد الأشراع
ویتجنب الوقوع فى منهج اخفاء النواقص
وتجملیها وتحويلها الى حسنات • وهكذا عندما
یتحدث البرنامج عن قضايا النهوض بالریف ینص
بوضوح على أنه :

« لا یمکن أن نتكلم عن بناء الدولة الجدیة
للمجتمع الأشتراکى ، طالما ظلت حیاة الفلاح منتج
الغذاء للملاکین ، والخابات للعاملین بالصناعه
على ما هى علیه • أن أسلوب الحیاة الیومیة
لفلاحینا الذین یكونون غالیة الشعب لم یلحه أى
تغییر حقیقى لا فى وسائل وأساليب الانتاج ، ولا
فى السکن والغذاء والصحة » .

« أن جانبنا کبیرا من فلاحینا على الرغم من
المجهودات الضخمة التى بذلت فى سنوات الثورة
لا یزال یمانى من البطالة ، وانخفاض مستوى
الحخل والامیة ، وسوء التغذیة والصحة والقلق
على المستقبل » .

ان مثل هذه المواجهة الصریحة للمسلبیات لا یقل
بحال من انتاجات ثورة یولیو فى النضال ضد
استغلال کبار ملاک الارض الاقطاعیین • بل على
المکس انه يؤكد الالتزام بالسیر على طریق
النضال من أجل الزید من الاصلاحات .

فى اعتقادنا أن البرنامج یقدم فى الأساس
تصورا « للدولة الحدیثة » یمکن اعتباره بمثابة
الهدف الاستراتیجى للبرنامج ، وفى الوقت نفسه
یطرح البرنامج الهمام المطلوب إنجازها ، ویتحدث
عن الوسائل والأدوات اللازمة لهذا الانجاز •

فاذا جئنا الى الصورة التى یرسمها البرنامج
للدولة الحدیثة ، فإنه یقدم صورة لمجتمع تمحى فيه
البطالة والامیة • ویتحقق فيه لكل العاملین زیادة
فى الدخل ، وارتفاع فى الثقافة ، وتحسن فى
ظروف الصحة والسکن • مجتمع - كما یقول
البرنامج - لیس لاحد فيه فضل على أحد الا
بالعمل • ویصبح فيه العمل متعة لا سخرة •
مجتمع تنتقى فيه الفروق الصارخة بین الحدیة
والریف على أساس زیادة من العلم والتکنولوجیا
یقوم بفضلها للتصلیع الثقیل ، وتتم مکینة
الزراعة • وباختصار هذه الصورة للدولة الحدیثة
یمکن تلخیصها فى کلمات قليلة هى مجتمع الانسان
مخلص الذى ینتفى فيه استغلال الانسان للانسان ،
أى مجتمع الأشتراکیة •

وهذا الهدف الاستراتیجى لا یتحقق - ولقنا
للبرنامج - الا اذا تم انجاز مهام أساسیة یمکن أن
تطرح فی ثلاث جهات رئیسیة :

١ - الجبهة الاقتصادیة من أجل تصفیة الخلف
الاقتصادى عن طریق التصنیع الثقیل وتطویر
الزراعة على أساس التخطيط العلمى •

٢ - الجبهة الثقافیة من أجل محو الامیة
واصلاح التعلیم العام والعالى ، والنهوض بالبحث
العلمى ، ورفع دور الادب والفن فى صیغة وعى
الانسان الجدید •

٣ - الجبهة السیاسیة بتمکین الجماهیر
الشعبیة من المشاركة الواعیة والنشطة فى بناء
المجتمع الجدید من خلال تنظیماتها السیاسیة
والنقابیة والتمازنیة والمهنية •

هنا نعود الى سؤالنا عن الجدید فى برنامج
العمل الوطنى ؟

من المهم أن نقرر أن البرنامج - وهذا ما تؤكد
فصوصه - یرتكز الى القضايا الفكریة ، والى
النقاط البرنامجیة العامة فى « البنائى » وینطلق
منها • كما انه ینطلق من القضايا المحوریة لیبان

وهذا المثل الذي أوردناه تجده في أكثر من مكان في البرنامج عند تقييم ما تم في مجالات التعليم والصحة ... الخ .

٢ - والقسم الثانية المميزة للبرنامج اتجاها علمي والرامي هي التفرص للمهام المبرمجة . فمن ناحية يميز البرنامج في قضية التخطيط العلمي حل قيتين - بعد أن افترق - في التطبيق - هذا التخطيط طوال السنوات الماضية - ولعلنا نذكر ولاشك أنه لا يمكن أن يضع مجتمع نام أهدافا تقدمية واشتراكية دون أن يترجم هذه الأهداف إلى خطة قومية وإلى خطط تفصيلية يرتبط تنفيذها بأجل محدد . وبهذا الاتجاه العلمي يبدأ البرنامج من منطلقات واقعية فهو يحدد مهام ممكنة استحقاق ، ويشير في - في الوقت نفسه - إلى وسائل التحقيق . وهذا ما نراه بشكل خاص عندما يتحدث عن خطة النهوض بالصناعة والزراعة وتحسين دخول العمال والنهوض بالفقيرة .

٣ - والقسم الجديدة الثالثة في البرنامج هي انطلاقة الجاز نحو قضايا النهوض بالريف والاهتمام الذي يوليه لرفع مستوى الفلاحين . وفي اعتقادنا أن البرنامج - في هذا المجال - يمسك بأحدى الحلقات الرئيسية عندما يقدم تصوره الجديد للملكية التعاونية ، إذ ينص على أن :

« الملكية التعاونية لابد أن تقوم على مضمون اشتراكي . إنها ليست مجرد تجمع لمعدن من الأفراد من أجل حل مشاكلهم فيما يتصل بالاستهلاك أو الحصول على الخدمات أو تسويق ما ينتجون . أن هذه الأمور على أهميتها لا يجوز أن تقتصر على وظيفة التوازن ، بل لابد وأن تتطور وظيفته بحيث يصبح تعاوناً إنتاجياً سواء في الصناعة أو الزراعة . أن هذا هو الطريق إلى إقامة علاقات إنتاجية متقدمة تدفع بالإنتاج إلى الأمام وتنمي فيما اجتماعية جديدة » .

هذا التصور لقضية التعاون في الريف إنما يحقق - إذا ما وضع موضع التطبيق - خطوة على الطريق بعد تحديد الملكية ، وبادرة جديدة للمسير في مهمة استكمال الثورة الزراعية ، هذه المهمة التي بدونها يصبح أي حديث عن « الاشتراكية » و « التقدم » مجرد أحلام لا سبيل إلى تحقيقها .

٤ - والقسم الجديدة الرابعة في البرنامج ولعلنا أن تكون أهم قسّمات البرنامج هي احتفاله بأهمية النشاط السياسي للجماعات الشعبية . فهذا النشاط هو التنمية التي تتعاضد الظهور في أكثر نصوص البرنامج . فأنطلاقاً من أن كل منجزات

ثورة يوليو هي في الأساس ثمرة العمل الجبار للجماعات الشعبية المصرية طوال السنوات التسع عشرة الماضية ، وانطلاقاً من المبدأين القائلين بأنه لا تعارض - ولا ينبغي - أن يكون هناك تعارض بين الديمقراطية وبين الاشتراكية ، « وأن الدولة يجب أن توضع في خدمة الجماهير » تؤكد نصوص البرنامج على أهمية أن تتوافر للاتحاد الاشتراكي الرؤية الواضحة ، وهذا يتطلب أن يكون له « خط سياسي استراتيجي وتكتيكي واضح وضحاً كاملاً أمام المستويات القاعدية والقيادية على حد سواء » . ولابد وأن تتوافر في داخل الاتحاد الاشتراكي « حرية الرأي والتعبير لكل عضو ، ولكل مستوى ، ولكل قوة من قوى التحالف » . ويقرر البرنامج « أنه لا سبيل إلى اتخاذ قرار على أساس الخبرة والقيادة الجماعية إلا بفتح باب الحوار حراً حول القضايا المثارة أمام جميع المستويات » وعندما يتحدث البرنامج عن المهام الثقيلة للتصاعد الاشتراكي يقرر أن « الأساس الفلسفي للتقييم هو الالتزام الكامل للجماعات والتوحد معها » .

والبرنامج يبرز أهمية النشاط السياسي للجماعات في بناء الدولة الجديدة عندما يؤكد على حق الجماهير في ضبط رقابتها عن طريق تنظيماتها على أجهزة الدولة . ليس هذا فحسب بل لابد من أن « تفتح الأبواب التي تولي المناصب القيادية أمام العناصر الشابة المثقفة وخاصة من أبناء العمال والفلاحين » ، لأن جهاز الدولة - كما يقول البرنامج - « في بلاد كبلادنا ، نشأ وتربى في ظل علاقات طبقية وتبعية مختلف ألوان الاستعمار » .

لكن النشاط السياسي للجماعات الشعبية هو في التحليل الأخير ضمان نجاح كل مشروع أو التنمية ، التي تستهدف تقدم البلاد في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وفي هذا يقرر البرنامج « أن نجاح التنمية رهن بإيمان الجماهير وحماستهم لها » ، ولكنه يقرر في الوقت نفسه « أن الإيمان والحماسة لا طريق لهما سوى الفهم العلمي بالمهام الاقتصادية ، والنوع بإبعاض المرحلة . ويرتب البرنامج على ذلك واجبات محددة هي توعية الجماهير بشبكات التنمية وهذا يتم عن « طريق ربط العمل السياسي بتنفيذ خطة التنمية ، بحيث تلتزم كل وحدة أساسية من وحدات الاتحاد الاشتراكي » وكل مستوى من مستويات التنظيم بتحقيق أهداف محددة في فترات زمنية محددة ، ويجب أن يكون هذا أساس تقييم الأفراد واللجان والمستويات » . ولما كان النشاط السياسي للجماعات في مجال الإنتاج مرادفاً للمبادرات التي تقرم بها الجماهير ذاتها ، فإن تولد هذه المبادرات يتطلب توفر شرطين : أحدهما

الحقوق الديمقراطية الأساسية التي تمكن الجماهير من تأكيد رقابتها على الدولة ، والثاني هو مشاركة الجماهير الشعبية في أجهزة الدولة ومؤسسات الإنتاج .

وأخيرا فإذا أردنا في هذه النقطة أن نوجز الجديد في البرنامج فلنا أنه يضع النشاط السياسي للجماهير في الموضوع الذي يجعل منه العامل الذي يقرر مصير خطة التنمية كلها ، والمفتاح الرئيسي لحل عدد من المشكلات قد تبدو « لأول وهلة » ذات طابع تكنيكي بحت ، ومن اختصاص الفنيين وخدمهم ؛ محو الأمية ، تنظيم الأسرة « من حيث أنها قضية توعية الجماهير وتبصيرها بأهداف العمل الوطني ، والتبصير بالأضرار التي يلحقها تزايد عدد السكان بهذه الأمية » .

٢ -

فإذا أردنا بعد ذلك تقييم البرنامج - واضعين في الاعتبار - جميع الملاحظات التي صمغتها وضعه ثم إقراره في المؤتمر القومي العام للاقتصاد الاشتراكي ومركزين الانتظار على أهدافه وتقسامته الجائزة (يمكن أن نقول ما يلي :

١ - أن « برنامج العمل الوطني » يتضمن معالم البرنامج الديمقراطي العام الذي تطرحه في المادة حركة التحرير الوطني المبادئ الديمقراطية والاطلاع والرجعية . هذا البرنامج الذي يتجه إلى الدفاع عن الاستقلال السياسي ودمجه « عن طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادي » وما يتطلبه هذا الاستقلال من وضع خطة للتنمية توسع قاعدة الصناعة ، وتستهدف تطوير العلم والتكنيك والثقافة والقضاء على الأمية ، كما يطرح الشعارات الديمقراطية التي يفسح تطبيقها أمام الجماهير مشاركة أوسع في الحياة السياسية ، ويؤكد على أهمية التعاون مع الاتحاد السوفيتي .

من هذه الزاوية ، وبهذا المفهوم يصلح البرنامج لأن يكون أساسا لتتحالف واسع بين كافة القوى المعادية للإمبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية .

٢ - إن برنامج العمل الوطني يطرح من منطلق ما هو ممكن ، مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي يدخل البرنامج أنها ترمي التطور في اتجاه بناء « الدولة الجديدة » أو « المجتمع الاشتراكي » - وهذه المجموعة من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية هي من الحيوية والاتساع بحيث تستلزم بالضرورة على اهتمام كل القوى الاشتراكية على اختلاف مناهجها ومدارسها الفكرية لأن تحقيق هذه الإصلاحات الاقتصادية

والاجتماعية على لباس من مبادرات الجماهير الشعبية وخاصة العمال والفلاحين ، من شأنه أن يضع اقدام البلاد على أبواب مرحلة جديدة يتم فيها انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، ويتم فيها تمهيد الطريق المؤدى إلى عتبات مرحلة جديدة هي مرحلة الاشتراكية .

ومن هذه الزاوية ، وبهذا المفهوم يصلح البرنامج لأن يكون أساسا لوحدة عمل بين كافة القوى الاشتراكية على اختلاف مدارسها الفكرية ومنهجها . ولا يغير من هذا الاستنتاج واقع أن مضمون الاتجاهات الاشتراكية في وثائق ثورة يوليو ليس مضمونا يسروريا تاريخيا ذلك أن « الاشتراكية » هي هذه الوثائق لاتزال حتى الآن ذات طابع ثوري ديمقراطي عام ، يميزها عن غيرها من نماذج بعض « الاشتراكات » على بعض البلدان النامية والمختصرة حديثا ، هذه النماذج التي بينما تستقيم « صيفا اشتراكية » تبقى على جوهر نظام التنمية الاقتصادية لقوى الاستثمار الجديد . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن خطاب وأهداف جمال عبد الناصر منذ ٦١ ، وخطب وأحداث الثور السادات فيما بعد ، قد نلت على مضمون « المفاهيم الاشتراكية » يتطور ويتجه إلى مزيد من التحديد في استكشاف الواقع الاجتماعي ، والتعرف على دور القوى الاجتماعية الطليعية المدعوة إلى قيادة التغييرات الاجتماعية والاقتصادية . ولا يغير من هذه الحقيقة أن هذا يتم ، لا وفقا لاحتياجات نظرية مجردة ، بل استجابة للضرورات الموضوعية لتطور الحركة الثورية العامة ونضال الجماهير الشعبية في البلاد .

ولعلنا لا نخطئ بعد ذلك كله - وعلى ضوء ما تقدم - إذا قلنا : أن التقييم العام لبرنامج العمل الوطني هو تقييم إيجابي ، لأنه كوثيقة سياسية - يصلح منطلقا لوحدة عمل بين القوى الوطنية والاشتراكية . هذه الوحدة التي تعتبر الاداة الرئيسية والشرط المسبق لمواجهة قوى الامبريالية والصهيونية ولدحر العدوان وتحرير الارض المحتلة .

تبقى - بعد هذا التقييم الإيجابي للوثيقة ملاحظة أساسية نجد لزاما أن نذكرها بروح الجدية والمسئولية ، وحرصا على أن يظل هذا البرنامج دافعا للنشاط السياسي في البلاد .

ففي الحديث الذي وجهه الرئيس أنور السادات إلى الأمة يوم ١٦ - ٧١ طرح الرئيس صورة التغييرات الجديدة التي ستطرا على أجهزة الدولة . لكننا نذكر أن الرئيس قد جعل نقطة

البداية في حديثه والمدخل اليه الحديث عن المعركة وتحرير الأرض . واعتقادنا أنه عندما يوضع البرنامج موضع التطبيق ، فلابد من ان يؤخذ بهذا المنهج ، بحيث تكون قضية التحرير هي زاوية الرؤية ، والمنطلق الأساسي . ذلك ان قضية التحرير وهذا ما عكسته جميع خطب وأحداث الرئيس السادات . هي التي تحكم ويجب ان تحكم مجمل النشاط السياسي والاقتصادي في البلاد . وهذا كله لا ينفي مع ذلك حقيقة ان البناء الاقتصادي والاجتماعي هو الوجه الاخر لمعركة تحرير الارض ، وان الامبريالية الامريكية ركيزة الاستعمار الجديد تحاول عن طريق أداة الحرب الاسرائيلية صرف بلدنا عن طريق التطور المستقل .

٢ -

إذا كان البرنامج - كوثيقة - يصلح أساسا لوحدة عمل بين الطبقات الشعبية والوطنية ، وبين قوى كل التقدم والاشتراكية في البلاد ، فإن العنصر الذي يضمن ان تفضل حال هذه القوى والقطاعات هي : ما السبيل الي ان يوضع هذا البرنامج موضع التنفيذ ، لمصلحة الوطن ، ولصالح الطبقات الشعبية التي طال حرماتها ؟

ان طرح قضية وضع البرنامج موضع التنفيذ ليس مجرد موقف شكلي يقتضي بانقضاء المناسبة : تصدر الوثيقة ففكر ، وتعامل معاملة النصوص المقدسة تطوى ، ولا يشهد بها الا من باب ارضاء الضمير .

والواقع اننا نجد انفسنا هنا بآزاء قضية جنية . فمن الميسور نسبيا ان تصاغ وثيقة نظرية او سياسية ولكن ، بين صياغتها وبين وضعها موضع التطبيق تكمن صعوبات ولغزات كثيرة : التناقض بين الفكر وبين الواقع ، التناقض بين الوسائل والغايات . الخ . ولقد خلصنا لنجد انفسنا بآزاء صعوبات مضاعفة خلقها العدوان الصهيوني الامبريالي على بلدنا ، وعلى خريطة اجتماعية تتسم بالتناقضات والاستقطابات الطبيعية بين الطبقات الشعبية والوطنية المدعوة الى الوحدة والتآلف .

ولكن ربما ساعدنا على ان نشق طريقنا وسط مجمر هذه التعقيدات ان نعود الى الماضي الغريب لنستخلص الدروس التي تفيدنا في هذا الملف ، وذلك على ضوء ما وقع في مجرى تطبيق الليثاق وبين ٢٠ مارس .

المرحلة الراهنة وطبيعتها

هنا نقول انه لا خلاف على ان « الليثاق » قد

صن عام ٦٢ كوثيقة فكرية وبرنامجية هي في الواقع من معالم تاريخنا القومي . والسبب هو ان « الليثاق » عبر عن بدء مرحلة جديدة في حياة ثورة يوليو . ان ثورة يوليو ١٩٥٢ ، عندما قامت ضد الاستثمار ضد الانطباع ، كان يمكن بحكم اهدافها المعلنه في الايام الاولى ان تتوقف عند حدود الثورة الوطنية الديموقراطية بالمعنى الكلاسيكي ، اي الثورة التي تأتي بالبورجوازية الى الحكم وتطلق قوى التطور الرأسمالي في البلاد . لكن ثورة يوليو في ظل ظروف عالمية مواتية من انتصار الاشتراكية على الصعيد العالمي ، وتعاظم حركة الطبقة العاملة وحركة التحرير الوطني ، وبفضل قيادتها وتوحيدها الحركة التي عبرت شعراتها من صالح الطبقات الوطنية والشعبية في مجرماتها ، نقول ان ثورة يوليو لم تقلع عند حد النموذج القديم للثورة الوطنية الديموقراطية ولكنها قامت نموذجا جديدا للثورة الوطنية الديموقراطية يتجاوز الاطار الكلاسيكي ، ففي ١٩٦١ دخلت بمرحلة جديدة تميزت على الصعيد الدولي باشتداد الصراع بينها وبين قوى الاستعمار الجديد من ناحية ، ومن ناحية اخرى بتقديم علاقاتها مع أسرة البلدان الاشتراكية وتميزت على الصعيد الداخلي بتنفيذ اجراءات اقتصادية واجتماعية جذرية ذات طابع معاد للرأسمالية الكبيرة . وهذه الاجراءات عبرت عنها ثورة يوليو بمواقف صريح ورفض خط التطور الرأسمالي كحل لقضية التنمية . هذه المرحلة الجديدة سميت في بلادنا « بمرحلة الانتقال » من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وتسمى في ادبيات الماركسية بمرحلة « النسخ الرأسمالي » . ويغفر النظر عن التسميات فإن المفهوم هو ان انجاز مهام هذه المرحلة إنما يعنى الانتقال الى الاشتراكية .

وسواء أخذنا بتعبير « مرحلة الانتقال » او بتعبير « مرحلة النسخ الرأسمالي » فإن هذا لا يغير من حقيقة ان هذه المرحلة تقع في نطاق الثورة للوطنية الديموقراطية . وفي جميع الاحوال فإن هذه المرحلة الانتقالية من التطور الرأسمالي هي على حد تعبير اوليانوفسكي (١) ظاهرة غامضة من ناحيتين : ناحية النظرية ، وناحية التطبيق او الممارسة . وهذا لا يرجع - فقط - الى التنوع الهائل في الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في بلدان العالم الثالث . ولكنه يرجع ايضا الى ان مرحلة النسخ الرأسمالي تتميز بتعدد شديد في كالة الظواهر السياسية والاقتصادية والايديولوجية .

وإذا كان جمال عبد الناصر قد اشار في فترة مبكرة ، وفي كتابه فلسفة الثورة الى تداول مرحلتين

[١] اوليانوفسكي : بعض مشكلات التطور الرأسمالي - مجلة لومينست - العدد ٤ - ١٩٧١ الترجمة الإنجليزية

الثورة الثورية والثورة الاجتماعية وإلى ما ينطوي عليه هذا الدخايل من تناقضات بين ضرورة الوحدة الوطنية وبين حقائق الصراع الطبقي ، فإن مرحلة النمو اللزاسمالي تمثلت بتناقضات لا تقل حدة على الصعيد الاقتصادي - ويكفي - مثلاً - أن نلاحظ أنها تتبع نمو القطاع العام والقطاع الخاص في وقت واحد مع ما يتولد من هذا من تعقيدات . وعلى الصعيد الأيديولوجي يشهد صراع لا يقل تعقيداً وبعدة حول النسب الطرق لحل قضايا الصراع الطبقي في مظاهرها السياسية والاقتصادية والثقافية .

باختصار ، لقد واجهت ثورة يوليو بعد قوانين يوليو ٦١ جميع هذه المشكلات . وكانت الثورة قد طرحت داخل وبنيتها الأيديولوجية « الميثاق » نقاطاً برنامجية لحل هذه المشكلات إلا أن الحياة برهنت على أن تنفيذ هذا البرنامج قد صافته عقبات رهيبية . وعلى سبيل المثال :

● منذ صدور الميثاق ، وعلى مدى عشر سنوات تقريباً لم يحقق تنظيم الاتحاد الاشتراكي الأهداف التي حددها له الميثاق .

● منذ صدور الميثاق لم يتم التنظيم العملي داخل الاتحاد الاشتراكي بتحقيق الأهداف التي حددها له الميثاق .

● منذ صدور الميثاق ، وعلى مدى عشر سنوات لم يتم المجالس الشعبية بعد ولم تبدأ مهامها (سبداً في أول أكتوبر ١٩٧١) .

● من وقت صدور الميثاق لم تتحقق « الديمقراطية السليمة » وظلت حدة المقد .

● منذ صدور الميثاق ، ومع تركيز الميثاق على الامة الحيوية للتخطيط العلمي ، فإن اقتصادنا القومي وموارده لم تخضع لخطه أو خطط تومية شاملة .

فإذا جئنا إلى بيان ٣٠ مارس رأينا أن الأهداف التي طرحت تحت شعارات بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية وسيادة القانون والدولة المصرية ، لم تكن أقل خطراً من الميثاق ، بل أنها لم تر سبيلاً حقيقياً إلى التنفيذ .

ولقد أدى هذا كما نعلم ، وبعد مرور أربع سنوات تقريباً على بدء الثورة الاجتماعية ، إلى أن يكتشف جمال عبد الناصر أن ثورة يوليو تواجه بخطر التجمد أو الانتكاس . فلم يكن من قبيل

الصفحة أن طرح في عام ١٩٦٤ شعار « الثورة على الثورة » ، ولم يكن من قبيل الصفحة أن انطلق يحتر من محاولات تبديلها في الرأسمالية والرجعية للاستيلاء على الثورة . ونستطيع أن نقرر أن قيادة عبد الناصر الثورية قد نجحت بجهود خارق في صد جميع الهجمات الرجعية والإمبريالية التي أرادت أن تصلي متجزات ثورة يوليو . غير أن كل جهوده الضمنية في وضع الشعارات الأساسية في الميثاق موضع التطبيق الفعلي لقيت معارضة شرسة وضاربة بمتسدة المصادر والأصول محافظة ورجعية وإمبريالية . ماذا أردنا أن نخصص معالم الأزمة التي بدأت تتعرض لها ثورة يوليو عام ٦٤ أمكن أن نقول بشكل عام :

أنه بينما نجحت ثورة يوليو في تحقيق تحولات اقتصادية واجتماعية جبرية عام ١٩٦١ ، وبينما أنت هذه التحولات إلى أن اكتسب الانتاج طابعاً اجتماعياً أكثر فأكثر بقيام القطاع العام في الاقتصاد . فإن الإبرية السياسية القوية المقابلة لم تخدم وعجزت أن تتلاءم مع مقتضيات التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تم إنجازها . وبمساعدة أخرى أن بناء التنظيم السياسي وبناء جهاز الدولة وضعف التنظيمات الجماهيرية كان يتعارض مع توفير شروط التطور الواجب بعدلات سريعة للاقتصاد ، والحماية اللازمة لخصائص العمال والفلاحين . وأخيراً ، إذا صح أنه كان في مقدور النظام الذي أقامته ثورة يوليو أن يكتفي في « مرحلة الثورة السياسية » ضد الاستعمار والاتطاع بتأييد عام من الطبقات الشعبية والوطنية دون أن يضع بالحاجة إلى تنظيم جماهيري واسع ، وهذا ما حدث قبل بدء « الثورة الاجتماعية » عام ١٩٦١ ، فإن هذا الأمر لم يعد ممكناً بعد هذا التاريخ . وهذا ما لمس عبد الناصر عندما أشار إلى أن الثورة الاجتماعية تتطلب استبعاد قوى وفئات طبقية لا تتفق مصالحها مع مصالح هذه الثورة .

ماهي الحلقة الرئيسية ؟

على أية حال لعلنا لا نخطئه إذا قلنا أن قيادة ثورة يوليو كانت منذ ٦٤ قد بدأت تشق طريقها لحل الصعوبات التي واجهت النظام . وفي هذا سان عبد الناصر في طريقين :

أحدهما أيديولوجي ، وفي هذا قدم صياغات أوضح وأكثر تحديداً من صيغون الاشتراكية وعن الطبقات الاجتماعية المدعوة - بحكم مصالحها - إلى المشاركة بدور متزايد وقيادة إلى إنجاز مهام مرحلة التحول . وهنا نذكر أن عبد الناصر كان قد حدد في خطابه إلى مجلس الأمة « أن الانتقال من الرأسمالية والاتطاع إلى الاشتراكية لا يمكن

تلكه الأعران طريق النشاط السيمائى للجماهير العاملة ونضال الجماهير العاملة لأخذ السلطة بين أيديها» (١٣-١١-١٦) . ثم حدد أن للبطقة العاملة دورها القيادى فى بناء المجتمع الاشتراكى .

والطريق الأخرى سياسى: وبمؤونه العمل لخلق التنظيم السياسى الطليعى وجهاز الدولة القادرين على الارتفاع الى مستوى الحلول المطلوبة فى المبادئ السياسيه والاقتصاديه والثقافيه ولكن اذا كانت هذه المهمه لم تتحقق فى حياة عبدالناصر الا هذا لاينفى هذه الحقيقه وهى أن الحلقة الرئيسيه التى يضمن الامساك بها انجازاهدافالثوره الوطنيه الديموقراطيه وتأمين الانتقال الى الاشتراكيه تمثلت منذ يوليو ٦١ فى تغيير المضمون الطبقي للسلطة بحيث تشارك فيها الطبقات الشعبيه وفى مقدمتها العمال والفلاحون .

موقف الطبقات المتوسطه

وربما نذكر اسباب كثيره لتفسير هذا الذى حدث وربما تكون هذه الاسباب صحيحه . ولكن تبقى مع ذلك علة رئيسيه فى كل ما حدث . اما العلة فكانه اساسا فى نشاط تلك الاقسام الاجتماعيه التى تنفصل عن مجرى الثوره ، والتى تمثلها - فى الأساس - الفرائط العليا من الطبقة المتوسطه . ونحن لا نتحدث هنا عن الرأسماليه الوطنيه التى تتطلب التقدميه الاقتصاديه التحالف معها وتوفير عوامل الحماية لها . أن الميثاق - فى أكثر من موضع - وبرنامج العمل الوطنى والصنوبر الدائم الذى أقر فى الاستفتاء الاخير تقدم ضمانات كافيه وتشجيعا صريحا لهذا القطاع من الرأسماليه الوطنيه الذى يشارك فى دفع عجلة الانتاج وهذا سليم . ولكن ما لم ينفذ من الميثاق هو هذه الأفكار الجوهرية التى تضع للتسلط الرأسمالى الخاص تحت رقابه حازمه من قبل القطاع العام ، وتحدد له مكانه فى خط التنمية . ولقد ترتب على هذا أن شهد مجتمعنا ما كان يسميه جمال عبد الناصر «بالبروز الرأسمالى» . أو «الطبقة الجنيهده» حسب تعبير الميثاق أى نمو قلات قوية من الرأسماليه الطفيليه التى لم تتكون ثروتها من المشاركة فى الانتاج وإنما من أعمال السعيه وحاولات الباطن وتطويق القطاع العام الخ وأخيرا فإن هذا «البروز الرأسمالى» هو الذى ساعد على أن يجهل من الطبقات الوسطى أعلى الطبقات صوتا داخل الحلف وأثرهما نفوذا فى الاتحاد الاشتراكى وفى جهاز الدولة . وهو الذى قاوم كل مسعى لاشراك العمال والفلاحين اشراكا حقيقيا فى السلطة .

وفى الوقت ذاته فإن قيادة لوزة يوليو فى

محاولتها للحد من نمو هذه الفرائط (مثلا تآميم تجارة الجملة ، وقطاع المقاولات) قد واجهت هجوما ضاربا من قبل قوى الاستعمار الجديد خاصة من قبل الامبرياليه الامريكيه . فلما لم تغلح محاولات التخريب من الداخل عن طريق الضغوط الاقتصاديه والتجسس وتشجيع أعمال الارهاب والاعتقال ، عادت الى الاسلوب الامبريالى التقليدى أسلوب العنف السافر ، فكان اشراكها فى تنظيم عدوان يونيو وهو ما كشفه الرئيس السادات فى خطابه الاخير .

فإذا أردنا بعد ذلك أن نستخلص من كل ما تقدم المؤشرات التى تصاعد على أن تسلك بلادنا الطريق المؤدى الى وضع برنامج العمل الوطنى موضع التنفيذ أمكن أن نقول ما يلى :

لأيد وأن نتفق على أن ثورتنا الوطنيه الديموقراطيه هى فى مرحله الانتقال أو النضج الرأسمالى . وأنه أيا كانت الاجتهادات حول طبيعه هذه المرحله وخصائصها فإن لها قسمتين أساسيتين :

الاولى: مواصلة النضال الحازم ضد الامبرياليه والاستعمار الجديد وضد الصهيونيه .

الثانيه: مواصلة التحولات السياسيه والاجتماعيه الثوريه وفق برنامج واضح يستجيب للمطالب الحيويه للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، ويستطيع بالتالى أن ينظم ويعمى أوسع الجماهير ، ويحركهم لاشراكا فعليا فى السلطة .

ومن هذا نصل الى أنه لى يتم «تفليذ برنامج العمل الوطنى» يتحتم أن تطلق مبادرات الجماهير لتتحرك من خلال تنظيماتها ، وفى مساسخ ديموقراطيه ، على «محور معدد» كما يتحرك أجن جيش نظامى . هذا المحور لحد طرفيه النضال الحازم ضد الامبرياليه والاستعمار السعيد والطرف الاخر رفع النشاط السياسى للجماهير عن طريق التنظيم السياسى لتقوم بمبادرات خلاقه فى تنفيذ خطه التنميه .





موقع البرنامج من وثائق الثورة

عادل سيف النصر

برنامج العمل الوطني الذي تدبّه
الرئيس أنور السادات وأقره
المؤتمر الثاني للاتحاد الاشتراكي
ليضيف وثيقة جديدة إلى الوثائق
التي قدمتها ثورة يوليو « الميثاق » .. وبينان ٣٠
مارس ..

جاء

والبرنامج حين يقدم مفهومات جديدة للممارس

لما التّصال ضدّ الامبريالية وضدّ الهجمات
المتزايدة للاستعمار الجديد فإنّ بلادنا تجد نفسها
فى قلب الصّمة وهى معركة خارية وشرسة كما
هى مجيدة وثقيلة وبها تتعلّق انظار كل قوى
الشّعوب فى العالم الثالث ، وكل قوى الاشتراكية
والديموقراطية والّسلام وهذا التّصال يجب أن
تواصله بدون انقراض على جميع الجبهات السياسية
والاقتصادية والثقافية لردّ غزوة المستعمرين
الجدد ، وإذا كان لنا أن نؤكد على أهمية هذا
التّصال فيكفى أن نقول : إنه فقط من خلال تشييد
التّصال ضدّ الاستعمار الجديد نستطيع أن نحل
على أفضل وجه وبأكبر الأساليب سلمية
التناقضات الطبقية بين قوى « تحالف الشعب
المعامل » .

ولما التّصال لرفع التّشاطر السياسي
الديموقراطية للجماهير باشتراكهم اشراكا متزايدا
فى ادارة شؤون البلاد فهو الضمان الاساسى
لحماية المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية
وتوسيعها وبناء الدولة المصرية الحديثة . ان هذا
التّصال هو الذى يحد الارضية اللازمة امام القيادة
السياسية - وفقا لبدأ الولاء للجماهير - التى تمكن
من حل ما كدّيشأ من تناقضات بين السياسه وبين
الاقتصاد ، أى بين متطلبات العمل السياسى لحل
الاشكال الملحة لمصلحة الجماهير وبين القوانين
الوضعية التى تحكم مرحلة التّحول .

وفى اعتقادنا بعد هذا كله ان القيادة السياسية
للبلاد لها من الحص الوطني . والرغبة فى
تحقيق التّقدم ، نستطيع بالاعتماد على وحدة كل
القوى الوطنية والتّقدمية أن نستثمر الى أقصى حد
الظروف الداخلية والدولية ، المادية والمعنوية
اللائمة لتحقيق النصر فى المارك البناء الداخلى فى مقعدة
والصهيونية وفى معارك البناء الداخلى فى مقعدة
هذه الظروف :

● ارتفاع الوعى السياسى فى صفوف
الجماهير الشعبية خاصة فى صفوف العمال
والفلاحين .

● تمسك الجماهير الحازم بالمكتسبات
الاقتصادية والاجتماعية ورغبتهما الحارمة فى
الحفاظ عليها وتوسيعها باستمرار .

● استعداد متزايد فى صفوف قوى الثورة
العربية للالتفاف حول مصر فى معاركها الوطنية
والاجتماعية .

● استعداد متزايد برهنت عليه الاحداث فى
صفوف قوى الثورة المائيلة وخاصة فى الاتحاد
السوفييتى والبلدان الاشتراكية لتقديم كل
المساعدات اللازمة لردع العدوان وبناء الاقتصاد
القومى .

وأهداف العمل الوطنى والاجتماعى الا انه يقدر
فى نفس الوقت للمفاهيم الفكرية المنظورة
لوثائق الثورة الأساسية .

لذا يصبح من الضرورى عند التصدى للمهام
التي طرحها برنامج العمل الوطنى ووضعها فى
التطبيق أن نسترجع بالفهم ونقيم بالتحليل كافة
المحاولات والجهد الذى بذلته قوى التحالف
لوضع المهام المخصصة لهذه الوثائق فى التطبيق .

مراحل الثورة وبرامجها

منذ أن فجر جمال عبد القاصر ورغائه ثورة
٢٣ يوليو ١٩٥٢ دخلت مصر والامة العربية مرحلة
ثورية جديدة من تاريخ نضالها الوطنى والاجتماعى
وتحت قيادة عبد الناصر خاض الشعب المصرى
وشعب الامة العربية معارك متصلة ضد قوى
الابرأية والصهيونية والرجعية من أجل كسب
الاستقلال السياسى والتحرر الاقتصادى والتقدم
الاجتماعى .

ومن حول هذه المعارك تبلورت لثورة يوليو
برامج ومهام وطنية واجتماعية وقومية سطرتها
جباير الشعب بنضالها فى وثائق أساسية من
كتاب « فلسفة الثورة » و « ميثاق العمل الوطنى »
« وبيان ٣٠ مارس » وأخيراً فى « برنامج العمل
الوطنى » .

وطوال مراحل النضال هذه امتدت جمل
عبد الناصر فى أن تكون بلاندا « كثر البلدان
المستقلة استقلالاً » .

وانطلاقاً من هذا الهدف الوطنى العظيم حدد
خُطان أساسيان حكماً مضمون ما تقدمته تلك
الوثائق .

- خط النضال الحازم ضد قوى الاستعمار
والصهيونية .
- خط النضال المتطور ضد قوى الاتباع
والاستغلال والرجعية .

برامج العمل الوطنى والصيغة

النظرية لثورة يوليو

ولقد استندت خطوط النضال الوطنية
والاجتماعية هذه الى أساس فكرى تجسد لولا
فى « الميثاق » بما تضمنه من مفاهيم فكرية
لقضايا التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى
والوحدة القومية .

وبالإضافات الفكرية التى قدمها عبد الناصر
منذ عام ١٩٦٢ من مفاوضاته للاشتراكية خاصة
فيما يتعلق بتطبيقاتها وحسم للحوار الذى دار، من

هذه القضية فى لقائه مع المبعوثين تحيياً قال :
« أن الاشتراكية هيوما هي القضاء على
استغلال الإنسان للإنسان ولكن التطبيق
الاشتراكى فى كل بلد قد يختلف من الآخر ، فيه
ناس تحب تسميها الاشتراكية العربية على
أساس أن دى اشتراكية لها طابع خاص . أنا
رأى فى « تطبيق عربى للاشتراكية مثل هية
اشتراكية عربية » .

نقول انه بالمقابل والإضافات الفكرية لمبدأ
النصر تحدثت المفاهيم النظرية لثورة يوليو
عن تضاميا التحرر الوطنى والتحول الاشتراكى
فى :

١ - أن هدف الاشتراكية هيوما هو القضاء
على استغلال الإنسان للإنسان .

٢ - أن وسيلة الاشتراكية هي إقامة الملكية
الاجتماعية لوسائل الإنتاج .

٣ - أن الاشتراكية تبنى بنقل السلطة
الى تحالف الشعب العامل ، فهذه السلطة أداة
الشعب فى أحداث التغييرات الاجتماعية .

٤ - أن المركز القيادى فى المجتمع الاشتراكى
هو للطبقة العاملة .

٥ - أن التخطيط الشامل للاقتصاد هو
أداة تطوير اقتصادنا على أساس اشتراكية .

وبصيافة وتبنى هذه المفاهيم أصبح نجاح
التطبيق الاشتراكى فى بلاندا رهنا بتطبيق :
• المضمون الاقتصادى : وهو تطوير الملكية
الاجتماعية لمصادر الشعب العامل .
• المضمون السياسى : وهو نقل السلطة
للشعب العامل .

وهكذا أصبح لثورة يوليو وبرامجها مضمونات
نظرية اعترت نموذج لما يمكن أن تقدمه حركات
التحرر الوطنى ذات المضمون الاجتماعى المتفتح

تطور برامج الثورة وأثره

على الوحدة الوطنية

ويتطور أهداف النضال الوطنى والاجتماعى
لثورة يوليو واختيار طريق « التطبيق الاشتراكى »
للاشتراكية وبمحاولة وضع المضامين الاقتصادية
والسياسية فى التطبيق تطورت قضايا برامج
العمل والشكالة خطوة بذلك مسبق الوحدة
الوطنية من « هيئة التحرير » والاتحاد القومى «
الى « الاتحاد الاشتراكى » .

وبصيافة تحالف قوى الشعب العاملة برزت
تلفضات مجتمعا فى الأساس الفهم المتدنى لقوى
التحالف لتقاط وبرامج العمل الأمر الذى أدى
الى :

هزيمة العدوان واستخلاص الأرض من أيدي
ألد الأعداء لن يتأتى إلا بصرار قوى التحالف
على المضي قدما على طريق التحول الاشتراكي.
وهذا ما قدمته بالعلم الجماهير ١٠٠٩ يونيو .

جماهير التحالف ومخططات الأعداء

والجماهير الوطنية والثورية لتحالف الشعب
المعبل هي دائما أبداً القوى الكائنة لكشف
مخططات الأعداء ، والقادرة فعلا على هزيمتها
وحيلة الثورة وأهدافها .

فالهزيمة المخافة لم تخدع الجماهير التي
خرجت بحسها السياسي المزهف مخركة منذ
اللحظة الأولى الهدف الرئيسي للمعدون
الاسرائيلي وهبت ترفض الهزيمة وتحدد بقوتها
طريق الصمود والنصر ، معطية للثورة وبرامجها
طاقات جديدة تسفن للثورة استمرارها وذلك
عن طريق مواصلة « التضال لتحرير الأرض
العربية » السيرى في « طريق التحول الاشتراكي »

الجماهير بنضالها

تصون الوحدة الوطنية

ورغم **الهزيمة وضرورات** الوحدة الوطنية
فإن القوى الاجتماعية المشكلة لتحالف قوى
الشعب بطبيعة تكوينها الاجتماعي والفكري
التميز تختلف فيما بينها وتتناقض في فهم وتحقيق
مهام التضال ضد الأعداء لتحرير الأرض وبناء
الاشتراكية .

واختلفت بالفعل في اعقاب النكسة واحتدم
الصراع حول أسباب الهزيمة وطبيعة التغييرات
المطلوبة لتحقيق النصر .

فبعض القوى طلب بالتغيير ولكن الى الورا
والبعض الآخر سلم شكلا بالتغيير ولكن التغيير
الذي يضمن له الاستقرار والبقاء ، أما القوى
الواعية والمخلصة لأهداف التضال فامسرت على
التغير الجذري الجاد .

واحتدم الصراع وتشتعب ووصل الى الحد
الذي كانت فيه بعض مراكز القوى بالسلطة
أن تهدد مسيرة الثورة ذاتها . وحسم بيان ٣٠
مارس الوضع .

بيان ٣٠ مارس

ثمرة تضال الجماهير

وجاء بيان ٣٠ مارس اثر المقاومة المتعاطفة
لجماهير الثورة والتي قاومت بأشكال مختلفة
كافة المحاولات لأجهاض حركة ١٠ يونيو
وخرج البيان برنامج عمل كان من المفروض « أن

الاستقطاب المستمر لتقادات ومبطل بعض
ثقلت التحالف من صفوف التحالف ومراكز
السلطة ، خاصة قيادات بعض شرائح
الرسبالية الوطنية والطبقة الجديدة التي
هرقلت أو قاومت تطوير المضمون الاقتصادي
والسياسي لعملية التطبيق الاشتراكي اى لمختصار
شديد وتلت في وجه استمرار الثورة وتقدمها
على طريق البناء الاشتراكي .

التنامي المستمر للتناقضات بين القوى
الاجتماعية المشكلة للتحالف والذي أدى أكثر من
مرة الى تهديد الوحدة الوطنية وأغرى بالفعل
قوى الثورة المضادة وعلى رأسها الاستعمار
الأمريكي واسرائيل بالتعجل بتصفية الثورة
وسحقها بضربة واحدة .

الاستعمار الجديد ومخططاته

ويتطور أهداف التضال الوطني والاجتماعي ،
وتتلاحم المهام الوطنية والاجتماعية للثورة ،
ويبرز التناقضات داخل قوى التحالف ويستمر
الثورة وتقدمها على طريق التحول الاشتراكي
تدخلت مخططات الاستعمار الجديد وازدادت
شراسة وخبثا ، وانتهت الى :

١ - التسليم الأولى بالاستقلال السيلسي
للبلدان المستقلة حديثا .

٢ - التوقف بحزم ضد كل محاولة لتطوير
التضال الوطني لشعوب هذه البلدان الى اتفاق
التطور الاجتماعي .

٣ - ضرورة الأجهاز ينفذ على النموذج
الذي تحاول أن تقدمه الثورة المصرية خشية
نجاحه .

٤ - وهذا يتم إما بالانقضاض عليه من
الداخل بالاستفادة المدروسة من التناقضات
القائبة بين قوى التحالف وتغذيتها الى اقصى حد
أو بضربة من الخارج وبالقوة المسلحة .

وهكذا تنوعت المحاولات حتى كان المعدون
المدير عام ١٩٦٧ واضمح كما حدد عبد الناصر
التمرد الحقيقي له « القضاء على الثورة
الاشتراكية » .

وتحديد بقصد العدوان وجوهره مسألة
رئيسية من حيث أنها تحدد لقوى التحالف بطبيعة
المهام الاساسية لنضالها والتي لا يجب أن تحيد
منها لحظة واحدة .

فعلى الرغم من أنه قد ترتب على العدوان
احتلال جزء من اراضينا المصرية ٣ وعلى الرغم
من أن المهمة المباشرة العاجلة لقوى التحالف
أصبحت مهمة تحرير الأرض وتصفية آثار
العدوان .

على الرغم من ذلك فإن تحقيق هذه المهمة
لم يتغير من طبيعة المهام الرئيسية للثورة مهم
التحول الاشتراكي .

حركة التصحيح

● امتزاز المفاهيم الاصلية للثورة ●

وعند هذا الحد من توالي فشل محاولات التطبيق لجانب من برامج الثورة وأهدافها ، وتسلم الصراع بين قمة السلطة ومراكزها الاساسية ، وبأحداث الأيام التي تبعت مباشرة حركة ١٥ مايو لتصحيح مسار ثورة ٢٣ يوليو .

اقول عند هذا الحد كان من الطبيعي بل والحتمي ان تختلف وتقسم قوى التحالف على بعضها ليس فقط حول فهمها وتفسيرها للأحداث بل وحتى حول المفاهيم الاساسية التي سطرتها بنضجيتها على صفحات « الميثاق » و « بيان ٣٠ مارس » .

وأصبحت قوى التحالف بالبليلة ومقدان الانجاه كنتيجة منطقية لتكرار الفضل ، والأصصا بالمعز من امكانية أحداث أي تغير جاد بالسلطة واجهزتها والتنظيم السيلسي وملائمه .

وأصبح من الطبيعي في هذه الأيام ان تسبح وباعلى صوت آراء اليمين الاحتياجي تدعو لإعادة النظر في كل ما تمتعته ثورة يوليو من أفكار ومفاهيم وصيغ تتطرق بالقفصا الوطنية والاجتماعية والقومية .

فمثلا سمعنا من :
— جدوى السير في طريق التثنية الاشتراكية
— معنى الاسرار على ضمان نسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين .

— ومدى نجاح صيغة الاتحاد الاشتراكي والفضلية على صيغة التنظيمات الحزبية القومية وامكانية تحقق الديمقراطية من طريقها .

— وفائدة استمرار التعاون مع المعسكن الاشتراكي ، واثر هذا على الاستقلال الوطني ، واهمية التوصل لتسوية سلمية من طريق التناهم مع الغرب وتحت مظلة الحل الأمريكي .
وأخيرا موائد ومضار الترابات النضال القومي واثره على المصالح الوطنية .

وازاء هذا القندهور الذي انتهت اليه الأوضاع كان من الحتمي على الرئيس ثور السادات ان يوضع المواقف الفكرية لحركه .

وكان خطابه القرفي في مجلس الأمتوالذي أكد فيه ان حركة ١٥ مايو هي أول وأخيرا تصحيح وتطوير لمسار ثورة ٢٣ يوليو واستمرار واع لكل ممتدته هذه الثورة وزعيمها جمال عبدالناصر من أفكار ومفاهيم .

وهكذا تم تثبيت المفاهيم الاسيلة والمتطورة لثورة يوليو عن النضال الوطنية والاجتماعية والقومية .

لا تختلف فيه الاجتهادات ، ولا تصارع الآراء ، ولا تصادم القوى ، على حد قول البيان نفسه .

فبيان ٣٠ مارس لم يقتصر على طرح نقاط محددة للعمل يمكن ان تتوحد من حولها قوى التحالف بل قدم في نفس الوقت وسائل تنفيذها من طريق حشد كل القوى الشعبية بوسيلة ديمقراطية وراء واجب المعركة وإلزام اتمام بناء الجتمع الاشتراكي مؤكدا ان صيغة الاتحاد الاشتراكي هي أكثر الصيغ ملازمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة ديمقراطية .

وإن السبيل إلى ذلك هو إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ديمقراطيا بالانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة ، وبناء التنظيم السيلسي لطلامح الاتحاد الاشتراكي .

وضوح الأفكار لاتكفي وحدها

غير ان وضوح الأفكار ومرح البرامج والانفاق عليها وتحديد وسائل تنفيذها لا يكفي وحده لمذا ؟

لأن الأفكار والبرامج ووسائل تحقيقها تصطدم فور طرحها بمصالح القوى الاجتماعية المشكلة للتحالف .

وسريعا ما تتحد كل قوى اجتماعية موقفها العملي من مضمون ما تفقيه البرامج وتحذره من وسائل ، وتسعى لتطويرها لواقعها الاجتماعي المتميز مستفيدة من الواقع التي تغطيها في أجهزة الدولة ومراكز التنظيم السيلسي .

ومبر الصراع الذي يدور يكذب النجاح أو الفضل المؤقت لبرامج العمل المطروحة .

بيان ٣٠ مارس في التطبيق

واليوم نذكره جميعا مسير محاولات وضع بيان ٣٠ مارس في التطبيق خاصة النقاط الجوهرية المتعلقة بقضية « تأكيد وتثبيت دور قوى الشعب السائلة وتحالفها وتأييدها في تحقيق سيطرتها بالديمقراطية على العمل الوطني في كالة مجالته » . أي تحقق سلطة تحالف قوى الشعب العاملة جميعها ، وبناء الديمقراطية باعتبارها المحور الاساسي لجنية أي تغيير كان يضمن وضع برنامج ٣٠ مارس في التطبيق .

فبدلا من ان تتوحد قوى التحالف حول وضع مضمون البيان في التطبيق ، تفانم الصراع داخلها يوما بعد يوم خاصة بعد وفاة الرئيس عبد الناصر إلى الحد الذي تعرضت فيه الوحدة الوطنية ذاتها للخطر وكاد ان يضع الصوت الاصيل لمعركة تحرير الأرض ، بل والمفاهيم الاساسية لثورة يوليو .

برنامج العمل الوطني

ومهام النضال الوطني والاجتماعي

لعل من أبرز ما يميز به برنامج العمل الوطني هو منح الفهم الاستراتيجي لقضايا المرحلة الراهنة مرحلة تحرير الأرض واتجاز مهام التحول الاشتراكي.

والجديد الذي يقدمه البرنامج على ضوء هذا الفهم هو التلاحم القائم بين مهام العمل الوطني والاجتماعي.

هذا التلاحم الذي يكسب القضية الوطنية بعدها الاستراتيجي الاصيل.

فالبرنامج يرى أن:

« ثورة التحرير الوطني لا يمكن أن تحقق هدفها الاصيل في تحرير الشعب الا اذا اختارت لتحرير طريق الاشتراكية ».

وهكذا يرى أن التحرير الوطني لم يعد مجرد كسب الاستقلال السياسي وإجراء بعض الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، ولا حتى تأمين بعض المصالح الأجنبية ، بل أن جوهره الاصيل هو اختيار طريق الاشتراكية .

وبمعنى آخر فإن الاهداف الوطنية الاصلية لثورات التحرير الوطني في عصر الاستعمار الجديد لا يمكن أن تتحقق الا من طريق السير قسما في طريق التحول الاشتراكي ، وهكذا يصبح العداء للتحول الاشتراكي ومناهضته — في التطبيق الأخير — ليس مجرد موقف اجتماعي بل هو في حقيقته مداء للاهداف الوطنية الاصلية للثورة .

وفي مجال آخر يؤكد هذا التلاحم حين يتحدث عن الامبريالية وأهدافها ويقول :

« أن الامبريالية على الرغم من اتساع وتماظم حركة التحرر العالمية لم تضع السلاح ، بل انها لتزداد شراسة وضراوة وتريد أن تبقى على استغلالها للشعوب ، وأن تضرب النظم التقدمية الحديثة ، وأن تبقى على الرأسمالية مصدر ثرائها ونفوذها ».

فالامبريالية في حركتها لن تضع السلاح بل ستظل تصالون أن تضرب الشعوب ونظمها التقدمية . وسوف تسعى دائما للإبقاء على النظام الرأسمالي مصدر ثرائها ونفوذها .

ومرة أخرى يربط البرنامج بين النضال الوطني ضد الامبريالية وبين النضال الاجتماعي ضد الرأسمالية .

وبهذه المفاهيم الواضحة من تلاحم العمل الوطني والاجتماعي ملج البرنامج تضايواهم تحرير الأرض من خلال معالجته للاهداف الاستراتيجية للثورة ومهام المرحلة المقبلة .

فمعركة تحرير الأرض أصبحت جزءا لا يتجزأ من

اتجاز اهداف التحول الاشتراكي ويجب أن تسامد على تجميعها من طريق :

- مواصلة التنمية .
- بناء قاعدة الصناعة الثقيلة
- تطوير الريف وإعادة بناء القرية .
- خلق الدولة الحديثة ووضع أسسها .
- وكل هذا تحت شعار : « أقصى استعداد للمعركة مع الاستمرار في التنمية بأعلى المعدلات » .

برنامج العمل الوطني في التطبيق

بعد كل هذا تبقى قضية التطبيق ، محك جدية أي عمل فكري وسياسي .

وقضية وضع برنامج العمل الوطني في التطبيق تكسب اليوم أهمية خاصة في نظير جماهير الثورة ، هذه الجماهير التي لم تأخر لحظة من تبني واثراء اهداف وبرامج ثورة يوليو ولم يهتز أياها أمام مشاكل وأخطاء التطبيق الماضية ، وقبيل بفهم في كل مرة النقد الذاتي والتفسير الموضوعي .

لذا يصبح من الأهمية ونحن على مشارف وضع برنامج العمل الوطني في التطبيق أن نتوقف قليلا دون حماسية لاستخلاص الأسباب الجوهرية التي حالت دون وضع برامج العمل الوطني والاجتماعي وعلى ضوء ما سلف ذكره ، ويمكن أن نوجز الأسباب في :

- ١ - افتقار التنظيم السياسي للديمقراطية .
- سبق أن أوضحنا أن القوى الاجتماعية المشكلة للتحالف تحفظ وتتصارع حول تطبيق البرامج وكان من المفروض أن تكفل تنظيمات الاتحاد الاشتراكي ، وأن يتم هذا الصراع بالصغار الديموقراطي الجاد والموضوعي داخل المستويات التنظيمية المختلفة وتحت هذا المركزية الديمقراطية .
- وأن تضمن حق وفرض هذا الحوار لكافة قوى التحالف خاصة قوى العمال والفلاحين والمشكلة بوزنها وحجبها الاجتماعي الاغلبية الساحقة للتحالف .

أن كبت الصراع وإنكاره أو التسليم الشكلي به لم يولد في الماضي غير مراكز القوى الرأسمالية القمع والتجسس الخفية للديمقراطية والقيم الامتصاصية .

- ٢ - عرقلة تطوير السلطة لتصبح سلطة تحالف قوى الشعب العاملة جميعها .





الأهداف المطروحة:

الوسائل .. الضمانات

د. فؤاد مرسى

أولا يتعين تحديد الأهداف ، فما هي أهداف برنامج العمل الوطنى ؟ باختصار يرى هذا البرنامج الى استخلاص ديمى الهزيمة التى حلت بنا فى يونيو ١٩٦٧ . وهذا البرس هو ما نادت به جماهير ٩ ، ١٠ يونيو من ضرورة التغيير . وكان التغيير عندهم بحث بمعنى بلغة الجماهير اعادة بناء مصر على أسس حديثة ،

نقداً

لقد حاولت تنقيحها ثورة يوليو أن تقدم حلاً لتضيق السلطة يجنبها طوال مراحل التفضال الوطنى والاجتماعى المخاطر الكثيرة خاصة فى لحظت الانعطافات الحاسمة ليجرى التطور . ولقد تجسد هذا « الحل » فى مبادئ الاستقطابات المتتالية التى كتبت تتم بالسلطة واجهزتها ، وهى استقطابات ذات مدلول اجتماعى واضح يطور من طبيعة السلطة وتثبيتها للقوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى تطور الثورة واستمرارها .

غير أن وضع هذا الحل فى التطبيق مسألة معقدة وصعبة ويجب أن تتم وفقاً لقواعد المشروعية الثورية والا اتخذت طابع الانقلاب والمنصرة ، وأخيراً فإن نجاح هذا الحل واستمراره يتوقف على اقتناع جماهير الشعب ودورها الفعال فى مساندة السلطة وتأييدها .

وبين ٢٠ مارس صدر فى الأساس من أجل « نقل السلطة بالديمقراطية الى تحالف قوى الشعب العاملة » .

وفى التطبيق عرقلت أحداث هذا التطوير بالسلطة قبل وفاة عبد الناصر وبعده ٧ وازدادت حدة الصراع ، وسعت بعض العناصر التى كان يدها بالفعل المراكز الأساسية لاجهزة السلطة الى مرضي بجهولتها الضيقة من السلطة الامر الذى كان يمكن أن يؤدي — فى احسن الاحوال — الى انفراد مثل بعض فئات التحالف بالسلطة ، الامر الذى يعنى تصفية سلطة التحالف ذاتها .

ان تكرار ظاهرة مراكز القوى والازدواج الذى يتم عملاً بالسلطة هو فى التحليل الأخير تعبير من أن تضيق السلطة وتطويعها لم تحل بعد بالشكل الذى تصبح فيه ممثلة لقوى التحالف جميعها وبدون هذا تتعرض التجربة المصرية وصيغتها الثورية للخطر الأكبر ، خطر تفشل التطبيق المتتالى ، والذى حتماً لابد وأن يمتد الى صحة الصيغة ذاتها .

وبإخلاص شديد فإن الصيغة لم تعد تحتل تجربة ناشئة جديدة . أن فرصة جيدة قد أتيحت لقوى تحالف قوى الشعب العاملة من أجل التفضال لتحقيق وتطبيق برامج العمل الوطنى لمصالح تحرير الارض العربية المحتلة وبناء الاشتراكية على أرض مصر العربية .

ان الجماهير الكادحة الوفية لم تتأخر فى ان تعطى الرئيس ثور السادات وحركة مايو المساندة والتأييد ، ويمكن أن تعطى المزيد وبلا حدود يوم أن تتشعر من واقع حياتها اليومية بأن السلطة فى بلادنا تتطور وبالديمقراطية لصالح قوى التحالف جميعها ، وأنها كل يوم تنجح فى تسير ولو خطوة واحدة للامام من أجل تنفيذ المهام المطروحة لبرنامج العمل الوطنى .

الاقاليم - ومن ثم يتخذ الحكم المحلى ظاهرا جديدا عميق الدلالة بعيد الأثر .

هل يمكن ؟

هل يمكن تحقيق تلك الاهداف ؟ نعم ، يمكن . بالطبع . - ليست المهمة بالسهلة . وانما هي مهمة لا طريق لها الا بذل الجهد والعرق .

فكيف مضاعفة الدخل القومي لا يمكن أن يكون هدفا خياليا أو مستحيلا . ولقد حاولناه من قبل واقتربنا منه في الخطة الخمسية الاولى . ولقد حققنا في السنوات العشر الماضية زيادة في الانتاج من ٢٨٢٠ مليون جنيه الى ٤٥٤٠ مليون جنيه ، على الرغم من كل المصاعب والاضطرابات ، وعلى الرغم من اعياء حرب اليمن وعدوان اسرائيل واعباء المجهود الحربي .

ان تحقيق هدف مضاعفة الدخل القومي لا يتطلب أكثر من أن نزيد استثمارا تدريجيا خلال السنوات العشر المقبلة حتى يصبح متوسطها السنوي بين ٥٠٠ ، و ٦٠٠ مليون جنيه . وهذا لا يعني أكثر من أن نرفع نسبة الاستثمار الى الدخل القومي من وخمسة المائى وهو ١٣ فى المائة الى ٢٠ فى المائة فى المتوسط . وهى نسبة تجاوزتها بلاد كثيرة فى مرحلة التنمية المبكرة . بالطبع لا تحتاج بلاد الى السلام مثل احتياج بلادنا . لكن الخطة يجب أن تعد على اساس استمرار حرب التحرير الوطنية ضد اسرائيل والغوى الامبريالية التى تساندنها . ولهذا لا تستبعد الخطة احتمال تخصيص جزء هام من مواردها لمدة سنوات مقبلة لاجراض الدفاع والتحرير . ومع ذلك فان المجتمع الذى يخصص حاليا أكثر من ٣٥٠ مليون جنيه لاجراض التنمية قادر بمزيد من الترشيد لقطاعاته الانتاجية على أن يضاعف من معدلات نموه . حتى يغير أن يخصص لذلك استثمارات جديدة . ومن هنا فان هدف مضاعفة الدخل القومي لا يبدو مستحيلا . وفى الايمان أن نحقق اذا اخطأنا هذا من الاجراءات العملية التى نكفل .

١ - زيادة الفائض الذى يتولد فى القطاع العام بغير زيادة تذكر فى الاستثمار .

ب - زيادة انتاجية العمل على المستوى القومي بسحب فائض العمالة من الزراعة الى الصناعة والتشديد .

ج - تخطيط الاستهلاك الجماعى والمائى لنتخلص من الاسراف والتبديد والتخطيط فى توجيه الانتفاق .

د - الاهتمام بتطوير سريع للخدمات الدولية مثل الميناء ونقل البترول والنقل البحرى .

هـ - التوسع فى الاعتماد على الجهود الذاتية للجمامير ولا سيما فى قطاع الخدمات .

لما هدف تطوير جهاز الدولة ، فيبدو فى الظاهر

ينجئنا تلكا التسيير بخطى ثابتة وحقيقية نحو هدف الاشتراكية . وكان ذلك يعنى فى الواقع تغييرا فى السلطة . وجاء بيان ٣٠ مارس ليجسد ارادة التغيير الجماهيرية . لكن لم تتحول فقرات بيان ٣٠ مارس الى حقيقة مادية فى واقع المجتمع والدولة . من هنا يتلقى برنامج العمل الوطنى هذا الواقع بحريته ، ويحدد هدف الجماهير فى صورة عملية قابلة للتنفيذ فى صورة برنامج تلزم به المؤسسات الدستورية والسياسية للبلاد .

ان الهدف هو اعادة بناء مصر ، من أجل مسح هار الهزيمة العسكرية ومن أجل بناء وطن يحضى الاجيال العالمة ، وتشرق الاجيال القادبة بالانتماء اليه . ان الهدف البعيد كان ولا يزال هو التحول الاشتراكي فى المجتمع والدولة . لكن الهدف القريب لعشر سنوات مقبلة هو اعادة بناء الدولة الحديثة . الهدف اذن هو ترشيد التجربة الثورية والتمهيد بذلك لمرحلة اخرى على طريق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى .

فمن اذن أمام هدف من حلوى هو ترشيد التجربة الثورية الفنية التى عاشتها البلاد . كيف يكون ذلك ؟

اولا - بمضاعفة الدخل القومي فى السنوات العشر المقبلة ، وبتمكين ذلك اعادة بناء قوى الريف وتطوير تجمعات الصناعة المهمة واتساع المرحلة الاولى من التخطيط بجمع من بلغ سن الالتزام تمهيدا لرفع هذه السن الى ١٥ سنة ، وتوجيه العناية الصحية الى العمال والفلاحين اسما ، ولتمتداد التلبيات الاجتماعية لتشمل جميع المواطنين وتحسين ظروف العمل ومستويات المعيشة للعمال وترشيد وتدريب تخطيطات القطاع العام واسلوب الادارة فيه وتحقيق زيادة سنوية قدرها ٢ فى المائى على الاقل فى الناتج القومي تخصص لزيادة دخول المواطنين ورفع مستوى معيشتهم .

ثانيا - بتطوير جهاز الدولة من القمة تحديدا للمسؤوليات ، وتأكيذا لرقابة الجماهير عليها مع منح المواطنين فى خلال تنظيماتهم الحق فى أن يأتوا الى المدى العام عندما يرون انحرافا عن القانون ، أو سوء استخدام للسلطة ، وفتح ابواب المناصب القيادية فى الدولة أمام العناصر الشابة المثقفة وبوجه خاص من أبناء العمال والفلاحين ، ويعد وضع الدستور الدائم ودعوة الناخبين لانتخاب مجلس الشعب الجديد ، يبدو ملمحا جوهريا فى اتجاه تطوير الدولة . اولها التأكيد على الوحدة الوطنية لطبقات الشعب مع الصلح بجمعية الصراع الطبقي فى اطار الوحدة الوطنية . وثانيهما البدء بالتدريج فى تكوين المجالس الشعبية فى المحافظات بوصفها اقدر على احساس بمشاكل الجماهير واكثر على حلها . ان جزءا من سلطة الدولة ينتقل هاهنا من القاهرة الى

أما تطوير جهاز الدولة فهدف عويس ووسيلته لا يمكن أن تكون وسيلة واحدة . وإلى جانب ما اتخذ من إجراءات دستورية وقانونية وتنظيمية هامة ، فإن من الضروري أن نبرز بعض أهم الوسائل التي تلوح لنفسها في هذا المجال :

فهناك أولا حقيقة أعمال وتشغيل المؤسسات الدستورية والسياسية وتمسك كل منها بوظيفتها ودورها .

وهناك ثانيا ضرورة تصرك التنظيمات الجماهيرية وممارستها لحياتها الطبيعية بيسن للجماهير وفي مقدمتها .

وهناك ثالثا الفهم الجديد لطبيعة العمل السياسي ، وهو أن العمل السياسي في نهاية الامر عمل اقتصادي . بعبارة أخرى فإن جدية العمل السياسي في بلدنا يمثل بالتحفة في أن يرتبط ارتباطا كاملا بالعمل على تنفيذ خطة التنمية الشاملة ، بحيث يكون تنفيذ الخطة هو أساس تقييم الافراد والجان والمستويات التنظيمية . منالك يصبح التنظيم بحق تنظيمها خاصا للجماهير لا متسلطا عليها .

وهناك أخيرا حتمية قيام التنظيم الطليعي الذي يجمع العناصر القيادية التي تظهر أثناء العمل بين الجماهير من أجل تنفيذ الخطة الشاملة في تقان وإخلاص وانكار للذات وبغير تطلع إلى جزاء أو جاه أو منصب ، والجهاز الطليعي جهاز ينشر الفكر الاشتراكي بالقول والعمل والسلوك والقوة الحسنة ، ولا شك أن قيام هذه التنظيم كليل بتنظيم الحياة السياسية وتطوير أجهزة الدولة مكلما يكون كفيلا بدفع الإنتاج وإنجاز بل تجاوز أهداف خطة التنمية .

ما هي الضمانات ؟

لا ضمانات هناك إلا حركة الجماهير ذاتها ، يفتتها ، فملتتها ، وعيها ، مما يتوقف إلى حد كبير على مدى تنظيمها .

بالطبع هناك ضمانات ظاهرة يجب الحديث عنها ، ضمانات أولى هي الحرص على مصالح الطبقات الضمنية ، مصالح العمال والملايين ، وضمانات ثانية هي الحرص على أهمية وضرورة الوحدة الوطنية بين الطبقات التي تشكل تحالف الشعب للامال ، وضمانات ثالثة هي البقطة إزاء تحركات القوى المعادية للحلول الاجتماعي .

وبعد ذلك ، وقبل ذلك ، تبقى الضمانات التي لا ضمانات سواها وهي حركة الجماهير المنظمة ، فسبيل التنظيم هو أقوى سلاح تملكه الطبقات العاملة من أجل بلوغ أهدافها . وعندها فيجب أن نتذكر دائما أن برنامج العمل الوطني هو برنامج مرحلة واحدة تستغرق للسنوات العشر المقبلة وليس برنامجا جديدا ، ويجب بالتالي أن يهيىء بعدها برنامج عمل وطني آمن يستهدف أهدافا أخرى أبعد مدى .

أسهل مثلا ، والواقع أنه أصعب بكثير من هدف مضاعفة الدخل القومي ، لأنه إنما يتعلق بتطوير سلطة الدولة لا مجرد إجراء تغيير في التنظيمات ، وبعض التغيير في الأشخاص . من المهم طبعاً تشكيل المجالس القومية المتخصصة وتطوير البحث العلمي وإخضاع حياتنا العامة لإحكام العلم وقواعده وضروراته . كما أن نقل جزء من السلطة المركزية إلى الحكم المحلي وإشراك العاملين في إدارة القطاع العام ، تطبيق حقير طابعان ، وضمانتان عمليتان لرقابة الجماهير على الدولة والاقتصاد ، ولكن يبقى أن تجد الطبقات المختلفة فرصاً متساوية للتعبير عن نفسها في إطار الوحدة الوطنية . وستظل هذه قضية عويصة لا تحل بالغمارات كما لا تحل بتجاهلها أو طمسها . ولابد أن يتوصل العمل السياسي يوماً ما إلى حل أصيل لها . وكما يقول البرنامج فإن الديمقراطية تمنى حرية الرأي والتعبير لكل عضو في الاتحاد الاشتراكي ولكل مستوى من تنظيماته ولكل قوة من قوى التحالف وإيجاد الظروف الملائمة لممارسة هذه الحرية .

ما هي الوسائل ؟

لها هدف مضاعفة الدخل القومي فوسيلته الأولى والأخيرة هي التخطيط . فالتخطيط هو صلب التنمية الشاملة . واستمرار هذه التنمية متوقف على أن ترتبط جهود الملايين بعمل تنظيمي مخطط . والتخطيط مطالب بأن يحقق التنااسب والتوازن بين فروع الاقتصاد وقطاعاته ، وأن يضع أولويات الاستثمار بحيث تدرك أكبر مائد في أقل وقت ، وأن يهتم بتطوير فروع الصناعة الثقيلة التي تحقق خفصاً في نفقات الإنتاج وزيادة في حجمه . من هنا لابد أن يطرح هدف مضاعفة الدخل القومي في إطار خطة شاملة للتنمية محتها عشر سنوات ، تنقسم إلى خطتين مدة كل منهما خمس سنوات . وعلى الحكومة أن تشرع على الفور في إعداد الخطة القومية الشاملة ، على أن تنتهى من الإعداد التمهيلي للمرحلة الأولى منها في يناير ١٩٧٢ . بحيث يعرض مشروع الخطة على المؤتمر القومي لمناقشته وإقراره في فبراير التالي ليتم إدراج الاعتمادات اللازمة للتنفيذ ابتداء من ميزانية ٧٢ - ١٩٧٢ .



مترقة من يثوده - الاسس العالمة لسياساتنا
الخارجية كما رسمتها الوثائق النظرية لثورة ٢٣
يوليو المجيدة وفي مقدمتها الميثاق الوطني
مبرزاً بشكل خاص « التزامنا الى ممسك الشعوب
المناضلة من اجل التحرر والقضاء على الاستعمار »
ومحدداً بوضوح كليل من هو العدو الذي ينبغي
ان نحذر منه ومن هو الصديق الذي لابد ان
نحرص على التحالف معه في معاركنا نضالنا من
اجل التحرر والبناء ..

العدو .. والشريك

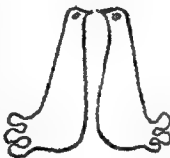
فعلى الجانب الاول - جانب تحديد من هو
العدو - لشار البرنابج الى « ان الامبريالية
على الرغم من اتساع وتصاخم حركة التحرر
الحالية لم تضع السلاح، بل انها تزداد تراسس
وضراوة ، تريد ان تبقى على استقلالها للشعوب
وان تضرب القزم التقدمية الحديثة وان تبقى
على الرأسمالية مصدر ثرائها ونفوذها . وانها
تتجلى في سبيل تحقيق اهدافها الى كل الوسائل
الى الحرب ، الى التسلط الاقتصادي ، الى
المخادعة ، الى التخريب من الداخل » .

ثم انتقل البرنابج الى تحديد اكثر وضوحا
حينما تيم دور الولايات المتحدة الامريكية وبقوتها
من العدوان الاسرائيلي ضمتنا لوضعها موضع
الشريك الكليل في هذا العدوان .. قائلا « ان
تصميم الولايات المتحدة على استمراز دم
اسرائيل عسكريا وماليا يجعلها - كما سبق ان
قلت - مشتركة في احتلال اراضيها والعدوان
على سيادة اوطاننا وبين اننا بذلك تضع نفسها
في موقع العداوة لامة العربية كلها .. وعليها
وحدها ثيمة ما يمكن ان يحدث عن هذا الوضع
من نتائج » .

الصديق .. والطريق الصعب

وعلى الجانب الاخر - جانب تحديد من هو
الصديق - نجد ان البرنابج حدد قيم العلاقة
بيننا وبين الاتحاد السوفيتي تقريبا ايجابيا ..
ونستطيع ان نلخص هذا الابن بوضوح من خلال
استمرارنا للوائح الازمة التي تعرض فيها
البرنابج للحديث عن الاتحاد السوفيتي .

الموضع الاول : حينما تحدث البرنابج عن
ايجابيات مسيرة ثورة ٢٣ يوليو في المجال
الدولي عبر التسعة عشر عاما الماضية فنجد
يقول هنا انه بفضل السياسة المتوزية التي
اتبناها في المجال الخارجي « احطت بلاننا
مكتنا بارزا في المجال الدولي » وامسحت في
مقدمة صفوف الشعوب المناضلة ضد الاستعمار



الصداقة

العربية

السوفيتية :

سلاح مشترك للنضال

ضد الامبريالية والعدوان

عبد اللطيف حنفي

ان برنامج العمل الوطني الذي

تقمه الرئيس اتور السادات الى
الواحد التوسيع المسلم للاقتصاد
الاشتراكي العربي في يوليو الماضي
لم يرد نندا خلاصا للحديث من
المهام المحددة المطلوبة لأمم حركتنا في المجال
الدولي خلال المرحلة القادمة .. الا ان البرنابج
قد حرص على ان يؤكد من جديد في وفي مواضع

ونغم

ومن أجل التحرر والسلام والرخاء * وحكمت
بأنين الصداقات التي برزت قيمتها في أوقات
الشدة ، وفي القدمة منها صداقة شعوب الاتحاد
السوفيتي * .

أزاء الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يكون متأكد
من رغبة ذاتية في الجابلة أو حتى مجرد العرفان
بالجميل وذلك لأن المواقف المبدئية للشعوب لا يمكن
أن تبني على رغبت ذاتية قابلة للتغيير كما لا يمكن
أن تكون مجرد ردود أفعال غير مضبوطة أو غير
واعية بما تقطعه على نفسها من مهود ولكن هذا
الموقف هو باليقين انعكاس مباشر وسيط لحقائق
الواقع وخبرة التجربة وصلاية الأبد في آن واحد .
كما أن له جذوره الممتدة في تاريخ ثورتنا ومعاركنا
من أجل التحرر والتقدم المادي والاجتماعي »

الصراع ضد الامبريالية

منذ أن رفض شعبنا بقيادة جمال عبدالناصر
الخنسوع للتفرد الامبريالي بخلف مسوره
واشكاله نشأت على الفور الظروف الملائمة لبناء
علاقات متكافئة وقائمة على الاحترام المتبادل
بيننا وبين الاتحاد السوفيتي حيث ظهرت اولي
نقاط الالتقاء المبدئي بيننا واكثرها تأثيرا حتى
الآن متبصلة في موقف العداء الصارم للاستعمار
والاستعمار الجديد ومحاولات تقسيم العالم او
اعادة تقسيمه الى مناطق النفوذ الامبريالي »

وفي مواجهة الغول الامبريالي لم يكن هناك
من تطلب مسامحته لنا سوى المعلق السوفيتي
وكان حصولنا على الاسلحة من المعسكر
الاشتراكي في مواجهة امتناع المعسكر
الاستعماري من تسليم جيشنا - وهو بالصلح
على تصميمه في تزيح ثورتنا بمفرعة كسر احتكار
السلاح - او تعبير ملى عن هذا الموقف المبدئي
المشترك . وكما يقول الميثاق الوطني بحق « أن
الشعوب لا تستخلص ارادتها من قبضه الغاصب
لكي تضعها في متاحف التاريخ وانما تستخلص
الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية
تجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها »
وبالفعل فقد تطلعت بعد ذلك الممارك الثورية
التي خلفها شعبنا من نفس المواقع المبادئ
للديمقراطية والطابع إلى إنشاء تقامه المبادئ
والاجتماعي المستقل . وكذلك كل معركة من هذه
المعارك تخطو بالعلاقات البناءة بيننا وبين الاتحاد
السوفيتي خطوة جديدة إلى الأمام . ولعل أن حل
تلخيص لما أنتجته العلاقات العربية -
السوفيتية خلال تلك الفترة من ثمار ايجابية هو
تلك الكلمة التي قالها جمال عبد الناصر في ١٦
مايو عام ١٩٦٤ حيث قال :

« ان الصداقة التي تربط بين شعوبنا لم تكن
صداقة المصادفة ولا صداقة الطريق السهل .
ان القوى الاستعمارية ارادت دائما ان تفصم
المواجز على طريقنا . . . وحينما ملكت شعوبنا
ارادتها فانها سمعت الى القضاء مع شعوبكم

وكان الموضع الثاني منحنيا تحدث البرنامج
من المحاولات الدائبة التي يقوم بها « اعداء
الاشتراكية » دون كل ويشي الوسائل للتشكيك
في مسيرة ثورتنا وفي إنجازاتها العظيمة داخلها
وخارجها . فمنا أشار البرنامج إلى ان محاولات
التشكيك هذه قد امتدت حتى « إلى سياستنا
الخارجية وإلى انتمائنا لمعسكر الشعوب المتضامنة
من أجل التحرر والقضاء على الاستعمار وإلى
صداقتنا للاتحاد السوفيتي البطل » . .

اما الموضع الثالث فقد جاء بمنحنية الحديث
من ضرورة وضع خطة للتعبئة الاقتصادية
والاجتماعية تستهدف مضاعفة دخلنا القومي
خلال السنوات العشر القادمة ، والحديث التالي
من ضرورة توفير المسخرات اللازمة لتحقيق
اهداف هذه الخطة وتغطية الاستثمارات المطلوبة
لها فمنا أشار البرنامج إلى تجربة « الاتحاد
السوفيتي » كمودج « للدول التي اجتازت مرحلة
التعبئة بنجاح في وقت قصير جدا » .

واخيرا كان الموضع الرابع ، حينما تصدت
البرنامج من دور الصناعة في خطة التنمية الجديدة
المقترحة لمضاعفة دخلنا القومي خلال السنوات
العشر القادمة . فمنا أيضا حرص البرنامج على
أن يشيد بالدور العظيم الذي لعبه ويلعبه « الاتحاد
السوفيتي » لمساعدتنا على تحويل اقتصادنا القومي
من اقتصاد زراعي متخلف إلى اقتصاد صناعي
عصري . . فقال « . . . ويتفهمنا الاتصال هنا
أن تشير بالشكر العميق إلى دور الاتحاد السوفيتي
الصاديق الكبير لنا ولكل الشعب العربي ، فإن
محاولته المصادفة لنا غير المشروطة بأي شرط
في تطوير اقتصادنا القومي في مختلف مجالاته ،
ويوجه خاص إلى سبيل المثال لا الحصر أفريقية
الصين الأخيرة لنيل مسندا رئيسيا لنا في
تحقيق اهداننا وبناء دولتنا الجديدة » .

تلك اذن هي المواضع الاربعة التي ترحس
فيها البرنامج للحديث عن الاتحاد السوفيتي
ويبدو وانما فيها كل الوضوح مدى تقدير
البرنامج للدرجة السوفيتية ومدى حرصه على
التعبير من العلاقات التضالفة الوطيدة التي
تربط بين شعب مصر العربي بل بين الشعب
العربي كله وبين شعوب الاتحاد السوفيتي
الصديقة .

والامر الجدير بالذكر هنا ان موقف البرنامج

بمخططة كل هذه القواصم » ثم اكدت التجارب واحدة بعد واحدة ان هناك مجالات واسمة رائعة تنتظر هذه الصداقة خدمة قسومنا وخدمة للانسانية وهى :

اولا : الوقتوف الى جانب شعب مصر فى تصببه على كسر احتكار السلاح .

ثانيا : الوقتوف الى جانب شعب مصر فى تصببه للفوز المستميرين الذين ارادوا اقتحام اجوائه وشواطئه ولتتزع قناته التى بناها بديه واراد استردادها بجهه .

ثالثا : الوقتوف الى جانب شعب مصر فى مقاومه الحصان الاقتصادى والحرب النفسى التى بلغت مداها فى المنطقة بتشديد ضغط حلف بغداد على سوريا عام ١٩٥٧ .

رابعا : الوقتوف الى جانب شعب مصر فى جهده البطولى لبناء وطنه اقتصاديا ومعاونته فى اقامة صناعاته ثم معاونته فى بناء السد المالى العظيم الذى اصبح رمزا للبناء ورمزا للصداقة »

النمو اللاراسمالى

وطريق الاشتراكية

وحينا انتهجت ثورة ٢٣ يوليو بشكل حاسم طريق النمو اللاراسمالى بدءا بقوانين التأمين التى صدرت فى يوليو عام ١٩٦١ ، وافقت رسميا فى وثائقها النظرية ان المرحلة الجديدة التى تدخلها الثورة هى مرحلة القبول نحو الاشتراكية بما يعنى ان انتصار علاقات الانتاج الاشتراكية والعلاقات الاجتماعية الاشتراكية هو الهدف الذى تسمى الثورة الى بلوغه كان ذلك يمثل بالنسبة لمعسكر الاستعمار شى موبالنسبة للمعسكر الاشتراكى شى آخر .

فمعسكر الاستعمار وجد فى هذا الامر تحديا خطيرا ونهائيا لمصالحه واهدائه فى المنطقة واعتبر منذ ذلك الحين ان الثورة المصرية قد دخلت بالنسبة له الى منطقة اللاموده وانه لا سبيل الى ارجاعها الا بتعطيلها وتعطيل ارادة الشعب الذى يتولى حمايتها حتى ولو تطلب الامر العودة الى استخدام اسلوب الغزو المسكرى ضد هذا الشعب وثورته .

اما المعسكر الاشتراكى فكان الامر بالنسبة له يعنى تأكيدا جديدا بان مصر باقية على موقفها الجدى ، وموقف المضاء المسلم للاستعمار والاستعمار الجديد ومحاولاته لتقسيم العالم او اعاده تقسيمه الى مناطق لتتوزع الامبريالى . بل ويعنى اكثر من ذلك ان الثورة المصرية باقية

فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية فى تطوير هذا الوقت المبذوف الى انجائه الطبيعية والاجتماعية وهو ماسوف يؤدى عاجلا او آجلا الى انتصار الاشتراكية فى مصر .

وهكذا .. فمثلا تسجل تلك المرحلة تزايد المؤامرات الامبريالية ضد ثورة ٢٣ يوليو وشراستها وخيائاتها تسجل على الطرف التقيض نمو العلاقات والصداقة المصرية - السوفيتية وتعميقها كبا وكيفا فى مختلف المجالات . وقد عبر جمال عبد الناصر عن ملاح هذه الحقيقة حينما قال فى خطابه يوم ٢٤ مايو عام ١٩٦٤ : « ان الصداقة العربية - السوفيتية تجاوزت بكثير كل الاعترافات المؤقتة .. اى ان صداقتنا بهم الان لا يمكن ان يكون مصدرها السلاح الذى نشتريه او ائتم مصدره العون السياسى ضد الاستعمار ، والعون الاقتصادى ضد حصاره ، او ضد التخلف الذى فرض علينا .. ان الصداقة تجاوزت هذه الاعتبارات .. ان الصداقة العربية - السوفيتية هى فى حد ذاتها الان هدف يعسمى اليه ، وغاية تبذل من اجلها الجهود .. فنحن وايامهم بعد ذلك كله وقبله شركاء فى بناء عالم السلام المقبل حيث لا استغلال ولا تخاف » .

العدوان الاسرائيلى

او الامتحان الخطير

ولم تضى سوى اعوام قليلة حتى كانت الهجمة الامبريالية ضد ثورة ٢٣ يوليو ونجازاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية قد بلغت ذروة جديدة بعملية الغزو الاسرائيلى - الامبريالى المسلح للاراضى العربية فى مصر وسوريا والاردن والبقية الباقية من فلسطين صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ .

وفى رايى ان هذا العدوان الامبريالى بمفراه واهدائه .. بالظروف التى احاطته والنتائج التى ترتبت عليه كان اكبر واضطر التحذيرات التى واجهت الصداقة العربية - السوفيتية وما زال كذلك حتى الان .

فقد كان يمكن ان تتعظم ارادة الثورة المصرية تحت وطأة النقل الرهبى للعدوان وتنجح الامبريالية [مرحليا بطبيعة الحال] فى تنفيذ مخططاتها وتفتش اوضاع تجعل من التعاون والصداقة المصرية - السوفيتية مجرد « فعل ماضى » ولذلك فان صمود ارادة الثورة المصرية وقدرتها الذاتية - رغم كل شىء - على تخطى صدمة الهزيمة العسكرية الساحقة التى لحقت بها كان هو نقطة البدء التى امكن بعدها للصداقة العربية - السوفيتية ان تقف - حتى الان - فى وجه هذا الامتحان الخطير .

بوليو وبين ثور وتوثيق العلاقات والمصادقة العربية - السوفيتية ، ويتضح في نفس الوقت حجم الدور الذي تلعبه هذه الصداقة في دعم استمرار ذلك الخط التصريحي وتأمين تطوره المطرد .

وإذا كان ثمة تعقيب أخير على هذه النقطة فهو أن الامتحان الخطير الذي واجهته الصداقة العربية - السوفيتية بعدوان الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ مازال - في رأيي - قائما بكل أبعاده . . . صحيح أنها تواجهه من مواقفهضائية أكثر تقدما وأكثر ملامة ولكن صحيح أيضا أنه امتحان ليس سهلا وأنه يمتحن علينا مواجهته بكل مليمكن أن تثمره هذه الصداقة من قدرة على التفكير الواسع والفعل المحسوب النضبط .

مرة أخرى .. البرنامج

وإذا كان هذا العرض السريع لتطور العلاقات العربية - السوفيتية هو تيسير لما قلته في البداية من أن موقف برنامج العمل الوطني إزاء الاتحاد السوفيتي قد جاء انعكاسا مباشرًا وبسيطًا لمحتلق الواقع وخبرة التجربة وصلابة البدا في آن واحد . إلا أنه تبقى بعد ذلك ثلاثة ملاحظات على جانب كبير من الأهمية في إيضاح المزيد من ملامح صداقتنا مع الاتحاد السوفيتي :

اللاحظة الأولى ، هي أن العلاقة بين الثورة المصرية وبين الاتحاد السوفيتي كانت دائمًا وفي مختلف مراحلها نموذجًا تاريخيًا في العلاقات بين الدول والشعوب . . . فخلال مرة تشهد العلاقات الدولية تعاملًا بين دولة عظمى وبين دولة ناشئة قائمًا على هذا القدر الكبير من الفهم المشترك والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للطرف الآخر . وقد عبر جمال عبد الناصر عن هذه الحقيقة مرات عديدة فقال في خطاب له أمام مجلس الأمة يوم ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٤ : « لقد ساعدنا الاتحاد السوفيتي ، وأحسنًا كنا باستمرار بتشجيع بهذه المساعدة ، ولكن طبعًا الاتحاد السوفيتي دولة شيوعية ونحن دولة غير شيوعية . هل ده له اثر ؟ .. ليس له اثر ، وإنما هو ينتفع بمبادئ التعامل بين الدول ذات المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة . لم نطلب منا روسيا أن تحيا تبقى شيوعيين ، وأحنا لمطلبنا من روسيا أن تهتديروا الشيوعية وبقوا زينا ويمشوا بالسياسة اللي إحنا مشيين بيها ، أبدا .. أبدا . ولم يتدخلوا في أمورنا وأحنا لم نتدخل في أمورهم » .

وفي خطاب آخر القاه في اسوان يوم ١٨ فبراير عام ١٩٦٥ ، قال عبد الناصر : « والحقيقة ..

وقد يكون من قبيل التكرار أن نتحدث هنا تفصيلا عن ملامح الصود المصري ، وكيفيتش شمعنا بكل منجزات ثورته ، مستعرا على طريقته المعادي للامبريالية والاطمح إلى بقاء الاشتراكية وقد يكون من قبيل التكرار أيضا أن نعددا مواقف البنية التي وقها الاتحاد السوفيتي معنا يدعم هذا الصود وينغمه إلى تجاوز لزمته في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

معاهدة الصداقة وضد العدوان

ولكن الأهم من ذلك هو أن يشير إلى أن صود الصداقة العربية - السوفيتية في وجه امتحان العدوان قد أدى بها - كسب وكنتيجة في آن واحد - إلى تطورات بالغة الأهمية تشكل دون مغالاة مرحلة جديدة كيميا وكيفا . فبعدا من تحليل على لطبيعة العدوان الاسرائيلي باعتبارها جزء من مخطط امبريالي عالمي موجه ضد حركة التحرر الوطني ، ووعيا بحقيقة التحالف الاسرائيلي - الامريكي وابعاده وأهدافه في المنطقة العربية ، وفي مواجهة اصرار هذا التحالف الاسرائيلي - الامريكي على تعظيم ارادة شمعنا ، واجهاض استعداداته لتحرير الارض سمعت بلادنا إلى دفع التعاون مع الاتحاد السوفيتي - وعلى نحو خاص - في المجالات الاقتصادية والمسكرية إلى اوسع نطاق ممكن : وجاءت الزيارة التي قام بها جيسل عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي في بداية عام ١٩٧٠ [حينها استمدت غارات الممقي الاسرائيلية بطائرات الفاتوم الامريكية شمعنا] لتعتبر بها ترتيب عليها من نتائج نقطة بارزة في هذا السبيل ، ثم كانت معاهدة الصداقة والتعاون التي وقها الرئيس ثور السادات والرئيس السوفيتي نيكولاى بوجورسكي نيابة عن البلدين في مايو الماضي بمثابة تقنين لهذا الاتجاه الذي راحت العلاقات العربية - السوفيتية تسير فيه منذ العدوان الاسرائيلي بخطوات حثيثة ومنظمة ولقد قال بوجورسكي بعد توقيع المعاهدة « أن هذه المعاهدة تثبت وترسخ كل ملتصق وتكون انهاء السنوات الأخيرة في بونقة نفعنا شمعنا المشترك ضد الامبريالية والاستعمار الجديد من أجل التقدم الوطني والاجتماعي على الأساس النخب من الاشتراكية العظيمة » كما قال السادات أيضا « أن هذه المعاهدة التي تمثل أول مقبيل حزبا شجيدا وحسبا قاطعا يرفض العدوان يثشي وأتتا نحو تصفيته . . تمثل أيضا آمالا كبيرة في أفاق البناء بعد تصفية العدوان حتى تسودنهاتيا المبادئ والقيم الحقوق التي ترفع أعلامها » وهكذا يتضح بجلالة الارتباط الوثيق بين استمرار الخط التحرري المعادي للامبريالية والراسيالية الذي تنتجبه ثورة ٢٣

السوفيتي فان موقت العداء للشعبوية فغسلا من كونه موقفا فكريا وحضاريا متخللا هو في نفس الوقت موقف مناقض تماما لطبيعة فكر الميثاق .

الجيشاني يذكر بالتقدير « ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة يترافد وزنها المادي والمعنوي يوما بعد يوم في مواجهة المعسكر الرأسمالي » كحد التغييرات البارزة التي طرأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

والجيشاني يتحدث من الضمانات التي وفرها النضال الشعبي لنجاح نوره الضالفة فيسذكر من بينها « فكر مفتوح لكل التجارب يأخذ منها ويعطيها ، لا يصد عنها بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالبعد » .

والجيشاني يقول ان « الثورة العربية وهي تواجه هذا العالم لابد لها ان تواجه بفكر جديد لا يحبس نفسه في نظريات مغلفة يقد بها طائفة وان كان في نفس الوقت لا ينزعزل عن التجارب الفنية التي حصلت عليها الشعوب المتأصلة لسكناها . ان التجارب الاجتماعية لا تعيش في عزلة عن بعضها وانما التجارب الاجتماعية كجزء من الحضارة الانسانية تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق » .

ان مشعل الحضارة انتقل من بلد الى بلد ، لكنه في كل بلد كان يحصل على زيت جديد يقوى به ضوهه على امتداد الزمان وكذلك التجارب الاجتماعية . انها قابلة للانتقال . لكنها ليست قابلة لجرد النقل ، قابلة للدراسة الفريدة ، لكنها ليست قابلة لجرد الحفظ من طريق التكرار » .

والجيشاني يقول .. « ان التجربة الوطنية لا تفرض مقبلا تخطئة جميع النظريات السابقة عليها او تقطع برغض الطول التي توصل اليها غيرها فان ذلك تمصبت لا تفكر ان تحصل بزمانه خصوصا وان ارادة التغيير الاجتماعي في بداية ممارستها مستوياتها تحتاج فترة أشبه بالمرحلة الفكرية تحتاج خلالها الى كل زاد فكري ، لكنها في حاجة الى ان تهضم كل زاد تحصل عليه وان تترجمه بالمعصارات الناتجة من خلاياها الحية » .

ومع ذلك فان هذه القضية تبقى بحلجة الى منالجهزة الثقافة والفكر والأعلام في بلادنا سواء على مستوى الدولة أو مستوى التنظيم السياسي لانها في النهاية جزء من قضية مواجهة الإرث الثقافي والفكري المقيم الذي لزمه

انا اجمل للاتحاد السوفيتي كل تقدير ؟ على اساس اننا حينما اختلفنا في سنة ١٩٥٩ وصل الخلاف بيننا الى حد الازمة ، الازمة الفنية ، وكلنا نذكر خلافا سنة ١٩٥٩ لم نسمع كلمة تهديد او تلبيح ، ان هذا الخلاف لم يؤثر على اتفاقية الحد العالي او يؤثر على اتفاقية التصنيع » .

ومن بعد عيد القاصر ظلت مسيسة الاتحاد السوفيتي ثلاثة لم تتغير تصوير على نفس المادى المتأثرة في العلاقات بين الدول وهو الامر الذي كده الرئيس تور السادات في كثير من خطباته . بل اكثر من ذلك فان معاهدة الصداقة المصرية ب. السوفيتية حينما عقدت في مايو الماضي كانت هي الاخرى سابقة تاريخية باعتبارها اول معاهدة من هذا النوع تعقد بين دولة نابية من خارج المعسكر الاشتراكي وبين الاتحاد السوفيتي وقد اعقبتها منذ اسابيع قليلة معاهدة مماثلة بين الهند والاتحاد السوفيتي .

الملاحظة الثانية ، هي ان جمهورية مصر العربية رغم ان نظلمها الاجتماعي المتبيل الا انها ادركت خطورة العداء للشيوعية . وقد ميرت مصر من هذا الموقف في البيان المشترك الذي صدر من **مباحثات الاتحاد الاشتراكي العربي مع وفد الحزب الشيوعي السوفيتي** يوم ٢١ يوليو الماضي حيث قال البيان « وقد ادرك الطرفان من الاعتقاد بان العداء للشيوعية يلحق ضررا بالامم المتحدة والاصالح الوطنية للشعوب ولا ينبغي ان يكون هناك مجال لهذا العداء .. ان العداء للشيوعية لا يخدم سوى الاوساط الاستعمارية والرجعية العالمية ويهدف الى اثاره الوقيعة في صفوف المناضلين الثوريين العرب الذين يخوضون نضالا ضد الامبريالية والصهيونية والعنوان الاسرائيلي في سبيل ضمان حق الشعوب العربية في تطوير مستقبل حر . وان هذه المحاولات ترمى ذلك الى انفساد التضامن والتعاون بين الشعوب العربية واصدقائها » .

وبالاضافة الى ما ذكره البيان العربي -



الاستعمار في مختلف بلدان العالم الثالث ليعزّل به تقديما ويعوق انطلاقها للفاعل مع تيارات الفكر والثقافة التقدمية في عالمنا الراهن تحت تأثير الخوف من أسباح هي في النهاية من صنع الاستعمار نفسه .

والملحظة الثالثة والأخيرة ، هي ان مسئوليتنا في حماية الصداقة العربية — السوفيتية لا تتل بل ربما تزيد من واجب الاتحاد السوفيتي في دعمها . وذلك لأن هذه الصداقة لم تفرض علينا وإنما كنا نحن الذين مسسينا إليها باختيارنا الثوري وعلما على تطويرها ، ودفع خطوتها الى الامام بإرادتنا الحرة وبأصرارنا على الاستمرار في طريقنا المهادي للاستعمار والاستعمار الجديد والطليح الى بناء مجتمع متقدم ماديا واجتماعيا على ارضنا .

ولم له من هنا جاء التعبير الشهير للرئيس أنور السادات « ان التشكيك في الاتحاد السوفيتي خيانة وطنية » .

كذلك كانت كلمات بياته في العاشر من يونيو الماضي تأكيداً لهذا المعنى الذي لا بد ان نعمل على ترسيخه في حيواسنا السياسية بمختلف الطرق وعلى اصلب الاسس .. لقد قال البيان :

« ان صداقتنا للاتحاد السوفيتي صداقة يبدأ وليست صداقة موقوتة . انها صداقة دائمة وليست صداقة مرحلية ، ولقد وقفنا معا وسنقف معا دائما في جبهة الثورة العالمية المضاعية للاستعمار ، وعمقا ووقتنا معا وسنقف دائما نؤيد ونساند حركات التحرر الوطني ، وعمقا وسنعمل معا من اجل السلام العادل ومن اجل التعاون الدولي ومن اجل الرخاء .. » لقد أثبت

الاتحاد السوفيتي بالتجربة العملية وقوفه الصلب في جبهة الثورة العالمية المضاعية للاستعمار ، لم يتأخر عن مد كل عون ادمي ومادي وعسكري لكل شعب يكافح من اجل التحرر ، كما أثبت صدق رغبته في السلام والعمل الجيد على ان يذلل العقبات على طريقه ثم هو لا يتوانى عن وضع امكانياته وخبراته تحت تصرف الدول القابضة العاملة على تنمية اقتصادها وصون استقلالها دون قيد او شرط وهذا واقع نعيشه وليس كلاما نسمع له ارسى جمال عبدالناصر اسس الصداقة العربية — السوفيتية على اقوى الدعامات وكان امرا طبيعيا ان تزدهر هذه الصداقة وتنبو الى ان تصل ذروتها في معاهدة الصداقة والتعاون بيننا وبين الاتحاد السوفيتي التي نعتز بها اشد الاعتراف ، ان هذه المعاهدة تأتي تأكيدا للمبادئ النبيلة المشتركة التي نعمل لها معا وتجسيدا للصداقة الشريفة التي جمعتنا معا ودعما للتعاون الوثيق الذي امتد بيننا ، وتمكينا قما من زيادة قدراتنا على تحرير الارض وتمهيدا من الدولة الصديقة التي تبذل كل مقومات العلم والتكنولوجيا بالاسهام معنا في عملية بناء دولتنا المصرية دولة العلم والايمان والقوة والحرية والرفاهية .. الدولة القادرة على مواجهة التحدي الكبير المهدد لامننا وامام اجيالتنا المقبلة .

واستطرد الرئيس السادات قائلا :

« لقد قال جمال عبد الناصر ومن بعده انور السادات ان التفريط ولو للحظة في صداقة الذين يساعدوننا ولا يساعدنا غيرهم على القتال والقصر تضرب في مصير بلدنا ، وتمكين للاستعمار الذي يريدنا بغير صديق في معركة التحرير ومعركة البناء . »



التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية ... فى البرنامج

- التنظيم الطبعمى ضرورة
- بعد بناء الاتحاد الاشتراكى
- الحركة النقابية المصرية
- ... قضايا الوقت
- السؤال الذى يطرحه البرنامج
- على القضايا المهنية
- مفاهيم اساسية للحكم الحلى



جاء في مرحلة بالغة الخطورة في تاريخ الثورة العربية ، وفي تاريخ علاقة هذه الثورة بالعالم الخارجى .

فلاول مرة في تاريخ الثورات الاصلية ، تربك صورة الصراع داخل هذه الثورة في العالم ، وتبلغ حدا يثير الدهول .

قتناع من العالم يصف الحركة التصحيحية بقيادة ثور السادات بأنها ثورة مضادة ، يلزم هذا القطاع الغرب الاستعماري ، مسقرا كل اجهزته لنشر هذا الوهم .

وقطاع آخر يقف مذهولا لما يجرى مكتفيا ببيانات الاسى ، والاشفاق لتضييق الوحدة الوطنية .

هكذا التسم الصراع في هذه المرحلة بطابع فريد توامه الفهم الكامل لشعب مصر فيما يتعلق بشروطات هذه المرحلة ، والثقة الكاملة في طابعها الثوري التقدمي . بينما وقف العالم الخارجى ما بين استعماري معادى ، يسمى لاستغلال البلبلة المصطنعة لطيفة هذا الصراع . . لو صديق لم يستطيع - في بداية الامر - ادراك جوهر هذا التحول الكبير .

معركة تحويل البرنامج

لواقع عملية

وبعد اقرار برنامج العمل الوطنى من المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، واقتحامه مرحلة التنفيذ ، تنتهى فترة الارتباك واللبلة ، وتبدأ معركة تحويلية لواقع عملى .

ومع ان اقسام هذا البرنامج التاريخى ، عالجت قضايا يصعب فصلها ، فان هذا الجزء من البرنامج الخاص بالاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى ، يستوجب المناقشة والتطبيق ، بل ويحتاج لجهود خاصة وجادة من اجل تحويل هذه المهام الى واقع حى ، يسهم في تطوير الافاق الفكرية لهذه المرحلة .

يقول برنامج العمل الوطنى ، ان قيام تنظيم طليعى - كما نص الاتفاق - داخل الاقتصاد الاشتراكى ، يجمع العناصر القيادية التى ظهرت أثناء العمل بين الجماهير . . من اجل تنفيذ مهام البرنامج ، فى اخلاص وتفان وانكار للذات ، ويخير تطلع الى جزاء ، او جاء او منصب ، فتتق به الجماهير ، وتكلف حوله ، ويجب ان يكون جهازا علميا .

بهذه الفقرة يحدد البرنامج المهام الرئيسية

التنظيم الطليعى

ضرورة

بعد بناء الاتحاد الاشتراكى



مصطفى طيبة

فى ان برنامج العمل الوطنى ، يمر من ضرورة فكرية بوسياسية واجتماعية ، وتنظيمية فى هذه الظروف .

لاشك

لان انقياد أى ثورة لمرحلة جديدة فى تاريخها ، يحتاج بالتأكيد الى وثيقة تكمس ملامح هذه المرحلة وتميز عن اهدافها . ومن ناحية اخرى ، فان برنامج العمل الوطنى ،

والقضية الرابعة: هل يمكن وجود معيار حقيقي، عملي، لنجاح أو فشل الاتحاد الاشتراكي، وإن لم يكن على مدى قدراته على خدمة الجماهير، بشكلها الوطنية، والاجتماعية، بنجاح يمنحه حق التعبير عن الشعب ومصالحه الملموسة؟

جذور القضية

الإجابة على هذه الأسئلة تتطلب العودة لجذور هذه القضية، وأسباب إعادة طرحها بهذا الشكل من الموضوع في برنامج العمل الوطني، فضلاً عن ضرورة البحث عن أساليب جديدة، تحقق فاعلية الاتحاد الاشتراكي، وأهداف التنظيم الطليعي، بلا سريّة، تستغل في مصالح ودروب بعيدة عن أغراضها، أو بيروقراطية تزيف إرادة الجماهير.

لنبدأ أولاً باستعراض سريع للظروف التاريخية التي أنتجت من إصاها فكرة الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي.

في يوليو ١٩٦١ صدرت قرارات يوليو الجديدة، معلنة بداية الانعطاف التاريخي للثورة المصرية لرفض الطريق الرأسمالي، والتطلع لآفاق جديدة تقود للاشتراكية.

ولأن هذه القرارات ضربت مصالح الرأسمالية الكبيرة بعمق، فإن مقاومة هذه الطبقة - في مصر وسوريا - كانت منهية، ضارية..

وبعد شهرين من هذه القرارات، وقع الانقلاب الانفصالي الرجعي في سوريا، مستفيداً من أخطاء أول تجربة للوحدة العربية.. ومن التناقضات الموضوعية التي عصفتها قرارات يوليو الثورية. وكان الانفصال يعكس ضراوة الرد الرجعي الاستعماري على هذه الإجراءات ويلهب آمال الرجعية المصرية للجهاز على النظام الثوري.

بيد أن القيادة الثورية لم تتح نقوى الشورى المضادة في مصر فرص تحقيق أحلامها، وسارعت بتوجيه ضربات سريعة لها أسهمت بدور رئيسي في شل نشاط هذه القوى.

ولكن المواجهة الصارمة للتأمر الرجعي في هذه الفترة - كانت الجانب الدفاعي لأجتيار هذه المرحلة.. لم تقف القيادة الثورية عند حدوده، إنما بدأت تبحث عن الجذور الحقيقية التي سمحت لهذا الهجوم الرجعي بتحقيق هذا النجاح «الجزئي»، والبحث الجاد عن أسلوب جديد يضمن علاج التناقضات، والتفخزات، ويمنع معركة التحول للاشتراكية طاقاتها الضرورية!

لنمناش التنظيم الطليعي، بل وتحدد الصفات الثورية، والأخلاقية، التي يتعين أن تتصف بها قيادات هذا التنظيم.

فهي عناصر، يبرز أثناء العمل من أجل تنفيذ مهام الثورة.. تقسم بالاخلاص والتفاني وإحسان الذات.. تلتف حولها الجماهير وتثق في تعاضدها من أجل الوطن والتعب.

ثم يتطرق البرنامج لقضية هامة، وهي طبيعة هذا التنظيم الطليعي، ومهامه، فيقول «إنه جهاز علني.. لأن الاشتراكية لا تبني سرا، والحرية لا تتحقق من وراء ستار».. إلى أين تهي لهم حاسم لطبيعة هذا التنظيم: فيقول: «أن الجهاز الطليعي - كما أراده الميثاق - جهاز ينشر الفكر الاشتراكي بالمقول والعمل، وبالمسلك.. يؤمن بالجماهير، وقدراتها، يعيش بينها يعلم منها ويعلمها، ينظمها ويرفع بوعيتها، ويعبى طاقاتها من أجل التحرر والبهاء.. كيف أن يكون سوريا!

قضايا ترتبط بالاقتصاد

الاشتراكي والتنظيم الطليعي

والواقع أن هذا التساؤل - حول السريّة - يطرح عدداً من القضايا الهامة ترتبط بهناء الاقتصاد الاشتراكي، والتنظيم الطليعي.

القضية الأولى: لماذا اتسمت المحاولات الأولى لبناء الاتحاد الاشتراكي، والتنظيم الطليعي، بطابع البيروقراطية، والسريّة، بكل ما ترتب على هذه المحاولات من آثار ضارة لهذا التنظيم وآفاق تطوره؟

والقضية الثانية: هل كانت هذه السريّة للتنظيم الطليعي - في محاولة بئانه الأولى - تعبير عن غيوض ضيعة وجوده في الميثاق، وغيره من الوثائق التاريخية للثورة العربية، أم أن هذه السريّة اقتضتها، وفرضتها، بعض مراكز القوى القديمة، بهدف الاستغناء منها لأغراض بعيدة عما تستهدفه الميثاق؟

والقضية الثالثة: إذا كانت الاشتراكية لا تبني سرا - كما يقول برنامج العمل الوطني - فما هو السبيل لبناء تنظيم اشتراكي، طليعي، يطور بين صفوفه خبرة إنشاء الشعب، المتصقة بالوعي الاشتراكي، والتفاني، بلانطلاق لجاء أو جزاء، هدفها خدمة الوطن والشعب، تعلمه وتنميه منه، في وضع النهار، بعيداً عن السريّة لنقائلة لكل هذه القيم؟

ثغرات في النظام السياسي

وعندما تكون القيادة جادة في اكتشاف الثغرات والأخطاء ، فإن علاج هذه الأمراض تكون ممكنة ، وحاسمة .

ولقد كانت قيادتنا أثناء لبيب معارك هذه المرحلة ، أئمة مع نفسها ، ومع الشعب . من هنا اكتشفت بسرعة أبرز الثغرات في النظام السياسي ، والتي سمحت للرجعية بالانقضاض الخاطف على الوحدة الجديدة ، ثم محاولة ضرب النظام نفسه في مصر .

أولى هذه الثغرات : التناقض الحاد بين التفكير العميق في الأساس الاقتصادي ، والعلقات الاجتماعية ، بعد قرارات يوليو التاريخية ، وبين التنظيم السياسي الرسمي في المجتمع .

فعندما بدأت معركة القامم الكبرى للمؤسسات ، والشركات ، الرأسمالية الكبيرة ، كان « الاقتصاد القومي » هو التنظيم السياسي الرسمي في مصر وسوريا ، هذا التنظيم الذي نشأ في مرحلة الصراع الوطني ، واستطاعت القوى الرجعية التسلل لكثير من مواقفه العميقة ، مستفيدة من شعار « وحدة كل الطبقات ضد الاستعمار » ، وحالة بتحويل الاستقلال الوطني إلى جرمي يؤدي إلى سيطرتها على الاقتصاد القومي ، واستبدال الاستقلال الاستثماري للجماعات باستغلال الرأسمالية الكبيرة .

هذا التناقض الأول ، ما بين إجراءات ثورية تضرب مراكز رأس المال الاحتكاري ، وتنظيم سياسي تسيطر على الكثير من قياداته هذه الفئات . بشكل مباشر أو غير مباشر . كان الثغرة الأولى التي نفذ من خلالها الانقضاض الرجعي على الوحدة ، والثورة .

ومن جهة أخرى ، فإن اهتمام مسركة الطريق للرأسمالي ، بلا فكر محاد للرأسمالية بويلا قيادات تسي ابعاد هذه المرحلة الجديدة ، شكل حالة فريدة يندر تكرارها ، قوامها وجود قيادة ثورية في قمة الدولة ، بلا قيادات جماهيرية قادرة على تشكيل فكر ووجدان ، القواعد الشعبية بروح هذه المرحلة .

ظهور ميثاق العمل الوطني

• بل إن الأمر لم يقف عند هذا الحد . . . فهذه الانعطافة الكبرى في الميدان الاقتصادي والاجتماعي ، لم يسبقها ، أو يرافقها ، انعطافة فكرية وسياسية ، تحقق الاتساق الضروري بين القاعدة الاقتصادية للمجتمع ، والفلسفة الفكرية له .

من هنا برزت الضرورة الموضوعية لعلاج هذه التناقضات بحسم ثوري . فكان المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، وظهر ميثاق العمل الوطني . بكلما انطوت عليه سطون هذا الميثاق من اتجاهات فكرية تمثل بحق محاولة صادقة للملازمة بين البناء الاقتصادي الجديد . بعد إجراءات يوليو وسبتمبر ١٩٦١ والاتحاد الأيديولوجي ، والسياسي للمجتمع .

ولاشك أن الجانب التنظيمي في هذه الثورة الفكرية التي عبر عنها الميثاق ، وجد تعبيره في أمرين جوهريين هما :

أولاً : استبدال الاتحاد القومي - تنظيم لرحلة تجاوزتها الثورة العربية - بالاتحاد الاشتراكي . . تنظيم لتحالف قوى الشعب ذات المصلحة الكيدة في رفض الطريق الرأسمالي ، بكل ما يحيط هذا الطريق من سيطرة للاحتكارات المحلية ، والأجنبية . .

ثانياً : إعلان ضرورة تشكيل تنظيم وطني ، اشتراكي من داخل الاتحاد الاشتراكي ، يضم العناصر القادرة على نشر الفكر المميز عن ضرورات هذه المرحلة ، أي الفكر الاشتراكي .

رفض فكرة المصالحة

كان منطق التنظيم السياسي في مرحلة ما قبل يوليو ١٩٦١ ، تحكمه في الأساس فكرة « المصالحة » مع كبار ملاك الأراضي ، وكبار الرأسماليين . ومن هذا المنطق تقرر قبولهم في الاتحاد القومي ، جنباً إلى جنب مع العامل الكادح والفلاح الفقير .

وفي ١٦ أكتوبر ١٩٦١ ، كشف جمال عبد الناصر هذه الحقيقة ، عندما قال « أن الرجعية تسلمت إلى الاتحاد القومي . . وتمكنت من شل فاعليته الثورية » وحولته إلى مجرد واجهة تنظيمية لاحتراكها قوى الجماهير .

ثم اضطلع عبد الناصر أثناء جلسات المؤتمر الوطني عن البديل لعدم المصالحة فقال « قبل ذلك قلنا الاتحاد عموماً . . أما الآن فالتنظيمي عليه الصفات التي لا بد أن تنطبق عليه ، فأصبح الاشتراكي . . أي أن الرجعيين لا يدخلون الاتحاد الاشتراكي . . هكذا بوضوح » .

وبالنسبة للجهاز السياسي ، الطليعي ، للاتحاد الاشتراكي ، فإن الميثاق يقرر « أنه يجند العناصر المصالحة للقيادة ، وينظم جهودها ، ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ، ويتحسس احتياجاتها ، ويساعد على إيجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

وما كانت هذه الإخطاء غريبة ، ان يصعب التكهّن بحدوثها . فلما انقضى أى تنظيم مقومات الوضوح ، فى صورة برنامج محدد تعرفه الجماهير ، ولاتمة واضحة يعرفها الاعضاء ، واسم محدد يلتف حوله الشعب ويؤمن باخلاص هذا التنظيم . اذا افتقدت هذه القيم فى أى تنظيم ، فالنتيجة لابد ان تكون لحد اميرين :

اما العيث بطاقات الاعضاء وتبديدها لسبب أو آخر ، أو اضافة جهاز جديد يمكن عند الزوم توجيهه لخدمة مراكز القوى .

وكان الامر الثانى هو مصير هذه المسألة لبناء « التنظيم الطليعى » كما نص عليه الميثاق .

وهذا لايعنى بآى حال ادانة من كانوا فى هذا التنظيم ، ولا انكار النواحي الثورية لقبول انتظامهم فى اجتماعاته ، انما فقط رفض اسلوب فى العمل التنظيمى ، اثبتت التجارب استمالة تحقيقه لما يستهدفه الميثاق من وجود « الجهاز الطليعى » .

الحاجة الى اسلوب جديد

ويمكن القول بصفة عامة ان الاحطاء والاشغافات ، التى شابته تكوين الجهاز الطليعى ، لانتفصل عن الاخطاء التى قاترت ، بمحاولات تكوين الاتحاد الاشتراكى ، فالنماذج الذى احاط بهذه التجارب التنظيمية واحد ، قسومه تجاهل الإرادة الشعبية الحرة ، وفرض اساليب تنظيمية ضارة فوق هذه الإرادة ، تفقدت ايجابية التفاعل بين الثورة والشعب ، وتجرّد حركة الجماهير من فاعليتها الاصيله .

ومع إعادة تجديد الأجهزة السياسية ، والنقابية ، والتشريعية ، والادارية فى البلاد ، تبرز من جديد ضرورة البحث عن اسلوب جديد لاطلاق فاعلية الاتحاد الاشتراكى ، وبناء التنظيم الطليعى ، اسلوب يستفيد من اخطاء الماضى ، ويضمن لاجهزتنا السياسية القيام بمهامها السرية .

فما هو الطريق لانتاج هذا الهدف ؟

فى اعتقادى ان الوضوح الكامل لمهام هذه المرحلة وتحديد واجبات محددة للاتحاد الاشتراكى ، وتنظيم الطليعى ، هما اساس الانتصار .

فكيف نحقق هذه المهام ؟

الجديد فى الاتحاد الاشتراكى

لنبدأ اولاً بالاتحاد الاشتراكى ، وابران الجديد فى عملية اعادته بنائه بعد ١٥ مايو ، والمهام الاساسية التى حددتها له برنامج العمل الوطنى .

بهذا الوضوح ، انتقلت الثورة المصرية الى مرحلة جديدة فى الميدان الفكرى ، والتنظيمى ، تتناسب مع عمق التغيرات الاقتصادية ، والاجتماعية ، النابعة من آثار اجراءات يوليو ١٩٦٦ ، وعمق اصطدامها مع اشرس فئسات الرأسمالية ، المتحالفة مع كبار الملاك فى الريف ، ومع الرأسمالية المالية فى مرحلتها الاستعمارية .

مشكلة الجهاز الطليعى

وبدأت بعد الميثاق الوطنى مرحلة الوضوح الفكرى ، ثوابتها معركة تحويل نصوصه الى واقع حى ، وبشكل خاص فى الميدان التنظيمى .

ويغض النظر عن المحاولات المتكررة لبناء الاتحاد الاشتراكى بأسلوب يضمن التعبير عن أهداف وجوده . كما وردت فى الميثاق وخطابات جمال عبد الناصر . فان مشكلة بناء « الجهاز الطليعى » اتسمت بطابع غريب ، وذلك بسبب غياب الجماهير من محاولات تكوينه .

فلاسباب ما زالت مجهولة ، اتجهت هذه المحاولات نحو « السرية » ، ودارت اجتماعاته فى جو يشبه الاساطير ..

فأعضاء التنظيم يجتمعون .. ويجتمعون .. بلا رقابة جماهيرية على مايقومون به من نشاط . ولا هدف منطقى يبرر هذه « السرية » أو يفسد اغراضها .

والاخطر من ذلك كله ، غياب الوضوح لاهداف هذه الاجتماعات ، هل تمهد لعلان تنظيم جديد يخسب « العناصر الصالحة للقيادة » وينظم جهودها ، ويولّد الحوافز الثورية للجماهير .. الخ . - كما يقول الميثاق - أم انه جهاز جديد للدولة ، أو لمراكز القوى فيها ، يستطيع أى مقامر استغلاله حينما يرغب فى الانتفاض على السلطة ؟

السرية تقود الى السرية

ثم اتضح لخطاء هذا الاسلوب فى بناء التنظيم الطليعى بعد معركة التصحيح فى مايو الماضى .

فالسرية وغياب الرقابة الجماهيرية ، تقود بالضرورة الى المزيد من « السرية » - ثم خلق تنظيمات أكثر « سرية » داخل التنظيم « السرى » - من هنا بالتحديد جاء الخطر ، عندما اكتشف وجود تنظيم سرى ، دخل الجهاز الطليعى ، تحكّمه ، وتسيطر عليه ، فثأت ابد ما تكون من الاشتراكية ، وبالتالي لاتملك حق قيادة تنظيم اللائى للقوى الاشتراكية .

يقول البرنامج : « أن العمل للسياسي ليس شعيرات ترفع في تشننج ، وليس اصطلاحات وتعبيرات تردد عن ظهر قلب دون فهم أو وعي ، وليس حشدا للناس في اجتماعات يتبارى فيها الخطباء بالكلمات ثم ينفض ، فلام تكلموا ، ولهم استمعوا الى من يتكلم » .

ثم ينتهي الرئيس أنير السادات في برنامج العمل الوطني بفكرة لامعة عن مهام الاتحاد الاشتراكي كاداة لخدمة الجماهير ، لا مجرد مردد لشعارات محفوظة لاتغني ولا تشبع من جوع شقولي « بهذا الفهم التنظيمي للاتحاد الاشتراكي ، ولأسلوب عمله ، ولدوره ، أضع امامكم تصورى للمهام الأساسية التي يجب ان يركز عليها اهتمامه ، وإبدأ بمهمتين محددتين ، لما لهما من أهمية بالغة ، وأثر مباشر على تطوير اقتصادنا القومي ، وهما مهمتان لا يمكن أن تتولاهما أجهزة الدولة وحدها ، ولا يمكن أيضا تركهما للجبهود الفردية للجماهير ، وأعني بهما : محور الأمية ، وتنظيم الأسرة » .

والواقع ان هذا التصديد يعكس الجديد في فكر خليفة عبد الناصر ، خلال هذه المرحلة . بدلا من الشعارات الجوفاء الخالية من التأثير الحى في الواقع ، يقدم برنامج العمل الوطنى اهدافا عملية ، واضحة للاتحاد الاشتراكي .

ولان هذه المهام - كما اعتقد - هي العيسار الأول لجنية وبإمطية الاتحاد الاشتراكي في المرحلة القادمة ، فسوف أركز عليها ، مؤمنا بأن حديث البرنامج من الوضوح الفكرى ، والديموقراطية فى حياة التنظيم ، وخدمة البناء التنظيمى لخطتنا السياسى ، وتزويد الإعضاء بمناهج نظري لحل المشاكل الطارئة ، هذه المعاني الواردة فى برنامج العمل الوطنى وغيرها لاتحتاج لأزيد من الإيضاح .

القيادة من موقع الشعب

وليس صفة ان ترجمه فقرات البرنامج من ملقة الاتحاد الاشتراكي بالجماهير ، فكر عبد الناصر ، فى حديثه للمؤتمر الأول لأعضاء المكاتب التنفيذية للمافظات فى عام ١٩٦٦ قال « ليس

عندى موضوع أساسى للكلام إلا أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكي ، ان كل الناس تنتقد الاتحاد الاشتراكي ، لكن هو المسئول عن بناء الاتحاد الاشتراكي ؟ .. هل لنا المطلوب بمفرده ان أبني الاتحاد الاشتراكي ، لا ، أنا لا أستطيع وحدي ان أبني شيئا ، لأنى البلد ، ولا فى الحكم ، ولا فى الاتحاد الاشتراكي ، وبالتالى فأنتم وحدكم لاتستطيعون ان تعملوا شيئا . لأيد من الاعتماد على الجماهير ، وعلى القيادات الأخرى المختلفة لكي تتمكن من بناء الاتحاد الاشتراكي .

هكذا تبرز أفكار عبد الناصر ، مشكلة الاتحاد الاشتراكي ، نقد الجماهير له ، وضرورة الاعتماد على هذه الجماهير فى حل جميع المشاكل .

ثم يؤكد هذه المعاني فى خطاب ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، حيث يقول « التنظيم السياسى أيضا يجب ان يكون فى الميدان ، مع الجماهير ، وان يسود بالحقيقة وحدها ، مش بالظاهر ، ولا تكبير الأمور ، أن يكون من موقع الشعب ، لامتسلط ولا امتعال » .

مع الجماهير ، لامتسلط ، ولامتعال .

هذه الصيغة الصادقة لجمال جيد الناصر ، ترجمها لثور السادات فى برنامج العمل الوطنى ، من خلال مهام محددة هي أحد المعايير الأساسية للنجاح أو الفشل للتنظيم السياسى .

من أجل أداة صادقة

لخدمة الجماهير

ويبينى ان اعظم وأخطر مهام هذه المرحلة هي النضال لتصفية آثار العدوان ، وتلك حقيقة لاتحتاج لاعادة تأكيد فى هذا المجال .

نعود الى هذه المهام الرئيسية للاتحاد الاشتراكي ، كمؤشر صادق لمأطيقه ، وتحويله من جهاز للسلط ، وترديد الشعارات ، الى أداة صادقة لخدمة المجتمع والجماهير .

أولا : محور الأمية : وتلك مهمة بالغة الأهمية والخطورة .

فالأمية وصمة عار فى جبين القرن العشرين ، هصر تقجير الامة ، والنظا لأسرار الخلية الحية وتحريك السيارات فوق القصر .

والأمية محنة وطنية يدفع ثمنها الباطل اقتصادنا القومى ، وتطورنا الاجتماعى ، وضمير المظفين الفارقين مع أحدث اساليب الفن الحديث ، وفوارق التكنولوجيا ، وأحدث قضايا الحرية فى العالم ، بينما غالبية شعبنا تعيش فى عصر آخر ، تستخدم « الحتم الناس » عند التوقيع او بصماتها ،



الصادقة لهم الوطن والجمهورية، والتقدم الجسود
من أجل الانتصار عليها .

وكما قال أحد المفكرين العظام منذ أكثر من
مائة عام « خطوة عملية واحدة خير من ألف
تخطيط ، أو شعارات »

حتى تنطلق قدرات

الاتحاد الاشتراكي

وعلىنا التسليم بحقيقة جوهرية ، الاتحاد
الاشتراكي مازال يفتقد جهازه العلبي القادر على
الاسهام في اطلاق الدماء لكل عروقه الحيوية .
يستحيل الحديث عن فاعليته بمنزلة من هذا الجهاز
الجوهري ، بكل ما يحمله من صفات فكرية ،
وسياسية ، واخلاقية ، هي بمثابة العنصر
الضروري لاكمال مهامه ، والاتحاد على جميع
صعاب الطريق .

فما هو السبيل لاستكمال البناء السياسي ، يخلق
الجهاز العلبي ، بحيث يلعب هذا الجهاز دوره
التاريخي في اطلاق كل ما يحمله اتحادنا الاشتراكي
من قدرات ، وما يحسده من آفاق حيوية لتطورنا
الفكري ، والسياسي ، والاجتماعي ؟

ملاحح التنظيم الطليعي

البدائية تكون بالوضوح الشامل لمهام هذا
الجهاز ، واسلوب تكوينه ، وعلاقته بالاتحاد
الاشتراكي ، والافكار التالية محاولة لتحديد ملاحح
هذه القضية الهامة :

اولا : الجهاز العلبي هو تنظيم متجانس
فكريا ، مهامه الرئيسية تتمثل في شرح وتاصيل
الخط الثوري الاشتراكي ، والدفاع عن القيم الجديدة
لجتمعتنا ، ونشر الوعي الاشتراكي داخل اوسع
قطاعات الجماهير .

ثانيا : والتجانس الفكري لهذا التنظيم يتحقق
من طريق الاختيار المناسب لقياداته ، هذه القيادات
التي تختلف عن اعضاء الاتحاد الاشتراكي
بفكرها الاشتراكي التطور والتزامها الكامل
بتحويل هذا الفكر الى قوة دفع وتنشيط لتنظيمات
الاتحاد الاشتراكي . والسعى لتكيف جميع
التنظيمات النقابية ، والجماعية بروح وقيم
المجتمع ، واسلوب ديموقراطي يمتدح من العفوية ،
او التماهي ، او الانهاك .

ثالثا : ولذا كان الاتحاد الاشتراكي يمثل جبهة
واسعة لجميع الطبقات الوطنية ، فان التنظيم
الطليعي لا يحمل طابع الجبهة ، ولا تمكس بين
صفوفه ماتحمله صفوف أي جبهة من تناقضات
موضوعية ، انما يمتاز التنظيم الطليعي ، بفهم

وتسليم عن كلمة الحرية في الترانزستور بلا قدرة
على قراءة ، أو كتابة هذه الكلمة .

والامية ظاهرة مشينة لماننا العربي ، احصاءات
« اليونسكو » الاخيرة قالت ارقام اللمة ، لكثير
بلدان العالم امية هي بلاد العالم العربي ، تبلغ
نسبتها في بعض هذه البلدان حدا يثير الدهول :
٩٥ ٪ من السكان لا يعرفون القراءة .

تكيف استطاعت ثورتنا الاتحاد على صخور
اسوان الجرائنية ، وحولت مجرى النيل ، واثابت
المد العالي كأعظم رمز لازادة الانسان المصري
في التقدم ، وصجرت من مواجهة معنة الامية ؟
هنا تبرز من جديد ضرورة الواجهة الحاسمة
لهذه الظاهرة أو بمعنى اقل هذه المعنة .
ولسنا وحدها نقسم أسوار ظلم الامية وننصر
عليها ، ثورات كثيرة واجهتها بإرادة صارمة ،
وسجلت مسيرتها صفحات مضنية عدد الانتصار
عليها .

والتنظيم السياسي أداة رئيسية للتخلص من
هذه المعنة ، هكذا لكنت جميع التجارب في
العالم .

ومن هنا يصبح هذا الهدف احد المايير الجوهرية
لنجاح تنظيمنا السياسي في المرحلة القادمة ،
بل انه الحيار الرئيسي لها .

فكل حديث عن خدمة الجماهير ، والتفاعل معها ،
وتحريكها ، يتحول الى شعارات جوفاء من جديد
عالم نخرج هذه المهمة .

تنظيم الاسرة .. البسديل

الوحيد للكوارث الاجتماعية

ثم ننقل الى تنظيم الاسرة ، كمهمة ثانوية رئيسية
للاتحاد الاشتراكي .

والواقع ان المهتين - معو الامية وتنظيم
الاسرة - يصعب الفصل بينهما ، كلاهما مرتبط
بالتأني خيط سميكة ، وكلاهما يمر من مشكلة
واحدة اسمها (التخلف الثقافي والاجتماعي)

فنعتمد لنقل الجماهير من عصر « الاختام »
الى عالم القراءة والكتابة ، ينفق الوعي بضرورة
تنظيم الاسرة ، باعتباره البديل الوحيد للكوارث
الاجتماعية ، والامائية ، في زمن يحترق فيه علماء
الدنيا من خطر الانقجار السكاني .

ان العمل السياسي لم يمد مجرد خطط عامة
بعيدة عن الاحتكام لتجارب النجاح او الفشل ولكلته
قدرة متنامية على حل المشاكل الوطنية
والجماهيرية ، من خلال اهداف متعددة يمتد
الاختلاف حول ضرورتها .

ومن هنا ايضا يبدأ العمل السياسي ، من المعاناة

عميقاً لواجباته نحو علاج التناقضات الاجتماعية عن طريق الحوار الواعي ، وبأساليب ديموقراطية ، تدعم إركان الوحدة الوطنية الثورية داخل الاتحاد الاشتراكي .

هذا بالنسبة للمهم العام لهذا الجهاز الطبيعي ننقل بعده للجانب الآخر ، وهو المطلوب تكوينه ، وضرورة أن يكون أعضاء هذا التنظيم قسوة حسنة للجمامير ، فضلاً عن أهمية إنبثاق قيادات هذا التنظيم من اصمق هذه الجمامير .

فكيف نصل الى حل سليم يضمن تطبيق هذه الامس ، ويحقق في نفس الوقت مانتشفه من حتمية تعيين هذا الجهاز عن الاتحاد الاشتراكي ، وضرورة احتوائه على انضج العناصر ففرا ، واشدها صلابة ، واحسنها خلقاً وعملاً ، وسلوكاً امام الجمامير ، كل هذا بلا سرية ، وبافضل الاساليب ديموقراطية ؟

أسس بناء التنظيم الطبيعي

هنا نقترح الاسس التالية :

● تشكيل لجنة من المفكرين الاشتراكيين ، تضع لائحة محددة لهذا الجهاز ، تبدأ بمقدمة تصدد مهامه ، ثم تضع الامس العامة لقراعه هذا التنظيم .
● تطرح هذه اللائحة لاروسع المناقشات في كافة التنظيمات السياسية والجماميرية ، وتتشير الاراء الهامة حول هذه القضية في الصنف .
● ونقترح ان تتضمن بنود هذه اللائحة النصوص الكتلية باستبعاد جميع العناصر الموصولة ، والانتهازية ، والخالية من الدم المسقول من الثقافة السياسية والاشتراكية .

● بعد اقرار هذه اللائحة من القيادة السياسية ، تشكل لجنة تأسسية • مهمتها اختيار اعضاء هذا التنظيم ممن تتطابق عليهم الشروط المحددة في اللائحة .

● يواكب هذه العملية تنشيط المعاهد الاشتراكية في جميع المحافظات ، على ان يتم اختيار الدارسين بمنالفة فائقة ، تراعى اليده باحسن العناصر التي برزت من بين الجمامير ، ويمير سلوكها عن رغبة حقيقية في خدمتها ، بلا بحث عن جاه او منصب ، فضلاً عن توفر الاستعداد الفكري للثقافة الاشتراكية .

● ومن خروجي هذه المعاهد ، وغيرهم من العناصر الاشتراكية في جميع المجالات ، تبدأ الخطوات العملية لبناء التنظيم ، فتشكل لجان مؤقتة في جميع المحافظات تليها لجان في الاقسام والمراكز .

ثم تأتي الخطوة الرئيسية ، التحضير للمؤتمر التأسيسي للتنظيم الطبيعي ، يضع مندوبين

منتخبين من جميع المستويات التي تم تشكيلها ، تسبقه مؤتمرات اقليمية تنتخب القيادات المحلية وتختار اعضاء المؤتمر العام ، الذي يقوم بانتخاب اللجنة المركزية ، بعد اقرار جميع الخطوط الاساسية لمهامه خلال المرحلة القادمة .

وينبغي ان تصاحب هذه العمليات وجود مجلة اسبوعية - يمكن ان تكون « الاشتراكي » - تعبر عن فكر هذا التنظيم ، وتفتح صفحاتها لمناقشة جميع القضايا المحلية ، والمالية بأسلوب يجمع بين الدرامة المصيفة ، والتبسيط القاصر على جذب القطاعات المستتيرة من الجمامير للاقبال عليها .

العلنية والديموقراطية

ضرورة للتنظيم الطبيعي

هذه الافكار ، والاقتراحات تحتاج الى تطوير ، فهي مجرد تمهيد لمناقشات من الضروري ان تجري حول هذه القضية ، تشترك فيها كل الفئات القادرة على اخفاء الموضوع .

والفكرة الاساسية التي تحكم كل هذه الاقتراحات ، هي ضمان امتواء هذا التنظيم لافضل للقيادات الاشتراكية ، وضمان العلنية والديموقراطية الكاملة في بنائه ، مع اوسع مشاركة جماميرية اثناء خطوات هذا البناء .

وبقي مسألة اخيرة : ماهي الملائمة بالتحديد بين الجهاز الطبيعي ، والاتحاد الاشتراكي ، وكيف نضمن تحقيق اكبر قدر من التجانس بينهما في جميع المجالات التي يوجد فيها ؟

اعتقد ان حسم هذه المسألة غاية في الاهمية • . ينبغي ان يكون التنظيم الطبيعي قوة مساعدة ومنشطة ، ومثلقة للاتحاد الاشتراكي بون تكون مهام كل منهما في المجالات الجماميرية واضمة لا غموض حولها .

الاتحاد الاشتراكي - كتصالح لقوى الشعب - يقوم بمهام محددة في كل مجال من حيث حشن الجمامير ، والمساعدة على حل مشاكلها ، والرقابة الايجابية على شتى الاجهزة الادارية .

اما التنظيم الطبيعي ، فهمامه فكرية بالدرجة الاولى ، يقدم الدراصات الشاملة لكل السرائع الجماميرية ، ويقترح الحلول المروسة لهذه المشاكل ، الى جانب دوره الرئيسي في نشر الوعي السياسي ، والفكر الاشتراكي بين الجمامير .

بل اننا نقترح في المرحلة الاولى ، شمس اعضاء الجهاز الطبيعي لتنظيمات الاتحاد الاشتراكي في المجالات المختلفة ، خصوصاً داخل الوحدات للجماميرية ، بحيث تمارس هذه العناصر مسؤوليتها

الحركة النقابية المصرية وقضايا الوقت



عبد المصم المزالى

مناقشة قضية مركز الحركة
النقابية العمالية في ثورتنا
الوطنية والديمقراطية والاجتماعية
وصياغة برنامج لها في مرحلة
تطور بلادنا عبر الطريق الرافض
للمراسمية كخظم ومنهج وفكر ، حظيت باهتمام
بالغ من القيادة السياسية ومن المفكرين والكتاب
ومن جماهير الطبقة العاملة نفسها . وكانت

ان

الفكرية ، والنضالية ، مشتركة مع أعضاء الوحدات
المنتخبين .

وأهمية هذا المزج - في المرحلة الاولى - ضمان
محد التداخل ، أو التصارع داخل الوحدات
الجماهيرية ، وتجنب حدوث أى ارتباك لدى
الجماهير عندما تتواجد في مجال واحد قياتان
سياسيتان .

وربما يبدو هذا الاقتراح غير مفهوم ، إذ كيف
تكون هذه لجنتان مركبتان مستقلتان لكل من
الاتحاد الاشتراكي ، والتنظيم الطليعي ، ولا يمتد
هذا الاستقلال داخل الوحدات الجماهيرية ؟

الاجابة على هذا السؤال يمكن تركيزها في الآتي :

اولا : قيادة التنظيم الطليعي تقوم باعداد
البرامسات الاساسية المتعلقة بالقضايا الفكرية ،
والاقتصادية ، والثقافية ، تستفيد منها قيادات
الاتحاد الاشتراكي ، التي ينبغي تركيز نشاطها
على المشاكل السياسية المباشرة ، فضلا عن
اشرافها على تنفيذ قرارات المؤتمرات القومية .
من هنا تتبع ضرورات استقلالها .

ثانيا : ان هذا الاستقلال للقيادتين ، لايحتاج
في المراحل الاولى لاستقلال التنظيمات القاعدية .

فمن داخل لجان الاتحاد الاشتراكي ، تستطيع
عناصر التنظيم الطليعي ممارسة دورها بعد
تحديد حاسم لهذا الدور .

يل ان هذا الاسلوب في تشكيل لجان الاتحاد
الاشتراكي من عناصر منتخبة واخرى معينة يضمن
علاج اخطاء الانتخابات واخطاء التعيين الكامل ،
ويحقق توازنا بين القيادات الجماهيرية المنتخبة ،
بغض النظر عن مسبقاتها الفكرية ، والعناصر
الاشتراكية الناضجة القادرة على اغناء اجتماعات
ومناقشات ومهام هذه اللجان .

ذلك الفكر عامة تحتاج - كما قلت من قبل -
الى مناقشات اخرى تضمن تطويرها ، وانضاجها
بحيث تصل في النهاية لافضل الطرق لاطلاق
عامة الاتحاد الاشتراكي وبناء التنظيم الطليعي .

ان مهام المرحلة القادمة بكل ما تحتاجها من تعبئة
جماهيرية شاملة من اجل المعركة وتحرير ارضنا
من آثار العدوان تفرض على الاتحاد الاشتراكي
استكمال كل عناصره واطلاق جميع طاقاته .

ولاشك ان المهام الجديدة التي اوكفها اليه
الرئيس انور السادات ، خصوصا في ميدان
الرقابة الشعبية ، تتطلب الانطلاق الكامل لتنفيذ
هذه المسئوليات ، ومن خلال هذه الممارك والمهام ،
يتأكد الالتحام العميق بين التنظيم والجماهير ،
كضرورة لثوية اقتنعتهم الثورة المصرية حتى
اليوم .

دائها موضع اهتمام خاص من جميع الوثائق وانبراج الفكرية والسياسية منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ ، [الحصار الذي دار في مؤتمر القوى الشعبية - ميثاق العمل الوطني - بيان ٣٠ مارس -] وغيرها من برنامج العمل الوطني تقدم للمؤتمر القومي العام الثاني للاقتصاد الاشتراكي العربي (يوليو ١٩٧١) .

الاسباب الرئيسية

لتحجر التنظيم النقابي

ويهما ونحن نقدم في مقالنا هذا برنامج عمل وطني للثقابات العمالية - ان نبدي جبهة من الملاحظات من الفقرة التي جاءت في برنامج العمل الوطني عن الثقابات العمالية :

اولا : جاء في هذه الفقرة - « ان الثقبات العمالية وقد اميد تشكيلها بالازادة الحرة للعمل بعد ان تحجرت اوضاعها واحتكر مراكزها القيادية لعدة سنوات عناصر اقل ما توصف به انها كانت تفتى الجاهيل خشية الخفافيش من النور ، اصبحت اليوم في وضع يمكنها من قيادة سليمة من أجل النفع من مكاسبها وحمايتها ودعمها ومن أجل حشد طاقاتها لتحقيق اهداف خطة التنمية » .

وهذه الفقرة ترجع حجر لوضع الصخرة النقابية العمالية المصرية في الفترة الماضية الى احتكار « عناصر اقل ما توصف به انها كانت تفتى الجاهيل » للمراكز القيادية . ولما اردنا ان نعين حقيقة الداء أو المرض المسائل ، وحتى نخرجها ، يجب ان نحل الظاهرة المرضية للحركة النقابية المصرية تحليلا شاملا . هنا ان وجود عناصر تفتى الجاهيل في المراكز القيادية هو سبب من جملة اسباب عديدة أدت الى تعجيد التنظيم وانحرافه . « الا ان وصف هذه العناصر

بأنها مجرد عناصر تفتى الجاهيل دون تضرى أصلها الاجتماعي ، والبطني أن يسامح على التومية بها حتى لا تعود بتقاليد وفكرية وعادات طبقها الى السيطرة على التنظيم في ظل شعرات قد تكون كثر بريقا ولما في شعرات الثوريين . ان هذه العناصر كانت في غالبيتها من أبناء الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة بكل تقاليد وعادات وتطلعاتها الطبقية ومخلفاتها » « الحرفية » و « المهنية » ، وكانت تستبد بقاءها « سيطرتها » على المراكز القيادية من « الساطة » و « الإدارة » ومن « الطبقة الجديدة » ببراكنها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .»

اما عن الاسباب الرئيسية والتي أدت في الواقع الى تحجر وانحراف الحركة النقابية

- والتي ان لم نقبلها - فميصعب على القيادة الجديدة ان تبين الوضع « الذي يمكنها من قيادة الحركة قيادة سليمة » كما يرى برنامج العمل الوطني . نقول هذه الاسباب يمكن اجمال أهمها في :

١ - ان الحركة النقابية لم تتمكن منذ قيامها على اساس القانون ٦٤ لسنة ١٩٦٤ من أن تكسب الى التنظيم الملايين المعيدة المفروض ان تكسب عضويتها للتنظيم . فمذ قيام هذا التنظيم وعضويته جوالى ٥٠ مليون من مجموع الملايين القابلين للتنظيم والتيين يزيد تعدادهم على ١٥٠ مليون . بل ان عضوية الـ ٥٠ مليون لم تعمدها كونها عضوية خلقية .»

٢ - ان الحركة النقابية المصرية في وضعها المعاصر مزجت من مساهمة فكرها بمحارس الديمقراطية والاشتراكية ، وبكثرة تناضل من أجل بناء القطاع المسلم وحمايته من خطر البيروقراطية وتحقيق الانضمام الثوري بين عناصر العمل اليدوي والذهني ، وبين جماهير العمال والذرات الفنية والتكنيكية .

٣ - اغضاض الثقبات للوسائل الادارية من قبل الاجهزة التنفيذية فحاصمت فخصيتها المستقلة وحصرت حركتها في امثال مكتبة وارشيفية وانعدمت روح المبادرة منها .

٤ - انعدام الديمقراطية النقابية داخل

التنظيم النقابي نفسه .

٥ - ان النسبالية الطبقي من التبادلات النقابية - وخاصة العليا منها - لم تكن مدة فكريا وسياسيا لتجاوب بنق معنطرة الاشتراكية العلمية ، التي ارتضاها ميثاق العمل الوطني دليلا للعمل ، ففسد افق نشاطها في اطر اصلاحية اقتصادية ولم تتحول الى همدات للنضال في مجال الثورة الاجتماعية وامتلات بالشلل والتكتلات مراكز القوى الثوري مندية الى الاشتراكية والى فكر الطبقة العاملة .»

٦ - لئعدام وجود خطة شاملة وثورية للعمل في مجال المشكلات الحالية على اساس ان حركتنا الثورية الوطنية جزء من حركة التحرر العالي ، من الجبهة العمالية المعالية للاجتماعي والزاسالية المعالية .

كل هذه الاسباب أدت الى تحجر العمل النقابي وتجيده وانحرافه ، وان وجوب الانتارة اليها كان امرا ضروريا . تبين الحركة العمالية المصرية موقع اقدامها في المرحلة القامية ، وحتى تتمكن من تبني خطة تنبؤية واضحة ومحددة لمواجهة هذه المخاطر ، وحتى يكون ذلك اساس واضح أمام الجاهيل لمسلك الطريق الجديد لاعادة بناء الحركة النقابية .»

ثانيا : وتجدد الفقرة الخاصة بالثقابات العمالية في برنامج العمل الوطني كذلك في الجزء الثاني منها

والمعادية للتحويل الاشتراكي والتي مازالت برغم أنها مضروبة بإجراءات يوليو ١٩٦١ — تقف ضد عملية التحويل فكريا واقتصاديا واجتماعيا ، ويضاف الى هذه القوى كل العناصر والمراكز التي ترى الثورة بعين مسلحتها وأفاق تطلعاتها الخاصة .

ب — ان الحركة النقابية العمالية مدعومة للدفاع عن حقوق العاملين وتحسين شروط عملهم في القطاع الخاص — فعمل الترحيل ما زالوا يملكون من وطأة الاشكال الاستقلالية المسببة التي كانوا يعانون منها في الماضي على أيدي متاولي الأثوار بأشكال ومسلل جديدة ، وهم مازالوا محرومين من مظلة التأمينات الاجتماعية والصحية والحماية التشريعية ، وما زال العمال في الورش ومخالفات القطاع الخاص التجارية ، ومصانع المتوسطة وكذلك العمل الحرفيين وأشباه العمال يعانون الكثير ، وأعداد كبيرة منهم لا تحصل على الحد الأدنى للأجر .^(١)

استقلالية التنظيم النقابي العمالي

هذا وما نلاحظه ثالثا ، من قضية العلاقة بين التنظيم النقابي العمالي والاتحاد الاشتراكي ، والتنظيم السياسي الطليعي — فقد اعتبر البرنامج النقابات العمالية منظمات مساعداة للاتحاد الاشتراكي ، ووصفها بأنها علاقة تصالون — والقضية هنا تتعلق « باستقلال الحركة النقابية » ولئن كان وصف البرنامج لهذه العلاقة بأنها علاقة تعاونية لإعنى التبعية والإخضاع — فإن تعريفها بأنها منظمات مساعداة يجعلها بلصحا بشكل أو آخر ، بالاتحاد الاشتراكي . وهذه القضية على جانب كبير من الأهمية وكان على البرنامج أن يحسمها حتى يكون الأمر واضحا في التطبيق العملي ، وانطلاقا من مفهوم الاشتراكية الطليعية نرى أن مفهوم الاستقلالية والاستقلال الذاتي للحركة النقابية العمالية ، أنها يتحدد في النقاط التالية :

١ — النقابات العمالية بطبيعتها منظمات طبقية تدافع عن مصالح الطبقة العاملة ، وهي منظمات جماهيرية ديمقراطية عريضة تضم لنفسويتها كل العمال على اختلاف أديانهم وعقائدهم السياسية والاجتماعية .

٢ — وانطلاقا من هذا المفهوم فان نقابات العمالية ليست منظمات حزبية ولا يمكن أن تخضع لوصاية أي حزب ، لأن مثل هذه الوصاية تعبر قيدا على الإرادة الديمقراطية للجماهير العريضة التي أقيمت تنظيمها الديمقراطي ، وهي كذلك بحكم طبيعتها الديمقراطية والجماهيرية ليست تنظيمات حكومية أو شبه حكومية .

٣ — وكذلك — فإن النقابات العمالية يحكم

التقنية الرئيسية للنشاط النقابي على الوجهة التالية : « لم تعد القضية الرئيسية للنشاط النقابي هي الموقف إزاء أصحاب رؤوس الأموال إنما أصبحت المحافظة على حقوق العمال وتعبئتهم ضد أي عدوان على معيشتهم الذي يبنونه لأنفسهم ولأولادهم ، وتبعية قدراتهم والارتفاع بمستوى أدائهم وصولا إلى زيادة الإنتاج وبالتالي زيادة الدخل والأجور ، متعاونين في ذلك تعملوا ككبل واحد لجان الاتحاد الاشتراكي »^(٢)

وما نلاحظه أولا : على هذه العبارة أنها كان يجب أن تؤكد ما ذهب إليه ميثاق العمل الوطني في فقرته المشهورة « ان الوضع الجديد يجعل من المنظمات العمالية قاعدة طليعية في عملية التطوير الاجتماعي »^(٣) الخ « هذا القول الذي استهدف أن تكون النقابات العمالية قوة طليعية مشتركة في عملية التغيير الجذري للمجتمع » إنهاء للملانات الاجتماعية الرأسمالية ، وإقامة لعلاقات اجتماعية لتقالية استبدالها للتحويل بالهلال الاشتراكية^(٤)

القضايا الرئيسية للنشاط النقابي

وما نلاحظه ثانيا : ان رؤية البرنامج للقضية الرئيسية للنشاط النقابي بأنها لم تعد — « هي الموقف إزاء أصحاب رؤوس الأموال » الخ « لم تراع كل جوانبها واقتصاديا اجتماعيا المصير المماثل » حيث تبرز بنيت الاقتصادية بوجود قطاعات اقتصادية ثلاثة ، القطاع العام وهو القطاع القائد لعملية التنمية والطور ، والقطاع الخاص ، والقطاع التعاوني ، والقطاع الخاص ، ومن هنا فإن القضايا الرئيسية وليس القضية الرئيسية الوحيدة التي تواجه النشاط النقابي في هذا المجال أنها هي :

أولا : العمل من أجل نهاية القطاع العام والمحافظة عليه ، ودعم تطوره ، مما يوجب صراعا ضد بيروقراطية الأجهزة التنفيذية وصراعا ضد الماديات والقيم والافكار البورجوازية ، والعمل الواعي الصمد من الفروق الكبيرة في التدخل بين العمل اليدوي والعمل المكتبي .

ثانيا : صراع ضد التخلف . التخلف الاقتصادي والعلمي والثقافي والفني والتكنولوجي ومن ثم المحافظة على القدرات والكوادر الفنية التي يعتمد عليها كل تطور حقيقي داخل حركة بناء الصناعة الموزمة والصناعات الكبيرة التي تنشأ الدولة .

ثالثا : صراع ضد كل تطلعات الرأسمالية الوطنية — القطاع الخاص — للتحويل إلى رأسمالية كبيرة تعود سيطرتها على مقدرات التطور ، الأمر الذي يوجب :

١ — صراعها ضد القوى الطبقية والاجتماعية

حول برنامج عمل وطني

النقابات العمالية

وعلى ضوء هذا كله — يمكننا أن نقدم مجموعة من المهام للنقابات العمالية تضمن وضع برنامج العمل الوطني موضع التطبيق ، نجملها فيما يلي :

أولاً : التهيئة الديمقراطية لجهات الطبقة العاملة في المصنع والقرية وفي كل أماكن العمل لمواجهة العدوان الاستعماري الصهيوني وليكون لها دورها في معركة التحرير — وباعتبارها العمود الفقري للجهة الداخلية — فإنه لما كانت الحرب المملعة ضد وطننا ، هي هجوم من القوى الخدعة للثورة على طريق تطور لورتا نحو الاشتراكية ، ولتقويض الأسس التي عليها ترس قواعد انتصار لورتا الاجتماعية ، فإنه يصبح واجباً رئيسياً ونحن نواجه العدو أن تسترعبلية البناء الثوري لاتصلحنا الصناع والزراعي وان تحقق معدلات عالية في خطة التنمية وأن نسبق أكثر جذور مكسب إجراءات يوليو 1961 الثورية وواجب الطبقة العاملة وهي قوة العمل البانية وتنظيمها النقابي — ألا تكون وأهمية فقط بذلك ؟ بل إن حصل على اكتافها مبدء هذه العملية بكامل رضائها الواعي .

ثانياً : أنه في مرحلة التحول تبرز مهمة جديرة تستهدف اقلية تركيب اجتماعي أعلى من التركيب الاجتماعي للراسبالية . وهذا التركيب قوامه زيادة انتاجية العمل ، وهو أمر يرتبط بضرورة تنظيم العمل تنظيمياً عالياً — ويتطلب تحقيق أمور ثلاثة :

1 — تآيين القاعدة المادية للصناعة الكبيرة .
ب — نهوض التعليم والثقافة عند جماهير شعبنا العريضة [والتي تصل نسبة الأمية فيها الى نسبة عالية] .

ج — تطوير طامة العمل ومهارتهم ودرجة اجتهداتهم وتحسين تنظيم العمل والظلم على كل فوضوية بورجوازية صغيرة وعلى السروح المهنية والحرفية المقتلة . وهنا يبدو دور الحركة النقابية العمالية في بلادنا في التفضل من أجل تطوير السلوك الجماهيري للمعاملين وتعبئة طاقاتهم لخدمة أهداف خطة التنمية وتعميق الإبان بالملكية العملة لوسائل الإنتاج واحترامها والتعامل معها بوعي ، وإحلال المنافسة الجارية محلاً الصراعات الفحشية والاثنية والثوية . وهنا يجب أن يكون واضحاً أن مهمة النقابات العمالية الرئيسية هي الشراكة الطليعية في تنظيم الإنتاج — وليس كما يرى السندكاليون والنوسويون — يمثلو فكر البرجوازية الصغيرة « إدارة الإنتاج

كوتها التنظيمية الديمقراطية للثقة العاملة — ليست حليمة في الصراع الدائر في المجتمع من أجل الانتعاش به من الراسبالية للاشتراكية — بل هي منارة بحكم تهيئها لأكثر الطبقات مصلحة في الاشتراكية الى الاشتراكية . فهي على النطاق القومي منارة لبناء وطن متحرر قبلها من كل سيطرة استعمارية ووجود اجنبي ، ولبناء مجتمع لا يستغل الإنسان فيه الإنسان ، وعلى النطاق الدولي منارة لمعسكر الثورة العمالية ضد الاستعمار وضد الراسبالية العالمية .

ان استقلال الحركة النقابية من أي تنظيم سياسي لا يلقى وجود ملاقة بينها وبين التنظيمات الاشتراكية — وهي في ظروف بلادنا ملاقة مزدوجة — ملاقة بالاتحاد الاشتراكي [إطار تحالف قوى الشعب العامل] وملاقة بالتنظيم الطليعي للقائد للحلف .

ثالثاً : بما أن الاتحاد الاشتراكي العربي هو تجمع جماهيري واسع لقوى التحالف بكل تناقضاتها ومصلحتها الخاصة المتعارضة ، فإن التنظيم النقابي العمالي وبمكسب طبيعته التي أشرنا اليها ليس تنظيمياً تابعاً للاتحاد الاشتراكي ، ويتحقق التعاون بينه وبين الاتحاد الاشتراكي بأن يكون تمثيلاً داخل الاتحاد الاشتراكي باعتباره تنظيمياً ديمقراطياً قائماً بذاته بوساطة الاتحاد العام للعمل .

وثانياً : أن الملاقة بين التنظيم الطليعي والتنظيم النقابي ليست ملاقة مضوية ولا ملاقة برعية إنما الأساس فيها — ان التنظيم النقابي هو أهم القواعد الجماهيرية للتنظيم الطليعي الاشتراكي — وجوهر الملاقة يعبر عنها بمدى قدرة الاشتراكيين على العمل داخل النقابات كأعضاء فيها يمارسون نشاطهم القيادي دون جبر أو قسر أو فصل ، أنها تتحقق باتساع الجماهير بصحة خطة العمل السياسي وملاقة شعاراتهم ، فالقيادة ليست وظيفة أو منصباً إنما هي عملية نفسانية فيها بذل وتفضية . وتستهدف هذه العملية تلك تيار التنظيم الطليعي بالعمل على انماج الفكر الاشتراكي بمسكة الطبقة العاملة — فإن وهي الطبقة العاملة بحركة الثورة الشاملة وخروجها من الأطر النقابية البحتة لأن تكون وفق تعيين ميثاق الوطني « قاعدة تنظيمية » في التفضل من أجل تغيير المجتمع لا يتحقق إلا بتأيين الطبقة العاملة لنظرية ثورية تكون لهم دليلاً ومرشداً للعمل . ان عنصر الوعى بالحركة الكلية للمجتمع لاستطيع الطبقة العاملة ان تستوعب من داخلها — فكرتها الداخلية لا توفز لها غير الوعى النقابي — إنما يكون استيعابها له من خلال بحركتها الخارجية مع كل الطبقات الاجتماعية المطبوعة الأخرى ، نضالاً من أجل التحرر والديمقراطية والاشتراكية .»

وتنظيمه « وتحتفل تلك أن يكون لدى النقابات العمالية برامج للتدريب والتثقيف والتعليم ورفع الكفاءة الإنتاجية ورفع المستويات المادية والصحية والإسكانية والاستهلاكية .. الخ لجباهير العاملين .

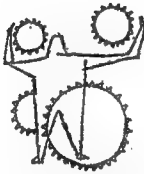
ثالثاً : إن الحركة النقابية العمالية دمجوه لأن تناضل وتدافع عن الحقوق العمالية والحفاظ عليها ومن أجل المزيد ، وهي بذلك تناضل في جبهتين — **جبهة القطاع العام** — والمفروض أن يكون ممحياً أساساً من جماهير الطبقة العاملة ومنظماتهم — وهي في هذه الجبهة تشن نضالاً اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً لحماية مصالح الجماهير العاملة من عدوان اللوائح والقوانين المختلفة ومن عدوان البيروقراطية والفساد والمراكز التي مازالت تفكر من الاشتراكية وتنفضها بفكرية البورجوازية ، **والجبهة الأخرى** هي جبهة القطاع الخاص والذي مازال يمثل خطراً هائلاً في اقتصادنا الوطني ويستخدم القطاع الأكبر من القوى العاملة — والذي لم تطور فيه شروط العمل وظروفه لتتلى مع أي تطور ثوري شهدته بلادنا في علاقات العمل ..

والنضال من أجل الحقوق — يرتبط به بالضرورة تحقيق الديمقراطية داخل النقابات ، وتمكين اللجان النقابية في الوحدات الإنتاجية من القيام بدورها على مستوى وحدات الإنتاج — وتحقيق تفريع العمل العالي تمديداً جديراً يخلق مع التطورات التكنولوجية في مجالات الاقتصاد والملاقات الاجتماعية والعمل منذ إجراءات يوليو ١٩٦١ .

وأخيراً : إنه على الحركة النقابية العمالية المصرية — في مجال العلاقات الدولية — أن تغير من استراتيجيتها علاقاتها الدولية، وأن تصمم قضية انضمامها إلى صف الوحدة العمالية العالمية المعادية للاستعمار والراسمالية العالمية، وأن تعلن موقفها في النضال من بعض الارتباطات الدولية بالاتحادات التي تأكد أنها في الخدمة المباشرة للدوائر الاستعمارية العليا في البلدان الرأسمالية مثل اتحاد البترول الدولي التابع للاتحاد الدولي للنقابات الحرة . وفي هذا المجال يجب أن تعدد موقفها من الاتحاد العالمي للنقابات — ١٣٧ مليون عامل — وقد أصبح عضواً فيه سبعة اتحادات عمالية عربية وذلك حتى تتمكن من ممارسة دورها الطبيعي في المجال الدولي، وأن تراجع خطط وبرامج عملها في مجال العلاقات النقابية الدولية العربية والأفريقية لمواجهة النشاط الأمريكي والغربي والمسيهوني والذي أصبح يمثل خطراً على وحدة العمل الدولية ضد الاستعمار والراسمالية ..

السؤال

الذي يطرحه البرنامج
على النقابات المهنية



د. جمال المطيني

٥ يونيو من هذا العام ٢٠١٧
أمقاب أحداث مايو سنة ١٩٧١
مصدر قرار رئيس الاتحاد
الاشتراكي بإعادة تشكيل مجالس
النقابات المهنية ، وأجزاء انتخابات جديدة فيها
تمت خلال نفس الشهر .

في

وقد اشارت مذكرة الأمانة المؤقتة للاتحاد

تجاه أرباب العمل وتعمل على تضييق هائلهم الساذجة والاجتماعية ، ولها اختصاصات هامة في حيلة الأجر وفي تشغيل العاطلين وفي التوفيق والتحكيم بين العمل وأصحاب الأعمال وفي إبرام عقود العمل المشتركة وفي تطبيق نظام التأمينات الاجتماعية . ولكن نقية العمل لا شغل لها بتنظيم حق العمل أو مزاولته كما أن الانضمام إليها اختياري .

لما النقابات المهنية فقد اختلطت في تطورها بفكرتين : فكرة طوائف المهن التي تنتخب أعضائها وتقرارات الطائفة لا وقد كانت طوائف المهن تستوعب المشتغلين بالمهنة وخاصة المهن الحرفية لا كما اختلطت النقابات المهنية في تطورها بفكرة الجمعية وهي تنظيم اختياري يسمى لتحقيق أغراض غير الحصول على الربح المادي .

وإذا انتقلنا من هذا التمييز العام والتقيس نظرة هي وضع النقابات المهنية في مصر في الوقت الحاضر لا لتبين لنا أن هذه النقابات يتمتعن بسلطة ، فهي تخطط برسالة النقابة المهنية في الدفاع عن مصالح أعضائها وهي تخطط بفكرة التمييز الطبقي في أنها تنظم أعمال المهنة لا فالانضمام إليها شرط لعضوية المهنة وهي تستعير بعض اختصاصات السلطة العامة حينما يعهد إليها القانون بأن تكون سيدة الجدول الذي تنشئه لتقيد أعضائها وأن يكون لها حق تأديبهم لا بل وبها هو مقرر لها من محلات أو رسوم تفرس على المتعاملين مع أعضائها ، وهي أحيانا تلك سلطة ووسع النواحي الداخلية الخاصة بها ، وهي في هذا أشبه بهيئة عامة تباشر نشاطا يتطرق بمرافق عامة . وكان هذه النقابات تقوم باختصاصات كانت أصلا من صميم اختصاص الدولة ، ولكنها دخلت عنها لأبناء المهنة أنفسهم مع احتفاظها بنوع من حق الرقابة والإشراف ، وأخيرا فإن للنقابة المهنية بعض الأهداف المقررة للجمعيات حينما تصل على تنفيذ البحوث الطبية ، والارتقاء بالمستوى الثقافي لأعضائها .

ويبدو أن الهدف الأساسي للنقابات المهنية في نشأتها ، كان تنظيم ممارسة المهنة . وهذا واضح من تقصى الظروف التي نشأت فيها أول نقابة مهنية في مصر وهي نقابة المحامين . إذ أنه لما أنشئت المحاكم الأهلية لم يحدد القانون شروط الاشتغال بهيئة المحايين أو تنظيمها ، ثم صدرت أوامر عارية باعتبار لائحة شروط الاشتغال بالمهنة حتى صدر القانون رقم ٢٦ في عام ١٩١٢ باعتبار نقابة المحامين لدى المحاكم الأهلية .

الاشتراكي التي استند إليها قرار إعادة تشكيل هذه المجالس ، إلى أنها تنه عملية التصحيح ، وأن قرار رئيس الاتحاد الاشتراكي الصادر في ٢٠ مايو إعادة تشكيل تنظيمات الاتحاد الاشتراكي ينسحب إلى المجالس إدارة النقابات المهنية أيضا ، باعتبارها أجهزة مساعدة للاتحاد الاشتراكي تقوم على تنفيذ السياسة التي يريها . ثم اشترت هذه المذكرة إلى تعاون بعض أعضاء هذه المجالس وتبنيهم واستسلامهم للكليل لبعض العناصر التي أفسدت الحياة السياسية ونشرت حالة من الإرهاب الفكري التي انعكست على كل عمل ونشاط في هذه النقابات ، مما صرفها عن مهمتها الأصلية من التمكين للملاقات الاجتماعية بين أعضائها ودم روح الأخوة والزمالة بين أبناء المهنة الواحدة ، الأمر الذي يأسد في مذهب النقابات ويبين مهمتها الأصلية في السعي لرفع مستوى المهنة والمشاركة في المعركة وفي عملية البناء الاشتراكي .

على أن إعادة النظر في أوضاع النقابات المهنية ما كان يجب أن يكون مقصورا على إعادة تشكيل مجالسها والمودة التوافقا العرفية ، بل أن النظرة كان يجب أن تكون أكثر شمولاً وعمقا .

وقد كان « برنامج العمل الوطني » مفهوما هامة للاقاء هذه النظرة الشاملة المتعمقة لا ومطالبة النقابات المهنية بأن تعيد التفكير بعد في رسالتها ، وأن تخلى من فكرة التمييز الطبقي أو الفئوي ، ومن فكرة أنها تجمع النخبة المتأخرة واستطرد البرنامج محمدا وضع هذه النقابات بأن خدمة المهنة لا يمكن أن تتم بمعزل من خدمة الجماهير أو على نصفيها . وأن النقابات بوصفها من التنظيمات الشعبية المعاونة للاتحاد الاشتراكي يمكن أن تكون هيئات استشارية نافعة له فيما يتصل بكل كثير من مشاكل الإنتاج والخدمات .

وفي امتداد أن هناك ثلاث مسائل رئيسية يجب التعرض لها بالدراسة لا وهي تناول دور النقابات المهنية ، ثم تنظيمها والمناقشات التي تحكها ، وأخيرا علاقتها بالاتحاد الاشتراكي .

نور النقابات المهنية

يجب أن نبدأ بأن نبيز بوضوح بين النقابات المهنية وبين النقابات المهنية لا وهي التي تسمى تجورا أيضا بالنقابات . فنقابات العمال هي التي ترضي مصالح العمال الناشئة من مزاولتهم العمل طبقا لمعد العمل % وتدافع عن حقوقهم

والعمل على نشر وقمع الإنكار والقيم الاشتراكية بين الأطباء - والعمل على تطوير مهنة الطب وقائيا وعلاجيا بما يحقق للشعب أكبر قدر من الرعاية ويتمشى مع تطور المجتمع الاشتراكي .

بل ان قانون نقابة المهن التعليمية الصادر في نفس العام ينص أيضا على « تعيينه تسوى أعضاء النقابة وتنظيم جهودهم في خدمة المجتمع لتحقيق الأهداف القومية والممثل على نشر الثقافة والتعليم والمعاونة على تحقيق أهداف المشروعات التربوية والتعليمية » . وقانون نقابة **المهن العلمية** أيضا يجعل من بين أهداف النقابة « العمل على نشر الثقافة العلمية ورفع الوعي العلمي بين أفراد الشعب بما يساعد على تحسين وزيادة الإنتاج ودعم التطبيق الاشتراكي في البلاد والإسهام في دراسة المشاكل الانتاجية والاجتماعية بل والاشتراك الإيجابي في العمل الوطني العلم » .

وأخر قوانين النقابات المهنية الجديدة ، وهو قانون الصحفيين الذي صدر عام ١٩٧٠ ، ينص على ان النقابة « تستهدف نشر وتعميق الفكر الاشتراكي والقومي بين أعضائها وتنشيط الدعوة اليه داخل المؤسسات الصحفية وبين جهات ترأثها » .

وواضح من هذه الأمثلة جميعا ، ان قوانين النقابات المهنية الجديدة ، - ومعظم النقابات قد شاركت في وضعها - قد عنيت عناية بالغة بتسجيل شعارات الاشتراكية والانفتاح على قضايا المجتمع . وأنه يبدو من ذلك انها لم تحظف من المعاني التي أوردها برنامج العمل الوطني من وجوب ان تضع نفسها في خدمة المجتمع ومن وجوب ارتباطها بشكل أعمق بقضايا الشعب .

وفي الظاهر فان هناك نشاطات أعلن عنها وكانت تبشر بهذا الانفتاح على قضايا المجتمع ، مثل تنظيم ندوات عن اقتصاد الحرب في أعقاب العدوان سواء في نقابة المهندسين أو نقابة المحاسبين ، ومثل اعلان نقابة المحاسبين مساهمتها في تطوير التشريعات ومثل ما نقرته نقابة الأطباء عن العمل على تعميم الفحص الطبي الشامل بالقرية . ولكن المشكلة الحقيقية هي مشكلة الجدية والفاعلية . فما زالت النقابات المهنية عملا متوقفة في نظرها الطائفية الضيقة؟ وان كانت بين حين وآخر أو في مناسبات وأخرى تعلن بالقول لا بالعمل بتبنيها لطلاب جماهيرية أو تبنيها لقضايا عامة .

وإذا كان لي ان أسترهم النظر الى مثل



ومع ان بعض النقابات المهنية الاخرى قد بدأت في مسورتها الأولى ، وهي لتترب الى الجمعية في أهدافها ، ولم يكن الانقسام اليها شرطا لزاولة المهنة ؟ مثل نقابة الصحفيين عند تأسيسها في عام ١٩٤١ - إلا أن تطور تشريعات النقابات المهنية قد انتهى الى إبراز هذا المفهوم لدورها في تنظيم ممارسة المهنة ، حتى أنه حينما تأسست أول نقابات المهن التقنية والسينمائية والموسيقية عام ١٩٥٥ نص قانونها أيضا على عدم جواز احتراف إحدى هذه المهن إلا للقيدين يتبادل هذه النقابات .

وقد لحقت النقابات المهنية عدة تطورات هامة في رسالتها حينما صدرت قوانين جديدة بنظرة لحظتها في السنوات الأخيرة . وعلى سبيل المثال فان قانون نقابة **المهن الزراعية** الصادر عام ١٩٦٦ يجعل من اختصاص النقابة « تعبئة قوى أعضاء النقابة وتنظيم جهودهم في خدمة المجتمع لتحقيق الأهداف القومية وأهداف التقنية الاقتصادية ومواجهة مشكلات التطبيق بوضع الحلول المناسبة لها - والاشتراك في دراسة لخطط التنمية الاقتصادية والمشروعات الزراعية - وفي وضع قواعد تطوير القوانين الزراعية - والمساهمة في تخطيط برامج التعليم الزراعي وتطوير نظمه بحيث تساهم حلقات المجتمع الجديد وتخدم مصالحه » .

لم صدر قانون جديد **للمهنية** عام ١٩٦٨ وهو يضع بين أهدافه « تعبئة قوى أعضاء النقابة وتنظيم جهودهم لتطوير الفكر القانوني في خدمة التحول الاشتراكي والمساهمة في تطوير التشريع ابتغاء تيسير العدالة على المواطنين بغير موانع مادية أو تعقيدات ادارية ودفع الإنتاج لكي تتوافر له سرعة الإطلاق وصولا الى غايته » .

وقانون نقابة **الأطباء** الذي صدر في عام ١٩٦٩ يجعل في صدر أهداف النقابة « تجنيد طاقات الأطباء ليقودوا رسالة الطب من أجل حل المشاكل الصحية للشعب بحيث تصبح الرعاية الصحية للشعب قالية وعلاجيا حقا بمتكولا لكل مواطن -

سأرجح * فلكه المثل الخاص بأداب المهنة . ونهى
التي ترسي علاقة أعضاء النقابات بأفراد الجمهور
الذي يتعامل معهم .

لقد اشار « الرئيس الفاسيالت » في خطابه أمام
مجلس الشعب في ٢٠ مايو ١٩٧١ الى مواطني
الشرف التي يجب أن يكلف المستور النقابات
بوضعها ، تأكيد لأخلاقيات المجتمع الجديد وأن
بشعبها أصحاب المهنة أنفسهم . فالطبيب الذي
يرتكب شيئا ضد شرف المهنة ، تهاسبه نقابة
الاطباء ، والصفي الذي يلجأ الى التفسير
تهاسبه نقابته على ذلك .

ويبدو أن سبب هذه الدعوة : لانه أن هناك
شعورا عاما لدى المواطنين بأنهم لا يجدون
الرمية المطلوبة من أصحاب المهن الحرة لأداب
مهنهم . مع أن الواقع أن معظم قوانين النقابات
المهنية تتضمن في صلبها أحكاما تتعلق بأداب
المهنة ، وتعمد الى مجالس نقاباتها بإعداد لائحة
بذلك ينص غالبا على اعتمادها من الوزير المختص .
وقد كانت هناك لائحة فعلا لأداب مهنة الطب
منذ عام ١٩٥٤ ، وكانت هناك لائحة مثلا لأداب
مهنة الصحافة منذ عام ١٩٦٤ . ولكن المشكلة
هي مشكلة التطبيق . وعالم تبادر مجالس
النقابات الى أحكام الرقابة على تقييد آداب
المهنة ومحاسبة من يخرج عنها ، فلن ينفعها كثيرا
أن تعلن التأييد في المواقف القوية أو أن ترحي
الهتة بها :

واعتقد أن على مجالس النقابات أن تقدم
حسابا سنويا عن نشاطها وهن أبر ساعرض له
فيما بعد ، بهيئة تناول علاقة النقابات بالاتحاد
الاشتراكي .

على أني أود أن ألفت النظر الى ظاهرة
التناقض بين رفع شعار الاشتراكية والانفتاح
على مصالح الجماهير الذي يجسده بين أهداف
النقابات المهنية بصفة عامة ، وبين مواقف أخرى
نقابية لإرات تمل « فكرة التمييز الطائفي
أو اللونى » .

أن قوانين النقابات المهنية التي تنظم مهنة
يتعامل أساليبها مع الجمهور لا لارات تضع
أعضائها في موقع متميز في علاقته بالأفراد
المتضمنين بخدماتهم . فلا يكاد قانون يخلو من
تنظيم لتقدير أعمال المهنيين منذ الخلاف مع
صاحب الشأن كالمريض في علاقته بالطبيب ،
أو المتقاضى في علاقته بالمحامي ، وفكرة تحكيم
النقابة في الخلاف فكرة سليمة في حد ذاتها .
ولكن الممارسة أثبتت أن هناك معالة في تقدير
الاتحاد تضطر المحاكم في حق النقابة الى أن
يلجأ الى القضاء ، ويوجد مثل هذا التحيز الطائفي

في قانون حقيقة مثل قانون نقابة الصحفيين %
على تقرير ميزات خاصة للصحفيين تجاوز
الحقوق التي يتمتع بها سائر العاملين في
المؤسسات الصحفية سواء فيما يتعلق بالإجازات
أو مكافآت الضحية أو الأجر أثناء المرض .
وبطبيعة الحال فإن أحد لا يمكن أن يعترض على
زيادة الميزات المقررة لأي عامل ، فهذا مطبوع
نفسه الى عن طريق التثنية والوفرة ، كما أنه
من المسلم به أنه يمكن إعطاء ميزة خاصة لطلبة
من العمال نزولا على طبيعة عملهم ، مثل تمييز
عمال المنزلي والمحاجر مثلا وغيرهم من ذوي
الأعمال الشاقة بساعات راحة أكثر وساعات
عمل أقل ، أو إعطاء ميزة لطائفة تعمل في مناطق
ناحية ، أو تقرير معاملة خاصة للنساء أو الأحداث .
ولأنه بقدر تقدير هذه الظروف يسبح بالاختلاف
في المعاملة . ولكن هل هناك مبرر مثلا لأن تكون
أجارة صفى لا يزال تحت التبرين شهرا ، بينما
لا يحصل زميله العامل في الطبعة أو الموظف
في الصناعات إلا على أجارة قدرها أربعة عشر
يوما ترد الى واحد وعشرين يوما إذا تجاوزت
مدة خدمته عشر سنوات ؟

تنظيم النقابات المهنية

والتناقضات التي تحكمها

ويتلنا هذا الحديث الى تنظيم النقابات المهنية .
وسوف نلاحظ أن هناك منظمات جماهيرية أخرى
تتدخل أغراضها مع النقابات المهنية ونشأ عن
ذلك عدة تناقضات .

هناك جمعية للمهندسين تقوم جنبا الى جنب
مع نقابة المهندسين . وهناك نادي القجارة وكان
سبق في تأسيسه من نقابة المحاسبين ، إذ أنه
يرجع الى عام ١٩١٨ ، وهناك جمعية أيضا
للمحاسبين أقدم في تأسيسها من نقاباتهم . وهناك
جمعية طبية الى جانب نقابة الاطباء . وأهداف
مثل هذه الجمعيات تتداخل مع أهداف النقابات
المهنية المتعلقة بالارتقاء بالمستوى العلمي أو أداء
الخدمة العامة .

وهناك منظمات عمالية تتداخل اختصاصاتها
مع أهداف الدفاع عن مصالح المتدين الى النقابة
المهنية . هناك نقابات عمالية مثل نقابة العاملين
في الخدمات الصحية ، ومنح النقابة العامة
للصحافة والباطون النشر . وهناك أعضاء نقابيين
ينتمون الى نقابات المهن الحرة وإلى نقابات عمالية
في نفس الوقت ، ذلك أن معظم النقابات المهنية
أصبحت تضم عاملين يخضعون لقوانين العمل ،
مثل الطبيب الذي يعمل في مستشفى حكومي
والمحامي في إدارة قانونية في القطاع العام .

لم آت داخل النقابة المهنية نفسها ننشأ صدام بين مصالح الذين يزاوون عليهم استقلا ، وبين الذين يرتبطون بمفود عمل . وفي بعض النقابات ينشأ صدام بين من يحملون مؤهلا من الجامعة ومن يحملون مؤهلا من معهد عال أو أقل من ذلك . وقد كتبت نقابة المحاسبين ترفض مؤهلا قيد خريجي المعاهد العليا الصناعية .

وبعض النقابات مثل نقابة المهن التعليمية جيز تمثيل المحالين إلى المهنة ، بينما لا يجيز قانون المحابة ذلك لمن ينقل إلى جدول المحالين غير المشتغلين .

ونقابة مثل نقابة الزراعيين ، تضم إلى جانب المهندسين الزراعيين ، مهنيين مساعدين من حملة دبلومات الزراعة المتوسطة أو الثانوية .

ونقابة الصحفيين تشير في قانونها الجديد إلى هدف التريب بين أعضاء النقابة وبين أعضاء نقابات العمال العاملين في الصحافة بأغلبية اتحاد فيما بينها يستهدف الارتقاء بالمهنة . وهو نص لا يزال مازيا من التطبيق .

ونقابة مثل نقابة المحاسبين والمراجعين لاتزال تفت بوثقا مفردا بالنسبة لتبوء محاسبى القطاع العام الذين يجمعون الجهاز المركزى للمحاسبة ، وهناك مشروع اقترح بتحويلها إلى نقابة للتجارين .

الاضطراب ظاهر الآن في طريقة معالجة تنظيم النقابات المهنية ، وتلك بعض هذه النقابات في تناقض حاد أيضا فيما بينها وبين مصالح الجمهور . وقد استسهلت معظم النقابات كطريقة لتنمية مواردها ترشروم بشفة نقابية وتحملها الجمهور المشغول مع أفراد النقابة .

ومثال آخر لاتعكس التفتخلت داخل النقابة على مصالح الجمهور ، ما ينص عليه قانون المحابة الجديد من نص العمل في هيئة المعاونة القضائية على المحالين ذوي المكاتب . وهذه الهيئة هي التي نص القانون على انتشكلها النقابة لتقديم الخدمات القضائية المجانية للوطنيين غير القانونيين [وهو نص لم يطبق بعد أيضا] .

وقد لمس « محمد القاسم » خلال مناقشات اللجنة التشريعية لإعداد الخطة ، هذه التفتخلت التي تقع بين مصالح التبيين إلى اللجان المهنية ومصالح الجمهور قلا [جلستة ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦] .

« أرسلنا التشريعات مرة ، قانون المحالين ، المهم الاساسى . الحاجة التي لا تحتاج محمل لإزم يعنى عليها بحام لان عندهم محالين قطعاً عزيزين وشغلوا . كان فيه محالين غير حيث هذه التشريعات

ولكن لماذا يعملون هذه العملية ، لانهم يبحثون عن مصالحهم . يقولون مثلاً لا يقدم أحد شيئاً إلا بحام . حصل هذا في نقابة المحاسبين وكنت العملية هي تشغيل عدد من المحالين وكنا قد استجبنا فعلاً لهذا لأنه كان أماناً لمشكلة فعل هذا هو الصحيح ؟ هذا « اسبيرين » نصفه بالنسبة لمشكلة من الشاكل ولكن هذا لا يمثل ماى حل الخط للسليم الذى يجب ان نسير فيه بالنسبة للنقابات الأخرى .

ولا شك ان تنظيم النقابات المهنية طريق الانتخاب وتحويلها حق تشكيل هيئاتها وتنظيم قيد المنتخبين إليها ومحاسبتهم ، يجعلها نوعاً من المؤسسات التي تقوم على ديموقراطية الإدارة الذاتية . ومع ذلك فلما نلجس في نقابة المحالين مثلاً تعارضاً مع هذا المبدأ الديموقراطى في التنظيم حينما يقصر قانون المحابة حق الترشيح لمنصب النقيب على المحالين ذوي المكاتب الخاصة ، وجوباً يجعل تمثيل المحالين العاملين في القطاع العام في مجلس النقابة محدوداً بأربعة مقاعد من مجموع أعضاء المجلس البالغ عشرين مقعداً ، وذلك رغم أن عدد المحالين العاملين في القطاع العام أصبح يجاوز أكثر من نصف مجموع أعضاء النقابة .

بل انه بينما تشترط معظم قوانين النقابات المهنية ان يكون قد مضى على قيد المرشح لمنصب النقيب او تخرجه مجلس مهنة سنة (أو عشر سنوات بالنسبة لنقابة الصحفيين) إذ يلقون المحابة يشترط ان يكون قد مضى على اشتغاله بالمهنة عشرين سنة بصفة ، فيعمر بذلك فرصة الترشيح على عدد محدود قد لا يكون من يبله من هو أكثر على قبيل المحالين .

النقابات المهنية والاتحاد الاشتراكي

من ألق الأمور التي صاغت التجربة المصرية ، تحديد العلاقة بين النقابات المهنية وبين الاتحاد الاشتراكي . وقد كان كل ما ورد بشأنه لسي الميثاق عبارة مائة من « ان التنظيمات الشعبية وخصوصاً التنظيمات التعاونية والنقابية تستطيع ان تقوم بدور مؤثر وفعل في التمكن الديموقراطية السليمة ، وإن هذه التنظيمات لابد ان تكون قوى متقدمة في ميادين العمل الوطنى الديموقراطى وإن نمو الحركة التعاونية والنقابية يحين لا يلضب للقيادات الواعية التي تلمس بأصابعها مباشرة أعضاء الجماهير وتشر بقوة نفسها ، بينما كان الميثاق أكثر تحديداً لنور النقابات العمالية التي ضمها بمهارات واضحة من أهمية دورها

واسهامها في رفع الكفاءة الفكرية والفنية وصيانة حقوق العمال ومصلحتهم ورفع مستواهم المادي والثقافي وانجاح عملية التطوير الصناعي .

وقد تناول تقرير لجنة الرد على الميثاق موضوع النقابات بصفة عامة دون تمييز بين النقابات العمالية والنقابات المهنية ، فإشار إلى أن التنظيم النقابي في المجتمعات الرأسمالية قد نشأ نتيجة لاستغلال رأس المال للطبقات العاملة ، فكان تنظيمها دافعا يبلور صراع الطبقات ويدفع من النقابيين ظلم المجتمع المستغل . وهو وصف يصدق على النقابات العمالية ، ولكنه لا يصدق على النقابات المهنية التي نشأت أساسا بين مهنيين يزاولون مهنتهم مستغلا ولا تنشأ علاقة مباشرة بينهم وبين أرباب الأعمال بل تنشأ علاقة وكالة أو مقاولية بينهم وبين أفراد الجمهور .

وانتهى تقرير الرد على الميثاق إلى نتيجة هامة بالنسبة لملائمة التنظيمات النقابية بسائر أنواعها ، بالانحداد الاشتراكي . فذكر أنه من الطبيعي أن يكون الاتحاد الاشتراكي أطارا يجمع في داخله كل فئات الشعب وتنظيماته المختلفة وأنه ترتيبا على ذلك فإن التنظيمات النقابية يجب أن يكون تشكيلها في إطار الاتحاد الاشتراكي العربي .

وقد طرحت في المناقشات التي جرت في اللجنة التحضيرية للميثاق ، طريقة بين السياسة الحزبية التي كانت تجري عليها النقابات المهنية فيما مضى ، وبين السياسة القومية التي تهدف إلى أن تكون المهنة في خدمة المجتمع أ الدكتور سليمان حزين - جلسة ٢٧ نوفمبر ١٩٦١] .

وقد عادت قانون الاتحاد الاشتراكي العربي ، وأشار في دريجه إلى أن الاتحاد الاشتراكي العربي ، وهو السلطة الشعبية ، يقوم بالعمل القيادي والتوجيهي والرقابة التي يمارسها باسم الشعب ، بينما يقوم مجلس الأمة وهو سلطة الدولة العليا وبمهة المجلس النقابية والشعبية بتنفيذ السياسة التي يرسمها الاتحاد الاشتراكي العربي . وأضاف أن الاتحاد الاشتراكي العربي لا يحل محل النقابات أو التعاونيات أو منظمات الشباب ، وإنما يعمل على القيام برسائله وتحقيق أهدافه بمساعدة هذه المنظمات .

ونستخلص من ذلك أمرين :

• الأول : أن النقابات المهنية ليست جزءا من تنظيمات الاتحاد الاشتراكي .

• الثاني : أنها في نفس الوقت تساعده على تحقيق أهدافه .

ونحن ثم لقد كان من أهم الأمور ؟ لنصنع علاقة واضحة تنشأ بين النقابات المهنية وبين الاتحاد الاشتراكي ، علاقة لا تزوب بينها هذه النقابات في تنظيمات الاتحاد الاشتراكي ولا تصبح مجرد فروع لها ، وفي نفس الوقت تلتصق بتنظيماته الاتحاد الاشتراكي وتعمل في تعاون معه .

وقد كانت الصيغة السهلة التي أمكن وضعها في تحديد هذه العلاقة ، أن يكون للاتحاد الاشتراكي هيئة كاملة على النقابات المهنية من خلال الموافقة على المرشحين لمجلس النقابات أو من خلال سلطة الاعتراض على ترشيحهم . وبالتالي يصبح زمام مجلس النقابة في يد الاتحاد الاشتراكي .

وهي صيغة سهلة كما أوضحنا ، ولكنها خطيرة أيضا . ذلك أنها قد تنتهي - ولعلها قد انتهت عملا - إلى أن يستعمل أعضاء مجالس النقابات بدورهم الاعتماد على توجهيات أجهزة الاتحاد الاشتراكي ، ثم يتطور الأمر أو لعله تطور ، إلى نوع من التلويح برفيعة فدية أو تطعم إلى ما يوافق به أجهزة غير مرفوعة . بما يؤوله ذلك من بيروقراطية شارة وما يخلقه من تفاف نقابي .

وقد جرت جميع قوانين النقابات المهنية التي صدرت في السنوات الأخيرة على مطلب العضوية العاملة في الاتحاد الاشتراكي كشرط للترشيح في مجالس النقابات . وقد قانونت نقابة المهن الزراعية الذي يتطلب هذا الشرط أيضا لعضو الجمعية العمومية للنقابة كما شذ قانون نقابة المهن الهندسية ، الذي لم يلحقه تعديل في هذا الشأن رغم بعض التعديلات التي أدخلت عليه بعد صدوره في عام ١٩٤٦ ، فلم يتضمن شرط العضوية العاملة للترشيح في مجلس النقابة ، ولكن يبدو أن هناك رأيا بأن هذا الشرط مفترض استنادا إلى قانون كان قد صدر في ظل الاتحاد القومي عام ١٩٥٨ وتطلب العضوية في الاتحاد القومي للترشيح في كافة المستويات النقابية .

على أن العمل قد جرى على منسجم الاتفاق بالمعضوية العاملة ، فكان الاتحاد الاشتراكي يمارس سلطة الاعتراض على المرشحين . ذلك أنه هو الذي يملك في نفس الوقت سلطة سحب العضوية العاملة بلا معتب . وهي سلطة بما لم تعطها الجسقات وما لم تجر في إطار التنظيم الديمقراطي بالانتخاب ، فتلها تصبح خطرة على حرية النقابات في اختيار ممثلها .

وهنا يفترضنا حفظ هام يجب الإشارة إليه في صدد مطلب العضوية العاملة للاتحاد الاشتراكي فمن يرشح لمجلس النقابات . هذا التحفظ هو

أن الانضمام إلى الاتحاد الاشتراكي لا يضح أبداً أن يكون شرطاً لإزالة المهنة . لأن من بين أسس أي تنظيم سياسي أن يكون الانضمام إليه اختيارياً ، ولأن الحق في لائحة العيش يجب ألا يكون مستبعداً من الولاء السياسي أي كان نوعه .

كذلك نصت جميع قوانين النقابات المهنية التي صدرت في السنوات الأخيرة ، على أن تبشر نشاطها في إطار السياسة العامة للاقتصاد الاشتراكي ، وهو نص مستفاد من عبارات تقرير لجنة الرد على الميثاق .

ولكن السؤال المهم والذي لم يحظ بإجابة سليمة ، كان الأنسب : وكيف تمارس النقابات نشاطها في إطار السياسة العامة للاقتصاد الاشتراكي ؟ وهل هو التزام يزيد من الالتزام بمبادئ الميثاق ؟ وهل تكون ممارسة هذا النشاط في نطاق مبادئ الميثاق أو السياسة العامة للاتحاد الاشتراكي ، عن طريق نشاط أعضاء النقابات المنتمين إلى الاتحاد الاشتراكي ، ومدى ما يحققونه من تفاعل مع أعضاء النقابات . أم تكون الطريقة هي تنفيذ لتعليمات توصف بأنها « سياسة عامة » ؟

وبع أن « بيسان ٣٠ مارس » كان قد تعرض للنقابات بصفة عامة وأشار بين المهام الرئيسية للبرحلة التي تلت « إلى إطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية سواء في نقابات العمال أو نقابات المهنيين » . فلن هذا الجذا لم يترجم إلى واقع عملي ملموس .

كذلك فإن الدستور الجديد الذي وافق عليه الشعب في استفتاء عام في ١١ سبتمبر ، قد تضمن نصاً هاماً يتعلق بالنقابات إذ جاء به : أن إنشاء النقابات والاتحادات على أساس ديموقراطي حق يكفله القانون ، وأن القانون ينظم مساهمة النقابات والاتحادات في تنفيذ الخطط والبرامج الاجتماعية ، وفي رفع مستوى الكفاءة ودعم السلوك الاشتراكي بين أعضائها وحملها أمولها .

وهذا النص يصلح انطلاقاً لإعادة تنظيم النقابات المهنية .

وفي اعتقادي أنه وقد تم تشكيل أمانة خاصة للمهنيين في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، فإن عليها وهي تتعاون مع أمانة برنامج العمل الوطني في وضعه موضع التطبيق أن تعني بالأمور الآتية :

● مدى الأتلاق والخلاف بين النقابات المهنية وبعضها في ظروفها . فهناك نقابات أكثر اتصالاً بالجمهور مثل نقابة الأطباء ونقابة المحامين . وهناك نقابات تنقسم جميعها هليلين يخضعون لقوانين العمل أو لنظم التصويف مثل نقابة الصحفيين ونقابة المعلمين . وهناك نقابات تجمع بين من يزاولون مهنتهم استقلالاً وبين العاملين في القطاع العام أو الحكومة .

● إلى أي مدى تؤثر هذه الظروف في طريقة تشكيل النقابة ، وإلى أي مدى تقترب بذلك من فكرة « الجمعية » وتبعد من فكرة « النقابة » ، وما هي العلاقة التي يمكن أن تقوم بينها وبين النقابات المهنية ؟ ، أكون في المرحلة الحالية عن طريق إضافة اتحادات مختلطة مع الإبقاء على كيان النقابات المهنية ؟ وأي النقابات أصبحت الصالحة ملحاً إلى ربطه بهذا النوع من الاتحادات ؟

● كيف يمكن تنظيم علاقات النقابات المهنية بجمهور المتقنين بخضمت أعضائها . وهل يعاد النظر في كثير من السلطات التي تتبع بها النقابات تجاه الجمهور ؟ وكيف يمكن إيجاد جهة بمشاركة في الرقابة على التزام آداب المهنة ؟

● كيف يمكن محاسبة مجالس النقابات على دورها الذي يجب أن تؤديه في خدمة المجتمع ؟ وهل تلزم بأن تقدم حساباً سنوياً بما أدته من جهود إلى الاتحاد الاشتراكي . وماذا يمكن أن يكون دور الاتحاد الاشتراكي في هذه الحالة ؟ وكيف يمكن أن تصبح هيئات استشارية نافذة له ؟

وفي النهاية ، فإن السؤال الذي يطرحه البرنامج هن وجوب أن تضع النقابات المهنية نفسها في خدمة قضية المجتمع حتى لا تفقد شرعية بقائها . هذا السؤال تملك النقابات المهنية وحدها الإجابة عنه . إن هذه النقابات تنضم المتقنين الذين يشكلون كياناً مؤثراً في تحالف قوى الشعب العاملة . وكلما تطورت العلاقات الاجتماعية إلى علاقات اشتراكية ، كلما انعكس ذلك على وضع النقابات المهنية ، واقتربت مصالح أعضائها من مصالح سائر العاملين في المجتمع . والمهم في أي تنظيم أن يبدأ بتحليل العلاقات القائمة ثم يضع لها الحل الذي يتفق وطبيعة هذه العلاقات وطبيعة المرحلة .

تاريخ الشعب - لها ما قبلها وأمامها ما بعدها

ويأتي برنامج ٢٢ يوليو ١٩٧١ بعد حوالي عشرين عاما من قيام ثورة ١٩٥٢. فما هي دلالة الوثائقية :

لقد شتم الميثاق صورة الواقع المصري قبل ١٩٥٢ - على النحو التالي :

أولا : « كانت هناك واجهة ديمقراطية مضللة ، ان الشعب لم يمد صاحب السلطة ... ولم تعد الجماهير هي التي تقرر خط السير الوطني ، وأما أصبحت أصوات الجماهير تصاق وفقا لإرادة السلطات الحاكمة ... »

ثانيا : أبرز الميثاق العلة في هذا الفصل الديمقراطي ... « كان ذلك نتيجة طبيعية لأفعال الجانب الاجتماعي من أسباب ثورة الشعب سنة ١٩١٩ » .

ومن هنا فإن تصف ميادى الثورة الستة كانت اجتماعية لمواجهة الاقطاع ورأس المال والاستغلال .

وكان المبدأ الأخير منها هو اقامة ديمقراطية سليمة . ولقد أوضح عبد الناصر أن معنى هذا المبدأ في النهاية كان مقصودا - لانه بدون الديمقراطية الاجتماعية لا يمكن أن تقوم حياة ديمقراطية ميامية صحيحة .

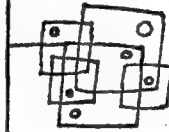
ولكن السؤال ازال قائما ... ماهي دلالة برنامج يوليو ١٩٧١ في مسار حركة المجتمع المصري قبل ١٩٥٢ وبمدها ...

لستطيع في كلمات عامة أن أقول ان التركيز طوال سنوات الثورة الماضية كان على الجانب الاجتماعي . ولقد كان لهذا التركيز ما يبرره من ناحية ، كما انه أبرز نواحي جديدة حملت التجربة أعباء ثقيلة من ناحية أخرى .

أما ان هذا التركيز على الجانب الاجتماعي لما يبرره فأن الاستغلال كان يسيطر على المجتمع المصري ، شارسه الطبقات المالكة ، وتدرجيد وضع أمام الثورة طريقها ، وصدرت قوانين يوليو ١٩٦١ وانفتح مسار جديد أمام الشعب المصري .

ولكن السير في هذا المسار كان مصحلا بالأوضاع التي تراكمت أثناء مسار ثورة ١٩٥٢ نتيجة لان هذه الثورة كما يقول الميثاق بدأت « من غير تنظيم سياسي يواجه مشاكل المعركة ... » كذلك ... من غير نظرة كاملة للتغيير الثوري ... »

مفاهيم أساسية للحكم المحلي



د . ولیم سلیمان قلاده

« البرنامج » - أي برنامج - أهدافا لاتوجد في الواقع ، ويسمى المجتمع بجهد منظم أن يصل إليها . ونتيجة لذلك فإن البرنامج يصدر في حقيقة الامر عن رؤية مستقبلية للواقع -

يقترح

وقد تطور ونفى نواحي القصور الكائنة فيه وحقق صورة جديدة تكون بنورها أساسا لانطلاقة جديدة ، فالبرنامج يشكل لحظة في

المجال حارة صارت مشهورة من كثرة ما تناقلتها
الاقلام ، وهي بالفعل تستحق ان تصاد كثيرا حتى
تنتقل من نطاق المبادئ الى حين التطبيق الواقعي .

يقول الميثاق :

« ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان
تتكبد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ،
فذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينظم سيادة
الشعب » ثم هو الكفيل بان يظل الشعب دائما
قائد العمل الوطني ، كما انه الضمان الذي
يحمي قوة الانتفاخ الثوري من ان تنهد في
تفقيذات الاجهزة الادارية والتفنيذية بفعل الاممال
او الانحراف .

« كذلك فان الحكم المحلي يجب ان ينتقل باستمرار
وبالمراحطة سلطة الدولة تدريجيا الى السلطات
الشعبية ، فانها اقدر على احساس بمشاكل
الشعب ، واقدر على حلها » .

ثم جاء بيان ٣٠ مارس ففصلى على ان ادارة
الحكومة في الدستور الجديد يجب ان تكون من
« طريق التخصص واللامركزية » .

وهكذا تضمن برنامج ٢٢ يوليو ١٩٧١ وهو
يتحدث عن الدستور الدائم مبدأ خاصا بالمجالس
الشعبية المحلية ، بمقتضاها تتكون هذه المجالس من
طريق الانتخاب المباشر ، تنقل اليها السلطة تدريجيا ،
وتسهم في اعداد خطة التنمية وتنفيذها ، كما تراقب
الانشطة المختلفة .

وتضمنت المواد ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ من الدستور
صياغة هذه المبادئ جميعا .

م ١٦١ - تقسم جمهورية مصر العربية الى
وحدات ادارية تتمتع بالشخصية الاعتبارية
منها المحافظات والمدن والقري ، ويعوز انشاء
وحدات ادارية اخرى تكون لها الشخصية
الاعتبارية اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك .

م ١٦٢ - تشكل المجالس الشعبية المحلية
تدريجيا على مستوى الوحدات الادارية من
طريق الانتخاب المباشر ، ويكمل القانون نقل السلطة
اليها تدريجيا ، ويكون اختيار رؤساء ووكلاء
المجالس بطريق الانتخاب من بين الاعضاء .



ومن هنا جاءت التناقض التي تراكمت في طريق
الثورة طوال العشرين عاما الماضية .

ولعل لخطر هذه التناقض هو تعطيل الحركة
الشعبية ، وعدم اتاحة الفرصة لها كي تعبر
عن ارادتها ، وان تمارس بالفعل سيطرتها على
الحياة الاقتصادية والسياسية . وازداد تحكم
البيروقراطية في الحياة السياسية والاقتصادية
وارتفعت الشعارات : « فما كسبته مصر اجتماعيا
كان يهدده الضمران الديمقراطي » .

ان نفى التحكم البيروقراطي لا يضمن الغاء التطور
الاجتماعي او المساس بإنجازاته مباشرة او بطريق
غير مباشر . على المكس من ذلك ان هذا النفي
يعني تهميش الكاسب التي تحققت ، وفتح
الطريق امامها كي تحقق كل اهدافها . وتوسيع
القطاعات الشعبية التي تمارس من خلالها سلطتها
وتستفيد منها .

كيف ؟

نقطة البداية هنا هي المجتمع المصري - وما
يعانيه من استغلال اجتماعي وخداع ديمقراطي .
واذا كان حل مشكلة التخلف الاجتماعي والاقتصادي
في مصر هو : « في حتمية المل الاشتراكي »
كما يقول الميثاق ، فان الانطلاق الديمقراطي لمارس
الثورة لنا يعني تأكيد هذه الحتمية ، وارسائها
على امس فكرة صحيحة واطلاق حرية قوى
الشعب التي تصنع الحياة على هذه الارض من
تمارس حقها في العمل الوطني - السياسي
والاقتصادي - بكل ابعادها .

في الوثائق السابقة

والحقيقة ان الميثاق ربط الديمقراطية بالثورة ،

ويصنع من الاثنين وحدة متكاملة . ففي الباب الخامس
الذي خصصه للحديث عن « الديمقراطية السلبية »
يبدأ بان « الثورة بالطبيعة ميل شعبي تكتسب »
ثم يخلص الى ان « الديمقراطية هي الترجمة
الصحيحة لكن الثورة صلا شعبيا » ويقدم تعريف
« الديمقراطية » - « هي تركيز السيادة للشعب » ووضع
السلطة كلها في يده وتركيبها لتحقيق اهدافها » .
اما الجانب الاخر للثورة - التقدمية - فان
ترجمته الصحيحة في الميثاق هي الاشتراكية .

وهكذا فان « الديمقراطية والاشتراكية من هذا
لنصمون تصبجان لمتدادا واحدا للعمل الثوري »

وقابع الميثاق نظرت في خصوص شعبية الثورة .
ففي نفس الباب الخامس اوضح معالم ديمقراطية
الشعب « وكان من بين الضمانات اللازمة التي ارتأت
كليات ان ينص عليها الدستور الجديد حماية
لليدمقراطية - المجالس الشعبية . وورد في هذا

م ١٦٣ - يبين القانون طريقة تشكيل المجالس الشعبية المحلية واختصاصاتها ومواردها المالية وضمانات اعضائها وعلاقاتها بمجلس الشعب والحكومة ودورها في اعداد وتنفيذ خطة التنمية وفي الرقابة على اوجه النشاط المختلفة (١) .

ولقد قصدنا عمدا ان نورد ماحوته وثائق الثورة الرئيسية منصوص بخصوص المجالس الشعبية كي نوضح الاطار العام الذي تصالج هذه الوثائق الموضوع فيه ولكي يظهر الى اي حد تبلغ اهمية المجالس الشعبية .

ومن خلال هذه المقابلة لما ائتم الوثائق المتوالية نستطيع ان نقول ان برنامج يوليو ١٩٧١ قد لكد على نضج المبادئ والخطوط الرئيسية . ويبقى بعد ذلك ما نتخض عنه الممارسة العملية من نتائج فإذا كان الجدا نفسه لم يوضع موضع التطبيق ، فكل حين يصده سيكون بالضرورة اعادة تأكيد للمبدأ مرة اخرى .

مفاهيم أساسية

والحقيقة ان للحكم المحلى تاريخا طويلا في مصر كما ان شمة قانونا صدر عام ١٩٦٠ نظم الادارة المحلية ويجرى تطبيقه بالفعل .

ما هو الجديد الذي تجهد وثائق الثورة من اجل اضافته الى الواقع المصرى لئن .

الاجابة عن ذلك تتلخص من المفاهيم الاساسية التي تقوم عليها فكرة الحكم المحلى .. وهى ثلاثة :

- الديمقراطية
- المهوم الطبقي

اللامركزية

اول كل شىء يضمن التفرقة بين عدم التركز (٢) واللامركزية (٣) . فعدم التركز يقوم على توزيع سلطات موظفى الادارة الموجودين فى الاقليم .

فيكون لهم الحق فى اصدار القرارات فى تشؤن معينة خاصة بالاقليم دون الرجوع الى السلطة المركزية فى العاصمة . ويبنى على ذلك انه اذا اصدر وزير التربية والتعليم قرارا بقتل اختصاصاته الى مديري المناطق التعليمية فى العاصمة او الاقاليم - او اصدر وزير الداخلية قرارا بقتل بعض اختصاصاته الى رؤس مديريات الوزارة او المحافظين او المديرين فى الاقاليم ، عد ذلك من قبيل النظام المركزى للنسب ، ان النظام المركزى غير التركزى او النظام اللامركزى (٤) .

والامر مختلف عن ذلك تماما فى اللامركزية ان الاساس فى هذه الاخيرة هو وجود ارادة مصدرها الاقليم نفسه ، تميز عنها اداة يختارها أهل الاقليم ، فهنا هدف مجدا عدم المركزية الفعلية فى اتخاذ القرارات وفى تنفيذها ، تقوم اللامركزية على الديمقراطية (٥) .

الديمقراطية

وهذا هو المفهوم الثانى الذى تقوم عليه اللامركزية . فى بلد لا توجد فيه حياة ديمقراطية بالمعنى الصحيح لا يكون لتقييم ذلك البلد الى وحدات جغرافية ، ومنع أهل كل اقليم سلطة اختيار مجلس يدير شؤنهم . لا يكون ذلك صورية حقيقية لصيلة للحكم المحلى .

ان الدراسة المقارنة لنظم الحكم المحلى اذا كانت مقصورة على اظهار اوجه الشبه والاختلاف الكائنة بين النصوص التشريعية فى مختلف البلاد ، هذه الدراسة القانونية الخالصة للموضوع تؤدى الى اشاعة الغموض فيه . فالحقيقة ان هذا النظام موغل فى القدم ووجوده فى جميع بلاد العالم يصرف النظر عن اوضاعها السياسية والاجتماعية . وفى منهج المقارنة الشكلية تتسع كلمة الحكم المحلى كي تشمل نظام حكومة القبيلة المطبق فى الملكة العربية السعودية ، ونظام

[١] ولم تكن نصوس الدستور وقت الصادر عام ١٩٦٤ بطل هذا الفصل - كما انها لم تضمن اشارة الى المجالس الشعبية . فقد شمس دستور ١٩٦٤ مادتى للادارة المحلية :

م ١٥٠ - تقسم الجمهورية العربية المتحدة الى وحدات ادارية . ويجوز ان يكون لكل منها او لبعضها الشخصية الاعتبارية وفقا للقانون .

م ١٥١ - تختص الهيئات المحلية للوحدات الادارية بكل ما يلمح الوحدات التى تلتها ، وتساهم فى تنفيذ الخطة المالية للدولة . ولها ان تلتقى وتبصر المرافق ، والشرعوت الاقتصادية والاجتماعية ، والصحية ، ولكل على الوجه المبين فى القانون .

د. ٢ ج. ١ déconcentration

د. ٢ ج. ٢ décentralisation

د. ٢ ج. ٣

[٤] د. نواد المطار ، نظرية اللامركزية الاقليمية ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، يناير ١٩٦٦

ص ٦٦ Georges Lascuyer, les Perspectives Actuelles de la Décentralisation Territoriale.

[٥] مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، المرجع السابق ص ٤٢

الكوميونات في يوغوسلافيا ٢ ونظام المحافظ والمذن والقرى في مصر .

ونحن نقرا في بحث عن « نظام الإدارة المحلية في ج . ع . م - تجربته وتطويره » مقدم إلى المؤتمر العربي الثالث للملحوم الإدارية الذي عقد بالقاهرة في أكتوبر ١٩٦٥ :

« لقد عاشت غالبية الجماعات السياسية التي ظهرت في المراحل الأولى للتاريخ السياسي العالمي في قرى أو مدن وخضعت « لحكومات القبيلة » والحكومة في بدايتها ظهرت في « المفهوم المحلي » ولهذا يطلق على حكومة القبيلة اسم « الحكومة المحلية التقليدية » وهي لا تزال حتى الآن تؤدي دورا هاما في بعض الدول الأفريقية والآسيوية ودول العالم العربي . ومن الناحية الفنية البحتة نجد أن الشاغل الأكبر لجبراء الإدارة في كثير من الدول هو كيفية الوصول إلى ربط مناصب للإدارة المحلية بإدارة الحكم المحلي بحيث يمكن تحقيق وحدة البناء الإداري العام في الدولة . » (وهكذا) نجد أن كلا من : يوغوسلافيا والهند والباكستان والجمهورية العربية المتحدة والمملكة السعودية وليبيا قد طمعت شوطا كبيرا في هذا المجال وأحرزت نجاحا ملحوظا جعل أساس ومقومات لتطوير لأنظمة الإدارة المحلية والحكم المحلي في هذه الدول محل دراسة الخبراء والفنيين « (٦)

ولقد أثبت الدارسون أن النظام الاستعماري في أفريقيا أذ سخر السلطات التقليدية الأفريقية كي تحقق أغراضه أمام إشكالا من الحكم غير المباشر ومن الإدارة المحلية بواسطة رؤساء القبائل القطاعيين أو بتعيين رؤساء جدد ليقوموا بدورهم كموظفين ذوي مرتبات تابعين للاستعمار ، بل وأقام لنظمة جديدة للحكم المحلي — لم تكن موجودة من قبل ، واستخدم فيها مثل هؤلاء الرؤساء « (٧)

والمواقع أنه حين يكون كفاح الشعب منصرفا إلى استخلاص استقلاله من الاستعمار ، فإنه لا يلفت إلى النتائج التي لا ترتب في الواقع إلا إذا خلصت إلى الإرادة الوطنية من القيود . ولهذا سجل الدارسون في تاريخ الإدارة المحلية :

أن الحريات القومية شغلت أذهان المصريين منذ بداية القرن عن موضوع الحريات المحلية « (٨)

ولم يكن يهتم بهذه الحريات الأخيرة إلا أصحاب المصلحة فيها . وهم في الجبل الأول الملاك الزراعيون الذين كانت تتفق مصالحهم وأهداف السياسة الاقتصادية للاحتلال البريطاني « (٩) على النحو الذي ستشير إليه فيما يلي .

ومن ناحية أخرى فانبعاث أزمة النظام الديمقراطي تظهر نفس الأغراض في الحكم المحلي . وهذا ماحدث في إيطاليا وألمانيا أثناء الحكم الفاشي والنازي « (١٠) .

المفهوم الطبقي

على أن المفهوم الثالث الذي تقدم عليه فكرة الحكم المحلي — المفهوم الطبقي — هو الذي يفرق على وجه الدقة واليقين بين تطبيقات هذه الفكرة في مختلف الأزمنة والبلدان .

ومن المعروف أن « المدن في أوروبا كانت هي المناطق الجغرافية التي تحقق لساكنيها فيها التحرر من ربقة الاقطاع ، في هذه المدن تجمع التجار والصناع ، وكان نمط حياتهم مختلفا عن المجتمع الزراعي الذي تركوه . وكان أهم مطلب لهذا التجمع هو الحرية الفردية ، فبغير الحرية والقدرة على الذهاب والاياب والبيع تكون التجارة أمرا محالا . ومما ساعد على حصولهم على هذا المطلب واقعا أن الكثيرين منهم نزحوا من أماكن بعيدة تقصر يد سادتهم الأصليين عن الوصول إليهم في تجمعاتهم الجديدة . وما دام أصبح من المستحيل وأقبحا اعانتهم إلى العبودية فقد أصبحوا بالفعل أحرارا . وتحول الواقع إلى حق . وسلم السادة بذلك . وهكذا أصبحت الحرية في الحالة القانونية لسكان المدن — للبرجوازيين . ولم تعد الحرية ميزة فردية بل ميزة اقليمية ملازمة لأرض المدينة كما لا زالت العبودية أرض الريف . وللحصول عليها يكفى للإنسان أن يعيش سنة ويوما داخل أسوار المدينة . وجرى مثل الألماني : « هواء المدينة يجعل المسوء حرا » ونشأت قواعد قانونية جديدة تتفق مع الأوضاع الجديدة » واستبقي التكتل داخل المدن عددا من التدابير اللازمة للدفاع والاستقرار ، وتجهت البرجوازية في إقامة الإدارة البلدية ، ونشأت مجامع المدن ، وقسمت ببناء الاسوار والأوصاف والأسواق والجسور — كل ذلك بالأموال والرسم التي كانت تجمع من سكان المدن .

[٦] هي ١١ و ٧

[٧]

Jack Woods, Africa the Way Ahead, New York, 1963, p. 71.

ترجمة أحمد فراد بلع ، أفريقيا على طريق المستقبل ، ص ١٠٧ .

(٨) عثمان خليل ، الامركزية ، رسالة مكتورة .

(٩) لطفى السيد ، صفحات مطوية

[١٠] وحيد رافت ، القساقون الإداري ، الجزء الثاني ، ص ٧٨٨ ، ٧٨٩

هكذا يتضح الجوهر الطبقي للحكم المحلي في أوربا . أن نشأته مصاحبة لصعود البرجوازية وازدهارها .

وعلى العكس من ذلك لم تكن المدن في بلادنا وسيلة لتحرر الفلاحين . ولم تقم فيها نظم وتقسيم يمكن أن تقف في مواجهة الاقطاع . الواقع أن المدينة كانت هي المكان الذي يعيش فيه أمراء الاقطاع ومنهم يمارسون سلطتهم . لهذا كانت مثلة الفلاح تتضاعف في المدينة .

ولقد كرس هذا الوضع التنظيم الحديث للادارة المحلية في مصر (١١) الذي وضعته السلطات الانجليزية بمجرد دخوله الى بلادنا . فطبقا للقانون النظامي الصادر في اول مايو ١٨٨٢ انشئ مجلس مديرية في عاصمة كل مديرية من مديريات اللؤلؤ ، وكان عدد اعضاء كل مجلس يتراوح بين ثلاثة (الغيوم) وثمانية (الغربية) .

وتكشف شروط عضوية هذه المجالس واختصاصها عن جوهرها الطبقي : فهي مجالس تمثل مصالح الملاك الزراعيين ، وتؤكد سلطتهم . فكان يشترط في عضو مجلس المديرية أن يكون مؤديا مالا مقرا على عقارات أو أطيان في نفس المديرية قدره خمسون جنيها في السنة وذلك منذ سنتين على الأقل . أما الاختصاصات فكانت محدودة ، إذ يجب « استمجاز » أي استطلاع رأي المجلس في اجراء تفتيريات في زمام المديرية أو زمام البلاد . . . كما يجوز اذا رأت الحكومة أخذ رأي المجلس في بعض المسائل الاخرى كعمليات الطرق والملاحة والرأى . . . وأخيرا كان له أن يبدى رغبات من تلقاء نفسه في كل ما من شأنه ترقية المرافق العمومية والزراعة كتجفيف المستنقعات وتحسين الزراعات وتصريف المياه .

على انه في جميع الأحوال كان رأي المجلس استشاريا بحتا . أي أن قراراته غير ملزمة للحكومة المركزية .

وفي هذا كله يتفق التنظيم مع الاهداف الاستعمارية الانجليزية . فانجلترا كانت تريد جعل مصر وحدة اقتصادية تتخصص في زراعة القطن ، وأن يكون سند وجودها في البلاد هي طبقة الملاك الزراعيين . ولذلك تركه لهؤلاء حكم الريف، وتقدمت خيراتهم ومشوراتهم للحكومة المركزية التي توافقت اهدافها مع رغباتهم وازدهار مصالحهم وتأكيد سلطانهم على الريف ومكانته .

لما المدن فكان لها وضع آخر . وأول مجلس

بلدى انشئ في مصر كان في الاسكندرية عام ١٨٦٩ . ففي تلك السنة قبل تجار الصنادير والواردات واصحاب الاملاك قرض مصوم على انفسهم لتحصين المرافق البلدية . وتكون منهم عام ١٨٨٥ قومسيون تناولت مهمته تحسين المدينة صحيا وعمرانيا ، وجاء الامر العالي عام ١٨٩٠ بتركس هذا الوضع وانشئ مجلس بلدى الاسكندرية لتمثيل المدينة .

ويكشف تشكيل هذا المجلس عن طبيعته الطبقية ايضا . فهو مكون من ٢٨ عضوا . ستة منهم اعضاء بمقتضى القانون أي بحكم وظائفهم . وثمانية اعضاء يمينهم الحكومة . أما الباقي فبالانتخاب . ستة ينتخبهم سكان المدينة بالانتخاب العام (١٢) . وثلاثة ينتخبهم بمعرفة تجار الصنادير . وثلاثة ينتخبهم تجار الواردات . واثنان بمعرفة أرباب العقارات بالاسكندرية .

الشيء الملمح هنا أن الامر العالي نص على أنه لايجوز أن تنتخب أكثر من ثلاثة اعضاء من جنسية واحدة من الاجانب أو حتى من المصريين . وحتى بعد تعديل هذا النظام عام ١٩٢٥ ، نص القانون على أن يكون من اعضاء المنتخبين والعينين ١١ عضوا على الأقل من الاجانب (عدد اعضاء طبقا للقانون الجديد ٢٨ عضوا .

وفي عام ١٨٩٦ انشئ مجلس بلدى المنصورة عدد اعضاء المنتخبين فيه ثمانية . أربعة من الاهالي وأربعة من الاجانب . وتتابع انشاء المجالس البلدية المخططة على نفس الطراز . ويخلص من هذا انه انه اذا كانت مصالح الملاك الزراعيين هي التي تعبر عنها مجالس المديرية، فإن مصالح البرجوازية الأجنبية - على خلاف الوضع في المدن الأوروبية - كانت وراء مجالس المدن .

لقد استطرنا في عرض هذا المفهوم الاساسي للحكم المحلي - الجوهر الطبقي - لأن هذا هو المفهوم العلمي الصحيح لهذا النظام ، ولأننا ونحن بصدد اعادة النظر في هذا النظام ببلادنا يجب أن تكون نقطة البداية هي : لصالح من نريد أن نشيئ المجالس الشعبية ؟ أن الإجابة عن هذا السؤال تحدد تشكيل المجالس واختصاصاتها .

خطوط عريضة

إن مفهوم البرنامج أنه ذو طابع عملي . فهو : وأن ننطلق من مفاهيم نظرية ، إلا أن القصد منه تحقيق نتائج عملية وتحويل النظريات الى واقع . البرنامج يضع الخطوط العريضة والاهداف

[١١] انظر في ذلك كله عثمان خليل ووحيد رانت ، البرنامج السابقان

[١٢] نص النظام على شروط مايلي في التלב : إذ يشترط أن يدفع أجرة استئجاره ٧٥ جنيها فلكل سنويا ، والتبعت لجنة التحقيق أن عدد التالفين الذين يدفعون هذه القيمة ٨٢٢٢ منهم ٢٤١٢ مصريين و ٦٠٠٩ اجانب . فيحسب هذا النظام كانت اقلية التالفين من الاجانب

للنقطة : نقطة مفرقة - ولكنها تبدأ بالواقع - هكذا يقول البرنامج - نقطة يخلق فيها فكرنا في الافاق الواسعة ، القروية والبهيدة ، لمام المستقبل ولكن دون أن يغيب عن أنظارنا واقعنا الذي نريد أن نبني على أرضه دولتنا الحديثة .

إن لدينا قانوناً للدائرة المحلية صدر عام ١٩٦٠ - هذا هو الواقع الذي نبدأ به - ودراسة كيفية تنفيذه ، وأوجه التصور التي شابت ذلك هو الطريق الملى للتطوير المقبل - ولقد سجلت الدراسات والمذكرات والقرارات المتعددة في هذا المجال أن هذا القانون : (١٣) .

● صدر ولم تكن قد وضعت بعد إبعاد ومعالج الطريق الاشتراكي وقبل استكمال الثورة الاجتماعية يصدر قوانين يوليى الاشتراكية عام ١٩٦١ التي أكدت ارادة الشعب في بناء مجتمع أفضل قائم على الحرية والمثل يفهمهما الحقيقي، وسيطرة الشعب على كافة الأجهزة التنفيذية وجميع وسائل الانتاج . لقد صدر القانون والتناقضات الحقيقية والاجتماعية كانت ما تزال تحكم العمل السياسى . نتيجة لذلك فإنه لا يوجد تنسيق للملاقة بين أجهزة الإدارة المحلية وأجهزة الانتاج والأجهزة السياسية على النطاق الملى . فالواقع يثبت أن الإبعاد الحقيقية لتجربة الإدارة المحلية لم تتضح ولم تمارس وبسبب الإهتمام بإداء الخدمات وتحقيق المطالب الاقتصادية المباشرة ، مع قصور الإمكانيات المالية .

ومن العيوب التي واجهت نظام الإدارة المحلية عدم وجود تصميم على صميم لخريطة مصر الجغرافية . بحيث أن الحدود الإدارية للوحدات المحلية لا تمثل مجتمعات متكاملة اقتصاديا واجتماعيا وصرياً .

هذا من ناحية - كما أثبتت الدراسات أن من أهم المشكلات التي تواجه المجالس القروية ضعف الوجود المحلي التي يضمها المجلس بحيث لا تكون الحجم الأمثل من الناحية الاقتصادية لتأدية الخدمة ولا تتوافر فيها الخبرات الفنية والإدارية المطلوبة .

وأظهرت التجارب الحاجة الملحة الى إيجاد صلة مباشرة بين المدينة وبين ما يحيط بها من قرى، إذ أن المراكز والشروعات والخدمات الموجودة في المدن لا تقتصر على سكان المدينة فحسب ، ولكنها تخدم في الوقت نفسه ساكن المواطنين من سكان القرى المحيطة بها . كما أن المدينة تتركز فيها كافة الوحدات الادارية والمالية التي تخدم مجالس القرى .

ولهذا فقد اقترح إنشاء مجالس محلية على مستوى المركز بحيث يتكون من المدينة عاصمة المركز وما يحيط بها من قرى وحدة تتمتع بالشخصية المعنوية .

مقترحات عملية

طبقاً للمنهج الذي وضعه البرنامج ، أن تبدأ الخطوة بالواقع . وكما نص الدستور على أن يكون تشكيل المجالس الشعبية تدريجياً - ومن أجل وضع المفاهيم النظرية السابقة والخطوط العريضة التي أشرنا إليها موضع التطبيق فإنه من الممكن أن يتم ذلك كله عملياً على النحو الآتي :

● يبدأ بتكوين المجالس الشعبية على مستوى المحافظة والمركز . ولتحقيق التنسيق بين العمل السياسى ، والانتاج ، والخدمات والنشاط الشعبى المنظم يشكل المجلس من ممثلين للتنظيم السياسى ، ووحدات الانتاج الزراعى والصناعى ، وأجهزة الخدمات ، وممثلين للثقافات .

وهكذا يضم المجلس أبناء وحدات الاتحاد الاشتراكي وعدد من أعضاء لجانته - وممثلين للجمايات المتوافقة الزراعية - وممثلين لمجالس ادارات الوحدات الانتاجية الصناعية وممثلين للثقافات . وتراعى في تحديد عدد ممثلى كل قطاع تحقيق مصالح الاغلبية التي طال حرماتها - صاحبة الحق المشروع فى النصيب العادل من الدخل القومى .

هذا نجد فى حقيقة الامر المدرسة العملية لتدريب القيادات من أبناء هذه الاغلبية - العمال والفلاحون ، ولقد أوضحت دراسة ميدانية عن المجالس القروية (١٤) ، أن « الرأى العام فى القرية لم يتضح نضجاً كافياً مستتباً بحيث يكفل اشراك الناس فى الجهود الاصلاحية بطريقة فعالة - وما زالت هناك صعوبات ملموسة فى إثارة اهتمام الناس وحثهم على الاسهام فى الجهود وفى الإدارة وفى التمويل - لأن مواقف الغالبية منهم ما زال سلبياً سواء فى المجالس أو اللجان أو فى نواحي النشاط المختلفة فى القرية - لأنهم لم يمارسوا هذا الاسلوب الديمقراطية من قبل ولم يستفكوا اشتراكاً فعالاً فى حكم أنفسهم وفى إدارة شؤنهم على النحو المطلوب » .

على أن هذه المدرسة الشعبية هى خير الفرص المتاحة للقيادات الشعبية للتدريب ، ومنها يمكن أن تخرج القيادات التي تستطيع أن تنتقل الى مستويات أعلى من المجالس . وأن تدخل الى الجهاز الحكومى نفسه - فتكون من أكبر عوامل تطويره .

[١٣] انظر هذه الدراسات والمذكرات والقرارات مجمعة فى كتاب الاتجاهات الحديثة فى الإدارة المحلية إعداد هيئة عبد السيد تراج : ١٩٦٩ وقد أجبنا عليه فى الكثير مما أوردناه هنا .

[١٤] على عبد الغنى محبوب : تكوين المجالس القروية بمحافظة القويسة سبب السنين ، ١٩٦٨ ، ص ١٥٨ .

● **الاختصاص الأول للمجالس الشعبية :** هو الخطة ، وضمتها وتنفيذها ومتابعتها والرقابة عليها .

هذه الخطة هي التي تتضمن الرؤية المستقبلية للواقع ، وهي الرؤية التي يهدف البرنامج إلى تحقيقها .

وفي إطار الخطة التي تقدم الصورة الشاملة تواجه المجالس الشعبية مختلف المشاكل التي تعرض لقطاعات النشاط الوطني المختلفة ، وبإذات تضع المجالس أمامها تنفيذ المهام المعلقة التي وضمتها البرنامج وهي تغيير وجه الحياة في القرية ، وتنظيم النسل ، ومحو الأمية .

● ومن خلال التكامل في تمثيل القرية والمدينة - في مجلس المحافظة ومجلس المركز - وكل منهما يضم ممثلي القطاعين مما - يتحقق ما استهدفه الميثاق والبرنامج من توحيد الفوارق بين المدينة والقرية - فالخطة تشترك المجالس في وضعها وتنفيذها ومتابعتها على أساس التساوين بين احتياجات القطاعين .

● وتعطي للمجالس الشعبية سلطات نهائية . بمعنى أن القرار الصادر من المجلس لا يكون خاضعا لقرار من سلطة أعلى ، وعلى وجه الدقة تقسم اختصاصات المجالس إلى نوعين : أحدهما تكون القرارات فيه نهائية . أما النوع الثاني فلا تكون ثمة سلطة تراجع سوى المجلس الشعبي الأعلى . وهكذا تدرج السلطات من المجلس الشعبي للمركز إلى المجلس الشعبي للمحافظة ، إلى مجلس الشعب نفسه .

فإذا صار قرار المجلس نهائيا فيتميز أن تخضع له أجهزة الإنتاج والخدمات ، بحيث يتكون محور للسلطة الشعبية ويوجه ويراقب سلطات الإنتاج والحكومة .

هذا التوجيه والرقابة الشعبيتان هما الوسيلة الناجمة لقرطة جهاز الدولة ، وهما توجيه ورقابة يتمان من خلال مؤسسات متعددة - فالشعب عندما يكون له تنظيم وسلطاته ويمارس سلطة حقيقية على الأجهزة التنفيذية في الإنتاج والخدمات .

ملاحظات ثلاثة أهيرة

الاولى : ان ممارسة الحكم السلي موطئة بالناجح

والممارسة الديمقراطية على الصعيه الوطني . عللها أثبتت التجربة ان الإدارة المحلية لم تحقق أهدافها نتيجة لعدم خبرة المواطنين في إدارة شئونهم الخاصة أو ممارسة العمل السياسي (15) .

الثانية : ان الامر ليس مجرد وضع نصوص في برنامج أو دستور أو قانون . ليس ابل على ذلك بالرغم من أنه قد مضت سنوات عديدة على إصدار قانون الإدارة المحلية من قوانين هذا النظام لم تستكمل بعد - سواء من ناحية المواطنين والخبراء اللذين ، في الاختصاصات التي يجب أن تنقل إلى المجالس المحلية أو تغيير الاعتمادات اللازمة لعملها .

وفي واقع الامر وكما اشرنا الى ذلك من قبل ، فإن تطوير التجربة واستكمالها لا يمكن أن يتم الا خلال الممارسة التي تستكمل كل مقوماتها . وبدون ذلك ستنال المسألة محصورة في خصوص بالغة البقاء ورائحة المضمون تنقل من وثيقة إلى أخرى .

الثالثة : لابد من لول تغيير الحياة على هذه الأرض خصوصا في الريف أن تعاد صياغة الإنسان المصري ماديا وثقافيا . وإذا كانت الحركة قد وضعت بين يدي الجندى المصري معدات بالغة الدقة والمتقيد ، فإن صنع الحياة يتطلب أيضا التعرف على المنهج العلمي وعلى إنجازاته التكنولوجية .

إن أية خطوة في طريق التقدم تتطلب ثورة ثقافية حقيقية يعترف فيها الشعب على الأساس التي تقوم عليها الحضارة المعاصرة .

إن التقدم الحضاري هو الطريق الوحيد للوصول إلى الاشتراكية ، لأن هذه الأخيرة لا تعتمد في الانتاج بها على مجرد لشباج الحاجات البيولوجية المباشرة . انها تحتاج إلى الوعي ، والنظرة الشاملة ، واستشراف المستقبل . وهذا كله لا يمكن أن يحدث الا من خلال ثقافة متحضرة . فلابد من فترة تاريخية تمحي فيها الأمية ، وتكتسب فيها المهارات الفنية في استخدام الآلات في الريف خصوصا ، وإضاءة الأليل الطويل بالكهرباء ، وتعليم الشعب بحيث يعود على صداقة الكتاب والاستمتاع به . هذا كله هو الطريق المأمون والوحيد نحو الاشتراكية .



بعض الأسئلة

التي

يطرحها البرنامج

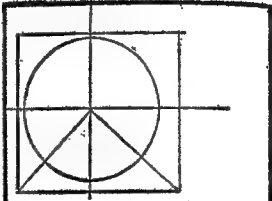
- رؤية شاملة لقضايا التخطيط القومي
- القطاع العام . . . وديمقراطية الإنتاج
- محور الامة : مهمة لا تحتمل التأخير
- مشكلة التعليم . . . وقضية التقدم الاجتماعي
- البحث العلمي : الواقع - المشاكل - الحلول
- الدراسات الاجتماعية وتطوير المجتمع
- حرية الابداع : جوهر الانب والفن
- اعادة بناء القرية : معركة سياسية وجغرافية
- بناء المستقبل في « برنامج العمل الوطني »

توجيه التخطيط القومي وتابعة وتوزر الحكومة
في عملية وضع البرامج المختلفة التي قبل في
اظهارها العام خطة قومية ترسم مسار الاقتصاد
القومي لسنوات قادمة . فقد اكد برنامج العمل
الوطني على ضرورة واهمية التخطيط في تطوير
اقتصادنا وتقدمه ، « ان زيادة الانتاج والانتاجية
لتفرض علينا ايضا ان نهتم اهتماما حقيقيا
بالتخطيط ، فالتخطيط هو عصب التنمية اشتراكية
ولن كانت جهود الجاهل وحاسنها هي التي
مكتننا من بلوغ ما بلغناه ، الا ان استمرار التقدم
موقوف على ان ترتبط الجهود بعمل تخطيطي مخطط »
(برنامج العمل الوطني ص ٢٧) .

كذلك قدم برنامج العمل الوطني واجبا محددا
يرى ان ظروف ومهام المرحلة الراهنة من تاريخنا
الوطني ، ومقتضيات بناء الدولة الحديثة ،
تفرضه على شعبنا بكافة فئاته ومؤسساته
وتنظيماته . « ان علينا جميعا ، فردا فردا ،
ومؤسسة مؤسسة ، الدولة والاتحاد الاشتراكي
والتنظيمات النقابية العمالية والمهنية ، وكل
التنظيمات الشعبية » ان علينا جميعا ان نبدل
كل ما في طاقاتنا من جهد « لا مكان بيننا للكسول
او السليبي او الطغلي او المتعالي ، وانما لكي
تأتي جهودنا ثمارها الابد وان تنظمها برامج
تتخذ مفعلة موجهة على فترات زمنية محددة «
على ان يضمها جميعا خطان مدة كل منهما خمس
سنوات ، وعلى الحكومة ان تشرع على الفور في
اعداد الخطة القومية الشاملة مضمنة الاهداف
والمهام والوسائل التي اشترت اليها ، على ان
تنتهي من الاعداد التفصيلي لمرحلة الخمس
سنوات الاولى في بحر ستة شهور على الاكثر
بحيث يمرض مشروع الخطة على اللجنة المركزية
لنناقشته واتقراره في شهر فبراير المقبل ليتم ادراج
الاعتبارات اللازمة في ميزانية ٧٢ - ١٩٧٣ . »
(برنامج العمل الوطني ص ٣٧) .

قضايا المناقشة

ان مهمة اعداد خطة قوية شاملة بالمسورة
التي اشار اليها برنامج العمل الوطني وفي الفترة
الزمنية التي اعدناها ، وهي ستة شهور
على الاكثر ، اننا نعيد من جديد طرح قضية
التخطيط القومي الشامل للمناقشة ، ليس بطبيعة
الحال من زاوية اختياره كاسلوب لتسيير اقتصادنا
فهذا امر تم حسمه منذ اكتشفت ثورة يوليو حقيقة
ان الاخذ بمبادئ الاشتراكية العلمية هو حل
حتى لمشاكل مجتمعنا ، (الميثاق) ، وعلى ذلك
فان ما تصننا اليه من اعادة طرح قضية التخطيط
القومي الشامل للمناقشة في الوقت الحالي هو
التعريف به وعرض المبادئ الاساسية له وشرح



رؤية شاملة

لقضايا التخطيط القومي

د. عطية مهدي سليمان
أحمد حسن ابراهيم

برنامج العمل الوطني الذي اقره
المؤتمر القومي العام الثاني ، في
دور انعقاده الاول في ٢٢ يوليو
١٩٧١ ، احتياجا كبيرا للتنمية
الاقتصادية والاجتماعية ودور
التخطيط كاسلوب وحيد لتوجيه الاقتصاد القومي
في بلد يتحول الى الاشتراكية . وكذلك حدد
البرنامج الدور الحاسم للمنظمات الشعبية في

اعطى

الجوانب الرئيسية للعملية التخطيطية والتي يلزم الإلمام بها كخطوة أساسية أولى لأدب منها لنجاح أعداد وتنفيذ أي خطة قومية لاجتماع يسير في طريق التحول الى الاشتراكية».

ولعلمه من الأمور المسلم بها أنه من غير المنطقي أن نبدا بتطبيق أسلوب التخطيط القومي الشامل في بلدنا قبل أن نبدأ أولا بالتصرف على هذا الأسلوب ومناقشة مفهومه وفلسفته وخطوطه العامة . كان لابد لنا على سبيل المثال أن نحدد مفهوم الشمول ، وأن نحدد بشكل أولي ما هو ضروري ومبالغ فيه من وجهة النظر الاقتصادية والاجتماعية ، ثم كان علينا أن نتساءل معنى ومضمون الخطة القومية ، وعملية أعداد الخطة، والشروط الواجب توافرها والخطوات الواجب اتباعها حتى نستطيع أن نتجس في أعداد خطة قومية تتفق مع الواقع الموضوعي لظروفنا ولا تتعارض معه . كذلك كان من الضروري أن نحدد آلياتنا وأيا وأضعا ومعايير حول المعدلات التي يتم بها التنمية ، وأن نحدد المدى الذي يجب ويمكن أن تصل إليه تضحية جيل من الأجيال في سبيل أجيال أخرى قادمة وأن نحدد أيضا القطاع الذي يتحمل عليه أن يتحمل أعباء التنمية ومسئولياتها بقدر أكبر من غيره ، وإي فئلت المجتمع مسؤوف مستفيد من هوائت عملية التنمية أكثر من غيرها .

أن مناقشة علمية وموضوعية لتلك النقاط تعتبر أمرا حيويا بل وضروريا لآزمة لنجاحنا في تطوير لعبة مجتمعا ، إلا أنه لم يتح لبل هذه المناقشة لآ أن تتم بالشكل المأمم والمليد ، الأمر الذي أدى بالضرورة إلى العديد من نواحي النقص فيما نتجزة نضالنا الشعبي عبر السنوات الماضية . ولقد أدرك برنامج العمل الوطني هذه الحقيقة واعتبر أن نواحي النقص في مجال التخطيط تأتي في مقدمة النواحي السلبية ، أو نواحي النقص الإنسانية فيما نتجزة نضالنا الشعبي عبر تلك السنوات . لقد صدرت الخطة الخمسية الأولى كتسم من خطة عشرية هدفها مضاعفة الدخل القومي ، غير أننا لم نتجس في تحقيق هذا الهدف بالرغم من أن معدلات التنمية خلال الخطة الخمسية الأولى قد اقتربت إلى حد كبير من المعدلات المطلوبة لتحقيقه ، وربما كان السبب الرئيسي هو أن التخطيط القومي الشامل ، كلسنة وميساة ، لم يلق الأهتمام الكافي الذي يرفع من كفاءة أجهزته وينشر الوعى به بين المواطنين . (برنامج العمل الوطني ص ٨)

التخطيط والتنظيم السياسي

أن أدراك برنامج العمل الوطني لهذه الحقيقة وإدراكها يتكسب أهمية خاصة تستدقوتها من

حقيقة أخرى هي أن بناء وتطوير التخطيط القومي الشامل يعتبر أمرا مستحيلا ما لم يكن مرتبطا بالتطوير المستمر للنظام السياسي والاجتماعي للاشتراكية كالديمقراطية ونظام الموضوعي بين الجوانب الاقتصادية لنظام يتحول الى الاشتراكية وبين الجوانب السياسية والاجتماعية للاشتراكية كالديمقراطية ونظام التعليم المناسب وغير ذلك . كذلك تتأكد أهمية إدراك برنامج العمل الوطني لهذه الحقيقة وإدراكها إذا ما نحن سلطنا ببديهة أنه بداية لاستخدام أسلوب التخطيط القومي الشامل في بلد نام يتحول الى الاشتراكية ، وكيدل وحيد للسلوب الرأسمالي للإدارة الاقتصادية ، يجب أن تقوم خطة سياسية واسعة ومنظمة للتوعية بأهمية التخطيط القومي والدعوة له ، وتوضيح دون ومسئولية كل مواطن — بالنسبة لهذا الأسلوب الجديد على حياتنا — سواء فيما يتعلق بمناقشة إيماده وأهدافه أو في الالتزام بالعمل على تحقيق تلك الأهداف ، أو في متابعتها لهاوتتبعيه لمستوى تحقيقها ، على أن يكون واضعا أنه يجب على كل مواطن أن يمارس مسؤولياته هذه من خلال التنظيم السياسي على مختلف مستوياته ، ومن خلال ممارسة حقيقية لديمقراطية شعبية تتمك كل فئة وجماعة أن تعبر بواسطتها عن مصالحها ومطالبها وتطلعاتها لسنوات قادمة . ولعلمه من المبدأ هنا أن نؤكد أن مناقشة أسلوب التخطيط القومي الشامل ، كلسنة وميساة ، يجب ألا تكون مقصورة على المنظمات السياسية وحدها بل يجب أن تتم أيضا وعلى نفس المستوى من العمق والوعي ، وينسج القدر من الديمقراطية داخل الأجهزة التي تتولى أعداد خطط التنمية القومية حيث أنها ، أي تلك الأجهزة ، بالتأكيد أحوج إلى الوعى التخطيطي من غيرها ، فضلا عن أن ذلك يحول دون أن يتحول مفهوم التخطيط القومي الشامل بمرور الوقت إلى مجرد مفهوم فني ضيق ومجموعة من العمليات الحسابية المجردة .

مفهوم التخطيط القومي الشامل

يعني التخطيط القومي الشامل بمفهومه الفنى وضع خطة عمل للاقتصاد القومي ككل، ولكل وحدة اقتصادية على حدة خلال فترة زمنية محددة على أن تحدد هذه الخطة أهدافا استثمارية وإنتاجية واستهلاكية لكل وحدة ولكل قطاع وللأقتصاد القومي ككل . ويهتم التخطيط بتحديد نوعية وكيفية تطور العلاقات الهيكلية بين المتغيرات الاقتصادية المختلفة كتحديد معدلات النمو لكل قطاع وللأقتصاد القومي كله ، وتحديد العلاقات ذات التأثير المتبادل بين توزيع الدخل القومي بين التراكم الرأسمالي ، أو الاستئثار ، وبين

بشكلٍ يجعلها مستعدة 'وتأخره' على القناع من التخطيط والتمسك به والعمل على اتجاذه ، وهذا يتطلب تعبئة سياسية واقتصادية بمتيرة وعلى أسس موضوعية للجواهر وهذه تمثّل واحدة من المهام والواجبات الأساسية للتخطيط السياسي . كما أن ذلك يتطلب أيضا أن يرتبط المخططون ارتباطا يوجها وثقا ودائبا بالجواهر ومشاكلها اليومية . فالتفصيل المخططين عن جواهر الشعب ومشاكلها وأهدافها وآمالها يمكن أن يعيق بل ويقضي على إمكانيات تطوير التخطيط القومي الشامل ، وفي أحسن الأحوال ومع التعاون الشديد فإن التفصيل المخططين عن الجواهر ومشاكلها اليومية وآمالها لابد وأن يؤدي إلى أن يصبح التخطيط مجرد عملية فنية بيروقراطية بحتة تدّوّن إلى حدوث اضطرابات اقتصادية وسياسية بالغة الخطورة على تطور ونمو المجتمع ، وهذا ما تركّزه تجارب التخطيط السابقة عندها وعند الآخرين .

التطور التاريخي

أساليب التخطيط

إن عملية أعداد خطة شاملة للتنبؤ الاقتصادية لابد وأن تبدأ من الإجابة على سؤال هام هو : ما هي طريقة أعداد الخطة ؟ وإذا أخذنا في الاعتبار التطور التاريخي الذي أجبرته أساليب التخطيط أو طرق أعداد الخطة في الدول التي سبقت إلى الأخذ بالتخطيط كأسلوب لتوجيه النمو الاقتصادي والاجتماعي فانه يمكننا التمييز بين ثلاث مراحل أساسية مر بها تطور أساليب التخطيط أو طرق أعداد الخطة .

المرحلة الأولى : ويمكن تسميتها بالمرحلة التقليدية وفيها كان التخطيط يتم من طريق وضع أهداف انتاجية واستهلاكية للوحدات الاقتصادية بناء على فروض معينة للجهاز المركزي للتخطيط تتصل بالموارد المتاحة وكيفية استخدامها وتصوره لنمو الاقتصاد القومي خلال الفترة المعنية ، ثم تأتي بعد ذلك الخطوة الثانية على طريق أعداد الخطة وفيها تحدد الوحدات الاقتصادية أهدافها الانتاجية والاستهلاكية بناء على فروضها الخاصة وفي ضوء ظروفها الانتاجية والموارد المتاحة لديها



الاستهلاك الجماعي والفردى من ناحية ، وتوزيع الدخل القومي بين الأفراد وإعادة توزيع الدخل القومي لصالح أصحاب المصلحة الحقيقية في الحصول الاشتراكي وربط الأجور والزيادة غير الانتاجية ونموها من الناحية الأخرى ، وكذلك تحديد أولويات الاستثمار التي تساعد على تحقيق معدلات النمو المطلوبة لكل قطاع ، وللاقتصاد القومي كله والتي تؤدي تحقيقها إلى تحقيق الأهداف المحددة لخطة التنمية .

وبالإضافة إلى ما تقدم فانه يجب أن ينظر إلى التخطيط القومي الشامل في إطار زمني ويمكن أن يعنى أن يراعى التخطيط القومي ويتضمن التوزيع الزمني للنشاط الاقتصادية أى انه مطالب بتقديم الإجابة على سؤال لماذا يجب أن تبدأ ؟ كما أنه مطالب أيضا برعاية التوزيع المكاني للخطة الاقتصادية بشكل يحقق التوزيع الجغرافي الأمثل للنشاط الاقتصادية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، وفي هذا الشأن فإن التوجيه ضرورية الاهتمام بمفاهيم أكثر عملية وموضوعية للتخطيط الأقليمي تصبح أمرا واجبا ، وهذا هو ما يدمو إليه البعض من ضرورة عمل خريطة اقتصادية اجتماعية لأحر للسنوات القادمة .

التخطيط والجواهر

لعل من الأمور الجديرة بالإشارة ، بل وبالتأكيد هنا أن كل ما تقدم ذكره في السطور السابقة يجب أن يتم بناء على تحليل سياسي واجتماعي يقوم على أساس من الإيمان الثابت بأن التخطيط القومي لابد وأن يقدم بالدرجة الأولى لمطالب الشعب وثباته المائلة وفي مقدمتها السلاحيين والعمال وأن يضع رفع وتحسين مستوى معيشتها كهدف رئيسي له ينبغي تحقيقه . فالتفشاء على الخلف والامية ، ورفع المستوى الاقتصادي والتعليمي والصحي لمواطني الشعب الكادحة ، وتحقيق توزيع أفضل للدخل القومي فرعى فيه مصالح هذه الطبقات ، وشبهة الاتقائم المختلفة ، وإزالة مراكز اقتصادية متعددة مخطورة وحيثية ، وتحقيق توزيع أفضل للموارد بين القرية والدينة والتضاء على تخلف القرية وتحولها إلى مدينة حديثة صغيرة . كل ذلك يجب أن يمثل أهدافا أساسية للتخطيط القومي الشامل ، وهي بلاشك أهداف مجتة التحقيق لو خطط لتحقيقها بشكل علمي وموضوعي . على أنه يجب أن يكون واضحا من البداية أن شيئا من ذلك لا يمكن أن يتحقق ما لم يسبقه عمل جاد ومخلص ومنظم لتوعية جواهر الشعب الكادحة بفهوم التخطيط القومي الشامل وأهميته لأحياتها وربطها وربط مصالحها بنجاحه عن طريق مشاركتها . مشاركة فعلية في وضع أهداف الخطة ومناقشتها في مراحلها المختلفة

شكل نماذج اقتصادية كمية تعبر عن العلاقات الهيكلية بين المتغيرات الاقتصادية بأبعادها الزمنية والمكانية واختبار ذلك كله من ناحية الكفاءة على أساس الفروض الموضوعية والخاصة بأهداف التطور الهيكلي للاقتصاد القومي ، ونمو القطاعات المختلفة وعلاقتها المتبادلة وتأثيراتها المتبادلة . وبكثيرة لكل هذا أصبح من الممكن وضع استخدامات بديلة للموارد ، وأصبح من الممكن أيضا اختيار الاستخدام الأمثل أو الاستخدام الأقرب إلى الاستخدام الأمثل . وقد ساعد على سرعة تطور أساليب التخطيط واستخدام هذه الطريقة تطور ونمو كثير من فروع العلم المختلفة التي تساعد على جعل التوصل إلى حل أمثل لمشكلة الاختيار الاقتصادي أمرا ممكنا .

من العرض السابق لاساليب وطرق اعداد الخطة نستطيع أن نقرر أنه من الأفضل في اعدادنا لخطة التنمية الاقتصادية الشاملة لبلادنا أن نبدأ بطريقة استخدام الموازين السلمية والموازين القومية كمنطلق بداية تصل بنا إلى الطريقة الثالثة وهي وضع عدة نماذج للتطور الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المصري خلال فترة العشر سنوات أو الخمس عشرة سنة القادمة ، يعبر كل نموذج منها عن تصور حل معين لمشكلة الاختيار الاقتصادي .

البعد الزمني للخطة

يتميز التخطيط من حيث البعد الزمني للخطة إلى ثلاثة أنواع: هي التخطيط السنوي، وتوصير الاجل ، والتخطيط المتوسط ، والتخطيط طويل الاجل . ونستطيع القول بأن أي تخطيط اقتصادي شامل لا بد أن يقوم أساسا وبالدرجة الأولى على أساس التخطيط طويل الاجل . والتخطيط طويل الاجل ، والذي يمتد جذاه لفترة ١٥ - ٢٠ سنة ، هو في الأساس تصور علمي لما يمكن أو يجب أن يكون عليه الاقتصاد والمجتمع خلال هذه الفترة من الزمن ، وحتى يمكن أن يكون هذا التصور تصورا علميا سليما فانه يجب أن يقوم على أساس دراسات مفصلة لتطور ونمو الموارد الاقتصادية ، والتطور السكاني ، والنفورات التي ينتظر أن تطرأ على ميكل السكان سواء من ناحية السن أو الخبرة أو التعليم ، ودراسات التطور العلمي والتكنولوجي خلال هذه الفترة ، ثم انه يجب أن يؤخذ في الاعتبار الاهداف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالمستوى المعيشي للسكان ، وتوزيع الدخل ، ومعدلات ونوعية الاستهلاك الفردي والجماعي ، ومعدلات النمو المطلوب تحقيقها بالنسبة لانتاجية العمل ، واحتمال قطاعات اقتصادية جديدة ، والنماء قطاعات قائمة ^(١) الخ . ويمكن في هذا المجال

وتصوراتية لتوجيهها الكافي ، ويتيسر ذلك منطوية مواجهة بهدف الترفيق والموازنة بين مقترحات الجهاز المركزي للتخطيط ومقترحات الوحدات الاقتصادية بهدف الوصول إلى حل لما لمشكلة تحديد الاهداف الانتاجية والاستهلاكية ، وتلمب المساومة دورا كبيرا في تحديد وصياغة هذا الحل الذي يتوقف بطبيعة الحال على قدرة الأطراف المختلفة على المساومة وما يتبعها من رفع أو تخفيض أو تعديل الاهداف الانتاجية والاستهلاكية لوحدة الاقتصاد القومي . ومن الواضح أن لهذه الطريقة مزاياها وميوبها ، وتتلخص أهم مزاياها في اشراك عدة آلاف من المسؤولين في اعداد الخطة وبالتالي يصبح لدى كل منهم صورة واضحة إلى حد كبير من أهداف ومشاكل الخطة الشاملة . أما ميوب هذه الطريقة فيقتصر في التعارض والتناقض المحتمل ، والذي كان يحدث في أغلب الأحيان ، بين فروض ومقترحات الجهاز المركزي للتخطيط وفروض ومقترحات الوحدات الانتاجية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هذه الطريقة لا تضمن تحديد واختيار الاستخدام الأمثل للموارد حيث أنها لا تقدم استخدامات بديلة للاستخدام المطروح من قبل الجهاز المركزي للتخطيط ، وعلى الرغم من احتمال تغيير هذا الاستخدام بشكل أو بآخر نتيجة لعملية المساومة ، فانه لا يمكن القول بأن الاستخدام الأمثل ، وحتى بعد المساومة ، هو الاستخدام الأمثل . ويتجنى من ذلك بطبيعة الحال سوء استخدام للموارد ، وظهور عجز أو زيادة عما كان مستهدفا ومخططا له في إنتاج بعض السلع والخدمات ، أثناء تنفيذ الخطة .

المرحلة الثانية : بدأت باستخدام الموازين السلمية والموازين القومية في التقريب بين فروض ومقترحات كل من الجهاز المركزي للتخطيط والوحدات الاقتصادية بخصوص الموارد والاستخدامات الخاصة بالسلع الرئيسية والموارد الأساسية (عمل - رأس مال - تجارة خارجية .. الخ) ، ولغرض الاتفاق بين الأنشطة الاقتصادية المختلفة . ومن هنا فان احتمال التعارض أو التناقض بين هذه الفروض والمقترحات يكون أقل بما هو عليه في حالة استخدام الطريقة الأولى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان استخدام الموازين السلمية والموازين القومية قد أدى إلى تطور تقنين التخطيط والتعبير عن العلاقات الهيكلية بين المتغيرات الاقتصادية بصورة كمية . وعلى الرغم من أن هذا التعبير الكمي عن العلاقات الهيكلية لم يكن يضمن تحقيق الكفاءة الاقتصادية في توزيع الموارد ، إلا أنه أدى إلى تطور أساليب التخطيط إلى المرحلة التالية .

المرحلة الثالثة : هي مرحلة تقنين التخطيط في

مركبة ومعقدة تتم في مراحل ترتبط ببعضها البعض وتسير في تسلسل وتتابع زمني دقيق ، وتتم عملية اعداد الخطة بصفة عامة في ثلاث مراحل هي :

اولا : المرحلة التحضيرية : ويتم فيها عمليات جمع البيانات والحقائق الخاصة بالاقتصاد والمجتمع وتمييزها وتحليلها والاستفادة منها في اجراء دراسات وصفية وتحليلية للاقتصاد والمجتمع ككل وقطاعاته المختلفة كل على حدة ، بهدف التعرف على المشاكل التي تواجه الاقتصاد القومي والصعاب التي تعترض عملية التنمية وحصر كافة الموارد البشرية والمادية والمالية للمجتمع ، والتعرف على العلاقات الهيكلية وعلاقات التشابك بين كافة قطاعات الاقتصاد القومي ومختلف لوجه النشاط الاقتصادي به ، والتعبير عن تلك العلاقات في صورة رمزية . ويجب ان يقوم باجراء هذه الدراسات لجنة للتخطيط القومي ، ويمكن ان يساعدها في ذلك معهد التخطيط القومي بتقديم الاساس النظري للتخطيط وطرح بعض الحلول العملية لمشاكل التخطيط النظرية والعملية . وبالإضافة الى تلك الدراسات والتي يمكن ان نطلق عليها الدراسات التخطيطية الرئيسية ، فان وضع الخطة الاقتصادية الشاملة يتطلب اجراء دراسات أخرى مساعدة لتحديد بعض المتغيرات الاقتصادية ، ومنها على سبيل المثال تحديد هيكل الاسعار وتطورها ، ويمكن الإشارة في هذا المجال الى ان جهاز الاسعار المركزي المزمع انشاؤه يمكن ان يكون خطوة هامة لتحسين وتطوير عملية وضع الخطة القومية الشاملة . كذلك يجب الإشارة الى ضرورة انشاء جهازا مركزي للقوى العاملة والاجور تكون مهمته الرئيسية تخطيط نمو وتوزيع القوى العاملة بين القطاعات الاقتصادية المختلفة والعمل على توفير الخبرات الضرورية للوظائف الاقتصادية والاجتماعية ، ويمكن بل ويكون من الأفضل ان يراس كل من الجهاز المركزي للاسعار والجهاز المركزي للقوى العاملة والاجور مسئول بدرجة وزير . وفي جميع الاحوال ينبغي مراعاة ان تتم عملية جمع البيانات والحقائق الخاصة بالاقتصاد والمجتمع ، وكذلك الدراسات القائمة عليها بشكل يخدم عملية وضع الخطة القومية . كذلك يجب ان يؤخذ في الاعتبار التطور التكنولوجي والإمكانيات المادية فيما يتعلق بجمع وتخزين وإعادة المعلومات والبيانات ، كما يجب العمل على الاستفادة بهذا التطور وتلك الإمكانيات الى أقصى حد مستطاع ، ويمكن ان يقوم بهذه العملية جهازا مركزي للاحصاء ، (الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء) على ان تكون هذه البيانات والمعلومات متاحة بصفة مستمرة تحت تصرف لجنة التخطيط القومي .

التفصيل بين نوعية العلاقات بين التخطيط طويل الاجل والتخطيط المتوسط (٥ - ٧ سنوات)
والتخطيط السنوي . والنسوع الأول من هذه العلاقات بين انواع التخطيط الثلاثة هو ما يمكن تسميته العلاقات الثابتة ، وبمقتضى هذه العلاقة توضع خطة اقتصادية طويلة الاجل (١٥ سنة مثلا) ثم تقسم هذه الخطة الى ثلاث خطط متوسطة الاجل يتم تقسيم كل منها بدورها الى خطط سنوية تحقق في مجموعها الهدف الثابت للخطة طويلة الاجل .

اما النوع الثاني من هذه العلاقات فهو ما يمكن ان يطلق عليه العلاقة المتحركة ، بمعنى ان يتم وضع خطة طويلة الاجل ثم تقسيمها الى خطط متوسطة الاجل ، والفرق الاساسي بين هذا النوع والنوع السابق ، اي بين العلاقة الثابتة والعلاقة المتحركة ، هو انه في ظل العلاقة المتحركة يتم اعداد الخطة ، ببعديها الزمني ، الطويل والمتوسط ، بشكل دوري كل سنة ، وبالتالي فانه يتم تغيير اهداف كل خطة في ضوء ما يمكن انجازه فعلا اثناء التنفيذ في السنة السابقة وبناء على ما يمكن ان يجد من جديد سواء عن احتمال اكتشاف مصادر جديدة للطاقة او ظهور اساليب انتاج جديدة ، او ظهور مشاكل معينة في التنفيذ تجعل تنفيذ الجزء المتبقي من الخطة امرا صعبا او مستحيلا . . . وهكذا . ويساعد التخطيط المتحرك على توفر المرونة في الخطة ، وفي تغيير الاهداف طبقا لما يكشف عن واقع التنفيذ ، الا ان هذا النوع من التخطيط مالى التكلفة بالمقارنة بالتخطيط الثابت الذي يتصف بعدم المرونة في تغيير الاهداف ويتطلب مستوى ماليا من الدقة في جمع البيانات حتى يمكن تحديد اهداف ثابتة للخطة ، ويتميز هذا النوع من التخطيط ، اي التخطيط الثابت ، بانه مخفض التكاليف بالمقارنة بالنوع المتحرك . واذا اخذنا في الاعتبار ظروف الاقتصاد المصري وطبيعة وكية ومصدى الثقة بالبيانات المتاحة امام المخططين ، بالإضافة الى المزايا التي توفرها العلاقة المتحركة ، فانه يمكن التوصية باختيار طريقة التخطيط المتحرك لتحديد العلاقة بين التخطيط طويل الاجل ، والتخطيط المتوسط والتخطيط السنوي ، على الرغم من ارتفاع تكلفتها . وفي هذا المجال يمكن اضافة ميزة أخرى الى المزايا السابق ذكرها للتخطيط المتحرك ، ذلك ان هذا النوع من التخطيط يخلق الارتباط المستمر للمخططين بالخطة ، ويحقق مقاديرهم المستمرة للخطة الاقتصادية بدلا من عملهم المنقطع وارتباطهم الموسمي بالخطة في حالة اتباع التخطيط الثابت .

مراحل اعداد الخطة

تكون عملية اعداد الخطة من عدة عمليات

ثانياً : مرحلة اعداد الاطار التجميعي الجئلى للخططة : ولها يتم تحديد الاهداف الرئيسية الاجالية للاقتصاد القومى فيما يتعلق بالتغيرات الرئيسية للنشاط الاقتصادى من دخل وإنتاج واستثمار ومبالاة واستهلاك ومصادر وواردات ، وتكون هذه الاهداف الرئيسية فيها بينها اطاراً لا يتعداه المخطط عند اعداد التفاصيل كما ان هذه الاهداف تصور المعالم الاساسية لشكل التجميع فى الفترة المقبلة ، تلك المعالم التى يكون قد سبق تحديدها بواسطة السلطات السياسية العليا ، والتى يمكن ان يملأها فى هذا الشأن مجلس اعلى للمخطط يضم أكبر مستويات السلطة السياسية المسؤولة ، وتصدر تلك المعالم بعد تحديدها فى شكل توجيهات سياسية مرفوعة يصدرها المجلس الاعلى للمخطط الى لجنة التخطيط القومى لكى تلتزم وتهتدى بها منذ اعدادها لكل من الاطار الاجالى والاطار التفصيلى للخططة .

ثالثاً : مرحلة اعداد الاطار التفصيلى للخططة : ونهيا يتوضع تفصيلات دقيقة للاهداف الاجالية التى حددت على مستوى الاقتصاد القومى ومستوى القطاع والتتبع بها حتى مستوى المشروع ومستوى المباديع السليمية والسلم الرئيسية . ويتم اعداد الاطار التفصيلى للخططة باستخدام اسلوب الموازن الإقتصادية وهو أسلوب مبادئ لتوزيع الموارد السليمية والبشرية والمالية بين مختلف الاستخدامات البذلية توزيعاً يكفل تحقيق الاهداف الجزئية والكنية للخططة وبشكل أكفأ لتحقيق الصورة التوازنية ، أى أنه يكفل تماوى المبادىء المتلفة من جميع الموارد مع الاستخدامات التى يمكن تخصيصها لها ، بالإضافة الى أنه يكفل حداً أدنى من المرونة بالنسبة للوحدات الانتاجية فيما يتعلق باتخاذ القرارات الخاصة بتطوير نشاطها الانتاجى . ويتم اعداد الاطار التفصيلى للخططة القومية بعدة خطوات متتالية يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - تقوم لجنة التخطيط القومى بتفصيل الاهداف الاجالية التجميعية للاقتصاد القومى وتوزيعها على المستوى القطاعى .

٢ - ترسل الاهداف بعد تفصيلها على المستوى القطاعى الى الوزارات والقطاعات المسؤولة لمناقشتها ولكى تعد فى ضوءها الاطار التفصيلى المبلى للخططة الذى يستند أساساً على التفكرات الوحدات الانتاجية القاعدية من حيث اعطاء الاولوية لمروعات معينة فى ضوء معايير استثمار معينة ، وفى ضوء تحقيقها للاهداف الاجالية ، التى سبق أن حددتها لجنة التخطيط القومى .

٣ - يرفع كل قطاع من القطاعات الاطار التفصيلى المبلى لخطته الى الوزاره المختصة التى ترسله بدوره الى لجنة التخطيط القومى حيث يتم تجميع كل الخطط القطاعية فى صورتها التفصيلية المبلىة ، ثم تجرى مناقشات ودراسات لهذه الخطط التفصيلية المبلىة الجمعة للتأكد من مدى تحقيقها للاهداف الاجالية ، ومن مدى تحقيقها للتوازن والتناسب بين القطاعات المختلفة .

٤ - تعمد لجنة التخطيط القومى الى الوزارات المختلفة تلك الخطط القطاعية مضاماً إليها لية تعديلات واقتراحات تراها ضرورية حتى يمكن للوزارات والمؤسسات والوحدات الانتاجية التابعة لها ان تضع الخطط القطاعية فى صورتها التفصيلية النهائية .

٥ - بعد أن تنتهى الوزارات والمؤسسات من اعداد الخطط القطاعية التفصيلية فى صورتها النهائية فانها ترعها من جديد الى لجنة التخطيط القومى التى تقوم بتجميعها واسدائها فى شكل خطة مركزية واحدة لها صلة بالازام يقتضى القانون وعلى ذلك تلتزم كافة الوزارات والمؤسسات والوحدات الانتاجية بتفنيدها بعد أن تكون لجنة التخطيط القومى قد قامت بعرضها على المستويات الاعلى كالمجلس الاعلى للتخطيط ومجلس الوزراء والمجالس النيابية والهيئات السياسية .

محتويات الخطه القومية الشاملة

لا جدال فى أن محتويات الخطه القومية تحتاج الى تفصيل شامى وعميق قد لا يسمح المجال هنا بإجرائه ، ولذلك سنكتفى بعرض موجز ومربيع للمحتويات التى لابد وأن تشتمل عليها أى خطة قومية شاملة وهى :

١ - اهداف الاقتصادية قومية تحديد لهم المتغيرات الاقتصادية خلال الفترة الزمنية المحددة للخططة ، وكذلك تحديد التفصيلات الاقتصادية بين هذه المتغيرات وترتيبها بحسب درجوات الافضلية .

٢ - تحديد لوسائل السياسات الاقتصادية من حيث نوعيتها وتوقيتها ، وكذلك تحديد قواعد للتصرف لكل وحدات النشاط الاقتصادى ، كما انه يجب أن تشتمل أيضاً على تحديد لمرآكز اتخاذ القرارات الرئيسية والقانونية وتوزيع سلطة اتخاذ القرارات طبقاً لتنظيم الاقتصادى (المركزية او اللامركزية) على أن يؤخذ فى الاعتبار عند تحديد السياسات الاقتصادية ووسائلها ضرورة انسائها

مع العلاقات المحددة في الفترة السابقة وعدم تعارضها أو تناقضها معها .

٣ - العلاقات الهيكلية ، وهذه العلاقات الهيكلية لها علاقات إنتاج أى علاقات تكنولوجية وأما علاقات سلوكية أو علاقات تنظيمية . وتوجد درجة كبيرة من الحرية في اعتبار ما إذا كان متغير ما يمثل علاقة هيكلية أم لا ، ويتوقف ذلك على أى حال على طول فترة التخطيط ، ويمكن تصديق ذلك بالاستعانة بالنتائج العلمية والدراسات في النظرية الاقتصادية ودراسات الاقتصاد القياسي والخبرات الإدارية في الجهاز الحكومي وكذلك الدراسات الإحصائية والتجريبية التي يمكن أن تستخدم في التطبيق العلمي .

العلاقات الإنتاجية والهيكلية

يمكن تلخيص العلاقات ذات الصلة الإنتاجية البهجة فيما يلي :

١ - العلاقات الإنتاجية بين السلع والخدمات وبين الموارد اللازمة لإنتاج هذه السلع والخدمات ، ويمكن تحديد هذه العلاقات باستخدام عدة أنواع من النماذج الاقتصادية لعل أهمها نماذج المدخلات والمخرجات والنماذج القطاعية المجمعة .

٢ - علاقات الدخل - الأسعار - الاستهلاك للقطاع المائي . وتختلف النماذج التي تدرس وتحدد نوع وقيمة العلاقات بين الدخل والأسعار والاستهلاك ، وبين مستوى الاستهلاك الكلي ومستوى استهلاك أنواع معينة من السلع ، وكذلك تحديد مستوى الأسعار خلال الفترة الزمنية للفترة وتحديد هرونت الأسعار بالنسبة لبعض أو لكل السلع . كل ذلك يمكن أن يؤدي إلى جعل التخطيط أكثر دقة .

لها العلاقات الهيكلية ذات الصلة التنظيمية والسلوكية فيها على سبيل المثال :

١ - العلاقة بين الأسعار والأرباح في كل من الإنتاج والتوزيع .

٢ - العلاقة بين الأجور والدخل .

٣ - علاقات تحدد توزيع الدخل وإعادة التوزيع داخل القطاع المائي .

٤ - علاقات تحدد التجارة الخارجية .

التخطيط والتجارة الخارجية

يمكن القول بأن أحد المؤثرات الاقتصادية

الهامة في تشاغلنا الاقتصادي كجدة تامة يوجد كتحجج حدود بلخا ، وهذا المؤثر هو ما يمكن تسميته تقسيم العمل الدولي . فمن المعروف أن مجالات التجارة الخارجية (المنظورة وغير المنظورة) تؤثر تأثيرا واضحا على المتغيرات الاقتصادية ، وعلى ذلك فليس هناك شك في أن تخطيط التجارة الخارجية على أساس ربطه بتقسيم العمل الدولي عن طريق إقامة علاقات تجارية طويلة الأجل ، على أساس من مراعاة التطور الاقتصادي للبلاد المعنية ، هو ضرورة لا غنى عنها للتغلب على كثير من المشاكل التي قد تظهر أثناء تنفيذ الخطة ، وكذلك يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند إعداد الخطة مستوى النمو الاقتصادي والتكنولوجي للدول التي تربطنا بها علاقات تجارية ، والتغيرات الهيكلية التي تحدث في اقتصاديات تلك الدول ، من الوصول إلى تقسيم عمل دولي يأخذ في اعتباره الظروف الموضوعية لكل دولة وتطوراتها ويحقق في نفس الوقت الاستخدام الأمثل للمكانات وموارد كل منها في هذا الإطار الدولي ، يعتبر شريطا أساسيا لوضع خطة اقتصادية مطلقة وبمكة التنفيذ ، كما يحقق في نفس الوقت الاستخدام الأمثل للموارد ، وبما هذا التقسيم الدولي للعمل يمكن التوصل إليه بالاتفاق مع السؤل الصحيحة ، التي تربطنا بها علاقات اقتصادية وتجارية ، حول طريقة تحديد نظام تبادل المعلومات من الخطط والوارد الاقتصادية . ولقد بدأت مجموعة الدول الاشتراكية بالفعل في تنفيذ مثل هذا النظام فيما بينها من أجل تنفيذ برنامج اقتصادي موحد خلال فترة الـ ١٥ - ٢٠ سنة القادمة .

وبالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه فإن أى خطة اقتصادية قوية شاملة لابد وأن تشمل على دراسة تحليلية وافية لما تم إنجازه في الماضي وتقييم التطور الاجتماعي والنمو الاقتصادي خلال هذه الفترة ، وبالتالي يمكن عند وضع الخطة الجديدة الاستفادة من معرفة الصعاب والأخطاء والتحديات التي حدثت خلال الفترات السابقة ، في كل القطاعات والمجالات ، وبغير ذلك فإن وضع خطة دقيقة وبلدية يصبح في حكم المستحيل .

أجهزة التخطيط

أن نجاح التخطيط لا يتطلب فقط استخدام الأساليب والطرق العلمية في إعداد الخطة ، وإنما يتوقف أيضا على مدى سلامة الأسس التنظيمية لأجهزة التخطيط ومدى بلابة مسدا الإطار لمقدمات إعداد الخطة في مراحلها المختلفة ، وفي التوقيت الزمن المسدد لها .

يمكن أن تشتمل أيضًا بعض التسهيلات ذات الكفاءة في المجالات المرتبطة بعمل التخطيط .

٣ - **معهد التخطيط القومي** : ويقوم أساسا بأعداد الخطة طويلة الأجل (١٥ - ٢٠ سنة) ، وتقديم دراسات علمية حول مشاكل التخطيط ، وتدريب كوادر المخططين ورفع مستواهم العلمي والفني .

٤ - **جهاز فني للتخطيط على المستوى القومي** : يتبع لجنة التخطيط القومي مباشرة ، ويقوم بوضع خطط الإنتاج وتوزيع الاستثمارات على المستوى القومي بالتعاون والاشتراك مع أجهزة التخطيط على المستوى القطاعي ومستوى المشروع . ويمكن القول أن الجهاز الفني لوزارة التخطيط يمكن أن يقوم بهذه المهمة بعد تطويره التطوير الضروري .

٥ - **أجهزة التخطيط القطاعية** : وتكون على مستوى الوزارات والمؤسسات العامة وتكون مهمتها وضع خطط القطاع أو الوزارة بالتعاون مع أجهزة التخطيط بالمشروعات التي تبناها والتسيق بين خطط هذه المشروعات ورفعها إلى الجهاز الفني للتخطيط ، والتعاون معه في تنسيقها ، ووضع الخطة القومية .

٦ - **أجهزة التخطيط على مستوى المشروع** : تقوم بأعداد الخطط المالية والميزانية للمشروع ورفعها إلى الجهات الأعلى بمضيفة مقترحاتها بخصوص الإنتاج والاستثمار لنشاطها الاقتصادي وتوضيح احتياجاتها من الموارد المادية والبشرية والمالية .

٧ - **أجهزة تخطيط على المستوى الإقليمي** : تقوم بربط وتنسيق خطط المشروعات والمؤسسات الواقعة في دائرة الإقليم (مركز أو محافظة) ووضع خطة اقتصادية للإقليم تبين توزيع النشاط الاقتصادي ونموه داخل الإقليم وتستطيع بمعاونتها مع أجهزة التخطيط الأخرى أن تصل إلى تحقيق توزيع أمثل للنشاط الاقتصادي من وجهة النظر الجغرافية أي المكائنة .

٨ - **جهاز التخطيط المالي** : يختص بوضع الخطة المالية المقابلة للخطة العينية . والخطة

التخطيط القومي الشامل كأسلوب لإدارة الاقتصاد القومي يحتاج إلى أجهزة متعددة لأعداد الخطة ومتابعة تنفيذها ، ليس هذا غرض بل لابد وأن يتوفر لهذه الأجهزة وللأطراف التنظيمية التي يجمعها بما ثلاثة شروط أساسية هي :

أولاً : أن تكون تكلفة إدارتها (أجور ومهاليا - إيجارات - مصروفات إدارية - كهرباء ومياه ... الخ) أقل تكلفة ممكنة . ومن هنا ينبغي اختيار النظام الأمثل لهذه الأجهزة بما يحقق هذا الشرط .

ثانياً : أن يكون هناك انساق وعدم تعارض بين الوظائف والمهام التي تقوم بها هذه الأجهزة من ناحية ، وأن لا يكون هناك تكرار لبعض الوظائف أو المهام التي تؤديها من الناحية الأخرى .

ثالثاً : أن يكون هناك انساق وعدم تعارض ملزمة للأجهزة التنفيذية . وهذا يتحقق بربط سلطة أجهزة التخطيط بأعلى مستويات السلطة في الدولة .

ويمكن هنا تقديم مقترح بالبناء التنظيمي لأجهزة التخطيط في مصر ، نعتقد أنه قادر على تحقيق مهام التخطيط السابق ذكرها ، على النحو التالي :

١ - **مجلس أعلى للتخطيط** : تكون مهمته الرئيسية تحديد الأهداف العامة ، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لتطوير ونمو المجتمع خلال فترة التخطيط طويل ومتوسط الأجل . ولذلك يجب أن يضم هذا المجلس أعلى مستويات السلطة السياسية والتنفيذية ، أي أنه يجب أن يرأسه رئيس الجمهورية ويضم رئيس الاقتصاد الاشتراكي العربي ورئيس مجلس الشعب ورئيس الوزراء ورئيس لجنة التخطيط القومي وممثل من الاتحاد العام لل نقابات العمالية وأعضاء من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وبعض الشخصيات العلمية والاجتماعية .

٢ - **لجنة التخطيط القومي** : تكون مهمتها ترجمة الأهداف التي يضعها المجلس الأعلى للتخطيط إلى أرقام وسياسة اقتصادية أكثر تحديداً وتقييماً . ونعتقد أنه ، لضمان فعالية اللجنة ، ينبغي أن يرأسها نائب لرئيس الوزراء وتضم في عضويتها الوزراء المختصين أو من ينوب عنهم ، ورؤساء أجهزة التخطيط المساعدة ورئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، كما

أجهزة الرقابة والمتابعة

لضمان تنفيذ الخطة القومية تنفيذاً سليماً يتفق مع أهدافها ويصحتها لابد من توفر نظام دقيق لمراتبة ومتابعة تنفيذ الخطة يقوم على عدد من الأجهزة تتوفر لها شرط التنسيق وعدم التضارب فيما بينها . وأهم أجهزة الرقابة التي يمكن أن تكون لها حق مراقبة ومتابعة تنفيذ الخطة هي :

١ - أجهزة التخطيط على كافة المستويات .
٢ - جهاز التخطيط المالي : وتكون رقابته على المتابعة والتقييم ، وننتشر أن يقوم الجهاز ومرتبطه بوظيفة الجهاز من حيث أملاك حسابات المشروعات والمؤسسات ومنها الإنسان . الذي يتفق مع الخطة المالية السابق اعتمادها . وفقاً لمرحلة تنفيذ مشروعات الخطة .

٣ - جهاز رقابة عام : ويعتبر أهم أجهزة الرقابة ويجب أن يكون أقواها سلطة وأقدرها على المتابعة والتقييم ، وننتشر أن يقوم الجهاز المركزي للحسابات بمهمة جهاز الرقابة العام .

٤ - الرقابة الشعبية : وتقوم بها المنظمات الشعبية المختلفة كجان العمال في المصانع والتنظيم السيلسي ومجلس الشعب .

على أنه يجب أن يكون واضحاً أن عملية الرقابة والمتابعة يجب ألا تقوم أساساً بهدف اكتشاف الأخطاء فقط ، ومحاسبة مرتكبيها ولكنها تقوم بهدف إجراء دراسات وتحليلات لمشاكل التنفيذ وأسبابها واقتراح حلول لهذه المشاكل سواء كانت إنتاجية أو تسويقية أو إدارية وذلك بهدف زيادة الكفاءة الاقتصادية للمشروعات وتحقيق أهداف الخطة .

كائن الخططين

إن أجهزة التخطيط لابد أن تدرك أنها لا يمكن أن تبدأ عملها من فراغ لتجميع لنفسها خبراتنا الخاصة بها ، وهناك بالتأكيد خبرات محمية أتت لها أن تشارك في التجربة المصرية للتخطيط وهناك أيضاً خبرات دولية في مجال التنبؤ الاقتصادي (التخطيط طويل الأجل) واستخدام النماذج الكمية وفي أساليب المتابعة والتصحيح الديناميكية ذات الكفاءة العالية . وعلى ذلك فإنه لضمان نجاح هذه الأجهزة في مهمتها ، وبما قد تدر من النكسة ، لابد من توجيه دعوة جادة ومخلصة إلى الذين عاشوا التجربة المصرية للتخطيط

المالية تضبط وتحكم التفتتات المالية في خط مواز ويتفق مع التفتتات السلبية . ويجب أن يتم وضع الخطة المالية بنفس طريقة وضع الخطة العينية وعلى نفس المستويات .

أجهزة التخطيط القومي المساعدة

بالإضافة إلى الأجهزة السابقة والتي تعتبر أجهزة تخطيط رئيسية فإن هناك ثلاثة أجهزة أخرى لا تشترك بشكل مباشر في أعداد الخطط الاقتصادية إلا أن عملها يعتبر ضرورياً لأعداد هذه الخطط وهذه الأجهزة هي :

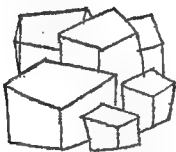
١ - الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء : ويقوم بجمع البيانات والمعلومات ووضعها بصورة مستمرة تحت تصرف لجنة التخطيط القومي وأجهزتها الفنية .

٢ - الجهاز المركزي للقوى العاملة والأجور : وتكون مهمته تخطيط وتوزيع القوى العاملة ووضع سياسات التوظيف بما تتفق وأهداف الخطة ، وكذلك دراسة هيكل الأجور وتحديد مستوياتها العام ، وتوصيف الوظائف ، وربط ذلك كله بمستوى الدخل المتاح للائتمان ، وتوزيع الدخل القومي بين الاستهلاك والاستثمار . ويمكن تحويل وزارة العمل إلى جهاز مركزي للقوى العاملة والأجور ، بعد نقل بعض اختصاصاتها المالية إلى جهات أخرى .

٣ - الجهاز المركزي للأسعار : ومهمة هذا الجهاز اقتراح السياسات العربية ، وتسمير السلع والخيارات الرئيسية ومن ثم تحديد هيكل عام للأسعار ، على أن يتم تسمير السلع والخدمات على أساس التكلفة والتفضيل الاجتماعي ، وأن يكون ذلك كله مرتبطاً بأهداف الخطة الاقتصادية ومسئولة توزيع الدخل بين الاستهلاك والاستثمار ، وكذلك توزيع الدخل بين الأفراد والفئات وسياسات الضرائب والإعانات وغيرها .

٤ - الجهاز المركزي للتكنولوجيا والبحوث العلمية : يتم بوضع الخطوط العامة للتقدم العلمي واختيار أساليب الإنتاج على ضوء نتائج البحث العلمي والتطورات التي ينتظر أن تطرأ على أساليب الإنتاج . الخ . وكذلك التنبؤ باقترابات الأبحاث والتقدم العلمي ، والإشراف على البحوث العلمية وتوجيهها بما يخدم أهداف الخطة . ونعتقد أن وزارة البحث العلمي يمكن أن تتحول إلى مثل هذا الجهاز .

القطاع العام وديمقراطية الانتاج



د. اسماعيل صبرى عبد الله

القول بأن القطاع العام هو «بعد
التعبئة السياسية» ، الركيزة
الاساسية التي يعتمد عليها برنامج
العمل الوطنى الذى يقدمه الرئيس
انور السادات واقره المؤتمر
القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى .
فالهدف الضخمة والاهداف الطموحة التى احتواها
البرنامج من كهربة الريف الى التصنيع المكثف

يمكن

وكذلك الى الخبراء الدوليين الذين اكتسبوا
خبرتهم من تجارب دولهم فى التخطيط القومى
الشامل ، للمشاركة فى عمل هذه الاجهزة .»

كذلك ينبغي هنا ايضا اشارة نقطة هامة تتصل
بكادر المخططين وطبيعة تخصصاتهم ويزام التأكيد
هنا على ضرورة تبني كادر المخططين سابق
سياسى وأيديولوجية سياسية ترتبط اساسا
بجهازين وطبقات الشعب العاملة والتي يتم
التخطيط لولا وقبل كل شيء لمصلحتها والعمل على
تحسين ورفع مستوى معيشتها . واذا ميز كادر
المخططين عن رطب نفسه وعمله بمصالح هذه
بجهازين وطبقات الشعب العاملة والتي يتم
سوف تكون معاكسة تماما لما تتطلبه ظروف
مرحلة التحول الى الاشتراكية وقيام المجتمع
الاشتراكي لمصلحة طبقتى اللامعين والممال
والطبقات والفئات التحالفه معها من متقنين
وجنود ورأسمالية وطنية .»

ويجب التأكيد ايضا على ضرورة أن تضم اجهزة
التخطيط تخصصات وخبرات فى مختلف فروع
الملم والا يقتصر على الاقتصاديين وحدهم .
وتل هذا التأكيد ينبع من طبيعة عملية التخطيط
بما تضم به من تشابك وتعقيد ، كما انه ناتج
ايضا من طبيعة تطور وتبوا الوسائل الآلية
والحسابية التى يمكن أن تساعد فى عملية
التخطيط وتبسيطها .» ومن هنا يمكن القول ايضا
بضرورة انشاء « نظام معلومات » موحد كوسيلة
للتغلب بين اجهزة التخطيط المختلفة وبين
المخططين من مختلف التخصصات .»

إن الصعود فى معركة التنمية الاقتصادية منها
لاى انهيار اقتصادى لا يمكن أن يقل فى أهميته
من الصعود العسكرى « بل يمكن القول انه شرط
ضرورى له % وانطلاقا من هذه الحقيقة يمكن
القول بأن العمل فى اجهزة التخطيط يجب أن
يفهم ، وخاصة فى الظروف الحالية لبلدنا ، على
أنه عمل وطنى بالدرجة الاولى ، ينبى شدد
كافة الطاقات المبذولة له ، وأحيانا بدون حوافز
الاغراء المادى ، كما يحدث فى الجبهة
العسكرية .»

وفى النهاية ♪ فالتا نعتقد أن هذه المقالة كان
يجب أن تنتهى الى تصور لنمو وتطور الاقتصاد
المصرى خلال فترة الخمسة عشر أو العشرين
سنة القادمة، إلا أننا نترك أن الوصول الى مثل
هذا التصور يحتاج الى دراسات عديدة ويتشعبة
تتطلب جهود أعداد كبيرة من الخبراء
والباحثين . ولذلك فقد اكتفينا هنا بعرض ما
يمكن اعتباره مدخلا نظريا للدراسات فى التخطيط
القومى الشامل .»

الأرض الضخمة التي لم يسبق لها في بلدنا مثل . لقد زادت الرقعة الزراعية فيما بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠ بنسبة ١٣٪ في مقابل ٨٪ فقط خلال النصف الأول من القرن العشرين .

● قام بما يشبه المعجزات في خدمة المجهود الحربي . ويكنى أن نذكر بشأنا هنا تواجد الصواريخ التي أقيمت خلال أربعين يوما فقط والتي تبلغ قيمتها أربعين مليوناً من الجنيهات

● يلعب الفائق الذي يحقته مسنوي دورا حاسما في تمويل المجهود الحربي .

● وفر للبلاد في ظروف الحرب كل الضرورات التي تلزم المستهلكين من الإنتاج الصناعي . ويكنى أن نتذكر هنا ظروف الحرب العالمية الثانية وما عايناه فيها من نقص في معظم السلع بما نحن فيه وحالة الحرب قائمة منذ أربع سنوات ولا نتفقد شيئا يذكر .

لهذا يهاجمه الرجعيون

فهل بعد ذلك محل الدهشة في أن يركبوا الاستعمار وملاؤفو قوى الرجعية حملة مسعورة ضد القطاع العام ؟ لقد استخدم خصوم التقدم واعداء الشعب كل أساليب الهجوم والشكك من البيانات الزائفة إلى « النكته » « الخبيثة » ليوهبوا البسطاء من الناس أن أمورنا تكون أفضل لو لم يكن هناك قطاع عام . وبينما ترفع الأصوات في كل مكان للدفاع عن القطاع الخاص ، ندر أن نجد كلمة انصف نقال لصالح القطاع العام . ودعاهم التنمية الرأسمالية لايتناون بقانونهم المتعثر من شركات القطاع العام بالتناجج من الشركات الرأسمالية ، كما لو كانت الشركات الرأسمالية لم تعرف الاختلالات والتلاعب والافلاس بالمشترات . إن اخصيار شعبنا لطريق التنمية الاشتراكية حاسم لا رجعة فيه . ولكن هذا لايعني بحال عدم الاهتمام بتوضيح دور القطاع العام وبيان منجزاته ، لأن القطاع العام يحتاج لفتح الناس فيه ، ودناهم عنه ، وحرصهم على نجاحه لأنه ملكهم جميعا ومصلحة أمتهم في مستقبل أفضل . ومن هنا كان اهتمام برنامج العمل الوطني بالدفاع عن القطاع العام ، ويطبش أسباب تطويره وزيادة فعاليته ، ومضاعفة ما يلقى على عاتقه من أعباء

فالدفاع الحار عن القطاع العام ، لايعني اغفال نواحي التصور فيه ، والا لتاصلت تلك النواحي وتعاظمت ووفرت لخصوم التقدم المزيد من الحجج ولذلك فإن البرنامج حين يعدد الجوانب السلبية في تجربة السنوات الماضية يتكرر بيننا أن زيادة الإنتاج لم تصل إلى حد الوفاء بجميع

إلى تطوير الزراعة ؟ إلى املية بناء القرية الميرية . كل هذا يعتقد في الأساس على وجود القطاع العام ونموه وزيادة فاعليته . وغير سجلات البرنامج لتحدي النصوص مؤكدة دور القطاع العام وموضحة اهميته :

● « إن القطاع العلم هو ثلثة التنمية الاشتراكية في بلدنا » .

● « ونال القطاع العام — العمود الفقري للتقدم والتطور — نصيبا من حلة الهجوم والشكك وهو الذي قام بالدور الأساسي في تحقيق استغلالنا الاقتصادي ومواجهة متطلبات الحرب » ... الخ .

وإذا كان النص الأول يقرر حقيقة علمية يجب التسليم بها من حيث المبدأ فإن النص الثاني يأخذ من تجربتنا الحية صدق المبدأ وسلامته ، وفي هذا يقول البرنامج :

« إن مؤثرنا الحالي يعتمد بعد انقضاء عشر سنوات على اعلان قوانين يوليو المجيدة التي كانت تحمينا من اختيارنا الواسع الحر لطريق التنمية الاشتراكية ، كالطريق الحتمي للقضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي من أجل بناء دولة جديدة ، دولة الكفاية والعمل . إن التجربة العملية فوق أرضنا خلال العشر السنوات الماضية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك سلامة الطريق الذي اخترناه لبناء حياتنا » .

نجاحات حققها القطاع العام

وبالفعل لقد حقق القطاع العام في بلدنا ؟ بين ما حقق ، أمورا بالغة الأهمية :

● إدارة كل المشروعات الاستثمارية التي تم تأميمها وتطوير إنتاجها ، مما جعل من الاستقلال الاقتصادي حقيقة واقعة وليس مجرد شعار .

● إدارة كل المشروعات المحلية التي تم تأميمها وزيادة إنتاجها وتوجيهه فاعلها إلى تمويل التوسع في الاستثمار وزيادة المردف في الإنتاج والدخل .

● النهوض بمشروعات التنمية العظمى مثل السد العالي ومجمع الحديد والصلب ، وإقامة صرح صناعي ضخم ، أصبح معه من المنتظر أن يتجاوز دخلنا من الصناعة دخل الزراعة في ظرف سنوات قليلة تنتهي إلى الإبد خرافة أن مصر بلد زراعي لا مكان للصناعة فيه .

● تولي مشروعات استصلاح واستزراع

احتياجات الجاهلين » ويجمع ذلك الى اسباب ثلاثة من بينها :

« تخلفنا النسبي في ميدان العلم والتكنولوجيا وما يعانيه القطاع العام من اوضاع بيروقراطية تقال من غايلته » .

وحين يعرض البرنامج للوسائل المبلية التي يمكن من طريقها ان توفر الزيادة المطلوبة في الاستثمار ، يخلص في راسها .

« زيادة الفاض الذي يحققه القطاع العام برشيد تنظيمه ورفع الكفيلة الانتاجية » واستخدام المائات الانتاجية المائحة بالكليل » .

ومن هنا يوضح ان البرنامج يرى ان اوضاع القطاع العام تهييها بمصر البيروقراطية وانها بحاجة الى رشيد شامل . وهذا تاصيل لاصدر العيوب الجزئية والمترقة التي يلاحظها الجمهور ، بل والماملون في القطاع العام انفسهم ، ولا شك ان قضية الادارة تقع في مقبلة تلك الاوضاع التي تشويها البيروقراطية وتحتاج الى رشيد ومن ثم استحدثت هذه القضية اهتماما خاصا من البرنامج .

البرنامج وقضية الادارة

وقد تعرض البرنامج بالفعل لقضية الادارة في اكثر من موضع . ويمكن بقرائه استخراج النصوص التالية بما تحويه من افكار اساسية :

« ان اساس الادارة الرشيدة هو الحرية والمسئولية » اتخاذ القرارات ، ثم المسؤولية في تحقيق الاهداف المحددة تحديدا واضحا . ولا يجوز ان تمتد وظيفة الاجهزة الاشرافية الحكومية دور المتابعة والمساعدة على حل المشاكل وذلك دون تخفيل في القرارات والاجراءات التي تتخذها الادارة . ان هذا هو السبيل لان يسير القطاع العام على اساس علمية من الحسابات الاقتصادية بعيدا عن البيروقراطية والتقيود الادارية المتخلفة » .

« ان اشترك الماملين في الادارة ليس على اقصى درجة من الاهمية ، انه اولا تطبيق عملي للديموقراطية ، ثم هو ثانيا من الضمانات المهمة لزيادة الانتاج ومتابعة تنبذ الخطه » .

« ان اشترك الماملين في الادارة يصبح مجرد شعار ان لم يشتركوا في مناقشة خطه وحذتهم واترارها وان لم يلجوا دورهم في الخلية اثناء التنفيذ وبعد انتهاء فترة الخطه » .

انهم يستطيعون من هذا الطريق ؟ لو اتاحت لهم الفرص ان يتقدموا بكثير من المقترحات المفيدة وبمعديد من الحلول الذاتية لمشاكل الانتاج ، ان اشراكهم في التخطيط يساعد على واقعية الخطه من ناحية وعلى سلامة تنفيذها من جهة اخرى » .

وبتأمل هذه القصص ، يوضح ان في خلفيتها افكار متكاملة عن طبيعة الوحدة الاقتصادية في القطاع ، وعن ادارتها بشكل ديموقراطي وفعال .

١ - فالوحدة الانتاجية في القطاع العام في هذا المفهوم لها استقلالها الذاتي ، كما حرية اتخاذ قرارات وعليها ان تتحمل مسؤولية ما تتخذ من قرارات في حدود الخطه القومية . لقد عانى القطاع العام طويلا من معادة اساليب الادارة الموروثة في الجهاز الحكومي . وكثيرا ما ظن البعض ان الوحدة الانتاجية باذات ملك الدولة تصبح كالمسلحة الحكومية تخضع للتسلسل الاداري الشديد وتنفذ كياتها المستقل ويمكن ان تسيير بقرارات من اعلى . وكان ذلك كله خطأ بعيدا . فالتشاطر الانتاجي يخضع لقوانين اقتصادية موضوعية تحكم التاليف بين عوامل الانتاج كما تحكم الكلفة والنتائج . فحجم الوحدة الانتاجية مثلا ليس امرا تعسكيا ، لانه اذا قلص بشكل ملحوظ من حد معين ارتفعت كلفة الانتاج ، وبالتالي اسعار المنتجات واضطربت اقتصاديات الوحدة ، كما يلحق الضرر بالمجتمع . وبالعكس اذا تجاوز ذلك الحجم بشكل ملحوظ الحد الامثل تعذرت الادارة وتمعدت وارتفعت التكاليف بعد انخفاض .. ويمكن ان نعدد الائمة : ان كل اجراء يتخذ في وحدة انتاجية يجب ان يخضع لحساب اقتصادي بقدر تكلفته وعائده . وكل ذلك ولا شك امور جديدة على مجتمع الف لمات السنين زراعة اقتصادية او شبه اقتصادية وجهاز حكم تسوده البيروقراطية . ولكن التقدم البشري اصطبغ بالحساب . لقد ولدت الحاسبة الحديثة القائمة على مبدأ التمييز المزدوج مع موله الراسمالية . وفي حين المنافسة الهائلة بين الاقتصاد الاشتراكي والرسمالية الاحتكارية ظهرت اساليب الحاسب الالكترونية الحديثة والنظريات الرياضية التي تحكم قرارات الانتاج : نظرية القرارات ، وفي نظرية المباريات ، النماذج الرياضية . للتخزين ، نظرية الصفوف ، ونماذج المحاكاة .. الخ . ان جوهر مشكلة التنبيه في المستوى الاقتصادي هو ندرة الموارد ، وبالتالي ضرورة ان يحصل منها المجتمع على اعلى عائد مباشر وغير مباشر باقل تكلفة . ومن ثم لا بد من الحاسبة الاقتصادية والادارة العلمية .

ونعالية القرار — في مجال الانتاج — تتأكد حين تكون سلطة اتخاذ القرار بيد من يملك القدرة



لليومقراتية ، وهو ثالثا من الضمانات المهمة لزيادة الإنتاج وتنفيذ الخطة .

٣ - على أن البرنامج يتوسع في مفهوم المشاركة في الإدارة . فهو لا يكتف عند حد انتخاب بعض العاملين ليجلسوا في مجلس الإدارة . ولكنه اهتماء بالمبادئ التي سبقت الاشتراك إليها يريد أن يسهم مجموع العاملين مساهمة فعلية في قضايا الإنتاج وأسلوب سير الوحدة الإنتاجية . أن البرنامج يقول بصريح العبارة : « أن اشراك العاملين في الإدارة يصبح مجرد شعار أن لم يشتركوا في مناقشة خطة وحدتهم وأقرارها وأن لم يلبسوا دورهم في المتابعة أثناء التنفيذ وبعد انتهاء الخطة » . أن البرنامج يريد أن يشترك مجموع العاملين في مناقشة الخطة وأقرارها ومتابعة تنفيذها . أي أن الاشتراك في الإدارة يجب أن يأخذ شكلين : الشكل الأول والأساسي ، هو اشراك كل العاملين في مناقشة الخطة وأقرارها ومتابعة تنفيذها ، والشكل الثاني هو المشاركة في الإدارة الجارية في إطار الخطة بعد أقرارها .

وهذا التحديد أمر بالغ الأهمية . فهو أولا لا يقيم المشاركة في الإدارة على مندوبي العاملين المنتخبين ، ولكنه ينشئ جدا الديمقراطية المباشرة التي تجعل لكل عامل صوتا في وضع الوحدة التي يعمل بها وفي وضعه داخلها . وهو ثانيا يزد من معالجة انتخاب مندوبي العاملين في مجلس الإدارة . فمناقشة الخطة ومتابعة تنفيذها توفر إطارا موضوعيا لتقييم عمل الأعضاء المنتخبين ، كما أنها تكون فرصة مواتية لبروز العناصر الأكثر قدرة على فهم القضايا العامة وابتكار الحلول إشكالات الإنتاج . وهكذا يتم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة على أساس من الكفاءة للإدارة وليس على أساس تقابلي يختلط بتفضيحات النقابة ، أو أساس سياسي يختلط بتفضيحات الاتحاد الاشتراكي . وبالإضافة إلى ذلك كله يزيد هذا الأسلوب من « حسنة العاملين » ويكسبهم الثقة بوجدانهم وقيادتها ويشعرهم بأن عملهم ثاقب ومثمر ، وأنهم ملاك حقيقيون لوسائل الإنتاج ومنفدون لأهداف الشعب في نفس الوقت .

الفعلية على اتخاذها بشكل مفيد . فمن المستحيل إدارة الاقتصاد القومي كله بقرارات من مجلس الوزراء . ومن المستحيل كذلك إدارة قطاع بكله من مكتب الوزير . ولذلك فإن السلطة المركزية تلك التخطيط ، والسلطة الوزارية تلك الإشراف ، والوحدة الإنتاجية تلك الإدارية الجارية في حدود الخطة القومية وتحت إشراف الوزارة ، وهذا ما يميز عنه في الاقتصاد الاشتراكي بالاستقلال الذاتي للوحدة الإنتاجية (١) - وهو في ذاته مظهر من مظاهر الأسلوب الديمقراطي في إدارة الإنتاج .

٢ - ولكن مفهوم حرية الإدارة ومسئوليتها في إطار الخطة يجب ألا ينصرف إلى شخص رئيس مجلس الإدارة كما يتوهم البعض . أن الوحدة الإنتاجية ليست مجموعة من المباني والآلات والمعدات والمواد الأولية . فلك جميعا جوامد لا تنتج بذاتها شيئا ، ولأنها فيها الحياة الإنتاجية لا يعمل الإنسان الخلاق . ولذلك نفور الوحدة الإنتاجية هي أولا وقبل كل شيء « مجموع من العاملين » وضمت الحلول ، هيئة الشعب ، تحت تصرفهم كمية من وسائل الإنتاج وكلفتهم بأن ينتجوا أكبر كمية ممكنة من منتجات معينة وبأقل تكلفة معينة . أن الاقتصاد الرأسمالي يعرف « المشروع » أي الوحدة الإنتاجية الرأسمالية بشخصية « المظنم » أي الرأسمالي الذي يتصدى لعمليات الإنتاج ويتحمل مسؤولية نتائجه . ربما أو خسارة في ملكيته الرأسمالية . وفي ظل التأميم ، تصبح وسائل الإنتاج ملك للشعب كله وهو يمثل في الدولة التي تحدد الصالحين الذين يعهد إليهم بتلك الوسائل لإنتاج ما يلزم للجمهور . ولذلك فإن الاستقلال الذاتي للوحدة الإنتاجية يجب أن ينصرف إلى مجموع العاملين فيها . ومن هنا كان النص على أن اشترك العاملين في الإدارة أمر على أقصى درجة من الأهمية . والنظام الذي استقر منذ قوانين يوليو المجيدة يقدم صورة جديدة للإدارة فيها قدر من التعبير الذاتي لا يفقد الوحدة الإنتاجية انتباهها إلى الاقتصاد القومي في مجموعه . رئيس مجلس الإدارة تعيينه الدولة ، مثلا للصحة العامة ، وأعضاء مجلس الإدارة في الواقع كلهم من العاملين : النصف ينتخبهم العاملون انتخابا حرا مباشرا ، والنصف الآخر تعيينهم الدولة من بين كبار العاملين بالوحدة ذاتها . ومرة أخرى يؤسس البرنامج حق العاملين في الإدارة على أسس ثلاثة : فهو أولا تعبير عن ملكية الشعب لوسائل الإنتاج وتحرير العمل من استغلال الملكية ، وهو ثانيا تطبيق على

[١] يزيد من شرح الأسس النظرية ، وتوضيح الأمثلة العملية ، انظر : اسماعيل صبري عبد الله « تنظيم القطاع العام » - « الأسس النظرية وأهم القضايا التطبيقية » دار المعارف سنة ١٩٦٩ م .

وقد وضع لاتمة العاملين بما يعالج نواحي التصنيع ويتيح لكل وحدة انتاجية مرونة التصرف ونفسا لطيفة لوضعها ونشاطها ويحتضن المبادئ الآتية :

١ - نظام جديد للترقي بالاختيار بحيث لا تكون الانتدبية المطلقة قيدا على الاهتمام بالعمل والإبداع فيه ، وبحيث لا يكون الاختيار وسيلة غير مشروعة لترقية من لا يستحق الترقية .

ب - نظام للحوافز يوسع من مداها ويحقق الفرض منها ويكون غير مقيد وقابل للتطبيق .

ان المسؤولية هي الوجه الآخر للحرية في كل تطبيق ديمقراطي سليم . وديموقراطية الانتاج بالمعنى الذي لوضعها فيها سبق ، يقابلها مسؤولية العاملين عن الانتاج . ان كل تقدم او تاخر في حياة الشركة يجب ان ينعكس على مجسوع العاملين به حتى يستجواباكاره ، ويعملوا على زيادة ما هو ايجابي وتصفيه ما هو سلبي . ومن ثم فان حجم الحوافز الجماعية والفردية يجب ان يتوقف على درجة تقدم الانتاج مادامت القوة قد وفرت له شروط التقدم . كما ان الاشتراكية تقوم على مبدأ « من كل بحسب قدراته ولكل بحسب عمله » ، وترفض تماما التسوية بين من يعملون ومن لا يعملون . ولا يمكن ان تنسق المسؤولية الجماعية الا اذا استقرت قواعد لتعديد المسؤولية الفردية في نظام للأجور والترقي يفتح الباب لتنافس الصالحين في الإبداع والاجتهاد واليقل ويعمل لكل منهم بقدر ما ضمن المجمع من خلال عمله في موقعه . كما ان المكافآت التشجيعية يجب ان تأخذ دورها الحقيقي كجزاء لعمل غير عادي ، ولا تكون بحال لجرأ افساسها يوزع « بالعدل » - أي بالمساواة - بين الجميع .

وبعد .. ان السبغة المميزة لبرنامج العمل الوطني في قضية القطاع العام وديموقراطية الانتاج ، كما في غيرها من القضايا هي انه لا يفتق عند حد سيادة مكاسبنا الاجتماعية والدفاع عنها ، ولكن يفتح الطريق لآباء تطويرها وتمييزها . والضمان الاساسي لتحقيق هذا البرنامج الطموح هو ان تبتناه الجماهير وتمثل من خلال تنظيمها السياسي وتنظيمات ' النقابية وفي مواعيد الانتاج على ان تعطى المدلول الملموس الذي يغير الواقع بالفعل لنك الانكار التقسيمية التي احتواها البرنامج فكتلت الرد الحامس على دعاة الردة وضوم التقدم والاشتراكية ،

والواقع ان القضية هنا هي قضية الحافز الرئيسي على زيادة الانتاج وتحسين نوعية المنتجات وتقليل التكاليف . لقد عاشت البشرية امسورا طويلة على استخدام الحافز المادي : القهر والاجبار . وفي ظل نظام الرق كان هذا القهر بدنيا يتجلى في السوط . وفي عهد الاقطاع كان الاكراه يتجلى في ربط رقيق الارض بأرض الانتاجية واجباره بدنيا على البقاء فيها والعمل عليها واستخدام السوط عند اللزوم . وفي ظل الرأسمالية حل السوط الاقتصادي ، سوط النمل « محل سوء الجلد . فالصالح يصنع مايريد صاحب العمل او يفصل . أما في ظل الاشتراكية حيث العمل حق وواجب ، وحيث العمل شرف وكرامة فان الحافز عليه يصبح ايجابيا ، يصبح مسون العامل انه يعمل لنفسه ولأولاده ولزملائه وللشعب كله وليس لنفسه سيد لو مستقل . ولا يتصل هذا الشعور بالمر بعد قرون القهر - بمجرد ترديد الكلمات واتما بالممارسة الفعلية من خلال ابداء الرأي ديمقراطيا في كل ظروف العمل .

وفي هذا المقام طرح البرنامج هذا الاسلوب الجديد ثم ترك باب الاجتهاد مفتوحا لوضع « الاشكال التنظيمية المناسبة » لتطبيقه . وفي تجربتنا ان انساب الاشكال هو « الجمعية العمومية للعاملين » التي تضم كل العاملين اذا كان عددهم معتولا ، او مندوبين عن كل عنبر او ورشة اذا كان عدد العمال ضخما لا يتيسر معه مناقشة جدية . ويجب ان نعتقد هذه الجمعية مرة كل سنة على الأقل لتناقش تقرير مجلس الإدارة وخطة الوحدة للسنة الجديدة وميزانياتها . كما يجب ان يكون لها رأي في طريقة توزيع حصص العاملين في الارباح وفي القواعد العامة لتسح المعلومات التشجيعية والحوافز ... وغير ذلك من القضايا العامة لحياة الشركة . كما تنتخب الجمعية العامة في المواعيد المقررة اعضاء مجلس الإدارة . ووجود هذه الجمعية لا يتنافى مع وجود أي اشكال أخرى مثل لجان الانتاج ، أو مجالس الانتاج ، التي تضم عددا محدودا من العاملين يحكم مواعيدهم في الانتاج أو في التنظيمات الشعبية والتي تعاون الإدارة في تسيير دفة العمل .

الأجور .. والحوافز والترقيات

٤ - **ولا يتكفل هذا البناء الا بنظام سليم للأجور والحوافز .** ان البرنامج يقول « لقد آن الأوان بعد اتساع رقعة النشاط ، وفي ضوء ما اسفرت عنه التجربة خلال السنوات الماضية ، ان يعاد

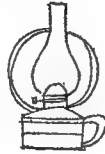
ولم يكشف البرنامج بلباز: هذه المشكلة ؟ بل
تقدم نقدا ذاتيا اعترف فيه بأنه على الرغم من
الجهود الفنية والأموال الطائلة التي أنفقت على
التعليم ، فإن عدد الأميين قد زاد .

ويكتسب فكر البرنامج لهذه القضية وأما لها
مكانها الواجب أهمية كبرى إذا علمنا أن تلك هي
المرّة الأولى منذ قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ التي
تعرض فيها وثيقة سياسية أو برنامج عمل
لقضية الأمية .

فمنذما حدثت الثورة عند قيامها مبادئها
السنة المشهورة وهي القضاء على الاستعمار
وأحوائه من الخوذة المصريين ، والقضاء على
الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار ، وسيطرة رأس
المال على الحكم ، وأقامة عدالة اجتماعية ،
وأقامة جيش وطني قوى ، وأقامة حياة ديمقراطية
سلمية ، هنبا تحدثت الثورة هذه المبادئ
والأهداف لم ترفع نحو الأمية كهدف أساسي من
أهداف الثورة . في الوقت الذي كانت خبرة
جميع الثورات تؤكد أنه لا يمكن تصفية الاقطاع
تصفيّة كاملة وتحقيق اصلاح زراعي جزئي دون
أن يصحب ذلك اصلاح تعليمي ديمقراطي تكون
أولى مهامه نحو الأمية ؟ كما تؤكد أنه لا يمكن
أقامة جيش وطني قوى يعتمد على جنود أميين
ويستند إلى شعب لئى ، وكذلك الحال بالنسبة
لباقى الأهداف والمبادئ .

وبعد النصر على الاستعمار في معركة ١٩٥٦
وسيطرة الدولة على المؤسسات الاقتصادية
الاستعمارية ، كان الطبيعي والنطقي أن يتمكس
هذا النصر الوطني على موقف الثورة من قضية
الامية فتطويعها الاهتمام الأكبر حتى يستطيع الشعب
المتعلم حماية هذه المكاسب الوطنية ، ولكن بيان
وزير التربية والتعليم في مجلس الأمة عام ١٩٥٧
وهو الوثيقة التي تحدد سياسة الثورة التعليمية
بعد النصر ، هذا البيان لم يذكر كلمة واحدة عن
الامية على الرغم من أنه ذكر تفاصيل المسائل
الثقوية التي تتصل من قريب أو من بعيد بشكالات
التربية والتعليم في مصر . وكان تجاهل هذا
البيان لمشكلة الأمية يعنى زيادة تفاقم المشكلة
وزيادة تعجزها .

ثم جاءت قرارات يوليو ١٩٦١ وتبنت سيطرة
الدولة على جميع المنشآت الاقتصادية والتجارية
وتحقق للشعب كثير من المكاسب الثورية وكان
لا بد أن تخوض الثورة معركة حاسمة ضد الأمية
لتأهيل هذه المكاسب وحمايتها ومن أجل أن
تعود نقدة هذه الإجراءات على الشعب . وصعد



محو الأمية :

مهمة لا تحتمل التأخير

ممدوح عبد الرحمن

تصدر برنامج العمل الوطني
تصوره للدولة الحديثة ، أبرز أن
أحدى تسمياتها الأساسية هي أنها
دولة لا مكان للأمية فيها ، وبذلك
فإن البرنامج يضع قضية محو
الامية أمامها إحدى المهام الأساسية التي
يجب القيام بها كشرط ضروري لبناء الدولة
الحديثة .

عندما

ميثاق العمل الوطني عام ١٩٦٢ لكنه لم يبرز قضية
محو الأمية كقضية ثورية عاجلة .

وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وبعد أن اتضح أن
أحد الأسباب الجوهرية لانتصار إسرائيل في
تلك المعركة هو اعتمادها على العلم والتكنولوجيا،
ولنا لاستطيع أن نتجاوز النكسة وأن نحقق
النصر ، بينمنا المسلمون من أبناء
الشعب لا يقرأون ولا يكتبون ، ولنا لا يمكن أن
نضع أحدث الأسلحة العلمية في أيدي الجنود
الأميين ، وأن الجيش لن يستطيع النصر معتمداً
على جبهة داخلية تنفخ فيها الأمية وينخر في
عظامها الجبل .

بعد كل ذلك صدر بيان ٢٠ مارس ولم يضع
محو الأمية كنقطة من نقاط البرنامج ، كل ذلك
يبرز أهمية معالجة برنامج العمل الوطني لمشكلة
الأمية .

لمحة تاريخية ..

لقد كان الاهتمام بنشر التعليم في النصف
الثاني من القرن الماضي اتمكسا للنهضة القومية
وأصبح المطالب الأول لرجال مجلس الشورى
والأحزاب الوطنية هو نشر التعليم وتمت عدة
محاولات في هذا السبيل تميزت لمقاومة الرجعية
لها ، ثم أتى الاحتلال ليعمل على منع نشر
التعليم قدر استطاعته ، ومع اشتداد الحركة
الوطنية في نهاية القرن الماضي وبداية القرن
الحالي اندركت القوى الوطنية أن أحد أسلحتها
في حريها ضد الاحتلال هو نشر التعليم . ولذلك
فقد شكلت هذه القوى الجمعيات الخيرية لإنشاء
المدارس التي توفر التعليم المجاني ، أو ذا المصروفات
المخفضة لبناء الشعب بعد أن فرض الاحتلال
مصرفات على المدارس وعلى الكتاتيب .

وتأسست جمعية لتحصين الكتاتيب انشأت
خلال سنتين ١٩٥٨ كتبا بينها كانت **«مخازن المعارف»**
لا تبيع لكن من ١٤٤ . من الكتاتيب . ثم قاد الحزب
الوطني حملة ضخمة عام ١٩٠٨ من أجل إنشاء
مدارس الشعب البيلية لتعليم العمال والزراعيين
حقوقهم وواجباتهم ، ذلك أنه أدرك أن أبناء
الاجانب والإقطاعيين والرأسماليين والطبقة

المتوسطة يستفيدون الحصول على التعليم مقابل
دفع المصروفات ، أما هؤلاء العمال والفلاحون
فقد كان الاستعمار يعمل على أن يفرض عليهم
الجهل . وبما هو جدير بالذکر أن مدارس الشعب
البيلية لم تكن تهدف فقط إلى مجرد محو الأمية
بمعناها الضيق ، بل إلى تربية العمال والفلاحين
تربية وطنية سليمة فقد كتبت مناهج مسود
الدراسة بها تتضمن دراسة تاريخ مصر ، والتاريخ
الإسلامي وجغرافيتها مصر ، وقوانين المعاملات
اليومية ، وعدداً آخر من المواد الدراسية . وقد
انتشرت هذه المدارس انتشاراً كبيراً ، وسرياً .

وقد اقترح أحد فقهاء الكتاتيب عام ١٩٠٨
أن تفتح الكتاتيب ليلا لتعليم العمال والفلاحين
وعندما نفذ الاقتراح وكثر الأقبال على هذا الكتاب
انتشرت هذه الطريقة من طرق محو الأمية .

وقبل صدور قانون التعليم الإلزامي عام ١٩٢٤
طالب الشعب بفتح المدارس الأولية والكتاتيب
ليلا لتعليم العمال والفلاحين وزاد الأقبال على
هذه الأقسام البيلية حتى بلغت ٥٠٠ قسم ، يتعلم
بها ٣١٨٧٧ دارسا ولكن بدأ عدد هذه الأقسام
ينقص مع بداية الثلاثينات عندما بدأت الوزارة
تنطبق في تنفيذ قانون التعليم الإلزامي وتنفص
بذرة ذلك التعليم من ست سنوات إلى خمس .

وتأسست جمعية نهضة القرى ومكافحة
الأمية عام ١٩٢٢ . والتي كان يقوم بالترسيخ
في نرويجها طلبة المدارس الثانوية والمدارس
العليا والأزهر ، بالتلوع ودون مقابل مادي وبعد
نضال طويل ضد الأمية صدر قانون محو الأمية
رقم ١١٠ لسنة ١٩٤٤ استجابة لأمران الشعب
على محاربة الأمية ، وصحوة هذه القانون بدأت
مرحلة جديدة تقوم الدولة فيها بمحاربة الأمية .

ولكن مجهودات « وزارة المعارف » في محو
الأمية لم تحقق نجاحاً كبيراً لمجموعة من الأسباب
أهمها :

● **أن الدولة التي اضطرت إلى إصدار**
القانون وضعت العراقيل في طريقه ، وذلك من
طريق تقليل الاعتمادات المالية للمشروع ، فكانت
جملة المبالغ التي أتممت للمشروع خلال تسع
سنوات (من ١٩٤٤ حتى ١٩٥٢) هي
٢٠٨٠٨٠٠ جنية بينما عدد الأميين كان يقدر
بـ ١٠ ٪ مليوني ، ولذلك فإن القضاء بمكافحة
الأمية لم تستطع أن تحو أمية أكثر من ٦٢٧٠٠٠
دارس خلال هذه الدة .

● **أن التعليم الإلزامي لم يكن يستوعب إلا**
نسبة ضئيلة من بلغوا سن الإلزام ، بينما تضم
مئات الألوف من الأطفال الذين لا يستطيع هذه
المدارس أن تستوعبهم وهم في سن الإلزام سنوياً
إلى الأعداد الضخمة من الأميين .



● **أن الثورة لم تشرع لجمهورية الشعب للثورة**
بواجبها في هذا المشروع وبذلك حولته من مشروع قومي تسخر من أجله جميع الجهود إلى مشروع حكومي يقوم به موظفون مقابل الأجور الإضافية دون حساب .

● **سوء الأحوال الاقتصادية لجمهورية اللاديين**
والعمال ، مما يؤثر تأثيرا شديدا على مواطنيتهم على الحضور وعلى قدرتهم على الاستيعاب والفهم . وقد أدرك المصلحون الاجتماعيون أن العمود الفقري لأي سياسة تهدف إلى محو الأمية بجدية يجب أن تعمل على رفع المستوى الاقتصادي للشعب لأن الفقر هو العدو الأول للمعلم .

● **انخفاض المستوى الثقافي في الريف** بحيث يتعرض اللاديين الذين أبغوا بفتح سنوات في المدرسة الإلزامية إلى العودة للإمية . ويوضح البحث الذي أجراه معهد التربية للمعلمين بجمهورية الصين عام ١٩٥٤ في قريتي دهشور وأيو النمرس أثر هذا العامل في زيادة حجم الأمية . إذ افصح من البحث الذي أجري على نساء القريتين المذكورتين أن ١٠٪ من بين النساء اللاتي تلقين تعليمها إدة تتراوح بين سنتين وست سنوات لم ترتد لهن الأمية بينما ١٠٪ منهن نسبن الكتابة أما البقيات فقد ارتدن إلى الأمية . أما احتمالات الارتداد إلى الأمية في المدينة فلها أقل من ذلك نظرا لارتفاع المستوى الثقافي فيها .

● **تسرب التلاميذ من المدارس الإلزامية** ، إذ أن نسبة التلاميذ الذين يكملون السنوات الست أو الخمس للتعليم الإلزامي ضئيلة وهذه الظاهرة تعود في أساسها إلى البيدين الرابع والخامس ومن الممكن أن ندرج مقدار هذا التسرب لذا علمنا أن نسبة عدد تلاميذ الصف السادس في المدارس الأولية والإلزامية إلى عدد تلاميذ هذه الأنواع من المدارس في عام ٤٩ - ٥٠ كان في مدارس التعليم الحر ٥.٢٣٪ بينما تلاميذ السنة الأولى ٧.٣٦٪ وفي مدارس مجالس المديرية الأولى ١٧.١٪ بينما تلاميذ السنة الأولى ٥.٢٣٪ وفي مدارس وزارة المعارف ٤.٢٪ بينما تلاميذ السنة الأولى ٤.٢٪

الثورة وتجربة محو الأمية

إن ارتفاع عدد الأميين من اثني عشر مليوناً قبل الثورة إلى ما يقرب من سبعة عشر مليوناً بعد ٩١، لها من الثورة قد يدعو إلى الدهشة

خاصة إذا قارنا ذلك بما قامت به كوريا أو الاتحاد السوفيتي أو عدد آخر من البلدان التي قامت بها ثورات ترقية . وقد يبدو غريباً أن تصبح نسبة الأميين بين الصينيين في عام ٦٩ - ٧٠ حوالي ٧٠٪ ممن هم في سن الإنتاج في الوقت الذي نعمل فيه من أجل مضاعفة الإنتاج ، ولكن إذا نظرنا إلى موقف وزارة التربية والتعليم في مشكلة الأمية فلنأخذ سندرك أن ذلك كان نتيجة طبيعية لذلك الموقف .

فقد قامت سياسة التعليم بعد الثورة على أساس محاربة الأمية عن طريق التوسع في التعليم الابتدائي لاستيعاب جميع الملتحقين وبذلك تنتهي الأمية . ولذلك فقد لجأت الوزارة إلى تقليل اعتمادات محو الأمية وبالتالي نقص عدد الدارسين في هذه البرامج .

المبلغ بالجنهيات	السنة
٤٢٢.٠٠٠	٥٢/٥١
١٠٠.٠٠٠	٥٢/٥٢
٧٢.٠٠٠	٥٢/٥٣
١٢٤.٣٥٠	٦٥/٦٤

وقد بلغ عدد الدارسين في فصول محو الأمية التابعة للوزارة عام ٦٥/٦٤ ٥٩١٦٥ دارساً بينما كان عند الدارسين عام ٥٢/٥١ ٥٢٤٤٩٩ دارساً . وبعد أن وضعت الوزارة سياستها التعليمية في مشروع الخطة الخمسية الثالثة على أساس القيام بمحو أمية ١٥.٠٠٠.٠٠٠ دارس في السنة الأولى للخطة فإن عدد الدارسين عام ٦٩/٧٠ كان حوالي ٤٨.٠٠٠ دارس فقط نظراً لضآلة الاعتمادات المالية التي خصصت لمحو الأمية . ولعل الرقم الأخير يوضح ضآلة الجهد الذي تقوم به الوزارة وضآلة الاعتمادات التي تخصصها . ولذلك كان لابد من أن تتفكك أعداد الأميين لأن المدارس تفتق أبوابها دون مئات الألوف من الذين يلغوا سن الإلزام بينما الوزارة لا تفتح أبواب فصول محو الأمية إلا لبضعة آلاف من الدارسين

لا يمكن الحديث عن الأمية دون التعرض لسياسة الوزارة إزاء التطعيم الابتدائي بعد الثورة ، باعتبار أن هذا التطعيم الابتدائي هو مصدر أساسي من مصادر الأمية . وتتلخص السمات الأساسية لهذه السياسة في النقاط الآتية :

(١) **البطء التمسيد في التوسع من أجل استيعاب الملتحقين** : وضعت الوزارة خطة لاستيعاب جميع الملتحقين في مدى عشر سنوات . وسارت بسرعة لا بأس بها في أول الأمر ولكنها

مستوى المعيشة . فانه لا يوجد حين ما جاء ببرامج العمل الوطني منها ومصف لحوال الفلاحين بقوله « ان أسلوب الحياة اليومية للفلاحين الذين يكونون غالبية الشعب لم يلحقه تغيير حقيقى لا فى وسائل واسلوب الانتاج ، ولا فى السكن والغذاء والصحة ولا فى تحصيل العلم والثقافة . ان جانبنا كبيرا من فلاحينا على الرغم من المجهودات الضخمة التى بذلت فى سنوات الثورة لازال يعانيهن البطالة وانخفاض مستوى الدخل والامية ومسوء التغذية والصحة والقلق على الحاضر والمستقبل »

وهذا الانخفاض فى مستوى المعيشة قد لعب دورا فى زيادة حجم الامية بعد الثورة .

قانون محو الامية لعام ١٩٧٠

لقد صدر قانون محو الامية الاخير متأخرا عن الوقت الذى كان يجب ان يصدر فيه بثلاثى عشرة سنة ، اذ انه كان من الواجب ان يصدر فى سبتمبر عام ١٩٥٢ فى نفس الوقت الذى صدر فيه قانون اصلاح الزراعي . ومن الممكن ان يكون صدور هذا القانون بداية لمرحلة جديدة فى مكافحة الامية ، مرحلة تتم فيها مواجهة حاسمة تزيل الامية الى الابد من ارض مصر . كما انه من الممكن ان يتحول هذا القانون الى مجرد وثيقة تصاف الى وثائق وزارة التربية والتعليم ، والذي سوف يحدد مصير هذا القانون هو أسلوب تطبيقه والروح التى سينفذ بها والايدي التى يوكل اليها تنفيذ هذا القانون .

لقد كان من الممكن ان تحى الامية لو وضعت هذه القضية فى مكانها المناسب واعطيت الاهتمام الواجب فى ظل القانون القديم ، واذا كان القانون الجديد قد سحبه بعض الثغرات او اسلحت بعض المواد فلان ان ننكر ان الذى مظهره محو الامية ليست ميوه القانون السابق ولكنها عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية .

ولقد صدرت مجموعة من القوانين لتصميم التعليم الاكاديمى بصدات بقانون التعليم الاكاديمى الذى صدر عام ١٩٦٤ حتى قانون التعليم العام رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨ والازال مثلث الالاف من ابناء مصر لا يجدون مكانا لهم فى المدرسة الابتدائية

ان محو الامية لا يمكن ان يتم الا بانضام شاق تعبى له جميع الطاقات وتوضع فى خدمته جميع الموارد والامكانيات اللازمة ، وتشترك فيه جميع الهيئات والمنظمات والافراد على شكل حملة عامة تستهدف انجاز هذه المهمة القومية باسرع ما يمكن .

ويلعب تشكيل المجلس الاعلى لمحو الامية

عادتا وبطانات السرعة بظنا شديدا تحت شعار ان الدولة تحصل نحو الانتاج، وبذلك وضعت التوسع فى التعليم والتحول نحو الانتاج فى تناقض . فالتوسع فى الانتاج طبعا رآى الوزارة يجب ان يتم على حساب التوسع فى التعليم الابتدائى . مع ان خبرة جميع الثورات تؤكد ان التوسع فى التعليم شرط ضرورى للتوسع فى الانتاج . وكلفت نتيجة البعثة فى التوسع فى استيعاب تلاميذ الابتدائى انه فى عام ٦٨/٦٧ اى بعد ١٥ عاما من قيام الثورة كان عدد الأطفال بين سن السادسة والثانية عشرة ٣٠٠٠٠٠ ٣٠٨٣٨٩٢ ، والفرق بين العددين يضاف الى اعداد الاميين . ولقد لجأت الوزارة الى وضع خطة لتصفية دور المعلمين والمعلميات الزائدة من الحاجة فى ٦٩/٦٨ مما يؤكد ان الوزارة تصير على نفس الطريق .

وما دامت المدارس الابتدائية لم تستوعب جميع من هم فى سن الالتزام فسوف تظل اعداد الاميين فى زيادة مستمرة . ولذلك فقد حدد برنامج العمل الوطنى مهلة عشر سنوات تتمكن خلالها المدارس الابتدائية من استيعاب جميع التلاميذ تمهيدا لرفع سن الالتزام .

٢ - أسلوب النقل الآلى : لقد كان الفاء احتجانات النقل بين سنوات المدرسة الانزامية سببا فى تدهور التعليم الانزامى وفساده لدرجة انه اصبح من الامور العادية ان يصل التلميذ الى نهاية الالتزام دون ان يعرف القراءة والكتابة . وقد تبنت الوزارة نفس طريقة النقل فى التعليم الابتدائى بحجة ان الوزارة ليست ملزمة بتوصيل التلميذ الى مستوى معين ولكنها ملزمة بان تصبح له بضع سنوات فى التعليم . وهكذا أصبحت المدارس الابتدائية تخرج فى كل عام مئات الالاف من الاميين .

٣ - نظام الفترتين الفراسيتين : كان نظام نصف اليوم أحد اسباب فشل التعليم الاكاديمى وتحولت المدارس الانزامية بوساطته الى اماكن لا توفر لا التربية ولا التعليم . وقد اجمع كل من درس حالة التعليم الاكاديمى على ذلك . ولزم مكتب وزارة التربية والتعليم بنظام نصف اليوم ولكنها ابتكرت نظام ثلث اليوم وذلك بتشغيل المدارس الابتدائية ثلاث فترات فى اليوم .

٤ - مستوى معيشة الفلاحين : اذا كانت الامية منتشرة اساسا بين جباة الفلاحين والعمال وانه كما سبق ان ذكرنا ان اية محاولات لمحو الامية سوف تصطدم بعقبة الفقر وانخفاض

مشكلة التعليم وقضية التقدم الاجتماعي



أديب ديمتري

الطبيعي أن يتقبل التعليم في أي برنامج للعمل الوطني في هذه المرحلة بكافة أخصائيه . . . وقد أخذنا التعليم بالفعل مكانه البارز في البرنامج الذي تفتحه الرئيس

تور السادات إلى المؤتمر القومي

فقد جاء على رأس المهام في البرنامج ضرورة

٢٠٤٨٠٠

توزعنا دائما إلى تصورة النشأ هذه في تلك الأجل
إذا أحسن تشكيكه بحيث يضم مجموعة من
العناصر الثورية الممثلة بهذه القضية والتي تهتم
بالمشكلات الاجتماعية ، فله سوف يصبح قوة
دافعة تبعث الحياة في العمل وتبلى القلقين به
والعالمين فيه بالحساس . أما إذا شكل من
مجموعة من العناصر بحكم وظائفها فإن يكون في
أحسن الأحوال قادرا على أن يقدم جنيدا في هذا
السبيل وقد يكفى بالاحتفال بالعيد العالي لحو
الامية وأصدار مجموعة من النشرات من هذا
الموضوع

الجهود الذاتية ومحو الامية

لقد أكد برنامج العمل الوطني على ضرورة
التوسع في الاعتماد على الجهود الذاتية للجماهير
ولاسيما في قطاع الخدمات . وإذا كانت الجهود
الذاتية ضرورية في مجالات كثيرة فاتها في مجال
محو الامية تكون أكثر إلحاحا . فلن واجب
التنظيم السياسي وأجهزة الاعلام والصحف أن
تثير حماس الجماهير من أجل المشاركة في
مشموعات محو الامية ، لكي يساهم كل مواطن
فيها بقدر ما يستطيع . وليست المساهمة على
شكل تبرعات أو القيام بالتعليم فقط ، بل أن
هناك أيضا التنظيمات التي يمكن أن يبتكرها
الشعب لتتم من خلالها عملية محو الامية ، وقد
سبق أن أسس الشعب المصري الجمعيات
الخيرية ومدارس الشعب الليلية وجمعية مكافحة
الامية . وهو قادر اليوم إذا ما اتبعت الفرصة
أن يقدم لنا أشكالاً جديدة . فلنشجع انشاء
جمعيات لمكافحة الامية ولتساهم جميع النوادي
الرياضية والثقافية في فتح فصول لحو الامية
ولتفتح المدارس الخاصة فصولا لحو الامية ،
ولتقدم الدولة لهذه الجمعيات وهذه النوادي
والمدارس الامانات والمكافآت والجوائز .

ولتعتمد الدولة جميع المبالغ والامانات
اللزامة لتنفيذ الخطط التي سيضعها المجلس
الاعلى وحتى لا تنفد مئة قلة الامانات فيوجه
تنفيذ هذه الخطط لما يحدث حاليا . على أن
تتم هذه الجهود جميعها تحت اشراف وزارة
التربية والتعليم باعتبارها الجهة الوحيدة
المسؤولة عن هذه الحركة القومية ، على أن
تضع الوزارات والمصالح الاخرى جميع امكانياتها
تحت تصرف هذه الوزارة .

ان ما جاء ببرنامج العمل الوطني يجب ان
يكون اشارة البدء في هذه الحركة وعلمنا ان
نبدا فوراً بالسير في هذا الطريق بكل مواطن
تحمي اميته هو كسب انساني وكسب اجتماعي
وكسب اقتصادي وكسب وطني .

وتشاركه فعالة مع كافة المفتوح والتطبيقات
التقنية والمهنية والمنظمات الجماهيرية .

ويزيد من أهمية هذه المشاركة والجهد للعلم
من التنظيم السياسي وبقية التنظيمات والهيئات
أن جانباً كبيراً من عبء القضية ، وبالأخص في
محو الأمية لا يجوز أن يقع على كامل الدولة
وحدها وإنما هو بطبيعة وبحكم الواقع ، كما
أوضح البرنامج ، من مسئولية التنظيم السياسي
والتنظيمات والهيئات الجماهيرية ، لأن هذه
الهيئات هي القادرة وحدها على أن تحول محو
الأمية إلى مسئولية تومية شاملة ودور يؤديه
كل فرد قادر وجبارة .

وفي المرحلة الراهنة تضغط مشاكل التعليم
على جبهات عدة ، وفي كافة المراحل التعليمية
والإداء التعليمي .

هناك أولاً وقبل كل شيء قضية القاعدة
العريضة من الأميين وهناك ثانياً قضية الإناء
الذين يبلغون سن الألام ولا يجدون لهم مكاناً
في مدارس الألام

مدة الالتزام لا بد أن تمتد

ويبقى بعضهم من يبدلون تعليمهم في سن
الألام ، ولكنهم لا يواصلون الدراسة الابتدائية
حتى نهائهم أو يسربون في الطريق بالمصطلح
التعليمي ، ويعودون من حيث بدأوا أبين وهناك
ربما قصر مدة الألام وعدم وقتها بالاحتياجات
الأساسية لمستوى المواطنة والإنتاج في الدولة
العصرية ، وفي عصر الثورة العلمية
والتكنولوجية ، وما يتفق عليه الجميع من ضرورة
مد الألام إلى المرحلة الإعدادية بل وإلى نهاية
المرحلة الثانوية وهو ما وصلت إليه عديد من
الدول المتقدمة .

وتبرز بعد ذلك مشاكل القبول في المرحلة
الإعدادية والثانوية بأنواعها والجامعات والتعليم
العالي ، وهي التي تضغط اليوم شغلاً شديداً
على أصابع الإنشاء والآيام وتلقي صراها شديداً
بين لتصار التضييق والتوسيع .

محتوى التعليم

وهناك سائلاً تضافياً المحتوى في التعليم
ومستوى الإداء أو ما أسلفنا على نسبته
بصراع الكم والكيف ، وهي تضافياً تندفع اليوم
بشدة إلى الصدارة مع الإحساس العام بتصور
العملية التعليمية وعجزها عن تحقيق المستوى
المطلوب والمائد الذي يتفق مع فداحة الإنفاق .

أن تضاعف المرحلة الأولى من التعليم في نهاية
السنوات العشر لجميع من بلغوا سن الألام
تمهيداً لرفع هذا السن في المستقبل إلى سن
15 أي إلى نهاية المرحلة الإعدادية

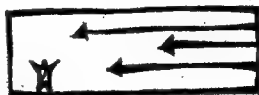
وعندما خص الاقتصاد الاشتراكي بمهنيين
محددتين رئيسيتين جعل أولاهما محو الأمية ثم
تنظيم الأسرة

التعليم قضية محورية

والواقع أن التعليم يدخل في نسيج متكامل
مع بقية المهام التي أولاهها البرنامج غاية خاصة
مثل إقامة الدولة الحديثة بوسائلها ومهمة
مضاعفة الدخل القومي في كافة ميادين الإنتاج
الصناعي والزراعي وما يتطلبه ذلك في ميدان
البحث العلمي والتخطيط وتنمية الاستثمار ، وقد
أضحى العلم والتعليم رأس مال استثماري ينتج
بالدرجة الأولى ، هذا إلى ضرورات رفع إنتاجية
العمل وهي لا تفصل عن التعليم ورفع المستوى
الثقافي العام ، بالإضافة إلى ما نرس عليه البرنامج
في الجانب السياسي من احتياجات الموضوع
الفكري وسيادة مبدأ الديمقراطية والرقابة
والمحاسبة والتوعية بالثنية وكلها تتطلب التعليم
كأداة من أدواتها الأساسية فضلاً عن بناء
الإنسان الجديد ، إلى جانب مشروع إعادة بناء
قرى الجمهورية وما يعنيه هذا البناء في تواجبه
الحضارية والثقافية والفكرية الروحية .

وفي كل بلاد السلام الثالث النائية ، والتي
تاضل ضد مظاهر التخلف وآثار التبعية تفرض
قضية التعليم نفسها بقوة ، كجزء لا يتفصل من
مشكلات التخلف ذاتها ، ويظهر أساسي من
مظاهره ، وكذلك في نفس الوقت أداة فعالة في
مواجهته ، وفي ميور الهوة والسرعة في عمليات
التطوير والتنمية والتقدم .

ومن هنا فإن ما يوليه البرنامج من اهتمام
بتفسيلا التعليم يستحق كل تأكيد ومساعدة



ج ٥٠ ح ٥٠ في تحتيتها للتحية نوفمبر ١٩٦٦ -
الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء)

فقد بلغت نسبة الاستيعاب سنة ١٩٦٦/٦٥
١٩٩٧٪ وكلفت في ١١/٦٥ ١٦٠٩٪ وكانت
نسبة الاستيعاب سنة ١٩٦٦/٦٥ في البنات
١٩٥٥٪ ، وفي البنين ٨٣٪ .

ويرغم أن هذه الأرقام تدل على أن تلك أطفالنا
في سن الإلزام خارج المدارس ، من بينهم نصف
البنات تقريبا ، ولكن علينا أن نأخذ هذه النسب
بحذر ، فالواقع قد يكون أكثر فداحة مما تكشف
عنه البيانات الرسمية التي تعتمد على السجلات
والكشف في المدارس .

يضاف إلى هذه الحقائق المأساة : قضية
التسرب ، وهم الأطفال الذين قد يدخلون المدارس
في سن السادسة ، ولكن لا يثبت بهم المقام طويلا
في دور التعليم ، وذلك تحت ضرورات الفسق
ومشغول الفقر ، والحاجة واحتياجات العمل .

وعلى سبيل المثال نقدم مآل صف واحد من
المزمين حسب البيانات الرسمية (إحصاءات
وزارة التربية والتعليم) في العام الدراسي
١٩٧٠/٦٩ كان عدد التلاميذ في الصف السادس
الابتدائي ٨٠٤٩١١ تلميذا فإذا هذا إلى المنبع
عند دخول هؤلاء التلاميذ لتسربهم من المدرسة الابتدائية
سنة ١٩٦٥/٦٤ وجدنا أن عدد الذين التحقوا
بالسنة الأولى الابتدائية في هذا العام ٦٤٠٣١٥
أي بفارق يزيد على ١٦٠٠٠٠ هؤلاء تساقطوا
في الطريق وعادوا من جديد إلى صفوف الأمية .
وهذه العملية تتكرر سنويا ، وعليها بعد عام .

هذه هي الصورة الرقمية ، وهي بلاشك فداحة
سواء من حيث نسب الأمية ، أو عدد الأميين
أو عدد المؤهلين سنويا لنفس المصير . والبرنامج
على حق عندما يستشعر تناقصا مسترسا بين
هذه الحقائق وبين آمالنا في المصرية ، وفي
التخطيط ، وفي الوعى بالمشكلة ، وفي مضاعفة
الدخل القومي في عشر سنوات . . . والحققة
أنه يصعب أن نتحدث بلبانة وجيدة من تحقيق
هذه الأهداف في ظل استمرار مثل هذه الأوضاع .

لماذا فشلنا حتى الآن ؟

ولكن السؤال الذي يقفز إلى ذهن ويحتاج
حقيقة إلى إجابة واضحة قبل كل شيء هو : لماذا
فشلنا حتى الآن في جعل الأمية بحيث نجح فيها ؟

والبرنامج عسكرا يرتبط الأولويات في هذه
المشاكل ، ويتصدى في المحل الأول لقضية نحو
الأمية ، وقضية استيعاب كل الأطفال من سن
الإلزام تطلعا فيها بعد إلى مدة فترة الإلزام ظهور
ترتيب الأولويات صحيح ، والفرصتين شتان
لقضية واحدة هي الأمية بين القاعدة المرفضة
من شعبنا بأوضاعهم الرائعة وبنابها القليلة .
ولا شك أن الأرقام في هذا الشأن معروفة ،
ولكن لا بأس من أن نخسها دائما أمام أميتنا
لعلنا نؤرق ضمائرنا وتحرك غيضا كل إرادة
الانتصار في قضية تكسبت فيها الأتوال حتى
أخفت من الأفعال !!

تطورت نسبة الأمية في سنوات التصاعد
للإزاد سن بعض سنوات فأكثر كما هو معروف
على الوجه التالي :

سنوات التعداد	فكوز	اثاث	جملة
١٩٢٧	٧٦ ٪	٩٤ ٪	٨٥ ٪
١٩٤٧	٦٥ ٪	٨٤ ٪	٧٥ ٪
١٩٦٥	٥٦ ٪	٨٣ ٪	٧١ ٪

ومن واقع تعداد ١٩٦٥ بلغت جملة الأميين
١٢٥٨٨٠٠٠ في الحضر ٣٠٠٠٠٠٠ وفي
الريف ٩٥٨٨٠٠٠ وتشير بيانات هذا الجدول
إلى أن نسبة التعليم في المناطق الحضرية بلغت
٤٨٪ ، نصيب الفكور منها ٣٢٪ ، ونصيب الإاث
١٦٪ ، بينما بلغت هذه النسبة في الريف ٢٠٪ ،
نصيب الفكور منها ١٦٪ ، ونصيب الإاث ٤٪ ،
نقط .

فلذا كان حجم السكان الحالي يقرب من
الخمس والثلاثين مليوناً ، فأننا نستطيع أن
نحسب بسهولة ونترجم نسبة الـ ٧٠٪ التي تدور
وتلف حولها الأمية . . والحققة الزمجة في هذا
الصدق أنه وإن كانت نسبة الأمية في تراجع ولو
يسير كما تدل عليها التعدادات السكانية المتوالية
إلا أن كتلة الأميين في ازدياد مضطرد نتيجة
الانفجار السكاني والقصور من استيعاب المزمين
أو ملاحقة الأعداد الجديدة التي تنضم سنويا
إلى هذا المؤكب الحزين ، ففلسا عن الفصل
الفاصح في مواجهة مشكلة قدامى الأميين .

المقدرة على استيعاب المزمين

ولنأخذ صورة عن نسبة الاستيعاب في الإلزام
نتلل الصورة التالية من (زيادة السكان في

نقدًا برقم كل الجهود والخطوات والثواتين ؟
وأخيرا قانون محو الأمية الجديد الذي اشرك
الاتحاد الاشتراكي والهيئات النقابية والمنظمات
الجاهورية والشعبية .. ومع ذلك لم تقدم
خطوة .. ولا زالت المنتصب هي نفس النسب ..
والارقام تتضاعف فونن انتقاطع ؟

هل يعوزنا القصد ام قوة العزيمة والارادة ..
لم ماذا ؟

من المعروف ان القضاء على الامية في بلدان
العالم التي اتجزت هذه المهمة تم في مرحلتين
اساسيتين : في بلدان اوربا الغربية المتقدمة تم
تعميم الازلام وقضى على الامية او كاد في خلال
القرن التاسع عشر واولائل العشرين .. وفي
القرن العشرين تم القضاء تماما على الامية في
فترات وجيزة جدا نسبيا ، وفي بلدان لم تكن
نسب الامية فيها تفل عنها عندنا ؛ وذلك في البلدان
الاشتراكية بعد انتصار الثورة .. تم هذا في
الاقتصاد السوفيتي عقب انتصار ثورة أكتوبر
الاشتراكية مباشرة ، وفي الصين ، وفي كوبا ،
وفي البلدان الاشتراكية الاخرى التي كان ملازال
فيها بقية من امية ..

فماذا يعلمنا هذا التاريخ للتصير في القرنين
التاسع عشر والعشرين ؟ وماذا يجبع بين البلدان
الراسمالية المتقدمة التي نجحت في القضاء على
الامية في هذا التاريخ المتقدم والبلدان الاشتراكية
في القرن العشرين لم يبعد الشقة بين النظامين ؟

نجاح اوربا الغربية في نشر التعليم والقضاء
على الامية ارتبط بانتصار الثورة البورجوازية
الديموقراطية ومرحلة مسمودها ؟ واحتياجات
الراسمالية التلمية والمساعدة الى طبقت عابلة
تملك الحدود الدنيا من المعرفة والعلم لاهدات
ثورتها الصناعية .. كان نشر التعليم الابتدائي
الاجباري ومحو الامية في اوربا في ذلك الوقت
جزءا لا يتجزأ من عملية ضرب الاقطاع وتصفية
مراكزه وفتح الطرق ولسعا أمل البورجوازية
الثورية في البداية لتحقيق ثورتها الديمقراطية ..
كان محو الامية وجهها للحركة الاجتماعية الشاملة
والثورة التي اجتاحت اوربا في ذلك الزمان ..

والامر في القرن العشرين وبعد الثورات
الاشتراكية أكثر وضوحا وتحديدا .. فقد نجحت

البلدان الاشتراكية بتخطيط وترسم ؟ ثم بتعميم
وعزم في التصدي للامية والقضاء عليها في فترة
وجيزة .. لان محو الامية أصبح اداة الطبقة
العابلة وحلفائها في انتصار الثورة الاشتراكية ؟
وضرب مواقع اعدائها من الاقطاعيين والراسمالية
الاحتكارية والرجعية التي تحولت الى عقبة
في سبيل استئارة الجماهير الشعب ، وذات
مصلحة في تجهيل جموعه .. نجاه محو الامية
تعبيرا عن ثورة شاملة ؟ وعنصرا هاما من عناصر
انتصارها وتقدمها واندفاعها .

الدرس المستفاد من هذه الأمثلة البسيطة ؟
والذي يمنحنا وضوحا فكريا يطلبه ويتطلبه
برنامج العمل الوطني أن محو الامية ليس عملية
فنية في الاساس عمادها الخبراء والمستشارين
والتكنوقراط الغربيون ، ولا عملا اصاحيا جزئيا
معزولا ؟ بل عملية ثورية ؟ هي جزء من حركة
الثورة واندفاعها .. وحتى نترجم هذا الكلام الى
صيع أكثر وضوحا وتحديدا نقول : ان محو الامية
لا يمكن انجازه في مصرنا ، وفي كل بلدان العالم
الثالث المتخلفة الا كجزء من انتصار الثورة
الاشتراكية وبالاخص على مخلفات الاقطاع في
القرية ، وعلى الطبقات الرجعية ذات المصلحة
في حجب النور عن فقاء الفلاحين والمدينة ..
وبتعبير آخر فان نجاح محو الامية هو وجهه
لانتصار الديمقراطية في الريف والمدينة وتصفية
الطبقت الرجعية الموقاة .. عندنا فقط يخلق
ذلك التيار القوي الملم الذي يشير حماس
المعلمين والمعلمين معا ، وتلك الحركة الواسعة
التي لازلنا نبحث عنها ، والتي لايجدى في
أعدائها مراسيم ولا قوانين ولا كل فنون
التكنوقراط .. يحدثها فقط فهم وإيمان حقيق
وضرورات الثورة وتقدمها في الريف والمدينة ؟
وطبيعة المرحلة التي نمر بها ، وطبيعة الاهداف
التي ينبغي أن نتحرك في اتجاهها .

بنفس الفهم تتحدد زاوية الرؤية الى كالة
تفضليا التعليم ..

أمثلة من كومة المشاكل المتراكمة

ولنأخذ على سبيل المثال من كومة المشاكل
المتراكمة ، مشاكل القول في كالة المستويات ؟
من الاهدادي الى الثانوي الى العالي والجامعي

وهي التي تصيب لنا كل علم معتكفاً بلا آخره
ولتلايننا وأبائهم الآباء وحيرة وتلقاً بلا خوف

ثم مشاكل المستوى والمعدن من التعليم ...
هذا المستوى الذي يتفق الجميع على تربيته ...
أنف إليها مشاكل المناهج التي تتغير وتروح
وتجى مع بدول الساعة

فالفروض أن امكانياتنا في هذه المرحلة
تتغير بالضرورة عن استيعاب كل المستخدمين
والمطلعين في كافة المراحل والمستويات ... ذلك
أمر طبيعي يحدث في كل بلاد العالم الثالث
لما بلنا ببلاننا وهي تواجه كل التحديات التي
لنرلها ... كيف يكون الحل بين امكانيات قاصرة
وتطلعات بلا حدود ؟

بلن متحركة الثورة لتسم مفهومنا في التعليم
الذي لم يتغير في الجوهر ... والرحلة التي نمر
بها هي مرحلة ديموقراطية بأساق
اشتراكية ... فلابد أن تمتد المخرطة الى نظام
التعليم فماذا يعني هذا الكلام .

مجانبة التعليم جزء من هذه المخرطة ولكنها
وحدنا لا تكفي ... لابد أن نجد الديموقراطية
لتشمل جوهر النظام ... فنظم التعليم : لطبق
يفصل فصلا يكاد يكون تاما بين مواقع العمل
ودور التعليم ويصبح العمل في قاعدته العريضة
لغير المؤهلين ، أو ذوي المؤهلات المتوسطة
والنوع شائع بينهم وبين ذوي المؤهلات العالية
في المستوى المادي والأدبي ... وهؤلاء جميعا
من غير ذوي المؤهلات العالية يحال بينهم وبين
مواصل للدراسة بكل السبل والقيود ... وبذلك
يتحول العلم والتثقيم والشهادات الى أداة لتعويض
الفروق الطبيعية لا تزويها ... أداة تفقد
الديموقراطية وتموتها ... ومقتضيات
الديموقراطية أن تقلب الآية ... وتصبح مواتع
العمل هي الأساس ، تفتتح على دور التعليم ،
وهي التي ينبغي أن تغذي نظامنا التعليمي وخير
كوادرها والمبرزين من العاملين فيها لتتاح لهم
كل الفرص لمواصلة دراسه ، ويشجعون عليها
بكل الوسائل .

بلنك يستقر العامل في عمله دون عنه ...
عندما يجد أبواب الترقى كلها أمامه مفتوحة

الترقي المادي والأدبي والعلمي والتكري هنا
لا يصاب الطالب أو ولي لمره بالذعر عندما
لا يتقل في أي مرحلة ... ولا يصبح العمل في
أدنى درجاته بمثابة حكم الإعدام أو المستقبل
الضائع الى غير زوجة .

ذلك معنى مخرطة النظام التعليمي ... أن تكافأ
الفرص حقيقة ... أن يعمل ... أو لا يعمل ... ولا يصبح
التعليم هو جواز المرور الى الطبقات الميزة ...
ويرادة المحافظة على امتيازاتها ... بل يصبح
العمل هو الأصل ، وتفتح المدرسة للمصنع
لاقبل في أي مرحلة ... ولا يصبح العمل في
والمصنع المدرسة .

وينفس المستوى تماما قضية المناهج والمستوى
والمعدن من التعليم ... أن تكونناطينا وتغيرنا
يخفون المؤثرات ويخربون ويثبون في لمبة
التحيز ... ويحددون تقيمتهم في نفس الوقت ...
بيننا العلم العامل غلب عن الساحة ... حتى
تقلبه والمفروض أن تعبر عن أرائه ... لا زالت
بحكم تراثها وأوضاعها القوية ولوائها احتكارة
للتأبيين المصنفين ، بمسدة من التعيير
الصحيح من أرائه .

عندما نخرط الجهاز التعليمي والإدارة
التعليمية واللقابة التعليمية ، وعندما نجد العلم
وأرائه طريقا الى التعبير الصحيح ... هلكتنا
نطلق حركة ... حركة جماهيرية أساسا وشرطا
الديموقراطية ... وهي التي تحتلح أن تحدث
من أسفل ومن أعلى التغيير ... وهي التي
تستطيع أن تصب روحا نافقة في كل المناهج
والكتب مهما خالقت الامكانيات ...

هذه متطلبات المرحلة التي نمر بها ... مرحلة
الثورة الوطنية الديموقراطية بأفئها الاشتراكية
... وعندما تفصل مخرطة التعليم بالحركة الشاملة
في المجتمع ولا يعود الإصلاح جزئيا موزلا ،
ويتخلص التعليم من طبيعته الطبقية ، ويتحول
الى أداة للتقريب بين الطبقات ، وتصلي امتيازات
الطبقات البعقة والرجعية ... وعندما يصبح جزءا
من تقدم الثورة في شمولها في الويك والمدينة ...
ونفس أي جهود من رذلها ... عندئذ تنبعث
من داخله وخارجة تلك الحركة القوية للنشطة
التي نفتقدها ... وهي وحدها القادرة على تغيير
وجه التعليم .

الحالية قرر انه « اذا ما امكننا الى هذا الطرف الحيوى ، الضيق النسبى فى مواردها ، والمعدل المالى لزيادة عدد السكان ، اتضح بما لا يدع للجدل مدى ارتباط تطورها بل مجرد استمرارنا بزيادة الانتاج والارتفاع بمستوى الانتاجية »

والقضية اذ تصل بهذا الى درجة من التشاكك والتمتعيد ، ضرورة الارتقاء بالانتاجية من ناحية ، وضعف الموارد بالنسبة لتزايد السكان من ناحية اخرى ، وضرورة التقدم على الاقل لمجرد الاستمرار ان لم يكن التطور ، يقدم البرنامج حلا صحيحا وصادقا حين يقرر بصورة مباشرة بأنه « هنا يسلب العلم والبحث العلمى الدور الرئيسى » .

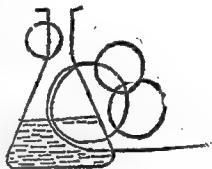
العلم والبحث العلمى

والنتائج القومى

وتكرر ان هذا الحل صحيح وصادق الى ابعاد الحدود . ولا يقتصر صدقه علينا باعتبارنا نحاول ان نعوض نقص المتاح من الاستثمارات برصيد كبير من البحث العلمى وانجازاته ، بل انه حقيقة امسحت صالحة فى كل الدول وجميع المجتمعات . ورب نظرة الى الجدول المرافق الذى يوضح اسهام العوامل المختلفة فى الناتج القومى لعهد من السلاسل تفيد مباشرة بأن الدور الرئيسى فى التقدم لم يعد يقدمه مقدار الاستثمار المتاح ، ولا زيادة العمالة ، قدر ما يتحقق من التقدم الفنى . انه يمكن ان يلاحظ ببساطة انه فى جميع البلاد الواردة فى الجدول وفيما عدا كندا لظروف تطورها الخاصة — قدم التقدم الفنى دائما حوالى الس. ٥٠ ٪ من معدل النمو السنوى لاجمالى الناتج القومى .

ولا يقتصر صدق ان العلم والبحث العلمى يلعبان الدور الرئيسى فى تحقيق التقدم على هذه الدول ، بل يتعداه الى العمالتين الكبيرين كذلك . فجدد انه فى الاتحاد السوفيتى وصلت الابتكارات واقتراحات الترشيد الى ١٢٤.٠٠٠ ن. ٢٢٤.٠٠٠ فى ١٩٥٠ ترايسمت الى أكثر من ٢.٠٠٠.٠٠٠ فى ١٩٥٥ ، ثم الى حوالى ٢.٠٠٠.٠٠٠ فى ١٩٦٥ ، انسابى الى التطبيق منها حوالى ثلاثة

البحث العلمى : الوقائع المشاكل الطاول



د. محمد احمد مجلان

تعرض برنامج العمل الوطنى لقضية مضاعفة الدخل القومى ، وصل فى النهاية الى انه « ليس من سبيل املنا سوى الارتقاء فى اقصر وقت ممكن بالانتاجية الى

عندما

اعلى مستوى ممكن » . ويعد ان اشار الى ما تستلزمه الحركة من نصيب كبير من مواردها

أسهام العوامل المختلفة في الناتج القومي

الدولة	معدل النمو 'مركب السنوي			الأسهم في الناتج القومي			٪
	المالية	رأس المال	اجمالي الناتج	العمل	رأس المال	التقدم التقني	
المانيا الغربية	١,٦	٦	٧,٤	١,٦	١,٦	٤,٢	٦٠
إيطاليا	١,٦	٣,٢	٤,٨	١,٦	١,٦	٤,٢	٦٩
يوجوسلافيا	١,٦	٤,٨	٥,٤	١,٦	١,٦	٣,٢	٦٠
هولندا	١,٦	٤,٨	٤,٨	١,٦	١,٦	٤,٢	٥٤
فرنسا	١,٦	٣,٢	٥,٤	١,٦	١	٣,٢	٦٥
كندا	١,٦	٧,٤	٤,٨	١,٦	١,٦	٤,٢	٦٢
النرويج	١,٦	٤,٨	٣,٢	١,٦	١,٦	٤,٢	٥٢
السويد	١,٦	٣,٢	٣,٢	١,٦	١,٦	٤,٢	٦٤
بلجيكا	١,٦	٣,٢	٣	١,٦	١,٦	٤,٢	٦٦
انجلترا	١,٦	٣,٢	٤,٨	١,٦	١,٦	٤,٢	٤٦

[*] دوبي وليامز - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - المجلد ١٨ - عدد ١ : ١٩٦٦ اليونسكو

العالم - يمكن أن نذكر أن أثر العلم والبحث العلمي على الاقتصاد القومي لم يعد لبرا يتعلق بدولة معينة ، بل صار طالما عالميا ينطبق في جميع الحالات . ولم يعد التقدم متعلقا - في جانبه الاعظم - بزيادة رؤوس الأموال المستثمرة ولا بزيادة استغلال جهد العاملين أو زيادة أعدادهم بل يرتبط في انخفاضه بمدى التقدم الفني والتحسين التكنولوجي المستقدم .

والعلم ليس نتاج صوامع البحث : أو بمعنى للرزق للبعض ، ولا الهباء روحيا لدى بعض المبتدئين فان « منجزات العلم مهمة كانت هائلة ومهما بلغت من روعة تظل محدودة الاثر ان لم تقدم للعاملين آلات حديثة ، واساليب جديدة للتأجير تساعد على توفير في الجهد والوقت والتكلفة » وتحقق في نفس الوقت زيادة ملموسة في الإنتاج .

وأصبحت هذه في الواقع صفة العصر ونمى بها لا ينحصر البحث العلمي كما كان في الماضي بل يرتبط دائما بفضائل الإنتاج والخصائص يأخذ منها زادا من المشاكل العملية يقتضي لحلها ، وفي نفس الوقت يترجم بحوث - مهما كانت اتجاهاتها - الى وسائل جديدة في التطبيق . ولعل اسبق الأمثلة على مدى تفسير السرعة في تحويل التميز العلمي الى مجال التطبيق هو ذلك الجدول التالي الذي يعطي الفرق الزمني بين الابتكار العلمي وتطبيقه [٤] وكيف تضاعف ثابا خلال القرنين الأخيرين »

ملايين في ذلك العام ، وادت الى اقتصاد يربو على ١٨٨٠ مليون روبل سنويا [٢] .

ذلك بينما في الولايات المتحدة يرى الاقتصادي ا.ف. دينيسون بعد البحث ان زيادة دخل الشخص العامل فيها بين أعوام ١٩٢٩ ، ١٩٥٧ يرجع ٨٧٪ منها الى التقدم في العلوم والتعليم بينما يعود ١٤٪ منها فقط الى نمو الراسمال الخاص . كما يلاحظ أنه بينما يرجع أكثر من نصف التطور الاقتصادي في المجتمع الأمريكي في الفترة من ١٩٠٩ الى ١٩٢٦ الى زيادة القوة العاملة ورأس المال المستثمر ، فإن نصيب هذين العاملين مجتمعين قد انخفض الى الثلث فقط فيما بين عامي ١٩٢٩ ، ١٩٥٧ بينما كان الثلثان نتيجة كل من التعليم والابتكارات التكنولوجية [٣]

وتتعدى آثار العلم والبحث العلمي هذه الحدود، الى حد ان التجارة في براءات الاختراع والابتكارات العلمية ، وأتوات استخدام الحقوق التكنولوجية المسجلة قد ارتفع نصيبها من حجم التجارة العالمية ارتفاعا كبيرا ، وبحيث ان معدل ترادفها صار في السنوات الأخيرة ثلاثة أمثال معدل تزايد التجارة العالمية . وتشير بعض التقديرات الى أن بيع براءات الاختراع وحقوق الإنتاج قد عادت على الولايات المتحدة بما يربو على ٦٠٠٠ مليون دولار خلال سنوات الستينات

ومن ذلك - على اختصاره الشديد ، وعلى مفيد مايمكن أن يورد من أمثلة من كل بقاع

[١] مجلة السلام والحرية الاشتراكية - أكتوبر ١٩٦٦
[٢] أ.ف. دينيسون - « مصادر النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة » - مجلة التطور الاقتصادي لنيويورك

الكشوف العلمية وتطبيقاتها

الابتكار	سنة الكشف عنها	سنة الظهور صلبا	الفاقر بالسنه
التصوير	١٧٢٧	١٨٢٩	١١٢
التلفون	١٨٢٠	١٨٧٦	٥٦
الراديو	١٨٦٧	١٩٠٢	٣٥
الرادار	١٩٢٥	١٩٤٠	١٥
التليفزيون	١٩٢٢	١٩٢٤	١٢
القفلة المرفية	١٩٢٩	١٩٤٥	٦
الترانزيستور	١٩٤٨	١٩٥٢	٥
الدوائر المتكاملة	١٩٥٨	١٩٦١	٣

حصان استثمار البحث العلمي

فالمعاند من العلم والبحث العلمي لا يتحقق تلقائيا ، ولم يعد نتيجة أفكار ملهمة ، بل هو مردود طبيعي لاستئثار يتزايد كل عام ولا يصب في مراكز البحث ومعاودة محاسب ، بل يصب كذلك حيشا كانت روائد ثرى البحث وتندفع عجلته الى الامام .

فالتأثير مثلا ان الولايات المتحدة كانت تنفق في عام ١٩٦٥ على اممال البحث العلمى والتكنولوجيا حوالى ٢٠.٠٠٠ مليون دولار او مايعادل ٢.٢٪ من ناتجها القومى، ارتفعت خلال الاعوام الاخيرى الى ٤.٠٪ ويستهدف الامريكيون زيادة الانفاق على البحوث النظرية وهدايمعدل ٣.٦٪ كل عام أى بحيث تصل الى مدى ثلاثين عاما الى ثلاثين ضعفا لما هى عليه اليوم [٥] كما تبنى الاتحاد الصادرة عن الاتحاد السوفيتى الى ارتفاع انفاقه على البحوث بمقدار ست مرات خلال الاموام من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ . هذا بينما استثمرت أوروبا عابرة تخصص ٢٪ من ناتجها القومى لنفس الغرض ارتفعت الآن الى ٢.٥٪ .

ولا يقتصر الانسحاق على الحكومات ، بل أصبحت الشركات تخصص نسبة مالية من انفاقها قد تصل الى ١٠ أو ٢٠ في المئة لحيثا لاغراض البحث العلمى . وأصبح المختبر يسبق نى انشائه ، وقد يزداد في حجمه من الوحدة الانتاجية ذاتها . **ولا يقق الانفاق عند حدود** مستلزمات معامل البحث العلمى بل تمدها كذلك الى النشر العلمى حتى وصلنا الى مايمكن اننسميه الطوفان العلمى المعاصر ، حيث يصدر سنويا في مجال العلوم

البحث والتطبيقية ٥٥٠.٠٠٠ مجلة علمية بشكل دورى تحصى في المتوسط على حوالى ٢٠.٠٠٠.٠٠٠ رأقالة علمية وفنية ، فضلا من ٦٠.٠٠٠.٠٠٠ كتابحوالى ٥٠.٠٠٠.٠٠٠ تقرير بحث[٦]

واينما بالبحث العلمى ونتائجه يتجه جانب كبير من الاستثمار في التعليم الجامعى كذلك ، حتى يمكن ان يتوفر الصدد اللازم من القوى البشرية القادرة على الخلق ، خاصة وقد اثبت البحث العلمى فى شئون العلم ذاته انه ازاء كل عالم فى المرتبة الاولى او العليا يوجد اربعة فى المرتبة الثانية ، وتسعة فى المرتبة الثالثة، الامر الذى مير عنه احد العلماء بقاؤون يقول ان عدد العلماء الذين ينشرون بحوثا يتناسب تناسبها عكسيا مع مربع عدد البحوث المنشورة . فهناك عالم واحد نشرت له عشرة بحوث علمية مقابل كل مائة مشتغل بالعلم لم ينشر له سوى بحث علمى واحد . وبالتالي فلتتويز هذا العددواسع من العلماء الباحثين ببرائهم المختلفة يتسع التعليم الجامعى بحيث انه من بين كل ١٠٠٠ من السكان ينخرط فى الجامعة عدد قدره ٢٩ فردا فى الولايات المتحدة [٢٣٪ من المواطنين الواقعة اعمارهم بين ٢٠ ، ٢٤ عاما] ، عشرة افراد فى هولندا ، وعشرة كذلك فى السويد . وبينما ينخفض هذا الرقم فى الاتحاد السوفيتى عن الولايات المتحدة الى ١٨ فى الالف نجد انه يفلخر بانه تسد خرج من الجامعة كمتخصصين خلال الستينيات مايزيد من اربعة امثال ماخرجته الولايات المتحدة ، وأنه يحتفظ بعدد من الباحثين بين جدران معاملهم يصل الى ربع اجبالى العدد على مستوى العالم كله .

ولان اعداد هذه الارقام المتزايدة اصبح يمثل عبئا على الميزانيات حتى فى الدول المعروفة

[٢٣] ج.ج.ج. مرفان شراير - كتاب التمدى الأمريكى
[٥] لورد باون - « العالم فى مهبنتير » مجلة الهندس الميكانيكى
[٦] مجلة الجبال المركزى للدراس - ج.ج.ج. - العدد الاول



بمزقوتها « لذلك كان السعي الدائب في جعلها الدول المتقدمة - في الغرب - إلى جذب العناصر العلمية من بعضها البعض ، ومن الدول النامية بالذات نظرا للاغراء الشديد الذي يقع تحت تأثيره أثناء الأخيرة من واقع المقارنة بين ما يعرض عليهم وما يعيشونه في بلادهم من ظسروف مادية وعلمية .

ونتيجة للتحاج الذي أصبح يحقته العلم في عالمنا المعاصر ، فقد أصبحت معاملته في الواقع « وحدات بحوث » تماثل الوحدات الانتاجية كما نعرفها سواء في مجال التنظيم أو الإدارة أو حسب الأرباح والخسائر . وصار يعمل البحث باحوية من معدات حديثة وتكنولوجيا متطورة ومتقدمة تماثل من حيث الشكل للوحدة الاقتصادية نيليا ، ولكنه بدلا من المنتجات المادية ذات السعر المعين ، ينتج أفكارا جديدة ، ومقترحات للتطوير سرعان ما تأخذ طريقها إلى التطبيق لتولد فيها بادية جديدة قد تصل إلى مئات وآلاف أضعاف الاستثمار الذي بذل في سبيلها . وأصبح لوحدات البحوث مهلة ثابتون يلجأون للعائد معها من أجل حل مشاكلهم ، كما اتجهت هي إلى التخصص حسب الاستثمارات المتاحة لديها ، ونوع المعدات التي حصلت عليها ، ونوعية الباحثين بها .

ولسكن رب ظاهرة يحسن الإشارة لها في هذا المجال والتي أصبحت تميز من وجهة نظر إدارة العمل أسلوب تسيير البحوث الآن ، فإنه في ضوء هذا الطوفان من الأبحاث العلمية ، وعدم استطاعة أي فرد الألام بكل ما ينشر منها اقتصر في هذا على تخصص دقيق معين ، نجد أنه قد انتهى الآن من العالم صورة ذلك العالم الملهم ذي الصوغة الخاصة ، وأصبح العلم يمارس بأسلوب الفريق أو المجموعة المتكاملة التي قد يتغير تشكيلها كبلونومية بين الباحثين كلما تغير الموضوع الذي تكلف المجموعة بمعالجته . وقد لا يكون قائد الفريق على التخصص في موضوع البحث ، ولكن لابد أن يكون لديه حد أدنى من المعرفة العلمية به ، فضلا عن ضرورة تميزه بالقدر على توجيه جهود المجموعة البالغة والربط والتنسيق بينها وبين غيرها .

وإن كانت إدارة البحث العلمي وأسلوب ممارسته قد خرجت بنا من سياق الحديث إلا أنها ظاهرة تميز النشاط العلمي في العالم كله الآن . ذلك النشاط الذي تضامف الاستنبار فيه حتى تحقق لنا من المحصول العلمي في القرن العشرين وحده أضعاف كل ما حصلته البشرية في ملايين السنين من قبله . وهو النشاط الذي

أصبح محل المنافسة الكبرى بين جميع المجتمعات المتقدمة بحيث أنه قد صار معسدا مضاعفة الحصول العلمي يتم في عدد من السنوات يتراوح في بعضها حول عدد أصابع اليدين . قلقد ثبت أن الفترات الزمنية اللازمة لمضاعفة جهود النشاط العلمي في مجتمعات لربعة تسلم اليوم بأنها قد حققت تقريبا عليا مؤكدا : هي كما يلي [V] :

البلد	الفترة مضاعفة النشاط العلمي
أوربا	10 أعيا
أمريكا الشمالية	10 أعوام
الاتحاد السوفيتي	7 أعوام
الصين	5 أعوام

منتصف القرن السابع عشر
منتصف القرن الثامن عشر
عام 1918
عام 1950

العلم أسلوب شائع

فلا ابتكارات العلمية التي تتم حتى في أعقد المشاكل التكنولوجية تظل تتسلسل الاستفادة منها حتى تصل إلى الوسائل البسيطة في الحياة اليومية للناس ، فتشاهد آثارها في البيوت والمحال العامة والملاهي والمتنبيكات ، ولا يكاد المواطن يشاغل عن أية مشكلة ألا ويجد في صدددها مفترات بن الكتب أو النشرات أو الصحافة العلمية أو البرامج الإعلامية يعثر فيها على خالته ، أو يقرأ فيها مستفيذا من المعرفة الصيقة . (ويحسن ألا ننسى هنا أنه في الأصل يقرأ وبالطبع يكتب) . أن انتماس العلماء بالمعرفة العلمية أصبح يبدأ مع المواطنين منذ الطفولة تجده في لعب الأطفال التي تحت متسد سنين طويلة « الحجلة » و « الترنجيلة » إلى الألعاب التي تحركها الألكترونيات ، وذلك التي تقرب إلى مداركه المعيد مما يشاهد ، كيف يبنى الكوبري مثلا ، أو كيف تعمل الرامعة الجبلية ؟ أو كيف يسير القارب البخاري وهكذا . . . وحين تلقفه المدرسة تجد أن الدراسة قد تحولت بحيث جبار التركيز الأكبر على اكتساب أكبر قدر ممكن من

[V] من ليونارد برنيس : نهضة العلم في علاقنا بالمجتمع مأخوذة من كتاب ديك برايس « العلم منذ قبل »

المعرفة بالعلوم وأنجازاتها والتفاعلات العلمية التي تحكمها [٨].

ولا تأخذ الدراسة أسلوب أن يحفظ هذا كله كحسابات يضيف بها ويتعديتها ، بل أسلوب أن يجرب وأن يبحث وأن يشاهد ويلمس الظواهر بيديه ويترجمها قلها ، وبالتالي يتعود البحث والاستقصاء وتنتهي قدراته في هذا المجال ، بحيث إذا خطا في التعليم مراحل أخرى وجد بجوار المدرسة العديد من أندية العلوم التي يتزايد عددها عاما بعد عام في كل البلاد المتقدمة [٩] حتى صارت تستوعب نسبة كبيرة من طليع الشباب ، يترسون فيها على المحاولة العلمية أو تطبيقا لمعارف قائمة ، أو محاولة للاستفادة من محصلوها في مشكلة خاصة أو محاولة لبناء للنماذج المصغرة . وما زالت الألعاب تلاحقه حتى سن متقدمة في شبابه فتجذب جموع الميكانيكي الصغير أو الكيميائي أو البيولوجي أو الكهربائي التي بما يقدم معها من أرفادات ، وما تدرس عليه الشباب الصغير من القراءة والبحث والتجريب كقيلة كل منها بأن تعطيه محصولا من المعرفة العلمية تزد قارب ما يحصله لينا في علم كليل.

ولا يمكن أن يكون غريبا من ذلك ، بعد أن يرشح الناس العلم مع لين الأم ، وأن يمارسوه أطفالا وشبابا ، ألا يكون الأيمن به في أعلى درجاته عند وصولهم إلى مرحلة الرجولة والاختراعات في سلك المتبحرين . سوف يصبح طليعة في الصرف ، وملجأ ألبينا في التصدي للمشاكل بدلا من الدوران حولها ، بالهولة والسطرة ، ، وسوف يكون الأسلوب لإيجاد الحلول بحث في مضمون المشكلة وبداهة ، وتقليص من بداهة وأرباطها بظواهر أخرى ، وتقص احصائي لدى تكرارها ودرجتها في مرات التكرار . . . وهكذا ، ولا بأس في النهاية أن تقدم كل هذه المعلومات ، إذا تخطيت ، في صورة معادلات رياضية إلى حاسب الكتروني يقدم لها مخطوط الحلول وأمثالها .

وليس غريبا أن ينسحب ج.ج.ج. سزغان ثرابزين [١٠] أنه بحلول نهاية عام ١٩٧٠ — وقد تخيلناه — سوف تمثل المحول الإلكترونية أكبر استنزاف في أية منشأة حيث تبتلع وحدها ما يزيد

على ١٠٪ من الاستثمار الكلي ، ولا أن تنشب الأيكونومست [١١] أن يسيتم في خلال السبعينات التحول إلى إدارة العمل اليومي من طريق التحليل الرياضي للبيانات ، وأن تصبح الصناعات المطلوبة في رجال الإدارة العليا ليست الخصال المتميزة ، والخبرة الطويلة ، والقدرة على اتخاذ القرارات السريعة والحلوسة ، بل القدرة على اتخاذ الصور والابتكار بحيث يمكنه على الدوام أن يقدم ابتكارا جديدة يراجعه له الحاسب الإلكتروني ، ويتميز بالقدرة على إدارة العلاقات الصالحة وتبادة مجموعات الخبراء [بما في ذلك منع العلماء وخبراء الحاسبات الإلكترونية من أخذ الأمور كاملة في أيديهم] بحيث تتخذ القرارات العليا بروح الفريق التكاملي التفضيلات بعد مراجعتها على الحاسبات .

الواقع والمشاكل

يضع البرنامج العلم والبحث العلمي في موضعهما الصحيح من قضية التنمية ومضاعفة الدخل القومي ، فهو يقرر أن لهما في هذا الميدان دورا رئيسيا ، كما يحدد أنهما يصبحا عديدي الأثر أن لم يقدمنا آلات حديثة وأساليب جديدة للنتاج تحقق زيادة في نفسه ، وتوفر في الجهد والوقت والتكلفة .

وإذا يتصاعد بالضرورة السؤال الصائر من كيف السبيل إلى ذلك يجيب البرنامج فيما يتعلق بقوى البحث أن « لدينا رصيدا لا يستهان به من العلماء والباحثين ومنهم من له مكانة المميز بين علماء العالم . ويضيف فيما يتعلق ببراكز البحث أن « لدينا العديد من مراكز البحث في الجامعات والوزارات والشركات » . وفيما يتعلق بنسجها قوة تلعب دورها في التنمية يحدد أنه « يتقننا التنظيم » يتقننا إيجاد رابطة تنسيق بين المراكز بعضها البعض ، ثم ربطها جميعا ربطا وثيقا بعملية الإنتاج القومي » . ويصل في النهاية إلى الهدف بقوله « أن الهدف الأول للبحث العلمي يجب أن يكون الوصول إلى تكنولوجيا مصرية مصرية » .

وفي اعتقادنا أن ذلك كله قد يكون سليما وصحيحا ، ولكنه سوف يقرر من أن يصل

[٨] كم د. لويس عوض في اهرام الجمعة ١٩ - ٢ - ١٩٧١. دراسة عن الفرق الكبير بين نصيب طليع المرحلة الابتدائية قلنا وفي فرنسا . وأن كانت الدراسة قد ركزت على العلوم الانشائية والادبية إلا أن القليل مازال أكبر إذا ما عتدنا المقارنة بين برامج العلوم والرياضيات في البلدين وفي مختلف مراحل التعليم .

[٩] صلاح جلال - اهرام

[١٠] الأهرام السابع

[١١] الأيكونومست ٢٧ - ١٢ - ١٩٦٩

بنا إلى ما يزيد أن لم تستكشفه واقعا في حدة ٥ ونرى مشاكله في وضوح ، ونحدد الفوارق بيننا وبين غيرنا من الأمم التي أخذت بسبيل العلم والبحث العلمي فقطعت فيه شأوا بعيدا ، ولا حاجة بنا إلى أن نعيد ونكرر إلا نكون في هذا مجرد ناقلين ، بل نأخذ من الخبرات كما عرضناها فيما سبق زادا لننظر على ضوءها في أمورنا ونشكلها حسب واقعا .

ولقد عرض البرنامج حاجتنا إلى مجرد التنظيم والتنسيق بين مراكز البحث وربطها بعملية الإنتاج ولعلنا نفكر أنه منذ أكثر من عشر سنوات برزت هذه الدعوة - وهي صحيحة تماما - وانتشلتنا إلى الأثرها المجلس الأعلى للعلوم ثم تحول إلى وزارة البحث العلمي وعملت الوزارة إلى مجلس مرة أخرى ، ثم إلى المرة الثانية وعملت الوزارة من جديد ، وفي كل مرة وضع المجلس أو الوزارة خطة علمية وبرامج للبحث . ولكن هل نحن بعد سنوات عشر أو أكثر يقرر العديد من المسؤولين بأننا لم نصل من وراء هذا إلى نتيجة تذكر في المضللات الرئيسية من مشاكلنا . وتكررت القصة مع مراكز البحوث المتخصصة هي الأخرى فقد تجاوزتها الأيدي ناهية وزارة البحث العلمي تارة وناهية الوزارات الأخرى تارة ثانية . وفي كلنا الحائزين لم تلمس بالذليل القسط أي الرايين أفضل .

إن التنظيم والتنسيق ضرورة ملزمة . وهي قاعدة تعمل بها كل الدول . ولا يمكن أن نتصور البحوث تجري في هذا الموقع أو ذاك دون صلة وترباط وتنسيق . ذلك كله حقيقة ، ولكن وقد جربناه ولم يكن كليا ، أو لم يؤد الهدف المرجو منه ، فإن المشكلة لابد وأن تكون في هذه الحالة ذات جذور أعمق من أن يحلها مجرد الترابط والتنسيق .

ونلك في الواقع امتقنا ، وما نؤمن به . ولنبحث عن الحل بعد استعراض بعض المشاكل كما نحاول لمسها من الواقع .

قوى البحث

إنها حقيقة أن لدينا رميدا لا يستهان به من العلماء والباحثين ومنهم من يحل مركزا عالميا برموا . وحقيقة كذلك - لنا أن نفخر بها - أننا نحمل أحد المراكز الأولى في العالم في نسبة من يحملون مؤهلا فوق البكالوريوس أو الليسانس ولكن يجب علينا هنا أن نضع عددا من التساؤلات ؟ كم من هؤلاء موجود في موقع يستطيع منه أن يمارس البحث العلمي ؟ وإذا وجد في مثل هذا الموقع مكم هو ذلك القدر من وقته الذي يستطيع أن يخصصه للبحث بعد الفراغ من المشاكل الإدارية والروتينية وإجازات الموظفين وحسابات المخازن .. وما إليها ؟ وكما

من وقته يضيّع في الجري وراء امتلاكه من أجل جهاز بسيط .. وهكذا ؟ والخلاصة كم منهم في موقع للبحث العلمي الفعلي يتوده ويعطيه كل وقته - أو على الأقل معظمه - ويجسم نظريات بحثه بصره وامتداداتها جاهزة دون تعقيدات ؟

إن مشكلة هؤلاء جزء من مشكلتين رئيسيتين في المجتمع هما مشكلة الرجل المناسب في المكان عصر يتطور بسرعة الصواريخ .

وقد يصبح في ظل هذا من الصعب أن نساهم كم منهم - ومعدهم كما قلنا كبيرا - كون مدرسة متكاملة للبحث ، ولكننا مع ذلك نسال . ونعود هنا إلى شكواهم من قلة الدخل واضطرارهم للجري هنا وهناك وراء استثناء الاحتياجات السالفة للمهنية لا لتسليح وعقليته التفكير المستمر والإطلاع الذووب .

ولكن مع هذا الدفاع عنهم ، ليس لنا أن نغفل انتشار ظواهر خطيرة مثل نقص في الاعتماد للعمل بروح الفريق ؟ أو الترفية في السيطرة وعدم إعطاء الفرصة للجيل الجديد ، أو الانغلاق في لبراج قد تكون عاجية ، أو اللجوء إلى الدعاية أكثر من الإنتاج الإيجابي الجيد .

وهي مشاكل ليست فريدة بل هي انعكاس لظواهر عامة مضمونها **العمل بأسلوب غسير علمي** .

وإذا انتقلنا إلى خريجي الجامعة وحلالي شهادتها لوجدنا كل الدول التقدمية تعتبرها طاعة بحث ، وقوى مكتبة بالليل من التدريب أن تتناولها عملا وتسهم فيه بعقرات متزايدة يوما بعد الآخر . ولا يمكن أن نجد في أي من هذه الدول خريج الجامعة وقد اقتصر عمله على توقيع سرائر الحضور والغياب وامضاء نواتج الصرف وتوقيع الإجازات أو الجزامات يحمل كالكالولي ، لا وظيفة له إلا أن يسوق « الانتال » . إن النظرة إلى خريج الجامعة وطبيعة العمل الذي ينساق به لابد أن تتغير ، ولابد أن يال كان موقعه ألا يفتن حيا بقصر عمله على وظائف لا تتفق مع ما اتفق في تكوينه من ثروة البلاد . وميله بالتحديد يجب أن يتحول أما إلى البحث في حلول المشاكل التي تقابله في موقع العمل ، أو القيادة العلمية - وليست أبدأ الإدارية - لهذا الموقع . إن تحويل عمله إلى هذا الوضع كميل بطل قضية أساسية نقلنا قبل قضية البحث العلمي إلا وهي استخدام الإنتاج من المعرفة العلمية بالفعل .

وإن لم نفعل ذلك كان أهدارا لطاقات قلقة ؟ **وتغييرا في ثروة قومية** .

ولابد عند الحديث من قوى البنية الانفصال التعليم الجامعي والتوسع فيه رغم كل اعتراضات فخره الجالبة مع حدة التقدم ، ولن يخفى

وقت تطويره على العالم والا يكون هذا هو مقياس ثروة الأمم . ان نسبة الجامعيين الى تعداد السكان لا تدعو في الاكث الا ان ، ويصن ان نفسه هذا في عشر السنوات القادمة ان نسل الى نسبة الـ ١٠ في الاكث تلك التي وصلها دول عديدة منذ سنوات .

مراكز البحث

وحيلة ان لدينا عديدا من مراكز البحوث المتخصصة ، ولكننا هنا نكتفي باستطوع ان نجد العديد من المعلومات عن ان يخلق هذا العديد ما ننشئ من تقدم .

تلك التي منها قد نشأ في غياب استراتيجية متكاملة للتربية يمكن منها ان نحدد في ضوء نزاهة لواقعا المادى وثرونا واحتمالاتنا . ووشتمه فاقطل التسابق العالى في اى انواع الامانة ، و اى البحوث نلزمنا ، ويصبح المعهد بنظائره نشاطا مبرجيا بهيئة محدد في تلك الاستراتيجية .

والكثير منها موزع عن عقل الانتاج ، ان اقرب منه ان نحاول ذلك ليجد ترميما لومسادة او على الاكث والى القتل الاحوال منعت مشاكل الجيل اليومى وفلاحتات المسئولية ان يصبر القاتلون على الانتاج على هؤلاء الباحثين ويعطوهم قدرا من المونة وقدر اكبر من القلة .

والاعمال جميعا تبصر على قواعد في الترتيبات فربما بالشهادة التي ينصل عليها الباحث ، وان البحوث التطبيقية - وخاصة في مرحلة تطورنا الحالية - قد لا يلقى الواحد منها بالمستوى المطلوب الجامعيين او الدكتوراه ، تجد البحث يستعيز هو الاخر بالله منها ، ويسمى مضطرا الى البحوث الاكاديمية لانها في سبيل الطريق المبلى الوحيد له الى الشهادة المطلوبة ، وبالتالي التقدّم المادى .

والكثير منها ، ان لم يكن كلها - تعاني من نقص الاعتبارات ، بحيث ان الفائز من جزيئاتها يجد دفع الاجور لا يكفي لجرد تواجد المواد الكيميائية اللازمة . والنتيجة من ذلك ان صارت اجزئها ومعداتها - بلقة مصر - مقيمة وقريبة لا تلتحق المتقوى العلمى المعاصر ، وبالتالي لاتبين على الفتح بسرعة البحث ومدا .

العلم والمجتمع

انه يصبح كائناتم الشخصية ان تحدث عن العلم والبحث العلمى في مجتمع لا يعرفها وبالتالي لن يؤمن بها . ولن يالى الايمان بالعلم من مجرد تديد ذلك ، ولا من الاكث من حيلة الدكتوراه

والمجسني ، او من تعكسها مراكز البحث ، لانه وتنتجها عندئذ سيكونان نياتا في ارض لا تعرفه وقد لا تطلبه . ان العلم والبحث العلمى كاي نشاط في المجتمع يتزايد اتعاشهما كلما تزايدت الحاجة الاجتماعية لهما . ومن ثم كان من اكثر ما يلزمها هو تغيير طبيعة المجتمع ذاتها .

ان النسبة العالية من اية القراءة والكتابة - ناهيك بالابية في صورها الاخرى - والتي تعدى الـ ٦٠ ٪ من مجموع السكان ، والتي لابد ان نخلج من ذكر قمتها هذا في السبعينيات من القرن العشرين ، تمثل جيها - هو الاغلبية - لن يعرف بالعلم او يؤمن به .

ان استقارا - مهما بلغ - في مصنع لانتاج لعب الاطفال المبنية على اسس علمية ، وتباع بارخص الاسعار لهو خطوة نحو انعاش العلم والبحث العلمى ، وصنع او وحدة - ولكن اسبها ما كان - لانتاج وسائل الايضاح للنتائج العلمية عبر تاريخ البشرية توزع على مختلفا للعلوم من شمال الجمهورية الى جنوبها خطوة اخرى وكبيرة في نفس الاتجاه .

ان اعادة النظر في الحصول العلمى الذي يكتبه التلميذ خلال سنى تحصيله ، واسلوب التحصيل الذي يعتمد - ولو في جزء منه - على البحث والاستقصاء ، يعتبر ضرورة قومية هامة وعاجلة .

ان ظهور الصحافة العلمية الواسعة الانتشاره وبرامج الاعلام التي تقرب العلم الى الجماهير وتيسله وتربط بحياتها اليومية ، والكتب العلمية المبسطة ، والسبنا العلمية ونشر نوايد العلوم في كل الجهات تعتبر جميعها ضرورة للتعمق بالمجتمع ضرورة المساء والهواء في عالم اليوم .

ان وحدات الانتاج وقد جرت عائلنا ان نحاسبها على اسس من الميزانيلت لحسب يجب ان تحاسب كم قدمت من ابتكار ، وكم جديدا حققت ، وكم بحثا اجرت او مولت او شملت .

ان اعادة تقييم الاعمال بحيث تصنف الى وثائقه مطلوب فيها الخلق والتجديد والابتكار ، واخرى مبهتها التفسير وتحديد المشاكل وتقديمها لمهاض البحث ضرورة اخرى حتى نستفيد بها لدينا من طاقات .

والخلاصة انه اذا ارنا للبحث العلمى ان يلعب دوره - ولابد ان نريد ذلك - اذا ارنا ان يزداد بنسب التفرغ يستلزم بالضرورة ان نحول مجتمعنا من منطق الخطابة الى منطق العلم كما قل مؤخرنا لحد الكتاب الكبار . ان ازدهر البحث العلمى

لا يمكن أن يثبت إلا حيث يوجد المناخ الذي يريده وبالتالي يشجعه .

ويعد ...



فلسنا نقالي إذا قلنا أنه لو حدثنا السنوات العشر القادمة استثمارا قدر ما بذلنا في السد العالي - وقد استغرق هو الآخر عشر سنوات - في كل هذه التواحي المتعلقة بالبحث العلمي بدءا من محور الأمية عبر مراحل التعليم ونشاط قطاعات الثقافة والشباب وصولا إلى الجسلة ومراكز البحث سواء المستقلة أو التي تحويها وحدات الانتاج لحققنا بكل تأكيد نتائج بعيدة المدى للتطور الصناعي في البلاد .

وأخيرا ؟ فالتأحين نرفع شعار جعل المعلم والبحث العلمي أداة رئيسية للتنمية ، فقلنا نعيد إلى الأذهان معاني رفعها القادة وكررت منذ أخذنا باحتفالات عيد العلم وتكريم العلماء وكنت دائما جالسا لأحاوله دفع عجلته إلى الأمام ، وهذا صدر الميثاق وقد مجد العلم بما لا مزيد عليه ، ثم في بيان ٣٠ مارس وقد نص على ضرورة القامة العلم والتكنولوجيا ، ثم في الفقرات العديدة التي تضمنها برنامج العمل الوطني ،

ولكن سنظل المشكلة الكبرى القامة هي كيف ننقل كل هذه المعاني السامية إلى دائرة التنفيذ ،

كيف سنحول الشعار من مجرد معنى جميل ، وأمل يراود إلى واقع حي نعيشه ،

وان نتحقق ذلك إذا نظرنا المشكلة المطروحة البحث العلمي كمسألة مجردة منفصلة من المجتمع ككل . قد تصدر قرارات بالتنسيق بين مصادرات البحث وتكوين مجالس إدارتها من عديد من علمائنا الأفاضل ، ولكن سنظل قراراتها حبيسة الأوراق مالم يرتبط البحث العلمي عضويا - ولهم تسمية فحسب - بمراكز الانتاج والخدمات لا مالم يمتزج العديد من مراكز البحث وحدات اقتصادية لا مالم تحل مشاكل الباحثين لا وقد تخصصت قفازا أكبر من الاعتمادات للبحث العلمي ولكن أخشى ماخشا أن تتحول - كما يحدث كثيرا - إلى ثم ثلثين الروتين يتعلمه في أجهزة إدارية ومناسلات وأعداد من الوظائف كبيرة ومستغنية ولا يبقى للبحث ذاته إلا تعصيب الإيقام ،

إن التقدم في جبهة العلم والبحث العلمي لن يتم إلا في ضوء حركة عالية لمعالجته على مستوى الشعب ، وفي خلق التربية والتعليم وفي عقل الثقافة ، ثم في حل العديد من المشاكل الجترة في المجتمع .

ولقد قلنا أمثلة للمواقف نرجو أن يكون فيها ما يفيد لاكتشاف أول الطريق ،

الدراسات الاجتماعية وتطوير المجتمع

السيد ياسين

القول بشأن البحث العلمي الاجتماعي - ونعني به إجراءات البحوث الواقعية في مجال علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية - علمي المستوى القوي - وسند تقليدا جديدا في مجتمعنا ، ليس له بخوف راسخة ، ولا تكون مغالين إذا أرفنا نقطة التحول الحاسمة في هذا المجال بالشاه المحدث القوي للبحوث الجنائية

يمكن



في صورة بحوث جزئية أجريت على موضوعات خاصة .

وحتى في هذه المرحلة لم يكن هنالك ومي نقدي بأن الأطر النظرية في علم الاجتماع وحتى بعض مناهجه وأدوات البحث فيه يمكن أن تتأثر تأثيرا واضحا بالبحوث الأيديولوجية للباحثين ، مما يقتضي توفّر الفطنة النظرية لدى الباحث حتى يتكشف عن الجذور الأيديولوجية في الصياغات النظرية المتعددة التي يزخر بها علم الاجتماع .»

وكانت المرحلة الثالثة والحاسمة هي تلك المرتبطة بإنشاء المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية .» فخلال مرة في بلانا أصبح البحث العلمي الاجتماعي مهنة مغترفا بها ، ينتقل لها باحثون متفرغون لا يشغلهم سوى البحث العلمي .» ولأول مرة أيضا أجريت بحوث علمية اجتماعية واسعة المدى ، تعددت فيها الميّنات وزاد حجمها بمسك أن الدولة هي التي تمويل البحوث ، وبالتالي لم تكن هناك عقبات مالية تحول بين الباحثين وبين الانطلاق في بحث الظواهر على مستوى واسع .»

ولا ندعي أن هذا التطور الذي حاولنا أن نركّز على مراحله الرئيسية من التماثل النظري إلى التجريب في مجال البحث العلمي الاجتماعي ، يشطى بالدقة الكاملة كل مراحل الرحلة التي قطعتها العلوم الاجتماعية في بلانا ، ولكننا أردنا فقط أن نحاول التمييز بين المراحل الأساسية حتى نتضح أملنا الصورة الكلية الشاملة .

ولا يمكن لنا أن نحكم على التطورات التي لحقت بالبحوث العلمية الاجتماعية بغير ربط نشأتها بالظروف التي صاحبها ، فالعلم — طبيعيا كان أو اجتماعيا — لا يمكن فهم تطوّراته بغير ربطه بالبناء الاجتماعي ، فما هي العلاقة بين العلم الاجتماعي والبناء الاجتماعي في الخمسينيات حين أنشأ المعهد القومي للبحوث الاجتماعية ؟

عام ١٩٥٦م والذى انتصر في بدايته على البحث في العلوم الجنائية : علم الجريمة ، وعلم العقاب ، وعلم كشف الجريمة . ثم تحول بعد ذلك عام ١٩٦٠ ليصبح المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، وبذلك امتد نشاطه ليسع العلوم الاجتماعية بمعناها المعروف ونعني علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية . وبالرغم من أن الجامعات المصرية درس فيها علم الاجتماع منذ وقت مبكر نسبيا ، إلا أن الجيل القديم من أساتذة علم الاجتماع اقتصر على تدريس هذا العلم — في أغلب الأحيان — على غرار التقاليد الفرنسية ، التي تعني — لشهد ما تعني — بالتنظير الذي ينتقل إلى الدراسات الميدانية الواقعية . وأنصب جزء كبير من اهتمامهم على شرح أمال الخدمة الدورية ابتداء من عهدها إميل دوركايم ومرورا بأعمال فوكيه من المسؤولية والجزاء ودراسات ليفي بريل الأنثروبولوجية . غير أن هذا الجهد الذي بذله هؤلاء الأساتذة الرواد ، اقتصر تماما — كما فعل زملاؤهم في أمريكا اللاتينية في موقعهم من علم الاجتماع الفرنسي — على النقل دون التأميل أو التفسير . وتعني بذلك أن هؤلاء الأساتذة لم ينعوا ربط النظرية الاجتماعية بالظروف الاقتصادية والسياسية التي نشأت في ظلها ، والتي أثرت تأثيرا حاسما على اتجاهاتها وتطوراتها ، فلا يمكن فهم دوركايم إلا في ضوء فهم أوجست كوتك . ولا يمكن فهم كوتك إلا في ضوء العصر الذي عاشه ، والذي هيمن عليه الصراع بين البرجوازية والطبقة العمالية على مستوى حركة المجتمع ، وبين الوضعية والاشتراكية على مستوى الصراع الأيديولوجي .

بعبارة مختصرة — هجر هذا الجيل من تقديم منظور سوسيولوجية المعرفة الذي يربط بين الفكر وبين البناء الاجتماعي برباط وثيق ، وبالتالي قدم الفكر السوسيولوجي الفرنسي معزولا عن جذوره ، وبكل ما يتضمنه من تميزات أيديولوجية صارخة . لم يكن الغرض منها سوى الحفاظ على مصالح الطبقة البرجوازية الأوروبية . وأهم هذه التميزات ضرورة الفصل بين القيم والوقائع ، ومنع الباحث الاجتماعي من تقييم الظواهر الاجتماعية أو الحكم عليها نزولا على مطلب « موضوعية » العلم « وحيدة » .»

ثم جاء جيل من الأساتذة المصريين بعد ذلك اندخلوا لأول مرة في البيئة العلمية المصرية متأخري البحوث الاجتماعي الميداني ، وشرعوا في تطبيقها على نطاق بالغ الضيق — سواء في صورة بحوث للحصول على درجة الدكتوراه أو

يَمَكُنْ أَجْمَالُ هَذِهِ الْاِقْتِرَافَاتِ ثَمَرًا إِلَى ٢

١ - لم يكن هنالك وعى كاف ، لا على مستوى أجهزة الدولة ولا على مستوى الجماهير بأهمية وفائدة البحث الاجتماعي . بل لقد لقت فكرة البحوث الميدانية في هذا الوقت مقابلة عدد من الانساذة الذين مروا على لساليب التفكير التأملي والنظري ، ولم يتح لهم ممارسة هذا النوع من أنواع البحث العلمى من قبل .

كل ذلك بالإضافة الى تشكك وتشكيك بعض القيادات الادارية فى أجهزة الحكومة فى قيمة وأهمية النتائج التى يمكن ان تصل اليها هذه البحوث .

٢ - لم يكن لدى الاجيال الجديدة من الباحثين فى هذا المجال - بحكم حداثة الميدان الذى ارتادوه - النظرة الكلية الشاملة للعلم الاجتماعى فى اتساعه وشموله ، وبما يتضمنه من مشكلات وثناقصات . ومن هنا تقهوا فى المراحل الاولى بمحاولة السير على هدى تقاليد البحث العلمى الابريكية بحكم انها التقاليد التى كانت لها السيادة العالية فى هذا الوقت .

ولابد لنا ان نتذكر انه فى الخمسينيات كان علم الاجتماع مازال جنينا ومضطهدا فى البلاد الاشتراكية ، بتأثير التفسير الجوسماتيقى للماركسية ، والذي كان يرى ان المادية التاريخية هى علم الاجتماع الماركسى ، وان علم الاجتماع بسورته الغربية علم اجتماع بورجوازي .

٣ - غير انه اهم من هذين العاملين ان المحتج المصرى لم يكن قد توصل الى صياغة ايدىولوجية واضحة يمسير التطور الاجتماعى وفقا لها . ومن المنطق عليه ان الثورة لم تفسر من وجهها الاجتماعى الا فى المستقيبات ، حين أصبحت الاشتراكية هى العقيدة الرسمية . ولذلك لم يكن فى المكان للبحث العلمى الاجتماعى ان تتضح الرؤية امامه ، ملادامت الرؤية لم تكن واضحة امام المجتمع بأسره فى هذا الوقت .

ولكن ماذا حدث بعد الستينات ؟

بالرغم من ان الدولة تبنت الاشتراكية وبدلت فيها لاطق عليه مرحلة التحول الاشتراكى ، الا ان الايدىولوجية الجديدة - ربما بحكم انها لم تكن سوى حل توفيقى للمشكلة الاجتماعية - لم تتسم بسمة الاكزام - بعبارة اخرى لم تكن هناك موجبات ايدىولوجية واضحة ومحددة وحاسمة لتلزم بتطبيقها لجهاز البحث العلمى الاجتماعى

وذلك فى وقسح ضيقاتها العلميه * وتحديث برامجها العلميه ، بما يتضمنه ذلك من وشمع معايير واضحة لاسبعية المشكلات الجديدة بالبحث . ومن هنا لم تصير على اختيار مشكلات البحث استراتجية واضحة مستقاة من ايدىولوجية محددة . ولذلك فلقد فى مثل هذا المناخ الفكرى العلمى من ان تكون السيطرة لنوق الباحث ان تفسيله الخاص للمشكلة ، التى يبحثها ، أو لدى احساسه بأهمية مشكلة دون اخرى ، فى النهاية لمال بالصفحة والعشوائية .

غير ان الخبرة المتراكمة من اجراء عديد من البحوث الاجتماعية ، والمتابعة التقنيّة الواعية للتجاهات السائدة فى العلوم الاجتماعية فى العلم ، أدت الى عدد من التغييرات الايجابية فى مجال التفكير النظرى الاجتماعى فى بلادنا لعل أهمها ما يلى :

١ - نتيجة لبحوث ودراسات عدد من الباحثين التقدميين وضمت مشكلة تأثير ايدىولوجية فى العلوم الاجتماعية نظريا وتطبيقيا فى الصدارة بين المشكلات التى روى انها تحتاج الى دراسة واتخاذ موقفه واضح منها .

وقد اتجهت بعض هذه الجهود الى تأصيل النشأة التاريخية للنظرية الاجتماعية فى القرن التاسع عشر ، على ضوء موجبات علم اجتماع المعرفة للكشف من الجذور ايدىولوجية للكون الاجتماعى الغربى ، ليس بغرض رفعه فى جملته ، وانها بهدف تقديره التقدير الحقيقى ، وإبراز حدوده الطبيعية التى لا يمكن له ان يتجاوزها .

وحاولت بعض الجهود الاخرى إبراز تائين الايدىولوجية فى علم الاجتماع المعاصر ، وذلك بالاستعراض النقدي للتجاهات الراهنة فى علم الاجتماع الابريكى باعتباره الترجمة الخاصة والامينة - فى اتجاهه الغالب - للايدىولوجية الرأسمالية . ومن ناحية اهتم بعض الباحثين بمعرض الوضع العلمى لمعلم الاجتماع الماركسى الذى نشأ فى منتصف الخمسينيات ، وانطلق ونما نوا كبيرا ، لإبراز وجهة النظر الاشتراكية فى دراسة المجتمع وفهمه وتفسيره .

٢ - بدأ الاهتمام بمفهوم « السياسة العلميه » على لاسس ان اية خطة قوية للبحث العلمى الاجتماعى ، لابد ان توضع على هدى سياسة علمية واضحة المعالم . وقد جاء هذا الاهتمام موكبا لاهتمام عالمى بهذا المفهوم الذى تحول لكى يصبح علما قائما بذاته ، له مصطلحاته

وتباحثة وعلاؤه التخصصي مثل كينزوت
السوفيتي ، وروسو البلجيكي ، وأوجير الفرنسي

٣ - زاد التركيز على أهمية تنمية الأطر
النظرية في اجراء البحوث ، تلاها للسلطحية
الشديدة ، والسذاجة الفاضحة التي تميز بها
عديد من البحوث الميدانية المصرية التي تمت في
ظل تقاليد البحث الأيمريقي الأمريكي ، الذي
يركز على الاعتماد الانساني على أدوات بحث
مثل الاستخبارات أو استمارات البحث ، لجمع
أكبر عدد من البيانات % وتحليلها تحليلاً احصائياً ،
بغير محاولة لتقديم تفسير علمي للظواهر
الدراسة يردها الى اصولها الحقيقية الكاملة
في البناء الاجتماعي ، وفي هذا الإطار ارتفعت
الدعوة الى أهمية النظور التاريخي في دراسة
المشكلات الاجتماعية .

٤ - وضحت الرؤية في مجال اختيار مشكلات
البحوث ، على أسس ضرورية ربطها بخطط
الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية . وبالرغم من
أنه لا يمكن القول بأنه تم الوصول الى الصيغة
المناسبة تماماً لتحقيق هذا الهدف الانساني ،
الا أن ازدياد الوعي بأهميته يعد علامة ايجابية
في مسيرة البحث الاجتماعي في بلادنا .

-٢-

المشاكل والحلول

إذا كان ما سبق عرضاً موجزاً وسريماً -
يقدر ما يتسبغ له القلم - لواقع البحث العلمي
الاجتماعي في بلادنا فما هي على وجه التحديد
المشاكل الأساسية التي تقف عتبة في سبيل
انطلاقة وتطوره ؟

أهم هذه المشاكل تنحصر - من وجهة نظرنا
- فيما يلي :

١ - انعدام العلاقة بين التخطيط والبحث
والتنفيذ :

ونعني بالتخطيط ضرورة أن يوجد جهاز على
أعلى مستوى قوى يقوم بتحديد الجهات
الأساسية للبحوث العلمية الاجتماعية من ناحية ،
وبإقتراح مجالات البحث الكبرى التي ينبغي
تركيز أجهزة البحث لدراستها % مع التحديد
الاجبالي للمشكلات الاجتماعية الهامة الجديرة
بالبحث واستبقائها .

وهذا الجهاز الذي نفتقر اليه حتى الآن % يمكن
أن يجد صورته المثلى في المجالس القومية
التخصصية التي نحن عليها بيان ٢٠ مارس ولم
يتم تشكيلها حتى الآن .

وفي رأينا أن المجلس القومي الاجتماعي لا ينبغي
أن تقتصر عضويته على عدد من كبار المسؤولين
التفصيليين ، أو واضعي السياسات ، وإنما ينبغي
أن يضم عدد من الخبراء في العلوم الاجتماعية ،
القريبين من الواقع الاجتماعي والمحتكين به
مباشرة ، حتى يائي التخطيط بناء على خبرة
واقعية حية ، ولا يكون مجرد تنظير منبت الصلة
بالمعتبرات العملية .

غير أن هذا المجلس لا بد له - أن يريد أن
ينجح في ادائهمته - أن يدرك أن العلم الاجتماعي
- في مفهومه الصحيح - هو علم سببى .
بمعنى أنه لا بد من إفعال المعتبرات السببية
المستقاة من الأيديولوجية الرسمية موضع الاعتبار
حين التخطيط للبحث الاجتماعي .

فإذا كانت الاشتراكية كايديولوجية رسمية
تعنى أساساً بالطبقات الكادحة ، فلا بد أن ينصرف
أكبر جهد من البحث لدراسة أوضاع ومشكلات
الفلاحين والمعلمين ، بأهميات أن هاتين الطبقتين
هما عماد المجتمع ، واللذان يمثلان الغالبية العظمى
من الشعب المصري .

وتلبي بعد ذلك أجهزة البحث العلمي التي
سترد إليها توجيهات المجلس القومي للتخصص
لكي ترجعها في صورة برامج بحوث .

وهذه الأجهزة لا بد من تطويرها تطويراً شاملاً
لكي تكون على مستوى المسؤولية . ويتلخص ذلك
أولاً دمجها من الناحية المالية والوظيفية ، ووضع
الخطط اللازمة للنهوض بالمستوى العلمي
لباحثيها ، وإتاحة الفرص أمامها للمفسر
في مئكت ومهبات علمية ، وحضور المؤتمرات
والندوات في الخارج ، حتى تزداد خبرتهم ،
وتسقل مواهبهم من خلال الاحتكاك بالأوساط
العلمية العالمية .

وتبقى أماساً أخيراً الجهات التنفيذية ، وهذه
الجهات تحتاج الى جهد خاص لانقاذها بأهمية
البحث العلمي الاجتماعي في حل المشكلات
المعقدة التي تجلبها . غير أن أهم من ذلك
كله ، ينبغي من طريق التشريعات الملزمة لها ،
أن تلأخذ في الاعتبار التوصيات الواقعية المدروسة
التي تصل إليها البحوث العلمية الاجتماعية .
وبذلك تتكامل الدورة من التخطيط الى البحث الى
التنفيذ .

بغير اتباع هذه الدورة المتكاملة ، يمكن - كما
يحدث الآن بالنسبة لعدد كبير من البحوث
الاجتماعية - أن تتركز كلها بعد عام . بغير

أن تقوم بدورها في تغيير الواقع الاجتماعي ؟
وفي ترشيد الفعل الاجتماعي الذي كثيرا ما يتم
في بلدنا بطريقة مرتجلة ، لا تتفق إطلاقا مع
مواصفات التفكير العلمي .

٢ - حرية البحث العلمي الاجتماعي :

يشير البحث العلمي الاجتماعي مباشرة قضية
حرية التفكير في المجتمع . وقد أثبتت خبرة كثير
من البلاد ، وخصوصا البلاد الاشتراكية التي
بذلت مجهودات خارقة لتمويل مجتمعاتها من حالة
التخلف إلى حالة التقدم ، أنه لا يمكن للبحث
العلمي أن يؤدي دوره في القضاء على التخلف
بكل صوره ، وفي مساعدة المجتمع على الانطلاق
بغير أن تكفل للمبتكرين صوما وللباحثين العلميين
خصوصا حرية التفكير ، وحرية البحث ، مما
يتضمنه ذلك من نقد الأوضاع الخاطئة ، وتخصيص
السياسات السائدة ، ومعالجة القيم الفاسدة ،
والتمرض بالبحث لاعتراض بعض الفئات الاجتماعية
السيطرة ، التي من شأن سلوك أعضائها اعاقه
مسيرة العمل الوطني .

ويشير برنامج العمل الوطني الذي قسّمه
السيد الرئيس ثور السادات بوضوح كامل إلى
أهمية البحث العلمي في تطوير المجتمع المصري ،
كما أنه يركز تركيزا شديدا على ضرورة كفاية
الحريات للمواطنين جميعا ، في ظل سيادة
القانون .

وعلى ضوء هذه الإنجازات الجيدة التي يفتتحها
برنامج العمل الوطني أمام الفكر المصري ، يقع
لنا أن نتعامل بالمستقبل ، وأن نقف في آتية سيتاح
للباحثين العلميين الاجتماعيين بأن
يدخلوا مجالات بحث عديدة كانت محرومة عليهم
من قبل نظرا لحساسية مزعومة كانت تركز عليها
مراكز القوى التي أرادت أن تحكم بالأرهاب ،
وأن تسيطر بالثأمة والخوف .

لقد أريد في الوقت الذي يحرص فيه عدونا على قنص
اتجاهات الاستراتيجيين بصفة دورية في المجالات
السياسية وبالنسبة لمديد من المشكلات التي
تجابه الدولة الاستراتيجية ، حيث يوجد عديد من
مخاطر قياس الرأي العام ، مما يتيح لسلطات
القرار الإسرائيلي أن يتخذ قراره على ضوء
المعرفة العلمية باتجاهات المواطنين ، نجد أن
دراسة الاتجاهات السليسية عندنا وربطها
بالأوضاع الاجتماعية السائدة ، كان وبزال
منطقة محرومة لا يجوز للباحثين أن يدخلوها .

وتجد نفس الأوقات بالنسبة لكثير من مجالات
البحث الداخلة في نطاق علم الاجتماع السياسي ؟
ومن أهمها دراسة « الجماعات الضاغطة » التي
أطلقت عليها في مصر مراكز القوى ، من حيث
تكوينها وطبيعتها والعلاقات بينها ، والمسالك
الطبقية التي تعبر عنها . ومثل دراسة « النخبة
السياسية الحاكمة » من حيث تكوينها ، وأصولها
الطبقية ، وأنتاجاتها الايديولوجية ، وأثر ذلك
كله على مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

تري هل لنا كباحثين اجتماعيين أن
نفهم طبيعة عمليات التغيير الاجتماعي في مجتمعاتنا
بغير أن نتعرض بصراحة لدراسة التكوين
الطبقى للمجتمع المصري ، ولنوعية الصراع
الطبقى الذي يشق مجراه في الخفاء في أغلب
الأحيان ، وفي الملاينة في أحيان أخرى ؟

إن الحل الوحيد للجابهة الحقيقية لمشكلات
المجتمع المصري الاساسية يكمن في كفاية حرية
التفكير وحرية البحث العلمي . ويرتبط بذلك حق
الباحث العلمي في اعلان نتائجه واعطائه من
الضمانات القانونية ما يكفل عدم تعرضه لأي
سقوط أو تهديد .

٣ - عدم توفر الكادر العلمي التخصصي في المشكلات الاجتماعية التطبيقية :

لا يمكن للبحث العلمي الاجتماعي أن يقوم
بصوره في خدمة خطة التنمية الاقتصادية
والاجتماعية مالم يتوفر عدد كاف من الخبراء ذوي
الخبرة في الجوانب التطبيقية - مثلا مشكلة
كمشكلة الاسكان في بلدنا ، ستظل لفترة طويلة
في الصدارة بين مشكلاتنا ، فكم عدد الخبراء
الاجتماعيين الذين يستطيعون تقسيم الخبرة
العلمية الاجتماعية لأجهزة التخطيط والتنفيذ في
الحكومة والقطاع العام فيما يتعلق بمشاريع
الاسكان الضخمة التي تنفق عليها الحكومة ملايين
الجنيهات ، والتي قد يؤدي اغفال الجانب
الاجتماعي فيها ، إلى خسارة ومضياع مؤكد ؟
وكم عدد الخبراء الاجتماعيين عندما المتخصصين
في مشكلات التمدن بما تتضمنه من توسع المدن ،
ومدم الاحياء القديمة ، وبناء أحياء جديدة
والانطلاق في مجال التصوير والعمارة ؟

لقد أريد في أن احضر ندوة نظمها مجلة
« الطليعة » منذ سنوات بمناسبة العيد الألفي
للقاهرة ، وحضرها مسئول كبير في « هيئة
تخطيط القاهرة الكبرى » وشكا فيها من عدم
توافر الخبرة الاجتماعية في مجال تخطيط المدن ،
بالرغم من احصاء المسئولين في الهيئة بأهميتها ،

حرية الابداع:

جوهر
الأدب
والفنون



غالى شكرى

« أن للادب ولقن ووسائل الاعلام دورها الكبير فى هذه القضية ، قضية تكوين الإنسان الجسد فى مواجهة حرب الدعاية التى تشنها ضدنا قوى الامبريالية والصهيونية ، أن هذا الدور يفرض التصدي لقضايا مجتمعنا من وجهة نظر الجماهير ، من وجهة نظر التقدم ، من وجهة نظر الإنسان الشريف الكادح الذى يبني الحياة »

ويلاحظ من صميم الذائب البحث عن تحرير اجتماعيين فى هذا المجال .

وحل هذه المشكلة ينبغي أن يبدأ فى اقسام علم الاجتماع بالجامعات ، التى ينبغي عليها ان تعيد النظر فى مقرراتها من ناحية وفى برامج تدريباتها العملية من ناحية أخرى .

لما من ناحية المقررات فيمكن ان نعلم انه ليس فى هذه الاقسام جميعا - وبدون استثناء - مقرر واحد مخصص لدراسة المجتمع المصرى ! فطالب الاجتماع يدرس عن التحضر فى المجتمع الأمريكى ، ومشكلات المجتمع الريفى فى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر بكثير مما يدرسه عن التحضر او الريف فى المجتمع المصرى .

ولذلك فهناك ضرورة - على مستوى الدراسة الكلية الشاملة - لدراسة البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى ، ويمكن الاستعانة فى هذا المجال بكل رسائل الماجستير والدكتوراه والبحوث الخاصة والعامة التى جرت على جانب أو أكثر من جوانب المجتمع المصرى ، للقيام بمحاولة تركيبيه بمبداية تحدد سمات مجتمعنا بناء على البحوث الواقعية التى ثبت .

ومن ناحية أخرى هناك حاجة قصوى للتخصص ، بمعنى أهمية تدريس مقررات عن المشكلات الاجتماعية الأساسية ، كشكلية غير أن هذا الجهد لا يمكن أن يفي بكل ما هو مطلوب لاعداد هؤلاء الخبراء للتطبيقين . يبقى على أجهزة البحث العلمى الاجتماعى أن تصد من بين خبراتها ، من تخصصات تخصصات دقيقة فى هذه الجوانب ، حتى يمددوا أجهزة العمل المختلفة على ترشيد سياساتها وخططها فى هذا المجال .

وبعد ، أن ما سبق ليس سوى نظرة عامة القيناها على واقع البحث العلمى الاجتماعى فى بلادنا ومشكلاته والطول المقترحة لحلها ، حاولنا فيها أن نقدم مناقشة موضوعية تتناول الابداع الاساسية للبحث العلمى الاجتماعى فى منطلقاته النظرية وفى ممارسته العملية .

ونستطيع فى ختام هذا المقال ان نقرر - بناء على عديد من الشواهد - أن البحث العلمى الاجتماعى المصرى يدخل الآن فى مرحلة حاسمة ، تواجهها التفكير النقدي الذى لا يقتنع بالتأثير بالصادر الأجنبية ، ولا يكتفى بالنقل الاممى من خبرات مجتمعات أخرى . واننا لوالقون أن الباحثون المصريين فى المرحلة القادمة سيكونون أكثر قدرة على فهم وتحليل البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى ، ولحل هذا الفهم بهم فى تحويل مجتمعنا الى مجتمع اشتراكى حقيقى ينهض به الاستقلال ، وتنتشر على أرضه ارادة الإنسان .

عيرة من الحرب التسمية التي يشنها العدو ؟
 انها في المقام الاول حرب ثقافية ضارية . ولا
 ينبغي ان نتجمل في فهم عبارة « الحرب الثقافية »
 فلها شيء مغير للدعلة المباشرة والاعلام
 السريع . والسبب الثاني الذي يصل بين السلطة
 التنفيذية والادب والفن — بعد العلاقة المادية
 وقبلها في نفس الوقت — هو بالتمسك اليه
 البرنامج صراحة ودون التواء : حرية الابداع
 الفني ، فلذا كان الاعتراف بالقيمة العقلية للادب
 والفنون يستوجب اعترافا بميلانكالة الاكثيات
 المادية لتجسيد هذه القيمة في النشر والمخرج
 والسينما والوصول بها الى اوسع رقعة جماهيرية
 فان الاعتراف بحرية الابداع الفني يستوجب
 مراجعة شاملة لاساليب السلطة التنفيذية في
 التعامل مع مدعى الفن . فالمقضية هنا لاتتعلق
 بحسب بحرية الفكر التي يجب ان يتمتع بها
 المواطن عموما في ظل القانون ، بل انها تتجاوز
 هذا التعميم الى الطبيعة الخاصة للعمل الفني.
 هذه الطبيعة التي لا يمكن الركوز في فهمها
 واستيفاضها الى العيون الادارية سواء كانت
 عيونا سياسية أو عيونا بوليسية . وانما لابد
 وان يشكل « أهل الاختصاص » من ناحية — وهم
 نقاد الادب والفن — والجماهير من ناحية اخرى ،
 الضوابط الوحيدة لحرية الفنان والاديب في
 المجتمع .

قوى الانتاج .. ووسائله

اذا كانت قد تحدثت للبرنامج فترة زمنية
 معينة تتحقق خلالها الاهداف التي يري اليها ،
 فان هذا التحديد يعد ابرا علميا وواقعيا في كفاية
 مجالات الحياة المادية ، وبعض اوجه الحياة
 المعنوية كالاملا والتربية والتعليم . ولكن هذا
 التحديد في مجال الفن لا ينبغي ان يتخطى اسوار
 قوى الانتاج الفني — اي الفئتين انفسهم —
 ووسائل هذا الانتاج . ومعنى ذلك صراحة
 ووضوح اننا لاستطيع — اذا كنا جادين في
 طلب الفن العظيم — ان نضع خطة خمسية
 او عشرة لسما « يجب » ان نحصل عليه من
 اهل الادبية وفنية ، سواء من ناحية السكم
 او من ناحية السكف . ان الابداع الفني
 لا يخضع في جوهره الاصيل للحدود المصارمة
 ايا كانت زمنية أو اقتصادية ، او سياسية ،
 والمالية الفنية رغم تعقدها البالغ الا انه
 يلت ثابتا في علم الجبال ، ان « الواقع » من
 المؤثرات الاساسية في تكوين العمل الفني
 — وبالتالي فان واقعنا — بما يشتمل عليه
 من معركة مصيرية تثار اليها البرنامج —
 سوف ينعكس بالضرورة على آدابنا وفنوننا
 بل هو متمكن فعلا على هذه الاداب والفنون .
 ربما اختلفت اساليب الاتكاس ورواه من اتجاه

ان ادبنا وثقافتنا وكفائنا والمعلمين في اجهزة
 الاعلام مطالبون بان يقفوا هذا الموقف القوي
 ووجه خاص في هذه المرحلة المصرية من
 حياتنا ، وعلى الاتحاد الاشتراكي واجهزة الدولة
 المختصة ان تقدم لهم كل عون وان تيسر لهم
 ظروف الابداع دون ماتخل في حرية تفكيرهم
 ودون ماقترض لاسلوب معين لعملهم . انسا
 نريد اننا وفنا ، والادب والفن ابداع ولا ابداع
 بلا حرية . ولكن لا حرية بدون الاقتصاد مع
 الجماهير . ولعله يكون من المناسب ان يبنى
 الاتحاد الاشتراكي فكرة انشاء اتحاد عام للكتاب
 يضم الادباء وكثاب السياسة والقانون
 والاقتصاد ، واتحاد للفنانين بخصصاتهم
 المختلفة » .

هذه السطور هي ملجاء حول الادب والفن
 في برنامج العمل الوطني في معرض حديثه عن
 « بناء الانسان الجديد » . وبالرغم من ان هذه
 التكتلات بالغلة التعميم الا ان صدورها في هذه
 الوثيقة الرسمية له اهميته القصوى ، اذ خلت
 الوثائق الرسمية السابقة كالوثائق وييسان ٢٠
 الادب والفن في التشريع والتخطيط قيم انساننا
 الجديد . لقد اشار البلاط الى حرية الفكر ،
 ودما بيان ٣٠ مارس الى تكوين مجلس قومي
 اعلى لشئون الثقافة ، غير ان هاتين الوثيقتين
 لم تعرضا للادب والفنون على وجه التخصيص .
 وهكذا كانت الدلالة الاولى لهذه السطور الموجزة
 في برنامج العمل الوطني انه سجل مبادرة رائدة
 للتنظيم السياسي في تصويره المتحضر والتمسك
 لدور الاديب والفنان في المجتمع . وقد كانت
 هناك ظلال في الماضي ما تزال باقية في
 الحاضر ، تلقى على هذا الدور شبهة السلبية
 والهابشية والقيمة الماتوية ، باعتبار الادب
 والفن — عند اصحاب هذه الظلال — مجرد
 ترف زخرفي وواجهة طريق لا اكثر ولا اقل .
 ان هذا الاعتراف من جانب اهل سلطة سياسية
 في الدولة بالاهمية الكبيرة للادب والفن يظل
 شمارا جديلا فحسب مالم يترجم الى اعتراف
 عملي من جانب السلطة التنفيذية فيما يتصل
 بينها وبين الادب والفن من اسباب . ولعل
 السبب المادي هو اول ما يضع الاعتراف الجديد
 موضع الاتحان .. فالنظرة المتخلفة الى الثقافة
 تحجب منها الاكثيات المادية التي بدونها لاتصل
 هذه الثقافة الى الجماهير ، وهي الهدف الذي
 ركزت عليه كلمات البرنامج . وباسم الحركة
 واقتصاديات الحرب والتشفيف احتلت الثقافة
 الجادة دائما المركز الاول في جداول تخفيض
 النفقات ، وكأنها مية اقبلت المعركة لتخلصنا
 منه . وربما كان الامر — كما سترى مد قليل
 — على المكس من ذلك تباه ، فالمعمل الفني
 سلاح جوهري في معركة حياتنا كلها ، ولنتخذ

الانتعاج الفني هي « الخامة الشرية » ، هي الأدباء والفسانون أنفسهم . ووسائل الانتعاج الفني هي « هيزات الوصل » بين الفنانين والجسماء ، هي مؤسسات النشر والمعرض والسينما ، وما إليها من أجهزة الارتجال الثقافية .

الموهبة الفنية من

الاكتشاف الى التعق

ان الاعتراف الرسمي من جانب أعلى سلطة سياسية في البلاد ببقية الادب والفن في حياتنا يجب ان يصلح به اعتراف فني وتنقيحية الادب والفنان ، وهذه القيمة ليست قيمة معنوية خالصة ، بل لابد من التعبير عن هذه القيمة المعنوية تعبيراً مادياً محسوساً كذلك . فالأدباء والفنانون لا يزالون في مجتمعنا نباتات شيطانية تظهر مصدفة ويختفي بعضها مصدفة ويبقى بعضها مصدفة . بينما استنبت الادب والفنسان مهمة أولية في جدول أعمال البلاد الرأسمالية والاشتراكية على السواء . وفي مجتمع كميتمنا لم يعد فيه رأس المال الفردي قادراً على تكوين التربة الثقافية الصالحة لاستنبت الادباء والفنانين ، لابد وأن تقوم الدولة بهذا الدور الخطير ، مسئلة في ذلك تجارب البلدان الاشتراكية . والحق اننا أتجزنا من حيث الشكل بعض الاجازات ، كمجانية التعليم في جميع المراحل ، ومؤسسات القطاع العام في النشر والمعرض والسينما ، ونظام التفرغ ، ولم يعد باقياً إلا الأهم ، وهو المضمون الفلسفي للسليل لهذه المؤسسات والنظم ، ثم استكمال ملئتنا منها .

ان الموهبة الفنية لا تظهر فجأة في من مخلفة الا في الاحوال الاستثنائية السادرة ، والمغلبة الأولى للتعرف على هذه الموهبة في سن مبكرة هو التعبير الجذري لنماذج التربية والتعليم وبخاصة فيما نحن بسنده . أي مواد الادب والفنون التشكيلية والموسيقى والمعرض والسينما . وفي بعض هذه الفنون تصمي في مدارسنا « هويات » حرة ، وإلا ناع من أن تبقى في جانب منها كذلك لاكتشاف المبادرات الفردية للأطفال ، ولكنها من زاوية أساسية يجب أن ترتقي الى مستوى المادة الحروسة والبرامج التي من شأنها أن تضي الميسرة الفردية قارباً تحمل في جونها موهبة أصيلة ، والتي من شأنها ايضاً إبداع خلفية ثقافية وتذوقية معقولة عند غير الموهوبين املا للخلق الفني . ذلك أن هذه الخلفية التي لابد

فني الى آخره ومنّا كاتبت الى آخره : فعداً حق مشروع بكل الخصوبة والحيوية للحركة الفنية . ولكن النفسية تظل صحيحة ، وهي أن الواقع بكل تله وكفاته يشكل نمراً رئيسياً من عناصر الفن . ولستكنا بعد التسليم بهذه البديهية لا نستطيع ، ولا نملك ، أن نحدد الفنان أو نخطط له ، ما يجب وما لا يجب « عمله » خلال « زمن » معين . فالحق أن الباحث الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي يمكنه الخضوع لهذا التحديد ، أما الفنان فأننا لا نقتدر على قسره بهذا الأسلوب ، والا فأننا سوف نحصل منه ، إذا كان ضعيف الإرادة الفنية والأصالة والصدق ، على منشورات دعائية ساذجة ترتبط بقرارات وأحداث مرحلية وأعلانية لها بالفن والأدب . ولننظم من خبرة البلدان الاشتراكية في هذا الصدد . لقد مرت الادب والفنون في هذه البلدان ، شأن بقية أشكال الحياة — مرحلة من الجهود العقلية شامت خلالها مفاهيم سطحية ومبتذلة من الجمال باسم الاشتراكية . وقد كانت النتيجة الحتمية لهذه المرحلة نقراً مدعماً في مصداق الفن الحقيقي بوبخا مدعماً في مجال البروجندا المتصصة بملكيح النظر إذا كان العمل المقصود شعراً ، وملكيح الصوتية إذا كان العمل قصة قصيرة أو رواية أو مسرحية . ولقد تغير الأمر تغيراً حقيقياً فيما بعد ، إبان مرحلة نوبان الجديد . ولا يزال الصراع عنيماً بين هذين الاتجاهين في بعض المجتمعات الاشتراكية . الفن منجز ، نعم ، ولكنه من أولاً وقبل كل شيء ، وفي مسألة الانحياز يجب أن نعي نقطتين هامتين : أن الانحياز الفكري في الادب والفنون يتخذ لنفسه من الأساليب البعيدة من المجهود والمباشرة والتفريقية مايناي به كثيراً أو قليلاً من شكل الانحياز في العلوم الإنسانية الأخرى . والمسألة الثانية هي أن أية نقراً أساسياً بيننا وبين المجتمعات الاشتراكية هو أننا لسنا — بعد — في مجتمع اشتراكي ، وبالتالي فإن الاتجاهات الفكرية التي يجمعها طائر برتلج العمل الوطني عميدة . والأعمال الأدبية والفنية تحمل في أحشائها هذا « التمدد » في الاتجاهات الفكرية ، ومن ثم فإن نوعية « الانحياز » لا أشكله فحسب سوف تختلف من تيسار الى آخر . ولابد من أن تكون يوموقراطية الصراع بين المذاهب الفنية ، حقا نضروها لجميع الأطراف الداخلة في [التحالف والصراع] الاجتماعي . وهكذا فإن التحديد الزماني لمطالبت برناج العمل الوطني لا ينطبق على جوهر العملية الإبداعية ، وإنما يستطيع عند التحديد أن يبيء مناسخاً صحياً للإبداع الفني إذا التفت الى أمرين آخرين هما قوى الإنتاج الفني ووسائله ، وهما أمران يتصلان في واقع الأمر بالجانب المادي للفن . قوى

ولا ريب على « معلم الفن » وبالتالي على مكانته وتلاميذه .

لا ينتظر الطالب الموهوب شهادة التخرج من الجامعة حتى يتقدم بقتضجه الأدبي والفني إلى مؤسسات النشر ووسائل النرويج ، وأما هو يحاول غالبا - لثقل الدراسة - أن يكتب أو يمسو أو ينحت أو يلحن أو يمثل . وهنا لابد من توافر الاسس الموضوعية لاستقباله ، فالمصنفة والوسيلة والملق هي العودا لفقري لحياة الاجيال الادبية والفنية الجديدة في بلادنا . ولو أننا بذلنا بالمقجمة الصحيحة منذ اكتشاف الموهبة في مهدها ، ثم تركناها بعد ذلك نهبا للخطب بين أهواء دور الصحف ومكاتب السكرتيرين وسلسلة أجهزة الاعلام ، لتفا نقصا على هذه الموهبة بالموت واقعا ، او بمعنويا

بإتلافها الى دهليز الرخص والإبتذال . وهنا لابد من استحداث وسائل التنسيق بين معاهد العلم وبين مؤسسات الانتاج الأدبي والفني بحيث يخضع ظهور الكتائب والفنان للرأي العام ، لمخبر اقرب الى الموضوعية . ولكن مرحلة التجريب والمحاولة في حياة الشباب ، لا يجب أن تقتصر من جانبهم بنظرة أحادية الجانب هي النوع والانتشار محض ، بل يجب أن تقتصر من جانب الجميع بنظرة تربوية تتصل بمسألة الاجيال ، بعضها ببعض ، اتصالا وثيقا ، وتاريخ الادب يكشف لنا صفحات رائعة عن الصلات العميقة بين كبار الكتائب وشبابهم الذين أصبحوا كبارا بعد ذلك . ان تنظيم اتصال الاجيال السابقة بالاجيال اللاحقة في مقدمة المهام التي ينبغي التركيز عليها بشأن تربوية الواهب الجديدة ، فالخبرة القديمة والرؤيا الجديدة لاغنى لاحداهما عن الأخرى . انها لاكتسب الثقة بين الطرفين محض ، وأما هي تفنى الدورة الجدلية للفن بزد لا ينهد من التجارب . ولعلنا نتألم هنا العريقة « صالونات » الادب والفن و « الندوات » الدورية لبعض كبار الكتائب ، والشكلان كلاهما لا يتلق مع مقتضيات « التخطيط » اجتماع أدبي وفني جيد ومنظم . لسنا في مصر الصالونات ، والندوة الخاصة بكتابت اللاتني بالعرض . وأما لابد من تنظيم الصلة بين الاجيال على نحو جديد .

ثروتنا القومية ووسائل استغلالها

إذا آمننا - كما بان الكتاب والفنان من مهندسو النفس البشرية - وهو المعنى الكائن في تعبير البرنابج من بناء الانسان الجديد - فلنا مطلبون كما قال البرنابج أيضا « بتيسير ظروف الإبداع » لهؤلاء الذين يشكلون ثروة قومية حقيقية ، ما لوجئنا إليها . لذلك كانت

من زميلتها وتطورها في بثقة مراحل التعليم « تخلق البيئة الصالحة للتذوق الفني ، أي أنها تجهز جهاز الاستقبال المتطور والذي بدوره يطل أجهزة الارسل وترين عليها العزلة . أي أننا في نفس الوقت الذي نستكشف فيه آداب المستقبل ، يجب أن نربي قراء المستقبل ، وأرجو ألا يكون غريبا القول بأن هذا التوازي الذي ينبغي أن يواكب مختلف مراحل التعليم - يحل مشكلة قديمة ، هي مشكلة العلاقة بين الفنان والجمهور ، فلكم ثارت المناقشات حول ضرورة نزول الفنان الى الجماهير او صعود الجماهير الى مستوى الفنان . ان هذه التربية المزدوجة للفنان والمخفوق تخلق « الارضية المشتركة » للسانها وينشأها لقيم الانسان الجديد .

على ان اكتشاف الموهبة في مرحلة الطفولة ليس الا الخطوة الاولى ، نحو استبيلات الاديب والفنان ، فالامر يزداد تركيبا كلما نأى الطفل الموهوب وكبر اهتمامه بالفن الذي يستهو به . وفي مدارسنا الان نظام يسمى « فصول المتفوقين » قصد به اولئك الذين يحصلون على « مجليح » عالية في نهليات المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية ، عجزا لو فكرنا قليلا في أنواع أخرى من التفوق لا حائلة لها بالمجليح المذكورة . ولا ضرورة لأن يربط هذا التفكير بشكل « فصول المتفوقين » فربما استغلطنا أيجاد الشكل الأخرى في صلب مناهج تدريس الآداب والفنون ، وبرامج تربوية لاولئك الذين ثبت « تنوعهم » عابا بعد عام ، وأود أن أؤكد هنا مرة ومرة على أن الطلية الخاصة بأصحاب المواهب الادبية والفنية ليست عنلية تحية او شكوية ، أي تحقق فقط بزيادة ساهمت الدراسة او زيادة مقررات المادة أو تخصيص فصول مواهب ، وإنما قيل ذلك كله وبمعه تتمتع الرحلة العلمية لمواهب الادب والفن بالتغيير الثوري لمناهج تعليم المادة وأساليب تدريسها . ان النصوص الأدبية والمحفوظات المقررة حاليا لا تخرج الى الأغلب الأعم كونها اختيارا محافظا لعقليات بالية او مادة ارتقا لمفتشى اللغة العربية . هذا من ناحية الضمور ، أما من ناحية الشكل فإن هذه النصوص والمحفوظات يتم حشوها في أمسية التلايد والطلاب بصور تراكمية عشوائية لا يسيطر حكمها في التصور ايقاع التصاريخ أو منطق العصر . ومن هنا كانت ضرورة التغيير الجذري لضمون المادة الادبية والفنية وأساليب تدريسها على السواء . وثمة تلحية أخيرة في هذا الصدد هي « النظرة » المخلفة الى مفرس الرسم او الموسيقى ، وكأنه إضافة هامشية الى ديكور الضخم في مدارسنا . ان هذه النظرة تحبس

ومسائل استغلال هذه الثروة في معنية الإنجازات التي نحرص على تحقيقها حتى يتهيأ لأدبائنا وتنتابح بمراحل اكتشافهم ورميهم والتثبيت من أصالة مواهبهم وصقلها ثقافيا — المناسخ المناسب لتنتاجهم ، أبدأما وتطويرا وانتشارا . وفي هذا الصدد نقدم عناصر أربعة رئيسية تصاح كبدخل لتهيئة هذا المناخ :

أولا : التفريغ ، ولعله من أهم إنجازات المرحلة الماضية ، ذلك النظام الذي تبنته وزارة الثقافة لتفريغ الأدباء والفنانين . ولكن تغير اللوائح الخاصة بهذا النظام من عام لعام كانت تفقده في السنوات الأخيرة الفعالية التي أسس من أجلها . ونقطة الضعف الرئيسية في مختلف اللوائح التي تغيرت هي أنها نظرت إلى « التفريغ » على أنه منحة ، فكانت النتيجة الزموجة لهذه النظرة المختلفة أن « انتمت » بهذا النظام مناصر غير موهوبة تسربت إليه يدافع « العطوف الأبدى » من جلب بعض كبار الكتاب والفنانين أعضاء لجان التفريغ . ومن ناحية أخرى أصبحت بعض العناصر الموهوبة والأصيلة من جراء البنود المجعلة التي طرأت على لائحة التفريغ منسحبا تنبه المسئولون إلى أن هذا النظام يوشك أن يتحول إلى أحد روع وزارة الشؤون الاجتماعية . ولا ريب أن فكرة التفريغ في ذاتها فكرة تقليدية أصيلة في تهيئة المواهب اليافعة والناسجة ، ولكن بشرط يتكامل مع بقية الشروط السابقة التي أثرت الفنان الحقيقي الأصل ، شبا أو كمالا أو شيئا ، وهي أنه فنان ملام ، لا محتفلا أو دعيا أو بريشا أو مرتزقا . فإذا كان الثابت أن هذا هو ذلك من الأدباء والفنانين المرشحين للتفريغ أدبيا حقا وفنانيا حقا ، فإن التفريغ لا يعود بالنسبة له « منحة » وإنما « حقا » يستوجب إعادة النظر في كافة البنود المختلفة في اللائحة الحالية ، والمجعة بحق الفنان شكلا ومضمونا . ويمتني هنا من هذه البنود اثنين : الأول يخص التقييم المادي ، إذ تعتبر اللائحة الفنان المتفريغ موظفا حصل على إجازة يترتب إذا كان مرتبه في الوظيفة الأصلية صفيرا ، ولا تغير مرتبه الفنان إذا كان مرتبه في الوظيفة الأصلية كبيرا . والحل الموضوعي لهذه الإزواجية المقتردة أنه إذا أقررت الدولة والمجتمع بأهمية هذا الفنان في التفريغ فإنه يجب النظر إليه ملاميا من هذه الزاوية ، وهي أنه « فنان » لا من زاوية أنه كان يمارس قبل التفريغ ملاما آخر كالترتيس أو الصحافة أو العمل في مصنع .. وهو كفتان — لا يكون في إجازة ، يستحق منا أن نصوغ حياته المادية على نحو « يسير لمطروف الإبداع » دون أية مقارنة بين وضعه السابق ووضع الجديد ، وإنما يشرف له القانون كادرا ملاما جديدا يضع في اعتباره — إلى جانب الوحدة

الإنشائية المشتركة بين المصالحين جميعا — مستواه الفني وخبرته وثقافته وآية نصجه إلى غير ذلك مما يؤرخ له عبره الأدبي والفني وفق التقارير الموضوعية المأخوذة من أكثر المصادر رسمية في هذا الشأن . والبند الثاني الذي يحتاج إلى مراجعة شاملة في اللائحة الحالية يخص الزمن الذي يقضيه الأديب أو الفنان متفرغا . فالسنة القليلة للتجديد بعد أقصى ثلاث سنوات متعالية ، لا تصلح من البداية تلمبا حقيقيا للتفريغ ، فهي لاتجسد الغاية النبيلة لهذا النظام ، والتي أثار إليها برنامج العمل الوطني في تكديده على ضرورة القيم الجديدة للمجتمع الجديد . اتنا إذا اقتنعنا حقا بأن للفنان دورا خلاصا به في بناء هذه القيم ، يخلط من دور المعلم والصحفي وغير ذلك من أصحاب المهن الأخرى ، فلنا يجب أن ننظر إلى التفريغ للإنتاج الفني نظرة جديدة توأما أن الفنان المتفريغ هو « فنان » فقط ، وليس فنانا إلى جانب كونه معلما أو صحفيا أو عالما أو فلاحا . وحينئذ لن نشهر عليه سيف الزمن بانهاء السنة أو السنوات الثلاث ، وإنما سنستيع له تفرغا دائما للإنتاج الفني غير المعزول من بقية أشكال النشاط الإنشائي في المجتمع . إن نضعه في قمة برج من المعاج ، ولكننا في نفس الوقت إن نضعه في مهب الرياح ، بين علم وعلم ينشأ استقراره تلقى التجديد والملاسة أخرى . بالخصر إذا توفرت لنا القناعة بأصالتها ، علينا أن نورل في الغنامة بأهميته والطبائفة في حياته . وفي مقابل ذلك ، فإن إنتاج هذا الفنان ملك للمجتمع الذي يرمعه ، وليس التفريغ — من جانبته هو الآخر — إجازة من هذا الإنتاج ، كما اتضح بالنسبة لبعض من حصلوا عليه . وللقانون الذي يطبع المرء إلى صوره لتنظيم التفريغ أن يحدد الظروف والأحوال التي ينتهي منها حق الفنان في التفريغ ، أن إعادة النظر في هاتين التعتطين : التقييم المادي والتفريغ المتقطع ، من شأنه أن يضعنا أمام ضرورة عاجلة هي التشريع لنظام جديد تلمبا لتفريغ الأدباء والفنانين .

ثانيا : اتحادات الكتاب والفنانين ، ولقد كتبت إشارة البرنامج إلى هذا الموضوع تلبية صحيحة لحاجة حقيقية يشعر بها المختون منذ لد طويل ، ولكنهم عبروا عنها في الأونة الأخيرة تعبيرا صريحا . ومن المبدأ القول بأنه قد تمت في الماضي محاولات لتأسيس اتحاد للأدباء واتحاد لمجالس للفنانين التشكيليين ، ولكن هذه المحاولات ظلت أسيرة « المشروع » دون التحقق . وأيا كانت الأسباب التي تبثت في تفسير هذه المشكلة إلا أن المهم الآن هو البدء فورا في تنفيذ هذه الخطوة السالفة الأهمية والتي أثار البرنامج على الاتحاد الاشتراكي أن يتبناها . إن قيام

الكتابات والفنانين وتحتل الشعب في التخطيط للثقافة وصنع القرار الثقافي ، بغیر ذلك سوف نظل جميع « الخطط » عشوائية ومرتبطة بتغير من شهر الى آخر بتغير هذا المسؤول أو ذاك ، كما ستظل في جوهرها « بيوتيات ذاتية » لأنها صادرة من تصور فوقی وأرادة ملوثة .

رابعا : الدورات التدريبية في الخارج ، حيث لا تزال قواعد اتفقيات التبادل الثقافي قاصرة عن أداء دورها ومقصورة على ثلث بعثتها ، ان تعرف الادباء والفنانين على العالم الخارجي ليس ترما لوترتها عوائدا هو احتياج حقيقي للنسب ليماد روح العصر ، كما تتجلى في « الحركة والحياة » الثقافية بالعالم الخارجي . ولا يمكن ان يترك الامر للصدفة أو الحظوة أو العمل الاداري ، فلا يسفل الكاتب أو الفنان الا اذا كان موفدا من جهة عمله — فيراللقائية احيانا — لو لانه عضو في مؤثر أو لانه مسديق لحد المسئولين . يجب الاعتراف أولا بضرورة معالجة الفنان للعالم الفني الخارجي معالجة خصبة وخلاقة ، ثم يجب تنظيم الوصول على هذا الحق من طريق التنسيق بين اتحادات الكتاب والفنانين وبين وزارة الثقافة .

حرية الإبداع هي الجوهر

تلك هي العناصر الاربعة الرئيسية التي تصلح في تقديرى لان تكون مخطا الى تهيئة المناخ الصحى لاتنتاج الادبى والفنى لا وهو الهدف الذى عبر عنه البرنامج بقوله « تيسير ظروف الإبداع » . وتبقى أخيرا النقطة الجوهرية التى ركز عليها البرنامج فى صقلها الموجزة من الادب والذن تركيزا وأشعا « وهى حرية الإبداع الفنى » . ولقد ربط البرنامج بين تلكه الذى لا يقبل الشك على هذه الحرية « وبين ضرورة ان يقد الاديب والفنان الى جانب قضائيا بلاده من وجهة نظر التقدم « فلا حرية بقضى الالتحام بالجهانين . والحق ان الارتباط بين الحرية والضرورة فى مختلف أشكال التسلط الانسانى الا الى الادب والذن وحدهما ، من اعتد القضايا التنظيرية التى تشغل بال الفلاسفة والمفكرين على ذر المصور والايال . ولن نخوض هنا بالمعنى فى خضم هذه التعقيدات النظرية « وانما نكتفى بإيراد عدة ملاحظات »

● ان التوجه الى الجهانين فى صدد ذاتهم لا يبنى بالضرورة موقفا تقدميا من قضية الانسان « بل غالبا كان الرخص والابتذال والركاكة والسطحية سبلا تؤدى الى الجهانين « ولكنها تصدهما وتضلها وتعمل بالفشل على الجبهة المعانيه لهما

هذه الاتحادات المهتمة للكتبة والفنانين بينهم بصورة فعالة إنجاز الواسل الرئيسية للاتنتاج الادبى والفنى . فالاتحاد هو جهة الاختصاص الاولى فى تربية المهوبة الفنية وتمهدها بالذنو ، هو الذن الذى يستعمل من خلاله الايال وتنسق من خلاله العلاقة بين الفنان والجهة النشر عوه الذى يضع نظرية التفرغ والمؤثرات للإبداع ويعمل القبال الثقافى ، وهو — أولا وأخيرا — حصن الحرية الفكرية للكاتب والفنان . ان الاتحاد المهنى هو التمسيد الارفع لشخصية الكتاب والفنانين الاعتبارية ، فكل شىء مما سبق ان ذكرناه يظل عملا اصلاحيا وجزئيا مالم يحقق فى الاطار العام للاتحاد . انه جهة التشريع والتنفيذ والرقابة والمخامة لهذا الاتنتاج المعنوى منذ ميلاده الاول كمكرة على الورق حتى ميلاده الثانى كتوة مادية بين الجهانين . على ان هذا الاتحاد ، وقد دعا البرنامج الاتحاد الاشتراكى الى تبنيه يجب ان يظل على استقلال نسبى من اجهزة الاعلام والثقافة التنفيذية من جانب ، ومن التنظيم السياسى من جانب آخر . انه كالتقابات المهنية سواء بسواء فى اتصالها الوثيق بالتنظيم السياسى واستقلالها فى الوقت نفسه . وعلى الثقابين انفسهم ان ييسلروا الى اتخاذ الخطوة الاولى نحو عقد مؤتمر عام تحضر له « لجنة مبادرة » تدعو الى تكوين الاتحاد من كافة الاتجامات الفكرية والفنية من طريق الانتخاب الحر المباشر . وفى اطار الاتحاد ، على الادباء والفنانين ان يصدروا مجلثم المختصة فى شؤون الثقافة الادبية والفنية ، وان يكونوا — بصورة ديموقراطية خالصة من التوازع والاهواء — لجن الرأى والرقابة والنشر والتفرغ واشكال التشسيق بين الاتحاد والجهزة التشريعية والتنفيذية المتصلة بمهامه . ان قيام الاتحاد هو الفسبان الحقيقى الاول لحسالية الاديب والفنان وكرامتهما المادية والمعنوية .

ثالثا : المؤسسات الصالحة ، فقيام اتحاد للكتاب أو اتحاد الفنانين لايلى بلىه حال اغصاصمسب ووزارتى الثقافة والاعلام ، فالمؤسسات التابعة لهما — ولابد من ان تتحول كلها الى هيئات خديمت — هي اجهزة الارسل المسبلة لانتاج الادب والذن ، انها المطابع والورق وستوديوهات الاذاعة والتلفزيون وبلاوتوهات السينما وخديمت المسرح . والاسلوب الديموقراطى السليم يقضض هذه المؤسسات جبهما لقرارات الثقابين وجهاهين الثقافة ، وما وغير انفعال . وذلك يقتضى الاخذ بقرارات وتوصيات وتوجيهات اتحادات الكتاب والفنانين من ناحية ، والدراسات الميدانية الواسعة لاحتياجات شعبنا الثقافية من ناحية أخرى . ومن هنا كان لابد من اشراك ممثلى اتحادات

للتأثيرات تتلاقش شكلا ومضمونا مع « حرية الإبداع الفني » التي نادى بها برنامج العمل الوطني .
وعلى أن تمثل هذه الحقيقة الاجتماعية في بلادنا ، وهي أننا مجتمع يوجع طبقات متعددة ، وبالتالي اتجاهات متعددة في التفكير والتعبير .
وما لن نؤمن بالفعل لا بالقول ، بأوسع معاني الديمقراطية لمراميل الفكر والفن ، فإن المقام والبوار هو ما كنا الوحيد . والديمقراطية وحدها هي التي تخلق وتدعم التيار الأكثر تقدما . وعندما تخطيء الديمقراطية فلنصحح الامر بمزيد من الديمقراطية .

● ولعل أبرز الأمثلة على الاضرار الفاحشة التي ترتكب في حق الادب والفن باسم « الجاهير » هو ذلك المثل التقليدي الذي نضربه مادة على ابتذال البعض لمعنى الفن وانتهالكهم لحرية الفنان ، وهو المثل القائل بأن هذا العمل الفني ايجابي والاخر سلبي ، هذا مثلهم وذلك مثقال ، هذا ابيض والثاني اسود . وبالرغم من أن طبيعة الفن تنأى عن هذا التصور المبطل للعمل الفني الذي يكتسب معناه بتعدد طبقاته وتنوع مستوياته ، بحيث أنه لا يعرف لغة المطلقات الاحادية الجانب . . الا أننا مع ذلك نقول ان الأثر الإيجابي للفن قد يتأني بتركيزه على الجانب السلبي في الحياة . والذين العظيم هو جونا ، من أحد جوانبه نقد للحياة ، ولعل الادب المصري الفاضل قبل هزيمة ١٩٦٧ كان أضيق من ادب راحة البال والاستفراق في الوم .
بالإضافة الى ذلك لا ينبغي أن ينشئ « البعد الذاتي » في كل عمل فني ، ربما كان الحزن يتوسد عمق أصداف الفنان ، فلا يفسر من أن ينعكس هذا الحزن على عمله الفني ، اذا كان فنانا صادقا . فهل نطلب إليه أن يقتل المرح ويصطنع التفاؤل ويزيف الحياة ؟ أم نقول : لكن ، ان الحزن العظيم أروع أثرا وأعمق إيجابية من التفاؤل السطحي السريع الزوال . الحق أن القضية في خاتمة المطاف هي فن أولاً ، والفن الحقيقي ، الصادق والاصل ، هو بطبيعته انجاز تقدمي من جانب الحياة ، لأنه يملأ بالحلم الفراغات السلبية في قلب الوجود .

وبعد ، فهذه مجموعة من الانطباعات حول ما جاء في برنامج العمل الوطني من سطور موجزة من الادب والفن ، وهي رغم إيجازها تشد المرء أحيانا من حافة اليأس الى حافة الرجاء .

● أننا نعتنق في مجتمع قبل ثعبنة الأمة بين إنشائه الى ما يزيد على السبعين في المائة ، وهذا مجرد رمز الى ما نعانيه في كافة مجالات حياتنا المادية والمعنوية من تخلف . ولقد ركز البرنامج تركيزا واضحا على ضرورة القيام بعمل سياسي منظم لمحو الأمية ، فلا حرية مع الجهل ولا حضور للامسان بغير المعرفة . وليس من شك في أن الفن عنصر حيوي من عناصر المعرفة الإنسانية ، وهذا يقتضي منا النظر الى قضية « الجاهير » من عدة زوايا . . فلذا كان ثمة تقدم في بعض جوانب أعتنا وفننا ، كاستخدام اساليب متطورة في التثقيف لا ينبغي التخصف بشأن هذا الوجه المتقدم لفلاننا باسم « الجاهير » بدعوى أن هذه الجاهير لن تفهم هذا التقيد والغموض . . ان الانبياء والفنانين ليسوا كلمة واحدة متجانسة ، وإنما هم كجاهير شعبنا ، مستويات متعددة . . وجنبا الى جنب نحو الأمية بأسلوب ثوري منظم ؟ سوف تجد « الجاهير » من يخاطب مستويات ادراكها العقلي وتوقعها الوجداني بأساليب تتعدد تعدد هذه المستويات ، ان تقدم التثقيف في بعض الأوان فنوننا هو — للنظر البعيدة المدى — انجاز تقدمي لهذه الجاهير . ربما كتبت دائرة منيعة هي التي صنتوني الآن ثمار هذا التقدم ، ولكن الفن العظيم سيقبلي ثماره ملاحا للتوق غدا وبعد غد ؟ والجاهير بدورها ليست « حالة ساكنة » وإنما هي حركة حية متطورة ، وما لن تتوقفه جاهير اليوم سوف تحرم على تفوقه جاهير الغد ؟ وهكذا لا ينبغي أن نمارس باسم جاهير اليوم لرهليا عقليا ووجدانيا ، لا على الانبياء والفنانين وحدهم ، وإنما على جاهير القصد أيضا .

● والقضية — سواء كان الشكل الفني طليعا او متطورا أو في مستوى الجاهير ، هي ماذا يكتب الفنان ؟ والاجابة من هذا السؤال لا ينبغي أن توكل الى أية جهة ادارية ، سياسية او بوليسية ، وإنما الادباء والفنانون أنفسهم وجاهير الادب والفن من جانب آخر هم اصحاب الولاية الوحيدون في الرد على هذا السؤال . هنا — أيضا — يصلح اتحاد الكتاب أو اتحاد الفنانين لأن يكون جهة اختصاص في النزاع حول عمل فني ، وهنا كذلك دور نقاد الادب والفن . أما « الرقابة » عن الاعمال الفنية والادبية « تحت اية تسمية ، وفي ظل اية مبررات

الجانب الاجتماعي والاقتصادي

في اعادة بناء القرية

جاء التفكير في اعادة بناء القرية المصرية وقد بدأت كهرية الريف تخطو خطواتها الاولى الى داخل القرية المصرية ،، وسوف تلعب كهرية الريف دورا هاما في احدث تغييرات اساسية في حياة الفلاحين المصريين ،، سوف تقرب بهم وبالقرية من حياة المدينة فتضيق الهوة بينهما ،، فمن الضروري اذن والحالة هذه ان يتلامس وضع القرية المصرية مع واقع التغييرات التي ستحدث ، ذلك انه ليس مقبولا ان تتخل الكهرياء القرية ثم تظل هي على حالها القديم ، بازائها وحواريها ، بكوام القش فوق اسطح المنازل ،، واكوام السباغ في الشوارع ، وامام ابواب الدون

غير انه في عملية اعادة بناء القرية يجب ان يكون الجانب الهندسي والفني هو الجانب الوحيد للعملية . وانما يجب ان تكون النظرة الشمل من ذلك واوسع وان تشمل العملية الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقرية ، اي ان تكون العملية اساسها الفلاح المصري تطويره والنهوض به

ويأتي التفكير في اعادة بناء القرية بعد حوالي عشرين عاما من قيام الثورة ، ولدى هذه السنوات صدرت عدة قوانين هزت الوضع الاقتصادي والاجتماعي داخل الريف المصري اهبها قوانين الإصلاح الزراعي وقد ادى تنفيذ هذه القوانين الى احدث تغييرات في الاساس الاجتماعي والاقتصادي للفلاحين ، فبينما اختلفت العناصر الاجتماعية من التكوين الطبقي الريف اتسمت شريحة اغنياء الفلاحين من جانب ومغار الملاك من جانب آخر ، كما ظلت فئة عمال الزراعة وعمال التراحيل تمثل جانبا هاما من سكان الريف . ومن الضروري عند التفكير في اعادة بناء القرية ان يكون هذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي للقرية اساس هذا التفكير . فالقرية الجديدة سوف تضم بين جنباتها الفلاح الغني كما تضم المالك الصغير والمعامل الاجير ومتطلبات كل فئة من هذه الفئات بالنسبة لمساكنها سوف تختلف بالضرورة ، كما ان قدرتها على تمويل بناء هذا المسكن ونظمية نفقات هذه المتطلبات ، سوف تختلف ايضا ، ففي حين يقدر الفلاح الغني على تمويل بناء مسكنه يفت العمال الاجير عاجزا عن ذلك ولابد من وضع هذا في الاعتبار عند دراسة جانب تمويل المشروع وامكانية المساهمة فيه .

غير ان النظرة الى الوضع الاجتماعي والاقتصادي للقرية اليوم واعتباره اساس

اعادة بناء القرية : معركة سياسية وجماهيرية



حسنى حسن

الهدف

من هذا المقال ليس تقديم حلول لهذه القضية الكبيرة ، وانما التصود هو طرح عدد من الافكار حول بعض الجوانب المتصلة بتلك القضية والتي طرحها برنامج العمل

الوطني لعلها تكون مساهمة متواضعة في مناقشتها وبداية لدراسة واسعة حولها .،

وهذا السؤال يبدو في الواقع من قبيل تسجيل المواقف . ذلك لأن إعادة بناء القرية سوف يمس مصالح بل ووجود الملاكين من الفلاحين المصريين ومن الضروري لكي ينتج مثل هذا المشروع أن يجذب اهتمام هذه الملاكين بل ويضمن مشاركتهم فيه مشاركة إيجابية .

ونقطة البدء في هذا العمل الجماهيري والسياسي أن يطرح الموضوع للمناقشة الواسعة عن طريق جميع وسائل الإعلام والأجهزة السياسية ، وأن تقام ندوات لمناقشته داخل القرى ، ومن خلال هذه المناقشات يمكن معرفة الإمكانيات المتاحة ، والصعوبات المتوقعة وكيفية التغلب عليها .

ومن الضروري عند إجراء هذه المناقشات الواسعة طرح التخطيط المقترح أو على الأقل التصور لكل قرية ومناقشته مع أهاليها ، لياتي التخطيط متشعبا مع الظروف الموضوعية لهذه البلاد واحتياجاتهم الفعلية ، ويجب أن نشعر الفلاح أن هذا التخطيط هو مصدره ، ومن هنا يستمد المشروع قوة هائلة في التنفيذ .

غير أن هذا العمل السياسي والجماهيري ليس عملا سهلا وإنما يحتاج إلى مجهود دائم من جانب التنظيم السياسي والجمعيات الزراعية والنوادي الريفيه ، وفرد نقابة عمال الزراعة وغيرها من أشكال العمل السياسي والجماهيري ولكي تقوم كل هذه الأجهزة بدورها كما ينبغي يجب أن يكون وراء هذا النشاط عدد ليس بالقليل من الكادر السياسي الحزبي والقادر على تحويل عملية بناء القرية إلى معركة سياسية يجذب إليها جميع سكان الريف .

تكاليف المشروع وكيفية تمويله

مثل هذا المشروع العملاق سوف يبلغ تكاليفه دون شك آلاف الملايين من الجنيهات . فلو رجعنا إلى مشاريع استصلاح الأراضي والتي اقيم بها مسكن جديدة للفلاحين لوجدنا أن تكاليف مسكن الفلاح وهو مسكن يكون من حجريين ودورة مياه وحوض سملى ، مبنى بالطوب الأحمر وسقف من الخرسانة المسلحة قد بلغت تكاليفه حوالي ٥٠٠ جنيه للمسكن الواحد ، كما بلغت تكاليف نفس المسكن عندما ينتهي حوائطه بالطوب الأخضر وسقفه على شكل قباب من الطوب الأخضر أيضا بلغت حوالي ٣٠٠ جنيه .

فإذا تصورنا أن المطلوب هو إقامة مثل هذا المسكن - رغم ضيقه وعدم ملائمته لجميع فئات السكان في القرية - ثم خصص مسكن لكل أسرة

الدراسة والحكم في عملية بناء مسواة تستغرق أكثر من عشرين سنة لن تؤدي إلى نتائج سلبية وصانعة ، لذا من الضروري أن نضع في اعتبارنا تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية خلال هذه الفترة الزمنية نفسها بل وما بعدها .

من هنا فإن أهم القضايا التي ستلمح دورا في تشكيل مستقبل القرية قضية استكمال مهام مرحلة الثورة الديمقراطية والانتقال بالريف إلى الاشتراكية . وتحقيق هذا الهدف مرتبط أوثق الارتباط بأتجاه إصلاح زراعي جذري في الريف ، مرتبط أوثق الارتباط بتطوير الزراعة والوصول إلى أعلى معدلات ممكنة من خلال استخدام الآلات الزراعية والآليات العلمية . وما يتطلبه ذلك في تخطيط القرية من ضرورة وجود مراكز لتجميع الآلات الزراعية والمحاصيل ومحطات وورش للصيانة .. الخ .

ومن غير الخطأ أن يعاد بناء القرية على ما هي عليه من تعلق ، وإنما لابد وأن يرتبط إعادة بناء القرية بتطوير الريف تطورا ثوريا شاملا . **وليس تطوير الريف في حالة الزراعة فقط هو** ما يجب دراسته والانتقال إليه ، بل يجب أن نضع في اعتبارنا أن تطوير الريف والانتقال إلى مرحلة حضرية متقدمة سوف يشمل أيضا تصنيع الريف خصوصا وأن الكهرباء وهي مصدر الطاقة تكون قد أصبحت جزءا من حياة القرية . وهذا يتطلب ارتباط المشروع بخطة التصنيع وتوزيعها الجغرافي ، وأماكن الثروة البترولية ، والمدنية وما تتطلبه من أقامة مدن داخل الصحراء وخطط التعليم والبحث العلمي .

المناخ السياسي والجماهيري

لعملية إعادة بناء القرية

ومن المفيد أن نسال منذ الآن : هل يتمتع هذه المناطق باعتبارها عملا فنيا نجس بعيدة عن مشاركة ملايين المصريين عامة وجماهير الملايين خاصة ، بعيدة عن الحياة السياسية فيها الجمهورية بشكل عام وفي الريف بوجه خاص .



الخ . . ان هذه التكاليف يجب ان تنسب الى تكاليف المشروع .
ومن كل هذا سوف تبلغ التكاليف بالنظر الى هذا كلفة بارهاق ميزانية الدولة مهما طالت سنوات التنفيذ ، ولذا فان طريقة تمويل هذا المشروع يمكن تصورها في احد اسلوبين .

الأول : ان تتصدى الدولة لتمويل هذا المشروع وعندئذ يصبح اشتراك الجساهير في اوسع اشكاله ضرورة لابد منها ، لاختصار المبالغ الطائلة المطلوبة من الدولة ويمكن ان تأتي مساهمة الجساهير في اشكال عديدة ومتنوعة ، كان تتحمل القرية العمالة غير الفنية او تقوم بتوريد بعض المواد الخام المطلوبة كلن تورد الرمل والزلط او الطوب ، او تتحمل القرية تكاليف نقل المهام والمواد الخام المطلوبة لها او تتغلبا بمقرقتها وغير ذلك من اساليب المشاركة ، والتي يمكن من طريقها اختصار التكاليف .

وعيوب هذا الحل في المرتبة الاولى ان تتحمل الدولة عبء هذا العمل نيابة عن القادر وغير القادر ، هذا من جانب ، ومن الجانب الاخر انه سيكون على الدولة استخدام انبساط من المساكن قد لا تتفق مع رغبات واحتياجات الفئات المختلفة في الريف ، مما قد يخلق تناقضات بين الجساهير من جانب وبين تنفيذ هذا المشروع نفسه .

الثاني : الاسلوب الثاني المقصود في تنفيذ هذا المشروع هو ان تقوم الدولة بتنفيذ وتحويل مباني الخدمات والمرافق العامة على ان يقوم الاهالي بتمويل بناء مساكنهم الخاصة بما يتفق مع رغباتهم من جانب ومع التخطيط الذي تضعه الدولة من جانب آخر وفي اطار التمويل الذاتي للمشروع يمكن ان تتعدد طرق هذا التمويل ووسائله .

ونقطة الضعف في هذا الاسلوب هو اننا سنواجه فئات الكامل الزراعيين وعمل الراحيل وقرء الفلاحين ، هذه الفئات غير قادرة على تمويل مساكنها وحتى لو قامت الدولة بدفع التكاليف هذه المساكن لتتقسيمها عليهم فلن يكونوا قادرين على دفع هذه الاقساط ، ومن هنا جاءت الضرورة ان يدرس هذا المشروع في ارتباط بواقع القرية الاجتماعية والاقتصادية وتطور هذا الواقع مستقبلا .

بعض الجوانب الفنية والهندسية

ولهذا المشروع جوانب كثيرة فنية وهندسية يجدر الاهتمام بها ودراستها . وسوف اشير الى بعض هذه الجوانب :

لكل المطلوب هو اقامة خمسة ملايين مسكن وبلغت تكاليف بناء المساكن وحدها حوالي ٢٠ الف مليون جنيه ، هذا بالإضافة الى تكاليف شبكات الطرق والمرافق والكهرباء الخ . . وكذلك تكاليف اقامة الابنية العامة كالمدارس والوحدات الصحية والابنية الريفية والجمعيات الزراعية وغيرها .

لقد جاء في برنامج العمل الوطني » ان تكاليف هذا المشروع التقريبي الضخم تبلغ حوالي الف مليون جنيه على اساس بناء اربع ملايين وحدة سكنية جديدة لسكان الريف الذين يبلغ عددهم حوالي عشرين مليوناً » .

والا ملاحظ على هذا التقدير انه يعتمد على تعداد السكان اليوم بينما الواجب ان نضع في اعتبارنا تعداد السكان في نهاية المشروع اي بعد عشرين سنة على الاقل . واعتقد ان من المتوقع ان يبلغ تعداد الشعب المصري عام ١٩٩٠ اكثر من خمسين مليوناً وان تعداد الريف المصري سوف يتخطى الثلاثين مليوناً وبذلك يصبح افتراض اقامة خمسة ملايين مسكن بدلا من اربعة ملايين — كما جاء في البرنامج — هو اقرب الاقارب الى الحقيقة .

هذا من حيث العدد ، اما من حيث تكاليف المساكن الواحد فقد افترض البرنامج ان المسكن الواحد سوف تبلغ تكاليفه حوالي ٢٥٠ جنيتها ، غير ان الدراسات والتطبيقات التي اشيرنا اليها دلت على ان هذا الرقم متواضع جدا حتى اذا افترضنا بناء القرى جميعها بالطوب الأخضر . ذلك انه من المهم ان نلاحظ ان البرنامج اغفل في تقديره للتكاليف ، تكاليف الخدمات بالريف ، ورغم انه ينص على » ان القرية المصرية يجب ان تخطط وتخططا عليها حديثا بحيث تضم مدرسة او اكثر يكون فيها مكان لكل الأطفال الذين يبلغون سن الازلام ووحدة صحية ريفية تقدم الخدمة لسكانها جميعا ، كما يجب ان تظل قرية بدون مياه نقية للشرب ، وان تصل الكهرباء الى كل منزل وان تضيء كل شارع » . كما جاء في البرنامج ان القرى سيضاف بنائها » بحيث يكون لكل مجموعة من القرى مركز يتوسطها لتجميع الخدمات التي لا يمكن توفيرها في كل قرية على حدة ككصور الثقافة ومحطات الميمنة للالات الزراعية والمدارس الثانوية والعالية والمعاهد الفنية والمستشفيات العامة ثم وحدات لتصنيع المنتجات الزراعية آليا » .

واعتقد ان تكاليف جميع هذه الابنية العامة ومشروعات الخدمات كمشايير مياه الشرب وشبكات الجارى وهي شى ضرورى لاستكمال بناء قرية جديدة ، وشبكات الكهرباء والطرق

تتم الفلاح باختصار فتحتحت الضبابيك الى ما يقرب من النصف وبنى في حوش المنزل فرنا رغم وجود مخزن بالقرية، كما بنيت في هذه القرى مخازن لاستقبال محاصيل القرية ، وجراج للالات الزراعية وجمعية زراعية الخ .. من وحسيدات الخدمات المختلفة ومن المفيد معرفة مصير هذه الابنية وهل استخدمت فيها سميت من اجله ، خاصة في القرى التي يسكنها منتفعون .

١٠ - تقييم الدراسات السابقة في بناء القرى
الجديدة ومعرفة تطور الحياة بها خلال سنوات استخدامها يعتبر احد الاعمال الهامة والضرورية في دراسة اعادة بناء القرية وليست فقط دراسات بناء القرية الجديدة في مناطق الاستصلاح والتجهيز هي وحدها الخبرة المتاحة وانما توجد ايضا خبرة طويلة للمصريين في بناء تراثهم ، لمبا لا شك فيه ان الفلاح المصري قد اكتسب على مدى آلاف السنين خبرة عميقة في كيفية ملائمة مسكنه مع ظروف البيئة من جانب واحتياجاته هو من جانب آخر .. لمبالا : ليس صعبة ان ينتشر نموذج القباب اسقفا للمنازل في مناطق من بلادنا دون غيرها ، وليس صعبة ان تكون فتحات الشبابيك في هذه المناطق ايضا ضيقة فلا بد لهذا من سبب وان لم يعرفه الفلاح فهو قطعا ادركه ولص ضرورة .

ومن المسلم به ان هذه الخبرة غير مؤسسة على اسم علمية وغير منسقة وينقصها الكثير من ضروريات الحياة الحديثة . ولكننا لو استطعنا ان نقيم هذه الخبرة وان نؤسسها على أساس علمي غسوف نكون قادرين - بلا شك - على الاستفادة منها وتطويرها بما يتلاءم مع متطلبات العلم والمدينة الحديثة . ولسوف تكون هذه الخبرة مضافة الى الخبرة المستفادة من دراسة وتقييم القرى الجديدة التي بنيت ، سوف يكون كل هذا رصيدا هاما ومفيدا عند عمل التصميمات المطلوبة لمشروع اعادة بناء القرية .

٢ - التصميمات والمواصفات : في مثل هذا
المشروع الضخم والطلب منه اعادة بناء حوالي خمسة آلاف قرية مبشرة من اقصى الجنوب الى اقصى شمال البلاد ، يجب ان تكون التصميمات والمواصفات مرة غاية في الرونة ، فيمض القرى سوف تبني في مناطق لا تعرف المطر تقريبيا وبعضها الا يستقبل ابطارا غزيرة طوال فصل الشتاء وبعض المناطق حارة وبعضها معتدل الى آخر ذلك من اختلافات في الجو والطبيعة كما ان بعض الجهات قد يتوفر فيها هذا المصن من المواد الخام او ذاك . فالمعروف ان بعض الياكمن يتوفر فيها الطوب الاحمر بالاسعار رخيصة ، بينما أماكن اخرى تتوفر فيها الاحجار ، وبعض

١ - التخطيط شامل ومدروس : اذا كان وجود تخطيط مدروس يعتبر منصرا من عناصر نجاح اية عملية ، الا انه عند عملية اعادة بناء القرية يأخذ التخطيط اهمية بالغة اذ تعتبر نقطة البدء التي لابد منها ، ولست اعنى بالتخطيط عملية التخطيط الهندسية لهذه القرى وانما اعنى التخطيط الشامل للمشروع : احتياجاته المادية والبشرية ، امكانيات تمويله ومسيرتها - ظروف التنفيذ ، الخانات المستخدمة ومدى توفرها ، تتبع التنفيذ وخطواته الخ .. ان مثل هذا التخطيط وهذه الدراسة هي نقطة البدء الاولى وبدونها لا يمكن التقدم خطوة في طريق التنفيذ خاصة وعملية اعادة بناء القرية عملية طويلة المدى وسوف يستغرق انجازها عشرين عاما على احسن التوفيق ومن الضروري في هذه الفترة الزمنية الطويلة دراسة خطوات المشروع وتوقيت كل خطوة .

اما في التخطيط الهندسي لكل قرية فمما ان المتصور ان يتم مسح القرية مع اضافة مساحات جديدة من الأرض لها وتخطيط هذه المساحة الجديد من حيث الشوارع والميادين وقرب مساحات لاسواق القرية والمباني العامة الخ .. ويجب حساب هذه المساحات الجديدة بحيث تكون قارة - على الاقل - على استيعاب الزيادة المتوقعة في مجالى القرية طوال فترة تنفيذ المشروع بضاف اليها ٢٠ في المائة او ٢٥ في المائة من مساحة القرية الاصلية ، ثم يلتزم الاهالي بضرورة ان تقام المنازل الجديدة في هذه المساحات بموجب التخطيط الموضوع ، مع قيام حملة جماهيرية بين الفلاحين لترغيبهم في اعادة بناء مساكنهم ، وذلك وفق الخطوط العامة التي توصلت اليها الدراسات .

٢ - الاستفادة من التجارب السابقة : ومن حسن الحظ اننا في هذا الموضوع لن نبدأ من فراغ ، ففي خلال السنوات التي تلت الثورة تم بناء عديد من القرى الجديدة في مناطق الاستصلاح .. مديرية التحرير .. ابيس .. ريوط .. الخ .. وفي مناطق التجهيز لاهالي النوبة ، كما تمت محاولات اخرى لبناء مساكن تتلاءم مع البيئة في الوادي الجديد ، ومعنى ذلك انه قد تم بناء مساكن في مناطق بيئية مختلفة من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال .

ومن الضروري عند دراسة مشروع اعادة بناء
القرية البدء بهذه الدراسات وتقييمها ومعرفة نتائج تطبيقها ، فغالبا هذه القرى قد تم شغلها منذ سنوات ومن المفيد معرفة ما آلت اليه هذه المساكن : هل ظلت على حالها كما صممها المهندسون ام اجري الفلاح عليها تعديرات رآها اكثر ملائمة لظروفه .. فمثلا في بعض القرى

أن هذه القضية إحدى القضايا الهامة التي يجب الالتفات إليها ضمن دراسة إعادة بناء القرية .

٢ - إعادة بناء القرية وشبكات الطرق والمواصلات : كما أنه من المفيد دراسة عملية بناء القرية لن تشمل الدراسة شبكات الطرق ووسائل المواصلات المؤدية إليها، فكثير من القرى مازال حتى اليوم ينتقل إلى طريق مهمل يصلها بالحياة بقرب محينة . ومن ثم فإن عمل شبكات من الطرق الممهدة وليس بالضرورة أن تكون مرصوفة ، هو شيء ضروري وهام وليس فقط لكي تخدم القرية مستقبلاً وتصلها بالحياة ، بل لتساعد على إعادة بنائها . أن هذه الشبكات من الطرق هي الشرايين الحيوية التي من خلالها سوف تتدفق المون والخبرات إلى داخل القرى ووجود طرق مهيأة مصالحة لاستخدام العربات من شأنه التقليل من مصاريف النقل إلى ما يقرب من النصف ، ولو قدرنا استهلاك العربات والجرارات وأسمار نقل الخبائث في حالة عدم وجود هذه الطرق ثم قدرنا هذه التكاليف نفسها في حالة استخدام طرق مصالحة للاستعمال لوجدنا أن الفرق بين التكاليفتين يسمح ليس فقط بتغطية نفقات إنشاء الطرق ولكن بتحقيق وفر أيضاً .

عمل تجارب ميدانية

وفي مثل هذا العمل الواسع النطاق والذي يرتبط بعديد من القضايا الهامة والاساسية ، كما يرتبط بحركة الجماهير ومشاركتها من المفيد البدء بعمل عدد من التجارب الميدانية وذلك باختيار عدد من القرى كل واحدة في محافظة ودراستها ووضع هذه الدراسات في التطبيق لتجسد الصورة وتقبلون الجوانب المختلفة للمشروع .

غير أنه لكي تتجج مثل هذه التجارب الميدانية لا بد من توفير مناخ طبيعي مهيمن من المبالعات والاتصال ، أي أنه لا بد من أن توضع هذه التجارب في الجو المعتدل الذي سينفذ المشروع من خلاله . إلا أن ذلك لا ينبغي ضرورة تومير كادر سياسي وبنى مجتمع بالتجربة قادر على التصرف وعلى اجتذاب الجماهير إليه ودمجها إلى المشاركة الإيجابية ، عندئذ يمكن أن نخرج بنتائج تصلح بمد دراستها وتطويرها لتعميمها في سائر المشروع .

وأخيراً فإن مثل هذا المشروع لا تكفي فيه مثل هذه الأمثلة وليست هذه هي كل جوانبه وإنما هي كما قلت في بداية المقال محاولة لفتح المناقشة حوله .

المناطق على مقربة من المحاجر بينما الأخرى على مسافات بعيدة منها ، كل هذا يجعلنا نطالب بمرونة في التصميم والتفذية يتلاءم مع طبيعة المناطق التي سيجرى فيها العمل ، غير أننا نطالب في نفس الوقت بتوحيد مواصفات الخردوات المختلفة ، أنواع الانشباب المستخدمة في الابواب والشبابيك ، خردوات الجدران ، والأدوات الصحية والكهربائية البلاط ... الخ .

إن توحيد هذه المواصفات وجعلها بحيث تتلاءم مع ما هو موجود ومتوفر عندنا من الخامات وبذا نستفيد من الخامات المحلية من جانب ونكون قادرين على التحكم في توقيت الاعمال من جانب آخر خاصة وأن المشروع سوف يحتاج إلى كميات هائلة من المواد الضام ، ومن الضروري أن يتم التحضير لها والتنسيق مع طائفة المصانع المختلفة المنتجة لهذه الخامات حتى لا تتعارض احتياجات هذا المشروع مع احتياجات مشاريع أخرى ومع مطالب السوق المحلية ، وحتى نتجنب بذلك خلق سوق سواد في هذه المواد .

٣ - إعادة بناء القرية وعلاقته بما يجري تنفيذه الآن من مشاريع : تم أن هناك مشاريع كثيرة يجري تنفيذها الآن ، أو خلال السنوات القليلة القادمة يمكن ، بل يجب أن نكون على ارتباط وثيق بعمل إعادة بناء القرية حتى يمكن تجنب التكرار في العمل والتكاليف وسوف نقدم بعض الأمثلة على ذلك :

١ - إعادة بناء القرية وكهربية الريف : لقد بدأت خطة كهربية الريف تخطو خطواتها الأولى والمفروض حسب التخطيط لهذا المشروع أن يتم إنجازه في خمس السنوات المقبلة ، أي في الوقت الذي يكون فيه مشروع إعادة بناء القرية في مراحله الأولى .

ومن الطبيعي أن تتم تنفيذ كهربية الريف على الواقع الحالي للقرى هو الواقع المطلوب تغييره خلال العشرين سنة القادمة ، وسوف يترتب على حدوث هذا التغيير وإعادة النظر في الشبكات التي أقيمت فعلاً ، لذلك فمن المفيد منذ اليوم دراسة العلاقة بين خطة كهربية الريف والشبكات التي ستقام تبعاً لها ، وبين مستقبل القرى حسب الصورة المتوقعة في مشروع بناء القرية من جديد حتى لا تجد أنفسنا في لحظة مضطرين لإعادة الانفاق على كهربية الريف مرة أخرى وتكرار الجهد الإنشائي والمادي الذي سيبدل طوال السنوات الخمس القادمة .

العربي .. واشترك في مناقشتها السيد رئيس الجمهورية ، والتائد العام للقوات المسلحة ، والمكترير الاول للجنة المركزية ، ولقيف من المنقنين ، والمكترين ، وسيدات التنظيم النسائي.

واشار « برنامج العمل الوطني » الى هذا الموضوع الحيوى في اجزاء عديدة منه ، بعضها شكل مباشر ، ففى تصويره للدولة الحديثة يرى انها « قولة الانسان الحر ، المظمن الى غده ، وغد اولاده » ، وفى حديثه عن المرحلة الاولى من التعليم يرى مده الى ١٥ سنة ، « والعلم الحديث لا يبدأ فى مراكز البحث والاكاديميات ، بل يبدأ مع اول يوم يذهب فيه ابنائنا ، بناء المستقبل وأمله ، الى مدارسهم الابتدائية . انهم لا بد ان وان يجدوا فى الدراسة غير جميع مراحلها ، علميا وتربويا ، ما يساعد على نموهم وفتحهم ، فكارا وجسدا واستعدادا ليخرجوا الى حياة العمل والانتاج وقد تفتحت عقولهم على العلم الحديث وتربوا على حب البحث واكتسبوا القدرات اللازمة لاستيعاب كل ما يجد فى ميادين العلم والاسهام فى تطويره وتمصيله ووضعهم فى قمة المجتمع » ..

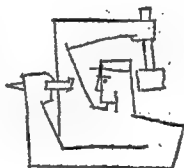
وهناك اشارات ضمنية كثيرة الى موضوع الطفولة ، فان كل حديث عن المستقبل يعنىهم ، ويقصدهم ، بل يقتنا هم يطلون من بين السطور ونحن نتحدث عن خطة التنمية ، ومضاعفة الدخل فى عشر سنوات .. وهم ايضا يبرزون خلال الكلام عن « بناء الانسان الجديد ، الذى يحتاج الى عمل تربوي مستمر » .. وخلال الحديث عن « المعركة القائية » ، والعدو الذى يهد غاراته الى العمق « لا يفرق بين تلاميذ فى مدرسة او عمال فى مصنع او فلاحين فى حقل » ..

العالم والطفولة

وكما ثارت قضية الطفولة تكرر الحديث عن العناية الفائقة بها فى البلدان المحضرة ، التى لا يشغلها بلضيقا والتقنى بأجاده وحاضرها والاشادة به ، عن الاهتمام بمستقبلها الذى هو مروهون بالطفولة .. وقد اشار الرئيس السادات الى ذلك حين تعرض للقضية ، فقال انه فى اجتلترا خلال الحرب خضع الجيوع للبطاقات التموينية فيما مدا الاطفال ، وقال ان اهتمام الاتحاد السوفيتى بالطفولة يفوق كل اهتمام .. ويقول السوفيت « انه رغم مرور خمسين عاما على ثورتهم ، فما زالت هناك طبقة مميزة لها قصورها ، وحدائقها ، ونواديبها ، وعلامتها » وفنونها ، ومسلحها ، وانلامها ، ومكتباتها .. وباختصار تتجاوز حقوقها وامتيازاتها ما تتمتع به الطبقات الأخرى .. هذه الطبقة الجديدة هي ، الاطفال » ..

بناء المستقبل

فى « برنامج العمل الوطني »



عبد القواب يوسف

شغلت

« قضية الطفولة » حيزا كبيرا فى مجال العمل السياسى خلال الأسابيع الأخيرة .. ونوقشت بشكل جاد على كل المستويات ، حتى أنها عرضت نفسها على « المؤتمر التومى » ولجنته « السياسية والعسكرية » وعلى « اللجنة المركزية » ، واللجنة التابعة عنها لوضع الهيكل التنظيمى للاقتصاد الاشتراكى

الطريق؟ وما بعد عشرة سنوات (١٩٩٠) وسنوات
الذين سيخوضونها معهم الآن عشر سنوات..

والعناية بالطفولة لا تأتي من هذا المنطق
حسب، وأن كان يكفي .. ولكنها تأتي من أن
هذه العناية ليست مجرد « خدمة » بل هي
« استثمار »، وأن أية خطة تنمية طفل المسجل
البشري مضي عليها بالفشل .. وخطة التي
تستهدف مضاعفة الدخل في عشر سنوات ،
توضع من أجلهم ، ولهم .. وتكشف الدراسة التي
قامت بها الأمم المتحدة عن مستوى الحياة في كل
من البرازيل ، الفلبين ، بالولايات المتحدة ، واليابان
الفنية بالإنسان تكشف هذه الدراسة عن أن
الإنسان أهم أدوات الاستثمار وأخطر ومبطل
الانتاج وأعظم الموارد الخطأ .

من هو الطفل؟

وفي كل مرة نتأقش فيها هذه القضية ، نجد
اتسعا أسأل يتكرر : من هو الطفل ؟ ..
ويؤثر الجدل والخلاف في البعض ينزل بسنه إلى
مانون الثلاثة أو السابعة ، والبعض يرتفع به
حتى ليصل إلى العمر الذي يستطيع فيه أن يكون
نفسه ! .. ويتدخل الطب فيوقف عمر الطفل
عند الثالثة عشرة ، وتدخل التربية براءها ، ولا
يسكت علماء النفس ، بل ويقدم الفلويون
ليقولوا كلمهم .. وقد لا يفتينا هذا الجدل كثيرا
لولا أنه يمين ويؤيد بالنسبة للتعداد والإحصاء
لخطر أسس التخطيط وأهمها ، فضلا عن أنه
يحدد مجال العمل .. والحق أن علماء اللغة
بالذات في حلة إلى من يسميهم ، ففي
اللغات الأجنبية هناك لسنوات عمر الطفل
مسميات ، ولدينا أيضا بعض هذه المسميات
ولكننا لم نستخرجها ، لذلك ننع في المحظور :
ونشر الجدل .. أن لدينا بالنسبة للطفولة
الوليد ، الرضيع ، الحضانة .. الصبي ، الغلام
الفتى ، الشاب .. هذه التسميات لمراحل العمر
قد تريخنا خلال عملا مع الطفولة ، فلا تضلوا
« اللجنة المركزية » لناقشة من يتولى أمر
الطفولة ؟ أهى أمانة النساء ؟ أهى أمانة الشباب ؟
هل تنشأ للطلات أمانة خاصة بهم ؟ .. وقد
يفيدنا في هذا المجال ما أوصت به « حلقة العناية
بالتقافة القومية للطفل العربي » التي عقدتها
جامعة الدول العربية في بيروت في سبتمبر
١٩٧٠ ، فقد رأت أن تصل ببرحلة الطفولة حتى
السابعة عشرة ، وطلبت الحلقة من الأجهزة
والوزارات المختصة بـ الصحة والتعليم والشؤون
الاجتماعية والتربية وغيرها .. أن تهمل على
توفير أسباب النمو الجسمي والنفسي والاجتماعي
للأطفال العرب في السنوات الثلاث الأولى من
العمر عن طريق إنشاء وتنشيط الجمعيات
والأجهزة التي تعنى بالأمرة والطفولة .. كما

وكما عاد المسافرون إلى الخارج تحدثوا في
أسباب من الطفولة في الحياة الشرقية ، والصين
واليابان .. والولايات المتحدة الأمريكية .
ومشروعت الطفولة فيها .. شأن كل شيء -
تنهض به مؤسسات مملوكة للأفراد ، ولكنها
تنتشر بشكل ضخم ، ألقا - فضلا عن أهميتها -
مشروعت تدور أربعا خيالية ، فهم يقدرون على
استغلال كل شيء ، والاتجار بكل شيء ، مما
أضوا على الأمر من صفات وسيمات الإنسانية
وتربوية .. وأوضح مثال لذلك « مؤسسة والت
ديزني » ، التي وضعها خرسوف في أول قائمة
الأمكان التي طلب زيارتها حين ذهب إلى
أمريكا لحضور اجتماعات الأمم المتحدة .. ولكنهم
لم يسمحوا له بزيارتها لضخمتها فهي مقلدة
على مساحة تقدر بالآلاف الأمتة ، وعليها منشآت
ضخمة ، يصعب فيها حراسة الضيف الكبير !
وهكذا نرى العالم ، شرقه وغربه ، يرمي الطفولة
بما صنعته .

الطفل العربي ..

والطفل الإسرائيلي

ولسنا في حاجة إلى هذا الحديث المأد عن
العالم والطفولة ، ولكننا لن نبل تردده حتى
يقنع به المسئولون ، فإن الكثير من الاهتمام
يقف منذ حد الكلام ، والتصريحات ، والصور
اللباسية في الصحف أثناء دعاية الأطفال ..
ولكن الأمر لا يمكن أن يفي على هذه الصورة
ويكفي مثل واضح لخطورة القضية .. ذلك أن
أحدى الصحف البريطانية بحثت بعدد كبير من
الصحفيين مهمتهم دراسة « الطفل العربي » ،
و « الطفل الإسرائيلي » وكيف يفكر كل منهما ،
ونيم يفكر ، لاثم يرون أن المعركة بين المشرق
وإسرائيل تستحسبها الأجيال المقبلة .. وهذه
المسألة ليست غريبة عن أذهان المسئولين في
بلدنا ، ففي اللجنة السياسية والمركزية للنتنة
عن المؤتمر القومي لوجيء بعض أعضاء المؤتمر
بوزير الحربية والقائد المسم للواءات المسلحة
تحدث عن « الأطفال » ، ويسهب في الحديث
ويغرب الأمتة عن ألوان العناية بهم ، وقسورة
ذلك في بلدنا ، فإن حريتنا مع العدو لن تحسم
في المعركة القادية ، بل هناك معارك عدة على



تنبأت الحلقة تقريبا لأشوار الطفولة للاستئناس به ، خلال العمل مع الأطفال .. وراث أن يكون الطور الأول حتى السادسة ، والثاني حتى العاشرة ، والثالث حتى السادسة عشرة .

دور الحضانة

هناك عوامل عديدة تزيد من حاجة بلادننا الى دور الحضانة ؟ أهمها زيادة نسبة الأمهات العاملات وعدم توفر أماكن اللعب تحت الظروف السكنية الخاصة التي تعيش فيها بعض الأسر ، والخلافات الزوجية المستمرة التي قد تفضي للطلاق ، ثم غياب الأم بلطفة أو السجن أو لاي سبب آخر ، فضلا عن الصعوبات التي تلرضها الحياة الحضرية في تحقيق التكيف الاجتماعي .

ولقد انتشرت دور الحضانة في بلادننا في الآونة الأخيرة ، غير أن الإشراف عليها موزع ما بين جهات عدة .. أو هي بلا إشراف على الإطلاق .. بعضها تابع لوزارة الشؤون الاجتماعية ، والبعض الآخر تابع للتربية والتعليم ، وقد آن الأوان لكي يتم وضع خطة كاملة لدور الحضانة ، وكذا تنقي لو أن هذا حدث خلال مؤتمر « نحو طفولة أفضل » الذي عقده الاتحاد الاشتراكي لجنة القاهرة - في ٢٨ يناير ١٩٧١ ، لولا أن هذا المؤتمر لم يكن يزيد على سوق خيرية ومزاد هلني لجنع الأموال للجمعية العامة لدور الحضانة وللجمعية لبعض الشخصيات التي يهمل أن تظهر صورها في الصحف والمجلات والنشرات المستولة ، وهي تقرر حقا على الطفولة ، حتى لقد بلغت الأموال التي تم التبرع بها في افتتاح المؤتمر خمسين ألف جنيه ، بدون الرجوع إلى مجلس الأمة أو أية جهة مالية .. ويعلم الله وحده مسیر هذه الأموال ، إذ أن سير العمل في ذلك المؤتمر يدل دلالة قاطعة على فشل المؤتمر ، ولعل لجنة من الاتحاد الاشتراكي تعيد النظر في هذا الأمر برمته ، فقد بات من الضروري القيام بعمل ثوري في مجال دور الحضانة ، ويقت من الصعب الصبر على مايجرى في هذه المخازن التي تودع فيها الأمهات أبناءهن حتى تنتهي ساعات العمل .

طافل « الإبتدائي »

وبتفتتاح فترة الحضنة ، لخطر وأهم مراحل الطفولة كما يرى التربويون وعلماء النفس ؟ تبدأ مرحلة جديدة ، يرى برنامج العمل الوطني أنها بداية « العلم الحديث » الذي « لا يبدأ في مراكز البحث والاكاديميات ، بل مع أول يوم يذهب فيه ابنائنا » بناء المستقبل وأمله الى مدارسهم الإبتدائية .. وهنا يركز البرنامج حديثه على نقطة جوهرية بالغة الخطورة بالنسبة للطفولة ،

أن الدراسة ليست فصلا ولا كتبا ، إنما هي « نمو » و « تفنح » ، فليس يعنينا قدر ما يحصل عليه الطفل من معلومات ومعارف ، ولا مستهدف خلق مقول حافظة وأدمغة تحوى شرائط تسجيل وكفى ماحدث في الماضي ، بل ومازال الكثير منه يلتقي الى اليوم .. حشد كبير وحشو ولغو في المواد الدراسية ، يجعل الطفل يعيش في عالمين منفصلين : عالم الكتب الجليدة المجسدة ، المنفصلة عن كل واقع ، وعالم حياته المليئة بالأحداث بل والخيلات .. أن « البرنامج الوطني » يحدد في وضوح ما يجب أن يلقاه الأطفال .. « أنهم لابد وأن يجتوا في الدراسة - عبر جميع مراحلها - علميا وتربويا ، مايساعد على نموهم وتفتحهم تفكرا وجسدا واستعدادا ليخرجوا الى حياة العمل والانتاج » .. والسؤال الذي يطرح نفسه .. هل مناهجنا ، ومقرراتنا الدراسية ، ومدارسنا تنهض بهذا الصبب الآن ؟ اتنا جميعا مفتقون على أنها قاصرة من أداء هذا الدور ، وبمها كتلت الأسباب ، فليس هناك مبرر تعد لأن ندع الأمور على هذه الصورة ، ولابد من « ثورة » في هذا المجال ، خلق جيلا جديدا .. والأمر بالطبع هنا ليس قاصرا على أطفال المرحلة الإبتدائية ، بل على « الدراسة » عبر جميع مراحلها .. ونظرة واحدة للاهتبايلات العامة لتنظيم المرحلة الإبتدائية ، ولطالب الاعدادي والثانوي ، تكشف لنا أشياء مريبة : اتنا نجد البعض قد اكتفى من نتيجه بها هو مسطور على صفحات كتبه ، والبعض الآخر له اعتبارات صغيرة نفحة يدور في ملكها ، وقيلون هم الذين يشعرونك بأنهم « ينمون » و « يتفتحون » على الحياة ، ويأنهم يستوعبون دروسهم ويربطونها بما يجري من حولهم .. والحق أن أطفالنا في منتهى الذكاء ، ولكننا نخلق هذا الذكاء ، ونهدره ونبيده في سفاهة ..

وتعيش أجهزة ثقافة الأطفال في « وادي » والمدرسة في « واد » آخر .. فلا يكفلان ، ولا يمتان المهمة والرسالة ، بل يتبادلان الاتهام .. لجهاز ثقافة الأطفال ترى المدرسة تكبل الطفولة بأغلالها ، والمدرسة ترى أن هذه الأجهزة تصرف الأطفال عن دراستهم ، وتبقى التهمة حائلة بكل منهما ، ولاتصمم هذه القضية ، بل تقع « المقوية » فيها على الجناة الحقيقيين ، بل على رأس الطفولة المعنية بين المدرسة وأجهزة الثقافة ..

ثقافة الأطفال

الحديث عن أجهزة ثقافة الطفل قد يطول ؟ ويسبب الكثير من الحزن والامى .. فإن طفلنا

يقيم الثقافة ؟ فهو يعيش على قنات مائدة الكبار ؟ او مختفلا على الثقافة الاجنبية .. والجهود المبذورة المبذولة في حقل ثقافة الاطفال متواضعة النمل كما انها ليست دانية القفوف .. ونحن نعلم ان مشاكل الثقافة لا تحل بالسهولة واليسر والسرعة التي تحل بها المشاكل السياسية او العسكرية .. لان الثقافة بطبيعتها تحتاج الى جهد اشق ووقت اطول .. ومع ذلك فان نظرة مقارنة سريعة لرعاية ثقافة الاطفال - في الشرق او في الغرب او في الهند مثلا - سوف تكشف لنا عن قصور وتصعير .. ولنا نلوم شخصا بذاته ولا هيئة معينة ، لان الامر فوق طاقة الافراد ، وفوق قدرة هيئة ما .. ان الامر يعني الثقافة كل الشعب والدولة كل الدولة .. انه امارة في اعناقنا جميعا وواجب وضريية ولابد وان تؤدي من اجل المستقبل الحضارى لامتنا ، ويكنى ان اشير الى محنة كتب الاطفال في بلادنا لنعرف حقيقة المأساة .. في العام الماضي طبع الاتحاد السوفيتي ٢٥٠ مليون نسخة كتاب للاطفال - غير الكتب المدرسية - من اجل نحو ٦٥ مليون طفل ، وبذلك يكون متوسط ما يطبع لكل طفل ٣٨٠ كتاب سنويا .. وعنفنا اوقفت دار الهلال كتب الهلال للاطفال ، ايا دار المعارف تقتصر مسلسلات بوليسية مترجمة من كتيبة مرفوعة في بلادها انجلترا لانها كتبت في حقباتها مايزيد على ٥٠٠ كتاب للاطفال ، وتفرق هذه المسلسلات الاسواق من دار احتضنت قلم سعيد العريان ، وغيره من المربين ، وحملت مسؤولية ادب الاطفال في بلادنا لفترة طويلة واذا بها تتخلى من هذه المسؤولية .. وتكتفي ببعض الدور الاخرى باستيراد الكتب المترجمة من بيروت او باستيراد الجلات الاجنبية لتضعها بين ايدي اطفالنا وقد نقلت الى العربية بكل ما تحمله هذه الجلات من سموم .. البعض يقتل او ينسى متعبدا ان الذين يسمعون للمساتنوم هم الذين يصنعون « ميكي » .. وكلاهما - النلتنوم وميكي - يقتل اطفالنا في « بحر البقر » وفي غير « بحر البقر » .. وليتنا اكتفينا بهذه المجلة ، ولكننا بلينا بشيئة لها لم تجد ما ترويه لاطفالنا عن اخفائون سوى ان جيش مصر كان « لا يهدا فهو دائم التناقل من فلسطين الى سوريا لينزل العرب في قلوب شعبها ويحتق لصر السيطرة عليها » ثم نشر الكراهية لاثارنا في رايها « تشهد على تبذير امتنا وقسوة الحكم فيها وظلمه » .

وتريد ان تؤكد اننا لمتنا نقد الترجمة هولستنا شد فتح نوافذ الفكر على الانتاج المالى للاطفال ولا نرغب في ان يشب اطفالنا دون ان يعرفوا « ميكي » و « تان تان » و « سوبرمان » الذين يعرفهم اطفال العالم .. ولكن يجب ان يعرفوا « سندباد » و « علاء الدين » وفي ترائنا الكثير مما يصلح للاطفال ، وبعض مترجم لغات الدنيا وليس منشورا للاطفال بالعربية ، لاننا لاتجد من يساعد الانتاج القوي ، بينما تلف المؤسسات الاجنبية وراء ما ينشر من مترجمات ، تعود على اصحابها ببيع مادي مغشلا عن التسلسل الى عقل اطفالنا ، لتلقينهم افكارا تخالف تقاليدنا القديمة ، وتقيمنا الجديدة .. كما انها تهتم بالرسوم المسلسلة التي لا تحرب الاطفال على القراءة الجادة ، وتحرك احدثها بسرعة تحث تورا لدى الاطفال ثمة لقصاص الرعب والاثارة التي تنشرها .. وتقول مجلة [القرون العشرون الانجليزية] عن دور « الكوميكس والاستريس » الامريكي عبارة ، هذا نصها ..

« اذا قدرنا ان هناك اكثر من ٢٠٠ مليون شخص في نحو ٦٠ دولة يتبعون الكوميكس الامريكي بشراهة واتهم يقرأون هذه الكابوليات من الفكاهة والدراما والمغامرة والفانتازي لسنوات فتن على يقين من اننا نعامل مع قوى ثقافية ضخمة لها تأثيرها الكبير في اهتمامات الناس » .. رغم راي الانجليز فيها ، اذ يرونها ارض ثقافات مصر وانها تعكس القلق وتشيعه في نفوس الاطفال وانها محاولة لـ [امركة] العالم .

ولا تكن هذا السطون ؟ اذ يحتاج الموضوع الى مودة في دراسة متأنية ، نتحدث فيها عن دور الاذاعة والتلفزيون ، وفي برامجها للاطفال من السليبات ما يجعلنا في حاجة ماسة الى مراجعة شاملة لكل ميدان وما يقدم على الشاشة الصغيرة .. وقد تكون برامج الاذاعة افضل ، ثمة للامس التي وضعها « بليا شلرو » ، ولكن برامج الاطفال في التلفزيون في السنوات الخمس الاخيرة حفلت بأسوأ العروض ، رغم الفسجيح الذي لحظنا بالبرامج المستوردة « قرأهيو » و « بطبوط » و « وبزي » ، اذ ان ذلك لن يجعلنا نفرض الطرف من الثقافة والضحالة

والسبلحية التي انضمت بها برامج الاطفال في تلك الفترة ، ولم نستطع بعد اقالة هذه البرامج من عثرتها وإخراجها من الهوة التي سقطت فيها

المدرسة والمعلم

ان « البرنامج الوطني » يطلبنا بان نشب الاطفال وقد « تفتحت عقولهم على العلم الحديث ، وتربوا على حب البحث واكتسبوا القدرات اللازمة لاستيعاب كل ما يجد في ميادين العلم والاسهام في تطويره وتصميمه ووضعهم في خدمة المجتمع » . . . والمدرسة وحدها لا تستطيع هذا ولا بد وان تشارك اجهزة الثقافة معها ، وان تعاونها الاسرة والمجتمع . . . ولست انسى اننا حين كنا نتعلم في فصول الدراسة ان « الفرقة لا تنقسم ولا تنشطر » التفت القنبلة الذرية على هيروشيميا ولجناكي ، وظل بعض الزملاء على ايمان بان الذرة لا تنقسم ، لان معلمنا قال هذا !

ومنذ الثورة الصناعية ونحن غير قادرين على ملاحظة تطورات العلم الحديث ، وعلى ملاحظة الاحداث السياسية اذ يدرس الطفل في الخامسة الابتدائية « الملحة التوكلية البنية » ويلجأ بها في السادسة وقد أصبحت الجمهورية العربية البنية . . . ويكتفون تلقى بهم معارفهم ومعلوماتهم بهذا الحد ما تلقوه في فصول الدراسة . . . وكلنا ولا شك نذكر زملاء لنا كانوا يسيقون بالمدرسين المتطورين حين يخرجون من الدرس وعن الكتاب ليندحوا امامنا آفاقا رهيب ، ويستمرخهم هؤلاء « خلونا في دروسنا » ويطلبونهم بالسوداء الى موضوع الدرس . . . وكثير من المدرسين المتفتحين هو قلوبا من مفتحيهم نتيجة رغبة شديدة لدى هؤلاء المعلمين في القيام بدورهم الحقيقي روادا ، وقادة ، ومربين ، ومتفنين ، وموجهين . . .

وقد آن الان ان نرى كيف تضع « امانة الفكر » خطة لتشر الزمى الطلى ، وتكوين الجمعيات العلمية ، وانشاء المناهج التي تفتح عيون انثنا على « العلم » . . . ويجب ان نكشف من ثرائنا في هذا المجال ، وكيف نطعم الصالح ومضى به قداما وطوره ، واماده البنا . . . ان موضوع الطفولة والشباب والعلوم لم يحتاج الى دراسة . . . كما ان تربية الاطفال والشباب على حب البحث يجب ان يدفع بنا الى التفكير في ضرورة القضاء

الكتب المقررة ؟ ونقدم قرص « كتاب » على صفاته ، بل يكتب بالفهم ، ومجموعة من المراجع ، وعلى المدرسين والتلاميذ معا بحث موضوعات المنهج ، دون الاعتماد على كتب معين ، فقد أصبحت هذه ساحة الدراسة حتى السنوات النهائية من جامعتنا ، وعرفنا « السلام » ولم نتعلم البحث ، والدرس ، والرجوع الى العديد من الدراسات حول موضوع واحد . . . بل عرفنا كيف نكتب عبارات استاذ بعينه ، فاذا ما تضمنت اجابتنا عبارات استاذ آخر ، كنا آثمين ومجرمين ، نستحق « السقوط » عقابا لنا . . . ونخسرج الجامعيين ، وقد حشرت معارفهم داخل الكتب والمذكرات ، بل لقد حفظوها ويستطيعون استظهارها ، صفحة بصفحة ، وسطرا بسطرا ، دون فهم او وعى ، فهم بذلك لم يستوعبوا ، فكيف يمكن ان يستوعبوا « الجديد » ، « المتطور » ، فمقابلنا بقدرتهم على الاسهام في تطويره ، وتصميمه ، ووضعهم في خدمة المجتمع . . . اننا مطالبون بان نحول ادمغة اطفالنا وعقولهم الى « اسفنجة » يترطب العلم باستمرار ، ويقبله على الدوام ، وسيلنا الى ذلك في سنوات العمر الاولى الانفاة من حب الطفل للخيال ، واستيعابه به ، ان الخيال هنا يقوم بفتح آفاق واسعة امام الاطفال تعينهم في المستقبل على تقبل العلم والمعرفة . . . وانى لاجد متعة كبيرة في تسجيده ذهن الطفل بالبالون الذي يلعب به ، والخيال يفسخ من حجم الذهن كما يفعل الهواء في البالون ، وعندما يتسع الذهن ، يتقبل الكثير . . . لذلك يطون في الخارج بالحكايات الخرافية والاساطير وتقصص الطفولة المبكرة بما يثير الخيال ، لانه السبيل الى الحقيقة والواقع ، والطريق الى العلم والمعرفة . . . ولست انسى استاذ التربية الكبير الذي كان مضوا لجة جوائز الدولة لادب الاطفال حين اعترض على قصة قاتلا : هل تتكلم نقطة المطر ؟ . . . وردت عليه الدكتور سمين القباوى : بأنه ولد « بشنب » ، وبأنه لم يعرف الطفولة . . . وصندقت لقد تجاوز مره السنين ، وانتهت طفولته قبل بداية ادب الاطفال في بلاندا !

بناء الانسان الجديد

ويتحمل الاتحاد الاشتراكي مسؤولية « بناء الانسان الجديد » . . . والانسان الجديد ، في تقديرى ، ليس هو الذى شرب من الطوى ، ويكون

والوقاية من الرقن والعلاج .. نحن نريد أن نجعل الطفولة بكل ما يسهل لها النمو ، والفتح بالاستفادة بكل الوسائل والصيل ، مهم في حاجة الى الحدائق والمسارح ، قصور الثقافة ، ودور الكتب ، الملاعب والمستشفيات ، الأفلام والكتب، الرمية الاجتماعية والنفسية ...

بناء الإنسان الجديد ، يقول عنه البرنامج :

« انها مهمة صعبة ، تتطلب عدة سنوات ، من العمل الجاد المثابر ، الا انها مهمة نبيلة تستحق أن تركز لها الجهود » و « أن الاستعمار ، علما بأنه بدأ للقيم الثورية من اثر يشن شننا وضد قيمنا حريا فكريا يستخدم فيها أحدث الوسائل ، وان علينا أن نواجه هذه الحرب » .

ان بناء الإنسان الجديد فيها أرى يتطلب ثورة شاملة في حقل الطفولة ، من الحضانه ، بل من الرحم ، الى ان يصبح الصغير وينشأ تحت لواء منظمة الشباب ، ليلعب دوره كاملا في بناء الحاضر والمستقبل .

الطلّاع ..

وقد دارت مناقشة حول الأطفال ، أية امانات الاتحاد الاشتراكي تتحمل مسؤوليتهم ؟ ! ..

أمانة الشؤون النسائية ترى أنها حق .. وأمانة الشباب ترفض أن يناقش الموضوع ، فهي صاحبه أولا وأخيرا .. وتتصدى أمانة « الفكر والثقافة » لذلك فعلن أنها مسئولة عن ثقافة الطفل .. وكل هذه غير مسئولة عن ثقافة الطفل .. ورائ البعض أن الامانات - كل الامانات - لابد وأن تصبغ الطفولة في حسابها وهي تعد برامجها .. واستقر الامر على أن تتحمل أمانة الشباب - بشكل كامل « الطلائع » ، وان كان ذلك لا يخلو بقية أجهزة التنظيم السياسي من مسؤوليتهم عن الطفولة .. ليت أطفال بلاننا جميعا ينشؤون تحت لواء الطلائع ، تهيئاً لأن تحتويهم منظمة الشباب ، ولكن ذلك بالطبع مرّال يصل أبنية عزيزة غالية ، يصعب تحقيقها .. غير أننا على يقين من أن القضية مستحقة باهتمام كبير ، فإن الكثيرين من العاملين في الحقل السياسي يؤمنون بها ايضاً عميقاً ، ولوسوف يترجم هذا الإيمان الى عمل ، وعمل كبير ، تتضح ثمراته في المستقبل ، حين يتحمل هؤلاء الأمانة والمسؤولية .

ثمة : « فقد يكون هذا في حاجة الى تقويم او إعادة بناء .. ولكن الإنسان الجديد هو ذلك النبات الصغير الذي نعدده للمستقبل ، لتفرض عليه لفكر الخاص ، انما تمنحه مسبين الحرس والبحث والاستيعاب والتطوير .. ويجب أن يتم تدريب الاطفال على تطوير أنفسهم من كافة الوجوه .. فالاشتراكية لا تتحقق تبلياً الا من خلال مستوى عال من الثقافة والوعي والنضج .. وان خصال ابنائنا تتشكل وفق نمط حياتنا وتربيتنا فكرياً ومعائداً ، ولا يمكن للأفكار والمعتقد أن تتحول الى قوة حثيية الا اذا رسخت واستقرت في الاحاسيس والوجدان ، تحت الناس على العمل ، والخلق والابتكار .. وهذه مهمة شاقة ولا شك ، فنحن في حاجة الى حماس دافق تجاه العمل ، ويجب أن تفرس في نفوس قديسيتهم ، كما اننا في حاجة الى 'لغز' ضد مخلفات الماضي من نزعات فرجية ، واكالية وسلبية وتطفلية ، وغير ذلك ، من الوان السلوك التي يجب القضاء عليها ، مع تهية جو خلقي ومحموي يؤكد احترام الإنسان ، والنزاهة وحقه النفس والترف من العقاقير ، مع ضرورة التحدّد مع النفس ومع الغير تجاه القيم والمسئوليات ، وذلك كله ليس مجسداً « أخلاقيات » ، بل لابد وأن يسود كالتقوى وأن يحترم كدستور للحياة .. ويتلى بناء الإنسان الجديد عن طريق تربيته سياسياً ، على حب وطنه : مصر ، وقومه العرب .. ويشير البرنامج هنا الى تنظيم المسيرات الى أماكن الحزبات الوطنية والقومية .. وهنا نحن في حاجة الى الحرية ، والى البصر بالفضايا التي نعيشها ، والى ضرورة استشراف المستقبل بكل احتمالاته وتوقعاته .. ثم لابد من تعليم المواطن ويجب ان يكون مفهومنا ان كل تعليم يحصل عليه الطفل او الشاب ما هو الا قاعدة أساسية تحتاج الى استكمال البناء من طريق التزوّد الدائم بالمعرفة .. ونأش الثقافة لتصبح جنبا الى جنب مع التعليم ، وتشركه في بناء الإنسان الجديد ، عن طريق الآداب والفنون .. ونحن هنا في حاجة الى تشجيع الإنتاج الفني والأدبي الصادق ، الذي يمس الوجدان ، وينفذ الهفوات والشعيرات المروعة ، والآداب والفن المباشرين ، اللذين لن يفيدا في كثير از قليل .. وأقبل وقنونا الاطفال من أروع أساليب البناء الفكري .. على أن نحვიهم من الوافد الضار من الأفكار ، ونحვიهم من كل ما يؤثر على نفوسهم البرينة المتطلعة الى حياة افضل ..

وادرک بالطبع ان البناء ليس فكريا محسباً ، بل نحن نحتاج الى بناء أجسادهم ، والرياضة



حول مفهوم « القيم » في البرنامج

- ☐ نبشأ الانســــــــــــــسان الجديد
- ☐ أرض مشتركة للقيم الروحية والأشترائية
- ☐ القيم المسيحية .. وقضية الأشترائية

تلك التي كلُّها ببقائنا فيها منبجاً ١١ وهي مهمة صعبة وشاقة ليس النجاح فيها أمراً سهلاً على الإطلاق . ولعل أصعب ما يواجه تلك القضية أن الثورات التي تحل التغييرات الاجتماعية تبرز هي ذاتها بمسار طويل من التخير والتبدل حتى تستقر فيها ومسالكها وتبين الطريق السليم والمناسب الذي لابد أن تسلكه لتحقيق مصالح الطبقات التي تنبئها .

اذلك يجعل برنامج العمل الوطني من مهمة بناء الإنسان الجديد واحدة من خمس مهام رئيسية للاتحاد الاشتراكي العربي ، ويضع يده على المربين الرئيسيين في معالجة تلك المشكلة وهما « أن تكوين الإنسان الجديد لا يمكن أن يتم بمجرد الوعظ والإرشاد » خاصة إذا كان الوعظ بعيداً عما يحظ به ولن يتم ذلك من خلال الصراع الدائم ضد القيم البالية التي فرضتها على حياتنا العلاقات الاجتماعية والراسخات ١٢ »

نظرية نقدية

ولكى نقاول الطريقة التي تساعد على تحقيق ذلك الهدف ، لابد أن ننظر نظرة نقدية لتجربة ثورة ٢٣ يوليو في هذا المجال . ولعلنا بالنظر النقدية استخلاص الجوهر الثوري القوي في التجربة ، وإدانة العوائق والاتجاهات التي تعرقل تقدم الجانب الثوري ، ثم إضافة الخطوة الثورية التي لابد منها لكي يستقر مسار الثورة في طريقه لتحقيق مطالب الشعب . . .

ولعلنا مما يتفق مع طبيعة الأمور أن عملية التصحيح يعلن عنها ، يجب أن تتضمن خلق المناخ اللازم لدعم منهج النقد ، خصوصاً إذا ركز الإعلان عن عملية التصحيح على قضية الديمقراطية . وتتلنا تجربة الشعب المصري في بناء التنظيمات السياسية أنه ما لم ينشأ التنظيم تلقائياً أي بانتماع وحساس من الجماهير التي تؤمن أن هذا هو سبيلها لتحقيق مطالبها ، فإن يكن له النجاح . . وأما تجربة تكوين الحزب الوطني وحزب الوفد . . وإيماناً في الوقت نفسه تجربة هيئة التحرير والاتحاد القومي . . لقد نجح التنظيمان الأولان — في بداية تكوينهما — لأنها كانت تعبيراً حقيقياً عن مطالب الشعب ، ولأنهما تكونتا بشكل أقرب إلى التلقائية والمبادرة ، وتعزز الإصرار لأنهما لم يستطيعا التعبير عن مطالب الجماهير ولأنهما تكونتا تحت تأثير السلطة . . وتحضرنا عبارة قالها نابليون يوماً لوزير ماليته « فولتان » . . . « تعرف م أعجب أكثر من عجبى من أي شيء في هذا العالم ؟ . . . عجز القوة والتهن من أن تغلبا النظام على شيء أ » . .

بناء الإنسان الجديد



لكني أعظم

برنامج العمل الوطني « أن بناء الدولة الجديدة لا يمكن أن يتجسج بدون بناء الإنسان الجديد » وهو في ذلك يقدر حكمة مستعدة من تاريخ الثورات في العالم أجمع ،

يقدر

فما من نظام اجتماعي أراد لنفسه البقاء والاستمرار الا وسمى لتغيير الإنسان نفسه، بمبادرة أخرى خلق المواطن ذي القيم وإنباط السلوك المخلفة من

لتحقيق هذه القيم هذه القيم في سلوكهم ؟ على أن هذه القيم ليست أشياء مجردة وإنما ما جعلها حوافز ومعايير للسلوك أنها حققت للبشر على مر العصور التقدم والرخاء وطمأنينة البال وحافظت على وجود علاقات إنسانية بين البشر وبعضهم البعض . على أنه لما كان تقدم المجتمع لا يصير إلا بتقريب الفوارق بين طبقاته وفئاته المختلفة وبما أن انتمس المجتمع إلى طبقات على أساس الملكية سعت الطبقات الحاكمة والمالكة دائماً إلى اظهار نفسها بظهور المدافع عن مصالح الشعب كله وعن القيم الإنسانية كالعدل والحق والخير والفضيلة . بينما مارست في الواقع كافة أنواع المظالم حفاظاً على ملكيتها وإبقاء على حكمها وسيطرتها . ومن هنا كان الصراع في المجتمع بين الطبقات هو صراع من أجل إزالة الظلم والاستبداد وإعادة توزيع الثروة ، وهو في الوقت نفسه صراع من أجل توطيد القيم الإنسانية التي هزأت بها الطبقات الحاكمة .

لذلك تكون القيم السائدة في كل مجتمع — بشكل عام — هي بالضرورة قيم الطبقات السائدة فيه وذلك بحكم التماسك الاجتماعي الذي يجعل من المجتمع المتنافسة طبقاته وحدة بين الأضداد . ويكون من نتيجة ذلك أن تتسدر قيم الطبقات الأخرى المتحالفة أو المرتبطة بمصالحها بمصالح الطبقة الحاكمة وتشتبع في المجتمع القيم السلبية والفاصلة لأن ذلك في الحقيقة هو دستور الطبقة الحاكمة ، ويصبح حيلة القيم الإيجابية والشريفة موضع اضطهاد وسخرية .

ولقد تكررت تلك الصورة في التاريخ ولمن المجتمعات الرأسمالية الحديثة هي خير دليل على احتدام صراع القيم .

حرية التقدم فتاح المشكلة

ويكون مفتاح مشكلة تغيير القيم كامناً في حرية النقد ، فمن خلال النقد يتطور الصراع ويتضح أمام الجماهير ما هي القيم التي يجب أن تنتصر والقيم التي يجب أن تهزم .

ويضعنا هذا مباشرة أمام تجربة الاتحاد الاشتراكي في مصر ، الذي لم يستطع أن يجعل من نفسه قوة قائمة لنضال الشعب من أجل تغيير ما هو مختلف في المجتمع رغم شعارات الحرية والاشتراكية التي برغمها . وترك هنا برنامج العمل الوطني . يتكلم :

« وأربابا كان أخطر ما واجهنا فكرياً خلال السنوات الماضية هو ذلك التناقض المصطنع بين

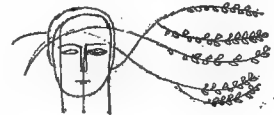
لقد أدرك ذلك الجبار أن القوة بهما بلغت فلن تستطيع بلوغ مرادها من إخضاع الإنسان لها ، ولكن ذلك المخلوق العنيد يصبح ملس القيادة كقطر إذا ما اقتنع بشيء ، وهذه هي المشكلة في مسألة القيم ، فيستحيل إجبار إنسان على الإيمان بقيئة معينة ، أو اتخاذ سلوك معين إنما هو يشرب ذلك باعتقائه الذاتي وعلى مهل ومن هنا فإن الثورات التي تبقى وتستمر هي وحدها التي يمكنها خلق الإنسان الجديد ، وكل ثورات العالم ، لكي تستمر وتؤدي رسالتها ، تضاعف نصب أعينها دائماً خلق جيل جديد مؤمن بها ، أي خلق جيل تخلي عن القيم والمبادئ والمطامح القديمة المرتبطة بالنظام القديم واعتنق القيم والمبادئ والمطامح التي أتت بها الثورة . وبقدر ما تنجح الثورة في ذلك بقدر ما تستطيع تحقيق أهدافها تحقيقاً يديم على مر الزمن . ولكن المشكلة المعاصرة خاصة في دول العالم الثالث أنها تجعل اعتمادها الأساسي على السياسات والخطب الثورية ولا تقدم شيئاً ملموساً في مجال الانجاز . ولكن ثورة ٢٣ يوليو على العكس تميزت بنجرات ثورية ملموسة ولكنا عجزنا عن خلق الإنسان الجديد .

سؤال صريح

فإذا طرحنا بصراحة سؤالاً أساساً لم نستطع خلق الفرد اللازم من القيادات السياسية الواعية بين الشباب بقدر كاف ويعتمد عليها ، ولماذا لا تزال توجد في المجتمع قيم اللامبالاة ، و « شيلني وأشيلك » و « مشي حالك » ولماذا لا يؤمن أحد بقيم المحافظة على الملكية العامة ، وأداء الواجب بضمير يقط ، وقول الحق في وجه القوة ، لماذا ذهبت الشجاعة أو كادت ، ولماذا لم يعد أحد يحافظ على كرامته الإنسانية بضمه ؟ .. لو جئنا الإجابة في تفسير عبارة كيف نجعل الشباب يؤمن بالقيم الجديدة .

ما هي القيم ؟

القيم هي كلمات معنوية تعبر كحوافز ومعايير للسلوك ، فالخير والخير والفضيلة هي قيم حركت الإنسان منذ القدم ، ويسمى البشر



الاشتراكية والحرية والذى أفتعله اغناء الحرية
والاشتراكية على حد سواء . ان مراكز القوى
التي لا يمكن لها ان تظهر أو تعيش ، بل لابد وأن
تخلق في جو الحرية والديموقراطية وجماعية
القيادة ، انخضت من الاشتراكية ودعوى حمايتها
هجة لتكليم الافواه ولتسكت كل صلب فسكر
والفرغ مؤسسات التشعب من مضمونها
القوى ، لكي تشق طريقها الى الافراد بالسلطة
والحكم في مصير الفرد بما يحقق اطماعها
ولذاتها .. » .

هوية النقد اذن في وايضا هي الشرط الاساسي
لتغيير القيم ، على انها حرية مرتبطة بتغيير
العلاقات الاجتماعية التي ادت الى ظهور القيم
الحاسدة . فالاساس في تغيير القيم هو تغيير
الظروف الاجتماعية فلا يمكن الحديث عن حرية
الفرد في ظل بقاء الفئات الاجتماعية التي تسببت
في الانسداد ، ان تلك الحرية هي السلاح الذي
يكمل مهمة التغيير الاجتماعي ، ان عزل الفئات
الجديدة التي قفزت الى مواقع السلطة وعلى ما
اقتضيه من علاقات وانواع من الاستغلال وتكوين
الذروات وجعل حرية النقد سلاحا مشرعا في
وجه المناهقين والمصلين « والمبايعين » هيبا
الشرطان اللذان لهما الانسان الجيد .. »

على ان تفسير هوية النقد كشيء مطلق بمنزلة
عن التوازن الفعلي للقوى الاجتماعية وخارج
نطاقه ، سوف يكون في الحقيقة وهما عظيميا أو
مناورة سياسية ساذجة . فالمسألة ليست مسألة
مبدأ مطلق ، ولا هي مسألة نظرية مجردة . انما
هي في الاساس مشكلة عملية من مشكلات
المعاملات السياسية في المجتمع . كما هي
الميلقات أو الفئات التي يجب ان تكبت حريتها
وتترك ملكيتها وتحارب قيمها ، وما هي الطبقات
التي يجب ان تترك لها حرية النقد وينسج لهاها
مجال تثبيت قواعدها وجوهرها وقيمتها .. ذلك
لمن تصبى ملقحات القوى في المجتمع الطبقي ..
ان الحرية الليبرالية التي تعني النقد على اطلاقه
ولا تصح في اعتبارها طبيعة مرحلة التحول
الاجتماعي الثالثة وطبيعة صراع القوى الطبقية
فيه هي جبرية زائفة . ان ما نعنيه بالحرية
وحرية النقد هو جبرية التقيد للشعب ولفئاته
الثورية المظلمة الى بناء مجتمع جديد والسيان
جديد .. »

والتعبير لكل عضو ولكل مستوى ولكل قوة من
قوى التحالف وايجاد الظروف الملائمة لممارسة
هذه الحرية ، كما تعني حق النقد وممارسة النقد
الذاتي .. »

فما هو الطريق العملي لممارسة حرية النقد ؟

بعبارة اخرى ما هي القيم التي نود استبعادها
والى اى الطبقات تنتمي ؟ وما هي القيم الجديدة
والى اى الطبقات تنتمي ؟ وما هو الاسلوب الذي
يجب اتباعه لازالة القديم ووضع الجديد وفي اى
الطار تنظيمي يجب ان يكون ؟

لقد غيرت ثورة ٢٣ يوليو من مواقع الطبقات
والفئات الاجتماعية في مصر ، فزالت الفئات
العليا من ملاك الاراضي الاقطاعيين ، وكبار
الراسباليين الاحتكاريين ، كما زالت السبند
القوى لهذه الفئات المالكة وهو الاستعمار . لقد
نزعتم تلك الفئات من مواقع السلطة وحلت محلها
فئات جديدة .. ولكن علم الاجتياح يخبرنا ان تيم
تلك الفئات الجديدة تظل لمعالة حتى بعد زوالها
لانها شيء نزع في وجدان الناس لسنين طويلة ،
وكان يجب على الفئات الحاكمة الجديدة ان تصل
على خلق قيمها الجديدة لتحل محل القديمة ،
وهي عملية طويلة تحتاج لجهد ومناورة ..

ويكفي ان اشير هنا الى سافلتة الثورة الفرنسية
الكبرى بقيم الاقطاع والى ما فعلته ثورة لكتوير
الاشتراكية بقيم الراسبالية ذلك لسي العمير
الجديد ، اما ما فعلته ثورة الاسلام بقيم قريش
الغلبة فغير لا يحتاج الى بيان .. لقد خاضعت
الثورات الفرنسية والاشتراكية نصرا لا هزيمة
فيها في المجال الفكري والسلوكي لاراسباء قيم
المساواة وعدالة التوزيع من ناحية وضد الانانية
والجشع والحق التراث من ناحية اخرى ..
وخاضعت ثورة لكتوير الاشتراكية .. ولا تزال ..
معركة عنيفة ضد قيم المنافسة الراسبالية وجعل
الروح الفردي هو الدافع لكل سلوك . في
المجتمع . وكان سبيل الثوريين الى ذلك هو خلق
تنظيم سياسي قوى واضح البرنامج محدثا
الاهداف بالحد ذاته لتفهم بمساعدة ضرب المثل
والقائى في خدمة الاهداف .. »

فيماذا فعلت ثورة ٢٣ يوليو ؟ لم تتمكن لسي
ثلاث محاولات متتالية من اقامة التنظيم السياسي
القوى الذي يستطاع يذبح الجماهير الى صفوفه

ولقد وعى برنامج العمل الوطني تلك الحقيقة
فقال : « ان الديموقراطية تعني هوية الرأي

يدافع من نفسها ودون انتظار لكسب فردى أو منفعة شخصية . كما فشل الكثير من القادة فى التغلب على الإطباع البيروقراطية والتطلعات الطبقية فى داخل أنفسهم . لذلك لم يستطع أى تنظيم للشباب أن يتغلب على الشباب — وهم القطاع من الشعب المتطلع إلى المثل الأعلى والاقرب إلى تمثل القيم الجديدة — لم يستطع أن يقتنعهم بأهدافه وبرنامجه . بل للأسف لم يكن لديه مثل تلك الأهداف والبرامج .

الحرية .. و « مضادات » الحرية

وقد وضحت خبرة تصحيح مسار ثورة ٢٣ يوليو أن النضال من أجل الحرية يخلق على الفور « مضادات الحرية » كما يولد مؤسسات تهر بالنسبة لتلك القوى الاجتماعية التى تتحرك فى الاتجاه المضاد . ويتخذ كبت الحريات لوضعا مؤقتة ومشروعة حيث يصبح استبعاد القانون هو القانون وتتخذ بالتالى شكل الأمر الواقع حتى فى ظل أوسع ديمقراطية شكلية . إن المطالبة بحرية النقطة أننا نتقدم بها دائما قوى اجتماعية كلما رغبت هذه القوى فى أن تخلق وتوسع رأس جسر لقشاش اجتماعى ما .

إن تغيير القيم يرتبط أشد الارتباط بالتحولات الاجتماعية فى البلاد . ولابد له من حركة اجتماعية ثورية ، أى تغير وتطور مستمر فى العلاقات الاجتماعية والطبقية ، حتى ترمسخ أدما ، وهذا هو ما عناه برنامج العمل الوطنى حين قال .. « وأن يتم ذلك من خلال الصراع الدائم ضد القيم البالية التى فرضتها على حياتنا العلاقات الإقطاعية والارثاسالية » . فالصراع هنا لا يعلم إلا على أنه صراع القوى والطبقات الثورية فى المجتمع ضد قوى الاستغلال والكبت والتأخر والذى من خلاله تتأكد القيم الأميلة فى الشعب وتتجه حركة التصحيح إلى مسارها المطلوب .

وعندما شرعت القيادة السياسية للبلاد تواجه مشكلة « مراكز القوى » ظهر مطلب حرية النقطة الاجتماعي وكان شعرا أساسيا لحركة ١٥ مايو . ولا يقضى على أحد أن هذا المطلب قد تقدمت به أيضا البقايا السياسية والإيديولوجية للمجتمع القديم . ولكن كما سبق أن بينا أن حرية النقطة مشروطة بمصالح الطبقات الثورية نفس المجتمع . فالمجتمع المصرى مكون من طبقات يحكمه تحالف بينها وهو مجتمع وطنى تقدمى محاد للاستعمار والامتعاض والاحتكار . ولكن الطبقات المتحالفة بينها — صراع فى الوقت نفسه . ومن الواضح أن وسائل النقد وأشكاله فى صراع سياسى يتميز بتناقضات طبقية أى لا يدور فى

أطار التحالف بين الطبقات الثورية لا يمكن أن تكون هى نفسها وسائله وأشكاله فى نقد اجتماعى ينشأ فى مجتمع وطنى تقدمى يسير تطوره على أسس التحالف والصراع بين قوى طبقية ذات أهداف واحدة فى مرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع . وفى الحالة الأولى نحن نعالج سلطة سياسية ، سلطة طبقية ، ومن ثم أيضا صراعا سياسيا بين الناس ، وفى الحالة الثانية نعالج خلافا فى الآراء بين انداد يسهمون أو بالأحرى يكتمهم أن يسهموا فى إدارة المجتمع على قدم المساواة . وأنا لا أزعج أن مجتمعنا فى مجموعته قد وصل بالفعل إلى هذا المستوى ، فمن المعروف أننا سنحتاج إلى جهود أجبرل متعددة للتغلب على بقايا النظام البيروقراطى والإدارى الموروث من عهد الامتاع والاستعمار الذى لم تستطع ثورة ٢٣ يوليو حتى الآن أن تغيره تغييرا جديرا . ومن الواضح أن تقدم ومستقبل الديمقراطية عندنا يكن فى تدعيم التحالف الطبقي واحتلال كل طبقة لواقع فيه يتفق مع دورها فى البناء الاجتماعى فى إطار وعى عميق بضرورة التحالف وأهميته .

وإذا كانت هذه هى نقطة البدء عندنا ، فمن الواضح أن الصراع السياسى من أجل السلطة لا يمكن أن يكون هو منجز النقد الاجتماعى . وإذا ما حدث هذا بالفعل فإنه يبرهن ببساطة على وجود بقايا نزاعات طبقية مدائية أو اتجاهات نمو الاستبداد البيروقراطى ، أن المنهج الذى يجب على النقد الاجتماعى أن يستخدمه فى ظل ظروف التحالف الطبقي هو صراع الآراء الديمقراطية بين أناس متساوين ومسؤولين مشتركين فى الحكم . وتكون أهمية ذلك الصراع فى الجهد الواعى المبدول لكى يتطور المجتمع فى سبيل الاشتراكية تطورا ديمقراطيا نحو علاقات اجتماعية واقتصادية أكثر تقدما ، كما تكون فى السعى لتوفير حرية وإنسانية وثقافة ذات أبعاد جديدة .. أى ببساطة خلق الإنسان الجديد .

إن المسئولية الديمقراطية للنقد الاجتماعى هى دون شك السلاح الأكثر فعالية فى النضال ضد القهر البيروقراطى للنقد الاجتماعى وشهد القيود الإدارية التى لا مبرر لها محل النقد .

إن الطبيعة الديمقراطية للنقد ، أو على وجه أدق ، التأثير التربوى الديمقراطى الذى يمكن أن يمارسه النقد على الوعى الاجتماعى هو فى الواقع نفسه مصدر نفوذ الأخلاقى — السياسى على المجتمع أى مصدر تأثيره على تغيير القيم . فالنقد الذى يزرع فقط بالنفى وبالصراع السياسى للإنسان ضد الإنسان لا يمكنه أن يولد الصفات الأخلاقية والقيم التى لا غنى عنها إذا كان يراد للمجتمع أن يسمو ويتطور .

لذلك يجب إعادة تلك القيمة الى مكانها ولن
يتأتى ذلك إلا بحرية النقد وضرب المثل واحدى
الاساليب العملية لذلك هى جعل المراتب بين أقل
مرتب وأعلى مرتب فى العولة محدودة بحيث لا
يزيد أعلى مرتب عن عشرة أضعاف أقل مرتب مثلا
مع وضع جداول ومعايير محددة لأنواع المكافآت
والبدايات على أساس العمل .

أما القيمة الثانية وهى حب الوطن ، فلا أنظر
انها قيمة مطروحة للنقاش فلا يوجد فى تاريخ
الشعب المصرى ما يشير من بعيد أو قريب الى
أنه تراخى فى حب وطنه حتى فى أحلك الظروف
والملمات .. وأغلب ظنى أن إيراد تلك القيمة
إنما جاء كرد فعل لما يشاهد من سلبية ولانتماء
لدى فئات معينة من البورجوازية . والأصح أن
تكون القيمة التى يراد تدعيمها هى المبادرة
والمبادأة الخلاقة لدى الجماهير . أن حب الوطن
قيمة خالدة منذ هذا الشعب ولست فى حاجة الى
إيراد الأمثلة الشعبية ، والمواويل النولكورية ،
ولا الأمثلة من تاريخ كمال هذا الشعب ونضاله
لايتأتى من هذه القيمة لم وإن تفرغ . إنما
المشكلة أن البورجوازية الصغيرة وغيرها من
فئات الرأسمالية التى تربعت فى مقاعد السلطة ،
والتي اغتنتها العزيمه صوابها وأغلقت ألبها
أبواب الاستغلال والتي اتعصم صبرها وزاد ثقلها
من جراء عدم الوصول الى حل .. والتي تحشى
مواجهة جادة مع العدو ، وتعلم لفكرها ، هى
الواجهة الزائفة لقيم هذا الشعب وتراثه
التقليد . أما حب الوطن فهو بخير لدى الطبقات
الثورية . ولحب إن أقول إن تدعيم حب الوطن
إن يأتى من طريق « تنظيم المسيرات والزيارات

لامكان المنجزات التى حققها أجدادنا ، والتي بناها
وبينها جيلنا » وانما من طريق اعتراف الوطن
بقيمة كل فرد فيه وإن يكافئه إذا أحسن وبعاقبه
إذا أساء . وإن يكون معيار الثواب والعقاب
واضحاً يلتزم به الجميع . أن الحب بكافة صوره
هو علاقة أخذ وصطاء . وبين تاريخ الشعب انه
لجا دائما الى السلبية والالجابة : فى عهد
الاستبداد فخط إذ كان هذا هو سلاحه ضد
الظلم أن النيمقرطابية وحرية النفس هما المتأخر
الذى تنو فيه المبادرة الخلاقة لدى الجماهير
ويتضح فيه حبها لوطنها واستبانتها فى الدفاع
منه .

أمر يجب الالتفات إليها

إننا فى صراعنا من أجل إرساء القيم الإنسانية
يجب أن نلتفت الى الأمور التالية :

أولا : يجب الالتفات الى الأصول الطبقية

ولقد كنت تجرئة ممارسة الحكم فى كافة
أشكال الحكم الاشتراكى والوطنى الحقيقية
المعمومة بشكل عام وهى أنه ما من جهاز للسلطة
يكون محصنا ضد إمبراض التحريف الذاتى
والاستخدام المتصرف للسلطة . والعلاج الأكثر
فعالية وجوهية ضد هذه الميكروبوات هو دون
شك وجود نظام من الحقوق والمؤسسات
الديمقراطية يضمن الطابع العام لاتخاذ القرارات
والحرية الأوسع للنقد الديموقراطى . وفى
تجربة شهيرة فى علم النفس الاجتماعى أراد
الطباء الوصول الى نتيجة علمية فىسما يتعلق
بالعزاة بين النظام الأوتوقراطى والنظام
الديموقراطى ، أى بين الجماعة التى تلقى إليها
الأوامر لتنفذها دون مناقشة أو العجاعة التى تتبع
ما يسمى بأسلوب قرار الجماعة فى تحديد أنواع
سلوكها وذلك من حيث الكفاءة والانتجاز . فتم
اختيار مجموعتين من الطلاب أوكلت الى كل منهما
مهمة إنجاز عمل واحد واتبعت لحداتها أسلوبا
أوتوقراطيا والآخرى أسلوبا ديموقراطيا .
ووضعت النتائج أن الجماعة الديموقراطية هى
الأكثر من حيث الانتجاز ومن حيث انتشار العلاقات
الإنسانية السلبية بين أفرادها .

فإذا ما استخف المجتمع « الاشتراكى »
بأهمية مثل هذه الميكانيزمات الديموقراطية ،
واعتمد كلية على الصفات التقديرية الذاتية للقوى
الاجتماعية القائدة وهلى تفتاتها فى مصلحة
الشعب العامل ، فلنجد أن ينتج البلب على
مصراعيه فى المجتمع أمام الأسلوب الأوتوقراطى
واخذ القرارات بشكل ذاتى ، بحيث يصعب كل
وظف أو كل رئيس صغير حاكما بإمره نفس
مجاله .

قيمتان .. أساسيتان

ويقدم برنامج العمل الوطنى قيمتين ينادى
بالتمسك بهما : هما تقديس العمل واحترامه ،
وحب الوطن .

أما القيمة الأولى « تقديس العمل واحترامه »
فلا شك انها رد فعل لما شاع من الوضولية
والانتهازية ومن قلوب الحاسبيب والانتصار الى
مواقع السلطة والقيادة بما أهدر قيمة العمل
والكفاءات وجعل أسلوب الارتقاء فى الحياة ليس
العمل والأخلاص فيه وإنما هو التعلق
والشلق .. الخ . إن ما انكشف لأمين الشعب
من خلال الأحداث الأخيرة وما عرف قبل ذلك فى
صوت .. بين بوضوح أن قيمة تقديس العمل
واحترامه والكفاءة والذاب والمثابرة على خدمة
الوطن قد أهدرت ، وأن كثيرين من بكلفون
ويتولون المناصب هم أقل الناس عملا وكفاءة
وأكثرهم إيمانا بالخراطة وتحضير الأرواح .

ونقيم محددة عن الشروط الأساسية للبناء في تلك
تنظيمات تشرع في ذلك العمل الجبار ألا وهو
تغيير القيم .

أن مشكلة تغيير القيم لا تخص الشباب وحده
بل هي أوسع من ذلك بكثير ، أنها هي الحقيقة كما
سبق أن قلنا مشكلة التغيير الثوري في المجتمع
كله (١) . قلنا ولقد علمنا الخبرة التاريخية سار
يجب أن تعلمنا — أننا في ميسيس الحاجة إلى تأكيد
القيم الإيجابية التي قبلها المناخ الثقافي المصري .
وميلتنا الأحداث أن شعبنا المصري شعب أصيل
وإن أصالته تابعة من التراث الثقافي الذي يعيش
فيه ويعيش به . وأما إذا درسنا عناصر هذه
الأصالة دراسة موضوعية علمية فسوف يزداد
فهمنا لهذا الشعب وبالتالي تزداد قدرتنا على تغييره
إلى الأفضل . ونحن في ميسيس الحاجة أيضا إلى
مواجهة القيم السلبية التي زالت تمثل جزءا من هذا
المناخ ، لمواجهة القيم السلبية والعناصر الثقافية
البلية في هذا المجتمع أصبحت في هذه المرحلة
ضرورة ملحة ، ذلك لأن عملية بناء المجتمع الجديد
وحدها لا تكفي للتحكم في هذه القيم السلبية ،
فلا بد من الاستفادة من مرونة شعبنا وأصالته
واثقة الفرصة أمام العناصر الصالحة لثأية
دورها التاريخي .

لقد وضحت الخبرة أنه لابد من الثقة في
الشعب والاستناد الكلي إليه ، وقد اثبت هذا
الشعب في كل مرة أصالة ومحدته . وأن أخطر
تتية تتهدد ببلادة الشعب ودراته الخلاقة هي
السلبية . وهي تتية موروثة وجوهرها الإعتقاد
على السلطة والخوف منها في الوقت نفسه ، مما
يقول المواهب ويصيب القدرة على الخلق
بالشلل — أن السلبية والانتكالية واللبالاة هي
في رأيي أخطر الأمراض التي أصابت حيوية هذا
الشعب ، وذلك تتية لاعتقاد المسسلطة
على « الأجهزة » والقيمة التي تريد تقويتها في
مواجهة السلبية هي البسادة والطقسائية
والإيجابية ، وهي شديدة جدا الآن ولا تظهر إلا
في الأزمات في حين أننا نريد جعلها قسوتنا
اليومي . ومن الواضح أن السلبية لا تقبل
وتتروى وأن المبادرة لا تزدهر وتتفتح إلا في تربة
الديمقراطية وحرية النقد .

أن الخطوة الأولى في محار السلبية لابد أن
تأتي من جانب السلطة ، فلا بد أن يقل الاعتماد
على « الأجهزة » ويزداد الاعتماد على التنظيمات
الشعبية . ولا ليل يرتجى بغير ذلك . وأن
السلطة إذا اقتربت من الشعب قريبالما اقتررب هو
منها أربعة وعشرين . وبذلك يتكون الأساسي
الصلب لقيام تنظيم سياسي متين يواجهه المهمة
المسيرة مهمة تغيير القيم .»

للمتلكات المختلفة من الشباب وزاهاة أساليب
السلوك المقبولة منهم . فمن المعروف مثلا أن
غالبية العمل من أصول فلاحية وإنهم لم يتحولوا
بعد إلى طبقة عاملة صناعية بتطورة . ولذلك فإن
أساليب وقيم الريف لازالت سائدة بينهم ، كما أنهم
بحكم كونهم أقل الطبقات دخلا تكون المشكلة
الاقتصادية ذات أهمية خاصة لديهم ، وذلك على
مكس الطلاب مثلا الذين يأتون من أصول
بورجوازية وتلعب العوامل الثقافية والحضارية
دورا كبيرا في تشكيلهم .

ثانيا : يجب أن نترك الحقيقة الميكولوجية
الأساسية القائلة بأن الإنسان لا يتمسك إلا بما
ينبع من ذاته ، ولذلك فإن عملية فرس أو تدعيم
القيم الجديدة يجب أن تهدف إلى جعلها جزءا
من « وجود الإنسان » وأن يتأني هذا إلى جو
من الديمقراطية وحرية النقد والاختيار . أن
الأنار الذي يجب أن تدور فيه عملية خلق الإنسان
الجديد هو تكوين جياعات محتجسة من الشباب
خاضعة لأقل قدر من الرقابة والتوجيه تمارس
فيها بينها حرية النقد الذاتي والاجتماعي بحيث
تبنى نفسها بنفسها في ظل الأيديولوجية العامة
للتنظيم السياسي . ومن القطوع به أن مسألة
وجود أيديولوجية عامة هي شرط أساسي لبرنامج
العمل الوطني كله .

ثالثا : خلق الكادر القيادي الواعي في مختلف
المجالات .» ويجب أن نترك أنه بدون الكادر أي
ذلك المناضل الواعي الذي يتخذ من قضية وطنه
قضيته الذاتية لن يمكن قيام تنظيم يستطيع البقاء
على أنه يجب أن نضع في اعتبارنا خبرة منظمة
الشباب والمعهد الاشتراكي ومسكرات
الشباب . الخ . أن تلك الاشكال لم تستطع
القيام بدور فعال في خلق الكادر المطلوب بل لابد أن
تضيف أن كثيرين من القائمين على أمور الشباب
في الاتحاد الاشتراكي يناسبون لم يكونوا يهدفون
إلى أن يخلقوا منهم شخصيات ذات رأى يعقد
بها ، ويعتمد عليها . وإنما كانوا يهدفون إلى
جعلهم أدوات بحيث تتلوا فيهم روح البسادة
الخلاقة ، هذا إلى جانب انعدام أي مثل أعلى
يمكن التصق به .»



أن توجيه الشباب إلى تكوين تنظيماتهم ذاتيا
وبأقل قدر ممكن من التدخل من السلطة ، وتربية
كادر واع قيادي نشأ من صفوف الشعب ولم يأت
إليها « من فوق » وجعل أساس هذه التنظيمات
الديمقراطية وممارسة النقد ، وذلك في إطار
من التزام القيادة أمام القاعدة ببرامج وأهداف

الجيدة لا يمكن أن يُنَجح بدون بناء الإنسان الجديد . . . أن تكون الإنسان الجديد لا يمكن أن يتم بمجرد الوعظ والإرشاد ، وخاصة إذا كان الواعظ بعيدا عما يعظ به ، وأما يتم من خلال القوة ، من خلال التمسك بقيمتنا الروحية النبيلة ، ومن خلال الصراع الدائم ضد القيم البالية التي فرضتها على حياتنا العلاقات الإقطاعية والراسيالية » .

ونحن إذا شئنا أن نقدم تفسيراً موجزاً لما تعنيه هذه العبارة من هدف تطلب السعي لبلوغه، ونسند للواقع القائم في هذا الحقل من حقول مجتمعتنا ، نظرياً وتطبيقياً . . . وسبيل محد بلوغ هذا الهدف . . . إذا شئنا تقديم هذا التفسير، فأننا نستطيع أن نلمح كيف جاء « برنامج العمل الوطني » هنا ابتداداً وتطبيقاً لفكر الثورة المصرية العربية أزاء هذه القضية ، قضية الموقف الثوري أزاء « القيم الروحية » التي يجب أن يفسح لها المجتمع الطريق ، كي تلعب دورها في بناء الإنسان الجديد . . . وأن « برنامج العمل الوطني » هنا يوجز ، ويكثف - مع اهتمام بالجانب النقدي والتطبيقي - ما فصله « الميثاق » (١٠١)

أهداف يحددها البرنامج

يجمد « البرنامج » أن الحفاظ على القيم الروحية ، من وجهة نظر الموقف الثوري ، هو أمر وثيق الصلة جداً ، ببناء الإنسان الجديد ، الذي بدونها لا يمكن لاية ثورة أن تبني مجتمعا الجديد ، ومن ثم تظل شعاراتها وفكرها ومؤسساتها في قبضة المجتمع القديم الذي قامت لهجته ، أو تطويره ، أو تعظيمه ، مما يفضي إلى احتوائها في أحشاء هذا المجتمع القديم ، وتحويلها إلى مسخ مشوه . ينضج بكل ما في هذا المجتمع القديم من قيم بالية ومثل عليا مؤسسة على تبرير استغلال الإنسان للإنسان . وتوظيف « القيم الروحية » في هذه العملية البنائية للإنسان الجديد في السدولة الجديدة يفضي بنا إلى الوسيلة التي أشار إليها « البرنامج » سبيلا لبلوغ هذا الهدف ، وأشارته هنا قد تبلت فيها جوانب النقد للواقع الراهن ، وجوانب الجدل المقترح لتلافي سلبيات هذا الواقع الراهن .

سخر « البرنامج » من الظن بأن مجرد « الوعظ والإرشاد » سيفضي بنا إلى تلك التفسيرات الفكرية التي نريد إحدائها في قلبه . هذا الإنسان الجديد . وهو بذلك يفتح الباب لحوار فكري لا بد من قيامه حول السبل الجديدة والعصرية والعلوية التي لا بد من اللجوء إليها لتوصيل القيم الجديدة إلى هذا الإنسان الجديد ، ومدى صلاحية أو كفاية الوسائل

أرض مشتركة

القيم

الروحية

والاشتراكية



محمد عمارة

مبارة موجزة حدد « برنامج العمل الوطني » « الموقف التقني من قضية [القيم الروحية] في المجتمع . . . ويتعبر آخر موقف

في

الإنسان التقدمي منها ، ودورها في مجتمع ينحو نحو التحول الاشتراكي ، وقيل كل ذلك ماهية هذه القيم وتسمياتها وطبيعتها ، تلك الماهية التي تميز بين ما هو متقدم وما هو متخلف في ميدان [القيم الروحية] المطروحة أمامنا لتسلنا المعاصر في المجتمع الذي نعيش فيه . .

قال « برنامج العمل الوطني » عن هذه القضية ، في معرض حديثه عن بناء الإنسان الجديد في الدولة الجديدة : « أن بناء الدولة

الروحية وخونها في بناء الإنسان الجديد ، ثورا الحاجة الملحة لإيجاد هذه الكتابات الجديدة من علماء الدين الذين يواكب « إيمانهم » « العلم » ، والذين تصدر من قلوبهم وعقولهم الدعوة إلى القيم الروحية الغائرة على هذا الانسجام الذي أشار إليه « برنامج العمل الوطني » في بناء الإنسان الجديد . لها أن يظل اعتقادنا الأساسي ، خصوصا في قرى الريف التي تستوعب مساجدها الأغلبية الساحقة للقوى المنتجة والثورية في مجتمعنا ، لها أن يظل اعتقادنا الأساسي في هذه القرى على « الواعظ البعيد مما يعظه به » - كما عبر برنامج العمل الوطني - فإن هذه القيم الروحية المنشودة لبناء هذا الإنسان الجديد ستظل بمعزل من قلوب هذه الملايين وعقولها . وإن يجدي في تأني ذلك أن نبحث بخطب مكتوبة نتحدث من مشكلة « الدنيا » وقضاياها ، ونشرب الأمثلة من وائسها واختلاجاتها ، كي يلتقيها خطيب المسجد على جمهور لا يفهمها ، فضلا عن أن يستجيب لها ويتجاوب معها ، وهو الوضع الذي يوجد « الفسرية » بين الإنسان المؤمن وبين « المسجد » ، بعد أن كان هذا « المسجد » - لقرون طويلة في تاريخنا - ولا يزال وسيظل - سالحا لأن يكون ، مدرسة للفكر المستنير والمتقدم ، وساحة لأعداد الرجال القادرين على مواجهة الظلم ومواجهة التحديات التي مر وير بها هذا الوطن عبر تاريخه الطويل وحاضره الحافل ومستقبله المنشود ..

قيم ثورية

محتوى القيم الروحية « التي تستطيع أن تسمم في بناء هذا الإنسان الجديد ، اللازم لزوم الضرورة الملحة لبناء الدولة الجديدة ، حدد « برنامج العمل الوطني » أنه المحتوى الثوري الذي يكسب هذه القيم وصف « القيم الروحية النبيلة » .. وهذا التحديد يبرر قضية هامة ، طرحها البرنامج ، ولا بد لها من حوار ودراسات تطرح أبعادها الحقيقية على مقبول وقلوب ، الناس ، وخاصة « الدماء » والمكرمين والمثقفين المعتمدين بهذا العقل في مجتمعنا . فتمسديد « البرنامج » لهذه القيم وتبنيها لها بأوصاف محددة يعني أنه ليس كل « موروث روحي » وليس كل « تراث » يصلح كي يقدم قضية تقدمنا ، ويسهم في بناء انساننا الجديد ، وذلك لأن الدين ، ومن ثم « القيم الروحية » يرى من كثير من الإنسانيات التي شوهت جوهرة وتحولت به عن طريقه ،

التقليدية في هذا الميدان . ثم نحو بعض قضية جوهرية بإشارته إلى ضرورة أن يتم « التوصل » لهذه القيم الروحية من خلال القوة التي تتجسد فيها هذه القيم .. وإذا كنا قد اتفقنا على أن هذه القيم الروحية دمومة لبناء انسان ثوري جديد يناضل من أجل الانتقال بجمتمعنا إلى الاشتراكية ، وأنها لهذا السبب ذات طابع ثوري انساني تقدمي ، وذات طابع عقلاني مستنير ، بحكم زمامتها وتمايزها مع العلم ، بحقائقه وتطبيقاته ، فلا بد وأن يكون « القدوة » و « المصل » متحليا ، بل ونموجا طيبا تتجسد فيه القيم والابتكار والسلوك الثوري والانساني والتقدمي والاشتراكي . فليس مستساغا مثلا أن يقدم « مخم » إلى « التثقف » ، خصوصا عندما يكون جمهوره من القراء والمسلكن إذا . ولا أن يشر صاحب السلوك « البورجوازي » بما في تراثنا الروحي والفكري من « قيم » و « مثل » و « أسواق فكرية وسياسية » تزيك الانجاء إلى التطور والتقدم والتحول إلى الاشتراكية ؟ ! فهذه الاشارة التوجيهية التي يقدمها « برنامج العمل الوطني » تطرح قضية لم ننجح في حلها حتى الآن . وننتي بها قضية بناء القدوة ، وتكوين كتاب من شبل علماء الدين الذين يستطيع « إيمانهم » بالانستارة والانفتاح على حقائق العصر النظرية والتطبيقية ، يستطيع « إيمانهم » هذا أن يزال « العلم » ويصاحبه .

إن « ابن رشد » (١١٢٥ - ١١٩٨ م) مثالا قدم للفكر الإسلامي الفلسفي تصورا يستطيع الفكر المسلم بتبطله والتزامه أن يكون « مؤنسا » نقا و « فيلسوفا » حقيقيا ، وخلص بتركه الخلاقي هذا إلى أن الفلسفة [الحكمة] هي [الشريعة] اختار متعاونتان .. وهو قد أنجز عمله الفكري هذا من فوق « أرض الفلسفة » مستعينا في ذلك بالانستارة الدينية ، وعرض الفكر الموروث على العقل المسلم المستنير (١) ..

وفي مجالنا نحن ، مجال الحديث عن القيم



والتي تلي محققته البصيلة وقيمه الإنسانية
ركابا من الخرافة عمل فعاليته في دفع مجلة
التقدم ، بل وظف هذه الفعالية في محاولة شدد
مجلة التاريخ الى الخلف خدمة لصالح القلة
المستبدة والمستغلة لجباهير الناس . وهذه القيم
الغريبة من جوهر الدين هي التي يحدد (برنامج
العمل الوطني) انها قد طرقت ومسحرت عن
العلاقات الاجتماعية والراسمالية ، التي هي
من مستحدثات تطور المجتمع ، ولا علاقة لها بجوهر
الدين ، فيطلب الصراع الدائم ضدها ، بل يرى
« البرنامج » أن تحقيق الهدف في هذا الميدان
لا يتم الا « من خلال التمسك بقيمنا الروحية
التييلة ، ومن خلال الصراع الدائم ضد القيم
البالية التي يبرزها على حياتنا العلاقات الاجتماعية
والراسمالية » .

ونحن اذا شئنا ضرب بعض الامثلة التطبيقية التي
تؤكد أنه ليس كل « موروث » روي يصالح
كي يسم اليوم في بناء انساننا الجديد ، وجدنا
الكثير مما يمكن تنديده في هذا السبب .
« الفواكل » « قيمة روحية » ربطت وارتبطت
خطا بالدين ، وسادت واذا لت سود في حياة
الجهابير الواسعة في بلادنا ، وهي تعتمد
اعتمادا كبيرا وتستفيد كل الاستفادة من « القيم
الفكرية » التي ترى في الانسان كائنا « مسيرا
غير مختار » مجبور وليس بحر « في صنع
أفعله وينسأه حياته وتشكيل ملامح مجتمعه
ومستقبل أبعده . ونحن اذا كنا جادين حقا في
وضع اشعارات « برنامج العمل الوطني » في
التطبيق ، فلا بد لنا ، بطلا ، من توجيهناية خاصة
لنشر « القيم الفكرية » التي تؤكد على « حرية
الانسان واختياره » وقدرته الحقيقية على صنع
الحياة على أرضه . . وفي تراثنا الكثير جدا من
الآثار الفكرية التي تركي هذا الاتجاه ، نجده في
مدارسه المتزلة كلها ، وعند عديد من مفكرى
الشيعية الاممية ، والخوارج ، والزيدية ، وغير
غير قليل من أهل السنة . (٢) ولابد لنا من الحد
والقتيل من نشر آثار القرائ الفكرية التي تركي
فكر « الدين » المؤسسة عليه فكرة « الفواكل » ،
بحيث يكون نشره للدراسة والمقارنة وعمل
الابحاث والدراسات المتخصصة لا للجهابير .
ومن ثم فلا بد لنا من تخطيط على مستتين في هذا
الميدان ، يوقف نشر الكتب التي يعاد طبعها كي
يقنعها الناس « تبركا » بؤلفيها ، بينما يظل
تراثنا المصلى والمقتلى حبس المخطوطات
والصورات بعيدا عن أن يلعب دوره التقديمي في
بناء الانسان الجديد . ليس شأذا ، وداعيا

للتساؤل ان يستعمل أحد مجامعنا العلمية نشاطه
في نشر التراث يكذب من جزعين للامام السيوطي
بهاجم العقل وشراته ومنجزاته ، ويسفه من
المنطق والفلسفة ، في ذات الوقت الذي يتحدث
فيه عن بناء الدولة المصرية القائمة على العلم
وتطبيقاته ، وعلى الايمان الذي يواكب هذا العلم
ويؤامله ؟ ! ليس غريبا ان يفكر قطاع الدولة
في صناعة الكتاب بنشر كتبه هو بمثابة دليل
سيحلي الى « مقابر الابرار » في الوقت الذي
أصم فيه هذا القطاع الثقافي العلم انفيه من نشر
بعض تراث المعتزلة ، وخصوصا ما يتعلق منه
بفكرة حرية الانسان في مفهوم الاسلام . .

ان هذه الأمثلة تؤكد الحقيقة التي اشار اليها
[برنامج العمل الوطني] . . . ليس كل ما قدم
للانسان المصري على أنه « قيم روحية » يستحق
البحث أو يستأهل البقاء ، وليس كل ما حبس
عن هذا الانسان من هذه القيم الروحية يستحق
أن يظل حبسا وبعبدا عن عقل وقلب هذا
الانسان . . . ولا بد من وهي ثوري واستفارة
فكرية تحدد ماذا نقدم للجهابير ، وماذا نقدم
للباهين المتخصصين ، في حق احياء التراث ،
المؤسسة على فكرتين الروحية ، ومعمار هذا
التصميم ما اشار اليه [البرنامج] من ضرورة أن
تكون قيمنا الروحية المرفوعة المطلوبة « نبيلة »
وصالحة للاسهام في بناء الانسان الجديد ، وأن
تكون نابعة « من خلال الصراع الدائم ضد القيم
البالية التي فرضتها على حياتنا العلاقات
الاجتماعية والراسمالية »

واذا كانت هذه هي القضايا الرئيسية
المستتبعة من عبارة [البرنامج] حول هذه
القضية الحيوية ، فإن عبارة [الميثاق] تفصل
الايجابيات ، وتقدم فكر الثورة المصرية العربية في
هذا الميدان متمسجة في تطوره ، وذلك عنفا
تبرز وتطفي الضوء على عدة نقاط منها :

- قداسة حرية العقيدة في المجتمع الجديد
الذي ننبئه . .
- وأن الحق والحق والحق يجب أن تكون
اهدافنا ، لا الشر ، والظلم والفساد . . .
- وأن جوهر الرسائل المساوية كان دائما
وابدا « ثورات انسانية » استهدفت تخفيف يود
الانسان والاقتراب به من تحقيق أماله .
- وأن الايمان بحرية الانسان واختياره هو
من القيم الجوهرية في الدين ، بل هو جوهر
الدين . . .
- وأن الطبيعة التجدية ، ورفض النظام

الطبعي القائل : هو الأقرب للرسالة التنبؤية للآديان .

ان هذه النقطة هي التي يشير إليها [الميثاق] عندما يقول : « ان حرية العقيدة يجب ان تكون لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة » . ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الآديان قادرة على هداية الإنسان ، وعلى إضفاء حيائه بنور الإيمان ، وعلى منحه ملقات لا حدود لها من لجل الخير والحق والحب . ان رسالات السماء كلها ، في جوهرها ، كانت ثورات انسانية استهتفت بشرف الإنسان وسعادته ، وان واجب المفكرين النابيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته . ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصلب مع حقائق الحياة ، وانها ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الرجعية ان تستغل الدين - ضد طبيعته وروحته - لمرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصلب مع حكمته السالبة . لقد كانت جميع الآديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التي اراحت احتكاك خيرات الأرض لصالحها وحدها ، اقدمت على جريمة ستر مطالبها بالدين ، وراحت تلتبس فيه ما يتعارض مع زوجه ذاتها لكي توقف تيار التقدم . ان جوهر الآديان يؤكد حق الإنسان في الحياتومي الحرية ، بل ان أساس الثواب والعقاب في الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته امام خالقه الاظم بصحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ، ولا يرضي الدين بطبيعة ثورث مقالب القس والجبل لغالبية الناس وتحكم ثواب الخير لقلّة منهم ... »

وهكذا تطرح هذه الوثائق السورية قضية الموقف من « القيم الروحية » النابعة من جوهر الآديان ، فتحدد طبيعتها ، على ضوء ارتباطها بطبيعة المرحلة ، وتطورها بتطور المجتمع ، وترسم الفئات المتفافة من وراء العمل في هذا الميدان ، وهي الفئات التي يسهم تحديدها في تحديد ضروب هذه « القيم الروحية » .. كما تشير « ضمينا » الى الوسائل التي يمكن بها وضع هذه الآمال في التطبيق ..

بقيت قضية هامة ، تتعلق بامر نجاحنا في تحقيق ما اشرار له عبارة [برنامج العمل الوطني] من القيم الروحية ودورها في بناء الانسان الجديد . وهذه القضية تتعلق بنظرنا من « المفكرين الاشتراكيين » و « علماء الدين » الى هذا الموضوع ؟! فنحن ان نحقق شيئا ذا بال اذا لم نبتين الأرض المشتركة بين هذين الفريقين ، خاصة في بلد مثل بلادنا تلك العزم على اتخاذ التحول الاشتراكي ، وتلك في ذات الوقت تراثا روحيا وفكريا هو في اساسه وجوهره طاقة خلاقة باستطاعتها الاسهام الفعال في دفع المجتمع لتحقيق هذا الهدف المقدس ..

والامر الذي يصرح حركتنا الثورية من هذه الطاقة الحبيسة والمستكنة في هذا التراث الفكري والروحي هو عجز اصيبت به عناصر كثيرة في حركتنا الفكرية والثقافية ، بعضها ينتسب الى المفكرين والمثقفين الاشتراكيين ، وبعضها الآخر ينتسب الى علماء الدين . فمن المفكرين الاشتراكيين كثيرون ينظرون برؤية وحذر الى كل ما يمت بصلة الى « التراث » والقيم المؤسسة على فكره ومضامينه . وذلك لاتقطاع الصلة بين ثقافتهم وبين كوز هذا التراث ، ولان الصورة التي قدمت اليهم منه هي التفسيرات الرجعية التي حاولت بها « الرجعية ان تستغل الدين - ضد طبيعته وروحته - لمرقلة التقدم » .. كما يقول الميثاق .. ولغيا الوجه المشرق لمسفات هذا التراث من ذهن هؤلاء المفكرين والمثقفين ، ويعدده ان يديهم ..

ومن علماء الدين من يلزم مسوق الفرض والمخاطبة - على الاقل بقله - لاية محاولات تبذل لايجاد أرض مشتركة مع الفكر الانساني التقدمي ، ومع الاشتراكية وتطبيقاتها ، وينظر برؤية لاي حديث من دور للقيم الروحية في هذه المجالات ، ويحسب ان هدف الآخرين لا يحدو بمحاولة الاستفادة من تأثيرات الدين وثقوته المحركة لحساب افراضهم التي لا صلة لها بافراض هذا الدين واهدائه ..

والموقف الاقل الذي نعتد به يرى خطأ كل من هذين الموقفين اللذين يرى اصحابهما في « القيم الروحية » وفي « الفكر الاشتراكي » ما رآه « كبلج » من « ان الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا » .. فهناك المقطع ارضي مشتركة حقيقية وواسعة وثابتة بين تراثنا الروحي والديني وبين فكرنا المعاصر من التقدم الاجتماعي ، والاشتراكي منه على وجه التحديد ..

الفكر الاشتراكي والتراث

والامر الذي يبريء قولنا هذا من شبهة « حديث النعاسيات » او « القول الجنى على المجاملات او المجازات » ان صلات الجوانب المشرقة والقيم الثورية في التراثات المتكسر الاجتماعي التقدمي ليست اكتشافا حديثا ، ولا هي بالامر المبتزع لاياد صلات متقطعة بين تيارات متقطعة الصلات . ففي التراث الانساني للفكر الاشتراكي العلمي موقف واضح وحلسم يقف فيه الاشتراكيون مع التراث التقني للمجتمع الذي يناضلون فيه .. وهذا الموقف ليس خاصا بمدارس الاشتراكيين الديمقراطيين ، بل لقد سبقهم اليه الماركسيون .. فليتين « عندما كان يناقش التيارات البورجوازية الصغيرة المنحرفة ، ومنها تيار « الشعبين » حدد ان الماركسيين

يجب أن يفتوا إلى جانب التراث الذي مسته
كل الرجال المستبشرين ، وقال : انه « حين يدور
الحدث من التراث الذي صار إلى معاصرينا ،
يجب التمييز بين تراثين اثنين : أحدهما تراث
المستبشرين بوجه عام ٥٥٥٠ . ولثانيهما تراث
الشعبيين ٥٥٥٠ » (٧) ، كما حدد أن الماركسيين
« هم حراس للتراث أكثر استجبالا بكثير من
الشعبيين ، أكثر أمانة بكثير ، وهم لا يحدون
التراث » ولكنهم « لا يحفظون التراث كما يحفظ
القبويون على الأرشيفات الأوراق القديمة » (٨) ،
ولكنهم يفتون هذه التتاليات من هؤلاء الأسلاف
بروح معاصرة مستتيرة نقادة تبني إيجابياتها
وترفض سلبياتها وتقوم « بتطهير خيرة هذه
التقاليد » (٩) وهو يعتبر أن الحديث عن أن
الماركسيين الروس « يحدون التراث » وأنهم
تطهروا كل الصلة بخيرة تقاليد القسم الأفضل ،
الأكثر تقدما ، من المجتمع الروسي « يعتبر أن
هذا الحديث داخل « في عداد التفتقات
السبئية ... الواسعة الانتشار ٥٥٥٠ » (١٠)

ويصمد « لينين » و « تان مالاكسا » جاء
« سكان جاليف » الذي اخطف به « ستالين »
اختلافا جذريا حول قضايا ذات صلة وثيقة بتقدير
كل منهما للدور التقدمي الذي باستطاعة التراث
الإسلامي أن يلعبه في حياة المجتمعات المسلمة
ودفع عجلتها في طريق التقدم الاجتماعي ٥٥٥٠ فلقد
أبصر « جاليف » فعالية هذا الدور ، وتعرض
بمسبب موقفه هذا لاضطهاد شديد على يد
ستالين (١١) ومع ذلك ظل مصمما على رأيه .
واليوم يعاد طبع مؤلفات جاليف على نطاق
واسع في الاتحاد السوفيتي نفسه .

ومن المعاصرين لنا كثيرون ، يمثل المفكر
الفرنسي « روجيه جارودي » اتجاههم الفكري
الذي يرى أن للفكر الإسلامي والتراث القضي
في هذا التراث دورا لا يزال مطلوبيا ومنتظرا في
أفراء الفكر الاجتماعي التقدمي المعاصر ، بل في
أفراء الماركسية نفسها ، ولتأدها من أن تصبح
نظرية « ريفية تفقد قدرتها على التبو لذا هي
أكتفت بالحوار مع نفسها » وأهملت الحوار مع
مبدعات الإنسان ٥٥٠ وجارودي يعتبر أن التراث
الإسلامي في مقبلة هذه الإبداعات ، بل يحدد
أن الفكر والثقافة الإسلامية يستطيع

أن يضلل إلى الاشتراكية العلمية جدا ، من مثلكل
أخرى غير سيل « هيجل » أو « ريكاردو » أو
« سان سيون » ٥٥٠ فلقد كانت له هو الآخر
اشتراكيته الطوباوية ممثلة في حركة القرامطة ،
وكان له ميراثه العقلاني والجللي ممثلا في ابن
رشد ، وكان لديه مبشر بالمادية التاريخية في
شخص ابن خلدون ، وهو على هذا التراث
يستطيع أن يقيم اشتراكيته العلمية . وهذا لا
يمنعه أبدا أن يمثل تراث ثقافتنا ، تملأ كما
ينبغي لنا نحن أن نمثل تراث ثقافتنا ٥٥٠ » (١٢)
أذن فتراث الاشتراكية العلمية يتطلع بان
للفكر الإسلامي بالذات دورا ، لا كجود أداة ،
كما يحسب البعض ، وإنما كبصود ومطلق
وكحرك وفامل ، وكجهد نكري وعلمي لابد أن
يعمل ويؤثر ويتفاعل ، لأن بنيت المصلائية
التقدمية تطميه المصلاحية والأهلية كي يزود
الإنسان المعاصر ، والإنسان الاشتراكي بالذات
بإدراك منه لهذا الإنسان الجديد وهو ينشئ
مجتمعه الجديد ٥٥٠

فهناك إذن أرض مشتركة بين الفكر
الاشتراكي ، بفهمه العلمي ، وبين التراث
الإسلامي بقيته الروحية التقدمية ، وبقية الفكرية
المتطورة ٥٥٠ وهذه الأرض حقيقية ، وواسعة ،
وثيقة ٥٥٠ وهي لذلك مسالحة كي يجرى منا
فوقها الحوار البناء الذي يقضي إلى قيام فكر
إسلامي يولكب قضايا العصر ويحل فيها براه
يسطوعب فيه احتياجات هذا العصر ومقتضياته
ويستشر في المستقبل المأمول ، منطلقا إلى
ذلك من أكثر صفحات تراثنا وقبينا الروحية
أشراقا وتجيذا للإنسان ٥٥٠

وهناك إذن مجال واسع للدراسة التي تضع
التفاصيل لتطبيق ذلك الهدف الذي حددته [برنامج
العمل الوطني] لدور القيم الروحية الثيلة في
بناء إنساننا الجديد ، في دولتنا الجديدة عندما
قال : « أن بناء الدولة الجديدة لا يمكن أن ينهض
بدون بناء الإنسان الجديد ٥٥٠ أن تكوين الإنسان
الجديد لا يمكن أن يتم بمجرد الوعظ والإرشاد ،
وخاصة إذا كان الواعظ مبدعا عما يظ به %
وأنما يتم من خلال القوة ، ومن خلال التمسك
بقيمنا الروحية الثيلة ، ومن خلال الصراع الدائم
ضد القيم البالية » التي فرضتها على حياتنا
العلاقات الانطاعية والراسمالية ٥٥٠ »

[٢] مفكرات لينين ، مجلد ١ ، ص ١٢٠ . كلمة مومكو العربية .

[٤] المصدر السابق ، ص ١٢٥

[٥] المصدر السابق ، ص ١٤٥

[٦] المصدر السابق ، ص ٩٧ ، ١٢٤

[٧] الظلمة . دراسنا من جبال الدين الاتفاقى عدد أبريل سنة ١٩٦٩م ص ١٢٠
[٨] روجيه جارودي [ماركسية القرن العشرين] ، ص ٦٠ ، ٩٤ ترجمة لؤي الحكيم ، ط بيروت سنة ١٩٦٧ م

الرسالة الدينية • ومن هنا حماس المثنين لكل ما
من شأنه رفعة الإنسان وتقديمه •

إن كل ما يهسر مكانة الايمان فى المجتمع هو
عدوان على الدين • واهداف لمبادئه •

والدين شيء عميق الجذور فى النفس المصرية •
واسادت هذه النفس أن تجعل لكل ما يجرى على
مستوى الحياة المنظورة بعدا اخر - يربط بين ما
هو منظور وما هو غير منظور • ومن هذا العمق
الخفى استمد المصرى قيميا وفوى جعلته يتجاوز
مراحل التاريخ فى صلابة وصبر ويقين بمجيء
الغد الافضل •

الدين والحضارة

وفى مصر القبطية ارتبط الدين بالحضارة •
يكفى أن نعلم أن أوزيريس أعظم الالهة المصريين
هو الذى علم أهل بلاده الزراعة والتدبير ومن لهم
القوانين • وبعد أن اتم ذلك انتقل الى البلاد
الشرقية المجاورة • ما وراء سيناء • لينقل اليهم
رسالة الحضارة التى نبئت على شفاف النيل •
وكان يستميل هذه الشعوب بالانقاع والتعذيب
ويسهرهم بجميع ألوان الغناء والموسيقى •

واتصلت مصر بالاثنيان السماوية الثلاثة اوتق
اتصال: موسى - يقول عنه الكتاب المقدس انه
تهنّب بكل حكمة المصريين • والى مصر لجأت
العنزة القديسة وابنها يسوع •

وفى مصر كان الازهر زمانا طويلا مصدرا
للمعركة الاسلامية •

واعتاد المصريون التمايش والتعاون فى الحياة
المريضة - دون أن يؤثر على ذلك الاختلاف فى
المتقد الدينى • وفى وقت الأزمات القاسية كان
هذا التمايش يتبدى وحدة متينة بدهش لها
المراقبون من الخارج •

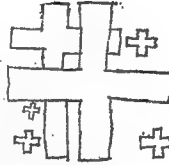
الوحدة • مع التنوع

والحقيقة ان هذه الوحدة مع التنوع ظاهرة
حضارية لم تزل بعد حظها المناسب من الدراسة
والتمسق • ومن الممكن القول بأن المصرى وهو ينظر
الى الحياة نظرة سلامية تقصد أول كل شيء الى
صنع الحياة • لا يقيم فى هذه الحياة الا ما يساهم
فى بنائها ودعمها ويدفعها الى المضى نحو غايتها •
هى نظرة عملية واقعية حين تتأمل الدين تستنبط
منه القيم والقوى التى تبني الحياة وتربط بين
البشر وتزيد تعاونهم • ومن هنا كان الدين وقت
الأزمات فى مصر عامل توحيد لا عامل فرقة • لأن

القيم المسيحية

وقضوية

الاشتراكية



القمص جرجس متى

« إن بناء الدولة الجديدة لا يمكن أن ينجح بدون
بناء الإنسان الجديد » •

هكذا يقول برنامج العمل الوطنى الذى قدمه
الرئيس لنور السادات الى المؤتمر القومى فى ٢٢
يوليو ١٩٧١
والإنسان فى حقيقة الامر هو الهدف حسن

« وجميع الذين آمنوا كانوا معا - وكان عندهم كل شيء مشتركا - والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويتقاسمونها بين الجميع بحسب ما يكون لكل واحد احتياج »

« ولم يكن أحد يقول إن شيئا من أمواله له - بل كان عندهم كل شيء مشتركا » اذ لم يكن فيهم أحد محميا - لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت يوزعون يبيعونها ويأتون بأثمان البيئات - فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج ... »

رؤية المسيحي لديته

هذه هي الرؤية التي يجب أن تبرز أمام المثنيين المسيحي حين يفكر في دينه

وهي رؤية عامة في كل دين - لأن الانسان عظيم القدر جدا لدى كل من يؤمن بالله وبرمائه الى البشرية - والاستغلال وكرامة الانسان ضدان لا لقاء بينهما

وفي ميدان المعركة - تمشتن القيم الحضارية المصرية أمام العالم كله - ففي مواجهة الوحدة الحضارية التي قامت على ضفاف النيل - مع التنوع ، يلق النظام العنصري المتعصب - وبين الاثنين تقوم المعركة

ان الصهيونية مبدأ لا عم لسادت الفقرة بين البشر - ولاستبد كل فريق من دينه عوامل الانقسام لا الترابط

الصهيونية تعلي اليهودي على الانسان - اما في مصر فلم يكن الامر قط على هذا النحو - لقد أبصر المصريون جميعهم الانسان من خلال اديانهم

وهكذا تدور المعركة بين الطرفين - ومن أجل خير الانسان في كل مكان يجب ان تنصير مصر ، لان انتصارها يحمل رسالة الحضارة والتقدم وإمكانية الحياة دون عنصرية أو تحصب أو تفرقة بين البشر بسبب الجنس أو العقيدة أو الدين



الجميع كانوا يواجهون خطرا واحدا فكانوا يبيعون كل قواهم المادية والمعنوية لمواجهة - ومن تكرر التعرض للآزمات والترابط والتضامن لمواجهة ومن كثرة ما ألهمهم الدين في هذه الآزمات من عناصر القوة ، أصبح الالتفات من جانب المصري الى دينه ، يتجه الى القيم والقوى التي تربطه بأخيه وتدعم البناء العام

التحدى الذي يواجهنا

ون بلادنا اليوم للتعرض لتحدي تاريخي ، يتطلب أكثر من أي وقت مضى في تاريخها الوحدة واكتمال التهيئة - والتحدى الذي نواجهه متعدد الجوانب - داخلها - وفي ميدان المعركة ، وعلى الصعيد العالمي

لها في الداخل فامامنا تحدي التخلف وتحقيق العدالة - وفي هذا الميدان يلزمنا الدين بالتغلب على التخلف ، وبإلغاء الاستغلال - لانه اذا كان الانسان هو أكرم كائن على هذه الارض - صورة الله ومثاله تمييز الكتاب المقدس - فلا يليق مطلقا ان يعيش في مستوى لا يتفق وكرامته

واذا كان عقل الانسان هو اسمى ما في كيانه فعليه ان يستخدم هذا العقل - ان يستخدم العلم وكل انجازاته ، ليرفع مستوى حياته - ان اقامة المدارس ومحو الامية واعادة بناء القرية المصرية وتمن مداخل الصانع كالاشجار التخييل المثمرة وامتداد الخضرة على صحاريها واضاءة ليل الفلاح بالكهرباء - هذه كلها حين ينجزها الانسان فانه في حقيقة الامر يقوم بعمل ديني - لانه بهذا يكرم الانسان الذي تهدف القيم الدينية الى تمجيده واعلاء كرامته

الدين يرفض التخلف

واذا كان التخلف أمرا يرفضه الدين ، فان الاستغلال شيء يحرمه ويهدد صانعيه ومؤيديه بقسسى الانذارات - ولكم أرجو ان نتأمل طويلا عبارات القديس يعقوب للرسول وهو يخاطب الاغنياء ويكشف لهم عن السر الكامن وراء الاموال التي جمعوها :

« قد كنزتم ... »

« هوذا أجرة الفعلة الذين حصنوا حقولكم تلك الاجرة التي بخرتموها (أي انقصتموها) ترمى - وصياح الحصادين قد دخل الى ائني وب الجنود »

الرسول هنا يعلن في مواجهة الاغنياء ان تراكم كنوزهم مصدره اللئس في أجرة الفعلة - ولكم أود ان استنكز صورة المجتمع المسيحي الاول ، كما يصفه سفر أعمال الرسل :

إن العالم كله اليوم يحتاج إلى مصر • وهذه الحقيقة ليس مصدرها الفخر القومي وحسب • لأن القيم التي ازدهرت على ضفاف النيل يحتاج إليها العالم • أن الوحدة في التنوع • ورسالة السلام وكرامة الإنسان هذا كله زرع في مصر - علينا أن نحافظ عليه وأن نمكن له أسباب النمو في كل مجالات حياتنا • لنستمر مصر مصدر رسالة الحضارة والقيم الحقيقيين •

هذه المسائل جميعاً ركزها الرئيس أنور السادات في عباراته التي تحدث بها إلى رجال الدين الأقباط وهم يزورونه قبيل الاستفتاء على رئاسة الجمهورية ، قال لهم :

« الوطن يحتاج محنة • ويحيط بنا أعداء • وأول سلاح يحاولون أن يتفادوا إليه من بيننا هو سلاح الفرقة • فلنكن يقطين • فنحن شعب واحد • هكذا عشنا وهكذا تعلمنا وهكذا سنمضي إن شاء الله برسالة زعيمنا وبما تركه لنا من مبادئ • »

« لقد قرأت تاريخ بلدي .. »

« واليوم وفي حضرة قدامسة البابا أقول : لقد أن الأوان لكي تأخذ كنيسة الاسكندرية مكانها كما كانت حبر التاريخ في العالم المسيحي • »

« لقد كانت منازرة في عالم المسيحية قبل كنائس كثيرة .. »

« واني أثق أيضاً أنه بإمكانكم لمركزتنا القرمية متحافظون على وحدتنا الوطنية حتى نخلف وطننا من عدونا .. حتى نمود للبناء ونصمد بمستقبل زاهر .. »

« وأن جماهير الشعب في وطننا الحبيب مطالبة اليوم بأن تضع هذا كله موضع التنفيذ • »

« أن الوحدة الوطنية تتطلب مزيداً من المعارف الحضارية • فالتراث الحضاري القبطي وثيق الصلة بالتراث الإسلامي • بل أنهما في حقيقة الأمر ثمرة واحدة للنفس المصرية وامتداد لمفكرتها • هذه الحقيقة تحتاج إلى مزيد من

التوعية على الصعيدين الثقافي والشعبي • ومن خلال الموسيقى والأحان والفنون التشكيلية والتراث الشعبي في مختلف صوره - من خلال هذا كله حين يعرض على صعيد الوحدة وانطلاقاً منها سيكون له أثره الفعال في تدعيمها •

وفي كل مجالات العمل الوطني على رجال الدين أن يربطوا القيم الدينية بكل الجهود التي تبذل من أجل التقدم في بلادنا •

فالدین یوسف ابن «تظهر شخصية الإنسان وثقافته وتنوع معارفه وتطابق قدراته» •

والدين الحقيقي الذي يقف في اصرار « ضد القيم البالية التي فرضتها على حياتنا العلاقات الامماعية والراسمالية » •

والدين يدعو إلى « تقديس العمل » وإلى « حب الوطن »

وهو يقف « بشدة ضد الهشع والرشوة والطفيلية والوشاية والكتب ، ضد السلبية والتملق والتشهير بالناس والادعاء عليهم بنالم يقولوه أو يقلوه » •

وهو يريد « أن نرى في انفسنا حب الناس والثقة بهم • والإيثار والتضديد بح النفس ، والوقوف مع الحق ، وحسن الاستماع إلى الغير ، والثقة بالنفس بغير غرور ، وتحمل المسؤولية » •

هذه القيم التي وردت في برنامج العمل الوطني وصايا يطمح على المدين أن يأخذ نفبهه بها بكل تدقيق • وعلى رجل الدين في كل مجال أن ينبه من يعلمهم إليها حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من أسلوب الحياة اليومية لكل فرد على هذه الأرض العظيمة •

واننا ونحن من إن الحياة التي ازدهرت في بلادنا لن نستطيع قوة على الأرض أن نحول دون تقدمها ومواصلة مسيرتها الحضارية من أجل الإنسان في مصر ، ولخير البشرية في كل مكان •

الى اصداقاء الطليعة

في بريد الطليعة أكثر من رسالة غير فيها عدد من القراء والاصداقاء عن متساغهم النبيلة بمناسبة استئناف الزميل لطفي الخولي عمله رئيساً لتحرير المجلة •
أن أسرة التحرير ولطفي الخولي اذ يعتزون بمشاعر القراء والاصداقاء يودون في الوقت ذاته أن يعبروا عن شكرهم وامتنانهم المصيق •
أسرة التحرير

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

في المبحث الماضي اكملت
« الطليعة » شهرها الثمانين ، ورات
ان من واجبها نحو قارئها ونحو نفسها
ان تستعرض ما انجزته من اعمال
حول اهم القضايا الفكرية التي تهم
وطننا .

ومن ثم فقد قدمت في العدد الماضي
عرضا عاما لما تردد على صفحاتها
من مواقف واتجاهات حول قضيتين
هابيتين هما « حركة التحرر الوطني »
و « القضية العربية »

وفي هذا العدد تقدم « الطليعة »
عرضا لواقفها تجاه « القضية
الافريقية » ملحين على دعوتنا
للاصغاء ان يستعرضوا معنا من
خلال نظرة نقدية مواقفنا هذه وسبل
اجابة مسؤولياتنا تجاه حركة الثورة
العربية بصورة اكثر فعالية وكثير
اجابية .



المواقف والاتجاهات

(العرض العام)

القضية الفلسطينية

عرض : د. د. ريمت السعيد

الفرصة لقارئها لتتبع مختلف القضايا المتعلقة بهذا الصراع ،

نقد تناولت هذه الدراسة مقالات حول :

● جثور وإبعاد الصراع العربي الاسرائيلي
— لطفي الخولي .

● الوجود الاسرائيلي في المخطط الاستعماري
— خيرى حماد .

● الجذور التاريخية والطبقية لعنصرية شعب
الله المختار — ميشيل كليل .

● اقتصاديات اسرائيل واجهة مبدئية لؤسست
عسكرية — سعد زهران .

● أزمة اسرائيل من الداخل — مجدى فهمي
● المستعبدات لثقافة نقابية لؤسسة رأسمالية
— عيد المنعم الغزالي .

● القبلة الذرية والصراع العربي الاسرائيلي
— هشام صلاح الدين .

● اسرائيل والفريقى — مهدى بن بركة .

● قضية فلسطين اليوم . عربيا وعاليا —
د. د. برهان الحجاني .

● ثورة يوليو في مواجهة التحالف الاستعماري
الصهيونى .

وفي دراسته حاول « لطفي الخولي » ان يحدد صورة التناقضات التي تحيط بالعلاقة بين العرب واسرائيل مؤكدا بوضوح انها « لاتصغر من موقف عنصري » مشيرا الى روح الاخوة التي سادت مع اليهود المصريين والى البيان التاريخي الذي أصدره حليم ناحوم افندي حاخام اليهود المصريين غداة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ والذي قال فيه « ان اليهود المصريين جزء لا يتجزأ

■ منذ ما قبل عدوان ١٩٦٥ ، والطليعة تهتم — الى حد كبير بدراسة الابعاد المختلفة للقضية الفلسطينية ، سواء بدراسة تاريخ المشكلة الفلسطينية او لحداتها المعاصرة ، او بدراسة الايديولوجية الصهيونية ومدى الخطر الذي يمثلها السكيان الصهيونى المتمثل في اسرائيل على حركة التحرير العربية .

■ وبعد عدوان ١٩٦٧ — كانت هناك — بطبيعة الحال مرحلة جديدة فخرت فيها صفحات « الطليعة » ببحر اسات ومقالات وبحوث عديدة شملت كافة جوانب القضية الفلسطينية سواء من الناحية التاريخية او السياسية او العسكرية وقد ركزت « الطليعة » اهتمامها على « المقاومة » باعتبارها أمل البعث الفلسطيني وهي لم تكن بإدارة حوان مستمر مع مختلف فصائل المقاومة الا باناحة الفرصة لمثلئ مختلف المنظمات بالتعبير من وجهة نظرهم على صفحاتها ، لسكنها حاولت — أيضا — ان تطرح أمام رجال المقاومة مقترحات وتصورات محددة بشأن خطة العمل العدائي واستراتيجيته .

قبل العدوان

ففي مايو ١٩٦٥ نشرت « الطليعة » دراسة تاريخية استعرضت بشكل واف الوقائع الهامة لتطورات القضية الفلسطينية تحت عنوان « فلسطين منذ زيارة مونتيفيديو ١٨٢٩ حتى حركة التحرير الفلسطينية ١٩٦٥ » وقد أعد هذه الدراسة الكاتب الفلسطينى الاستاذ خيرى حماد

وفي عدد مايو ١٩٦٦ قدمت الطليعة لقارئها دراسة متكاملة عن الصراع العربي الاسرائيلي مقنولة الابعاد المختلفة لهذا الصراع مخصصة

من الأمة المصرية وانهم يتمتعون بكل ما يتمتع به المواطن المصري المصالح ، وعلى ذلك فليس لاية دولة اجنبية سواء كتحت هذه الدولة اسرائيل او غيرها اية صلة للتحديث بالسبب » .

ابا « خيري حماد » فقد اشار في دراسته الى العلاقة المصرية بين الصهيونية والاستعمار وذلك « لان الصهيونية نفسها حركة استعمارية تقوم على استعمار الارض واستيطانها بعد اخراج اهلها منها ، ولانها في واقعها تؤولجزءا لا يتجزأ من الرأسمالية العالمية التي تعتبر الاجريالية أعلى مراحلها » .

وتحدث « سعد زهوان » عن الطغيان المميز للكتيون الاسرائيلي فقال « والصلاح الاسرائيلي الذي يتم في مستعمرة من المزارع المحصنة ليس غللا مثل اى ملاح آخر ، وحتى ولو كان يطلع الارض ويحطب الحاصل ويرمي الماشية والأفنام ، وانما هو كائن عسكري أولا وقبل كل شيء ، فهو لم يجلب من أقصى بلاد العالم ولم يثقل عليه هو وكل واحد من ابنائه آلاف عديدة من الدولارات لكي يعيش غللا يزرع ويحصد وينجب البنين والبنات ، وانما جره به ليعارب ويهوت ، جره به ليقتل ويقتل دماغا من مصالح من دفعوا ثمن مجيئه .. وبولوا لقائه واناموا دولته » .

بل ان « الطليعة » تكاد تتنبأ بوقوع العدوان وتستشر مخاطر صراحة في مقال « مجدى فهمي » الذي يطرح التساؤل التالي « ان اسرائيل تعاني أزمة اقتصادية ، وانفجرات مصرية ، وليس متزايد من جانب غالبية شعبيها تعاضد حمله السابقة في أرض الميعاد ، فكيف تواجه هذا الوضع بكل ما يحمله من امصير وانفجرات ؟ » واجابة من هذا التساؤل يقدم القتال وجهتي نظر كائنا طرهن داخل السلطة الاسرائيلية ذاتها .. « لئن ليس في جانب اسرائيل هكذا يعلى جولدمان اجابته عن هذا السؤال في تصريحه في ديسمبر ١٩٦٥ مؤكدا بهذا الاتجاه بن جوريون الداعي الى الحرب كحل للزلة » اما الاتجاه الثاني بزعماء اشكول فيقول « الحرب ليست في صالح اسرائيل » .

غاي الاتحاديون سيسود ؟ تحاول « الطليعة » ان تتنبأ بما سيحدث فتقول « واذا كتلت السياسة الامريكية في المرحلة الراهنة تساند اتجاه اشكول فان بن جوريون سيكون بلا شك غارس الامل في المستقبل القريب . ويغض النظر عن قيسة الانتخابات الاخيرة بكل ما اسفرت عنه من نتائج لصالح اشكول ، فالقوة الحقيقية المسيطرة في اسرائيل هم العسكريون ، وهؤلاء يقفون من وراء

« بن جوريون » وينتظرون الوقت الذي تراه القوى الاستعمارية مناسبة » .

ولم يطل انتظار العسكريين الاسرائيليين ، وكلن عدوان يونيو ١٩٦٧ .

وبعد يونيو ١٩٦٧ كان من الطبيعي ان تبذل « الطليعة » الكثير من اهتمامها للقضية الفلسطينية .

نقطة البدء أن نفهم العدو

وكنت نقطة البدء ان ندرس عدونا « تاريخه » منطلقة العسكرية « حقيقة القوى المؤثرة في جبهته » علاقات القوى التي تحكم تصرفاته .. كان ذلك كله ضروريا حتى نستطيع ان نرى حجم المسؤولية التي تواجها ونحن نسمى للانحصار على مخططة ..

وفي هذا المجال تحدثت « الطليعة » الكثير من الدراسات ..

فقدمت على سبيل المثال فواتية عن نشأة الحركة الصهيونية وتاريخها بعنوان « عالم الصهيونية » وقدمت امد هذه الدراسة الهامة المستشرق الفرنسي « مكسيم روفنسكون » (١) .

وفي نفس العدد قدمت « الطليعة » رؤية مصرية لتسريخ الصهيونية للكتون « وليم سفهان » بعنوان « نقطة البدء في مواجهة الصهيونية » .

وبمناسبة زيارة بعثة راسل لتقصى الحقائق حول جرائم العدوان الاسرائيلي قدمت « الطليعة » دراسة شرحت فيها حقيقة الحركة الصهيونية ومنطلقاتها الفكرية ، وغاياتها واحداها الحقيقية وكلن عنوان هذه الدراسة « الصهيونية أم الحركة العربية » (٢) .

ثم وجهت « الطليعة » نداء الى « اللجنة التحضيرية لندوة الاشتراكيين العرب » تصدد فيها طبيعة المواجهة مع الصهيونية واسرائيل « ذلك لنا اننا ندرس تاريخ الصهيونية كما تمتد امامنا مواجهتها في المستقبل .. وكى نحدد طبيعة التناقض العالم بيننا وبينها » .

« التناقض المحتل منذ مشرنيات هذا القرن بين القومية العربية — بمراحل تطورها المخططة — وبين الصهيونية [لا اليهودية] — بمراحلها المخططة كذلك — هو نوع من التناقض العدائي الذي لاسبيل لحياة اى منها — فملينا — مع الاخر على نفس الارض . فكسل منهما يريد — لاسباب مختلفة — السيطرة على نفس الارض ومصيرها دون مراعاة من الآخر .. »

بـحقيقة «الناحية» حيث أن المسلم الذي يقرض قرضاً لأحد طويلاً حتى ولو اضطر الشعب المهزوم إلى قبول هنة معينة بقوة السلاح .

وقد أوردت «الطلعة» النص الكامل لدراسة «جولدان» هذه والتي خلص منها إلى ضرورة أن تبحث إسرائيل عن صيغة جديدة لبقائها في المنطقة ودعا إلى «تحييد» إسرائيل تحييداً كاملاً .

وتعليقاً على آراء «جولدان» قالت «الطلعة» «إن ظاهرة جولدان التي طغت على سطح الحركة الصهيونية المالية في هذه الأيام تستحق من المفكرين العرب الاهتمام وتلزمهم باليقظة كل اليقظة . إن «جولدان» يميز هذه الأيام على وتر جديد «ضرورة التناغم بين العرب وإسرائيل» وعن «حل سلمي» لكن جولدان يظل بالمبادئ التي ينطلق منها صهيونيا حتى التنازع بين بنظرية «الصعب المختار» ذي «التاريخ الفريد» وصاحب الحق في فلسطين (٥) .

ثم أعقبت «الطلعة» هذا التعليق بثلاث مقالات تدرس كل منها جانباً من جوانب فكر «جولدان» وقد وصفت إحدى مقالات هذا الفكر بأنه «حل لمشكلة إسرائيل وليس لازمة الشرق الأوسط (٦)» أما المقال الثاني فقد أكد «أن القانون الدولي لا يعرف حياداً لدولة عنوانية» (٧) .

وقد تناول المقال الثالث فكر جولدان بالدراسة على ضوء معطيات تاريخ الحركة الصهيونية نفسها ، وخلص من هذه الدراسة إلى أنها «رؤية قديمة في ثوب عصري» (٨) .

ولم تكف «الطلعة» بمحاولات نزع الانتعاش من الأيديولوجية الصهيونية ، بل حاولت أيضاً نزع «القناع» عن وجه إسرائيل كاشفة دورها كعميل للاستعمار في أرض المنطقة . وفي هذا الصدد قدمت «الطلعة» عدداً وافياً من الدراسات والمقالات .

فحاول حلاوة إسرائيل بالمقيا الغربية نشرت «الطلعة» مقالاً بعنوان «حلف بون - قل أييب» وريت النازية والعدوان ، قالت فيه «غداة النصر بضمير أوروبا المثلل بأخطاها النازي لليهود . ووراء خدمة التكثير من ذلك الإسطهاد البشع ، أطلقت الطغمة العسكرية الحاكمة في بون ستراراً كئيها من الخائن المبدعها السياسي والاقتصادي والعسكري لإسرائيل، ويحكم ثلاثة الفكر النازي الحاكمن في بون في دعمهم لإسرائيل ، ضرورة أن يحتفظوا لأنفسهم بموضع

أنا لاستطيع أن نوفق بين الماء والنار في وعاء واحد . أن حل التناقض بينهما لا يتم فعلياً إلا بتبخير «كل الماء» أو إخماد «كل النار» .

ولعل حرب يونيو ١٩٦٧ قد أفردت التناقض بين القومية العربية والصهيونية حتى قمة رأسه في الدم ... كما أنها أكدت بمسورة عملية وصعبة «طبيعة هذا التناقض ، ومفترق الطرق الذي يواجه الأمة العربية ، ومذابجة ومرابيه مايسمى بالبدل الثالث أو الطريق الثالث لحل التناقض» (٩) .

إسرائيل من الداخل

وبعد ثلاث سنوات من العدوان على إسرائيل «الطلعة» لتركزاً الأمواء من جديد على إسرائيل من الداخل في محاولة لتفهم حقائق الصراعات الداخلية فيها وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وقد حدثت هذه الدراسة ملاحظاً الأوضاع الجديدة داخل إسرائيل بعد العدوان فشارت إلى تفكك الأزمة الاقتصادية ، وإلى تسلط الانتمية التي كتبت الصهيونية قد نجحت في أن تغطي بها وجه وليدها إسرائيل وكيف أن إسرائيل قد ظهرت أمام العالم على حقيقتها معتدية على حقوق الغير مستندة إلى الأسس إلى الاستعمار ومساوئها (٩) .

ولقد حاولت «الطلعة» أن تتعمق كل رأي جديد في هذا الصدد وأن تخضمه للدراسة والتحليل ، وعندما قدم «جولدان» تصوراً جديداً لدور إسرائيل في المنطقة ولطبيعة علاقاتها مع العرب .. قال فيه «.. وفي ظل القواعد الطبيعية للحياة الدولية ، لأجدال في أن دعوى العرب لها محتاجاً وجوهراً ، ومن الخصلة وعدم الانصاف انكنا بيزرائها . فقد صرح دكتور حليم وايزمان مراراً بأن الصراع العربي - اليهودي بشأن فلسطين هو صدام بين حقين وليس بين حق وإيصال . وهذا مايجعل الصراع مركباً وحاداً» .

وقال فيه أيضاً «فلا زال العالم العربي ينظر إلى إسرائيل كجسم غريب في قلبه ويرفض الاعتراف بوجودها .. هذا الشعور يتزايد مع كل انقراض إسرائيل جديد كتكوين من شعور العرب بالهانة والصور . ولا يدعو أن يكون سخفاً الأهل في فرض السلم على العالم العربي سواء بضغط القوى الكبرى أو بانتصار إسرائيل

[٢] لطفي الخولي - انتدابية خبايا ١٩٦٨

[٤] يونيو ١٩٧٠

[٥] أغسطس ١٩٧١

[٦] د. اصباغ صبرى عبد الله - أغسطس ١٩٧١

[٧] د. جمال العطيفي - العدد السابق

[٨] د. وليم سليمان - العدد السابق

لعدم في القاعدة العسكرية التي أمتها الاستعمار
العالي للعدوان على ثورة التحرير العربي أملا
في تحقيق لطباع فئسحل هظر في تحقيقها من
قبل، (٩).

وحول علاقة إسرائيل بالخطط الإمبريالية يشكل
عام ودورها في تنفيذ كتيب الطلبة قول « ان
إسرائيل تمثل من وجهة نظر الاستعمار العالمي
حلا مؤقتا لعدد من مشاكله .. فهي قد أتاحت
الفرصة لإيجاد حل استعماري لشككة أنشأتها
الراسيالية وعملتها النازية وهي مشكلة العداء
لل يهود والسامية .. »

« ولكن الوجه العنصري الصهيوني لإسرائيل
ليس سوى جزء من استثمارات الاستعمار في
أفلية هذه الدولة ، والوجه الأخر لإسرائيل هو
استيطان دولة «أوربية الطابع» بتقوة تكنولوجيا
في قلب العالم العربي ، فائزة على ممارسة دور
معال في مناهضة حركة التحرير العربية بل
وحركة التحرير في أرجاء مختلفة من أفريقيا
وآسيا » (١٠)

لكن « الطلبة » كتب في افتتاحيتها في
عدد ثال قول « ورغم ان الولايات المتحدة لاتزال
بحكم مصالحها وسياساتها الخارجية ، هي الحليف
أقوى لإسرائيل ومنبع ترسانتها العسكرية
والتبرعات والمساعدات المالية والاقتصادية ،
والنيز الأساسي للدمية والديبلوماسية الصهيونية
الا أن المراتب يستطعم أن يلاحظ ان جرائم القوية
العسكرية والمادية والمعنوية لإسرائيل محكوم
عليها موضوعيا باليهبوط النسبي حاليا » (١١) .

ومع تطورات الأحداث الثلاثة حادت الولايات
المتحدة لإضام من شخنت أسلحتها لإسرائيل
وعادت الطلبة لتكشف الدور الحقيقي للولايات
المتحدة في مسلسلة إسرائيل وتشجيعها على
العدوان .

إسرائيل ٠٠ والمعسكر الإمبريالي

كل ذلك قد كشفت « الطلبة » في أكثر من
مناسبة الدور الذي تلعبه إسرائيل كشريك في
الخطط الإمبريالية العالمي ، وعن ملامت إسرائيل
بالانظمة العنصرية في جنوب أفريقيا وروديسيا
والدور الذي تلعبه إسرائيل لتفريب حركة التحرير
الافريقية .

وعندما قام انتلاب « ايدي أمين » في أوغندا
سارعت « الطلبة » الى التحذير من أصبح
إسرائيل في هذا الانتلاب ، فكتبت تحت عنوان
« حول الهبات الاسرائيلية ضد أوغندا » تكشف
دور إسرائيل في الانتلاب ، وعلاقة هذا
الانتلاب بالخطط الإمبريالية لفصل جنوب
السودان (١٢) .

وإذا كتبت إسرائيل قد استطاعت لفترة طويلة
من الزمن أن تخفى عن الرأي العام العالمي
وجهها الحقيقي ، وأن تضلله من منطلقاتها
وطبيعتها الحقيقية ، فإن لحد موائل نجاحها في
عملية التضليل مذهو خطا المنطلقات والاسباب
المربية في التوجه الى الرأي العام العالمي .

كيف نخاطب الرأي

العام العالمي ؟

.. وفي مرات عديدة كتبت « الطلبة » وإيها
في تحديد منطلقات وأساليب التوجه العربي الى
الرأي العام العالمي ، وفي واحدة من المقالات
التي كتبها في هذا الصدد تحدثت عدة واجبات
أساسية ..

١ - تجريد مواجهتنا مع إسرائيل من شعبة
العنصرية في أية صورة كتبت ..

ب - تجاوز النظرة الى إسرائيل ككتلة واحدة
مجانسة والإسهام بصورة إيجابية في لكان
مكوناتها المتنبذة بدلا من العمل على تجميعها
وقدمها .

ج - التمييز بين إسرائيل كقوة عنصرية
وعنوانية وتوسعية تعمل على جلب عدد متزايد
من اليهود الى فلسطين بصورة مطردة ، وبين
اليهود كثيرين - خصوصاً - وكثافة في
فلسطين » (١٣) .

وبعد ستة أشهر من عنوان ١٩٦٧ تسببت
« الطلبة » دراسة طويلة بعنوان « حسابات
سنة شعور من العدوان والمقاومة - حرب الفيل
والغراب في الشرق الأوسط » تحدثت في الجزء
الأول منها من « خنقطة السياسة الدولية
للصراع » وطالبت بضرورة العمل على عزل محور
والشطن - تل أبيب - عن أوروبا الغربية ثم قالت

[٩] حسين سلطان - يوليو ١٩٦٧

[١٠] محمد سيد أحمد - أكتوبر ١٩٦٧.

[١١] انتقائية - يونيو ١٩٦٨

[١٢] عبد الحميد المزيلى - مارس ١٩٧١.

[١٣] محمد سيد أحمد - أكتوبر ١٩٦٧.

« ولكن نلتزم الدقة في التحليل فكان الأمر يستوجب أن نستبعد المقايء الغربية من تيار الفكر الأوربي الاستقطالي الجديد ونطهها في محور واشنطن - تل أبيب » (١٤) .

وهكذا فقد كان لصد المحاور التي دعت « الطلبة » إلى التنبه إليها هو تفهم الطابع المنير لملاقة أوروبا القربية بالزفة في الشرق الأوسط ، ومحاوله بذل جهد خاص تجاه الرأي العام في أوروبا الغربية انطلاقاً من هذا الفهم .

كذلك تدمت « الطلبة » سلسلة من المقالات حول الرأي العام العالمي وكيفية التوجه إليه وكسبه ، وقد كتب هذه المقالات « خالد محيي الدين » من موقع الاحتكاك المباشر بأوساط الرأي العام العالمي والملاقة الوثيقة بعملية مخاطبة الرأي العام العالمي ..

كذلك فقد اهتمت « الطلبة » بإبراز « المضمون الإنساني لقضية فلسطين » ، وأبرزت أهمية التوجه من هذا المنطلق لكسب أوساط هامة من الرأي العام العالمي . فنشرت في هذا الصدد دراسة هامة لوثائق المؤتمرات المصرية الأتليسي لحقوق الإنسان الذي عقد في بيروت في ديسمبر ١٩٦٨ ، والذي تناول بلبش والدراسة حقوق الإنسان الفلسطينيين في الأرض المحتلة من مختلف النواحي (١٥) .

المقاومة .. أولاً

لكن أهم ما ركزت عليه « الطلبة » في تناولها للقضية الفلسطينية هو « المقاومة » باعتبارها صورة البعث الحقيقي للشعب الفلسطيني ، وطريقه الأساسي لاستعادة حقوقه .

وكان تناول قضية « المقاومة الفلسطينية » شاملاً لكافة الجوانب ابتداء من الجوانب التاريخية التي حاولت أن تستلهم دروساً من التاريخ النضالي للشعب الفلسطيني حيث قدمت عدداً من الدراسات من تاريخ الثورات الفلسطينية منها « ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية بداية السكاح المسلح ضد الصهيونية » ، ودراسة أخرى لنفس الكاتب من « ثورة القسام » (١٦) .

وكان تناول « الطلبة » لقضية المقاومة شاملاً كما قلنا لختلف الجوانب ابتداء من تسجيل شهاداء المقاومة والدفاع من سجنائها إلى تناول المخططات التكتيكية والاستراتيجية لختلف فرق المقاومة بالدراسة والتحليل .

ومن أحد أبنال المقاومة الذين استشهدوا كتبت « الطلبة » افتتاحيتها « جيفارا وأبو غزالة » فقالت « جيفارا في بوليفيا ، وأبو غزالة في فلسطين ، من أبناء الإنسانية الذين لا يموتون ، لأن لهم أشقاء عديدين ينبشون بلا انقطاع في أحضان الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين في كل الشعوب » (١٧) .

كذلك فقد نظمت « الطلبة » حملة واسعة تحت شعار « لفرغ النازية الصهيونية يادها عن المناضل ولهم نصر » ، ودعت المواطنين العرب إلى الاشتراك في حملة استنكار عالمية لانقاذ هذا المناضل ، واستجلب آلاف المواطنين العرب لهذه الدعوة ، ولقد كان من دواعي اعتزاز « الطلبة » ببيلرتها بهذه الحملة أن استجاب لها رجال الأزهر الشريف وفي مقدمتهم فضيلة الأيام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الذين وجهوا نداء يطالبون فيه الرأي العام العالمي بالدفاع عن ولهم نصر .

ثم وأصلت « الطلبة » حملتها من أجل « ولهم نصار » فنشرت رسالة من والده (١٨) « كما وردت « الطلبة » أيضاً صوت المناضل « نعيم الأشهب » الذي تردد عبر قضبان الأراض المحتلة بينا المبتدين الاسرائيليين مؤكداً صمود شعب الأرض المحتلة في وجه ظلماتهم .

وفي ديسمبر ١٩٦٧ قدمت الطلبة رهنداً حقيقياً لمسأمة المقاومة ، إيجليلته وسلبيلاته في محاولة مبدئية للتوصل إلى صياغة محددة لدور المقاومة وكيف يجب أن يكون وكان موضوع الدراسة « حسابات ستة شهور من العدوان والمقاومة » .

وقد أدركت « الطلبة » منذ البداية أن المقاومة وإن كانت تعبيراً عن بعث الشعب الفلسطيني إلا أنها جزء لا يتجزأ من مقاومة نضال الأمة العربية كلها ، كذلك استنشرت « الطلبة » مخاطر التأمر الرجعي ضد المقاومة . ومن ثم فقد رفعت صوتها منذ البداية « نحو جبهة عربية من حول المقاومة الفلسطينية » .. ولقد تحدثت « الطلبة » بصراحة ووضوح حول هذا الموضوع فقالت « لم يعد خلفنا جلى أحد بعد حرب يونيو أن مسألة الحق مليون عربي الذين يواجهون المليونين والصف مليون اسرائيلي لم تكن إلا مجرد مسألة تصبها المواطف كلاًها بتكاسبها على الورق وترفع بها الشعارات الملتبئة . هذه حقيقة مرة ، ولسكنها واقعية ، ولأنها مرة وواقعية ، فإن علينا جميعاً وبلا استثناء اليوم

[١٤] لطفى الخولي - ديسمبر ١٩٦٧

[١٥] يحيى أبو بكر - نفاير ١٩٦٩

[١٦] عبد القادر س - يناير ١٩٦٩

[١٧] لطفى الخولي - نوفمبر ١٩٦٧

[١٨] أغسطس ١٩٦٨

فقد جاء في المشروع « أننا نلتزم في كتابتنا ضد طغمة بن جوريون على كفاف شعبنا والشعوب العربية أولا ، وعلى تبيد القوى الانتدابية ثانياً وعلى مساعدة الشرفاء في إسرائيل ثالثاً ، وكانت النتيجة احتجالياً من تلك التظاهرات على الحملة الأخيرة ، فهم يعتبرون ان كل من اقام في الوطن المحتل صهيوني لا يجب التعامل او التحالف معه وغير ذلك يعد خيانة وطنية » .

ثم تصدفت بمد ذلك من تجربة « الجبهة الوطنية المتحدة في غزة » التي تأسست في أغسطس ١٩٦٧ بين حزب البعث - جبهة تحرير فلسطين - الحزب الشيوعي - الجناح العسكري لمنظمة التحرير .

وقالت ان الجبهة عند تأسيسها واجهت تيارين خاطئين : الأول استسلامي فقد الفتة في كل شيء ، والثاني متعجل يطالب بالتصدي عسكريا للاحتلال فوراً .

« وبالنسبة للاتجاه الثاني فقد رأت الجبهة في الشهور الأولى بعد المؤامرة ان هناك حوة عميقة تفصل امكانية العمل العسكري عن جماهير الشعب اليانسة ، وان هذه الهوة لن يجتازها الا تنظيم قوى ، قادر على ممارسة كافة أشكال النضال بادئا بالنضال الفكري والسياسي بهدف انتشار الجماهير من وهدة اليأس ومن المظاهرات .. الى الاضراب السياسي .. الى رفض مغادرة القطاع ، الى العصيان المدني » وبعد ذلك اكدت المساواة « في ١٧ نوفمبر ١٩٦٧ ان الحل العسكري أصبح في طريقه الحتمية » .

حوار مع « فتح »

وعلى صفحات نفس العدد أجرى « لطفى الخولي » حواراً ثكرياً طويلاً وعميقاً مع « أبو اياد » أحد قادة فتح تعرض فيه لاختلاف التضامن السياسية والاستراتيجية التي تمس نفسية المقاومة ومستقبلها .

وجواباً عن سؤال حول الظروف التي تكونت فيها فتح والتي ادت بها الى انتاج خط الكفاح المسلح ؟ قال « أبو اياد » .. « ان فتح هي عملية رد فعل لجموعة أوضاع عربية ومجموعة أخطاء كانت موجودة في السياسة العربية وفي الاحزاب العربية ايضاً ، وهذا كله دفع كثيراً من الشباب الفلسطيني الى الاحساس بأن طريق الحزب والبعث والنفك ، ليس هو الطريق

ان تصدى لها بكل شجاعة وموقنعية ؟ اذا كنا حقاً ، كما تقول السنثا والفلان : عازمين على ممارسة مسؤولياتنا التاريخية في تصفية العدوان الاستعماري الصهيوني قبل ان يتحول بالفعل الى اسرائيل الكبرى » (١٩) .

كذلك اهدت « الطليعة » باب المقاموة الفلسطينية وشعراء الأرض المحتلة ، فقد ادركت « ان هذا الشعر بالنسبة لقاتليه يؤدي وظيفة هامة وخطيرة لم يؤديها الشعر العربي من قبل ، انه تمويه عن الأرض التي سلبت ، وحلبالفد الذي لم يشرق بعد » (٢٠) .

كذلك كانت « الطليعة » رافعة لواء تصدير وتجهيز النضال البطولي الذي يشنه المناضلون العرب واليهود من سكان اسرائيل ، وأبرزت « الطليعة » دور « ركن » الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي يخوض معركة شجاعة لادانة العدوان والمعتدين ، بل ان « الطليعة » قد قدمت افتتاحيتها يوماً لنشر مقال « محمود درويش » أحد أعضاء هذا الحزب (٢١) .

وقد بذلت « الطليعة » غاية جهدها كي تتفهم المقاومة الفلسطينية من قرب ، وان تتعرف على مشاكلها وتستمع الى كواذبها وأعضائها العاديين ، وان تثير حواراً خصباً مع مختلف فصائل المقاومة .

ولمحت « الطليعة » صفحاتها لمثل هذه الفصائل المختلفة ليقولوا اياهم بحرية تامة ، وليعبروا عن منطلقاتهم المختلفة كسبيل طبيعي لتحقيق لقاء موضوعي ..

وفي يونيو ١٩٦٩ خصصت « الطليعة » دراستها الرئيسية لمثل هذا عدد من فصائل المقاومة المختلفة كل يعرض وجهة نظره تحت عنوان عام « رؤية المقاومة الفلسطينية للعدو » .

فكتب عبد القادر ياسين (الجبهة الوطنية المتحدة بغزة) دراسة من الخلفية التاريخية للمقاومة في فلسطين ، وقد صمدت قوتها ككتفه [الجبهة الوطنية المتحدة بغزة] دراسة من تأسيس الجبهة في غزة في عام ١٩٥٦ ، وفي عام ١٩٦٧ تحت عنوان « تحويل العمل العدائي الى قضية جماهيرية » اشارت الى قيام جبهة يسارية عقب عنوان ١٩٦٥ باسم « الجبهة الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية في غزة » . وقالت ان هذه الجبهة قد اعتمدت مشروع ميثاق عرضته على مختلف المنظمات « التي رفضت التحالف لان البرنامج الذي تقدمت به الجبهة كان يتضمن ما اعتبره تلك المنظمات خيانة وطنية

[١٩] لطفى الخولي - انتفاضة مايو ١٩٦٨

[٢٠] مازن الشبيب - يونيو ١٩٦٨

[٢١] فبراير ١٩٧٠

الموصل لحل قضية بلادهم .. في الخمسينات
 نأثرا ما كنت ترى شيئا فلسطينيا غير متمم الى
 حزب او حركة سياسية .. وكنت انتمايات
 الشباب الفلسطيني من أقصى اليمين الى أقصى
 اليسار . البعض كان يعتقد ان الاتجاه الديني
 يمكن ان يحل قضيتهم . وكان البعض الآخر يعتقد
 انه يمكن ان يكون طريق الشيوعية هو الطريق .
 البعض الثالث اتجه اتجاها قوميا .. فيجموعة
 من هذا الشباب الذي اخطأ في كل هذه الأحزاب
 والحركات . ولم يستطع من خلالها ان يمشى على
 الطريق لتحرير وطنه . فاستلخ عملا يوعى عن
 هذه الأحزاب والحركات ، ربما لا يكون دقيقا
 ان نقول بان الانسلاخ كان فكريا وانما كان في
 الانسلاخ من الانتمايات الحزبية » .

وحول المصلاحة بين العمل السياسي والعمل
 العسكري قال « أبو اياد » : « .. ان مفاسل
 فتح سياسي اولا ومقتل ثانيا ، والاستفتاء انه
 في الفترة الاولى الصعبة التي اقميت الهزيمة
 اضطررنا الى قبول متلومين للتلال مباشرة دون
 مرور بمضوية التنظيم السياسي لفتح . ولكن
 مرعان ماحدنا الى تطبيق القاعدة الأساسية
 بعد معركة السكرامة بشهرين تقريبا . والان
 لا قبل اي مخالفة مباشرة . وانما من طريق التنظيم
 السياسي . وهذا يوضح لك ان التنظيم السياسي
 والعمل السياسي هو القائد » .

وحول الخطوط السياسية لفتح قال « أبو اياد »
 « ان فتح هي حركة تحرر وطني تعمل على حشد
 طاقات الشعب الفلسطيني من خلال ككله
 المسلح لتحرير الارض الفلسطينية كلها من
 الاستيطان الاستعماري الصهيوني .. وهي
 تعتبر نفسها جزءا من الثورة العربية الشاملة .
 كما انها تعتبر نفسها جزءا من حركة التحرير
 العالمي ضد الامبريالية .. وقد جمعت « فتح »
 شيئا من أقصى اليمين الى أقصى اليسار في
 اطار السكاح المسلح . والسكاح المسلح يظهر
 النفوس ويلقى الصدمات ويجعلها تسير في
 خط ثوري تقدمي حقيقي .. البعض يطرح الآن
 البرجوازية الصغيرة سقطت ولا يحق لها ان
 تكافح . لكن فتح تجاوزت هذه الامور نتيجة
 خبراتها . تالت لا .. ان من حق كل فلسطيني
 ان يساهم ايا كان وضعه في المعركة . لكن
 قيادة العمل الفلسطيني يجب ان تكون في ايدي
 وطنية نظيفة ، لا يمكن ان تباع او تتسالم او
 تحول هذا العمل لسلحة اية قوى رجعية ، ايا
 ان تقصر العمل على طبقة معينة فهذا ليس من
 حق أحد فضلا عن انه يضعف حركة التحرير ،
 فيه طبقات الآن او ثبات من الطبقات لم تسكن
 معروفة ايام كارل ماركس .. هل بحث ماركس
 طبقة اسما طبقة التنازحين التي ظهرت في
 الشعب الفلسطيني التنازح كان عامل يستغل في
 وطنه لسبكه لا يستغل عمالا . فيه تنازح فلاح

الآن لا يعمل بالفلاحة ؟ فيه اذن في الواقع طبقة
 الفلاحين تفرض نفسها علينا ولا يمنع في تحديدنا
 التساوية التقليدية حتى ولو كانت ثورية في
 ظروفها ومنبتها .

ويبقى « أبو اياد » قائلا : يمكن هناك من
 يلاحظ على فتح انها لم تسلك خط ماركس لينين ،
 أو شيئا من هذا القبيل حتى توصف بانها تقدمية
 واتا نقول ان هؤلاء الذين يلحون حاليا هذا
 الخط لومنا عن خلفيتهم وممارستهم السابقة
 تجسبا كلها خلفيات وممارسات بعيدة عن
 الماركسية اللينينية .. ثم بعد ذلك ، القول وحده
 لا يفيد ، الممارسة هي المحك » .

وحول مفهوم « فتح » للدولة الفلسطينية
 الديمقراطية قال « أبو اياد » : « لقد آمنا دائما ،
 واعلمنا ذلك ، ان السكاح المسلح ليس غاية في
 حد ذاته ، وانها هو وسيلة لغد انساني كبير .
 وهذا الهدف هو ان هذه الرقعة من خريطة العالم
 المسماة فلسطين والتي هي منذ سنة ١٩١٧
 تقريبا ارض حروب وثورات وهم .. ان لهذه
 الارض وشعبها ان يعيش في سلام ويستقما
 به كبالي البشر .. ان للبناء ان يتوقف سسكا
 ومن هنا فنحن نحمل السلاح من اجل الوصول
 الى حل سلمى حقيقي للمشكلة .. ولا يمكن ان
 يتحقق هذا السلام الا في اطار دولة ديمقراطية
 في فلسطين .. ما هي تفاصيلها ، لنا اعتقد ان
 التنازل والكفاح في تطورها سبتكنا بوضع
 هذه التفاصيل » .

وبعد حوار طويل حول الموقف من قرار مجلس
 الامن قال « أبو اياد » : الحقيقة لنا لم تعرض
 عامدا لموضوع ان من شروط تنفيذ قرار مجلس
 الامن في الدول الاستعمارية ، هو تصفية المقاومة
 الفلسطينية .. لم تعرض لذلك لان المساومة
 — وهذا ليس مغرورا — قد صارت حركة شعبية
 ولا يمكن ان تصفى .. » .

وعندما قال « لطفي الخولي » : « على الاقل
 تواجه بمشكل ليست هينة ؟ » قال « أبو اياد »
 « حتى هذا .. وضع المقاومة الفلسطينية ،
 رغم كثير من المفزات الداخلية فيها ، لا اتسا
 أصبحت ملكا للشعب الفلسطيني والشعب العربي
 كله . وليس سهلا ولا ميسورا القضاء على حركة
 ذات جذور عميقة وتبناها الجماهير ، ونلتصق
 الى منطق العصر بالاساس » .

كما قدم « أبو خالد » من فتح ايضا دراسة
 مطولة بعنوان « عدو قوي لكنه ليس اسطوريا »
 وهي دراسة طويلة تناول فيها كثيرا من القضايا
 الهامة مثل الصراع الاستعماري والثره على نشوء
 وتطور الصهيونية — الحلف البريطاني الصهيوني
 والثره على تطور الحركة الصهيونية — التكة
 حواملها الاساسية ونتائجها على شعب فلسطين
 وعلى اسرائيل — ثم بعد ذلك دراسة تفصيلية
 للواقع الاسرائيلي .. تتناول القضايا الاقتصادية

فصلاً المناوئة بهتفت لتحديد الأرضية الفكرية والعملية لحركة المقاومة الفلسطينية ، فقد نحتت صفحاتها لحوار طويل ومريح بين « لطفى الخولي » و « نايف حواتية » عضو اللجنة المركزية للجنة الديمقراطية لتحرير فلسطين »

ونى بداية النقاش عرض « نايف حواتية » للخلاف الذي أدى الى انقسام « الجبهة الشعبية » وقال أنه تعبير عن « الصراعات الايديولوجية والسياسية بين الجناح اليسارى الذى يمثل الان فى الجبهة الشعبية الديمقراطية وبين الجناح اليميني البرجوازى الصغير الذى يمثل الان الجبهة الشعبية » .

وتحدث « نايف حواتية » طويلا عن بواعث ولسباب الانقسام الذى طرأ على صفوف الجبهة الشعبية ، ثم تحدثت عن ممارسته لقور « البرجوازية الصغيرة » العربية . وقال « ان المسألة المطروحة ليست بمسألة وطنية او لا وطنية البرجوازية الصغيرة . ففى بلد مختلف تحمل البرجوازية الصغيرة هذه الخصائص الذاتية هى طبقة وطنية معادية للحلفاء الطبقي الاستعماري المضاد لقضية الثورة الوطنية . الا ان المسألة المطروحة هى ان طبيعة تكوين هذه الطبقة ومصلحتها لا يمكن هذه الطبقة من ان تلبي مهمات التحرر الوطنى التام التاجز . فعملية التحرر الوطنى فى البلدان المختلفة تتطلب نضالا طويل النفس ودؤوبا أمام التحالف الطبقي الاستعماري المضاد . والطبقة البرجوازية الصغيرة لا تحمل هذا النفس الطويل ، انطلالاتها من طبيعة مصلحتها . كما ان برنامج الطبقة البرجوازية الصغيرة يتف بالضرورة عند حدود رؤيا ومصلح هذه الطبقة ايدىولوجيا وسياسيا واقتصاديا ، ومن هنا تطرح هذه الطبقة برنامجها للتحرر الوطنى الديمقراطى ، او برنامجها الاشتراكى البرجوازى الصغير للتحرر الوطنى القم ضمن حدود مصلح هذه الطبقة والذى يعتمد بالامل على ابقاء هيمنة البرجوازية الصغيرة على رأس المجتمع ثقافيا وسياسيا واجتماعيا ، وعلى فرض فيكتورية البرجوازية الصغيرة على بقى طبقات المجتمع ، لتضع طبقات المجتمع تحت شعارات الاطمية وتتنى الصراع الطبقي ، او القول بالحلول الديمقراطية لمسألة الصراع الطبقي . وذلك كى تحتفظ لنفسها بالموقع التهادى ، واضعة كل عملية الثورة الوطنية الديمقراطية ضمن ائتها ، القائم بالضرورة على رؤياها ومصلحتها » .

ويبقى « نايف حواتية » ليعهد موقع « البرجوازية الصغيرة » من خريطة الصراع الطبقي فيقول « البرجوازية الصغيرة بحكم خصائصها الذاتية وعلاقتها الموضوعية مع القوى الطبقيية الاخرى فى المجتمع تحتل موقعا وطنيا بالضرورة معاديا للاستعمار والاقطاع والكبرادون

والعسكرية والتجمعات السياسية والفنية داخل اسرائيل ، وشار ابو خالد الى دراسته الى الحزب الشيوعى والى انقسامه الى مجموعتين وقال « بازال الموقف فى الشقين يدمو الى تحرير الفزاة من حكمهم كحل بديل لتحرير » .

ثم قدم « ابو خالد » دراسة لاوضاع الشعب الفلسطينى - عدد المواطنين ومناطق تجمعهم واحوال اللاجئين ودخولهم ، ثم جدولا تفصيليا بتقديرات دخل الفلسطينيين فى البلاد العربية . وحول موقف المقاومة من المدنيين اليهود داخل اسرائيل قال « ابو خالد » ان القوات المسلحة الاسرائيلية تبلغ ٨٠.٠٠٠ جندي ويتم تعبئة ١/٤ التعداد السكانى اى حوالى ٣٠٠.٠٠٠ فى حالة الحرب ، بمعنى هذا ان المجموع الكلى للاراد العاملين فى اطار القوات المسلحة يبلغ ١٨٨.٠٠٠ وذلك اذا اخذنا فى الاعتبار ان كل جندي لابد ان يكون فى خدمته ستة افراد على جبهة العدو الداخلية .

وهذا يعنى اننا نقاتل قاعدة عسكرية محصنة اشبه بقاعدة « دين بيا ، مو » او « خى سلة » ومن هنا فالحديث عن المدنيين يصبح حديثا غير على اذا استثنينا الاطفال والشيوخ من الرجال والنساء . ونحن بالطبع لا نمتهدف هؤلاء فى قتالنا للعدو الصهيونى ، كما لم تستهدف كاذبات القتل الصهيونية الشيوخ والاطفال عندما قامت بتصف بربلين .

وهنا يبقى سؤال ماذا يجب ان نفعل بالذين يفسلون ابقاء فى فلسطين بعد النصر ، .. لسنا نتلة او مجرمين ولكننا محسرون .. وببوصلة الثورة حتى النصر الحتمى اننا نقوم بتحرير اليبعد من وهم الدولة الصهيونية ومن سيطرة الحركة الصهيونية » .

رأى الفصائل الاخرى للمقاومة

ومن فصيلة اخرى من فصائل المقاومة يتكلم « جورج حبش » من « السلاح النظرى فى معركة التحرير » طالب فيها باستبعاد القوى الرجعية بصورة تامة وحاسمة وقال « ان مسألة تحديد القوى الرجعية والميلبة العربية والفلسطينية كطرف من اطراف معسكر الخصم الذى يقف فى مواجهة تحرير فلسطين مسألة سياسية لابد من حلها ، ولابد من رفض وتنفيذ اية محاولة لطمسها او تنويعها مما كتبت البررات التى تسوقها .. ان مثل هذه المحلولة انما تعنى فى النهاية ان نتجاهل ، ان نغض أعيننا عن عدو حقيقى قائم بيننا وكابن ومسط صقونا ويمارس عداوه وتخريبه لمسيرة الثورة ممارسة يومية وعملية » .

والتزاما من « الطليعة » بالموقف الذى اعلنته دوبا ، وهو اقالة حوار مفتوح ومريح مع مختلف

المرحلة التي يتولون فيها الفضل السياسي للجماهير الى تلك الدرجة التي تتحول فيها كواثر التنظيم السياسي الى كواثر مسلحة » (٢٢) .

لكن التطلع من بعيد لا يكفي لاي باحث مدقق، وهكذا فقد وجدت « الطليعة » انه من الضروري كي نفهم ظاهرة المقاومة وحقيقتها مثلما هي ان تحقق نوعا من المعيشة معها .

وهكذا ويمارسية مرور خمس سنوات على بدء منظمة فتح بكمالها المسلح ثابتت بعمق من « الطليعة » مكونة من « ابو سيف يوسف - عيد القمم القصاص - حلي ياسين - خيري عزيز » بزيارة لواقع المقاومة ، وكانت ثمرة هذه المعيشة مجموعة حية من الشهادات الواقعية من الافراد العاديين في صفوف المقاومة من فصائلها المختلفة ، الجندي العادي في المقاومة ، من هو ، كيف يفكر ، كيف يحلم بالاستقلال (٢٢) لكن حوارنا مع المقاومة لم يكن كله كيلا للبيخ وتجاهل للنقص ، ذلك ان « الطليعة » قد رأت انه من واجبيها ، ومن موقع الصداقة الخلسة ان تلت نظر المقاومة الى بعض النواصير في اساليبها ، وان تقرر عليها ما تراه صوابا .

مقترحات للمقاومة

وفي سبتمبر ١٩٦٨ تقدمت « الطليعة » بمقترحات سبعة ترى انها ضرورية كي تتحول حركة المقاومة من « الازهاق السوري » الى « حركة تحرير وطنية » وكانت هذه المقترحات .

- بلورة كيان تنظيمي موحد لحركات المقاومة المسلحة يمتص كل الشفرات الفردية والشللية .
- ربط حركة المقاومة ربطا مصيريا بتيار الثورة العربية الوطنية التقدمية ..

- الالتزام ببرنامج سياسي اجتماعي محدد الاهداف يستطيع ان يجنب من حوله اوسع وحدة وطنية تقدمية ممكنة للشعب الفلسطيني وخاصة في المناطق المحتلة ، بحيث تتم عملية « تسكين » المقاتلين بين اهلشان شعبهم ويكون الشعب متطلبا وقادرا باستوار على الحماية والمطاء والابداع دون توقف . فالشعب المنظم هو البق الاسرائيلي لحركة المقاومة ، ويتواجه تتحول حركة المقاومة الى حركة تحرير وطنية شاملة .

- الانطلاق من لفق النظر العسكرية الضيقة البحتة الى لفق النظر السياسية الشاملة وتصحيح أسس العلاقة بين العمل السياسي والعمل العسكري بحيث يكون الاول قائدا للثاني لا العكس .

الا ان هذه الطبقة ايضا بحكم طبيعتها المتزوجة يقدر ما تخشى من التركيز الاقطاعي والراسمي الكبير ادوري والاستعماري ، هي تخشى من برنامج العمل والفلاحين الفقراء ، وهي في التحليل الاخير اذا جوبهت بحركة نهوض للعمال والفلاحين الفقراء وجوبهت ببرنامج العمال والفلاحين الفقراء مستعدة للتحالف مع الشيطان لجزية برنامج العمال والفلاحين الفقراء .

وتحدث « نايف حواتمة » من تصويره لوضع المقاومة الفلسطينية مثال « ما هو قائم حتى الان ان قطاعا من شعب فلسطين ، يتكوين ذاتي متباين يجمع بين الموقف البرجوازي المسفير البيني والتدني والموقف اليساري الثوري ، يتحرك حذرا السلاح ، وعلاقته مع الجماهير الفلسطينية اقرب الى العلاقات المعنوية والعاطفية . وكذلك الحال مع الجماهير العربية ، ومع حركة التحرر الوطني ومع الثورة الاشتراكية العالمية . من هنا يصبح بطروحا من اجل تطوير حركة المقاومة ، الانتقال بها الى ثورة شعبية مسلحة تنظم فيها اوسع الجماهير التي تحمل السلاح وتقاتل ، الجماهير الفلسطينية والعربية . هذه العملية تتطلب مجموعة من التطورات الذاتية في بيئة المقاومة ، تكسيها افقا فكريا وسياسيا قديما قادرا على طرح برنامج لحرب التحرير الشعبية وتنظيم هذه الجماهير وتمييزها ودفعها للقتال المسلح على جبهة مريضة ضد اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل » (٢٢) .

غزة .. كنجية تضاللية

كذلك فقد كتبت خبرة الفضال الفدائي في غزة المبتق من خلال الفضال السياسي المؤجل لجماهير غزة جيمينا في صفوف « جبهة وطنية موحدة » محط اهتمام « الطليعة » وبجلا لدراساتها واستخلاص الدروس المفيدة منها .

وبالاضافة الى ما سبق ان لشرنا اليه من مقالات عن خبرة بنساء « الجبهة الوطنية المتحدة في غزة » قدمت « الطليعة » دراسة عن اوضاع المقاومة في غزة بعنوان « ملاحظات حول مدينة محتلة » جاء فيه « هذه المدينة ليس بها غليات ولا مستنقعات ولا جبال وليس بها اية قاعدة تقليدية من قواعد حرب العصابات المعروفة تاريخيا .. كيف استطاعت ان تكون النموذج الى الراء للمدينة الفاتنة التي تضع اصبع ديناميها كل ليلة تحت وسادة الاحتلال .. ان المفهوم الجديد الذي تقدمه غزة لا يمكن المرور عليه الا في تلك

من أن يكون معاديا للاستعمار. جميع أشكاله وللعنصرية بكل صورها ومنابعها .

• وهو يواجه مشاكل وقضايا محسوسة وعلى استراتيجيته بالتالي أن تقدم حلولاً واقعية محددة ومبتكرة لتنفيذها ، من هذه المشاكل مثلا :

- طبيعة نظام الدولة في الواقع الجديد .
- موقفها الدولي والمحلي في المنطقة .
- مصر الـ ٥٠ مليون يهودي الذين يعيشون اليوم في إسرائيل ..

ويبقى المثال قسلا : .. طبيعة نظام الدولة في الوضع الجديد يجب أن تكون « علمية » وذلك في مقابل الطابع اليهودي بأبعاده العنصرية لإسرائيل .

والواقع الجديد يقبله كثرة لحركة تحررية معادية للاستعمار ، فانه يسعى نظامه من كل ارتباط أو تبعية بالامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، ويصبح جزءا لا يتجزأ من نسج قوى المنطقة المتحررة التقدمية ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

والواقع الجديد ايضا يواجه مشكلتين اساسيتين : مشكلة الجاهل الشعب الفلسطيني التي طردت من وطنها ، ومشكلة المليون ونصف مليون من اليهود الذين هاجروا الى فلسطين واستوطنوها . ومنهم من ولد بها . والحل الاستراتيجي التقدمي للمقاومة هو عودة الشعب الفلسطيني الى وطنه من ناحية ، وحق المواطنة الكاملة لكل من المليونين ونصف المليون يهودي الذين يرون الاستمرار في الحياة بالواقع الجديد غير العنصري .

وأخيرا تصل « الطليعة » الى شكل نظمي محدد تدعو الى السمي لتكوينه فتقول : « ولكن تكسب هذه الاستراتيجية ثمة حركة ذات نقل محلي وعالي متزايد في الصراع بين حركة التحرر الانساني وبين حركة الامبريالية العنصرية فانها يجب أن تبلور في تنظيم « حركي » يسعى قوى كل العرب واليهود المصادين للامبريالية والصهيونية وجميع صور العنصرية . وذلك على المستوى المحلي والعالمي على السواء » (٢٨) .

وفي مايو ١٩٦٦ توجه « الطليعة » مرة أخرى نداء تحت عنوان « ٣ ملاحظات لمنظمات المقاومة » مؤكدة على الملاحظات ثلاث تدور حول حشد مختلف القوى العربية حول المقاومة ، وتنظيم الجاهل العربية في وعاء قائم على الحركة بصرمة وعلمانية ، « وضرورة تجنب مزالق الصراعات المقلدة مع القوى الخفية والصديقة

• الاسهام في بناء جبهة عربية عريضة .. لحماية حركة التحرير الفلسطينية المسلحة ..

• الارتباط بحركة التحرير الوطني العالمية وذلك تعبيرا عن كونها جزءا لا يتجزأ من مسار الانسانية التقدمية .

• وحركة التحرير الفلسطينية المسلحة مطالبة على وجه خاص بان تقدم اجابة واضحة عن تساؤلات الرأي العام العالمي عامة ، واليهود غير الصهيونية خاصة حول تصورها للوقت ومسير سكان اسرائيل الحاليين بعد انتصارها ، فتؤكد مثلا على شجبها وادانتها للفرقة العنصرية والتمصّب الديني وتبنيها الفكري والعلمي بين اليهود والصهيونية (٢٥) .

وتحت عنوان « المساومة أولا .. المساومة اخيرا » كتبت « الطليعة » تطالب :

• بصرمة بناء هيكل تنظيمي تضالي شعبي على نطاق الوطن العربي كله لحصاية ظهر المقاومة الفلسطينية ومدها بكل الإمكانات المادية والمعنوية .

• زيادة تعميق الالتحام السياسي مع الجاهل

الشعب الفلسطيني في كل مكان وخاصة في

الارض المحتلة (٢٦) .

ثم جاءت « الطليعة » لتؤكد مرة أخرى على أهمية توحيد قوى المقاومة الفلسطينية ، فكتبت تحت عنوان : « آفاق جديدة لثورة فلسطين » ، و « نحن نعلم ان طريق الوحدة في الظروف الحالية التي يمر بها شعب فلسطين ليس مغروشا بالرياحين ، بل تواجه صعوبات تنوء بحملها الجيل ، ولكننا نأمل مع ذلك ويفضل تزايد تدفق الجاهل الشعبية الى ساحات المعركة ان تطلق القيادات الوطنية من هذه الحقيقة ، وهي ان الوحدة الوطنية ممكنة ، بل انها ممكنة على وجه التحديد من خلال التسرع ، والاختلاف (٢٧) .

وحول ضرورة تحديد استراتيجية محددة المعالم للمقاومة الفلسطينية كتبت « الطليعة » افتتاحية هامة تحت عنوان بالغ الدلالة « جبهة عربية - يهودية - علمانية ضد الامبريالية والصهيونية » جاء فيها « نقطة البدء - في رأيي - لطرح استراتيجية المقاومة انها تكافح ضد واقع استعماري مغرور بالقوة على بلد في شكل احتلال منصري استيطاني . ولما كان الكفاح يستهدف بالضرورة تغيير هذا الواقع بواقع جديد ، فان هذا الواقع الجديد يجب أن يكون أكثر تقدما ونشيطا مع حركة التاريخ الانساني من الواقع الراهن . ولكي يكون الواقع الجديد تقدما فلا بد

[٢٥] لطفى الخولي - انتفاضة سبتمبر ١٩٦٨

[٢٦] انتفاضة - ديسمبر ١٩٦٨

[٢٧] انتفاضة - مارس ١٩٦٩

[٢٨] لطفى الخولي - انتفاضة - أبريل ١٩٦٩

توى الثورة والقوى المعادية لها حتى لا تتسرب الى صفوف الثورة القوى المتأولت لتسيطر وتخرّب وتحرف الاتجاه . ان تطهير الثورة من العناصر اليمينية المعادية — حتى وان ليست مسووح الثورية — وتخليص القيادة من القوى المترددة والمخافلة — مع الحرص على كسبها داخل اطار الحلف الوطنى رغم ذلك » .

وتختتم « الطليعة » مقالها قائلا : « ان النجاح فى صد هجمات الرجعية ، وحماية الثورة والانتقال من موقع الدفاع الى موقع الهجوم يتوقف على بناء الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية التى تضم حركة المقاومة وكل القوى والاحزاب والنقابات والعناصر الوطنية المعادية للاستعمار والاحتلال والصهيونية ، للنضال من اجل غرض حكم وطنى ديمقراطى ، باعتباره مهمة مباشرة تكفل ضمانات نهئية للنجاح المناسب لاتطلاق وتترغ « الحركة التحررية لمواجهة العدو الابريالى الصهيونى » (٣٠) .

فى المعركة وتحتى بها البلاد الاشتراكية تحكّمة والاتحاد السوفيتى خاصة » (٢٩) .

وفى ابريل ١٩٧١ ومع تصاعد المؤامره الرجعية ضد المقاومة كتبت « الطليعة » مقسالا بعنوان « فلسطين بين الثورة والثورة المضادة » جاء فيه : « فى هذا المثل تعالج جانب واحد من الصورة العامة وهو الجانب الذى يبرز على انه اشدها قتامة ومدعاة للياس .. وضع حركة المقاومة الفلسطينية بعد خمسة اشهر من الذخبة الدامية البشعة التى استهدفت تصفية القضية الفلسطينية وواد حركة المقاومة المسلحة .. لقد اصبحت اهمية « وحدة القوى الثورية » من البديهيات التى لا تحتاج لزيد من التاكيد ، ولكن تجربة الوحدة فى محيد من البلدان النيلية لتت الى نتائج مريرة ، نكم من الاخطاء — ان لم نكل الجرائم — ارتكبت باسم الوحدة .. »
« لم توجه « الطليعة » سؤالا يقول « وحدة من ؟ » وجيب « وحينئذ يتعين علينا ان نحدد

المواقف والاتجاهات

« التمسك »

عندما بدأت « الطليعة » فى تقديم العرض العام لمواقفها واتجاهاتها خلال الثمانين شهرا الماضية ، كانت تنطلق من موقف الراغب رغبة حقيقية فى التعرف على آراء مختلف الاتجاهات فيما قدمته من مواقف وآراء .
وتكديدا لهذه الرغبة ، وعرفانا باهمية « النقد » ، وكبداية لادارة حوار منمر بين « الطليعة » واصحقاقها وناقديها على اسس موضوعية وحول اهم القضايا المعاصرة ننشر : « الطليعة » فى هذا العدد تعليقين على العرض العام الذى قدمته فى العدد الماضى .
وقد كتب التعليق الاول الدكتور بطرس بطرس غالى حول مواقف الطليعة من « حركة التحرر الوطنى » .
اما التعليق الثانى فقد كتبه الدكتور كلويس مقصود حول مواقف الطليعة من « القضية العربية » .
ولسوف تعرض الطليعة فى اعدادها القادمة على ان ننشر ما يرد اليها من تعليقات اخرى .

■ ■

● حول حركة التحرر الوطنى ●

لكم دينكم ولى دين

د. بطرس بطرس غالى

تفضل صديقى الأستاذ لطفي الخولى رئيس تحرير الطليعة ، فطلب منى ابداء الراى فى مجموعة الدراسات والتقارير التى نشرتها لملجلة على مدى ثمانين شهرا من حوائها حول موضوع حركة التحرر الوطنى . وقد لخصت تلك التقارير وهذه الدراسات ونشرت بالملجلة فى عشر صفحات من عدد اول سبتمبر سنة ١٩٧١ .

ولكن نحن مهتمين هذه هيئة أو مسيرة ، فحين يطلب متى أن تقوم بدور الناقد في هذا الموضوع ، يكون شأنه مثل شأن ناقد لمجموعة من الدراسات اللاموتية الكاثوليكية كتبها مجموعة من اليسوعيين ، في حين أن هذا الناقد متشعب بلاموتية غير كاثوليكية .

وعلى الرغم من أن « الطلبة » قد جعلت شعارها « طويق المناضلين إلى الفكر الثوري الماصر » ، إلا أنها قصرت هذا الفكر على مذهبها لا تقدمه وهو الماركسية . ومن هنا ينبثق أول نقد أوجهه إلى مجموعة الدراسات التي كتبت عن حركة التحرير الوطني ، لأنها عالجت تلك الحركة من الزاوية الماركسية وحدها . ومن هذا النقد الرئيسي تنبعت فروع أخرى من النقد :

أولاً - الإمبريالية ، والاستعمار بصورة مختلفة ليسا وقفا على دولة عملاقة دون دولة عملاقة أخرى ، لأن الاستعمار يمتد إلى كل شيء هو التسلط الناجم قبل كل شيء عن علاقة غير متكافئة بين دولتين غير متساويتين في القوة ، فمستطوع أن تتصور علاقة استعمارية داخل أي مسكن من المسكنات الدولية ، أو بين دول متجاورة أو متصادمة . وهذا الجانب من الاستعمار لم يعالج قط في مجموعة الدراسات التي نشرت بالمجلة حتى الآن .

ثانياً - العلاقة الاستعمارية بين القوى المتسلط والضعيف المظلوم على أمره ، المستقلة ثرواته ، عالجتها مجلة الطلبة من ناحية واحدة ، هي ناحية موقف القوى . وقبلنا تحدثت من الجانب الضعيف من ناحية التخلف ، واليوبي التي تشرى في مجتمعات عزتها إلى مصغر الداء ، وهو الإمبريالية ، متناسبة بذلك قابلية الدول المختلفة لأن تخضع للاستعمار ، تلك القابلية التي ساعدت ، وتساعد ، الإمبريالية على التحكم . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فحين يقول تقرير الطلبة « الإمبريالية المالية لم تزد قوة ، ولكنها ازدادت عدوانية في السنوات الأخيرة » كان الأولى أن يقول التقريران الإمبريالية لم تتغير ، ولسكن دول العالم الثالث هي التي زادت تخلفاً وضعفاً ، أو أن يقول أن القوة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة زادت اتساعاً ، مما يسر مهبة التسلط في دم تسلمه . وحين يقول التقرير أيضا متحدثاً عن الهجوم المضاد للإمبريالية « أن المؤشر البارز للهجوم المضاد للإمبريالية هو الانقلاب ضد حكومة نكرها في غانا » ، كان الأفضل أن يتحدث عن التناقضات والغرائب التي أسست وقوضت النظام من الداخل ، فمكنت « الإمبريالية » من القضاء عليه :

وتصاري القول أن رؤية الطلبة لحركة التحرير الوطني موجبة إلى الخارج ، وهو الإمبريالية ، في حين أنها تهمل الداخل ، أي قابلية دول العالم الثالث للوقوع في براثن الاستعمار الجديد .

ولا شك أن تعبئة الرأي العام لمكافحة العدو الخارجي أمر ميسور وسهل بالنسبة لجمعية هذا الرأي العام لمقاومة ما بداخل الاوطان من تخلف . ونحن نخطره حين نقصر كل جهودنا على مكافحة العدو الخارجي وننسى أن العدو الداخلي أشد خطراً من العدو الخارجي .

ثالثاً - فيما يتعلق بسياسة عدم الانحياز التي كانت موضع الاهتمام في دراسات الطلبة ، أرى أثر الانحياز المقاتل في هذه الدراسات التي جعلت مهمة عدم الانحياز محصورة في تكوين جبهة عالمية معادية للاستعمار ، مع أن تلك السياسة ترمي قبل كل شيء إلى جعل الدول المعتدلة لهذه السياسة قاصرة على أن تسير وفق سياسة استقلالية ، بمنأى عن سيطرة الدول العملاقة ، سواء منها : الحلفاء الأمريكي أو الحلفاء السوفييتي أو الحلفاء الصيني .

رابعاً - فيما يتعلق بالجزء الأخير من التقرير الذي عنوانه « الثورة العلمية والتقدم » ، فأنني أؤيده في مضمونه ومحتواه ، وأرى أن الثورة العلمية هي الطريق السليم المؤدي إلى التحرر الوطني ، وإلى تخليص العالم الثالث من التخلف والتجزئة والقابلية لأن يستعمر ، ومن ثم يقع فريسة في أيدي الدول العملاقة .

وكما جاء في التقرير ، فإن إبرام التكتلات الاقتصادية بين الدول الصغيرة وإقامة الاتفاقيات فيما بينها ، هي الخطوة الأولى لنجاح حركة التحرير الوطني ، تلك الحركة التي منيت بتكسبة في العالم الثالث . وأن كانت « الطلبة » قد حاولت ألا تنزج إيمان هذه التكسبة بمعالجتها إياها من الناحية المعنوية الخالصة ، دون أن تصدق لها من تسحية

التنمية الاقتصادية ، أو التنمية السياسية ، أو الناحية الاستراتيجية العسكرية ، أو من ناحية تأثير توازن القوى العالمى عليها .

على أنه قد يقال أن مجلة « الطليعة » مجلة عقائدية متخصصة لا تعنى إلا بالتحليل الماركسي لحركة التحرير الوطنى ، والتحليل العلمى عندها لا يصح إلا إذا كان ماركسيا .

هذا رأيهم فى طريق النضال الثورى المعاصر ، ولا يضير أيا منا أن يكون له رأى يخالف رأى الآخر ، وذلك مما جعلنى أقول فى مفتتح هذا التعليق أن شأنى حين أنفه ما نشرته الطليعة ، شأن لا هوتهى غير كاتوليكي أسندت إليه مهمة نقد آراء أبنائها طائفة من اليسوعيين المناضلين ، فيعتقد ثم يقول أخيرا « ... لا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين » .



• حول القضية العربية •

نواجه محاولات تطويق الإرادة العربية

• د. كلوفيس مقصود •

إن معالجة الطليعة للقضية العربية تنطوى على تركيز سليم للمشاكل والمضامين الاجتماعية للقرية العربية ، ورغم أن هذا التركيز يعنى أن النضال فى سبيل الوحدة العربية مرتبط ارتباطا عضويا بالنضال فى سبيل الاشتراكية . إلا أن الاشتراكية لا تشكل صورة للمجتمع المطلوب تحقيقه فحسب ، بل منهجا لتحديد معالم ومراحل النضال الثورى والاجتماعى . ولعله من بعد عام ١٩٦٧ أى بعد الهزيمة العسكرية التى منى بها العرب تحول الارتباط بين النضال الوطنى والنضال الاشتراكي إلى مقتضيات إزالة آثار العدوان وما يستتبع هذا من تجميد مرحلي للنناقضات الحادة القائمة بين الاقطار العربية ثم أن توجيه الطاقات النضالية والثورية نحو المقاومة الفلسطينية أدى إلى أن تصبح المقاومة بؤرة العمل اليسارى والتقدمى فى المنطقة . فالمقاومة الفلسطينية مبررت من نزعة التمرد على الهزيمة وبالتالي تمكنت من استقطاب القوى النصحيجة الكامنة فى المجتمع العربى .

تبقى بعد ذلك خطوات احتمال الزوع إلى تقليعية فلسطينية تكون نتيجة لموقف انفعالى ازاء الثورى فى المؤسسات والانظمة العربية الذى حدث بعد يونيو ١٩٦٧ وكان لابد أن يلازم الاحتضار الجماهيرى للمقاومة الفلسطينية تأكيد على العلاقة العضوية القائمة بينها وبين هذه الجماهير - من هنا نتج أن تأكيد البعد القومى للمقاومة الفلسطينية كان مطلباً أساسيا لدى المقاومين الفلسطينيين الأساسيين . ولدى القوى الكامنة الثورية فى الوطن العربى .

إن القوة العربية من حيث القدرة على أن تتحرك تحركا موحدا لن تتمكن من أن تكون لنفسها الرصيد الكافى من الثقة الذى يجيز للشعب الفلسطينى تذويب ذاته فى حركة الثورة العربية . وقد تكشف ذلك بالضرورة بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ . ولكن كان لابد أيضا من تأكيد أن شرعية عدم الذوبان لا تضىء بئورها شرعية على تأكيد اللاتنماء الفلسطينى للتخسرك الثورى الموحد .

ولعل أهم ما استحوذ على اهتمام المفكرين الفلسطينيين فى هذا المضمار إيجاد الصيغة الحية التى تؤمن حقيقة الانتماء العربى ، وواقع التحيز الفلسطينى . ولعل الارتباك الذى حصل من جراء عدم إرساء الصيغة بالذقة المطلوبة هو الذى أوجد العديد من التيارات الانشقاقية فى مسيرة تنظيم المقاومة الفلسطينية وتحسين علاقاتها مع الدول العربية .

ان الارتباك الذي حدث في تنظيم المقاومة الفلسطينية كان مخفلا للمتربين لها والذين عملوا على الانقراض عليها وحصلت مجازمات كثيرة في الساحة الاردنية كما حصل مرقلة لحرية عمل المقاومة في ساحات اخرى وكان من جراء هذا الوضع المخجل ان برزت المقاومة الفلسطينية وكأنها طرف من الاطراف العربية المتصارعة ، وليست ما هي عليه واقعا طليعة النضال العربي المضطد مع الصهيونية والامبريالية واسرائيل ، وتنتج اثر ذلك تحرك على مستويات ثلاثة مختلفة ومتراصة في نفس الوقت .

أولا : حماية العمل الفدائي وحماية الفدائيين .

ثانيا : تجنب المقاومة الفلسطينية الوقوع في شرك التحول الى طرف عربي من الاطراف المتصارعة .

ثالثا : ارجاع حالة الثقة والتداخل بين الجماهير العربية والمقاومة الفلسطينية بغية ابقاء قضية تحرير فلسطين قضية مصيرية للعرب جميعا .

من هنا كان لا بد للمفكرين المتزعمين للتقدميين العرب ان يعملوا على ترسيخ بعض القواعد النظرية التي من شأنها ان تؤمن وضوح الرؤية واستقامة المسيرة النضالية . وبالتالي جعل المسلك العربي العام والمقاومة الفلسطينية بشكل خاص بمثابة عن المسارمات المحروجة والمزايدات الهادرة ، وفي هذا الصدد كان لاعتقاد المجلس الوطني الفلسطيني في اوائل يوليو الماضي أهمية تاريخية بأنه للمرة الاولى تم انضمام كافة فصائل المقاومة الرئيسية الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير التي هي بمثابة اطار تفاعل هذه المنظمات الهادفة نحو وحدتها العضوية . وقيل اتضح هذا التفاعل عمدت السلطات الاردنية للربط بالخط الامبريالي الصهيوني في المنطقة ان تفقد هذه الوحدة اساسها فراحت تنقص على عناصر المقاومة في جرش وعجلون حتى تتمكن السلطة الاردنية من التماذي في تحدي ارادة الامة وعرقلة مسيرتها ومجابهة احتمال تزايد التحام القوى الوطنية والوحوية في المنطقة العربية الكفيلة بترجيح الحق العربي مرحليا وتأمين صيرورته .

ان مجلة «الطليعة» في هذا المضمار مدعوة الى القيام باجراءات على العمليات التآمرية التي من شأنها تطويق الارادة التحريرية القومية ، وان تسهم في توضيح الاساق المستقبلية للمعمل النضالي في كافة قطاعاته الوطنية والقومية الاجتماعية الجذرية حيث التحول في المجتمعات العربية ، ومن حيث المجابهات السياسية والاصطدامية المتنوعة مع الامبريالية العالمية . كما ان على المفكرين المتزعمين ان يدركوا ان أي تدخل من قبلهم عن الالتصاق مع المماناة يؤدي الى املاء الفراغ بواسطة المذهب اليمينية النكبة والمشوائية القادرة على تبني شعارات مستساغة بغية افقاد الجماهير قدرة التمييز وقدره التصور وقدره الفعل . وفي هذا المضمار نقترح ان اليسار الوطني الشامل لا بد ان يكون في حالة علاقة منتظمة مستمرة نامية مع مناهل الفكر اليساري المذهبي وأن يتكون الاطار السياسي المتقدم على المستويين العربي والفلسطيني بشكل يؤكد الاعداء على اليسار انما التناقض الاساسي والدائم هو بين حركة الجماهير الوطنية المنفصلة بالثورة الاجتماعية الجذرية وبين الامبريالية العالمية وقواعدها وعناصرها ، واجراء الفكر المتخلف اليميني الذي يميز لهذه القواعد والمناصر ديمومة تتحدى التاريخ وتتجاوز النطق ، اذن فارولية الفكر المتزعم تكمن في ايضاح معالم اليسار الوطني الشامل لكافة القوى الجماهيرية العاملة والانفتاح على اليسار المذهبي والنظم كي يكون التلقيح للتبادل متصلا لفاعلية المذهبيين وجدواهم ، ولتميق مفاهيم الحركة الجماهيرية الوطنية وتسليمها بالسلح السياسي النظري الذي هو في النهاية الصلاح الامضي ضد الامبريالية والعدوانية الامرائيلية والاعتصاب الصهيوني والرجعية العربية .

ان مساهمة الطليعة في هذا المضمار يجب ان تكون دوما مساهمة قادرة على المراجعة النقدية لمسيره النضال من جهة ، وعلى اخصاب الفكر السياسي بمزيد من التوضيحات النظرية ذات العلاقة العضوية بالمماناة الجماهيرية العربية .

تعتز الطليعة عن عدم نشر باب « مكتبة الطليعة »
وباب « مناقشات مفتوحة » ، في هذا العدد وسنوف
تستمر في نشرها العدد القادم .

- بيروت :
 التسليح ؟؟ وضد من ؟
 اوغندا واثيوبيا :
 بارليف يفتش عن الاعمال
 موسكو :
 خروشوف بين الاصدقاء والاعداء
 الولايات المتحدة :
 أزمة الدولار وصراعت العالم الرأسمالي
 برلين :
 من السذى خسر الجولة ؟

■ جمهورية مصر العربية :

البناء الجديد للدولة المصرية

في السادس عشر من سبتمبر الماضى أعلن الرئيس أنور السادات الخطوط العريضة لإعادة بناء الدولة تطبيقا لبرنامج العمل الوطنى وفى ظل دستور ١٩٧١ . وقد دعا الرئيس السادات في بيانه الى جعل هزيمة ١٩٦٧ متطلقا لبناء دولة جديدة حتى نتمكن من مواجهة مسئولياتنا بالنسبة للأجيال المقبلة ، والتي يتحمل الجيل الصاعد مسئولية خلقها .

● الهدف هو المعركة

ويستهدف التغيير الذى أعلنه الرئيس السادات خطومه العريضة خذمة معركة تحرير الارض من العدوان الامبريالى الصهيونى ، لأن الحديث عن التغيير ، وعن إعادة تنظيم الدولة ، أو أى بناء يبنى يجب أن يكون الهدف منه هو كسب المعركة .

وفى بيان الرئيس السادات عن المعركة فصح موقف الولايات المتحدة الأمريكية ، ودخول دعاوما الباطلة بأن مصر قبلت الحل الجزئى وأكد



تقارير
الشهر

تقارير الشؤون

التقليل من عدد الموظفين في الوحدة الانتاجية الزراعية وخاصة المفيون على درجات مالية كبيرة تتبع جزءا كبيرا من عائد الوحدة ولا تترك للماملين بها من المنتمين ما يشعرون بتقيجه جدهم .

● وفي مجال الصناعة :

وفي مجال الصناعة تحقيق الانطلاق بالانتاج الصناعي وتوفير كل ظروف المرونة والحرية والحوافز له ، ويكون ذلك بالعمل على : اولا : تحرير الوحدات الانتاجية من سيطرة الاجهزة الاشرافية ، وتدخلها في اعمالها مع ربطها باهداف محددة عليها ان تحققها في مجالات الانتاج والمالة والتصدير والارباح ، وبذلك تقوم كل مؤسسة بدور التنسيق بين الوحدات الاقتصادية النابعة لها فتقوم كل مؤسسة بوضع برنامج محدد للتدريب لتلتزم بتنفيذه والاشراف عليه وذلك لرفع مستوى التدريب والاهمية والاقتصاد بالاساليب التكنولوجية الجديدة ، كما تقوم بتنظيم اداء

الوحدات الانتاجية دون تدخل في شئونها الداخلية ويمتد النظام الجديد كل مؤسسة او وحدة انتاجية الحق في ان تضع لاحتها الخاصة فتنوع بذلك اللوائح بدلا من النظام القديم الذي كان يتضمن لائحة موحدة لجميع المؤسسات وبذلك يتحقق للمؤسسات والوحدات الانتاجية ان تمارس نشاطها طبقا لظروفها الخاصة وطبيعة العمل .
ثانيا : اصدار قانون جديد للماملين يستهدف الانطلاق والمرونة الكافية للوحدات الانتاجية ، ويؤدى الى وضع نظم الحوافز ثلاثية طبيعة العمل بالوحدات الانتاجية وتحرير اللائحة من القود التي كان يمانى منها العاملون . وفي اللائحة الجديدة تصبح مستويات الدرجات اربع مستويات وتستمر العالوة السنوية لمدة طويلة دون ان يؤثر عليها الحد الاعلى لربوط الدرجة ، وان تحقق الترقية الى الوظائف الاعلى حصول الملقى على مربوط الوظيفة الملقى اليها لاتاحة فرص التقدم للممتازين من الماملين . وتحقق اللائحة الجديدة اجازة مرضية بالاجر الكامل بعد ان كانت بـ ٧٠ في المائة من الاجر ، وزيادة الاجازات السنوية ورفع الحد الأدنى للاجور بنسبة ٢٠ في المائة فاصبح ١٠٨ جنيهات سنويا بدلا من ٨٤ جنيها سنويا . ورفع الحد الأدنى للمعاش وزيادة جميع الزيادات السنوية للاجور ٤٠ مليون جنيه سنويا والزيادة في المعاشات حوالي ثلاثة ملايين من الجنيهات سنويا . وسيصبح للمرأة العاملة الحق في الجمع بين مرتبتها او معاشها وبين استحقاقها في معاش زوجها في حدود ٢٥ جنيها . وقد أعلن الرئيس السادات انه كان يمتنى مضاعفة الاجر

ان الاتصالات بين مصر والولايات المتحدة متوقفة تماما منذ ٧٠ يوما ورفض أى تسوية مرحلية بدون تسوية شاملة على ان تنفذ اسرائيل كل التزاماتها الواردة في قرار مجلس الامن واعلن انه لا وقف ابدي لاطلاق النار طالما يوجد على الارض عسكري اجنبي واحد . وان القول بان عام ١٩٧٦ هو الحاسم ان قتل او مسلما ازال يضع مصر امام المسئوليات القادمة .

واعلن الرئيس انه على المجتمع الدولي ان يتحمل مسئوليته ، ولذلك فاننا نطالب : المكنترير العام للامم المتحدة ان يقدم تقريرا الى مجلس الامن عن موقف اسرائيل ووقفنا ، ونطالب : باجتماع مجلس الامن على مستوى وزراء الخارجية وان تحدد أمريكا موقفها الحاسم امام هذا الاجتماع ، ونطالب : بفضح التآمر بين أمريكا واسرائيل .

● اعادة بناء الدولة :

واعلن الرئيس ان عملية اعادة بناء الدولة يجب ان تضع في اعتبارها بعض الاسس الرئيسية :
اولا : ان البستور الدائم هو المنطلق الاول لاعادة بناء الدولة .
ثانيا : تحديد سلطة الدولة بانها هي سلطة تحالف قوى الشعب العاملة .
ثالثا : ان يكون كل شئ بالحوار الديمقراطي وستكون هناك حتما خلافات في المطالب والمصالح لكن يتعين مناقشتها وحلها بالحوار الديمقراطي .
رابعا : كل شئ في الدولة يجب ان يخضع لسيادة القانون خالصا : اننا نبني دولة المؤسسات السياسية والتفديدية والتشريعية وليست دولة الافراد وان الشعب هو حارس هذه المؤسسات سافصا : يجب تحرير الوحدات الانتاجية من الروتين الحكومي روتين اللوائح .

● في قطاع الزراعة :

وحدد الرئيس ضرورة الانطلاق بالقصى طاقة في قطاع الزراعة باعادة تنظيمه وحسم العوائق التي تواجهه . ولتحقيق ذلك فانه سيبدأ بتنظيم القطاعات الزراعية واجهزة وزارة الزراعة والهيئات التابعة لها ومؤسسات استصلاح الاراضي .

وسيكون الاساس في اعادة بناء قطاع الزراعة تقسيم الارض الجديدة والمستصلحة الى وحدات اقتصادية تدار كوحدات انتاجية لكل وحدة مجلس ادارة يضم الى جانب مدير الوحدة مسيرين ادارات وأربعة من الماملين ، والحد الأدنى من الارض لكل وحدة هو ٥٠ ألف فدان . ولا تلتزم الوحدة بالمحصولات التقليدية ، وان تكون مجرد مزرعة ولكنها ستقوم بتصنيع انتاجها الزراعي واعداده للتصدير . وتقوم ادارتها على اساس

ولكن ظروف الحركة ومتطلباتها تحول دون تحقيق هذه الأمنية *

● ازالة الموقفات في قطاع الاقتصاد :

وأعلن الرئيس ضرورة العمل على رفع القيود الموقفة في قطاع الاقتصاد بما لا يضر بنظامنا الاقتصادي ويوفر ضمانات الثقة لرؤوس الاموال المستثمرة . وفي هذا المجال سيعقد مخطط العمل الجديد أولا : اعادة تنظيم البنوك على اساس التخصص فيكون خمسة بنوك كبيرة متخصصة ، لشؤون التجارة الخارجية ، ولشؤون القسارة الداخلية ، ولشؤون الائتاج ، ولشؤون التسيير والسكان ، ولشؤون الخدمات . ثانيا : وفي مجال التجارة الخارجية انشره بكتهمصري دولي للتجارة الخارجية تكون مهمته تمويل عمليات التجارة الخارجية بين مصر والدول الحرة وبينها وبين العالم اجمع . ولا يخضع هذا البنك لقانون البنوك والائتمان المعمول به في البنوك المصرية ولا يسرى أي من قوانين القطاع العام عليه ، كما لا يخضع نشاطه للضرائب وذلك تشجعا لرأس المال العربي والاجنبي . ثالثا : اقامة هيئة عامة لاستيراد رأس المال العربي والاجنبي ، بهدف اقامة صناعات تصديرية وبعض الصناعات التي يحتاجها المستهلك المحلي والتي يتم استيرادها من الخارج ، والصناعات التي تحتاج الى خبرات فنية متقدمة ، ومشروعات الاسكان فوق الاقتصادي والتي يتجه اليها رأس المال العربي وفي هذا المجال سيتمتع رأس المال الاجنبي والعربي ب ضمانات ثلاث : ١ - اعفاء رؤوس الاموال المشتركة في أي من مشروعات هذه الهيئة الاستثمارية الجديدة من الضرائب ادة خمس سنوات . ٢ - تيسير تحويل ارباحها الى الخارج وكذلك مرتبات واجور الخبراء الاجانب الذين يحتاجهم العمل في هذه المشروعات - ٣ - اعطاء المستثمرين الحق في تحويل رؤوس أموالهم الى الخارج في حالات الضرورة *

● اعادة تنظيم الجهاز الحكومي :

طالب الرئيس باعادة تنظيم الجهاز الحكومي بمنح الضخارب والازدواج وتصعيد الاختصاصات ، هاولا : تصعيد دور الأجهزة الخاصة برئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء وتحديد العلاقة فيما بينها أجهزة الحكم والمنظمات السياسية . ثانيا : ابراز أهمية الخاصة فيمض قطاعات العمل التي تقتضيها عملية التنمية والتي تحتاج في المرحلة القادمة الى دفعة خاصة . وتنظيم الوزارات لضمان تحقيق الاهداف وتكامل الاشراف وعدم تضارب الاختصاصات او تداخلها او ازدواجها او تكرارها ، الامر الذي أوجب الغاء بعض الوزارات ونقل اختصاصاتها الى وزارات

أخرى أو الى التنظيم السياسي أو الحكم المحلي . وكذلك تصفية بعض المؤسسات التي لم تحقق اهدافها أو لم يكن انشائها ضروريا . ويوجب التنظيم الجديد ان يكون لكل وزارة هيئة متخصصة للتخطيط لضمان سير العمل على اساس واهداف مخططة وليرتبط التخطيط على المستوى القطاعي والتخصصي بالتخطيط القومي الشامل *

● الإدارة المحلية ونقل السلطة الى الشعب :

وحدد الرئيس في بيانه ان نقل السلطة الى الشعب يتحقق بالتطبيق الحقيقي لقانون الادارة المحلية ونقل السلطة باستمرار الى الحكم المحلي وتحقيق اللامركزية وتحقيق المشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات وفي مناقشة المشاكل المحلية . ويقضى قانون الادارة المحلية الجديد بتشكيل مجلسين مجلس شعبي محلي ومجلس تنفيذي على مستوى المحافظة وعضوية رؤساء المجالس بالمحافظات وعدد من ممثلي الوحدات الانتاجية العاملة في نطاق المحافظة ، وستكون اختصاصات المجلس التنفيذي . . أولا : القيام بالاعمال القانونية والاجراءات التنفيذية اللازمة لتنفيذ ما يصدر عن مجلس الشعب من سياسات ومخططات وقرارات . ثانيا : يقوم في نطاق السياسة العامة للدولة والسياسة والمخططة المحلية للمجلس الشعبي باتخاذ كافة الاجراءات الادارية والتنفيذية والمالية المتعلقة بوضع سياسات ومخططات وقرارات المجلس الشعبي للمحافظة موضع التنفيذ وخاصة فيما يتعلق بإنشاء وإدارة المرافق والمنشآت والهيئات والمؤسسات العامة المحلية والتي تمود بالنفع العام على مجتمع المحافظة والتي تقع في اختصاص المجلس الشعبي للمحافظة *

وتحدثت سلطات المجلس الشعبي - فمن منطه ان يقرر مسئولية المحافظ أو أي موظف اداری آخر بالمحافظة عن أي أمر من الأمور وفي هذه الحالة يقدم بذلك تقريرا الى رئيس مجلس الوزراء لاتخاذ ما يلزم من اجراء حيال المسؤول طبقا للقانون . كما أصبحت مشاركة مجلس الشعب واجبة على كثير من الأمور التي يختص بها المجلس التنفيذي طبقا لقانون نظام الادارة المحلية رقم ١٢٤ . واجاز القانون لاعضاء المجلس توجيه أسئلة ، واستفسارات الى أعضاء المجلس التنفيذي وأوجب القانون على من وجه اليه سؤال أن يجيب عنه . أما مشروعات الموازنة والحسابات الخشافية فتعرض على مجلس الشعب للموافقة عليها . وكما أوجب القانون عقد جلسات مشتركة للمجلسين ، لاجاز القانون أيضا دعوة الوزراء المختصين لحضور هذه الاجتماعات المشتركة لتساعد مشاركتهم على حل كثير من المشاكل في نطاق المرافق العامة التي تقوم عليها وزاراتهم .



● الياس سابا ●

رسمت «الرجمية» اللبنانية سياستها على الاسس الآتية :

● مراقبة الحدود والمهر عليها بواسطة جهاز دفاعي بسيط

● الاعتماد في حالة أي هجوم اسرائيلي على الجيوش والقوات العربية

● عدم الترحش بإسرائيل — ويدخل في نطاق عدم الترحش — عدم إقامة تحصينات أو مواقع

حربية على الحدود الجنوبية ●

● الاعتماد في حماية لبنان على صداقات لبنان الخارجية فهي في ذاتها قادرة على ردع

إسرائيل ● (الصباح ٩ سبتمبر ١٩٧١)

وإعتياداً على هذا المخطط فإن «قضية التسلح» ظلت «خالدة» أو «غير مشارة»

بالحدثة المطلوبة لبلد لا يملك جيشاً بالمعنى

المفهوم (١٠٠٠٠ جندي مقطوع) ذلك أن عدم تسليح الجيش كان في ذاته بناء على مخطط يدعو

الى أشهر مسألة لبنان وإعتيادها من أي مجالاً للترحش أو المصادمة ●

وعندما قامت القيادة العربية المشتركة، ورؤى في اجتماعها تعزيز جيش لبنان ليقيم برأجه

على الجبهة الجنوبية فقد أعتمد لبنان في تسليحه على شراء بعض الطائرات ثم تسلم بعض

العبابات «كهدية» من الملك حسين (الإفهام ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥) ●

وعندما أقيمت «النيويورك قابز» الدنيا وأعتدتها حول ما اسمته صفقة طائرات فرنسية

للبان (نيويورك قابز ٢-٣ ١٩٦٦) رددت الاتباء أن اجالي ما يقال أن لبنان سيستريه من

فرنسا ١٢ طائرة وأن كل ما تمتلكه لبنان هو ٣٤ طائرة فقط ●

قضية التجنيد الاجباري :

وفي مطلع عام ١٩٦٧، ومع تصاعد تخطت

● بيروت ●

السلع لنا؟ و ضد من؟

أعلن وزير الدفاع اللبناني أن لبنان سوف يشتري سلاحاً من الاتحاد السوفيتي . وقد كان هذا التصريح خاتمة لصراع طويل وشاق خاضته مختلف الاطراف وعلى مدى سنوات طويلة . .

وذات يوم كتبت جريدة لبنانية تقول « ان لبنان هو البلد الوحيد في العالم الذي تجرى فيه مناقشات علنية وصحفية حول شراء السلاح ، وحول الاماكن التي سيتم منها شراء هذا السلاح ، ومن مقدار الكميات ونوعية الاسلحة ومراحل التفاوض على شرائها » (التفاح - ١٠ - ٥ -

١٩٦٥) . ولعل هذا صحيح تماماً ، فان اغرب ما يميز « أزمة التسلح » الأخيرة في لبنان هي علنيته الكاملة ، وان كل شيء فيها مطروح وخاضع للنقاش .

وحتى الوثيقة السرية الوحيدة التي أعلن وزير الدفاع عن تممك بصيرتها ورفض حتى توزيعها على النواب في الجلسة السرية التي أقر فيها المجلس ميزانية التسلح الأخيرة فوجيء الجميع بجريدة الانوار وهي تنشر صورة زكوغرافية لها وهي تتضمن كل مطلوبات لبنان من السلاح باللوح والكبة . . (الانوار - ١ أيلول ١٩٧١) .

لكن المسألة ليست مجرد « علنية » النقاش ، فان العلنية في ذاتها تفتحرت على ان قضية التسلح تجد تحولت الى صراع عزم بين مختلف القوى السياسية في لبنان .

سياسة « تجنب الشر »

لقد اخذت الرجمية اللبنانية منذ ١٩٤٨ مياومة محددة تجاه إسرائيل ومن ثم تجاه قضية التسلح . ويمكن تلخيص هذه السياسة في عبارة واحدة « تجنب الصدام » أو كما قال لحد قادة الجيش يوماً ما « تجنب الشر » .

وبالنسبة للحدود الجنوبية فتعد

وطلت « القوى الوطنية » تطالب بتسليح الجيش وبالتجديد الاجباري وامتلات شوارع المدن اللبنانية بالمظاهرات مطالبة بتسليح قري الجنوب وحمايتها *

وأخيراً ٢٠٠ وبعد كل هذا الصراع أقر مجلس الوزراء في ٢٣-٤-١٩٦٩ قانون « خدمة العلم » لكنه كان مجرد محاولة شكلية لتهدئة الموقف ، ذلك أن مجلس الوزراء قد أعلن « أن الدراسات الخاصة بالقانون قد اوضحت أنه سيستل ١٢ ألف مجند يحتاج تدريبهم الى ٢٠٠ ضابط وإلى ١٤٠٠٠ عريف ورفيق ، وأنه من المتعذر تأمين هذا العدد نظرا للأوضاع الراهنة وقيام وحدات من الجيش بمهام قتالية وحراسات في كافة الاراضي اللبنانية »

ولهذا قرر القانون أن يبدأ « كمرحلة أولى » بالتدريب العسكري لطلاب الجامعات والمدارس الثانوية ، وفي المرحلة الثانية يصدر مرسوم بالتدريب العسكري الشامل لجميع اللبنانيين الذكور ، كذلك أعلن أنه نظرا لعدم توفر الإمكانيات اللازمة لتنفيذ المشروع وهي مبلغ ٨٣ مليون ليرة فقد اقترحت وزارة الدفاع توزيع هذا المبلغ على ست سنوات *

وعندما أعربت الجماهير والقوى الوطنية اللبنانية عن عدم رضاها عن هذا القانون القاصر صرح السيد - رشيد كرامي رئيس الحكومة في ذلك الحين « أن أي قرش سيضعه لبنان لميزانية النفاق من شأنه أن يزيد الضرائب وهو لا يأخذ في حسبه الشعب اللبناني في الظروف الاقتصادية الصعبة التي مر ويمر بها » (١-٤-١٩٦٩)

وحتى منتصف عام ١٩٧٠ كانت الجمعية اللبنانية ترفض تسليح الجيش وتدعو إلى أن « يثبت لبنان حسن نواياه » بعدم اقامة أية استحقاقات أو استعدادات ، وعندما مرضت حكومة رشيد كرامي على البرلمان مشروع ميزانية هزيلة قيمتها ٦٠ مليون ليرة (٨ ملايين جنيه) لتعزيم القدرات الدفاعية للجيش اللبناني لجأت احزاب « الطيف الثلاثي » : شمعون - اده - الجميل ، الى مقاطعة جلسات البرلمان فلم يتوقف النصاب القانوني وبهذا شل البرلمان وعجزت الحكومة عن اقرار المشروع ، وانتهت السجورة البرلمانية دون اقراره (الأهرام ٢١-٥-١٩٧١) وفي مواجهة ذلك نظمت اتحادات العمال والطلاب سلسلة من المظاهرات والاحتجاجات ومرة أخرى أعلن الأمام موسى الصدر ان اللاجئين حول بيروت من قري الجنوب (٢٠ ألف لاجيء) سوف يرحلون على بيروت مطالبين بتعزيز وتسليح مواقع الجنوب *

المواجهة مع اسرائيل تصاعدت أصوات بعض القوى الوطنية مطالبة بتعزيز الجيش اللبناني حتى يلعب دوره في المعركة ضد اسرائيل ، وتقبل كفاح هذه « القوى الوطنية » في المطالبة « بالتجديد الاجباري »

وظل الموضوع محل أخذ ورد ، وفي ٢٨-٢-١٩٦٧ أعلن رسميا أن مجلس الوزراء سوف يجتمع لبحث مشروع « خدمة العلم » أو لتجديد الاجباري ، لكن الموضوع مسالط أن « ركن » بحجة عدم تسويف الاعتمادات (١٠ ش ١)

وظلت « القوى الوطنية » تصعد من مطالبتها بالتجديد الاجباري وتعتبره مطالبا قوميا وطنيا الى حد أن نظم الطلاب اشرايا علما مطالبين باقرار مشروع التجديد الاجباري وتسليح القري الاسبانية . (١٠ ش ١٠ - ٩-١١-١٩٦٨) وفي البرلمان وقف رئيس الحكومة من جديد ليعلم أن ذلك مستحيل لقلة الامكانيات المالية . (١٠-١١-١٩٦٨)

ثم كان حادث ضرب مطار بيروت في نهايات عام ١٩٦٨ ، وكان لشلل وعجز القوات اللبنانية المسلحة عن فعل أي شيء تجاه المهاجمين ردود فعل خطيرة على التسبب اللبناني وحسب بالنسبة « للوفائير العليا » اللبنانية فقد وجدت أنه يتعين عليها أن تميد حساباتها من جديد * وأن سياسة « المسألة بساظهار الشمسف » أو سياسة « تجنب الشر » ليست كافية وحدها .

إعادة حساب الموقف :

وهكذا بدأت عمليات إعادة الحساب ... ● فالجيش العربيه التي كان لبنان يعتقد عليها للدفاع عن حدوده قد تعرضت للهزيمة * ● وصداقات لبنان اتضح بعد حادث المطار أنها ليست كافية لردع اسرائيل * ● وعدم التحرش أصبح في ذاته غير ممكن نظرا لتتركز بعض قوات الفدائيين في بعض أماكن جنوب لبنان * ● وهكذا أعلن متحدث عسكري لبناني أن القيادة العليا للجيش قدمت الى مجلس الوزراء مشروع قانون خاص « بالتجديد الاجباري » (وويلز - ٥-١-١٩٦٩)

لكن « القوى الحافظة » كانت لا تزال بغير حجة الى جيش * وتثمرت مناقشات مشروع « خدمة العلم » في مجلس الوزراء أمام « معارضة » : وسمون اده الذي أعلن أن لبنان بلد غير عسكري بطبيعته وأن حماية حدوده الجنوبية لا تكون بشيء « وضع وحده من قوات الامم المتحدة على خطوط الهدنة ، أو بالحصول على ضمان من الدول الاربعة الكبرى لامن لبنان » (الاهرام ٦-١-١٩٦٩)

تغير مفاجئ

وبعيدا انبليت الصورة راسا على عقب .
القوى الحافظة تتألب بالتسلح . والقوى
الوطنية والتقدمية تقاوم .

ولم يكن الامر كما حاول بعض الصحف
اللبنانية ان تصوره : ساسة يلعبون لعبة الكرسي
الموسيقية ، او مجرد خلافات شخصية بين صانعي
ميدام وكمال جنبلاط ، وانما كان لهذا التحول
المفاجيء اسبابه الموضوعية .

فمذابيح السلطة الايدوية ضد الفدائيين والتي
ايدت التي «تطهير» الاردن منهم على حد
قول «التي» قد اثارته شعبية الرجعية اللبنانية
للقوم بعمل مماثل لكن الامر يتطلب بعض المعدات
والتهييزات حتى يمكن انجاز هذه المهمة .

وهكذا كان الشيخ بيار الجميل - الكتائب -
الذي سرح يانه «بصرامة يلمس الخطر الهدام في
الداخل وليس في الخارج» ، وقال ايضا انه
وبصرامة - مرة اخرى - لا يخاف من العدو
الاسرائيلي لان قوة لبنان ليست في عسكره
وبدبائنه وطائفته بل هي في تيمته ومكانته الدولية
وعلاقاته الطبيعية مع الدول المتقدمة (الانوار ٣٠
اقتبس ١٩٧١) تقول ان الجميل يغير من موقفه
وبصرامة مذهلة فيصرح في اليوم التالي
بمباشرة «ان تقوية الجيش وتعزيز امكانياته
موضوع لا يختلف عليه اثنان ، ولكن اذا انقضا
الماتى مليون ايرة دون ان تعالج الاساس ، نكون
كمن يداوى للرض بالمسكنات . واقتصد بذلك ان
لكل بلد خصائصه ، ولبنان ليس دولة عسكرية
وليس من طبيعته ورسالته ان يكون دولة
عسكرية .. فمن الطبيعي الا تكون سياسته
الدفاعية سياسة عسكرية بحتة » ثم
يتنامى «الجميل» كل احدثات الماضي ويقول «ان
الخبريين والهدامين لا يريدون ابدا ان يكون لنا
جيش قوى لانهم حارب على استقرار
البلاد » (الانوار ١ سبتمبر ١٩٧١)

اما - اده - الذي طالب في فترة مابلية بعدم
تسلح الجيش والاكتفاء بفرقة طوارئ دولية فانه
يصرح هو ايضا «انه مادام الجيش موجودا فيجب
ان يتسلح ولكنه قال انه لو حضر جلسة اقرار
قانون الـ ٢٠٠ مليون ليرة لكان طرح سفين
السؤالين :

اولا : اذا اصبح بإمكان الجيش ان يرد هوانا
كالدون على الصنف هل متاجر الحكومة
للجيش بان يرد هذا الهوان ؟
ثانيا : اذا امرت الحكومة الجيش اللبناني بان
يرد على معركة شبيهة بمعركة الصنف هل بإمكانه
ان يرد هجوما اكبر سيتم حتما من قبل الجيش

الاسرائيلي وربما تستفيد اسرائيل من هذه المعركة ؟
لاحتلال جنوب لبنان حتى الليطاني ؟ (الانوار ١
سبتمبر ١٩٧١)
ودلالات الاسئلة واضحة وليست بحاجة الى
تطبيق .

وفي مواجهة ذلك فان القوى الوطنية والتقدمية
عارضت المشروع . وقدم جنبلاط مشروعاً مضاداً
طالب فيه بتخصيص ٤٠ مليون ليرة فقط للتسلح
و ١٦٠ مليوناً لمشاريع التنمية .
وتقول «الصباح» ان جنبلاط لم يخف مخاوفه
وانه قد طرحها تفصيلاً في الجلسة الصرية لمجلس
النواب وأوردت عنه انه قال «ان مشروع الحكومة
قد اشاع القلق في صفوف العمال والاجراء
والطلاب وقادة الحركة الوطنية والعربية .. كما لا
اكتف ان جماهير اخواننا الفلسطينيين والفدائيين
قلقة لهذا المشروع الذي يصدر بهذه الاسباب
الموجبة التي يبدو منها وكأنه وضع لكبت الحريات
وتأسيس الجيش وجعله يتدخل في السياسة»
للقوف في وجه الفكر في هذا البلد .

وقال جنبلاط ايضا «نحن لا نريد ان يتحول هذا
البلد الى دولة للانقلابات العسكرية . فاذا تمت
تقوية الجيش منفصلة عن التنمية الاقتصادية
والاجتماعية وتنظيم الحكم اللبناني لكي يمكن من
المشاركة الشعبية . وعندما لا تكون عناصر الدفاع
ملتزمة بالقاعدة الشعبية ونابعة منها بأسلوب
التجديد الازلي ، فانه يحق لنا ان نتساءل عن
مصير هذا البلد وعما اذا كنا مستعرضين لمسلح
انقلابات عسكرية او ما اشبه » كذلك تساءل
جنبلاط لماذا لم تستعد الحكومة من القصد الذي
قدّمه الرئيس اليبى مع الفدائي بتسلح لبنان .
وردا على هذه المخاوف تحدث وزير الدفاع بيار
يؤكد المخاوف ويؤكد ان من مهام
الجيش «مساعدة قوى الامن في حفظ النظام
وحمايته من أي خطر يتهدده » ومن اليبى ان
الجيش في حامي النظام .. وبالتأكيد فانني لن
اُترد في القيام بواجب - كوزير للدفاع - اذا ما
قامت في البلاد ثورة .. اي لو كلفني مجلس
الوزراء الحاضر على ثقة مجلس النواب بالمقرض
انه ممثل الشعب يقبض اي تحرك معاد للنظام فان
اُترد لحظة في تنفيذ هذا التكليف (الصباح ٩
سبتمبر ١٩٧١)

والان .. ما هي الصلقة محل النزاع ؟

قول الانوار فيما اسمته باللائمة الصرية لحظة
التسلح الخفية انها لا تتضمن أية موارخ او
شيكات رادار او طائرات حربية ، وانما
فقط «مراجبات ذرية وميجارات جيب وميجارات نقل
عسكرية كبيرة» وشاحنات وسيارات بيسك آب .

وجرافات بالإضافة طمحا الى دبابات ومصفحات ومدمعية ميدان » (الانوار ١ سبتمبر ١٩٧١)

ولعل طبيعة هذه المعدات كافية بذاتها لتوضيح طبيعة المهام المتوقع استخدامها فيها وهي التي دفعت بالشيوخ اللبنانيين الى اعلان ان تسليم الجيش يجب ان يكون بمعدات تمكنه من مجابهة العدو الخارجي ومن حماية ارض الوطن (شيكات رادار ، صواريخ — طائرات مقاتلة .. الخ) اما تزويده يمثل هذه المعدات المقترحة فهو امر يوحى بان العملية كلها متعلقة بصراعات محلية (القداء — ١١ آب ١٩٧١) .

وأخيرا . وبعد ان تقرّر « التسليم » بدأت معركة أخرى هي كيف تسلمح ومن اين ؟ وفي البداية صرح العباس صبايا وزير الدفاع اللبناني « انه لا يوجد مانع لدى لبنان لشراء الأسلحة من الدول الشرقية » وقال ان حكومته ستشتري السلاح من الدول التي تقدم عروضها أفضل سواء كانت شرقية او غربية » (الجمهورية — ٢٠-٧-١٩٧١)

غير أن صبايا عاد ليتنكر لفكرة شراء السلاح من الدول الاشتراكية قاعطن « ان لبنان لن يشتري السلاح من الدول الاشتراكية وبير ذلك باستحالة الحصول على قطع غيار لهذه الأسلحة في حالة قطع العلاقات مع هذه الدول » (الأهرام ٢١-٣-١٩٧١)

لكن الامور تتطور بسرعة ويعلن « صبايا » مرة أخرى في ٢٩ أغسطس ١٩٧١ « ان لبنان سيشتري السلاح من الاتحاد السوفيتي » .

ثم يصرح بعد يومين « ان الحكومة لا تشترى باى حرج في شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي » . وانها سوف ترسل بعثات الى سوريا وغيرها من الدول العربية للتدريب على استعمال السلاح .

وأخيرا .. استقرت المعركة العنيفة التي تدور منذ ١٩٤٨ على ان يتسلح الجيش ، لكن السؤال المطروح الان وبالصراح التسليم لماذا ؟ وضد من ؟

د . رغبت السعيد



■ أوغندا وأثيوبيا ■

باريليف يفتش عن « الأعماق »

ينظر المراقبون السياسيون الى الزيارة التي قام بها جاييم باريليف — رئيس لركان حرب الجيش الاسرائيلي — الى كل من أوغندا وأثيوبيا ، في إطار مجريات الأحداث الخاصة بقتضيتين محورتين : الصراع العربي الاسرائيلي ، والعلاقات الخاصة بين اسرائيل وهاتين الدولتين . ويجمع كل المراقبين على ان زيارة باريليف الى هاتين الدولتين — في هذا الوقت « ذات دلالات سياسية وعسكرية خطيرة »

فقد تولدت — في الآونة الأخيرة — انبياء شبه مؤكدة ، من ان اسرائيل « قد أجرت جزيرة اثيوبية على الساحل الافريقي » . وجدير بالذكر ان حكومة الين الجنوبية قد طلبت في مكرها الى الجامعة العربية ، ان يمرض للبحث في مجلس الجامعة « سمي اسرائيل لاستئجار جزيرة هليب الواقعة على البحر الاحمر والتابعة لأثيوبيا » لتحويلها الى قاعدة عسكرية . ولا يخفى المراقبون في نظرتهم الى هذه الأنباء ، ان يربطوا بينها وبين النتائج الاستراتيجية لاتحاد الجمهوريات العربية ، وازماع حكومة السودان الانضمام الى الاتحاد . وفي هذا الصدد يذكر

المراقبون حديث الرئيس تور السادات الذي اشار فيه الى الاصاق الاستراتيجية الجديدة — من جهة الغرب في ليبيا والجنوب في السودان — التي توفر ميزات عسكرية جديدة للجانب العربي في الصراع مع اسرائيل . هذا ، بالإضافة لما يعنيه ان تكسب اسرائيل « ارضا ثانية » مجاورة لحدود السودان الجنوبية واهتمامها بتغذية عناصر التمرد في جنوب السودان وأثر ذلك على حجم الدور الذي يمكن ان يلعبه السودان في الصراع مع اسرائيل .

ومن رأى المراقبين ايضا ان اسرائيل — عشية اجتاع الدورة الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن — تسعى الى « تغيير موقف » بين أثيوبيا والدول العربية ، وما يمكن ان ينجم عن ذلك من تأثير على موقف أثيوبيا التي تؤيد قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، والتي شاركت في « لجنة الرؤساء العشرة الافريقيين » المنبثقة من مؤتمر القمة الافريقي الأخير .. لتحريك أزمة الشرق الأوسط وأيجاد حل لها .

ويربط المراقبون بين هذه الزيارة وبين الاستراتيجية الاسرائيلية العامة المنطلقة باوضاع البحر الاحمر . فموقع هاتين الدولتين على البحر الاحمر يحقق اهداف اسرائيل التي يتحدث عنها بصفة دافار الاسرائيلية بوضوح فتقول « .. لقد حاربت اسرائيل مرتين من أجل حرية الملاحة في البحر ..

— تقارير الشهر —

وخاصة حاييم بارليف وموشى ديان . نجيبنا زُر ايدى امين اسرائيل فى يوليوس ١٩٧١ كان يضع على صدره وسام فرقة المظلات الاسرائيلية الذى فاز به اثناء تدريبه فى فرقة المظلات بثل لبيب عام ١٩٦٤ . ومعروف انه كان قد زار اسرائيل عام ١٩٦٨ بدعوة خاصة من بارليف ، وفى ختام زيارته الاخيرة لاسرائيل (١٩٧١) اصعب عن ابله فى « ان يقوم وزير الدفاع الاسرائيلى ورئيس الاركان فيها بزيارة اوغندا . قريبا . » وقد وجه الدعوة لها شخصيا لاتباع هذه الزيارة التى لياها بارليف مؤخرا .

والجدير بالذكر ان اسرائيل قد وافقت على بيع اسلحة بمليون دولار الى اوغندا ، بناء على طلب ايدى امين . وينظر المراقبون الى اهمية امدادات الاسلحة هذه ، على ضوء اشتباكات الحدود التى جرت اخيرا بين تنزانيا واوغندا .

الاجن والمحيط الهندي ، ولابد لها من ان تستغل العلاقات المصرة فى شرق افريقيا وفى آسيا . [دافل - ٢٧ يويو ١٩٦٩] .

ومن المعروف ان «جارة اثيوبيا مع العالم الخارجى تمر مير ميناء» ايلات» منذ اغلاق قناة السويس فى عام ١٩٦٧ . وتقوم اسرائيل بتقديم ما تسميه « بمساعدات فنية » [اكثر من ١٥٠ خبيرا وفنيا اسرائيليا فى اثيوبيا] بالاضافة الى توليها مشروعات حفر الابار وبعض المشروعات الزراعية فى اثيوبيا .

كما اوغندا — وبخاصة فى ظل حكومة ايدى امين — فتعلق عليها اسرائيل اهمية استراتيجية كبيرة . فبالاضافة الى استثماراتها فيها وقاياما ببعض المشروعات الانتشائية [البناء اساسا] ، فان الجنرال ايدى امين يحتفظ بأواصر صداقة خاصة وشخصية مع المسؤولين الاسرائيليين

■ تقرير خاص



● خروشوف ●

بصرف النظر عن اختلاف الآراء لبريدى ما اسابه فيها من توبيخ لو اخفاقي ، وبصرف النظر عن تقييم الآخرين لادى التفع الذى حققته الصركة الشيوعية العالية او الضر الذى جنته من وراء خوض هذه المعارك الكبيرة المعقدة .

لقد شغل « نيكيتا خروشوف » منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى من سبتمبر عام ١٩٥٣ الى بعد ٦ اشهر فقط من وفاة مستالين حتى اكتوبر عام ١٩٦٤ ، وشغل منصب رئيس مجلس الوزراء

● موسكو ●

فروشوف .. بين الأصدقاء والأعداء

من اصدق ما قيل فى خروشوف العبارة التى قالها انه سيرجى على قبره لحظة دفنه يوم ١٢ سبتمبر الماضى : « لم يكن هناك من يقف من ابي موقف الامبالاة ، لقد كان هناك من يحبونه وكان هناك من يكرهونه ، ولكن لم يكن هناك من يتجاهله » .

وترجع هذه الطقفة الى ان خروشوف خلال فترة توليه السلطة من منتصف الخمسينات حتى قرب منتصف الستينات فى الاتحاد السوفيتى ، قد خاض معارك كبيرة رئيسية فى مجالات عديدة ،

التعايش السلمي

وقد أطلق خروشوف عددا من الشعارات الأساسية التي اعتبرها البعض ترييدا لأفكار لينينية قديمة ، واعتبرها البعض تطورا لهذه الأفكار اللينينية . واعتبرها آخرون جسدًا جديدة تنبأها في السياسة السوفيتية وتضمن بهذه الشعارات « التعايش السلمي » ، « الأنفاس السلمي بين النظامين الاشتراكي والراسمالي » ، « الانتقال بلا عنف من الراسمالية الى الاشتراكية » ، « الطرق الوطنية المختلفة الى الاشتراكية » ، الخ .

وتحت هذه الشعارات خاض خروشوف عددا حائلا من المعارك :

● **معركته ضد الحزب الشيوعي الصيني** ، وقد تميزت فترة خروشوف بشكل واضح بتعمق الخلافات الأيديولوجية والنزاعات على نطاق أوسع بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية . ووصل النزاع السوفيتي الصيني الى اوجه في السنوات السابقة مباشرة على تنحية خروشوف . وتجهزت هذه الفترة ببادل الاتهامات الحادة بين الحزبين بدرجة لم يسبق لها مثيل .

● **معركته من أجل تحقيق نزع السلاح** ، وقد شهدت فترة خروشوف أول اتجاه هام في هذا المجال بتوقيع معاهدة موسكو للحد من التجزئ على التسلح الذرية . وقد تم ذلك في اطار دعوته للتعايش السلمي وسعيه للالتقاء بزملاء الغرب ، وكان اجتماعه بليزنبورغ عام ١٩٦٠ — على سبيل المثال — أول اجتماع قمة سوفيتي غربي منذ الحرب العالمية الثانية .

● **معركته من أجل إعادة الحزب الشيوعي اليوجوسلافي** ، ورابطة الشيوعيين اليوجوسلافيين ، بزعامة تيتو الى صفوف الحركة الشيوعية العالمية . وقد حققت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ويوجوسلافيا خلال فترة خروشوف تقدما ملموسا استمر بعده بصورة طبيعية .

● **معركته للتغيير الداخلي في الاتحاد السوفيتي** بأبعاد هذا التغيير :

— **السياسية** متمثلة في الانتقال من « تكتاتورية البروليتاريا » الى « دولة كل الشعب » ومن الحزب البروليتاري الى حزب كل الشعب . — **الاقتصادية** متمثلة في الراجح الإصلاحية المتعددة في مجالات الانتاج الصناعي والزراعي وادخال مبادئ حرية الإدارة والحوافز وتقليص الحاجات الاستهلاكية .

— **الفكرية** متمثلة فيما أصبح يعرف بظاهرة

السوفييتي من مسار من عام ١٩٥٨ الى أكتوبر ١٩٦٤ ، أي حتى تنحيته من رئاسة الوزراء وسكرتارية الحزب اللذين جع بينهما كما جع بينهما ستالين من قبل . وكانت فترة وجود خروشوف في السلطة فترة تحولات كبيرة في الاتحاد السوفيتي داخليا ، وفترة تحولات كبيرة في السياسة الدولية بالمثل . وكانت للمعارك الداخلية والخارجية التي خاضها خلال تلك الفترة آثارها المتبادلة على الصعيدين الداخلي والخارجي .

المؤتمر المشرون والحركة ضد الستالينية :

على أن اسم خروشوف يرتبط أكثر مما يرتبط بأي شيء آخر بالمؤتمر المشرون للحزب الشيوعي السوفييتي . لأن هذا المؤتمر شهد أكبر معارك خروشوف على الإطلاق ، وهي معركته ضد الستالينية ، وكانت طبيعتها وبداها معركة داخلية وخارجية في آن بها . فان المفاجأة التي حملها تقرير خروشوف أمام ذلك المؤتمر الى العالم — وهي فترة الضيق لستالين وعصاة الرد واتهاماته المصيدة بالكثاتورية والارهابية — تشكل نقطة تحول بالغة الأهمية في الحركة الشيوعية العالمية ، لم تؤثر في الحياة السياسية لمصير الدول الاشتراكية ، بل أثرت في كل اوجه النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري والعلمي فيها على أوسع نطاق .

ابتداء من نقد خروشوف واتهاماته لستالين وتحت سلسلة أحداث تاريخية حامية في مقدمتها **الصدع الكبير في علاقات الحزبين الشيوعيين السوفييتي والصيني** . ويأتي بعده أحداث بولندا والمجر في خريف عام ١٩٥٦ وبالنسبة للتطورات الداخلية في الاتحاد السوفيتي نفسه كانت هناك معركة خروشوف ضد زعماء الحزب الشيوعي السوفيتي « الستالينيين » الذين وجه اليهم تهمة « المهاد » للحزب [**هايسلاف مولوتوف** —

جورجي مالينكوف — لازار كاجانوفيتش . . الخ] . هذا من الناحية السياسية والصراعات داخل الحزب . أما من الناحية الاقتصادية الاجتماعية فإن فترة حكم خروشوف ، وبالأحرى فترة زعامة للحزب الشيوعي السوفيتي — قد تميزت بالاتجاه لتحقيق **الإصلاحات الاقتصادية** التي كانت الحاجة الموضوعية قد أصبحت ملحة إلى تحقيقها ، وهي تلك التي تتمثل في الاهتمام بالانتاج الاستهلاكي بعد سنوات الإنشاء وتقشفها .

الحكومة وبنّ متصب السكرتير العام للحزب .
وتناول هذه الاسباب في مجموعته :

١ - السياسة الاقتصادية للاتحاد السوفيتى
خلال السنوات الخمس الاخيرة من فترة
خروشوف الى السنوات من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ .
وبصفة خاصة في مجال الانتاج الزراعى وما
تعرض له من معوقات .

٢ - تصبى الخلافات الالهية بصورة حادة بين
الاتحاد السوفيتى والصين . ومسئولية خروشوف
عن « أسلوب الصراع » المذهبى ضد الصين .
٣ - الاضرار السياسية والحقوية التى لحقت
بالاتحاد السوفيتى عالميا نتيجة أزمة الصراع
السوفيتى فى كوبا وبسلك خروشوف تجاهها .
٤ - انفراد خروشوف بالسلطة الى حد كاد
يعيد الى الاذهان - فى رأى بعض المراقبين -
الاسلوب الستالينى فى ممارسة السلطة فضلا
عن اتهام خروشوف باعادة ظاهرة عبادة الفرد
بتركيز اهتمام شديد بشخصه .

ويقتضى ما نحدث اختلافاً فى تحديد « اخطاء
خروشوف » التى ادت الى تنحيته ، حدث اختلاف
فى تقسيم هذه « الاخطاء » . اعتبرها البعض
اخطاء « استراتيجة » واعتبرها البعض الاخر
مجرد اخطاء فى التكتيك . واصحاب كل من
هذين الرايين يجدون مبرراتهم فى سياسة القيادة
الجماعية السوفيتية التى تولت السلطة بعد
خروشوف (بريجنيف وبوجورنى وكوسيجين) .

وفى الوقت نفسه فان بعض المراقبين - من
داخل المعلم الشيوعى نفسه - يقيمون فترة
سلطة خروشوف بأنها كانت فترة انتعالية ، بمعنى
انه لا يمكن القول بأنه كان هناك « عهد
خروشوفى » على نحو ما كان هناك « عهد
ستالينى » لان خروشوف لم تكن له افكار
سياسية خاصة به ، ولانه تولى السلطة لمدة
تعالى ثلث المدة التى تولاه فيها ستالين ، ولأن
خروشوف نفسه كان قد تجاوز الستين من عمره
عندما تولى السلطة بينما كان ستالين فى الاربعين .

كللك يقيم بعض المراقبين من داخل المعلم
الشيوعى خروشوف بأنه انعكاس للتوازن
الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى فى التصف
الثانى من الخمسينات وهى الفترة التى كان فيها
وزن الطبقة الفلاحية التى اصابت حظا قليلا
من التقدم ارجح بكثير مما هو عليه الآن فى بداية
الستينيات . وهؤلاء يعتبرون أن خروشوف كان
يقف على التخموم بين روسيا القديمة والحديثة .
وان قوة الخروشوفية فى وقتها انها كانت
انعكاسا لهذا الخلل .

« ذوبان الجليد » [أى التخلص من الجمود
المعتدى الستالينى] الى الانتاج الادبى والفنى
والفكرى عامة فى الحياة السوفيتية .

• محركه فى صف حركات التقصير الوطنى
فى المعالم . وفى هذا الاطار كان الدور الذى
لعبته فترة خروشوف فى دعم وتعميق العلاقات
السوفيتية المصرية او خروج الاتحاد السوفيتى
- لأول مرة على هذا النطاق - الى « المعالم
الثالث » كله فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .
ولقد كانت معركة خروشوف فى تأييد حركة
التحرر العربى فى مراحلها وصراعاتها المتتالية من
منتصف الخمسينات الى منتصف الستينات
الاساس الذى ارسى القواعد للعلاقات القائمة
حاليا بين الاتحاد السوفيتى وشعوب الامة العربية
وهى تواجه صراعا آخر حادا يفوق فى صراوته
صراعاتها السابقة التى وقف فيها الاقتصاد
السوفيتى الى جانبها ضد الامبريالية الامريكية
والنوسعية الاسرائيلية .

أزمة كوبا :

• محركه ضد المحاولات الامبريالية الامريكية
لتطبيق الاتحاد السوفيتى عسكريا واستراتيجيا
وغرب نطاق ضد قيام أى نظام تقضى فى نصف
الكرة الغربى ، وهذه المعركة كما تنهت فى مشكلة
كوبا عام ١٩٦٢ - تعتبر فى نظر الكثيرين اخطر
معركة خاضها خروشوف على الاطلاق من حيث
اسهامها فى تقرير مصيره السياسى ، ثم فى
تقرير استراتيجة الاتحاد السوفيتى كلها بعد
ذلك . وقد جرت عليه مشكلة اخفاى الصواريخ
السوفيتية الى كوبا ثم سحبها فى ذلك الوقت
انتقادات حادة من كثير من الجوانب ، وكانت
موضع نقد من جانب الصين بالذات التى اعتبرت
اخفاى الصواريخ « مغامرة » وسحبها بمثابة
« تسليم » . وكان هدف خروشوف المعلن آنذاك
مواجهة الوجود الغربى الامريكى فى تركيا على مرمى
الهدف من الاراضى السوفيتية .

اسباب تنحيته :

وفى كل المعارك التى خاضها خروشوف فان
اسلوبه قد امتاز بالغميلية والنشاط حتى اصبح
مركزا لاهتمام عالمى واسع النطاق فى كل تحركه
وتصريحاته الكثيرة ، واكتسب شعبية واسعة فى
كثير من البلاد حتى الراسمالى منها . ولهذا كان
لتنحيته النهائية فى اكتوبر عام ١٩٦٤ وقع هائل
فى المعالم - وقد قبل الكثير فى اسبيل تنحية
خروشوف . ويبدو ان الاحتمال الأرجح هو أن
كل الاسباب التى سبقت قد اصبحت فى قرار
الحزب الشيوعى السوفيتى بتنحيته من رئاسة

على أنه أيا كانت الاختلافات في تقييم خروشوف وفترة حكمه ، وأيا كانت محاولات الغرب لاستغلالها ضد الاتحاد السوفيتي وضد الاشتراكية بوجه عام ، فإن هناك انطلاقا واضحا على أن خروشوف قد قام بدور كبير في فترة ما بعد الستالينية ، وإن قوته في السلطة قد أرسست الاسس التي تقوم عليها سياسة الاتحاد السوفيتي في الوقت الحاضر في كبر دوائر تنشيط هذه السياسة : الدائرة الداخلية ودائرة العلاقات داخل العالم الشيوعي ، ودائرة القوى المعرض المناهضة للأمبريالية ، ودائرة العلاقات الدولية في أظلالها الأوسع .

سمي كرم

ولا ننسينا المحاولات والآراء المختلفة في تقييم دور خروشوف أن الغرب قد قام بكثير الجهود دائما لاستغلال مواقف خروشوف في حملات الدعاية البشعة ضد الاتحاد السوفيتي وضد الدول الاشتراكية الأخرى . بدأ باستغلال بيان خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ضد مستالين ، ولنتهى « بأخراج » ما يسمى بمذكرات خروشوف في أواخر عام ١٩٧٠ ، وقد كشفت مصادر غربية حقيقة انتماء هذه المذكرات إلى المخابرات المركزية الأمريكية ، فضلا عن البيان الذي أصدره خروشوف نفسه في موسكو مؤكدا أنه لم يسلم مذكراته إلى أي ناشر أجنبي .»

■ الولايات المتحدة ٢

أزمة الدولار .. وصراعات العالم الرأسمالي

لا جدال في أن أزمة الدولار قد فجرت عقب الخلافات الناشئة بين الدول الرأسمالية الكبرى، معندنا اهتزت الثقة بالدولار كعملة رئيسية في نطاق العالم الرأسمالي وتفتتت ملايين الدولارات إلى الخارج بواسطة الأفراد و « المخسارين » لتحويلها إلى عملات أخرى أكثر قوة واستقرارا مثل : المارك الألماني والين الياباني كانت هناك الأسباب الواضحة التي أدت إلى فقدان الثقة في أسواق النقد ، ومن أبرز هذه الأسباب العجز المتزايد خلال هذا العام « في الميزان التجاري » لزيادة الواردات من الخارج . يهدف أن كان الناس في عمليات التجارة الخارجية يخفف من التأثير الكلي لعجز ميزان المدفوعات الأمريكي انقلب هذا الفائض إلى عجز واضح أثناء الشهور الماضية ؛ وأشارت وزارة التجارة الأمريكية أن التدهور في الميزان التجاري قد وصل عام (١٩٧١) إلى ٢ بليون دولار بعد أن سجل عائضا مقداره ٣ بليون دولار في العام الماضي . وقد صاحب نمو النفقات العسكرية غير المتوازنة زيادة المعونات العسكرية للدول الحليفة والتابعة العوامل التي سبق ذكرها مما جعل المراقبين في جميع أنحاء العالم يتوقعون الإجراءات السريع لتخفيض قيمة الدولار بعد أن أصبح واضحا بأنه يتقيا بأعلى من سعره الحقيقي . وفي مواجهة هذه الأزمة الطاحنة التي لم يتعرض لها الدولار منذ ٣٧ عاما

كانت الولايات المتحدة تبحث عن مخرج ينتشلها من هذه الأزمات بدون أن تقوم رسميا بإعلان خفضه ، والحد من الانسحاب العسكري وإزالة القواعد العسكرية المنتشرة في جميع أنحاء العالم والتي وصلت إلى ٤٠٠٠ قاعدة ... رغم أن كل الأوضاع والظروف كانت تشير منذ شهر مارس ١٩٦٨ بأن الدولار لم يعد محتفظا بكانته كعملة رئيسية دولية ، « فسر الصرف » الذي احتفظت به الولايات المتحدة بواقع ٣٥ دولارا لكل أوقية من الذهب أدركه الاهتزاز عندما اشتد الطلب على الذهب وظهرت « حصى المخسارية » على العملات الأخرى تخلفا من الدولار ، بيد أنه عندما رفضت الحكومة الأمريكية بأن تقوم بهسدا الخفض الرسمي لقيمة الدولار كانت هناك محاولات أخرى من جانبها لمعالجة هذه الأزمات ومحاولات التخفيض منها ومن أبرز هذه المحاولات البديلة ما لجأ إليه الرئيس الأمريكي « نيكسون » في عرض رسم إضافي على الواردات بمقداره ١٠٪ ، مولفادى هذا الإجراء إلى آثار واضحة مسواة في داخل الولايات المتحدة وخارجها ، ففي نطاق الخارج تجد أن أسهم الشركات الغربية التي تعتمد بعض منتجاتها على التصدير إلى السوق الأمريكي قد انخفضت بشكل واضح ، ثم القيام ببيع العديد من هذه « الأسهم » بسبب عدم وضوح الرؤية للمستثمرين إزاء الاضطرابات المستمرة في نظام النقد الدولي . وفي داخل الولايات المتحدة ارتفعت أسهم أغلب الشركات وعلى الأخص الشركات التي كانت معظم منتجاتها تواجه المنافسة من الخارج « وعندما تأتت بعض الدول من ناحية أخرى « بتصويم » عملاتها إزاء الدولار بحيث أصبحت هذه العملات غير مستقرة عند معدل ثابت للصرف بل سمح لها بالتقلب معتدلة في ذلك

أيزانها التجاري وذلك بالحد من صادرات هذه الدول التي تطلب منها الولايات المتحدة أن تقوم برفع أسعار عملاتها بينما توجه الحكومة الأمريكية إلى تشييط صادراتها في السوق العالمي ، وعلى ذلك يرى الرافقون الغربيون أن فكرة « معدلات الصرف المرن » بمثابة التهديد أن لم يكن الحكم بالموت لدول السوق المشتركة ومصلحتها الاقتصادية، وعندما ظهر الخلاف والصراع بين هذه الدول وبين الولايات المتحدة اضطرت الحكومة الأمريكية أن تلجأ إلى وسائل الضغط السياسي لنشر فكرة « معدلات الصرف المرن » وليس لحد على ذلك من ضغطها على بريطانيا بإعلان هذه الفكرة والدعوة إليها أثناء المفاوضات الدائرة بينها وبين دول السوق المشتركة .. وفي هذا الصدد أشارت مجلة « لونوفيل أوبزيرفاتير » الفرنسية في شهر يوليو الماضي بأن المرحلة الحادة للتناقصات بين العالمين الرأسمالي والتي تنبأ بها الاقتصاديون الماركسيون قد ظهرت بشكل واضح .

وعندما تتحدد أيضا رغبة الولايات المتحدة في رفع أسعار الصرف لعملات هذه الدول وتطالب « اليابان » من ناحية أخرى بأن ترفع التسود الجبركية على الصادرات الأمريكية ، وأن تقوم اليابان برفع سعر التين مما يؤدي إلى التقلص الواضح في حجم الصادرات اليابانية إلى السوق الأمريكي .. فإن التناقض الواضح

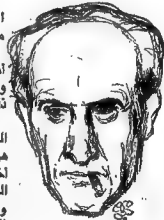
على قوى « العرض » و « الطلب » — كان هذا؟ يعني في اتجاهه رفع أسعار الصرف لهذه العملات وهو ما ترغب فيه الولايات المتحدة ، وهنا يتبين علينا أن تلقى هذا الاستفسار لسذا ترغب الولايات المتحدة في « تمويل » أسعار الصرف لهذه العملات !!

إن هذه الرغبة تحاول أن تبرز إلى الوجود فكرة « معدلات الصرف المرن » ، وهو ما يعني في اتجاهه الخطي عن مبدأ « تعادل القيم الثابتة للعملات » بيد أن المعارضة الشديدة لأداء فكرة « معدلات الصرف المرن » قد ظهرت بشكل واضح من جانب دول غرب أوروبا فهذه الدول على يقين تامين بنظام « معدلات الصرف المرن » سوف يقدم المزاي الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة ، وأن ما يرغب فيه الأمريكيون من وراء ذلك الاقتراح المقدم هو ترك عملات الدول الرأسمالية تتقلب بحرية أكثر إزاء بعضها البعض وإزاء الدولار على وجه الخصوص ، وطالما أن إعادة التقييم لعدد من هذه العملات سوف لا يحدث في نفس الوقت فإن ذلك سوف يعطى الانطباع الوهمي بأن الدولار لم يتركه الاحتراز ومن ثم فإن الفلاس السياسية الاقتصادية الأمريكية سوف يغطي بصورة واضحة ، ومن الناحية النظرية أيضا سوف لا يكون هناك خفض فعلي في قيمة الدولار ، من خلال ذلك تتجنب الولايات المتحدة إجراء خفض وتقدم العلاج

ماركيوز : الشاب المتعدد .. هي ويستعد لهولة دراسة في الشرق الأوسط

تأسف الطلعة . للخطأ المبالغ الذي وقعت فيه عندما كتبت في العدد الماضي - ياب تقارير الشهر - تقريراً عن المفكر والفيلسوف هيربرت ماركسيوز ، بعنوان : « الشباب المزدحمون من ٢٢ عاماً » فالشباب المتعدد من حسن الحظ - ما برح يتدفق حياة وفكرًا أما من طواه ألوت فهو « ماركسيوز » أثنى ينتمي إلى نفس العائلة - قرابة - ويعمل أيضًا - بمستوى أكاديمي في حقول الفلسفة والتاريخ ، وله في ذلك عدة كتب قيمة .

ولقد وقعت الطلعة - كما وقعت غيرها من الصحف العربية - في هذا الخطأ المؤسف - نتيجة عدم لغة وكالات الأنباء - ولعل أفضل تقييم لهذا الخطأ هو استمرار حياة هيربرت ماركسيوز ، واستعداد الفيلسوف الكبير - كما أخبرنا - للقيام قريباً بجولة دراسية في الشرق الأوسط ليتعرف على الطبيعة على مشاكل شباب البلدان الحديثة النمو - حيث أن دراساته وأفكاره مقصورة على مشاكل البلدان القريبة الرأسمالية المتطورة ، ودون الشباب الثوري المعاصر في تغيير مجتمعاتها .



حتى ذلك الوقت الراهن الانسحاب الرئيسية لا هتزاز الدولار طوال الشهور الماضية وهو ما عبرت عنه الصحيفة اليابانية المشهورة « بينيتي » بأن مشكلة الدولار لن يقدم لها الحل ما لم تتغير الدبلوماسية الأمريكية ككل بما في ذلك سياسة الحرب في فيتنام وما صاحبها من اتفاق عسكري باهظ ، هذا وسوف تشهد الشهور القادمة عمق الخلافات والتناقضات بين الولايات المتحدة والدول الرأسمالية الكبرى .

يظهر بصورة كاملة ، ومن ثم يرى المراقبون الفرنسيون أن فكرة « معدلات الصرف المرن » التي تفتقرها الحكومة الأمريكية لن تقدم الحلول لمشاكل النقد الدولي ولكنها تؤدي إلى انعاش الدولار محسب بينما تترك المشاكل الأخرى في الطريق ، وبذلك فإن هدف التعاون الدولي ليس أزالة مشاكل دولة على دولة أخرى لأن الهدف النهائي هو الوصول إلى اتفاق شامل لمشاكل النقد الدولية لا غير أن الولايات المتحدة تجاهل

■ تقرير خاص

• برلين •

من الذي فسر الجولة ؟

تخفيه كذلك فإن الوثيقة المبرمة تستند إلى الحقائق الاتيية والسياسية القائمة اليوم في أوروبا ، كما تقوم على احترام الحقوق المشروعة والمصالح الحيوية للدولة الألمانية الاشتراكية المحبة للسلام أمضى جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجدير بالذكر أنه بخصوص توقيع هذه الاتفاقية أكد قاتلر أولبريشت رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية في ٧ سبتمبر الماضي « الدور الخاص لاتحاد السوفيتي وخدماته التاريخية بهذا الصدد إذ أن نهجه الثابت الذي يهتدي بروح أمين والذي يرمى إلى تحقيق التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، قد خلق من جديد انتصارا باهرا » .

نظرة تاريخية ٢

عطوال ربع قرن % استخفيت مشكلة برلين الغربية بواسطة دوائر غربية معينة كجولة للتوتر من أجل تقليم الموقف الدولي ، ومن أجل احباط كل محاولات الانحدار السوفيتي واستقرن الدول الاشتراكية « وكل القوى المحبة للسلام » من أجل تخفيف حدة التوتر في القارة الأوروبية والحقيقة أن ظهور هذه المشكلة ، وتهددها للسلام والامن في أوروبا والعالم ، لم يكن نتيجة الصدفة % وإنما كان نتيجة الاستراتيجية الامبريالية المشعوذة من قصد متعمد لتحويل نتائج انتصار التحالف المعادي لهتزر في الحرب العالمية الثانية لصالح الامبريالية .

وقد شرح قاتلر أولبريشت في ٧ سبتمبر الماضي بعض الحقائق التاريخية التي تسببت في نشوء مشكلة برلين الغربية وتهديدها لامن وسلام أوروبا . وأوضح « أن قرارات بوتسدام

علقت صحيفة « نيوز دويتشلاند » الناطقة بأسم الحزب الاشتراكي الألماني الموحد (الحزب الشيوعي في ألمانيا الشرقية) على المبالغات التي ترددت بشأن وجود أزمة حادة في المفاوضات بين الدولتين الألمانيتين من أجل تنفيذ اتفاقية برلين الغربية التي عقدتها الدول الأربع الكبرى فأوضحت أن برلين الشرقية « ليس لديها استعداد لمناقشة (بخلفي الأفكار) في ألمانيا الاتحادية الذين يتحدثون من وجود أزمة في المفاوضات بين الدولتين وأوضحت أن الجانبين قد اتفقا على بعض النقاط » .

وأشارت الصحيفة إلى حسن نوايا جمهورية ألمانيا الديمقراطية ولكن أن المسألة باجهمما بعيدة كل البعد عن عمل المترجمين وأستاذة الآداب ، وأن الخلاف القائم بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية حول الترجمة الألمانية للاتفاقية الرباعية بشأن برلين الغربية لن يؤدي إلى حدوث أزمة في المفاوضات بين الدولتين .

وليس ثمة شك في أن اتفاقية برلين الغربية تعتبر نجاحا هاما للسياسة الخارجية للاقتصاد السوفيتي وللضمان الثابت لأسرة مجموعة الدول الاشتراكية في سبيل تعزيز التعايش السلمي ، لأول مرة يتم في معاهدة ملزمة طبقا للقانون الدولي بأن كلا من جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية شخصيتان خاضعتن للقانون الدولي . ولأول مرة يتم صراحة في معاهدة ملزمة حسب القانون الدولي بأن برلين الغربية ليست جزءا من جمهورية ألمانيا الاتحادية ولا يمكن أن تحكم بوساطتها ، وأن وجود الجمهورية الاتحادية في برلين الغربية يجب

العمل على تفادي خطر وقوع صدام آخر من هذا النوع بسبب أكثر المشاكل احتداماً في قلب أوروبا إغنى مشكلة برلين الغربية . ولذا ، فنهاية لكل التماس حول نوايا الأطراف المختلفة ، تقدم **نيكيتا خروشوف** سكرتير أول الحزب الشيوعي السوفيتي وتؤكد بذلك بكرة أن تسبع برلين مدينة **هرة مجردة من السلاح وأن تضمن الأمم المتحدة هذا الوضع داخل إطار الاعتراف بقيام دولتين المائتين وبالحُدود الشرقية لالمانيا** ، غير أن استمرار الغرب على عدم الاعتراف بحقائق ما بعد الحرب وتبني حكومة بالذات بهذه السياسة ، دمع ألمانيا الديمقراطية إلى موقف لم تجد فيه بداً لوقت ما تترسح له من زيف بشرى من طريق برلين ، إلا أن تقيم **حلفاء برلين الشهور** ، على أن تسعى للوصول إلى حل بعد ذلك مركزة إلى وجود الحائط .

العلاقات الداخلية أم الدولوات السيادة ؟
وقد اتخذ الاتحاد السوفيتي وجمهوريته ألمانيا الديمقراطية خطوات عديدة بتقوية لحل تلك المشكلة لصالح السلام والامن وإزالة التوتر . وهدمت جمهورية ألمانيا الديمقراطية بتسسيق وتعاون وثيقين مع الاتحاد السوفيتي ، والدول الأخرى الأعضاء في حلف وارسو ، بمساهمتها البداة في ذلك . لقد فرضت على جمهورية ألمانيا الاتحادية إجراء مفاوضات ، وتقدمت لها باقتراحات للقيام بتنظيمات تمكن سكان برلين الغربية من دخول ألمانيا الديمقراطية وحاصبتها كذلك اقترح **فاكتر أولفريشت** رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية عقد اتفاقية بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية ، تضع أسس تسوية دائمة للعلاقات بينهما على أسس الاعتراف المتبادل بينهما والتعاقب على عدم التدخل في الشؤون الداخلية ، وعدم المساس بالحدود الحالية ، وترشيح الدولتين المائتين لعضوية الأمم المتحدة ، وإقرارهما بعدم امتلاك الأسلحة الذرية والكيروبلوجية والكيميائية ، وذلك إلى جانب تخفيض نسبة ٥٠٪ من نفقات الدفاع ، ومراجعة دين جمهورية ألمانيا الاتحادية لجمهورية ألمانيا الديمقراطية بمراجعة نهائية ، وإقرارها كذلك بتحصل بون لمختلف التعميمات الناتجة عن الحرب ، ولكن الاستعداد لتسوية الوضع لم يكن يتوردا لدى الجانب الآخر ، لأن بعض القوى هناك حسبها أوضح **فاكتر أولفريشت** نفسه في ٧ سبتمبر الماضي : **كثرت لا تزال تعتقد أنه باستطاعتها القضاء على جمهورية ألمانيا الديمقراطية من هذا الطريق أو ذاك ، إنطلاقاً من سياليتها الانتقالية الإمبريالية .**

التي اشغقت عليها دول الحلف المهادي لهتلر ؟ قد فرضت المهادي، المستندة إلى احكام القانون الدولي للقضاء على العسكرية والإمبريالية العدوانية المائتين من جذورها وبصفة نهائية لها برلين المأهبة الألبانية السلبعة ، فكان من الواضح بالنسبة لها أن تكون باعتبارها جزءاً من منطقة الاحتلال السوفيتية - مقراً لمجلس الحلفاء للرقابة ، وذلك لفترة احتلال ألمانيا من قبل الحلفاء الأربعة - كذلك ملته بعد أن قام الجيش السوفيتي بتحرير برلين ، كان من المقرر السماح للحلفاء الغربيين الثلاثة بمرابطة قوات لهم في القطاعات الغربية من المدينة . ولكن الوضع كما يقول أولفريشت « أصبح معقداً عندما تجلى الخط الاستراتيجي للقوى الرجعية الإمبريالية الأمريكية المتطرفة وتم تطبيقه ، وساهم في ذلك عدم تنفيذ معاهدة بونستدام عن طريق فصل ألمانيا الغربية ، وبدم مرحلة ما يسمى بالحرب الباردة من طريق تطبيق السياسة الصنوانية الرأسمالية التي طرد الاشتراكية من أوروبا ، وعلى الفور وجدت الأوساط الرجعية في ألمانيا الغربية أن ذلك يتيح لها إمكانيات جديدة ، فاندفعت إلى استراتيجيات الولايات المتحدة . واحتلت برلين الغربية بكتاً خلاصاً في هذه الخطط الإمبريالية التي اتجهت بالدرجة الأولى ضد التطور الديمقراطي والمهادي للثاقبية في المنطقة التي ادارها حينذاك قوات الاحتلال السوفيتية ، كما اتجهت بالتالي ضد جمهورية ألمانيا الديمقراطية والدول الاشتراكية الأخرى ، وأصبحت برلين الغربية تلعب دور « رأس الجسر » للعالم الأمبريالي الغربي .

وعملت الدول الغربية مخطمة على أن تجعل من برلين الغربية واجهة لجبهات الاستهلاك الغربية ، وجعلت منها في الوقت نفسه أخطر بؤرة في أوروبا لأعمال الجاسوسية والتآمر المعادية لجمهورية ألمانيا الديمقراطية والمعسكر الاشتراكي بإسره ، وأصبحت الجبهة مركزاً للحرب والتشاكب العدام ورأس رمح للعدوئية الغربية المحلية للمعسكر الاشتراكي في الفترة الأوروبية . وإذا لمقد ظل الغرب يعتقد لفترة طويلة أن المعسكر الاشتراكي يضر نية غير معلنه تستهدف « ابتلاع » برلين الغربية في أول فرصة مواتية ، يستند إلى تفوق القوات السوفيتية في الأراضي الألمانية وقد ازداد رعب أهالي برلين الغربية والميناء الاقتصادية في هذا الخط ، بعد الدخول السريع المستمر لقوات حلف وارسو إلى تشيكوسلوفاكيا .

غير أنه لما كانت الأزمة الكوبية في بداية الستينات قد أظهرت بوضوح خطورة حدوث صدام نووي لا يعرف انتقامه بدي ، لذا كان من مصلحة كل القوى المحبة للسلام في العالم ،

وبرلين الغربية ٢ نصت الاتفاقية على أنه يمكن لاهالي برلين الغربية أن يعبروا « حائطين » إلى برلين الشرقية ، وجمهورية ألمانيا الديمقراطية ، ونفس القواعد تسمى على سكان ألمانيا الشرقية ، وهو الأمر الذي لم يكن ممكناً به حتى الآن ، ويشان وجود ألمانيا الاتحادية في برلين الغربية ، أكدت الاتفاقية على الروابط الاقتصادية والمالية والثقافية والرياضية التي تطورت منذ احتلال المارك الألماني الغربي في برلين الغربية لثناء مايسسي بالأصلاح النقدي الذي حدث في يونيو عام ١٩٤٨ في ألمانيا الغربية ، ولكن أكدت الاتفاقية على عدم انتماء برلين الغربية سياسياً لألمانيا الاتحادية من طريق منع المؤسسات الألمانية الغربية « رئاسة الجمهورية والبرلمان الخ » من أداء أعمالها الدستورية في برلين الغربية . ويصدد تهليل برلين الغربية في الخارج نصت الاتفاقية على أنه يمكن لسكان برلين الغربية أن يستخدموا جوازات سفرهم الألمانية الغربية عند قيامهم برحلات في بلاد حلف وارسو ، ولكن الجوازات سيجتم بخت الحلفاء الغربيين لتوضيح الفرق بين المسافرين من أصل ألماني غربي ، وسكان برلين الغربية . كذلك أشارت الاتفاقية إلى حق الاتحاد السوفيتي في إقامة قنصلية ، أو حتى قنصلية عامة في برلين الغربية . مما يؤكد انتماء برلين الغربية سياسياً من ألمانيا الاتحادية .

وقد تناول جيرهارد دانيلوس رئيس الحزب الاشتراكي الموحد في برلين الغربية اتفاقية برلين من زاوية محلية . فاشار في ٨ سبتمبر الماضي في الحديث الذي إبدى به إلى جمعية « دي فارهايت » التي تصدر في برلين الغربية إلى أن هذه الاتفاقية تعكس أيضاً نشاط الحزب الاشتراكي الموحد في برلين الغربية الذي ناضل منذ سنوات ضد السياسة الرجعية والحرب الباردة ، ومن أجل إعادة العلاقات مع ألمانيا الديمقراطية إلى صورتها الطبيعية . فذكر أن الحزب الاشتراكي الموحد في برلين الغربية ، هو الحزب الوحيد في برلين الغربية الذي كان يدمو إلى هذه الآراء في الوقت الذي كان فيه علينا أن نسمح على عكس التيار ، وأن نناضل ضد محاولات التأثير على الرأي العام ، وفي الوقت الذي فشل فيه الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، والديموقراطي الليبرالي ، والمسيحي الديمقراطي . كتلة موجودة ضد أية سياسة واقعية . إزاء برلين الغربية .

وليس ثمة شك في نظر كثير من المراقبين أن توقيع اتفاقية برلين ، سيخضع إلى الإجماع بقضية السلام والأمن في أوروبا ، وسوف يزيل كلمة الجحج التي كانت تقسمها ألمانيا الاتحادية

ذلك أن قوى الإنقلابين في ألمانيا الغربية كانت تعمل دائماً على استبعاد قيام أي شكل من العلاقات بين ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية ، يمكن أن يضفي على الأخيرة صفة الدولة المستقلة ذات السيادة ، وكانت هذه القوى تتجاهد دائماً لإدخال العلاقات بين شطري ألمانيا في إطار مايسسي « بالعلاقات الداخلية » بين الألمان بعيداً عن قواعد القانون الدولي ، على أساس أن كل خلاف بين الدولتين اللاتيتين هو مسألة داخلية بقية بمعنى أنه لو تحركت قوات « البوند سفير » [جيش ألمانيا الغربية] لدخول لايبزج مثلاً في ألمانيا الشرقية ، فلهذا يكون في وسعها في هذه الحالة إلزام باتمها تقوم بعملية بوليسية داخلية .

ولكن نجاح جمهورية ألمانيا الديمقراطية في تأكيد وجودها السياسي المستقل وتجاهلها في توطيد دعامات اقتصادها ودفاعها الوطني ، كان له أثره على رؤية كثير من الساسة الألمان الغربيين والأوروبيين ، لاحتياق المشكلة الألمانية . وقد أوضح أولبريشت في سبتمبر الماضي أنه كان على أنصار السهولة القمصية ، إدراك تغير ميزان القوى في العالم ، كما إزداد عدد الذين تبلوهم روح الواقعية ، وأصبح من الممكن عقد الاتفاقية الهامة بين الدول الأربع بشأن برلين الغربية . وليس ثمة شك في أن سياسة الانتساح إلى الشرق التي إتبعها المستشار الألماني فيلي براوت وعقد معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا الغربية وكل من الاتحاد السوفيتي وبولندا كان لها أثرها في التجهيد لمعد اتفاقية برلين .

محتوى الاتفاقية :

وتنص هذه الاتفاقية فيها بالمثل بالطرق المؤدية إلى برلين على أن يضطلع الاتحاد السوفيتي مع الدول الغربية الثلاث بالمسؤولية العليا عن حرية المرور البري إلى برلين عبر أراضي جمهورية ألمانيا الديمقراطية من [١٥٠ إلى ١٨٠ كم] . وقد وافق الاتحاد السوفيتي على الاسم الذي ستجوز وفقاً لها عملية المرور إلى برلين . وسيتم المرور بلا موائق وبغير تمييز وبسرعة . وستتقرر رقابة الركاب في القطارات والسيارات على التحقن من شخصياتهم . أما النقل التجاري فسيتم من طريق قطارات الشحن ، وسيارات النقل بحيث يتم ختم القنولات بالرصاص قبل إرسالها ، وأن يدفع ركاب السيارات تكاليف التأشيرة ، ورسوم العبور ، إذ ستقوم جمهورية ألمانيا الاتحادية بغفها أجبالاً لبرلين الشرقية وفقاً للتعليمات التي ستحدد في المباحثات التي ستجوز بين الدولتين اللاتيتين .

وعبما يتعلق بالواصلات بين برلين الشرقية

المباحثات بتوقف على الحكومة الاتحادية وعلى انتهجها للامور بشكل واقعي ، وان وضع شروط مسبقة جديدة سيكون امرا غير مفيد ، فليس من مبرر يدعو الى تبجيل التصديق على المباحثتين المتوحدتين مع الاتحاد السوفيتي ويولندا حتى انتهاء المباحثات بين جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، كما ان على الحكومة الاتحادية ان تعلن عن استعدادها للاشتراك فوراً في المباحثات التحضيرية للدعوة الى عقد مؤتمر للامن الاوربي ولعقدته في اقرب وقت .

● من الذي خسر الجولة ؟ :

وعلى أية حال فالأمر الذي انتصر خلال المباحثات التي أدت الى عقد اتفاقية برلين انه لم يكن محال تحقيق نوع من التوازن بين المصالح حتى القبول من جانب جميع الأطراف . ولذا فإن محاولات بعض المعلقين الغربيين لانقاذ المباحثات حول من الذي كسب أكثر لا ومن الذي كسب أقل من وراء الاتفاقية ، لا تستند الى أي أساس . فالواقع ان الذي كسب من الاتفاقية هم جميع أولئك الذين تمنحهم قضية دعم السلام العالمي ، والذين يتوقعون ان يروا ببرلين الغربية عنصرًا مساهمًا في تخفيف التوتر في أوروبا ، والذين يبقون من أجل دعم الثقة والتعاون بين الدول ومن أجل حل القضايا الهامة على أساس واقعية ومصالح السلام العالمي . أما الذين خسروا من الاتفاقية فهم حسباً لأوضاع صحيفة « براند » السوفيتية في ٤ سبتمبر الماضي : « الانقلابيون والنازيون الجسد الذين يتطلعون الى احياء الحرب الباردة : والذين لم يعد باستطاعتهم اليوم تحديد الاتجاهات الرئيسية للتطور في القارة الأوربية » .

والحقيقة انه فيما يتعلق بالتطورات السياسية الاستراتيجية في القارة الأوروبية والتي أشرنا اليها ، يكتسب الفهم الكامل الذي قدمه جيرهارد دانيلوس رئيس الحزب الاشتراكي الموحد بمخزاه الكامل بهذا الصدد ، نقد أوضح انه لا يجوز الآن الاعتقاد بأن كل شيء سيحل من تلقاء نفسه ، فمتنقية الدول الأربع ، ان تكون مثيرة الا اذا دخلت الحكومة الاتحادية وحكومة برلين الغربية في المفاوضات الحالية بنسبة الإرادة الطيبة التي تبديها حكومة ألمانيا الديمقراطية . لقد كان عقد هذه الاتفاقية خطوة هامة في طريق التقدم . ولكن لا يمكن القول بان برلين الغربية قد أصبحت عاملاً واقعياً للسلام والامن الاوربي ، ولا يجب حل هذه المشكلة في المستقبل ، ولا يمكن حلها الا عن طريق العمل النشط من قبل الطيبة العليلة والشريفة وقوى السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي في برلين الغربية وجمهورية ألمانيا الاتحادية أولاً وتبيل كل شيء .

خيرى عزيز

لهم التصديق على مباحثتي عدم الاعتداء التي وقعتا مع كل من الاتحاد السوفيتي ويولندا ، ومن شأن ذلك ان يؤدي بدوره الى دفع قضية عقد مؤتمر للامن الاوربي خطوات الى الامام نحو العمل التمهيدى المباشر لعقد المؤتمر كذلك فمن شأن اتفاقية برلين ان تساعد على ازالة العقبات التي تعوق المباحثات بين ممثلى حلفى الاطلنطي ووارسو ، من اجل تخفيف قواتها في اوروبا . كما وان النجاح في عقد الاتفاقية قبل دورة الامم المتحدة الحالية التي قد تشهد تحولاً هاماً بالنسبة لقضية دخول الصين المنظمة الدولية ، هذا الظرف قد يدفع بمناقشة مشكلة الدول المقسمة وبنسبتهما ألمانيا خطوات الى الامام ، وذلك من اجل قبول الجمهوريتين اللتين كعضوين متساويين في الامم المتحدة .

وقد بدأت منذ ٧ سبتمبر الماضي في كل من برلين الشرقية وروين ، المفاوضات الخاصة بوسائل تطبيق الاتفاقية الزراعية ، واجتمع في بون مايكل كوهسل وزير السدولة في ألمانيا الديمقراطية ، وايجنون يهر وزير الدولة في ألمانيا الاتحادية ، وبدأ بحث مسألة المبالغ التي ستقدمها جمهورية ألمانيا الاتحادية في المستقبل ، لاستخدام طرق المواصلات المؤدية الى برلين ، وهي المبالغ التي ستحل محل المبالغ الفردية التي كانت السلطات الألمانية الشرقية تقوم بتخصيلها من الانراد . كذلك شرح مايكل كوهسل وجهات نظر حكومة ألمانيا الديمقراطية فيما يتعلق بعقد معاهدة مع ألمانيا الاتحادية تتعلق بمشكلة المواصلات ، وأبرام اتفاق حول دخول ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية . ويرى صديد من الرائيين السياسيين بهذا الصدد ان ألمانيا الديمقراطية ترى اعطاء الأولوية لقضية عملة بين اللوتين حول المواصلات فيما بينها .

وعلى أية حال ينبغي مع التأكيد على النتيجة الايجابية التي لا شك فيها لاتفاقية برلين ، ان توضع في اطارها الاستراتيجية الصحيح والواقعي بالنسبة للتطورات الاستراتيجية في القارة الأوروبية وبخاصة الصراع الاستراتيجي بين الاشتراكية والامبريالية في القارة ، وهو صراع لن يتصف قط بالتجدد والثبات ، وبهذا الصدد ينبغي النظر بشكل أكثر تمسكاً الى تصريحات القادة السياسيين الامبرياليين والشيوعيين على جانبى حائط برلين ، فعلى الرغم من ان قلبى برانت مستشار ألمانيا الاتحادية أعرب امام اعضاء حكومته عن ثقته في هذا الاتفاق ، الا انه أوضح ان الانسحاب الرياضي ان يخير شيئاً بالنسبة لتقسيم ألمانيا ، ويأن حائط برلين لن يفتنى من الوجود . ومن ناحية أخرى امان كورت بلخمان رئيس الحزب الشيوعي في ألمانيا الاتحادية ، ان نجاح



وئائق

الوثيقة التي تقدمها « الطليعة »
النص الكامل « البرنامج العملي
الوطني » الذي قدمه الرئيس
أنور السادات في ٢٢ يوليو الماضي
إلى المؤتمر القومي العام للاتحاد
الاشتراكي العربي . والفرد المؤتمر
بعد مناقشات جرت في لجساته
الخاصة .

وإن حرص الطليعة على تقديم
النص الكامل للبرنامج يؤكد أن هذه
الوثيقة السياسية سوف تكون محور
نشاط التنظيمات السياسية وأجهزة
الدولة .

وفوق هذا فإن الطليعة تشعر أن
نشر البرنامج على صفحاتها هو في
الواقع جزء لا يتجزأ من المهمة التي
أعطيت بها عندما أخذت على عاتقها
أن تقدم وجهة نظرها ، وتحدد زاوية
الرؤية التي تنطلق منها في مناقشة
البرنامج ودراسة فقراته الرئيسية ،
وأهم القضايا التي يطرحها ،
والأهداف السياسية والاقتصادية
والاجتماعية التي يصبو إليها .

النص الكامل
لبرنامج
العمل الوطني

تضمنت بل أن تقدم أملا ، لولا العمل الجبار لجماعير الشعب المصري البطل جرأه السنوات التسع عشرة الماضية .

أيها الأخوة والاكثوات أعضاء المؤتمر القوى

إن جماهير الشعب لم تتأخر في يوم من الأيام من العمل وبذل التضحية ، هي التي صحت الثورة من كل محاولات التنازل عليها من الفرج وتخريبها من الداخل ، هي التي كانت السند الأساسي لكل عمليات القضاء على سيطرة تحالف العملاء والاتطاع والرجعية وشطط رؤس المال ، هي التي بحت وجهوها للفتنة والتملل والاتصال ليل نهار تاهمتا ، للاتصافية ، هي التي وقفت الورقة الثأورية الصلبة ضد عدوان ٥٦ في معركة السويس ، وهي التي هبت صفا واحدا في حزم وأصرار ترفض التزمية في ١٠ ، ١٠ يرايين ، ورحلت منذ ذلك التاريخ تعلى كل ما في ظالمها بل وارق ما في ظالمها لملحة واحدة بناد فواتها الملحة ، وهي التي قادت في ١٦ ماي تحس للثورة من اعداء ذرية أنهم بضاعة للثورة .

إن شيئا هذا حاله ، وبذا نفضله روبيه ، لأنه وإن كثر له السيفاء كل السيفاء ، أنه وإن تسكن في حشوته وتحقق اعدائه كل الاجرة الحكومية وغير الحكومية ، لأنه وإن كثر له اليزد الحيا في سيفاته حشوته وحياته ، أنه الاصل وما هذه افروخ ، أنه لذلك أبدا والظلم أبدا ، أننا كثر في فرنسا في الاملة لأذ ضايت عنا ولو لحظة واحدة هذه القضية للرئيسية - وإن النور الاساسي لتظلماتنا السيفاء هو أن يجل من هذا الهلاك إلى قصير وقت ممكن ، وإنما حماية وإيسر مجده شمان أراده .

إن علي تظلماتنا السيفاء أن يطلع حفره باستمرار من كل فرة يسور له مركزه أنه أعلى قدر من الشعب ، ومن أية فئة تصبور ، وهذا هو صفاء ، أن لها من تفرغها أو من المعرفة ما يجعلها أربع مكانة في حلبة فشل ، إن الشعب هو صاحب الفضل الأول والأخير ، في التصالح للثورة وصلاح الاشتراكية وبصاحب الصلحة في الثورة الاشتراكية .

والعل اعلم ما في ثورة ٢٣ يوليو كما يقول الخياط بحق - أن القوات التي خرجت من الجيش لتفديها لم تكن هي معقنة الثورة وإنما كانت أداة تعبئة لها .

والعل في هذه اللحظة ، وفي كل لحظة ، لتطلع في فخر واعتزاز وحب لثورة هذه القوات الباسلة ، التي ارتدتنا وابنتنا للصليبين كاطير المنيح إلى خفيرو القتال ، أباليهم في السلاح وميزتهم على العدو وقويم كلها ثمة وإيمان ، يتفوقون في إحسن من المعمر لشارة بده القتال والاعتصام ، أنهم يمتن الرسالة التي بدأها جيلنا منذ تسمة على علما عندما جمل من الجيش أداة الشعب التي تصوره وتمنوت استقلاله وعودته وتحمي بقاءه ويكفيه ضد كل معتد أو متآمر أي مخرب .

إن لجماعير في هذا المؤتمر يعتبر حداثا تاريخيا لا يهبطه دلائله أمد . فلما نجحت لامتثال لخط دمور تسعة عشر عاما على ثورة يوليو الخالدة التي صارت مبادئها جزء لا يتجزأ من ضمير الشعب ، ولما نجحت لامتثال فقط بمرور عشر سنوات على إصدار قوانين يوليو الجيدة ، ولتفويض طريق التنمية الاشتراكية مبيلا وحيدا للقضاء على التخلف الخروخ الطويل الأمد . لكن هذا المؤتمر ينفذ أيضا تحت رايات التضحية الشامخة - فعلمية للتصحيح التي أعلنها الشعب في ١٥ ماي يهيم مؤتمر هذا كثر مرة بارزة من شامرا - فقد كان من الضروري إعادة ثورة يوليو إلى مسارها الاصيل الذي اختله جمال عبد الناصر والذي وقف الشعب كله حارسا له ، كذلك كان من الضروري تمكين الشعب من يده مرحلة جديدة في ثورة يطلع منها إلى مستقبله القريب والبعيد . ولقد أثبت درس ١٦ ماي أن الشعب كثر هو الصالح والمدايع ، وأنه هو الذي قاد عملية التصحيح وإرجاعها إلى أساسها السليم تأسيسا على تفكيكنا الراسخة وهكذا بعبارة للمشي القريب والبعيد .

إن إضجاع هذه المؤتمر ، تعبيراً عن تصالح قوى الشعب العاملة هو إشارة واضحة إلى أن خطوة حاسمة انتهت ، فقد تمت بالمثل إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي بطريق الانتداب الحر من القاعدة إلى القمة ، وبشكل تنظيم سياسي حر بإرادة أعضائه الحرة ، لم يصطنع ولم يفرض من أعلى . كذلك تم وضع مبادئ للتصحيح الدائم ، وهادئة للشعب في أعضائها ، وهكذا أرسى الشعب حجر الأساس الدائم للمستقبل .

إننا بمستكمال هذه الخطوات تبدأ مرحلة مهمة من تاريخ ثورتنا ، هي مرحلة بناء الدولة الحديثة ، مرحلة بناء المجتمع الجديد الذي نريده لنفسنا ، مجتمع التزكية والأمن والعدالة والرفاهية ، فمن الحق أن نقول إن مؤتمر هذا ينفذ تحت رايات البناء من أجل مستقبل أفضل .

دور الشعب

لعمل مسؤولي العمل الثوري ، وكانت تجارب للشعب وأعدائه التي رسم التمثال الشعبي لخطوطها العامة في البداية الستة المشهورة ، هي النور الهادي لهذه الطلائع على طريق الخلال .

إن انتداب الشعب حول الثورة وتأييده وحمايته لها مثل اليوم الأول لقيامها كان العمل للصالح السليم نفسها واستمرارها . إن طلائع أية ثورة كيا كان حلفهم من الثورية وليس كان استعدادهم للتضحية لمتحمز من أن تتقدم خطوة إن لم يلف حولها الشعب وإن لم يمتها بغيره وحكمته وإن لم يصغر على حماية لخط الثوري وإن لم يزل بكل ذلك وطلائع ميدان العمل الثوري .

إن الثورة لا يمكن بقاء من الأحوال أن تكون حمل فرة أو فئة بل هي - ولكن تكون حقا ثورة - عمل جماعيري أولا وإساسا ، عمل الشعب كل الشعب ، وما كان ممكنا لثورة ٢٣ يوليو وهي التي قامت دون تنظيم سياسي شعبي ، ودون نظرية كاملة للعمل مع جفر ممكنا أن

إن مؤثرنا الحالي ينفذ مع احتفالنا بالعيد التاسع عشر لثورة ٢٣ يوليو الخالدة ، ففي مثل هذا اليوم منذ تسمة عشر عاما خرج زعيمنا جمال ورفاقه معتمدين على ذلك الشعب ، ليحفظوا أملا تاريخيا حملته الأجيال من شعبيا الفاد جلا بعد جيل ، عبر نفضله للتواصل ، عمل إقامة حياة أفضل لفرق أرضنا العربية للعبية ، حياة حرة كريمة طيلة من كل قود الاستقلال والتفعل في مختلف صورها المالية والمعنوية .

إن جمال ورفاقه لم يكونوا سوى طلائع ثورية تبنت في حقل التضامن الشعبي ، لم يكونوا سوى عدد من أبناء حشيتنا المعلم داخل الجيش الذي أراد له المستمر وتحمّل الصلابة والاطلاع أن يكون جيشا للشعب .

إن دم الشهداء عبر السنوات الطوال من التضامن ضد الغزاة الاجانب وضد تسلط المكام الصلا والاحتلال وراس المال هو الذي دفع بالطلائع الثورية من أبناء الشعب في الجيش إلى التصدي

تقييم الماضي

إن مؤتمرنا الحالي يتفق بعد اقتضاء عشر سنوات على إعلان قرأتين يوليو الحبيبة التي كانت تعبيراً عن لفتبارنا الواسع للمر طريق التنمية الاشتراكية كالطريق الحسي للنضال على التخلص الاقتصادي والاجتماعي من أجل بناء دولة جديدة ، دولة الكفاية والعدل ، أن التجربة العملية فوق أرضنا خلال الحرب السنتية الماضية لتثبت بما لا يدع مجالاً للشك سلامة الطريق الذي اخترناه لبناء حياتنا ، وتؤكد آمرون على أعلى قدر من الامعية :

الاول : هو ان ثورة التحرر الوطني لا يمكن ان تحقق معها الاصل في تحرير الشعب الا اذا اختارت للتحرر طريق الاشتراكية .

الثاني : هو ان الاشتراكية ليست بغير ان ترد وانما هي نهجيات محددة تروى للخصائص التي طال حركتها من حوافها المبرورة التي سبقت منها .

إن شعبنا بالرغم من مختلف الظروف الاستثنائية التي تعرض لها والتي بلغت ذروتها بالعدوان الصهيوني الإسرائيلي ، وبالرغم من المحاولات التفتيشية لكل القوى المعادية للاشتراكية في الخارج والداخل ، وبالرغم من كل الأخطاء ونواحي النقص ومحاولات الاضرار بمسيرة الثورة ، قد حقق من اللبؤات خلال الحرب السنوات الماضية ما لم يستطع تحقيقه في عشرات السنين .

النواحي الإيجابية

اقتصاديا

١ - تم بناء الصند العالي ، أعظم إنجاز في تاريخنا المعاصر ، فحقاق حلم الإنسان المصري منذ فجر التاريخ على السيطرة الكاملة على مياه النيل ، وأصبح في لغتنا أن نتج من الكبرياء ما يعادل كل ما نتججه في الدول الأوروبية كلها .

٢ - قطعت عملية التصنيع شوطا بعيدا واستمطنا أن نقيم قاعدة اقتصادية أساسها صناعات متعددة الفروع ويكفي تقديرا لاهمية ما تم في ميدان التصنيع أن نقارن شعبنا في سنوات الحرب العالمية الثانية وما عايناه من نقص خبز في المنتجات الصناعية بوضعنا الراهن ، وبعد أربع سنوات من العدوان ، حيث تقدم الصناعة المصرية للصناعات المنتجات الرئيسية ، لقد زاد انتاجنا الصناعي خلال الحرب السنوات بنسبة ١٠٧٣ ٪ ، وزاد معدلنا من الصناعة عن نفس الفترة بنسبة ١١١ ٪ في السنة .

٣ - زادت مساحة الأرض الزراعية بنسبة ١٧ ٪ في السنة في حين لم تزد النسبة

خلال النصف الأول كله من القرن العشرين على ٨ في المائة كما ارتفع انتاجنا في معظم المحاصيل الأساسية .

٤ - بلغت الاستثمارات التي تم تنفيذها في الطرق الصناعات الأخيرة مبلغا وتقدر بـ ٢٢٥٤ مليون جنيه .

سياسيا واجتماعيا

١ - تم إسقاط تحالف الاستعمار وحكم العملاء والاتطاع وقام تحالف قوى الشعب العاملة على أساس ضمان خمسين في المائة على الأقل من مقاعد جميع الهيئات المنتجة بمختلف مستوياتها للعمال والفلاحين وسائيرهم - كما نص الوثائق - لتلوي التي طال استغلالها وصاحبة المصلحة العميلة في الثورة .

٢ - تم تحقيقا لديمقراطية الانتاج اشراك العاملين في مجالس الإدارة من طريق الانتخاب وتخصيص أربعة أخصاص مقاعد مجالس إدارة الجمعيات للتعاونية بصغار الفلاحين .

٣ - تحلقت جهاتية الطمع في كل مستوياته وبلغت نسبة استيعاب المدارس الابتدائية ٧٥ في المائة من بلادنا من الأرقام ، وزاد عدد التلاميذ في المرحلة الابتدائية بنسبة ٧٢ في المائة ، وفي المرحلة الإعدادية والثانوية بنسبة ٩ في المائة ، وازداد عدد الطلبة في المرحلة العالية إلى حوالي مائتي ألف طالب .

٤ - وضع حد أدنى للجور ونظام للترقي والحوافز .

٥ - شملت التأمينات الاجتماعية جميع العمال .

٦ - اتسع نطاق الخدمات الصحية وبدأ مشرع التأمين الصحي .

٧ - بدأنا في اتخاذ سياسة التخطيط القومي كأسلوب طهي يكل تمينة كافة الموارد القومية وتحقيق أرشد استخدام لها .

في المجال العربي

أعادت الثورة إلى مصر نهجها العربي ومكنتها من أن تتصلب مسؤوليتها وأن تلعب دورها التاريخي كقاعدة للنضال العربي من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة . وكان توقيع ميثاق طرابلس - بالبرغم من كل التكتيدات ومؤامرات الانفصال - دليلا على أن جولة الوحدة لا يمكن أن تفشل ، وعلى أن تورها ذاتيا في قطر لا يلبث أن يشع في أقطار أخرى . ولقد أمكننا جوين الله وبفضل نضال الشعب العربي أن نقضي خطوة هامة أخرى على طريق الوحدة بإعلان قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية كتموزج متقدم ووالقى الوحدة الشاملة العربية .

في المجال الدولي

امتد إشعاع الثورة المصرية إلى إلمام العالم ملها شعب افريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية .

إن شعبنا العربي كالمهد به دائما عبر تاريخه الحضاري الطويل أبهى وهيتور الا أن يكون ملا ولدوة وأبى وشي ثورة التحرر الوطني ما وسعه الملاء .

ولقد كانت السياسة الخارجية لبلادنا انكسبا لأمنا وصالحا لمبدأ الوطني وكانت - كما رسمها الميثاق - تمتد في ثلاثة خطوط: الحرب ضد الاستعمار والسيطرة ، والعدل من أجل السلام ، والتعاون الدولي من أجل الرضاء . وبفضل هذه السياسة الثورية انحلت بلادنا مكانا بارزا في المجال الدولي وأصبحت في مقدمة صفوف الشعوب المناضلة ضد الاستعمار ومن أجل التحرر والسلام والرخاء . وعظمت سائر من المصادقات التي برزت قيمتها في أوقاها لشدة ، وفي القصة منها صداقة شعوب الاتحاد السوفياتي .

النواحي السلبية

إن لنا حقا أن نفر ونهتد بما أنجزه نضالنا الشعبي ، غير أن مجزئتنا التي شغلناها يجب ألا تنسيتنا نواحي النقص وما ظل مقلنا من إنجاز - أننا لا نعيش محمية أكسنا ، فلك وحده طريق نجش الإطباء ، إن ميذا النقد الذاتي الذي رفعتنا فلا واعملنا عملا لأه لا يكون سيئنا جميعا في تقييم أعمالنا على المستوى القيادة والمقاعة ، وعلى مستوى الفرد والجماعة .

إن نواحي النقص الأساسية يمكن إجمالها فيما يلي :

١ - لقد صورت الشطة النفسية الأولى كقسم من خطه عشيرة مغلها مضاعفة النخل القومي ، غير أننا لم نتج في تحقيق هذا الهدف بالرغم من أن معدلات التنمية خلال الشطة النفسية الأولى قد اتسرت إلى حد كبير من المعدلات المطلوبة لتحقيقه ، وربما كان السبب الرئيسي هو أن التخطيط القومي الشامل ، كلفسة وسياسة ، لم يلق الاهتمام الكافي الذي يرغ من كفاءة (مجهتة ويشد الوعي به بين المواطنين) .

٢ - على الرغم من الزيادة المستمرة في الانتاج إلا أننا لم نستطع أن نأتي بجميع احتياجات المعاشية التي 7 أتي في الأخرى وتنوع عاما بعد عام وذلك لثلاثة أسباب رئيسية : الأول أن تنسيتنا السياسية لم يأم بدوره كاملا في تروية المواطنين بقضية التنمية الاقتصادية وما تتطلبه من ضبط في الاستهلاك وزيادة في الانضار لضمان ازدياد الاستهلاك في المستقبل ، والثاني هو تخلفنا النسبي في ميدان المدو التكنولوجية وما عسانه للحكام عن أوضاع بيورافيا تكل

إعادة تشكيل التنظيمات الشعبية

ولقد كان أمراً طبيعياً أن تكون إعادة تشكيل مستويات الاتحاد الاشتراكي وجميع التنظيمات القاعدية ، من القاعدة إلى القمة بالانتخاب الحر المباشر . في الخطوة الأولى على طريق البناء ، ذلك لأن الدولة الجديدة هي دولة قوى الشعب العاملة صانعة الثورة وصانعة الاشتراكية ودور هذه القوى هو الدور الأساسي في عملية البناء وهي تقوم به من خلال تنظيمها السياسي وتحت قيادته ، ومن هنا كان أمراً حقيقياً أن يعبر هذا التنظيم حقا عن آماليها ، وأن يكفل حقا جهودها ، وأن يصمم حقا وحدتها الوطنية ، وأن لا يهمل نضج دولة الإنسان الحرمان يظهر تنظيمها متفوقه من مراكز القوى التي أتركت برسمال البهش والأرهاب والخيعة أن تكبت الحريات وتؤلف التطور الذي يهدد مصالحها الذاتية ، وتلت الوحدة التي تفتي أن تكتسحها حرية حيلة بمصالح الوطن ولا بخطرته المرحلة التي يعيشها ، كان لابد ونحن نعيش دولة الاشتراكية أن يظل تنظيمها يعبر حوله عن المصالحين والانتهازيين والمفسدين والمعادين للتحول الاشتراكي .

الدستور الدائم

وكانت الخطوة الثالثة أن يكون لنا دستور دائم يشترطه الشعب في أعداده من طريق النقاش الحر المقترح والمصادق التشاركي الخاضع بين مختلف قوى التحالف . وقد صغت لجنة الدستور الميثاق من مجلس الشعب وأجانبها من الشعب ما يزيد على مائة اجتماع وإقاء مع الجماهير ، كما تلتقت من مختلف أقاليم الدولة الذين وضعين السب اقتراح ، لأن الذي يلى على أن وضع دستور دائم كان مطلباً شعبياً ملماً ، وعلى أن الشعب يحسن على أن يكون هو واضع لصعود بلاده .

وقد استطاع مجلس الشعب من خلال استقلال واسع الرأي شمل فئات الشعب وطوائفه المختلفة ، ومن خلال عمل مشترك فيه نضج من التثقيف ومن الاختلافين والسياسيين والقائمين والانتهازيين والذين استطاع المجلس أن يرضي عدداً من المبادئ الدستورية التي تمنع أن

انظر مقال : الحركة القاعدية
البحرية وقضايا الوقت ص ٤٦

أن المصوغ الشعبي للأولاد
الاشتراكية بأنها ضد الحرية ، ولقضاة
مراكز القوى طمعت لهم في . العصر
وهذا الذي دعا الاشتراكية المتباكون
عليها المدعون أنهم حملة مشعل للناصرية
والاشتراكية منهم بريئة والناصرية بريئة
هكذا التلقوا مع أعداء الاشتراكية الذين
لم ترق الناصرية إلا للقضاء عليهم .

أن نواحي النفس والاحتراف ، وبما
عدد من القضايا مطلقاً لم يمل لا بحجب
الحقيقة للجورمية وهي حياثة شعبنا
ووجهه عندما ضرب بعنف ثورى مراكز
القوى ، ثم ضخامة ما آتته من انتفاضات
خلال سنوات الثورة ويوجه غلى العشر
السنوات الأخيرة . أن هذه الحقيقة هي
التي مكنته أن يفتح يوم ١٥ مايو باب
مرحلة جديدة من مراحل تضال الثورى .
مرحلة بناء الدولة الجديدة ، بل أن هذا
الشعب بأصالة حسيبه الثورى قد رفع
غداة للثورية في شهر يوليو شعار التغيير
وترجم الشعار في بيان ٢٠ مارس بأنه
للثورة الحقيقة . لقد إنبرأ الشعب
بمكته من الغزوة الصهيونية لثورة
مستمرة أن تنهض بتضليل الأرض
المستلة ، بل سطل قائمة تضدى جعلنا
وجيل لولينا ، وأنه لا سبيل إلى مواجهة
هذا العدو إلا بالقامة دولة حديثة مسلحة
مدنيا وعسكريا بأحدث أسس العلم
والحضارة والتقدم ، واللائق لشعبنا
على لتعصنا وطى أولادنا من بعضنا
بالثبند .

ثم كان من بين التحولات هذا الشعب
العظيم اسمها في قيام دولة اتحاد
الجمهوريات العربية ، وتلفخوة مهمة على
أصيلا من أمال الفضال العربى ، وهذا
أصايبا من أهداف ثورة يوليو وما من
شك في أن قيام دولة حديثة على أرض
مصر ، وفي مقل أمال الشعب العربى
وقاعدة فضاله ، وواجهته على إفريقيا
جوليا وأوروبا شمالا بعد دعامة مهمكن
دعالم قيام دولة الوحدة العربية
الصحيحة .

هكذا أصبح الامل الكبير الذى حلم به
الشعب المصرى منذ أمد طويل في متناول
يده بفضل تطور تضالته الثورى
ونجاحه . وأن لنا - وقد خلفنا مستوى
من التمرى ويصلح أصاها للبناء - أن نخرج
في اتحاد الخطوات اللازمة لتحقيق هذا
الامل وفق خطة مدروسة تمتد الملام
والوسائل لخلق أفضل السنوات المقبلة ،
وترسم يروض نود كل قوة من قوى
الشعب العامل ، ودور الاتحاد الاشتراكي
والتنظيمات الشعبية المناولة له ، ودور
أجهزة الحكم - خطة طرود ولكتها تبدأ
بالواقع . خطة يملق فيها فكرنا في
الافاق الواسعة ، القريبة والبعيدة ،
لنعال المستقبل ، ولكن دون أن يخيف من
انظارتنا واضنا الذى نريد أن نبني على
أرضه دولتنا الحديثة .

من قاعدته ، والثالث ثورية علة المكان
بمعل لتستطيع تحمله .

٢- جبرغم من الجهود المبذولة
والانوار الباطلة التي انفتحت على التضويم
ومن زيادة عدد الطبقة من مختلف مراحل
الدراسة إلا أن نسبة الأمية لم تتناقص ،
ونتيجة لذلك زاد عدد الأميين بسبب تزايد
عدد السكان .

٤- بالرغم من اتساع قاعدة الخدمات
المختلفة إلا أنها لا تزال أشقى من أن تمتد
للمجامير بجميع حاجاتها .

٥- بالرغم من ازدياد متوسط عقل
الرد إلا أن لحد الآن لا يوجد لاجور لايزال
كما هو عليه ، كما أن ارتفاع الأسعار
يتمس كل زيادة في الاجر .

٦- بالرغم من أن الميثاق وبيان ٢٠
مارس ، قد ضما إلى اقتسبال بعض
الإجراءات السياسية اللازمة لسمم
الديمقراطية والعمل الوطنى إلا أنها لم
تتطو ، ولكن منها على سبيل المثال :
الجانس الشعبية ، والجانس القومية
التخصصية .

ولربما كان أكثر ما واضحا واضحا فكريا
خلال السنوات الماضية هو ذلك التناقض
المصطنع بين الاشتراكية ونهرويلوى الذى
أقلعه أعداء الحرية والاشتراكية على حد
سواء أن مراكز القوى التي لا يكن لها
أى تأثير أو تأثير ، بل لابد وأن تتحقق ،
في جو الحرية والديمقراطية وجماعية
القائمة انتقلت من الاشتراكية وهو
حمايتها حجة لتكميم الآراء ، ولتسكت كل
صاحب فكر ولتتفرع على مساهم الشعب من
مفسوننا الثورى ، لكي تشق طريقها إلى
الانفراد بالسلطة والتحكم في مسير البلد
بما يعلق المصالحا ونزواتها حد شروها
الاشتراكية كما لو يرضوها أصدى
أعدائها ، ومجبرا عن انظر - الشعب ما
شيد من منجزات عظيمة وتضويبو في
تسكت الناس فيما حسمون رضى حدود
فضالهم ، فوقع الجيش فريسة للسلابية
وعبر انقلابا . لقد انصرفوا الهاب وأسما
أفكارهم الاشتراكية فتمسخت
المشروعات الأساسية للتنمية لمصالحات
مقتالية من الهجوم القائم على تلك الهوام
الخبث ، ونال الطاع العام - العمود
الفرى للتقدم والتطور - نصيب الأسد
من حيلة الهجوم والتشكيك وهو الذى قام
بالدور الأساسي في تحقيق استملاكنا
الاقتصادى ومواجهة مطلبنا - الحرب .

وأحد التشكيك إلى مساهمنا الخارجية
والى انتقالبنا إلى مسمى الضغوط
المتضلة من أجل التور والفضاء على
الاستعمار والى صدامتنا للاتحاد
السوفيتى الليل ويدات ترتفع أصوات
تتلى بالنقل عن التتية وأهملنا
الطموح وتضيق مجال الفلاح العام
وصوبة أمورا من القوى الاستعمارية
ولحق الأنوار (اسم استملاكات
أحكارنا) .

تكون أساسا لتحويله ككتلة الخروج
المصدر الدائم لجمهورية مصر العربية ،
ويخرج - بعد مرحلة مؤقتة - على
الشعب في استفتاء عام ليضعه من
أرائه الحرة المرة القرة التي تجعله مصدر
لكل القرارات .

وإذا كنا قد جلدنا اسم للجمهورية
الجديدة المستعدة وطعمها وتفتيدها
ومستقبلها العربية لامة وإيماننا بأوجب
عوى وقابل حريه ، نحن منه في مركز
القلب وفي موقع القيادة والمليمة ، فقد
تقدم منا أخوة الشقاء ليشاركوا حمل
الامة .. في الجمهورية العربية
الليبية ، وفي الجمهورية العربية
المصرية ، وقام الاتحاد الجمهوريات
العربية ليكون أقوى وقابل على استكمال
رسالة الوحدة العربية الشاملة .

لذلك كان من الطبيعي أن يحوط للشعب
الصوري إلى عمل أسم مصر العظيمة ،
مصر المؤثرة بمراسلها والمؤثرة بعروبها ،
والتي لم يبق لها تملها ، من أجل تحقيق
الوحدة العربية الشاملة ، واتصالا مع
ذلك ، جاء اللول الأول من تلبية
الاسامية ، مقارن أن مصر جمهورية
عربية ، نظائرها فيشرافى والاميراني
يقوم على تحالف قوى الشعب للامة .
والشعب المصري جزء من الامة العربية
تأخذ من أجل تحقيق وحققها الشاملة .

والثانية التي ردت على لصادة
أعضاء المؤتمر والتي تحملوا المبادئ
الاسامية لشروع دستور جمهوري مصر
العربية ، قد استقلت فيها من ميثاق
العمل الوطني ، ومن دستور سنة
١٩٦٤ ، هذا الدستور الذي يجرى عمله
تاريخية من مراحل تطورا ، وفي المرحلة
التي نحت الطريق لعملية الوصول
الاشراكي .

والثالثة إلى جانب ذلك ، تأخذ من
خروس التجربة التي مرت بنا منذ سنة
١٩٦٤ ، وتأخذ من فروس تكتة سنة
١٩٦٧ ، ومن بيان ٣٠ مارس وتأخذ من
كادته تعصف بالوحدة الوطنية ، وتأخذ
ولا أخيرا من الامة والشعب الكبرة
التي تلتقيها من المبادئ العظيم في
١٠٩ يناير سنة ١٥ مايو .

ومن هذه المبادئ والقيم يأتي اليدا
المستورن الذات مؤكدا أن :
للشعب وحده وهو مصدر السلطات
والشعب هي السيادة ، ويصون
الوحدة الوطنية ، وتكون ممارسة الشعب
للسيادة عن طريق الاستفتاء الشعبي
من طرق عملية على الوجه المبين في
الدستور .

وتأتي هذه المبادئ مؤكدة لمصلحة
تحالف قوى الشعب العاملة ، محمدا
لنور الاتحاد الاشتراكي المصري
ومخررة ، له التظيم السياسي الذي
يبدل بتظيماته القائمة على أساس لدى
الديمقراطية ، تحالف قوى الشعب
العاملة من الفلاحين والعمال والجنود

والثقلين والاشمالية للثانية . ومن
إذا هذا التحالف في تعميق نيسم
الديمقراطية والاشراكية وفي متابعة
العمل الوطني في مختلف مجالاته ، وبلغ
هذا العمل الوطني إلى أهدافه المرجوة .
ويؤكد الاتحاد الاشتراكي العربي سلبا
تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق
العمل السياسي الذي يقاتره لتتطويرة
بمسد الجماهير وفي مختلف الأجهزة التي
تتطلع بمستويات العمل الوطني .

ويبين للنظام الاساسي لالاتحاد
الاشتراكي العربي شروط العنصرية في
تنظيماته المختلفة ، وبمفاهيم محمسة
شاعها بالاسلوب الديمقراطي .

وهذه فتاوت هذه المبادئ المستورية
الكيم الثقافية والاجتماعية لاجتمع سليم
مصمم على أن يعيد بناء الحياة على
أرضه ، سليمة نظيفة مطهرة ، مبراة من
الشوائب الغربية عنه والمخلطة عليه .
فإن مجتمعنا مجتمع الاشتراكي والاشمالية
والامان ، وليس مجتمع التناقضات
والخوارات واللعن والفس في القلام .

وحصنت هذه المبادئ على ابراز
العمل إلى المجتمع وأهميته من حيث الله
واجب وفري تكله البولة لإثباتها ،
ويشع للتخطيط الاقتصادي الوطني الذي
يكل للقضاء على البطالة وزيادة ارض
العمل وربط التجار بالانتاج ، مع ضمان
حد أدنى للتجود ، حفاظا على سكرتي
معية العامل ، وحد اعلى لكل تقرب
الفرق بين الفصول في مجتمع قائم على
الكفاية والعمل ، وعلى تحقيق كفاية
الفرص بين ابلاته ، مجتمع يحكم العاملين
المتأخرين فيه ، يحكم أسر شديدة
وابنائه ، مجتمع تكل فيه للبرلة
التعليم ، وتنتهي الشهاب بدينا
وخلقا ولثقافة ، وتربط بين التعليم وبين
مجات المجتمع والانتاج .

وحماية لكل المكتسبات الاشتراكية ،
ودعما لها ، وحلها للظروف المتكسبة
لنيسم طاقها ، تضمنت المبادئ
المستورية تبيان الامس الاقتصادي
الاشتراكي للقائم على الكفاية والعمل
الذي يمنع كل أشكال الاستغلال ويهدد
إلى ترويب الفوارق بين الطبقات ، وتكيد
سيطرة الشعب على كل انوات الانتاج ،
وتحقق نصيب العمل في ادارة
المشروعات وفي إربانها وضمان تمثيل
العمال في مجلس ادارة وحدات القطاع
العام بما لا يقل عن نصف عدد اعضاءه ،
وأن تكون نسبة تمثيل صغار الفلاحين
وصغار الحرفيين ٨٠ في المائة من عضوية
مجلس ادارة التعاونيات الزراعية
وللتعاونيات المساعية .

ولم تقل المبادئ المستورية المقترحة
تأكد نور الضاع العام والقطاع التعاوني
والقطاع الخاص وحماية كل منها . مع
الضمانات اللازمة لها . وتأكيد سلطة
تحالف قوى الشعب العاملة على مستوى
القرية ، وتحديد الملكية الزراعية بما

يشع حماية الفلاح والعامل الزراعي من
الاستغلال .

واكدت هذه المبادئ المستورية ايضا
المعية العروة الثقافية العالية في منع
الظلم ، فكلت عن انشاء النقابات
والاتحادات التي تنظم على اساس
ديقراطي ، تتسامع في تنمية الخط
والبرامج الاجتماعية ، وفي رفع مستوى
الكفاءة ودعم السلفة الاشتراكي بين
أعضائها وحماية اموالها والناطق بين
الحقوق والحريات التي ينتج بها
الاعضاء .

ثم جاءت هذه المبادئ مؤكدة أن
الشعرية الاشتراكية هي اساس كل
العلاقات في المجتمع وفي الدولة ، وأن
سيادة القانون أساس الحكم ، واستقلال
للنقاء وحصانة ضمان السلفية لصحية
الحقوق والحريات ، وأن التناقض بين
مستويين متكامل للجميع ، ويظهر للنس في
الذين على منع سماع العادى أو في
تحمين أى عمل أو قرار عادى من رابة
القضاء تحريضا أو الفاء عن كمال
الانتاج عن تنفيذ الاحكام أو تعطلها
يبتدر جريمة يعاقب عليها القانون .

ولك اسببت المبادئ حماية خاصة
على الحرية الشخصية والحرية الخاصة
للمواطنين ، فأكست أن الحرية الشخصية
كل طبيعي لا يمس ولا يحد على أحد أو
يقتل أو في سكرته أو يمس أو تهدد
حرية الشخصية بأي قيد أو يمنع من
التنقل إلا بأمر قضائي مسبب تشرينه
شريعة التحقيقات وصيانة أمن المجتمع .

وأضحت المبادئ المستورية أن
الدمى العام هو الذي ينفذ الاجراءات
التي تكل سيادة القانون ، ويربع الاتحاد
على الحريات العامة والنظام الاشتراكي
والنكسب الاشتراكية ، والحفاظ على أيم
للمجتمع كمالا للشعب أن يسهم في الامة
المدلية بما يكل ديمقراطية الفضاء .

وقد جاءت هذه المبادئ مستجيبة
لرغبة أبنيتها ، وهي أن يكون رئيس
الجمهورية الذي يختاره الشعب بالتصويت
حر ميثاق حكمها بين سلطات البولة
وداعها إلى التقوم بمسؤوليتها على ككل
وجه ، يري للعدود بين كل سلطة
والأخرى ، بما يكل الامة علاقات صعية
سليمة بينها ، ويحقق إربان السلطة
بأصولية .

والخلافا من مبدأ ضمان التجسد
والتعديد واستمرار في تولي الوظائف
السياسية والتتالية وضع مبدأ في
مقضاء أن مدة الرئاسة ست سنوات
مبالية ، ولا يجوز التناصب ورأس
للجمهورية أكثر من حركتين متتاليتين .

كما جاءت المبادئ لتؤكد سلطة مجلس
الشعب في التشريع وفي رابته على
أعمال السلطة التنفيذية ، وفي إقرار
السياسة العامة للدولة والخطة العامة
للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، والنزعة

كل عضو من اعضاء مجلس الشعب ، والمجالس الشعبية المحلية ، ان يقدم للتأخير بينا عن نشاطه التسيبي ، واعنت للمخاضين من سحب الثقة من المجلس في الاحوال وبالشروط التي يحددها القانون .

وكلت المبادئ الدستورية للمجلس مدع حله خلال مدته الدستورية الا في حالة الضرورة ، واستفتاء شعبي ، وكلت ايضاً حماية الحكومة ، مع الاحتفاظ بمبدأ المسؤولية الوزارية الفرعية والتضامنية ، وذلك لدعم سلطات والتضامنية ، وما يمكنها من التعبير تعبيراً قوياً وعلوياً من ارادة الشعب ، وما التي تنتظرها على الطريق ، وذلك الى جانب تأكيد رغبة الشعب على كل السلطات بترسيخ دائرة الاستفتاء الشعبي ليشارة الشعب مشاركة ايجابية في صنع القرار .

واشادت المبادئ الدستورية المقررة لمجلسات اقتصادها واجتماعيا لمادة رئيس الجمهورية بالضرورة في جميع المسائل ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي ، كما تحللت تشكيل مجالس شعبية محلية ينفصل مسؤوليتها عن طريق الانتخاب المباشر ، لتلعب فيها السلطة تدريجياً ، وتدعم في اعداد خطة التنمية وتنفذها ، كما تراقب الانشطة المحلية ، وبذلك تضع من المبادئ التي يشهد لها الميثاق الوطني ، ويؤيد ٢٠ مارس ، موضح التطبيق للنظم .

والثا لثرجو - بعد موافقتكم - ان نسرع للخطى الى الصياغة النهائية لهذه المبادئ ونعرض بعد ذلك على الاستفتاء الشعبي في الرب وقت ممكن لنهذه بالمستمر الجديد عملية بناء الدولة الحديثة القائمة على العلم والايامن ، العلم الذي يطلع بنموها الاقتصادي على واسعة تدور بنا الى التقدم والرفاهية ، والايامن الذي يفرس في النظم الثقة بالة ، والثقة بكل فرد من ابناء شعبنا العظيم ويؤمن المستقبل للشرق عروقه العمل لجهد الوطن المركّز على الايمان .

تصور الدولة الحديثة

اسمعوا لي ان افصح امامكم تصوري للدولة الحديثة التي نشهد بنائها

● انما دولة الانسان الحر القنوت .
● بيوته ، ائتمن بكرامته ، المظن الى يومه وغده ، وشه ازلده .

● دولة - قوي - الضعيف - للمصلحة

صناعة التاريخ وصناعة الحاضر والمستقبل لا دولة الاثلية او الصفرية او النخبية المتنازعة .

● دولة مؤسسات شعبية توائم افراد احرار .

● دولة لا استقلال فيها للاتصان ولا تنافس بين الفرد والمجتمع ، ولا فضل ل احد على احد الا بالعمل .

● دولة لا تقتصر باستيراد بعض منجزات العلم الحديث بل تفرده فيها شخصية الانسان وثقافته وتنتج معارفه وتطلق قدراته ليقوم بنفسه منجزات العلم على افراده .

● دولة تصغر كل ما يحسن اليه العلم الحديث في خدمة المجتمع لمصير العمل متعة لا مشقة ، وعملية ابداع مستمر وليس تكراراً محلاً ، ووسائل انسانية وليس مجرد رسالة غربية لموصول على ريف الخير .

● دولة لا مكان للدية فيها .

● دولة تتزول عنها البطالة الى الابد وتوفر لكل من بلغ من العمل فرصة كريمة للعمل ، وتحقق لكل العاملين على مختلف مراحلهم من حماية البناء ومختلف تخصصاتهم ومهمهم ايجاداً مطروفاً في الدخل وارتفاعاً في الثقافة والطمح ، وتحسناً في ظروف المعيشة ، والسعادة في الخدمات بكافة انواعها ، وفرصاً حقيقية سهلة للتشغيل والادخار ، وتأميناً مجزياً لحشد الجموع والضيوف .

● دولة تقوم على الديمقراطية والتكنولوجيا المتطورة باستمرار من اجل زيادة الانتاج كماً ونوعاً ، وبمعدل نمو يرتفع باطراد من اجل زيادة الدخل القومي وبمعدل يزيد على معدل نمو عند المكان .

● دولة للمجتمعات المتنامية التي تربط بين مفر العمل والسكن ، وتوفر للعمل افضل ظروف العمل وفاق لحدث الاساليب ، والفضل ظروف السكن لترجع .

● وأخيراً وليس آخراً دولة القرية الحديثة . انما لا يمكن ان نتكلم عن بناء الدولة الجديدة للمجتمع الاشتراكي طالما ظلت حياة الفلاح منتج الغذاء للملايين والخدمات للملايين والصناعة . على ما هي عليه . ان أسلوب الحياة القروية للملايين الذين يكتنون غالبية الشعب لم يلمح تغيير حقيقي لاي مواءمات لاسلوب الانتاج ، ولا في السكن والذواء والصحة ولا في تحسين العلم والثقافة .

ان جانباً كبيراً من فلاحينا على الرغم من الجهود الشاقة التي بذلت في سنوات الثورة لا يزال يعاني من البطالة وانخفاض مستوى الدخل والتمية ، وسوء

التكنية والصحة ، والظلم على الفلاحين والمستقبل .

ان حجر الزاوية في بناء الدولة الجديدة من القرية الحديثة التي توفر لكل فلاح السكن الصحي الحديث الذي توفر لكل والاكرام والتي تمد في يدي ويديون استقلال بالخدمات الصحية والتعليمية والترفيهية والتي تخفف عن طريق تزويده بالالات عن مشاق العمل اليومي . ان يمكن الزراعة على اساس من التعاون الانتاجي المتطور في السبل الامثل الى زيادة الانتاجية والانتاج الزراعي .

ان الدولة الجديدة دولة يشعر فيها الفلاح انه فلاح مواطن لا يقل شأنه عن مواطني المدينة ، وهو امر لا يتواءم بالبرامه مواثيق المدينة ، ويمكنه الزراعة ، وبناء قرية جديدة مخططة تتوفر فيها المسكن البنا ، وخدمات العلاج والصحة والرياضة ووسائل الثقافة والترفيه ، وكلها امور ليست فوق طاقتنا بعد ان تم بناء لواءه وما يفره من كبرياء ويشد ان قام جميع الحديق والصلب وما يتلقاه من اكرام البنا وبمطورات التصنيع . ان كل ما نحتاج اليه هو العمل للنظم والنمو والايامن بالقرية .

لقد نص الميثاق على ان وصول القرية الى المستوى الحضاري ليس ضرورة ملحة بل ضرورة اساسية من ضرورات التنمية ان هذا اساساً من اهداف التنمية ابد وان يكون القوي الوارث بين القرية والمدينة ، وبين الفلاح والتميز الذين يمثلون محور تحالف قوى الشعب . ان هذه المبادئ تنبثق حتمية للسنوات الطويلة من التثقل التي مضت تحالفاً الاشتراكي والقطاع ، وما قامت الثورة لاسلا الا لتضي الى الابد على كل اثار التخلف ، والحرمان . ان مسؤولية تطوير القرية ومكنة الزراعة لا تقع على عاتق مكان الريف وجهته فحسب بل تقع ايضاً وقدر اكبر على الصناعة والجهزة المركزية .

ان الزراعة والصناعة هما القران الاساسيان للاقتصاد القومي ، وعلى الزراعة ان تطور بحيث تلحق بخطون الصناعة لكي يندم الاقتصاد القومي كلاً وتزود ويصره تحقق تامين احوال الحياة لسكان القرية والمدينة طويحنا سواء في التصرفات ممكن .

البرنامج والمهام

اذا كان هذا هو تصورنا للدولة الجديدة فان علينا ان نضع برنامجاً لتحويلها من خطة قومية تشعب مهام العمل الوطني لتفرد زمنية محددة في الحصر السنوات القادمة ، مطلقين تفكيرنا

**انظر مقال البحث العلمي :
الواقع .. المشاكل .. الحلول
ص ٨٨**

اول يوم يذهب فيه ابنائنا .. بناتنا المتألمات ، وأملته .. اليس مداهنهم الدراسية .. لهم لابد وان يصيروا من الدراسة عبر جميع مراحلها .. طبعيا وتربويا وان يساعد على نموهم وتقدمهم ، فكرا وجسدا .. واستعدادا لخروجوا الى حياة العمل والانجاز وقد تلقت عائلتهم على عالم الحديث وتربوا على حب البحث واكتسبوا القدرات اللازمة لاستيعاب كل ما يجد في ميدان العلم والاسهام في تطويره وتحسينه ودرسه في خدمة المجتمع

ان الباحثين تحدث عن تمثيل العلم كحق من الحقوق الاساسية التي ينبغي تكريس الجهد لتحقيقها لكن مواطن كان يبنى العلم كآخر ما يصل اليه الفكر الانساني في مختلف فروع المعرفة لا على زمان ولا مكان

لذا لا نستطيع القول بان العلم قد أصبح حقا لكل مواطن طالما تتوفر له الارزاق كفاية عن استيعاب كل من بلغ سن الارزاق .. وطالما لم يطلب معشدا في التمثيل على ما يتقاع من دروس خصوصية .. ان هذا الوبع فرق له يوصل التعليم .. رغم حاجته رسميا .. تربويا والقيمة المالية للبناء ، وبقى انه يمثل الكثيرين في طائفتهم .. الا ان له يوصل تمييزين مهمين : الاول انه يوصل في ايداء غير القادرين لشراء امين رغم ضخامة الاموال المستثمرة في التعليم والثانية انه يعد كثيرا من القراء أمام أبناء العمال والفلاحين وهم القليلات العظمى من الشعب والمصادر الطبيعية للعمل الثوري والقانوني .. ويمكن ان نلتمهم .. على خدمة الجماهير

٤ - ان صحة صياغة الفصحى يجب ان تكون هيفا دائما عن اهداف الدولة .. ان السياسة الصحيحة يجب .. تكون على تماثيل .. الاولى ان يكون الاعتماد الاول للفلاحين والعمال ثم اكثر تحسرا للفرش يحكم البيعة وتفرغ العمل واجهج الدولة ان تفرق لهم مواد البناء والتصميمات والخدمة الفنية اللازمة .. ولك ان الارزاق لان تخطى الى عهد بناء المساكن اللازمة الاجزاء بالقيمة للمصانع اللازمة لذلك .. ان هذا من شأنه ان يرفع في الوقت والمواد وان يتم للتفويض في وقت ممكن

٥ - ولذا كنا نقيم لفتحنا فرام - الجديدة لطينا في نفس الوقت ان

نعمل على تطوير لجمعيات للصناعة الهمة بحيث يصبح كل منها مجتمعا صناعيا متكاملنا يضم الي جانب المصانع ، اسكان الحديثة المعلقة في احياء سكنية توفي فيها جميع الخدمات اللازمة للعامل واصرفه من مدارس ومستشفيات وحواد وبحر للثقافة والترفيه ، وغير ذلك من خدمات الحياة الحديثة

ان هذه المجمعات سيكون لها اثرها الكبير في انتظام الإنتاج وزيادته ، وفي حب العامل لعمله .. ان الحق ما يولجها العامل هو مشكلة السكن ، والواقع هو اننا فرجنا في السنوات الاخيرة على ان نعالج مشكلة الاسكان من زاوية واحدة هي زاوية متوسطي الدخل ، ولم نؤتم الاهتمام الكافي بملكين للفلاحين والعمال فقلت للمشكلة قديمة .. على الرغم من ضخامة الاموال التي انقالت في تشييد المساكن .. بسبب اننا لم نحل مشكلة رعاية الشعب .. ولذا كان الحل بالنسبة الى الفلاحين هو بناء للقرى الحديثة ، فان الحل الحقيقي بالنسبة الى العامل هو ان يمكن بالقرب من مقر عمله ، فذلك كليل .. وان حمل له مشكلته الاخرى .. مشكلة افراسلات .. انه بذلك تتحقق له ثلاث مزايا : وفي في النقلات .. والاقتصاد في لواته وتخلص من مهام الانتكاث ، فيصل الى مقر عمله في موعدة ويؤمن اجهله .. كما يعد خدمة من القوات يستلجق ان يقضيها في نشاط اجتماعي او ثقافي

وتنويل اقامة هذه المناطق الصناعية المتكاملة طينا ان تخصص لعدد للفرش حصيله الى ١٥ في المائة من ارباح شركات القطاع العام بالإضافة الى ما تقسمه ميزانية الدولة كل عام لهذه القممات

لقد طرقت الفكرة فعلا في شبرا الخيمة .. وكلنا نعرف التخلل الضخم الذي كانت تعاني منه هذه المنطقة الصناعية الهمة .. ولكنها اليوم وتوجه لتطويرها وفق خطة متكاملة مخرجة ، أصبحت في وضع تتطلع اليه باقي المناطق الصناعية .. وواجبنا ان نحقق لها هذا الامر

لذا نلتفتنا لوضعين المرححين : بناء القرى الجديدة والقائمة للمناطق الصناعية المتكاملة لحق للعامل والفلاح .. وهذا عند قري الشعب العاملة - مستوى الحياة الذي يجب ان تفرق لراثة الذين يقومون بالشهر الاساسي في بناء الدولة الحديثة

٣ - يجب ان تقسم المرحلة الاولى من التنمية في هاية للقرى السنوات لجمع من بلغ من الارزاق تمهيدا لرفع هذافلسن الى ١٥ سنة .. والواقع ان قضية تطوير التنظيم من كخطر قضايا التحسين الذي يراجهنا ، نحن .. كما سبق ان قلت .. اكثر من غيرها ، لا امل لنا الا في العلم الحديث .. واتلم الحديث لا يبدأ في مراكز البحث والاكتشافات بل يبدأ مع

الاسس النظرية التي تستميتها وكائن فضاءنا الشهي : المثاق وبيان *مارس وبيان * يوليو ، وتخطيطنا من التراث العظيم لميرتنا الفنية خلال السنوات الماضية .. اننا حريصون على الا نجرنا امواج الاحلام بعيدا عن هاشية الواقع فنضي على الماء .. وعلى الا نرتبطنا بالحل الحذر قبلهه الشهي او نتركف والعالم من حولنا يلق

ان هذه الهام كما تصورنا هي انصبا :

١ - اعادة بناء قري الجمهوري خلال عشرين سنة بحيث يصبح لكل سكان الريف في هاية هذه القرية مساكن صمية جديدة موزعة بلقاء الفني والكهرومات ويصبح يكون لكل مجموعة من القرى مركز يتوسطها لتجميع الخدمات التي لا يمكن تفرجها في كل قرية على حدة كتصوير النقلة .. مصحات عيالات الالات الزراعية والمدارس الثانوية والعالية والمعاهد الفنية والمستشفيات العامة .. ثم وحدات لتسليم المنتجات الزراعية ليا

ان تكاليف هذا المشروع الشهي الضخم تبلغ حوالي ثلث مليون جنيه على اساس بناء اربعة ملايين وحدة سكنية جديدة لمسكن الريف الذين : ع عدمه حوالي مليون

ان القرية المصرية الجديدة يجب ان تشمل تخطيطا حيا حيا حيث قسم مخرجة الى اكثر يكون فيها مكان لكل اللطال للذين يلبسون من الارزاق وخدمة صمية ودية تقدم الخدمة الصميا لسكانها جديدا .. كما يجب الا تظل قرية بدون مياه نظية صمية ، وان تحصل الكهرومات في كل منزل وان تشم في شارع

وفي هذا الهام الصمي الضيف نتيج لنا الكهرومات فرصة اقامة المصانع الوظيفية والبيئية وفرص للتشغيل للثقافي والاجتماعي .. وبهذا يحق لنا ان نتطلع الى ان تصبح القرية المصرية في المستوى الذي يليق بالمواطن المصري الحر في الدولة الجديدة

ان تنفيذ هذا المشروع يتطلب ان نفحص له مدينا مبلغ قريه خمسون مليون جنيه ، ولابد ان يمدد التنفيذ على اسهام الامالي بجهدهم الذاتية وعلى الدولة ان تفرق لهم مواد البناء والتصميمات والخدمة الفنية اللازمة .. ولك ان الارزاق لان تخطى الى عهد بناء المساكن اللازمة الاجزاء بالقيمة للمصانع اللازمة لذلك .. ان هذا من شأنه ان يرفع في الوقت والمواد وان يتم للتفويض في وقت ممكن

٢ - ولذا كنا نقيم لفتحنا فرام - الجديدة لطينا في نفس الوقت ان

**انظر مقال : اليونانج : قسبانه
وآفاق التضال من اجل تفكيكه
ص ١٧**

الدولة دون استثناء ، أو تفرقة في
العامة ، وتتمتع برحاسا بسحب الرزف
حسبا بهدف الوصول الى الصبب نظم
الوقاية والملاحق يخلص الملاحق من مختلف
انواع الاستغلال التي يتعرض لها
بمسبب مرضه .

٥ - يكمل هذا ان تعمل التامينات
الاقتصادية جميع المواطنين ، ان امكننا
المرحى الى استثمار عيشه عيشة كريمة
اذا اقمه المرض أو العجز أو لاحت به
الشيخوخة ، والمطمانه الى انه لن يترك
اولاده للجوع بعد وفاته ، كما يجب ان
يحتل المكان الاول من اهتمام الدولة - له
حق من الحقوق الاساسية ، حق لابد ان
يؤدى الى صاحبه في كرامته وسبقه ، بله
حق وليس عنة أو استعلاء . هذا الى
جانب ان نظم التامينات الاقتصادية
وخاصة اذا شمل الجميع يترك قدرا غير
قليل من الدخلات التي يمكن ان تتحولها
في عملية التنمية .

٦ - ان الانسان الصالح هو عماد
عملية التنمية فلا بد من ان نهجه له
التفوق الخاصه للعمل ، وان نؤمن له
حاشيه ومستقبله لكي يحظى كل جهده
لعمل بزيادة الانتاج . وفي هذا السند
فاننى للصنوع ، ان شوء فترتها على
تتليق الخطة والمسير بها الى تحقيق
اهدافها ، ومن بينها زيادة الدخل القومى
بالملازم الموضوعة ، ان يأتى ذلك قريب
تدعى فيه للتفوق على عدد مساهلات العمل
ليسمح لروعيه شامة اميرها مع صاحب
الاجر على اساس اثنى وربعين ساعة ،
وفي ارضاع المملوئين الذين تجمعت
اجورهم .

ولقد ان الارزاق ، بعد انصاف الخلفاء ،
وفي ضوء ما اسفرت عنه التجربة خلال
السنوات الماضية ، ان يعاد وضع لائحة
للمعاملين بما يتعلق نواحي التصور ويتبع
لكل وحدة انتاجية مربة للتصرف وفقا
لطبيعة اوضاعها وتسايطها ، ويوجد
لتضمن الهادى التالية :

(١) نظام ملائم للملاحق والاعجازات
الاقتصادية والبرقية ، ويعود : بخص
اجر العامل بسبب مرضه . ان معادلة
للتعاضد عن طريق التفرغ لا تكون
بالملاحق الغير ونازف والملاحق عليه
سواء ، بل وضع نظام يكفل حسن
الرقابة ، ومجازاة المخالفين .

(ب) نظام جديد للتفرغ بالاختيار
يجب ان تكون الامنية المطلقة ليدأ على
الانتماء بالعمل والاندماج فيه ، ويعتمد لا
يكون الاختيار وسيلة غير مفعولة فترقية
من لا يستحق الترقية .

(ج) نظام الحوافز يوضع من مداما
ويحقق الغرض منها ويكون غير معقد
وقابل للتطبيق .

ويجب ان تؤل جميع التواريخ في
العامة بين العاملين باجهزة الدولة
والمعلمين بالمصانع العام .

مضاعفة الدخل القومي

ان التمسيد الوحيد الى تحقيق هذه
الاهداف هو مضاعفة الدخل القومى في
البشرى السنوات القليلة حتى نستطيع توفير
مجم الاستثمارات اللازمة للبناء .

انه هدف طموح غير لانه ممكن ولا
طريق غيره . ان تحقيقه يفرس طريقا ان
تعيد التفكير على اساس علمى نسي
استغلال مواردها بالقصى كفاءة ممكنة .
وفي البحث من موارده اخرى استغلها
فوق استغلال بذكر .

ان المصدرين الاساسيين لزيادة الدخل
هما الصناعة والزراعة ويوجه خاص في
بالد كيلاننا لتصنوعات طورية من مختلفه
والعلاقات الاجتماعية المبداية التي ارفقت
نموها . ولذا كذا لخص من بين اهم
اهداف خشتنا القليلة هدف تطوير الزراعة
ويمكنها الا ان قضايها تطوير الزراعة ،
بسبب طول تنقلها ، يحتاج حلها في وقت
طويل ، واعتمادات مالية ضخمة -
وجهود بشرية جبارة .

لذلك فان السعامة في سلعها الرئيسى
في عملية مضاعفة الدخل القومى ، وذلك
من طريق زيادة الانتاج بمعدلات عالية
بانتظام تزيد كثيرا على معدلات نمو عدد
السكان . ان حجم الانتاج لابد وان يزداد
زيادة كبيرة وبمعدرة بالصيغة لكل وحدة
عمل ولكل استثمار ، لسان لشهاج
احتياجات المعامير ومن يمايتجونه .
وان يذاد اجورهم ، لرفعاها بمصنوعين
وقاموئهم ، رهن بما يدره عليهم من
مشل . وليس من سبيل امامنا سوى
الارتفاع على اقصى وقت ممكن بالاتجاهية
الى اعلى مستوى ممكن بشكل مطرد .

ان هذه القضية كتشعب اعمية مضاعفة
اذا امضنا في اعتبارنا ان معركة المصير
التي نخوضها لفرس علينا فرضا ان
لخصص نسبة كبيرة من ثقلنا القومى
لخدم قولنا الصلحة التي تكف على لثم
استعداد لان لجدود قائم وللروح . فلذا
ما امضنا الى هذا الطرف المصيرى للتحقيق
النسبي في مواردها والمعدل العالي لزيادة
عدد السكان ، انتشع بما لا يدع مجالا
للجدد مدنى لاربابها لتفويتا بل ومجرد
استثمارنا بزيادة الانتاج والارتفاع
بمستوى الانتاجية .

البحث العلمى

هنا يلعب العلم والبحث العلمى الدور
الرئيسى . ان مجهزات العلم مهما كانت
عائلة ومهما بلغت من روعة تظل عديمة
الاثار ان لم تقدم للمعلمين آلات حديثة

انظر مقال : الاهداف المطروحة
للمعاملين .. لضماعات من ٢٩

والساليب جديدة للانتاج تصادم على توفير
في الجهد والوقت والتكلفة وتحقق في
نفس الوقت زيادة ملموسة في الانتاج .
ان لدينا العديد من مراكز البحث في
الجامعات والوزارات والعراكات
والديناميسية لا يستهان به من العلماء
والباحثين ومنهم من له مكانة الموزين
علماء العالم وباحثيه ، ولكن يتصامم
التنظيم ، ويتصامم ايجاد رابطة تتصليق بين
المركز بعضها البعض كما يربطها
جميعا وبثيقة بعملية الانتاج القومى .
ان الهدف الاول للبحث العلمى يجب ان
يكون الوصول الى تكنولوجيا صميرة
عمرية .

كما يقول الفيلسوف ..

« لقد تخلفنا من قبل من عصر البقال
والفن عصر الكويداء ، ولقد خلفنا هذا
التخلف لاننا لم نكن نلجج الاستثمارى
الرجعى في امر غرضه علينا ، كمناء ،
ومازال يتكلمنا الكثير ، ولاننا لم نلجج
الان . وعصر الذرة يشرق فجرة على
الدنيا ، ان لوبد الفجر مع الليل بدواوه

التخطيط

ان زيادة الانتاج والانتاجية للتفرغ
علينا ايضا ان نلجج اعتملا حقيقيا
بالتخطيط - للتخطيط هو عصب أية
تنمية لشهاجكيا . ولئن كانت جهود
المعامير وبمساعدتها في التي ممكننا من
بروح مبلانها ، الا ان استثمار التقيم
يتوقف على ان تربط جهود الملائين بعمل
تطبيسى مخطط . والتخطيط مطالب بان
يحقق التكاسب والتوازن بين الفروع
للتغلب على التصادم ، وان يوضع لاورات
الاستثمار بحيث تد اكبر ماله الى اقل
وقت ، وان يهدم بتطوير فروع الصناعة
القومية التي تحقق خشتنا في ثقلات
الانتاج وزيادة في حجمه .

انظر مقال : رؤية شاملة
لقضايا التخطيط القومى من ٦٥

مصادر أخرى للدخل

الصناعة

اذا كانت الصناعة في عصب الحياة
لذا الا ان هناك من مصداق للدخل ما
اعملناه ان ما لم نلجج به الاهتمام الكفى
ليس هناك من شاة في ان الصياغة في
بلدنا من الممكن ان تكون مصدرا اساسيا
من مصداق الدخل . لقد وهبنا الله مغلغا
ولطبيعة يتطلع اليها كثير من الشعب ،
وله خلف لنا اجداننا اثرا كانت ولازال
مستغل مركزا يترك الى التمتع بمشامته
كل المتحجرين ، ولقد اسحقنا بالبنابذل
لتنفيذ الثورى وما حصدت من مجهزات
حوال سترات الكورى محف انتظار الكورىين

من الطماء والمكرين والالاباء ورجال السياسة، ويريدون أن يروا باعيتهم ما يسمونه ويقرون عنه ، ثم نحن بعد هذا كله نشعب طيب كرم يحسن لقاء الضيف ويصعد بخدمته ، كل هذه عوامل أو تحسن استقلالها واقتصادها وبراسه وزيات السياح ورجالهم ، وسيلة لهم الانتال والقامة وأحسن استغلالهم ، ونخلصنا لهم البرامج السياحية التي تخدمهم ونامية حصروا مقابل ما تكلروا من فلكات وما قدومو من وقت قدرنا مناسبا من لائمة والتخالف دون مشقة أو استغلال ، لارتكنا ببخلنا من السيلة مائيا وألعينا الى أضعاف مامو بلية الآن .

• الخدمات التوفية •

ومن المصادر الأخرى للفعل التي يجب أن تضمن استقلالها استغلالها في مجال الخدمات التوفية والقيام بها من قبل خبراء المايين ذلل البترول من المويوس الى الاستكشافية وقد تم بمعدله الله بدير العقد النهائي للمشروع الذي سوف يدر فعلا كبيرا ويلتزم خدمة كبرى للتجارة العالمية ، كما أن مكائنا الجزائرية يتبع لخدمة الاستفاد من النقل البحري ؛ أن فرصة استغلال بحري بريد أسوأنا وأسواق العالم في سبب وانتظام فوق الله معلمة لازمة لتطور الاقتصاد الوطني ، يمكن أن يكون أيضا مصدرا هاما من مصادر الدخل .

تنمية الاستثمار

لك قد مدنا عند بدء الخطة لتخصيص الأولى من مساحة الدخل القومي كل عشر سنوات وكل يكاف مقدما يتجاوز إمكانية إنشاءه ، بل كان ضرورة تنميتها إمكانيةنا . وأن عدم تمثيلا لهذا الهدف لا يعني أن تخلى عنه ، بل يعني أن نعيد دراسة وأقننا وإمكاناتنا بأسلوب علمي يمكننا من تحقيقه خلال العقود السنوات القادمة .

أن مضاعفة الدخل القومي تعني تحقيق زيادة في الناتج القومي بقيمة ٧,٢ في المائة في المتوسط سنويا . ولقد كان معدل زيادة السكان خلال السنوات العشر الماضية ٢,٢ في المائة وتماثل أن يبيد في السنوات العشر المقبلة إلى أقل من ٢,٢ في المائة الأمر الذي يعني زيادة في متوسط دخل الفرد قدرها حوالي مرة في المائة .

إذا افترضنا من ذلك نصيبا ما يلزم لبرامجة الاستثمار العمومي وما يلزم للاستثمار أصبحت الزيادة في متوسط دخل الفرد حوالي ٢ في المائة سنويا . وأذا نتكاه وقام لها ماهر شيئا الكاتمة التي خلال عزماتها ومقالات طويلة من الفقر والجهد والمرض أن تقلل بأقل من هذا هدفا ، وذلك إلى جانب ضرورة استكمال القاعدة التكنولوجية للاقتصاد القومي . وهناك الصعوبات الثقيلة بكل ما تتطلبه من استثمارات ضخمة ، وضرورة توفير فرص العمل لحوالي ثلاثة ملايين من

العمالين يكثر أنهم سيقترون من العمل خلال السنوات العشر المقبلة . وأخيرا فإن تحسين أنماط تعاملنا مع العالم الخارجي ومواجهة مصادم ما يستحق علينا له ، يقتضي زيادة الناتج القومي بأطراف .

أن البطل الوحيد لشكلات التنمية هو المزيد من التنمية ، وذلك حقيقة الاقتصادية يجب أن نعياها سياسيا ونعنيها الجهادي حولنا لتلق بالبرصاد لكل من يريد أن يوفق في مضاعفة بدهوي الواقعية التي لا تستمد في حقيقة أمرها إلى الواقع .

أن تحقيق هدف مضاعفة الدخل القومي لا يتطلب أكثر من أن نزيد استثمارنا تدريجيا خلال السنوات العشر المقبلة حتى يصبح متوسطها السنوي بين ٥,٥ و ٦,٥ مليون جنيه . وهذا لا يعني أكثر من أن نرفع نسبة الاستثمار إلى الدخل القومي من وضعها الحالي وهو ١٢ في المائة إلى ٢٠ في المائة في المتوسط وليس في ذلك أنشأ هلو لكل الدول التي اجتازت مرحلة التنمية بنجاح في وقت قصير جدا مثل الاتحاد السوفيتي واليابان ، واستثمرت أكثر من ذلك . أن كل استثمار يخلق فائضا انتاجيا ، يجب أن يذهب جزء هام منه إلى الاستثمار من جديد ، أن التنمية تدور لنفسها إذا احسنت تهيئة الموارد البشرية . لقد زاد إجمالي الإنتاج في عشر سنوات وبأسعار ١٩٦٤ - ١٩٦٥ من ٢٨٢٠ مليونا سنة ٥٩ - ١٩٦٠ إلى ٢٨٢٢ مليونا سنة ٦٥ - ٦٥ والى ٥٤٠ مليونا سنة ٦٩ - ١٩٧٠ وذلك رغم كل المصاعب والأخطار والمخاطر فبعضنا استثمرت أعباء مصيبي حرب اليمن موعونا ١٩٥٩ ، وما نتج عنه دعم المجهود الوطني من أجل تحرير الوطن . إن في روسيا أن خلق في العشر السنوات المقبلة معدلات زيادة أعلى من ذلك ، أن ما نلحقه من زيادة في الاستثمار الس ٢٠ في المائة من الدخل القومي لا يعني أكثر من أن نقصن للاستثمار ٩,٢ في المائة من الزيادة في متوسط دخل الفرد للمقد لها أن تكون حوالي مرة في المائة سنويا .

ومن الناحية العملية يمكن أن تكون الزيادة المطلوبة في الاستثمار إذا نجحنا في اتخاذ الإجراءات الآتية :

• زيادة الفائض الذي يخصصه القطاع العام بترشيد تنظيمه ورفع الكفاءة الانتاجية ، واستغلال الطاقات الانتاجية المتاحة بالكامل . وأن ما حققه القطاع العام من نجاح خضع في القامة القاعدة الاقتصادية ليضعفنا على ثلاثة من شركة على بدل المزيد من الجهد .

• زيادة انتاجية العمل على المستوى القومي بمسبب مزيد من الصالة من الزراعة وتجهيزاتها الصناعية والتشييد

• تشجيع الاستثمار الخاص والمالي للتخلص من الأعباء والتعبير وتجنب الاستثمار الترفي بولي هذا الأمر باعتدال وتنظيمه المادية . دورا جالغ للصحة ،

أن كل مولدة جديدة يقلل إلى مالا يقل عن خمسة عشر عاما مستهلكا لا يضيف للإنتاج شيئا . وبشكل هذا التخفيض ، تخفيض مالي سليم يعبره المخدرات أولا بأول ويوجهها للتنمية .

• الاعتماد بتطوير مبرمج للخدمات الدولية التي من شأنها أن تدر عائدا مرميا وكبيراً ، في مضيقها ، وأنشطة مثل البترول والنقل البحري .

• التوسع في الاعتماد على الجهود الذاتية للجهاديين ولا سيما في قطاع الخدمات . أن وهي الجهاديين بأهمية التنمية ، وإعساها بما تملكه المباشرة عليها يمكن أن يمددوا على الأمصار في مشروعاتها ليس بلال وحده ولكن بالمد . وأن خفض التكلفة وحسن أداء الخدمة للجهاديين ولعلنا دورا حيويا في هذا المجال .

دور الصناعة

أن تحقيق هدف مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات يتطلب تحقيق التالي في الصناعة والزراعة بوما من شأنه أن يمددنا لتعمل اللعبة الأصاصي بوبراسة إمكاناتها الممو في الصناعة خلال العشر سنوات القادمة تبين أن الإنتاج للصناعي الذي يبلغ عام ٦٩ - ٧٠ ١٢٢٢ مليون جنيه يجب أن يبلغ في ٧٩ - ٨٠ ٢٦٢٢ مليون جنيه أي زيادة بنسبة قدرها ١٢٠ في المائة ومن أجل أن نتكهن الصناعة من أن نرادر بناء أندولة الجديدة احتياجاها من مواد البناء يجب أن تحقق الأهداف التالية في المنتجات الرئيسية :

• الصلب من ٥٠.٠٠٠ طن عام ٦٩ - ٧٠ إلى ٢ مليون طن في ٧٩ - ٨٠ .
• الاسمنت من ٢.٩٠٠.٠٠٠ طن عام ٦٩ - ٧٠ إلى ٦ ملايين طن في ٧٩ - ٨٠ .

• البترول الخام من ١٥.٠٠٠.٠٠٠ طن عام ٦٩ - ٧٠ إلى ٦٥ مليون طن في ٧٩ - ٨٠ .

• المنتجات البترولية من ٢.٩٤.٩٥٠ طن عام ٦٩ - ٧٠ إلى ١٦ مليون طن في ٧٩ - ٨٠ .

• الكوبرا من ٧.٠٠٠ مليون كيلو وات ساعة عام ٦٩ - ٧٠ إلى ٢٠ مليون كيلو وات - ساعة عام ٧٩ - ٨٠ .

• الاسمدة الأزوتية من ١.٣٢.٠٠٠ طن عام ٦٩ - ٧٠ إلى ٣,٢ مليون طن في ٧٩ - ٨٠ .

• الاسمدة للفوسفاتية من ٦٠٠ ألف طن عام ٦٩ - ٧٠ إلى ٥.٠٠٠.٠٠٠ ألف طن في ٧٩ - ٨٠ .

هذا في جانب النمو المستد في كافة قطاعات الإنتاج الصناعي بما يحقق منه الاحتياجات التنموية والمزودة للمواطنين من السلع الاستهلاكية .

وبالإضافة إلى هذا كله ، بدأ تفكيك مصنع الازينوم ، ومجمع الحديد والصلب، ومجمع البتروكيماويات لتكون إحدى النظم الأساسية للتنمية الصناعية في المستقبل .

وبتدعيمنا الانضمام هنا أن نشير بالفكر العميق البعيد السوفياتي المصنوع الكبير ، لنا ولكل الشعب العربي ، فإن معارضة المصلحة لنا غير المشروعة بأي شرط في تطوير اقتصادنا القومي في مختلف مجالاته وبوجه خاص على سبيل المثال لا الحصر الثقافية المتنامية الأخيرة ، لنمثل سدا رئيسيا لنا في تحقيق أهدافنا وبناء بولتنا الجديدة ، وأسماوا في أن تقدم باسمهم كمدلولي الشعب والشكر والعرفان التي الاتحاد السوفياتي شعبا وحزبا وحكومة متميزين له نواب الرأي والتقدم .

دور الزراعة

إذا كان انطلاق الانتاج الصناعي الى هذه الفترة الجديدة في السبيل الأساسي لتحقيق أملا في بناء مجتمعنا الحديث والمتطور ، فإن على الانتاج الزراعي أن يقوم هو أيضا بدوره في مجال مضاعفة للتحلل القوي لتحويل الانتاج الزراعي عام ٦٩ - ٧٠ - ١٩٧٥ مليون جنيه وعليه أن يبلغ في عام ٧٤ - ٨٠ - ١١٠ مليون بقيمة زياطة حوالي ٥٠ في المئة ، ولا شك أن تحقيق هذه الزيادة ممكن بالمسائل التالية :

١ - الاستفادة الكاملة بمياه الصه العالي من أجل استكمال استصلاح الأراضي واستزراعها .

٢ - تطوير الزراعة بأسفار المكنة وميائل الزراعة الحديثة .

٣ - تحسين التربة - واستخدام أحدث وسائل الري والصرف والصميم .

٤ - إعادة النظر في التركيب المصنعي ، فإن شيق مسلة الأرض وإنتاج تكاليف الاستصلاح والاستزراع ومتدلت زياطة محاصيل تحمي أعلى حادته ممكن .

القطاع العام

إن القطاع العام هو لفة للتنمية الاقتصادية في قطاعا ، لله القطاع الثالث . وقد أثبتت التجربة المصرية أننا لانتسار الكفاءات الاداريات الفنية بمقد قام القطاع العام منذ أول يوم من انشائه على اكتاف مجموعة من المتعاضد الوطنية

المتزايدة وأصلحت العمل بكفاءة واستحداث أن تزداد صرح الاقتصاد القومي وأن تنقل بلدنا لأول مرتبة تاريخيا من بلد زراعي الى بلد صناعي نقضت على القرافات التي ظل الاستعمار يروج لها سنوات طويلة من أجل يلد لا مكان للصناعة على أرضه . غير أن المسألة الرئيسية هي إيجاد الجود الخاتم الذي يجب أن تعمل في ظله الإدارة بحيث تستطيع أن تستغل الموارد المتاحة والحلقة استغلالا شديدا تتحقق معه تنمية القدرات الإنتاجية للمجتمع بحيث ترتفع بالعمل البشري الى مستوى الفصل السياسي الواعي بالأهداف التي تطلع إليها جماهير الشعب .

إن أساس الإدارة الرئيسية ، هو الحرية والمساواة ، للحرية في اتخاذ القرارات ، والمساواة حين تحقيق الأهداف المحددة جميعها والنسبة ، ولا يجوز أن تتدنى وظيفة الأجهزة الإدارية الحكومية دور للتنمية والمساعدة على حل المشاكل ولكنه دون تدخل في القرارات والأجراءات التي تتخذها الإدارة . إن هذا هو السبيل لأن يمين للقطاع العام على مستوى من الصلاحيات الاقتصادية بعيدا عن البيروقراطية والقيود الإدارية المتشعبة .

إن إشراك العاملين في الإدارة كمر على أقصى درجة من الأمية بأنه أولا تحقيق على للممارسية ، ثم هو ثانيا حين الصلاحيات المهمة لزياة الانتاج ومقايمة تنفيذ الخطة . إن إشراك العاملين في الإدارة يصبح مجرد شعار إن لم يترافقا في منطلقه خطة وحسبهم وإقرارها وإن لم يلمحوا مبررهم في اللامية أثناء التنفيذ وبعد انتهاء فترة الخطة - اللهم يستعملون من هذا الطريق ، لو التمس ندم الغرض ، أن يتقدموا بكثير من الاقتراحات المفيدة وحيد من المصطلح الذاتية لمشاكل الانتاج ، أن اشركهم في التخطيط لمساعد على القيمة الخطة من ناحية يروى سلامة تنفيذها من ناحية أخرى .

إن هذا الانسحاب في الإدارة ، الذي يجب أن توضع له الأشكال التنظيمية المناسبة ، يزداد دور لله من صمسة العاملين ويكسبهم الثقة ومحاسنهم وتجاهداتها ويشعرهم بأن علمهم تسلم ويحس ، ولكن ماله حقيقيون لومستل الانتاج ومنظرون لأهداف الشعب على نفس الوقت . ولقد قمت بتسمية ليجان الانتاج في شركت القطاع العام الفليل للعمل على ما يمكن في يذيه إشراك العاملين من خلال تنظيماتهم في إدارة الانتاج من تنفيذ لوجيكية عممة .

وكذا كان القطاع العام هو للقاعدة الأساسية لنظامنا الاشتراكي فلتنا يجب

نظر مقال : القطاع العام ونيجر طاية الانتاج ص ٧٤

إن تكون والاشيخون أيضا إزاء القطاع الاقتصادي والقطاع الخاص .

إن الملكية التشاركية لابد أن ترقى على مضامين لشراكي ، قلنا ليست مجرد جميع لعند من التزاد من أجل حل مشاكلهم فيها يحمل بالاستفادة أو الحصول على الخدمات أو تسويق ما يتجهون - إن هذه الأمور على أميتها لا يجوز أن تقتصر عليها وفيها التعاون ، إن لابد من تطوير وفائدة بحيث يصبح تعاونا للتجربة سواء في الصناعة أو الزراعة - إن هذا هو الطريق إلى إقامة علاقات إنتاجية متقدمة تدفع بالإنتاج والعام وتتمس فيما لاجتماعية جميعها والسبيل للتعاون هو حرية الانضمام وانتماء مجلس الإدارة لتفاهل حوزا بحداتها .

ولقد وجد الكثيرون يوشحون بون القطاع الخاص ومجاهداته ، وفي أن ثوابه له ، حين تريد أن يولد في الصلاحيات اللازمة التي يولى بدوره العمل في خطة للتنمية وتمت الملكية للشعبية . إن موقفنا القائل من القطاع الخاص قائم على أساس دوره اللزاة لعملية التنمية لا بد وأن ليس له هدبا القيام بمهمة إن ترسم له مبررهم خط سيره .

جهان الدولة

إن لجهان الدولة دورا مهما في عملية التنمية ، والدولة الجديدة فهي جهزا يكون جميع أجهزته لاجتماعية فهي جهزا لمجاهدين لا سيما لها - ولم يلد كليا نفا فيها جهان الدولة منذ آلاف السنين ، وتجرى في ظل حالات بيئية جديدة مختلفة إلى أن الاستعمار - ليجان أن يترك تحقيق هذا الهدف الصناعي للتدوير المسعة أو لجزء تقنين في القواعد ، بل لابد من حصل ثوري عظيم ومحدد استساؤل للظاهرة من جذورها فبيده تنظيم الإدارة الحكومية كلها ويحدد الستراتيجيات بحيث لا تتعارض ، ويرسم طرق الاتصال بين مختلف الأجهزة بحيث لا يثرب العمل بين سرانيب الدوائر ، ويضع مواصفات للوظائف الادارية والقدرات اللازم توفرها في شافيتها ونظاما للجزء الاداري . ويحدد بشكل قاطع ووضع نوع العلاقة بين الأجهزة المركزية والأجهزة المحلية .

إن وضع لجهة الدولة في خطة الشعب لا يمكن أن يتحقق بدون تأييد وقاية الجماهير عليها ومنع لثوابين من خلال تنظيمها للتحق في أن يلبوا في أقصى العام علمنا يرون انحرافا عن القانون أو سوء استخدام السلطة ، ولابد وإن تفتح الأبواب إلى تولي المناصب الفنية أمام المتعاضد الشاكية الخطة ويوجه ضمام من انتماء للمصالح والفلاحين .

إن الجهلي الشعبية تستطيع أن تلعب دورا مهما في تطوير جهان الدولة فهي - كما قال البلاط - أكثر على الأصحاب

يتكامل الشعب والكنز على عليها بولقة أن الاران لكي تتكون هذه الجاهل بالانتخاب الحر المواجه . كما لابد أيضا من تكوين المجلس القومية المتخصصة كهيئة علمية استشارية ويحتل ترتيب بمرآكز البحث العلمي ومجاهده .

هذا هو تصورنا لاملنا وامل، نضال الشعب المصري منذ بدء النضال وذلك هو تخليقنا للدماء اللازمة للسهر على طريق تحقيقه . غير أنني للأسرcher على طريق المهمة على سموها ليست بالمهمة الصعبة ، ليست من الجاهل التي تتعاقب بالفتنة ، وإنما هي مهمة لا طريق لها إلا بذل الجهد والعرق ليل نهار ، ولربما كان في الشعب من اجلها ناجية من لرامس سموها .

أن طينا جميعا ، فريدا شروء ومؤسسة مؤسسة ، القوة والاصلاح الاشتراكي والتغييرات التغييرية الصاعدة والهابئة ، وكل التغييرات التغييرية الصاعدة ، أن طينا جميعا أن نبدل كل ما في خاثلنا من جهد ، لا مكان بيننا لتكسر أو السلب أو التخلي أو التخلي ، وإنما لكي نؤتي جهودنا شأرا لا بد وأن نتفهم برامج تفهيدية مفصلة موزعة على فترات زمنية محددة ، على أن يشهدا جميعا ختلنا مدة كل منهما خمس سنوات ، وعلى الحكمة أن تشرع على الفور على اعداد القطة القومية الشاملة مؤسسة الاهداف والاهل والمسائل التي تشرت اليها ، على أن تتكون من الاهداف التفصيلية لمرحلة الخمس السنوات الأولى في خمس سنة ظهور على الاكثر بحيث يفرش مشروع القطة على اللوحة المركزية لتناقضته واقاربه في شهر فبراير المقبل ليتم ابراج الاعتمادات اللازمة في ميزانية ٧٢ - ١٩٧٣ .

الاقتصاد الاشتراكي العروبي

ان الاتحاد الاشتراكي العربي له تم يتأخر لاول مرة في تاريخه عن طريق انتخابات برلمانية على يد الشعب من أي قسطن من جانب السلطة وهو ما يجب لنا جميعا أن نلتفت به ، ان هذا في حد ذاته خطوة بالغة الأهمية ، إذ هيأت للجهامير فرصة اختيار قياداتها بنفسها ، غير أن هذه الخطوة على أهميتها لا تكفي وحدها ضمانا لأن يكون الاتحاد الاشتراكي القبط الذي فريده ، التنظيم الذي يهد نضال تحالف الشعب في الحركة المصرية والعراق من أجل البناء ، ان الضمان الحقيقي هو أن يرتبط العمل السياسي ارتباطا كاملا بالعمل على تنفيذ القطة والنظام كل وحدة أساسية وكل معنوي من مستويات التنظيم يتعاقب اعدادا محددا في فترات زمنية محددة ويجب أن يكون هذا هو أساس تجميع الأفراد والجهان والمستويات ، الأمر الذي يلتزم طريقا طبيعيا وغويا لبروز العناصر القيادية على أساس من الاستيعاق والجدارة وثقة الجاهمير ، بهذا الأسلوب

للعمل السياسي وبالسلوك الاشتراكي الصحيح ، يصبح التنظيم يحق تنظيم الجاهمير الخادم له لا للتسلط عليها .

ان العمل السياسي ليس شعارات ترغ في تشجيع ، وليس اصطلاحات وتعبيرات تريد من غير طلب دون فهم أو وعي ، وليس حشدا للناس في اجتماعات يتأثر فيها للخطباء والتكلمات ثم يقف الناس فلا هم تكلموا ولا هم استمعوا إلى من تكلم .

ان العمل السياسي عمل ، ولكل عمل برنامج ، ولكل برنامج اهدف ووسائل ، والاهداف لابد أن تكون اهداف الجاهمير ، والجاهمير هم وسائل تنفيذها ، لأن لم تكلم لفهم وإن لم تعرف اهدافهم ، وإن لم تحس امالهم والاهم كذا كالتعبيل المسئلة . وإن عرف وإن تحس إلا إذا عشنا بينهم وأما بشرتهم .

ان سيادة هذا الأسلوب للعمل السياسي تتطلب تحقيق الاسس التالية التي اتفقت عليها والتي جرت على اسمها الانتفاذات :

١ - الوضوح القوي الكامل لطبيعة المرحلة التي نمر بها وما نلزمه من مهام وواجبات وما يوصدها ، يحكم طبيعتها من جوانب مساعده ومضادة وكيفية التصرف ازاها .

٢ - إقامة البؤرة الداخلي للتنظيم بحيث يخدم الخط السياسي ويضمن الوحدة التنظيمية والتواصل الطبيعي للمستويات القيادية والاتصال بالاهل والفوري بين المستويات المختلفة ، وبين التنظيم والجاهمير ، وتكوين مكاتب فنية متخصصة في مختلف لوجه القطة كمد الاجزة السياسية بالمعلومات والدراسات اللازمة التي تساعد على اتخاذ القرارات .

٣ - سياسة مبدأ الديمقراطية في الحياة الداخلية للتنظيم ، ان الأسلوب السواء والملائم داخل أي تنظيم سياسي هو الذي يحدد بالتوجيه أطرب تعامله وعلاقته بالجاهمير . ان تنظيميا يقوم على التوكيدات والفرش واصدار الأوامر دون ملاحظة ، لا يمكن بحال من الاحوال أن يكسب الجاهمير ، ولا يمكن إلا أن يتعالى عليها وإن تقلب الجاهمير هذا التعالي منه بطبيعة الحال فلتفقد من حوله . ان التنظيم السياسي بالنسبة للجاهمير كالتبيل بالنسبة للأرض الطيبة ان اجئت منها ذيل وماتت كثيرة خبيثة اجتحت من فوق الأرض مالا من قرا . ان الديمقراطية تعني حرية الرأي والتعبير لكل عضو وكل مستوى ولكل قوة من قوى التحالف ، وإيجاد الظروف للامانة لشارحة هذه الحرية ، كما تعني حق النقد وممارسة النقد الذاتي .

ان الديمقراطية في العمل السياسي الوحيد ضد ظهور مراكز القوي ضد الشللية وضد الرأه ، لرد أو مجموعة من الافراد .

ان الديمقراطية في الطريق إلى الجاهمير ، فليقتض جماعية القيادة في

جوهرا سوى اتخاذ القرار على اساس من الخبرة الجماعية للاعضاء ولا سبل هذا إلا يتج باب الصراع حرا حول القضايا المثار أمام جميع المستويات .

ان الديمقراطية في المناخ الذي تترسب فيه العناصر القيادية الجديدة .. انها باختصار جسده التنظيمي وروحها .

٤ - وضع نظام قوى الترابط والخاصية وحده الحقوق والواجبات لكل عضو وكل مستوى ، ويحدد طرق الترابط والجزاء ويحدد الفرص كالمناخ من النفس بحيث لا يؤخذ العضو بالشبهات والشائعات أو بمدى قربه من هذا المسؤل أو بعده عن ذلك .

٥ - وضع خطة للتنفيذ الإصفاة وتربيتهم سياسيا وتنظيميا وفكريا وتخليق ، والاساس الفلسفي لتخليق هو الانتفاء الكامل للجاهمير والروح معيا الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا ارتبط بالتنفيذ بالواقع ، وبالشاكل البيئية ، وبالشاكل البيئية ، وبالشروط التي يعيشها الناس ويحتركون في ظلها ويتصرفون بتأثير منها .

٦ - مهمة التنظيم هي تزويد العضو بمنهج نظري يستعمله في حل مشاكل محددة ومعارفه على حسن التصرف ازاء القضايا الطارئة ، وما كان للتنفيذ الثوري في يوم من الأيام حفا لنصوص صماء أو ترحيلا على لاجرات ماثورة ثم يرسى المشاكلكاتة ويصير ازاها الناس على من طريهم أو يحرمهم فإذا اخطاوا التصرف عيابهم والحب لينا .

٧ - قيام تنظيم طبيعي ، كما نحن اليانح ، داخل الاتحاد الاشتراكي جميع العناصر القيادية التي ظهرت أثناء العمل بين الجاهمير من لول تلبية لاهل البرنامج على اخلص وثقان وإنكار للادات ويظهر تطلعي إلى جزء أو جاءه من منصب ، فلتق به الجاهمير وتقتل من حوله ، ويجب أن يكون جهازا عليا .

انه جيل على لان الاشتراكية لا تبنى سرا والحرية لا تتحقق من وراء ستار . ان حرية الاختيار تعني في النهاية ولاء الشرائع لاختاره لا للقيضة ، تعني انزال الاختيار من الجاهمير وتعاليم عليها فقيس على التي طمت به إلى القاية ، تعني الليبرالية والفساد الفلسفي والتاسر . ثم لماذا الحرية ؟ قيم القوي ومنع إذا كان الشل حقا من أجل دعم الحرية وبناء الاشتراكية وحل مشاكل الجاهمير ..

ان الجهاز الطبيعي كما اراده اليانح جهل بشر الفكر الاشتراكي بالتخليق والعمل والاساءة ، يؤمن بالجاهمير وديرتها ، يعيش بينها وتعلم منها ويعلمها ، ينظمها ويترتب وروحها ويهيم بلقائتها من أجل التحرك ومن أجل البناء .. فكيف يمكن أن يكون سرياً ؟ ؟

انظر مقال : التنظيم الطبيعي ضرورة بعد بناء الاتحاد الاشتراكي ص ٣٩

المهام الرئيسية للاتحاد الاشتراكي العربي

بهذا الفهم للبناء التطبيقي للاتحاد الاشتراكي ولاسلوب عمله وأسلوبه أصبح بإمكانكم تصوير المهام الأساسية التي يجب أن يركز عليها اهتمامه وإبعاده بمهيتين محدبتين لما لها من أهمية بالغة والتي تنبثق من تطوير اقتصادنا القومي، وهما مهمتان لا يمكن أن تتزلزلا أجهزة الدولة وحدها، ولا يمكن أيضا أن تتركهما للشعبود الفردى الجماهير، وأغنى جهاد محو الأمية وتنظيم الأسرة.

• محو الأمية •

إن تصور بناء دولة حديثة والكلام عن تطوير البحث العلمي والارتفاع بمستوى الانتاجية في بلد خالية سكانه من الأميين يعد ضربا من الخيال إذا لم تبدأ على الفور حملة واسعة وجادة لا تتوقف لحظة من أجل القضاء على الأمية.

إن نسبة الأميين تكاد تكون ثابتة ولكن عند الأميين يتزايد بسبب زرايد عند السكان. إن محو الأمية واجب إنساني إذ لا حرية من الجهل، وهو أيضا واجب قومي وشروط من شروط تطوير الاقتصاد وزيادة الانتاج. إن جماهير الشعب من القوة الانتاجية الرئيسية ولا تجاه لعملهم إن لم يكن على قدر كاف من المعرفة والثقافة العامة. إن الانتاج الصحيح إذ يطر على بساط البحث فسيأتي الاقتت والتكنولوجيا يطر على نفس الوقت القات الملعبين الذين يصنعون الآلة ويستعملون التكنولوجيا. إن أية عملية تنمائية في النهاية مهما كانت بسيطة صلبية تكتيكية.

إن واجب محو الأمية لا يمكن أن يكون واجب الفولة وحدها فالهمة أضخم وأوسع من أن تقوم بها مفردة أجهزة الدولة. إن على الدولة أن تصمم أماكن تجمع الأميين وأعدادهم وأن تتقدم الامكانيات ولكن صلب المهمة من صميم عمل الاتحاد الاشتراكي والثقائيات والمالية وعلى الاتحاد الاشتراكي أن يضع خطة تحدد هذا لكل سنة وتقوم على الطروح والجهود الذاتية.

ومن الممكن في هذا للسند أن يكون من أسس تنظيم نشاط العضو الجديد الذي يولد به من أجل محو الأمية، ومن الممكن أيضا أن تفكر في أن يكون من شروط تعيين العاملين أن يعمل كل منهم لفترة محددة في أصول محو الأمية.

انظر مقال محو الأمية : مهمة لاحتمل التناقص ص ٧٩

• تنظيم الأسرة •

إن تنظيم الأسرة في بلدنا يرض نفسه فرضا على رأس قائمة مهام التنظيم السياسي. إن معدل زيادة عدد السكان في بلدنا معدل رفيع بل تنطه للفترة على تحمله أو الوقوف أزاده موقف التفرج أو موقف اليأس. أنها مشكلة حسية ومعقدة جدا ولكن هذا لا يبرر أن نهرب منها بل على العكس يجب علينا أن نصدر لواجبنا دون تأخر وكل حزم وقوة. هذه الظاهرة لو استمرت لفقت على كل لمل للتطور والتقدم بل لهدت أيضا مجرى استمرارية. أنها قضية قومية بمعنى الكلمة، وما من شك في أنها مرتبطة ارتباطا سبيبا بمشكلة الأمية ومن هنا كان للعمل في ميدان محو الأمية اثره الملمد من أجل تنظيم الأسرة وعندما أقول إن تنظيم الأسرة مهمة أساسية من مهام التنظيم السياسي فسيبب أنها قضية سياسية واجتماعية وسياسية لأنها تتصل بعناصر المجتمع ومستقبله ولجماعية لأنها تضعف لحوامل وقيم اجتماعية. وحلج مشكلة هذه طبيعتها لابد وأن يستند إلى النزحية والتفسير. للقرعية بأعداد العمل الوطني والتفسير بالاشرار التي يلعبها تزايد عدد السكان بهذه الأهداف ولربما كان من أساليب عمل نهجنا والتدر الكافي في حلج المشكلة. لننا وكثنا أكثر مما ينبغي على جانبها الطبي مع أن الطب في هذا للسند لا يندس الفحص الطبي للراشيين والراقيات في تنظيم النسل واختيار النسل الواسل لهم وتنبع بل أيضا تكمن قد نهجنا لعملا في مهنتنا عندما تلجا الناس إلى مراكز تنظيم الأسرة يظهرون الوسائس. فالهمة هي لقطاع الجماهير والمقاس الوحيد للنتاج هو عند التردد من تنظيم على المراكز الطبية لرواسل منع العمل، ولقطاع الجماهير هو صلب عمل الاتحاد الاشتراكي ويوجه خاص لقطاع جماهير الولف.

وإن على اللجنة المركزية أن تولى هاتين القضيتين اهتماما خاصا فتكون لجنة خاصة لتدرس كل قضية منها دراسة واقعية وتضع خطة من برامج زمنية لعالجتها.

إن على الاتحاد الاشتراكي أن يثب هاتين المهمتين فلكل مهام أساسية أخرى.

• أولا : القومية •

بفصلت المرحلة الحالية

إن المرحلة الحالية من مراحل نشطتنا مرحلة جديدة ولكنها غير مقفولة السلة بالرأس السابقة بل هي نتيجة طبيعيتنا لم خلال النسبة حشر عالم الماضية من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية ايجابية منها والسلبى على حد سواء غير أنها في نفس الوقت ليست مجرد امتداد حادى لها.

لنا مراجعون اليوم بأعياء جديدة

ولربما تلحج لجماعتنا الشروع إلى التمرين وإلى تحقيق آمال جديدة كما وكيفا، ثم نحن صباطون بطرف لم تكن سالفة في المرحلة السابقة وإن كانت تتجه لها.

١ - أن أول طرف يشغل العقل والقلب والوجدان من كل مواطن هو العدوان الصهيوني على اراضينا، ذلك المخطط الصهيوني الامبريالى من أجل ضرب ثورتنا. أن الامبريالية على الرغم من اتساع وتعاظم حركة للتمرد المالية لم تضع السلاح بل أنها لتزاد حراسة للشعوب وأن تضرب النظم التنموية الحديثة وأن تبنى على الراسانية مصدر ثرائها وتزفدها، وإنها لتلجا في سبيل تحقيق أهدافها إلى كل الوسائس، إلى الحرب إلى الضباط الاقتصادي إلى المخادعة، إلى التفرج من الداخل، إلى هذا الوضع يرض علينا وأجبا قويا ومصيريا بل العصب لتسخر لقوتها المسلحة الباسلة التي تقع عليها المسؤولية الأولى في تحرير اراضينا والملاحم الدائم للقط من عدونا وتقلنا الاجتماعي.

إن هذا الوضع يحد لنا على الفور ويوضح قام من العفر ومن الضمير، أن تصميم الولايات المتحدة على استمران دعم اسرائيل، عسكريا وماديا وجعلها كما سبق أن قلت مشركا في احتلال اراضينا والعدوان على سيادة اوطاننا يدفع أيضا بلكه شعبيها إلى موقع البناء لثمة العربية كلها، وطوبا وحدها تمة ما يمكن أن يحدث من هذا الوضع من نتائج.

لنا اليوم تلق وجها لوجه أمام الحركة وإن ننظر أطول مما تفكرنا. وإن يحد حق وراة مقاتل، وإذا كان بلل الحياة هي سبيلنا إلى الحياة فإن دخول بدل الحياة... إن أرواح شهدائنا سبيل الحياة بذه فجر اراضينا لتتلفنا وإن يضى وقت طويل إلا ولنا النداء

لن نخدعنا مناورات أمريكا وإن بئال من حزمنا لحوال متوحيها في الدول العربية وغير العربية. إن العالم كله يعلم حق العلم أننا لم نكسر مجهود ولم نكسر بوات من أجل الوصول إلى حل لمسئ على أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن الذى ينص على الانسحاب الكامل من جميع اراضى العربية المحتلة، وعودة المحتين إلى خطوط ما قبل ١٩٤٧، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بإرادته الحرة. غير أن العمل المسلى في مفهومنا يجب أن يكون حرايا لمفوعة نحن، وليس حلا ترسم خطوط أمريكا واسرائيل. لنا نحن أصحاب الأرض المحتلة. لنا نحن المحتى طوبى و بل أننا فوق هذا كائنات وبان علينا مسئولية تاريخية أمام شعوب العالم المتقدمين من أن تلج نبوا لاسلينا في القضاء على أسلوب استخدام القوة لنسب اراضى والتوسع العراني، وفى وقف حملات الهجمة والبربرية في نص

استلزم: الثورة والحد في السياسة
الدولية *

تلك هي بصلتنا التاريخية والنفسية
لأرضنا ولأولادنا وذلك هو دربنا كعصبة
عريق لعموم حال الحياة في بناء الحضارة
الانسانية *

٢ - اننا اذا كنا قد قضينا على تحالف
الاتحاد والجمعية وتحكم واس لئلا لا
من خليفة القوى العالمية للتقدم
والانترفاكيةاتها لتلقف الامل بمسؤوله وقد
تنفس يد عدو اذا وجدت حرقا حورتيا
معتمدة على ان تكسب تأكيد للقسوة
الخارجية المعادية والتي هي على استعداد
دائم للوقوف معها * من هنا يجب ان
تكون دائما على حذر ازاء عدو قسوي
المعادية في الداخل والخارج على القوي
ما تجده من مسموم بيننا فان نسمي بوجاهة
حيثنا رجعتنا الرطبة *

ان تحالوات الجمعية المعودة بالبلاء
الى سابق رضمها من محكم حليه ثلوثيا
والخفية ولكن هذا لا يعني ان تركن لتي
عدو البلاء بل لابد من اليقظة والنضال *

● ثانياً القضية الاشتراكية والاشراك فيها ●

ان نواجه التفتية من باسلان الجماهير
بها وحماهم لها ، والايمان والصلابة لا
طريق لهما سوى فهم الفهم الحاسم
الاقتصاد والوعي باجواء المرحلة *

اننا نتطلع الى الوقت الذي تصبح فيه
قضايا التفتية في الشغل الشاغل لجميع
العمالين * وذلك قضية لابد ان تحتل
مكان الصدارة من اهتمام الاتحاد
الاشتراكي والحكومة على حد سواء فلماذا
كان التنظيم السياسي هو المدرسة للثورة
لتي وتعلم فيها الشعب الشيوعية
الاشتراكية فان القطاع العام هو الميدان
لذي يقع فيه الخطيرة موضع التطبيق *
ان لجان الانتاج ومؤسسات الاتحاد
الاشتراكي للقطاع العام لابد ان تتحول
الى مدارس يتعلم فيها العاملون عمليات
التفتية الاقتصادية * والى اجهزة لملحمة
التفتية في نفس الوقت * ذلك هو الطريق
الوحيد لكي يتطور مجتمعنا بنجاح نحو
الاشتراكية ولكي نتأكد مبرنا على الصعيد
الدولي * بل من نفس الطريق لمواجهة
الكتلة الصهيونية *

ان الاتحاد الاشتراكي مطالب بان
يخرب افضاضه للثلى في الاشراكه في
تنفيذ مهام التفتية * ان يثله القوى
الجديدة يضع على اكتاف اللجان
الاساسية الباروف واجب التضاركة من
طريق التطوع في تنفيذ هذه لملحة الثورية
الى جانب باقي المهام * ان عليها ان تجتهد
الجهود الذاتية * وان تثير حماس سكان
القرى ليسهموا بالفضل للتطوير في اعادة
صياغة حياتهم * ان على اعضاء اللجان
ان يكونوا قدوة يحتذى بها بالقرن *

ان اللجان الاساسية في امحاء المدن

تستطيع ان تلعلل الكثير من كحل الجماهير
تستطيع ان تجعل من مهامها تسهيل
الشوارع والميادين والعمل على نظافتها *
واقتصام لعمول مجانية لحو الايام ومساعدة
المعونة وغير القادرين على تقصاها
حاجياتهم * ومحاولة اجهزة الخدمات
للحلية على اداء رسالتها وبروبه خاص في
مجالاته الصحة والتشوين والنظافة *

لما لجان الوحدات الانتاجية فالحام
لعملا متعمدة * ان عليها اولا بمحاولة
اللجنة الثقافية محور لدية العمالين * ان
ايه وحدة انتاجية يبني فيها امس واحد
بعد فترة ولكن صلة حذ بداهة اللجنة
تشاهاه يجب ان تحمل لفتتها الاساسية

ان على لجنة الوحدة الانتاجية ليشا
ان تنظم مع اللجنة الثقافية والادارية
مورات تدريبية للارتفاع بالمستوى الثقافي
والفني للعمالين * ان الهدف من هذه
المورات هو الارتقاء بمستوى الاداء
وبالتالى زيادة الانتاج ومن هنا كان لابد
وان تنظم بحيث لا تشمل الانتاج *

ان اعضاء لجان الوحدات الانتاجية
لابد وان يكونوا للثلى في التقصاها
والثقافي في العمل وزيادة الانتاج * انهم
يستطيعون ان يكونوا مع الادارة والعمال
الثقافة فريفا ولماذا متحدا من اجل هدف
وكثروا مع الادارة وللجنة الثقافية فريفا
واحد متحدا من اجل هدف واحد هو
زيادة الانتاج *

لكنى اعهد الفكر الاساسي لعملا
للمس والتفتية سوى زيادة الانتاج او لا *
وزيادة الانتاج ثانيا ، وزيادة الانتاج
اخيرا *

● ثالثاً بناء الانسان الجديد ●

ان بناء الدولة الجديدة لا يمكن ان
ينجح بدون بناء الانسان الجديد * الامر
الذي يحتاج اليه عمل ثوري مستمر من
قبل الاتحاد الاشتراكي بكافة مستوياته
وتنظيماته المعادية * ولها لملحة صعبة
تتطلب هذه سنوات من العمل الجاد
للثاب * الا انها مهمة تبيلة تستحق ان
تكرس لها الجهود *

ان تكوين الانسان الجديد لا يمكن ان
يتم بمجرد الوط والارشاد وخاصة اذا
كان الوط بعيدا عما يعطيه * وانما يتم
من خلال القوة * ومن خلال التمسكيتها
الروحية النبيلة ومن خلال الصراع للثام
ضد القيم البالية التي فرغتها على حياتنا
العلاقات الطاغية والراسمالية ومن خلال
العمل من اجل حل مشاكل الجماهير
والاشراكه في تنفيذ اهداف الخطه *

انظر: مقال : بناء الانسان الجديد ص ١١٩

ان الاستمرار * علما عنه بما للقيم
الثورية من اثر * يشن شننا وضد قويتنا
هريا ثركيا يستخدم فيها اصدات
الوسائل * وان علينا ان نواجه هذه
الحروب *

ان تقديس العمل واحترامه لابد ان
يكون القضية الاولى في حياتنا وليكن لنا
اسوة بصيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقول لباته * يا يابني الناس
واعملهم وتاتوني بانصباكن * ان اشرف
نصب لا يعني من العمل *

ان القيمة الثانية هي حب الوطن *
الوطن بارضه ونبله * وبشعبه وما يثناه *
بحاضره وماشيه ومستقبله * ان على
الاشراكه الاشتراكي ومنظمة الشباب بوجه
خاص ان تقيم المسيرات والزيارات
لما كان للثوارات التي حلقها اجدانها والتي
بناما ويدينها علينا * ان ارتباط الانسان
ببلده وقره على تاريخها وحضارتها
يلجر فيه طاقات العمل وحب الخير *

لنا يجب ان نلف بشدة ضد الشبح
والخوشة والطغية والرشاية والكتب *
ضد الملية والتلق والتشهير بالناس
والاعداء طوبهم بما لم يفسلوه او
يطروه *

لنا يجب ان نربي في انفسنا حب
الناس واللفة بهم * والايثار والتفهم مع
النفس والوقوف مع الحق * وحسن
الاستماع الى الغير * واللفة بالناس بغير
شروع * وتحمل المسؤولية *

ان لكتب والفن ووسائل الاعلام دورها
الكبير في هذه القضية * قضية تكوين
الانسان الجديد في مواجهة حشرب
العداوة التي تشنها ضنا قوى الامبريالية
والصهيونية * ان هذا الدور يفرش
التصديق لقضايا مجتمعنا من وجهة نظر
الجماهير * من وجهة نظر النظم من
وجهة نظر الانسان الشريف الكادح الذي
يبني الحياة * ان انبامنا وفناكنا
والعاملين في اجهزة الاعلام مطالبين بان
يقفوا هذا الرقاب الثوري وبروبه خاص
في هذه المرحلة الصعبة من حياتنا *
وعلى الاتحاد الاشتراكي واجهزة الدولة
المتحمسة ان تقيم لهم كل حين وان تيسر
لهم ظروف الابداع ومن ما تشغل في حرية
تكثيرهم ورون ما فرغنا لاسبوب معين
لعملهم * اننا نريد انبا وفنا * والاب
والفن ابداع بار حرية * ولكن لا حرية
بدون الاتحاد مع الجماهير *

ولعله يكون من المناسب ان يبنى
الاتحاد الاشتراكي فكرة انشاء اتحاد هام

للكتاب يضم الانبياء وكتابت السبابة والقانون والاقتصاد واتحاد الفنانين بتخصصاتهم المختلفة .

● التنظيم الشبائى ●

ان الشباب هو البلد والمستقبل ، وإذا لم يلبس بوجه كامل في بناء للامساض ضاع منا الحاضر والمستقبل ، ولقد حرص الاتحاد الاشتراكي في الانتخابات الاخيرة على ان يتيح اوسع الفرص امام الشباب لكي يشاره في اعادة بناؤه . غير ان للقيادة اعين من هذا بكثير . ان لنا الحقيقى هو في استمرار النضال ، وبتلك الاستمرار كما قال الزعيم جمال حين يكون هناك في كل وقت جيل جديد على اتم استعداد للقيادة ، ولحصول الامانة ، وواصله للنظم بها . أكثر وجها من جيل ميق .. أكثر صلابه من جيل ميق .. أكثر طموحا من جيل ميق ..

ان السبيل الوحيد نحو تحقيق هذا الهدف هو اقامة منظمة للشباب تتولى تهيئة الشباب سياسيا وفكريا حول خطة للتنمية وتعارض على الانضمام الى تنظيمها ، كما تتولى فرض القيم الاشتراكية فيهم ، وتزويدهم بملهم خورى وعلى سياسهم على التفكير في قضايا الجماهير وحل مشاكلهم وتكوين حسرة متعرب فيها العناصر القيادية من اجل تزويد الاتحاد الاشتراكي وجهازه الطبقي بالنم الجديد .

ان على اللجنة المركزية ان تولى اعتمادا سياسيا خاصا بهذه القضية وان تمارح على الفور في تكوين المنظمة مستعينة في ذلك بالعناصر الشابة فيهم الذين هم قريب على لهم قضايا الشباب والتعرف على طاقاتهم وكسب ثقة .

● التنظيم القسائى ●

وإذا كنا قد ذكرنا للشباب فان المرأة لابد أيضا ان تلعب دورها السياسى وما من شك في ان ثورة يناير قد نمت امام المرأة فرسا خلف مقلقة لاسماء سنوات وكان لعمالة التصنيع والتطويع فضل في ان يبرز في مجال العمل الوطنى نموذج الراة العاملة المتفانية غير ان الحركة النسائية لاتزال تتخلف كثيرا منها من الطاقات لابد وان يقدى رسالتا كاملة في العمل الوطنى بولاميل الى ذلك الاوقات تنظيم نسائى . فإذا كانت للحركة

النسائية في بلادنا لم تحقق النجاح المرجو لها فان هذا يرجع اساسا الى غياب التنظيم الذى يستوعب نخلة المرأة ، ولابد ان يقام هذا التنظيم مستندا الى واقع المرأة في بلادنا وعلى امس فكرية وتنظيمية تعكس طبيعة دورتنا واعداد تنمالتا .

ان حجر الزاوية في اقامة منظمة الشباب والتنظيم القسائى ان يكونان تنظيميين مستقلين يمتلآن في توائن وترابط مع الاتحاد الاشتراكي .

● القبايات المهنية ●

لنا ونحن نتكلم عن تنظيم الشباب والنساء لابد وان نتناول ايضا دور النقابات بوصفها من التنظيمات الشعبية الممثلة للاتحاد الاشتراكي . ان النقابات العمالية وقد اعيد تشكيلها بالارادة الحرة للعامل بعد ان تحولت اوضاعها واحترى مركزها القيادية بعدة سنوات عاصراكل ما توصف به انها كانت تفسى للجماهير خشية المخالفين من اللور ، واصبحت اليوم في وضع يمكنها من قيادة الحركة العمالية لقيادة سلمية من اجل الدفاع عن مكاسبها وحمايتها ودعمها ومن اجل حشد خلافتها لتحقيق اهداف خطة التنمية . لم تعد القضية الرئيسية للنشاط النقابى فى الوقت اذراء اصحاب العمل الاموال لذا أصبحت المحافظة على حقوق العمال وصحتهم ضد ان عدوان على مجتمهم الذى يهونه لاتتصور ولولاهم ، وتنمية لثرائهم والارتفاع بمستوى ادلهم وصولا الى قيادة الانتاج وبالتالي زيادة الدخل والاجر ، متعاين في ذلك تعاونكامل مع لجان الاتحاد الاشتراكي ، أما

النقابات المهنية التي اعيد تشكيلها في الاخرى بالنقابات الحر المباشرة قد ان الاران ان تعيد التفكير بعد في رسالتها . يجب ان تتخلي عن فكرة التميز الطائفي او الطوري وعن فكرة انها تجمع النشبة المتأخرة . ان أي تنظيم في بلادنا ان لم يضع نفسه أساسا في خدمة قضية المجتمع ان تتم بمعدل من خدمة الجماهير ان على حسابها . ان النقابات المهنية تضم لشيرة شديدة من رجال الطم والفكر واللن وقد ادوا ويؤمن خسات مهمة لبلادهم ويجب على النقابات ان تجد الاسلوب اللاتم لتزويد نضالها ، والتنسيق بينها وبينها بشكل اعين وقضايا التنمية ، انها من الممكن ان تكون هيئات استشارية خالصة للاتحاد الاشتراكي فيما يتصل بحل كثير من مشاكل الانتاج والخدمات .

انظر مقال : النقابات المهنية

على النقابات المهنية من ٥٥

● لجان الحركة ●

ان الحركة القائمة حركة شاملة . لان تقتصر - كما سبق ان قلت - على خطوط الجبهة ، بل تمتد الى كل شبر من اراضينا وان يرتد للحد في ان يبين محاولة تطعيم صمود الجبهة الداخلية عن طريق دغ غارلته لى العمق ، وشرب النشون لا يارق بين تلاميذ في مدرسة او عامل في مصنع او لاجئين في حال ، غير ان شعبنا لم يعرف الخوف ولا الجبن طول حياته ..

ان كل شبر من ارضنا الطبيعية ، وكل قرية وكل مدينة تشهد على بطولة هذا الشعب الذى قاوم حين عصور التاريخ للثقيلة ، كل انواع اللغاة .

ان ضراوة الحركة تفرخ علينا واجب حشد قوى الشعب كله تهييها لمناقاته وتنظيم لاسكاناته وبعيد يتحول كل ارض الى طاقا قتال ، وبعيد حركتها موفعه من للحركة وبوره فيها ، وبعيد تتفرق الى كل موقع من وطننا وفي كل مراق ومعمل قوة قادرة تفره عنه .

من اجل هذا الهدف قامت لجان المواطنين من اجل الحركة واسرع الشعب الى التطوع فيها ، غير انها لم تق طى الاطلاق نحو تحقيق رسالتها وبعبء يكامل قدراتها فكانت حركتها مسير ما اعترضها من تناقضات وما قابها من صعوبات ابدا من حركة الجماهير ، وان واجبتا هو ان نزيل مالايس حلتها من تناقضات وان نزع من طريقها المعبات وان نميد لتطعيمها بما يكمل تحقيق الهدف من تنظيم وحشد وتدريب وتوعية من اجل تحرير الارض والدفاع عن الوطن على ان تكون للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي هي لسلطة مسئولة كاملة من كل ما يتصل بالشركة في الجبهة الداخلية ، لتجمل منها جيشا قويا خلف كرائنا المسلحة الباسلة يحمى شهرها ويديم امكاناتها .

ايها الاخوة والافاضات اعضاء المجلس القسائى العام : ليس لاسلما ان تقتصر - وان لدينا كل ما هو ضرورى للنصر - القوة العسكرية ، والبيئات الاقتصادية ، وبعيدة الشعب ونضاله الخورى . ثم ان منه الحق ولا ينقصه الامان ، ولتنا لله ولعزتنا بنصر من هذه ..

والسلم طيحي ورحمة الله وبركاته

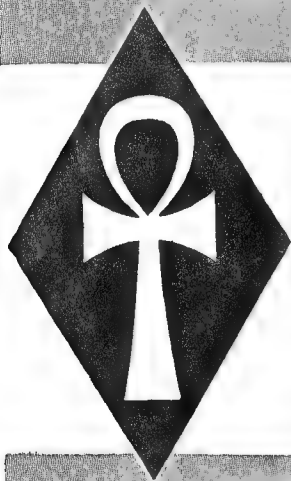
انظر
يمكنك أن تجعل
من هذه النسخ
متعة أطول
نفرتيتي
١٠٠ مللى

عالمية في توليفتها.. فريدة في فكرتها وعطرها



أنتجها أحدث الآلات الألكترونية
٢٠ مبهارة سويد ١٠٠ مللى ٢٥ قرشا
إنتاج: شركة النصر للبخان والسجاير

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيمياء
للجودة
والانطلاق

بانتاجها الجديد

نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة في الأسمدة إضافة
غير بروتينية أجنبية وتحتوي
مستوى الأنتاج الزراعي

إحدى شركات المجموعة المصرية
العامرة للصناعات الكيماوية

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيميا» بآدم

مطالع الأهرام المتجارية

الطبعة



المنشأة المسماة .. نوفمبر ١٩٧١

المصنف: **أبي القاسم محمد بن أحمد الأندلسي - المصالح**

التطور: **شير أتراسمالي في آسيا وأفريقيا**



الحسم - والمطلوب حسمه

ملف خاص: الشيخ علي عبد الرزاق
معركة فكرية

الوثائق: النص الكامل لكتاب
الاسلام وأصول الحكم

الفهرس

العدد الحادى عشر - السنة السابعة - نوفمبر ١٩٧١ م

٥٧

■ الحسم ٥٥ والمطلوب حسمه « الافتتاحية »

لبنى الشـبـولى

٥٠ ■ الصهيونية : التاريخ - الحركة - الأفكار - المصالح

قوة الراى العلم... كيدل شرمى اراكز القوى

٤١ موفى ابو شفيق

مشكلة اللبسية الى المسبودان

٥٧ د. عبد الرزاق حسن

٥٧ لورالمان

٥٧ هارلوت شيلنج

٧١ عبد الرحمن الشرقاوى

٧٥

التطور غير الواصل الى آسيا وأفريقيا

طريق واحد : نفسان القسوى

القضية هو الطريق التوحيد للتصير

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

■

٧٦ د. وليم سليمان

٨٨ حسين شعلان

■ - الحركة الصهيونية

- نبع « المبالغة » : رد على

الذكور بطرس بطرس غالى

■ ملف الطليعة :

٩٠ محمد ميسرة

١٤٨

الشيخ على عبد الرزاق

■ تقارير الشهر

١٧٧ مسعود فريد

١٧٨ مسعود حورانيه

١٣٠

١٣٠

■ - رسالة نضق : سينا تولد من خلال المقاومة

■ - رسالة بوسكو : ١٥٠ عاما على ميلاد دوستويفسكى

■ مكتبة الطليعة :

■ - ليبيا قبل الاحتلال الايطالى

■ - الواقعية فى الفن

١٣٤

١٣٤

■ مناقشات مفتوحة :

■ وثائق :

١٣٧

١٣٧

■ - التمس الكابل لكتاب « الاسلام وامرول الحكم »

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين

د. اسماعيل صبرى عبدالله

د. جمال العطفى

د. رشدى سعيد

د. محمد ارازق حسن

د. لطيفة الزيات

د. محمد الخفيف

د. محمد سيد احمد

سكرتير التحرير :

ميشيل كامل

■

فنون المراسلات :

بنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء

القاهرة تليفون : ٤٦٦٤ - ٩٥٠١٥

٩٥٠١٥ - ٩٥٠١٥

الاشتراكات :

سنة بالبريد المادى ج.ع.م. دول

اتحاد البريد العربى ودول اذار

اليمن ١٢٠ لريشا

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفي اعتقادنا ان تفاعل الإراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة
فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة »
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها
- مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
« قد اخطئ معك فى السرائى ولكنى
على استعداد لأن ادفع حياستى ثمنا
لحقك فى النفاذ عن رأيك » .^{١٠٠}



الحسم . . والمطلوب حسمه

يصاحب حركة خروج « عام ١٩٧١ » من دائرة الحاضر الى دائرة الماضي ؟ سؤال محدد : ماهو المقصود بشعار حسم القضية الذي رفعه « السادات » ، ترجمة للارادة الشعبية التي ضاقت - الى اقصى حد - بالاحتلال الاسرائيلي لارضها ؟ لمة اتجاهات - مربية واجنبية - تصورت او تعمدت لن تصور الاجابة على هذا السؤال بصورة حرب شاملة ، تتدلع نور بزوغ راس السنة الجديدة .

من ناحية اولى : هل هذه الاجابة صحيحة ؟

الحق انه لو صحت هذه الاجابة ، فالتنا تكون قد تطوعنا بكشف اوراقنا ؟ مسبقا ؟ للمدو الذي اجاد معنا اكثر من مرة اسلوب المفاجأة العسكرية . فكأننا - بذلك - ندموه الى مباراة رياضية محددة الزمان والمكان . وليس لهذا من معنى الا اننا نلهم بمصائرنا . واذا كان مثل هذا اللهو - بشو او بأخر - قد وقع في الماضي - خلال موجات الحساس العاطفي غير الدروس وغير المنظبط - فهل يمكن لن لدغ من جحش هزيمة ١٩٦٧ مرة ، ان يلدغ مرة اخرى ، باخفيله ، وبعد اربعة اعوام ونصف العام من تجربة الية وصورة ؟ لا اعتقد والا كنا - ببساطة - أعداء انفسنا .»

من ناحية اخرى : هل هذه الاجابة ممكنة ؟

ان حسب الياكسيات هنا ، لا يتعلق ببلد عربي واحد ، ايا كانت القوة العسكرية النسبية لهذا البلد . وانما هو يتعلق - بحكم التجربة التاريخية وموازين القوى وطبيعة الحركة التكتيكية والاستراتيجية - بمجموع القدرة العسكرية العربية التي تتألف من كل البلاد العربية ، وعلى الاخص تلك التي تواجه اسرائيل بصورة مباشرة . وطبقا للتقديرات مراكز الابحاث الدولية للاستراتيجية العسكرية ، فان القوة العسكرية الاسرائيلية تتعامل - من حيث النوع والقدرة القتالية على الاقل - مع مجموع القوى العسكرية العربية في المنطقة . والحرب الشاملة تستلزم حسابا شاملا لكل القوى .

وعسلا من ذلك ، هناك عامل الاردن ، والنظام الحاكم فيه ؟ قد ناي - مبلها -

بقوته العسكرية المحترفة وموقعه الاستراتيجي من الساحة العربية ، والحتمية
— موضوعيا — بالساحة الاسرائيلية الامبريالية . فالأردن — في ظروفنا الراهنة —
لم يعد يشكل ميزة عربية ، بل منصرفا بحسب مصالح العدو . وذلك على الرغم
من ارادة شعبه العربي . وإذا ما عزلنا الأردن بهذا المعيار ، من حاسب القوى
العربية في حالة حرب شاملة ، فاننا بمعايير أخرى مختلفة ، لابد وان نستبعد من
مجموع القوى العسكرية العربية القادرة أو المؤهلة ، أو الراضية في الحركة ، عددا
لا يستهان به من الدول العربية .

ومن هنا يطل علينا — في حالة تصور الحرب الشاملة — شبح المخامرة العسكرية .
والاحساس بالمسؤولية المصيرية ، يعني أول ما يعني التحصن ضد مرض الغامرة .

من ناحية ثالثة : هل هذه الأجوبة مفيدة ؟

ونعني بالفائدة ، تحقيق الهدف الذي من أجله نخوض الحرب الشاملة ، عسكريا
وسياسيا . وهذا التحقيق لا يتم بطريقة تجريدية . وانما خلال عالم انساني تحكمه
علاقات قوى دولية متصارعة ، ورفقة عارمة في الوقوف بحزم ضد كل تفجر عسكري
من شأنه ان يؤدي بالبشرية الى أتون حرب عالمية .

ويلتالي فان الاعلان من حرب شاملة ، في الشرق الاوسط ، يعني أول ما يعني ،
خسارة الرأي العام العالمي الذي سوف يتحرك من موقعه الراهن في ادانة العدوان
الاسرائيلي الى موقع مضاد لنا . وفي مثل هذه الظروف فان أي انتصارات عسكرية
قد نسجلها ، لن تجدي في تحقيق هدفنا السيلسي . . وهو الاساس ونهاية مطاف
أي تحرك عسكري .

والآن . . اذا كانت الحرب الشاملة ليست جوابا صحيحا على سؤال جسم القضية ،
لأنها — على الأقل — غير ممكنة وغير مفيدة . . فما هو إذن الجواب الصحيح ، الممكن
والفيد في آن واحد ؟
لكي نستطيع الإمساك بالأجابة الصحيحة ، يجب ان نحدد بدقة ، حجم وطبيعة وظروف
هذا « المطلوب حسه » .

لا يمكن ان نقول ، في عبارة عمية ومجبهة ، ان المطلوب حسه هو هزيمة ١٩٦٧ . فالحسم
الحققي والجزري لهذه الهزيمة بكل ابعادها ، القومية والسياسية والاجتماعية ،
ما برح اكبر من قدراتنا الحالية ، كما ونوعا ، ولهذا يجب ان نكون اكثر تحديدا في
تعيين المطلوب . وبمصرحة — مؤلمة ولكنها واقعية بالمعنى الثوري — اكثر تواضعا .
وهو نواضع تبليه الظروف الخاصة بالرحلة الراهنة في حياة الوطن العربي والصراع
الدولي من ناحية ، ولتصق قدر من الامكانيات المادية والمعنوية المتوافرة لدينا في
حالة قفزة على الحركة ، من ناحية ثانية .

وفي هذا السبوع ، يمكن ان نحدد « المطلوب حسه » في خطين جوهريين :
أولا : تحرير كل الاراضي العربية التي احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ .
ثانيا : تجسيد مبادئ الحقوق القومية للشعب الفلسطيني التي تعبر عنها ثورته
القدائية .

وهذا التحديد « للمطلوب حسه » ، ناضج فعلا للحسم . بمعنى انه يستقطب ، محلنا
وقوميا وعاليا ، غالبية الرأي العام الدولي سواء بمستواه الشعبي ، أو بمستواه
الرسمي .

فخط التحرير للارض العربية المحتلة ، يتفاعل من ناحية مع قاعدة بديهية من قواعد
القانون الدولي المعاصر ، ويبنى من ناحية أخرى — على الرغم من كل اختلافات
ثالثة أو محتلمة — الارادة الاجماعية للشعوب العربية . ثم هو — من ناحية ثالثة —
لا يدرج دوليا ، تحرك كلفاء العرب وفي مقدمتهم الاتحاد السوفيتي لمساعدة عملية
التحرير ماديا ومعنويا .

ولخط التجسيد المادي للحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، هو اقرار ، لقناعة

موضوعية دولية ، أفرزها النضال الشعبي الفلسطيني المسلح . واكتسبت هذه القناعة وزنا مؤثرا . بحيث أصبح من غير المنصور حل ما يسمى بإتسمة الشرق الأوسط ، دون وضع هذا التجسيد موضع الاعتبار . صحيح ، حول أبساده هذا التجسيد ، تختلف وتبليز المقترحات الفنية . لكن الشيء الهام ، اليوم ، في هذه المرحلة من كفاح الشعب الفلسطيني ، هو اكتسابه لكان مادي . . مادي ، بمعنى ارض وسلطة فلسطينية مستقلة وثورية فوق هذه الأرض .

ويمكن القول ان كل الجهود السياسية والدبلوماسية التي بذلت من جهات عديدة في الحقل الدولي من أجل الوصول إلى حل سلمي لازمة الشرق الأوسط منذ يونيو ١٩٦٧ حتى اليوم ، كانت تراعى ضمن ما تراعى من خطوط ، هذين الخطين الجوهرين : تحرير الأرض وتجسيد الحقوق القومية للشعب الفلسطيني .

ويمكن القول أيضا ، ان هذه الجهود قدصلها الفشل نتيجة عدم قبول القوى الصهيونية - الإسرائيلية - الإبريالية ، لهذين الخطين الأساسيين . وإصرارها على استمرار الاحتلال ومصادرة حقوق شعب فلسطين .

ويستلج المجتمع الدولي كله - من زوايا متعددة - يبحث عن « وسيلة فعالة » للضغط على إسرائيل لقبول حل سلمي على أسس هذين الخطين . ولكن دون جدوى .

وهكذا ، بعد أربعة أعوام ونصف العام من الإخلال وأكثر من شرين عاها على مصادرة حقوق شعب فلسطين ، نواجه مع العالم طريقا مسدودا . بحيث بدت إسرائيل بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، في موقف التحدى من بقية العالم كله تقريبا .

للاول مرة - في تاريخ - الصراع العربي الإسرائيلي - تنحاز أغلبية الرأي العام الدولي إلى الجانب العربي ، وتشكل بذلك قوة ضغط سياسية على إسرائيل . ومع ذلك فإن هذا الضغط لم يسفر عن لية نتيجة إيجابية للوصول إلى ما سعى إليه السلمي للآزمة .

وثمة ضغط أخسر ، توالد على مر الأيام منذ يونيو ١٩٦٧ ، من جانب معظم الدول الرأسالية الغربية - باستثناء أمريكا - لتحويل إسرائيل - ولوكيا - عن موقفها العدواني التوسعي . ولكن انتهى هذا الضغط أيضا إلى لا شيء .

وبجانب هذا كله ، هناك ضغوط متوالية من جانب المعسكر الاشتراكي ، برعاية الاتحاد السوفيتي . . بل والعالم الاشتراكي كله ، فضلا عن حركات التحرر الوطني وغالبية دول العالم الثالث في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولكن رغم ما أحدثه هذا الضغط من عزل سياسي لإسرائيل ، إلا أنه لم يستطع أن يحقق هدفه في حل الأزمة خلا سلبيا مادلا .

وما تزال إسرائيل متحصنة ، في مواقفها المحطة وفي تحالفها السياسي والعسكري مع الولايات المتحدة ، تائرة فعليا على الصود لكل هذه الضغوط السياسية من الأسرة الدولية .

ولم يعد في إمكان الانساقية بكل شعوبها ودولها ومنظماتها - وعلى رأسها الأمم المتحدة - القدرة على جعل إسرائيل تذهن لضغوطها ، والتي بلغت بالفعل أتمى درجة يمكن أن يصله ضغط دولي سياسي .

ومن هنا ، لا مفر من البحث عن نوع خاص من الضغط يمكن بممارسته - خلال استمرار الضغط السياسي - أن يغير تغييرا كفيًا من الظروف القائمة التي ما برحت إسرائيل فيها قائمة على استمرار العدوان التوسعي .

وهذا النوع من الضغط الخاص ، يستهدف بدقة أمرين :

الأول : لن الاحتلال الإسرائيلي واستمراره .

الثاني : المصالح الامريكية في المنطقة ، باعتبار ان هذه المصالح تمثل ثقلا خاصا في استراتيجية الحليف الاساسي للعدو .

ومن الطبيعي ، انه لا يوجد مصدر خارجي ، يمكن ان ينبع منه هذا النوع من الضغط الخاص . فالتقى ما يمكن الحصول عليهن من ضغوط من مصادر خارجية ، متوافرة بالفعل . ولهذا فالمصدر الوحيد لهذا الضغط الخاص هو الامة العربية نفسها . وبالذات قدراتها الاقتصادية والعسكرية والجغرافية والبشرية .

ماذا يعني هذا ؟

يعني بالتحديد انتهاء الفصل الميكانيكي بين العمل السياسي والعمل العسكري في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي والعدوان الصهيوني ، والجمهورية المتحدة - الى اقصى حد ممكن - عن التحرك المساند لاسرائيل وذلك بممارسة تحديد متصاعد ضد مصالحها في المنطقة .

وانهاء الفصل الميكانيكي بين العمل السياسي والعمل العسكري يستلزم السير ، بخطوات ثابتة وبنفس طول ، على طريق النضال الثوري الذي يستند الى تعبئة جماهيرية منظمة وواعية ، ملتزمة التحاما عضويا مع قواتها المسلحة .

وطريق النضال الثوري ، يوجب ، القيام بعمليات جذرية في المجتمع ، تؤهله اقتصاديا وفكريا ونفسيا وتنظيميا ، لتصفيد الفريجات ضد العدو ، واستيعاب الفريجات المضادة

والفريجات ضد العدو ، تعني القيام بعمليات عسكرية غير تقليدية ، تنزل به خسائر استراتيجية تفوق قدرته على تحملها . او بالقل ، على استمراره في تحملها . بحيث يضطر - مع توالي الفريجات - ان يجرى حسابات جديدة للسوق ، يخرج منها نتيجة ان استمراره في الاحتلال والعدوان يقتضيه ثمنا فادحا . لا يملك - ذاتيا او بمؤونة امريكا - ان يتحملة .

وفي نفس الوقت ، فان علينا ان نعيد صياغة حياتنا اليومية ، بجدية مسئولة . بحيث نستطيع الصمود لفريجات العدو المضادة ، وتحديد آثارها المادية والمنعوية ، في اضعف نطاق ممكن . باختصار ان نعيش حياة وطن في حالة معركة مصيرية ، دون انقسام شبكي بين الشعب وبين قواته المسلحة ، او بين الطبقات الاجتماعية التي تكون التحالف الوطني ، بعضها وبعض .

ويتطلب ، هذا كله ، بالتحديد :

- الانتهاء الفعلي لوقف إطلاق النار .
- تمهينة الموارد والطاقت على أساس اقتصاد الحرب .
- إطلاق المبادرات الجماهيرية لفخمة الحركة .
- تحديد دقيق في المزج الفعال بين العمل السياسي والعمل العسكري على المستوى المحلي والقومي والدولي .
- التنسيق بين استراتيجية عمليات التحرير غير التقليدية للقوات العسكرية العربية ، وبين استراتيجية المقاومة الفلسطينية .
- توحيد القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي من حول اهداف عمليات التحرير غير التقليدية وتجهيد اية تناقضات فرعية او جاتبية بين هذه القوى بعضها وبعض .
- تعميق اتوى الصلات مع جميع حلفاء القضية العربية ، وخاصة الاتحاد السوفيتي . ولعل زيارة السلسلادات الاخيرة لموسكو قد اكدت - نظريا وعمليا - هذه الضرورة الاساسية .
- انشغال ايردوغان العدو يستهدف - من حرب خاطفة كعاقبته ، والعمل على انهكته من خلال تخطيط يحكم في عمليات مكثفة من حيث اهدافها الاستراتيجية وتتميز بالنفس الطويل الذي لا ينقطع او يضعف .

والحق ان ممارستنا لهذا الاسلوب التضامني الثوري " يعيد للتضحية وزنها الدولي الساخن " جنباً الى جنب مع احتمالات الرأي العام العالي التي راحت تتجاذبه " اليوم " قضايا التقارب الأمريكي من الصين ، وازمة الدولار ومشاعنتها النقدية والاقتصادية الدولية ، ونسويات برلين ، واستعراض الامم الواثق الراهن في الشرق الاوسط ، على ما هو عليه من وجود ، يحمل في طياته مخاطر لا حد لها بالنسبة لمستقبل حركة التحرر العربي عامة ومصر بصفة خاصة .

واذا كانت كل قوى الضغط السياسية التابعة من مصادر دولية " لم تتجع مع اسرائيل ، فهذا ناتج من ان المجتمع الدولي لم يضمن فسطه السياسي قدرة مادية مغابية . وبسبب العراقيل الامبريالية - وبالذات الامريكية - لم تتمكن الاسرة الدولية - خلال الامم المتحدة - على فرض العقوبات الشرعية الواجبة التي يقرها ميثل الامم المتحدة بالنسبة لمن يخالف قراراته .

ولقد عبرت مصر والامة العربية كلها طيلة اربعة اعوام ونصف العام ، بابل ان تتכן الاسرة الدولية من ان تمارس مسؤوليتها نحو تنفيذ تقويتها . والصبر بعد كل هذه المدة ، يصبح نوعاً من الاستسلام . ومن هنا فالامة العربية تدفع ، مطلوبة امام نفسها وامام الشريعة الدولية نفسها ، وامام القيم الحضارية للانسانية ، ان تسجن الضغط السياسي العالمي ، بقوة مادية تابعة من ارادتها . وحققا في تحرير اراضيها . وليس هناك مدلول لهذه القوة المالية ، غير ربط العمل السياسي بالعمل العسكري في وحدة استراتيجية قادرة على الحركة والتأثير التوعوي على العدو .

بهذا المفهوم ، نستطيع ان نمارس واقميا ، شعار حسم النفسية . ومن خلال هذه الممارسة ، نزيح عن كاهلنا الصدا السياسي والاجتماعي والعسكري الذي اثلم قدراتنا ، ونكتشف حقيقة المثلثات البناءة المختزنة في شعبنا . ونكسب تضامينا المتروعة . ولكن قبل هذا كله نكسب احترامنا لانفسنا واحترام العالم لنا .

صحيح ، انه مهما احترزنا في حركتنا ، فان مخاطر الصدام الدولي في المنطقة ، كامنة ومحتملة . بيد اننا ضحينا - على الاقل - من اجل السلام العالي باربعة اعوام ونصف العام اقتطعناها من كرامتنا الوطنية ومن مسيرة الحياة لبنونا وتطورنا الاقتصادي والاجتماعي . وبالتالي نليس ملينا نحن ، بعبء اللوم ، وتعلق المسؤولية . فالوطن ، ليس مسيحاً ، يدبر خده الايسر ان يصغمه على خده الايمن ، انما الوطن ، في كل الظروف ويرقم كل المحن ، وطن رجال يستحقونه .

واليوم .. ليس امامنا من بديل ، الا ان نكون رجالاً .

واذا لم نشبت استحقاقنا لهذا الوطن ، نفبرنا احق به . حتى ولو كان هذا الفبر هو الصهيونية . وبالتالي نجوهر المطلوب حسمه ، هو بالذمة ، استحقاقنا او عدم استحقاقنا لوطن الاياه والاجداد .

الحق الثوري

الصهيونية

اعد هذه الدراسة فريق من الباحثين وكثروا قديداوا باعدادها عادة ه يونيو؟
في نطاق دراسة موسعة وشاملة للقضايا الرئيسية المرتبطة بالصراع العربي
الاسرائيلي .

ولقد تمت هذه الدراسة تحت تأثير اعتبارين :

الاول : هو الحاجة الى دراسة معمقة للصهيونية من وجهة نظر الاشتراكية
الطبية .

الثاني : هو ان ه يونيو قد كشف فيما كشف عن عدم معرفة لقسم واسعة من
الرأي العام العربي ، بما في ذلك اقسام من الرأي العام اليساري بحقيقة اسرائيل
وطبيعة الحركة الصهيونية اي بالانصاف الجوهرية ، والقضايا المحورية التي تشكل
ما يسمى بلزمة الشرق الاوسط .

وانطلاقا من هذين الاعتبارين بدأت - غداة الهزيمة - دراسة ابعاد النزاع
العربي الاسرائيلي . وربما كان اهم ما يذكر في هذا الصدد ان الباحثين الذين كتبوا
ينتمون الى اصول استلامية ومسيحية ويهودية ، ولكن منهج الاشتراكية الطبية
قد ساعدهم على ان يصلوا الى نظرية متكاملة وموحدة .

لقد اشترك في كتابة الدراسة : **أحمد صافق ، ومحمود حمدي عبد الجواد ،**
ووديع وهيب ، وشكري عازر .

وكانت هذه المجموعة من الباحثين قد تشكلت تحت اشراف د. اسماعيل صبري
عبد الله . وقد ساهم مع أبو سيف يوسف في وضع تخطيط الدراسة ، ومتابعتها
ومناقشة فصولها مع الباحثين أولا بأول .

وإذا كان المنقون العرب قد نشطوا بعد ه يونيو الى اثراء المكتبة العربية
فقدما الكثير من البحوث والدراسات القيمة من قضية فلسطين وعن اسرائيل
والصهيونية ، فإن المجال مع ذلك لا يزال مفتوحا لزيد من الاجتهاد ، من أجل فهم
علمي وصحيح لقضايئنا ومشاكلنا .



التاريخ - الحركة الأفكار - المصالح

— القومسيير السابق للشئون اليهودية في حكومة فيش — يعلنان تأييدهما لإسرائيل ، فمن حقا أن نصلح إذا لم تكن كراهيتها للعرب ولحميد الناصر خاصة هي أساس موقفهما ، وهو شك يقويه اتفاق جميع حركات المائتين من الجرائر معها في هذا الوقت » .

الا ان هناك شخصيات يسارية أيضا ناصرت إسرائيل بقوة، فهذا « روبري موزلي » الذي يشترك في تحرير مجلة الأزمنة الحديثة قد أصدر نشرة خصيصا لهذه المناسبة تحت عنوان « حرب سيقاء » يتحدث فيها عن مصر باعتبارها بلدا فاشيا .

لما جرى مولده وكرستيان بيغو فيريسان أن الحوادث برهنت على صحة موقفها السابق ، وبرزت حملة السويس بعد انتهائها .

وفرنسوا ميكران — الذي كان مرشحا للرئاسة ضد الجنرال ديغول في آخر انتخابات رئاسية خاضها ديغول — يدين البلاد العربية وأن تميزت ادارته بظلال متنوعة ورقة اكبر .

كان هذا هو الموقف السام في فرنسا رغم موقف « الحيد » الذي اطلقت حكومة الجنرال ديغول . ومن الطبيعي أن الامر كان اخطر من ذلك في بقية بلدان أوروبا الغربية ، ولذلك ترى « ديميريون » يقول :
« في فرنسا وغيرها من البلدان — عندما يتعلق الامر بإسرائيل ، لا يتحرك الناس بموازين العقل

إذا صبح أن مخطط الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، كان في الأصل مخططا انجليزيا يعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فإن هذا لا ينفي أن للحركة الصهيونية المالية واقصا وخصائصها المميزة التي لا بد من ادراك كتبتها . وهذا ضروري لفهم التناقضات التي تفجرت في بعض فترات تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة بين الصهيونية وبين بعض القوى الامبريالية ، وحتى يتجنب المرء التخطي في فهم بعض مواقف الدول الغربية وبعض القادة السياسيين تجاه عدد من مطالب الصهيونية ومخططاتها وأشاعة فهم متفاؤل ومسطح من موقفهم بإزاء القضية العربية .

تكثيف الدعاية الصهيونية

من الامور الهامة التي لفتت انظار المراقبين قبيل وفي اعقاب أحداث يونيو ١٩٦٧ ، ذلك التعاطف الكبير من اقسام واسعة من الرأي العام الأوروبي مع العدوان الاسرائيلي ونتائجه .

ففي فرنسا مثلا :

« بلغت نسبة الذين تمنوا انتصار إسرائيل ٧٣ في المائة من ناخبي الوسط الديمقراطي و ٦٤ في المائة من ناخبي للجمهورية الخامسة و ٦٢ في المائة من المناصرين للاتحاد و ٣٧ في المائة من الناخبين الشيوعيين » (١) .

وكتبت « مجلة الأحداث » الفرنسية في عددها الصادر في يوليو ١٩٦٧ تقول :
« عندما نرى جاك سومتيل وكسانتيه فضلا

(1) P. Démeron: Contre Israël, Paris — 1968, p. 88.

بل يذبحون في ثوباء هستيرية ، فيرفضون التأمل في الحوادث ويضلون الحكم على النيات ، ويحل الاستنكار محل المناقصة » (٢) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هذا : هو : من أين أتت الحركة الصهيونية بهذا القدر الهائل من التأثير في الرأي العام ؟

قد تكون بعض الاخطاء الجسيمة التي وقع فيها الاعلام العربي ، والاستغلال الواسع من الصهيونية لهذه الاخطاء ، قد ساهما جزئيا في خلق الارضية المواتية لتعاظم هذا التأثير . وقد يكون للمبالغ الكبيرة التي تقدمها بيوتات المال الكبرى على الحماية الصهيونية نخل كبير . الا ان هذا الوسخ الذي - لم يكن وليد هذه الفترة بالتحديد - كان قد تكون خلال فترة طويلة بوساطة « تكتيكه » اعلامي ، مخطط قدمت به الصهيونية نفسها الى الرأي العام العالمي . تكتيكه يقوم على طرح « حجج الاختيار » وتوسم بالوصولة ومحاولة واعية لجذب جميع الاتجاهات والميل السياسية ، حتى وان اضطر في هذا السبيل الى الاعتماد على حجج متناقضة . واذا كان من الصير تتبع كل دعاوى الصهيونية وحججها الا انه من الممكن - بشكل اولى - تقسيمها الى حجج تخاطب اليهود ، حجج ذات طابع انساني عام ، وحجج تخاطب اليسار ، وحجج تخاطب اليمين .

حجج تخاطب اليهود المتدينين

لقد اتخذت الصهيونية مما جاء في التوراة من « وعد الهى » لابراهيم منذ اربعة الاف سنة ، « لقد اعطيتك هذه الارض ولغزيتك من بعدك » موقفاً لبقاً لها نسجت حوله التفسيرات والاساطير الواسعة لتجديد جماهير اليهود في تحقيق مخططاتها السياسية ، مدعية - في مواجهة كل حقائق التاريخ - ان تعبير « ذرية ابراهيم » انما يعود الى الذين يمتثلون اليوم للديانة « اليهودية » دون سواهم .

واذا كان « هرتزل » يخاطب الامبراطور الالماني غليوم الثاني قائلاً :

« نحن لا نريثنا بهذه القرية المقدسة اية حقوق

ملكبة صحيحة ، فلقد مرث اجيال عديدة منذ كانت هذه الارض يهودية . واذا تحدثنا تحدث فقط مملكا يتحدث الراء عن حلم من الزمن العريق في القدم . لكن السلم لا يزال حيا في مئات الالوف من القلوب » (٢) .

تقول اذا كان هذا هو رأي « هرتزل » فانسا نرى « وايزمان » - في شهادته اثناء مناقشة القضية الفلسطينية امام لجنة التحقيق البريطانية عام ١٩٤٦ - يؤكد ان الميثاق الحقيقي الذي يتمسك به الشعب اليهودى هو الوعد الالهى له بارض اسرائيل .

بينما يمان من جوريون « لم يكن هذا البلد ابدا ملكا خاصا لى شعب آخر غير الشعب اليهودى » (٤) .

واذا كانت الاصطورة الصهيونية هدفتنا الى البحث عن « راية مقدسة » تجند تحتها جماهير اليهود في حريها التي اعطتها على شعب فلسطين المصري ، فلقد توجهت الصهيونية باسطورتها أيضا الى الميثاق المسيحية البروتستانتية بمستلة تعلقها الدينى بالعهد القديم .

وينكر « مكسيم رونسون » : « يقرأ العهد القديم (في اسرائيل) ويهاب ويدرس بتأمل ويطمح الامر الذي له نتائج ضارة » ، فالذى يستوعب منه في الاذهان في الوضع الذي وصلت اليه اسرائيل اليوم ، وخاصة في اذهان الاطفال ، هو ما يتعلق بعماركة الامة القديمة ضد جيرانها المؤاييين والكنمانيين والفلسطينيين وغيرهم ، وتوجد المذابح والابادة التي يريدها الرب ، والقيمة العليا التي تمنحها للامة (٥) .

فاذا اصطلحت الاعمال المنافية لكل قيم انسانية والتي يرتكها القادة الصهيونية ضد السكان العرب مع قيم بعض اليهود وتراثهم الذي كونه في تضالهم من اجل المساواة والعدالة ، يستخرج القادة الصهيونيون - وممثلهم لا دينيون - من نصوص التوراة ما يبررون به هذه الجرائم ، فاقامة دولة اسرائيل على ارض الغير وانتزاعها من اصحابها ، ليس امرا مشروعاً فحسب ، بل انه امتعاجية لشئبة الرب ، فلقد وعد يهود بنى اسرائيل بارض كنعان اى بارض مملوكة

(٢) ١٩٣٩ هيجرين : المرجع السابق ص ٥٤ .

(٣) بيويت هرتزل : ترجمة مركز البحوث - ليسان : بيروت - ١٩٦٨ المجلد الاول ص ١٦٦ من النسخة الانجليزية الصادرة من مطبعة هرتزل ونيلس يوسلون بالولايات المتحدة - بنسوان (البريكات السكيلة لتيودير هرتزل ، ١٩٦٦ ص ١٠٠٠ ارفاع المصطلحات التي استخدمها في ارقام الصفحات في النسخة الانجليزية »

لغيرهم وقادهم « إلى مدن عظيمة لم تبناها » وبيوت مملوءة بالخير لم تملأها ، وأبواب محصورة لم تفتحها وكروم وزيتون لم تفرسها — وأكلت وشبعت » .

(العهد القديم — سفر التثنية
— اصحاح ٦ ، الآية ١١)

وحين يطردون العرب من أرضهم يبررونه بما جاء في سفر « الخروج » انى انعم اليكم سكان الارض فطردوهم من امامك ، لاتقطع معهم ولا مع آلهتهم بهذا .. لايسكنون في أرضك لئلا يجملك تخطي » .

(سفر الخروج ، اصحاح
٢٢ ، الآية ٢٢ و ٢٣)

لما المطامع التوسعية فيبررها « لنسلك اعطى هذه الارض نهر مصر إلى النهر الكبير ، نهر الفرات »

(سفر التكوين ،
اصحاح ١٥ الآية ١٨)

لقد كان هناك دائما يهود ربطوا دينهم عبر المصير بالعمل من أجل السلام وبالمثل الانسانية وارجعوا كل ما حل باليهود من كوارث إلى ما ارتكبوه من أعمال عنف . وفي هذا يقول الصاحف « ماغنس » عميد الجامعة العبرية في ١٩٤٨ :

« سينزل بنا عقاب من الرب . اننا نريد الذهب اذ نحن نشر الدعايات المأجورة ونعبد الدم اذ نحن نبث الرعب بين الناس » . وهذا لدى الرب حرام .. شعائرنا شاهدة على اننا كسا نلقى العقاب في كل مرة فملأنا مظه » .

ولكن الصهيونية كان لابد ان تعتمد التفسير الذي يخدم أغراضها .

ويتحمل معظم رجال الدين اليهود في اسرائيل مسؤولية كبرى يسماحهم بل ومشاركتهم في هذا الاستغلال البشع للدين اليهودي .

يقول « ثاثان هرفش » نسي صحيفة « نير » الاسرائيلية :

« ان رجال الدين قد ادارو ظهورهم لكل تحذيرات الانبياء والحكاماء ضد القوة ، وأصبحوا أكثر الناس حساسا واعجابا بالجيش وپالروح العسكرية وبالاساليب المسلحة العنيفة ، أنهم بهذا

يمطون الجيش الاسرائيلي شهادة الإثبات بأنه ينفذ تعاليم الدين اليهودي » (٦)

ولقد قام الحاخام الأكبر في اسرائيل في عام ١٩٥٦ بتسليم قائد العدوان على سيناء نسخة من التوراة قائلا للجنود : « انكم ستدخلون تريايا مقدسا .. لانه في هذه الأرض استلم معلينا موسى الكتاب » (٧) .

ولقد لقم الحاخام الأكبر في اسرائيل في عام عن عدوان ١٩٦٧ عنوانا له من التوراة ، وهو « احرب يا صهيون »

حجج تخاطب الضمير الانساني

في مقابل المشاعر الدموية التي يستثيرها الاعلام الصهيوني بين المتدينين من جماهير اليهود في العالم ، يضرب الاعلام الصهيوني على الاتراة الانسانية للعالم المخضر . وهنا تكون السلطة الأكثر رواجاً للاعلام الصهيوني هي آلام جماهير اليهود ، خلال حركات الاضطهاد الديني والصنصري في أوروبا . وفي مسكرات الاعتقال النازية . وتقديم مخطط الاستيلاء على فلسطين بوصفه الوسيلة الوحيدة لرد كرامة هؤلاء المضطهدين وحماية ما يحملون من تراث هو جزء لا يتجزأ من التراث الحضاري للانسانية .

يقول « ناحوم جولدمان » رئيس المنظمة الصهيونية المالية :

« وإلى تلك الاهداف الواقعية — التي تتلخص في انقاذ اليهود المضطهدين وتمكينهم من الحياة الجديدة في بلد يمكنونه — اضيف دائما أكثر رغبة ، حرك أيضا أفرادا آخرين اشتركوا في تأسيس الحركة ، وذلك الدافع هو الخوف من أن يتعرض النصبب اليهودي في الحضارة البشرية — وأن تمجز الميقرية اليهودية الخاصة — بعد أن قدمت الكثير للانسانية — أن تمجز عن التمييز عن نفسها بأعمال خلاقة أصيلة ، وذلك بسبب بعثرة اليهود ومركزهم في الاقلية واستبعادهم من الطوائف اليهودية » (٨) .

ويقول هيلين يعاري :

« في هذا الوقت (١٩٣٦) كان التهديد النازي للجماهير اليهودية في أوروبا يتخذ شكلا يزداد

(٦) ثاثان هرفش « المصلحيون » والجيش » جريدة « نير » يناير ١٩٥٦

(٧) نيويورك تايمز الأمريكية ١١/٤/١٩٥٦

(٨) مجلة الأزمنة الحديثة : العدد الخامس ص ٦٩٥

خطورة على مرور الايام . واصبح من الواجب انقاذ هؤلاء اليهود المضطهدين انقاذا سريعاً ، وتمكينهم من اعادة تجميعهم فسي وطنهم التاريخي » (٩)

وعلى نفس النوال يقدم الاعلام الصهيوني النزاع العربي - الاسرائيلي باعتباره نزاعاً بين عنصرين يحاول فيه « العنصر العربي » اباد « العنصر اليهودي » يقول شيمون بيريز :

« ان الامر بالنسبة لهذه البلاد (البلاد العربية) لا يتعلق بالبحث عن الاستفادة بمزايا ميسابية او اقتصادية مثل الحصول على قطعة من اقليم او على حقوق على جزء من نهر ، او تحويل نظام سياسي او اتجاه سياسي . بل يتعلق الامر بعملية جذرية هي القضاء النهائي على شعب ودولة . ومثل هذا الموقف الذي تقفه البلدان العربية يؤدي الى تحويل النزاع السياسي العربي الاسرائيلي الى نزاع يكاد ان يكون من النوع البيولوجي » (١٠) .

كما يسرف الاعلام الصهيوني في سرد العلاقات التاريخية لليهود بأرض فلسطين وتلقفهم بها ، بينما لا يتوقفون لحظة لمناقشة علاقات شعب فلسطين العربي بها .

ففترة هم يملئون :

« لم يكن ابدا كيان تاريخي باسم فلسطين » (١١) .

وتارة يصورون شعب فلسطين كمجموعة من القبائل النازية لفلسطين والوافدة من البلاد العربية المجاورة بحثاً عن مجال ، فيقول بن جوريون : « هل يفكر العرب الى مجالات ؟ هل تنقصهم الاراضي التي تمكنهم من استيعاب اللاجئين ؟ » (١٢) .

وبذلك تقدم الصهيونية نفسها الى الراي العام العالمي كحركة تحرير لارض مفتتحة ، فاعلان قيام الدولة الصهيونية هو « اعلان الاستقلال » * وعنوان ١٩٤٨ هو « حرب الاستقلال » * وحرب

السويس عام ١٩٥٦ هي « تحرير للمنطقة المصورة بين سيناء الجنوبية وقمة البحر الاحمر » (١٣) ، كما لصاغ اضطراب النوايا التوسعية تحت شعارات « اسرائيل التاريخية » و « للتصالح بين الشعب والارض » واستغلال كل ما يشهده التطور العالمي من قضايا * من ذلك قول « ناحوم جولدمان » مؤيدو الإطماع الصهيونية في الارض العربية :

« انه لامر سيء من الناحية الاخلاقية كما انه من الناحية التاريخية مصدر للاضطرابات والصدام ان تمتلك بعض الدول اراض شاسعة غير مأهولة ، في حين ان دولاً اخرى مغلقة في مساحات صغيرة كثيفة بالسكان ، تتميزها عن ان تضمن لهم حياة لائقة . ونحن نجد نفس الوضع فيما يتعلق بالنزاع اليهودي العربي في فلسطين » (١٤) .

حجج تخاطب اليسار

لما كان من المعروف ان اليسار يمارس الاضطهاد العنصري ، ويتناضل من اجل الديمقراطية ، ويناصر الحركة العمالية والدول الاشتراكية ، ويحارب التخلف والنظم الرجعية ، تتقدم اليه الصهيونية ودولتها بالثوب الذي يماثل الميل اليساري جميعاً .

فالصهيونية تقوم على انها هي الحل لمشكلة « اللامسامة » . يقول هرخابي : « لقد اسهمت الصهيونية بنصيب اساسي في حل المشكلة النازية للامسامية ، تلك المشكلة التي سوف تستمر قائمة طالما ان اليهود يشكلون اقلية بين الامم » (١٥) .

وباسم انتصار الديمقراطية على الفاشية تفرض الصهيونية لنفسها الحق في فلسطين ، فتقول جولداف مايفر في خطبة لها في اجتماع الاتحاد العام للعمال اليهود في ١٢ من سبتمبر عام ١٩٤٦ موجبة الحديث الى حكومة العمال البريطانية : « ليس هذا الذي يطلبه بكثير عليكم ان الشعب اليهودي يطالب بان يكون لنا الحق في

(٩) مجلة الازمة العبدية : العدد الخامس في ١٧١

(١٠) مجلة الازمة العبدية : العدد الخامس في ٥٠٧

(١١) ايجال آرون - جريدة الاتحاد الاسرائيلية ١٧/٢/١٩٦٦ .

(١٢) مجلة الازمة العبدية : العدد الخامس في ٥٢١

(١٣) بن جوريون في خطاب اعلان الهجوم الاسرائيلي على

١٩٤٨/١١/١٦

(١٤) مجلة الازمة العبدية : العدد الخامس في ٢٩٦

(١٥) مجلة الازمة العبدية : العدد الخامس ، في ٤٧٦

وطن • في مكان خاص بنا ، كنتيجة لهذه الحرب ولانتشار الديمقراطية على الفاشية والنازية • اننا لا نطالب بالأحسان ولا بالاشفاق • (١٦) »

ولهذا الهدف كان لا بد من ابراز العرب كاتصار للفاشية ، فنقول مجلة « اقلية القرد من One Minority of The امريكية في عددها الصادر في اكتوبر ١٩٦٧ : « ولكن احدا لا يستطيع ان يقلب السجل المريب الخاص بالتعاون مع النازيين مقابل سجل يهود فلسطين في النضال البطولي ضد النازية » .

وتتكلم الصهيونية باعتبارها « حركة عمالية » تقول جولدا مائير في مجلة « دافار هابوليت » بتاريخ ٢ مايو عام ١٩٦٩ : « ان الحركة العمالية في هذا البلد ، بل والطائفة اليهودية كلها في هذا البلد لتعلم تماما انه لا يوجد سوى طريق واحد تضمن به للأهالي اليهوديات مستقبل اولادهم وهو ان ننقذهم من جهنم القشتت ونأتي بهم هنا الى هذا البلد » (١٧)

وفي شهادتها باسم الحركة العمالية اليهودية امام لجنة التحقيق الاتحادي امريكية في ٢٥ مارس ١٩٤٦ ، قالت : « تم التصريح لي باسم ما يقرب من ١٦.٠٠٠ عضو لاتحادنا بان اقول ، في أوضح اللفاظ ممكنة ، بأنه لا يوجد شيء ليست الحركة العمالية مستعدة للقيام به حتى نقبل جماهير واسعة من المهاجرين اليهود في هذه البلاد دون قيود ، ودون أية شروط مهما كانت » (١٨)

وفي تجاهل كامل لكل التطورات التي طرأت على موقف الدول الاشتراكية من الصهيونية ومحطاتها ، تتلذذ الصهيونية - في تقديم نفسها لليसार - بان الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، قد أبدوا مطالبهم بإقامة دولة لهم في فلسطين .

واسرائيل ، من جانب آخر ، هي « ولحة الاشتراكية والديمقراطية والتقدم » وسط صحراء من النظم الرجعية والديكتاتورية والتخلف • تقول جولدا مائير في خطبة لها بنادي الصحافة القومية الامريكية في ١١ ديسمبر ١٩٥٦ ، أي بعد العنوان الثلاثي (حرب المويص) مباشرة : « لقد كانت

القاعدة السائدة في هذه المنطقة هي وتجوهر الديكتاتورية والاضطهاد والنظم القاطعية ، ولم تزدهر الديمقراطية فيها أبدا ، ووسط الشروبة البترولية الواسعة تعيش الجماهير المروضة للشعب في حالة كاملة من البرؤس والفقر • هنا حدث أن ولدت اسرائيل مرة أخرى ، منذ ثمانين سنوات في وطنها للقديم ، أمة قدمت نفسها كلها للديمقراطية والسلام والتقدم » (١٩)

يتساءل « خوف بارينز » : « ماهي اذن الخدية التي قدمناها للاستعمار سوى طرده من هذه القطعة من الارض ، وهو طرد يطابق - على أية حال - أوله في البلاد العربية المحيطة ؟ » (٢٠)

لما السلام والتمايش السلمي فهن المزمور الذي لايل الاعلام الصهيوني من ترديده • ودعاوي القوم في هذا الشأن هي فسودج « للسلام الروماني » القائم على فرض الامر الواقع مهما كان ظالما او جائرا •

حجج تخاطب اليمين

وتزخر ترسانة الدعاية الصهيونية ، في نفس الوقت ، بحجج هامة لخاطبة اليمين •

يقول بن جوريون : « عندما يفكر أحد رجال الدولة ، أي السياسة في الصهيونية اليوم فهو لا يفكر بطريقة الانتداب والميثريسن والمشايلين والشعراء ، وانما يفكر بالارتباط بمناسخ مادية جدا هي البترول والدولة اليهودية في فلسطين ، والشرق الاوسط وروسيا وامريكا » (٢١)

واذا كان « هرتزل » قد قدم مخططة الصهيوني لاوريا ، قائلا : « بالنسبة لاوريا ستكون هناك (في فلسطين) حصنا من الحصون الامامية ضد آسيا ، ويمكننا ان نشكل الليميان الطليسي للحضارة ضد البربرية » • فان الاعلام الصهيوني لايل جهدا في تقديم اسرائيل كجزء لا يتجزأ من الغرب ومصالحه •

كتبت مجلة « هاتسوفيه » : « يمكن للمرء أن يلاحظ أن أمة تباين بين نيكسون وجونسون • لقد

Golda Meir: This is Our Strength, New-York, 1962, p. 26.

(١٦)

(١٧) جولداماير : المرجع السابق ص ٧

(١٨) جولداماير : المرجع السابق ص ٨١

(١٩) جولداماير : المرجع السابق ص ٧٨

(٢٠) مجلة الأمانة المحيطة ، العدد الخامس ، ص ٤٤٤

(٢١) ب • وأستريا : من للمويس الى العلية (بالفرنسية) - كوهين - باريس - ص ٤

أمر جونسون على مقترحاته الخمسة الواضحة لأنه كان يعرف أن الجيش الإسرائيلي لا يدافع عن إسرائيل وحدها ، بل يدافع كذلك عن مصالح العالم العربي » (٢٢)

ويستقى «اليزيد يعاري» من الترسانة الفكرية للمبريالية إحدى مقولاتها المتبذلة «داعيا المسكر الاستعماري إلى التدخل السريع والكامل إلى جانب إسرائيل معنا :

«أن الاتحاد السوفيتي يستغل النزاع اليهودي - العربي لتقوية هيئته في البلدان العربية» (٢٣)

كما تنشر جريدة «هايوم» الإسرائيلية خطابا لرئيس ادارة حزب الاحرار وعضو الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) يقول فيه : «علينا أن نشرح للرأي العام العالي في الغرب وفي أمريكا أن القضية ليست قضية خلاف بين اليهود والحرب . وإنما هي محاولة سيطرة روسية على المنطقة بأسرها ، وأنه لا يمنع هذه السيطرة سوى وقوف إسرائيل قوية وصادا في وجهها » (٢٤)

وإذا قمى على الثورة الاساسية للاسامية بهزيمة النازية الانانية يلج دعاة الصهيونية على ابراز البلاد الاشتراكية باعتبارها موطننا لاضطهاد اليهود حتى يمزجوا بين المظف عليهم وبين كراهية الاشتراكية - من تلك تنظيم الحركة الصهيونية لـ «أسبوع يهود الاتحاد السوفيتي» وتنظيم حملة في المدارس عن «تاريخ اليهود في روسيا» بعد ثورة ١٩١٧ .

وإذا كانت صرخة «دوف بلاتين» التالية تهدف إلى استئثار التعصب القسومي لدى اليمينيين : « هذا حق في الأرض ، وحق في طبقة فلاحية وأخرى عمالية تكوينان لي ، وحق في الاتزان العقلي ، وحق في الوطن ، بروج انسانية وعالية » (٢٥) ، فإن التباين بالقوة والانتصارات العسكرية يحول إلى حجة جديدة وقوية في يد الاعلام الصهيوني في مخاطبة اليمين . إن حجة « ليفي أشكول » في كسب المساندة الامريكية هي أن إسرائيل اقوى دولة في المنطقة لم تكن وليدة الزهو بانتصار ٦٧ فحسب - بل لقد سبق أن كتب «مجدلاني» في الاثمنة الحديثة قائلا :

● وسيل مندلسون ●

[١٧٢٩ - ١٧٨٦]

فيصوف الماني ، مترجم العهد القديم من العبرية إلى اللاتينية ومفسر له . وذلك بدءا مرحلة جديدة في تاريخ اليهودية . وكان من أوائل الذين طالبوا بتحرير اليهود .

كان مندلسون يجمع في وقت واحد الاتياد إلى اليهودية وإلى الأمة الألمانية . وكان يهدف لتعليم أبناء دينه اللغة الألمانية ذلك بدمهم لتقبل الثقافة الجرمانية . ولقد بدأ بترجم التوراة إلى الألمانية من أجل أبنائه خاصة ، ثم قرر انشرها باسموعلى نفقته .

ولقد كان لهذه الترجمة اثر فعال في جعل اليهود يشركون في حركة التقدم المصاصرة ، وولدت فيهم الرغبة القوية لبنى القومية والثقافة الألمانية وبدأت معهم عهدا جديدا في مجال تعليم الصغار وتنظيم المدارس اليهودية . ■

« إذا كان هذا النصر (يقصد عدوان ١٩٤٨) لم يبرهن على أحقية إسرائيل في هذه الأرض ، فإنه قد تمكن من أن يقدم البرهان غملا على أن إسرائيل مستعدة للقتال والموت من أجل ما تعلم بأنه المركز الحالي لتاريخها » (٢٦)

وبعد ، فبما هذه سوى ميئات من دسماوى الصهيونية . ولما كانت معظم هذه الدسماوى تعتمد على مغالطات تاريخية واجتماعية وسياسية ، سواء بالنسبة لتاريخ اليهود أو لتاريخ شعب فلسطين ، فلابد - والحال كذلك - من أن نجاول بعض هذه الدعاوى قبل أن نكتشف من حقيقة الصهيونية .

الصهيونية ردة في حركة

الإصلاح الدينى اليهودى

كما شهدت المسيحية حركة الإصلاح الدينى اللوثرى ، وكما شهد الإسلام حركة الإصلاح الدينى على يد الحركة الوهابية وجمال الدين الأفغانى فى الشرق ، وعلى يد عيد الجييد بن بائيس فى المغرب العربى ، وغيرهم ، بغرض تخليص العقيدة الدينية من الجلود الذى سيطر

[٢٢] الاغرام التسامرية - ١٩٦٩/٢/٢٨ «
[٢٣] مجلة الأثمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٨٧٠

[٢٤] دايوم الاسرائيلية - ١٩٦٨/١٢/١٢
[٢٥] مجلة الأثمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٤١٤
[٢٦] مجلة الأثمنة الحديثة ، العدد الخاص ، ص ٢٨١

عليها في عصور الاضطاع المظلمة ، كذلك شهدت اليهودية ، منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بدايات حركة اصلاح ديني شامل كانت تتناول — بالتحديد — تلك الاساطير التي اعتبرت عليها الصهيونية لتبرير حركتها ، خاصة اسطورة ارض الميعاد في فلسطين .

ولقد اوردت « الانسكلوبيديا اليهودية » المطبوعة في بدايات هذا القرن ، عددا هائلا من الواقع ، تكشف تلك الحقيقة التي ييذل السهيونيون قصارى جهدهم لاختفائها . وسوف نكتفي هنا بتسجيل نص ماوردته الانسكلوبيديا اليهودية من مؤثرات الحاخاميين ، وحركة مندلسون ، وغيرهم من الاصلاحيين . وعن علاقة الصهيونية بالدين اليهودي وحركة الاصلاح فيه .

مؤتمرات الحاخاميين

كان الدافع الى عقد مؤتمر الحاخامات الاول هو ظروف حياة اليهود التي اصابتها التغيير في اوائل القرن التاسع عشر نتيجة تحريمهم من قوانين الاقطاع وما لازم ذلك من المصالحة والتوفيق بين العقائد الدينية وطقوسها من جهة ، وبين مطالب الواقع الجديد الذي كانوا قد واجهوه .

ولقد انمعدت خمسة مؤتمرات ذات وزن ، خلال المرحلة الممتدة من عام ١٨٤٤ حتى عام ١٨٨٥ ، حضرها كلها معظم حاخامات الاصلاح البارزين حينئذ في ألمانيا وأمريكا . وفتحت بداولات تلك المؤتمرات ، والقرارات التي تبخضت عنها ، فصلا هائلا من فصول تطوور العقيدة اليهودية .

كان الهدف من المؤتمر الاول (المتعدد خلال الفترة من ١٢ — ١٩ يونية ١٨٤٤) دراسة وسائل وسبل الحفاظ على اليهودية وبعث الروح الدينية .

بينما اثار المؤتمر الثاني التساؤل عما اذا كان يجب حذف الصلوات من اجل رجوع اليهود الى ارض آباؤهم ، ومن اجل اعادة الدولة اليهودية من طقوسهم الدينية .

اما المؤتمر الثالث (من ١٢ — ٢٤ يوليو ١٨٤٦) فقد اتخذ عددا من القرارات الهامة

بالنسبة لواضيع مثل السبت والاجازات والختان وتقاليد الحداد .

ولقد وافق المؤتمر الرابع (الذي عقد نسي نيلاندليا من ٢ — ٦ — ١١ — ١٨٦٦) على الصياغة التالية للسبوت (٢٧)

① لم يكن قصد اسرائيل اعادة اقامة الدولة اليهودية القديمة على يد احد خلفاء داوود ، الشيء الذي يستلزم انتمالا من ايم العالم ، بل كانت الغاية التي تهدف اليها ائتحد جميع ابناء الله في الاعتراف بوحدة الله لكي تتحقق وحدة جميع المخلوقات العاقلة ، ودعوتهم الى التطهر الخلقي .

② نحن نصبو الى اجتناب الكهنوت اليهودي الثاني ، ليس كمنصب لخطيئة اسرائيل بل كتحقيق للمشيئة الالهية التي تكشفت لابراهيم ، وهي المشيئة التي تجسد في تشقت اليهود في جميع ارجاء العالم لكي يحتنوا رسالتهم التشريعية العظمى وليفتحووا ايام المعرفة للهومبادته بطريقة صحيحة ووسيلة .

③ ان التشير والديسطة الموسوية ليسا سوى خطوات اولية وتمهيدية لتوهيلها الى جميع افراد الشعب ، وهو ما بدأ تحقيقه بتفتت اليهود ، واحتمال التضعضعات في سبيل تكريس الحياة وتطهير النفس . هذان الشيئان ، وحدهما ، هما اللذان يخلقان السرور الى قلب الله العلي ، وهما وحدهما اللذان يحوزان قبوله . ولقد كانت هذه التقاليد التي تفتح الطريق لحياة التقوى ترتبط بالمضي ثم انتفى مهدها بتفريق المبد الثاني . وبهذا المعنى فقط ، أي باعتبارها عوامل تربية ترتبط بالمضي — يحتتم ان نذكرها في صلواتنا .

④ ان اختيار اسرائيل كمنصب عقيدة ٤ وكحابل للفكرة العليا للاسمائية ، يجب ان يستمر التأكيد عليه .

وقبلا يلي بعض القرارات التي اتخذها المؤتمر الخامس (المتعدد في بنسبرج « لينتجراد حاليا ، من ١٦ الى ١٨ نوفمبر عام ١٨٨٥) :

تشارك في العمل الكبير الذي يجري في وقتنا الحالي لإيجاد حلول تستند إلى الحق والعدل للمشاكل التي تطرحها تناقضات وشروخ التكوين الحالي للجمعية الإنسانية (٢٨) .

اليهودية الإصلاحية

نعني باليهودية الإصلاحية تلك المرحلة من الفكر اليهودي الديني التي وجدت تعبيرها الأول في المذهب والنظام الديني اللذين وجدنا في بعض المبادئ الألمانية . ولقد انتقلت تلك الإصلاحية إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث جرت عليها سنة التطور . وتم هذا عقيدة رحلة « مندلسون » وكتيجة للجهود التي بذلت أثناء الخمسينات من القرن التاسع عشر لتحقيق التحرر المدني والسياسي .

● نبذة تاريخية ●

رغم أن الحركة الإصلاحية اليهودية ترجع إلى بدايات القرن التاسع عشر ، فملايد من تبع بداياتها إلى التغييرات الجذرية التي طرأت على حياة اليهود خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر . فخلد انعكس أثر جهود الاتفاق السياسي والثقافي والاجتماعي والديني أكثر ما انعكس على اليهود الذين كانوا منقسمين تماما عن العالم في أحيائهم « الجيتو » التي اضطروا إلى الانزواء فيها لقرون عديدة .

لقد تضاعفت مدة مواصل على إخراج اليهود من هذا الواقع ، في مقدمتها الثورتان الأمريكية والفرنسية اللتان نبهتا اليهود إلى حقوقهم السياسية . وكان من أثر التعاليم التي انبثقت عن هذه الصراعات أن زال بالتدريج مجز اليهود السياسي ، وعلى وجه الخصوص في فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا .

ولقد أوجه مجهود « مندلسون » في المجال التربوي الحافز على مجاراة اليهود للحياة الثقافية ، وفتحت ترجمته الكتابية لأسفار موسى الخمسة إلى الألمانية ، الأبواب التي قادت اليهود إلى كحوز الثقافة العالمية :

وعبما يتعلق بهذا لا يمكن التغاضي عن الأثر الذي أوجده تأسيس المدارس التي كان يتلقى فيها أبناء اليهودية التعاليم الحديثة .

① نحن نترك أنه في كل جهة يبدل لمصرفة الروح المطلق وأنه في كل أسلوب ومصدر أو نظرة للوحي ، يؤمن بقصدية أي دين ، وعيا بحلول الله في الإنسان ...

② كما نذكر أن التشريع الموسوي نظام لتدريب الشعب اليهودي على رسالته أثناء حياته القومية في فلسطين . ونحن لا نقبل اليوم من هذه الشريعة إلا قوانينها الأخلاقية، ولا نحافظ إلا على الطقوس التي ترتفع بجعلنا وتطهرها ، ونرفض كل ما لا يتشى مع الآراء والعادات التي تحملها الحضارة المعاصرة .

③ ونعتقد أن جميع القوانين الموسوية التي تنظم الغذاء والنقاء الكهنوتي قد انبثقت خلال المصور وتحت تأثير أفكار غربية تماما عن حالتنا الفكرية والروحية الحالية . وهي لا تستطيع أن تجد اليهودي المعاصر منفعة من النقاء . ولذا غاب تنفيذها ، والسيرير بمتضاها ، من شأنه أن يعمق أكثر مما يمزج القيم الروحية .

④ ونحن نرى في مصرنا الحالي - مصر الثقافة العالمية للمقول والغلوب ، اقترابا من تحقيق أهل إسرائيل الأكبر في إقامة مملكة الحق والعدل والسلام بين جميع الناس . ولا نعتبر انفسنا بعد الأمانة أو دولة وانسا مجتمعا دينيا . ولهذا لا نقبل الرجوع إلى فلسطين ولا العودة إلى أي قانون من القوانين التي تتعلق بالدولة اليهودية .

⑤ نحن نرى في اليهودية ديننا تقديما يعمل جاهدا لكي يساهم بدهيات العقل . ونحن نرى أن الحفاظ على شخصيتنا التي كنا نتميز بها في ماضينا العظيم ، من إلزام الضروريات ، كما أننا نقرر الرسالة الإلهية للمسيحية والإسلام - وهما « إيمان لليهودية » - لنشر عقيدة التوحيد . ونعترف بأن روح الإنسانية المتزامية الأطراف في عصرنا هذا ، تلقى إلى جوارنا في تحقيق رسالتنا ولهذا نهد أيدينا لكل من يعمل معنا في إقامة دين الحق والعدل بين الناس .

⑥ مع التسليم التام بروح الشريعة الموسوية التي تجاهد في سبيل تنظيم العلاقة بين الأغنياء والفقراء ، نعتبر أن من واجبنا أن

المسيح ؟ لماسرائيل نفسها هي شعب المسيح الذي فرض عليه أن ينشر - بمسوده وأخلاصه - العقيدة اليهودية في كافة أرجاء الأرض ، وإن يكون مثالا للاستعارة أمام الجميع . وليست القرابين والكهانة المرتبطة بالمفهوم القومي السياسي لهذه اسرائيل مناصرة لازمة للديانة اليهودية . بل على العكس ، فلقد زالت مع كل امتيازات الكهنة والتزاماتهم ، فكل يهودي كاهن ، فرد من الشعب المقدس ، ومن مجتمع الكهنة الموكولة اليه مهمة الخدمة في مذبح الانسانية المثالي . وهدف تاريخ اليهودية ليس دولة دينية في فلسطين ، وإنما الهدف تحقيق مبادئ الحق في المجتمع والدولة ، تلك المبادئ التي أرساها الانبياء والحكماء القدامى .

لهذا تخلت اليهودية الإصلاحية عن الاعتقاد في مسيح انسان ، وألغت محله عقيدة رسالة اسرائيل التي ستتحقق في عهد العدل والسلام العالمين . وتتفادى اليهودية الإصلاحية عن وحى - وليس فقط اضطرابا - عن قوانين أسفار موسى الضميمة التي تشير الى القرابين والكهنوت أو الى فلسطين - وهي تزيل من كتاب الصلوات كل إشارة الى المسيح والعودة الى فلسطين ، وتجديد النظام القومى الكهنوتى ، وتكف عن إعلان أنها فى المنفى ، إذ ليس هناك سبب يدعو اليهودي المعاصر فى أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا الى الشعور بأن البلد الذي يقيم فيه أرض غريبة عنه . فيعد أن يصبح اليهودى أمريكيا أو ألمانيا أو لا يصبغ فى مقدوره أن يدعو لنفسه ولا يثبت أن يصبحوا بالنعمة الإلهية مواطني دولة أخرى وأرض أخرى هي اسرائيل القائمة فى فلسطين .

ولقد ولدت حركة الإصلاح الدينى الكثير من المفكرين لليهود الذين حاربوا العودة الى فلسطين فذكر منهم على سبيل المثال «هيرش» وهولدهيم .

○ لفكار صموئيل هيرش الرمزية ● (١٨١٥)

— ١٨٨٩ ، ٤

عالم القضية من زاوية رمزية * فهو - كاستاذة هيجل - يعتبر للتاريخ عملية وحى إلهى . لكنه عاد فعارض كلا من «باول» و «هيجل» و «كلنت» كما صايرى أغلبية صاحبامات الإصلاح - فلقد أن اليهودية ليست ناموسا وإنما هي مجموعة من العقائد تجسد تعبيرها فى اسرائيل من خلال عبقرية انبيائها . كما يقع على اسرائيل عبء تطبيق هذه الحقائق ، وضرب المثال أمام جميع العالم . ويوجد هذا الالتزام وهذه الوظيفة من الاب الى الابن ويتم فرضها منذ الولادة .

يرتكز التناقض بين اليهودية الإصلاحية وبين اليهودية المحافظة على مفهوم دور اسرائيل ان الفترة اليهودية الارثوذكسية لا ترى فى فلسطين مجرد المهد . وإنما المال النهائي لليهودية ، إذ يرتبط الاستيلاء عليها بإمكانية تطبيق الناموس بعد تعطيل أجزاء الشرعية المقدسة المشروطة بوجود المهد واحتمال الأرض المقدسة - فلا يعتبر من يخالفون تلك الأجزاء منتهكين لإرادة الله طالما هم يعمدون عن فلسطين . لقد انزل الله الناموس وحكم على اليهود بالنشقة ، وللتوفيق بين التناقض بين أوامر الناموس وبين الواقع التاريخي ، تعتبر الفلسفة الارثوذكسية استعارة تطبيق الناموس عقابا إلهيا لاسرائيل على خطاياها . لماسرائيل الآن في المنفى : لقد طردت من أرضها ، فالمرحلة الحالية أن مرحلة اختبار لا يعرف مداها إلا الله . وعلى اسرائيل أن تنتظر ، فى سحر ، على حالة المنفى ، وأن تقيم الصلوات ، وأن تأمل فى مجيء المسيح الذي سوف يجمع شتاتها ويجمعه فى فلسطين ، حيث يعاد بناء الهيكل ، وحيث تعود الحياة الى النظام الكهنسى ، وتصبح اسرائيل مرة أخرى - دولة مستقلة تحافظ على نصوص ناموس الرب كما ورد فى أسفاره الضميمة . بينما يقوم السلام والعمل بين سكان الأرض مع توبة اسرائيل ، وتحقق نبوءات الانبياء فى أبهى مجدها .

ولابد أن تكون اسرائيل ، فى وقتنا هذا ، على اهبة الاستعداد ، إذ أن التوبة ستتم بطريقة معجزة . ولكن تبقى اسرائيل على شخصيتها مصنوعة ، يجب عليها أن تحافظ على الأسوار التي أقامها الناموس حولها ليبزها وليعزلها عن الأمم - بل أكثر من ذلك عليها أن تعزز تلك الأسوار ، كما يجب تقوية الحنين الى فلسطين باسترجاع الذكريات منها ، كذلك لابد من حماية الناموس نفسه بأحاطته بسياج متين .

● العلاقة بالقومية ●

أما الإصلاحية فلا تربط بين رسالة اسرائيل وقدرها وبين العودة الى فلسطين واستعادة الكيان القومى والسياسى تحت حكم ملك وإعادة بناء الهيكل والعودة الى ممارسة طقوس تقديم القرابين . صحيح أن كثيرا من تعاليم التوراة يستحيل على اسرائيل تطبيقه إذ لم توجد على أرض فلسطين ، إلا أن استحالة إقامة الناموس لا تقع تبعثها على اسرائيل . فهي ليست فى المنفى ، وتشتتها كان تجربة ضرورية لتحقيق وتطبيق مهمة الخلاص الفداء على مساهلتها . وليس مغروضا عليها أن تنتظر ، تحقق معجزة مجيء

حماية خاصة لما تتميز به من عقيدة التوحيد »
وبمجرد أن يصبح جميع الناس توحيديين أخلاقيا لا
تعود إسرائيل في أي مكان معرضة للخطر من
فقدان وحدانياتها الخاصة وتتوقف الحاجة إلى
تمايزها .

لقد ألح مولدهم على التمييز بين العناصر
القومية وبين العناصر الدينية أو المالكية ،
فمضمون الوحي كان ذا شقين ، شق قومي وشق
عالمى . والاول كان التزاما وقتيا ، ولكن هذه
الصفة الانزامية انتقلت باختفاء الدولة والامة . اما
العناصر الدينية المالكية فهي ملزمة لإسرائيل .

الصهيونية

تعريف الانتيكولوجيا اليهودية الصهيونية
بقولها :

الصهيونية حركة تصبو الى تجميع الشعب
اليهودى على اساس قومى فى وطن خاص بهم ،
وهى - على الشخصيات - الشكل المعاصر للحركة
التي تبحث لليهود من وطن لهم فى فلسطين مؤمن
قانونيا وجغرافيا . وقد انشأ هذه
الحركة « تيودور هرتزل » عام ١٨٩٦ . ومنذ هذا
التاريخ ومنذ الحركة لها السيطرة على التاريخ
اليهودى .

الصهيونية مفروضة

من اليهودية الإصلاحية

يرغب الجناح الاملاحي هذه العقيدة فقد قرر
مؤتمر الحاخامات فى فرانكفورت (٢٨ يوليو
١٨٤٥) ان يرفع من الطقوس « الصلوات من أجل
المودة الى أرض الابرار ومن أجل استعادة الدولة
اليهودية » . وقرر مؤتمر فيلادلفيا (٢ - ٣ نوفمبر
١٨٦٩) أن « الهدف الالهى لإسرائيل ليس هو
استعادة الدولة اليهودية القديمة تحت حكم احد
خلفاء داود ، وهو ما يستلزم أن يفصل اليهود
للمرة الثانية عن أم الأرض ، وانما الهدف هو
اتحاد جميع أبناء الله فى الاعتراف بوحدة الله بما
يحقق وحدة جميع المخلوقات المائلة ودعوتهم الى
القداسة الروحية » .

ولقد أكد ذلك مؤتمر لفسبرج (١٦ - ١٨ نوفمبر
١٨٨٥) فيما يلى : « نحن لا نعتبر انفسنا منذ الآن
امة ، وانما نحن مجتمع ديني ، ولهذا لا نقبل العودة
الى فلسطين ولا لتأييد القاريين وراعيها هارون ،
ولا استعادة أى من القوانين الخاصة بالدولة
اليهودية » .

المفترحات - مثل هيرش - رموز تمتددة
توضيح المفاتيح التي تؤمن إسرائيل على
صياغتها ، وهى عوامل تصاعد على ابقاء الوحي
اليهودى بقطا . ومثلما بقيت الرموز حية وغير
محتجرة ، فلن يجرى عليها الاضمار ، فهي تقدر
قيمتها بوقف الحاجة الى الابقاء عليها عندما تذهب
الى زوايا النسيان . اذ لن الحياة والتطبيق
العملى ، وليس التأموس الى التقوى على الافعال ،
هما اللذان يحددان أيا من الطقوس تجسديا رسته ،
فلا مناص من ايجاد التوافق التام بين النظرية
وبين الواقع .

ومع هذا كانت بعض الرموز تميز عن وحدة
إسرائيل . ولابد أن تحظى مثل هذه الرموز (الايام
المقدسة - السبت) بمعنى فائقة وباهتمام عميق فى
برنامج المعبد اليهودى

ويرتكز الإصلاح عند « هيرش » على اساس أن
الطقوس ليست غاية فى ذاتها بل يؤدى القيام بها الى
الشوابع عليها - وانما هى تعبير عن الاتصال
الدينية . وكل الطقوس والامال التي تشير الى
فلسطين كوطن قومي تتعارض مع مشاعر وأمال
اليهود الذين تحرروا سياسيا ، فالذي يبالغ الحموية
كرهية بالنسبة للاراء الدينية الحديثة . ومن هنا
فلا مكان لهذه الرموز القومية بعد الآن فى حياة
اليهود المعاصرين .

• أفكار صموئيل هولدهيم • (١٨٠٦ -
١٨٦٠) :

وهولدهيم ، حاخام وكاتب المانى . كان قائدا
للجناح المتطرف فى حركة الإصلاح . شارك فى
مؤتمر الحاخامات فى برنسيفيك (١٨٤٤)
وفرانكفورت (١٨٤٥) وپرسلى (١٨٤٦) حيث
عرض آراءه التي تتلخص فى الفصل التام بين
المؤسسات الدينية اليهودية وبين المؤسسات
القومية اليهودية . وكان يرى أيضا أن القوانين فى
الام الحديثة لا تتعارض مع مبادئ الديانة
اليهودية ، ولهذا فلا بد أن تنظم هذه القوانين
للزواج والطلاق بين اليهود ، والا تقوم بهذه المهمة
قوانين اليهود القومية القديمة .

ولقد رأى كثير من المجتمعات اليهودية الالمانية
فى هذا الموقف حلا لقضية الجمع بين الولاء
لليهودية وبين الولاء لجسيبتهم الالمانية .
والموسوية - كما جاءت فى الثورة - هى الديانة
المستمرة لليهودية . ويوضح هولدهيم توافقت
المتسكن بحرية للتعود . فبينما هم يتمسكون
ببعض التعاليم ، تراهم يسلمون بما كان تعطيل
بعضها . ان الطقوس تقدر معناها وتصبح ميتة
بمجرد أن تكف إسرائيل عن أن تكون فى حاجة الى

المعارضة

تكررت من معارضتها فكرة القومية وأنه إذا قامت اليهودية ببعت المحاولة لكي تصبح أمة للمرء الثانية ، فإنها تكون في طريقها إلى الانتحار .

وفي رأي جدمان أن وظيفة إسرائيل تقوم على الطابع الذي استطاعت أن تضفي على الإنسانية . وهو يرى أن اليهودية قد تأقلمت في كل مكان ، وأن صهيون ليس إلا ربحاً لمنقلبها ولستقبل الجنس البشرى . وبهذا المعنى تستخدم الكلمة في كتاب الصلوات . وأن الصهيونية الحقيقية لا يمكن فصلها عن مستقبل البشرية .

وبنفس الروح يصوغ « ك » كوهن « معارضته للصهيونية فلا يسمى نفسه مدعوا للصهيونية وإنما هو يعتقد أن لليهودية مستقبل آخر يمكن أن تحققه بطريقة إيجابية . فاليهودية بالنسبة له حقيقة دينية وكلت إلى أمة كتب عليها أن تصلح جميع الأمم والنحل والفرق والأجناس البشرية . وواجبها أن تكون عاملاً عالمياً للبشرية ترتكز على نص الكتاب المقدس الذي يقول « ستكون لي ملكة من الكهنة وأمة مقدسة » .

ويقول « كوهن » أن رسالة اليهودي ليست

ببزوت المعارضة للصهيونية من عدة جهات . وكذا كانت الصهيونية تضم بين صفوفها يهودا ذوي عقائد متباينة ، كذلك أنت المعارضة من عدة مصادر . ولقد بقيت اليهودية الأرثوذكسية في أوروبا في البداية بعيدة عن الصراع اعتقاداً أنه بسبب عدم تطبيق بعض القادة للطغوس اليهودية ، كانت الحركة الصهيونية تقوم بعيداً عن اليهودية الإيجابية . وكان الرأي أنها مفروضة على العناية الإلهية ومعارضة للتعاليم الإيجابية لليهودية الأرثوذكسية بالنسبة لحيء المسيح . وفي روسيا لم يكن الجناح المظفر من الكنيست الأرثوذكسي بمجرد الاحتجاج ، بل نظم معارضة نشيطة كانت لها جريدة خاصة في ولنا ، مما اضطر إحدى الكنيست التي افتتحتها الصهيونية في ١٤ أبريل عام ١٩٠٢ إلى أن تغلق أبوابها لبعض الوقت ، وكان يطلق على هذه المعارضة « الفرقة المظلمة » .

ولقد أضفى بعض حاشامات أوروبا على المعارضة جانباً أكثر أخلاقية . فيقول الدكتور جدمان ، أن إسرائيل منذ التيه أصبحت مجتمعا دينياً صريفاً وفائدة للشوب ، وأن مهمتها التاريخية

يودور

هرتزل



■ تيودور هرتزل ■
(١٨٦٠ - ١٩٠٤)

التي وضع برنامج الحركة الصهيونية وبدأ البناء المؤسسي لها . وقال هرتزل على رأس الحركة الصهيونية إلى أن قوبل . ويضم هرتزل مثلاً لنوجا يجسد الإيديولوجية الصهيونية ، فهو مثقف يبرع عن مصالح الطبقة الرأسمالية ويعد في التغيير الاجتماعي الثوري . وهو يخدم هذه الطبقة خدمة مزدوجة : يوسع دولته الإثنية في خدمة الدول الرأسمالية وتتواصل نشاطها على الصعيد العالمي ، وفي نفس الوقت يعمل على ضرب الحركة الثورية بسبب إحدى فصولها النشيط

ومازالت الدولة التي تأسست بعد ذلك من الأيدي الصهيونية الأولى أبنية على الفطرا الذي رسمه لها فكرها الأول .

بدأ واحد يعيشون فيه وهمهم . وفي الكتاب يخطط لتحقيق المشروع عالياً . ركز هرتزل نشاطه لإقناع حكام الدول بإفلاحة مشروعه . وهكذا قام بمصالحات عديدة لدى سلطان تركيا وقصر روسيا وقصر القيا ووزراء إنجلترا . وفي كل هذه الاتصالات كان يعرض خدمت دولته الإثنية لأي من هذه القوى . على أن حجة واحدة كانت ترد على لسانه وهو يفاوض مع هذه القوى الرامية جميعاً : أن مشروعه سيخلص الدولة التي يناهث معها من اليهود التشظين في الحركات القومية الثورية . كان يقول أنه يلزم لفسدة قومية أخلاقية كبديل للبداء الاشتراكية الثورية .

داس الأندور الصهيوني الأول الذي هدف في مخطته إلى بصويرها عام ١٨٩٧ .

ولد في بودابست . وعاش في بيئة ومصر كان اليهود فيها يمارسون حقوقهم السياسية والمدنية في ظل حركة الانحياز التي بدأتها الثورة الفرنسية . تلقته على يد « تخرج في كلية الحقوق » بدأ بممارسة الكتابة الإثنية ثم عمل صحفياً ، ومؤرخاً حياته يجمعون على أن محامته ديفوس النشاط اليهودي الفرنسي عام ١٨٩٢ كان لها الأثر الحاسم في توجيه اهتمامه للمشكلة اليهودية — لذلك استمر أن هذا النشاط استطاعت هذه الأداة قلباً وأدين بغير وجه حق لأنه يهودي .

الكتاب الرئيس الذي كتبه هو « الدولة اليهودية » أو « دولة اليهود » . الفكرة الرئيسة فيه أن إعادة اليهودية إبداعية وأن الحل الوحيد هو تجميع اليهود في

انضم الدكتور لودفيغ (من هامبورج) الى هذا الاحتجاج ، بينما عرض الدكتور ميتر (وهو محام من هانوفر) بالإضافة الى ذلك عقد اجتماع متاهض للصهيونية في برلين يعلن فيه اليهود مشاعرهم الوطنية تجاه ألمانيا . وبهذا تمسح الأرض من تحت أقدام الصهاينة . على أنه يبدو أنه لم يتم أي عمل مثل هذا على الرغم من أن الحاشام الأكبر في إنجلترا قد قام بمنع عدة حاخامات من التنبشير بالصهيونية ، كما منع أحد حاخامات اللطائفين الاسبانية والبرتغالية حاخاما آخر من الكلام عن موضوع الصهيونية بصفته الرسمية (١٨٩٩) .

احتجاج حاخامات ألمانيا

ظهر الاحتجاج الرسمي في « الجريدة الألمانية لليهود في ١٦ يوليو عام ١٨٩٧ مهورا بامضاء مجلس الحاخامات » وجاء فيها :

أولا : ان محاولات الصهاينة لارساء اساس دولة قومية يهودية في فلسطين تتعارض مع الدعوة اليهودية كما وردت في الكتاب المقدس ، وفي الوثائق الدينية بعد ذلك .

ثانيا : ان اليهودية تطالب بملئها بأن يحترموا الدولة التي يعيشون فيها ، وأن يعطوا بكل وسيلة على تعزيز تأثيرها في المجال الدولي .

ثالثا : لا توجد أية معارضة في مشروع توطين مزارعين يهود في فلسطين لأن هذا المشروع علاقة له بتأسيس دولة قومية ، وبمنفس الروح أعلن مؤنبر الحاخامات الإبركيين (المنعقد في فيرشبون) في آخر ديسمبر ١٨٩٨) معارضتهم الحركة الصهيونية كلها على أساس « ان أمريكا كانت القدس ، وان واشنطن كانت صهيون بالنسبة لليهود (كما جاء في قول لحد الاعضاء)

● **لوسين وولف** ● ● **ولوري ماجنس** ●
ومثل هذا الموقف غير المتهاون من الصهيونية اتخذته في إنجلترا « لوسين وولف » الذي لم يبق عند حد القول بأن البرنامج الذي يصفه هرزفل غين عملي ، وإنما أضاف الى ذلك قوله : ان الدفاع عن القوميات التي ينشأ عليها هذا البرنامج مخدرويرى لوسين أن اليهود من أصل آري وأنهم ليسوا جنسا متفردا وأن هناك خطرا من الصهيونية في أنها الحليف الطبيعي والدائم للعداء للسامية ، كما أنها الغير القومي لذلك العداء . ويرى ان الصهيونية محاولة لارجاع تاريخ اليهودية المسامير الى

روحية أو دينية فحسب وإنما هي - بالإضافة الى ذلك - رسالة اجتماعية وفكرية ، والصهيونية الحقيقية تطالب من اليهود أن يكونوا شهداء في سبيل الحق والعدل والسلام الى أن يصبح السيد واحدا والعالم واحدا . وهو يرفض الفكرة القائلة بأن أرض اليهودية هي وطن اليهودي ، وهي الفكرة التي تجعل اليهودي في كافة أرجاء الأرض بلا وطن ، وتخضع على كل الدعاية حلما طوباويا ، إذ أنه حتى لو أزلت تركيا فلن تصلم أية قوة من القوى المسيحية ، الأرض المقدسة لليهود ، وإن للقسطنطين أملا ضعيفا في أن تصبح في أي وقت دولة قائمة ، وفي أن تجتذب رأس المال اليهودي ، وإن المناصر المتفانرة التي ستتكون منها دولة يهودية ستعمل ضد الانتماء المنقسم في كمنولت كبير ، وأن مثل هذا الكمنولت لن يكون قادرا على الاستجابة الناجحة حيال القوى المعادية لها والمنظمة .

ولقد أعلن « كلود مونفوقار » أنه معاد تماما للخطبة على أساس ان الصهيونية ستولد الشعور بالعداء للسامية وتزيده احتداها ، خاصة إذا نظر إليها على أنها هدف مجيد بدلا من اعتبارها ضرورة محزنة . وهو يعتقد أن على اليهود أن يخوضوا حربا شريفة ولا يياسوا ، بل لنمارسوا التطهير النفسى والحفاة ومقابلة الصعاب بشجاعة في انتظار الوقت المناسب الذي ستجئ به الحضرة قريبا حين يعلن أخوتهم في الوطن أنهم مثلهم .

ولقد انتشرت اتهامات كثيرة للصهيونية وخاصة في ألمانيا . ولقد وصفت إحدى المجلات ظهور جريدة الحزب (السالم) بأنه كان كارثة ، ووصل « ج كارليتر » الى حد القول بأن اليهودية تلم تكن ديانة ، وإنما هي « فكرة أخلاقية من المالم وحقيقة تاريخية » (المالم : نوفمبر ١٩٠٥)

كذلك أصدر « مايسوم » (برلين) « وفوجلشتين » باسم اتصال حلفاءات اليهود في ألمانيا احتجاجا على الصهاينة الذين وصفوا بأنهم « مختصون أثا من روسيا » وطنية صغار متهورون » . ولقد وضع المعارضون في رسالة تمهيدية الجاديه التالية : ان اليهود لا يعدون أن يكونوا هيئة دينية - وأن اليهود في ألمانيا ثمان قوميون على الرغم من أنهم بهذه الصفة يكونون سواين لنداية سنياء ، وطالبوا بأن تتصافر جميع للطوائف الألمانية في الاحتجاج على الصهيونية السياسية والاثارة ضد دعاياتها - وأصدر بيان جماهيري من كل جمعيات الحاخامات والمعلمين ضد الحركة . ولقد

الوراء ، وأنها « نظرة جاهلة وحكيمة » إلى قضية كبيرة .

نظرة جاهلة : لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار المنصر الحسم للتقدم في التاريخ .

وهي نظرة ضيقة الأفق لأنها تخطئ بين ذكرى سياسية ومثل أعلى ديني »

ويقول وولف : إن رسالة اليهودى رسالة منغلقة (نسبة إلى منغلسون) ، وهى أن يضرب المثل للامم وأن يتخذ موقفه على أسسهم من التسامح النبيل والعالية الحقيقية .

كذلك انتقد لورى ماجنسى بمنصف الصهيونية من ناحية تأثيرها على وضع اليهود فى أوروبا الغربية وأمريكا . ويتلخص هذا النقد فيما يلى : أن الدكتور مرتزل ومن يقفون إلى جانبه خونة للتاريخ اليهودى الذى قرأوه وفهموه بطريقة خاطئة وهم أنفسهم جزء من صانعى سياسة العداء للصامية التى يعترفون بأنهم يخبونها ، إذ كيف تستطيع البلاد الأوروبية التى يعترف اليهود تركها أن تترك استيلاء اليهود ؟ ولماذا بطل اليهود مجهودات شاقة لكسب المساواة الحدية إذا كانوا هم أنفسهم أول من سيطر على ممتلكاتهم ، ويكتفون بكلمة الضميمة (أراء حول القضايا اليهودية ص ٨ لندن ١٩٠٢) واليهودى الألماني صاحب الإثر على الأدب الألماني يجب أن ينظر إلى ألمانيا - كما تعود أن يفعل طوال نصف القرن الماضى - على أنها وطنه الأم ، وإلى اللغة الألمانية على أنها لغته الأصلية ، وأن يضع آماله في مستقبل تلك الأمة . وكل رغبة فى أن يكون هو ومن يشابهونه فى الدين شعبا خارج نطاق ألمانيا هي - بغض النظر عن عدم إمكانية تنفيذها عمليا - تكرار تام لجميع الدولة التى يعيش فيها ، وهو حلم لا سبيل إلى تحقيقه ، إذ أن اليهودى الألماني للمانى بكل خصائصه للقرية وليست صهيون بالنسبة له سوى أرض الماضى لا أرض المستقبل .

ولم يجرؤ أحد من معارضى الصهيونية على ترديد ما قاله بيرر : « أن سحب الحقوق المدنية يبدو أنه الموقف الضرورى الذى يلزم أن يتخذه التشريع الألماني ضدالصهيونىوالرؤد الوحيدالذى يمكن أن يصدر من الضمير القومى الألماني » (صوت الحق - برلين ١٩٠٥ ، ص ١٦٥ - وما بعدها) .

اعتراضات ثانوية

وبينما كانت مثل هذه الاشكال من النقد تلمس المبادئ الأساسية للصهيونية، كان هناك شكل آخر

من النقد يعالج التهم التى يشهد عليها الشعوب الملم الذى أجبه من كل جانب للتقدم التتالى للحركة الصهيونية - ولقد لخصت جريدة « العالم الاسرائيلى » المسألة نقالت :

« الحقيقة الأساسية فى المسألة هي أن الصهيونيين والمعتدين للصامية هما نفس الشيء »

وتحدثت عن « أعداء الصامية - لصديقاء مرتزل » (١٢ مارس ١٨٩٨) .

وكان الرحالة انوار جلازير يرى أن الحكومة البريطانية قد ساندت الصهيونية لتطمح تركيا ، وتكون دولة عازلة .

كذلك قطعت المعارضة فى الولايات المتحدة شوطا بعيدا ، فقد كان اسحق م. ويز عميد كلية الاتحاد البرية يرى أن الصهيونية كانوا « خونة ومثاقين ، أو أغبياء خياليين تتمازج أفكارهم مع مشاعرهم وأعمالهم على طول الخط (جريدة الاتحاد العبرى ديسمبر ١٨٩٩ ص ٢٧) بينما كتب الحاخام ساميغلد فى « جوش سيكاتور » يقول أن الصهيونية انفجار شاذ لعاطفة منحرفة . أما الأستاذ لويس جروسمان فكان يرى أن الاثارة التى يقوم بها الصهيونية تتمازج مع كل خصائص اليهود والصهيونية وأن الحركة الصهيونية علامة من علامات عدم الامتلاء ، وأنها لا تتبع من قلب اليهودية ودخلها سواء فى الماضى البعيد أو فى عصرنا الحالى » (جريدة كلية الاتحاد العبرى - ديسمبر ١٨٩٩ ص ٧٢)

هنا يثور تساؤل هام : ماذا كان مستقبل هذه الحركة الإصلاحية ؟ .

لقد تضافرت عدة عوامل على إجهاض هذه الحركة وبالتالي على إنتاج الحركة المعارضة لها منها (٢٩) .

١ - فقلا ، لم توافق حكومة بافاريا على انتخاب دانييل بنهور أحد الاصلانيين - حاخاما من منجم فيلهلواوسمين عام ١٨٢٨ بسبب آرائه المتحررة ، فقبل منصب حاخام فى المجمع الاصلاحى فى بودابست فى أكتوبر عام ١٨٥٢ ولكن حتى حكومة النمسا عارضت حركة الاصلاح ، ورغم معارضة آينهورن ومطالباته الشخصية ، فقد أغلق المعبد بعد فترة وجيزة وتوجه الى الولايات المتحدة حيث حضر مؤتمر الحاخامات عام ١٨٦٦ .

الصهيونية والمشكلة اليهودية

عرفت البشرية في تاريخها الحديث كثيرا من الدعاوى العنصرية التي قامت على أساس اللون أو الجنس ولكن الصهيونية تدمت نوعا من العنصرية يقوم على تعصب عرقي للفريد في بابه يزعم أن كل اليهود في مختلف أرجاء المعمورة تسلم رجل واحد هو إبراهيم عليه السلام ، وترفض كل حقائق العلم والتاريخ هذه الفكرة المحورية للصهيونية .

لقد تعرضت اليهودية - كأي دين - لظاهرة تغيير ديني مزدوجة : فاعتنق كثير من اليهود الإسلام أو المسيحية .. ومن المقطوع به أن جدود يهود فلسطين الأصليين قد تحول عدد كبير منهم إلى المسيحية وهدد أكبر إلى الإسلام . وكان اعتناق المسيحية ظاهرة عابئة ومتكررة بين اليهود في أوروبا ، كما اعتنق كثير من غير الميرانيين للديانة اليهودية . وقد أشار جوفينال في القرن الثالث الميلادي ، ودون باسبيوس في القرن الثالث ، إلى العدد الكبير من الروم الذين تهودوا وختنوا أولادهم .

.. وفي محاضرة ألقاها عام ١٨٨٣ لاحظ المفكر الفرنسي ريفان حادثة الخنزير ذلك الشعب الاسيوي الذي أتى على الأظلم من الإحراش المغولية وكان يقطن جنوبي رومانيا ، في عهد شارلمان . وفي عام ٧٤٠ تهود بولان ملك هذا الشعب وحول به مددا كبيرا من رعاياه واتباعه إلى دينه الجديد طبقا لمادة انتشرت في تلك الأزمنة .. وقد استغل اليهود أنفسهم هذا الحادث في الثلاثينات خلال مناقضتهم العلمية للعنصرية النازية (٣٠)

ويلاحظ مكسيم رونسون :

« يكفينا - من الناحية التاريخية - أن نذكر الدولة اليهودية في جنوب الجزيرة العربية في القرن السادس والتي تكونت من هرب جنوبيين تهودوا ، والدولة اليهودية التركية لشعب الخنزير في روسيا الجنوبية الشرقية في القرن الثامن ، ويهود الصين الذين لم يكونوا يفتقرون عن الصينيين في شوء ، واليهود السود لنيطة كوشين (الهند) واليهود الفلاشية بالحبشة (٣١)

ومنذ عصر السبي في بابل ، وأبان انتشار اليهود في مختلف البلاد ، عبر مختلف العصور

٢ - إما العامل الثاني فهو خطط الاستعمار ،

ففي عام ١٨٥٢ طالب هولانجسورت الإنجليزي بإنشاء دولة يهودية للمحافظة على الطريق البري إلى الهند (الموسوعة اليهودية ج ١٢ ص ٦٦٨) . ويعتقد أدوارد جالزر أن الحكومة الإنجليزية قد أبدت الصهيونية في سبيل تكوين دولة عازلة (الموسوعة اليهودية ص ١٢ ٦٧٤) .

٣ - وعامل ثالث هو افتقار الحركة الإصلاحية إلى التنظيم . وما حدث في أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات من هذا القرن ، يوضح هذا العامل (جون دافيز : السلام المراءغ ، لندن ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥ - ٢٧)

ولقد نصت المادة ٤ من قانون الانتداب على أنه يجب إيجاد « وكالة يهودية » توجه هيئة إدارة فلسطين وتتعاون معها . ولقد قامت المنظمة الصهيونية العالمية بهذه المهمة بين عامي ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ ، وفي عام ١٩٢٩ وافق المؤتمر الذي انعقد بين المنظمة الصهيونية وبين الموسوعة فيسير الصهيونية على تكوين هيئة أخرى سميت الوكالة اليهودية من أجل فلسطين بوجرد أن بدأت الوكالة عملا رشعت المنظمة الصهيونية المالية ممتلكها في الأجهزة الحكومية من أعضاء لجهزتها الإدارية أو التشريعية ، بينما لم يكن لليهود غير الصهيونيين أي تنظيم عالمي ، مما دفعهم إلى ترشيح الأشخاص عند مشاورات ، وهو الأمر الذي حال دون شغل جميع المنصب المطلوب شغلها ، وبالإضافة إلى ذلك ، لم يكن أمام مرفسعى اليهود فيسير الصهيونيين سوى أن يكونوا مجرد متدئين من مجموعات غير صهيونية متفرقة لم تنسق سياستها عميا بينها ، وإن تصرفوا على أساس إكجابهم الشخصية .

وننتج من ذلك أن الصهاينة الذين كانوا يعرفون ما يريدون ويحاربون بقوة لتحقيق ما يريدون كانت لهم اليد الطولى في الوكالة منذ تكوينها الأول : وهكذا تقلص بالتدريج دور العناصر غير الصهيونية ومع مرور الوقت أصبح أعضاء الإدارات المنفذة كلهم من الصهاينة ، يضاف إلى ذلك أن تكوين أجهزة الوكالة أصبح مع مرور الوقت مطابقا لاحتياجات المنظمة الصهيونية ، الأمر الذي جعلها جزيين في تركيب تنظيمي واحد .

المعهد الروماني بلّ وقيل ذلك في عهد الفرس *
ومنتد زمن طويل يوجد من اليهود في مدينة
نيويورك وحدها أكثر مما يقطن منهم في دولة
إسرائيل ، ولقد اختارت أغلبية اليهود التاركين
الجزائر فرفضوا كمكان لهم لا إسرائيل (٢٤) * ولقد
تكونت الجالية اليهودية الأمريكية مثلا بالهجرة من
أوروبا الشرقية *

يقول دوف بارنير :

« وقد جرى حينئذ توسع تنقل للسكان شهود
التاريخ ، إذ عبر أربعة ملايين من اليهود
الحيط الاطلنطي خلال جيل واحد (أوأخر
القرن التاسع عشر وأوائل القرن
المشرين) (٢٥) »

ومع هذه الهجرات الى المناطق المتفرقة بدأ
اليهود يفقدون ارتباطهم باللغة العبرية « حتى ان
بطليموس ملك مصر في القرن الثاني الميلادي قام
بتكليف عدد من الاحبار بترجمة التوراة الى
اليونانية (الترجمة السبعينية) حيث كان يهود
مصر عاجزين عن قراءة التوراة » (٢٦) فحدثوا
في غالبية الحالات لغات البلاد التي رحلوا اليها ،
وعاشوا على أرضها *

أذن هل اختلقت الصهيونية ما يسمى
بالمشكلة اليهودية اختلافا ؟ الواقع انه رغم تفرق
اليهود - وبسبب هذا التفرق - فانهم احتلوا في
البلاد المختلفة التي عاشوا فيها مركز الاقلية
الدينية مما جعل هناك تمايزا اختصوا به في عديد
من البلدان وخلال فترات كثيرة *

ذلك ان الميول التجارية والمالية المتوارثة جيلا
بعد جيل لدى اليهود والتي يخفيها في الاصل
كونهم رجلا ، ويطورها العديد من مبادئهم الدينية
ومفوسهم - رسمت لتشاكلهم الاقتصادي في
المصور الوسطى خطا مبهدا ، وكذلك مالتقالييد
الاقطاعية في العديد من البلاد الأوروبية خلال
العصور الوسطى ، تلك التقالييد التي كانت تبع
غير المسيحيين - ابتلاك الأرض وممارسة الأنشطة
الاقتصادية « للنبيلة » حصرت اليهود في ميدان
التجارة والمال والحرف الصغيرة والباعة
الجائلين - وهي الحرف التي يمارسها أيضا

كثرت حالات زواج من تحين يهودية ؟ الامر الذي
تجيزه الشريعة الموسوية *

وكانت كثرة الترحال بين أرض العراق
وفلسطين ومصر مصدرا آخر لذلك التمازج
البشري الذي ينفي الفكرة العنصرية ، ذلك ان
الميرانيين فكانوا واخلطوا من الشعوب تبايزا تسلسله
المختلفة منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام - والدليل على
ذلك ان لميسرائين الذين تراهم على النقوش
المصرية يختلفون عن الميرانيين الذين تصورهم
الاثار البابلية المحاصرة (٢٧)

ويشهد رافاييل باثاي مدير « معهد هرتزل »
بمدينة نيويورك « ان ما وصل اليه علم
الانثروبولوجيا الطبيعية يبين انه - يعكس المعتقد
الضائع - لا يوجد عنصر يهودي »

ومن جانب آخر فان اليهود كمجموعة لم تنش
فوق أرض واحدة فترات طويلة ، بل هاجروا الى
أرجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر جدا يرجع
الى بدايات التاريخ الميلادي ..

يقول روتنسون :

« ان آخر دولة يهودية مستقلة حقيقية في
فلسطين قضى عليها عام ٦٣ قبل الميلاد عندما
استولى يرميوس على القدس ، وكذلك نجد ان
الاحمال الاخيرة للامة اليهودية في فلسطين ترجع
الى تاريخ ثورة باكوشباه عام ١٢٥ بعد
الميلاد (٢٨) »

ومن عام ١٢٥ حتى عام ١٩٤٨ لم يكن هناك
شيء اسمه الامة اليهودية في فلسطين * ومع ان
هجرة اليهود كانت - في فترات معينة - تعود الى
الاضطهاد العنصري أو الديني الذي لاقوه - الا
انهم مارسوها في أغلب الاحوال لطبيعة صفاتهم
التجارية التجواله مثلهم في ذلك مثل الكثير من
شعوب الشرق *

يقول روتنسون :

« علينا الا ننسى ان أغلبية اليهود اختارت
الهجر (نياسبرواه) طوعية ، واليوم كما كان منذ

(٢٢) اسماعيل صبرى عبد الله - في مجلة إسرائيل من ٤١

(٢٣) المرجع السابق ص ٧٠

(٢٤) المرجع السابق ص ٦٦

(٢٥) مجلة الأزمنة الحديثة العدد الخاص ، ص ٤٢٤

(٢٦) اسماعيل صبرى عبد الله : المرجع السابق ص ٥٢

الحديثة من الأفراد في المشرق حتى الآن (اللبنازيون - اليونانيون .. الخ) .

وهكذا استمر تمايز اليهود في المجتمع الأوروبي لأن القطاع الأوروبي ميزهم .

ولقد كان ممكناً أن يصبح استيعاب اليهود في الحياة الاقتصادية خلال الألف سنة التي مضت أمراً متعباً لو لم يتدخل غير اليهود تدخلًا سياسياً إذ كانوا يقومون من وقت إلى آخر - بينهم من الانسحاب في الاقتصاد العام ويصفونهم جانباً (٢٧)

ويلاحظ أن مذاهب اليهود الجماعية في أوروبا بدأت في الثالث الثالث للعصر الوسطى في الفترة التي بدأت فيها النظم الاقطاعية تتزعزع تحت ضربات الحركات الثورية للبرجوازية مما جعل الحكام يبحثون عن كيش فداء يوجهون إليه غضب الجماهير وكان اليهود كيش الفداء هذا .

يقول احمد هايز :

« وقعت المذبحة الأولى - منيعة كيفس بروسيا - في عام ١١١٢ لا قبل ذلك - وحدثت الإبادة الجماعية لليهود في إنجلترا عام ١١٨٩ وفي أسبانيا عام ١٨٤٨ وفي ألمانيا بين عامي ١٣٣٠ و ١٣٣٨ ، وبدأت عمليات نفى اليهود وطردهم في فرنسا عام ١١٨٢ وفي إنجلترا عام ١٢٩٠ ، وفي عام ١٢١٠ ابتكر البابا انوسان الثالث علامة « الروليل » لتمييز اليهود (وهي الصورة السابقة للنجم الأصفر الذي ميز به هتلر اليهود (٢٨) »

وقد استمر تمايز اليهود في المجتمعات الأوروبية بغير ما استمرت نظم التفرقة الدينية الاقطاعية ، بما يصاحبها من تمييز اقتصادي وقمع مسلح أو غير مسلح .

أما في المجتمعات الأخرى التي كانت « مفتوحة » بالنسبة لهم ، فقد فقدوا الصفات المميزة وتم استيعابهم فيها ، وأبرز مثال لذلك الطائفة اليهودية في الصين التي تم اندماجها واستيعابها تماماً في المجتمع الصيني في نهاية القرن الثامن عشر .

اليهود في العالم العربي

ورغم ظلمات الحكم العثماني على البلاد العربية فإن تاريخ البلاد العربية عامة - وقد عاشت فيها

جاليات يهودية كبيرة - لا يضم وقائع تذكر لصداعات دينية أو عنصرية ضد من يعتقدون المسيحية ، « شالجميع » ساميون - « الجميع » يعتقدون كونهم من نسل اسحق واسماعيل ولدى أبي ااهيم .

لقد عانى يهود البلاد العربية مما كان يعانيه المجتمع عامة من تظلف وطائفية واستبداد وتمسوا بما كان يصيبه من تقدم ضئيل .

بل وكان المفهوم الإسلامي الشائع عن تاريخ السيد المسيح ، والقاتل بأنهم « ما صلبوه وما قتلوه ولكن شبه لهم ، صك تبرئة ميكر لليهود من دم السيد المسيح حمام من السلاح الديني الذي كان ركيزة للذبايح الدينية ضددهم في أوروبا طوال القرون الوسطى .

وقبل ظهور الاسلام اعتنق فريق كبير من عرب الين شريعة موسى ، وحين طرد الأمبراطور الروماني « طيطس » اليهود من بيت المقدس لجأ عدد كبير منهم إلى مصر وإلى الجزيرة العربية ثم عادوا إلى القدس بعد ذلك بحوالى سنة قرون حين حررها العرب من حكم بيزنطة .

وحين احتل الصليبيون المدينة المقدسة أعمالوا التمييز في المسلمين والمسيحيين ، وطردوا منها اليهود ، ولما حررها صلاح الدين عاد أهلها من اليهود إليها خلف جيش « البطل العربي الكبير » .

وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا في العصور الوسطى تحاصر اليهود في أحياء لا يخرجون منها تسمى « جيوت » وتفرض عليهم صنوفاً من الاضطهاد ، كان الفكر اليهودي يزدهر في بلاد العرب ، وتنمو الفلسفة اليهودية مقتنية أثر للفلسفة الإسلامية على منهج المتكلمين أولاً ثم متأثرة بفلسفة الاسلام الكبار . واكثر الاسما في تاريخ الفلسفة اليهودية حتى العصر الحديث كانت بلا شك أسماء موسى بن ميمون تلميذ ابن رشد وطبيب صلاح الدين ، ويوسف بن سعيد الفيومي المشهور عند اليهود باسم سحنيا .

وكانت المدارس الدينية في الاقطار العربية وفي مقدمتها مدرسة « سورا » في العراق منارات للفكر اليهودي ، وكان معلوماً يولفون بالعربية والعبرية على حد سواء .

وحين قرر حلوك اسبانيا والبرتغال طرد اليهود

من شبه الجزيرة الأيبيرية بعد أن طردوا العرب
البرنجين والمستعمرين منها لجا غالبية اليهود إلى
الإقطار العربية في شمال أفريقيا حيث كان
للسامح الإسلامي، في الوقت الذي كانت محاكم
التفتيش فيه تهرب كل أوروبا .

وإذا كانت اللغة دائما شاهدا حضاريا لا
يكتب ، فلقد تكلم يهود البلاد العربية لغة العرب ،
في حين أن الإضطهاد حملهم في أوروبا على أن
يستخدموا مؤلفات خاصة بهم . . وهكذا
نشأت « الديدش » و « اللاندش » — الأولى مشتقة
من الألمانية والثانية مشتقة من الإسبانية .

بل لقد برز الكثيرون من اليهود في علوم اللغة
العربية . وكان حاضما يهود مصر دافيد ناحوم
عضوا بالجمع اللغوي المصري في مصر حتى وفاته
عام ١٩٥٠ .

وبينما كانت قضية الاضطهاد الواقع على
الضابط اليهودي ديفوس تيز فرنسا كان الكاتب
والفكر والفنان البارح اليهودي يعقوب بين
صنوع (أبو نظارة) يصدر جريسته « للتكتيك
والتكتيك » مساهما بدور لا ينكر في انهاض
الحركة القومية في مجال الفكر والثقافة ، واجدا
كل ترحيب وتقدير من الوطنيين المصريين .

وفي مصر بالذات ، حيث كان التقدم الرأسمالي
مبكرا عن غيره في البلاد العربية ، يورد كتاب
اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ —
١٩٤٧ (٢٦) عددا ضخما من الوقائع التي تؤكد
روح التسامح التي تمتعت بها الطائفة اليهودية في
مصر . لقد أسسوا ستة محافل طائفية في القاهرة
والاسكندرية والمنصورة وطلطا ويسوسعيد .
واقاموا على أرض غالبا ما كانت تمنع لهم بالمجان
من الحكومة المصرية ٢٩ مبيدا في القاهرة ،
وعشرين مبيدا في الاسكندرية وأثنى عشر مبيدا
آخر في مختلف مدن القطر . وإنشأوا عددا كبيرا
من المدارس ومراكز التدريب ، كانت أولاها
مدرسة بن ميمون ، ومركز التدريب الذي أوصى
بإنشائه سالمون شيكوبيل عام ١٩١٩ . كما قامت
الطائفة اليهودية عددا كبيرا من الجمعيات الثقافية
والفنية والاجتماعية والرياضية وتمتعوا بحرية
كاملة في التعبير ، وكان لهم صحفهم ومجلاتهم
الخاصة إلى جانب اشتراك كثير منهم في تحرير
الصحف المصرية .

لقد عرفت مصر في عام ١٩٢٤ وزيرا يهوديا

للمالية هو يوسف قطاوى باشا — كما وصل عدد
كثير من كبار الرأسماليين اليهود إلى مقاعد
مجلس النواب والشيخوخ .

وبينما كانت موجة المضادة للصناعة قد بلغت
ذروتها في أوروبا في عام ١٩٤٢ ، ولقي اليهود
تحت نير الارهاب النازي كل صنوف التمييز
والاستبعاد والتجريد ، كان الرأسماليون اليهود
في مصر يتمتعون بحرية تكوين الثروات واستغلال
موارد البلاد الاقتصادية وتوجيهها من أجل
الحصول على أقصى حد من الربح . وهكذا كانوا
يساهمون في إنشاء وإدارة وتوجيه اثني عشر بنكاً
وشركة مالية واقتصادية كانت تقف على رأس
النشاط المالي في البلاد ، وسبع شركات من شركات
الاستغلال الزراعي وأربع عشرة شركة من شركات
استغلال أراضي البنية وتسبع من شركات النقل
البري والبحري وأربع من شركات الصناعات
الزراعية الحيوية مثل حلب القطن وكبس وتصنيع
السكر ، وست من شركات صناعة مواد البنية
وخمس وأربعين شركة في مجالات الصناعة
الأخرى . وكانت في مجموعها تمثل — في حقيقة
الامر — عصب الاقتصاد المصري . هذا على الرغم
من أن نسبة كبيرة من اليهود في مصر كانوا
يتبنسون بالجنسيات الأجنبية ، ولمبوا في
تاريخها دور الكومبرادور الوسطاء للرأسمال
الأجنبي الاستعماري ، مما جعلهم ينادونهم عندما
استرد المصريون حقوق السيادة على أبورهم
الداخلية منذ عام ١٩٥٢ بشكل خاص .

ولا يختلف الوضع العام في البلاد العربية
الأخرى ، خاصة تلك التي تمت فيها الصلابة
القومية ، مما كان عليه الوضع في مصر ، مع
استثناءات قليلة منذ عام ١٩٢٠ لجأت إليها
السلطات العثمانية وأثارها المطامع الصهيونية
التي بدأت تسفر عن وجهها في فلسطين . ويشهد
دون جوزيف الذي ظل حقبة طويلة حاكما عسكريا
إسرائيليا للقمع العنصر من مدينة القدس (قبل
عدوان ١٩٦٧) بقوله :

« اننى بعد أربعين سنة عشتها في فلسطين على
قناعة بأن بين اليهود والعرب كثيرا من السمات
المشتركة وإنهم يستطيعون العيش معا في سلام ،
وانا لم أشهد قط لدى المسلمين الذين يؤلفون أكثرية
عرب فلسطين أى شعور بالعداء نحو اليهود يمكن
أن تصفه بالأسامية »

ومع التطور الرأسمالي لدول أوروبا الغربية

(٢٦) احمد محمد فنيح واحمد أبو كنه : اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ — ١٩٤٧ — القاهرة
دار الهلال — انتشر المجلد الأول كله .

والولايات المتحدة الأمريكية الذي أتى معه بالغاء أسباب التمييز بين الناس هذا الأساس المالي ، أخذ تمايز اليهود في غرب أوروبا وأمريكا في الاختفاء . وهذا يقول مجدلاوي :

« أن الظرف الأسيل في حياته الذي خلقته التجربة اليهودية في أوروبا (وينسبها لقل ذلك التقدم الذي تم إحرازه في بعض بلدان أوروبا الغربية) ، ذلك الظرف يواجه اليهودي المعاصر بضرورة القيام بتصحيحات فكرية لا تستطيع جميع الأساطير اليهودية تحقيقها بنفس السهولة » (٤٠) .

ولكن البقايا الاقطاعية الشديدة التي تأخر زوالها في أوروبا الوسطى والشرقية توية الجذور وقد اختلفت العملات المعادية للسامية بهدف صرف الانظار وإيجاد كيش دماء . وكان أول من قام بهذا في تاريخ أوروبا الحديث هو الجنرال بمماركه لمحاربة الاتجاهات الليبرالية والاشتراكية التي عادة ما تقدم لها الاقبليات نسبة مرتفعة من إبنائها .

أن تأخر دول أوروبا الشرقية في حركة التطور الرأسمالي ، أبقى على تمايز اليهود وانعزله بشكل واضح ، وأعطاهم بعض الصفات الخاصة ، منها التحدث بلغة خاصة بهم هي لغة اليديش ، وهي خليط من الألمانية المحرفة والعبرية ، كما أن اليهود الذين هاجروا من ألمانيا بسبب حملات التقتيش في القرن الخامس عشر إلى تركيا ، ظلوا منعزلين أيضا وكونوا لانفسهم لغة خاصة عرفت باسم اللادينو ، وهي خليط من الإسبانية المحرفة والعبرية .

فإنظره العلمية والتاريخية تشير إلى أن حل « المشكلة اليهودية » في أوروبا كان يسير في الاتجاهين :

الأول : هو استيعاب الجاليات اليهودية الموجودة في بلدان غرب أوروبا ، وهو حل مهد له شيوع الحياة الديمقراطية والقضاء على الفقرة على أسس دينية في تلك المجتمعات ، وحركة الإصلاح الديني بين اليهود .

والثاني : هو الاتجاه إلى تكوين مجموعات محلية ذات سمات قومية في بعض من بلدان أوروبا الشرقية متشابهة بلغاتها وأرضها وتكوينها النفسي مما عداها من قوميات ، ومن معتققي الديانة

اليهودية المنتشرين في البلدان المختلفة . وكلا الاتجاهين كان يقدم مضمونا اجتماعيا لتحرير جماهير اليهود يقوم على الصراع ضد القوى الاقطاعية والرجعية في تلك البلدان .

وكان ظهور الصهيونية في هذه الظروف بإفكارها شبه الكونزبوليتية عن « شعب يهودي عالمي » و « وبة واحدة ليهود العالم لاجمع كان مليل عرقلة حاسم لهذا الحل .

فالصهيونية ، وقد تقيمت كحركة تفسر لنفسيها سلطة عالمية تبطل جميع اليهود في العالم وتمتل على فصلهم من مجتمعاتهم ثم الانقراض بهم على فلسطين ، كان لا بد لها وأن تهندس كل قواها لمحاربة فكرة واتجاهات الاستيعاب ، وفكرة استقرار أي يهودي في الوطن الذي ولد وعاش فيه .

يقول أورث هيرزبرج : « بالنسبة لمرتزل فان الظلم والاضطهاد أكثر فائدة للحركة الصهيونية لانها لا يخلقان الجو المناسب والمساعد على الاندماج في المجتمعات الأوروبية » (٤١)

وبهذا تصبح الصهيونية هي :

« العدو اللدود للحركات الإصلاحية والمحاولات الاندماجية التي كانت ستؤتي ثمارها لو أتبع لها الاستمرار والفعل في حياة المجتمعات الأوروبية حينذاك » (٤٢)

ودغم أن الحركة الصهيونية بشرت بتكوينها ، منذ هرتزل ، على أساس استعانة الاستيعاب ، مستغلة حادثة درينوس في فرنسا ، فانها سرعان ما تحولت لتكون الأداة الرئيسية في عرقلة هذا الاستيعاب بل والحرب ضده بمسا تشتهر من مفهومات وما تمارسه من أعمال .

نشرت جريدة « جيروزاليم بوست » الإسرائيلية في ١٢ - ١ - ١٩٦٦ ما جرى في مؤتمر المجلس الصهيوني العام في ١١ يناير ١٩٦٦ فقالت :

« أعطى إيبان تفسير الحكومة الإسرائيلية لتوعية العلاقة بين إسرائيل وبين يهود العالم . فحدد هذه العلاقة على الشكل التالي : أننا ننظر إلى أنفسنا كمحور أو كلمة لشعب عالمي ، وليس فقط ككولة صغرى محدودة بحدودها الجغرافية .

(٤٠) مجلة الأزمة الحديثة ، العدد الخامس ، مقال مجدلاوي ص ٢٨٢
(٤١) هيرزبرج : أكرشد « الفترة الصهيونية : تحليل تاريخي ومختبرات - ١٩٥٩ ص ٢١
لا ٤٢ : أسعد مرقوق - نظرة في أحزاب إسرائيل - بيروت - ١٩٦٦ ، ص ٤٦

ان الصهيونية جزء لا يتجزأ من مسئوليتنا المشتركة ، وسوف نتابع إسرائيل بقرب كبير مناقشاتكم •

وقد تقدم ناحوم جولدمان بالبرنامج الجديد لنشاط الحركة الصهيونية في المؤتمر السادس والعشرين الذي انعقد بالقدس بين ٢٠-١٢-١٩٦٦ و ١١-١-١٩٦٦ ، ونص بوضوح على ان الجانب الرئيسي لهذا النشاط هو تأكيد الطابع القومي المميز لجميع اليهود المنتشرين في العالم وضمان بقائهم الدائم كأمة منفصلة •

وفي أثناء المناقشات التي جرت في الاجتماع الشامل الخامس للمؤتمر اليهودي العالمي في ديسمبر ١٩٦٦ التي جولدسمان خطبها بعنوان « الشعب اليهودي في القرن العشرين » قال فيه : « ان وجهتنا للرئيسية اليوم هي الداخلية ولم تمد الخارجية ، وهذا أكثر من أي يوم مضى • فالخطر الذي يهدد بقاءنا هو الاستيعاب والتفكك وان عملية الاستيعاب والاندماج لا تفصل اليوم الانراد فقط ، بل تتعلق بحياتنا الجعاعية كيهود ، وصفتنا كوحدة جماعية متميزة • »

وفي مؤتمر المجلس الصهيوني العام بالقدس في ١١-١-١٩٦٦ بدأ ناحوم جولدمان كلمته بمرء مخاوف الحركة من « الانقراض الدني » لليهود ، واعتبر ان الاندماج لليهود يشكل اليوم خطرا اكبر بالنداء لليهود من خطر الاسامية • وقال انه اذا لم يتغير تكوين الحياة اليهودية وصورتها ، فستصبح يهودية جزء كبير من الاجيال اليهودية القادمة مشكوكا فيها • وقال انه يجب العودة الى « صهيونية مقاتلة » والعمل على تقوية مبدأ وحدة الشعب اليهودي واعتبار إسرائيل محوره •

وهكذا مثلت الصهيونية ، منذ نشأتها ، حركة مضادة للاتجاه التقدمي في حل مشكلة اليهود في الاتجاه الصحيح •

ومن جانب آخر وجدت رجعتا شرق أوروبا في الصهيونية فرصتها للتخلص من « اليهود المشاغبيين » في بلدانها • وكانت حكومات ألمانيا وروسيا القيصرية أكثر المتحمسين للحركة الصهيونية ، واليهما بدأ هرتزل مسيرته ليعرض عليهما « الآثار المفيدة » للحركة الصهيونية في اجهاض الحركة الديمقراطية في بلدانها (انظر رسائل هرتزل الى امبراطور ألمانيا وقصر روسيا فيما بعد) •

وهكذا ؟ بدلا من المضمون التقني لسلك الاتحاضين السابقين في حل المشكلة اليهودية في أوروبا ، مضمون الصراع ضد القوى الانتاعية والرجعية هناك ، قدمت الصهيونية مضمونا لحل المشكلة اليهودية وتحرير اليهود يقوم على توجيه الصراع ضد شعب فلسطين والعمل على طرده من وطنه وأرضه ، في تحالف مع كل القوى الرجعية والاستعمارية الأوروبية •

وهذا النوع من التفكير الكومبوليتي ما كان له ان يخلق أمة لا من يهود العالم أجمع ، ولا حتى من اليهود الذين نجح في استجلابهم الى أرض فلسطين ، ذلك ان :

« العقبة الرئيسية في سبيل تكوين أمة متميزة في إسرائيل هي الرابطة الصهيونية ، فإسرائيل لا يمكن أن تصبح أمة الا اذا تخلت نهائيا عن اعتبار نفسها وطنيا لكل يهود العالم • ان فكرة القومية الاسرائيلية تفي بالضرورة للقومية اليهودية • وهي لا يمكن أن تتبلور وتتأكد الا في الحدود التي تشمل فيها وتتلافى فكرة ان اليهود في العالم كله شعب واحد • ان اصرار الاسرائيليين على البقاء جزءا من كل مشتت يقتل عناصر التمييز ويحول دون إبراز شخصية قوميته ، والواقع انهم لا يمتدرون لنفسهم أمة متميزة ولا يفكرون بهذه العقبة • ومن المسلم به ان من عناصر القومية هذا الاحساس المبيق للشخصية المستقلة » (٤٢) ،

الصهيونية وضحايا النازية الهتلرية

استغلت الصهيونية مأساة يهود المائتين في عهد النازية لخدمة اغراضها السياسية ، وتم ذلك بكيفية أثارت اعتراض الكثيرين من المفكرين • كتب بيير ديميرون « ان هذا الاستغلال ، دون حياة لوتى مصكرات دخاوا تشلفق وترينكا من جانب الذين ما زالوا على قيد الحياة ليس الاضعا معنويا ، لم يكف فيه بتعذيب ضحايا البربرية النازية وهم احياء ، بل اقتصب نكرامهم أيضا • لقد كان النازيون يستخرجون من جثث الضحايا المواد اللازمة لصناعة الصابون ، أما الصهيونيون فاتهم يستخرجون منها المبررات (لسياستهم الاجرامية) (٤٤)

ورغم كل دموع الاسى التي لا تنتك تزلفها

(٤٢) إسماعيل ميرى مد الله تعالى روحه إسرائيل مع المرجع السابق ص ٥١
(٤٤) ب • ديميرون : نفس المرجع ص ٥٢

الصهيونية على هؤلاء الضحايا من جسامير اليهود ، فالواقع ان الحركة الصهيونية بالجزاير المختلفة قد ارتكبت موضوعا من الجرائم في حق هذه الجوامع ما يرضيها بكلتا قدميها في مسكر القوى العنصرية لها .

لقد ناصرت الحركة الصهيونية القوات المضادة لثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧ ، رغم ما عرف عن هذه القوات من عداء مشهور للسامية .

وقبل الحرب العالمية الثانية ، وفي اثنتائها ، رفض القادة الصهيانية باصرار كل المشروعات التي ترمي الى انقاذ ارواح الضحايا اليهود من الطغيان النازي ما لم تكن هذه المشروعات تخدم اطماعهم السياسية في اقامة الدولة الصهيونية في فلسطين . وفي هذا الصدد يقول المعلق والمؤرخ الأمريكي ليلنثال - وهو يهودي - ان وزارة الداخلية الامريكية لمعت معارضة قوية من جانب الحركة الصهيونية لمشروع توطين اليهود في الامكا ، وهم هؤلاء اليهود الذين لجأوا الى الولايات المتحدة فرارا من الاضطهاد النازي في الثلاثينات .

ويشير موريس أرنست ، وهو شخصية سياسية امريكية بارزة ، الى « جهود الصهيونية التخريبية » لمشروع الرئيس روزفلت الدامي الى انقاذ حياة ٥٠٠ ألف انسان كانوا في قبضة هتلر ، وذلك باعطائهم حق اللجوء السياسي الى الولايات المتحدة ، فبعد حراش الصهيونيين هذا المشروع ، لانه كان يفتح امام اليهود ابوابا للهجرة غير ابراب فلسطين ، ويشير موريس أرنست في مذكراته الى حديث جرى بينه وبين الرئيس الامريكي روزفلت اهدى فيه الأخير أسفه لانه لم يتمكن من تنفيذ مشروعه بسبب الضغط الشديد الذي مارسه عليه قادة المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة . وقال روزفلت بهذا الصدد ان الحركة الصهيونية تدرك ان فكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين تدرك عليها تبرعات طائلة ، لبا اذا منح حق اللجوء السياسي لآلاف انسان يصرف النظر عن الجنسية والدين واللون ، فان الصهيونية لن تحصل على هذه الاموال . كما مارست الحركة الصهيونية ضغوطا شديدا على الحكومة الامتريالية لكي تمتنع عن توطين اللاجئين اليهود في غرب امتراليا طبقا لمشروع كمبلي .

ويورد كتاب « اطلاق الحماية » عددا من الحقائق الهامة عن حقيقة العلاقات الخفية بين الحركة الصهيونية وبين النازية الهلترية استنادا الى مصادر صهيونية نقل منها :

في كتاب ميكر اسمه « العنصر » يظم بن هيكت مبنى ميونخ ومستندات تاريخية - يروي المؤلف تفاصيل عما دار في المحاكمة التي هزت اسرائيل

عام ١٩٥٦ وأدت الى سقوط الوزارة في تل ابيب . ففي اثناء المحاكمة وجه الادعاء الى موظف اسرائيلي كبير اسمه رولف كاستنر اتهاما بالتعاون مع الجسنايو عام ١٩٤٤ ، وظهرت حقائق دامغة تدل على قيادة الصهيونية بانهم كانوا في سبيل اعراضهم السياسية القذرة على اعتماد تسليم مئات الالاف من اليهود الى الجسنايو ، بل لم يكن هذا مجرد اعتماد انما هو قد حدث فعلا في ألمانيا وروسيا الشرقية . فالقادة الصهيونيين لم يكن يحنيهم في شيء مصير الالف اليهود التمساء ، وانما كان كل ما يعينهم هو الاتفاق مع حكام ألمانيا على التعاون معهم من أجل اقامة « وطن قومي لليهود في فلسطين » ومؤلف كتاب العنصر الصهيوني ، هو الاخر ورغم ذلك وصل آخر المطاف الى الاستنتاج بان « القادة الصهيانية في امريكا واوروبا قد سهلوا اباداة ملايين من مواطنيهم » .

ويشير بن هيكت الى ان الزعيم الصهيوني كاستنر علم من الجسنايو بآسا بيدر للمعتقلين اليهود ، ولكنه ظل يثري بكميات مخدرة ، على حين كان يجري مع الجسنايو مفاوضات لإنقاذ عدد محدود من اليهود الاتباء الميوقين ، وقد حقق كاستنر ما اراده من طريق اتفاق بينه وبين الحلال النازي ايفخان ، على ان يطلق الجسنايو سراخ هذه النخبة المختارة لقاء تسليم كمية من معدات وسيارات الفقل التي تحتاج اليها القوات النازية في عملياتها العسكرية . اما اليهود الفقراء فقد تهرج عليهم الى افران الحروب وحجرات المفازات السامة .

ويؤكد بن هيكت انه بالاضافة الى رئيس جمهورية اسرائيل وايزمان الذي كان على علم بالانفاق الذي عقد بين كاستنر وايفخان ، فسان مسئولية اباداة هؤلاء اليهود تقع ايضا على كامل موسى شاريت ودافيد بن جوريون وعدد من كبار المسئولين اليوم في اسرائيل .

ويواصل مؤلفو كتاب « اطلاق العنمية » حديثهم قائلين :

« كذلك فان الصلات بين ايفخان وبين القادة الصهيانية تتكشف في كتاب آخر اسمه « ايفخان في اورشليم » وجاء بالكتاب انه نتيجة لهذه الصلات تمت عمليات تبادل « حفنة من الصهانية نظير الموافقة على اباداة مئات الالاف من اليهود (المانيين) » .

ويكشف الكتاب المذكور من المعلومات الاكثر شيوعا بين قادة الحركة الصهيونية العالمية ، وبين النظام الهلنري . وكان القادة الصهيانية يدون في السياسة الفاشية دافعا الى ازدياد الهجرة اليهودية الى فلسطين . ومن هنا فقد تم الاتفاق بين الوكالة اليهودية وبين السلطات النازية في

المتأنيب ، وبموجب هذا الاتفاق تمهد الفاشست بشيول الهجرة السرية الى فلسطين لدرجة ان المستأيد نفسه « كان يساعد في هذه المأبوية » (٤٥) ولعل هذا هو السبب في اهتمام قادة الحركة الصهيونية بالبحث عن ايضاح وخطه ومحامكته وابعاده في اسرائيل لكونه مزة الوصل بين الحركة الصهيونية وبين السلطات النازية ، وفي نفس الوقت يتعاونون ايضا مع مئات النازيين السابقين في ألمانيا الغربية .»

الصهيونية حركة أوربية رجعية

لم يجرؤ أحد من مفكرى الصهيونية حتى اليوم - على حد علمنا - على الزعم بان الحركة الصهيونية التي فجرت كل تلك التفجرات الدامية في الشرق العربي ، طوال أكثر من نصف قرن ، كانت نابعة من تطور داخلي في فلسطين أو في البلاد العربية ، أو ان الفكرية الصهيونية الحديثة كانت تنميرا من احتياجات طبيعية للطائفة اليهودية في هذه البلاد ، أو استجابة خاصة لأوضاعهم بل يجمع كل المؤرخين على أن الفكرية الصهيونية كانت نبتا أوربيا خالصا انبثق من تربة المذبة بالطلحات القاسية في أواخر القرن التاسع عشر ، ونما متسلقا جذوعها الرئيسية يد حراب أشواكه الى جسد الشرق العربي ويسقط عليه كل نباره المرة .

لقد عاصرت ولادة الفكرية الصهيونية الحديثة نهضة حركة القوميات المضطهدة في النمسا والمجر وروسيا القيصرية . وكان ظهور الصهيونية لا كجزء متمم للمذاهب الموجبة لتسلك القوميات المناضلة من أجل الحرية ، بل كتقيض لها ، وكان هذا دورها الاصيل الذي خشيها به التاريخ . وفي ذلك الوقت وفي الممالك المنهارة في أوربا الشرقية كان يسود تنظيم الزعما ، وتقسيمهم على أساس العوامل الاقتصادية المنبثقة من التفرقة الدينية والطائفية والمرتبطة والطبقية . . الخ . ومن واقع ذلك الوجود الاجتماعي انبثقت فكرتان مختلفتان .

الأولى : فكرية القوميات المطالبة بالاعتراف بحقوق الجميع ، باعتبارهم مواطنين دون تمييز عنصري ، أو ديني ، وعلى أساس واحد ، هو انتهاؤهم للآلة المناهضة من أجل وجودها .

الثانية : فكرية مسندة من القوى الرجعية المختلطة كوميها الصهيونية ، هذه القوى التي كانت تقف الى جنب تقسيم البشر على أسس اقطاعية بل وقبيلية ، والبقايا المتبقية للتنظيمات الطائفية المنحدرة من العصر الوسيط ، أي على أسس الدين والعرق .»

في نفس الوقت كان غرب أوربا يئن بتناقضات للنمو الرأسمالي الى مرحلة الاحتكار ، وما سببه من سحق لصغار المنتجين والحرفيين . وبينما تادت الحركة العمالية الناشئة بطل هذه التناقضات عن طريق تجمع كل الكادحين والمضطهدين للهجوم على رأس المال ، كان المفكرون البورجوازيون والرجعيون يبحثون عن حل لمشاكل أوربا على حساب المستعمرات في الشرق . وكان رودس هو نموذج البطل البورجوازي في تلك الفترة .

من هذين التيارين : تيار الفكرية القومية الشوفينية التي اعتنقتها البورجوازية الصغيرة والقائمة على التجمع على أساس الدين والعرق واسطورة العودة الى جبل صهيون التي دافع عنها أساسا يهود شرق أوربا ، وإفسار الفكرية الاستعمارية الاسيطنانية المغامرة لحل مشاكل أوربا على حساب المستعمرات والهجرة لاقامة « دولة لليهود » في أي من المستعمرات (والتي دافع عنها هرتزل ويهود غرب أوربا أساسا) ، تقول من هذين التيارين تبلورت الفكرية الصهيونية الحديثة بشكلها النهائي تقريبا في المؤتمر الصهيوني الأول ، ولتكون أساسا أيديولوجيا لحركة استثمار استيطانية . وفي فلسطين ، ولتكون - في النهاية - تغييرا مركزيا عن مصالح البورجوازية الكبيرة اليهودية في غرب أوربا والتي كانت قد بدأت بالفعل في تصدير بعض رؤوس أموالها الى الشرق العربي .

قبل هرتزل ظهر الروسي ليون ليشنر الذي ألف سنة ١٨٨٢ كتابا أسماه « القصر الذاتي » أكد فيه أن اليهود يضيعون الوقت سدى إذا كانوا يأملون من تقدم البشرية خيرا . وأضاف أن عليهم أن يرفضوا اتباع هذا الطريق الى الحرية ، وأن ينصرفوا أولا كيهود فيعبرون أنفسهم معتمدين على النشاط الطائفي .

ويعد ذلك بسنوات قليلة زاد هرتزل الفكرية وضوحا وكتب في كتابه « الدولة اليهودية » قائلا : « ان العالم موجود في حالة شتت على الاغلب مدة لانهاية فيها للقوة لأولية على الحق . ولن يقيه أن يظل الناس وطنيين مخلصين مثلما كان الهيجينيون (طائفة البروشنتلت الفرنسية الذين هجروا فرنسا الى أمريكا في القرن السابع عشر) الذين اضطروا الى الهجرة » .

لقد ظهرت بين اليهود ، في نفس الوقت ، تلك الحركة التي نادت بالتححر من الجمود الديني القديم ، وبالتنماج والانصهار في التيارات الفكرية

ولقد جردت الفكرة الصهيونية « المشكلة اليهودية » من أساسها الاجتماعي ، مقدمة اياها كمشهد كراهية عنصرية • وتتصدى جريدة الاتحاد المصادرة باللغة العربية في اسرائيل لهذا المفهوم قائلة :

« تعرض الصهيونية قضايا اليهود كقضايا فوق طبقية ، كأنها تتبع بشكل حتمي من وجود يهود في وسط شعوب اخرى • • وتدعى الاستيعابية الصهيونية أن سبب اللامساوية هو مجرد كراهية اليهود •• دون علاقة بالفضلات التي تجرى في المجتمع • ومع ذلك فان النضال ضد اللامساوية ليس أمرا يهوديا فقط • ان هذا الامر يخص كل القوى الديمقراطية والتقدمية • وجزء • لا يتجزأ من النضال العام ضد العنصرية والتمييز القومى ومن أجل الديمقراطية والاشتراكية » (٤٩) •

وفي المؤتمر الذى عقده الحزب الشيوعى الاسرائيلى تلى تقرير رئيسى يقول :

« منذ أن صاغ هرتزل ، وغيره من الزعماء الصهيونيين ، الصهيونية كحركة سياسية ، قامت السياسة الصهيونية كسياسة تعاون مع القوى الرجعية ومع النول الاستعمارية ضد الحركة الانتزاعية الثورية وضد حركة التحرر الوطنى • ولا توجد دولة استعمارية لم تمنحها الصهيونية خضانتها ، ولا توجد دولة استعمارية لم تحاول بهذا الشكل أو ذاك استغلال الصهيونية لأغراضها ، ولأسيما لفرض سيطرتها على الشرق الأوسط • وبعد احتلال البريطانيين للفلسطين كان طريق الزعماء الصهيونية هو فى التمازج مع سلطات الانتداب البريطانى • وكان هذا تمازجاً ومساعدة متبادلة ضد الشعب العربى الفلسطينى • ان الجديد الآن هو أن الصهيونية تقوم بدور هام فى السياسة العالمية للاستعمار وضد البلدان الاشتراكية • وكذلك فى تنفيذ سياسة الاستعمار الجديد • وأنها - فى أيامنا ، هى الايديولوجية والسياسة المسيطرة فى اسرائيل ، وهى القاسم المشترك لكل احزاب الائتلاف الحكومى من الميروت حتى المابام • وهذه الاحزاب تجلس الآن « سوية فى حكومة الكتلة القومى على أساس حرب يونيو ١٩٦٧ وعلى أساس الاهداف الصهيونية للتوسع الأمريكى • وخيمة الاستعمار الأمريكى » (٥٠) •

ولم تكن الحركة الصهيونية حركة أوربية بفكرتها فحسب ، بل بتكوينها العنصرى أيضا.

والاجتماعية العالمية ، ويقرت بمعهد قريب يسود فيه الاخاء الانسانى الشامل ، وانفذت الحركة بقوة خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية - تحت تأثير الحقوق الدستورية المتساوية التى حصل عليها الجميع بعد الحرب العالمية • واتخذ سنة ١٨٨٥ بمدينة بيمبرج - مؤتمر لاصلاح الدين اليهودى وجاء عقد هذا المؤتمر كتصور طبيعى لما حققته الحرية والمساواة البروجوازيتان • ولما كان الهدف الاصيل لهذه الحركة هو العمل على الاستيعاب الكامل ، كان من الطبيعى أن تختلج معالمها ، كحركة ، بمجرد تحقيق أغراضها ، لتختلج الارض للحركة الصهيونية التى حاربت الانتجاهات الاصلاحية والانساجمية اليهودية بكل قوة ، ورفعت فى مواجهتها مفاهيمها شبه الاقطاعية • وشبه الاستثمارية للدولة اليهودية ، واستنكرت الصهيونية القتل العلى الذى تنادى بالتحرر الوطنى العام والتقدم الاجتماعى • ولم يكن من الغريب ان تنقف احدى التنظيمات الصهيونية « البروند ، الروسى كقوة معارضة لقوة لكتوير الاشتراكية • هذا « فى حين كان رولا يهدف « انى لنهم » وكانت الحركة الديمقراطية الفرنسية ترد على المحاولات الرجعية بهبة طمعت تاريخ فرنسا الحديث كله بطابعها ، قام هرتزل من جانبها بصدار كتابه « الدولة اليهودية » (٤٦) •

كانت الحركات التحررية التى ظهرت فى العالم ، منذ أوائل القرن التاسع عشر ، تعبيران اهداف قوميات مكونة تكويناً على أرض محددة ، وباتقتصاد ، وتاريخ ، وثقافة متباينة • أما الحركة الصهيونية فعلى نقيض ذلك نراها تصدى الى استثمار أرض بعيدة عن جميع أفرادها باعتبارها وسيلة لبناء أمة غير موجودة •

يقول فايز صايغ : « ان الصهيونية وما يتبعها من حركة استيطانية هى فى نظرهم الآن أداة لانشاء احدى الأمم ، وليست التعبير عن قومية سبق تكوينها » (٤٧) •

وفي حين أن اعداء الصهيونية يحاربونها تمسكاً بمبادئ الحرية والديمقراطية والتقدم ، نرى هرتزل يقول :

« ان الأمم ليست فى حقيقتها مستعدة للديمقراطية التى لا حدود لها فى الوقت الحاضر • وسيل استعدادها لها يوماً بعد يوم فى المستقبل » (٤٨) •

(٤٦) احمد فايز : نفس المرجع ص ٢٢

F.A Sayegh: Le Colonialisme Sioniste en Palestine Oufes. Paris, p. 8.

(٤٧) ص ٨٠ - فلسطين بين خراب الاستعمار - القاهرة - ١٩٦٧ - ص ١٧

(٤٨) جريدة «الاتحاد» الاسرائيلية - ١٣/١٢/٦٧

والواقع ان اندفاع الصهيونية الى فلسطين لم يعبّر ، في يوم من الأيام ، عن حقيقة اتجاه غالبية الهجرة اليهودية في العالم ، حتى تلك التي حدثت من ألمانيا أثناء الحكم النازي حين هاجر مايزير على ١٢٠.٠٠٠ يهودي (من بين ٥٠٠.٠٠٠ من اليهود الاثنا في عام ١٩٣٦) لم يتجه منهم الى فلسطين — ورغم كل الجهود الصهيونية — سوى ٢٥.٠٠٠ يهودي (٥١)

بل وحتى كيمرل الصهيونيين مثل :
« لويس نامير ، الرجل الذي بث الروح في الصهيونية البريطانية والذي صاغ تصريح بلفور في الحقيقة ، رفض في صراحة أن يذهب الى فلسطين الصهيونية تلك ليقم فيها رغم أنه ساهم بكل قواه في اختلاقيهم لأشياء » . وله اجاب على المرحّل عليه بالسيف الفريية التالية : « لن اشرع أبدا هناك لأنني في بيتي » . فسوف يكون لكل شيء طبيعة التركيب المعابر ، دون تماسك عنصرى ، وكل شيء ذو صفة مؤقتة أكثر مما يحتمل (٥٢)

ومع ذلك فإن « جيش الرجال اليائسين الذين هم افضل الغزاة » على حد تمبير تيودور هرتزل نفسه ، والذي قام بإنشاء الدولة الصهيونية في فلسطين ، كانت غالبية العظمى من المهاجرين الأوروبيين ، فطبقا للحصصات الاسرائيلية نفسها كان توزيع المهاجرين بموجب قلة المولد (بالنسبة الثوية) هو :

الفترة ١٩١٩ - ١٩٤٨ ٨٩٦ ١٠٠٠ (٥٣)
أوروبا / امريكا اسيا / افريقيا المجموع

وبالاعداد المطلقة ٣٨٥.٦٦ مهاجر من أوروبا وامريكا و٤٤٨.٠٩ مهاجر من اسيا وافريقيا . ولا يجدى في تغير تلك الارقام بالغة الدلالة الاحتجاج

الهجرة اليهودية بموجب قساسة المولد ١٩١٩ - ١٩٦٠

(اعداد المطلقة والنسبة المئوية) (٥٤)

القسمة المئوية			الاعداد المطلقة			الفترة
المجموع	أوروبا وامريكا	اسيا وافريقيا	المجموع	أوروبا وامريكا	اسيا وافريقيا	
١٠٠	٨٩٦	١٠٠	٤٥٢.١٥٨	٣٨٥.٦٦	٤٤٨.٠٩	١٩١٩ - ١٩٤٨/٥/١٤
١٠٠	٨٩٦	١٠٠	١.١٨٨.١٩	٧٧٠.٢٢	١٢٨٢.١	٤٨/٥/١٥ - ٤٨/١٢/٢١
١٠٠	٤٦١	٥٢٤	٩٦٨.٧٤٨	٤٤٢.٢٤٨	٥٠٧.٧٤	٤٨/٥/١٥ - ٦٠/١٢/٢١

بان عظم الهجرة من أوروبا إنما يرجع الى انها كانت بطن العداة التقليدي للسامية ، فالسطر الثاني من الجدول التالي يبين ان الامر كان أبر مخطط صهيوني أوروبى واضح ، كما يرد سطره الثالث على ما يقتضيه ان السبب هو ارتفاع ومن يهود أوروبا من يهود افريقيا وآسيا . فيعد أن أقام « للسادة » الأوروبيون دولتهم على أرض فلسطين وسيطروا على كل نواحي الحياة فيها ، اخذوا يستوردون البروليتاريا الكانحة التي كانوا يحملون بها من الخرق بأعداد كبيرة ، وتحولوا هم شيئا فشيئا الى أقلية مسيطرة .

ويلاحظ ان ارقام فترة سدوان ١٩٤٨ من ١٥ - ٥ - ١٩٤٨ الى ٢١ - ١٢ - ٤٨ ، والتي تدل على هجرة تزيد عن ١٠٢ ألف مهاجر في مدة لا تزيد عن سبعة أشهر ونصف الشهر تزيد من مجموع الهجرة التي تمت في جميع سنوات الحرب المالية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) والتي بلغت ٩٢ ألف مهاجر (٥٥) .

٣ - وكما سبق ان اوضحنا ، لقد استقبل الرجميون والاستعماريون الأوروبيون ، حتى أولئك الممارين للسامية منهم ، الفكرية والحركة الصهيونية بترحاب شديدتينبا أخذ قادة الحركة الثورية في أوروبا يدركون ، بكيفية متزايدة ، الطبيعة الرجعية والاستعمارية للحركة الصهيونية .

فمنذ وقت مبكر كان كاثال ماركس يكتب في مقال « حول المسألة اليهودية » قائلا : « ان القومية الوهمية لليهودى هي قومية التاجر ورجل المال

(٥٠) جريدة الامم - القاهرة ١٦٦٦/٢/١٩٦٦

(٥١) صائق سمح - فلسطين بين انتخاب الاستعمار - المرجع السابق - ص ١٦

(٥٢) ب - داسيريا ، المرجع السابق ص ٥٣

(٥٣)

(٥٤)

(٥٥) د يوسف صليح « الاقتصاد الاسرائيلي » - مركز الأبحاث (بنقطة تحرير فلسطين) بيروت ص ٦٤



● دافيد بن جوريون ●

كان اسمه دافيد جرين ، وولد في بولندا . ونشط منذ صغره في الحركة الصهيونية إذ كان أحد مؤسسي مجموعة صهيونية محلية تسمى يوفالي صهيون [عمال صهيون] وهاجر إلى فلسطين ، مثل الهنريوت ، ومنظمة الصالونسي وقام بدور كبير في اقامة الاقطاعات الصهيونية في فلسطين ، مثل الهنريوت ، ومنظمة الصالونسي أي الرائد والحقباء وفي ١٩١٨ انضم إلى الفيلق اليهودي في الجيش البريطاني .

ومنذ عام ١٩٣٧ - ١٩٤٨ كان بن جوريون يشغل منصب رئيس الوكالة اليهودية . ومنذ انشاء الدولة كان رئيس وزراءها ووزير الدفاع والمقاتل القملي لحزب مباي إلى أن انسحب عنه وأسس مجيشو داين حزب راقي .

وإن جوريون صهيوني متطرف - ينادي الوجود العربي في فلسطين مدهاء مطلقا . ومنذ أن وصلت قدماء هذه الأرضي كرس جهودا لاستيعاد المعامل أو الفلاح العربي من المناطق التي يسيطر عليها اليهود .

وهو يحرص حرصا شديدا على أن يكون اليهود في مختلف دول المان مرتبطين بإسرائيل ، فزعين على الهوية اليها . وهو بهذا الأسلوب يمارس ابتزازا عالميا بنقل التأيير . ويشير قضية الولاء

الزودج . والصنف والودع هما الوسيلة الناجمة لفمان أمن إسرائيل . ولهذا ارتبط اسم بن جوريون طوال حياته السياسية بمعاملات التوسع والمدوان المتواترة ومن بينها مدوان ١٩٥٦ الثلاثي ■

السياسية التحرير الصياني اليهودي وتركهم لليديش واستعمالهم لغة الشعوب التي يعيشون بينها ، وبوجه عام اندماجهم شيئا فشيئا مع السكان المحيطين بهم - هل بإمكاننا أن نغزو إلى الصلدة أن تكون القوى الرجعية في جميع أنحاء أوروبا ولاسيما في روسيا هي التي تعارض اندماج اليهود وتسمى إلى ادانة عزلتهم ؟

« أن المشكلة اليهودية على وجه النقة هي : الاندماج أو الإنزال » وأن فكرة القومية اليهودية

بصورة عامة « ٥٦ » . ويعود ليقول : « تصل اليهودية إلى ذروتها عند اكتمال المجتمع اليورجوازي ، بينما يواجه فلائيمير ليتين الحركة الصهيونية فيكتب في عام ١٩٠٣ : « قد تبدو الصهيونية للوهلة الأولى حركة ذات هدف سلمي انساني » . وجمع اليهود عند جبل صهيون في أرض الميعاد - التي لن تعرف - كما تقول شريعة الديانة اليهودية القديمة . « الظلم الاجتماعي أو السياسي » . إن الفكرة الصهيونية التي اخفيت بمهارة قد تبدو جذابة في ظاهرها . ولكن نظرة اعمق تكشف من جوهرها الحقيقي كداة لتبرير المطالب الاستعمارية والاقليمية لليورجوازية اليهودية ، وللتشهير بالسلم الطبقي الخيالي بين اليهود الماملين وتوجيههم على اساس القومية والاشوفينية في البلدان المختلفة وعلى الصعيد الدولي . ولقد اتخذت الصهيونية الدولية ، منذ ظهورها بموقفا عدائيا متشددا ضد حرية واستقلال الشعوب ، وتكشفت أمام العالم كحليف للابريالية .

ويعود في عام ١٩٠٤ أيضا فيقول :

« أن الفكرة الصهيونية كاذبة تماما ورجعية في جوهرها كمشاهدة من جانب اليورجوازية اليهودية المالية للامبريالية للسمطرة على جماهير الشعب العامل اليهودي وتعطيل استيعابهم في الشعوب الاخرى » (٥٨)

وفي مناقشاته مع قيادة حركة البوند - الاتحاد العام للعامل اليهود - الذي كان يتبنى بعض افكار الصهيونية يؤكد ليتين :

« لكن حجة البوند الثالثة التي تتفرع بفكرة الامة اليهودية لها بلا ريب خبيثة المبدأ ، ولكن لمعوء الحظ أن هذه الفكرة الصهيونية خاطئة خطأ مطلقا ورجعية من حيث جوهرها » (٥٩) .

ويعود ليؤكد :

« أن الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون امة منفصلة عن غيرها هي غير ثابتة من الناحية العلمية على الاطلاق هذا كونها فكرة رجعية من الناحية السياسية . وتعلينا الواقع المدونة للتاريخ الحديث والحقائق السياسية المعاصرة يرهانا هبليا لا يمكن دحضه على ذلك ، ففي جميع أنحاء أوروبا رافق انهيار العصور الوسطى وتقدم الحرية

(٥٦) كارل ماركس دعوى المسألة اليهودية « مقالات مختارة - الثلاويون والدوليين - ١٩٢٦ - ص ٩٢ (٥٧) المرجع نفسه .

(٥٨) مجلة الشباب السوفيتي في ١٢/٤/١٩٢٧ تحت عنوان: لينين والحركة الصهيونية .

(٥٩) د. ا. لينين « وضع البوند في الحزب » - المؤلفات الكاملة - المجلد السابع ص ٩٩

التفكير في إقامة دولة تكون خالصة لهم وركيزة لامبراطورية واسعة .

الا ان تركه الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) كانت لكثير اغراء ، وهي التي كانت مطروحة على مائدة القوى الاستعمارية الكبرى في ذلك الوقت . ولم تستقر نهائيا في بداية واحدة او مجموعة منها . وليس مثل فلسطين بلد يمكن ان تميا جماهير اليهود للانتدفاع اليها بدوافع مختلفة - سواء كانت الدوافع دينية عند البعض او رفض حضارة اوربا الرأسمالية عند البعض الاخر ، وخاصة عند يهود شرق اوربا ، من صغار الحريين والعمال، ومنذ المؤتمر الصهيوني الاول في أغسطس عام ١٨٩٧ - ركزت الحركة الصهيونية ، ومن ورثتها الرأسمالية اليهودية الكبيرة كل توافها في خيرة السباق الامبريالي المحموم حول اشلاء امبراطورية آل عثمان لتقتطع لنفسها نصيبا من هذه التركة ، وكانت لفلسطين هي الهدف .

وفيما يلي نماذج لبعض اقناب الرأسمالية اليهودية الكبيرة الذين كان لهم القدر الممل في تعضيد وتمويل الحركة الصهيونية ، وحقيقة المصالح التي يدافعون عنها .

أسرة روتشيلد

اشفي مثالات اوربا - وأقدم الاسر اليهودية المضربة التي تبنت الفكرة الصهيونية ، ودعمت لها وزادتها بالاموال . وقد اشترك أفرادها في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ، وكان يرأس هذه الاسرة في سنة ١٧٤٣ مايروانسل روتشيلد . وانتشر لبناءه بين لندن وباريس ونابولي وفيينا وفرانكفورت ونيويورك وكانت لها مساهماتها في الشركة العالمية لقناة السويس - وكان بنك روتشيلد في إنجلترا هو الذي مول صفقة شراء إنجلترا لنصيب الحكومة المصرية من أسهم القناة في أواخر القرن الماضي .

ومن المعروف ان هذه العائلة تملك أسهما في شركة شل ، وشركة الخليج اويل كوربوريشن ، وشركة البترول الفرنسية ، وكلها من كبار شركات البترول العاملة في الدول العربية « (٦٥) » .

ويذكر جان بونيه - أستاذ التاريخ في جامعة

ليل الفرنسية ، في كتابه عن عائلة روتشيلد ، ان شراء هذه العائلة لأسهم الشركات البترولية العاملة في البلاد العربية يتم احيانا بصورة مباشرة ، وحيانا بصورة مستترة عن طريق شركات التمويل التي تسيطر عليها العائلة ، وفي طليعتها « الشركة الفرنسية للبتروليات ، و « شركة استثمارات الشمال » .

وعندما طرحت شركة الخليج اويل كوربوريشن التي تملك ٥٠ في المائة من أسهم شركات بترول الكويت مؤخرا في الاسواق المالية العالمية قرضا بمبلغ ٤٠ مليون دولار ، وبفائدة ٧ في المائة ، كانت عائلة روتشيلد من بين الذين سارعوا الى الاكتتاب في هذا القرض .

لقد كان لينوبل وولتر - حفيد روتشيلد - في بريطانيا ، هو الذي قصد مع هيرت صموئيل الى لورد بلفور يطالبانه باصدار الوعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وصدر الوعد في صورة رسالة موجهة من بلفور الى لورد روتشيلد بوصفه رئيسا للاتحاد الصهيوني في بريطانيا .

وكان البارون ادموند دي روتشيلد - نسي فرنسا ، في مقدمة أعضاء أسرته في تمويل الجمعيات الصهيونية ، وخاصة تلك التي كانت تتولى شراء الاراضي واقامة المستعمرات في فلسطين . وساهم بنصيب كبير في اقامة مستعمرة بتاح تكفا سنة ١٨٨٢ ، وهي اول مستعمرة ينجح الصهاينة في انشائها في فلسطين ، وفي سنة ١٩٢٥ أنشأ جمعية الاستعمار الفلسطيني اليهودي لتتصرف على المستعمرات .

وساهمت أسرة روتشيلد بعد ذلك في مشروع روتنبرج الذي أقامه سنة ١٩٢٦ لتقاييد الكهرباء بغرض ايجاد أساس اقتصادي للاستيطان .

وبعد انشاء اسرائيل أصبحت أسرة روتشيلد تسيطر على ٧٠ في المائة من البنوك الاسرائيلية، و ٦٠ في المائة من صناعة السياحة ، و ٥٠ في المائة من مزارع الكروم ، وظلت الاسرة تاسسا وبشركا اعظم في تمويل كل المشاريع الاسرائيلية الكبرى .

وقبل وخلال وبعد عدوان يونيو ١٩٦٧ برز نشاط آل روتشيلد بشكل واضح ، وخصوصا في فرنسا وإنجلترا ، حيث قرأوا لجان التبرعات

لقد قدمت الصهيونية الحديثة خدمات جليلة لكل قضاة الامبريالية المالية ، وتمازجت مع كل القوى الرجعية والامبريالية حتى ليصعب التمييز في بعض الحالات بين القوتين . ولكنها ظلت دائما تمثيرا مركزيا عن مصالح الرأسمالية اليهودية الكبيرة الطامحة الى اقامة امبراطورية خاصة بها . وقد يتحدث زعماء الصهيونية مع تركيا عن اصلاح مالية الامبراطورية (١٦) ومع قيصر ألمانيا عن محمية ألمانيا في الشرق (١٧) ومع زعيم انجلترا عن « نقطة تركيز لمصالح انجلترا في شرق افريقيا (١٨) بوعن الطريق الى الهند (١٩) ومع قيصر روسيا عن « فساد الطلاب والمعال اليهود من الاشتراكية والفوضوية » (٢٠) الا ان هرتزل كان يدرك انه يعمل لمصالح قوة أخرى . رغم أن نجاح خطته كان يتوقف على عدم رضى الجميع بحقيقة ما يقوم به . وقد كتب في ١١ - ١٨٩٨ ، في مذكراته .

« في فلسطين تازمت الامور معى . ولو كان رجال الحكومة التركية على شيء من يد النظر السياسى لكانوا وضعوا نهاية لاعمالى . وتضيف « على أن عدم تفهم الناس لقصتي ليس سببا في ايدائى لمصعب ، وانما كثيرا ما يكون لصالحى . ان خطتى غير مفهومة ولهذا فانها بائزلة « مسبوحةا بها ، لا يلق فى وجهه احد » (٢١) .

مشروع استعماري استيطاني

قائم على التوسيع

قد يستخدم رجال الدعاية والاعلام الصهيونية اليوم كلمات «التحرر» و«حرب الاستقلال» . الخ لوصف المخطط الصهيونى بازاء فلسطين والشرق العربى باعتبارها المصطلحات التى أصبحت تستعمل على عطف الرأى العام واعتباره ، ولكن في القرن التاسع عشر ، ومتندا لم تكن المشروعات الاستعمارية قد اكتسبت سمعتها الحديثة والحقيقية ، كان زعماء الصهيونية يبررون بصراحة عن طبيعة مشروعاتهم .

يتحدث هرتزل في رسالته الى دوق بادن الكبير في ١٨٩٨-١١-١ بصراحة عن مشروعه الابتدائى كواحد من المشروعات الاستعمارية الشهيرة . في ذلك الوقت فيقول :

لاسرائيل ووجهوا الحملات الدعائية الواسعة التى شنتها الصحف ومئات وسائل الاعلام الغربية ضد العرب . كما قام سموند روتشيلد بعد العدوان لزيارة اسرائيل ، ووجهه بعد عودته الى فرنسا نداء الى يهود العالم دعا فيه كل واحد منهم الى المساهمة «بمرتب شهر ، او بتسعين من دخله ، او جزء من راسماليه لمساعدة اسرائيل » واشترك ، وباقى افراد امرته ، في المؤتمر الذى عقد في تل ابيب في اغسطس سنة ١٩٦٧ وشم عدها من اثرياء اليهود لبحث امكانية توظيف مبلغ مليار جنيه استرلينى جديد في اسرائيل .

المليونير الأمريكى برنارد باروخ

وهو مليونير يهودى يطلق عليه اسم « ليو اسرائيل » رغم أنه ظل يحاول اخفاء نزعه الصهيونية . وكان مستشارا للبيت الابيض بشكل دائم ، خاصة في عهدي ترومان وايزنهاور : لتفوزده الواسع منذ أن جمع مئات الملايين من الدولارات من طريق احتكار عدد من السلع الاستهلاكية والمضاربة في البورصة ، وأن كان يستمد تفوزده الحقيقي من الدور الذى قام به في الصناعات الحربية منذ الحرب العالمية الاولى . ولقد مهام في انشاء الجمعيات الصهيونية في الولايات المتحدة ، وكان اول من دها الى انشاء جمعية «سفيرات اسرائيل » وكان همزة الوصل بين الحكومة الأمريكية وبين الشخصيات الصهيونية . وقد صرح مرة أنه حاول « ان يشتري من العرب الصلح لاسرائيل » .

شركة فلسطين الاقتصادية

أسستها سنة ١٩٢٩ مجموعة من المصريين الامريكيين وخاصة كون ليب وشركاه واخوان لبنان . ويرأس مجلس ادارتها القاضى براندس وتحت ادارة الاميرال لويس شير اوس . وهناك مدير آخر لها - هو سمونيل زيوراي ، وهو في نفس الوقت عضو مجلس ادارة بشركة الفواكه المتحدة . (ولعل هذا يفسر كثيرا من تصويبات بعض بلدان امريكا اللاتينية بجانب اسرائيل في الأمم المتحدة) ومن بين كبار المساهمين في شركة فلسطين الاقتصادية نجد فيليكس وايرجور الرئيس الاول للوكالة اليهودية وقد بدأت هذه الشركة برأس مال قدره ستة ملايين من الدولارات وجمعت في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ربما صافيا بلغ ثلاثة ملايين دولار تقريبا .



● شيمون بيرز ●

هو الآن أحد الوزراء في الحكومة الإسرائيلية من الشباب الذين التفتوا حول بن جوريون الذي رماه كما رمى موسى دينان .
كان له اليد الكبرى ابتداء من ١٩٥٤ عندما كان مديرا بوزارة الدفاع الإسرائيلية في توطيد العلاقات بين الدوائر العسكرية والمخابرات في كل من فرنسا وإسرائيل . وبذلك هذه العلاقة من الانتماء والتوطيد إلى حد أنه استطاع أن يحصل على أسلحة فرنسية دون أن تعلم تلك الحكومة الفرنسية كل ، مستغلا إلى ذلك بمهارة فائقة للتفكير القاتل في فرنسا منذ ١٩٥٢ إلى ١٩٦٥ بين الدوائر العسكرية وبين وزارة الخارجية . وهو يؤيد احتفاظ إسرائيل بالأراضي المحتلة ■

طويلة من الوقت لكن ينقصهم الوعي العلمي . وهناك عمليون لا يتمتعون بخيال سياسي . لكذلك أنت — يا سيد رودس — سياسي خيالي أوصيالي عملي . وقد برهنت على هذا يوما أريده منك ليس أن تعطيني أن ترفضني بنفسه من الجنيتهات ، بل أن تصدق على المخطط الصهيوني ، وأن تعلن التصريح التالي أمام عدد من الناس : « أنا رودس ، قمت بفحص هذا المخطط ووجدته صحيحا وعمليا ، أنه مضطط معلوم بالحضارة ، ممتاز بالنسبة للشعب الذي يتوجه المخطط نحوه . أنه لا يحق تقويم البشرية العام ، وهو مفيد جدا لانجلترا ولإيربانيا المنظمي . »

« أما إذا قست أنت وزملائك المون المالي المطلوب لهذا المخطط فأنك متعطي — بالإضافة إلى الرضى الذاتي العام — بالربح الجيد ، فالمال هو المطلوب . فما هو المخطط ؟ أنه اسكان فلسطين بالشعب اليهودي المائد (٧٤) . »

ولم يخيب رودس رجاء هرتزل . فيذكر كتاب « إطلاق الصمامة » :

« أن تأسيس شركة للأراضي على نمط « الشركة القانونية » أو شركة « الهند الشرقية » كان يبدو أنه الشيء الذي يمكن الحصول عليه بدون إثارة أي شغور بالاستياء عند سائر القوى (٧٢) . »

وقبل خمسين سنة بالضبط من صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإقامة دولة إسرائيل ، أي في ٢٩-١١-١٨٩٧ كان يكتب لاحد أنصاره في باريس قائلا : « أن جمعية الاستعمار اليهودي (صندوق توفير هيرش) ستجتمع في باريس خلال بضعة أيام ، وسيكون الجميع موجودين . وأنا أطلب منك أن تقدم اقتراحاتى التالية لصندوق خان ، فهو الوسيط الملائم حسب ما اعتقد ، وهو عضو من أعضاء جمعية الاستعمار اليهودي المهيمن . ستقوم الجمعية بالمهمة كما يلي : تؤسس بنك الاستعمار اليهودي حالا بمليون جنيه استرليني . هيئة الادارة . . أعضاء جمعية الاستعمار اليهودي . أما الاسم فيمكن تقديرها بسهولة ، وأظن أنني أستطيع أن أفعل هذا بالجهز للحاضر عندي الآن إذا كانت الجمعية هي السند فكل ما يبقي هو سهم . »

وبعد هذا يستطيع البنك أن يقوم بتقديم القرض الذي نذكره لي بخصوص الحكومة التركية . ستتركه الجمعية بهذا بصورة تدين فيما بعد . وستأخذ ضمانا من القرض الذي تقدمه البنك عبارة عن الأراضي التي ستأخذها من الحكومة التركية . هذا باختصار هو هيكل العمل » (٧٣) .

وقد ذكر ، ب . ديمسترا في كتابه « من السويس إلى العقبة » أن الحكومة الألمانية وتنتد تخلفت لدى مصر فيها حتى يفتقر اعتمادات واسعة للمكاتب الصهيونية التي أصبحت برلين مركزها السياسي والمالي . وقد جرى بنك هيرش معه في هذه العملية اثنين من السادة القويين في ميدان المال بالخاصة الألمانية هما بلاسهورير و هنري لبيسون .

ولما كان سيميل رودس رجل المستوطنات الاستعمارية هو البطل البورجوازي في ذلك الوقت فان هرتزل يتجه إليه بخطابه قائلا :

« كيف حدث إذن أن اتجهت نحوك ، بامداد الامر خارج طريقك ؟ . . . ذلك لأن الامر يتعلق بمشروع استعماري ، يقوم على فكرة تنمية امة مشرعين أو ثلاثين صابا . ان هناك خياليين ينظرون غير ابعاد

(٧٢) بوبلر هرتزل — المرجع السابق — ص ٧٦٨
(٧٣) بوبلر هرتزل — المرجع السابق ص ١٠٢
(٧٤) فيكتور هرتزل — المرجع السابق ص ٥١٤

ينفكون يرددون حتى في ظروف عالم اليوم ،
الاقاويل عن « حق الغزو » و « ثمن العدوان » .
فماذا عن الشعب الأصلي في هذه البلاد ؟

كتب هرتزل في ١٢ - ١٨٩٥ :

« عنفنا نحتل البلاد سنعمل سريعا على افادة
الدولة التي ستأخذنا بهذا الصدد يصعدانيد بن
جوريون وضع المهاجرين اليهود الى فلسطين في
مراسلاته عام ١٩١٧ بقوله :

« لم تكن نكتفي بالعمل فقط . بل كنا بسبيل
فتح ارض . كنا شلة من الغزاة » بينما يقول موشى
ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في اثناء عدوان
١٩٦٧ :

« من نحن كي نأخذ عليهم (على العرب)
الكرامية التي يريدونها انأنا ؟ اننا
مستعمرون (امستطانيون) يحاولون الى وطن
يهودي ارضا اقاموا فيها منذ لجبال . . يبدون
الخوذة المصنوعة من الصليب والمذبح ما كان
بوسنا انزوع شجرة اوتيني بيتا » (اوردهاريك
رولو في مقالاته بجريدة لوموند الفرنسية بتاريخ
٤-٧-٦٩ تحت عنوان «اسرائيل جيتو المنتصرين
ما العمل بالفلسطينيين) -

يجب ان نستخلص ملكية الارض التي ستملئ
لنا ، ولكن باللفظ والتدريج . وسنحاول ان
نشجع الفقراء من السكان على النزوح الى البلدان
المجاورة وذلك بتأمين اشفال لهم هناك ورفض
اعطائهم اى عمل في بلدتنا » .

اما اصحاب الاملاك فيسكونون بجائفا ، مع
اننا يجب ان نقسم يكتسا المملكتين :
الارض وابعاد الفقراء بشغل وحظر . يجب ان
نعمل على ايها اصحاب الاملاك التي لا تنقل على
انهم يخدعوننا ببيهم الاشياء لنا باكثر مما
تساوى . واما نحن فلن نبيعهم شيئا . سيكون
استخلاص الاملاك من طيب خاطر مهمة عملنا
السريين ، ستدفع الشركة اثباتا ملاحظة ، عندما
سنبيع لليهود فقط . وستكون المتاجرة بالمقاربات
بين اليهود فقط . طبعنا لن نستطيع ان نصرح بهذا
ونعلن بان اى بيع اخر ليس قانونيا . وحتى لو كان
هذا العمل مشروعا لدى الراى العام العالمى فلن
تكون قاسرين على فرضه » .

« وجدير بالذكر ان رولس الشهين - وهو
الاستعماري البريطاني الذي سميت روديسيا
باسمه ، يرى مثل روتشيلد ان الصهيونية هي افضل
اشكال التنظيمات التي يمكن ان توضع في خدمة
المصالح الامبريالية العديدة . وهذا هو الدور
الوحيد الذي كان على الصهيونية ان تؤديه . ولا
يجال بالرة للزعم برعية المصالح الحقيقية
لجباهير اليهود في أوروبا وامريكا (٧٥) .

ويكتب هرتزل لدوق بادن الكبير :

« سيكون موضوع البثاق الذي ساقمه في
الفلسطينية ، يعد التاكيد من موافقة سموكم
وجلالة القيسر الالمانى على كل بتدقية ، هو
استعمار فلسطين وإدارة المنطقة المستعمرة . واني
في وضع يمكنني من تأمين منافع مالية لتركيا
مقابل ذلك » .

« ولان يكتشف احد ان المسألة كلها تحت اشراف
المانيا وحمايتها ، الى ان يقرر جلالة القيسر
الالمانى ان اللحظة قد حفت لذلك » .

يمكن ايجاد محمية المانية بدون تضحية وبدون
اية مخاطرة . . آسيا الصغرى تحت النفوذ
الالمانى (٧٦) .

وكل مشروعات الاستعمار الاستيطاني
الارروبي ، كان لابد ان تروح منه رائحة التعصب
والتمييز بالنفوق الاروبي ، وتميز الجنس
الابيض ، فيقول هرتزل في عام ١٩٠٨ :

« ان دولة يهودية في فلسطين اوسوريا ستكون
امتدادا للحضارة الغربية ، وساترا ضد الهمجية
الشرقية (٧٧) .

ويكتب من مقابلاته لتشميرلين في
٢٢-١-١٩٠٢ يقول :

« في الحقيقة لو تمكنت ان ادله على بقعة في
الممتلكات الانجليزية لايتخطها بعد اناس ببش
لتمكنا من التحدث في ذلك (٧٨) » .

ويعى من تبس هرتزل من زعماء الصهيونية
حقيقة مخططهم كعملية غزو وامستيطان . ولا

(٧٥) بوليفين واخرون - المرجع السابق - ص ٥٤

(٧٦) يوبيت هرتزل - المرجع السابق - ص ٩٠٩

(٧٧) اساميل ميرى عبد الله في مواجهة اسرائيل - المرجع السابق - ص ٥٠

(٧٨) يوبيت هرتزل - المرجع السابق - ص ١٢٠

(٧٩) يوبيت هرتزل - المرجع السابق - ص ٨٨ - ٨٦

« لذلك يجب أن نحافظ على كل ما يباع من ممتلكات من طريق قطع مجال المشاركة لأن تشريعه ثانية ، أي أنه إذا أراد الملك أن يبيع ما يملك يكون لنا حق شرائه بالشئ الأول الذي وضعناه له »

« أن هذا الاستخلاص الذي هو عن طيب خاطر يجب أن يتم على أيدي موظفين لا يعرفون أن استخدامهم هذا هو من قبيل عمل سرى يأخذ هو بدوره الأوامر من الوكالة المركزية لشراء الممتلكات (٧٩) »

ولقد نفذت تعاليم هرتزل بنصها لمحاولة استخلاص الأرض من الشعب الفلسطيني . إلا أنها فشلت في أن تستخلص سوى ٢٨٨ في المائة من أراضي فلسطين حتى عام ١٩٤٨ نظرا لتعلق الفلاح الفلسطيني بأرضه . وكان لابد أن تطور الصهيونية وسائلها من الاستخلاص التدريجي للأرض إلى الاستيلاء الجبري والاختلاء البشري بالإرهاب والقمع . وعلى كل حال فقد استمر الهدم واحدا ، وسارقادة الصهيونية على الدرب ،

تجدر الإشارة هنا إلى ما جاء في دستور الوكالة اليهودية ، لدى توسيعها ، والموقع في زيورخ في ١٤ أغسطس ١٩٢٩ . نص الدستور على ما يلي : « تمتلك الأرض ، كملك للشعب اليهودي ، طبقا لأحكام المادة العاشرة من هذا العقد ، وتسجل الأراضي المشتراة على اسم الصندوق القومي اليهودي ، وتبقى مسجلة باسمه إلى الأبد ، كي تظل هذه الاملاك ملكا للأمة اليهودية غير قابلة للانتقال »

كما جاء في الدستور ذاته : « تشجع الوكالة الاستثمار الزراعي بوساطة العامل اليهودي ، والمبدأ العام » الذي يتبع في جميع الأشغال أو المشاريع التي تقوم بها الوكالة أو تشجعها هو استخدام العمال اليهود » . كذلك كانت عقود أيجار الكيرن كامييت تنص عادة على ما يلي :

« يتعهد المستأجر أن يجري جميع الأشغال المختصة بفلاحة الأرض وزراعتها بوساطة عمال من اليهود فقط وإذا خالف المستأجر هذا الشرط بأن استخدم عمالا من غير اليهود فإنه يدفع غرامة جنهيات عن كل مخالفة » . ويعتبر استخدام عمال من غير اليهود دليلا قاطعا على الإخلال بهذا

العقد ، وعلى قيمة التعويضات الواجب دفعها للصندوق القومي اليهودي ، دون حاجة إلى إخطار المستأجر بوساطة كاتب العدل أو تبليغه أي إخطار خلاف ذلك . وإذا خالف المستأجر أحكام هذه المادة ثلاث مرات فيحق للصندوق القومي اليهودي أن يسترد الملك المؤجر دون أن يدفع للمستأجر أي تعويض »

« و . . ينبغي ألا يستلم الأرض أحد من غير اليهود » فإذا توفي المستأجر اليهودي ولم يكن وريثه يهوديا فيحق للصندوق أن يسترد الأرض بشرط أن يعطى الوارث مهلة ثلاثة أشهر قبل الاسترداد ويشترط على الوارث خلال هذه المدة أن ينقل حقوقه إلى يهودي ، والا فيسترد الصندوق الأرض دون أن يكون للوارث أي حق في الاعتراض (موت - سميسون ص ٧٩ نقلها عنه د . يوسف عبد الله الصايغ في كتابه « الاقتصاد الإسرائيلي »)

كتب لوسيشيكن رئيس السكان كامييت في جريدة دافار هاليوم بتاريخ ٢٨-٤-١٩٣٩ :

« كان علينا أن نصرح بأننا نريد أن نسترجع بلاندا فإذا كانت خالية محسنا ، وإذا كان فيها وطنيون يجب أن نقلوا إلى مكان آخر . فإن لدينا مثلا عليا يجب أن ندافع عنها وهي مثل تفوق بكثير آلاف الفلاحين الذين يحتلون فلسطين اليوم » (٨٠) .

وينكر « يارزوهار » عن « بن جوريون » :

« لقد كان بن جوريون أيضا مشغول الفكر بسبب وجود مئات الآلاف من العرب في الأراضي التي يجب فتحها ولم يكن هذا الانتشغال يرجع إلى أنه يحطف على هؤلاء العرب بل كان يأمر بدون أي تأنيب للضهير بتدمير قراهم ، وبأن يوقف بأي شكل ذلك الموكب الصغير من المهاجرين الذين يحاولون العودة إلى وطنهم السابق بعد انتهائهم المعارك » (٨١) .

بهذه الملامح وعلى أساس هذه القطع نسقت الصهيونية خطواتها مع خطوات الاستثمار البريطاني الزاحف على الشرق العربي مندفعة في تحقيق مخططاتها في « أرض الميعاد » .

قوة الرأي العام



بديل
شعبي

مراكز القوى

موفق أبو شنيف

والأدهى من ذلك ما تكشف أخيراً ، من أن رؤوس هذه المراكز كانت قد علفت الخطة العسكرية لمركزنا القادمة مع العدو الإسرائيلي - تسانده الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها - وثوقيت هذه المعركة الفاصلة ، على « تصديق » أو « اعتماد » من قوى غيبية ، فكانها سلمت بذلك بعض سلطات القيادة الميامية للشعب المصري - طليعة النضال العربي - بل وسلطات القيادة العسكرية الفعلية لقواتنا المسلحة - في زمن الحرب - إلى كائنات غير مرئية - لتتجج بمستقبل الشعب المصري - ومن خلفه المصير العربي كله - في معركة صينت لها هيئة أركان الحرب ، من الانزواج والاشباح .

ويمكن القول - عموماً وفي إيجاز - بأنه طالما يوجد رأي عام قوى ، تترك أجهزة الحكم أنه قادر على تحريك المؤسسات الدستورية المختلفة ، ليلبش كل منها أو غاليبتها ، ورقابة فعالة ضد أي خطأ أو انحراف مهما كان ضئيلاً في بدايته ، فإنه يعتبر ضريباً من المستقبل - في مثل هذا المناخ السياسي - نشوء أي مركز من مراكز القوى .

ولكن ، هل يرجى أن يخرج إلى النور - من تلقاء ذاته - ثمة رأي عام قوى وقادر ، يقف سداً

كانت الحركة التي قادها الرئيس أنور السادات ، خلال النصف الأول من شهر مايو الماضي ، لتصفية مراكز القوى ، تصحيحاً

إذا

لمسار ثورة ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فحققت نجاحاً ثانياً - فإنه يتحتم علينا - بعد أن أعلنت جماهير الشعب تأييدها لتلك الحركة ، أن نمكف على دراسة الأسباب الموضوعية ، التي أدت إلى نشوء مراكز القوى غير مرة في السنوات الأخيرة . تهيئاً لتعديد الضمانات التي يمكن أن تحول دون ظهورها في المستقبل .

ومما يضل على هذه الدراسة أهمية قصوى ، أن مراكز القوى لم تعتمد فقط على القضاء على حرية المواطن ، وإنما تصببت في تهديد حرية الوطن ذاته ، فالآثار الوخيمة التي استشرت في الحياة السياسية في السنوات الأخيرة - بفعل هذه المراكز - مما فصح على كافة ميادين العمل السدني والمصري ، كانت - بلا أدنى شك - من الأسباب الرئيسية المباشرة لهزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، التي لا زالت ظلالها الحزينة - منذ غروب شمس ذلك اليوم الأسود - تخيم على أرجاء الوطن العربي كله .

سلطات الدولة الثلاث ، التشريعية والتنفيذية والقضائية ، الاستقلال الكامل لكل منها في ممارسة اختصاصاتها ، والا لتحويل الاتصال بينها الى انقسام ، لا بد يفضي الى صدام ، ومن ثم غلابد من ايجاد علاقات متعاون ورقابة متبادلة بينها ، لا يجوز ان تصل - بداهة - الى حد الانسجام او شبه الانسجام فيما بينها ، او فيما بين اثنتين منها ، مما يقضي على القدر اللازم من الاستقلال لكل منها ، الامر الذي يؤدي الى استحواد فرد او هيئة او اكثر على سلطات منطقة او شبه مطلقة ، وهو ما نعتبر عنه اصطلاحا بمراكز القوى ، مما يترتب عليه - ولا محالة - اهدار حريات الافراد .

وقد فطنت الانسانية منذ القدم الى ما يؤدي اليه جمع السلطات في يد واحدة من القضاء على الحرية والتقدم . فمن المسلم به في الفكر الساسي منذ عهد الاغريق ، ان الحكومة الصالحة ، هي تلك التي تقوم على مبدأ توزيع السلطة ، لما في تركيزها في يد فرد او هيئة ، من املاكه سلطان مطلق او شبه مطلق - من شأنه - بالضرورة - الاثبات على الحريات .

وقد بلور الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو - قبل اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٨٩ - الافكار الخاصة بتوزيع السلطة - وصاغها في نظرية قانونية متكاملة ، هي نظرية فصل السلطات ، التي اوجعها كتابه الشهير « روح الشرائع » ، الذي اعتبره رجال الثورة الفرنسية - بحق - انجيل الثورة ، والذي يقول فيه : « لا تلبس للقواعد الدستورية او للقوانين ، ان لم تكن للسلطات المذكورة - التشريعية والتنفيذية والقضائية - التي هي من خصائص السيادة الشعبية - في ايدي حفظة مستقلين ، كل منهم حريص على استعمالها للصالح العام لا للصالح الشخصي ، فلذا كانت السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في يد شخص او هيئة واحدة انهدمت الحرية ، إذ يفرض ان يرس هذا الشخص او تلك الهيئة قوانين جائرة لتنفذ بطريقة ظالمة ، كما تقدم الحرية اذا لم تكن سلطة القضاء منفصلة عن سلطة التشريع ، لان حرية ابناء الوطن وحياتهم تصبحان تحت رحمتها ما دام القاضي هو المشرع ، واذا كانت السلطة القضائية متحدة مع السلطة التنفيذية ، فان القاضي سيكون طاغيا » .

وبالرغم من ان دستور سنة ١٩٦٤ ، قد اخذ في تنظيمه لسلطات الدولة الثلاث بفكرة استقلال السلطات ، التي تأخذ بها المصانير في سائر الدول راساليا كانت او اشتراكية - الا انه - ومن خلال الدور الذي لعبه الاتحاد الاشتراكي في النظام الساسي ، بل والدستوري - وقع اندماج

منهما في مواجهة احتمال نشوء مركز او مراكز قوي في المستقبل ، ليجرد القضاء على مراكز القوى البائدة ؟ او ليجرد صدور الدستور الجديد ، متضمنا - شأنه في ذلك شأن المصانير السابقة جميعها - النص على كفاءة الحقوق الفردية والحريات العامة ؟

الواقع انه من المستحيل ان يثبت ثمة رأي عام أصلا - في أية دولة من الدول - الا اذا تهيأت له التربة السياسية ، وهو ما يتصل - أساسا - في التطبيق العملي لبدا استقلال السلطات ، اما قوة هذا الرأي العام - بعد ميلاده - فتتوقف على ديمقراطية العمل الساسي ، ومسا لتنتهيه من السباح بتصارع الاتجاهات الساسية ، بطريقة علمية منظمة ، من خلال مفاصل التنظيم الشعبي ، مع تاحة الفرصة لهذه الاتجاهات السياسية للمنية المنظمة ، لممارسة اقوى صور حرية التعبير في الدولة المعاصرة ، وهي وسائل الاعلام ، وفي مقدمتها الصحافة ، مما يحقق للقوى الشعبية سيطرة فعلية عليها .

أولا - الاستقلال الحقيقي للسلطات

ان الترية السياسية الصالحة لغرس نواة رأي عام ، هي أولا وقبل كل شيء ، الإطمئنان العام لافراد ، ولأية مجموعة منهم ذات مبادئ واحدة أو متقاربة ، على الحياة والحرية ولقمة العيش ، اذا ما اعلقوا آراءهم السياسية ، في شأن أية مشكلة من مشاكل مجتمعهم ، ولو كانت هذه الآراء على خلاف رأي الحكومة ، او الهيئة التشريعية ، او الرأي الغالب في التنظيم الشعبي السائد ، طالما ان هذه الآراء لا تتعارض وأسس النظام الاجتماعي القائم ، وهو ما عبر عنه الرئيس السادات في خطابه يوم ٢٢ يوليو الماضي بقوله : « الامن كل الامن للشعب » . وللمطابقة كل ولطمانية للشعب » . ان جو الحوار المفتوح والديمقراطية داخل وحدتنا ، لا بد من ان يكون كاملا ، لانه اللسان الوحيد ضد الانحراف . لكل انسان ان يعبر عن رأيه بصراحة في أية مشكلة تعرض » . ولا يستطيع احد ان يعجب رأي آخر . - هيه مراكز القوة كانت بتناشأ ليه !!!!! » .

كل ذلك » . الحرية والامن والطمانية العامة ، لا يمكن ان تتحقق ، الا بكفالة الاستقلال الفعلي للسلطات ، حتى اذا ما شرعت احداهما في اساءة استعمال اختصاصاتها ، وقفت في وجهها - السلطتين الاخرتين - يحكم ما تتمتع به كل منهما من استقلال - بالوسائل السلمية المتاحة دستوريا ، دفاعا عن الحريات العامة .

ملكن ليس المقصود باستقلال كل سلطة من

كامل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، انتهى باندماج شبه كامل - عند القمة - بين السلطتين التنفيذية والقضائية :

١ - الاندماج الكامل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية :

نصت المادة الثالثة من دستور سنة ١٩٦٤ ، على اعتبار الاتحاد الاشتراكي السلطة الأممية للشعب ، رغم أنه كتنظيم شعبي ، لا يمثل سوى أعضائه من أفراد قوى الشعب للعمل ، بل وليس بالضرورة جميع أفراد هذه القوى ، لما هو مسلم به من أن أي تنظيم سياسي ، إنما يمثل بوضع شروط هضوبته ، وتقرير قبول أو رفض الانضمام إليه ، والفصل من العضوية بعد منحها ، دون أن يحدد الدستور اختصاصاته تحديدا دقيقا ، أو يبرز - بشكل واضح - معالم علاقته بلجهزة الحكم .

وقد انتقل هذا التصور غير المحد المعالم ، لدور الاتحاد الاشتراكي في النظام الدستوري ، إلى القانون الأساسي للاتحاد ، الذي اعتبره السلطة الشعبية ، وعهد إليه بالعمل القيادي والتوجيهي والرقابي ، بيمتد عهد إلى مجلس الأمة بتنفيذ السياسة التي يرسمها الاتحاد ، رغم أن مجلس الأمة هو السلطة الممثلة لهيئة الناخبين جميعها ، والذي يجب أن يكون دوره في النظام الدستوري ، هو رسم السياسة العامة للدولة لا تنفيذها ، إذ التنفيذ - بداية - منوط بالسلطة التنفيذية ، بحيث يتحدد دور الاتحاد الاشتراكي - كتنظيم سياسي - في القيام بدور لا يقل عن ذلك أهمية ، هو التأثير والتأثير في الجماهير ، وبصورة ميانها وأهدافها ، فيعظم نفوذه بينها ، بقدر تلاحمه وتجاوبه معها ، وتعليمه وتنقيفه ونوعيته ونوعيته أياها ، علميا وفكريا وسياسيا ، فيتوصل بذلك إلى مباشرة نفوذ سياسي - وليس إداري - على أعضاء السلطتين التشريعية والتنفيذية ، بل ويضع - بناء على ثقة الجماهير ببساطته وأدائه بأفضاله الكفاء المخلصين ، إلى مقاعد مجلس الأمة ، والمراكز السياسية التنفيذية .

هذا الخلط بين الدور الذي كان يجب أن يلعبه كل من الاتحاد الاشتراكي ومجلس الأمة في النظام الدستوري ، كان من الطبيعي أن يحسم - بحكم موجة التفاضل المعاطى الجارف التي اقترنت بانتماء الاتحاد الاشتراكي - لصالح التنظيم الشعبي الوليد ، رغم أنه لا يمثل سوى أعضائه من المنتخبين إلى قوى الشعب العامل ، على حساب مجلس الأمة ، الذي يمثل - حقا وشرعا - الضمب المصري كله .

وصدورا عن فكرة الدور القيادي للاتحاد

الاشتراكي في النظام الدستوري يكمله ، اعتبرت العضوية العاملة في الاتحاد ، شرطا للترشح لعضوية مجلس الأمة ، فأصبح أعضاء الهيئة التشريعية ، وكانهم معينون من قبل قادة التنظيم السياسي - وهم في ذات الوقت من كبار رجال العملية التنفيذية - بحكم تمتعهم بسلطة مطلقة في منح العضوية ومنحها ، فضلا عن أنه زاد من غلواء هذه السلطة ، غلبة المركزية على الديمقراطية في الحياة الداخلية للتنظيم ، فغدا مجلس الأمة - بكامل أعضائه - الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي ، التي تتمتع بالطابع بأوامر قادة التنظيم من كبار رجال السلطة التنفيذية ، مما أدى إلى اندماج شبه كامل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، أدى إلى استحواد بعض كبار رجال الحكومة من قادة الاتحاد الاشتراكي - خاصة من كان منهم على رأس الأجهزة العسكرية أو أجهزة الأمن - على سلطات شبه مطلقة ، وهكذا ٥٠ بدأت مراكز القوة تطل برؤوسها على الحياة السياسية والدستورية ، لتمازج دورها « التاريخي » في إهدار حقوق وحريات المواطنين .

وقد فطن الرئيس الراحل - رحمه الله - بفكره الثاقب إلى السبب الأساسي لهذه الآفة ، فأقترح في بيان ٣٠ مارس ، « أن ينص الدستور على تحديد واضح لمؤسسات الدولة واختصاصاتها ، بما في ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية ، ومن المرجح فيه أن تتأكد سلطة مجلس الأمة » باعتباره الهيئة التي تتولى الوظيفة التشريعية ، والرقابة على أعمال الحكومة ، والمشاركة في وضع ومتابعة الخطة العامة للبناء السياسي ، وكذلك من المرجح فيه إفساح الفرصة لوسائل الرقابة البرلمانية والشعبية ، لتحقيق حسن الأداء وكفالة أمانته .

ورغم موافقة الشعب في الاستفتاء على ما جاء ببيان ٣٠ مارس بأغلبية ساحقة ترقى إلى حد الإجماع ، وقفت مراكز القوى في وجه إرادة الأمة ، فلم يتم وضع ما ورد في هذا البيان ، - عموما - موضع التنفيذ .

ثم صدر إعلان دستوري في ٧ من يناير سنة ١٩٦٩ ، نص على أن فقدان العضوية العاملة في الاتحاد الاشتراكي تعتبر سببا لانقضاء عضوية مجلس الأمة ، فأصبح بذلك مراكز القوى - بحكم تربعها على المراكز الكبرى في التنظيم السياسي - الكلمة العليا في فصل أعضاء مجلس الأمة - عملا - من عضوية المجلس ، عن طريق إسقاط عضويتهم في الاتحاد ، الأمر الذي استكملت معه مراكز القوى سيطرتها الكاملة على الهيئة التشريعية - عضويا ووضوئيا - فاندماج التشريع في التنفيذ في الرقابة على التنفيذ - تحت

التمسك الشامل لمراكز القوى - مما أدى في النهاية إلى إهدار سيادة القانون ، وانتهاك حريات المواطنين .

وليس بعيد عن الإذمان ، إذا كان لنا أن نضرب مثلا على إهدار سيادة القانون وحريات الأفراد جهارا كتنجيم حتمية لاتنماج السلطين التفتيشية والتشريفية ، تلك الحملة الارهابية التي قادها محافظ القاهرة الأسبق - وأحد رؤوس مراكز القوى - بسنة ١٩٦٥ : بدعى « محاربة خلو الرجل » ، وأعلن في غضون قيسادته لهذه « التجريدة » أن « القانون في اجابة » : الأمر الذي دفع الرئيس الراحل الى أن يتدخل بنفسه ، ليعلم من فوق منبر مجلس الأمة ، أنه يجب أن « يعلو القانون على كل مراكز القوى وأرادات الأفراد » .

وليس معنى ذلك أننا نعارض العمل على القضاء على « خلو الرجل » في ذاته ، ذلك أن تصفية الاستغلال - في كافة صوره - هو الطريق الوحيد الى الاشتراكية ، ولكن ما نعارض عليه - ويكفي قوة - هو الوسيلة التي خاض بها هذا المحافظ مثل تلك الحركة ، .. وسيلة القهر الإداري والبوليسي ، دون أية قواعدعملية موضوعية سلفا ، وبغون أي ضمان قضائي ، أو حتى شبه قضائي ، ضد احتمالات التمسك بالخطأ .

وهكذا ، لم تقتصر الآثار الوخيمة لمراكز القوى ، على إهدار سيادة القانون وحقوق المواطنين ، بل وتهددحرية واستقلال الوطن ، وإنما تعدت ذلك الى الإساءة الى قضية الاشتراكية - في مصر والوطن العربي كله - ايما إساءة ، بإظهار الاشتراكية في حالة تناقض مفتعل مع الديمقراطية ، وهو ما عبر عنه الرئيس السادات في برنامج العمل الوطني قائلا : أن أخطر ما واجهنا فكريا خلال السنوات الماضية ، هو ذلك التناقض المصطنع بين الاشتراكية والحرية ، والذي اقلته أعداء الحرية والاشتراكية على حد سواء .. أن مراكز القوى التي لايمكن أن تمشي في جو الحرية والديمقراطية ، اتخذت من الاشتراكية بدعى حمايتها ، حجة لتكمم الأفواه ، ولتمسك كل صاحب فكر ، ولتفرغ مؤسسات الشعب من مضمونها الثوري .

وبين من كل ذلك ، أنه لابد من تلافي احتمال الاتنماج بين السلطين التفتيشية والتشريفية في المستقبل ، حتى يتحقق لهذه الأخيرة القدر اللازم من الاستقلال في أداء واجباتها الدستورية من تشريع ورعاية على التنفيذ ، مما يقتضى ما يأتي :

١ - النظر الى الدور الذي يمكن أن يلعبه

الاتحاد الاشتراكي في الحياة السياسية - وهو دور هام للغاية - على ضوء المبادرة التي أوجز بها الرئيس السادات تصوره لمهمة الاتحاد في خطابه يوم ٢٢ يوليو الماضي بقوله « يجب أن تعلم أن الاتحاد الاشتراكي يخدم ولا يحكم » ، مفسلا هذه المهمة في برنامج العمل الوطني كالآتي : ١ - محور الأمية ٢ - تنظيم الأسرة ٣ - التوعية بخصوصيات المرحلة الحالية ٤ - التوعية بالتنمية والمشاركة فيها ٥ - بناء الإنسان الجديد .

وقد صدر الدستور الجديد ، معبرا عن هذه الفكرة ، فجاءت المادة الخامسة منه ، التي تتعلق بالاتحاد الاشتراكي - وعلى خلاف نص المادة الثالثة من دستور سنة ١٩٦١ - خلوا من إيسة إشارة ، الى الاتحاد ، باعتباره السلطة المختصة للتشعب ، مؤكدا طبيعته كتشريع سياسي ، برسوم له مهام سياسية بحتة ، ووسائله في تحقيقها ، هي العمل السياسي وحده ، مما يفسح المجال لممارسة مجلس الشعب لأختصاصاته الدستورية الاسيلة ، دون تدخل - رسمي - من الاتحاد الاشتراكي ، انصياغا لما ورد ببيان ٣٠ مارس في هذا الشأن من جهة ، وتماشيا مع مهمة الاتحاد كما حددها الرئيس السادات ، من جهة أخرى ، الأمر الذي يقتضى تعديل القانون الاساس للاتحاد الاشتراكي ، بما يتفق والأفكار السابق شرحها ..

٢ - عدم جواز اعتبار العضوية العالبة في الاتحاد ، شرطا للتشريع لعضوية مجلس الشعب ، إذ أن حق التشريع لعضوية المجالس النيابية حق سياسي من حقوق المواطن يصلقه مصريا (مادة ٦٢ من الدستور) ، مفسلا من الجبولة دون احتمال تسلط قادة التنظيم السياسي في المستقبل ، على منح العضوية أو الفصل منها ، كحصالة للسيطرة على الهيئة التشريعية ، وبالمثل لايجوز أن يترتب على انقضاء العضوية العاملة في الاتحاد ، انقضاء عضوية مجلس الشعب ، وهو ما يمثل سيطرة كاملة من قادة التنظيم - ومنهم بعض كبار رجال السلطة التنفيذية - على مهمة أعضاء المجلس في التشريع والرقابة على التنفيذ .

وإذا كان الدستور الجديد قد جاء خلوا من أي نص ، يقابل نص الإعلان الدستوري الصادر في ٧ من يناير سنة ١٩٦٩ ، الذي كان يقتضى يستوسط عضوية مجلس الشعب ، بإنتفاء العضوية العالبة في الاتحاد ، فنرجو ألا يتغيب قانون الانتخاب في أي قانون آخر مثل هذا النص .

٣ - عدم جواز شغل عضو مجلس الشعب لاية وظيفة في الحكومة أو الهيئات المحلية ، أو

الاعضاء ، في قرارات إعادة التشكيل ، تون صدور قرارات تأديبية ضدهم من اللجان المختصة ، بعد تمكينهم من الدفاع عن أنفسهم وفقا لقوانين الهيئات المذكورة .

ولما كان حل للهيئات القضائية - القضاء والنيابة العامة ومجلس الدولة - وإعادة تشكيلها على الصورة سالفة الذكر ، انما يشكل مساسا باستقلال القضاء ، بإعداد ضمانات عدم قابلية القضاة للعزل ، وذلك بفصلهم - عملا - من خلال عملية الحل وإعادة التشكيل - بغير اتخاذ الإجراءات القانونية المقررة أمام اللجان القضائية المختصة وأهمها تمكين القضاة من استعمال الحق الطبيعي المقرر لكل انسان ، في الدفاع عن نفسه قريبا ينسب اليه ، قبل تقرير أدانته ، فان ذلك ولا شك انما يشكل نوعا من الانحياز بين السلطة التنفيذية - التي تتولى عملية إعادة التشكيل بالفعل - والسلطة القضائية .

واذا كان الدستور الجديد ، لم ينص صراحة على حظر حل الهيئات القضائية وإعادة تشكيلها ، فان ما نصت عليه المادة ٦٥ منه انه « استقلال القضاء وحصلته ضمانات أساسيان لحماية الحقوق والحريات » ، انما يؤدي الى عدم دستورية أى إجراء يتضمن حلا أو إعادة التشكيل ، بالنسبة الى أعضاء السلطة القضائية ومجلس الدولة - ولو اتخذ هذا الإجراء شكل قانون - إذ أن مثل هذا القانون ، انما يعتبر - بحكم كونه وسيلة لسلب اللجان التأديبية المختصة - اختصاصها في تأديب أو فصل الأعضاء على خلاف مبدأ استقلال القضاء وحصلته - بشوابع الانحراف في استعمال السلطة التشريعية ، ومن ثم مخالفا للدستور . ولا شك أن استمرار هذا المبدأ انما يؤدي الى الضوئية في الحكم - على الأقل - بين العاملين بالدولة والقضاة ، من حيث عدم جواز فصلهم إلا بعد مواجهتهم بما هو منسوب اليهم وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم أمام هيئات قضائية - ففسان العدالة للقضاة هو أول ضوابط العدالة للبتاتين ، إذ كيف يمكن أن ينشر العدالة بين الجاهل ، من لا يطمئن الى العدل في امر نفسه ، وكيف يكفل الامن للناس ؟ من كان يشعر ان لا أمن له .

٢ إنشاء مجلس أعلى للهيئات القضائية ٢ يتولى الاشراف على الهيئات القضائية وشبه القضائية ، يشكل برئاسة رئيس الجمهورية ، وعضوية وزير العدل نائباً لرئيس المجلس ، ورئيس المحكمة العليا ، ورئيس محكمة النقض ، ورئيس مجلس الدولة ، وأقدم نوابه ، ورئيس محكمة استئناف القاهرة ، ورئيس محكمة القاهرة

الهيئات والمؤسسات العامة أو وحدات القطاع العام ، خلال فترة عضويته للمجلس ، حتى لا يقع انضمام المجلس تحت تأثير السلطة التنفيذية ، التي يتولون الرقابة عليها ، باعتبارهم مسؤولين لكبار المسئولين فيها ، مما تقلد معه رقابة الهيئة التشريعية على السلطة التنفيذية كلفاعلية ، الامر الذي يقتضى - حتى لا يحجم العاملون المدنيون بالدولة والقطاع العام ، من المنتخبين والتوريين والكتابات عن ترك وظائفهم والترشيح لعضوية المجلس لفترة محدودة - ضمان وظائف معادلة لوظائفهم السابقة - ويمتثلون فيها عند انقضاء عضويتهم بالمجلس ، إذ أن ذلك ولا شك امر ضروري ، في بلد صار وسيط دائما في طريق الاشتراكية ، مما قلل وسيقل على مر الزمن ، من فرص العمل الخاص .

وقد حقق الدستور الجديد هذه الفكرة الى حد كبير ، بالنص في المادة ٨٩ ، على انه « يجوز للمعاملين في الحكومة وفي القطاع العام ، ان يرشحوا انفسهم لعضوية مجلس الشعب . وفيما عدا الحالات التي يحددها القانون ، يتفرغ عضو مجلس الشعب لعضوية المجلس ، ويحتفظ له بوظيفته أو عمله ، وفقا لاحكام القانون » .

٢ - الانحياز شبه الكامل - عند القمة - بين السلطتين التنفيذية والقضائية :

بعد ان تحققت لمراكز القوى سيطرة كاملة على السلطة التشريعية - فامتت جانبها - تحولت الى السلطة القضائية ، والهيئات القضائية (مجلس الدولة) ، وشبه القضائية (ادارة قضائيا الحكومة والنيابة الادارية) ، في محاولة لاضعافها لسيطرتها .

وقد كانت الخطوة الاولى في ٩ من يونيو سنة ١٩٦٨ ، عندما استصدرت مراكز القوى قانونى الحاق مجلس الدولة - بالترتيب القضائى الاعلى على شريعة أعمال السلطة التنفيذية - والنيابة الادارية - التي تفتص بالتصديق مع العاملين بالدولة ، ومنهم كبارهم من مراكز القوى وأذناهم ، فيما هو منسوب اليهم من مخالفات ادارية ومالية - بإعداد رجال السلطة التنفيذية ، وهو وزير العدل .

ثم كانت الخطوة الثانية ، في ٣١ من أغسطس سنة ١٩٦٩ ، عندما استصدرت مراكز القوى ما اصطلح على تسميته بقوانين الإصلاح القضائى ، التي تضمنت ثلاثة أمور :

① حل الهيئات القضائية وشبه القضائية وإعادة تشكيلها ، مع استبعاد عدد غير ضئيل من

الإبتدائية ، والثائب العام ، ورئيس إدارة قضايا الحكومة ، ومدير النيابة الإدارية ، وعضسوين سابقين بالهيئات القضائية ، يميان بقرار من رئيس الجمهورية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

ويختص المجلس بالإشراف على الهيئات القضائية وشبه القضائية ، وإصدار القرارات الخاصة بشئون أعضائها من تعيين وترقية ونقل وإعارة ونسب الخ ٠٠ عدا التاديب .

وواضح أن تشكيل المجلس الأعلى بهذه الصورة ، من شأنه ما يأتي :

١ - أنه يغلب على تشكيل المجلس ، العنصر السياسي - رئيس السلطة التنفيذية ووزير العدل - والعنصر غير القضائي القابل للزل ، من قبل السلطة التنفيذية ، والذي يعتبر أقرب إلى رجال السلطة التنفيذية منه إلى رجال السلطة القضائية - رئيس إدارة قضايا الحكومة ، والثائب العام ومدير النيابة الإدارية ، والعنصر غير القضائي من رجال الهيئات القضائية أو شبه القضائية السابقين ، وهما العنصران الميكان من قبل السلطة التنفيذية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . مما يجعل الكلمة الأخيرة في شئون الهيئات القضائية - القضاء والنيابة العامة - المجلس الدولة - ورجال هذه الهيئات لغير رجال القضاء ، من الساسة وكبار رجال الهيئات شبه القضائية والمضوين السابقين ، وجميعهم قابلون للزل ، من قبل السلطة التنفيذية - مما يمثل نقلا سياسيا وسفديا واضحا ، على شئون القضاء ورجاله .

٢ - أنه لا يمثل كل هيئة قضائية سوى اقلية عددية في المجلس الأعلى - فيمثل السلطة القضائية أربعة أعضاء منهم الثائب العام وهو لا يتمتع بالحصانة القضائية ، ويمثل مجلس الدولة عضران ، من مجموع عدد أعضاء المجلس البالغ ثلاثة عشر عضوا - مما يجعل للسلطة التنفيذية - أعضاءها ومن يميلون إلى تأييدها عادة من الأعضاء القابلين للزل أو التجديد - الرأي النهائي في شئون القضاء ورجاله ، خاصة وأن أغلب رجال الهيئات القضائية ، وشبهالقضائية من أعضاء المجلس الأعلى يكونون عادة - وقت عرض القرارات الخاصة بهيئة معينة - أقل دراية بطروف العمل القائمة قلا ، ورجال هذه الهيئة ، من الاقلية التي تحتلها الهيئة المعنية في المجلس ، مما يئأ بغالبية أعضاء المجلس طبقا للمجرى الطبيعي للامور من لمشاركة الفعلية في مناقشة القرارات المقترحة على

اماس من مشاكل العمل اليومي على الأقل ، الامر الذي يؤدي - في الاغلب الاعم - إلى صدور القرارات - من الناحية العملية - على أساس من رأي الاقلية ، أو رأي وزير العدل مستندا إلى أغلبية من ممثلي الهيئات غير المعنية ، بل ومن الممكن أن تصدر عريضة المجلس لقرارات تراها هيئة من الهيئات محقة لصالح العمل ، بسبب عدم كفاية دراية أغلبية الاعضاء بالظروف المعاصرة للعمل في هذه الهيئة .

وإذا كانت المادة ١٧٣ من الدستور قد نصت على أن يقوم على شئون الهيئات القضائية مجلس أعلى يرأسه رئيس الجمهورية ، ويبين القسانون طريقة تشكيله واختصاصاته وقواعد سير العمل فيه ، ويؤخذ رايه في مشروعات القوانين التي تنظم شئون الهيئات القضائية « فإن هذا النص ، انما يسمح - مع حسن تطبيقه - بقدر كاف من الاستقلال للقضاء ، إذ أنه يمكن في اطاره تحقيق أمرين :

١ - لما كان مجلس الدولة هو الرقيب القضائي حوان لم يكن فرعا من السلطة القضائية - على شرمية أعمال الحكومة ، وكانت النيابة الإدارية هي رقيب - من بعض الوجوه - على أفعال الموظفين - بتوليها سلطة التحقيق معهم في المخالفات المالية والإدارية - فبكون من الإرقس الحاقهما برئاسة الجمهورية ، باعتبار أن الرئيس هو المسئول الأول عن سلامة العمل الحكومي كله ، في مجالى الملاية والشرعية على حد سواء مما يستلزم علاقة مباشرة - بلاحجاب أو واسطة - بينه وبين هاتين الهيئتين ، مع استئران عضوية هاتين الهيئتين في المجلس الأعلى للهيئات القضائية .

٢ - تشكيل المجلس الأعلى للهيئات القضائية برئاسة رئيس الجمهورية - طبقا للدستور - على أن يرأسه غلبية العنصر القضائي غير القابل للزل ، على تشكيل المجلس ، في القانون الخاص به .

٣ - استقلال كل هيئة قضائية بواسطة مجلس من كبار قضاتها ، بالإشراف على حسن سير العمل وإصدار القرارات في شئون الاعضاء بصفة عامة على أن يقتصر اختصاص المجلس الأعلى في هذا الشأن - فضلا من أخذ رايه في مشروعات القوانين التي تنظم الهيئات القضائية - على المسائل الهامة التي تتعلق بحسن سير العمل القضائي ، والموافقة أو إبداء الرأي وتعيين كبار رجال القضاء - والإعتراف على بعض

انواع القرارات الخاصة بشئون الإعطاء ونفاذ لقواعد محددة .

اجلس الدولة - مخالفة بينهم - اختيار - إعطاء المحكمة العليا .

٣- إنشاء محكمة عليا ، تعتبر بحكم قانون انشائها ، الهيئة القضائية العليا الجمهورية ، تختص بالفضل في كافة الدفوع بعدم دستورية القوانين ، التي تثار أمام جميع أنواع المحاكم - فضلا عن بعض الاختصاصات الأخرى الأمر الذي يجعلها ممثلة على أعلى مستوى - مع كفاءة سيادة القانون وحماية حقوق وحريات الأفراد ، في أخطر قضاياها .

٢- أن يعين رئيس وأعضاء المحكمة لمدة غير قصيرة - كسبع سنوات على الأقل - على أن يعين كل منهم - أن لم يتجدد اختياره - في وظيفة ذات راتب مساو لراتبه ، أو يمنع معاشا مساويا لذلك الراتب ، حتى لا يكون لمصلحة التجديد أثر في قضائه .

● وخلاصة كل ما سبق ، أنه ينبغي إلغاء مظاهر اندماج السلطات ، التي فصلناها آنفا - لا يمكن أن يتحقق انفصال فعلي بين السلطات بالقدر اللازم لقيام كل منها بمباشرة واجباتها الدستورية على الوجه الأكمل ، وخاصة الدفاع عن الحريات العامة وسيادة القانون ، الأمر الذي يمثل التربة الصالحة لظهور رأي عام في مصر .

ثانيا - ديموقراطية العمل السياسي واباحة تصارع الاتجاهات السياسية

لا يقصد بالرأي العام - بدهامة - رأى غالبية الأفراد في المجتمع ، بصدد مشكلة معينة ، إذا كان كل منهم أو بعضهم يبدى رأيه بمعزل عن غيره من الأفراد ، إذ أن الآراء الفردية - مهما كانت ضخامة عددها - لا يمكن أن يكون لها أثر سياسي ذا وزن في حياة أي مجتمع ، وإنما يقصد بالرأي العام الاتجاه الغالب للجماعات المنظمة في شأن مسألة معينة ، إذا حاز هذا الاتجاه تأييد غالبية المواطنين .

ويؤدى الرأي العام - بالتعبير عن نفسه علنا - دورا هاما في تحقيق الاستقرار السياسي في المجتمع ، ذلك أنه يتعرف الأجهزة الحاكمة على اتجاهات الرأي العام ، تحاول جوهها تسهيل سياساتها بما يتفق أو يقترب من مؤثراته ، الأمر الذي يحمي النظام السياسي مما يمكن أن يعترضه

وإذا كان التشكيل الأول - والعالي - للمحكمة العليا ، قد ضم نخبة من رجال القضاء ومجلس الدولة ، فإنه لا يصح - ونحن بسبيل وضع نظام دائم لحكمتنا الدستورية العليا التي نصت عليها المادة ١٧٤ من الدستور الجديد - أن نفترض في القضاء - مهما كانت فئة قواعد اختيارهم - صفات الرسل ، بعد أن ولى - منذ ترابرة أربعة عشر قرنا خلقت - عصر الانبياء .

لذلك لا بد من أن يقوم نظام المحكمة الدستورية العليا ، على أسس من ضمان استقلال قضاء المحكمة ، عن طريق كفاءة قدر كاف من الدوام والاستقرار لوظائف رئيسها ومستشاريها نائيا بهم - وبالتالي بقضايتهم - عن أي ثقل - مركز - للسلطة التنفيذية ، ودون اعتماد دور هذه السلطة في المشاركة في اختيار رئيس وقضاة المحكمة ، على نحو لا يهدد استقلالها بالكامل .

لذلك نقترح ان يتضمن القانون الجديد للمحكمة الدستورية العليا ما يأتي :

١ - أن يكون لكل من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والقضاء ، ممثلا والجمعية العمومية لمستشاري - محكمة النقض والجمعية العمومية

الى اختلاف الرأى فيما بينها ، بالنسبة الى المشاكل المختلفة - تحليليا وحالا - فى اطار الاسس الجوهرية لتحالف قوى الشعب العايل .

وفى هذا المعنى ، تضمن برنامج العمل الوطنى للمقدم من الرئيس السادات الى المؤتمر القومى « ان الديمقراطية تعنى حرية الرأى والتعبير لكل عضو وكل مستوى ولكل قوة من قوى التحالف ، وايجاد الظروف الملائمة لممارسة هذه الحرية » .

ولا شك فى نظرى ان الظروف الملائمة لممارسة حرية الرأى والتعبير لكل عضو ولكل مستوى ولكل قوة من قوى التحالف ، تقتل أولا وتبطل كل شىء فى اتاحة الفرصة للاتجاهات السياسية المختلفة ، للتعبير عن نفسها بحرية كاملة من فوق المنابر العلنية للاتحاد ، فى شكل تكتلات او مجموعات سياسية منظمة ، تستند شرعيتها من اقرار الاتحاد الاشتراكى ذاته لتكتلها او تجميعها ، وفقا لما ينص عليه فى نظامه الاساسى .

وتنادى بعض الآراء التقدمية (١) منذ فترة غير قصيرة ، بضرورة السماح بنوع من التكتلات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى ، فى شكل امانات نوعية - او ما شابهها - كآمانة للعامل وأخرى للفلاحين . وثالثة للمتقنين ، وهكذا

الا ائنى اعتقد انه من المتصور - وهو فى ذات الوقت أمر منطوق للغاية - ان تغلب كل قوة من قوى التحالف ، فى صياغتها لفكرها السياسى ، حولا لمشاكل المجتمع ، تحقق أكثر من غيرها مصالحها الطبقة أو الفتوية على حساب الحلول الأكثر تحقيقا لمصالح المجتمع ككل ، فى بلد متخلف يتطلع الى التقدم ، الذى لابد وأن يمرق سبيله ، عدم الالتزام فى حل مختلف المشاكل ، بتفريط علمى شامل فى جميع المجالات - بناء على دراسة علمية واسعة - يضع نصب عينيه فى المقام الأول ، ضرورات اللحاق - فوريا - بموكب التقدم .

ومن ناحية أخرى ، فإن التكتل أو التجمع على أساس طبقى أو قسوى ، إنما يؤدى الى انعزال المتقنين عن تكتل أو تجمع ينخلق عليهم ، منفذد بانعزالهم باتى قوى التحالف جميعا ، ثروة فكرية وقدرات تبادلية يمكن أن تؤدى بانفتاحها على فكر وقيادات باقى العناصر المتحالفة ، خدمات جلية للعامل السياسى فى طريق الاشتراكية .

من هزات ، بفعل نتيجة انتخاب أو استفتاء مثلا ، لم يكن من الممكن توقعها ، لعدم ادراك مملات الحكم لاتجاهات الرأى العام ، الذى لم تتح له فرصة التعبير عن نفسه سلفا .

وفى مصر - بعد أن تعاقبت عليها مراكز القوى غير مرة - تكون تهيئة المناخ السياسى اللازم لظهور رأى عام قوى ، يمكن أن يقف حائلا دون نشوء مركز أو مراكز قوى فى المستقبل ، أمرا حيويا بالغ الأهمية .

وإذا كانت الجماعات المنظمة التى تحرك الرأى العام فى المجتمعات التى تتيح حرية تكوين الجمعيات السياسية هى الأحزاب ، فإنه فى مجتمعنا - الذى ارتضى التنظيم الشعبى الواحد ، أساسا للعمل السياسى - لابد لنا من أن نهيب فرصة ظهور رأى عام قوى ، من خلال تنظيمات الاتحاد الاشتراكى .

ولما كان عدد اعضاء الاتحاد الاشتراكى يزيد على الخمسة ملايين عضو - وهو مايقرب من عدد الناخبين المقيدين بجدول الانتخاب - فإنه يترتب على ذلك - هتما - النتائج الآتية :

١ - ان الآراء الفردية - مهما كانت درجة سلاحتها - لا يمكن أن يكون لها وزن سياسى الا لما

٢ - انه إذا كانت جماهير الاتحاد الاشتراكى على كافة المستويات تؤمن بالعموميات السياسية فإنه لا تصور أن تتلقى فى خصوصياتها ، وإذا كانت تجمع على الكليات ، فلا يعقل أن تتطابق آراؤها فى التفاصيل .

٣ - انه لما يؤكد ذلك ، ان القوى المسالمة المتحالفة فى اطار الاتحاد الاشتراكى - وهى العمال والفلاحين والراسمالية الوطنية والمتقنين والجنود - وإن كانت قد قبلت - نزولا على اعتبارات الوحدة الوطنية - تنظيميا سياسيا واحدا يجمعها ، على أساس من اليقلاق وبيان ٣٠ مارس ، فليس معنى هذا ان ايا من هذه القوى قد انفصلت - بالكامل - عن مصالحها الطبقة أو الفتوية ، الامر الذى لا مناهى معه من التسلیم بتمايزها مصالحها فكريا ، مما يؤدى - بالضرورة -

[١] يقول الاتحاد لعبد ميسر صالح - الكاتب - حديويو سنة ١٩٧١ ، والتنظيم السياسى لتحالف قوى الشعب العايل - د. عبد الكريم أحمد - الكاتب - عدد يوليو سنة ١٩٧١ ، وبناء الاتحاد الاشتراكى بالديمقراطية - الطليعة - عدد يوليو سنة ١٩٧١

لذلك ، نرى طرح شكل الامانات النوعية -
وغيرها من الاشكال المائلة - كهيكل تنظيمي
داخل الاتحاد الاشتراكي ، تمارس من خلاله قوى
الشعب العامل حرية التعبير كمجموعات منظمة ،
وتؤثر عليها فكرة تكتل أو تجمع اعضاء التحالف
العامل حرة للتعبير كمجموعات منظمة ، وتؤثر
عليها فكرة تكتل أو تجمع اعضاء الاتحاد في
تكتلات أو مجموعات سياسية ، لا يعتبر الانتماء
الى طبقة أو فئة اجتماعية معينة ، شرطاً للانضمام
الى أى منها ، بحيث يسمح لكل مجموعة من
الاعضاء بتكتلها من خلال الحوار المفتوح ،
اتفاقاً أو تقارباً بينها بشأن حلول القضايا
السياسية الهامة ، في اطار مبادئ الوثائق
الشمسية الكبرى - الميثاق وبيان ٢٠ مارس ، وبيان
١٠ يونيو الماضي وبرنامج العمل الذي اقره المؤتمر
العام للاتحاد الاشتراكي - ان تكتل في مجموعة
ذات برنامج سياسي محدد ، يسجل لدى احدى
هيئات الاتحاد - بعد اقراره من هيئات معينة .
بناء على توافق شروط موضوعية سلفاً - تمهيداً
لاعلانه في جميع الوحدات الاساسية -

ولما كانت المادة ٥٥ من الدستور قد نصت على
ان « للمواطنين حق تكوين الجمعيات على الوجه
المبين في القانون ، ويحظر انشاء جمعيات يكون
نشاطها معادياً لنظام المجتمع أو سرياً أو ذا طابع
مسكرى » ، فان فكرة انشاء المجموعات أو
التكتلات ذات البرامج ، لا تتعارض مع النص
المذكور ، بما دامت مثل هذه المجموعات غير معادية
بـ بالطبع - لنظام المجتمع ، وليست سرية بل
علنية ، وليس لها أى طابع مسكرى .

ويمكن ان ننصو - على سبيل المثال - ان يكون
من بين شروط التكتل في مجموعة سياسية ، ان
يكون من بين طالبى تكوينها عند أى نسبة معينة من
اعضاء اللجنة المركزية أو المؤتمر القومى العام .

ونعتقد ان الصيغة التنظيمية للتكتل أو التجمع
على النحو السابق ، انما تحقق - على خلاف
التجمع على اساس طبقي أو فئوي - النتائج
اللتالية :

١ - تحقيق قدر لا يستهان به من الامتزاج
المضوى بين قوى التحالف ، الامر الذى يحقق
بدوره تقارباً فكرياً فيما بينها ، من شأنه ان يؤدى -

عند صياغة البرامج السياسية للمجموعات
المختلفة - الى ترجيح الحلول التى تتفق ومصالح
العناصر المتحالفة ككل ، ومصصلحة المجتمع المصرى
بأسره ، مما يحقق - عملياً - ما اعلنته الرئيس
السادات فى كلمته امام ممثلى القيادات العمالية يوم
٧ من اغسطس الماضى ، قائلاً « ان كل مشكلة يجب
ان يدرسها تحالف قوى الشعب على اساس
قومى ، وليس على اساس فئوى ، وانما تكون
الدراسة على اساس مصلحة مصر ، » فمصلحة
مصر فوق كل فئة وكل فرد وكل مصلحة
شخصية » .

٢ - المساهمة - عملياً - فى اذابة الفوارق بين
الطبقات باتجاه كل مجموعة - للحصول على اكبر
تأييد ممكن لبرنامجها - الى ترجيح الحلول التى
تتفق ومصصلحة جميع قوى التحالف ، وإشراكه ان
هذه الحلول ، لابد وان تميل الى اذابة الفوارق بين
الطبقات ، للحصول على تأييد اكبر فئات
التحالف - عديداً - وهم الفلاحون والعمال .

٣ - تأكيد الوحدة الوطنية ، عن طريق امتزاج
الثقافتين بمختلف قوى التحالف ، وكذا امتزاج
الجنود بهم - وهم جميعاً مثقفين وجنود من اصل
طبقى يرجع الى احدى القوى المتحالفة الاخرى -
مما يحقق أيضاً ما نص عليه بيان ٢٠ مارس من
ضرورة التلاحم بين الشعب والقوات المسلحة .

٤ - الحد من الاثر السياسى للجماعات
الضاغطة - كالتقابات والاتحادات الفئوية ، التى
تكاد تغرد بميدان العمل السياسى المنظم ، فى
غياب المجموعات السياسية المنظمة ، رغم انها -
أى الجماعات الضاغطة - تقوم على المصالح
للشخصية لاهوائها ، فى الاغلب الامم - وليس
على اساس من مصالح المجتمع ككل .

٥ - وجود برامج سياسية ، يخوض على
اساسها المرشحون انتخابات الاتحاد الاشتراكي
والمجالس النيابية والشعبية ، يؤدى الى تمثيل هذه
المؤسسات - تمثيلاً أكثر دقة وأهمية - لاتجاهات
الشعب بالنسبة الى مختلف قضايا المجتمع ، على
خلاف الحال فى انتخابات لا يلتزم فيها المرشحون
بأى برنامج محدد ومفصل ، مما يفسح المجال
لاختيار المرشحين على اساس شخصى أو عائلى -
كما هو الحال فى الريف عموماً - أو عشائياً بلا

٦- أنه في تحكيمات المجموعات المنظمة ذات البرامج ، في إطار الاتحاد الاشتراكي ينبغي حل مناسب لمشكلة الصحافة في مصر ، مما نمرضه بعد قليل .

ويبين من كل ماسبق ، أن إباحة تكوين مجموعات سياسية ذات برامج تفصيلية - في إطار الوثائق الشعبية الكبرى - داخل الاتحاد الاشتراكي ، شرط ضروري لظهور رأي عام قوي ، يقف حائلا دون ظهور مراكز قوى جديدة في المستقبل .

ثالثا - ممارسة الشعب لحرية التعبير من خلال وسائل الاعلام

يقول الميثاق « أن الكلمة الحرة ضوء كشف أمام الديمقراطية السلمية ، وينفس المقدار ، فإن القضاء الحر ، ضمان نهائي وحاسم لحريتها . أن حرية الكلمة هي القيمة الأولى للديمقراطية ، وسيادة القانون هي الضمان الاخير لها »

وإذا كانت ممارسة حرية الكلمة - باعتبارها المقدمة الأولى للديمقراطية - تقتضي حق استعمال قوى الشعب العاملة لقوى وسائل التعبير في الدولة الحديثة ، وفي ذات الوقت أقوى وسائل التأثير في الرأي العام ، وهي الكلمة المسموعة (الراديو) ، والكلمة المرئية (التلفزيون) والكلمة المقروءة (وسائل النشر) وفي مقدمتها الصحافة ، فقد خص الميثاق الصحافة بالذات - لما لها من تأثير عظيم على الجماهير - بفقرات ترسدها في المجتمع ، تضمنت أن الصحافة بملكية الاتحاد الاشتراكي العربي لها ، هذا الاتحاد المثل لقوى الشعب العاملة قد خلصت من تأثير الطبقة الواحدة الحاكمة ، كذلك خلصت من تحكم رأس المال فيها ، ومن الرقابة غير المنظورة ، التي كان يفرضها عليها بقوة تحكمها في مواردها . أن الضمان المحقق لحرية الصحافة هو أن تكون الصحافة ملكا للشعب لتكون حريتها بدورها امتدادا لحرية الشعب : وتأكيدا لذلك ، جاء في بيان ٣٠ مارس أنه لابد وأن تتوفر أيضا كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأي والبحث العلمي والصحافة .

ولا يمكن أن تكون صادقين مع أنفسنا ، إلا إذا اعترفنا - في شجاعة - بأن وسائل الاعلام ، وفي

أي أساس خاصة في المجالات التي يلتزم فيها الناخب باختيار عدد معين من المرشحين - كبير نسبيا - نون أن يعرف الاقله منهم .

٦- التنافس بين المجموعات للحصول على تأييد جماهيري واسع لبرامجها ، إنما يؤدي بالضرورة الى تنشيط العمل السياسي بسبب الاحساس بالمشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات السياسية ، مما يقضي على تراكم السلبيات في وجدان الجماهير في مجال العمل العام ، وظهور القيادات ذات الوعي والكفاءة والخبرة السياسية

٧- ممارسة الشعب الفعلية لحرية التعبير ، ذلك أن الفرد عادة إنما يقدم على ابداء رأيه بجرأة أكثر ، من خلال مجموعة كبيرة من الأفراد تشاركه الرأي وخاصة ونحن لحوج في مصر الآن - احوج ما تكون الى تهية مناخ الطمأنينة اللائق ، لانتاحة الفرصة للمواطنين للتعبير عن آرائهم في صراحة وشجاعة ، بعد طول سنوات القهر الذي مارسته مراكز القوى المتعاقبة على مصر .

٨- التطبيق الفعلي لحرية الاجتماعات العامة والواكيب والتجمعات التي كتلتها المادة ٥٤ من الدستور في فقرتها الثانية ، وذلك في جانبها السياسي ، باجتماع أعضاء مختلف المجموعات السياسية للوزير أو الدعوة لبرامجها ، داخل اؤخارج مقر الاتحاد . في حدود القانون .

٩- تحقيق التطبيق العملي ، لما تضمنه برنامج العمل الوطني ، من أن « الديمقراطية هي الضمان الوحيد ضد ظهور مراكز القوى ، ضد الشللية وضد الولاء للفرد أو مجموعة من الأفراد ، إذ أنه باقناع الاعضاء ببرنامج سياسي محدد يمتنع أي ولاء لفرد أو مجموعة من الأفراد أو « شلة » فلا يتصور أن ينشأ مركز قوة جديد ، بل أن مثل هذا المركز - حتى لو بدا في الظهور - فسرعان ما تخبر جذوته ، إذ أنه لو أمكنه التأثير على مجموعة فلن يستطيع التأثير في غيرها ، بل أن المجموعة والمجموعات الاخرى ، لابد وأن تهب - في هذه الحالة - للدفاع عن الحرية والديمقراطية باعتبارها - في ذات الوقت - دفاع عن حريتها في العمل من أجل مبادئها واهدافها .

مقدمتها الصحافة - خاصة الصحافة اليومية والاسبوعية - لم تكن - في السنوات الماضية - تعبيرا صادقا عن اتجاهات الجماهير وافكارها ، وتصورها لنواحي التقدم والخطا والانحراف التي تشتمل خلا تسلط مراكز القوى على البلاد ، فلم تكن هذه الوسائل - الا نادرا - الا تعبيرا عما عليه عليها هذه المراكز بحكم سيطرتها على السلطة التنفيذية والتنظيم السياسي

واذا كان لوسائل الاعلام عجزها في ذلك الوقت بسبب وجود مراكز قوى عاتية، تلك وسائل التهر والبطش ، فلابد لنا الآن من ان نمدد الى دراسة الحلول العملية التي يمكن ان تحول دون عودة وسائل الاعلام الى الانفصال في المستقبل من قوى الشعب العاملة، والانتداب او السلطة التنفيذية، او قيادة الاتحاد الاشتراكي - مما يؤدي - ولو لم يكن هناك شئ مراكز قوى - الى عدم قيامها بدورها الخطير في التعبير عن اتجاهات الشعب وكشف أوجه الخطا والنقص والانحراف في جميع المجالات ، وحتى لا تتحول جميعا الى صور باهتة متكررة من آراء متماثلة ، يجرى التعبير عنها - في الظاهر - بأساليب مختلفة .

ولقد أشارت للجنة المختصة بالمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي سنة ١٩٦٨ الى هذه المشكلة ، فتمضن تقريرها في هذا الشأن ان «الصحافة ملك الشعب، ولكن آثار هذه الملكية من حيث الواقع ليست قوية او واضحة ، ولذلك فان الصحافة يجب ان يعاد تنظيمها لتكون فعلا ملكا للشعب ، وأداة من أقوى أدوات الاعلام في خدمة المجتمع الاشتراكي .. الصحافة ليست ملكا للعاملين فيها .. وانما ملكا للشعب كله .. وإذا كانت الصحافة في المجتمع الاشتراكي وسيلة قوية لابرار الفكرة الجادة والرائي الجاد والقيادات الجادة فانها كذلك باعتبارها مبررا للجميع ، يجب ان تيسر لوجهات النظر المتباينة بان تتفتح بفرصة متكافئة ، ومن هنا فان غاية خاصة يجب ان تعطى لحق الرد (٢) »

ونعتقد ان وجود مجموعة سياسية ذات برامج

مختلفة يمكن ان تقدم - عن خلال تنظيقات الاتحاد الاشتراكي خلا مناسبيا في هذا الصدد - خاصة بالنسبة الى الصحافة اليومية والاسبوعية من طريق تخصيص صحيفة او مجلة : لكل مجموعة سياسية ، تعرض على صفحاتها آراءها ، الامر الذي يؤدي من جهة ، الى تمكين كل مجموعة سياسية من التعبير عن نفسها علنا من ناحية ويحقق من السيطرة الفعلية للشعب ، على الصحافة التي يملكها قانونا من ناحية اخرى (٣) .

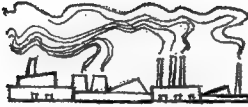
وتحقيقا لهذه الفكرة عمليا - يجب ان يشترك في مجلس ادارة كل مؤسسة صحفية : عضو او أكثر ، يمثل احدى المجموعات السياسية : التي خصصت لها احدى الصحف او المجلات التي تصدرها المؤسسة ،

وبالنسبة الى باقي وسائل الاعلام - كالراديو والتلفزيون يمكن السماح للمجموعات السياسية بالتعبير عن آرائها في مختلف المشاكل من خلالها وفقا لنظام يحدد بشكل حيوة الحكومة حيالها ، في تنافسها على الدعوة لبرامجها .

وقد نصت المادة ٨ من الدستور على حرية الصحافة والطباعة والنشر ، وان وسائل الاعلام مكتولة بالرقابة على الصحف محظورة ، وائذارها او وقفها او الغاؤها بالطريق الاداري محظور ، وانه يجوز استثناء في حالة اعلان الطوارئ او زمن الحرب ان تعرض عليها جميعا رقابة محددة في الامور التي تتصل بالسلامة العامة او اغراض الأمن القومي ، وفقا للقانون ، ومن ثم فانه بالنسبة الى الرقابة على وسائل النشر المختلفة - وكذلك بالنسبة للأفلام السينمائية والمسرحيات - لابد من تقرر هذه الرقابة على المعلومات او الانكسار الضارة بأمن الدولة الخارجي او الداخلي في زمن الحرب وفترة اعلان حالة الطوارئ - ونفسا هو الضمان الاخير الحاسم على أسس من سيادة القانون - بحيث يكون القضاء - في النهاية - القانون والشرعية الاشتراكية لحدود ممارسة الصور المختلفة لحرية التعبير ، كما يؤكد الميثاق ،

[٢] تقرير لجنة التهيئة الاخلاقية بالمؤتمر القومي العام ، صفة ٢٩٠ ، منشور بجلة الكتاب - مقال جمال الشترقوي المؤتمر العام ، مؤتمر للمركبة - عدد اكتوبر سنة ١٩٦٨
[٣] انظر في ضرورة تعدد اناهير الصحفية ، دوسيميلونتر القومي - القسم الثاني - صفة ١٨ وما بعدها - من اجل ممارسة حقيقية للديمقراطية - الطلبة - عدد يوليوسنة ١٩٦٨ .

مشكلة التنمية الاقتصادية في السودان



د. عبدالرازق حسن

أفريقيا ، إلا أن نسبة سكانه لا تتعدى ٥٪ من سكان القارة . ويقدر عدد السكان في الكيلو متر المربع بحوالي ٨ نسمة مقابل ٢٥ في مصر ، ولا يمثله من ناحية انخفاض الكثافة السكانية في أفريقيا غير الجزائر والصومال وزامبيا ، وتشاد وداهومى ومالى .

ولا يزيد عمر السودان بحدوده الحالية على ١٠٠ سنة ، وإذا استثنينا فترة النوضى المهدية التي امتدت لمدة ١٧ سنة في آخر القرن الماضي، فإن السودان لم يكن حراً في إدارة أموره إلا منذ ١٦ سنة فقط . حينها تركته بريطانيا مهلهلاً متناثر الأجزاء ، مقطوع الأوصال ، مشتت الأهداف .

وتتضح المشكلة المالية للسودان لو أدركنا أن متوسط دخل الفرد يتراوح بين ٢٥ ، ٤٠ جنيه مصري في العام . ولا يتمدى نصيب الفرد في الغذاء ما يعطى ٢٠٩٠ سعراً حرارياً ، ولا تزيد حصته من البروتين على ٥٨ جراماً في اليوم

يختلف الأمل العام لمشاكل التنمية في السودان عنه في البلدان النامية بوجه عام والأفريقية بوجه خاص . وإن كانت أبعاد هذا الأمل تتميز بالظروف الخاصة التي يعيشها السودان .

٢

والسودان أكبر دولة أفريقية مساحة ، إذ تبلغ مساحته حوالي ٢ مليون كيلو متر مربع، ولا يقاربه في المساحة في الدول الإفريقية إلا الكونغو ، ويبتد مسافة ٨٧٠٠ كيلو متر في إفريقيا، ويشغل موقعا استراتيجيا هاما من القارة، فعلى حدوده الشمالية توجد مصر وليبيا ، ويحيط به في شكل قوس من الجنوب الشرقي والجنوب إثيوبيا وأوغندا ، والكونغو وأفريقيا الوسطى وتشاد . ويؤثر هذا الموقع في التيارات القومية والحضارية المختلفة التي تتجاذب السودان .

والسودان من أخف المناطق الإفريقية كثافة ، فبينما تصل مساحته إلى حوالي ٨٪ من مساحة

والملاحظ أن الأفراد يفضلون الاحتفاظ بالثمن الأكبر من أموالهم في شكل نقدي وخارج الجبازا المصرفي ويبدو أن ذلك يرجع إلى ظروف اجتماعية وإن كانت العوامل السياسية قد لعبت دورا له اثره في تمهيق هذا الاتجاه في السنوات الأخيرة، فتبلغ نسبة ما يحتفظ به الأفراد من نقد سائل إلى النقد المصدر في ديسمبر سنة ١٩٧٠ حوالي ٢٢٪ وكانت هذه النسبة ٣ في المئة في ديسمبر سنة ١٩٦٠ .

ونتيجة لأوضاع البنوك التي كانت تحكم فيها عناصر أجنبية حتى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٠ فإن الائتمان الذي كانت تمنحه كان يتركز في القروض التجارية التي تتميز بقصر الأجل ، ولم تزد نسبة الاستثمارات الرأسمالية الممنوحة على ١٣٪ من مجموع قروض البنوك في ديسمبر سنة ١٩٧٠ وإذا أدخل في ذلك مختلف القروض متوسطة وطويلة الأجل (التي تزيد مدتها على ١٢ شهرا) فإن النسبة لا تتعد ١٣٪ . ومع ذلك فالملاحظ أن الحجم الكلي لهذه المبالغ يقل كثيرا عن حسابات الإفصاح التي احتفظ بها الأفراد في البنوك في هذا التاريخ .

وفي الحالات التي تطلب فيها قروضا لتمويل عمليات تنمية ، كانت المشكلة ارتفاع أسعار الفائدة إلى ما يزيد على ١٠٪ ، وهي نسبة لا تترك مائضا يذكر بعد خصم التكاليف العالية ومواجهة مخاطر الاستثمارات الكبيرة .

وكان يمكن أن نعالج مشكلة عجز الأموال المخصصة للاستثمار عن طريق إيجاد فائض في ميزانية الدولة ، غير أن الملاحظ أنه بالرغم من ارتفاع معدلات الضرائب (تبلغ نسبة إيرادات الدولة ما يتراوح بين ٢٥٪ و ٢٨٪ من الدخل القومي) فإن مخصصات الأجور تنص ٤٠٪ من إيرادات الميزانية % وينفق ٥٤٪ على المروفات الجارية % ولا يتبقى بعد ذلك أكثر من ٦٪ لا تكفي لمواجهة المشروعات الجديدة فصب % وأما لتعويض الانشادات المستهلكة ، وقد كان يمكن قبول زيادة تكاليف إدارة جهاز الدولة لو أنه كان موجهة لمشروعات الخدمات التي تخفف من الأعباء العلية للشعب ، فيز أن الأمر لم يكن كذلك % فقد كانت تستخدم موارد الميزانية للتوسيع الإداري ، وزيادة الرتب والمخصصات % وقد وجد مثلا أن النقل الميكانيكي قد كلف الدولة في العام الماضي حوالي ١٧ مليون جنيه مصري ما بين مرئيات مستقلين واستهلاك سيارات ووقود وهو يعادل حوالي ٧٥ ٪ من تقديرات ضريبة الدخل في تلك السنة %

[بالرغم من توفر اللحوم] ، وهذه المعدلات تقل عنها في مصر بحوالي الثلث . ولا يتعدى نصيب الفرد في السودان من الطاقة الحرارية ما يعادل ١٠٠ كيلو جرام من الفحم في السنة، وهذا القدر يعادل ٤٥٪ من متوسط المعدل في مصر ، ووفقا لإحصاءات سنة ١٩٦٦ هناك في السودان جهاز راديو لكل ١٠٠٠ من السكان مقابل ١٢٥ في مصر ، وهي معدلات متواضعة إذا قيست بدول العالم المتقدمة . وبالرغم من ضخامة رقعة السودان ، واتصاله بمعبد من الدول الأفريقية ، إلا أن الشبكة الحديدية فيه ، وهي الشريان الطبيعي للنقل والمواصلات ، لا يزيد طولها على ٦٨٠٠ كيلو متر ، ولا تتصل في امتدادها بأي من البلدان المجاورة ، وهي كميلاتها في تنظيم بريطانيا مستعمراتها كان الهدف منها إيا استراتيجيا ، أو لصالح التجارة الخارجية .

ويمكس الوضع الخاص بالسودان مشاكل التنمية فيه ، التي ترتبط فيها وتشابك ما يتصل منها بالأمور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وسنحاول في هذه الدراسة القصيرة أن نعطي صورة سريعة لطبيعة هذه المشاكل من الزاوية الاقتصادية مرجئين بحث الزاويتين الأخرتين لدراسة أخرى .

وتتلخص المشاكل الاقتصادية للتنمية في :

- ١) نقص أموال الاستثمار .
- ٢) العجز الزمن في ميزان المدفوعات .
- ٣) نقص الموارد المستقلة وتركيزها في مجالات محدودة .
- ٤) نقص الأيدي العاملة الفنية وارتفاع تكاليف الإنتاج .

ونعطي فكرة سريعة عن كل عنصر من تلك العناصر :

نقص أموال الاستثمار :

تتخلف معدلات الاستثمار بشكل واضح في السودان ، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة منها انخفاض مستوى الدخل العام ، وانخفاض الميل للادخار ، وضعف الرغبة في الاستثمار .

ولا تزيد نسبة تكوين رأس المال الثابت وفقا لإحصاءات الدخل القومي على ١٢٪ وإذا استبعدنا منها ما يقابل استهلاك رأس المال الثابت لتخففت النسبة إلى النصف أو ٦٪ ، وهو معدل لا يساعد على مواجهة أعباء التنمية، ومقابلة الزيادة الكبير في السكان .

طريق قروص اجنبية وتكلفت حوالي ٥٠ مليون جنيه لا تحقق كسبا ، وانما تسبب خسارة تصل في العام الى حوالي ٧٠٠.٠٠٠ ر.ر. جنيهه مصرى .

عجز ميزان المدفوعات

يؤدى العجز المزمع فى ميزان المدفوعات السودانى الى الالتجاء الى الاقتراض من الخارج الذى أصبحت شروطه باهظة السعوية فى السنوات الاخيرة ، كنتيجة طبيعية للثقل الذى تسود سوق النقد العالية . وقد بلغ عجز ميزان المدفوعات فى السنوات الخمس الاخيرة مبلغ ١٠٢ مليون جنيه مصرى بمعدل قدره ٢٠ر. مليون جنيه فى العام .

ويرجع الجزء الاكبر من عجز الميزان الى الخدمات غير المتطورة كالتنقل والتأمين والفوائد المدفوعة للخارج ، ولجور الخبراء والمعامل الوافدين من الخارج . وبالرغم من ان البنوك قد اتمت ، وصودرت اموال مجموعة ضخمة من الاجانب والمصريين ، وحصرت عمليات التامين فى الشركات السودانية ، الا ان المدفوعات للخارج لم تنخفض ، ولا يتظر ان تنخفض فى القريب وذلك لارتفاع رسوم النقل ، وزيادة قيمة التحويلات النقدية التى يقوم العاملون الاجانب بها نتيجة لتضييق حريمهم فى الشراء من الداخل ، واشترط اوضاع معينة لتصدير السلع المستوردة بمرافقهم . وقد بلغ العجز فى ميزان الخدمات فى سنة ١٩٧٠ وحدها حوالي ١٦ مليون جنيه مصرى او بنسبة ٨٢٪ من مجموع العجز . وقد بلغت نسبة هذا العجز فى السنوات الخمس الى عجز الميزان الجارى حوالى ٧٢٪

والملاحظ ان التجارة الخارجية السودانية تنمو ببطء كبير ، لعدم زيادة الصادرات ، الذى يحدد بدوره حجم الواردات . فلذا استتبتا القطن الذى ارتفعت اسعاره نسبيا فى السنوات الثلاث الاخيرة نجد ان قيمة المحاصيل المصدره الاخرى كانت نسبة متجمدة ، اذا تراوحت بين ٥٢ر. مليون جنيه مصرى ، و٥٣ر. مليون جنيه مصرى .

وتتخصص صادرات السودان فى سلع قليلة محدودة ، هي القطن وتوابعه من بذرة وكسب وزيت ، والذول السودانى والسمسم ، والصمغ والحيوانات الحية . ويؤدى تصدير السلع فى اغلبها فى شكل خام الى نقص العائد الذى كان يمكن ان يؤول للمجتمع لو كانت قد صدرت

ويشير التقرير الخاص بتنظيم الجامعة الى ان متوسط تكلفة الطالب بلغت فى سنة ٦٩ - ٧٠ حوالى ١٣٦ر.٢ فيها مصريا ، او اكثر من اربعة اشعاف ونصف تكلفة الطالب الجامعى فى مصر ، وذلك بغض النظر عن ارتفاع مستوى خروج الجامعة فى مصر من زميله فى السودان .

وقد ادى عجز التمويل الى اتجاه الحكومة لمواجهة مطالب الميزانية الاستثنائية عن طريق السحب من بنك السودان (البنك المركزى) وان كان المفروض ان مثل هذه المسحوبات تكون لمواجهة مصروفات طارئة ، ولها ما يقابلها فى الإيرادات المتوقعة ، وقد بلغ رصيد الحكومة المدين فى ديسمبر سنة ١٩٧٠ مبلغ ٤٢ر.٤ مليون جنيه مصرى ، وذلك بالإضافة الى ما يبادل ٢١ر.٤ مليون جنيه عبارة عن قروض منوطة للهيئات المحلية والجهزة شبه الحكومية بسملة الحكومة ، وهذا البندان يمثلان ٥٥٪ من مجموع أصول البنك ، وبالمقارنة لم تكن مديونية الحكومة والقطاع شبه الحكومى تزيد على مليون جنيه مصرى فى ديسمبر سنة ١٩٦٤ . وقد ادى هذا الوضع الى ارتفاع الاسعار الى اعلى ، فالتار موجة تضخمية ذات آثار اقتصادية واجتماعية ، تكشفها حالة التوتر القائمة فى البلاد .

وقد ساعدت حالة التضخم الى ارتفاع الاسعار ، واستمرار العجز فى ميزان المدفوعات ، فامتدت الاحتياطات النقدية التى كانت تحتفظ بها الدولة ، التى تولدت نتيجة تراكم فائض الميزان فى الماضي ، والتمويضات التى دفعتها الحكومة المصرية حينما تم الانفصال النقدي بين مصر والسودان ، وحينما انفق على إقامة السد العالى . واتجهت الحكومة الى الحصول على ممولات وقروض من الخارج ، وبلغ رصيد هذه القروض حتى ديسمبر سنة ١٩٧٠ ما يعادل ١٢٨ مليون مصرى ، ولا يخلو من الخصيان الممولات العسكرية الضخمة التى تسحبها الاقتصاد السوفيتى . وتشكل القروض الاجنبية مينا على الاقتصاد القومى ، اذ تبلغ الفوائد السنوية الواجبة الدفع وذلك عدد الانقضاء ما يعادل ٢ر.٣ مليون جنيه مصرى فى العام . وبلغ متوسط ضخمة الدين (أصل وتوالت) فى السنوات الخمس الماضية حوالى ١١ر.١ مليون جنيه مصرى .

وكان يسكن ان يزول اثر القروض الاجنبية لو انها كانت موجبة لمشروعات تدبر مقدما يغطى لتسديتها ، والواقع غير ذلك ، اذ تبين ان مجموعة المشروعات الصناعية التى اقيمت عن

استخدام المباد من ناحية ٤ ونقص الأدوات الحديثة ، وعدم الاهتمام السكاني بالبذور الحسنة ، وانشار الآفات الزراعية وانخفاض الكفاءة الانتاجية للعاملين في الزراعة . فنجد مثلا أن نصيب الفرد في الإنتاج الزراعي والثروة السمكية والحيوانية لا يتعدى ١٢ جنيه في العام وذلك مقابل ٢٠ جنيه في مصر . وتزيد انتاجية القطن وحده في مصر عن مسقط في السودان ، وهو اهم محاصيل البسلاد ، وينال من العناية ما لا يماثله محصول آخر .

وبالرغم من أن نسبة الماشية في مصر مثلا لا تتعدى ١٢٪ من حجم الماشية في السودان ، وتبلغ نسبة الأغنام حوالي ١٧٪ من عددها في السودان ، فإن إنتاج الألبان في السودان لا يزيد عن مثيله في مصر إلا بنسبة تقل عن ٢٣٪

ونحن نلمس في مصر ، انخفاض أسعار اللحوم السوسونية ، وضعف الطلب عليها ، لنقص جودتها ، وليس هناك ما يمنع من تحسين اللحوم ، بانتقاء السلالات ، والعناية بتربية المواشي والأغنام . وهناك مشروع قرب العاصمة لذلك ، ولكنه محدود النطاق لا يستطيع مواجهة الطلب المحلي على انتخافه .

وكان من المتصور أن تنتشر الجرارات والوسائل الآلية نتيجة للظروف المادية والطبيعية في السودان ، غير أنها بالعكس محدودة الاستعمال ، ولا يزيد عدد الجرارات الميكانيكية على ٣٤٠٠ جرار .

لما من الإنتاج المعنى فهو ضئيل جدا ، ولا تزيد قيمة المنتج ما يعادل ٣ مليون جنيه مصري في العام من الخنيز ، والكروم والمجنزيت والملح . ولا يستخرج من البلاد أى شيء من البترول أو الفترات الطبيعية . وليس معنى ذلك أن البلاد تفتقر إلى المعادن ، ولا يتصور أن هذه المساحة الضخمة تشذ من البلدان الأفريقية المجاورة وتفتقر إلى المعادن ، ولعل السبب يرجع إلى عجز إمكانيات الاستغلال ، وعدم الاهتمام بإجراء مسح جيوفيزيقي للبلاد .

وتجه البلاد إلى تصدير منتجاتها الزراعية غير مصنعة كقطن والحبوب الزيتية ، ولعل تصنيها يرفع من قيمتها ، ويزيد من الدخل القومي ، غير أن المشكلة التي تحول دون ذلك هي انخفاض الكفاءة الانتاجية ، وارتفاع تكاليف الإنتاج بالتالى ، هذا ولا يزيد مصنعته السودان فعلا من انتاجه على ٨٪ من القطن في الوقت الذي تستورد البلاد قدرا كبيرا من النسوجات

مصنعة بشكل كلى أو جزئى ، فضلا عن أن نقص المواصلات من مراكز الإنتاج إلى ميناء التصدير تؤدى إلى زيادة الضغط عليها وعدم قدرتها على مواجهة زيادة التصدير حتى لو زاد الإنتاج .

نقص الموارد المستغلة

بالرغم من ضخامة مساحة السودان ، إلا أن الجزء الصالح للزراعة فيها لا يتعدى ٣٪ ، وتشكل المراعى والغابات مساحة تبلغ حوالي ٤٥٪ ، وأكثر من نصف مساحة السودان مناطق جبلية أو صحراوية غير صالحة للزراعة .

ويمتد السودان في منطقة بين خطى عرض ٨ ، ١٦ درجة شمالا ، وهي منطقة تتدرج من الصحراوية شمالا إلى الخصائص في الوسط والغرب (استبس) إلى الغابات في الجنوب . ويسقط المطر بمعدلات ليست صغيرة ، إذ تصل إلى ١٠ بوصات في المناطق الوسطى ، وترتفع إلى ٦٠ بوصة في المناطق الجنوبية . غير أن اشتداد درجة الحرارة وتركيب التربة يؤدي إلى ضياع قدر كبير من الماء . ولدى المناطق الجنوبية القريبة من منابع النيل يشيع الجزء الأكبر من الماء بين أشجاف النيل (ورد النيل) وبين البخر بالحرارة . وباستثناء الجريبات الجنوبية ، أو بعض أماكن فيها إذا أردنا الدقة ، فإن الأمطار تسقط بشكل غير منتظم على الأرض ، الأمر الذي يجعل الزراعة الدائمة على المطر تكتنفها الكثير من الصعوبات ويوجد الرعاة أنفسهم مضطرون إلى الانتقال من مكان إلى آخر وراء العشب ، ليس معنى ذلك أن إمكانيات للزراعة محدودة ، فلعكس صحيح ، فما زالت الدراسات التي امتدت منذ أوائل القرن للى صالحة ، وما زال من الممكن السيطرة على قدر كبير من الماء الذى يضع هباء بعد خروجه من منطقة البحيرات ، سواء عن طريق التبخات المائية ، أو بنسب بلا ضابط في مناطق الأعشاب .

وبالرغم من القلة النسبية للمساحة المزروعة من أرض السودان ، إلا أنها مساحة كبيرة إذا قورنت ببلاد أخرى ك مصر مثلا ، ومع ذلك فإن المحاصيل المنتجة محدودة النطاق ، ولا يلمس الإنسان تقدما يذكر في تغيير نوعية المحاصيل ، منذ نصف قرن ، والتي لا تخرج من القطن والحبوب الزيتية (السمس) والذول السوداني (والحبوب الغذائية) (الذرة) ، والذخن ، والقمح (والانتاجية الزراعية بشكل عام تنخفض كثيرا عنها في البلدان المتقدمة في الزراعة ، لقلة

وتؤدى المصاعب السياسية ايضا الى استبعاد بعض العناصر ذات الكفاءة باعتبارها عناصر غير موالية ، او بهدف اعطاء فرصة لليوبيدين والامتصار . وقد خلقت التقلبات السياسية والاجتماعية منذ الاستقلال حالة من عدم الاستقرار فى جهاز الدولة الوظيفى مما ادى ليس الى انخفاض الكفاءة فيه فحسب ، وانما الى انهيار من يعمل فيه للفرصة لزيادة كسبه بكل الطرق ليس هنا مجال الحديث فيها .

وقد أدت الظروف السياسية التي مرت بها السودان فى السنوات الأخيرة ، الى ايجاد حالة من القلق وعدم الاطمئنان من الأجانب والمتسوقين ، لما يمسوه من تفرقة فى المعاملة مما أدى الى نزوح الكثير من الخبرات والكفاءات التي لم يتم احلالها .

وقد قامت محاولات فى السنوات الأخيرة ، لتوسيع قاعدة التطعيم الجامعى ، واقامة العديد من المعاهد الفنية العالية ، فغير ان العقيلة المسيطرة على هذه الاجهزة ، ومحاولتها التمسك باهذاب القزم الانجليزية ، مع الاختلاف الكبير بينها وبين ما هو مناسب لظروف السودان ، أدى الى انخفاض المستوى وعدم امكانية البلاد مواجهة مشاكل التنمية .

ويطالب رجال الاعمال السودانيون ، وراس المال الاجنبى الذى تعمل الحكومة على تشجيع دخوله فى الفترة الاخيرة الى المطالبة بامتيازات خاصة بالمعاملة الضريبية ، وطريقة تحويل الارباح للخارج ، والحد من الاستيراد ، كلها بهدف ضمان عدم منافسة المنتجات الاجنبية حتى لو ارتفعت الاسعار فى الداخل ، وتحمل العبء المستهلك المحلى ، واذا كان الامر كذلك فان الانسان يتسائل لماذا لا تتولى الدولة مثل هذه المشروعات . وهنا نجد أنفسنا مواجهين بالصراع الكبير الدائر الان بين المتدينين بالتميزية بالاسلوب غير الرسمى ، اولئك الذين يعملون على دفع المجتمع للعودة للاسلوب الرسمى التقليدى بالرغم من فشل الاخيرة ، وعدم صلاحيته للدول النامية ، وبالمثل تلك التي تهتم بالتنمية المتوازنة التي تحد من التناقضات الاقتصادية والاجتماعية

تصل قيمتها فى متوسط السنوات الخمس الماضية أكثر من ٢١ مليون جنيه مصرى .

ومن المنتجات التي تستورد ويمكن انتاجها محليا ، الحشاى والبن والسكر والمواد الغذائية الأخرى . ويقدر متوسط قيمة ما استورد منها فى السنوات الخمس الماضية بحوالى ٢٢٥ مليون جنيه مصرى .

ولا تزيد قيمة الانتاج الصناعى فى مجموعه من ١٠ ٪ من الانتاج القومى ، والمنتج فى مجموعه لا يتعدى السلع الاستهلاكية ، ومواد البناء ، وتجيب بعض السلع المعمرة . مثل الصابون والصابير واليسكوييت والكبريت ، والمنسوجات والسكر ، والمطبات ، والاحذية ، والاسمنت ، والاثاث الحديدي ..

انخفاض الكفاءة الفنية

وارتفاع تكاليف الانتاج

ترتفع تكاليف الانتاج بشكل ملحوظ فى السودان ، واذا أخذنا الارقام الرسمية من الانتاج القومى لوجدنا ان انتاجية العامل لا تتعدى ١٠٠ جنيه مصرى فى العام ، هذا فى الوقت الذى تتراوح فيه قيمة اجور الفتيين بين ١٧٥ قرشا ، ٢٥٠ قرشا فى اليوم ، واجور العمال غير المهرة بين ٣٥ قرشا ، ٥٠ قرشا .

والجدير بالملاحظة ان السودانيون لا يقبلون على بعض الاعمال التي يصورون انها مهنة لا تقوم بها الا الفئات الدنيا فى المجتمع ، فنجد « الفلانة » مثلا وهم الوافدون من نيجيريا يقومون بجمع القطن ويصل عددهم فى الموسم الى حوالى نصف مليون عامل ، ويقوم بعضهم بأعمال مسخرة فى العاصمة ، وبعض القبائل السودانية تحترق العمل اليدوى وتفضل الرعى ، وبعضها يأنف من الزراعة ويعتبرها حرفة النساء وهكذا ..

وفى الوقت الذى تحتاج فيه البلاد للخبرات والتكاليف نجد ان نظام التوظيف فى الدولة يقوم على احالة العاملين على المعاش فى سن ٥٥ ،

الدراسة، الذي يقدمها البروفيسور لور
رمان موند محمد الاستشراف بجامعة كارل
ماركس بليزج - ألمانيا الديمقراطية - ،
والدكتور هارتموت شيلج أحد المستشرقين
الألمان ، تمثل رؤية جديدة لاتنين من أكثر
علماء ألمانيا الديمقراطية شهرة وتنبها في
نهم واقع وتطورات دول العالم الثالث .

وقد تكون هناك وجهات نظر متبينة حول
تضحية التطور غير الرأسمالي ، إلا أنه ورغم
كل ما كتب حولها لاثرت بحملة الى كثير من
الدراسات والأبحاث النظرية ، ونحن نعتقد
ان هذه الدراسات تمثل اسهاما جادا في
هذا الصدد .

التطور غير الرأسمالي

في آسيا

وأفريقيا

ماله وما عليه .. مشاكله .. وأبعاده

لوثر راشمان

هارتموت شيلج

لانتقال مباشر الى الثورة الاشتراكية ؟ » بدأ
التضال من أجل التحرر الوطني الذي سيتطور
في الواقع الى تضال ضد كل من الاستغلال
الاقطاعي والرأسمالي » ، كما جاء في مقررات
المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي
للاتحاد السوفيتي .

وتتمثل إحدى السمات الهامة للغاية لهذه
العملية في قرار عدد من البلدان التي كان
يقهرها الاستعمار من قبل في آسيا وأفريقيا
بالسير في طريق التطور غير الرأسمالي .
ويعتبر الاتجاه الاشتراكي لهذه البلدان تغييرا
عن نوع جديد من التضال المعادي للبربرية
الذي تشنه شعوب آسيا وأفريقيا بعد انقضاء
على الحكم الاستعماري الامبريالي المكتشف .

المرحلة الحالية من العملية
الثورية العالمية بتطور جبهة
قوية وجبارة من القوى الاجتماعية
في اطار التضال المعادي

للبربرية الذي تشنه مختلف الامم ، بصورة
لم يسبق لها مثيل في تاريخ التضال الثوري ضد
الرأسمالية . لقد أصبح النظام الاشتراكي
العالمي ، باعتباره العامل الحاسم في التطور
العالمي ، « ممجلا هلالا للتقدم الاجتماعي » على
نطاق العالم .

والشيء الدال على تغير الظروف لصالح
القوى المناهضة من أجل التقدم الاجتماعي : هو
انه في الوقت الحاضر ، وحتى في هذه البلدان
التي لا تتوافر فيها الظروف الموضوعية والذاتية

تتميز

ونتائج التطور 'خلال' السنوات القليلة الماضية .
 أن أكثر من ربع سكان البلدان المستقلة حديثا
 في أفريقيا ، وحوالي ٦٠٪ من سكان البلدان
 العربية يعيشون الآن في دول ذات اتجاه
 اشتراكي . وقد نجحوا في تدعيم استقلالهم
 الوطني ، وإجراء تغييرات اجتماعية هامة في
 البناء الاقتصادي لصالح الجماهير ، وتحقيق
 تقدم هام في تغيير الابنية السياسية والايدولوجية
 التي ورثوها عن الماضي الاستعماري . لقد
 تغيرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية تبعا لـ
 نتيجة لتأميم المشروعات الصناعية للاحتكارات
 الأجنبية ، ولراس المال الوطني كذلك في
 بعض الاحيان ، ونتيجة الاصلاحات الزراعية
 التي جرى تنفيذها . وعلى الرغم من الصعوبات
 الضخمة التي ترجع الى التخلف الاستعماري
 الكبير للاقتصاد ، وإلى الاعمال المعادية للثورة
 من جانب الامبريالية ، صاحبة التغييرات
 الاقتصادية الاجتماعية في البلاد ذات الاتجاه
 الاشتراكي انشغافا سريع في قواها الانتاجية .
 ولا يمكننا ان نتغافل عن أن الأنظمة السياسية
 التقليدية في بلدان آسيا وأفريقيا قد نجحت في
 زيادة استقرار قوتها خلال السنوات القليلة
 الماضية ، وتبكت بلدان مثل الجمهورية العربية
 المتحدة ، والجمهورية العربية السورية ،
 وجمهورية فينيا ، حتى من التصدي للمدوان
 المباشر الذي شنته عليهما الامبريالية العالمية
 ووكلائها الرئيسيين ، أو أن بلدانا مثل جمهورية
 الكونغو الشعبية قد أعبطت الأعمال التخريبية
 للامبريالية والموجهة ضد البلاد . وتحت تأثير
 « الاشتراكية العلمية » وتشبها مع منطق الصراع
 الطبقي حدثت تغييرات تقنية أبعد مدى في
 المفاهيم السياسية والايدولوجية للقادة
 الديموقراطيين الثوريين . ويجب أن يوضع في
 الاعتبار بين منجزات البلدان التي تسير في
 الطريق غير الراسمالي ، بالانضافة الى ما سبق :
 بدء عملية بعيدة المدى لثورة ثقافية ، واتجاه
 الى نظام اجتماعي للتعليم القومي ، وتطوير
 الوعي القومي الذاتي للجماهير والفن والادب
 القومي الحديث على اساس ديموقراطي .

وانا ما تلخصنا الامور يعنيها ، يجب التأكيد

وخطوة هامة تحق توتبع تطور العملية الثورية
 العالمية نحو الاشتراكية ، وتعبير واضح عن
 ازدياد عمق الازمة العامة للنظام الراسمالي وعن
 تصدع نظام استغلالها العالمي . ويرتبط ذلك
 ارتباطا وثيقا بسيطرة الطبقة العاملة على
 السلطة في البلدان الاشتراكية بالانضافة الى
 تغير ميزان القوى في العالم لصالح الاشتراكية
 والقوى المعادية للامبريالية بفضل النمو الثالث
 لقوة الاتحاد السوفيتي ، وازدياد الكتلة الدولية
 لمجموعة البلدان الاشتراكية قوة .

ان التطور غير الراسمالي في آسيا وأفريقيا
 يكتسب ، من وجهة نظر الصراع الطبقي بين
 الاشتراكية والامبريالية في العالم : أهمية
 سياسية وعملية متزايدة بالنسبة لابعاد العملية
 الثورية العالمية ، وبالإضافة الى ذلك فإنه يطرح
 عددا من المشاكل النظرية والعملية . وقد أوضح
 ذلك تبعا المؤتمر الرابع والعشرون للحزب
 الشيوعي للاتحاد السوفيتي ، ككثير الاحزاب
 نضجا وتجربة في الحركة الشيوعية الدولية :
 في تعميمه للتجارب التي اكتسبتها القوى
 الثورية في انتاج طريق التطور غير الراسمالي
 وفي نضالها المعادي للامبريالية من أجل تغييرات
 اجتماعية تقنية في بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا
 اللاتينية ، وفي تكديده الواضح على ما هو جديد
 وأساس في هذه العمليات . وكان مما له
 أهمية خاصة ملء في مقررات المؤتمر من أن
 بلدان آسيا وأفريقيا ذات الاتجاه الاشتراكي
 « تعتبر بين طلائع حركة التحرر الوطني
 المعاصرة » . وهذا التقرير يجد تبريرا كاملا له
 في النجاحات التي حققتها قوى التحرر الوطني
 والاجتماعي في هذه البلدان في هجومها على
 الحكم الامبريالي ، وفي حقيقة أن التغييرات
 الاجتماعية التقنية التي تحققت في تلك البلدان
 متقدمة للغاية بالمقارنة مع البلدان المستعمرة
 والتابعة السابقة الأخرى .

[١]

بعض نتائج التطور

غير الراسمالي اليوم

يمكننا ان نشير هنا الى العديد من حقائق

يشكل خامس على مائتين فقط ؟ لهذا أهمية أساسية من وجهة نظرنا :

١ أن تطور البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي في أفريقيا وآسيا أدى في السنوات الأخيرة - رغم الصعوبات الضخمة والانتكاسات العديدة - إلى :

● التأكيد بوضوح على النطاق العالمي لفعل قوانين الانتقال إلى الاشتراكية في عصرنا .

● البرهنة مرة أخرى على صحة تقديرات لينين حول تنوع وتعدد أشكال الانتقال مع سريان فعل قوانينها الأساسية .

● البرهنة بشكل ملى لا يتطرق إليه الشك على صحة وجوبية مفهوم لينين عن التطور الرأسمالي في ظل الظروف المعقدة للتخلف الاستعماري والهجمات العنيفة للغاية التي تشنها الإمبريالية على شعوب البلدان الناشئة في آسيا وأفريقيا التي تسمى إلى الحرية والتقدم وإثراء هذا المفهوم بتجارب جديدة - وذلك لأول مرة خارج حدود العالم الاشتراكي .

وفي رأينا ، أنه يجب إعطاء أهمية كبرى للعبارة الأخيرة ، إذ أنه قد أصبح من الواضح أكثر وأكثر أن الإمبريالية عاجزة عن أن تقدم مفهومها الاجتماعي يفتح أمام شعوب أفريقيا وآسيا طريقا عمليا لحل مشاكلهم الخاصة .

إن المدافعين عن طريق التطور الرأسمالي المثلين ، يلجأون لذلك ويشكل مزاجا إلى طرق منحرفة ، إلى البراجماتية المكتوفة والتجريبية ، بينما تتزايد جاذبية ونفوذ الماركسية اللينينية ومفهومها باضداد في آسيا وأفريقيا . والانتكاسات المؤقتة التي عانت منها الحركة المادية للبريالية في بعض المناطق في الخطوط الامامية لا تقل بأي حال من أهمية هذا التدين . إنها تؤكد بالأحرى أن التطور غير الرأسمالي سيتوسط فصب خلال صراع طبقي منيف ضد الاستعمار الجديد والتوى المادية للثورة في الداخل . وتوضح النجاهات التي حققتها الشعوب التي تسير في طريق تطور غير رأسمالي ، بما فيه الكفاية ، أن القوانين العامة

لعصرنا تصبح أكثر فعالية في آسيا وأفريقيا كذلك .

٢ عند التقييم الحقيقي للتطور غير الرأسمالي اليوم يجب أن نؤكد قبل كل شيء على أن التحالف

مع الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي الأخرى قد ازداد قوة . وقد اشار ليونيد بريجنيف في المؤتمر الثاني لحزب الوحدة الاشتراكي إلى « أن التحالف العظيم بين البلدان الاشتراكية والدول القومية الفتية القديمة يعتبر واحدا من أبرز السمات التي تميز عصرنا » كما ينضح أكثر فكلر في الواقع العمل بوجود الاشتراكية المالية وتأثيرها المتزايد على الاحداث الدولية ، ومساعداتها السياسية النشطة ، بل والسكرية كذلك في بعض المناطق ، للنظية القديمة في آسيا وأفريقيا ، وتوسيع التعاون معها في كل مجالات الحياة الاجتماعية ، قد أصبح شرطا ضروريا ليس فقط لانتقال تلك الشعوب إلى طريق التطور غير الرأسمالي ، وإنما كذلك لتحقيق مثل هذا التطور ونجاحه إلى مدى أبعد . وهذا النوع الجديد من التحالف قد اكدته بوضوح معاهدة الصداقة والتعاون التي وقعت أخيرا بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والجمهورية العربية المتحدة .

وفي رأينا ، فإن التقييم الحقيقي للتطور غير الرأسمالي اليوم لا يمكن أن يتجاهل القاعدة التي تقول بأن التطور غير الرأسمالي : قد أثبت من حيث المبدأ : تفوقه التاريخي على طريق التطور الرأسمالي في كل من آسيا وأفريقيا ، رغم أنه ما زال هناك كثير من الجوانب الصعبة التي يجب إنجازها بالتصميم في المستقبل . ولا يجب بالتاكيد أن ننفي عن أن التطور غير الرأسمالي ما زال حديثا للغاية ، ويمثل تاريخيا اتجاها جديدا تماما خارج العالم الاشتراكي . كما لا يجب أن نسقط من اعتبارنا أن دافس البلدان الأفريقية الآسيوية للمير في طريق التطور الرأسمالي تحكه قوى قديمة للبريالية المالية لديها خبرة في استغلال الشعوب الأخرى والتعامل معها سياسيا وثقافيا . وهم يقومون بمجرد تصنيف التطبيقات الناجحة للحكم الرأسمالي كي يدعموا الاتجاهات الطبقية نحو

واضطرابات في النمو ؟ والاحتفاظ بإجراءات
من حماية مكلفة . وتركز الامبريالية جزءا
كبيرا من امكانياتها الهائلة للمساعدة التي
تقدمها للبلدان الرأسمالية التابعة الداخلة في
نطاق نظامها لتقسيم العمل الدولي والتي تفتح بابا
للاستغلال الاستعماري الجديد لبلدان آسيا
وأفريقيا . ورغم ذلك ، فإن طريق التطور
الرأسمالي ليست اماله تاريخيا فرصة للنجاح
في المستقبل في آسيا وأفريقيا فالتقدم الاجتماعي
يمكن تحقيقه في عصرنا فحسب من خلال الانفصال
ضد الامبريالية وقوى الرجعية الداخلية ، التي
تتصرف كاتباع مخلصين للامبريالية ، كما يمكن
تحقيقه في التحليل النهائي بالاتجاه الاشتراكي .
ورغم بعض التقدم الذي يمكن تحقيقه في تطور
القوى المنتجة ، وفي التغلب على الظروف
السابقة على الرأسمالية ، تلك التجالعات التي
ربما يحتقنها طريق التطور الرأسمالي ، في المحل
الاول ، تحت الضغط الذي تمارسه العناصر
التقدمية والصراع الطبقي الذي يشنه الشعب
العامل ، فقد ثبت عجزها عن القضاء على
التناقضات بين الاستغلال السياسي والتبعية
الاقتصادية للامبريالية ، ومن وقف عملية انفجار
الجواهر ، ومن حماية المصالح القومية
للشعوب .

[٢]

العلاقة بين العام والخاص

في التطور غير الرأسمالي

ان الوظيفة التاريخية للتطور غير الرأسمالي
تتبع من المكان الذي يحطه هذا التطور في مرحلة
الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .
وهناك اتفاق عام اليوم بين علماء الاجتماع الذين
يقفون في صف الماركسية اللينينية على ان نواة
التطور غير الرأسمالي تكمن في توفير الشروط
المادية والتكنيكية ، الاقتصادية والاجتماعية ،
والسياسية ، والايديولوجية ، الثقافية اللازمة
للانتقال الى الاشتراكية من خلال تغييرات
اساسية للظروف الاجتماعية المتخلفة دون المرور

بالطور الرأسمالي في هذه البلدان ويخلقون
بذلك أنظمة رأسمالية تعتمد عليهم اعتمادا
كاسلا . وبالنسبة الى ذلك ، فالبرجوازية
القومية في هذه البلدان غالبا ما تكون اكثر
خبرة من الناحية السياسية واكثر تنظيميا من
الجواهر العاملة . ان التطور غير الرأسمالي
يخلق اسسا وابنية جديدة في كل من الاقتصاد
والمجتمع ، لا تجد مسندة او مساعدة من جانب
اي عمليات تلقائية . والتغيرات التي تحدثت
داخل اطار التطور غير الرأسمالي تؤدي الى
ظروف سياسية واجتماعية تعيد بالفعل الحيوية
والحياة الى السكان الاجتماعيين للمستعمرات
السابقة وترى الى تحقيق تجالعات طويلة
المدى ، كما انها تضمن عملية اجتماعية طويلة
الامد ومنجزات دائمة للجواهر العاملة . ويتيح
التطور الرأسمالي في بعض الاحيان فرصة
تحقيق تجالعات قصيرة الابد في معدلات النمو
وغيرها من المعطيات الاقتصادية ، والتي لا
تتبل مع ذلك شيئا طارئا بالنسبة للتغيرات
الرئيسية في الابنية الاقتصادية القومية
والاجتماعية ، والتي تتحمل عباءها ، في التحليل
الاخير ، الجواهر العاملة . وغالبا ما وجدت
البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي ظروف بداية
غير مواتية فيما يتعلق بمواردها القومية ،
وتطور كادرها ، والبناء التحتي ، والموقع
الجغرافي ، ومستوى التطور في أفريقيا جنوب
الصحراء قبل غيرها . ولذلك كانت المشاكل في
تلك البلدان اكثر تعقيدا ، وكانت الراديكالية
السياسية اكثر وضوحا ، كما كانت المواقف
المعادية للرأسمالية اكثر لبا . ومن الناحية
الاخرى فقد سارت في طريق التطور الرأسمالي
في المحل الاول تلك البلدان الاكثر تطورا من
الناحية الاقتصادية والاجتماعية في آسيا
وأفريقيا ، والتي تحتفظ فيها الامبريالية بمصالح
اقتصادية خاصة ، ولذلك عملت على تأمين
مراكزها بعناية عندما بدأ الحكم الاستعماري
المكشوف في الانهيار . ان التطور غير الرأسمالي
لا بد وان يتعرض على الدوام لهجمات عنيفة
من جانب الامبريالية العالمية ، ولعمدوانها
وانحرافاتها التي اذا لم تؤد الى النتائج المطلوبة،
فانها تؤدي على الاقل الى خسائر اقتصادية

يشكل كامل خلال نظام اجتماعي ذو اتجاه
رأسمالي . ان التطور غير الرأسمالي يتيح
فرصة للوصول الى الاشتراكية لا من خلال مرحلة
الرأسمالية النافجة وما يرتبط بها من اشكال
متطورة للعلاقات الطبقة العدائية ، وانما
بتجنب التتابع المعروف من الاقطاع ، الى
الرأسمالية المتطورة الى الاشتراكية .

ان الفكرة السالفة في دوائر حركة التحرر
الوطني من ان التطور غير الرأسمالي وبناء
الاشتراكية شيء واحد لا تتفق مع الظروف
الواقعية الموضوعية والذاتية التي يبدؤون منها .
وقد اشار هـ.أ. لينين بنكيد كبير الى انه « في
بلد يتكون غالبيته سكانه من ملاك صغار او
مزارعين صغار يمكن تحقيق ثورة اشتراكية فقط
خلال عدد من الاجراءات الانتقالية الخاصة » .

ويتلخص الهدف الرئيسي للتطور غير الرأسمالي
في القضاء التام على النفوذ الامبريالي في كل
المجالات الاجتماعية . وهذا يحدد كذلك الحكمة
الطبقة لنقطة الانطلاق ، ووضع هذا التطور
في مرتبة الثورات الديمقراطية المعادية للامبريالية
في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ان تصنيف التطور غير الرأسمالي باعتباره
ثورة ديموقراطية معادية للامبريالية ذات اتجاه
اشتراكي يتضمن ان مهامه الموضوعية تتخطى
نطاق الديموقراطية البرجوازية . ولا يمثل
التطور غير الرأسمالي نوعا « ثالثا » من الثورات
تتخذ طريقا بين الرأسمالية والاشتراكية ، أي لكي
تخلق الشروط لتكوين اقتصادي واجتماعي « ثالث » .
انه يؤدي بالآخرى الى ظروف انتقالية في كل
المجالات الرئيسية للحياة الاجتماعية ، متوجة
لا محالة ، ضد الرأسمالية وتفتح الطريق للثورة
اشتراكية ، وذلك اذا ما حلت المشاكل
الديموقراطية والمعادية للامبريالية بشكل ثابت .

ان تعاليم لينين من الانتقال التدريجي للثورة
الديموقراطية المعادية للامبريالية الى الثورة
الاشتراكية تستوعب العلاقة الجدلية بين النضال
من اجل حل القضايا الديموقراطية والمعادية
للامبريالية والتحقيق التدريجي للقانون الاساسي
لصبرنا ، للانتقال الى الاشتراكية . ولذلك فان

التطور غير الرأسمالي يتقن تحقيق القوانين
العامة للتقدم التاريخي نحو الاشتراكية في ظل
الظروف الخاصة للتخلف الاقتصادي والاجتماعي
في المستعمرات السابقة ونمو تأثير الاشتراكية
العالمية على التطور الدولي .

وفي تلك الحالات التي يحافظ فيها القادة
التقدميون على التصميم الثوري سيؤدي مجرى
التطور غير الرأسمالي الى :

● تحطيم جهاز الدولة الاستعماري او المحلي
القديم الفاسد واقامة دكتاتورية ديموقراطية
ثورية للعمال والفلاحين من خلال وصول الطبقة
العاملة الى السلطة .

● اقامة تحالف قوى بين الطبقة العاملة
والفلاحين وتوحيد الجاهير الفلاحية في النضال
ضد الامبريالية .

● توحيد كل القوى التقدمية والوطنية في
جبهة واحدة معادية للامبريالية .

● انشاء وتدعيم الاحزاب الثورية وتوجيهها
نحو الاشتراكية العلمية .

● الاستعاضة عن الاشكال القديمة البالية
بقطاعات اساسية جديدة وذات اتجاه اشتراكي
وخلق الشروط المادية والتكنيكية والطبقية للانتقال
الى الثورة الاشتراكية .

● القضاء على ظاهرة الديموقراطية
البرجوازية وتحقيق ديموقراطية ثورية موجهة ضد
الامبريالية وحلفائها ، ويؤديها الشعب ، وتتضمن
اتجاهها نحو مزيد من التطور ، نحو الديموقراطية
الاشتراكية .

● رفع مستوى المعيشة والمستوى الثقافي
والتعليمي للجماهير بانتظام .

● الاتجاه بحسم في السياسة الخارجية نحو
النضال النشط المعادي للامبريالية .

● بناء تحالف قوى مع الاشتراكية العالمية
وحركة الطبقة العاملة الدولية .

وتؤدي الطبيعة المتبلغة للغاية للظروف التي

لحولية من التطور الرأسمالي وبعد استيلاء البروليتاريا وحزبها الثوري على السلطة السياسية .

يتقضى النظر من الاشكال المتميزة للتطور الرأسمالي وما يترتب على ذلك من نتائج فى التطبيق الاجتماعى ، فانه من الضرورى ، من وجهة نظرنا ، أن تسود ، فى كل البلدان التى تمسور فى هذا الطريق للتطور ، اجراءات ذات طبيعة ديموقراطية تليا ، وذلك فى المرحلة الاولى المتعددة من الاتجاه الاشتراكي . اما فى المرحلة الثانية ، التى تنتهى الى الانتقال الى الثورة الاشتراكية عندها يتم التمسك تليا بالثبات الثورى ، تستخدم السلطة بشكل متزايد لتنفيذ اصلاحات معادية للرأسمالية وتربية من الاشتراكية فى كل من القاعدة والبناء العلوى وفى هذه المرحلة الثانية من التطور غير الرأسمالي ، التى تزداد فيها اهمية القضايا الانشائية التى ترتبط بالتحضير للثورة الاشتراكية سوف تتخذ الاصلاحات اهمية ثورية خاصة عندها تؤدى الى تراكم تدريجى ومسيادة كلمة لعناصر من نوع جديد .

ومع ذلك ، فان الشرط الرئيسى لحل مرض للقضايا الموضوعية المرتبطة بالتطور غير الرأسمالي وبالتغلب على الحدود الديموقراطية البرجوازية هو ذاتها ، وسيسهل احداث تغيير اساسى فى بناء السلطة السياسية . وهذا يقضى بنا الى قضية اخرى ، هى قضية السلطة .

[٣]

قضية السلطة السياسية

فى التطور غير الرأسمالي

ان الثورات فى النتائج الطبيعية للتطور الاجتماعى . ومع ذلك ، تصبح الثورة امكنية واتمية فقط عندما ينشأ وضع ثورى نتيجة لتطور تناقضات الحياة الاجتماعية . وفى رأينا تنطبق هذه الفرضية الماركسية اللينينية على الثورة ، كذلك تهمل الانطباق على التطور غير الرأسمالي الانتقالي . ونحن نرى أن تحديد العوامل التى تميز الوضع الثورى فى ظروف الانتقال الى التطور غير الرأسمالي بشكل لحد القضايا المطروحة امامنا جميعا ، والتى تحتاج لجهد مشترك وتنتظر حلا عليها . **اننا نوافق بالطبع على أن العوامل التالية تغرض التغييرات الثورية :**

● التدهور المستمر للاوضاع فى بلدان آسيا وافريقيا التى تقع داخل الاقتصاد الرأسمالي

يبدا منها طريق التطور الرأسمالي الى ظهور اشكال متميزة فى كل بلد بعينه وفى مجموعات من البلدان بالإضافة الى الخصائص العامة والسائدة من كل البلدان . وفى رأينا فان القليس الرئيسى للجرى المتبين للتطور غير الرأسمالي يكن فى درجه وجود ظروف الاستقلال الرأسمالي ومجوعات السلطة السياسية المترتبة عليه . ومن هذه الزاوية يكن فى رأينا تمييز ثلاث مجموعات من البلدان :

فى مجموعة البلدان التى يكون التمايز الطبقي غير هام نسبيا والتى لا يوجد فيها بالتالى طبقة رأسمالية فى شكل قوة اجتماعية تعدد مجرى التطور ، وبشكل خاص فى افريقيا جنوب الصحراء ، يتمثل التطور غير الرأسمالي فى خطى كل المرحلة الرأسمالية للتطور الاجتماعى .

وفى مجموعة ثانية من البلدان — ونحن نعلم هنا الدول العربية ذات الاتجاه الاشتراكي وكذلك بورما — كان هناك بالفعل بدايات هبة للتطور الرأسمالي ، وكانت هناك طبقة رأسمالية ، لم تتحول بعد ، رغم ذلك ، الى قوة اجتماعية أوتوقراطية فى هذه البلدان تجز الثورة بهامها بوقف عملية النمو الرأسمالي .

ويمكن للمرء ، بالطبع ، أن يتصور الثور وكذلك وهى تحل قضاياها الموضوعية بالتغلب على الرأسمالية بالطريق غير الرأسمالي ، رغم أن مثل هذه الحالة لم يبرهن عليها بعد أى نموذج . وينطبق ذلك على تلك البلدان التى أصبح للرأسمالية فيها جذور عميقة فى البناء الاجتماعى والتى وصلت بالفعل الى مرحلة الرأسمالية الصناعية الحديثة ، وحيث الاحتكارات فى دور التكوين ، أو حيث يوجد بالفعل رأسمال احتكارى متطور ، ولكن يوجد من الناحية الاخرى ظروف مسابقة على الرأسمالية هنا وهناك . أن هذا الشكل المميز للتطور غير الرأسمالي سيسهل فى رأينا حالة شاذة . وبينما يكون من المناسب تليا أن نقول أن طريق الاشتراكية بالنسبة لعدد كبير من بلدان آسيا وافريقيا سيتم عبر تطور غير رأسمالي ، فانه من المتلى للجدل أن ترتب على ذلك خطة يكن تطبيقها على كل البلدان . ومن الأرجح والأكثر احتيالا أن عددا من بلدان آسيا وافريقيا مستبدا عملية الانتقال الى الاشتراكية فى ظل ظروف قريبة من ظروف الثورة الديموقراطية المعادية للامبريالية فى البلدان الرأسمالية المتطورة أو ظروف الثورة التى تهدف الى اقامة ديموقراطية شعبية ، وذلك بعد فترة

العالمى ؟ وذلك بفعل قاتون التطور تغير المكتافىه
للاسيالية .

● ازدياد عمق ازمة كل نظام الملاتت بينها
وبين الدول الامبريالية .

● ازدياد حدة التناقضات بين مصالح بلدان
آسيا وافريقيا فى اجمال ثورة التحرر الوطنى وبين
السياسة الامبريالية والاستعمارية الجديدة
للتحرر والاستغلال .

● الازمة داخل القوى الاجتماعية التى تقف
الى جانب الامبريالية .

● تدهور مستوى معيشة الجماهير على
الدوام .

● تزايد النشاط السياسى للجماهير .

وتجد خصائص التطور الراسيالى فى هذا
الخصوص تعبيراً عنها فى حقيقة انه فى البلاد
التي برهنت البرجوازية المحلية او القوى الطبقة
المرتبطة بها على عجزها من تحقيق برنامج
ديموقراطى علم ، وحيث لم فصل الطبقة العاملة
بعد الى وضع يسمح لها بان تكون مسئولة عن
الثورة ، وتحت تأثير الاشتراكية العالمية %
يستولى ممثلو دوائر البرجوازية الصغيرة %
وعلى الاخص ، القوى الديموقراطية الثورية من
بين المثقفين ، على السلطة ويجرون تغييرات قد
تؤدى فى النهاية الى الاشتراكية . وقد اطلق
لوتين على تلك الظاهرة الخاصة اسم « الطريق
لثوريين على السلطة »
من جمهورية برجوازية صغيرة الى الاشتراكية %
كما انها تؤكد قوله الذى اعتقد على ماركس انجازاً
من ان الديموقراطية الثابتة ، فى مرحلة معينة
من تطورها ، ستحول من ناحية الى الاشتراكية %
وستحتاج من ناحية اخرى الى الاشتراكية .

ان استيلاء قوى طبقة غير بروتيتارية .
القوى الديموقراطية الثورية على السلطة يطرح
تضامياً هامة من زاوية النظرية الطبقية ومن جانب
السياسة العملية .

ويترتب على الطبيعة الانتقالية للظروف
الاجتماعية ان يشكك السلطة لا تحل عن طريق
تغيير نوعى واحد فى عملية الحكم السياسى %
كما هى الحال فى الثورة الديموقراطية المعادية
للامبريالية فى البلدان الراسيالية المتطورة التى
تمارس فيها الطبقة العاملة واحزابها الماركسية
اللينينية حادة النفوذ السائد . ان القضاء على
احتكار السلطة من قبل البرجوازية والمجتمعات
الطبقية المرتبطة بها واستيلاء الديموقراطية
الثورية غير البروليتارية على السلطة لهو تغيير
عن اول تغيير نوعى فى توازن القوى الداخلية
لصالح الطبقات والفئات ذات المصلحة فى التطور .
غير الراسيالى . وبشكل التحالف العريض الذى
تقوده القوى الطبقة البرجوازية الصغيرة غير
البروليتارية الاساس السياسى للسلطة الجديدة
اى انه لا يوجد اسس طبقة يتبادل بالقرابة مع
دولة برجوازية او بروتيتارية . ان السلطة
يشارك فيها بشكل عام — وعلى الاقل فى المراحل
الاولى للتطور غير الراسيالى — مجموعات
مختلفة من القادة البرجوازيين الصناعيين
يتصارعون على النفوذ . ويوضح تحليل مسألة
السيدة فى مجرى التطور غير الراسيالى حتى
اليوم ، انه فى بعض البلدان تحولت القوى ذات
النفوذ فى قيادة البرجوازية الصغيرة جاهدة ان
تستبدل احتكار السلطة البرجوازيين الثقلان او
القوى المحافظة والاسلامية % باحتكارها الخاص
للسلطة . وهذا التناقض ان يبنى الثورة طائفة
ان السلطة العليا تعبر بالفضل لصالح كل

لكن هل تكفى تلك العوامل الموضوعية ؟ اليس
من الضروري ان تدرس بقسمة تلك العوامل
الموضوعية التى تنشأ من التأثير المباشر وغير
المباشر للاشتراكية العالمية والتى تجعل التحول
نحو الاتجاه الاشتراكي فى آسيا وافريقيا حقيقة
واقعة ، تسهل من هذا الاتجاه وتوسعه ؟

ان الملاتت بين العوامل الدولية والقومية
اكثر وثقوتاً اليوم نتيجة للطابع الدولى للتزايد
للصراع الطبقي . والتناقض الرئيسى فى مصرنا
تخضع له بشكل متزايد كل التناقضات الاخرى %
وميلات التطور القومى فى بلدان آسيا وافريقيا
تتأثر بدرجة متزايدة وهامة بتوازن القوى الدولى
وبالنتائج التى حققتها الاشتراكية العالمية .
ان اتخاذ التغييرات الموضوعية التى طرأت على
الحالة القائمة حلاً لشكل التطور الراسيالى
يتوقف لدرجة كبيرة على العامل الذاتى للتطور

الاجتماعى ، وعلى الضغوط السياسى والتنظيمى
والايدىولوجى للقوى الثورية ، والظروف الداخلية
التي قد تفرغ تحولاً يتعد من الراسيالية ان
تنشأ حتى تصعيد القوى التقدمية التى تتزعم
حركة التحرر الوطنى بشكل كامل من الظروف
الموضوعية المواتية للاستيلاء على السلطة ،
وبالتالى تتخذ بنبات اجراءات تضاللية ذات اتجاه
اشتراكي ديموقراطية معادية للامبريالية . وبالتالي
تكون المسألة الرئيسية لطريق التطور الراسيالى
هى مسألة السلطة ، كما هو واضح تماماً من الابعاد
الماركسي اللينيني . فاستيلاء القوى ذات المصلحة
فى التطور غير الراسيالى على السلطة والاحتفاظ
بها واستخدام وسائل السلطة لتحقيق تغييرات
ثورية ، تنقل شرطاً اولياً للتغلب على التخلف
والتعجيل بالانتماء الاجتماعى .

الطبقات والفئات الاجتماعية ذات المصلحة في استمرار التحول الثوري .

إن التناقض المتطور للسلطة الديمقراطية الثورية بين أساسها الطبقي العريض ، من ناحية ، وبين الاتجاه نحو احتكار ممارسة السلطة من جانب قادة برجوازيين صغار ، من ناحية أخرى يمكن أن يؤدي في بلدان معينة إلى تعارض حرج بين العمليات التقدمية والنوعية ، كما يمكن أن يضع عراقيل خطيرة أمام تطور السلطة بشكل ثوري وفعل . ويجدر الإشارة في هذا الخصوص إلى جانبين هامين :

هناك حقيقة مسلم بها وهي الحاجة الملحة إلى تعليم جهاز الدولة القديم بشكل كامل ، تلك الحقيقة التي صاغها **ماركس وإنجلز** لسيادة سلطة البروليتاريا ، وكان **لينين** كذلك يربط تطبيقها على الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين ، وقد تحققت جزئياً بحسب في بعض البلدان . ويشكل استمرار وجود عناصر من جهاز الدولة القديم تهديداً رئيسياً لاستكمال الثورة ، وهو يتيح للبرجوازية فرصة لمواصلة نشاطها التخريبي والمادي للثورة . ويتحول هذا الاتجاه إلى خطر ماحق ، خاصة وأن تربية الجيل الشاب المخلص للثورة لا يسير احتياجات التطور بسبب الحرية النسبية لنشاط الدعاية البرجوازية والتحول المحدود في وسائل الإسلام الجماهيري وفي نظام التعليم . ودون أن نتجاهل التقدم الذي أحرزته بعض البلدان ، يجب أن نشير إلى **الخطر الذي يترتب على الفصل** في اتخاذ إجراءات شاملة للمرحلة الحقيقية ، وعلى المشاركة التي لا تزال محدودة للجماهير العاملة في ممارسة سلطة الدولة . أن وضع أسس مستقرة لممارسة السلطة في خلال زيادة نفوذ الطبقات العاملة يصبح ضرورة موضوعية أكثر إلحاحاً للثورة . وهذه العملية المعقدة قد تبدأ في نقاط مختلفة وفي نفس الوقت ، على المستويات المختلفة لممارسة سلطة الدولة ، ولكنها يجب أن تؤدي بشكل كامل إلى تكامل كل أجزاء جهاز السلطة في عملية متناغمة للتحول الثوري . ويعتبر ذلك أحد القضايا الرئيسية للتطور غير الرأسمالي في المراحل التالية .

إن الطبقة العاملة هي أكثر القوى نشاطاً وتقدمية في النضال من أجل تحقيق التقدم الاجتماعي . والطبقة العاملة هي التي تدفع سواء تلقائياً أو بدرجة تتزايد من الوعي ، خاصة حيث يتوافر لديها حزب ماركس لينينى ، نحو المحافظة على الاتجاه المعادى للرأسمالية في نظرية وتطبيق القيادة الديمقراطية الثورية وتعميقه ، وتنافس بشكل بناء ضد توافه

البرجوازية المستترة ولواهلها . إن حقيقة أن البروليتاريا تفضل بشكل متزايد من أجل الاعتراف بها كطبقة ، وأنها قد أصبحت في بعض البلدان بالفعل عاملاً هاماً من خلال الأعمال النشطة التي تقوم بها بهدف حماية السلطة التقدمية ضد المؤامرات التي يشنها المعادون للثورة ، برهان لا يحصى على تزايد الدور الاجتماعي ونحو الأهمية السياسية للطبقة العاملة . وهذا الاتجاه الحاسم في تطور القوى الطبقة ، الذي يظهر في كل دولة بدرجات متفاوتة ، لابد من وضعه في الاعتبار بشكل متزايد في الاستراتيجية الاجتماعية لقيادة القوى الديمقراطية الثورية .

ولنعد كذلك بعض الملاحظات عن **طبقة الفلاحين** التي يشكل اندماجها النشط في عملية التحول الثوري أهمية حيوية ، كما أكد **لوبيد وبرجنيف** خلال الدوائر الدولية للحزب الشيوعية العالمية عام ١٩٦٩ . وتعتبر القضايا التالية ذات صلة وثيقة بالموضوع :

١) رغم المصالح المختلفة والمعارضة جزئياً ترتبط فئات طبقة الفلاحين بمصالح مشتركة موضوعية ، مصالح الرفاه عامة ، وهي النضال ضد كل بقايا الاستغلال والقمع السابق على الرأسمالية وخاصة ضد كبار ملاك الأرض الاتقاعيين وشبه الاتقاعيين وكذلك ضد المراكز التي تحتلها الدول الامبريالية الكبرى في اقتصاد البلاد .

٢) ومع ذلك ، يجب الانتفاش من أن طبقة الفلاحين تمثل أساساً قوية ثورية محتبلة . ويرجع ذلك في الأساس إلى أسباب ذاتية وموضوعية . موجود طبقات ومجموعات طبقية لتكوينات اجتماعية سابقة على الرأسمالية ولطبقات رأسمالية في الزراعة في دور التكوين هو السبب في المصالح الاجتماعية ، ونمذاج السلوك المخفية ، التي يمكن أن تمارس تأثيراً كبيراً على الحركة الثورية للطبقة الفلاحية . إن الطبقة الفلاحية كطبقة اجتماعية تأثرت لدرجة كبيرة بظروف سابقة على الرأسمالية: تعمل بدافعها - حتى لفترة طويلة من التطور غير الرأسمالي - تلقضات تحركها القبلية أو القاطعة أو الطائفة أو المشرق أو الدين . وقد تتطور إلى قبلية ، وتبايز وانفصالية ما لم تحل هذه المشاكل خطوة خطوة .

٣) من الصحيح أن التطور الرأسمالي يخلق الظروف الضرورية للقضاء على التناقضات الناتجة من وجود تكوينات سابقة على الرأسمالية .

الحاجة الى تحالف بين الطبقة العاملة والطبقات الفلاحية .

والفكرة الأخيرة تلمس مسألة **الجبهة المتحدة** **المعادية للامبريالية** ، التي تعتبر مهمة للغاية للتطور غير الرأسمالي ، كما تعتبر على درجة كبيرة من الاهمية في الوقت الحاضر . ويعتبر تطور تلك الجبهة عملية لم تستكمل بعد . ان ما يعقد تلك العملية عدم التماثل الاجتماعي لتلك الجبهة بشكل خاص ، والمراكز الطبقتية غير البروليتارية للقادة ، والمشارع المعادية للشيوعية التي لاتزال قائمة . وتتركز الامبريالية تباعا الخطر الناجم عن الجبهة المتحدة المناغلة للقوى الثورية . . ولذلك تهدف استراتيجيتها السياسية الى تقسيم قوى معسكر التقدم بتفخيزه خلالات فيما بينها .

وانطلاقا من التجارب الماركسية اللينينية في سياسة التحالفات ، يجب التأكيد هنا على هذين المبدأين الاساسيين ، الذي يعتبر وضعهما في الاعتبار القادة ذو اهمية خاصة لنجاح الثورة .

ان التطور غير الرأسمالي يتطلب اعترافا بحتمية وحدة العاملين الطبقة العاملة والفلاحين باعتبارها نواة الجبهة المعادية للامبريالية ، وفي غالبية البلدان حلال هناك جهد كبير يجب ان يبذل كي يصبح التغيير في توازن القوى داخل الجبهة لصالح الجماهير العاملة يصبح حقيقة سياسية ، ونحن نتفق مع العلماء الماركسيين اللينينيين الذين اشاروا الى وجود ملاقة جدلية من الوحدة والصراع بين الديارات الثورية في التحالف ، تدافع عنها طبقتا البروليتاريا والفلاحون الكادحون من ناحية ، والبرجوازية الصغيرة والمتنفذين الديموقراطيين ، من ناحية اخرى ، وان نجاح الاتجاه الاشتراكي يتطلب ميادقها واثم الوحدة في النضال المعادي للامبريالية . وكما اوضحت الاحداث بجلالة مرة اخرى ، فان اى محاولة لزيادة الخلافات بين التيارين الثوريين انما يعنى خدمة للامبريالية .

ان التطور غير الرأسمالي يتطلب ان تقسم الجبهة تلك القاتين البرجوازية التي لها مصلحة موضوعية في اهداف الثورة ، حتى وان كانت تعارض تلك الاساليب الثورية . ويعتبر التضال من اجل كسب تأييد تلك القوى الطبقتية شرطا لازما للثورة ، وكذلك تحييد تلك المناصر التي تلعب دور « الطابور الخامس » للامبريالية داخل التحالف او القضاء عليها .

ولكن تظهر في نفس الوقت تناقضات جديده كائنه في التطور الرأسمالي بسبب التباين الطبقي والتفاوت في الملكية الذي يتم . وهكذا ، ففي تلك المجموعة من البلدان التي يتم فيها الاتجاه الاشتراكي مع توقف التطور الرأسمالي في نفس الوقت ، تطورت بالفعل **برجوازية قروية** ، ضعيفة نسبيا من الناحية العددية بشكل عام ، ولكنها تتمتع بنفوذ سياسي كبير ، كما انها قوية من الناحية الاقتصادية . ان موقفا انتقاصيا غير مترو تجاه اقسام معينة من البرجوازية القروية والفئات المتيسرة في القرية يعنى سوء تقدير لامكانيات التحالف المؤقت معها ولسماعتها الاقتصادية . وقد يكون ذلك بالنسبة للثورة في مثل خطر السماح بتطور غير محكوم ، وسوء تقدير لامكانيات انتقال بعض الاقسام الى المعسكر المعادي للثورة .

ومن الممكن ملاحظة التفاوت والاستقطاب السريع داخل طبقة الفلاحين نتيجة لتفخيز الاصلاحات الزراعية . وفي هذا المجال يمكن ان نجد القوى الثورية الاكثر ثباتا واتقادا في القرية بين الفئات البروليتارية وشبه البروليتارية للسكان في الريف . انهم يشكلون الغالبية المطلقة لسكان الريف والشريك الرئيسي المحتل في التحالف مع الطبقة العاملة ، ومع تطور التعاون في الزراعة تتشكل من هذه الجماهير فئة اجتماعية جديدة . هي فئة الفلاحين الذين يمارسون التعاون الاقتصادي . وعلى الرغم من انها لاتزال في دور التكوين ، فانها تحصل جنين قوة اجتماعية جديدة . ان الانتاج النشط للجماهير العاملة الفلاحية في عملية التحول الثوري ، يمكن ان يحقق بصعوبة بدون تنظيمات مستقلة وتأسيس نقابات لعمال الزراعة ، كما يثبت التجربة بوضوح تام .

فيما يتعلق بدور الفلاحين تواجه الحركة الثورية على الدوام في البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي مفهومات زائفة تباعا .

ويتبلل احد تلك المفهومات في اساءة تقدير الحركات الفلاحية ، وفي الخط من طبقة الفلاحين الى طبقة لا مبالية اجتماعيا ، وغير ثورية في الاساس ، أو الاكتفاء بمجرد اعلان وحدة كل القوى الديموقراطية الثورية ، دون السماح لحركة الجماهير الفلاحية بالتعاون بوعي في عملية التحول . اما **المفهوم المقابل** فيتمثل في المبالغة في دور الحركة الفلاحية باعلان انها القوة الثورية الوحيدة حقا ، ودفع الفلاحين لركيز التحكم في العملية الثورية . وهذا المفهوم ينكر السطور التاريخية لطبقة العاملة في التضال من اجل القضاء على ظروف الاستغلال ، كما انه ينكر

**الصغيرة على مفهومات بعض الديمقراطيين
الثوريين ينقص بشكل خاص في :**

● **التقييم المتناقض لطبيعة المرحلة التي
نعيشها والدور الذي تلعبه القوى الأساسية في
العملية الثورية العالية .**

● **التحديد غير الكامل لطبيعة ودور الطبقات
والفئات المختلفة في النضال الثوري ، وخاصة
الدور التاريخي الذي ستلعبه الطبقة العاملة
كقائد للثورة الاشتراكية .**

● **المبالغة في التأكيد على خصائص التطور
الاجتماعي في الدول التي تحررت من الامبريالية
والانكار العام للتوانين المسماة ذات الامر في
الانتقال الى الاشتراكية على نطاق العالم .**

● **المساعير والتصرفات المعادية للشيوعية ؛
التي تنعكس سياسيا في اجراءات تحريم نشاط
الاحزاب الشيوعية او الحد من هذا النشاط ،
وانكار ضرورة استقلال الحركة البروليتارية ،
والتعطلات فيما يختص بالتعاون مع الشيوعيين**

● **الاستعداد المحدود للسماح للشعب العامل
بالمشاركة النشطة في ادارة الدولة والاقتصاد ؛
في نفس الوقت الذي يتخذ فيه موقف متسلح
من القوى الرجعية حتى داخل الحزب .**

وبسبب هذه الاوضاع تنفرد بعض الاحزاب
الديموقراطية الثورية الى الوحدة الايديولوجية
والسياسية في المستويات القيادية والمقاعدية ؛
حيث عدد ممثلي البروليتاريا محدود نسبيا .
وغالبا ما ينتكس التقدم الذي حققته بعض الاحزاب
في بنائها التنظيمي نتيجة للعراقل التي توضع
في وجه تحقيق المركزية الديمقراطية .

**وفي هذه الظروف ، فان عملية تراكم مراحل
جديدة كفيها في الاسس الاستراتيجية والتكتيكية
لنك الاحزاب ، مما يساعدها على اعداد نفسها
لكوة سياسية قائدة للجنوع ، سوف تتخذ
طريقا معقدا متناقضا وطويلا بدون شك . انها
تتأثر لدرجة كبيرة بالصراع الطبقي الدولي بين
الاشتراكية والامبريالية ، وكذلك بعملية الهزائم
والاستقطاب داخل قوى البرجوازية الصغيرة
الطبقة . ويمكن لهذه الاحزاب ان يكون لها ابعاد
ثورية محسب عندما ترتبط بعلاقات وثيقة مع
الجماهير ، وتساعدن على المشاركة بوعي
في الحياة الاجتماعية . ان تدعيم العنصر
البروليتاري في تلك الاحزاب هو وحده الذي
يمكن ان يكون معيارا حاسما لامكانية ارتباطها
بشكل دائم بالاشتراكية العلمية .**

ان زيادة حدة التناقض العدائي ضد الامبريالية
والرجعية الداخلية المرتبطة بها ضمن التطور
غير الرأسمالي اساسا طبقيا عريضا ويتيح
امكانية لحيوية نفسانية واسعة .

[٤]

دور الحزب السياسي

في التطور غير الرأسمالي

ان حل الماهم الضخمة التي يطرحها طريق
التطور غير الرأسمالي يصبح ممكنا فقط من خلال
حزب ثوري مسلح بالاساليب الاستراتيجية
والتكتيك العلمية . وقد نشرت اخيرا في الاتحاد
السوفيتي دراسة ضخمة تتناول المسألة الرئيسية
في التطور غير الرأسمالي . وبالإضافة الى ذلك
سيصدر من قريب مجلد ضخم يعده مؤلفون من
الاتحاد السوفيتي وجمهورية ألمانيا الديمقراطية .
ولذلك فسنعرض فيما يلي لبعض جوانب العملية
المعقدة لتكوين الاحزاب الثورية وما يرتبط بها من
قضايا اساسية للصراع الطبقي الايديولوجي ،
فتحت تأثير الاشتراكية العلمية ومنطق الصراع
الطبقي زادت الاحزاب الديمقراطية الثورية من
دورها في المجتمع ، وعمقت من تعاونها مع
الحركة الشيوعية الدولية ، وان الاعتراف بوجود
تناقضات اجتماعية موشوعية في المجتمع ،
وبضرورة الصراع الطبقي لحلها ، وكذلك الانتعاش
بان التميز في ظروف الملكية يمكن ان يكون
وحده نقطة البدء في اقامة جنوع اشتراكي ، تعتبر
من اهم النتائج التي تم التوصل اليها في عملية
تحديد المفهوم الايديولوجية لكثير القادة تقدماء
والتي تنسب لتأثير الاشتراكية العلمية . ومع
ذلك فان انتقال القوى التقدمية للديموقراطية
الثورية الى مواقع الاشتراكية العلمية ، هوملية
طبيعية كذلك وقسة بارزة في تحديد ملامحهم
الايديولوجية . ولابد من التأكيد على ان الاتجاه
نحو الكيف الايديولوجي الجديد يحدث في ظروف
معقدة تلخلل اقتصادي يصعب تخيله ، ولبناء
اجتماعي ما يزال غير ناضج ، وخاصة وجود
تقليدية عميقة من الناحيتين وضعف البروليتاريا
حتى الآن ؛ بالإضافة الى وجود اشكال تقليدية
ومنيعة من الوعي تحت تأثير حياة ثقافية شوهها
الاستعمار ، ووفق كل شيء للنضال ضد الانحرافات
الايديولوجية التي يشجعها الامبرياليون ، والتي
ستتكرر خلال السنوات القادمة بشكل متزايد
على منسج عملية تشكيل ملاح الديمقراطيين
الثوريين في اتجاه الاشتراكية العلمية . ان القاتلين
القوى لا ايديولوجيات البرجوازية والبرجوازية

[5]

التناقضات والمشاكل

في المجال الاقتصادي

إن ما يهم ليس النمو الاقتصادي وتطور القوى المنتجة بأي شئ ، وبشكل يتجاهل أوجه تنشيط الإنتاجات الكلية لإيجاد تلقائي للظروف الرأسمالية ، وإنما تطور اقتصادي لا يضع عراقيل جديدة في طريق الاشتراكية ، ويزيد من الشروط اللازمة للاشتراكية ويوسع من الأبعاد الاجتماعية للانتقال إلى الاشتراكية .

وعلى ذلك فإن ادراكا حسنا وتمكنا سليما من العلاقة بين الاقتصاد والسياسة يعتبر واحدا من أهم مشاكل التطور غير الرأسمالي . ويوضح ذلك على وجه الخصوص عندما يتصور المرء بعض التناقضات التي تلاحظ في التطور غير الرأسمالي بدرجات متفاوتة الحد في المجالات الاقتصادية والاجتماعية وفي مجال السياسة الاقتصادية بحسب ، وإنما تلاحظ كذلك في علاقة التطور الاقتصادي بالاحتياجات السياسية والاجتماعية للاتجاه الاشتراكي . ويستشير إلى بعض هذه التناقضات فيما بعد كما أننا نعتبر أنه في كثير من الحالات لإزلال من الضروري تحديد وعرض المشاكل المختلفة بدقة ، وإيجاد وسائل وطرق محددة لحلها في التطبيق ، أو التسلح بوعي مع الاتجاهات المتناقضة والتحكم في تطورها لفترة محددة من الوقت .

إن عددا من التناقضات الموضوعية يرجع إلى عدم تماثل القاعدة الاقتصادية الاجتماعية في البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي ، وأحد هذه التناقضات يتمثل في التناقض الواضح بين السيادة الكلية لظروف الإنتاج المسبقة على الرأسمالية ، من ناحية والتي تمارس تأثيرات معرّلة ، ومعمّلة ، ومشجعة للركود ، وبين قطاع اقتصادي تسيطر عليه الدولة ، من ناحية أخرى ، ويمثل بالفعل ، باعتباره القاعدة الاقتصادية للسلطة الديمقراطية الثورية وبطابعه الانتقالي ، مستوى عال نسبيا للتنظيم الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع . ولا يقل أهمية من ذلك التناقض بين ارتباط البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي بالنظام الرأسمالي العالمي ، الذي يرتبط بتبعية متفاوتة للسوق الرأسمالية والاعتماد على واردات معينة من البلدان الإمبريالية ، وتأثيرات الإزمات التقيد في البلدان الرأسمالية ، لنح ، وبين الأسس الاقتصادية الاجتماعية الذي هو في عملية تطور في هذه البلدان والذي يكشف بالفعل عن عناصر ذات طابع معاد للإمبريالية . وعلى سبيل المثال ، فإن المشاكل المرتبطة بهذا التناقض ، ربما تلح في المدى الطويل بحسب ، بتغيير اتجاه علاقات التجارة الخارجية للبلدان التي تسير في طريق النمو غير الرأسمالي نحو السوق الاشتراكي العالمي .

عادة ما يواجه التطور غير الرأسمالي بمشاكل صعبة ومعقدة في المجال الاقتصادي . إن التراث الاستعماري في شكل مستوى منخفض من التطور الاقتصادي ، والهيكل المشوه للقوى المنتجة ، ونظام المصالحات الاجتماعية المتخلف والأعمال المضادة الدائمة من جانب الإمبريالية ، والتناقضات المعقدة الكامنة موضوعيا في التطور غير الرأسمالي تعرض مطلبية شديدة على القيادة السياسية للقوى الديمقراطية الثورية وعلى قدرتها على صياغة وتحقيق استراتيجية ثورية للتطور الاقتصادي ، تتفهمها مع درجة تعقيد وأهمية المشاكل التي تتطلب الحل .

ولا يمكن تحقيق التقدم الاقتصادي وتأمينه في التطور غير الرأسمالي في استئصال وانفصال من المجالات الأخرى للصحة الاجتماعية . وعلى العكس ، فإن التغيرات الاقتصادية الاجتماعية ، أي ، التغيرات الثورية في ظروف الإنتاج ، والتي تساعد على الانتقال لاحق إلى الاشتراكية ، والتأثير النشط للنساء الاجتماعي ، وعلى الأخص ، للسلطة العليا الديمقراطية الثورية ، تشكل الشروط الأساسية للزام لتحقيق الأهداف الاقتصادية للتطور غير الرأسمالي : القضاء على التبعية الاقتصادية للإمبريالية ، والغلب على التخلف الاقتصادي من خلال بناء قاعدة قوية للانتاج القومي ، تتميز بهيكل متوازن وإنتاجية عمل عالية في أهم مروعها ، وبذلك يتم خلق الظروف لإعادة الانتاج المتزايد باستمرار ، وضمان نمو اقتصادي سريع ورفع مستوى معيشة الجماهير .

إن التطور غير الرأسمالي يحل للمشاكل الاقتصادية بنجاح جزوا حاسما من مهمته التاريخية . وعن طريق تأمين أقصي انطلاق للقوى الانتاجية ، ومعدل عال للنمو الاقتصادي على أساس تغييرات اقتصادية اجتماعية تقدمية يخلق التطور غير الرأسمالي الشروط المادية والادبية للاشتراكية ويساعد التطور الكمي والكيفي للطبقة العاملة ، خالفا بذلك الشروط الطبقة الحاسنة للانتقال إلى الاشتراكية ، ومؤثرا على الشروط السياسية والإيديولوجية والثقافية اللازمة للاشتراكية . ونحن نعتقد بأن الأهمية المرتبطة بحل المشاكل الاقتصادية تمثل أهمية سياسية رئيسية كذلك للاستراتيجية الاقتصادية المستخلصة في التطور غير الرأسمالي .

هذا التطور الاقتصادي يجعل من الضروري كذلك الاستفادة الكاملة من إمكانيات رأس المال الخاص لتعجيل بنو وتطور الاقتصاد القومي ، وعلى سبيل المثال ، في تجارة التجزئة حيث يكون من المهم تجنب الإخلال بنظام التوزيع الذي يمكن ان يؤدي الى عدم استقرار سياسي .

ويوضح ذلك تماما ان حل المشاكل المرتبطة بمثل هذه التناقضات ممكن فقط عن طريق نشاط واسع من جانب أجهزة السلطة السياسية ، وعن طريق سياسة صبورة وحكمة من قبل الدولة ، سياسة تقصص في اعتبارها ضرورة تجنب المشاريع الجريئة ، وإيجاد الإشكال والوسائل السياسية المناسبة كي يتم الاحتفاظ بالاتجاهات الرأسمالية المسحوق بها من قصد تحت الرقابة ، والاستفادة منها لتدعيم الاتجاه الاشتراكي .

ويمكن تبين تناقضات متميزة كذلك بتحليل وضع قوة العمل في البلاد ذات التطور غير الرأسمالي . فمن ناحية ، يتطلب الاتجاه نحو معدل عال للنمو الاقتصادي استخدام الانتاج العالي الحديث ، وبالتالي ، أساليب تكثيف رأس المال وزيادة المستمرة في إنتاجية العمل باعتبارها شرطا لازما للتغلب على التفاوت في المستوى الاقتصادي بين البلدان المتأخرة والبلدان الرأسمالية العالية التصنيع بالاستفادة الى أقصى حد من قانون التطور غير المتكافئ في المجال الاقتصادي والتكنيكي كذلك . ومع ذلك ، فمن الضروري ، من ناحية أخرى ، إضمار فائض العمل الفائض او المحتفل على الأقل ، وقرابة السكان البطيء أو السريع ، من طريق أساليب وتكنيكات مختلفة للعمل ، وبالتالي أقل انتاجية .

وبالإضافة الى ذلك ، فإن الاتجاه نحو المستويات التكنولوجية الحديثة مازال يحصل دونه نقص الأشخاص المؤهلين في مختلف الاقتصاد القومي . وتكثف هذه التناقضات بوضوح تام من الأهمية السياسية والاقتصادية المباشرة للثورة الثقافية والتعليمية في التطور غير الرأسمالي .

ومما له ظروف مماثلة كذلك التناقض ، من ناحية ، بين حقيقة ان غالبية السكان في هذه البلدان مازالوا يعيشون في ظروف اجتماعية متخلفة ، مما يمرضهم لتأثير النماذج التقليدية للتفكير والسلوك ، تتسم بانبية تعتمد على الكفاءة الذاتية ، وتقصص تأثيرات مفسدة للمعنويات للغاية بسبب إقبالهم في الأحياء الفقيرة للبدن في ظروف من منتهى السوء ، وبين حقيقة ان اتساع الأساس الاقتصادي للتطور غير الرأسمالي يتطلب ملاما بنفسبسطا ومتفان وخلافا من جلبت الفاس في الانتاج ، وتحرير

ومما له أهمية خاصة فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية تلك التناقضات الناشئة من الحاجة الى زيادة معدل النمو الاقتصادي للتغلب على تفاوت المستوى بالمقارنة مع البلدان الرأسمالية ، بهدف القضاء على التبعية الاقتصادية واستمرار الاستقلال من خلال ميكنة السوق الرأسمالي العالي ، وبهدف تدعيم الأسس الاقتصادية للسلطة الديمقراطية الثورية ، لأسباب سياسية واقتصادية ، وبهدف رفع مستوى معيشة الجماهير . وهذه الحاجة تتعارض مع اتجاهات أخرى تنشأ من الفينة الأخلفة السابقة على الرأسمالية . وذلك فان إمكانيات التحسين محكومة بالتراكم المتور بالنفيل في حوزة السلطة الديمقراطية الثورية ، كما ان مواردها محكومة بدورها بالاستغلال الإمبريالي ، وبميكال اجتماعي مختلف ، وبطبيعة الطبقات الاستغلالية المحلية . ان الحاجة الى معدل عال للنمو الاقتصادي يتفق وشيق السوق المحلية ، التي هي نتيجة لنقل قطاعات اقتصاد الكفاءة الذاتي ، والتشويه الاستثماري لبناء فروع الاقتصاد ، والمستوى المنخفض لمعيشة الجماهير ، وهذا يؤثر بدوره على كفاءة وريحية القطاع الذي تسيطر عليه الدولة ، والذي لا يستطيع لذلك في جميع الحالات ان يركم الوسائل اللازمة للنمو والتطور السريع . .

ويرتبط تمام الارتباط بذلك التناقض الناتج من حقيقة ان التقدم الذي تحقق بالسبب في الطريق غير الرأسمالي ، والجهود الذي له ما يبررها موضوعيا نحو الاستقلال الاقتصادي ، والحاجة الى توطيد السلطة الديمقراطية الثورية تتطلب الحد من رأس المال الأجنبي والتخلص منه في النهاية وكذلك من النفوذ الرأسمالي الذي يمارس من خلال الائتمان والمعونة التكنيكية والمستشارين الخ ، ومن ناحية أخرى ، من أن الأهداف السياسية تتطلب معدلا عاليا من النمو في الاقتصاد القومي بالإضافة الى اتاحة موارد خارجية للتراكم ، مما يستلزم أحيانا كذلك ، وفقا لطبيعة الأمور ، استخدام المعونة الاقتصادية الإمبريالية ، وحتى تخلف رأس المال الأجنبي في بعض الحالات . ومع ذلك ، فإن هذا التناقض سوف تزداد حدة لاته ، كما سبق ان ذكرنا ، أحيانا ما يتطلب معدل النمو العالي توطيد استثمارات تقضيها البلدان الإمبريالية ، ومثل هذه الاستثمارات ستزيد دون شك من حدة الاستغلال ، وتزيد من فقدان الثروة الاقتصادية الذي تعاني منه البلدان التي تطلق « المعونة » . وهناك مشاكل مماثلة حيث المبدأ ، تلرحا حقيقة ان الأهداف الاقتصادية الاجتماعية للتطور غير الرأسمالي ترتبط بالضرورة بلرض تيودعلى الرأسمالية المحلية الى أكبر درجة ممكنة ، لكن

[٦]

الصراع الذى تشهده الامبريالية

ضد التطور غير الرأسمالى

وفي الختام ، لابد من ابداء بعض الملاحظات عن الاستراتيجية التى يستتبعها الاستثمار الجديد لوقف التطور غير الرأسمالى . هناك اتفاق علمى فى الانب الماركسي اللينيني أن الاتجاه الاشتراكي عملية ستتصير فى صراع حاد على المستويين القوى والدولى . فالشعوب التى تسير فى طريق التطور غير الرأسمالى يجب أن تناضل ضد مصائب ضخمة ناجمة فى الأساس عن التخلل الاجتماعى والاقتصادى للروابط التى لاتزال قائمة على النظام الرأسمالى العالى ، والتناقضات الداخلية القائمة والتابعة من مجريات الامور ، والمقاومة التى يبذلها الرجعيون فى الداخل ، الذين يتكون مطوهم الحقيقيون من العناصر الطفيلية والبيروقراطية فى جهاز الدولة والحزب ، وبعض القوى الرأسمالية الخاصة ، وبمساهمة الطبقات الاستغلالية السابقة على الرأسمالية ، والاصل البرجوازي الصغير للسلطة وعدم نزوح بعض المومل الذاتية . ومع لك تواجه الشعوب قبل أى شئ آخر هجمات لا تنقضي تشنهها الامبريالية العالمة وتستهدف منع أو تصفية التطور غير الرأسمالى ، ويصبح لك هدفنا اساسيا لاستراتيجيتها الاستعمارية الجديدة . وفى افريقيا وآسيا ، تركز الامبريالية كل عوانتها على الميالدان ذات الاتجاه الاشتراكي التى تستخدم ضدها كل ترسيتها الاستعمارية الجديدة ، وكما اكدت مقررات المؤتمر الرابع والمشرين للحزب الشيوعى للاقتصاد السوفيتى . « فليس هناك من جرائم يخلل الامبرياليون من ارتكابها كي يحتفظوا بسيطرتهم أو يستعبدوها على شعوب المستعمرات السابقة أو البلدان الأخرى التى رفضت من كاهلها قيود الاستغلال الرأسمالى » .

وكل أعمال العدوان والتدخل والمنفعة المسمى التى تشنها الدول الامبريالية الكبرى خلال السنوات القليلة الماضية ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، وجمهورية ألمانيا الغربية ، أو شنها ميلازم فى آسيا و افريقيا ، كانت موجهة ضد تلك البلدان التى تسير أو على وشك أن تسير فى طريق التطور غير الرأسمالى ، والقليل الكافى على ذلك هو توسيع العدوان الأمريكى فى غيتا الى لاوس وكيمبوديا ، والحرب التى تشنها اسرائيل خدعة للامبريالية العالمة ضد الدول العربية التقدمية ، ومهاجمة البرتغال

لك طاقات العمل وإبداعه . وهنا أيضا تمتد الامور على التغيرات فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، كما ترتبط بفعالية الجبال الايدولوجى الذى يجب تقييم اهميته فى التطور غير الرأسمالى من زاوية رد ممله الميسر على الاقتصاد . ويلعب دورا هاما فى هذا الخصوص اثر القوى الفكرية الثورية المرتكزة على العداء للامبريالية ، والتى يمكن أن تكون لها فعالية كبلية مصعب حينما لا تستخدم فى اخفاء الاستغلال المتواصل وحينما تحل المشاكل العرقية ، الحرجة للمايقى عيىمن البلدان ، بوسائل ديمقراطية .

ومما له أهمية كبيرة كذلك التناقض القائم بين الحاجة الى تحسين ملموس وسريع فى ظروف مميشة الجباهير العالمة ، وهو ما يجب أن تضمنه القيادة الديمقراطية الثورية ، لا لأسباب اجتماعية فحسب ، وانما لأسباب سياسية كذلك ، وبين الحاجة الى زيادة التراكم والاستثمارات بهدف تحقيق الاهداف الأساسية للسياسة الاقتصادية ، مما يتضمن وضع قيود على الاستهلاك ويتطلب تضحيات لابد منها . أن الطريقة التى سيحل بها هذا التناقض ستعكس الطابع الطبقي للسلطة غير الرأسمالية . فسوف تنجز مهامها الموضوعية التاريخية فى هذا الخصوص بالاتجاه نحو القضاء على الطفيلية والفساد ، وتخفيض النفقات غير الانتاجية الى اقصى درجة ممكنة ، وشمع الشعب الى المحل الاول على الفئات العليا من السكان ، والوقوف من التنبية التفسخية التى سيكون عيؤها اقصى على الجباهير .

ونحن نعتقد أن الاعتبارات السابقة تؤكد بما لا يتطرق اليه الشك أن السلطة العليا هى الاداة الرئيسية لحل المشاكل الاقتصادية فى التطور غير الرأسمالى ، وأنه انطلاقا من هذه الفرضية ، يمكن كذلك تحديد ملاقة السياسة بالاقتصاد فى التطور غير الرأسمالى . ولكيكون فى مقدورها حل المشاكل الاقتصادية ، يجب على القيادة الديمقراطية الثورية أن تنهج سياسة حكيمة ، لا تنطلق من التلقائية ، وانما تبدأ من الواقع بتناقضاته ، أن ما نحتاج اليه بالضرورة هو الصبر والعمل البناء ، بدلا من القفزات الكبرى والمخروعات الجريئة . ولا يمكن حل المشاكل المعقدة ببساطة باصدار الراميس أو اتخاذ اجراءات غير مرسومة بمنفعية ، يمكن التنبؤ بنتائجها الاقتصادية والاجتماعية مقدما . واخيرا ، لا يجب تجاهل أن امسى التحالف الطبقي العريض مستغرق ، وسيقدم الاستقرار السياسي للسلطة الديمقراطية الثورية ، ويتزايد نطاق تأثير داخل البلاد وفى الفضل ضد الامبريالية ، وتتضج الشروط الضرورية لسيادة البوليتاريا فى الثورة ، يقرر ما تعمل الدولة على حل المشاكل الاقتصادية المرتبطة بالتطور غير الرأسمالى .

لجمهورية غينيا ، والانتخابات الرجعية في حكومات غانا ومالي ولانديونيسيا واوغندا ، ومحاولات الانقلاب الرجعي في جمهورية الكونغو الشعبية وسيراليون وسيلان وكذلك الحركة الانفصالية في السودان . أن استراتيجية الإمبريالية للنضال ضد التطور غير الرأسمالي لا تنفك بالطبع عند حد استخدام القوة المباشرة ، لأن الأخطار التي تتهدد الإمبريالية نتيجة لانفصال البلدان التابعة والمستعمرة السابقة عن النظام الرأسمالي العالمي ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر السلطة والسياسة والاقتصاد ، وفي نفس الوقت فإن الانتصارات الحاسمة التي تسجيلها للشعوب ضد المحتلين الإمبرياليين ، بالتمسكون الوثيق مع الانحدار السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى ترتبط بنتائج خطيرة . أن الإمبريالية دون أن تتخلى عن سياسة التدخل ، تستخدم كل وسائلها الاستعمارية الجديدة كي تخرب ، وتغني على ، وتصفى التطور غير الرأسمالي . ويتضح أكثر فأكثر أن الإمبريالية ، كما اكسد المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ، تحاول مرة بعد الأخرى أن تتكيف مع الوضع العالمي المتغير ، كي تجعل الصراع ضد الاشتراكية أكثر فعالية . فمن طريق الاستعداد الواضح والمؤقت للتهادن ، وعن طريق الاتفاقات الاقتصادية والسياسية الجزئية ، وعن طريق الوسائل الإيديولوجية ، تحاول الإمبريالية أن تتغلب من قادة البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي ، وأن تكسب إلى جانبها مجموعتهم الأصابع والبرجوازية الصغيرة من طريق عملية الانسداد السياسي والمادي ، كي تحطم التحالف المعادي للإمبريالية نهائياً ، وتخرب

التأييد الديمقراطية الثورية ؟ لتطيح بها في النهاية . أن الرجعة والديمقراطية الاجتماعية بشكل خاص ، تعتبر من وجهة نظر البرجوازية الإمبريالية تنسب وسيلة لتحقيق أغراضها . ولتثبيت مواقعهم الإيديولوجية فانهم يستفيدون من المواقف القومية والشاعر المعادية للشيوعية في سياسة وإيديولوجية الديمقراطيين الثوريين ، محاولين أن يقدموا للقاعدة في التطور غير الرأسمالي إمكانية « طريق ثالث » بين الرأسمالية والاشتراكية [طريق يرتبط بفسكرة] الجنع الصناعي « وينظرية التقارب] ، وحتى « فوق الرأسمالية والاشتراكية » . وكل ذلك بهدئ منع القوى الديمقراطية الثورية من الاقتراب من الاشتراكية العلمية ، وكي تحرم هذه القوى من وسائل اللناغ الإيديولوجي ضد الأعمال السياسية التخريبية ، بل والأعمال المعادية للثورة بشكل مكشوف في النهاية .

ويؤكد ذلك مرة أخرى الحاجة الى فهم كامل للعوامل التي قد تجسد امعاد التطور غير الرأسمالي ويمكن في مقدور القادة الديمقراطيين الثوريين في النهاية ، حل المشاكل المرتبطة بالتطور غير الرأسمالي فحسب اذا ما دخلوا في تحالفات اولئى مع النظام الاشتراكي العالمى وحركة الطبقة العاملة العالمية على أساس فهم سليم لهذه المرحلة وعلى أساس استراتيجية وتكتيكات مناسبة مبنية على ذلك ، وإذا ما واصلوا نضالهم ضد الإمبريالية بنشاط ، وإذا ما اتفق نضالهم الدولي لانهيد الطريق للاشتراكية مع الظروف الداخلية الموضوعية والتطلعات الذاتية .

نشر في العدد القادم

مقالا حول نفس الموضوع .

بالمفكر السوفيتي أوليا نو فسكي

« تلقت الطليعة هذا الخطاب من الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي يعبر فيه عن وجهة نظره الخاصة والطليعة تنشره ايماناً منها بمبدأ حرية الرأي »

عزيزي الاستاذ لطفي الخولي رئيس
تحرير مجلة الطليعة ..

تحية طيبة ...

كنت هذا المقال منذ حين ، ورفض
مجلس إدارة المؤسسة الصحفية التي
اعمل بها ان تنشره ، واحتجز اصله الخطي
.. واذا كنت قد حصلت على هذا الاصل
بعد الاستماتة بنقله الصحفيين .. هاني
أرجو نشره في مجلة الطليعة التي عرفناها
منبراً للراء الثورية الحرة .
ولك في الفنام خالص شكرى واطيب
تمنياتي .

عبد الرحمن الشرقاوي

طريق واحد

تضامن القوى الثورية هو الطريق الوحيد للنصر

عبد الرحمن الشرقاوي

السواء .. ويشترك بدوره التاريخي في التقدم
الضمائري . ويحول الحياة الى جنة يحقق العلم
فيها رفاهية الإنسان ، وتشجيع النضارة بها رومة
الايمان ، فيشعر كل مواطن بزهر الانتماء ،
وبالقدرة على البذل والمقاوم والمطاء ..

وربما كانت بعض الإخلاء قد حدثت ونحن
نرتب البيت على عجل لنواجه التحديات
المقروسة .

وربما اصيب هذا أو ذلك أثناء عمليات
لهناء .. ورحم هذا أو ذاك من شرف العمل ..

أيام فرغنا من اعادة البناء
السياسي ، وما زالت اماننا
خطوات يسيرة ليم التشكيل
النهائي لكل المؤسسات السياسية

أوشكنا ان نخرج من ترتيب البيت ، لنوجه يمه
ذلك كل ما نملك من جهد للقضية الكبرى .. تحرير
الأرض العربية من قوات الاحتلال والقواعد
المسكوية الأجنبية .. وحماية حق الشعب
اللسطيني ، وتمكين المقاومة من تحقيق اعدائها
وتطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
والروحية ، ليكون هذا الوطن يحق ، هو لرض
الخير والجمال والابداع ، فيقدم ثمراته لانهائه على

هنا

في سبيل العدالة الدولية والسلام العالمي ، وتحزن
الإنسان ..

وإنّ **الوحدة الوطنية** هي الداخل سريبط
بالجبهة العربية ، وكلاهما مرتبط بالجبهة العالمية
المعادية للاستعمار والصهيونية ، وارتباط هذه
الجبهات الثلاث ارتباطاً ثورياً صادقاً هو صمان
هذا الوطن لتحقيق اهدافه الكاملة في التحرير
والنقيم ، وبناء الإنسان الجديد ، والمنسج
الجديد .. حيث لا خوف بعد ولا تهديد ، وحيث لا
أذمان بعد ولا استغلال ، وحيث المنافسة الشريفة
بدلاً من الاحتاد الرخيصة المبتذلة هي ما يسلا
ديانسا رخاء ، وحيث تغنى الحرية وجدان
الإنسان ، ويحمي القانون مصير الأسس ، وحيث
الذقة بالعدل تشجع الطمانينة ، فقصه الاعناق
بالأمل وحسب العمل .. وحيث الشهور بالكبرياء
يفجر طاقات الإبداع ، وحيث لا يخبص العقل الا
بالحب .. فلا مكان للكرهية او الحقد فيه ، وحيث
يشرق العقل بالثقافة ووهج العلم ، فلا يدال التطف
منه و لا يطبق الجهل عليه .. وما أبشع ما صنع
بنا التطف والجهل جميعا !!

إن هذا **المجتمع** الذي ننشده ونفقيه لا ينيل
عندنا له ، ولا غنى عنه .. والطريق الوحيد
لتحقيق هذا المجتمع وللانصرار على ما يولجنا
من تحديات هو الوحدة الوطنية المصرية ، التي هي
أساس الجبهة العربية الثورية ، المتحالفة مع
الجبهة العالمية المعادية للاستعمار والابريالية
والصهيونية والمناضلة في سبيل التقدم .. إن
ارتباط هذه القوى الثلاث وتحركها مما .. أما
هي عناصر انتصارنا ، وهي عناصر متلاحمة
مترابطة ارتباطاً عضوياً بحيث لا يمكن فصل
عنصر عن أخيه ..

فالذين يشكلون الوحدة الوطنية داخل هذا
الوطن ، يجب ألا يكونوا مؤمنين بأنهم جزء لا
يتجزأ من معركة النضال الثوري العربي ، وأن
هذه المعركة جزء لا يتجزأ من المعركة العالمية ضد
الصهيونية والابريالية والتخلف وكل أشكال القهر
والاستغلال .

وإنّ **فأى** عنصر من عناصر الوحدة الوطنية
لا يؤمن بهذا ، لا يمكن إلا أن يكون عدوا للوحدة
الوطنية .. ومن واجب التحالف الثوري الذي يمثل
قوى الشعب العاملة ، والذي يقود الوحدة
الوطنية .. من واجب قيادة الوحدة الوطنية أن
تتحى مثل هذه العناصر .. فإن كانت قد تسربت
الى مواقع المسؤولية أثناء العجلة في عملية
البناء .. أن كانت قد وضعت في أماكن حساسة
في البيت أثناء إعادة ترتيبه ، فمن الواجب
استبعادها لأنها في الحق تعوق حرية الحركة ،

على أن كل هذه **الخطأ** ، مهما يكن من
أمرها .. خطأ قابلة للاصلاح .. وقد صرح
السيد الرئيس أنور السادات أمام المؤتمر القومي
بأن هذه **الخطأ** التي حدثت لابد أن تصلح ..
وهكذا أصبح من واجب كل من يرى خطأ أن
يصححه بنفسه أن استطاع ، فإن لم يستطع فليعمل
على اصلاحه من خلال المؤسسات الشعبية ، وفي
حدود ما يكفله له القانون والنظام الثوري من
حقوق وضمائمات ، وما يحتمه عليه من مسؤوليات ،
لان الثورة ملك لا ينالها جميعاً بلا استثناء ،
وكل مواطن في مصر مطالب بأن يتحمل نصيبه من
المسؤولية .. وحرية الفكر .. وحرية الحركة ..
وحرية الرأي والنقد .. ليست حقوقاً فحسب ..
ولكنها واجبات ومسؤوليات يمتتها الوضع الثوري
الجديد الذي اتفق منذ ١٥ مايو ..

ولا ريب أن دعم البناء السياسي وتطهيره مما
معي أن يكون قد حدث فيه من خطأ .. لا ريب أن
هذا كله واجب كل مواطن .. فإن قصر فيه ، فهو
مقصر في حق نفسه ، وفي حق الوطن ..

لان **الخلل** اذا ترك في البناء ، فربما أحدث
صدعاً ، وإذا تصدع البناء فسيتهار على
الجميع .. فهي إذن مسؤولية الجميع على
السواء .. أن يصلحوا الخطأ .. وهي مسؤولية
تنبع من المصير الواحد !

إن **الهدف** من إعادة تنظيم البيت ، هو أن يكون
أكثر راحة ليكون إنتاج أهله أشد وفرة .. فإذا
لاحظ أحد أن شيئاً في غير مكانه ، وأنه قد يضايق
سكان البيت ، ووعق حركتهم ، أو يعطل أنتاجهم ،
فمن واجبه أن يعمل على التغيير السريع لتتلق كل
الطاقات في طمانينة وإحساس بالراحة ..

نحن في ثورة .. والثورة التي انفجرت في
مايو .. قد أضافت جديدا الى الحياة المصرية
والعربية والدولية ، وهي ثورة تهدف الى التغيير
الكامل .. ولكن بعض الناس يحرصون على
تجميد الأوضاع ، وعلى البردة الى الوراء ،
والسبرة حين تحكم ليس بما يقول الرجل ، بل بما
يصنعه .. فالسلوك لا الكلمات هي التي تعدد
مواقع الرجال من هذه الثورة ومن حركة التقدم
كلها .. وما قامت الثورة الا لتجمل الكلمة هي
الفصل والا لكي تقضى على الفاصل بين الشعار
ومضمون الشعار .. بين السلوك والقول ..

إن ثورة مايو تستهدف الوحدة الوطنية داخل
هذه الأرض ، وتستهدف تحقيق جبهة عربية
مناضلة ضد الاستعمار والابريالية والصهيونية
والتخلف ، جبهة تعتمد على جبهة عريضة من قوى
التقدم المعادية للابريالية والصهيونية ، والمناضلة

وتعمل طاقة الانتاج ، وهي تمثل خلا خطيرا في البناء يهدد بالانهيار الكامل .. وهذا هو بالتحديد ما يخطئه له الاعداء .. انه مهما تكن الشعارات التي تخفي وراءها هذه العناصر فهي عناصر مخزية .. والمبرة بالسلوك والعمل لا بالشعارات والكلمات ..

من المعروف ان مثل هذه العناصر المخزية التي تقف موضوعيا مع اعداء الوحدة الوطنية والجمهورية العربية الثورية ، والجهة العالمية المناهضة ضد الصهيونية والأمبريالية .. من المعروف ان هذه العناصر مهما تحسن الحديث وتتقن الشعارات ، تحلّ بسلوكها حركة الطلائع الثورية ، وتهددها لحيانا بيوهم الاتصال بالسلطات فتخلق حالة من عدم الثقة بين الشعب والسلطة ، وتستعمل وسائل وخيصة لخلق حالة من السخط او الحرج .. وهذه كلها موقفات .. ثم ان هذه العناصر في الملاحظات الحاسنة من معاركتنا تكشف عن وجهها تماما لتكون أداة مباشرة في ايدي الاعداء .. وعلى أية حال فسلوكها كله في جميع المراحل لا يخدم الا الاعداء ..

اذن فلتخلص من هذه السبليلت منذ اليوم ، ولنتحرك بمنطق ثورة مايو .. ثورة التفسير والتطهير والتحرير .. الثورة ضد الضوف والتخريب والقمع والاستغلال والفساد .. فلنتحرك بمنطق هذه الثورة ، لا بمنطق المصالحة وتجهيد الاوضاع على الاخطاء ، وترك الجراحات تندمل على الصديد .

وما يقال عن الوحدة الوطنية وعناصر التحالف داخليا ، يقال عن الجبهة العربية المناهضة ضد الصهيونية والأمبريالية .. وعناصر التحالف فيها .. فكل عنصر في هذه الجبهة يقترب من التصرفات ما يسيء الى التحالف الثوري بين الجبهة العربية والجبهة العالمية الثورية .. كل عنصر يؤدي هذا التحالف او يحاول تمزيقه ، انما يخدم في الحقد اعداء العرب : الصهيونية والأمبريالية والاستعمار ..

ان الجبهة العالمية المناهضة للاستعمار والأمبريالية والصهيونية تمثل طاقات هائلة وحاسمة في العالم .. وهي جبهة تتسع لتضم الرأى العالمى للعمل والسلام ، وكل قوى الدول الاشتراكية : بامنها الصين الشعبية ، وعلى راس هذه الجبهة يقف الاتحاد السوفيتى العظيم صديقا العزيز في المراء والضراء .. وحين لباس .. وسندنا الضخم من الناحية الممكورية والسياسية ، وفي كل مراحل الانشاء وتطوير المجتمع ..

ان الصداقة التي تربط هذه الجبهة بقيادة الاتحاد السوفيتى قلعة الاشتراكية وحماسي التحرر الوطنى والتقدم الانسانى .. هذه الصداقة ليست صداقة مرحلية يمكن ان تتحول عدا او يمد غد الى شيء آخر .. انها ليست صداقة المحتاج الى ظروف بعينها .. والا صعبا انفسا بالانتهاية .. ولكنها ضرورة وطنية وإنسانية ، وهي ضرورة دائمة .. هي اذن صداقة لا يبدل لها ولا غنى عنها لاتها تشجع من الايمان المشترك بالحق .. والحرية .. والسلام .. والعمل المشترك لتحرير الانسان ، وللتقدم البشرى ولتطور الحياة وحمائنها تنبع من المصالح المشتركة في دهر الصهيونية والاستعمار والأمبريالية .. انها تنبع من اهداف مشتركة ، ومصالح مشتركة .. مصالح لا يمكن ان تتناقض ، واهداف لا يمكن ان تتعارض .. هذه الصداقة لا يمكن ان تكون مؤقتة ..

فصاذا نريد نحن ؟ .. وهذا نريد الجبهة العالمية الثورية بقيادة الاتحاد السوفيتى صديقا العزيز الشريف ؟!

كلانا نريد ويعمل لتحقيق المجتمع الذى لا يستغل فيه الانسان اخاه الانسان .. والذى يشهر فيه الانسان من القهر .. والذي يشيع فيه الانسان كل احتياجاته المادية والثقافية والروحية .. والذي يسود فيه المجتمع الدولى سلام دائم وعدل دائم نحن اصنفاء الى ان نضع معا هذا المستقبل .. وحين ياتى ذلك الزمن الذى نعمل نحن متضامنين جميعا لكى يشرق على عالمنا لا .. لا يمكن ان يكون بيننا وبين الاتحاد والجبهة الثورية العالمية الا الود والصداقة ايضا .. وكل ما هو رائع وجبيل في مشاعر الانسان ..

فاذا تصور بعض الناس في مصر ، وفي غيرها من الدول العربية .. ان الصداقة مع السوفيت هي صداقة مؤقتة او مرحلية .. فهم في الحق يخبرون اعداء الاعداء ..

واذا حسب بعض الناس انهم يستطيعون ان يحققوا اى انتصار يغير هذا التحالف مع الجبهة العالمية الثورية بقيادة الاتحاد السوفيتى .. فهم في الحق يخدعون الناس .. ويفشون مخططات الاعداء .. لانهم سيخونون انفسهم آخر الامر في مسكر الاعداء .. سواء كانوا واعين بهذا الامر ، لم انهم غافلون .. والناس يرمعون الشعارات الاشتراكية .. وفي اعينهم وفي سلوكهم ، خداء للاتحاد السوفيتى وما يظله

٥٥٠ إنما هم في الحق أعداء الاشتراكية لبلادهم
... فكيف مقوم الاشتراكية على أساس
العداء للفكر الاشتراكي ، وللتجارب الاشتراكية
وللقوى الاشتراكية الأصلية ؟ !!

كل هذه العناصر التي يحركها الحقد الإصلي
للفكر الاشتراكي .. وللتغيير الثوري ، هي في
الحق سلبيات يجب أن تتخلص منها .. بل إنها
لاكثر من سلبيات .. إنها قوى فعالة معروفة
ومخربة .. أنها تنزع الوحدة الوطنية التي يجب
أن تتوقف وتقوى ليحقق الوطن ما يريد من تقدم
ولأن كانت قد وصلت الى مواقع المسؤولية خلال
العجلة في عملية إعادة البناء والترتيب ..
فمسئولية المواطنين الشرفاء هي عزل هذه العناصر
والطالبة بتغييرها .. وهذه هي مسئولية القيادة
الثورية ايضا ..

ومثل هذه العناصر المعادية للفكر الاشتراكي
تسلك في الجبهة العربية المعادية للصهيونية
والاستعمار سلوكا سيصبح من شأنه أن ينادر
على الفور بالقضاء عليه أن حصرنا في المجال
الدولي من اقوى الاستغناء ، ويعزلنا من كل
الحلفاء ، ويجردنا من اخطر القوى التي تعتمد
عليها في معارك التحرر العربي والتطور العربي
.. وهي المعونة الثرية التي تقدمها الجبهة
الثورية العالمية بكل اجزائها .. الرأي
العام العالمي .. والدول الاشتراكية بما فيها
الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي العظيم .

أن معاركه المصير التي تواجهنا في الداخل
والخارج لا عظم خطرا من أن نسمح فيها بوجود
عوامل تؤثر في قوامنا الضاربة ، أو تعترض تيار
التقدم الذي ندفعه بكل ما نملك من طاقات .. ان
المطريق الى الحقيقة واحد .. وأماننا طريق واحد
للنصر .. لا طريق غيره .

أن ندعم الوحدة الوطنية بكل عناصر التحالف
الشعبى بلا امتياز ولا تعديلات ، لكل عنصر في
هذا التحالف مكانه الحقيقي .. ويقدر حجمه
الحقيقي .. ويقدر تعبيره عن المصالح النهائية
لشعب .. وعلى هذا الأساس ليتحمل كل نصيبه
من المسؤولية .. ويتخذ كل موقعه في المعركة ..

دعم الوحدة الوطنية على هذا الأساس ، وعلى
أساس اصلاح ما يشكل خلا في البناء واستبعاد
من لا يرتفع وعيهم وفكرهم وسلوكهم الى مستوى
الوقف .. هذا هو الطريق الواحد .. ولا طريق
غيره .. وهكذا يتفق ارتباط الوحدة الوطنية
بالجبهة العربية الثرية المناضلة ضد الامبريالية

والصهيونية والاستعمار .. وعلى هذه الجبهة
العربية ان تضم كل ممثلي التحالف الشعبى في كل
وطن عربي .. وكل الذين تربطهم المصلحة العربية
المشتركة مهما تختلف دياناتهم ومذاهبهم
وفلسفاتهم .. والمصلحة العربية المشتركة واضحة
لا ليس فيها .. وهي تحرير الارض العربية
المحتلة .. وتحقيق اهداف المقاومة الفلسطينية ،
وتحرير الوطن العربي كله من الاستعمار
والصهيونية والامبريالية .. وتحرير الانسان
العربي من قيود الاستغلال والتخلف ليعيش عصرنا
ويصنع مستقبله بيديه .

وهذه الجبهة العربية المناضلة لا غنى لها عن
الارتباط الوثيق بالجبهة العالمية المناضلة التي تضم
كل قوى التقدم في العالم وكل الدول الاشتراكية
بقياة الاتحاد السوفيتي الصديق الشريف العزيز .

أن تضامن كل القوى المعادية للامبريالية
والصهيونية والاستعمار لم يعد خطة مؤقتة من
خطط المرحلة الراهنة .. ولكنه ضرورة من
ضرورات النصر .. بل انه هو الضرورة التي
تخلقها حاجة هذه القوى جميعا الى تحرر جبهة
الاعداء .. والى التحرر من الاحتلال والتهديد
الدائم .. انه هو الطريق الوحيد الى النصر ..
والتقدم ! ..

أن القوى الثورية هي طلائع هذه الجبهات
الثلاث المتلاحمة .. الجبهة الداخلية .. والجبهة
العربية .. والجبهة العالمية .. والقوى الثورية
في قيادتها لهذه الجبهات تعتمد على المؤمنين
بالاهداف المشتركة .. وقد تحدث اخطاء ولكن
المهم هو أن نملك القدرة على اصلاحها ..
والمؤمنون بعضهم اولى ببعض .

فمن اخطأ غير عائد ولا متعذر .. فطريق
التوبة مفتوح امامه .. وليس عليكم جناح فيها
اخطائكم به ولكن فيما تعمدت لتوبكم .

لما اذا اختارت بعض عناصر الجبهة ان تضرب
عناصر أخرى في الجبهة نفسها ، فانها في الحق
تفتخر الوقوف في معسكر العدو .. لانه حين
تضرب الصديق لا تنيد غير العدو .

فلنفتح القلوب لتوبة من اخطأ غير متعذر ما
داموا على ايمان صادق بالاهداف المشتركة ..
وبالطريق الواحد .. اما غير المؤمن فلا مكان له
في الصف .. لانه قد يحرقنا عن الطريق أو يقطع
علينا هذا الطريق .. انه اذن يسقط من امر الوطن
.. فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا .. لا يستون .

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

تقدم « الطليعة » في مدها هذا عرضاً للدراسات والمقالات التي عالجت فيها - على مدى ٨٠ شهراً - الفكرة الصهيونية : تشاباتها وحقيقتها وتطورها ووجهات النظر المختلفة التي اهتمت بتقييمها .

وهذا القسم من دراسات الطليعة ومقالاتها ، يتكامل في الواقع مع « القضية الفلسطينية » والتي نشرت في عدد أكتوبر الماضي تحت عنوان « ٨٠ شهراً من حياة الطليعة » .

وتهدف الطليعة من وراء تقديم موافقها بإزاء القضايا الحيوية والرئيسية الى وضع هذه المواقف موضع النقد العلمي والشارك اوسع دائرة من القراء والاصحاب في هذه العملية التي تؤدي الى اثرها، وتعميق الفكر العربي في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية»



الفكرة الصهيونية

عرض : د. وليم سليمان

الخارج لقضية الصراع العربي الاسرائيلي وثانيهما : ان هذا التصريف هو الخطوة الصهيونية الضرورية لتحديد اسلوب عربي جديد وفصل لواجهة الدعاية الاستعمارية الصهيونية في مجال الاعلام .

ولقد قدمت الطليعة ابتداء من عدد يوليو ١٩٦٨ « كراسه تيوياناچ كريتيان » (شهادت مسيحية) وقالت :

« هذا الكرّاس الذي نشرته المجلة المسيحية الفرنسية ذات الميول الديمقراطية « تيوياناچ كريتيان » في عدد خاص هو عبارة عن مجموعة دراسات ومقالات حول أزمة الشرق الاوسط وقضية فلسطين ، اشترك في كتابتها ليف من الكتاب والمفكرين الفرنسيين عقب حرب يونيو . « وأرضية هؤلاء المفكرين والكتاب تختلف

بالحتم عن أرضيتنا . وهي محكومة في نهاية الامر بالموقع الذي منه ينطلقون ، وبمنظرة اوروبية . الا انه جهد تميز بالحيولة دون الانجراف وراء موجة الدعاية الصهيونية التي اجتاحت أوروبا وقتذاك ، وجهود حاول جدياً ان يحتفظ بتوازنه ، ووضوح الرؤية في وقت كانت الظروف كلها تلتقي لطمس الحقيقة وتشويه الصورة .

وكانت الخطوة التالية بعد ذلك هي اجراء حوار بين المفكرين - عرباً وغير عرب - . وقد تم هذا في عدة مناسبات - ضمن الفكرة الصهيونية بالذات منها لقامين مع المفكر الفرنسي مكسيم روتنسون في اولهما التي محاضرة عن « المشكلة اليهودية عبر التاريخ » (٢) . وكان اللقاء الثاني فرصة للحوار التي حول ما جاء في هذه المحاضرة (٣) ، كما كان هذا الموضوع احد عناصر الحوار مع المقاومة الفلسطينية (٤) .

كما قامت الطليعة بمناسبة زيارة مطّعة واسل في اواخر عام ١٩٦٧ لتلقي الحقائق حول جرائم الحرب بإعداد دراسة عن الحركة الصهيونية وقضية الصراع العربي الاسرائيلي لمواجهة الدعايات الاستعمارية المضللة التي تروجها الدوائر الصهيونية (٥) .

اهتمت الطليعة اهتماماً خاصاً بدراسة « الفكرة الصهيونية لابرّاز حقيقتها ، ولتقصية ما تراكم حولها من أفكار خاطئة . سواء بفعل الصهيونيين أنفسهم ، أو بسبب الاخطاء الفكرية في مواجهة الفكرة ذاتها .

ولقد تعددت الوسائل التي عمدت اليها الطليعة لتحقيق هذا الهدف . وأول ما يرد الى التصور هذا هو كتابة الدراسات والمقالات بواسطة المفكرين العرب أنفسهم لمرضى وجهات نظرهم ، أو عرض الكتب التي خصصوها لدراسة مختلف نواحي الفكرة .

ولكن الطليعة لم تكف بذلك ، بل كانت تعرض وجهات نظر المفكرين غير العرب .. على الرغم من التمسكات التي تكون لها على بعض ما تتضمنه كتاباتهم .

وهي بعملها هذا كانت تهدف الى فتح افاق الذهن العربي ليسهم في تيار الفكر العالمي كي يستطيع ان يؤثر فيه ، ويقنعه بعدالة قضيتة . ولقد عبرت الطليعة عن وجهة نظرها هذه وهي تقدم مقال المفكر الفرنسي مكسيم روتنسون : « صالمة الصهيونية (١) » .

قالت الطليعة :

« كاتب هذا المقال هو المفكر الفرنسي الاشتراكي مكسيم روتنسون الأستاذ بكلية الدراسات العليا العملية بجامعة السوربون ، ويقتود روتنسون وهو من أصل يهودي مع زملائه الأستاذة جاك بيرك وشارل بتهليم وهنري لوفيفر وغيرهم حملة تنوير شجاعة وموضوعية في أوساط الرأي العام الاربي للقضية الفلسطينية وخطر الصهيونية كحركة مرتبطة بالاستعمار العالمي ضد الشعوب العربية و ضد قضية اليهود في المالم في نفس الوقت .

« والطليعة رقم ما هناك من اختلافات في وجهات النظر فانها تنشر المقال لمهطين اساسيين : اولها : تصريف الرأي العام العربي بمواقف واتجاهات ورؤية اصدياء حركة التحرر العربي في

نقطة البداية

ولقد برزت في مختلف هذه الأساليب نقطة البداية الصحيحة وهي المفارقة الرئيسية بين اليهودية والصهيونية . وكانت هذه المفارقة هي المطلق الذي وضعت من خلاله حقيقة الصهيونية ، في نفس الوقت الذي تدان فيه النظريات العنصرية المعادية للعالمية .

كتب خيرى صداد في الممدد الخامس من المنة الأولى (٦) :

« تمير المرحلة المعاصرة للقضية الفلسطينية بظاهرة واضحة كل الوضوح وهي الانقلاب الجذري في المفاهيم الأساسية للمشكلة ، وطريقة معالجتها المعالجة الصحيحة الواضحة . فلقد تمكن الاستعمار في الماضي مما اشتهر به من أساليب التفضيل والتوجيه وبما تجرأت به القيادات الوطنية القديمة من مصادجه وعملانية من تصوير المتحلب على أنها قضية نزاع طائفي أو عنصري بين العرب واليهود ، وأن الاستعمار الممثل في صورة الانتداب البريطاني السابق على فلسطين يؤدي دور الحكم المحايد الذي لا مصلحة له إلا إحلال السلام في البلاد . وهكذا وقعت القضية الأولى في معالجة القضية على أساس هذا المفهوم الحاسي ، وكانت سببا من أهم الأسباب في ضياع فلسطين .

« أما اليوم فقد باتت المشكلة في صورتها الحقيقية الأصلية ، وهي أن الصراع فيها كان ولا يزال ويجب أن يستمر مع الاستعمار والأمبريالية العالمية التي تؤلف الصهيونية عن طريق وجودها وتكوينها وعلاقتها بالرأسمالية الدولية جزءا لا يتجزأ منها . وظهر في الصورة للصهيونية للمشكلة أمام الشعب العربي في كل مكان أن العدو الأول والأخير في مشكلة فلسطين هو الاستعمار العالمي الذي لولاه لماتت إسرائيل ولما بقيت حتى يومنا هذا بأمر من خلقها الأنف المصطنع . وأن الصراع يجب أن يتركز ضد الاستعمار باعتبار أن مشكلة فلسطين تؤلف جزءا لا يتجزأ في معركة التحرر العالمية ضد الاستعمار .

وكانت الطليعة قد خصصت للدراسة الرئيسية في عددها الخامس من سنتها الثانية (مساوي ١٩٦٦) للصراع العربي الإسرائيلي . وكان لابد لكتاب العدد أن يعرضوا للفكرة الصهيونية .

وابرزوا من مختلف الزوايا التفارقة بين اليهودية والصهيونية .

وقد واجه لطفي الخولي (٧) السؤال الاتي هل نحن العرب في تناقضا مع إسرائيل فنصير عن موقف عنصري ؟

ونقطة البداية في الإجابة كانت أن « التشكيل العيني للعرب » ليس مرافقا للأصلح . « فالعربي هو نبت انساني ارض معينة من العالم ونتيجة تفاعل اصول عديدة تكون اجتماعيا ونفسيا واقتصاديا خلال التطور التاريخي . وقد أصبحت جميع الاديان دون استثناء في عملية التكوين هذه وخاصة من ناحية التراث والمزاج الثقافي والنفس ، وانتهى الكاتب الى أن « الدين » ليس في « المعيار » الذي نبحث به « العربي » من غيره (٨) .

وفي هذا المجال يستند الدارسون الذين عرضوا لهذا الموضوع الى تراث انساني قديم في المنطقة - إذ « لم يعرف من الشعوب العربية في يوم من الأيام أنها اضطهدت اليهود أو عادت السامية أو تمصبت ضدهم كاتلية دينية » بل على العكس من ذلك تماما كان هؤلاء يعيشون بيننا دون تفارقة أو تمييز ، يستمتعون بجميع حقوق المواطنين العادي (٩) .

وكما يقول رودنسون حين يقارن بين ما كان يحدث في الغرب وبين الوضع في السالم العربي : « إن الموقف العادي للسامية لم يكن له ما يبرره (في الغرب) لأنه لم يكن من صنع اليهود بل من صنع المجتمع الأوروبي المتحرر ضد اليهود . ولم يكن من الممكن إيجاد العلاج لهذا الوضع بالكفاح ضد اليهود عامة أو ضد جماعات معينة من اليهود .

« أما موقف العرب فهو ناجم على العكس من ذلك تماما من وضع خلقه اليهود أنفسهم . وهذا ما تجبرنا الحقائق التاريخية على الاعتراف به . » ولذا فالعلاج يتشال في وضع نهاية لهذا الوضع ولو بالكفاح ضد جماعات اليهود التي تمارس في تمييزه (١٠) .

ولقد ذكر جاك بيرك أن العرب لم يشتركوا في جريمة اضطهاد اليهود لا من قريب ولا من بعيد (١١) .

وهكذا فأنه منذ البداية ، فرقت الطبيعة « بين اليهودي والصهيوني » بين اليهودية كدين والصهيونية كمخطط وملاح استعماري . « إن المعركة مع إسرائيل هي جزء من المعركة ضد

(٦) السليطن بنس زيارته لبيروت ١٨٤٦ حتى حركة التحرير الفلسطينية ١٩٦٥

(٧) جيلوب وابعد الصراع العربي الإسرائيلي صفحة ١٩ عدد مايو ١٩٦٦

(٨) كيم رودنسون لي محاضرة .

(٩) ميشال كليل ، في الجور التاريخي لعمامرة شعب الله المختار صفحة ٥٢٠ عدد مايو ١٩٦٦

(١٠) مقال لنبى الخولي العدد اليسعة ٥٢٠ - ٥٢٦ عدد يوليو ١٩٦٨

(١١) صفحة ٦٧ عدد يونيو ١٩٧٠

الاستعمار والتفرقة العنصرية وليست حرباً موجهة ضد السامية أو اليهودية ، ومن نقف هنا على نفس الأرض التي تنطلق منها في مساندة شعب زيمبابوي ضد الاقلية البيضاء القاشية في روديسيا ، وشعب جنوب أفريقيا ضد الحكم الارهابي الغاشي للأقلية البيضاء .

وقل هذا الخط هو محور تفكير الطليعة . في تقديم رئيس التحرير للحوار مع رودنسون قال :

« اننا في النضال الذي نعيشه الآن في مواجهة الصهيونية وإسرائيل لا نصدر عن موقف عنصري أو موقف ديني ، وانما نصدر كجزء من حركة التحرر العربي التي هي جزء من حركة التحرر العالمي ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد وضد العنصرية » ، واننا في هذا « ميميزا » واضحاً وبنظير ، وسنظل على هذا التمييز باستمرار بين اليهودية باختلاف شقائنها وبين الصهيونية كحركة عنصرية رجعية مرتبطة بالامبريالية .

ويقر د . اسماعيل صبري في كتابه « في مواجهة إسرائيل » الذي قدمته الطليعة لتفركة حازمه بين اليهودي كصاحب عقيدة دينية وبين الصهيوني كسياسي يتستر وراء الدين بل ويستغل لتنفيذ مآرب سياسية استعمارية (١٤) .

ولقد اثبت الحوار اسدى اجرتة الطليعة مع منظمات المقاومة ان هذه التفرقة تمثل خطأ رئيسياً في استراتيجيتها :

« ان استراتيجية المقاومة الفلسطينية تميز بدقة بين اليهودية والصهيونية ، فالصهيونيون وحدها هي المفروضة كحركة عنصرية رجعية تخدع المصالح الامبريالية في المنطقة » بل ان الواقع الجديد يجب ان يفتح حتى ان يعلن ويؤكد بالتجربة الصليبية انفصاله عن الصهيونية وتطوره منها « (١٥)

وقد عبر عن ذلك ممثل فتح وكذا ممثل الجبهة الديمقراطية في الحوار الذي اجرتة الطليعة مع كل منهما (١٤) .

اليهودية

أ- كمقدمة :

حرص كتاب الطليعة في تناولهم للفكرة

الصهيونية على أن يحفظوا للدين كرامته فلا يصبح أداة لتحقيق الاطباع القومي ، وحين طبقوا هذا المبدأ على اليهودية وجدوا الامرين بما : التراث الروحي الذي يحرك في نفس المؤمن الشواهر الانسانية السليمة ، والاستقلال الرديء الذي يولد التعصب والعدوان . ومن خلال النظرة القارية العلمية ، وجدوا ان ما تصنعه الصهيونية بالدين اليهودي هو نفس ما حدث في القرن الحادي عشر حين استخضمت قوى المغامرة والغزو والتوسع الاستغلالية الاوربية الدين المسيحي في حملاتها الصليبية ضد العرب والشرق - سالت بهذا الاستقلال الآلاف من الاوربيين المضللين الى مجازر الحرب لتحقيق امال ارباب المال والتجارة ، والاقطاعيين ومادة الكهنوت في كنوز الشرق (١٥)

اما اليهودية كدين - في اسفارها المكتوبة وهي تنطق وجودها ذاته - تدين الصهيونية وترفض تماماً تاصيل مجتمع ديني لليهود يتخذ شكلاً سياسياً في صورة دولة دائمة . ويظل الهدف الاساسي هو « الجماعة الانسانية الشاملة » (١٦)

ولقد ابرز مكسيم رودنسون الدور الذي قام به انبياء العهد القديم في القرن السابع او السادس قبل الميلاد « لقد دعا الى رؤية عالمية فياها هو ليس رب اسرائيل وحدها ولكنه الله كل الشعوب . بل انه جاء على لسان بعضهم عتاب لاسرائيل لانه يعتقد انه الوحيد الذي اختصه يهوه بعبه » (١٧)

ولقد ابرز هذا المفكر ان « هناك مواجهة قوية بين الصهيونية واليهودية الدينية فقد كان رجال الدين في البداية الد أعداء الصهيونية وفي مسنفل الحركة الصهيونية كان هناك صراع دام بين هذه الحركة واليهود الحثيين في بولونيا وروسيا . ودام هذا الصراع مدة طويلة . وقد رفض اليهود الدينيون ان يعترفوا بدولة اسرائيل وقت ان كانت فلسطين تحت الوصاية لانهم كانوا يعتبرونها دولة غير يهودية ، وقد قيل لى انهم رفضوا حتى حفر الخنادق ولم يطلب منهم الاشتراك في القتال ضد العرب في هذه الفترة » ، وانما فقط ان يحفروا الخنادق . ورفضوا . وهم يقولون ان هذه الحرب لا تهمل . انها بين دولتين لا يهوديتين . ونحن هنا لكن نتمدد فقط ، انها البلدة الاكثر قريبا من الله » (١٨)

قبل الحرب العالمية الثانية كان المسيحية

- (١٢) عرضه وبيع وجهه سلمه ١١٨ عدد يوليو ١٩٦٦
 - (١٣) لطفي الخولي ، جبهة مريصيه يهودية شمالية ضد الابريالية والعنصرية صفحة ٤ عدد ابريل ١٩٦٦
 - (١٤) عددي يوليو ونوفمبر ١٩٦٦
 - (١٥) لطفي الخولي جذور ولحم الصراع العربي الاسرائيلي ، صفحة ٢٠ عدد مايو ١٩٦٦
 - (١٦) وايم سلهان ، اسرائيل يفرح وليست آبه صفحة ٣٠ عدد يوليو ١٩٦٧
 - (١٧) المشكلة اليهودية من التاريخ صفحة ١١ عدد مايو ١٩٧٠
 - (١٨) الصهيونية بين الاستغلاية والنسبة عدد وجه ١٩٧٠ بل ابريل عدد اسرائيل التبيين ٢ يوليو
- اسلمها مجموعة دينية . ولكنهم يجهلون على التمسك بالفكرة من اجل تعريض كلمة يهودي « التي هي ايهما نكرم .

يشكلون حركة لا تمثل سوى الاقلية في ما بين اليهود . وكان الذين لا ينتمون الى الصهيونية وحسن الماديين للصهيونية هم الاكثرية بشكل واضح (١٩) .

في سنة ١٨٧٨ اعلن هرمان ايلر الحاخام الاكبر لانجلترا : « اننا كيهود ننتمي سياسيا للبلاد التي نعيش فيها ، اننا بكل بساطة انجليز او فرنسيون او لثان » اننا نمارس بالضرورة بعض العقائد الدينية الخاصة بنا - ولكننا لا نخطف في هذا الشأن مع المواطنين الذين يعتقدون اي دين آخر ، كما اننا نشاركهم في المساهمة في رفاهية الوطن ونطالب بحقوق وواجبات المواطنين » (٢٠) .

ونفس هذا الموقف اعلنه حايم ناحوم الحاخام المصري الذي اصدر بياناً بعد انشاء اسرائيل قال فيه : ان اليهود المصريين جزء لا يتجزأ من الامة المصرية وانهم يمتصون بكل ما يتمتع به المواطن المصري الصالح . وعلى ذلك فليس لاي دولة اجنبية سواء كانت هذه الدولة اسرائيل او غيرها اية سعة للتحديث باسمهم (٢١) .

ماذا صنعت الصهيونية بهذا التراث العميق ؟

وكيف نفذت الى هذه الجماعات المعارضة لها ... تلك احدى صيغ الابتزاز التاريخية . سنعرض لها في صفحات قادمة .

على انه ما زال هناك شهود شفاء . يهودا وغير يهود ، يحافظون على الجوهر النقي للدين .

ولقد اوردت الطليعة ضمن كراسة مجسلة تيمونيان كريتيان شهادة الحاخام الفرنسي المعاصر ايمانويل ليفين - اذ يقول :

« لا يمكن ان اظل في الجورج يهوديا حقاً ما لم اقف بجانب اكثر الناس يؤسسا واكثرهم تعرضاً للاذلال والمهانة وما لم اجدد كل شذائد الانسانية او اشارك فيها واحصها . »

» وهكذا يتأكد ويتكامل كيان اليهودي -

بل ان كيان يزدني ويتفصح بتماطلي وتضامني مع عرب فلسطين ، وبمارسني الكابلية والمطلقة لدولة اسرائيل والصهيونية التي تحمل في مبادئها المظالم والجرائم التي نعيشها كشهود عاجزين . وما كانت دولة اسرائيل تستطيع ان تقوم دون ارتكاب هذه الجرائم » (٢٢) .

وضمن هذه الوثائق نفسها اثبتت الطليعة ما كتبه المفكر الفرنسي بخصوص احدى المقائد التي تستغلها الصهيونية استغلالاً شائناً ، ثماني بها فكرة ارض اليعاد ، يقول بيوك : « هل يمكننا ان نتكلم في قلب القرن العشرين عن اراض تمتاز عن غيرها بأنها « مقدسة » او بأنها ارض « اليعاد » السنا بصدد كوكب متحير تقام من اجل قياسه شجاعة الانسان وتوقع المكافاة من تحقيقه ؟ ومن منا فان قضية عرب ويهود فلسطين تفرج تحت قضية اكثر السامح - ايا كان الطابع الخاص لقضية كل منهما . واعني بذلك قضية تحرير العالم من الاستعمار ... هل من الممكن ان تكون هناك الان افعال غزو مشروعة وعمليات استعمار طيبة واجراءات ضم مقدسة تماماً كما توجد حالياً في اسكان اخرى عمليات حرب فلسطين ؟ ديمقراطية ؟ » (٢٣) .

ب - اليهود كبحر :

التزمت الطليعة المنهج العلمي في مواجهة محاولات الصهيونية تسيئة الجماهير اليهودية لتأييدها . ورفضت ان يكون رد الفعل العربي طرفاً عنصرياً من نفس النوع الصهيوني . ولكنها في نفس الوقت والتزاماً بأصول المنهج العلمي رفضت ان تسلم باعتقائ الجماهير اليهودية تكون شعباً واحداً او امة او قومية .

يقول ابن جويون في محاضرة مطبوعة له : « اولئك اليهود الذين يعتبرون انفسهم جزءاً من الشعب الامويكي او الانجليزي او الفرنسي - اولئك اليهود الذين لا يشعرون انهم في ملهى » هؤلاء اليهود جميعاً ... خطر على مستقبل اليهودية » (٢٤) .

في مواجهة هذا الموقف المنصري الذي يهدف

- (١٩) مالم الصهيونية « صفحة ١٠٤ عدد اغسطس ١٩٧٧
- (٢٠) ولوم سليفين ، اسرائيل بؤرة حرب وليست امة صفحة ٢٠ عدد يوليو ١٩٧٧
- (٢١) لثلي القولي ، جاور وايمان المصراع العربي الاسرائيلي ، صفحة ٢٠ عدد ماين ١٩٧٢
- (٢٢) صفحة ١٧٧ عدد سبتمبر ١٩٦٨
- (٢٣) صفحة ١٥٤ عدد يوليو ١٩٦٨
- (٢٤) ولوم سليفين ، اسرائيل بؤرة حرب وليست دولة ، صفحة ٢٠ ، ديسمبر ١٩٧٦

الى التوسع والمعدوان ؟ ويهدد اليهودية كبعثد
والجماهير اليهودية كشر - كتب الفكر اليهودي
الفرنسي وودنسون يقول :

« هل مجموع الأشخاص الذين يمكن ان نسميهم
يهودا بدرجات متفاوتة - هل يمكن ان يكونوا
شعبا ؟ لا شك انهم سيكونون شعبا غريبا حقا ،
شعبا غير طبيعي لا وطن له ويرتبط بأوطان
مختلفة .

ومن خلال وثائق تيوايناچ كريتيان ، اثبتت
الطلمية ما تقوله فاني شاييرا « ان عددا كبيرا من
اليهود حاربوا عن حق ضد فكرة « الجنس
اليهودي » بل انه لا توجد حتى « جماعة
اتنوجرافية يهودية » فكل الدراسات المتقدمة في
علم الانثروبولوجيا وبالاخص في علم الاحياء تؤكد
ما تشهد عليه مجرد الملاحظة البسيطة وهو ان ما
يسمى « الشعب اليهودي » يتميز بافتقاره الشديد
للجناس » (٢٥) .

وما قالته جاهلين هادامار وهي تواجه نداء
اللوبيين الفرنسي ادمون دي روتشيلد من اجل
القضاء اليهودي : تقول :

« لنا من سلالة العائلات اليهودية التي تركت
حكاية اللورين بالايجاع عام ١٨٧٠ لكى تصافظ
على قوميها الفرنسية وحفيدة مدير المعهد الدينى
الاسرائيلى فى باريس وايضا جاك هادامار احد
مؤسسى رابطة الدفاع عن حقوق الانسان وقد
نشأت فى جو معركة دريفوس اى فى جو الكفاح
ضد الظلم وضد التعصب المنصرى ... »

« ولنا ارفع صوتى اليوم لانى متشعبة بهذه
الروح ... »

« ان السيد دي روتشيلد يدعونا الى
الشعور « بفخر عظيم » من اجل ... الانتصار
المسكرى الذى لا يدل الا على قهر القوة ولا يقدم
باعترافه هو اى حل للمشكلة .

« واننى اعلن ايضا بطلان عدد من دعاويه
انه يتكلم عن « الشعب اليهودي » الذى لا وجود
له . فهناك افراد يدينون باليهودية فى عدد كبير من
بلاد العالم . وهذا هو العنصر الوحيد المشترك
بينهم ... »

« لا ... انالاننى الى الشعب اليهودي . وغير
مجدية باى خربة اقدمها ثمتنا لتضامنى ... »

« اننى لاتوجه الى المواطنين اليهود معلنة
احتجاجى وادعومهم الى رفض الاستجابة الى هذا

النداء والى اعلان تمسكهم بانهم فرنسيون وليسوا
يهودا من فرنسا على حد قوله « (٢٦) .

ج - المشكلة اليهودية :

وكان لابد للطلمية ان تواجه ماسمى بالمشكلة
اليهودية ، فهذه كانت السند الذى عليه قام التبرير
الحملى للفكر الصهيونى . وهذه المشكلة لها
مرادف آخر ... هو معاداة السامية .

فما هو معنى هذه العبارة ؟

لجانب من ذلك مكسيم رودنسون فى محاضراته :
« اصطلاح معاداة السامية اختراع المانى من
القرن التاسع عشر فى وقت كان لا يعرف الايمان فيه
سوى اليهود كقوم يمكن ربطه باللغة السامية .
ومن هنا فان كلمة معاد السامية الشائعة
الاستعمال فى اوربا لها معنى معين ، فالبيض يرى
ان اليهود فاسدون او اشرار او شيطانيون فى
جوهرهم . وتهدف الى السيطرة على العالم
لاسباب دينية فقط (٢٧) .

ولماذا ظهرت معاداة السامية فى القرن التاسع عشر ؟

لان اليهود يكونون عنصرا خارجا على الهياكل
الاقتصادية القديمة يتوغل الى اقصى درجة فى
الاقتصاد الرأسمالى الجديد .

وبالنسبة للايديولوجيات الليبرالية والاشتراكية
كان اليهود فى أغلب الاحوال اجانب بسبب الهجرة
ولذا فانهم يصيبون كيش قداء سهيل النال
بالنسبة للمتبسكين بالانتماء الاجتماعية القديمة ،
وبالاستقرارية ، وبالاقتصاد الزراعى .

ولقد عرضت الطلمية لاهم الكتابات النظرية
التي عالجت موضوع معاداة السامية ، ابتداء من
برونوبلور ، نكارل ماركس ، ثم ابراهيم ليون .
وكانت محاضرة مكسيم رودنسون فرصة اوضح
فيها هذا الفكر الفرنسى رايه فى الموضوع .

والواقع ان مطالبة الاقليات اليهودية فى
اوربا بوطن قومى خاص بهم فى النصف الاول من
القرن التاسع عشر بدأت بمطالبة اليهود الالمان
بالتحضر باعتبارهم جزءا متميزا من الشعب
الالمانى ، مما جعل يورنو يوير يتصدى لهم منتقدا
موقفهم الاتعزالى بقوله فى المانيا ليس شبة انسان
متحضر سياسيا ، ونحن انفسنا لسنا احرارا ،
فكيف نستطيع تحريركم وانكم معشر اليهود
لاتانيون حين تطالبون لانتمسكمت بتحضر خاص
بكم . فليكن ان تعملوا - بوصفكم المان - على

(٢٥) صفحة ١٥٩ عدد اكتوبر ١٩٦٨

(٢٦) صفحة ١٦٠ عدد اكتوبر ١٩٦٨

(٢٧) صفحة ١٠٢ عدد مايو ١٩٧٠

التحسّر السياسي لالمانيا ، وبوصفكم

بشرا على التحرر البشرى (٢٨) .

أما كارل ماركس ، فيرى أن فصل الدين عن الدولة يهيئ لهم حرية العقيدة وممارستها . فالتحرر السياسي لا يلقى ولا يحاول أن يقضى على الدين الواقعي عند الناس . كما أن إعلان حقوق الإنسان سنة ١٧٩٣ الذي يصر على حرية ممارسة المبادى يمنع الإنسان الحق في أن يكون متدينا وأن يكون ذلك يطلق مشيئته وأن يمارس فروض دينه الخاص بحرية . وهى ضمانات كافية لحرية أقلية ، دينية في مجارسة ما عليه عليها عقيدتها الخاصة .

ولكن ماركس لم يقتصر على الإشارة الى الحرية الدينية في ظل نظام فصل الدولة عن الدين - بل غاص الى أعماق المشكلة بإعطائها الضمون الاجتماعى ، وارجاعها الى الجذور الاقتصادية إذ يوجه الانتظار الى أنه لا يجب أن تبحث عن سر اليهودى فى دينه بل لنبحث عن سر الدين فى اليهودى الواقعى ، أى الوضع الاقتصادى للأقلية اليهودية ومن ثم الدور الذى تلعبه اجتماعيا . ولذلك يشير الى أن « التناقض القائم بين قوة اليهود السياسية الواقعية وحقوقه السياسية إنما هو التناقض القائم بين السياسة وقوة المال » فالسياسة كفى نظريا فوق المال ، ولكنها عمليا قد أصبحت سجينته النعوظجية . وأن اليهودى تحرر على الطريقة اليهودية ليس فقط بأن أصبح سيد السوق المالية وإنما لأن المال أصبح يواصلته ويفسله قوة عائلية .

فماركس يربط بين وضع الأقلية اليهودية الاجتماعى وبين اتجاهاتهم الانتفاضية والتمزلية ربطا عضويا يتمثل فى قوله « أن قومية اليهودى الوهمية هى قومية التاجر ، قومية رجل المال » (٢٩) .

هكذا وضع ماركس نظرية حول بقاء اليهودية - تقول أن اليهود ظلوا بائعين لأن الاقتصاد الأوروبى كان فى حاجة إليهم ، إذ أنهم تخصصوا فى وظيفة معينة وهى تجارة المال فى مرحلتى اقتصاد القرون الوسطى وبداية الاقتصاد الرأسمالى . فقد كانت هناك حاجة الى أناس متخصصين فى هذا المجال بينما كانت الإيديولوجية المسيحية تحرم الربا . وفى رأى روجنسون أن سر بقاء اليهود يتمثل بكل بساطة فى أنه لم يبذل أى مجهود منظم وبنحرس فى أى من أضاء العالم التى تواجد فيها اليهود من أجل إنهاء تمييزهم .

ما هى ردود فعل اليهود إزاء ذلك ؟

أولا - هناك ردود الفعل الفردية بأن يمتنع الشخص دينا لشر . وإذا لم يكف ذلك فإنه يندمج تماما بل ويتخذ لنفسه اسما آخر لكى يحوتنابا أى اثر لاصله اليهودى .

ثانيا - المشاركة فى الحركات الليبرالية او الاشتراكية لتغيير المجتمع . على أساس أن ذلك التغيير سيحقق الخلاص من معاداة السامية .

الحل الثالث هو القومية الاقليمية ، ومثال ذلك اليهود المتكلمون بلغة اليديش فى لوريا الشرقية الذين كانوا يطالبون مثلا بالاستقلال الثقافى .

رابعا - ظهرت القومية الشاملة التى تجمع كل اليهود بهدف خلق قومية يهودية لها أرضها الخاصة وهذا ما يسمى بالصهيونية (٣٠) .

الصهيونية

١ - كايديولوجية :

خاطبت الطلبة بمئة راسل لتلقى الحقائق حول جرائم الحرب : « أنهم يملأوننا بقبول الفكرة القائلة بأن الصهيونية إيديولوجية حركة وطنية كانت بمثابة اختيار « الشعب اليهودى » لها عن طريق تحرره ضد معاداة السامية - التى تعد بحق سمة مميزة وبارزة لأكثر النظم رجعية فى أوربا . وبأن إسرائيل تبدأ لذلك ثمرة ككاح حركة وطنية تقدمية أكثر من غيرها إذ شئت طريق وجودها ضد أكثر النظم رجعية فى أوربا ابتداء من أوتوقراطية الاقطاع فى رومانيا القيصريية لتنتج فى النهاية فى التغلب على ظلمات الفازية الحاكمة محتملة فى سبيل ذلك ملايين الضحايا » (٣١) .

ثم ناقشت الدهاوى التى تسند لها اليهودية الصهيونية ليكون لها محل وسط الإيديولوجيات الممارسة لها (٣٢) .

١ - مع الفكرة القومية : سميت الصهيونية دائما الى أن تفرق بين مولدها ومولد الحركات القومية فى أوربا الشرقية والوسطى وذلك لتوافق الظاهرتين الزمنى . ولكن الحقيقة هى أن الفكرة الصهيونية قد ولدت فى أواخر القرن التاسع عشر مع ازدهار حركات تحرر القوميات المضطدة فى الإمبراطوريتين النمساوية المجرية والروسية القيصريية ، وذلك لا كجزء من نظرية وإيديولوجية هذه الحركات ولكن كتظاهرة وفكرية مقابلة . وفى الوقت الذى أمكده فيه تنظيم رهايا ملكيات

[٢٨] ميشيل كابل ، الجور التاريخي والبيعية لعنصرية شعب الله المختار ، صفحة ٣٥ عدد مايو ١٩٦٦ ،

[٢٩] ميشيل كابل صفحة ٣٦ عدد يونيو ١٩٦٦

[٣٠] صفحة ١١٥ عدد مايو ١٩٧٠

[٣١] الصهيونية أم الحركة الوطنية العربية صفحة ٢٢ عدد لتكرير ١٩٦٧

[٣٢] أوروبا الطليعة المرفق التاريخي المختصر الذى تصنيته كرامة تيوبواينج كريتيان من التاريخ اليهودى منذ ما قبل الميلاد حتى القرن العشرين

تطريههم التي تقول: اتحاد السامية لن تختفى إلا بتجميع يهود العالم في دولة يهودية (٣٦) .

وفي العدد الذي خصصته الطليعة للنين، كانت ثمة فرصة لإبراز فكرة في الصهيونية «مكتوب» وهي: «أنه كان من الطبيعي أن تصطبغ اللبينية وهي تؤسس نظرتها للمشكلة القومية على أساس تاريخي اجتماعي جوهرها النضال ضد الإقطاعية والأمبريالية بمفهوماتها الحركة الصهيونية التي تعرض قضايا اليهود كقضايا فوق طبقية ، كأنها تتبع بشكل حتمي من مجرد وجود يهود في وسط شعوب أخرى وتدعى أن سبب اللامسامية هو مجرد كراهية اليهود » دون علاقة بالنضالات التي تجري في المجتمع .

وكانت المفاهيم الصهيونية قد تسربت إلى الحركة العمالية عن طريق تنظيم البوند خاصة ، وضد مفاهيم هذا التنظيم سلب لينين نبراته ، وفي مناقشاته مع قيادة حركة البوند نراه يؤكد :

« أن حجة البند الثالثة التي تتذرع بفكرة الأمة اليهودية لها بلا ريب طبيعة الابداء ، ولكن لسوء الحظ أن هذه الفكرة الصهيونية خاطئة خطأ مطلقا ورجعية من حيث الجوهر »

ثم يعود لينين ليؤكد :

« أن الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون أمة منفصلة عن غيرها ، هي غير ثابتة من الناحية العلمية على الإطلاق ، هذا كونها فكرة رجعية من الناحية السياسية » وتعطينا الوقائع السدنة للتاريخ الحديث ، وللحقائق السياسية الماصرة برهانها عمليا لا يسكن حفضه على ذلك « ففي جميع أنحاء أوروبا وافق انهيار المصور الوسطى وتقدم الحرية السياسية التحرر السياسي اليهودي واستعمالهم لغة الشعوب التي يعيشون بينها ، وبوجه عام انتماجهم شيئا فشيئا مع السكان المحيطين بهم، هل بإمكاننا أن نخرج إلى الصنفين تكون القوى الرجعية في جميع أنحاء أوروبا ولا سيما روسيا هي التي تمارس لتدمج اليهود وتسمى إلى ادامة عزلتهم » أن المشكلة اليهودية على وجه الدقة هي الانتماج أو الانتمال ، وأن فكرة القومية اليهودية هي بلا ريب فكرة رجعية ليست فقط عندما يتنادى بها النادون بصورة سافرة (وهم الصهيونيون) ولكن أيضا عند أولئك الذين يحاولون أن يجمعوا بينها وبين أفكار الاشتراكية الديمقراطية (البوند) .

وفي شعارات المؤتمر الثالث للكونغرس الخاص بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات الذي حضره

البراطوريين بمعايير ومعطيات المصور الوسطى والنظام الإقطاعي في تصنيف الناس على أساس ديني ومهني وعنصري كانت هناك ايديولوجيات تتصارعان : الأولى وهي ايديولوجية حركة القوميات المتاخلة من أجل الاعتراف بحقوق الانسان الفرد كموطن بدون تمييز عنصري أو ديني على أساس تبعية القومية المتاخلة من أجل وجودها ، والثانية : وهي ايديولوجية مختلف القوى الرجعية - ومنها الصهيونية - التي كانت تدافع كرد فعل رجعي للفكرة الايديولوجية الأولى عن الإبقاء على تصنيف الناس بمقتضى معايير المصور الوسطى بل بمقتضى معايير قبلية ودينية تعد من نظريات تنظيم دويلات الإقطاع (٣٧) .

وهنا كان لابد للعرض للمصير الذي أوصلت الصهيونية إليه الحركة الاصلاحية اليهودية التي كانت تريد ادماج اليهود في التيارات القومية .

يقول الصهيونيون لمعارضهم من السواطين أصحاب العقيدة اليهودية الماديين الصهيونية - أن التيار الاصلاحى اليهودي الذي كان يهدف إلى أن يكون لليهود مكانة المواطن في أي وطن في العالم ، والذي كان يزيد أن يظهر تراث الانبياء اليهود من كل فكرة قومية ، والذي أعلن انصاره أنهم على استعداد أن يتسلسوا ويرتفعوا إلى دين ميلايه الانسانية جمعا - يقول الصهيونيون لمعارضهم اليهود أنهم تنبهوا إلى الخطأ الذي وقع فيه الاصلاحيون الأوائل (٣٨) .

٢ - مع الفكرة الاشتراكية : أن السمي لخلق تداع فكرى بين تاريخ الصهيونية وتاريخ الاشتراكية هو تزوير يشع للتاريخ . وفي حين أن الاشتراكيين الديمقراطيين يشكلون جزءا من العناصر المكونة للحالة السياسية والاجتماعية في كل بلد فإن الصهيونية لا تلتقي معهم إلا في نقطة واحدة وهي نقطة معاداة السامية ، ومع هذا لا تقوم الصهيونية بمقاومة معاداة السامية بل ولا تدمي مجرد الادعاء أن هذه هي مهمتها ، ولكن مهمتها فيها يخص معاداة السامية تنحصر في الاستئادة منها واتخاذها ميثما ووقودا جيدا لوقتها (٣٩) .

بينما كان جوهر الاشتراكيين والاحرار في مواجهة معاداة السامية هو استنكارها والمناداة بالحقوق المدنية للجميع وبالحرريات العامة والكفاح السياسي من أجل تحقيق هذه الشعارات ، فإن موقف الصهيونيين من المشكلة وإن كان بالضرورة استنكار معاداة السامية أيضا إلا أنهم يفرضونها أساسا على أنها ظاهرة حتمية - بل ظاهرة تؤكد

جامعها البعثة في مختلف أنحاء العالم
والمحددة المند -

وحيث أنها لم تكن تشكل تيارا نابها من ضرورة
إملاها التاريخ فلم يكن في مقدورها أن تحقق
أهدافها إلا بأن تقطر نفسها وراء المصالح
الرجعية للدول الكبرى التي فُتلك روافع الأمر
والنهي وشك الوسائل التقنية القوية التي
تستطيع بها أن تساعد على استقرار الصهيونية
بشرط أن تضعها في خدمتها (٣٩) .

ب - وسائل تحقيقها :

١ - الارتباط بالقوى الاستعمارية :

إن منطق البرنامج الذي طرحه هرتزل في أول
مؤتمر صهيوني عقد في مدينة بال عام ١٨٩٧،
يكشف من مخطط لا ينفذ إلا بمساعدة القوى
الاقتصادية التي تستطيع تمويل الهجرة واستعمار
فلسطين والقوة السياسية العسكرية التي تفرض
هذه الهجرة وتمنع الحق « الشرعي » (٤٠) في هذا
الاستعمار . ومن هنا جاء ارتباط الصهيونية
بالقوى الاستعمارية العالمية في مختلف مراحل
نشاطها - ومازال هذا الطابع الطغوي للمؤامرة
هو نقطة البداية لفهم إسرائيل الدولة سواء في
تسلطها الداخلي أو في علاقتها الخارجية (٤١) .

على أن الطليعة كانت حرصية على مناقشة
المفهوم الدارج عن إسرائيل كمجرد أداة للاستعمار
مبرزاً أن هذه النظرة وإن كان لها ولا شك فضل
لقاء الأضواء على دور الاستعمار في إنشاء
إسرائيل ودعمها وعلى دور إسرائيل في خدمة
الاستعمار ، ولكنها تحمل دور الصهيونية كخدمة
استعمارية لها مكانها المتباعد داخل إطار الاستعمار
العالمي ، ثم ليخلص من المناقشة إلى تأكيد أنه إلى
جانِب دور إسرائيل كدابة للاستعمار توجد إسرائيل
كقوة استعمارية ، بل أنها بقدر نجاحها في دورها
في خدمة المصالح الاستعمارية للدول الكبرى تؤكد
وجودها المستقل وتفرض مطالبها الخاصة (٤٢) .

٢ - طرد الفلاحين العرب من أراضيهم :

كان قهود هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية
قد شدد في مذكراته على أهمية طرد الفلاحين
العرب من أراضيهم - وقد كتب أحد قادة التكتلات
المالية في الأرش المحلة يشرح كيف تم تنفيذ هذا
المخطط قال : لقد تم شراء الأرض التي أقيمت عليها
مستعمرات « كيبوتزات » الهستدروت مسن

لبنين وصاغ قراراته رغم المؤتمر ثمان : « إن
الأسسة الفلسطينية للصهيانية والصهيونية عموما
لهي مثال صريح على الجهود المتضافرة التي
تبذلها الامبريالية المالية والبرجوازية لخداع
الجمهير الكاذبة (٣٧) » .

وتمثل الصهيونية في رأي الكاتبة السوفيتية
جاليا نيكولسنا « خليطاً من الأفكار الضامضة
والعناصر القومية اليهودية المحددة » وهي تعتبر
رد فعل محدد للظافة جيئة العصور الوسطى
اليهودي « وهي تنكر منذ بدايتها إمكانية حل
المشكلة اليهودية في إطار النضال الطبقي
للبروليتاريا » وهي في نهاية الأمر تتيار
بورجوازي بكل جوهره وأهدافه .

وقد اعتد زعماء الصهيونية في تحقيق
أغراضهم على مساعدة « الحكومات القومية »
وهكذا ظهر أساس الرباط الوثيق بين الصهيونية
والاستعمار ، وهذا هرتزل يعد الامبراطور الألماني
في خطاب وجهه له أنه « مع قنوم اليهود ينتشر
نفوذ ألمانيا في الشرق » ثم عاد للصهيونيين
وارتبطوا بانتقلا ، بمجرد ظهور بوادر انقراض
النصر لها في الحرب المالية الأولى .

وأبرزت الطليعة لبعثة راسل أنه إذا كانت
الصهيونية قد استلظت في سنة ١٩٤٨ أن تزعم
أنها كانت الإلهام الثوري لسحب « التحرير
الوطني » التي شهدتها يهود فلسطين ضد المحتل
البريطاني فإن هذه العملية ذاتها هي التي أخرجت
كثير من مليون مواطن عربي من ديارهم .

وإذا كانت لها الفرصة في ظل الأوضاع الشرق
العربي وحماية الاحتلال الرجعية كي تنفص
ثوب الحركة التقدمية القادر على إبهار هواة
اليسارية ، فإن هؤلاء سوفيق هذا قد قبلوا أن
يتجاهلوا ما كان يحدث للشعب العربي وطبيعة
الصهيونية العنصرية والكهنوتية والرجعية في
أساسها . كما أنهم تجاهلوا اتجاه دولة إسرائيل
النوسى وحقبة تحالفها مع الامبريالية (٣٨) .

وماذا كانت النتيجة :

ولأن الصهيونية رد فعل رجعي للماهيم الحركات
القومية ولكنها في أحسن الأحوال على هامش
مختلف القرارات التحررية والاشتراكية بل في
الواقع متناحية لها وتتهم أسباب وجودها
بالتناقض مع كل موجة من موجات معاداة الفاشية
فلم يكن في مقدورها أن تحقق الدولة اليهودية
اعتماداً على جماهير أي بلد في العالم ولا على

(٣٧) [٢٧] وبيع وجب لا نظرية اسمياتي مفهوم لينين من القومية ٥ صفحة ١٠١٤ عدد أبريل ١٩٧٠ .

(٣٨) [٢٨] صفحة ٤٨ عدد أكتوبر ١٩٦٧ .

(٣٩) [٣٩] صفحة ٢٦ عدد أكتوبر ١٩٦٧ .

(٤٠) [٤٠] صفحة ٣٢ عدد يوليو ١٩٦٧ .

(٤١) [٤١] د. اسماعيل ميري في صحيفة إسرائيل جريش وبيع وصيغة ١٨٨ عدد يوليو ١٩٧٠ .

من ناحية - ومن خلال النظم التى تضعها إسرائيل
لاحكام وثائق صلتها بيهود الخارج من ناحية
اخرى *

ولقد اوضحت الطليعة ان مصدر القوة
الاسرائيلية لا يقتصر على الامكانيات الموجودة فى
اسرائيل نفسها بل يمتداعا الى قوى الصهيونية
العالمية اينما وجدت * وللصهيونية العالمية تنظيمها
الخاص * ويمارس هذا التنظيم كثيرا من الاعمال
والواجبات التى تمارسها الحكومة وهو يضع كامل
امكانياته وقدراته فى خدمة اسرائيل لتكون فى
نهاية الامر تجميدا لحلمه اى دولة تضم لليهود
جلهم او كلهم وتقوم على رقعة متبسطة من الارض
تمتد من الضفة الشرقية للسويس حتى الضفة
الغربية من الغرات *

اسلوب العمل الصهيونى - تركيز الجهد على
مراكز السياسة والسلطة فى العالم *

وفى داخل اسرائيل فان قانون الجنسية فى دولة
اسرائيل فريد فى نوعه بالنسبة لقوانين الجنسية
فى العالم اجمع . فالدولة الاسرائيلية تعتبر
الشخص اسرائيليا مهما كانت جنسيته وايضا كان
مولده مادامت ابيه يهودية .

وتطالب اسرائيل المواطنين اليهود فى الدول
الاخرى بالولاء لها واعطاء ظهورهم لاطنائهم *
وهى اذ تدعوهم للهجرة فاتها تكشف عن
الاهداف التوسعية المبينة لاسرائيل ومد حدودها
كي تمتص الجزء الاكبر من الشعب اليهودى الذى
يوجد فى الخارج ويقدر باكثر من عشرة ملايين *

وقد كشفت السنوات الاخيرة عن مواقف
متزايدة الصلابة لمنظمات يهودية وفردان من اليهود
فى الدول الغربية ذاتها يرفضون باستنكار ان
تتحدث الصهيونية باسمهم ، او ان تعرض
الصهيونية عليهم اى التزام نحو اسرائيل (٤٣) .

ج - من مظاهر التناقض داخل الصهيونية :
ولقد خصصت الطليعة دراساتها الرئيسية فى
اغسطس ١٩٧٠ للفتاوة التى طفت على سطح
الصهيونية العالمية : **ناحوم جولدمان** * فهذه
الظاهرة كما قالت الطليعة تستحق الفكرين
العرب والاعتماد وتلزمهم بالبقظة كل البقظة *

نشرت الطليعة مقال جولدمان : مستقبل
اسرائيل * الذى نشر فى مجلة الشؤون الخارجية

الاقتصاديين **تيرز القيمين** (فى اراضيهيم) وجرى
ايماد الفلاحين العرب الذين كانوا يعملون عليها
لقاء تمييزات ضئيلة او بدون تمييزات على
الاطلاق * وكثيرا ما تعرض الفلاح العربى وعائلته
الى الاجلاء القسرى لرفضه النزوح من الارض *
وكان شبان الكيبوتز يمسارعون الى طرد الفلاح
العربى بالقوة ويستعينون بالشرطة لحيانا وكثيرا
ما كانت عودة النظام تعنى ارقاة دم الفلاح
العربى *

وكانت الصياغة النظرية لهذا العنوان عملا بالغ
المهارة * وخلال سنوات طويلة من التخطيط
والجهد كان الكيان اليهودى فى ا الارض * وثبت
اقامته على اسس عقائدية هوانية وضعت للتنظيم
العملى المناسب للتحويل الى واقع تمتد حول
جنوح التخصيب المستقرين * وهكذا نشأ ارتباط
وثيق نادر المثال بين الاساس الفكرى للصهيونية
من جهة والتخطيط الصهيونى وشكل تنفيذ من جهة
اخرى *

تقول الصهيونية ان كل علاقة بين اليهودى
وارض اخرى هى علاقة هابرة * ثم ان العودة الى
الارض يجب ان تراقبها الاقامة على الارض
الزراعية والكد والعمل فى الزراعة تطهيرا للنفس
اليهودية مما لم بها من دين المادة اثناء الانفاس
الطويل فى نشاطات اقتصادية غير منتجة مثل
الاعمال المصرفية والتجارة والخدمات الاخرى فى
الاجتماعات التى تستقر ائنها *

وقام النشاط الصهيونى على اساس اغتصاب
الاراضى الزراعية فى فلسطين وتسجيلها ملكا للالة
اليهودية * فعلى هذا نص دستور الوكالة
اليهودية * ووضع المخطط على اساس قطع صلة
العربى نهائيا بارضه سواء كان هذا العربى فى
الاصل مالكا لهذه الارض او مستأجرا او مزارعا
بالحيصة او حتى عامل زراعى بالاجرة * ونص فى
دستور الوكالة اليهودية وفى اتفاقيات القروض
التي تقدم الى المستوطنين فى المستعمرات اليهودية
وفى عقود ايجار الصندوق القومى اليهودى ، على ان
يقوم بجميع اعمال الفلاحة على الارض صال من
اليهود فقط * كما حزم انتقال الارض بآى طريق -
سواء بالبيع او باليراث الى غير يهودى (٤٢) *

٤٣ - **ابتزاز ولاء اليهود فى الخارج :**

ويتم هذا من طريق التنظيم الصهيونى العالمى

الأمريكية ، وقامت عليه تعليقات من المفكرين والكتاب .

فكتب محمد سيد أحمد عن « ظاهرة جولدمان ماذا تعني » وكتب أسماعيل صبري عبد الله عن « جولدمان والصهيونية الجديدة » .
وكتب جمال المغطيسى عن « التوحيد والمودان .. القانون الدولي لا يعرف حيادا لدعوة عدوانية » .

وكتب وليم سليمان عن ارتباط دعوة جولدمان إلى تحويل إسرائيل إلى مركز روى وتقافى بدعوات مماثلة بشرها بعض مفكرى الصهيونية فى القرن الماضى . وأوضح دلالات هذه الدعوة فى هذه الأيام . بعنوان : رؤية قديمة فى ثوب عصري .

وتمتبر هذه الدراسة إحدى المساهمات الجادة والعلمية فى مناقشة الصهيونية وهى تتحرك ، وتتكيف ، مع الاحتفاظ بجوهرها .

قالت الطليعة : « ونحن إذ ننشر مقال جولدمان نفعل ذلك من باب معرفة رأى العدو ومن زاوية تنفيذ آرائه وتحسين الرأى العام العربى ضدها » .

« وليس هذا كل شيء - فمئة زاوية هامة أيضا هى أن معرفة التناقضات فى جبهة العدو وحسب حركتها على أساس علمي ، يتيح للقيادات الوطنية والثورية مجالا أوسع لحرية الحركة ، ولانتزاع المبادرة من أيدي الأعداء . ويل ويمكن هذه القيادات فى ظروف معينة من أن تستفيد من الاتجاهات المتحفة والمعارضة للسياسات الصهيونية ، هذه الاتجاهات التى بدأت تتحرك ، ولو بشكل ضئيف ، وفى نطاق محدود للغاية ، داخل إسرائيل ذاتها » .

مواجهة الفكرة الصهيونية

كانت الطليعة وهى تجهز للإحاطة بالمفاهيم النظرية والأساليب العملية للصهيونية ، تضع أمامها دائما هذا السؤال : كيف يمكن مواجهة هذا البناء من خلال فكر عربي هو نقىض التمسك بالعدوان ، وبخطة علمية ممتدة ...

من خلال الشهور الثمانين الماضية ، يمكن استخلاص ذلك البناء وهذه السياسة فى النقاط الخمسة التالية :

أولا : الواجهة هى فى المحل الأول مواجهة حضارية :

فمواجهة إسرائيل هى فى المحل الأول من خلال

بناء المجتمع المصرى والعربى المتليم المصرى المتحضر - ليكون هذا المجتمع هو التحدى الحقيقى للصهيونية والتمسك بالعدوان الاسرائيلى(٤٤) .

وتعلم الصهيونية أن نقطة الضعف الرئيسية فيها هى ارتباطها بمفهوم متخلف وعصرى للدين . ومن هنا فإن مفكرها يجهدون لتعميم هذا المفهوم وتصويره على أنه شيء عادى وعام فى المنطقة كلها .

ولقد أشار وليم سليمان إلى هذا الاتجاه ، والمخ إلى خطته تاريخيا وواقيا . كتب :

ثالثا : ضد الاستغلال الرجعى للدين

وإذا كنا قد تابينا الاستغلال الرجعى لليهودية بواسطة الصهيونية ، فإن المواجهة الناجمة لهذا الاستغلال تكون يقينى مفهوم إنسانى تقدمى للدين يرد له كرابته ، ويحميه من أى استغلال ويجعل رسالته هى الإخاء بين البشر لا التفرقة ، والسلام القائم على العدل .

ولقد تنبتهت الطليعة إلى أن الحركة الصهيونية منذ بدليتها كانت تجد فى بعض الجماعات غير اليهودية احتياطا هاما لها - خصوصا وأن العهد القديم يمتد لدى هذه الجماعات كتابا مقدسا . ولهذا فإن الحركة الصهيونية استغلت التفسيرات الزمنية الحرفية لما جاء فى هذا الكتاب لتضمن تأييد هذه الجماعات .

وهى كتاب « الصهيونية وحقوق الإنسان العربى » الذى مرضته الطليعة ، نجد فى الجزء الأول منه عرضا مسهبا للجدور الأدبية للصهيونية .

كما أن تقرير الطليعة لبعثة راحيل أوضح كيف أن التعاليم النورانية المقترة فى أمباق الوجدان الانجلوسكسونى دعمت المخططات الصهيونية البريطانية لاستعمار فلسطين(٤٥) .

ومن هنا كانت مواجهة الطليعة للصورة المعاصرة لاستغلال الدين - على النطاق العالمى - كتيويليم سليمان فى تعليقه على « المواجهة الحضارية بين مصر وإسرائيل »(٤٦) .

« يقيم الغرب المنظمات التى تتجه إلى شعوب العالم الثالث لتبشر فيه بضرورة استغلال الدين فى الفكر والعمل السياسيين والنشاط الاقتصادى وتصاغ النظريات على هذا المنهج لتصبح تشويها أكيدا للدين لا يخدم فى النهاية ألا التخلط الزامن والنقوذ الاجلبي » .

(٤٤) وليم سليمان ، نقطة البدء فى مواجهة الصهيونية ، صفحة ٣٢ محددا أغسطس ١٩٦٧

(٤٥) صفحة ١١٢ محدث بتبشير ١٩٦٨

(٤٦) صفحة ١٤ محدث أغسطس ١٩٦٧

التشريعية • فطالما ادعت اسرائيل لنفسها الحق في فرض وصايتها على يهود العالم اجمع وواصلت سعيها الى جمعهم على ارضها عن طريق قانون العودة فانه يلحتم عليها ان توسع رقعتها وان تشكل تهديدا مستورا بالعُدوان على جيرانها .

ومنذ عام ١٩٦٧ نظرت الطليعة لمكسيم رودنسون مقالته الذي قال فيه ان الحل الوحيد للمشكلة هو تجريد اسرائيل من الصهيونية (٥٠).

وقد كان حرص الطليعة واضحا في المناسبات التي اجرت خلالها حوارا مع بعض ممثلي الرأي العام العالي ، على ان توضح الالتزامات التي تقع على عاتق اليهود الذين يعارضون الصهيونية ، وعلى عاتق الذين ينهضون للدفاع عن اليهود بصرف النظر عن مواقفهم .

- قالت الطليعة : « ولكن الدفاع عن اليهود بمقتضى مبدأ الدفاع عن اية مجموعة مهددة شيء ، والدفاع عنهم لا لشيء الا لانهم يهود هو المنصرية بمعناها حتى اذا كان ذلك يمارس باسم الكفاح ضد معاداة السامية . واذا كان مبدأ لا اخلاقيا ان يضطهد انسان اصوله الدينية ، فانه ايضا ليس باخلاقي ان يمنح انسان امتيازاً وحصانة وان تبارك اعماله لالائه الا لانه من اجل معين (٥١) » .

واوردت الطليعة الدعوة التي وجهها المفكر اليهودي مكسيم رودنسون ضمن كراسة تيومانياج كريتياج :

« يجب على الاسرائيليين وعلى اليهود غير الاسرائيليين المتدينين الى تفكيرهم في السياسة الدولية ان يكفوا عن تقديم المطالب والاصرار عليها بالتلويح بالتشهير وبالاثام بالخيانة ومعاداة السامية لكي يرفضوا على غيرهم من اليهود الانضمام اليهم (٥٢) » .

وذلك بعد ان كان هذا المفكر قد كتب في الطليعة :

« ان اليهود في العالم كله جميعا موضع التورط ازاء الاختيارات والقرارات السامية لاسرائيل على الرغم من اهم لا يملكون من الامر شيئا في الاشراف أو الرقابة على هذه الاختيارات وتلك القرارات (٥٣) » .

لما اذا ثبت ان الواقع العلمي ينكر هذه الصهيونية الجديدة ، انهارت قس نفس الوقت حجة الصهيونية التقليدية وظهر سور الامبريالية في تأكيد الجيتو اليهودي وتقوية الحركة الصهيونية ومساندتها في كل مراحلها .

وفي عبارات مكسيم رودنسون :

« لست ضد الدين • ولست ضد القوميات • ولكنني اعتقد ان الاناس الدينيين حقا يجب عليهم ان يرفضوا التعبيرات الدينية التي تحدث بدافع قوس » .

ومن اجل تأكيد المفهوم الانساني التقدمي للدين قدمت الطليعة خلال الثمانين شهرا دراسات هامة ، على ان هذا المجال مازال يحتاج الى الجهد ، والتمسق .

رابعا : داخل اسرائيل وبين يهود العالم

قدمت الطليعة في هذا المجال ما يراه العديد من المفكرين الاحرار والتقدميين • ولقد عرض كثير من هؤلاء اراهم في كراس تيومانياج كريتياج .

قالت غلتي شابير (٤٧) : « اريد ان اكلم بالاخضر من التفكير المطلوب قس دولة اسرائيل ... يجب ان نطالب بما يمكن ان نسميه « نزع الطابع الصهيوني » لدولة اسرائيل ... وبالفناء « قانون السود » اساسا ، الذي يتناقض منطقيا مع العلم — ليس من وحدة جنسية بين اليهود — ويؤدي الى التوسع ، ويخلق نوعا من الازدواج المضر باليهود المقيمين في مختلف دول العالم » .

وقال ا . ب . لاثان (٤٨) : « من المهم ان تكون اسرائيل على قدر كاف من الشجاعة فتعلن .. انها تتخلى من ارتباطها العضوي بالصهيونية المحترقة .. » ، وعندئذ وعندئذ فقط يكون قد تم تخلي المقيمون الاستعماري الذي اتاح تأسيس دولة اسرائيل لتتشأ دولة جديدة تستطيع ان تتمايز سلميا مع دولة فلسطينية عربية تقوم بجوارها » .

وكتب انغريه فيليب (٤٩) : « لن يتم اعتراف العرب بدولة اسرائيل ، ما لم تتخلى عن الحلم الصهيوني ، ومن الطابع الديني والمنصري نظرها

- (٤٧) صفحة ١٥٩ عدد اكتوبر ١٩٦٨ (٤٨) صفحة ١٩٢ عدد فبراير ١٩٦٩ (٤٩) صفحة ١٩٢ عدد فبراير ١٩٦٩
(٥٠) صفحة ١٦ عدد اغسطس ١٩٦٧ (٥١) صفحة ٥١ عدد اكتوبر ١٩٦٧
(٥٢) انظر مبروح البيان الذي كتبه ليوميه اليهود غير الصهيونيين صفحة ٦١ عدد اكتوبر ١٩٦٨
(٥٣) صفحة ١٦ عدد اغسطس ١٩٦٧

رابعاً : مواصلة الكفاح

دراسات وحوار في هذا الموضوع أن امكانيات التغيير واردة • بل أن التغيير يحدث فعلاً • • إنتم على أي حال في موقف أفضل إذ أن الروابط التي تربط فيما بينكم أكثر من الروابط التي تربط بين اليهودي اليمني واليهودي الأمريكي حتى لو فرض أن بلادكم منفصلة(٥٥) .

نعم ، ان « السيطرة الصهيونية فائقة الان • ولكن يمكن أن تتغير فيما بعد • لقد كان رجال الدين اليهود من المناهضين الاساسيين للصهيونية • ويجب أن نضيف اليهم أيضا اليهود الاغنياء • غنرى أن أكثر أعداء وايزمان كانوا من اثرياء بريطانيا إذ كان يصارع ضدهم وانتصر عليهم • وهذا التيار قد ضعف في فترة ما واتجه اليهود الكبار الى دعم الخط الاسرائيلي في الفترة الاخيرة • • لكن اسرائيل كانت ترضيهم للخطر في بعض القضايا ، فهم يريدون علاقات مع الدول العربية وفتح أسواق فيها فإن لهم في ذلك مصالح • ونشعر حتى عند هؤلاء الناس بالتطور أو التحول • وقيل أحدهم لي إن أحد وزراء اسرائيل حضر اجتماعا في باريس مع بعض اليهود الكبار وبعد الاجتماع خرج ثائرا على موقف هؤلاء الأشخاص • وعندي بعض المؤشرات التي تجعلني أعتقد في أنهم لن يظلوا مثائرين بالصهيونية الصهيونية الى الأبد(٥٦) •

وقد سجلت الطليعة في المقالات والتقارير التي قدمتها تطور الرأي العام العالمي واليهود التي بذلت في هذا السبيل - في المؤتمرات ، واللقاءات المعقدة التي أجرتها الهيئات الرسمية والشعبية(٥٧) •

عرض مكسيم رودنسون لتطور الرأي العام الفرنسي على الخصوص • عندما قال « هناك ظاهرة جديدة لاحظتها منذ عدة أشهر لا بالنسبة لليهود الجدد فحسب بل بالنسبة لليهود الآخرين فقد كانوا في البداية يؤيدون قضيتهم تائيدا مطلقا • وقد دمشت كل الدهشة عندما وجدت نفسي في مواجهة بعض منهم وهم يحدثونني بلا انقطاع عن الحقوق التي لا يمكن التنازل عنها لشعب فلسطين • ما الذي انتابهم - فمذ بضعة أشهر لم يكونوا يتحدثون هكذا •

واعتقد ان السبب الرئيسي لهذا التحول هو الوضع الراهن لاسرائيل بعد انتصارها في يونيو ١٩٦٧ ، والنتائج التي تبعت ذلك النصر ، وفي مفسمتها المقاومة الفلسطينية التي تظهر رغم كل شيء في أكبر الصحف الخوالية لاسرائيل • كان الفرنسيون يعتقدون أن فلسطين قبل الاحتلال كانت بلدة مقفرة • • وأن الاسرائيليين حولوا الصحراء الى ارض منتجة مفلدة • • الحق المرعب في هذه القضية لم يظهر الا في اسفيق الحدود • أما الآن فيبدو لي أن الرأي العام عرف أن هناك جانبين • وسواء اكان لاحدهما الحق وللآخر غير ذلك فعلى الأقل أدرك أن هناك طرفين • بينما لم يكن هناك غير حقيقة واحدة من قبل اهل فيها الجانب المرعب كل الاعمال(٥٨) •

وإن لمع ظهور عناصر النضال العربي ، بدأ الرأي العام العالمي يلتفت الى القضية ويغير من موقفه ازاءها •

ولقد ظهر من خلال ما تمتبه الطليعة من

(٥٤) مجلة ٧٣ و ٦٨ عدد يونيو ١٩٦٦

(٥٥) مكسيم رودنسون في حوار • عدد يونيو ١٩٦٦

(٥٦) صفحة ٧٨ عدد يونيو ١٩٦٦ •

(٥٧) ندوة فلسطين المالية - تقرير صفحة ١١٠ عدد مايو ١٩٧٠

خالد يحيى الدين • تقرير من الوحي على الشرق الأوسط صفحة ٧٦ مسعود ديسمبر ١٩٦٦

مجس السلام العالمي بطالب الفداء الهادي على العنوان في الشرق الأوسط تقرير صفحة ١٢٨ عدد يوليو ١٩٦٨

يحيى ابو بكر • المسون الاسرائيلية فلسطين والراي العام العالمي صفحة ٨٢ عدد مايو ١٩٦٩ •

خالد يحيى الدين • مؤتمر نصر للديموقراطية العربية نتجته وكلفه صفحة ٧٧ عدد مارس ١٩٦٩

عبد الهادي ناصف • مؤتمر عربية نمو لهم مالي أكثر ميلا للصراع العربي الاسرائيلي صفحة ١١٤ عدد ديسمبر ١٩٦٩

يحيى ابو بكر • الدعاية الصهيونية • سلاح اسرائيل الاول صفحة ٢٨ عدد يوليو ١٩٦٩

خالد يحيى الدين • معركة ضد الرأي العام العالمي • واجبات ومهام جديدة صفحة ٥٤ عدد نوفمبر ١٩٦٩

المؤثر الثاني لنصرة الشعوب العربية تقرير صفحة ١٢٧ عدد فبراير ١٩٦٩

المؤثر الثالث للاقتصاد الدولي لتقايبات المال العرب صفحة ١٢٥ عدد مارس ١٩٦٩

مصطفى الفجار • الديبلوماسية الشعبية والعمل السياسي صفحة ١٢٠ عدد مايو ١٩٧٠

عبد الهادي ناصف • المؤثر الدولي للمرابطين حول الشرق الأوسط صفحة ١١٩ عدد مارس ١٩٧٠

هدد الانتظار الصهيوني الرأي العام المسيحي صفحة ١٠٩ عدد يونيو ١٩٧٠

فخ العمالة

رد على الدكتور بطرس بطرس غالى

حسين شعلان

■ ■ ■
للقول الدكتور بطرس بطرس غالى « استاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة ورئيس تحرير مجلتى «السياسة الدولية» و«الاهرام الاقتصادى » ، وأبدى رايه - الذى نشر فى عدد الطلبة الملتقى - فى مجموعة الدراسات والتقارير التى نشرتها الطلبة على مدى ثمانين شهرا من حياتها حول موضوع « حركة التحرر الوطنى » .

وانصب النقد الرئيسى للدكتور غالى ، على ان الطلبة تحصر فكرها « على مذهب واحد لا تتعداه هو الماركسية » . وهو تشخيص صحيح . ثم يستطرد من ذلك مشيرا الى « التحيز المقتضى » . وهذا طبيعي لان « التحيز » لا يرد الا فى مجال الفكر وهو وارد بوضوح ملموس فى فكر الدكتور من زاوية اخرى معكسة .

يقول الدكتور غالى انه « ناقد لمجموعة من الدراسات اللاهوتية الكاثوليكية كتبها مجموعة من اليسوعيين » فى حين ان هذا الناقد يتشبع بلاهوتية غير كاثوليكية « . والحق أننا - فكريا وسياسيا - أبناء « ديانتين فكريتين » مختلفتين تمام الاختلاف .

وقد استطرد الدكتور غالى من نقده الرئيسى - الذى نعرف به - الى فروع اربعة من النقد « نقول بشتاتها »
اولا - حديثه عن العمالة والامبريالية .

● ان مقولة سيطرة الدول العملاقة وتقسيم العالم فيما بين « العملاقة الكبار » تقودنا الى « الفخ » الذى تصبته ادبيات الفكر السياسى المحافظ المعروف ، بهدف اغراقنا فى تعريفات مجردة - عابثة وبراقة - نفقد معها وضوح الرؤية والاتجاه لنصل الى موقف محين لا نستطيع ان نحدد معه « اين الاصغاء واين الاعداء ؟ ومن معنا ؟ ومن ضدنا ؟ والقضية هنا فى : طبيعة وتكوين « العملاق » واهدافه .

وفى رايى ان العالم لا ينقسم الى « دول عملاقة » ، وانما الى « تيارات » عملاقة هى :

تيار الاشتراكية وفكر التحرر الوطني وتيار القوى الديمقراطية المؤيدة لتحرير الشعوب والمحبة للسلم .. ثم تيار استعماري معادي لحرية الشعوب وتقدمها . وتحت هذه العناوين العامة « نستطيع أن نسجل «موقع» كل دولة : عملاقة أو غير عملاقة .. »

● أما تعريف الدكتور للامبريالية ، فهو تعريف « للكونيالية » فحسب .. وقد عالجه الطليعة في كتاباتها حول علاقات أمريكا بطلقاتها داخل المسكن الرأسمالي . أما الامبريالية — نصدير رأس المال — فقد عالجه الطليعة أيضا في كتاباتها من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان الغربية .. الخ أما إذا كان يقصد في تعده القائل بأن العملاقة الاستعمارية يمكن أن تنشأ « بين دول متجاورة أو متصافقة » ، العملاقة بين الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية (متجاورة) أو بين الاتحاد السوفيتي ودول التحرر الوطني (متصافقة) ؟ فنحن لا نرى في هذه العملاقة — بكل وضوح — استعمار من أي نوع .. أما ذلك أم لا ؟ فذاك قضية أخرى .

القضية هنا هي : نوع العملاقة ؟ وهل تقوم على أسس القهر القومي السياسي والاقتصادي والثقافي وعلى الاستغلال والتهذيب أم لا ؟

ثانيا : قول الدكتور غالي أن الطليعة أهلت بمعالجة الأسلوب الداخلية لقبالية وتوسع دول العالم الثالث في برائن الاستعمار الجديد .. واستلكن الدكتور أن يعود إلى عرض الطليعة [الذي تناولته بالنقد] في هدد سبتمبر ١٩٧١ من ص ١٠٧ إلى ص ١١٧ . فسيجد في ص ١١٠ « وبلاضافة إلى عدوانية الامبريالية وشراستها .. » هناك المعاليل الداخلي : فيبذل في هذه الظاهرة وهي أن الدول الثورية قد أكتها أن تطل بنجاح قضايا مرحلة التحول السياسي ولكنها عندما انتقلت إلى حل قضايا مرحلة التحول الاجتماعي واجهتها صعوبات خطيرة .. ولم تتوصل هذه الدول حتى الآن إلى الكشف من أفضل الطول للمشكلات التي تطرحها التنمية .. وعلينا أن نضيف أنها أيضا لم تكشف أفضل الطول للقضية الديمقراطية : قضية تمكن الطبقات الثورية من السلطة . وثبتت تأثير هذه العوامل وغيرها كان التطور يتم ببطء شديد لا الأمر الذي يفرض ضعف البناء الداخلي لهذه الدول ويجعلها هدفا مغريا .. »

.. ونفلا من أن العرض أشار إلى المقالات التي تناولت هذه القضايا بالتفصيل ، إلا أنه ذكر بتفصيل كبير وثبت عنوان عريض « لأسباب نجاح الهجوم الاستعماري » (ص ١١٠) وعلى امتداد صفحتين كاملتين ، مرفضا مركزا لكل الزوايا التي أشار إليها النقد .

القضية إذن أن الدكتور غالي ربما يرى أسبابا أخرى داخلية — ربما تتعلق باختيار هذه النظم لطريق السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تسلكه — سببا لهذه القابلية ، أو ربما أسبابا أخرى مغيرة فيما وبشكل جذري .

ثالثا : حديث الدكتور غالي من عدم الاتحياز ونقصه لمفهوم الطليعة في مطالبتها لقيام « جبهة عالمية معادية للاستعمار » . أن شعار الطليعة في هذا المجال — يقوم على أساس مفهوم « نصادق من يصادقنا ونمصاد من يصادنا » . والجبهة العالمية المعادية للاستعمار ، تتسع لتضم كل القوى المؤيدة لحريات الشعوب واستقلالها والمعادية للحرب والتواضع العدوانية وهي قوى متعددة تتباين في انتباهاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية ولكنها تتفق في العداء للاستعمار .. أما شعار الدكتور غالي في هذا المجال ، فيقوم على أساس شعار « لا شرقية ولا غربية » وهو مفهوم يسمي — أيضا — إلى عدم التفرقة بين الاصقاء والأعداء ، بل يضمهم جميعا في صلة واحدة .

وأخيرا : إنفاق الدكتور غالي مع كتابات الطليعة حول « الثورة العلمية والتقدم » . وهو اتفاق ظاهري — في رأيي — بناء على معطياته واستنتاجاته السابقة كلها . فالطليعة تنظر إلى هذه الثورة العلمية دون أن تعزلها عن النظام الاجتماعي والثورة الاجتماعية . أما معطيات نقد الدكتور غالي فنعود إلى القول بأن الثورة العلمية والتكنولوجية بديل للثورة الاجتماعية كحل لمشاكل الخلف .

وأخيرا ، أننا بالفعل أبناء « فكرين » مختلفين تماما . ولكن نجعلنا — بالتكبير — أرض واحدة وعريضة هي : أرض مجرى العربية المستقلة كجزء من تيار حركة التحرر الوطني العالمية .

الشيخ على عبدالرازق

معركة
فكرية



إعداد : محمد عمارة

ملف

خاص

ربما لم يتح للجيل المعاصر من شبابنا أن يتعرف جيدا على الشيخ على عبد الرزاق ، التي تمر على وفاته - في هذه الأيام - خمس سنوات . فقد ودع الرجل الحياة في ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦ . وذلك بعد أن أقام المجتمع المصري - العربي واقعه ، وأشعل نار الممارك الخصبية « فكريا وسياسيا في مصر والعالمين العربي والإسلامي في عام ١٩٢٥ . وظلت تلك المعركة التي أثارها بكتابه الصغير الخطير عن « الإسلام وأصول الحكم » ، علامة طريق في حركتنا الفكرية المعاصرة ، ونموذجاً فذا للشفاعة الأدبية التي واجهت ظلمات الجهالة واستبداد القصر الملكي وعروش الملك فؤاد .

ومعركة الشيخ على عبد الرزاق مبرسة فكرية - تضالية تعلم من خلالها مفكرو هائلا العربي ومفكروه الشيء الكثير . ومن هنا كان حرص « الطلبة » على تناول هذه المعركة الفكرية التي أثارها « كتاب الإسلام وأصول الحكم » للشيخ على عبد الرزاق من خلال هذا الملف الخاص .

إن عرفت الطباخة طريقها إلى بلادنا لم يحدث أن أخرجت الطباخة كتاباً أثار من الضجة والخط والممارض الصراعات مثملاً آثار كتاب « الإسلام وأصول الحكم » ، على أن المرجع في كل ذلك لم يكن مجرد القضية الفكرية التي دار من حولها البحث ، ولا الجراة التي تناول بها مؤلفه الموضوع ، وإنما كان مرد الكثير من النقع الذي أثير والصخب الذي لشدت إلى مجرى هذا الكتاب سهماً نافذاً وجهه « الشيخ علي عبد الرازقي » إلى الرجل الجالس على مرثى مصر يومئذ : الملك أحمد فؤاد . ومن ثم نشوء مجموعة من الظروف والملايسات السيلسية والاجتماعية التي تصاعدت بالآثار التي تربت على ظهوره وصدره ، إلى الحد الذي جعل منها معركة لم يسبق أن دار مظهرها حول كتاب من الكتب في بلادنا ، منذ أن صرفت عصرها الحديث .

وفي أغلب الدراسات التي كتبت حول هذا الكتاب ، في ظل قيام حكم أسرة محمد علي بمصر ، أي فيما قبل يوليو سنة ١٩٥٢ م ، لم يستطع الكثيرون التخلص من عيوب النظرة الوحيدة الجالبت في الدراسة والتقييم للكتاب . فهم إما معه دون تحفظ ، وإما ضده دون ما روية أو تعقل أو حساب . حتى بعض الدراسات الجادة التي تناولت بعض جوانبه بالنقد الموضوعي لم تسلم من سائبة جيئها في موكب الدفاع عن النظام الملكي في مصر ، و « الذات المصونة » الجالسة على عرش البلاد في ذلك الحين (١) . وهكذا فإن تقديم الشيخ علي عبد الرازقي في

ذكراه الخامسة ، إلى المثقة العربي ، وخاصةً من خلال كتبه (الإسلام وأصول الحكم) ، والمعركة الفكرية والسياسية التي أثارها . « إن هذا التقديم ، في ظروفنا الراهنة ، هو الجدير بأن تعرض فيه هذه الصفحة من حياتنا الفكرية والثقافية دون ما وقوع تحت ضغط الظروف والسلبيات التي عايشها مصر قبل سنة ١٩٥٢ . فالخلاص من حكم أسرة محمد علي ، وتطور عقلية مجتمعنا عما كانت عليه منذ نحو نصف قرن ، وتجاوزنا لطبيعة الصلاات التي كانت تحكم مجتمع الامس إلى عاقلات من نوع جديد ، وانصرار الحسابات السياسية التي اصطبغ بها هذا الكتاب ، والتي صميت بؤله . « كل هذه الظروف الجديدة تساعد على أن تأتي دراسة اليوم أقرب ما تكون إلى التقييم الموضوعي لهذا الفكر وعمله الفكري ، والتصعيد الدقيق لكافة هذا العمل في موكب الفكر المصري والعربي والإسلامي الحديث ، ومنزله ومنزلة صاحبه من حركة الإصلاح والتجديد لفكرنا المعاصرة وشعوبنا الإسلامية . ومن ثم فإن هذه الدراسة — التي تأتي بعد ما يقرب من نصف قرن على صدور الكتاب — هي ضرورة إصرها الذين عاصروا صدور هذا الكتاب ، وعاشوا معركة الشيخ علي عبد الرازقي الفكرية الكبرى ، وادركوا يومها أن التقييم الموضوعي لهذا العمل الفكري هو أمر مستحيل في ظل الظروف والعوامل التي كانت قائمة في ذلك الحين ، لكتبوا يومها يقولون : أنه « ما من كتاب ظهر لفتاس في هذا العهد كانت له آثار كآثار كتاب (الإسلام وأصول الحكم) . فهو ولاشك مما يجدر الإطلاع عليه بعد انقضاء هذه العاصفة ، ولتبره بفكر بعيد

(١) أهم هذه الدراسات كتاب الشيخ محمد الفخر حسين [نقلي كتاب الإسلام وأصول الحكم] طبعة المطبعة السلفية سنة ١٩٤٤ هـ .

عن الغايات وعن العوامل التي أثارت هذه
العاصفة الهوجاء ، (٢) -

الملايسات السياسية لصدور الكتاب

أما الظروف السياسية ، والملايسات الدولية ،
والعوامل الخاصة بالمجتمع المصري والمجتمعات
الإسلامية يومئذ ، تلك التي جعلت لهذا الكتاب
كل هذا الخطر الذي كان له ، وذلك الضجة التي
أحدثها ، فلها تكن - في تقديرنا - في عدة
عوامل ، على رأسها عاملان أساسيان :

العامل الأول : أن الكتاب قد تناول مبحث
الخلافة والألمة في الفكر والتاريخ الإسلامي . .
ثم خلص إلى نتيجة مؤداها أن هذا النظام غريب
عن الإسلام كحين ، ولا أساس له في المصادر
والأصول المعتمدة للدين عند المسلمين ، ومن
كتاب وسنة ولجبا ، وقدم لهذا التخطئ من إثبات
للحكم في التاريخ الإسلامي صورة تفر منه
المواطن المصري ، فضلا عن الفكر الحرام المستعير .

ولو أن هذا البحث قد جاء في ظسرف فين
الذي جاء فيه ، لما أثار ما أثار من جدل وعراك بولكن
الذي حدث ، بل وأهمية هذا الذي حدث ، أن
هذا البحث قد كتب ، ودفعت به الطبعة المصرية
إلى المجتمع المصري والمجتمعات العربية
والإسلامية في وقت كتبت فيه قضية الخلافة
الإسلامية مثارة ، بل وكتبت هي قضية القضايا
وأهم أحداث الساعة لدى حديد من الدوائر
والأوساط .

ففي « أتقوه » كان النظام التركي القومي
الجديد ، بقيادة مصطفى كمال ، « أتاتورك » ،
قد ألغى نهائيا نظام الخلافة العثمانية في ٣ مارس

سنة ١٩٢٤ هـ ونهب بأخر صورها التي استمرت
أكثر من أربعة قرون . وخلا العالم الإسلامي
المعنى - للمرة الأولى في تاريخه - ممن يعمل
لقب الخليفة ، أو حتى لقب سلطان المسلمين .
وتطلعت لتجديد هذه الخلافة - في مختلف اتجاه
العالم الإسلامي - دوائر وأوساط متعددة
الاتجاهات ، ومتبايزة في الأهداف . يرى بعضها
أنها واجبة يقف خلفها المسلمون في معركتهم ضد
زحف الغرب الاستعماري . ويراه آخرون أثرا
عزيزا من آثار ثراث عزيز ، تستحق العمل لد
إجلها والاحتفاظ بها للإسلام والمسلمين . ويراه
البعض واجبا دينيا وأصلا من أصول الإسلام ،
يأثم المسلمون جميعا بتركها فريسة للموت
والفناء . كما تطلعت لآله هذا المنصب المهيب
عروش وأمراء ، كان في مقدماتهم يومئذ الملك
لحد فؤاد . ومن ثم فإن كتاب (الإسلام وأصول
الحكم) لم يكن بحثا أكاديميا من أبحاث السياسة
أو « علم الكلام » عند المفكرين والمثقفين المسلمين ،
وإنما كان - بالدرجة الأولى وقيل كل شيء - بل
جهدا سياسيا في معركة سياسية حامية ، بل
وضارية ، وفائمه على قدم وساق . كما كان
تحديا لعرش ملك ، يكفل مسا وراءهما من قوى
وأمكانات ، كما كان مناواة لقطاعات عريضة
محافظه في مختلف اتجاه العالم الإسلامي .
وفوق كل ذلك كان أحد العوامل التي أفسدت
على الاستعمار البريطاني في مصر والشرق
الإسلامي النجاح والاستفادة من « لمبة »
الخلافة هذه .

ولذلك لم يكن بالأمر المستغرب أن يثير هذا
الكتاب ما أثار من المراكز والصراعات ، وأن
تترب عليه من الآثار والنتائج ما هو أكبر من
الحجم الملائم والمتلائم مع قضاياه الفكرية ، إذا
لخنت مجردة ، أو أوقلت القارئ له هذه الظروف
والملايسات . ومن هنا كان من الضروري تقديم
بعض رؤوس الموضوعات ، والنقاط التي
تبرز وتجسد هذه الملايسات التي تطلعت بهذا

[٢] أحمد خليل باشا : [هوليستعير السواسية] ، الهولية الثانية سنة ١٩٢٥ هـ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ . طبعة القاهرة
الأولى سنة ١٩٦٨ هـ .

العامل الأول من عوامل الفجة الكبرى التي أحدثها هذا الكتاب .

● من الأحداث المعروفة والشهيرة بمصر في ذلك التاريخ ذلك المؤتمر الدائم الذي أقيم باسم (المؤتمر الإسلامي العام للخلافة) ، والذي أصدر مجلة تدعو لدعوته الرامية إلى مبايعة أحد الملوك والأمراء بخلافة المسلمين ، وكما تدل عليه الكثير من الحقائق والوقائع - التي ستأتي الإشارة إلى بعضها - فلقد كان العرش المصري ، والملك فؤاد ، وقتها خلف أغلب هذا النشاط .

● وغير نشاط مؤتمر الخلافة ومجلته ، أخذت الكثير من الأوساط والعديد من المجلات في التركيز على الإصحات الدينية الفاسدة بخلافة والابادة في الإسلام . وبلغ ذلك إلى حد إصدار الفتاوى التي توحى ، بل تقطع ، بأن صفه الإسلام قد زالت عن المجتمعات الإسلامية وشعوبها بفناء « أتاتورك » لمنصب الخلافة العثمانية ، وأن كل المسلمين آثمون حتى يبايعوا خليفة آخر ، وأن آثار هذا الأثم ستحل بهم عقابها في الدنيا ، وذلك فضلاً عن عقاب الله لهم يوم القيامة . وإتهم قد عادوا ، بسبب إلغاء منصب الخلافة ، إمة « جاهلية » ، من مات منها مات ميتة « جاهلية » !! . وتشر العديد من المجلات المقالات والفتاوى في هذه المعاني ، وبهذه الالفاظ ، ويتحدث من أن « نصب الامم واجب في الملة » ، وفي هذا الزمان ، كغيره ، وجميع المسلمين آثمون بعدم نصب إمام تجتمع كلمتهم عليه بقدر طاعتهم ، ومعاقبون عليه في الدنيا بما يعطيه أهل البصرة منهم ، وسيعاقبون في الآخرة بما يعطيه الله تعالى وحده ... أن الجماعة التي أمرنا باتباعها لا تسمى جماعة المسلمين إلا إذا كان لها إمام بايعته باختيارها ... » (٣) .

وفي مواجهة هذا النشاط الواسع ، الذي تكونت له لجان في المدن والمراكز والقرى والكتنوز المصرية ، أدخل في عضويتها أئمة المساجد

د. محمد حسين هيكل
[١٨٨٨ - ١٩٥٦ م]



■ أديب وسياسي وصحفي لاسم في الحياة العلمية لأكثر من ربعين عاماً ، ولشعب جريدة (السياسة) في امة التي رأس فيها تحريرها بسجلا العسكرية العسكرية المصرية الشخصية ، وأخذ على إثر البرجسوازية الاوروبية المستعير . ولقد روايته [زينب] اول عمل روائي في امة العربية الحديث . ومن مؤلفاته [جان جاك روسو] و [م أوقات التراجع] و [عشرة أيام في السودان] و [تراجع شرارة ريفية] و [ولدي] و [ثورة في الالب] و [في منزل الوحي] و [الفروق عبر] و [حياة محمد] و [مكرات في السياسة المصرية] و هكذا خلقت .

ويذكر ما كان الرجل شجاعاً في نصرة الفكر الحر المستعير ، فندما يتعلق الأمر بحرية الحق للفر ، كان أحد رجالات احزاب الاقليات التي اعيد عليها القصر الملكي من مملكة التطور الديمقراطي لمر وتفيد الحريات التي ظلتها للجمهور دستور سنة ١٩٢٣ م . ■

ومؤذونها ، و « المذون » و « القبلي » وكل « فصحاء القرية » .. كما تكونت له لجان في عديد من البلاد الإسلامية ... في مواجهة كل هذا النشاط ، وذلك اللون من ألوان التفكير أصدر الشيخ على عبد الرازق كتابه متحدثاً هذه القوي وذلك للتفكير .

والعامل الثاني : الذي جعل حجم الحركة التي أثارها هذا الكتاب أكبر من حجم القضايا الفكرية

التي ثارها - قتيلاً لو أختكت مجردة - هو أنه قد جاء سبها مصوباً ضد العرش المصري ، والملك فؤاد على وجه الخصوص ، وذلك في وقت كان فيه هذا الملك يجرب طغيان العرش وجبروت النظام الملكي وفردية الاستئثار بالسلطة ضد دستور سنة ١٩٢٣ ، ضد حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول ، ضد مجلس النواب الذي انتخب في ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٥ وماز فيه الوفد بأغلبية ساحقة رغم الضغط والتزوير ، فاصدر الملك فؤاد قراراً بحله في ٦ مارس سنة ١٩٢٥ ، أي في نفس اليوم الذي افتتحه فيه .

أما الآلة على أن هذا الكتاب إنما كان مؤلفاً ضد الجالس على عرش مصر في ذلك الحين فهي كثيرة جداً ، ولا يمكن لمحاولات المؤلف في بعض المقالات التي كتبها حول الموضوع ، والتي نفي فيها هذه « التهمة » ، لا يمكن لهذه المحاولات إلا أن تلقى المزيد من الانواء على هذه الآلة ، التي تقدم أبرزها في أيجار :

١ - فالمؤلف في أول الكلمات التي يفتح بها تقديمه لكتابه يتحدث حديث من يتوأسع غضب الملك عليه ومحاربه له بسبب هذا الكتاب ، ويتبه في أيجار إلى أن ما يتوقع وينتظر لن يزيده إلا مضياً في هذا السبيل ، فيقول ، « أشهد أن لا اله إلا الله ، ولا أئبد إلا إياه ، ولا أخشي أحداً سواه ، له القوة والعزة ، وما سواه ضعيف ذليل » وهي كلمات لها - في هذه الملبسات وتلك المواقف - دلالات تلوق المعاني التي تحبلها السطور .

٢ - وهو قدم كتابه لمبحث الخلافة والحكومة في الإسلام ، ولو كان شأنه شأن الأبحاث النظرية البعيدة عن السياسة اليومية ومعركتها التي كتبت قائمة يومئذ ، لتركز البحث حول مبحث « الإمالة » و « الإلام » وهو المصطلح الذي غلب في الفكر الإسلامي على هذه الأبحاث ، ولكننا لا نجدده يستخدم مصطلحات « الإمالة » و « الإلام » في كل الكتاب أكثر من تسعة وأربعين مرة ، على حين يستخدم مصطلح « الخليفة » ومشتقاته - وكثرت الحركة يومئذ دائرة من حوله - أكثر من مئتي مرة ، بل ونجدده يستخدم كلمة « الملك » و « السلطان » ومشتقاتهما نحواً من مائة وخمسين مرة في صفحات الكتاب . وهي أمور ذات دلالات لا تنكر في هذا الباب .

٣ - وأكثر من ذلك ؟ نجد أحاديثه التي ذكر فيها « الخلافة » و « الإمالة » تحت اسم « الملكية » واسم « الملك » ، والتي حاول فيها أن يبدو في صورة المتحدث عن التاريخ ، قد جاءت حديثاً مباشراً من العرش المصري وطفانيته ، وطفان النظام الملكي وسليانيته في كل زمان ومكان . . فهو يقول مثلاً : « ولولا أن ترتكب شططاً في القول لعرضنا على القارئ سلسلة الخلافة إلى وقتنا هذا ، لفرى على كل حلقة من حلقاتها طابع القهر والظلمة ، وليتبين أن ذلك الذي يسمى عرشاً لا يرتفع إلا على رعوس البشر ، ولا يستقر الأموق اعناقهم ، وأن ذلك الذي يسمى تاجاً لا حياة له إلا بما يلفظ من حياة البشر ، ولا قوة إلا بما يفتال من قوتهم ، ولا عظمة له ولا كرامة إلا بما يسلب من عظمتهم وكرامتهم .

كلايل أن طال غال الصبح بالقتصر

وإن بريقه إنما هو من بريق السيوف، ولهبب
الحروب ... » (٤) .

ونحن نلفت النظر في هذا النص إلى ما هو أكثر من اللغة الثورية السائدة فيه، إذ هو يبدأ بالحديث عن الخلافة ، ثم لا يلبث أن يدخل بساً إلى ميدان هو غريب تماماً من مباحثها ومراسمها وقسماتها ، فيتحدث من « العرش » و « التاج » ، ويستخدم « أفعال المضارعة » التي تجعل المعنى أكثر انصرافاً إلى الحال والمستقبل لا إلى التاريخ الإسلامي القديم .

ثم يتقدم خطوة أبعد من مجرد تصوير طغيان العرش وتناقضه الدائم مع القيم التي يعشتها الإنسان ، فيقرر أنه لا خيار أمام الإنسان الحر ، وأن لا بد له من رفض الخضوع للنظام الملكي طالما كان في استطاعته وإمكانه أزاحة نير القوة الفائسة وزحزحة السيف القاهر من الرقاب ، فيقول : « انه » من الطبيعي في أولئك المسلمين الذين يدينون بالحرية رأياً ، ويسلكون مذهباً ، عبلاً ، ويتفنون الخضوع إلا لله رب العالمين ، ويناجون ربهم بذلك الاعتقاد في كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل في الأوقات الخمسة للصلاة من الطبيعي في أولئك الأبناء الأحرار أن ياتقوا الخضوع لرجل منهم أو من غيرهم ، ذلك الخضوع

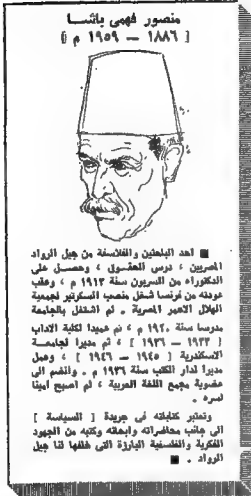
الذى يطلب به الملوك رعيته، إلا خضوعا للقوة؛
ونزولا على حكم السيف القاهر» (٥) .

وكانما كان الرجل يقرأ صفحة الغيب التى
سجلت استقبال الملك فؤاد وأتصاره لكتابه هذا،
فكتب فى صلبه يقول : ان « الفيرة على الملك
تحمل الملك على ان يصون عرشه من كل شيء قد
يزلزل أركانه، لو ينقش من حرمته، أو يقتل من
قدسيته، لذلك كان طبيعيا أن يستحيل الملك
وحشا سفاحا، وشيطانا ماردا، إذا ظفرت بداه
بين يحاول الخروج عن طاعته، وتقويض
كرسيه . وأنه لطبيعى كذلك فى الملك أن يكون
عدوا لعدوا لكل بحث، ولو كان عليا، يتخيل
أنه قد يسى قواعد ملكه، ويربح من تلقائه ربح
الخطر، ولو كان بعيدا (٦) . من هنا نشأ الضغط
الملوكى على حرية العلم، واستبداد الملوك بمعاهد
التعليم كلها وجدا إلى تلك سبيلا . ولا شك
أن علم السياسة هو من أخطر المصالح على
الملك، بما يكشف من أنواع الحكم وخصائصه
وتنظيمه، إلى آخره، لذلك كان حتما على الملوك
أن يعانده وإن يسنوا سبيله على الناس. » (٧)

فالكلام هنا عن الملك فؤاد، ومرشده، وطغيانه،
وليس من أى شيء آخر . . . مهما تشتتت فى
الكتاب بعض اصطلاحات « الأملية » و « الأيام »
وبعض العبارات التى يوم ظاهرها أن الحديث
إنما هو من التاريخ والمضى وليس من قضايا
الساعة التى كان يعيشها المجتمع المصرى فى
ذلك الحين .

٤ - ولقد أبصر هذا الجانب « الثورى » من
الكتاب أغلب الذين كتبوا عنه فى ذلك الحين،
وتناول كل واحد منهم هذا الجانب من موقعه،
وبنطقه، وإلى أطار المصالح السياسية
والاجتماعية والحزبية التى يربط بها ويدافع
عنها .

ولقد وضع بعض الناقدین المؤلف أحيانا فى
وضع الذى يحارب ويظهره إلى الحائط . وذلك
عندما حاول هذا البعض من الخصوم المكرمين
والسياسيين للشيخ على عبد الرازق أن يمسكوا
بتلابيبه بتلبسها بالهجوم على العرش وذات الجالس
عليه، فحاول الرجل الدفاع عن نفسه، وقبرئتها
من هذه « التهمة »، دون أن ينكر شيئا من كتابه.
ومن ثم فإن دفاعه لم يتعد حدود التلقى لهذاذا



« الاهتمام »، بواسطة الجبارات العامة والجنل
التي لا تصنيف جديدا إلى الموضوع .

● فعندما يحاول البعض من أعضاء حزب
الوعد استغلال هذا الموقف لصالح « المعارضة »
ضد حزب الأحرار الدستوريين الذى كان يشارك
فى الحكومة مؤثلا مع حزب الاتحاد - وكانت
علاقة على عبد الرازق بالأحرار أشهر وأوثق من
مجرد عضوية الحزب - عندها يحاول بعض
الوفديين استغلال ذلك فيكتب فى (كوكب
الشرق) بقالا - بتوقيع « منتقد سياسى » -
يقول فيه : أن المقصود بهذا الكتاب إنما هو
العرش المصرى، والتاج المصرى، وذات الملك
فؤاد، يبادر على عبد الرازق إلى البرادة من

[٥] الكتاب الأول، الباب الثالث، الفقرة الثالثة

[٦] يربح، يفتح الماء وكسر الراء، أى : يأتى .

[٧] الكتاب الأول، الباب الثالث، الفقرة الثانية عشرة .

هذا « الاتهام » ؟ ويعلم أن مراده أنها هم الملوك الآخرون .. فيكتب في مقال عنوانه : [الإسلام وأصول الحكم . عرش وتاج وذات ملكية] : « أولئك ملوك لم يرأموا للعلم حرمة ، ولا عرفوا للحرية قدرا ، وملك مصر — أمز الله دولته — وما يضيره إلا يكون خليفة ، هو أول ملك عرسه الإسلام في مصر ملكا دستوريا ، بنصر العسليم والعلماء ، ويؤيد في بلده مبادئ الحرية » (A) فيدفع الاتهام الذي يعلقب عليه القانون ، ويتف صامدا ضد أن يتولى الملك فؤاد منصب « الخلافة » على المسلمين .

● وعندما يكتب الشيخ محمد شاكِر ، الوكيل السابق للأزهر ، مقالاً « يتهم » فيه صاحب [الإسلام وأصول الحكم] بأنه يحيد أن تقوم في مصر « جمهورية لادينية » [أي جمهورية علمانية] ويانه « ثلر على الحكومة وخارج على نظمها الثابتة » ، يبادر المؤلف إلى نفي هذه التهم التي يعلقب عليها القانون ، وذلك دون أن يتخلل عن شيء من الصفحات التي تضمنها كتابه ضد النظام الملكي ، وضد محاولات إضافة « صفة الخلافة وصيغة الإمابة » إلى ذات الجالس على عرش مصر في ذلك الحين (٩) .

● بل أن تقيمه كتاب على ميد الرزاق كميل موجه ضد العرش المصري وذات الجالس عليه ، لم يكن يومئذ أمراً مقصوداً على محاولات أمدائه الفكريين وخسومه السياسيين ، ولم يكن مجرد مناورات حزبية ستمتها الصراعات السياسية على الحكم في ذلك الحين ، فلقد أبصر هذا الجانب من الكتاب ، وقيمه هذا التقييم ككتاب ومفكرين من كثر الناس إخلاصاً للكتاب ومؤلفه ، وكتبوا في ذلك الكثير .

فمنذ امتزمت « هيئة كبار العلماء » بالأزهر « محاكمة » الشيخ على عبد الرزاق على كتابه هذا كتب الدكتور محمد حسين هيكل مقالاً شديد السخرية من هذه المحاكمة ، يدافع فيه عن الكتاب ومؤلفه ، جاء فيه : « وماذا تقول في عالم من علماء الإسلام يريد ألا يكون للمسلمين خليفة في وقت يطمح فيه كل ملك من ملوك المسلمين وكل أمير من أمراءهم في أن يكون خليفة ؟ » ثم

ماذا تقول في عالم مسلم مصري يقول بوجوب ارتباط مصر وانكسار برابط الصداقة ، ويذهب في ذلك مذهب المتطرفين ، لم يتف في وجه اتعابه خليفة ، بينما تريد انكسار أن يكون خليفة ، وأن يكون هذا الخليفة واحداً من الملوك أو الأمراء الواقفين تحت نفوذها ؟ ! أو لم يكن الأولى له والأجدر به أن يترك الخلق للخلاف حتى يقرام الخليفة فيرضى أمير ، وإن غضب أمراء ؟ ! وترضى انكسار ، وقد يكون في رضاها ما يقرب المسائل المتعلقة بينها وبينها ؟ ! . ما لظن واحداً من اصديق الشيخ على عبد الرزاق ، بل ما لظن الشيخ نفسه الأيرى ، أمام هذه الاعتبارات ، أن الشيخ اخطأ خطأ بينا يستحق عليه المحاكمة ؟ ! (١٠)

والكتاب هنا — وهو عليم ببواطن الأمور — يلقي أضواء بالغة الأهمية على وقوف انجلترا خلف العرش المصري وذات الجالس عليه في هذه المعركة ، من أجل اتعابه خليفة على المسلمين ، أو على الأقل للتوسيع له بهذا « الشرف » كي تحكم تبعتها عليه وعلى البلاد ، وحتى يسيير معها إلى أبعد مدى في مناواة الوفد وسعد زغلول .

وجريدة « التميز » الإنجليزية تحدد مكان الملك فؤاد من هذه المعركة بوضوح حاسم ، وتشير إلى دور انجلترا ، وكيف أن في يدها الاتيان بتأييد العلماء المسلمين السنيين اللادينيين في البلاد التي تستمرها ، غير مصر ، وذلك عندما تحدثت الموضوع من جوانبه المتعددة ، فنقول : أنه بعد أن اتقى الخليفة الأخير من تركيا ، اقترح عقد مؤتمر في القاهرة من زعماء السنيين لتعيين خليفة . ولأسباب عديدة تعذر عقد المؤتمر في سنة ١٩٢٥ (١١) . ولكن ترجو السكرتارية التي تالتت في الأزهر أن يعقد المؤتمر في الربيع القادم ، والمعتقد أن علماء الدين في مصر يحضرون ترشيح الملك فؤاد للخلافة . وليس ثمة مايدعو إلى القول بأن الملك فؤاد يرضى شرفاً عظيماً كهذا ، وما ينطوي عليه من تقدير ظاهر لتبسطه بالمبادئ الدينية الصحيحة ، على أن عرض هذا المنصب على جلالته يتوقف على رضى علماء بلدان أخرى هي أشد محافظة على التقاليد من مصر » (١٢)

(A) جريدة [السياسة] اليومية ، عدد ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٥ م
(٩) جريدة [السياسة] اليومية ، عدد ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٥ .
(١٠) جريدة [السياسة] اليومية ، عدد ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٥ م
(١١) كان مقرواً لهذا المؤتمر أن يعقد في مارس سنة ١٩٢٥ .
(١٢) الإخراج في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥

ومساح [حوليات مصر السياسية]
— وعلاقته بالقصر المكيوثية وشهيرة — يتحدث
كيف « كانت مسألة الخلافة في هذا الحين محل
اعتناء الشعوب الإسلامية ، ومطمح أنظار بعض
الملك والسلطين الراغبين في توسيع نفوذهم ،
ولو كان هذا الاتساع وهما بحثا .. » ثم لا يلبث
أن يحدد — دون تصريح — أن العرش المصري
كان وراء كل الحرب التي شنت على كتف على
عبد الرزاق ، عندما يقول : لقد « أخذت مسألة
كتاب [الإسلام وأصول الحكم] تحور ، إلى أن
أوحى إلى هيئة كبار العلماء أن تبحث
الكتاب » (١٢) .

وأهمية هذا التحديد لطبيعة الدور الذي قام
به هذا الكتاب ضد المرشي المصري وذات
الجالس عليه ، وطبيعة الدور الذي لعبه صاحب
هذا العرش ضد الكتاب ، وحجم هذا الدور ..
أهمية كل ذلك تعدى هذه الجزئية إلى لقاء
المزيد من الأضواء على مواقف الأوساط والدوائر
والقوى التي انتظمها الركب الذي تحرك ضد
هذا الكتاب ، وعلاقة هذه القوى بالقصر ،
والمصالح المتشابكة التي يرطنهم جميعا ضد
الفكر المناهض لمطامع الملك فؤاد في خلافة
المسلمين في ذلك الحين .

حزب الاتحاد

على مقدمة القوى التي تحركت ضد هذا

الكتاب ، مناصرة الملك والملكية في هذه الحركة ؟
حزب [الاتحاد] الذي مسنعه القصر يومئذ كي
يضم في صفوفه ، ويستند إلى القوى الاجتماعية
المصرية التي تستطيع أن نصلها بانها التيار غير
المستدير في صفوف الإقطاعيين المصريين وكبار
الملك . ذلك لأن الإحرار الدستوريين كانوا
يمثلون هم كذلك أبناء البيوتات والريفية والعائلات
الإقطاعية وكبار الملك ، ولكنهم كانوا تيارا فكريا
ونقائيا مستنيرا ، ومن ثم متميزا ، كما سيأتي
عند حديثنا عن الجوانب المتعددة لتكوينهم
وطبيعتهم ، ومن ثم موقفهم ، بعد قليل .

ولقد كان هذا التجمع الإقطاعي غير المستنير
الذي « لليته » السراي والاستعمار يومئذ قد
أقيم أساسا لنواة الوفد ، الذي كانت ترى فيه
انتجلترا حزبا « يشبهه جمعية ثورية » (١٤) .
وللوقوف ضد زعامة سعد زغلول باشا ، الذي
اعتقدوا أنه « يرمي إلى استبدال الملكية
بالجمهورية » (١٥) .

ولم يكن تحالف [الاتحاديين] مع [الإحرار
الدستوريين] ، واثلاثهم معا في وزارة [أحمد
زيور باشا] ، وتعاونها ضد الوفد يعني النقاء
فكريا ، وبالذات عندما يتعلق الأمر بمسئد من
المسائل الخالصة بالتححر الفكرى والاستفارة
والإصلاح ، بالمعنى الذي رسخته مدرسة الإحرار
الدستوريين في المجتمع المصري ، منذ ظهور
بمدرسة الشيخ محمد عبده الفكرية في هذا

الحركة الوهابية

« منتصف القرن الثامن عشر »

■ اسمها الحقيقي حركة [الموحدين] لدعوتها للتوحيد لله ، ورفض الوسطاء بينه وبين الناس .
وسيتألهوهابية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب [أقرنى سنة ١٧٩٢ م] ، وهو من أهل « القصبة »
بمكة في شبه الجزيرة العربية .
وجوهر هذه الحركة هو الدعوة إلى « السلفية » ، واستلهم مقادير الإسلام من القرآن والحكمة كما أمرها
الإمام أحمد بن حنبل [٨٥٥ م] وابن تيمية [١٢٦٤ - ١٣٢٨ م] وهو تصوير مطابق لألام بساطة الحياة
البدوية ويغنى من شأن العقل ومعانياته ، خصوصاً ما تعلق منها بالثقافة .
ورغم الطابع الفكري المحافظ للحركة الوهابية فلقد صارت إحدى حركات الإصلاح الديني التي لعبت دورا
في القضاء ضد سيطرة الأتراك العثمانيين على بشرات العالم العربي . ولقد تكونت الدولة السعودية كبرى
لوجود هذه الحركة الدينية ، وبدا ذلك بالخاصة والعاملون بين ابن عبد الوهاب وبين جسد الأمة
السعودية محمد بن سعود [أقرنى سنة ١٧٦٥ م] ■

[١٢] أحمد زغلول باشا — حوليات مصر السياسية . الفرعية الثانية [سنة ١٩٢٥ م] ص ٧٤٥

[١٤] التيز اللندنية . والتل من برقيات [الأهرام] ، السيفية في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م .

[١٥] نفس المصدر السابق ، ونفس التاريخ م .

بهذا الصراع الذي تجرّه كتاب على عبدالرازق ؟ فيكتب ناعياً على الأية الإسلامية الانتصارات التي أحرزها خصوم الإسلام في « هذه الحرب السياسية العظيمة » التي هي « أضر وأتى من الحروب الصليبية .. » وكيف « كان آخر فوز لهذه الحرب على المسلمين هو اسم السلطنة العثمانية الإسلامية من لوح الوجود ، والغناء الترك لتصب الخلافة من دولتهم الصغيرة التي أمكنهم استيلائها من تلك السلطة العظيمة ، وتاليهم حكومة جمهورية غير مقيّدة بالشعر الإسلامي في أصول أحكامه ولا فروعه ، وتصريحهم بالفصل التام بين الدولة والدين » . وكيف رفع انتصار مدنيتها السلطة والحكومة وعلانيات الدولة « عقائدهم في مصر » هاتين لعمل الترك ، فوزي العالم الإسلامي بدعوتهم وسخر منهم ، وراحت في مقابلتها الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي عام ، لأحياء منصب الخلافة بغير ما تستطيعه قوى الإسلام في هذا الزمان » . (١٧)

فهو هنا يؤكد صلة كتاب على عبد الرزاق بموضوع مؤتمر الخلافة ، ودور مصر — العرش أولاً وأساساً — في هذا الموضوع . وذلك بدليل أن حديثه هذا قد جاء في مثال عنوانه : (الإسلام وأصول الحكم . بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام . بل دموع جديدة إلى نصف بناتها وتضليل أبنائها) .

ولم يقتصر صاحب (المنار) عند هذا الحد ، بل أخذ يهدد الأرض لحاكمية الشيخ على عبد الرزاق ، بواسطة [هيئة كبار العلماء] ، فكتب : إنه لا يجوز لمشيخة الأزهر أن تسكت عنه . فإن هذا المؤلف ، رجل منهم ، فيجب عليهم أن يعطوا حكم الإسلام في كتابه . لئلا يقول هو وأنصاره : أن مسكوتهم منه أجابة له ، أو عجز عن الرد عليه . (١٨) . ولقد دار لفظ كثير يومئذ حول دوافع صاحب (المنار) لهذا الموقف ، والأسباب التي أكتت حماره في هذا الموضوع .

أما موقف الأزهر من الكتاب وصاحبه ، فهو موضوع أكثر تعقيداً من موقف صاحب (المنار) وغيره من الكتاب . ذلك أننا لا نستطيع أن نقول أن كل رجال الأزهر الذين عارضوا الكتاب قد حركتهم للمعارضة أصابع السراي ، فهي هؤلاء كثير من العلماء الأجلاء والرجال الشجعان ،

الجنح ، وامتدادها إلى الأحرار الدستوريين مير [حزب الأمة] ولطفى السيد باشا .. ومن بين هذه المسائل الفكرية « مغبة السلطة والحكومة » ، ومعارضة المحاولات الرامية لإتالة « حكومة دينية » ، ومن ثم أحياء « الخلافة » . فهو يصر بعد الغثا في تركيا على يد الكلايين .

وكما تقول « التميز » الإنجليزية : « أن أصحاب الأراضي من الفلاحين — [القطاعيين وكبار الملاك] — وهم الذين يعتمد الاتحاديون عليهم ، لا يملكون على الآراء التركية الدينية الحديثة ، كما أنهم لم يكونوا يعطون على الطرق التركية الإدارية المتبعة . ولما كان الاتحاديون ، الذين يؤيدهم المحافظون من أصحاب الأملاك ، على اتصال وثيق بالشرى فلا يمتد أن تكون غيرتهم على الملكية ، ورغبتهم في ألا يمتد إلى العرض أقل رية من حيث الآراء التي تتفق مع قواعد الدين الصحيحة ، مما أوحى باتقالة عبد العزيز فهمي باشا » (١٩) من منصب وزير الحفانية ، ومن ثم فض الائتلاف الوزاري بسبب اعتراض الأحرار الدستوريين ووزرائهم على تنفيذ حكم هيئة كبار العلماء ضد صاحب (الإسلام وأصول الحكم) .

وهكذا ضحى الاتحاديون بالائتلاف الوزاري ، وانفردوا بمساعدة الوزارة ، وهملت جريحتهم [الاتحاد] لواء الهجوم على جريدة (السياسة) وحزب الأحرار الدستوريين ، رغم ما في ذلك من تدمير لمصروف المعارضة ، وبكسب لحزب الوفد وزعيه سعد زغلول . حدث كل ذلك دفاعاً عن العرش وذات الجالس عليه ، في المعركة التي قامت بسبب ظهور هذا الكتاب .

هيئة كبار العلماء

وعلى المستوى الشعبي استطاع القصر أن يحرك بعض القوى والأوساط ضد الكتاب ومجاهة فيه من أفكار . ولم تستطع هذه القوى والأوساط أن تخفى الخيوط التي ربطت تحركاتها بالجالس على العرش والطامع في منصب « خليفة المسلمين » .

والشيخ محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة [المنار] يسهم بنشاط في هذه المعركة ، وتوضح مقالاته صلة الدعوة إلى أحياء الخلافة في مصر

[١٦] نفس المصدر السابق ، عدد ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥
[١٧] المنار ، مجلد ٢٦ ج ٢ ص ١٠٠ في ٢١ يونيو سنة ١٩٢٥ م [١٨] القعدة سنة ١٣٢٢ هـ [١٩] المصدر السابق ، نفس التاريخ ص ٥٤

الشيخ محمد الخضر حسين
[١٨٧٧ - ١٩٥٨ م]



■ أحد الفقهاء واللغويين ، ولد ببلد تونس ، ونفخ من [جامع الزيتونة] ، وأصدر أول مجلة بالمغرب العربي [السعادة العظمى] . ثم رحل إلى دمشق ، واشتغل بالتدريس في المدرسة السطيفية . ثم ذهب إلى الإسكندرية ، فمقرراً للتقسيم العربي بوزارة الخارجية المصرية . ثم فر إلى ألمانيا عقب اعتقاله للاستدانة . ومن ألمانيا جاء إلى مصر سنة ١٩١٩ م ففنى بها بقية مبره كلها ، وخرجا بالأزهر ، ثم شفيها للأزهر سنة ١٩٥٢ م . وفي مصر رأس تحرير مجلة [الهداية الإسلامية] ثم مجلة [لواء السلام] ، واشترك في تأسيس [جمعية الشبان المسلمين] ، وعين عضواً بالمجمع اللغوي منذ إنشائه سنة ١٩٣٢ م ■

بل إن هذا الفريق الذي حركته السراى طابا بحكمة الشيخ علي عبد الرزاق ، فكتب المرائض التي تطلب ذلك ، لم يستطع حتى في مرانته تلك أن يحقن أن تحركه هذا يهدف ، ضمن ما يهدف ، إلى إرضاء الملك فؤاد . ففى العريضة التي رفعها اثنان وستون من رجال الأزهر إلى شقيقه « وإلى بعض المقامات المالية » في ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٥ (مرة ذى الحجة سنة ١٣٤٣ هـ) يصورون بمسامح في صورة الإرضاء للملك ، وذلك وفاء بحق انعاماته المالية على الأزهر ورجالها ، فيستذكرون جوارا السكوت على هذا الأمر ، خصوصاً « ونحن في عهد يوالى حضرة صاحب الجلالة الملك الأزهر وعلماده بما تلقى وكرامتهم ، ويفنيهم من الشغل وبمسائل العيش ، لأجل أن يتفقدوا لواجبهم العلمى الدينى .. فما هو العذر لنا في ذلك أمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأمام حضرة صاحب الجلالة الملك الذي يوالى دائماً بإفاننا بجميع صنوف الرعاية » ؟ (٢٠) .

كما أن بعض الآراء التي وردت في الكتاب من البدايهى إلا يوافق عليها ، ولا يرضى بها كثيرون من علماء الدين الإسلامى ، وذلك دون أن يكونوا مدفوعين من جهة ما إلى هذا الموقف المعارض . ويزيد من ذلك مجيء الكتب على درجة كبيرة من الإيجاز ، واستخدامه للألفاظ حادة التعبير ، مثل وصفه حكومة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بأنها « حكومية لا دينية » بدلا من وصفها بأنها « سياسية دينية » أو « علمانية » ، وذلك في وقت كانت تمنى فيه كلمة « لا دينية » عند البعض ، ما يرافف « الزنقة والاحاد » . كل ذلك وأمثاله يجعل وقوف بعض رجال الأزهر ضد الكتاب أمراً بديهيًا ، والإعراض عليه من قبلهم أمراً طبيعيًا .

لكن الذي حدث لم يكن هو الهجوم الفكرى والنقاش النظرى ، وصراع الرأي بالرأى والحجة بالحجة فقط . وهو ما يراه وقتئذ عند حده عدد من العلماء الاجلاء - وأما الذي حدث ، زيادة على ذلك ، والذي نقول عنه : أنه فعل العرش وذات الجالس عليه ، هو تخطي الصراع الفكرى ، بل وإهماله ، والنظر إلى الكتاب وصاحبه ، لا كمحاولة فكرية ، واحتجاج نظرى يجوز عليه الخطأ والصواب وإنما « كمعمل مشين » يوجب المعالجة الدينية والحكم على صاحبه « بالحرمان » من الانتماء إلى الأزهر ، بل وتجريده من بعض حقوق المواطن المصرى التي كلها المستور للوطنيين . فالقصر هو المسئول الأول عن اخراج الحركة من أطرافها الفكرى الطبيعى ، وعن دفع بعض رجالات الأزهر إلى نزلق غريب عليهم وعلى الاسلام ، بليل أن ما صنموه مع الشيخ علي عبد الرزاق لم يتكرر مرة أخرى ، ولم يحدث له مثيل من قبل ولا من بعد ، بل ورجع عنه الأزهر بعد ذلك بسنوات ، متجنباً إعاد إلى الرجل مؤهله العلمى وأدخله ثانية في زمرة العلماء ، حينما أراد القصر إدخاله في وزارة المعارف بأشياء عقب الحرب المالية الثانية ؟ !

ولنقول : إن الذين استجابوا لرغبة السراى هم بعض رجال الأزهر ، لا كلهم . . . إذ أن كثيرين منهم قد عارضوا هذا المسلك ، حينما معارضة إيجابية (١٩) ، وفي كثير من الأحيان معارضة سلبية ، عن طريق « اعتزال » هذه « الفئة » التي اشتعلت ضد هذا الكتاب .

[١٩] وكان بعض علماء الأزهر يرون محاسبة الشيخ علي عبد الرزاق إرهابياً لقرار الخلافة المقتدر عنه . . . فطلبوا تأجيل المسبكة حتى يجتهد الجاهلون بهرية في قضية الخلافة التي هي موضوع الكتاب . انظر الاقتراح الشيخ عبد الهادى زيان ، أحد علماء الأزهر . [السياسة] البنية تعد . (أغسطس سنة ١٩٢٥ م . وفي يناير سنة ١٩٢٦ م حكمت اللجنة مع أربعين من علماء الأزهر لتوقيعهم عريضة يتولونها : « أن مصر لا تصلح في الوقت الحاضر داراً للخلافة » . حوالت مصر السياسة سنة ١٩٣٦ م . ص ٥٠ . طبعته سنة ١٩٢٦ م .

[٢٠] : المجلد ٣٦ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ في ٢١ يوليو سنة ١٩٢٥ م . في ٢٠ فى الحجة سنة ١٣٤٣ هـ .

فهؤلاء الذين نظروا الى المرتبات القسئية التي كانت تعطى لهم « كتم » من الجالس على العرش تستوجب ارضاءه بمحاكمة على عبد الرزاق ، فكثروا هذه المريضة وغيرها من العرائض التي استندت اليها [هيئة كبار العلماء] في عقد المحاكمة .. هؤلاء لم يكونوا كل رجال الازهر ، بل ولا غالبية من فيه من العلماء الاجلاء .

وحتى الدراسة الجيدة التي كتبها المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين ردا على الشيخ على عبد الرزاق بعنوان [نقض كتاب الاسلام واصول الحكم] ، حتى هذه الدراسة لم تيرا من شائبة مجيبها في المكتب الملكي ، مما جعل منها جهدا مكروسا لخدمة الملكية في مصر ، والملك فؤاد بالذات .. وذلك بدليل ذلك الاهداء المطبوع في صدرها « براء الذهب » - اهداء الكتاب الى خزائن حفرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر العظم - وما في هذا الاهداء من وصف الملك بأنه صاحب « غيرة على دين الحق ، وعناية برفع شأن المعاهد العلمية الاسلامية » و « حماية للدين الحنيف » .. الخ .. الخ .. من الاوصاف التي لم يكن يعرف الملك فؤاد حتى معناها ، بل ولا يجيد قراءة كتاباتها .. فضلا عن التخليق بها ! .. (٢١)

واخيرا نجحت الجهود الملكية في اقتناع بشيخة الازهر بالنظر الى عمل الشيخ على عبد الرزاق وازرائه « كعمل مشين » يستوجب المحاكمة التأديبية ، بدلا من ان يعمل في اطار المحاولات الاجتهادية الفكرية التي يجوز عليها الخطا والصواب .. فاقعدت هيئة كبار العلماء لتحاكمه بموجب المسودة (١٠١) من قانون الازهر رقم (١٠) الذي اصدره الخديو عباس حلمي سنة ١٩١١ م ، وهو القانون الذي اصدره ليخضع بواسطته تبرد الازهريين ونورهم على استسلامه لسلطات الاحتلال !! .. ووجهت الهيئة الى الشيخ على عبد الرزاق سبع « تهمة » هي :

١) جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في امور الدنيا .

٢) وان الدين لا يمنع من ان جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان في مسييل الملك

لا في مسييل الدين ؟ ولا لبلاغ الدعوة الى العالين .

٣) وان نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان موضوع غموض او ابهام او اضطراب او نقص ، وموجبا للخيرة .

٤) وان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ .

٥) وانتكار اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام ، وعلى انه لا بد للامة ممن يقوم بامرهم في الدين والدنيا .

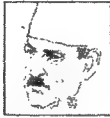
٦) وانتكار ان القضاء وظيفة شرعية .

٧) وان حكومة ابي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لا دينية .. (٢٢)

واعلنت الهيئة الشيخ على عبد الرزاق بهذه « الاتهامات » في ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٥ م ، وبانها مستعجلة في صورة « هيئة تأديبية » لحاكمته في ٥ اغسطس سنة ١٩٢٥ م ، بطلب الرجل التأجيل لاهداء دفاعه .. وبعد اسبوع من الموعد الاول انتمت الهيئة في ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ م (٢٢ مرمح سنة ١٣٤٤ هـ) برئاسة الشيخ محمد أبو الفضل ، شيخ الجليل الازهر ، وحضور أربعة وعشرين من أعضائها .. وحضر الشيخ على عبد الرزاق ، وعندما دخل القاعة والى عليهم السلام لم يجبه احد منهم !! .. وفي بداية الجلسة ، قدم دفعا لمرميا مفاده « انه لا يحتر نفسا امام هيئة تأديبية ، وطلب الا تعتبر الهيئة حضوره لابلها اعترازا منه بان لها حقسا قانونيا » في محاكمته ، لانه اتيا حضر وفاء بحق الاستئناف الذي لكثير من اعضائها عليه ، وحتى يقدم اليوم مذكرته المكتوبة جوابا على « التهم » ولكن يسهم في الاجابة على بعض الاسئلة التي ربما ود ان يوجهها اليه بعض الاعضاء ...

وبعد أن رفعت الهيئة هذا الدلع الفرهي ٢ سارت اجرامات المحاكمة ، ثم أصدرت حكما الذي يقول ، « ... ومن حيث انه تبين مما تقدم ان التهم الموجهة ضد الشيخ على عبد الرزاق ثبتت عليه ، وهي مما لا يناسب وصف العاليية وفقا للمادة (١٠١) من القانون رقم (١٠) لسنة ١٩١١ م ، ونفسا : « اذا وقع من احد العلماء ايا كانت وظيفته أو مهنته ما لا يناسب وصف العاليية ، يحكم عليه من

على ماهر باشا
[١٨٨٢ - ١٩٦١ م]



■ أحد الساسة المستقلين الذين لعبوا أدواراً كبرى في الحياة السياسية المصرية منذ سنة ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٥٢ م . وقبل توليه وزارة المعارف سنة ١٩٢٤ عمل بالمحاكمة والقضاء ، وتولى نظارة مدرسة الحقوق ، ثم أصبح وكلاً لوزارة المعارف . وظل يشغل منصب الوزارة أو منصب رئيس الوزراء في فترات عدة وخلال العديد من التزامات التي مرت بها الحياة الدستورية والسياسية في مصر . وأهم الالتزام التي رآى فيها الوزارة : سنة ١٩٣٦ حيث تكونت الجبهة الوطنية التي وقعت مع إنجلترا معاهدة سنة ١٩٣٦ م . وفي سنة ١٩٣٩ حيث شغل الوزارة وخضر الحرب العالمية الثانية بطرق الإيواء . وفي ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ألف وزارته الأخيرة ، وكان رسول الثورة إلى الله الفاروق كبريتك من العرش وبغادر البلاد ، ثم استقال في ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ لمعارضته إصدار قانون الإصلاح الزراعي الذي صدر بعد استقالته بيومين ■

يحلون من الحرية ، حرية البحث والرأي %
وحق الفكر في أن ينشر ما يعتقد من آراء %
ويتبنون من مذاهب الحرية مذهب « الليبراليين »
الأوربيين . وهؤلاء وقفوا جميعاً في جانب
الشيخ علي عبد الرازق وحقه في البحث
والاجتهاد ، بصرف النظر عن مدى الصواب
أو الخطأ الذي في الكتاب .

في شهر يوليو سنة ١٩٢٥ عرضت مجلة
(الهلال) للكتاب بكتابة موجزة ، وصفت فيها
الأول بأنه « من مله الأحرار المبرزين »
الذين يسلكون سبيل « الاجتهاد والاستنباط »
وصفت فيها الكتاب بأنه « مؤلف فريد »
جاء خير التهوؤج يحتذى في الاستدلال
والاستشهاد والاستنتاج » . ثم تحدثت عن

شيخ الجامع الأزهر بإجماع شعبة عشر عالماً
معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها في
الباب السابع من هذا القانون بإخراجه من
زمره العلماء ، ولا يقبل الطعن في هذا الحكم
ويترتب على الحكم المذكور محو اسم المحكوم
عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد
الأخرى ، وطرده من كل وظيفة ، وقطع مرتباته
في أي جهة كانت ، وعدم أهليته للقيام بأي
وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية » .

فبناء على هذه الأساليب :

حكينا نحن شيخ الجامع الأزهر بإجماع
أربعة وعشرين عالماً معنا من هيئة كبار العلماء
بإخراج الشيخ علي عبد الرازق ، أحد علماء
الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة
المصنوعة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب
(الإسلام وأصول الحكم) من زمرة العلماء .
وهكذا استطاع الملك فؤاد أن يستصدر من
هيئة كبار العلماء حكماً لم يسبق لهيئة عليوية
إسلامية أن تصدرت مثله ، على الأقل في
تاريخ الحديث . . وأن يضع هذا الحكم في
يد وزراء (حزب الاتحاد) الذين نفذوه على
أسلاف الائتلاف الوزاري ، وذلك عندما انعقد
(المجلس المخصوص) بوزارة الحفانية برئاسة
علي ماهر باشا ، وزير الحفانية بالنيابة في
١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٥ ، وقرر تنفيذ حكم
هيئة كبار العلماء الذي « ليس لاية سلطة
قضائية أن تلقيه أو تبحث عن صحته . .
وبما أنه على فرض وقوع خطأ في التطبيق
القانوني ، فليس من اختصاص أي سلطة أخرى
أن تنظر فيه قرر المجلس بإجماع الآراء
أليات فصل الشيخ علي عبد الرازق المذكور
من وظيفته اعتباراً من يوم ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤هـ
(١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ م) مع مراعاة عدم
حرمانه من حقه في المكافأة » (٢٢)

المفكرون الليبراليون

غير أن هذا الحكم وتنفيذه لم يكن نهائية
الطلب في هذه المعركة الكبرى ، لأن المجتمع
المصري كان يزرخ يومئذ بقوى وقيارات فكرية
وسياسية أخرى ، تلك موقف المداد أو الرفض
أو التناقض مع هؤلاء الذين ناصروا العرش
وذاث الجالس عليه في هذا الموضوع .
فكان هناك الكتاب غير المرتبطين بحزب من
الأحزاب السياسية الكبرى ، والذين كانوا

الشهر المئتي عاشران عظيمان يجب أن يلقى بهما كل مفكر ، سواء في الغرب أو في الشرق . أولهما : أن المدوس « سكويس » لخبر تلايذه أن قصة آدم وحواء في أصل البشر ، كما روتها التوراة ، غير صحيحة بحرفها ، وأن الصحيح أن الإنسان والفرد من أصل واحد . وقد حكمت عليه محكمة ولاية (إحدى الولايات المتحدة) بغرامة قدرها عشرون جنيها لمخالفته تعاليم التوراة .

وحدث في مصر حادث شبيه بهذا ، فإن الأستاذ على عبدالرازق وضع كتابا قال فيه : أن الخلافة ليست أصلا من أصول الإسلام ، فحكم عليه العلماء بأفروجه من زمرة .

والعاشران يتعلقان ، كما يرى القاري ، بالمشء عرف في هذا العالم وهو حرية الفكر والرأى . وليست المسألة صحة نظرية التطور أو فساده ، ولا هي صوابية القول بأن الخلافة مبدأ ديني أو مبدأ مدني ، .. ولكن المسألة الحقيقية في هذا النزاع هي أن كلا من الأستاذ « سكويس » والأستاذ على عبد الرزاق له الحق في أن يكون حرا يبرأى ما يشاء من الآراء دون أن يعيد بأي قيد سوى الأخلاق » (٢٦) .

ولم يكن هذا الموقف المناصر للحرية في البحث والتعبير وقتا على هذا الفيل بصر ، بل شاركه نفس الموقف أنصاره في البلاد العربية والإسلامية التي أمدت إليها المعركة ، فكتبت جريدة (الصواب) التونسية تقول : « ... لما سر هذه المسألة والمقاومة العنيفة ، والتحامل من مشايخ الأزهر - على ما يشاع - فلما هو نيل رضى نواح معينة ذات مطلع في تبوء منصب الخلافة .. أن مصر قد سارت إلى الوراء ، ليس في الحرية السياسية فقط ، بل حتى في حرية القول في الشؤون الدينية التي هي ملك مشاع بين المسلمين بشرط أن يكون ذلك ضمن دائرة المعقول وبمقتضى منطق ومفهوم التصوص الواردة على لسان صاحب الشرع صلوات الله عليه » (٢٧) .

وهكذا وجد تيار « ليرالي » كامل على امتداد المالمين العرب والإسلامي ، يؤيد حق المؤلف في الاجتهاد وحرية في التعبير ، يصر في النظر من مدى الصواب والخطأ في هذا الاجتهاد الذي

التصية الإنسانية التي طرحها الكتف ؟ عواقت المؤلف عليها ، دون دخول في التفاصيل ، وقلت ان المؤلف قد استنتج « أن الخلافة لا أصل لها في الدين ، وأن الخلافة بحكم ، لا دخل للدين في وجوده » أو في عدمه - فهو - (المؤلف) . بذلك يوافق نظرية الأتراك الحديثة في فصل الخلافة من الحكم ، ويرى أن كلامة إسلامية حرة في انتخاب من تريدة هاكما عليها . وسواء أكان الأستاذ على عبدالرازق قد وفق إلى أن يستند نظريته هذه إلى الدين - كما نعتقد - أم لم يوفق ، فإن هذه النظرية تنفي وأصول الحكم في القرن العشرين ، الذي جعل السيادة للأمة دون سواها من الأفراد مهما كانت ولائهم . أميزاتهم الأخرى ! (٢٣) ، (٢٤)

أما مجلة (المتكلم) فلما قدمت عن الكتاب حديثا موجزا ، ركزت فيه على اثر جراءة هذا الفكر وأمثاله في انهاس الأمم ، وفكرت الناس بالجنل والمبارك التي الترتبها آراء كل من « لوتر » في الغرب و « محمد عبده » في الشرق ، ووصفت الشيخ على عبد الرزاق بأن له من العلم والفلس ما يخلو « الكلام في موضوع قلبا بحق لغير لئله البحث فيه .. ثم عجزت عن السزاوية التي منها يؤيد « الليبراليون » الكتف وملاحبه بقولها : « .. ونظن أنه بسوف يرتب على ما كتبه القاضي على عبد الرزاق في كتبه هذا أو ما كتبه قبله يعتقد الغزالي وأمثالها ، ما ترتب على ما كتبه « لوثيروس » وأنصاره في البلدان المسيحية » لا أن « لوثيروس » وأنصاره كانوا مسميين في كل ما قالوه وفعلوه ، ولا لأننا نعتقد أن كل ما قلناه حضرة القاضي على عبد الرزاق وأمثاله قرين الصواب وخل من الخطأ ، بل لأن قيام بعض المفكرين ووقوفهم موقف الانتقاد والنك يشهد الأهم ويفرض بالبحث والتقيب : فنسزل الفوائتي ويصرح الحق . ولم نفس كيف قامت القيامة على الخروم الشيخ محمد عبده : ثم خبت رويدا رويدا ، إلى أن صار يلقب بالأمام الذي يقتدى به ويستج على متواله » . ا (٢٥)

وبعد صدور حكم « هيئة كبار العلماء » كتب صلاحه موسى مقالاً عنوانه (الدين والتطور ... وحرية الفكر بينهما) قال فيه : أنه قد حدث في

[٢٤] الهلال - عدد يوليو سنة ١٩٢٥ م ص ١١١٨ .

[٢٥] المتكلم - عدد أغسطس سنة ١٩٢٥ م ص ٣٣٢ .

[٢٦] الهلال - عدد أكتوبر سنة ١٩٢٥ م ص ١٢ .

[٢٧] القمر - مجلد ١٣ - ص ٧ في ١٤ يناير سنة ١٩٢٦ م ١ ٢٩ جدي الاخر سنة ١٣٢٤ هـ .

الاستاذ الامام محمد عبيد
[1849 - 1905 م]



■ امام مصر في عصر الحديث تكونت من هوله مبرسنة فقهية ، ولونت بمسندته المصيد من فقهه حيفا في مصر والعالم الاسلامي . تلمذ على يد الافقي ، ثم ركز جهوده لصالح الفكري والديني والفكري ، وعمل من اسلوب اسخذه في اسخدام القوة لتحليل الفقه والعربية للشرق والشرقيين ، وبالدات بعد نضل ثورة العربيين التي شارك فيها . قدم في كتابه ودرسه الفقرة العقلانية المصرية المستقرة للعقد والقيم البصورية في الاسلام ، ولقد لازمه في كل مواقفه روح التجديد واستنهم العقل واعتماد العلوم ، كما نبز بالشجاعة في مواجهة الفهم من اتصار المحافظة والجمود ، وكان نجسيدا للفلاح المصري الصارب بطوره في اعمال وطنه والمستقر بقطعه اشد الاثاق . وقامبر اراؤه العقلاني الذي اظلال منه جيل الرواد في مصر من قاسم امين حتى طه حسين والقائد ، مرورا بلطفي السيد وسعد زغلول وعلى عبد الرازق وهـ . حسين هيكل ، وغيرهم من الافلام . وفي هذه الزراء ابرز معالم فكرنا الحديث ، سواء منها ما هو ايجابي او ما يعتبره البعض في دداد السلبات . ■

وتعبيرا عن هذا التمييز الواحي نشرت (كوكب الشرق) مقالا لرئيس تحريرها « احمد حافظ عوض بله » جاء فيه : « كنا نستطيع ان نستغل ذلك الحادث كسمديين (٢٩) مخالفين لهم — هذا عدا ما في ذلك الاستغلال من الضرب على وتر الدين الحساس ، وتغيير الزهر وعلباء الزهر من الاحرار الدستوريين — كنا نستطيع ان نستغل ذلك حزيا ، ولكن شغلنا ايت هذا الاستغلال ، ونفوسنا استكرته ، ووطنيتنا تسلبت عن مثل هذه الاعتبارات الحزبية . ومن اجل هذا رجونا

لقدمه الكتاب ... بل لقد كان هذا الكتاب ٤ وما دار حوله من صراع ، احد العوامل البارزة في بلوره هذا التيار الفكري الليبرالي في بلادنا ، دم من صقوفه ، واكتسب لاصحبه مواقع جديدة ، وشحد اليقظة والانتباه عند كثيرين من الذين تبناوا هذا المذهب من مذاهب حرية الانسان في التفكير والتعبير .

حزب الوفد

١.ا. حزب الوفد فلقد قدمت قطاعات اساسية منه ، وخاصة مثقفوه ومفكره ، بمسد هذه المبركة . صفحة مشرقة في تاريخ حركتنا القومية والسياسية في ذلك التاريخ ... فرغم الفداء الشديد والصراع الحزبي الذي كان بين الوفد وبين الاحرار الدستوريين ، الذي ينتهي لهم ويصحب عليهم على عبد الرازق ، بل ورغم موقف سيد زغلول المعادي للكتاب .. (٢٨) الا ان اغلب الاصوات التي ارتفعت في صحافة الوفد يومئذ قد وقفت الى جوار الانتصار لحرية الرأي وحق على عبد الرازق في التفكير والتعبير . ولقد راوا في محاكمته والحكم عليه مسالة سياسية نسجت خيوطها اصابع السراي التي تميت بالدستور ، لا مسالة دينية ، كما حاول ان يصورها الذين ايدوا المحكمة وما ترتب عليها من اجراءات .

ولقد ميز الوندليون يومئذ بين امرين :

اولهما : الانتصار لحرية التفكير والتعبير ، والجهاد من اجل سيادة احكام الدستور ... وبمسد هذا الامر وقلوا الى جوار الكتاب وصاحبه ، ودموا الى قيام تحالف وتعاون على هذا الاساس ، وفي ذلك الاطار .

ثانيهما : التصديح الذي حدث في الائتلاف الوزاري ، وادى الى خروج الاحرار الدستوريين من الوزارة ، وهنا فرح الوفزيون ، و« شبعوا » ثباته كبرى في الدستوريين . وهكذا لم تنطج المباحرات الحزبية والصراعات السياسية على المواقف والموايل الموضوعية الخاصة بحق الفكر في التفكير والتعبير ، وانما حدث تمييز واع ، منذ الكثيرين ، بين هذين الميدانين .

[٢٨] انظر كتاب [مسد زغلول ، كوكبت تاريخية طرعة] بقلم سكرتيره : محمد ابراهيم الجيزي ص ٩١ - ٩٢

١. « كتاب اليوم » ، بالقاهرة .
[٢٩] اي اتصار لسعد زغلول ، وكان لفظ « المسخدين » يعني يومئذ الوفديين ، اذ لم يكن قد حدث بعد الشقاق باهر والفرقائي وتكون « الهيئة المسخدية »

وهناك نقطتان في حاجة الى جلاء حول موقف هذا الحزب ، الذي كان يشارك في حكم الأقلية ضد الأغلبية ، والذي كان يمثل أبناء المصالحات الرئسية الغنية والانتفاعيين وكبار الملك .. موقفه من هذه المعركة .. ولماذا خرج فيها على الدوائر العليا التي كانت تحضن لحزب الأقلية ؟ ولماذا وقف ضد الذين يطمون في ممر مصالح الانتفاع والانتفاعيين ، بحل السراى والاتحاديين ، ولماذا وقف في الجبهة المقابلة لتلك التي وقف فيها الانجليز ، رغم صلاته الوثيقة وغير المنكورة بالانجليز ؟ ثم لماذا انتصر هذا الانتصار الكبير لحرية التفكير والتعبير في الوقت الذي كان يشارك فيه (حزب الاتحاد) في وزارة زيور باشا التي جعلت من اولى مهامها محاربة الحرية والاعتداء عليها ومطاردة الاحرار ؟ !

ان موقف هذا الحزب وذلك التيار الفكرى ؟ من هذه المعركة ، نموذج لمواقف عديدة اتخذها في ازمات فكرية مماثلة ، والحديث عنه هنا فرصة لجلاء اسرار تلك الازدواجية التي تطلعتنا في مواقفه في مثل هذه الامور .

في شهر ابريل سنة ١٩٢٥ م الذي صدرت فيه الطبعة الاولى من (الاسلام و اصول الحكم) ، واتخذ فيه الاحرار الدستوريون ينصرون حرية الفكر في التفكير والتعبير .. في نفس هذا الشهر كان نفس هذا الحزب يشترك مع (الاتحاديين) ، من طريق الوزارة الائتلافية ، في الاعتماد على حريات الشعب والانتقاس من القدر الذي كان يتلها لإنثاله في التفكير والحركة والتعبير .. فاصدرت الوزارة في ٣ ابريل قانون تحريم اشتغال الموظفين بالسياسة ، ومنعهم من كل قول أو عمل يشف من نشاط غير النشاط المولففى الادارى في المصالح والدواوين ؟ ! (٢٢) .

وفي ٥ يوليو سنة ١٩٢٥م تنشر (السياسة) في افتتاحيتها مقالا مبتازا لتصور فهمي ، ينصر فيه للحرية ، مدافعا عن حرية على عبد الرزاق التي احدثت عليها هيئة كبار العلماء .. وبعد اربعة أيام تنشر نفس الجريدة ما تدافع به من تنقيح حرية الصحافة ، بالتحريض الذي كانت تعده الوزارة التي يشارك فيها الاحرار الدستوريون ؟ ! وتخرج في هذا الموقف من كل القوى السياسية ؟ فيما عدا (حزب الاتحاد) ؟ ! ..

في العدة الملقب من (الكواكب) الابياء والمفكرين ان يتخذوا من هذا الحادث موعظة يتعلمون منها ان الاحرار من كل الاحزاب في حاجة الى التآزر امام الافكار الرجعية مما يمس الدستور وما كفل من الحريات العامة . وسيرنا ان يكون لهذه الكلمة مدى في نفوس الذين منياعهم .. ليس انص من ان تعيش الامم عيش نفاق وتضليل .. نريد ان نعرف ، ونريد ان نعرف العالم : هل لصر نظام هو الدستور ؟ تحكم على موجه ؟ لم لها غير الدستور نظاما خفيا تمتد خلال ظلماته ايد تنفك بما قرر الدستور من حقوق ، ثم يكون لهذا الفكر مقامه واحترامه .. فاهلا وسهلا بهذه الصراحة ، واهلا وسهلا بالظروف - مهما ساحت - تخرج الرجال الاحرار من دائرة الغفاه في الحرية . لقد وجدنا الارض المشتبكة التي تلقى فيها كرماء شرفاء ، سعديين وغير سعديين ، وشعرنا بالخطر الذي يلتهم الصقوف عند ظهوره ... (٣٠) .

بل لقد كتب بعض الوحديين في جريدة (السياسة) ، لسان حال حزب الاحرار الدستوريين ؟ كتب كلمة بتوقيع «سعدى» اثني فيها على موقف (السياسة) من القضية ، ورغبها لواء الدفاع من الكتاب ومصلحيه ، واصرارها على ان القضية سياسية دستورية ، لا قضية دين وروحانيات ، ثم قال : « ان ذلك موقف يجب ان تتكاتف الاحزاب المختلفة على الظهور فيه » . رغم ما يكون بين تلك الاحزاب من اختلاف جوهري او عرقي . ولقد تقدم فريق من السعديين ينصرون الحرية والدستور لتاسسة تلك القضية ، وكان شعار هذا الفريق تلك الكلمة الحكيمة : « عند الخطر نلتهم الصقوف » (٣١) .

وهكذا انخرط التيار الاسلامى في الوفد ، وبالذات في صفوف مفكره ومثقفه ، الى جانب الانفاسلين دفاعا من حق المثقف في الاجتهاد والتفكير والتعبير ، ومن ثم الى جانب المدافعين من المؤلف وكتابه ضد الملك مؤادو الجبهة المخبرة للسراى ..

الاحرار الدستوريون

على ان التيار الاسلامى الذي حمل اغلب النقل في هذه المعركة ، دفعة وتليدا ومحابة من للكتاب ومصلحيه . كان هو تيار الاحرار الدستوريين الفكري ، وحزبهم السياسى ، وجريعتهم (السياسة) اليومية ، المعبرة وسبيا من هذا التيار .

[٢٧] كواكب الشرق في ١٧ اغسطس سنة ١٩٢٥ م
[٢٨] السياسة في ١٦ اغسطس سنة ١٩٢٥ م
[٢٩] جريدة (السياسة) في ١٢ ابريل سنة ١٩٢٥ م

عبد الحميد بن باديس [١٨٨٩ - ١٩٤٥ م]

■ الأب الروحي لقسوة الجزائر ،
والهندس لمسيرتها نحو مرويتها من جديد .
حيث انصرفت على جهود الاستعمار الفرنسي
في تحويلها الى الامتداد اللاتيني عبر البحر
المتوسط في أفريقيا . ولقد اتفقا ابن باديس
لهذا الغرض [جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين] سنة ١٩٢١ م بعد ان ربي رجلاها
خلال حمل اسير لثمانية عشر عاما بداء سنة
١٩١٢ م عقب هويته من الجزائر ، ورفعته
الاقامة بالخارج قائلا : « نحن لا نهاجر .
نحن حراس الاسلام والعروبة والقومية في
هذا الوطن » .

ويعد ابن باديس من علماء الاسلام المسلمين
المستقرين ، فهو الامداد الجزائري لخدمة
الافتقار محمد عبده والمركبتي مجتمعين .
ولقد رأى في الاسلام - كما يبتدل في منطلعه
النقية الاولى - طرق الحياة للجزائر من
الشجوة التي صارت مفيدة الطرق الصوفية
ورجال الدين الربيعيين الذين اصعدوا خدما
للاستعمار الفرنسي هناك ، كما رأى في
العروبة والمحرر الوطني الوجه الاخر للحملة
التي تقبل في دين الاسلام .

اشغل بالصعافة ، واصدر نوحا من ست
مجلات تعرضت للحصافة والقطيعة . وآثاره
الفكرية محصورة في مقالاته ودروسه ، فلم
يشغل بالتأليف ، وكان يقول : « انني لا اؤلف
الكتب ، وانما اريد صنع الرجال » ■

فلم يكن على عبد الرزاق سوى امتداد بطور
للشيخ محمد عبده في الإصلاح الديني ، بل ان
آراؤه فيما يتعلق بالاسلام واسول الحكم قد
كانت في جوهرها تفصيلا وتبويرا وتطويرا لآراء
الاستاذ الامام في هذا الموضوع ... وجريدة
(التميز) التذنية تشير الى هذه الحقيقة فتقول :
« ... ابا الشيخ على عبد الرزاق فهو خلف
الشيخ محمد عبده وقاسم بك امين في آرائها
الفكرية » (٢٣) ، وهي بذلك تحدد مكان كتاب
(الاسلام واسول الحكم) من حركة الإصلاح
الديني التي يدها الاستاذ الامام

ونحن نعتقد أن سر هذه الإزدواجية التي
صاحبت الكثير من مواقف هذا التيار الفكري ،
كامن في نشأته وطبيعة تكوينه ، والمصالح التي
كان يمثلها منذ ان تبلور في (حزب الأمة) على
يد لطفي السيد في مطلع هذا القرن ، كخدمة
في التفكير واسلوب في العمل جعلت الكثير في
الصفات الفكرية والاساليب الإصلاحية التي
بهرها الشيخ محمد عبده في هذا الميدان ، وذلك
بعد مزج هذه البذور وتلقيها بتراث الليبرالية
في أوروبا ..

فلاهور الدستوريون كانوا يمثلون أبناء
البيوت الكبيرة ، ومعددا من كبار الملاك الإقطاعيين
المصريين ، ولكثرت كانوا يمثلون ذلك القطاع
المستقر من هذه القوى الاجتماعية ، أو إذا شئنا
الحقة كانوا هم التيار المستقر الذي يصير المصالح
البعيدة لهذه القوى الاجتماعية ، تلك المصالح التي
من الممكن ان تصفد كثيرا من الاستفارة والإصلاح
والانفتاح على الفكر النضري الأوربي ، والتي
كان بإمكان هذا الإصلاح وتلك الاستفارة ان
يؤهلها كي ترث مقدرات هذا الوطن ، بدلا من
الوفد الذي يمثل الجاهيل والعالة ، وأن تكون
لها المشاركة بنصيب الأسد مع السراي التي لم يكن
لامرئها في بطن التربة المصرية الأصالة والعراة
التي لهذه العائلات التي تكون هذا الحزب وذلك
التيار .. فهم كانوا يرون في أنفسهم « أصحاب
المصالح الحقيقية » ، لأنهم حسرة البلاد وأعيانها ،
وأن الاستفارة ، والتعليم والثقافة ، وتكوين قطاع
كبير من « الصنوة والنخبة » هو السبيل لاحتلال
هذه العناصر محل الأجنيبي ... ومن ثم فإن
مواقف هذا الحزب وذلك التيار كانت دائما في
جانب حرية التفكير والتعبير إذا كان الأمر خاصا
« بالفكرين » و « الصنوة والنخبة » ، وعلى
العكس من ذلك تماما إذا كان الأمر خاصا بالشعب
والعامة والجاهيل ... وذلك وتلقوا بتسلية
وبطولة تستحق الإعجاب والتقدير إلى جانب
على عبد الرزاق وحقه في التفكير والتعبير ،
في نفس الوقت الذي شاركوا فيه السراي
والإتخاديين في العدوان على حرية الموظفين في
الاستفقال بالسياسة ، وحسرية الصحافة
والمصحفين - والمقصود هنا انصار محمد
والوفد - في التفكير والتعبير ■

وهذه الصلات التي تربط هذا الحزب وذلك
التيار الفكري ، وتشد هذا المنهج في التفكير
الى مدرسة محمد عبده ، كانت تدور في هذه
المحركة على جانب كبير من الوضوح والجلالة ..

الذين بنوا القاهرة ؟ وهم الذين بنوا الأزهر وشيخوه . اليس الفاطميون هم الذين أنشأوا الحنية ومسجدها الجليل ؟! فأى عجب أن تعود محبة القاهرة شديدة كما كانت يوم أسسها الفاطميون ؟! وأى عجب في أن يعود الأزهر شيعيا كما كان يوم بناءه الفاطميون ؟! (٣٦) .

ثم يتعدى الأمر نطق الصراع الفكري والمساجلات السطحية ، فيقف رئيس الحزب **عبد العزيز فهمي باشا** ، وكان وزيرا للحقانية ، موقف الموقر لتنفيد حكم هيئة كبار العلماء ، ويفتخروا الاتحاديون فريسة ، فيرفع رئيسهم **يحيى باشا إبراهيم** — وكان نائباً لرئيس الوزراء المتغيب في أوروبا — الأمر إلى الملك فؤاد ، فيعزل وزير الحقانية ، فيستقيل احتجاجا على ذلك الوزراء الدستوريين ، ويلحق بهم اسماعيل صدقي باشا ، وينهار الائتلاف الوزاري الذي كان قائما في مواجهة سعد زغلول والوفديين .

موقف الانجليز

أما موقف الاحتلال الإنجليزي — الذي كان يمسك يومئذ بخيوط السياسة المصرية — من هذه المعركة ، فهو صفحة هامة تستحق التامل والتفكير . . . ذلك أن علاقات سلطات الاحتلال الإنجليزي بالاحرار الدستوريين كانت وثيقة ، وغير خافية منذ نشأة هذا التيار . وفي تاريخ هذا التيار الفكري مواقف كثيرة اتصفه فيها الانجليز وانتصوا له من العرش والقوى الأخرى التي تعرضت له بالمناهضة أو العداء . . . سلك الانجليز ذلك منذ المواقف الشهيرة لكرور بجانب الشيخ محمد عبده تجاه الخديو عباس حلمي . . .

ولكن الذي حدث في معركة كتاب (**الاسلام واصول الحكم**) هو العكس من ذلك الموقف التقليدي تبلياً ، إذ ترك الانجليز استخدام فريسة ينهشها القصر الملكي والقوى التي تناصره ، ولم تتحرك دلي النوبت الساسي البريطانية لئلا يمس الشيخ علي عبد الرزاق والاحرار الدستوريين ، وذلك رغم المضاعفت الضخمة الضارة بهم ، والتي ترتبت على هذه المعركة الفكرية والسياسية ، عندما لفت الي صدع الائتلاف الوزاري الذي شارك الانجليز في اقامته كي يقف في وجه الوفد ، وسعد زغلول . . . وجريدة (**التيز**) اللندنية

وعندما يشتد الجدل في الصحافة حول **الفكر** انشجلا على عبس الرزاق تنشر (**السياسة**) مقالاً كبيراً عنوانه (**الخلافة والسلطة الدينية في رأى الشيخ محمد عبده**) فتفتحها بكلمات تقول فيها : « ينسبنا ما يجري في الصحف من حديث من الخلافة وأصول الحكم الإسلامية ، بدأ لنا أنه قد يكون من المفيد للبحث أن نضع بين يدي القراء صورة من مذهب المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده في الموضوع ، وجدير بالقول الأستاذ الامام أن تكون تنبيهاً للمفاهيم وذكرى للذاكرين » . . . ثم تفسح (**السياسة**) المكان لنصوص مقتبسة من كتابات الشيخ محمد عبده ، تعالج أهم النقاط التي عالجها كتاب (**الاسلام وأصول الحكم**) ، فإذا بما قاله علي عبد الرزاق مفصلاً في عديد من هذه النقاط قد سبقه الي إيثاره — بنفس المنطق ومن نفس الموقع — الأستاذ الامام (٣٧) .

وعلى كل حال ، فلتقدمي **الاحرار الدستوريين** بكل **نظم الفكر** — وكان رائعا وعظيما يومئذ — خلف الكتابيوسا، ومثلتبقالات (**السياسة**) في هذا الموضوع صفحة مشرقة للفكر المصري ، تستحق دراسة خاصة ومستقلة . . . ولعل من أروع مقالاتها تلك التي نشرتها بعد صدور الحكم على الشيخ علي عبد الرزاق ، بعنوان (**بعد قرار العلماء**) . . . والمقال غير موقع ، ولكن أسلوبه يشير إلى تلم الدكتور ميكل ، ونحن نقرأ فيه صفحة من الأدب السوي الجليل ، يقول فيها مخاطباً علي عبد الرزاق ، في أسلوب ساذج : « . . . تعال نضحك . . . فقد كان كتابك مصدراً لتفنير الأرثوذكسية في الاسلام (٣٨) » ، وأنت أنت الذي غيرها أيها الطريد المسكين ، وإنما غيرها الذين طردوك وأخرجوك من الأزهر . نعم . . . كان أهل السنة ومازأوا يرون أن الخلافة ليست ربنا من أركان الدين ، وأن الشيعة فسقوا حين عدوها كذلك ، فلما قلت للناس في كتابك ما أجمع عليه أهل السنة ، غضب عليك أهل الأزهر ، وروبو بالابتداع والأهراء ، وأخذوا يقولون : أن الخلافة أصل من أصول الدين . وقد كنا نعلم أن القاهرة مركز أهل السنة وموطن الإشاعة ومستقر الأرثوذكسية الإسلامية ، فصبغته من غير وايتغير : أصبحت « **القاهرة** » « **كطهران** » مركز الشيعة ، وأنهال بناء صلاح الدين ؟! ولم لا ؟! . . . الشيعة هم

[٣٦] جريدة (**السياسة**) اليومية في ١٠ يونيو سنة ١٩٢٥ م . وفي تحقيق الاموال الكلية للانشغال العام كنا نعلم من موقفه من هذه القضية ، طبيعة السلطة ، تمت عنوان [**السياسة الإسلامية**] ، فوجدنا لوصفا جديدة لم نشرها [**السياسة**] لدعم ما نعت اليه .

[٣٧] **المصدر** : « **الكتاب السني** » المحقق ، وهو المقال ، في نظر الكتاب ، للارثوذكسية في المسيحية .

[٣٨] جريدة (**السياسة**) اليومية في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٥ م .

الشيخ محمد رشيد رضا
[١٨٦٥ - ١٩٣٥ م]

■ مهاجر من « غرابيس » الشام جاء الى القاهرة واكتم الأستاذ الإمام محمد عبده ، واصبح المسلم المعتبر من فكره في الإصلاح الديني بمجلته [المنار] ، وهي أبرز أعماله على الإطلاق ، لقد ظل يسهرها بانتظام من سنة ١٨٩٨ حتى سنة ١٩٣٥ ، فترك منها ٣٦ مجلدا بلغت صفحاتها ٢٧٢٠٠ صفحة .

وكان رشيد رضا « سلفيا » يميل الى النقل أكثر مما يميل الى العمل ، على عكس محمد عبده ، والثاء صاحبها نخل من بوقته هذا في أحيان كثيرة ، لم يجد ضلعا نقيلا بعد وفاة الأستاذ الإمام ، والفروق بينهما يتضح من مقارنة تصوير كل منهما لما أسر من أجزاء القرآن . ويغلب تأثير الأستاذ على رشيد رضا في دفاع الأخير عن كتاب [تحرير الولاء] لقاسم أمين ، في حياة العلم ، على حين علمه بمفك كتب [الإسلام وأصول الحكم] بعد وفاة الإمام .. مع أن هذه الآثار الفكرية جميعا هي بلورة وتفصيل لبعض آراء الأستاذ الإمام ؟ ■

شيين الى مخالطة انبياء هذا الائتلاف على مصالح التجليز ، عندما تقول : « ... ففي الحكم على الشيخ على عبد الرازق تجد جميع المواد التي تشمل الآن نار النزاع الحزبي المملوء بالكوارث . ويولوج لنا من أول وهلة أن سعد زغلول باشا واتصافه هم السئين سيبريون على الأرجح في هذا النزاع » .. ثم تتحدث عن مكان مكنى على عبد الرازق وكتابه من حركة الإصلاح التي حظيت تاريخيا بمعطف التجليز ومناسرتهم ، فتقول : إنه « قد تبكت من مصر أخيرا الحركة الحديثة في الإسلام ، مع ما جاءت به من زيادة الحرية الاجتماعية للنساء ، ورفق الحضارة ، وإصلاح التعليم ، ورفق الحكم الديني الإسلامي . أما الشيخ على عبد الرازق فهو خلف الشيخ محمد عبده وقاسم بلبابين في آرائها الفكرية السامية . وقد استطاع الشيخ محمد عبده ، بفصل نفوذ اللورد كرومر ، أن ينجز من المطامع الكثيرة ومن عدااء السراي ، ولم يزل الصالحون الآخرون قصصا ... » (٣٧)

فلما تخلى التجليز عن الإصرار الدستوريين في هذا الموقف ؟ ولماذا لم تقف دار المنحوب الساسي البريطلتي الى جوار على عبد الرازق ضد الملك فؤاد وثقة كرومر الى جوار محمد عبده تجاه الخديوي عباس ؟

إننا نعتقد أن هناك أسبابا عدة لهذا الموقف التجليزي « المؤقت والمعارض » ، في مقدمتها :

١) أن إنجلترا كانت تريد أن تلعب لعبة « الخلافة الإسلامية » ، وتستفيد من شعارها الى أبعد الحدود ، وهي في مصر كانت تهد حبال الآمال لدى العرش المصري والملك فؤاد في نبوء هذا المنصب الشريف ، لتجنى من وراء ذلك المزيد من أحكام القبضة على العرش ، ولتجمع من حوله كل القوى المحافظة التي يرغبها برقي هذا التمسار ، وهي بذلك أنها تدمم نفوذ القوى المناهضة للورد وقبادة سعد زغلول ، هذه المناهضة التي كانت بطلية التسمية النهائية والمحوبة لبقايا ثورة سنة ١٩١٩ م .. ومن هنا غضت إنجلترا الطرف عن حرك القصر ضد على عبد الرازق ، حتى عندما وصل هذا التحرك الى يحد فاض الائتلاف الوزاري ، رغم ما في ذلك من مخاطر انثرت باستفادة الزغلوليين .

ومن موقف إنجلترا هذا يتحدث الدكتور محمد حسين هيكل في مزيج من المرارة والسخرية مخاطبا على عبد الرازق فيقول : « ... ثم ماذا نقول في عالم مسلم مصري يقول بوجود ارتباط مصر وإنجلترا برابطة الصداقة ، ويذهب في ذلك بمذهب المخترعين ، ثم يقف في وجه اقامة خليفة ؟ بينما تريد إنجلترا أن يكون خليفة ، وأن يكون هذا الخليفة واحدا من الملوك أو الأمراء الواقفين تحت نفوذها ؟! أو لم يكن الأولى والأجدر به أن يترك الخلق للخلق ، حتى يقام الخليفة ، فيرتقى أمير وأن غضب لبراء ؟ وترضى إنكثرا ؟ ولقد يكون في رضاها ما يقرب حل المسائل الملقة بينها وبينها ؟! » (٣٨) .

٢) أن إنجلترا كانت تريد أن تسبب نفوذا

[٣٧] نقل من برقيته [الأهرام] السياسية - في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٥
[٣٨] جريدة [السياسة] اليومية ، في ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٥ م

هتذرتون» ... ان ذلك قد حرم الاحرار الدستوريين من نصيرهم العظيم ، اللورد النبي فودهم (الاتحاديون) لقبه ساقطة تقري بالالتهم ... وفي ذلك تقول (كوكب الشرق) : « ... ومازال الاتحاديون في حاجة الى حفظهم الاحرار الدستوريين مذام اللورد النبي في مركز الجنوب السلمي في مصر ، ليستصنائهم ويهدم بالعمون والقوة ، حتى اذا استقال القورد ، وصار الاحرار الدستوريون بلا عون من الانكليز ولا عون من الامة ، احس الاتحاديون ان خلفاءهم عيه ثقل عليهم ، يستفيدون ولا يفدون ، فحرمهم كل نفوذ في الوزارة وجعلوهم قابضين لهم لا زملاء » (٤٠) ثم نجسوا الموقف الذي نصي الائتلاف .

ولقد كان لابد للاتحاديين ، كي يبرروا موقفهم هذا الذي تخلوا فيه عن اصديقاتهم التقليديين ، من اسباب يملكونها ، تظهرهم بظهر السديق الذي لم يتخل نهائيا عن هذه الصداقة ، وانما هو بلاء موقف عارض واسباب تشل يده عن حرية الحركة في صالح هؤلاء الاسدقاء ... فبنيتوا النظرية التي اطلقوها تصار القصر ، والتي تقول : ان هذه القضية قضية دينية ، وليست دستورية ، ولا سياسية . ومن ثم فان الاختصاص فيها هو من حق « هيئة كبار العلماء » في الازهر وحدها ، ولا يجوز التدخل فيها من أي طرف من الأطراف باي حال من الاحوال ؟!

وجدير بالذكر ان هذا التخصيص للقضية لم يكن مقتما حتى للذين ثابوا به وروجوا له ، وذلك بدليل لا يتقبل النقض او الجدل ، وهو ان الازهر نفسه قد عاد بعد سنوات مآلتي موقفه السابق من على عهد الازهر ، واعاده الى زمره العلماء ، وذلك عندما زالت الظروف السياسية التي خفمت الى اتخاذ الموقف الاول ، ولو كانت المسألة دينية لما حدث ذلك ، اذ ان الاسلام هو الاسلام ، والدين هو الدين ، ولا فرق بينه في عهد الملك فؤاد وبينه في عهد الملك فاروق ؟!

ولكن الاتحاديون - على كل حال - قد وجدوا في هذه الحجة مخرجاً لهم من الصرج الذي اسلبهم ايلم اصديقاتهم من الاحرار الدستوريين ، وعندما بلغ الامر حد تصدع الائتلاف الوزاري طرح المستر « نيقل هندرسون » « عيد انجلترا بالنيابة الى « مندوب شركة روتر الجغرافية في شأن الائمة الوزارية المصرية » ، فقال : انه لم

ادبياً لدى المواطنين المسلمين في مستعمراتها الاخرى ، وبخاصة في شبه القارة الهندية ، حيث كتلت لفكرة الخلافة الاسلامية لدى ملايين المسلمين هناك سمعة طيبة جداً .. فوقوفها ضد الحركات الفكرية المناهضة لحياء الخلافة ، او على الاقل مدم مفاصلها وحياتها لهذه الحركات ، يفتح لها قلوب المسلمين في العالم هناك ، وتعدادها يفوق تعداد المسلمين في العالم العربي ، ومن ثم يباعد بين هذه الجماهير المسلمة وبين الانخراط مع « الهندوس » في الصركة الوطنية الهندية التي كتلت آخذه في التطور ، واقتفاء اثر ثورة سنة ١٩١٩ م المصرية في ذلك الحين .

٦ ان الانجليز قد اخذتهم مضاعفات المعركة عندما انخرطت الى جوار الدفاع عن الكتاب وصاحبه قوى عديدة اطلتها جميعا شعارات الدفاع عن حرية التفكير والتعبير ، فليصروا في تلك الحركة التي ملجت بها يومئذ احشاش المجتمع المصري نظير عهد شعبي على المسرح وذات الجالس عليه ، ومن ثم قطعاً لشلل المؤسسات الوهمية التي ارادت من طريقها تكريس وجودها ، ومواجهة « ثورية » حزب الوفد والقوى الاجتماعية الجديدة .. فاعتبر الانجليز ان مسألة الشيخ علي عبد الرازيق برمتها هي مسألة « ملوثة » لا يجب ان يؤدي التوقف عندها الى افعال الافاق الخطرة المرتقبة بسببها ، ودمت أصوات انجليزية كثيرة للانتباه الى « ان الائمة الحالية رمز للاشارة الاولى التي تشير الى انقلاب الشعور ضد نفوذ مال ... ١٤ (٣٩) ومن ثم فان الموقف الانجليزي الاساسي والاصيل يجب ان يكون الى جانب هذا « النفوذ العالي » (العرش) ، ولا بأس بمن موقف « عارض ومؤقت » ضمالاستقاء التقليديين من الاحرار الدستوريين .

٧ وسبب ثلثي ومساعد حرم الاحرار الدستوريين من مناصرة دار المندوب السلسي البريطاني في هذه المعركة ، تصدت عنه الجريدة الوفدية (كوكب الشرق) عندما شجعت في تصدع الائتلاف الوزاري ، وذكرنا ان حدوث هذه الازمية في فيلب اللورد « النبي » ، الذي كان قد استقال من منصب المندوب السلسي في مصر ، وقبل مجيء خلفه السير « جورج لويد » ، وفي الوقت الذي كانت سلطات الانجليز مخولة الى « ميسد انجلترا بالنيابة » ، مستر نيفل

[٢٩] [المراجعة بونت] اللغويين ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م [والتقلع اهرام ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م]
[٤٠] [كوكب الشرق] في ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م

بالأمر « إذا حُكِرَ الية أبحث قولة يحيى بالأساس »
واخبره الخبر الذي أسف له . وأضاف : أن دار
المعتد البريطاني نظرا لوصف المسألة بأنها دينية
لم تتدخل ، عملا بالتقاليد التي جرت عليها من
قبل في مثل هذه الأحوال . » (٤١)

ويخطئه الذين يكتفون أن الإنجليز بموقفهم هذا
أنما كتبوا يفترون إلى الرأي العلم المصري ، أو
يراعون مشاعره الدينية، لأن الصحافة الإنجليزية
نفسها كانت تقدر أن موقف الرأي العلم في مصر
هو ضد الإجراءات التي اتخذت ضد على عيد
الرازق ، وأن « الرأي العلم المصري لا يؤيد تحفظا
الأرثوذكسية الإسلامية للشبان » على حد تعبير
جريدة [ليفربول بوست] البريطانية (٤٢) .
ومن ثم فإن هذا الموقف الإنجليزي إنما كان إلى
جانب فريق من الاصطفاء ضد فريق آخر من
الاصطفاء ، ولم يكن بحال من الأحوال احترازا
للمشاعر الدينية والروحية لجماهير المصريين
المسلمين .»

آثار الكتاب والمعرفة

وإذا كانت هذه هي أبرز المعالم للحركة الفكرية
والسياسية التي أثارها كتاب [الإسلام وأصول
الحكم] في صفوف القوى الاجتماعية والسياسية
بمصر فغداة صدوره في أبريل سنة ١٩٢٥ م ،
بطباعته الثلاث التي صدرت تباعا في أسابيع ٤
.. وأهم الفيسوط التي حكمت المراجعات التي
فجرها على عيد الرازق بإصداره لهذا الكتاب ٤
فإن الأثر الذي تداعت على مبرح الأحداث
السياسية والاجتماعية والفكرية بمصر فيها بعد
ذلك ، بسبب هذا الكتاب ، لا تقل أهمية وخطورة
عن الأحداث التي سبقت إشارتنا إليها فيها
تقدم من صفحات .. ويكفي أن نجمل الإشارة
إلى بعض عناوين هذه الآثار والنتائج في هذه
النقاط :

١ - أن تصدع الائتلاف الوزاري الذي كان
يجمع الأحرار الدستوريين إلى الاتصافيين ،
قد جعل الدستوريين وجريتهم (السيلسة)
يعودون إلى صفوف المعارضة ، ولقد استفادوا
الوفد من ذلك ، وأقام الموقف المؤزم والمبدئي

ثم انطلقت لترويح وجهة النظر هذه كل التآمر
الإعلامية التي كانت قائمة في خدمة الإنجليز ،
فكبت [المقطم] في ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م
مهاجمة موقف عبد العزيز فهمي باشا الذي أراد
استفتاء [قلم قضايا الحكومة] في تنفيذ حكم
« هيئة كبار العلماء » ، وحجة [المقطم] أن في
« قلم قضايا الحكومة » أعضاء مسيحيين ١٩ ..
كبت [المقطم] تقول : « ... أن عمل وزير
الحقانية إذا لاق أن يأتيه غير القانوني فلا يلحق
أن يأتيه رجل عرف بشدة تعمقه في القانون ،
ولا سيما أن إرسال قرار هيئة كبار العلماء في
مسألة إسلامية يحته إلى قلم قضايا الحكومة ،
وفيه كثيرون من غير المسلمين ، لا يعد مقبولا .
وهو يشبه إرسال قرار من هيئة مسيحية أو
إسرائيلية في مسائل تتعلق بالمسيحية أو
الإسرائيلية ، إلى لجنة ليست بمسيحية أو
إسرائيلية ، فلا يكون افتاؤها مقبولا . وخصوصا
بعد أن أثبتت حيثيات الحكم الصادر من الجابع
الأثر أن المسألة دينية بصفة ... أنه لا يصح أن
يتهم قاض شرعي ديني — أحكامه على قسود
الدين الإسلامي — بضروجه على هذا الدين ،
ثم يستمر في منصبه » (٤٣)

وهكذا التفت [المقطم] مع [المنار] ١٩ ١١ ..
رغم أن فيلر [المقطم] الفكري قد تلمس الكتاب
وصاحبه في « المتطف » في بدء المعركة ، وقيل أن
يحتار الإنجليزي ضد على عيد الرازق وكتابه
كما التقى رأى المندوب السلمي المستر « نيفل
هندرسون » برأى هيئة كبار العلماء على اعتبار
الموقف ضد على عيد الرازق وكتابه
« مسألة دينية بصفة » .. كل ذلك كي تبرز
انجلترا أمام أصقاعها التقليديين من الأحرار
الدستوريين وقوفها إلى جانب « العرش وذات
الجالس عليه » ، وتفاضلها من الإجراءات التي
اتخذت ضد هؤلاء الاصطفاء .

[٤١] - جريدة [الأخبار] في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م

[٤٢] - [المقطم] في ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م .

[٤٣] - برقيات جريدة [السيلسة] اليومية ، في ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٥ م

وسحب أثيرال التسييل على مواقفهم المتصارعة لتتصيب الملك فؤاد خليفة على المسلمين ، وبما القيام بتصحيح موقفهم من هذا الكتاب ، أو من صاحبه على الأقل ، وهو موقف شجاع يحسد لهم على أى حال .. ومن المؤسسات التى قامت بتصحيح موقفها من هذه القضية [الأزهر] ، عندما أمداد الى الشيخ على عبد الرزاق مؤهله العلمى ، ورد اليه شرف الانتساب الى زمة الطمء فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

{ — وإذا كانت الحركة الفكرية والسياسية قد جنحت الكثير من النمار الإيجابية من وراء صدور هذا الكتاب ، وبسبب المعركة الفكرية الضخمة التى دارت حول أفكاره وتقسيلاه ، فإن هذه المعركة وما صاحبها من اتهامات ضد المؤلف ، وبالذات ما اتخذ ضده من إجراءات ، قد أثمرت لثرا سلبيا مؤسفا ومحزنا أصاب الشيخ على عبد الرزاق كيفكر مجتهد ، وكاتب دخل ميدان الحركة الفكرية بهذا الكتاب الصغير ذى الأثر الكبير والخطير .. ذلك أن نظرة فاحصة ومتأنية فى صفحات هذا الكتاب تنبئ بأن لدى صاحبه إمكانيات غنية وأتشاء كثيرة يستطيع أن يقدمها للثقافتين العرب والمفكرين المسلمين ، بصرف النظر من مدى الاتفاق أو الاختلاف معه فى الآراء ، ونحن عندما نعدد المقارنة بين ما كان يبنى عنه هذا الكتاب من إمكانيات مساحبه وقدراته ، وبين سنوات حياته التى إمتدت بعد صدوره أكثر من أربعين عاما خالية من أى أثر فكرى يمكن أن يدانى هذا الكتاب ... أن هذه المقارنة تضع يدنا على ذلك الأثر السلبى الذى خلفته هذه المعركة على وجدان الشيخ على عبد الرزاق ، وفعل المرارة التى أحس بها الرجل بما اتفخذ ضده من إجراءات .. بل إنه باستثناء بعض المغالات فى جريدة [السياسة] وبعض المحاضرات التى ألقاها بعد ذلك فى كليتي الحقوق والآداب ومعهد الدراسات العربية ، لا نجد له أثرا فكريا يستحق هذه التسمية بحد صدور هذا الكتاب ... ومن ثم فإن باستطاعتنا أن نقول : أن الإرهاب الفكرى والسياسى والإدارى الذى قادته القصر الملكى والملك فؤاد ضد الشيخ

الذى اتفخذهم ملقوا الوعد الى جانب على ميد الرزاق وكسابه — فقاما عن حرية التفكير والتعبير — لقم هذا الموقف جسورا لعودة الأحرار الدستوريين الى الوقوف مع الولد فى ساحة المعارضة ، والعمل من أجل حماية مبادئ دستور سنة ١٩٢٣ م ... ولقد وصلت مقاسمات هذا الموقف الى الحد الذى جعل بالإمكان عقد مصالحات حزبية جمعت العديد من الأحزاب والتيارات فى مواجهة السراى والاتحاديين ، ولقد تجسدت هذه المصالحة فى ذلك الاجتماع « الثورى » لمجلس النواب الذى كان الدستوريون قد اشتركوا فى استصدار مرسوم حله فى مارس سنة ١٩٢٥ م .^١ اجتماع هذا المجلس ، رغم مرسوم حله ، ورغم القصر والتجلىز . « بالكونتنتل » فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م ، وهو الاجتماع الذى توج بحضور سعد زغلول له ، حيث ظهر من جديد ومن خلفه قوى عديدة منها الأحرار الدستوريون (٤٤) .

٢ — أن صدور هذا الكتاب ، والمعركة الفكرية الكبرى التى دارت من حوله — ورغم الإجراءات التى اتفخذت ضد صاحبه — قد قهرت الى الإبد حلم الملك فؤاد فى تولى منصب الفلاحة على المسلمين . ولقد تدامت بعد ذلك الأحداث التى ذهبت بولتير الخلافة فى مصر ، وجسديته ، وخففت الأصوات التى علت بمصر لعدة سنوات منادية بأحياء هذا المنصب فى مصر بواسطة الملك فؤاد ... وحتى عندما راودت هذه الفكرة أحلام الملك فاروقيا بعده ، فلما لم تعد حدود النزوة ، ولم تصل أبدا الى بعض ما كتبت عليه فى السنوات التى سبقت أو صاحبت صدور هذا الكتاب . ومن هنا نستطيع أن نقول أن هذا الكتاب ، فيما يتعلق بهذه القضية السياسية ، قد كان شحيد الفعالية ، كما كان صاحبه حاد البصيرة فى رؤية حركة التاريخ ، تلك الحركة التى جاءت مسددا لما أراد ، رغم ما وجه اليه ووجه به من اتهامات وعقبات ..

٣ — أن الذين وقفوا الى جانب القصر ضد هذا الكتاب ، قد جعلتهم حركة التاريخ هذه يسلكون أحد موقفين : أبا الاعتصام بالمسبت

[٤٤] . حوليات مصر السياسية سنة ١٩٢٥ م .

[٤٥] لنا على الفكر الذى تضمنه كتاب [الإسلام واصلو الحكم] عدة النقابات تتطلى بها فى بعض أكلهه من لافاض ، وبما كان نظرة مؤلفه المحافظة فيها يعطيه لدارس الفكر الإسلامى أثر جله لا يرى سوى الجروائب السلبية من هذا الفكر وتاريخه المصمانيه بعض الأحيان .. الخ ... وكلنا م نورد هذه الأمثلة هنا لأن مؤلفنا هذه أنها هى عن الحركة الفكرية والسياسية التى انارها الكتاب أكثر مماهى دراسة من مادة هذا الكتاب .

✱ زار بلاد شمالى أفريقيا ، وكتب فى وصفها
عدة مقالات فى مجلة [السياسة] ..

✱ تولى وزارة الأوقاف مرتين ، الأولى فى
وزارة القراشى ، ثم عقب اغتياله ، فى وزارة
ابراهيم عبد الهادى سنة ١٩٢٧ .

✱ القى على طلبة كلية الحقوق بجامعة
القاهرة عدة محاضرات جمعت فى كتاب عنوانه
[الإجماع فى الشريعة الإسلامية] ، حاول فيها
أن يفصل الفكرة التى تناولها فى [الإسلام
وأصول الحكم] التى تبع فيها بعض الآراء المعتزلة
الذين ينكرون وجود الإجماع .. وهى فكرة هامة
جدا فى تأكيد شرعية الاختلاف فى الرأى ، وإيجاد
أسس للفكر الليبرالى فى الحرية عند مفكرى
المسلمين وفى مجتمعاتهم .. كما القى على طلبة
كلية الآداب بجامعة القاهرة عدة محاضرات فى
« علم البيان وتاريخه » جمعت فى كتاب عنوانه
[إلمالى على عبد الرزاق] ... والثى كذلك عدة
محاضرات على طلبة المعهد العالى للدراسات
العربية عن الشيخ محمد عبده ، تحدث فيها عن
الصلات الفكرية بين كتابه [الإسلام وأصول
الحكم] وبين فكر الاستاذ الامام فى هذا الموضوع ..

✱ جمع بعضا من آثار أخيه الشيخ مصطفى
عبد الرزاق ، ونشرها بعنوان [من آثار الشيخ
مصطفى عبد الرزاق] بتقديم الدكتور طه حسين ..

✱ توفى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٦٦ ..

على عبد الرزاق وكتابه هذا ، قد حرم الحركة
الفكرية المصرية والعربية من امكانية كبيرة وغنية،
كان من الممكن أن تقدم لفكرنا وثقافتنا المعديجين
الاعمال الهامة لو لم يسبها بالانتكاس ويدفع بها
الى زاوية اليلس والفتنوط ذلك الازهاب وتلك
المحاريبات (٤٥) .

حياته فى سطور

✱ ولد الشيخ على عبد الرزاق فى قرية
« أبو جرج » ، احدى قرى محافظة الجيا فى
سنة ١٨٨٨ .

✱ أتم تعليمه بالآزهر ، وبعد حصوله على
المعالية سافر الى لندن سنة ١٩١٢ . ومكث بها
حتى ١٩١٥ .

✱ عمل بالقضاء الشرعى بعد عودته من لندن
سنة ١٩١٥ وظل فيه حتى فصل منه بسبب
كتابه (الإسلام وأصول الحكم) فى أغسطس
سنة ١٩٢٥ م . وكان يؤخذ قضيا بمحكمة المتصورة
الشرعية الابتدائية .

✱ بعد فصله من القضاء ، سافر الى الخارج ،
وفى لندن درس الاقتصاد فى جامعة أكسفورد .

جون برنار
فيلسوف العلم والسلام



• جمهورية مصر العربية •

خطوات مشتركة
لإزالة العدوان الاسرائيلي

• صوفيا •

٧٠ منظمة عابلية
تدين اسرائيل

• موسكو •

التحرك السوفيتي الخارجي
على مستوى القيادة الثلاثية

• سنغافو •

الضربة الاخيرة
للاحكارات الامريكية



تقارير
الشهر

جون برنال فيلسوف العلم والسلام

تقرير خاص

كيمبريدج بمنحة دراسية نظرا لتقوئه . وفي الجامعة أذهل الحقل الاكاديمي كله باتساع مجالات المعرفة التي كان يحرص على القراءة والدرس فيها ، فكان واسع المعرفة الى حد التخصص في مجالات مثل التاريخ والفنون الشرقية القديمة والآثار الى جانب نبوغه في العلوم الطبيعية . ولد تخصص برنال في حيساته الاكاديمية في فرع من أدق فروع العلم الطبيعي هو علم « التكوين البلوري » . ومن خلاله أسهم بدور كبير في وضع «أسس علم « بيولوجيا الجزئيات » وتركيب جسيمات المادة والمركبات الكهربائية والبيولوجية . وبرز من برنال كان رائدا في هذه المجالات العديدة من فروع العلم الطبيعي الا أنه يعد من اعظم مؤرخي العلم في العصر الحديث . وقد مكّنه الملمه بالمنهج المادى الجلى وسيطرته القديرة عليه من أن يقدم افضل الدراسات العرولة في العالم الغربي على الاطلاق لصلة العلم بالمتجمع . وقد كرس برنال جانبا كبيرا من اهتماماته لهذا الموضوع الحيوى في وقت كانت تسيطر فيه في العالم الرأسمالى نزعة تفصل كلية بين العلم واهدافه الاجتماعية ، وتكر ثائر العلم بالانجاعات والصراعات الاجتماعية .

وكان قد ظهر منذ اوائل الثلاثينات اتجاهه الواضح لتبنى الفلسفة الماركسية اماما عقائديا لفكره وابحاثه العلمية والاجتماعية ، وتبنى المنهج الديالكتيكى سلاحا لتحقيق التقدم العلمى والمنهج المادى التاريخى سلاحا للنضال السياسى . ومما يدل على مكانة برنال العلمية العالمية أنه شغل أعلى المناصب العلمية في وطنه بريطانيا رغم ماركسوسته التي كانت كقيلة بأن تجر عليه عدا معظم الاوساط العلمية ورؤساء النفوذ فيها . فرفض أنه قد عرف بأنه « شيوعى صلب » منذ ذلك الوقت الا أن نضاله ضد النازية منذ الثلاثينات قد هيا له أن يشغل - مع بداية الحرب العالمية الثانية منصب المستشار العلمى لرئاسة اركان حرب العمليات الحربية المشتركة - ووقتها اسكن وزير داخلية بريطانيا (سير جون أندرسون) ردا على بتقديى تعيين العالم الماركسى في هذا المنصب أن برنال

وخل من هذا العالم في ١٥ سبتمبر الماضى واحد من أبرز علماء العصر وأصلب المناضلين من أجل الاشتراكية والسلام والتقدم الانسانى ، وهو عالم الطبيعة البريطانى جون هيزموند برنال ، الذى يمكن أن نصله بأنه اعظم العلماء الماركسيين قاطبة خارج العالم الاشتراكي . وهو في الوقت نفسه واحد من اعظم من أسهموا بلا كلل زهاء نصف قرن في حركة السلام المالية .

واذا كان اسم جون برنال يبدو - رغم هذا كله - غريبا على أسماع جماهيرنا المصرية والمصرية عامة - حتى أن صحيفة واحدة من صحفنا لم تمن بشر نيا وفاته - فان اسم جون برنال سيظل في التاريخ علما من اعلام النضال الفكرى والسياسى والاجتماعى معروفا في اوساط العلماء الانسانيين وفي اوساط المناضلين من أجل السلام . ولهذا فان موته يمثل خسارة جسيمة حقيقية لكل القوى التقدمية في العالم بقدر ما هي خسارة للعلم والتقدم العلمى .

لقد كان برنال نموذجا للفيلسوف العالم الانسانى الذى لا ينفصل عنده العلم والفلسفة عن النضال السياسى والاجتماعى . فلم يكل لحظة عن مواصلة مشقة البحث العلمى الى جانب مشاق وتضحيات العمل السياسى والنضال ضد كل أشكال القهر والاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى . ولعل افضل ما يوصف به برنال أنه كرس حياته لتحقيق المهوم الماركسى للفلسفة وهو أن تكون مهمتها تغيير العالم وليس مجرد دراسة . ومن أجل تحقيق ذلك الهدف العظيم كانت حياة برنال كلها

ولعل افضل ما يمكن أن نقدمه في لذكرى هذا المناضل العظيم هو محاولة تعريف جماهيرنا بنضاله العلمى والسياسى من أجل تطوير العلوم في عديد من مجالاتها الطبيعية والانسانية من ناحية ، ومن أجل القضاء على الحروب ومناصرة نضال التحرر الوطنى في العالم وضد أشكال الاستعمار والامبريالية والاستغلال الطبقي ، من ناحية اخرى .

ولد جون برنال في ١٠ مايو عام ١٩٠١ لأسرة من المزارعين في أيرلندا ، وتلقى علومه في جامعة

معيين « حتى وإن كان أحمر في لون ثيران الجحيم » !

ولم يرنال دورا مرموقا في الإعداد لخطه انزال الحلفاء في نورماندي عام ١٩٤٤ حيث أهد بنفسفرانسطة الهبوط على الشاطئ الفرنسي وقدم نصائح فيما يتعلق بتوقيت انزال قوات الحلفاء بدونها كان مقدرا للمعالية أن تفشل .

ورغم اعتراضات المسادين للماركسية في بريطانيا - مرة أخرى - انتخب زميلا في الجبهة العلمية الملكية وهو في السادسة والثلاثين وكان ذلك في سن لا يحلم فيه أحد بهذه الزمالة اطلالا وقد دخل برنال الحياة السياسية من ابواب الفضل الواسعة منذ صعود هتلر الى السلطة وإمضى آلاف الساعات في خدمة اللجان المناهضة للنازية الى حد أنه كان يجمع بين عضوية حوالي ٤٠ لجنة منها . والغريب في طاقه هذا الرجل على العمل أن هذا الفضل السياسي الضووب لم يؤثر اطلاقا على نشاطه العلمي وإبحاثه التي واصل فيها اكتشافاته التي تراوحت بين فروع جزيئات الخلايا والتكوين النوى حتى النظام الشمسي وأصل الحياة . وظل برنال يرأس نشاطه بكل حيوية كاستاذ جامعي في كلية بيربيك بلندن من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٦٨ . وفي تلك الأثناء حصل على عضوية معظم أكاديميات العلوم في الدول الاشتراكية . وحصل على عضوية أكاديمية العلوم السوفيتية عام ١٩٥٨ . لقد زار الاتحاد السوفيتي مرات عديدة وكان قد حصل على جائزة لينين للسلام عام ١٩٥٣ .

ومرغافقري - ورغم اعتراضات اعداء الماركسية الجنونية ضده - منح الومام الملكي للجمعية العلمية الملكية ، وانتخب رئيسا لاتحاد المشتغلين بالعلوم في بريطانيا . وفي عام ١٩٦٨ تقاعد من وظيفته كاستاذ للعلمية في كلية بيربيك وبعد عام واحد أصيب بسلالة متتالية من الأزمات الصحية كان آخرها شلل في المخ حرمه في النهاية من الكلام والحركة حتى وفاته .

وليرنال مجموعة هامة من المؤلفات - فضلا عن أبحاثه العلمية الرائدة - نذكر لكثرتها أهمية :

- رسالة العلم الاجتماعية (١٩٢٩) ، وقد ترجم هذا الكتاب الهام الى العربية عام ١٩٤٩ (ترجمه الدكتور إبراهيم حلمي عبد الرحمن) .
- حرية الضرورة (١٩٤٩) .
- الأساس الفيزيقي للحياة (١٩٥١) .
- ماركس والعلوم (١٩٥٢) .
- العلم والصناعة في القرن التاسع عشر (١٩٥٣) .

- العلم في التاريخ (في ٤ مجلدات ١٩٥٤) .
- عالم بلا حروب (١٩٥٨) .
- أصل الحياة (١٩٦٧) .

وقد يئلا برنال جهدا هائلا في هذه الكتب لتأكيد الطبيعة الاجتماعية للعلم ، وكشف تعويق النظام الرأسمالي للتقدم العلمي ، وفضح الطبيعة العنوانية للعلم الذي يخلق المجتمع الرأسمالي . وفي ذلك قال « إن توجيه العلم في البلاد الرأسمالية في أيدي أولئك الذين يكرهون السلام ، أولئك الذين يحرصون هيفهم في نهب الشعب وتعذيبه حتى يؤمنوا لأنفسهم أنهم لسنوات أخرى » .

ولقد كانت مثل هذه العبارات تثير غضب زملائه في الاوساط الجامعية ممن وضعوا أنفسهم في خدمة النظام الرأسمالي وفي خدمة سياسة الحرب ، ولكن مكانة برنال العلمية وتفوقه الفكري كان كفيلا بإحباط كل انتقاداتهم ضده .

ويعد كتابه « العلم في التاريخ » - وهو عمل موسوعي ضخم - من أهم أعماله الفكرية حيث يعرض فيه للعلاقة بين العلم والمجتمع خلال حركة التاريخ ابتداء من أخفراع الإنسان للغاس حتى انتاجه للقفلة الهيدروجينية . وهو يعد أول مؤلف تاريخي شامل في تحليل العلاقة المتبادلة بين العلم والمجتمع . ويكتشف برنال فيه كيفية تأثير العلم بالأنظمة الاجتماعية المختلفة من المجتمع الصناعي الحديث والمجتمع الإقطاعي ثم المجتمع الرأسمالي حتى المجتمع الاشتراكي ، وتأثير العلم بدوره في المعتقدات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وقد كرس برنال المجلد الأخير من هذا الكتاب الهام لمشكلة العلوم الاجتماعية ويقدم فيه تفسيراً ماركسيا واضحا لتاريخ هذه العلوم وللتأثيرات السياسية والاجتماعية في الأئمة الحديثة ، ويبني في النهاية نظرة عالم ديالكتيكي الى مستقبل العلم ودوره في التاريخ . ويقول « أن هناك الكثير ما لا يزال يحتاج الى تنفيذ » . وأول وأشق خطورة أن نستخد معرفتنا الراهنة لازالة كل الشرور المعروفة لنا . والخطورة الثانية أن نستخد البحث لايجاد وسائل جديدة لازالة الشرور التي لا نستطيع الآن أن نتماشها ، ولتعالج الأمراض ولنحافظ على الحياة والسعادة للجميع . ولكن وراء هذا تكمن مهام أخرى أيضا ، مهام مواصلة البحث وتوسيع نطاقه لاكتشاف الشرور التي ينبغي أن نحاربها ونسمرها . وبعبارة أكثر إيجابية أننا بحاجة لأن نكتشف أشياء علمية جديدة ومواد جديدة وعمليات جديدة ، وأن نكتشف فوق كل شيء أسسا جديدة وفعالة لتنظيم العمل الاجتماعي . والذي ينيه هذا في الحقيقة أن مهمة الفكر الانساني لا تبدأ الا في المعرفة . والمعرفة ينبغي أن تسفر عن تغيير بناء هيل أن تستطيع تجديد نفسها » .

ويؤكد برنال أنه « بالعلم - وبالعلم وحده - يمكن أن يتحقق تحويل المجتمع الى مجتمع متحرر من الاستغلال » . ولقد كتب برنال - في مقدمة خاصة المترجمة

العلم لا يمكن تصديره : بل يجب ان ينمو نموًا طبيعيًا في التربة التي سينبت فيها . . . فقامل ان ان الامة العربية عندما نغوم مره اخرى ياداء نصيبها كاملا في التقدم العلمي . ان يكون ذلك بمس الروح التي كانت تميز العلم العربي ايان ازدهاره . (برنال : ٢ مارس ١٩٤٨) .

لقد كان جون برنال حقا نموّجا عظيمًا للتضال الانساني من أجل التقدم والسلام ، أعلى كل طاقاته للعمل من أجل ان يكون العلم في خدمة الانسانية وفي خدمة السلام ومن أجل خلق « عالم بلا حرب » .

سمير كرم

العربية لكتابه الهام الاخر « رسالة العلم الاجتماعية » - « ان علاقات العلم بالمجتمع قد اجتازت مرحلة حرجية ، واصبح الحكم على حالة أي جزء من العالم وعلى درجة تقدمه رهن بمبلغ استعانت بالعلم . . . وبذلك أصبح نشر المعرفة العلمية الفعالة وامتدادها الى المناطق التي كانت تفتقر اليها واجبا عاجلا بالغ الاهمية والخطر ، ولهذا السبب خاصة ارحب بترجمة كتابي الى اللغة العربية . . . ويلزم حتما ان يتم ادخال العلم بواسطة سكان البلاد انفسهم . كما يلزم حتما ان يكون نمو العلم وتقدمه في كل دولة مرتبطا ارتباطا وثيقا بواجباتها الاجتماعية والاقتصادية ، أي ان

● جمهورية مصر العربية ●

خطوات مشتركة لازالة السدون الاسرائيلي

في الشهور الاخيرة ومع اعلان القيادة المصرية العربية ان عام ١٩٧١ هو العام الحاسم ان سلمنا او حربا لانهاء الوضع الخطر في الشرق الاوسط، هبت رياح غربية وخيفية من قبل الدوائر الابريالية والصهيونية والرجعية المستهدفة أحداث انقسام في الجبهة المعادية للابريالية والرجعية . حيث اثارَت هذه الدوائر حسنة للتشكيك في العلاقات السوفيتية العربية ، وحيث نظمت وشجعت هجوما على الشيوعية والاتحاد السوفيتي . كما روجت هذه الدوائر لوجود ما يسمى بالحل المصري - الأمريكي وان هناك اتفاقا مبدئيا للتوقيع ، وان الثورة العربية بمقد عبد الناصر قد غيرت من مسارها . واصطنع الانق « بحلبة سيف » محلة بتيارات تسمى الى العلاقات التي توطدت خلال الكفاح المشترك ضد الابريالية والصهيونية بين الثورة العربية وبين المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي .

ووسط هذا الجو الملبد تترت القليتان المصرية والسوفيتية ضرورة اللقاملواجهة الوضع الخطير في الشرق الاوسط .

وتم اللقاء في موسكو ، وعلى مقدمة الفداء التي اقامها القسادة السوفيت قسأل الرئيس السادات : « ان طريق الابداء التي جميعنا معا والتي نعمل من اجلها معا طريق شاق وطويل ، تصف به المصاعب والعقبات ، ولكننا نؤمن بمسا ان الابل الكبيرة لا تتحقق الا بانفضحيات الكبيرة .

وقد اعطت شعوبكم العظيمة المثل مندا قدمت الملايين من ابناءها عطاء للمبادئ ، واعطيتكم بفكر قيد او شرط لتليكم الكليل ومستندكم الكليمة لحرركات التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي في العالم كله . . . ولكد الرئيس السادات في كلمته ان الشعب المصري ، « سيظل يذكّر بالفداء والتقدير الدور الكبير للاتحاد السوفيتي في مساعدة حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي على ارض مصر ، القاعدة والمنطلق لحركة الثورة العربية للتحررية كلها . . . وان شعبنا الذي قطع الطريق شاقا وطويلا مبسم على ان يكلمبسميرته وان يتحمل تضحيات الطريق ومسؤولياته » . . . واكد الرئيس السادات ان العدو الصهيوني لازال في اصراره على احتلال الارض منذ اربع سنوات ، وان الولايات المتحدة الامريكية تساندهذا العدوان وتؤيده بكل الوسائل .

واكد بوجوروني : « انه مدام العدوان الاسرائيلي ضد الدول العربية مستمرا ، ومباديات آثاره لم يتم تصفيها بعد فلننا سنمشد - كما نعلمنا من قبل - جهودا كبيرة في اتجاه تحقيق تسوية سيلية للصراع ، مع اتخاذ اجراءات فعالة لمساعدة مصر والدول العربية الصديقة الاخرى في زيادة دمقهاها » . وقال ان زيارة الرئيس السادات : « خطوة هامة جديدة لزيادة دمق العلاقات بين بلاننا ، وان العلاقات تزداد عمقا وفرا في محتواها والدليل القاطع على ذلك هو معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين » .

وكان قد سبق الرئيس اتور السادات وفدان% احدها عسكري برئاسة الفريق محمد احمد صادق والاخر يمثل اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي . وقد قام الوفدان بمحادثات تهييدية كانت على جانب كبير من الاهمية . وقد اجتمع وفد الاتحاد الاشتراكي مع الطلبة المصريين حيث

لاستمرار خطورته هو سياسة اسرائيل المتوسعة
والتي تدعمها الولايات المتحدة الامريكية بتقديم
جميع انواع المساعدات اليها » .

واكد البيان المشترك ان « الاتحاد السوفيتى
سيستمر فى تقديم كل المساعدات والتأييد لمر
والدول العربية الأخرى فى نضالها العادل ضد
العدوان الاسرائيلى الاستعماري . وتبادل الجانبان
الآراء حول اتخاذ خطوات مشتركة فى المستقبل
من أجل ازالة العدوان الاسرائيلى وتأمين السلام
العالمى وتحقيق الأمن فى الشرق الأوسط
تم الاتفاق بصفة خاصة على الإجراءات الرامية
الى استمرار تدعيم قدرة مصر العسكرية » .

وانتهت المحادثات الى تأكيد ان مصر بقيادة
السادات مستمرة فى مسيرتها الثورية بكل
اتفاقيها التقدمية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا .
وتحدث فى البيان المشترك بتقدير : « عن جهود
شعب مصر وحكومتها الرامية الى بناء حياة
جديدة على الأسس الاشتراكية فى المجتمع ،
والى أن مصر تسعى فى تحقيق هذا الهدف
والاستفادة من التجارب الفنية التى مر بها الاتحاد
السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى
من أجل ذلك ستعتمد على مساعدتها وتأييدها » .
ومن ناحية أخرى عبر الجانب السوفيتى عن «
تقديره الكبير لتصميم قادة وشعب مصر على
مواصلة النضال المصداق للديمقراطية وتقدم
الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى الذى اختاره
الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والذي يريته
برنامج العمل الوطنى الذى اقراه المؤتمر القومى
العلم للتخاد الاشتراكى العربى حول المهام
الاساسية التى تواجهها مصر حكومة وشعبا فى
هذه المرحلة من مراحل الثورة الوطنية
الديمقراطية » .

وفى هذا اللقاء أكد الجانبان ان توحيد جهود
الدول العربية وشعوبها وتمتعة امكانياتها ضد
القوى العدوانية الامبريالية وعملاتها بالغ الأهمية
فى الوقت الحاضر من أجل تقوية نضالها المشترك
ضد الامبريالية والصهيونية ومن أجل التحرر
الوطنى والاجتماعى . وكذا على أهمية موقف
اتحاد الجمهوريات العربية من حركة التحرير
الوطنى العربية باقفاها التقدمية اجتماعيا
وسياسيا وبقتد الوحدة العربية
الرئيس السادات بالمساعدات القيمة التى يقدمها
الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى
لشعوب العربية .

وادان الجانبان المحلات المسعورة المعادية

لدار معهم حوارا مفتوحا صريحا حول العديد من
القضايا .

وحول ملأة المباحثات السوفيتية - المصرية
كان الجو ملهما بالصراحة الشبلة
كل طرف من واقع مسئولية ازاء شعبه وازاء
العلاقات بين الشعبين ومن أرضية التحالفاتين
بين القوى الاشتراكية برعلة الاتحاد السوفيتى
وحركة التحرر الوطنى . وفى بداية المحادثات
قال الرئيس السادات : « ان العلاقة بين البلدين
ليست مرحلية وليست موهنة بظسرف طارىء
وهى مواجهة عنوان اسرائيلى قسندة الولايات
المتحدة الأمريكية » . وجاء البيان المشترك الذى
صدر عن المحادثات « ليؤكد الجانبان ان المباحثات
التي تمت فى موسكو خلال زيارة الرئيس اتور
السادات اتما هى مرحلة جديدة وهامة من أجل
توسيع وتعميق علاقات الصداقة بين الاتحاد
السوفيتى وجمهورية مصر العربية ، وبين الحزب
الشيعوى السوفيتى والاتحاد الاشتراكى العربى .
وهى تلك العلاقات التي تتفق والمصالح الاساسية
لشعبي البلدين والتي تطلق من وحدة الهدف فى
النضال ضد الامبريالية من أجل السلام والتقدم
الاجتماعى والتي تعتمد على الأسس المتفق عليها
والقوية والتي تقسم بالثقة والاحترام » .

وناقش الجانبان بصراحة ، موقع ووزن قضية
الشرق الأوسط فيها يتعلق بجلاء المحتلين
الاسرائيليين وضمان حقوق شعب فلسطين .
والعلاقة بين الاستراتيجية السوفيتية تجاه
مشاكل العالم والاستراتيجية المصرية لتحرير
الأرض ، ومدى الدعم السيفى والمسكرى
السوفيتى لحركة التحرير المصرية الوطنية فى
مواجهة الدم الامريكى لاسرائيل والصهيونية ،
والالتقاء بين التزامات الاتحاد السوفيتى ومصر
نحو السلام العالمى ، وبين الإرادة المشروعة
لشعب المصرى والشعوب العربية فى تحرير
أراضيها المحتلة ، والاساليب الملمبة لتنفيذ
معاهدة الصداقة والتعاون بحيث تؤدى ثمارها
على اكمل وجه فى جميع المجالات . وانتهت
المحادثات الى التسيق الكامل بين الاستراتيجية
السوفيتية والاستراتيجية المصرية
السادات فى البيان المشترك على الصداقة
السوفيتية المصرية باعتبارها « من أهم العوامل
لتعزيز موقف جمهورية مصر العربية فى نضالها
ضد الاستعمار والصهيونية من أجل استمرار
مصر فى طريقها نحو التقدم الاجتماعى »
أكد الجانبان اتفاهما على تقديم الوضع المتوتر
فى الشرق الأوسط واعتبرا ان « السبب الرئيسى

— تقارير الشهر —

العلم بأن هناك تفافلا ، أو أن هناك اتفاقا حول قناة السويس ، وقال أن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل يحاولان صرف العالم عن قضية العدوان والاحتلال إلى قضية فتح قناة السويس ، وأكد أن موقف مصر ثابت ، وأن أي خطوة مرحلية يجب أن ترتبط بالحل الشامل ، ويجب أن تعبر توافقا الضفة الشرقية للقناة تؤدي واجيبها الوطني في تحرير الأرض إذا لم يتم الوصول إلى الحل الشامل » .

وقد اتخذت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي قرارا حول زيارة الرئيس السادات للاتحاد السوفيتي أعلنت فيه : أولا : تعين اللجنة المركزية عن تقديرها للدور الكبير الذي قام به الرئيس في دعم وثيقة الصداقة والتعاون والتفاهم المشترك بين جمهورية مصر العربية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، وتعتبر في الوقت ذاته من تقديرها العميق للقادة السوفيت على انهم الكليل لحقيقة الوضع في المنطقة ولطبيعة التحديت التي يواجهها الشعب العربي وأبعاد هذه التحديت واحتياجات ومقتضيات مواجهتها في الحاضر والمستقبل ، ثانيا : تعبر اللجنة المركزية عن ترحيبها وتقديرها للنتائج الهامة التي تم التوصل إليها والتي تبث إضافة جديدة إلى المواقف البدئية الشريفة التي يفتها الاتحاد السوفيتي من قضايا التحرر الوطني والتحول الاجتماعي ومن أجل السلام القائم على العدل ، ثلثا : تؤكد اللجنة المركزية من جديد أن الصداقة التي تربط شعب جمهورية مصر العربية وشعوب الاتحاد السوفيتي ليست صداقة مرحلية ولكنها صداقة ثابتة دائمة يقويها ويدعمها الصان بالاهداف النبيلة المشتركة والعمل المشترك من أجلها .

رابعا : تعبر اللجنة المركزية من تقديرها الأقوى وشكرها العميق للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وللقيادة السوفيتية وللجنة رئاسة مجلس السوفيت الاعلى وللحكومة السوفيتية ولشعوب الاتحاد السوفيتي العظيم على التأييد والمساعدة الكبرى المقعدة الجوانب التي يلقاها نضال الشعب المصري والشعوب العربية من أجل تحرير الأرض العربية من العدوان ومن أجل بناء المجتمع العربي القوي القادر على مواجهة تحديات العصر .

الشيوعية وللأتحاد السوفيتي بأعقاب ٣ - أن هذه الحملات لا تستهدف سوى بث الشقاق في صفوف المناضلين العرب الثوريين - ٢ - لأنها ترى إلى نفس الصلح والتعاون بين الشعوب العربية والدول الاشتراكية ، أصغافها الحقيقيون - ٣ - لأن هذه الصلحات تضر بأهل الشعوب التحررية ومصالحها الوطنية ولا تخدم سوى مصالح القوى الامبريالية الدولية .

وانتقدت وجهة نظر الجانبين على أهم القضايا الدولية وفي مقدمتها أهمية نضال القوى الحية السلام من أجل تمييز الأمن الدولي ونزع السلاح وكذلك من أهمية عقد المؤتمر الأوروبي المعلم حول مشاكل الأمن والتعاون الأوروبي وتقديم دور الأمم المتحدة كأداة لتحقيق السلام العالي . وأعتبر الجانبان أن الإسراع بالتصديق على المعاهدات المفقودة بين الاتحاد السوفيتي وجمهورية ألمانيا الاتحادية وبين جمهورية بولندا الشعبية وجمهورية ألمانيا الاتحادية يدعم الأوضاع الأوروبية بما يحقق مصالح السلام في العالم . وطلب الجانبان بالانسحاب السوري وغير الشروط لقوات الولايات المتحدة المسلحة وحلفائها من الهند الصينية ، وكما يبد ليديا شيلا الاقتراحات المقدمة من حكومة فينام الثورية المؤقتة ، واستنكر الجانبان كذلك استنزافات الامبرياليين المستمرة ضد جمهورية كوريا الشعبية وكما اتفق قادة جمهورية مصر العربية وقادة الاتحاد السوفيتي للعمل من أجل تصفية الاستعمار القديم والحديث تصفية تامة ونهائية ، واستنكروا بشدة سياسة التمييز العنصري التي ينتهجها دعاة التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا وروديسيا .

وعندما عاد الرئيس السادات من موسكو أعلن أمام اللجنة المركزية ، أنه يعود من رحلته وهو مطمئن على أن ملاقاتنا الآن مع الاتحاد السوفيتي أقوى ما تكون ، وأن الاتحاد السوفيتي على فهم كامل بحقيقة الوضع الحالي ومقتضياته وعلى تقدير كليل لكلنا في المرحلة الحالية والمقبل وعلى فهم واضح وسلم لمركتنا . وأكد الرئيس أن صداقتنا مع الاتحاد السوفيتي ليست صداقة مرحلية ، ولكنها صداقة دائمة وثابتة ، وأن هذه الصداقة تبث عاملا حاسما في المعركة وفي عملية بناء المجتمع الجديد .

وأمام اللجنة المركزية كشف الرئيس حقيقة موقف الولايات المتحدة الأمريكية ومحاولاتها إيهام

■ جمهورية مصر العربية

٢٥ بحثاً حول دور عبد الناصر

عقدت في القاهرة في ٢٩ - ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧١ ندوة مالية لأحياء ذكرى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

وقد حضر الندوة ما يزيد على الخمسين وفداً من مجلتي المنظمات الدولية والائتمانية والعربية المناهضة للإمبريالية ومجلتي حركات السلام ، ولجان التضامن الآسيوي الأفريقي والشخصيات السياسية والاقتصادية البارزة في صعيد من البلدان .

وقد وجه الرئيس تور السادات رسالة إلى الندوة جاء فيها « وما من شك في أن جمال عبد الناصر قد أسهم أكبر أسهام في تغيير وجه التاريخ وتحويل مسيرته لصالح شعبه ، شعبه في مصر ولصالح شعوب القارتين الأفريقية والآسيوية وشعوب العالم أجمع . وهو عندما رحل عنا في مثل هذه الأيام من العام الماضي ، كان قد أخذ لنا الطريق الذي علينا أن نسير فيه وأضاء لنا مسلكه » ووضح لنا نبراس من مبادئه وأبعاده ومساهماته في الدفاع عن الحرية والاستمساك بالحق وإعلاء راية العدالة .

وقال الرئيس السادات في رسالته أيضاً « لقد كانت حياة عبد الناصر كلها معركة طويلة مشحونة الحقائق قاتل فيها ببسالة وفي كل لحظة قتلاً صلياً في سبيل المبادئ النبيلة التي آمن بها وأرسل . فمنها ما أصبحت اليوم تراثاً ، ومنها ما جعلنا طريقاً نسير فيه ، لشعبنا ولشعوب المنطقة في سبيل حقوقها . »

كما وجه نيقولا يوجورني رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفيتي رسالة إلى الندوة جاء فيها « أن اهتمامكم الذي تتركه رغبة نبيلة في تكريم ذكرى جمال عبد الناصر الابن العظيم للشعب المصري ، والزعيم البارز لحركة التحرير الوطني . خير ارتباطنا المخلص ، لأن حياة وأعمال هذا الإنسان قد تركت انطباعاً عميقاً في قلوب كل أولئك الذين يمتزقون بقضية السلام والتقدم ، فعملية ما يقرب من عقدين قاد الرئيس عبد الناصر نضالاً الشعب العامل في مصر ضد الإمبريالية والزعمية ومن أجل الاستقلال الوطني وإجراء الإصلاحات التقدمية الاجتماعية والاقتصادية . »

وقد تطورت مصر من بلد متخلف تابع إلى دولة زراعية وصناعية مستقلة تسيطر في طريق التقدم . . أن أعمال عبد الناصر كانت تنقسم بالغة في الروابط بين كفاح التحرير الوطني والنضال من أجل بناء مجتمع خال من استغلال الإنسان للإنسان .

أما اتديراً غاندي فقد قالت في رسالتها « سينجل التاريخ للرئيس جمال عبد الناصر مدى الجهود الغدة التي قدمها شعباً وكفاحاً من أجل تحرير العالم العربي وكل الأمم الناشئة . . وحينها يكافح شعب من أجل الحرية فإنه يذكر جمال عبد الناصر كقائد بطل عرف بالشجاعة النادرة والحكمة الراجحة . »

ولقد احتل خارج مصر مكاناً مرموقاً كسياسي عمل من أجل الصداقة والسلام في العالم . وكان مخطئاً لا يباري لعدم الاتيثر وصديقا عظيماً للهند .

وقالت السيدة باندراتكة رئيسة وزراء سيلان « لقد كان ناصر قفداً وبطلاً لا يلى من أبطال عسك الاتيثر وكفاح الشعوب الفتية ضد الاستعمار والعنصرية والبيكال الانطداد الأخرى . . لقد كان أحد أبطال التاريخ . أن اسمه رمزاً لرغبة الإنسان المعلمة في كل الأوقات وفي جميع المواقف تطلعا إلى الحرية والمساواة والعدل . . وقد لعب الرئيس الراحل دوراً عظيماً في جميع شمل وحدة الشعوب الآسيوية والأفريقية والعربية وسنظل نذكره ما تعاقبت الأجيال »

كذلك طلقت الندوة سيلاً من الرسائل من العديد من رؤساء الدول والحكومات والشخصيات البارزة في العلم من بينها الأسقف مكاريوس و كينيث كاوند و نورودم سيهانوك ... الخ

وقد استنعت الندوة إلى ٢٥ بحثاً ودراسة تركزت حول موضوعات أساسية ثلاث هي « عبد الناصر والنضال ضد الإمبريالية » و « عبد الناصر والتعاون الاقتصادي والسلام » و « عبد الناصر والتجولات التقدمية في مصر وفي العالم العربي » .

من بينها تقرير « عبد الناصر ونضاله ضد الاستعمار للدكتور أحمد سويلم المصري » « بعض الملاحظات من ناصر وعدم الاتيثر » للدكتور فاسوس ليساريفس (قبرصي) « عبد الناصر وطريق التطور غير الرأسمالي ! لخصين فهمي » دور عبد الناصر القومي ونضاله

الجواهرى فى القاهرة

بالرغم من الايام العشر التى لم تذا فيها تكلم الجواهرى
— أكبر الشعراء العرب المعاصرين — اربى مصر ، الا ان
سوته الجليل ، الهافت ايدا للثورة ، لم يغيب قط عن مخيلة
واسماع المثاليين فى بلادنا ، وانما ظل دائما سلاما فى
ابصارهم وعيونهم ووجدانهم بنفوسهم فى خاتمة الياس وبغيتهم
به وحشة الطريق .

وبعيد هوى الجواهرى الذى بدأ حياته الباهرة فى بلاد
فصيل الاول ملك العراق ، لم يلبث ان تطور تطوراً خطيراً
قلب حياته واساساً على عقب منذ اواخر العشرينات من هذا
القرن . . . فاستقل بن عيله بالقرينات الملكية وعبر العمل
بالتدريس بعد شهور قليلة ورفض « المهمة » التى اقترحتها
المرش ليرك العراق الى فرنسا ، واثر العمل بالصحافة
والسياسة ، واتهم نهائياً الى صفوف المعارضة الوطنية
الديمقراطية . وكانت جريته « السراى العام » طيلة
السنوات العشر المنقطعة اثنى عاشتها فى ظل الاهواب
والضامرة والديون خبراً حراً للفتك القوي بكل اتجاهاته
الوطنية والاجتماعية .

واصبح الجواهرى ، داخل العراق وخارجه ، بين حشود
الجماعير ودخل السجون ، على صفحته الجواز وفى القنى
المعمية منفصلاً وقتياً وتقسيمياً بارزاً ، جنباً الى جنب مع
صمود نهجه القنى الى سماء الشعر العربى حتى اضى
واحد من اعمدة هذا التراث العظيم على مر التاريخ .
ومنذ ثورة ٢٤ ذور المجيدة فى العراق ، وقف الجواهرى
بصانعة القوا الى جنب الشعب ، حتى اذا بدت موازين
السلطة تميل هذه الناحية او تلك لم يغير الشاعر والمفكر
الكبير موقفه من قضايا الحرية والاشتراكية . ولكن سير
الحوادث اضطره فى نهاية الامر الى الرحيل عن « بغداد »
واتخاذ « يراج » مسقراً دائماً له . على ان وجوده فى
تشيكوسلوفاكيا لم ينف حضوره فى كل ارجاء الوطن العربى ،
اذ كانت قصائده الوبية للوطن والشعب والمجاعة لكل صون
الظنين تلهب حماس القوا من الطليح الى المحيط .

وليس من شك فى ان الجواهرى مير حياته المصنفة
هذه قد اتخذ من الموقف ما قد لا يتفق معه فيها التهمى :
وما قد لا يتفق مع خط سيره التفصيلي . . . ولكن لمحضات
الصفحة عند عناية القسوير البشرى ، ليست اكثر من
« دواش » نفس جديهم القوية بالثقافات وحيات زاهيم
البلاغة التعقيد . ويبقى بعد كل شيء هذا التراث المربك
من القوة والصفاء شامداً لا يرقى اليه الشك على مصر .
وقد كان الجواهرى ولا يزال شامداً ابيداً على تاريخنا
العربى الحديث ككل ما فيه من تفرقات والام وما فيه من
ملوحات وآلام . وهو اذا كان قد بلغ بشعره املى القوي
الكلابية ، فان ذلك لا يرجع الى ميترية الهية وحدها ،
وانما يرجع الى ارتباطه الوثيق بضمير ابيه ومصره ، ويرجع
الى انشغله اخص بفضال الجماعير العربية من اجل الحرية
والقائم والسلام .

وهو حين يخطف « القاهرة » هذه الايام ، بقرا له
فان هذا الاختيار يضاف الى نفوس قراله وشبهه شعور
حيقاً بالازدياد والترح .

اعلا بالجواهرى فى وقتنا ، اعلا به مثاقلاً ثورياً وشاعراً
عظيماً .

« الطليعة »

فى سبيل الوحدة العربية» للدكتور سيد نوفل ،
« جمال عبد الناصر والفكر الفلسفى العربى
المفسر » ، للبروفيسير كارول بنزالسكيل
(تشيكوسلوفاكيا) ، « جمال عبد الناصر والسلام
العالمى » ، ارمندو سالاتى (المجلس العالى
للسلام) ، « دور عبد الناصر والقضايا الاسيوى
الامريكى » للبروفيسير مؤنس وازا (الهند) .

وبعد مناقشات مستفيضة اسهم فيها جميع
الحاضرين اسدرت الفتوة بياناً جاء فيه :

« لقد اقرت الندوة ان نجاح الثورة المصرية
بكل ما قوضته من اساليب الحكم الفاسد ،
وبكل ما حققته من انتصار على الاستعمار
التقليدى ، وبكل ما حققته من اشكال التفوذ
السياسى والاقتصادى للاستعمار فى مصر
وبتحرير ارادتها من الضغوط الخارجية ، كان
اشارة انطلاق لكثير من حركات التحرر الثورية
فى العالم الثالث كله . ان القائد جمال عبد الناصر
وضع الضغوط الميمنة الكبيرة لتغيير ملامح
الاجتمع المصرى ، ببناء السد المالى والتصنيع ،
ووضع اسس العدالة الاجتماعية ، وان التطور
الحتى الناتج من التغيير العميق الذى أحدثه
عبد الناصر فى الشعب المصرى وفى روحه
لا بد ان يحقق الصورة المنشودة لآتيه وان
يؤدى الى التغييرات التقنية الميمنة للاجتمع
على اساسى الاشتراكية والعدالة .

وقد ترك جمال عبد الناصر ميراثاً يمتز به
الشعب المصرى كما تقدره شعوب المصام
الثالث ، والقوى الاشتراكية والتقدمية اكبر
تقدير ، ويمثل فى الاسس الصلبة للاتجاه الذى
يسير نحو تحقيق الاشتراكية والقضاء على
الاستغلال فى نفس الوقت الذى يتقدم فى طريق
مناخسة الامبريالية ودعم حركة التحرر الوطنى
العالمى ، كما يمثل فى نجاح جمال عبد الناصر
فى التنسيق بين المصالح القومية لشعبه فى مصر
وللشعب العربى عامة وبين مصلحة الاجتمع
الدولى كله .

ويضى البيان قائلًا « وكان للدور العظيم
الذى نهض به جمال عبد الناصر فى تدعيم
الحالف بين قوى حركة التحرر الوطنى بصفة
عالة والثورة المصرية والمسد التحررى العربى
بصفة خاصة من ناحية ، وبين البلاد الاشتراكية
وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى اثر حقيق فى
زيادة مهابلة التضالضد الامبريالية والعنصرية .

● المقاومة الفلسطينية ●



المهمة الطروحة أمام المقاومة الآن

تتساءم الأتبعاء في المنافس من كتيور الماضي ، تعرض ياسر عرفات لمحاولة لاغتيلاله . وقد وقعت المحاولة في إحدى القواعد العسكرية لفتح القريبة من الحدود الأردنية . حيث تبين أن قائد القاعدة ، ويدهم حسين هبة ، قد استولى على سيارتي تويوتا كاتنا متجهتين من الكويت الى مركز فتح بجيش (١٠٠) ما دما بعض قادة فتح الى التوجه للقاعدة ومعهم ياسر عرفات ، قائد منظمة فتح ، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ويبدو أن هبة كان قد أعد لكل شيء عدته ، فنصب سلفا كمينين لجبهة سيارات القادة الواعدين من دمشق ، بعد أن وضع في روع رجال الكمين أن سيارات معادية أتية الى القاعدة وأن عليهم الإجهار على من فيها . وما أن ظهرت السيارات حتى فتحت الكشائن عليها النار ، وتركت التيران بصفة خاصة على السيارة البيضاء الخاصة بياسر عرفات ، والتي كانت تتقدم مجموعة السيارات ، مما أدى الى انفجارها في الوادي و وفاة قتلتها ، أما ياسر عرفات فقد كان يستقل السيارة الأخيرة . وعندما تبين لرجال الكمين أن السيارات لم تكن لقوى معادية ، أشتبكوا مع بعضهم البعض وسقط معظمهم جرحى ، ومن ضمنهم حسين هبة نفسه .

وتشير القرائن الى أنه ربما كان للسلطات الأردنية يد في الحادث . وكانت تلك السلطات قد اشاعت - من طريق إذاعاتها وصحفها - أن منظمة فتح قد اعتقلت صلاح خلف (أبو إياد) ، الرجل الثاني في فتح ورأس الجناح التقني فيها ، وكان الهدف من اشاعة هذا التبا زرع البلبلة في صفوف فتح والمقاومة والجهاد الفلسطينية عموما ، مع اعطاء انطباع للجهاديين بأن محاولة الاغتيال - التي وقعت بعد يومين - تمت من قبل جناح أبو إياد . إلا أن قيادة فتح ، وقد انتهت لخطر هذه الاشاعة ، نفتها منذ اللحظة الأولى ، حيث أصدر مكتب اعلام فتح في بيروت بيانا ضمه هذا النفي .

وفي الشامن من أكتوبر أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قرارا بطرد العقيد عثمان حداد الرئيس السابق لأركان جيش التحرير الفلسطيني ، كما أعفيت العقيد هبة الرزاق الجيحي من وظيفته كقائد لجيش

التحرير مع تعيينه في اللجنة العسكرية لمنظمة التحرير . وعينت العقيد مصباح البيرى قائدا للجيش ورئيسا للأركان في نفس الوقت . ومن المعروف أن قرار طرد عثمان حداد هو الثالث في مدى عام واحد ، وإن كان القرارين السابقين لم ينفذا ، نظرا لتبجح حداد بحماية بعض الأوساط الرسمية العربية وقد عجزت هذه الأوساط من حمايته في المرة الثالثة ، بعد أن كان قد أدين بقتل أحد مساعدي الجيحي أثناء تعيينه ، وقتل أحد الموظفين المدنيين في قوات التحرير الشعبية في لبنان ، ويدهم عبد الرحمن البرادعي . وقد بينت منشورات منظمة التحرير أن قتل البرادعي « كان يستهدف اليسار الفلسطيني » . وشارت قطاعات من الجماهير الفلسطينية وأودت من يملها الى لبنان ، حيث حولهم ياسر عرفات الى ساهى مطاري ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، والقائد العام للصاعقة ، ومسؤول مكتب العمل الدائى في القيادة القومية لحزب البعث . وذهب مطاري لمقابلة الفريق حافظ الأسد ، حيث ألح عليه بضرورة إبعاد حداد ، ونجح مطاري في مهمته ، وجرى إبعاد حداد هذه المرة ، وجرى تعيينه ، في الجيش السوري مع ترتيبه .

وكان حداد قد صرح قبل ذلك أنه سيطهر الجيش من الشيوعيين ! وشكل لجنة ضباط ، أصدرت العديد من قرارات التصريح التصفية بحق بعض الضباط ، دون أن تعطيهم اللجنة حق الدفاع عن أنفسهم . ووصل الأمر بحداد إصدار قرار باعفاء رئيسه ، قائد جيش التحرير العميد عبد الرزاق الجيحي ، كما أنه أصدر تعليماته وأوامره هذه بيثها هو في حكم المطرود من جيش التحرير منذ أكثر من سنة .

وكان أحد أمواته ، وهو العقيد أحمد محمد حنفي ، قد طلب الى السلطات اللبنانية ، في

(فرنسا وكندا والترويج والدنبرك) وبعض دول العالم الثالث (بورما والجزائر والمغرب) . وعلى الرغم من أن توقيت الجولة الدبلوماسية للزملاء السوفيت قد أفسد الكثيرين من المراقبين السليبيين في الغرب بقصصهم على خلفية من رحلة الرئيس الأمريكي نيكسون القلبية باعتبارها ذروة التقرب الأمريكي إلى الصين ، إلا أن شمول الجولة هذا العدد من الدول ذات الانتماء السليمانية والاجتماعية المختلفة يدعو لنظرة لتبطل من ذلك . فانه حتى مع التسليم بضرورة حركة الاتحاد السوفيتي لمواجهة المثلثة الأمريكية الجديدة من وراء التقرب على هذا النحو إلى الصين ، فان هناك دواع أخرى هامة على المسرح الدولي استجوبت هذا التحرك الدبلوماسي .

فان تعرض الاتحاد السوفيتي لحملة عداء واسعة النطاق في العالم الغربي وداخل حشد من الدول الصغرى التي يستطیع النفوذ الأمريكي أن يتسرب إليها بطرق مباشرة أو غير مباشرة ، إنما تؤكد بالفعل أهمية وضرورة قيام القادة السوفيت بهذا الجهد المضاعف لمواجهة هذه الصلة التي امتدت إلى الأذهان كثيرا من ملاحق فترة الحرب الباردة في فرونها في الخمسينات وأوائل الستينات . وقد تبطلت هذه الحملة أولا في انتمال يوغوسلافيا لسياسة بتركة الجواسيس ، التي تأملت فيها بريطانيا في إجراء لم يسبق له مثيل في مدام بطرد ١٠٥ من الدبلوماسيين والموظفين السوفيت من البلاد . وبعدها شاركت بلجيكا — التي يوجد في ماسبتها الآن الرئيس منظمة تحلف الاطلسي ومقر قيادته العسكرية . بدور مكل في حملة « الجواسيس » على نطاق أوسع . ولعل الحادث الذي تعرض له كوسبيج في كندا حيث حاول الاعتداء عليه مجرى فأن من وفقه يؤكد اتساع وتنسيق حملة العداء ضد السوفيت من جانب مخابرات الغرب .

والملامح أن هذه الحملة تأتي في وقت تبذل فيه الدبلوماسية السوفيتية جهودا هائلة من أجل تحقيق اتفاقات أساسية تتعلق بأهمية قضايا السلام والملاحة بين الشرق والغرب ، سواء انطلاق منها بالأمم الأوروبية أو الحد من الأسلحة الاستراتيجية .

وقد تلقت الجهود الغربية للتشويه وجه التحرك السلمي السوفيتي ضربة قاسية في « بيان بيلارد الجديد » الذي أصدر في ختام زيارة بريجنيف ليوجوسلافيا ، وبالتحديد في ٢٥

كتاب تخلص « المساعدة في التآمر القوي على بعض الشيوعيين من أفراد وضباط الجيش الفلسطيني » ويعترف حتى لجلة السيد في لوائح سيبين (ليلون) الماضي ، أنني « طالبات السلطات اللبنانية بالقاء القبض عليهم وإلغائها استعدادا للكشف من مخاباتهم .. » !

وبالرغم من تأكيد التفسيرين الطبي على أن البرامدي قد مكلت ماثرا بضرية قاطعة ، إلا أن العقيد عداد أصدر بيانا زعم فيه أن البرامدي مات لإصابته بنوبة قلبية ، وحذر عداد في ختام بيانه « كل من تسول له نفسه استغلال هذا الحادث » !

ويتساءل المراقبون عما إذا كان تصريح ٢٩ ضابطا ، يمكن أن ينهي أزمة جيش التحرير ، التي استعجلت ، فتعود لهذا الجيش وحدته ، وبعيته ، وانضباطه ؟

ورغم فشل مفاوضات المسالمة في جدة ، بين المقاومة والسلطة الأردنية ، وعودة وفدي الطرفين من جدة . إلا أن بعض الصحف العربية كانت تنشر أخبارا عن استمرار جهود المسالمة . وواضح أن هناك دوائر عربية تهتم على أن تجدو المسالمة ، كما وكنت « مرشاهم » .

هذا في حين ترى أوساط المقاومة أن المهمة الطروحة أمامها الآن ، هي إيجاد مخرج من المأزق الذي رقت فيه . وتضع هذه الأوساط في اعتبارها مختلف أنواع الضغوط التي تمارسها بعض الدول العربية على المقاومة ، بداء بالتمديد بطرد قوات المقاومة من أراضي دولة عربية . إلى وقت الموت التي تقدم لها .

● الاتحاد السوفيتي ●

التحرك السوفيتي الخارجي على مستوى القيادة الثلاثية

على مدى أكثر من شهرين — سيبينز وأكتوبر — قامت القيادة الجماعية السوفيتية ، ممثلة في بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي ، وبيوجورني رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيت الأعلى وكوسبيجين رئيس الوزراء بوسع وكلف جولة للتحرك الدبلوماسي خارج الاتحاد السوفيتي منذ سنوات طويلة . وقد شملت هذه الجولة بعض الدول الاشتراكية (فيتنام الديمقراطية وبلغاريا والمجر وكوسيا ويوجوسلافيا) وبعض دول الغرب

● الصين الشعبية ●

كسر طوق الحصار الأمريكي

وأخيرا نجحت الصين الشعبية في كسر طوق الحصار الامبريالي الأمريكي الذي فرض حولها لمدة ٢٢ عاما ابتداء عزولها عن المجتمع الدولي لاذ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا تاريخيا في ٢٦ أكتوبر الماضي بالموافقة على المشروع الالاباني الذي يقضى بدخول الصين الامم المتحدة ، وطرد فورموزا بأغلبية ٧٦ صوتا ضد ٣٥ ، وامتناع ١٧ دولة من التصويت . وقد لقي قرار قبول الصين في المنظمة الدولية ترحيبا كبيرا في أغلب دول العالم وفي اوساط الرأي العام العالي باستثناء الولايات المتحدة وبعض الدول التي تدور في فلكها ، فقد صرح شاو تشوكاي وزير خارجية فورموزا عقب التصويت بأن « مجلس الأمن قد وقع وثيقة اعدام بدعوته للقائل للجوس في مقعد القاضي » وتنبأ بأن « الامم المتحدة ستصبح أداة تخريب دولية تحت تأثير ماوتسي تونغ » ، وأكد الوزير « أن حكومته ستواصل الكفاح حتى يتم الاعطاء بالحكم الشيوعي في الصين » ، ولقد نائب رئيس جمهورية فورموزا أنهم قادرون على اعادة عزو القارة الصينية .

وفي الولايات المتحدة اشترك اكثر من ٣٠٠ من أعضاء مجلس النواب البالغ عددهم ٤٣٥ عضوا في توقيع مذكرة تقضي بتخفيض حصص الولايات المتحدة في ميزانية الامم المتحدة منذ طرد فورموزا من عضوية المنظمة الدولية . وأعرب وليام روهير وزير الخارجية الامريكية عن أسفه « للخطأ الحزن » الذي ارتكبه أعضاء الجمعية العامة باخذ قرار طرد تايوان من الامم المتحدة » وقال « ان هذا لن يغير شيئا في العلاقات القليلة بين هذا البلد والولايات المتحدة ويرى عديد من المراقبين السياسيين ان رحلة كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون الى بكين قد أضعفت المعركة الغنية التي خاضتها الولايات المتحدة من أجل المحافظة على مقعد فورموزا ، لاتها انتزعت الكثير من الثقة في الوقت الأمريكي . لما في الصين الشعبية فقد أكدت وكالة انباء الصين الجديدة أن « رياح التغيير » في الامم المتحدة قد انتهت في غير صالح النفوذ الامريكي . وصرح وزير الخارجية الصيني بالنيابة بأن « نموذج الاقتراح الالاباني يعد انتصارا لجميع شعوب العالم ، كما يدل على الإفلاس التام للسياسة التي انتهجتها الامبريالية الامريكية » . ووجه في حديث أدلى به الصحفيين « أخص » الشكر باسم حكومة وشعب الصين الى جميع

منتمين الماضي . وهو البيان الذي لكد بمبادئ السياسة السوفيتية الاساسية تجاه الدول الاشتراكية الاخرى واستغلالية تجاربها في اطار المبادئ المركزية للثنية والظروف الوطنية لكل منها ، فاقد سبقت هذا البيان وسبقت زيارة بريجنيف بلجراد ومحاادثته مع الرئيس تيتو أمواج متلاحقة من الدعاية الغربية عن قرب يوجوسلافيا ، ومن تعرض تيتو « لمضغوط » من الاتحاد السوفيتي فيما يتعلق بسياسة بلاده في التطبيق الاشتراكي لو سياستها الخارجية . ثم جاء بيسان بلجراد الجديد ليؤكد أن الاتحاد السوفيتي لم يتخل عن مبادئه الاساسية في علاقات التعاون مع الدول الاشتراكية ويوجه ضربة قاضية للفكرة الغربية البرمائية التي جعلت اسسم « ميذا بريجنيف » أو « ميذا السيادة المحدودة » للدول الاشتراكية .

ولا يمكن للمراقب السياسي أن يغفل عما لا آخر في توقيت حملة الغرب الواسعة ضد الاتحاد السوفيتي وضد الاشتراكية وضد جهود المسالم الاشتراكي كله من أجل التقدم والسلام . وهذا العامل هو أن الحملة وانفتت بدء الدورة الجديدة [السادسة والعشرين] للجمعية العامة للأمم المتحدة . وهي دورة يشهونها بعدد من القضايا الحيوية التي يوقع الاتحاد السوفيتي بخور ايجابي واساسي في الجهود للتوصل الى حلول سلمية وعادلة — وفي مقدمتها قضية الشرق الأوسط — ويهم الغرب أن يلير القرار حول موافق الاتحاد السوفيتي وسياسته للتأثير بعد ذلك على سير المناقشات بالنسبة لهذه القضايا في الامم المتحدة .

ان الكسي كوسيجين مندبا وقف منذ ايام في اوتواو يمان « أن الاتحاد السوفيتي يقدم يد التعاون لكل البلاد من أجل حل المشكلات الدولية التي تسبب توترا في المسالم وتشتت انتباه الشعوب من الفناء السلمي » ، أما كان يرد بالمثل — بطريقة ايجابية وواضحة — على حملات التشهير المعادية للاتحاد السوفيتي وسياسته السلمية والمعادية للاشتراكية والسلام في الاساس .

ان شيئا لا يهم الغرب قدر محاصرة الاتحاد السوفيتي وضرب مصلواته للتسويق بين كل القوى التي يمكن أن تكون بدور مناهض للامبريالية وسياسة القوة والعدا . ومن أجل احباط محاولات الحصار هذه كانت كل التحركات التي قام ويقوم بها في الفترة الاخيرة زعماء الاتحاد السوفيتي بأنفسهم على أعلى مستوى .

في كمبوديا^٢ هي التي لبنت الولايات المتحدة في معارضتها لطرد فورموزا .

ويعتقد عدد متزايد من الرأبيين ان الهجوم السابل الذي شنه « شواين لاي » رئيس وزراء الصين الشعبية على ساتو مؤخرا قد يفتح الباب لام حلة منظمة ضد الحكومة اليابانية الحالية ، قد لا تشترك فيها دوائر اليسار وبعض العناصر المنتهية الى الحزب الحاكم نفسه محصب ، ولها قد تضم ايضا دوائر رجال الاعمال الذين يثير قلقهم ان يروا منافسين امريكيين او اوروبيين لهم في السوق الصينية .

وقد طالبت احزاب المعارضة الرئيسية في اليابان باستقالة حكومة ساتو غورا . وأوضح الاشتراكيون ، وهم اكرن لحزاب المعارضة ان الاقتراع الى جانب ضم الصين للامم المتحدة — الذي يأتي بعد التكتلات التي اصيبت بها اليابان في علاقاتها الاقتصادية بالولايات المتحدة — يعني الفصل الكامل للسياسة اليابانية — الامريكية . ويرى الحزب الاشتراكي ان حكومة ساتو يجب ان تحصل مسئولياتها وتقدم استقالتها .

وفيما يتعلق بالامم المتحدة هناك عدة اثار قوية مباشرة سوف تقرب على الموافقة على دخول الصين الهيئة الدبلوماسية المنتهية كل التساورات من اجل اختيار خليفة ليونان السكريتز العام للامم المتحدة ؟ انتظارا لوصول وفد الصين الشعبية ، لانهذا الوفد حتى استخدام الفيتو في مجلس الامن الذي سيقيم اولاً بلخثير السكريتز العام . كما ستوقف كذلك اجتماعات مجلس الامن ؟ اذ لا يمكن اتخاذ اي قرار قبل وصول الصينيين لانهم مستعظمون فيها بعض اعتبار مثل هذا القرار غير مشروع وينطبق هذا على المناقشات الجارية بشأن نامبيا والتي كان مفروضاً ان تنتهي بالتصويت في الابرار القليلة المتيلة . كذلك ضمن هذه الاثار المباشرة ان المناقشات حول اشتراك كل الدول الاعضاء او غير الاعضاء في الامم المتحدة ؟ في المؤتمر العالمي لنزع السلاح ، أصبحت تدور الان حول اشتراك الحكوتين الاسلاميتين فحصب ، لان اشتراك الصين الشعبية اصبح مقروا باعتبارها عضوا في المنظمة .

اما فيما يتعلق بالشرق الاوسط فقد اوضح معيد من الرأبيين السياسيين ان دخول الصين الامم المتحدة سيكون عاملا مواتيا للعرب ، لان وجود ممثل ليكن في مجلس الامن من شأنه زيادة الاتجاه المناصر للعرب في مناقشات هذا المجلس . وعلى لية حال فيما لا شك فيه ان دخول الصين الامم المتحدة سوف يزيد اليحكيين من تقليمجموعة الدول الحرة والنامية، كمايسيف

حكومات الدول الصديقة التي دافعت عن المدل في هذه المعركة .

وفي الامم المتحدة اعرب يوناتس سكرتيرها العام عن اقتناعه « بان وجود جمهورية الصين الشعبية في الامم المتحدة انها هو دليل على تحسن هائل في العلاقات الدولية ، ومن الضروري ان تعكس منظمتنا التغييرات التي تحدث على المسرح الدولي » .

اما الاتحاد السوفيتي فقد اعلن على لسان وكالة « تاس » : « ان القرار الذي وافقت عليه الجمعية العامة بعيد الحقوق الشرعية لجمهورية الصين الشعبية وان الولايات المتحدة كانت تعارض على القرار وصر على احتفاظ شيايج كاي شيك بمقعده » . وفي وارسو اوضح الرأبيين « ان العدالة قد تحققت في النهاية للصين » .

ووصف رايدو تشيكوسلوفاكيا قبول الصين بانه بعد فشلا تاما للسياسة الامريكية التي تتحدى بوجود دولتين صينيتين في حين اعلنت وكالة الانباء الالمانية « ان الامريكيين لم يتخلوا حتى اللحظة الاخيرة من جهودهم لتجنب طرد عضاية تايوان » .

اما في اوسلر الدول الغربية فقد امرت بريطانيا من اقتياعها بقرار الجمعية العامة . وفي فرنسا اعتربت الدوائر الرسمية هذا القرار حكوما والفتا وان فرنسا كانت متناه منذ امد بعيد . واعرب مراسل وكالة الانباء الفرنسية في الامم المتحدة عن اعتقاده بان الهزيمة التي لحقت بالولايات المتحدة « تجاوزت ابعادها اكثر تبذرات اصداق بكن نكة » « ويبدو من تمسوتها . ان الولايات المتحدة كانت تخوض المعركة بكل قوتها » . واوضحت حكومة بون من ناحيتها ؟ ان فتح ابواب الامم المتحدة للصين الشعبية يعتبر استجابة لواقع السياسي ولعلاقات القوى الدولية ؟ علما بان جمهورية ألمانيا الاتحادية لم تحدد بعد موقفها رسميا — تحي كتابة هذا التقرير — من طرد الصين الوطنية من الامم المتحدة .

وفيما يتعلق بالشرق الاقصى ؟ يبدو في نظر مسيد من الرأبيين السياسيين ان الحكومة اليابانية من اكرن الحكومات تعرضا للخسارة في القريب العاجل بسبب قرار الامم المتحدة . لان وضع ايزاكو سفير رئيسوزراء اليابان المهدى في الجبهة الداخلية قد يزداد شغفا . فلقد كانت حكومته — التي لم يؤخذ رايها بل ولم تظفر متبا قرر نيكسون القيام برحلته الى بكين — هي الحكومة الوحيدة في الشرق الاقصى ؟ والاضافة الى الفلبين وحكومة الجنرال لون نول

تصميم شيلي على الرد على صفعات الاستغلال التي تعرضت لها ثروتها الاساسية - التحاسن - طوال السنوات الخمسين الماضية - تحركت دوائر المصالح المالية داخل الكونجرس ، لاستصدار قوانين ترمي الى الضغط الاقتصادي على شيلي ، وای دولة اخرى تؤم « الممتلكات » الامريكية دون تعويضات - تعتبرها الشركات نفسها تعويضات عادلة .

والواقع ان تحرك الدوائر الامريكية وتهديدها باتخاذ اجراءات صارمة ضد شيلي والدول الاخرى التي تتصالح بمصالح التنمية فيها مع مصالح الرأسمالية الاحتكارية الامريكية ، لم يقتصر على مشروعات القوانين في الكونجرس ، ولم يقتصر بالمثل على حملات التهديد في صحف امريكا ونشراتها الرسمية ، وانما تشير دلائل كثيرة الى ان توقيت الانقلاب المسكوي اليه الذي طلب حكومة اليسار في بوليفيا برئاسة جنرال خوان توريو ، في شهر اغسطس الماضي ، انما كان يرمي - الى جانب اجهال اتجاه الاشتراكي في بوليفيا نفسها - الى بث الذعر في نفوس القيادات الوطنية اليسارية الحاكمة في بعض دول امريكا اللاتينية الاخرى ، مثل بيرو ، وشيلي ، واجهال حركة التحرر الوطني والاجتماعي في دول القارة الاخرى ، التي لم يصعد فيها اليسار الى السلطة بعد . وبمعنى مبهر ، فان انقلاب بوليفيا كان بمثابة اخطر تهديد وجهته الولايات المتحدة لباقي دول امريكا اللاتينية تحذيرا من السياسة الاشتراكية التي توجه اللطيلات الى المصالح الامريكية بالدرجة الاولى .

واذا كان هناك ما شل يد الولايات المتحدة عن التدخل المباشر حتى الان في شيلي ، فهو صفة الشرعية البرلمانية لعضود الرئيس المركزي الليندي الى السلطة ، والمقرعة البرلمانية لكل الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التي اتخذها . وفي الوقت نفسه ، فان الولايات المتحدة فوجئت - فيما يبدو - باقتراح عدد كبير من دول امريكا اللاتينية ، حتى تلك التي لا تتولى الحكم فيها قيادات يسارية ، على المعالم الاشتراكي على نطاق لم يسبق له مثيل في تاريخ امريكا اللاتينية . فخلال الاشهر الاخيرة تقدمت عدة اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والعلمي بين الانحصاد السوفيتي - وغيره من الدول الاشتراكية - وبعض دول امريكا اللاتينية ، وخاصة بيرو واكوادور والمكسيك . وبطبيعة الحال ، لم يلبس ما يبيع الولايات المتحدة ان تتفتح دول امريكا اللاتينية على العالم الاشتراكي وعلى نمط جديد من علاقات التعاون مع دوله ، فخلفت تبليها عن نمط علاقات الاستغلال الذي

صنوا جديدا الى اصوات دول المجموعة الاشتراكية التي تقف مع حركة التحرر الوطني والدول المستقلة الندية السامية الى التقدم الاجتماعي والتحرر من سيطرة الامبريالية . ومن الجدير بالذكر ان حجم تجارة الصين الخارجية طبقا لبعض التقديرات الغربية (الخاصة بعام ١٩٧٠) يبلغ حوالي ٤ مليارات من الدولارات . ويبلغ طول شبكة السكك الحديدية بالصين حوالي ٢٦ الفا و ٥٠٠ كيلو متر . وتضم الصين الشعبية ٩٠ مليون تلميذا في التعليم الابتدائي و ١٠ ملايين و ٩٠٠ ألف تلميذ في التعليم الثانوي و ٨١٠ ألف طالب جامعي (في سنة ١٩٥٩) ، وتوجه الصين نحو تنمية اقتصادية ضخمة وقد استطاعت الانطلاق بقطاعات كبيرة للغاية في بعض القطاعات الهامة مثل الطاقة الكهربائية والامار الصناعية . كذلك فقد حققت الصناعة الالكترونية وصناعة الاجزاء الكهربائية الدقيقة تقدما كبيرا ، وبدأت توضع في خدمة اللة والاجبات المتعلقة بصناعة الطائرات والغشاء .

● شيلي ●

الغربة الاخيرة للاحتكارات الامريكية

منذ اللحظة التي اتخذ فيها برلمان شيلي - في شهر سبتمبر الماضي - قراره بالوانقة على التعديلات الدستورية ، التي تسمح للحكومة الاشتراكية برئاسةكتور سالغادور الليندي بتأميم شركت النحاس الامريكية في شيلي ، تعرضت حكومة الليندي لتهجمات متوالية من التهديدات المباشرة وغير المباشرة من جانب الولايات المتحدة . وقد اضع - بشكل لا يدع مجالا للشك - ان حملة التهديدات الامريكية « بمتناهج سياسة متشددة تجاه شيلي وكل الدول التي تقدم على تأميم المصالح الامريكية » ، ان الغرض الاساسي منها هو انتقاد ما يكن انتقاده من « الممتلكات » التي انتمتها شيلي ، مستخدمة حقها كدولة ذات سيادة ، تمنح الطريق الاشتراكي الى التنمية الوطنية المستقلة . والذي كانت الولايات المتحدة تريد انتقاده بعد ان أصبح التأميم حقيقة واقعة لا رجعة فيها ، هو « التعويضات » . فقد كتبت الشركات الاحتكارية الامريكية التي دأبت على الحصول سنويا على مئات الملايين من الدولارات ، في صورة ارباح فخرج من شيلي الى الولايات المتحدة ، تريد ان تخرج باخر غنيمة ممكنة ، في مضورة ما وصلته الحكومة الامريكية بآية « تعويضات عادلة » من مثلم النحاس المومة . ومنحها لحت الدوائر الامريكية بوان

لولايات المتحدة أصبحوا في أمريكا اللاتينية ؟
ولأن هذا التصريح جاء من وزير الخزانة بالذات لا
فقه يحصل أكثر من معنى . معنى التهديد
بالمقاطعة الاقتصادية — الذي يتخذ عادة صورة
التهديد بوقف المساعدات — وهو معنى في الحقيقة
عرض نوع من المقاطعة أو الحصار الاقتصادي .

مرغته دول القارة دائما في تمسكها مع الولايات
المتحدة .

ويوجه عام ، فإن الأشهر الأخيرة قد حلت إلى
الولايات المتحدة مددا من التطورات غير الملائمة
من جانب أمريكا اللاتينية ، إلى حد أن صرح جون
كوناللي وزير الخزانة الأمريكي بأنه لم يعد

تعليق

الحاجة إلى الوضوح والتحديد في العلاقات الفلسطينية السوفيتية

الفلسطينية وغير الفلسطينية التي لا تريد لتتحالف الفلسطينية
مع السوفيت أن يبلغ إلى مدى أهمية الصراع الذي
يفرضه الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية ومستعديها .
وعملت هذه القوى من خلال تسليط الضوء على نقاط
الافتراق وحدها ، ومن خلال التجاهل التعمد لدعم الجيش
وغير الجيش الذي تقفه موسكو كقناع لشعب فلسطين ،
عملت من أجل مرحلة التطور والتميز المطلوب في العلاقات
بين موسكو وبين منظمات العمل الفلسطينية .

وفي أوقات سابقة بقيت شعارات المزاينين في هذا
الجال يمشي الصدى ، إلا أن التضاير سياسة المزاينة لا
وفضلا عموما ، قد اتاح الجدل مرة أخرى لوجهات النظر
السلبية في جدل طرفيها إلى احتمالات بداية العمل الفلسطيني
وأوجب العودة إلى التفكير الجاد بأهمية أقلية علاقات وعيدة
بمطردة التبو مع موسكو .

ومثل هذه العلاقات يمكن أن تسند إلى عوامل موضوعية
ولعلاقة للحدود أو القوات أو الزوايا التصريفية بها .
أول هذه العوامل : أن الاتحاد السوفيتي هو الخليقة الأولى
الأول والأقوى للشعوب العربية في كفاحها ضد الصهيونية
والاستعمار ، ولا يمكن للشعب الفلسطيني المطالب بأن يكون
كفاحه حليلة لكفاح أشكاه ، أن يهمل هذا العليف أو يتجاهل
لتأثيره الإيجابي .

ولكن هذه العوامل أن العمل الفلسطيني الوطني المعادي
لصهيونية والاستعمار هو عمل تفتيم بالضرورة ، أو هو
كل ذلك إذا أردت له أن يكون مفلا ويكتفوا . وهو بهذه الصفة
أيضا ، بحاجة إلى دعم السوفيت وإلى مساعدتهم السياسية
والملنية ، وكل أهمل في هذا الجدل أن يكون من شأنه
نحوي لتقصي مقررات العمل الفلسطيني على مجابهة التحالف
الراسع لأعدائه جملتين .

ولذلك هذه العوامل أن نقاط الالتقاء بين وجهة النظر
السوفيتية ووجهة النظر الفلسطينية فيما يخص الاتحاد
التقوى للعمل الفلسطيني أكثر وأوسع من نقاط الاختلاف .
وقد أثبت واقع الحياة ذاته ، هذا وهناك : أن نقاط الالتقاء
هي التي تتزايد . وكل لقاء فلسطيني — سوفيتي يوجهه
حسن الفية سوف يسهم دون شك في مزيد من التقارب بين
وجهتي النظر .

ورابع هذه العوامل : أن اندحار سياسة (الريكتوسوطها
أقل العمل الفلسطيني . يعني : وهو قد على ياقط
زيدا من التكاليف إلى أهداف كافة القوى التي تعمل في هذه
المرحلتين لاجل إزالة العدوان وكسر شوكة إسرائيل العدوانية .
والسوفيات ، وكذلك شعب فلسطين ، بين القوى المتعددة
في هذا الجدل .

نمنا كان ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
على رأس القوات الثائرة التي حاصرها الجيش الأردني في
منطقة جرش ، وعندما كانت هذه القوات تواجه وشما في
غاية الصعوبة بعد أن قام الجيش الأردني بقطع الماء والتبوين
والإمدادات عنها ، فوجيء المتكلمون للوقوف بالزيارة غير
الواقعة التي قام بها السفير السوفيتي في عمان آخر قيادة
عرفات الواقعة تحت الحصار .

وفي تلك الزيارة التي حبلت أكثر من مغزى ، دار بين
الرجلين حديث ، أم ينشر تفاصيله إلى الآن ، وأن كان ياسر
عرفات لا يهمل من مزيد بعض فقرات هذا الحديث لأهميته
وخفوة دلالاته . وقد أصبح مفهوما أن السفير السوفيتي
أسد حمل قائد الدلائين رفيعة حكومته في معونة مطلب
القائمين على العمل الفلسطيني في هذه المرحلة : ما الذي
يريدونه بالضبط على ضوء الظروف الواقعية . وما السدى
بظفونه من الاتحاد السوفيتي ؟

وهذا السؤال الذي طرح آنذاك ما يزال قائما . وإذا
كان الاتحاد السوفيتي ليس هو الطرف الوحيد الذي يطرح
هذا السؤال ، فله ، دون شك ، بين الأطراف الهامة ،
والقائمة ، التي تحتاج لاجابة محددة وصريحة عليه ، لأنه
كما هو مفهوم تماما ، وأحد من الأطراف القادرة على إسهام
في تحقيق مطالب الفلسطينيين الوطنية ، وعلى تقديم المعون
الواسع لتفصيل شعب فلسطين من أجل تحقيق هذه
المطالب .

والسؤال ذاته قائم داخل العمل الفلسطيني ، بصرف
النظر عما إذا كان الاتحاد السوفيتي بحاجة إلى اجابة
عليه أم لا .

والآن وقد توجه وفد فلسطيني بزيارة أخرى لموسكو ،
يبدو أن هذا الوفد سيحمل معه اجابة محددة على السؤال ،
أو أنه على الأقل سيكون مطالبا من قبل السوفيتات بمثل هذه
الاجابة .

وقد حدثت موسكو موثقا بالنسبة للشرق الأوسط :
لعمل من أجل انجاح تسمية سياسية على ضوء قرار مجلس
الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . مع ضمان الحقوق الوطنية (التيرومة
لشعب فلسطين العربي . ووجهة نظر موسكو فيما يخص
هذه الحقوق تتناول أو تتطابق مع وجهة نظر دول عربية
صديقة لموسكو ، وأن كانت لا تتطابق ، أو لا تتطابق ،
مع وجهة النظر الفلسطينية المعلقة .

وقد كان عدم التطابق هذا ، حتى الآن سببا لجدل العلاقات
السياسية بين منظمات العمل الفلسطيني وموسكو أننى من
المد الخاطرب ، وأنه حتى من الإمكانيات الواقعية المتوفرة .
وكان عدم التطابق هذا لدرجة استبعدت إليها القوى

وهناك أيضا معنى احساس الدوائر المالية الأمريكية بأن القارة لم تعد كما كانت دائها في وضع الاستسلام للاستغلال الاقتصادي الأمريكي .

وفي ظل هذا الجو العام من المد التحرري والسياسي والاجتماعي في أمريكا اللاتينية ، بانعكاساته على السياسة الداخلية والخارجية لعدد كبير من دول القارة وحركاتها التحررية - والجذر الاستعماري - السياسي والاقتصادي بانعكاساته على المصالح الأمريكية الاحتكارية ، وتطلس النفوذ السياسي الأمريكي تبعا لذلك . . . في ظل هذا الجو العام اتخفت حكومة شيلى الاشتراكية قرارها بعدم استحقاق شركات النحاس الأمريكية الموزعة في التعويض ، فقد اصدرت بيانا رسميا - عن **هكتور هومبريس** المراقب المالي العام للجمهورية - يتضمن قرارا بأن اكبر شركتين أمريكيتين للنحاس في شيلى ، هما : [**انكوكندا** و **كنيكوت**] ، مدينتان لدولة شيلى ببلغ يربو على ٢٨٨ مليون دولار . وقد كان هذا القرار - في يوم ١٢ أكتوبر الماضي - بمثابة الضربة القاضية لآمال « التعويض » التي كانت تراود لاعلام الدوائر المالية الأمريكية . وقد وصف القرار في واشنطن بأنه « مخاطرة من الرئيس الليندي باتراة غضب الولايات المتحدة » .

وكانت شركات النحاس الأمريكية في شيلى ، بعد صدور قرار البرلمان الشيلي بتأميمها ، قد قدرت قيمة ممتلكاتها بحوالى ٨٠٠ مليون دولار ، ثم اعلنت حكومة الرئيس الماركسي الليندي ، في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر ، أن هذا التقدير سيخفف بعدد ٧٧٤ مليون دولار ، هي قيمة « أرباح زائدة » حصلتها شركات النحاس من ثروات شيلى بغير وجه حق خلال السنوات من ١٩٥٥ إلى ١٩٧٠ . وقد اعبرت الشركات الأمريكية هذا القرار « مناوره لحرمةها من التعويض » . وسواء كان قرار حكومة الليندي مناوره أو غير ذلك « فمن المؤكد أن هذه الشركات قد حققت طوال السنوات الماضية أرباحا طائلة تتجاوز بكثير حجم رؤوس أموالها التي استثمرتها في شيلى . وكل الفرق بين الماضي والحاضر ، هو أن فصليات « هذه الشركات كانت في أيديها هي تعبت بها كما نساء » لها الآن فإن فصليات هذه الشركات - باستثماراتها وأرباحها - قد انتقلت إلى أيدي الإدارة الوطنية بعد التسليم ، وأصبح من الممكن كشف الطبيعة الاستغلالية لعملياتها ، حتى لقد اتضح أن شركة واحدة منها ، هي شركة « كنيكوت » مدينة لشيلي بما يتجاوز ٢١٠ ملايين دولار .

وليس أدل على اتصاف قرارات حكومة شيلى

- برغم كل أحقيتها في الرد على الستين الطويلة من استغلال ثروات انحاس في بلادها - أنها تورت بالفعل دفع تعويضات معقولة - بالنسبة لامكانيات شيلى الاقتصادية ومطالبات التنمية فيها - لعدد من الشركات كانت قد بدأت عملياتها في شيلى حديثا جدا ، ومنها شركة « سيرو كوربوريشن » التي تقرر بلع تصويص قيمته ١٨ مليون دولار لها ، بعد أن تبين أنها غير مدينة لدولة شيلى .

ولا شك أن المعركة بين شيلى والولايات المتحدة لم تنته عند هذا الحد ، فالدلائل كلها تشير إلى أن الحكومة الأمريكية قد بدا ينهار هودها المصطنع الذي وضعه تقانما على تصرفاتها تجاه شيلى منذ عام كامل ، أي منذ انتخاب الرئيس الماركسي الليندي رئيسا للجمهورية . وبدأت الملامح البشعة للسياسة الأمريكية تتكشف - كما سبق أن أوضحنا - في التهديدات المتتالية وفي عبارات الغضب ، وأكثر من ذلك في محاولات تحريك عناصر المعارضة اليمينية داخل شيلى ، في محاولة لأجراج حكومة الليندي ، وهي محاولة لم تفلح حتى الآن إلا في أجراج المعارضة نفسها ، وكشف وجهها امام جماهير الشعب التي رأت خلال السنة الماضية اتجاه حكومة الليندي غيبي ترد إلى حياطة مصالحها الوطنية ودمم الثورة الاجتماعية بخطوات حاسمة ودؤوبة . لقد ادت محاولة الدوائر الأمريكية لاستخدام عناصر المعارضة في شيلى - آخر ما ادت - إلى أحداث انشقاق في صفوف الحزب الديمقراطي المسيحي حيث أعلن **لويز بلوي** زعيم جناح الشباب ليه أن الحزب يمثل في حالة « شيزوفرانيا » [فصام] بسبب أدمائه اليسارية ، بينما هو يتصرف كحزب يميني .

والواقع أن هزيمة الحزب الديمقراطي المسيحي - وهو اكبر الأحزاب التقليدية الإصلاحية في شيلى - في انتخابات الرئاسة في شهر سبتمبر من العام الماضي ، أمام الجبهة الشعبية بزعامة الليندي ، قد أدت إلى نتيجتين متناقضتين :

الأولى : بروز جناح يساري مناهض للزعامة اليمينية والسياسة اليمينية المسيطرة على هذا الحزب ضد مصالح التغيير الاجتماعي .

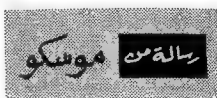
والثانية : انشقاق كل الحزب التقليدية نحو المعارضة المستتية على طول الخط ضد السياسة الاشتراكية لحكومة الرئيس الماركسي الليندي . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الانقسام في اكبر الأحزاب المعارضة في شيلى ، ازدياد قوة الجبهة الشعبية وحكومة الليندي ، على حين كان أمل اليمين في شيلى معلقا على مسألة الأغلبية التي فازت بها في الانتخابات عام ١٩٧٠ .

الناجم والملاحين والمثقفين الثوريين حولها في نضالها السياسي من أجل الثورة الاجتماعية التي تعد المعركة ضد الاحتكارات الإمبريكية معركةها الأساسية والفاصلة *

وقد لكتت معركة تأميم النحاس في تشيلي أن حكومة الليندي تتمتع بتأييد وتغويض جماهيري واسع وقوي ، لا يقاس إطلاقاً بأغليبتها في البرلمان ، وإنما يقاس بالثفاف لجماهير عامل

www.iraqnews.net

يكتب هذه الرسالة من موسكو الكاتب السورى القبطي ، سعيد حورانية ، وقد عرفه قراء الأدب العربى الحديث واحدا من كتاب القصة السورية القصيرة المجيد من صفت مجموعته الأولى «فوق الناس المسرة»



١٥٠ عاماً على ميلاد دوستوفسكى

على ميلاد دوستوفسكى الذى يحتفل به هذا الشهر وكانت قد شكلت لعدد اللبيليل برئاسة هونستالينين اثنين صاحب «الن» والأصوام» ورئيس الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب السوفيت . وتم في الاجتماع بحث القضايا المرتبطة بامبدان طيمة اكاديمية مؤلفات دوستوفسكى (شخص من الجزء الاول في العام الحالي) وبامبدان كتب اخرى عنه .

كما تم في الاجتماع بحث التقارير الكفيلة بضمان الاماكن الاثرية الموثقة باسم دوستوفسكى واعادة تنظيم متحف في موسكو وانشاء متحف له في ليننجراد . ومحت كذلك قضية نشر مؤلفات دوستوفسكى وابصالها الى الجماهير الواسعة بواسطة السينما والسر والاذاعة والتلفزيون والصحافة .

وفي ليننجراد تجرى الاستعدادات لاصدار اكمل مجموعة مؤلفات دوستوفسكى وستتألف هذه المجموعة من ٢٠ مجلدا ويقوم باعدادها باحث من معهد الادب الروسى لأكاديمية العلوم السوفيتية (دار بوشكين) . وقد قدم المعهد المجلدات العشرة الاولى من المجموعة الى قسم دان النشرناوك (الملم) .

لقد كانت كل المجموعات الصانعة سابقا تستند الى المراجع المنشورة اى مؤلفات الكاتب التى نشرت أثناء حياته دون مقابلتها مع المخطوطات الاصلية ، ومع ان تلك المجموعات تضمنت كل روايات دوستوفسكى الكبرى فانها لا تعطي القارئ فكرة كاملة عن انتاج الكاتب العبقري في تنوعه والوانه المتعددة . ولا شك ان من أهم جدا مراجعة مخطوطات دوستوفسكى ومسمودات مؤلفاته ، ولذلك لا تستند المجموعة الجديدة الى البحث الدؤيب في الاشراف ومعالجة مخطوطات الكاتب .

وسوف تخصص المجموعة ستة مجلدات لنشر

بعد كثير من الاعمال والصمت في العهد الستاليني حول كل ما يتعلق بدوستوفسكى حتى كان الحصول على رواية من رواياته مهمة صعبة تكسر الجليد عن اهتمام واسع بترائه على نطاق الادب والسر والفنون ووسائل الاعلام جميعا .

فبعد «البله» وهى الرواية التى اعدها دراميا مسرحيا فاختانجوف ، والتى ظلت الرواية الوحيدة طوال سنوات طويلة على مسرح سوفييتي ، اضرت له في السنة الماضية لريمة اعمال اخرى بلغة واحدة في مسارح العاصمة ومئات غيرها في انحاء الاتحاد السوفيتي . فقد اخرج احد كبار مخرجي الاتحاد السوفيتي زانفاسكي «الجريمة والعقاب» على مسرح موسكيت ، وقدم المسرح الاكاديمي للننى «مخات» «قربة ستيلا نيشيكوف» و «الخصوة كراميسازوف» ، «ومرر ستانسلافسكي» «الراقص» .

ويعد بيريف الذى اخرج للسبينا «البله» و «الخصوة كراميسازوف» ، لخصر كوليچانوف «الجريمة والعقاب» ذلك هذا حضرات الاعمال التلفزيونية والاذاعة . ويلى الان كبار نقاد الادب في الاتحاد السوفيتي في الدار المركزية للفتاين معاضرات دورية من دوستوفسكى الكاتب الذى لجر في روح الانسان وطرح اكبر الاسئلة الميتافيزيقية والاجتماعية التى كانت تقلق البشرية في القرن التاسع عشر .

وتخصص المجلات الادبية كاليتيراتور نليا غازيكا (الجريدة الروسية) وليتراتور ناسيا اميسيا (روسيا الادبية) وموسكيتسكايا ليتراتور (الادب السوفيتي) وغيرها الى جانب الملاحق الادبية للبرافدا والازفستيا دراسات اسبوعية تتناول جوانب من حياة واعمال دوستوفسكى .

وقد حققت الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب السوفيت اجتماعا مكرما لذكرى مرور ١٥٠ عاما

الأدبية اصدار مجموعة مؤلفات فيودور دوستويفسكي في أمريكا باللغة الانجليزية في نفس وقت صدورهما في الاتحاد السوفيتي . ووصلت نفس الاقتراحات من اليابان والمانيا الاتحادية وغيرها من البلدان .

إن للجهود الكبير الذي يقوم به الأستاذ سامي الدروبي الذي قطع شوطاً بعيداً في ترجمة الآثار الكاملة لفيدور دوستويفسكي عن الطبعة الفرنسية لجدير بأن يفتني بالمجلدات الجديدة التي لم يسبق نشرها في العالم والتي تتناول كما أسلفنا مذكراته وتعليقاته ومشروعاته التي لم يتح له أن ينجزها .

سعيد حوراني

سينما تولد من خلال المقاومة

الغلمانية والمردان الاسرائيلي على الوطن العربي

الافلام القصيرة :

وتتقسم الافلام القصيرة التي قدمها مؤلاء المخرجون الى نوعين : افلام تسجيلية قصيرة « بعيداً عن الوطن » لنفس الزبيدي ١٩٦٩ و « شجرة عيد الميلاد » لروان مؤذن ١٩٧٠ ، وافلام روائية قصيرة « اكليل الشوك » ١٩٦٩ ، و « نايالم » ١٩٧٠ لنيل المالح و « الزبارة » لنيس الزبيدي ١٩٧٠ و « اليد » ١٩٧١ لقاسم حول الى جانب الافلام الثلاثة القصيرة التي يضمها الفيلم الطويل « جبال تحت الشمس » ١٩٧٠ ، وهي « المخاض » لنيل المالح و « اللقاء » لروان مؤذن و « الفيل » لحد شامين بوقه فاز هذا الفيلم بالجائزة الثانية في مهرجان قرطاج الدولي بقونس عام ١٩٧٠ .

لما الفيلم الروائي الوحيد فهو « السكين » الذي أخرجه خالد حباد من قصة « ما تبقى لكم » لغسان كنفاني والذي مثل سوريا في مهرجان موسكو الدولي في أغسطس الماضي . وفي تقديري أن فيلم « بعيداً عن الوطن » الذي انتجه التلفزيون السوري وأخرجه نيس الزبيدي هو أفضل الافلام للقصيرة المذكورة ، فيه يجري المخرج مجموعة من الاحاديث مع بعض الاطفال الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، ومن خلال هذه الاحاديث يكشف الزبيدي ببساطة وعمق وجمال

رسائله التي تمت وثيقة أدبية مهمة للتحرق على ابعاد شخصيته وأرائه وتطوره ووسيلة لفهم روايات دوستويفسكي نفسها تلقى مزيداً من الضوء على الاجراء المقتدة التي تصبح فيها شخصيات رواياته . وستنشر مذكرات الكاتب في أربعة مجلدات . ومحتوى مجلدان آخران على مقالاته واستعراضاته وملاحظاته السريعة ، وخصص مجلد واحد للمشروعات التي لم يحققها الكاتب ، وما أعده لمعالجة المواضيع التي كان في نيته تناولها ومع أن اعداد المجموعة لم ينته بعد ، فقد لقيت اهتماماً كبيراً في العالم كله ، فقد تلقت دار « بوشكين » في ليننجراد رسالة من الولايات المتحدة الأمريكية يقترح فيها عدد من الجامعات

رسالة من دمشق

ارتبط مولد السينما في عديد من دول شرق أوروبا بالمقاومة الشعبية ضد النازية ، وكذلك ارتبط مولدها في الجزائر بحرب التحرير الكبرى هناك ، ولما للسينما العربية الوحيدة التي تولد من خلال المقاومة الفلسطينية هي السينما السورية التي بدأت مرحلة جديدة منذ عام ١٩٦٩ في ظل المؤسسة العامة للسينما .

في ذلك العام عاد الى سوريا عدد كبير من الجمهوريين لدراسة السينما معاهد أوروبا المختلفة وصدر قرار بقصر استيراد الفيلم الاجنبي على المؤسسة فارتفعت ميزانية المؤسسة وأصبحت تملك من القوى البشرية ما يجعلها تقدم على تخطيط لمه الوحيد من نوعه في الدول العربية كلها .

جعلت مؤسسة السينما السورية من الفيلم القصير مدرسة المخرجين الجدد من الشباب ، تركت لهم الحرية كاملة في اختيار الوقت المناسب وفي اختيار الشكل المناسب للتعبير عن رؤية كل منهم حتى لو كان هذا الشكل شكلاً تجريبياً ، كما تركت لهم الحرية كاملة في اختيار الوقت المناسب للاقدام على اخراج الافلام الروائية بعد الافلام القصيرة .

ومع نبيل المالح وروان مؤذن ونيس الزبيدي وقاسم حول وهم من جيل الشباب يعمل معهد شامين وخالد حباد من الجيل السابق الذي كان يعمل في السينما قبل انشاء المؤسسة عام ١٩٦٣ وسوف اقتصري في هذه الرسالة على الحديث عن مؤلاء المخرجين من كلا الجيلين ، فهم الذين أخرجوا أهم افلام السينما السورية الناشئة حتى الآن ، وعن ناحية أخرى فكلهم تناولوا المقاومة

أن « رجال تحت الشمس » هو بلا شك أفضل فيلم طويل تناول القضية الفلسطينية حتى الآن . انه لا يقارن بسلسلة الافلام السورية واللبنانية الروائية التي جعلت من المقاومة الفلسطينية امتدادا لافلام جيمس بوند ، وضومت العمل الفدائي بالسطحية والغيباء والجھل .

في « المخاض » يقدم نبيل المالح أفضل افلامه ، وكذلك مروان مؤذن في « اللقاء » ومحمد شاهين في « الميلاد » . في فيلم نبيل المالح يمبر الفنان عن لياليد الجديد للانسان الفلسطيني من خلال المقاومة عن طريق مطاردة طويلة بين رجل وزوجته الحامل وبين مجموعة من الجنود الاسرائيليين تنتهي بمولد الطفل في انظار وموت أمه ، ويواصل الاب مسيرته الشاقة حاملا طفله حتى تتفقد مجموعة من الفدائيين في مشهد لا يخلو من الخطائية وإن لم يفسد شعارية الفيلم العالية . ان نبيل المالح الذي يقوم الآن بمونتاج فيلمه الروائي الاول « الفهد » يثبت في « المخاض » انه فنان سينمائي موهوب مستقبلا اعظم من ماضيه .

وفي « اللقاء » يدير مروان مؤذن حوارا مع اوربا من خلال لقاء يتم بالصنفة بين فدائي ولقاة نرويجية في الطريق الى زيارة والدها في اسرائيل . لقد اخفى الفدائي في السيرة التي تستغلها الفتاة واضطر الى قتل سائق السيارة بعد ان اكتشف وجوده واطلق عليه النار واصابه ، وثناء مطاردة الفدائي الذي احتجز للقاء معه يدور الحوار ، وينتهي الفيلم بقطعة ثابتة للفتاة وهي تشاهد القوات الاسرائيلية تدمر القرية التي لجأ اليها الفدائي .

اما في « الميلاد » فيمر محمد شاهين عن العالم البرجوازي الصغير في البلاد العربية المحتلة وتمزقه بين الحماية البرجوازية التي يعلم بها وبين المشاركة في مقاومة الاحتلال ، ومن اروع المشاهد في هذا الفيلم المشهد الذي تراه فيه بطلنا جالسا في احدى المقاهي يتابع لعب « الطاولة » ويفكر في الفدائيين وفي خلفية شريط الصوت يذيع الرايبر احدى اغاني أم كلثوم .

اما الفيلم الروائي « السكين » لخالد حمادة فهو اقل الافلام التي لتجتها المؤسسة السورية شائنا رغم انه مأخوذ من قصة جيدة لفنان كلفاني ، ولعل « الفهد » اول افلام نبيل المالح يوحنا عنه خيرا .

ان ميلاد سينما سورية جديدة من خلال المقاومة الفلسطينية هو بلا شك أهم حدث شهدته السينما العربية في السنوات الخمس الاخيرة . ولكن هذه السينما لشبه يخلط يحتاج الى الرعاية حتى ينمو ويتفتح ، فبدون هذه الرعاية يذبل سينما ثم يموت .

صغير قريه

من ابعاد المسألة كما يكشف في نفس الوقت من رغبتهم الحقيقية في السلام . أو بالاحرى في الحياة ، فعندما يسألهم ماذا تريدون تجيب الغالبية : نريد قلما ، وعندما يسألهم أي عمل تفضلون عندما تكبرون تكاد تنحصر اجاباتهم بين مدرسين وطبيب .

لقد هاجم بعض النقاد هذا الفيلم واعتبروه فيلما « انهزاميا » إذ لا تراه طفلا واحدا يقول أريد ان اصبح فدائيا ، ولا تراه طفلا واحدا يقول أريد عندما تكون اجابات الاطفال هي بالعمل اجاباتهم كما أدلوا بها في الواقع ، ومن ناحية أخرى فان هذه الاجابات تعبر عن أصالة الشعب الفلسطيني الذي يريد السلام ويختار الحياة على العكس من الشعب « المبرك » في اسرائيل الذي يكون انراده ارقاما في مؤسسة عسكرية امبريالية تساهم للولايات المتحدة الامريكية .

وفي « الزيارة » لقيس الزبيدي أيضا يستخدم الفنان اشعار محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد بكتابتها على صور ثابتة في اطار رؤية سينمائية شعرية لرجل يسلم نفسه الى الاعداء على الحدود حتى يرى ابنته التي قتلت برصاصهم وزوجته المقتاة فوق جثمان الصغيرة ، وقد كان الزبيدي يارما في كتابة الشعر على الشاشة ليجمعنا نراه بدلا من ان نسمعه كما في الافلام الكلاسيكية التي تقرض علينا أسلوب هذا الممثل أو ذاك في الالقاء ، الى جانب ان كتابة الشعر جعلت منه جزءا من شريط الصورة .

اما « اكليل الشوك » لنبيل المالح الذي يدور حول حياة فتاة فلسطينية من سكان المخيمات فهو فيلم رديء يلجأ الى التعميد الشكلي ليخفي ضعفاته الفكرية والفنية ، وعلى النقيض منه نجد « فبالهم » الذي يستخدم أسلوب افلام الاعلانات بالصور الثابتة : نابالم البديد الهشري الرائع للاطفال - للنساء - للشيوخ - للرجال المصري يستعمل نابالم - وفي النهاية : نابالم صنع الولايات المتحدة الامريكية !

وأحدث الافلام السورية القصيرة « اليد » لقياس حول - وهو فنان مرأى مثل الزبيدي - وغيره من ان احساس الشباب العربي بالاثم تجاه أحداث سبتمبر ١٩٧٠ من خلال التعبير عن المالم الداخلي لشباب اردني عثر اثناء مشارك عمان على ذراع مقطوعة في الطريق ، فطوال الفيلم نرى هذه الذراع تطارد ليله ونهاره ، في يفظته ومنامه ، وفي النهاية يقرر ان يحمل السلاح مع الفدائيين . ان « اليد » رؤية سينمائية ناضجة وإن شابهها بعض الافلام ومن الواضح ان مخرجها يميل الى السيريالية ويتأثر بالفلم بونويل الاولى . ولعله المخرج العربي الوحيد الذي يفرز الى هذا المذهب في التعبير .

■ ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى
■ الواقعية فى الفن

مكتبة
الطلبة

ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى (١٨٨٢ - ١٩١١)

«أو» طرابلس الغرب فى آخر العهد العثمانى

يتناول هذا الكتاب فترة هامة من تاريخ ليبيا الحديث ، تمتد على مدى ثلاثين عاما قبل الفزو
الايطالى للبلاد عام ١٩١١ ، وكانت ليبيا فى
هذه الفترة ولاية عثمانية تعرف باسم ولاية
طرابلس الغرب . . . وتبدأ هذه الفترة الهامة
حين أصبحت طرابلس الغرب هى السيادة
الوحيدة الباقية للدولة العثمانية فى شمال
افريقيا بعد أن احتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١

واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ .

وتد عاشرت طرابلس الغرب هذه الفترة
كجزء من منطقة الوطن العربى فى صراعه بين
توى ثلاث . وكانت هناك أول قوة الدولة
العثمانية وهى فى صحة الموت ، وكان يحكمها
السلطان عبد الحميد الثانى أحد سلاطين فترة
التنظيمات ، وكانت هناك قوة البقطة العربية
المساعدة التى ظهرت بوادها فى أكثر من جزء
من الوطن العربى فى مواجهة الحكم العثمانى
من جهة والخطر الاوروبى الجديد الذى يهددها
من جهة أخرى . وكانت هناك ثالثا قوة
الاستعمار الاوروبى الذى تطلع ويسعى الى
السيطرة على الوطن العربى . وقد زادت حدة
الصراع فى طرابلس بين هذه القوى الثلاث ،

تأليف

الدكتور أحمد صدقى الدجاني

معرض

مصطفى سامى

الناشر

المطبعة الفنية الحديثة
القاهرة - ١٩٧١

ومن هنا جاءت أهمية تلك الفترة في أنها تعتبر الخلفية لتاريخ ليبيا الحديث في الستين عاماً الأخيرة ، نجد فيها أصول أحداثه وجنورها بالنسبة للقوى الثلاث ، فقد دخلت ليبيا منذ عام ١٩١١ مرحلة الجهاد ضد الغزو والاحتلال الإيطالي، وواجه الشعب الغزو الجديد وتبليورت النتائج التي ظهرت للاحقها في هذه الفترة .
والقارئ يخرج في النهاية بثلاث نتائج محددة :
١ - أن الدولة العثمانية حاولت الوتوب في وجه الخطر الأوربي ، ولكنها نتيجة لانهيارها كانت عاجزة تماماً من صده ، فتنقضت محاولات الإصلاح التي قامت بها مع الخلل والفساد في جهاز الحكم ، وهكذا ازداد التفلفل الاستعماري خلال تلك الفترة ، وتحصلت الدولة العثمانية مسئولية ذلك ومسئولية عدم تهيئة البلاد كما ينبغي لمواجهة الغزو المحتل .

٢ - أن الفطر الأوربي في تزايدده كان يسيل إلى القوة بالغزو والاحتلال والاستعمار الباهر للبلاد ، وأن التفافس الاستعماري سيحسم لصالح إحدى الدول الأوربية على ضوء الظروف المحيطة ، وقد كان الحسم في النهاية لصالح إيطاليا .

٣ - أن الفضال الشعبي دخل مرحلة جديدة في هذه الفترة ، وبرز فيها كرد فعل لتحدى الخطر الأوربي ، وتحدى كرد الحكم العثماني ومجهز ، وكان متوقعا أن يتعاضد هذا الفضال حين يتوجه لصراع الاستعمار الأوربي الغزوى .
قسم المؤلف كتابه - الذي جاء في ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير - إلى تسعة فصول ، خصص الأول منها لالتقاء نظرة على جغرافية وتاريخ طرابلس الغرب ، والقوى الثلاث التي تتصارع في أرضها ، وانتقل في الفصل الثاني إلى حكم الوالى أحمد راسم الذى امتد طوال النصف الأول من الفترة والذى حفل بأحداث هامة ، وكان ظاهرة فريدة في حكم الولاة ، وقد أوضح أسلوب الحكم العثماني في فترة التنظيمات وفي عهد السلطان عبد الحميد بما فيه من

استبداد وجنوح إلى المركزية الفسدية ؟ وبما تضمنه من استجابات لتحدى الغرب ومحاولات للإصلاح .

وتناول الفصل الثالث حكم الولاة العثمانيين الذين جاءوا بعد أحمد راسم وحتى عام ١٩١١ ، وتحدث عن عهد كل منهم بالتفصيل وخاصة الشير وجب باشا الذى ترك أثرا طيبة بين الناس في الولاة ، ووقف في وجهه الإطباع الإيطالي . وأعقب هذا الفصل بأربعة فصول لدراسة أوضاع الولاة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية وحيلها الثقافية . أما الفصل الثامن ، فقد تناول الخطر الأوربي والإطباع الاستعماري في طرابلس ، وبدأ بعرض للكشف الجغرافي الأوربي لليبيا ومكان هذا الكشف من حركة الاستعمار . ثم شرح سياسات الدول الأوربية والاستعمارية ومسابعا في طرابلس . بريطانيا منذ أيام ورائجتون وتركيزها على برقة لجوارها مصر وبمئة الصهيونية لبرقة . وفرنسا وتواجدتها في تونس والجزائر . ووسط أفريقيا وسعيها للتوسع شرقا وغربا ، وإيطاليا وقد تتبع نشأة التفكير الاستعماري فيها ، واهتمامها بطرابلس بعد احتلال فرنسا لتونس ، وسياستها في التفاوض والتفاهم مع الدول الأوربية ثم تحركها الاستعماري في طرابلس .

أما الفصل التاسع والأخير ، فقد تناول اليقظة والفضال الشعبي في طرابلس ، فأبرز صور الفضال قبل هذه الفترة ثم قام بعرض للتجربة التنظيمية الأولى في البلاد ، وتاريخ حركة الشريف هيد ومعارضة الأعيان للوالى أحمد راسم في طرابلس وللشيخ سليمان الباروني في مرحلة نضاله الأول التي أهله للقيام بدوره النضالي الكبير بعد الغزو الإيطالي ، وقد توصل في هذا الفصل إلى نتيجة محددة وهي أن براعم اليقظة في ليبيا ظهرت آنذاك ووافقت زمنيا لظهور براعم اليقظة في أجزاء أخرى من الوطن العربي وخاصة في الشام ومصر تأكيداً لمعنى الوجود الواحد للأمة العربية الواحدة .

الواقعية في الفن

كتاب سندي فلكشتين - الماركسي الأمريكي البارز - « الواقعية في الفن » - واحد من أهم المؤلفات الماركسية في هذا الفرع من العلوم الفلسفية ، ويمكن اعتبارا امتدادا وتطورا لبعض الكتب الكلاسيكية في هذا المجال مثل « علاقة الفن بالواقع » للكاتب السوفيتي نيدوشيفين ، وقبله كتاب بليخانوف « الفن والحياة الاجتماعية » ورسالة بيلينسكي « فكرة الفن » ورسالة تشيرنيسنسكي في « لعلاقة الجمالية بين الفن والواقع » .

تأليف :

سندي فلكشتين

عرض :

سمير كرم

القائش :

المؤسسة المصرية للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧١

والذى يقدمه فنكلشتين فى كتابه هذا هو رؤية ماركسية فى منتصف الخمسينات ومن داخل المجتمع الأمريكى للعلاقة بين الفن والحياة الاجتماعية بالتعبير الشامل لهذه الحياة من ناحية ومع التطبيق التفصيلى على المجتمع الأمريكى من ناحية أخرى .

والكتاب نشر فى نيويورك عام ١٩٥٤ ونشر فى القاهرة فى الشهر الماضى فقط . وقد نقول أن تأخر نشره الى هذا الوقت بالمصرية لا يؤثر على القيمة العلمية للكتاب ، ولكننا ينبغي أن نقول أنه قد سبقه الى النشر فى الهيئة المصرية العامة للنشر والنشر (التي أمسرت الترجمة) كتب عديدة فى نفس الفرع من العلوم الانسانية أقل قيمة بكثير . إن لم نقل قيمة الفقداء على الإطلاق ، خاصة إذا أخذنا فى اعتبارنا ذلك المعنى الواضح الذى حدده مترجمه مجاهد عبد المصم مجاهد (فى مقدمة الترجمة) فى قوله « إن المترجم الاشتراكى الديمقراطى الحق فى بلاندا مطالب بأن يترجم للناس كتباً من خلال فئتين المفهومين : الاشتراكية والديمقراطية . » بمعنى أن يكون الكتاب المترجم أداة لدفع المجتمع وتطوره وترقيه ، مع تفتح الذهن على الفكر الإنسانى لكى تكون لدينا أرضية كبيرة تصلح لنا مطلقاً بعد هذا ... »

ومصون الكتاب تعطينا فكرة واضحة ليس من الاتجاه الفكرى للمؤلف فنكلشتين فحسب ، بل من منهجه العلمى فى تناول مشكلة علاقة الفن بالمجتمع . أنه يبدأ بفصل من « ديناميات العمل وعلاقتها بالجمال » . وفى هذا الفصل يعطى تفصيلاً للمعنى الذى قصده ماركس فى قوله « أن العمل — من حيث هو عملية — هو الطبيعة الدائمة والطرف الاشتراطى الذى يرفض نفسه على الوجود الإنسانى » . ومع تفصيل هذا المعنى يفتح المؤلف لمبانا معنى المنطق من خلال العمل . أى معنى الإبداع الفنى كعمل . وبإيجاز فإن هذا الفصل يقدم النظرة « المادية التاريخية » لاصل الفن . ومن أهم ما يتعرض له قضية علاقة الفن بالحرية . والحرية هنا مفهومة بمعناها العلمى الذى حددته الماركسية بأنه طمس الاستقلال عن القوانين الطبيعية ، وإنما هو معرفة هذه القوانين والامكانية التى تقدمها لتجعلها تعمل بطريقة منسقة من أجل غايات محددة . »

ويتناول الفصل التالى فى هذا الكتاب « بزوغ العنصر الإنسانى » . ويبدأ فى هذا الفصل الى انكسابت الصراع الطبقة — بعد ظهور المجتمع الطبقة بتشكله المختلفة — على الفن ، على عمليتى الخلق والتفوق ، وعلى دور الفن الاجتماعى . ذلك أنه كما يقول فنكلشتين « إن كل مجتمع قائم على الطغانات الطبقة يولد بناء فوقيا من الأفكار ، أى تكون له إيديولوجيا من خلالها تؤكد الطبقة الحاكمة حكمها وتدعمه . » ويفرد المؤلف فى هذا الفصل مكاناً واسعاً ومعالجة تفصيلية للدولات الاجتماعية للذين المصرى القديم .

وامتداداً لهذه المعالم . يقال فى الفصل التالى (الرابع) مشكلة علاقة « الفن والدين والصراعات الطبقة » . ويعمد هذا الفصل دراسة فريدة فى الكتابات الماركسية لفنون العصور الوسطى وعلاقة الفن خلال تلك الحقبة التاريخية الطويلة بالواقع الاجتماعى فيها . وينتهى فنكلشتين فى بداية هذا الفصل الى ضيق لنق الثقافة الغربية حين تطلق على العصور الوسطى تعبير « العصور المظلمة » لانها فى هذا تفضل حضارات شمووب الشرق — مصر وإثريقيا والصين والدول الإسلامية . « لقد كان المالم البيزنطى والإسلامى هو الذى حافظ على الفن والعلم والفلسفة الإغريقية القديمة عندها خيم الظلام على أوروبا » .

ومعالج فنكلشتين تفصيلاً تأثير سيطرة الإيديولوجية الدينية على المجتمع الأوروبى فى تلك الحقبة على الفن لا من خلال العلاقة التجريبية بين الدين والفن باعتبارها من مكونات البناء المادى ، بل فى علاقتها الديالكتيكية بالواقع التاريخى والاجتماعى . من خلال حركة الصراع الطبقة فى ظل النظام الإقطاعى .

وينتقل بعد ذلك فى فصل « الحياة الواقعية تصور نفسها » الى فن عصر النهضة ، ويقدم فى هذه المعالجة تقييماً ماركسياً واضحاً لمجموعة من أعظم فناني عصر النهضة الذى يعتبره « أعظم مفكرات فن الرسم فى تاريخ الفن الغربى » ، جيريتو ومايكلانجيو وسان أوك وماساتشيو وليوناردو دافنشى .

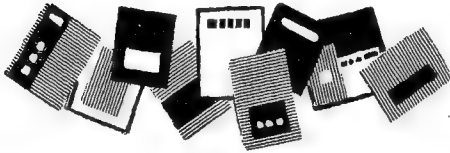
ويخرج من عصر النهضة الى معالجة فترة ظهور الآلة — فى الفصل السادس — وهى

المركسية للاتجاهين الكلاسيكي والرومانتيكي في الفن كانعكاس لطروف العصر الاقتصادية وصراعاته الاجتماعية . وفيه يتعرض لاساتذة الفن في تلك الفترة ميزان وجوجان وفان جوج ولوثريك ، ويصل الى بول كلى وبيكاسو .

ولا شك ان الفصل الاخير في كتاب فنكلشتين بعنوان « الواقعية والصراعات الديمقراطية في الفن الامريكى » هو اهم فصول الكتاب ، بل هو القصد النهائى منه . انه يتعرض للمسلمات المميزة للثقافة الامريكية والفن الامريكى والتيارات المصارعة فيها . ويكتسب هذا الفصل اهمية اضافية للقارئ العربى لانه يتعرض بدراسة المنهجية الواضحة لمسدد كبير من الفنانين المجهولين لنا والذين اسهموا بدور كبير في النضال ضد اسوأ ظواهر اقترختها الرأسمالية الامريكية مثل الاضطهاد العنصرى ضد الزنوج واتعدام الديمقراطية الحقيقية مع سيطرة رأس المال الاحتكارى بصورة لم يسبق لها مليل على اقدار الانسان الامريكى . وهو في النهاية يؤكد ايمان فيلسوف الجبال الماركسى بأن الفن — رغم كل الظروف — « يستطيع ان يقوم باكثر دورا فعالا في تغيير العالم وباحلال السلام على الارض وتطوير الشعب تطورا لا حدود له » لك التطوير الذى سيجعل السلام ممكنا »

فترة بداية سيطرة النظام الرأسمالى ؟ وهى فترة — من الناحية الفنية — شهدت امبال بروجل والجريكو وفيلاسكيز وروينز ورامبرانت . ولعل اهمية هذا الفصل ترجع الى ان السكتب التقليدية في تاريخ الفن ، او حتى في التاريخ الاجتماعى للفن — لا تعنى عادة بها ، او هي لا تعترف بتييزها كفترة ذات سمات تاريخية واجتماعية معينة ، وبالتالي كفترة في تاريخ الفن لها ملامحها الخاصة . بينما تتفصح استثنائية فنكلشتين في عرضه لتأثيرات بزوغ ونمو النظام الرأسمالى في أوروبا على المجتمع وفنونه حيث تظهر قيم جديدة تمايا اقتصادية واجتماعية وفنية تترك آثارها على اجيال عديدة بعد ذلك وحتى الآن . وأهم ما يتناوله هذا الفصل على وجه التحديد مشكلة التسمية في الفن في بدايتها الاولى . وهو يصل بنا الى نتيجة محددة « في كل بلد في القرن التاسع عشر نجد أن محل عظمة الفنان الفرد والكيان الفنى يصبح التصوير الواقعى للحياة القومية » .

وفي الفصل قبل الاخير بعنوان « التمرد والهرد الزائف يتناول فنكلشتين تأثيرات الثورة الفرنسية ويركز اتركيزا خلاصا على امبال الفنان الاسبانى العظيم جويا باعتباره المعبر عن روح هذه الثورة . وفي هذا الفصل نجد المعلجة



مناقشات مفتوحة

مناقشة الموجة الجديدة في الرواية المصرية

تعليقا على دراسة صبرى حافظ
«الموجة الجديدة في الرواية المصرية» ،
كتب مصطفى فودة يقول :

تعرض صبرى حافظ لأعلى الروائية بالنقد في عدد أغسطس سنة ١٩٧١ من مجلة الطليعة . وكان منهجا جديدا في النقد . فلتد مررنا النقد حديثا — عرضا وتعميضا بالعمل الفني . وعرّفناه قريبا إبراز محاسن العمل الفني ومساوئه مع إقامة الدليل على ذلك .

أما ما أتى به الناقد من منهج فلم نسمع به تقدا من قبل ولا من بعد . وأن كان يندرج تحت شيء ، فهو بالنسبة لي على الأقل — باب التجريح .

ومن شاء فليظن لي [ما] التي أعدها الناقد على اسمي [ص ٣٢ عدد أغسطس ١٩٧١ الطليعة] فلتظني بقدره قادر من جنس العقلاء إلى جنس غير العقلاء ثم ، وكان الله يحب الناقدين غير أن هناك أساتذة أجلاء راوئي من سنوات بعيدة قبل أن يكون الناقد — من خلال رواياتي طبعاً — من جنس العقلاء وتعرضوا بالنقد البناء لما كتبت ، ومنهم الأستاذة الدكتور سهير القلماوي التي كتبت تعديدا لروايتي [شمس ووجل] .

ولهذا حين أورد على الناقد الجديد أن انهج نهجه فليسلكه أنا أيضا في عداد غير المائلين ولن أذهب لأعدد ما في أعماله من حصن أو سوء

أو أروح غامرُضها وأعرفَ بها . لأنني والعمل على منهم عند الناقد الجديد على الأقل .

ولكنني أدع الحديث بالنسبة لروايتي الأولى لتقديم الأستاذة الدكتور سهير القلماوي أقتبس منه . لأبالي فقط ولكن ما على أيضا حيث تقول :

[**والرواية تمتاز بوصف** للحياة في الريف وفيها ولا شك مواطن تجلي فيها ملكة القصص التي تبشر بكثير في هذا الميدان] . وتقول أيضا : [وتتميز لحداث القصة في تناسق طبيعي واقعي يقحم فيه المؤلف الشرح الصريح أحيانا ، ولكنه في جبلته طبيعي متناسق لا يحتاج إلى شرح من سهولته ويسر تتابعه وأن تكن الأحداث غير مدببة الهدف فأنها في مجموعها واضحة الأثر تسيّر دون تعرجات نحو غاية مرسومة . أما الشخصيات فأنها أيضا واقعية قد رسمت بخطوطها التقديرية الرئيسية ليس غير ولكن فيها لمحات طيبة فنية تظهر من حين لآخر .

واسلوب القصة قد التزم القصص حتى في الحوار ويذا طبيعيا رغم ذلك لأن المؤلف حرص على إلمامة أصله قدر المستطاع ، بما جعل الحوار لايفقد حيويته . والرواية موفقة في رسم نمط مثالي من الحياة للبطل قد لا توافق المؤلف على تفصيلاتها كلها أو حتى على بعض مظاهرها ولكننا لانملك إلا أن نصن إلمامته ومصدقته وأخلاصه في مسيل أن تغفل الثورة ومبادئها في الريف لتغير من وجه الحياة في مسيل أن يسعد الريف وتشرق الشمس على الوجه . **والرواية** [الفت سنة ١٩٥٩] قد صورت بعض ما جاءت قوانين بوليه سنة ١٩٦١ لأصلاحه بل مجاه أيضا مكيلا لهذه القوانين كبح الإجاب حق ملكية الأرض الطيبة التي لا تكتفي أهلها والتي

هذه المحلات والورش والمصانع الصغيرة عددها يقدر بالآلاف وهي تتوزع عشرات الآلاف من العمال - وتتسام هذه الورش بفقر كبير في الانتاج القومي ولها دور فعال تستهلك الكثير من الخامات وتطلب دورا انتاجيا في عمليات التصنيع وتنتج الكثير من السلع الناجحة ، فضلا عن استيماها لعشرات الآلاف من العمال واشتركا في التأمينات الاجتماعية والتزامهم بدورهم في كل التزام وطني فضلا عن أنهم يكونون في قطاع صناعاتهم دورا كبيرا فعلا - وقد أسهموا في رفع مستوى الدخل القومي رفاهيا بالتصدير وكافحوا وناضلوا من أجل النصر وذلك أيمانهم وأيماننا منهم ووطنيتهم وأيماننا منهم بمعركة التحرير الوطني ، ألا مع الأسف الشديد ، تضررت هذه الورش والمصانع والورشيين وتعرضوا الى هزات عنيفة بل نقول الى نكسات .

وزحف عليهم عدو لا يرحم عدو أشد ضراوة من العدو الخارجي - هذا العدو الداخلي هو (السوق السوداء) هذا العدو المستغل الذي استغل دماء الجميع ولتمصها .. وتحول الى أشد أنواع الاستغلال واستشرى هذا العدو زواجا ضراوة وزاد انصرام السوق السوداويكس مستغل أو نهز فرص - أو انصاف انتهزها يتحول الى السوق السوداء ويتصل مع الاسف مرة أخرى يستطيع بماله من أموال أن يتسلل ويسكن ويتحالف ويتلاعب ومرة أخرى يتحالفون على القوانين حتى دانت لهم - وأصبحت السوق السوداء سوقا رهيبة مقاومة لنا في كل اتجاه القاهرة ، فأنصبحت الآن يوم يتابع السوق السوداء والنحاس في السوق السوداء وكل شيء في السوق السوداء ، ويكس أصحاب السوق السوداء أن يشتغل سنة أو سنتين ويصبح من أغنى الأغنياء وهكذا هي السوق السوداء وأصبح سعر الألمنيوم يتراوح من ٦٠٠ جنيه الى ٨٠٠ جنيه للطن وسعر طن الماسيس النحاس ١٦٠٠ جنيه للطن ، ومع الاسف تعرضت هذه الورش والمصانع الصغيرة والصرفيين الى الانقراض فتوقف حاليا من توقف - والباقي في الطريق الى التوقف والباقي يقاوم .. ومع الاسف بدأنا نصبح ونشكو ونرسل صوحتنا ونطلب ونكافح .. فكان جزاؤنا اخفاء الخام وتعرضنا الى التوقف ..

ونحن نقول الى متى هذا ؟ ان شبح البطالة والفاقة أصبح مهددنا جميعا .. ان الثورة تأتيتنا أجلنا نحن أطمعنا من سيطرة رأس المال ولكن رأس المال المستغل تسال وبدأ يعود مرة أخرى .. اننا رغم حاجتنا ورغم بطالتنا ورغم عدم حصولنا على المواد الخام لم نخفل مطلقا من أي التزام نحو وطننا ..

نفقون رغم ذلك بدفع اجور العمال ومحاولات تشغيلهم وسداد التأمينات الاجتماعية وسداد ما

يجبها اهلها - كما لا يمكن أن يحب انسان لرقه في أي بلد من بلاد الدنيا .

انها الارض الطيبة التي عليها يعيش ثلاثة ارباع سكان الجمهورية - وهي هي الارض الطيبة التي صنعت تاريخنا وحفزت اطلالنا وباركت صناعتنا وتعاونت معنا ولنا في كل خير يصينا [ذلك هو رأي الاستاذة الدكتور - مسهير القلثاوي في روايتها الاولى - واين الشاهد الجديد صبرى من الاستاذة الدكتور ! اما عن روايتي الاخرى [مائة ساعة في القمة] فلكفي بتوضيح بعض الامور من حولها - ذلك :

١ - انها الرواية التي تبسيسة التي دافعت عن انسان معركة عام ١٩٥٦ المصري .

٢ - انها كانت ثائي قصة على عشر قصص فائزة في مسابقة القصة السينمائية عام ١٩٦٤ تحت اشراف رائد القصة العربية استاذنا نجيب محفوظ . حقيقة ان اولاد الحلال الذين لا يرضون في حقل السنيها الا هم [والاضيقهم] لحسوا ما فرضوا على انفسهم وما قالوا به من تشجيع الى غير ذلك ولم يمنحوا الجائزة المادية الا لاول والاول مكره . الا ان هذا لا يغير من حقيقة كون روايتي كانت الثاقبة .

٣ - ولا يستطيع احد ان يشك للحظة في نبسيسة المسابقة التي مازت فيها روايتي لامرين :

اولها : ان المسابقة كتبت مرة بمضى ان النسخ التي قدمت للمسابقة لم يذكر عليها اسماء المؤلفين .

وثانيها : ان لجنة التحكيم كانت تضم ضمن من ضمت من نقاد كبار : انسان من الدكاتره وشاعر اقل ما يقال : ان هابني وبينهم لم يكن عالما . لما كذا تعرض بالنقد لما يكتبون ابا ن عضويتي لتحرير مجلتي الثقافة والرسالة .



الحرفيون والمصانع الصغيرة لتشغيل المعادن والسوق السوداء

ارسل عدد من اصحاب المصانع الصغيرة يشكون من الصعوبات التي تواجههم بسبب تحكم الوسطاء في توزيع المواد الأولية ، وتحديد أسعارها .

وهاء في شكواهم :

وأعادة تقييمها من جديد على أساس تخطيط عادل
على أساس علمي مدروس وعلى أن يشترك في هذه
اللجان عضوان عن هذه المصانع لنضين الرقابة
حتى تحد من تسلل أو تلاعب الإلتهازيين . .

كما يجب حتى تحد من التلاعب تسخير
كل الخبايا تسعيرا جبريا ، وإذا كان هناك نسبة
ربح فالتسعير الجبري يجرى عملية تهذيب للربح
وللحد من التلاعبين .

علينا من الضرائب ولكن الى متى ونحن نؤخر
ونتوقع ونلته أن من حقنا أن نطالبكم قورا بعمل
نذوة عامة لصناع هذه المهن واجتماع المسؤولين
بهم للوصول الى حل شريف عادل ورفع الظلم
عنهم .

ان التوزيع الذي يتم اليوم نريده توزيعا عادلا
ان الخانات المفروضة انها للمصانع واليست
للسمطاء وتقضى بذلك الغاء جميع المحصن



حول « لكم دينكم ولي دين »

■ ■ ■ ثار انتباهي نقد الدكتور بطرس بطرس غالي لواقف واتجاهات « الطليعة » حول
حركة التحرر الوطني ، وعلى وجه التحديد تناوله لجانب « الامبريالية » الذي قال فيه
سهادته « ... نستطيع أن نتصور علاقة استعمارية داخل أى معسكر من المعسكرات
الدولية » .

وأود في البداية أن أوضح باني لمستماركسيا وانى لا انتمى الا « للناصرية » فكرا
ومبدأ ، اقول هذا حتى لا يظن الدكتور انى ادافع عن الطليعة ، وانما انقضى رايها :

يقول الدكتور اننا « نستطيع أن نتصور علاقة استعمارية داخل أى معسكر » والذي
اعرفه جيدا أن « الامبريالية » هي مرحلة الاحتكار بل انها المرحلة النهائية من نمو
الراسمالية ، وهي بذلك لا توجد الا في المعسكر الراسمالي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية
وهي لها سماتها الخاصة التي تؤدي في النهاية الى وجود العلاقات الاستعمارية -
الاستغلال الاقتصادي - اساسا - فيما بين الدول الراسمالية نفسها وفيها بينهاكل وبين
دول العالم الثالث ، الدول المستعمرة ، التابعة وهذا يؤدي بنا الى ان نقول ان العلاقات
الاستعمارية لا توجد الا في المعسكر الراسمالي لانها مقومة الاساس .

فانما : لم يحدث أن رأينا علاقة استعمارية - استغلالية - بين دول المعسكر الاشتراكي ؟
وحركة التحرر الوطني ، او مجموعة دول هم التحيز .

ثالثا : ان علاقة المعسكر الاشتراكي بالدول النامية او حركة التصور الوطني وان كان
ينطبق عليها قول الدكتور بطرس في تعريفه للاستعمار « ... علاقة غير متكافئة بين
دولتين غير متساويتين في القوة » الا انها ليست علاقة استعمارية كما يوحى تحليل د .
بطرس للامبريالية ، ولعل استقمل على ذلك هو علاقة مصر بالاتحاد السوفيتي ، فرغم أن
قوة كل من الدولتين غير متكافئة الا انه ليست هناك علاقة استعمارية ولعلنا نذكر ما حدث
من خلاف من مصر والاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٦ وما ادى اليه من هدام ، الا ان الاتحاد
السوفيتي استمر على التزاماته نحو السد العالي ، كما اننا لا يمكن بحال من الاحوال ان
نتصور انه معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية تعلق في النتائج معاهدة سنة ١٩٣٦ بين
مصر وبريطانيا .

أريد في النهاية أن أناقش تلك النقطة من تطبيق د . بطرس حتى لا تكون هناك فرصة
لبعض الاتهامات لتأخذها سنداً لها في دعائها لتسوية العلاقة بيننا وبين الاتحاد
السوفيتي والمعسكر الاشتراكي عامة، وتريدهم أننا خرجنا من تحت سيطرة استعمارية لنقع
تحت سيطرة استعمارية أخرى .

وأخيرا بحفرة الى الدكتور بطرس بطرس غالي وإلى الطليعة من قارئ تجاوز قدره
بالحاق نفسه في مناقشة وجوار بينهما .

حسام الدين بهي الدين ريشو
مدرس بدمرسة كثر السودان الابتدائية

وثائق



النص الكامل لكتاب

الشيخ علي عبد الرازق

الاسلام وأصول الحكم

بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام

- 127 -

التبليغ في بيان حقائق الإسلام

بمشتق

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

تأليف

علي بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب

من طبعه المطبع الأزهر - وقعة الحاكم الشرعية

« الطبعة الأولى »

سنة ١٣٢٥ هـ

١٩٠٦ م

« حوالى الطباعة مطبوعة »

مطبع - دار التبليغ

دار التبليغ

تتميز الخطبة التي تكامل لقب الشيخ على
بعد الزايق عن الإسلام وأصول الحكم وهو
الكتاب الذي أثار معركة فكرية ما تزال أصداؤه
تردد حتى اليوم في جنبات مجتمعاتنا العربية .
وكانت مذكورة عام ١٩٢٥
ولم تكن نفس الشيخ .
بالتجديد

وكانت نفس التسمية عام ١٩٦٥
لحركات جهالة التي انتهت عام ١٩٦٦
طبع هذا الكتاب ، بعد أن قد طبعت
اسابيع ثمانية عام ١٩٦٥ ، وكان هذا
لحركات جهالة التي انتهت عام ١٩٦٦
طبع هذا الكتاب ، بعد أن قد طبعت
اسابيع ثمانية عام ١٩٦٥ ، وكان هذا
لحركات جهالة التي انتهت عام ١٩٦٦
طبع هذا الكتاب ، بعد أن قد طبعت
اسابيع ثمانية عام ١٩٦٥ ، وكان هذا

ويشتمل الكتاب ، بعد مقدمة موجزة ، من 2000
فصل الكتاب الأول يعالج موضوع الخلافة والاسلام .
ويشتمل الكتاب على 2000 فصل .

الاول : الخلافة وطبيعتها . والثاني : حكم
والكتاب الثاني يناقش قضية الحكم والاسلام .
والاول : نظام الحكم . والثاني : حكم

الأول : نظام الحكم في عصر النبوة . الثاني : الرسالة والحكم . الثالث : رسالة لأحكام ، ودين

الحكومة في التفرغ ، وذلك من خلال ثلاثة أبواب :

الأول : الوحدة الدينية والمغرب . الثاني : الخلافة الإسلامية .

الثالث : الخلافة الإسلامية .

الشهد أن لا إله إلا الله ، ولا
أعبد إلا إياه ، ولا أخشى أحدا
سواه . له القوة والمؤنة ، وما
سواه ضعیف ذلیل ، وله الجبد
فی الأولى والأخرة ، وهو حسیب
وتمم الوکیل . وأشهد أن محمدا
رسول الله ، أرسله شاهدا
ومنجرا ونكيرا ، وداعيا إلى الله
بآلته وسراجا منيرا ، صلى الله
وملائکة علیه وسلموا تسلیما
کثیرا .

ولیت اقتضاه یحکمکم بصر
الشریعة ، منذ ثلاث وثلاثین وثلاثمائة
والف هجرة (١٩١٥ م) فطهرنی
ذلك إلى البحث عن تاریخ القضاء
الشرعی ، واقتضاه یجمع أنوارمخرج
من غروع الحكومة ، وتاریخه یصل
بفهرایها اتصالا کثیرا ، وكذلك
اقتضاه الشرعی رکن من رکنان
الحكومة الاسلامیة وشعبه من
شعبها ، فلا بد هیئت من یدرس
تاریخ ذلك القضاء أن یبدأ بداسة
وهی الأول ، أمشی الحكومة فی
الاسلام ، واساسی کل حکم فی
الاسلام هو الخلافة والامانة المقنی
— فلی ما یفرون — فکأن لا بد
من بطلها . شرعت فی بحث ذلك
کله منذ بضع سنین ، ولا أزال

الكتاب الأول

الباب الأول

الخلافة وطبیعتها

(١) الخلافة لغة : مصدر خلت فلان
فلانا إذا تشرع منه ، وإذا جاء خلد
آخر ، وإذا قام محله . ویقال خلد
فلان فلانا إذا قام بآلانه عنه ، أباه
وأبا یحده . قال تعالى (ولو نصدب
لجعلنا بکم ملکة فی الارض یفتلون .)
والخلافة النبیة عن النبی ، أما لئیة
الملوب عنه وأما لویه وأما لمجره فلق
والخلافة جمع خلیفة ، وخلفاء جمع
خلیف (١) ، والخلیفة السلیط (المعظم) (٢)
(٣) والخلایفة فی لسان المسلمین ،

بعد عند مراحل البحث الأولى :
ولم تقتصر بعد الجهد إلا بهذه
الورقات ، اقتدیا علی استنباه ،
الی من یعنیهن ذلك الموضوع .
جعلتها تمهیدا للبحث فی تاریخ
اقتضاه ، وشجنتها جعلا ما احدثت
الیه فی شان الخلافة ونظرية الحكم
فی الاسلام . وما أدنی اتنی قد
احطت فیها بجوانب ذلك البحث ،
ولا اتنی استطعت أن انتابها شیئا
من الإجمال فی کثیر من المواضع
بل قد أكون اکتلیت احیانا عبارات
ربما خفت علی صنف من القارئین
جهتها ، وبالأوجات قد فسونهم
دلائها ، ویکلیات تروک ان تصیر
علیهم الفأرا ، ویعجز ریحاصوه
حقیقة ، وبضیقة ربما حسیبها
محلا . وانی لرجو — أن اراد
الله لی مواصلة ذلك البحث — أن
اتدارک ما اعرفه فی هذه الورقات
من نقص . والأخذ فکرت بها بین
یدی الباحثین اثر عسی أن یجدوا
فیها شیئا من جددة الرأی ، فی
مراحلة لا تشوبها مفراة . وحسی
أن یجدوا فیها أيضا أساسا صلبا
لأن یزید الفیاء ، وأعلما وانفسحة
ربما احدثی بها الصاری الی
بواطن الحق .

أما بعد . فإن تلك الورقات هی
ليرة عمل بذلت له انقی ما أبک
من جهد ، وانفقت فیها سنین کثیرة
الحمد ، کانت سنین مواصلة
الشدائد ، متعاقبة الشوائف ،
مشویه بانواع الهم ، مزعکسها
بالالم . استلغى العمل فیها یوما
ثم نصرنی الحادث ایاما : أعود
الیه شبراً ثم انتقع اعواماً ، فلا
غری أن جاء هیلا دون ما اردت له
من کمال ، وما یدلی له من
اقتان ، بید اته علی کل حال هو
انقی ما وصل الیه بحتی ، وفلیة
با وسعت نفسی (لا یكلف الله
نفساً الا وسعها) لها ما کسبت
وعلیها ما اکتسبت . ربنا لا لاخنا
ان نمینا أو أعطنا ، ربنا ولا
نصل منها أصراً جاء هیلة علی
الذین من قبلنا ، ربنا ولا تحمنا
بلا طقة لنا به وافع عنا واففر
لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا
علی القوم اکثرین) .

على عبد الرزاق

المقصودة : فی یوم الأربعاء الموافق
٧ رمضان سنة ١٢٤٢ هـ . اول إبریل
سنة ١٩٢٥ م .

الخلافة والاسلام

وسیاسة الدنیا به (٦) .
(٧) وبنیان ذلك أن الخلیفة عندهم
يقوم فی منصبه مقام الرسول [سلم] :
وقد کان [مسلم] فی حیاة یقوم علی
امر ذلك الدین ، الذی نظام من جانب
النفس الاعلی ، ویترولی تعهده والحداد
عنه ، کما تولى ابلایه من الله تعالى ،
ودعوة الناس الیه . وعندهم من الله
جل شانه کما اذکار محمدا [مسلم]
لدعوة الحق ، وإبلاغ شریعته المتخذة
الی الخلق ، قد اخاره لها لحقت ذلك
الدین ، وسیاسة الدنیا به (٧) . فلما
لحق [سلم] بالرفیق الامین دام الخلد
من بعده فخلیه فی حفظ الدین وسیاسة
الدنیا به .

وفانها الابیة ، هی « ویغله حله
فی لورد الدین والدنیا نیلیة عن النبی
[مسلم] » (٣) ، ویستبر من ذلك
قول المیشاوی (٤) « الابیة هیارة من
خلایفة شخص من الأشخاص للرسول
علیه السلام فی اقلية القوانين الشرعیة
رحنط حوزة الیة » علی وجه یجبا تباومه
علی كافة الیة » (٥) . وتوسیع ذلك
سا فله ابن خلدون : « والخلافة
فی حل الکفة علی محتفی النظر
الشرعی ، فی مسلکهم الاخریة »
والندویة الراجمة الیها اذ اموال الدنیا
ترجع کلیا عند الشرع الی امصارها
بمسالح الآخرة ، فی فی الحقیقة خلافة
من صلب الشرع فی حراسة الدین

- [١] راجع القواعد فی فرب القرآن للصفهانی
- [٢] القلوب والصالح وغيرهما
- [٣] حید السلام فی حاشیته علی الجوهره ص ٢٤٢
- [٤] ناصر الدین ابو سعید عبد القمن مر بن محمد الشیرازی البیضاوی فی سنة ٧٩١ هـ .
- [٥] مطالع الانتظار علی طوایف الاوار
- [٦] مقدمة ابن خلدون ص ١٨٠
- [٧] مقدمة ابن خلدون ص ١٨١

(١٠) **ومسمى القام بذلك خليفة**
 وإليها ، ولما تسميته لئلا يتعصبوا
 بدار السلطنة ، في اتباعه والتمس به ،
 ولما تسميته خليفة لئلا يكون خلفه النبي
 في أمته فيقتل خليفة بإطلاق ، وخليفة
 رسول الله ، لا يقتل في تعصب بخليفة الله
 ، فاجاز به محمد ... وفتح الجمهور به
 ... وقد أبى أبو بكر عنه لئلا يسمي
 به ، وقال لست خليفة الله ولكتي خليفة
 رسول الله [مسلم] (٨) .
 (٩) **فأخليفة عندهم يؤول من أمته**
 بفتح الهمزة [مسلم] من المؤمنين ،
 لئلا يعلو السلطنة المستقلة ،
 والتمس التسمية ، والتسلطان
 الشامل ، وله حق التعليل على خديم
 فيهم فيهم حدوده ، ويقتل شرارته ،
 وله الأولوية على التعليل على شئون دينهم
 أيضا ، وعليهم أن يحرموا بالقرابة كلها
 عنه نائبه رسول الله [مسلم] ، وليس
 عند المسلمين معالم للعرف من غير رسول
 الله [مسلم] ، فمن سب إلى مخالبه
 فقد بلغ الغاية التي لا يجبال فوقها
 لخلق من الجحيم ، عليهم أن يحرموه
 لاختصاصه إلى رسول الله ، ولأنه القام
 على دين الله ، وأجهن عليه ، وأدين
 على عقده . والذين عند المسلمين
 هو أمم ما يعرفون في هذا السكون ،
 فمن ولي أمره فقد ولي أمر شيء في
 الحياة والشرع . عليهم أن يسوموا له
 ويقيموا غائرا ، وإلفا (٩) ، لأن
 طاعة الله من طاعة الله ، وعصيته
 من عصيان الله (١٠) . تنص الآيات
 ولزم طاعة إرفش واجب ، وأمر الله
 ولا يتم إيمان إلا به ، ولا يثبت إسلام
 إلا عليه (١١) . وجعل القول أن السلطان
 خليفة رسول الله [مسلم] ، وهو
 أيضا حي (١٢) . الله على يده ، وظله
 المجدد على عباده ، ومن كان ظل الله
 في أرضه وخليفة رسول الله [مسلم]
 تولاه حبة وسلطنة ، كولاية الله
 تعالى وولاية رسوله الكريم ، ولا غرو
 حينئذ أن يكون له حق التصرف في رعي
 الناس والمواليم وأبصارهم (١٣) ،
 وإن يكون له وحده الأمر والتبى ، ويهد

وحده زمام الأمة ، وتدين ما جسد من
 شئونها وما سفر ، كل ولاية فونه هي
 مستعدة منه ، وكل وظيفة حته هي
 منجزة في سلطته ، وكل خلة ختية
 أو ختوية هي بمنزلة من منسبه لاكتشاف
 منصب الخلافة على الدين والدنيا (١٤)
 لكننا الآيات الكثير ، والأصل الجليح
 وهذه كلها بمنزلة منها ، وداخلا فيها ،
 لسمو نظر الخلافة ، وتصرفها في سائر
 أحوال الأمة الدينية والدنيوية ، وتدين
 أحكام الشرع فيها على المصوب (١٥) .
 وليس للخليفة شريك في ولايته ، ولا غيره
 ولاية على المسلمين ، إلا ولاية بمجدة
 من علم الخلافة ، وبطريق الوكالة من
 الخليفة ، فعمل للولاية الإسلامية وكل
 من يلي شيئا من أمر المسلمين في دينهم
 أو دنياهم من وزير أو خليف أو وال أو
 محاسب أو غيرهم ، كل أولئك وكلاء
 للسلطان وتواب عنه . وهو ومعه منصب
 الرأي في اختيارهم وعزائم ، وفي إغلبة
 الولاية عليهم ، وأعطاهم من السلطة
 بالقدر الذي يرى ، وفي الصدد الذي
 يختار .
 (١٦) قد ظهر من تعريفهم للخلافة
 ومن جعلهم فيها أنهم يعتبرون خليفة
 مقددا في سلطته يهود الشرع والخطاها
 ، ولله بخلق حقا بأن يسلك بالمسلمين
 سبيلا واحدة بمنزلة من بين شتى السبل
 في سبيل واحدة من غير أن ليس هي مستحبة
 من غير موجب ، قد كشف الشرع الشريف
 من ينجدها وفائتها ، والتمس يهنا
 لبرائتها ، ومعه خارجها ، وأتسار
 لعلها ، ووضع فيها مبادئ السلطان ،
 ووجد الخطي للسلطان ، فما كان لأحد
 أن يشل يده ولا يمشي ، وما كان خليفة
 أن يربط يده ولا أن يمشي ، هي سبيل
 الدين الإسلامي الذي تكلم محمد [مسلم]
 يوضحها للناس حجة من الدهر طوية .
 هي السبيل التي حدها كتاب الله الكريم
 وسنة محمد وأصحاب المسلمين ، ثم
 هم يعتبرون الخلافة مقددا بغير الشرع ،
 ويرون ذلك كفايا في ضبطه يدها أن أراد
 أن يجمع ، وفي قوله مجله إذا خيف من

يجمع ، وقد خيفت بهم فلم إلى أن الخليفة
 إذا جاز أو عجز أنزل عن الخلافة .

(٧) وقد عرفوا من يجعل ذلك بين
 الخلافة والملك ، بأن الملك الطبيعي
 هو حمل الكفاية على مقتضى الشرعي
 والتشريع ، والسبيل هو حمل الكفاية
 على مقتضى النظر الطلي في جواب المسأل
 الدنيوية ودفع المسأل ، والخلافة هي
 حمل الكفاية على مقتضى النظر الشرعي
 الخ (١٧) ، وأللك يقدر ابن خلدون
 من الخلافة الضميمة كانت هي المصدر
 الأول إلى آخر عهد علي ، ثم صار
 الأمر إلى الملك ، ويعتبر معنى الخلافة
 من عصر الدين ومجاهده ، والجرى إلى
 مناج الحق ، ولم يقدر الختير إلى
 الأوزاع الذي كان يديا من لانتب محمية
 وسبقا ، وهكذا كان الأمر لمعد محمية
 ويرون وألله عهد الملك ، وألصدر
 الأول من خلافه بنى السبيل ، إلى الرشيد
 ومضى ولده ، ثم خبث معنى الخلافة
 ولم يبق إلا اسمها ، وصار الأمر ملكا
 بعنا وبجرت طبيعة الخلفاء على فائتها ،
 واستعملت في إغرامها ، من التبر
 والتبلي في القصور والملا ، وهكذا
 كان الأمر لولد عبد الملك ، وإن جاء
 بعد الرشيد من بني العباس ، وأسم
 الخلافة بأيا بهم ليداه محمية العرب ،
 والشكافة والملك في الخطين بلبس
 بعضها ببعض ، ثم خبث رسم الخلافة
 والرها بذهاب محمية للسبب وللبس
 جيلهم ، وللا في المواليم ، وفي الآن
 ملكا يحدا كما كان الشان في ملوك العجم
 بالشرق ، يفترون بطاعة الخليفة فبركا ،
 والملك يجمع لكليه ومناهم لهم وليس
 للخليفة بته شيء الخ (١٧) .
 (٨) قد كان واجبا عليهم ، إذ المفسرة
 على الخليفة كل تلك القوة ، ورومو إلى
 ذلك العلم ، وفرضه بكل هذا السلطان
 أن يذكروا لنا مصدر تلك القوة التي
 زعموا للخليفة ، التي جاهدت ؟ ومن
 التي جاهد بها ، وألفها عليه ؟ .
 تكلم أهلوا ذلك البحث ، شامتهم في
 لشانه من يملكت السياسة الأخرى %

[٨] بخفة ابن خلدون ص ١٨١
 [٩] حاشية البانجوري على الجوهرية
 [١٠] روى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأجمع المحدث الفريد لابن عديده ج ١ ص ١ . تتبع منظومة الشيخ
 عليان عبد الرزاق بمصر سنة ١٢٠٢
 [١١] منه أيضا .
 [١٢] وفي ضحية للبانجوري قال : أيها الناس إنما أنا مسلفان الله في أرضه ، أسوسكم بتواقيعه وتسميده
 وتأييده ، وحارسه على ماله ، أعمل ليعميدته وأرادته وأعطيه ياقته ، فقد حجتني إليه عليه تلال إن شاء أن يخلصني
 فخلصني لأطاعكم وتسم أرزاقكم وإن شاء من يقتلني عليه قتلى الخ . وأجمع المحدث الفريد ج ٢ ص ١٧٩ .
 [١٣] طالع الآوار وشرحه محقق الانظار ص ٤٧ .
 [١٤] ابن خلدون ص ٢٢٢ .
 [١٥] ابن خلدون ص ٢٠٧ .
 [١٦] بخفة ابن خلدون ص ١٨٠ .
 [١٧] راجع في التاليف الخلافة إلى الملك في ص ١٩١ . وما بعدها من بخفة ابن خلدون .

التي قد يكون فيها شبه تعرض لآكام الخلافة وحداثة البحث به والمناقشة . على ان الذي يصفه جبرائيل التوم المحلة يبدأ الموضوع يستطيع ان ينفذ بنها بطريق الاستنتاج ان للمسير في ذلك مدهون :

(٩) الاذهب الاول ان الخليفة يستبد سلطانه من سلطان الله تعالى وقوته من قوته . ذلك راي تجد روجه سارية بين عاية العلماء وعاية المسلمين ايضا وكل كتابهم من الخلافة ومباحثهم فيها تنحو هذا النحو ، وتشير الى هذه المتقدمة . وقد رايت فيها نطقا لك انما انهم جعلوا للخليفة ظل الله تعالى ، وان ابا جعفر المنصور زعم انه انما هو سلطان الله في ارضه . وكذلك شاع هذا الرأي وتمتد به العلماء والشعراء منذ القرن الرابع ، فتراهم يذبحون ذابيا ان الله جل شانه هو الذي يختار الخليفة ويسوق اليه الخلافة ، على نحو ما ترى في قوله :

جاء الخليفة او كانت له فترا
كيسا اي يه موسى على قدر
وتول الامر :

ولقد اراد الله اذ ولاهما
بن امية اسلامهما وبشاهدا

وتل البرزق (١٨) :
هشام (١٩) كبر الله فلكي والدي
يه ينجلي من آل ابري قلاليه
وانت لهذا التماسي بصد نبيهم
مسماهم يريهم للفضول غلبها

ولقد كان شيوع هذا الرأي وجريته على الاسماء ما سهل على الشعراء ان جعلوا في بياناتهم الى وضع الخلفاء في مواضع العزة والتكسية او قريبها هنا حتى قال تالهم :

ما شئت لا ما شاست الاقدار
عليكم فلتت الواحد القهار
وقال المصروع (٢٠) يمدح الوليد بن يزيد (٢١) :

انت ابن مسلق الطيرح ولم
نظرو عليك العنسي والولج
طوي لفرعيك بن حنا وهذا
طوي لا هراقله التي تفسح
او قلت للسيل دع طريقه والمو
ج عليه كالفيسب يمتلج
لساخ وارند او لكان له
في سقر الارض غلك منرج (٢٢)

واذا انت رجعت الى كثير ما ألف العلماء ، خصوصا بعد القرن الخامس الهجري . وحينئذ اذا ذكرنا في اول كتيب احد الموك أو السلطين ونموده فوق صف البشر ، ووضعه في جيبه من خطم العزة الالهية . وفركه خلا لللك ما جاء في خطبة نهم الحنين القزويني (٢٣) في اول « الرسالة القيسية في القواعد الخفية » حيث قال : « فالحق الى من سجد ملوك الحق ، وامتدق بتأييده من بين كافة الخلق ، وصال الى جنبه الداني والناس ، وانح يفتخونه بالمع والتماس الخ » . وقد شارب تلك الرسالة قطب الحنين الرازي (٢٤) في خطبة شرحه :

« وخبت به على حضرة بن خصة الله

تعالى بالتمس التكبسة ، والرواسية الآسية ... التلك من فخره الغراء تواتر السعادة الإيدية ، التلك من حبه العباد رواتع الخليفة السرمجية ... شرف الحق والدولة والدين . ريسيد السلام ومرشد المسلمين الخ » . ويتول عبد الحكم السبيلكوكي (٢٥) في حديثه على الشعر المصروع : « جملة حراسة حضرة بن خصة الله تعالى بالسلطة الإيدية ، ولبيده وحداولة السرمجية ... بروج الملة الطينية البهيساء ، مؤسس قواعد الشريعة الغراء ، ظل الله في الارضين ، خبات الاسم والمسلمين ، حابر بلاد الله ، خليفة رسول الله ، المؤيد والتأييد والتسر الرقيي الخ » (٢٦) . وجيلة للقول ان استداد الظلمة لسلطانه بن الله تعالى مذهب جار على الاسماء ، فليس بين المسلمين .

(١٠) وهناك مذهب ثلث قد نزع اليه معنى العلماء ودمجوا به ، ذلك هو ان الخليفة انها يستند سلطانه من الآمة . فهي مصدر قوته ، وهي التي تخرجه لهذا الخدم . المؤيد والتأييد (٢٧) قد نزع هذا المنزع حين يقول لمصر بن الخليل :

انت الإجم الذي من بعد صاحبه
التي اليك مقاييد القوي البشر
لم يؤثروك بها ان قدومك لها
لنكن لتفهمك كلك من الاور
وقد جعلت لك الخدم سريعا في كل
الطامة الكاساني (٢٨) في كتابه الإذاعة .
قال (٢٩) : « وكل ما يخرج به الزكيل

[١٨] ابو هراس هيام بن غالب بن مصمصمة ، قيل انه تجاوز المائة من سني عمره وتوفي بالمصرة سنة ١١٠ .
[١٩] وقيل سنة ١١٢ . وقيل سنة ١١٤ . راجع ديوان الفزريق طبع الكتبية الإسلامية ببيروت .
[٢٠] هشام بن عبد الملك عاش بالخلفاء الأيوبيين توفي سنة ١٢٥ بالموصل وكان عمره حينما وضع بين سنة ، راجع تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ٢٠٢ . ٢٠٤ الطبعة الأولى بالطبعة الحسنية يصير .
[٢١] طريق بن اسماعيل القتيبي يمدح الوليد بن يزيد ، ثم مدح ابا جعفر المنصور ، راجع الآياتي ج ٤ ص ٧٤ وما بعدها طبع مطبعة القمم بصر .

[٢٢] هو حادي فخر خلفاء في البيهق سنة ١٢٦ هـ . راجع ابا الفداء هـ ١ ص ٢٠٥ .
[٢٣] المستطاع من ابطاح : اتسع واسطوى سطحه ، ونظرو عليك : نظرو عليك ونطق بك مكاله ، وقال طربت امانته ماذا وكذا اذا انت يلمز وفضل مفضل ، والمضى كالصبي جمع جنة كعسا ، ما اتفطن من الأرض .
[٢٤] والولج كل متعق في الوادي ، نواحيقولة ، ويقال للولج بين الجبال مثل الرحبات ، أي لم تكن بن العنسي والولج يلفني مكاله ، أي لست في موضع غيري من العصب ، والولج أصول الصبغت يقال اهرافواشبه في الكرم ، أي ثابته فيه ، يعني انه كريم الأيوبيين قريش وتقيف . الآياتي ج ٤ ص ٨٨١ تصرف .
[٢٥] نهم الدين هير بن علي الترويني المعروف بالكتبي ، توفي سنة ٩٢٢ هـ .
[٢٦] قطب الدين محمود بن محمد الرازي ، توفي سنة ٧٦٦ هـ .
[٢٧] القاتني عبد الحكم السبيلكوكي توفي سنة ١٠٧٧ هـ المسطورين سبيلكوكي ١ هـ بن كتاب اكتشاف القوق

بما هو مطروح .
[٢٨] راجع في ذلك كله المجموعة التي طبعا الشيخ نرج الله زكي الكردي بالطبعة الثانية سنة ١٢٢٢ هـ سنة ١٩٠٥ م .
[٢٩] جرويل بن اوسي بن مكاله ، توفي في حدود الثلاثين للهجرة . ١ هـ من موات الوصيات ج ١ ص ١٦٦ وما بعدها .
[٣٠] أبو بكر بن مسعود بن احمد عمه الدين ملك العلماء الكاساني ، وبمقتضى ٨٧٧ وفن بظاهر حلب ١ هـ من القواعد المهمة في تراجم الخلفاء .
[٣١] ، بذلج ج ٧ ص ١٦ .

من الوكالة يتخرج به القاضي من القضاء
... لا يظن أن لا شيء واحد ،
وهو أن الملك إذا مات أو خلع بمنزل
الملك ، والخليفة إذا مات أو خلع
لا ينزل فضله بولائه ، ووجه السبق
أن الملك يبدل بولاية الملك وفي نفس
حده أيضا ، وقد بطلت أحقية الولاية
بمنزل الملك ، والقاضي لا يبدل بولاية
الخليفة وفي حقه ، بل بولاية المسلمين
وفي حقوقه ، وأما الخليفة بمنزلة
الرسول منهم ، لذا لم تلحه المصدا
كرسول في سائر العقود ، والوكيل
في التكاثر ، وإذا كان رسولا كان
فعله بمنزلة فعل حاية المسلمين ،
ولا يبدل بحد موت الخليفة باقية ، فيبقى
القاضي على ولايته ، وحده بخلاف العدل ،
فإن الخليفة إذا عزل القاضي أو الوالي
ينزل بمنزله ، ولا يفسد بولائه ،
لأنه لا يفسد بمنزله الخليفة
أيضا حقيقة بل يفسد الصلابة
لا نكتة إن فريته بولاية الملية
والعلمة وروء المصداق دالة ، لتعلق
بصلته بذلك نكتة ولايته منهم متى
في العدل أيضا ، فهو الرق بين العدل
والموت ، ومن أولى ما وجدنا في بيان
هذا المذهب والاتصال له رسالة الخلافة
وسيلة الآية التي نشرتها حكومة المجلس
الكبير الوثائق بالقرية وعلقها بين التركية
ألى العربية عبد الله متى يك ولهمها
بطبيعة الحال بمر سنة ١٢٢٤ هـ
سنة ١٢٢٤ م .

[١١] بل هذا الخلاف بين المسلمين
في مصدر سلطان الخليفة قد ظهر بين
الأوربيين وكان له أثر عملي كبير في
ظهور التاريخ الأوروبي ، ويكاد المذهب
الأول يكون موافقا لما اشهر به الفيلسوف
« جيز » (٢٠) من أن سلطان الملوك
يقتس وجهم مساوية ، ولما المذهب
الثاني فهو يسميه أن يكون نفس المذهب
الذي اشهر به الفيلسوف « لك » (٢١) .
فوجب أن يكون ما سبق كليا لك في بيان
معنى الخلافة عند علماء المسلمين ، ومعنى
تولم : (٢٢) « أنها رياضة ملية في
الدين والدنيا خلفة من النبي (صلى الله عليه وسلم) » .

الباب الثاني : حكم الخلافة

(١) نصب الخليفة بدعم ولي إذا
تركه المسلمون لنوا حكم ليهون .
يخضعون بينهم في أن ذلك الوجوب على
أو فرضي ، وذلك خلاف لا شأن لنا
به هنا ، ولكنهم لا يخضعون في كنه
واجب على كل حال حتى زمن اخذون
أن ذلك ما اتفقت عليه الإجماع
قل : (٢٢)

(٢) « وقد جاز بعض القسائل
بعدم وجوب هذا للنصب رأسا لا بالعدل
ولا بالشعر بعدم الاسم (٢٣) من المصلحة
ويطعن الفوارق (٢٤) وغيرهم ، والواجب
عند هؤلاء أنما هو إفساد لحكم الشرع
نذا توالتت الآية على الحل وتقليد
الحكم الله تعالى لم ينجح إلى لم
ولا يجب نصبه ، وهؤلاء ميجوزون
بالإجماع » .

(٣) وتولم على ذلك الوجوب :
أولا : إفساد الصلابة والتدين ، لأن
أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند وفاته
بأخروا إلى بومة أبي بكر رضي الله عنه
وسلم التفر إلى أبي بكر ، وكذا
في كل عصر من بعد ذلك ، ولم تترك
التس لوفى في مصر من الإفساد ،
واستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب
نصب الأمام » . (٢٤) قلنا : أن نصب
الأمام « يوقف عليه أظهار السعفة
الدنية ، وصلاح الرعية ، وذلك كالمر
بالمروء والذين من أكثر ، اللذين هما
فرضان بلا شك ... ويدون نصب الأمام
أحد لا تنقل لمر الرعية ، بل يتصور
الانتخاب أيضا بينهم بحكم التراب ،
ويكثر الظلم ، ويتم الفوضى ، ولا تكتمل
الخصائص التي هي من ضروريات المجتمع
الإنساني ، ولا شك أن ما يوقف عليه
التفرض فرض ، وكان نصب الأمام فرضا
كذلك ... وبطل الأمر والتس في التوقف
على نصب الأمام الكليات ليست التي

يجب المحافظة عليها بالفوارق والحدود
التي بينها الشرع لا غير ذلك ، والكليات
الست هي حفظ الدين ... وحفظ النفس
... وحفظ المال ... وحفظ النسب ...
وحفظ الدين ... وحفظ الرعية (٢٥) هـ
(٤) لم نجد فيها مر بنا من بحث
العلماء الذين زعموا أن الآية الأمام
فرض من حلول في يتم السقوط على
فرضية بآية من كتاب الله السعفة
ولم يردى أو كان في الكتاب دليل واحد
لا فرد العلماء في التفوية والإفساد
به ، أو لو كان في الكتاب الكريم ما يشبهه
أن يكون دليلا على وجوب الملية لوجد
من أفساد الخلافة المتكلمين وأنهم لكثير ،
من يقول إن يخذ من شبه التليل دليلا
ولكن المنصين من العلماء والمتكلمين
بعدم أن أمجوز أن يحدوا في كتاب الله
تعالى حجة لآراءهم ففسروا حصة على
ما رأيت ، من دعوى الإجماع فارة
من التجاوى إلى قضية الخطأ وأحكام
العلم فارة أخرى .

(٥) هناك بعض آيات من القرآن كما
نصبت من الحق علينا أن نبين لك حقيقة
بخاصة ، حتى لا يضل اليك أنها تتصل
بغيره من لد الآية بل قوله تعالى :
(٦) : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا
الله والجميع والرسول وأولى الأمر بينكم »
وتولم تعالى : (٧) : « وأو دفعه إلى
الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم » الخ . ولكنا لم
تجد من يرمي أن يجد في شيء من تلك
الآيات دليلا ، ولا من يفسدوا في يفسد
بها ، لذلك لا نريد أن نطيل القول فيها ،
فجبا لنحو البيت « والجهاد مع غيرنا
غصم » وأعلم ، على كل حال ، أن
أولى الأمر قد حلهم المفسرين في الآية
الأولى على (٢٨) « لمر المسلمين في
عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويصدق
بهم الظفاد والأشياء وأمر السرية ...
وتولم عليه الشرع ، لقوله تعالى :
« وأو دفعه إلى الرسول وإلى أولى الأمر
بينهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »
ولما أولو الأمر في الآية الكثيرة لهم
« كبراه الصلابة البسراء بالآباء والأولاد »
كثرا يبرون منهم « (٢٩) » ويكتب

[٢٠] تومس هوبز Thomas Hobbes . ولد سنة ١٥٨٨ م راجع كتاب
A Student's History of Philosophy; by Arthur Kenyon Mober; p. 243.

The same book p. 323—346 John Locke ولد سنة ١٦٣٢

[٢١] جن لك John Locke

[٢٢] مقتصد الخلقين لسعد الدين الكنتزاري

[٢٣] مخدعة ابن خلدون ص ١٩١

[٢٤] حاتم الأصم الزاهد المشهور بالبليغ توفي سنة ٢٢٧ هـ أبو القادح ج ٢ ص ٢٨

[٢٥] وأعلم أن الكوارج لم يوجبوا نصب الأمام لكن طاعة منهم أوجبه عند الفتنة وطلقة أخرى عند الأمن ١ هـ
هاتية الاستعاضة على العقد النسفية

[٢٦] مخدعة ابن خلدون ص ١٩١

[٢٧] القول الكبير على الرسالة المسماة وسيلة العبيد في علم التوحيد للشيخ محمد بن يحيى ص ١٠٠

[٢٨] شرح البيضاوي [٢٩] الكشاف للزخفري

كان الإبرار الملائكة لا شوبه فيها بمسلح
 دليلا على الخلافة التي يتكهنون فيها .
 وغاية ما قد يمكن ارفاق الإتيان به
 أن يدل أنها تدلان على أن للمسلمين
 قوما منهم قديم اليوم النجور . وذلك
 بمعنى أوسع كثيرا وأعم من تلك الخلافة
 بالمعنى الذي يتكهنون به . بل ذلك حتى
 ينفي الآخر ولا يكاد يصلح به . وإذا
 أردت مزيدا من هذا البحث فارجع إلى
 [كتاب الخلافة] للعلامة السيوطي
 أرنلد (٤٠) . ففي الباب الثاني والثالث
 منه بيان مسلح . وقد يكون مما يؤنسك
 في هذا الخلق كلمة فخرها صاحب المراهب
 بعد أن اسفل على وجوب نصب الإمام
 بأجتماع المسلمين ، هل ؟ فإن قيل
 لابد لأجتماع من مسند ، ولو كان لنقل
 نقلنا فتراثنا لتغير الدوامي البسه
 لأن استغنى من تلكه بالأجتماع لا تور
 للدوامي ، أو لتول كان مستغنى من قبل
 ما لا يمكن نقله من فرائض الأحوال التي
 لابد لأجتماع من مسند ، ولو كان لنقل
 نقلنا فتراثنا لتغير الدوامي البسه
 لأن كان في ربه عليه السلام (٤١) .
 فهو كما ترى يقول أولئك الأجتماع المبرور
 له مسند . وما كان صاحب الألفاظ
 ليأبى إلى هذه القول لو وجد في كتاب
 الله تعالى ما يصلح له مسند .

أنه لم يبق عجيب أن تكلف بيته كتاب
 الله الكريم ، وتراجع النظر فيما بين
 قاضيه وسورة التيسر ، نرى فيه
 صمدك كل طائر ، وتتميل كسل فيه
 من أمر هذا الدين (ما نربنا في الكتاب
 من قوة) لم نجد فيه ذكرا لتلك الآية
 المعجلة أو للخلافة . أو أن في ذلك
 لاجلا للبحث .

(٦) ليس التران وحده هو الذي
 أهل تلك الخلافة ولم يصد لها ، بل
 الصفة كالتران أيضا . قد عرفنا ولم
 تعرض لها . بذلك على هذا إن العلماء
 لم يستطيعوا أن يستدلوا في هذا الباب
 بشيء من الحديث ، ولو وجودا لم في
 الحديث دليلا لقصود في الاستدلال على
 الأجتماع ، ولما خال صاحب المرافع أن
 هذا الأجتماع بما لم يثبت له مسند .

(٧) يريد السيد محمد رشيد رضا

أن يجد في السنة دليلا على وجوب الخلافة
 لانه نقل من سعد الدين التتارني (٤٢)
 في المختص ما استدل به على وجوب
 الآية ، ولم يكن من بين تلك الأدلة
 بالضرورة فيه من كتب الله ولا من سنة
 رسول الله [مسلم] فكتاب المسند
 رشيد يعترض على المسند ، وأنه قد
 غلغل هو وإدلاله من الاستدلال على نصب
 الإمام بالأصوات الصحيحة الواردة في
 الترام جماعة المسلمين إمامهم ، وفي
 بعضها التصريح بأن من مات وليس في
 منته جماعة مات جثة جاهلية ، وسيأتي
 حديث حذيفة المتعلق عليه ، وفيه قوله
 (م) له ؟ فلم جماعة المسلمين
 وإمامهم (٤٣) . فهل أن حذيفة في
 ذلك الأمر على ذلك إلى أنه يتكهن
 تأييد ما قلناه لك ، من أن العلماء لم
 يستطيعوا في هذا الباب بغيره من الحديث .
 وليس السيد رشيد يدعيا غير أن
 يفتح به ، فقد سجد إلى ذلك (إن
 حرم (٤٤) الظاهري ، بل قد ضم هذا
 أن التران والسنة قد وردا بأجتماع الإمام
 من ذلك قوله تعالى (٤٥) ٦٦ أطيعوا
 الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم
 مع أحاديث كثيرة سماح في طاعة الآية
 وأجابت الآية (٤٥) . والله إذا صيغت
 كل ما يردون الرجوع إليه من الأحاديث
 الرسول [مسلم] لم يجد فيها شيئا
 أكثر من أنها ذكرت الآية أو اليمين أو
 الجماعة الخ مائل ما روى « الآية من
 قرشي » فلم جماعة المسلمين «
 » من مات وليس في منته بجمعة فقد مات
 جثة جاهلية » من بلغ لبيا فأطاعه
 سخة بده وبقرة عليه نيليه لن استطاع
 على جسد آخر يلقوه ففهموا متى
 الآخر (٤٦) « اتفقوا بالذين من بعدى
 أبي بكر وصير الخ » الخ (٤٧) ،
 وليس على فيه من ذلك كله ما يصلح
 دليلا على ما زعموه ، من أن الحريرة
 اعترضت بوجود الخلافة أو الآية المتعلية
 بمعنى التولية عن النبي [مسلم] والقيام
 عليه من المسلمين . لا تريد أن نناقشهم
 في صحة الأحاديث التي يسوقونها في
 هذا الباب ، وقد كان لنا في مختلفهم
 في ذلك مجال واسع ، ولكننا ننقل
 جدلا إلى اعتراض مسقطها كلها . ثم
 نناقشهم في المعنى الذي يريدون الشارح

من كتاب : آية وبيعة وجماعة الخ .
 وقد كانت تصدق مخالفتهم في ذلك ،
 ينعروا أن تلك الجملات وإبانتها في
 سنن الشرع ، لا تسمى إلى شيء من المعاني
 على استحضارها بعد ، ثم زعموا أن
 يحملوا عليها لغة الإسلام . نتجاوز
 لهم عن كل تلك الإبرام من الجدل ،
 ننزل أن الأحاديث كلها صحيحة ، ونقول
 أن الآيات وأولى الأمر ونعموا إذا
 وردت في لسان الشرع ماراد به أهل
 الخلافة ، وأصحاب الآية المتعلية . وأن
 البيعة بمنها ببيعة العقيلة ، وأن جماعة
 المسلمين معناها حكومة الخلافة الإسلامية
 الخ . نتفرض ذلك كله ، وننقل كل
 ذلك النقل ، ثم لا نجد في تلك الأحاديث
 بعد كل ذلك ، ما ينفي دليلا لولا
 ونحن نتفقدون الخلافة مفيدة شرعية ،
 فكيف من أحكام النبي . تكلم موسى
 ابن مريم عليه السلام من حكومة القياصرة
 وأمر بأن يحلى ما لفيس لفيس ، ما
 كان هذا اعتراضا من موسى بأن الحكومة
 الفريضة من شريعة الله تعالى ، ولا ما
 يعترض به دين المسيحية ، وما كان
 لأحد ممن يلزم لغة البشر في تخلفهم
 أن ينقض من كلمة موسى حجة له على
 ذلك . وكل ما اعترضنا من أحداث النبي
 عليه الصلاة والسلام من ذكر الآية
 والخلافة والبيعة الخ لا يدل على شيء
 أكثر مما دل عليه المسيح حينما ذكر
 بعض الأحكام الفريضة من حكومة يسوع .
 وإذا كان صميحا أن النبي [مسلم]
 قد أمرنا أن نطيع لبيا بإيمانه ، فبعد
 أمرنا الله تعالى كذلك أن نطيع لبيا
 لشرك صامداه ، وأن نستقي له ما
 استسلم لنا ، ما كان ذلك دليلا على
 أن الله تعالى رغب في الشرك ، ولا كان
 لأمه تعالى بالقول للمؤمنين بسخطها
 لإقرارهم على شركهم . أو لسانا بأمور
 شرما طاعة البغاة والمسلمين ، وتقليد
 أمرهم إذا تظاهروا علينا وكان مخالفتهم
 سنة تفسى . من غير أن يكون لذلك
 بسخطها لحرورية النبي ، ولا لسوالات
 الخروج على الحكومة ، أو لسانا قد
 أمرنا بامرنا بالكرام السائقين ، وأصنام
 الفراعنة ، والإحصان اليوم ، والحريرة
 بهم ، بل بسخطها من قبل أن يتحول
 أن ذلك يوجب علينا جرما أن نوجه

The onlphat; by Sir Thomas W. Arnold at the Clarendon Press Oxford; 1904. [٤٠]

[٤١] المرافع ٢ ص ٦٤

[٤٢] سعد الدين التتارني أسبعمسعود بن عمر ، وتقل من بن مسعود ، ولد في نغزان سنة ٧٢٢

هـ ووفى سنة ٧٩٢ بمصر قده . ثم نقل إلى مصر في ١ هـ راجع الفوائد البهية تراجم العتبية ص ١٢٥ وما بعدها

[٤٣] الخلاصة أو الحجة الطيبي للسيد محمد رشيد رضا ص ١١

[٤٤] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، ولد بقرطبة سنة ٢٨٤ ووفى سنة ٣٥٦ هـ نقل من ديوانه كتاب

الفضل

[٤٥] الفصل في أهل والزهاد والصلح ج ٤ ص ٨٧

[٤٦] قال ابن حزم أن هذا الحديث يصح ، ويصحبنا الله من الإحتجاج بما لا يصح . الفصل ج ٤ ص ١٠٨

[٤٧] ذكرت كل هذه الأحاديث بمرفقة رسالة الخلافة أو الحجة الطيبي للسيد محمد رشيد رضا ، ولها فخرج

بيتا قراء ومسلكن . ولقد حدثنا الله تعالى من الرق ، وكرهنا ان نذكر رقاب الإماء ، وأمرنا ان نعلمهم بالخصني ، وأمرنا بكثير غير ذلك في شأن الإماء ، بما دل ذلك على ان الرق بأسوأ من الرق ، ولا على انه مرغوب فيه . وكثيرا ما ذكر الله تعالى الطلاق ، والإستئانة ، والبيع والزمن ، وغيرها ، وفرغ لها أحكاما بما دل ذلك سبجده . على ان شيئا منها واجب في البين ، ولا على ان لها عند الله شيئا خاصا . فإذا كان النبي [مسلم] قد ذكر الإيعة والحكم والعكة وتكلم من طاعة الإماء ، وشرع لنا الأحكام في ذلك فوجه ذلك ما قد مررت وغمشت . لها بعد سنن دعوى الزوجية الشرعي دعوى كبرى ، وليس كل حديث وإن صح مسلحا لولادة ذلك الدعوى .

الباب الثالث :

الخلافة من الوجهة الاجتماعية

(١) إصوابا وقد فاهم كسب الله تعالى وسنة رسول [مسلم] ، ذلك نواثر إجماع المسلمين في الصدر الأول ، بعد وفاة النبي [مسلم] ، على إجماع خلق الوقت من أئمة ، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته المشهورة حين وليته عليه السلام ، إلا ان مصداق ذلك ، ولا يد لهذا الدين من يقر به ، يفسر الكل إلى قول ، وتركوا له أهم التمسك ، وهو خلق رسول الله [مسلم] ، ولم يزل الناس على ذلك ، في كل عصر إلى زماننا هذا ، من نصب إمام مبعوث إلى كل عصر [٤٨] هـ . ١ . نعلم ان إجماع حجة شرعية ، ولاتنزل خلافا في ذلك من المخالفين (٢) . ثم نعلم ان إجماع إلى ذاته يمكن (٣) . والودع والتبوت ، ولا نقول في الغافل (٤) . ان من أدعى الإجماع نهر كلاب ، لها دعوى الإجماع في هذه

المسألة فلا تجد مسلما يقولها على أي حال .

ومحصل اذا طعنناهم بقنطيل ان يتفروا بذيول ، على أننا نمتون لك بها . إلى ان دعوى الإجماع هنا غير صحيحة ولا مسوقة ، سواء أرفقوا بها إجماع الصلبة ، وهدموا العلم الصلبة ، والتفريق ، لم عليه المسلمين ، لم المسلمين كهم ، بعد ان نهد لهذا تبيها .

(٢) من الملاحظ البين في تفرع الحركة العلمية عند المسلمين ان حقل العلوم السياسية يهيمن كل بالسياسة لغيرها من العلوم الأخرى أسوأ حالا ، وإن وجودها بينهم كان لضعف وجود ، فلما نعرف لهم مؤلفا في السياسة ولا مترجما ، ولا نعرف لهم بها في شيء من اتفاقية الحكم ولا أصول السياسة ، اللهم الا قليلا لا يقام له وزن إزاء حركتهم العلمية في غير السياسة من العلوم . ذلك وقد توافرت عندهم الدعوى التي تفهمهم إلى البحث العقلي في علوم السياسة ، وتناصرت لديهم الأسباب التي تصدح للتمسك بها .

(٤) ولعل ذلك الأسباب أهم مع ذلكم النظري ، وتشكلمهم المبني ، كانوا مؤلفين بما عند اليونان من الفلسفة ، وعلم ، وقد كتبت كتب اليونان التي انكروا على درجتها وفهرستها ككلية في ان تفرعهم السياسة وتصيه بهم ، لأن ذلك العلم القديم ، وقد فشل كثيرا من قيامه بالسياسة اليونانية وكان له في فلسفة اليونان ، بل في حياتهم ، فشل خطير .

(٥) وهناك سبب آخر أهم ، ذلك ان تعلم الخلافة الإسلامية كان بذ الطيف الأول ، إلى بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنه ، إلى يومنا هذا ، مرفسة للخارجين عليه الفكريين له ، ولا يكاد التاريخ الإسلامي يمره خليفة إلا عليه خارج ، ولا جيل من الأجيال مخي دون ان يشاهد مصرا من مبراح الخلافة ، نعم ربما كان ذلك غالبا شأن الحسنة في كل أية وكل ملة وجيل ، ولكن كتنس إلى أن أمة من الأمم تضرع المسلمين في

ذلك ، فإن مبرعهم الخلافة تضاعف ، ان تفتت الخلافة نفسها ، وبقيت بقاياها وحركة المعارضة هذه تاريخ كبير جدير بالإستدراك . وقد كانت المعارضة لعلنا متخذ لها شكل قوة كبيرة ، ذات تنظيم بين كما فعل الخوارج في زمن علي بن أبي طالب ، وكانت حينها تسير تحت سطر التنظيم السلطانية ، كما كان لجماعة المعتزلة والقرن بذا ، وكانت تقسم لعلنا حتى لا يكاد يحس لها وجود ، وتوتو أحيانا حتى ترزلق عروش الملوك ، وكانت ربما سكتت طريق العمل حتى استطاعت ، وربما سارت على طريقة الدعوة العلمية أو الدينية على حسب ظروفها وأحوالها . مثل هذه الحركة كان من شأنها ان تمنع الظلمين بها إلى البحث في الحكم ، ودخلت بكنائسهم وبذامهم ، ودرس الحكومات وكل ما يصلح بها . وتعد الخلافة وما تقوم عليه ، إلى آخر ما تكون منه علوم السياسة . لا جرم ان العرب قد كانوا أهل بمسألة العلم ، وأولى من يواليه .

(٦) فيما فهم قد وفروا جاري لهم ذلك العلم ، وأرتدوا دون مجاهدته صيرين ؟ ما لهم أحوال النشر في كتب الجمهورية Republicاتلون ، وكتب السياسة Pöhtes لرسطو ، وهم الذين بلغ من أعاجيب برسطو ان لعبود الحكم الأول ؟ وما لهم وفروا ان يتركوا المسلمين في جهالة بطبيعة برطيدية السياسة وتناوع الحكومات عند اليونان ، وهم الذين أوتسوا ان يتهووا بالمسلمين منابع السران في علم النصر ، وان يروفرهم برطيدية بوبيا البندى في كتب كلية ودنة ؟ بلأ رغوا بأن يجهزوا لهم علوم دينهم يسا في فلسفة اليونان من غير شر ، وإيمان وكفر ؟ لم يترك ملابان ان يمشوا علوم السياسة أمضهم بطيرها خلة منهم من تلك العلوم ، ولا جهلا بظهورها ، ولكن السبب في ذلك هو ما نفسه سلك .

(٧) الأصل في الخلافة عند المسلمين ان تكون أ راجعة إلى أشخاص أصل القصد والعقل (٥٢) ان « الأمانة فقد

[٤٨] المواقف وقرمه

[٤٩] الإجماع حجة مطروح بها فتمتعلة المسلمين ، ومن أهل الإجماع من لجمعة حجة ملا إبراهيم النظام والقاضي بن المعتزلة والخوارج وأكثر الواضايع . كشف الأستار [٥٠] . أكثر بعض الروافض والنظاميين المعتزلة تصور انعقاد الإجماع على أمر غير ضروري . . ولهب داود وشيعته من أهل القادر وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه إلى انه لا إجماع إلا بالصفحة . . وقال الزبيدة والألمية بن الروافض لا يصح الإجماع إلا من حوزة الرسول عليه السلام أي قرابة . ونقل عن مالك رحمه الله انه قال لا إجماع إلا لأهل المدينة . أحد راجع كتاب كشف الأستار لعبد العزيز الغفاري على أصول الأمانة لغير الإسلام إلى الصين على بن محمد بن حسين الأزدي طبع دار الفلاحة سنة ١٢٠٧ هـ . ج ٢ ص ٩٦ وما بعدها .

[٥١] روى ذلك الأمام أحمد بن حنبل . راجع تاريخ التشرع الإسلامي للإمام محمد بن عبد الله بن حنبل .

[٥٢] مقبحة ابن خلدون

يحمل باقية من أهل الملأ والمعد
 أن اختلوه أهل الأمة بعد افتقار
 بينهم (٥٧) - قد يكون معنى ذلك أن
 الخلافة تدم عند المسلمين على أساس
 البنية الانتخابية و يرتكز على رغبة أهل
 المعد والذل من المسلمين ورسام
 وقد يكون من المحتمل أن توجد في الدنيا
 نخلة على يد المعد الذي تكبرا - غير
 إذا رجعا إلى الواقع ونفس الأمر
 وجدنا أن الخلافة في الإسلام لم ترتكز
 إلا على أساس القوة الرعية ، وأن
 تلك القوة كانت ، إلا في التذرع ، قوة
 بداية سلطة ، فلم يكن للخليفة ما يعط
 يعاها إلا الإنجاز والسيف ، والجيش
 والحجج والبأس الشديد ، فبذلك دين
 غيرها يخلن مركزه ويتم لدره - فبد
 يسيل التردد في أن الخلافة الأولى من
 الخلفاء الراشدين مثلا شادوا مقامهم على
 أساس القوة المدنية ، ويؤوه على قواعد
 الثبة والبر ، ولكن ليسيل السك
 في أن عليا وحاولوه رغبى الله تعالى
 منيا لم يهروا عرض الخلافة إلا كعت
 ظلال السيل ، وعلى أكمة الببح
 وكذلك الخلفاء من بعد إلى يومنا
 هذا (٥٨) وما [٥٩] كان لأمر المؤمنين بعد
 الفاس سلطان فركا ، أن يسكن اليوم
 بلز - لولا تلك الجيوش التي تحرس
 أصره ، وحشى مرهه - وتلقى مرن
 الدفاع عنه - لا تفتضلنا في أن القلية
 كانت دائما ضد الخلافة ، ولا يذكر
 التاريخ لنا خليفة إلا اثنين في أزماننا
 وبلك الرعية المسلحة التي تحوطه ،
 والفرقة الفائرة التي تكله ، والسيف
 المسلة التي تلوه عنه . ولولا أن
 ترتكب خطئا في القول لفرقتنا على
 الغزاة سائلة الخلافة إلى وقتنا هذا
 يرى على كل حلقة من حلقاتنا نخلج
 القبر والغلبة ، وأنبين أن ذلك الذي
 يسى عرسا يرتفع إلى على رؤوس
 البشر ، ولا يستقر إلا فوق أعناقهم
 وأن ذلك الذي يسمى نالجا لا حياة له
 إلا بما يخلد من حياة البشر ، ولا قوة
 ولا كرامة إلا بما يسلب من عقولهم
 وكماهم . . كليل أن خلافا على السبح
 بالفس : - وإن يرينه أنا هو من يرق

السيف ، وأبيب الحروب ، تد يلاخنى
 بعض سنى التاريخ أن تلك القوة المسلحة
 التي هي دمية الخلافة ، لا تكون
 ظاهرة الوجود ، بحسوة لليلة ، فلا
 تصين ذلك شغورا ، حيا فركنا ، فسان
 القوة موجودة حيا ، وعليها يرتكز علم
 الخلية ، غير أنه قد يبرتن لا تستصل
 به تلك القوة ، لحسم العملية إلى
 استصالتها ، فلذا طال اختلالها من
 الناس فغزا عنها ، وربما حبيبهم
 تها لم تكن موجودة . ولو كانت غير
 موجودة حقيقة لا كان للخليفة بمسما
 وجود « وما لك إلا القتل والمك
 بالقتل » كما قال ابن خلدون (٥٥) .
 « ومن كالم أنى فركنا في هذا الحى
 بسنه ، الملك يجلده ، ونسب إلى
 رسلوا ، الملك نعلم يفسده
 الجند » (٥٦) .

(٥٦) طيبى أن الملك نى كل لمة لا يقيم
 إلا على القتل والقتل . « فان الملك
 منصب شريف ملود ، يشال على جميع
 الخيرات المدنية ، والشهوات البدنية ،
 والملاذ التنصتية ، فيقع فيه التفسس
 فائيا ، وظل أن يسله لعد لصلحه إلا
 إذا غلب عليه » (٥٧) ، وطيبى في
 الأمم الإسلامية بنوع خاص أن لا يقيم
 ميم ملك ، إلا بعكم القتل والقتل أيضا .
 فان الإسلام هو الدين الذي لم يكتصم
 اتبانه نكرة الآباء والمساواة ، ولتعزيز
 دهب أن النفس موصية كسلان المظ
 ون ميحك الدين هم ملك يمتكرواوتكم
 نى الدين ، وأن المؤمنين يمشهم أوليد
 بسى . لم يكن الإسلام يخلعهم أئمة
 فانك المذهب تطلبا نظريا مجردا ، ولكه
 أخذ المسلمين به لكذا علما ، وأنهم
 به تديبا ، ويرتبه عليه تدينا ، وشرع
 لم الأحكام قلقة على الآخرة والمساواة
 وإسرى طيبى القواصمات ، وأرام
 المخلات ، فاصوا بالآخرة أصلا ،
 وأساوا المساواة لسا ، ولم يتركهم
 رسولهم الدين [مسلم] إلا أن بعد
 ما طبع ثوبهم على ذلك الدين والشرعا
 تلك المذهب ، ولم تتم دولتهم إلا حين
 كان ينادى أحدهم خليفة نوب القبر ،
 لن وجدنا نيك أعوجاجا لعناء سبوننا

من الطيبى في أولئك الخلفين الحكيم
 بينون بالرية رأيا ، ويسكنون بأذهاب
 عبا . ويقيمون الضوع إلى الله رب
 العالمين ، ويناديون بهم بذلك الاعتد
 نى كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل ،
 نى حبة أوتامهم للسلامة . من الطيبى
 نى أولئك الجبال الأصهار أن ياتسوا
 الفصوح فرجل منهم أن يفسهم ذلك
 الفصوح الذى يطلب به الملك وعظيم
 أن اخضوا الخلافة ، ونزولا على حكم
 الضيف القاهر . فذلك ما ذكرنا من أن
 الخلافة في الإسلام لم ترتكز إلا على
 أساس القوة الرعية ، وأن تلك القوة
 كانت إلا في التذرع بقوة بداية سلطة . .
 اتسه لا يمتنسا كثيرا أن تصمينا
 السركه في ذلك . وقد سكنون
 السركه ما ذكرنا ، وربما كانت ثبة
 لسباب أخرى غير ما ذكرنا ، وإنما الذى
 بعنا في هذا العلم هو أن تفسر لك
 أن ارتكاز الخلافة على القوة حقيقة واقعة
 لا ريب فيها . وسن عندنا بعد ذلك
 أن يكون هذا الواقع المحسوس جريا
 على توازن العال أم لا ، وأتأسا
 تحكم الدين أم لا . لا ملى لنظام الخلافة
 بخرى القوة والدين إلا أرسماها لأن
 بخرى على مقام الخلافة ، أو يعتدى
 عليه ، وأعداه السيف لن بسى بسوه
 لك العرس ، ويميل على لزلة قوائمه
 نعت تصمليه أن تحرك مثلا لك نى
 لصة البنية أريد ، حين قام أحد (٥٨)
 الدعاة إلى تلك البنية خطوبا في المثل ،
 لاجز البيان في الفصحت كات لم تدع
 نى أربة في القول جدا ، وأمر
 قال : « لير المؤمنين هذا » - وأش
 إلى بحاوله - « فان عهد هذا » -
 وأش إلى يزيد - « من أن هذا » -
 - وأش إلى سبه .

(٥٩) كل فوه يؤخذ بعد السيف ويحى
 يحد بكن مرزا على الناس ، لا يون
 يحد فيه ، ولا التقل من فوه منه
 ونايكم يعظم الصياد والسلطان فو
 مزير على الناس ، حتى ولو جاء
 غير حبل السيد ، فلذا جاء من طريق
 القوة والغلب كانت الناس به لشد
 تعلقا ، وفى الدفاع عنه أشد عدا

[٥٣] الخلافة للسيد محمد رشيد رضا ٢٤ - ٢٥
 [٥٤] كتبنا ذلك يوم كانت الخلافة في تركيا . وكان الخليفة محمد الفاسى وقد ذهبت بعد ذلك الخلافة من تركيا ٣
 وذهب محمد الفاسى وغير محمد الفاسى من الخلفاء ، لا لحيت تلك القوة التي قلنا أنها أساس الخلافة .
 [٥٥] آخية ص ١٢٢
 [٥٦] مخيم ابن خلدون ص ٢٨
 [٥٧] مخيم ابن خلدون ص ٢٦
 [٥٨] في الجزء الثانى من المصدق القوي لابن عبد ربه ص ٢٠٧ أن معاوية بن أبى سفيان ، لا أراد أخذ البنية
 ليزيد ، كعبه في سنة خمس وخمسين الرسل الأصهار أن يقدوا عليه ، فودعاه من كل حى قوم ، فجلس في
 أصحابه وأذن للزود ، لخدوا عليه وقد تدم إلى أصحابه أن يقولوا يزيد ، فتمك جماعة منهم ، ثم قام يزيد
 بن القتيق فقال : « أير المؤمنين هذا إلى آخر الجملة المذكورة فوق ، فالحامداوية . أجلس فلك سيد الخلفاء »
 - أ - فخلصا .

وكانت تجربتها عليه أكثر من التجربة على الملل والمهم ، ولولمها ه نوق الوالج بكل ما في الدنيا من خيرات وتمتع .

(١٠) وإذا كان في هذه الحياة الدنيا شيء يدفع المرء إلى الاستبداد والظلم ، وسبيل عليه المودون والبهني ، مستذك هو بخلهم الخفلة ، وقد رأيت أنه تضيي يلتفتق به الناس ، وأهم ما خفر عليه .. وإذا اجتمع الحب والبغ والغيرة والغيرة ، وانهدموا القوة الفلكية ، فلا شيء إلا المصعب ، ولا حكم إلا السيد دوع منك كل ذلك الحديث الذي تسمونه اليك قواعد ملية ، ونظريات مجردة ، ودونك وقائع التاريخ للغة في لوح مخطوط . أليل غير حب الخلفة والغيرة ملية ، وغيرة القوة ، خدمت يزيد ابن معاوية في استباحة ذلك المم الكتي الشريف ، ثم الحسين بن نلفعة بنت رسول الله (مسلم) . وحمل فيسر ذلك المولى سلطنته يزيد بن معاوية على عاصمة الخلافة الأولى بنفك حرمته ، ورمي خيلة السورل | مسلم | . وحل اسلم عبد الملك بن حروان بيت الله الحرم وطمع بهاء ، إلا حياء في الخلافة (غيرة ملية ، مع توافر الغيرة له . وحل غير ذلك الأساليب مسر أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ، سفاه ، وما كانت إلا صفاء أسلمين ، وما كان يلو أهية إلا بكر بن التكلل ، فظلمته وسجنه ، وأبطلت دولته المالك والجراسة بطلع الموك وتعلم . كل ذلك لم يكن إلا أثرا من آثار حب الخلفة والغيرة ملية ، ومن رواد حب والغيرة قسوة تارة ، وكذلك السورل في دولة آل حنلان (١١) .

(١١) الغيرة على الملك تجعل الملك على أن يضمن مرشحه من كل شيء تد يزلزل أركانه ، أو يفتني من حرمته ، أو يغلل من خدمته ، لذلك كان حليما أن يستعجل الملك وحشيا سفاه ، وشيطانا باروا ، إذا ظفرت بداه بين يحاول الفرود من طاعته ، وتفضي كرميه . وأنه لطبيعي كذلك في الملك أن يكون مدوا لودا لكل بحث ولو كان عليها بظيل أنه قد يسي قواعد ملكه أو يبيع من ثقله ربح الفشر ، ولو كان بعيدا . من هنا نشأ الصلفا القوي على هوية العلم ، واستعداد الموك

بمعاهد التعليم ، كما وجدوا إلى ذلك سبيلا ، ولا شك أن علم السياسة هو من أخطر العلوم على الأمم ، يفتكف من اتواج الحكم وخصالته والتفتنه إلى آخره . لذلك كان حنيا على الموك أن يعاونوا ويصنوا منيحه على الناس . ذلك طويل با لاحظ من تصور النهضة الإنسانية في غروح السياسة ، وحلو حركة المسلمين العلمية بن مباحثها ، ونكوص العلماء من التعرض لها ، على النحو الذي يليق بذكاهم ، وعلى النحو الذي تعرضوا به لبقية العلوم .

(١٢) لسنا نحجب والبر ما تد حريته ، من ضعف الحركة العلمية السياسية عند المسلمين ، ولا من انحطاط شأن السياسة منهم ، ولكن المصوب هو أن لا يسيرو بنهم ذلك العلم ، وأن لا يفتني ملية القضاء كله . الحجب المصوب هو أن يتررب من خلال ذلك القفط الخلق ، والقوة الخردسة ، والباس الحيد ، بعض مباحث السياسة في مجالس العلم ، وأن يفرق ليمض قليل من العلم ، رأى في مسألة سياسية على غير ما يهوى الطلاء . لو وضعا هذا الكتاب كله في بيان القفط المسمى الإسلامي على كل علم سياسي ، ويكل حركة سياسية ، أو نزعة سياسية ، لفعل هذا الكتاب وأصفاه من استعجلي القول في ذلك ، لم نعوذنا من بهانه على وجه كليل ، فحسبنا الآن ذلك الإشارة المجللة . ومضى . أن يبر يك

أفريا يعض لمخلص بهذا البيت ، ولعود يك الآن إلى حيث كنا عند قولهم : أن الآية قد اجتمعت على نصب الإمام فكان ذلك أجما دالا على وجوبه . - [وثبت منقلا أن التفتيل والتفتيل في هذه الفكرة قلل في كل عصر في بهمة الآية واعترفت بها ، فكان ذلك أجما صريحا ، وأن نطل إليها ذلك لكوننا أن يكون أجما حقيقيا ، وأرفسنا أن نستخلص منه حكما أفريقيا ، وأن ننفذه حجة في الدين . وقد عرفت من قصة يزيد كيف كانت تؤخذ البيعة ، ويقتصب الأكرار . وانتظر طيلا طليبا يزيد . فكوننا قصة يزيد ابن معاوية بقصة فوسل ابن حسين ابن على ، كان أبوه حسين بن علي أحد أئراء العرب ، الذين انتصروا إلى العرب المنطى إلى جانب الطلاء ، خروجا على الترك ، وعلى سلطان الترك خليفة المسلمين ، فقام أولاده في بلاد العرب ، وإلى حواتنها ينمرون جيوش الطلاء نورا ميينا ، ويخلدون أمادهم من الترك والألمان وغيرهم ، وأبذل فيصل ، أحد

أولئك الأولاد ، بالزلي من التفتيل لمن يباله في مساعدتهم ، وأخلفه في خدمتهم ، فميتوا ملكا على الشام ، ولم يك يستمر بها حتى هاجمت ملكه جيوش الفرسين ، فولى فيصل ملية ، نازكا بملكته ومرشه وغيرها ، حتى وصل إلى انتصاري ، من بين ذلك حيله الأتياز إلى بلاد العراق ، ولصبره عليها ملكا ، وقد زعم الأتياز أن أهل الحل والعقد من ملكه إلى العراق انتصرو ليصلا ليكون ملكا عليهم بالأجاء ، اللهم إلا أن يكون قد خالف في ذلك نفس كليل لا يمتد بهم ، كارتلك الذين دعاهم ابن خلفون من قبل بالشواذ . ولمبرك ما كلب التفتيل ، فليهم قد جعلوا انتصاري ، له كل مظاهر الانتخاب العز القوي ، وأخذوا يوكذ رأي التفتيلين من أهل القرية في العراق ، فكان رايهم أن ينتخبوا فيصلا ملكا عليهم ، ولكن ما لا شك عندك بل أن هذا الذي أخذ به خليط بمعاوية البيعتية الذي هو منه ، هذا الذي أفسده على الأتياز أجاء العراقيين لبلية فيصل . فعمل صمى ذلك أجما ، لو ثبت الأجاء الذي رسوا لا كان أجما يحد به ، وكفد قالت الخوارج لا يجب نصب الإمام أصلا (١٠) ، وكذلك قال الاسم من الخفلة ، وقال غيرهم أيضا ، كما سميت الانتصار إليه . وحسبنا في هذا المخلص تقصيرا لعدم الأجاء أن يثبت مغلنا خلفه الاسم والخوارج وغيرهم ، وأن تال ابن خلفون انهم شواذ .

(١٣) حريت أن الكتاب الكريم يدهره من ذكر الخلافة والانتصار إليها ، وكذلك السلة النبوية قد أحملها ، وأن الأجاء لم ينفذ ملية ، فليل يقي لهم من دليل في الدين غير الكتاب أو السنة أو الإجماع ؟ نعم يقي لهم دليل آخر لا يعرف غيره ، هو آخر ما يالجون إليه ، وهو آهون انتمهم وأصفاه .

قالوا أن الخلافة تنويف عليها آفة الشعار العبدية وسلاح الرمية الخ . (١٤) المروء الذي أربضاء علباه السياسية أنه لا بد لاستقامة الأمر في لبة بمجنية ، سواء اكتت ذات دين أم لا دين لها ، وسواء اكتت بسلة أم مسيحية أم يهودية أم مخططة الأديان ، وسواء كلة بظنة بها كان محتدا ، وسواء كلى جنسها وأولدها واستفها ، من موكية شفر شولوها ، وتقدم بسط الأديان ، قد تظف اشكال العنوية ولوسانها بر سعة واستعدادية ، وبين جمهورية ويولونية

وغير ذلك . ثم يتلوه عليه الشياكة
في شغل نوع من الحكمة على نوع
آخر . ولكن تصرف لحد منهم ولا
يحرص نزاهة في أن له من الأم لا بد
لها من نوع ما من أنواع الحكم . ولهم
على ذلك أدلة ليس من فرضنا هنا .
نعرض لك بعضاً من فرضنا
على أننا لا نشك في أن ذلك الرأي في
جنته صحيح ، وأن الناس لا يصلحون
نوعاً لآسرة لهم ، ولعل لها يسر رضى
الله تعالى عنه . أنها كان يغير إلى
ذلك الرأي حيناً قل في خطبته التي
سبقت الإشارة إليها . لا بد لهذا الدين
من يقوم به ، ولعل الكتاب الكريم
يؤكد ذلك المذهب أحقاً ، قال تعالى
في سورة الزخرف (أم يصيبون رجمة
بك ؟ نحن قسمنا بينهم مدينتهم في
المرأة الدنيا ، وروينا بعضهم فوق بعض
درجات ، ليعلم أنهم بعضاً سافراً ،
ورجمة بك غير ما يصيبون) . وقال
تعالى في سورة المائدة (ولعكم أهل
الجنة بما أنزل الله فيه ، ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المفلطون .
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما
بين يده من الكتاب ومبيناً عليه ،
لحكم بينهم فيما أنزل الله ولا تتبع
أوامرهم فيما جاهد من الحق ، لعل
جنتنا بكم شرعة وميثاقاً ، ولو شاء
الله لجهنم لك واحدة ، ولكن ليولمكم
في ما أنتم مسلمون الفرات ،
ألم يرحمكم حينما قبضتكم منكم ؟
ثم تظنون ، وأن الحكم بينهم بما أنزل
الله ، ولا تجد أوامر وأطهر من
يفتقرون من بعض ما أنزل الله إليك ،
فإن تولوا فاعلم أن يريد الله أن
يسميهم ببعض المؤمنين ، وإن كثيراً من
الناس لفاسقون . لعكم الجماعية بعض
ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .
يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا اليهود
والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء
بعض ، ومن يتولهم فمك معه منهم ، إن
الله لا يهدي القائلين (الخ) .
(١٥) يمكن حفظ أن يدل على حق
المسلمين ، إذا اعتبرهم جماعة متفصلين
وعدم ، كانوا كثيرين من أم المسلم
كله ، متحولين إلى حكومة شريعة أمومهم ،
وقد سئلوا ، أن يكن التمام أروما
والأبالة والخلافة ذلك الذي يريد عليه
السبالة بالحكومة كما صرحوا بالوقوف
من أن أدلة الشريعة الدينية ، وملاح
الزمية ، يوقفت على الخلافة ، يمتن
الحكومة ، في أي سورة كانت الحكمة ،
ومن أي نوع ، مطلق أو بعيدة ، فردية
أو جمهورية ، استبدادية أو دستورية
أو شورية ، دستورية أو استبدادية أو
بلدنية . لا ينتج لهم الدليل بعد من

ذلك . أما أن أروما بالخلافة ذلك
التنوع الحكمة من الحكم الذي يعرفون
ندلهم نصر من دعوام ، وجمعتهم غير
ناهضة .

(١٦) الواقع المحسوس الذي يؤيده
المثل ، ويشهد به التاريخ فيها وحديثاً
إن شعار الله تعالى ومظاهر دينه
الكريم لا توقف على ذلك التنوع من
الحكومة الذي يسميه البعض خلافة .
ولا على أولئك الذين يلقونهم الناس
خلفاء . والواقع أيضاً أن صلاح المسلمين
في دنياهم لا يتوقف على شيء من ذلك .
فليس ينأ من حيلة إلى تلك الخلافة
لأمر ديناً ولا لأمر دنيا . ولو شئنا
لفعلنا أكثر من ذلك . فأننا كانت الخلافة
والم قول نكبة على الإسلام وعلى المسلمين
ويؤرخ شر وفساد ، وربما يستلكنك
ذلك بعد ، أما الآن فحسبنا أن نكتب
لك من الواقع المحسوس لقول بأن
ديننا غنى من تلك الخلافة المفقودة ،
ودنيا ذلك .

(١٧) حدثت بما نقلنا لك من ابن
خلدون ، أنه قد ذهب رسم الخلافة لكرها
بذهبي مصيبة العرب ، وثمة جهم ،
وواقعهم ، وفي الأثر يمسكنا
بخطا . . . وليس الخليفة به شيء ،
أهل طبعنا من شئنا من ذلك قد صدع
أركان الدين ، وأضاع مصلحة المسلمين ،
على وجه كان يكن للخلافة أن تتلاهد
أو وجدت . بل تمتص القرن الثالث
البحري لخت الخلافة الإسلامية تنص
من أروما ، حتى لم تعد تتكامل
ما بين أروما دائرة شقيقة حول بغداد
وصارت (١٨) خراسان وما وراء النهر
الذين سلطن وديته من بعده ، ويسلطن
البحرين للترابطة ، والذين ابن طليطيا ،
وأسمان والذين كيلي بويه ، والذين
وعين أفرع من عائلة الترابطة ، قد
أسس فيها دولة مستقلة . . . والأموار
وواسط لمز الدولة ، وحظ لمسيد
الدولة ، ومصر لأمير بن طولون ، ومن
بعده لملاوك الذين تطلوا عليها باطكوها
واستقلوا بأحكامها ، كالغزنويين
والغزنويين والأيوبيين والمماليك وغيرهم
حصل ذلك ما كان الدين أليلاً في بغداد
بقر الخلافة خيراً منه في غيرها من البلاد
التي انسلخت من الخلافة ، ولا كانت
شعاره نظير ، ولا كان شأنه كبير ، ولا
شأن الوعية اسلم .
(١٨) عوت الخلافة من بغداد ، في
تمتص القرن السابع الهجري ، حين
هلبها التتر ، وهطلوا الخليفة المماليك

المتصمم بكلا ٢ وهطلوا معه أمله
واكبر دولته . وبتى (١٩) الإسلام ثلاث
سنوات بدون خليفة .

(١٩) وكان الملك في مصر يومئذ للخلفاء
بيبرس ، ولأمر ما أخذ ذلك الداعية ينيش
بين مسلح المسلمين ، حتى أشره
الخط بوجل ، وجموا أنه من تولد الخلافة
المباسة ، ومن تلقاها بينها ، أوكلت
أروما الظاهر أن يكون ، فأنشأ به
بيتاً للخلافة في مصر ، يأخذ الظاهر
بجميع مفتاحه وأقاله ، وأخذ هبيل
سبحا خلفاء المسلمين ، وصل المسلمين
على أن يدينوا لجلالتهم ، وفي وجهه
وحده أمة تلك الهيكل ، وتصريف
حركاتهم وسكنهم ، وأطراف السليم ،
ثم كانت تلك مدة المراكم الجراكسة
في مصر بعد الظاهر ، إلى أن أخذ
الخليفة الملوك المماليك سنة ٩٢٢ .
هل كان في شيء من مساهمة الخلافة
لدينهم أو دنياهم تلك الهيكل السليم
التي كان يديها ملك مصر ويديها
خلفاء ، بل تلك الأسماء بحركتها
والحيوات يسرفونها ؟ لم ما بل تلك
البلاد الإسلامية الواحدة غير مصر التي
تخرجت منها ربة الخلافة ، واستنكرت
مسلطتها ، وعلمت وما زال يعيش
كثير منها بعيداً من ظل الخلفاء ، ومن
الضوء الوافي لجلالهم الذي المزموم
أرايت فقلق الدين فيها دون غيرها
أصلت ، وشاور الرعية عقلت ، لم
هل أظلمت دنياهم لما بسط منها كوكب
الخلافة وهل جنتهم ربة الأروما
لا بأن تمتد الخلافة ؟ كلا .
بأقوا بما يك الدنيا لمصرهم
ولا تمتدلت الأمجاد والجبع
(٢٠) معاذ الله ، لا يريد الله جيل
شأنه لهذا الدين ، الذي كل له الفاء
أن يجعل مزمه وذلته موطئ بنوع
الحكومة ، ولا يصنع من الأروما ، ولا
يريد الله جل شأنه لعماده المسلمين
أن يكون سلامهم وسادهم ربح الخلافة ،
ولا تمت ربة الخلفاء ، ولا جل شأنه
أعده لدنيه ، ولزم بمصاد .

عسى أن يكون فيها أسلفنا متع لك
بأن تلك التي دعواها الخلافة أو الإمالة
المعنى لم تكن شيئاً علم على أسس
الدين القديم ، أو على الأسس
وإن ما زعموا أن يسكن برهنا لها
حيث إذا نظرت وجهته غير برهان . ولعل
من حك علينا أن نصل الآن من رأينا
الخاص في الخلافة وفي منشأها ، وأن
علينا أن نأخذ بك في بيان لك مستند
من أجل شأنه حسن أمانة والهدى
والترقيق .

الحكمة والاسلام

الباب الاول نظام الحكم في عصر النبوة

[١٢] لاحظنا ان كان نبوت من طريق
النفسا زين النبي (صلى الله عليه وسلم) ان حال
النفسا في ذلك الوقت لا يتطوّر من موهبي
وابهام مصعب بمهما البحث ، ولا يكاد
يظهر بمهما الوصول الى راي ناضج ،
بتره العلم ، وادبها به نفس الباحث .
لا شك في ان القضاء بمشي الحكم
في المآزلات وشهها ، كان موجودا في
زين النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كما كان موجودا
عند العرب وغيرهم ، قبل ان يجره
الاسلام . وقد رمت الى النبي
[صلى الله عليه وسلم] خصيصات نفسي فيها . وقال
[صلى الله عليه وسلم] (١٢) : انكم تختصمون الي
ولم يفككم لمن يحجه من يضي ،
بين فتيت له يقع اخيه شيئا بوله ،
فلما قطع له قطعة من النار ، فلا
ياخذها . وفي التاريخ الصحيح
من تفقه عليه السلام فيها كان يروح
اليه ، ولكنا اذا ارتدنا ان نشتد شيئا
من نظليه [صلى الله عليه وسلم] في القضاء نجد
ان استنباطه من ذلك غير مسير ،
بل غير ممكن ، لان الذي نقل اليها من
احاديث القضاء النبوي لا يبلغ ان يحدك
صورة بينة لذلك القضاء ولا كما كان
له من نظام ، ان كان له نظام .

[١٣] لاحظنا ان حال القضاء زين
النبي (صلى الله عليه وسلم) فليضه بيهية من كل
جنب ، حتى لم يكن من المسؤول على
الباحث ان يعرف حل ولي (صلى الله عليه وسلم) .
لما فبره القضاء لا لا . فملك ثلاثة
من الصحابة يمدح جمهور العلماء من
ولي القضاء في زين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .
قال بمصعب (١٣) : وقد قلده رسول
الله [صلى الله عليه وسلم] القضاء لممن من الخطباء ،

وعلى بن ابي طالب ، ومعاذ بن جبل
رضي الله عنهم . ا ه . ويظهر ان
ينصف اليوم ابو موسى الاشعري رضي
الله عنه ، فقد كان في عهده ، على
با يظهر ، نظيرا لمعاذ بن جبل
سواء مسواه .

(١٣) لما ان عمر رضي الله عنه
تعد القضاء في زين النبي (صلى الله عليه وسلم) ،
فرواية غريبة من الجهة التاريخية ،
ويظهر فيها انبا فكتخت يسريق
الاستنتاج (١٤) ، على متن التريخي ،
ان عليا قال لعبد الله بن عمر : اذهب
للعرض بين الناس . قال : لو تخافني
يا لعبد المؤمن ، قال : وما فكره من
ذلك وقد كان ابوك يفتي ؟ قال : ان
ابني كان يفتي فلان لفتل طوبى فيه
سأل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، فان لفتل
على رسول الله [صلى الله عليه وسلم] سأل جبريل .
وانى لا يجد من اسأله . الخ .

(١٤) ولما على بن ابي طالب ، رضي
الله عنه ، قد بعثه رسول الله
[صلى الله عليه وسلم] ، الى النبي ، وهو شاب ،
ليفتي بينهم وروي ابو داود .
رحمه الله تعالى ، من على بن ابي
طالب ، رضي الله تعالى عنه ، قال
بعثني رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، الى النبي
ففتيا ، ولما حدث السن ، ولا علم لي
بالفتاء وقال : ان الله سيحدثك
ويثبت لك ، فلما جلس بين يديك
الخصيان فلا تفتي حتى تسبح من
الاخر . كما سمعت من الاول ، قاله
لآخرى ان يبين لك القضاء . قال :
لما زلت ففتيا ، وما فتكت في قضاء
بعد . كذا ذكره ابو عمرو بن عبدالمطلب
في الاستيعاب . وقال ايضا : قال
رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : في استخفي
في انضمام علي بن ابي طالب ، ا ه .
والذي في البخاري [١٦] ان عليا اتصل
بمعاذ بن جبل ، قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]
بعث خالد بن الوليد الى النبي ليراجع
الوداع ، مع جماعة من الصحابة ،

وبعث عليا بعد ذلك مكله ليعرض الخبر
وتقدم على بن النبي بمسئله في بكة ،
والنبي (صلى الله عليه وسلم) . وقل على
ابن برمك الدين الطائي (١٧) ان رسول
الله [صلى الله عليه وسلم] : بعث عليا كرم الله
وجهه في سرية الى النبي ، فاستقبلت
معدان كلها في يوم واحد ، فكتبتلك
الى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، فلما راي
كتبه خر سجدا ، ثم جلس ، فقال :
السلام على معادن ، وتبع اهل النبي
الى الاسلام . وهذه هي السرية الاولى :
والسرية الثانية بعث فيها رسول الله
[صلى الله عليه وسلم] عليا ، كرم الله وجهه الى
بلاد مخزوم من ارض النبي لثابتة
لارس ، مخزوم وجب القلم . . .
لم يرجع على كرم الله وجهه ، وانما
النبي [صلى الله عليه وسلم] بمكة ، فكما لمجة
الوداع . الخ . . .

[١٥] « ولما معاذ بن جبل [صلى الله عليه وسلم] قد
بعثه رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فتلقى
الى الجند من النبي ، وطمع الناس
الفرار ، وشرعوا بالانحسار ، وبغض
بيتهم ، وجعل له فيهم المصداق من
الرجال ، الذين يلقون ، وذلك ما لم يكن
بمكة في السنة الثالثة من الهجرة ،
والجند ، وفتح الجيب والثوب بما ، وبذ
« بعين » وقال البخاري [١٦] في
هذا الموضوع : بعث رسول الله
[صلى الله عليه وسلم] ابا موسى ومعاذ بن جبل
النبي ، قال ومثلك قال ومثلك
على خلاف ، والنبي بخلاف ، ثم
قال : يسرا ولا تمسرا ، وبغضرا ولا
تفرا . وفي حديث اخر لبخاري ،
انه قال لمعاذ بن جبل : انك مسألي
قويا من اهل التمسك ، فلما جئتم
فقدمتم الي ان يشهدوا ان لا اله الا
الله ، وان محمدا رسول الله
قال فلان حين اسأموه لك بذلك
فلنبرهم ان الله قد بعثني عليهم خيرا
سلوات في كل يوم وليلة ، فلان هم
لما هو لك بذلك ، فابهرهم ان الله

(١٢) البخاري في كتاب الشهادات ، ص ١٧٠ ج ٢ .

[١٦] هو رعايه بك رافع في كتابتهذه الاجاز في سيرة سكان الحجاز ص ٢٩٦ نقلا عن كتاب تفرج الدلائل السنية

(١٦) نهاية الاجاز ص ٤٢٩ .

(١٧) راجع الجزء الخامس ص ١٦٢ - ١٦٤ بعث على بن ابي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه الى النبي قبل حجة الوداع - صحيح البخاري

(١٧) راجع السيرة الطيبة ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨

(١٧) نهاية الاجاز

(١٧) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٦١ - ١٦٢ هـ

قد ارتقى عليهم تصدقة ثلثة من ألفيكم
تفرد على قترانهم ، فلن هم المأمور
لك بذلك عليك وكترانهم بوالهم ، وارتقى
مودة المثلوم فقله ليس بينها وبين الله
حجاب ، ويرغب من هذا رواية السيد
لحم زيني مدخلان في السيرة النبوية (٧٠)
قال : « يثبت صلى الله عليه وسلم
أبا موسى الأصري ومعاذ بن جبل ومن
عليه منها إلى النبي قبل حجة الوداع ،
في السنة العاشرة » ودل على التصمة
« . » وقبل عام التاج سنة ثلث ، وكل
واحد منهما إلى غير الله ، وكان حجة
بماذا عليك صوب مدخل ، وكان من
ميله الجدل ، وكانت حجة أبي موسى
السفلى ، اهـ [٧١] ولخرج لاصد
وكبر دارود والقرظي وغيرهم ، من
حيث الحارث بن عمرو ، ابن أبي
الخيرة بن شيبه ، قال مدخلنا من
اصحاب معاذ بن معاذ ، قال لسا
يمتلي النبي [صلم] إلى النبي قال :
كيف تمتي اذا عرض لك قضاء ؟ قال :
أكتبى بكتاب الله ، قال : فان لم تجد
في كتاب الله ؟ قال : فبصلة رسول
الله ، قال : فان لم تجد في سيرة
رسول الله ولا في كتاب الله ؟ قال :
أجتهد رأيي ولا آلو ، قال : فخرج
رسول الله [صلم] فصرف وقال :
الصد لله الذي وفق رسول رسول الله
كسنا يرشاه رسول الله به اهـ .

[٧٢] تلك الروايات المختصة التي
قصصنا عليك بموجبها ، فترك كيف
يسوع لنا ان ننتخب مصلحتنا لله قبل ،
من أنه لا تلتزم الإجملة بشيء كثير من
أحوال القضاء في زمن النبي [صلم]
وما انت قد قصد رايت كيف اختلفت
الروايات من حادثة واحدة بعضها
فعلت على النبي يريد به أحداهم أنه
قولية للقضاء ، ويروي الآخر أنه كان
لجيش المسلمين من الزكاة ، ومعاذ ابن
جبل كذلك ، ذهب إلى النبي تخاضا في
رأى ، وفازوا في رأي ، ومعلنا في
رأى ، وتنازل صاحب السيرة النبوية [٧٢]
خلفا في أن معاذ كان واليا أو تخاضا
« فقال ابن عبد البر أنه كان تخاضا ،
وقال القسائي أنه كان أبرأ على الخلفاء ،
وحدث ابن حيون أنه للتصريح بكم أنه
أبرأ على الخلافة ، وهذا يرجح أنه
كان واليا . » اهـ

[٧٣] وإن ألبحت ألبحت إنما كان عليه
القضاء زمن النبي [صلم] ، وأطلقه
التفكير في ذلك ، وحسن التعميم لسا
وصل اليه بعبارة بهذا الموضوع من
الأحاديث والأخبار ، كل أولئك يدفعنا
إلى البحث بوجه علم في نظام الحكومة
الاسلامية ، أيام النبي [صلم] ،
وفي كيفية تغيير ذلك الملك الاسلامي ،
إن ما غلب لنا بحق أن نسبى ما فتح الله
لنبيه من البلاد دولة وملكاً . ذلك باننا
وجدنا منه البحث في نظام القضاء في
عصر النبوة أن غير القضاء لسا من
أعمال الحكومات ووظائفها (الاسلمية) لم
يكن في أيام الرسالة موجودا على وجه
واضح لا ليس فيه ، حتى يستطعن بحث
بعض ان يذهب إلى أن النبي [صلم]
لم يمين في البلاد التي فتحها الله له
ولا بلا لإدارة شؤونها ، وتبنيروا لها
وخبط الأبرهه . وما يروى من ذلك
نكته مبررة من توليته أبرأ على الجيش ،
أو حليا على المال ، أو إلما للصلاة ،
أو محبا للفرق ، أو داعيا إلى كلمة
الاسلام ، ولم يكن فيه من ذلك بغيره ، كما
ورأينا كان يحصل لوحد محدود ، كما
لنا فيمن كان يستصلهم [صلم] على
البعوث والسرايا ، أو يستقلهم على
المدلة إذا خرج للفرز ، إذا لخصن
تجاوزنا محل القضاء والولاية إلى غيرها
من الأمصار ، التي لا يملك بملى الدولة
الأبها ، كالمصالح التي تتصل بالإنوال
ومسارها « المالية » وحراسة الأمن
والأموال « الواليين » وغير ذلك مما
لتكدر بدونه أهل الحكومات وأمرتها في
البساطة ، فمن المؤكد لنا لتجد فيها
وصل اليها من ذلك من زمن الرسالة
فيما واصلها بكتنا ولحن يقتنسون
ومطبقون ، إن نقول أنه كان نظام
الحكومة النبوية .

[A] وما قد يستغنى به في هذا
الموضوع ، أننا لاحظنا أن عملة
المؤلفين ، من رواة الأخبار يمتون في
الغالب ، إذا خرجوا لخليفة من الخلفاء
أو ملك من الملوك ، بلكر محله
ولا وفاد وقضاء الخ وغيرهم لبعثنا
خاصا ، يدل على أنهم عرفوا تلبية
ذلك البحث من الجهة العلمية ، فصرخوا
من الجهد فيه والمخاض به ما يشبه
ولسكنهم في تاريخ النبي [صلم] ،
أن حالوا ذلك بالبحث راجع يزجون

الحديث فيبحثها قيربشاق كويكوشون
خبر ذلك البحث على نطق لا يسل
طريقتهم في بحث بقية الصور ، مبرأنا
مؤرخا ضد من ذلك ، اللهم إلا باستنبطه
للمبحثين رقامه بكتراش (الطباطبائي) [٧٤]
في كتابه نهاية الإيجال في سيرة منكن
الحجاز ، تلا من صاحب كتاب تخريج
الدلائل العلمية .

[٧٤] كتابا لبنا تفكيرا في حال القضاء
زمن النبي [صلم] وفي حال غير
القضاء أيضا ، من أعمال الحكم ،
وأنواع الولاية ، وجدنا أبها في البحث
بترابيد ، وفعله في الأبرهه . ثم
لاتزال حيرة الفكر تتلفنا من ليس إلى
ليس ، وفردنا من بحث إلى بحث ،
إلى أن ينتهي النظر بنا إلى غلبة الحق
الجمال المشبه الجمال . وإذا نحن إزاء
عويصة أخرى فيكرى نظم المصلا ،
ومعنا بقتنا من حيرة واضطراب
هي الفصل وما دعاهم بروع ، وهي
الأم وما دعاهم بروع ، ذلك مشكلة إذا
وفق العقل لعلنا فقد حلت من بعدها
المشاكل ، وانجلي كل ليس وبأهم .
إننا لتترب بك إلى هذه الشكلة ونحن
نتعمد رجلا ولؤخر أخرى ، لسا أولا :
لأن حلا مسير ، ومزالى الفكر فيها
كبيرة ، وما لم يكن عين من التعصبي
أي عين لا بل في الوصول إلى وجه
المراد فيها . ولنا قايما : فلان
الخافية في بحث هذا الموضوع قد
تسكون بخلا لغزة يشب نرما أولئك
الذين لا يعرفون الدين إلا صورة جابدة ،
ليس للعقل أن يفهم حولها ، ولا لرأى
أن يتناولها . ولنا نؤمن بالله تعالى
ونرجو منه جل شانه حسن التوفيق ،
عسى أن نكشف لك ما ففسح ، ولفتح
عليك ما استغل ، ونعلم بك إلى الحق
أبلغ الوجه ، وأصح الفرع ، إن فساد
الله ، فاعلم أن المسألة الآن هي أن
النبي [صلم] كان صاحب دولة
سياسية ورئيس حكومة كما كان رسول
مدوة دينية . وزعيم وحدة دينية أم لا ؟

الباب الثاني : الرسالة والحكم

١ - لا يهولئك البحث في أن الرسول
[صلم] كان ملكا أم لا ، ولا تحسين

(٧٠) المخطوطة على « هلش السيرة الخليفة » ص ٣٧ - ٣٨
(٧١) منقول من « كتاب إرشاد الفضول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشيخ في ١٨٨ . وقال المؤلف (محمد)
ابن علي محمد الشوكلي الخوفي سنة ١٢٥٥ هـ » عن هذا الحديث : أن الكلامي استأذنه بطول . وقد قيل أنه مما
نقله بالقول
(٧٢) راجع السيرة النبوية لحدثان المخطوطة على هلش السيرة الخليفة ص ٣٨ - ٣٩ .
(٧٣) رقامه بن بنو بن علي بن محمد بن رافع . ويصل نسبه بمحمد الباقر بن علي زين العابدين . توفي
سنة ١٢٩ هـ - من كتاب القضاء والقدر .

في تلك الحقبة كما كان في الدين قد بقي شرف إلى إيمان البعث ، فالمرء ان غلبت اليه ، آمون من ان يخرج من هنا من حقيرة الإيمان ، بل هو آمون من ان يخرج من حقيرة التي من حقيرة التي ، واما قد يبدو لك الأمر خطيرا لأنه يتصل بسلامة النبوة ، ويريد بترك الرسول ، « مسلم » ولكنه على ذلك ليس في الحقيقة شيئا من جهر الدين ، ولا إركان الإسلام ، وربما كان ذلك الحق جيدا في الإسلام لم يشغله المسلمون من قبل على وجه صريح ، ولم يستقر العلماء على رأي واضح ، وإذا لم يفسد دعا في الدين ، ولاشأن من مذاهب المسلمين ، أن يذهب بآراء إلى أن الدين « مسلم » كان رسولاً ومكلاً ، وليس دعاء ولا استغفار ، يختلف في التفاصيل ، فذلك يحتاج من دراسة العقائد الدينية التي تصارف العلماء بها ، واستقر لهم نهجهم ، وهو أدنى من باب البحث العلمي منه في باب الدين ، فإتفق ولا خلاف ، أنك من الاثنين .

٢ - كنت تصمم أن الرسالة فين لك ، وأنه ليس بينها شيء من التنازع بوجه من الوجوه ، وإن الرسالة بكم والمك يعلم آخر ، فكيف من بك ليس نبيا ولا رسولا ، وكيف لك جل شأنه من يسلم لم يكونوا بكونا ، بل إن أكثر من مرنا من الرسل أتيا كذا رسلا ، نصيب ، ولقد كان موسى بن مريم عليه السلام رسول الدعوة المسيحية ، وروحم المسيحين ، وكان مع هذا يدعو إلى الإيمان باليسوع ، ويؤمن بسلطته ، وهو الذي أرسل بين أتباعه تلك السكينة البالغة [٧٤] « أمطوا بآدم بليس وما لك الله » ، وكان يوسف بن محبوب عليه السلام ، حليلا من الحلال ، في دولة الزين بن الوليد ، فرموهم به ، ومن بعده كان حليلا لجنسوس بن مصعب [٧٥] ، ولا تعرف في تاريخ الرسل من جمع الله له بين الرسالة والملك إلا قليلا ، بل كنهم « مسلم » من جمع الله له بين الرسالة والملك ، أم كان رسولا غير ملك ؟

٣ - لا توجد لحد من العلماء رأيا مريحا في ذلك البحث ، ولقد منتمى من تلكم فيه ، بصحبته لنا ، وكذا قد نستطيع بطريق الاستنتاج أن نزل أن المسلم العلمي ينتج غالبا إلى اعتقاد أن النبي « مسلم » كان ملكا رسولا ، وأنه لمس بالاسلام دولة مهلبية بمنية ، كان هو ملكها وسيدما بلبل ذلك هو الرأي الذي يتصل مع فوق المسلمين العلم ، ومع ما يبين من أحوالهم في الحقبة ، وإلمه أيضا هو رأي جمهور العلماء من المسلمين ، فكذلك تراهم ، إذا عرض لهم الكلام في شيء يتصل بذلك الموضوع يقولون إلى أمثال : « مسلم » واحدة مهلبية ، وقوله أسماها النبي « مسلم » ، وكلام غير خفي في عقيدته ينحصر هذا الشيء ، قد جعل الشكوة التي هي فيلة من صاحب الشرع في حقل الدين وسياسة الدنيا ، فلهذا لك ، وأنك ستفردا تحتها [٧٦] الخ .

٤ - وقد نزل المرحوم رفاعة بك واقع من كتاب تفريع الدلائل السميعة ، بإيجازه أن يكون مريحا في ذلك الرأي ، بل الواقع أنه صرح ، قال بملخصه [٧٧] : « أن من لم ترسخ في الخلف تبه ، وليس لديه من أدوات الطلب إلا دماء وشبه ، يصيب كثيرا من الأمصار السلطانية بقتلا لا يبعث ، وإن العمل على خطة دينية ، ليس عليا في حقبة سنية ، ويمن أن يباله دولة ، فلهذا جهت بأمره في تلك الحالات » ، ويؤمن كتاب يوضح نشرها [٧٨] ، ويؤمن الآن أن جعل أبرما ، فكذلك في كل حقبة من ولاء عليها الرسول من الصحابة ، لم يعلم ذلك بن بابها الآن ، فشكر الله على أن أسلمته في حبل شرعي ، فكان يتولا ، من أصحاب رسول الله « مسلم » ، من صلح له ، وإليه الولي في ذلك بقوله ، « أمم لم نفس رفاعة بك الكلام في الوثائق والصحائف ، والبديعة ، خصوصية ومهوبة ، أممية داخلية وجهانية على من عبادة من نظام السلطة الأسلمية وما يتصل بها من العلم والمصالح ، والصلوات الشرعية على ملكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وما يشكك الرأي في الملائكة والآيات الأربعة كالوزارة والمجسبة والولاية الدين [٧٩] والسلاية [٨٠] والكتبة وما يفسد إلى الحالات النفسية من سلم الترتيب وعلم الكتبة وعلم الملائكة ، والمشي وإمام الصلاة والمؤذن ، ثم ذكر الترجمة وكتب الجيش والسلاية والديوان والقيام ، وسين أن للديوان أصلا في عهد رسول الله « مسلم » ، ثم ذكر الحالات المتعلقة بالاحكام كالإفراة المالية على التواضع ، والتلفاض وما يتعلق به من إهداء الشهود وكتابة الشروط والمعدود والمأويث والتفقد ، والمكسب وتلقن البناء للفتوح ، والمحبسة والنفذ ، وتولي حراسة الدين ، والجسوس لاهل المدينة لا السجان وبعض الحدود ، ثم ذمهم بعد الإعمال الحكومية واحدا بعد واحد ، حتى لم يكد يذع شيئا ، وحتى قال رفاعة بك ، أن ذلك فيه لم يبق ، فلهذا مؤلفي كتابه السنين بل جميعهم .

٥ - لك في أن الحكومة النبوية كان فيها بعض يشبهه أن يكون منظام الحكومة المدنية ، وكان السلطنة والملك به .

٦ - أول ما يحضر ببال ، خلا من أئمة الشئون المالية ، التي ظهرت عليهم النبي « مسلم » مسألة الجهاد ، فقد فرار « مسلم » المخلفين لديه من توهمه العرب ، وفتح بلادهم ، وفتح أبوابهم ، وسوى وجهم ونظامهم ، ولا شك في أنه « مسلم » قد أبدع بصره إلى إلهام جزيرة العرب أو ما ساعد للتصايب بيشة إلى أهل الأرض ، وبدا فعلا [٨١] ، يسارع دولة الروم في الغرب ، ويؤمن إلى الاتفاق لعنه كبرى الدرس في الشرق ، وتجاهل الجبهة وتوسيع من الخ ، وقطاع أول خطة ، أن الجبل لا يكون لجد الدعوة إلى الدين ، ولا لحل قتالهم على الأبنان بالعمور ، واما ما يكون الجهاد لضبط السلطان عا وتوسيع الملك ، دعوة الدين دعوة إلى الله تعالى ، وقوام الدعوة لا يكون إلا بباين ، وتحرير الدواب ، وبوسائل التكرير والاتحاد ، مليا الدعوة والكرام فلا يلبسهم دعوة يكون الغرض منها

(٧٦) أنجيل ماني من الأصحاب الثاني والخمسين آية « ٢١ »

(٧٥) راجع تفريع ابن القدامه ص ١٨

(٧٤) راجع الأئمة : أصل في الخطاط الدينية الخلافة ص ٢٠٦ وغيره

(٧٧) نهاية الإيجاز في سيرة سلك الجهاد ص ٢٥٠ طبع بمطبعة المطرف الملكية تحت نظارة قلم الوثائقية

والمطبوعات سنة ١٢٩١ هـ

(٧٨) القدر : الزرع الطبية

(٧٩) الدين واحدتها دينه ، وهي نقارة بقرتصر بكه أ هـ

(٨٠) سقاية الحاج

(٨١) إشارة إلى غزوة مؤتة وموقعة أسلمة بن زيد إلى أبيه

هداية الثوب ٢ وتظهر العقائد وما
 عرفنا في تاريخ الرسل رجلا حمل الناس
 على الإيمان بالله بعد المسيح ، ولا عرفنا
 قوما على سبيل الانتفاع به ، وذلك
 هو نفس الجيوش التي يسوره النبي
 « سلم » فيما كان يبلغ من كتاب الله
 قال تعالى [آ٢٤] لا أكره في الدين
 تدعيم الرشد من النبي « وقال [آ٢٦]
 » ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
 الحسنة « وجاءهم بغلي في لندن «
 وقال [آ٢٤] فذكر أنها كانت تذكر
 لست عليهم بنسبهم : [آ٢٥] « فإن
 حاربكم قتل أسلحتهم وجهي لهم ومن
 اتبعهم » وأن للذين أوتوا الكتاب
 والآتين المسليمة « فإن أسلموا فقد
 اعتدوا وأن تولدوا فذلكم ذلك البلاء «
 والله يصير العباد » [آ٢٧] « أنأت
 كره الناس حتى يكونوا مسلمين » .
 ذلك ما يراه صراحة في أن رسالة النبي
 « سلم » « كرسالة الفهرست من قبل ،
 أنها تعهد على الانتفاع والموعظة ، وما
 كان لها أن تعهد على القوة والبطش ،
 وإذا كان « سلم » قد لجأ إلى القوة
 والبرية ، فإن ذلك لا يكون في سبيل الدعوة
 إلى الدين « وأبلاغ رسالته إلى العالمين ،
 وما يكون لها أن تفهم إلا أنه كان
 في سبيل الله « ولا تكون الحكمة
 الإسلامية « ولا تفهم كرامة إلا على
 الضيق « ويحكم الذين وافقوا « لذلك
 عدهم من من الجيوش النبوية وعدهم

٢ - فلما كان الجيوش كان كاية من
 أيات الدعوة الإسلامية ، ومثلها من
 أيلة العرب المكية « واليك مذكرا
 آخر « كان في زمن النبي « سلم »
 من كبير خلقه يلقون الخليفة «
 حيث الزادات والمروعات « ومن حيث
 جميع المال من حيث العمدة « الزكاة
 والجزية والغنائم « الخ « ومن حيث
 تولد ذلك كله من مكرهه « وكان
 له « سلم » ضما وجبة « يتولون
 ذلك له « وأن ذلك أن تبين المال من
 ملكي « بأن من أهم مميزات الحكومات
 على أنه تخرج من وظيفة الرسالة من
 صيغته في « وموسم من قبل الرسل
 يعجزهم بنبلا تعصب »

٨ - وقد يكون من أقوى الأيالة في
 هذا الباب ما ذكره القبطي بستانده
 أن النبي « سلم » وجه بكرة الذين
 عرفوا بين زبانه « وأراد أن يرسل
 بجزء واستعمل بجزء من حشمه على
 تجران « وغدا بين تسمية بين الناس

على ما بين جدران ويجمع ويؤيد ، وعامر
 ابن شهر على همدان ، وعلى مستعده
 ابن بلادم ، وعلى مك والتمسرين الطاهر
 بن أبي حلة ، وعلى كربا ليا موسى
 النعمري ، وعلى الجند على بن أبي
 لية « وكان حلقا مليا يقتل في رسالة
 كل مليل بالبين وحضر يوم [آ٧] الخ
 هناك كثيرين منكمزنا قد وجد في العصر
 النبوي ، مما يمكن اعتباره أثر من آثار
 الدولة « ومظهرا من مظاهر الحكمة ،
 ومخالف للسلطنة « فمن نظر إلى ذلك
 من هذه الجهة « ساع له التلوي بأن
 للنبي « سلم » كان رسول الله صلى
 وكان ملكا مسلما أيضا .

٩ - فإذا ترجع عند بعض النظيرين
 اعتبار تلك الأيالة « وإطلاق إلى الحكم
 بأنه « سلم » كان رسولا ومسلما ،
 نسوة يعترفون بحلته بعت آخر جدير
 بالتحكيم . فهل كان نسوة « سلم »
 للسلطنة الإسلامية ، وتصره في ذلك
 الجانب شيئا خارجا عن حدود رسالته
 « سلم » ، أم كان جزءا بما يشه
 الله له وأوحى به إليه . . فلما ان
 المملكة النبوية عمل متصل من دعوة
 الإسلام ، وخرج من حدود الرسالة ،
 فذلك رأى تعرف في مذهب المسلمين
 ما يشككه ، ولا تذكر في كلام مايل
 عليه « وهو على ذلك رأى مسلح لأن
 مذهب الله ، ولا ترى التلوي به يكون
 كرامة ولا العادة « وربما كان محسوبا
 على هذا المذهب بخراة بعض السواق
 الإسلامية من تآكل الخلافة في الإسلام
 مرة واحدة « ولا يهولك أن تسبح أن
 للنبي « سلم » حلا كهذا خارجا عن
 وظيفة الرسالة ، وأن ملكه الذي شجده
 هو من قبل ذلك العمل النبوي الذي
 لاملالة بالرسالة « فذلك قول أن
 تركته الآن لأن للتدقيق في غير ماكون
 في لغة المسلمين « فغوامد الإسلام ،
 ويحي الرسالة عروج التشريع ، وتاريخ
 النبي « سلم » كل ذلك لا يصام رأيا
 كهذا ولا يستعمله « بل ربما وجد
 ما يسلح له عملية وسندا ، ولكنه على
 كل حال رأى تراه بعيدا .

١٠ - ولما أن المملكة النبوية جزء
 من عمل الرسالة بضم لها ، وداخل
 فيها ، فذلك هو الرأي الذي تلتصاه
 نفوس المسلمين فيما يظهر بالرفضا ،
 وهو الذي تشير إليه أساليب عوفريده
 بسلطنتهم وخلاصهم « ومن الذين أن ذلك
 الرأي لا يمكن نخطه إلا إذا أجت أن من

عمل الرسالة أن يقوم الرسول ٢ بعد
 تبليغ الدعوة الأولية بتتبعها على وجه
 علمي ، أي أن الرسول يكون ملتصا
 وملتصا بها .

١١ - غير أن الذين يحتوا في معنى
 الرسالة « ووفقنا على بهايتهم ، ألفوا
 دانيان ويعبروا التقييد جدا من حقيقة
 الرسالة ، إلا أن خلدون « فقد جاد
 في كلامه بلخير إلى أن الإسلام هو
 غيره من الملل الأخرى قد أخصي بأن
 جسع بين الدعوة الدينية وتبليغها بالعلم ،
 وذلك المعنى ظاهر في عدة مواضع من
 عقيدته التاريخية « وقد بينه بأن
 الدين في الفصل الذي شرح فيه اسم
 البابا والطريق في اللغة التشرافية ،
 وأساس الكون عند اليهود ، فقال :
 « أعلم أن اللغة لابد لها من حكم حد
 خية التي « يجعلها على احتكاكها
 وشرائعها ، ويكون كخليفة لهم للنبي
 أيضا جسده « في التكليف « والتروع
 الانسحاب أيضا « بما تقدم من ضرورة
 السهولة لهم للاجتماع بالبري ، لابد
 لهم من شخص يعلمهم على مساهمهم ،
 ويؤمهم من مفسدهم بالخير ، وهو
 المسمى بالملك « واللة الإسلامية لها
 واسم الجهاد فيها بخروها « ليعود الدعوة
 وحمل تلكا على دين الإسلام طوعا
 أو كرها « فصحت فيها الخلافة بالملك ،
 لتوجه الشوكة من الغائبين بها إليها
 سعا ، ولما يسرى لغة التسليمة لهم
 تكن دعوتهم حرة ، ولا الجهاد عدهم
 بخروها « إلا أن الدائمة فقط تعاصر
 العلم بأمر الدين فيها لإمانيه فيه « من
 السليم « التمهيد بكتلين بختلن
 على الأم الأخرى ، وأنها هم بطولون
 بأقلية دينهم في خاصة أنفسهم « الخ .
 فهو كما ترى يقول ، أن الإسلام شرعي
 بتأجيله وتطبيع ، وأن السلطة الدينية
 أصبحت فيه والسلطة السياسية « ومن
 سائر الآيات .

١٢ - تكرر لذلك القول دعائية ،
 ولما نجد له سندا ، وهو على ذلك
 معنى الرسالة « ولا يتلهم على مقتضى
 به طبيعة الدعوة الدينية كما مرهت ،
 ولين ذلك القول سمحا ، قد بقى
 بشكل أكثر عليهم أن يجهوا له جوابا ،
 وأن يلتمسوا منه بخروها « ذلك هو
 الشكل الذي ودأنا منه هذا البحث
 دعنا أن يبعث آخر « إذا كان رسول
 الله « سلم » قد أسس دولتيانية
 أو شرع في تأسيسها ، فلماذا خلت

- (١٢٢) سورة البقرة
- (١٢٣) سورة القصص
- (١٢٤) سورة القصص
- (١٢٥) سورة آل عمران
- (١٢٦) سورة يونس
- (١٢٧) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٤

بوله ان من كثير من اركان الدولة
وعدم الحكم ؟ ولماذا لم يعرف نقله
في تصنيف الفضايلة الواردة ؟ ولماذا لم
يحدث الى رتبته في نظام الملك وفي
تواعد الشورى ؟ ولماذا ترك المسألة
في حيرة واضطراب اولئك
الحكماء في نهج ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟
نريد ان نعرف بنسبة ذلك الذي يبدو
فقط كأنه اجهل من اضطراب اوتقصر،
انما القبيح « مسلم » ، وكيف كان ذلك ؟
وما سره ؟ لعل اولئك الذين يصرون
على اعتقادهم ان مصداق « مسلم »
بدوة الى دين جديد ، وإلى تأسيس
دولة جديدة ، ويصرون على ان الدولة
التي انشأها النبي « مسلم » كانت
توضع اسمها ، وتدار شؤونها ، ونظم
ابورها ، يوحى الله لمصطفى حكم
المعنيين ، ثم يضرمهم لذلك التي اعتقد
ان نظام الدولة زمن النبي « مسلم »
بلغ غاية الكمال التي تصور عنها عقول
القبائل ، وتدار دولتها استكثرت ، مثل
اولئك اذا سلكوا من سر هذا الذي
يبدو نقسا في التسمية الحكم ، واهلها
في تواضعه ؟ قد يلتبسون للجواب احدى
لكه الخطأ التي متخذة الآن في بيوها .

١٢ - لما صاحب كتاب تفسير
الدلائل الصحيحة ، ورواياته وفاته
بعد ما ولد ولد له من ذلك الماشق
خلصا سبلا ، فزعم ان الحكومة كانت
تقتل في زمن النبي « مسلم » على
كل ما كان للدولة من مبال وامثال ،
وتلقية بسبوبة ، وتراعى مصادرة ،
ويمن خصلة نصلا ، لا مجال بعده
لجديد ، ولا زيادة استأجره . وفيه ان
ليكون به حيلة الى اعادة هذا القول
عليك بعينا سبق .

١٤ - قد يتوهم فقال يريد ان يزيد
ذلك المذهب برفع من التأييد ، على
طريقة اخرى ؛ انه لا شيء يمتنع من ان
ننعتد ان نظام الدولة زمن النبي [صلم]
كان منها وصفا ، وكان مشابها على
جميع لوجه التكال ، التي ظن لدولة
بغيرها رسول من الله ، وبزيده التكال
وتفازه بلكة الله ، غير لنا لم نصل
الى علم التفاضل الحقيقية ، ودخلى
ما كانت الحكومة النبوية ، من

نظام بلق ٢ واحكام متابع ٣ لان الرواة
قد تركوا نيل ذلك البنا ، او فهم نظوه،
ولكن غلب عليه عشا ، او اسبب آخر
[٨٨] وما اوفيت من قبل الا
فلا . ب

١٥ - ذلك خطأ لا ينبغي ان يرتفعا
لأول حلة مثل الملاء ، فله لا حرج
على نورسنا ان يخالطها الشك في اتنا
نجل كثيرا من شئون التاريخ النبوي ،
بل الواقع كنا نجل منه ومن غيره أكثر
ما نعرف ، على اهل العلم ان يؤمنوا
دليا بان كثيرا من الحقائق معجوب
نهم ، وعليهم ان يبادوا أبدا في كشف
مخبيها ، واستنباط الجديد منها ، وفي
لكه حياة العلم ولماؤه ، غير ان احسن
حيثا يمشي الحقائق لا ينبغي ان يمتنع
من التوافق بها فلما بنا ، واعتبرا
حقيق عليه ، فينبى عليها الحكم ،
ونظم المذاهب ، وتبين لها الاسباب ،
وتستخلص منها النتائج ، على ظهر
لنا ما يخالطها ويثبت فيها عليها ، لذلك
لعل انه من المحتمل حقيقة ان يكون
نظم الحكومة النبوية قد غلب علينا غيره
و قد تكلف لنا الايمان كان المثل الاملى
في الحكم ، ولكن ذلك الاحتمال لا يمتنع
ان نمود . ولا يتكلف لنا بالعلم ما
يخلفه محلوها - فتعال من جديد من
بنسبة ذلك الذي عرفنا الى الآن من
الاجتهاد والاضطراب في نظام الحكومة
النبوية ، ومن سره وصفا .

١٦ - هناك خطأ آخر للجواب
من ذلك السؤال ؛ ذلك ان كثيرا ما
نسبوه اليوم اركان الحكومة ، وتكلمة
الدولة ، ونسب الحكم ، لنا هي
اصطلاحات عارضة ، واورشاح مصنوعة
ليست هي في الواقع شروعية لنظام
دولة تريد ان تكون دولة التيسر ،
وحكومة العاطفة ، التي ترفض كل ذلك ،
وتل ما يمكن ملاحظته على الدولة النبوية
يرجع عند التل الى معنى واحد ،
ذلك هو خلاصه من تلك الظاهر التي
سارت اليوم عند علماء السياسة من
اركان الحكومة الخفية ، وهي في حقيقة
الامر غير واجبة ، ولا يكون الاختلال

بها حجة نقضا على الحكم ولا تقوى
من مظالم التوقي والاختلال ، فذلك
تأويل ما يلاحظ على الدولة النبوية ما
قد وجد اضطرارا .

١٧ - كان محمد [مسلم] يحب
البساطة ، ويكره التكلف ، وعلى
البساطة الغلبة التي لا فاضية فيها
قلت حينه الخسفة والجملة ، كان
يدعو الى البساطة في القول والميل ،
كما في حديثه مع جرير بن عبد الله
الجلبي [٨٩] يا جرير اذا قلت
فأجوز ، ولذا بلغت حليته فلا تكلف ،
كان يكثر التمسك من غير تكلف ، ويجوز
بهم على منهج البساطة ، وقد روى
[٩٠] انه [مسلم] كان يسبح
الحسنة . ومن ابن عباس رضي الله
عليه [٩١] كنت في النبي [مسلم]
دمية ، وكان يقول لاصحابه [٩٢]
[٩٣] اني اكره ان اتزين عليكم ، فان الله
يكره من عبده ان يراه متزينين بين
اصحابه . وروى انه [مسلم] [٩٤]
[٩٥] ما خير بين ابراهيم الا انا ان ابراهيم
ما لم يكن اما ، وفي حديثه ابي
موسى التميمي وسما ، وسبقت روايته
[٩٦] وسرا ولا تمسرا ، ويشرا ولا تقرا ،
كان [مسلم] يكره الزياء والتكلف ،
ويقول في حجة الوداع [٩٧] اللهم
اجعلها حيا مبرورا ، لا رياء فيه ولا
سمعة ، وقال الله تعالى مخلفا له
عليه السلام [٩٨] قل ما اسألكم عليه
من اجر وما لنا من المكنتين ، وكان
نبا يبلغ من شرمه الله تعالى بان
الناس بالقرآن البسيطة ، وينهاهم من
التكلف ، ويقضيهم ؛ اذا لم يكن بأمر
فكروا به ما استحسن ، و [٩٩] ان هذا
الدين مبن فاولم فيه بربا ، فيا جعل
عليكم في الدين من حرج [٩٩] ، و
لا تجد فيها جاد به من الفرائع حكما
يرجع الا الى المبادئ الائمة السالفة ،
نام يكلمهم في اوقات الصلاة ان يصيروا
خرج الشمس ، ولا يطعن التجم ، بل
جل بلذ ذلك ما يحس به كل انسان
من حركة الشمس المشاهدة في الصبا ،
وجعل الصوم والمح وبهذه العبادة
مصلحة بحسنة التبر ، وبهذه التور
بمصلحة لا تحتاج الى صلب والارز
ولم يكتفى في الصوم ان تصب لوللا
يرضخ ، بل جعل ذلك منوطا بولاية
الخالق رؤية بسيطة لا تكلف فيها .

(٨٨) سورة النساء .

(٨٩) التكال للبريد ج ١ ص ٤ الخليفة الخليفة .

(٩٠) السيرة الطيبة ج ٣ ص ٦٦٢ .

(٩١) السيرة النبوية ، على مشي السيرة الطيبة ج ٣ ص ٣١٠ .

(٩٢) فيه ص ٢٧٢ .

(٩٣) السيرة الطيبة ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٩٤) سورة ص .

(٩٥) سورة الحج .

وجاء في تلك الحديقة [١٦٦] « لا تخرج أية أمة الخ » • وحديث صوموا لرؤيته الخ • [١٧] ، ولم يكتفوا بحسب اليوم وبساعات والدقائق ، بل ربطه كذلك بظهور المحسوس ، الذي لا يخلط فيه [١٨] • وكذا والبرود ، حتى يبين لكم الخيل الأبيض من الخيل الأسود ، من الفجر من الصور الصيام إلى الليل ، • كان [مسلم] أبا ويرسلوا إلى الذين لما كان يخرج من يومه من بيته الفلسفة والصباية ولا في شربهم من أصول الآية • ولا من مخلفات الصحابة والنظرة السليمة التي نظر الله الناس عليها ، فذلك الذي رأينا في تعلم الحكم أيا لم يكن [أ] صلم [أ] هو للعلم الذي تعفى به البسيلة النظرية • ولا ريب في أن كثيرًا من نظم الحكم في الوقت الحاضر ، أيا هي أوضاع وتكتلات ، وإضاف طائر بنا مهجًا فلتلقاها ، حتى تفتنهما من أركان الحكم وأصول النظام وهي إذا تلبث ليست بذلك في شيء • لأن هذا الذي يحد لنا أهيلا أو اضطرابا لا تصما في نظم الحكومة الثورية لم يكن إلا البسيلة بمعناها • والظرة التي لا يجب فيها •

١٨. « لو كنا نريد أن نجعل لنا طريقا من بين تلك الطرق التي همسنا عليك ، فكان ذلك الذي أدنى إلى اختيارنا عنه ولدين أكثره ، لكنت لا تستطيع أن تفعله لنا رأيا ، لأنك إن قبلت وجهته غير وجهه لا صحيح • حق أن كثيرا من أنظمة الحكومة الحديثة أوسعنا وتكلفت ، وإن فيها مالا يدعو إليه طبع سليم ، ولا ترغاه طرفة صميمية ، ولكن من الكيد الذي لا يقل شكا أيضا أن في كثير مما استخدمت في أنظمة الحكم ما ليس منطقيًا ولا مستوعبا ، ولا هو مع ذلك ضروري ونافع ، ولا ينبغي للحكومة ذات بخلية وصبر أن تبتل بالأذى به • وحل من مسألة الظرة وبسيلة الطبع خلا من لا يكون لدولة من الدول بيزانية تعد إيراداتها ومصروفاتها أن لا يكون لها مداوين خفيين مختلفين فشنوا الداخلية والخارجية ، إلى غير ذلك • وإنه كثير ، مما لم يوجد منه

شيء في أيام النبوة ؟ ولا أشكر الله النبي [مسلم] أنه ليكون نصفا غير معقول أن يمثل ذلك الذي يدعو من نص المصلح الحكيمية ، ومن النبي [مسلم] بأن منشأ مسألة الظرة • وبمسألة التملك تخلص وجهًا كثر: لعل ذلك الاشكال •

الياب الثالث : رسالة لا حكم ودين لا دولة

١. « رأيت لكن أن هذه هي الحكمة لا يذهب أن يتخطاها أولئك الذين يريدون أن يذهب بهم الرأي إلى اعتدال أن النبي [مسلم] كان يرجع إلى صفة الرسالة أنه كان ملكا سياسيا ، وبمسألة لدولة سياسية رأيت أنهم كلما حاولوا أن يقوموا من مرة لتعليم مبادئه ، وكتبوا أرفوا الخلاص من تلك المشاكل ما ذلك المشكل عليهم جذما • لم يبق أملاك • بعد الذي سبق • إلا مذهب واحد • وصلى أن توجد مدينا والفحشا ، لا تقضى فيه طرقات • ولا تظلي عجلات • ولا تملك بك شعلة ، ولا يشارك تراه ، مأبون الفوائل ، غالبا من المشاكل ، ذلك هو القول بأن محمدا [مسلم] ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين ، لا تقويها نزعة ملك ، ولا دعوة أدوية • وإنه لم يكن للنبي [مسلم] ملك ولا حكومة ، وأنه [مسلم] لم يقم بتأسيس مملكة ، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه التكتلات وبرافقتها ، ما كان إلا رسولا كفاؤته الفلاحين من الرسل ، ويمتلك ملكا ولا مؤسسى دولة ولا داعيا إلى ملك • قول غير معقول ، وربما استمره مع المسلم ، يد أن له حقا كثيرا من النظر وعوة الدليل • ٢. « وقيل أن تأخذ بك في بيان ذلك ، يجب أن تتحرك من خطا قد تدعى له انظر إذا هو لم يحسن النظر • ولم يكن من أمره على حذر • ذلك أن الرسالة لذاتها تستلزم للمسؤول نوعا من زعامة التوك وسلطتهم على رعيته • فضلا فخلد بين زعامة الرسالة وزعامة الملك

ولا حظ أن يذهب تلكا يوشك أن يكون بجليا • وقد رأيت أن زعامة موسى وميسى في أيامهما لم تكن زعامة بلوكية • ولا كانت كذلك زعامة نكر المرسلين • ٣. انجليزية الدعوة الدينية الساجدة • تستلزم لصاحبها نوعا من الكمال الحسى أولا ، فلا يكون في تركيب جسمه ولا في حواسه وخفاشه نفس • ولا شيء يدعو إلى التلويح • ولا يد له • وإنه زعيم • من حيلة تلات التوسين من خشية وجعوبة فطعل الرجال والتساع إلى محبته • ثم لابد له أيضا من الكمال الروحي • لذلك ، ولا ينبغي عليه ضرورة اتصاله باللا الأعلى • • والرسالة تستلزم لصاحبها قسما كثيرا من الدوا الاجتماعي بين قومه • كما ورد [١٩] • أنه لا يثبت الله نبي إلا من عز من قومه ، ويخضع من عشيرته • والرسالة تستلزم لصاحبها نوعا من القوة التي تعدد أن يكون لذلك القول • بحسب الدعوة • من الله جل شانه لا يخطا الرسالة مينا ، ولا يثبت بالقول رسولا إلا وقد أراد آدموه أن تم • وأن يرفع أسلوبا في لوح العالم المحفوظ ، وأن يترجح بمقتضى هذا العلم ابتزاجا (١٠٠) • وما أرسلنا من رسول إلا ليناطع بآلان الله • وحاشى لله ، لا يثبت الله دعوة الحق لتضع • ولا يثبت رسولا من غير علمه ليرد بخيرا [١٠١] • [ولقد استخبرني برسل من ذلك علقا فلقين سخروا منهم مكلوكا به يستنزون ظر سيرا في الأرض لم انظروا كينكول عليه المكذبين] [ويريد الله [١٠٢] أن يحق الحق ويطلع دابر المكفرين الجبرون] [١٠٣] [ولقد سمعته أن جلفنا لهم القائلين] [١٠٤] [أن لنا رسلنا والذين آملوا في الحياة الدنيا • و يوم يقوم الأمماد • يوم لا ينفع الظالمين معزرتهم ولم تسلفه راعهم الدار] • أن محام الرسالة يقتضى لصاحبها سلطانا أوسع ما يكون بين الحكم والمحكومين • بل وأوسع ما يكون بين الآب وأولاده • قد يتناول الرسل من سياسة الأمة مثل ما يتناول الحاكم • ولكن الرسل وده وظيفة لا شريك لها • من وظفته أيضا

[١٩] [فتح الباري ج ٤ ص ٨٩ الحظمية الفيزية • برؤية لنا • بدل نص • (١٩) شرح المسكتاتي للبشارى ج ٤ ص ٨٨ الحظمية الفيزية •

(١٨) سورة البقرة •

(١٩) رواد الشيعيين فقط •

إلى جامع الأصول ج ٢ ص ٢٢٠ •

(١٠٠) سورة النساء •

(١٠١) صورة التمام •

(١٠٢) سورة انفال •

(١٠٣) سورة أسافات •

(١٠٤) سورة آل عمران •

• من حديث طويل • راجع تفسير الوصول

ان state في government
لو ما تشبه ذلك .

نحن لا نعلم في أن الإسلام وحدة
دينية ، والمسلمون من حيث هم ، جماعة
واحدة ، وأنها [مسلم] دعا إلى ذلك
الوحدة ، وأنها باقتل عبد الله
وأنه [مسلم] كان على رأس هذه
الوحدة الدينية ، ألبانيا الواحد ،
ومديرتها للذ ، ومديرتها التي لا يراجع
له أب ، ولا يخالف له تولد ، وهي
سبيل هذا الوحدة الإسلامية نافس
عليه السلام بسلطته وسلطته ، وجاءه
نصر الله والفتح ، وأيدته ملكة الله
وقوته ، حتى بلغ رسالته ، وأدى أماته
وكان له [مسلم] من السلطان على
أبته ما لم يكن لك قبله ولا بعده
[١٠٩] [التبيين أولى بالمؤمنين من
انتماس] [١١٠] وما كان المؤمنين
ولا يؤمنه إذا دفع إلى الله ورسوله أبوا
أن يكون لهم القوة من أمرهم ، ومن
يصل إلى الله ورسوله فقد دخل خلافة
السلطان ، بل كان أو خليفة أو سلطان الخ
هو من حل من أن يصل ، فإن من ال
أسماء ، لا يابن الوفاء متدها ، وأنها
المهم كما قلنا هو الحق ، وقد حدثنا
لك متعبدا . المهم هو أن تعرف مسل
كانت زميلة التي [مسلم] في قومه
زميلة رسالة ، أم زميلة ملك ، وهل
كانت مقام الولاية التي أراها أمينا
سبيلية ، أم مقام زميلة دينية ؟
ولم كانت تلك الوحدة التي قام على
رأسها التي عليه السلام وحدة حركية
ووحدة ، أم وحدة دينية حرة لاسيما ؟
وأخيرا لم كان [مسلم] يردنا لفظ
أم ملكا ورسولا ؟

٦ - فراهم القرآن المجيد لزيد
ثقلان بل أن النبي [مسلم] لم يكن له
ثقلان في الملك السياسي ، وأبانه
بمفسرة على أن عمله السياسي لم
يتجاوز حدود البلاغ المجرى من كرامته
السلطان ، من يطلع الرسول فقد اطاع
الله ، ومن تولي ما أرسلناك عليه
حنيفا . (١١١) فربما ما نؤكد وهو
الحق ، أن لم يستطع فليكن بركلي . إنك

وسلطان الرسالة ؟ وثقود الدعوة
الصاعدة قدر الله تعالى أن تطو على
دعوة الأبله ، وأن تكبد في الأرض ،
ذلك سلطان ترسله السماء من عند الله
تعالى على من تولى عليه بالملكة السماء
بوحى الله تعالى . تلك قوة تسمية
بمقتضى بها عباد الله المرسلين ، ليست
في قوة من معنى القوة ، ولا تشبهها
قوة الملك ، ولا ذاتها سلطان
السلطان . تلك زميلة الدعوة الصاعدة
إلى الله وإبلاغ رسالته ، لا زميلة
الملك ، أنها رسالة دين ، وحكم التوبة
لا حكم السلطان . ولمود ثانيا فخطرك
من أن تخطئ بين الممكن ، وأن يتيسر
عليك أمر الولايتين ، ولاية الرسول من
حيث هو رسول وولاية الملك والأمر
ولاية الرسول على قومه ولاية روحية ،
يتشوها إيمان القلب ، وخشوعه
خضوعا مفعلا ثانيا ويتمشع الجسم ،
ولا يؤمنه إذا دفع إلى الله ورسوله أبوا
أن خضع الجسم من غير . أن يكون لها
بخطوب أفضل ، تلك ولاية حداثية
إلى الله وإرساله إليه ، وهذه ولاية
تتبر لصالح الحياة وصيانة الأرض .
هذه تلك الدين ، وهذه للدين ، تلك لله ،
وهذه للناس ، تلك زميلة دينية ، وهذه
زميلة سياسية ، ويوجد بلان السياسة
والدين .

• نريد بعد ذلك أن نلتم إلى شيء
آخر . فإن تبة كليات متحمل أحيانا
استعمال المزايدات ، واستعمالا أحيانا
استعمال الاختراقات ، بلنا من ذلك
في بعض الأحوال بملحة واختلاف في
النظر ، واضطراب في الحكم ، فإن
ذلك كله : ملك . وسلطان ، وحكم ،
وليد ، وخطبة ، ودولة ، وسلطة ،
وحكومة ، وخلافة ، الخ . ونحن هنا
إذا سلنا : هل كان النبي [مسلم]
ملكاً أم لا ، ولتنا نريد أن نسال : هل
كان له [مسلم] صفة غير صفة
الرسالة ، بما يسمح أن يقال أنه أسمى
لعملا ، أو فرع في تأسيس وحدة
سياسية أم لا ؟ نالنا في استعمالنا
هنا ، ولا خرج أن سموه خليفة أو
سلطانا أو نبيا ، أو ما شئت سمه ،
بمعناه المسمي على لبة ذات وحدة
سياسية ودينية ، وأريد بالسياسة
والدولة والسلطنة والملكة ما يريد عليه
السياسة بملكه : Kingdom

ان يصل بالارواح التي في الاجساد ؟
ونزع الجسد لينقل على الطوب التي
في الصدر . له بل عليه أن يتجسد
في طوب كنهانه ، أبليل ، التي يصلح
الحب والصفوة ، وينتج الصفوة
والصالح ، ويجارى الخواص ، ويمكن
الرسول ، ويبلغ الياتك ، ويستوعود
الاختلاف ، له صل ظاهري في سياسة
الملك ، وله أيضا صل خفي في تعبير
الملك التي جميع بين الشراك والأخوة
والخليفة والحليف ، والمولى وعبيد ،
والوالد وولده ، وفي تعبير تلك الروابط
التي لا يطلع عليها إلا العليل وحلته .
له رعاية الظاهر والباطن ، وتعبير أمور
الجسم والروح ، وصلاقتها الأرضية
والسموية . له سياسة الدنيا والأخرة .
الرسالة تقتضي لصاحبها ، وهي كسا
فري وقول ما فري ، حل الاتصال
ولا نفس اتصال زميلة وتعبير ، وفق
التعريف لكل طلب تصريا غير محدود .
• وذلك ، ولاحظ أيضا أن النبي
[مسلم] قد اغضت رسالته بكثير بما
لم يكن لغيره من المرسلين ، فقد جاء
[مسلم] بدعوة اختاره الله تعالى لأن
يدعو إليها الناس كليم لجميعين ، وفرد
له أن بلغها كلمة ، وأن يقوم عليها
حتى يكمل الدين ، ويتم النعمة عوض
لا تكون نعمة ، ويكون الدين كله ،
تلك الرسالة توجب لصاحبها من الكمال
نفسيا بما تصور إليه البهيمة البشرية ،
ومن القوة التسمية بنبي ما قدر الله
لرسوله المصطفى الاختيار بين تدايه التبا
بفلسفه مع تلك الدعوة الكبيرة الصلبة .
ذلك قوله تعالى [١٠٥] [وكان فضل
الله عليك عظيما] وقوله تعالى [١٠٦]
[إنك بأمرنا] [١٠٧] [والله
لا يخزيك الله أبدا] [١٠٨] [فإنا
أكرمك وقد أكرم على ربى ولا نخشك]
من أجل ذلك كان سلطان النبي [مسلم]
بمقتضى رسالته مسلطا حيا ، وأمره
في المسلمين بخاصة ، وحكمه شاملا ،
فلا شيء ، بما نعتد إليه بد الحكم إلا
وعد شمله سلطان النبي [مسلم] ،
ولا نوع مما يتصور من الولاية والسلطان
الأ وهو داخل تحت ولاية النبي [مسلم]
على المؤمنين ، وإذا كان العمل يجوز أن
تعتبر درجات السلطان الذي يكون
لرسول على أبته ، فقد رأيت أن جددا
[مسلم] لمن أرسل عليهم السلام
بأن يكون له على الله أقصى ما يمكن
من السلطان ونعوه القول ، قوة التوبة

- (١.٥) سورة النساء
- (١.٦) سورة الطور
- (١.٧) من حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي . أخرجه الترمذي
- (١.٨) من حديث أنس يرواه الترمذي .
- (١.٩) سورة الأحزاب .
- (١.١٠) سورة الأحزاب
- (١.١١) سورة النساء .

فَمَا مَخْطُورُ سَوْفَتِ مَخْطُوعٍ » [١١٢] « أُنْبِئْ بِأَوَّلِ الْيَوْمِ مِنْ رَيْكَ ، وَآلَهُ الْآلِ أَوْ أَمْرِهِ مِنَ الْخُرُوكِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ بِأَلْتَرَكُوا ، وَمَا جَعَلْتُكَ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا وَمَا أَتَيْتُكَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ » [١١٣] « وَأَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآتِيَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا بَرَبٍّ وَبُخْتٍ ، وَأَكَلَتْ تُرُكُومُ السُّنُاسِ حَتَّى يَكُونُوا بُرْتَجِينَ » [١١٤] « ثَلْ بِهَآئِلِهَا النَّاسَ قَدْ جَاءَهُمُ الْخَلَقُ مِنْ رَبِّكَ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ بِهَدْيٍ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ خَلَّ ثَقُلًا فَيَسْئَلُ عَلَيْهِمْ ، وَمَا أَتَتْ عَلَيْهِمْ يَوْمَكِمْ » [١١٥] « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا » [١١٦] « فَارْتَدَّ مِنْ أَفْئِدَتِهِمْ عُودٌ ، فَكَانَتْ تُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا » [١١٧] « أَنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ فَتَلَّاسُ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَلَيْهِمْ فَلْيَفِئِدْ أَنْتَ عَلَيْهِمْ يَوْمَكِمْ » [١١٨] « فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنْ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا ، أَوْ أَنْ عَلَيْكَ الْإِبْلَاقُ » [١١٩] « نَحْنُ أَدْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ وَمَا أَتَتْ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ، فَفَكَّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَتَفَكَّرْ وَعِيدٌ » [١٢٠] « ذَكَرَ الْبَآئِلُ أَنْتَ فَحَكَرَ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُحِيطٍ إِلَّا مَنْ أَوَّلَى وَكَتَرَ يُعْطِيهِ اللَّهُ الْمُدَّابَ الْكَبِيرَ » [١٢١] « الْقُرْآنُ كَمَا تَرَى يُنْجِي صَرِيحًا أَوْ يَكُونُ النَّبِيُّ « صَلَاحًا عَلَى النَّاسِ ، وَلَا يُكْرَهُ ، وَلَا يُجَارَى وَلَا يُمَسْخَرُ » [١٢٢] « وَلَنْ يَكُونَ لَهُ حَقُّ أَكْرَاهِ النَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُطِيعِينَ : وَهَلْ مِنْ يَكُنْ حَفِيزًا وَلَا مُصِيطِرًا فَلَيْسَ بِهَلَكٍ ، لَآنَ مِنْ لَوَاظِمِ الْمَلِكِ السُّيُورَةِ الْمَلِكُ وَالْجَبَرُوتِ مُعْطَايًا فِيمَ مَصْغُودٍ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَكِيلًا عَلَى الْآيَةِ فَلَيْسَ بِهَلَكٍ لَيْسَ « وَتَالِىَ مُعَالِي » [مَكَانٌ مَعْدُ لَهَا لَهْدٌ مِنْ رَجُلَيْكَ وَلَكِنْ

يَزِيدُونَ اللَّهَ وَخَاتَمَ التَّائِبِينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » [١٢٣] « الْقُرْآنُ صَرِيحٌ أَوْ مُجْمَدٌ « صَلَاحٌ » أَوْ يَكُنْ لَهُ مِنْ الْحَقِّ عَلَى لَبِّهِ خَيْرٌ حَقِّ الرِّسَالَةِ « وَلَوْ كَانَ « صَلَاحٌ » مَلَكًا لَكَانَ لَهُ عَلَى لَبِّهِ حَقُّ الْمَلِكِ لَيْسَ « وَأَنْ لِّلْمَلَكِ حَقٌّ خَيْرٌ حَقِّ الرِّسَالَةِ ، وَفَلَا خَيْرَ لَهَا ، وَأَنْ خَيْرٌ لَهَا « ثَلْ لَا لِيْلِكَ لِنَفْسِي نَعْمًا وَلَا خَيْرًا إِلَّا بِشَاءِ اللَّهِ « وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْقَتِيلَ لَأَسْتَكْرِضَنَّ الْخَيْرَ وَلِاسْتَنْتَى السُّوءَ أَوْ أَنَا إِلَّا نَفَرٌ وَيُشِيرُ لِقَوْمِ يَوْمَنَ » [١٢٤] « بِطَلْعِكَ تَرَكُ بِمَعْنَى يَأْتِيهِ الْيَوْمُ وَفَاقًا بِهِ مَسْخُوكٌ أَنْ يَتَوَلَّوْا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ بِهِ مَلَكٌ أَنْبَأَهُ أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » [١٢٥] « أَنَبَا أَنْتَ فَتَفَكَّرْ وَتَلَّ قَوْمُ حَادٍ » [١٢٦] « ثَلْ أَنَبَا لَنَا بِشَرِّ مَلَكٍ يَوْحِي إِلَى أَنَبَا الْهَكَمِ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْلَمْ لِقَاءَ رَبِّهِ أَفْجَسَ مِنْ إِتْرَافٍ بِمُحْسَدَةٍ رَمَهُ لَهَا « [١٢٧] « ثَلْ بِهَآئِلِهَا النَّاسُ أَنَبَا كَمَا لَسْتُكَ نَذِيرٌ مَبِينٌ » [١٢٨] « أَنْ يَوْحِي إِلَى أَنَبَا أَنَا نَذِيرٌ مَبِينٌ » [١٢٩] « ثَلْ أَنَبَا أَنَا بِشَرِّ مَلَكٍ يَوْحِي إِلَى أَنَبَا الْهَكَمِ إِلَهُ وَاحِدٌ « [١٣٠] « الْقُرْآنُ كَمَا رَأَيْتَ صَرِيحٌ أَوْ مِنْ جَمْعِهِ « صَلَاحٌ » أَوْ يَكُنْ إِلَّا رَسْمًا تَدَّ خَلَّتْ مِنْ قِبَلِهِ الرُّسُلُ ، ثُمَّ هُوَ يَفْصِلُ لَكَ صَرِيحٌ أَوْ إِلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ لِيَكُنْ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ خَيْرٌ خَيْرِ الْبَلَاقِ رِسَالَةُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى النَّاسِ ، وَلَئِنْ لَمْ يَكْفِ شَيْئًا خَيْرٌ لَكَ الْبَلَاقُ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْصِلَ النَّاسَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ ، وَلَا أَنْ يَحْلُمَ عَلَيْهِ « لَنْ تُولِيَهُمْ فَاعْلَمُوا أَنَبَا عَلَى رُسُلِنَا

الْبَلَاقِ الْمَبِينِ » [١٣١] « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ الْإِبْلَاقُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَمَا تَسْكُبُونَ » [١٣٢] « أَوَّلُ مَا يَتَسَكَّرُوا بِمَجْلِسِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ ، أَوْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ » [١٣٣] « أَكَلَنَ النَّاسُ عَجَا أَنْ أُوحِيَآ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَتَى النَّاسَ وَكَشَرَ الثَّيْبَ أَتَبَرَأَ أَنْ لَمْ يَدْعُ قَدَمَ مَسْحَقٍ مَعْدٍ رَيْبٍ » [١٣٤] « وَأَنْ مَقَرَّتْكَ مَعْصِيَةُ الَّذِي نَدْعُكَ أَوْ تَتَوَكَّلُكَ ثَقُلًا مَلِكُ الْإِبْلَاقِ وَعَلَيْهَا الصَّلَابُ » [١٣٥] « ثَلْ عَلَى الرُّسُلِ الْإِبْلَاقُ الْمَبِينِ » [١٣٦] « وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا تَلْوِينَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا بِهِ وَهُمْ يَعْرِفُونَ وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » [١٣٧] « فَإِنْ تَوَلَّوْا ثَقُلًا عَلَيْكَ الْإِبْلَاقُ الْمَبِينِ » [١٣٨] « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا بَشِيرًا وَنَذِيرًا » [١٣٩] « ثَقُلًا بِسَرَّاهِ وَبَشِيرًا لِيُفْشِرَ بِهِ الْخَلْقَيْنِ وَيُفْشِرَ بِهِ قَوْمًا لَهَا « [١٤٠] « طَه ، يَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَلْقَاسِي ، وَلَا تَفْكَرْ أَنْ يَفْشَى « [١٤١] « وَمَا عَلَى الرُّسُلِ الْإِبْلَاقِ الْمَبِينِ » [١٤٢] « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا بَشِيرًا وَنَذِيرًا » [١٤٣] « أَنَبَا لِمَنْ تَرَى أَمِيدٌ رَبِّ هَذِهِ الْبِلَادَةِ الَّتِي حَرَبَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ لَقِيَ الْقُرْآنُ مَعْنَى أَحَدِي ثَقُلًا يَهْدِي نَفْسَهُ ، وَمَنْ خَسَلَ ثَقُلًا أَنَبَا مِنْ الْخَشَرَةِ » [١٤٤] « وَلَنْ يَكْبُرُوا لَعْدَ كَتَبَ لِمَنْ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمَا عَلَى الرُّسُلِ الْإِبْلَاقِ الْمَبِينِ » [١٤٥] « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآلِهِ وَسِرَاجًا نَهَارًا » [١٤٦] « وَمَا لِي لِمَلِكِكَ الْآخِرِ تَلْقَاسِي بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَسْتُ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » [١٤٧] « مَجْلِسُكُمْ

- (١١٢) سورة الأنعام .
- (١١٥) سورة يونس .
- (١١٧) سورة الفرقان .
- (١١٩) سورة القصص .
- (١٢١) سورة الفاتحة .

- (١١٢) سورة الأنعام .
- (١١٤) سورة يونس .
- (١١٦) سورة الأنعام .
- (١١٨) سورة القصص .
- (١٢٠) سورة ق .

(١٢٢) يَخْلُفُ إِلَى النَّبِيِّ قَرَأَتْ فِي كِتَابِهِمْ اسْتَطَاعَ الْإِنَّا أَنْ نَذْكُرَهُ ، أَنْ الْجِبَارِ اسْمُ الْمَلِكِ عِنْدَ بَعْضِ الْعَرَبِ ، وَهِيَ قَرَأَتْ تَعَالَى (وَمَا أَتَتْ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ أَوْ كُنْتُ الَّذِي وَجَّهْتُ لِيْمَا يَنْ يَدِي مِنْ كِتَابِ الْكَلِمَةِ أَنْ الْمَلِكُ يَمْسِي جَبَّارًا ، وَخَالِفًا مَالِكُ الْجَبَّارِ ، وَهُوَ الْجَوَارُ ، لَئِنْهَا عَلَى سُورَةِ مَلِكٍ خَلُجَ عَلَى كَرْسِي - وَخَالِفًا هُوَ كَذَا نَوَاعًا يَذْرَاعُ الْجَبَّارِ ، أَيْ يَذْرَاعُ الْمَلِكِ -

- (١٢٢) سورة الأعراف .
- (١٢٤) سورة الرعد .
- (١٢٨) سورة الحج .
- (١٣٠) سورة هود .
- (١٣٢) سورة المائدة .
- (١٣٤) سورة يونس .
- (١٣٦) سورة النحل .
- (١٣٨) سورة النحل .
- (١٣٩) سورة البقرة .
- (١٤١) سورة طه .
- (١٤٣) سورة الفرقان .
- (١٤٥) سورة النمل .
- (١٤٧) سورة سجد .

- (١٢٢) سورة الأعراف .
- (١٢٤) سورة هود .
- (١٢٦) سورة النمل .
- (١٢٨) سورة هود .
- (١٣٠) سورة المائدة .
- (١٣٢) سورة الأعراف .
- (١٣٤) سورة الرعد .
- (١٣٦) سورة النحل .
- (١٤٠) سورة هود .
- (١٤٢) سورة هود .
- (١٤٤) سورة النمل .
- (١٤٦) سورة الأعراف .

من جهة ان هو الا نفر لكم بين يدى
مذاب شديد [148] ان كنت الا
تغير ، انا ليسلك بالحق بشيراوتديرا
وان من اية الا غلا عنها تغير [149]
وما علينا الا البلاغ المبين [150]
ما اتنا انا بنذر وما من الله الا
الله الواحد القهار [151] فاستكثرت
بدا من الرسل وما ادرى بغيبى بي
ولا يكمن ان ارجع الا بغيبى الى عوا
انا لا ننجدين [152] انا ارسلك
فساعدوا وبنوا ونصيرا [153]
والطهوا الله واطهوا الرسول فان
فوليت مقسا على رسولنا البلاغ
المبين [154] ما قل انا الطم عند
الله وانما انا نذير مبين [155] ما قل
انما اقدم روى ولا اشرك به احدا
ما قل انا اباك لكم خيرا ولا رشدا
ما قل انا اباك لكم خيرا ولا رشدا
اخذ من فونه يتخذوا ابا بلقا من الله
ورسالته [156]

٧ - اذا لمن جاورنا كتاب الله
تعالى الى سنة النبي « مسلم » وجننا
الابر فيها اخرج « والجمعة قطع »
روى مسلم السيرة النبوية [157] ان
رجلا جاء الى النبي « مسلم » فاحلوه
ياكرها ، فقام بين يديه فخلعه رعدة
تحمده وجملة ، فقال له « مسلم »:
« من ملك قلبى است بلك ولا جبر »
وانما انا ابراهيم من ترويض تلك القيد
بسة .. وقد جاء الى الحديث انه انا
خير على لسان اسرائيل بين ان يكون
نبيا ملكا ، او نبيا مديا ، فقل عليه
السلامة والسلام الى جبريل ، عليه
السلام ، كاستدبه له « ينثر جبريل
الى الارض » فخير الى التواضع ،
وفى رواية اخرى انه جبريل انواضع
فتلت نبيا مديا ١٠٠ « فله صريح
ايضا في انه « مسلم » لم يكن ملكا ،
ولم يطلب الملك ، ولا توجهت نفسه
عليه السلام اليه .

التي من فنى المسعفة السكم
اثرنا ظاهرا او خفيا لسا يريون ان
يعتقدوا من مسعة سياسية للدين
الاسلامي ، من التمس ذلك اكثر دماغ
جهدك بين لحديث النبي « مسلم »
فك مناج النبي التسمية متناول بديك
وعلى كتب منك ، فالتقى منها طويلا

او فيه دليل ؟ ذلك ان جيد عليهما
برهنا ، الا قلنا ، وان النفر لافنى
من الحق شيئا .

A - الاسلام دعوة دينية الى الله
تعالى ، ويخصي من مذهب الإصلاح
لهذا النوع الحضري وهداية الى ما ينبغي
من الله جل شانه ، وينفع له مسيل
المساعدة الاينية التي اعدها الله لعماده
الصالحين . هو وحدة دينية اراد الله
جل شانه ان يوطئ بها البشر اجمعين ،
وان يحيط بها اقطار الارض كلها .
فك دعوة تسمية طاهرة لهذا العلم ،
احمره وسوده ، ان يتصووا بحل
الله الواحد ، وان يكونوا اية واحدة ،
يحدون بها واهدا ، ويؤمنون في وحدته
اخواتنا . فك دعوة الى اهل الاملى
لسلام هذا العلم ، ولغده الى ملابيل
به من الكمال ، والى حاصده له من
المساعدة ، فك رمة السداد بالرض ،
ونسل الله على العالمين . دعوة العلم
كله الى التكني في الدين دعوة محولة
وفى طبيعة البشر استعدادا لتطهيرا .
بلى . ولقد وعد الله جل شانه لاهد
الدعوة ان تتم ، فلا تحصيل للتمسك
وعده [158] « وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ليستخلفن في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم
برهان الذي ارسلنا لهم وليدينهم برحمتك
خولهم لينا يومئذى ليعرفون بي شيئا
ومن كفر بعد ذلك فلنولسك هم
الفاصولين [159] « هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليطهره على
العين كله وكفى بالله شييدا [١٦٠]
« من اقام بين الترى على الله الكتاب
وهو يدعى الى الاسلام ، والله ليهدي
القوم للقائين . يريون ليطهروا لور
الله بالقواهم والله يلم اوره ولو كره
التكثرون . هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليطهره على الدين
كله ولو كره المشركون [161] . يستول
ان يؤخذ العلم كله بدين واحد ، وان
تتعظم البشرية كلها وحدة دينية ، فلما
لفذ العلم كله بحكمة واحدة ، وجمعه
تحت وحدة سياسية شتركة ، فذلك
ما يريه ان يكون خراجا من الطبيعة
البرية ، ولا يتعلق به ارادة الله ،
على ان ذلك انا هو غرض من الافراض

الدينية ؟ التي على الله سبحانه وتعالى
بها وبين عوفا ، ورك التمس احرار
ان يتجهروا على مخالفتهم اليه عوفا
وعوفا ، ومسلمين ، واهل ارض
وتزمتهم . حكمة الله في ذلك واضحة
لبنى الناس بخلفين ، ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة ولتزالين مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم [162] ،
والذي بين الناس لذلك التنازع الذي اراده
الله ليكن الصبران « ولو دلح الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن
الله ذو فضل على العالمين [163] «
وهي مبلغ الكتاب كله ورمز ابر الله
ذلك من الافراض الدينية التي استحو
النبي « مسلم » ان يكون له بها حكم
او تدبير ، فقل عليه السلام : « كنتم
اعلم بشئون دينكم ، ذلك من افراض
الدين ، ولاننا من افراض الى اخفاء
وجمع بينهما من افراض وفراقت »
انتم عند الله تعالى من ان ياتم على
انتم غير بارك ديننا من عند الله
وهذا من مواضع وقصوات ، وعلمنا
من اساء ومسبوت ، هي احسن عليه
تعالى من ان يمت لها رسولا ، واخبر
دع رسل الله تعالى من ان يستلوا
بها وينسبوا لتدبيرها .

٩ - لا يريه هذا الذي نرى احيانا
في سيرة النبي « مسلم » ، فيقول له
كلمه بدل حكيم ، ومعه لملكو الدولة
فذلك اذا تاملت لم تجده كذلك بل هو
لم يكن الا وسيلة من الوسائل التي كان
عليه « مسلم » ان يخلص اليها ، شيئا
الدين ، وايضا الدعوة ، وليس مبيها
ان يكون الجهاد وسيلة منكم الوسائل
هو وسيلة دينية وقاسية ، وسكن
ما يديرك ، فليل التشرهوى للغير في
بعض الاحيان ، وربما وجب التخصيم
لبن الصبران « فاذا ضاق الله يوما الى
من عليه « بالتمسك » ، قلنا : فك
سنة الله في الخلق ، لكرال المصارعة
بين الحق والباطل ، والردد والذى
فقتة في هذا العالم الى ان يفتح الله
بفسلحه ليه ، اذا ضاق الله يوما الى
لرشد دينية ، ليجي منها « وينفع من
غلها ، وليس القصد فيها « التمسك
من قدره ان ياتي في طريقه على حيلة
لمسلا . او بيت رابع السداد لغير
به « في ذلك »

- (148) سورة سبا .
- (149) سورة يس .
- (150) سورة الاحقاف .
- (151) سورة المسافة .
- (152) السيرة النبوية .
- (153) سورة ابراهيم .
- (154) سورة القحط .
- (155) سورة هود .
- (156) رسالة التوحيد للشيخ محمد عوده هي 122 - 123 .
- (157) سورة غافر .
- (158) سورة ص .
- (159) سورة الفتح .
- (160) سورة الملك .
- (161) سورة البقرة .
- (162) سورة البقرة .
- (163) سورة البقرة .

(159) سورة البقرة

هذا من كتابي اكله الفرح

قالوا فَرَزْتُمْ لَهِ وَرَبَّنَا اَللهُ بِاَمَلَت
لَنَقُتِلَ نَفْسِي وَلَا جَايَت لِمَكِّدٍ مِ
جِيلٍ وَتَسْتَلِمْ اَحْلَامَ وَمَسْطَحَةً
تَقْدَحُ بِالْمَقْبُودِ بِمَدِّ الْفَتَحِ بِاَقْلَمِ
لَا تُنِي لَكَ مَعَا كُلَّ ذِي سَبَبِ
تَكُنَّ السَّيْفُ بِالْجَبَلِ وَالنَّمِ
وَالثَّيْ اَنْ لَقْنَهُ بِالْأَفْهِرِ فَغَسَقَتْ بِهِ
لَدَمًا وَأَنْ لَقْنَهُ بِالْأَفْهِرِ نَحْصِمِ
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ يَبْهَمُوسُونَ بِهِ
هَنِي الْقَتْلُ وَمَا نَعِي مِنَ الْقَمِ [١٦٥]

هناك حكومة ، ولا دولة ، ولا شيء من
نزعات السياسة ، ولا أغراض الملوك
والأمراء ، هناك الآن قد اعتدلت إلى
ما كنت تسال عنه قبلا ، من كلوا النصر
التيون من مظاهر الحكم وأغراض الدولة
وعرفت كيف يمكن هناك تربية سيوفهم ،
ولم يكن هناك إلا ولا نصفا ولا ديوان
الخ . . ولعل ظلام تلك العصور التي
صافحتك قد استحال نورا ، وصارت
الآثار عليك بردا وسلاما .

١٠ - ترى من هذا أنه ليس القرآن
وهذه التي بمنحنا من اعتقاد أن النبي
« مسلم » كان يدعو مع رسالته الدينية
إلى دولة سياسية . وليست المستغنى
وهذا التي تمنحنا من ذلك ، ولكن
مع السكتاب والسنة حكم العقل وما
يقضي به معنى الرسالة وطبيعتها .
أما كانت ولاية محمد « مسلم » على
الأمميين ولاية الرسالة غير مشروطة بشيء
من الحكم . هيئت هيئات ، لم يكن

الكتاب الثالث

الخلافة والحكومة في التاريخ

الباب الأول

الوحدة الدينية والعرب

١ - الإسلام كما مررت دعوته في
إرسالها الله لغير هذا المقام كله ،
عربية وعربية ، عربية وأصيلة رجالة
ونسائه ، أفريقية وتغرافية ، حالته
وجبالته ، هو وحدة دينية أراد الله
أن يربط بها البشر ، وأن تشمل أقطار
الأرض كلها ، وما كان الإسلام دعوة
عربية ، ولا وحدة عربية ، ولا دينيا
عربيا ، وما كان الإسلام ليعرف فضلا
لأمة على أمة ، ولا لآلة على لفة ،
ولا لقطر على قطر ، ولا لجن على
جن ، ولا لجزأ على جيل ، إلا بالتقوى .
ذلك على رغم ما جرى من أن النبي عليه
السلام كان عربيا ، وكان يحب العرب
بالتقوى ، ويثني عليهم ، وكان كتاب
الله عربيا نبيا .

٢ - كان لابد لدعوة الإسلام أن تخرج
إلى هذا الوجود ، وأن تبرز حقيقة
كبيرة بين حقائق الكون ، وأن يحملها
من جانبها القمى الأعلى رسول يختاره
الله تعالى ، ليوصلها إلى الناس .
ولقد رضى الله جل شكله ، وتعالى
حكمه ، أن يختار رسوله لذلك الدعوة
من بين البكائل العربية دون غيرها ،
وأن يختسره إلى العرب من بين ولد
إسماعيل ، وأن يختاره من بين ولد
إسماعيل على كلفة ، وأن يختاره في
كلفة من قريش ، وأن يختاره في قريش
من بني هاشم ، وأن يختار من بني
هاشم محمد بن عبد الله صلى الله
تعالى عليه وسلم . لأنه جل شكله
حكمه إلى ذلك بالغة ، قد ترمها وقد
لأعزها « ويك يخلق بأفهام ويختار »
يمكن لهم الفورة ، سبحانه الله وتعالى
ما يشركون ، ويك يعلم ماكن صدورهم

وما يملكون « [١٦٦] . كتاب عربى ،
يرسل عربى ، فلا مناس بطرح من
أن تبدأ دعوة الإسلام بين العرب ،
بل أن تصل إلى غيرهم ، ولا مناس
بالطرح من أن يكون العرب أول من تخلق
كذلك دعوة ذلك البشر التثير أو أول
من يهيب بهم ذلك الداعي إلى الله ،
وأول من يحاول أن يجمعهم على الهدى
وذلك ما درس الرسول الله « مسلم » الدعوة
بين مشيخته الكثرين ، ثم بين قومه
العرب ، وما زال بهم ، يزيده نصر
الله ، حتى أتوا لدعوته خاضعين .
وكانت تحت زعامة ذلك الرسول الأمين ،
أول داخل في وحدة الدين .

٣ - البلاد العربية ، كما تعرف كانت
تحوى أصنافا من العرب بخطفة الشعوب
والقبائل ، بحماية الأجيال ، مثلثة
الجياد ، وكانت مختلطة أيضا في
الوحدات السياسية ، أمثلا ما كان خاضعا
للدولة الرومية ومنها ما كان غالبا بذاته
مستقلا ، كل ذلك يستجيب ، بالضرورة ،
جائبا كبيرا بين تلك الأمم العربية على
مناهج الحكم ، وأساليب الإدارة ، وفي
الآداب والمبادئ ، وفي كثير من مرائق
الحياة الانسانية والمادية . هذه الأمم
المتفرقة قد اجتمعت كلها في زمن النبي
« مسلم » ، حول دعوة الإسلام ،
وحضت لوائه ، فأسهبوا بجمعة الله
أخوانا ، قريش وسجدة واحدة من
الدين ، ويذهب سبيح واحد ، من
زحمة النبي « مسلم » ، ومن حمله
وصحته ، وساروا لية واحدة ، ذات
زعم واحد ، هو النبي عليه السلام .
ذلك الوحدة العربية التي وجست زين
النبي عليه السلام لم تكون دعوة سياسية
بأى وجه من الوجوه ، ولا كان إليها
معنى من معاني القوة والعكبة ، بل
لم تعد أبدا أن تكون وحدة دينية مختلطة

من مشاوب السياسة ، وحدة الإيمان
والذهب الدنوى ، لا وحدة الدولى ذاهب
إلى الله .

٤ - بذلك على هذا سيرة النبي
« مسلم » ، كما مرنا أنه تدرج في
من سياسة تلك الأمم المختلفة ، ولا
غير شيئا من أساليب الحكم عندهم ،
ولا ما كان لكل قبيلة منهم من نظام
إدارى أو قضائى ، ولا حاول أن يمس
ملكنا بين تلك الأمم بعضها مع بعض ،
ولا ما كان بينها وبين غيرها من صلات
اجتماعية أو اقتصادية ، ولا سمنا أنه
عمل وألها ، ولا عين لظفها ، ولا نظم
أولها ، ولا وضع فوامع تجارتهم
لهم عليه السلام كل الشئون ، بل ترك
لهم انتم اهتم بها ، فكنت كل لسة
وما لها من وحدة مدنية وسياسية ،
وما لها من لؤفى أو نظم ، ولا يوطم
الا بالفتاة ، من وحدة الإسلام وتواحدة
وأدابه .

ربما أكن أن يقال : أن تلك الواحد
والآداب والشرائع التي جاء بها النبي
عليه السلام ، للام العربية ولنسب
الأمم العربية أيضا ، كانت كبيرة ، وكان
نبيها يهيم إلى حد كبير أكثر مظاهر
الحياة في الأمم ، فكان فيها يمس أنفة
للغويات ، وللجيش ، وللجسد ،
وللين والمادانية والزمن ، ولآداب
الجلوس والمشي والحديث ، وكثير غير
ذلك . من جمع العرب على تلك الواحد
الكثيرة ، ويوح بين برافهم وآدابهم
وشرائعهم إلى تلك الواحد العظمى
جاء به الإسلام ، فقدمت بعد أن تقيمت
المدنية وجعلها بالضرورة وحدة سياسية
لقد كانوا الآن دولة واحدة ، وكانوا يسي
عليه السلام زعمها وحكمها . وكذلك

أذا طاعت الله ووجدت أنكم تسمعونهم إلا أنكم
وأخذ به النبي المسلمين ، من أنتم
وتواعد وأكاد لم يكن في قوة كثير
ولا من تلك الدولة الحديثة ، وهو يعد
لذلك جهته لم يبلغ أن يكون جزءا وسيلا
بما يزل الدولة الحديثة من أصول المسلمين
وفوائده ، أن كل جيل من الأصول
من عتقته وحيلاته ، وأكاد وعقوبات
فأما هو شرع ديني خلاص لله تعالى ،
ولصالحه الذين الدينين لأفئدة ، وسكان
بعد ذلك أن تفحص لنا تلك المصالح
الدينية ، ثم تخلي علينا ، وسكان أن يكون
بها للشر مصلحة بدنية لا ، فذلك
ملا ينظر الشرع السأوي إليه ، ولا
ينظر إليه الرسول ، والعرب وأن جهتهم
فرصة الإسلام ليعزلوا ويؤصلوا ما عرفت
من جبين من السياسة على غيرها من
مظاهر السياسة الحديثة والاجتماعية
والاقتصادية ، ويسأوي ذلك أن تقول
أنهم كانوا دولا قسري ، على حدس
مستحب به حياة العرب يربط من معنى
الدولة والمكتبة ، تلك حال العرب يوم
لحق عليه السلام بالرأي الإلهي بوحدة
دينية عليه من تحتها دول تلة الأنبياء
إلا خلا ، ذلك الحق لأديب إليه .

٥ - قد نفاذ أن يخني ملك أمر
ذلك التين الذي تقول أنه كان بين
لم العرب زين النبي عليه السلام ،
ول أن تخدعك تلك الصورة المسيحية التي
بمحول المؤرخين أن يصفوها لذلك العصر
فاعلم أولا : أن في التاريخ خطأ
كثيرا ، وكما يخفي التاريخ وكما يكن
خلالا كبيرا ، وأما فليأنا أن الله في
الحق أن كثيرا من تلك العرب وجانيهم
قد تالفت كآله ، بما ربط الانسلاخ
بين تلويم ، وما جهتم عليه من دين
واحد ، ومن أنباء وأكاد خفيفة ،
والمر للثا : ما أسلفنا لك الأثرية
إليه من أثر الزمالة الدينية التي كانت
للرسول عليه السلام ، فلا يجب أن
أن يكون جبين الأمم العربية ، قد رعت
كآله ، وخفيت مخافه ، وعصفت
وذهبت شدة ، والذكور نمة للمسلمين
فأذكر أعداء تلك بين طرفيك لمجهتم
بلمعته أخوانا وكلم على شفا حرة .

الآن غانفتكم مأمة ١١٧٧ هـ ولكن
العرب على ذلك ما رجوا لها بغيره ،
ودولا شتى ، كان ذلك طبيعا ، وما
كان طبيعا فقد يمكن أن تخفف حته ،
ولأن من يتم بالقوله من بعده ، وذلك
وتقل كآله ، ولكن لا يمكن التخلص
منه بوجه من الوجوه ، لم يك عليه
السلام يلحق بالرأي الإلهي حتى أخذت
بجو جلية واضحة لمسلم ذلك التين
بين أمم العرب ، وعادت كآله منهم
تشمع بضمخمتها الميزة ، ووجودها
المستل من غيره ، وأوشكت أن تتفقد
تلك الوحدة العربية التي تحت في حياة
الرسول ، صلم ، ، وأورد لك
العرب ، الأهل الحديثة وبكة والطفه
لأنه لم يخلفا الردة ١١٨ هـ

٦ - كانت وحدة العرب كما عرفت
وحدة إسلامية لاسياسية ، وكانت وحدة
الرسول فهم وعلية دينية ، وكان
خضوعهم له خضوع عبادة وأيمان ،
لاخضوع حكمية وسلطان بكون اجتماعهم
حولها اجتماعا خلاصا لله تعالى برباطين
فيه خطرات الرعي ، وتغامت السبابة
وأولس الله تعالى ونواحيه ، ويذكرهم
ويطعمهم الكتاب والحكمة ، وتكلمة
ككت لحد من عبد الله بن عبد المطلب
إلهي الذي ، ليست لشخصيته
ولا لنسبه ولكن لتسمر الله ، وما
ينقل من البهي ١١٦٩ هـ بل من الله
تعالى وبواسطة ملكه الكريم ، فلذا
معلق عليه السلام بالأهل الإلهي
لأنه أن يتبع من بعده ذلك السلام
الديني ، لأنه كان عليه السلام ، خفي
الإنبياء ، ١١٧٠ هـ ، وما كانت زينة
الله تعالى لتورث من الرسول ، ولا
لتلخذ منه مله ولا تتركها .

٧ - وقد لحق على الله عليه وسلم
بالرأي الإلهي من غير أن يسمى لهذا
ويخفه من بعده ، ولا أن يدين إلى من
وتعمى إلى أمته بخله ، ولأن لم يخني عليه
السلام طول حياته إلى قوة يسيرة وحلة
إسلامية أو دولة عربية ، وهكذا
لله ، معلق صلم ، بالرأي الإلهي
لا بعد أن أدى من الله تعالى رسالته
كيلة ، وبين لآله تواعد الدين كآله
لا ليس فيها ولا إلهام ، وكيف - إذا

كان من عمله أن يلقوه دولة - فذلك
لأن تلك الدولة ربما على المسلمين ،
أرجعوا سريرا من بعده جباري بشرهم
بمهمم ركب بعض ، وكيف لا يكون
ولأن من يتم بالقوله من بعده ، وذلك
لأن ما يتبين أن يعرض له بناء الدول
تقيا وحديثا ، كيف لا يكون للمسلمين
الذين هم في ذلك ، وكيف يتركهم مرسة
للك الحرية للثقافة السوداء التي يفتشهم
وكانوا في غفلتها يتألمون ، ووجدت
التي بينهم لها يتم تجهيزه وفهنا .

٨ - وأعلم أن القضية جميعا متفقون
على أن رسول الله صلم ، قد
بين علينا رعي الله تعالى عنه للثانية
على المسلمين من بعده ، ولا تريد أن
تد بك عند مخالفة ذلك الرأي ، فإن
حظه من النظر الطبي قليل الإيجابي ،
بالله إليه ، قال ابن خلدون : أن
التصويبات التي ، بظهورها وتكونها :
مقتضى حكمهم لإبراهيم بجملة السنن
تقتل الحرية ، بل أكثرها يوشع
مطمئن على طريته ، أوجدت أن تأويلهم
الفاسدة : ١١٧١ هـ .

٩ - وقد ذهبت الأمم إلى حقها الظاهري
التي رأى طائفة قلقت أن رسول الله لمس
على استقلاله أبي بكر بعده على أمور
الدنيا كما جليها ، لاجتماع المهاجرين
والانصار على أن يسموه خليفة رسول
الله صلم ، لا وعلى الخلافة من
الأمم هو الذي يستخلفه ، لا الذي يختاره
دين أو يستخلفه هو : الجوز خردا
حيث أن الأمة بالذات ١١٧٢ هـ ، الخ
.. وقد أطلق على ذلك له والغلب مع
هذا الرأي تمسك لأثره له وجها مباحا
وأنه راجعا منهم ليسا بن كتب الأمة
بما وجدنا فيها ما يفتد كلام الأمم ابن
حزم ، ثم وجدنا إجماع الرواة على
اختلاف المسئلة في بيعة أبي بكر ك
ولتأخر لجنة منهم عنها ، وقول من
ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه معتزلا
مبالغة (١٧٢) يوم فخر رسول الله صلعم ،
بالسما مبالغة ما كتبه الله من رأي ك
وما وجدنا ما كتبه الله ، ولا كانت
مبدأ مودة الرسول الله صلم ك .

- (١٦٧) سورة آل عمران
- (١٦٨) أبو الفداء ج ١ ص ١٥٢
- (١٦٩) سورة التجم
- (١٧٠) سورة الأحزاب
- (١٧١) بخبة ابن خلدون ص ١٧٦
- (١٧٢) الفصل في أهل الإسلام والافتقار
- (١٧٣) كما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام غير ابن الخطاب فقال : أن رجلا من المؤمنين يقولون

إن رسول الله توفى ، وإن رسول الله توفى ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كإنه يوصي بوسن بن عمران فلاب من فوه أربعين
فإنه ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله إبراهيم رسول الله فليخلفه ابنه رجلا وأبراهيم إبراهيم بن رسول الله مات
في عهد تاريخ الظهري ج ٢ ص ٣٣٧

[illegible]

الباب الثاني :
الدولة العربية

٢ - رفعت الدعوة الإسلامية شأن الشعوب العربية من جهات حتى ، ولم يكن الا رئيسا اهاب بهم الدمامي الى الاسلام ، حتى استعملوا آفة واحدة من خير الاس في رفقهم ، واستمعوا

١٢ لم يكن تكافؤاً على العرب أن
تأخذ حالي ذ حياً لم أسلم الدولة
وبعد لم يفتكها، بل كما توافد
أعزوا ذلك من قبل أن يلتزموا
« مسلم » ولقد تم فحين رسول
لأنه « مسلم » فأنشأ من غير أسل
يتفقون في ارد ملك الدولة السليمانية
التي لم يكن. ومن مناس من ان يوقعوا
على أسلم وحكمهم الدينية التي ظلمها.
فهم إلى عليه السلام « وما كنت
أبوء إلا تسليماً ملك جبرية » [١٧٤]
أولاً يؤيد أن يتجاوزون في أسل
ملكته تارة، ودولة ثارة، وحكومة
تأشأ « ولذا جرى على أسلمتهم
يؤيد ذكر الأثر، والأداء « والدولة
والدواء، وتذكروا الدولة « والسيف
والنار والزور « والمسد والنسبة
والأس والتدريج « وما كان ملك إلا
خوفاً من الملك « وهبوا بالذلة
وكان من أثر ذلك ملك من تتسلسل
المسلمين والتعاصر وكسر السيف
المسلمين على بعضي « التي تبت اليه
التي بكر « فكان هو أول ملك في
الإسلام « وإذا كنت رأيته التي تبت
اليه « التي بكر « واستعمل لكائن
بين كل أنها كانت بيد أسلم ملكة،
فكانت لطيفاً إلى الدولة المسماة « وأنها
أنا قلت كما قسم الحكومات « على
أسلم الدولة والسيف تكت دولة جديدة
أنشأها العرب « هي دولة يهتكم
مدين « ولكن الإسلام « كما عرفت،
من البشرية كلها « هو عربي ولا هو

أهجتني ٠ كانت دولة عربية قلت على
أساس دعوة دينية ٠ وكان شملها
حماية تلك الدعوة والقيام عليها ٠
اجل ٠ ولعلها كانت على ذات اثر
كثير في ارض تلك الدعوة ٠ وكان لها
غير مكن في دخول الاسلام
وتطوره ٠ ولعلها لم يكن ذلك لخرج
من ان تكون دولة عربية ٠ فيحصلان
العرب ٠ ويحصلهم العرب ٠ وكانت
لهم في اقطار الارض ٠ فمستقرها
استعملا ٠ واستقلوا غيرها استغلا ٠
شان العالم العربي التي تتكمن من الناح
الاسلام ٠ ٠

﴿ - كان ذلك الأمر مقبولا للمسلمين
حينما كانوا يهايمون على السفينة من
بنيوتهم لرحم - وعين قاتل الاستقلال
للمهاجرين ﴾ ما لنا وما لكم امير ؟
وعين يهيمه الصديق رضى الله عنه
﴿ من النساء ومنك الزوائد ﴾ [١٧٦] ،
وما بينك وبين سليمان ؟ والله اني
لارى عجلية لايتمني الا الله - يا آل
ابن ملطه ، عيم ابو بكر بن مورق
ابن المستنصر اني الان الان على
والجناس ؟ وقال : يا آل الحسن ،
ابعد بينك وبين ابائكم - فابى على
عليه - فعمل بتقل بشعر المشي ،

« وإن يقيم على نفسه يراد به
إلا إلا أن غير الحي واللوقد
هذا على الخسف مربوط برمته
وإذا يمشح فلا يرثي له احد » [١٧٧]

وحيث سمع من عبادة رضى الله عنه
يرضى البنية إلى بكر وهم يقولون
حتى أركب على كل كفتين من لبلى
فمن حسبنا سنان صبي، وألمركم بسبى
بملكته جدى، وأفتاكم بالعبادة حتى
أطعنا من قومي، لا أفلح، وألم
الحق، لا أرى الذين أجمعتم على ربح
الدين، فإنهم حتى أفتيتهم حتى ربح
وأعلم مايسبى، فكان سمع لأبى
وسلمة، ولا يصعب لهم، ورجع وأبى
وسلمة، فبعضهم، ثم لرب كلاك حتى
ملك أبو رجمه الله، [IIVa]
كان مرفوعة لمسلمين عبادة الله أنسا
يصومون على أكلة كوبة بخدية دنوية
أفك، استمروا الفرج عبادة، والاف
ذلك، وهم يملكون الله أن يظلمون
على لبر من لبر الدنيا، لا من لبر
الدين، وألم الذين استمروا على شأن
ميسبى، وألم الذين، لا يزعز

- (١٧٤) تاريخ الطبری ج ٢ ص ٢٠٢ .
 (١٧٥) ای الا تجبر الملوك بعدها . اساس البلاغة
 (١٧٦) تاريخ الطبری ج ٢ ص ١٩٧
 (١٧٧) منه ص ٢٠٢ وما بعدها
 (١٧٨) منه ص ٢١٠

ابائهم و « يا زعم ابو بكر ولا غيره من خسة النجوم ان ابراء المسلمين كانت قبل دينها ، ولا ان الخروج عليها خروج على الدين ، وانما كان يقول ابو بكر « يا ايها الناس ، انما انا بظلمة واني لا ادري ، لحكم مستكفوني ما كان رسول الله « سلم » يطيع » . ان الله اعطى محمدا على العالمين ، وعصيه من الاثام ، وانما انا بايع وولست بديعها » (١٧٩) . ولكن اسبابا كثيرة وجبت يورثه قد الفت على ابي بكر شيئا من الصيغة الدينية ، وخيلت لبعض الناس انه بايع محمدا دينها ، يوجب فيه من رسول الله « سلم » . وكذلك وجد الزعم بان الامة على المسلمين مركز ديني ، وولية من رسول الله « سلم » وان من اهم تلك الاسباب التي تدل عليها ذلك الزعم بين المسلمين ما يليه ابو بكر من انه « خليفة رسول الله » .

الباب الثالث :

الخاتمة الاسلامية

١ - لم نستطع ان نعرف على وجه اكيد ذلك الذي أخرج ابي بكر رضي الله عنه لقب خليفة رسول الله ، ولكننا هنأنا ان ايا بكر قد اجازته وارتضاه . ووجدنا انه استعمل به كعبه الى قبائل العرب المردة ، وعصده الى ابراه الجنود ، ولعلنا اول ملك ابو بكر ، ولعلنا اول بايعه اليها شعبا على ذلك القاب (١٨٠) .

٢ - لا ننكح في ان رسول الله « سلم » كان زمينا للحرب وشطرا وحديدا ، على الوجه الذي شرعنا به قبل ، فلما لم يبق ابو بكر من بعده مكانا على العرب ، جاءنا لوجدنا على الوجه السياسي الحديث ، فقد ساء في لغة العرب ان يتصل انه بعد الامير ، خليفة رسول الله ، كما يسوغ ان يسمى خليفة بطلاق ، كما عرفنا من معنى الخلافة ، فلو بكر كان ابن ، بهذا المعنى ، خليفة رسول الله ، لا معنى لخاتمة غير ذلك .

٣ - ولقد القاب دومة ، وابيه

قوة ؟ وامليه بجاوية ؟ فلا غرو ان يختره الصديق ، وهو ناضج بدولة خاتمة ، يريد ان يفسر اطرافها بين اعلمير من اللين ، وزوايج من الاحاد الملصلة المتخلصة ، وبين قوم حديثي العهد بجاهلية ، وبنهم كثير من بطلا العصبية ، وشدة البداوة ، وصعوبة الراس ، ولستهم كفوا حديثي عهد برسول الله « سلم » ، والفسوس له ، والانتقاد لعل لكنته ، هذا القاب جدير بان يكبح من جيلهم ، وياينهمش بالمتصم من قواهم . ولعله قد فعل . ولقد حسب نقر بنهم ان خاتمة ابي بكر للرسول « سلم » ، خاتمة حادثة ، بكل معناها ، فقالوا ان ايا بكر خليفة محمد ، وكان محمد خليفة الله ، فنجروا يدمون ايا بكر خليفة الله ، وما كفوا بكونهم مخطئين في ذلك لو ان خاتمة الصديق للبي خليفة السلام كعت على المعنى الذي عبوه ولا يزال يلمه كثير لفرح الى الآن . وسكن ايا بكر غضب لهذا القاب ، وقال « لست خليفة الله ، ولست خليفة رسول الله » (١٨١) .

٤ - حمل ذلك القاب بجماعة من العرب والمسلمين على ان ياتوا لامة ابي بكر لقيادة دينها ، ككتيادهم لرسول الله « سلم » ، وان يرموا بقلبه الموكى بها بيب ان يرموا به كعليهم بينهم . ولذلك كان الخروج على ابي بكر الى رايهم خروجا على الدين عوارثا من الاسلام ، والاراجع حثنا ان ذلك هو منشا قولهم ان للدين نواضع ابي بكر كفوا مرتدين ، وتصيبتهم حروب ابي بكر معهم حروب الردة .

٥ - ولعل جهمهم لم يكونوا في الواقع مرتدين ، كفروا بالله ورسوله ، بل كان انهم من يقي على اسلامه ، ولستهم رفض من ينضم الى وحدة ابي بكر ، لسبب ما ، من غير ان يرى في ذلك حرجا عليه ، ولا غشفا في دينه ، وما كان هؤلاء من غير شك مرتدين ، وما كانت حركاتهم لتكرويم الدين ، فان كان ولقد من حريم ثلثا في السياسة ، والدفاع من وحدة العرب ، وللوه من قواهم . وقد وجدنا ان بعض من رفض بيعة ابي بكر ،

بعد ان حث له البيعة من اهلهم ، على ان ابي طلبة ، وسعد بن حذافة لم ياتوا بمصلحة المرتدين ، ولا ياتوا ذلك منهم .

٦ - ولعل بعض اولئك الذين حاربهم ابو بكر لثقتهم رفضوا ان يقدوا اليه الزكاة ، لم يكرهوا يريدين بذلك ان يرفضوا الدين ، وان يكرهوا به ؟ ولستهم لافترسوا الاذان لحكومة ابي بكر ، كما رفض غيرهم من ابية المسلمين ، فكان يديها ان يسعوا الزكاة منه ، لانهم يفرقون به ، ولا يفتخرون لسلطانه وحكومتهم ، كما حاربوا ان السابح وقاليه « كما حاربوا ان يفتخروا بها زواة لسا الفريخ من اولئك الذين خسروا على ابي بكر لا كفوا بالمرتدين ، وعن حريمهم كالتى ليسوا حروب الردة ، ولكنهم جهم من نور الحقيقة لا يزال يفتخ من بين ظلمات الفريخ ، وسيدعوا العلياء يومه نحو ذلك القاب ، ومضى ان يفسدوا على ذلك الناس جدي ، هو كحاربوا خذ بن الوليد بن مالك بن ثوربة ، أمها اولئك الذين مسوم مرتدين ، وهو الذي ابن خاتمة فخرت عنه ، ثم اعلنت راسه يند ذلك لجملة كنية (١٨٢) .

لند « يمان ملك » فمرحاة واضعة الى خاتمة انه لا يزال على السلام ، ولستهم لافترسوا الزكاة الى صاحبهم « ابي بكر » ، كان ذلك ان زواا غير ديني ، كان زواا بين ملك « المملوك الثالث على دينه ، ولكنه من دين ، وبين ابي بكر الفريخ ، الناضج بدولة حرية كبتها من فريش ، كان زواا في بولوية ملك ، لا في توامة دين ، ولا في اصول ايمن . ليس ملك هو وحده الذي يتسبب لفسده بالسلام ، بل وشهد له به ايضا من ابن الخطاب ، انه يقول « ابي بكر » ان خذنا مثل ميسا لفتنه « بل يفتد له بالسلام ايضا ابي بكر انه يوجب ملكته لطفه « فله قول ، فاما (١٨٣) « وفوت مشالا كثر ، تولد شامر منهم (١٨٤) .

احمدا رسول الله ما كان بيتنا نيا لجدد الله ما لابي بكر

(١٧٩) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١١

(١٨٠) راجع تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٧ - ٢٢٧

(١٨١) مقحة ابن خلدون ص ١٨١

(١٨٢) توضع لندر حثنا نودت عليها النار للخط ، فوق حورين متعلقين ، ومن ثمتها حور ثالث ، فلما لم يقدوا حيرة لثا استنوا لندر الى الجبل ، والانتقام الهمة وكسرها وكسر الفاء ، المورجوع عليها لندر ، والوجع القوي والفر ، ورياء الله بظلمة الاثام ، كبا

(١٨٣) البخاري ج ٢ ص ١٠٥

(١٨٤) راجع لك الحديث في الجزء الاول من تاريخ ابي الفداء ص ١٥٨١٧٢٢ (١٨٤) هو الخطيب بن اوس ، احوالهم بن اوس ، تاريخ الصميري ج ٣ ص ٢٢٢

أَيُّورَتْسَا بَكْرَا ۱۳۱۴ مَكْتَبُ قَسَمَةِ
وَتَلَكْ لَعْمَرُ اللّٰه قَاصِمَةُ الْكَلَمِ

[illegible][illegible]

قلب عليهم وقتي على بسلام. لا تتردد
البيعة. هذا لأن لابي بكر من صفات البيعة
التي هي مطلوبة من ابن من يريد
من الاسلام ان لا لا تتردد البيعة
فبما اذا كان ذلك اسبغ فيه البيعة
حزنت لك العرب فزيرة ابي بكر ام
ومها كان ذلك فلا شك ان ابي
بكر قد بدأ صله الى القولة الجديدة
بمنزلة اولئك العرب ومنه نشأ
المؤمنين. نقابا بين حقيقيا، واثنين
مؤمنين، من ابي ليا لكان من حلوهم
ابو بكر من العرب بعد ذلك و سواد
اكثروا خصوصا دينيين ومعتندين حقوة،
كان قولا خاصا لمسلمين بين مرتدين
ومن اهل القبلا تلميح حبيب ابي بكر
في جعلنا بطبع الدين لا وحده تحت
اسم الاسلام وتبصرة و كتمان التمسك
الى ابي بكر بعد ذلك تحت لواء الاسلام
والخروج بعد ذلك وسواها »
٩ - وما يذكره في قلوبه اخرى
تتعلق بابي بكر في ما ساعدت على خطا
العلمية و سبغت عليهم ان يفروا الى
ابي بكر مني فزيرة و بيعة و بيعة
رعى الله منه منزلة و بيعة و بيعة
تحت مرسول الله « مسلم » و وكفى
الدعوة النبوية بيعة و وكذلك تحت
تبركته تحت المسلمين و وقد كان المصطفى
مع هذا يخوض حذر القولة و ويعني
بالي لتيمة و الى خلسة التمسك و الى
علمة ابوه و لا شك ان ذلك كان
شائنا لابي بكر من سبغت اسم القولة
تحت سار بها في جميع جهده في طريق
البيعة و ومعها في اهل التمسك،
فمنزلة رسول الله و فلا غير ان لثاني
ابو بكر مني بركوه في القولة الجديدة،
التي كان من اول ذلك مبيعا و كل
يتمكن من مقام الدين »

١٠ - خليفة رسول الله من هذا أن خلفه
 «خليفة رسول الله» هو من خلفه في
 المعابر التي تسمى إلى الله تعالى
 ولم يبق في باقيه كان مسيحا
 أسباب الفطرية صرته إلى علي
 المسلمين ، فلهذا لم يكن الفطرية
 جني ، وإن من ولي في المسلمين
 من منهم في الخادم كان خلفه رسول
 الله «مسلم» وكذلك في
 المسلمين ذلك الحسن الأول ، الزم
 الخلافة جني ، وتولية مرصحب
 عليه الصلاة
 ١١ - كان من مصلحة المسلمين
 أن يروجوا ذلك الفطرية بين الناس
 حتى يتخلصوا من الدين دروا نعمي
 وروشم ، وأولاد المسلمين عليا
 وما زالوا يسمون على ذلك ، من قرن
 متي ، وما كان ذلك الطريق أو تية
 الجاهلون - حتى انهوا الناس أن
 طاعة الله من طاعة الله ، وعصيته

نك تحصيل الله ولا ثم مكان الخشاك
 ليعتبر بذلك ولا يفرسوا بأمر رضى
 أبير يكن ولا ينجسوا ولا يفتب من
 بل جعلوا السائلين خليفة الله فى
 أرضه والله الخدود فى عباده
 سبحانه الله تعالى ما يشكركم
 إلا أخلاقه إذ أصبحت طرق باجلمت
 الدينية وصارت جزءا من حركات
 التوحيد وبصره العلم بين صفات
 الله تعالى وصارت رسالة السلام
 بالهتة كما يظن شعبه لا ولا إلا
 الله وانفسا رسول الله لا تتفاهة إلى
 الملوك وسوادهم بالسالمين واضرم
 من الهدى ومنهم عليه واملع والعل
 وحجوا عنهم مسلك التور باسم الله
 وبمسك الذين أيضا استقروا بهم
 والعلوم وحجوا الذين أيضا فى علوم
 السبائية وبمسك الذين خدمهم
 وضوا فى مقولهم صابروا إلى
 من وراء ذلك الذين رجعا ، حتى فى
 مسائل الآخرة الصفة والسبائية
 الخاصة ذلك وقد شيوا عليهم أيضا
 فى فهم الدين وحجوا عليهم فى
 ثوابت ميعها لم ثم من حوا عليهم كل
 أبواب العلم التى تسمى حظائر الخلافة
 كل ذلك الذى يوتى فى البيت
 وتعلم الفكر فى المسلمين لمغيرة
 بشل فى التكبير السبائي والتلتر فى
 كل ماحصل بشار الخلافة والخلافة
 ١٢ - والحق أن الذين الأسس
 بزم من تلك الخلافة التى يتشارفون
 السالمون ويرى من كل مايجزوا
 حولها من رغبة ورجبة ومن قرة وقوة
 والصفاء قسمت فى شيء من الفطط
 الدينية كالا وقدر ولا غير
 من وظائف الحكم والسياسة أولاها
 تشك كلها خفط سبائية مرفعا لا تشران
 الذين بها غير فى ميعها ولم يفتا
 لا أبر بها ولا شى عنها وانشأركم
 لآل تروج ذبها إلى أحكام الملوك ويجارب
 الهم والرجاء السبائية كما أن تميز
 البشيرية السبائية ومصرة المدن
 والتكوير وتظام الدواوين لثان لثان
 بها والثا يرجع إليها لثان لثان
 والتعريب ، والى قواعد الحروب
 فى خمسة الجاتى وآراء الصابرين
 لأمرى فى الدين بزم المسلمين أيضا
 الملوك الأخرى فى علوم الاجتماع والسياسة
 كلها وأن يعضوا ذلك النظام المثلث
 الذى ثلوا له واستقروا إليه والذين
 ينشوا قواعد ملوكهم وتظام حكومتهم
 فى خمسة الجاتى والآراء الصابرين
 ملكت تجارب الأمم من آخذ من أصول
 الحكم والحادد لله الذى دانا لهذا
 كما لا نعتوى لولا أن حسدنا لله
 وصلى الله عليه محمد وآله وصحبه
 وسلم وآله

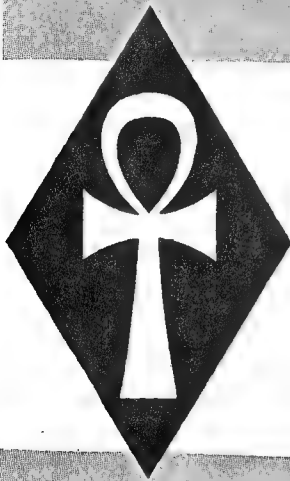
انجز
يمكنك ان تجعل
من شعر النخيل
منه اطعم
١٠٠ ملى
نفرتيتي

عالمية في توليفتها.. فريدة في فكرتها وعطرها



انتجتها أحدث الآلات الالكترونية
٢٠ سيجارة سوبر ١٠٠ ملى ٢٥ قرشا
انتاج: شركة النصر للذخاين والسجاير

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيمياء
للجودة
والانطلاق

باتجاهها الجديد

نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة في الأسمدة
غير أن أرضنا الطيبة ترفع
مستوى الإنتاج الزراعي

إلهي شركة
العام للصناعات الكيماوية

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيميا»



بنك مصر

أول بنك وطني بالبلاد

قراض مديرة

لحفظ المقتنيات الثمينة

ودائع مضاعفة

بفائدة ٣٪

ودائع ثابتة وبأجل

بفائدة ٤٪

فتح حسابات

بالعملة الأجنبية
وبقوائد مفضلة

دفاتر ترقيم

ذات الجوائز

وبفائدة ٣٪

السحب أربعة مرات سنوياً

الانفراد بالتسليف

بضمان ذهب

ومجوهرات

تكاليد وحقوق العمل المصروف على ارفع مستوى



الى الفكر الثوري المعاصر



المسيرة السابعة - ديسمبر ١٩٧٦

◆ إسرائيل: الكيان - الأيديولوجية - الاستراتيجية

◆ الماركسيون والاشتراكية غير الماركسية

◆ من هو الماركسي؟ - الماركسية والاشتراكية

◆ إعادة بناء القرية : القضية والخطوة

◆ ملف خاص : عبد الرحمن النجدي : مؤرخا وسياسا

الفهرس

العدد الثاني عشر - السنة السابعة - ديسمبر ١٩٧١ م

- ٥ الحل الواقعي : معركة تحرير وطنية « الافتتاحية »
- ٥ لطفى الخسرو
- ١٥ اسرائيل الكيان - الايديولوجية - الاستراتيجية -

مقالات وابحاث :

- ٥١ اعدادنا القوية : القضية - الخطه
- ٥١ صغار ابريالي صهيوني حول
- ٦٥ حصن الناصرة في عسدن
- ٦٦ المركبة الاشتراكية في المركبة
- ٧٢ نصر نهم التمس للبراهن

ورقة الرأي

٧٦

الاجتماع والتفاح الملية

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

- ٧٩ طيبة المرحلة الحالية من الثورة :
- ٧٩ تولى الثورة - موقعها من العملية الثورية
- ٨٦ حول القضية الفلسطينية

ملف الطليعة :

- ٨٨ عبد الرحمن الرافعي - بورغا وسيفيا

تقارير الشهر :

- ١١٠ الفطاحي وقبعه المراتيون - الصين -
- ١١٥ شاعر وقته العربية - بلانويروا
- ١٢٩ رسالة موسكو : من بيكنسو
- ١٢٩ الى لستونلوسكي الى يفتستو

مكتبة الطليعة :

- ١٢٢ الايديولوجية المصرية المعاصرة
- ١٢٧ جذور الثورة الاسريقية
- ١٢٧ مناقشات مفتوحة :
- ١٢٧

وثائق :

- ١٢٨ مناقشات اللجنة الاستشارية للجنس
- ١٢٨ تقرير من « قضية الشرق الاوسط »

١٢٨

الطليعة

طريق المفاصلين الى

الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

لبيس التحرير :

لطفي الخولي

مستشارو التحرير :

- د. ابراهيم سعد الدين
- أبو سيف يوسف
- د. اسماعيل صبرى عبدالله
- د. جبال العطيلى
- د. رشدى سميد
- د. عبد الرازق حسن
- د. لطيفة الزيات
- د. محمد الخفيف

مدير التحرير :

ميشيل كامل

■

فنون الاتصالات :

بني مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة طابون : ٢٦٢٤ - ٩٥٠١٠
٩٥٠١٠ -

الاشتراكات :

لسنة بالترديد العاشر ج ٢٠٠٠ م دول
اتحاد البريد المصري ودول المدار
البيضاء ١٢٠ قرشا.

أن « الطبيعة » ميدان مفتوح لكل رأى
حر ، وفي اعتقادنا أن تفاعل الإراء
الحرّة على اختلافها هو وحده الذى
يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة
فكرية أصيلة .^{*}

من هذا المفهوم تفتح « الطبيعة »
صفحاتها لكل رأى أدبي كلمة يقولها
- مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى
أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر
« قد اختلف معك فى الرأى ولكنى
على استعداد لأن ادفع حياتى ثمناً
لحقك فى الدقاع عن رأيك » -^{*}

الحل الواقعي : معركة تحرير وطنية

اليوم ، نجد أنفسنا وجها لوجه مع الحقيقة عارية .

والحقيقة ، تنمى بقوة ، جميع الجهود السياسية والدبلوماسية التي شملت العالم كله ، خلال أربعة أعوام ونصف العام . وذلك من أجل الوصول الى ما سمي « بالحل السلمي » لازمة الشرق الأوسط .

ماذا يعني هذا ؟

المعنى الواضح ان هذا الحل السلمي ليس بالحل الواقعي لقضية واقعية : الاحتلال الصهيوني للأرض العربية القائم بقوة الغزو والسلاح .

والإنسان مطالب في مواجهة كل قضية ان يبحث عن حل واقعي لها . وفي الحق ، فان لكل قضية مهما تعقدت ، حلا واقعي . والحل الواقعي هو الحل العادل والممكن في آن واحد . ولكي يتوافر العدل والامكان في الحل ، يستوجب الامر ان يوضح في الاعتبار مجموع الظروف التاريخية الخاصة بطبيعة القضية .

من هنا تصبح المسألة التي تلح على الإنسان العربي اليوم ، بعد ما ثبت من عدم واقعية ما سمي بالحل السلمي ، البحث عن حل واقعي آخر ، وان يتحصل مسؤولية تنفيذها مهما كانت الصعاب والتضخيمات .

هناك من يسيطر الأمور بتسليطا مخرلا فيضع الحل العسكري — ميكانيكيا — في مقابل الحل السلمي . وطالما ان الحل السلمي قد فشل فليذهب السلام الى الجحيم ، وهذا الى الحرب بأسلوب البداوة المتخلفة في قرن الثورة الاجتماعية والتكنولوجيا العالية .

الحياة ، أعقد كثيرا من مجرد ذلك الخيار البدائي بين حل سلمي مجرد او حل عسكري مجرد . بل ان طرح القضية على أساسين سلم فقط او حرب فقط ، طرح مخلوط ، يقودنا اليه الحساس المأساوي مرة ، أو المعجز عن التحرك مرة أخرى ، أو اليأس الانتحاري مرة ثالثة . وبتعبير آخر فان هذا الطرح المخلوط للقضية يأتي نتيجة تجسيد وقتي معين محروس لردود افعال تنساق وراء أذيالها . بحيث تصبح

أسرى الحوادث التي يفعلها الفسيفسار ما يفتننا - نظريا وعلميا - القدرة على صنع الأحداث والتحكم في مسارها .

ليس بمرور الفعل التلقائية أو الحسية، يمكن أن ننجح في معالجة قضايا المصير . فقط بالفعل الدروس والمحسوب ، نستطيع أن نقلب الصورة . ونُدفع بالعدو إلى موقف رد الفعل - وهو دائما أضعف من موقف الفعل - ونقود الأحداث نحو هدفنا الجوهري من القضية .

والحاسة العاطفية ، ليست سُيُثًا ضلّوا لمرحلتها . بل هي مفيدة ، إذا أمكن أن نجعلها وقودا دائما الاشتغال لتسخين القلب . وإبعدها عن التأثير في العقل الذي يجب أن تحتفظ به باردا ، لنحسن الرؤية والتحليل والتفكير والتقرير . وبالقلب الساخن والعقل البارد - مجتمعين - نستطيع أن نستبدل الطرح المفلوط للقضية - سُلما مجردا أو حريا مجردة . بطرح صحيح .

والطرح الصحيح هو الطرح الموضوعي . فالمطلوب الآن هو حل موضوعي ، لأحلا سلميا أو حلا عسكريا . والموضوعية تنبثق أول ما تنبثق من طبيعة القضية الخاصة ، والظروف الخارجية المحيطة بها ، وتقدير دقيق لكل من إمكانياتنا وإمكانيات العدو .

ومبجبة القضية الأساسية ، تتحددها أن هناك احتلالا مستمرا لأرض عربية منذ هزيمة ١٩٦٧ ، صاحبه عدوان توسعي دائم على الشعب الفلسطيني وبقيته الشعوب العربية . ويستند هذا الاحتلال المستمر والعدوان التوسعي إلى المصالح الخاصة بالحركة الصهيونية العنصرية المسيطرة في إسرائيل . وتتوافق هذه المصالح الخاصة مع المصالح العنصرية للإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، في تخريب حركة التحرر الوطني العربية التي تهدد استراتيجيتها القواعد الأمريكية السياسية والاقتصادية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط .

وقد نجحت حركة التحرر الوطني العربي خلال أوج فترة المد الثوري ، في الخمسينيات إلى أوائل الستينيات ، في تصفية معظم القواعد العسكرية الإمبريالية التقلدية في المنطقة ، والتي كانت وسيلتها المباشرة لضرب حركة التحرر . ومن هنا ركزت على تسيو إسرائيل لتكون الوسيلة الإمبريالية البديلة لذلك بتحويلها إلى قاعدة عسكرية في شكل دولة .

وبالتالي فإن مواجهة العدوان الإسرائيلي هي في نفس الوقت مواجهة للإمبريالية ، التي تعاني - موضوعيا - من ازدياد قوة العالم الاشتراكي من ناحية . والنضج الثوري السياسي الاجتماعي لحركات التحرر الوطني من ناحية أخرى . فتعتمد بأسلوب الدفاع الهجومي أو الحرب الوقائية - على حد التعبير الإسرائيلي - إلى التفرش والاستفزاز وتفتير حروب محلية محدودة لاستنزاف القوى إما بطريق مباشر ، كما هو الحال في فيتنام وكوبا ، أو بطريق غير مباشر بواسطة أداة معدة أعدادا خاصا ، كما هو الحال في الشرق الأوسط .

وحول هذه الطبيعة الأساسية للقضية تترام مجموعة من الظروف الخاصة المعقدة ، حتى أنه في بعض الأحيان ، تبدو كما لو كان بعضها يتناقض مع البعض الآخر .

ويمكن أن تلخص أهم هذه الظروف الخاصة فيما يلي :

● هزيمة ١٩٦٧ هي ثالث هزيمة تلحقها الصهيونية الإسرائيلية بالعرب خلال عشرين عاما . ويحاول الاستراتيجيون الإسرائيليون استثمار هذا الواقع في ثلاثة اتجاهات :

الاجتهاد الأول ، داخلي . بمعنى زرع عيم التفوق النومي في نفسية الإسرائيلي الصهيوني إزاء المواطن العربي . والعزف على نغمة أن استمرار ونمو هذا الشعور بالتفوق هو ضمان لاستمرار النصر الإسرائيلي وإتساع الهزيمة بالعرب . والصيونيون في ذلك منطقيون مع طبيعتهم العنصرية العدوانية . بيد أن هذه التهمة - واقعيا - وإن كانت مصدر قسوة للعقيدة الصهيونية العنصرية إلا أنها في نفس

الوقت مصدر ضعف من حيث انها ترمى الاسرائيلى نفسها على الاستهانة بالتقدم العربية وتطورها ونحوها يفعل تحدى الهزيمة والتخلف والزمن معا . والاتجاه الثالث ، عربى . وذلك بدس فكرة الاستسلام الحفر بتردية التمثل في نفوس العرب ، وصولا الى هدم روحهم المعنوية في اسنهار مجابهة القوة العسكرية الاسرائيلية التي لا تغلب . ويتمسك الفكرة الصهيونية في الوجدان العربى بمسئلة : « هل ملأتهنى حاجة الى هزيمة رابعة حتى تنبوا الى رشدكم ايها العرب وتكفوا عن مناطق اسرائيل ؟ »

والاتجاه الثالث ، دولي . لو اذا شننا النقة استعماري . وفي هذا المجال تتجه اسرائيل الى القوى الامبريالية في العالم على اساس انها جزء منها مزروع في الشرق الاوسط ، وفي قلب الوطن العربى . مبنية لبنية لصالح هذه القوى ، ويذا ضاربة باسمها ، البنت قدرتها على الضرب ثلاث مرات متوالية . وبالتالي فهي اداة مفيدة ومؤثرة . ولكنها مع ذلك ما برحت غير مؤمنة التامين الكفى لمواصلة دورها الزدوج ، لصالح حركتها الصهيونية من ناحية ولصالح الامبريالية من ناحية اخرى . ومن هنا يحق لها ان تطلب القصى قدر من الابن والعون والمساعدة من حلفائها الامبرياليين وخاصة الامريكيين . ذلك ان تهديد انها يعنى امكان هزيمتها . وهزيمة واحدة تطلق بـ اسرائيل كتيبة بان تكس الغرب الاستثمارى كله من المنطقة .

● مسود العرب وهدم استسلامهم لشروط اسرائيل ومطالب الامبريالية رغم فداحة هزيمة ١٩٦٧ و مرور اربعة اعوام ونصف العالم على الهزيمة ، حلت باحداث جسمام محبة وغير محبة . بيد ان هذا الصمود ، وان نجح في اقامة خط دفاع عربى سياسى - عسكري ، الا انه ظل على هذا الموقف السلبي ولم يتحرك بعد ، بايجابية فعالة ومؤثرة في ميزان القوى بالمنطقة .

والصراع العربى الاسرائيلى يتحدد في هذه المرحلة الراهنة من القضية حول استمرار الصمود بمعناه السلبي من ناحية اسرائيل ، وتطور الصمود الى حركة ايجابية من ناحية العرب .

● في الوقت الذى يحقق فيه عمليا القصى قدر من الاتفاق حول الخط السياسى الصهيونى العدوانى في اسرائيل ، بالرغم من صعاب كثيرة ، في مواجهة العرب ، فان العرب على العكس - فتفجر الصراع الاجتياحى على مستوى الوطن العربى ، رغم ظاهرنه الصحية والحيوية ، قد اسهم مع تفاوت درجات التضج في بعثرة الوحدة الوطنية العربية اللازمة لمواجهة حادة مع اسرائيل .

واذا كانت بعض القوى الرجعية العربية متحالفة في ذلك مع المخطط الامبريالى - الاسرائيلى قد استغلت هذا الموقف الى اقصى حد . الا ان القوى التقدمية نفسها لم تتوصل بعد الى موقف عملى موحد من القضية في مرحلتها الراهنة من ناحية ، ولم توقع بعد في ايجاد صيغة للتخالف الوطنى القوى التفاضل يوظف الصراع الاجتياحى في خدمة القضية الوطنية الكلية ازاء الاحتلال الصهيونى الاجبريالى .

● بعد الامريكيون منذ اواسط عام ١٩٦٩ الى القيام بجهد دبلوماسى مكثف ، ظاهره السيسى الى حل سلمى للقضية ، وباطننه الحقيقى دهم العدوان الاسرائيلى . واستهدفت المحاولة الامريكية مدة اهداف في وقت واحد :

أولا : الخروج بالسوق الامريكى - الاسرائيلى من العزلة السياسية الدولية التي جاءت نتيجة تفاعل السياسات المصرية - والسوفيتية - والفرنسية خاصة والقوى المحبة للحرية والسلام في العالم بصفة عامة .

ثانيا : السعى الى تخریب الصداقة العربية السوفيتية . والعمل على ايهام الراى العام العربى بان هذه الصداقة لا تجدى شيئا في حل القضية وان امريكا هي الدولة الوحيدة القادرة على الحل وذلك عن طريق استخدام امكانياتها في الضغط على اسرائيل ، بيد ان الاحداث اكدت ، حتى للقوى العربية التي ظلت تحسن الظن بامريكا بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ان امريكا تمارس سطفا على الاتجاه المعاكس ، ضد العرب ، لصالح الاحتلال الاسرائيلى .

ثالثا : العمل على اقراق العرب، ومصر بالذات ، فى دائرة مفرغة من المكائبات والمشروعات الجزئية الاستسلامية بغرض عزل مصر عن الوطن العربى او على الأقل اضعاف وزنها العربى عن طريق امتصاص حركتها الثورية .

وفى سبيل ذلك اشاعت فى الوطن العربى وفى العالم كله ، مناخا كاذبا ومن قرب الوصول الى حل لمريكى - مصرى . يجرى طبعه على نار الطبول وموسيقى الهانة فى مطبخ سرى . وكان يمكن ان تستمر هذه اللعبة الامريكية فى الخداع ، لولا ان تصدى لها « الرئيس السادات » بحسم وقوة ، كشف من حقيقتها الامبريالية بحيث اضطرت وزارة الخارجية الامريكية الى الاعلان الصريح - مؤخرا - عن قطع « السادات » لكل اتصال مع الامريكيين حول ما يسمى بالحل السلمى .

● التحولات التى طرأت على غالبية الراى العالم العالمى ، خلال الاربعة اعوام ونصف العام ، وادت الى انحساره عن التأييد التقليدى الاعمى لاسرائيل « الحبل الوديع المحاصر بقطيع الذئاب العربية » ، واذا كانت نتائج هذا الانتصار لم تنقلب كلها - ميكانيكيا - الى تليد للحق العربى، الا انه من الواضح ان الراى العالم العالمى بات يتفهم بدرجة اكثر موضوعية القضية والحق العربى الذى كان مطبوسا تحت انقاضها . يضاف الى ذلك انتصار الشرعية الدولية ممثلة فى الامم المتحدة ، بدرجات متفاوتة ، للحق العربى فى القضية . بيد ان هذا كله ، على الرغم من آثاره السياسية والاجتماعية ، ظل عاجزا عن انقاذ ارادته ضد العدوان الصهيونى والاحتلال الاسرائيلى .

فى ضوء هذه الطبيعة الاساسية للقضية ، ومجموعة الظروف الخاصة المعقدة التراكمية حولها . وباستقراء واع لحركة التاريخ الانسانى وتجاريه ضد العدوان والاحتلال ، يصبح الحل الواقى الوحيد هو ممارسة معركة تحرير حقيقية ، ذات نفس طويل .

وككل معركة تحرير فاتها تستلزم :

اولا : هدف واضح محدد . والهدف محدد فى واد العدوان الصهيونى - الامبريالى ، وتحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلى .

ثانيا : شعب متوحد من حول الهدف ، رتب حياته على خوض المعركة بكل طاقته على المعطاء والتضحية . ولم يكن الشعب عاجزا بوجدته حول الهدف فى اى وقت مضى مثل ما هو اليوم .

ثالثا : جيش وطنى ، يقف فى قسراته المعنوية والمادية والتسلحية وتفاعل الشعب معه .

والجيش الوطنى الواثق من قدراته قد اثبت عمليا وجوده الواقى اكثر من مرة . **رابعا :** قيادة وطنية مجسدية مصادية للمساومة على استقلال الوطن وتقدمه ، تمارس مسؤولياتها بشجاعة ومن خلال حركة الجهاد . ومثل هذه القيادة ايضا - لعبت قدرتها ووجودها الواقى تاريخيا .

خامسا : مناخ دولى موافق لمعركة ومتعاطف معها ويمكن القول - باطمئنان - ان الحد الأدنى من هذا المناخ متوافر بالفعل ويتجسد اساسا فى ظاهرة العزلة السياسية الدولية المفروضة على اسرائيل .

ولست اريد ان ادخل - هنا - فى مناقشات نظرية حول ما اذا كان ممكنا انتهاز هذا الحل من عنده قبل اربعة اعوام . فمادام الطريق قد أصبح مفتوحا - عمليا - لمعركة التحرير ذات النفس الطويل ، فالواجب الوطنى والثورى معا - يحتمان تركيز كل الجهد حول معركة اليوم وتوجيهها : سياسيا وعسكريا نحو الهدف . واتباع منابر للحساب النظرى حول الماضى فى هذه الظروف هو افساف موضوعى للمعركة فى الممارسة .

وعلى الرغم من سلبية الاعوام الاربعة الماضية ، الا انها افرخت - فى المقابل - ايجابيات لها وزنها فى التحضير لمعركة التحرير . **من ناحية اولى :** اتاحت المساحة الزمنية اللازمة - عادة بناء القوات المسلحة .

من ناحية ثانية : سمحت بإجراء بعض التغييرات اللازمة - لاعادة بناء البيت من الداخل وتصفية عدد من أساليب الهزيمة . ولا شك أن التغييرات الجذرية سوف تستكمل وبمعدل أسرع ومفعول أقوى خلال المعركة .

ومن ناحية ثالثة : تبرية الوجه الاساسى المعادى فى القضية ، ونعنى به الوجه الأمريكى على أوسع نطاق فى العالم العربى .

ومن ناحية رابعة : تحول الرأى السلم العالى بالقتل عن مساندته التقليدية لإسرائيل .

ومن ناحية خامسة : فجرت عددا من التلغيفات المنصرية والاجتهادية داخل المجتمع الاسرائيلى بحيث ثبت للأسرائيلى المعادى أن العدوان لا يحقق له شيئا من السلام الموعود أو الرفاهية التى دق الصهاينة طبول الوهم من حولها منذ يونيو ١٩٦٧ .

ومن ناحية سادسة : اغتت القسوى العربية الوطنية والتقدمية بزاد ثبين من التجارب الفاشحة التى ، لابد وأن ينعكس على حركتها الرافعة .

ألم هذا كله ، تفقد معركة التحرير الوطنية هى جوهر الحل الموضوعى . والحل الواقعى إذا هتته الجماهير الشعبية مسار بالضرورة حلا ثوريا . والحل الثورى ليس حلا مباشرا أو جزئيا ينتقل بخطوات حثلى ، بين السياسة المجرىة وبين الحرب المجرىة . وانها هو طريق نستخدم فيه جميع الوسائل والطاقت : السياسية ، والعسكرية التقليدية وغير التقليدية ، والاقتصادية والاجتهادية ، على الصعيد الوطنى والقومى والعالمى فى وقت واحد . وذلك من خلال استراتيجية شاملة تسمى كيف تتصاعد مراحلها التكتيكية .

وهذه الاستراتيجية ، لكى تحقق هدفها من خلال معركة التحرير ، يجب أن ترمى الخطوات الاساسية السقة التالية :

أولا : العدو ليس إسرائيل الصهيونية وحدها - هذا لعد وجهه اما الوجه الآخر هو الإمبريالية المالية وبالذات الأمريكية .

ثانيا : خوض المعركة ضد الاحتلال هو فى نفس الوقت دفاع من السلام العالمى فى المنطقة ومن تقديمها الاقتصادية والاجتهادية .

ثالثا : تلمين الحقوق القومية للشعب الفلسطينى وتنسيق خطوات المعركة مع المقاومة الفلسطينية .

رابعا : شجب الصهيونية بنفس القوة التى تشجبها لية حركة منصرية اومعادية لليهود فى البلاد العربية والعالم كله .

خامسا : عدم فتح أى معارك جانبية فى الوطن العربى بها بلغت درجة الاستنزاف . وعدم استنزاف دخول كل القوى العربية فى المعركة ليدتها . لنبدأ وبمعد خطوة

البدائية سيأتى حتما ألد الجماهير العربى بكل الطاقات بختلة أو مرغبة .

سادسا : التطهر من غيبيات الوقوع فى دوافع التهويل من قوة العدو أو الاستهانة بها فى نفس الوقت . وبالمضبط فان قوة العدو هى التحدى الموضوعى الذى علينا أن نتصدى له طلبا تصدت دوافع الاقتصادى ، وشعوب مثلنا لقوى عدوانية أشرس وأمتى

من العسكرية الصهيونية .

نعم .. وباختصار . معركة التحرير الوطنية هى الحل الذى يليه الواقع الراهن بعد أربعة أعوام ونصف السلام من الصود السلبى .

الحل الموضوعى

اسرائيل



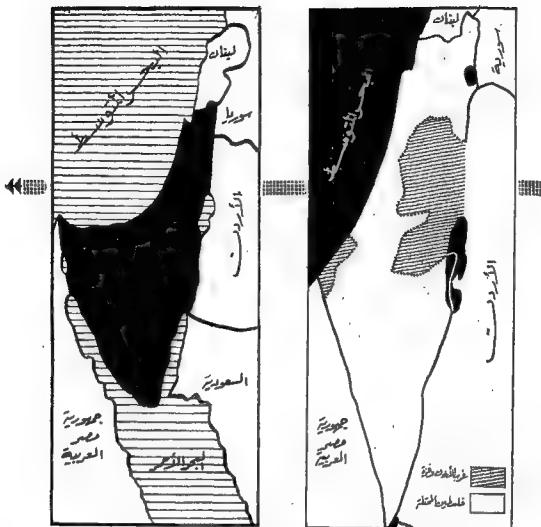
الكيان الأيديولوجية الاستراتيجية

حقيقة اسرائيل...

هذا هو مضمون دراسة الطليعة لهذا العدد الذي تختتم به عام ١٩٧١ .
وفي الواقع ، فإن اختيار الطليعة لهذه الدراسة إنما يرتبط بنجل التطورات التي انتهت اليها الصراع العربي الاسرائيلي .

وكما أوضح « الرئيس السادات » في خطابه الذي تلقاه في مجلس الشعب (١١ نوفمبر) فإن اسرائيل قد أثبتت ، وثبتت كل يوم — بالأفعال والأقوال — أنها لا تريد ألا التوسع في الارض العربية ، وأن الولايات المتحدة لم تقم بأى مسمى جدى وعملى في اتجاه الضغط على اسرائيل . بل على العكس لقد أمدت الولايات المتحدة اسرائيل بكل صور الدعم العسكرى والاقتصادى والسياسى الأمر الذى جعل من الولايات المتحدة شريكة لاسرائيل بالعدوان .

وهذه الدراسة تدخل ، بعد ذلك ، فى نطاق المهمة الرئيسية التي يفرضها العدوان الصهيونى: التعريف بالعدو : أهدافه الحقيقية ، ووسائله ، وتكتيك دعاتيه . وتؤمن الطليعة بان التوعية



■ ثلاث من مراحل تطور العلم الصهيوني . أرض فلسطين قبل ١٩٤٨ حيث كانوا يقاتلون بانتشاء « وطن قومي لهم » ، ثم همدود « دولة » اسرائيل كبا وقتت عليها القوات الصهيونية اثر معارك ١٩٤٨ ، ثم اسرائيل بعد ١٩٦٧ ووراء كل خطوة كانت الايديولوجية الصهيونية خطة ودافعا نحو المزيد من الاحتلال .

المستمرة بهذه الموضوعات يجب ان تكون عملا اليومى الذى لا يتوقف ، لان التنمية ، اى تعبئة ٢ لائق عند مجرد اشارة الكراهية الطائفية ضد العدو ، بل لابد ان تقدم هذه الكراهية على أسس عقلانية ترسب فى وجدان الشعب حجم الخطر الذى يمثله المخطط الصهيونى التوسعى . واخيرا ، فان هذه الدراسة ، من حيث المضمون ، يمكن ان تعتبر امتدادا للدراسة التى نشرت فى نوفمبر وتناولت بالتحليل « حقيقة الصهيونية » . وكلا الدراستين تشكلان جزءا من الدراسة التى قام بها فريق من الباحثين هم :

- محمود حمدي عبد الجواد .
- أحمد صادق .
- ونيع وهيب .
- شكوى حازم .

وقد اشرف على هذه الدراسة د . اسماعيل صبرى عبد الله ، واشترك معه فى مناقشتها والاشراف عليها أبو سيف يوسف .

[١] حقيقة اسرائيل

اسرائيل الاقتصادي والسيلبي والاجتماعي .
مخطط الهجرة والاقتصاديات

الاسرائيلية

كانت الهجرة والاستيطان هي الشغل الشاغل للحركة الصهيونية طيلة النصف قرن الذي سبق قيام اسرائيل ، ولقد التزمت الدولة الاسرائيلية في بيان « استقلالها » بمخطط الحركة الصهيونية لتجهيز اليهود من كل بلاد العالم الى « اراضيها » وينص « بيان الاستقلال » على ان دولة اسرائيل : « ستكون مفتوحة لهجرة الاثين من جميع البلاد المشتكين فيها » .

ويغول بن جوريون :

« تتبع الحكومة بالنسبة للهجرة سياسة ليس لها مواز في التاريخ ، مما يدعو بعض الرائيين في الخارج والدخول الى الارباب من اعتقادهم بان هذه السياسة تجلب الخطر والكافة على الدولة ... ولكن هناك سببا هابا لهذه السياسة الجريئة ، وحتى الخطرة ، الا وهو احتياجات الأمن القومي . فلو كان جيشنا قبل سنتين يمثل قوة جيشنا الآن (التي زادت بمقدار الضعفين) لكنا ننصرون ماذا تنفيه هذه السياسة ؟ (١) .

ويعلن الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ١٩٥١ :

مخطط الهجرة والكيان الاقتصادي

فوق ارض فلسطين العربية، قامت الصهيونية دولتها اسرائيل ، وكان جواز مرور اسرائيل لدى قسم كبير من الراي الاوربي العام (بما في ذلك لقسم هامة من اليسار الاوربي) هو ما لم يولد من ان دولة اليهود المشطهين (الذين تميز تاريخ طوائفهم — عبر قرون طويلة — بالاحتياز الى الدموه الى المساواة بين الاديان والانجليس) . هذه الدولة ستكون « مركزا » للتحرروالديموقراطية في الشرق ، يهد الطريق الى حل المشكلة الفلسطينية برمتها ، ومن جانب ، كما يسحب الارض ، من جانب آخر ، من تحت اقدام الصهيونية ، لتفترق بمخططاتها الاستعمارية الواسعة .

ولكن رددت بعض الصحف الاوربية شعرا « ان الصهيونية قد ماتت ميتة طبيعية طبيعية في اسرائيل » ولكن استغلت الدعايات الصهيونية هذه الامال لتقرير مخططاتها ، لكن النوايا الطيبة شيء ، وحقائق الحياة شيء آخر .

... بلقد اوضح تطور الاحداث ، منذ قيام اسرائيل ، نمو وتضخم الاتجاه التوسعي والمعدواني للدولة الوليدة كراس جسد لمخطط صهيوني واسع ، بشكل خالص ، وقاعدة للقوى الاستعمارية ، بشكل عام . كما لكد ان هذا الاتجاه لا يمكن الا ان يكون وثيق الترابط ببنيان

جدول رقم (١)

السنة	مجموع السكان بنهاية السنة	يهود	عرب وخلاتهم	مجموع المهاجرين لإسرائيل	مجموع المهاجرين للفلسطية لإسرائيل	الهجرة الصافية لإسرائيل
١٩٤٨	٩٢٠,٠٠٠	٧١٥,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	١٠١,٨٢٧	١,٠١٥	١٠٠,٨١٢
١٩٤٩	١,١٧٢,٠٠٠	١,٠١٢,٠٠٠	١٦٠,٠٠٠	٢٢٩,٨٥٤	٧,٤٠٧	٢٢٢,٤٤٧
١٩٥٠	١,٤٠٧,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠	١٧٧,٠٠٠	١٦٩,٧٢٠	٩,٧٦٦	١٥٩,٩٥٤
١٩٥١	١,٦٧٧,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠٠	١٧٢,٠٠٠	١٧٢,٠١٤	١٠,٢٧٦	١٦٢,٧٣٨
١٩٥٢	١,٩٦٩,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠٠	١٧٩,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	٢٢,٤٠٨	٩٢,٥٩٢
١٩٥٣	٢,٢٦٩,٠٠٠	١,٤٨٢,٠٠٠	١٨٥,٠٠٠	١٠٢,٨٨٨	١٢,٠٠٠	٩٠,٨٨٥
١٩٥٤	٢,٥٧١,٠٠٠	١,٥٣١,٠٠٠	١٩٦,٠٠٠	١٧٢,٨٥٥	٧,٥٠٠	١٦٥,٣٥٥
١٩٥٥	٢,٨٧٨,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	١٩٨,٠٠٠	٣١٢,٢٧٦	١٢,٠٠٠	٢٩٠,٢٧٦
١٩٥٦	٣,٢٢٢,٠٠٠	١,٦٧٢,٠٠٠	٢٠٤,٠٠٠	٤٠٤,٩٦٦	١١,٠٠٠	٣٩٣,٩٦٦
١٩٥٧	٣,٥٧٠,٠٠٠	١,٨٧٢,٠٠٠	٢١٢,٠٠٠	٧١٠,٠٠٠	١١,٠٠٠	٦٩٩,٠٠٠
١٩٥٨	٣,٩٢١,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٢١,٠٠٠	٦١٠,٩٢٠	١١,٠٠٠	٦٠٠,٩٢٠
١٩٥٩	٤,٢٨٨,٠٠٠	٢,٢٢٠,٠٠٠	٢٢٩,٠٠٠	٢٢٠,٤٥٥	٩,٠٠٠	٢١١,٤٥٥
١٩٦٠	٤,٦٠٠,٠٠٠	٢,٤٠٠,٠٠٠	٢٢٩,٠٠٠	٢٢٢,٦٤٤	٨,٠٠٠	٢١٤,٦٤٤
١٩٦١	٤,٩٢٢,٠٠٠	٢,٤٠٠,٠٠٠	٢٤٨,٠٠٠	(ب)	٠٠	٠٠
١٩٦٢	٥,٢٢٣,٠٠٠	٢,٤٠٠,٠٠٠	٢٥٨,٠٠٠	(ب)	٠٠	٠٠

المصدر : يوميل عبد الله الصليح : الاقتصاد الإسرائيلي ، ص ١٥٨

[١] بن جوريون : « بحث اسرائيل ويصيرها » ص ٢٨٧

« أن أكثر العوائل حسباً وأهمية في لمتسا هو الهجرة الجماعية وباعداد كبيرة » كما يؤكد :

« انه ينبغي على الجميع ان يفكرو بمنطق (التركز الاسرائيلي) لليهود في العالم اليوم» (٢).

ويعطى الجدول (١) الارقسام الخاصة بالسكان في اسرائيل والهجرة اليها منذ عام ١٩٤٨ :

وتقدر بعض المصادر الاسرائيلية أن مصافي الهجرة في السنوات ١٩٦٣ - ١٩٦٦ بحوالي ٢٠٠,٠٠٠ مهاجر جديد .

ويبين الجدول أن عدد المهاجرين لاسرائيل في عشر سنوات (١٩٤٨ - ١٩٥٧) قد بلغ ٨٠٦,٢٤٦ شخصاً ، أي أكثر من جميع سكان اسرائيل من اليهود في عام ١٩٤٨ - ٤١٢,٤٦ نسمة .

كما يلاحظ ان انخفاض الهجرة في السنوات ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ كان يرجع إلى أسباب خارجة من رغبة القادة الاسرائيليين ، وأنهم كانوا دائمى الشكوى منها .

جدول رقم (٢)

النسبة المئوية			امداد السكان			نوع مراكز الاقامة
عرب	يهود	المجموع	عرب	يهود	المجموع	
١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	٢٢٧,٥٦٦	١,٩٢٢,٣٦	٢,١٧٠,٠٨٢	جبله الهلاند
٢٢,٠٠	٨٢,٢٨	٢٢,٠٠	٥٤,٦٧٨	١,٦٢٠,٠٠١	١,٦٧٤,٦٧٩	مكان الفن والعواضر
٢٢,٠٠	٦٩,٧	٦٤,٢٦	٥٤,٦٧٨	١,٣٢٦,٠٠٩	١,٣٨٠,٦٨٧	المبطن
٠,٠٠	١,٢٦	١,٢٦	٠,٠٠	٢٢٢,٤٢٢	٢٢٢,٤٢٢	الصناعات
٧٧,٠٠	٢٢,٢٨	٢٢,٢٨	١٨٢,٦٨	٢١٢,٣٥٥	٤٩٥,٠٢	سكان الريف
٢٩,٢٤	٢,٢٠	٢,٢٠	٩٤,٩٨	٦,٩٠٢	١٥٤,٠٠	قصور كبيرة
٢,٠٠	٢,٢٠	٢,٢٠	٦,٠٠	١,٧٢٢	١٠,٠٠	قصور صغيرة
٠,٠٠	٦,٢٠	٠,٠٠	٠,٠٠	١٢,٠٠	١٢,٠٠	قرى موشايم - فريدي
٠,٠٠	٢,٢٠	٢,٢٠	٠,٠٠	٢,٢٠	٢,٢٠	قرى موشايم - مجموعية
٠,٠٠	٢,٢٠	٢,٢٠	٠,٠٠	٧٧,٢٠٩	٧٧,٢٠٩	قرى كمونسييم - بلوغة
٠,٠٠	٢,٢٠	٢,٢٠	٠,٠٠	٢,٠٠	٢,٠٠	تصنيعات مؤقتة
١,٢٠	٢,٢٠	٢,٢٠	٢,٦٨٨٤	٠,٠٠	٢,٦٨٨٤	تساليات بدوية
٠,٠٠	٢,٢٠	٢,٢٠	٠,٠٠	٦,٢٤	٦,٢٤	مزارع متفرقة ومدارس الفخ
٠,٠٠	٢,٢٠	٢,٢٠	١,٧٨٤	١,٢٢٦	٢,٢٠	غسارح المتصومات

المصدر : مقال بعنوان « العرب في اسرائيل » في مجلة New Outlook الاسرائيلية عدد مارس - ابريل سنة ١٩٧٢ ص ٦

يوري افيرى

عضو في البرلمان الاسرائيلى منذ ١٩٦٥ .
رئيس حزب « هولام هسز » - قوة جديدة ،
ورئيس تحرير مجلة اسبوعية « هولام هز »
[أى - هذا العالم] التى تصدر فى تل ابيب .
ولد فى ألمانيا عام ١٩٢٢ وهاجر مع عائلته الى
فلسطين سنة ١٩٣٣ . انضم الى منظمة الإرجون
عام ١٩٣٨ ثم انفصل عنها . وكتب يقول انه
حدث له تحول جذرى - فى رايه ، وانتقل
عند السياسة الصهيونية الخبيثة واصبح داعمه
نضام مع الحرب على اسس ان أمة جديدة
ظهرت فى فلسطين ، وانها يجب ان تكون جزءا
من جبهة سلمية منسقة مع حركة القومية
العربية . يقيم مقارنة بين الصليبيين والدولة
الصهيونية - وينطلق تفكيره من تخوف على
هذه الدولة من ان يكون لها مصير الامارات
الصليبية . وخصص فصلا فى كتابه « اسرائيل
دولة صهيونية » لملل هذه الفكرة . ولهذا
نقده يرى ان وسيلة القاء امام اسرائيل هي
الا يكون اعتمادها الوحيد على ابقاء استخدام
المنفى . ليبرالى الفكر فى المجالين الاقتصادى
والاجتماعى ، وثير افكاره نقاشا حادا نظرا
لانه تلمس بلغه متناقض حتى على مستوى
الفكرة القومية .

ان ثرياء اليهود لا يهاجرون - بشكل عام -
الى اسرائيل . ومن ثم لا تمثل الهجرة زيادة
فى رأس المال وذلك كما يدل بوضوح السطر
الآخر من الجدول التالى :

مصادر استيراد رأس المال
فى سنوات ١٩٤٩ - ١٩٥٩ (٢)

مليون دولار النسبة %

المنظمات الصهيونية العالمية ١٤٦٩ ٢٧.٨ %
حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ٥٥٢ ١٧.٨ %
حكومة ألمانيا الغربية ٧٢٢ ٢٢.٣ %
آخرون، وتشمل تحويلات المهاجرين
وفوائد بعض موازين المدفوعات
الخارجية ٣٦٣ ١١.٦ %

ومن زاوية أخرى فإن الهجرة العكسية الى
خارج اسرائيل تتكون من « عدد غير قليل من
الشباب المثقف ومن الفئتين المتنازعتين » (٤) .

وعليه فإن عددا غير قليل من المهاجرين الى
اسرائيل (ان لم يكن غالبيتهم) هم مناصر لحتم على
دولة اسرائيل أن تجد لهم المساوى وتوفر لهم
على الأقل - نفس مستوى المعيشة الذى
كان متاحا لهم فى بلادهم الأصلية .

ولا يخفى قادة اسرائيل ارتباط مخططهم للهجرة
بمخططهم للتوسع ، يقول بن جوريون :

« ان اسرائيل لا يمكن أن تضمن أمنها بدون
هجرة . . والأمن يعنى المستعمرات ، واسكان
المناطق غير المأهولة فى الشمال وفى الجنوب . .
ويعنى القوات المسلحة » (٥) .

وعلى أثر عدوان يونيو ١٩٦٧ ، واحتلال
اسرائيل للسلطات الشباسية من الارض العربية
وجه ليلى اشكول رسالة الى « اليهود المتفرقين
فى أنحاء العالم » :

« اننى فى هذه الساعة الفاصلة أجد نداءى
الى الامة اليهودية المشتقة فى المهجر حتى

تنهض وتنضم الينا لبناء وطن آبائنا » (٦) .

ويعمل أريئيل . والذين العضو التنفيذى فى
الدولة اليهودية ورئيس إدارة الهجرة والاستيطان
بالتقدس :

« ان اسرائيل تحتاج ، بالدرجة الاولى ، الى
سكان يهود جدد ، وإلى مهاجرين قادرين على
جعل اقتصاد الوطن اقتصادا مكتابلا . وبالتالى
يصبحون قادرين على تطويره وبوسيعه » (٧) .

وتحت عنوان (الصهيونية الحرة ، أو الصهيونية
الغربية ، التى هي (صهيونية الرجال الاحرار)
يكتب الكسندر رايفر سفير إدارة العلاقات
الخارجية والاعلام بالمنظمة الصهيونية العالمية :

[٤] جريدة هانترس الاسرائيلية - ٢٢ - ١١ - ١٩٦٨

[٥] بن جوريون « اسرائيل سنوات التصدى » - نيويورك - هولت - رينهارت - وستون - ١٩٦٣ ص ٦٠

٦٢

[٦] مجلة حياة اسرائيل الاقتصادية - القسم الاقتصادى لإدارة الهجرة والاستيطان التابع للوكالة اليهودية فرع
باريس - عدد أبريل ١٩٦٨ .

[٧] ١٠ والذين : مجلة حياة اسرائيل الاقتصادية - المرجع السابق - ص ١٣.

« أن مهمتنا هي مضاعفة سكان الدولة من اليهود وتثبيت اقتصادها تهيئاً راسخاً . وهنا ... قد فتح الآن طريقان للمشاركة بجد ونشاط في إنشاء الدولة الإسرائيلية العظمى : أولهما الهجرة وثانيهما الاستثمارات ، أو الاثنان معا في نفس الوقت » .

« ونذاؤنا بخصوص الهجرة موجه أولا إلى التشجيع الذي يهوى اتخاذ القرارات القسوية السريعة ويتمهد بالسور على طريق تحقيق الصهيونية المتكاملة » .

« ومهما يكن من أمر هؤلاء الذين لا يمكنهم ربط أنفسهم بإسرائيل في المستقبل لأسباب مختلفة . هؤلاء يمكنهم المساهمة بطريقة ما في تطوير الدولة الإسرائيلية وتقديمها ، وذلك عن طريق المشاركة في اقامة الشركات الإسرائيلية أو توسيعها ، وهنا تجد الصهيونية في العالم الحر مجالا مناسبا للنشاط » (٨) .

وكان الكونت فوك برناتوف قد تنبه الى هذا المخطط واثاره الخطرة المقبلة ، فكتب في عام ١٩٤٨ في تقريره الى الأمم المتحدة :

« ان على اليهود ، اذا رغبوا في الارتباط مع جيرانهم العرب بعلاقات ودية ، ان يحدوا سياستهم فيما يتعلق بالهجرة ، وان يقيموا وزنا كبيرا لوجهة النظر العربية » (٩) .
فما هي الركائز الاقتصادية داخل إسرائيل التي يعتمد عليها مخطوطا الهجرة من الصهيونيين ؟

الزراعة

تتميز الأراضي التي قامت عليها إسرائيل بالفقر الشديد في المناطق الكلية القابلة للزراعة فليس بها دلتا ولا تربة غنية . ولقد بذلت السلطات الإسرائيلية جهدا غير عادي للتنمية الزراعية ونجحت ، بالفعل ، في مضاعفة الإنتاج الزراعي بين ١٩٤٨-١٩٦٠ ثلاث مرات ونصف المرة . وزادت المساحة المروية الى تسعفي ما كانت عليه عام ١٩٤٨ . الا ان شيق المساحة القابلة للزراعة وقلة الموارد المالية المتاحة وقتئذ علقا لانفكاك منه ابل كل توسع جديد . ذلك ان مشاريع التوسع الزراعي - سواء افقية أو رأسية - كانت في الاصل باهظة التكاليف ، ألقت على الاقتصاد الإسرائيلي ككل اعباء فادحة .

لقد ارتفع نصيب الزراعة في الاستثمارات

الاجمالية من ١٦٪ في عام ١٩٤٩ الى اكثر من ٢٥٪ في عام ١٩٦٠ . ومع ذلك لم يزد نصيب الإنتاج الزراعي في الدخل القومي الا من ٩٪ سنة ١٩٤٩ الى ١٢٪ سنة ١٩٦٠ . وهاتان الزيدتان تشكلان نسبة تافهة . وبالرغم من الدعاية الطنفية حول « تحويل مساحراء القنب الى جنات » لم تجرؤ حكومة إسرائيل على ان تنشر اي تقرير عن الاستثمارات التي استخدمت في القنب والتبغ التي اهدت اليها . فالواقع ان هذه المزراع ، مثل غيرها من مستعمرات الحدود ، كانت قد اتسفت في الاساس لاغراض عسكرية ، ولكي تستخدم كمواقع لملبية محصنة ، وهي تابعة لوزارة الدفاع . ولذا علم نراع فيها اسس اقتصادية .

اما بالنسبة لوارد المياه المتاحة : فلقد قدرت شركة المياه التابعة للوكالة اليهودية «ميكروت» في عام ١٩٤٤ ، اجابى المياه الممكن السيطرة عليها في تلك المساحة والتي تقوم عليها إسرائيل اليوم ، بثلاثة ملايين ونصف متر مكعب (عندما كان من مصلحة القادة الصهيونية المبالغة في التقديرات لتقرير مطالبهم بالهجرة) . أما بعد ١٩٤٨ فان الدراسات التي قسام بها « هيز » و « هيزركوتون » هيبت بالرقم الى مليون وثلاثمائة ألف متر مكعب . وهذا هو التقدير المعتمد حاليا كتقدير رسمي (١٠) .

وحتى عام ١٩٦١ كانت قد تمت الاستفادة بالجزء الاكبر من الموارد المتاحة بالفعل حيث استخدم ١٢٥٨ مليون م ٣ منها ٨٢٥ الى م ٣ مياه جوفية و ٤١٢ م ٣ من الجداول السطحية والانهار .

ونظرا لتخوف السلطات الاسرائيلية من حقيقة تمدد عمليات الضخ لنقطة الامان بحيث صارت تهدد بتسرب الملوحة الى المستوى الارتوازي فقد تابت بتطبيق « قانون استعمال المياه » بمنتهى الشدة . ويتعين الياء في الوسط والجنوب والجليل الغربي ، وبالتشديد على وجوب الحصول على الرخص قبل ضخ المياه من الآبار ، والتحكم بالكميات التي يسمح بها « المركز المشترك للتخطيط الزراعي » لشقى الاستعمالات .

وكانت تكاليف مشروعات السرى التي تمت باهظة بشكل فاحش ، حتى ان كاتب اسرائيليا هو

[٨] الكسندر وايز : مجلة حياة إسرائيل الاقتصادية

[٩] جريدة الاهرام - ملحق عن القضية الفلسطينية ١٧ - ٥ - ١٩٦٩

[١٠] التكاليف السنوية للحكومة الإسرائيلية سنوات ٦١ - ٦٢ وايضا ٦٢ - ٦٣

الهجانات

القطعة الصهيونية العسكرية التي ظهرت الى الوجود في فلسطين بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ • فقد كان الاعتماد في الدفاع عن المستعمرات اليهودية منذ اواخر القرن التاسع عشر على الطبيعة المسلحة التي ضلها منظمة « هاشومير » منذ عام ١٩٠٧ ولكن مع صدور وعد بلفور وتدفق اليهود الى فلسطين وبدء مرحلة جديدة من الغزو الاستيطاني لم تعد هذه المنظمة كفاية للتباعد بهماتها العسكرية • وظهرت فكرة « المجتمع المسلح » في اطار « المهاجرات » • التي انضمت شعرا لها « فلسطين لليهود » • واحتاج الامر الى جهود طويلة مستمرة في التدريب والتسلح • وكانت سلطات الانتداب البريطانية تقضي النظر من ذلك واعتبرت عام ١٩٣٦ بهاجانات كمنظمة للدفاع عن المستعمرات وانقرض رجائها في صفوف قوات الطمأنينة أثناء الحرب العالمية الثانية وحصلوا على خبرة قتالية استغلوا منها في اعادة تشكيل قواتهم المسلحة بعد انتهاء الحرب • ومن خلال ذلك كله تمسكت من المهاجرات قوة منظمة يهودية تعرف باسم « الهاغانا » وهي قوة ضاربة تدربت على اعمال التخريب وهرب المصليات بقيادة ايجال الكون • وتحولت الهجانات قبل قيام اسرائيل الى جيش غير قانوني يخدم فيها كل يهودي مقيم في اسرائيل خدمة الزامية دائمة •

مها في عام ١٩٦١ سوى ٧٢٩ مليون دولار من مجموع الصادرات البالغة ٢٢٧٨ مليون دولار • ولا توجد مصادر مائية معقولة لتوليد الطاقة الكهربائية • وكل ما ينتج منها يتم عن طريق المحطات الحرارية المعروفة كونها أكثر محطات الطاقة الكهربائية ارتفاعا في التكلفة وعلى الاخص في بلد فقير في موارده البترولية •

الصناعة

أما بالنسبة للصناعة ، فقد حققت اسرائيل نموا ضخما على الرغم من ضيق السوق المحلية والمقاطعة الاقتصادية العربية وارهاق كلفة الانتاج الصناعي بشكل كبير • وبين الجدول التالي بعض المقارنات التي توضح مدى نمو الانتاج الصناعي في اسرائيل خلال ست أو سبع سنوات ما بين ١٩٥٣ - ١٩٦٠ :

• جنيتاني كتب تحت عنوان « الانتاج الزراعي في السنوات المقبلة » • المجلة الاقتصادية العبرية • في يناير سنة ١٩٥٤ يعلق على نسبة ما يكلفه رى الدونم الواحد تقلا « ان هذه النسبة تبلغ اربعة اضعاف مثلتها في مناطق الري في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة امريكية حيث تكاليف السرى في غسايه الارتفاع » (١١) •

ونظرا لارتفاع كلفة انتاج المياه فان الحكومة الاسرائيلية مجبرة على بيعها للمزارعين بأقل من ثمن تكلفتها بكثير ، مما اضفك اعباء أكثر على الاقتصاديات الاسرائيلية •

وعند ذلك يجهر القادة الاسرائيليون بمطالبهم في الاستيلاء على المياه العربية وفي الاراضي العربية • قال ابا ايان :

« اننا نولي نهر الاردن ومنايحه كراما مائنا » (١٢) • ويخرج مشروع نهر الاردن الاسرائيلي الى حيز الوجود • بل وفي مطلع عام ١٩٥٤ خرج القادة الاسرائيليون بشروع آخر وضعه المهندس كوتن ويشمل - استعمال مياه نهر الليطاني (مع ان القهر ينبع كلية من لبنان) بالإضافة الى استعمال نهر اليرموك والاردن وروافدهما • وقد نص للمشروع على تحويل روافد الاردن العليا الى سهل البطون • وتحويل نصف مياه نهر الليطاني ايضا الى البطون عوض ثم نقل المياه من البطون الى الجنوب الغربي • وعلى تحويل اليرموك الى بحيرة طبرية • ثم رى اراضي جزء وادي الاردن الذي تسيطر عليه اسرائيل من مياه طبرية •

الثروة البترولية والمعدنية

وبالنسبة للبترول لا تذهب اكثر المصادفات الى تقدير الاحتياطي الثابت وجوده بكثير من خمسة ملايين اطنان • بينما بلغ استهلاك اسرائيل من البترول في عام ١٩٦٧ حوالي ٣٠٣ مليون طن ، أي أن كل الاحتياطي لا يكتفي اسرائيل لعامين • والواقع أن انتاج اسرائيل المحلي من البترول الخام عام ١٩٦٧ لم يبلغ سوى ٢٠١ ألف طن •

أما المعادن الاخرى فقليلة القيمة مثل للفوسفات والبوتاس بحيث لم يبلغ اجمالي قيمة المصدر

[١٢] يوسف عبد الله الصلح : الاقتصاد الاسرائيلي ص ٣٠
[١٣] ابا ايان - جزاءم بوست ٢ - ٥ - ١٩٥٩

ملاحظات	١٩٦٠	١٩٥٢	السلع والوحدات
إنتاج مؤسستين	٢٠٢١٢	٩١٤	١ - الكبريت إعلان كـ * ساعة ٢ - الأسيد آلاف الأطنان الفسفات السوبر فوسفات الأسيد الفروجيليه الأسيد المسطوريك
سنة ١٩٥٢ أو ١٩٥٩	٢٠٥ ٨٢	٢٣ ٢٣	٣ - الأسيت آلاف الأطنان ٤ - السكر آلاف الأطنان ٥ - البيرة آلاف الهكتولترات ٦ - القيد آلاف الهكتولترات ٧ - السجائر ملايين ٨ - التبغ أطنان ٩ - غيطوط القطن آلاف الأطنان ١٠ - منسوجات القطن آلاف الأطنان ١١ - الورق والكرتون آلاف الأطنان ١٢ - طائرات الخط آلاف
سنة ١٩٥٩ أو ١٩٦٠	١٢٩ ٨٠٩ ٢٤ ٢٠٨ ١٥٨ ٢,٥٦٥ ٨٤ ١٠ ٧ ٣٩ ٤٠٧	١٦ ٤٦٥ ١٥٠ ٢٥ ٢٠,٢٠ ٦٤ ٦ ٤ ١١٨	المصدر : مجلة الأمم Economic Developments in the Middle East.

السيونية التي تروج لها في أنحاء العالم لخدمة مشروعها الاستيطاني .

لكن تحقيق ذلك المصل من النمو المستنزف وتوظيف مبالغ طائلة من المال لو قورنت بالدخل القومي لكثت نسبتها السنوية حوالي ٣٩ ٪ وهو رقم يستحيل تحقيقه اقتصاديا حتى بالنسبة لدولة متقدمة صناعيا من الدرجة الاولى ؛ ناهيك من دولة ناشئة .

ماذا علمنا ان مستوى الاستهلاك الخاص والعام كان في ارتفاع مستمر في هذه السنوات (من ٥ الى ٦ ٪) ، وأن المستوى العام والإخفارات كان في هبوط بمعدل ٢ ٪ من الإنتاج القومي سنويا ، وأن اسرائيل تأتي في مقدمة دول العالم في نسبة ما تخصصه للمصروفات العسكرية الى دخلها القومي كما يوضح الجدول التالي ، لأدركنا حقيقة تلك الأزمة الكابئة في الاقتصاد الإسرائيلي ، والناجمة من تقاتله مع الاسس الاقتصادية ، والتي أشار اليها لوس آثير المحرر الاقتصادي لصحيفة جيزوراليم بوست الإسرائيلية شبه الرسمية بقوله : « اننا مقبلون على السبعينات على متن موجة أخرى من موجات الرخاء الكاذب الذي لا نؤ له بكندا وتمارتاواتها تموله القروض وتبرعات الهيئات الأجنبية » (١٤)

الا انه يجدر بنا ان نذكر ان عددا من الصناعات الهامة تقوم على أسس غير اسرائيلية مثل صناعة الماس (التي تشكل ٢٠ ٪ من صادرات اسرائيل) التي تعتمد تاليا على استيراد الخام من جنوب افريقيا ، والصناعة البتروكيمياية التي تعتمد على استيراد الخام من ايران .

ويبرز الضعف الاساسي في الصناعة الإسرائيلية من ارتفاع التكلفة في منتجاتها مما يضغط من قدرتها على مجابهة مثيلاتها من المنتجات المصنوعة في البلاد الصناعية ؛ الأمر الذي أوجب على الحكومة الإسرائيلية التقدم بشتى أنواع المعونة للصناعة ، خاصة للصادرات الصناعية ، فبند ١٩٤٩ - وبشكل مستمر بعد ذلك - لجأت الحكومة الى عدد من الاجراءات لتمكين الصناعة من بيع منتجاتها . ومن هذه الاجراءات عمليات القاصة والتايضة على اسس تخفيض سعر بيع المنتجات وتمويض الصناعيين من الفرق بين سعر البيع الفعلي وبين السعر الذي يحق له ارتفاع الكلفة .

لكن هذا ليس كل شيء .

نعم لقد امكن لاسرائيل ان تحقق معدل نمو اقتصادي يدور حول ١١ ٪ سنويا وهو معدل عال بلا شك . ولعله احد أبرز دعائم الدعاية

تأهلت بها احتكارات فورد وكيزر وفريزر وكوكاكولا وغيرها (١٥) .

وبين الجدول التالي استئثار اسرائيل ذات المليونين من السكان بنصف المعونات الامريكية للشرق الاوسط الذي يزيد تعداده على المائة مليون نسمة .

ويشتد التلاحم بين الاقتصاد الاسرائيلي وبين الامبريالية الامريكية بتزايد نسبة مساهمة رأس المال الامريكي في الشركات الاسرائيلية من ٣٦٪ بعد الحرب العالمية الثانية الى ٥٦٪ عام ١٩٥٠ ، الى ٧٢٪ سنة ١٩٥٧ . كما باعته الحكومة الاسرائيلية في عام ١٩٥٨ اثني عشر من المشروعات الاستثمارية المملوكة للدولة الى الاحتكارات الامريكية ، من بينها نصيب الحكومة الاسرائيلية في شركة ويشوفين بلاكود زيم ، كما باعته في عام ١٩٦٠ - ثلاثة مصانع لقطع الخشب الى الاحتكارات الامريكية . وفي عام ١٩٦١ منحت نلاحكارات الامريكية حق استثمار الاملاح المعدنية في البحر الميت حتى عام ١٩٩١ . كما حصلت شركة الألمنيوم الامريكية على حق استثمار الفوسفات في صحراء النقب ، بينما اشترت مجموعة امريكية اخرى اكبر مصانع الكيماويات في حيفا (١٦) .

لقد كان من المستحيل على اسرائيل ان تحقق ما حققتها من تنمية ، كانتت ضرورية لمواجهة موجات الهجرة والمستنزفات العسكرية ، دون تلاحم كامل مع الصهيونية المالية ومع الشد القوى عدوانية في الامبريالية المالية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية والمثلثا الفرنسية ، والمشاركة في مخططاتهم العدوانية على النطاق العربي والمالي . لكن هذه المشاركة كلفت تزيد بدورها من الاعباء الواقعة على عاتق الاقتصاد الاسرائيلي فتعمق من ازمته السكانية وتجعله يدور في حلقة مفرغة .

هكذا قدمت الحركة الصهيونية لاسرائيل ما بين ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٤ ٣٥٠ مليون دولار . تحت بند التبرعات .

وقدمت لها المثلثا الغربية ١٦١١ مليون دولار كجهة تحت اسم التعويضات وقدمت لها الولايات المتحدة الامريكية ٢٩٤ مليون دولار كجهة خالصة ، ١٢٢٦ مليون دولار في شكل قروض طويلة الاجل ، واكتتاب في السندات التي تصدرها اسرائيل ، واستثمارات خاصة (بلغت ٧٧٩ مليون دولار سنة ١٩٦٤)

مصرفات النفاق والخلل القومي في بعض الاقطار لمسلم ١٩٦٧

مصرفات النفاق للشرق فونك سويسري	نسبة مصرفات النفاق الى الدخل القومي %	الدخل القومي فونك سويسري	مصرفات النفاق فونك سويسري	البلد
١٢٤٨	٢٤.٠	١٥٠	٢٢١	اسرائيل ٢
٩٢٢	٢١.٦	٩٩٧.٢	٢١٥.٠	الاتحاد السوفيتي ٢
١٢٩١	١.٠٢	٣٦٦٩.٤	٢٧٤.٠	الولايات المتحدة ٣
٤٩٧	٦.١	٢٥٨.٧	٢٤.٨	فرنسا
٤١٦	٦.٢	٣٩.٠	٢٤.٠	المثلثا الغربية
٢٤٤	٤.٨	٢٧.٢	١.٢	النرويج
٣.٢	٤.٧	٨.٠	٢.٨	هولندا
٤٩٦	٤.٠	٨٧.٠	٢.٩	السويد
١٨١	٤.١	٢٢٢.٤	٢.٠	ايطاليا
٢٥١	٢.١	٦٧.٠	٢.٢	بلجيكا
٢٢٥	٢.٢	٧.٠	٢.٣	البحرين
٢٢٨	٢.٢	٢٨.٠	١.٢	السعودية
٢٨.٠	٢.٠	٥٧.٢	١.٧	سويسرا
٨٢	١.٧	٢.٥	١.٠	النمسا

- ١ - المصروفات العسكرية الرسمية
- ٢ - ميزانية ١٩٦٩
- ٣ - ميزانية ١٩٦٦
- ٤ - ميزانية ١٩٦٨ عدد فبراير ١٩٦٩

[١٥] انظر مقال خالد محيي الدين تقرير عن الوضع في الشرق الاوسط ، مجلة الطلبة القاهرة ، عدد ديسمبر ١٩٦٧

[١٦] انظر المرجع السابق .

جدول توزيع المعونات الأمريكية على دول الشرق الأدنى
١٩٦٠ - ١٩٦٤ بمليين الدولارات

١٩٦٤	١٩٦٣	١٩٦٢	١٩٦١	١٩٦٠	مجموعة المعونة لبلدان الشرق الأسي ما في ذلك إسرائيل إسرائيل وحدها النسبة المئوية
١٩٢	٢٢٨	٢٥٦	٢٤٧	٢٥٥	
٩٦	١١٥	١٠٧	١٠٧	١٠٥	
٪ ٥٠	٪ ٥٠	٪ ٤٠	٪ ٢٠	٪ ٤٠	

المبالغ في كتابه للرقام الخاصة بتطورات الاقتصاد الإسرائيلي (١٧) انتهى إلى القول بأن الاقتصاد الإسرائيلي لم يستطع ، طيلة حياته ، أن يؤمن من « جهده وموارده (أي عن طريق الناتج القومي) كلفة لوازم الاستهلاك الحكومي المعلن عنه واستهلاك الرساميل . ويضيف : « في الأعوام ١٩٥٠-١٩٦٠ المتوفرة لدينا منها التفاصيل اللازمة ، بلغ متوسط نسبة الناتج القومي للوازم المشار إليها ٩٨ ٪ . ولو توفرت لدينا الأرقام السرية لاستهلاك الحكومي غير المعلن عنه ، لابتدأ أن النسبة هي دون ذلك » .

ثم يضيف : « ولئن قيل أن استمرار العجز الضخم في ميزان المدفوعات أمر لا غنى عنه ، بسبب الإصرار على النمو السريع في مسيل خدمة أقرض الاقتصاد والمجتمع الإسرائيلي فإن الجواب : أن درجة الاعتماد على الخارج لا تبدي ميلا ثابتا نحو التقلص . بل أن هناك بعض الدلائل التي تشير إلى أن الاقتصاد الإسرائيلي بتركيبه الحاضر ، ومن ضمن أهدافه ومخططاته ، لا يقدم البديل على اقترابه من الاستقلال » (١٨) .

ولقد قدمت التطورات اللاحقة الدليل على صدق هذا التوقع على ما يبين في الجدول التالي :

تطورات العجز في ميزان المدفوعات ومعدلات التنمية في إسرائيل
في سنوات ٦٤ - ١٩٦٩ (١٩) (بمليين الجنيئات الإسرائيلية)

٦٩/٦٨	٦٨/٦٧	٦٧/٦٦	٦٦/٦٥	٦٥/٦٤	العجز في ميزان المدفوعات معدل التنمية
٥٢	٥٧	٤٩	٤٧١	٤٦٢	
غير متوفر	٪ ٢٢	٪ ١٢	٪ ٧	٪ ١٠	

وهذا الاتجاه إنما يدعم المفهوم السائد بين قادة إسرائيل والقاتل بأنه من مصلحة إسرائيل زيادة ما تملكه أمريكا من المشروعات الاقتصادية فيها ، فزيادة هذه المبالغ تعني مزيدا من المصلحة والدعم الأمريكي للدولة الصهيونية .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التلاحم هي ازدياد الاتجاهات العدوانية للدولة الصهيونية ، حيث لم يعد التزاما عليها الدفاع عن مصالحها الخاصة أو تحقيق أهداف الحركة الصهيونية فحسب ؛ بل وأن تلعب دور الانكشافية الجديد للمصالح الإمبريالية لتلوث الدم في المنطقة مما يمثل بحدوره كما نكرنا ، عبئا أصليا على تطور الاقتصاد الإسرائيلي .

ولذلك فإنه على الرغم من هذا التدفق الهائل في المعونات من دول الغرب والتي تقدر بقيمة آلاف مليون دولار في أرمصة عشر مليا أي ما يساوي ثلاثة آلاف دولار لكل إسرائيلي ، فلقد أبدى الاقتصاد الإسرائيلي كل الظواهر الدالة على ضعف أسسه . لقد زاد التضخم ، وأبدى ميزان المدفوعات جزا متقلبا ، وتزايدت البطالة ونفوض الاسعار . ثم أزمة التنبية الخطيرة في سنوات ٦٦-٦٧ والتي كانت من الأسباب الرئيسية لعُدوان ١٩٦٧ .

وفي دراسة أجراها د. يوسف عبد الله

(١٧) يوسف عبد الله الصايغ ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥

(١٨) يوسف عبد الله الصايغ ، المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٥

(١٩) جريدة الأهرام : الأرقام التي نشرتها السلطات الإسرائيلية عام ١٩٦٩ - ١٩٦٩/٦/٥

ولقد كتبت مجلة ميدل إيست جورنال الأمريكية تقول :

« تعيش اسرائيل حياة شديدة القتل والخطر فوارداتها تقرب من ضعف ونصف ضعفه أو ثلاثة اضعاف صادراتها . ولا يمكن موازنة الفرق بناتج الخدمات. وقد بلغت الواردات للفرد الواحد ٢٢٤ دولارا في ١٩٦٠ ، مقابيل ٩٩ دولارا للصادرات » [١٩ م]

الامن والمؤسسة العسكرية

إذا كانت الأرض التي قامت عليها دولة اسرائيل لم تكن لتوفى بالاحتياجات الاقتصادية لخطتها ، فلهذا هذه الأرض ، من الناحية الاستراتيجية ، لاقتل — ان لم تكن تريد — عن ذلك سوء في تحقيق أمن الدولة من وجهة النظر الصهيونية . فمن حيث الجغرافية العسكرية كانت اسرائيل حتى بعدد ١٩٤٩ تشكل شريطا طويلا يبلغ طوله من مرتفعات الجليل الى ايلات ٤٢٠ كم ، ويبلغ عرضه الاقصى ١١٥ كم جنوب بئر سبع ، والادنى ١٤ كم شمال ايلات ، ومساحته الكلية حوالي ٢١٠٠٠ كم ٢ . وتبلغ حدودها البرية مع الدول العربية المجاورة ٩٥١ كم منها ٧٩ كم حدود مشتركة مع لبنان و ٥٢١ كم مع الاردن ، و ٢٦٥ كم مع ج.ع.و ٧٦ كم مع سوريا . بينما تبلغ حدودها البحرية ٢٥٤ كم منها ١٨٨ كم على البحر الابيض المتوسط و ٥٦ كم على البحر الميت .

ولا تضم تلك الحدود البرية الطويلة أى عوائق طبيعية استراتيجية تذكر ، كما زاد تكس السكان والنشئلات الاقتصادية الحيوية في مثل « حيفا — الرمل — تل أبيب » من تعقيد المشكلة الاستراتيجية وهذا ما يدركه القادة الاسرائيليون .

يقول موسى ديان :

« تواجه اسرائيل مشكلة أمن معقدة تعقيدا فين عادي . . . انه مساحة البلاد لا تتجاوز ٩١٠٠ ميل مربع ، ويبلغ طول حدودها ٤٠٠ ميل ، ويعيش ثلاثة ارباع سكان اسرائيل في السهل الساحلي الممتد من شمال حيفا الى جنوب تل أبيب . ان معدل عرض هذه المنطقة المكتظة بالسكان لا يتجاوز ١٢ ميل بين البحر المتوسط وحدود الاردن ، وبالإمكان رؤية

ولقد كان من الطبيعي أن يتميز بظاهرة تضخم متفاوتة حيث بلغ التضخم ١٣٦ مرة بين ١٩٤٩ و ١٩٦٠ (٢٠) .

ولقد كانت الفروقات بين الاسعار المحددة وأسعار السوق السوداء ضخمة جدا ، إذ بلغت النسبة بين زمن السوق السوداء الى الزمن المحدد بين سبتمبر ١٩٥١ وأغسطس ١٩٥٢ (وهي فترة التضخم الاعلى ٦ مرات للاسمنت و ٢٠ مرة للبرادات ، ١٢ مرة لخشب البناء ، ٤ لقضبان الحديد ، ٢٢ مرة للسكك الحديدية ، ١٧٥ مرة للزئبق (٢١)

و خلاصة القول عن اوضاع الاقتصاد الاسرائيلي بعد هذه الق نظرة السريعة :

١ — ان الأرض التي قامت عليها اسرائيل كانت عاجزة من زاوية مواردها الطبيعية عن تلبية مخططات القادة الصهيونية للهجرة وكان لابد أن ترتبط الدعوة للهجرة بالدمعة الى « توسيع حدود الدولة » ، والسيطرة على الموارد الطبيعية العربية المجاورة .

٢ — ان اسرائيل استطاعت أن تواجه موجات الهجرة وأن تستوعبها من طريق تلبية سريعة وعالية للزراعة والصناعة . ولكن هذا قد تم على حساب الاستنزاف السريع لكل الموارد الطبيعية ، ومن خلال التلاحم الأشد مع الصهيونية العالمية ، والقوى الأشد عذوانية في الامبريالية الدولية ، مما شاعف من حدة الاتجاه المدعواني للدولة الاسرائيلية ، هذا الاتجاه الذي أصبح هو بدوره عبئا اضافيا على الاقتصاد الاسرائيلي يزيد من ازيمته الكثافة .

[١٩ م] ميدل إيست جورنال — في عددها الصادر في سبيل ١٩٦٤
[٢٠] يوهانس ميد الله الصليبي : المرجع السابق — جداول تطورات الكلفة التقنية والتعليق عليها في ٢١٧
[٢١] المرجع السابق في ٢٥٥

الجنود الأرثوذكس على بعد مئات الأميال من مبنى البرلمان الإسرائيلي في القدس ، كما أنه بالإمكان رؤية مقر رئاسة الأركان الإسرائيلية الواقعة في السهل الساحلي وذلك من التلال الواقعة على الحدود الأردنية . أن الطرق الرئيسية للسكك الحديدية معرضة للغزو السريع السهل ، ويكاد لا يوجد مكان في إسرائيل لا تطيله نيران العدو باستثناء صحراء النقب » (٢٢) .

ويؤكد العميد حليم هرتزوج ، المدير السابق للعمليات الإسرائيلية ، في حديثه عن الرقابة العسكرية في إسرائيل هذا المعنى بقوله :

« أنكم الآن تجلسون (في تل أبيب) على رمى الخنفساء لجيش تملن حكومته (الأردن) أنها في حالة حرب مع إسرائيل . . . وحتى لو كنتم قد عقدتم اجتماعكم ، كما كان مقبلا في هرتل على بعد أميال قليلة إلى الشمال ، كنتم في نطاق مدفعية الميدان لنفس الجيش . وعندما تزورون الكنيسة في القدس تسترون أنه يقع في مدى مدفعية الهاون الأردنية . كما يمكن أصالة الأشخاص في بعض المباني الحكومية برصاص المدفعات » .

لقد كان حريابدولة هذه وأوضاعها الاستراتيجية أن ننحو للسلم كل منحي ، خلسة لتسوية المشاكل التي خلفها وجودها القسري ، ولكن القيادة الإسرائيلية تبنا ، بحكم ارتباطهم بالخطط الصهيونية ، سياسة « ولا لاجيء واحد ، ولا شبر من أرض » ، وهذا يعني أنهم — هم في الواقع — الذين يبنون سياستهم على أساس المراهنة على وجود إسرائيل ذاته .

يقول الكتاب السنوي لإسرائيل لعام ١٩٥٠ :

« أن إسرائيل لا يمكن أن توافق على إعادة أي جزء من فلسطين للعرب . فالمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن تحل إلا بالحرب . وخلال الحرب سيقتصر بمصر إسرائيل كدولة . فلما أن تتول وأما أن تبقى . ولكن نتصر في الحرب يجب أن نفوق على البلاد العربية تولقا عسكريا ساحقا » (٢٣) .

وقادة إسرائيل لا يبحثون عن الأمن داخل حدود إسرائيل ، بل هم يقعون مغموما توسيعا

خطرا لما يسمونه بمشكلة الأمن ؟ عبرته اسحق بن زخي رئيس جمهورية إسرائيل بقوله « أن الأمن ليس هدفا في حد ذاته ، وإنما هو وسيلة لتحرير أرض الوطن وهو هدف مازال بعيدا » .

ويشهد مورجيب مراسل نوفيل أويتر فالتير :

« باختصار ، بالأمس كان يمنع اضطراب الأمن يمكن في سيناء والمرتفعات « السورية وغرب الأردن » أما اليوم فإن هذا المنع يقع في وسط سوريا ، وعلى الضفة الأخرى للفتاة وشرق النهر . المهم أن هذا المنع مازال قائما ، وغدا أين سيكون إذن ذلك المنع الذي يبعد كلها اقتراب المرء منه ؟ . . . إلى بني غازي وينفاد والخرطوم ؟ . . . »

« وإذا قلت للإسرائيليين أنني أراهم يبالغون قليلا ردوا علي بكئي ضحية الدعاية الشيوعية ، وأنني ألقف ضد الوجود الإسرائيلي ، بل أخيرا أنني يهودي يخرج من يهوديته » (٢٤) .

ويقرر د . جون فيفر المفاوض العام لشئون اللاجئين في كتاب « السلام المأواغ » :

« أن إسرائيل أعطت دلائل كثيرة على عدوانية مخيفة نحو الشعب العربي مما زاد مابدا من حجم الصراع » (٢٥) .

وبالفعل ، لماذا كانت السنوات المشرونة الماضية منذ هفنة ١٩٤٩ لم تشهد جيشا عربيا من أي بلد عربي يحتل أي جزء من إسرائيل ويبقى فيه لساعات ، فإن هذه السنوات قد شهدت :

● احتلال إسرائيل لمساحة ٥٠٠ كم ٢ من أراضي الدولة العربية الفلسطينية المقترحة في قرار التقسيم منذ ١٩٤٨ حتى اليوم .

● احتلال إسرائيل و ٦٠ ألف كم ٢ من أراضي مصر في سيناء والعرب في ١٩٥٦ دام أكثر من عام .

● احتلال إسرائيل لأراضي ثلاث دول عربية هي مصر والأردن وسوريا بعد عدوان ١٩٦٧ استمر حتى اليوم أكثر من ٣ سنوات .

[٢٢] موفي ديان — مجلة غورينغفريز — ١٥ يناير سنة ١٩٥٥ م . ص ٢٥٠
[٢٣] حكومة إسرائيل : « الكتاب السنوي » — تل أبيب — ١٩٥٠ — الصفحة ٢٤
[٢٤] حكومة إسرائيل — نوفيل أويتر فالتير — ١٨ — ١٠ — ١٩٦٧
[٢٥] كوتيس مفسود — « التهريب الأمريكي لم يسكت هذا الصوت » — الإفرام القاهرية — ١٩٦٨/١١/٢١

الارجون

منظمة عسكرية اسمها الكامل باليهريه
الارجون زفاي يهوي اي « المنظمة العسكرية
لشعب اسرائيل » اسمها الإرهابي الصهيوني
فالتحريض والتشجيع عام ١٩٣٧ وساعده في
ذلك الإرهابي ابراهيم شتيرن - اقتصر عملها
في البداية على تهريب اليهود - وكان المتشيون
التيها يدربون تدريبا عسكريا لمدة ستة شهور
وتنقسم لثلاثة الفطرفين من الصهيونيين الذين
كانوا يعارضون وايزن ، الذي كان يدعو
لاستخدام اساليب اقل تطرفا من اجل تمثيل
اليهود الصهيوني - وبعد مقتل جابوتسكي رأس
المنظمة منحلح بيجين - وهذه المنظمة هي
المسلولة عن نفس خلق الملك داود عام ١٩٤٦
ومجزرة دير ياسين في ابريل ١٩٤٨ وقد
ظهرت هذه المنظمة في مسرح السياسة
الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٩ باسم حزب حيروت
بزعاية منحلح بيجين أحد الوزراء الحاليين في
اسرائيل .

★

شتيرن

اسم منظمة إرهابية اسمها ابراهيم شتيرن
— أحد قادة الارجون ، التي انفصل عنها
لرفضه قرارها بضرورة عقد اتفاق ودي وعنده
مع السلطات البريطانية بادايت الحرب قاتلة
فهد المقاتلة القوية - كان شرط شتيرن لقبول
هذه المهمة ان تفتح بريطانيا طيلة الحرب
ابواب فلسطين للهجرة اليهودية بلا قيد او شرط
فلما رفض زعماء الارجون هذا الشرط انفصل
عنها شتيرن واعوانه - وهذه المنظمة هي التي
قامت بالقتال الكونت فوكه برنادوت الوسيط
الدولى .

وتكتب الرسالة الاخبارية اليهودية في ١٢ مارس
١٩٥٦ :

« أي انسان يتوهم عنده احساس بسيط ويقضي
اياما قليلة في اسرائيل يستطيع ان يشعر بالحرب
يشعر بها في الاعصاب المشدودة والمتوترة لركب
الاتوبيس ما ان يتركوا الدخنة . وفي التوتير المكثف
بين الناس ، وفي الشوقينية المدوانية ، وقائية

ولقد ظال مفهوم الأمن عند اسرائيل هو حدود
جديدة ، « حدود آمنة » على حد تعبير المسئولين
الاسرائيليين . لكن اسرائيل - قد دخلت في الواقع
— منذ نشأتها على رغبتها في الإبقاء على توتر
الحدود بينها وبين الدول المجاورة لها لاسباب شتى
ليس أقلها أهمية :

« ان أي قرار تتخذه اسرائيل بالهجوم على مصر
(مثلا) يتطلب — بالتقرير العسكري والسياسي —
حدودا ساخنة الى درجة الغليان » (٢٦) .

والواقع أيضا ، هو ان اسرائيل كانت هي دائما
التي رفضت أي اجراء دولي يهدف الى تخفيف
التوتر .

« فالصهيونية لا تقبل ، في الواقع ، ولا تتحمل ،
أي ضمان دولي للحدود بينها وبين العرب » (٢٧) .

ولقد كانت ظروف اسرائيل الاستراتيجية ،
وامرار القادة الاسرائيليين على اتباع تلك السياسة
الهجومية ، هي التي حددت منذ البداية طبيعة
المجتمع الاسرائيلي وطبيعة القوى التي لابد ان
تندفع الى المقدمة فيه . ونعني بهذه القوى
المؤسسة العسكرية الاسرائيلية التي يتزعمها بن
جورنيون وموشى ديان وشيمون بيريز وأيجال ألون
ومنلح بيجين وغيرهم .

يقول آ . ه . هتشنسون :

« ان كل زائر لاسرائيل يخرج بانطباع لا بد منه ،
وهو ان الاشياء العسكرية لها الافضلية على كل
شيء في المنظمات الشباب ، والجنود النظاميون
والبحارة والطيارون ، والقوات الاحتياطية النفسية
المجهزة الموزية والمستترة خلف اسوار ما يسمى
بالمستعمرات الزراعية ، والرجال على الحدود
وقوات الشرطة . كل شيء يشير الى ان اسرائيل
تبرز أهمية أجهزة الحرب ومعداتها » (٢٨) .

ويقول جنرال بيريز :

« مالح الجبل الجديد في اسرائيل حياته في
جو يعطي للقيم العسكرية ، وعلى رأسها القوة
الدعوانية في المكان الاول ، وفي جو ينظر فيه
الى العربي باعتباره العدو اللدود » (٢٩) .

[٢٦] بن جورنيون : « اسرائيل سنوات التحدي » المرجع السابق ص ٨٩ و ٩٠

[٢٧] التسلسل الرسمي لمجلس الأمن - ٣٦٥٩ ، ١٩٥٦

[٢٨] هتشنسون : « المهنة المنيعة — المرجع السابق — ص ١٦٩

[٢٩] جنرال بيريز : « بين العرب والاسرائيليين » لندن ١٩٦٦ ص ٦٨

التي تنص الأسلحة والحرب بالشمز الأكبر من دخلها القومي ، أما الآن ، ومع بداية ١٩٦٨ فقد تضاعفت ميزانية الحرب أربع مرات .

العداية

وبتدأ قصة العسكريين في إسرائيل أساساً منذ أوائل الحرب العالمية الأولى ، حين تكونت كتبية يهودية لخدمة الحروب مع الطغاة في الشرق الأوسط ، وقد تكونت من يهود من فلسطين والولايات المتحدة وبريطانيا . وتمكن أعضاء هذه للكتبية من الحصول على مستوى عال من التدريب وعلى قدر من الأسلحة الخفيفة التي احتفظوا بها لحظوظات ما بعد الحرب حيث تكونت الهجاء .

وفي الفترة ما بين الحربين انشقت الهجاء وظهرت المنظمة العسكرية القومية « إرجون » تزعيا لشمز ، ثم في ١٩٤٠ انشقت من هذه الأخيرة منظمة « الحاربون من أجل حرية إسرائيل » (لخباي حيروت إرائيل) التي عرفت باسم جماعة شتيرن .

وخلال الحرب العالمية الثانية كونت الهجاء قوة ضاربة في غزو سوريا ولبنان ، وكنتا إذ ذلك تحت حكام فرنسيين ووالين لحكومة فيشي . وكنت هذه الفترة من أهم الفترات التي جسر فيها العسكريون اليهود في الحرب في صفوف جيش حديث التنظيم والتسلح ، وفقد جيش حديث التنظيم والتسلح ، فأكسبوه خبرة ضخمة في التخطيط والتنظيم وتدريباً عالياً على لحدث الأسلحة .

وفي أكتوبر ١٩٤٧ تمكن إبن جوريون ومنع تولت الهجاء والبالاح تحت قيادة مركزية انشقت تحت لوائها قسوات الإرجون في يونيو ١٩٤٨ .

وهكذا نشأ وترى القادة العسكريون لإسرائيل في أحضان جيش الإمبراطورية البريطانية . ثم انتقلوا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخاصة منذ انشاء دولة إسرائيل لمسبحوا وكانهم جزء من ضباط القوات الأمريكية المسلحة وقولت خلفه الإطلاطي . وتكررت جريدة ديرسبيجل

الذات التي جعلت الإسرائيلي المعادي أممي . ويشعر بها في ارتفاع حيا الحاربون في الاستعداد العسكري الفعال الواضح في كل المجالات (٣٠) .

ويكتب جال دومال ومارى لورا :

« منذ الطفولة يلقى السبيان والبنات تعليماً عسكرياً أكثر صرامة بهرلحل ، وأكثر تكلفة ، مما كانت عليه فرق بوسوليني ، أو الجحافل الروسية الفرنسية في بداية القرن . ومن الرابعة عشرة وحتى التاسعة عشرة تصبح مهمة تربية الفتيات والفتيان من شأن منظمات شبه عسكرية بالقوة ، الرئيسيتان منها هي « للنحال » و « الجارنا » (٣١)

وقد انتقد كاتب إسرائيلي ذلك الاتجاه العسكري أمام المحكمة فقال :

« ... انى وجدت العنلية منصرفة في هذا البلد لخلق شباب متمسب الى أقصى حدود التمسب ، فهو يربى تربية عسكرية ويوجه توجيهاً تحرياً الى أهداف احتلالية . ويتلقى تعليماً تمصبياً من النوع الضيق جداً كالذي يطبق في الدول العسكرية . انهم جعلوا الجيش هنا قبلة للشباب ، ومنه مركزاً متميزاً كما كان النازيون واليابانيون يؤلفون جيوشهم . انهم في هذا البلد ينشئون الأطفال هذه التفتنة العسكرية ، ويستعينون على هذا بجميع الوسائل التي تملكها الدولة . انهم يطعمسون كل شيء في الدولة بطابع الروح العسكرية ، طابع الغزو والاستعمار » (٣٢)

ويؤكد ليفي أشكول كلمات هذا الكاتب الإسرائيلي عندما يقول :

« ان مواطني إسرائيل ويهود العالم يستبدون الثقة والمزة من هذا البناء الرائع الذي يسمى بجيش الدفاع الإسرائيلي » (٣٣) .

وبهذه الروح العسكرية استطاعت إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧ استعادة ١٧ ٪ من مسكنها والحقاقهم بالخضبة العسكرية ويؤكد معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن ان إسرائيل كانت عام ١٩٦٦ « وقيل ذلك بسنوات عديدة من بين كل دول العالم دون استثناء » الدولة

١٣٠٢ نشرة الرسالة الاخبارية اليهودية - المجلد ١٧ العدد ٦ - ٣ - ١٩٦٦
(٣١) جال دومال ومارى لورا : « اتحدى الصهيوني » ، المرجع السابق
(٣٢) لكة لواء محمود تحت خطاب في كتابه « حقيقة إسرائيل » - مركز الدراسات والبحوث العربية - القاهرة ١٩٦٨
(٣٣) بيان ليفي أشكول في التقيته في ٢٩ - ٥ - ١٩٦٧ .

الإلتهام أن الضباط الاسرائيليين يشتركون في المناورات التي يجريها حلف الاطلنطي في أوروبا، بل وأن خطة عدوان ١٩٦٧ روجعت قبل تطبيقها من قبل قيادة حلف الاطلنطي في أوروبا . وكان **موشي ديان** قد ذهب في عام ١٩٦٧ الى فينترام لدراسة أساليب الصراع ضد حرب العصابات كما تطبقها القوات الامريكية هناك .

ولقد تحولت دولة اسرائيل ، الفقيرة الموارد الطبيعية ، الى ترسانة محججة بالسلاح ، تنطك من أدوات الحرب الحديثة ما يفوق قدرة الكثير من البلدان الأقوى منها مديا واقتصاديا . ولم يكن باستطاعة اسرائيل أن تحقق هذا إلا من خلال التلاحم الاقصى بالصهيونية العالية ولشد القوى عدوانية في الامبريالية الدولية .

وبخلاف ماوصلت عليه اسرائيل من سلاح خلال حرب ١٩٤٨ فقد جرى تسليحها بالشكل التالي :

— في ١٩٥٢ وعلى اثر اعلان شاريت في المكتسبات الاسرائيلي في ٤ — ١١ — ١٩٥١ ان حكومة اسرائيل توافق على الاسلم بنصيبها في الدفاع من منطقة الشرق الاوسط بدلت المعونات العسكرية الامريكية تتدفق على اسرائيل .

— وفي سنة ١٩٥٦ حصلت اسرائيل على أول صفقة من طائرات مسير الفرنسية ، وأعلن جى موليه ، رئيس وزراء فرنسا في ذلك الوقت ، أن الصفقة قد تمت بناء على طلب وزير الخارجية الامريكية جون فوستر دالاس . وقبل حرب السويس زودت فرنسا اسرائيل بمخطف أنواع الأسلحة الثقيلة .

وفي ١٩٦٠ عقدت صفقة الأسلحة الألمانية المشهورة التي قدمت هدية من حكومة ألمانيا الغربية تحت ستار « التعميمات » وقد شملت طائرات مواصلات وهليكوبتر وديابلات لهويارد ومدافع وصواريخ مضادة للدبابات ، غير الأسلحة التي لم يطن منها واعتبرت سرا . وكان قد تم الاتفاق عليها مع مستشار ألمانيا ديتلورف أثناء زيارته لواشنطن .

— ومنذ ١٩٦٢ تقوم الولايات المتحدة الامريكية بتقديم السلاح مباشرة الى اسرائيل . ففي ١٦ سبتمبر ١٩٦٢ و ٢٨ يونيو ١٩٦٣ قدمت أمريكا

الى اسرائيل صفقة صواريخ هوك المضادة للطائرات . وفي ٥ فبراير سنة ١٩٦٦ قدمت لها صفقة دبابات باتون ، وفي ٢٠ مايو سنة ١٩٦٦ قدمت لها صفقة طائرات سكاي هوك .

— وفي شهر يونيو ١٩٦٧ حصلت اسرائيل على ١٢٠ طائرة ميراج كانت هولندا قد اشترتها من فرنسا . كما حصلت من استراليا على مابين ٥٠ — ٧٠ طائرة ميراج أخرى كانت قد اشترتها هي الأخرى من فرنسا في ١٤ يونيو سنة ١٩٦٥ .

— وقد عقدت اسرائيل مع شركة تريومكا الفرنسية لصناعة الطائرات اتفاقية لانشاء فرع لها في اسرائيل لصنع قطع فسيار للطائرات المطاردة النفاثة . كما عقدت في يوليو ١٩٦٧ اتفاقية مع إحدى الشركات الامريكية لفتح فرع لها في اسرائيل لانتاج الطائرات .

— وفي ديسمبر ١٩٦٨ تم عقد صفقة طائرات الفانتوم الخمسين مع الولايات المتحدة الامريكية، وجاءت الإنباء بزيادة عددها أثناء زيارته **جولدا مائير** وزيرة خارجية اسرائيل لواشنطن في أكتوبر ١٩٦٩ .

وتقدر **التقارير المقدية** أن اسرائيل تنطك من عام ١٩٦٩ ما بين ٨٠٠ — ٨٥٠ دبابة ، ٢٩٥ طائرة مقاتلة بخلاف طائرات الفانتوم .

— ولقد تكفلت المنظمات الصهيونية وحكومات الولايات المتحدة وألمانيا الغربية بتغطية الجيوش الأعظم من ثمان هذه الصفقات العسكرية في شكل تبرعات أو ما يسمى بتعويضات أو في شكل قروض طويلة الأجل .

المؤسسة العسكرية تتدعم

ومن خلال كل الظروف السابقة تبلورت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، وتدم نفوذها على المجتمع الاسرائيلي ككل ، ولم يعد أفراد المؤسسة يشاركون في وضع القرارات السياسية الخاصة بكل المجالات فحسب بل أصبحوا قادرين على فرض هذه القرارات سواء كانوا في مناصب رسمية أو خارجها .

ينقل مؤلفا كتاب « **أبطال الجبهة** » من **رأفولف تشرشل** في كتابه « حرب الأيام الستة » ما ذكره عن نفوذ **موشي ديان** قائلا :

« كان ديان قبل مدة طويلة من تسلمه منصب وزير الدفاع يقدم نصائحه لحد من القواد، ورغم أنه كان من الناحية الرسمية مجرد شخصية مدنية فإن أحدا من القادة العسكريين لم يعترض على تدخله في أمور الجيش - وعلى سبيل المثال ففي يوم الأربعاء ٣١ مايو أي قبل يوم من تعيينه وزيرا للدفاع، التقى ديان بقائد المنطقة الوسطى وناقشا معا في القدس الخطط العسكرية، ثم انتقلا إلى مواقع للمراقبة، وهناك ناقشا التفاصيل على الطبيعة » (٣٤).

ومنذ نشأة إسرائيل يلعب العسكريون الإسرائيليون دورا بارزا في كل مجالات الحياة في إسرائيل :

● في مجال التعليم : أقام الجيش الإسرائيلي مدارس خاصة به ومدارس لتعليم اللغة العبرية للوافدين الجدد من المهاجرين .

● وفي مجال الزراعة : يقوى الجيش توزيع الشباب من أعضاء تنظيم « الناحال » العسكري على المستعمرات الزراعية على الحدود التي يتم اختيار مواقعها والإشراف عليها تماما بواسطة السلطات العسكرية .

● وفي تدريب الشباب : تتولى منظمات الشباب العسكرية « الجنان » الخاصة لأشراف الجيش تجنيد الشباب ابتداء من سن ١٢ سنة لتتمية اقماتهم بالأنواع العسكرية وتدريبهم عقائديا وجسمانيا .

● وفي مجال الصحافة : تتولى السلطات العسكرية تنفيذ قانون حرية النشر والرقابة على الصحف ويمارس العسكريون سلطات مطلقة عن طرق الرقابة العسكرية .

● وفي مجال الصناعة : تقوم المنظمة العسكرية « الناحال » بتكوين ناهال صناعي على غرار الناحال الزراعي . وتقتصر التجهيزات على الناحال القيادية للمؤسسات الصناعية ذات الأهمية الاستراتيجية الخاصة على العسكريين .

العدوان المستعمر

وثمة طائفتان الأحداث التي وقعت في إسرائيل تبين مدى النفوذ الذي تمارسه المؤسسة العسكرية وأفرادها سواء كانوا داخل الحكم وخارجها منها:

حادثة العدوان على قرية قيسية الإسرائيلية
١٥ - ١٠ - ١٩٥٣ . قامت كتيبة مشاة إسرائيلية تمارنها بطارية وغصيلة مهندسين بتطويق قرية قيسية الأردنية في السابعة ، وفتحت المنعصة بيوت القرية ثم دخلوا المشاة وغصيلة المهندسين للقيام بعملية النصف ، وأسفرت العملية عن نصف ٢١ بيتا وقتل ٤٢ شخصا وجرح ١٥ شخصا بالإضافة إلى تدمير خزان مياه القرية ، وقتل محتلتها . وهو العدوان الذي صدر قرار مجلس الأمن رقم س - ٣١٩ بتاريخ ٢٤ - ١١ - ١٩٥٣ - بدائلته .

وتوضح تفاصيل الاعتداء لهذا العدوان أن المؤسسة العسكرية قد فرضته حتى على رئيس الوزراء بالتهلة ووزير الخارجية في ذلك الوقت وهو موسى شاريت .

لقد ادعت المؤسسة لتقبل الحادث أن الأردن مسئول عن قتل امرأة يهودية وطفليها على يديهم المتسللين الفلسطينيين ، وطالبت بتعبير حملة انتقامية ، وينكر ين موسى شاريت في عام ١٩٦٥ على لسان والده أن شاريت « لم يكن مقتنعا بأن الأردن مسئول عن مقتل المرأة والطفل وبأن هذا الحادث لم يكن هو سبب العدوان (٣٥) » .

وحاول شاريت أن يثنى المؤسسة العسكرية عن القيام بحملتها « الانتقامية » خشية أن يتبعه مزيد من الرد من الطرف الآخر فضلا عن احتمالات أن يتخذ مجلس الأمن موقفا ضد إسرائيل . ولكن المؤسسة نفخت عدوانها ، ووصف شاريت الأمر في مذكراته بقوله :

« معنى ذلك أن تفرض بعض الحقائق المؤلمة في مجال السياسة الخارجية ما يكون مسئولا عنها وعن نتائجها ، بينما أنا نفسي أرفضها » (٣٦) .

قضية لافون

في عام ١٩٥٤ دبرت المخابرات الإسرائيلية عملية تخريب لبعض المنشآت الأمريكية في القاهرة والإسكندرية بالقيام بعمليات تفجير فيها ، ويصه فشل العملية الذي أدى إلى انهيار أكبر شبكة تجسس إسرائيلية في البلاد العربية ، افصح من التحقيق الذي أجرى في إسرائيل حولها ، أن العملية كانت من تنفيذ المؤسسة العسكرية ، وعلى رأسها بن جوريون وموشى ديان وشيمون بيريز على الرغم من أن بن

[٣٤] أورد مؤلفا كتاب « إطلاق الصلبة » المرجع السابق ص ٤٩

[٣٥] أيوديس ميتيل « فرق نشر، ثورة العرب في ١٩٥٥ » ص ١٩٥٨ « قتل - جنواي الحزان » ص ١٩٦٠ ص ١٥٧

[٣٦] صحيفة معرور الإسرائيلية ٢٩ ص ١٠ - ٢٩٦٥

جورجون كان وتنتز خارج الوزارة . ولان العملية قد دبرت دون علم وزير الدفاع يتخلص لافونين ، بل ان العملية كانت تهدف الى تحقيق هدفين اولهما هو التخلص من بنحاس لافون لخلافات شخصية وخلافات في منهج العمل بينه وبين المؤسسة العسكرية وثانيهما هو تحريض الولايات المتحدة الامريكية ضد نظام الحكم في القاهرة .

وتكتب هاريس (يمينه) :

« ان الاقتراح الذي يقضى بترشيح ديان لرياسة الحكومة منافسا لتشكيل يبدو غير واقعي ، بعد ان قرر مركز حزب العمل ان الوقت غير مناسب لاجراء انتخابات داخلية للمواجهة . . . والانتظار للوقت المناسب يعنى الانتظار حتى يسود جو سببي بالجمو الذي ساد في شهر يونيو ١٩٦٧ ، عندما املى ضغط الرأي العلم التغيير في المناصب العليا .

« ان هذا الوقت المناسب لن ياتى الا وقت الحرب » (٢٨)

تصلب الايديولوجية العنصرية

لقد امل الكثيرون في ان المهاجرين اليهود الذين كانوا ضحايا العنصرية النازية وناضلوا ضدها ، والذين تميزت تاريخ طوائفهم عبر قرون طويلة وفي كافة البلدان بالانحياز الى الدعوة للمساواة بين الايمان والاجناس ، سوف يكونون رسل ديمقراطية وتقاوم بين الشعوب .

وكم كتب البعض من اليساريين الاوربيين باطل ان تكون اسرائيل هي واحة الديمقراطية في الشرق العربي ، وكما استغلت الدعاية الصهيونية هذه « الامال » لترميز مخططاتها .

والواقع ان الوهم الذي وقع فيه كل هؤلاء قد نتج عن تجاهلهم حقيقة ان قيام اسرائيل فوق ارض فلسطين بالذات كان تجسيدا للفكرة العنصرية الصهيونية المرتكزة على اساطير غلاة المتصبيين وشمارهم في العودة الى ارض اليعاد . مما دفع بالفكر الصهيوني الى الاستشراء والسيطرة شبه الكاملة على المجتمع الاسرائيلي ، والحقيقة انه ليس من عامل يدفع بفكرة الى التفشى والسيطرة مثل ان تتجسد كواقع مادي ولو كان مؤقتا . ولذا لم يكن غريبا ان تكون افكار العنصرية ، والتي تصب في الدني وتحميد العنف ، والتفوق الازري ، هي مكونات الايديولوجية المسيطرة على المجتمع الاسرائيلي ،

ومع ان اللجنة الوزارية التي تشكلت للتحقيق ، ولجنة تحقيق اخرى من اساتذة الجامعات لم تنس لافونين عن مسئولياته ازاء العملية ، واثبتتا تزوير مخابرات الجيش ، فان المؤسسة العسكرية استطاعت فرض اراءها واخراج لافونين من الوزارة ثم اتصلاه من منصبه كمسكتر عام للمستودات ، مما اكده البذور الذي يلعبه العسكريون في اسرائيل ويمارسهم لعمليات تتعلق بالسياسة الداخلية والسياسة الخارجية بتوجيه من بن جورجون في فترة كان فيها خارج الحكم ، وقدرتهم على التخلص من منافسيهم في الاتجاه والرأي مهما كان ثقل الشخصية المعارضة لهم في الدولة .

وهكذا توضح دراسة هذه الاوضاع العسكرية الاسرائيلية انه :

اولا : لقد نجحت اسرائيل في بناء جيش حديث حسن التدريب ومزود بأحدث الاسلحة ، الا ان هذا قد تم من خلال التلاحم الاضيق مع الصهيونية المالية والبريالية الدولية خاصة مع تشدد دولها وعدوانية الامر الذي فاقم من اتجاهات اسرائيل العدوانية بعد ان تلتص بها - الى جانب رعاية امنها - وكونها قاعدة لتحقيق الاحلام الصهيونية في المنطقة - ان تلعب دون الانكشاف الجديرة رعاية للمصالح الاستعمارية عامة في المنطقة .

ثانيا : لقد تباين دور المؤسسة العسكرية في اسرائيل واخذ نفوذها يتزايد بكيفية مضطربة . والمهم في الامر هنا ، ان اتزان هذه المؤسسة الذين تربوا في احضان الجيوش الاستعمارية يجدون ان مصالحهم وتطلعاتهم تتيج لهم الإبقاء على حالة التوتر الدائم على حدود اسرائيل ، كما يجدون ان تالقم مرتبط بتمسكهم هذا بالتوتر ، ولا تخفى المسحاة الاسرائيلية بمنتصف اتجاهاتها هذا الامر .

تقول مجلة هاعولام هازيه :

« ان ديان يدرك جيدا انه لا يستطيع ان يتغلب

وطن تومي اليهود .. دولة يهودية .. وطن
للـيهود التاريخي .. محور يهود العالم ...

ان هذا المفهوم النرجسي من اساسه ادنى عنقبيديه
فى دولة اسرائيل الى وصع شاذ شديد الشذوذ ،
يماضى المصر وحركة التاريخ .

(١) دولة دينية : فيها الدين اليهودى اسس
التشريع الذى يحكم بين المواطنين . والمعهد
القديم مبدا التعميم فى المدارس . ترتب عليه -
مثلا - أن زواجا محتظا بين اليهود وغير اليهود
شئ يستحيل داخل اسرائيل ، ولا يمكن ان
يعقد الا فى خارجها ، ولا يعترف بزيجته
الا بتقديرات عجيبة . وقد نشرت جريدة « هاعوام
هازيه » الاسرائيلية فى ٢٧ - ١١ - ٦٨ الخبر
اتالى ، « رفع الرائد بنى تسليط » ٢٢ سنة
من الصلاح البحرى دعوى امام محكمة العدل العليا
ضد وزير الداخلية وموظف تسجيل الانفس فى حيفا
لرفضهما تسجيل ابنه كيهودى حسب قوميته (كذا)
حيث أن زوجته مسيحية من إنجلترا .

كما ادى ذلك الاساس المتعصب الى تصرفات
للحكومة الاسرائيلية - عند احتلالها القدس والخليل -
اكثر امتناعا لا العرب فقط بل والمسيحيين فى
المسلم اجمع . وقد حاول البابا الوصول الى لوزاخ
تعتمر فيها المقدسات المسيحية فى مدينة القدس
- منحا ارسل بنحوب المونسنيور اتجيلو فلتش
الى اسرائيل - ولكن دون نتيجة .

(ب) دولة عصرية : لان اليهودية فى نظر
الصهيونيين والدوائر الاسرائيلية الحاكمة تعنى
حقولها تاريخية خاصة ، لاتاس من نوع خاص ،
ومن سلالة معينة ، على ارض فلسطين بصرف النظر
عن سكانها العرب .

فى اجتماع اللجنة للتنفيذ الصهيونية الذى
عقد بالقدس من ١٦ - ٢٢ مارس ١٩٦٤ قال الدكتور
ن « جولمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية :

« يشكل الشعب اليهودى شخصية تاريخية فريدة
من نوعها انه شعب ، وديانة وعرق ، وحمل مدنية
خاصة . ولا يستطيع اى تعريف ، من التعاريف غير
اليهودية للشعب والامة والديانة ، ان يحدد بدقة هذه
الظاهرة الخاصة التى تسمى للشعب لليهودى فى
التاريخ ... وتميزه على امس ، كونه شعبا عالميا ،
كونه مرتبطا بأرض فلسطين ، وكونه - من ناحية
تاريخية عامة - أشد الفرق فى عهدها فى تاريخ

العالم ؟ لدينا لن تحارب العالم غير اليهودى وجهها
لوجه ... وحتى فى الطائفة اليهودية ذاتها من اجل
حقنا فى العيش كاتلية مميزة كاتلية غير متماثلة مع
اى نظام وفى اى قطر - علينا أن نوجه الشعب
اليهودى فى جهودنا ونضالنا من اجل حقنا النوعى
لنقى ذلك الشعب اليهودى كما كنا خلال آلاف
السنين ، كضرب موح حول مركزنا اليهود فى
اسرائيل » (٣٩) ...

وتستهدف الحركة الصهيونية جميع هؤلاء
النفس فى مكان واحد وهم ليسوا مواطنين من
جنسية معينة او قومية معينة لانهم ملتزمون فى
هذا المكان ، بل لانهم سيقبسون فيه ، لانهم من
سلالة ما ، ومن عرق ما ، ومن اصول تاريخية ما .

وفى أغسطس ١٩٤٩ سرح بن جوريون لوفد
من الصهيونيين الامريكان :

« على رغم أننا حققنا حلمنا باقامة دولة
يهودية .. فلسنا سوى فى بداية الطريق فلا يوجد
اليوم غير ١٠٠٠٠٠ يهودى فى اسرائيل ، فى
حين أن الجانب الاكبر من الشعب اليهودى مازال
فى الخارج ... وان مهمتنا القادمة ان تكون
أسهل من خلق الدولة اليهودية .. فهذه المهمة
عبارة عن جلب جميع اليهود الى اسرائيل .. وتعلون
كم كلن صعبا أن تأتى الى هنا بس ٢٠٠٠٠٠ ،
بهاجر ونستوعبهم . ونحن مصممون على الاتيان
بملايين أخرى منهم ، ولنا مآكد من أننا سنأتى
بهم » .

وقد نشر فى فرنسا كتاب مؤلفه ن « آرون
بعنوان « ديجول واليهود واسرائيل » تقتطف منه
العبارات الانية التى اوردتها جريدة ليونف
الفرنسية بتاريخ ١٢ - ٤ - ١٩٦٨ :

« ان اليهودى الذى فقد ايمانه (الدينى)
يظل يهوديا ، غير أنه يتسائل من معنى هذا
اللفظ .. واليهودى لا يستطيع أن يكون غير مبال
بمسير اسرائيل حتى ان فقد ايمانه (باليهودية) ،
وان اليهودى الذى يشتم بالاولاد السيلسى ازام
اسرائيل ينفى أن يتطابق تصرفه مع بشاشره
اى ان يهاجر الى الارض المقدسة » .

وكتب مجدلاى :

« اذا لم يكن اليهود يهيمون من الانفراد

يشتركون في نفس الاعتقادات اللاهوتية فتتأثر
بل شعبا ذا رمي تاريخي خاص - وهذا
ما يعتقدونه عن انفسهم - فحينئذ يصبح الارتباط
بالارض (اسرائيل) جزءا من العمليات المباشرة
لومهم التاريخي ولذايتهم الدينية والقومية» (٤٠) .

ورغم ان كل حقائق العلم والتاريخ اكدت انه
لايوجد مايسمى «بالعصر اليهودي» ، فلقد قامت
اسرائيل - باعتبارها دولة لليهود - وينص قانون
المودة الذي يحمل رقم ٥٧١٠ لسنة ١٩٥٠ على
استعداد اسرائيل الفوري لقبول القادمين اليها
من اليهود ، في جنسية اسرائيل ، في نفس
اللحظة التي تطا فيها اقدمهم ارضها .

« ويتضمن هذا القانون حكيم لاسيسين أولهما :
ان كل يهودي ايا كانت سنه له حق المودة الى
اسرائيل كهاجر ويسمونه بالعبرية ~~OR-III~~

وتتبعها : ان كل يهودي يكون قد هاجر الى
اسرائيل قبل العمل بهذا القانون ، وكل يهودي
يولد فيها ، سواء قبل العمل بهذا القانون أو
بعده ، يكون شعبه شأن القادم مستقبلا من
المهاجرين . والجديد الذي لا نظير له في أي قانون
للجنسية في العالم ان منح الجنسية الاسرائيلية
لليهودي الذي يهاجر الى اسرائيل مقرر له في
أي وقت « وغير محدد بأي قيد زمني في
المستقبل » (٤١) .

ويرتبط بالحصارية توأما وهو التمييز ، وعلى
سبيل المثال ، فغلى التقيض من نصوص « الترحيب »
التي يميز بها « قانون المودة » بإزاء اليهود ،
يختلف الموقف تماما بإزاء غير اليهود من الرعايا
ال فلسطينيين ، وهم اصحاب البلاد الحقيقيين .

يقتل قانون الجنسية الاسرائيلي من أي عربي
حق في اسرائيل لكي يتمتع بالجنسية الاسرائيلية
شرطا ثالثا :

« ان يكون في أول مارس ١٩٥٢ مسجلا كمقيم
طبقا لقانون تسجيل السكان الصادر عام ١٩٤٩ ،
وأن يكون مقيما في ١٤ يوليو ١٩٥٢ تاريخ بدء
العمل بقانون الجنسية » وأن يثبت فوق كل ذلك

اقامته خلال السنة من ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، الى
١٤ يوليو ١٩٥٢ ، (٤٢) .

وموقف الصهيونية ودولتها من العرب لا يفسره
فقط وجود علاقات عدائية مؤقتة ، بل يعود أساسا
الى نظرة خاصة للمنظمات الصهيونية ، وقاتها ازاء
العرب نظرة استعلاء وكراهية عرقية .

« يكتب موسى ابو سليمان مؤرخ حياة بن
جوريون عن ثورة بن جوريون على تشغيل اليهود
للعمل العرب فيقول :

« وقد رأى بن جوريون فوراً خط هذا على الفكر
القومي » يكتب يقول : « ان اغنياء بتاح تكفاه اليهود
يهربون الفلاحين (العرب) الى المستعمرات
الجديدة » « فأنشد ضد هذه السياسة ، منذ الايام
الاولى لسيرته ، وأصر على أن المستعمرات سوف
تزدحم بالعمل العرب المستغلين اذالم تتمكن الحركة
العملية اليهودية من تأكيد حقوق المهاجرين اليهود
في العمل بالمستعمرات مقابل أجور عادلة » (٤٣) .

ويشهد مجدلاي :

« حيث ان اسرائيل تقدم توسعها لا كعملية
استيلاء ، بل باعتبارها عودة بسيطة لسكان الى
منازلهم ، فانها تجعل العربي بطبيعة الحال
محتلا يجب طرده ، وتصول الاستيلاء على
ممتلكاته الى عملية تحرير » (٤٤)

بينما يقول بير ديستريا :

« ان مصالحهم اي (الاسرائيليين) بالنسبة
للسويس كانت تنبع من رؤية تاريخ الشعوب
العربية وتطورها ومشارها . . ففي ذهنهم لم
يكن العرب الا « سكنا » ، اي نوعا من القواف
دون تملك ، طابعها الامية ومصيرها التسول ،
وعليها ان تعترف ان كل الناس في الغرب كانوا
يتصورون الامر بنفس الصورة ، كمولد كبير أو
اصوات ربيع - اتنه كاريكاتير الشرق ،
لاحقيقته » (٤٥)

وفي تقريره المسمى « الحقيقة عن فلسطين »
كتب آحاد هاعام منذ ١٨٩٨ :

Maljalanz: «Israël et les Socialistes Arabes,

١٩٦٩ ، ٥ ، ٢١ ، مقال في جريدة الاحرام ،

« ٤٠ »

« ٤١ » جمال العطفي ،

« ٤٢ » المرجع السابق

« ٤٣ » نفس المرجع السابق

« ٤٤ » مجلة « الآونة الجديدة »

« ٤٥ » بير ديستريا ،

« ٢٩٠ » ، المرجع السابق ، « ٢٩٠ » ، المرجع السابق ، « ١٥٢ » ،

« أننا نعتقد أن العرب جديماً متوحشون يعيشون مثل الحيوانات ولا يفهمون ما يجري في العالم ، غير أن هذا خطأ كبيراً » .

على أساس من هذه المفهومات ارتكب الصهاينة كل جرائمهم ضد السكان العرب التي سنعرض بالتفصيل لها في الباب الأخير من الملف .

وعلى أساس هذه المفهومات أصبحت قوانين الطوارئ ، التي وضعها سلطة الانتداب ، وصب عليها المحايون اليهود جام غضبيهم حينئذ : فوصفها **مناهج دونكيلوم** في مؤتمر نقابة المحامين في ١٩٤٦/٢/٧ (والذي أصبح فيها بعد رئيساً لمحكمة العدل العليا في إسرائيل) بأنها « انتهاك للقانون والعدل والفضاء » ، ووصفها **د. دوف يوسف** (وزير القضاء فيها بعد) بقها « اهراب ذو ختم رسمي » ، ووصفها **شعشون شسيرا** بأن « الحكم الذي اقيم مع نشر هذه الانظمة لا يمثل له في أي بلد متحضر ، حتى الملقيا النازية . لا توجد فيها مثل هذه القوانين » ، واتخذ المؤتمر بإزائها قراراً يقضي بأن هذه « الانظمة تقوض أسس القانون والفضاء ، وتشكل خطراً شديداً على حرية الفرد وحياته » .. نقول أن هذه القوانين ، التي كانت حراماً ، سرعان ما تحولت الى حلال تتبعها دولة إسرائيل ، وتخص بها المواطنين العرب الذين بقوا داخلها .

« وفي هذه المرة التزم جمهور المحايين الصمت عنديا بقيت هذه الانظمة جزءاً من القانون الاسرائيلي ، ولم ينس انسان بيئت شفة عندها استخدمت هذه الانظمة للباس بحقوق عرب اسرائيل الاساسية » (٤٦) .

وتذكر مجلة [نيو آوت لوك] الإسرائيلية في عدد يناير ١٩٦٦ أنه :

« في دراسة اجراها لحد اساقفة علم الاجتماع في إسرائيل على طلاب الدراسة الابتدائية خرج منها بالنتيجة التي تقول أن ٦٠ ٪ من بين ١٠٦٦ طالباً قابلهم تتراوح أعمالهم بين ٩ - ١٤ سنة أيذا الانهاء الكلى للسكان العرب الدخنيين

المقيمين في إسرائيل في تحسلة تشوب صراع مسلح مع الدول العربية . »

كما ينعكس المفهوم الصهيوني المتعالي بازاء التشوب العربية على السياسة الخارجية الاسرائيلية تجاه الدول العربية . فيذكر ايدلمان **ان بن جوريون** كان يعتقد ان الدول العربية ستحترم سيادة إسرائيل اذا كانت هذه الدولة نفسها تجبر على الاحترام .

وتفكر جريدة **التايمز** اللندنية « ان إسرائيل تريد استخدام القنبلة النووية كحجة قوية في الحديث مع البلدان العربية » (٤٧) .

وعلى أساس من هذا المفهوم ، ترسم وتطبق السياسات الاسرائيلية من « الردع » و « الانتقام القومي » و « اجبرل السرب على التفاوض بالقوة » .. الخ من مصطلحات السياسة الاسرائيلية اليومية .

الدعوة للحرب وتمجيد العنف

ويرتبط بالعنصرية واستغلال الدين تهجيد العنف والدعوة للحرب كطريق لحل المشاكل وبشخص القادة الصهاينة بالحرب كحجية لا مفر منها .. يقول **جايتسكي** :

« عليكم أن تحفظوا بالسيف لأن القتال بالسيف ليس ابتكاراً ألمانيا بل أنه ملك لأعدائنا الأوائل . أن التوراة والسيف انزلا علينا من السماء » (٤٨) .

ويقول **مناheim بيجن** :

« أنا احارب لأننا موجود » (٤٩) :

« كن أخى والا سالتك » (٥٠) .

ويقول **بن جوريون** :

« ان الوضع في فلسطين لا يمكن أن يسوء الا بالقوة العسكرية ، الحرب حرب . وبالتالي فان عودة العرب الي بقا ليس طلباً وانما خطيئة كبرى » (٥١) .

[٤٦] **أطون روينشتاين** - جريدة **هآرتس** - ١٧ - ٢ - ١٩٦٧

[٤٧] **تاييز** - ٢ مايو ١٩٦٧

[٤٨] **شمشون جوزيف** : « **مقالاتي** تستلهم **جايتسكي** ، السنوات الأخيرة »

[٤٩] **نيويورك آيس برنر وشركاه** ١٩٦١ - ص ٢٨٢

[٥٠] **سليمي كريستوفر** - **المرجع السبليل** - ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٨

[٥١] **المرجع نفسه** ص ٢٩٢

ثم يؤكد :

« أن إسرائيل لا يمكن أن تعيش إلا بالقوة وال سلاح » (٥٢) .

ومرة أخرى :

العرب عن القتل ما تنبأه إسرائيل لتسليح حدودها » (٥٦) .

ويدافع عن العدوان الإسرائيلي على قرية السموع الأردنية قائلا :

« أن إسرائيل قد لجأت الى القوة في السموع بصورة مبررة » (٥٧) .

وفي ٩ يونيو ١٩٦٦ كان الكنيست الإسرائيلي، السلطة التشريعية العليا ، يمدد الستار على مسرحية مروض السلام التي تزعمها أبا إيبان عندما رفض بأغلبية ٤٢ صوتا ضد ٥ أصوات وامتناع ٣٢ من التصويت مشروع قرار يقول : « إن الكنيست يؤمن بالسلام كحل وحيد للنزاع العربي الإسرائيلي ويناشد الحكومة أن تعمل بهذه الروح » (٥٨) .

تصدى المجتمع الدولي

ويقترن بالدعوة الى الحرب وتبجيد العنف ازدهار لا مزيد عليه ، فكرى وعملى ، للمجتمع الدولي ولهيئاته ، وعلى رأسها الأمم المتحدة ، وثقة بالقدرة على استغلاله والتأوره عليه .

ولقد ظل الموقف الصهيوني العام تجاه المجتمع الدولي والامم المحذقة ينطلق من مفهوم « **جورجون** » الذي أورده موريس اينديلمان مؤرخ حياته حيث يقول :

« كان **بن جوريون** يشعر ان النية الدولية الطيبة لا يمكن أن تتحقق الا بان تبرهن اسرائيل بأن لديها القوة والتصميم على ضمان بقائها » (٥٩) .

وتزيد جولدا مائير الامر جلالة عندما تعلن :

« جازا لقرار لا يناصرنا ؟ الواقع ان القرار ليس مفرمة تقدر على ان تطلق النار علينا » فنحن نحمل موقع قوة » (٦٠) .

« **لقد اقتنعت بأن الحرب مع العرب حتمية** » وقد عبرت عن وجهة النظر هذه باسم أعضاء الحكومة الى الكنيست في اوائل يناير ١٩٥٦ وقتلت بان علينا ان نوجه نداء الى الامة ندعوها فيه الى اتخاذ جهد تطوعي مركز لتقوية قدرتنا العسكرية ورفع الروح المعنوية لتحصيننا على الحدود ولضبط اقتصادنا » (٥٣) .

أما **موشي ديان** الذي تنهى مرة بأن الحرب هي افضل وأخيرة يكسبها الانسان في حياته، فيصبح لمسيحية **هاآرتس** الإسرائيلية في عام ١٩٥٥ :

« يجب ألا نضيع دقيقة واحدة من الوقت .. يجب أن نستعد لهجوم خاطف نشنه على أمداننا وعلينا أن نساب لأن هذه المسركة قادمة حتما » (٥٤) .

وإذا كان هذا هو صوت من يسمونه « **بالسكور** » في اسرائيل فإن حائلها لا تقل شراسة .

يقول **موسى شاربوت** في اجتماع حزب الماباي في سنة ١٩٥٥ :

« اننى تصيح الحكومة ان نعلن الحرب على العرب لأن هذه الفرصة هي اكبر فرصة مناسبة لتحقيق حلم طالما راودنا . والا فانه يصبح من الصعب مع مرور الوقت سحق قوة العرب » (٥٥) .

أما **أبا إيبان** فهو يعلن :

« أن سياسة المواجهة الباسرة لجيراننا

[٥٢] المرجع نفسه ص ١٢١
[٥٣] بن جوريون : « اسرائيل سنوات التحدي » - المرجع السابق ص ٢١١
[٥٤] هآرتس - ١٠ - ٧ - ١٩٥٥
[٥٥] جيزوراليم بوست - ١٩٥٠ -
[٥٦] صحيفة جيزوراليم بوست - ١٥ - ١٢ - ١٩٦٦
[٥٧] صحيفة جيزوراليم بوست - ٨ - ١٢ - ١٩٦٦
[٥٨] جريدة هانولام هازيه - تل أبيب - ١٠ - ٦ - ١٩٦٦
[٥٩] موريس اينديلمان : « بن جوريون » - المرجع السابق - ص ٤٠
[٦٠] جولدا مائير يمد صوتها من الفورة غير الصانحة لجمعية الامم المتحد سنة ١٩٦٧.

ولقد كتب برنارد لويس قى تعليقه على نتائج حرب يونيو :

« ان خبرة السنوات العشرين الماضية قد علمت اسرائيل ان بقاء اسرائيل يعتمد على كفاءتها الحربية ، وان على اسرائيل الا تمتد على الامم المتحدة » (١١) .

ولقد خرج قادة اسرائيل على ابداء استهانتهم الدائمة باى قرار للامم المتحدة لا يكون فى مصلحتهم . فعلى اثر صدور قرار مجلس الامن بادانة اسرائيل فى ٩ ابريل ١٩٦٢ « بسبب عدوانها على سوريا » اجتمع الكنيست الاسرائيلى فى اليوم التالى ، واصدر قرارا استنكر فيه قرار مجلس الامن ، ورفضه جلسة وتقضيلاً ، واعتبره ظلماً ومشجعاً للمسدون فى الشرق الاوسط ، وايد بسوقف الحكومة الاسرائيلية وسياساتها القاتلة على « الرد المتسلسل » او « الرد بالمثل » (١٢) .

وفى ١٨/٦/٦٧ صرح ايسا ايمان لجريدة الاونيفرسل البريطانية انه حتى لو تم التصويت فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ١٢ صوتاً ضد صوت واحد لتأييد انسحاب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة فان اسرائيل لن تلتزم بهذا القرار .

وفى ٢/٧/١٩٦٧ ادلى اسرائيل جيللى وزير الاستعلامات بنصريح يقول فيه ان اى قرار تصدره الجمعية العامة « يتجاهل امن اسرائيل » سوف يكون قراراً غير اخلاقى ولن تلتزم به اسرائيل ، وان اسرائيل لن تقسح بدون مفاوضات صلح .

والواقع ان الدولة الصهيونية قد ظلت منذ انشائها فى شبه حرب دائمة ضد المنظمة الدولية وقراراتها منذ انشائها حتى اليوم . فبالاضافة الى قرارات ادانة اسرائيل بعدعدوان ١٩٦٧ اصدرت الامم المتحدة ملين مالم ١٩٤٨ حتى ٢٥ - ١١ - ١٩٦٦ سبعة عشر قراراً بادانة اسرائيل بالعدوان على الدول العربية .

وفى كل مرة ، كان الرد الاسرائيلى ، علبيا ، هو المزيد من الاعتداءات ، وفكريا ، هو ما عبر

عنه المتحدث الاسرائيلى تعليقا على قرار مجلس الامن بادانة المدعون الاسرائيلى على مطار بيروت اللينائى بقوله :

« ان التتيد بهذا العمل لم يكن مفاجأة لاسرائيل ، اننا نفصل ان يوجه اينا الدولم على ان يقدم لنا الغزاء » (١٣)

ويتلور الموقف الاسرائيلى من الامم المتحدة وقراراتها فى قضيتى اللاجئين والقدس :
فبالنسبة للاجئين : فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ اصدرت الامم المتحدة قرارها رقم ١٩٤ . بشأن عودة اللاجئين العرب الى ديارهم والذى ينص على « المادة ١١ : .. السماح للاجئين الذين يرغبون فى العودة الى ديارهم بالرجوع اليها فى اقرب وقت ونفع تعويضات فى مقابل اهلاك الذين قربوا عدم العودة » . وقد اصادت الامم المتحدة التأكيد على هذا القرار خمسة عشر مرة .

وكان الرد الرسمى لوزارة الخارجية الاسرائيلية فى ٢٨ يوليو ١٩٤٩ . والذى ظلت عليه هو « ان المساعدة لا يمكن ان تصاد الى الراء .. ان عودة اى لاجئ عربى الى مكان اقامته الاصيلة هى شئ مستحيل » (١٤)

وبالنسبة للقدس : فلها قصة اخرى % تظهر تحدى الصهيونية للجمعية الدولية من ناحية ، ومحاولتها المتكررة للمناورة عليه من ناحية اخرى .

فى البداية كان هرتزل يكتب فى ٧-١٨٩٦ :
« جاء فيولنسكر ليزورنى وكنت قد اتصلت به تليفونيا واطلمته باختصار على تطورات القضية % اخبرنى انه قرأ كرامستى قبل ذهابه الى التسطنطينية وتحدث منها مع السلطان » وان السلطان قال انه لن يتخلى ابداً عن القدس %

« يجب ان يلقى جامع هموم بين المسلمين دائما ، قلت له : مستحيل هذا الامر » . مستحيل القدس خارج حدود الدولة . وبهذا لا تكون لاحد وحده وتكون للجميع فى الوقت نفسه % المكان

[٦٦] برنارد لويس : مجلة الشؤون الدولية الامريكية ، يناير ١٩٦٨

[٦٧] جيزوا ميم بومست - تل ابيب ١٠ - ٤ - ١٩٦٧

[٦٨] جريدة الجمهورية - القاهرة - ٢٩ - ١٢ - ١٩٦٨

[٦٩] الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وثيقة رقم ١٣٦٧ - الملق الرابع - الفصل الثالث القسم ٥ ، الفترة الاولى

المقدس الذي يمتلكه كل المؤمنين ؟ بلد الثقافة والاخلاق المشتركة » (٦٥) .

وفي أول اتصال رسمي له مع المندوبين الأتراك ، وكان مع جلاويد بك الصدر الاعظم كتب يقول :

كانت معارضاته ما يلي ، مصير الإمبراطور المقدسة . قال : ان القدس يجب ان تظل تحت الإدارة التركية ، لان أي تغيير في ذلك سيؤدي إلى مشاعر الناس الدينية . فوعده ان تبقى القدس خارج حدود الدولة لان الإمبراطور المقدسة التي تخص العالم المتدين يجب ان تكون للجميع وليس لأحد بالذات . وفي النهاية لابد ان نقدر على ابقاء القدس على حالتها الراهنة (٦٦)

ولكن ... مع تطور مركز القوة الذي كان يحمله الصهيونيون ، وفي مواجهة سبع قرارات لهيئة الأمم ومجلس الأمن بخصوص المدينة المقدسة كان المطمح الصهيوني يظهر على حقيقته ويسفر عن وجهه شيئاً فشيئاً .

في البداية أنشأ المهاجرون اليهود مدينة « القدس الجديدة » لمسق المدينة المقدسة .

وعند صدور قرار الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/١٩ بتحويل منطقة القدس ، وعلى الرغم من إعلان القادة الصهاينة عن موافقتهم الظاهرية على القرار ، سارعوا إلى احتلال المواقع الاستراتيجية من المدينة وخاصة تلّة القسطة .

وفي ١٩٤٩/١٢/١٣ قاموا بنقل بعض الوزارات إلى القدس المحتلة وأعلنوا اتخاذها عاصمة لهم .

وفي ١٩٦١/٢/١٧ قاموا باحتلال أسلحة ثقيلة إلى القدس ، وفي ١٩٦٥/٥/٢١ دخل الجنود الإسرائيليون المنطقة المجردة من السلاح في القدس . وفي ١٩٦٦ قامت إسرائيل بعرضها العسكري الكبير في المدينة المقدسة ، وفي كل مرة كان مجلس الأمن يصدر قراراته بإدانة إسرائيل دونّ جنوى ..

أما عندما استطاع الصهاينة بعد حرب يونيو

الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩

صدر هذا الكتاب ، في ١٧ مايو [أيار] ١٩٣٩ . جابلا عنون [بلاغ رسمي رقم ٢ - ٣٩] وقد أصدرته الحكومة البريطانية عقب فشل المحادثات التي أجرتها في مطلع عام ١٩٣٩ مع وفود الحكومات العربية ووفد شعب فلسطين من جهة ، ووفد الوكالة اليهودية من جهة الأخرى .

وقد تضمن الكتاب الأفكار وعدا من الحكومة البريطانية بتشكيل حكومة فلسطينية مستقلة ، خلال عشر سنوات ترتبط بمهادنة مع بريطانيا . وأن يشترك العرب واليهود في تلك الحكومة بنسبة عدد السكان من كل من الفريقين .

وسمح الكتاب للأبنياء بهجرة يهودية إلى فلسطين بما تسمح به قدرة الاستيعاب الاقتصادية للبلاد ، ويحث لا تزيد نسبة اليهود عن ثلث سكان فلسطين ، فيقبل - بذلك - إلى البلاد كل عام - وادة خمس سنوات فقط - ١٠٠٠ لاجئ يهودي . وبعد انتهاء فترة السنوات الخمس تتبع الهجرة اليهودية بما يأتى مع تنفيذ انتقال الأرامى لليهود ومن المعروف أن إنجلترا اقيمت على إصدار هذا الكتاب في محاولة منها لوقف الثورة المسلحة التي كانت قد نشبت في فلسطين واستقرت من ١٩٣٦ - ١٩٤٠ . وحتى تمكن إنجلترا من التفرغ للقارى ، بعد أن أخذت تلح العرب المأية الثابتة في التجمع في سماء أوروبا آنذاك .

١٩٦٧ الاستيلاء على المدينة المقدسة بأكملها فقد أصبح السفور الصهيونى على أوضحه .

وعند حائط البكى بالقدس القديمة فقد ديان مؤنبرا صحفيا أعلن فيه :

« لقد عشنا إلى اورشليم وإن نغادرها أبداً بعد اليوم » (٦٧) .

وأعلن ليفي أشكول :

« لن نخلى عن سياننا على ماصمتنا (٦٨)

وصرح دافيد بن جوريون لـ مجلة أسيرسو الإيطالية :

[٦٥] يوميات هرتزل في الرجوع السفور - ص ٣٤٥ ، ص ٣٧١

[٦٦] نفس المصدر السابق

[٦٧] جريدة واشنطن بوست - ٨ - ٦ - ١٩٦٧

[٦٨] جريدة الإبراهيم - ٢٢ - ٩ - ١٩٦٨

« أن إسرائيل متسعدة لأن تترك كل قطعة من الأراضي التي احتلتها بما عدا القدس وغزة » (٦٩).

ويحكى دايفيد بربليس جون مراسل جريدة « اسبكتاتور » البريقلية لمحلل « بمدينة الثقافة والأخلاق المشتركة » فيقول :

« أما في بيت المقدس فقد ارتكبت قطع لمسيب اخلاء المنازل في الحي اليهودي وهدم البيوت لتوسيع الطريق القروي الى حائط ليكي » (٧٠) .

ويؤكد تقرير جامعة الدول العربية المقدم الى لجنة التحقيق الدولية لحقوق الانسان ان اسرائيل صادرت ١٠٢٣ منزلا و ٣٧ متجرا في القدس وحدها .

وفي ١٩٦٦/٩/٢١ اقتصر الاسرائيليون جريتهم البسمة بالحرق المسجد الأقصى خطتهم لتهود المدينة المقدسة .

وإذا كان هذا هو موقف الدولة الصهيونية من قرارات الأمم المتحدة فإن رجالا إلى الهيئة الدولية بنجوا من ارباب المنظمات الصهيونية والدولة الاسرائيلية نفسها .

في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ قتلت عصابة شترن الكونت فوفك برنادوت الذي كان أول شهيد للأمم المتحدة منذ انشائها ، وذلك على اثر تقريره الذي قدمه الى الجمعية المسلمة من مبعثه في فلسطين وذكر فيه « أن العرب يعدون اليهود محتجين ، ويقولون ان اقلية سكان فلسطين من العرب ، وأن فلسطين منذ عدة قرون . وما دامت هذه هي وجهة النظر العربية فلا يمكن اقامة أية تسوية على امس قوية الا اذا ادركت الأمم المتحدة والدولة اليهودية هذه الحقائق » (٧١)

ولقد اعلن الزعماء الصهاينة في اسرائيل أنهم قبضوا على الجناة وأنهم تحت الحراسة المشددة . ولكن لم يرض اسسبوها حتى لنوع تارة أنهم «هربو» وأخرى أنهم قد لرج عنهم بحجة كونهم غير متجنين بقواهم العقلية ، بما جعل مجلس الامن يدين اسرائيل « لعدم التحقيق في حادث الاغتال » في ١٩ - ١٠ - ١٩٤٨

وفي عام ١٩٦٧ وبينما طائرة الجنرال ريكى قائد قوة الطوارئ الدولية البيضاء اللون والميزه بعلمة الامم المتحدة تطير في طريقها من العريش الى غزة ، قامت طائرتان حريبتان اسرائيليتان بمطاردها غرب خط الهدنة - وحاولتا اجبار طائرة الامم المتحدة على الهبوط على شرق خط الهدنة : في الجانب الاسرائيلي : مطلقين عليها النار « للتحذير » . الا ان الطيارين بنساء على تعليمات مندوب الامم المتحدة استطاع الاقلاق والانتلاق بطائره الى غزة .

وقد قدمت الامم المتحدة احتجاجا لاسرائيل على هذا العمل العدواني وفي نفس العام أطلقت القوات الاسرائيلية نيرانها على توات الطوارئ الدولية ، وقتلت عددا من جنود الفرقة الهندية وقناصها . وقدمت الامم المتحدة وحكومة الهند احتجاجا عنيفا لدى حكومة اسرائيل تطالب فيها بالتحقيق ومعاينة المسؤولين ودفع التعويضات المناسبة ، ولكن دون جدوى . وبشكل دائم ، اتخذت السلطات الاسرائيلية موقفا عدائيا بازاء هيئة الرقابة الدولية التابعة للامم المتحدة والمكثفين بالاشراف على تنفيذ هدنة ١٩٤٩ .

لقد « كانت ترفض السماح للراقيين الدوليين بالكشف عن بعض المواقع التي انطلق منها عدوان اسرائيليين معينين » (٧٢) . « كانت تمنعهم من التوصل بحرية في المنطقة المجردة » (٧٣) . « في المناطق التي تحتلها القوات الاسرائيلية » (٧٤) . « كانت تتجسس على هيئة الرقابة الدولية في فلسطين ، وتطلع على ملفاتها وبياناتها السرية مستصلحة من اجل ذلك وسائل وتسليح غير مشروعة » (٧٥)

ويخصص الكوندور هفتسنسون رئيس لجنة الهدنة الاردنية الاسرائيلية المشتركة ، منذ صيف ١٩٥٣ حتى نوفمبر ١٩٥٤ الفصل الثاني عشر من كتابه « الهدنة الدامية » تحت عنوان « اسرائيل ضد الامم المتحدة » ، لمرض موقف السلطات الاسرائيلية من مراقب الامم المتحدة والعمليات المسمورة التي شنتها ضدهم لرفضهم الانحياز لها والتضيق على دعاويها .

[٦٩] جريدة واشنطن بوست - ٨ - ٦ - ١٩٦٧

[٧٠] جريدة الاهرام - ٢٣ - ٦ - ١٩٦٦

[٧١] جريدة الاهرام - ملحق العدد الصادر في ١٧ - ٥ - ١٩٦٩

[٧٢] بيرتز ، جنرال ي. ل. م. « بين العرب والاسرائيليين » لندن - جورج هاراب وشركاه - ١٩٦٢ - ص ٥٥

[٧٣] هفتسنسون ، ٥٠١ « للهدنة الداخلية » ص ٧٩

[٧٤] وقد ورد لدى الامم « هيرز كوكوتيل ليرى رئيس منظمة لجنة الهدنة السورية الاسرائيلية المشتركة ونشر في

يناير ١٩٦٦ - بيرتز - المصدر السابق - ص ٥٥

[٧٥] انظر الفصلين الثامن والتاسع من كتاب جنرال كارل فون هورن « مهمة عسكرية من اجل السلام » للوصف التفصيلي

لعمليات التجسس

ايدولوجية التفوق الاوروي

اسرائيل فان الصهيونية تقدم اسرائيل للغرب على انها جزء منه تتجسد فيها حضارته في مواجهة العرب . ولذا فليس غريبا ان نجد ذلك الالتفاف الواسع للقوى البيئية المتطرفة واصحاب الاتجاهات الفاشية وحتى ممن كانوا منهم نوى اتجاهات أصيلة معادية للسامية يتبنون قضية اسرائيل ويقفون الى جوارها ضد العرب .

واخيرا وليس آخرا - فان اسرائيل وقد قامت على يد غزاة من يهود اوربا اساسا كان لا بد وان تكون مرتكلا للسلح الايدولوجي التقليدي للاستعمار ، الا وهو « التفوق الاوروي » و « الرسة التاريخية لاوروبا في تحضير البشرية » .

هكذا ، فان الراى العام الاسرائيلي قد سمته الدعاية الصهيونية تباعا ، مستغلة دعاواها العرقية وتفسيراتها الدينية ، ومستغلة ايضا وبشكل واسع ومبالغ فيه ، التصريحات الشوفينية لبعض القادة العرب ، خاصة الرجعيون منهم . ولكن مستغلة اساسا ما حققته من انتصارات عسكرية ، فباستثناء الحزب الشيوعي الاسرائيلي في موقفه العام ، تجد كافة الاحزاب والمنظمات الاسرائيلية الفكرة الصهيونية ، وتقف بتكاتفه بشكل أو بآخر وراء اعمال التوسع والمعدوان . وهكذا توضح الارقام التالية لتنتائج انتخابات الكتيس (١٩٤٦ - ١٩٦١) السيطرة شبه الكاملة للاحزاب الصهيونية على التناخب الاسرائيلي :

ان بن جوريون يطالب بالمحافظة على التقاليد التي تطورت في المهجر . ودين يعلن ان اسرائيل ستظل جزءا من العالم اليهودي ، بينما سيظل العرب جزءا من العالم العربي .

وترجع جريدة لوموند الفرنسية « التذكير بالخطر الذي يتكرر في خطب السليسين وحاضرات الاساتذة والمقالات الصحفية » الى الرغبة في « اجتثاث خطر الاتجاه نحو الحضارة الشرقية الذي سيزداد حثا فيما لو خف التوتر على الحدود » (٧٦) .

والى جانبها تثير هذه الايدولوجية في مظاهر التفرقة غير الخافية بين اليهود انفسهم داخل

نسبة الاصوات التي حصل عليها في الانتخابات المختلفة (٧٧)

الاصحاب	الكتيس الاول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس
المساوي	٣٥٧ ز	٣٧٣ ز	٣٢٢ ز	٢٨٢ ز	٢٠٠ ز
خزاهي ومهاله	١٢٢ ز	٨٢ ز	٩١ ز	٩١ ز	٢٢٢ ز
قودات ازابيل ومهاله		٢٦ ز	٧ ز	٧ ز	٦ ز
قوائم دينية اخرى	٧ ز	٦ ز	٢ ز	٠ ز	١٢٢ ز
مسيحيون	١٦ ز	٦ ز	١٢٦ ز	١٢ ز	١٢٦ ز
المساوي	١٤ ز	١٢ ز	٧ ز	٧ ز	٧ ز
احداث هاتورا		مقسمة في المقام	٨ ز	٦ ز	
التقديريين	٤ ز	٢٢ ز	٢ ز	٢ ز	٨ ز
الصهيونيون الصهيونيون	٢ ز	١٦ ز	١٠ ز	٢ ز	٠ ز
الشيوعيون	٢ ز	٠ ز	٢ ز	٢ ز	٢ ز
قوائم الاقليت	٠ ز	٧ ز	١ ز	٧ ز	٢ ز
قوائم اخرى	٨ ز	٣ ز	١ ز	٢ ز	٣ ز

ولا تختلف نتائج انتخابات الكتيس السادس ١٩٦٥ من الصورة السابقة في عمومياتها . فطبقا لاحصاء غير رسمي اجريته جريدة جيزوراليم بوست في معدها الصلدر بتاريخ ٤ - ١١ - ١٩٦٥ نجد الارقام التالية :

ملاحظات	نسبة من الأصوات	المسئوب
	25.8%	التحالف بقيادة الهاي
	2.8%	رائي (بن جوريون)
	7.1%	المسيح
	19.8%	حاصل (هيروت والحرار)
	2.1%	المستقلون الاحرار
	9.1%	الدينيون القوميون
	2.2%	مؤيدات اترابيل
	1.1%	موهال اعزرات
صهيوني	1.1%	الشيوعيون (ميونيبي)
بشم مددا كبيرا من العرب	2.1%	الشيوعيون الجدد (ركاخ)

٣ - ان اوضاع اسرائيل الاستراتيجية ، والمفهوم الصهيوني من الامن ، ونشأة العسكريين الاسرائيليين في احضان الجيوش الاستعمارية ، وتفشى الروح العسكرية في المجتمع ، وتحول اسرائيل الى ترسلة للسلحة التي يوتنها بها الدول الاستعمارية الكبرى قديبور وجود المؤسسة العسكرية الاسرائيلية باتجاهاتها العدوانية ، وزاد من عدوانية الدولة الاسرائيلية ، ومن قبلها بدور الانتكشارية (دفاعا عن المصالح الامبريالية ككل) .

٤ - ان قيام الدولة الاسرائيلية بها تبطله من تصديق لاساطير غلاة التمسعين اليهود قد مكن الايديولوجية العنصرية للصهيونية من السيطرة على الرأي العام الاسرائيلي واقتياده بسهولة الى مغامرات الصهيونية العسكرية والعدوانية .

ولقد انعكست كل هذه الازواض على الفكر الصهيوني لتستقر الهمم نحو التوسع والعدوان .

[٢] بؤرة الحرب في الشرق الاوسط

اعلن موشي شاريت رئيس الحكومة المؤقتة لاسرائيل :

« ان رقعة اسرائيل يجب ان تتسع بعد قيام الدولة » (٧٨) .

لما ايا اعلان ، يغفل الامر بلفته الدبلوماسية الشفافة في خطاب له في ١٩٥٢ ، وكان وقتذاك سفيرنا لاسرائيل في امريكا ، ومبطلها لدى هيئة الامم :

« ان السياسة الخارجية لامة من الامم لاتكون من مجموعة ابحاث ومناظرات مدرسية . وانها هي نتج من ضغط الواقع والحاج المصعد الانساني اناك الامة . . ولو استطعنا تحويل

ويالمثل لم تخطف انتخابات ١٩٦٦ عن مسبقاتها في سيطرة الاتجاهات الاشد تمسبا وعدوانية . واخيرا ، لقد كان الغرض من هذا العرض المفصل لبعض التسميات الرئيسية للدولة الاسرائيلية هو اثبات ان قيام هذه الدولة قد فاقم ظاهرة الانتفاخ اكثر فاكتر نحو تنفيذ المخططات الصهيونية والامبريالية ، وذلك على الوجه التالي :

١ - ان التزام الدولة الاسرائيلية بشخصط الهجرة كان لا بد وان يؤكد اتجاهاتها نحو البحث عن مناطق استيطان جديدة للتوسع على صلب الدول العربية المجاورة .

٢ - ان فقر الموارد الطبيعية ، وضرورة القيام بتسمية سريمة لاستيعاب موجات الهجرة ، دفعا الى العمل على السيطرة على الموارد الطبيعية للبلاد العربية ، والى الفلاح الماسك بالحركة الصهيونية العالية والقوى الاشد عدوانية في الامبريالية الدولية ، الامر الذي فاقم من الاتجاهات العدوانية للدولة الاسرائيلية للصهيونية .

اصرار على التوسع

فتح نجاح الصهيونية في غرض دولتها اسرائيل فوق جزء من الارض التي حلت بها شهية قادة اسرائيل لزيد من الارض ، وتفتتت تصريحات القادة الصهيونية ، على اختلاف اتجاهاتهم ، معبرة من مطالبهم . وتشير بوجهه خلس الى تلك الطائفة من التصريحات التي صدرت في اعوام ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ .

ففي مباحثات مع الكونت هـ . برنكوفت ،

اسرائيل من «وند» الى «نيس جسر» لسكران هذا التحويل نعمة كبرى علينا وعلى الشرق (الوسط والعلم كله) (٧٩).

ويقول ليفي تشكول :

« هل توجد حدود أكثر طبيعية من قساة السويدس » (٨٠) .

ويصرح ايجال آلون :

« اذا رجعنا الى التوراة — فنجولان ليس اسرائيليا اقل من جبرون ونابلس » (٨١) .
ولقد قديمنا بتصرحات شباريت ولبا ايبسان واشكول وآلون لسا يشاع عنهم من «اعتدال» مزعوم . أما «الصفور» فان تصريحاتهم العادية لا تندد . نقتطف منها :

يقول بن جوريون :

« ان علينا ان نأخذ بحساس ، بأسلوب الغزو وبالطرق الدبلوماسية ، من أجل خلق امبراطورية اسرائيلية تهدد من النيل الى الفرات » (٨٢) .
ويقول الحاخام يهوذا في خطابه — نيابة من حكومة اسرائيل — للمؤتمر الصهيوني سنة ١٩٥١ :
« مزال أمام مؤتمركم أعمال عظيمة ... ان دولة اسرائيل كلها أمامكم وأن حدود تلك الدولة هي من الفرات الى النيل » (٨٣) .

ويصرح بن جوريون في أكتوبر ١٩٥١ :

« ان الحفاظ على الوضع الراهن لا يعتبر مجديا ، لقد اتفقت دولة دينايمكية تقوم على التوسع .. ونحن الآن قد وصلنا الى بداية الاستقلال في جزء فقط من بلدنا الصغير » (٨٤) .

ويمكن السكتاب السنوى لحكومة اسرائيل ١٩٥٢ — على لسان بن جوريون :

« كل دولة تكون من أرض وشعب .. وليست اسرائيل باستثناء من هذه القاعدة » غير ان دولة اسرائيل لا تطابق اراضيها ولا شعبها .. علينا ان نوضح ان هذه الدولة لم تكن سوى على جزء من أرض اسرائيل » (٨٥) .

ويقول ٢

« ان دولة اسرائيل قد قامت في الجزء الغربي من الأرض » (٨٦) .

وفي لواخر عام ١٩٥٢ اعلن بن جوريون في اجتماع عقد لحزب المايام في يئر سبع :

« انني اقبل تشكيل الحكومة الجديدة تحت شرط واحد ، وهون انستخدم كلابكتايانا من اجل ان نتوسع باتجاه الجنوب » (٨٧) .

وينص السكتاب السنوى لحكومة اسرائيل لعام ١٩٥٥ :

« ان قيام الدولة الجديدة لا ينقص باى حال من الاحوال من افض الأرض اسرائيل التاريخية » (٨٨) .

أما موشي ديان فيمثل في خطاب له في ١٢ — ٢ — ١٩٥٢ :

« ان الشعب يجب ان يستعد للحرب . ولكنها مسئولية الجيش الاسرائيلي ان يقاتل من اجل تحقيق الهدف الرئيسي لاسرائيل في اقامة امبراطورية اسرائيل » (٨٩) .

أما متاهم بيجين فلقد صرح عام ١٩٤٩ ان :

« الهدف هو توسيع حدود الدولة اليهودية من الاردن حتى دمشق وميان » .

كما صرح في ٧ — ٤ — ١٩٥٠ بقوله : انه لن يكون سلام لشعب اسرائيل ولا لأرض اسرائيل حتى ولا للعرب مادام لم يحرر الوطن بأكمله ..

بينما ادلى بيبسان اسام السكتيست في ٢ — ١٠ — ١٩٥٥ اعلن فيه بالحرف الواحد :

« اني مؤمن ايمانا عميقا بضرورة شن حرب وقائية ضد الدول العربية دون المزيد من التردد . بهذا نحقق هدفين : الاول : القضاء على القوة العربية ، والثاني : توسيع اقاليمنا » (٩٠) .

وتسجل الدعوات المحبوبة للحرب والتوسع في برامج الأحزاب الاسرائيلية ليدعو برنامج حزب هيروت (متاهم بيجين) الى :

[٧٩] جريدة دافني — تل ابيب — ١٧ — ٩ — ١٩٥٢

[٨٠] جريدة لوموند الفرنسية في عددها الصادر في ٨ — ٩ — ١٩٦٧

[٨١] جريدة لوموند الفرنسية في عددها الصادر في ١٧ — ٨ — ١٩٦٧

[٨٢] من خطاب بن جوريون في طلبة الجامعة العربية ١٩٥٠

[٨٣] خطاب الحاخام اليهودي يهوذا في المؤتمر الصهيوني في ١٩٥١/٨/٨

[٨٤] ارييت نيسير — نقل من السكتاب السنوى لحكومة اسرائيل ١٩٥١

[٨٥] حكومة اسرائيل — السكتاب السنوى — تل ابيب — ١٩٥٢ — ٦٣

[٨٦] نفس المرجع ص ١٣

[٨٧] جيزوزايم بوست — تل ابيب — ١٩٥٢

[٨٨] رايو اسرائيل — القسم العربي — ١٧ — ٢ — ١٩٥٢

[٨٩] كتاب « اطلاق الصلبة » ص ٦٧

[٩٠] جيزوزايم بوست — تل ابيب — ١٣ — ٩ — ١٩٥٥

« الوحدة القلمية لأرض إسرائيل ضمن حدودها التاريخية على جاتبي نهر الأردن » .

كما يدعو برنامج حزب لحتوت هاعفودا الى :
« اقامة دولة اسرائيل اشتراكية في كل ارض الميعاد » .

بينما يقول حزب الصهيونيين العموميين :

« ان دولة اسرائيل لا توجد كلفة في حد ذاتها بل كداة لتنفيذ الحلم الصهيوني » (١٩١) .

ولم تكن هذه التصريحات والنوايا مجرد كلام للاستهلاك المحلي ، بل كانت سياسة عملية تطبق وتتخذ خطوة بعد أخرى . ففي حين ان قرار هيئة الامم بالتقسيم كان يعطى ٥٦٪ من ارض فلسطين للدولة اليهودية أصبحت اسرائيل تحتل بالحرب والارهاب ٧٧٪ من ارض فلسطين في نهاية ١٩٤٨ .

وفي فبراير ١٩٤٩ ، بعد ان وصل المنويون الاردنيون الى جزيرة رومس للتوقيع على الهدنة ، قامت ثلة من الجنود الاسرائيليين بخرق ايقاف النار وهاجمت القوات الاردنية في ١٣ فبراير واحتلت القرية الساحلية العربية المسماة بسم شرشي التي انشأوا مكانها ميناء أثبات فيما بعد .

وقد سجلت لجنة التوفيق المنبقة من هيئة الامم المتحدة في محاضرتها ان الوفد الاسرائيلي المؤتمر لوزان قدم وثيقة يثبت فيها مطالبه القلمية فحدها بالمسطين كما كانت في ظل الانتداب . وعند ما ووجه الوفد الاسرائيلي بالبروتوكول الذي وقعه اسرائيل في ١٢ مايو ١٩٤٩ عند اعلان الهدنة والذي تعترف فيه بخطوط وقف اطلاق النار ، رد قائلا « انه لا يستطيع ان يقبل ذلك التقسيم القلمى مقياسا لتسوية الامور في الظروف الحاضرة .. »

وقد نشرت جريدة « نيويورك تايمز » الامريكية في محدها الصادر بتاريخ ٨ - ١١ - ١٩٥٦
أن بن جوريون أعلن الهجوم الاسرائيلي على مصر في البرلمان بخطاب قال فيه :

« لا يبحث الجيش على الاطلاق احتلال منطقة معينة من اقاليم مصر ذاتها .. انه يحدد عملياته في تحرير المناطق المحصورة بين سيناء الجنوبية وقمة البحر الاحمر » . ثم اشار الى احتلال جزيرة تيران جنوبى خليج العقبة فتكلم ضمن

جزيرة « يوتفالت » جنوبى خليج ايلات التى حوزها الجيش الاسرائيلي ..

وبعد توقف العمليات العربية صرح بن جوريون انشاء مناقشة دارت في الكنيست يوم ٩ - ١٢ - ١٩٥٦ :

« ان توافق اسرائيل ابدا ولاى مبرر على عودة الغزى المصرى الى غزة » .

وقد نشرت جريدة ها اترس الابرايلية في ٢٠ - ١٠ - ١٩٦٧ مقالا قالت فيه :

« لقد اضطرت اسرائيل للتسحاب من سيناء عندما رفض المجتمع الدولى التوسع الاسرائيلي » .

الا ان اسرائيل ، ومن ورائها الصهيونية العالية ، ظلت تستعد وتحين الفرص من اجل تحقيق اهدافها التوسعية . فحاولت صدواتها على الدول العربية في الخامس من يونيو ١٩٦٧ من اجل ضم المزيد من الاراضى .

وتسجل مذكرة وزارة خارجية ج.ع.م المقدمة الى السفير جونلر بيارنج في ٨ - ١٢ - ١٩٦٨ العديد من التصريحات التوسعية الصريحة ثبتت منها هنا :

صرح موشى ديان في ١١/٦/١٩٦٧ :

« ان قواتى يبنى ان تبقى في سيناء ، وان القدس يبنى ان تظل عاصمة اسرائيل تحت سياقتها ، ان اسرائيل يجب الا تتنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية من الاردن » .

وصرح ديان في ١٠/٨/١٩٦٧ :

« ان اسرائيل ترفض العودة الى حدود عام ١٩٤٩ القديمة وان على اسرائيل الا تسمح لدول اخرى تميل لصلحتها الخاصة ان تجبرها على العودة الى الاوضاع القديمة » .

« اسرائيل لن تعود الى اتفاقيات الهدنة ، او لتلك الحدود التى اقترحتها هذه الاتفاقيات » .

« ان اسرائيل يجب ان تحتفظ بجزء من سيناء بما فيها شرم الشيخ . ان حدود اسرائيل يجب ان تمتد من نهر الاردن الى البحر الابيض وأن المرتفعات غرب الاردن يجب ان تكون قاعدة دفاع عن حدود اسرائيل » .

كما صرح ديان يوم ١٧ أكتوبر ١٩٦٨ ببليلى :
« يجب ان نقيم المستعمرات في مرتفعات

[٩١] كل مقتطفات برامج الحزب وردت في كتاب كوهنود هتشنسون : « الهيئة القلمية » السابق الاشارة اليه

في الفصل الخامس عشر

جولان ؟ وأن تحصن سيناء وأن تفتح الضفة الغربية وغزة اقتصاديا وإداريا في إسرائيل .

وذكر رئيس وزراء إسرائيل في الكنيست يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٨ :

« أننا عندما نقول أن نهر الأردن يعتبر حدودا آمنة بالنسبة لإسرائيل ، فإننا نعني بذلك : أنه بمجرد عقد اتفاقية سلام لن نسمح لأي قوات أجنبية بأن تعبر تلك الحدود .. حتى بعد توقيع اتفاقية صلح .. وأن إسرائيل لن توافق على بقاء قوات أردنية أو عربية أخرى في الضفة الغربية للأردن في أية تسوية نهائية ... »

كما صرح أيضا في الكنيست في ١١ نوفمبر ١٩٦٨ :

« أن إسرائيل سوف تتبصك بمشايق تيران كجزء من أية تسوية لمشكلة الشرق الأوسط . »

وهكذا تتضح خطة إسرائيل التوسعية من عدوانها على ثلاث دول عربية في الخامس من يونيو ١٩٦٧ فهي من واقع تصريحات المسؤولين تهدف إلى :

- ١ - ضم القدس
- ٢ - وجود قوات إسرائيلية في سيناء والضفة الغربية ومرتفعات جولان في سوريا .
- ٣ - إنشاء مستعمرات إسرائيلية في الضفة الغربية وجولان في سوريا ..
- ٤ - ادماج الضفة الغربية وغزة اقتصاديا في إسرائيل .
- ٥ - نزع سلاح كافة المناطق العربية التي تحتلها إسرائيل بمعنى عدم وجود قوات عربية بها مع تواجد قوات عسكرية إسرائيلية ، وإنشاء مستعمرات إسرائيلية فيها (٩٢) .

ونشرت جريدة نوفييل إيزرفاير الفرنسية بتاريخ ١٥ - ١٠ - ١٩٦٧ أن وكيل الكنيست الإسرائيلي بن إليازر نقد بشدة النائب شيموتوب المنتسب إلى حزب اليمين « لوطنيته الناقصة » وذلك لأن هذا النائب كان يجرؤ على التفكير في الانسحاب - ولو الجزئي - من الأراضي المحتلة ، في نطاق معاهدة سلام . . . وقد أشار ليفي أشكول في خطابه السيلبي إلى ضرورة تسكين إسرائيل الكبرى باليهود وإلى استحالة العودة إلى الحدود الحالية قبل ٥ يونيو .

وأضافت الجريدة أن حركة تكونت باسم

« من أجل إسرائيل الكاملة » ، وتحتت مؤتمرا كبيرا في تل أبيب « يؤيد رئيس الوزراء على موقفه الدافع عن «الحدود التي رسمتها الثورة» نجحت عددا من الحركات : والقادة العسكريين المحدثين ، والجزائريين ، والكتلة الكبيرة ، من جميع الاتجاهات . . . وأتينا نجد جانبنا من هذا الموقف التوسعي الجاد في أن شركة تكونت في إسرائيل تستهدف استغلال سواحل سيناء من الناحية السياحية . . . وخطة أقاليم عسكرية لقضاء الإجازات والطعام والفنادق ، مؤكدة أن شواطئ سيناء يمكن أن تحول إلى ما ينال من الشاطئ الأزرق « في فرنسا وإيطاليا » .

ويعلن وزير العمل إيجال ألون أمام المستوطنين اليهود الجدد في الخليل « أنه لا يحق لأحد أن ينجع اليهود من العودة إلى مدينة « أسلامهم » .

وفي ٧ - ٧ - ١٩٦٨ خطب الجنرال موشى ديان في جمع من أعضاء المستعمرات الجديدة في جولان (المرتفعات السورية) فأكسار إلى ضرورة الاستمرار في توطين اليهود في أرض إسرائيل « وأضاف :

« أن الكفاح الذي تخوضه الأمة هو الكفاح من أجل إعادة إنشاء إسرائيل التاريخية » .

إن تصريحات القادة الإسرائيليين التي لا تنفذ ليست تطوعا منهم لفرض نوايا إسرائيل ، فهي في الواقع تعبر عن حقيقة كل الإطباع التوسعية للصهيونية التي تخفى بقدر الإمكان . وهم في الحقيقة مضطرون إليها اضطرارا حتى يضمنوا إبقاء المجتمع الإسرائيلي في حالة تهيئة دائمة تستلزمها بالضرورة المضي قدما في تنفيذ المخطط الصهيوني . أنها التصريحات العامة للقائد لكي يحافظ على درجة الاستعداد لدى جنوده في الوقت الذي يظل فيه محتفظا بخطه الحقيقية والتفصيلية في مكانها السرية .

السلام الماروغ .٠٠ والعنوان المتصل

لا يفتأ قادة إسرائيل ، في كل مناسبة ، أن يرددوا على مسامح العالم نداءاتهم «للفوضى» ، على زعم أن إسرائيل ، وهي « الدولة الصغيرة المسالمة » تجسد نفسها بإزاء تهديد دائم من قبل الفدائيين الفلسطينيين ، ومن « عنصرية الدول العربية » التي تختلف في تكوينها الاجتماعي ، وفي عقائدها السياسية ، ولكن تتحد في العداء

دينيكين

هو أحد جنرالات الجيش القيصري • وبعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ الاشتراكية في روسيا • أقام دينيكين دولة في جنوب روسيا وفي أوكرانيا ، لصالح البورجوازيين وكبار الملاك الروس ، وبمساعدة الألبانيين التجار والأمريكيين والفرنسيين • وفي الصيف الثاني من عام ١٩١٩ ، قاد دينيكين حملة عسكرية من العريس الأبيض وهاجم بها موسكو • إلا أن الجيش الأحمر تمكن من هزيمته في بداية ١٩٢٠ •

★

غليوم الثاني

هو إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا • نيا بين ١٨٨٨ - ١٩١٨ • وقد طرد هرتزل أيوايه طالباً لمحاولة في اقتراح قانون من السلطان العثماني يسمح لليهود بالبقاء وتلك الأراضي في فلسطين • وحاول غليوم ذلك إلا أنه أمام رفض السلطان كل من مطالبته بذلك •

وبالتقرب منها الجهود التي يبذلها الفيلق العربي لمنع التسلسل (٩٢) •

وفي فبراير ١٩٥٢ وقعت حكومة الأردن مع إسرائيل تحت إشراف هيئة الرقابة الدولية اتفاقية القادة المحطين للتعاون في مقاومة التسلسل ، واتفاقية أخرى في مايو ١٩٥٢ للحفاظ على اتفاقية الهدنة • وبعد أن خرفت إسرائيل الاتفاقيتين ، وقامت القوات الإسرائيلية في سجنين من نفس الملام يطرد حوالي ألف عربي من قبائل الاساتي من أراضيهم إلى الأراضي الأردنية • كما تبض على عدد من الجنود الاسرائيليين وهم يتسللون إلى جبل سنكوس • وفي ديسمبر من نفس العام • وقعت اتفاقية ثالثة من نفس النوع في ٢٩ ديسمبر ١٩٥٢ • ولكن لم يأت الثامن من يناير ١٩٥٢ حتى أعلنت الحكومة الاسرائيلية ان « اتفاقية القادة المحطين غير مقبولة جملة وتفصيلا » (٩٤) •

لإسرائيل • والاستعدادات لشن حرب عليها الآن • حقيقة أن شعب فلسطين ، الذي انتزعت منه أرضه ووطنه وممتلكاته ، لا يستطيع أي قوة أن تنزع منه الأمل في أن يعود يوبا إلى أرضه ووطنه • كما أن نضال الفلسطينيين لم يبدأ في ١٩٦٦ فقط ، ولا في ١٩٥٥ فقط حيث تعالت صيحات قادة تل أبيب لتبرير اعتدائهم المبيت بدعوى أن الفدائيين يتسللون إليهم من الدول العربية •

بل أن الواقع يقول انه منذ ١٩٤٩ ، لم يكف أفراد الشعب الفلسطيني والذين يحيط بإسرائيل من كل جانب عن « التسلسل » عبر خطوط الهدنة. ولا يستطيع أحد أن يلوم هذا الشعب على أنه قد طور نضاله إلى نضال منظم ومسلح • كما لا يستطيع أحد أن يلوم الدول العربية التقليدية إذا ما أبدت تضامنها مع هذا الشعب العربي في محتونضاله وقدمنته كل مساعدة سياسية ومادية ممكنة •

لما أن الدول العربية أو أي واحدة منها قد رجعت في أي يوم ، طيلة السنوات العشرين الماضية ، لشن حرب على دولة إسرائيل فهو محض افتراء تكتبه كل الشواهد السياسية والعسكرية التي عاشتها المنطقة في هذه الفترة بل على العكس من ذلك :

لقد حاول الملك عبد الله ملك الأردن السابق وتحاولت بعده كثير من الحكومات الأردنية تخفيف التوتر على الحدود بين الأردن وإسرائيل حتى لو كان ذلك على حساب استبعاد اللاجئين الفلسطينيين فوضعت القوانين لتجريمهم • وهكذا بين عامي ٥٤ : ٥٥ ، أصدرت المحاكم الأردنية أحكاماً بالسجن على ٩٩٧ منفصلاً ، وحكمت مع إيقاف التنفيذ على عدد كبير انتهوا بعبور خط الهدنة ، من بينهم أطفال قتل أمهاتهم من ستة عشر عاماً • ومنهم مختارون للقرى طردوا من وظائفهم ومقبوا لانهم امتنعوا عن التعاون على الإدلاء بمعلومات عن المشتبه فيهم • ولتشتت دوريات لمنع التسلسل ، وهي تعمل بالليل في الطرق التي يحدث فيها التسلسل ، كما انتشرت فرق الحراسة الأردنية لحراسة خطوط الهدنة الاسرائيلية الأردنية

« وتكمل جهود أعضاء العرس الوطني الأردني الذين يرايطون في القرى الواقعة على الحدود

[٩٣] : « رسائل الليوريك تاليل من الأردن » نقلها الفردي لفينثال : « مكاشفات الشرق الأوسط » [٩٤] : « براندورد ، وإيسام » ج : « الاسرائيلية العسكرية - حرائق العلق على حدود فلسطين » ١٩٤٨ • ١٩٦٢ : « مخطوط يخدم تبيل شهادة الكوراء من جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة الأمريكية ص ٦١ وتفس الحكومات وأردية في كتاب « هفتسون » « الهدنة العتيبة »

سنة ١٩٥٦ وفي البيان الختتم لقاء ناصر -
نهر - نيقو - في يونيو ١٩٥٦ .

وكان رد إسرائيل هو تنفيذ مؤامرة «سيفر»
مع بريطانيا وفرنسا وغزوها الشهير للأراضي
المصرية في أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

وعندما قررت الأمم المتحدة ، عام ١٩٥٧ ،
وضع قوات الطوارئ الدولية على الحدود بين
مصر وإسرائيل ، لتجنب حوادث الحدود بين
البلدين ، قبلت مصر تنفيذ القرار ووضع هذه
القوات على أراضيها . ويشهد السكرتير العام
للأمم المتحدة بأن مصر قد تعاونت مع الأمم المتحدة
بهذا الصدد إلى أبعد الصدد ، بينما رفضت
إسرائيل تنفيذ القرار الذي كان يقضي بوضع
هذه القوات على الجانب الآخر من الهدنة أيضا .

ويشهد روبرت شيروني جريدة «أمبارت الأمريكية»
في نوفمبر ١٩٦٧ أنه :

« منذ حرب السويس والسياسة المصرية
حيال إسرائيل متحفظة للغاية . ولقد كان ميد القاصر
يعطى الاهتمام الأكبر للتغيرات الداخلية ومشاكل
التنمية في البلدان العربية وبلدان العالم الثالث ،
ونذكرنا إيجال آلون وزير العمل الإسرائيلي
بذلك في مقال نشره في ١٢ - ٢ - ١٩٦٧ حول
مشاكل أمن إسرائيل ، حين يقول : « ورغم أن
مصر تساهم أكثر من أي دولة أخرى في تمويل
جيش التحرير الفلسطيني وتسمح له بتجنيد
أفراد من قطاع غزة ، ويأن يقيم مكتبه الرئيسي
في القاهرة فأنها لم تسمح بأي نشاط معاد
لإسرائيل عبر حدود غزة منذ حملة سيناء » .

ثم كاتتمصر - طبقا للاستراتيجية الإسرائيلية
هي التي تلقت الضربة الأولى في عدوان ١٩٦٧ » .

فإذا تجمعت الدول العربية ضد إسرائيل ، وإذا
تم هذا التجمع رغم اختلاف نظمها وعقائدها
السياسية ، فإن في مقدمة الأسباب التي تحضرها
على هذا الفجع ، العدوانية الخفية التي تبديها
إسرائيل ، ومطلبها الواضحة ، ومع ذلك فلم
تشهد السنوات العشرين الماضية منذ هدنة
١٩٤٩ على ما ذكرنا سابقا - جيشا عربيا يحتل
أي جزء من إسرائيل ، بينما شهدت أكثر من
احتلال إسرائيلي لأراضي أكثر من دولة عربية » .

وكانت نتيجة هذه المحاولات من جانب حكومات
الأردن أن فازت هذه الدولة بالذات بنصيب الأسد
من الاعتداءات الإسرائيلية ، فمن بين اثنتي عشرة
أداة لإسرائيل من الأمم المتحدة (في الفترة
ما بين ١٩٤٨ - ١٣ - ١١ - ١٩٦٦ لاعتداءات
ارتكبتها ضد الأربع دول العربية المجاورة لها)
كان نصيب الأردن خمس اعتداءات (انظر في
باب الوثائق جدول قرارات أداة إسرائيل في
الأمم المتحدة) .

ومن بين ٦١ أداة لإسرائيل من قبل لجان
الهدنة التي تشرف عليها الأمم المتحدة في الفترة
ما بين ١٥ - ٣ - ١٩٥٠ حتى ١٣ - ١١ - ١٩٦٦
لاعتداءات ارتكبتها كل نصيب الأردن وحدها
٢٧ اعتداء (انظر الوثائق أيضا) .

وفيما يتعلق بالجمهورية العربية المتحدة ،
يذكر توفيق طوبى في جريدة الاتحاد الإسرائيلية
أنه :

« في تطور الثورة المصرية ضد الاقطاع
والاستعمار بعد سنة ١٩٥٢ ظهرت في مراحل
مختلفة مواقف من قادة الثورة ، والسنتها تنم من
استعداد للوصول إلى تسوية سلمية مع
إسرائيل ، على أساس الاعتراف بحقوق الشعب
العربي الفلسطيني ، إذا ما ائتمنت إسرائيل من
تأييد الاستعمار ضد حركة التحرر الوطني
العربية ، كان ذلك أيام الحركة لاجلاء القوات
البريطانية من القناة وأيام معركة القناة » (١٥) .

وفي ١١ - ١١ - ١٩٥٤ تقدم الجنرال بيرنز
كبير المراقبين الدوليين آنذاك باقتراح بانشاء
سياج من الشريط هذا المناطق التي تكررت فيها
حوادث التسلل التي ئثارتها إسرائيل بحدة ،
وقبلت مصر الاقتراح ولكن إسرائيل رفضته (١٦) .

وفي أبريل ١٩٥٥ تقدم الوفد المصري برئاسة
جمال عبد الناصر ببداية في مؤتمر باننوج للدول
الأمرو آسيوية ، باقتراح وافقت عليه الدول
العربية مجتمعة ، يدعو لحل السلمي للقضية
الفلسطينية على أساس قرارات منظمة الأمم
المتحدة . وتردد هذا الموقف ، الداعي إلى الحل
السلمي للقضية الفلسطينية على أساس قرارات
منظمة الأمم المتحدة في البيان المشترك للقاء
- ناصر - القوتلي - سعودي « في ١٣ مارس

[١٥] توفيق طوبى - جريدة الاتحاد - تل أبيب - ١٩ - ٥ - ١٩٦٧
[١٦] جنرال بيرنز - « بين العرب والإسرائيليين » - المرجع السابق ص ١١٦

سجل اعتداءات لا تتوقف

تسجل مصادر جامعة الدول العربية ١٦١ اعتداء إسرائيل على الدول العربية بما بين ١٩٤٩ - ١٩٦٤ . وصرح رئيس الجناح الأردني في لجنة الهدنة المشتركة أن عدد الاعتداءات الإسرائيلية على الأردن ، باستثناء عدد الضحايا والتهريب البسيط بلغ عام ١٩٦٥ وحده ٦٥٢٨ حادثاً منها ١٣٧٥ حادث إطلاق نار عبر خط الهدنة ، ١٧٢ حادث اجتياز خط الهدنة، ٧٤ حادث حشود على الحدود، ٧٧ حادث طرد للسكان العرب من أراضيهم في إسرائيل ، ٥٣١ اعتداء على القدس ، ٢٩١١ اعتداء جوي .

ويسجل الرئيس (الأمريكي) للجنة الهدنة الإسرائيلية المشتركة من الفترة من نوفمبر ١٩٥١ حتى نوفمبر ١٩٥٤ - ٢٩٦٠ شكوى من الجانبين تتضمن اتهاماً متبادلاً بجسد في نصوص الهدنة تفصيلها كما يلي (بعد إعادة ترتيبها) :

حوادث ذات طابع عسكري «نظامي في غالبيتها»

إسرائيل	الأردن
٢٥٧	١٤٦
٢٩٥	١٥
٢٤٠	٤٨
١١٩٢	٥٠٩

حوادث ذات طابع فردي

إفراد أو مجموعات غير عسكرية (مسلحين أو غير مسلحين) تعبير المصنوع قتل هجاء وهرق أرواحي	٤٠ ٥٥ ٩٥
٩١١ ١١٢ ١١٠٢	٩٥ ٥٥ ٩٥

طرد السكان والاستيلاء على أملكهم ٦١ - تم فيها أبعاد ٩١١ عرباً من أراضيهم داخل إسرائيل واستولى على أملكهم . كما أدت الحوادث الخطيرة التي يحدثها لجنة الهدنة بين هذا العدد الكبير إلى مقتل ١٢٧ عربياً وجرح ١١٨ وإلى مقتل ٣٤ إسرائيلياً وجرح ٤٧ منهم .

ورغم ما تحمله الأرقام السابقة من دلالات لا تخطيء على حقيقة مصدر العدوان ، إلا أنها تستضئ أبعاداً شاسعة عن الحقيقة لو أخذت بالنسبة للأردن كأعداد مجردة حتى باعتبار أنها

أعمال دفاعية أو رد عمل للاعتداءات الإسرائيلية . فالواقع أن الأرقام المسجلة تحت اسم الأردن ترجع في غالبيتها إلى العادة التقليدية الإسرائيلية بالبادلة بتقديم الشكاوى إلى لجنة الهدنة ، بعد أن تقوم هي بالعدوان ، أو عندما تكون بسبيلها لتبرير عدوان معين .

أن لجنة الهدنة لم تتناقص سوى عسدد قليل من الشكاوى هي التي قررت خطورتها ، وقد أدانت إسرائيل في ٩٥ حادثاً ، كانت في غالبيتها العظمى من الحوادث ذات الطابع العسكري النظامي . . بينما صدرت ضد الأردن ٦٠ أدانة عن أحداث « تسلل » لللاجئين الفلسطينيين . . ولم يخرج نص الإدانة في أية حالة عن مطالبة المسؤولين الأردنيين بالبحث من الجناة ومعايقتهم ، حيث درجت هذه اللجاجة على اعتبار الأردن مسؤولة عن أي عمل يقوم به اللاجئون الفلسطينيون ، بينما يشهد رئيس لجنة الهدنة الإسرائيلية الأردنية المشتركة قائلاً :

« كانت القصة التي بلغت مسامع معظم الناس في أنحاء العالم هي التهمة الإسرائيلية بأن التسلل كان يجري في كثير من الحالات تحت سجع حكومة الأردن وبصرها ، ولم يتم قط دليل على صحة هذا الادعاء بينما تتوفر الأدلة على عكسه » (١٧) .

لما بالنسبة للحوادث الخطيرة ، التي رفعت إلى مجلس الأمن أو مجلس الوصاية أو الجمعية العامة ، فلم يصدر فيها قرار واحد بإدانة الأردن أو إتذلة عربية أخرى في أي حادثة من الحوادث منذ ١٩٤٩ حتى اليوم .

الهدف من الاعتداءات

والواقع أن الهدف الرئيسي من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المنطقة منذ ١٩٤٩ كان الاستيلاء على المناطق المجردة من السلاح للسيطرة على مراكز استراتيجيتها لاستخدامها فيما بعد في خطط التوسع الكبرى . وكل ما هناك أن إسرائيل تتحين الفرص المناسبة التي تستطيع أن تصل فيها إلى اتفاقيات محددة مع بعض دوائر الإمبريالية العالمية ، إلى جانب أن الاحتفاظ « بالحدود سالفة » هو ، في الدوام ، ضرورة لتبرير هذه الخطط من ناحية ، واستمرار حالة التعبئة الداخلية من ناحية أخرى .

ولقد تصرفت إسرائيل منذ ١٩٤٩ على اعتبار تلك المناطق المجردة من السلاح جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل ، لجأت لتنفيذ ذلك إلى مجموعة من الحيل : كإقامة المستعمرات الزراعية

المسكنة فيها ؟ أو الاحتلال العسكري المباشر . وهذه بعض الأمثلة :

نقول المايكز انتفدية :

« منذ انشاء مستعمرة « الماقور » شسبه العسكرية المظلة على وادي الأردن عام ١٩٦١ ، لا تزال اسرائيل تستولى بالتدريج على ارض لم تتمكن من إبقائها تحت سيطرتها قبلا ، وهي الأرض التي كان الفلاحون العرب يقومون بزراعتها » (١٨) .

وفي اثناء مفاوضات الهدنة قامت :
« باحتلال مثلث النقب الجنوبي وطردت السكان العرب وأعلنت ضم هذا الجزء الى أراضيها وبهذا وسعت حدودها » (١٩) .

وفي مارس ١٩٥٠ احتلت بلر قطار في مثلث العوجة ، وتقدمت مصر بشكوى الى لجنة الهدنة المشتركة التي اعتبرت هذا الاحتلال خرقا لاتفاقية الهدنة ، وهكذا أيضا قرر مجلس الأمن في ١٧ نوفمبر ١٩٥٠ ، ولكنها علنت في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٣ الى احتلال المنطقة ، رغم كل احتجاجات الأمم المتحدة ولجان الهدنة (٢٠) .

وكان مثلث العوجة هذا هو نقطة انطلاق القوات للدعوان الإسرائيلي الى سيناء لتتنام الدعوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ . وفي هذا الوقت كان بن جوريون قد أعلن ان :
« اتفاقية الهدنة مع مصر قد بلغت وقيدت ولن تيمت بعد الآن » (٢١) .

وهكذا ، على الجانب السوري . ففي ٢٧ مارس ١٩٥١ قامت قوات اسرائيلية بالتركز في القطاع الجنوبي من المنطقة المجردة من السلاح . فطلب مراقبو الأمم المتحدة الى رئيس أركان

الجيش الاسرائيلي ان ينسحب قوايه ؟ فكان جوابه ان قسالت القوات الاسرائيلية في ليل ٣٠ - ٣١ مارس سنة ١٩٥١ بطرد ٧٨٥ مرييا مخنيا من القطاع الأوسط من المنطقة المجردة (٢٢) . وفي ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ أصدرت لجنة الهدنة السورية الاسرائيلية بياناً دعت فيه السلطات الاسرائيلية الى اتخاذ الإجراءات القوية لوقف جميع أعمال الاستفزاز والدعوان ضد المدنيين وسحب مراكز البوليس الاسرائيلي من المنطقة المجردة الجنوبية . ولم تستجب اسرائيل للقرار ، بل لجأت لاقامة تحصينات فطلب كبير المراقبين في ٢٩ يونيو ١٩٥٦ ازالة هذه التحصينات ، فأجاب بن جوريون رئيس الوزراء في ١٩/٦/١٩٥٦ :
« ان اسرائيل لا تستطيع الاستجابة لطلب كبير المراقبين » (٢٣) .

لقد كانت بعض الاعتداءات الاسرائيلية موقوتة بازمات سياسية معينة بين الدول العربية وبين الدول الاستعمارية الكبرى (صفقة الأسلحة التشيكية ، معارضة حلف بغداد .. الخ) . وكان بعضها موجهاً للتدخل في الشؤون الداخلية لبعض الدول العربية لمناصرة القوى الرجعية . وكان بعضها الثالث ينبع من أوضاع داخلية في اسرائيل خاصة ، عندما تجد المؤسسة العسكرية ان مركزها يحتاج الى تدعيم ، بتصيد التوتر . ولكن الخط العام الذي حكم معظمها بالفل على يكن مجرد « الانتقام » أو حتى « اجبار العرب على التفاوض » - بل كان كما ذكرنا الاستيلاء على المناطق المجردة واقامة التحصينات الاستراتيجية فيها استعداداً للاعتداءات الكبرى ، الهادفة الى تحقيق المخطط الصهيوني للسيطرة على الشرق العربي .

[٣] اسرائيل والاستراتيجية الدولية للامبريالية

الولاء للدولة الامبريالية الاقوى

المند الخاص من مجلة الازمنة الحديثة بقر ان « الصهيونية تشكل حركة أصلية ، غير أن الظروف التي احاطت بولدها قد وجهتها الى الاشتراك في الجبهة الاستعمارية التي تكونت في اوائل

في الدراسة التي قدمها يوري افيري الى

(١٨) [١٩٦٥] التاييز ١٠ - ٢ - ١٩٦٥
[١٩٦٦] مجلس الأمن : « السجل الرسمي » : ص - ٢٠٦٧ القصة السادسة - ٣٧ - ٣ - ٥١ ص ٢٣ - ٢٤
[١٠٠] انظر مجلس الأمن ص - ٣١٠٢ وس - ٣٥٩٦ القسم الخامس ١٩٥٦ ، ص - ٣٥٩ ملحق القسم الأول الفترة الأولى ١٩٥٦
[١٠١] الأوبزيرتر - ١٦ - ١١ - ١٩٥٦
[١٠٢] انظر مجلس الأمن - ص - ٢٠٨٤ و ١٩٥٣ ، ص - القسم الثاني لمخططات ١٦٥ ملحق ص ٢٧ - ٢٨ - ١٩٥٣
[١٠٣] كل نصيحات الاحداث انظر مجلس الأمن ص - ٣٣٤٢ و ٣٩٥٥

القرن العشرين» (١٠٤) ويشرح أفينري هذا الرأي بقوله : أن الصهيونية تنقلت بولائها من سلطان تركيا ، الى قصر ألمانيا ، الى بريطانيا (حتى ظهور الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢) ، ثم الى أمريكا (قبل قيام إسرائيل وبعد) ، وإلى فرنسا (أثناء حرب الجزائر) . ثم يضيف : وهكذا وضعت الأسس للسياسة الخارجية للصهيونية ، ثم لدولة إسرائيل ، وهي الاستناد على الدول الغربية الكبرى (١٠٥) ، وربما كان من الأصح أن يقال : ليس الاستناد الى إحدى الدول الغربية الكبرى بحسب بل — وبالتحديد — الارتباط « بالدولة الامبريالية » ذات النفوذ الأكبر في المنطقة ، وذات الاتجاه الأشد عدوانية تجاه شعوب المنطقة .

وإذا كانت كتب التاريخ تحفل بتفاصيل ووقائع مثيرة من ارتباط مؤسسي الحركة الصهيونية بكل القوى الامبريالية والرجعية ، فإن دواعي الإيجاز تتطلب منا أن نركز في هذا المقام ، وبشكل خاص ، على ارتباط الصهيونية ودولة إسرائيل بالدولتين الامبرياليتين : بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

وعند الحديث من الدور الذي لعبته الامبريالية البريطانية في انشاء الوطن القومي لليهود يكفي أن نشير بسرعة الى بعض الوقائع :

● كان وعد بلفور في نوفمبر ١٩١٧ اعلاناً رسمياً بموافقة بريطانيا على السير بدأ بيد مع الحركة الصهيونية العالمية من أجل استعمار فلسطين . وكان لبريطانيا — بهذا — فضل السبق في اكتشاف الحل الصهيوني الذي كان يرمى الى منع قيام دولة عربية موحدة وقوية في المنطقة (١٠٦) .

● عملت بريطانيا ، بعد ذلك ، على تدويل وعدها للحركة الصهيونية بأن ضمنتها معك انتدابها على فلسطين ، فقد جاء فيه أن الانتداب « يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة صومعية

لإسداء المشورة الى ادارة فلسطين ومعاونين معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الشؤون التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي لصالح السكان اليهود في فلسطين » .

● كان هذا التحالف مع بريطانيا يهدف الى تحقيق الهجرة الكتلية الى فلسطين . ولم تكن هذه الهجرة ممكنة الا بفضل الحماية البريطانية . وفي الثلاثين سنة التي ظلت الحروب العالمية الأولى مكنت بريطانيا اليهود المهاجرين من اقامة المدارس الخاصة ، والإبقاء على منظمة عسكرية يهودية والمهاجرة ، وكذلك دريت بريطانيا مجموعات الهجوم السريع « بلاخ » وأغضبت عينيه من وجود التنظيمات السرية الارهابية « أشتيرين وأرجون » (١٠٧) .

غير أنه في الفترة الأخيرة لعهد الانتداب البريطاني ، بدأت لندن تقدر أن تبايدها للصهيونية يتقوى من كراهية العرب لها ، ومن ميولهم الى الجبهة المعادية في الحرب العالمية الثانية التي كانت وشيكة الاندلاع . هنا بدأت الخلافات تشتد بين الصهيونية ويسين الاستعمار البريطاني . يقول مكسيم روميسون :

« لقد اظهرت بريطانيا العظمى في السنوات العشرين السابقة حساسية متزايدة للعداء العربي نحو المشروع الصهيوني ، وبعد أن درست احتمالات الحلول البديلة على التقسيم ما يتضمن خلق دولة يهودية في جزء من فلسطين ، اصدرت الكتاب الأبيض في ١٧ مايو ١٩٣٩ الذي اطلعت فيه صراحة امتراسها على أي حل من هذا النوع ، ومن باب أولى ، على دولة يهودية تغطي فلسطين تحت الانتداب كلها . ورسمت خطة تتضمن أن تقام بعد عشر سنوات دولة فلسطينية مستقلة أن يكون اليهود فيها أكثر من ثلث السكان ، ولذلك قررت تحديد الهجرة ، وبيع الأراضي » (١٠٨) .

V.A. Avenery: Une guerre fratricide — Les Temps Modernes, p. 708 (1)

(١٠٤)

(١٠٥) أفينري : « اسود السائق » ٩.

(١٠٦) فيما يتعلق بنقطة وعد بلفور، من الجدير بالذكر ملاحظته بعض المفكرين الأوربيين بل م . روميسون من أن صريح بلفور قد سبق تاريخ ٧ نوفمبر تاريخ قيام الثورة الاستعمارية في روسيا [بقصد أنما فقط ما يدل على أن « أحد أهداف التصريح كان تأييد كرنسكي »] ويشترك كريسفونر ساينس روميسون هذا الرأي فيقول : « في عشية شهر نوفمبر ١٩١٧ ، كان الاعتقاد السائد أن تأييد بريطانيا العظيم للصهيونية لا بد أن سوف يبعد اليهود الروس من الحزب البلشفي ، ويضمن هذه الثورة الروسية لا في طريق معتدل بحسب ، بل الى جانب العنصرية في العرب » [راجع كتاب أحمد فايز الرجوع السلف في ٤٥] .

(١٠٧) فايز مانيش : « الاستعمار الصهيوني في فلسطين » [بالفرنسية : كوياس ، باريس : ص ١٥ — ٢١]

(١٠٨) روميسون : مجلة الزمان الحديثة ، ص ٤٨

نشأة الجيش الاسرائيلي

بعد صدور قرار المرسوم ببناء القوات العسكرية اليهودية العاملة في فلسطين تقارب، لارتقاء الخلافات فيها بينها وتحقيق الانسجام لتشكل نواة جيش الدولة الجديدة - وتم اعلان تشكيل الجيش يوم اعلان قيام اسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ وتلقى الجيش في ايامه الاولى من القوات الثقلية وهي الهاجاناه ، والمالاخ ، والقوات شبه الثقلية وهي الارجون وشلين .

كما ارتبطت هذه المرحلة الجديدة بتلويح اتجاهين بارزين في مسيرة الحركة الصهيونية **اولهما** : الاقرار الاستعماري دوليا ، بشكل واضح ، بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وليس مجرد « وطن قومي » .

وثانيهما : المجاهرة العلنية من جانب الحركة الصهيونية بلجونها الى القوة المسلحة لخلق هذه الدولة وممارستها لهذه السياسة باعتبارها الوجه الاساسي لنشاطها .

هكذا ، ومنذ اواخر الحرب العالمية الثانية تلعب **واشنطن الدور الاول في دعم الحركة الصهيونية** .

لقد كانت الولايات المتحدة هي مصدر السلاح الرئيسي للمصالحات الصهيونية في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية .

« كانت أمريكا تريد التخلص من الأسلحة الكثيرة بعد الحرب ولذلك كانت تباعها بأسعار رخيصة وتم جمع الأموال اللازمة من اليهود الأمريكيين وتكونت جيوش سرية لشراء الأسلحة وكان اليهود يتكثرون الأسلحة ويرسلونها الى فلسطين على أساس أنها آلات صناعية » (١١) .

ووجدت الصهيونية في **ترومان** نصيرا ثانيا لها . ففي ٣١ أغسطس ١٩٤٥ كتب **ترومان** الى رئيس الوزراء البريطاني اثنى يقترح عليه نقل ١٠٠.٠٠٠ يهودي الى فلسطين فوراً . وكتب

وتنح ان الصراع بين الحركة الصهيونية وبين الحكومة البريطانية حول الكتف الأبيض وصل الى حد الصراعات المسلحة فان اشكال التعاون والتأييد المتبادل بين القوتين ضد شعب فلسطين العربي استمر حتى آخر لحظات الاستعمار البريطاني في فلسطين .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية ، واقلو القوة الاستعمارية لبريطانيا العظمى ، وصعود الولايات المتحدة الأمريكية بديلا لها ، كانت الصهيونية تتسدد رجالها من جسد الى غرب الاطلنطي ، نحو **واشنطن** بصورة رئيسية .

يقول **بن جوريون** :

« لم أمد أشك ان مركز النقل لملتنا السياسي في ايدان الدولي قد انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة التي تزعمت العالم ، وتحتوي على مجسومة كبيرة من اليهود . ان أوروبا أصبحت في قبضة الفاشيين ، وهي حتى بعد ان تغلب على ألمانيا ستكون منهوكة القوى ، وستكون ممتدة اقتصاديا على أمريكا لسنوات عديدة بعد التحرر ، وحتى المسائل السياسية ستكون تحت التأثير الأمريكي » (١٠) .

وفي ١٩٤٢ قام **بن جوريون** و**وايزمان** بزيارة الولايات المتحدة حيث عقدا مؤتمرا صهيونيا في نيويورك اعتمد في ١١ مايو ماسبي فيها بعد «**برنامج بليتيمور**» الذي دعا الى « تسوير فلسطين بعد الحرب الى كومنولث يهودي ضمن ديمقراطيات العالم » (١١) .

ولقد أصدر الكونجرس الأمريكي قرارا رسميا في عام ١٩٤٣ بتأييد مطالب الحركة الصهيونية كما وردت في برنامج بليتيمور .

لقد ارتبط تحول الحركة الصهيونية الى واشنطن ، والدم الأمريكي لاهداف الحركة الصهيونية بصراع وصل الى الذروة في مؤتمر بازل (ديسمبر ١٩٤٦) حيث هزمت سياسة **حاييم وايزمان** رجل فترة الارتباط بالامبراطورية البريطانية وكسب **الحاخام هيلل سيلفر** الذي وعد بالتأييد الأمريكي معظم الأصوات .

في أكتوبر من نفس السنة بيانا يردد فيه دعوته لتحويل المائة ألف يهودي في فلسطين ويؤيد الاقتراح الذي قدمته الوكالة اليهودية الخاص بإنشاء دولة يهودية قادرة على الحياة في منطقة مناسبة من فلسطين ، وتسك بزمهم هجرها وسياساتها الاقتصادية »

ويقول واستريا :

« ولكي تجبر الولايات المتحدة اليهود القاحلين من المستعمرات الألمانية على التوجه إلى فلسطين أخذت أمريكا في تضيق الهجرة اليهودية إليها ، رغم ما كانت تبديه ظاهريا من موقف الدفاع عن المظلومين وخاصة الأقليات اليهودية في أوروبا » (١١٢) .

لقد كان التحالف الوثيق بين الصهيونية والاستعمار الأمريكي هو الشرط الذي لابد منه ، والخطوة الأساسية في تلك الظروف ، للتحويل الكففي من المستعمرات المنتصرة إلى إسرائيل للدولة .

لقد لعبت الولايات المتحدة دورها الشهير في إصدار قرار تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة الصهيونية من الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ ، وبعد ١١ دقيقة من صدور بيان الوكالة اليهودية في تل أبيب بإعلان قيام دولة إسرائيل في ليلة ١٤ مايو ١٩٤٨ ، كانت الولايات المتحدة تعلن اعترافها بها .

وفي عام ١٩٥٠ تزعمت الولايات المتحدة كل من بريطانيا وفرنسا في إصدار التصريح الثلاثي وعلى الرغم من أن التصريح ينص على حياية حدود دول منطقة الشرق الأوسط جميعها ، فقد ظلت تصرفات الحلف الثلاثي ، كما دلك جبرى الأحداث في المنطقة على أن المقصود بالبيان كان باتحديد : حماية إسرائيل من أي جهود محتلفة تستهدف إيجارها على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة .

على أية حال ، يضيق بنا المجال لو حاولنا أن نرصد تفصيلا جميع أنواع المسامدات المالية والمعنوية التي قدمت إلى الولايات المتحدة إلى إسرائيل . يكفي في هذا المجال أن نذكر — على سبيل المثال :

● المعاهدة السرية العسكرية التي عقدها الولايات المتحدة مع إسرائيل عام ١٩٥٢ .

● قدر الدبلوماسي الأمريكي دايد نيس ، أن ما دفعته الولايات المتحدة ، لإسرائيل يزيد عن ٤ بلايين دولار ، كما أن معدل مساعداتها السنوية لها حتى اليوم هو نصف بليون دولار سنويا ، وذلك عدا اتفاقية التوفيقات المالية وغيرها ، مما سهلت أمريكا لإسرائيل الحصول عليه وهونى مجسوعه يوازى نفس هذا المبلغ . أى أن إسرائيل ، تكون قد حصلت بهذا الشكل على ثمانية بلايين دولار منذ إنشائها حتى اليوم .

● ولم تكف الولايات المتحدة بد إسرائيل ، بشكل مباشر أو غير مباشر بكافة الأسلحة الحديثة ، وتدريب جيشها وتزويده بأحدث الخبرات والمعدات ، ومعلومات أجهزة التجسس الأمريكية على البلاد العربية ، بل لقد صرح ليلى أشكول رئيس وزراء إسرائيل ، في منتصف أبريل ١٩٦٧ ، وفي أبان التحضير لعدوان ١٩٦٧ ، لجلة « نيزوف أوف ذي ورلد » الأمريكية بقوله :

« أن المسؤولين الأمريكيين بلغوني أكثر من مرة أن الأسطول السادس موجود في البحر الأبيض المتوسط لحماية إسرائيل بالدرجة الأولى » (١١٣)

هذا ، بينما كان « هفري نائب رئيس الولايات المتحدة يبعث برسالة إلى الموكب الذي نظمتها « المنظمة الصهيونية الأمريكية » في ٦٧/٥/٢٨ يقول فيها :

« أن إسرائيل هي شقيقة أمريكا ، وشريكتنا ومصيرتنا الذي نحرص عليه .. أنها منارة لجميع الشعوب في الشرق الأوسط ، وشغلواها هو رسالة الأنبياء » (١١٤) .

ضد الحركة الثورية في العالم

كان جواز المرور للحركة الصهيونية لاقامة تنظيماتها في بلدان أوروبا المختلفة هو إبراز قائمتها لها باعتبارها حريا على التنظيمات الثورية في تلك البلدان ، ولقد كانت بالفعل أداة تفتيت للحركة العمالية ، وأداة تضليل لجباير اليهود الثورية وصرفها عن المعارك الأبا يخدم أهداف الصهيونية .

يقول هرتزل في رسالته إلى تيمر المانيا في ١٧-١-١٨٩٧ : « أن على حركتنا التي انتشرت انتشارا واسما في كل مكان أن توضح حريا ضارية مع الأحزاب الثورية التي تجد في حركتنا ،

[١١٢] واستريا بي - « من السويس إلى القبة » - المرجع السابق - ص ٧٢

[١١٣] مجلة « الحرية » الثمانية - عدد ٣٥٩ - ٢٤ - ٤ - ١٩٦٧

[١١٤] نشر بجريدة الأهرام القاهرية في ٢٩ - ٥ - ١٩٦٧ وأوردته وكالات الأنباء

ولها الحق بذلك ؟ نعمنا لها » . (يونيات هزرتل -
ص ٥٩٦)

ويعود الى تأكيد ذلك بقوله :

اعتقد اني قد اشير الى اثر مفيد لنشاطي . .
لقد اثبتت الكثيرين من مبادئ الثورة الاشتراكية
الزيفة ، وحولتهم الى حملة مثل عليا (١١٥) .

وفي غمار العمل شاركت الحركة الصهيونية
بنشاط في الثورة المضادة لثورة لكتوير الاشتراكية
في روسيا .

« لقد اشترك الصهيونيون في « حكومات »
دينكين ، والقائد سكوكورا وسكي وبيتلورا
المزعومة من حكومات الحرس الابيض وقوات
التدخل ضد ثورة لكتوير ولما بدأوا باعمال نشطة
لخلق الفصائل العسكرية الصهيونية التي شجرت
السلاح في وجه الحكم السوفيتي الوليد . وفي
الآخرة لم تكن اعمال الصهيونية اقل نشاطا ،
فبالاضافة الى التخريب ، اعادوا اهتماما جديا
لما يسمى « بالانشغال المملكية » للنضال ضد
الدولة السوفيتية ، منظمين عددا كبيرا من
الجمياعات والاتحادات ، التي أصبحت مركز
نشاط معاد للسوفيت » (١١٦) .

وتلعب الصهيونية دورها كاملا في الحرب
الباردة وتغذية الحملة المعادية للاتحاد السوفيتي
والمعسكر الاشتراكي .

ويحلو لبعض قادة اسرائيل ترديد دعاري لشد
لثبات الامبريالية عدوانية وضراوة لتضويهموتف
الاتحاد السوفيتي من الفزاع العربي الاسرائيلي
عندما يعلن بمشهم :

« علينا ان نشرح للرأي العام العالمي في
الغرب وفي أمريكا ان القضية ليست قضية
خلاف بين اليهود والعرب . وانما هي محاولة
سيطرة روسيا على المنطقة بالرها . وانه
لا يتبع هذه السيطرة بسوى وقوف اسرائيل
قوية وسدا في وجهها » (١١٧) .

وتشكل حملات التخريب ضد الاتحاد السوفيتي
تحت شعار الدفاع عن اليهود المضطهدين هناك
جزءا أساسيا من حملة الكراهية التي تشنها

الدوائر الرسمية الصهيونية ودوائر حكومة
تل أبيب . كما يلاحظ ان هذه الحملات تقتصر
شحتها دائما بالتقصيرات الاسرائيلية الصهيونية
للالعمال العدوانية على بلدان الشرق العربي .

وتذكر جريدة الاتحاد الاسرائيلية ان المؤتمر
الصهيوني السادس عشر الذي عقد في القدس
في سنة ١٩٦٥ خصص جزءا كبيرا من اجتماعاته
للمهجوم على الاتحاد السوفيتي (١١٨) .

وقبل المؤتمر تالكت في اسرائيل لجنة ضمت
عددا واسعا من العناصر الصهيونية البارزة
باسم « اللجنة العامة لتشؤون اليهود في الاتحاد
السوفيتي » ، وظلت لا تكف من نشر البيانات
الاستفزازية ضد الاتحاد السوفيتي والمعسكر
الاشتراكي .

وفي فبراير ١٩٦٧ نظمت حكومة أشكول
بالاشتراك مع المؤتمر الصهيوني العالي حملة
تحريض مركزة ومنظمة ضد الاتحاد السوفيتي
داخل اسرائيل وعلى نطاق عالمي من طريق
ما أسماه « بأسبوع يهود الاتحاد السوفيتي »
حيث عقدت الاجتماعات الجاهيرية التي ترأسها
المبولون الاسرائيليون في تل أبيب والقدس وحيفا
ونظمت المعارض ولققت الاكاثيب ، وقررت وزارة
التربية والتعليم الاسرائيلية تنظيم حملة في المدارس
الابتدائية والثانوية بعنوان « تاريخ يهود الاتحاد
السوفيتي منذ ثورة لكتوير » ولقد كتبت صحيفة
« زوهديرخ » اليسارية تقول :

« ان هدف الحملة هوالمساهمة في الحرب
الباردة التي يديرها الاستعمار الامريكي والمانيا
الغربية ودول أخرى ضد الاتحاد السوفيتي تحت
شعار « معاداة اللاسابية » و « انقاذ يهود
الاتحاد السوفيتي » (١١٩) .

ولقد كشفت بعض الاحداث التي وقعت قدام
٥ يونيو في المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا
ورومانيا عن دور الصهيونية في سخط الامبريالية
العالمية الجديد للتقصاض على المعسكر
الاشتراكي من الداخل . وتفكر قرارات المؤتمر
الخامس لحزب العمال البولندي الموحد ان بولندا
قد اضطرت منذ ١٩٦٧ ان تدخل ٢

[١١٥] يونيات هرزل ص ٨٨١

[١١٦] يوري استانوف - انحروا الصهيونية - الترجمة العربية - القاهرة ١٩٦٩ ص ٧٧ ، ص ٧٨

[١١٧] جريدة هايموم الاسرائيلية ٥ - ١٢ - ١٩٦٨

[١١٨] جريدة الاتحاد الاسرائيلية ١٧ - ٢ - ١٩٤٧

[١١٩] جريدة الاتحاد الاسرائيلية ضد ١٧ - ٢ - ١٩٦٧

« معركة طليقة ضد المؤسسة الصهيونية الامبريالية العالمية » (١٢٠) .

يد بيد مع كل القوى العدوانية

ان نقل الصهيونية لحدود تحالفاتها من ألمانيا وفرنسا الى إنجلترا الى أمريكا في فترات متلاحقة من التاريخ لا ينفى استمرار ارتباطها بالجبهة الاستعمارية ككل ، وتفتيدها للخطط الاستراتيجية للاستراتيجية الامبريالية الدولية ، المرتبطة بالصهيونية ودولتها اسرائيل في الوقت الحالي مثلا بالولايات المتحدة الأمريكية لاسيما لا ينفى علاقتها الوثيقة بدوائر الاحتكارات المالية في جميع البلدان الاستعمارية ، فحكومة ألمانيا الغربية خاصة على عهد **الديمقراطيين المسيحيين** لعبت دور المسند الأوربي الرئيسي للدولة الصهيونية . وقامت حكومة ألمانيا من المال والسلاح لاسرائيل بالجلان مالم تقدمه أي دولة أخرى ، ولقد تجسّفت « التعويضات » الألمانية الغربية لاسرائيل — وهي في حقيقتها لا تعدو ان تكون هبات دم مباشرة — مبلغ ١١١ مليون دولار . وتقيم حكومة بون مع كل ايوب تعاون وثيقا في مجال الأبحاث الذرية والاسلحة الكيميائية والبيولوجية . ويوجد بألمانيا الغربية المقر الرئيسي لنشاط شبكات التجسس الاسرائيلي على البلاد العربية . وتنشط الجاسوسية الاسرائيلية من خلال الشركات الألمانية العاملة في البلاد العربية ، فضلا عما تقدمه المخابرات الألمانية من خدمات الى المخابرات الاسرائيلية . ولقد أعلنت جميع الاحزاب الألمانية الممثلة في **البروندستاج** تأييدها لاسرائيل على اثر عدوان ١٩٦٧ واستخدمت الصحافة والإذاعة والتلفزيون وجميع وسائل الاعلام الأخرى في الدعاية لاسرائيل . ولم يخف المسؤولون عنها ارتباطهم بنجاح العدوان الاسرائيلي المسلح ضد البلدان العربية .. وكتبت صحيفة **بلتسكا تيويش** الألمانية الغربية في ١٠ يونيو ١٩٦٧ تقول بصراحة :

« ان الاسلحة التي سهلت انتصار اسرائيل العسكري في اسلحة قدمتها اليها ألمانيا الغربية بمقتضى اتفاقية التعويضات » (١٢١) .

وفي فرنسا التي استضافت حكومتها برئاسة **الجنرال ديغول** ، وبعد ان تخلت من « عقدة الجزائر » ، ان تخطت لنفسها موقفا مستقلا يشجب العدوان الاسرائيلي ، وجدت الصهيونية التأييد والمساندة من الاحتكارات الفرنسية الاستعمارية ورجعية ومثلها مثل منظمة الجيش السري الفرنسي التي كتبت جريدتها تقول :

« بالنسبة لنا ، فلاسراييليين ، مثل فرنسيي الجزائر الحق في البقاء ، في بلد فتحوه بمعلمهم ومنعوه جزءا جزءا .. وهو ملك لهم بلا زيادة ولا نقصان .. وأمام هذه الحقائق لم يعد ممكنا ان نفقد أنفسنا بالآرام . فإيماننا احتمال واحد اما الاستيلاء على أفريقيا كلها مرة أخرى ، أو ان نقبل اختفاء دولة اسرائيل في يوم من الأيام . ونحن القائلين في الجيش السري نحى جنود اسرائيل تحية أخوية ، لانهم الوحيدون الذين يدافعون معنا منذ سنوات طويلة عن حضارتهم شركاء فيها » (١٢٢) .

إن الصهيونية كصيلة خاصة من فصائل الامبريالية الدولية تتبنى فكرة عنصريا واتجاهات توسعية عدوانية ، تجد مكانها الطبيعي بين أشد فصائل الامبريالية عدوانية ، ومنذ نشأتها وهي تتفق في هذه الجبهة بكلنا قدمها .

اسرائيل والروح « الصليبية »

الاوربية ضد العرب

منذ البدايات الأولى ، كتلت نقطة انطلاق الاسلحة في نشاط الحركة الصهيونية هو استفزاز حكام أوروبا لحرب جديدة ضد العرب تكون — في الظروف الجديدة — بديلا للغزوة الصليبية المعروفة .

وعندما تم زرع اسرائيل باعتبارها « جسدا أوربيا » في قلب الأرض العربية فقد كان أحد الاهداف الرئيسية من وراء ذلك إيجاد فاصل مادي بين المشرق العربي وبين المغرب العربي . ويكون وراء اختصار الامبريالية لسياسة أو لسلطين لتكون موقع زرع هذا الحاجز البشري ، ادراك الامبريالية للدور القيادي الذي يمكن ان تلعبه مصر في عملية الوحدة العربية .

(١٢٠) مجلة الطليقة القاهرية — عدد سبتمبر ١٩٦٩

(١٢١) **بلتسكيويش** — ألمانيا الغربية — ١٠ - ٦ - ١٩٦٧

(١٢٢) نشرة فرانس بريس **ألمونيون** من **بيرداميون** — في مواجهة اسرائيل — باريس — ١٩٦٨

تواجهه ؟ ولماذا نعطيهما أن نعتد على القوة الرادعة التي تملكها دولة سديقة في المنطقة كخط أمانى يمكن أن يجنب أمريكا التطفل المبشر (١٢٥) .

ولقد كتبت اسرائيل دورها هذا طوال العشرين عاما من وجودها :

● تكد هذا في مستهل عام ١٩٥٥ حين تقدم الجيش الاسرائيلى وحصلت المنطقة المنزوعة السلاح على طول الحدود المصرية الاسرائيلية واعتدى على تلك الحدود ، بعد أن رفضت حكومة مصر مشروع **حلف بغداد** وأخذت تقاومه على المستوى العربى .

● وتكد في نوفمبر عام ١٩٥٥ حين قابلت اسرائيل بعدوان جديد على الحدود المصرية حينما شاركت مصر بدورها البارز في مؤتمر بانطونج ، وحطمت احتكار السلاح بعقد صفقة الأسلحة التشيكية لتدعيم دفاعها .

● وحين هب الشعب الاردنى ليحيط محاولة ضم الاردن الى حلف بغداد ، أعلنت **جولدا مائير** وزيرة خارجية اسرائيل آنذاك أن اسرائيل تعتبر أى تغيير سياسى في الأردن سببا يبرر الحرب .

● وحين تقدمت مصر على تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تقدمت حكومة بن جوريون تعرض خدماتها على بريطانيا وفرنسا ليلتقوا في مؤتمر سينر وينفذوا حيلتهم الخمسة ضد مصر وشعبها في أكتوبر - نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

● وفي ١٩٦٧ ومع نصاء مد الحركة الثورية العربية في ج.ع.م. وسوريا والجنوب العربى .. الخ كان عدوان يونيو ١٩٦٧ .

أداة الاستعمار الجديد

في آسيا وإفريقيا

هربت الدولة الصهيونية بعد انشائها من نفسها ، بشكل متسق ، كجزء من معسكر الرجعية والاستعمار على النطاق العالمى وذلك في مواجهة حركة التحرر الوطنى .

لقد ساندت اسرائيل الحركة الاستعمارية

لكن دون اسرائيل ؟ بعد قيامها ؟ لم يقتصر على مجرد كونها الحاجز البشرى والجغرافى بين شعوب وأراضى الامة العربية . بل يعتبر قادة اسرائيل أنفسهم في « حرب مقدسة » ضد أى شكل من اشكال الوحدة أو التعاون العربى . وفي هذا يكدر **بار زوهار** ، أنه على اثر قيام الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ ، واتحاد العراق والاردن ، اتجه **بن جوريون** الى تركيا التي انزعجت - في ذلك الوقت - من قيام **الجمهورية العربية المتحدة** على حدودها . واتجه الى ايران التي كانت تخاف من العراق ثم الى الحبيشة .

واستطاع بن جوريون أن يعقد اتفاقا مع هذه الدول الثلاث . ويعد يستشير أمريكا وفرنسا ، غوافقت اللواتن . وهكذا نشأ « الحلف المحيط **Peripheral Alliance** » ، ولكن هذا الحلف لم يكن رسميا لأنه لم يوقع (١٢٦) .

الانكسارية الجديدة في

مواجهة الثورة العربية

ولكن الوجود الاسرائيلى قد أثبت أنه قادر على اداء خدمات جليلة للاستعمار تفوق مجرد السيطرة على جزء من الوطن العربى ، تعزل مصر من أقطار الشام والعراق ، وتقطع الطريق البرى الى شبه الجزيرة العربية . « فالكفاءة العسكرية الاسرائيلية أشفت بعدا جديدا على دورها في المنطقة . بعدا يستحق من الاستعمار كل تقدير وتحصل مقابلة الدولة الصهيونية على المزيد من المساندة الاستعمارية . لقد رشحتها تلك الكفاءة لان تكون كلب الحراسة الشرى الذى يحى مصالح الاستعمار . ففي كل فترة من الحركة الثورية العربية كانت اسرائيل تتحرك لتضرب جاراتها العربية محاولة تعطيل التقدم (١٢٤) .

ويتطابق ذلك بدقة مع مخططات الامبريالية الامريكية المتعلقة باستراتيجية ما يسمى بالحرب الخاصة . فيقول جيسس فيردن مراسل النيويورك تايمز في القدس مشيرنا الى دور اسرائيل في المخطط الامريكى :

« لقد وصلت الولايات المتحدة الى نتيجة ، وهي أنه لم يعد في امكانها أن ترد على كل حدث

[١٢٣] بارزوهار : « الذى المصطلح ص ٣١٣

[١٢٤] اسماعيل مبرى عبد الله فى مواجهة اسرائيل ص ٣٥

[١٢٥] نيويورك تايمز - ١٧ - ١ - ١٩٦٧

تمثل صناعاتها رئيسيا في الاقتصاد الاسرائيلي (ثلث صادراتها السلعية) .

وقد بلغ عدد الخبراء الاسرائيليين في الدول الافريقية ما لا يقل عن ألف خبير يعملون في جميع الحقول الطبية والفنية والتدريس في الجامعات (١٢٧) .

وتحت لافتة ما يسمى « بالبرنامج الاسرائيلي للتعاون الدولي » تعمل اسرائيل على استغلال شباب افريقيا الى المعاهد والمؤسسات الاسرائيلية الخاصة . وقد نصحت من هدفا من ذلك في ملحق صحيفة جيروزاليم بوست شبه الرسمية بمناسبة ذكرى تاسيس المعهد الاثري آسيوي في تل ابيب بقولها :

ان طلبة المعهد هم نخبة بلادهم ، وسيصبحون بعد عودتهم الى بلادهم الاساذة والقادة بحيث ينتقل نفوذ اسرائيل عبر الاجيال الافريقية ، من زارها لتترب لوتعلم فيها ؛ اليهن من يزرها (١٢٨)

كما تبدي اسرائيل عناية متزايدة بتدريب رقباء وفراد الجيوش الامريقية . ومن ذلك تدريب عدد من الطيارين الكينيين وتدريب ٢٥٠ مظلينا كونغوليا ، كذلك بارسال الخبراء العسكريين الى الجيوش النظمية الافريقية .

وتبدي الدوائر الاستعمارية الغربية اهتمامها البالغ بهذا النشاط الاسرائيلي فيقول مكتب استعلامات افريقيا في القيا الغربية في تعليقه على هذا النشاط :

« ان كل هذا امر يدمو للاغتيال الى اقصى حد حيث ان النفوذ الاسرائيلي في افريقيا يخدم قضية الغرب بشكل مباشر او غير مباشر » (١٢٩) .

ولقد دعت جمعية افريقيا بلانبا الغربية القوي الامبريالية الاخرى الى :

« استخدام اسرائيل كحطة في الوصول الى افريقيا وعدد من بلدان آسيا ، اي بان تدعم جهودها بشكل أو بآخر ، ولكن مليا بالدرجة

المضادة للزعيم الافريقي باتريس لومومبا في الكونغو ، وعضدت الحركة الرجعية الاستعمارية مويس تشومبي . ولقد ساندت الصهيونية ودولتها اعمال القمع البرتغالية في المستعمرات وسدت السلطات البرتغالية بالاسلحة والمعدات الاسرائيلية . ووقفت ضد كل محاولات ادانة النظام العنصري الاستعماري في جنوب افريقيا محتظة معه بالقوى الصلاتات السياسية والاقتصادية ، وابتدت الحركة الانفصالية في يافرا بالمال والسلاح والخبراء ، كما مستندت وضاد الحرب العدوانية البشة للولايات المتحدة ضد شعب نيتام .

ومع ذلك ، على السنوات الاخيرة ، وخاصة منذ ١٩٥٧ ، ومع التطورات العالية الاخيرة برز دور جديد وخطير تؤيده اسرائيل في خبة الاهداف الاستراتيجية للامبريالية العالمية . وهو تحولها الى راس جسر للنفوذ الاقتصادي والكري المنظم الذي يقوم به الاستعمار الجديد لدول آسيا وافريقيا للاستمرار في نهج شعوب القارتين .

ان اسرائيل ، ذات البناء الاقتصادي المصطنع ، والتي تعيش على المعونات والقروض الاجنبية ، ما كان يملكها بالطبع ان تستثمر اموالها في الخارج . ولكن من خلال الاحتكارات الاجنبية الموجودة في اسرائيل والاموال القدمة بسخاء من جانب الولايات المتحدة والسائيا الغربية .

« بلغ مجموع ما استثمرته خلال خمسة اعوام في افريقيا ١٥٠ مليون دولار ٧ حققت منها اربحا على حساب شعوب القارة لا تقل عن ٥٠ مليون دولار » (١٣٠) .

وفي منتصف ١٩٦٢ كان في افريقيا ٤٨ شركة برسابيل اسرائيلية وافريقية مشتركة لا تثنى في اتجاهاتها عن اتجاهات الاستثمار الاستعماري عادة ، فتركز اسلحا على شركات الاستغلال الزراعي والصناعات الغذائية وشركات استغلال الثروة الحيوانية وشركات الانشاءات والنقل . هذا الى جانب علاقاتها التجارية الوثيقة بجنوب افريقيا حيث تستورد منها المس الخام الذي

الاولى ؟ نظرا للمشاكل النامية للقارة
السوداء » (١٣٠) .

ويذكر نيكولاى برمولوف فى كتابه « حصان
طروادة للاستعمار الجديد » انه :

« تأسس فى تل ابيب معهد خاص لتدريب
الهيئات التنفيذية لاتحادات النقابات والتعاونيات
والمصالح الحكومية لتطوير دول افريقيا وآسيا .
وهناك كل الاسباب التى تجعل هذا المعهد مركزا
دوليا للتدخل الامبريالى فى افريقيا . فلولايات
المتحدة وبريطانيا اشراف مباشر على نشاطه .
ولقد قدمت اسرائيل انشاءاته الاولى ولكن
ميزانياته الجارية تغطيها الاتحادات النقابية فى
الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض الدول الاخرى .

« ولا تستمر الدراسة فى هذا المعهد سوى
ثلاثة اشهر ونصف فقط . ورسما يعمل المعهد
تحت ادارة الاتحاد العام الاسرائيلى للعمل، ولكنه
فى الواقع تحت اشراف وزارة الخارجية
الاسرائيلية ، ومن بين القائمين بالقاء المحاضرات
فيه **جولدا مائير** (رئيسة الوزراء الاسرائيلية) .
ومهمة المعهد الايدولوجية هي تسميم قادة الحركة
النقابية والتعاونية الافريقية والاسيوية » (١٣١) .

ان قيام اسرائيل بتنفيذ المخططات الاستراتيجية
والنكيبكية للامبريالية العالمية لا يعنى انها ليست
سوى اداة للاستعمار العالمى . فالواقع ان اسرائيل
كتجسيد مركز للحركة الصهيونية العالمية انما تلعب
دورها المتميز ككولة استعمارية لها مصلحتها
واهدافها الخاصة فى اطار الجبهة العالمية
للامبريالية الدولية . ولا يشير من تلك الحقيقة
ضيق مساحة اراضيها او قلة عدد سكانها ، فان
ما يحدد قيام كيان ما بدور استعماري ذاتى انما
يحدده حجم ونوع القوى المالية التى تضط له
سياسته الخاصة وامثلة هولندا والبرتغال بل
وانجلترا حاسمة الدلالة فى هذا الشأن .

ان صراعات الصهيونية الحديثة ضد حلفائها
من الامبرياليين كانت صراعات فى مسبيل تأكيد
مطالبها الخاصة ، والوصول الى افضل اتفاقيات
تقسيم العمل الملائم لمصالحها . بينما كانت
صراعاتها ضد الشعوب العربية صراعات قوة
استعمارية عدوانية تتحالف فيها مع قوى
الرجعية والاستعمارية فى مواجهة حركة تحرر
عربية نامية تهدف الى تقويض مراكز الامبريالية
والاستعمار بكلفة اشكالها وعلى نطاق المنطقة
العربية بأكملها .



اعادة بناء القرية



القضية

والخطة

د. جمال حمدان

الريف الواسع ، تماما يمثل ما ان وجه مصر الحقيقي لن يتغير الا بتغير وجه القرية بالذات . بل اننا لنقول ان هذا المشروع هو المادل الموضوعى لمشروع السد العالى نفسه .

ولا جدال بعد هذا فى فداحة المشكلة . فنحن هنا بآراء وقر باطن ساحق وسحيق حقا ، وتراكم تاريخ الفنى هو من اسف متيق بقدر ما فيه من هراقة وامسالة . ولعلها لم تكن مجرد مبالغة لفظة حين قال اليمعنى ان نقل المشكلة بمادل محصلة اكثر من ٤٠٠٠ قرية مشروية فى اكثر من ٤٠٠٠ سنة .

والمشكلة هى الى ذلك محصلة تطورنا الحديث غير المتكافئ خلال القرن او القرنين وتصفى القرن الاخير . فبينما تطورت مدننا وحياة المدن عندنا تطورا نسبيا او معقولا ، ظل الريف على

قضية القرية ممسنا

ستظل

سنين عددا . فالتخطيط والاعداد لاعادة بنائها سيتم على الاقل فى بضع سنين ، بينما تحدد برنامج العملية كلها من تخطيط وتنفيذ بعشرين عاما . والان وقد قررت الدولة رسميا اعادة بناء القرية ، واقامت المجلس القومى للخدشات ، فقد تحولت القضية الى حركة ، والحركة الى خطة .

ومن تحصيل الحاصل او الاجترار وهذه لن نقول ان اعادة بناء القرية تعد من افسخ وخطر مشروعات مصر المعاصرة ، وركن اساسى من اركان بناء الدولة المصرية فيها . « **فالتورة على القيل** » ، كما سماها الرئيس ، والتي بدلت منذ نحو العقدين ووصلت الى قبتها فى السد العالى ، لن تكمل قواعدها الراسخة الا مفرشة عريضة وغامرة تغطى جسم مصر الحقيقي وهو

من أين نجد ؟

من الناحية الإجرائية والتنظيمية البحتة ، يقتضى المشروع استكمال ما يساوى ٢٠٠ قرية كل عام . ولا يمتنى هذا بالطبع استكمال تنفيذها النهائي ، الذى قد يمتد لعدة سنوات وربما كل السنوات العشرين ، ولكنه يحدد المتوسط السنوى لمستوى الأداء التنفيذى المطلوب على امتداد المدة كلها ، اذا ما أريد للخطوة كلها أن تتم فى موعدها المقرر .

ولعل نقطة البداية العملية هنا أن يوضع أساس انتقائى لاختيار القرى حسب جدول زمنى محدد . وفى مثل هذا الاطار ، فليس من السليم أو الممكن فنيا ، ولا هو من العدالة اجتماعيا ، أن يتقدم العمل على أساس البدء مثلا بمحافظة والانتهاؤها منها جميعا ، ثم الانتقال الى محافظة أخرى ، وهكذا . وأنها أبدأ الصحيح أن تنتشر عملية إعادة البناء فى شبكة واسعة على مستوى الجمهورية كلها . فهذا ، الى جانب روح الاهتمام والطلع التى يثيرها والمخالفات الصحية التى يذكها بين الجميع ، فضلا عن المساواة الإقليمية التى يهتمها لهم ، جدير بأن ينوع بينات العمل ويثرى الخبرات والمهارات المتراكمة التى يمكن أن تكسبها الأجهزة المنفذة أثناء العملية وتنشأ من تدراتها على حل المشاكل المماثلة أو المخيرة التى قد تواجهها . الخ ..

ولما كان لدينا نحو العشرين محافظة ، فإن هذا يعنى تناول ١٠ قرى فى كل محافظة كل عام (نكرر) فى المتوسط) ، يمكن أن توزع بمعدالة على مراكزها المختلفة بحسب قواعد معينة . أو قد يرى أن يتم تناول القرى ، نظرا لاختلاف أعدادها الإجمالية بين المحافظات المختلفة ، على أساس ٥ ٪ من عدد قرى كل محافظة منها . وبذلك نضمن دقة تنفيذ البرنامج الزمنى العشرينى .

أما فى داخل كل محافظة ومركز ، فيمكن أن توضع أولويات لاختيار القرى على أساس محددة . فقد نبدأ بشدها سوءا من الناحية المبرانية أو أكثرها نضجا للهدم ، ثم بطلب الذى تساهم أكثر فى توفير الأرض الجديدة المطلوبة لإعادة البناء ، أو تلك التى على استعداد لأن تسهم بحصة أكبر فى تكاليف إعادة التعمير أو توفير الأيدي العاملة . الخ ..

غير أنه بعد هذا كله ، ونحن يستقر الرأى

تخلله وتمسوره التشنج - ونشرد ذلك أن الإيديولوجية الانتعابية والاستعمارية انماحاولت أن تجعل العاصية أو العاصيتين ، لا مصر فى الحقيقة ، « قطعة من أوربا » ، بينما بقى الريف قطعة من أعماق العالم الثالث .

من هذا كله يصبح الموقف بالتقريب الشبه من يحول أن يرفع نفسه من رباط حذائه كما يقال . كما يصبح من الواضح تماما أن الريف والقرية هما التحدى الأكبر الذى يواجه الإنسان المصرى فى الداخل ، ونجاحه فى مجابهته هو جواز مروره الى المستقبل الجديد . ولكي ينجح ، وهذا ممكن كما هو ضرورى ، فإن على مصر جميعا أن تحتشد له بكل طاقة الفكر والفعل والمال .

وليس فى شيء من هذا كله تفسيخ مقبل للشبكة أو تهويل مشط فى جميعها ، وأنها هو يفسحها فى إبعادها الحقيقية بها يكلل محاليتها معالجة جادة ومسئولة بلا استخفاف أو تهاون . ولقد ثرت الدولة بالفعل أن ترصد وتكرس للمشروع ٢٠٠٠ مليون جنيه موزعة على مدى العشرين عاما المحددة ، أى بمعدل ١٠٠ مليون لكل عام ، أو نصف مليون لكل قرية فى المتوسط . أعلن بعد هذا أن ٢٠٠ ألف ممكن تروى تكلف ٥٠ مليون جنيه سيتم بنائها كل عام ، وذلك على مدى ١٠ سنوات . وهذه ميزانية سخيفة بكل المقاييس ، لا سيما فى ظروف المعركة التى هى فوق الجميع وتأتى أولا وقبل كل شيء . ولكن البالغ هو أنل ما يتناسب وحجم المشكلة ، كما أنه ليس بالكثير على الريف الذى طال حرمانه وأعماله .

وللمقارنة وعلى سبيل المثال ، فإذا كتبت القرية الواحدة سيخصها المشروع بنصف المليون من الجنيهات ، فلنذكر أن كثيرا من عمارتنا السكنية فى المدن الكبرى تتكلف ربع أو نصف المليون ، وذلك حتى دون أن نذكر تلك المهارات « المليونية » (أو المليونيرة) الأسعد حظا بكثير . والواقع أن الريف هو الذى بنى مصر المدن والعمران . فالتأملت تاريخنا أن الزراعة المصرية هى التى مولت عملة تضريرنا الحديثة وقدمت التكاليف الابتدائية والأشائية لكل الهياكل التحتية والفوقية لاقتصادنا وخدمتنا الشبكية المصرية من مواصلات وصناعات .. الخ .. بالاختصار ، القرية بذرة ونواة مصر ، وهى أيضا أم المدينة . ولذلك فقد أن الأوان حقيقة لكى ترد المدينة حينها للريف ، وأن توجه من مكاسبها وفلأى القيمة فيها ما يرفعهم قرب مستواها ويسبق الهوة الحضارية الشاسعة بينهما .

ويعبارة أخرى ، كان نضاك سؤالاً ينبغي للامة ، ممثلة في تبادلاتها السياسية والشعبية ، ان تقدم الاجابة عليه قبل ان تعطى اشارة الضوء الأخضر للاضائي الفني لكي يضع خطته وليبحث عن استراتيجيتها . هذا السؤال هو : اي نوع من القرية ننصو ونريد ؟ وما المستوى الحضاري ، الهندسي والمعماري : المطلوب ؟ والى اي حد يبتعد او يقترب من الصورة الراهنة ؟

اما الاجابة ، التي لا يملك احد ان يفرد بها وحده ، فيمكن ان تختلف كثيراً بحسب وجهات النظر المختلفة ما بين أقصى قطبي المثالية والواقعية ، ولكن هناك على الأقل مدقشوايط ، عذقباديه ، تخطيطية حاكمة لابد من اعتبارها في كل الاحوال ، وهذه مبادئ مسطرة الآن ، نيت ميكا ، على الأقل منذ تقارير مسكوت وثوات الرائدة في التخطيط الاتقلمى ببريطانيا ، ونضحت وتولرت في آخر المراجع التخطيطية الحديثة كتوماس شاراب وجامستون بارديه وروبير اوول ولورد لويلين ديفيز ودوكسياريس .. الخ ..

فأولاً ، لا يفترض التخطيط مسبقاً انه سيحوي او يزيل كل ما هو قائم ، او ان كل ما هو قائم غير سليم ، ولا الملقى هو كله خطأ بالضرورة . بل انه ليحترم الوضع الراهن وان يكن يحفظ من ولا يسخر منه بل يسخره لأغراضه . كما نظر من هذا ، كما يذكروا الأستاذ دغلي مستجاب ، قد تنتهي الدراسة التخطيطية الى اقرار الواقع — او جزء منه — وتثبيت تأكيدده ، أي تركيته وتبنيه ، ذلك ان في الواقع دائماً شيئاً من التخطيط التلقائي ، بدائياً سلفاً حقاً ، ولكنه كثرولة التخطيط الطبيعي . ومسا التخطيط العلمي في كثير من جوانبه الا ترشيد وتحيين مقنن لمعطيات تتم بطبيعتها تلقائياً ولكن بطريقة قاصرة مجة . والتخطيط الانساني الواعي ليس احياناً اكثر من يد قوية منكسرة لتبدل لتأخذ بيد الطبيعة الممزورة .

ثانياً ، ينبغي للتخطيط ان يكون واقعياً لكن دون عجز أو تبذل ، ومثالياً دون جموح أو تطرف خيالي . ومقتل أي تخطيط يمكن من انزلاته وتربيته في احد التقيضين ، كما ان الحد الاثلاً الذي يحفظ نسبة دقيقة رشيدة مترقبة بينهما هو مناط نجاحه اقتصادياً وهندسياً . والا فهو في الحالة الاولى مقيم مجهرى او على احسن تقدير فطير لا يغير شيئاً ، وفي الحالة الثانية يمكن للاهداف المسطرة ان تنكس تملاً وتنتهي الى لاشي . (وكما قيل ، فالك تستطيع تكتولوجيا ان تبني مدينة كبرى تحت القطب ، ولكن السؤال لصلحة من ، ولحساب من ، ومن ذا الذي

على خطة وخطوات العمل ، لابد من وضع « خطة ارشادية او موجهة » Pilot Scheme) تكون بمثابة اختبار او تجربة عملية قبل تشييد المشروع كله . فمشروع بثل هذا القياس والخطر ، وبكل هذه النتائج والتبعات ، لا يمكن ان يوضع موضع التنفيذ مباشرة دون ان يسبقه نموذج او عينة حقلية مصغرة . ولهذا الفرض يصح ان نختار عدة قرى من بيئات وظروف مختلفة نتخذ كمعمل تجارب حتى تطبق فيه الخطة ، اختباراً لمبادئها ونبذوها ونصحياً لنواحي الضعف او القصور التي قد تبدى فيها .

مبادئ تخطيطية حاكمة

كل تخطيط مراني ، فهو تخطيط اجتماعي في التحليل الاخير . فالمسكن انما يخطط للناس ، للجنس ، للحياة . وخطة اعاده بناء قرانا ليست عملية اسكان عطى تبني آلاف او مئات الآلاف المسكن المنفردة ، بل هي اساساً تبني « مجتمعات مسكن » ومسكن مجتمعات . ولهذا يصبح التخطيط على الفور قضية سياسية ، لا يمكن ان تتجاوز عن الفني ولكنها لابد بالضرورة ان تتجاوزها . فلقد يحتكر الفني الخبرة ، ولكن الحكمة ملك لمشاع للجميع .

ومن هنا بالدقة جاءت فكرة ديمقراطية التخطيط . فليس التخطيط « مساساً قليلية » تفرض على الجماهير ، ولا المخطط هو ديكتاتور مستبد حتى وان يكن مستشاراً . لمانا وجد التخطيط للمخطط له ، لا للمخطط ، والمعلبة كلها تتم من خلال حوار واسع وبناء وعيق بين الطرفين ، يحتاج فيه الفني — من بين ما يحتاج — الى فهم وتفهيم الجماهير والى كل تعاطفها ، فضلاً عن اكبر حزمة ضوء من وسائل الامان والدماية . وذلك في جلته مايسمى « بالتخطيط بالانتفاع » « Participative planning » . ولهذا يرحب المخطط الواعي بكل رأى مفيد ، وكل صاحب رأى مدعو لان يشارك بفكره ووجهة نظره .

والمشكلة الاولى والاولية في التخطيط دائماً تصعيد الاهداف والمثل ، يعنى تصديق المستويات التخطيطية المتتالية ، وذلك في ضوء الموارد المتاحة والسبل والوسائل المتاحة او المتصورة . وذلك المثل والمستويات المستهدفة لا يمكن للمخطط ان يقررها وحده ، وانما برأى الامة وبإجماع الآراء تقريره وحده .

أبعاد المشكلة

على أنه إما كانت أن ستكون الأهداف والمستويات التخطيطية التي قد تتبناها الخطة ، فلا مفر أولا من حصر المشكلة الراهنة وتحديد أبعادها الواقعية . هل نحن بصدد عملية ولادة مطلقة ، أم جراحة تحسين وتجميل ؟ هل المطلوب أو المحتم إزالة القرية الحالية من جنورها وتشييد مخرج جديد تماما بدلا منها مسواها بجوارها أو محلها ، أم يمكن ويكفي تعديل البناء القائم بالتوسيع أو الخلطة أو التقويم والتصحيح والتعذيب . . الخ ، بما في ذلك هدم بعض البنايات المنفردة وبناء أخرى مكنتها وعلى نفس رمتها ؟

الرد يتوقف جزئيا على مستوى الأهداف التي سنستقر ، ولكن ثمة على الأقل حقيقتان موضوعيتان لابد من وضعهما موضع الاعتبار . **أولا** ، لنسجل أننا في حاليلا لا نبدأ من نقطة الصفر ولا نخطط في فراغ أو على صفحات بيضاء ، وإنما من قرانا القائمة بالفعل ، وفيها كثير من المبادئ السالطة التي يجب الإبقاء عليها ، جنبا إلى جنب مع المبادئ المتفككة والآلة التي لابد من تصفيتها . كذلك فإن في تركيبها وهندستها وراثتها الإجتماعي نقاط القوة الأسيلة التي ينبغي أن نلهم منها ونبنى عليها أو نصلحها كما أن فيها نقاط الضعف الموروثة أو المكتسبة التي لابد من إزالتها .

وباختصار ، نحن أزاء عملية إعادة بناء وتصميم ، وليس عملية بناء بكر تماما . وهذه نقطة حيوية للغاية ، ولئن خفف هذا من العبء الكلي ، فإنه أيضا يحد من حرية الحركة ومدى المرونة للخطط والمنفذ .

ولنسجل ، ثانيا ، أننا من الناحية الأخرى لن نخطط قرانا كل يوم أو حتى كل جيل . والتخطيط — مثليا — عملية خلق مستمر . ولكن الخطة التي نحن مقبلون عليها هي ، بكل تأكيد الباهظة وصعوباتها للغاية ، فرصة ثمينة نادرة لن نكرر أو نتاح بسهولة مرة أخرى قبل وقت طويل . . . أنها تكاد تقول فرصة العمر ، ولا نقول خطة العمر .

ولهذا ينبغي أن ننظرها لأحداث تغيير حقيقي وإطلاقة جذرية تتناغم مع العصر ، قابلة للتدوير ، وتنفتح لتلقي واستيعاب تطورات المستقبل غير المرئي . وعلى الأقل ، علائق أن تأخذ في اعتبارها خطة كهربية الريف التي بدأت بالفعل . ومن

يدفع ؟ والمطلوب لقرانا أن تكون مشروع مقترح معقول بلا غرور ، دون أن يتدهور التواضع إلى ضعة مع ذلك .

ثالثا ، للتخطيط أن يفيد من كل خبرات الدول والاتليم الأخرى ، ولكن عليه أولا وقبل كل شيء أن يراعي ظروف بيئته المحلية وطبيعة أقليمه بمعطياته الخاصة والحضارية . والتخطيط الذي يعارض البيئة حسدا أو يتجاهلها يدفع الثمن باهظا في صورة خطة غير اقتصادية ، أن لم تكن فاشلة تماما . . . إن التخطيط السليم ليس مبارزة ، ولكنه مؤازرة ، للطبيعة ، ليس تحديا للبيئة ، ولكنه اتحاد معها . وبهذا وحده يستطيع أن يطوعها ويضبطها إلى صفه .

من هنا فلا محل لأهداف تخطيطية مستوردة ولا يمكن أن نرفض على قريتنا المصرية مثل الخراج بلا ضيق أو تعديل ، وعلى سبيل المثال ، فليس من المعقول أن ما يصلح لدولة — قارة كالولايات المتحدة ، يصلح لدولة — ولحة لا تريد مساحتها الفعالة عن مساحة ولاية ميسيسيبيا ، وهي من صفرى الولايات المتحدة . وما يصلح لأوروبا الباردة المطيرة ، لا يصلح لملحنا الحار الجافة . وهكذا .

رابعا ، الأصل في التخطيط الإقليمي — وهو الذي تدخل في باب إعادة بناء قرانا — أنه ذلك بالذات : أعني أنه تخطيط أولا ، واتليم بالدرجة نفسها . أي عملية تلازم فكر واع مرص مع الإطار المحلي المعطى ومع معطيات البيئة بكل تفاصيلها وخصائصها الموضوعية . ولهذا فلا مجال لصياغة بضعة مبادئ عامة تنطبق بمذاخيرها كالاتفاص الحديدية على كل قرية من قرانا .

قرية الصيد البحرية ، مثلا ، غير قرية الزراعة النهرية . والقرى الخيلية على الترع غير القرى الدائرية البعيدة عنها . وقرى أطراف الصعيد التلية أو شبه التلية تختلف عن قرى أطراف الصحراء في الدلتا ، وهذه من القرى القريبة من المدن الكبرى التي قد تلهم بها أو يتلهم فيها . بل أن لكل قرية على حدة ، رغم ألفتات المتشابهة التي يمكن التصرف عليها تصنيفيا ، ثقلها الخاص المنفرد .

لهذا كله فلا بد من دراسة أوضاع كل قرية على حدة دراسة تفصيلية ، وتخطيطا تحليليا مستقيما ، ثم تشكيل خطة إعادة بنائها على هذا الأسس . ومن هنا فإن المسح الموضوعي ، المسح الجغرافي الشامل ، يجب أن يسبق الخطة ، وهو أولى الأولويات في كل تخطيط .

تشريح القرية المصرية

وعند هذا الحد من المناقشة ؟ لأن من المميز أن ترسم صورة تقريبية لتركيبة القرية المصرية المتوسطة ، نعرف من خلالها على قسبتها وملاحظاتها السائدة ، تلك التي سوف يتعين على التخطيط أن يتناولها بالتغيير أو بالتعديل . وكما قلنا ، فإن لكل قرية تقريبا وضعها الخاص وتناميها ، ومع ذلك فمن الممكن أن نحصر أو نستخرج القاسم المشترك الأعظم — أو الأصغر — بين قرانا ، وأن نشرح هيكلها العام ونحدد الضوابط الطبيعية الكائنة خلفها .

ولقد لوحظ في كثير من البلاد أن هناك — ابتداء — وحدة مريضة في التركيب المورفولوجي بين القرى والمدن ، بمعنى أن القرية والمدينة تبدلان في البلد الواحد إلى أن تشبهها نفسيا في الملامح والخطوط المريضة ، إلا أن القرية أكثر بساطة وريبا ساذجة ، حيث المدينة أكثر تركيبا وتعقيدا .

وليست مصر في هذا باستثناء . فنيا هذا الحجم ومادة البناء ثم درجة التقيد والتطور ؟ فإن القرية المصرية العداية تكاد تبدى الصفات والسبب الأساسية التي نجدها في المدينة المصرية المتوسطة — البندر التقليدي — سواء ذلك في الموضع أو الضفة أو الشكل بل وأحيانا في بعض ملامح التركيب الوظيفي نفسه .

تكاد القرية المصرية كما وصلها البعض تهمل ابتداء راسيا تشكليا للأرض السوداء الأفقية ، فحجمها وأرضيتها من تربة مصر مباشرة ، والكُل مرتبط تماما بالبيئة القبلية الأم ، ويستند تجانسه من تجانسه . فالقرية التقليدية تقوم دائما على ريو مرتفعة ، إن لم تكن طبيعية أحيانا «كلل» أو «الكوم» ، فلها غالبا صناعية مبروعة ، محببة كالصحن المقلوب . وتزداد الريو علوا ، وارتفاعا عبر الزمن وعلى تعاقب الأجيال مع اندثار المساكن القديمة وبناء المساكن الجديدة فوق ركابها وورديها . ويستطيع المرء عادة أن يحس بتعبد السطح ، أن لم يره بالعين ، وهو يصمد طرق القرية ودورها في اتجاها ويهيئ عليها في الاتجاه المضاد .

وترجع ضرورة الربوة الحثيئة تلك إلى طبيعة مصر النيلية ، حيث كان الفيضان يفرق حياض الوادي كله شهورا ، لا تبرز منها إلا المدن والقرى والحلات السكنية على قمم الكوام كأنها

الشوون كذلك أن تصون يوما قريبا أو بعيدا قد تند فيه الخبثات الشبيكة الأولية — المياه والجلى ، ففسلا من الكهرباء — إلى الجزء الأكبر من الريف .

ولا شك أنه قد اتضح الآن أن هناك تعارضا ما بين هاتين الحقيقتين . وفي هذا التعارض ستكون حيرة المخطط طويلا . فإذا كان بالقرية مبان صالحة يجب الإبقاء عليها ، فإن الغالبية العظمى هي من أسف غير جذرية بالبقاء . وقد لجرئت أبحاث وأحصاءات كثيرة على عينات من قرانا ، فأتضح أن نحو ثلثي مساكن القرية المتوسطة على الأقل ، ونحو ثلاثة أرباعها على الأغلب ، وربما تسعة أعشارها أحيانا ، متداعية رثة لا تصلح للاستعمال البشري أو هي آيلة للسقوط . كذلك فإذا رنى تخطيطيا التخلي عن اللبن كبادء بناء ، فمعنى ذلك على الفور التخلي من كل مباني القرية الراهنة تقريبا ، والبدء تبعا من جديد ...

وفي وجه هذه الاختيارات والمتناقضات ، ظهرت منذ وقت مبكر فكرة تخطيطية ترى تخصيص مساحة من الأرض تلاصق مباشرة كتلة القرية البنية الحالية ، لتكون هي موضع القرية الجديدة ، ثم « تطلق » القرية القديمة ممرانيا ، أي يمنع إقامة مبان جديدة بها . وبدلا من كل منزل متداع ونافس للهم في القرية القديمة ، يبنى مسكن جديد في القرية الجديدة . وهكذا ، حتى تتم عملية الإحلال والإبدال كاملة ، فتكون قد اكتملت دورة سكنية نقلنا بالتدريج بيتا بيتا من قرية قديمة إلى أخرى جديدة ، دون أن تظهر في المرحلة الانتقالية مشكلة أسكان المثلثات التي صليت بمسكنها القديمة .

ولا شك أن في الفكرة عناصر بناء وإيجابية جذرية بالاهتمام . بل لا شك أنها ستفرض نفسها كتكتيك أو كتكتيك تخطيطي في بعض أو كثير من الحالات على الأقل . ولكن من الشكوك فيه أنها تقدم الحل الوحيد لقضية إعادة تخطيط قرانا بالآلة الجديدة .

وأمه ما قد يؤخذ على هذه الخطة أنها بطيئة قد تمضي عقود قبل أن تتحقق ، كما أنها في الأثناء قد « تعقم » الأرض الزراعية المخصصة جلبا للقرية الجديدة ، فيظل بعضها بلا زراعة وبلا بناء في الوقت نفسه . وأخيرا فلها ، بما تحدد من حرية الحركة ، قد تنوت علينا فرص التصحيح والتغيير الواسع المدى في موقع القرية نفسها ، كتقلها مثلا إلى مكان أفضل داخل الزمام أو إلى رقعة من البور أو التربة الرديئة ... الخ .

الجزر الأريخيلية ، ولتفس السبب كانت القرية المصرية أساسا من الصلات « النووية المجمية »NUCLEATED» ، أى تلك التى تكون المساكن والمباني فيها مملوكة فى كتلة واحدة متلاحمة .

والى حد بعيد ، حددت تلك القاعدة الأرضية أيضا شكل القرية ، وربما خطتها كذلك ، فهى عادة أميل الى الشكل الدائرى التقريبي ، رغم الزوائد والأطراف المتبددة هنا وهناك أحيانا . ولا يستثنى من ذلك الا قرى الصيد البصرية والبحيرية فى شمال الدلتا ، ثم قرى النوبة النهرية (سابقا) ، الى جانب القرى التى تلتصق بالترع ، لهذه غالبا تنجح الى الاستطالة وقد تبدو كالتريط .

أما كتلة المباني نفسها فمبسطة من طابق واحد ، قد ينقطعها رشاش من البيوت ذات الطباخين على الأكثر ، ولكن تظل الأفقية المطلقة لخص خصائصها وأبرز معالمها . أما مادة البناء الأساسية فهى الطوب الأخضر أو التينى بطبيعة الحال . وهو نبت البيئة مباشرة وقديم قدم تاريخنا ، حتى لقد غزت كلمة الطوب - وهى فرعونية الأصل - معظم اللغات المحلية . فوصلت الى الإنجليزية (adobe) من طريق الإسبانية عن طريق العربية .

أما عن الخطة ، فلئن بدت القرية المصرية المتوسطة للنظرة العابرة ركابا عشوائيا لاشكل له ، فإن لها فى الحقيقة خطتها التقليدية ، خطة بلا تخطيط كما قد نقول ، فمن « دوائر النخلة » الحتمى الذى يلف بحيط السكن ، تزحف طرق القرية من أطراف الطلة مساعدة الريوة الصناعية فى التواء بمقد ومريك ، ولكن فى اتجاه وأح نحو وسطها ، لا لتصل عنده ولكن لتنتهى قبله فى نهائيات مسدودة وازقة مخلفة ترك قلب القرية كتلة مبنية ممتدة . والتمت كله على التأكيد يرسم هيكل خطة مشعة دائرية raffle-comcenter وان كانت شديدة التبع والبداية .

والكل بعد هذا جسم مضغوط متحوصل كاته بل النيل ، تختفى فيه الطرق اختفا بمابل اقتصاد المكان ولكن أيضا طلبا للظل . وعلى أطراف الوادى الريلية قد يتراس ضفط الأرض فتتسع رقعة القرية وتتسع طرقها ، وقد تستبدل الحجر خابا بدلا من الطين ، ولكنها تظل تحتفظ بنيتها التقليدية .

ولقد كانت قرانا تهسو عادة الى الاحجام

والإقطار التى بعدها يتحتم التفكير بالانشطار . منتقص عنها نويات جديدة تبدأ كبراعم فى مواضع مجاورة تحت أسماء مختلفة كالشكر والمنية والمبت لو النزلة والتجع ... الخ ، ولكنها كانت دائما نسخا مصغرة من الخلية الأم .

الا ان انقلابا تاريخيا جزريا فى نط السكنى بدأ مع انقلاب الرى من الحوضى الى الدائم ، وغير كثيرا من تفاصيل الصورة . فبح الرى الدائم وصبط النهر ، انتفخت ظاهرة غمر الحياض ، وبذلك تحررت القرية المصرية من عالم الحياض ضد الفيضان . فتخلصت أولا من أسار الكوم الصناعى وأصبح من الممكن أن تقوم لفتبا على الأرض المسطحة المستوية ، التى كانت بدورها لتطور الاشكال المنطوية وخطة الشوارع المستقيمة المنتظمة .

كذلك امكن لها أن تظهر بأحجام صغيرة ، بحيث اقترب السكن بصورة أو بأخرى من النوع « المبعثر » DISPERSED . وهنا ولدت العزبة ، التى هى بنت الملة سنة الأخيرة أو المائة ونيف على الأكثر ، والتى انتشرت فى العقود الأخيرة بوجه خاص انتشارا هائلا لتصبح مطلبيا من أبرز معالم اللاتسكيب الريفى . كما ترتب على ذلك أن تغير هرم أحجام القرى والحلات فى مصر .

على جانب نحو ٤٠٠ قرية ، هناك الآن نحو ٢٨ ألف خطة صغيرة يبعثر أغلبها من العرب . ولما كان عدد سكان الريف نحو ١٩ مليوناً ، فإن متوسط حجم القرية يتراوح بذلك بين ٤٠٠ و ٥٠٠٠ نسمة . وإذا كانت هناك قرى تصل اليوم الى ٢٠ ألفاً بل وإلى ٣٠ ألفاً (مرسى الليسان مثلا) ، فالواقع أن حوالى ٦٥ ٪ من قرانا يتراوح فعلا بين ٢٠٠ و ٥٠٠ فى المتوسط . وعلى الجانب الآخر فإن كثيرا من المصزب والحلات المبعثرة لا تزيد على مائة أو بضع مئات ، ولكل فئة من فئات الحجم هذه مشاكلها التخطيطية المعقدة كما سنرى .

عناصر إعادة البناء

لعلنا الآن بحيث نستطيع أن نقرب مدسنا أكثر الى المشكلة ، حتى نتقرب من دقائقها وتفاصيلها . ويمكن ، بقصد تفهيم المشكلة ، أن نطلها الى عوالمها الأولية التى سيكون على المخطط أن يتخذ سياسة محددة بشأنها . وهذه تنحصر أساسا فى العناصر الخمسة الآتية :

الشكل : الحجم : الخطة : الكثافة : والمادة الخام.

المادة الخام : من الطين الى الرمل

بالأخيرة ، المادة الخام ، نبدأ . نرغم أنها منطقيا تأتي في النهاية ، إلا أنها في حلتنا بالذات ستحدد ونحسم كثيرا من الخطوط التي ستتبعها العنصر الأخرى ، بل وربما جوهر الخطة جميعا . ذلك أنه إذا ما أريد استبعاد الطوب النقي نهائيا كخامة بناء ، فمستكون بإزاء عملية ولادة جديدة كاملة للقرية بأكملها ، ومن ثم للريف بأسره . أما إذا رُوي الإبقاء عليه ، فمستلزم الخطة بالحالات الرائجة مع إعادة تخطيطها وتشكيلها أو ترقيتها ... الخ .

والمطوب الأخضر — مازال — تصارعوا المدافعون عنه ، فهو خامة تشكيلية . (بلاستيك) سهلة الصب والتناول ، ولكن ميزته الكبرى أنه — على التقيض شيئا من الأسمنت — المادة المعازلة بالمقاييس ، أداة تكيف طبيعية للحر والبرد على السواء . على أن نقطة ضعفه الخطيرة أنه بلا مواربة مادة قير حساسية على الإطلاق . وبهذا خلف بالطلاء الأبيض أو غير ذلك ، فليس هناك أي مناقشة فنية أو غير ذلك يمكن أن تقتنعا به بيئة للسكن الأنسبي الكريم في الثلث الأخير من القرن العشرين . بل لعله أن يكون نقطة الضعف الكبرى ، ولا نقول النقطة السوداء ، في القرية المصرية جميعا ، تلك التي جعلت أحد الكتاب يصف الفلاح قبل الثورة بأنه يعمل في الطين ، ويعيش في الطين ويشرب من الطين .

والواقع أنه فيما عدا الوظيفة فان الفارق اللاندسكيبي الجوهري بين سفار المدن الإقليمية وكبار القرى كد أن ينحصر في مادة البناء الأولى تلبس عبارة من الطوب الأحمر ، والثانية عبارة من الطوب الأخضر . حتى ليوشك ريف القرية إلى مستوى المدينة أن ينحصر لفسا في تغيير مادة بناء الأولى « كعاد أقول — بجازا — » في « حرقتها » داخل قبعتن هائلة ... ومن الناحية الأخرى ، فهنا خطفت في كيان القرية ثم احتفظت بطوبها النقي ، فالتت أنها تستبدل رثالة أو بؤسا منتظما مهندسا برثالة أو بؤس فوضوي مرتجل .

وعلى أية حال ، ولحسن حظ الجميع أو غير ذلك ، فلقد حسم السد العالي الموقف . ولم تعد المشكلة هي التخلص من الطين ، وإنما الحصول عليه فحسب الطوب الأحمر أصبح في أزمة ، وحتى المدينة أصبحت في أزمة منه ، لقد انتهى له

بختصار — عنصر الطوب النقي ؟ وهذا بالقرية عصر الطوب الرمي ، سواء ذلك بالنسبة للقرية أو للمدينة . ولعل مفتاح إعادة بناء القرية يكمن الآن في هذه الخامة . والمطلوب فقط هو العثور على صيغة اقتصادية لإنتاج واستخدام الطوب الرمي على مستوى البلد ريفيا وحضرًا . كذلك يمكن في الإبقاء وفي الأطراف استخدام الحجر مادة بناء ، لاسيما في قرى أطراف الصعيد حيث تتوفر الحجر .

على أن التحول من الطين الى الرمل يثير ، إن تم ، بعض التساؤلات مما يمكن لنا أن نفعل بمخلفات إزالة القرى القديمة أثناء المشروع . لن الممكن نفي إعادة تكسيدها وخطتها ثم تشكيلها طويا لحصر للإفادة منه في مراحل المشروع التالية ؟ ومخلفات برودة القرية الصناعية ، التي سطر الحجة إليها ، اتصلح هي الأخرى لإعادة استخدامها في نفس الغرض ، أو — حكم الكفري — في أغراض الزراعة ، أو للارض والطرق الزراعية أو ردم البرك ؟ تلك وإشغالها أسئلة واردة ومطروحة ، ولكنها متروكة للفتنين .

الشكل : التجمع ضد التبعثر

أما العنصر التالي في إعادة بناء القرية فهو الشكل . وإذا كانت القرية المصرية تبذل نمط التجمع التووي خير تبذل ، فإن المزية نمط انتقالا متوسط بينه وبين تقيسه وهو التبعثر السديسي المطلق الذي ينتشر فيه السكن انتشارا كاملا فيقع كل مسكن وسط حقله أو مزرعته ، ويوجد هذا التنظيم البعثر في كثير من الأقاليم ، خاصة البلاد الجديدة مثل كندا والولايات المتحدة (Barnstead) وفي قطاعات من أوربا ... الخ .

وفي مصر نادى كتاب ومخططون منذ بعض الوقت ببنى الشكل الجعفري في تعبير الأراضى الجيدة المستصلحة في براري شمال الدلتا ، وطبقت بصورة ما فعلا في بعض « أقطاعات » الضواحي الزراعيين ، كما أثبتت أخيرا بمناسبة مشروع إعادة بناء القرية .

وجدير بالذكر أن لكل من التجمع والتبعثر مزاياه وعيوبه . فالتجمع يسمح بتسيام حياة اجتماعية حيوية ، غنية بالخبرات الفكرية الاجتماعية والتعاونية ، كالنجارة والصنوبر والتعليم والعبادة والتعاونيات ، فضلا من الأمن والإدارة ... الخ . ولكن يجب التجمع بمنزلة الناحية الأخرى الفصل بين مكان السكن ومكان العمل ، مما يحتم رحلة الصباح والمساء ذهيبا

الحجم : بين الخف والضم

وهذا ما ينقلنا تلقائيا الى عصر الحجم في الـحظة . والمشكلة عندنا ليست الحجم الكبير ؟ فيما عدا أن القرى الضخمة تحتاج الى مزيد من الخدمات الحديثة والمرافق والتسهيلات (ولا نقول الرفاهات) الحضارية ، الاحكام الصغرية هي المشكلة الحقيقية ، وهذه كما رأينا تكاد ترادف العزب والحلات القروية . فهذه التجمعات الضمنية ، التي نشأت عادة في ظل الاقطاع ولخدمة ابعاديته وملكيته الواسعة ، محرومة من أبسط الخدمات المعادية ، فضلا عن الخدمات المركزية ، وتعيش في عزلة -كثيصة خاصة في وحل شتاء الشمال .

وقد أثبتت الأبحاث التخطيطية أن هناك حدا أدنى من الحجم ؟ أسفله يعجز كثير من الخدمات المركزية عن الظهور ، لأن عدد السكان وحاجاتهم وإمكانياتهم لا يمكن لها . فالمدرسة الابتدائية أو الإعدادية تحتاج على الأقل الى بضع مئات من التلاميذ ، وبالتالي بضعه آلاف من السكان ، حتى تقوم . وهكذا قل من المستشفى ، من ميادة الطبيب ، حتى من بعض أنواع المتاجر . الخ . وكما ارتفع المستوى القومي للخدمات ، كلما تحتم زيادة حجم السوق ، أي البرام ، أي السكان .

على أن التعليم بالذات يعد مقاييسا تصابسا في هذا الصدد . وقد وجد أن ٥٠٠ نسمة هو بصفة تقريبية الحد الأدنى الذي يكفل مبرسة أولية (ابتدائية) بصورة معقولة . ولهذا نجد كثيرا من أطفال تلك العزب والحلات الصغيرة يتكدسون مشاق رحلات طويلة وخطرة ومكلفة الى اقرب القرى الكبيرة للتعليم - أو قد « يتسربون » .

وفي مجال آخر لا يقل أهمية ودلالة ، اذا كانت الوحدات الصحية المجتمعة ، التي تخدم كل واحدة منها عددا من القرى والعزب في دائرة واحدة ؟ قد حلت بعض صعوبات هذه التجمعات ؟ فإن المشكلة الاساسية تظل قائمة .

لهذا يجمع الكثيرون على ضرورة اخضاع وحدات ريفنا لعملية خف (كخف الثرة) من ناحية ، وعملية ضم (ضم القبح) من ناحية أخرى . وكما حدثت عملية تجميع البلديات الزراعية remembrement ، يحتاج السكن الى عملية تجميع مماثلة . وهناك من هذه الزاوية الآلاف الحالات تنتظر مشروع إعادة بناء القرية .

وايضا بين القرية والحقول ، وتزداد الرطوبات ومشقة كلما تضخمت القرية واتسع قطرها وكما تترامت مساحة زملها . وهذا قد لا يتيح للفلاح العناية الكفيلة والتواجد الدائم بزرارته ، وقد يحول دونه وتوأمها تبنية مبيعتها من الزراعات ، كالحاصلين السنوية والخضروات التي تتطلب رعاية خاصة .

على العكس من هذا التبعثر ؟ يلغى الفصل بين السكن والعمل ، ويختزل الرحلة اليومية الى الحقل ، ويتيح للفلاح حرية الحركة والاختيار محصولا . الخ . الآلة من الناحية الأخرى يتركه في عزلة قاسية وحياة فردية قاحلة بلا تعاون ، فقيرة في الخدمات المركزية ، تحتم عليه كثرة الانتقال الى اقرب الحلات المركزية للتسويق أو التعلّم أو . الخ . أو . الخ . وعندما قيل « ساكنو الكفور ، ساكنو القبور » ، إشارة الى حياة العزلة والوحدة الموحشة .

واضح إذن أن هناك دائما وبالضرورة قدرا ما من التعارض بين متطلبات العمل الزراعي نفسه ؟ وبين حاجات الحياة الاجتماعية ، بين الانتاج وبين الخدمات . وواضح كذلك أن التجمع أصلح للخبرة ؟ والتبعثر أصلح لانراض الأولى . وواضح أخيرا أن التجمع أنسب للتجمعات الزراعية المختلفة الكثيفة السكان ؟ حيث مساحة الأرض محدودة والمليكات صغيرة والمليكة فضيلة ، بينما أن التبعثر ملائم جدا للتجمعات المتقدمة خاصة البلاد الجيدة الساسعة المساحة حيث الملكيات بالآلة الأفنتة والمزارع كالمستعمرات (الإمبريات) والمليكات على لشدها .

وفي مصر ؟ فإن التجربة الواقعية قد أثبتت عدم نجاح التبعثر كشكل للسكنى ، لانفكاره الى الخدمات المركزية والتعاونية ، وكثير منها الى الخدمات الشبكية بالذات ؟ كالكهرباء والمياه والمجارى والمواصلات التي تصبح تكاليف مدها باهظة وغير اقتصادية على الاطلاق .

وقد لوحظ أن المسكن المنفردة التي بنيت للخريجين الزراعيين وسط « اقطاعياتهم » في شمال الدلتا لم تثبت أن مجريها وتجمعوا تلقائيا في نواة مركزية مهيمنة بقوة هذا العامل وحده . والدرس نفسه كررته تجارب الأراضي المستصلحة أخيرا في عهد الثورة بشمال القناة .

وعلى مستوى العالم ، فإن الاتجاه الحديث هو أيضا الى ترجيح السكنى المجتمعة ، حيث لا مكان الآن للعزلة . ولهذا فنحن نخلص الى تفصيل السكنى المجتمعة ، ولا نرى مكانا في خطة إعادة بناء القرية للسكنى السديمية المشتتة .

المحصورة لا تبنى جدا من أن تبعد في البناء والطرق المرفعة .

إن عامل اقتصاد المكان ، نحن نلج ، يجب أن يسود ويسود دائما . ويكفي أن الاستعمالات غير الزراعية (المدن + القرى + الطرق + الترع) تطلع الآن نحو المليون فدان من كل رقعة مصر المحصورة . ولا حل لدينا بالتأكيد للسبل والمستويات الأمريكية أو حتى الأوروبية (يخص كل فرد في أمريكا من مساحة الأرض 14 فدانا) مقابل خمس فدان في مصر ، أي واحد على سبعين من المعدل الأمريكي !) .

كذلك فلا مبرر حقيقي في قرانا الجديدة لفكرة المساحات الخضراء في القلب أو وسط السكن . فتلطرق القرية برمتها بتواضع و الريف المكشوف حولها هو « نطاق أخضر » طبيعي ، وهي وسطه جزيرة بالغة الضالة ونظرية النطاق أو الاسفين الأخضر انما جعلت المدن باتقارها المترامية .

على أن الأهم من الجميع هو التوسع الرأسي في كثافة البناء . فمن الواجب حقيقة على التخطيط القادم أن ينظر بجديّة في مبدأ مضاعفة طوابق المسكن القروي بدلا من أنسياعه الأفقي المقلع في طابق وحيد كسبح . فبضربة واحدة يمكن اكتساب نصف الأرض المبنية واستغلالها للزراعة ، على الأقل لتعوض عن الأرض التي ستحتاج إليها التوسعات الجديدة في عرض الشوارع ومساحات المساكن ... الخ . ولا يقال في هذا أن تقاليد الفلاح من الاحتفاظ بمأشيتة بجواره وتحث سقفاً واحد هي العقبة ، إذ لا يجوز أن يكون الحيوان هو الذي يحدد — يخطط — للأنسان شكل المسكن .

وبعد ، فإن « القرية المتعمدة » ، مطلب مصر ؟ هي تلك التي تتوازن فيها عناصر الحياة ويتحاشى لها التوازن الإيكولوجي بين البيئة والآنسان . هي مجتمع المساكن الذي يقدم أنسب بيئة وبيت لمجتمع السكان . وهي أصيرا تلك التي تأخذ من تراث الماضي بقدرا ما يصلح للحاضر في المستقبل ، ومن المستقبل بقدرا ما يطبق للحاضر . وفي جميع الحالات ، فإن التخطيط هو المفتاح وكلمة السر .

ومن الممكن في هذا الصدد أن تنتهز الفرصة لتضع خطة طويلة المدى لإعادة توزيع أحجام قرانا وبدننا في نظام تركيبي متماسك ، تخضع فيه كل مدينة نظامية هربا عقوديا أو شجريا متدرج الطبقات من المدن الصغرى والقرى . ونظام كريستال CHRISTALLES السداسي الشهير ، هو هنا أنسب الأنماط وأكثرها كثافة ، وقد طبق بنجاح . وناغلي في التخطيط الأقلوى في أجزاء كثيرة من أوروبا .

الخطة والكثافة

في خطة القرية المصرية السائدة عناصر فنيّة ينبغي الاحتفاظ بها والحفاظ عليها ، مع شيء من تهذيب أو تطوير . فالخطة الدائرية المشعة هي أنسب خطة للحركة والتكامل ، تحقق المركزية وتتيح القرية . وفي حالة القرى الجديدة ، سيكون من المفري جدا فرض الخطة الهندسية المنتظمة ذات الشوارع المستقيمة والزوايا القوائم . ولكن هذه النمطية والسهولة لها عيوبها الكثيرة ، كما أثبتت التجربة الأمريكية خلسة .

وكل المطلوب في قرانا هو تقويم الشوارع والدروب وتهذيبها ثم فتحها في وسط القرية . أما الأتقة المغلقة ، تلك التي طالما ائترى عليها ، فلقد أعاد التخطيط الحديث فيها يلوح كشف قبيتها ، إذ ليس من الضروري أن تكون كل الشوارع السكنية مفتوحة نافذة ، ويكفي أن توفر الخروج لكل مسكن يطل عليها ، ليتوفر له بعد ذلك الهدوء والبعد عن حركة المرور .

على أن القضية الكبرى انما تكمن في مسألة الكثافة ، كثافة البناء والمباني . ولا جدال أن قرانا تحتاج الى خلقة كبيرة ، وعمرتها تحتاج الى توسيع محسوس . لكن الخطر الأكبر هو الإفراط . وفي بعض قرى الاستصلاح الحديثة النشأة اسراف واضح ، لا مبرر له بلجاء النقاد والاراء ، في سمة الشوارع . فاولا ، ننتكر أن الضيق — أو بالأصح الاتساع — المعقول أنسب في المناطق الحرة لأنه يوفر الظل (تارن مناطق البحر المتوسط مثلا ، من اسبانيا حتى اليونان) . وثانيا ، وهو الأهم ، فإن أرض مصر ، الضيقة

حصار اميريالى صهيونى

حول

حصن

الثورة

في

عدن



د. محمد على الشهاري

علم ١٩٦٥ بدموى تيميتها لايتريا ، واجرتها
الهيئة لأمريكا ، مما استدعى مجلة روزاليوسف
في ٢٨ - ٦ - ١٩٧١ ، من ٥٢ الى التقيبه
الى هذه المخاطر الناجمة من « استجار
اسرائيل لجزيرتين تطلان على باب المندب الذى
يشكل عنق الزجاجة الجنوبي للبحر الاحمر ،
وينتاه لقواعد الرادار ، والتوجيه الجوى ،
والمفاوضات الاسرائيلية التى تدور حول بناء
مستعمرات اسرائيلية على الحدود الشرقية
للسودان » .

ولقد كانت الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية
الاسرائيلية تقوم - منذ استقلال اليمن
الديمقراطية - على انه « طالما ان المدخل
الجنوبي الشرقى للبحر تسيطر عليه دولة عربية
فلابد لاسرائيل من الاحتفاظ دائما بحكومة صديقة
على الجنب الغربى لهذا المدخل » ، تساعدها

المكانة البارزة التى تحتلها اليمن
الديمقراطية فى صف قوى الثورة
العربية كاتية لاستئثار قوى
الامبريالية ومهاتها فى المنطقة ،
وجعلهم يلجأون الى العمل من خلال العدو
الساميونى نفسه ، وتهينة الظروف له ، واطلاق
يده ضد عدن وتشجيعه على بسطها على المدخل
الجنوبى للبحر الاحمر حتى تكبله السيطرة على
هذا البحر من شماله الى جنوبه ، وحتى يحسم
عدوان ١٩٦٧ . آخر نقطة فى الوطن العربى من
جهة الجنوب .

استبعدت

ولهذا الغرض قامت الامبريالية الامريكية -
كما ذكرت مصادر عديدة مطلعة - بتلجيرجزيرتي
جبل الطير وحنش الواقعتين فى جنوب البحر
الاحمر الى اسرائيل ، وهما الجزيرتان الينيتان
اللذان سلطتهما بريطانيا الاستعمارية الى اثيوبيا

كجزء من المخطط التوسعي في داخل القارة ؟ ولا يطمح فقط الى الالتفاف حول المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وتطويق المواقع الثورية المطلة عليه ، والتأمر عليها ، وعلى رأسها حصن الثورة البينية في عدن ، وإنما يهدف فوق ذلك كله الى استكبال ضرب الحصار على قوى الثورة العربية المارطة في جبهات القتال في شمل الوطن العربي ، حتى غدا من اللازم القول بأنه اذا كتلت هناك أهمية للجبهة الشرقية على خط القتال ، وإذا كتلت هناك أهمية للجبهة الغربية الممتدة اليوم على خط القناة فالجبهة الثالثة التي لا تقل عنها شأنا هي الجبهة الأفريقية التي يحاول العدوان بطوقنا بها ليطعننا عن طريقها من الخلف (٢) . وضمن هذا الإطار من عملية التآمر الإمبريالي — الصهيوني الواسعة على مؤخرة ومقدمة الثورة العربية يمكن وضع الزيارة التي قام بها رئيس أوغندا هيدى لابين ، والتي لم تجد صحيفة « مطريف » الإسرائيلية حرجا من أن تصفها بصراحة بأنها كتلت فرصة هامة « لتنظيم سيطرة إسرائيل الخارجية (٣) » .

مد الذراع العدوانية من شمال البحر الأحمر الى جنوبيه

ومنذ عدوان يونيو ١٩٦٧ على شمال الوطن العربي ، وإسرائيل — حسب تخطيط لبريالي — صهيوني مشترك — تعمل جاهدة من أجل التصدير لشاريعها التوسعية في جنوبيه ، حتى يقضي لها اتهام حلقة التطويق الشاملة التي تسقط بها وفي دائرتها الشرق العربي كله ؟ وتحكم فيه ، تهديدا للتحكم في منطقة الشرق الأوسط جميعها .

ومن هنا اهتمام الصهيونية والإمبريالية المبكر بأن يكون لإسرائيل وجود حقيقي على سبيل أول أريتيا ، ليكون بمثابة « امتداد عسكري للسيطرة على مدخل البحر الأحمر من جهة ومراقبة تحركات جمهورية اليمن الشعبية والصومال من جهة » . وجمهورية السودان من جهة ثانية ، وتطويق الجمهورية العربية المتحدة آخر الأمر . . ولذلك تجهد إسرائيل بدم من واشنطن من أجل « السيطرة على جميع الجزر من إيالات الى باب المندب لتؤمن الطريق لتجارتها الواعدة هناك »

وتمكنها من كسر حلقة الحصار العربي المضروب عليها ، وتكون لها رقبة جسر للانطلاق نحو العالم الآسيوي — الأفريقي ، ذلك « أن موقع إسرائيل الجغرافي يجعل شواطئ أفريقيها الشرقية أقرب شواطئ العالم الثالث إليها ، ومنها تستطيع أن تصل الى غيرها من الدول الأفريقية — الآسيوية — من حيث يفتي لها الطفل ، ومنفذوها الصهيوني ، ونفذوا الاستثمار الجديد معها — عن طريق تقديم المساعدات العسكرية — الى دول القارة ، وتثبيت أقدامها بصورة خاصة في إثيوبيا ، وأوغندا ، والكونغو كغشاسا ، والعمل على قلب الحكومات الوطنية في المنطقة ، وتبدير الحركات الانفصالية فيها ، كما صنعت في أوغندا حيث أكد الرئيس الوطني السابق ميلتون أوبوتي أن إسرائيل كانت وراء الاطاحة به من السلطة ، وكما كتلت ذلك جريدة التايم في ٣١ - ٥ - ١٩٧١ من أن « انقلاب أوغندا الأخير تم بمعرفة المستشارين المسكرين الإسرائيليين ، كما أن عباده إسرائيل المتحركين في جنوب غرب إثيوبيا يديرون حركة الانتماء في جنوب السودان (١) » .

من ذلك يتضح أنه في الوقت الذي يربط فيه الاستثمار لوضاهه من جديد في الخليج العربي وسمان ، ويطوق على هذا النحو قاعدة الثورة في عدن بحزام معد من جهة الشرق والشمال فانه يقوم بهجوم مركز — بالتزامن التام مع حليفته وأداته إسرائيل — في منطقة شرق أفريقيا ، بغية الإحاطة بالثورة الوطنية في اليمن الديمقراطية ، وخبثها ، وخنق الحكومات الأخرى المجاورة لها ، والمناوئة للاستثمار ، في تنزانيا والصومال ، وذلك هو ما حذرت منه ، ونهت اليه بقوة صحيفة « ديلي نيشن » الليبرالية — كما اقتبست منها الجمهورية القسارية في ١٢ - ٧ - ١٩٧١ — عندما كتبت : « أن جتبع شرق أفريقيا في خطر من أن يتكسحه التيار الملعدي الذي بدأ منذ الاطاحة ببيلتون أوبوتي » . وذلك ما نهت اليه وسائل الاعلام في تنزانيا حيث أصدرت « الصحافة التنزانية سلسلة من المقالات الرصينة توضح فيها حقائق الاضطبوط الإسرائيلي ، كما أن الإذاعة نظمت بجورها سلسلة من النوات التي تتحدث عن هذا الاضطبوط » . وحيث غدا واضحا للعيان أن النشاط الإمبريالي الصهيوني في شرق أفريقيا لا يستهدف فقط محاصرة واسقاط الانظمة التقدمية هناك

(١) الاحرام ١٨/٦/١٩٧١

(٢) الاحرام ١٩/٧/١٩٧١ ، الوجود الإسرائيلي في طريق العودة الى تنزانيا ، د . طرس طرس غالي

(٣) الجمهورية ٢١/٧/١٩٧١

مضيق « وحيداً » وسيطر القوات الاسرائيلية على جزيرتي « حالب » و « فاطمة » ، وقد رمت الميناء الإيطالي القديم ، واتشلت مطاراً عسكرياً تستطيع بواسطته اغلاق الدخول الجنوبي للبحر الأحمر .

مضيق باب المندب بعد السويس

ومنذ اغلاق قناة السويس ، واسرائيل تفكر في مضيق باب المندب ، وكيفية وضع يدها عليه ، ولا سيما بعد أن اتشلت خط أنابيب ابالات — عسقلان — كبدل لقناة السويس — لتدفع عن طريقه بتروال الخليج العربي الى أوربا الغربية ، تحقيقاً لطبيها في أن تصبح « إحدى الدول الكبرى في العالم في مجال نقل البترول وتسويته » كما قالت صحيفة « دافار » في ٢٤ كانون الأول ١٩٦٦ (٧) .

وفي ضوء هذه الحقائق الخطيرة والدائمة تتكشف مرة واحدة مخططات اسرائيل التوسعية والعنصرية — المزرة من الامبريالية الأمريكية — تجاه ساحل عدن الاستراتيجية المسيطر على الطريق الى الخليج العربي ، والمحيط الهندي ، وتجاه حكومة جمع الثورية نفسها .

وكما أنها في جميع الدوائر المتصلة ، والحجج المصطنعة التي تبرر بها أعمالها العدوانية فإن اسرائيل قد بدأت منذ حين في شن الحملات الدعائية ضد حكومة اليمن الديمقراطية، مستغلة حادث ضرب نفطة كورال سي التي كانت ترغع علم ليبيا ، وتعمل شحنة نفط من الخليج العربي — في ١١ — ٦ — ١٩٧١ أثناء عبورها مضيق باب المندب ، من قبل زورق مسلح تابع للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، حيث أعلنت جولدا مائير أن ذلك « عمل خطير جداً » و « أن اسرائيل ستتخذ الاجراءات الضرورية لتأمين حرية الملاحة الى موانئها » ، وحيث أعلن مجلس الوزراء الاسرائيلي — عقب اجتماع خضعت له دلائل هذا الحادث — أن اسرائيل تنظر نظرة خطيرة اليه « وأنها — كما صرح وزير الدفاع عوشي ديان — ستفخذ كلفة « الاجراءات الضرورية » لضمان وصول الناقلات التي تحمل البترول الى اسرائيل خلال البحر الأحمر دون اعاقة » نظراً لان هذا العمل — كما صور المعلقون العسكريون في اسرائيل — يعد لخطر فورية تعرضت لها الملاحة الاسرائيلية مؤخراً « وأنه يرقى الى مستوى قرار الرئيس جمال عبد الناصر في يونيو

ومن ثم الشيخ الى باب المندب هناك خمس عشرة « جزيرة ورأساً ومضيقاً تعمل اسرائيل بكل طاقتها للاستيلاء عليها ، والهدف السيلبي من هذه العملية ان اية دولة تريد الاستيلاء على ما كان يسمى تسليماً ابراطورية السويس البريطانية عليها ان تسيطر على حدودها كاملة ، لكي لا تفلت القناة من يدها » .

وبذلك اصعبت ساحة الصراع بين شمال البحر الأحمر الى جنوبه ؟ وابتد النزاع العربي مع المطامع التوسعية الصهيونية — الابريالية من قناة السويس وخليج العقبة الى مضيق باب المندب وخليج عدن « ولا سيما بعد أن « أصبحت قناة « منصور » القاعدة الاساسية للقوات الامريكية الاسرائيلية » حيث يوجد « خط حديدي خاص يصل ميناء « منصور » بقاعدة اسيرة الضخمة المصلة بعدد من الرادارات الصغيرة موزعة على الجزر ، ويشرف عليها فيلاد اسرائيليون ، ويقوم هيئة اركان الحرب الاسرائيلية برحلات تنقيش بحرية وجوية وبرية في منطقة تمتد بين « شارن » و « مصب » وقد درست احتمال القيام بعملية بحرية ضد ميناء عدن ، واعد سباحون مقاتلون ، لكي يملأوا في الوقت المناسب على تايين وصول ناقلات النفط الى ابالات » (٤) .

لقد غدا السالح الاريتري قاصدة عسكرية بعدة رموس موجهة الى عدن والى اكثر من قطر عربي ، ولم يعد « خافياً ان عدداً من الجنرالات الاسرائيليين يتولون ترتيب القوات المكلفة بمطاردة ثوار اريتريا ، كما يشرفون بانفسهم على تزويد المتمردين في جنوب السودان بالذو والعتاد والسلاح من الجو » (٥) وذلك هو ما اكده رئيس هيئة الادعاء السوداني اثناء محادثة المرتزق الالماني العربي شفايرر بقوله : « كان العسكريون الاسرائيليون يقومون بزيارات لم تقطع لمعسكرات المتمردين في جنوب السودان وكانوا يلقون الاسلحة والعتاد الحربي والطعمة من خلال الطائرات التي تخرج من قواعد لحدى الدول المجاورة » . وهو ما اعترغه شفايرر نفسه من ان هذه القواعد العسكرية الاسرائيلية تنشط من اثيوبيا (٦) وتحتل القواعد الشيفية الاسرائيلية على الساحل الاريتري المهددة لمضيق باب المندب في « ارنجيل دهل » و « شبير » حيث توجد منشآت للتدريب تحت الماء — في خليج

[٤] الميناء ، بيروت ، ١٩٧١/٥/٢٠ نقل عن كتاب بيروسي « ملحق العرب في الشرق الأوسط » .

[٥] الجمهورية ١٩٧١/٥/١٥

[٦] الاحرام ١٩٧١/٨/١١ ، ١٩٧١/٨/١١

[٧] الميناء ١٩٧١/٥/٢٠ و ١٩٧١/٥/٢٤

١٩٦٧ بأغلاق مساقير إيران والذي أعقبه العدوان الاسرائيلي .

وفى تحديد المسؤولية عن هذا الهجوم لم تقف اسرائيل عند بلاغ الجبهة الشعبية التي أعلنت بمسئوليتها عنه ، وأبنا وجهت الاتهام مباشرة الى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بحجة وجود علاقة لها بالجبهة الشعبية ، ولأن الهجوم وقع قرب جزيرة بريم (ميون) التابعة لها . ولذلك أخذ المسؤولون يطلقون سيلا من التهديدات ضد حكومة اليمن الثورية ، عبر عنها وزير الخارجية ابا اييان بقوله : « ان الذين يحون مرتكب هذه الاعمال يتحملون مسؤولية النتائج المترتبة عليها » ، وانصحت عنها المصادر الاسرائيلية الاخرى باعتبارها ان « حكومة اسرائيل التي تعتبر جمهورية اليمن الديمقراطية « مسئولة » عن الحادث قد بعثت انذارا من طريق حكومة ليبريا وعدد من المنظمات الدولية » ، وكررتها صحيفة « يهودوت احرونوت » عندما كتبت « ان الذين قاموا بالهجوم لم يكونوا يستطيعون ذلك دون رضاه اليمن الديمقراطية الشعبية ، ومن هنا مسؤولية الحكومة حين من الحادث (٨) وصحيفة « معاريف » عندما اشارت الى ان هذه العملية لا يمكن تنفيذها في سرية « ولن تستطيع سلطات اليمن الجنوبية التعريب من مسؤوليتها » ، وباستطاعة الجيش الاسرائيلي الوصول الى مكان الشغب ، وسيصل اليه اذا ما تعرضت ملائحتا الحرة « للفخس (٩) وهي التهديدات التي توجهها مصدر اسرائيلى - وصفته وكالة اسوشيتدپرس بأنه مسئول كبير - بتصريح قال فيه ان اسرائيل « لن تتسامح تجاه هذا العمل » وان طائرات الفلتوم التي تملكها اسرائيل يمكنها ان تطير الى جزيرة بريم « وتعود الى اسرائيل مع تزويدها بالوقود من منتصف المسافة (١٠) . وانفصح ان الطابع الصهيونية والامبريالية قد بلغت حداً من الشطط بداعيها انها ترى ان السيطرة على قناة السويس لا تكفل ، ولا تبلغ مداها اللازمة بدون السيطرة على مضيق باب المندب ، وحقق حكومة عدن الثورية .

وقد كشفت صحيفة « معاريف » النقيب عن « خبزون » السخط الجارف الذي يملك الدوائر الصهيونية والامبريالية ازاء جمهورية اليمن الديمقراطية المناوئة للاستعمار والتأزيم الحديثة والذي يمكن وراء وضع خطط التريص بهذه

الجمهورية الشعبية مستحقاً كتبت بأن « اليمن الديمقراطية دولة « متطرفة » بل « وخاسرة للتفوذ الصيني » (١١) ولم تكن زيارة بارليف الاخيرة الى اثيوبيا « بعد اغتدا - الا لرسم الخطط العدوانية ضد عدن والدول الثورية الحليفة .

ان ابعاد المخطط الابريالي - الصهيوني - الرجعى غير خافية على قادة الثورة اليمنية ، فبلهجة التحذير والتنبية الى النذر الاولى لهذا المخطط يشير رئيسى حكومة اليمن الشعبية على ناصر محمد ، مؤكداً ان اليمن الديمقراطية المعرشة لعملية غزو على غرار عملية خليج الخنازير التي دبرتها المخابرات الامريكية ضد كوبا علم ١٩٦٧ « وان « هناك تحركات امريكية واسرائيلية مريبة تثير الشكوك فى البحر الاحمر ، والمحيط الهندي ، بدعوى تالين مروان السفن الاسرائيلية بين مضيق باب المندب وان « الاما من المرتقبة » الذين يحصلون « لاصح انواع الأسلحة الامريكية والبريطانية » يفتضون « مواقع انطلاق لهم فى شمال اليمن » (نشره لسيومية تصدرها سفارة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى القاهرة فى ٢ - ١١ - ١٩٦٧ .

ومن ذلك كله يبدو جلية ان المخطط الابريالي - الصهيوني يتجلى بالفعل باد لذرته الاخطبوطية من شمال الوطن العربى الى جنوبه « واشديد ضربه ضد جبهة الثورة العربية من المقبلة الى المؤخرة » ومن قناة السويس الى مضيق باب المندب ، ومن خط المواجهة والالتحام فى سيناء والجولان الى تقاطع العمق فى عدن « ان ذلك كله يشير الى لتتراب مرحلة جديدة من المواجهة بين الامبريالية والحركة الثورية فى العالم العربى « وهذا سوف ينعكس ولاشك على الوضع فى اليمن الديمقراطية ، ومنطقة الخليج على شكل المزيد من التآمر والغشيط لسلب مكاسب الشعب لا وفرب لتتصاراته « الامر الذى يستلزم الارتفاع بمستوى المواجهة من قبل السلطة والقوى الثورية فى اليمن الديمقراطية خاصة الى مستوى نوى جديد (١٢) وليس على احد - بعد اخذ الحيطة الكاملة « والاهمية التالية « والاستعداد اللازم لمجابهة الاخطار الصهيونية « والتحدى الابريالي - ان يستثمر القلق ان الجزء من ارتفاع التفتيش الاستعماري - الاسرائيلية فى وجهه الخطان التحزري فى اليمن الديمقراطية .

١٨٨١/٥ ٣١ ٢ ١٢٥٣

[٩] المصاد ١٩٦٧/٢

[١٠] الاخبار القاهرية ١٩٦٧/١٥

[١١] وكالة انباء عدن ١٩٦٧/١٤

[١٢] الثورة ١٩٦٧/٢ - تقساليا للقاهر - ملعيد عبد الرضا

وإذا كانت ثورة ١٤ أكتوبر قد امتصت كل الضربات التي وجهت إليها حتى الآن ، واحتبطت كل مشاريع الغزو والتوسع التي دبرتها ونفذتها الإمبريالية الأمريكية فإن بلورتها هذه المرة - استمراراً لانتمائها السابقة - تجنيد كافة قواها ، وتعبئة كل طاقاتها ، واستئثار جميع مصادر الدعم والتأييد المتاحة لها من القوى الحليفة والصديقة الثلاثة لتحدي المسيرى الذي يجابه الثورة العربية كلها ، والذي غدت طرفاً أصيلاً فيه ، والاضطلاع بدورها فيه بجدارة ، وثبتت ، ونجاح .

ضرورة التحالف مع ردة وطليعة الثورة العالمية

ولكى تتمكن حكومة الثورة في مدن من النهوض بجميع الاعمال الحربية والفنية الملقاة على عاتقها، والاستمرار في المسيرة التقدمية المهيبة التي قطعت أشواطاً حاسمة منها ، ومواجهة المهام الداخلية والخارجية التي تقف أمامها ، وتذليل العقبات الكادئة التي تعترض طريقها ، ولكى تتمكن من الضئى بنجاح في اتجاه تحقيق التلاحم الوطني والشعبى ، وترسيخ العلاقات الجبهوية والديمقراطية بين الفصائل الثورية والتقدمية ، وضمان قوى ولبن وحدة جياهيرية ، ووطنية ، وثورية ، وإطلاقاً واسع حركة ديمقراطية وشعبية وبلاوة تصنع وانتزع تنظيم سياسي طليعى ، اشتراكي ديمقراطى من بين قوى التحالف الوطنى الديمقراطى على النطاق الإقليمى ، وحتى تتساح للعبلة التاريخية الثورية الدائرة بمنفوان وقوة - عملية التوصل إلى الاقتصادى والاجتماعية - فرصة الاكتمال - وتتوافر الشروط اللازمة ، الموضوعية والذاتية ، السليسية والتنظيمية ، الداخلية والخارجية الكفيلة بتحقيق وحدة اليمين السياسية على نطاق الأوضاع الحثارية والاقتصادية ، والكونفادورية ، وعلى اسم وطنية ديمقراطية ، ولكى تعزز هيبة ومكانة الثورة اليمنية بين ثورات التحرر الوطنية العربية ، وتؤكد موقعها الطبقي والفعال في جبهة طلائع الثوريين في العالم ، وتبتكك القدرة الضرورية والحاسمة لصد المؤامرات الواسعة الإمبريالية والصهيونية ، والرجعية ، واتصاف ورد أية شريرة غادرة يوجهها العدو الأستراتيجى إلى الجمهورية الفتية ، وحتى تستطيع الأسهام بدوراً فليحيى ومؤثر في احباط المشاريع العدوانية والاستعمارية الرامية إلى جعل الجزيرة العربية كلها من خليفها العربى إلى البحر الأحمر - بل ومن إيران إلى اثيوبيا

وأوغندا منطقة نفوذ خالصة للحلف الاستعماري - الصهيونى - الرجعى ، وتحويلها إلى حزام إمبريالى مكمل لطوق الصغار المضروب حول التلعنتين الثورتين الصاهيتين في مصر وسوريا ، والاضطط بالشرق الأوسط إلى مجرد ركن أساسى في الجناح الجنوبى لطف الأطلسى ، وإلى تابع مسيرى في الإمبراطورية العالمية الاستعمارية - الصهيونية .

حتى تتمكن الحكومة الثورية في مدن من الإسلام النشيط ، في مواجهة هذا كله ، وتحصيل مسئوليتها كلها - مع أمتها العربية - مقابها مطالبه - تعبيراً وترجمة لهوية وروح الثورة ، وانسجاماً مع اتجاهها التقدمى ، وتثبيتاً لموقفها النفسائى ، وتأكيداً لانتمائها التاريخى إلى ثورة العصر الاستثنائية الشاملة - إلى جانب تجميع وتوسيع تعاونها النفسائى مع الدول العربية المنصورة ، وفي مقدمتها ج.م.ع ، ومع حركة التحرر الوطنية العربية - مطالبه بالأبهرار في بحث مدى ضرورة واسعية وفائدة عقد معاهدة « صداقة وتعاون » مع الاتحاد السوفيتى شبيهة بتلك المعاهدة التي عقدتها كل من مصر والهند معه ، تعكس وتعيق التحالف الثورى ، والتضامن الاممى - ولا سيما في هذا الطرف الضخيم - وتؤكد وتوثق - عن طريق غريب المثل - الروابط الوشيجة والصحية بين حركات التحرر الديمقراطية والثورة الاشتراكية المالية .

ان اقدم اليمين الديمقراطية على خطوة هامة كهذه - نتيجة وفي ضوء تقدير كابل ودراسة شاملة للموقف الوطنى والقومى ، والتحديات والمخاطر المحيطة - سيبرهن مرة أخرى على أن الثوريين اليمنيين لا يتخلفون عن مواكبة الخطوات الرائدة والجسورة ، ولا يتراجعون أو يترددون في الاقدام على المبادرات الثورية الخلاقة والحاسمة ، وانما يسيرون عسداً - شأن مواقفهم حتى الآن - في صنع الاعمال التاريخية التي تتطلبها ضرورات الافعال ضد الاستعمار ولوائه ، وشروط النصر فيه ، حتى يفوتوا على الخططات التوسيعية فرصة التحقيق ، ويباغتوا العدو من حيث لا يحتسب ، وينتقلوا من مركز الدفاع الذى أراد لهم القاء فيه الى موقع الهجوم المتحرك ضمن جبهة مواجهة ثورية اشمل وامم ، وحتى ينكبوا على هذا التحول ليس فقط من الحفاظ على نظامهم الثورى ، وجعل طريق المستقبل مفتوحاً أمامه بدون قيود أو حدود ، بل ومن تحصيل نصيبهم الوطنى والقومى في الفئاع من الثورة اليمنية والعربية بما ، وفي صد العدوان الاستعماري الصهيونى ، الواقع على الوطن العربى ، والزحف في اتجاه كل ارض عربية متحررة .

وحلى يثاق لهم — قبل كل شيء — توفير الحماية اللازمة ليُلب التمدد ذاته من أن يمتد اليه بخالب الأطماع الصهيونية — الاستعمارية — كما امتدت قبل ذلك إلى قنساء السويس على الناحية الأخرى منه — ولا سيما وقد غدا هذا المسبق الاستراتيجي الهام جزءا أكيدا من خطط الصهيونية العدوانية المعززة والمنسقة مع قوى الاستعمار والرجعية في منطقة البحر الأحمر التي ترابط فيها لأخطار القواعد الأمريكية والإسرائيلية ، الظاهرة والخفية ، ولا سيما أن مدن نفسها — حصن الثورة اليمنية — قد غدت وأقعة شبن مدى التطلعات والمطالب التوسعية الرعناء للإمبريالية الأمريكية والصهيونية العالمية ، وهنكا ثلثتا ومستقرا من أهدافها العدوانية المنكرة ، وجزءا لا يتجزأ من خططها الاستعمارية والرجعية المنيئة .

عدن : واتحاد الجمهوريات العربية

والن فلقد أصبح الأمر واضحا لكل ذي عينين أن أي مخطط عربي لواجبة إسرائيل والاستعمار يسقط من حساب وجود جمهورية اليمن الديمقراطية بكل ما تجتله استراتيجيا ونضاليا في الصراع العام مع قوى الصهيونية والاستعمار هو مخطط ناقص لا يرى مسورة المواقف السليلى كلها ، ولا ساحة المعركة القتالية من جميع جوانبها ، وفي مختلف أبعادها وأعمقها .

وكما أن من مسئولية اليمن الثورية أن تبحث — شأن غيرها — عن تقوى وافمن تشكل التعاون والتحالف مع جبهة التمثل العالمية المناهضة للإمبريالية والصهيونية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي فتاة يعتزم عليها — إلى حد البداية — البحث من تنسب مسيئة للتلاحم الثوري ، والتظاهر التكلفي مع الدول الثورية العربية الداخلة في اتحاد الجمهوريات العربية ، التي تشكل طرفا رئيسيا في هذه الجبهة العالمية ، بل وحورا أساسيا من محاور الصراع الإنساني العام ضد مخططات الاستعمار وأداته وحليفته الصهيونية .

ومن مسئولية واجب هذه الدول العربية المتحررة — كذلك — التي تجاهه وجهه لوجهه وتحمل مباشرة مهام التصدي لأخطار العدوان القائم والمطامع إلى مزيد من التوسع والسيطرة ألا تغفل عند وضع استراتيجيتها القومية العليا مكان ، وأهمية ، ودور عدن في هذه الاستراتيجية ، وضرورة وحتمية الاتفاق معها على مسورة من سور التنسيق والتعاون ، بحكم

ارتباط عتق واتما وفعلا ؟ نقلا وملا بيدان الصراع ، وبحكم تشكيلها سبق وعن جدارف أحد خناقته الثورية الأيمية والمنافسة ، وأحد امتداداته الطبيعية والاكيدة .

وذلك هو ما تنبه اليه — عن تقدير سليم — الأستاذ محمد حسنين هيكل في مقاله الأسبوعي « حول الاتحاد والحركة » حين شدد بقوة — « استكبالا لتصور استراتيجي كامل وشامل لناحيتهما من الصراع » — على ضرورة ووسع جمهورية اليمن الديمقراطية في الحسبان ، ذلك « أننا لحيانا نتنظر إلى اليمن الديمقراطية الشعبية ، وكأنها دولة صغيرة مشاغفة ، لا تستطيع أن تؤثر إيجابيا في الصراع ، ومع ذلك فإن « عدن » بوابة البحر الأحمر — وهو من أهم مسالرح الصراع — هي عاصمة اليمن الديمقراطية الشعبية .

والسؤال الذي يترتب على ذلك هو : هل يمكن على أي نحو أن يكون لليمن الديمقراطية الشعبية — وبترتيب خاص — دور في التصور الاستراتيجي الجديد للصراع (١٣) .

بل أن خير البترول العربي الشهير ميد الله الطريقى بعد أن ينسبه إلى أن من مخططات إسرائيل « الاستيلاء على كل أجزاء الجزيرة العربية » ويشير إلى « أن على الأخوة العرب من القادة أن يفهموا موقف اليمن الشعبية ، وأن يدركوا أن اليمن الديمقراطية الشعبية مهددة بغزو صهيوني إمبريالي ، وإلى أن من « الواجب عليهم معها بالدم اللازم لمقاومة الغزو ، ولبناء الوطن » وأن « زيارة الإئتفاء العرب من القادة إلى الحصن العسكري والاقتصادي للامة العربية عدن .. مستبد كل المخاوف التيثيرها الاستعمار والرجعية في بلدان من الوطن العربي ضد اليمن الشعبية ، والامراد منها وضع حصارا اقتصادي وسياسي على اليمن الشعبية » — لثقل بعد أن يشير إلى ذلك كله يخطو خطوة أكثر مما ندعوله نحن من ضرورة البحث عن ميسفة مناسبة للتعاون الثوري المنظم ، والتسيق النضالي المحدث مع اتحاد الجمهوريات العربية كآجرااء عاجل ومؤقت» تترسه خطورة الأوضاع الراهنة ، ريثما تتحقق وحدة اليمن السياسية على أسس وطنية ديمقراطية ، يتم بعدها انقسام جمهورية اليمن الموحدة التقدمية إلى الاتحاد ، حيث يدار من جانبه بالدعوة « إلى دخول اليمن الشعبية إلى اتحاد الجمهوريات العربية » لأن انضمامها إلى الاتحاد سيمزج من قوة العرب كما أن موقعها الاستراتيجي الهام سيقوى من هذا الاتحاد خاصة وأن إسرائيل قد بدأت تستلجج بعض الجزر على السواحل الإفريقية» (١٤) .

الماركسيون

والاشتراكية غير الماركسية



ر • أوليانوفسكي

وبالنسبة للبلاد النامية — وهي حتى من هذه الناحية تخطف من بلاد أوربا وأمريكا الرأسمالية — فإن التأثير القوي للاتجاهات الاشتراكية غير الماركسية — وهي في الأسس معادية للامبريالية وديموقراطية ولكنها تنزع بدرجات متفاوتة إلى قبول الإنكار البورجوازية الصغيرة أو الإنكار الاشتراكية — هذا التأثير هو ظاهرة موضوعية حتمية في هذه المرحلة .

ومن الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية ، تمثل البلدان الانريسية والاسيوية — بما فيها البلدان الأكثر تقدماً — محيطاً من النزعات البورجوازية الصغيرة .. ويرجع هذا إلى التحوّل المزدوج الهائل للفلاحين الذين تجرّى بينهم عملية استقطاب طبقي وللبرجوازية الصغيرة في المدن ، هاتان الطبقتان اللتان تكونان من شائبان إلى تسمين في المائة من تعداد السكان . وتأخذ تلعائبة البورجوازية الصغيرة في هذه البلدان شكلا

الأبحاث التي تنشر من الاتجاهات

الاشتراكية غير الماركسية اهتماماً له ما يبرره . ففهم هذه الاتجاهات سياسياً وعلمياً فهماً سليماً شرط لحل القضية ذات الأهمية الكبرى المتعلقة بموقف طليعة الشعب العامل التي تقودها اينيولوجية اشتراكية علمية حيال قطاعات كبيرة من الشعب مازال متأثرة — إلى حد كبير — ببرامج ونظريات سياسية غير ماركسية .

تفسير

وكان من الطبيعي أن تحمل هذه الأبحاث شروحات نقدية للاشتراكية غير الماركسية ، عن الاتجاهات الاشتراكية في البلدان الاسيوية والانريسية ، حيث تنتشر هذه الاتجاهات وتلعب دوراً حاسماً في رسم سياسة بعض البلدان ، كما تقوم — بوجه عام — بدور تقني ومساعد للامبريالية وثوري ، يخضع لديموقراطية البورجوازية الصغيرة في آسيا وأفريقيا بعيداً عن الديموقراطية السائدة في العالمين القديم والجديد .

لا تخضع أية حدود . وتقبل ايديولوجية البورجوازية الصغيرة ، التي تنسم بالوطنية والعداء للابريالية والبتدين ، في تفكير الجماهير بشكل أو آخر . ومن الواضح انها تستمر هكذا الى وقت طويل . فلللاولين والبورجوازية الصغيرة في المدن مجال واسع من التسلط . وكثير من البلاد الاسيوية والافريقية تقتصر الى القوى التي وصلت من النضج الى درجة تؤهلها لقيادة هذه الفئات الاجتماعية . ولا يزال على البورجوازية والطبقة العاملة ان تفضلا شيئا من البيئة البورجوازية الصغيرة وما تزالان ضعيفتين وغير مؤهلتين للقيادة . تلك هي السمة الاجتماعية التي تميز البلدان التي لم تبلغ بعد مرحلة الرأسمالية ، وفي نظم مجموعتهن البلدان تهاجم البورجوازية الصغيرة فيها رأس المال وترفض الرأسمالية ..

● بالنسبة للماركسيين ليس هناك قضية تفضيل بين الاشتراكية الماركسية والاشتراكية غير الماركسية ، أي بين ما يرتكز على الاوهام وبين ما يمثل مستقبل البشرية . ان واضعي كتاب « المفاهيم الاسيوية والافريقية للاشتراكية » لا يخلطون معنا على هذه النقطة الا أننا مع هذا لا نرى ان النقاش يجب ان ينتهي عند هذه النقطة

فما هو الدور الذي تقوم به الاتصاحات المتقدمة - اثنائية فيما بينها - للاشتراكية غير الماركسية في العملية الثورية التي تجري اليوم؟ وكيف يتحتم على الماركسيين اللينينيين ان يمالجوها .

نحن نعتقد ان هذه القضية على اكبر جانب من الاهمية ، خاصة وأن الكثير من هذه الانكار الاشتراكية المتباينة قد انتشرت في البلدان النامية . ولمعالجة هذه القضية من المهم ان نتفهم السمة الاجتماعية والسياسية للمرحلة التي تمر فيها البلدان التي تحررت من التبعية الاستعمارية وما يستتبعه تقدمها من آمال .

ومن سوء الحظ ان المال المتناثر اليه لم ينجح في اثناء الاهتمام اللازم لهذه القضية ، واهمل قضية النمو غير الرأسمالي في البلاد الاسيوية والافريقية . ومن الصعب تحرير محاولة تحليل قضية الاشتراكية غير الماركسية في هذه الفترات بمعزل من امكانيات التوفيق الرأسمالي . ونحن نحسب ان ندلي برأينا في هذا الموضوع .

يرى كاتبو المقال ان « ثورات التحرير الوطني أصبحت جزءا لا يتجزأ من الثورة البروليتارية العالمية » وإذا توخينا الدقة قلنا ان هذا القول خطأ . فقد تحدث لينين بهذا الخصوص من ثورة

الاشتراكية وليس ثورة بروليتارية لا فهو يميز بين الاثنين تمييزا حاسما . فكل ثورة بروليتارية هي ثورة اشتراكية ولكن ليست كل ثورة اشتراكية ثورة بروليتارية . ويرى البعض ان فشل الشعوب المستعمرة في سبيل الاستقلال الوطني كان - في رأي لينين - جزءا من العملية الثورية العالمية وعاملا هاما في تحول العالم ، ولكن هذا الكفاح لم يكن جزءا من الثورة البروليتارية العالمية . ان الثورة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني تيران ثورين لا مفر لهما موضوعيا من التحالف ، ولهما عدو مشترك واحد - هو الابريالية - ومصالح مشتركة ، كما ان لديها امكانيات غير محدودة للعمل المشترك واحراز نجاحات جديدة ، اذ ان حركة التحرر الوطني ، كما تنبأ لينين ، بعد ان تكون قد بدأت في السكاف من اجل الاستقلال السياسي ، تستدير - اذا كانت ثورية وغير مترددة - لتعادي الابريالية عموما ، ثم لتتفهم موقفا معاديا للرأسمالية كذلك . ولقد دفع هذا لينين الى الدعوة الى « الجمع بين » الثيارين الثوريين وتوحيدهما . ولكن ما يلجأ اليه البعض من وصف حركة التحرير الوطني بانها جزء من الثورة البروليتارية لا يمتنع - مع ذلك - الجمع بين الثيارين كشئ واحد ، بل مطلبتهما سويا بالتحلف من الهام التي تواجه كلا منهما .

ويتحدد الموقف من الاشتراكية غير الماركسية في آسيا والافريقيا بانذاك هذه الصلة بين حركة التحرير الوطني والثورة البروليتارية . فلو ان الاولى كانت جزءا من الثانية لاصبحت الاشتراكية غير الماركسية غير مقبولة من حيث المبدأ ولتحتتم رفضها ، اذ - في هذه الحالة - تكون الحزكة الاشتراكية البروليتارية مستصل اليحد ان تتسرب اليها افكار غربية من الاشتراكية الاصلية ، او الصلبة بينما اذا كانت حركة التحرير الوطني ، كأحد ثيارى الثورة الاجتماعية - تنسم بصفة ديمقراطية عسلة وكثت تعبر من حركة الجماهير ضد الابريالية والاطماع والاحتكار والرأسمالية ، عندئذ يكون وجود اتصاحات اشتراكية غير ماركسية منطقيا تماما ، وبعض هذه الاتصاحات - الانجاعات الديمقراطية للثورة النبتة - الامل الذاتية للجماهير البروليتارية وفيسر البروليتارية وقياداتها - ذات تأثير في الوقت الحالي وسوف يكون هذا التأثير في المستقبل في بعض الاجيان تأثيرا حاسما على اتمصل التقدم الاجتماعي والثورة .

ولذلك فهم يعتبرون أنها لا بد أن تنهزم وبالسرعة التي تناسب مع تصاعد التطور التاريخي . وهم يعززون دورا حاسما للقضاء على المفاهيم غير العلمية للاشتراكية وتقدم آسيا وأفريقيا موعدا إلى توحيد حركة الطبقة العاملة مع الاشتراكية وليس هناك شك في أن الاشتراكية في هذه القارات سوف تبني على أساس توحيد النظرية العلمية مع حركة الطبقة العاملة ، ولكن أي شخص يتوقف قليلا لكي يفكر في الخطوات التي يمكن أن تتخذها البلدان الآسيوية والأفريقية في اتجاه الاشتراكية في الوقت الحالي سوف يلمس الحاجة الملحة التي تخطي البداية المسلمة هو توحيد الاشتراكية العلمية مع حركة الطبقة العاملة بالرغم من أن هذه المهمة ذات أهمية هائلة وحاسمة . فحركة الطبقة العاملة في غالبية الأقطار الآسيوية والأفريقية في غاية الضعف وتفتقر بدرجة كبيرة إلى التنظيم — كما أنها مرتبطة أشد الارتباط ببيئة البورجوازية الصغيرة ، بينما مواقع الاشتراكية العلمية ليست من القوة بحيث يمكن الاعتماد عليها وحدها .

إن فهما واتميا وثوريا للموضوع يبين أنه في حالات كثيرة يجب أن تبني الاشتراكية ليس على أساس الوضع الحالي الذي يمكن أن تكون عليه طبقة عالة متقدمة لمصعب ، وإنما على أساس الوضع الضعيف الذي تقدمه الحقيقة الموضوعية وتضعه بين أيدي الثوريين : وبالنسبة لغالبية البلدان الآسيوية والأفريقية يعني هذا أن أولى الخطوات المحددة في اتجاه الاشتراكية يمكن اتخاذها بتأييد الجماهير غير البروليتارية والملاحين والبروليتاريا وأنصاف البروليتاريا ولا تستطيع هذه الجماهير موضوعيا — في الوقت الحاضر — أن تتبنى الاشتراكية العلمية كأيديولوجية متكاملة ، ولكن طالما أن هذه الجماهير تتجه تلقائيا نحو الاشتراكية وتعارض في الواقع الرأسمالية، فإن هذا يقودها بالتدريج إلى فهم الاشتراكية العلمية . إن الماركسيين يظهرهم ويرهون برامهم الاشتراكية الأصلية في مفاهيم البورجوازية الصغيرة ، تلك المفاهيم التي من المحتمل أن تستمر في البلدان الآسيوية والأفريقية لعدة سنوات . أننا نعتقد أن هذا هو الخط الذي يجب السير عليه . أنه ينطبق من مكررة أن الأحزاب الدييموقراطية الوطنية — وبالأخص مجموعاتنا اليسارية — تستطيع — بعد أن تبدأ من الاشتراكية الوطنية غير الماركسية — أن تتقدم نحو الاشتراكية العلمية وأن شئنا في النهاية من خلال الكفاح والتغلب على التناقضات

من هنا فإن أي تعميم للاتجاهات الاشتراكية غير الماركسية في البلاد القائمة يجب أن يبدأ من التقييم النوعي للحظة التطور التاريخي ، وبالتالي للهدف الاستراتيجي للحركة . هذا هو أساس كل الانحرافات المحتملة في تنهيم قضية الاشتراكية غير الماركسية وحركة التحرر الوطني ككل . وهو الحد الفاصل بين السياسة اللينينية في التعاون مع كل القوى المعادية للامبريالية والثورية ، والخط الذي يقود — موضوعيا — إلى عزل الطليعة البروليتارية في الممارسة .

وهذه هي القضية التي أوججت اللينينية لها حلا من طريق المفهوم الماركسي الحديث للطريق غير الرأسمالي الذي يعني أن القوى السياسية في البلدان التي اختارت الطريق غير الرأسمالي تتجه إلى الاشتراكية ولكنها لا تبنيها في الوقت الحالي لأن المطالبات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية الذاتية والموضوعية في تلك البلدان مازالت متقدمة . ويعني السير في الطريق غير الرأسمالي في هذه المرحلة إجراء تغييرات دييموقراطية عميقة بأسلوب ثوري يضع إمامه الاشتراكية كهدف بعيد . والتطور عبر هذا الخط لأضع المراحل أمام التحول التالي إلى المرحلة الاشتراكية بل على العكس بهذه لهذه المرحلة . والتفيدة التي تجرى التغييرات غير الرأسمالية تضم بين صفوفها الدييموقراطيين الثوريين الذين يأتون غالبا من أصل بورجوازي صغير تقليدي، فهم لا يطبقون أيديولوجية ماركسية لينينية متكاملة حتى لو استعاروا من هذه الأيديولوجية ونقلوا منها الكثير ، وأهم شيء هو أن كثيرين من أولئك القادة يسدون استعدادا — تحت ضغط التطور التاريخي — للتعلم والاستمرار في الاقتراب أكثر فأكثر من الاشتراكية العلمية .

وليس التطور غير الرأسمالي شسلا ولا حتميا لجميع البلدان الآسيوية والأفريقية ، ولكن طالما أن هذه المرحلة الانتقالية أصبحت حقيقة تاريخية في بعض هذه البلدان تمثل الاتجاه الرئيسي للتطور الاجتماعي هناك ، فمن المحتم تاريخيا أن تلعب الأيديولوجية الدييموقراطية الوطنية — بشكل أو آخر ولدى طويل — دورا حاسما وتنميا .

ويستطرد كاتب المقال بفرض أن الاشتراكية غير الماركسية نتاج لخداع النفس، أو الخداع المتعمد،

أن هذا الاحتمال ؟ احتمال الانتقال من الاتجاهات الاشتراكية الوطنية اليسارية الى الاشتراكية العلمية ليجب مطلقا الانتقال من قدره - كما يحدث عندما توصف الاتجاهات الاشتراكية غير البروليتارية في البلدان الاسيوية والافريقية بأنها تنسجى الى طريق « ثالث » أو « وسط » بين الاشتراكية والرأسمالية .

● ولكن تكون صورة واضحة للاتجاهات السياسية والفكرية المعقدة في البلدان الاسيوية والافريقية التي ترفع الشعارات الاشتراكية يلزم ان نمنعها تصنيفا علميا ، ويشير البعض الى امكانية تحول منبر وطني ثوري الى منبر ديوقراطي ثوري أو الى منبر بيروقراطي رجعي ، ويقعون شرحا مقنعا للتطور السياسي في عدد من البلدان « وعلى وجه الخصوص اثنونيسيا ومع هذا فنحن نعتبر مثل هذا التصنيف مبسرا وإلى حد ما غير دقيق ولا يخل في اعتباره المعنى الطبقي للظاهرة التي يناقشها . فهو يصف - مثلا - الاتجاه « البيروقراطي الرجعي » لسبب ما على أنه نظرية بورجوازية صغيرة وليس على أنه نظرية بورجوازية . ان الذي الجغرافي والتاريخي [الزمني] الواسع للاتجاهات السياسية والفكرية ، وكذلك الاتجاهات الحديثة ، وذلك الاتجاهات التي كتبت أساسا لها ولكنها أصبحت من مخلفات الماضي - هذا الذي جعل من الصعب ترتيبها ترتيبا منهجيا . ونحن يساورنا شعور أن هذا المجهود الذي بذل في التصنيف لا يأخذ في الاعتبار - كما يجب - ما قام به فعلا الكتاب الماركسيون .

لميزان التصنيف الطبقي للنظريات الاشتراكية هو - وهذا شيء معروف - هو معناها الطبقي وأن وقد انفتحت لليم العديد من البلدان فرصة حقيقية لاختيار طريق تطورها ، يبرز المعنى الطبقي للاتجاهات السياسية والفكرية عند توجيه السؤال الأساسي وهو : الى أي التطلعين الحاليين - الاشتراكية والرأسمالية - يقود المنبر الذي نعلنه ؟

وإذا بدأنا بهذا المعيار يمكننا لنضع الاتجاهات الثلاثة الرئيسية التالية من النظريات الاشتراكية غير البروليتارية التي توجد في آسيا وأفريقيا .

١ - **الإصلاحية الوطنية** التي تمتعت امتكارا وشعارات « اشتراكية » تخفي وراءها اتجاهات

بورجوازية ، وتستخدم النظريات التبريرية للبورجوازية الأمريكية والأوروبية جنباً الى جنب في بعض الأحيان مع هيدمي اتجاهات « اشتراكية ديوقراطية » من الاتجاهات اليبينية . والإصلاحية الوطنية لاتعارض الرأسمالية كما هي ، وإنما هي تعارض رأسمالية القرن التاسع عشر بحسب ، وهي لاتتهم من الاشتراكية سوى أنها تحقق تقدماً اقتصادياً من خلال توجيه الحكومة وبالإضافة الى ذلك لاتضع نفسها بمواجهة ضد الاشتراكية العلمية . ونحن نعتقد أن هذا الاتجاه تمثله إيديولوجية عدد من الأحزاب الحاكمة مثل المنجل وكينيا وعدد من البلدان الأفريقية .

٢ - **اشتراكية البورجوازية الصغيرة المثالية** الحديثة التي ترى المدل الاجتماعي في تطبيق مبادئ الشيوعية البدائية على المجتمع المعاصر ، وما يميز اشتراكية الفلاحين المثالية من الإصلاحية الوطنية هو الولاء لمل الشعب ولبدأ « المساواة الكاملة » وعدم قبول مظاهر الظلم الاجتماعي والنقد اللاذع للرأسمالية الحديثة من مواقع اشتراكية ذاتية ورفض الأوهام الإصلاحية البورجوازية . ومن ناحية أخرى هي إيمباتكون عن أن ترى الطريق الصحيح المؤدى الى المدل الاجتماعي أو فهم الدور الذي تلعبه المساهم العلمية . أنها ترفض الاشتراكية العلمية تحت دعوى أن نظرية الصراع الطبقي والدور القيادي للبروليتاريا لا يتلائم مع الظروف الخاصة التي تتميز بها البلدان الاسيوية والافريقية . كما يقولون أن الصراع الطبقي غير موجود بين شعوبهم التي تستطيع لذلك أن تبني الاشتراكية على أساس « الوحدة الوطنية » .

واشتراكية البورجوازية الصغيرة الخيالية تجعل في داخلها تناقضات . والولاء لمل المدل الاجتماعي وكراهية الرأسمالية تدفعها نحو الانكار العلمية للثورة بينما تفتح مواقفها المعادية للماركسية التي تتخذها في بعض الأحيان الطريق للارتباط بالإصلاحية الوطنية وفي كل الأحوال تصبح اليد الطولى لواحد من هذه الاتجاهات مما ينتج عنه أن تتفقد اشتراكية البورجوازية الصغيرة الخيالية شخصيتها النوعية وتتسجى في الاتجاهات السياسية والفكرية الأخرى ، ومن مصلحة الماركسيين الثنائيين أن يتطور المتكلمون بها الى الاشتراكية العلمية .

ونجد مثلاً لهذا التطور في فكر الاتحاد

الوطني الأفريقي التجنّاتي [التلقو] فاعلان
أروشا الذي اتر في بداية عام ١٩٦٧ يعترف
بوجود الصراع الطبقي في افريقيا وبالصفة
الطبقية للسلطة السياسية ، وهذا الاعلان
يحدد التحول نحو الديمقراطية الثورية الوطنية .

٢ - ايدولوجية الديمقراطية الثورية او
الوطنية وهي أكثر اتجاهات الجناح اليساري
الاشتراكي الوطني تفصيحية في البلدان الاسيوية
والافريقية . وإذا أردنا الحقة فليس صحيحا
تماما أن نصف الايدولوجية الديمقراطية
الثورية بأنها اشتراكية وطنية . إذ أنها
اتجاه يضيّق اطار مفهوماته التي كان يعقنها
ولا تحتل المناقشة من التمييز والوحشية في
طرق التطور التاريخي الوطني ، يضيّق هذا
الاطار بدرجة كبيرة « فالديمقراطية الوطنية
تتبل بعض مبادئ الاشتراكية العلمية . فهي
تتمتع بالصفة الشمولية للصراع الطبقي وترتبط
بين الاشتراكية وسلطة الشعب العامل ،
ويستمر الديمقراطيون الوطنيون على مبادئهم
للديمقراطية ويدعون إلى السكاح ضد الرجعية
الداخلية والخارجية .

ويستلنا التصنيف السابق — في رأينا — من
تحديد موقع الاتجاهات الاشتراكية غير الماركسية
المنوعة في البلدان الاسيوية والافريقية من قضية
طريق التطور . أن الديمقراطية الوطنية تعن
تأييدها للتطور غير الرأسمالي بينما تفضل
الاصلاحية الوطنية الرأسمالية . أما الاشتراكية
البرجوازية الصغيرة الخيالية فهي اتجاه يقف
في منتصف الطريق ويمثل القوى التي مازال
عليها أن تفتار وتحدد برنامجها .

وليس هذا التصنيف — بالطبع — مطلقا ،
كما لا ينبغي اعتبار الاتجاهات التي نحن بسندها
منفصلة من بعضها البعض جدار لا يمكن اخراجه
فالواقع أنها تتشارك فيها بينما في الكثير ، وهذا
ما يعني قيام احتلال حدوث تغيير سريع إلى حد
ما في الواقع السياسية من اتجاه إلى آخر ،
أنها تتحد فيها بينما في ااهداف المهاد
للديمقراطية وفي التقاليد التاريخية الوطنية
وخاصة تقاليد حركة التحرير ، وجبهما
تتأثر بدرجة كبيرة بمفاهيم البرجوازية
الصغيرة التي يتكون منها — إلى حد ما —
لأسما الفكر الذي من المحتل أن يحكم كل
بحث عن حل فكري أو سياسي في آسيا وافريقيا
لستين كثيرة مقبلة .

لسل هذا تحتل الايدولوجية الديمقراطية
الثورية مكانا خاصا بين سياسات البلدان النامية

وصحيح أن استعارة آراء ماركسية كثيرة ثم
فهمها بطريقة خلسة ليس شيئا جديدا في
تاريخ الفكر ولكن لم يحدث من قبل أن استمت
هذه الظاهرة كما لم يحدث أن كانت هذه
الظاهرة ذات فائدة وذات تأثير فوري على
حركة التحرر الوطني ، كذلك لم يحدث أنها
كانت تقرر اتجاهات هذه الحركة الرئيسية —
كما يحدث الآن .

وليست آراء الديمقراطيين الثوريين التباسا
« لطريق ثالث » فالديمقراطية الوطنية تضم
تلك القوى في البلاد الافريقية والاسيوية التي
يدافع المتصنون بلسانها عن التطور غير
الرأسمالي والتحول الاشتراكي . وهذه
القوى هي التي تحكم في الجمهورية العربية
المتحدة وسوريا والسومال وغينيا وبورما
وجمهورية الكونغو الشعبية ، كما أن بينها
بعض الأحزاب الأخرى الصالحة ، أو المعارضة ،
والديمقراطيون الوطنيون قوة ثورية تمى أن
التقدم في وقتنا الحالى غير ممكن بدون
اتخاذ خطوات محددة في اتجاه الاشتراكية ،
وهم يتفنون بشجاعة هذه الخطوات وقادرون
على الفعل الثابت ليس فقط ضد الامبريالية
بل وضد الرأسمالية ، ويصارمون الاتجاهات
البرجوازية المتساهلة كما يقتربون من مواقع
الاشتراكية العلمية في عدد من المسائل
الاساسية .

وبالنظر إلى المصالح الحاضرة والمستقبلية
ليس الشيء المهم هو أن الديمقراطية الوطنية
مازلت اتجاها غير ماركسي ، يتحد ما تشبه
فعلا من حرب ضد الامبريالية والرأسمالية
كنظام اجتماعي ومجهود الديمقراطيين الثوريين
لبناء مجتمع جديد ، فهذا هو ميعاد الموقف
الماركسي حيال البرامج والأحزاب الديمقراطية
الثورية .

ان موضوع التطور غير الرأسمالي يدفع إلى
المقدمة قضية انحداد الأحزاب الشيوعية
والأحزاب الديمقراطية الوطنية وتحالفها
النضالي .

وبالطبع يتفهم كل تحالف تباعدا للبلدان
ويقود الكفاح السياسي الديمقراطيين الوطنيين
إلى النتيجة التي تقول أن الماركسيين اللتينيين
هم طينهم الوحيد الذي يعتمد عليه بالنسبة
لألمهم التقدمية ، واضعف هذا التحالف
يعنى اضعاف كل الجبهة التي تتكون من القوى

التضحية المساندة للاجبرالية . ولكذلك تمنح المنطق وتوقع ان يعمادقتادة الحركة الديمقراطية الوطنية الذين يرغبون في الحفاظ على محتوى هذه الحركة الثورية وتمزيقه موقفهم المنشكك من الاحزاب الشيوعية في بلادهم وان يقرروا بشرعية وجودها وتطورها كقوة سياسية مستقلة نكسريا وتنفذيا ، ومع ذلك فهي حليفهم الوحيد ومن الصعب ان يستمر المرء في ولائه لانكار الديمقراطية الثورية بينما يمارس البروليتاريا الوامية بملبقتها وحزبها .

والاجراءات التي تتم في عدد من البلاد ضد الشيوعية تجعل من الصعب بلا جدال الوصول الى فهم متبائل بين الماركسيين اللينينيين والديمقراطيين الوطنيين ، اي بين القوى التقدمية عموما . وحتى في حالة ما تكون هذه الاجراءات مؤقتة ، الا انها تثار في تسكون الديمقراطية الوطنية بالانصاف الى تقدم ثورة التحرر الوطني، ومع هذا لاستسلم الاحزاب البروليتارية للماطفة وانما تواصل سيرها على هدى التحليل الطبقي .

ولقد كتب لينين في يوليو عام ١٩١٧ يقول : « من الخطا الفاحظ الظن بان البروليتاريا الثورية تستطيع ان « ترفض » مساعدة الثوريين الاشتراكيين والمناصفة ضد الماديين للثورة كتوع من « الكثر » - اذا صح هذا التعبير للمساعدة التي تدبونها لتحطيم البلاشفة وقتل الجنود في الجبهة وتجريد العمال من سلاحهم . فهذا الموقف - اولا - تطبيق لبلة لمساهم الاخلاق على البروليتاريا [طالما ان البروليتاريا في سبيل تحقيق هدف ما ، سوف تؤيد دائما ليس فقط البورجوازية الصغيرة المذبذبة بل وحتى البورجوازية الكبيرة] . وثانيا - وهذا هو الشيء المهم - فان طمس الحقيقة السياسية للموقف باضلاع الصلوات الاخلاقية عليه يكون مجهودا لاطلحت تحته [من الصلوات - الاعمال الكلمة - مجلد ٢٥ ص ١٨٦] .

ان تحالفا نفساليا مع الحركة الديمقراطية الوطنية يستدعي مرونة من جانب الماركسيين وقدرة على تقدير الاحزاب الديمقراطية الوطنية تقديرا صحيحا على اساس افعالها الحقيقية بالتملح الى المستقبل وليس بالنظر الى الماضي، وقدرة على التمييز بين الانجاسات المتسببة والقيارات الخفلة في هذه الاحزاب ، واقامة الاتصالات بها والفهم المتبادل معها على بخلف المستويات .

وفي عدد من البلاد تحلل الاحزاب الديمقراطية الوطنية مركز السلطة الحاكمة حيث تطب الدور التبادي في حركة التحرر الوطني والتطور غير الراسالي . ولا تحل مسألة القيادة - وهذا ينطبق على الاحزاب الشيوعية والاحزاب الديمقراطية الوطنية على السواء - بالتمسائل من يقوم او يجب ان يقوم بالدور القيادي ؟ وانما تحل هذه القضية بالموقع الحقيقي الذي تحظه الاحزاب المعنية وقدرةها على كسب تأييد الجماهير ولتتها .

واضح ان حلق الشيوعيين مع الديمقراطيين الوطنيين ليس اندماجا فهو لا يعني مقدمهم استقلالهم ولا هو بدون شروط . انه حلق ضد الامبريالية والرجعية وضد اصلاحيات البورجوازية الوطنية وانتهازية البورجوازية الصغيرة - وهي الاشياء التي يستند منها الاستعمار الجديد القوة . انه حلق يهدف الى تقوية الاتجاهات الاشتراكية الاصلية ضمن الديمقراطية الوطنية . وبينما يستمر الشيوعيون في ولائهم للنظرية العلمية للاشتراكية يساهمون في تخليص الجماهير من الافكار الخيالية وافكار التعالي الطبقي .

ولا يستلزم هذا الحلق عدم وجود تناقضات بين الشيوعيين والديمقراطيين الوطنيين . ومع هذا فان السكناح ضد الامبريالية من اجل الديمقراطية يتطلب الا تتعاضد التناقضات الغالبة الى المقدمة في هذه المرحلة . اما بالنسبة للمستقبل فقد يكون الانسحاب ان تتلاشي هذه التناقضات قبل ان تكون قد وصلت الى نقطة حرجية او تحولت الى تناقضات عدائية . وسوف يعتمد هذا على الجانبين وعلى التاكثك السليم الذي يطبق في اعمال الجبهة المتحدة . وعلى خط يرتكز على المبادئ ويقسم في نفس الوقت بالمرونة من جانب الشيوعيين . وليس هذا الحلق تطورا مائرا . ولكنه هدف بعيد وجد في مرحلة الديمقراطية الشاملة من ثورة التحرير الوطنية . والاستمرار في هذا الحلق وتقويته في المرحلة الاشتراكية يتسق تماما مع مطالب التقدم الاجتماعي . وهذا - في اعتقادنا - واحد من اهم المظاهر النظرية والعلمية لقضية الفهم الماركسي اللينيني لاشتراكية الديمقراطية الثورية غير الماركسية الغالبة في يومنا هذا .

نحو فهم افضل

للمراهق



د. عزيز أحمد رياض

ان

يصل الى اقصاه ويظل على نفس هذا المستوى مع نموه البدنى المطرد - ولكن ليس معنى ذلك أن النبو العقلى بأبعاده المختلفة يظل كما هو ، ولكن التوسع الذى يحدث بعد ذلك هو فى تحسين الخبرات العملية فى الحياة والتوسع فى المعرفة مع ما يصاحب ذلك من تعمق فى فهم الامور ورجاحة الحكم على الاشياء ، ويعنى آخر فإن الانسان يزداد تحكما فى قدراته للذهنية وتزداد قدرته على استغلال هذه القدرات ، وأن كانت القدرات نفسها (أى الذكاء) لا تزداد فى حد ذاتها بين منتصف سنوات المراهقة - والواقع أن عملية النضج العقلى هذه تستمر طالما كان لدى مقرر الانسان التفاعل بشكل واقعى مع بيئته ، وهذه العملية تتوقف الى حد ما على الحيوية العامة للانسان ولذلك نجد أن قدرات الانسان على التحصيل العلمى والابتكار وسرعة المعليسات الذهنية تصل الى ذروتها فى العشرينات والثلاثينات ثم تستقر بعد ذلك وتبدأ فى الانخفاض والقهور مع الشيخوخة .

وهناك ظاهرة أخرى نلاحظها فى نمو المراهق عقليا وهى أنه تتغير نوعية تفكيره مع اقترابه من سن الرشد ، فينتقل من التفكير الحسى «المعياى»

اصطلاح المراهقة ينطوى على عملية نضوج الشاب - جسديا وعقليا ونفسيا - والعبور من مرحلة الطفولة الى الرشد . أما من الناحية الجسدية فيتم فى اول مرحلة من المراهقة اكتساب المظهر البدنى الذى يميز الانسان البالغ مع ظهور الفروق المميزة لكل من الجنسين واكتبال النضج الجنسى بحيث يصبح الفتى أو الفتاة قادرا على الانسجال . وتعرف هذه المرحلة « بالبلوغ » وتصاحبها وتستمر بعدها لعدة سنوات مرحلة أخرى موازية لها ولكنها أبدا منها نوحا وتشمل النضج العقلى والنفسى بآ فى ذلك من جوانب انفعالية واجتماعية - والمراهقة تمتد من حوالى سن الثانية عشرة حتى سن العشرين تقريبا .

ولعل من المفيد أن نناقش كل جانب من تلك الجوانب (غير الجسدية) على حدة حتى نستطيع أن نصل الى صورة واضحة لنمو المراهق قبل أن نعرض للمهام والمشاكل التى تواجه المراهق .

اولا : **النمو العقلى** : ينبو ذكاء الانسان منذ مولده حتى حوالى منتصف مرحلة المراهقة حين

الثالث: التنبؤ الاجتماعي : تتحكم في المراهق نزعتان أساسيتان : هما النزعة نحو الاستقلال عن السلطة الأبوية والنزعة نحو الانتماء الى البيئة الاجتماعية والانحلال مع أعضائها . والواقع أن كلا من هاتين النزعتين قد تداخلتا وتكاملت الواحدة منهما

الأخرى .

إن النزعة الاستقلالية تظهر أولا في تغير نظرة المراهق الى والديه وتوجيهه النقد لهما مع نقل اعجابه الى شخصيات خارجية عن نطاق الأسرة مثل أحد المدرسين أو أحد أصدقاء الأسرة أو حتى إحدى الشخصيات الجماهيرية (مثل أحد الرياضيين أو السينمائيين) .

والمراهق في هذه الحالة يبدي نوعا من التقديس لهذه الشخصية فيحاول تقليدها في كل النواحي المختلفة ويعتبر أي رأي يصدر عنها شيئا مقدسا لا يحتمل النقاش ، ولذا فقد جرى تسمية هذه الظاهرة « عبادة البطل » . وهذه الظاهرة تختفي تدريجيا وذلك عندما يقتنع المراهق لبعض جوانب شخصية مبهوه ويجمعها مع جوانب أخرى من مختلف الشخصيات التي أثرت في حياته ، ويتألف من كل هذا ملامح شخصية الفردية ويصل بعد ذلك الى نوع من التكامل . وهو يخرج من هذه العملية باستنباط المثل العليا والقيم الأخلاقية الخاصة به والتي ستظل جزءا من شخصيته طوال حياته المستقبلية .

أما النزعة الأخرى التي ذكرناها وهي الاندماج في البيئة الاجتماعية وهي التي تؤدي الى تكوين « المواطن الصالح » من وجهة نظر المجتمع فهي تتم أيضا من خلال مرحلة انتقالية وهي مرحلة الالتحاق بالمجموعات . فهو يلتحق بمجموعة من المراهقين قد تكونت تلقائيا مثل شغل الأصدقاء في الشارع ، أو قد تكون منظمة التكوين مثل مجموعات الكشافة والجمالة ، وبقي التنظيمات الشبابية المختلفة التي ترعاها الدولة أو المؤسسات الاجتماعية . والمراهق يبدي ولما عميقا عادة لهذه الجماعة وتنمو لديه من خلال عملاء الانتماء هذه مفاهيم اجتماعية هامة ، مثل انكار الذات والتضحية من أجل المجموع ، والأخلاص في العمل وقيمة العمل الاجتماعية وارتباط كل ذلك بمفهوم المجتمع نفسه ووجود الفرد فيه كخلية من خلايا الكائن الحي . ومن جانب آخر فإن هذه الجماعات تصبح الركيزة الإنسانية التي تستند إليها عملية النضج الاجتماعي للمراهق فتدرب على القيادة وتحمل المسؤولية والتضبط التنظيمي والخضوع للمستويات العليا في التنظيم والتعايش مع الغير حتى مع وجود الخلافات الفردية والخصام الحرة الفردية بحرية المجموع ، والتوفيق بين حقوق الفرد وحقوق الغير الى غير ذلك من عمليات « التطبيع الاجتماعي » . وهذه المرحلة كما قلنا هي خطوة نحو الاندماج بعد ذلك في

الى التفكير الحثوي والتجديدي ، ويظهر هذا في توجهه من أنواع النشاط الذهني البسيط المتحد على الحواس والممارسة العملية البحتة الى التفكير التأملي مثل الانغماس بالقضايا الفلسفية والسياسية والأخلاقية والدينية ، كما يتجه الى تذوق الفنون التشكيلية والأدب والموسيقى على مستوى الشخص الراشد بدرجات متفاوتة مع الفروق الفردية لكل مراهق .

ثانيا: التنبؤ الانفعالي : من الحقائق الشائعة أن سنوات المراهقة تتسم بدرجة عالية من التقلب المزاجي . فالمرء يتقلب ما بين المرح والاقبال على الحياة أحيانا والتبرم منها والتشاؤم أحيانا أخرى . كذلك تجده شديد الحساسية لا يتحمل النقد ويؤثر لآله الأسباب وهو غالبا ما يوجه غضبه الى أقرب افراد أسرته لأنه لا يزال يعتمد عليها انفعاليا فيعتبرها مسئولة عن كل ما يلحق به من أذى أو أحياء .

كما أن هناك صفة أخرى تميز المراهق وهي التناقض والارتباك اللذان يسودان مسلكه وفكره ومعقداته . فهو يتضبط بين الإيمان والاحقاد أو بين المحافظة على التقاليد والعرف السائد وبين التحرر منها والتمرد عليها - كما قد يسود التناقض والارتباك فكره ومسلكه في نفس الوقت فيجاءه بتقويض ما يبدل . وفي هذه الفترة قد يتجه المراهق بشكل منقطع نحو أي مذهب فكري أو سياسي يراق تحت تأثير نزوة مؤقتة ، وذلك ما يفسر لنا بعض المظاهر المتناقضة التي تسود بعض المجتمعات من انتشار مذاهب دينية متمسكة أو أخرى انحلالية انتشارا سريعا بين بعض فئات الشباب المراهق . والواقع أن كل هذه الانفعالات هي محاولات عشوائية للبحث عن الذات، وهدهفا وصول المراهق الى الاحساس بكيانه وبالأستقرار الداخلي .

هناك ظاهرة ثالثة يلحظها الاباء التربويون على المراهقين وهي أحلام اليقظة التي تمثل في أساسها محاولات لتعويض نواحي النقص في حياة المراهق أو جوانب الضعف في شخصيته أو لأشباع غرائزه التي لم يستطع بعد التكيف بين متطلباتها ومتطلبات المجتمع . ولذلك نجد أنها غالبا تصور حول الوصول الى الشهرة والنجاح الساذي والمغامرات الجنسية . وأحلام اليقظة ظاهرة طبيعية في كل مراهق أن كانت في الحبود المقرب خاصة وأنها تشكل في بعض الأحيان الحوافز التي تدفع المراهق نحو المزيد من بذل الطاقة في سبيل تحقيق أهدافه . لما إذا أصبحت هذه الأحلام دافعا في حد ذاته بحيث يكون مضمونها بعيدا عن المقول فإنها تنذر بحالة مرضية إذ تسمى استبدال المراهق الحياة الخيالية مكان الحياة الواقعية بعد فشله في مواجهة الواقع .

الاعتماد على المثل العليا (أي العنويات) بدلا من الشخصيات المحيطة به ، وهذه المثل ينقلها من الغير ويفرسمها في نفسه وبذلك يتطور من التوجيه الخارجى لحياته ومسلكه الى التوجيه الذاتى النابع من داخله .

تلك المهمة هي في الواقع عملية اكتشاف المراق لذاته الحقيقية ويتربط عليها المهام الثلاث الباقية وهي :

● الحاجة الى تكوين قواعد سلوكية وأخلاقية مبنية على مفاهيم الخطأ والصواب بحيث تكون مقبولة من مجتمع الراشدين ومتماشية مع تقاليد المجتمع الذى يعيش فيه المراق . وليست هذه بالمهمة اليسيرة كما قد يبدو لاول وهلة . فيجب على المراق أن يجد أمامه معايير السلوك متجانسة ومتفق عليها من الجميع حتى لا يحتبط عليه الامر ، فلا يجد أن يرى أمامه معايير متناقضة للسلوك من فئات مختلفة مثلا ولا أن يجد أن هناك تناقضا بين ما ينادى به من قيم وبين ما يتخذ فعلا من مسلك فى عالم الكبار . كذلك فإن على مجتمع الراشدين أن لا يطالب المراق الا بالمستوى الإخلاقى « المقبول » وهو الذى يكون فى حدود طاقته العقلية ، فلا نطالبه بالمثاليات البالغ فيها والا فسيشغل حتما فى تحقيقها وتعلق فريسة للتمركز الداخلى بين رغباته الداخلية والمتطلبات الخارجية فينشأ عن ذلك القلق النابع من الإحساس بالذنب . وهذا فى الواقع هو ما يفسر لنا ظاهرة التقلب الانفعالى والتذبذب أو التناقض فى سلوكه وأخلاقيات المراق ، فهو دائما يتأرجح بين ارضاء نزاعاته ومتطلبات المجتمع ، ولذلك فكما كان هناك اعتدال فى متطلبات المجتمع وكما يحدث هذه المتطلبات من التزمت كان هذا أدى الى استقرار المراق على معايير سلوكية ثابتة ومقبولة من جميع الاطراف .

● قيام المراق بالذوق الجسمى المبد له فى المجتمع ، أى الدور المناسب لكل شاب وشابة . ولا يقتصر هذا الدور على وظائف الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم ولكنه يمتد الى قيام المراق بالوظيفة الاجتماعية التى ينتظرها المجتمع من الجنس الذى ينتمى اليه فى شتى المجالات من تعليم وتوجيه معنى ، كما يمتد الى نوع السلوك المفروض فيه . كل هذه الأشياء التى يتوقعها المجتمع من المراق تعتمد على المفاهيم والقيم السائدة فى أى مجتمع من المجتمعات ، وهو يختلف بطبيعة الحال فى المجتمعات المتحضرة منها فى المجتمعات المتخلفة أو فى المجتمعات القريبة منها فى الشرقية ، النح . ونحن نلنا (وهذا ينطبق على شاملى كثير من المجتمعات الغربية) تنطلق من الشاب القيادية وتحمل المسؤولية أكثر من الشابة التى ما زال ينظر اليها على أنها مخلوق خاضع بشكل عام لمشية الرجل وإن عليها القيام فقط بأدوار منزلية

المجتمع الأكبر بما فيه من تزايد تعقيد التركيب وتزايد المسؤوليات التى تلقى على المراق . يبقى أن نشير الى أن هذه الجماعات وإن كانت ظاهرة تدل على الحيوية والصحة فى حياة المراق الا أنها قد تصبح بؤرات لنشاط غير سوى اذا سيطرت عليها عناصر منحرفة ، وقد تصبح مهددة للمجتمع بدلا من أن تأخذ دورها الطبيعي كمدارس للتطبيع الاجتماعى . والأمثلة على ذلك كثيرة أكثرها شيوعا مصائب الأحداث الجانحين ، وهذه عادة ما تكون تلقائية التكوين ولكنها تنشأ امام خلفية من الظروف الاجتماعية المتخلفة والفقرية بلديا حيث تنبت الانحرافات الخلقية والاتجاهات العدائية بالنسبة للمجتمع .

المهام الأساسية التى تواجه المراق

سبق أن لخصنا الجوانب المختلفة لنمو المراق — علينا بعد ذلك أن نلخص المهام الأساسية التى يختص على المراق أن ينجز فيها قبل أن يتعدى المراهقة ويصل الى سن « الرشد » . هناك أربع مهام أساسية تواجه المراق ، احدى هذه المهام جزئية ويتربط عليها نجاح المهام الثلاثة الباقية :

● المهمة الاولى — الجذرية — ذات طبيعة نفسية خاصة وهى عبارة عن التعديل الذى يجب أن يطرا على التصور الطفلى الشخصية كلبن والوالدين حتى يصير مفهومهما واقيا . ولا معنى هذا مجرد الزمة الاستقلالية عن والديين ولكنه يشمل تغييرا عميقا فى نظرة المراق الى العالم ، وخاصة نظريته الى والديه التى تتغير عنها وهو طفل . بمعنى أن الطفل يبدأ الحياة معتمدا على والديه اعتمادا مطلقا وهو لهذا يتصور انهما مخلوقين فوق البشر فيما قاربين على كل شيء ، وهنما تتسع مداركه وخبراته يجد أن الواقع ليس كذلك ، وهنا يشعر بالقلق ، بهذا الاكتشاف يهدد استقراره الداخلى . وعليه بعد ذلك إما أن يظل على معيخته الطفلية فى القفلة الخارقة لوالديه وهو موقف مرضى بطبيعة الحال) أو أن يعيد تصوره بما يتفق مع الواقع (وهو ما يحدث فعلا فى الشخصنة السوية) وهو يضع بذلك لنفسه أساسا جديدا لادراك العالم وقواعد جديدة للسلوك ازاء هذا الواقع فيتوصل الى الاعتماد على ذاته ويستقر نفسيا .

وهذا ما يفسر لنا ظاهرة تطبيع قسمة والديين وعبادة الليال التى نكرناها قبل — فكان هذه السبادة محاولة لاجابة بديل ، للاله ، المزيه الذى كثر به (أى والديين) ، ولكن هذه المحاولة مقضى عليها بالفشل بطبيعة الحال ، لأنه لا يوجد الانسان الذى يملك الموصفات المطلوبة التى تتفق للبشر . وعلى ذلك يجد المراق بعد عدة محاولات وبعد تعمق ادراكه للواقع كما شرخنا أنه لا يد من

في البناء الاجتماعي فتكتفي بشغل الوظائف الثانوية ، أو المهن المساعدة غير التقليدية . ومع وجود هذه الأوضاع قائمة فإذا حدث تناقض في نفس المراهق حول مدى تكيفه مع الدور الجنسي المطلوب منه فسيشعر بالقلق وسينشغل في القيام بواجباته الأساسية في المجتمع ، إذ أنه سيكون غير مقتنع بهذا الدور المطلوب به - وقد يأتي هذا الخلط في مفهوم المراهق لحوره الجنسي نتيجة الغموض أو التناقض في نظرة والديه إليه كركله أو بنت - بمعنى أنه قد تكون هناك رغبة قديمة لدى الوالدين في أن يكون الطفل على غير جنسه ، وقد يعمل على هذا الأساس أن كانت هذه الرغبة قوية فينشأ المراهق وهو غير مستقر على وضعه الجنسي لا شعوريا مما يؤدي إلى عدم كفاءته في القيام بدوره الجنسي في المجتمع . والواقع أن هذا يؤدي أحيانا إلى ظهور سلوك شاذ جنسيا لدى المراهق قد يلزمه طوال العمر .

● ان يواجه المراهق القرارات الهلابة الخاصة بمستقبله المهني . أن هذه القرارات قد تعرض المراهق لصراعات نفسية حادة بسبب تضارب الاتجاهات بشأن هذا الموضوع . فهناك نزعات شعورية ولا شعورية تدفعه للاخذ بتعليم معين أو اتجاه مهني خاص . وقد يكون ذلك جيبيا على تصورات ذاتية غير مطابقة للواقع بل جاءت نتيجة لرغبات أو تمنيات والديه القوية . ثم هناك ضغوطا خارجية من جهة الوالدين أو شخصيات هامة في الاقرب أو الاستقاء . كما أن هناك الضغوط الاقتصادية والعشائرية مثل التقويم الذي يكونه المجتمع بالنسبة لهنه معينة أو الهالة التي يضيها حول بعض المهن أو الفئات دون الأخرى خلال ظروف تغير المجتمع . . وأخيرا وليس آخرا فهناك القدرات الواقية الفردية (الذكاء - الشخصية . . . الخ) التي يتمتع بها المراهق والتي لابد أن يكون لها دور فعال في تحديد مستقبله .

كل هذه العوامل لابد من وضعها في الاعتبار حتى يكون تخطيط المراهق لمستقبله واقعا وحتى يعتمد من القرارات الانفعالية العشوائية والبعيدة كل الهيد من مصلحة المراهق الحقيقية . كما أنه يجب ألا يكون تدخل الوالدين في تقرير مستقبل المراهق أكثر من القدر الضروري الذي يساعده على مواجهة المشكلة بأسلوب واقعي ، فلا يكون ضغوطا عليه نابعا من نزعات عاطفية من جانبها حتى لا يؤدي ذلك إلى اختلاط الأمور على المراهق وفقدانه الثقة في نفسه في مواجهة أهم قرارات حياته .

ان التغلب على الهام الأربع المسالفة الذكر يشكل التحدي الرئيسي الذي قد تغلب عليه المراهق أو يشعر أمامه فيؤدي به إلى شتى الاضطرابات

النفسية أو الاضطرابات السلوكية التي كثيرا ما تصاحبها في هذه المرحلة الحرجة من حياة الانسان .

هناك لغيرا بعض القواعد العامة التي يجب الاسترشاد بها في رعاية المراهق حتى نقلل من الصعوبات والخطار التي قد تصادفه :

١ - تفهم الآباء لتقلبات المراهق وعدم التزمته في معاملته مع مراعاة معالجة الأمور في نفس الوقت بالحزم الشوب والطف ، والمصاولة باستمرار أن يضعوا أنفسهم في مكانه ، والتذكر أنهم كانوا - في يوم من الأيام - من المراهقين هم أنفسهم .

٢ - احترام رغبة المراهق في الاستقلال الفكري وعدم فرض مفاهيم أو معايير اجتماعية مبنية على تفكيره ، وخاصة فيما يتعلق بالاستقلال المهني .

٣ - منح المراهق الفرصة للاختلاط مع الجنس الآخر . علينا دائما استيعاب حقيقة هامة وهي أن اختلاط الجنسين في جماعات منظمة تقوم بنشاط ثقافي أو رياضي أو ترفيهي هو من أسلم الوسائل لالتقاء الفرصة أمام كل جنس للتعرف على الجنس الآخر ، كما أن هذه الوسيلة تنفس عن جزء كبير من طاقة المراهق الجنسية ، بل أنها تهيب (تنصمي) الغريزة الجنسية وتعمل على احترام كل من الجنسين للآخر .

٤ - إتاحة الفرص أمام المراهق لالتحاق بجماعات منظمة من نفس الجنس لممارسة مختلف ألوان النشاط الرياضي والثقافي وما إلى ذلك ، لالتقاء المجال أمام المراهق للتدريب على القيادة وتعمل المسئولية ومواجهة بعض المشاكل العملية للحياة اليومية والتغلب على المواقف الصعبة . كما أن هذه النشاطات وخصوصا ما كان منها على شكل مسابقات أو رحلات خلوية تشبع رغبة المراهق في الاستكشاف والمغامرة .

٥ - يجب الأخذ بمبدأ إنشاء العيادات النفسية الخاصة بالمراهقين بأعنيارهم فئة متفصلة عن الأطفال وهذا حادث فعلا في بعض الدول المتقدمة على أساس أن نفسية ومشاكل المراهق تحتاج إلى تخصص في نظرة الممارسين إليها وحتى يشعر بذلك المراهق نفسه بدلا من احساسه بأنه مخرج تحت بند عريض هو مشكلات الطفولة . كذلك يجب التوسع في تعيين الوجهين النفسيين بالمدارس الثانوية وأندية الشباب . أن هذه العيادات وهؤلاء الوجهين يقومون بوظيفة حيوية في المجتمع وهي الإرشاد النفسي والعلاج الطبي النفسي وهي إجراءات تساعد المراهق في التغلب على مشاكه النفسية قبل أن تستفحل وتصبح لمرضا قائمة فعلا أو اندخافات سلوكية ممانية للمجتمع ، وبذلك نكون قد أقمنا حطا دفاعيا آمانيا للمجتمع ضد الأمراض النفسية لدى الإنسان البالغ فيما بعد .

ورقة الرأي

الاتجاهات والنتائج العامة

في محاولة من أسرة تحرير « الطلبة » ، للتعرف على اتجاهات وآراء وانتقادات أصدقائها وقراءها ، بعد مرور سبع سنوات على إصدارها : تقدمت من خلال عسدي أغسطس وسبتمبر الماضيين « بورقة رأى » تتضمن عددا من الأسئلة .

وإذا كانت « الطلبة » قد رأت أن من واجبه أن تستطلع آراء وانتقادات الأصدقاء والقراء فقد رأت أيضا أنه يتعين عليها أن تطلعهم على النتائج التي يمكن استخلاصها من تفرغ مجسوع الأوراق التي وُردت إليها حتى العشرين من شهر نوفمبر ١٩٧١ . وقد زاد مجموع هذه الأوراق على ألفى ورقة .

وتقدر الطلبة تكديرا بالغا ، كل من أولى اهتمامه لورقة الرأى، وكانت مساهمته الإيجابية بالرد على أسئلتها زادا جديدا وضوءا كاشفا للطريق أمامنا .

وتعكف أسرة الطلبة على دراسة أوجه التقوا المقترحات الجديدة لبحث إمكانية التفاعل مع الاتجاه الغالب فيها ، ومن هذا الغفوم ، قررت أسرة الطلبة الاستجابة فورا إلى إرادة أغلبية القراء والأصدقاء في مد اهتمامها إلى ميدان الأدب والفن ، وأبداء من عدد يناير القادم سيصدر ملحق خاص بالأدب والفن مضافا إلى العدد العادى .

وننشر فيما يلي النتائج العامة « لورقة الرأى » محسوبة على أساس الـ ٢٠٠٠ ورقة الأولى .

أولا :

طبيعة المشتركين في ورقة الرأى

تحصلون على الثانوية العامة
وما في مستواها ٢٣٪
غير حاصلين على شهادات ٩٪

١ المهنة :

طلبة ١٨٪
موظفون ومهنيون ٦٠٪
عمال ١١٪
صحفيون وكتاب وفنانون ١١٪

٢ محل الإقامة :

خارج جمهورية مصر العربية ٣٧٪
مصريون يقيمون بالقاهرة ٤١٪
مصريون يقيمون خارج القاهرة ٢٢٪

٣ السن :

٢٥ سنة فأقل ٢٦٪
من ٢٥-٣٥ سنة ٥١٪
أكثر من ٣٥ سنة ٢٣٪

٤ المستوى الثقافى :

حيلة دكتوراه ١٠٪
طلبة وخريجو جامعات وما في ٤٨٪
بشواهة

(يلاحظ أن كثيرا من الإجابات
تضمن أكثر من اقتراح)

٥ ما هي في رأيك أكثر أبواب الطلبة
اهمية وفائدة ؟

٢٨٪	التقارير
٢٤٪	الدراسات
٢٣٪	المقالات
٢٠٪	الافتتاحية
١٥٪	الوثائق
١٣٪	المنشآت
١٤٪	المكتبة
٦٪	التعليقات
٣٪	كتابات جديدة

(يلاحظ أن كثيرا من الإجابات تضمن
الإشارة إلى أكثر من باب)

٦ ما هي الأبواب التي تقترح حذفها؟
والأبواب التي تقترح إضافتها ؟

١ - اقتراحات بالإضافة :

- شورية للثقافة والفن ١١٪
- باب الرد على رسائل القراء ٨٪
- قابوس الطلبة ٧٪
- باب لمشكل العلم الحديث ومنجزاته ٧٪
- باب لدراسة تجارب البناء الاشتراكي ٧٪
- باب لدراسة مشاكل العمال ٦٪
- معنى الأرقام ٥٪
- باب للشباب ٥٪
- دراسات في تاريخ مصر ٥٪
- دراسات أفريقية ٤٪
- باب خاص بأفكار عبد الناصر ٤٪
- حركات التحرر الوطني ٤٪
- الأحزاب الثورية ٤٪
- تعليق على العدد السابق ٤٪
- باب من الاشتراكية والإسلام ٣٪
- حوار مع شخصيات مالية ٣٪

ب - اقتراحات بالحذف :

- حذف الدراسات العسكرية ٢٪
 - حذف المنشآت ٢٪
 - حذف الوثائق ٢٪
 - حذف الافتتاحية ١٪
 - حذف كل ما يتعلق بالديموالغ ١٪
- (يلاحظ أن كثيرا من الإجابات قد تضمنت
أكثر من اقتراح)

ثانيا - الإجابات على الأسئلة :

١ صدرت الطلبة هت شعار

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري
المعاصر . هل ترى أن الطلبة
حققت هذا الشعار وإلى أي مدى؟

نعم ٥٤٪

نعم مع بعض التحفظات ٢٨٪

لا ٢٪

إجابات غير محددة وغير واضحة ٦٪

٢ هل ترى أن تتوسع «الطلبة» في

الدراسات ذات الطابع الفكري

(الأيديولوجي) لم تقترح التركيز

بقدر كبير على دراسة مشاكل

الواقع المحلي العربي ؟

التركيز على الدراسات الفكرية ٢٤٪

التركيز على دراسة مشاكل

الواقع المحلي والعربي ٢٩٪

الاهتمام بالجانبين معا ٤٧٪

٣ هل ترى أن «الطلبة» تتابع في

دراساتها وأبوابها بقدر كاف

القبول الرئيسية التي تشغل

اهتمام الرأي العام . وإذا كان

هناك نقص في أي مجال بالنسبة ؟

نعم ٢٢٪

نعم مع بعض التحفظات ٧٧٪

لا ١٪

٤ ما هي الموضوعات التي تحتاج -

في رأيك - إلى مزيد من التعمق

والتركيز في مجالها عام ١٩٧٢؟

• دراسة الواقع المحلي ومشكلات

الحياة اليومية للجماهير ٢٢٪

• وحدة القوى الثورية في الوطن

العربي ١٩٪

• مشاكل حركة التحرر الوطني

والمسلم الثالث ١٨٪

• الاتجاهات المعاصرة في الفكر

والفلسفة الاشتراكية ١٠٪

• مشاكل الطبقة العاملة المصرية ١٠٪

• الصراع العربي الإسرائيلي وأكمله ٩٪

• مشاكل الديمقراطية والحرية

وحقوق الإنسان العربي ٨٪

• البحث عن أيديولوجية للتورة

المصرية ٨٪

٩ هل توافق على قيام الطليعة بشر أعمال أدبية وفنية كالقصص القصيرة والشعر والتقدم الخ ؟

نعم ٤٧٪
نعم [مع التحفظ بضرورة الانصراف على نشر النقد فقط أو تحفظات أخرى] ١٨٪
لا ٢١٪
متمنعون عن الاجابة ٤٪

١٠ ما رأيك فيما يتعلق بشكل وحجم الطليعة ؟

١ - اجابات عامة
مناسب ٧٧٪
جيد ٢٪

ب - ملاحظات خاصة

تحسين شكل الخلاص ٨٪
انتقاء الشكل والخراج ٧٪
يهتمون بالمضمون دون الشكل ٢٪
مزيد من الصور والرسوم ٢٪
١١ ملاحظات عامة واقتراحات أخرى

١ - اجابات عامة

ليس لديهم ملاحظات او اقتراحات ٣٧٪
ب - ملاحظات ومقترحات محددة

ضرورة اصدار كتاب الطليعة ٦٪
التوسع في نشر آراء القراء والكتب الجند ٦٪
التوسع في دراسة مشاكل العمال والفلاحين ٥٪
الاهتمام بتقديم التمرات الفكرى لعبد الناصر ٤٪
الكف عن تبرير اخطاء السلطة ٣٪
مزيد من الكتب للتقدميين العرب ٣٪
زيادة الوثائق وتويعها ٢٪

كذلك طالب بعض القراء بمقترحات أخرى مثل :

١ تقديم تعريف لكتاب الطليعة - توزيع ورقة الرأي سنويا - اشراك مخض في الطليعة للطلبة - اجراء مسابقات لتشجيع القراء على الاطلاع - ان تقدم الطليعة حوارا بين الازهر والماركسيين المصريين - الاستماع بالتركيبات المسلمى - تجميع الافتتاحيات في كتاب

(يلاحظ ان كثيرا من الاجابات تضمن اكثر من اقتراح)

١٠ من هم كتاب الطليعة الذين تحوز كتاباتهم على اهتمامك ؟

ابدى القراء اعجابهم بالعديد من كتاب الطليعة في مقدمتهم :

لطفي الخولي - ميشيل كامل - د. اسماعيل صبرى - د. ابراهيم سعد الدين - غالى شكرى - د. رفعت السيد - د. فؤاد مرسى محمد سيد احمد - د. محمد الخفيف - د. جمال المصطفى - ابو سيف يوسف - حسين شعلان - عبدالمعز الغزالي - محمود عزمى - خيرى عزيز - طارق الهجرى - د. وليم سليمان - سوير كرم - مصطفى طية - د. عبد الرزاق حسن

٨ ما هي الاعداد السابقة من الطليعة التي نالت منك اهتماما خاصا .. ولماذا ؟

١ - جميع الاعداد ١٥٪
ب - جميع الاعداد الخاصة ٨٪
ج - اشخاص ابدوا اعجابهم بعدد معين عدد لبنين ١٨٪
عدد جمال عبد الناصر ١٥٪
الاعداد الخاصة بفلسطين ١٥٪
والصهيونية ٨٪
عدد شباب ١٩٦٨ ٨٪
معدى جارودى ومكسيم رودفسون ٨٪
عدد ثورة ١٩١٩ ٦٪
اعداد المسرح والادباء الشبان ٦٪
عدد الثورة العربية ٥٪
الاعداد التي تضمنت كراسات الطليعة ٤٪
الاعداد التي تضمنت دراسات ايديولوجية ٤٪
الاعداد التي تنشر الشهادات الواقعية ٤٪
الاعداد التي تناقش القضايا العمالية ٣٪
الاعداد التي تناقش القضايا الاقتصادية ٣٪
اعداد ندوة افريقيا ٢٪

(يلاحظ ان كثيرا من الاجابات ابدت اعجابا بكثر من عدد)

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

كان تصديد « طليعة المرحلة
الحالية من الثورة من أهم موضوعات
الحوار ، ورغم ذلك لم تمالج بصفة
مباشرة إلا لما ، وإن كانت الخلفية
التي يبنى عليها معظم كتاب الطليعة
مواقفهم تجاه مختلف المشاكل
السياسية والاقتصادية والاجتماعية
والثقافية تعبر عن مفهومهم عن هذه
المرحلة وتمكس تصورهم لها .

وتقدم « الطليعة » في هذا العدد
عرضا لأهم الاتجاهات التي عالجت
هذه القضية، على مدى ٨٠ شهرا .
والطليعة بهذا تتابع تقديم مواقفها
أزاء القضايا الحيوية والرئيسية
بهدف وضعها موضع النقد المبنى .
والشارك أكبر عدد من القراء
والاصحاب في هذه العملية . وقد
سبق أن نشرنا ملخصا للآراء
والاتجاهات فيما يتعلق بقضايا
« حركة التحرر الوطني » ، « القضية
العربية » ، « القضية الفلسطينية »
والفكرة الصهيونية .



المواقف والاتجاهات [العرض العام]

طبيعة المرحلة الحالية من الثورة

قوى الثورة - موقعها من العملية الثورية

عرض : همدى عبد الجواد

● ان قوى الثورة الوطنية الديمقراطية هي العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية .

● ان الطبيعة البورجوازية للمرحلة الحالية من الثورة لا تستلزم قيام البورجوازية بالسيور القيادي ، فقد اثبتت التجربة عجز البورجوازية ايا كان مستواها عن المضي بالثورة الديمقراطية الى النهاية ، ومن هنا تبرز أهمية دور الطبقة العاملة في القيادة أو المشاركة بدور فعال فيها ، اذ ان الضمان لاستمرار الثورة هو أن يحتل مسئلو الطبقة العاملة المواقع القيادية الكفيلة بشل تردد البورجوازية الوطنية .

● ان تولى أى فئة من البورجوازية الوطنية لقيادة الثورة يؤدي بالضرورة الى أجهاض الثورة في منتصف الطريق .

● ان نجاح الثورة الوطنية الديمقراطية مهنون بتوسيع الحريات الديمقراطية بمعنى زيادة مشاركة العمال والفلاحين مشاركة فعالة في تقرير مستقبل البلاد .

لما الاتجاه الثانى فيؤمن بأن :

● الثورة تمر حالياً بمرحلة انتقال منح الرأسمالية الى الاشتراكية ، وانها تسير فى طريق تطور غير رأسمالى تضع فيه اسم بناء الاشتراكية .

بالمقارنة مع القضايا المختلفة التى تناولتها الطبيعة بالمرضى والمناقشة طوال هذه الفترة من تاريخها لم تحتض قضية طبيعة المرحلة الحالية من الثورة وما يرتبط بذلك من مناقشة لتوزيع القوى الطبقة وعلاقاتها المتبادلة بذلك القدر من اهتمام كتاب الطبيعة الذى حظيت به القضايا الأخرى . وفى معظم الاحيان كان التمرضى لتلك القضية يتم فى ثنائيا بعض المقالات أو من خلال مناقشة القضايا الأخرى التى قد يكون لها علاقة بالموضوع . وفى هذه الحدود تباينت الآراء حول طبيعة المرحلة الثورية وما تفرضه من واجبات . ومن الممكن تلخيص الآراء التى عرضت بالطبيعة فى اتجاهات رئيسية ثلاث ، مع التباين فى التفاصيل .

وقد دافع الاتجاه الاول عن :

● ان المرحلة الحالية من الثورة هي المرحلة الوطنية الديمقراطية ، وأن الثورة المصرية لم تعد بعد هذه المرحلة ذات الطبيعة البورجوازية رغم اتخاذ بعض الإجراءات والخطوات ذات الطابع الاشتراكي .

● انه لا يوجد انفصال كامل بين المرحلة الوطنية الديمقراطية الحالية وبين المرحلة الاشتراكية التى تليها ، بل أن هناك قدرا من التداخل والتزاوج بين المرحلتين مما يجعل الظروف مهيأة لتخطى المرحلة الأولى الى الثانية بسهولة .

● هذا التحول نحو الاشتراكية يتم رغم ضعف الطبقة العاملة سياسيا وتنظيميا ، وانها لا تلعب فيه الدور القيادي كما حدث في عمليات التحول في الثورات الاشتراكية التقليدية .

● الاشتراكية قد غدت موضوع جذب شديد لفئات متوسطة وصغيرة من البورجوازية بالإضافة الى الطبقة العاملة .

● الثورة موجهة ضد الاستعمار والاقطاع والراسمالية الكبيرة ، والشرائح العليا من البورجوازية الوطنية ومهدفها تحرير اشتراكي وحديث .

● قوى الثورة هي العمال والفلاحون والمثقفون والجنود والراسمالية الوطنية (ككتلتها الأساسية) .

اما الاتجاه الثالث فيعتقد ان :

● ثورتنا لم تتوقف منذ انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية وقد دخلت منذ يوليو ١٩٦١ مرحلة الثورة الاشتراكية .. والتعبير المبني على ذلك هو اجراءات يوليو والتطبيق الاشتراكي الواسع في تنظيم اقتصاد البلاد .

● الثورة الاشتراكية اسقطت تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ليحل محله تحالف عريض من قوى الشعب العامل (عمال وفلاحين وجنود وراسمالية وطنية غير مستغلة) .

● العمال والفلاحون يتمتعون ب ضمانات هامة في مسؤوليات التطبيق الاشتراكي ، اهمها تمثيلهم بخمسين في المائة على الاقل في كافة التنظيمات الشعبية .

وفي عددي يوليو ١٩٦٥ ويونيو ١٩٦٧ عبر لطفى الخولي عن احد تلك الاتجاهات فقال :

« ان الاطار العام الذي يجري فيه صياغة العلاقات الجديدة هو اطار مرحلة التحول المادي والمنعوى للمجتمع من النظام الراسمالي الى النظام الاشتراكي .. »

والقاعدة الاجتماعية لهذا التحول تتكون من خمس قوى اجتماعية هي الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والراسمالية الوطنية تتألف في

تحالف شعبي يمثل الفلاحين والعمال فيسه مركز الثقل الاساسي . ويسترشد هذا التحالف في حركته بميثاق وطني يتخذ من الاشتراكية العلمية منهجا للتطبيق الاشتراكي التكيف مع واقع المجتمع المصري وظروفه ... » (١)

« والخط العام للثورة العربية المعاصرة هو تحرري اشتراكي وحديث في وقت واحد »

ويعني ذلك في التطبيق :

● ان الصراع الرئيسي يدور بين القوى التحررية الاشتراكية الوحدوية وبين القوى الاستعمارية والرجعية المتجسدة في الاقطاع والراسمالية الكبيرة .

● ان ثمة فئات وطنية مستنيرة من البورجوازية وخاصة الصغيرة قد تغلب لديها الطابع التقدمي على الطابع المسام وتواكب فعليا حركة التطور نحو الاشتراكية .

● ان الفئات العليا من البورجوازية والشرائح الكبيرة من البورجوازية المتوسطة قد تحولت اليوم بالكامل الى صف قوى الثورة المضادة مكونة مع الاقطاع تحالفا رجعيًا مع الاستعمار : ذلك لانها ادركت ان ثورة التحرر الوطني لم يمه من الممكن عزلها عن التحول الى ثورة اجتماعية ذات آفاق اشتراكية .

● ان التطور نحو الاشتراكية في عدد من البلاد العربية قد وقع رغم ان الطبقة العاملة لم تكن ناضجة بما فيه الكفاية سياسيا وتنظيميا ويقدر ما يسمح لها بان تكون الطبقة القائدة على النهو الذي نمرله في الثورات الاشتراكية التقليدية . وهذا التطور يمشي حتى يومنا هذا في البلدان الثلاثة (مصر وسوريا والجزائر) . وهذا لا ينفي ان الطبقة العاملة مع تطور الثورة مدعوة لان تلعب دورا أكثر أهمية في تحديد مصائر الامة .

● ان الزراعة تمثل المصدر الرئيسي للفعل والتركيب في معظم البلدان العربية . ويستلزم ذلك نقطة ثورية في معالجة قضية الريف والفلاحين من خلال اصلاح زراعي جذري يطلق هذه الطاقات الهائلة من قيود الاستغلال والتخلف لتندفع مع خط الثورة المعاصرة .

● تلعب الجيوش العربية دوراً هاماً متفاوت الوزن في الحركة السياسية منذ اواخر الاربعينيات مما يوجب على القوى التقدمية ان تعمل على كسب المسكرين لصفوفها وعزل النفوذ الرجعي الاستعماري عن الجيوش الوطنية .

● يجب ان يحتل العمال والفلاحون باعتبارهم القوى صاحبة المصلحة في التطور الجيد الذي للثورة مكاناً بارزاً ومؤثراً في وحدة قوى الثورة .

● ان الثورة العربية جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية ، وجزء لا يتجزأ من قوى الثورة الاشتراكية العالمية (٢)

وفي وثائق الملحق الفكري العربي الذي عقد بالخرطوم في مارس ١٩٧٠ لمناقشة قضايا الثورة العربية بعد يونيو ١٩٦٧ ، والذي نشرته الطلبة في عدد مايو ١٩٦٧ كانت احدى القضايا الاساسية التي طرحت في الملحق وتباينت حولها الاراء هي قضية المرحلة الراهنة في الثورة العربية وتوزيع قواها .

وحول هذه القضية عرض فوزي الكيالي احد الاراء وبدا بتعريف المرحلة الثورية بأنها « الفترة الزمنية التي يتبدى فيها المصير الحتمي لسيادة او تحالف عدة طبقات الى السلطة لتحقيق برنامج اقتصادي اجتماعي سياسي معين يتناسب مع مصالح تلك الطبقة او الطبقات المتحالفة » والتي تنتهي بسقوط تلك الطبقة او ذلك التحالف .

وعلى ضوء هذا التعريف بدأ في استعراض المراحل التي مرت بها الثورة العربية فقسّمها الى ثلاث مراحل ثورية :

١ - مرحلة الوحدة الوطنية وقيادة البورجوازية الكبيرة ، وتمتد من بداية الثورة العربية في العشرينيات من هذا القرن حتى قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ . وهي الحركة الموجهة ضد الاستعمار في سبيل التحرر الوطني من ثورة الحسين في الحجاز عام ١٩١٦ الى ثورة العراق عام ١٩٢٠ الى ثورة ١٩١٩ في مصر الخ . ويرى الكيالي ان قيادة هذه المرحلة كانت لاحزاب قطرية تقف على رأسها البورجوازية الوطنية وتستند الى جماهير الشعب المامل المناهضة للاستعمار . واستطاع الاستعمار ان يقسم البورجوازية على نفسها وأن يتخذ من بينها اعداء وحلفاء وساعده على ذلك وضع التجزئة القائم . وظلت

البورجوازية الوطنية الكبيرة المتحالفة مع الانطباع والمشارية تلعب دورها البارز في قيادة العمل القومي والوطني حتى عام ١٩٤٨ حين اقتضت عجزها عن تحقيق الاماني القومية والاجتماعية للشعوب العربية .

٢ - مرحلة الصمود الثوري بقيادة البورجوازية الصغيرة وتمتد تلك المرحلة من عام ١٩٤٨ حتى عنوان اسرائيل عام ١٩٦٧ . ويرى الكيالي ان التحالف خلال تلك المرحلة تشكل بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة التي تسلمت زمام القيادة في هذا التحالف . واتخذ هذا التحالف شكل اندماج طلائع الطبقات الثورية في حزب واحد تقوده البورجوازية الصغيرة بايديولوجيتها الوسطية بين القوى المتحالفة او شكل منظمات عسكرية منحدرة من اصل بورجوازي صغير .

ويشير الكيالي الى انه خلال تلك المرحلة لم تكن هناك قيادات عمالية وفلاحية جاهزة لعمق ومها وكثرة تقديما مما سمح للقيادات البورجوازية بأن تحتل مكان القيادة .

٣ - مرحلة ما بعد هزيمة حزيران . ويرى الكيالي انه بينما مهدت الثورة الديمقراطية في الغرب للثورة الاشتراكية ، فان الثورة في بلدان المالم الثالث لا بد ان تكون ديمقراطية واشتراكية مما ويقول « ان حرق المراحل او مبدأ الثورة الديمقراطية الاشتراكية هو الاستراتيجية الوحيدة الصحيحة للعمل الثوري في البلدان المتخلفة » وهو وحده الذي يؤدي الى استمرار الثورة وهو الذي يفرض في الوقت نفسه الا تكون الثورة من صنع طبقة ثورية واحدة .

وعبر **جمعة محمد مهدي** من ليبيا عن وجهة نظر اخرى فحدد مراحل الثورة العربية بمرحلتين :

١ - مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٥٢ وهي مرحلة النضال الوطني من أجل الاستقلال ومجابهة الاستعمار والمسمى لايجاد حكم وطني وظهور بعض ملامح الدعوة القومية .

٢ - المرحلة الثانية من ١٩٥٢ حتى ١٩٦٩ فتبدأ بثورة يوليو ١٩٥٢ كرد جماهيري على نكبة فلسطين . وقد صاغت هذه المرحلة نضال الجماهير في غايات محددة هي الحرية والاشتراكية والوحدة .

القيادي، إنما يعني أن نضع نصب أعيننا أن الضمان الوحيد لاستمرار الثورة هو أن يشغل ممثلو الطبقة العاملة الموقع القيادي الكليل بشل تردد الليبرجوازية الوطنية *

ولخص الموقف في القول بأن الليبرجوازية الوطنية يمكن أن تقجر الثورة الوطنية وأن تقود مرحلة منها، كما يجب إشراكها في إنجاز مهامها بالتآلف معها، إلا أن تولى أى فئة منها للقيادة يؤدي بالضرورة الى إجهاض الثورة في منتصف الطريق، كما رد على حجة صغر حجم العمال النسبي بتجربة الصين وفيتنام وكوريا حيث تولت أحزاب عمالية تحمل أيديولوجية الطبقة العاملة قيادة الثورة رغم أن حجم الطبقة العاملة بالنسبة لمجموع العاملين كان أقل منه في معظم البلدان العربية *

ونطرق بعد ذلك الى أهمية التعرف على السلم للطبقة دون محاولة لتجميع وطس الحدود الفاصلة المميزة بينها مما يؤدي الى «الترشح الطبقى» وتسرب السلطة الى أيدي فئات يعينها باسم فئات أخرى *

وتعرض للأهمية الخاصة لسيادة مناخ ديوقراطي قائلا أن الثورة الوطنية تظل نصف ثورة يصيبها المقم والتصدع أن لم تلغزم بإطلاق الحريات السياسية بإشراك قوى الشعب العاملة واقميا وليس نظريا في اتخاذ القرارات وإطلاق المبادرات الجماهيرية الخلاقة في صياغة السياسة العامة للبلاد والإسهام في تطبيقها والرقابة عليها * وانتقد الاتجاه الى الوصاية على الجماهير وهامج نظرية التخصص المطلق بين قيادة لاتخاذ القرارات وبيروقراطية لتوجيه جهاز الدولة وتكنوقراطية لإدارة الإنتاج وجيش للقتال * فالى جانب التخصص هناك ضرورة المشاركة الفعالة من جانب الشعب في اتخاذ القرارات وإدارة الإنتاج والدفاع عن أرض الوطن *

قوى الثورة وتوزيعها

«أن المنهج العلمي لا يضع جميع الطبقات ذات المصلحة في تحقيق أهداف مشتركة واجتياز مرحلة استراتيجية يعينها على نفس المستوى بين الثورية والفاعلية الاجتماعية ضمنها طبقات رئيسية وأخرى غير رئيسية أو ثانوية طبقا للمكان الذي تشغله في الإنتاج * فالطبقات الرئيسية هي التي لا يمكن لأسلوب الإنتاج الغالب اجتماعيا أن يوجد دونها، أحداها تملك أدوات الإنتاج الأساسية والآخرى تمثل القطاع الذي يقع عليه الميعة الرئيسي للاستغلال الاجتماعي. والملاحظ بين هذه الطبقات تظل دائمة عدائية متبادلة ائتمرتها بالتناقضات والمصالح

كما تحدث في ملتقى الخرطوم ميشيل كامل (مصر) فغير عن وجهة نظر ثالثة - دعا ميشيل كامل الى أهمية تحديد المرحلة التاريخية التي نجتازها بصفة عامة على النطاق العربي، إذ يتوقف على هذا التحديد أن نتيبن بوضوح حقيقة الهام السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتمسك لها، ثم القوى الأساسية والحليفة أو تلك التي ينبغي علينا تحييدها عبر هذه المرحلة، ونطاق التحالف الوطني وقواء الحركة *

ويرى أن الشعوب العربية لم تتجز بعد مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية، وانتقد المحاولات التي يقوم بها بعض المفكرين العرب لطمس المعالم الميزة لمرحلة الثورة ونمجهما تصفا في مرحلة واحدة تحت شعارالاتحاد-فذلك ليسار المنظر الذي ينبغي تغطية حقيقة تاريخية بأكملها ويصور امكانية القفز عبر مرحلة كاملة دون استكمال مقومات تغطيتها * وهناك من يريد أن يضيف على برنامجيه ايمادا فضاضا لتتناسب مع حجمه أو واقعه منصورا انه بهذا الموقف يستطيع أن يكسب شعبية واستقرا *

ويرى ميشيل كامل أن هناك قدرا من التداخل والتزاوج بين مرحلتين يحمل الظروف مبهمة لتغطي المرحلة الأولى بسرعة أكبر وتضمينات أقل الا أن هذا الوضع لا يصل الى مرتبة دمجها في مرحلة واحدة *

وأشار ميشيل كامل الى أهمية التعرف على مواقع القوى الاجتماعية المختلفة من العملية الثورية والتغيرات التي تطرا على موقعها على امتداد طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ثم الثورة الاشتراكية فإن الحلقة الرئيسية في لرساء مقومات النصر للثورة هي تحديد المدى والحليف تحديدا دقيقا لا يسمح بتسرب قوى معادية الى صفوف الثورة، وفي الوقت نفسه لا يضيع القيادة بين أيدي قوى مترددة تمج عن الاستمرار وتتفكر الى الحسم حتى وإن كانت هذه القوى من بين حلفاء المعركة *

وأشار الى أن الطابع الليبرجوازي للثورة الوطنية الديمقراطية لا يفترض قيام الطبقة الليبرجوازية أو ممثليها بالدور القيادي * فقد أثبتت التجربة صحة النظرية القائلة بأن الليبرجوازية أيا كان مستواها عاجزة عن المضي بالثورة الديمقراطية الى النهاية، فهي تنجه الى إجهاضها في منتصف الطريق ومن هنا يبرز دور الطبقة العاملة في القيادة أو المشاركة بدور فعال في القيادة * وهذا لا يعنى تجميد الحركة الثورية أو تأجيلها انتظارا لظهور وتضع الطبقة العاملة أو حزبيها الطبيعي، بما يؤهلها لاجتلال موقعها

الاشتراكية قد غدت بصفة عامة موضع جذب شديد لفئات متوسطة وصغيرة من البرجوازية بالإضافة الى الطبقة العاملة * ومن هذا أصبحت مثل هذه الفئات جزءا موضحيا من قوى الثورة في التحول نحو الاشتراكية * (٥)

قوى الشعب العاملة والثورة

اما أمين عز الدين فيرى ان مرحلة الثورة الوطنية التي امتدت من ١٩٥٢ حتى ١٩٦٦ حققت في الواقع، وكما رأينا، قدرا كبيرا من الالتحام والتوحيد بين الطبقة الثورية وجماعير العمال حول عدد من الاحداث والقضايا الأساسية *

ولكن من الحقائق التاريخية الهامة ان الطبقة الثورية في مصر لم تتوقف عند انجاز الثورة الوطنية بل انضغلت في الاتجاه الحتمى للتاريخ نحو اقامة مجتمع اشتراكي في اسمه، وفي علاقته *

والثورة الاشتراكية تعنى ضمن الكثير من معانيها تغيير مواقع القوى الاجتماعية في المجتمع أو تغيير الخريطة الاجتماعية ان صبح هذا التعبير * فالثورة الاشتراكية في مصر قد اسقطت تحالف الاقطاع والرأسمالية المستقلة ليجل محله تحالف عريض من قوى الشعب العاملة من فلاحين وعمال وجنود ورأسمالية وطنية (غير مستقلة) * وعلى الرغم من ان هذا التحالف الجديد قد ضم قوى الشعب العاملة في المفهوم المصري لهذه القوى وهو المفهوم الذي لا يضع احداها موضع الامتياز أو الغلبة، فان العمال والفلاحين قد ظفروا بضمانات هامة من شأنها ان تنشط دورهما في مسؤوليات التطبيق الاشتراكي ونفس العمل الوطني * ولعل أهم هذه الضمانات ما قرره مؤتمر القوى الشعبية من ان يتم تمثيل الفلاحين والعمال بخصمين في المائة على الأقل في كافة التنظيمات الشعبية والسياسية * (٦)

وفي تحديده لموقع الفلاحين من القوى الثورية يشير مصطفى طيبة الى انه «في المرحلة الاولى للثورات الوطنية عندما تكون المشكلة الوطنية التحريرية هي محور الحركة الثورية في المجتمع تتوكل لوسع فئات الفلاحين في صفوف الثورة بل وتوازن فئاتهم العليا حزب كيار ملاك الارض بأمل

المتعارضة * وفي مصر كانت الرأسمالية (رأس المال) المالئ والمصنعي والزراعي والتجاري) يحكم ملكيتها الادوات الانتاج الرئيسية وسيطرتها على السوق وسلطة الحكم طبقية رئيسية * ونفس مواجهتها تنف طبقة العمال الصناعيين والزراعيين القوى المنتجة الرئيسية والتي يلج عليها العبء الاساسي من الاستغلال الرأسمالي *

ومناك قوى طبقية اخرى تلعب دورا هاما في الانتاج الا انها هامشية أو غير اساسية مثل المثقفين والرأسمالية الوطنية التي تطحنها عملية تركيز الانتاج في ظل النظام الرأسمالي لتدفع افرادها منها في مصاف القوة الرئيسية المائدة وتلفد غالبيتها ملكياتها ومراكزها لتعبر الى صفوف بانئى قوة علم في سوق العمل * (٧)

«ان مواقع الطبقات الاجتماعية تتحدد في الثورة وفقا لحاصلها الاقتصادي * ولاشك ان هذه المواقع قد اختلفت بعد اجراءات يوليو وبالنسبة لفئة أصبحت دورا رئيسيا في انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية *

وتدحدد الميثاق القوى الاستراتيجية للثورة مرحلة التحول الاشتراكي بالعمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية * كما ان القوى الرئيسية صاحبة المصلحة الحقيقية الاصلية في الثورة الاشتراكية هي العمال والفلاحين، مفهوم تعريفها الثوري، الذي يستبعد من العمال العناصر الادارية البيروقراطية، ويقتصر تعريف الفلاح على من لا يملك أكثر من ٥ فدان * (٨)

«ان القوى الاجتماعية للثورة اليوم تختلف اختلافا جوهريا عن القوى الاجتماعية للثورة التقليدية ذات العهد الوطني الواحد بالأمس * فلم يعد ممكنا اعتبار الطبقة الرأسمالية بجميع فئاتها - ككل - إحدى القوى الاجتماعية للثورة الجديدة ذات الإبعاد الثلاثة، كما كانت في الماضي، بل أصبح الواقع يكشف عن هدام هذه للطبقة وخاصة فئاتها الكبيرة للثورة حتى بمفهوم العهد الواحد التقليدي *

«هذا الموقف الجديد للثورة ذات الإبعاد الثلاثة قد كشف أيضا عن ظاهرة جديدة، وهي ان

[٧] مفهوم وطريق تحالف قوى الشعب العاملة في الميثاق - ميشيل كامل - يوليو ١٩٦٥ هـ

[٨] تدمير سلطة قوى الشعب العاملة الفتاحية الوطنية - أكتوبر ١٩٦٥ هـ

[٩] انتفاضة الطلبة - كطفى القولى - فبراير ١٩٦٧ هـ

[١٠] ثورة يوليو والعمال - أمين عز الدين - يوليو ١٩٦٥ هـ

احلال سيولتهم على مقدرات الريف محل السيطرة
الاقطاعية .

ولكن الوضع يختلف عندما تطرق هذه الثورات
ابواب الاشتراكية . هنا يصبح نضال هذه الفئات
الموالية لكبار الملك من أجل تجميد الثورة هو
محور حركتهم وتسمى بمئات لكسب الفلاحين الى
جانبا في هذا النضال الرجعي . ويقودها ذلك
عاجلا او آجلا الى الاصطدام بالثورة في خطها
الصاعد وينتهي حتما بانتقالها الى مواقع
الاهداء . ومن هنا تصبح قضية الثورة المستمرة لا
تتحصر عند حدود اعتبار الفلاحين احدى قواها
الاساسية ، ولما تصبح القضية الملحة لتحديد
هم الفلاحين الثوريين في هذه المرحلة بالتحديد .
والواقع ان هذه النقطة بالذات تحتاج الى وعي
مطور يلمهم قوى الثورة واعدائها في كل مرحلة
لا الى تخطيط ثابت جامد ومنزمل من حركة للثورة
وحركة الحياة . والذي يمثلنا هنا هو تحديد ان
تعبير الفلاحين انما تقصد به هذه الاقسام الواسعة
التي تتفق مصالحها مع مرحلة التحول الاشتراكي
وتسانده بحسم ضد اعدائه . هذا من جانب ، ومن
الجانبا الاخر فان مشكلة الفلاحين تحتاج دائما
الى تحديد لابعادها في كل مرحلة وتحتاج اكثر من
ذلك الى وعي مستمر لطبيعة المهام التي تواجهها
الثورة في صعودها . وبالتالي معرفة القوى التي
تقف معها والتي تقف ضدها والتي تجري حائرة
بين الطرفين » (٧) .

وفي الملتقى الفكري بالخرطوم يتعرض شعبان
كنفاني الى « الطبيعة المترددة التي تتصف بها
البرجوازية الصغيرة » ، والى انها تلعب دورا
له اهميته في مرحلة التحرر الوطني ، ولكن من
الخطر الاعتساف على قياتتها . ومن
الواجب ان تتمركز قيادة قوى الثورة
اكثر فاعلا بين ايدي الطبقات الكاسحة ذات
المصلحة الحقيقية في الثورة الوطنية الديمقراطية
والاشتراكية وذات النفس الطويل والاكثر التزاما
وسموغا في حل مهمات هذه الثورة نحو افاقها
المتنصرة . ان العلاقة بين الطبقات الكاسحة وبين
البرجوازية الصغيرة ترسخ لهذا التحالف
والصراع في ان واحد ، وامل حاجة الثورة في جميع
مستوياتها الى المزيد من المثقفين الذين يتمكنون
بصورة عامة في اطار البرجوازية الصغيرة يحمل
من مثل تلك العلاقة اكثر ضرورية وحتمية .
ويستخلص شعبان كنفاني من ذلك صيغة

تنظيمية لقوى الثورة العربية هي الجبهة الوطنية
المتحدة التي تضم القوى المثقلة لمصلحة الثورة
والقوى الحركية لها . ويشير الى الانقراض الى
حزب تقدمي قوى في معظم البلاد العربية مما يدعو
اكثر نحو صيغة الجبهة الوطنية المتحدة ، ثم ينبه
الى اخطار محتملة تقتل في تحكم والعسكري
تباريا ، او هيمنة برامج ذات صفة برجوازية
صغيرة تهدد الطاقات النضالية للطبقات صاحبة
المصلحة والقدرة على انجاز مهام الثورة الوطنية
الديموقراطية والانتزاع والتكلس ثم الهروب الى
صيغة الديمقراطية الليبرالية » (٨)

واجبات جديدة فرضتها

نتائج هزيمة يونيو ١٩٦٧

ليس ثمة سبيل للصمود والمقاومة والانتصار
الا سبيل الوحدة الوطنية ، الا تراص كل القوى
والمناصر الوطنية تكفا الى كتف سدا عاليا تتحطم
عليه اعلى اسلحة العدوان . .

ولا بد من التأكيد على ان دائرة القوى
الوطنية اوسع من دائرة القوى الاشتراكية واقدس
واجبات الاشتراكيين في مرحلة الصراع الوطني
هو حشد كل القوى الوطنية في جبهة عريضة
تناضل من أجل تحرير الارض المحتلة . فلا احد
يملك ان يرفض مقدما لاي مصرى صفة الوطنية ولا
يمكن ان يحيل الاشتراكيين بارادتهم من بعض
القوى الوطنية قوى سلبية يمكن ان تلعب دور

الاحتياطي للاستعمار والثورة المضادة .
ان المحور الرئيسي للوحدة الوطنية هو وحدة
القوى الاشتراكية لان عليها العميد الاكبر في
النضال والقضية ، فاذا تناهت القوى الاشتراكية
وتبادلت الشك انعكست خلافاتها على الصف
الوطني كله . . .

ان وحدة القوى الاشتراكية والوحدة الوطنية لا
تتحقق بترديد الشعارات وابتداع النظريات ولكنها
تتحقق بالعمل السياسي الايجابي بين الجماهير .
وعلينا ان ننسى ان التناقض الاساسي الذي يحكم
حركة الثورة في بلادنا الان هو التناقض بين القوى
الوطنية من جانب ، وبين الاستعمار والصهيونية من
جانب آخر وان ماعدا ذلك من تناقضات ياتي في
مرتبة تالية من حيث الاممية ، ويجب ان
يخضع حل لتناقضات التناقض الرئيسي ، ولكن
يجب التحذير من تورم امكان تجاهل التناقضات
الثانوية ، او القدرة على الغائها » (٩) .

(٧) تورتويو وللحون - مصطفى طية - يوليو ١٩٦٥ .

(٨) وثائق الملتقى الفكري المصري بالخرطوم - الطيبة - مايو ١٩٦٧ .

(٩) عام التمس . عام الوحدة الوطنية - لطفي الخولي - يناير ١٩٦٩ .

انها قضية العصر حتى تجد الحل الأمثل

عرض : خيرى حماد

لم

وهنا يظهر الإثني الكبير لما قمته « الطليعة » من خدمة جليلة للقضية الفلسطينية في عرضها لها ، وفي المنطلق الذهبي الذي استوحته هديا لها ، فلقد وضعت حدا لتلك الصور المشوهة التي كانت تعرض للقضية الفلسطينية حتى من الكثيرين من ادعياء تليدها ، بل وحتى من ابنائها عوارحت تركز في كل دراسة من دراساتها ، وفي معظم البحوث التي نشرتها ، ان القضية لاتصدر من موقف عنصري او طائفي من جانب العرب ، وانما من جانب الصهيونية ، وان العلاقة بين الصهيونية والاستعمار علاقة مصيرية لان الصهيونية نفسها حركة تسير معاكسة للتاريخ ، ولانها تنبع من الاستعمار ، وتقوم على أساسه وعلى أساس استيطان الأخرى بحد طرد أهلها منها ، ولانها تولد في حد ذاتها جزءا لا يتجزأ من الرأسمالية المالية التي تعتبر الامبريالية أعلى مراحلها .

وبيئت الطليعة بمنتهى الوضوح والوضوح التي تربط اسرائيل بالمسكر الامبريالي والانظمة العنصرية في العالم ، كما صمرت النقاسب عن طبيعتها الحقيقية التي كثيرا ما عملت أجهزة الاعلام الخاضعة للنفوذ الصهيوني العالمي على اخفائها عن الرأي العام العالمي ، وخرجت من ذلك كله ، الى تحفيد الوسائل التي يتمتم على التتبعين العرب أن يخاطبوا الرأي العام العالمي بهبسا ، وفي مقدمتها تجريد القضية للعربية من كل شبهة عنصرية ، والتمييز بين الصهيونية كحركة سياسية عنصرية عذوانية وبين اليهودية كدين ، وكسكان مرتكزا في هذا أن اسرائيل التي تجسد الدعوة الصهيونية ، دولة عنصرية توسعية وعذوانية ، وانها ليست الاولة تستزوراء الادعاءات الدينية لاختفاء حقيقة منطلقاتها السياسية .

وتركز اهتمام « الطليعة » التشديد ايضا ؟ في الحديث عن المقاومة الفلسطينية بمختلف صورها واشكالها وفضائلها ، مع العناية بوجه خاص بالمقاومة في قطاع غزة ، على اعتبار أن المقاومة تمثل اولا صورة الانطلاقة الحقيقية لتحرير فلسطين من تحرير ارضه ووطنه من الغزاة والعنصرية ، وان النضال في قطاع غزة يجسد ثانيا المقاومة المرحدة

تمثل اية قضية من القضايا في اهتمام « الطليعة » القراء في الثمانين شهرا الماضية ما نالته القضية الفلسطينية في مختلف جوانبها ، وشتى لغزاتها واتجاهاتها ، وليس هذا يدعا ، ولا مصبرا لفضة او استغراب ، والقضية الفلسطينية ، كانت ومازالت وستظل حتى تجد الحل الصحيح الأمثل ، قضية العصر كله ، لما تتطوي عليه من رماس يقضيا الحق والعدل ، بل ويقضيا الإنسان والضمير : ولما فتناوله من جوانب لها صلة مباشرة ، بالصراع بين التقدم والرجعية ، والتجدر ، والاستعمار ، والسلام والعوان .

وبالرغم من جهود التفاوت في الاهتمام بهذه القضية قبل عدوان الخامس من يونيو من عام ١٩٦٧ وبعدة ، ولوجه الخلاف في المالية والبحث والدرس والاستقصاء وانتقال المجالحة من المطلق التاريخي والدرس الذهني الى الواقع والاحداث المعاصرة بما فيها من سياسة ، وجوانب اقتصادية وعسكرية وتقنية ، فان الواضع كل الواضع ان الطليعة التزمت في دراساتها وجوئها قبل العدوان وبعدة بفض ايدولوجي واحد ، هو الخط الصحيح الذي ينسجم مع واقع القضية الفلسطينية في تاريخها وواقعها ومستقبلها ، ولا اود هنا ان لكيل الدحيح ان الثناء على الطليعة لهذا الخط السذي لختارته دليلا لها وهيبا ، وانما اود ان اسسجل حقيقة ، وهي ان القليل القليل الذي استوحته كان السبيل الأمثل لفهم القضية الفلسطينية في ابعادها وجوانبها كلها ، لاسيما وقد رافق القضية نفسها في مراحلها التاريخية ، وحتى عن طريق القيادات التي تولت الدفاع عنها في شتى المهور ، سوء فهم اخر بالقضية نفسها وعرضها لشتى المحاذير والاختلاف ، من وجهة نظر الرأي العام التقدمي في العالم ، واست أغلى ان قلت ان سوء الفهم هذا ، سواء كان ميث حسن النية او سوءا تدقم للمعام صورة مشوهة من القضية الفلسطينية ، وجعلها تظهر في مظهر تصبسي عنصري زائف ، بينما هي تمثل في الحقيقة للواقع اصفى قضاي الحق والعدل ، واكثرها بروزا وصحة وصفا .

الجديدة لدى بعض الفلاسفة مهما سؤل عدد انصارها ، لتشجيع هذه الاتجاهات •

وكنا نتمنى على الطلبة ثلثا الا تقف عند حدود عرض الآراء النظرية لفصائل المقاومة في حوارات فكرية تقيمها مع بعض قياداتها وأطرافها • بل كنا نشئ ان تتجاوز ذلك الى محاولة التوفيق بين الخلافات في اوجه النظر بين فصائلها عن طريق فتح الحوار المباشر بينهم ، وعرض الحلول البديلة لما تتطلبه المرحلة النضالية من توحيد لقوى المقاومة او انماجها في جبهة واحدة بها حدودها ومقاصدها واسسها • ولاداعي هنا للقول بان المقترحات السبعة التي قدمتها الطلبة في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٨ لتحويل الازهاق الثوري الى حركة تحرير وطنية ، كانت تنفق الى تحديد النتائج الملموسة التي اسفر عنها النضال الثوري الفلسطيني وان لم تنفق الى تحديد النتائج المترتبة على التجارب النضالية الانسانية الأخرى •

ولود ان نقول رابعا واخيرا ، ان القارئ الملتزم بدراسة القضية الفلسطينية يكاد يلمس في الآونة الأخيرة ، ولاسيما في الأشهر القليلة الماضية انصرافا ليس متعمدا في الغالب عن الاهتمام التفصيلي بالتطورات الأخيرة للقضية الفلسطينية لاسيما بالنسبة لما تعرضت له المقاومة من هزيمة رهيبه على ايدي الهجمات الرجعية •

ولست أظن ان التهييب عن الخوض في هذه التفصيل يبرر مطلقا مثل هذا الانصراف •

فقضية فلسطين في جميع تطوراتها واحداثها ، جديرة بان تظل دائما المجال الاول من العناية والاهتمام ، دون تهيب او تردد • ولقد كانت دائما محط هذه العناية من مجلة الطلبة للغراء طيلة الثمانين شهرا الماضية ، ويجب ان تظل كذلك حتى تجد هذه القضية الحل الذي يتفق مع المبادئ التي تؤمن وننادي بها •

للمجاهير المنشوية تحت لواء جبهة وطنية موحدة • ولم يقتصر اهتمام الطلبة في كل ذلك على « العرض » والدراسة وإنما تعداه ايضا الى تقديم الاقتراحات الايجابية البناءة النابعة من منطلقات صحيحة لبايها الدرس العميق للتجارب الثورية ، والخبرات الانسانية •

لكن هذا الاطراء البالغ والمصدق للطلبة على معالجتهم للقضية الفلسطينية لايجول بيننا وبين توجيه بعض النقد البناء النابع من الحب والدفء لها • لما نمثد انه نقص في معالجة حسن الجواب ، وتناولها بالدرس العميق والاستقصاء ••

فقد كنا نتمنى على الطلبة اول ما نتمنى ان تتعمق في بحث شعار الدولة الديمقراطية او المجتمع الديمقراطي في فلسمين بعد تحريرها • وهو الشعار الذي طرحته معظم فصائل المقاومة الرئيسية وهي معدنها • فتح • وبناءه المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته المختلفة • واذا كانت بعض الجهات قد تهيبت من البحث صميها في هذا الشعار وفي التحدث عن كل مضامين ومقاصده ، وتخلصت من هذا التهييب عن طريق احواله الى لجان مختصة للبحث والدرس ، فقد كان في وسع الطلبة ، وهي النثير العملي الحر من منابر الرأي ، ان تبحث فيه بحق لا بايجاز ، وان تقدم ببحوثها هذه المون للمقاومة وللمجالس الوطنية لياورة الشعار في اقتراحات عملية صميحة ناهية من الانطلاق الديمقراطي في تحرير الارض الفلسطينية لشعبها واهلها •

وكنا نتمنى على الطلبة ثانيا الا تقف في تحليلها للاتجاهات الفكرية داخل فلسطين المحتلة واسرائيل عند حدود الآراء التي تقدم بها ناحوم جولمان عن دور اسرائيل في المنطقة وطبيعة علاقاتها مع العرب ، ولا عند حدود نزاع الاقنمة عن المذهبية الصهيونية او دورها كعميل للاستعمار داخل المنطقة • بل كنا نريد منها ان توصل بالثقة في متابعة كافة التطورات الفكرية والمذهبية داخل اسرائيل ولاسيما مايتصل منها بالاتجاهات التقدمية



ملف

الطليعة

مؤرخاً
وسياسياً

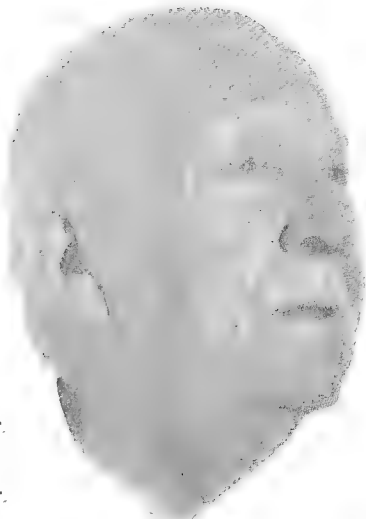
عبد الرحمن الرافعي

لعل مؤرخاً معاصراً لم يحظ بمثل ما حظى به
عبد الرحمن الرافعي من تقدير واهتمام .

فالرافعي استطاع بجهد متواصل ودأب نادر أن
يقدم للمكتبة العربية دراسة متكاملة لتاريخ مصر
الحديث . بل لعلنا لآندو الحقيقة إذا قلنا أنه قد
قدم الدراسة الوحيدة المتكاملة حول هذا الموضوع
ومن هنا يصبح استطلاع النوازع الفكرية
والسياسية للرافعي ودراسة منهجه في دراسة
التاريخ ضرورة ملحة ، ذلك أن كتاباته تمثل
— بالرغم من كل شيء — أحد المحاور الأساسية
التي تشكل فكرة المثقف العربي عن تاريخ
الحديث .

وفي الفكرى الخامسة لوفاة عبد الرحمن الرافعي،
تقدم « الطليعة » هذه الدراسة كسبيل لفهم كتابات
الرافعي ودوره السياسى فيها موضوعياً .

أعد الملف : طارق البشري



عبد الرحمن الرفاعي

الشعاع من قيم وطنية وديمقراطية وبما يلقيه على عاتق حامله من مسؤوليات النهوض بالمجتمع ، وتمدينه في كافة ميادين التطور . وقد ألقت نيران الثورة في قلب رجاله وهجا لم يبرد حتىه ، فقدم في الأدب أبطال طه حسين والعماد وأحمد أمين وزكي مبارك ، وفي الاسلايات أبطال الشيخين مصطفى عبد الرزاق وعلى عبد الرزاق ، وفي القاتون أبطال أبو هيف وأحمد أمين والسنبوري وعبد الحميد بدوي ، وفي الطب أبطال علي ابن أبيهم ونجيب محفوظ ، وفي الاقتصاد أبطال طلعت حرب وغير هؤلاء في هذه الفروع وفي غيرها كثيرين ، وكان هؤلاء جميعا هم طليعة من قام باستزراع العلوم والمناهج الحديثة في القرية المصرية ، ومن شاد في حدود الامكانيات التاريخية في الهيكل الحديث للمجتمع المصري ، فكرا واقتصادا ومؤسساتا وأدلة وعلميا . والرفاعي مكانته بين هؤلاء في تاريخه لمصر الحديثة .

أهم ما يذكر به الأستاذ عبد الرحمن الرفاعي ، وما سيذكر به مستقبلا ، هو تاريخه للمركبة الوطنية المصرية من نهاية القرن الثامن عشر حتى نهاية الخمسينات من القرن العشرين . فقد تتبع هذه الحقبة ذات الاهمية البالغة في مصير مصر الحاضر والمستقبل ، في خمسة عشر مجلدا . أخرجها للناس على مدى ثلاثين عاما منذ ١٩٢٩ . وليس من قارئ في التاريخ المصري ، وليس من مهتم به الا والرفاعي في عقله وجود .

كان للرفاعي من الجيل الذي شب في السنوات الاولى من هذا القرن ، وصنع ثورة ١٩١٩ ، وعاش لخدائنا « في أمقلب الثورة » ، حتى استوفى العمر وأسلم للسلطة في نهليات الاربعينات الى من يليه . وهو جيل لم يمسح ثورة ١٩١٩ . فخصب ، ولكنه الجيل الذي ضيعته الثورة ، ثورة « مبر للمصريين » كما يعنيها هذا

للحركة الوطنية في العصر الحديث ؟ وهي المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية التي غزت مصر في نهاية القرن الثامن عشر . وكان تعيينه لهذه البداية تعيينا علميا ذكيا يشير الى حاسة سياسية تاريخية مرهفة . كما تثبت له أنه صاغ تاريخ هذه الفترة على مدى مائة وستين سنة صياغة وطنية مصرية تتسم بالاصالة رغم ما يظهر فيها من نواحي القصور .

ومن افضل ما يثبت للرافعي المؤرخ ايضا ؟ هذا الدأب الذؤوب والصبر المصبور الذي تميز به وعانى منه عشرات السنين رغم عدم الزواج وركود السوق . وقد بدأ اعداد المجلد الاول من مجموعته في ١٩٢٦ وثلاثة مجلدات ثمانية حتى ١٩٤٢ ، ويظل في ذلك جهودا مضنية . وتكفل هناك كبيرا ، ولكن حتى هذا التاريخ الأخير كان اقبال المثقفين على قراءته ضئيلا . وكان يطبع كتبه على نفقته ويعاني في توزيعها ، وبدأ الاقبال على كتبه من اوائل ١٩٤٢ عندما اشترت منه مكتبة النهضة المصرية مخزون كتبه كله ونطعت جملة الثمن اليه مخصصا منه ٤٠ ٪ . يسلخ ما استلبه من تسعة مؤلفات ٨٨٣ جنيها « وقيمت الصلقة مقتبعا » . وادركت في هذا اليوم ان كتبي قد لاقى شيئا من الاقبال الذي كنت انتظره منذ أكثر من خمس عشرة سنة . « وهي بعد ذلك ظل الرافعي يجد من المثقفين من يسأله عما اذا كان كتب من عصر محمد علي في وقت كان قد وصل بتاريخه الى ثورة ١٩١٩ ، او يسأله عما اذا كان كتب جزءا من جزئين في وقت كان يخرج فيه اثني عشر جزءا » . (١)

وكان هذا الدأب منه فضيلة اخلاقية قل من يتصف بها ؟ بما فيها من انكار للذات ويظل لاقصي الجهد بغير ملل ادبي عاجل ولا ملل مادي عاجل او أجل . وهو وضع اثني عشر مقام الغناء في لغة التصوفة . ولا يكاد يشاهد مثل يارز له الان الا ما كان من الاستاذ نجيب محفوظ في الشطر الاول والاخير من تاريخ نشاطه الادبي . فرديعمل وينشط بغير مشجع من هيئة با ولا انتهاء الى مؤنسنة بعينه ؟ ويكرس لهذا الجهد حياته ؟ رغم ما يعنيه ذلك من تضحيات مادية وادبية فيما كان يمكن أن ينحو فيه من مسالك الحياة الأخرى ؟ ولا يرتكن في كل ذلك الا على ايمان بغايته العلية ونفقه بملكاته الذاتية . ويبقى لديه القدرة على معالجة نفسه ومشاكل حياته بهذا الاصرار الذي

ولعل كتابات الرافعي التاريخية فيما تسكفه من فكر سياسي ، تعتبر أكثر ما يقرأ الان من الادب السياسي لرجال هذا الجيل . ان غالب ما يقرأ الان من كتابات هذا الجيل ، نجده في مجال الادب والفن والمجالات المتخصصة كالقانون واللسنة ونحوهما ، كتبه حسين العقاد وسلاسه موسى والسنبوري وغيرهما . اما كتابات رجال السياسة ومفكرها ، او الكتابات السياسية لأمثال العقاد وسلاسه موسى ، فلا تكاد تجد قراء لها في غير دوائر البحث والدراسة . وليس الا الرافعي تقريبا ما تشجع قراءته الان وتتصل كتاباته اوراق اتصال بالسياسة فكرا ومنهجيا لرجال جيله ، وذلك بحكم الصلة الوثيقة بين التاريخ السياسي والسياسة ، وبحكم ان الرافعي كان من رجال السياسة في وقته ، وبسبب أن قسما كبيرا من أعماله التاريخية يتطرق بالفترة التي عاشها مع جيله منذ بداية هذا القرن حتى منتصفه . والرافعي في هذا يمثل نموذجا هاما من نماذج الفكر السياسي الوطني الذي كان يدور في مصر خلال النصف الاول من القرن العشرين .

واذا كانت لرجال الحاضر المعيش ترى في كتابات الرافعي — رغم الانتقاع بزرعته الوطنية والتقدير البالغ لهذه النزعة في جميع ما كتب — ترى فيها قدرا من « التبسيط للمشاكل والقيارات » ونظرة « محدودة الجوانب » في تحليل الأحداث التاريخية . فان هذه الأوصاف لا تطرق فسر الرافعي وحده ، ولكنها تشير ايضا الى اختلاف الصياغة السياسية لمعلية الاجيال الحاضرة على اختلاف تياراتها ، من الصياغة المبالغة لرجال هذا المؤرخ الكبير ، وذلك نتيجة اختلاف المشاكل وتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية . فاذا كان الفكر السياسي للرافعي لا يزال مقروءا لان تلك ميزة امتاز بها الرجل لتأليله التاريخية ؟ ولكن هذه الميزة اُرغفت في ركابها شيئا من سوء الحظ ، إذ نظر جمهور الحاضر الى فكره كمضمر في الحياة السياسية المعيشة ؟ فكثير ينتمى الى الجيل السابق ، وتطرب كثيرون بقيومه بميزان الحاضر . فطفت كلمة الرجل ظليا .

وان من افضل ما تتيحه مدرسة التاريخ المصري للرافعي المؤرخ ، ان مجموعته التاريخية تكاد تكون اجمع مجموعة صدرت في عصره . وإلى الان تغطي حقبة التاريخ المصري الحديث كاملة . كما تثبت ما قدر للرافعي من أن يضع نقطة البداية

أفادت من تاريخ الرافعي في استقلال أحداث
الحركة الوطنية المصرية والاعتبار بمسيرتها .

وإذا كان المعروف عن الرافعي لدى أجيال
الماضي أنه مؤرخ فحسب ، فالحقيقة أنه كان في
نظر جيله سياسيا أولا : « عمل بالسياسة منذ
كان طالبا ، وكان يشغل باله بالهالة منذ تخرجه
في الحقوق قبل أن يبلغ العشرين من عمره حتى
صله نقيا للمحامين . وكان برلمانيا في أول مجلس
نواب بعد ثورة ١٩١٩ وهو في الخامسة والثلاثين
من عمره ثم في مجلس الشيوخ على مشارف
الاربعينات ولم يصدر أول كتبه التاريخية الا وهو
في الاربعين .

وقد يكون من المفيد تقديم « الرافعي السياسي »
من خلال الصيغة الفكرية التي شكلته ، ومن
خلال نشاطه المبلى ، ولاشك أن « الرافعي
السياسي » هو خير من يفسر « الرافعي المؤرخ »

تكوينه السياسي

ولد عبد الرحمن الرافعي في ٨ فبراير ١٨٨٩
بعد الاحتلال الإنجليزي لمرسية أمواي بنفسه .
وتلقت بمسيرته مع بداية القرن العشرين على
صحيفة « اللواء » وخطب مصطفى كامل ونشاط
الوطنيين من هذا الرعيل ، فتفتت مع تفتت
لكلام الحركة الوطنية في مرحلتها الجديدة ،
مرحلة المقاومة للاحتلال البريطاني .

ولد لعلم من الأزهر الشيخ عبد اللطيف
الرافعي ، الذي تولى مناصب في القضاء الشرعي
في بعض أقاليم مصر ثم تولى الافتاء لاسكندرية
وأحيل للمعاش في ١٩٠٩ ، وتولى بعدها بتسعة
أعوام . وكان من أخوة عبد الرحمن أمين الرافعي
الذي كان له بعده الوطني البارز في السياسة
المصرية حتى توفي في ١٩٢٧ . أدرك عبد الرحمن
سن التمييز مع والده بالاسكندرية تلميذا بالثانوية ،
وكان وقتها مستغرقا في ترانسته لا يظهر له
اهتمام بغيرها ، تقع في يده صحيفة اللواء كلها
ذهب الى مقهاه المعتاد فلا يكاد يدرك للصيغة
منهجا متميزا ، فلما نال الثانوية في ١٩٠٤ انتقل
الى القاهرة ليدرس في مدرسة الحقوق ، وفي
هذه المدرسة وبين استاذه المصريين وطلبتها
وفي القاهرة « صيغ التفكير المصري » .

كانت الحركة الوطنية تشيخ على يد مصطفى

لا يمتد الى الا هدفه هام مجرد وثقة بالنفس
لا يؤديها مظهر خارجي سنين طويلة ، ويمكن ان
يتصور كيف تكون لزمات النفس في هذه الأحوال ،
رغم الشيق أحيانا ، والضبط والتضييق أحيانا
وأغراء المغالين في أكثر الاحايين . لقد سعدق
الرافعي قراءه من نفسه عندما قال « اني اجتهدت
أن آخذ من الحياة التالية أقصى ما أستطيع ويمكنني
أن أقول ان نصيب الإنسان منها يتبع ميثاقا
الوسط والبيئة التي يعيش فيها ، فالمجتمع الذي
يؤمن بها يساعد بدهاء على أن يحياها المواطن
الصالح ، والمجتمع الذي لا يؤمن بها يخلها
ويبعد بين الإنسان وما ينشده منها ، على أن
الإرادة الشخصية لها دخل في توجيه المواطن
ليها ، وهي على أي حال تحتاج الى نخبرة
من الصبر ، ومن الصوفية الوطنية ، تجعل
المرء غير مكتوث لما يلقاه من المعصيات
والخائب » (٢) . ثم يكثف مما يتصف به من
« الحياة » و « العناد » ويقول أنه عينا حاول أن
يغامق هذا الأمر « وساطعت لسكى لقتع تنفسى
بالإتلاق عنه (العناد) : كيف يتفق الحياء بمع
العناد ؟ فلم أجد جوابا مقنعا الا أن كليهما عيب
ولكن لا سبيل الى التخلص منهما » (٣) .
والحقيقة أن الحياء كثيرا ما يظهر على أنه احتجاج
سلبى على واقع بذى وعائه دليل على الرفض وعدم
التلازم ، وأن العناد هو المظهر الإيجابي لهذا
الاحتجاج ، وهو مائدة سلبية الواقع ومقاومتها
من دون النفس والاصرار على موقفه يراه الإنسان
حقا ولو حصره ما يظن أنه الباطل . ويبدو أنه
لولا هذين « المعيين » ولولا هذه الصوفية
الوطنية لما شاهدنا مجموعة الرافعي التاريخية
كاملة .

وإذا كان رواج مؤلفاته : نميبا ، قد بدأ في
الاربعينات وعلى مشارف نهاية الحرب العالمية
الثانية ، فيمكن أن يتصور كيف أثار بها شجب
الاربعينيات الذين ولج نيران السياسة مع نهاية
الحرب بنزوع وعلى ديمقراطى وفكر جديد وطلقة
مبسحونة . . ويشوق زائد لمعرفة تاريخ وطنه ،
ويمكن القول بأن مؤلفات الرافعي التاريخية كتت
المادة الأساسية التي تغذى بها شجب الاربعينيات
في تطلعه لمعرفة أحداث بلده ، وساعدته هذه
المادة على تلقح اتجاهاته السياسية الجديدة
بتاريخ وطنه ، وأن أي مطلع على السكتات
السياسية لشجب الاربعينيات ليدرك مقدار ما

المتضرر الوطنية ؟ وكان في مقدمتهم الحزب الوطني ورجاله ، إذ ضبطت أوراق الحزب ووثائقه وأعتقل الكثير من أعضائه ، ونفى منهم جميع إلى مملكة وأوروبا . وكان نصيب الرافعي الاعتقال بالمصورة في أغسطس ١٩١٥ والترحيل إلى القاهرة بسجن الاستئناف ثم ببلان طرة ، حيث مكث إلى يونيو ١٩١٦ .

الحزب الوطني والعنف

يذكر الرافعي في « مذكراتي » (٢) : « كنت سنة ١٩١٦ لازال في الثلاثين من عمرى .. وكانت تغلب على نزعة الشباب ، وأتوق إلى أن تسلك الأمة سبيل العنف في جهادها ، أما الآن (١٩٥١) فتأني أبيل إلى مبدأ عدم العنف .. » ويبدو أن سبيل العنف هذا لم يكن يتوق إليه الرافعي وحده ، ولا كان قاصرا لديه ولدى غيره على ثورة ١٩١٦ . « إنما كان طريقا أتجه إليه الحزب الوطني قبل الحرب الأولى ومنذ مقتل بطرس غالى ، واستمر فيها لولا ذلك من أعوام إلى أن هذه العبارة هي العبارة الوحيدة التي صرح بها الرافعي عن « سبيل العنف » .

والذى يظهر من تتبع نمو الحركة الوطنية على مدى اللواء والحزب الوطنى في السنوات الأولى من هذا القرن ، يظهر أن الحركة الوطنية في هذه المرحلة الجيدة ، كانت تنمو من خلال ردود الفعل الواعية لسياسة الاحتلال تجاهها أى من خلال تطور التناقض بينها وبينه . بدأت أولا متعددة على التناقض بين المصالح البريطانية ومصالح القوى الأوروبية المتنافسة معها على مصر ، وعلى التناقض بين سلطة الاحتلال الفعلية وسلطة الخديو الشرعية ، واكتفت وقتها بمنع الراى العام المصرى بالتمعية السياسية العامة من خلال صحيفة اللواء . ثم كان الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا في ١٩٠٤ وتجددت الحركة الوطنية من طيفها الفرنسى (والأوروبى عامة) المظنون ، ثم كانت سياسة الوفاق بين الاحتلال والخديو فتجددت من حاليها المحلي المظنون منذ ١٩٠٧ . وبهذا ردت الحركة الوطنية إلى منابع قوتها الذاتية الكامنة في الشعب المصرى الذى يعانى من الاحتلال ومن استبداد الخديو ، وبدأت تتطبع طريقها إلى هذه المنابع .

وقال مصطفى كامل أن الأمة لا تسترد استقلالها

كامل ؟ وكان الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا قد انعقد سنهنا كعلامة هامة على اعتراف المجتمع الدولى بالاحتلال البريطانى لمصر . وتكون نادى المدارس العليا في السنة التالية من صفة الشلب الوطنى ثم لم يرض هابان آخران حتى أعلن من تكوين الحزب الوطنى . وبين كل هذه العلامات عرف نشاط الشلب الوطنى ، خطبا واجتماعات ولقاءات ، وبدأت فيها الظاهرات السياسية . وعرف الرافعى طريقه بين هؤلاء ونشط فيها نشطوا فيه من مجالات العمل السياسى . واشترك في الجمعية التأسيسية لنادى المدارس العليا ، وانضم إلى الحزب الوطنى فور الإعلان منه ، وأورك مصطفى كامل قبيل وفاته في فبراير ١٩٠٨ . ثم لأن محمد فريد من بعده ونشر أولى مقالاته السياسية باللواء بمسد وفاة مصطفى كامل بشهر واحد . قلبا نال اجازة الحقوق في السنة نفسها ، تردد فترة قصيرة في الاختيار بين احترام المساهمة واحتراف الصحافة في اللواء . واستقر في النهاية على احترام المحاماة مع إبقاء أوق اتصال له بصحيفة اللواء . واشتغل في المحاماة شهرا بسيوط مع محمد على عليم ، ثم انتقل إلى الزقازيق مع صديقه أحمد وجدى في ١٩٠٩ ، ثم انتقل إلى المنصورة وعمل فيها يفرزه منذ ١٩١٢ . وكان يمد اللواء بمقالاته السياسية . كتب عن الدستور في أكتوبر ١٩٠٥ . ورن على تقرير جورست في تسع عشرة مقالة في مايو ١٩٠٩ . وكتب عن الأوضاع الاقتصادية من يناير إلى مارس ١٩٠٩ . وكان مع من تطوع للتدريس في مدارس الشعب التي فتحها الحزب الوطنى وامستاد بضمون مؤتمرات الحزب الوطنى التي كانت تمتد سنويا على عهد محمد فريد ، وانتخب في مؤتمر ١٩١١ . غفوا بالجنة الادارية للحزب ، وسافر مع فريد لضمون مؤتمر السلام الذي ازمع عقده بروما في سبتمبر ١٩١١ . كما أمد مؤتمر بروكسل في السنة السابقة بموضوع عن مركز الصحافة المصرية والادوار التي تملقبتها منها منذ الاحتلال . قلبا عاجز محمد فريد في ١٩١٢ بقى الرافعى على اتصال دائم به ، واستمر عضوا نشيطا بالحزب .

قلبا ثبتت الحرب العالمية الأولى ، فرقت بريطانيا المحلية على مصر وظلعت الخديو عجلش وأخلت خطه السلطان خصمين كامل وفرغت الاحكام العرفية ، وفي ظل هذه الظروف فرضت السلطات البريطانية ألوان القمع والمصف على

الستور . لاشك أن الحادث ظلّ يخترق في قسَمين الشباب الثوري كجربة سياسية ونفسية كبيرة ، وخلق العقل ردود فعلها فيما بعد . وليس غريبا بعد ذلك أن يقع أول حادث للاغتيال السياسي على بطرس غالي رئيس الوزراء . ١٩١٠ ، وهو قاتنى محكمة دنشواي ، ويقع على يشاب وطنى اعترف أن من أسباب الاغتيال كون بطرس هو قاتنى دنشواي . وتوالى تبع ذلك حوادث الاغتيال السياسي والشروع فيه كسلوب من أساليب المقاومة الوطنية للاحتلال وحلفائه المصريين حتى ثورة ١٩١٩ .

لم يكشف التحقيق الجنائي مقتل بطرس غالي عن صلة « جنائية » للحزب الوطنى به . ولكن كشفت الوثائق التاريخية فيها بعد من الدور الذى قام به الحزبى تكوين جماعت كاتنى دنشواي منذ ١٩١٠ . وقد كتب شفيق منصور الذى عرف هذه الجماعت وحكم عليه بالأعدام فى قضية مقتل السردار سنة ١٩٢٥ ، كتب اعترافا كاتنى قبل اعدائه ، كشف بها عن الاجهزة السرية التى قامت فى مصر منذ ١٩٠٧ ، وعن الجمعية السرية التى تكونت سنة ١٩٠٦ ، وعن كيفية اغتيال بطرس غالي ، وعن اسماء أعضاء الجمعية التى دبرت اغتيال اللورد كيتشنروالخدوي ومحمد سعيد رئيس الوزراء فى ١٩١٢ ، وعن مؤامرة اغتيال السلطان حسين كامل فى ١٩١٥ (٥) .

وكتب عبد الفتاح عنيات أحد الحكوم عليهم فى قضية مقتل السردار ، فى مذكراته يتناول « أن المغفور له محمد فريد كان أكبر مؤيد لحركة المدائين ، وكان يدهم بكل نوع من أنواع المساعدة مادية كانت أو أدبية حتى أنه عند مروره لزيارة المدائين كن يوزع عليهم المسكنات داخل الطب على أنها سماعات سويسرية بمسلة هدايا ، وذلك تشجيعا لهم ... » وفكر أن محمود مطهر طالب الطب الذى اطلق الرصاص على الخديو عباس فى ١٩١٤ كان « أحد أعضاء الجهاز السرى الذى كان يقوده الزعيم محمد فريد ، وكان ذلك بالاستئذان بعد سفر الخديو عباس إليها قبل الحرب العالمية الأولى » . وقال أن المنظمة الدداينة نشأت « فى مصر وظهرت فى هذا الوجود الذى نعيش فيه منذ بدء الحركة الوطنية المصرية عام ١٩٠٦ » ، وأنها استمرت من إبراهيم الوردانى قاتل بطرس غالي حتى بعد قيام ثورة ١٩١٩ . (٦)

الأ بمجهوداتها . وكانت البداية شكوي نادى المدارس العليا ، ثم شجع الاحتلال بتنظيم حلفائه المصريين فتكون حزب الأمة ، فادركت الحركة الوطنية أنه لا يكفيا فى الاعتدال على منابع قوتها الذاتية أن تنشر اتجاها وطنيا ، وتكون رأيا عاما وطنيا متحصلا لقضية الاستقلال ، إنما لابد لها من بناء فكل تنظيمى يجبع العناصر الفعالة لهذا الاتجاه ويربطها ارادة وفعلا ، فتكون الحزب الوطنى . وحتيت ضرورات اقلية هذا التنظيم ، انشاء روافد تغذيه على المستوى الاقتصادى والشعبى ، فنشط الحزب على يد محمد فريد فى انشاء مدارس الشعب وفى خلق الحركة التعاونية فى الريف والحركة النقابية بين العمال . إذ أن تجمع كبار ملاك الأرض فى حزب الأمة ، إشارة الى وجوب تجمع غير هؤلاء فى حزب الحركة الوطنية وهم المثقفون (نادى المدارس العليا) والمزارعون (الجمعيات التعاونية) والعمال (النقابات) .

وعلى وفق هذا السياق من ردود الفصل الواعية ينبغى النظر الى تأثير حلت دنشواي فى ١٩٠٦ . والشائع أن كاتنى لهذا الحلت اثره فى هزم سبعة « المدالة البريطانية » فى اوربا وفى اثارة سخط المصريين على الاحتلال الى اتضاء وهذا صحيح ، ويبدو أنه كان كذلك فقط بلنسية لمصطفى كاتلى . ولكن يبدو أيضا أن كان له اثر اضافى فى العناصر الراكبالية بين شباب الحركة الوطنية وفى نفس محمد فريد . وقد ارجت به روح المصريين بعنف لا يسبب الظلم وحده ، ولكن بسبب ما تكشف مما يمكن للاحتلال أن يورط فيه من أساليب البطش والعنف . كانت سياسة كروبر التقليدية من قبل أن يحتفظ الوجود البريطانى فى مصر بأقل ما يمكن من النفقة وبأقل ما يمكن من استعمال العنف ، وكان يحرص دائما على اخفاء السلاح فى طوايا سياسته الهادئة المظهر المستر خلف حكومة « مصرية » ، وخلف القوانين واللوائح التى تمارسها هذه الحكومة . وكانت هذه حدود الرؤية أمام الجيل الناشئ الذى شب فى ظروف استتباب هذه الأوضاع ولم ير ثورة عربا ، ورأى التجليز مستبشرين « للادارة المصرية » لا كحكما مبشرين ولا غزاة مسلحين . ثم فجأة ظهر السلاح فى يد المحتل مريا براقا ، والمشتاق فى الساحة وجئت المصريين على النطق ، وانحسرت البراقع ورمعت

[٥] نشر ملخص التقرير فى صحيفة الاخبار فى أول سبتمبر ١٩١٢

[٦] قصة كاتلى . عبد الفتاح عنيات . ص ١٠ - ١٨ .

الحادث الذي أثبت للعالم أن الأمة ثيرة وأصية
عن الحيلة التجلزية ... وعلى أى حال فإن
هذا درس للخونة من المصريين *

وكتب فى ٤ سبتمبر ١٩١٥ عن الشروع فى
قتل الوزير إبراهيم ففى أن من المعتدى كان ٢٥
سنة وهذا يدل على انتشار روح التخبر وشيوع
الفكرة الثورية ، وذكر انه قبض فى هذا الصاا
على الكثير من رجال الحزب الوطنى واعتقلوا فى
طره وأرسل بفصلهم الى ماطله . (٨)

يظهر من ذلك أن استعمال العنف كان أحد
أساليب الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية
الأولى ، وأن كان لحادث دنشواى ولإجراءات
القبح التى اتخذت ضد العناصر الوطنية قبل
الحرب وفى اثاها اثره فى سلوك هذا السبيل
.. وكان استعمال العنف يتم بطريقة الاغتيالات
السياسية وتكوين الجمعيات الثورية التى تمارسه
على كبار رجال الاحتلال ورجال السياسة
المصريين المتعاونين معه . وأن الحزب الوطنى
— سيما على عهد محمد فريد — لم يكن بعيدا
عن هذه الحركة برجاله ويتشبعيسه ، وكان من
رجال الحزب أو المتصلين به أو بنداى المدارس
المليا من أعضاء هذه الجمعيات

ومن هذا تتضح الدالة الحقيقية للإشارة
الغامضة التى سجلها الرافى فى مذكراته والتى
سبق إيرادها ، والراجع أن اقتسامه بالعنف
كطريق للتحرير كان سابقا لثورة ١٩١٩ ماذ أن
كان الحزب الوطنى يؤيد هذا الأسلوب وكان
الرافى عضوا باللجنة الإدارية كما سبقت
الإشارة ومن ملازمى محمد فريد . كما سبقت
الإشارة الى اعتقال الرافى مع كثيرين غيره من
رجال الحزب فى أغسطس ١٩١٥ . والراجع أن
هذه الاعتقالات هى ما أشار اليه محمد فريد فى
مذكراته من يوم ٤ سبتمبر وقد أشار إليها فى
سياق حوادث الشروع فى الاغتيال السياسى .
وقد سجل الرافى فى مذكراته إشارة غامضة
أخرى عن إجراء التحقيق معه وقتها ، إذ نقل
الى سجن انفرادى بالحدرة بالإسكندرية مع ليف
من محتلى المنصورة وحق معهم فى «بلاغ كاتب»
ثم ظهر بطلان هذه التهمة . (٩)

واللاحظ أن الرافى كان حريصا فى كل ما

ويحكى منخوذاً لظاهره العزى قصة شروعة مع
إمام واكد ومحمد ميد السلام فى اغتيال كيتشنر
ومباس وسعيد ، وكان واكد من الحزب الوطنى،
وكان محمد عبدالسلام من محررى اللواء ، وانضم
اليهم عدد من الشيباب المنحوس . لم يذكر
أسماءهم ، وفى لحد الأيام ذهب العربى مع
واكد الى نادى المدارس العليا « حيث حصلت
هناك من شخصية حزبية كبيرة ومحترمة على
مستدسحترم أيضا (موزر) ذى عشر طلقا » . (٧)

وكان ثمة أدب سياسى يعكس هذه الفكرية فى
كتابات بعض من شيباب الحزب الوطنى وفى
الصحف . جيع منها عيد الخالق ثروت مجموعة
طبية فى مرافقه ضد العربى وواكد سنة ١٩١٢ ،
« لولوا أبناء البلاد الى السيف والحصام ، هلموا
الى القتل والقتال ... لا هواء ولا عيش ولا سمادة
الا اذا أجريت الدماء على ظهى الاسنة والرماح » .

« والشعب ان رام الحياة عزيزة
خافى الغمار حما الى آمله »
« اذا الملك الجبار سمر خده
مشينا اليه بالسيفوف نفاقيه »
« ولا تصبن زقا وقبنة
فما الموت الا السيف والفكة البكر »

وقد كتب امام واكد فى ٣١ يولييه ١٩١٢ ،
باللواء ، مقالا يذكر فيه حوادث دنشواى وما
حدث فيه من وحشية ، وأشار الى الشعوب
التي تخلست من الاستعباد بالثورات الفرنسية
والامريكية وثورة الاستانة ، وأنهى الى انه
« لولا السيف » لما اجيب سؤلها « ولولا الدماء
التي اريقت والنفوس التي ازهقت » لظلت
مستعبدة ذليلة . كما كتب الشاعر محمود رمزى
نظيم يقرن السيف « بلواء » الحزب الوطنى :

فاحمل السيف وشرع الربح واتدم
واجمع السراى تحت ظل [اللواء]

ويلاحظ من مطالعة مذكرات محمد فريد ،
ما يبدىه من عطف وحساس تعليقات على ما يبلفه
بالخارج من حوادث الاغتيال السياسى فى مصر
.. كتب فى ٩ ابريل ١٩١٥ عن اطلاق الرصاص
على البرنس حسين الخاا « لقد سررت من هذا

[٧] هذا المصنف الظالم - محمود طاهر العربى - ص ٢٣
[٨] فتاح شعب مصر - محمد صبيح - ص ٤٤٢ و ٤٧٥ و ٤٨١
[٩] مذكراتى - المرجع السابق ص ٢٩

وانشأ من مخالعة بذكرات بجهد فريد ، ومما يشير اليه الرافعي في أحد خطباته الى زعيمه بالخارج (١١) .

وقد جهد الوفد مع الحزب الوطني في ان يتقاربا ، ويرى ان يمثل الحزب الوطني في هيئة السوء واتفق على ذلك . وكان الرافعي ممن تابلوا سعد زغلول لاثام هذا التوثيق ، ولكن اخطف الطرفان في تعيين من يمثل الحزب في الوفد ، وانتهى الامر بان اختار الوفد من تلقاء نفسه مصطفى التلحس وصافى مفيلى ليمثلا الحزب الوطني (١٢) .

وكان سعد زغلول يرغب اولا في ضم عبد الرحمن الرافعي وامين الرافعي الى الوفد ، ووضع اسميهما في مقدمة كشف عن « الاشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم » سلمه الى عبد الرحمن غمسي في ديسمبر ١٩١٨ . ويذكر امين يومئذ (وكان قريبا لسعد) ان سعدا لم يعرف صلته القوية بالحزب الوطني ، طلب اليه في نهاية ١٩١٨ استخدام نفوذه لدى زعيمه عبد الرحمن الرافعي وادى شقيقه امين ليوافقا على الانضمام الى الوفد . وكان الاخوان على علاقة ودية بسعد ، وكانا نشطين نشطا بلوسا في الدعوة الانتخابية له عندما رشح نفسه في الجمعية التشريعية سنة ١٩١٢ . وتم هذا المسمى ومرضى على اللجنة الادارية للحزب ولكنها رفضته ، وكان الرافعي الانضمام الى قرآن حزبه . وحدث الشيء نفسه بالنسبة لعبد الطيف الصوفاني (١٣) .

وقد كشفت اعترافات شفيق منصور سنة ١٩٢٥ ، ان كلا من عبد الرحمن الرافعي وعبد الطيف الصوفاني ، كان عضوا بالمجلس الاعلى للافتيات الذي شكل في الجهاز السري للوفد ابان ثورة ١٩١٩ ، اذ كانت « زهرة الشباب » لاتزال تغلب على الرافعي ، كما كانت لاتزال تقسم القلب الجسور للشيخ الكبير . عبد الطيف الصوفاني وشفيق بولس اسبه مصطفى حيدى ومحمد شراره وعبد الرحمن الرافعي ، وكان حسن كليل الشيشيني مستشارا له . وفي عهد الرافعي بالمجلس تمت محاولات اغتيال محمد سعيد رئيس الوزراء في سبتمبر ١٩١٩ ، ويومضا وهبة رئيس الوزراء في ديسمبر ١٩١٩ ، كما

كتب ، ان يتعد تهايا من الاشارة الى اية صلة له او للحزب الوطني بهذه الحوادث . والمعروف انه كان من تقاليد نشاط هذه الجمعيات المرمية ان يقسم رجالها بالا يبرحوا بشيء عن نشاطها حتى الموت . ويبدو ان الرافعي ظل ليمينا على قسمه لا يحنث فيه . ولم يكن الامر كما يظهر مجرد بر بسم ، ولكنه حرص على الا يفتى سرا يمس اشخاصا آخرين خشية ان تمتد اليهم يد الانتقام من السراى او الانجليز ، وقد بقى نفوذ هذين قويا ومؤثرا عشرات السنين بعد هذه الاحداث . ويلاحظ انه لم يصرح بشيء من هذه الاحداث الا من كشفت التحقيقات الجنائية والمحاكمات من مساهمتهم فيها ، وكان كثفهم منها في حدود ما كشفت عنه هذه المحاكمات ، فقط وهم لم يفعلوا الا بعد مرور عشرات السنين ، ولم يحدث ان احدا منهم دل على اسم احد ممن لم يسلمهم التحقيق ، الا ما كان من شفيق منصور قبل اعدامه سنة ١٩٢٥ .

وقد يكون الصيب الثانى لهذا التكلم ، ان الرافعي مالىث بمد ان تقدمت به السن ان فقد ايمانه بالعنف ، واقتسده هذا المبرر والرفية في التصريح بما نشط فيه هو وغيره في هذا السيل .

والحاصل انه يكاد يكون من الاخبار الشائعة على السفة معاصرى الرافعي وعارفيه من اهل جيله في تلك الاوقات ، انه كان على صلة باعمال العنف منذ مقتل بطرس غالى وخلال الحزب الحالية الاولى ، وان كان هسدا من الاسرار الشائعة عنه بين معاصريه فيها تلا ذلك من احوام . وذلك حسبما سمع كتاب هذا المقال من عديد منهم .

الحزب الوطني وثورة ١٩١٩

كما ثبت ثورة ١٩١٩ ، كلف السوء المصرى بشايد شعبى كاسح . وكان الحزب الوطني لايزال قائما كحزب حبل لينة الكعاج يضع مشرة سنة الماضية ، ولكن كانت اجرامات القمع قد اضعفته ، كما اضعفته غيبة محمد فريد بالخارج عنه ، والخلافات التي نشأت بين قائده ، وسعى السراى لان تجذب فريقا منهم لجانبها ، مما يبدو

[١٠] صحيفة الاخبار ٤ سبتمبر ١٩٦٢

[١١] مذكراتى - المجمع السابق ص ٢٢

[١٢] ثورة ١٩١٩ ، المجمع السابق ص ١٠٢ ، تكور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨ ص ١٩٦ ، د عبد الحليم رمضان

ص ٩٧

[١٣] ، [١٤] ، صحيفة الاخبار ٤ سبتمبر ١٩٦٢

ازاء الاحتلال . والحاصل ان الوفد ، فور قيامه استطاع ان يسبك بزمام مصيره ومسير شعبه وان يحتل بتأييد شعبي كاسح . واستفاد في ذلك من تجربة الحزب الوطني المسابق ومن اخطائه التاريخية ، فخلص من اذيال مفسدة الجامعة الاسلامية واتخذ موقفا قوميا مبريا محمدا ، واستفاد من انقطاع روابط مصر بالخلافة العثمانية منذ اعلنت الحماية في ١٩١٤ . ومن جهة اخرى اتبع اساليب من الفضال مكتبته من ان يصبح مؤسسة سياسية جامعة لاوسع فئات المصريين وطبقاتهم ونياراتهم ، كما توافر له عنصر من الزعامة المصرية المستنيرة القادرة المسدرة واسعة الافق واسعة الحيلة ، تطلت في سعد زغول . اما الحزب الوطني فقد خرج من الحرب شعبيا اسبقته اجراءات القبح وفرقته الخلافات الداخلية مفتقدا الزعامة القادرة بعد هجرة محمد فريد ، وانطوى في احسن احواله على جماعة من الشباب التحمس المثالي ضعيف المسئلة بحركة الجماهير . واضطربت به مسالك السياسة ومناوراتها . فاتصل بالوفد طورا ، واتصل بالامير عمر طوسون طورا آخر في محاولة هذا الامير مناصرة الوفد على تمثيله الامة ، واختلف رجاله بين هذين الاتجاهين وعانى من ازمة من يستمسك بماضي جهاده وسابقه نضاله واصالته السياسية ولكنه ينتد القصرة على تفهم حقائق الاوضاع الجديدة ووجد نفسه بين امرين ، اما ان ينحاز الى الوفد فيستوعب في كتلة المعارضة ، واما ان يقف ضده فيستوعب في كتلة المنافسين للوفد مثل الامير عمر طوسون وعليلهم ينفوس من الجماهير . واستطاع الوفد ان يستخلص تسبا من خيرة رجاله فاضمه هذا بالضرورة .

وقد اعترض الحزب الوطني على صيغة التوكيل الذي وزعه الوفد ليكسب به صفة تائيل الامة في دعوته ، وذلك لما تضمنته من عبارة تحيل معنى الاسادة بالمعدالة البريطانية ، واغفلوا هذه الصلحة من الاشارة الى السودان ووحدة وادى النيل ، واستطاع بهذه المعارضة ان يعدل الصيغة فخلعت العبارة الاولى ، ولكن التوكيل جاماليا من موضوع السودان . (١٦) ثم تبلور موقفه في مبدأ اساسي واحد يتميز به ويستمسك به حتى النهاية ، وهو مبدأ « لا مغاوضة الا بعد الجلاء »

واسماعيل سرى وزير الاشغال في يناير ١٩٢٠ ، ومحمد شفيق وزير الاشغال في فبراير ١٩٢٠ ، وحسين درويش وزير الاوقاف في مايو ١٩٢٠ . وعقد المجلس عدة اجتماعات له في منزل عبد الطيف الصوفاني . ويذكر شفيق منصور ان كلا من اعضاء المجلس كان يشرف على فرع من فروع التنظيم ويقصم بافراد يكون كل منهم مجموعة وهكذا . وقد انقطع الراقى والصوفاني عن اجتماعات المجلس بعد الحوادث السابقة الاشارة اليها . والمعروف ان الصوفاني كان على رأس اتجاه في الحزب الوطني يدعو الى ان يناقش الحزب الوطني الوفد ولا يسلم له بمبدأ تمثيله الامة ، وكان عبد الرحمن وامين الرافعي يعارضه في هذا المسعى . وقد تند امين الرافعي بموقف الصوفاني من الوفد في مقال نشره في صحيفة الاهالي في ٢٠ ابريل سنة ١٩١٩ . وما لبث الصوفاني ان عدل عن فكرته (١٥) .

وقد تطورت احداث الثورة في السنين القليلة . فالتسلخ من الوفد جماعة المعتدلين الذين عرفوا « بالمدلين » وما لبثوا ان كونوا حزب الاحرار الدستوريين ، وصدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ثم صدر دستور ١٩٢٣ على ما هو معروف . ونفى سعد وجمع من اصحابه واعتقل كثيرون من الوفديين ، ثم عاد من هذه المعركة بما يزيد من ٩٠٪ من مقاعد مجلس النواب . وشكل سعد زغول اول وزارة دستورية في يناير ١٩٢٢ . وخاض عبد الرحمن الرافعي المعركة الانتخابية في دائرة مركز المنصورة وانتصر على المرشح الوفدي بصوت واحد ، وكانت لجنة الطلبة العلية بالذهلية تركى مرشحي الوفد في جميع الدوائر ولكنها استتكت دائرة السرافعي فآثروا على مرشح سعد الوفد . ولم يكن له في الدائرة عصابة مثالية او عزوة اقتصادية . كان مجرد عامل يعمل بالمنصورة ولكنه دخل الانتخابات بسمتة السياسية وسابق كلفه الوطني ونضامة سلوكه الشخصي ومنا . واحتل مقعده في صفوف المعارضة لحكومة مسعد في اول مجلس نيابي يقوم في ظل دستور ١٩٢٣ .

بين الوفد والحزب الوطني

كان الحزب الوطني يثق من السوفد موقف المعارضة الوطنية الهادفة الى المزيد من التشدد

بمناسبة مجيء لجنة ملن انه يتمتع بضمماره المذكور ، ثم ذكر « يرى الحزب الوطنى ان ثنائى الاسم على المطالبة باستقلالها ، وان تصر على المطالبة به ، وان تعمل على التوصل الى هذه الغاية بجميع الوسائل المشروعة ، وان لايزيدها ما تصالفيه من العقبات الا ثباتا على البدا الجليل ... يجب ان ترفض كل مفاوضة او مناقشة مع الفاسق ، ويجب ان لا تقبل مساومة فى الاستقلال .. » (١٧) - ثم رد الحزب على بلاغ اذاعة اللورد ملن وقال للرد ان الحزب يتمسك باعتراف بريطانيا بالاستقلال رسميا « وايدته بجلالة الجنود الانجليزية عن اذى النيل وسبيت اعلان الحيلة .. » ثم اصدر بياناً يرفض فيه مشروع ملن الذى قدمه لسمد زغلول ويقول فى النهاية « الاستمرار فى الجهاد الوطنى بجميع الوسائل المشروعة » (١٨)

ومؤدى هذا ان الحزب الوطنى لم يكن يكتفى بالاستقلال التام ، أى باعتراف بريطانيا به ، ولكنه يطالب بأن يكون الاعتراف مصحوبا بالجلالة العسكرية من مصر ، ولا يكفى مصر اثنا يجب ان يتم الجلاء عن مصر والسودان وان تعترف بريطانيا بوحدة وادى النيل . ثم بعد ان يتم ذلك كله تجرى « المفاوضات » بين البلدين لتحديد العلاقات المستقبلية بينهما . ومن الواضح ان المفاوضة هنا تستحيل الى تصور صورى ، اذ لا تكون لها قيمة عملية بعد ان يتم كل ذلك . وقد كان من المألوف ان يسفر معارضة الحزب الوطنى منه من هذه الزاوية ويصوبه بالساذجة السياسية اذ يضع شعارا غير عملى وهو الجلاء بغير شرط ثم يوافق على المفاوضة حيث لا لزوم لها واذا يحاول « تفصيل » الانجليز بوعده صورى بالمفاوضة بعد جلائهم .

على ان النقطة الجوهرية فى هذا الموقفه ؟ ليست اصرار الحزب على رفض المفاوضة ، لهذا تشدد لا يرفضه وطنى ان امكن تحقيقه . ولكن المشكلة كانت فى ان هذا التشدد يتطلب رغبة لاسلوب الكفاح السلمى المشروع ودموه للكفاح غير السلمى « ولا المشروع » وهو الكفاح

كان الوفد لاستبعاد المفاوضة كوسيلة لتحقيق الاستقلال التام ، ويعتبرها احدى وسائل الكفاح السلمى المشروع « حسبها ورد بصيغة التوكيل وبرينالج الوفد . ولكن الحزب الوطنى انكر اسلوب المفاوضة كوسيلة لتحقيق الاستقلال ، وهذا من شأنه ان يميزه عن الوفد ، ولكنه رغم هذا الانكار لم يستطع ان يميز نفسه من جهة تحديد اساليب الكفاح . فكان الوفد متسقا مع نفسه انسانا واضحا من جهة الهدف الذى قرره والاساليب التى رسمها لتحقيقه ، فلذا كان للاحتلال وجوده المادى بصر ، وله ركائزه العسكرية والسياسية ، وله خلفاؤه فى مؤسسات السلطة المصرية كالمك فى التسوى الاجتماعية ككبار ملاك الارض والثقة العليا من كبار موظفى الدولة وكبار اصحاب المصالح الاقتصادية والمالية من ا بجانب مصريين ، اذا كان ذلك صحيحا فلوعد ان يتخذ موقف التشدد الكامل ورفض اية مساومة مع الانجليز ، وفى هذه الحالة لا يكون موقفه عمليا مأمول النجاح الا اذا نظمت الحركة الوطنية نفسها كحركة للكفاح المصلح وكانت قادرة على ذلك طبيا وتنظييا ، فلذا وجد انه فسين قادر على اتباع هذا الاسلوب لتحقيق اهدافه النهائية بسبب الاوضاع الطبقة او الظروف الدولية او مستوى التطور التاريخى للحركة الشعبية او لهذه الاسباب مجتمعة ، كان من المحتم عليهم تنظيم سياسى عملى ان يقرن استيماده لهذا الاسلوب بتبول بدا المساومة ، وان يقبل بالمفاوضة كوسيلة لتحقيق مطالبه فى حدود الامكانيات العملية المتلصة فى اطار الظروف السياسية الدولية والموقف الداخلى . لكل هدف الاسلوب المناسب الذى يتحقق به ، وينبغى ان يقوم التلازم بين الامرين . وقد رسم الوفد لنفسه بحس سياسى عملى موقفا منسجما يلائم بين قدرته واهدافه . فمصر من هذه بالاستقلال التام ، ومن وسيلته بالكفاح السلمى المشروع ، ولم يرفض بذلك مبدأ المفاوضة واحتياط المساومة .

اما الحزب الوطنى ، فقد طرح شعاره المتشدد الذى يميزه عن الوفد ، ولكنه لم يستطع ان يميز نفسه من جهة اسلوب النضال السياسى ، ولا ان يختار اسلوبا يمكنه عمليا او يمكن للشعب به ان يحقق هذا الشعار ورد فى بيان الحزب

[١٧] ثورة ١٩١٩ . الجزء الثانى ص ١٠٠
[١٨] ثورة ١٩١٩ المرجع السابق ص ١٢٥ و ١٢٠

ومن ثم فهي غير قادرة على انشاء مؤسسة سياسية ثورية بديلة للمؤسسات المعادية ، وغير قادرة على تطوير الصراع السبيلي الى صراع مسلح . لذلك لا يعرف ان كان لجهاز الاغتيالات في الوفد اثر ضابط وحاسم في سياسة الحزب العلني ، وبقيت اليد العليا في تقرير السياسة للحزب العلني ، وسعى هذا الجهاز « سلبيا » بغير مقاومة تذكر عندما وجد الحزب انه اسنوى غرضه السياسي منه ، وانه صسلر مينا على سياسته بعد ان تحدد طريق كفاحه البرلماني . وقد يكون ذلك اثر بعض سخط اعضاء الجهاز وقد يكون دفع بالبعض الى توريط حكومة الوفد سنة ١٩٢٤ بحدث مقتل السردار كما ذكر مصطفى أمين في تحقيقاته المنشورة في صحيفة الاخبار في سبتمبر ١٩٦٢ . ولكن كان هذا شبه يرفود الفعل الفرية ، اذ وجدت عناصر التنظيم السرى نفسها في جهاز غير قادر على تشكيل سياسة الوفد كله او النفوذ الى مواطن اتخاذ القرارات في الحزب ، وكان الغذاء السياسي الاساسي للحزب ياتي من نشاطه الجماهيري « المشروع » وكان وصوله الى الحكم بفضل الطريق « المشروع » ايضا وهو الانتخابات . وكانت الجماهير حول الوفد من خلال منابه العلنية في الاساس . وكان سعد زغول يدرك حجم هذا النشاط العنيف ويمى امكانياته السياسية المحددة . والمعروف ان جميعات الاغتيال السياسي لا تحتاج الى روابط عضوية مستمرة بالجماهير على خلاف اشكال الكفاح المسلح الاكثر تطورا . لذلك تكون ضيقة محدودة المصالحات الجماهيرية فلا تستطيع تصريك الجماهير .

غلا يعرف ان الحزب الوطني في تشدد اهدافه المعلنة ، ميز نفسه بأسلوب للعنف اكثر تطورا من أسلوب الوفد ولارسم للعنف طريقا اكثر شولا ، ولا ميز نفسه في هذا النطاق بنشاط مستقل ، ولادما علنا الى غير الوسائل السلبية . وكان هذا هو التناقض الاساسي الذي وقعت فيه سياسة الحزب . اذ دعت الى اهداف واتممت اساليب لا توصل الى تحقيقها . وبقي الحزب مصرا على هذا الموقف .

بين الرافعي وسعد زغول

وفي هذا السياق يمكن النظر الى المواجهة التي تمت بين الحزب الوطني والوفد عندما تولى الوفد الحكم . وجرى هذه المواجهة بين سعد زغول رئيس الوزراء وبين الرافعي والسوقاني ، في مجلس نواب ١٩٢٤ ، وأيضا كان وجه التقويم السياسي والتاريخي لهذا الموقف ، فقد اضيف

المسلح . وفي هذه الناحية لم يميز الحزب نفسه عن الوفد في أسلوب الكفاح ، وهذا اسسلى ومسه بالمساذجة لدى الغالبية من اقسام الحركة الوطنية ، ودل شمسار الحزب على نوع من الضعف وفقدان الاتجاه ، واحال هذا موقفه الى موقف من الرفض المطلق للنطق العملى جسكا بمثاليات مجردة .

والجاصل ان الوفد وان تبني طريق الكفاح السلمي المشروع ، فلم يقتصر عليه ، بل استطاع ان يستوعب أسلوب العنف بالقدر الذى كان قابلا وقتها ، وعلى النحو الذى عرفته مصر خلال السنوات العشر السابقة ، وهو تكوين الجمعيات السرية او تشجيعها للافتتال السياسي . وكان هذا بعض مهام التنظيم السرى للوفد الذي اشرف عليه عبد الرحمن فهمي وترعاه احمد سامر والفراشي ، واذا كان الحزب الوطني قد شارك في هذا النشاط كما سبقت الإشارة ، وكان هو من بدأ تجربة هذا الأسلوب منذ مقتل بطرس غالى ، فان الحزب الوطني اكتفى في هذا النشاط بدور المشارك للوفد ولم يعرف انه حاول تطوير هذا الأسلوب الى أسلوب من استخدام العنف الشامل ضد الاحتلال بغير اكتفاء بعمليات الاغتيال السياسي . ومن ثم كان نشاط الحزب الوطني في هذا الشأن محصورا في نطاق النشاط الودى مستوعبا فيه ، غير قادر على تخطيطه . وقد سبقت الإشارة الى ان الرافعي والصوقاني قاطعا مجلس الاغتيالات سنة ١٩٢٠ ، ولم يعرف لهما ولا لغيرهما من رجال الحزب نشاط مماثل بعد ذلك . ولا وجه الحزب دعوته الى اتباع طريق العنف ولا ميز نفسه من الوفد في هذا الشأن .

والحاصل ايضا ، ان النشاط العنيف الذي مورس في ثورة ١٩١٩ ، لم يكن بالحجم الذى يمكن به اعتبار الكفاح المسلح طريقا وحيدا ولا طريقا أساسيا لهذه الثورة . كان نشاطا صغير الحجم نسبيا ، وكان يمثل أسلوبا مساعدا لاساليب الكفاح السلبية الاساسية . وذلك رغم اهميته غير المنكورة في التأثير على سير الاحداث . والاغتيالات السياسية وان اعتبرت من اساليب العنف فهي بذاتها محدودة الاثر والنطاق والفاعلية ، وهي لا تصلح بطبيعتها الا ان تكون عاملا مساعدا لاساليب السلبية ، لأنها بذاتها ووحدها غير قادرة على تغيير الهيكل السياسي والاجتماعي والاغتيالات السياسية لا تستلزم من الناحية التنظيمية الا اشكالا مبسطة وبديالية من اشكال التنظيم . والفرق واضح من هذه الناحية بين جماعات الاغتيال وبين جيوش حرب العصابات او جيوش التحرير النظامية .

نائباً الحزب الوطني وفيه يقدر من الأصرار ومن الشجاعة الأدبية كبير . قال الرافعي « قد حرصت مع أخواني على أن نسير على مبادئ الحزب الوطني داخل مجلس النواب . فكنا لانفتحاً نتمتع بالجلالة ووحدة وادي النيل .. » وقال لهم أرسوا مبادئ المعارضة البرلمانية و « ان المثالية .. التي جعلتني اختار المعارضة في البرلمان الأول .. فقد سمرت ان واجبي كتعب ان انتخذ من الحياة التيسيرية أداة للتكاسح الوطني .. » (١٦)

كان أول هذه المواقف بعد افتتاح البرلمان بأسبوعين في ٢٩ مارس عند مناقشة المجلس خطاب العرش الذي يمثل برنامج الحكومة . ولسمد صاحب البرنامج ورئيس الوزراء وزعيم الأمة أغلبية ٩٠ في المئة من النواب وتأييد شعبي يشترك حدود الإجماع من الرأي العام السياسي . والوفد قد صغر عقيدة وطنية يصعب تحفيها . وعلمت أحداث الاغواء السابقة الجماهير ورجال الوفد ان المآمرات تحاك له من القوى المعادية للثورة ، وكسبهم هذا طلاقة حاسدة من الحذر والتوجس تجاه الدوافع الحقيقية لأي هجوم أو نقد يوجه للوفد أو زعيمه ، فلما أنه هجوم لن يفيد الا الاحتلال أو الملك حتى لو انتخذ مظهر التشدد في المطالب الوطنية ، حذر ان يكون التشدد حقا يراد به باطلا . والجميع يشفق على الوفد في الحكم يتبنى لهذه التجسرية التناجح ويحاول ان يجنبه نطاق الأزمات .

في هذا الجو وقف الرافعي يتكلم . سبقه عبد اللطيف الصفواني فتوقع أكثر من مرة ، فنصح أحد الأعضاء الرافعي أن يرجع من عزمه في الكلام خشية ما قد يقابل من رد فعل عنيف . ولكنه قام وتحدث مبتدئاً بإعلان الثقة في زعيم الأمة في الوزارة وليدة إرادة الشعب ، وقال ان هذه الثقة تتناقض مع معارضة الوزارقني بعض مواقفها ولا مع معارضة الأسلوب المتهاون الذي استعمل في طلب العرش عند ذكر المسألة الوطنية وسكوت الخطاب عن إبداء الرأي في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ . وفي ١٠ مايو تحدث مشيراً الى ما صرح به رئيس وزراء بريطانيا عن ان المفاوضات ستجري بين الحكومتين على أساس السيادة التي اقترها البرلمان الإنجليزي في ١٤ مارس ١٩٢٢ والتي تستند الى تصريح ٢٨ فبراير . وانتهى الى القول بأن ثقته في حكومة الوفد لا تتنقل مع رفضه المفاوضات على هذا الأساس .

وفي ١٣ أبريل وجه سؤالاً الى وزير الأشغال مرتسح حنا عن مشروعات الرى التي تنفذها بريطانيا في السودان والتي من شأنها الإضرار بمصالح مصر . فرد عليه الوزير في ٢٤ مايو وجرت المناقشة بين الاثنين . أعلن فيها الرافعي ان المشروعات ضارة بمصر وان على الحكومة ان تدخل لوقفها . هنا تدخل سعد وسد كيف تدخل الحكومة ، ليجواب لم باحتجاج . وإذا كانت الحكومة توافق على كونها مشروعات ضارة ، فكيف تنفذها ؟ ثم دفع مسعد الحصار الى نقطة أساسية بقوله « ما هي الطريقة التي نحوز بها السودان دون الانجليز ، أما سياسة وخز الإبر فلا أعرفها ونحن قوم عابليون .. نحن لا نفرط في حقوق الأمة ولا نتهاون في أمر السودان ، انما قوة الوزارة معسدة من قوة الأمة .. فسا هي الطريقة التي نحوز بها السودان دون منازع .. » (وقال للرافعي) « قل لنا الطريقة العملية أو تفضل نوليك الوظيفة التي تمجيك لنرى ماذا تعمل .. » ويشير الرافعي الى أن مسعد مثله متحدا « هل عنكم تجريدة » أي قوة مسلحة (وهي عبارة لم ترد بمضابط جلسة المجلس) . فرد الرافعي قائلاً ان موظفي الأشغال في السودان تابعون لوزارة الأشغال المصرية ، فلوزارة ان تظن وقف هذه المشروعات ، فقال مسد « نحن نعرف ان مشروعات السودان مفسدة ولكن قل لنا الطريقة العملية لننمها ، وإذا كنت لا تريد ان نقولها جبراً فتعالى قلها لي سرا ، نحن وزارة الشعب نريد ان نعرف الطريقة .. ونحن ليس في إمكاننا ان ننتع ما هو حاصل .. »

كرر الرافعي قوله عن تبعية عمال الأشغال هناك لمصر وقدره مصر على منع المشروعات وقال لسمد « أنا لا أريد وظيفة وأنا أطلب من وزارة الأشغال ان تتدخل وتميل ولجئها .. » فقال مسعد ان الوزارة طالبت فعلا وقف المشروعات « فوافقت الاعمال التابعة لمصر واستمرت الاعمال الضارة بها » (كان ذلك في عهد الوزارة السابقة) . وتوقف الحديث عند هذا المازق . الرافعي يرى مصر حقا في وقف مشروعات ضارة بها ، وسعد يوافقه على ضرر المشروعات وحق مصر ، ولكنه يرى حقا حقا تعوزه القوة والقدرة العملية على التنفيذ . وسعد يدرك تماما حدود الكفاح السلبى الشروع ، ويعرف انه وسيلة كفاح قاصرة عن تحقيق كل ما تطمح اليه الحركة الوطنية ، ويظن ان ليس للحق قدرة مسخرة تبكته من التحقق تلقائيا لمجرد كونه

حقاً ، انهما القوة هي مابه يتحول الحق الى واقع . ويناقش الرافعي من هذه الزاوية بالتحديد .

وفي ٢٤ يونيو ، مطرقتون نويضلت الموظفين الاجانب . اذ كان تقرر في يولية ١٩٢٣ قبل نفاذ الدستور منح تعويضات الموظفين الاجانب الذين تركوا خدمة الحكومة المصرية ، وصيغ هذا القرار في شكل خطابات متبادلة بين حكومتى مصر وبريطانيا لياخذ شكل الاتفاقى الدولى الذى يصعب التحلل منه مستقبلا . فلما تولى الوفد الحكم عمل على تنفيذ الاتفاق وادرج له بمشروع ميزانية ٢٤ - ١٩٢٥ مبلغ ١٣ مليون جنيه . فوقف الرافعي مع المعارضين لهذا الاتفاق ولادراج الاعتماد عنه بالميزانية وانكر قيام القانون وطالب بتقرير بطلانه ، ومساقى الحجج القانونية التى تثبت بطلانه ، باعتبار انه صدر فى فترة تعطيل الجمعية التشريعية ولم يعرض على البرلمان طبقا للمادة ١٦٦ من دستور ١٩٢٣ . وانكر قول من قال انه معاهدة ، لا يجوز نفسها . واتخذ الحوار بينه وبين بعض رجال الوفد طبعاً قانونياً فنيا حول صحة او بطلان القانون ، حتى قال ويصا واصف انه سليم قانوناً سياسياً . وكاد الاخر يتوقف عند هذه الحدود ، لولا ان قسام سعد ليرفع الموضوع الى مسنواه السيسى ، ولبعض به فى هذا الوجه الى قمة نقطة الخلاف فى النظرة بين سياسة الوفد وسياسة الحزب الوطنى .

قال سعد انه ينتقد هذا القانون ويستنكره مع التناقض المستنكرين ويعتبره « ضربة على الخزانة ونكبة على اموال الدولة وانه سابق لوائه ، بل أقول أيضا انه مخالف للدستور .. » وكرر انه كتب بذلك الى الحكومة الانجليزية بوصفه رئيسا للحكومة ، وانه يوافق الرافعي على انه ما كان يجب ان يعقد الاتفاق به ، ثم استدرك سعد صرحا « فرق بين ان يستنكر الانسان شيئا ويعتبره باطلا وبين ان يتوقف من تنفيذه .. مكره اخاك لايمل .. » وانه لا يمكن انهاء ما بين مصر وبريطانيا بمجرد القول بالبطلان . ثم وضع الاثر موضعه فى المسامكة السياسية مستائلا عما اذا كان من الخير دفع هذا التمويض وهو قاذح ، ام اعادة الموظفين الاجانب الى عملهم بالحكومة المصرية . « لقد اشترينا بهذا المبلغ سمادتنا الداخلية » وقال نحن لسنا قضاة او محامين فقط ولكننا سياسيون .

ومن اهم ما اشار اليه سعد فى جداله مع الرافعي حول مشروحات رى السودان ، انه ان كان لدى الرافعي اقتراح يفيد فى استخلاص

حقوق مصر ولا يستصوب الجهر به ، فقلبه ان يسره الى سعد . ولعله كان فى هذه الدعوة اشارة الى الجانب السرى من كفايورد ١٩١٩ ، وكان ذلك جانباً يستحيل وقتها التصريح به ، اذ كان يخرج عن نطاق المشروعية القائمة وعن نطق ما تعلنه الحركة الوطنية من الزام بالكتاح « المشروع » وحده . ولاشك ان سعدا والرافعي كان كل منهما يعلم ما كان من امر صاحبه فى هذا النشاط . ويظهر ان سعدا بحديثه مع الرافعي كان يقصد القول انه ان كان الرافعي يريد الاشارة الى افضلية استعمال العنف ، فهو يدعو للنقاش فى شأنه . والواضح من واقع سياسة سعد بعد ذلك انه كان يرى ان هذا الاسلوب الذى اتبعه خلال سنى الثورة الاولى تقصر امكانياته عن تحقيق ما يطالب به الرافعي .

وان موقف الرافعي والحزب الوطنى عامة يمكن ان يبدو متشككاً مع ذاته ، لو روعي فيها يطلب انه يدعو الى استخلاص المطالب الوطنية بالعنف . وللرافعي وحزبه سابق نشاط فى هذا الكفاح يؤيد الظن بان هذا الاسلوب كان يدور بخلفه وخذل زملاء حزبه . ولكن هذا الوقت لا يبدو مستندا الى منهج عملي واضح لو مسح ما كان يدعو اليه الحزب فى بياناته من التزام « بالوسائل المشروعة » بل يظهر انه اغراق فى المثالية . وقد يكون من الطبيعي ان يقف الرافعي فى مجلس النواب عند حدود عدم التصريح بما يميل اليه من استعمال العنف والاستمرار فيه ، استجابة لما يخفى من اعتبارات الامن السياسى والحزبى والفردى ، وقصد يكون الرافعي فى تشده بالمجلس يقصد ان يستحث سعدا « من تحت المائدة » على ابقاء العمل بالاسلوب العنيف بعد ان وصل الوفد الى الحكم بالاسلوب البرلماني السلمى ، ويقصد القول بان نجاح الوفد فى الوصول الى الحكم بالسياسة السلمى لا ينبغي ان يجعله يتغافل من أهمية استمرار جانب العنف من نشاطه . على ان ما يصفه هذه الغرض ، انه لم يلحظ للرافعي ولا للحزب الوطنى ، ولا انصحت الوثائق التاريخية المتاحة ، عن استمرار الحزب فى هذا الطريق بعد ١٩٢٤ ولا ان محاولة بفلت للاستمرار فى هذا النوع من النشاط . وقد سبقت الاشارة الى ان العنفى حدود الاعتقالات السياسية ذو فاعلية محدودة الاثر . وهنا تظهر المثالية واضحة فيما يدعو اليه الحزب الوطنى وما رجع اليه من معارضة للطريق الوفدى .

وقد نظر الوفديون الى مواقف الرافعي - رغم ما يتمتع به من احترام وتقدير بينهم - كواقف يقصد بها ان تنتهى الى احراج حكومة سعد

ورغم الاختلاف السياسي البين بين مبادئ الحزب الوطني وبين هؤلاء ، والمظاهر ان الحزب لم يسقط ان يحدد الوصف السياسي وقواه تحديدا يمكنه من اتباع سياسته عليه تنبثق مع اهدافه البعيدة . وقد سميت الاشارة الى سبق وقوفه ضد الوفد حليفا لعمد طوسون في بداية الثورة . ثم بعد ذلك ساهم مع الاحرار الدستوريين في حملة الهجوم على الوفد فور استقالة وزارة سعد ، وذلك قبل ان ينشق الاحرار على وزارة زيور الذي خلف سعدا وحكم باسم الملك ، وكان هذا الهجوم مما ساهم في دعم حكومة زيور في بدايتها . ثم ما لبث الحزب ان هاجم الحكم في ١٩٢٠ وقام بانقلابه الدستوري الذي ألغى به دستور ١٩٢٣ ووضع دستور ١٩٢٠ الذي تنكس بها حقه الدستور الاول من مكسب الشعب ، عندما تم ذلك قاطع الوفد والاحرار انتخابات سدقي ، ولكن كان غريبا ان يقرر الحزب الوطني دخول انتخابات قاطعتها الآية . (٢٢)

كان تفكير الحزب الوطني في هذا الشأن - حسبنا ينسحب من كتابات الرافعي من ثورة ١٩١٩ ومن اعقاب الثورة وكتابات غيره من رجال الحزب - يصغر من ان الوفد لا يعضو ان يكون امتدادا لحزب الآلة القديم ، وان الخلاف الذي نشأ داخل الوفد وادى الى انسلاخه من كونوا الاحرار الدستوريين ، ليس خلافا سياسيا ولا خلافا اساسيا وانما مصدره اطماع سعد زغلول في التفرد بالزعامة ، وان محمد فريد كتب في مذكراته بنهائه ان الوفد بتشكيله الاول لا يتأخر عن الاتفاق مع الانجليز * لا يبقى يطالب فعلا وبإخلاص حقيقي باستقلال مصر التام الا حزينا الحزب الوطني * (٢٣) وان الوفد والاحرار كلاهما يقبل مبدأ المفاوضات - ومن الطبيعي ان صدر التفكير من هذا الاساس ان ينظر الى ما يتمتع به الوفد من شعبية على انها شبيهة اساسا للتفويض الفوغاوية ، وان ينظر اليه باعتباره اخطر على المطالب الوطنية من زملائه الاحرار .

وعلى اى حال ، فقد كان لامعنا الرافعي من المنبر البرلماني اثر جد سوء في نفسه ، واذ كان هو والحزب الوطني قد نفخوا أبيدهم من العنف كأسلوب لتحقيق المطالب الوطنية ، واذا لم يكن للحزب الوطني علاقات واسعة وثيقة بالجهابير ،

واضعافها في نظر الشعب ، ويظهر انهم انطوا على الفيل من رغبة سعة الصبح التي لاحظها الرافعي نفسه في ردود فعل النواب الوفنيين تجاهه . وكان هو يريد على نعمة الاحراج بقوله ان الحياة النيابية ميدان لاستمرار الكفاح ضد الاحتلال ويتمين ان يتخذ البرلمان - اكثر من الحكومة - موقف التشدد ضد الممثل . وكان الحرج يستبد بسعد زغلول احيانا فيقول والازمات تحيط به من كل جانب والتماس تتكاثر عليه * لاتقف موقف المعجز نفوتي من قوتك وقل لي ما يمكن تنفيذه * . وكان يقول لمعارضيه الوطنيين * لا تكشفوا عن ضعف الآية . (٢٤)

الرافعي خارج البرلمان

تصايفت الاحداث حتى اغتيل السردار واستقلت وزارة الوفد وحصل مجلس النواب واجريت انتخابات جديدة نجح فيها الرافعي في دائرته نفسها على المرشح الوفدي ، ولكن المجلس حل في اول ايام انعقاده ، ومن وقتها بقي الرافعي بعيدا عن البرلمان ثلاثة عشر عاما . ويرد الرافعي هذا الابتعاد الى وقوف الوفد ضده ، اذ قسبت الدوائر في عهد الائتلاف بين الوفد والاحرار الدستوريين سنة ١٩٢٦ ورفض الوفد ان يترك له دائرة المتصورة بسبب سابقة معارضته لحكومة سعد كما ناضى الوفد المصفاي سنة ١٩٢٥ واحمد لطفي (من قطاب الحزب الوطني) سنة ١٩٢٦ واستقطبا مما ترك احصاءا بالمرارة الشديدة لدى الحزب الوطني * ويذكر الرافعي ان صحة سقوط الرجلين مجلت بوفائهما ، وان موقف الوفد انطوى على كثير من العنت وكشف عن قصور كبير لديه في تقبل المعارضة . (٢٥)

ويمكن تصور وجهة نظر الوفد في حرمه كحزب برلماني على الظفر باكبر قدر من متاعده مجلس النواب ، ولا تشرب على حزب في ذلك ما دام يحكم الى الجهابير احتكبا حسرا غير مزيف . والواقع ان الحزب الوطني ساهم في تعميق الخلاف بينه وبين الوفد ، اذ اضطر في معارضته للوفد ذي الكيان السياسي الكبير الى الوقوف حليفا للقوى والتيارات المعادية له ، وكانت كلها - سبها في العشرينات - تركز في اتجاه السراى والاحرار الدستوريين . وذلك

[٢٠] ثورة ١٩ والسطة السياسية * طارق الشرى * مجلة الكتف * اكتوبر ١٩١٧

[٢١] ملكرائى * المرجع السابق ص ٥٧ - ٦٠

[٢٢] د. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق ص ٧٤٦

[٢٣] ثورة ١٩١٩ * المرجع السابق ص ٦٣ * وفي نفس المص : عمر ورجال : ضى زهران ص ٥٩١

ولا نكتفل بعثته في المؤسسات الجماهيرية السياسية والاقتصادية كالتعاونيات والتعاونيات (على ماكان يهدف قبل الحرب) فلم يعد املهم انساب الكفاح الوطني الا النشاط البرلماني والصحفي ، وجاءت سياسة الوفد هادفة الى اقضاء معارضتها من البرلمان . ووجد الرافعي السياسي ان ابعاده عن البرلمان قد اغلقت من دونه اهم ميادين الكفاح . فانهصر جهده الاساسي في الكتابة احيانا بالمصحف تعليقا على الاحداث الجارية وتذكيرا للرأي العام بما ينبغي ان تكون عليه المطالب الوطنية من نقاء وتشدد .

وفي هذه الفترة ، سعى بعض كبار رجال الحزب الوطني ، الى البحث عن ميدان للنشاط الضميري . والمعروف انه كان قسم من رجال الحزب قبل الحرب الاولى يميل الى الفكرة الاسلامية وتجميع الشعوب المسلمة ضد الاحتلال وبقيت عنصرا في تفكيرهم السياسي . وبهذا فكرة القومية المصرية منذ ١٩١٩ على يد الوفد ، وبقيت عنصرا في تفكيرهم السياسي . وبهذا ساهموا في ١٩٢٧ في تكوين جمعيات الشبان المسلمين لتكون مجالا لنشاط الشباب الاسلامي في مصر والبلاد العربية ، وانشئت لها فروع في المشرق العربي خلال الاعوام التالية . وكان من اهم مؤسسي هذه الجمعيات الدكتور عبد الحميد مسعيد والشهيد عبد العزيز جالوئش من رجال الحزب الوطني .

على انه لا يكاد يلحظ للرافعي نشاط واضح في هذا الخصوص . والملاحظ من مطالعة فكره وسجل حياته ، انه كان علماني المنزع مستجيبا لفكرة القومية المصرية مبارسا لها . وتلفت الرجل يفتان جالا يمارس فيه حيويته السياسية والثقافية ، وكان منذ صباه يميل للنشاط الثقافي والكتابي وتاليف الكتب ، فقد كتب اول مقالاته وهو في التاسعة عشرة وكان يجنح لكتابات المقالات المسلمة في موضوع واحد . (٢٤) وأصدر اول كتبه في ١٩١٢ باسم « حقوق الشعب » شرحا للبيداء الديمقراطية وتعميقا للدعوة لها ، وكان ذلك في وقت اشتداد المطالبة الجماهيرية بالدستور وقيام المظاهرات تطالب به وبالحرية تحيط بركب الخديو هائلة « اللائحة يا ائتنا » ثم أصدر كتابه الثاني من « نقابات المتعلمين الزراعية » نظلها وتاريخها وثرائها في

مصر وأوروبا » كأول كتاب يصدر عن مصري في هذا الموضوع ، ودعاه لاختيار هذا الموضوع نشاط الحزب الوطني في تاليف التعاونيات كجزء من نشاطه للنمو بالحركة الشعبية ضد الاستغلال الرأسمالي الاستعماري . وفي ١٩٢٢ أصدر كتابه الثالث باسم « الجمعيات الوطنية » صحيفة من تاريخ النهضة القومية في فرنسا وأمريكا والمانيا وبولونيا والافانول « نشر هذا الكتاب مسلسلا في صحيفة « الاخبار » سنة ١٩٢١ » وقدم فيه صورة من الجمعيات الوطنية والهيئات النيابية التي لعبت دورا تاريخيا في تنظيم جهاد الامم ووضع الدستور وتنظيم الحياة السياسية فيها ، ودعا فيه الى استمرار سياسة المقاومة الوطنية التي تعتبر سياج الامم المهدومة الحقوق ، وانها لا يفتحق به الاستقلال وما تحفظ به روح الاتحاد الوطني . (٢٥) ويظهر الهدف السياسي المباشر لاصدار هذا الكتاب واضحا لا يحتاج الى تفصيل ، كما يلاحظ انه في فترة صدوره كانت ظهرت نية السراى والاحرار الدستوريين ، في اعداد الدستور — عقب صدور تصريح بريطاني يعترف بالاستقلال الاسمي — بواسطة لجنة يعينها الملك (كانت هي لجنة الثلاثين المعروفة) . وكان موقف الوفد والحزب الوطني الدعوة لاعداد الدستور بواسطة جمعية تأسيسية منتخبة من الشعب لا معينة من الملك . وصدر هذا الكتاب مؤيدا لهذه الدعوة من خلال ما أورده من تجارب تاريخية .

فلما ابتعد الرافعي عن النشاط النيابي منذ ١٩٢٦ ، لجأ الى نزوحه الثقافي القديم في التأليف « أوجد الله لي مخرجا من هذه المحنة » فالتهمنى ان اشغل نفسي بعمل استغرق معظم تفكيرى وجهودي ، ومرفنى وقتا طويلا عن الحياة البرلمانية ، وهو تاريخ الحركة القومية . (٢٦)

بدأ تفكيره في هذا العمل ، بمنزع سياسي واضح ، فانه في ذلك شانه في جميع ما كتب ، وبمنزع حزبي أيضا . واختار ان يضع كتابا عن « مصطفى كمال » رائد الحركة الوطنية في مطلع القرن العشرين وأول زعيم للحزب الوطني يعتمد في نشاطه السياسي دائما الى ما يقتنع به في نفسه من اصالة وعراقة مصرها نشاطه قبل الحرب وعراة مصطفى كمال ثم مجده فريد له

[٢٤] مذكراتي . المرجع السابق ص ١٦
[٢٥] الجمعيات الوطنية . ميد الرهن الرافعي .
[٢٦] مذكراتي . المرجع السابق ص ٦٠

الحفاظة على تقاليد الحزب في خطبهم وتصريحاتهم ورسالتهم باعتباره حزب معارضة للحكم القائم .. بما يشير الى ضعف روح الانضباط بين اعضاء الحزب وضعف روح المعارضة فيه لحكم صدقي .

ومن المعروف انه على مشارف ١٩٣٥ كانت حكومة صدقي قد سقطت ، وظفر اتجاه تكوين الجبهة الوطنية وعقد المعاهدة مع بريطانيا مع احتلال عودة الوفد ودستور ١٩٢٢ . وقد ساهم الرافعي مع حافظ رضيل رئيس الحزب الوطني في تقريب وجهات النظر بين الوفد وغيره من الاحزاب لتحقيق الائتلاف وتكوين الجبهة (٢٨) ونشر الحزبيين موقعا عليهن رئيسه وسكرتيره « سعيهما » لتوحيد الكلمة وضم الصفوف « . وذلك في صحيفة الاهرام ٢٨ نوفمبر ١٩٣٥ . ثم تكونت الجبهة ممثلة للاحزاب كلها وللشوند فيها اغلبية الاعضاء ولكل حزب ممثل واحد هذا الحزب الوطني الذي مثل برئيسه وسكرتيره اعترافا بسعيهما في نجاح الائتلاف . وساهم الاثنان مع الجبهة في سعيها لاعادة دستور ١٩٢٢ ، وكان الرافعي ضمن لجنة صياغة كتاب الجبهة للملك للتحلية بعودة الدستور ثم انتسب عن اعمال الجبهة في سعيها لتحقيق هدفها الثاني وهو ابرام المعاهدة ، اتبعها لبدأ الحزب . (٢٩) ولم يشترك الحزب الوطني بطبيعة الحال في وفد المفاوضة الذي أبرم معاهدة ١٩٣٦ .

وبعد ان ابرمت معاهدة ١٩٣٦ ، عارضها الحزب الوطني في البرلمان وفي خارجه ، وكان رجاله بمجلس النواب هم عبد العزيز الصوفاني وفكري ابائيه ومحمد محمود جسال وعبد الحميد سعيد . اما الرافعي فلم يكن عضوا باحد مجلسي البرلمان ، اذ رفض الوفد في الانتخابات الاخيرة ايضا ان يترك له دائرة المنصورة ، واعتبر الرافعي ذلك غيبا كبيرا « حرمت طيلة حياتي من معاونة الغير لي » . وقد اوضح الرافعي رايه في المعاهدة بما نشر من مقالات في الصحف ، سيما مقال كبير بالاهرام في ٢٦ سبتمبر ١٩٣٦ طبع في كتيب وجري توزيعه كأحد مطبوعات الحزب . (٣٠) ثم استمر بعد ذلك على موقف المعارضة من المعاهدة ، لايل تكرار القول واعلته ضدها .

وقد عاد الرافعي عضويا منتخبا بمجلس

وفي الكتابة من أي من هذين ترويج للحزب الوطني كمباديه وكقوسية . والرافعي نفسه يستشعر عاطفة قوية بالوفاء لزعيميه الراحلين تدفعه الى اختيارهما كموضوع للبحث . ولكن ما ان بدأ الرافعي فصوله الاولى ، حتى فرض منطق البحث نفسه ، على الباحث ، وتكتشف امامه مسألة تاريخية هامة ، هي تصيد بداية تاريخية الموضوع ، واذا باحداث التاريخ يمسك بعضها باهداب بعض وتتداعى امله في تسلسل وثيق الحلقات ، يمضي في بحثه سعدا ليصل الى نقطة تصلح بداية لظهور الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث ، حتى وضع يده على الغلوقة الشمية التي واجهت الحملة الفرنسية .. مارجا كتاب مصطفى كابل . وبدأ من نقطة البداية (٣٧) . وقد استغرق اعداد الجزء الاول منه ثلاث سنوات حتى صدر في يناير ١٩٢٩ ، ثم تلاه الجزء الثاني في ديسمبر . ثم استمر « مصر محمد علي » في ديسمبر ١٩٣٠ ، وعصر اسماعيل في ديسمبر ١٩٣٢ ، ثم الثورة العربية والاحتلال الانجليزي « في فبراير ١٩٣٧ ، ثم وصل الى « مصطفى كابل » في يناير ١٩٣٩ ، و « محمد فريد » في يولييه ١٩٤١ ، و « مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال » في يونيه ١٩٤٢ ، ثم أصدر « ثورة ١٩١٩ » في جزئين في ابريل ١٩٤٦ ، وتوالت الاجزاء الثلاثة من « في اعقاب الثورة » حتى انتمها في اكتوبر ١٩٥١ . ثم أصدر جزيه عن مقدمات ثورة ٢٣ يولية ومن هذه الثورة فتحت المجموعة في ١٩٥٩ .

الرافعي في الثلاثينات

في ديسمبر ١٩٣٢ ، صار الرافعي سكرتيرا للحزب الوطني خلفا لحد زكي على الذي عين هو ومصطفى الشوربجي [من قادة الحزب] مستشارين بالقضاء في عهد اسماعيل صدقي ، وكان الرافعي قد رفض التعيين معها لعله الحر في المعاشاة . وصدر اول بيان للحزب موقع عليه منه في هيناير ١٩٣٣ يتضمن معارضة محاولات صدقي التفاوض مع الانجليز ، وطالب الفداء التساوين المقيدة للحرية ، وداعيا لاحكام البناء التنظيمي للحزب بتكوين لجان فرعية له تدوم لبيادته . كما نص البيان على « لفت نظر حضرات اعضاء الحزب الوطني الى وجوب

[٢٧] مصطفى كابل باحث الحركة الوطنية . عبد الرحمن الرافعي . ص ١ - ٣

[٢٨] صحيفة الاهرام ١٥ ديسمبر ١٩٣٥ : مذكراتي . المرجع السابق ص ٨٧

[٢٩] في اعقاب الثورة . عبد الرحمن الرافعي . عبد الرحمن الرافعي ص ٢٠٠ - ٢٠١

[٣٠] مذكراتي . المرجع السابق ص ٩٠

رغم سابقة رفضه الاشتراك في حكومة سرى الاولى في ١٩٤٠ ، وكان من هؤلاء محمد محمود جلال ومحمود العمري . ورأى الرافعي في معارضتها تشددا لم يفتتن به . حتى استقالت وشكل رئيسها وزارة مستقلة أجرت الانتخابات ثم عاد الوفد .

الرافعي والتعاون

كان للحزب الوطني منذ عهد محمد فريد ، دوره الهام في ارساء اسس الحركة التعاونية في مصر وظهر اول داعية للتعاون في ١٩٠٨ عبر لطفي وكيل مدرسة الحقوق ورئيس نادي المدارس العليا واحد المقربين لمسلمي كابل . فلما توفي مصر في ١٩١١ تزعم الحركة شقيقه احمد لطفي عضو اللجنة الادارية للحزب الوطني . (٣٦)

ومن هذا الوقت بدا اهتمام الرافعي بالحركة التعاونية . وقد لاحظ الرافعي ان الحزب الوطني قبل ١٩١٩ كان اكثر اهتماما بالجانب الاقتصادي للحركة الوطنية من الوفد بعد ذلك . وفي ٢٥ ديسمبر ١٩١٢ ارسل محمد فريد الى الرافعي خطابا يأسف فيه على ما لحق نشاط الحركة الوطنية من ضعف وينصحه قائلا « اذا كان الخوف من رجال السلطة حدا بالكثيرين الى عدم اظهار احساسهم الوطني ، فما ينبغيهم من صرف همهم الى المشروعات الاقتصادية كالتنقيبات وشركات التعاون المنزلي والمالي ... فاستقلال مصر الاقتصادي مقدمة لاستقلالها السياسي » . وعمل الرافعي بالنصيحة وكتب في صحيفة « الشعب » سلسلة مقالات عن ميزان مصر الاقتصادي في سبتمبر واکتوبر ١٩١٣ كما وضع مؤلفه عن التعاون الزراعي وارسله الى فريد الذي شجعه على ذلك وشجع احمد لطفي على انصرافه الى دعم هذه الحركة ، وقال للرافعي انه يابل « ان كل النقابات [التعاونيات] التي تؤسس تنشأ حرة بحيث يسقط قانون الحكومة من نفسه وتضطر الى لتعديل » . (٣٧) وقد قسم كتابه بابين خص الاول بجارب التعاون في بلدان اوربيا ، وخص الثاني بمصر فذكر ان نظام الاستيفاء الزراعي يضع الفلاحين تحت نير الاستغلال من التجار والمرايين الجانب ، ودعوة عمر لطفي

الشيخوخ على عهد وزارة على ماهر في اكتوبر ١٩٣٩ ، ويقي به حتى ١٩٥١ . ومنذ نخل المجلس كان دائم الاشارة في كل ما يقول — سيما في تعليقه على خطابات العرش التي تفتتح بها الحكومة كل دورة من دورات البرلمان — الى فساد الاساس الذي بنيت عليه المعاهدة مادام لم يصحبها الجلاء الكامل عن مصر ووحدة وادي النيل . (٣٨) ورفض تاييد وزارة حسن صبري التي خلقت على ماهر في ١٩٤٠ . وكان يقول انه لا يتصور استقلا لا بغير جلاء ولا احتلالا بغير تبعية . وان المعاهدة ليست الا صكا بالحماية (٣٩) وعارض حكومة الوفد بعد توليها الحكم في ١٩٤٢ لان خطاب العرش الذي القاه مصطفى النحاس لم يشر الى مبدأ الجلاء ووحدة وادي النيل . وكان دائم الاشارة الى وجوب تجنب مصر ويلات الحرب العالمية الثانية التي كانت دائرة وقتها . (٤٠) واعاد المعنى ذاته في تعليقه على خطاب العرش الوفدي في السنين اللاحقة قائلا في مرة منها « نحن نعتبر الجلاء مبدأ لا مطلباً فحسب ، ونعتبره مفيدة لا وسيلة للمعارضة فحسب » . (٤١)

ومن المعروف انه كان من تقاليد الحزب الوطني ، رفض الاشتراك في الحكم مع اية وزارة لا يكون مبداءها لا مفاوضة الا بعد الجلاء . وظل الحزب اميناً على هذا التقليد ، حتى حدث ان قبل رئيس الحزب الاشتراك في حكومة الاحرار برئاسة محمد محمود في ١٩٣٧ بغير قرار من اللجنة الادارية للحزب ، وسكت الحزب على رئيسه على مضض . ثم اشترك الرئيس مرة اخرى في وزارة حسن صبري في ١٩٤٠ رغم مجاهرة لجنة الحزب في هذه المرة بتقرير عدم الاشتراك فيها قبل تشكيلها فخالف رئيس الحزب القرار ودخل الوزارة ، وحدث اقتسام بالحزب ووجدت لجنتان اداريتان — اي تبادلتان للحزب وذلك حتى نوفمبر ١٩٤٦ اذ تصالح الفريقان على مبدأ عدم الاشتراك في الوزارة اذا كان برنامجها يتعارض مع مبادئ الحزب . وكان الرافعي من المعارضين لحافظ رمضان في هذا الانقسام . ثم اشترك الرافعي في وزارة حسين سرى الانتلافية في ١٩٤٩ ووزيرا للتأمين ، ووجد من رجال الحزب من عارضه في قبول الاشتراك

[٣٦] اربعة عشر ملياً في البرلمان * عبد الرحمن الرافعي ص ١١٥

[٣٧] المرجع السابق ص ١٨١

[٣٨] المرجع السابق ص ٢٥٠

[٣٩] المرجع السابق ص ٢٥٣

[٤٠] جلسة ٥ فبراير ١٩٤٦

[٤١] تاريخ التعاون في مصر - طابق النجدي - مجلة الطليعة - صبيح ١٩٦٥

[٤٢] مذكراتي - المرجع السابق ٢٤ - ٢٦ - ٢٩

والجمعيات التي نشأت في البداية واساليب نشاطها . ثم رجع في النهاية اهتمامه الى مهاجمة مشروع تشريع التعاون الذي اعدهته الحكومة والسذي يفرض رقابة صارمة عليها في تكوينها ونشاطها . وقارن بين هذه الرقابة وما تتمتع به شركات الاستغلال الرأسمالي التي تنشأ طبقا لقانون التجارة من حرية كبيرة في نشاطها . (٣٨)

فلما تأملت ثورة ١٩١٩ ، حاول احياء نشاط الحزب الوطني في هذا الشأن بعد ضعف خلال الحرب ، وأسس مع بعض زملائه في يولييه ١٩١٩ « جمعية تعميم النقابات الزراعية » بديرية الدقهلية لنشر التعاونيات في المديرية ، واصدروا بياناً وقع عليه كثيرون منهم محمد حسين هيكل وابراهيم الطاهرى وحسن هلال . وفي بداية ١٩٢٠ دعا لانشاء جمعيات للتعاون الفئري مقاومة للغلاء وكتب عن ذلك في صحيفة الاخبار وتكلم عنها في اجتماع دعا اليه محمد أمين يوسف بدار الاوبرا لهذا الغرض . واستمرت جمعية من هذا النوع في فبراير ١٩٢٠ ثم انشئ عدد آخر في بعض المدن . على انه يظهر ان هذه الحركة لم تحظ بانتشار واسع . وقد لحقها ملاحق نشاط الحزب الوطني من انغلاق بسبب مقدراته الروابط الجهادية الواسعة .

وحدث عشية اعلان دستور ١٩٢٣ ، ان اصدرت وزارة يحيى ابراهيم الموالية للملك وللانجليز مجموعة من التشريعات المقيدة للحريات وللحركات الشعبية ، كقانون الاجتماعات العامة والمظاهرات وقانون الاحكام العرفية وقانون الانتخابات ، وذلك كتوع من محاصرة الدستور ولجم النشاط الجهادي الذي يتوقع في ظله . وكان من هذه القوانين القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ « شركات التعاون الزراعي » (٣٩) . فلما اجتمع مجلس نواب ١٩٢٤ اقترح الرافعي في ٢٥ مارس تشكيل « لجنة التعاون والشؤون الاجتماعية » ضمن لجان المجلس . وقال ان التعاون ركن هام في الحياة الاقتصادية ، وكان يسير ببطء خلال الاثنى عشر عاما الماضية بسبب عدم وجود تشريع ينظمه . وتكونت اللجنة فعلا وفيها الرافعي سكرتيرا ، وفحصت قانون ١٩٢٣ وقررت اجراء عدد من التعديلات به تنظيمها

لتمويل الحكومة لها وتحديد الجوانب الاشراف على الجمعيات التي تشكل طبقا له لا الجمعيات التي يمكن تشكيلها طبقا لاحكام القانون العام . والحق الرافعي على المجلس ان ينظر هذا القانون في دورته الجارية ، ولكن بقرار تأجيله لعدم استعداد الحكومة لمناقشته نفيًا من اجل لدورة تالية . ثم حل المجلس كما هو معروف . (٤٠) وفي عهد حكومة الائتلاف سنة ١٩٢٧ صدر قانون جديد للتعاون بمبادرة فتح الله بركات وزير الزراعة الوفدي ولم ينتج للرافعي ان يساهم فيه لاتباعه من البرلمان وقتها .

والملاحظ ان الرافعي بقي امينا للحركة التعاونية ، كمهد طول حياته للنسبة لنشاط الحزب الوطني على عهد زعيميه الاولين ، وذلك طوال حياته السياسية التالية . ولكن حدث هنا ما أحدث لنشاطه ولنشاط الحزب كله ، وهو الانقصار على النشاط البرلماني وذلك للتأثير في سياسة الحكومات المخلفة بما يدفعها الى تشجيع التعاون ، وبغير مبادرة ذاتية او شخصية في تكون التعاونيات . ومنذ ١٩٢٤ بدا الرافعي يركز على اهمية الرقابة الحكومية الفنية على جمعيات التعاون وعلى اهمية مساعدة الحكومة لها تويلا ورقابة على خلاف نزعة الانطلاق الشعبية التي كانت طلبة الحزب في هذا المجال قبل الحرب الاولى ولعل من اسباب ذلك نوال المنصر الوطني في حكم البلاد منذ ١٩١٩ ، ولكن من اسبابه ايضا افتقاد القدرة على النشاط الشعبي الواسع والاقتصار على العمل من خلال البرلمان ومؤسست الحكم . وقد اختير الرافعي عضوا بلجنة التي شكلتها وزارة علي ماهر من المعيينين بالحركة التعاونية في ١٩٣٩ لمواجهة عنايتها للطلابية بانشاء بنك للتعاون مع دعم المساعدة المالية والفنية من الحكومة لها . (٤١) ولما عاد الرافعي الى البرلمان في ١٩٣٩ ، كان سكرتيرا للجنة العمال والشؤون الاجتماعية بمجلس الشيوخ . واستمر يطالب بزيادة الاعترافات المخصصة بالائتمانية لمصلحة التعاون وتوسيع نواحي الاشراف على التعاونيات وتنظيمها ومراجعة اعمالها . (٤٢) وجعل من الحديث عن تشجيع التعاون بندا شبه ثابت في خطابه الدورية تليقا على خطبه العرس . (٤٣) ثم كان هو سكرتير لجنة الشؤون الاجتماعية والعمل التي

[٣٨] نفايات التعاون الزراعية ، عبد الرحمن الرافعي

[٣٩] تاريخ التعاون في مصر ١٠٠٠ المرجع السابق ، مسطور ٢٢ بين التصور الوحد ، طارق البشري ، مجلة الكتب مايو ١٩٦٩

[٤٠] اربعة عشر عاما ١٩٠٠ - ١٩٣٠

[٤١] ملكوتي ، المرجع السابق ص ١٠٥

[٤٢] اربعة عشر عاما ١٩٠٠ ص ١٦٥ ، ١٩٠

[٤٣] جلسة ٣ يونيو ١٩٤٢

درست مشروع التعاون الجديد في ١٩٤٤ وأقرت
أخبار عدد من التعديلات به على القانون القائم ،
مع إنشاء بنك للتعاون . (٤٤) كما ساهم في
أول مؤتمر للتعاون المنعقد في ٥ يولية ١٩٤٣
برئاسة فؤاد سراج الدين وزير الشؤون
الاجتماعية في التصورة . (٤٥)

المثالية السياسية

هذا مجل من حياة الرافعي السياسية .
ومن الطبيعي أن مقالا أو حتى كتابا لا يمكنه أن
يحيط بشمول ودقة حياة فرد تمتد سنين تطول
أو تقصر . ولا شك أن رفع أي واقع لحادث أو
بلد أو فرد ، رفعة على الورق ينطوي على قدر
يقل أو يزيد من التجريد . وثمة عقائق لابد أن تسقط
في هذه العملية . وكل محاولة للتسجيل تنطوي
على حذف وتثبيت — وهي المسجل أو لم يمسح —
وعلى قدر من الاختيار للمادة ووزن للحادث وعلى
اختيار للزاوية التي تعالج منه والمسببات التي
يحدث فيها . وكل ذلك مجرد الواقع بدرجته ما .
فحسب الكاتب فيها يكتب ، لا أن ينقل الواقع
برمته ، ولكن أن ينقل منه نماذج ذات دلالة يربو
أن تكون صائفة أجيال . وحسبه لا أن يصل إلى
الحقائق النهائية فهي غير متناهية ، ولكن أن
يدرك الطريق وهو يسلكه بأطول الاضواء
المستطاعة . فهو من « أهل الطريق » الذي
يسمى منهجا .

ويبدو أن الطريق لهذه التاريخ ، هواسكتشاف
ترابط أحداثه . وليس من هسكت يمكن فهمه أو
يكون له أي معنى بهزل من غيره ، ولا من تيار
يدرك بعيدا من غيره . فلا يبدو أنه يمكن فهم
الحياة السياسية لفرد إلا في خضم الأحداث
والتيارات العامة ، وتبيان موقعه من الصورة
العامة . وهذا وحده الخلق بأن يعطي المعنى
المبوس لدوره . وهذا ما تحاول هذه الدراسة
بالنسبة للرافعي السياسي . فلم تعزله عن
علاقات التناقض والتكافؤ ، ولكن حاولت وضعه
في قلب هذه العلاقات ، ليعود الرافعي من خلال
التاريخ الذي عاشه لا بهزل منه .

لنا الرافعي « في ذاته » ، فإن خير تليفين
له وللتيار الأساسي في حيزه ، هو وصفه
« بالمثالية السياسية » وهو الوصف الذي اختاره
لنفسه . وقد ارتبط لديه الإيمان بالبداءة بتفكير
سياسي نجله الاخلاص للوطن كبوتف وكخلق
بمحافظة الوفاء لزميمه الاولين مصطفى وفريد .

وكان الرافعي مسكتريرا للجنة الشؤون
الاجتماعية بمجلس الشيوخ عند نظر البرلمان
لاول قانون لنقابات العمال وعند نظره لقانون
عقد العمل الفردي ، في عهد وزارة الوفد وكان
مقرر اللجنة الذي قدم كلا من المشروعين الى
المجلس في ٨ أغسطس ١٩٤٣ و ٢ فبراير ١٩٤٤
ومثالهما من جلسات . كما قدم المجلس اقتراحا
يقانون في ١٢ فبراير ١٩٤٥ لحماية الملكية
الزراعية الصغرى تحديدا لقانوني سنتي ١٩١٢ ،
١٩١٣ بما ينسج العملية من عدم الحجز على
ملكية عشرة افدنة بدلا من خمسة وبما يمكن من
التسك بعدم جواز الحجز الى وقت التنفيذ بدلا
من سقوط الحق في التسك به من وقت صدور
الحكم . (٤٦) كما قدم في ١٤ ابريل ١٩٤١
اقتراحا بحد مواعيد تقديم طلبات خفض الضرائب
من سفار الملاك الزراعيين حماية لهم .

ويلحظ كثير في مناقشاته البرلمانية ، نزعة
الاستراتيجية الواضحة تجاه ما يعرض من امور تمس
مصالح الفلاحين والعمال أو « الفقراء » عامة .
وقد طالب بجلسة ٢٦ مارس ١٩٤٠ بتشجيع
الصناعات المنزلية بمساعدة لزيادة دخل الفلاحين
مع تخفيف اعباء الديون عنهم . وفي ١٧ ابريل
طالب بزيادة امتيازات الميزانية لتقوية الجيش
على أن تحصل الطبقات الغنية وحدها تكاليف
هذه الزيادة لأن الفقراء « تكفيهم الامعاء المتكفون
بها في الميزانية العادية » . (٤٧) ولذا قوله هذا
شجيجا وموجعا من عدم الارتياح لدى الشيوخ .
وصفت مسخيفة البلاغ وقع الاقتراح ورد فعله
بقولها « أحر وجه الشيخ (الرافعي) وقالبوه
بخرق الصفوف الى مكانه : قولوا اللي قولوه ،
لازم الاغنياء يتحملوا : جه دورهم » . (٤٨)
وتكلم كثيرا عن تنمية الصناعة ومحاربة الفقر .

وفي ديسمبر ١٩٤٨ قدم مشروعه عن منح
تملك الاجانب للأراضي الزراعية والمقدرات ،
ووجد ثابدا من الرأي العام ، وبالحق أن ووفق

[٤٤] أربعة عشر عاما ١٩٠٠ من ١٩٣٩
[٤٥] ملكوتي . المرجع السابق ص ١٠٨
[٤٦] أربعة عشر عاما من ١٩٣٠ - ١٩٣١
[٤٧] ، [٤٨] المرجع السابق ص ١٥٢ ، ٢٠٤

المثالي علاج السياسة ، واتخذ مواقفه . فالمثالية هي ما جعله يختار جانب المعارضة في البرلمان ١٩٢٤ كما يقول . والوفاء لحزب زعيمه الأولين هو ما تحكم فيه دائما . وكان من وجوه نشاطه في البرلمان والصحافة ، العمل على إحياء ذكرى الزعميين والمثالية بقلبة القاتل لها ونسائه الأضرحة ، والتذكير بهما في كل موقف سياسي يعرض « اعترافا بالفضل » وكان ذلك من بعض دوافعه الأولى عندما بدأ له أن يكتب التاريخ إذ حاول البداية بصطنى كابل .

وفي هذه المثالية السياسية ، ما يفسر بقاء الرافعي (وكثير من رجال حزبه) مستمسكا متشبثا بهياديه الحزب الوطني الأولى كإرسيها زعيماء بوجدان شبه سلفي يحكم في الماضي في النظر إلى مشكلات الحاضر ، ويرى في ماضي حزبه شعاع الإلهام . واختلط الوفاء بالعقيدة السياسية . على أن المثالية السياسية تعني هنا شيئا أهم . فلم يكن الرافعي ولا الحزب الوطني مثاليا بمعنى أنه يضع أهدافا منتطعة الصلة بالواقع والتطور الواقعي ، لم يكن يقيم في خياله مدينة فاضلة . وإن استهداف جلاء المحتل من مصر ووحدة وادي النيل ، لم يكن يمثل شغلا في التخيل السياسي . وإنما هي أهداف تقع في المجال المنظور من حركة التاريخ المستقبلية . إنما كان وجه المثالية يتعلق بتناقض هذا الهدف مع وسيلة تحقيقه كما سبقت الإشارة . ولم يكن « الجلاء والوحدة » هدفا مثاليا رغم بعده البعيد عنسما كان الحزب الوطني قبل الحرب الأولى يبدأ أولى خطواته مظلما الطريق الصحيح للوصول إليه بالتشغيل التعليمي الشعبي والنشاط الاقتصادي والسياسي ، وبالخطوات الأولى في طريق استكمال العنف . ثم مسار هذا الهدف مثاليا ، رغم اقتراب مصر تاريخيا من تحقيقه بعد ثورة ١٩١٩ عما كانت قبلها — بسبب استبعاد الحزب نظرا وعلا لوسائله الأولى واقتصراره على النشاط « المشروع » الذي اتخذ شكل العمل البرلماني وحده . فتحول الهدف الواقعي إلى هدف مثالي ، واستحالت النزعة السياسية العملية إلى نزعة أخلاقية تستمسك بالهدف استمسكا بالعرض وترفض المساومة عليه استسكارا لا اقتدارا ، وأتفه لا جدلا . وادى هذا أحيانا إلى أن يفقد الرافعي نهائيا ترجمته من إجراءات محددة ، يلتفت لفئة التعاطف مع سامعيه . حدث عندما اشتدت الغارات على الإسكندرية في يونيو ١٩٤١ أن طالب الرافعي بجلس الشيوخ جعل القاهرة والإسكندرية مدينتين مفتوحتين « بما

فامتزجت في صدره السياسية بالأخلاق بالمواظف . وكان اختياره لزمعيه الأولين ، لا يصدر عن أدراك عملي لقتربهما السياسية واقتناعا بواقفيهما العملية « بقدر ما يصدر عما عبر عنه بقوله « رأيت فيهما المثل العليا للوطنية الحقبة » . والوطنية عنده ليست سعيًا لتحقيق مصالح الوطن إنما هي تمسك « بحقوقه » ، وهي فوق ذلك تنطوي على مفاد أخلاقية ذاتي يضعه في المقدمة وهو الإخلاص للوطن وتغليب مصالحه العليا على مصالح الأتسكان الشخصية . (٤٩) وهو لا ينهم من الوطنية فقط إنما نضال اجتماعي ، ولكنه يستتبط منها معنى ذاتيا ، فهي نضال في سبيل المثل العليا يقتضي « توطين النفس على احتمال الأذى في سبيل حبة الوطن » . وهي من هذا الجانب تجريبية ذاتية . والمواطن الصالح هو المواطن المثالي الذي يصلح شأن نفسه فيصير قدوة لغيره ، ويصلح شأن نفسه فتكون نفسه الصالحة « لبنة في صرح النهضة الوطنية » . وإذا كان فلاسفة الاقتصاد الفردي يبدلون بقوله أن ماينفع الفرد ينفع المجموع ، فالرافعي يبدأ بالفرد أيضا ، ولكن من الجانب الذاتي الأخلاقي ، ويحصل المعنى المبادئ الواقعي إلى معنى أخلاقي مثالي ، أي يبدأ بالنفس لا بالفرد . ويصنف الناس مثاليين ونسامين وصوريين . والأمم تنهض بالصنف الأول وتتخلل بالصنف الثاني . والحريّة والاستقلال معناها الذاتي أيضا . اختار المحابواحب الصحافة ولكنه رفض قطعا التزلف ، لأن المهنتين الأولىين تكفلان الحرية والاستقلال . (٥٠) لأن حيث تأثيرها ولكن من حيث أفراد العايل فيها بنفسه ، فهي تعفيا الاتضباط والخضوع الوطني . وهذا معنى يردى قبح يضع الفرد في مواجهة المؤسسة . وينسجم مع ميله إلى تحويل الصراع السياسي في المجتمع إلى صراع أخلاقي وسلوكي داخل النفس .

بهذا المزاج الذاتي ، علاج الرافعي لاورحياته العملية . يرفض التوظيف حرصا على حرية . ويصدمه قول من ينصحه بالزواج من ذات مال فيلفظ التسيحة طعما . ويختار صاحبة بقدر لها دائما أنها لم ترغبه في أن يلحق « بركب الحياة العملية كما يصفونها » . وبهذا المزاج الأخلاقي ينشأ من تقييماته التاريخية ، فأهم ما يصف به محمد مرشد على عنوان كتابه عنه أنه « رمزاً للتضحية والإخلاص » . وكثير من هجومه على سعد زغلول وعلى سياسة الوفد ينشأ على حكم أخلاقي وعلى نظرة إلى السلوك . وبهذا المزاج

يعتبه ذلك من اجلاء وحدات البحرية البريطانية عن مياه الاسكندرية ، وذلك رغم وجود معاهدة ١٩٣٦ ورغم الوجود العسكري الانجليزي في مصر كلها ورغم حيوية هذا الوجود لبريطانيا سيما في تلك الفترة مما كان يستحيل تحقيقه بمجرد قرار تصدره الحكومة ويستطيع الانجليز اخراجها من الحكم . وفوجيء اعضاء مجلس الشيوخ بالقتراح . (٥١) اذ كلن الرافعى يستهدى فيه بذاته ويعتدنه فقط لا بالسواتع الحاصل .

لم تكن هذه المثالية السياسية ، في التقييم التاريخي طويل المدى ، لم تكن سلها محضاً . انما كان لها جانبها الايجابي . كانت تمثل موقف الرغص للتعاون والمساوية وانصاف الطول ، وتذكر دائماً بالهدف البعيد الا ينسى ، وكانت تمثل طاقة للرغص ، اذا كانت غير فاعلة ، فيكفى انها طاقة مخترنة بما دامت لا تفسل ولا ترصد في النهاية لتدبير الواضع وتثبيته . وكانت احتجاجاً على نثرات الحياة السياسية ان لم يكن نشيطاً فهو مخترن ، والتاريخ لا يصنعه فرد ولا جماعة بعينها ولا جيل واحد . وهو شركة ومشاع بين الجميع وعلى تماكب الاجيال . وعناصر اى حدث أو موقف ما ، ليس من المحتم ان تستجيب في يد واحدة ، فرداً كان أو مؤسسة . انما تتداول بالاسهام المتبادل والتوليد المتماكب لتشكل بجهد مشترك ومستمر . وليس من المحتم في التاريخ

ان يكون الرافض هو الهام والداعى هو البانى بنفسه . انما الامر يتداول ويبدأ الآخرون من حيث توقف الاول . وهى تجارب تنالى تستفيد اللاحقة من السابقة . . والموقف غير التحقق هو فعل في كمال على يد آخرين . وقد اخترن الحزب الوطنى من طاقة المعارضة الوطنية ومن موقف الرغص للمساومات . وتناول هذا الموقف منه جيل شباب الثلاثينات ليحاول الخطو به خطوة اوسع . ثم جيل شباب الاربعينات ليصنع المزيد على التعاقب . وحفظ الرافعى ومن ماثله خلاصة نقية من فكرة ان الجلاء لا يتم بالمفاوضة وحدها . روى انه عندما غزا ابرهة الكعبة بجيشه واقباله التى لا تقاوم ، ذهب اليه عبد المطلب جد النبى يطلب منه رد بعير له اخذها جنده ، ومجب ابرهة للشيخ العرب والكعبة يطلب بعيراً ولا يطلب البيت الحرام ، فقال عبد المطلب « انا رب الابل ، وللكعبة رب يحميها . » وعند مواجهة قوة لا تقاوم يردد المرء ويردد ، حتى لقد بقى عند حدود نفسه يدافع عنها الا تخذل او تقتحم ، يدافع عن ابله . ولعل الرافعى قد فعل شيئاً شبيهاً ، عندما احيط به ويمثاليته ، فحبل هدفه السياسى وعقيدته الوطنية في نفسه ودافع عنها ضنينا ، واخرج منها خمسة عشر مجلداً في تاريخ مصر ، كانت هى ابله التى حفظها .

أما مصر فلها رب يحميها . . مسيجلى في شعبها يوماً . □

● الصين الشعبية ●

الخطأ الذي وقع فيه
المراقبون السياسيون

● شميلي ●

بابلو نيرودا
شاعر وطنه الحرية



● جمهورية مصر العربية ●

رحلة وفد اللجنة المركزية
الى ايطاليا وفرنسا وبريطانيا

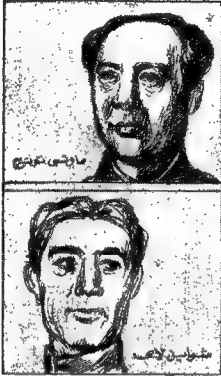
● بيرو ●

أخفق مؤتمر « الفقراء »
في توحيد صفوفهم



تقارير الشهر





تقرير خاص

الخطأ الذى وقع فيه المراقبون السياسيون

أكبر خطأ وقع فيه الملقنون السياسيون الغربيون بوجه خاص ، وإن كان تأثيرهم قد امتد إلى منطلق عديدة من العالم ، وإلى قطاعات من المثقفين الذين يدخلون في ركاب الحركات التقدمية ، هو الطابع « المحافظ » الذى أضفوه على السياسة الصينية فجأة ، وبمجرد قبول الصين عضواً في هيئة الأمم المتحدة . لذا كانت دهشتهم أو صحتهم شديدة من الطابع « الثوري المتشدد » الذى أنسم به أول بيان لرئيس وفد الصين الشعبية في الأمم المتحدة . لذلك لم يكن بمصنوعاً قط ، أن تتخلى الصين عن استراتيجيتها الثورية ، دون أى سبب أو مبرر ، إلا أن الفرصة قد أتت لها للتعبير عن هذه الاستراتيجية ، والعمل على تحقيقها ، من فوق منبر أكثر فعالية وعالمية كمنبر الأمم المتحدة .

والإعلان من زيارة الرئيس الأمريكى نيكسون للصين ، لا يلقى بحال التناقضات الاستراتيجية في المصالح الأيديولوجية والأهداف بين الصين الشعبية والولايات المتحدة الأمريكية . ذلك أن الصين قد صممت في الماضي ، وهي مصمبة الآن على طرد النفوذ الأمريكى من آسيا ، ومساعدة حركات التحرر في القارة الآسيوية على طرد الاستعمار الأمريكى لا بعيداً عن أبواب الصين بحسب ، وإنما من القارة الآسيوية والعالم بأسره .

أول بيان في الأمم المتحدة

إن ما هير عنه شيلاو كوان هوأ في أول بيان لوفد الصين في الأمم المتحدة ، يمثل الاتجاهات المعروفة من قبل للسياسة الخارجية لجمهورية

الصين الشعبية . ويلخص هذا البيان لخص تلخيص وجهات النظر الدبلوماسية التى ترفع الصين على أسسها أن تقوم بدورها في المجتمع الدولي .

الهند الصينية

وقد جاء في هذا البيان بشأن الهند الصينية ؟ « أن حكومة الصين وشعبها يؤيدان بحزم شعوب دول الهند الصينية الثلاث في حربها ضد عدوان الولايات المتحدة ، كما يؤيدان بنفس الحزم ، بيان مؤتمر القمة لشعوب الهند الصينية . ومقرحات السلام الكونة من سبع نقاط والتي تقدمتها الحكومة الثورية المؤقتة في فيتنام الجنوبية . ويحجب على الحكومة الأمريكية أن تسحب كل قواتها المسلحة ، والقوات المسلحة أن يتبعها فوراً وبدون قيد أو شرط من دول الهند الصينية الثلاث ، حتى يمكن لهذه الشعوب أن تحل مشكلاتها الخاصة بنفسها ، وبدون أى تدخل أجنبي . وهذا هو مفتاح تخفيف حدة التوتر في الشرق الأقصى » وبالتسبة لكوريا جاء في البيان « أن حكومة الصين وشعبها يؤيدان البرنامج المكون من ثبات نقاط بشأن توحيد الوطن الكورى

المساعدات الصينية

ونعيا يتعلق بالمساعدات الصينية جاء في أول بيان لجمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة « انه إن واجبا الطبيعي أن تساعد شعوب الدول المختلفة في كملها الشرعي » لقد ساعدنا بعض الدول الصديقة على تنمية اقتصادياتها القومية بطريقة مستقلة ، وعندما تقدم مساعدتنا ، فإننا نحترم دائما وبشدة ، سيادة الدول المستفيدة ، ولا نحدد أي شرط ، ولا نطالب بأية امتيازات ، إننا نقدم مساعدات عسكرية بدون مقابل لدول وشعوب تناضل ضد العدوان . وإن نسمح أبدا تجار أسلحة وفخيرة . ولكن نظرا لأن اقتصاد الصين لا يزال متأخرا نسبيا ، فإن المساعدات المادية التي نقدمها محدودة جدا . الذي نستطيع أن نقدمه بصفة خاصة هو التأييد السياسي والمعنوي .

موقف اليابان المقبل

وليس ثمة شك أيضا في أن وضع الصين في العالم وفي الشرق الأقصى يوجه خاص سيزداد قدرا وقيمة بوجهها في مجلس الأمن الذي لم تمثل فيه الدولة الأخرى ذات القدرات الاقتصادية في الشرق الأقصى إلا وهي اليابان حتى الآن : لا أنه من المحتمل أن اليابان يوجه خاص ستصرف في الفترة المقبلة إلى إصلاح علاقاتها مع الصين ، لأنه سوف يحدو من المسير على دول مثل اليابان وأستراليا ونيوزيلندا التثبيت بوجه أن تسيبها وليست بكنين هي قاعدة الحكومة الحقيقية التي تبطل الشعب الصيني . وفي الواقع فإن أيزاكو ساتو الذي أيد بكل نقله القرار الأمريكي من أجل بقاء موروزوا في الأمم المتحدة لا يتعرض لضغط من جانب الرأي العام الياباني وحسب ، بل وأيضا من جانب جزء كبير من الحزب الليبرالي الديمقراطي المحافظ ، ولذا فمن المحتمل أن يكون لحد الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية اليابانية في الفترة المقبلة من التقارب مع الصين الشعبية ، خاصة وقد صرح شواين لاي رئيس وزراء الصين الشعبية ليهو جونغ رئيس تحرير صحيفة « أساهي » اليابانية بأنه « يؤيد اليابان في مطالبتها الاتحاد السوفيتي برد جزر كوريل الجنوبية - كينا شيري وايتونو وهابوماي وشيكوتان إلى اليابان » . وعلى أية حال فإن الحقيقة التي لا ينبغي أن تنسى برغم ذلك هي أن الولايات المتحدة ، والاحتكارات الرأسمالية الكبرى في اليابان ، لن تدخر جهدها في سبيل إعادة بعث العسكرية اليابانية ومن أجل تقدم اليابان في كافة مجالات التسليح التقليدي

الذي قدمته جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية في شهر أبريل الماضي .

الشرق الأوسط

ونعيا يتعلق بالشرق الأوسط ، أشار البيان إلى أن « جوهر مسألة الشرق الأوسط يتمثل في العدوان على الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الأخرى من جانب الصهيونية الإسرائيلية وبمساعدة وناظر الدول الكبرى - وأن حكومة وشعب الصين ، يستندان بحزم الشعب الفلسطيني . والتشعوب العربية الأخرى في نضالها العادل ضد العدوان . ويعريان عن يقينها بأن الفلسطينيين البواسل والشعوب العربية الأخرى تستطيع بمواصل الكفاح والحفاظ على الوحدة استعادة أراضيها المفقودة بالتأكيد ، وإعادة الحقوق القومية للشعب فلسطين إليه ، وليس من حق أحد أن يحاول عقد صفقات سياسية من وراء ظهر الفلسطينيين وغيرهم من العرب ، بهدف التقليل من حقهم في الحياة ومن مصالحهم القومية » .

مشكلة التخلف

وبالنسبة لقضية التخلف ، جاء في البيان : « أن تخلف دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية هو نتيجة للتهب الذي تقوم به الإمبريالية ، وأن الاعتراض على هذا النهب ، والحفاظ على الموارد القومية هما من حقوق السيادة لكل دولة مستقلة ولا يمكن المساس به . وأن الصين مازالت من الناحية الاقتصادية دولة متخلفة وفي طريقها إلى التنمية في نفس الوقت ، كما أنها تنتمي إلى العالم مثلها مثل معظم دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية » ، وأن حكومة وشعب الصين ، يستندان ككاح الدول المنتجة للبترول في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من أجل الدفاع عن حقوقها القومية ومقاومة النهب الاقتصادي » .

نزع السلاح

وأشار بيان الصين إلى أن الأسلحة النووية الصينية مازالت في دور التجريب ، ولا تنتج الصين أسلحة نووية إلا من أجل الدفاع عن نفسها ، وكسر الاحتكار النووي توصلا إلى القضاء نهائيا على الأسلحة النووية والحرب النووية . كما أعلن « أن الصين لن تشارك إطلاقا في المحادثات المزعومة لنزع السلاح بين الدول النووية الكبرى من وراء ظهر الدول غير النووية »

وحتى النووى لتستطيع الوقوف كقوة متقلبة ٢ للقوة العسكرية الصينية ، وكقوة تعميل لجيوش الصين فى آسيا اذا ما نشب صراع دولى علم .

تقدم الصين و « الإنكماش » الامريكى وتيسار « العزلة »

وفينا يتعلق ، بالعلاقات الصينية الامريكية فانه وان كان طرد فورموزا من الامم المتحدة هزيمة للسياسة الامريكية ، الا انه يساعد بشكل غير مباشر على تطور العلاقات الصينية الامريكية، لان رحيل فورموزا من الامم المتحدة يعنى ان عدد المشكلات التى ينفى على الولايات المتحدة والصين مناقشتها قد نقص واحدة ، ويستتبع هذا ازدياد الفرصة للانصراف الى المشكلات ذات الاهمية الكبرى الاخرى .

الا ان هذا لا يعنى ان الولايات المتحدة قد تخلت نهائيا عن فورموزا وهذا ما اكثت تصريحات كبار المسؤولين الامريكيين ومنهم وزير الخارجية بعد قرار ضم الصين ، والتى اكثت فيها تمسك الولايات المتحدة بكل التزاماتها وروابطها تجاه فورموزا ، لانه لا يمكن فى الحقيقة لرئيس امريكى ان يكون قادرا على تراجع سريع فى مسألة تايوان دون ان يفضى على الثقة بالسياسة الامريكية فى كل مكان آخر فى اسيا .

وعلى أية حال فان نجاح الصين فى دخول الامم المتحدة اثنا يعد تعبيرا من التراجع فى مركز الولايات المتحدة الدولى من الآن فصاعدا . خاصة وانه بدأت تهب من الولايات المتحدة فى الآونة الأخيرة . رياح تمثل الرغبة فى اخلاء الطرف والانسحاب ، مساعدا عليها بوادر « الدبلوماسية الواقعية » التى بدأ نيكسون فى اتباعها بدرجة ما فى الشؤون الخارجية ، وكذلك السياسة العامة التى يتبعها نيكسون الذى يعبى من التيار المحافظ للجمهوريين بها له من جذور قوية فى المجتمع الامريكى من اجهزة اخرى ، ويسكن القول بدرجة ما ان الامريكيين بدأوا بشكل اكثر اتقادا من ذى قبل فى اعادة النظر فى المشاركة الاوروبية الامريكية التى قام عليها اساسا لمن القارة الاوروبية لما يزيد من مشرين علما ، خاصة وان الدول الاوروبية تبيل فى اغلب الاحوال الى عدم الالتزام بدفع نفقات دفاعها ، والقائها اساسا على ملتقى الحلفاء الامريكيين .

وقد ساعد على ذلك دون اثنى شك ، التصويت بشأن فورموزا فى الامم المتحدة ، والذى شعرت فيه واشنطن بعزلتها والتخلي عنها تقريبا من جانب اوروبا بأكملها ، والذى كان سببا فى رفض مجلس الشيوخ الامريكى للقانون الخاص بالمساعدات الخارجية ، صحيح ان

الولايات المتحدة تراجعت عن ذلك فيها بعد ، الا ان ذلك يعكس على لية حال رغبة ما داخل الولايات المتحدة فى سحب الجذاف من القارب الدولى بعد ان بدأ يسير عكس التيار الامريكى . لقد انتهى عهد مشروع مارشال « وذلك ما يقال فى امريكا الآن ، وتدعو تيارات اليمين المحافظ الى العزلة برفضها تقديم المساعدات العسكرية والاتصالية الى الدول الطليقة وقدرها ١٤٣ مليار دولار ، لان مصلحة « الامة الامريكية » قد علانت لتتفوق على مصلحة « الاتحاد الدولى » التى هرزت « دون جدوى » منذ ايام ويلسون وروزفلت .

كذلك يعكس هذا الاتجاه بدرجة اثل اهمية ، اتسار الدعوة الى خفض الاسهام الامريكى المالى فى الامم المتحدة « كرد على نتيجة الاقتراع » بقول الصين .

مؤامرة فورموزا المستقلة

وبالنسبة لوشروع تايوان اوضحت صحيفة الشعب الصينية اخيرا فى مقالها الذى نشرته بشأن بدء العلاقات الدبلوماسية مع بلجيكا « انه اذا كانت المحاولات الامريكية لخلق دولتين للصين قد تلتفت صفة قاسية ، الا ان ردود الفعل الامريكية واليابانية لا تثبت خط هزيمتهم ، ولكنها تؤكد انهم سوف يواصلون مشروعاتهم الاجرامية ومن بينها ، مشروع خلق دولة فورموزا المستقلة ، ذلك ان الامريكيين واليابانيين سيجاولان القيام بعملية التقلب سياسية من اجل طرح مبدأ استقلال تايوان تمهيدا لادخالها مرة اخرى الى الامم المتحدة ، كدولة مستقلة لا ملانة تربطها بالصين الامم ويقض النظر من الحقائق المؤكدة الصارخة التى تثبت تبعية تايوان للصين ، وقد اكثت الصين انها تعارض بحزم كافة المحاولات التى يقوم بها الاستعماريون الامريكيون واليابانيون لى يخلقوا من فورموزا دولة مستقلة .

وعلى أية حال فهناك مشكلتان تواجهان حكم كاي شيك فى فورموزا وبخاصة بعد نجاح الصين فى دخول الامم المتحدة ، الاولى هى التهديد الصينى لفرض القاطعة الاقتصادية على فورموزا بعد ان اعلن شواين لاي لرجال الاعمال اليابانيين المتلهفين على السوق الصينية ، ان الصين ستقاطع أى شركات يابانية تتعامل مع تايوان ، يزيد من خطورة هذا السلاح ان فورموزا نجحت فى الآونة الأخيرة فى زيادة صادراتها بشكل ملحوس الامر الذى يجعلها مكتشوفة تماما للمقاطعة التجارية ، ولكن هذا السلاح لن يكون له تاثير الا اذا نجحت الصين الشعبية فى تجميع كل شركاتها الدبلوماسيين فى مقاطعة اقتصادية فعالة لفورموزا .

الذي يتجنب فيه المفاوضات الحقيقية في باريس ومع ذلك فقد بدأ يتحدث في الوقت نفسه عن « جذب جمهورية الصين الشعبية إلى حلفاء » مع المجتمع الدولي » وعن « مساهمة هذه الدولة التي تضم أكثر من ٧٠٠ مليون نسمة » . وعُتبت صحيفة « فينتام كورييه » على ذلك بقولها « ان نيكسون ليست لديه النية لإنهاء سياسة العدوان ، وبدلاً من ذلك فله بتخذ إجراءات اقتصادية ، ويقوم بمشاورات دبلوماسية ويتجنب الرد على مقترحات الحكومة التورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية في مؤتمر باريس ويحاول دون خجل مساعدة تجوين فان ثيو بغرض استمرار الحرب » .

ومن المعروف ان شواي لان كان قد أكد من قبل للزوار الأجانب في الصين ان المطالبة بالانسحاب التام للقوات الأمريكية من الهند الصينية ، تبقى في السكان الأول من قائمة الأولويات لدى الصين « الا ان الفيتناميين الشماليين يضيفون على ذلك حسبما أكدوا في بيان قصير صدر في هاتوي عن نتائج زيارة الوفد الكوري الشمالي » ان الانسحاب ليس سوى أحد مشكلتين رئيسيتين ، وان المشكلة الأخرى هي انه لابد ان تسحب الولايات المتحدة تاييدها ومساندتها لنظام حكم الرئيس فيو لكي تفتح الطريق لتنام نظام جدي يكون على استعداد لاجراء حوار جدي مع الحكومة التورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية .

وليس ثمة شك ان هنالك علاقات حميمة خاصة تربط الصينيين بالكوريين والفيتناميين الذين يشكلون بما جبهة الاشتراكية في آسيا . ويتخذون جميعاً مواقع الهجوم على مراكز الامبريالية في الشرق الاقصى وآسيا عامة كما وان مجتمعاتهم لا تقف موقفاً دفاعياً ازاء الهجمات السياسية والايدولوجية للامبريالية وعللناها في القارة الاسيوية ، وانما هي التي تتخذ الموقف الهجومي . والحقيقة ان الصينيين يشاركون الكوريين والشماليين القلق من التهديد الناجم عن احياء العسكرية اليابانية وعن دعم نظام العدوان العسكري في كوريا الجنوبية وقد وقعت بيونج يانج اخيراً مع بكين : اتفاقية للمساعدات العسكرية التي يقدمها الصينيون « دون فوائد » .

وكان كيم ايل سونج رئيس وزراء كوريا الشمالية قد تحدث في اوائل اغسطس الماضي عن زيارة نيكسون للصين الشعبية بتأييد ظاهر وقال ان نيكسون سوف يأتي الى بكين « رافعا علماً ابيض » ، ولدى الصينيين وفرة من التجربة في تنفيذ التعامل مع العدو عن طريق المفاوضات ممثلاً عن طريق التمثال . وكان كيم ايل سونج يقول في الواقع ، انه ينبغي التمثيل بـنيكسون

هل يقره اهل تايوان ؟

وتتمثل المشكلة الثانية التي تواجه حكم كاي شيك في فورموزا في احتمال تحرك السكان الاسييين في تايوان ضد « حكومة المهاجرين » من الصين الأم التي فرضها كاي شيك على شعب الجزيرة والتي تحتكر جميع المناصب العليا منها ذلك ان فقدان هذه الحكومة لركيزها الدولي قد يشجع اهل تايوان على التصدي لنظام الحكم البوليسي الارهابي الذي فرضه كاي شيك عليهم لضرب ماسي بشعورهم الانفصالي . خاصة وان معظم الالاف العديدة من المسجونين السياسيين في الجزيرة هم من اهل تايوان المتمردين على حكم كاي شيك ، واذا كان التمرد العنيف هو الاسلوب التقليدي للمقاومة في هذه الجزيرة طيلة حكم « آل مانتشو » الذي استمر لأكثر من ٢٥٠ عاماً ، واذا كانت حركات التمرد قد استمرت خلال العقد الأول من الحكم الياباني للجزيرة ، كما بقيت آلاف كثيرة من اهل تايوان مصرعهم في التمرد على حكم كاي شيك سنة ١٩٤٧ فان احتمال مقاومة اهل تايوان لهذا الحكم اليوم بعد ضعف مركزه الدولي انما هو احتمال أكثر رجحاناً من ذي قبل ، وهناك انقسام خطير داخل القيادة العسكرية في فورموزا الان بصدد السياسة في المستقبل او خالصة شيانج كاي شيك الذي بلغ الرابعة والثلاثين من العمر ، لذا من المتوقع ان يكون هذا الانقسام مدعاة لتمرد يقوم به فريق له وزنه من الجنود التايوانيين الذين يؤمنون ما يزيد على ٨٠٪ من صفوف المجندين في الجيش وحوالى ٢٠٪ من الضباط على مستوى السرية ، ومع ذلك فان المتوقع لدى عدد كبير من المراقبين هو ان اى انتفاضة مقبلة في فورموزا ، ستكون على الأرجح في نطاق النظام السياسي الراهن ، وغد القبح البوليسي وعدم المساواة في الضرائب ، والفرقة الاجتماعية كقطة بدء اولا وقبل كل شيء .

اتفاقان صيني كوري وكوري - فيتنامي شمالي :

هذا وقد قيل انتصار الصين في الامم المتحدة بترحيب حار من جانب جيرانها في هانوي وبيونج يانج اللتين مازلتا مستبعدتين من الامم المتحدة ، وتؤكد الزيارة التي قام بها في الاسبوع الماضي وفد كوري على مستوى غالي ، لفيتنام الشمالية ، وحدة المصالح التي تجمع بين البلدين باعتبارهما دولتين سوفييتيتين ، ثورتين ثورييتين من الصين . وتلت صحيفة « نهان دان » النيقلمية في الاسبوع الاول من نوفمبر الماضي « ان نيكسون يتحدث من السلام في الوقت

السوفيتي بعيدة النظر ؟ وأيضاً سياسة تلك الدول التي تحترم دائماً بمبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة .

وعلى أية حال ، فإن الذين ينظرون إلى معسكر الاشتراكية العالية كوحدة ، وبغض النظر عن الخلاف الصيني - السوفيتي ، أنها يبتعدون لدخول الصين الأمم المتحدة لأنه يعنى برفع كل شيء ، أنه من الآن فصاعداً ، ستعبر عن مصالح الاشتراكية العالمية ، وحركات التحرر الوطني ومقاومة الإمبريالية دولتان من الدول العظمى ، وأنا انتقلنا بالنسبة للمعسكر الاشتراكي العالمي ، من عهد الدولة الاشتراكية العظمى الواحدة إلى عهد الدولتين الاشتراكيتين الأعظم .

قطب جذب للدول النامية

وليس ثمة شك في أن الصين سوف تلعب دوراً كبيراً داخل الأمم المتحدة ، وبخاصة في تجميع الدول النامية والعديد من دول العالم الأخرى خلف مواقفها ، لا بسبب قدرة الصين على أن تنفهم بشكل أكبر مشاكل العالم الثالث التالى الذى تنتمى إليه وإنما من ناحية طبيعة المواقف الصينية السياسية نفسها . فليس من شك أيضاً أن موقف الصين من قضية نزع السلاح النووى على سبيل المثال سيجد في نهاية الأمر استجابة واسعة في كافة الدول الصغيرة المتوسطة ، لأنه يشهد في إطار العمل من أجل نزع السلاح النووى عالمياً ، ويتيح لهمها الفرصة للمشاركة في تلك القضية الحيوية بالنسبة لمستقبل السلام العالمى وقد أوضحت الصين وجهة نظرها بالنسبة لهذه المشكلة في أحد التصريحات الحكومية التى أصدرتها من قبل على النحو التالى « لا بد وأن يكون لكل دول العالم التى تزيد على مائة دولة ، سواء كانت كبيرة أو صغيرة ، سواء مسلحة بأسلحة نووية أو غير مسلحة ، لا بد أن يكون لها حق الاشتراك في الحوار ، فكيف إذن تستطيع الدول الخمس التى تمتلك أسلحة نووية [والصين نفسها منها] أن تسلب حق أكثر من مائة دولة في الاشتراك في المحادثات ، وكيف تحسم الأمر بشأن هذه المشكلة الجوهريّة التى تتعلق بمصير البشرية » .

وبشأن ذلك يعتقد العديد من المراقبين السياسيين أن الصين سوف تؤيد دول غرب أوروبا في كافة النقاط التى تتعارض من مصالحها القومية ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنها قد تستطيع في المستقبل تشكيل مجموعة ضغط قوية من طريق تركيزها على مبدأ الاستقلال الذى يجذب الكثير من الدول إلى صفوفه . كما يمتدحون بأنها سوف تعمل في المستقبل على ضرورة إعادة النظر في ميثاق الأمم المتحدة بهدف

على أنه هو الذى يحتاج إلنا ؟ على أن كوريا الشمالية شأنها شأن غيتام الشمالية ، استغلت مناسبة انتصار الصين في الأمم المتحدة لتذكير شعبها بأن نيكسون خصم خطير للغاية ، وقالت الصحيفة الناطقة باسم حزب العمل الكورى في مقال افتتاحي بمناسبة انتصار الصين : « أن الإمبرياليين الأمريكيين لديهم مشروعات ومخططات شريرة جديدة ، في الهند الصينية ، وهم يلجأون إلى كل وسيلة ممكنة لتجنب الانسحاب من آسيا عن طريق حبل غصن زيتون في يد وحرية في اليد الأخرى . وفي الوقت نفسه أكدت كوريا الشمالية الحاجة إلى « الوحدة » وإلى تعاون أفضل بين الصين وفيتنام الشمالية وكوريا الشمالية في هذه المرحلة الهامة . وقالت صحيفة الحزب أخيراً « أن الوقت في آسيا يتطلب من شعوب الدول الثورية جميعاً أن تتحد بطريقة أوثق وأكثر حسماً » .

وكذلك على على الوحدة ، وصل إلى هاتوى قبل الاقتراع على ضم الصين إلى الأمم المتحدة يومين ، وفد كورى شمالي على مستوى عال برئاسة باك سونغ شول نائب رئيس الوزراء وعضوية نائب وزير الدفاع وتحدث الكوريون بقوة من ضرورة التأييد « الأممي البروليتارى » للفييتامين ووقعوا اتفاقيات جديدة بشأن المعونات العسكرية والاقتصادية الكورية الشمالية لفييتنام [وكلاهما بدون غواند أيضاً] .

عهد الدولتين الاشتراكيتين الأعظم

وفيما يتعلق ، بالعلاقات مع الاتحاد السوفيتي أعربت الصين في الرسالة التى بعثت بها إلى الاتحاد السوفيتي بمناسبة الاحتفال بذكرى ثورة أكتوبر ، من رغبتها في إعادة العلاقات إلى طبيعتها مع الاتحاد السوفيتي ، وأشارت الصين في الرسالة بأهمية ثورة أكتوبر ، وتعاليم لينين وقالت : « أن الحكومة الصينية ترى دائماً أنه لا يجب أن تؤثر الخلافات التى بدأت بين الصين والاتحاد السوفيتي على علاقاتهما الدولية . وأنه من الأفضل بالنسبة لشعبينا ومصالحه السلام أجمع ، أن نحل المشكلات الهامة القائمة في العلاقات بين دولتنا ، وأن نقسام بل وتتطور العلاقات الطبيعية بين الصين والاتحاد السوفيتي على أساس المبادئ الخمسة الأساسية للتعايش السلمي » . هذا في حين أعلنت صحيفة يرافدا السوفيتية من ناحيتها ، أنه بغض النظر عن وضع العلاقات بالنسبة للقيادة الصينية ، فقد كان رأى الاتحاد السوفيتي دائماً ، أن الشعب السوفيتي لا بد وأن يمثل في الأمم المتحدة ، واتضح مرة أخرى كيف كلفت ومالّت سياسة الاتحاد

تقارير الشهر

الى النهاية المشؤمة التي وصل اليها في الماضي كل الذين حاولوا السير في طريق الانقسام ونكرت بهذا الصدد ليس فقط اسم الرئيس السابق ليو شاو شي وانما ايضا شاتنج كوو ناو الذي عمل على التفريق بين الجيش الأحمر والحزب ، وبينج قى هواي وزير الدفاع السابق . واضافت الصحيفة « ان التجربة التاريخية تثبت انه من اجل تطبيق هذا الخط السياسي الخاطيء مارس تادة الحزب ، في كل مناسبة ، التشريع التتظيمي ، وذلك بان حاولوا ان يكسبوا الى جانبهم جزءا من الناس وابعاد جزء آخر وان يكونوا مثالا لمتحالفوا في مصابة صغيرة » وطلب المثال من اعضاء الحزب « ان يحدوا اتحادا وثيقا حول اللجنة المركزية التي يرأسها الرئيس ماو ، وان يواصلوا الكفاح داخل الحزب وأن يحققوا انتصارات اكبر » . وقالت مجلة العلم الأحمر في ختام مقالها : « ان البروليتاريا هي اعظم الطبقات اذ هي التي تقع على عاتقها مهمة تحرير الانسانية . وهي اكثر الطبقات وعيا وأكثرها تواضعا وأكثرها ثورية » وأوصحت « ان الرخاء والديناميكية يسودان الصين اليوم بفعل القيادة الواعية للحزب الشيوعي الصيني برئاسة الرئيس ماو ، وجيش التحرير الشعبي الذي يمد الدعاية الصلبة لديمقراطية ثورية البروليتاريا » .

خيري عزيز



هو باختصار شاعر وطنه الحرية . وهب شعره للثورة والانسان في كل مكان . واضاء كلماته في قتال الناضلين من اجل الحرية

اقرار المساواة بين جميع الدول بتقن النظر عن لاجلها .

المؤامرات الاجرامية للقياديين الذين تحركهم « الشللية »

واذا كان يمكن في النهاية ، أن تقال كلمة عن طبيعة النشاط الذي يجري داخل الحزب الشيوعي الصيني ، نحب ان نلت نظر هنا الى ان مجلة « العلم الأحمر » الشهيرة الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني قد ادانت في عددها الأخير المؤامرات الاجرامية التي يحكيها داخل الحزب بعض القياديين الذين تحركهم روح « الشللية » فكانوا مجبوعات صغيرة » وقد اكدت المجلة « انه لا بد من تصفية كل بقاء الشللية داخل الحزب ، لان التجربة اوضحت ان هذه الشلل تكون غالبا مستترا لأنشطة التآمر التي تهدف الى اغتصاب السلطة السياسية ، ومعارضة الحزب الشيوعي ، واذا لم نتخلص من اتجاهات الشللية ، فسنصل الى موقف لا يمكن معالجته . وانه من الضروري للغاية عدم اتخاذ « موقف ليبرالي »زاء هذا الاتجاه .

وأوصحت مجلة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني « أن تكتب اللعبة المزدوجة يعد من أكثر الأمور التي تجلب العار . وأشار

تقرير خاص

■ شيلي

بابلونيرودا . . شاعر وطنه الحرية

لم يكن غريبا ان يفوز بابلونيرودا بجائزة نوبل هذا العام ، لان اسمه مرشح للفوز بهذه الجائزة منذ أكثر من عشر سنوات . . فبند ان فاز مكان جون بيرس بالجائزة عام ١٩٦١ والاسموات تتسائل كل عام عن اسباب حجب الجائزة عن نيرودا . لكن نيرودا يفوز بالجائزة هذا العام ،

فمن هو بابلونيرودا ؟

غابات الصنوبر عاش نيرودا طفولة مرة مزتها
الحرمان . إذ ماتت أمه وهو ما يزال صغيراً .
وكان أبوه كثير الترحال بحكم عمله كهنسمنس
للسكك الحديدية . ولم يكن أمام بابلو مسوى
الشوارع والغابات والنبع ، بمنصبا بكل ما في
أعمله من شراعة وانفعال . يشرب تفاصيل
الوديان البرية الجبال ويحبها الى جزء من
ذاته . . من تكوينه الشرى .

وقد عاش نيرودا فى هذه المدينة الصغيرة
أعوامها الستة عشر الأولى ، وقد كان جمال
الوديان والغابات والجبال الكنسية بذوايتها
البيضاء حراً بأن يوقد فى نفس نيرودا الصبى
الاحساس الرومانسية المشبوبة . لكن
الترحال الدائم بين الحينة ومخيمات عمال السكك
الحديدية والطفولة المنيعة بالحرمان من حنان
الأم والفقير معا . ومعايشة متاعب عمال السكك
الحديدية وصبراتهم . صاغت مع هذه الطبيعة
الساحرة هذا المزيج الغريب الدهش الذى تجر
به شعره مع سنوات الشباب المبكرة ، وقرنه
تنوجه المبكر هذا برابجو ، الشاعر الفرنسى
الذى تعلق بين الخامسة عشرة والعشرين من
عمره من عبقرية شعرية تركت بصائرها بوضوح
على الشعر الفرنسى من بعده . وإن كان موقف
كل منهما يختلف جدياً عن موقف قرينه .

ويعد أن أتم نيرودا دراسته الثانوية بنويكو
انتقل عام ١٩٢٠ الى مسلتانجو ليلتحق
بالجامعة . . وهناك أخذ يعب بنهم من كل
معطيات الثقافة والفكر العالى . . بقراً لبنا
وتاريخاً وفلسفة وعلماً ، ويلتص من التواريخ
الحقيقية للملاح أجداده الهنود البلهانسون والمابيش
فى صدهم لجحافل الغزاة من مكسيكيين وإيربيين
واسبان . وفى اقتدارهم الرائع على الاحتفاظ
بمسلتهم القومية برغم قرون وقرن من الغزو
والاجتياح . . لأخذ يقرأ بنهم رهيب للعبارة ،
دون أن يفقد حسن الدهشة أو يفير من طبيعة
نظريته البدائية للأشياء . تلك النظرة الطفولة
العنية التى امتصت كل آلام الأرض الشسيلية
واحتوت بين جنباتها تاريخها وآلامها وصوباتها ،
والتي جعلت نيرودا يصق معنى هذه الأرض
ولسان حالها .

وفى خلال سنوات الدراسة الجامعية انهم
الشعر العبرى تغلغياً ، ليشر فى صلاته بظهور
ذلك الذى انتظره الأرض الشيلية أعواماً طويلاً
ليعب بحق عن روحها ووجودها . . فكان ديوانه
الأول (مشرون قصيدة حب واغنية بائسة) غناء
متوقدا حاراً بحب الشعب الشيلى والأرض
الشيلية ، بصحورها وغاباتها وجبالها ومنابع
ملحها الشهيرة .

والنقد فى كل بقاع العالم . ووقف بشرف الى
جانب قضايا الشعوب . . فى الصين واسبانيا
وأمرىكا اللاتينية . واستبد لمادة شعره من الحياة
اليومية ومن معرفته الحميمة بحياة ملايين
البسطاء من الفلاحين والصيادين وعمال المناجم .
ومن حبه الضامر لأرض شيلى ولجبالها الكنسية
ولنهرا العنب « بوبيو » . ومن سفره الدائم
فى العالم ، ومن ولعه بكل العلاقات الإنسانية
البسيطة التى استطاع أن يهبها من طاقته الفنية
ما خرج بها من محدودية التجربة الفردية الى
أفاق شمولية واسعة . مبراً بذلك عن توق
الإنسان الى الانتماء من كل القيود التى تعوق
انطلاقته وحيته . ومحتضناً رؤية الشعب
للواقع ، ليس فى شكلها الساكن المسيح بأسوار
الحضائر الراهن ولكن فى طورها الشورى
المستمر . ولذلك تمكن شعره من أن يكون طلاقة
نور يطل من خلالها انسان أمريكا اللاتينية على
العالم . فقد حمل نيرودا انسان قارته فى وجدانه
وطاف به العالم ليقيم له قضيتة وقضية الإنسان
المهمور فى كل مكان . إذ استطاع نيرودا وهو
يفتح حواسنا ومقلنا على قضايا شيلى ورؤى
انسان أمريكا اللاتينية أن يزيدنا بصيرة بالانسان
وخيره به فى كل مكان . وأن يرهف احساننا
باتفلسنا وبقضايانا . وأن يمنحنا الرؤية ويعمق
فهمنا وأدراكنا لجزيئات هذا العالم البالغ التعقيد .
ولذلك فإن شعر نيرودا ظل يقرأ بنفس النعمة
والعنفوة فى أغلب بقاع الأرض . وظل يترجم
الى معظم لغاتها ، فما يبر عام الأوتظهر ترجمة
جديدة لمجموعة من الشعراء ، أو طبعة جديدة
لترجمة قديمة منها . وقد ترجمت له الى اللغة
العربية ومنذ خمسة عشر عاماً أكثر من مجموعة
شعرية ، عدا القصائد المترجمة التى نشرت فى
مختلف المجالات . فقد ترجم له أحمد سويد عام
١٩٥٥ مجموعة كبيرة من القصائد ظهرت بعنوان
(مختارات من بابلو نيرودا) وترجم له ميشال
سليمان مطابع من ملحمة الكبيرة (رياح آسيا)
عام ١٩٥٧ . وترجم له عبد الوهاب البياتى عدداً
من القصائد فى المجموعة الشعرية (رسالة الى
ناظم حكمت) فى نفس العام .

وحياة نيرودا — كالأساطير — بسيطة
وساحرة . . ففى عام ١٩٠٢ ولد بابلو نقتالى
ريز نيرودا فى إحدى خيام عمال السكك الحديدية
التي تناثرت على طول الأرض الشيلية فى تلك
الفترة . وفى عام ١٩٠٤ وفدت أسرته على مدينة
صغيرة تدعى (نوميكو) بسلطنة كوتان فى
شيلى ، واستقرت الأسرة الصغيرة فى هذه
المدينة التى شربت طفولة نيرودا كل تعلق الحياة
فهما . وفى هذه المدينة الصغيرة التى تقع وسط

شجرة الشعب وكل الشعوب شجرة الحرية ، شجرة الفضل

وفي عام ١٩٣٩ عاد نيرودا الى بلاده بعد طول طوافه بأوروبا ، عاد ليحارب في وطنه عن نفس القضية التي حارب عنها في اسبانيا . قضية الحرية . بالشعر وبالكفاح معا . وفي عام ١٩٤٢ توج جهاده بملحمته الشعرية العظيمة (التشيد الشابل) . تلك الملحة التي تيرى بعض النقاد انها اعظم عمل شعري في هذا العصر . والتي يقول عنها جان مرسيناك « ان كل شعر امريكا اللاتينية السابق على هذه الملحة كان ارحاسا بولدها . وجاء نيرودا ، لتولد على يديه اغزر منابع الشعر البقريه واكثرها تكلبا للروح القومية » . وفي نفس عام صدور هذه الملحة العظيمة اختبئ نيرودا مضموا بجلس الشيوخ الشبلى . غير ان الفاشية دفعت في نفس العام الى قمة المجلس بفرانكو تحت اسم جديد . كان اسمه « جوزيس فينولا » وحاول فينولا ان يوقع نيرودا ، وامر ببرابته نهيدا للقبض عليه . لكن نيرودا اخفى في ربوع شبلى التي عشقها حتى تمكن من مغادرة البلاد . لحمل لوراته الى باريس .

ومن هناك انطلقت صرخاته من جديد ضد اعداء الحرية . وفي عام ١٩٤٥ سحر في الأرجنتين ديوانه القنبلة (اغان بدائية) . ذلك الديوان المكتوب بمسبر ومعالجة نادرين والسذي تجلت فيه كافة ابعاد رؤية نيرودا الشعرية للواقع الانساني جملة ، للطبيعة والحياة . واخذ ينفخ للبحر وللخيز ولصخون بلاده وبروجها ، بكل ما في تلك البلاد . بلاد اليؤس والشقاء القارس البرودة والرياح . ينفخ للحياة . ينفخ لها بشعر يجمع بين الغنائية والعقلانية معا ، ويقود البناء الشعرى فيه بطاقة درامية كبيرة .

وخلال الايام الممتدة من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٢ صعب نيرودا قضية الكرى . الحرية ، وطنه بها بلدان العالم . طاف بها شوارع براغ والى جواره ظل جوليس فينتشك الاخد ، وطاق شوارع فرنسا وفي مخيلته اطيان للشهداء المقاومة الفرنسية الامجاد . وايطاليا والمثالي وانجلترا والاتحاد السوفيتي والصين والهند ويوغوسلافيا والبرتغال واليونان وهولندا والمجر وغيرها من بلاد السلام . وهزته التجربة الصينية من الاعمق فكتب عام ١٩٥١ ملحمته الكبيرة (ريان آسبا) . كسا كتب ديوانين آخرين خلال فترة الطواف تلك هما (اتيلوس لا و ثلاث قصائد) . وفي كل هذه الاشعار رائ

وفي عام ١٩٢٤ انتهى نيرودا دراسته الجامعية باسبانياجو . وفي عام ١٩٢٦ عين مندوبا لبلاده في راجون . وفي راجون بدا كتابة مؤلنه الهام (الاقامة على الارض) وبعد عام عين قنصلا لبلاده في سيلان . وفي هذه الفترة كتب (محاولة الانسان للامحدود) و (المقيم وابله) . ومنذ عام ١٩٣٠ بدا يطوف باعتباره مندوبا دبلوماسيا عن بلاده مستعافورة وجاوا والارجنتين وورشلونه حتى استقر به الطاف في مدريد عام ١٩٣٥ . وكان اهم حصاد هذه المرحلة الى جانب الكتب السابقة التي ننضم قصصا قصيرة وخواطر شعرية رواية نيرودا الشهيرة (كاس الدم) التي قدم فيها حياة شعس طريفة اكدت ارتباطه الوثيق بقضايا مجتمعه الشعبية . وولعت به على نبع شعري لا ينضب . هو حياة الصيادين وعمل المناجم الذين يشكلون اهم فئتين في الشعب الشبلى .

ومنذ عام ١٩٣٥ استقر بنيرودا المطاف في مدريد . حيث تعرف على الشاعر الاسباني العظيم فيديريكو غارسياوركا ، وربطهما جيمها العميق للانسان ، وفهمها الواحد لقضايا الحياة برابط من الصداقة المثنية . وجهادا جنبا لجنب من اجل الحرية التي نبحث في شوارع اسبانيا علنا وعلى مشهد من الجميع اتداء الحروب الاطالية الاسبانية عام ١٩٣٦ . تلك الحرب التي انفطمت بين اتصار الفاشية وفيالق الديفراطية . وكان موقف نيرودا شديد الحرج باعتباره مندوبا دبلوماسيا لبلاده . غير انه رعى وراء ظهره بكل التقاليد الدبلوماسية . وحسن البندقية وانغم الى الثوار المتناح من الحرية والكرامة والسلام . ومعه كل اصرار العالم وشرفائه . هنجواى ومالرو وكودويل وغيرهم . ولم يبال بالخطاب السلام الذي استندرت فيه حكومته موقفه . ولاشهادة الفصل التي اقيمت . وحارب بكل ما لديه من قوة . بيندقته وقصاده ، فكانت الاشعار التي جمعها عام ١٩٣٨ في ديوانه العظيم (اسبانيا في القلب) . ذلك الديوان الذي ينزف كل بيت فيه باماسة الحرية النبيهة في لاسبانيا وفي كل بقاع العالم والتي سالت حياؤها عقب مؤامرة الفاشية العالية بمساعدة هتلر وموسوليني .

وبعد ان انتهت هذه المساة بصلب الحرية في اسبانيا وقتل مخفيها لوركا طاف نيرودا ببعض بلدان أوروبا ينشر فيها هذه المساة الدامية ويصرخ في كل مكان يطوف به مهنيا لـ .

من الجوائز حتى استقر به الحالف أخيراً في باريس ممثلاً لبلاده بها .

وفي باريس هذا العام جازته جازته نوبل وما إن بدلت الستينات حتى كان نيرودا قد أنجز أعظم أعماله الشعرية التي ارتبطت بأعظم القيم الإنسانية دون أن تنسى أبداً أنها أعمال شعرية قبل أي شيء آخر .. فقد قال نيرودا :

أنا لم آت لأجل مشاكل الأرض
بل أتيت إلى الدنيا لأغنى
فلتغن أنت معي

صبري حافظ

نيرودا كل شيء من خلال احداق قضيته الأثرية .. الحرية .

وفي عام ١٩٥٢، عاد نيرودا إلى وطنه شيلي . وإلى منزل الحبيب في إيلنوار وإلى الشعب الذي غنى له ومن أجله كل أشعاره .. عاد حيث كان فيديولا قد سقط ، فلم يكن يبعث على الخوف شيء بعد ذلك واستقبلته الجماهير كما يستقبل القادة العظماء ، وانتخبته من جديد ممثلاً لها .. لكنه ما لبث بعد ذلك أن عاد إلى التجوال من جديد وعاش عدة سنوات في الاتحاد السوفيتي والصين ليكون بالقرب من بنائى الحرية التي طالما دما إليها .. وفاز بعدد كبير

■ جمهورية مصر العربية

الجديد .. في المجلس النيابي الرابع

اكتسب خطاب الرئيس السادات أنور السادات في افتتاح مجلس الأمة الجديد أهمية خاصة لأنه جاء في ذروة فترة اشتدت فيها المناورات الأمريكية .. لا يهام العالم كله أن ثمة اتفاقاً على الحل السياسي قد تم أو هو على وشك أن يتم . وأحدث خطاب الرئيس السادات ردود فعل عميقة وواسعة لما تضمنه من كشف صريح لموقف الولايات المتحدة من أزمة الشرق الأوسط على أساس « أن أمريكا هي المسئول الأول عن إسرائيل » — أداتها في تنفيذ مصالح نفسها تصورها في هذه المنطقة — وأن إسرائيل أكبر وسائل القس والأرهاب وولف التطور الحثي على الأرض العربية »

ونفسح الرئيس السادات في خطابه أمام مجلس الأمة — أهداف أمريكا في المنطقة محدداً بحسم ورفضاً لهذه الأهداف ..

« فأمريكا تريد إخراج الاتحاد السوفيتي من المنطقة ونحن نرى في الاتحاد السوفيتي صديقاً في الحرب وصديقاً في السلام .

وأمريكا تريد عزل مصر عن الأمة العربية ونحن لا نستطيع القبول تاريخياً ومصرياً بذلك لأن مصر جزء من الأمة العربية قديراً ومستقبلاً .

« وأمريكا تريد ضرب التجربة الاشتراكية في مصر ونحن نؤمن بطريقنا في التطور ونصمم عليه إلى آخر مدى » .

وبعد أن استعرض الرئيس السادات في خطابه المحاولات الأمريكية لاستغلال المبادرة المصرية وتحويلها إلى شيء لا علاقة له بها

استهدفته مصر من مبادراتها — وحديث أمريكا الآن عن اتفاقية بشأن قناة السويس فقط — وأعاد الرئيس السادات القضية إلى وضعها الصحيح مؤكداً أن القضية هي قضية استرداد الأرض المكتسبة كاملة وحقوق شعب فلسطين — ومع تمسك مصر بقرار مجلس الأمن وبالمبادرة المصرية في ٤ فبراير — إلا أنه لضمان تحقيق ذلك بالمفهوم الذي تراه مصر — ولكي لا يكون هناك أي لبس — « فإن هناك الآن شرطاً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه قبل أي خطوة أخرى — وهذا الشرط هو أن ترد إسرائيل بالإنجاب على ماطلبه منها السفير يارنج بتاريخ ٨ فبراير — وأنه بغير هذا الرد الإيجابي من إسرائيل — وأول وقبل كل شيء فإنه لن يكون هناك مجال لأي بحث أو نقاش » .

وأعاد الرئيس في خطابه التأكيد على أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون عاماً حاسماً — وأن علينا أن نتخذ قراراً في التوقيت المناسب وفي الظروف المناسبة والطريقة المناسبة — لأنه قرار مصير .

ومجلس الأمة الجديد نتاج لرابع تجربة انتخابية منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — وهي انتخابات تميزت بكثرة عدد المرشحين الذين بلغوا ١٥٢٢ مرشحاً ، كانوا يتنافسون في ١٦٩ دائرة — ليمتل كل دائرة اثنان — واحد منهم على الأقل من ممثلي العمال والفلاحين .

واسفرت النتائج النهائية للانتخابات عن فوز ١٠٩ من مرشحين لهم صفة العمال يشكلون ٣٢,٢٪ .

٧١ من مرشحين لهم صفة الفلاحين يشكلون ٢١٪ .

١٥٨ من مرشحين الثقات يشكلون ٤٦,٨٪ .

وجذبت المعركة الانتخابية الأخيرة لمجلس الأمة — اهتمام عدد كبير من المراقبين السياسيين

تقارير الشهر

٣ آلاف صوت من مجموع خمسة عشر ألف صوت .

سلفا : جاءت النتيجة النهائية للانتخابات لتعزز الدماوى التي اشتقت خلال الشهور التي سبقت الانتخابات والتي كانت تدعو لانقاذ ما نص عليه القانون من تخصيص ٥٠% من المقاعد لمثلى العمال والفلاحين — وقد بلغت نسبتهن فى المجلس الجديد ٥٣,٢% .

ويؤكد المراقبون انه لسولا بعض المشاكل الخارجة عن ارادة العمال والفلاحين وخاصة المشكلة المائية [حيث قدرت النفقات الطبيعية والمشروعة اللازمة لخوض المعركة بمبلغ ٧٥٠ ج] — لاستطاع العمال والفلاحون ان يذغوا بالزبد من ممثليهم الى مجلس الشعب .

وأجرى بعض المراقبين تحليلا لنوعية الفائزين بالصفة العمالية فى بخيفة القاهرة وعددهم ٢١ عضوا فتيين ان .

٨ يعملون كاهماء بجالس ادارات او مديرين لبعض الشركات التجارية والصناعية .

٤ يعملون فى شركات او مؤسسات ولهم مناصب ادارية ؟ .

٨ موظفين ليس لهم مناصب ادارية .

٢ احدهما شيخ مسجى والثانى ملاحظ بيان ومن هنا فان ثمة شعورا مزايادا لدى المراقبين بشروية اعادة النظر فى تعريف العمال وجعله اكثر تحديدا بما يسمح بأن يتقدم العمال فعلا « سلفا : بالنسبة للريف — فان هناك بعض العائلات ذات التراث الاقطاعى او ممن كان لهم نفوذ مرتبط بملكيتهم الواسعة للأرض قد دفعت ببعض مرشحيها ممن تنطبق عليهم المواصفات القانونية فى كترس ولى لسوان وفى الفريوم — ولكن أغلبهم لم يكتب له الفوز .

ويمكن القول ان ممثلى الفلاحين قد جاؤوا من الملاك المتوسطين وبعض المنتقمين بالإصلاح الزراعى والاخيرين من عقراء الفلاحين .

ولم يخل أحد من مجال الترشيح والزججيين — حيث هزم مرشحهم فى كوم امبو فى معركة الاعادة بنارق ٢٠٠ صوت فقط .

ثامنا : بالنسبة للمرأة بلغ عدد المرشحات ٢٨ مرشحة فازت بهن اثنتان فى المرحلة الاولى ودخلت سبع مرشحات مرحلة الاعادة نجح اربع منهن — وانضمت لهن عضوة معينة فطسبح المجلس يضم سبع عضوات وهذا العدد اربعة اضعاف العدد تقريبا الذى دخل اول مجلس نوابى صام .

٥٧ . وقد برز خلال المعركة حرص المرأة فى الاحياء الشعبية على إعطاء صوتها .

تاسعا : من الحقائق الثابتة ان كثيران التجار

الذين تابعوا أحداثها ومظاهرها وشجروا عددا كبيرا من الملاحظات والاستنتاجات من أهمها : أولا : ان الانتخابات قد خلقت فى مجموعها من العمل السياسى وتركز الاهتمام فيها أساسا على مشكلات الجماهير اليومية بالرغم من ان الغالبية الساحقة من المرشحين قد وضعت شعارات الحرية والديمقراطية وسيادة القانون وبناء دولة العلم والايمان على راس منشوراتها ولانفاتها — واستثناء من هذه الظاهرة العامة طرح بعض المرشحين بقصدت قضية للتصوّل الاجتماعى والاشتراكية .

ثانيا : ادى عدم وجود تركيبة من التنظيم السياسى والتكتلات والتعاونيات للمرشحين الى تفقذ أعداد كبيرة على الترشيح — وإلى اعتماد المرشحين على الاتصالات الشخصية واجتماعات القاهم المحدودة العدد والمنشورات الصغيرة التى تحمل صورة المرشح ويضع كلمات وصلاّت عامة — والاتجاه الى فرق الموسيقى ومجموعات من التاصر والاطفال بالطول .

وقد ادى خلو المعركة من العمل السياسى وكثرة عدد المرشحين الى عدم بلورة اتجاهات الناخبين فى المرحلة الاولى من الانتخابات علم ينتج فى الجولة الانتخابية الاولى سوى ٩٣ مرشحا هم فقط الذى حصلوا على اكثر من ٥٠% من اصوات الناخبين واعيدت الانتخابات فى ٤١ دائرة اى ما يعادل ٨٠% من الدوائر — وقد جرت الاعادة فى خمسين دائرة اختيار مرشح واحد من اثنين واعيدت فى ٩١ دائرة لاختيار مرشحين اثنين من اربعة — وبسبب كثرة عدد المرشحين تكن بعض المرشحين الحاصلين على للى صوت من دخول الاعادة فى دائرة عدد اصواتها ؟ لنا .

ثالثا : لوحظ ان الناخبين بشكل مسام كانوا شديدي التشكك فى الوجود الانتخابية — وان نسبة اقبال الملتحقين فى المدن على الانتخابات اقل بكثير من نسبة اقبال سائر قوى الشعب العاملة — وان بعض الملتحقين كان يصوت لاختيار اثنين من مرشحي الثلث .

رابعا : لوحظ فى بعض دوائر الاقاليم انخفاض فى عدد الناخبين بقصدت مرح اللواء حنفي عبد الرحمن مدير امن محافظة اسيوط ان الذين ادلوا بصواتهم فى دوائر المحافظة لم يتجاوز عددهم ٥٠% من عدد الناخبين .

وفى بعض دوائر محافظة الجيزة غلب هوالى نصف الناخبين ففى الذى حضر ٢٠ الفا من ٤٠ الفا وفى المنصورة حضر ٤٦ الفا من ٦٢ الفا وفى امبلة حضر ٣٥ الفا من ٥١ الفا .

خامسا : لوحظ كثرة الاصوات الباطلة فى دائرة التى كان هناك ألفا صوت باطلة من ١٨,٧٥٨ وفى قصر النيل كتبت الاصوات الباطلة

والمثاولين الاغنياء الذين صرفوا آلافاً من الجنيهات بملقطة غير مشروعة قد سقطوا في الانتخابات . كذلك فان البعض ممن كان يرغب لواء العداء للاستراكية بوضوح وصراحة قد اسقطتهم الجماهير . ■

رحلة وفد اللجنة المركزية الى ايطاليا وفرنسا وبريطانيا

فى الشهر الماضى سافر الى اوربوا الغربية وفد من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى تنفيذاً لقرار اللجنة المركزية بمقد اوسع اتصالات مع الاحزاب والفتظمات العالمية لتوثيق علاقات التضامن العالمى . وقد تشكل الوفد من لطفى الخولى و د . محمد الخفيف ومحمد عبد السلام واحمد كليل . واستهدفت رحلة الوفد الاتصال بالاحزاب السياسية فى ايطاليا وفرنسا وبريطانيا ، وتوسيع دائرة هذه الاتصالات ، وتوضيح القضية العربية للرأى العام فى هذه البلدان وللدوائر المؤثرة فيه . وتوضيح موقف الاتحاد الاشتراكى من الاحداث الاخيرة فى العالم العربى . والقيام باتصالات تهيئية بخصوص انعقاد المؤتمر الدولى للعدل والسلام فى الشرق الاوسط ، والاتصال بالجان الدولى فى ايطاليا وفرنسا وانجلترا .

والذى الوفد فى ايطاليا بالحزب الديمقراطى المسيحى والشيوعى الايطالى والاشتراكى لوحدة البروليتاريا ، كما التقى باللجنة الإيطالية لمؤتمر العدل والسلام فى الشرق الاوسط بدعوة منها ، وهذه اللجنة تضم الاحزاب الإيطالية يختلف اتجاهاتها والشخصيات البارزة ونقليات العمال ومنظمات النساء والشباب والكتائب والفنانيين والصحفيين . وفى فرنسا التقى الوفد كذلك بالحزب الشيوعى الفرنسى والاشتراكى والاتحاد الديمقراطى للجمهورى (الديجولوى) ، كما التقى الوفد بمجموعة من الصحفيين والكتاب يمثلون مختلف الاتجاهات المهمة بقضية الشرق الاوسط . وفى انجلترا التقى الوفد بحزب العمال وادارة الابحاث السياسية (حزب المحافظين) ، والحزب الشيوعى ، وجامعة التحرير ، وهيئة التفاهم العربى البريطانى O. A. P. O. وهيئة العفو الدولية ، وشباب حزب الاحرار ، وسكرتير المنظمة الاشتراكية الدولية (. الدولية الثانية) .

وفى بريطانيا ادار الوفد حوارا حول قضية الشرق الاوسط فى مجلس العموم . واشترك فى

الحوار مجموعة من نواب العمال والمحافظين ، وادير الحوار برئاسة دافيد كراوتز من المحافظين وكان الداعى للحوار النائب العالى اندرو فولوز . كما التقى الوفد فى بريطانيا مع وكيل الخارجية لشئون الشرق الاوسط ، والمسئول عن شجال افريقيا ، ومدير مكتب شئون النزاع العربى — الاسرائيلى .

وعقد الوفد لقاءات مع المبعوثين المصريين فى البلدان الثلاثة . وفى هذه اللقاءات اوضح الوفد موقف الاتحاد الاشتراكى الذى اعلنه الرئيس السادات ، والذى حدد فيه ان عام ١٩٧١ هو عام حاسم من حيث اتضال القرار ، وانه لم يعد من الممكن تجسيد القضية الى الابد وترك المجال للمناورات الاسرائيلية والامريكية ، وانه اصبح لزاما علينا ان نقوم بدورنا فى تحرير ارضنا العربية ، واستعادة حقوق شعب فلسطين القومية ، متخذين فى ذلك جميع الوسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية كحركة تحرير وطنية . كما وضح الوفد للمبعوثين ان الاتحاد الاشتراكى الان هو صيغة جبهوية لحركة التحرير الوطنية المصرية فى اطار العمل لخلق مناخ ديمقراطى ، كما ان الحراسات تجرى الان لانشاء تنظيم طليمى اشتراكى « ملحن » داخل الاتحاد الاشتراكى وفى اطار برنامج العمل الوطنى .

وفى لقاءات الوفد مع اللجنة الإيطالية الدولية لمؤتمر العدل والسلام فى الشرق الاوسط ، انتهت هذه اللقاءات الى الاتفاق على ان يعقد المؤتمر الدولى للعدل والسلام فى الشرق الاوسط فى اطار العمل على تنفيذ قرار مجلس الامن تنفيذاً كاملاً وتأكيد الحقوق القومية للشعب فلسطين . وقد فشلت جميع محاولات الدوائر الصهيونية لتخريب هذا المؤتمر ، وقد كشف الوفد مناورات العناصر الصهيونية التى انتهزت فترة انقطاع الاتصالات اثر العواصم الاخيرة فى العالم العربى واللجنة الإيطالية الدولية عقد اللجنة التحضيرية لمؤتمر العدل والسلام فى الشرق الاوسط فى فبراير القادم .

وتعتبر زيارة وفد اللجنة المركزية لاطاليا وفرنسا وانجلترا — هى اول زيارة من قبل الاتحاد الاشتراكى لغرب اوربوا بعد اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى فى يوليو المسلى . ولقد جاءت نتائجها تعميقاً وتوسيعاً للتضامن العالمى مع الحق العربى فى التحرير ، كما اكدت اهمية مواصلة النشاط العالمى وتوسيعه وانتظام حركته واستمرارها .

الجدديد في أنجته الدولية وزيارة عرفات لموسكو

بتقديمها مشروع روجرز الجديد ، تكون الولايات المتحدة قد أسقطت مبادرة روجرز وأهالت عليها التراب . وهي المبادرة التي كان قد تقدم بها وزير خارجية أمريكا في صيف العام الماضي ، وتضمنت ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

تعالين

•• حتى لا تتبدد الكلمات دخانا في الهواء

مدام الكاتب أو القارئ لا يملك سوى « الكلمة » سلاحا في معركة الوجود ، فإن أهم واجبه التي تجمع عليها كافة مذاهب الفكر والدين أن يشحن هذه الكلمة بكل إمكانيات الجبهة وملاكت الثقة وتقدير الترويسة الشجاعة الحرة . ولعل الحصاد الحقيقي للمؤتمرات الأدبية والتي في العالم هو ذلك الحوار — المصالحب أو الهادئة — الذي ينجم بالضرورة من تناقض الاتجاهات الفكرية وتعارض التيارات التي ينشأ عنها أمصالحها . ومن هنا يؤدي الكلمة إذا توفر لها المناخ والديناميكية الصحيحة ، دورا بالغ الأهمية في توجيه الحضارة الإنسانية ونفها خطوات للأمام .

ولقد درج لعاد الأدباء العرب أن يعقد مؤتمرا كل عام في إحدى العواصم العربية ، يوضع حول مكلاته أعضاء الوفود ، ليطلق بعضهم أبعثا مرتجلة غالبا ومخططة نادرا ، وليستمع الآخرون اليوم ، ثم يضمن الجميع توصيات « شديدة اللمعة » في كلمة شلون الحياة والفكر العربي ، في الماضي والحاضر والمستقبل . وينفى المؤتمر كل عام ، ثم ينشد في العام الذي يليه ، دون أن يكون هناك أي معنى لتضافته أو انعقاده سوى هذه اللقاءات الشخصية المبررة التي تتاح لأبناء الوطن العربي ، من محاضراته إلى مغابيه . لذلك تكاد المؤتمرات النسبية المسبقة تكون نسخا مشابهة لأخر واحد مكر ، يفرغ « كلمة » الكاتب من احتمالات تجربها ، ويحرم مجتمعنا من إمكانيات فعملها .

ولقد « ورقة العمل » هي البديل الموضوعي لهذه التفرقت السليحية والمظاهرات السياسية التي تقوم بها كل عام . . . ورقة عمل — وليس جدول أعمال — تشمل نقاشا نصليبة محددة في موضوع واحد كبير ، يتقدم بها سكرتير عام المؤتمر أو أحد الوفود ، ثم تدور من حولها المناقشات الحرة إلى آخر المدى ، لعل كسب واتقى محقق ، والكاتب الذي يضم هذه الورقة والمناقشات التي دارت حولها ، لعل انصاف فكري مؤكدة . أما الاتجاه الدولية المبررة والتشعارات القسوة من بعضها بعضا ، فإنها تفتح الأبواب الخلفية لعشوائيات المؤتمر للفروج يضا عن الفزرة والرفيق — دعوتا — ونحن على أبواب المؤتمر الثاني — من العناوين الكبيرة — فأولى خطوات « العمل » هي ورقة العمل ، حتى لا تتبدد كلماتنا دخانا في الهواء ■

غالبى شكرى

لما المشروع الجديد ، فقد تدبه روجرز إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، في الخطاب الذي ألقاه في منتصف أكتوبر الماضي . وقد تضمن المشروع الأمريكي الجديد ست نقاط ، ليس بينها ضرورة الانسحاب الكامل ، وهذه النقاط هي :

- ١ — الاتفاق الجزئي يمثل خطوة نحو تسوية أشمل .
- ٢ — إعادة فتح قناة السويس ، مع إعادة إسرائيل من الملاحة فيها .
- ٣ — تحديد وقف إطلاق النار .
- ٤ — انسحاب لولى للقوات الإسرائيلية من منطقة القناة .

- ٥ — تحديد نظام المراقبة لتنفيذ الاتفاق .
- ٦ — تحديد طبيعة العناصر المصرية التي سوف تجتاز القناة .

ووصف محمود رياض — في خطابه أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة — المقترحات الأمريكية الجديدة بأنها ليست سوى مجموعة من المقترحات الغامضة ، وأنها تتناقض حتى مع مبادرة روجرز لعام ١٩٧٠ ، ومع بيان الرئيس الأمريكي نيكسون الخاص بالسياسة الأمريكية حيال الشرق الأوسط . ولضمان رياض أن المشروع الجديد لم يقدم أي ضمان محدد بشأن الانسحاب الكلى .

لما رد الفعل الإسرائيلي فقد جاء على لسان جولدا مائير ، رئيسة الوزراء ، التي انتقدت المشروع الأمريكي الجديد ، وتمسكت برفضها عبور أية قوات مصرية إلى الضفة الشرقية للقناة . وتبعها بعض المسؤولين الإسرائيليين فصرخوا بأنه عند التسوية يجب أن تحتفظ إسرائيل بالمرتفعات السورية والتحصن ، وأن تراتب قوات إسرائيلية في شرم الشيخ لتأمين الملاحة الإسرائيلية فيه .

ويعد مرور شهر على تقديمه لمشروع الجديد ، عاد روجرز فاقترح أن يلتقى الطرفان المصري والإسرائيلي في فندق بنينويك ، بحيث يحتل كل طرف أحد الطوابق فيه ، ويقضوا طرفا ثالثا بالاتصال بالطرفين . وقد جاء الاقتراح الأمريكي الأخير لتأكيد الإشارة التي سبق وأطلقتها أمريكا والقائلة بأن « صيغة روسي » قد بدأت بالفعل بين المصرب وإسرائيل . وهو أمر ينفيه الطرف العربي والأحداث نفسها .

● وفي أوائل نوفمبر الماضي ، وصل إلى إسرائيل الرؤساء الأفريقيين الأربعة : ميخائيل جنرال يعقوب جالون (نيجيريا) وأحمدو أهيجون (الكاميرون) والجنرال جوزيف موبوتو (الكونغو كينشاسا) وليوبولد سنجور (السنغال) .



ياسر عرفات

المقاومة الفلسطينية . وأشار الى أهمية وحدة كافة القوى التقدمية العربية وضرورة مواصلة تعزيز تحالفها مع الاصديقاء الحقيقيين للشعب العربية ، وهى البلدان الاشتراكية . ويقول البيان الذى صدر فى نهاية المباحثات انه قد تم التأكيد على خطورة محاولات تقويض المصادقة العربية السوفيتية ، وبشر الشقاق فى صفوف الحركة العربية المناهضة للامبريالية ، وعزل هذه الحركة من الجبهة العامة المصادية للامبريالية . »

ونشرت مجلة (بقاء موسكو) السوفيتية الاسبوعية ، فى عددها الصادر فى ٦ نوفمبر الماضى ، حديثا لياسر عرفات قال فيه ان القضية الفلسطينية معتدة لانها القضية العربية ذاتها . ووصف نضال الفلسطينيين بأنه فى جوهره « نضال من اجل حق فى العيش فى ارض وطنه ... ونحن نتكلمون من ان الاتحاد السوفيتى ، شعبا وحزبا وحكومة ، سيقف مع نضال شعبنا العادل . » وردا على سؤال لهيئة تحرير الصحيفة السوفيتية قال ياسر عرفات « اتنا نحاول توحيد كافة القوى المخلصة ، وحققنا فى هذا الطريق نجاحات كثيرة . »

وقد عقدت جريدة فتح الناطقة بلسان منظمة التحرير الفلسطينية ، مقالا فى عددها الصادر فى ٢٧ أكتوبر الماضى ، بعنوان « كيف نلهم زيارة وفد الثورة الى موسكو ؟ » قالت فيه ان « الثورة الفلسطينية حينما تلتقى بمختلف قوى الثورة العالمية على اختلاف مواقعها واتجاهاتها ، فانها لا تتطرق فى ذلك من نظرة ذاتية محدودة ، وانما تتطرق من ادراكها لمسئولياتها التاريخية كفضيلة طليعية للثورة العربية التحررية ، وكجزء لايتجزأ من الثورة العربية ومن التسوى المناهضة للامبريالية ، والاستعمار ، والاحتلال الجديد ، والعنصرية . » وأكدت صحيفة فتح ان الثورة

ومن المعروف ان مؤتمر القمة الافريقى كان قد تدب — فى الصيف الماضى — بالعدوان الاسرائيلى وطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها . وانبثقت من المؤتمر المذكور (لجنة العشرة) ، والتى اجتمعت بدورها فى كينشاسا ، عاصمة الكونغو ، فى ٢٢ أغسطس (آب) الماضى ، بهدف توحيد الجهود الافريقية عند مناقشة النزاع العربى الاسرائيلى فى الاسم المتحدة . وكانت المفاجأة عندما طالب الرئيس هوغو بونو لجنة العشرة بضرورة تاليف لجنة لزيارة اسرائيل ومصر ، لجبع المزيد من حقائق النزاع . ولاينتظر لهذه الجهود الافريقية ان تحرز اى تقدم ، خاصة وان اسرائيل تجتهد لد فترة التداول مع الرؤساء الافريقيين الاربعة ، فى محاولة منها لاضاعة الوقت وتقويت الفرصة امام الجهود العربية الضخمة التى بذلت لهذه الدورة للجمعية العمومية للامم المتحدة بتأجيل نظر القضية امام الهيئة وذلك باعلان زيارة الوفد الافريقى للقاهرة يوم ٢٦ نوفمبر الماضى . ومما يؤكد هذا الاتجاه الاسرائيلى ، طلب جولدا مائير الى الرؤساء الاربعة جمع الطرفين — مصر واسرائيل — على مائدة المفاوضات . وهو امر تعلم اسرائيل انه مرفوض سلفا من قبل مصر .

وفى ما بين ٢٠ — ٢٩ أكتوبر (تشرين الاول) الماضى ، قام وفد من منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة الاتحاد السوفيتى بناء على دعوة من اللجنة السوفيتية للتضامن الافرو اسوى . وقد ترأس ياسر عرفات الوفد الفلسطينى ، والذى ضم ايضا خالد الفاوم رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى .

ومن المعروف ان هذه هى المرة الثالثة التى يزور فيها عرفات الاتحاد السوفيتى . وكانت الاولى عندما رافق الرئيس عبد القادر فى زيارته للاتحاد السوفيتى ، والتى تمت فى اوائل سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ . وبالرغم من ان زيارة عرفات تلك لم تكن رسمية ، الا انه نجح فى مقابلة كوسيجين ، رئيس الوزراء السوفيتية ، وأجرى معه محادثات هامة . أما الزيارة الثانية فقد حدثت فى ربيع عام ١٩٧٠ ، بناء على دعوة من اللجنة السوفيتية للتضامن الافرو اسوى . وفى الزيارة الاخيرة ، أجرى الوفد الفلسطينى مفاوضات مع اللجنة السوفيتية للتضامن الافرو اسوى . أعرب فيها الجانب الفلسطينى عن ايمانه للاتحاد السوفيتى ، حزبا وحكومة وشعبا ، لوقفه الحازم من حركة التحرير الوطنى العربية . فى حين شجب الوفد السوفيتى بحزم العدوان الامبريالى الاسرائيلى على الشعوب العربية . كما أعلن من تليده الحازم لحركة

بعد مباحث مع بدايته، ولكن الملك فيصل أجرى اتصالات عاجلة مع الرئيس أنور السادات من جهة ومع الملك حسين من جهة أخرى . واتصلت عمان بوفدها المفاوض في جدة نواف في اليوم الثاني على سحب المقترحات التي سببت الأزمة .

وعقدت لجنة الوساطة ، السقاف والخولي ، يوم الثلاثاء جلستين منفصلتين مع كل وفد على حدة تبت خلالها مناقشة خطة عمل تقدمت بها اللجنة ، وهي خطة عمل تؤكد بنود المذكرة الإيضاحية آتلة الفكر ، وتضيف إليها استبعاد لجنة الوساطة لبدء رأيها البت في حالة وقوع خلاف بين الطرفين . ووافق وفد منظمة التحرير على خطة العمل المقترحة بغير تحفظ ، أما الوفد الأردني فقد لجأ على سؤال اللجنة بموافقة مكتوبة ومصادقة بطريقة مروافعة لم تسمح بحسم الأمور .

وجرت يومى الأربعاء والخميس محاولة لعقد جلسة مشتركة ولكن الوفد الأردني يتهرب بحجة السفر إلى المدينة المنورة وعندما عاد مساء الجمعة كل الوقت قد حان لسفر الوزيرين الخولي والسقاف ورئيس الوفد الفلسطيني إلى القاهرة للاشتراك في جلسات مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي ابتداء يوم السبت ١٣/١١/١٩٧١ .

وعندما حلوا إلى جدة يوم الاثنين ١٥/١١/١١ فوجئوا بسفر رئيس الوفد الأردني إلى عمان بحجة إجراء مشاورات مع حكومته ، وفي عمان أدلى رئيس الوفد الأردني بتصريحات صحفية عاود فيها الحديث عن المقترحات التي قدمها وفده والتي سببت الأزمة والتي يفترض ان الوند قد سحبها كما أعلن سابقا .

ثم جاءت عطلة عيد الفطر، وتجددت الاتصالات بين المواسم والأطراف العربية المعنية، ولكن ثمة الحاج شديد على ضرورة الوصول بمؤتمر جدة إلى نتيجة محددة قبل موعد انعقاد مجلس الدفاع العربى في السابع والعشرين من نوفمبر وعاد الوفد الأردني إلى جدة للاجتماع ببيتة الفرعاء يوم الاثنين ١١/٢٢ وسط جو لا يدع مجالا للثقة بأن الحكومة الأردنية تعزم بتبديل مملكتها الماروغ أو ترك محاولاتها لتبني عمل لجنة الوساطة ولكسب الوقت من أجل تجاوز موعد انعقاد مجلس الدفاع العربى الذي يفترض أن يعالج الوضع في الأردن معالجة حاسمة . في غضون ذلك ، وبينما المحادثات تتعثر ، والجلسات تنقطع ، توفرت معلومات تؤكد :

● ان القاهرة وكذلك الرياض ، مصرتان على الوصول إلى اتفاق يلتزم به الجانبان على ضوء المخبرات والخطط التي عرضتها

الفلسطينية « لا تغفل من حسابها مصالح السلام المالى » وأشارت الصحيفة إلى نقاط الخلاف بين المقاومة الفلسطينية والإصحاف السوفيتي ، وأكدت « ان نمو الثورة الفلسطينية العربية التحررية سيخلق ظروفنا لفضل لمساودة النقاش حول هذه المسائل . وان انساج التفهم المتبادل للوقوف الحالي ولتفضيحه هو خطوة إيجابية هامة . » وانتهت الصحيفة الفلسطينية إلى الإشادة بموقف الاتحاد السوفيتي من القضية العربية والفلسطينية .

وأيا كان الأمر فإن هذه الزيارة قد وضعت الأساس لمصادقة مينة مع الاتحاد السوفيتي ، باعتباره حليفا إستراتيجيا ، لا حليفا عارضا للثورة الفلسطينية والعربية . □

الجلسة الثانية من مؤتمر جدة

ابتدأت محادثات الجلسة الثانية لمؤتمر جدة يوم الاثنين ٨ نوفمبر ، ولكن المحادثات تعثرت وانقطعت أكثر من مرة منذ ذلك التاريخ حتى أعداد هذا التقرير . كانت الجلسة الثانية قد ابتدأت بعد ان نجحت لجنة الوساطة في اخذ موافقة الطرفين الفلسطيني والأردني على ما وصف بالفكرة الإيضاحية ، وهي مذكرة تفسر ورقة العمل المصرية — السعودية وتحدد المبادئ التي ستسير على ضوئها المحادثات :

- اعتبار اتفاقية القاهرة ملزمة .
- كون منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة للوجود للمقاومة .
- حق العمل الفدائي في العمل من قواعد داخل الأرض المحتلة .
- جواز النظر في تعديل بعض بنود اتفاقية عمان .

وفي الجلسة الأولى التي عقدت بعد ظهر يوم الاثنين تقدم الوفد الأردني بمقترحات مكتوبة لتعديل اتفاقية عمان ، وهي مقترحات لو أخذ بها لادت بالفصل إلى الغناء هذه الاتفاقية والغاء الوجود المستقل للعمل الفدائي ونسف كل ماتم الاتفاق بشأنه قبل ذلك بدءا من اتفاقية القاهرة وانتهاء بالمذكرة الإيضاحية الأخيرة !

وقد تسبب تقديم هذه المقترحات في تعطيل الجلسة على الفور بعد ان رفضها الوفد الفلسطيني جملة وتفصيلا . وكاد المؤتمر ينفض

تعليقاً على الزيارة « ان السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي لم يبحث عن التفاهم والمساندة الغربية الا لانه قد لُصق بالتهديد الذي يواجهه في منطقة الشرق الاقصى هذا كما ان بومبيجو لم يكن ليوجه الدعوة الى بريجنيف لو لم يفكر في ان أوروبا يجتاحها جو من التفاسس بين الدول يجب ان تؤكد فرنسا اياهه استقلالها » ومن الواضح ان هذا الرأي يحاول ان يصور زيارة بريجنيف لفرنسا [بل والتحرك الديبلوماسي السوفيتي الأخير بأكمله] على انه مجرد رد فعل للتقارب الامريكى مع الصين الشعبية التقت به — مصادفة — رغبة فرنسا في التفرد داخل أوروبا الغربية . ولكن البعض يرى ان هذا الرأي يتجاهل الكثير من حقائق العلاقات الفرنسية — السوفيتية كما انه يتجاهل من ناحية أخرى جانباً كبيراً من تطورات الواقع الدولي الراهن [لمزيد من التفاصيل في هذه النقطه انظر مجلة الطليعة — عدد نوفمبر ١٩٧١ — تقارير الشهر — صفحة ١٢١ ، ١٢٢]

وهناك رأى آخر حاول ان يفسر اسباب واهداف تلك الزيارة على انها جزء من خطة سوفيتية لتوسيع رقعة الخلاف بين أوروبا الغربية وبين الولايات المتحدة الامريكية . ولكن هذا الرأي يظل أيضاً عاجزاً عن تقديم تفسير مقنع لاسباب واهداف زيارة بريجنيف لفرنسا . وقد يكون اسماً ذا دلالة ان نظير هذا الى ان صحيفتي «النيويورك تايمز» و «الهيرالد تريبيون الدولية» الامريكيتين كانتا أبرز المنابر التي ترددت على صفحاتها هذا الرأي بشكل مكثف .

وكانت هناك آراء أخرى حاولت ان تتناول الزيارة بطريقة اكثر موضوعية . فزيارة بريجنيف لفرنسا تعتبر — في هذه الآراء — امتداداً وتطويراً طبيعياً للعلاقات الفرنسية — السوفيتية القائمة منذ تم توقيع الاتفاق الاقتصادي الكبير بين البلدين في ٣٠ أكتوبر عام ١٩٦٤ .

وقد يكون صحيحاً ان هذه الزيارة تتم على خلفية التقارب بين الولايات المتحدة وبين الصين الشعبية . . وقد يكون صحيحاً انها تتم على خلفية الدور القيادي الذي تحاول فرنسا ان تلعبه بذلة في قضية الوحدة الأوروبية . . وقد يكون صحيحاً انها تتم على خلفية الصراع الاقتصادي والسياسي بين المصالح الرأسمالية الأوروبية وبين مصالح الاحتكارات الامريكية . . ولكن من الصحيح أيضاً — بل ومن الصحيح جداً — ان هذه الزيارة ليست شيئاً جديداً تبناها في العلاقات الفرنسية — السوفيتية . . ومن الصحيح أيضاً انها تتم على خلفية من البدا السوفيتي الذي ينادي بضرورة التعايش او التنافس السلمي بين البلدان ذات

لجنة الوساطة المصرية السعودية حتى الآن • ان منظمة التحرير الفلسطينية تعتبر هذه الجولة آخر الجولات ، وانها كما نذكر رئيس وفدنا امام مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، تحتفظ لنفسها بحق العمل السري داخل وخارج الاردن وبالوسيلة التي تراها مناسبة لمسيئة وجودها في الاردن في حالة فشل الوساطة .

• ان سورية رفعت بحث موضوع اعادة فتح الحدود مع الاردن قبل الوصول الى اتفاق بين المقاومة والحكومة الاردنية ، وقد ابلى السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس وزراء سورية ووزير خارجيتها هذا الرفق للسيد عبد الله صلاح وزير خارجية الاردن عندما التقيا خلال اجتماعات وزراء الخارجية العرب . ■

محادثات باريس خلاف حول تحديد الدوافع

قام **ليونيد بريجنيف** السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي بزيارة فرنسا خلال الفترة من ٢٥ الى ٣٠ أكتوبر الماضي لتلبية لدعوة من الرئيس الفرنسي **جورج بومبيجو** ، وتأتي هذه الزيارة كجزء من سلسلة زيارات قام بها الزعماء السوفيت الثلاثة بريجنيف — **بودجورني** — **كوسيجين** وشملت ست دول اشتراكية وأربعة دول غربية وثلاث من دول الصلح الثالث وهي الزيارات التي وصفها مراقبون في تعليقاتهم بأنها « اكثف تحرك ديبلوماسي سوفيتي جرى خلال السنوات الأخيرة »

ومن المعروف ان زيارة بريجنيف لفرنسا هي أول زيارة يقوم بها الزعيم السوفيتي لدولة من دول المسكن الغربي منذ ان تولى مهام منصبه قبل سبع سنوات تقريبا في أكتوبر عام ١٩٦٤ . **وإذا كان** المراقبون قد اجمعوا على نجاح تلك الزيارة نجاحاً وصفوه — كما نقلت وكالات الأنباء الغربية نفسها — بأنه « يندر ان يتحقق مثله في لقاءات القبة » . . الا انهم قد اختلفوا اختلفنا بينا في تحليلهم لاسباب الزيارة وللأهداف التي كانت منوطة بها .

فهناك مثلا الرأي الذي عبرت عنه جريدة «كوريير دي لاسيبرا» الانبغالية البيئية حينما قالت في عددها الصادر يوم أول نوفمبر المنقضى

تقرير الشهور

لأمل السلام التي يتيناها الجانب السوفيتي فلم ينس المراقبون أن يشيروا إلى أن فرنسا لم تحدد موقفها بشكل قاطع من مسألة خفض القوات المتبادل بين حلفي وارسو والاطنطلي داخل الأراضي الأوروبية وأرجى هذا الموضوع لمشاورات مقبلة

ثالثا : توصل الطرفان الفرنسي والسوفيتي إلى « إعلان مبادئ » جديدة يحكم العلاقات فيما بينهما ويحكم نظرتهما المشتركة إلى المشكلات الدولية - صحيح أن هذا الإعلان ينقاطه الثلاث عشرة له سابقة تمثل في بروتوكول موسكو الذي وقع أثناء زيارة الرئيس يوبينوف للاتحاد السوفيتي في أكتوبر عام ١٩٧٠ إلا أن الإعلان الجديد يعد خطوة إلى الأمام أكثر شمولاً وتفصيلاً من بروتوكول موسكو فضلاً عما يعنيه من معنى الحرص المشترك على تطوير العلاقات بين الجانبين باستمرار وفي جميع المجالات .

وكان طبيعياً - مع المواقف المعروفة لكل من الاتحاد السوفيتي وفرنسا تجاه أزمة الشرق الأوسط - أن يشير البيان الرسمي الذي صدر في نهاية الزيارة إلى تطورات هذه الأزمة . . وقد طلب الطرفان في بيانها بليجند حل سريع للفرع العربي - الإسرائيلي باستئناف مهمة المبعوث الدولي جونان يارنج من أجل تطبيق قرار مجلس الأمن على أساس انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية وضمان سلامة أراضي وسيادة جميع الدول في المنطقة .



قرار مصلحة الرأسمالية الاحتكارية

أثار قرار مجلس العموم البريطاني في الشهر الماضي - بأغلبية ٣٥٦ صوتاً ضد ٢٤٤ صوتاً - بالموافقة على انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية المشتركة ، بالشرط التي قبلتها حكومة المحافظين في مفاوضاتها مع دول السوق ، جدلاً واسع النطاق ، كاد في النهاية أن ينتج عن قضية عضوية بريطانيا في السوق ، وهي الأساس ، إلى قضية انشقاق حزب العمال - ذلك أن هذا الانشقاق الذي أصابه أكبر حزب اشتراكي في العالم الغربي - كما يحصلو للفرعيين أن يسبونه - هو في الحقيقة الذي قاد بريطانيا إلى قرارها الذي اتخذته مجلس العموم .

وفي الوقت نفسه ، فإن القرار قد استخدم في الدعاية لحكومة إدوارد هيث البريطانية المحافظة

الانتلمة الاجتماعية المختلفة ، كما أنها تم على خلفيه من الجهود السوفيتية الرامية إلى تخفيف حدة التوتر داخل أوروبا ومحاوله لقرار الأمن الأوروبي على أسس ملائمة .

ومن أهم النتائج التي ترتبت على الاحتجاج : أولاً : الاتفاقية الاقتصادية التي وقعت خلال الزيارة يوم ٢٧ أكتوبر لمدة عشر سنوات . وتستهدف زيادة مجالات التعاون بين البلدين ، ومضاعفة حجم التبادل التجاري بينهما خلال السنوات الثلاث القادمة . وجدير بالذكر أن هذه الاتفاقية تلتى استمراراً لتعاون اقتصادي واسع النطاق بين البلدين وضعت أسسه اتفاقية ٢٠ أكتوبر عام ١٩٦٤ وامتد ليشمل العديد من القطاعات الصناعية ابتداء من السيارات وحتى الذرة والالكترونيات ومعدات الفضاء . وذلك فضلاً عن الجوانب التجارية حيث تعتبر فرنسا خامس دولة مصدرة إلى الاتحاد السوفيتي .

ثانياً : إعلان فرنسا التزامها بتأييد دعوة الاتحاد السوفيتي إلى عقد مؤتمر الأمن الأوروبي وتمهدها بالعمل على أن يبدأ الأعداد لهذا المؤتمر « في أقرب وقت » بالعاصمة الفنلندية هلسنكي بحيث يمكن أن يعقد المؤتمر نفسه خلال عام ١٩٧٢ ولقد كان تعليق المراقبين في هذا الصدد أنه إذا كانت الاتفاقية الاقتصادية هي كبس فرنسا الأساسي من هذه الزيارة فإن الاتحاد السوفيتي قد كسب موقفاً فرنسياً أكثر إيجابية إزاء مؤتمر الأمن الأوروبي وإزاء العديد من القضايا المتفرقة منه ، فقد وافقت فرنسا على أن يكون استكمال القرار الأوضاع في برلين الغربية وتصديق حكومة بون على اتفاقيتها مع كل من بولندا والاتحاد السوفيتي هي التدخل الطبيعي لأعمال مؤتمر الأمن الأوروبي . . وكذلك دعم فرنسا كل من ألمانيا الديمقراطية وألمانيا الاتحادية إلى إقامة علاقات طبيعية بينهما بما يعني أنه يمكن أن تكون الخطوة التالية بعد ذلك هي اعتراف فرنسا بألمانيا الديمقراطية ومن ناحية أخرى وضعت فرنسا توقيعها على مبادئ خمسة للتعاون الفرنسي - السوفيتي في أوروبا هي :

- ١ - عدم انتهاك حرمة الحدود الحساسة في أوروبا
 - ب - عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى
 - ج - المساواة بين جميع الدول .
 - د - احترام استقلال وسيادة الآخرين .
 - هـ - عدم اللجوء إلى القوة أو التهديد باستخدامها .
- وبينما تمثل كل هذه الأمور كمكاسب واضحة

لأن فتح المياه الانجليزية البريطانية لبلد واحد لسفن الصيد من ٦ دول أخرى أو أكثر ، أمر لا يمكن أن يفيد .

وإذا كان هذا يعنى شيئاً ، فانه يعنى ان بريطانيا ستدخل السوق المشتركة ضد رغبة غالبية جماهيرها ، وانها ستدخل الى داخل السوق الأوروبية المزد من تناقصت الاوضاع الأوروبية ، بأن تضيف اليها التناقصات الحادة « بين بريطانيا والقارة » . ومن وجهة نظر اقتصادية بحتة ، فإن انضمام بريطانيا للسوق هو نتيجة جذب الطرف الاقوى اقتصاديا للطرف الاضعف . فانه خلال السنوات العشر الماضية ، زاد اجمالي الانتاج القومي لدول السوق الأوروبية بنسبة ٩٥ ٪ ، بينما زاد اجمالي الانتاج القومي لبريطانيا بنسبة ٤٢ ٪ . ففى هذا الوضع وجدت بريطانيا نفسها فى وضعم يجعلها أقل قدرة على المساومة مع أوروبا . وهذا يعنى من ناحية أخرى أن رجال الصناعة البريطانيين — أصحاب رؤوس الاموال الكبرى — هم أصحاب المصلحة الاساسية فى الانضمام الى السوق . وقد جرى استطلاع للرأى فى ١٠٠٠ مؤسسة صناعية بريطانية ، فوجد ان ٩٥ ٪ من أصحابها يؤيدون الانضمام للسوق ، ويجدون فى أوروبا فرصاً مفتوحة لاسواق جديدة . وقد تبين انه حتى قبل ان تطبق تخفيضات الرسوم الجبركية التى تقضى بها السوق على بريطانيا ، فإن بعض المؤسسات الرأسمالية البريطانية الكبرى استطاعت ان تحقق أرباحاً كبيرة فى أعمال فى القارة الأوروبية . ومن ثم فهم ينتظرون أن تزيد أرباحها عن ذلك كثيراً ، بعد انضمام بريطانيا للسوق وتطبيق الاعفاءات الجبركية والتسهيلات الأخرى لاستثماراتها فى أوروبا .

وتتطلع الرأسمالية الأوروبية بدورها الى انضمام رأس المال البريطانى ، باعتبار أنه يضيف عنصر « منافسة » جديد ، والمقصود طبعاً أنه سيفتح أمامها سوقاً جديدة « بل أسواقاً جديدة » . لأنه أصبح فى حكم المؤكد أن يمتد انضمام بريطانيا الى السوق الأوروبية انضمام كل من أيرلندا والنرويج والدنمارك ، لتصبح مجموعة الدول الست ، مجموعة الدول العشر . وبمثل هذه المجموعة فى النهاية تشكل منافساً خطيراً للرأسمالية البريكية . إذ يقدر اجمالي الانتاج القومي لدولها العشر بحوالى ٦٦٠ مليار دولار . هذا العام ، مقابل ١٠٥٨ مليار دولار للولايات المتحدة ، كما ان نصيبها من تجارة العالم يبلغ الثلث ٪ أما نصيب الولايات المتحدة فيبلغ ١٤ ٪ .

وفى الوقت نفسه ، فإن الدول الأوروبية الصغيرة [والمتقدمة صناعياً فى الوقت نفسه] مثل النمسا وسويسرا وفنلندا ، تتطلع بقلق الى

على أساس انها الحكومة التى أنت لبريطانيا بعنصرية السوق المشتركة ، بعد محاولتين سابقتين فاشلتين .. الأولى قام بها **هارولد ماكملان** رئيس حكومة المحافظين عام ١٩٦١ .. والثانية قام بها **هارولد ويلسون** رئيس حكومة العمال السابقة عام ١٩٦٧ .

ولقد اقترح ٦٩ نائباً عماليا الى جانب حكومة المحافظين فى هذا القرار ، بينما كان عدد المنسقين على حكومتهم من النواب المحافظين ٣٩ نائباً . وضمنت حكومة هيث بذلك « فارغا مريحاً » فى الأصوات . الا أن حزب العمال أعلن بوضوح مزيمه على مواصلة معارضة الانضمام للسوق بالشروط التى قبلها المحافظون ، وقال **جيمس كلاجان** وزير الداخلية فى حكومة الظل العمالية « ان ما حدث فى مجلس العموم » لم يكن أكثر من كمين أول فى الصراع » . وقد فهم من هذا أن العمال يعتبرون الاستمرار فى معارضتهم لعنصرية السوق المشتركة اذا عدوا الى الحكم فى بريطانيا « فضلاً من انه لا تزال هناك معارك مريرة تنتظر الحزبين البريطانيين الحكم والمعارض فى مجلس العموم » حينما يجرى استصدار التشريعات المنظمة لعلاقة بريطانيا بالسوق الأوروبية ، « التى تجعل القوانين فى بريطانيا الا تسير وفقاً للقوانين المعمول بها فى دول السوق » . لأن استصدار هذه التشريعات هو الأمر الذى يتوقف عليه إمكان اقدام الحكومة البريطانية على توقيع معاهدة الانضمام للسوق فى الموعد المحدد له ، وهو أول يناير عام ١٩٧٣ .

والواقع أن نتيجة الاقتراع فى مجلس العموم أكدت حقيقة أساسية فى وجه الديمقراطية الفرعية فى بريطانيا . فإن كل عمليات استطلاع الرأى العام والاستفتاءات التى سبقت التصويت البرلماني « أكدت ان غالبية الشعب البريطانى تعارض « بمسألة » انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية ، وتعتبر عضوية السوق بمثابة خيانة للكيبان الانجليزى المستقل المتروك فى أوروبا المنحد . وكان آخر استطلاع للرأى العام اجراه معهد « **لويس هاريس** » « قبيل الاقتراع فى مجلس العموم ، قد دل على ان ٣٠ ٪ فقط من البريطانيين يؤيدون الانضمام للسوق » بينما يعارضه ٤٩ ٪ منهم . ويحتكم هؤلاء المعارضون أكدوا مخاوفهم من تدفق العمال من أوروبا ليكونوا بدلاً من عمال بريطانيا فى حالة اضرائهم ، فى الوقت الذى تستاق فيه من بطالة تبلغ نسبتها ٣٫٩ ٪ من القوى العاملة . حتى ريات البيوت الانجليزيات اعربن فى هذا الاستطلاع للرأى عن مخاوفهم من أن تؤدى الرسوم الجبركية لمجموعة دول السوق الى رفع اسعار السلع الغذائية . وسيدادو الاساك البريطانيون عارضوا عضوية السوق ٪

خارج المؤتمر يرون أن كثيرا من الحلول الوسط وخاصة بشأن المشكلات النقدية والمنتجات الأساسية ، والإجراءات الخاصة بالدول الأقل تقدما ، قد أضعفت الواسف التي كان ينتظر التوصل إليها في مواجهة الدول الصناعية . وقد دعا ممثلو الدول الإفريقية والآسيوية والأمريكية اللاتينية الحكومة الأمريكية إلى إعفاء الواردات القادمة من دول العالم الثالث من الضريبة الإضافية على الواردات وقدرها ١٠ ٪ ، وإلى إعادة النظر في قرار خفض برنامج المونة الخارجية بنسبة ١٠ ٪ بحيث تستثنى جميع الدول الأعضاء في مجموعة الـ ٧٧ من هذا القرار . وطلبوا الدول المتقدمة بالامتناع عن اتخاذ أية إجراءات من شأنها تقييد تجارة الدول النامية . وفيما يتعلق بإصلاح نظام النقد الدولي طلب ممثلو هذه الدول بأكبر قدر من المشاركة في هذه العملية حتى ينسج الجميع الدولي مصالحها في. واعتبره ، وعلى نحو محدد طلبوا بالمساهمة الكاملة للعالم الثالث في كل مشاورة تمهيدية وفي كل قرار يهدف إلى إصلاح التجارة والنظام النقدي العالي .

وطالبوا الدول النامية كذلك بإحياء وتديم دور وسلطة صندوق النقد الدولي ، وكذلك إنشاء نظام مرض لأسعار التبادل يكون داخل حدود محكمة . ووضع نظام دائم — للفصائلات إزاء خسائر التبادل التي تلحق بأفرادها واحتياجات الدول النامية وطلب المؤتمر بوضع نظام لتمويض هذه الدول عن الخسائر التي تلحق بها دون أن يكون لها دخل فيها ، والتي تنتج من المضاربات على بعض مبيعات الدول المتقدمة ، كما طالب بزيادة حقوق التصويت بالنسبة للدول النامية داخل المنظمات الدولية ، وذلك حتى لا تكون المشاكل النقدية الكبرى من اختصاص الدول العشر الغنية وحدها .

واقترحت الدول المشتركة في المؤتمر كذلك إنشاء هيئة حكومية تابعة لها للعمل على توحيد مواقف دول المجموعة بالنسبة لهذه المسألة برمتها ، وتكون مهمة هذه المجموعة الحكومية متعلقة بطور الأزمات النقدية وتديم توصيلها إلى حكومات الدول النامية بالمواقف الخاصة التي يمكن اتخاذها ، حتى تقف في جبهة موحدة في مواجهة الدول الصناعية ، على أن تضم هذه الهيئة ١٥ عضوا على أساس أن يمثل كل فترة خمس أعضاء . وطلب المؤتمر ، الدول الصناعية بإلغاء الإجراءات التي تستهدف تشجيع سلمة وطنية ما من السلع الأساسية غير ذات العائد والتي تتنافس عليها الدول النامية كما طلبوا هذه الدول بإلغاء أي إجراء يستهدف الحد من استيراد إحدى السلع الأساسية الواردة من إحدى

تضمن الاحتكارات الرأسمالية في أوروبا الغربية بالتوسع نطاق السوق المشتركة على هذا النحو ؛ باعتباره يشكل تهديدا لاستقلالها الاقتصادي ولنموها براسماليها الوطني . فإن اتساع السوق المشتركة على هذا النحو يجعل الدول الصغيرة في أوروبا أقل مقدرة على المنافسة في مواجهة التكتل الاقتصادي الأوربي . وهو أمر يهدد بالتالي استقلالية الدول الصغيرة ويحاديها ، كما هو الحال بالنسبة للنمسا وفنلندا .

والأمر المؤكد أنه وراء أطر اتحاد الاحتكارات الرأسمالية في أوروبا ، وأطر المنافسة بينها وبين الاحتكارات الأخرى ، سواء في إفريقيا نفسها أو في الولايات المتحدة ، يوجد مسمى أساسي للرأسمالية الغربية اليوم ، هو التكتل في مواجهة العالم الاشتراكي وتنسيق استراتيجيتها في المواجهة التاريخية بينها وبين النظام الاشتراكي . وخلال هذه المحاولات ، تتضح تناقضات العالم الرأسمالي الداخلية — بين دولة الكبرى ودوله الصغرى ، وبين طبقاته الرأسمالية وطبقاته العاملة — وتتضح في الوقت نفسه حقيقة الاختلاف بين نظام اتحاد الاحتكارات وتنافسها في العالم الرأسمالي ، ونظام التكتل والتعاون الاقتصادي بين الدول الاشتراكية ، باعتباره مرحلة متقدمة من تقسيم العمل الانتاجي بين دول ذات سيادة تجمعها مصلحة التقدم الاشتراكي ، وتجمع شعوبها وحدة الطبقة العاملة ومصالحها .

بيرو

أخفق مؤتمر « الفقراء »

في توحيد صفوفهم

وافق الوزراء ورؤساء الوفود الذين يمثلون ٩٥ دولة من دول العالم الثالث والذين اشتركوا في المؤتمر الوزاري الثاني لمجموعة دول الـ ٧٧ على « بيان فيما » الذي يتضمن مبادئ عامة تعبر عن توصيات هذه الدول . وستكون هذه الوثيقة — التي تمت الموافقة عليها في بداية الأسبوع الثاني من نوفمبر الماضي — هي أساس المفاوضات التي ستجريها الدول النامية مع الدول الصناعية أثناء الاجتماع القادم لمؤتمر التجارة والتنمية للتابع للأمم المتحدة الذي سيعقد في سانتياغو عاصمة شيلي في أبريل عام ١٩٧٢ .

وقد أوضحت أغلبية المندوبين في المؤتمر أن بيان فيما يمثل خطوة هامة في توحيد الدول النامية ، وثيقة أكثر « تحديدا » وأكثر « واقعية » من ميثاق الجزائر الذي صدر في عام ١٩٦٧ في المؤتمر الوزاري الأول لمجموعة السبع والسبعين . إلا أن العدد الأكبر من المراقبين السياسيين

الدول التالية ، وبمعدن تشجيع انتاج المنتجات الصناعية واليدوية التي تنافس المنتجات الطبيعية لدول العالم الثالث .

وفيما يتعلق بسياسة الاسعار ، اعرب عن امله في الايزداد هبوط اسعار السلع الاساسية ، وفي رغبها اذا امكن ذلك .

واوصى المؤتمر بان تقوم الجمعية العلية للأمم المتحدة في اقرب وقت ممكن بإنشاء صندوق خاص من أجل «الدول الاقل نمواً» على ان يحصل على موارده مما تبرع به السدول المتقدمة والمؤسسات الدولية ، مما سيسمح للدول الاقل نمواً باتقاء صناعات للاستفادة من المواد الخام والمواد الأولية التي يتم انتاجها فيها وتوسيع منتجاتها وتحسين طرق تسويقها . وطالب إعادة النظر في قائمة الدول الضعيفة والعشرين الاقل نمواً وهي ١٦ دولة افريقية و٨ اسيوية وواحد من امريكا اللاتينية . كما طلب من مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية وضع مقاييس جديدة لذلك . وتبنت الدول النامية بمعالجة خاصة في التحويل ، واعلاء السدول الفقيرة من بعض الاتفاقيات المالية ، والفاء أو خفض الضرائب الداخلية ، والرسوم الأخرى المفروضة على استهلاك المنتجات الإدارية بالنسبة لهذه الدول ، والفاء القيود المفروضة على الكيكة والمعدات التي تضرر استيراد المنتجات المصنعة أو نصف المصنعة لهذه الدول .

وكانت الخلافات بين المجموعات الاقليمية الثلاث آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية داخل المؤتمر حادة جداً ، وهي تعكس مختلف درجات تطور دول هذه المجموعات والمصالح المختلفة للدول الاقل نمواً والاكثر نمواً ، كما تعكس في نفس الوقت الارتباطات الاقتصادية للدول التالية ، مع دولة متقدمة واحدة أو أكثر . وقد صرح الجنرال ادوارد ميركاندو وزير خارجية بيرو التي عقد فيها المؤتمر بان هذه الخلافات قد نشأت اساساً من التركيب الحالي للانتاج في دول المجموعة ، فهذا التركيب النجم من السيطرة الاستعمارية أو الابرجيلية قد اجبرنا على ان نحصر اقتصادياتنا على تصدير المنتجات الاساسية التي كثيرا ما تنافس مع بعضها البعض . وعلى أية حال فيها يتعلق بتباين درجات التطور بين القارات ، تبدو امريكا اللاتينية بوجه عام ، أكثر القارات تطوراً حيث توجد في أغلب دولها بدايات تصنيع . ومن الناحية المائلة فإن الدول الافريقية وبعض الدول اسيوية تقوم أساساً بتصدير المنتجات الخام ، وبعض المنتجات الزراعية . وتوجد هذه الاختلافات الجوهرية أيضاً في مستوى الإجراءات التي تتخذها لجنة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية التي لا تهتم من

الناحية العملية حتى الان سوى بالمسلع المصنعة ونصف المصنعة .

وفيما يتعلق بمشكلة النقل البحري مثلاً ، توجد دول امريكا اللاتينية ضمن مجموعة الدول العملية في مجال النقل ، بينما تعد الدول الافريقية وأغلبية الدول اسيوية من الدول التي تحتاج الى من ينقل بضائعها ، وهذا الفرق يضع تلك الدول في المناقشات الدولية في مواضع مختلفة . وفيما يتعلق بالمشكلات التقنية ، تمارض الدول الافريقية والاسيوية التي تنتمي الى منطقة الفرنك أو الى الاسترليني فكرة اقامة اجهه موحدة لدول العالم الثالث مواجهة الدول الصناعية حصيصاً تطالب بذلك دول امريكا اللاتينية . أما بالنسبة لمشكلة تصنيف الدول الاقل نمواً ، فإن الافريقيين والاسيويين يقولون ان قرارهم في المعنية بذلك أولاً ، ويرد الافريقيون والاسيويين على طلب دول امريكا اللاتينية بتوسيع قائمة الدول الاقل نمواً ، فيطرحون الفكرة الجديدة من الدول « الفقيرة الموارد » .

وقد انقسمت الوفود فيما بينها فيما يتعلق بمواجهة المشكلة التقنية العالمية ، اذ تطالب بعضها بمعد مؤتمر دولي تشترك فيه دول العالم الثالث ، وطالب البعض الآخر بالعمل من خلال المنظمات القائمة . وفيما يتعلق بالمنتجات الاساسية مثلاً ، طالب الافريقيون باعادة النظر في الاتفاقيات الدولية بشأن بعض المنتجات مثل البن والكاكاو في إطار مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والتجارة ، بينما رغبت دول امريكا اللاتينية اعادة النظر في هذه الاتفاقيات ، ولا سيما بسبب منافسة المنتجات الافريقية للبن في ساحل الماچ ، مثلاً في اسواقها .

وبما يعكس كذلك جانباً من الخلافات في المؤتمر ، انه عندما طالبت دول امريكا اللاتينية فيما يتعلق بالمشاكل التقنية ، بإنشاء مجموعة حكومية مشتركة من دول المؤتمر ، تكون مهمتها الاتصال بين هذه الدول وصندوق النقد الدولي ، عارضت الدول الافريقية ، وبصفة خاصة التي تنتمي منها الى منطقة الفرنك ومنطقة الاسترليني هذا المشروع ، واعلنت انها تفضل ان تمثلها فرنسا أو بريطانيا في صندوق النقد الدولي على ان تمثلها مجموعة من دول العالم الثالث . وفيما يتعلق بتصنيع مجموعة الدول « الـ ٧٧ » ، تطالب بعض الدول الافريقية والاسيوية بفتح مكتب دائم خاص بالمجموعة في جنيف ، وقد رغمت دول امريكا اللاتينية ذلك بحجة انها لا تريد للمجموعة ان تكسب طابعاً يروقراطياً . كما حدث خلاف في المؤتمر بشأن جملة هيئة دائمة ، بين دول افريقيا وبعض دول آسيا التي تريد انشاء جهاز دائم للدول الـ ٧٧ ، وبين دول

— تقارير الشهر —

معد كبير من الدول التالية ، ان انسحاب اسرائيل شرط ضروري لاعادة فتح قناة السويس .

ومن الجدير بالذكر ان هوشناح انصارى وزير الاقتصاد الايراني دعا الدول التسابية الى ان تحثو هذه الدول المصدرة للبترول لكي تستخلص تنازلات من الدول المتقدمة . وأشار في المؤتمر الى ان اهم المتجزات في مجال المواد الخام ، هو النجاج الذي احرزته منظمة الدول المصدرة للبترول خلال مباحثاتها مع شركات البترول العالمية الرئيسية وان الدول المنتجة للبترول قد نجحت في فرض اعسادة النظر في اسمعان البترول الخام ، واسمعت صوتها من اجل تحديد هذه الاسعار ، ويرجع ذلك الى حد بعيد الى وحدة الدول المصدرة للبترول والانسجام الكامل فيما بينها ، ومشاركتها الفعالة في المفاوضات ، واشاد انصارى بهذه النتيجة على اسسب انها اول انتصار هام في النضال الذي تشنه الدول التالية من اجل ايجاد حل عادل لمشكلة تصدير موادها الخام بأسعار عادلة الى الاسواق العالمية . ■

امريكا اللاتينية التي رفضت ذلك بدعوى انه يعطى سلطة التصرف في مشكلات مقددة للفاية وقد طالب مندوبو مصر وليبيا وسوريا باعادة فتح قناة السويس بشرط انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المصرية المحتلة ، وأوضح محمد عبد الله مرزبان رئيس الوفد المصري ، انه ينبغي ان نحدد بوضوح للوسقل اللازمة لوضع حد للاضرار التي يسببها اغلاق القناة « ولذا ينبغي ان نعالج اصل الداء ، اي ان ننهي تلبا الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . وأوضح رئيس وفد ليبيا في كلمته : « ان الوجود الاسرائيلي في الاراضي العربية يضطر الدول العربية في هذه المنطقة الى تخصيص جزء كبير من مواردها لجزاينة الدفاع . كما تقرر ان تطرح مشكلة اغلاق قناة السويس في الاضباع القادم لمؤتمر التجارة والتنمية التابع للامم المتحدة ، وقد لوصحت لجنة الصياغة التي كلفت ببحث مشكلة المرور في قناة السويس ان استمرار اغلاق القناة يرجع الى احتلال اسرائيل للاراضي العربية ، واضافت تقول تطبيقا على الاتار السينة القريبة على اغلاق القناة امام الملاحة بالنسبة لاقتصاد

رسالة من موسكو من بيكاسو الى دوستوفسكي الى فيفتشكنو

جوركي ومايكوفسكي والادب وميرخولا واخاويكوف في المسرح ، وايزنشتاين وفيرتوف في السينما وغيرهم ممن كانوا صدق حقيقي العالم جديد ، امتزجت فيه الثورة بالمعاناة ، ولم تبق تصورا فائدة الروح كما كان الامر في كثير من انتاج العهد الستاليني في منتصف الثلاثينات وبعدها .

من الصحيح ان بعض الاتهام قد انصب على كبار رسالي العصر اليساريين كرسام المكسيك المظلم نيجو ريفيرا وسيكروس واورونكو ، وعلى الايطالي كوتوزو ، وعلى الفرنسي — مع بعض التلطف — فرنان ليجيه ، ولسكن وشع بيكاسو كان مجرأا ، فباستثناء بعض اللوحات التي اقتنصها متحف الاميتساج في لنيغراه وبوشكين في موسكو ، والتي تنتمي كلها الى الفترتين الزرقاء والوردية . . لم يعرف المشاهد العادي بعد ذلك منه سوى حملة السلام المعروفة ، والجريتا التي هي لشهر لوحة في القرن العشرين .

ومنذ الستينات بدلت بعض الكتب تظهر من بيكاسو ، فهو على كل حال ظاهرة لا يمكن ان

ان تتبع الحياة الفكرية المتطورة والمتجددة ، لبند في حجم الاتحاد السوفيتي ، تسكنه مائة وسبع عشرة قومية وشعبا ولكل هؤلاء جرائدهم ومجلاتهم الادبية والفكرية ، لمر يبدو في حدود المستحيل بالنسبة لفردي ، ولذلك نقصر هنا على اهم الاحداث البارزة التي استرعت انتباه المهتمين بشئون الادب والفن ، او اثارته النقاش ، او طرحت رأيا جديدا ، الى جانب عرض اهم الاعمال الفنية والكتب المصدرة والمسرحة وغير ذلك من ضروب النشاط الفني والادبي .

رأى سوفيتي في بيكاسو :

لا يعرف السوفييتيون شيئا كثيرا عما يسمى بالفن الحديث ، فالعسارض السوفيتية — وبالأخرى التانف — تكاد تخلو من لية لوجهتميل المدارس والاتجاهات الحديثة كالنكيبية او الوحشية ، او السوربالية او المجردة او غيرها . ذاك انها تقيت منذ زمن بعيد على انها فن شكلي ، وانها بعيدة عن الواقعية الاشتراكية التي يبدو الآن في السنوات الاخيرة انها تجد من يطلقها من القيود « الجذائفة » الرهقة ويعيدها الى منابعها الصافية التي يمثلها فرساستها الاوائل

وكذلك أعمال السيراميك ؟ ويعرض الصور الشخصية مثل صورة سيلفيا دافيد .

لقد عبر بيكاسو منذ بداية القرن عن قلقه العميق وآلمه من أجل الناس الذين يشوه سوء البناء الاجتماعي حياتهم ، وتشقى أعماله في الثلاثينيات وسنوات ما بعد الحرب عن روح التبرق المخلص العميق .

أذكاء ظهرت « جريكا » التي الهبا غضبه على الرجعية الفاشستية القاسية أيام الحرب الأهلية في إسبانيا ، وكان أيليا هرنينورغ على حق عندما قال لي من هذه اللوحة بأنها أهم صورة في القرن العشرين رسمت بأسلوب غير واقعي .

لم يكن من بيكاسو أبدا يقف في البرج ، لقد كان منه اشتغال الروح .. واننى أقدم له عقيق الشكر .. »

دوستوفيسكى وروح العصر :

مقد بمعهد جوركي للادب المالى ، ولدت ثلاثة أيام مؤثر على لبحت ادب دوستوفيسكى القيت فيه ٢٨ تقريرا وكلمة ، وقد احتشمت قاعة المؤتمر طيلة أيامه بعدد كبير من الطيلاء والابشاء والضيوف الاجانب وطلاب الادب مما يدل على نجاحه الكبير .

وهذا النجاح الكبير الذى لقيه المؤلف يمكن الاهتمام العميق الذىلقاه اسم دوستوفيسكى .. هذه الظاهرة الادبية الشاملة المعقدة المرتبطة دوما بحياة العصر . وقد وصفه رئيس لجنة الاحتفالات السوفيتية ببوبيل دوستوفيسكى البروفيسور مستوشكوف بأنه « احدى القوى الجبارة للتطور الروحي للإنسانية » اذ انعكست في ادبه افكار وانذامات ذات أهمية تاريخية ومن أهدافه الانب السوفيتي الرد على التفسيرات الملتفة والمفرسة لادب هذا الكاتب العظيم ، ودراسته باعتباره ظاهرة حية كما ان أعمال دوستوفيسكى المبكرة لم تدرس دراسة وافية بعد ، رغم انها فتحت صفحة جديدة في الادب الروسى ، كما تنبى دراسة أكثر المؤلف عموما ، وبالأخص فكرته حول « الإربط بالارض » في آخر أيامه .

ومن التقارير التى قدمت الى المؤتمر «تأثيرات غريبودوف عند دوستوفيسكى » و « هرتمن فى البصوت الروحية لدوستوفيسكى » و « دوستوفيسكى وتورجنيف » و « بعض خصائص الأسلوب الفنى لدى شوبرين ودوستوفيسكى » و « دوستوفيسكى وليسكوف » و « الإنسان فى عالم دوستوفيسكى وتشيفوف » و « دوستوفيسكى كما يراه بلوك » و « أبطال

تجاهل » وهو اعظم فنان ينسارى طرح قضايا التجدد فى الشكل والمضمون بصورة جدلية حية ، وجيرة الناقد السوفيتيى ، الذى اعتقاد على أشكال معينة تكاد تبدو فى بعض الأحيان ثابتة ، كانت حيرة حقيقية ، فالفنان ملتزم ، بل هو عضو فى الحزب الشيوعى الفرنسى ، ومواشيمه تعكس خير ما فى أعمال العصر ، ولكن اشكاله الغامضة فى بعض الأحيان وغير المفهومة فى أحيان أخرى تبدو له غير مبررة ، وان كان لم يصل الى درجة ادانتها فهو قد عبر عن شكوكه حول جدواها ..

وها نحن ننقل الآن باختصار بعض افكار المجل الذى كتبه الدكتور فى الفن تشيفوداف بعنوان « بيكاسو وعالمه الأساوى الوفاء » ونشره فى الجريدة الادبية بمناسبة بلوغه التسعين وبمناسبة افراد متحف يوشكين فى موسكو معرضا يضم أعماله الموجودة فى الاتحاد السوفيتيى :

« يرتبط باسم بيكاسو لدى أبناء القرن العشرين تصور عالم فنى معقد ، فنى واسع الى حد عجيب ، يعكس فى داخله الآمال والالام والشكوك والانزعاج والمعرفة الهائلة بالحياة ، ولا يوجد فى قرننا فنان اشتهر ودرس بقية من مختلف وجهات النظر ، وظل حتى الوقت الحاضر غامضا جدا ، قريبا وبعيدا فى آن واحد من جمهوره مثل بابلو بيكاسو .

ولم تكن جميع أعمال الفنان ترضي المشاهدين دون جدال او كانت مغنوة ومقبولة لديهم . ولكن فى من بيكاسو الكثير من الاكتشافات الرائعة ، والكثير من قم فى القرن العشرين الى تساوى فى قيمتها انجازات عظماء فناني القرون الماضية ، قم كاثية وحدها ليخلد من المعاصرين والمقبلين .

قل من بيكاسو كثيرا بأنه يشبه بروفيو الذى يغير طابعه وصورته باستمرار ، وأنه كثر لايمكن التمسك به او تفهيمه . لا اعرف ما اذا كانت هناك ضرورة لاطاء تقييم لكل خطوة يخطوها بيكاسو ، وما اذا كانت صحيحة او خاطئة . فكل انسان يستطيع ان يختار من الخضم الهائل لأعماله المتنوعة ما هو قريب الى نفسه ، ولكن لدى بيكاسو أعمالا ابدعتها ريشته منذ بداية القرن حتى أيامنا هذه ، وجدت طريقها الى وصى المشاهدين فوراً ، باعتبارها مفعمة بالسر العظيم ومن روائع الفن المرفه الحسى والعميق ،والتي خلقت فوراً حرم التراث الكلاسيكى للثقافة الفنية الإنسانية . منها أعمال الرائعة فى « الفترة الزرقاء » و « الفترة الوردية » ومنها « المتسلسلة الإسبانية » من أعمال اليتوجرافيا :

مجموعة من عديي الموهبة والمتسلقين !
عن هذا الموضوع بذات كانت مقالة الشاعر
يقوتسكو في « الليتارونيا جارتنا » وإلى
القارئ بعض ما كتبه :

« عانيت مرة أحد الشعراء الذين احترهم
لعدم صراحته وضيق رايه اللذين ظهرا في إحدى
مقاتله المنشورة حول الشعر ، والذي وجه فيها
سهل نقده ضد العيوب الموجودة فعلا لدى أكثر
الشعراء موهبة من جيلنا ، وهذا أمر لا بأس به ،
فأكثر الدروس قسوة بغيد الشباب ، لكن بمعث
عناي كل يعود إلى انتشار هذا الموقف في النقد .

فقد حاول بعض كاتبي المقالات إيهل كونيات
وويرديف ولويونوف وكوجيونوف تصوير المسألة
كما لو أن الخطر الأكبر على شعرنا يمثله
نوزيسينسكي وأخادولنسكا وأكودجالسا
وفينوكوروف . ولا أريد القول أن شعرهم يخلو
من العيوب لو أن انتقاد أصحاب المواهب من
الأمور المحرمة ولكني أقول أن حق انتقاد أصحاب
المواهب لا يمتلكه إلا من يواصل التنقل بدباب
ضد عديي الموهبة .

ويستطيع النقد بالطبع أن يحدو تبرايرا يبدو
لهم مقنعا بلقول « أن الكتابة عن الشعراء
الموهوبين هو السدى يبعث على الإهتمام ، أما
الباقون فلا وجود لهم لأنهم خارج اللغة » .
ولنحصر الحديث بالمسألة الأخلاقية البحتة :
فليس عيبا أن نحدث الإساءة بشرف وبصراحة
عن أخطائهم ، ولكن العيب أن نقول الحقيقة
للضيق فقط في الوقت الذي نزه فيه اكتفانكون

بمبالاة عندما نرى اهتمام الموهبة لدى الآخرين .
فنلقد مثلا لا يبدون أي التفات للأشعار
المنشورة في الجرائد ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار
صعوبة الحصول على دواوين الأشعار ، فإن
القارئ يتعرف على الشعر من طريق الجريدة ،
التي تنشر في الغالب التناج الرخيص . حقا أن
القارئ يود في ميد أول مايو أن يقرأ أية قصيدة
جيدة ذات موضوع وطني أو شاعري ، بدلا من
أشعار المناسبات الجاهزة المتبذلة .

وقد حدث أيام فتوتي أن نشرت في يوم واحد
خمس أعمال شعرية تشابه في جرائد مختلفة ،
ولم يلفت أي نقد نظري إلى هذا الموقف غير
الجدي من الكتابة .

أنتي أطلب من النقد أن لا يقتصر في تقديم
على معالجة معنى القصائد ، بل ألا يتوانا من
نقد القصيدة من حيث اللغة ، وأقترح أصدان
مجلة تنشر أعمال الشعراء الشباب والمخضرمين
إلى جانب مقالات نقدية مساربة جدا لا تتناول
المعنى فقط وإنما البنى أيضا » .

سعيد حورانية

دوستوفيسكي والكتاب الانجليز المعاصرون ،
« دوستوفيسكي وشكسبير » و « الرواية
الاجتماعية أم الطوفان الوجودي » و « نقاشات
معاصرة حول دوستوفيسكي في إيطاليا » ،
و « دوستوفيسكي كما يراه الادباء الصينيون » ،
وه دوستوفيسكي والقضية المكسيكية » و « من
المختبر الأدبي للجريمة والعقاب » .

والقائمة كما يرى القارئ في غاية الاهمية
للمتبع ادب دوستوفيسكي ، وسنعرض في رسالة
تادمة بعض ما جاء في هذه الدراسات .

يقفستكو والنقاد :

ماهي مسؤولية الناقد ؟ وإلى أي مدى يؤثر
النقد على الحياة الادبية والفكرية في الانحاء
السوفيتية ؟ هل هناك أزمة نقد حقيقي أم لا ؟
إن يوجه النقد ؟ لماذا — في أكثر الأحيان — يوجه
النقد إلى الموضوع ويهمل نقد الشكل ؟

هذه الاسئلة وغيرها تطرح الآن في أكثر
الصحف والمجلات السوفيتية انتشارا ذلك أن
هناك فيها يبدو بعض التناقض بين ذوق الجمهور
وذوق النقاد ، فكم من فيلم أثنى عليه النقاد
فسقط جماهيريا « الحرب والسلام » و « التحريض » ،
وكم من مسرحية تفنن النقاد في تبني عظمتها ،
ولكن بمساعد المترجمين ظلت خاوية بمع ذلك
كمسرحيات باجودين وغيرها وهكذا الأمر في
عديد من النشاطات الادبية والفنية مماذا تعني
هذه الظاهرة ؟

هذه الظاهرة تعني أن الاستيتكا (علم الجمال)
السوفيتية لا يؤثر فيها التأثير الحاسم النقد
السوفيتيون وإنما يصنعها ويؤثر فيها الكتاب
والشعراء والفنانون الموهوبون وهم يمارسون
تأثيرهم الحاسم من خلال أعمالهم ، وإذا استثنينا
بعض النقاد المتميزين الذين يمارسون العصر
كالنقاد المسرحي الكبير كوميديسكي وغيره ،
نجد تخلفا واضحا لدى النقد في التحمس للجديد
وفي مساهمة التطور المذهل الذي يطرحه عصرنا
للمقد عصر السوبر نتيكية ، فحتى الآن يتساهلون
أمام الشكل المبطل إذا كان الموضوع يتناول قضية
سياسية أساسية ، وتفرد الصحف والمجلات
سفحاتها ، ويخصص التلفزيون والأذاعة
برامجها لسيل لا يتقطع من القصائد التلفزة ،
والقصص المعقدة ، والبرامج الشاحبة التي تملأها
مناسبات عظيمة وخالدة كثرة اكثور الاشتراكية
العظمى وميد أول أيار ويوم النصر على الفاشية
وغير ذلك من المناسبات . وكم من مرة ندد
مايكوفسكي بهذا الموقف ، وكم من مرة أشعار
جوركي وحذر من ابتذال المناسبات العظيمة
واستخدامها كحصان طرواده يضيء داخله



وحيد النقاش

فقدت

« الطلبة » الشهر الماضي واحدا من ألمع الكُتّاب الشباب الذين شاركوا في تأسيسها منذ كانت حلما يرأود محسري وكتاب « صلحة الرأي » في الأهرام مع بداية الستينات . وقد تخصص وحيد أبان تلك الفترة في الكتابة عن الفنون المسرحية والمسرح المصري ، وتميزت كتاباته بالتركيز على البعد الاجتماعي في العمل الفني دون إغفال العناصر الجبالية، الموروث منها والمأثور عن إنجازات العصر.

الماضية زوجته الفنانة فاتن انور ، كذلك قدمت له اسرة «الأهرام» كل ما تستطيع من أساليب العون فرسخت في حياتنا المسرحية تقليدا جديدا في رعاية الكتاب والفنانين . ولكن وحيد النقاش الذي نجح في التغلب على كثير من الأزمات وحقق انتصارا ملها باهرا بانتهاه من دراسة الدكتوراه لم يشأ له الموت أن يحقق الغاية التي ناضل من أجلها طويلا وتآلم في سبيلها كثيرا لذلك لم أن فجعنا فيه نحن اسرة « الطلبة » أكبر من أن تعبر عنها هذه الكلمات ، ولا يعوض خسارتنا فيه إلا أن تتحقق آماله على أيدي غيره من أبناء جيله .

لقد خرب وحيد مثلا ريعنا لدرجة الاستشهاد ، وعلى زملائه الذين دفع منهم الثمن حتى الموت ، أن يجسدوا هذا المثل الفريد في حياتهم وانتاجهم .

وأخيرا ، فإن من حق وحيد النقاش ومن حق قرائه ، أن تترجم رسائله وتطبع فهذا دينه في اعتبارنا جميعا ، نحن الذين لا ينبغي أن نغرقنا مشاعر الحزن ، فتمتسي الوفاء . ■

(الطلبة)

وقد أخلص وحيد النقاش للنقد المسرحي خلاصا باعد بينه وبين المناخ غير الصحي الذي ساد بين بعض الأقسام النقدية في بلادنا ، بحيث أنه استطاع أن يتقى الانزلاق في مهاوى الملاحظات الشخصية ، ومغريات الوهج السريع، وأن يتفرغ تماما للثقافة درسا وتحصيلا وانتاجا . وكان قراره عام ١٩٦٧ بالسفر الى باريس بهدف استكمال أدوات البحث العلمي الجاد والعميق ، فتوجسا أصيلا لهذا التفكير الإخلاقي في تكوين الناقد . . .

ولقد صالحت وحيد أثناء وجوده في فرنسا، العديد من المشكلات المادية والصحية ، ولكنه لم يتحول أبدا عن هدفه في الحصول على الدكتوراه . وقد كان موضوعه حول « تطور الواقع الاجتماعي في مصر على خشبة المسرح » رمزا دالا على أن انتفاعه للدراسة الأكاديمية في الخارج ، لم يقطع الصلة بينه وبين وطنه ، بل على النقيض من ذلك كان هذا الانتفاع مرحلة اعداد وتدريب على أحدث الأسلحة العلمية ، ليعود الى بلاده مقاتلا ومنضلا على جبهة الثقافة العربية التقدمية .

وقد نقلت الى جانبه طيلة السنوات الأربع

الايديولوجية العربية المعاصرة جنود الثورة الافريقية

مكتبة
الطابعة

الأيديولوجية العربية المعاصرة

تأليف :

عبد الله العروى

محمد عيقاني

مضفى :

عبد الحميد محمد على

النشر :

دار الحقيقة للطبع والنشر
- بيروت - ١٩٧٠

كثرت الكتابات العربية فى الفترة الاخيرة عن مساهمة العرب فى بناء الفكر والحضارة وعن مركزهم الفكرى والحضارى فى عالم اليوم ومستقبل ذلك الفكر وتلك الحضارة ، كل ذلك فى محاولة لاثبات الفكر العربى كفكر مستقل ويمتيز عن غيره من منابع الفكر الاخرى وان كان يتعامل معها تأثيرا وتأثرا .

والكتب الذى نحن بصدده يبحث فى مفهوم الايديولوجية العربية المعاصرة محاولا تتبع مراحل الفكر العربى ، ومحاولات تفهم الذات العربية وعلاقة الفكر العربى بالفكر العالمى ، موضعا مركز الماركسية والديالكتيك فى الفكر العربى المعاصر وكذلك اساليب التعبير العربية .

■ يشير المؤلف فى البداية الى ان الايديولوجية ليست فكرة مجردة او عقيدة ولكنها الفكر غير المطبق للواقع ، وتختلف من شخص لآخر وعن الخطأ المنطقي او التقص الطبيعى فى وسائل التخيل ، ويقتضى مفهوم الايديولوجية وشما اجتماعيا وتاريخيا خاصا يعيش لشواه الفرد المنتمى للجماعة ، وشما يجعله عاجزا من ادراك تعبير صادق تماما عن واقع حياته المعسلة بها تحويه من علاقات سياسية واجتماعية وفكرية

جماعية وتطلعات المستقبل . ويرى أنه كرى بحث العرب من ذاتهم يلزمهم بحث التاريخ الحقيقي لفتحهم عن الغرب ، كما يركز على دراسة علاقة العرب بأرضهم لأن ذلك يدفعهم الى الامام ويميد ثقتهم فى المستقبل ، ويضيف أنه اذا كان هناك قاسم مشترك بين جميع الناس اليوم وخاصة بين العرب والغرب فإن مستقبلا مشتركا يرسم فى الافق ويضفى النسبية على جميع المسائل المتعلقة بالذات والمساوى ، وان وضع العرب الانتقالى مقع بالفضائل والشك اذ كيفيتيون شكلا قنيا أو أفسيا قادرا على التعبير تعبرا مطابقا للرحلة الحاضرة ويكون ذا قيمة عالمية ؟

وفى رايه ان فكرة الايديولوجية تستخدم فى احد المعاني الثلاثة الآتية : ١ - بمثابة انعكاس منفصل عن الحقيقة الواقعة بسبب التحليل ذهنى المستخدم ٢ - بمعنى نظام فكرى يحجب الواقع لانتمسحتل أو صمب التحليل ٣ - بمعنى بناء نظرى يأخذ من مجتمع آخر لا وجود له فى الواقع ولكنه فى طريق الفكون وبعبارة أخرى يستخدم بمثابة نموذج كى يحقق العمل .

ويتناول الدولة القومية [الاشتراكية] فىرى أنها - من الوجهة الاقتصادية - تسكن ضد الاستعمار الامبريالى لكنها لاتزله ، ومن الوجهة السياسية والاجتماعية يرى أنها فى طريقها الى البرجوازية - مع ملاحظة ذلك من خصائص اجتماعية وثقافية - تحت قيادة فئة اجتماعية غير البرجوازية .

ويتساءل : هل تتحدد الثقافة بملازماتها المادية ؟ وهل تتحدد الايديولوجية فقط بالمجتمع الذى تعمل فيه والطبقة التى تستخدمها ؟ وبأى وجه يظهر الاتصال بين ثقافتين ؟ ويضيف أنه منذ نهاية القرن التاسع عشر يتساءل العرب : من هو الغرب ؟ ومن هو أنا ؟ . وقد يرى أن سر تفوق الغرب هو اهتمامه بالكتابة من الفترات الأخرى ولكن الكتائب لا يوافق على ذلك وحجته فى هذا وجود رسائل عربية حقيقية مختلفة تهتم بالشعوب الأخرى كوصاف الرحلة ، وتقارير السفحين ... الخ . ويبرز الكتائب بين أساليب ثلاثة فى الايديولوجية العربية المعاصرة لفهم القضية الأساسية للمجتمع العربى وهى :

١ - الأسلوب الدينى : - وفقا لهذا الأسلوب يوجد تعارض بين الشرق والغرب فى اطار التعارض بين المسيحية والاسلام ، ولا يوافق علماء الاسلام على أن ضعف العرب ناتج عن التعصب والخرافات الاسلامية ، لانهم لا يجدون فى تعاليم الاسلام سوى صلح وأيمان مقدم بالعقل ، كما يرمضون الادعاء بأن قوة الغرب مبنية على العقل والحسنة ويستشهدون بالكتائب المعانين للكليروس ، وبسجن جليلي واهانة نيكارت ، واضطهاد روسو . ومن سر تدهور الاسلام - يجب للشيوخ محمد عبدجفوله

[ان صح الحكم على الدين ببلشاهد من احوال أهلها وقت الحكم ، جاز لنا أن تحكم بأنه علاقة بين الدين المسيحي والندنية الحاضرة] ، كما يرى علماء الاسلام المعاصرين ان سر ضعف العرب هو عدم اخلاصهم لرسالة الله وأنه اذا توفى ذلك الاخلاص لعاد الاسلام الى مسابق ازدهاره ويمثل هذا الأسلوب محمد مبد .

ب - أسلوب رجل السياسة : - ويمرور الزمن وبعد دراسة التاريخ الغربى فى حد ذاته ينتهى الامر بالافتقار بأن العقل سواء قدم الى أوروبا من الاندلس أو من أى مكان آخر فقد وجد فيها التربة اللاتنية ، ويرى رجل السياسة أن انحطاط العرب كان سببه عبودية قديمة وان الاسلام طالما كان حرا كان بمستلها منتصرا وحين لولته الدولة العثمانية تصورت طبيعته وانهار ، وظلت الدولة العثمانية متعصرة طالما كانت أوروبا مستعبدة ، وحين تحررت أوروبا فى عهد الاموال راحت تنصر فى كل مكان ، ويمثل لطفى السيد .

ج - أسلوب رجل التكنولوجيا : يرى انصار هذا الاتجاه أن الحرية السياسية والمجالس النيابية لاتعطى القدرة ، وأن الغرب قد ساد لقوته المادية التى اكتسبها بالعلم والعمل ، وأن اليبان قد تقصت لاهما لتل الى النهج الغربى ، ويؤكد ذلك سلاحه موسى مثل هذا الأسلوب بقوله : - [ان الحضارة الآن هى الصناعة وثقافة هذه الحضارة العلم] .

اما جمال الدين الافغانى فكان أول من اعتبر الشرق والغرب كائنين تاريخيين متضادين ، ومن اقواله الماثورة [ان يحيا الشرق مالم يحكمه رجل قوى عادل بهواقفة سكانه ودون استبداد] ويسببه علل الفاسى [اشتراكى مقابل سنة ١٩١٧] ، هذا ورغم التفتح الذى أيداه الكتائب من العرب لطل لطفى السيد وسلاحه موسى الا ان نظرة البرجوازية الفبرية للمجتمع العربى قاصرة وتتركز الى العقيدة الاسلامية فقط ، كما لا يرى من المجتمع العربى سوى وجهه الاسطادى أو الاطاعية .

ويذكر الكتائب ان المغرب العربى لم يدخل حقا فى اتصال ثقافى مع المشرق العربى الا من خلال كتابات محمد عبده وتلاميذه ، وقد تأثر علل النابى كثيرا بمحمد عبده ، ويميز الفاسى بين اسلام حقيقى مناسم ، واسلام تاريخى ظاهرى يمكن فقدده دون ضرر يفر ، وقد استمره الفرييون رجما ، كما اعتبره الجيل الجديد مدافعا عن الامتيازات البرجوازية ، ولكن حقيقة الامر أن علل ليس ايدىولوجى طبقة معينة بل يمثل مرحلة من الثقافة المصرية الغربية وعملية البناء الاجتماعى المغربى ذلك اتبع على أنه رمز أكثر منه سياسى ، الا ان الليبراليين قد تعقبوه ودفعوه الى معارضة ضمنية ودائنة بعد أن تولد

القيادة السياسية للبلاد لا وبعد أن بهرت الأنظار
اصلاحاتهم في مجالات متعددة ، وهم على اختلاف
الوانهم قليلو الاهمية اذا قورنوا بليبيرالى
المشرق العربى مما يضاعف من سطحتهم ويبيح
المجال لظهور نزعة رجل التكنولوجيا ، من ذلك
ماذكره المهدي بن بركة في كتاب له صدر سنة
١٦٥٨ بعنوان « نحو مجتمع جديد » من أن
[القيادة للشعبية القوية : ووضع البرامج
الاقتصادية والاجتماعية ، واشترك الشعب في
صياغة وتنفيذ سياسة دولته ، تضمن النجاح
للدولة] ، وهذا الوعي الدامى للتكنولوجيا
لايهم بعلم النفس والاجتماع ويحمل في طياته
مهدات أو ينور حل عسكري .

■ ويستطرد الكاتب في الحديث عن الدولة
القومية فيرى انها دولة الدعوة للتكنولوجيا
والصنيع ، ودولة البرجوازية الصغيرة الطائفة
وينقسم العالم في نظر الدامين للتكنولوجيا الى
اقياء وغمفاء ، وتترش هذه الدولة قيد القتل
على مجتمع مزال تحت تأثير اللهو ، وتفتح
للمجتمع كله طريق المستقبل ، ويؤدى البحث
من امالة هذه الدولة القومية من جانب السلطة،
والمعارضة للثقة التوليد ايدولوجية الاشتراكية
القومية ، ذلك ان الدولة القومية — كى تتصلح
مع كل مجتمعا — ترفع راية الاشتراكية القومية
متخذة في زيادة الانتاج والتخطيط والتأميم
والمعادلة الاجتماعية ، هذا وتعد النزعة الغربية
المعدية للامبريالية نظرية الثقافة القومية ،
والبنامكية الثقافية لهذه الدولة هي الديكتات
يتخطى — تدريجيا — التعارض بين نزعة الدعوة
للتقنية [التكنولوجيا] والثقافة القومية في نظرية
الاشتراكية القومية ، وهذا الديكتات ليس متعلا
في كل اجزاء المجتمع العربى لانه لايزال في بدء
تطوره . ويقول الكاتب ان حاضرمقرب هو
ماض يتجدد ومستقبل مسبق ، فيرجل الدين ينتقد
النزعة الليبرالية التي هي حاضره والدولة القومية
[الاشتراكية] التي هي مستقبله القريب ،
ويحاول ان يستخدم لصالحه الدعوة الى الثقافة
القومية ، كما ان الحكم الليبرالى المتأخر بانكار
مونفكيو يستند للبناء في الحكم الى انعدام
الوحي الدينى ، واخلاق الدولة القومية ويمير
ان سياسته هي افضل طريق نحو الاشتراكية،
اما دامية التكنولوجيا المتسرع للوصول الى الحكم
فهيبل نحو الطريق ويستعيد لهب النزعة الوضعية
للتقراطية ويسعى للوصول الى التطور النهائي
وهو ساركسية مبسطة .

■ وفي تناول الكاتب لمشكلة بحث العرب
عن ماضيهم يقول ان تعريف الذات — بالنسبة
للعرب — هو تحديد الاستمرار التاريخي وخلصه
عن نهاية عملية التطور ، اذ ليس رجل الدين ،
ورجل السياسة ، ورجل التكنولوجيا في حاجة
— سوى آن واحد — الى التاريخ ، فالاول يعنى

به فقط حين يتحالف — في الدولة القومية التي
يقتها — مع المحسنين لالاسلة من برجوازية
متهورة ومتيقن يمشين ، كما ان الثاني [رجل
السياسة] — وهو في ذروة قدرته — لايعيا
بالتاريخ وكذلك رجل التكنولوجيا . ويفرق الكاتب
بين انواع ثلاثة من التاريخ : — ١ — التاريخ
الاعتبارى الذى يهتم بالايديولوجية وثقده النزعة
الوضعية عربية وغربية على حد سواء . ب —
التاريخ المقدس ويمثل انتقال المرء من الثقة
بالذات الى الياس كلها لكشف المجتمع العربى
نفسه في محاولته الجديدة للوصول الى مستوى
العرب ، وتميز الثقافة القومية خلال فترة التاريخ
المقدس بانها خارجية عن المجتمع ، وانها ثقالة
مجتمع ميت انتهى بانهاء الاسلام ، كما انها ثقالة
انتفاعية تتخذ وسيلتكسب الميخ — التاريخ
الوحي الذى لم ينضج الا في القرن التاسع
عشر ، ولكنه لايزال في دور التكوين في المجتمع
العربى وهو يتطلب وثائق محيدة غير متوفرة في
معظمها ، وان كل العرب يستخدمون طرق
التحليل الوضعية على يد كل من عبد العزيز
الدورى ، وشكرى فيصل وغيرهم .

ويخلص الكاتب الى انه وان كان من الصعب
نقى وجود التاريخ المقدس والوحي فان معظم
رؤيا العرب للتاريخ اليوم هي رؤيا ايديولوجية
تتبع المنهج الاعتبارى ،

■ ويبحث الكاتب ملالة العرب بالمعنى العالمى
فيقول ان البحث عن الماضى يعتبر مقبدا للتساؤل
حول : ما العمل ؟ او اية طريقة يجب استخدامها؟
وعلى ذلك يجب رجل التكنولوجيا بضرورة
استخدام الاسلوب الذى يتسببه العقل الفنى ،
لما واند الاسالة فيرى ضرورة استخدام عقل
الفريزة والشعور ، عقل لون معين للوجود .
فالدولة القومية تعيش اذن بنطقين : احدهما
للمعمل والاخر للفكر ، وبعبارة اخرى احدهما
لتغيير ذاتها والاخر لتغير ذاتها . ويحاول العرب
ان يقدم للوحي العربى ثلاثة طرق رئيسية لدراسة
ذاته وهي : — ١ — الاول يطبق على الظواهر
البشرية القواعد المستخدمة في العلوم الطبيعية
وتهتم بالحاضر فقط — الثانى ينطلق من الواقع
البشرية ويحدثها كيميائيات تطور وينظر اليها
— في آن واحد — من وجهة نظر الحاضر والماضى
والمستقبل — الثالث يحاول الخلط بين الاثنين

ويضاعل الكاتب من مرر انتقال العرب عن
النزعة الوضعية الغربية حين تطبق على مجتمهم
رغم ان الاسلام الحديث يؤمن بالنزعة الوضعية
المبلة فيما يقوله الشيخ محمد عبيد [تفكرنا في
خلق الله ولا تفكرنا في ذات الله] ويرى المؤلف
ان هذا الانتقال ليس كليا ، كما ان الغرب تد
استغرق عدة قرون حتى يتكيف مع اوضاعه
الحالية ، ويضيف الى ذلك ان احكام الشريعة
الاسلامية — وخاصة في مسائل الربا — كانت

تتف أحيانا حجر عثرة في طريق الانفتاح على الغرب .

■ ويناقش المسألة التي تشغلها الماركسية - بصفتها إحدى لحظات الوعي العربي - في عملية تطور الإيديولوجية العربية ، وبعبارة أدق يتعلق الأمر برؤية كيف يستخدم الوعي العربي القطاع الفكري الماركسي لأغراضه الإيديولوجية ، وهنا يميز الكاتب بين خطين أولهما اجتماعي ويسمى حقيقي أو واقعي ، وثانيهما إيديولوجي ويسمى موضوعي وتندرج تحته الماركسية ، وفي هذا الصدد يمكن القول أن رجل الدين الذي يعيد بناء تاريخ الاسلام تبعاً للفقهاء السنة يقوم بذلك على أساس مبدأ [وحدة الطائفة] ، ويقتل من قبة الحضار البرجوازي للدولة البرجوازية لتفسيلاها إلى أحزاب وجعاعات ، وقد حاول بعض الغربيين المرفضين إيجاد علاقة بين مفهوم الوحدة في الاسلام والمفهوم اللاتشتسي التشتوي ، ويرون كذلك أن هذا الحل الفاشي لا يقدم السياسة الاقتصادية العلمية التي تتطلبها الدول العربية وتدرجيا تحول دولة أحلامهم من فاشية إلى ماركسية ، أما الليبرالي فيرى أن الماركسية هي أكثر نظريات التطور الراسمالي وضوحا ، ويعتقد فيها بقوله شوميتير من ماركس من [القول بأن ماركس يمكن تفسير اتجاهه بأنه يحافظ بعد تحديده من أسلوبه الكلاسيكي بمناهة إمكانية أخذ ماخذ الجد] واختيرا فسان الدمشوة السى التكنولوجيا تمتنع في أكثر فسي الماركسية خاصة حين ترفعها الدولة القومية [الاشتراكية] على مجلبة قضيا حسيه بلوسة فالدعوة إلى غزو الطبيعة والسيطرة عليها وعبادة العلم التطبيقي وتحديد قيمة الإنسان بميله كل هذا يجعل الفكر التكنولوجي يتجه نحو الماركسية بشكل أو بآخر ، وهكذا فهل تكون الماركسية إذن هي الأساس المنطقي للإيديولوجية العربية؟ يرى الكاتب أن ذلك ممكن ولكن أية ماركسية بالحدود ؟ أنها - في نظره - تلك التي تدخل الفكر العربي عن طريق الاتصال فيها يتعلق بنشأة الرأسمالية ونظرية النمو الرأسمالي ، والاصلاح الاقتصادي المتمثل في تلميم التجارة الخارجية والاصلاح الزراعي ، كما تدخل كذلك من طريق علم الاجتماع ، فقد أدخلت الماركسية في الفكر العربي مفهوم الطبقات الاجتماعية التي تبعت من جديد مغيرة أشكالها ، وأخيرا على الصعيد الإيديولوجي تستجيب الماركسية لمتطلبات الفكر العربي بصفتها مذهب المذاهب ، ويضيف الكاتب أن الماركسية بعمق في الفكر العربي باعتبارها الخلاصة المنهجية للتاريخ الغربي أجمالا دون تفصيل ، وهذه الماركسية موضوعية بمعنى أنها تلتزم نفسها باعتبارها النتيجة الضرورية لإيديولوجيات كتبت شائعة فيها مضى

في المجتمع العربي ؟ ويفضلها الفكر العربي لأنها تشكل مذهباً أكثر تلاصاماً ومنطقية وانتقادية للغرب البرجوازي ، كما أنها تلم بناء الدولة القومية [الاشتراكية] وأن كانوا لا يطمنون تنهيا جهازا .

هذا ويخلص الكاتب إلى استنتاج مؤداه استبعاد كل معرفة موضوعية للمجتمع العربي النشور بمستقل براق أخذ فعلا في التكوين ، وسد أنه يقتل كثيرا من شأن حضاره الذي سوف يخون ذات يوم ماضيه ، ويقتل المجتمع العربي الوضعية والماركسية فقط إذا كان بوصفها إعطاه فكره عما يريد أن يكون عليه المجتمع وليس عما هو كائن .

أن الديالكتيك هو الذي يستطيع أن يفسر ويتخطى التعارض الدائم بين نزعة الدولة للتكنولوجيا والدولة للاضالة [المشارا] ، وفي مقدور الدولة [القومية] [الاشتراكية] غنيتها للديالكتيك وهو منطلق التطور التاريخي نفسه أن تضع حدا لازواجية العقل والمهم ، والسؤال الآن : هل إذا تحولت الوضعية والماركسية من طريقتين إلى نظاميين فكريين في الوعي العربي إلا يتعرض الديالكتيك لنفس المصير ؟ أن الديالكتيك لا يمكن أن يولد من لا شيء وهو قيد العمل في الإيديولوجية العربية ولكن بأشكال غير واضحة ، وقد كتبت هناك تجربة عربية في القرن الثاني الهجري حيث سار الديالكتيك في مسيرتين متميزتين : ١ - مير الصراعات الحزبية والمنافشات الجدلية التي سبقت الدولة العباسية واعتبتها . ب - محاولات المعتزلة وتفكيرها في الله حيث حاولت أن تقيم على أسس العقل المجرد اسلاما مستنتجا قادرا على توحيد العناصر غير المتجانسة في الامبراطورية الاسلامية الجديدة ولكن هذه التجربة افرقت في النزعة الصوفية مما أدى إلى فشلها ، ويرى الكاتب أن الديالكتيك موجود في الثقافة العربية ، غير أن رجل الدين يبرزه بشكل صوفي ، والدولة القومية تفتح الطريق لاستخدام إيديولوجي للديالكتيك بوصفها الماركسية الوضعية وجها لوجه مع الاصالة الاسلامية .

ويرفض المجتمع العربي الاعتراف بالصيغة العالمية الشاملة التي يفترض فيها الغرب تاريخا موحدا ويطيح في أن يستخدم الآخرون نفس الطريق التي استخدمها وما زال يستخدمها لمعرفة ذاته ، بل يدعي الحرية أنه قادر وحده على ادراك ذاته بفضل حصص اخص به ولكنه على عييد بناء ذاته يستخدم صورة مأخوذة من الغرب مما يعطيه تميزا لعاليته وشموله .

■ ويثير المؤلف إلى محاولة العرب التعبير عن ذاتهم منذ أكثر من قرن بشيكون أدب يتشابه مع تراثهم المهيوب ، فعلا وصلت أعمالهم الأدبية إلى الغرب ، غير أن الانتاج الأدبي العربي يتبع

بإتاحة - منذ بدء النهضة - التطور العالم للجتمع والثقافة وهذا عنصر سلبى لانه يشير الى ضعف فطرى فى الابتكار الفنى الذى لا يتجاوز مستوى التحليل الحسى ، وبذلك لم يلعب الفن أى دور ابداعى أو تنقلاذى ، وقد مر الأدب العربى بعدة مراحل منها المرحلة الكلاسيكية حيث قام ببعث أشكال التعبير الكلاسيكية وبمظهرها المولدى واحمد شوقى ، ومنها المرحلة العاطفية الحالية التى انتشرت تحت شعار الليبرالية وبمظهرها طه حسين ، وأخيرا المرحلة الواقعية وبمظهرها نجيب محفوظ ، وهذا التقسيم الزمنى التسلى صالح على مستوى الدول العربية كلها ، كما تميزت النشرة الأخرى بازدهار المسرح وفن الرواية والاتصوفة .

■ ويخلص الكاتب الى القول بأن الاصالة الوضعية - وهى الاعتراف بالذات أو الإنا - بمثابة عملية تطور ، وأن الاستمرارية التاريخية وهى دائما تجديد بناء يجب أن تخضع لقواعد معينة لن يتم قبولها كاملة الا فى مجتمع متجدد ، وأن معظم المصلحين العرب قد اجتمعوا على ان الماركسية هى المنتهى المنطقى للفكر العربى رغم انها [الماركسية] تكليح فى كل أجزاء العالم

العربى ؟ وأن البنين الاجتماعى يجب تحليله فى ضوء الايديولوجية وليس تحليل الأخيرة فى ضوء البنين الاجتماعى ، وأن الفكر العربى ببلوغه درجة عالية من الوعى التنقلاذى التوحيدى سيجد نفسه عند المستوى الذى كان عليه الغرب منذ نهاية القرن الماضى ولأول مرة يمكن ان يعكس الوعىان (الغربى والعربى) بعضهما بعضا ويتعاملوا بل ويشعرا فى إجراء حوار حقيقى ، وأن كل ذلك معناه التعرض فى كل لحظة لتفسير من جانب واحد الا أن المرء يجب أن يخالط ريفل ذلك ، فالذى يفرض فى اجتناب التفسير كثيرا ما يفوته الحقيقى ، وأخيرا ينصح العرب بفتح باب الاجتهاد واغلاق باب التقليد كلية .

هذا هو الكتاب ، ويمتاز بدلية علمية هامة لوعى الشعب العربى لذاته فكرىا وعلميا ، ومناقشة قضايا تاريخه وذاته وحاضره ومستقبله ومناقشة حرة بشرة ، وهو من الكتاب القليلة التى صخرت وتحوى كل ما احتواه من معطيات تاريخية وسياسية وفكرية تتلقى بتاريخ المسرب وأوضاعهم .
ومما يؤخذ على الكاتب انه شديد الانحياز فى التشاؤم بالنسبة لحاضر العرب وفى ذات الوقت شديد التفاؤل فيما يتعلق بمستقبلهم .

جذور الثورة الأفريقية

فى خلال مناقشة بين عبد الله دباللو، والمؤلف قال دباللو: أن الأمر الهام اليوم ، والشئ الجند ذا الدلالة فى إفريقيا ، ليس الظروف التى نمر بها ، وإنما ما نفعله لتغيير هذه الظروف . ومن خلال هذه الكلمات طرحت العديد من التساؤلات التى دفعت « جاك ووديس » الكاتب الإنجليزى اليسارى المصروف الى تأليف ثلاثة كتب عن إفريقيا « جذور الثورة الأفريقية » ، و « إفريقيا صحوه الاسد » و « إفريقيا على طريق المستقبل » ونظرا لأهمية الكتاب الأول فقد ترجم الى تسع لغات غير العربية وقد نقل له المترجم - أيضا - الكتاب الأخير الى العربية .

ويمالج الكتاب اسمى وجذور الثورة فى القارة الافريقية من خلال دراسة تاريخية لمرحلة ما قبل استقلال القارة ، والبعثات والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى أدت الى انتفاضة الشعب الإفريقى ذودا من حريته وكرامته وحقوقه ، وتحقيقا لسيادته على أرضه ، وتطلعا الى المستقبل بكل آماله الرجبة .

■ تأليف :

جاك ووديس

■ ترجمة وتعليق :

أحمد فؤاد بليغ

■ عرض :

اسماعيل عبد الحكم

■ الناشر :

الهيئة العامة للتأليف والنشر - القاهرة
١٩٧١ - ٦٢٠ ص

سرقنا الأرض

ان المحصول الواحد هو السبة الاساسية للبلدان المختلفة ، وهذه السبة تلاحظ بشكل مطلق واحد في افريقيا ، فمناطق كبلية تخصص لمحصول واحد ، فالكاكاو في غانا والقهوة في اوغندا والسودان ، والبن في كينيا والنخيل في روديسيا الجنوبية .

كانت الأرض على نطاق معظم القارة الافريقية ملك الجماعة ، كما الحقوق الخلصة في أية قطعة صغيرة من الأرض مأمور غير شائع الى حد بعيد جدا ، وكانت الزراعة تتبع النظام « المتقارن » فتنقطع الاشجار وتحرق الأعشاب لزيادة خصوبة التربة ، وتزرع المحاصيل على المساحة التي تم تطهيرها ، وتنقل مواقع القرى مع انتقال الزراعة ، ومع دخول المستعمرين الأوروبيين بدأت عمليات نهب الأرض الجيدة وطرد الأفريقيين منها ، وخنق الزراعة الأفريقية . ومحاصرة الأفريقيين ، وتكديسهم في مساحات غير كافية من الأرض أصبح يطلق عليها « المازول » فمثلا في اتحاد جنوب افريقيا انتزع من الأفريقيين ٨٩٪ من الأرض ، وفي روديسيا ٤٩٪ ، حتى أصبحت الأرض سلعة ثمينة ونادرة للنسبة بالنسبة للأفريقيين على الرغم من ضخامة مساحة البلاد ، وكانت تهدف السياسة الأوروبية الخاصة بالأراضي في افريقيا الى ضمان العمل الرخيص للبلدان والمزارع الأوروبية ، فقد كان الحكام غير الأفريقيين يجبرون الأفريقيين على تادية العمل لا لصالح الجماعة ، وإنما لصالح الأوروبيين الساعين الى الربح ، ولم تكن هذه السخرة في الحقيقة تختلف كثيرا عن الرق المبائر ، وكان شعارهم في هذا « لقد سرقنا أرضه ، والان نلتحق أطرافه » وان العمل الجبري هو النتيجة المربية على احتلالنا للأرض وقد كانت هذه السياسة أحد الأسباب الهامة لحركة الاحتجاج الكبيرة بكينيا في عام ١٩٢٧ ، المعارضة نظام السخرة الذي كان متقدما فيها حينئذ .

فلسفة أطرافه

يقوم اقتصاد افريقيا على « العمل الماهر » إذ يضطر الأفريقي تحت وطأة نفرة الأرض

والضرائب وتختلف أشكال الاجبار ؟ الى اداء العمل الاجبر ، ويسافر الى مناطق التعدين ليعمل فيها مقابل اجر ، فثلاثا عمال المناجم في « الراند » يأتون من خارج اتحاد جنوب افريقيا وحوالي نصف قوة العمل في روديسيا الجنوبية عمل مهاجر ، وقرابة نصف العمال غير المهرة في غانا يتم الحصول عليهم من مناطق أخرى . وسواء عمال المناجم في القارة — والذين يبلغ عددهم مليوناً عامل مهاجرون . وقد ثبت بالاحصاء ان ٧٠٪ من الرجال ذوي البنية القوية بعيدون بصورة منتظمة من قراهم . ويوجد سبب سياسي أيضا — بجانب الاسباب الاقتصادية — للاحتفاظ بنظام العمل المهاجر ، وهو الرغبة في منع لو على الأقل في تأخير تكوين طبقة حاكمة دائمة ، غريبة تماما عن النظرة والاعناق السياسية المحدودة لحياة القرية ، وقادرة على التفجج والشمول الى برويتاريا قسوية متنامكة حديثة تعرف الى أين تسير ، وتكون على درجة كافية من القوة تمكنها من الوصول الى اهدافها ، ولا يخفى على الأفريقيين انه في مناطق العمل الحضرية تشكل أعظم التحديت للاحتلال ، وان الطبقة الحاكمة في افريقيا شلتها شتان الطبقة الحاكمة في أي مكان آخر من العالم الرأسمالي ستكون حفرة قبر الإمبريالية .

ويقدم المؤلف تفسيراً هلياً للفرقة العنصرية فيرى ان لها هدفاً أكثر أهمية الى حد كبير من الفرقة اللونية نفسها ، وهو الاستقلال الاقتصادي . وان جذور الفرقة العنصرية وثبارها هو الريح ، فهي تخدم مصالح أولئك الذين يعيشون على الريح ، لانها تساعد في الإبقاء على نظام للعمل الرخيص بصورة استثنائية ، وهو الأسس لمعدل ربح عال .

الصناعة الافريقية

يستشهد المؤلف بما يؤكد تقرير اليونسكو: من أن في افريقيا فيما عدا اتحاد جنوب افريقيا « تكون الصناعة من أي نوع ، يعني الإنتاج القلبي على قوة عمل كبيرة وعلى الآلات التي تحركها الطاقة ، صناعة حديثة العهد للغاية »

مقابل عمل يوم على اقل مما يحصل عليه العامل الانجليزي مقابل ساعة عمل واحدة ، ويحتاج العامل الافريقي الى ان يعمل عليها بأكمله كي يكسب قدر ما يكسبه العامل المتوسط في بريطانيا في شهر واحد .

ويالكتاب العديد من الارقام عن الثورة الطبيعية الهائلة الموجودة في افريقيا ، وعلى سبيل المثال ٦٦٪ من ناتج العالم من المنس الصناعي والطبيعي ٦٩٪ من الكوابل ، ٦٣٪ من الذهب ، ٤٨٪ من الانتيوم ، ٣٣٪ من الكروم ، ٣٧٪ من التنجيز ، ٣٣٪ من الفوسفات ، ٢٤٪ من النحاس . . . يجلب المنتجات الزراعية ويجلب الاحتياطيات الهائلة من الاخشاب ، وكذلك المسقط المائية ، وكذلك استحالة تحديد حدود الكميات الهائلة من البترول في الصحراء الكبرى ناهيك عن الغاز الطبيعي ، وهي كميات لا تفل أهمية من الموجود في شبه الجزيرة العربية ويرد المؤلف على ما يتردد في كثير من الدوائر الاستعمارية ، من ان افريقيا ليس لديها الاموال اللازمة لان تصبح قارة صناعية ، ولها يجب ان تظل ممتدة على تصدير مصادنها ومنتجاتها الزراعية ، ويالكتاب فصل عن ارباح الشركات الاحتكارية التي تعمل في افريقيا والتي تصل ارباحها الى اكثر من ١٠٠٪ من رأس المال في بعض الشركات . وتال البورجوازية الافريقية جزءا هاما من خراصة جاكوبوديس ، وكذلك الطبقة العاملة ، والانتجنسيا الافريقية والمرأة ، والنظام القبلي والنظام الحزبي ، وكافة التناقض الاجتماعية الاخرى .

وبناء على طلب الترجمة اضاف المؤلف مقدمة طويلة خاصة بالطبيعة العربية قدم فيها دراسة هامة وحديثة لظاهرة الانقلابات التي اجتاحت افريقيا منذ عام ١٩٦٤ . وقام بتقسيمها الى ستة فئات طبقا للدور الذي يلعبه الانقلاب والفرى القائمة به والمساعدة لها ، وكذلك فصول بالدراسة العلاقات بين الطبقات في افريقيا ومواقفها المختلفة والاسميا بعد الاستقلال ، والدور الخاص الذي يمكن ان تلعبه الجيوش الافريقية سواء كتمبير من الجباهير او كاستقلال لها من جانب الابريالية - نتيجة البعثات والتربية الخاصة لها - في مواجهة هذه الجباهير ، واكد في مقدمته على حاجة افريقيا الملحة الى تنظيمات ثورية قادرة على مواجهة ظروف ما بعد الاستقلال بتغييراتها الاجتماعية .

ومازالت مقصورة على مراكز قليلة شسيدة الشنت . . ان الاغلبية الهائلة من السلع المصنعة مازالت تستورد عبر البحار ، ومازالت الانشطة المحلية مقصورة الى حد كبير على عمليات التجميع والتوزيع بالصناعة ، والصناعة في افريقيا الادارية فيها عدا التعمدين والتجميع « تعنى اساسا بالصنيع الاولى للبتجات الزراعية من أجل التصدير ، وهو التصنيع الذي تنوزع المصانع الخاصة به مرة اخرى في وحدات صغيرة نسبيا توجد في المزارع الراسمالية الواسعة ، او في الموانئ ، او مراكز السكك الحديدية بالمناطق المختلفة . ويؤكد التقرير ان السمات البارزة الرئيسية للعمل الافريقي هي اساسه الوقتي ، واجوره التخففة ، والانتقال الى التدريب او الى الخبرة المفصلة ، وقلة الثرات التي تسمح باكتساب المهارة . ولاشك ان الصناعة في افريقيا قد اقيمت على اساس ميكنة منخفضة نسبيا ، واستهلاك عال للعمل غير الماهر المنخفض الاجر ، وهذا الاطر ما ان اقيم حتى اكتسب تصورا ذاتيا طالما انعكس في السياسات الاقتصادية للمشروعات ، وفي المواقف الاجتماعية للاروبين ، وفي المناطق الحضرية كان اثر ذلك بشكل عام خلق اعداد هائلة من عمال التراحيل ذوى الدخول المنخفضة ، والقليل التهايز من حيث المهارات والتعليم ، وذوى الوسائل المحدودة للغاية للتقدم المسادى والاجتماعى »

أدنى أجور وأعلى أرباح

يقدم الكتاب دراسة متارة ورائعة لمسدد العمال الاجراء الافريقيين والحد الأدنى للاجور والقوة البشرية والمالة في افريقيا ، ويخرج بنتائج ان عدد العمال الافريقيين يتراوح بين عشرة ملايين والثلى عشرة اى بين ٦٪ او ٧٪ من مجموع السكان الافريقيين جنوبى الصحراء الكبرى [وقت صدور الكتاب] . وان ٧٠٪ من السكان يحصلون على دخل متوسط يقل عن شلنين في الاسبوع ، واكثر من نصف هؤلاء كان يتراوح دخلهم بين شلن واحد ولا شىء على الاطلاق . ولم يكن يحصل على اكثر من خمسة شلنات في الاسبوع غير ٤٪ من السكان ، وتشير الاحصاءات ان اغلبية العمال الافريقيين يتقاضون اجورا تتراوح بين شلن واحد وخمسة شلنات في اليوم ، اى يحصل العامل الافريقي

الكتاب ؟ ومربّية تحت رؤوس موضوعات ؟ وقد بذل المترجم في هذا المحق جهدا كبيرا جدا ، مما اعطى لهذا الكتاب صفة المرجع الاكاديمي ، واصبح يعد دائرة معارف متخصصة في الشئون الافريقية .

ونظرا لأن الكتاب زاحز بأسماء شخصيات واحزاب ومنظمات وتقابلات وبيانات ومن وتقسيمات جغرافية واحداث افريقية هائلة ، فقد اضفاه المترجم ملحقا من اعداده في حوالى مائتي صفحة [اي ثلث الكتاب] التعريف بكل ما ورد في



مسيحيا ، هو انتهائى الى الانسانية . فالانتماء الى الله لايجد تعبيره الا بالانتماء الى الانسنان والماركسية تتيج لنا ايدولوجية جديدة تقدم الجنس البشرى ، انها نزعة انسانية لمصلحة البشر . ونحن في العمل السياسي الثوري ، لاتوجه النقد للعنصر الدينى ، فقد بدأت المسيحية حاليا تجدد نفسها في بعض القطاعات السكائية في القارة ، ليس باعتبارها ديننا محسوب ، بل كموقف من الحياة ، وموقف يعبر عن الانتباه للجنس البشرى .

وانا اؤمن بان الانتماء الانسانى الوحيد في القارة هو الانتماء للثورة . فعلى كل من يعيش في هذه القارة ان يتخذ موقفا من الاوضاع السائدة فيها ، وهذا الموقف قد يجعله عدوا للشعب ومستغلا له ، او قد يجعله يمشى في طريق اصلاحى وهو لا يخلط كثيرا عن سابقه ، او يجعله يمشى في الطريق الثورى باعتبارها الحل الوحيد للقضاء على الاستغلال جزريا . ولهذا وجدت انا شخصا انه من الاصلي بالنسبة للمسيحى ان يمارس العمل الثورى الحقيقى . ذلك ان المسيحية الحقيقية تقوم على اساس التطور والنمو التكميل للانسان .

دور القساوسة في النضال الثورى

ان القسيس يوجد في نواة ، وقلب الهيكل الاقتصادى والمجتمع وذلك يتيح له امكانيات كبيرة للعمل الثورى ، بل ويجعل منه في حالة عدم ممارسته للثورة ، شخصا مستغلا بالضرورة . ولقد كتبت البدايات مع كايلىو توريس حيث تحقق التكامل بين الماركسية والمسيحية وتخطى الخلافات الايدولوجية ، وذلك من خلال الممارسة وليس من خلال اتصالات ابرمت حول مائدة مستديرة ، بل من خلال العمل الحسى نفسه . وذلك عندما ذهبت مجموعة من الماركسيين

مجلة القسارات الثلاث

المسيحية والماركسية ٠٠

بقلم : جوزيم مايو

ماناينا سبتمبر ١٩٧١

نشرت مجلة « القارات الثلاث » حوارا مع القس الكولمبى ريفيه حارسيا ، رئيس تحرير صحيفة « الجبهة المتحدة » التى اسسها كايلىو توريس القس السابق والزعيم الثورى الكولومبى قدم فيه القس رؤيا بقورابية للوضع الحالى في امريكا اللاتينية ، التى اجتذب النضال الثورى فيها مجموعة كبيرة من القساوسة ، الذين يخوضون مع شعوبهم معركة التصحر الوطنى والاجتماعى ، ضد الاوليغاركية المحلية التى تضطهد بالتحالف مع امبريالية القرن العشرين ، بناء النظام الاجتماعى الجديد . وفى هذا الحوار أعلن القسيس ما يلى :

« لقد بدأت عملية انضمام القساوسة للثورة وللعمل الثورى بنشاط القس كايلىو توريس ، ثم انتشر ذلك الاتجاه في القارة واتسع نطاقه . وخلال السنوات الاربع الماضية استطعنا نحن القساوسة استيعاب الماركسية واكتسبنا من خلال المنهج الماركسى معرفة اعمق بلواضعا ، جعلتنا نتبع تكتيكات ونبنى استراتيجية واقعية ، وخطا سياسيا وافسحا ومحددا في المسيرة الثورية في كولومبيا وفى القارة بامرها .

ولم اجد شخصا حرجا ولا عنقا في اعتناقى الماركسية كاداة للنضال ، باعتبارى مسيحيا . فقد آمنت بان الماركسية هي الاداء العلمية التى تكتل للانسنان تفهما اعمق للواقع تكتل له القدرة على تغييره . ان اتمنى الوحيد باعتبارى

يدخل المناطق الانتطاعية لانه ما ان تقدم الحكومة مبلغا من المال مقابل قطعة من الارض نشتريها، هذا حتى يسارع الانتطاعيون بتقديم مبلغ اكبر. وهذا يعني ان الاصلاح ينطبق فقط على الاراضي غير المزروعة ، والتي تعطى لفلان لايمك ومساكن زراعتها ومن ثم لاتحل له مشكلته . الامر الذي جعل الفلاحين يبيعون تلكتيك احتلال الاراضي المزروعة فعلا .

وحيث ان الحكومة بين الجناح المحافظ،فان الجناح الليبرالي يتبنى موقفا معارضا زائما ذي نغمة يسارية . وذلك سمة لليبرالية ، اذ انها تتخذ موقفا محافظا عندما تكون في السلطة وموقفا يساريا عندما تكون خارجها .

حرب العصابات والخط الجماهيري

يتميز الوضع في كولومبيا حاليا بتقسام عميق بين قوى الدولة (تؤيدها الكتيبة والقوات المسلحة) وبين قوى الشعب المسلحة والتي يتجه عملنا فيها في اللحظة الحالية نحو نشر الايمان بفكرة ان الشعب ان تحل مشاكله الا بالقضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وبناء الاشتراكية ، واعطاء كل السلطة للشعب. وتكون توتنا الاساسية في الشباب ، ذلك لان عملنا الاساسي يقوم به رجال بين سن ١٨ و ٢٠ سنة .

وانا اعتقد ان الفترة الحالية ستكون حاسمة في تاريخ كولومبيا ، وان المهمة الرئيسية هي تحقيق وحدة العمال والفلاحين والطلاب والتي يمكن ان تتحقق خلال المبدأ القتال « لنضع كل ما يفرق بيننا ولننوح حول كل مايجمع بيننا » .

ان هناك حاجة ملحة الى تكتيك مزيج ٤ حرب العصابات والعمل الجماهيري في المدن والريف لتوحيدهما في الحرب الشعبية ، وهذا ماقتنا به خلال العام والتمسك بالماضية . وقد ادت انتخابات ابريل الماضي الى رفع الوعي للجماهير المستغلة حيث تجمع قطاع مريض حول التحالف الوطني الشعبي الذي يعارض الحكم القائم .

ان المسيحية الثورية لايمكن ان تتقدم دون نضال ثوري باعتبار ذلك احد الادوات الرئيسية لشن الحرب الضرورية لكي يستولي الشعب على السلطة . ونحن ننتمي بكل توانا الى جيش التحرير الوطني من خلال الخط الذي وضعه كايبلو توريس ، ومن خلال العمل الجماهيري الذي يفرى الحرب الشعبية .

والمسيحيين للعمل معا في منطقة غلاخية فقيرة وهناك تحقق اتفاق الآراء وتطابقها. والان يوجد داخل المؤسسات الكنوتية صور مختلفة من المشاركة في العمل الثوري . واحيانا يجد الضبيس انه من الصعب عليه ان يكرس نفسه صراحة للثورة ، فيكتفي بمشاركة محدودة ، وان درجة المشاركة تتفاوت ، ابتداء من القسيس **دومنجو لاجين** الذي يشترك في النضال المسلح « لجيش التحرير الوطني » الى القساوسة الذين يتكونون بآداة الظلم في البلاد . وفيما يتعلق بالرئاسة هناك اسقفان هما **المونسنيور جيزاردو فالينسيا** الذي يعمل في منطقة على شاطئ الباسيفك ، وهو انسان ذو قلب كبير وعمل دؤوب ، و**المونسنيور كوروا** ، الذي يعيش في وسط الهنود . وكلاهما يشترك في العمل الجماهيري . وهناك ايضا تنظيم للقساوسة اسمه **جولكوندا** يتسم بالوحدة والتنوع . وينبع التنوع فيه من اختلاف درجة مشاركة القساوسة وانا اعتقد ان اهم شيء في تطور المسيرة الثورية في الفترة الاخيرة ، هو انضمام القساوسة الى خط سياسي محدد ذي قاعدة شعبية .

السياسة والاصلاح في كولومبيا

لاستطيع القول بان كولومبيا بلدا متخلفا حقا ، بل انه بلد يكله التفوذ الامبريالي الذي يسوده والذي تعمل الاوليجاركية المحلية كوسيط له . ولهذا السبب تتضائل امكانيات المواجهين البورجوازية المحلية والامبريالية . ونحن نؤمن بان التفاعل ضد الاوليجاركية والامبريالية يجب ان يرتبطا معا لاننا نرى ان الاوليجاركية هي وسيط لمصالح امريكا الشمالية . والواقع انه توجد اذاتان للتسلل الامبريالي هما المساعدات العسكرية والفنل التكنولوجي الصناعي . وفي كولومبيا ليست هناك صناعة قومية حقيقية ، وفي بل مشاريع يسيطر عليها راس المال الاجنبي ، لانه ليست هناك بورجوازية قومية ، بل مجرد اوليجاركية طفيلية وسيط لامبريالية وعميلة له.

الجبهة الوطنية

منذ ١٢ عاما كانت الاحزاب التقليدية الجبهة الوطنية والتي نمت في انحاء اصلاحي قوى . ويحاول الرئيس الحالي **بالمينوتا** ان يصل الى مايسمى بالوافق الطبقي لانه يواجه مشكلة البطالة . فهناك ٤٠٠.٠٠٠ را عطل ، وقد تركز الاهتمام اخيرا على الاصلاح الزراعي والاصلاح الحشري . والواقع ان الاصلاح الزراعي اصبح مجالا للتضليل فلم يستطع ان

مناقشات مفتوحة

ملاحظات حول مقال :

التنظيم الطليعي

تقول الأستاذ مصطفى طيبة ، قضية بناء التنظيم الطليعي في مقاله في
الطليعة في الشهر الماضي : « التنظيم الطليعي ضرورة بمد بناء الاقتصاد
الاشتراكي » . وجول هذا المقال نبدى مجموعة من الملاحظات :

• الملاحظة الأولى •

يرى الأستاذ طيبة في مقدمة مقاله أن الثورة المصرية تحتل مرحلة جديدة — وإن
اجتيازها مرحلة جديدة يتطلب وجود وثيقة جديدة تعكس ملامح هذه المرحلة وتبين من
أهدافها . ونحن نختلف معه في هذا . فالثورة المصرية منذ يوليو ١٩٦٦ ما زالت ماضية في
اجتياز المرحلة الأولى من مراحل الثورة الاجتماعية — مرحلة التحول والانتقال من المجتمع
من الرأسمالية إلى الاشتراكية وهي بعد لم تنتج هذه المرحلة .. أن كل ما حدث ويحدث
هو مواجهة لسلبيات المرحلة ، وليس برنامج العمل الوطني إلا حلقة هامة من حلقات هذه
المواجهة التي بدأت ببيان ٢٠ مارس بمد التمسك ، ومن الممكن اعتباره بنسبة تفصيلية
إلى حد كبير لمهام مرحلة الانتقال . وفي نفس الوقت مارالت مخطوطة ميثاق العمل
الوطني كما هي لأردة منها ولا مراجعة لها .

• رفض طريق التطور الرأسمالي ، ومواجهة المعسكر الإمبريالي كمدو رئيسي
لحركة التحرر الوطني .

• استهداف الاشتراكية الفاء استغلال الإنسان للإنسان »

- إقامة الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج .
- نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العامل .
- الاشتراكية العلمية هي نظرية يثاق العمل الوطني .
- إطار التطور الاقتصادي هو التخطيط العلمي الشامل .

وبذلك فان ما وصل اليه الاستاذ طيبة عن وجود مرحلة جديدة غير متصية ؟ واكثر من ذلك فان ما عبره مهلبا رئيسية للاقتصاد الاشتراكي . « وكهوش صديق لفاعلية » .
 ر « تحويله من جهاز للتسلط وتزويد الشعارات الى اداة صادقة لخدمة المجتمع والجمهور »
 هي « محو الالية » و « تحديد النسل » تصورات واصلحى للمهام الرئيسية التي طرحها برنامج العمل الوطني . نالغضبا التي طرحها برنامج العمل الوطني كاهداف عديدة شملت مهام البناء الاقتصادي ومضاغة الدخل القومي في عشر سنوات ومعلم البناء الاجتماعي والثقافي والعلمي والسياسي للمجتمع . وقصر اهداف التنظيم السياسي على ما الساء الاستاذ طيبة بالمهام الرئيسية للاتحاد الاشتراكي على نحو الالية وتحديد النسل هو وقوف بحركة المجتمع النورية عند ابواب وزارة كوزارة الشؤون الاجتماعية .

● الملاحظة الثانية ●

يرى الاستاذ طيبة ان التنظيم الطليعي قد فشل وتحول الى مركز قوة في الثورة المصرية بسبب اسلوب عمله ولجونه الى السرية . وحقا ان السرية كاسلوب عمل العاملة صاحبة الصلحة في التحول — انما قام كتطبيق للطبقة الوسطى بكل فكرتها ونظرتها والبوليسية وبالنفوكريت السائدة المعادية للاشتراكية العلمية التي ارضعها اليئساق مرشدا للعمل الثوري المصري . ان القضية هنا ليست قضية اسلوب العمل رغم اهميته ، القضية هي قضية التكوين الاجتماعي لهذا التنظيم وقيلبه كاترى اشكال التنظيم مجسدا لوحدة الفكر والعمل قياتته لحركة جماهير الثورة في نضالها وتوحيده لصفوفها وتنظيمها لها في مواجهة مهام البناء .

الحقيقة التي سكت عنها الاستاذ طيبة هي ان التنظيم الطليعي — طليعة الاشتراكيين — عندما قام « سرا » في قالب الاتحاد الاشتراكي ، لم يتم كهيئة اركان ثورية للطبقات العاملة صاحبة الصلحة في التحول — انما قام كتطبيق للطبقة الوسطى بكل فكرتها ونظرتها للمجتمع وللثورة ، بكوارها الاساسية من القيادات الادارية والحكومية والاقتصادية والسياسية ، بحيلة من اجهزتها البيروقراطية والبوليسية والتي توارثت من كل الاجيل السابقة على ثورة يوليو وعلى اجراءات يوليو ١٩٦١ المعاء للطبقة العاملة والفلاحين وللثورة الاجتماعية بكل ابعادها واتلقها . هذه الكوار التي اخفت براعة وجهها الطبقى بشعارات واقنعة ثورية . وبذلك اصبح التنظيم الطليعي مركز قوة للطبقة الوسطى ، وحزبا سياسيا لها في شكل ووضع جديد . ولم يكن على الاطلاق المركز القائد في ثورة ٢٣ يوليو ، لم يكن على الاطلاق هيئة اركان لهذه الثورة ، لم يكن على الاطلاق اعلى اشكال التنظيم وارقاها العمال والفلاحين والمتقنين النوريين ، لم يكن على الاطلاق هذا المركز الطليعي الذي اراده جمال عبد الناصر وميثاق العمل الوطني . ان القضية هنا — ليست قضية هنا — عن مصالح اى طبقة اجتماعية في مجتمعنا عبر هذا التنظيم ، وبين ذلك لهم وضروى ، لان عدم تبينه سواء قلم التنظيم سرا او علنيا لن يكتفينا من معالجه المرض التنظيمي الخطير الذي يمثل اكبر سلبية في التطبيق حيث يتولى قيادة الثورة والاستمرار بها الى اهدائها القصوى لبناء الطبقة الوسطى — هذه الطبقة التي تريد تجميع الثورة وركن بعدها الاجتماعي « الاشتراكي » والتي تفسر الوحدة الوطنية بانها حرية رأس المال الخلس ، وتوغسر فرض الشراكم الرأسمالي للفراد ، واستخدام الديمقراطية « و الاشتراكية » وسيلة للزعزاعها ، وتحويل مشاركة العمال والفلاحين الى شععارات ان قضية بناء التنظيم الطليعي ليست قضية اخلاقية . انما هي قضية بناء هيئة اركان قائمة للعملية الثورية ، ممثلة ومعبرة عن الطبقة او مجموع الطبقات الاجتماعية الكالحة صاحبة الصلحة الرئيسية في الثورة الاشتراكية وممثلة لها تمثيلا عضويا وفكريا وسياسيا .

● الملاحظة الثالثة ●

يحدد الاستاذ طيبة مهمة التنظيم الطليعي الرئيسية بانها :

« الجهاز الطليعى هو تنظيم متجانس فكرياً، مهله الرئيسية تتمثل فى شرح وتاصيل الخط الثورى الاشتراكى ، والدفاع عن القيم الجديدة اجتماعياً ، ونشر الوعى الاشتراكى داخل أوسع قطاعات الجماهير » . والاستاذ طيبة بذلك يصير دور التنظيم الطليعى فى كونه مجرد ناشر لما اسماه بالوعى الاشتراكى، بينما التنظيم الطليعى يجب أن يكون ويقوم كارتكان حرب للثورة ، بكل ما يحمله هذا التعبير من معان — هو قائد لها فى مجالات الاقتصاد والاجتماع والسيلسة والفكر والثقافة . هو قائد ويجب أن يقود وأن يسمى لقادة الجماهير الكادحة فى منظماتها الجاهيرية الديمقراطية — تقابلت العمال و هيئات الفلاحين ، ومنظمات المثقفين والشباب والنساء . ان مهمة هذا الجهاز الطليعى هى العمل والنضال من أجل تغيير المحتوى الطبقي والاجتماعى التقليدي للسلطة واقليمية مؤسسات الدولة والحكم على اساس افساح المجال للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين للمشاركة فى السلطة وجعل الانتاج الاجتماعى والسلطة فى ايديهم »

إذا فالنظيم يجب ألا يكون — كما يريد الاستاذ طيبة — مجرد جهاز للدمية والاستخبارات وقياس الرأى العام ، انما يجب ان يكون مركزاً قائداً للثورة الاجتماعية والوطنية ، وأن يكون قائداً للاتحاد الاشتراكى باعتباره الاطرل التنظيمى لتحالف طبقات عديدة ، وليس كما يريد الاستاذ طيبة : « قوة مساعدة ومنشطة ومثقة للاتحاد الاشتراكى » .

● الملاحظة الرابعة ●

ان الاستاذ طيبة لم يحدد لنا أى نظرية يهتدى هذا للتنظيم الطليعى ؟ وما هو مرشده فى العمل الثورى ، أى فكرية اجتماعية تحكمه . وهو بذلك تخلى بحكم تصويره لمرحلة جديدة غير مرحلة ميثاق العمل الوطنى — عما ارتآه الميثاق نفسه ، عندما حدد الاشتراكية العلمية نظرية ومنهاج للثورة المصرية . انه ليس من المتصور ألا يكون للثورة سلاحها الفكرى الذى به تواجه فكر الرجعية وفكر البورجوازية . ان محور الوحدة الفكرية للتنظيم الطليعى قد تحدد مير تجارب فكرية للثورة المصرية باختيار « الاشتراكية العلمية » ، وهو أمر تؤكد حركة تطور الثورة المصرية ضرورة التمسك به .

وأخيراً — فان التنظيم الطليعى — لا يمكن تشكيله وتكوينه من مجرد مواقف فكرية ونظرية وأخلاقية — بل يجب وأن يتم تشكيله من مواقع العمل والنضال والانتاج . وانه ليس مجرد هيئة استشارية للاتحاد الاشتراكى « يقترح الحلول المحروسة » انما هو كما ذكرنا تنظيم قائد لنضال الجماهير من أجل حل مشاكلها ومن أجل حل مشاكل الثورة وقيادة تحالف قوى الشعب الممثل .

عبد المقيم الغزالى



قوة الرأى العام ليست هى البديل

كتب عطية الصيرفى يعلق على مقال موفق أبو شنيف الذى نشر فى العدد الماضى « قوة الرأى العام — كبديل شرعى لراكر القوى » .

لعلنا الانتخابات الماضية لمجلس الشعب على حالة البرود السياسى التى تلف المدينة المصرية التى لم يذهب فيها نصف أهلها للأداء بأصواتهم فى هذه الانتخابات . مما يجعلنى أمل ذلك بغياب قوة الرأى العام وعدم تواجدها فى الحياة المدنية

المصرية ذات التركيز الصناعى والتجارى المنضم بشكل علم . قوة الرأى العام هذه باعتبارها قوة روحية مؤثرة وفعالة فى تطورنا صوباً بين غيبها أو حتى ضعفها شيئاً من الدهشة والتساؤل . لهذا فقد تعرضت الطليعة لهذه الظاهرة فى عددها المائى فيما قدمه موفق أبو شنيف فى مقاله « قوة الرأى العام كبديل شرعى لراكر القوى » . هذه المقالة التى أثارت ولاشك أموراً هامة .. أولها « الدعوة إلى الإطمتنان العام للأفراد ولاية مجموعة ذات مبادئ واحدة أو متقاربة على الحياة والحرية ولقمة العيش ؟ وثانيها « الدعوة لعدم جواز اعتبار عضوية الاتحاد الاشتراكى شرطاً لترشيحات مجلس الشعب . وثالثها « توضيح الرأى العام بأنه الاتجاه الغالب للجماعات المنظمة فى شأن مسألة معينة . ورابعها ، إبراز ما نصت عليه المادة ٥٥ من الدستور بحق المواطنين فى تكوين

وثائق الثورة

كتب زكريا محمد عيسى بشركة السيوف
للفزل والنسيج [سباهي] بالاسكندرية ،
يعلق على اعتبار برنامج العمل الوطني
[١٥ مايو ١٩٧١] الوثيقة الثالثة لثورة
٢٢ يوليو ١٩٥٢ . ويقول انه يرى ان
الثورة وثائق سنة . هي :

الوثيقة الاولى : « فلسفة الثورة » . لا يمكن اغفال
هذا المرجع النوري الهام .. او استغاله
من تاريخ الثورة .. فعلى صفحاته برزت
سمات الثورة والنورى .. وبين جنباتها
لحنا الدوائر الثلاث [الدائرة المربية] ،
[الدائرة الانثوية] [والدوائر الاسلامية]
.. والتي اتسعت لتشمل آفاقا ابعد ..
الوثيقة الثانية : [دستور مصر ١٩٥٦] .. هو
اول دستور مصري يصدر بارادة الشعب
المصري الحر المستقل ..

الوثيقة الثالثة : [ميثاق العمل الوطني ١٩٦٢] :
وهي اول وثيقة ثورية تصدر بعد القرارات
الثورية الاشتراكية [يوليو ١٩٦١] ..
الوثيقة الرابعة : [الاعلان الدستوري ١٩٦٤] ..

وهي وثيقة التصحيح الدستوري التي
صدرت لتلائم مرحلة التحول الاشتراكي .
الوثيقة الخامسة : [بيان وبرنامج ٣٠ مارس

١٩٦٨] .. وهو البرنامج الذي قال في بدايته
الزعيم الراحل عبد الناصر [ان يصبح في
امكاننا ان ننطلق الى المستقبل .. وقيل
الآن لسان ممثل ذلك لم يكن مكتسبا الا
بالاستغراق في الاحكام او الاوهام ..
وكلاهما لا تستعمل له الشعوب المناضلة
.. فضلا عن ان تقع فيه .. بينما هي
عند مغترق الطرق الحاسمة وامام تحديات
المصير] ..

اما الوثيقة السادسة .. فهي برنامج العمل
الوطني [١٩٧١] .. والذي اصنعه
الرئيس ثور السادات بعد حركة التصحيح
[مايو ١٩٧١] .. معطيا اهتماما كبيرا
لرابط بين الفكر والعمل ..

والطريق خلفه تناما مع التاريخ الصحيح في اهمية
هذه الوثائق .. وفي اثر الذي احتلته في المسار
النوري للعمل الوطني منذ ٢٢ يوليو ١٩٥٢ .

ولكن ثمة لفرقا بين « الوثيقة » التي تصدر تبعا
جديدا في مسار الثورة ، وبين « الوثيقة » التي تشرح
هذا المسار وتفسره وتوضح مبادئه الفكرية والاجتماعية ،
وتبين اتراة العملية .. ويفتح بحث هذا النوع الاخير
من الوثائق الخطب والمصريحات التي صدرت ومآلات
تصدر عن رئيس الجمهورية .. مجال عند التاصر وانور
السادات - وقرارات الوفورات القومية العامة للاتحاد
الاشتراكي والجنحة المركزية والاعمال القانونية :
للمسئورة والقرسمة الهامة .

مجتمعات قانونية . وبالتالي الدموه الى وجود
مجتمعات سياسية داخل الاتحاد الاشتراكي
وتخصيص صحيفة او مجلة لكل مجموعة .

وهذا لا يعني من وجهة نظري غير وقوف
الاتحاد الاشتراكي على تقديمه من خلال تحويله
الى جبهة سياسية تقود بجدارة تفسانا الوطني
وتقوم بتنسيق التحالف بين المجموعات السياسية
التي سوف تمثل بالضرورة مصالح طبقة مختلفة
كما حددها موقف ابو شنيف بقوله بانها ذات
مبادئ واحدة ، او مقاربة على الحياة والحرية ولقبة
العيش ، وان كان قد اشترط فيما بعد وجودا
غير طبقي لهذه المجموعات السياسية خوفا من
تغليب مصالحها الاجتماعية خلال صياغتها
لفكرها السياسي حولها لاشكال المجتمع وخوفا
من انزعال المتقنين في تجمع يغفل عليهم .
وهذا تناقض مقلق يحذر لا لزوم له بسبب ان
المجموعات السياسية المقترحة لا يوجد بينها
تناقضات عدائية . وبالتالي سوف تعيش في
رحاب الاتحاد الاشتراكي باعتبار جبهة سياسية
على اساس تغليب المصالح الموضوعية اي
العامة على المصالح الذاتية كما هو حال المجموعات
والاحزاب السياسية التي تقوم التشكّل
الاسطوري للشعب الفيتنامي العظيم . وبالتالي
للمتقنين فلن يمسزوا في تجمع خاص بهم
لانتسابهم فكريا طبقيا لكافة المجموعات السياسية
التي سوف تشكل التحالف الوطني من خلال
الاتحاد الاشتراكي .

ومن هنا فان هذا التناقض لا يؤثر على اتجاه
المثالة في الدعوة الشجاعة لوجود مجموعات
سياسية لن تحد طبعيا من الاثر السياسي للمجموعات
الصاغطة كالنقابات كما ذكر موقف ابو شنيف بل
سوف تعمل على اشاعة الاثر السياسي للنقابات
المعمالية والتعاونيات الفلاحية واتحادات المتقنين
في الحياة والمجتمع حتى تساهم في بعث قوة
راى عام ديمقراطية مؤثرة تخدم مصالح الجماهير
الكادحة والعمل الوطني في جيلته ..

ومن ثم فهذه المجموعات السياسية ليست
البديل الطبيعي والشرعي للضلال ومراكز القوى
خلانا لما يرى موقف ابو شنيف بان قوة الراى
العام هي البديل . وهذا لا يتفق وطبيعة الاشياء
حيث تعتبر قوة الراى العام قوة روحية والشكل
ومراكز القوى قوة مادية . ولهذا فلا يوجد بينها
اية علاقة تبادلية ، بالاضافة الى ذلك تقسوة
الراى العام لا تثبت ولا تزدهر الا على ارض
المجموعات السياسية وفق ترباها ، بمعنى انها
نتيجة لوجودها كتعبير عن حلول مشاكل ديمقراطية
لا يشوبه غبار التسلط .. وبالمقابل فالاشاعات
لا تفرخ وتنتشر الا في جو الشلل ومراكز القوى
التي تخفق عادة وبالضرورة قوة الراى العام
وتغفل اية كلمة شريفة او فكرة طموحة تخدم
قضية تحررنا من الاستبداد والمهيمنة والتخلف

المجلس الأوربي

الجمعية الاستشارية

وثائق



يوم الثلاثاء الموافق ١١ مايو ١٩٧١ عقدت الجمعية الاستشارية للمجلس الأوربي جلستين
لناقشة قضية الصراع العربي الإسرائيلي .

ولا شك أن النص حافل بالآراء والأفكار المعادية للعرب وقصبتهم المعادلة ، والاتجاهات
التي عبر عنها أعضاء الجمعية تكشف عن تحيز ومبالاة صريحة لإسرائيل ، حتى ليصعب
على القارئ أن يتبين نقاطا خلافية في وجهات النظر مع مندوب إسرائيل : ورغم ذلك ، فإن
« الطلبة » تجد أنه من الأهمية بمكان نشر النص الكامل للمحاضر ، بما يتيح فرصة
التعرف على صورة واقعية للفكر السائد في أوروبا ، وخاصة بين الدوائر الحاكمة وقيادات
الأحزاب البورجوازية .

وليس معنى هذا أن الآراء الواردة في النص تعبر تعبيرا صادقا عن الرأي العام السائد في
أوروبا ، فبالإضافة إلى تعميمها ، إذ توجد قوى ديمقراطية ويسارية لها اتجاهاتها ومواقفها
التي تميزها ، بل إن بعض قواعد هذه الأحزاب قد لا تتبنى موقف القيادة كاملا ، إلا أن الطابع
الفالب والمؤثر في أوروبا — فبالإضافة استثناءات قليلة — ما زال هو الطابع الاستعماري الذي
عاش منه العرب تاريخيا .

إن أوروبا التي تحولت في عالم اليوم ، أن تجد لنفسها دورا مؤثرا بجانب الاتحاد السوفيتي
والصين وأمريكا ، تتعالم قضية الشرق الأوسط بالتطرق الاستعماري وتعتبر إسرائيل
امتدادا لها في المنطقة وأداة يمكن استخدامها في خدمة مصالحها الإمبريالية .

ومن الملاحظ التركيز والتشديد على نقطة التواجد السوفيتي في الشرق الأوسط مما
يعبر عن زعر حقيقي للمصالح الاستعمارية ، ورغبة في الوقفة بين الاتحاد السوفيتي كحليف
ومصدق مخلص للعرب بهدف عزل حركة التحرر الوطني عن المعسكر الاشتراكي ،
للانفراد بالاولى حيث يسهل عليهم تطبيق العرب وضرب حركتهم .

ورغم هذه الصورة القائمة لوجهات النظر الاستعمارية ، فإن هناك بعض الأصوات
في أوروبا بدأت تطالب بتفهم وجهة النظر العربية سواء من منطلق الحفاظ على مصالحها في
الواقع المتغير ، أو نتيجة نجاح قطاعات منها في التحرر من النفوذ الفكري الاستعماري .

المحضر الرسمي

للجلسة الثالثة

(يوم الثلاثاء ١١ مايو ١٩٩١
الساعة ١١ صباحاً)

السيد / شيرينيمسي (التيسا)
(تليف)

قبل الحديث عن الوضع الحالي في الشرق الأوسط ، ذكر الحاكم الحضور بأن حوض البحر الأبيض ارض تبت عليها حضارة قديمة وكانت مهدا للاديان السماوية الكبرى الثلاث ، كما كان هذا الحوض ملتقى جميع الطرق البرية والبحرية ، مما جعل منه محطاً لكثير المخلع طوال القرن الماضي ودارت حوله الصروب بصورة تكاد تكون مستمرة من القاجارية الحالية ، لم يستطع الزر ان يتحول ان كل خير من ارضه يشيع بالهم . ولقد ظل الشرق الأوسط مدة طويلة طريق الوصول الى منابع البديد الكبرى ، لم اكتشف بوارده البترولية ، وبسائر فوره الاقتصادية السياسة التوسعية التي امتدت الى الامبراطورية البريطانية والياتيا في شغل آل هوبنزلواين وروسيا القيصرية والامبراطورية العثمانية ، ففلسا عن الصالح الاستعمارية الفرنسية .

واليوم نتواجه في الشرق الأوسط الواقعان اللذين هما السكيران وشكيران من فواعديا العسكرية بينة المانظمة على مطلق التتدؤ التي لكل منها فيه . ولقاء السويسر امية اسرائيلية التي انتمت الى الاتحاد السوفيتي بصورة خالصة ، في حين ان الولايات المتحدة ترى فيها طريقا قديرا واربع بينها وبين الموارد البترولية ربطا له أهمية جوهريه .

وقد حاول المجلس الأوروبي دائما ان يقدم الحلول للمشركين في النزاع . فقد استقبل السيد ابا ايران في سبتمبر ١٩٦٧ وزير الخارجية الاثنية في ١٩٦٨ وسوف يشبع اليوم الى السيد عيسد الجديد . وقد ذهب السيد رينيردات الى القاهرة ، وسوف يذهب الى اسرائيل . وهكذا تتوارر للجلسة الاكثية - والثانية - من ان يكون لنفسه فكرة واضحة من الحالة . وفيه مسائل الشرق الأوسط لسياسية واقتصادية ايضا : لا يمكن ان يكون امضاه خير بخافين بآلم السكان الذين تذهبهم الحرب ويكثروا التي تتسرب مصير ملايين اللاجئين ، وبالوات الذي يتسلل شعبها الارهاب . ولقد فاش الحكم ابا نظر بالكلية التي فاشها ان يلقى اخذت شكرا من ان ايمانها تتلوا بل من انهم حولوا الى تلة . وكانت عهده

الم أليانسة هي السيدة بولندا
ماتير .

ومنذ ١٩٦٧ أعان المجلس الأوروبي ثلثة من ازدياد القوى البحرية للاقتصاد السوفيتي في البحر الأبيض ومن شككر التواجد والامثلة السوفيتية في هذه المنطقة من العالم . فلم تشكره الامانة السياسية العربية هذا التلق !

ولا يريد المجلس التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد المشتركة في النزاع . غير انه يبق له ان يلاحظ فيما يتعلق باسرائيل بأنها دولة دينتارية وتعرض وجودها للخطر . ولم ينس التكتل السياسية التي اظهرها باقى اوربيا في ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ و ١٩٦٨ ايام عصمت النظم الديتارية في اوربيا الوسيطة ، فلا يبنى ان تكرر مثل تلك الشفاعة .

وفيما يتعلق باستحيالات السلام في الشرق الأوسط ، على المجلس الأوروبي ان يمبر بوضوح عن اوجه التفكير التي يتبنها . وعليه خسة ان يؤك في قوة ان البينة لا يمكن ان تعدد في المسدة ولا ان تفسح للشروط . ان البينة لن تكون لها همة الا اذا كانت فاعدة لاطلالة قوية في مفاوضات لا بد في التهلة ان تجرى بين الأطراف لتسلسا . وبمعهذه المناسبة ، يذكر المتحدث نموس القرار الذي اتخذه مجلس الأمن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بهذا المنقطة ان هذا القرار ليس تقيديا على الاطلاق ويكتي بسان يذكر حدا محينا من المبدئية - الجهاد - من الاراضي التي تحتلها اسرائيل ، والاعتراف بمسادة جميع الدول في المنطقة واستقلالها الخ . . . وهي تلك المبادئ التي يرى مجلس الأمن ان هذا المفاوضات على اساسها في المستقبل . وعليه ؟ فلن الجلاء من الاراضي ليس ابدا شرطاً مسديا لآية مفاوضات ، مما حيل بمكسه لحياتها .

وهناك ايضا بعض الناس الذين يودون لو ارتكن الاسرائيليون على المفسقات التي تقدمها مجلة الامم . غير ان المتحدث لا يجد تشفيا الشفاعة الاكثية لكي يصدى اليهم بلل هذه التسمية التي لو يبق كثروا اتبعوها في ١٩٦٧ لكن لم يبق ملأيا اليوم الا الكاكة على دولة اسرائيل بعد انزالها من الوجود !

وهناك اتهام بوجهة لحياتيا الاسرائيليين بالسؤولية من التوتر في الشرق الأوسط يشعب ميسلهم التي توصف بالقوسية . غير ان هذا تلوم لا لسي له - والحق انه في كحور الطرق المرى ان يضم بالقضاء على اسرائيل ، ابا من الناحية الاخرى ، فليس من المتصور ان يوجد اسرائيلي واحد يكر - واذا من ميسد - ان يعمل على القضاء على العالم

الآخري ، وهذا يتضح للآخري السكين
بين اوضاع الطرفين : فليس من مصلحة اسرائيل خوض الصراع ، ولا تستطيع العيش الا في السلام .

وعلى كل ، نفس التلوز ينطبق على جميع شعوب المنطقة ، ان لا يوجد بينها من يكسب منها في حالة تشوب نزاعات جديدة . وينبغي انن ان نصل الى ابرام معاهدة سلام تفسن في التعلش بين الجميع نطق بل التعاون الحقيقي بينهم ايضا . وبهذا نطق يمكن ان يستفاد من الموارد الطبيعية والبشرية لهذا الركن من العالم . ويحدث فقط تزدهر الحضارة مرة اخرى في ذلك المهد القديم للبشرية [تفصيل]

الرئيس - اشكر السيد شيرينيمسي لتقريره
انه ان حلقا اليوم - ان يكرن بيتاها صاحب المسفاعة السيد عصمت عيسد الجديد وزير الدولة للصورة العربية المتحدة . ولقد حلقنا مطلقين من محادثات مع جامعة الدول العربية ان اكا رغب في ان يتحدث سموت مررى مرة اخرى في هذه الصالة . وفيه هذه المحادثات ان يتواجد الوزير عصمت عيسد الجديد اليوم في استراسبورج ، السيد الوزير . تقع على الدول العربية بمسؤولية كل الشفاعة الجنوبي للجنس الابيض ، في حين ان مسؤولية الشفاعة الشفاعة تقع على بعض الدول الاوروبية . ولذلك يستعنا ان نسمع سوفا فريدا من العربي واوربيا اكرية عيسى بقسندية للشفاعة على السلام في اسرائيل والدول العربية البحر الذي يعبر بحرنا نحن هنا وهناك ، سواء كما من الشمال او من الجنوب . ولذلك يستعنا ان نسمع سوفا فريدا . فإذا كانت لنا اعصيات بالشره ، بسببه طول النزاع بين اسرائيل والدول العربية فيفك ايضا كافي واسعة في المستحق لا بد لنا من ان نذكر فيها ، وينبغي ان تطور العلاقات بين الدول اعضاء الجامعة العربية وثلك في المجلس الأوروبي حتى تولي معا مسئولياتها بمزوافل الى هذه المنقطة من العالم التي تجبر مكا لها .

ومن البديهي ان النزاع الحالي يظل يحمله على التصور العربية كما شترتم به عند استماعهم لقرينا ، كما يتل على اسرائيل المشتركة في ابعثا مبادياته على انا صفة الرائب ، وعلى مصوب اوربيا ايضا . وان ازالة هذا النزاع لحدود الشروط لتعاونها المتاحج في المستقبل .

ولكن ما يبعثنا من ان نلظر منذ الان الى افاق هذا التعاون ، وهي استي لاجدة ؟
السيد وزير الدولة - يستعنا ان

أعطيت الكلمة حازمًا فوضحو أننا لا نشتكي
التي نخضعها هذه المشاكل بالنسبة
لبنفسهم ونشكر البلاد العربية مهيا .

وأرجو أن تتفلسفوا في التفسير .
لا تصيح [. الكلمة السيد عصمت
عبد الجيد .
السيد / عصمت عبد الجيد -
وزير الثقافة أدنى ج. ع. م .
السيد الرئيس ، سيداتي وسادتي .
سرني أن تلقى كنشى إياكم سرورا
ولغا .

لقد شرفنا الرئيس الأوربي ريفيرتان
بزيارته للفاخرة التي أبهى فيها ألبا
عليه في شهر مارس القمير . وشكر
لخدمتي في حضور النورثالية للجمعية
الاستشارية للمجلس الأوروبي والمشاركة
في جلساتها . وأني لمسيدي وشكر
لهذا الجليل . وأذ التي السيد الرئيس
ريفرتان في جامعة الدول العربية خطبا
جليا طويل بتقدير كبير ، لم يسمي إلا
أن أجد فيه ما وجدته في حضوري اليوم
من معنى خاص بلز . فجامعة الدول
العربية والمجلس الأوروبي تنظيمين
يجمعان دولا لها مساهمة مشتركة وتسمى
في حدود أكتيها إلى تصديق أهدافها
بمشرفة من أجل السلام والتنمية .

وقد حاولت جامعة الدول العربية
المدل تأسيسها في ١٩٤٥ أن تضي بين
البلدان الأعضاء ، وإنه في الميدان
السياسي إلى حصول العديد من البلدان
العربية على استقلالها أسهلها أخلف
أبعاد حسب الأحوال .
وفي الميدان الاقتصادي ، أرست
الجامعة الأسس للتعانق السوقي بين
أعضائها بملفسي الإعانات التنموية
والمالية التي أبرمت في ٧ سبتمبر ١٩٥٣
كما أن الجامعة حددت شريعا للتشوق
القوى الخاص لأحد أشكال الاختلافات
التعاونية . وعقدت العديد من التناقض
التعاون مع هيئة الأمم المتحدة أو وكالاتها
المتخصصة .

وتطورت جهود جامعة الدول العربية
في الميدان الثقافي تحورا كبيرا . فطابق
لبنائي الاتفاق الثقافي المخرج في ٢٧
نوفمبر ١٩٤٥ ، ركزت الجامعة اهتمامها
على توحيد نظم التربية المختلفة وبرامجها
وعلى إقامة الثقافة العربية بواسطة
المؤتمرات وأندية المهاد وهذا المدرسين
والطلاب ببرنامجية المؤتمرات وأصدار الكتب .
وأصمد أن الجامعة ملها مثل المجلس
الأوروبي - تسعى إلى تحقيق الأهداف
المطلوبة جدا في بعض الأحيان بالموسم
المؤثرة لديها وهي محدودة للغاية .

وعيا وتعلق بالعلاقات بين الجامعة
والجاسي ، نأني أعهد أن نظرة بدأت

تقام وحينئذ وجودها من أبحاث التبادل
النكري واتصال الأسلاك بين عالمين
وحضارين استقدا أصولهما منمناع
واحدة .

إن العالم العربي الذي انتفى إليه بدأ
يدخل في مرحلة جديدة . ولقد لى وما
يزال العديد من التغيرات والتحولت .

واثرت حركة الوحدة العربية - وما
ترال تأثير - الكثير من الاعتراضات البنية
على أحكام مملكة تصفية ، رغم أن
هذه الحركة هي التعبير الطبيعي لأمر
حلم .

فالعالم العربي ولح كما تطون تحت
نير الاستعمار والاستغلال .

وعارضت حركة الوحدة العربية هذا
الاستغلال وذلك الاستعمار . وفي مندور
كل من الشرخ وحلم الاجتياح أو
الاتحاد أن يحلها تحولا مخطئا . فلم
يكن تحرير العالم العربي بالامر السهل .
كما أن تحولات وقعت في المجتمع العربي
ولقد كان هذا المجتمع يعيش في نسل
نظام متيق ، ويشمره بأنه مستقيل وحلم
ومسود . وكان عليه أن يموت في التكمير
الذي أصابه والذي لم يك هو مستقلا
عنه .

وكان من الضروري أن تجري التغييرات
الجزئية للحصول إلى مستوى معياري
بسرعة أكبر ، وللشراع بالتطور وتوجيه
الجامع العربي في طريق التقدم والتغير
مع المحافظة على صلاتها بقاتنتها وتلجدها
وإنها .

ذلك لأن تلوونا لا يمكن أن يتم
بالاتصال من ملفسنا . وإذا كمن
شمرلنا بتقدمنا للمفينا الجيد ؟ فلان
الكلمة ما زالت لها صرحها في الشرق .
ولدينا ما يكفي من الواقعية تجعلنا لتريد
أن نمشي في هذا المضي رغم اعتراضنا
به ، ولن نزل إلى المستقبل بكل ما فيه
من إمكانية كفية وتمل ورمود .

السيد الرئيس :

أعتقد أنه من الأمور الضرورية والمهمة
أن تترك البلاد الأوروبية وجود ذلك
العالم الذي أضرب بتثيله . إن البحر
الإيبس يربطنا ومن استطاع أن تتروى
بيننا المصالح المحددة وتضع التمسك
المشتركة من خلال تلك الرابطة المشتركة .
ويبني أن نخل ما تحيله الاتفاق البعيدة
من إمكانية والتي أذكر بعضي الزكلم
ذات الدلالة على تلك العلاقات .

وصل عدد السكان لبلاد البحر الأبيض
مالم إلى ١٩٧٠ إلى ٢٧٠ مليون نسمة .
ولغ ما يخص البلاد العربية في المنطقة

٧٥ مليوناً ، والتي عام ١٩٧٥ تصبى
عدد العرب في شواطئ البحر
الوسط ٢٤٠ مليوناً من مجموع
سوف يبلغ ٢٦٠ مليوناً .

وسوف تذل هذه الزيادة الكبيرة
تدرة تجارية واقتصادية ذات قيمة
عظيمة ، من التوقع أن تصل الواردات
الضرورية لهذه المنطقة فتمت بملها
الحالي ، إذ ترتفع من ١٩٨٠ مليون
دولار سنة ١٩٦٤ إلى ١١٧٠٠ مليون
دولار سنة ١٩٧٥ طبنا لتغيرات مخططة ،
ومنا ٧٠٠٠ مليون دولار من الإنستع
الراسمالية .

وبلاد الشرق الأوسط المطلة على
البحر الأبيض موار طبيعية واسعة ،
وخصة البترول والفار . نلى أسكتها
أن تبيع جزءا من ماضي أوروبا للبترون
للتترول ميزة من المصدر الرئيس على
للطاقة وسوف يظل كذلك لمدة طويلة ،
رغم بعض التغيرات التي تبني على
أسس وافية ، وكذلك رغم ما تم من
اكتشفات حديثة لحسان الطاقة فيمادين
أخرى .

وفي عام ١٩٦٤ صدرت البلاد المنتجة
للبترون ملي شواطئ البحر الأوسط ما
قيته ٥٣٨ مليون من هذا البترول ،
وسوف تصل قيمته ١٠٢٤٥ مليون دولار
عام ١٩٧٥ .

لقد اطلعت على نشرة جامعة صدرت
في باريس في الشهر الماضي بعنوان
« أوروبا - بترون » فمستمر أن الخبرة
والخوف سيؤثران تسيبها وأوروبا إلى التغير
الناخبين على الأسكل ، وقد تزد -
تمن المتوقع أن يرتفع استهلاك أوروبا
للبترون إلى ثلاثة أضعاف الحالي في
١٥ سنة ، غير أنها لا تملك أي مسود
بترولي عالم ، فلتعطيها الوحيد موجود
في نسل أفريقيا والشرق الأدنى .

ويستطرد الكاتب موضحا أنكره ثم
يحل إلى النتيجة الخاطئة بأن خيول
أوروبا آزاء مشكلة الطاقة سوف يكون
خيلا سياسيا .

وبن جاني ، نأني أؤمن بأنه من الممكن
أن يكون تسيبها أوروبا في المقصين
التقدمين الطبائية والأمن ، لا المسرة
والدفوف ، أن الطبائية والأمن يمكن أن
يسترا في مملعتنا ، وهذا مقلبه .
غير أن جهد الطرفين ليد أن يتروى
لوصول إلى هذه النتيجة . ويبني أن
يكون لمسك ذلك الاختيل السياسي
الحكة واللثة والإحترام للمصالح المتبادلة
والشمية ، مما سيؤدي بنا دون شك
إلى تلك الطبائية وذلك الأمن ، وإن
نعمل بما من أجل مصالحنا المشتركة

وتعزى زواجة البلاد الى كماله التي تمسح
الطريق من اي استغلال .

ولا يعني هذا ان مناطق اخرى من
العالم مملوءة من المشركين ، والتمتد
معنا في هذا العمل - قلنا على نهج
ذلك قبلنا - نسمي الى التعميم الدولي
البنى على الاحترام للبلدان والمساواة
ولا تلجأ الى العدل والحق والسلام .
وإذا لم يكن ان تمام هذه الجسدية في
ملافتنا ، تكون قد حقنا غلوها صبراً .
ولا بد لذلك من ان تصورنا التمسك
والتمام .

وهنا نلجأ لتناول : من من الصعب
ان نقيم الكلفة والتمام بيننا ؟ فكيف
يتمثل المشكلة .

واسمحوا لي ان احدثكم في صراحة
لنكن لثلاثين من أوروبا ان نعلم ما يجرى
عليها من جانبها ، وإذا كنت تعلم
لهذا لا يعني التظاهر في وجهه للتعرض
والى بعد كل ايام من هذه الفترة
بل انصدم جيداً يبدل على الاقل لتهويج
نظر الطرف الاخر .

فشرط ضروري لهذا ان تعاون مجمل
بين أوروبا والعالم العربي ان يحمدا
لغير في طريقة التفكير وذاتية الرؤية ،
وان دخلنا المشاكل وندرس في لوائح
مختلفة ؟ وان يصنع المرء الى وجهته
نظر الجميع .

ويستدنا ان ثلاثاً طوروا على في
الراي العام العالي - وخاصة الأوروبي
- اراء خشنة الشرق الأوسط . وكان
لرئيسا الفصل الكبير في اختلاف مواقفها
التشجيع رغم ذلك الجميع منذ بداية
الدعوان الإسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ .
وتعني باله الأوروبية اخرى الآن مونتسكا
ينطوي على نفس التعميم - بما يصرنا .
والنا لطلب تعاماً يمكن تفحصه في
كلمات ثلاثة : الحقيقة - السلام -
العدل .

ولا اود ان افوض مشكلة طويلة
مشكلة الشرق الأوسط . فهذا يحتاج
الى صراحة وصراحة ، فلتنتقل الى
الحالة الحاضرة للوضع ؟ بمقدور
اربع سنوات على حرب يونيو ١٩٦٧ .
لبننا مسألة للتسليطين ؟ ثم لحدثنا
القوات المسلحة الإسرائيلية للاراضي
العربية المحتلة ثلاث دول اعضاء في
مجلس الأمم المتحدة ؟

وعينا بتمثل بالمشكلة الفلسطينية ؛
لنقم تعلمون ان الشعب الفلسطيني قد
طرد من ارضه ، ونهت منه ممتلكاته ،
وجزء كبير منه يعيش في مخيمات

اللاجئين . لقد ارتكب آراءه نكاح بشع
غير ان الحقيقة تصحح اليوم بوضوح ما
تكون - علم عند المشكلة قضية لاجئين ،
بل قضية سياسية في جوهرها .

لقد خضعت القضية عدداً كبيراً من
التساؤل لدى التيات الخمسة ، غير ان
معلوماتهم غير مضمونة - فلا يمكن
ان يسود السلام هذه المنطقة الا اذا
حولنا على حقوق الفلسطينيين - ولأزيد
الجمهورية العربية المتحدة كعاش الشعب
الفلسطيني قياداً كايلاً - وتطلب بيان
تحقيق صورية حافلة في هذا الشأن
طبقاً لقرارات الأمم المتحدة بخصوصه .
وفي التقرير الذي قدمه الرئيس ياكسون
الى الكونجرس في ٢٥ فبراير ١٩٧١ ،
صرح قائلاً :
« لا يمكن ان تحقق تنسوية مستمرة
في الشرق الأوسط دون ان تتفهم الامال
الكرمية للشعب الفلسطيني »

لما الجانب الكتل القضية الشرق الأوسط
هو ما يقطن برغش إسرائيل في تصعب
قواتها المتعددة من الاراضي العربية .
وهي تتسوق ان هذه الاراضي ضرورية
لها .

ثم تمت إسرائيل في اليوم ذلك البلد
الصين - المصن - بالبلد العربية الاخرى
المتحدة لايلائها - فلا يوجد اليوم من
هو يصفق هذه الصورة - إسرائيل
في التي تهاجم حاليها اراضي عربية
وتلجأ في كبتها ألياً - ولنا لاسلم
قوة توسعية تلي في لكان الانفصام
المتدين لهذا المجلس كقوة محبة -
وترفض إسرائيل مبعداً ضعب قواتها
لنفس ؟ وتحتدي بذلك المجتمع الدولي .
لقد زعمت إسرائيل في صراحة
ببدا صعب قواتها المتعددة في فكرة
رسمية تحتها المسير يرافق منذ مدة
وجيزة ؟ في ٢٢ فبراير ١٩٧١ . واليك
النص الراضع لفترة البند الرابع عشر
المذكورة .

« ان تتخبط إسرائيل الى الخطوط
التي قبل » يونيو ١٩٦٧ »

أرجع . ج - م - تصدر في طريق السلم .
ولقد علمت على نكاح جميع الاكتفايت
ومزالت وهناك موقتان لها مزي في
هذا الشأن :

١ - لقد وافقت ج - ع - م على
الانقراحت الأخيرة للسفير بلرغش في
حين ان إسرائيل رفضت حتى الاجابة
عليها .

٢ - وفي يوم ٤ فبراير اعلان رئيس
ج - ع - م - السيد ثور المسادات
بمفردة صريحة توافق على ان تفتح قناة

التصويت اليوم الملحة الدولية بخلاف
الانتخاب الجزئي للقوات الإسرائيلية .
ان إعادة فتح قناة السويس الى لبننة
دوية - لا دامي لاراز اصبحتا بالنسبة
للجارة الدولية ونقل البترول .

ولقد ابدت بعض الاوساط شكاً في
امية القناة بسبب التناقلات المبلاتية التي
تمثل حالياً - غير ان هذا الراي خاطيء
لمسبين .

الاول هو ان استهلاك أوروبا من
البترول القادم من منطقة الخليج يرتفع
باعتبارها - فالبحر من الصلح من الخليج
كلما يشكل ٣٥ ٪ من البترول الممن
بقناة السويس استسلكت أوروبا منه
٨٨ ٪ عام ١٩٦١ ؟ ثم ارتفع استهلاكها
في عام ١٩٦٦ الى ٨٨ ٪ من البترول
الصلح من الخليج .

وتلجأ الاستهلاك الأوروبي السكنى
للبحر نلجأ للجدول الاتي الذي يبين
التوصلات للمستقبل :

١٩٦٥	٣٩٥ مليون
١٩٧٠	٦٥٠ مليون
١٩٧٥	٨٠٠ مليون
١٩٨٠	١١٠٠ مليون

وسوف يكون نصيب قتل السويس
في نقل هذا البترول .

١٩٧٥	٤٤٠ مليون طن عام
١٩٨٠	٦٦٠ مليون طن عام

ولا يمكن ان يشكل بناء التناقلات الضخمة
مناسبة للطل - فالتقل يستطيع اولا ان
يصل بعد اعادة تلمه ثلاثا تصل
حولتها حتى ١٠٠.٠٠٠ طن ثم ارتفع
الى ٢٥٠.٠٠٠ طن بعد تنفيذ مشاريع
التوسع .

وقبل خلق القناة ، كان نقل البترول
من الخليج حتى انجلترا على نقطة ذات
حجولة ١٠٠.٠٠٠ طن يكلف ٦٠٠.٠٠٠
دولار - لما اليوم ، تكلف هذه الرحلة
نفسها من طريق الاراضي ما يقرب من ٢
ملايين من الدولارات . وهذا دون نكر
مخاطر التناقلات المملانة وكيفية المرونة
تسببها .

ولان مصر تظر الى المستقبل ، فقد
اشتركت في اتحاد مالي دولي بجمع
عدداً من البلاد الأوروبية ؟ فرنسا ،
ألمانيا الاتحادية ، اسبانيا ، إيطاليا ،
اليونان ؟ ويهدف الى بناء خط انابيب من
السويس الى البحر الأبيض - وسوف
يستطيع هذا الخط ان ينقل كمية من

البرزل تصل إلى ٢٠ مليون طن في السنة وبلغت تكاليف المشروع ٢٥٠ مليون دولار تقريبا .

ان هذا الخط - المسى « سويد » انو برهان حتى ان القناة لن تنسى وجدها لتقل كل البرزل المطلوب هند اعادتها .

ومن يمارس اعادة فتح القناة ؟ هي اسرائيل . واسرائيل ممن غيرها .

ما زالت المبادرة المصرية الفاشلة باعادة فتح القناة حالية ، ولكن علينا ان نلاحظ انها ليست حلا مثملا ، بل حلا يربط ببساطة لربنا مفهوما بتقليد القرار الذي أصدره مجلس الأمن في نوفمبر ١٩٧٧ .

وأرد أن أكثر وجهة نظريا كما على حتى تكون الأمور واضحة تماما ليسا يتعلق بتقليد الاقتراح المصري .

١ - من المحللة التي يتم فيها الانسحاب الجزئي - وهي المرحلة الأولى للانسحاب الكامل - الجمهورية العربية المتحدة مستعدة ان تبدأ جميع قاع القناة . وستغرق هذه العملية بين أربع وسنة شهور .

٢ - وفي حالة التخلي الفعلي ، قبل ج. ع. م. وقتة المثلث النر لدة سيطرة على تكن السفين برفع من ان يحدد الجولون الزمني لتطبيق قرار مجلس الأمن الصادر في نوفمبر ١٩٧٧ .

٣ - تدبر القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة قضاة السويس حتى تكون مسؤوليتها القوية على الفسقة الثورية .

٤ - فيز لن ج. ع. م. مستعدة - حتى تحافظ على السلم - ان تعجل اجراءات عملية تصفد الى التصل بين القوات المتصارعة أثناء فترة وقف إطلاق النار ، وهي الفترة التي يحدد فيها السفين برفع تفاصيل البودات الفسقة محل الأزمة والجولون الزمني للانسحاب الكامل من جميع الأراضي المصرية في سوريا والأردن وفرة وسيناء . وإذا وصلت تلك الفترة الى نهاية دون ان يكون يتم حتى قد أنزل ، نعتقد القوات المسلحة المصرية لتتسبها بحق المين من أجل التعيين الشليل للاراضي العربية المحطة .

٥ - ترفض ج. ع. م. رفضا باتا أية مناقشة حول تزاع سلاح سيلا . غير أنها تتبرن ان تعلم مخاطر متزاوعة السلاح - طبعا لقرار مجلس الأمن -

ويشرط ان تكون متكاملة من حيث الحدود .

٦ - لايحق أية جهة معنية ان تخلفب ج. ع. م. في وجود اسرائيل - مهما كان شكله - في شرم الشيخ ، وهو جزء لا يتجزأ من أرضنا القوية . وتعتبر ج. ع. م. غير مجدية الاتفاقات التي جرت حول إيفر شرم الشيخ أو اعلمه ، أو حول اشتراك قوة اسرائيلية ضمن القوى الدولية للسلم .

ان الوضع في الشرق الأوسط جد خطير - وكفك ج. ع. م. من أجل تحديدها الوطني - والتاريخ المصري الطويل نرى بالعروس الدالة على ان أكثر الاحمال حسنا للامور ليست تلك التي تهرع المين ، بل انها نتيجة جهد المبر والحقيقة والمثل - وإذا كانت الاحلام تراود اسرائيل ، فقد أن الاوان ان يعمل الذين يربطون عملية الأمور وجدية الوضع على تهيئها واعتقلا تيسل ان بغوت الزمن .

السيد الرئيس : سيداتي وسادتي لقد حولت - باسم هذا المجلس المؤثر - ان السبب في الموضوعات التي نشغل الاعيان ، وفي ان تكون على احد من المؤكد التي لم أستطع معالجتها بحق في الذين المحدث لي . اشكركم جميعا شكرا جزيلا ، وأحيي مدينة اسفرا سبورج الجيلة باعتبارها رمزاً للوحد من أجل السلام والتعير . ثم أحيي من خلالها اسفرا سبورج نرنا التي صيقلنا اليوم .

سيدتي الرئيس ، شكرا . السيد الرئيس - اشكركم ، وسيدتي الوزير . ولقد تلم لي لكم مستعدون للرد على الأسئلة التي توجه اليكم ، ولكنكم عفاون ان يجمع عدد من الأسئلة قبل الاجابة .

الكلمة للسيد / بلومنفيلد

السيد / بلومنفيلد (Blumenfeld) [جمهورية ألمانيا الاتحادية] - [تلخيص] : أشكر السيد / سعيد لسمه أنهه وراحته ، ويسمعه ، باعتباره رئيسا للجنة الشؤون السياسية ، في تسكن هذه اللجنة من الاستمرار في المتكسفة مع السيد / سعيد غذا صلحا حول المشاكل التي لا يرفع في آخرها في جلسة مغلقة .

ولاحظ المتحدث ان الجملة العربية والمجلس الأوروبي لها معلمة متجانسة في التعلق ، غير انها ليس لها مجاله أو أهداف مشتركة . وسأل الوزير بعد ذلك اذا كان سربح يني قاري أو أحد التصريجين الآخرين للذين اصدرتهم

الحكومة المصرية يعتبر ١٥ صلة وتحتية وكذلك يرغب في ان يعرف اذا كانت الحتية المصرية - بعد ابرام السلم في الشرق الأوسط - مستعدة للاشراك في البجوة الاقتصادية للشرق الأوسط ، و يدرس وجودها ، وفي تلك التي اقترحو زير الشؤون الخارجية الإسرائيلية في ١٩٧٧ ثم السيد / أبا إيسان - بعد ذلك .

السيد / الرئيس - لتباه السيد الوزير سعيد ، أوفسح ان السيد / بلو يتفقد المتي وينتس الى الاقتصادية المسيحية الديمقراطية .

سأعطي الان الكلمة للسيد / بيتول وهو عضو إيطاليا بمجلسنا ويتنص الى الديمقراطية المسيحية .

خطبة السيد / بيتول BETTIOLE [إيطاليا] : يا بني ان اشكر السيد وزير الدولة المصري لوفوهه وبعد نظره في كلمة التي قرنا بها موقف مصر والبلد العربي الاخرى في هذه اللحظة التاريخية الحزينة بل الخطرة .

أود ان أوجه الى السيد الوزير KDB أسئلة بروج المصادقة :

السؤال الأول هو : اني لا تقا نصحت اسرائيل بعد حرب ١٩٦٨ ومع ذلك في ١٩٦٩ من المخطط المحطة . ومع ذلك فلم تعلن مصر استعدادها لتباه حالية الحرب بواسطة اعلان رسمي للحدس أو بالتعريف على مملعة سلم ، والذين بعد حرب ١٩٦٧ ، تكبد يمكن لعودة اسرائيل ان تقل في ان يكون لتعده مصر في بالسلم اسفرا ورفاء اذا تحقق احكام الاتحاد الإسرائيلي من الأراضي المحتلة وذلك بسبب ما موت اسرائيل بذلك السابق .

السؤال الثاني : لقد تحدث السيد الوزير عن تطور توحيد وفكنا بين البلاد العربية التي استعقلت بعد المعركة الاستمرارية . وليس من شك في ان هناك اختلافا سياسيا كبيرا في جميع البلاد العربية ، ولكن لا يؤدي هذا الاختلاف السياسي الى شكل جديد في اشكال الانسحاب . شكل يفسد الى الايرادات المتكسفة اليوم ، أو التي عليها التي لا يكون ان بعد الاستسار العربي من نفسه - ضمن ما يفسر من نفسه - بل ذلك البيان الأخير الذي اصدرته البلاد الثلاث - ليبيا وسوريا ومصر - والتي اعطت به تكوين الاتحاد وهو أن لا تكون في أنه يوجد سيطرة حالية حاسمة في الوضع القاري للمين الإيبي ؟ وهي سيطرة تاتي بالمشطرة لصالح أوروبا القارية ؟ ولم ؟ ألم يكن شكلا من اشكال الانسحاب ان يطرود الإطاليون الآخرين من ليبيا بواسطة التذاخي ؟ مما أنقذوا قويا على

خلافتة الحاكم والتعامل بين أنطاكية وليبيا والبلاد العربية بمسورة غير مبالغة ؟

لقب رايك الجليش ؟ وعرض أكثر في بالوند الأعلى

على لفته هذا مترابدا من السوابخ ؟
ولغيره ، بلغ المتحدث على أن يكلم الناس من استعمال بعض الألفاظ مثل « بعد » أو « لبريلي » التي تجعل أي نقاش مستحيلا ، والتي لا تمنى شيئا أيضا ، إذ أن كل طرف من الطرفين يريد أن يستلمري في نظر الآخر بمكسب بالمكسب .

السيد الرئيس : الكلمة للسيد مولوي مشو حزب العمل ومن الوفد البريطاني السيد مولوي MOLLOY [المملكة المتحدة] = [تخفيش] ، لم يسمع إلا أن يقتصر علينا مسيح أحد زلائه بسحت من « للتودج الكلاسيكي للحرب » و « وعلق بقل ، والسيد مولوي » ، ويوضح أسلوبه من أن مسيح كله ، ويوضح ومولا آخر درساً في الكلمة ، إذ أن نصرته لم تكن دائماً محالية ، بل كانت بعيدة تبلى من هذا المسوى ، لم يشير إلى ذلك الوضع المتخفى الذي جعل الأوروبيين محسبين هذا الجرائم التي ترتكب ضد اليهود ، غير أنه يبدو أنهم كانوا ما يسمون أن الذين ارتكبوها هم الأوروبيون لا العرب ، وفي رأيه ، وليس لمصلحة أوروبا في حل أزمة الشرق الأوسط من معنى إلا إذا لم يكن لا حلاً بنمنا لاسرائيل ولا مناسراً للعرب ، بل يكون حلاً يعمل من أجل السلام دون غيره .

وقد تمت البعثة فكرة تقول بأن لاستخدام القوات المتخفية للول العنفي الأريمة - إن وجهت - إن مذهب الفزان بين الأشراف المتفجرة ، فحين أن تقابل المتحدث كيرا ، التي روى هذا الحل لرب يمكن دراسته ، وبشأن إذا لم يكن في إمكان هيئة الأمم أن تنزل برنامجها للمونة المالية والغنية تكن المهاجرين من الأقلية في المثلث الحرة بعد أن تكون القوات الاسرائيلية قد انصمحت بها .

السيد الرئيس : السيد مولوي السؤال الذي يثيره السيد مولوي ، ويؤكد أنه لن يكون هناك سلام إذا لم تعد الأرض التي تم الاستيلاء عليها في ١٩٦٧ ، ولكن هل استطاعت السيد الوزير مجيد أن يقدم تأكيداً بأنه ، إذا ما تحقق هذا الشرط ، فستعود تسلي لاسرائيل إلى الضمات الدولية فيما يتعلق بمحقها في الوجود ؟

السيد الرئيس : الكلمة للسيد الوزير عبد المجيد ؟

السيد عصمت عبد المجيد : وزير الدولة لدى رئيس الوزراء بالجمهورية العربية المتحدة ، السيد الرئيس ، يعني قبل أي شيء أن أشكر أعضاء هذا المجلس الذين

السيد / شولتز SCHULTZ [تخفيش] ، سيكلم بنسب المرحلة التي تحدث بها السيد الوزير مجيد ، وأن حرب الأيام الستة سبقت في نظره توجهاً كلاسيكياً للحرب التوافقية المرفوضة ويستغرب أن يبدو على مصر الانتظار كي يتحول المنتصر إلى مغلوب ويستسلم دون شروط ، فلم يجد في خطاب السيد مجيد شيئاً يجعل أراءه يعتقد أن البلاد العربية مستعدة لأي تقارب ، حتى في حالة جلاء اسرائيل للاراضي المحتلة ، وفي رأيه ، فإن بمسلك الصلح يمكن أن تعود بواسطة المحادثات بين مندوبي البلاد الأوروبية والعربية بشرط أن أولئك هؤلاء يظهرون روح التفاهم .

ثم يستغرب السيد شولتز من أن البلاد العربية الأخيرة من حق بالتفهم من الاستعمار لتتوالى للاتحاد السوفيتي بتواعد إزاد محمداً وانساعاً على أراضيها ، ليس هذا شكلاً جديداً ، الاستعمار ، وكيف يوفق السيد مجيد بينه وبين الاعمال الذي يظن أنه خطابه بالأمم الأوروبية .

السيد الرئيس : كلمة للسيد ويثروك السيد ويثروك WHITLOCK [المملكة المتحدة] = [تخفيش] ، بذكر الامضاء أن مصر رفضت قبول قرار مجلس الأمن عام ١٩٥٦ الخاص بحرية الملاحة في قناة السويس ، ثم أغلقت مخرج قيران وطليت رحيل تولت الأمم المتحدة ، وفي هذه الظروف ، فما الذي يجعل الاسرائيليين يلتزمون في الضمات التي يتبعها هذا البلد بشأن مرور سفنهم بقناة السويس ؟

السيد الرئيس : الكلمة للسيد لويد السيد لويد LLOYD [المملكة المتحدة] = [تخفيش] ، يلاحظ أنه طبقاً لكلام السيد الوزير مجيد ، فإن يكون يربح أن تبرر لسان بقراس إذا أعيد فتح قناة السويس ، ويود المتحدث أن يحصل على المزيد من التفاصيل في هذا الشأن ، قبل أن يمكن ثلاثات البترول حولة ٥٠٠٠٠ طن أن تستهلك الطاقة بصورة كاملة ، ومن جهة أخرى ، نول السيد الوزير بذلك من أن أصحاب النقل البحري سوف يتخلطرون بالردود في السنوات الأخيرة ؟

وإذا كان هدف الحكومة المصرية أن تخفف من التوتر في الشرق الأوسط ، وأن توحّد الظروف التي تجعل المواجهة أرباً ممكناً ، فلماذا يترك السوفيت يظهرون

السؤال الثالث - لقد تحدث السيد الوزير عن ضرورة الوصول إلى اسيادة فتح قناة السويس ، ويكر بشكل غلب على ملاقة ذلك يشكك دور تفاعلات البترول ، وفي الخلية التي تتمثل فيها أوروبا دون شك ، غير أنني أعتقد أن لقد الدول اعلمها ينتج خاف السوفيت في هذه اللحظة هي روسيا ، أي لغة تحتاج إلى البترول لكل ما تحتاج إليه أمة لغة أوروبية أخرى ، ماذا يعني هذا ؟ يعلم الجميع أن روسيا اليوم استولت قويا في البحر الأبيض ، غير أنه يجد الحركة بسبب تلك قساة السوفيت ، ويطلب الجميع أن يروسيها استولت قويا في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، فبذرة سيطرة مركز محسن تصهله البحرية السوفيتية ، ليست اسبها ذات طبع استعماري تلك التي تدعو روسيا اليوم إلى المطالبة بإعادة فتح القناة أو الرقبة لها ، فستضلع قويد استعصاها في البحر الأبيض والمحيط الهندي ، ويبدأ تهم شكلاً آخر في الاستعمار في مناطق مكرات حتى الآن بعيدة من الحيلة السوفيتية المتعالة ، وإذا تحقق بل هذا اللذان بين الاستعصا السوفيتية ، لن تكون الدول العربية أيضاً من بين البلاد التي تقتصر بقتلح صيق لبريها في القاهرة وبالقوى في استعصا ؟ وشكراً ؟

السيد / الرئيس - الكلمة للسيد دانكان سلفس ، لقب محقق بريطاني .
السيد / سلفس SANDYS [المملكة المتحدة] = [تخفيش] ، بذكر المشور بأن قرار هيئة الأمم المتحدة اقترح أن قوة عسكرية رماية يشر عليها مجلس الأمن تدم على طول الحدود الاسرائيلية المصرية والأغلب أن تمل الحكومة المصرية إلى قبول الفكرة ولكن ، لا يخفى على أسس التجربة الماضية ، أن معجز مجلس الأمن من اضاف قرار وامدار تصليته واضعة ومعالجة تلك القوت إذا ما قام أحد البلدين بالمهم ؟

السيد / الرئيس - الكلمة للسيد دانكان سلفس ، لقب محقق بريطاني .

السيد / سلفس SANDYS [المملكة المتحدة] = [تخفيش] ، بذكر المشور بأن قرار هيئة الأمم المتحدة اقترح أن قوة عسكرية رماية يشر عليها مجلس الأمن تدم على طول الحدود الاسرائيلية المصرية والأغلب أن تمل الحكومة المصرية إلى قبول الفكرة ولكن ، لا يخفى على أسس التجربة الماضية ، أن معجز مجلس الأمن من اضاف قرار وامدار تصليته واضعة ومعالجة تلك القوت إذا ما قام أحد البلدين بالمهم ؟

ومن جهة أخرى ، فكثيراً ما تلام الحكوات العربية بدموي مدم اعلمها الحقيقي بيسير اللاجئين ، يستعصاها إياهم كتلع شطرنج ليس إلا ، ورغم أن المتحدث لا يبنى هذه الفكرة ، إلا أنه يسأل السيد الوزير مجيد إذا كانت حكومته مستعدة لتتخذ برنامجاً يهدف إلى إقامة هؤلاء اللاجئين خارج الحدود الاسرائيلية .

السيد الرئيس : الكلمة للسيد شولتز

- 102 -

مستكم فيه ؟ انه لا يمكن ؟! ان يمتنع
 مع . فاص افسى في الحوار الذي لابد
 من اجرائه بين المتحاربين .
 ومن جهة اخرى ، لماذا كنت استبح
 اليك بكثير من الاحكام والاتجاه ؟ لم
 يسنى الا ان افكر في انه ليس هناك
 منخارنة بين المشركين كيلومتر مربع
 التي جعلته دولة اسرائيل ، وبين ذلك
 الماطلات التي ينفذها العالم العربي ،
 والتي تكتمونها بتحصين على مختلف
 المستويات ، من تواهي للسكان والفرقة
 الطبيعية والاكتفيل التجارية ، والابر
 هنا في ابي اسلي هذا الوضع بمسكة
 زائلة بمعنى انها لوحت خطورة بصورة
 راعية من طريق المولطف التي تفتل
 تحت السطح والتي تبذل مسحة من
 الماخذ ، ولدت سق في العتيد في
 هذا الموضوع كما قدمت هذا من التفرير
 السيد الزير ، مساح لتسني ان
 انكر كل ملك نرسيا لا يظل من الخسونة
 في هذه المسية ، وهو : « لا تكلم
 في الجبل من منزل من شفق » . انكم
 هنا في أوروبا ، وللاست فجميع العود
 الأوروبية انقلت حين الترخيص مسحة
 نزاعات التي نهاية مسودة في مسية
 الى درجات مختلفة ، ولذلك ؟ فهذا
 المظهر المقل بالحدود ويلز هنا في
 ما يلزم فيكم في الوقت الحاضر ، الا
 اذا تكلم فيكون التفرير من عدد من التيم
 وبالنسبة لفيون التفرير من عدد من التيم
 كونا ليلة للجليل والسكان - ان تبادلت
 مديدة وبخيرة في كل من الاميان جرت
 بين سكان اليونان وتركيا في الماضي ،
 وان هناك تحركات عربية في بعض بلاد
 العالم امريكا ، وفي الجزائر فاستمر
 مليون رجل وامرأة دور الجنسية الفرنسية
 اي تم ولكن من امسول مظلة
 ال اسبقية وبالبلية والمطية ويونتي آ
 اضبطوا الى ميور البحر الابيض لان
 المعالجة أصبحت مستحيلة .

ومليه ؟ فاموت الى هذه التفتة التي
 اعطوها موجهة الى وفي ان المسكة
 ليست سياسية ، والمسكة ليست
 اقتصادية ، والمسكة ليست اجتماعية
 بل نفسية .
 واذا قلتم لي ان السلام سلم الاندما
 وان نزع السلاح نزع لسلاح الارواح ؟
 وان الماعدات التي يتم التفرير عليها
 والفرع بدرجة او اخرى موقوف في
 الاغراض التنسية للاغراض المتفارية اليوم
 نحيث انزل لكم ؟ نس ؟ حتى انه
 يمكن اعادة السلام في الشرق الاوسط ،
 ولكن الامر يعلق ببسطة براميل
 متحالية ترتب وتطيرها برحاسه بغط
 انتفاحية مفعلة - وبما حال في من قبل
 احد الوزراء البلتيين ؟ لا تصوره
 في كنكم الدرسية بالمسكة الفرعية في
 في المينة المسكة للربية ، وذلك ان
 التفرير والاوربيين لتسلف تتخلوا في
 هذه التفتة كذا ما ياتي ولو قتلنا -
 لقد راضتفطورة هذا النزاع والتصايحه

مصورة لتتكتبه تم حقيقة ، وانفخت
 فرنسا منه موقفا جسد الفسوخ منذ
 البداية ، فلو ملهت جميع البلاد تلك
 الاشكال من عدم التدخل التي احتمتها
 نحن ؟ لم تكن الامور لتصل الى
 ما وصلت اليه الان ؟

السيد الوزير : لقد كانت هذه اسئلة
 وتصرحا في وقت واحد من طرفي ،
 والتي لتسوية ان تكونوا استمعت الى في
 ابتداء واكد ان امرفه وجهة تفكر في
 هذا الوقت ؟
 السيد الرئيس : التكية للسيد الوزير
 جيد ؟
 السيد / عصمت عبد المجيد وزير
 الدولة لدى رئيس وزراء ج.م.م :
 يا سيدي ان ارد فوراً على الشطبة الحزم
 من المؤكد ان هذا التفرير الذي
 الترت الى يديه ان يكون في مسودة
 جميع الاطراف ، ولا يمكن ان يوجد
 سلام وطهقة في ظل الظلم ومفسلة
 الفهم ؟

واسية ؟ سيدي الرئيس ؟ لا نسجه
 في كلمتي الاولى ؟ وفي لثة اذا كانت
 جريمة ارتكبت ازام يهود أوروبا لا كان
 للسرير لوبكا مسؤولين عن وقوع
 لورشيس او تريليكنا ؟

السيد الرئيس : شكركم . . التكية
 للسيد ليزيه ، للمعزب المسمى
 النيشترافى الموحده ؟
 السيد ليزيه
 المانيا الاتحادية ؟ - تخفيس ؟
 في توجهه سؤالي للوزير ، حيث ان
 عهد التصلح الذي جعلنا لم نعد نستطيع
 ان نمهر الحرب استمرارا لمسيلة
 نشحت وساقها الاخرى جميعا ؟ نول
 تكون مصر مستعدة لتنفيذ مسيحة وقف
 إطلاق النار واستمرار الهدنة باي من
 وحل هي مستعدة للتخلي عن المند
 وتحريك التوات ؟ وفي ما تعتبره الاحزاب
 الاقلية لرا لابد منه حتى توضع لولة
 للواجهة المتجرة بين الدول المتشبي
 حل التوسط ؟ وبهذا التفرير ليشا ؟
 من يكون الوزير مستعدا ليجعل ان
 تشكل مجموعة للشعوب الخطة على
 التوسط ، وتزلي هذه المجموعة تسوية
 فتوئها لتحل محل الدول المتشبي ؟

ولميا ؟ تليس من واجبه اليه
 العربية ان عدم اقتصادها لا يدير محلا
 من استبدال البترول بصورة اخرى من
 الطاقة ، ان هذا لزام حكمة وانتج
 ليرة من جر الشعوب الى مغارة حرية
 لا ملل لها ؟

السيد الرئيس : التكية للسيد/روزي
 التني الى موجهة المسيحيين
 النيشترافى الموحدة .

السيد/روزي
 (جمهورية المانيا الاتحادية) : تخفيس ؟
 يود ان يفرق مخاضه مصر بصورة
 ملوسية في مسيول ايجساد الوثائق

الجديدة ثلاث الاثلاث من الشبكي التفرير
 يصون الى من الرشد ؟ ومن اجل
 اسفهاب الذين يخرجون في الجمعة
 استيعابا اقتصاديا واجتماعيا
 السيد الرئيس : التكية للسيد / تيرين
 من جمهورية المانيا الاتحادية ، الحزب
 المسيحي الديمقراطي الموحد ؟

السيد / آرين ADRIEN
 المانيا الاتحادية ؟ - تخفيس ؟
 يدير ان اعادة نفع تلك السويي مسكون
 الشطرة الاولى في طريق السلام ، كما
 انها لبرهان على حالة فكرة معة .
 والصورة الاخرى في اسرائيل تسيطر
 احتلال الشطة الفرعية للثاة ، وان
 مصر تريد ان تقيم تفرانها فيها لتسبان
 حرة المانية في طريق السلام ، كما
 تطلب مصر ان تكلف قوة دولية بمسده
 لامية ؟

السيد الرئيس : التكية للسيد /
 سيجار شيد ،
 السيد مسجرشيت

STEGELSCHEIDT
 لجمهورية المانيا الاتحادية) ياغت للثان
 الى انه لم يحدث من قبل ان تعقل
 السلام بواسطة اطلاق دولي دون اللان
 المانية ، وعليه فلابد من ان تصدق اللان
 العربية واسرائيل لنفسها السلام . ولكن
 ليس في التفرير من ملل على ان طرفا
 مسكها احتل بعض الاراضي من لوبس
 عنها قبل ان يكون الطرف الاخر قد
 تفرير حتى يندمى بمساعدة ، وكيف
 تكلم مصر في السلام في هذه التفرير ؟
 السيد الرئيس : سيدي الوزير ، سيق
 ان تصمم ميثا كبيرا هذا الصباح ؟
 ولكني متيق بأن المستحسن بان تتصنف
 في مرحلة من التمسك التي تعطينا
 جميعا ؟

واشي اعطيكوا الكتابة للرد الاخيرة ، ياغيا
 ينكم ان تتكروا بالاجابة على الاسئلة
 التي وجهت اليكم منذ قليل .
 السيد عصمت عبد المجيد ؟ ولدت
 الدولة لدى رئيس وزراء ج.م.م ؟
 السيد الرئيس ؟ شكركم على مسامحة
 في البلاية ، وديون هذه الاسئلة كليا
 على الاحكام الكبير الذي يحمله مجلسكم
 اراء مشاكل الشرق الاقني ؟
 والسؤال الاول الذي رجالي حالا
 هو الثاني : « هل انتم مستعدون لتخلي
 من العنف وقبول وقف إطلاق النار باي
 ثمن ؟ »
 واجابني ان وقف إطلاق النار هو
 لكفة حيلة واقعة ليس من الخلق
 يبولها .

كيف تروفتونا ان نقل مسكني اسم
 الاطلاق الواقع على اجراما لراسينا ؟
 وكيف يسمنا ان اتولى مسؤوليتنا ولا
 نطالب بالاجلا من هذه الاوضاع ؟
 ان لوقت الاطلاق الذي التاني ابتداء
 بمسدة محفوظ جدا ، فممكن ان يكن

المحضر الرسمي للجلسة الثانية

يوم الثلاثاء الموافق ١١ مايو
١٩٧٦ الساعة الثالثة مساء

السيد الرئيس - الكلمة السيد -
دودز - بلر

السيد / دودز - بلر
DODDS - PARKER

[الملكة المتحدة] - [تخلص]
ينتهي السيد الوزير جيل للصحافة التي
انظروا بقوله الرد على الاسئلة في
اللجنة التي دخلت فيلاديه في متفككت
بلغة السوسية - ويشكره ايضا لانه
مرى فكر البلاد العربية بلك الدرجة من
للغة والمراحة

والثالثك ليس للجلسات الاوروبية
يتم - وينتهي ان يظل معاهدا ومضى
الشر من المصالح التي ياتنها اولئك هؤلاء
وهذا حتى يسهل عليه بقتن الامكان ان
يقع لحل الوحيد الذي يمكن للرد ان
يتموه للتزاع الحالي ، وهو منتصف
الطريق ، ومع ذلك ، فهو ياتل الانتظار
الى ان الوجود السوفيتي في الشرق
الاورب يتخذ ابعادا من الاتصاف بحيث انه
يحدد والموصول الى ازمة تلحق بفسكان
والمكومات المحلية لاسرارها بالغة ، ولذا
للاروبيين الحق في الاماح لدى الطرفين
على ان توافق على حل منتصف الطريق
تدل ان وقع اسوأ ما يمكن ان يقع ، وعلى
كل ، وهذا هو المعنى العام للتقرير المبدئي
الذي قدمه السيد / تشيرنيس

ويمكن لهذا الحل الذي نرغب فيه رغبة
شديدة ان يستوي خطوطه من مشروع
جونسون عام ١٩٥٦ ، وكما أبرزه السيد/
تشيرنيس من حق - وينتهي ان يضمن
لإسرائيل حق الحياة بين حدود " كينسة
وحسبونة " ، ولقد كان للجمعية
الاستشرية من قبل غرضه التغيير مما
يناسب اختلافه في رأيا للوصول الى
هذا الهدف ، ويجب بصورة خاصة ان
تصل الفسفات الممتدة الى إسرائيل
تتوقع بعض الدول الاوروبية مثل اليونان
وبيرس وفركا - ليحصل هذا الضمان
الاجور لغرب الى الطرفين - الطرفين
وعلى أي حال ، فان تدخل أوروبا المتحدة
شرا فاضل من تدخل الدول المصلاصا
القوى النووية .
وكذلك قد تلحق سياسة مشتركة مع
عليها البلاد الاوروبية وبلاد الشرق الاوسط
تفتح الطريق دون شك الى استغلال
الموارد البترولية في هذه المنطقة في طريقه
ايند للجميع

بعض الافتراضات عن تفككتا الثاني موقعا
ايجابيا من النتيجة النهائية لوقت اطلاق
النار الحقيقي ، الامر الذي يستطيع به
السيد يارنج من ان يلقى رسالته الى
تبابها خلا دون استمبال الملقن من
جميع الاطراف .

وي سؤال ثان ، اكثر ما تمهله بلادي
في الايامين الاجتماعيه والجماعيه
والاقتصاديه .

واني لشكر السيد المحترم الذي
وجه لي هذا السؤال ، ذلك لاننا بلانا
في بلانا ، كما تعلمون ، جهدا كبيرا ،
وقد ابدنا حليها اقتصاد حرب ، غير
ان هذا لا يملنا من الاستمرار في
جهودنا في الياومين الاخرى ، وكذل
هذا كبيرا من امضاء هذه الجمعية
سبكتن من زيارة بلادي فيتحقق بنتمه
من الطريقة التي تميل بها مصر .
وسلست سوالات من الجاهلثك
في مصر حاليا خمس جيلثك ، ويبلغ
عدد الطلبة الجيمين ١٥٠٠٠ طالب ،
ويحصل كل سنة على الشهادة والجمعية
ما يقرب من ٢٠٠٠ مجلس ٢٠٠٠ طبيب
وتصلهم هذه الازنام دون شك فكرة من
الجهلثك القليلي لبلادي

وشك طيبا صديقات . غير ان
جهدا خاصا يذلل في ميدان التعليم
الذي اصبح مقيما في جميع مراحل
ما ناهي لبرحلة العليا .
والسيدة السؤال : هل لي ان امكنكم
ان تعلقوا بلكم اراء السلام قبل ان
تبدأ التورات الاسرائيلية في جلادها الاراضي
امكث التي سبق ان لبيت بالقول اننا
نرغب في حل سلمي .
هذه هي الجاهلي ، والسيد الرئيس
للاسلثة التي وجهت الى - واشكر السادة
المشركين في هذه المناقشة لتأثرهم
مسائل لها حشيشتها في بعض الامحاء
غير انها بين احكام اعضاء هذا المجلس
بارضاء الشرق الاثنى [تخلص]
السيد الرئيس : السيد الوزير ،
اشكركم . لقد قسم لهذا المجلس خدمة
كبيرة باحلمكم اياه علما - في هذه
الصورة المرجحة - بوجهة نظر بلكم
والشعب العربية اراء العلول المبكدة
لتزاع الشرق الاوسط ، وهي حلول
تلتما جميعا .
وكما سبق ان قلت ، فهذا النزاع
يشغلنا جميعا الى الدرجة التي جعلتنا لم
ندرس بعض المشاكل الامم التي تضمن
اشكيات للمثل المشترك في المستقل ،
ولذلك ان هناك مشكل اولي يجب ان
يحل .

وعنما يحفل وزير عربى مكثه على
هذا المتبر المرة الثانية ، فلا شك اننا
منسكين من دراسة هذه المشكلثك دراسة
ليها حرية اكبر ، الامر الذي سبوت
يريدنا جميعا ويحصلنا تفت منها موقعا
اكتر ايجابية .
[الثاني المحضر الرسمي للجلسة الثانية]

ويمكن للمرء ان يعتقد ان مؤسسة
مثل مركز الزراعة شبه الاستوائية في
مخنة سوتوبيا - يستطيع ان يقدم مساهمة
مفيدة في نمو البلاد المظلة على حوض
البحر الابيض .

ويجد المنحتم في وجود وزير مصرى
باستراسبورج وفي الكلمة التي القاها
هذا الصباح ، داعيا لاليل .
السيد الرئيس - الكلمة للسيدة /

آن
السيدة / آن AASEN [الزويج]
- [تخلص] - وقمت على تعديل
الشروع التراز - وهذا التعديل يرمى
من جهة الى حزب لفظ ، بالملفوشة ،
في البلد الثالث - ومن جهة اخرى يهدف
التعديل لفسرة جديدة نتمها كالتي :
وشروية لتسحاب الفترات الاسرائيلية
المصلحة من الاراضي المظلة طقا للزار
رقم ٢٢٢ اجلس الاثن بعينة الامم في ٢٢
نوفمبر ١٩٧٦ .

ويحت ان مشروع القرار يعتمد فعلا
على ذلك القرار الذي اسدته هيئة الامم
يجب مسحا الا فربع منه واحدتين اهم
التنطوي على التسحاب من الاراضي المظلة
والا يمكن هذا الاجراء بلق الزامية
والمنكحة .
وان مايفت اليه الذين دعوا على
التعديل هو مسالدة لتسحاب هيئة الامم
وهذا حتى يسهوا في حودة السلام الى
الشرق الاوسط ، ومن اجل مصلحتسكان
هذه المنطقة والبشرية كلها ايضا .

السيد الرئيس . الكلمة للسيدة ميوتى
كلري .
السيدة / ميوتى كلري
MIOTTY CARLA

[ايطاليا]
السيد الرئيس ، لبلاتي المحترمين
لقد وجهت فيه كيرة في كلمة السيد
المحترم تشيرنيس ، واني للتزامات
التي تضمنها القرار الذي اوصى به فيما
يتعلق ببلادنا حل لتزاع الشرق الاوسط ،
على شأن التضمن من قول البحر الابيض
في المسوى الاقتصادي والتجارى .
ولذلك اسبح لنسكي ان أبرز مظهر اراء
لم افرسح تلك الكلمة ذاتها ، وادعى ما
يريد بلووضع الخطير التسليم في البحر
الابيض من وجهة النظر العسكرية
والاستراتيجية .

واني نكرة علما ان التواهي ذات
التجوى التي للمشاكل العسكرية لاقتل
في تخصصس يملنا - غير انه
المعروف والقلق عليه ان الجالس اولى
له الحق - وبكاشاني الواجب - في
الاحكام بالقواحي الصابينة للمشاكل
العسكرية .

وتظم الجميع الى اى درجة ومستل
الوجود البحرى السوفيتى المتزايد في البحر

الإيراني بواسطة الأسطول الذي اخص به (ويدهي من م - أ - ف - م - ف) ووضع ان مثل هذا الوجود لا يمكن ان يكون لاختيار مسيحي على منطقة البحر الإيراني بسلامه ، وخاصة انه يدخل إلى إطار الاستراتيجية السوفيتية ، وهي استراتيجية عالمية تلعب من كوابل إلى المحيط الهندي ، تهتم بالتالي جميع البحار على سطح الأرض .

وبهذا المناسبة ، فقد بنيت الجيش إلى العملية الإستراتيجية الكبرى - المسماة « أوكرا » - التي جرت في شهر أبريل ومايو من هذه السنة . لقد كانت عملية على النطاق العالمي إذ ضمت الكرة كلها ، عملية لتتبع في يديها بين أجزائها في البحر الأحمر والاطلس والمحيط الهادي . وهي تلتزم إلى الورس اكتسبوا كلمة جيدة في الشؤون البحرية ، وأن لهم أسلوا مستعدا جدا ويستطيعون به القيام بأعمال التسيير في مسكن ذات مدى واسع .

ولا يمكن إلا ان يسبق هذا بل أوروبا كلها ، ونحن الأسطول بصورة خاصة ، وذلك لأنه لا توجد الوحدات الحربية السوفيتية-البحرية والمطلة - إلى البحر الأبيض المتوسط ، بل في الأيراني واليوناني أيضا . ومن الجدي ان تواجدها لا يمكن إلا ان يكون له هدف ومهوس سياسي وسياسي ظاهرا ، وذلك لأن أحد الأساطيل على هذا الصعد ان يقيم مبررات دفاعية لتواجد البحرية السوفيتية في تلك البحار نظرا لوجودها من الاتحاد السوفيتي ولغيرها الشديد من بعض البلاد مثل إيطاليا التي لا تسير في أية سياسة عدوانية .

والؤكد انه لا يمكن في الفترة الزمنية القصيرة المحطة إلى ، ان أحد ولو في اختصار رعدو الفعل الأوروبية كما هي أو كما يجب ان تكون أراء مثل هذه السلوك ، يسببها ، وأزاء ذلك الخطر ، كانت مسئولية المحافظة على أمن دولنا إلى الأسطول الساسي للسلح البحري الأيراني دون غيره تهربا ، غير انه من الممكن - بل من الواجب - ان نذكر شيئا على الأقل ، أما الأول فهو ان الدول الأوروبية الراقية في المحافظة على استقلالها وحريتها السياسية ، إذ ترى مثل هذا الوضع ، فينبغي ان يجعلها إلى الصراع في قوتها أوروبا وجعلها أيد عتقة وراثة لنساجها بها في عليه الآن بخطى الحدود الدولية .

والأمر الثاني يتعلق بالتواحي السياسية للوضع الاستراتيجي في البحر الابيض ، وتاريخه المحتمل في مشكلة الوحدة الأوروبية . ومن الضروري ان تجسري الجمعية الإستراتيجية مناقشة واستمحوه نتكلم من الآن اللجنة السياسية بأعداد تقرير في هذا الشأن وهو تقرير نستطيع

به ان نستكمل ذلك الذي قلناه الأخير تشيرينيس المحترفين ، ودلت المناقشة حوله . وأرجو ان يتبل اقتراحى بصورة يمنية وعليه أسمح لنفسى أن أشير إلى بعض النقاط التي ينبغي تمييزها .

— أولا فجرة الرحلة التي يمرسها الاتحاد السوفيتي الآن على بحر ، تلك الدولة التي يبدو ان يجس 18000 مستشار سوفي بالإضافة إلى المهندسين المذربين المسكرين لا إلى المستويات العليا لقطر في مستوى أدنى التشيكت للجيش الحربي .

— ثانيا وضع الحالة . وما تبته هذه للنتيجة التي بها أحد ملابح البحر الأبيض بالنسبة للاتحاد السوفيتي . وكذلك الأساليب القيمة اليوم للدفاع من الجزيرة وأشكاله . وما يمكن ان يتبع فيها في المستقبل لتحصين نطلها .

— وأخيرا ، بل وخاصة ، تكوين الأسطول الروسي وعند التوافقات الأخيرة التي تمت أياهم ، وأكثية تعييدها النعال في فترة زمنية قصيرة لمعا للاتوال المتكاملة التي مزج بها أمير البحر كوتلو الخ . ويجب ان يتفكر هذا كله وفي ذهنا التغيرات السياسية والتفنية التي يمرسها مثل ذلك الوجود المسكرى الروس على منطقة البحر الأبيض وبالتالى على داخلها .

وأني لذكر لبي في ان تجد هذه الموضوعات ثمة ثلاثة محلة داخل اللجنة السياسية تهيؤ لإيرانيا . لأم الجمعية ، واختم حديثي بتوجيه شكرى لكم ، يا سيدي الرئيس ولجميع الزلاء لما أعلنوني من كريم انتباههم .

السيد الرئيس - ملاحتكم في ذاتها التي أيدتها لنفسى عندما كنت ذاعيا إلى الحالة السبة الماضية لمصير اجتماع المجلس الأوروبي . فقد حالت الطفرة التي كانت تتلقى فوق مجموعة من 15 سفينة حربية سوفيتية بحجمتها الجزائر فيها أعتد ، ثم طارت فوق حلبة طائرات وثلاثة من حراسة إريكية بحجمها تدو عرتي البحر العربية . فالحظ أكر فيها إذا كانت شونوب سواطه تستطيع يوبا ان تتولى وجدها أمور الأمن في المنطقة ترضى جميع المصفرين هنا .

والكلمة للسيد / سترمان السيد / بيترمان - PETERMANN

[ألتسا] - [تخفي] - معجبى مقتران الذي تكن التقرير من المحفظة عليه بين الأراء المختلفة . غير انه يرى خروبا ان يكر الحضور بأن قرار 19 نوفمبر ووفق عليه بعد ان تفتت الشيا مشروع وأيدته الكلمة السوفيتية . وكان الشروع الألباني يشير بالتمسك غير

المزط النوات الانكليزية بن الأراضي المحلة . مرضى . وإذا كان قرار 19 نوفمبر يند مع الانسحاب ، فهو استسحب مشروط وخامسة مشروط ان تتبعت إسرائيل بحدود آتية ومقبولة ، هذا ، ان الكويبة الانكليزية تطرح شكوكها إزاء كلمة الصفات الدولية : يبعد سبعة عام 1967 يصعب على الأراء ان يولجا على ذلك .

وعلى كل ، نجد وقد واثق جديد خط التصويت بالموافقة على ذلك القرار : وهو تواجد السوفيتين على اللغة الفرنسية لسانة السوفيي . ويمثل هذا للامريانيون الجير المخرج للمحافظة على المشتات والقرات على اللغة الشرقية . ويجب المشكى على السؤال الذي يحول دون إعادة فتح القناة بآشوال آخر وهو : من إلى الأمدريس على مروسن الانكليزية سنة 1917 بحرقا الحق الشرعي أوبال لنا ان هذه السفن سوف تستطيع بند الآن الأمور في حرية ؟ ولكن كيف يتق الأمر في ذلك الذي اعتدى في الماضي على حرية البحر ؟

أما بعد ذلك ، فيوافق المتحدث على ان الاتزامات الموجودة في التقرير تستطيع المساعدة للوصل إلى اتفاق . ولكن بشرط ان يزال تدريجيا تلك التبادل التي أوجدتها السوابق المديدة . ولذلك لم يرد أيد بعد الاتفاقات على بعض المسائل الثابتة التي لا يؤدى إلى عيب على كل من اللغة الضرورى . وعلى كل حال ، على تتعم قضية السلم بأن يكاد المر أرحته في استعادة الأراضي المحتلة بقوة السلاح . وان الذين يتكلمون ببنائة قطع البنية التحتية بضمحل أمام أراء الأمم العالمى مسئولية ثلثة [تصفيق]

السيد الرئيس - الكلمة للسيد / جيجون .

السيد - هيجون HEGGON (الترويج) - [تخفي] - مع انه يوافق على أغلب التطلعات المقتدة في التقرير ، إلا انه يبدى بعض التحفظات .

وعلى رايه ان المجلس الأوروبي يجب ان يحدد نفسه بدقة في حدود قرار مجلس الأمن الذي تم اعداده ببنية كبرى حتى يخرج مينا وثلا للوقوف بن الطريق . وفي هذا الشأن ، فهو يقف على التحفظ الذي تضمنه الطريقة التي كتبت بها اللغة الكلمة لشروع القرار .

ومن جهة أخرى ، على ظنه ان النزاع الإسرائيلي العربي ومشكلة الاستمرار في الشرق الأوسط تقتضي تفصيلات بتسلطان يستحسن ألا تعالج في نفس التقرير . ولها على يتعلق بالفترة الثانية وخامسة والسادسة من الوثائق وثريا ، فبقي على أعضاء منتخبة طلع الانكليزي ان يملوا

يهدد على كل الزمان على وجودنا الاستمرار
والسكان ، أما التفتت الأولى ، فملائكة
الاستكشافية التي تتجسس إلى الغرب ، لا يمكن
أن يعتمد على نقل التأييد فيها ، ومن
المغيب أن يزيل التأييد الكامل لجهود
الحقبة أيام الحدة من أجل الظروف الجيدة
اللائق للزمن ، لا يمكن المسكن ، وعلى
أعلى حاله ، فلا يبدو له غير بطليان
تداعى البلاد الغربية من مملكة ، خاصة
وتعبر من رأيا موسميلا اقرب بين
مملكة حيث لا الحدة ، وموتف بين
المحدث مونه الى جانب التفتت ، فلما
من يراى على ان تقع من الصعوبة
المشروع الثاني

بمشاهدة جدارية الضفد على تقي، في
على إسرائيل حق المرور والقتال ، الأمر
الذي يجب أن يكون شرطاً من شروط
إعادة فتحه ، «أبداً» ، فلماذا قد تجني
من ريزو الصنوبر كيبور ، وهكذا
يتضح أن الدول الثلاث لها مصلحة في
المحافظة على الأمر الواقع ،»

ثمة إحدى التول أو الجلس الأوربي
 منصفه أسيابا والبرتلان أن حين
 يجلين ليس لها نظم برتال ، ولا هـ
 ديترايان بي فيه السكالية . وأنى
 لا أرفع ما جرى في هذا الموضوع ،
 قدر أني كنت حاضرا عندما رغبت اليونان
 الكف عن الاشتراك في المجلس الأوروبي
 ذلك قد فشرت وجهها أن جلس تلك دولة
 التنظيم لاتما لم يعد لها نظم ديتراي ،
 وأذا أفضنا إلى الجامعة العربية ،
 ماقتدلت أنه نكس فيه من بلد عربي
 نظام الذي ديتراي ، مع استثناء
 اليونان الذي يجري انتخابات جديدة
 وله برلمان !!

حتى لا يشغل أولادنا أو أولادنا أو أولادنا
الى أخوة حرب ثاقبة التي تعتبر الثالثة
في الحربية .

لكن ، بعد فشلنا تقسيم اسرائيل
وتسليطن للحصول على السلام . الا اننا
لم ننته لناليف .

واتى احدى اخرى التقرير المثلث الذي
قدمه السيد تشريريس ، غير ان امره
اصبح يعمد التقرير الجديدة الى الدرجة
التي باتت الحديث منها شيئا بلاء . وهذا
التقرير يحوى على قرار ينكر الوحدة .
ولكننا ، ايها السادة ، هربنا البنية لدة
تسعة عشر مليا دون ان نتبل البيلاد
البرية الاعتراف بان تلك هي الحدود
البرية والنهائية لدولة اسرائيل .
واعلمت انها حدود مؤقتة . والان ينبغي
ان تعود الى الحدود المؤقتة السابقة
ليوم ١٩٤٧ . قبل تقبيل البيلاد
العربية اليوم ؟ انها ترفض الجلوس
على طاولة واحدة وتفاوض معنا .

السيدة م ا ا اكسس - جاسين
HASEEN والتمن ان التزام التجاني
لا يربون المفاوضات البائرة .

ولكن هل انتفت بلاد اخرى على السلام
دون مفاوضات بائرة ؟
لقد راينا ما هي اية المفاوضات التي
تجرى بواسطه دولة اخرى ملها ملها
الداخ المصادرة لطيران والمصورين
البوز ، الذين كله لثقة السويس . وقد
ادمى المصريون ان هذا بالمقابلة ما كان
معتوما .

واتى بذلك من ان المفاوضات البائرة
كانت تكن من الوصول الى نتيجة .
ولا اعمل اذا وجد في العالم اجمع
مكان واحد فيه بل هذا العدد من
الاسلحة المصادرة لطيران .

وذهب السيد وزير الخارجية روجر
ألفرا الى اسرائيل حتى يعرض في يومين
ما تحمله منذ التي سنة ؟
لقد ولدت ان شخصيا في اسرائيل ،
والتي ذات النفسية والذين مسئلة
ولمعت ايضا في اسرائيل . والعملي
يشكون الجبل للملح من ناحية والنفهم ،
لتمن نتحدث اذن من خيرة ونظم ما هي
اسرائيل وما هي البيلاد العربية المحيطة
لنا . وان لم يكن الحال على هذه الدرجة
من العزيم ، كان سكتا ان نراه مضكما .
وعلمنا ان تفكير ان وزير الخارجية -
روجر بر بقفس القوية ليدبح الى
القفس القوية مطلق سكريره العلم
الاسرائيلي ليرهنوا يوضوح على انهم
لا يعفون بالسلطة الاسرائيلية على الجزة
الخارجية من الجينة .

غير ان السيد وزير الخارجية روجر
تس ان الولايات المتحدة لم تعترف ابدا

بسيادة اسرائيل على الجزة المضمرة
للقدس . فسفير الولايات المتحدة السيد
هاربر - الذي تعتقد انه من فكتور
الشخصيات احترايا في اسرائيل - مزال

يسكن تل ابيب . وسفير إنجلترا السيد
بارنز يسكن تل ابيب . وسفير فرنسا
السيد هوريه يسكن تل ابيب : انهم
لا يعترفون بسيادة اسرائيل على الجزة
الخارجية للقدس . غير ان القدس كانت
لها دائما اقلية يهودية . الا ان هذه
ليست المشكلة التي علينا ان نعالجها
هنا .

لكن ، علم بام الاعتراف بالسيادة
الاسرائيلية ، على الجزة الخري . ولكن
هل اعترفت الولايات المتحدة او بلاء
اخرى بسيادة الملك صهيون على الجزة
الخري اى الاراضي العربية . ولو مرة
واحدة ؟ وهل فتح مع هذه الاراضي
يتصرح من لحد ؟ ألم يتعها بالعرب
بثلا كان الحال بالنسبة لجميع الفتوحات
التي عرفناها في العالم ؟ ألم يتم
الصراع على القدس لذي على مسكنه
من الجوع والمطش ؟ وتم الاستيلاء على
جزة من هذه المدينة بافة ؟ وهل يجب
الان ان يمد اليه ؟

ليس الذين يكسبون الحرب دائما
بالمخطين سلكا ليس للذين يفسرونها هم
الذين يتأمرمون الحق . ونجبل نتائج
تلك الحرب العظيمة التي دامت تسعة
ايام . ولقيت بعض الازلم هنا ، فخرى
الكلام من الملايين من السكان العرب .
وقسمنا في بعض الاحيان - وبلى الا
يكون هذا ما قصده السيد وزير الدولة
المصري - ان بعض الناس يبيدون مرضى
الاسواق او بيع البترول بخلاف لا اخره
بلا . الا اذا كتلت امورا تفتت بان
اسرائيل على حق ؟

هل تحتاج الجزائر الى ثاة السويس
حتى يبيع لفرنسا بترول ؟ ان البترول
ثمين اذا اريد يمه ، واذا لم يكن هناك
من يشتريه ، فعلى الامسان ان يشره ؟
تكروا في تلك الاجامعات للاريسمة
الكبار التي تتوالى في نيويورك ، اسبرما
بعد اسبرما - لقد نسيت حصد هذه
الاجامعات ، ولكن ما مناها ؟ ومايعفون
الوصول اليه ؟ فهل يريسون
اتخذوا تران يتلقى بيسير اسرائيل دون
الرجوع اليها ؟ ودون ان يخطوها على
بما يملون ويتحدثون ؟ ولا يتلقى البر
بالسرايل فقط . فهل يشون ايضا ان
يقروا بيسير مصر او بيسير شرق الاردن ؟
وهل هذا نوع جديد من الامتياز يفرسه
الذين يعفون ما ينبغي ان يسله الاخرين ؟
اتخذوا الامم الكبرى مرة اخرى ما فعله
الصغرى ؟

لقد جرى الحديث هنا من اليهودية .
وقال لي احدهم ذات مرة : « في لن

اليهودية كان معكيب العيز هو الذي
يملحه . وهذا انصف الايمان : لم يكن
وتنتل يوجد محطون »

ويوجد ان من رايه العوة الى زمن
اليهودية ، ولكل انسان الان الحق في
الحمل ، غير انه لا يوجد ميل ، وخاصة
المركا حيث ٧٧ من السكان مختلطون .

وتشكن احبانا ان علينا طلب العزيم
لاننا كسبنا للحرب . واذا كان هذا ما
يجوز في ذهن احد ، فليعلم اننا ننتقل
للمه الغرار ونكسب الحرب بدلا من
ان نصل نتائج التزلم بها .

ولم يكن لي فني ان اخرج احدا ، كما
ان ليلى الا تكون قد صحت فكرة بسطة
او رايها . فليكتفون في اسرائيل بكونهم
ماليا افكر ، وتفتن ملكوتهم من محولنا
الى السلام بوما . واوروبا بل كيب
لبننا في هذا الشأن . فالحرب جيبها
قد بدت في اوروبا قرونا طويلة . غير
ان اصبح من المستحيل بعد الان ان
تتجرب البلاء المصا في هذا المجلس .
وكما انه جاء الحديث الذي يجلس
الاوروبيون فيه بوما ، ويقرروا معا
تفكك اني يتأكد اننا نصل على السلام
بوما . واذا كانا ستحصل على السلام
لنلدا لا نعمل اليه في اقرب وقت يمكن ؟

(تصليح)
السيد الرئيس - الملكة للسيد والتر
السيد والتر WALTERS (الملكة
المتحدة) - فطيفي) يوافق السيد
هراري على ان تباين موجوبين ، غير
انه لا يولته على التعريف الذي يقدمه
ليها . هذا ، ان المجلس الذي تقاس
به اسرائيل يحوه لكثر بلة في النصاب
.. واذا جيل ياد من البلاد احمدي
الاقليات ملها لمدل اسرائيل لطيفها
العربية ، لارعت احتجولت الراي
العام العالي الى اكثر مما هي عليه بكل
تأكيد . ولكن ان هذا الفرق في الحاملة
تجد تصيرا لها في وجود مجموعات
والاقلية مسيحية قوية في اوروبا
والولايات المتحدة . ويشكر السيد
التران من طرفه لراي يحويل جوله
في تعبه بفتح سياسة اوروبية مستقلة
لا تتبنى الاكبر المتحدة حول حرب ١٩٤٧
ويلاحظ في تقرير السيد / تشريريس
جزمه مستغربا من بحث امريكي يقول :
تقيا كسب الاسرائيليين وخسر العرب
الغلبة كسب السويديون وخسر الامريكان .
وتفسير هذا التناقض في ان التصارات
اسرائيل تجعل العرب اشد حيلة الى
السلطة السويديية وتقتل اكثر تعرضا
للقوة السوييية . غير ان البلدان
الغلبة للمجلس الاوروبي لا يرفبون في
ان يكسبه هذا التناقض في ان تعرضا كيب
تسطيع هذه البلدان تخفيه ، وهي
مختلفة مع بعضها حول هذه النقطة .

خطا محطفي على الاغلب - والمواو ايمن

ويستند السيد / والترز إلى لصقته
 هي البروف. من العرب بولسا فيه فنام
 فاكر لهم ولراهم « وفاة فاجيرة حرب
 أخرى » مسوف تصبها على القلب
 لاسرائيل لتفوقها العسكري « وحل هذا
 بعد لعرب والولايات المتحدة ؟ لا يعتقد
 السيد هذا »

وبلاحظ ان مصر تعجبت الآن - في
 حالة مودة اراضي مصرية - على احترام
 استقلال اسرائيل الذي يفسد الازمة
 الكبار من جهة أخرى « ليس هذا مطلبه
 الاسرائيليون بالقدرة قبل ١٩٦٧ ؟ وإذا
 كان هذا هو الحل « فخلينا ان نعمل بحيث
 ان ينشأ أولئك ومؤلا ممتداتهم »

ولقد ولدت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨
 لاسباب « بنينا ان الاروبيين تسهرنا
 باحسان يافض في جرائم لم يكن حرب
 فلسطين يستولون منها على الاطلاق »
 ومع ذلك وقع عليهم ظم فاح « وعلينا
 ان نزع هذا الظلم بقدر الإمكان اذا اريد
 السلام حقيقة »

ان السلام اجمع يعرف لاسرائيل الآن
 يحق الحياة داخل حدود كبة وشبونة
 وليس في امكان الاسرائيليين ان يطلقوا
 بكثر منه « أما أوروبا « فمسلحتنا ان
 تقهر الطل الذي يتنقل من قرار توفير
 ١٩٦٧ « وذلك سيؤيد للحدود التمدل
 الختم على شبرور القار « ويحب ان
 يكون البند الاسري ان اتفاق يملى
 اسرائيل الاين « غير انه في الوقتضفة
 يملى العرب الاسرائيليين حقوقهم يعرف
 وما لدى أوروبا كلها « وهذا مذهب من
 الناحية الاخلاقية ومفيد من التسامحة
 السليمة »

السيد الرئيس - الكلية السيد /
 ملون

السيد / مابون MABON [الملحة
 المتحدة] [يفضي] يخفى ان المنقضة
 الحالية جدو له ذات طبع يزنطى جدا
 فالموصل الى السلام بين العرب
 والاسرائيليين ليس امرا من اختصاص
 الجبهة الاسرائيلية « ومع ذلك « فلذا
 اهم به « فمليه على الاقل ان يمتن
 بتقديم حلول عملية قراعى الواقع « وهذه
 الواقع تنفخ في الان الذي يكثر به
 زلاء « الفكنين قبله من جهة نجد داخل
 البلاد العربية جميعا في النزاع « وليس
 تلك الجارة لاسرائيل فقط « ومن جهة
 أخرى « نلا تتواجد فقط الولايات المتحدة
 والاتحاد السوفيتي في المنطقة بلواياها
 فرنسا والمملكة المتحدة « ورافلوا أوروبا
 وتؤدي به هذه الامكان ان يشك
 في فائدة التفورات الثلاثة الاولى لشروع
 القار « في حين ان القوة الرابعة تجد
 له من اهم القارات « مسئولية أوروبا
 غامرة بنذالية فدية الشرق الاوسط «
 مدام الذي تصب في نشأة الصهيونية
 ضد اليهود الذي مارسته اسرائيل الأوروبية
 ضد اليهود « وان كان اسلافنا اظلمت
 قوتهم ان واخر « غير ان هذا ليس يسموا
 لكي تصب أوروبا بخلافه في العرب
 هذه المرة « واذا تمكن التحدث في الايام

الاخيرة من الانسكان يزول من الجيوبية
 الجزائية « ندد انتعج يله ليس بناسرا
 للصومية ولا للرأسمالية « بل انه في
 بناسر البسالة جزائري «ولذلك يبدو له
 مسكنا لأوروبا « وخاصة أوروبا الموصية
 ان تطور علاقتها التجارية تطورا يمد
 على الجزا ينتعج اكن من علاقتها يمد
 كل بلد اوروبي على انفراد « وفي هذا
 فان الفترة [١٩٤٨] لاتبرن من شأن يوحى
 ان نحدد هنا من المستطاع تبنا ان فصل
 اليه « اما بالنسبة للفترة [١٩٤٨]
 تستحق ان تتلوا اقتراحات محددة
 لموصية « ولا شك العرب وخاصة
 الفلسطينيين في الاخلاص الاوروبي »
 [تصديق]

السيد الرئيس - الكلية السيد/ بيوتول
السيد / بيوتول BETTOL [إيطاليا]
 ان لس مشكلة العلاقات العربية
 الاسرائيلية لمسا بيجرا « ذلك لاني
 اعتقد ان فكرى واتبع من خلال الاسئلة
 التي وجبتها هذه المسباح الى الولين

المرى «
 واد نط ان القول ان هذه المشكلة
 الخاصة « مشكلة العرب او العلاقات بين
 اسرائيل وعرب « يجب ان توسع في إطار
 اوسع حتى نعلم تبنا « واعمى الوضع
 العسكري والسياسي الكلي في العالم
 اجمع « وهدف هذه النظرة للتشليل ان
 نذكر ما هو التفكير الذي يلمه جانب «
 ومضى الاستراتيجية التي تسير نحو
 تحديها مختلف « الكتلان « الصهيونية
 التي تتلزع الزعالية في العالم «
 هناك ثلاث « كنائس « شيوعية كما
 هو معروف « كنيسة « مسكو « التي
 كانت الاولى من الناحية التاريخية [«
 وكنيسة « بكيين « ثم كنيسة كوبا «
 ورغم باينها بين مصالح مختلفة في
 احوال محددة « او الأخرى المألوفة
 انها مختلفة « ورغم ما يتلزمها من
 خلافات مثالية بين الحين والحين [وقد
 يكون ان هذه الخلافات اصعبت بعد الان
 تدور المساح المعالقتها يملق بموسكو
 ويكن [« غير انه يوطيد التناهي بوجه
 واحد وهو السمي لاتناه العرب « وللمل
 حتى ينقسم العرب لمخطو في خطوة الى
 الام «

ولذلك « فرغم الجهود التي يبذلها
 حستولتية « فاني لا أؤمن في امكان
 الوصول الى السلم في السنوات القليلة
 القادمة « لقد استمرت حرب يمتلج حتى
 الان عشرين حليا « وسوفه تقوم عشرين
 حليا أخرى لان الروس ليريدون ان يفتقوا
 به الوجه أمام الصين « لقد ساعدت
 روسيا نيتال التسيلية كثيرا « اكرر ما
 ساعدت الصين « وفعلت هذا حتى لاتتعد
 نفوذها على الهند والقوق الأخرى في
 آسيا الجنوبية الغربية « وفي رأى ان
 الحرب بين اسرائيل وعرب ايضا مسوف
 تقوم حوليا باره بمراسل مختلفة « ما
 سيهدد به الشعوب بآلام شديدة « ذلك
 بانها حرب تمل للاتحاد السوفيتي فرصة
 حسنة للدخول في العالم العربي الاسلامي

الكنيسة « تستطع في هذا الشأن ايضا
 فيصل الى مركز الرابكة ويمتد التسليم
 بين بني البشر يجرز تنصا بعد ندم «
 واتحاج كوبا بدورها « كحاج يهدد
 الى الاسرائيليين على القار الصهيونية
 الجنوبية لالتماس على السداد مع أمريكا
 التسيلية »

وانى لا اعتد ان هذا كله يكن ان
 يؤدي الى وقوع مواجهة بيجرة « انه
 ليس لواحدة من الدول الصهيونية بحلقة
 في تلك المواجهة في الوقت العالي على
 الاقل بل وايضا خلال العشرين مسنة
 القادمة « غير ان هذا كله قد يؤدي الى
 يملته بول كاسترو : « اننا نحتاج
 الى مئة نيتال « اي نحتاج الى ان يوجد
 باقة بركي لاتساع العرب في العالم كله
 نيئة الطريقة لعد نقرس الان في البتار
 والصين والوسط « نقرسه في الراس
 او في الليل لتصب النبر الامريكي الى
 ان تسيل عليه « »

وهذا في رأى هو السبب لعدم نجاح
 الجهود التي يبذلها دول التيات المسنة
 في كل مكان « من الاملاز الكبير ليجية
 الامم المتحدة « التي تسيلها في السرك
 بارلوس « على المستوى السياسي ولا
 تصل ايدا الى ان تتيق « في اليافقاتا
 هذه التي تجري في صورة اخفق غيت
 انها اكثر كداسة ومسؤولية « فلكال الجهود
 جيمها يصيرها الا تصل الى نتائج اكودة
 وكيلة « فلي هذه اللحظة « كما قلت
 في الصباح « نقره روسيا ان تكون
 الخسيفي تمت تصيرها الفاص « ونفجست
 في الصل بسيرة فليقة خلال البوسنور
 والدارايل حتى فخلت البحر الابيض «
 وهي تريد اليوم فتح قناة السويس لان
 لها بحلة كبيرة في الاتصال بالاسطول
 السوفيتي الموجود بالمجد الهندي 1313
 لان هناك لائصف نيتال اخرى سنجرى
 بالضرورة بملقطة طويلة حولها « الصدا
 القدية الدائرة اليوم هي ان السوفيتي
 يستبعدون القضاء على افريقيا من خلا
 أحداث الحرب الاعلية في افريقيا « والى
 ان يرسلن القعد العالي لالبرامطورية
 الايوبية « فم يرويون تنطع لومال
 الايوبية كانه مركز للبول لمر لومال وان
 لم يكن مركزا متنازا « وقد وصلت
 الاوضاع في افريقيا الى حالة من الخطورة
 يمكن ان يمتد بخراتها « ان لم يكن يمتلج
 عليه فيالكندي يمتلج صغيرة اذ يخي
 عليه عشر سنوات وسقوط سنواستكيرة
 أخرى «

اننا نواجه ان سلسلة كيلة بين
 الاوضاع الخطرة والدينية في اجزاء
 مختلفة من العالم « وهي الاوضاع ضده
 حالة الطق والتفوي والاضاح والخوف
 في صفوف الامم الغربية وامريكا وفجيرة
 الاولى « والدينية القبلية التي تعققت في
 ان تنقسم الاسكندريون الى جانبين يسمون
 ويقلل ان التسيلية السليمة تزيد الوقت
 الحالية القليلة « وليس ان ملي بصيغة
 هذا القول « غير انه بين المؤكد ان

المجلس الأوروبي

تأسس في يوم ٨ مايو عام ١٩٤٨ ، من بلجيكا والدانمرك وفرنسا وإيرلندا وإيطاليا وفرنسوسبرج وهولندا والبرتغال والنموسود والمملكة المتحدة [برطانيا] وهو قسم :

١ - لجنة وزراء خارجية هذه الدول أو نوابهم

٢ - جمعية استشارية تتكون من ممثلين تختارهم الحكومات الأعضاء .. ونتج هذه الجمعية برّة كل عام في ستراسبورج بفرنسا ولها سلطة مناقشة كل المسائل ذات الأهمية المشتركة ، باستثناء مسائل الدفاع الوطني . ويترأس كل المجلس الوزاري والجمعية الاستشارية مسكونارية عالية المجلس الأوروبي .

ويمكن أن تقدم الجمعية الاستشارية توصيات إلى وزراء الخارجية ، ولكنها لا تملك أية صلاحيات أخرى . ويحق لأي دولة أوروبية قبول جنسية هذه الدول والحدود السياسية وحكم القانون ، أن تحصل على العضوية . وقد حصلت على عضوية المجلس الأوروبي منذ إنشائه عام ١٩٤٨ ، كل من النمسا وفنيس والمانيا الغربية وإسبانيا وسويسرا وتركيا واليونان ومالطة وتعددت لائحة المجلس الأوروبي أهدافه على النحو التالي :

[أ] تحقيق وحدة أكبر بين الأعضاء ، بغرض حماية وتحقيق المثل العليا والمبادئ التي تجمع تراثها المشترك ، وتمثيل تقدمها الاقتصادي والاجتماعي .

[ب] [المسمى نحو هذا الهدف من طريق أجهزة المجلس ، من خلال مناقشة المسائل ذات الأهمية المشتركة ، والحلول في القضايا ، والقيام بإجراءات مشتركة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتقنية والإدارية ، من طريق صياغة حقوق الإنسان والحريات الأساسية .

ولقد كان أساسا الجمعية السياسية للمجلس الأوروبي دائما ، رغم طابعه الاستشاري ، أنه جمع إلى عضويته بين مجموعة دول السوق الأوروبية المشتركة الست : [فرنسا والمانيا الغربية وإيطاليا وهولندا وبلجيكا وفرنسوسبرج] ، وإلى دول مجموعة منطقة التجارة الحرة الأوروبية أو « مجموعة السبعة » ، التي تشمل بريطانيا والنمسا والدانمرك والبرتغال والسويد وسويسرا .

الغرض من هذه المسألة التي تتركز حول إنشاء سوق مشتركة ، بل قدمت تقارير خاصة عن هذه المسألة ، غير أن هذا كله سفل في الفراغ .

وإلى آخر الأمر اليوم التبرير المخاض الذي قدمه صديقي شيرينس نلدي فيه طراز الشرق الأوسط حيثما من تلك الضرورة ، ضرورة أن توجد سياسة أوروبية مشتركة لأن أوروبا لم تكن حاضرة في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة . ولقد كان لكل أمة أوروبية غريبة سياستها الخاصة المتنافسة مع سياسة جاراتها أو صديقتها أو حليتها أو رعاياها في الرحلة . ولذلك نتج من هذه التناقضات السياسية غريب السياسة المشتركة للمجموعة ، وإفراغ سهل على خصنا أيها تسويل أن يحق رعايا سياسيا وسفيرا . إن خصنا هذا يحاول خنثا ، وفي اللحظة الحالية يستعمل لأنكر بلاد الشرق الأوسط الدرجة الأولى ، بل خطونا التي توحها باتنا في إبان تحت المظلة السوفيتية ، ويثبها مستطيع أن تعطى أوروبا من طريق لفتاها إلى ليتورل . ولتنا سبحا هذا الصياح كليا طويلا من ليتورل . وحتت سلاله هذا الحديث

السياسة الأمريكية الرسمية اليوم أكثر مرونة والحدود للظروف المكنة ، عند كثر لألاف الحديث من تخفيض التزامات الأمريكين وتسميهم من بعض المراكز للجمعية المحددة ، الأمر الذي يسل تسرد لا تتأني فيه تلك السياسة الحمية التي يتبعها الطرف الآخر ١ . وأنتا لمصلح ١ وقد روت منذ فترة أمة ذات المواقف الاكثلية المخلصة ، تركيا - غير أنني أقيمت إلى شعاعها العسكري الذي يماثل ضعف بلادها . وإن استطع وحدنا أن نلهم حوسا حلسا بل نحتاج إلى التقلل القوي لقوى الأصول السبسا في صياحات قليلة وإذا استمرت السبسا في اتباع سياسة التخليص من الترابيات فمن ذا اللين يضمن لنا اللين أن يمل لأستطول السادس في صياحات طفلة إلى اليرسبون أو قتال صلبة أو بخسقي ميسجا ؟

لذلك أنه يوجد أوضاع خطيرة الآن ، وأنها ثورة ونتيجة لسياسة التخليص ذات الطابع التضييقي ، سواء كانت الكتيبة الصلبة أو المستوركية أو الكوبية . ومثال هذه السياسة طفلة لسنوات طويلة أخرى ، لها من جابتها فلم يبق أمانا غير أن نتمكن من التخييص من سياسة مشتركة ، بفصال الحرب أو

توليد : إذا لم نكتفوا مساندا أو فكتم ضد مصالحنا ، على متدورتا أن نثبت عكشا إلى ليتورل . والرد ميسج . فلتنص إلى يتورل الشرق الأوسط يكن أن يتبرر أصحاب أوروبا الغربية ، ولكن الحقبة أيضا لنا تستطيع أن تبين الآخرين جوما إذا كنا محدين ومساكين وأتباع من النخبة الفنية ، وذلك لأن الاستلار إلى الفترة التضييكية - وأن توارت استمكتها الحيتي - مستطيع أن يسل شبا بفعل الثورة نفسها . وعليه على راي أن المشكلة تركب أساسا في توليد إيجابيات سياسة خارجية توجيهية بنفسه ، وهو الأمر الذي يتسبب من حل ملت الأمان لا أطمح - ولكن الأمر المؤكد أن هذه الحالة في العاصمة ، وهي الثورة الأخيرة التي تقدم إليها أيضا يتلقى طواع الشرق الأوسط - وإذا لم نلق أبواب هذا النزاع ، فسوف تظهر نزاعات أخرى على حثها . ولذلك لمصلحنا هو سياسة توجيهية وسياسة عازية ، وسياسة متباينة ، حتى نتمكن من أن نلقد في أوروبا الغربية ما هو روح أوروبا الغربية ذاتها ، الاستقلال والحرية .

[صليبي] السيد الرئيس - الكلية للسيد /

ندبي / السيد / خليبي DINGBY

[المصلحة المحددة] ، [تخفيض] - بوائق أصحاب التحويل على إلغاء كلية في المبالغة ، في نفس الكلية . ويعدى التخييص الكبير كلية - السيد بجويل ، وأن كان تحليله يثير الباب ؟ نعم ، لقد حيل تولد أوروبا في المصلح إلى درجة أكبر من اللام بالنسبة لتدريتها الاقتصادية والعسكرية ، وخاصة في شرقي البحر الأبيض .

ويرى المصلح أن كثر النموس / شيرينس دافع للتكوير ، وأن استنتاجاته من موقف السوفيت ، بأنهم لا يريدون السلام ولا الحرب ، استنتاجات صحيحة

دون شك ، لها وجهة نظره ، فهي أن الاتحاد التوليقي يربط قيادي شيء إعادة فتح قناة السويس حتى يتمكن بصرته من المزيد بعامون يحمي الأهداف الأخيرة . ولقد كان لديم كل المصلحة كلها ولكنها محسنة فتنز بليتالين ، فبالا يزال بورد المزيد من الأسلحة والتخييص أمر ١ . لا يمكن لأوروبا أن تظل مكترة . والآن نحن أن السوفيت ، إذ يتوقعون أن يفسح ليتورل في نهاية القرن ، يتحون من الحصول على موارد جديدة ، فإذا قلوا ربما يستع نحو الفلج اللتري على البلاد الأوروبية لمصلحة الحالة الجديدة الطورة ولي يمكن المرء أيضا أن يتصور رديتها في حصول أساطيلهم الأزمة على أصناف مستقرة ، ولي أن يرفوف حليم على المحيط الهندي حتى يتسوا من بعض البلاد - بل أفريقيا اللتري ورتيرل - للتكوير الصيني . ، ولذلك ، يجر التخييص الأخير

الذي جرى في دولتي الصين من الملم
الحر ، من اشتداد التوتر في علاقاتها
مع الاتحاد السوفيتي .

ولقاء السويس اليوم أهمية سياسية
أكثر منها اقتصادية ، والهدف من إعادة
تصميمها ليس من الأهمية الكبيرة ، ولتلبية
لطلبات البترول الجديدة ، بل أن السند
الأخرى أيضا البحرية التجارية ، ويتم
بحيث أن تحصل الدولور بإمراس الجراد
بدلا من أن تدفع موسم الشتاء ، أما
بريطانيا العظمى ، فهي لا تحتاج إلى
الفتاة ، فيسر أن الموانئ جعلت بحر
قناة للاندلاع السوفيتي فيمة لكن من الجدد
من المبدأ أن تلك البلاد الأوروبية ملائمة
مع الدول العربية ، وأن إجراء التغيرات
بين وزير الخارجية للبلاد الخمسة إلى
الجلسات الأوروبية ليعود بالتفصيل الوضع
دون شك .

السيد الرئيس = الكلمة للسيد /
هيدوفا
السيد = فيدوفاتو VEDOVATO
[: إيطاليا] = السيد الرئيس = الزلاء
المضمون سائكم يعني للاختصاصات
ذات الطبع الملم والتي يقرها أملاكي
معلقا على تقرير السيد = تشيرنايف
وكلت العرض الذي قدمه هذا المباح
وزير ج . م . السيد جديد =

جدونا للجمعية الدولية والأوروبية
اليوم بمسمة معلقين في العلاقة الروسية
الأمريكية التي تسببت لآخر المجر
والمناعة الروسية التوافق التي تتفق
لأحداث جديدة ، ويشأن أيضا للمف
السيد الذي دعاه من أوروبا الغربية ،
بما يزيد من ذلك المجر وهذه الأحداث
وأي الوقت نفسه ، لمسا نرى كيف يمكن
أن تتفق تلك الحادثة بواسطة المناس
المرجحة والمجهول المسمى وبالجملة
الجمرية ، التي تعود أحوال الملم
الاسيوي بها بين المجر وإمر اليكان =

ونجد في العلاقة الروسية الأمريكية
أن المواجهة الاستراتيجية النووية تثير
الاضطراب بين الحبيسة ومع التوسع في
نفسها . هذا بالإضافة إلى الاضطراب الآخر
الذي يزداد الحماة ، وأما الضمان بين
الأمم المتحدة في التكيف المتبادل
وبين اقتصاد السند الذي يطلب به
السويد ، وأن هذه كله وهي يمكن
معلق التفاوض على عمل إلى الميثاق
سائق الصلح بالتفاوضي أن لمستطع
الوصول إلى تفهيمه من غير أن هذا
ومعنا لفظ الوصول إلى تفهيمه تكون
في مصلحة القوة التقليدية الروسية
وارتباطها الكبيرة ، وهذا يربط بالقرعة
يعلن بين الكريمن - في نهاية
الامر - سالي تفهيمها من التوافق التسمية
والسياسة العسكرية بفضل اتفاق موسكو
في جهة والموقف الذي يوصل إليه الجانبين
في تارة الشؤون من جهة أخرى ، وهذا

الميلان الأول تنويعها نأب الامتداد كان
الثرة الروسية ليكون المساس بها ،
وشريعة النظام الإقتصادي ، هي تبة
موسكو أن تنهج العلاقة إلى التحصيل
بالإعداد على الطبع المستمر نمو أحده
تحديد الحجم الذي تصله القدرة الأمريكية
وأن هذه القدرة تلبية للغرب ، لكنها
محطة بظرف التوازن الذي يسببه المجر
وأما مبرطة بإحلاف تبرز فيها المصلح
الأذنية لكل شريك من الشركاء ، ولأنها
خاضعة للإجراءات الديمقراطية الكفلة
دائما والمرغسة دائما للثقل
بأثرها على الفهم مما يحصل
احتكاك التنفيذ وموضوعات مختلفة باستمرار

لأ العلاقة الروسية الألمانية
منازلت حتى الآن في حدود المواجهتين
الشرق والغرب ، إلا أن خطوات تحتت
في اتجاه تنفيذ أهداف « كارل غاري »
وعلى كل حال ، ولم كتة اتفاق موسكو
بالموصل على الاعتراف بالملحوب بالأم
الواقع في أوروبا الوسطى ، بل يشمل
هذا الاتفاق ضمينا للاعتراف أيضا بعدم
إمكان المساس بالتملك الروسية -
وبالتالي بنظرية برلينيه - في أوروبا
الشرقية وفي نظير الكريمن ، دخل
المستشار براننت يجلال موشيك من
القاضيين الذين سيحدثون لتسليمهم الآن
وقد أضافوا عزلة فتمتدحت تحت رحمة
الشرق السوفيتية والكتابات السياسية التي
حصلت على التعويض بالسلطة الممنحة ،
وقد أعلنت موسكو منذ زمن أحدها
التي ، وأولها تعطيل الضمان الغربي
الذي يعتبر شرطاً لوجود المانيا الاتحادية
فيه ، سواء كان في شكل حلف الأطلسي
أو السوق المشتركة ، وإذا أحضر هذا
الأبل إلى صلب مخطته - المالية التية
لأوروبا وذات تأثير كبير على الغرب كله
- ولوجوبها نمو روسيا وأمبراطوريتها ،
أسوة بترقب على ذلك أن زواله المشكل
الاقتصادية خطيرة في داخل السوق
الأوروبية المشتركة التي تعاني للمعيق
لواهي الركود ، وكذلك هذا نتيجة
لذلك العلاقة الاقتصادية المصانة بين
أوروبا وأمريكا ، فثان أحداثا لشكل
سيادية جديدة =
مائل النظام الاقتصادي السوفيتي -
المحدد على شريطة القوة - أن يتلقى
بالنسبة المكونة كاتفاقية الحقن =
ولك بأن يتعلق بالواردات الرأسمالية
المستحقة لألمانيا الغربية =

بل هناك ما هو أكثر من هذا = فهدفا
الكريمن أن يقف راسا على مذهب أسس
النسبة الغربية نفسها وهي المتحدة
على « لجان » ومخرج مارشل والسوق
الأوروبية المشتركة وجولة كيندي ، وهي
كلها أسس الضمان الذي دام خمس
ومعروف سنة - عمل فيه الغرب على
الاتصال نحو أشكال متغيرة من الوحدة
بين أجزائها المخططة بما يعود بالرعاية
على خصوصية =

واذلك = لا نشأنا مختلفين حثنا
تؤكد أن يادعي بتخفيف التوتر في موسكو
أوروبا ، وكذلك الموقف الذي تتخذه
روسيا السوفيتية على جانب قناة السويس
هذا كله يثبت أركان القوة السوفيتية
الغرب = فهدفت هذا في نفس الوقت
رد التي نمدها في الخطر الكيفية في إحلال
رد العمل النووي ، وفي مرحلة تطويعها
درجات الاتحاد الأطلسي والتكسيان
الغربي = والنتيجة المباشرة هي محاولة
تقوية الوجود العسكري والعلمي
في الشرق والميل على أن نستنتج
التدريج الغربية على السيطرة على الطرق
بين البحر الأبيض والمحيط الهندي .

وإذا استطاع الغرب أن يرهق على
قدرته السياسية والعسكرية - وإن
يصر العالم بظنك قوله = صنع بحرية
الضرب الثانية لكي يبدأ السبراني الأيام
وأن يعني لمارا وأن كتة هذه التبر
قليلة الملائمة من حيث حملة السلام
ويخطر أن تكون قوة الغرب مبددة ، على
إمكانه أن يقوم بشلط دولي من مشول
مسئولية كبيرة ، وأن وصل إلى التوازن
سبل التوازن المخططة والمرابطة اللازمة
على جهاز روسيا على أن تعد من قسمها
سواء في الشرق أو الغرب =

لقد تحدثنا لحمة السلام = وعليه
يلزم سؤال أسسها بما إذا كنا نستطيع
أن نهي أحداثا سلام حثي ، ولهذا
التوازن لجهة واحدة = ثم = يخطر
أن نترك لها أن تعطين النظام المثل
على شكل لتعارضه مع مصلح حلف الأطلسي
في مرحلة جده غير معلن على خطي
أوروبا الغربية من أي دور مستقل
ويؤثر به ، وهذا الدور لا يمكن أن يكون إلا
كتيجة لتلك العلاقات الملائمة المالية
وإن كانت تحول إلى سياسة كثيفة لوسع
بدي وأهم نشاطا تعدد على محورين
مشورية جديدة لغرب بين أمريكا وأوروبا
الوحدة =

وهذا الكلام يجب أن ينعقد لأوروبا
الوسطى حيث لم يبق بعد نظام
الرشوة السوفيتي بإفراطها شرعا وليس
هذا فحسب ، بل كترها حالة أيضا
بالنسبة للشرق والجزر الإيبي حيث
محت للحد مواقع الغرب الواحد
بعد الآخر رقم ما كان يبدو عليها من
قوة لاتين = ولم يزل حلفا استغلال
الصوب المخططة بل خصوصها غير المباشرة
للسلطة الروسية =

ورغم التطورات التديرة التي جرت
بؤخرة ، والتي متلفتها باستعانة
بهدد = فمبالا للتأويلين بين الآن
الفترة على التحرك المعال على الاستعادة
من مضم جابر الأضواء على أن أوروبا
الوسطى والبحر الأبيض فيما يتعلق
صلوات التديرة الجديدة التي يعبر اتفاق

هيدوفا

موسكو واستشاران الاحوال في السويس
تجديدا لها ، وقد بحثت هذا او هنك
تخطيط للمنطق ، واذا كان هذا الامر
اصلا ، فعليا استشاره للتدبير بروسا
الى ان مثل حولا ضميمه سيطرتها
السا والفرس موارثات جديدة بدلا منها .

ويصطحب كل اوروبي ، بالسرور الرئيس
ان يلقى المسلة المشتركة اذا وجد بين
اهدائه واحداث الاخرين ، وبماثل هذا
في نطاق السكان بادايت القوة الاوروبية
سلسة حتى اليوم وموجودة لاحقة الطفل

السيد الرئيس ... الكلمة للسيد /
جود .

السيد / جود JUDU [المملكة
الخفدة] ... [تخطيط] ... يلاحظ ان
نزاع الشرق الاوسط ليس بين اسرائيل
والبلاد العربية فقط ، فقد دخلت فيه
الدول الكبرى ارادت او لم ترد ، ولكنها
معالجة من السيطرة على الموقف ، وقرص
خطورة الموقف هذا على اعضاء المجلس
ان يتلقوا مؤرخين ويتفادوا استقل
بشاعر الجرم التي قد يصون بها ازاء
اليهود .

وبالنسبة للتدليل المروشي للبنائشة
يلاحظ التكم ان مشروع القرار يشير الى
قرار مجلس الامن في نوفمبر 1977 ،
غير ان هذه الاسرة ليست الا اجزئية
وهذا طوله لان الامر يتعلق بنس اختوية
جميع الفظه بمثابة كبيرة ، وفي رايه
ان التدليل يفتقر بامادة التوازن للتصو
المستبعد بها .

ويبدو الذين يبرزون اقلية العالمية
لاكان الوصول الى السكان الغدسية
بالنسبة لجيب بود العالم ، ويقوم الى
التابل في ان افندي من المواقف التي
لا مساوية فيها قد تؤدي الى نزاع جديد
وين الانقطاع ان تكون تصهت ان يمنع
الاسرائيليين شيكا من دخول الاكان
المكتسبة .

كما يلح من جهة اخرى على ضرورة
اثرناك المصرب الفلسطينيين باعتراهم
بجموعة سياسية في اي مساوية وان
سلما دائما يقرص وجود مشكلات ، غير
التابل في ان افندي من المواقف التي
لا مساوية فيها قد تؤدي الى نزاع جديد
وين الانقطاع ان تكون تصهت ان يمنع
الاسرائيليين شيكا من دخول الاكان
المكتسبة .

وعليه ، كتبت اسرائيل تستعمل حثا
هنا رفضت استتجال هذه القوة ، لها

بالنسبة للثروة التي احللت بضمها
تيلخط السيد / جود انه لو رفض يوتكت
ستدو مملاتيه جود ، لانتهت اقلية
اعضاء الامم المتحدة باره يندل الى
الدول القريبة .

فلما من ان يكون مجلس الامن نفسه
هو الذي يعنى الصلوات ويمنها اذا
اريد ان تكون هذه الصلوات جدية ،
ولكن على اوروبا ان تلعب دورا خاسا
بكل تأكيد في البرنامج التنفيذي الذي لا بد
ان يصاحب تلك الصلوات .

السيد الرئيس ... الكلمة للسيد /
مولوى

السيد / مولوى
[المملكة الخفدة] ... [تخطيط] ...
يعني السيد / شيرينس على الطريقة
التي كتب بها تقريره وقرصه ، رغم انه
لا يشتركه الراي ، فقد كان السيد /
شيرينس اعضاء هذا المجلس من ان
يعبروا عن انتهم بضمهم اوروبيين ،
ومن هذا حذا ، ان ان الوضع في الشرق
الاموسط وصل الى درجة من القليلة
لانتعاش بحيث ان اصيحت اوروبا ايضا
داخل الآفة سواء ارادت او لم ترد ،

ولما يقتصر بشكلا البحر الابيض ،
يعترف التكم بان اللوم الذي كثيرا ما
يوجهه الشباب الى الاجيال السلفية
بقها كتبت خبيثة ، لوم في محطه بعض
الآفة ، ولما ، اعتنا على الكلام بان
ايعار الاسطولين الامريكي والبريطاني في
البحر الابيض امر طبيعي ، في حين انه
لا يسمح ان يتواجد الاسطول السوفيتي .
ولا توجد بداحة اي مبرر لهذا التأكيد ،
لماحقية ان الذين يمتنون وجود السن
الامريكية والبريطانية في البحر الابيض
انما يريدونه بقل بسلطة لمسلمهم
لما الروس ، فهم يكرهون بنس المطلق
من طرفهم ، واذا استبرنا على عدم
الاعتراف بهذه المخلتق ، فلن نتعم في
طريق التنازع بين الاتحاد السوفيتي ،
ويشير التكم لنفسه بنظرا للديبلوماسية
لايل من اي مناصر كثر لها ، وهذا في
رايه سبب اخسائي ينتم من جمال
المخلتق بل وخاصة تجاهل الوجود ذاته
للاتحاد السوفيتي ، وهو الموقف الذي
يبدو ان بعضهم يفتقد ، ويعود جيب
كثير من اسباب هذا التنازع في وجود
الكل ، تلك الكتل نفسها المسئلة من
لوضع في الشرق الاوسط مسئوليكية

ولقد برز ان اعتقدت فيه الحكومة
وخاسة الحكمة البريطانية سالتنا تصرف
ببسم الرب ، والاذا اوجد دولة اسرائيل
هو صريح للسيد بلفور ، دون ان
يستشار في البر سكان المخلتق المعنى
باي صورة من الصور ، وان تذكر التنازع
بالمخفي من الاور التي لا بد منها ، فلما

كان على اوروبا الا تسمى الموقف المؤذي
الذي اتخذه من امهود ، لنسح الا
جعلها هذا فعل وزم نيس التنازع
الامم المتحدة ، غير ان موقف المبدع من
الاربيين من العرب ميع معاداة لسلطة
نفس قدر موقف اسرائيل من اليهود

ويشير التكم ان وجود الجمعية
الاستشارية ممكن اعضاءها من جهة
جعلها هذا فعل وزم نيس التنازع
الامم المتحدة ، غير ان موقف المبدع من
الاربيين من العرب ميع معاداة لسلطة
نفس قدر موقف اسرائيل من اليهود
ويشير التكم ان وجود الجمعية
الاستشارية ممكن اعضاءها من جهة
جعلها هذا فعل وزم نيس التنازع
الامم المتحدة ، غير ان موقف المبدع من
الاربيين من العرب ميع معاداة لسلطة
نفس قدر موقف اسرائيل من اليهود

السيد الرئيس ... الكلمة للسيد بولز
السيد / بولز MILEER [المملكة
الخفدة] ... [تخطيط] ... يرى ان
الصلوات الخفدة بالعدمية السببونية
ايها تصف ، وذلك لان افرل من يستطيع
ان يفتح اليهود من قولهم سوسيم
خاصة وانهم اكثر عددا من العرب في
الامم المتحدة ، وكذلك يبدو له غيرا
ان يفصل الجيش اسرائيل الى جميع
التزامات القتالية على سطح الارض ،
واذا ان الرعية الوحيدة لهذه الدولة هي
في ان تعيش في سلام ، ولها في هذا
السجل ان توجد الطول لمشكل لتست
بمستحقة ابدا ، وهي المنطقة اما
اللاتين او بالمالا الاقتصادية او
اللاتينية .

ويجند حق اسرائيل في الوجود على
اسس واحد كوخ من الشعب اليهودي
في استعادة مكانة بين جميع الامم
والتيال المخلتق ان يتار دور اوروبا
وهدما باعتبارها تزيد اسرائيل بسبب
مقدرة الكذب التي تشر بها ، لمسلطه
اليهود في اوروبا فقط ، بل وايضا في
البلاد العربية وان كان هذا في وقت
تصمينا للمعالم الخبيثة ، وعلى اي حال
لا يمكن ان يقتل العرب من مسئوليتهم
بماذم نزاع 1977 يعود الى التسليم
هنا جيبون يهودي في ان يعيشوا في
وجه الذين ارادوا ايمانهم .

حقني ان مشكلات دولية كتبت
لارائيل ، واذا كان ذلك من يرى ان
تخفيف اسرائيل من صرامة طلبها

يقولون ما نحن قسطنطينيا ولكنك ؟ لان الملك يذكره بما جرى في ١٩٦٧ مبرها على دولة واحدة لم تتقدم بوثائقها للتحقق من اجل اعادة فتح مضائق بيربان - له الذين يرون ان وجود اسرائيل نفسه امانة للعالم العربي ، فلا يحل للموار مهم . وفي رايها ان سياسة اسرائيل الوحيدة هي ان تجد لها مكانا في مخوف بلاد الشرق الأوسط .

ويشعر الملك مع الذين فكروا السيد - مجيد لمضبوهر ، ان استمع اليه واعتام . غير ان تقديره انه ترك العديد من التفت غابضة ، وشك في استطاعته ان يقدم الدليل على ان المحبة الوحيدة للمواضعت هي ارادة اسرائيل الاحتفاظ بالانفاق المحتلة . وعلى كل حال ، ليس لمر ان تدرس قريبا الامانة فتح تناف السويس بملابس في التنبه الى الامانة . وذلك يعرض الحكم على استعمال بعض الانكشاف بل والتمنع و « والمتنصر » وما دامت العرب لم تلتك بعد في ثغر البلاد العربية ، كيف يمكن للحدث من المتنصر ؟ وخلافا ، فهو يعلز المتنصر السلام المظفرين في مخلفهم من ان يملأوا مهنونا بعد احدى الأمم التي اضطرت الى التمسك على تحول دون القضاء عليها . [تصليق]

السيد الرئيس - الملك للسيد /

السيد / استيوس ستينوس

إلا الدانبارك ؟ - [تخفيص] . يعلن ان أوروبا أخذت منذ عام ١٩٤٨ ان تترت الى حواض الشرق الأوسط من خلال نظارة روية ، لتها اعبرت احد طرفي النزاع الاسرائيلي العربي بينا مضطوبا والطرف الاخر شريرا . ويعلن ان شتيع اوروبيا الى وجهتي نظر الطرفين وقصها . ولذلك فقد اسلمه التقرير بنية لمن :

وقد يكون مهيما ان مصر لا تلتزم الكثير من اجل زيادة من الثقة ، غير ان الصحيح ايضا ان اسرائيل لم تصحب الى مبادرة الرئيس المبادرات السلمية . ويلزم للتقرير مصر على رغبة في تحديد الهجرة الى اسرائيل : غير ان هذا كالموقف بغير ان حائل . الاكسبان ان يطر الى النزاع من الوثائق غير الرسمية . وعلاوة على ذلك ، يمكن التقرير للاجئين الفلسطينيين من انهم لا يمكن ان يكونوا في فلسطين المحتلة .

أرشامير ؟ ويكفر الآراء منذ قرأته للتقرير ولشروع القرار بان الأوروبيين يحلون التمسك من عدة القنب ائراء الشعب اليهودي ، تلك العقدة التي تخفيها المحلة السلبية التي مارسوها عليه من جهة ، والتمثل الذي لتيه سياستهم للمنطوية من جهة اخرى . وذلك لان الأوروبيين اقبلوا طلبا جديدا عنيا اسلوا فلسطين لليهود دون ان يصحوا لوجود الشعب الفلسطيني حصليا . ودون شك ، توجد هناك اسباب كثيرة تدعو الى الاعجاب بالاسرائيليين ومطقتهم وقدرتهم الانسانية غير الانصاف لحيث يتوسط من التصليق في موقفه وراء المواقف اكثر من اللازم .

ويقول التقرير « ان أوروبا مسئولة مسؤولة خاصة ازاد بلاد المنطقة [منطقة البحر الأبيض] التي تعتبر نفسها بلادا اوروبية والتي توجه مجعها الطبيعي نحو الانتاج الأوروبي سواء حليلا او أجلا . ويؤكد الملك ليه في الا تكون اسرائيل من بين هذه البلاد . فكبر خطا وقمت ليه اسرائيل فعلا هو تصرفا باعها لها بلدا اوروبيا أي كينس غريب في الشرق الأوسط . ولا ينبغي ان نضعها على الاستمرار في هذا ، بل على المتحان تصبح حقا دولة شرقية من دول الشرق الأوسط .

ويشير كل شيء الى رغبة مصر في السلام لكنها تحتاج اليه . ويعمل هذا جيشك الملك في ان يريد الاضداد السوفيتي الوصول الى تسوية من طريق المفاوضات ، لكنه سوف يستفيد من الاسطوانات التي يسك بلجها فكرة اكبر بما يجنبها من السلام . وما يثبت ذلك ان الجبروت او المصح لوجوده في مصر سوف تقدم اسجلها في حالة السلام وقد يكون هذا احد الاسباب التي تجعل مصر تريد السلام ، ان انها تشترك مع اسرائيل في امر واحد ، الا وهو انها جيت من تكويد استقلالها الاقتصادي .

غير ان اسرائيل لها خطاب لا تتفق مع قرار مجلس الأمن ، وهو ذلك القرار الذي حثه الدانبارك اسبابا للتسوية المستقرة في الشرق الأوسط . فاسرائيل جتني اليوم الطريق والتملق في هرم الشيخ والمبارات في القدس ، كما انها تقيم المستعمرات في حبرون [١] . وليس هذا هو السبيل لكثرة جو الثقة .

ومعتم الملك حديثه يقولون ان على الأوروبيين الذين يتصلون بمسؤولية النزاع في نهاية الامر ، ان يسهوا في البحث عن الحل ، وذلك بان يوسعوا ان من اسباب اية تسوية هو قرار مجلس الأمن وليس هذا بل هو مشروع القرار . ولذلك

قلن يسلي الكلام صوتك ؟ لا لا اتم تعديل .

السيد الرئيس - الملك للسيد /

السيد / يارديمسي YARDIMCI

[تركيا] : سيد الرئيس ، ارجو ان امر أولا من شكرك للسيد / تشينينس على تقريره المختار .

واود بعد ذلك ان اتول كلمات طيلة تتعلق بمسألة الشرق الأوسط . وارضى ان امير مرة اخرى من الموقف الذي اتخذه المظفر في السياسة الداخلية والخارجية بما . فقد هذه المظفر هذه السلبية دائما بتلك الجملة التي أصبحت مشهورة من بعده « السلام في البلاد والسلام في العالم » . وكنت هذه السياسة باستعداد الجدا الانسلي لجميع الحكومات التركية . ونحن ملتزمون بان بلدا من البلاد كما كان لا يثق له في ان يتنص من وحدة الأراضي لبلد اكبره ويقل ليس من حق أي بلد ان يتدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر .

ومن جهة اخرى ، على الأمم ان تتج العلاقات الاقتصادية والتجارية والاجتماعية الطيبة بينها مما كانت انظمتها ، وخاصة مع جاراتها .

وغضا ، اوكد ان علينا ان نظرمين الظن الى التسلسل السوفيتي في البحر الابيض المتوسط .

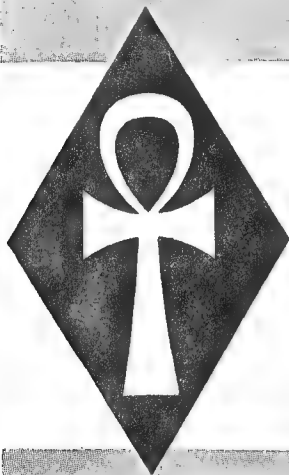
ويبدو لي انني اسلمت بهذه الكلمات الطيلة ان امير ليلاني الامراء ملكيت اود ان اقوله - [تصليق] .

السيد الرئيس - الملك للسيد /

السيد / ميتوتسي MINOTSI

[ايطاليا] : السيد الرئيس ، الزيادة المختصين ، مسانكم لامل تطل انني موافق تسلي على المصح التي تعبا الزيملان السيد - لسين ، والسيد مولوي في ترميخ التعديل الذي يقرحانه . وذلك مودا على موتي دين ترندسالح هذا التعديل ، واذا امير اقله المجلس سكب نسي جبرا على الانتاج من التصويت على القرار المعروض علينا للدراسة .

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين



رمز
كيمياء
للجودة
والانطلاق

باستاجها الجديد

نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة في الآزوت تضاعف
خبرته استخلاطية وتفعيل
مستوى الإنتاج الزراعي

إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» بأبوا

ابتداء من العدد القادم [يناير ١٩٧٢]

قدم أسرة الطليعة

استجابة للأغلبية اتجاه الأصدقاء والقراء
التي كشفت عنها ورقة الرأي

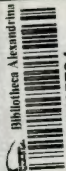
الملحق الأدبي والفني للطليعة

مجلة جديدة في ٣٢ صفحة داخل العدد

يشرف على التحرير

د. لطيفة الزيات . محمود درويش
غالي شكرى . سمير فريد . مبرى مافظ

Bibliotheca Alexandrina



0535794